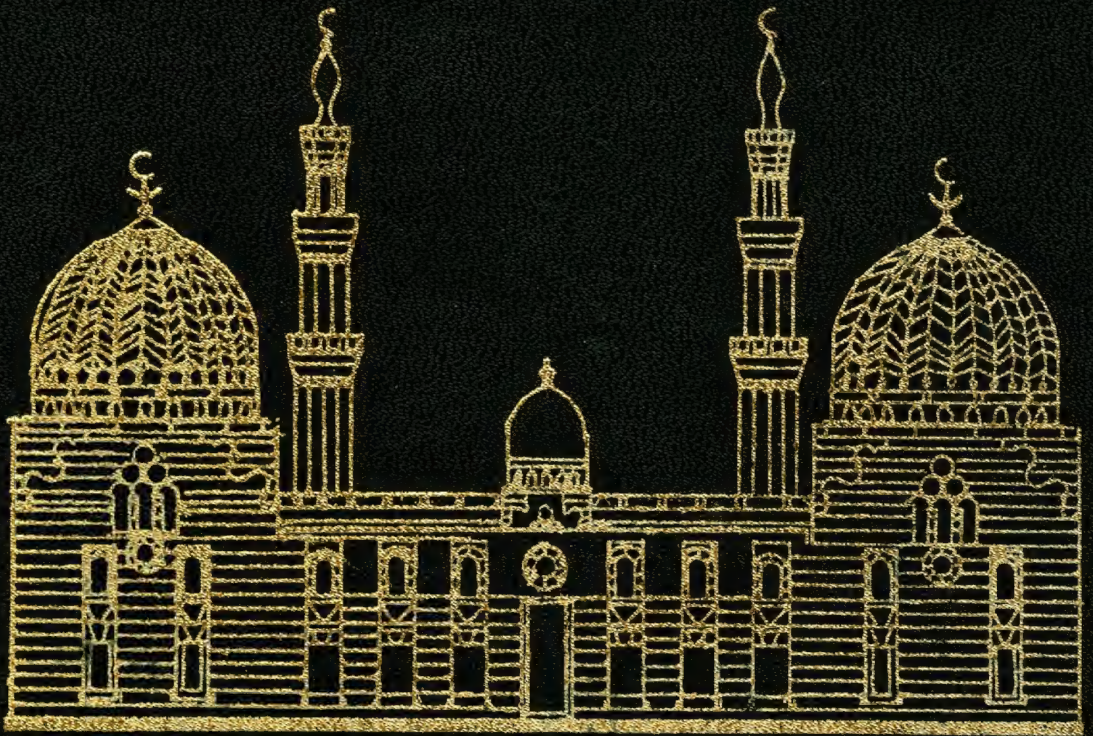


السيرة النبوية

للإمام أبي الفداء إسماعيل بن كثير



الناشر
دار المعرفة
للطباعة والنشر
بجدة - لبنان

السيرة النبوية

للإمام أبي الفداء إسماعيل بن كثير

٧٠١ - ٧٤٧ هـ

تحقيق

مصطفى عبد الواحد

المجلد الأول

١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م

دار المعرفة

للطباعة والنشر والتوزيع

هاتف ٢٣٦٧٦٩ - ٢٤٦١٦١

ص.ب ٥٧٦٩

بيروت - لبنان

السيرة النبوية

سيرة النذير

تقديم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله ، وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .
وبعد : فهذا كتاب السيرة النبوية للإمام الحافظ ، أبى الفداء إسماعيل بن كثير ،
أقدمه للأمة الإسلامية راجيا أن يكون فى نشره من الخير ما يحقق الفائدة وما يقدم
سيرة الرسول الكريم فى صورة دانية إلى الكمال قريبة إلى الحقيقة دقيقة فى العرض محصنة
الروايات والأخبار .

إن الإمام ابن كثير وهو الحافظ المتقن قد جمع كل الأخبار عن حياة الرسول ودعوته
وماسبقها من فترة الجاهلية ، وقد بذل جهدا فى تمحيص الأخبار ونقد أسانيدھا ، وإن كان
قد ترخص فى رواية بعض الأخبار الواهية كما سنبذكر .

وعمله هذا يضع أمام القارئ كل ما يمكن الإمام به فى هذا المجال ، ويجعله على بصيرة
فى تفهم السيرة النبوية ووعى أحداثھا .

وقد آسفنى أن تظل طبعة هذه السيرة الكريمة مليئة بالتشويه والتحريف بعيدة عن
الدقة والضبط ، فأثرت عرضھا صحيحة بريئة من التحريف والتصحيف قدر
الإمكان ، وضبطتها وشرح الغريب فيها ، والتعليق على ما يستبعد من
الأخبار والآثار .

وسأعود إلى قصة هذا الكتاب وعلى فيه بعد الحديث عن مؤلفه والإمام شىء
من أخباره (١) .

ابن كثير :

هو أبو الفداء عماد الدين إسماعيل ، بن عمر ، بن كثير ، بن ضوء ، بن كثير ،
ابن زرع ، القرشى ، الشافعى .

كان أصله من البصرة ، ولكنه نشأ بدمشق وتربى بها .

ولد بمجدل القرية من أعمال مدينة بصرى شرق دمشق ، سنة سبعمائة أو
إحدى وسبعمائة .

وتوفى بعد أن فقد بصره ، فى يوم الخميس السادس والعشرين من شعبان سنة
أربع وسبعين وسبعمائة ؛ عن أربع وسبعين سنة .

نشأته :

كان أبوه خطيبا لقريته ، ، وبعد مولد ابن كثير بأربع سنين توفى والده ، فرباه
أخوه الشيخ عبد الوهاب .

وعلى هذا الأخ تلقى ابن كثير علومه فى مبدأ أمره .

ثم انتقل إلى دمشق سنة ٧٠٦ فى الخامسة من عمره .

شيوخه :

كانت دراسة ابن كثير متجهة إلى الفقه والحديث وعلوم السنة ، إذ كانت الوجهة
الغالبة فى عصره ، وشيوخه فى هذا المجال كثيرون .

(١) ترجمته فى شذرات الذهب ٢٣١/٦ . والدرر الكامنة ٣٧٤/١ وذيل تذكرة الحفاظ للحسنى
٥٨ . وذيل الصبغات للسيوطى .

فقد تفقه بالشيخ برهان الدين إبراهيم بن عبد الرحمن الفزاري الشهير بابن الفركاح،
المتوفى سنة ٧٢٩ .

وسمع بدمشق من عيسى بن المطعم ، ومن أحمد بن أبي طالب المعمر الشهير بابن
الشحنة المتوفى سنة ٧٣٠ ؛ ومن القاسم ابن عساكر ، وابن الشيرازي ، وإسحاق ابن
الأمدي ، ومحمد بن زراد .

ولازم الشيخ جمال يوسف بن المزكي المرزئي ، صاحب تهذيب الكمال ، المتوفى
سنة ٧٤٢ .

وقد انتفع به ابن كثير ، وتخرج به ، وتزوج بابنته .
كما قرأ كثيرا على شيخ الإسلام تقي الدين بن تيمية ، المتوفى سنة ٧٢٨ ،
ولازمه وأحبه وتأثر بآرائه . وفي ذلك يقول ابن العماد : « كانت له خصوصية بابن
تيمية ومناضلة عنه واتباع له في كثير من آرائه ، وكان يفتي برأيه في مسألة الطلاق ،
وامتنح بسبب ذلك وأوذى » .

ويقول ابن حجر : « وأخذ عن ابن تيمية ففتن بحبه وامتنح بسببه » .
كما قرأ على الشيخ الحافظ المؤرخ شمس الدين الذهبي محمد بن أحمد بن قايماز
المتوفى سنة ٧٤٨ .

وأجاز له من مصر أبو موسى القرافي ، والحسيني ، وأبو الفتح الدبوسي ، وعلى بن
عمر الواني ، ويوسى الختني . وغير واحد .

وقد ولي ابن كثير مشيخة أم الصالح والتكرية بعد إمامه الذهبي . كما ذكره
الذهبي في مسودة طبقات الحفاظ^(١) .

(١) ذيل تذكرة الحفاظ للحسيني ٥٨ :

عصره :

عاش ابن كثير في القرن الثامن الهجري ، من بداية هذا القرن إلى قرب منتهاه ، في ظل دولة المماليك التي كانت تبسط سلطانها على مصر والشام .

وكانت في عصره نكبات شديدة شهدتها العالم الإسلامي ، ممثلة في هجومات التتار ، وفي كثرة المجاعات والأوبئة ، وفي تقلب السلطة بين أمراء المماليك الذين كانوا يوالون الانتقاض بعضهم على بعض ..

ويكاد الإنسان لا يفتح سنة من سنوات حياة ابن كثير في كتب التراجم والتاريخ إلا ويحد فيها أنباء المجاعات والأوبئة وهجومات الإفرنج والتتار ومصارع الأمراء ، مما لا يوصف بأنه حياة سياسية مستقرة .

ولكن تلك الحقبة التي عاشها ابن كثير من عصر المماليك كان يسودها نشاط علمي ، تمثل في كثرة المدارس واتساع نطاق التعليم وكثرة التأليف ، ولذلك أسباب مذكورة في التاريخ من تنافس الأمراء وكثرة الأوقاف على العلماء وبناء المدارس واتصال الأقطار الإسلامية بعضها ببعض ، وغير ذلك .

ولكن ذلك النشاط كان محصوراً في دائرة ضيقة دائرة الاتباع والتقليد والتأخير والاختصار والشرح ، كذلك كان هذا النشاط منصرفاً في كثرته إلى العلوم الشرعية وما يخدمها .

ويبدو طابع ذلك العصر واضحاً في ابن كثير ، إذ كان انصرافه إلى علوم السنة والفقه ، أو العلوم الشرعية بوجه عام وكانت مؤلفاته يغلب عليها طابع التأليف في عصره ، وهو الميل إلى اختصار كتب الأقدمين ، أو إدماج بعضها في بعض أو شرحها والتعليق عليها .

وإذا كان لابن كثير طابع تجديد تميّز به ، فإنه قد اكتسبه من علاقته بابن تيمية وحبه له وتأثره بأرائه ، فقد كان ابن كثير كأستاذ ابن تيمية ينفر من الخرافات ويميل إلى الرجوع إلى السنة ويعتمد على التحقيق والتدقيق بوسيلته التي يملكها ، وهي نقد الأسانيد وتمحيص الأخبار .

كذلك كان ابن كثير في تفسيره إماما وصاحب مدرسة ، إذ نفر من الإسرائيليات والأخبار الواهية ، كما نفر من التفلسف وإقحام الرأى فى كتاب الله ، وآثر منهج تفسير القرآن بالقرآن ثم بالحديث والأثر .

منزله وآراء العلماء فيه :

احتل ابن كثير منزلة عالية فى الفقه والتفسير والحديث والفتوى ..

يقول عنه الذهبي : « الإمام المفتى المحدث البارع ، فقيه متفنن ، ومفسر نقال ، وله تصانيف مفيدة .

ويقول عنه ابن حجر : « اشتغل بالحديث مطالعة فى متونه ورجاله ، وكان كثير الاستحضار حسن المفاكحة ، سارت تصانيفه فى حياته ، وانتفع الناس بها بعد وفاته » .

ويقول عنه ابن تيمية : « لازم الاشتغال ودأب وحصل وكتب ، وبرع فى الفقه والتفسير والحديث ، وجمع وصنف ، ودرس وحدّث وألف ، وكان له اطلاع عظيم فى الحديث والتفسير والفقه والعربية ، وغير ذلك . وأفتى ودرس إلى أن توفى » .

وقد اشتهر ابن كثير بالضبط والتحرّى والاستقصاء ، وانتهت إليه فى عصره الرياسة فى التاريخ والحديث والتفسير .

يقول عنه ابن حجر ، أحد تلامذته : « أحفظ من أدركناه لمتون الأحاديث ورجالها ، وأعرفهم بجرّحها وصحيحها وسقيمها ، وكان أقرانه وشيوخه يعترفون له بذلك ،

وما أعرف أنى اجتمعت به على كثرة ترددي إليه إلا واستفدت منه .

ويصفه ابن العماد الحنبلي فيقول :

« كان كثير الاستحضار قليل النسيان ، جيد الفهم يشارك في العربية وينظم نظما وسطا .

قال فيه ابن حبيب : سمع وجمع وصنف ، وأطرب الأسماع بالفتوى وشنف ، وحدث وأفاد ، وطارق أوراق فتاويه إلى البلاد ، واشتهر بالضبط والتحرير .
ويقول عنه ابن حجر :

« ولم يكن على طريق المحدثين في تحصيل العوالى وتمييز العالى من النازل ونحو ذلك من فنونهم ، وإنما هو من محدثي الفقهاء » .

ولكن السيوطي يوجب على كلام ابن حجر بقوله :

« العمدة في علم الحديث على معرفة صحيح الحديث وسقيمه وعله واختلاف طرقه ورجاله جرحا وتعديلا ، وأما العالى والنازل ونحو ذلك فهو من الفضلات ، لا من الأصول المهمة » .

شعره :

كان ابن كثير - كما قال ابن العماد - « ينظم نظما وسطا » ولا يُذكر له إلا القليل من النظم ، مثل قوله :

تمرُّ بنا الأيامُ تَتَرى وإنما نُساق إلى الآجال والعين تنظرُ
فلا عائدُ ذاك الشبابُ الذى مضى ولا زائل هذا المشيبُ المكدرُ
وعلى كل فهو لم يشتهر بقول الشعر .

أسلوبه :

كان ابن كثير يشارك في العربية ، وثقافته الأدبية جيدة ، ولكن أسلوبه كان على مقتضى عصره من إثارة السجع والميل إلى الحسنات ، ويشتمل أسلوبه في بعض الأحيان على ألفاظ لا تناسب مستوى ابن كثير .

وفي كتابه الذي تقدمه نماذج لذلك ، مثل استعماله كلمة « الأذية » وكلمة « مُشْتَرَى » وغير ذلك من أساليب غير متناسقة وجمل غير متناسبة .

والحقيقة أن ابن كثير لم يكن ممن يهتمون بالعبارة أو يتجملون في الأسلوب ، وإن كان أسلوبه في التفسير قويا متناسبا ، وإنما هو إمام مفسر وفقيه محدث ، ولم يكن أدبيا متفننا يحرص على جمال العبارة وتناسق الأسلوب .

كتبه :

اشتغل ابن كثير بالتأليف والتصنيف ، وأكثر كتب في الحديث وعلومه ، ومؤلفاته معدودة ، وأهمها :

١ - تفسير القرآن الكريم

الذي قال فيه السيوطي : « لم يؤلف على نمطه مثله » .

وهو يعتمد على التفسير بالرواية ، فيفسر القرآن بالقرآن ، ثم بالأحاديث المشتهرة يسوقها بأسانيد ، ثم ينقد تلك الأسانيد ويحكم عليها ، ثم يذكر الآثار المروية عن الصحابة والتابعين . وهو مطبوع مشهور .

٢ - « البداية والنهاية » في التاريخ .

وهو موسوعة ضخمة ، ابتدأ فيه بذكر قصص الأنبياء وأخبار الأمم الماضية ، وفقا

لما ورد في القرآن والأحاديث الصحيحة ، ويكشف زيف الإسرائيليات والغرائب والمناكير .

ثم يذكر أخبار العرب وأحداث الجاهلية ، ثم سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم حتى وفاته ، ثم يتابع أحداث التاريخ الإسلامي منذ خلافة أبي بكر حتى عصر ابن كثير في القرن الثامن الهجري .

ثم يختتمه بأشراط الساعة والفتن والملاحم وأحوال الآخرة .

وتاريخ ابن كثير هذا مرجع دقيق موفق لا يزال عليه التعويل . قال عنه ابن تقي بردي : « وهو في غاية الجودة » . وهو مطبوع ، وإن كانت طبعة رديئة .

٣ - اختصار علوم الحديث لابن الصلاح .

وهو كتاب نافع أضاف فيه ابن كثير فوائد كثيرة ، ورتبه واختصره . وهو مطبوع مع تعليقات للرحوم الشيخ أحمد شاكر باسم « الباعث الحثيث » .

٤ - مختصر كتاب « المدخل إلى كتاب السنن » للبيهقي ذكره في مقدمة اختصار علوم الحديث .

وهو مخطوط .

٥ - رسالة في الجهاد . مطبوعة .

٦ - « التكميل في معرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل » جمع فيه كتابي « تهذيب الكمال » للمرزى و « ميزان الاعتدال » للذهبي . وزاد عليهما زيادات مفيدة في الجرح والتعديل . وهو مخطوط .

٧ - « الهدى والسنن في أحاديث المسانيد والسنن » وهو المعروف بجامع المسانيد ، جمع فيه بين مسند أحمد والبخاري وأبي يعلى وابن أبي شيبة ، مع الكتب الستة الصحيحين والسنن الأربعة . ورتبه على أبواب وهو مخطوط .

٨ - مسند الشيخين أبي بكر وعمر .

وفيه - كما قال ابن كثير في سيرته التي بأيدينا صفحة ٤٣٣ - ذكر كيفية إسلام أبي بكر وأورد فضائله وشماله وأتبع ذلك بسيرة الفاروق رضى الله عنه ، وأورد ما رواه كل منهما عن النبي صلى الله عليه وسلم من الأحاديث وما روى عنه من الآثار والأحكام والفتاوى ، فبلغ ذلك ثلاث مجلدات والله الحمد والمنة ! كما قال ابن كثير .

وهو مخطوط أيضا لا ندرى أين هو .

٩ - السيرة النبوية مطولة ومختصرة ذكرها في تفسيره في سورة الأحزاب في قصة غزوة الخندق . ولم تنشر قبل .

١٠ - طبقات الشافعية . مجلد وسط ، ومعه مناقب الشافعى . مخطوط .

١١ - تخريج أحاديث أدلة التنبيه في فقه الشافعية .

١٢ - وخرّج أحاديث مختصر ابن الحاجب .

١٣ - كتاب المقدمات . ذكره في اختصاره مقدمة ابن الصلاح وأحال عليه .

١٤ - ويذكر ابن حجر أنه شرع في شرح للبخارى ولم يكمله .

١٥ - وشرع في كتاب كبير في الأحكام ، لم يكمل ، وصل فيه إلى الحج .

وهكذا نجد اتجاه ابن كثير نحو السنة وعلومها يتضح في كتبه ، وتغلب عليه روح عصره فيتجه إلى المختصرات والشروح ونحوها ، وظهر ابتكاره في كتابته لتاريخه الفذ : « البداية والنهاية » وفي تفسيره للقرآن الكريم .

ولم يخرج في تأليفه عن النطاق الذى دارت حوله دراسته وأفنى فيه عمره ، وهو الحديث والتاريخ والتفسير والأحكام .

وقد شاع الانتفاع بالقدر القليل الذى عرف طريقه إلى الناس من كتب هذا الإمام .

العظيم ، ولكن الأسى يغشانا حين نسأل : أين هذه الكتب التي تُذكر له ولا يهتدى إلى مكانها؟! والتي نعتقد أنها لو عثر عليها وقدمت إلى الناس لسدّت فراغا وحقت نفعاً .

إن من المؤسف أن يبدّد تراث عزيز وتحرم منه أمة محتاجة .. ونحن ندعو من هنا كلّ الذين يُعنون بأسر التراث الإسلامي ، وخاصة المسؤولين عن ذلك في الدولة : أن يبحثوا عن آثار هذا الإمام العظيم ، وأن يهبطوا لكتبه النافعة السبيل كي تأخذ طريقها إلى أيدي الناس ، وأن يعاد تقديم كتبه المطبوعة في صورة صحيحة لائقة ، بعيدة عن التجارة والاستغلال .

هذا الكتاب :

ولكتابنا هذا الذي تقدمه اليوم قصة ..

فاقد كان الخيطاندي أمسكنا به هو أن ابن كثير ذكر في تفسيره في سورة الأحزاب في قصة غزوة الخندق ، أنه قد كتب السيرة النبوية مطولة ومختصرة ، حيث يقول : « وهذا كله مقرر مفصل بأدلته وأحاديثه وبسطه في كتاب السيرة الذي أفردناه موجزا وبسيطا والله الحمد والمنة » .

ومعنى ذلك أن كتابته للسيرة النبوية قد عرفت طريقها إلى أيدي الناس في عصره ، ولكن البحث في ناحية المخطوطات لم يدل على وجود تلك السيرة ككتاب مستقل ، ويبدو أنه حينما ألف كتابه الضخم « البداية والنهاية » قد أدمج تلك السيرة فيه ، وأن شهرة ذلك الكتاب وانتشاره في الأنحاء ، قد جعل الناس يقرأون تلك السيرة فيه ، ولم يعد لها كيان مستقل ككتاب ، وإذا كان ابن كثير قد ذكر أنه له السيرة النبوية

مبسوطة ، أى مطولة ، فإنه لا يعقل أن يكتب فيها أكثر من ذلك القسم الموجود بكتابه « البداية والنهاية » .

ومن هنا فقد اتجهتُ إلى نشر « السيرة النبوية لابن كثير » وهى ذلك القسم الذى أفرده ابن كثير لأخبار العرب فى الجاهلية وسيرة النبی صلوات الله وسلامه عليه وتاريخ دعوته حتى وفاته .

على اعتبار أن هذا القسم هو السيرة النبوية المطولة التى أشار إليها ابن كثير فى تفسيره .

والذى دعانى إلى ذلك أسباب منها :

١ - أن تلك السيرة قد شغلت نحو ثلاثة أجزاء من كتاب البداية والنهاية ، من أواخر الجزء الثانى حتى أواخر الجزء الخامس ، وهى بذلك موزعة بين أربعة أجزاء .

٢ - أن هذه الأجزاء من البداية والنهاية مرتفعة الثمن جدا ، حتى لقد بلغ ثمن الجزء الثالث وحده أربعة جنيهات مصرية إن وجد !! تبعا لاحتكار التجارة فى المراجع وقلة النسخ الموجودة .

٣ - أن هذه الطبعة المشار إليها مليئة بالتحريف والتشويه بصورة فظيعة ، ولا أدرى كيف ظلت هذه الطبعة تتداول فى أيدي العلماء والطلاب مع أنها لا تكاد تخلو صفحة منها من تحريف أو تصحيف أو سقط .

تلك الأسباب جعلتني أرى فى نشر السيرة النبوية لابن كثير تحقيقاً لفوائد كثيرة . . .

أهمها تعميم النفع بها بعد أن كانت محصورة فى أيدي قلة ممن يقدرُونَ على شراء البداية والنهاية كلها بثمنها المرتفع .

ولذلك تحقيق قصد ابن كثير حين كتب تلك السيرة المطولة وأراد أن تشيع وحدها بين الناس . .

وكذلك إنصاف ذلك العمل الجليل من أن يظل في صورته الشائنة المليئة بالتحريف .

سيرة ابن كثير :

ونقف هنا مستعرضين كتابة ابن كثير في سيرة الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، متأمين في خصائصه باحثين عن منهجه .

١ - إن أول ما نلمسه في سيرة ابن كثير أنه اهتم بالرواية بالأسانيد ، تمشيا مع صيغته الغالبة عليه كإمام محدث ، وأكثر مروياته عن الإمام أحمد والبيهقي ، وأبي نُعَيْم . فلم يكتف بنقل ما كتبه أهل السير أمثال ابن إسحاق وموسى بن عُقبة ، ولكنه جمع ما رواه أهل الحديث وبذلك اكتسب مزية يتفرد بها بين من كتبوا في السيرة . وقد نقد ابن كثير بعض الأسانيد عند ما يكون المتن غريبا ، ليحكم على بعض الأحاديث ، وأحيانا يبين درجة الحديث دون أن ينقد السند .

٢ - ثم نجد ابن كثير يمتاز بأنه ينقل عن بعض كتب السير المفقودة مثل كتاب موسى بن عُقبة ، ومثل كتاب الأموي في المغازي ، كما ينقل عن بعض شروح السيرة مثل الروض الأنف للسهيلى ، والشفاء للقاضى عياض .

٣ - وفي مجال الاستشهاد بالشعر لا يهمل ابن كثير هذه الناحية ، ولكنه لا يتابع ابن هشام في كل مروياته من الشعر فيختصر بعضها ويهمل البعض الآخر .

٤ - وبالجملة فإن ابن كثير يحرص على جمع كل ما كتب في الموضوع الذى يتناوله ،

ولكنه لا يدمج الأحاديث والأخبار بعضها في بعض ، بل يحتفظ لكل نقل بطابعه ومكانه ، وكثيرا ما يعوزه الترتيب في النقل ، فلا ينسق الأخبار التي ينقلها حتى تكون وحدة منسجمة ، فأحيانا يبدأ بالخبر المطوّل ، ثم يذكر بعده أخبارا تحتوى على جانب من هذا الخبر أو تكررّه .

٥ - فإذا تتبعنا نقول ابن كثير عن غيره وجدنا فيها ظاهرة عجبية ..

هى : أنه يكاد لا يلتزم نص أى شيء ينقله . . ! فنقله عن ابن إسحاق أغلبها بالمعنى ، وقد تتبعنا ذلك في بعض الصفحات ، ورأيت أن إثبات الفروق بين ابن كثير وابن إسحاق شيء يطول مداه ، فابن كثير يقدم ويؤخر ويزيد وينقص ، ويغير ويبدل ويفوت بهذا التغيير والتبديل كثير من جمال عبارة ابن إسحاق وتناسقها .

كذلك نجد روايات ابن كثير للأحاديث تختلف بعض الاختلاف عما في أيدي الناس من الكتب التي ينقل ابن كثير عنها . .

فأحاديث البخارى التي يرويها ابن كثير بقوله : « وقال البخارى » لا تنطبق حرفيا مع صحيح البخارى الذى بأيدينا . .

كذلك القول في روايته عن صحيح مسلم وعن مسند أحمد وعن دلائل النبوة لأبى نعيم وعن دلائل النبوة للبيهقي ، وعن الشفا للقاضى عياض وعن الروض الأنف للسهيلى . .

تكاد لا تجد خبرا مطابقا بحروفه لما في الكتب المتداولة ، فلا يخلو الأمر من تغيير أو نقص أو اختصار . .

وحين نقف أمام هذه الظاهرة نبحث عن أسبابها فإن هناك أحد احتمالين :

(١) إمام أن يكون ابن كثير - وهو الإمام الحافظ المتقن - كان يعتمد على حفظه وروايته ولا ينقل عن النسخ المتداولة .

(٢) وإما أنه كانت هناك نسخ أخرى تختلف عما وصل إلينا من هذه الكتب . وعلى كل فإن مثل ابن كثير حجة في باب الحديث ولكنها على أى حال ظاهرة تستلقت النظر أن تكون روايات ابن كثير للأحاديث ونقوله عن الكتب مخالفة لما في أيدينا من هذه الكتب . . . وهي مخالفة لفظية يسيرة في بعض الأحيان .

٦ - فإذا ما تفحصنا منهج ابن كثير في الروايات ، رأيناه لا يبالي برواية كثير من الأخبار الواهية وخاصة في أخبار الجاهلية وهتاف الجان وقصصه . .
وقد كان بإمكانه ألا يلتفت إلى هذه الأخبار التي لا تمالك أمام النقد ، لكنه كان يبرىء نفسه بأمرين :

(أ) ذكر السند في كل خبر يثبته ، وبذلك يلقى التبعة على غيره .

(ب) أنه كان يعلق على بعض هذه الأخبار بأنه « غريب جداً » أو « لم يخرجوه » ونحو ذلك مما يضعف جانب الخبر . . لكننا مع ذلك نود أن لو أهل ابن كثير هذه الأخبار التي ليس لها سند من العقل أو الحقيقة ، والتي تزعم الأذهان وتشوش على الحقائق . . وخاصة فيما يتصل بحياة الرسول الكريم صلوات الله عليه ، فثلا الحديث الذي يرويه عن البيهقي عن العباس أنه قال للرسول صلى الله عليه وسلم : « رأيتك في المهد تنافى القمر وتشير إليه بإصبعك ، فحيث أشرت إليه مال » ثم يذكر موافقة الرسول على ذلك حديث لا يتفق مع العقل أو مع حقائق الوجود ، ولا ينبغي بعد ذلك أن يقول ابن كثير : « تفرد به أحمد بن إبراهيم الحلبي وهو مجهول » .

إن مثل هذا الحديث يفتح ثغرة أمام أعداء الإسلام ليهاجموا على السيرة النبوية من

باب أمثال هـ - هذا الحديث من الواهيات والموضوعات . .

كذلك خبر خالد بن سنان ، وهباف الجان وأساطيره ، سار فيها ابن كثير شوطا بعيدا ممتلئا بالخرافات والأساطير ..

لكننا مع ذلك ننتحل العذر لابن كثير في إثبات مثل هذه الأخبار ، إذ كان عصره يحتفل بها ويهتم بروايتها ، وإذ كان قصده في كتابه الجمع والاستقصاء ومادام قد أدخل تبعته بإسناد كل خبر إلى راويه واهتم بالتخريج والحكم ، فإنه بذلك يكون قد أدى واجبه وقام بما عليه .

٧ - إن المطالع للسيرة النبوية لابن كثير يحمده هذا الرجل جهده الذي قام به ، إذ مزج أخبار السيرة بروايات الأحاديث فسـ بذلك نهجا جديدا لم يكن من قبله يهتمون به .

وإذ جمع كل ما يمكن في هذا المجال ، فوضع أمام المطالع لكتابه مادة وافية تمكنه من الدراسة والإحاطة والاستيفاء .

وقد أعان ابن كثير على ذلك عصره المتأخر وإحاطته بالأحاديث وإجاداته للروايات والأخبار .

منهج التحقيق :

اعتمدت في إخراج السيرة النبوية لابن كثير على ما يأتي :

- ١ - نسخة مصورة من البداية والنهاية لابن كثير تحمل رقم ١١١٠ تاريخ بدار الكتب المصرية ، وهي مصورة عن مكتبة ولي الدين ٢٣٤٧ بالآستانة . وإليها الإشارة بالحرف (١) .
- ٢ - نسخة مخطوطة من البداية والنهاية بالمكتبة التيمورية تحمل رقم ٢٤٤٣ تاريخ وهي ناقصة من أولها .

٣ - النسخة المطبوعة من البداية والنهاية سنة ١٣٥١ بمطبعة السعادة وقد قوبلت على أصليين الأصل المصور المشار إليه في هوامشها بالنسخة المصرية. وعلى نسخة محفوظة بالمدرسة الأحمدية بحلب وعلى كل فإن مخطوطات البداية والنهاية المذكورة لا تتسم بالدقة، إذ أن فيها أخطاء أشرت إلى كثير منها في هوامش هذا الجزء، ويبدو أنها كتبت في عصور متأخرة، أو تولّى نسخها من لا يعوّل على التحقيق.

وقد كان جهدى في إخراج هذه السيرة متجها إلى ضبطها وتنقيتها من الأخطاء التي خرجت بها إلى الناس في النسخة المطبوعة الشائعة من البداية والنهاية وتشارك في أكثرها النسخ المخطوطة، فرجعت إلى الأصول التي أشار إليها ابن كثير، مثل كتب السير وكتب الحديث، عدا بعض ما لم يتيسر الرجوع إليه مثل معجم الطبراني وهواتف الجان للخرائطي ودلائل النبوة للبيهقي.

ولم أحاول إثبات الفروق بين ابن كثير وبين كل ما ينقل عنه، إذ تبينت - كما أشرت إلى ذلك قريبا - أن ابن كثير يخالف في كتابه النصوص التي بأيدي الناس من الكتب التي ينقل عنها، فلا يخلو الأمر من زيادة أو نقص أو تغيير أو تبديل، ولكني أثبت بعض الفروق على سبيل المثال، مثل الفروق بينه وبين البخاري ودلائل النبوة لأبي نعيم ومكارم الأخلاق للخرائطي، والروض الأنف للسهلي، ومسند أحمد وسيرة ابن هشام والشفاء ونحو ذلك، ولو أنى التزمت إثبات كل الفروق بينه وبين إسحق أو البخاري أو أحمد وغير ذلك، لطال الأمر واتسع المدى، وليس في ذلك كبير فائدة.

كذلك أثبت أهم الفروق بين النسخ المخطوطة والمطبوعة على ندرة ذلك.

ولم أعول في التعليق إلا على تصويب الأخطاء وشرح ما يغمض من المفردات، ولم أتوسع في التعريف بالأعلام، لأن ذلك لا فائدة منه في مثل هذا الكتاب، وحتى لا يخرج

بنا الأمر إلى أن يصير الكتاب حاشية من الحواشي القديمة ، إذ لا فائدة في التعليق على كل ما يمكن التعاليق عليه ، بل الفائدة في التعليق على ما يجب التعاليق عليه ، وقد يلمس القارئ أن أسانيد الروايات والأحاديث لم تظفر بما ينبغي لها من التعريف بهؤلاء الرجال وذكر وفياتهم ، ولو أنى فعلت ذلك لخرجنا بكتاب في رجال الحديث ما أرى قارئ السيرة النبوية بحاجة إليه ، وفي هذا الباب كتب متخصصة ميسرة لمن أرادها .

ويلاحظ أنى تدخلت بنقد بعض الأخبار التي ذكرها ابن كثير ، ولم أملك أمامها سوى الاستبعاد العقلي ، وقد رأيت ذلك واجبا حتى يتنبه القارئ إلى أنه ليس مطالبا بتصديق كل ما أثبتته ابن كثير في كتابه هذا مادام ليس ثابتا بدليل شرعى صحيح أو ليس له سند من العقل ، وخاصة الأشعار التي تبدو عليها الصفة والتكلف ، والأخبار الأسطورية التي لا تناسب يقظة البشرية وارتقاءها ، وليس جانب السند هو الذى يهمنى فى الخبر فحسب ، بل يُطلب أن يكون المتن أيضا منتسبا إلى الحقيقة بعيدا عن التزوير .

وقد نقد ابن خلدون ، وهو الإمام الحجة ، كثيرا من الأخبار بهذا المنهج ، منهج الاستبعاد العقلي وبيان منافاة الخبر للسنة الكونية والظروف التاريخية ، كما أشار إلى ذلك فى أول مقدمته .

ولم أر فائدة فى تخريج الأخبار ، أى ذكر ما كن وجودها فى الكتب ، إذ أن أكثر أخبار السيرة مشترك بين الكتب التي تتناولها ، فلا يفيد القارئ أن نذكر أن هذا الخبر مثلا موجود فى سيرة ابن هشام وتاريخ الطبرى وشرح المواهب والشفاء والروض الأنف ودلائل النبوة لأبى نعيم وعيون الأثر والاكتفا للسكلاعى والوفا لابن الجوزى والسيرة الحلبية وما إلى ذلك من كتب السيرة بالإضافة إلى ما يمكن أن يوجد فيه الخبر من كتب الحديث ، وفى كل ذلك نذكر أرقام الصفحات ، إنَّ ذلك كان يملاً حيزاً كبيراً لا حاجة

إليه ، ويكفى أن يعلم القارئ أن أكثر أخبار السيرة النبوية وما قبلها من فترة الجاهلية مشترك بين هذه الكتب التي ذكرناها وغيرها من كتب الحديث والسيرة .

إن الذى عنيت به هو أن تخرج هذه السيرة الكريمة مضبوطة بريئة من التحريف والتشويه الذى كان يحيط بها فى طبعة البداية والنهاية ، وأن أشرح ما يحتاج إلى الشرح من المفردات وأن أشير إلى ما أصلحته من أخطاء ، وما عثرت عليه من أهم الفروق ، وأن أنبه إلى ما يستبعد من الأخبار .

ولا أزم أنى أدبت كل ما يجب على فى إخراج هذا الكتاب ، ولكنى بذلت ما أمكن حسب الطاقة والظرف . وإنى اليوم وأنا أقدم الجزء الأول من هذه السيرة ، أخلص النية فى بذل ما يمكن فى سبيل إخراج بقيتها فى أقرب ثوب إلى الصحة والكمال ..

إن الظروف التى طبع فيها هذا الجزء ، ولم أكن فيها قريباً من المطبعة ، بل اضطررتى ظروف العمل إلى أن أكون بعيداً عنها ، قد جعلت فرصة لوقوع بعض الأخطاء التى تداركتها فى آخر الكتاب ، وبعضها مطبوعى بحت ، والآخر سهو ونقص ، ومنها قسم هو من أخطاء أصول الكتاب تبينته من المراجع ونهت إليه حتى يكون القارئ على بصيرة من أمره .

وحسبى فى هذا العمل نيتى وقصدى ، ولكل امرئ ما نوى ..
راجياً من الله سبحانه أن ينفع به وأن يهينى لى إتمامه بما يرضيه ، إنه واهب الرشد ومانع التوفيق ؛ له الحمد فى الأولى والآخرة ، نعم للمولى ونعم النصير ما

مصطفى عبد الواسع

القاهرة { ٢٣ من ذى الحجة سنة ١٣٨٣
٥ من مايو سنة ١٩٦٤

ذِكْرُ أَخْبَارِ الْعَرَبِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قيل : إن جميع العرب ينتسبون إلى إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام والتحية والإكرام .

والصحيح المشهور أن العرب العاربة قبل إسماعيل ، ومنهم عاد وثمود وطسم وجديس وأميم وجُرهم والعماليق ، وأمم آخرون لا يعامهم إلا الله ، كانوا قبل الخليل عليه الصلاة والسلام وفي زمانه أيضاً .

فأما العرب المستعربة ، وهم عرب الحجاز ، فمن ذرية إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام .

وأما عرب اليمن وهم حمير فالمشهور أنهم من قحطان ، واسمه مهزم . قاله ابن ماكولا . وذكروا أنهم كانوا أربعة إخوة : قحطان وقاحط ومقحط وفالغ .

وقحطان بن هود ، وقيل هو هود . وقيل هود أخوه . وقيل من ذريته . وقيل إن قحطان من سلالة إسماعيل ، حكاه ابن إسحاق وغيره . فقال بعضهم : هو قحطان [ابن الهميسع ^(١)] بن تيمن بن قيذر [بن نبت ^(١)] بن إسماعيل . وقيل غير ذلك في نسبه إلى إسماعيل والله أعلم .

وقد ترجم البخاري في صحيحه على ذلك فقال : (باب نسبة اليمن إلى إسماعيل عليه السلام) حدثنا مسدد ، حدثنا يحيى ، عن يزيد بن أبي عبيد ، حدثنا سلمة رضي الله عنه

قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على قوم من أسلم يفتنّاضلون بالسيوف فقال : « ارموا بنى إسماعيل وأنا مع بنى فلان » لأحد الفريقين ، فأمسكوا بأيديهم ، فقال : مالكم ؟ قالوا : وكيف نرمي وأنت مع بنى فلان ؟ فقال : « ارموا وأنا معكم كلكم »^(١) .

تفرّده البخارى . وفى بعض ألفاظه : « ارموا بنى إسماعيل فإن أباكم كان رامياً ، ارموا وأنا مع ابن الأذرع » فأمسك القوم فقال ارموا وأنا معكم كلكم .

قال البخارى : وأسلم^(٢) بن أفضى بن حارثة بن عمرو بن عامر من خزاعة . يعنى : وخزاعة فرقة ممن كان تمزق من قبائل سبأ حين أرسل الله عليهم سيل العرم . كما سيأتى بيانه . وكانت الأوس والخزرج منهم ، وقد قال لهم عليه الصلاة والسلام : « ارموا بنى إسماعيل » فدل على أنهم من سلالة . وتأوله آخرون على أن المراد بذلك جنس العرب ، لكنه تأويل بعيد إذ هو خلاف الظاهر بلا دليل .

لكن الجمهور على أن العرب القحطانية من عرب اليمن وغيرهم ليسوا من سلالة إسماعيل .

وعندهم أن جميع العرب ينقسمون إلى قسمين : قحطانية وعدنانية . فالقحطانية شعبان : سبأ وحضر موت . والعدنانية شعبان أيضاً : ربيعة ومضر ، ابن زيار بن معدة بن عدنان ، والشعب الخامس وهم قضاة مختلف فيهم ، فليل إنهم عدنانيون قال ابن عبد البر : وعليه الأكثر . ويروى هذا عن ابن عباس وابن عمر وجبّير بن مطعم ، وهو اختيار الزبير بن بكار وعنه مصنف الزبيرى وابن هشام . وقد ورد فى حديث : « قضاة بن معدة » ولكنه لا يصح . قاله ابن عبد البر وغيره .

(١) صحيح البخارى ج ٢ ص ١٢٢ . (٢) البخارى : ومنهم أسلم .

ويقال : إنهم لم ^(١) يزالوا في جاهليتهم وصدر من الإسلام ينتسبون إلى عدنان ، فلما كان في زمن خالد بن يزيد بن معاوية ، وكانوا أخواله ، انتسبوا إلى قحطان ، فقال في ذلك أعشى بن ثعلبة في قصيدة له :

أَبْلِغْ قُضَاعَةَ فِي الْقِرْطَاسِ أَنَّهُمْ لَوْلَا خِلَافُ آلِ اللَّهِ مَاعُنِقُوا
قَالَتْ قُضَاعَةُ إِنَّا مِنْ ذَوِي يَمَنٍ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا بَرَّوْا وَلَا ^(٢) صَدَقُوا
قَدْ ادَّعَوْا وَالِدًا مَا نَالَ أُمَّهُمْ قَدْ يَعْلَمُونَ وَلَكِنْ ذَلِكَ الْفَرْقُ
وقد ذكر أبو عمرو السهيلي أيضاً من شعر العرب ما فيه إبداع في تمييز ^(٣) قضاة في
في انتسابهم إلى اليمن . والله أعلم .
والقول الثاني أنهم من قحطان ، وهو قول ابن إسحاق والكلبى وطائفة من
أهل النسب .

قال ابن إسحاق : وهو قضاة بن مالك بن حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن
قحطان . وقد قال بعض شعرائهم وهو عمرو بن مرة ، صحابي له حديثان :
يَا أَيُّهَا الدَّاعِي ادْعُنَا وَأَبْشِرْ وَكُنْ قُضَاعِيًّا وَلَا تُنْزِرْ
نَحْنُ بَنُو الشَّيْخِ الْحِجَّانِ الْأَزْهَرِ ^(٤) قُضَاعَةُ بْنُ مَالِكِ بْنِ حَمِيرِ
النَّسَبُ الْمَعْرُوفُ غَيْرُ الْمُنْكَرِ فِي الْحَجَرِ الْمَنْقُوشِ تَحْتَ الْمُنْبَرِ
قال بعض أهل النسب : هو قضاة بن مالك بن عمرو بن مرة بن زيد بن حمير .
وقال ابن لهيعة : عن معروف بن سويد ، عن أبي عشابة ^(٥) محمد بن موسى ، عن عتبة بن
عامر ، قال : قلت يارسول الله أما نحن من معد ؟ قال لا . قلت : فمن نحن ؟ قال :
أَنتُمْ مِنْ قُضَاعَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ حَمِيرِ .

(١) في الأصل : لن ، وهو خطأ (٢) المطبوعة : وما (٣) المطبوعة : تفسير . وهو خطأ
(٤) الحجان : الرجل الحبيب . والأزهر : المشرق الوجه . (٥) كذا بالمطبوعة وفي المخطوطة :
مشابة ولا وجود لهما . ولعله أبو عشانة حى بن يؤمن .

قال أبو عمر بن عبد البر : ولا يختلفون أن جُهَيْنَةَ بن زيد بن أسود بن أسلم بن عمران بن الحاف بن قضاعة قبيلةُ عَقْبَةَ بن عامر الجُهَنِيِّ ، فعلى هذا قضاعة فى المين فى حَمِير بن سبأ .

وقد جمع بعضهم بين هذين القولين بما ذكره الزبير بن بكار وغيره من أن قضاعة امرأة من جُرْهم تزوجها مالك بن حمير فولدت له قُضَاعَةَ ، ثم حَلَفَ عليها معدُّ بن عدنان ، وابنها صغير ، وزعم بعضهم أنه كان حَمَلًا فنسب إلى زوج أمه ، كما كانت عادة كثير منهم ينسبون الرجل إلى زوج أمه ^(١) والله أعلم .

وقال محمد بن سلام البَصْرِيُّ النَّسَّابُ : العرب ثلاثة جرائم : العدنانية والقحطانية وقُضَاعَةَ . قيل له : فأيهما أكثر العدنانية أو القحطانية ؟ فقال : ماشاءت قُضَاعَةُ ، إن تَيَأَمَّنَتْ فالقحطانية أكثر وإن تعدَّ نَتَّ فالعدنانية أكثر .

وهذا يدل على أنهم يتلونون فى نسبهم ، فإن صح حديث ابن لهيعة المتقدم فهو دليل على أنهم من القحطانية والله أعلم . وقد قال الله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ ^(٢) .

قال علماء النسب : يقال شُعُوب ، ثم قبائل ، ثم عَمَائِر ، ثم بطون ، ثم أَخْفَاز ، ثم فِصَائِل ، ثم عَشَائِر ، والعشيرة أقرب الناس إلى الرَّجُل وليس بعدها شئ .
ولنبداً أولاً بذكر القَحْطَانِيَّة ، ثم نذكر بعدهم عربَ الحجاز وهم العدنانية وما كان من أمر الجاهلية ، ليكون ذلك متصلاً بسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم إن شاء الله تعالى وبه الثقة .

(١) قال الجوانى فى كتابه أصول الأحساب : « جاءت بقضاعة على فراش مالك بن مرة ، فنسبته العرب إلى زوج أمه مالك بن مرة ، وهى عادة للعرب فيمن يولد على فراش زوج أمه . وقيل إن اسم الجرهمية قضاعة ، فلما جاءت بولدها سمته باسمها ، وقيل : بل كان اسمه عمرأ ، فلما تقضع عن قومه أى بعد سمي قضاعة » (٢) سورة الحجرات ١٣ .

وقد قال البخارى ﴿باب ذكر قحطان﴾ حدثنا عبد العزيز بن عبد الله، حدثنا سليمان ابن بلال، عن ثور بن زيد، عن أبي الغيث، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه»^(١) وكذا رواه مسلم، عن قتيبة عن الدَّرَّاءِ أَوْزْدِي، عن ثور بن زيد به. قال السهيلي: وقحطان أول من قيل له «أَبَيْتَ اللَّعْنَ» وأول من قيل له «أَنْعِمَ صَبَاحًا».

وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو المغيرة، عن جرير حدثني راشد بن سعد المُقْرَائِيّ عَزَّ. أبى حى، عن ذى فَجَرٍ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «كان هذا الأمر فى خير فَنَزَعَهُ اللهُ مِنْهُمْ فَجَعَلَهُ فى قَرِيشٍ (وسى ع و د ل ي هم) قال عبد الله: كان هذا فى كتاب أبى وحيث حَدَّثَنَا بِهِ تَكَلَّمَ بِهِ عَلَى الْإِسْتِواءِ، يعنى: «وَسَيَعُودُ إِلَيْهِمْ».

قصة سبأ

قال الله تعالى ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبُّ غَفُورٌ . فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْنِ ذَوَاتِى أَكْلِ خَطِّ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ . ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ يُجَازَى إِلَّا الْكَفُورَ . وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لِيَالِي وَأَيَّامًا آمِنِينَ . فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ (١) .

قال علماء النسب منهم محمد بن إسحاق : اسم سبأ عبدُ شمس بن يشجب بن يعزب ابن قحطان . قالوا : وكان أول من سبى من العرب فسبى سبأ لذلك . وكان يقال له الرأس ، لأنه كان يعطى الناس الأموال من متاعه . قال السهيلي : ويقال إنه أول من تتوَّج . وذكر بعضهم أنه كان مُسلماً ، وكان له شعر بشرّ فيه بوجود رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك قوله :

سَيِّمِلِكْ بَعْدَنَا مُلْكًا عَظِيمًا	نَبِيٌّ لَا يُرَخِّصُ فِي الْحَرَامِ
وَيَمْلِكُ بَعْدَهُ مِنْهُمْ مُلُوكٌ	يَدِينُونَ الْعِبَادَ بِغَيْرِ ذَامٍ
وَيَمْلِكُ بَعْدَهُمْ مِنْهَا مُلُوكٌ	يَصِيرُ الْمُلْكُ فِينَا بِاقْتِسَامٍ
وَيَمْلِكُ بَعْدَ قَحْطَانٍ نَبِيٌّ	تَقَى ، مُحِبٌّ (٢) خَيْرُ الْأَنَامِ
يُسَمَّى أَحْمَدًا يَالَيْتَ أَنِّي	أَعَرَّ بَعْدَ مَتَبَعْتِهِ بِعَامٍ

فَأَغْضَدُهُ وَأَحْبُوهُ بِنَصْرِي بِكُلِّ مُدَجَّجٍ وَبِكُلِّ رَائِي
مَنْ يَظْهَرُ فَكُونُوا ناصِرِيه وَمَنْ يَأْتِيهِ يُبْلِغُهُ سَلَامِي

حكاه ابن دحية في كتابه « التنوير في مولد البشير النذير » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو عبد الرحمن ، حدثنا عبد الله بن كريمة ، عن عبد الله [بن هبيرة السبائي عن عبد الرحمن بن وعله قال ^(١)] سمعت عبد الله بن عباس يقول : إن رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن سبأ ما هو ؟ أرجل أم امرأة أم أرض ؟ قال : « بل هو رجل ولدت عشرة ، فسكن اليمين منهم ستة ، وبالشام منهم أربعة . فأما اليمانيون فمذحج وكندة والأزد والأشعريون وأنمار وحير [عرباً كلها ^(٢)] وأما الشامية فلنخم وجذام وعاملة وغسان ^(٣) » .

وقد ذكرنا في التفسير أن فروة بن مسيك الغطفاني هو السائل عن ذلك ، كما استقصينا طرق هذا الحديث وألفاظه هناك والله الحمد .

والمقصود أن سبأ يجمع هذه القبائل كلها ، وقد كان فيهم التبابعة بأرض اليمين واحدهم تبع ، وكان ملوكهم تيجان يلبسونها وقت الحكم ، كما كانت الأكاسرة ملوك الفرس يفعلون ذلك ، وكانت العرب تسمى كل من ملك اليمين مع الشجر وحضر موت تبعاً ، كما يسمون من ملك الشام مع الجزيرة قيصر ، ومن ملك الفرس كسرى ، ومن ملك مصر فرعون ، ومن ملك الحبشة النجاشي ، ومن ملك الهند بطليموس ، وقد كان من جملة ملوك حير بأرض اليمين باقيس . وقد كانوا في غبطة عظيمة وأرزاق دارّة وثمار وزروع كثيرة ، وكانوا مع ذلك على الاستقامة والسداد وطريق الرشاد ، فلما بدّلوا نعمة الله كفرأ أحلوا قومهم دار البوار .

(١) سقط من المطبوعة ا وكان فيها : حدثنا ابن لهيعة عن عبد الله بن دعدة .

(٢) من المسند (٣) المسند حديث رقم ٢٩٠٠

قال محمد بن إسحاق عن وهب بن منبه : أرسل الله إليهم ثلاثة عشر نبياً . وزعم السدّي أنه أرسل إليهم اثني عشر ألف نبي ! فالله أعلم .

والمقصود أنهم عدّوا عن الهدى إلى الضلال وسجدوا للشمس من دون الله وكان ذلك في زمان بلقيس وقبائها أيضاً ، واستمرّ ذلك فيهم حتى أرسل الله عليهم سيّل العرم كما قال تعالى ﴿ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْنِ ذَوَاتِي أُكُلِ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ . ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴾ .

ذكر غير واحد من علماء السلف والخلف من المفسرين وغيرهم أن سدّ مأرب كان صنعته أن المياح تجري من بين جبّلين ، فعمدوا في قديم الزمان فسّدوا ما بينهما ببناء مُحْكَم جداً ، حتى ارتفع الماء فحكم على أعلى الجبلين ، وغرسوا فيهما البساتين والأشجار المثمرة الأنيقة ، وزرعوا الزروع الكثيرة ، ويقال كان أول من بناه سبأ بن يعرب ووسط إلى سبعين وادياً يفد إليه وجعل له ثلاثين فرسة يخرج منها الماء ، ومات ولم يكمل بناؤه ، فكمّله حمير بعده ، وكان اتساعه فرسخاً في فرسخ ، وكانوا في غبطة عظيمة وعيش رغيد وأيام طيبة ، حتى ذكر قتادة وغيره أن المرأة كانت تمر بالكتل على رأسها فيمتلئ من الثارما يتساقط فيه من فضجه وكثرته ، وذكروا أنه لم يكن في بلادهم شيء من البراغيث ولا الدواب المؤذية ، لصحة هوائهم وطيب فنائهم كما قال تعالى ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ ، وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴾ وكما قال تعالى : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ .

فلما عبدوا غير الله وبطروا نعمته ، وسألوا بعدّ تقارب ما بين قراهم وطيب ما بينها من البساتين وأمن الطرق ، سألوا أن يباعد بين أسفارهم وأن يكون سفرهم في مشاق

وتعب ، وطلبوا أن يبدّلوا بالخير شراً ، كما سأل بنو إسرائيل بدل المنّ والسّلوى
البقول والقناء والفوم والعدس والبصل ، فسلموا تلك النعمة العظيمة والحسنة العيمة
بتخريب البلاد والشتات على وجوه العباد ، كما قال تعالى (فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِم
سَيْلَ الْعَرَمِ) .

قال غير واحد : أرسل الله على أصل السد الفأر وهو الجرذ ويقال له الخلد ، فلما فطنوا
لذلك أرسدوا عندها السنانير فلم تُغنِ شيئاً ، إذ قد حُمّ القدر ولم ينفع الحذر كلاً لا وزر ،
فلما تحكّم في أصله الفساد سقط وانهار ، فسلك الماء القرار ، فقطّعت تلك الجداول والأنهار
وانقطعت تلك الثمار ، وبادت تلك الزروع والأشجار ، وتبدلوا بعدها بردىء الأشجار
والأثمار ، كما قال العزيز الجبار « وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْنِ ذَوَاتِي أُكُلِ خَطِّ وَأَثَلٍ »
قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد : هو الأراك وثمره البربر ، وأثل وهو الطرفاء . وقيل
يشبهه ، وهو حطب لا ثمر له « وَشَيْءٌ مِنْ سِدْرٍ لَقِيلٍ » وذلك لأنه لما كان يثمر اللبّق
كان قليلا مع أنه ذو شوك كثير وثمره بالنسبة إليه ، كما يقال في المثل : لَحْمٌ جَلِي غَشٍّ
على رأس جبل وعرٍ ، لا سهل فيُرْتَقَى ولا سمين فينتقى . ولهذا قال تعالى « ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ
بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَافِرَ » أى إنما نعاقب هذه العقوبة الشديدة مَنْ كَفَرَ
بنا وكذب رُسُلنا وخالف أمرنا واتهك محارمنا .

وقال تعالى : « فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ » وذلك أنهم لما هلكت
أموالهم وخربت بلادهم احتاجوا أن يرتحلوا منها وينتقلوا عنها ، ففترقوا في غور البلاد
ونجدّها أيدي سبّا شذر مذر ، فنزلت طوائف منهم الحجاز ، ومنهم خُزاعة ، نزّلوا ظاهر
مكة ، وكان من أمرهم ما سنذكره ، ومنهم المدينة المنورة اليوم ، فكانوا أول من
سكّنها ، ثم نزلت عندهم ثلاث قبائل من اليهود بنو قينقاع وبنو قريظة وبنو النضير ،
فخالفوا الأوس والخزرج وأقاموا عندهم ، وكان من أمرهم ما سنذكره ، ونزلت طائفة

أخرى منهم الشام وهم الذين تنصروا فيما بعد ، وهم غَسَّان وعاملة وبهراء وخلصم وجذام وتنوخ وتغلب وغيرهم .

قال محمد بن إسحاق : حدثني أبو عبيدة قال : قال الأعشى بن قيس بن ثعلبة ، وهو ميمون بن قيس :

وفي ذاك للموتى أسوة . ومأرب^(١) عفى عليها العرم
رُخَامٌ بَنَتْهُ لَهُمْ خَيْرٌ إِذَا جَاءَ مَوَارُهُ^(٢) لَمْ يَرَمْ
فَارَوَى الزَّرْعَ^(٣) وَأَعْنَابَهَا عَلَى سَعَةِ مَأْوَاهُمْ إِذْ قُسِمَ
فَصَارُوا أَيَادِي^(٤) لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَرْبِ طِفْلِ إِذَا مَا فُطِمَ

وقد ذكر محمد بن إسحاق في كتاب السيرة أن أول من خرج من اليمن قبل سيل العرم عمرو بن عامر اللخمي ، وخلصم هو ابن عدي بن الحارث بن مرة بن أد^(٥) بن زيد بن هيمس^(٦) بن عمرو بن عريب بن يشجب بن زيد بن كهلان بن سبأ . ويقال لخلصم بن عدي بن عمرو بن سبأ . قاله ابن هشام .

قال ابن إسحاق : وكان سبب خروجه من اليمن ، فيما حدثني أبو زيد الأنصاري ، أنه رأى جُرَدًا يحفر في سد مأرب الذي كان يحبس عليهم الماء فيصرفونه حيث شاءوا من أرضهم ، فعلم أنه لا بقاء للسد على ذلك ، فاعتزم على النقلة عن اليمن فكاد قومه ، فأمر أصغرَ ولده إذا أغلظ عليه ولطمه أن يقوم إليه فيأطمه ، ففعل ابنه ما أمره به ، فقال عمرو : لا أقيم ببلد لطم وجهي فيه أصغرُ ولدي . وعرض أمواله . فقال أشراف من

(١) مأرب : مأواه الذي يضطرب ويتموج .

(٢) موار : ما يقدر

(٣) الزرع : وهو تحريف .

(١) المطبوعة : ومأرب . وهو خطأ

(٣) المطبوعة : الزرع ، وهو خطأ

(٥) المطبوعة : أزد ، وهو تحريف

أشراف اليمين : اغتتموا غضبة عمرو فاشتروا منه أمواله . وانتقل في ولده وولد ولده .
وقالت الأزد لا تتخلف عن عمرو بن عامر . فباعوا أموالهم وخرجوا معه ، فساروا حتى
نزلوا بلاد عكَّ مُحْتَازِينَ يَرْتَادُونَ الْبِلَادَانَ ، فحاربتهم عكَّ ، فكانت حربهم سِجَالًا ، ففي
ذلك قال عباسُ بنُ مِرْدَاسٍ :

وعكُّ بنُ عدنانَ الذين تَلَعَّبُوا^(١) بِفَسَّانٍ حَتَّى طُرِدُوا كُلَّ مَطَرِدٍ

قال : فارتحلوا عنهم ففترقوا في البلاد ، فنزل آلُ جَفْنَةَ بن عمرو بن عامر الشام ،
ونزل الأوسُ والخزرجُ يَثْرِبَ ، ونزلت خِزَاعَةُ مَرَّأ^(٢) ، ونزلت أزدُ السَّرَاةِ السَّراةِ ،
ونزلت أزدُ عُحْمَانَ عُحْمَانَ . ثم أرسل الله تعالى على السد السيلَ فهدمه ، وفي ذلك أنزل الله
هذه الآيات . وقد روى عن السدى قريب من هذا .

وعن محمد بن إسحاق في روايته أن عمرو بن عامر كان كاهنا . وقال غيره : كانت
اسمراثة طريفة بنت الخير الحيرية كاهنة فأخبرت بقرب هلاك بلادهم ، وكانهم رأوا شاهد
ذلك في الفأر الذي سَاطَ على سدِّهم ففعلوا ما فعلوا والله أعلم .
وقد ذكرتُ قصته مطولة عن عكرمة فيما رواه ابن أبي حاتم في التفسير .

فصل :

وليس جميع سبأ خرجوا من اليمن لما أصيبوا بسيل العَرِمِ ، بل أقام أكثرهم بها ،
وذهب أهلُ مأربَ الذين كان لهم السد ففترقوا في البلاد ، وهو مقتضى الحديث المتقدم
عن ابن عباس أن جميع قبائل سبأ لم يخرجوا من اليمن ، بل إنما تشاءم منهم أربعة وبقى

(١) في أصول الأحساب للجواني ص ١١١ : تلقبوا

(٢) هو الذي يعرف بمر الظهران ، على مرحلة من مكة .

باليمن ستة ، وهم مَذْحِجٌ وَكِنْدَةُ وَأَنْمَارٌ والأشعريون . وَأَنْمَارٌ هو أَبُو خَنْعَمٍ وَبَحِيلَةُ وَحَيْرٌ ، فهؤلاء ست قبائل من سبأ أقاموا باليمن ، واستمر فيهم الملك والتبابعة ، حتى سلمهم ذلك ملك الحبشة بالجيش الذي بعثه صحبة أميريه أبرهة وأرياط نحواً من سبعين سنة ، ثم استرجعه سيف بن ذى يزن الحيرى ، وكان ذلك قبل مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم بقليل ، كما سند كره مفصلاً قريباً إن شاء الله تعالى وبه الثقة وعليه التكلان .

ثم أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهل اليمن عليّاً وخالد بن الوليد ، ثم أبا موسى الأشعري ومعاذ بن جبل ، وكانوا يدعون إلى الله تعالى ويبينون لهم الحجج ، ثم تغلب على اليمن الأسود العنسى وأخرج نواب رسول الله صلى الله عليه وسلم منها ، فلما قُتِلَ الأسود استقرت اليد الإسلامية عليها في أيام أبي بكر الصديق رضى الله عنه .

قصة ربيعة بن نصر بن أبي حارثة بن عمرو بن عامر

المتقدم ذكره اللّخمي . كذا ذكره ابن اسحاق . وقال السهيلي : ونُسَبَّ اليمن تقول : نصر بن ربيعة^(١) . وهو ربيعة بن نصر بن الحارث بن نمارة بن نخم . وقال الزبير ابن بكار : ربيعة بن نصر بن مالك بن شعوذ بن ملك بن عجم بن عمرو بن نمارة بن نخم . ونخم أخو جذام ، وسمى نخماً لأنه نخم أخاه على خده أى لطمه فعضه الآخر في يده فجذمها ، فسمى جذاما .

وكان ربيعة أحد ملوك حَمِيرِ التَّبَابِعة ، وخبره^(٢) مع شِقِّ وسطيح الكاهنين وإنذارهما بوجود رسول الله صلى الله عليه وسلم .

أما سَطِيح فاسمه رَبِيع بن ربيعة بن مسعود بن مَارِن بن ذُثْب بن عَدِيّ بن مازن

(١) الذى فى السهيلي : وبعضهم يقول فيه نصر بن ربيعة وهو فى قول نسب اليمن ربيعة بن نصر .

(٢) عطفها على قوله : قصة ربيعة .

غسان . وأما شِقِّ فهو ابن صَعْب بن يَشْكُر بن رُهْم بن أَفْرَك بن قيس ^(١) بن عَبْقَر ابن أُمَار بن نِزَار . ومنهم من يقول أُمَار بن إِرَاش بن حُلَيان بن عمرو بن الفوث بن نابت ^(٢) بن مالك بن زيد بن كَهْلان بن سَبَأ . ويقال إن سَطِيحاً كان لا أعضاء له ، وإنما كان مثل السطيحة ، ووجهه في صدره ، وكان إذا غضب انتفخ وجلس . وكان شِقِّ نصف إنسان ، ويقال إن خالد بن عبد الله القسري كان من سلالة . وذكر السهيلي أنهما ولدا في يوم واحد ، وكان ذلك يوم ماتت طريفة بنت الخير الحميرية ، ويقال إنها تفلت في قم كل منهما فورث الكهنة عنها ، وهى امرأة عمرو بن عامر المتقدم ذكره . والله أعلم .

قال محمد بن إسحاق : وكان ربيعة بن نصر ملك اليمن بين أضعاف ملوك التبابعة ، فرأى رؤيا هالته وقَطَعَ بها ^(٣) ، فلم يَدَعْ كاهناً ولا ساحراً ولا عاتفاً ولا منجماً من أهل مملكته إلا جمعه إليه ، فقال لهم : إني قد رأيت رؤيا هالتي وفضعت بها ، فأخبروني بها وبتأويلها . فقالوا : اقْضُضْها علينا نخبرك بتأويلها . فقال : إني إن أخبرتكم بها لم أطمئن إلى خبركم بتأويلها ، لأنه لا يعرف تأويلها إلا من عرفها قبل أن أخبره بها . فقال له رجل منهم : فإن كان الملك يريد هذا فليبعث إلى شِقِّ وسطيح ، فإنه ليس أحداً أعلمَ منهما ، فهما يخبرانها بما سأل عنه .

فبعث إليهما ، فقدم إليه سطيح قبل شق ، فقال له : إني قد رأيت رؤيا هالتي وفضعت بها ، فأخبرني بها ، فإنك إن أصبتها أصبت تأويلها . فقال أفعَل . رأيت

(٢) وتروى : نبت ، كما في الاشتقاق لابن دريد

(١) في ١ : قسر .

(٣) قطع بها : اشتدت عليه .

مُحَمَّة^(١) خرجت من ظُلَمَة ، فوقعت بأرضِ تهمة^(٢) ، فأكلت منها كلَّ ذاتِ جُحْمَة . فقال له الملك : ما أخطأت منها شيئاً يا سطيح ؛ فما عندك في تأويلها ؟ قال : أحلف بما بين الحرتين من حَنَس ، لتهبطن أرضكم الحبش ، فليملكن ما بين أبين إلى جُرش^(٣) . فقال له الملك : يا سطيح إن هذا لنا لغائظ موجه ، فمتى هو كائن أفي زمانى أم بعده ؟ فقال : لا وأبيك بل بعده بحين ، أكثر من ستين أو سبعين ، يمضين من السنين . قال : أفيدوم ذلك من سلاطينهم أم ينقطع ؟ قال بل ينقطع لبضع وسبعين من السنين ، ثم يقتلون ويخرجون منها هاريين . قال ومن يلى ذلك من قتلهم وإخراجهم ؟ قال يايه^(٤) إرم ذى وزن^(٥) ، يخرج عليهم من عدن ، فلا يترك منهم أحداً باليمن . قال : أفيدوم ذلك من سلاطينه أم ينقطع ؟ قال بل ينقطع . قال ومن يقطعه ؟ قال : نبي زكى^(٦) ، يأتيه الوحي من قبل العلى . قال وعن هذا النبي ؟ قال رجل من ولد غالب بن فهر بن مالك بن النضر يكون الملك في قومه إلى آخر الدهر . قال وهل للدهر من آخر ؟ قال : نعم يومٌ يجمع فيه الأولون والآخرون ، يسعد فيه المحسنون ويشقى فيه المسيئون . قال أحق ما تخبرنى ؟ قال : نعم ، والشفق والغسق ، والفلق إذا اتسق ، إنَّ ما أنبأتك به لحق .

قال : ثم قدم عليه شق فقال له كقوله لسطيح وكتمه ما قال سطيح ، لينظر أيتفقان أم يختلفان . قال : نعم رأيت مُحَمَّة خرجت من ظُلَمَة ، فوقعت بين روضة وأكمة ، فأكلت منها كلَّ ذاتِ نسمة . فلما قال له ذلك عرف أنهما قد اتفقا وأن قولهما واحد ، إلا أن سطيحاً قال « وقعت بأرض تهمة فأكلت منها كل ذات جحمة » وقال شق : « وقعت بين روضة وأكمة فأكلت منها كل ذات نسمة » فقال له الملك ما أخطأت ياشق منها شيئاً ، فما عندك

(١) الحمة : قطعة النار .

(٢) تهمة : منخفضة ومنه سميت تهامة . (٣) أبين وجرش : مخلافان من مخاليف اليمن .

(٤) المطبوعة : يليهم وهو خطأ .

(٥) إرم ذى وزن : إرم ذى وزن ، واسمه سيف ، لأنه شبهه بعماد إرم في عظم الخلق والقوة .

في تأويلها؟ فقال : أحلف بما بين الحرتين من إنسان ، لينزلن أرضكم السودان ، فليغلبن على كل طَفلة البنان ، وليلكن ما بين أبين إلى نجران . فقال له الملك : وأبيك ياشق إن هذا لنا لذهائظ موجه ، فتى هو كائن أفي زمانى أم بعده ؟ قال : لا بل بعده بزمان ، ثم يستنقذكم منهم عظيم دوشان ، ويذيقهم أشد الهوان . قال : ومن هذا العظيم الشان ؟ قال غلام ليس بدني ولا مدن^(١) يخرج عليهم من بيت ذى يزن . قال أفيدوم سلطانه أم ينقطع قال : بل ينقطع برسول مُرسل ، يأتي بالحق والعدل ، من أهل الدين والفضل ، يكون الملك في قومه إلى يوم الفصل . قال وما يوم الفصل ؟ قال : يوم يجزى فيه الولاية ، يُدعى فيه من السماء بدعوات تسمع منها الأحياء والأموات ، ويجمع الناس فيه للميقات ، يكون فيه لمن اتقى الفوز والخيرات . قال أحق ماتقول ؟ قال إى ورب السماء والأرض ، وما بينهما من رَفَعٍ وخفض ، إن ما أنباتك به لحق ما فيه أمض^(٢) .

قال ابن إسحاق : فوقع في نفس ربيعة بن نصر ما قالوا ، فجهز بنيته وأهل بيته إلى العراق ، وكتب لهم إلى ملك من ملوك فارس يقال له سابور بن خرزاذ فأسكنهم الحيرة .

قال ابن إسحاق : فن بقية ولد ربيعة بن نصر : النعمان بن المنذر ، بن النعمان بن المنذر ، بن عمرو بن عدى ، بن ربيعة بن نصر ، يعنى الذى كان نائباً على الحيرة للملك الأكاسرة ، وكانت العرب تفد إليه وتمتدحه . وهذا الذى قاله محمد بن إسحاق من أن النعمان بن المنذر من سلالة ربيعة بن نصر قاله أكثر الناس .

وقد روى ابن إسحاق أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لما جىء بسيف النعمان بن المنذر سأل جُبَيْر بن مُطعم عنه ممن كان ؟ فقال من أشلاء^(٣) قنص بن معد بن عدنان . قال ابن إسحاق : فأنه أعلم أى ذلك كان .

(١) المدن : المقصر في الأمور (٢) الأمض : الشك ، بلسان حمير (٣) الأشلاء : البقايا (٢ - السيرة - ١)

قصة تُبَّع أَبِي كَرْبِ ثُبَّانَ أَسْعَدَ ، ملك اليمن مع أهل المدينة
وكيف أراد غزو البيت الحرام ، ثم شرفه وعظمه وكساه اللؤلؤ
فكان أول من كساه

قال ابن إسحاق . فلما هلك ربيعة بن نصر رجع مُلْكُ اليمن كله إلى حسان بن
ثُبَّانَ أَسْعَدَ أَبِي كَرْبِ . وَثُبَّانَ أَسْعَدَ هو تبع الآخر ابن كُلْكِ كَرْبِ ^(١) بن زيد ،
وزيدُ تَبَّعِ الأول بن عمرو ذى الأذعار ، بن أبرهة ذى المنار ، بن الرائي ^(٢) ، بن
عَدِيٍّ ، بن صيفي ، بن سبأ الأصغر ، بن كعب كَهْفِ الظُّلَمِ ، بن زيد ، بن سهل ، بن
عمرو ، بن قيس ^(٣) ، بن معاوية ، بن جُشَمِ ، بن عبد شمس ، بن وائل ، بن النَوَّثِ ،
ابن قُطَنَ ، بن عَرِيبِ ، بن زُهَيْرِ بْنِ أَيْمَنِ ^(٤) بن الهميسع بن العرنجج ^(٥) . والعرنجج
هو حمير بن سبأ الأكبر ، بن يَعْرُبِ بْنِ يَشْجُبِ بْنِ قَحْطَانَ .

قال عبد الملك بن هشام : سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ^(٦) .

قال ابن إسحاق : وَثُبَّانَ أَسْعَدَ أَبُو كَرْبِ هو الذى قدم المدينة وساق الخبرين من
يهود إلى اليمن ، وعمرَّ البيت الحرام وكساه ، وكان مُلْكُهُ قبل مُلْكِ ربيعة بن نصر ،
وكان قد جعل طريقه حين رجع من غزوة بلاد المشرق ^(٧) على المدينة ، وكان قد مر بها
في بدأته فلم يهَجْ أهلها وخلف بين أظهرهم ابناً له فقتل غيلةً ، فقدمها وهو مُجْمَعٌ لإخراجهَا .

(١) كذا في الروض الأثف ، وفي ابن هشام : كلبي كرب . (٢) ويقال الريش ، كما في ابن هشام

(٣) الأصل : « قس » وهو خطأ . (٤) الأصل : أنس والتصويب من ابن هشام ٢٠/١

(٥) المطبوعة : العرنجج وهو خطأ . وليست النون في العرنجج زائدة ، وهو من قولهم اعرنجج الرجل

في أمره . إذا جد فيه ، كأنه افعلنل . الاشتقاق ٣٦٢ . (٦) الذى في ابن هشام : يشجب بن يعرب .

بدون ذكر سبأ . (٧) ابن هشام : حين أقبل من المشرق .

واستئصال أهلها وقطع نخلها ، فجمع له هذا الحى من الأنصار ورئيسهم عمرو بن طَلَّة^(١) أخو بني النجار ثم أحد بني عمرو بن مبذول ، واسم مبذول عامر بن مالك ابن النجار ، واسم النجار تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر .

وقال ابن هشام : عمرو بن طَلَّة^(١) هو عمرو بن معاوية بن عمرو بن عامر بن مالك بن النجار ، وطَلَّة أمه ، وهى بنت عامر بن زُرَيْق الخزرجية .

قال ابن اسحاق : وقد كان رجل من بني عدى بن النجار ، يقال له أحمر ، عدا على رجل من أصحاب تَبَع وجده يُحَدُّ عَدَقًا له فضربه بمنجله فقتله وقال : إنما التمر لمن أبرّه . فزاد ذلك تبعًا حنقًا عليهم فاقتتلوا .

فتزعم الأنصار أنهم كانوا يقاتلونه بالنهار ويقرّونه بالليل ، فيعجبه ذلك منهم ويقول : والله إن قومنا لكرام !

وحكى ابن اسحاق عن الأنصار أن تُبَعًا إنما كان حقه على اليهود وأنهم^(٢) منعوهم منه .

قال السهيلي : ويقال إنه إنما جاء لنصرة الأنصار أبناء عمه على اليهود الذين نزلوا عندهم في المدينة على شروط فلم يفوا بها واستطالوا عليهم . والله أعلم .

قال ابن اسحاق : فبينما تبع على ذلك من قتلهم إذا جاءه خبران من أحبار اليهود من بنى قريظة عالمان راسخان ، حين سمعا بما يريد من إهلاك المدينة وأهلها ، فقالا^(٣) له : أيها الملك لا تفعل فإنك إن أبيت إلا ما تريد حيل بينك وبينها ولم نأمن عليك

(١) الأصل : طلحة وهو خطأ (٢) المطبوعة أنهم .

(٣) المطبوعة : فقالوا .

عاجل^(١) العقوبة . فقال لهما ولم ذلك ؟ قالاهي مُهَاجِرُ نبي يخرج من هذا الحرم من قريش في آخر الزمان ، تكون داره وقراره .

فتناهى [عن ذلك] ورأى أن لهما علماً وأعجبه ما سمع منها ، فانصرف عن المدينة واتبعهما على دينهما .

قال ابن اسحاق : وكان تُبْعُ وقومه أصحاب أوثان يعبدونها ، فتوجه إلى مكة وهي طريقه إلى اليمن ، حتى إذا كان بين عُسْفَانَ وَأَمَجَ^(٢) أتاه نفر من هُذَيْل بن مُدْرِكَةَ بن ألياس بن مُصَرِّ بن زِيار بن مَعَدِّ بن عدنان ، فقالوا له : أيها الملك ، ألا ندلك على بيت مال دائرٍ أغفلته الملوك قبلك ، فيه اللؤلؤ والزبرجد والياقوت والذهب والفضة ؟ قال : بلى . قالوا : بيت بمكة يعبداه أهله ويصلون عنده .

وإنما أراد الهذليون هلاكه بذلك لما عرفوا مِن هلاك مَنْ أراد من الملوك وبنى عنده

فلما أجمع لما قالوا أرسل إلى الخبرين فسألهما عن ذلك ، فقالا له : ما أراد القومُ إلا هلاكك وهلاك جندك ، ما نعلم بيتاً لله عز وجل اتخذ في الأرض لنفسه غيره ، ولئن فعلت ما دعوك إليه تهلكن وليهلكن معك جميعاً . قال : فإذا تأمراني أن أصنع إذا أنا قدِمْتُ عليه ؟ قالوا : تصنع عنده ما يصنع أهله ، تطوف به وتعظمه وتكرمه ، وتحلق رأسك عنده وتذلَّ له حتى تخرج من عنده . قال فما يمنعكما أنتما من ذلك ؟ قالوا : أما والله إنه لبيت أينما إبراهيم عليه السلام ، وإنه لكما أخبرناك ، ولكن أهله حائلوا بيننا وبينه بالأوثان التي نصبوها حوله وبالدماء التي يهريقون عنده ، وهم نجسٌ أهل شرك . أو كما قالوا له .

(١) الطبوعة : جل ، وهو تحريف .

(٢) عسفان : منهلة من مناهل الطريق بين الجحفة ومكة . وأمَج : بلد من أعراض المدينة .

فعرف نُصَحَها وصدَّقَ حديثَها ، وقَرَّبَ^(١) النفر من هَذيل ففقطع أيديهم وأرجلهم ، ثم مضى حتى قدم مكة ، فطاف بالبيت ونحر عنده وحلق رأسه ، وأقام بمكة ستة أيام فيما يذكرون يَنْحَرُ بها للناس ويطعم أهلها ويسقيهم العسل ، وأرى في المنام أن يكسوا البيت ، فكساه الخَصَفَ^(٢) ، ثم أرى في المنام أن يكسوه أحسن من ذلك فكساه المعَافِرَ^(٣) ثم أرى أن يكسوه أحسن من ذلك فكساه الملاء والوصلات^(٤) ، فكان تُبَعِّعُ فيما يزعمون أول من كسا البيت ، وأوصى به ولاته من جُرْهم وأمرهم بتطهيره وأن لا يُقربوه دماً ولا ميتة ولا مثلاًة وهي الحايض ، وجعل له باباً ومفتاحاً .

ففي ذلك قالت سُبَيْعة بنت الأَحَبِّ تذكر ابنها خالد بن عبد مناف بن كعب بن سعد بن تَيْمٍ بن مُرَّة بن كعب بن لُؤَيٍّ بن غالب وتنهاه عن البنى بمكة وتذكر له ما كان من أمر تُبَعِّعُ فيها :

أَبْنَى لَا تَظْلِمَ بِمَكَّةَ لَا الصَّغِيرَ وَلَا الْكَبِيرَ
واحفظ محارمها بُنَى وَلَا يَفْرَنْكَ الْغُرُورُ
أَبْنَى مِنْ يَظْلِمُ بِمَكَّةَ يَلْقَ أَطْرَافَ الشَّرُورِ
أَبْنَى يُضْرَبُ وَجْهَهُ وَيَلْحُ بِخَدَيْهِ السَّعِيرُ
أَبْنَى قَدْ جَرَبَتْهَا فَوَجَدْتُ ظَالِمًا يُّورِ
اللَّهُ آمَنَهَا وَمَا بُنِيَتْ بِعَرَصَتِهَا قُصُورُ
وَاللَّهُ آمَنَ طَيْرَهَا وَالْعُصْمُ تَأْمَنُ فِي ثِيَرِ
وَلَقَدْ غَزَاهَا تُبَعِّعُ فَكَسَا بِنِيَّتِهَا الْحِيرُ

(١) ابن هشام : ف قرب

(٢) الخصف : حصر تنسج من خوص النخل ومن اليف .

(٣) المعافر : ثياب تنسب إلى قبيلة من اليمن .

(٤) الملاء : جمع ملاءة ، والوصلات : ثياب مخططة يمنة يوصل بعضها ببعض .

وأذلَّ ربِّي مُلكه فيها فأوفى بالنذور
يمشي إليها حافياً بفنائها ألفاً بعير
ويظلُّ يُطعم أهلها لحم المهارى والجزور
يسقيهم العسل المصفى فى الرحيض من الشعير
والفيلُ أهلك جيشه يُرمون فيها بالصخور
والملك فى أقصى البلا دوفى الأعاجم والخزير^(١)
فاسمع إذا حدثت وافهم كيف عاقبة الأمور

قال ابن إسحاق : ثم خرج تبع متوجهاً إلى اليمن بمن معه من الجنود والخزيرين ، حتى إذا دخل اليمن دعا قومه إلى الدخول فيما دخل فيه ، فأبوا عليه حتى يحاكموه إلى النار التى كانت باليمن .

قال ابن إسحاق : حدثني أبو مالك بن ثعلبة بن أبي مالك القرظي ، قال : سمعت إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله يحدث أن تبعاً لما دنا من اليمن ليدخلها حالت حير بينه وبين ذلك ، وقالوا : لا تدخلها علينا وقد فارقت ديننا . فدعاهم إلى دينه وقال إنه خير من دينكم . قالوا : تحاكمنا^(٢) إلى النار ؟ قال : نعم .

قال : وكانت باليمن ، فيما يزعم أهل اليمن ، نار تحكم بينهم فيما يختلفون فيه ، تأخذ الظالم ولا تضر المظلوم ، تفرج قومه بأوثانهم وما يتقربون به فى دينهم ، وخرج الخبران بمصاحفهما فى أعناقهما متقلديها ، حتى قعدوا للنار عند تحرجها الذى تخرج منه ؛ فخرجت النار إليهم فلما أقبلت نحوهم حادوا عنها وهابوها فذمرهم^(٣) من حضرهم من الناس

(١) الخزير : أمة من العجم ، ويقال لهم الخزير أيضاً . وفى المطبوعة : الخزور وهو تحريف .

(٢) ذمهم : حضهم . وفى المطبوعة : فزجرهم .

(٣) ابن هشام : فحاكنا

وأمرهم بالصبر لها ، فصبروا حتى غشيتهم فأكلت الأوثان وماقربوا معها ومن حمل ذلك من رجال حَمِير ، وخرج الخبران بمصاحفهما في أعناقهما تَعْرِق جباههما ولم تضرهما فأصفت (١) عند ذلك حَمِير على دينهما ، فَمِنْ هُنَاكَ كان أصلُ اليهودية باليمن .

قال ابن اسحاق : وقد حدثني محدث أن الخبرين ومن خرج من حَمِير إنما اتبعوا النار لِيَرُدُّوها ، وقالوا : من رَدَّها فهو أولى بالحق . فدنا منها رجال حَمِير بأوثانهم ليردوها فدنّت منهم لتأكلهم فحادُوا عنها ولم يستطيعوا رَدَّها ، فدنا منها الخبران بعد ذلك وجعلا يتلوان التوراة وهي تَنكُصُ (٢) عنهما حتى رَدَّها إلى مَخْرَجِها الذي خرجت منه ، فأصفت عند ذلك حَمِير على دينهما . والله أعلم أى ذلك كان .

قال ابن اسحاق : وكان رِثَامُ بَيْتًا لَهُمْ يَعْظُمُونَهُ وَيَنْجِرُونَ عنده وَيُكَلِّمُونَ منه إِذْ كانوا على شركهم ، فقال الخبران لَتُبْعَ : إنما هو شيطان يفتنهم بذلك ، فخلَّ بيننا وبينه . قال . فشأنكما به . فاستخرجا منه فيما يزعم أهل اليمن كلبًا أسود فذبجاه ، ثم هدمَا ذلك البيت ، فبقاياهُ اليوم — كما ذكر لي — بها آثار الدماء التي كانت تَهراق عليه .

وقد ذكرنا في التفسير الحديث الذي ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم « لا تَسُبُّوا تَبِعًا فَإِنَّهُ قد كان أسلم » قال السهيلي : وروى معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تسبوا أسعدَ الحِميري فإنه أول من كسى الكعبة » .

قال السهيلي : وقد قال تَبِعٌ حين أخبره الخبران عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شعراً :

شهدتُ على أحمدٍ أنه رسولٌ من الله باري النَّسمِ

(٢) المطبوعة : تنقص ، وهو تحريف .

(١) أصفت : اجتمعت .

فلو مُدَّ عُمرى إلى عمره لكنت وزيراً له وابنَ عمِّ
وجاهدتُ بالسيف أعداءه وفرَّجتُ عن صدره كلَّ همِّ

قال : ولم يزل هذا الشعر تتوارثه الأنصار ويحفظونه بينهم ، وكان عند أبي أيوب الأنصارى رضى الله عنه وأرضاه

قال السهيلي : وذكر ابن أبي الدنيا فى كتاب القبور أن قبراً حفر بصنعاء ، فوجد فيه امرأتان معهما لوح من فضة مكتوب بالذهب وفيه : هذا قبر لميس وحبي ابنتي تبع ، ماتتا وهما تشهدان أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وعلى ذلك مات الصالحون قبلهما .

ثم صار الملك فيما بعد إلى حسان بن تبان أسعد ، وهو أخو اليمامة الزرقاء التى صلبت على باب مدينة « جو » فسميت من يومئذ اليمامة .

قال ابن إسحاق : فلما ملك ابنه حسان بن أبي كرب تبان أسعد ، سار بأهل اليمن يريد أن يطأ بهم أرض العرب وأرض الأعاجم ، حتى إذا كانوا ببعض أرض العراق كرهت حنظل وقبائل اليمن السير معه وأرادوا الرجعة إلى بلادهم وأهلهم ، فكلّموا أخاً له يقال له عمرو ، وكان معه فى جيشه ، فقالوا له : اقتل أخاك حسان ونملكك علينا وترجع بنا إلى بلادنا . فأجابهم ، فاجتمعوا على ذلك إلا ذارعين الحميرى ، فإنه نهى عمراً عن ذلك فلم يقبل منه ، فكتب ذو رعين رقعة فيها هذان البيتان :

ألا من يشتري سَهراً بنويم سيده من بيت قرير عَيْن
فإمّا حمير غدرت وخانت ^(١) فمذرة الإله لذي رعين

ثم استودعها عمرًا . فلما قتل عمرو أخاه حسان ورجع إلى اليمن مُنِع منه النوم وُسِّلَ عليه السهر ، فسأل الأطباء والحَزَاة^(١) من الكهان والعرافين عما به ، فقيل له : إنه والله ما قتل رجل أخاه قط أو ذا رَحِمٍ بَغْيًا إلا ذهب نومُه وسلط عليه السهر . فعند ذلك جعل يقتل كلَّ من أمره بقتل أخيه ، فلما خَلَصَ إلى ذى رُعَيْن قال له : إن لى عندك براءة . قال وما هى ؟ قال : الكتاب الذى دفعته إليك . فأخرجه فإذا فيه البيتان فتركه ورأى أنه قد نَصَحَه .

وهلك عمرو فمرَّج أمرُ حمير عند ذلك وتفرقوا .

وثوب لَخْنِيعَة ذى شناتر على مُلْك اليَمَن

وقد ملكها سبعا وعشرين سنة .

قال ابن إسحاق : فوثب عليهم رجل من حمير لم يكن من بيوت الملك^(٢) يقال له لَخْنِيعَة^(٣) بنوف ذو شناتر ، فقتل خيارهم وعبث ببيوت أهل المملكة منهم ، وكان مع ذلك امرأً فاسقًا يعمل عمل قوم لوط ، فكان يرسل إلى الغلام من أبناء الملوك فيقع عليه فى مَشْرُبة^(٤) له قد صنعها لذلك ، لئلا يملك بعد ذلك ، ثم يطلع من مشربته تلك إلى حرسه ومن حضر من جنده قد أخذ مسواكا فجعله فى فيه ، ليعلمهم أنه قد فرغ منه .

حتى بعث إلى زُرْعَة ذى نواس بن تَبَّان أسعد أخى حسان ، وكان صبيا صغيرا حين قتل أخوه حسان ، ثم شب غلاما جميلا وسيما ذاهيئة وعقل ، فلما أتاه رسوله عرف ما يريد منه ، فأخذ سكيناً حديداً لطيفاً نجباء بين قدميه ونعله ، ثم أتاه فلما خلا معه وثب إليه فواثبه ذو نواس فوجأه حتى قتله ، ثم حز رأسه فوضعه فى الكوة التى كان يُشرف منها ،

(١) الحزاة : جمع حاز وهو الذى ينظر فى النجوم ويقضى بها . وفى المطبوعة : الحذاق .

(٢) ابن هشام : المملكة . (٣) قال ابن دريد : المعروف فيه لُحْيَة بغير نون ، وهو مشتق من اللخم وهو استرخاء اللحم — الاشتقاق (٤) المشربة : الغرفة المرتفعة .

ووضع مسواكه في فيه ثم خرج على الناس ، فقالوا له : ذا نواس أرطب أم يباس ؟ فقال
مثلُ نَحْمَاسِ استرطبان لا باس ^(١) فنظروا إلى الكوة فإذا رأس لخنيعة مقطوع ، فخرجوا
في أثر ذى نواس حتى أدركوه ، فقالوا : ما ينبغي أن يملكنا غيرك إذ أرحتنا من
هذا الخبيث .

فلما كوه عليهم ، واجتمعت عليه حِجْر وقبائل اليمين ، فكان آخر ملوك حمير ،
وتسمى يوسف ، فأقام في ملكه زمانا ، وبنجران بقايا من أهل دين عيسى بن مريم عليه
السلام على الإنجيل ، أهل فضل واستقامة من أهل دينهم ، لهم رأس يقال له عبد الله
ابن الناصر .

ثم ذكر ابن إسحاق سبب دخول أهل نجران في دين النصرى ، وأن ذلك كان على
يدى رجل يقال له قَيْمِيُون ، كان من عبّاد النصرى بأطراف الشام ، وكان مُجَاب
الدعوة ، وصَحْبِه رجل يقال له صالح ، فكانا يتعبدان يوم الأحد ويعمل فيمميون بقية
الجمعة في البناء ، وكان يدعو للمرضى والزَّمنى وأهل العاهات فيُشَفِّون ، ثم استأسره
وصاحبه بعضُ الأعراب فباعوها بنجران ، فكان الذى اشترى قَيْمِيُون يراه إذا قام في
مُصَلَّاه بالبيت الذى هو فيه في الليل يمتلىء عليه البيت نوراً ، فأعجبه ذلك من أمره .

وكان أهل نجران يعبدون نخلة طويلة يعلقون عايها حُلِيَّ نسائمهم ويعكفون عندها ،
فقال قَيْمِيُون لسيده : أرأيت إن دعوتُ الله على هذه الشجرة فهلكتُ أتعلمون أن الذى
أتم عليه باطل ؟ قال : نعم . فجمع له أهل نجران ، وقام قَيْمِيُون إلى مُصَلَّاه فدعا الله عليها ،
فأرسل الله عليها قاصفاً فجَعَفَهَا ^(٢) من أصلها ورمائها إلى الأرض ، فاتبعه أهل نجران على

(١) نَحْمَاسِ الرأس بلغة حمير . ومعنى استرطبان : أخذته النار ، وهى كلمة فارسية .

(٢) جَعَفَهَا : اقتلعها .

دين النصرانية ، وحملهم على شريعة الإنجيل حتى حدثت فيهم الأحداث التي دخلت على أهل دينهم بكل أرض .

فمن هنالك كانت النصرانية بنجران من أرض العرب .

ثم ذكر ابن إسحاق قصة عبد الله بن الثامر حين تنصّر على يدي فيميون ، وكيف قتله وأصحابه ذو نواس وخذّ لهم الأخدود . قال ابن هشام : وهو الحفر المستطيل في الأرض مثل الخندق . وأجّج فيه النار وحرّقهم بها ، وقتل آخرين حتى قتل قريباً من عشرين ألفاً . كما هو مستقصى في تفسير سورة (والسماء ذات البروج) من كتابنا التفسير والله الحمد .

ذكر خروج الملك باليمن من حمير

وصيرورته إلى الحبشة السودان

كما أخبر بذلك شق وسطيح الكاهنان . وذلك أنه لم يَنْجُ من أهل نجران إلا رجل واحد يقال له دَوْسٌ ذو ثعلبان على فرس له ، فبلك الرمل فأعجزهم ، فضى على وجهه ذلك حتى أتى قيصرَ ملك الروم ، فاستنصره على ذى نواس وجنوده ، وأخبره بما بلغ منهم ، وذلك لأنه نصراني على دينهم . فقال له بعدت بلادك منا ، ولكن سأكتب لك إلى ملك الحبشة ، فإنه على هذا الدين وهو أقرب إلى بلادك . فكتب إليه يأمره بنصره والطلب بثأره .

فقدم دَوْسٌ على النجاشي بكتاب قيصر ، فبعث معه سبعين ألفاً من الحبشة وأمر عليهم رجلاً منهم يقال له أرياط . ومعه في جنده أبرهة الأشرم ، فركب أرياط البحر حتى نزل بساحل اليمن ومعه دوس ، وسار إليه ذو نواس في حمير ومن أطاعه من قبائل اليمن .

فلما التقوا انهزم ذو نواس وأصحابه ، فلما رأى ذو نواس منازل به وبقومه وجّه فرسه في البحر ثم ضر به فدخل فيه نغاض به ضحضاح البحر حتى أفضى به إلى نمره . فأدخله فيها ، فكان آخر العهد به ، ودخل أرباط اليمن ومَلَكها .

وقد ذكر ابن إسحاق هاهنا أشعاراً للعرب فيما وقع من هذه الكائنة الغريبة ، وفيها فصاحة وحلاوة وبلاغة وطلاوة ، ولكن تركنا إيرادها خشية الإطالة وخوف الملالة . والله المستعان .

ذكر خروج أبرهة الأشرم على أرباط واختلافهما واقتتالهما وصيرورة مُلْك اليمن إلى أبرهة بعد قتله أرباط

قال ابن إسحاق : فأقام أرباط بأرض اليمن سنين في سلطانه ذلك ، ثم نازعه أبرهة حتى تفرقت الحبشة عليهما ، فأنحاز إلى كل منهما طائفة ، ثم سار أحدهما إلى الآخر ، فلما تقارب الناس أرسل أبرهة إلى أرباط : إنك لن تصنع بأن تلقى الحبشة بعضها ببعض حتى تفنيها شيئا ، فأبرز لي وأبرز لك ، فأينا أصاب صاحبه انصرف إليه جنده ، فأرسل إليه أرباط : أنصفت .

فخرج إليه أبرهة ، وكان رجلا قصيرا لحيا ، وكان ذا دين في النصرانية ، وخرج إليه أرباط وكان رجلا جميلا عظيما طويلا ، وفي يده حربة له ، وخلف أبرهة غلام يقال له عتودة يمنع ظهره ، فرفع أرباط الحربة فضرب أبرهة يريد يافوخه ، فوقعت الحربة على جبهة أبرهة فشرمت حاجبه وعينه وأنفه وشفته ، فبذلك سمى أبرهة الأشرم ، وحمل عتودة على أرباط من خلف أبرهة فقتله ، وانصرف جند أرباط إلى أبرهة ، فاجتمعت عليه الحبشة باليمن ، وودى أبرهة أرباط .

فلما بلغ ذلك النجاشى ملك الحبشة الذى بعثهم إلى اليمن غضب غضباً شديداً على أبرهة ، وقال : عَدَا عَلَى أَمِيرِي فَقَتَلْتَهُ بِغَيْرِ أَمْرِي ! ثم حلف لا يَدْعُ أَبْرَهَةَ حَتَّى يَطَّأ بِلَادَهُ وَيَحْزَنَ نَاصِيَتَهُ .

فخلق أبرهة رأسه ، وملاً جراباً من تراب اليمن ، ثم بعث به إلى النجاشى ثم كتب إليه : أَيُّهَا الْمَلِكُ ، إِنَّمَا كَانَ أَرْيَاطُ عَبْدِكَ ، وَأَنَا عَبْدُكَ ، فَاخْتَلَفْنَا فِي أَمْرِكَ ، وَكُلُّنَا طَاعَتُهُ لَكَ ، إِلَّا أَنِّي كُنْتُ أَقْوَى عَلَى أَمْرِ الْحَبَشَةِ وَأَضْبَطُ لَهَا وَأُسْوَسُ مِنْهُ ، وَقَدْ حَلَقْتُ رَأْسِي كُلَّهُ حِينَ بَلَغَنِي قَسَمُ الْمَلِكِ ، وَبَعَثْتُ إِلَيْهِ بِجَرَابِ تَرَابٍ مِنْ أَرْضِي لِيَضَعَهُ تَحْتَ قَدَمِهِ قَبِيرَ قَسَمِهِ فِيَّ .

فلما انتهى ذلك إلى النجاشى رضى عنه وكتب إليه أن اثبت برأض اليمن حتى يأتيتك أَمْرِي . فَأَقَامَ أَبْرَهَةُ بِالْيَمَنِ .

ذكر سبب قصْد أبرهة بالفيل مكة ليخرب الكعبة

فأهلكه الله عاجلاً غير آجل

كما قال الله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ . أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ . وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ . تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ ، فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ ﴾ .

قيل : أول من ذلّل الفيلة إفريدون بن أثقيان الذى قتل الضحّاك . قاله الطبرى . وهو أول من اتخذ للخيّل السُرُج . وأما أول من سخر الخيل وركبها فطهمورث ، وهو الملك الثالث من ملوك الدنيا ، ويقال إن أول من ركبها إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ، ويحتمل أنه أول من ركبها من العرب . والله تعالى أعلم .

ويقال إن الفيل مع عظمة خاقه يَفَرِّق من الهرّ ، وقد احتال بعض أمراء الحروب في قتال الهنود بإحضار سنابير إلى حومة الوغى فنفرت الفيلة .

قال ابن إسحاق : ثم إن أبرهة بنى القلّيس بصنعاء ، كنيسة لم يُرَ مثلاً في زمانها بشيء من الأرض ، وكتب إلى النجاشي : إني قد بنيت لك كنيسة لم يُبْنَ مثلاً للملك كان قبلك ، ولست بمُنْتَه حتى أصرف إليها حجّ العرب .

فذكر السهيلي أن أبرهة استذل أهل اليمن في بناء هذه الكنيسة الحسيسة ، وسخرهم فيها أنواعاً من السخر ، وكان من تأخر عن العمل حتى تطلع الشمس يقطع يده لا محالة ، وجعل ينقل إليها من قصر بلقيس رخاماً وأحجاراً وأمتعة عظيمة ، وركّب فيها صلباناً من ذهب وفضة ، وجعل فيها منابر من عاج وأبنوس ، وجعل ارتفاعها عظيماً جداً واتساعها باهراً ، فلما هلك بعد ذلك أبرهة وتفرقت الحبشة كان من يتعرض لأخذ شيء من بنائها وأمتعتها أصابته الجن بسوء ، وذلك لأنها كانت مبنية على اسم صنمين ، كعيب وامرأته ، وكان طول كل منهما ستون ذراعاً ، فتركها أهل اليمن على حالها . فلم تزل كذلك إلى زمن السفاح أول خلفاء بني العباس ، فبعث إليها جماعة من أهل العزم والحزم والعلم ففقدوها حجراً حجراً ودرست آثارها إلى يومنا هذا .

قال ابن إسحاق : فلما تحدثت العرب بكتاب أبرهة إلى النجاشي غضب رجل من النّساء من كنانة ، الذين ينسئون شهر الحرام إلى الحل بمكة أيام الموسم ، كما قررنا ذلك عند قوله : ﴿ إِنَّمَا النِّسَاءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ ﴾ .

قال ابن إسحاق : فخرج الكِنَانِي حتى أتى القلّيس فقعدها^(١) ، أي أحدث حيث لا يراه أحد ، ثم خرج فلحق بأرضه ، فأخبر أبرهة بذلك ، فقال من صنع هذا ؟ فقيل له : صنعه رجل من أهل هذا البيت الذي تحجه العرب بمكة ، لمّا سمع بقولك أنك

(١) المطبوعة : فيه .

تريد أن تصرف حج العرب إلى بيتك^(١) هذا ، فغضب لُجاء فقعدها فيها ، أى أنه ليس لذلك بأهل .

فغضب أبرهة عند ذلك ، وحلف ليسيرن إلى البيت حتى يهدمه ، ثم أمر الحبشة فتهيأت وتجهزت . ثم سار وخرج معه بالليل ، وسمعت بذلك العرب فأعظموه وفطعوا به ، ورأوا جهاده حقاً عليهم حين سمعوا بأنه يريد هدم الكعبة بيت الله الحرام .

فخرج إليه رجل من أشراف أهل اليمن وملوكهم يقال له ذو نَفَرٍ ، فدعا قومه ومن أجابه من سائر العرب إلى حرب أبرهة وجهاده عن بيت الله الحرام ، وما يريد من هدمه وإخراجه ، فأجابه مَنْ أجابه إلى ذلك ، ثم عرض له فقاتله . فهزِمَ ذو نَفَرٍ وأصحابه ، وأخذ له ذو نَفَرٍ فأتى به أسيراً ، فلما أراد قتله قال له ذو نَفَرٍ : أيها الملك لا تقتلنى ، فإنه عسى أن يكون بقائى معك خيراً لك من القتل . فتركه من القتل وحبسه عنده فى وثاق وكان أبرهة رجلاً حليماً .

ثم مضى أبرهة على وجهه ذلك يريد ماخرج له ، حتى إذا كان بأرض خَثَمَ عرض نَفِيلَ بن حَبِيب الخثعمى فى قَبِيلِهِ^(٢) خثعم وهما شَهْرَان ونَاهِس ومن تبعه من قبائل العرب ، فقاتله فهزِمه أبرهة وأخذ له نَفِيلَ أسيراً ، فأتى به فلما هم بقتله قال له نَفِيل : أيها الملك لا تقتلنى ، فإنى ذليلك بأرض العرب ، وهاتان يداى لك على قَبِيلِ خثعم ، شهران ونَاهِس ، بالسمع والطاعة . فغلى سبيله وخرج به معه يده .

حتى إذا مر بالطائف خرج إليه مسعود بن مُعَتَّب بن مُلَّاك بن كعب بن عمرو ابن سعد بن عوف بن ثقيف ، فى رجال ثقيف ، فقالوا له أيها الملك إنما نحن عبيدك سامعون لك مطيعون ، ليس عندنا لك خلاف ، وليس بيننا هذا البيت الذى تريد ،

(١) عبارة ابن اسحق مختلفة عما أورده المؤلف .
(٢) المطبوعة : قبيلتي .

يعنون اللات ، إنما تريد البيت الذي بمكة ، ونحن نبعث معك من يدلك عليه .
فتجاوز عنهم .

قال ابن إسحاق : واللات بيت لهم بالطائف كانوا يعظمونه نحو تعظيم الكعبة .
قال : فبعثوا معه أبارغال يدله على الطريق إلى مكة ، فخرج أبرهة ومعه أبارغال حتى
أنزله بالمغمس ، فلما أنزله به مات أبارغال هنالك ، فرجعت قبره العرب ، فهو القبر
الذي يرمي الناس بالمغمس . وفي قصة ثمود أن أبارغال كان رجلا منهم وكان يمتنع
بالحرم ، فلما خرج منه أصابه حجر فقتله ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
لأصحابه : « وآية ذلك أنه دفن معه غصنان من ذهب » فحفروا فوجدوها . قال
وهو أبو ثقيف .

قلت : والجمع بين هذا وبين ما ذكر ابن إسحاق ، أن أبارغال هذا المتأخر وافق اسمه
اسم جده الأعلى ورجحه الناس كما رجحوا قبر الأول أيضاً والله أعلم . وقد قال جرير :

إذا مات الفرزدق فارجموه كرجمكم لقبر أبي رغال

الظاهر أنه الثاني .

قال ابن إسحاق : فلما نزل أبرهة بالمغمس بعث رجلا من الحبشة يقال له الأسود بن
مقصود^(١) على خيل له ، حتى انتهى إلى مكة ، فساق إليه أموال تهامة من قریش
وغيرهم ، وأصاب فيها مائتي بعير لعبد المطلب بن هاشم ، وهو يومئذ كبير قریش
وسيدها ، فهزمت قریش وكنانة وهذيل ومن كان بذلك الحرم بقتاله ، ثم عرفوا أنه
لا طاقة لهم به فتركوا ذلك .

وبعث أبرهة حنيفة الحميري إلى مكة وقال له : سل عن سيد أهل هذا البلد
وشریفهم ، ثم قل له إن الملك يقول إنى لم آت لحربكم ، إنما جئت لهدم هذا البيت ،

(١) الأصل : مقصود . والتصويب من ابن هشام

فإن لم تعرضوا لنا دونه بحرب فلا حاجة لي بدمائكم . فإن هو لم يُرد حربي فأتني به .
فلما دخل حنّاطة مكة سأل عن سيد قريش وشريفها ، فقيل له : عبد المطلب بن
هاشم . فجاؤه فقال له ما أمره به أبرهة .

فقال له عبد المطلب : والله ما نريد حربه ومالنا بذلك من طاقة ، هذا بيت الله
الحرام وبيت خليله إبراهيم عليه السلام . أو كما قال . فإن يمنعه منه فهو حرمه وبيته ،
وإن يُخلّ بينه وبينه فوالله ما عندنا دَفْعٌ عنه .
فقال له حنّاطة : فانطلق معي إليه فإنه قد أمرني أن آتيه بك .

فانطلق معه عبد المطلب ، ومعه بعض بنيه ، حتى أتى العسكر فسأل عن ذي نَفَرٍ ،
وكان له صديقاً ، حتى دخل عليه وهو في محبسه ، فقال له : ياذا نفر هل عندك من غَنَاءٍ
فما نزل بنا ؟

فقال له ذو نَفَرٍ : وما غناء رجل أسير بيدي ملك ينتظر أن يقتله غدوًّا أو عشيا !
ما عندى غناء في شيء مما نزل بك ، إلا أن أنيسا سائس القيل صديق لي ، فسأرسِل إليه
وأوصيه بك وأعظم عليه حقك وأسأله أن يستأذن لك على الملك فتكلمه بما بدا لك ،
ويشفع لك عنده بخير إن قدر على ذلك .

فقال : حسبي .

فبعث ذو نَفَرٍ إلى أنيس فقال له : إن عبد المطلب سيد قريش وصاحب عَيْنٍ^(١) مكة ،
يطعم الناس بالسهل والوحوش في رءوس الجبال ، وقد أصاب له الملك مائتي بعير فاستأذن
له عليه وانفعه عنده بما استطعت . قال : أفعل .

فكَلَّمَ أنيسُ أبرهة ، فقال له : أيها الملك ، هذا سيد قريش ببابك يستأذن عليك ،

(١) الطبرى : غير . والمقصود بعين مكة زمزم التي حفرها عبد المطلب .

وهو صاحب عين مكة ، وهو الذى ينظم الناس بالسهل والوحوش فى رءوس الجبال ، فائذن له عليك فليكلمك فى حاجته ، فأذن له أبرهة .

قال : وكان عبد المطلب أو سم الناس وأعظمهم وأجلهم ^(١) ، فلما رآه أبرهة أجله وأكرمه عن أن يجلسه تحته ، وكره أن تراه الحبشة يجلسه معه على سرير ملكه ، فنزل أبرهة عن سريرته فجلس على بساطه وأجلسه معه عليه إلى جانبه ، ثم قال لترجمانه : قل له حاجتك ؟ فقال له ذلك الترجمان ، فقال حاجتى أن يردّ علىّ الملك مائتى بعير أصابها لى . فلما قال له ذلك ، قال أبرهة لترجمانه : قل له : لقد كنت أعجبته حين رأيتك ، ثم قد زهدتُ فيك حين كلمتني ؛ أتكلمنى فى مائتى بعير أصبتها لك وتترك بيتنا هو دينك . ودين آبائك قد جئت لأهدمه لا تكلمنى فيه ! ؟

فقال له عبد المطلب : إني أنا رب الإبل ، وإن للبيت رباً سيمنعه .

فقال : ما كان ليمتنع منى . قال : أنت وذاك . فردّ على عبد المطلب إبله .

قال ابن إسحاق : ويقال إنه كان قد دخل مع عبد المطلب على أبرهة يعمر بن نفاعة ابن عدى بن الدّيل ^(٢) بن بكر بن عبد مناة بن كنانة سيد بنى بكر ، وخويلد بن وائلة سيد هذيل ، فعرضوا على أبرهة ثلث أموال تهامة على أن يرجع عنهم ولا يهدم البيت فأبى عليهم ذلك . فأنه أعلم أكان ذلك أم لا .

فلما انصرفوا عنه انصرف عبد المطلب إلى قريش فأخبرهم الخبر ، وأمرهم بالخروج من مكة والتحرز فى رءوس الجبال ، ثم قام عبد المطلب فأخذ بحلقة باب الكعبة ، وقام معه نفر من قريش يدعون الله ويستنصرونه على أبرهة وجنده ، وقال عبد المطلب ، وهو أخذ بحلقة باب الكعبة :

(١) وتروى : أو سم الناس وأجله وأعظمه .

(٢) الطبرى : الدئل ، بضم الدال وبكسر الهمة .

لَا هُمْ إِنْ الْعَبْدَ يَمْنَعُ رَحْلَهُ فَاَمْنَعُ رِحَالَكَ
لَا يَغْلِبَنَّ صُلَيْبُهُمْ وَمِحَالُهُمْ^(١) عَدُوًّا مَحَالَكَ
إِنْ كُنْتَ تَارِكُهُمْ وَقَبْ لَمَتْنَا فَأَمْرٌ مَا بَدَا لَكَ

قال ابن هشام : هذا ما صح له منها .

قال ابن إسحاق : ثم أرسل عبد المطلب حلقة باب الكعبة ، وانطلق هو ومن معه من قريش إلى شحف الجبال يتحرزون فيها ينتظرون ما أبرهه فاعل .

فلما أصبح أبرهه تهباً لدخول مكة وهياً فيه وعبى جيشه ، وكان اسم الفيل محموداً . فلما وجهوا الفيل إلى مكة أقبل نُفَيْل بن حبيب حتى قام إلى جنب الفيل ثم أخذ بأذنه فقال : ابرك محمود وارجع راشداً من حيث أتيت ، فإنك في بلد الله الحرام . وأرسل أذنه ، فبرك الفيل .

قال السهيلي : أى سقط إلى الأرض ، وليس من شأن الفيلة أن تبرك ، وقد قيل إن منها ما يبرك كالبعير . فالله أعلم .

وخرج نُفَيْل بن حبيب يشتد حتى أصدد في الجبل ؛ وضربوا الفيل ليقوم فأبى فضربوا رأسه بالطَّبْرَزين ليقوم فأبى ، فأدخلوا محاجن لهم في مَرَاقَهُ فَبَزَغَوْهُ^(٢) بها ليقوم فأبى ، فوجهوه راجعاً إلى اليمن فقام يهرول ، ووجهوه إلى الشام ففعل مثل ذلك ، ووجهوه إلى المشرق ففعل مثل ذلك ، ووجهوه إلى مكة فبرك .

وأرسل الله عليهم طيراً من البحر أمثال الخطاطيف والبلسان^(٣) مع كل طائر منها

(١) محالهم : قوتهم وبأسهم . وغدوا : غدا . استعملت تامة ولا تستعمل كذلك إلا في الشعر .

(٢) الطبرزين : آلة معققة من حديد . والمحاجن جمع محجن وهو عصا معوجة قد يجعل فيها حديدة ، وبزغوه : ضربوه حتى آدموه ، ومراق البطن : مارق منه ولان ، جمع مرق ، أولاً واحداً لها .

(٣) قال ابن الأثير : قال عباد بن موسى : أظنها الزرازير . النهاية ١١١/١

ثلاثة أحجار يحماها ، حجر في منفاره وحجران في رجليه أمثال الحص والعس ، لا تصيب منهم أحداً إلا هلك ، وليس كلهم أصابت .

وخرجوا هاربين يتندرون الطريق التي منها جاءوا ، ويسألون عن نفيل بن حبيب ليدهم على الطريق إلى اليمن ، فقال نفيل في ذلك :

أَلَا حُيِّتِ عَنَا يَارْدَيْنَا نَعْمِنَا كَمَ مَعَ الْإِصْبَاحِ عَيْنَا
رُدَيْنَةُ لَوْ رَأَيْتِ فَلَا تَرَبِّهِ لَدَى جَنْبِ الْحَصْبِ مَا رَأَيْنَا
إِذَا لَعَذَرْتَنِي وَحَدَّثَ أَمْرِي وَلَمْ تَأْسَى عَلَى مَافَاتِ بَيْنَا^(١)
حَدَّثَ اللَّهُ إِذْ أَبْصَرْتَ طَيْرًا وَخَفْتُ حَجَارَةً تُتَلَقَّى عَلَيْنَا
وَكُلُّ الْقَوْمِ يَسْأَلُ عَنْ نَفِيلٍ كَأَنَّ عَلَىَّ لِلْحُبُشَانِ دَيْنَا

قال ابن إسحاق : فخرجوا يتساقطون بكل طريق ، ويهلكون بكل مهلك على كل منهل ، وأصيب أبرهة في جسده ، وخرجوا به معهم يسقط أُملة أُملة ، كلما سقطت أُملة اتبعها منه مِدَّةٌ تَمُتُ^(٢) قيحا ودما ، حتى قدموا به صنعاء وهو مثل فرخ الطائر ، فما مات حتى انصدع صدره عن قلبه . فيما يزعمون .

قال ابن إسحاق : حدثني يعقوب بن عُتْبَةَ أَنَّهُ حَدَّثَ أَنَّ أَوَّلَ مَا رَأَيْتِ الْحَصْبَةَ وَالْجُدْرَى بِأَرْضِ الْعَرَبِ ذَلِكَ الْعَامَ ، وَأَنَّهُ أَوَّلَ مَا رَأَى بِهَا مَرَاثِرَ الشَّجَرِ : الْحَرَمَلُ وَالْحَنْظَلُ وَالْعُشَرُ ، ذَلِكَ الْعَامَ .

قال ابن إسحاق : فلما بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم كان مما يعدد الله على قریش من نعمته عليهم وفضله ماردٌ عنهم من أمر الحبشة لبقاء أمرهم ومدتهم فقال تعالى :

(١) بينا : نصب نصب المصدر المؤكد لما قبله إذ كان في معناه ولم يكن على لفظه .
(٢) تَمُتُ ترشح .

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ . أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ . وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ . فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ ﴾ .
ثم شرع ابن إسحاق وابن هشام يتكلمان على تفسير هذه السورة والتي بعدها .
وقد بسطنا القول في ذلك في كتابنا التفسير بما فيه كفاية إن شاء الله تعالى ، وله
الحمد والمنة .

قال ابن هشام : الأبايل : الجماعات ، ولم تتكلم لها العرب بواحد علمناه .
قال : وأما السجّيل فأخبرني يونس النحوي وأبو عبيدة أنه عند العرب
الشديد الصّلب .

قال : وزعم بعض المفسرين أنهما كلمتان بالفارسية جعلتهما العرب كلمة واحدة ، وأنها
سَنْجٌ وَجِلٌّ فالسنج : الحجر ، والجل : الطين . يقول الحجاره من هذين الجنسيتين الحجر
والطين . قال : والعصف : ورق الزرع الذي لم يُقَصَّب .

وقال الكسائي^(١) : سمعت بعض النحويين يقول واحد الأبايل إِبْيَلٌ .
وقال كثيرون من السلف : الأبايل : الفرق من الطير التي يتبع بعضها بعضا من
ههنا وههنا .

وعن ابن عباس : كان لها خراطيم كخراطيم الطير وأكف كأكف الكلاب .
وعن عكرمة كانت رؤوسها كرؤوس السباع خرجت عليهم من البحر
وكانت خُضْرًا .

وقال عبيد بن عمير : كانت سوداء بحرية ، في مناقيرها وأكفها الحجاره .
وعن ابن عباس : كانت أشكلها كعنقاء مغرب . وعن ابن عباس كان أصفر

(١) من هنا ليس عن ابن هشام .

حجر منها كراس الإنسان . ومنها ماهو كالإبل . وهكذا ذكره يونس بن بكير عن ابن إسحاق . وقيل : كانت صفراء والله أعلم .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زُرعة ، حدثنا محمد بن عبد الله بن أبي شَيْبَةَ ، حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن عُبَيْدِ بْنِ مُعْمِرٍ ، قال لما أراد الله أن يهلك أصحاب الفيل بعث عليهم طيراً أنشئت من البحر أمثال الخطاطيف ، كل طير منها يحمل ثلاثة أحجار : حجرين في رجليه وحجراً في منقاره ، قال فجاءت حتى صَفَّت على رؤوسهم ، ثم صاحت وألقت مافي رجليها ومناقيرها ، فما يقع حجر على رأس رجل إلا خرج من دُبُرِهِ ، ولا يقع على شيء من جسده إلا خرج من الجانب الآخر ، وبعث الله ريحاً شديدة فضربت الحجارة فزادتها شدة ، فأهلكوا جميعاً .

وقد تقدم أن ابن إسحاق قال : وليس كلهم أصابته الحجارة . يعنى بل رجع منهم راجعون إلى اليمن حتى أخبروا أهلهم بما حل بقومهم من النكال . وذكروا أن أبرهة رجع وهو يتساقط أئمة أئمة ، فلما وصل إلى اليمن انصدع صدره فمات لعنه الله .

وروى ابن إسحاق قال : حدثني عبد الله بن أبي بكر ، عن عَمْرَةَ^(١) عن عائشة ، قالت : لقد رأيت قائد الفيل وسائسه بمكة أعميين مُقْعَدَيْنِ يستطعمان . وتقدم أن سائس الفيل كان اسمه أنيسا ، فأما قائده فلم يُسَمَّ . والله أعلم .

وذكر النقاش في تفسيره أن السيل احتمل جشهم فألقاها في البحر .

قال السهيلي : وكانت قصة الفيل أول الحرم من سنة ست وثمانين وثمانمائة^(٢) من تاريخ ذي القرنين .

(١) المطبوعة : سمرة . وهو تحريف . وهي عمرة بنت عبد الرحمن بن سعد بن زراراة ، كانت في حجر عائشة رضي الله عنها فحفظت عنها ، توفيت سنة ٩٨ هـ وقيل سنة ١٠٦ .
(٢) والذي في السهيلي : سنة اثنتين وثمانين وثمانمائة .

قلت : وفي عامها ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم على المشهور ، وقيل كان قبل مولده بسنين ، كما سند كر إن شاء الله تعالى وبه الثقة .

ثم ذكر ابن إسحاق ما قالته العرب من الأشعار في هذه الكائنة العظيمة التي نصر الله فيها بيته الحرام ، الذي يريد أن يشرفه ويعظمه ، ويطهره ويوقره ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم وما يشرع له من الدين القويم ، الذي أحد أركانه الصلاة بل عماد دينه ، وسيجعل قبلته إلى هذه الكعبة المطهرة ، ولم يكن مافعله بأصحاب الفيل نصرة لقريش إذ ذاك على النصارى الذين هم الحبشة ، فإن الحبشة إذ ذاك كانوا أقرب لها من مشركي قريش ، وإنما كان النصر للبيت الحرام ، وإرهاصا وتوطئة لبعثة محمد صلى الله عليه وسلم .

فمن ذلك ما قاله عبد الله بن الزُّبَيْرِ السَّهْمِيُّ :

تَنَكَّلُوا ^(١) عَنْ بَطْنِ مَكَّةَ إِنَّهَا	كَانَتْ قَدِيمًا لَا يُرَامُ حَرِيمُهَا
لَمْ تَخْلُقِ الشَّعْرَى لِيَالِي حُرْمَتِ	إِذَا لَا عَزِيزَ مِنَ الْأَنَامِ يَرُومُهَا
سَائِلِ أَمِيرِ الْجُبَشِ ^(٢) عَنْهَا مَا رَأَى	فَاسُوفُ يُبْنِي الْجَاهِلِينَ عَلَيْهَا
سِتُونَ أَلْفًا لَمْ يَتُوبُوا أَرْضَهُمْ	بَلْ لَمْ يَعِشْ بَعْدَ الْإِيَابِ سَقِيمُهَا
كَانَتْ بِهَا عَادٌ وَجُرْهُمُ قَبْلَهُمْ	وَاللَّهُ مِنْ فَوْقِ الْعِبَادِ يُقِيمُهَا

ومن ذلك قول أبي قيس بن الأسلت الأنصاري المدني :

وَمِنْ صُنْعِهِ يَوْمَ فِيلِ الْحُبُو	شِ إِذْ كَلَّمَا بَعَثُوهُ رَزَمُ ^(٣)
تَحَاجِنَهُمْ تَحْتَ أَقْرَابِهِ	وَقَدْ شَرَّمُوا أَنْفَهُ فَانْحَرَمُ ^(٤)
وَقَدْ جَعَلُوا سَوْطَهُ مَغْوَلًا	إِذَا يَمْمُوهُ فَتَاهَا كَلِمُ ^(٥)
فَوَلَّى وَأَدْبَرَ أَدْرَاجَهُ	وَقَدْ بَاءَ بِالظُّلْمِ مَنْ كَانَ ثَمُ

(١) رويت أيضا : تنكبوا بالباء . ومعناها على كلا الروايتين : انصرفوا وارجعوا خوفا وهيبة .

(٢) ابن هشام : أمير الجبش . (٣) رزم : أقام في مكانه لم يتحرك . (٤) الأقرب جمع قرب بضمتين ،

وهو الحاصرة ، أو من الشاكلة إلى مرق البطن . (٥) المغول : سكين كبيرة .

فَأَرْسَلَ مِنْ فَوْقِهِمْ حَاصِبًا فَلَفَّهُمْ مِثْلَ لَفِّ الْقُرْمِ^(١)
تَحَضُّ عَلَى الصَّبْرِ أَحْبَارُهُمْ وَقَدْ تَأَجَّجُوا كَثُورَاجِ الْغَنَمِ^(٢)

ومن ذلك قول أبي الصلت ربيعة بن أبي ربيعة وهب بن علاج الثقفي ، قال ابن

هشام : ويروى لأمية ابن أبي الصلت :

إِنْ آيَاتِ رَبِّنا ثاقِبَاتٌ مَا يُمَارَى فِيهِنَّ إِلَّا الْكَفُورُ
خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ فَكُلُّ مُسْتَبِينٍ حِسَابُهُ مَقْدُورُ
ثُمَّ يَجْلُو النَّهَارَ رَبُّ رَحِيمٌ بِمَهَاةٍ شُعَاعِهَا مَنُشُورُ
حَبَسَ الْفِيلَ بِالْمَغْسِ حَتَّى صَارَ يَحْبُو كَأَنَّهُ مَعْقُورُ
لَا زَمًا حَلَقَةَ الْجِرَانِ كَمَا قُدَّ مِنْ صَخَرٍ كَبْكَبٍ مَحْدُورُ^(٣)
حَوَّلَهُ مِنْ مُلُوكٍ كِنْدَةَ أَبْطَا لَمْ تَلَاوِثْ فِي الْحُرُوبِ صُقُورُ^(٤)
خَلَّفُوهُ ثُمَّ ابْذَعَرُوا جَمِيعًا كُلَّهُمْ عَظُمُ سَاقِهِ مَكْسُورُ^(٥)
كُلُّ دِينٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ اللَّهِ إِلَّا دِينَ الْخَنِيفَةِ^(٦) بُورُ

ومن ذلك قول أبي قيس بن الأسلت أيضاً :

فَقُومُوا فَصَلُّوا رَبَّكُمْ^(٧) وَتَمَسَّحُوا بَارَكَانِ هَذَا الْبَيْتِ بَيْنَ الْأَخَاشِبِ
فَعِنْدَكُمْ مِنْهُ بَلَاءٌ مُصَدَّقٌ غَدَاةَ أَبِي يَكْسُومَ هَادِي الْكَتَائِبِ^(٨)
كَتَيْبَتِهِ بِالسَّهْلِ تَمْشِي وَرَجُلُهُ عَلَى الْقَاذِفَاتِ فِي رِءُوسِ الْمَنَاقِبِ^(٩)
فَلَمَّا أَتَاكُمْ نَصْرُ ذِي الْعَرْشِ رَدَّاهُمْ جُنُودُ الْمَلِكِ بَيْنَ سَافٍ وَحَاصِبٍ^(١٠)

(١) القرم : جمع قزم ، وهو الفصيل الجسم . (٢) تأججوا : صاحوا . (٣) ابن هشام : كما
قطر . وكبك : جبل (٤) الملاوثة جمع ملاث ، وهو الشريف . (٥) ابذعروا : تفرقوا وفروا
(٦) أى الأمة الخنيفة ، وهو دين التوحيد دين ابراهيم (٧) صلوا ربكم : ادعوا ربكم .
(٨) أبو يكسوم : هو أبرهة . (٩) وتروى تمسى (١٠) السابق : الذى يرى بالتراب والحاصب :
الذى يرى بالحصاب .

فَوَلُّوا سِرَاعًا هَارِبِينَ وَلَمْ يُؤْبَإْ إِلَى أَهْلِهِ مَلْحُوشٌ غَيْرُ عَصَائِبٍ ^(١)
ومن ذلك قول عبيد الله بن قيس الرُّقَيَّاتِ فِي عَظْمَةِ الْبَيْتِ وَحَمَاتِهِ بِهَلَاكِ مَنْ
أَرَادَهُ بِسُوءٍ :

كَادَهُ الْأَشْرَمُ الَّذِي جَاءَ بِالْفَيْءِ لِيَفُوكِّي وَجَيْشُهُ مَهْزُومٌ
وَاسْتَهَلَّتْ عَلَيْهِمُ الطَّيْرُ بِالْجُنْدِ دَلٌّ حَتَّى كُنْهُ مَرْجُومٌ
ذَاكَ مَنْ يَغْزُهُ مِنَ النَّاسِ يَرْجِعُ وَهُوَ فَلٌّ مِنَ الْجِيُوشِ ذَمِيمٌ ^(٢)

قال ابن إسحاق وغيره : فلما هلك أبرهة مَلَكَ الحبشة بعده ابنه يكسوم ، ثم من بعده أخوه مسروق ابن أبرهة ، وهو آخر ملوكهم ، وهو الذي انتزع سيفُ بن ذِي يَزَنَ الحَمِيرِي المُلُكَ مِنْ يَدِهِ بِالْجَيْشِ الَّذِينَ قَدِمَ بِهِمْ مِنْ عِنْدِ كَسْرَى أَنْوَشِرَوَانَ .
كما سيأتى بيانه .

وكانت قصة الفيل في الحَرَمِ سنة ستِّ وثمانين وثمانمائة من تاريخ ذِي القرنين ، وهو الثاني اسكندر ابن فلبس المقدوني الذي يورُخُّ له الروم .

ولما هلك أبرهة وابناه ، وزال مُلُكُ الحبشة عن الْيَمَنِ هُجِرَ الْقَلَيْسُ الَّذِي كَانَ بَنَاهُ
أبرهة وَأَرَادَ صَرْفَ حَبْجِ الْعَرَبِ إِلَيْهِ ، لَجْهَهُ وَقَلَّةَ عَقْلِهِ ، وَأَصْبَحَ يَبَايَا لَا أُنَيْسَ بِهِ . وَكَانَ
قَدْ بَنَاهُ عَلَى صَنْمَيْنِ ، وَهَمَا كَعِيبَ وَامْرَأَتَهُ ، وَكَانَا مِنْ خَشَبِ طُولِ كُلِّ مِنْهُمَا سِتُونَ ذِرَاعًا
فِي السَّمَاءِ ، وَكَانَا مَصْحُوبَيْنِ مِنَ الْجَانِ ، وَلِهَذَا كَانَ لَا يَتَعَرَّضُ أَحَدٌ إِلَى أَخْذِ شَيْءٍ مِنْ بَنَاءِ
الْقَلَيْسِ وَأَمْتَعْتُهُ إِلَّا أَصَابُوهُ بِسُوءٍ ، فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ إِلَى أَيَّامِ السَّفَاحِ أَوَّلِ خُلَفَاءِ بَنِي الْعَبَّاسِ
فَذَكَرَ لَهُ أَمْرُهُ وَمَا فِيهِ مِنَ الْأَمْتَعَةِ وَالرَّخَامِ الَّذِي كَانَ أَبرهة نَقَلَهُ إِلَيْهِ مِنْ صَرْحِ بَاقِيسَ

(١) ملحش : أصلها من الحبش . (٢) الفل : المهزوم

الذى كان باليمن ، فبعث إليه من خربه حجراً حجراً ، وأخذ جميع ما فيه من الأمتعة والحواصل ^(١) . هكذا ذكره السهيلي . والله أعلم .

ذكر خروج المَلِك عن الحبشة ورجوعه إلى سيف بن ذى يزن الحميرى
كما أخبر بذلك الكاهنان
لريعة بن نصر اللخمي

قال محمد بن إسحاق رحمه الله : فلما هلك أبرهة مَلَك الحبشة ابنه يكسوم بن أبرهة ، وبه كان يُكْنَى ، فلما هلك يكسوم مَلَك اليمن من الحبشة أخوه مسروق بن أبرهة .

قال : فلما طال البلاء على أهل اليمن خرج سيف بن ذى يزن الحميرى .

وهو سيف بن ذى يزن بن ذى أصبح بن مالك بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن قُطْن بن عَرِيب بن زهير بن أيمن ابن الهميسع بن العرنجج ، وهو حمير بن سبأ ^(٢) وكان سيف يكنى أبا مَرَّة .

حتى قَدِم على قيصر ملك الروم فشكا إليه ما هم ^(٣) فيه ، وسأله أن يخرجهم عنه ويوليهم هو ، ويُنْجِز إليهم من شاء من الروم فيكون له ملك اليمن ، فلم يُشْكِه ^(٤) .

فخرج حتى أتى النعمان بن المنذر ، وهو عامل كسرى على الحيرة وما يليها من أرض العراق ، فشكا إليه أمر الحبشة ، فقال له النعمان : إن لى على كسرى وفادة فى كل عام ، فأقم عندى حتى يكون ذلك . ففعل .

ثم خرج معه فأدخله على كسرى .

(١) سبق أن ذكر المؤلف هذا القول آنفا ص ٣٠ . (٢) ليست فى ابن هشام
(٣) المطبوعة : هو . (٤) أى لم يستجب لشكواه

وكان كسرى يجلس في إيوان مجاسه الذى فيه تاجه ، وكان تاجه مثل القنقل^(١) العظيم ، فيما يزعمون ، يضرب فيه الياقوت والزبرجد واللؤلؤ بالذهب والفضة معلقا بسلسلة من ذهب في رأس طاقة في مجاسه ذلك ، وكانت عنقه لا تحمل تاجه ، إنما يستر بالثياب حتى يجلس في مجلسه ذلك ، ثم يُدخل رأسه في تاجه ، فإذا استوى في مجلسه كشف عنه الثياب فلا يراه أحد لم يره قبل ذلك إلا بركه هيبَةً له .

فلما دخل عليه طأطأ رأسه ، فقال الملك : إن هذا لَأَحْمَقُ يدخل على من هذا الباب الطويل ثم يطأطأ رأسه !

ف قيل ذلك لسيف ، فقال : إنما فعلت هذا لِهُمَّى لأنه يضيق عنه كل شيء .

ثم قال له : أيها الملك غلبتنا على بلادنا الأغرَبَةُ .

قال كسرى : أئى الأغرَبَة ، الحبشة أم السُّنْد ؟

قال : بل الحبشة ، فحُتَّتْكَ لتتصرنى ويكون مُلْكُ بلادى لك .

فقال له كسرى : بَعْدَتْ بلادُك مع قلة خيرها ، فلم أكن لأورِّط جيشاً من فارس بأرض العرب ، لا حاجة لى بذلك . ثم أجازته بعشرة آلاف درهم وَاَفٍ وكساه كسوة حسنة .

فلما قبض ذلك منه سيف خرج فجعل ينثر تلك الورق للناس ، فبلغ ذلك الملك فقال : إن لهذا شأنًا . ثم بعث إليه فقال : عمدتَ إلى حِباءِ الملك تنثره للناس !

قال وما أصنع بحبائلك^(٢) ما جبالُ أرضى التى جئت منها إلا ذهب وفضة . يرغبه فيها .

فجمع كسرى مرازبته فقال لهم : ماترون فى أمر هذا الرجل وما جاء له ؟

(١) القنقل : الكيال . (٢) ابن هشام : وما أصنع بهذا .

فقال قائل : أيها الملك إن في سجونك رجالا قد حبستهم للقتل ، فلو أنك بعثتهم معه فإن يهلكوا كان ذلك الذي أردت بهم ، وإن ظفروا كان ملكا ازددته .
فبعث معه كسرى من كان في سجنه ، وكانوا ثمانمائة رجل واستعمل عليهم [رجالا منهم يقال له] وهَرَز ، وكان ذا سن فيهم وأفضلهم حسبا وبيتا ، فخرجوا في ثمان سفائن ففرقت سفينتان ووصل إلى ساحل عدن ست سفائن .

فجمع سيفٌ إلى وهَرَز من استطاع من قومه وقال له : رجلٌ ورجلك حتى نموت جميعاً أو نظفر جميعاً . فقال له وهَرَز : أنصفت .

وخرج إليه مسروق بن أبرهة ملك اليمن وجمع إليه جنده ، فأرسل إليهم وهَرَز ابنا له ليقاتلهم فيختبر قتالهم ، فقتل ابن وهَرَز فزاده ذلك حنقا عليهم .
فلما تواقف الناس على مصافهم قال وهَرَز : أروني ملكهم . فقالوا له : أتري رجلا على الفيل عاقداً تاجه على رأسه ، بين عينيه ياقوتة حمراء .
قال : نعم . قالوا : ذلك ملكهم . فقال أتركوه .

قال فوقفوا طويلا ثم قال علام هو ؟ قالوا قد تحوّل على الفرس . قال : أتركوه .
فتركوه طويلا ، ثم قال : علام هو ؟ قالوا على البغلة . قال وهَرَز : بنتُ الحمار ، ذلّ وذللّ ملكه ، إني سأرميه ، فإن رأيتم أصحابه لم يتحركوا فائبتوا حتى أؤذّنكم فإني قد أخطأت الرجل ، وإن رأيتم القوم قد استداروا به ولا ثواب قد أصبت الرجل فاحملوا عليهم .

ثم أوتر قوسه ، وكانت فيما يزعمون لا يؤترها غيره من شدتها ، وأمر بحاجبيه فعصبا له ، ثم رماه فصكّ الياقوتة التي بين عينيه وتغلّغت النشابة في رأسه حتى خرجت من قفاه ، ونكس عن دابته ، واستدارت الحبشة ولائت به ، وحملت عليهم الفرس فانهزموا فقتلوا وهربوا في كل وجه .

وأقبل وَهَرَزُ ليدخل صنعاء حتى إذا أتى بابها قال لا تدخل رايتي مُكَّسَةً أَبَدًا ،
اهدموها هذا الباب . فهدم ، ثم دخلها ناصباً رايته .

فقال سيف بن ذى يَزَنَ الحميري :

يَظُنُّ النَّاسُ بِالْمَلَكِيَّةِ نَ أَنَّهُمَا قَدِ التَّامَا
وَمَنْ يَسْمَعُ بِأَلْمِهِمَا فَإِنَّ الْخَطْبَ قَدْ فَتَمَا^(١)
قَتَلْنَا الْقَيْلَ مَسْرُوقًا وَرَوَيْنَا الْكَيْبَ دَمَا
وَإِنَّ الْقَيْلَ قَيْلُ النَّاسِ س وَهَرَزُ مُقْسِمٌ قَسَمَا
يَذُوقُ مُشْعَشَعًا^(٢) حَتَّى يُفِيءَ السَّبَى وَالنَّعَمَا

ووفدت العرب من الحجاز وغيرها على سيف يهنئونه بعود الملك إليه وامتدحوه ،
فكان من جملة مَنْ وَفَدَ قريشٌ وفيهم عبد المطلب بن هاشم^(٣) ، فبشره سيفٌ
برسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره بما يعلم من أمره ، وسيأتي ذلك مفصلاً في باب
البشارات به عليه الصلاة والسلام .

قال ابن إسحاق : وقال أبو الصلت بن ربيعة الثقفي ، قال ابن هشام : وتروى لأمية
ابن أبي الصلت .

لِيَطْلُبَ الْوَتْرَ أَمْثَالُ ابْنِ ذِي يَزَنَ رِيَمٌ فِي الْبَحْرِ لِلْأَعْدَاءِ أَحْوَالًا^(٤)
يَتِمُّ قَيْصَرٌ لَمَّا حَانَ رَحْلَتُهُ فَلَمْ يَجِدْ عِنْدَهُ بَعْضَ الَّذِي سَالَا
ثُمَّ اثْنَى نَحْوَ كَسْرَى بَعْدَ عَاشِرَةٍ مِنْ السَّنِينَ يُهِنُ النَّفْسَ وَالْمَالَا

(١) فقم : اشتد وعظم . (٢) يذوق : يريد لا يذوق . والمشعشع : الشراب المزوج بالماء .
(٣) المخطوطة ١ : فكان من جملة وفد قريش عبد المطلب . (٤) كذا في ابن هشام وفي نسخة من
الإلكفاء للكلاعي : بذ أم . أى ابتداء يطلب الوتر منذ غادر بلاده واتجه في البحر يطلب العون من قيصر
وكسرى . والمعنى على الرواية المثبتة : أنه أقام في البحر ، أو غاب زماناً وأحوالاً ثم رجع للأعداء .

حتى أتى بينى الأحرار يحملهم إنك عمرى لقد أسرعت قلقالا^(١)
 لله درهم من عضبة خرجوا ما إن أرى لهم في الناس أمثالا
 غلبا مرازمة بيضا أساورا أسدا ترهب في الفيضات أشبالا^(٢)
 يرمون عن شدف كأنها غبط بزخر يعجل المرعى إعجالا^(٣)
 أرسلت أسدا على سود الكلاب فقد أضحي شريدهم في الأرض فلالا^(٤)
 فاشرب هنيئا عليك التاج مرتقا في رأس غمدان داراً منك محلالا^(٥)
 واشرب هنيئا فقد شالت نعمتهم وأسبل اليوم في برؤدك إسبالا
 تلك للكارم لا قعبان من لبن شيبا بماء فعادا بعد أبوآلا
 يقال : إن غمدان قصر باليمن بناء يعرب بن قحطان ، وملكه^(٦) بعده واحتله وائلة
 ابن حمير بن سبأ ، ويقال كان ارتفاعه عشرين طبقة . فالله أعلم .

قال ابن إسحاق : وقال عدي بن زيد الحيرى^(٧) وكان أحد بنى تميم :

ما بعد صنعاء كان يعمرها ولاية ملك جزل مواهبها
 رققها من بنى لذى قزع مزن وتندى مسكا محاربها^(٨)
 مخفوفة بالجلال دون عرى كائد ما ترزق غواربها^(٩)
 يأنس فيها صوت النهم إذا جاوبها بالعشى قاصبها^(١٠)
 ساقط إليها الأسباب جند بنى أحرار فرسانها مواكبها

(١) القلقال : شدة الحركة . (٢) ابن هشام : بيضا مرازمة غلبا أساورا . والغلب : الشجعان
 (٣) الشدف : جمع شدفاء ، وهى القوس الموجهة الفارسية . كما فى القاموس ، وقد اضطرب السهيل فى
 تفسيرها إذ فسرها بالشخص ثم تكلف تكلفا بعيدا . والغبط : الهوداج . والزخر : النشاب .
 (٤) الفلال : المهزمون . (٥) غمدان : قصر كان باليمن بناء يشرح بن يحصب . (٦) المخطوطة :
 وأكمله . (٧) المطبوعة والأصل : الحيرى وهو خطأ . (٨) قزع المزن : السحاب المتفرق .
 (٩) عرى الكائد : يريد عرى السماء وأسبابها . (١٠) النهم : ذكر اليوم . والقاصب : الذى
 يزمز فى القصب .

وَفُوزَتْ بِالْبَغَالِ تُوسَقُ^(١) بِالْأَقْوَالِ مِنْ طَرَفِ^(٢) الْخُضْرَةِ^(٣) كَتَابِهَا^(٤)
يَوْمَ يَنَادُونَ آلَ بَرْبَرٍ^(٥) وَلَا يَكْسُومُ لَا يُفْلَحَنَّ هَارِبُهَا^(٦)
فَكَانَ يَوْمًا^(٧) بَاقِيَ الْحَدِيثِ وَزَا^(٨) لَتِ إِمَّةٌ^(٩) ثَابِتٌ مَرَاتِبُهَا^(١٠)
وَبُدِّلَ الْفَيْجُ بِالزَّرَافَةِ^(١١) وَالْأَيَّامُ حُونٌ جَمٌّ^(١٢) عَجَائِبُهَا^(١٣)
بَعْدَ بَنِي تَبَعٍ نَخَاوِرَةٌ^(١٤) قَدْ أَطْمَأَنَّتْ بِهَا مَرَازِبُهَا^(١٥)

قال ابن هشام : وهذا الذي عَنَى سَطِيحُ بقوله : « يليه إرم ذى يزن ، يخرج عليهم من عَدَنَ ، فلا يترك منهم أحداً باليمن » والذي عَنَى شق بقوله : « غلام ليس بدَنِيٍّ ولا مُدَنٍّ ، يخرج من بيت ذى يزن » .

قال ابن إسحاق : فأقام وهرز والفُرس باليمن ، فمن بقية ذلك الجيش من الفرس الأبناء^(١٦) الذين باليمن اليوم .

وكان مُلْكُ الحبشة باليمن فيما بين أن دخلها أرياط إلى أن قتلت الفُرسُ مسروقَ ابن أبرهة وأخرجت الحبشة ، اثنتين وسبعين سنة ، توارث ذلك منهم أربعة : أرياط ، ثم أبرهة ، ثم يَكْسُومُ بن أبرهة ، ثم مسروق بن أبرهة .

(١) فوزت : ركبت المفاوز . وتوسق بالحنف : أى وسقها المحتوف . والتوالب : جمع تولب وهو ولد الحمار ، والتاء فيه بدل من واو . (٢) الأقوال : الملوك . والمنقل : الحصن . ومخضرة كتابها : يعنى من الحديد ، ومنه الكتيبة الخضراء . (٣) ابن هشام : وكان يوم . (٤) إمة : أى نعمة . (٥) الفج : المنفرد فى مشيته ، والزرافة : الجماعة . (٦) النخاورة : الكرام . (٧) قال فى النهاية : ويقال لأولاد فارس الأبناء ، وهم الذين أرسلهم كسرى مع سيف بن ذى يزن . . . فقيل لأولادهم الأبناء وغلب عليهم هذا الاسم ، لأن أمهاتهم من غير جنس آبائهم .

ذكر ما آل إليه أمر الفُرس باليمن

قال ابن هشام : ثم مات وَهْرَزُ فَأَمَّرَ كَسْرَى ابْنَهُ الْمَرْزُبَانَ بْنَ وَهْرِزٍ عَلَى الْيَمَنِ ،
ثم مات الْمَرْزُبَانُ فَأَمَّرَ كَسْرَى ابْنَهُ التَّيْنُجَانَ ، ثم مات فَأَمَّرَ ابْنَ التَّيْنُجَانَ ، ثم عزله عن
الْيَمَنِ وَأَمَّرَ عَلَيْهَا بَاذَانَ ، وَفِي زَمَنِهِ بُعِثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

قال ابن هشام : فبلغني عن الزُّهْرِيِّ أَنَّهُ قَالَ : كَتَبَ كَسْرَى إِلَى بَاذَانَ : إِنَّهُ
بَلَّغَنِي أَنَّ رَجُلًا مِنْ قَرِيشٍ خَرَجَ بِمَكَّةَ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ ، فِيسِرْ إِلَيْهِ فَاسْتَتَبْهُ ، فَإِنْ تَابَ
وِإِلَّا فَأَبْعَثْ إِلَيَّ بِرَأْسِهِ .

فَبِعِثَ بَاذَانَ بِكُتَابِ كَسْرَى إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « إِنْ اللَّهُ قَدْ وَعَدَنِي أَنْ يُقْتَلَ كَسْرَى فِي يَوْمٍ كَذَا وَكَذَا
مِنْ شَهْرِ كَذَا » فَلَمَّا أَتَى بَاذَانَ الْكِتَابُ وَقَفَ لِيَنْتَظِرَ ، وَقَالَ : إِنْ كَانَ نَبِيًّا فَسَيَكُونُ
مَأْقَالًا . فَقَتَلَ اللَّهُ كَسْرَى فِي الْيَوْمِ الْاِثْنَيْنِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . قَالَ
ابْنُ هِشَامٍ : عَلَى يَدَيِ ابْنِهِ شَيْرَوِيهِ .

قُلْتُ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : بَنُوهُ تَمَالَأُوا عَلَى قَتْلِهِ .

وَكَسْرَى هَذَا هُوَ أَبْرُويزُ بْنُ هُرْمِزَ بْنِ أَنْوَشِرْوَانَ بْنِ قَبَاذَ ، وَهُوَ الَّذِي غَلَبَ الرُّومَ .
فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : « أَلَمْ غَابَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ » كَمَا سَيَأْتِي بَيَانُهُ .

قَالَ السَّهِيلِيُّ : وَكَانَ قَتْلُهُ لَيْلَةَ الثَّلَاثَاءِ لِعَشْرِ خُلُونٍ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى سَنَةِ تِسْعٍ (١)
مِنْ الْهِجْرَةِ . وَكَانَ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ ، لَمَّا كَتَبَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُوهُ
إِلَى الْإِسْلَامِ فَغَضِبَ وَمَزَّقَ كِتَابَهُ ، كَتَبَ إِلَى نَائِبِهِ بِالْيَمَنِ يَقُولُ لَهُ مَا قَالَ .

(١) الَّذِي فِي السَّهِيلِيِّ : سَنَةِ سَبْعٍ .

وفي بعض الروايات أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرسول باذان : «إني ربي قد قتل الليلة ربك» فكان كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . قُتِلَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ بعينها ، قتله بنوه لظلمه بعد عدله ، بعد ما خلعه وولوا ابنه شيرويه فلم يعش بعد قتله أباه إلا ستة أشهر أو دونها .

وفي هذا يقول خالد بن حِقِّ الشَّيْبَانِي :

وَكِسْرَى إِذْ تَقَسَّمَ بَنُوهُ بِأَسْيَافٍ كَمَا أَقْدَسِمَ اللَّحَامُ
تَمَخَّضَتِ الْمَنُونُ لَهُ بَيَوْمٍ أَلَّا وَلِكُلِّ حَامِلَةٍ تَمَامُ

قال الزُّهْرِي : فلما بلغ ذلك باذان بعث بإسلامه وإسلام من معه من الفُرس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت الرسل [من الفرس] ^(١) : إلى من نحن يا رسول الله ؟ قال : « أتم منّا وإلينا أهل البيت » . قال الزهري : ومن ثمّ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سَلَامٌ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ » .

قلت : والظاهر أن هذا كان بعد ما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، ولهذا بعث الأمراء إلى اليمين لتعليم الناس الخير ودعوتهم إلى الله عز وجل ، فبعث أولاً خالد بن الوليد وعليّ بن أبي طالب ، ثم اتبعهما أباموسى الأشعري ومعاذ بن جبل ، ودانت اليمين وأهلها للإسلام .

ومات باذان فقام بعده ولده شَهْرُ بْنُ بَاذَانَ ، وهو الذى قتله الأسودُ العنسى حين تنبأ وأخذ زوجته ، كما سيأتى بيانه ، وأجلى عن اليمين نواب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما قُتِلَ الْأَسْوَدُ عَادَتِ الْيَدُ الْإِسْلَامِيَّةُ عَلَيْهَا .

قال ابن هشام : وهذا هو الذى ^(٢) عَنَى بِهِ سَطِيحُ بقوله : « نَبِيٌّ زَكِيٌّ ، يَأْتِيهِ

(٢) ابن هشام : فهو الذى

(١) من ابن هشام

الوحي من قِبَلِ الْعَلِيِّ» والذي عَنَى شِقُّ بقوله: «بل ينقطع برسول مُرْسَلٍ، يَأْتِيهِ بِالْحَقِّ وَالْعَدْلِ، بين أهل الدين والفضل، يكون الملك في قومه إلى يوم الفصل». قال ابن إسحاق: وكان في حَجَرٍ بِالْيَمَنِ، فيما يزعمون، كتابٌ بِالزُّبُورِ كُتِبَ فِي الزَّمانِ الْأَوَّلِ: لِمَنْ مُلْكُ ذِمَارٍ؟ لِلْحَمِيرِ الْأَخْيَارِ، لِمَنْ مُلْكُ ذِمَارٍ؟ لِلْحَبْشَةِ الْأَشْرَارِ. لِمَنْ مُلْكُ ذِمَارٍ؟ لِفَارِسِ الْأَحْرَارِ، لِمَنْ مُلْكُ ذِمَارٍ؟ لِقَرِيشِ التُّجَّارِ.

وقد نظم بعض الشعراء هذا المعنى فيما ذكره المسعودي:

حين شِيدَتْ^(١) ذِمَارُ قِيلَ لِمَنْ أَذِ تِ فَقَالَتِ لِلْحَمِيرِ الْأَخْيَارِ
ثُمَّ سِيلَتْ مِنْ بَعْدِ ذَاكَ فَقَالَتِ أَنَا لِلْحَبْشِ أَخْبَثِ الْأَشْرَارِ
ثُمَّ قَالُوا مِنْ بَعْدِ ذَاكَ لِمَنْ أَذِ تِ فَقَالَتِ لِفَارِسِ الْأَحْرَارِ
ثُمَّ قَالُوا مِنْ بَعْدِ ذَاكَ لِمَنْ أَذِ تِ فَقَالَتِ إِلَى قَرِيشِ التُّجَّارِ

ويقال: إن هذا الكلام الذي ذكره محمد بن إسحاق، وجد مكتوبا عند قبر هود عليه السلام، حين كَشَفَتْ الرِّيحُ عَنْ قَبْرِهِ بِأَرْضِ الْيَمَنِ، وذلك قبل زمن بلقيس ييسير في أيام مالك بن ذى النمار، أخى عمرو ذى الأذعار بن ذى النمار. ويقال كان مكتوبا على قبر هود أيضا وهو من كلامه عليه السلام.

حكاه السهيلي. والله أعلم.

قصة السَّاطِرُونِ صاحبِ الحَضَرِ

وقد ذكر قصته هاهنا عبدُ الملك بن هشام لأجل ما قاله بعض علماء النسب: أن النعمان بن المنذر الذى تقدم ذكره فى ورود سيف بن ذى يزن عليه، وسؤاله فى مساعدته فى رَدِّ مُلْكِ الْيَمَنِ إِلَيْهِ، أنه من سِلالَةِ السَّاطِرُونِ صاحبِ الحَضَرِ.

(١) المطبوعة شدت. وهو خطأ.

وقد قدمنا عن ابن إسحاق أن النعمان بن المنذر من ذرية ربيعة بن نصر ، وأنه روى عن جُبَيْر بن مُطْعِم أنه من أَشْلاء قَنْص^(١) بن مَعَد بن عدنان . فهذه ثلاثة أقوال في نسبه فاستطرد ابن هشام في ذكر صاحب الحضرة .

والحضر حصن عظيم بناه هذا الملك ، وهو الساطرون ، على حافة الفرات ، وهو منيفٌ مرتفع البناء ، واسع الرحبة والفناء ، دُوره بقدر مدينة عظيمة . وهو في غاية الإحكام والبهاء والحسن والسناء ، وإليه يُجْبَى ماحوله من الأقطار والأرجاء .

واسم الساطرون : الضيزن بن معاوية بن عبيد بن أجرم من بني سليح^(٢) بن حلوان ابن الحلاف بن قضاة . كذا نسبه ابن الكلبي .

وقال غيره : كان من الجرامقة ، وكان أحد ملوك الطوائف ، وكان يقدمهم إذا اجتمعوا للحرب عدوٍ من غيرهم ، وكان حصنه بين دجلة والفرات .

قال ابن هشام : وكان كسرى سابور ذو الأكتاف غزا الساطرون^(٣) ملك الحضرة .

وقال غير ابن هشام : إنما الذي غزا صاحب الحضرة سابور بن أردشير بن بابك أول ملوك بني ساسان ، أذل ملوك الطوائف ورد الملك إلى الأكاسرة . وأما سابور ذو الأكتاف بن هُرْمَز فبعد ذلك بدهر طويل . والله أعلم . ذكره السهيلي .

قال ابن هشام : فخره سنتين . وقال غيره : أربع سنين .

وذلك لأنه كان أغار على بلاد سابور في غيبته بأرض العراق . فأشرفت بنتُ الساطرون وكان اسمها النَّصيرة ، فنظرت إلى سابور وعليه ثيابٌ ديباجٌ وعلى رأسه تاج

(١) المطبوعة : قيصر . وهو خطأ . (٢) المخطوطة : ١ : بن عبيد بن سليح .

(٣) ابن هشام : ساطرون .

من ذهب مكلَّل بالزبرجد والياقوت واللؤلؤ، [وكان جميلاً] ^(١)، فدست إليه: أتزوجني إن فتحت لك باب الحضر؟ فقال: نعم.

فلما أُمسى ساطرون شرب حتى سكر، وكان لا يبيت إلا سكران، فأخذت مفاتيح باب الحضر من تحت رأسه وبعثت بها مع مولى لها ففتح الباب. ويقال: بل دلتهم على نهر يدخل منه الماء متسع فولجوا منه إلى الحضر. ويقال: بل دلتهم على طلسم كان في الحضر، وكان في علمهم أنه لا يفتح حتى تؤخذ حمامة ورَّقاء وتخضب رجلاها بحمض جارية بكر زرقاء ثم ترسل، فإذا وقعت على سور الحضر سقط ذلك الطلسم ففتح الباب. ففعل ذلك فانفتح الباب.

فدخل سابور قتل ساطرون واستباح الحضر وخرَّبه وسار بها معه فزوّجها. فبينما هي نائمة على فراشها ليلاً إذ جعلت تمكّل لا تنام، فدعا لها بالشمع ففتش فراشها، فوجد عايه ورقة آس، فقال لها سابور: أهدا الذي أسهرك؟ قالت: نعم.

قال: فما كان أبوك يصنع بك. قالت: كان يفرش لي الديباج ويلبسني الحرير ويطعمني المنخ ويسقيني الخمر.

قال: أفكان جزاء أبيك ما صنعت به! أنت إلىّ بذلك أسرع.

فربطت قرون رأسها بذنب فرس ثم ركض الفرس حتى قتلها. ففيه يقول أعشى بنى قيس بن ثعلبة:

ألم تر للحضر إذ أهله ينعمى وهل خالد من نعم
أقام به شاهبور الجنو دحوّ لين تضرب فيه القدم

فلمّا دعا ربّه دعوةً أناب إليّه فلم ينتقم ^(١)
 فهل زاده ربّه قوةً ومثل مجاوره لم يقيم
 وكان دعا قوميه دعوةً هلثوا إلى أمرهم قد صرم
 فموتوا كراماً بأسيا فكم أرى الموت يُجشمه من جشم
 وقال عدّى بن زيد في ذلك :

والخضر صابت عليه داهية من فوقه ، أيدّ من كبتها ^(٢)
 ربيّة لم توقّ والدّها لحينها إذ أضاع راقبها ^(٣)
 إذ غبّته صباه صافيةً والحمر وهلّ يهيم شاربها ^(٤)
 فأسلمت أهلها بليتها تظن أن الرئيس خاطبها
 فكان حظّ العروس إذ جسر الصبح دماء تجرى سبائبها ^(٥)
 وخرّب الخضر واستبيح وقد أحرّق في خدرها مشاجبها ^(٦)
 وقال عدّى بن زيد أيضا :

أيها الشامت المعير بالدهر أنت المبرّء الموفور !
 أم لديك العهد الوثيق من الأيام بل أنت جاهل مغرور
 من رأيت المنون خلدن أم من ذا عليه من أن يضام خفير ؟ !
 أين كسرى كسرى الملوك أنوشر وإن أم أين قبلة سابور !
 وبنو الأصفر الكرام ملوك الروم لم يبق منهم مذكور
 وأخو الخضر إذ بناه وإذ دجّ لة تُججّي إليّه والخابور

(١) اقتصر ابن هشام على هذه الأبيات .

(٢) صاب السهم من باب باع ، لفة في أصاب . والأيد : القوى . والمعنى أنها هائلة .

(٣) ربية : فصيل بمعنى مفعول ، أى مرباة . والحين : الهلاك . والراقب : المراقب .

(٤) غبّته : سقته الضيق ، وهو ما يشرب بالعتى . والوهل : الوهم .

(٥) جسر الصبح : طلع . (٦) المشاجب : جمع مشجب . ما تعلق به الثياب .

شَادَهُ مَرَمَرًا وَجَلَّلَهُ كَيْدًا سَاءَ فَلَطَّيِرٌ فِي ذُرَاهِ وَكُورُ
 لَمْ يَهَبْهُ رَبُّهُ رَيْبُ النَّوْنِ فَبَانَ الْمُلْكُ عَنْهُ فَبَابُهُ مَهْجُورُ
 وَتَذَكَّرَ رَبُّ الْخَوَزَنْقِ إِذَا أَشْرَفَ يَوْمًا وَلِلْهَدَى تَفْكِيرُ^(١)
 سَرَّهُ مَالُهُ وَكَثْرَةُ مَا يَمُوكُ وَالْبَحْرُ مُعْرِضًا وَالسَّيْرُ^(٢)
 فَارَعَوَى قَلْبَهُ وَقَالَ : وَمَا غَبَّ طَلَّةٌ حَتَّى إِلَى الْمَاتِ يَصِيرُ
 ثُمَّ أَضْحَوْا كَأَنَّهُمْ وَرَقٌ جَفَّ فَأَلَوْتُ بِهِ الصَّبَا وَالِدَبُورُ^(٣)

قلت : وربُّ الخوزنق الذي ذكره في شعره رجل من الملوك المتقدمين ، وعظه
 بعضُ علماء زمانه في أمره الذي كان قد أسرف فيه وعنا^(٤) ، وتمرد فيه وأتبع نفسه هواها
 ولم يراقب فيها مولاها ، فوعظه بمن سلف قبله من الملوك والدول ، وكيف بادوا ولم يبقَ
 منهم أحد ، وأنه ماصار إليه عن غيره إلا وهو منتقل عنه إلى من بعده ، فأخذته موعظته
 وبلغت منه كل مبلغ ، فارعوى لنفسه ، وفكر في يومه وأمسِه ، وخاف من ضيق رَمْسِه ،
 فتاب وأناب ونزع عما كان فيه ، وترك الملك ولبس زى الفقراء ، وساح في الفلوات
 وحظى بالخلوات ، وخرج عما كان الناس فيه من اتباع الشهوات وعصيان
 رب السموات .

وقد ذكر قصته مبسوطة الشيخ الإمام موفق بن قدامة المقدسى رحمه الله تعالى في
 كتاب « التوايين » وكذلك أوردها بإسناد متين الحافظ أبو القاسم الشَّهيلي في كتاب
 « الروض الأنف » المرتب أحسن ترتيب وأوضح تبين .

(١) ١ : تذكير . (٢) ١ : معرض . (٣) ألوت به : ذهبت به ، والصبأ : ريح مهبها من
 مطلع الثريا إلى بنات نعل . والدبور ريح تقابل الصبا . (٤) ١ : وعق .

خبر ملوك الطوائف

وأما صاحب الحضرة وهو ساطرون ، فقد تقدم أنه كان مقدما على سائر ملوك الطوائف ، وكان من زمن اسكندر بن فليس المقدوني اليوناني ، وذلك لأنه لما غلب على ملك الفرس دارا بن دارا ، وأذل مملكته وخرب بلاده واستباح بيضة قومه ونهب حواصله ، ومزق شمل الفرس شذر مذر ، عزم أن لا يجتمع لهم بعد ذلك شمل ولا يلتئم لهم أمر .

فجعل يُقِرُّ كلَّ مَلِكٍ على طائفة من الناس في إقليم من أقاليم الأرض ما بين عَرَبِها وأعاجمها ، فاستمر كلُّ مَلِكٍ منهم يحمي حوزته ويحفظ حصته ويستغل محلته ، فإذا هلك قام ولده من بعده أو أحد قومه ، فاستمر الأمر كذلك قريبا من خمسمائة سنة .

حتى كان أردشير بن بابك من بني ساسان بن بهمن بن أسفنديار بن يشتاسب بن هراسب ، فأعاد مُلكهم إلى ما كان عليه ، ورجعت الممالك برمتها إليه ، وأزال ممالك ملوك الطوائف ، ولم يبقَ منهم تالذ ولا طارف ، وكان تأخر عايه حصار صاحب الحضرة الذي كان أكبرهم وأشدَّهم وأعظمهم إذ كان رئيسهم ومقدمهم ، فلما مات أردشير تصدَّى له ولده سابور فحاصره حتى أخذه ، كما تقدم والله سبحانه وتعالى أعلم .

باب ذكر بنى إسماعيل وهم عرب الحجاز وما كان من أمور الجاهلية إلى زمان البعثة

ذكرنا إسماعيل نفسه عليه السلام مع الأنبياء^(١)، وكيف كان من أمره حين احتمله أبوه إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام مع أمه هاجر فأسكنها بواى مكة بين جبال فاران، حيث لا أنيس به ولا حسيس، وكان إسماعيل رضيعا، ثم ذهب وتركهما هنالك عن أمر الله له بذلك، ليس عند أمه سوى جراب فيه تمر ووكاء فيه ماء، فلما نفذ ذلك أنبع الله هاجر زمزم التي هى طعام طعم وشفاء سقم، كما فى حديث ابن عباس الطويل الذى رواه البخارى رحمه الله.

ثم نزلت جرهم، وهم طائفة من العرب العاربة من أمم العرب الأقدمين عند هاجر بمكة، على أن ليس لهم فى الماء شىء إلا ما يشربون منه وينتفعون به، فاستأنست هاجر بهم.

وجعل الخليل عليه السلام يطالع أمرهم فى كل حين. يقال إنه كان يركب البراق من بلاد بيت المقدس فى ذهابه وإيابه.

ثم لما ترعرع الغلام وشبَّ وبلغ مع أبيه السعى كانت قصة الذبح، والذبيح هو إسماعيل على الصحيح.

ثم لما كبر تزوج من جرهم امرأة ثم فارقها وتزوج غيرها، وتزوج بالسيدة بنت مضاض بن عمرو الجرهمي وجاءته بالبنين الاثنى عشر كما تقدم ذكرهم وهم: نابت وقيدَر [وأذبل^(٢)]. ومشا، ومسمع، وماشى، ودِما، وأذر، ويطور، ونبش، وطيا،

(١) وذلك فى الجزء الأول من البداية والنهاية للمؤلف . (٢) من ابن هشام . .

وَقَيْدًا . هكذا ذكره محمد بن إسحاق وغيره عن كتب أهل الكتاب ، وله ابنة واحدة اسمها نسمة ، وهى التى زوجها من ابن أخيه العيص بن إسحاق بن إبراهيم ، فولد له منها الروم وفارس ^(١) والأشبان أيضا فى أحد القولين .

ثم جمیعُ عرب الحجاز على اختلاف قبائلهم يرجعون فى انسابهم " " . عليه نابت وقَيِّدَر .

وكان الرئيس بعده والقائم بالأمر الحاكم فى مكة ، والناظر فى أمر البيت وزمزم ، نابت بن إسماعيل وهو ابن أخت الجرهميين .

ثم تنابت جرهم على البيت طمعا فى بنى أختهم ، فحكموا بمكة وما والاها عوضا عن بنى إسماعيل مدة طويلة ، فكان أول من صار إليه أمر البيت بعد نابت مضاض بن عمرو بن سعد بن الرقيب بن عيبر ^(٢) بن نبت بن جرهم .

وجرهم بن قحطان ، ويقال : جرهم بن يقطن بن عيبر ^(٣) بن شالح بن أرغشذ بن سار . ابن نوح الجرهمي . وكان نازلا بأعلى مكة بَقْعِيْعَان .

وكان السَّمِيدَع سِيدُ قَطُوراء نازلا بقومه فى أسفل مكة ، وكلٌّ منهما يَعْشُر ^(٤) مَنْ مَرَّ به مجتازاً إلى مكة .

ثم وقع بين جرهم وقَطُوراء فاقْتَتَلوا ، فُقُتِلَ السَّمِيدَع واستوثق الأمر لمُضَاض وهو الحاكم بمكة والبيت ، لا يَنَازَعُه فى ذلك ولد إسماعيل مع كثرتهم وشرفهم وانتشارهم ^(٥) بمكة وبغيرها وذلك لخوولتهم له ولعظمة البيت الحرام .

ثم صار الملك بعده إلى ابنه الحارث ، ثم إلى عمرو بن الحارث . ثم بَغَتْ جرهم بمكة وأكثرت فيها الفساد ، وألحدوا بالمسجد الحرام ، حتى ذكر

(١) ١ : واليونان . (٢) ١ : هير . (٣) يعشر : يأخذ عشر الأموال (٤) المطوعة وانتشارهم . وهو خطأ .

أن رجلاً منهم يقال له إساف بن بغيّ وامرأة يقال لها نائلة بنت وائل اجتمعا في الكعبة فكان منه إليها الفاحشة ، فسخهما الله حجرين ، فنصبهما الناس قريباً من البيت ليعتبروا بهما ، فلما طال المطال بعد ذلك بمُدَّ عِدَا من دون الله في زمن خزاعة . كما سيأتى بيانه في موضعه . فكانا صنمين منصوبين يقال لهما إساف ونائلة .

فلما أكرت جرهم البغيّ بالبلد الحرام تماثلت عليهم خزاعة الذين كانوا نزلوا حول الحرم ، وكانوا من ذرية عمرو بن عامر الذى خرج من اليمن لأجل ما توقع من سيل العرم كما تقدم . وقيل إن خزاعة من بنى إسماعيل . والله أعلم .
والمقصود أنهم اجتمعوا لحرهم وآذَنُوهم بالحرب واقتتلوا .
واعترزل بنو إسماعيل كلا الفريقين .

فغابت خزاعة ، وهم بنو بكر بن عبد مناة وغُبْشان ، وأجلّوهم عن البيت .
فعمد عمرو بن الحارث بن مُضاض الجرهمي ، وهو سيدهم ، إلى غزالي الكعبة ، وهما من ذهب ، وحجّر الركن وهو الحجر الأسود ، وإلى سيوف مُحَلّاة وأشياء أخرى ، فدفنها في زمزم وطمّ زمزم ، وارتحل بقومه فرجعوا إلى اليمن .
وفى ذلك يقول عمرو بن الحارث بن مُضاض :

وقد شَرِقَتْ بالدّمع منها المحاجرُ	وقائِلَةٌ والدّمعُ سَكْبٌ مُبَادِرٌ
أُنِيسٌ ولم يَسْمُرْ بمكة سامرُ	كأنّ لم يَكُنْ بين الحَجُونِ إلى الصَّفَا
يُلَجِّجُهُ بين الجناحين طائرُ	فقلتُ لها والقلبُ مِنِّي كأنما
صروفُ الليالي والجلودُ العوائرُ	بَلَى نحنُ كَنّا أهلها فأزالنا
نطوفُ بذاك البيت والخيرُ ظاهرُ	وكنا وِلَاةَ البيت من بعد نابتِ

ونحن ولينا البيت من بعد نابت
ملكننا فمزرنا فأعظم بملكننا
ألم تنكحوا من خير شخص علمته
فإن تنثن الديننا علينا بحالها
فأخرجنا منها المليك بقدره
أقول إذا نام الخلى ولم أنم
وبدلت منها أوجها لا أحبا
وصرنا أحاديثا وكنا بغبطة
فسحت دموع العين تبكى لبلدة
وتبكي لبيت ليس يؤذى حمائم
وفيه وحوش لا ترام أنيسة
بعز فإ يحظى لدينا المكث
فليس لحى غيرنا ثم فأخبر
فأبناؤه منا ونحن الأصاهر
فإن لها حالا وفيها التشاجر
كذلك يا للناس تجرى المقادر
أذا العرش لا يبعد سهيل وعامر
قبائل منها خير ويحابر
بذلك عصتنا السنون الغوابر
بها حرم أمن وفيها المشاعر
يظل به أمنا وفيه العصافر
إذا خرجت منه فليست تغادر

قال ابن إسحاق : وقال عمرو بن الحارث بن مضاض أيضا يذكر بنى بكر وغبشان الذين خلفوا بعدهم بمكة :

يا أيها الناس سيروا إن قصركم^(١)
حشوا المطى وأرخوا من أزمته
كنا أناسا كما كنتم ففئنا
دهره فأنتم كما صرنا تصيروننا
أن تصبحوا ذات يوم لا تسيروننا
قبل المات وقضوا ما تقضونا

قال ابن هشام : هذا ما صح له منها . وحدثني بعض أهل العلم بالشعر أن هذه الأبيات أول شعر قيل في العرب ، وأنها وجدت مكتوبة في حجر باليمن ولم يسم قائلها .

(١) الطبوعة : قصارك . وهو خطأ . وقصركم : أى نهايتكم .

وذكر السهيلي لهذه الأبيات إخوة ، وحكى عندها حكاية معجبة وإنشادات مُغربة .

قال : وزاد أبو الوليد الأزرقي في كتابه « فضائل مكة » على هذه الأبيات المذكورة المنسوبة إلى عمرو بن الحارث بن مُضاض :

قد مالَ دهرٌ علينا ثم أَهْلَكَنَا بِالْبَغْيِ فِيهِ ^(١) وَبَزَّ النَّاسَ نَاسُونَا
وَاسْتَخْبِرُوا فِي صَنِيعِ النَّاسِ قَبْلَكُمْ كَمَا اسْتَبَانَ طَرِيقٌ عَنْدهُ الْهُونَا
كُنَّا زَمَانَا مَلُوكَ النَّاسِ قَبْلَكُمْ بِمَسْكَنِ فِي حَرَامِ اللَّهِ مَسْكُونَا

قصة خزاعة ، وخبر عمرو بن لُحَيٍّ ، وعبادة الأصنام

بأرض العرب

قال ابن إسحاق : ثم إن غُبْشَانَ من خزاعة وليت البيت دون بني بكر بن عبد مناة وكان الذي يليه منهم عمرو بن الحارث الغُبْشَانِي .

وقريش إذ ذاك حُلُولٌ وَصِرْمٌ ^(٢) وبيوتات متفرقون في قومهم من بني كنانة .

قالوا : وإنما سميت خزاعةُ خزاعةَ لأنهم تَخَزَّعُوا من ولد عمرو بن عامر حين أقبلوا من اليمن يريدون الشام ، فغزَلُوا بِمَرِّ الظَّهَرَانِ فَأَقَامُوا بِهِ .

قال عون بن أيوب الأنصاري ثم الخزرجي في ذلك :

فلما هبطنا بطنَ مَرٍّ تَخَزَّعَتْ خُزَاعَةٌ مِنَّا فِي حُلُولٍ كَرَّا كَرَّ ^(٣)

(١) المطبوعة : فينا .

(٢) الحلول : جمع حال بتشديد اللام . والصرم بكسر الصاد وسكون الراء : الطائفة من القوم ينزلون بإبلاهم ناحية من الماء والجمع أصرام . (٣) الكراكر : جمع كركرة بكسر الكاف وسكون الراء ومي الجماعة من الناس .

حَمَتْ كُلَّ وادٍ مِنْ تِهَامَةٍ وَاحْتَمَتْ بِصُحْبِ الْقَنَاءِ وَالْمُرْهَفَاتِ الْبَوَاتِرِ
وقال أبو المطهر إسماعيل بن رافع الأنصاري الأوسي :

فلما هَبَطْنَا بطن مكة أُنْحَدَتْ خُرَاعَةُ دَارِ الْآ كُلِّ الْمُتَحَامِلِ
فَلَّتْ أكاريساً شَدَّتْ قَنَابِلًا عَلَى كُلِّ حَيٍّ بَيْنَ نَجْدٍ وَسَاحِلِ^(١)
نَفَوَاجِرُهُمَا عَنْ بطن مكة وَاحْتَبَوْا بَعِزَّ خُرَاعِيٍّ شَدِيدِ الْكَوَاهِلِ

فوليت خزاعة البيت ، يتوارثون ذلك كابراً عن كابر ، حتى كان آخرهم حُلَيْلِ
ابن حُبْشِيَّةِ بن سُلُولِ بن كعب بن عمرو بن ربيعة الخزاعي ، الذي تزوج قصي بن كلاب
أنثته حُبَيٍّ ، فولدت له بَنِيهِ الْأَرْبَعَةَ : عبد الدار ، وعبد مناف ، وعبد العزى ،
وعبدا ، ثم صار أمر البيت إليه . كما سيأتى بيانه وتفصيله فى موضعه إن شاء الله
تعالى وبه الثقة .

واستمرت خُرَاعَةُ عَلَى ولاية البيت نحواً من ثلاثمائة سنة ، وقيل خمسمائة سنة
والله أعلم . وكانوا مشثومين^(٢) فى ولايتهم ، وذلك لأن فى زمانهم كان أولُ عبادة
الأوثان بالحجاز .

وذلك بسبب رئيسهم عمرو بن لُحَيٍّ لعنه الله ، فإنه أول من دعاهم إلى ذلك .
وكان ذا مال جزيل جداً . يقال : إنه فقاً أعين عشرين بغيراً ، وذلك عبارة عن أنه
ملك عشرين ألف بغير .

وكان من عادة العرب أن من ملك ألف بغير فقاً عين واحد منها ، لأنه يدفع بذلك
العين عنها . ومن ذكر ذلك الأزرقى .

(١) الأكاريس : جمع الجمع للكُرس وهو أليات من الناس مجتمعة . والقنابل جمع قنبل ، وهو
الطائفة من الناس والحيل . (٢) المطبوعة : سوس . وهى تحريف بالأصل عما أثبتناه .

وذكر السهيلي : أنه ربما ذبح أيام الحجيج عشرة آلاف بدنة وكسا عشرة آلاف حلة في كل سنة ، يطعم العرب ويحيي لهم الخيس بالسمن والعسل ويلت لهم السويق . قالوا : وكان قوله وفعله فيهم كالشرع المتبع ، لشرفه فيهم ومحلته عندهم وكرمه عليهم .

قال ابن هشام : حدثني بعض أهل العلم أن عمرو بن لُحَيّ خرج من مكة إلى الشام في بعض أموره فلما قدم مآب من أرض البلقاء ، وبها يومئذ العالقي وهم ولد عملاق ، ويقال ولد عُمَيْلِيق بن لاوذ بن سام بن نوح ، رآهم يعبدون الأصنام ، فقال لهم : ما هذه الأصنام التي أراكم تعبدون ؟ قالوا له : هذه أصنامُ نعبدها فنستمطرها فتمطرنا ، ونستنصرها فتنصرنا .

فقال لهم : ألا تعطوني منها صنما فأسير به إلى أرض العرب فيعبدونه ^(١) فأعطوه صنما يقال له هُبَل ، فقدم به مكة فنصبه وأمر الناس بعبادته وتعظيمه . قال ابن إسحاق : ويزعمون أن أول ما كانت عبادة الحجارة في بني إسماعيل عليه السلام ، أنه كان لا يظعن من مكة ظاعن منهم حين ضاقت عليهم والتمسوا الفسح في البلاد إلا حمل معه حجراً من حجارة الحرم تعظيماً للحرم .

فحيث ما نزلوا وضعوه فطافوا به كطوافهم بالكعبة .

حتى سآخ ذلك بهم إلى أن كانوا يعبدون ما استحسِنوا من الحجارة وأعجبهم ، حتى خَلَفَت الخُلُوف ونسوا ما كانوا عليه .

وفي الصحيح عن أبي رَجَاء العَطَّارِدي ، قال : كنا في الجاهلية إذا لم نجد حجراً جمعنا حشية من التراب وجئنا بالشاة فخبناها عليه ثم طُفْنَا بها .

(١) كذا بالأصول . والقياس : فيعبدوه

قال ابن إسحاق . واستبدلوا بدين إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام غيره ، فعبدوا الأوثان وصاروا إلى ما كانت عليه الأمم قبلهم من الضلالات .

وفيهم على ذلك بقايا من عهد إبراهيم عليه السلام يتمسكون بها من تعظيم البيت ، والطواف به ، والحج والعمرة ، والوقوف على عرفات والمزدلفة ، وهذى البدن والإهلال بالحج والعمرة ، مع إدخالهم فيه ما ليس منه

فكانت كنانة وقريش إذا أهّلوا قالوا : لبيك اللهم لبيك . لبيك لا شريك لك ، إلا شريكا هو لك ، تملكه وما ملك . فيوحدونه بالتبعية ثم يدخلون معه أصنامهم ويجعلون ملكها بيده . يقول الله تعالى لحمد صلى الله عليه وسلم : « وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ^(١) » أى ما يوحدوننى لمعرفة حتى إلا جعلوا معى شريكا من خلقى .

وقد ذكر السهيلي وغيره : أن أول من لّجى هذه التابئة عمرو بن لُحى وأن إبليس تبدّى له فى صورة شيخ ، فجعل ياقنه ذلك فىسمع منه ويقول كما يقول ، واتبعه العرب فى ذلك .

وثبت فى الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا سمعهم يقولون : لبيك لا شريك لك : يقول : « قَدْ قَدْ » أى حَسْبُ حَسْبُ .

وقد قال البخارى : حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، حدثنا يحيى بن آدم ، حدثنا إسرائيل ، عن أبى حفص عن أبى هريرة . عن النبى صلى الله عليه وسلم . قال : « إن أول من سبب السوائب وعبد الأصنام ، أبو خزاعة عمرو بن عامر ، وإنى رأيته يجر أمتعاه فى النار » .

تفرد به أحمد من هذا الوجه .

وهذا يقتضى أن عمرو بن لُحَيٍّ هو أبو خزاعة الذى تُنسب إليه القبيلة بكاملها ، كما زعمه بعضهم من أهل النسب ، فيما حكاه ابن إسحاق وغيره .

ولو تركنا مجرد هذا المكان ظاهراً فى ذلك بل كالنص ، ولكن قد جاء ما يخالفه من بعض الوجوه .

فقال البخارى : حدثنا أبو اليمان ، حدثنا شعيب ، عن الزُّهْرَى ، قال : سمعت سعيد ابن المسيب قال : البحيرة : التى يُمنَحُ^(١) دَرُّهَا للطواغيت فلا يحلبها أحد من الناس . والسائبة : التى كانوا يسيبونها لآلهم لا يُحمَلُ عليها شيء .

قال : وقال أبو هريرة : قال النبى صلى الله عليه وسلم : « رأيت عمرو بن عامر الخزاعى يجر قُصْبَهُ فى النار ، كان أول من سَيَّب السوائب » .

وهكذا رواه البخارى أيضاً ومسلم من حديث صالح بن كيسان عن الزُّهْرَى عن سعيد عن أبى هريرة به .

ثم قال البخارى : ورواه ابن الهادِّ عن الزهري .

قال الحاكم : أراد البخارى : رواه ابن الهادِّ عن عبد الوهاب بن بخت عن الزهري . كذا قال .

وقد رواه أحمد عن عمرو بن سَلَمَةَ الخزاعى ، عن الليث بن سعد ، عن يزيد بن الهاد ، عن الزهري ، عن سعيد ، عن أبى هريرة : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « رأيت عمرو بن عامر يجر قُصْبَهُ فى النار ، وكان أول من سَيَّب السوائب وبحر البحيرة » .

(٣) المنبوعة : يمنع . وهو خطأ

ولم يذكر بينهما عبد الوهاب بن بُحْت كما قال الحاكم . فالله أعلم .

وقال أحمد أيضا : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا مَعْمَر ، عن الزهري ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « رأيت عمرو بن عامر الخَزَاعِي يجرُ قُصْبَهُ في النار ، وهو أول من سَيَّبَ السَّوَابِ (١) » .

وهذا منقطع من هذا الوجه . والصحيح : الزُّهْرِي عن سعيد عنه كما تقدم .
وقوله في هذا الحديث والذي قبله : « الخَزَاعِي » يدل على أنه ليس والد القبيلة ، بل منتسب إليها ، مع ما وقع في الرواية من قوله أبو خزاعة تصحيف من الراوي من : « أخو خزاعة » أو أنه كان يكنى بأبي خزاعة ، ولا يكون ذلك من باب الإخبار بأنه أبو خزاعة كلهم . والله أعلم .

وقال محمد بن إسحاق : حدثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي ، أن أبا صالح السَّامَان حَدَّثَهُ أنه سمع أبا هريرة يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :
لَأَكْمَنُ بَنِ الْجَوْثَنِ الْخَزَاعِي : « يَا أَكْمَنُ ، رأيت عمرو بن لحي بن قَمْعَةَ بن خِنْدَفٍ يجرُ قُصْبَهُ في النار ، فما رأيت رجلا أشبه برجل منك به ولا بك منه » .
فقال أكمن : عسى أن يضرني شَبَهُهُ يارسول الله .

قال : « لا إنك مؤمن وهو كافر ، إنه كان أول من غيَّر دين إسماعيل ، فنصب الأوثان وبَحَرَ البحيرة وسَيَّبَ السَّائِبَةَ ووصل الوصيلة وحَمَى الحامِي » .
ليس في الكتب من هذا الوجه .

وقد رواه ابن جرير عن هَنَادِ بْنِ عَبْدِ عَمْرٍو ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي سامة ، عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه أو مثله ، وليس في الكتب أيضاً .

وقال البخارى : حدثنى محمد بن أبى يعقوب أبو عبد الله الكرمانى ، حدثنا حسان ابن إبراهيم ، حدثنا يونس ، عن الزهرى ، عن عروة عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « رأيت جهنم يحطّم بعضها بعضاً ، ورأيت عمراً يجرّ قصبه ، وهو أول من سيّب السوائب » .

تفرّد به البخارى .

وروى الطبرانى من طريق صالح ، عن ابن عباس ، مرفوعاً فى ذلك .

والمقصود أن عمرو بن لُحى لعنه الله كان قد ابتدع لهم أشياء فى الدين غير بها دين الخليل ، فاتبعه العرب فى ذلك ، فضلّوا بذلك ضلالاً بعيداً بيناً فظيعاً شنيعاً .

وقد أنكر الله تعالى عليهم فى كتابه العزيز فى غير ما آية منه . فقال تعالى : ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ۚ ﴾ ^(١) الآية . وقال تعالى : ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۚ ﴾ ^(٢) .

وقد تكلمنا على هذا كله مبسوطاً وبيننا اختلاف السلف فى تفسير ذلك ، فمن أرادَه فليأخذه من ثمّ ، والله الحمد والمنة .

وقال تعالى : ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ ، تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَنْهَا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ ۚ ﴾ ^(٣) .

وقال تعالى : ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ

إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ . وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ
شُرَكَائُهُمْ لِيُرَدُّوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ .
وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرِثَ حِجْرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ
ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ أَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءٌ عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ .
وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِدُكُونِنَا وَحَرَّمَ عَلَى أَزْوَاجِنَا ، وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً
فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ . قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ
سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا
مُهْتَدِينَ ﴿١﴾ .

وقال البخارى فى صحيحه : ﴿باب جهل العرب﴾ (٢) :

حدثنا أبو النعمان ، حدثنا أبو عوانة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن
عباس ، قال : إذا سَرَّكَ أن تعلمَ جهلَ العرب فاقرأ ما فوق الثلاثين ومائة في سورة الأنعام :
﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ، وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى
اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ .

وقد ذكرنا تفسيرَ هذه الآية ، وما كانوا ابتدعوه من الشرائع الباطلة الفاسدة ، التى
ظنها كبيرهم عمرو بن لُحَيٍّ قَبَّحَهُ اللهُ مصلحةً ورحمةً بالدواب والبهائم ، وهو كاذب
مُفْتَرٍ فى ذلك .

ومع هذا الجهل والضلال اتبعه هؤلاء الجيلة الطغام فيه .
بل قد تابعوه فيما هو أظلم من ذلك وأعظم بكثير ، وهو عبادة الأوثان مع
الله عز وجل .

وبدّلوا ما كان الله بعث به إبراهيم خليه من الدين القويم والصراط المستقيم ، من توحيد عبادة الله وحده لا شريك له وتحريم الشرك .

وغيّروا شعائر الحج ومعالِم الدين بغير علم ولا برهان ولا دليل صحيح ولا ضعيف .
واتبعوا في ذلك مَنْ كان قبلهم من الأمم المشركين .

وشابهوا قومَ نوح ، وكانوا أولَ من أشرك بالله وعبد الأصنام ولهذا بعث الله إليهم نوحا ، وكان أول رسول بُعثَ ينهى عن عبادة الأصنام ، كما في قصة نوح ﴿ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴾ (١) .

قال ابن عباس : كان هؤلاء قوما صالحين في قوم نوح ، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ، فلما طال عليهم الأمد عبدوهم ، وقد بينا كيفية ما كان من أمرهم في عبادتهم بما أغنى عن إعادته ها هنا .

قال ابن إسحاق وغيره : ثم صارت هذه الأصنام في العرب بعد تبديلهم دين إسماعيل ، فكان ودّ لبني كلب بن وبرة (٢) بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف ابن قضاعة . وكان منصوباً بدومة الجندل .

وكان سواع لبني هذيل بن الياس بن مُدركة بن مضر . وكان منصوباً بمكان يقال له رُهاط .

وكان يغوث لبني أنعم من طيّء ولأهل جُرَش من مذحج . وكان منصوباً بجُرَش .
وكان يعوق منصوباً بأرض همدان من اليمن لبني خيوان بطن من همدان .

وكان نَسْر منصوباً بأرض خَيْر لقبيلة يقال لها ذو الكَلَاع .

قال ابن إسحاق : وكان لخلولان بأرضهم صنم يقال له عم أنس ^(١) يقسمون له من أنعامهم وحروثهم قسماً بينه وبين الله ، فيما يزعمون ^(٢) ، فما دخل في حق عم أنس من حق الله الذي قسموه ^(٣) له تركوه له ، وما دخل في حق الله من حق عم أنس ردّوه عليه ، وفيهم أنزل الله : ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا ﴾ .

قال : وكان لبني ملكان بن كِنانة بن خُزَيْمة بن مُدْرِكة صنم يقال له سعد ، صخرة بفلاة من أرضهم طويلة ، فأقبل رجل منهم يبيل له مُؤَبَّلَةً لِيَقِفَهَا عَلَيْهِ التماسَ بركته ، فيما يزعم ، فلما رأته الإبل ، وكانت مَرَعِيَّةً لَا تُرْكَب وكان الصنم يَهْرَاقُ عليه الدماء ، نفرت منه فذهبت في كل وجه ، وغضب ربها فأخذ حجراً فرماه به ثم قال : لا بَارِكُ اللهَ فَيَكُ فَيَكُ نَفَرْتُ عَلَى إِبِلِي . ثم خرج في طلبها حتى جمعها ، فلما اجتمعت له قال :

أَتَيْنَا إِلَى سَعْدٍ لِيَجْمَعَ شَمْلُنَا فَشَتَّتْنَا سَعْدٌ فَلَا نَحْنُ مِنْ سَعْدٍ
وَهَلْ سَعْدٌ إِلَّا صَخْرَةٌ بَتَنُوفَةٍ مِنَ الْأَرْضِ لَا يَدْعُو لِنَا وَلَا رُشْدٍ

قال ابن إسحاق : وكان في دَوْسٍ صنم لعمر بن مُحَمَّمة الدَّوْسِي .

قال : وكانت قریش قد اتخذت صنماً على بئر في جوف الكعبة يقال له هُبَل .

وقد تقدم فيما ذكره ابن هشام أنه أول صنم نصبه عمرو بن لُحَي لعنه الله .

قال ابن إسحاق : واتخذوا إسافاً ونائلة ، على موضع زمزم ينحرون عندها ، ثم ذكر أنها كانا رجلاً وامراً فوق عليهما في الكعبة فسخهما الله حجرين .

ثم قال : حدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حَزْم ، عن عمرة أنها قالت : سمعت عائشة تقول : ما زِلْنَا نَسْمَعُ أَنَّ إِسَافًا وَنَائِلَةً كَانَا رَجُلًا وَامْرَأَةً مِنْ جُرْهُمِ أَحَدُنَا فِي الْكَعْبَةِ فَسَخَّاهُمَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ حَجَرَيْنِ . والله أعلم .

(١) والأصنام لابن الكلبي : عِمَانَس . (٢) ابن هشام : بزعمهم . (٣) ابن هشام : سموه

وقد قيل إن الله لم يُمهاهما حتى فحرا فيها ، بل مَسَخَهما قبل ذلك ، فعند ذلك نصبا عند الصفا والمروة .

فلما كان عمرو بن لُحَيّ نقاهما فوضعهما على زمزم وطاف الناس بهما .
وفي ذلك يقول أبو طالب :

وحيث يُنِيخُ الأشْعَرُونَ ركبهم بِمَقْصَى السَّيُولِ مِنْ إِسَافٍ وَنَائِلِ
وقد ذكر الواقدي : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أمر بكسر نائلة يوم الفتح
خرجت منها سوداء شمطاء تخمش وجهها وتدعو بالويل والثبور .
وقد ذكر السهيلي : أن أجا وسلمى وهما جبلان بأرض الحجاز ، إنما سُمِّيَا باسم رجل
اسمه أجا بن عبد الحى ، فخرَ بُلْسى بنت حام ، فصلبا في هذين الجبلين فعُرِفَا بهما .
قال : وكان بين أجا وسلمى صنمٌ لطيفٌ يقال له قاس .

قال ابن إسحاق : واتخذ أهلُ كل دار في دارهم صنما يعبدونه ، فإذا أراد الرجل
منهم سَفَرًا تمسح به حين يركب ، فكان ذلك آخرَ ما يصنع حين يتوجه إلى سفره ،
وإذا قدم من سَفَره تمسح به ، فكان ذلك أول ما يبداً به قبل أن يدخل على أهله .
قال : فلما بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم بالتوحيد قالت قریش : أَجْعَلِ الْآلِهَةَ
إِلَهاً واحداً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ .

قال ابن إسحاق : وقد كانت العرب اتخذت مع الكعبة طَوَاغِيتَ ، وهى بيوت تعظمها
كتعظيم الكعبة لها سَدَنَةٌ وَحُجَابٌ ، وتَهْدِي لها كما تهدى للكعبة ، وتطوف بها كطوافها

بها وتنحدر عندها . وهى [مع ذلك] ^(١) تعرف فضل الكعبة عليها ، لأنها بناء إبراهيم الخليل عليه السلام ومسجده .

وكانت لقريش وبنى كنانة العزى بنخلة ، وكان سدتها وحجابها بنى شيبان من سليم حلفاء بنى هاشم ، وقد خربها خالد بن الوليد زمن الفتح . كما سيأتى .

قال : وكانت اللات لثقيف بالطائف ، وكان سدتها وحجابها بنى مُعْتَب من ثقيف ، وخربها أبو سفيان والمغيرة بن شعبة بعد مجيء أهل الطائف . كما سيأتى .

قال : وكانت مَنَاة للأوس والخزرج ومن دَانَ بدِينهم من أهل المدينة ^(٢) على ساحل البحر من ناحية المُشَلَل بقُدَيْد ، وقد خربها أبو سفيان أيضا ، وقيل على بن أبى طالب كما سيأتى .

قال : وكان ذو الخِلاصة لدَوْس وخَثَم وبَحِيلَة ومن كان ببلادهم من العرب بَبَالَة ، وكان يقال له الكعبة اليمانية ؛ وليت مكة الكعبة الشامية . وقد خربه جرير بن عبد الله البجلي كما سيأتى . قال :

وكان قَاس لَطِيٍّ ومن يليها بِجَلَى طِيٍّ ، يعنى ^(٣) أَجَا وَسَلَمَى . وهما جبلان مشهوران كما تقدم .

قال : وكان رِثَامُ بَيْتَا لَحْمَيْرَ وأهل اليمن كما تقدم ذكره فى قصة تُبَع أحد ملوك حِمْيَر وقصة الحَبْرين حين خربناه وقتلناه منه كلباً أسود .

قال : وكانت رُضَاءُ بَيْتَا لَبْنَى رَبِيعَةَ بن كَعْب بن سعد ابن زيد مَنَاة بن تميم ؛ ولها يقول المُسَوَّغَر ، واسمه كعب بن ربيعة بن كعب :

ولقد شَدَدْتُ عَلَى رُضَاءَ شَدَّةً ففتركتها قَفَرًا بِقَاعِ أُسْحَمَ ^(٤)

(١) ليست فى ابن هشام . (٢) ابن هشام يثرب . (٣) المطبوعة : بن . وهو خطأ .

(٤) الأُسْحَم : الأسود

وأعان عبدُ الله في مَكْرُوهِهَا وَبِمَثَلِ عَبْدِ اللَّهِ أُعْشِيَ الْحَرَمَ^(١)
وَيَقَالُ إِنَّ الْمُسْتَوْغِرَ هَذَا عَاشَ ثَلَاثِمِائَةَ سَنَةٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً ، وَكَانَ أَطْوَلَ مُضَرٍّ كُلِّهَا
عُمَرَاً ، وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ :

وَلَقَدْ سَمِعْتُ مِنَ الْحَيَاةِ وَطَوَّلَهَا وَعَمَرْتُ مِنْ عَدَدِ السِّنِينَ مِثْلَنَا
مِائَةً حَدَّثَهَا بَعْدَهَا مِائَتَانِ لِي وَازْدَدْتُ مِنْ عَدَدِ الشُّهُورِ سِنِينَا
هَلْ مَاتَ بَقِيَ إِلَّا كَمَا قَدْ فَاتَنَا يَوْمٌ يَمُرُّ وَلَيْلَةٌ تَحْدُونَا
قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَتُرَوَّى هَذِهِ الْآيَاتُ لَزُهَيْرِ بْنِ جَنَابٍ بْنِ هَبَلٍ^(٢) .

قَالَ السَّهْبِيُّ : وَمِنَ الْمَعْرَرِينَ الَّذِينَ جَازَوْا الْمِائَتِينَ وَالثَّلَاثِمِائَةَ : زُهَيْرٌ هَذَا ، وَعُبَيْدُ
ابْنُ شَرِيَّةٍ ، وَدَغْفَلُ بْنُ حَنْظَلَةَ النَّسَّابَةِ ، وَالرَّبِيعُ بْنُ ضَبْعٍ الْفَزَارِيُّ ، وَذُو الْإِصْبَعِ
الْعَدَوَانِيُّ ، وَنَصْرُ بْنُ دِهَانَ بْنِ أَشْجَعِ بْنِ رَيْثِ بْنِ غُفْطَانَ ، وَكَانَ قَدْ اسْوَدَّ شَعْرُهُ بَعْدَ
إِبْيَاضِهِ وَتَقَوَّمَ ظَهْرُهُ بَعْدَ اعْوِجَاجِهِ .

قَالَ^(٣) : وَكَانَ ذُو الْكَعْبَاتِ لِبَكْرِ وَتَغْلِبَ ابْنِي^(٤) وَائِلَ وَإِيَادَ بَسَنْدَادَ ، وَلَهُ
يَقُولُ أُعْشِيَ بَنِي قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ :

بَيْنَ^(٥) الْخَوَرَنَقِ وَالسَّدِيرِ وَبَارِقِ وَالْبَيْتِ ذِي الشُّرَفَاتِ مِنْ سَنْدَادِ^(٦)
وَأَوَّلُ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ :

وَلَقَدْ عَلِمْتُ وَإِنْ تَطَاوَلَ بِي الْمَدَى أَنَّ السَّبِيلَ سَبِيلُ ذِي الْأَعْوَادِ
مَاذَا أَوْمَلُ بَعْدَ آلٍ مُحَرَّقِ تَرَكَوْا مِنْ أَرْزَاقِهِمْ ، وَبَعْدَ إِيَادِ
نَزَلُوا بِأَنْقَرَةٍ يَسِيلُ عَلَيْهِمْ مَاءُ الْفُرَاتِ يَحْيَى مِنْ أَطْوَادِ
أَرْضِ الْخَوَرَنَقِ وَالسَّدِيرِ وَبَارِقِ وَالْبَيْتِ ذِي الْكَعْبَاتِ مِنْ سَنْدَادِ

(١) لم يرد هذا البيت في ابن هشام . (٢) ابن هشام : بن جناب الكلبي . (٣) أي ابن اسحق
(٤) المطبوعة : ابن . وهو خطأ . (٥) ابن هشام : أهل الخورنق .
(٦) السنداد : منازل لإياد أسفل سواد الكوفة ، وراء نجران الكوفة .

جَرَّتِ الرِّيحُ عَلَى مَحَلِّ دِيَارِهِمْ فَكَأَنَّمَا كَانُوا عَلَى مِيعَادٍ
وَأَرَى النِّعَمَ وَكُلَّ مَا يُبْلَغُ بِهِ يَوْمًا يَصِيرُ إِلَى بَيْتِي وَنَفَادٍ
قَالَ السَّهْلِيُّ : الْخَوَرَنَقُ : قَصْرُ بَنَاءِ النِّعَمَانِ الْأَكْبَرِ لِسَابُورَ لِيَكُونَ وَلَدُهُ فِيهِ عِنْدَهُ ،
وَبَنَاهُ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ سِنَّمَارٌ فِي عِشْرِينَ سَنَةً ، وَلَمْ يُرَ بَنَاءُ أُعْجِبَ مِنْهُ ، فَخَشِيَ أَنْ يَبْنَى
لغيره مثله ، فَأَلْقَاهُ مِنْ أَعْلَاهُ فَقَتَلَهُ ، فَفِي ذَلِكَ يَقُولُ الشَّاعِرُ :

جَزَانِي ، جَزَاهُ اللَّهُ شَرًّا جَزَائِهِ جَزَاءَ سِنَّمَارٍ وَمَا كَانَ ذَا ذَنْبٍ
سِوَى رَضْفَةِ الْبَنِيَانِ عِشْرِينَ حِجَّةً يَعْدُ عَلَيْهِ بِالْقَرَامِدِ وَالسَّكْبِ^(١)
فَلَمَّا انْتَهَى الْبَنِيَانُ يَوْمًا تَمَامَهُ وَأَضْ كَمَثَلِ الطَّوْدِ وَالْبَاذِخِ الصَّعْبِ
رَمَى بِسِنَّمَارٍ عَلَى حُقِّ رَأْسِهِ وَذَلِكَ لَعَمْرُ اللَّهِ مِنْ أَقْبَحِ الْخَطْبِ
قَالَ السَّهْلِيُّ : أَنْشَدَهُ الْجَاهِظُ فِي كِتَابِ الْحَيَوَانِ . وَالسِّنَّمَارُ مِنْ أَسْمَاءِ الْقَمَرِ .

وَالْمَقْصُودُ أَنَّ هَذِهِ الْبُيُوتَ كُلَّهَا هَدَمَتْ لَمَّا جَاءَ الْإِسْلَامُ ، جَهَزَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى كُلِّ بَيْتٍ مِنْ هَذِهِ سَرَايَا تَخْرِبُهُ ، وَإِلَى تِلْكَ الْأَصْنَامِ مَنْ كَسَرَهَا ، حَتَّى لَمْ يَبْقَ لِلْكُفَّةِ مَا يَضَاهِيهَا ، وَعُبِدَ اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ . كَمَا سَيَأْتِي بَيَانُهُ وَتَفْصِيلُهُ فِي مَوَاضِعِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى وَبِهِ الثِّقَةُ .

(١) الْقَرَامِدُ : حِجَارَةٌ لَهَا خُرُوقٌ تَنْضَجُ وَيَبْنَى بِهَا ، وَالْآجِرُ ، وَمَا طُبِيَ بِهِ كَالزَّعْفَرَانِ وَالْحَمْسِ . وَالسَّكْبُ : النَّحَاسُ أَوْ الرِّصَاصُ .

خبر عدنان جدّ عرب الحجاز ، وهو الذى ينتهى إليه

نسب النبی صلی الله علیه وسلم

لا خلاف أن عدنان من سُلالة إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما السلام .
واختلفوا فى عدة الآباء بينه وبين إسماعيل على أقوال كثيرة .

فأكثر ما قبل أربعون أباً ، وهو الموجود عند أهل الكتاب ، أخذوه من كتاب
رخيا كاتب أرميا بن حلقيا . على ما سند كره .

وقيل بينهما ثلاثون . وقيل عشرون . وقيل خمسة عشر . وقيل عشرة . وقيل
تسعة . وقيل سبعة .

وقيل إن أقل ما قيل فى ذلك أربعة ، لما رواه موسى بن يعقوب ، عن عبد الله بن
وهب بن زُمعة الزُمعي ، عن عمته ، عن أم سلمة ، عن النبی صلی الله علیه وسلم أنه قال
« مَعَدُّ بن عدنان ابن أدد بن زند بن اليرى بن أعراق الثرى » .

قالت أم سلمة : فزند هو الهَمَيْسَع . واليرى هو نابت ، وأعراق الثرى هو إسماعيل .
لأنه ابن إبراهيم ، وإبراهيم لم تأكله النار كما أن النار لا تأكل الثرى .

قال الدارقطنى : لا نعرف زنداً إلا فى هذا الحديث ، وزند بن الجون ، وهو
أبو دلامة الشاعر .

قال الحافظ أبو القاسم الشَّهْبَلِيّ وغيره من الأئمة : مُدَّة ما بين عدنان إلى زمن
إسماعيل أكثر من أن يكون بينهما أربعة آباء أو عشرة أو عشرون ، وذلك أن مَعَدَّ
ابن عدنان كان عمره زمنَ بَحْتَنْصَر اثنتى عشرة سنة .

وقد ذكر أبو جعفر الطبرى وغيره أن الله تعالى أوحى فى ذلك الزمان إلى أرمياء بن

حلقياً أن اذهب إلى بَحْتَنَصَّر فَأَعْلِمَهُ أَنِي قَدْ سَلَّطْتُهُ عَلَى الْعَرَبِ . وَأَمَرَ اللَّهُ أَرْمِيَاءَ أَنْ يَحْمِلَ
مَعَهُ مَعَدَّ بْنَ عَدْنَانَ عَلَى الْبُرَاقِ كَيْ لَا تَصِيبَهُ النِّقْمَةُ فِيهِمْ ، فَإِنِّي مُسْتَخْرِجٌ مِنْ صُلْبِهِ نَبِيًّا
كَرِيمًا أَخْتَمُ بِهِ الرُّسُلَ .

فَفَعَلَ أَرْمِيَاءُ ذَلِكَ وَاحْتَمَلَ مَعَدَّا عَلَى الْبُرَاقِ إِلَى أَرْضِ الشَّامِ ، فَشَاءَ مَعَ بَنِي إِسْرَائِيلَ
مَنْ بَقِيَ مِنْهُمْ بَعْدَ خَرَابِ بَيْتِ الْقُدْسِ ، وَتَزَوَّجَ هُنَاكَ امْرَأَةً اسْمُهَا مَعَانَةُ بِنْتُ جَوْشَنَ مِنْ
بَنِي دِبْ بْنِ جُرْهُمَ ، قَبْلَ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى بِلَادِهِ ، ثُمَّ عَادَ بَعْدَ أَنْ هَدَّاتِ الْفِتْنِ وَتَمَحَّضَتْ
جَزِيرَةُ الْعَرَبِ ، وَكَانَ رَخِيًّا كَاتِبَ أَرْمِيَاءَ قَدْ كَتَبَ نَسَبَهُ فِي كِتَابٍ عِنْدَهُ لِيَكُونَ فِي
خَزَانَةِ أَرْمِيَاءَ فَيَحْفَظَ نَسَبَ مَعَدَّ كَذَلِكَ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وَلِهَذَا كَرِهَ مَالِكٌ رَحِمَهُ اللَّهُ رَفَعَ النِّسْبَ إِلَى مَا بَعْدَ عَدْنَانَ .
قَالَ السَّهْلِيُّ : وَإِنَّمَا تَكَلَّمْنَا فِي رَفْعِ هَذِهِ الْأَنْسَابِ عَلَى مَذْهَبِ مَنْ يَرَى ذَلِكَ وَلَمْ
يَكْرَهُهُ ، كَابْنِ إِسْحَاقَ وَابْنِ الْبَخَّارِيِّ ، وَالزُّبَيْرِ بْنِ بَكَّارٍ ، وَالطَّبْرِيِّ ، وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْعُلَمَاءِ .
وَأَمَّا مَالِكٌ رَحِمَهُ اللَّهُ فَقَدْ سَأَلَ عَنِ الرَّجُلِ يَرْفَعُ نَسَبَهُ إِلَى آدَمَ فَكَرِهَهُ ذَلِكَ ، وَقَالَ لَهُ :
مَنْ أَيْنَ لَهُ عِلْمُ ذَلِكَ ؟ !

فَقِيلَ لَهُ : فَإِلَى إِسْمَاعِيلَ ؟ فَأَنْكَرَ ذَلِكَ أَيْضًا ، وَقَالَ : وَمَنْ يُخْبِرُهُ بِهِ !
وَكَرِهَ أَيْضًا أَنْ يُرْفَعَ فِي نَسَبِ الْأَنْبِيَاءِ ، مِثْلَ أَنْ يَقَالَ : إِبْرَاهِيمُ بْنُ فُلَانٍ بْنُ فُلَانٍ .
هَكَذَا ذَكَرَهُ الْمَعِيطِيُّ فِي كِتَابِهِ .

قَالَ : وَقَوْلُ مَالِكٍ هَذَا نَحْوُ مَا رَوَى عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ أَنَّهُ قَالَ : مَا وَجَدْنَا
أَحَدًا يَعْرِفُ مَا بَيْنَ عَدْنَانَ وَإِسْمَاعِيلَ .

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ : بَيْنَ عَدْنَانَ وَإِسْمَاعِيلَ ثَلَاثُونَ أَبًا لَا يُعْرَفُونَ .
وَرَوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَيْضًا أَنَّهُ كَانَ إِذَا بَلَغَ عَدْنَانَ يَقُولُ : كَذَبَ النَّسَابُونَ . مَرَّتَيْنِ
أَوْ ثَلَاثًا . وَالْأَصَحُّ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ مِثْلُهُ .

وقال عمر بن الخطاب : إنما ننسب إلى عدنان .

وقال أبو عمر بن عبد البرّ في كتابه : « الأنباه في معرفة قبائل الرواة » : روى ابن لهيعة عن أبي الأسود أنه سمع عروة بن الزبير يقول : ما وجدنا أحدا يعرف ماوراء عدنان ولا ماوراء قحطان إلا تخَرَّصًا .

وقال أبو الأسود : سمعت أبا بكر سليمان بن أبي خيثمة ، وكان من أعلم قريش بأشعارهم وأنسابهم ، يقول : ما وجدنا أحداً يعرف ماوراء معدّ بن عدنان في شعر شاعر ولا عِلْم عالم .

قال أبو عمر : وكان قومٌ من السلف منهم عبد الله بن مسعود وعمر بن ميمون الأزدى ومحمد بن كعب القرظي إذا تَلَوْا ﴿ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ ﴾ ^(١) قالوا : كَذَبَ النَّسَابُونَ .

قال أبو عمر رحمه الله : والمعنى عندنا في هذا غير ما ذهبوا ، والمراد أن من ادّعى إحصاء بني آدم فإنهم لا يعلمهم إلا الله الذي خلقهم ، وأما أنساب العرب فإن أهل العلم بأيامها وأنسابها قد وَعَوْا وَحَفِظُوا جَاهِلِيَّهَا وَأَمَهَاتِ قَبَائِلِهَا ، واختلفوا في بعض فروع ذلك .

قال أبو عمر : والذي عليه أئمة هذا الشأن في نسب عدنان قالوا : عدنان بن أدد ، ابن مُقَوِّم ، بن ناحور بن تيرح ، بن يَمْرُب ، بن يَشْجُب ، بن نابت ، بن إسماعيل ، ابن إبراهيم الخليل عليهما السلام . وهكذا ذكره محمد بن إسحاق بن يسار في السيرة . قال ابن هشام : ويقال عدنان بن أدد . يعني عدنان بن أدد ، بن أدد . ثم ساق أبو عمر بقية النسب إلى آدم .

وأما الأنساب إلى عدنان من سائر قبائل العرب فمحفوظة شهيرة جداً ، لا يتبارى فيها اثنان .

والنسب النبوى إليه أظهر وأوضح من فلق الصبح ، وقد ورد حديث مرفوع بالنص عليه ، كما سنورده فى موضعه بعد الكلام على قبائل العرب وذكر أنسابها وانتظامها فى سلك النسب الشريف والأصل المنيف . إن شاء الله تعالى وبه الثقة وعليه التكلان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم .

وما أحسن ما نظم النسب النبوى الإمام أبو العباس عبد الله بن محمد الناشئ فى قصيدته المشهورة المنسوبة إليه وهى قوله :

وَفُورَ حُطُوطِي مِنْ كَرِيمِ الْمَآرِبِ	مَدَحْتُ رَسُولَ اللَّهِ أَبْنِي بَمَدْحِهِ
بِأَوْصَافِهِ عَنْ مُبْعَدٍ وَمُقَارِبِ	مَدَحْتُ امْرَأً فَاقَ الْمَدِيحَ مُوَحِّدًا
فَلَاخَتْ هَوَادِيهِ لِأَهْلِ الْمَغَارِبِ	نَبِيًّا تَسَامَى فِي الْمَشَارِقِ نَوْرُهُ
وَشَاعَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ فِي كُلِّ جَانِبِ	أَتَقْنَا بِهِ الْأَنْبَاءَ قَبْلَ حَاجَتِهِ
وَتَنَفَّى بِهِ رَجَمَ الظُّنُونِ الْكَوَاذِبِ	وَأَصْبَحَتِ الْكُفَّانُ تَهْتِفُ بِاسْمِهِ
إِلَى اللَّهِ فِيهِ مِنْ مَقَالِ الْأَكَاذِبِ	وَأُنْطِقَتِ الْأَصْنَامُ نُطْقًا تَبَرَّاتُ
أَتَاكُمْ نَبِيٌّ مِنْ لُؤَيٍّ بْنِ غَالِبِ	وَقَالَتْ لِأَهْلِ الْكُفْرِ قَوْلًا مَبِينًا :
مَقَاعِدُهُمْ مِنْهَا رُجُومُ الْكُوكَاكِ	وَرَامَ اسْتِرَاقَ السَّمْعِ حِينَ فَزِيلَتْ
لَطُولُ الْعَمَى مِنْ وَاضِحَاتِ الْمَذَاهِبِ	هَذَا نَا إِلَى مَا لَمْ نَكُنْ نَهْتَدِي لَهُ
دَلَالُ جَبَّارٍ مُثِيبٍ مُعَاقِبِ	وَجَاءَ بَأْيَاتٍ تَبَيَّنَ أَنَّهَا
شُعُوبُ الضِّيَا مِنْهُ رِهَوسُ الْأَخَاشِبِ	فَنَهَا انْشِقَاقُ الْبَدْرِ حِينَ تَعَمَّتْ
وَقَدْ عَدِمَ الْوُرَادُ قُرْبَ الْمَشَارِبِ	وَمِنْهَا نُبُوعُ الْمَاءِ بَيْنَ بَنَانِهِ

فروى به جَمًّا غفيراً وأسهلت
 وبُرَّ طَغَتْ للماء من مَسِّ سَهْمِهِ
 وضرع مراه فاستدر ولم يكن
 ونطق فصيح من ذراع مُبَيَّنَةٍ
 وإخباره بالأمر من قبل كونه
 ومن تلکم الآيات وحى أئى به
 تقاصرت الأفكار عنه فلم يطع
 حوى كل علم واحتوى كل حكمة
 أتنا به لا عن روية مُرتىء
 يواتيه طوراً فى إجابة سائل
 وإتيان برهان وفرض شرائع
 وتصريف أمثال وتثبيت حجة
 وفى مجمع النادى وفى حومة الوغى
 فيأتى على ما شئت من طرقاته
 يصدق منه البعض بعضاً كأنما
 وعجز الورى عن أن يجيئوا بمثل ما
 تآبى بعبد الله أكرم والد
 وشيبة ذى الحنود الذى فخرت به
 ومن كان يستسقى النمام بوجهه
 وهاشم البانى مشيد افتخاره
 وعبد مناف وهو علم قومه اش

بأعناق طوعا أكف المذائب
 ومن قبل لم تسمح بمذقة شارب
 به درة تُصغى إلى كف حالب
 لكيد عدو للعداوة ناصب
 وعند بواديه بما فى العواقب
 قريب الماتى مُستجِم العجائب
 بليغاً ولم يحظر على قلب خاطب
 وفات مرام المستمر الموارب
 ولا صحف مُستمل ولا وصف كاتب
 وإفتاء مُستفت ووعظ مخاطب
 وقص أحاديث ونص مآرب
 وتعريف ذى جحد وتوقيف كاذب
 وعند حدوث المُعضلات الغرائب
 قويم المعانى مستدر الضرائب
 يلاحظ معناه بعين المراقب
 وصفناه معلوم بطول التجارب
 تبليج منه عن كريم المناسب
 قريش على أهل العلاء والمناصب
 ويصدر عن آرائه فى النوائب
 بغر المساعى وامتنان المواهب
 تطاط الأمانى واحتكام الرغائب

وإن قُصِيًّا مِنْ كَرِيمٍ غَرَّاسِهِ
 بِهِ جَمَعَ اللَّهُ الْقِبَائِلَ بَعْدَمَا
 وَحَلَ كِلَابٌ مِنْ ذُرَى الْمَجْدِ مَعْقِلًا
 وَمُرَّةٌ لَمْ يَحْلُلْ مَرِيرَةً عَزَزْهُ
 وَكَعْبٌ عَلَا عَنْ طَالِبِ الْمَجْدِ كَعْبُهُ
 وَالْوَى لَوَى بِالْعِدَاةِ فَطُوَعَتْ
 وَفِي غَالِبٍ بَأْسٌ أَبِي الْبَأْسِ دُونَهُمْ
 وَكَانَتْ لِقَهْرٍ فِي قَرِشٍ خَطَابَةٌ
 وَمَا زَالَ مِنْهُمْ مَالِكٌ خَيْرَ مَالِكٍ
 وَلِلنَّضْرِ طَوْلٌ يَقْصُرُ الطَّرْفُ دُونَهُ
 لَعَمْرِي لَقَدْ أَبْدَى كِنَانَةً قَبْلَهُ
 وَمِنْ قَبْلِهِ أَبْقَى خُزَيْمَةَ حَمْدَهُ
 وَمُدْرِكَةٌ لَمْ يُدْرِكْ النَّاسُ مِثْلَهُ
 وَإِلْيَاسُ كَانَ الْيَأْسُ مِنْهُ مُقَارِنًا
 وَفِي مُضَرٍ يَسْتَجْمِعُ الْفَخْرُ كُلَّهُ
 وَحَلَّ نَزَارٌ مِنْ رِيَاةِ أَهْلِهِ
 وَكَانَ مَعْدٌ عُدَّةً لَوْلِيهِ
 وَمَا زَالَ عَدُوُّنُهُ إِذَا عُدَّ فَضْلُهُ
 وَادٌّ تَأَدَّى الْفُضْلُ مِنْهُ بِغَايَةٍ

لَفِي مَنَهْلٍ لَمْ يَدْنُ مِنْ كَفِّ قَاضِبٍ^(١)
 تَقَسَّمَهَا نَهْبُ الْأَكْفِ السَّوَالِبِ
 تَقَاصَرَ عَنْهُ كُلُّ دَانٍ وَغَائِبِ
 سِفَاهُ سَفِيهِهِ أَوْ مُحُوبَةٍ حَائِبِ^(٢)
 فَنَالَ بِأَدْنَى السَّعَى أَعْلَى الْمَرَاتِبِ
 لَهُ هِمُّ الشَّمِّ الْأُنُوفِ الْأَغَالِبِ
 يُدَافِعُ عَنْهُمْ كُلَّ قَرْنٍ مُغَالِبِ
 يَعُودُ بِهَا عِنْدَ اشْتِجَارِ الْمُخَاطِبِ
 وَأَكْرَمَ مَصْحُوبٍ وَأَكْرَمَ صَاحِبِ
 بِحَيْثُ التَّقَى ضَوْءُ النُّجُومِ الثَّوَابِقِ
 مُحَاسِنَ تَأْتِي أَنْ تَطُوعَ لِغَالِبِ
 تَلِيدَ تَرَاثٍ عَنْ حِمِيدِ الْأَقَارِبِ
 أَعْفَى وَأَعْلَى عَنْ دَنِيِّ الْمَكَاسِبِ
 لِأَعْدَائِهِ قَبْلَ اعْتِدَادِ الْكِتَائِبِ
 إِذَا اعْتَرَكَ يَوْمًا زُحُوفُ الْمَقَانِبِ^(٣)
 مُحَلًّا تَسَامَى عَنْ عَيُونِ الرُّوَاقِبِ
 إِذَا خَافَ مِنْ كَيْدِ الْعَدُوِّ الْمُحَارِبِ
 تَوَحَّدَ فِيهِ عَنْ قَرْنٍ وَصَاحِبِ
 وَإِثْرٍ حَوَاهِ عَنْ قُرُومِ أَشَايِبِ

(١) القاضب : الغارس . (٢) الحائب : الآثم . (٣) المقانِب : جمع المقناب ، الطائفة من الحيل ما بين الثلاثين إلى أربعين .

وفي أدَدٍ حِلْمٌ تَزَيْنَ بِالْحَجَا
وما زال يَسْتَعْلِي هَمَيْسَعُ بِالْعَلَا
وَنَبَتْ بَنَتْهُ دَوْحَةُ الْعِزِّ وَابْتَنَى
وَحِيزَتْ لَقَيْذَارٍ سَمَاحَةُ حَاتِمِ
هُمْ نَسْلُ إِسْمَاعِيلَ صَادِقُ وَعْدِهِ
وكان خليلُ الله أكرمَ مَنْ عَنَتُ
وتارحُ ما زالت له أَرْجِيئَةُ
وناحورُ نَحَارُ الْعِدَى حَفِظَتْ لَهُ
وأَشْرَعُ فِي الْمِجَاءِ ضَيْعُ غَابَةِ
وأَرْغُو نَابُ فِي الْحُرُوبِ مُحْكَمُ
وما فالغُ فِي فَضْلِهِ تَلَوُ قَوْمِهِ
وشالِخُ وَاَرْفَخْشَدُ وَسَائِمُ سَمَتْ بِهِمْ
وما زال نوحُ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ فَاضِلًا
وَلَمْكَ أَبُوهُ كَانَ فِي الرَّوْعِ رَائِعًا
ومن قبلَ لَمْكَ لَمْ يَزَلْ مَتَوْشَلِخُ
وكانت لإدريسَ النَّبِيِّ مَنَازِلُ
وياردُ بَجْرٌ عِنْدَ آلِ سَرَاتِهِ
وكانت لِمَهْلَايِيلَ فَهْمُ فَضَائِلِ
وقينانُ من قَبْلِ اقْتَنَى مَجْدَ قَوْمِهِ
وكان أنوشُ نَاشَ لِلْمَجْدِ نَفْسَهُ

إذا الحِلْمُ أَزْهَاهُ قُطُوبُ الْحَوَاجِبِ
وَيَنْتَبِعُ أَمَالُ الْبَيْعِدِ الْمُرَاغِبِ
مَعَاقِلُهُ فِي مُشْمَخِرِ الْأَهَاضِبِ
وحِكْمَةُ لَقْمَانُ وَهَمَّةُ حَاجِبِ
فَمَا بَعْدَهُ فِي الْفَخْرِ مَسْعَى لِذَاهِبِ
له الْأَرْضُ مِنْ مَاشٍ عَلَيْهَا وَرَاكِبِ
تَبَيَّنَ مِنْهُ عَنْ حِمِيدِ الْمَضَارِبِ
مَآثِرُهُ لَمَّا يُحْصِيهَا عَدُّ حَاسِبِ
يَقْدُ الْطَلَا^(١) بِالْمُرْهَفَاتِ الْقَوَاضِبِ
ضَيْنُ عَلَى نَفْسِ الْمَشِجِّ الْمَغَالِبِ
ولا عَابَرُهُ مِنْ دُونِهِمْ فِي الْمَرَاتِبِ
سَجَايَا حَمَتِهِمْ كُلِّ زَارٍ وَعَائِبِ
يَعُدُّهُ فِي الْمُصْطَفِينَ الْأَطَايِبِ
جَرِيثًا عَلَى نَفْسِ الْكَمِيِّ الْمَضَارِبِ
يَذُودُ الْعِدَى بِالذَائِدَاتِ الشَّوَابِ^(٢)
مِنْ اللَّهِ لَمْ تُقَرَّنْ بِهِمَّةٌ رَاغِبِ
أَيُّ الْخِزَايَا مُسْتَدِقُ الْمَآرِبِ
مَهْذَبُهُ مِنْ فَاحِشَاتِ الْمَثَالِبِ
وفادُ بِشَاوِ الْفَضْلِ وَخُدُ الرِّكَائِبِ
وَنَزْهَمَا عَنْ مُرْدِيَاتِ الْمَطَالِبِ

وما زال شيث بالفضائل فاضلاً شريفاً بريئاً من ذميمة المعائب
 وكلهم من نور آدم أقبسوا وعن عوده أجنوا ثمار المناقب
 وكان رسول الله أكرم منجب جري في ظهور الطييين المناجب
 مقابلة أبوه أمهاته مبرة من فاضحات المثالب
 عليه سلام الله في كل شارق ألاح لنا ضوءاً وفي كل غارب

هكذا أورد القصيدة الشيخ أبو عمر بن عبد البر وشيخنا الحافظ أبو الحجاج المزني في تهذيبه ، من شعر الأستاذ أبي العباس عبد الله بن محمد الناشئ المعروف بابن شرشير .
 أصله من الأنبار ورد بغداد ثم ارتحل إلى مصر ، فأقام بها حتى مات سنة ثلاث وتسعين ومائتين ، وكان متكلماً معتزلياً ، يحكى عنه الشيخ أبو الحسن الأشعري في كتابه « المقالات » فيما يحكى عن المعتزلة .

وكان شاعراً مطبقاً حتى أن من جملة اقتداره على الشعر كان يعاكس الشعراء في المعاني ، فينظم في مخالفتهم ويتكرر مالا يطبقونه من المعاني البديعة والألفاظ البليغة ، حتى نسبته بعضهم إلى التهوس والاختلاط .

وذكر الخطيب البغدادي أن له قصيدة على قافية واحدة قريباً من أربعة آلاف بيت ذكرها الناجم ، وأرخ وفاته كما ذكرنا .

قلت : وهذه القصيدة تدل على فضيلته وبراعته وفصاحته وبلاغته وعلمه وفهمه وحفظه وحسن لفظه وإطلاعه واضطلاعه ، واقتداره على نظم هذا النسب الشريف في سلك شعره وغوصه على هذه المعاني التي هي جواهر نفيسة ، قاموس بحره . فرحمه الله وأثابه وأحسن مصيره وإيابه .

ذكر أصول أنساب قبائل عرب الحجاز إلى عدنان

وذلك لأن عدنان ولد له ولدان مَعْدٌ وَعَكٌّ .

قال السهيلي : ولعدنان أيضاً ابن اسمه الحارث ، وآخر يقال له المذهب . قال : وقد ذكر أيضاً في بنيه الضحاك . وقيل إن الضحاك ابن لمعدٍ لا ابن عدنان . قال : وقيل إن عدن الذي تعرف به مدينة عدن ، وكذلك أبين ، كانا ابني لعدنان . حكاه الطبري . فتزوج عكٌّ في الأشعرين وسكن في بلادهم من اليمن ، فصارت لغتهم واحدة ، فزعم بعض أهل اليمن أنهم منهم ، فيقولون : عك بن عدنان بن عبد الله بن الأزد بن يغوث . ويقال : عك بن عدنان بن الذيب بن عبد الله بن الأسد . ويقال : الريث بدل الذيب . والصحيح ما ذكرنا من أنهم من عدنان . قال عباس بن مرداس :

وعكٌّ بن عدنان الذين تلعبوا بغسان حتى طردوا كلَّ مطردٍ
وأما معدٌ فولد له أربعة : نزارٌ وقضاعة وقنص وإياد . وكان قضاعة بكره وبه كان يُكنى . وقد قدمنا الخلاف في قضاعة ، ولكن هذا هو الصحيح عند ابن إسحاق وغيره . والله أعلم .

وأما قنص : فيقال إنهم هلكوا ولم يبق لهم بقية ، إلا أن النعمان بن المنذر الذي كان نائباً لكسرى على الحيرة كان من سلالته ، على قول طائفة من السلف . وقيل : بل كان من حمير ، كما تقدم . والله أعلم .

وأما نزار فولد له ربيعةٌ ومضرٌ وأنمار . قال ابن هشام : وإياد بن نزار ، كما قال الشاعر :

وَقُتُو^(١) حَسَنٌ أَوْجُهُم مِّنْ إِيَادِ بْنِ نِزَارِ بْنِ مَعَدٍّ

قال : وإياد ومضر شقيقان ، أمهما سَوْدَةُ بنت عَكَّ بن عدنان . وأم ربيعة وأنمار شقيقة بنت عَكَّ بن عدنان . ويقال جُمُعَةُ بنت عك بن عدنان .

قال ابن إسحاق : فأما أنمار فهو والد خَثَمَ وَبَجِيلَةَ^(٢) ، قبيلة جرير ابن عبد الله البَجَلِي . قال : وقد تيامنت فاحقت باليمن .

قال ابن هشام : وأهل اليمن يقولون أنمار بن إراش بن لِحْيَانِ بن عمرو بن الفَوَثِ ابن نَبْتِ بن مالك بن زيد بن كَهْلَانَ بن سبأ .

قلت : والحديث المتقدم في ذكر سبأ يدل على هذا . والله أعلم .
قالوا : وكان مُضَرُّ أَوَّلَ مَنْ حَدَا ، وذلك لأنه كان حَسَنَ الصوت فسقط يوما عن بعيره فوثبت يده ، فجعل يقول وَايْدِيَاهُ وَايْدِيَاهُ فَأَعْنَقَتِ الْإِبِلُ لذلك .

قال ابن إسحاق : فولد مضر بن نزار رَجُلَيْنِ : أَلْيَاسَ^(٣) وَعَيْلَانَ .

وولد لألياس مُدْرِكَةُ وطابخة وقَمَمَةُ ، وأمهم خُنْدَف بنت عمران بن الحاف ابن قضاة .

قال ابن إسحاق : وكان اسم مدركة عامراً ، واسم طابخة عمراً ، ولكن اصطادا صيداً ، فبينما يطبخانه إذ نفرت الإبل ، فذهب عامر في طلبها حتى أدركها ، وجلس الآخر يطبخ ، فلما راحا على أبيهما ذكر الاله ذلك فقال لعامر : أنت مُدْرِكَةُ . وقال لعمرو : أنت

(١) قُتُو : جمع قُتِي . (٢) لا يراعى ابن كثير الحرفية في نقله عن ابن هشام في مواضع كثيرة بل ينقل بالمعنى . فثلاثون كلام ابن إسحاق هنا : فأما أبو خثعم وبجيلة . وغالب نقل ابن كثير عن ابن إسحاق وابن هشام ليس بالنص .

(٣) قال ابن دريد : يمكن أن يكون اشتقاق إلیاس من قولهم يئس يئس يأساً ثم أدخلوا على اليأس الألف واللام . ويمكن أن يكون من قولهم رجل أليس من قوم ليس ، أى شجاع ، وهو غاية ما يوصف به الشجاع ؛ هذا لمن يهمل إلیاس . والتفسير الأول أحب إلى . الاشتقاق ٣٠

طابخة . قال : وأما قمعة فيزعم نُسَاب مُضَر أن خزاعة من ولد عمرو بن لُحَيّ بن قمعة بن الياس .

قلت : والأظهر أنه منهم لا والدهم وأنهم من حِمْيَر كما تقدم . والله أعلم .
قال ابن إسحاق : فولد مُدْرَكَةُ خزيمةَ وهذيلًا وأمهما امرأة من قُضَاعَةَ .
وولد خزيمة كنانةً وأسَدًا وأسَدَةَ والنُّهونَ .

قال : وولد كنانة النَّضْرَ ومالكًا وعبدَمناة ومِلْكان وزاد أبو جعفر الطبري في أبناء كنانة على هؤلاء الأربعة : عامرًا والحارث والنضير . وغنًا وسعدًا وعوفاً وجرولاً والجرال وغزوان .

الكلام على قريش نسبا واشتقاقا وفضلاً ، وهم بنو النَّضْر بن كنانة

قال ابن إسحاق : وأمُّ النَّضْر بَرَّة بنت مرّ بن أَدّ بن طابخة [بن الياس بن مضر]^(١) وسائر بنيها لامرأة أخرى . وخالفه ابن هشام فجعل بَرَّة بنت مرّ أمَّ النَّضْر ومالكٍ ومِلْكان . وأمُّ عبد مناة هَالَةُ بنت سُويد بن الغَطْرِيف من أزد شنوءة .

قال ابن هشام : النَّضْر هو قريش ، فمن كان مِنْ وَلَدِهِ فهو قُرَشِيٌّ ، ومن لم يكن من ولده فليس بقُرَشِيٍّ . قال : ويقال فِهْر بن مالك هو قريش ، فمن كان من ولده فهو قُرَشِيٌّ ، ومن لم يكن من ولده فليس بقُرَشِيٍّ .

وهذان القولان قد حكاهما غير واحد من أئمة النسب كالشيخ أبي عمر بن عبد البرّ والزُّبَيْر بن بَكَّار ومُصْعَب وغير واحد .

قال أبو عبيد وابن عبد البر : والذي عليه الأكثرون أنه النَّضْر بن كنانة ، لحديث

الأشعث^(١) بن قيس . قلت : وهو الذى نصَّ عليه هشامُ بن محمد بن السائب الكَلْبِيّ وأبو عبيدة مَعْمَرُ بن المُثَنَّى ، وهو جادّة مذهب الشافعى رضى الله عنه .

ثم اختار أبو مَعْمَرُ أَنه فِهْرُ بن مالك ، واحتج بأنه ليس أحد اليومِ مِمَّنْ ينتسب إلى قريش إلا وهو يرجع فى نسبه إلى فِهْرُ بن مالك . ثم حكى اختيارَ هذا القول عن الزُّبَيْرِ ابن بَكَّارٍ ومُصْعَبِ الزُّبَيْرِيِّ وعلى بن كيسان . قال : وإليهم المرجع فى هذا الشأن ، وقد قال الزبير بن بكار : وقد أجمع نساب قريش وغيرهم أن قريشاً إنما تفرقت من فِهْرُ بن مالك . والذى عليه من أدركتُ من نُسَابِ قريش أنَّ وَلَدَ فِهْرُ بن مالك قُرَشِيٌّ ، وأنَّ من جاوز فِهْرُ بن مالك بنسبه فليس من قريش . ثم نصّر هذا القول نصراً عزيزاً وتحامى له بأنه ونحوه أعلمُ بأنساب قومهم وأحفظ لما تروهم .

وقد روى البخارى من حديث كليب بن وائل قال : قلت لربيبة النبي صلى الله عليه وسلم ، يعنى زينب ، [بنت أبي سلمة]^(٢) ، فى حديث ذكره : أخبرينى عن النبي صلى الله عليه وسلم أكان من مُضَرٍّ ؟ قالت : فمَن كان إلا من مُضَرٍّ من بنى النضر بن كنانة^(٣) .

وقال الطبرانى : حدثنا إبراهيم بن نائلة الأصبهاني ، حدثنا إسماعيل بن عمرو البجلي ، حدثنا الحسن بن صالح ، عن أبيه ، عن الجشيش الكِنْدِيّ قال : جاء قوم من كِنْدَةَ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : أنت منا . وادَّعَوْه ، فقال : « لا ، نحن بنو النضر ابن كنانة لا تَقْفُوا^(٤) أُمَّنا ولا نَنْتَفِي مِنْ أَيْنَا » .

وقال الإمام أبو عثمان سعيد بن يحيى بن سعيد : حدثنا أبي ، حدثنا الكَلْبِيّ ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس قال : جاء رجل من كِنْدَةَ يقال له الجشيش إلى النبي صلى الله

(١) المطبوعة : الأسعد . وهو خطأ . (٢) من البخارى . (٣) البخارى ١٣٢/٢ .

(٤) لا تَقْفُوا أُمَّنا : لا تتهمها ولا تقذفها ، يقال قفا فلان فلانا إذا قذفه بما ليس فيه ، وقيل معناه لا تترك النسب إلى الآباء وتنسب إلى الأمهات . النهاية ٣٠٣/٢ .

عليه وسلم فقال : يا رسول الله إنا نزعم أن عبد مناف مِنّا . فأعرض عنه . ثم عاد فقال مثل ذلك ثم أعرض عنه . ثم عاد فقال مثل ذلك .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « نحن بنو النضر بن كنانة لا نقفوا أمتنا ولا ننتمي من أيّنا » .

فقال الأشعث : ألا كنت سكت من المرة الأولى !

فأبطل ذلك قولهم على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم .

وهذا غريب أيضا من هذا الوجه ، والكلبي ضعيف . والله أعلم .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا بهز وعفان ، قالوا حدثنا حماد بن سلمة ، قال حدثني

عقيل بن أبي طلحة . وقال عفان : عقيل بن طلحة السلمي ، عن مسلم بن الهيصم ، عن

الأشعث بن قيس أنه قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفد كندة ، قال

عفان : لا يروني أفضلهم . قال فقلت : يا رسول الله إنا نزعم أنكم منا . قال فقال

رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نحن بنو النضر بن كنانة لا نقفوا أمتنا ولا ننتمي

من أيّنا » .

قال فقال الأشعث بن قيس : فوالله لا أسمع أحداً نفي قريشاً من النضر بن كنانة إلا

جلدته الحدّ .

وهكذا رواه ابن ماجة من طرق عن حماد ابن سلمة به .

وهذا إسناد جيد قوى ، وهو فيصل في هذه المسألة فلا التفات إلى قول من خالفه .

والله أعلم . والله الحمد والمنة .

وقد قال جرير بن عطية التيمي يمدح هشام بن عبد الملك بن مروان :

فما الأمُّ التي وَلَدَتْ قريشاً بمُقرِّفة النّجّار^(١) ولا عقيم

(١) المقرّفة : التي تأتي بما يشين النسب .

وما قرّمٌ بأنّجبَ من أيّكم . ولا خالٌ بأكرمٍ من تميم .
قال ابن هشام : يعنى أمّ النضر بن كنانة ، وهى برّة بنت مرّة أخت تميم بن مر .

وأما اشتقاق قرّيش فقرّيش قليل من التقرّش وهو التجمع بعد التفرق ، وذلك فى زمن
قصيّ بن كلاب ، فإنهم كانوا متفرقين فجمعهم بالحرّم ، كما سيأتى بيانه . وقد قال حذافة
ابن غانم العدوى :

أبو كم قصيّ كان يدعى مُجمعا به جمع الله القبائل من فِهْرٍ
وقال بعضهم : كان قصيّ يقال له قرّيش . قيل : من التجمع ، والتقرّش التجمع
كما قال أبو خلدة الليثيّ :
إخوة قرّشوا الذنوب علينا فى حديثٍ من دهرنا^(١) وقديم

وقيل : سميت قرّيش من التقرّش ، وهو التكسّب والتجارة . حكاه ابن هشام
رحمه الله .

وقال الجوهري : القرّش : الكسب والجمع ، وقد قرّش يقرّش . قال الفراء : وبه
سميت قرّيش ، وهى قبيلة وأبوهم النضر بن كنانة ، فكلٌّ من كان من ولده فهو قرّشى
دون ولد كنانة فما فوقه .

وقيل : من التفتيش ، قال هشام بن الكلبي : كان النضر بن كنانة يُسمى قرّيشاً
لأنه كان يقرش عن خلة الناس وحاجتهم فيسدّها بماله ، والتقرّيش هو التفتيش ،
وكان بنوه يقرشون أهل الموسم عن الحاجة فيزفدونهم بما يُيلنهم بلادهم . فسموا بذلك
من فعلهم وقرّشهم قرّيشاً .

(١) ابن هشام : من عمرنا .

وقد قال الحارث بن حلزة في بيان أن القرش التفتيش :

أيها الناطق المقرش عنا عند عمرو فهل له إبقاء
حكى ذلك الزبير بن بكار .

وقيل : قرش تصغير قرش وهو دابة في البحر . قال بعض الشعراء :
وقريش^١ هي التي تسكن البح^٢ رَ بها سُميت قريش^٣ قريشاً

قال البيهقي : أخبرنا أبو نصر بن قتادة ، أنبأنا أبو الحسن علي بن عيسى الماليني ، حدثنا محمد بن الحسن بن الخليل النسوي ، أن أبا كريب حدثهم ، حدثنا وكيع ابن الجراح ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه عن أبي ركانة العامري ، أن معاوية قال لابن عباس : فلم سميت قريش قريشاً ؟ فقال : لدابة تكون في البحر ، تكون أعظم دوابه يقال لها القرش ، لا تمر بشيء من الفث والسمين إلا أكلته . قال : فأنشدني في ذلك شيئاً . فأنشده شعر الجحى إذ يقول :

وقريش^٤ هي التي تسكن البح^٥ رَ بها سُميت قريش^٦ قريشاً
تأكل الفث^٧ والسمين^٨ ولا تتركن^٩ لدى الجناحين ريشاً
هكذا في البلاد حتى قريش^{١٠} يأكلون البلاد أكل كميثاً^(١)
ولهم آخر الزمان نبي^{١١} يكثر القتل فيهم^{١٢} والحموشا^(٢)

وقيل سموا بقريش بن الحارث بن يخلد بن النضر بن كنانة ، وكان دليل بني النضر وصاحب ميرتهم ، فكانت لهم . قالوا : قد جاءت غير قريش . وابنه^(٣) بدر بن قريش هو الذي حفر البئر المنسوبة إليه التي كانت عندها الوقعة العظمى يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله أعلم .

(١) الكيش : الشديد . (٢) هذا البيت غير صادق وعليه مسحة الوضع ، ومن الواضح أن قريشاً لم تفقد في قتالها للتي لإعداداً قليلاً ، في بدر وأحد والخنديق ، وفي فتح مكة . فالظنون أن القافية هي التي حكمت على واضح هذا البيت بأن يهذى بهذا الكلام . (٣) المضبوغة : وابن

ويقال في النسبة إلى قريش : قُرَشِيّ وقُرَيْشِي . قال الجوهري : وهو القياس .
قال الشاعر .

لِكُلِّ قُرَيْشِيٍّ عَلَيْهِ مَهَابَةٌ سَرِيعٌ إِلَى دَاعِي النَّدَى وَالتَّكْرُمِ
قال : فإذا أردتَ بقريش الحَيَّ صَرَفْتَهُ ، وإن أردتَ القبيلةَ مَنَعْتَهُ . قال الشاعر
في ترك الصَّرَفِ :

* وَكَفَى قُرَيْشَ الْمُعْضِلَاتِ وَسَادَهَا *

وقد روى مسلم في صحيحه من حديث أبي عمر والأوزاعي قال : حدثني شداد
أبو عمار ، حدثني واثلة بن الأسقع ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله
اصطفى كنانة من ولد إسماعيل ، واصطفى قريشاً من كنانة ، واصطفى هاشماً من قريش ،
واصطفاني من بني هاشم » .

قال أبو عمر بن عبد البر : يقال : بنو عبد المطلب فضيلةُ رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، وبنو هاشم نخذه ، وبنو عبد مناف بطئهُ ، وقريش عمارته ، وبنو كنانة قبيلته ،
ومُضَرُّ شُعْبَةٍ ، صلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين .

ثم قال ابن إسحاق : فولد النَّضْرُ بن كنانة مالكا ويخْلَدًا . قال ابن هشام : والصَّلَتَ .
وأُمُّهُم جميعا بنتُ سعد بن الظَّرَبِ العدَواني .

قال كَثِيرٌ بن عبد الرحمن ، وهو كُثَيْرُ عَزَّةَ أحد بني مُلَيْحِ بن عمرو
من خزاعة :

أليس أبي بالصَّلَتِ أم ليس لإخوتي لكلِّ هِجَانٍ من بني النَّضْرِ أَزْهَرَا
رَأَيْتُ ثِيَابَ الْعَصَبِ مَخْتَلَطَ السَّدَى بنا وبهم والحَضْرَى الْمُخَصَّرَا

فإن لم تكونوا من بني النَّضْرِ فأتروا أَرَاكَ بِأَذْنَابِ الْفَوَاحِجِ^(١) أَخْضَرًا
قال ابن هشام : وبنو مایح بن عمرو يُعَزَّوْنَ إلى الصَّلَتِ بن النَّضْرِ .

قال ابن إسحاق : فولد مالکُ بنُ النَّضْرِ فِهْرَ بن مالک . وأمه جندلة بنت الحارث
ابن مُضَاضٍ الأصغر . وولد فِهْرٌ غالبًا ومحاربًا والحارثَ وأسدًا . وأمهم ليلى بنت
سعد بن هذيل بن مُدْرِكَةَ .

قال ابن هشام : وأختهم لأبيهم جندلة بنت فِهْر .

قال ابن إسحاق : فولد غالبُ بن فِهْرٍ لُؤَيَّ بن غالب ، وتيمَ بن غالب ، وهم الذين
يقال لهم بنو الأذَرَم . وأمهما سلمى بنت عمرو الخزاعي .

قال ابن هشام : وقيس بن غالب وأمه سلمى بنت كعب بن عمرو الخُزَاعِي ،
وهي أم لُؤَيٍّ [وتيم ابن غالب^(٢)]

قال ابن إسحاق : فولد لُؤَيُّ بن غالب أربعة نفر : كعبًا وعامرًا وسامةً وعوفًا . قال
ابن هشام : ويقال والحارث . وهم جشم بن الحارث في هِزَّان من ربيعة . وسعد بن لُؤَيٍّ
وهم بُنَانَةُ في شيبان بن ثعلبة . وبُنَانَةُ حاضنة لهم . وخزيمة بن لُؤَيٍّ وهم عائذة في
شيبان بن ثعلبة .

* * *

ثم ذكر ابن إسحاق خبر سامة بن لُؤَيٍّ ، وأنه خرج إلى عُمان فكان بها ،
وذلك لشئان كان بينه وبين أخيه عامر ، فأخافه عامر ، فخرج عنه هاربًا إلى عمان ،
وأنه مات بها غريبًا ، وذلك أنه كان يرعى ناقته فعالت حية بمشفرها فوقعت لشيئها ،

(١) الفَوَاحِجُ : متسع ما بين كلا مرتفعين من غلاف أو رمل واحدها فائجة .

(٢) عن ابن هشام .

ثم نهشت الحية سامة حتى قتلتها ، فيقال إنه كتب بإصبعه على الأرض :
 عَيْنُ فابِكِي لسامة بن لُؤَيٍّ عَاقَتْ ما بسامة^(١) العَلاقَةُ
 لا أرى مِثْلَ سامة بن لُؤَيٍّ يومَ حلُّوا به قتيلاً لناقَةُ
 بَلِّغَا عامراً و كعباً رسولاً أنْ نفسى إليهما مُشْتاقَةُ
 إن تكن في عُمان داري فإني غالبي خرجت من غير فاقه^(٢)
 رَبِّ كَأْسٍ هَرَقْتَ يا ابنَ لُؤَيٍّ حَذَرَ الموتِ لم تكن مُهْرَاقَةُ
 رُمْتُ دَفَعَ الخُوفَ يا ابنَ لُؤَيٍّ ما مِنْ رَامٍ ذاك بالخُفِّ طاقَةُ
 و خروِسِ السَّرى^(٣) تركت رَزِيّاً بَعْدَ جِدِّ وَحِدَّةٍ وَرَشَاقَةُ

قال ابن هشام : وبلغني أن بعض ولده أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانتسب إلى سامة بن لُؤَيٍّ ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألساعر » ؟ فقال له بعض أصحابه : كأنك يا رسول الله أردت قوله :

رَبِّ كَأْسٍ هَرَقْتَ يا ابنَ لُؤَيٍّ حَذَرَ الموتِ لم تكن مُهْرَاقَةُ
 فقال أجل . و ذكر السهيلي عن بعضهم أنه لم يُعَقَّبْ . وقال الزبير : ولد سامةُ بن لُؤَيٍّ غالباً والنبيت والحارث . قالوا : وكانت له ذرية بالعراق يبغيضون علياً ، ومنهم علي بن الجعد ، كان يشتم أباه لكونه سماه عليا . ومن بني سامة بن لؤى محمد بن عرعة ابن اليزيد شيخ البخارى .

* * *

قال ابن إسحاق : وأما عوف بن لُؤَيٍّ فإنه خرج ، فيما يزعمون ، في رَكْبٍ من قريش ، حتى إذا كان بأرض غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان أبطىء به فانطلق

(١) في الأغاني : علقت ساق سامة العَلاقَةُ .

(٢) خروس السرى : صامته صابرة .

(٣) ابن هشام : من غير ناقة . وما هنا أوضح .

من كان معه من قومه ، فأتاه ثعلبة بن سعد وهو أخوه في نسب بنى ذُبْيَان فحبسه وزوّجه والتاطه^(١) وآخاه ، فشاع نسبه في ذُبْيَان .

وثعلبة فيما يزعمون [الذى يقول لعوف حين أبطى به فتركه قومه :

احبسْ على ابنِ لؤىِ جَمَلَكْ تَرَكَكَ القومُ ولا مَتَرَكَ لَكَ]^(٢)

قال ابن اسحاق : وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، أو محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحُصَيْن ، أن عمر بن الخطاب قال لو كنت مُدْعِيًا حَيًّا من العرب أو مُلْحِقَهُم بنا لا دعيت بنى مُرَّة بن عوف ، إنا لنعرف منهم^(٣) الأشباه مع ما نَعْرِف من مَوْقع ذلك الرجل حيث وَقَعَ . يعنى عوف بن لؤى .

قال ابن إسحاق : وحدثني من لا أتهم أن عمر بن الخطاب قال لرجال [منهم^(٤)] من بنى مُرَّة : إن شئتم أن تَرْجِعُوا إلى نَسَبِكُمْ فارجعوا إليه .

قال ابن إسحاق : وكان القوم أشرفاً في غطفان ، هم ساداتهم وقادتهم ، قومٌ لهم صيت في غطفان وقيس كلها ، فأقاموا على نسبهم . قال وكانوا يقولون إذا ذكر لهم نسبهم : ما ننكره وما ننجدّه ، وإنه لأحبُّ النَّسَبِ إلينا ، ثم ذكر أشعارهم في انتمائهم إلى لؤى .

قال ابن إسحاق : وفيهم كان البَسَلُ ، وهو تحريم ثمانية أشهر لهم من كل سنة من بين العرب ، وكانت العرب تعرف لهم ذلك ويأمنونهم فيها ويؤمنونهم أيضاً .

قلت : وكانت ربيعة ومضر إنما يحرمون أربعة أشهر من السنة ، وهى ذو القعدة وذو الحجة ، والحرم ، واختلفت ربيعة ومُضَرُّ في الرابع وهو رجب ، فقالت : مُضَر : هو

(١) التاطه : ألصقه به .

(٢) سقطت من المطبوعة . (٣) ابن هشام : فيهم .

(٤) ليست في ابن هشام

الذى بين جمادى وشعبان . وقالت ربيعة : هو الذى بين شعبان وشوال .

وقد ثبت فى الصحيحين عن أبى بكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى خطبة حجة الوداع : « إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حُرُمٌ ثلاث متواليات : ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ، ورجب مُضر الذى بين جمادى وشعبان » فنص على ترجيح قول مضر لاربعة . وقد قال الله عز وجل « إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ » ^(١) فهذا ردُّ على بنى عوف بن لؤى فى جعلهم الأشهر الحرم ثمانية ؛ فزادوا على حكم الله وأدخلوا فيه ما ليس منه .

وقوله فى الحديث : « ثلاث متواليات » ردُّ على أهل النسيء الذين كانوا يؤخرون تحريم الحرم إلى صفر . وقوله فيه : « ورجب مُضر » ردُّ على ربيعة .

قال ابن إسحاق : فولد كعب بن لؤى ثلاثة ، مَرَّةً ، وَعَدِيًّا ، وَهَضِيصًا . وولد مَرَّةً ، ثلاثة أيضا : كلاب بن مَرَّةً ، وَتَيْمَ بن مَرَّةً ، وَيَعْقُظَ بن مَرَّةً ، من أمهات ثلاث .

قال : وولد كلاب رجلين : قُصَيَّ بن كِلَاب وزُهْرَةَ بن كِلَاب ، وأمهما فاطمة بنت سعد بن سَيْل أحد الجدرّة من جُفْثَمَةَ الأسد من المين خلفاء بنى الدَّيْل بن سَكْر بن عبد مناة بن كنانة ، وفى أيها يقول الشاعر :

مَا نَرَى فِي النَّاسِ شَخْصًا وَاحِدًا مِنْ عِلْمِنَاهُ كَسَعْدِ بْنِ سَيْلٍ

فارساً أَضْبَطَ فِيهِ عُسْرَةٌ^(١) وإذا ما واقف القِرْنِ نَزَلَ

فارساً يَسْتَدْرِجُ الْخَيْلَ كما اسـ تدرج الحُرُّ القَطَامِيَّ الْحَجَلِ^(٢)

قال السهيلي : سَيَّلَ اسمه خَيْرُ بن جمالة وهو أول من طليت له السيوف بالذهب والفضة .

قال ابن إسحاق : وإنما سُمُوا الجَدَرَةَ لأن عامر بن عمرو بن خزيمة بن جعثمة تزوج بنت الحارث بن مُضَاضِ الجُرْهُمِي ، وكانت جرهم إذ ذاك وُلَاةَ البيت ، فَبَنَى للكعبة جداراً ، فسمي عامرٌ بذلك الجادرَ ففيل لولده الجَدَرَةَ لذلك .

خَبَرُ قُصَيِّ بنِ كِلَاب ، وما كان من أمره في ارتجاعه ولالية البيت إلى قريش ، وانتزاعه ذلك من خزاعة ، واجتماع قريش إلى الحرم الذي جعله الله أمناً للعباد ، بعد تفرقها في البلاد وتمزقها في الجبال والمهاد

وذلك أنه لما مات أبوه كِلَاب تزوج أمّه ربيعةُ بن حَرَام من عُدْرَةَ ، وخرج بها وبه إلى بلاده ، ثم قَدِمَ قُصَيُّ مَكَّةَ وهو شاب ، فتزوج حُبَيَّ ابنة رئيس خزاعة حُلَيْل ابن حُبْشِيَّة .

فأما خزاعة فتزعم أن حُلَيْلًا أَوْصَى إلى قُصَيِّ بولاية البيت لِمَا رأى من كثرة نَسْله من ابنته ، وقال أنت أحق بذلك مني . قال ابن إسحاق : ولم نَسْمَعْ ذلك إلا منهم ، وأما غيرهم فإنهم يزعمون أنه استغاث بإخوته من أمه وكان رئيسهم رِزَاحُ بن ربيعة وإخوته ، وبني كنانة وقُضَاعَة وَمَنْ حَوْلَ مَكَّةَ من قريش وغيرهم ، فأجلاهم عن البيت واستقلَّ هو بولاية البيت .

(١) الأَضْبَطُ : الأعسر اليسر الذي يعمل بكنتا يديه . (٢) الحر القطامي : الصقر . والحجل جمع حجلة وهي القبجة .

لأن إجازة الحجاج كانت إلى صُوفَة ، وهم بنو الغوث بن مُرّ بن أَدّ بن طابخة بن إلياس بن مُضَر ، فكان الناس لا يرمون الجَمَارَ حتى يرموا ، ولا يَنفِرُونَ مِنْ مِئْنَى حَتَّى يَنفِرُوا ، فلم يزل كذلك فيهم حتى انقرضوا .

فَوَرِثَهُمْ ذَلِكَ بِالْقَعْدُدِ^(١) بنو سعد بن زيد مناة بن تميم ، فكان أولهم صفوان بن الحارث بن شِجْنَةَ بن عَطَّارْد بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، وكان ذلك في بيته حتى قام على آخرهم الإسلام ، وهو كَرِب بن صفوان .

وكانت الإجازة من المزدلفة في عَدْوَان ، حتى قام الإسلام على آخرهم وهو أبو سَيَّارَة عميلة بن الأعزل ، وقيل اسمه العاص واسم الأعزل خالد ، وكان يميز بالناس على أتان له عوراء ، مكث يدفع عليها في الموقف أربعين سنة ، وهو أول من جعل الدية مائة ، وأول من كان يقول : أشرق ثبير كيما نُغِير . حكاها السهيلي .

وكان عامر بن الظَّرَبِ العَدَوَانِي لا يكون بين العرب نائرةٌ إلا تحاكوا إليه فيرضون بما يَقْضِي به . فتحاكموا إليه مرة في ميراث خنثى ، فبات ليلته ساهراً يترَوَّى ماذا يحكم به ، فرأته جارية له كانت ترعى عليه غنمه اسمها سُخَيْلَة ، فقالت له : مالك لا أبالك الليلة ساهراً ؟ فذكر لها ما هو مفكر فيه ، وقال لعلها يكون عندها في ذلك شيء فقالت : أَتُبِعَ الْقَضَاءُ الْمَبَال . فقال : فَرَجَّتْهَا وَاللَّهِ يَا سُخَيْلَة . وَحَكَمَ بِذَلِكَ .

قال السهيلي : وهذا الحكم من باب الاستدلال بالأمارات والعلامات ، وله أصل في الشرع ، قال الله تعالى : ﴿ وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ﴾^(٢) حيث لا أثر لأنياب الذئب فيه ، وقال تعالى : ﴿ إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدٌّ مِنْ قَبْلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ، وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدٌّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾^(٣) . وفي الحديث : « أَنْظِرُوهَا ، فَإِنْ جَاءَتْ بِهِ أَوْزَقَ جَعَدًا جَمَالِيَا فَهُوَ لِلَّذِي رُمِيَ بِهِ » .

قال ابن إسحاق : وكان النسيء في بني فُقيم بن عدي بن عامر بن ثعلبة بن الحارث ابن مالك بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر .

قال ابن إسحاق : وكان أول من نَسأَ المشهور على العرب القامَس ، وهو خديفة ابن عبد بن فُقيم ابن عدي ، ثم قام بعده ابنه عبَّاد ثم قلَّع بن عبَّاد ، ثم أمية بن قلَّع ، ثم عوف بن أمية ، ثم كان آخرهم أبو ثمامة جُنادة بن عوف بن قلَّع بن عبَّاد بن خديفة ، وهو القامَس ، فعلى أبي ثمامة قام الإسلام .

وكانت العرب إذا فرغت من حجِّها اجتمعت إليه فخطبهم فحرَّم الأشهرَ الحُرَّم فإذا أراد أن يُحِلَّ منها شيئاً أحلَّ الحُرَّم وجعل مكانه صَفْراً ، ليواطئوا عدَّةَ ما حرَّم الله فيقول : اللهم إني أحلت أحَدَ الصَّغَرَيْنِ الصَّغَرِ الأولِ وأنسأت الآخرَ للعام المقبل . فتنبَّعه العرب في ذلك ، ففي ذلك يقول عُمر بن قيس أحد بني فراس بن غنم بن مالك ابن كنانة ويعرف عُمر بن قيس هذا بجَذَلِ الطَّعَّان :

لقد عَلِمْتُ مَعَدُّ أَنْ قَوْمِي كرامُ الناسِ إِنَّ لَهمْ كِرَاماً
فَأَيُّ الناسِ فَاتُونَا بَوْتَرٍ وأَيُّ الناسِ لَمْ تُعَلِّكِ الْجَامَا
أَلَسْنَا النَّاسِينَ عَلَى مَعَدِّ مشهورِ الحِلِّ تَجَعَّلَهَا حَرَاماً ؟

وكان قُصَيُّ في قومه سيِّدا رئيساً مطاعاً معظماً ، والمقصود أنه جَمَعَ قريشاً من متفرِّقات مواضعهم من جزيرة العرب ، واستعان بمن أطاعه من أحياء العرب على حرب خُزاعة وإجلالهم عن البيت وتسليمه إلى قُصَيِّ ، فكان بينهم قتال كثير ودماء غزيرة ، ثم تداعوا إلى التحكيم ، فتحاكموا إلى يَعْمُرَ بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ، فحكم بأن قُصَيًّا أَوْلَى بالبيت من خُزاعة ، وأن كلَّ دم أصابه قُصَيُّ من خُزاعة وبنو بكر موضوع يَشُدُّه تحت قدميه ، وأن ما أصابته خُزاعة

و بنو بكر من قريش وكنانة وقضاعة ففيه الدية مؤدّاة ، وأن يحلّي بين قصيّ وبين مكة والكعبة . فسميَ يَعْمُرُ يومئذ الشّدّاخ .

قال ابن إسحاق : فولى قصيّ البيت وأمر مكة ، وجمع قومه من منازلهم إلى مكة ، وتملك على قومه وأهل مكة فملكوه ، إلا أنه أقرّ العرب على ما كانوا عليه لأنه يرى ذلك ديناً في نفسه لا ينبغي تغييره ، فأقرّ آل صفوان وعدوان والنساء ومرة بن عوف على ما كانوا عليه ، حتى جاء الإسلام فهدم الله به ذلك كله .

قال : فكان قصيّ أول بني كعب أصاب ملكاً أطاع له به قومه ، وكانت إليه الحجابة والسقاية والرّفاة والندوة واللواء ، فحاز شرف مكة كله ، وقطع مكة رباعاً بين قومه ، فأنزل كل قوم من قريش منازلهم من مكة .

قلت : فرجع الحق إلى نصابه ، وردّ شارد العدل بعد إيابه ، واستقرت بقريش الدار ، وقضت من خزاعة المراد والأوطار ، وتسلمت بيتهم العتيق القديم ، لكن بما أحدثت خزاعة من عبادة الأوثان ونصبها إياها حول الكعبة ، ونحرم لها وتضرعهم عندها ، واستنصارهم بها وطلبهم الرزق منها .

وأنزل قصيّ قبائل قريش أباطح مكة ، وأنزل طائفة منهم ظواهرها ، فكان يقال قريشُ الباطح ، وقريش الظواهر .

فكانت لقصيّ بن كلاب جميع الرئاسة ، من حجابة البيت وسدّاته واللواء ، وبني داراً لإزاحة الظلمات وفصل الخصومات سمّاها دار الندوة ، إذا أعضلت قضية اجتماع الرؤساء من كل قبيلة فاشتوروا فيها وفصلوها ، ولا يعقد عقد لواء ولا عقد نكاح إلا بها ، ولا تبُلّغ جارية أن تدّرّع فتدّرّع إلا بها .

وكان باب هذه الدار إلى المسجد الحرام ، ثم صارت هذه الدار فيما بعد إلى حكيم بن حزام بَعَدَ بنى عبد الدار ، فباعها في زمن معاوية بمائة ألف درهم ، فلامه على بيعها معاوية . وقال : بعث شَرَف قومك بمائة ألف .

فقال : إنما الشرفُ اليومَ بالتقوى ، والله لقد ابتعتها في الجاهلية بِزِقِّ خمر ، وها أنا قد بعثها بمائة ألف ، وأشهدكم أن ثمنها صدقة في سبيل الله ، فأينا المغبون ! . ذكره الدارقطني في أسماء رجال الموطأ .

وكانت إليه سقايةُ الحجيج ، فلا يشربون إلا من ماء حياضه ، وكانت زمزم إذ ذاك مطموسة من زمن جُرْهم قد تناسوا أمرها من تَقَادُم عهدها ولا يهتدون إلى موضعها . قال الواقدي : وكان قصي أول من أحدث وقيدَ النار بالمزْدَلَّة ليَهْتدى إليها من يأتى من عرفات .

والرفادةَ وهى إطعام الحجيج أيام الموسم إلى أن يخرجوا راجعين إلى بلادهم . قال ابن إسحاق : وذلك أن قصيا فرضه عليهم ، فقال لهم : يا معشر قريش ، إنكم جيران الله ، وأهل مكة وأهل الحرم ، وإن الحُجَّاج ضيفُ الله وزُورَ بيته ، وهم أحق بالضيافة ، فاجعلوا لهم طعاماً وشراباً أيام الحج حتى يَصْدُرُوا عنكم . ففعلوا ، فكانوا يُخْرِجون لذلك في كل عام من أموالهم خَرْجاً فيدفعونه إليه ، فيصنعه طعاماً للناس أيامَ مِنًى ، فخرى ذلك من أمره في الجاهلية حتى قام الإسلام ، ثم جرى في الإسلام إلى يومك هذا ، فهو الطعام الذى يصنعه السلطان كلَّ عام بمنى للناس حتى ينقضى الحج .

قلت : ثم انقطع هذا بعد ابن إسحاق . ثم أُمِر بإخراج طائفة من بيت المال فيُصْرَف في حَمَلِ زادٍ وماءٍ لأبناء السبيل القاصدين إلى الحج ، وهذا صنيع حسن من وجوه يطول ذكرها ، ولكن الواجب أن يكون ذلك من خالص بيت المال مِنْ أَحَلِّ ما فيه ، والأولى أن يكون من جوالى الزمة لأنهم لا يحجون البيت العتيق ، وقد جاء في الحديث :

« من استطاع الحجَّ فلم يحج فليمت إن شاء يهوديًا أو نصرانيا » .

وقال قائلهم في مدح قُصَيٍّ وشرفه في قومه :

قُصَيٌّ لَعْمَرِي كَانَ يُدْعَى مُجَمَّعًا به جَمَعَ الله القبائلَ مِنْ فِهْرِ
هُمْ مَلَأُوا البطحاءَ مَجْدًا وَسُودَدًا وَهُمْ طَرَدُوا عَنَّا غَوَاةَ بَنِي بَكْرِ

قال ابن إسحاق : ولما فرغ قُصَيٌّ من حربه انصرف أخوه رِزَّاح بن ربيعة إلى بلاده بمن معه وإخوته من أبيه الثلاثة ، وهم حُنَّ ومحمود وجُلْهُمة . وقال رِزَّاح في إجابته قصيا :

ولما أتى مِنْ قُصَيٍّ رَسُولٌ فقال الرسولُ أَجِيبُوا أَخْلِيَا
نَهَضْنَا إِلَيْهِ نَقُودُ الْجِيَادِ وَنَطْرَحُ عَنَا الْمُلُوكَ النَقِيَا
نَسِيرُ بِهَا اللَّيْلَ حَتَّى الصَّبَاحِ وَنَكْمِي ^(١) النَّهَارَ لَثْلًا نَزُولَا
فَهِنَّ سِرَاعٌ كَوَرْدِ الْقَطَا يُحِبُّنَ بَنَا مِنْ قُصَيٍّ رَسُولَا
جَمَعْنَا مِنَ السَّرِّ مِنْ أَشْمَذَيْنِ ^(٢) وَمِنْ كُلِّ حَيٍّ جَمَعْنَا قَبِيَلَا
فِيَا لَكَ حَلَبَةً مَا لَيْلَةٍ تَزِيدُ عَلَى الْأَلْفِ سَيْبًا رَسِيَلَا ^(٣)
فَلَمَّا مَرَرْنَا عَلَى عَسَجِرٍ وَأَسْهَلْنَا مِنْ مُسْتَنَاحٍ سَبِيَلَا
وَجَاوَزْنَا بِالرَّكْنِ مِنْ وَرْقَانٍ وَجَاوَزْنَا بِالْعَرْجِ حَيًّا حُلُولَا
مَرَرْنَا عَلَى الْحَلِيِّ ^(٤) مَا دَفْنُهُ وَعَالَجْنَا مِنْ مَرٍّ لَيْلًا طَوِيلَا
نُدَّتْ مِنْ الْعُودِ أَفْلَاهَا ^(٥) إِرَادَةَ أَنْ يَسْتَرْقَنَ الصَّهِيَلَا
فَلَمَّا اتَّهَيْنَا إِلَى مَكَّةِ أَبْجَحْنَا الرِّجَالَ قَبِيَلَا قَبِيَلَا
نُعَاوِرُهُمْ ثُمَّ حَدَّ السِّيُوفِ وَفِي كُلِّ أَوْبٍ خَلَسْنَا الْعُقُولَا

(١) نكمتي : نستتر ونختبئ . (٢) الأشمذان : قبيلتان أو جبلان بين المدينة وخيبر
(٣) أي عدداً كثيراً . (٤) الحلي : مدينة باليمن على ساحل البحر ، وذكر السهيلي أن الحلي نبت
وتروى : الحل وهي بقلة شاذة . (٥) العود : الحديثات التاج . والأفلاء : جمع فلو وهو المهر العظيم .

نَحْبِزُهُمْ بِصَلَابِ النِّسْوِ رِخْبَزَ الْقَوَى الْعَزِيزِ الذَّلِيلَا ^(١)
 قَتَانَا خَزَاعَةَ فِي دَارَهَا وَبَكَرًا قَتَانَا وَجِيلَا وَجِيلَا
 نَفِينَا أَعْمُ مِنْ بِلَادِ الْمَالِيكَ كَمَا لَا يَحُلُّونَ أَرْضًا سُهُولَا
 فَأَصْبَحَ سَبِيهُهُمْ فِي الْحَدِيدِ وَمِنْ كُلِّ حَيٍّ شَفِيئًا الْغَالِيَا

قال ابن إسحاق : فلما رجع رزاح إلى بلاده نشره الله ونشر حُمَّةً ، فها قَبِيلَا
 عُذْرَةٌ إِلَى الْيَوْمِ .

قال ابن إسحاق : وقال قصي بن كلاب في ذلك ^(٢) :

أَنَا ابْنُ الْعَاصِمِينَ بَنَى لُؤَيٍّ بِمَكَّةَ مَنَزَلِي وَبِهَا رُبِيتُ
 إِلَى الْبَطْحَاءِ قَدْ عَلِمْتُ مَعْدَتُ وَمَرَوْتِهَا رَضِيتُ بِهَا رَضِيتُ
 فَلَسْتُ لِفَالِبٍ إِنْ لَمْ تَأْتَلْ بِهَا أَوْلَادُ قَيْدَرٍ وَالنَّدِيتُ
 رِزَاحُ نَاصِرِي وَبِهِ أُسَامِي فَلَسْتُ أَخَافُ ضَيْمًا مَاحِيتُ

وقد ذكر الأُمَوِيُّ عَنِ الْأَشْرَمِ ، عَنِ أَبِي عُبَيْدَةَ ، عَنِ مُحَمَّدِ بْنِ حَفْصٍ ، أَنَّ رِزَاحًا إِذَا
 قَدِمَ بَعْدَمَا نَفَى قَصَى خَزَاعَةَ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

فصل :

ثم لما كبر قصي فَوَضَّ أَمْرَ هَذِهِ الْوُضَائِفِ الَّتِي كَانَتْ إِلَيْهِ ، مِنْ رِئَاسَاتِ قُرَيْشٍ
 وَشَرَفَهَا مِنَ الرِّفَادَةِ وَالسَّقَايَةِ وَالْحِجَابَةِ وَاللَّوَاءِ وَالنَّدْوَةِ إِلَى ابْنِهِ عَبْدِ الدَّارِ ، وَكَانَ
 أَكْبَرَ وَلَدِهِ .

وَإِنَّمَا خَصَّهُ بِهَا كُلِّهَا لِأَنَّ بَقِيَّةَ إِخْوَتِهِ عَبْدِ مَنَافٍ وَعَبْدَ شَمْسٍ وَعَبْدَ كَانُوا قَدْ شَرُّوا

(١) نَحْبِزُهُمْ : نَسَوْقُهُمْ سَوْقًا شَدِيدًا . وَصَلَابِ النِّسْوِ : الْحَيْلِ (٢) هَذَا مَا كَانَ يَصْنَعُ مِنَ الشَّعْرِ وَيُدْخِلُ
 فِي السِّيرَةِ ، وَقَصَى مَا كَانَ يَعْلَمُ نَسَبَهُ السَّرْيَانِيَّةَ ، وَلَيْتَ ابْنُ إِسْحَقَ عَاقَبَنَا مِنْ هَذِهِ الْأَشْعَارِ الْمَهْلِكَةِ النَّسَجَ لَنِي
 يَدْرِكُ الذَّوْقَ أَنَّهَا مَخْتَلِقَةٌ مَصْنُوعَةٌ .

في زمن أبيهم وبلغوا في قوتهم شرفاً كبيراً ، فأحبَّ قصى أن يُلحق بهم عبدَ الدار في السؤدد نخسه بذلك ، فكان إخوته لا ينازعونه في ذلك .

فلما انقرضوا تشاجر أبناؤهم في ذلك وقالوا إنما خص قصى^١ عبدَ الدار بذلك ليلحقه بإخوته ، فنحن نستحق ما كان آباؤنا يستحقونه .

وقال بنو عبد الدار : هذا أمر جعله لنا قصى ، فنحن أحق به .

واختلفوا اختلافاً كثيراً ، وانقسمت بطون قريش فرقتين ، فرقة بايعت عبدَ الدار وحالفتهم ، وفرقة بايعت بنى عبد مناف وحالفوهم على ذلك ، ووضعوا أيديهم عند الحلف في جَفَنَةٍ فيها طيب ، ثم لما قاموا مسحوا أيديهم بأركان الكعبة فسمُّوا حلفَ المطَّيِّين .

وكان منهم من قبائل قريش بنو أسد بن عبد العزَّى بن قصى ، وبنو زُهَرة ، وبنو تَيْم ، وبنو الحارث بن فِهْر ، وكان مع بنى عبد الدار بنو مخزوم ، وبنو سَهْم ، وبنو جُمَح ، وبنو عَدِي . واعتزلت بنو عامر ابن لؤى ومحارب بن فِهْر الجميع ، فلم يكونوا مع واحد منهما .

ثم اصطَلَحُوا واتفقوا على أن تكون الرفاة والسقاية لبنى عبد مناف ، وأن تستقر الحجابة واللواء والندوة في بنى عبد الدار ؛ فانبرم الأمر على ذلك واستمر .

وحكى الأموى عن الأشرم ، عن أبي عبيدة قال : وزعم قوم من خزاعة أن قصيا لما تزوج حُتَّى بنت حُلَيْل وثَقُلَ حليل عن ولاية البيت جعلها إلى ابنته حُتَّى واستناب عنها أبا غُبْشان سليم بن عمرو بن لؤى ابن ملكان بن قصى بن حارثة بن عمرو بن عامر ، فاشترى قصى ولايةَ البيت منه بزق خمر وقَعُود ، فكُنَ يقال : «أَخْسَر من صفقة أبي غُبْشان» . ولما رأت خزاعة ذلك اشتدوا على قصى ، فاستنصر أخاه فقَدِمَ بمن معه ، وكان ما كان . ثم فَوَّضَ قصى هذه الجهات التي كانت إليه من السدانة والحجابة واللواء

والندوة والرفادة والسقاية إلى ابنه عبد الدار كما سيأتى تفصيله وإيضاحه ، وأقر الإجازة من مزدلفة في بنى عَدُوَّان ، وأقرَّ النسيء في فُقَيْمٍ ، وأقرَّ الإجازة وهو النَّفَرُ في صُوفَةٍ ، كما تقدم بيان ذلك كله مما كان بأيديهم قبل ذلك .

قال ابن إسحاق : فولد قصيُّ أربعة نفر وامرأتين : عبد مناف ، وعبد الدار ، وعبد العُزَّى وعَبْدًا ، وَتَحْمُرُ ، وَبِرَّةَ ، وأمهم كلهم حُجَّى بنت حُلَيْل بن حُبْشَةَ بن سُلُول ابن كعب بن عمرو الخَزَاعِي ، وهو آخر من ولى البيت من خزاعة ، ومن يده أخذ البيت قصيُّ بن كلاب .

قال ابن هشام^(١) : فولد عبدُ مناف بن قصي أربعة نفر : هاشمًا وعبدَ شمس والمطلب ، وأمهم عاتكةُ بنت مُرَّة بن هلال . ونوفل بن عبد مناف ، وأمه واقدة بنت عمرو المازنية .

قال ابن هشام : وولد لعبد مناف أيضا : أبو عمرو وتماضر وقلابة وحَيَّة ورَيْطَة وأم الأخشم وأم سفيان .

قال ابن هشام : وولد هاشمُ بن عبد مناف أربعة نفر وخمس نسوة : عبد المطلب ، وأسدًا ، وأبا صَيْفَى ونُضْلَةَ والشَّفَاء ، وخالدة ، وضعيفة ، ورُقَيَّة ، وحَيَّة . فأُم عبد المطلب ورقية سلمى بنت عمرو بن زيد بن ليث بن خِدَاش بن عامر بن غَنَم بن عَدِي بن النجار من المدينة . وذَكَرَ أمهات الباقيين .

قال : وولد عبدُ المطلب عشرة نَفَرٍ وست نسوة ، وهم : العباس ، وحَمْزة ، وعبد الله ، وأبو طالب ، واسمه عبد مناف ، لا عمران^(٢) ، والزبير ، والحارث وكان بِكَرَّ أبيه وبه كان يكنى ، وجعل ، ومنهم من يقول حَجَل^(٢) ، وكان يلقب بالغيداق لكثرة خيره^(٢) ،

(١) في ابن هشام : قال ابن إسحاق . (٢) هذه الجمل تعليقات من ابن كثير أدخلها في كلام ابن إسحاق .

والمقوّم ، وضرار ، وأبو لب واسمه عبد العزى ، وصفية ، وأم حكيم البيضاء ، وعاتكة ، وأميعة وأروى ، وبرّة ، وذَكَرَ أمهاتهم . إلى أن قال : وأمُّ عبد الله وأبى طالب والزبير وجميع النساء إلا صفية ، فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم بن يقظة بن مرة ابن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان .

قال : فولد عبدُ الله محمداً رسولَ الله صلى الله عليه وسلم سيد ولد آدم . وأمه آمنة بنتُ وهب ، بن عبد مناف ، بن زهرة ، بن كلاب ، بن مرة ، بن كعب ، بن لؤى . ثم ذكر أمهاتها فأغرق .

إلى أن قال : فهو أشرفُ ولد آدم حسَباً وأفضاهم نسباً ، مِنْ قَبْلِ أبيه وأمه صلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين .

وقد تقدم حديث الأوزاعي عن شداد أبي عمار ، عن وائلة بن الأسقع قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل ، واصطفى قريشاً من كنانة ، واصطفى هاشماً من قريش ، واصطفانى من بنى هاشم » . رواه مسلم .

وسياتى بيان مولده الكريم وما ورد فيه من الأخبار والآثار ، وسنورد عند سرد النسب الشريف فوائد أخر ليست هاهنا إن شاء الله تعالى وبه الثقة وعليه التكلان .

ذكر جمل من الأحداث الواقعة في زمن الجاهلية

قد تقدم ما كان من أخذ جرهم ولاية البيت من بنى إسماعيل ، طمعوا فيهم لأنهم أبناء بناتهم ، وما كان من توثب خزاعة على جرهم وانتزاعهم ولاية البيت منهم ، ثم ما كان من رجوع ذلك إلى قصي وبنيه واستمرار ذلك في أيديهم إلى أن بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم فأقرت تلك الوظائف على ما كانت عليه .

باب ذكر جماعة مشهورين كانوا في الجاهلية

خبر خالد بن سنان العبسي الذي كان في زمن الفترة

وقد زعم بعضهم أنه كان نبياً . والله أعلم

قال الحافظ أبو القاسم الطبراني : حدثنا أحمد بن زهير التستري ، حدثنا يحيى بن المعلى بن منصور الرازي ، حدثنا محمد بن الصلت ، حدثنا قيس بن الربيع ، عن سالم الأفتس ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ؛ قال : جاءت بنت خالد بن سنان إلى النبي صلى الله عليه وسلم فبسط لها ثوبه وقال « بنت نبي ضيعه قومه » .

وقد رواه الحافظ أبو بكر البزار عن يحيى بن المعلى بن منصور ، عن محمد بن الصلت ، عن قيس ، عن سالم ، عن سعيد ، عن ابن عباس ، قال : ذكر خالد بن سنان عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « ذاك نبي ضيعه قومه » .

ثم قال . ولا نعرفه مرفوعاً إلا من هذا الوجه ، وكان قيس بن الربيع ثقة في نفسه إلا أنه كان رديء الحفظ ، وكان له ابن يدخل في أحاديثه ما ليس منها . والله أعلم .

قال البزار : وقد رواه الثوري عن سالم الأفطس ، عن سعيد بن جبير مرسلًا . وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي : حدثنا المعلي بن مهدي الموصلي ، قال حدثنا أبو عوانة ، عن أبي يونس ، عن سكرمة ، عن ابن عباس أن رجلا من عبس يقال له خالد بن سنان قال لقومه : « إني أظن أنكم نار الحريتين » فقال له رجل من قومه : والله يا خالد ما قلت لنا قط إلا حقا ، فما شأنك وشأن نار الحريتين تزعم أنك تطفئها !

فخرج خالد ومعه أناس من قومه ، فيهم عمارة بن زياد ، فأتوها فإذا هي تخرج من شق جبل ، فخط لهم خالد خطة فأجلسهم فيها فقال : إن أبطأت عليكم فلا تدعوني باسمي . فخرجت كأنها خيل شقر يتبع بعضها بعضا ، فاستقبلها خالد ، فحمل يضربها بعصاه وهو يقول : بدا بدا بدا كل هدى زعم ابن راعية المعزى أني لا أخرج منها وثيابي بيدي . حتى دخل معها الشق فأبطأ عليهم ، فقال لهم عمارة بن زياد : والله إن صاحبكم لو كان حيا لقد خرج إليكم بعد . قالوا فادعوه باسمه . قال : فقالوا : إنه قد هبنا أن ندعوه باسمه . فدعوه باسمه فخرج وهو آخذ برأسه ، فقال ألم أنكم أن تدعوني باسمي ، فقد والله قتلتهموني فادفونوني فإذا مرت بكم الحر فيها حمار أبت فاندشوني فإنكم تحدونني حيا . فدفنوه فمرت بهم الحر فيها حمار أبت فقلنا انبشوه فإنه أمرنا أن ننشبه . فقال لهم عمارة : لا تنبشوه لا والله لا تحدث مضر أنا ننش موتانا . وقد كان قال لهم خالد : إن في عكن امرأته لوحين ، فإن أشكل عليكم أمر فانظروا فيهما فإنكم ستجدون ما تسألون عنه . قال ولا يسهما حائض . فلما رجعا إلى امرأته سألوها عنهما فأخبرتهما إليهم وهي حائض فذهب ما كان فيهما من علم ^(١) .

قال أبو يونس : قال سماك بن حرب : سئل عنه النبي صلى الله عليه وسلم فقال : ذاك نبي أضاعه قومه . قال أبو يونس : قال سماك بن حرب : إن ابن خالد بن سنان أتى النبي

(١) هذه أسطورة ضخمة ليس إلى تصديقها سبيل ..

صلى الله عليه وسلم فقال : مرحباً بابن أخى . فهذا السياق موقوف على ابن عباس ، وليس فيه أنه كان نبياً ، والمُرسلات التى فيها أنه نبى لا يحتج بها هاهنا . والأشبه أنه كان رجلاً صالحاً له أحوال وكرامات ، فإنه إن كان فى زمن الفترة فقد ثبت فى صحيح البخارى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن أولى الناس بعيسى بن مريم أنا ، لأنه ليس بينى وبينه نبى » . وإن كان قبائلاً فلا يمكن أن يكون نبياً لأن الله تعالى قال : (لَتُنذِرَ قَوْماً مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ) (١) .

وقد قال غير واحد من العلماء : إن الله تعالى لم يبعث بعد إسماعيل نبياً فى العرب ، إلا محمداً صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء الذى دعا به إبراهيم الخليل ، باني الكعبة المكرمة التى جعلها الله قبلة لأهل الأرض شريعاً ، وبشّرت به الأنبياء لقومهم حتى كان آخر من بشّر به عيسى بن مريم عليه السلام .

وبهذا المسلك بعينه يُردُّ ما ذكره السهيلي وغيره من إرسال نبى من العرب يقال له شعيب بن ذى مهزم بن شعيب بن صفوان صاحب مدين ، وبعث إلى العرب أيضاً حنظلة بن صفوان فكذبوها فسلط الله على العرب يُخْتَنَصَّر ، فنال منهم من القتل والسبى نحو مانال من بنى إسرائيل ، وذلك فى زمن معدّ بن عدنان .

والظاهر أن هؤلاء كانوا قوماً صالحين يدعون إلى الخير والله أعلم . وقد تقدم ذكر عمرو بن لُحى بن قَمْعَة بن خِنْدَف فى أخبار خُرَاعة بعد جرمهم .

ذكر حاتم الطائي أحد أجواد الجاهلية

وهو حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحُشْرَج بن امرئ القيس بن عدى بن أحزم بن أبي أحزم ، واسمه هرومة بن ربيعة بن جرول بن ثعل بن عمرو بن الغوث ، بن طيء أبو سفانة الطائي ، والدُ عديّ ، بن حاتم الصحابي ، كان جواداً ممدّحاً في الجاهلية ، وكذلك كان ابنه في الإسلام .

وكانت لحاتم مآثر وأمر عجيبة وأخبار مستغربة في كرمه يطول ذكرها ، ولكن لم يكن يقصد بها وجه الله والدار الآخرة ، وإنما كان قصده السمعة والدُّكر .

قال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده : حدثنا محمد بن معمر ، حدثنا عبيد بن واقد القيسي ، حدثنا أبو نصر هو الناجي ، عن عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر ، قال : ذُكر : حاتم عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « ذاك أراد أمراً فأدركه » .

حديث غريب . قال الدار قطنى تفرّد به عبيد بن واقد ، عن أبي نصر الناجي ، ويقال إن اسمه حماد .

قال ابن عساكر : وقد فرق أبو أحمد الحاكم بين أبي نصر الناجي وبين أبي نصر حماد ولم يسمّ الناجي ، ووقع في بعض روايات الحافظ ابن عساكر : عن أبي نصر شعبة الناجي والله أعلم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد بن إسماعيل ، حدثنا سفيان ، عن سماك بن حرب ، عن مري بن قطري ، عن عدى بن حاتم ، قال قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إن أبى كان يَصِلُ الرَّحِمَ ويفعل ويفعل ، فهل له في ذلك ؟ يعنى من أجر قال : « إن أباك طلب شيئاً فأصابه » وهكذا رواه أبو يعلى ، عن القواريرى ، عن غندر ، عن شعبة ،

عن سماك به . وقال : « إن أباك أراد أمراً فادرّكه » يعنى الذِّكْر . وهكذا رواه أبو القاسم البغوى ، عن على بن الجعد ، عن شعبة به سواء .

وقد ثبت في الصحيح في الثلاثة الذين تسعّر بهم جهنم ، منهم الرجل الذى يُنفق ليقال إنه كريم ، فيكون جزاؤه أن يقال ذلك في الدنيا ، وكذا في العالم والمجاهد . وفي الحديث الآخر في الصحيح أنهم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عبد الله بن جُدعان ابن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مُرّة فقالوا له : كان يَقْرِى الضيفَ وَيَعْتَقُ ويتصدق ، فهل ينفعه ذلك ؟ فقال : « إنه لم يقل يوماً من الدهر رَبِّ اغفرلى خطيئتي يوم الدين » هذا وقد كان من الأجواد المشهورين أيضاً المطعمين في السنين الْمُحِلَّة والأوقات المرملة .

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، حدثني أبو بكر محمد بن عبد الله بن يوسف العُمانى ، حدثنا أبو سعيد عبيد بن كثير بن عبد الواحد الكوفى ، حدثنا ضرار بن صُرد ، حدثنا عاصم بن حميد ، عن أبى حمزة الثمالى ، عن عبد الرحمن بن جندب ، عن كميل بن زياد النخعى ، قال قال على بن أبى طالب : « ياسبحان الله ! ما أزهده كثيراً من الناس فى خير ! عجباً لرجل يحييه أخوه المسلم فى حاجة فلا يرى نفسه للخير أهلاً ، فلو كان لا يرجو ثواباً ولا يخشى عقاباً لكان ينبغى له أن يسارع فى مكارم الأخلاق فإنها تدل على سبيل النجاح .

فقام إليه رجل وقال : فداك أبى وأمى يا أمير المؤمنين أسمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال نعم ! وما هو خير منه ، لما أتى بسبايا طيئ وقعت جارية حمراء لعسا زلفاء عيطاء ^(١) شَمَاء الأنف ، معتدلة القامة والهامة درماء الكعبين خدلجة الساقين ^(٢) ، لَفَاء الفخذين ، خميسة الخصرين ، ضامرة الكشجين ، مصقولة المتنين .

(١) اللعساء : الجارية فى لونها أدنى سواد مشربة من الحمرة . والزلفاء : اللساء والعيطاء : طويلة العنق .

(٢) الدرماء : التى لاتستين كعوبها . والخدلجة : المتتلة

قال : فلما رأيتهما أعجبت بها وقلت لأطالبن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيجعلها في قَيْئِي ، فلما تكلمت أنسيت جمالها لما رأيت من فصاحتها ، فقالت : يا محمد إن رأيت أن تخلى عني ولا تُشمت بي أحياء العرب ، فإنني ابنة سيد قومي ، وإن أبي كان يحمي الذمار ، ويفك العاني ، ويشبع الجائع ، ويكسو العاري ، ويقري الضيف ، ويطعم الطعام ويفشى السلام ، ولم يردَّ طالب حاجة قط ، وأنا ابنة حاتم طي .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « يا جارية هذه صفة المؤمنين حقاً ، لو كان أبوك مؤمناً لترحمتنا عليه ، خلوا عنها فإن أباهما كان يحب مكارم الأخلاق ، والله تعالى يحب مكارم الأخلاق » .

فقام أبو بردة بن نيار^(١) فقال يارسول الله : والله يحب مكارم الأخلاق . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والذي نفسي بيده لا يدخل الجنة أحد إلا بحسن الخلق » .

وقال أبو بكر بن أبي الدنيا : حدثني عمر بن بكر ، عن أبي عبد الرحمن الطائي - هو القاسم بن عدى - عن عثمان بن عركي بن حليس الطائي ، عن أبيه ، عن جده ، وكان أخا عدى بن حاتم لأمه قال : قيل للنَّوَّار امرأة حاتم : حدثينا عن حاتم . قالت : كلُّ أمره كان عَجَباً !

أصابتنا سنة حصَّت^(٢) كلَّ شيء ، فاقشعرت لها الأرض واغربت لها السماء ، وضنت المراضع على أولادها ، وراحت الإبلُ حُدْباً حُدَايِرَ مَا تَبِضُّ بقطرة^(٣) ، وحلقت^(٤) المال .

وإنالني ليلة صَنَبِر^(٥) بعيدة ما بين الطرفين ، إذ تضاعى الأصبيةُ من الجوع ،

(١) واسمه هاني بن نيار . الكني والأسماء للدولابي ١٧ . وفي المطبوعة نيار . وهو خطأ .
(٢) الحص : حلق الشعر - والمعنى : أهلك كل شيء . (٣) الحذب : التي بدت حراقفها . والحداير : النوق الضامرة . (٤) الشعر والشعراء : جافت . (٥) صنبر : باردة .

عبدُ الله وَعَدِيّ ، وَسَفَّانَةُ ، فَوَاللهُ إِنِّ وَجَدْنَا شَيْئًا نَعْلَمُهُمْ بِهِ ، فَقَامَ إِلَى أَحَدِ الصَّبِيَّانِ فَعَمَلَهُ ، وَوَقَّتَ إِلَى الصَّبِيَّةِ فَعَلَّتْهَا ، فَوَاللهُ إِنِّ سَكَنَّا إِلَّا بَعْدَ هَدَاةٍ مِنَ اللَّيْلِ ، ثُمَّ عَدْنَا إِلَى الصَّبِيِّ الْآخَرِ فَعَلَّانَاهُ حَتَّى سَكَتَ وَمَا كَادَ .

ثُمَّ افْتَرَشْنَا قَطِيفَةً لَنَا شَامِيَةً ذَاتَ خَمَلٍ فَأَضْجَعْنَا الصَّبِيَّانِ عَلَيْهَا ، وَنَمْتُ أَنَا وَهُوَ فِي حَجَرَةٍ وَالصَّبِيَّانِ بَيْنَنَا ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيَّ يِعْلَنِي لِأَنَامَ ، وَعَرَفْتُ مَا يَرِيدُ فَتَنَاضَمْتُ ، فَقَالَ مَالِكُ أُنَمْتُ ؟ فَسَكَتَ فَقَالَ : مَا أَرَاهَا إِلَّا قَدْ نَامَتْ . وَمَا بِي نَوْمَ .

فَلَمَّا ادْهَمَّ اللَّيْلُ وَتَهَوَّرَتِ النُّجُومُ وَهَدَأَتِ الْأَصْوَاتُ وَسَكَنَتِ الرَّجُلُ ، إِذَا جَانِبَ الْبَيْتِ قَدْ رَفَعَ ، فَقَالَ مِنْ هَذَا ؟ فَوَلَّيَ . حَتَّى قُلْتُ إِذَا قَدْ أَسْحَرْنَا أَوْ كِدْنَا عَادَ فَقَالَ مِنْ هَذَا ؟ قَالَتْ : جَارَتُكَ فَلَانَةُ يَا أَبَا عَدِيٍّ ، مَا وَجَدْتُ عَلَى أَحَدٍ مُعَوَّلًا غَيْرَكَ ، أَتَيْتُكَ مِنْ عِنْدِ أَصْبِيَّةٍ يَتَعَاوُونَ عَوَاءَ الذَّنَابِ مِنَ الْجُوعِ . قَالَ أَعْجَلِيهِمْ عَلَيَّ .

قَالَتْ النُّوَارُ : فَوُثِّبْتُ فَقُلْتُ مَاذَا صَنَعْتَ ؟ اضْطَجَعَ وَاللهُ لَقَدْ تَضَاغَى أَصْبِيَّتُكَ فَمَا وَجَدْتَ مَا تَعْلَمُهُمْ ، فَكَيْفَ بِهِذِهِ وَبَوْلَدِهَا ؟ فَقَالَ : اسْكُتِي ، فَوَاللهُ لَا شُبْعَنَكَ إِلَّا شَاءَ اللهُ .

قَالَتْ : فَأَقْبَلْتُ تَحْمِلُ اثْنَيْنِ وَتَمْشِي جَنْبَيْتِيهَا أَرْبَعَةً كَأَنَّهَا نَعَامَةٌ حَوْلَهَا رِثَالُهَا^(١) ، فَقَامَ إِلَى فَرَسِهِ فَوَجَّأَ بِحَرْبَتِهِ فِي لَبَتِهِ ، ثُمَّ قَدَحَ زَنْدَهُ وَأَوْرَى نَارَهُ ، ثُمَّ جَاءَ بِمُدْيَةٍ فَكَشَطَ عَنْ جِلْدِهِ ، ثُمَّ دَفَعَ الْمُدْيَةَ إِلَى الْمَرْأَةِ ثُمَّ قَالَ دُونِكَ . ثُمَّ قَالَ : ابْعَثِي صَبِيَّانَكَ . فَبِعَثْتَهُمْ . ثُمَّ قَالَ : سُوءَةٌ ، أَنَا كُلُّونَ شَيْئًا دُونَ أَهْلِ الصَّرْمِ ! فَجَعَلَ يَطُوفُ فِيهِمْ حَتَّى هَبُّوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِ وَالتَفَعُوا فِي ثَوْبِهِ ، ثُمَّ اضْطَجَعَ نَاحِيَةَ يَنْظُرُ إِلَيْنَا ، وَاللهُ مَا ذَاقَ مُزْعَةً ، وَإِنَّهُ لِأَحْوَجُهُمْ إِلَيْهِ ، فَأَصْبَحْنَا وَمَا عَلَى الْأَرْضِ مِنْهُ إِلَّا عَظْمٌ أَوْ حَافِرٌ !

وَقَالَ الدَّارِقُطْنِيُّ : حَدَّثَنِي الْقَاضِي أَبُو عَبْدِ اللهِ الْحَامِلِيُّ ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي سَعْدٍ ،

(١) الرِّثَالُ : جَمْعُ رَأْلٍ ، وَلَدُ الطَّبِيَّةِ .

وحدثنا عثيم بن ثوبة بن حاتم الطائي ، عن أبيه ، عن جده قال : قالت امرأة حاتم لحاتم : يا أبا سَفانة أشتهى أن آكل أنا وأنت طعاما وحدثنا ليس عليه أحد . فأمرها فحوت خيمتها من الجماعة على فرسخ ، وأمر بالطعام فهيئ وهى مرخاة ستورها عليه وعليها ، فلما قارب نضج الطعام كشف عن رأسه ثم قال :

فَلَا تَطْبُخِي قِدْرِي وَسِتْرَكَ دُونَهَا عَلَى إِذْنِ مَا تَطْبُخِينَ حَرَامُ
وَلَكِنْ بِهَذَاكَ الْيَفَاعِ فَأَوْقِدِي بِجَزَلٍ إِذَا أَوْقَدْتَ لَا بِضِرَامٍ

قال : ثم كشف الستور وقدم الطعام ودعا الناس ، فأكل وأكلوا . فقالت : ما أتممت لى ما قلت . فأجابها : فإني لا تطاوعنى نفسى ، ونفسى أكرم على من أن يثنى على هذا وقد سبق لى السخاء . ثم أنشأ يقول :

أُمَارِسُ^(١) نَفْسَ الْبَخْلِ حَتَّى أَعْزُّهَا وَأَتْرُكُ نَفْسَ الْجُودِ مَا أَسْتَثِيرُهَا
وَلَا تَشْتَكِينِي جَارَتِي غَيْرَ أَنَهَا إِذَا غَابَ عَنْهَا بَعْلُهَا لَا أَزُورُهَا
سَيَبْلُغُنِي خَيْرِي وَيَرْجِعَ بَعْلُهَا إِلَيْهَا وَلَمْ تُقْصِرْ عَلَيْهَا سِتُورُهَا
وَمِنْ شَعْرِ حَاتِمٍ :

إِذَا مَا بَتُّ أَشْرَبُ فَوْقَ رِيٍّ لَسْكُرٍ فِي الشَّرَابِ فَلَا رَوِيْتُ
إِذَا مَا بَتُّ أَخْخَلُ عِرْسَ جَارِي لِيُخَفِّنِي الظَّلَامُ فَلَا خَفِيتُ
أَأَفْضَحُ جَارَتِي وَأَخُونُ جَارِي! فَلَا وَاللَّهِ أَفْعَلُ مَا حَيِّتُ
وَمِنْ شَعْرِهِ أَيْضًا :

مَا ضَرَّ جَارًا لِي أَجَاوَرُهُ أَنْ لَا يَكُونَ لِبَابِهِ سِتْرُ
أَغْضَى إِذَا مَا جَارَتِي بَرَزَتْ حَتَّى يُوَارِي جَارَتِي الْخِذْرُ^(٢)

(١) أمارس : أعالج . وأعزها : أغلبها

(٢) ينسب هذان البيتان باختلاف لمسكين الدارمي في أبيات أخرى وهو الصحيح انظر الشعر والشعراء ١/ ٥٣٠

ومن شعر حاتم أيضاً :

وما من شيمتى شتم ابن عمى وما أنا مُخلفٌ من يرتجى
وكلمة حاسدٍ من غير جُرمٍ سمعتُ وقلتُ مرئى فائقى
وعابوهـا على فلم تعبى ولم يعرف لها يوماً جينى
وذى وجهين يلقانى طليقاً ولبس إذا تغيب يأتسنى
ظفرتُ بعينه فكفتُ عنه محافظةً على حسبي ودينى

ومن شعره :

سلي البائس المرقور يا أمَّ مالكٍ إذا ما أتانى بين نارى ومجزرى
أبسط وجهى إنه أول القرى وأبذل معروفى له دون مُكرى

وقال أيضاً :

وإنك إن أعطيتَ بطنك سُؤلَه وفرجك نالا مُنتهى الذم أجمعاً

وقال القاضى أبو الفرج المعافى بن زكرياء الجريرى : حدثنا الحسين بن القاسم الكوكبى ، حدثنا أبو العباس المبرّد ، أخبرنى الثورى ، عن أبى عبيدة ، قال لما بلغ حاتم طي قول المتلمس :

قليلُ المالِ تُصلحه فيبقى ولا يبقى الكثيرُ على الفسادِ
وحفظُ المالِ خيرٌ من فناه وعسفٌ فى البلادِ بغير زادِ

قال : ماله قطع الله لسانه حمل الناس على البخل ؟ ! فهلا قال :

فلا الجودُ يُفنى المال قبل فناه ولا البخلُ فى مال الشحيح يزيدُ
فلا تلتمسُ ما لا بعيشٍ مقترٍ لكلِّ غدٍ رزقٌ يعود جديدُ

ألم تر أن المال غادر وأضحى وأن الذي يعطيك غير بعيد^(١)
قال القاضي أبو الفرج : وقد أحسن في قوله : « وأن الذي يعطيك غير بعيد » ولو
كان مسلماً لرُجِي له الخير في معاده ، وقد قال الله في كتابه : (واسألوا الله من
فضله^(٢)) . وقال تعالى : (وإذا سَأَلَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ
إِذَا دَعَانِ)^(٣) .

وعن الوضاح بن مَعْبِد الطائي قال : وفد حاتم الطائي على النعمان بن المنذر ،
فأكرمه وأذناه ، ثم زَوَّده عند انصرافه جملين ذهباً وورقاً غير ما أعطاه من طرائف
بلده ، فرحل فلما أشرف على أهله تلقته أعاريب طيئ ، فقالت : يا حاتم أتيت من عند
الملك وأتينا من عند أهلكنا بالفقر ! فقال حاتم : هلم نخدوا ما بين يدي فتوزعوه .
فوثبوا إلى ما بين يديه من حياء النعمان فاقتسموه ، فخرجت إلى حاتم طريفة جاريته ،
فقالت له : اتق الله وأبق على نفسك ، فما يدع هؤلاء ديناراً ولا درهما ولا شاة ولا بعيراً .
فأنشأ يقول :

قالت طريفة : ما تبقي دراهمنا وما بنا سرف فيها ولا خرق
إن يفن ما عندنا فالله يرزقنا ممن سوانا ولسنا نحن نرزق
ما يأنف الدرهم الكاري خرقنا إلا يمر عليها ثم ينطلق
إنا إذا اجتمعت يوما دراهمنا ظلت إلى سبل المعروف تستبق

وقال أبو بكر بن عياش : قيل لحاتم : هل في العرب أجود منك ؟ فقال : كل العرب
أجود مني . ثم أنشأ يحدث قال : نزلت على غلام من العرب يتيم ذات ليلة ، وكانت له
مائة من الغنم ، فذبح لي شاة منها وأتاني بها ، فلما قرَّب إلى دماغها قلت : ما أطيب هذا

(١) في البيت لإقواء (٢) سورة النساء ٣٢ (٣) سورة البقرة ١٨٦

الدماغ ! قال : فذهب فلم يزل يأتيني منه حتى قلت قد اكتفيت . فلما أصبحت إذا هو قد ذبح المائة شاة وبقي لاشيء له !

فقيل : فما صنعت به ؟ فقال : ومتى أبلغ شكره ولو صنعت به كل شيء ! قال : على كل حال أعطيته مائة ناقة من خيار إيلي .

وقال محمد بن جعفر الخرائطي في كتاب «مكارم الأخلاق» : حدثنا العباس بن الفضل الرُّبَعي ، حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، حدثني حماد الراوية ومشيخة من مشيخة طيء ، قالوا : كانت عنترة ^(١) بنت عفيف بن عمرو بن امرئ القيس أم حاتم طيء لا تملك شيئاً سخاء وجوداً ؛ وكان إخوتها يمنعونها فتأبى ، وكانت امرأة موسرة ، فحبسوها في بيت سنة يطعمونها قوتها لعلها تكف عما تصنع ، ثم أخرجوها بعد سنة ، وقد ظنوا أنها قد تركت ذلك الخلق ، فدفعوا إليها صرمة من مالها وقالوا استمتعي بها . فأتتها امرأة من هوازن وكانت تغشاها فسألتها ، فقالت : دونك هذه الصرمة ، فقد والله مسنى من الجوع ما آليت أن لا أمتع سائلاً ، ثم أنشأت تقول :

لعمري لقدما عصني الجوع عَصَّةً فآليت ألا أمتع الدهر جاعاً
فقلوا لهذا اللائى اليوم أعفنى وإن أنت لم تفعل فعص الأصابعاً
فماذا عساكم أن تقولوا لأختكم سوى عدلكم أو عدل من كان مانعاً
وماذا ترون اليوم إلا طبيعةً فكيف بتركي يابن أمى الطباعاً

وقال الهيثم بن عدي : عن ملحان بن عركي بن عدي بن حاتم ، عن أبيه ، عن جده ، قال : شهدت حاتماً يكيد بنفسه ^(٢) ، فقال لي : أي بني . إني أعهد من نفسي ثلاث خصال : والله ما خاتلت جارة لريبة قط ، ولا أؤمنت على أمانة إلا أديتها ، ولا أتى أحد من قبلي بسوء .

وقال أبو بكر الخرائطي : حدثنا علي بن حرب ، حدثنا عبد الرحمن بن يحيى العدوي ، حدثنا هشام بن محمد بن السائب الكلبي ، عن أبي مسكين - يعني جعفر بن الحر بن الوليد - عن الحر بن مولى أبي هريرة ، قال : مرّ نفر من عبد القيس بقبر حاتم طي ، فزفوا قريبا منه ، فقام إليه بعضهم يقال له أبو الخيبري فجعل يركض قبره أبرجله ويقول : يا أبا جعد اقرنا . فقال له بعض أصحابه : ما تخاطب من رمة وقد بليت ؟ ! وأجنهم الليل فناموا ، فقام صاحب القول فزعا يقول : يا قوم عليكم بمطيمكم فإن حاتما أتاني في النوم وأنشدني شعرا وقد حفظته ، يقول :

أبا الخيبري وأنت امرؤ ظلوم العشرة شتأما
أتيت بصحبك تبغي القرى لدى حفرة قد صدت هامها
أتبغي لي الذنب عند المبد ت وحوالك طي وأنعامها
وإننا لنشبع أضيافنا وتأتي المطي فنعتأما^(١)

قال : وإذا ناقت صاحب القول تكوس^(٢) عقيرا ، فنحروها وقاموا يشئون ويأكلون . وقالوا : والله لقد أضفنا حاتم حيا وميتا !

قال : وأصبح القوم وأردفوا أصحابهم وصاروا ، فإذا رجل ينوه بهم راكبا جملا ويقود آخر ، فقال : أيكم أبو الخيبري ؟ قال : أنا . قال : إن حاتما أتاني في النوم فأخبرني أنه قرى أصحابك ناقتك وأمرني أن أحملك ، وهذا بعير نخذه . ودفعه إليه .

(١) نعتأما : نأخذها (٢) كاس البعير : مشى على ثلاث قوائم وهو معرّقب ، كما في القاموس . وقال الزمخشري : كوسه الله في النار : قلبه على رأسه . . وكاس العقير كوسا لأنه يسقط على رأسه . الأساس .

ذكر شيء من أخبار عبد الله بن جُدعان

هو عبد الله بن جُدعان ، بن عمرو ، بن كعب ، بن سعد ، بن تميم ، بن مُرّة ،
سيد بني تميم ، وهو ابن عم والد أبي بكر الصديق رضى الله عنه .
وكان من الكرماء الأجواد في الجاهلية المطمئنين للمُسَنِّين .

وكان في بدء أمره فقيراً مُعْلَقاً ، وكان شَريراً يكثر من الجنايات ، حتى أبغضه
قومه وعشيرته وأهله وقبيلته ، وأبغضه حتى أبوه .

نُحِرَ ذات يوم في شعاب مكة حائراً بائراً فرأى شَقّاً في جبل ، فظن أن يكون به
شيء يؤذى ، فقصده لعله يموت فيستريح مما هو فيه .

فلما اقترب منه إذا ثعبان يخرج إليه ويثب عليه ، فجعل يحيد عنه ويثب فلا يغني
شيئاً ، فلما دنا منه إذا هو من ذهب وله عينان هما ياقوتتان ، فكسره وأخذه ودخل
الغار فإذا فيه قبور لرجال من ملوك جرهم ، ومنهم الحارث بن مُضاض الذي طالت غيبته فلا
يُدْرَى أين ذهب ، ووجد عند رؤسهم لوحاً من ذهب فيه تاريخ وفاتهم ومُدَد ولايتهم ،
وإذا عندهم من الجواهر والآلئ والذهب والفضة شيء كثير ، فأخذ منه حاجته ، ثم خرج
وعلم باب الغار ، ثم انصرف إلى قومه فأعطاهم حتى أجبوه وسادهم ، وجعل يطعم الناس ،
وكلاً قَلَّ ما في يده ذهب إلى ذلك الغار فأخذ حاجته ثم رجع . فمن ذكر هذا عبد الملك بن
هشام في كتاب « التيجان »^(١) وذكره أحمد بن عمار في كتاب « رى العاطش وأنس
الواحش » وكانت له جفنة يأكل منها الراكب على بعيره ، ووقع فيها صغير ففروق .

(١) كتاب التيجان لمعرفة ملوك الزمان . وهو يتضمن بعض قصص أهل الكتاب ،
وأخبار اليمن .

وذكر ابن قتيبة وغيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لقد كنت أستظل بظل جفنة عبد الله بن جدعان صكة عُمِّي^(١) » أى وقت الظهيرة .

وفى حديث مقتل أبي جهل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه : « تَطَلَّبُوهُ بَيْنَ الْقَتْلَى وَتَعَرَّفُوهُ بِشَجَّةٍ فِي رُكْبَتِهِ ، فَإِنِى تَزَاحَمْتُ أَنَا وَهُوَ عَلَى مَأْذُبَةٍ لَابْنِ جُدْعَانَ فَدَفَعْتَهُ فَسَقَطَ عَلَى رُكْبَتِهِ فَانْهَشَمْتُ فَأَثَرُهَا بَاقٍ فِي رُكْبَتِهِ » فوجدوه كذلك .

وذكروا أنه كان يطعم التمرَ والسويق ويسقى اللبن ، حتى سمع قول أمية بن أبي الصلت :

ولقد رأيتُ الفاعلين وفعلهم فرأيتُ أكرمهم بنى الديان
البرُّ يُدَبِّكُ بالشهادِ طعامهم لا ما يعلننا بنو جدعان
فأرسل ابن جدعان إلى الشام ألنى بعير [جاءت] تحمل البرَّ والشهد والسمن ،
وجعل مناديا ينادى كل ليلة على ظهر الكعبة : أن هلموا إلى جفنة ابن جدعان . فقال
أمية فى ذلك :

له داعٍ بمكة مشمعل^(٢) وآخرُ فوق كعبتها ينادى
إلى ردح من الشيزى ملأ^(٣) لبابَ البرِّ يُدَبِّكُ بالشهادِ

ومع هذا كله فقد ثبت فى الصحيح لمسلم أن عائشة قالت : يا رسول الله إن ابن جدعان كان يطعم الطعامَ ويقرى الضيفَ ، فهل ينفعه ذلك يوم القيامة ؟ فقال : « لا ، إنه لم يقل يومًا رب اغفر لى خطيئتي يوم الدين » .

(١) الصكة : شدة الهاجرة ، وتضاف إلى عمى ، رجل من المارقة أغار على قوم فى الظهيرة فاجتاحهم
(٢) مشمعل : مبادر مجتهد . (٣) الردح : جمع ردة وهى الجفنة العظيمة . والشيزى خشب أسود للقصاص .

ذكر امرئ القيس بن حُجْر الكِنْدِي

صاحب إحدى المعلقات

وهي أنخرهن وأشهرهن التي أولها :

* قِفَا نَبْكَ مِنْ ذَكَرَى حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ *

قال الإمام أحمد : حدثنا هُشَيْمٌ ^(١) ، حدثنا أبو الجهم الواسطي ، عن الزهري ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « امرؤ القيس صاحب لواء الشعراء إلى النار ^(٢) » .

وقد روى هذا الحديث عن هُشَيْمٍ جماعة كثيرون ، منهم بشر بن الحكم ، والحسن بن عرفة ، وعبد الله بن هارون أمير المؤمنين المؤمن أخو الأمين ، ويحيى بن معين ، وأخرجه ابن عَدِيٍّ من طريق عبد الرزاق عن الزهري به ، وهذا منقطع وردى من وجه آخر عن أبي هريرة ، ولا يصح من غير هذا الوجه .

وقال الحافظ ابن عساكر : هو امرؤ القيس بن حُجْر ، بن الحارث ، بن عمرو ، بن حجر آكل المرار ، بن عمرو ، بن معاوية ، بن الحارث ، بن يعرب ، بن ثور ، بن مرتع بن معاوية بن كِنْدَةَ . أبو يزيد ويقال أبو وهب . ويقال أبو الحارث الكِنْدِي . كان بأعمال دمشق ، وقد ذكر مواضع منها في شعره فمن ذلك قوله :

قِفَا نَبْكَ مِنْ ذَكَرَى حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ بَسِقَطِ اللَّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ
فَتَوَضَّحْ فَاَلْمُقَرَّاةَ لَمْ يَعْفُ رَشْمُهَا مِنْهَا نَسَجْتُهَا مِنْ جَنُوبٍ وَشَمَالِ

قال : وهذه مواضع معروفة بخوران .

(١) المطبوعة : هشام ، وما أثبتته عن المسند (٢) المسند حديث رقم ٧١٢٧ وانظر فيه تخريج الحديث

ثم روى من طريق هشام بن محمد بن السائب الكلابي ، حدثني فروة بن سعيد بن عفيف بن معدى كرب ، عن أبيه ، عن جده قال : بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أقبل وفد من اليمن ، فقالوا يا رسول الله لقد أحيانا الله ببيتين من شعر امرئ القيس . قال : وكيف ذاك ؟ قالوا : أقبلنا نريدك ، حتى إذا كنا ببعض الطريق أخطأنا الطريق فمكثنا ثلاثا لا نقدر على الماء ، ففترقنا إلى أصول طَلَحَ وسَمُرَ ليموت كل رجل منا في ظل شجرة ، فبينما نحن بآخر رمق إذا راكب يُوضع على بعير ، فلما رآه بعضنا قال والراكب يسمع :

وَمَا رَأَتْ أَنَّ الشَّرِيعَةَ كَهْطُهَا وَأَنَّ الْبَيَاضَ مِنْ فَرَائِصِهَا دَائِمٍ ^(١)

تَيَمَّمَتِ الْعَيْنُ الَّتِي عِنْدَ ضَارِجٍ يُفْنِيْ عَنْهَا الظِّلَّ عَرْمَضُهَا طَائِمٍ ^(٢)

فقال الراكب : ومن يقول هذا الشعر ؟ وقد رأى ما بنا من الجهد قال : قلنا : امرؤ القيس بن حُجْر . قال والله ما كَذَبَ ، هذا ضارجٌ عندهم . فنظرنا فإذا بيننا وبين الماء نحو من خمسين ذراعا ، فحبوْنَا إليه على الرُّكَبِ ، فإذا هو كما قال امرؤ القيس عليه العَرْمَضُ يُفْنِيْ عَنْهَا الظِّلَّ . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ذاك رجل مذكور في الدنيا منسى في الآخرة ، شريف في الدنيا خامل في الآخرة ، بيده لواء الشعراء يقودهم إلى النار » ^(٣) .

وذكر الكلابي : أن امرأ القيس أقبل براياته يريد قتال بني أسد حين قتلوا أباه ، فمُرَّ بقبالة وبها ذو الخلصة ، وهو صنم ، وكانت العرب تستقسم عنده ، فاستقسم

(١) الشريعة : مشرعة الماء . والفرائص : جمع فريصة . وهما فريستان ترتعدان عند الخوف .

(٢) ضارج : موضع ببلاد عيس . والعرمض : الطحلب . يريد أن الحمر لما أرادت شريعة الماء خافت على أنفسها من الرماة وأن تدمى فرائصها من سهامهم عدلت إلى ضارج لعدم الرماة على العين التي فيه ، انظر اللسان ١٣٩/٣

(٣) وردت هذه القصة في الشعر والشعراء ١/٥٨ ، ٥٩ ، ٧٤ ، ٧٥ . وهي كذلك في اللسان وعيون الأخبار ١/١٤٣ . ١٤٤ ، والأغانى ٧/٢٣٣

نُفِرجَ القِدْحُ الناهي ، ثم الثانية ، ثم الثالثة كذلك ، فكسر القِدْحَ وضرب بها وجه ذى الخلصة وقال : عَضَضْتُ بِأَيْرِ أَبِيكَ ، لو كان أبوك المقتول لما عَوَّ قَتْنِي ! ثم أغار على بنى أسد فقتلهم قتلاً ذريعاً .

قال ابن الكلابي : فلم يُسْتَقَسَمَ عند ذى الخلصة حتى جاء الإسلام .
وذكر بعضهم أنه امتدح قيصرَ ملك الروم يستنجد به في بعض الحروب ويسترفذه ، فلم يجد ما يؤمِّله عنده فهجاه بعد ذلك ، فيقال إنه سقاه سمًا فقتله ، فألجأ الموت إلى جنبه قبر امرأة عند جبل يقال له عسيب فكتب هنالك .

أَجَارَتَنَا إِنْ الْكَزَّارَ قَرِيبُ وَإِنِّي مَقِيمٌ مَا أَقَامَ عَسِيبُ
أَجَارَتَنَا إِنْنا غَرِيانَ هَهْنَا وَكُلُّ غَرِيبٍ لِلْغَرِيبِ نَسِيبُ
وذكروا أن المعلقات السبع كانت معلقة بالكعبة ، وذلك أن العرب كانوا إذا عمل أحدهم قصيدة عرضها على قريش ، فإن أجازوها علقوها على الكعبة تعظيمًا لشأنها ، فاجتمع من ذلك هذه المعلقات السبع .

فالأولى لامرئ القيس بن حُجْر الكندي كما تقدم ، وأولها :
قِفَانَبِكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ بِسِقْطِ اللَّوِيِّ بَيْنَ الدَّخُولِ فُجُومِلِ
والثانية للناطقة الذيباني ، واسمه زياد بن معاوية ، ويقال زياد بن عمرو بن معاوية ابن ضباب بن جابر بن يربوع بن غيظ بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض وأولها :

يَادَارَ مَيَّةَ بِالْعَلْيَاءِ فَالْسَّنْدِ أَقْوَتْ وَطَالَ عَلَيْهَا سَالِفُ الْأَمْدِ
والثالثة لزهير بن أبي سُلمى ربيعة بن رياح المزني وأولها :
أَمِنْ أُمَّ أَوْفَى دِمْنَةً لَمْ تَكَلِّمْ بِحَوْمَانَةَ الدَّرَاجِ فَالْمَثَلَمِ

والرابعة لطرَفة بن العبد بن سفيان بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة
ابن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل وأولها :

نَحْوَلَةُ أَطْلَالٍ بِبُرْزَةِ مَهْمَدٍ تَلُوحُ كَبَاقِي الْوَشْمِ فِي ظَاهِرِ الْيَدِ

والخامسة لعنترة بن شداد بن معاوية بن قُراد بن مخزوم بن ربيعة بن مالك بن غالب
ابن قُطيعة ابن عَبْس العبسي وأولها :

هَلْ غَادِرَ الشَّعْرَاءِ مِنْ مُتَرَدِّمٍ أَمْ هَلْ عَرَفَتِ الدَّارَ بَعْدَ تَوْهَمٍ

والسادسة لمعلقة بن عبدة بن النعمان بن قيس أحد بني تميم وأولها :

طَحَا بِكَ قَابُ فِي الْحَسَانِ طُرُوبُ بُعَيْدِ الشَّبَابِ عَصْرَ حَانَ مَشِيبُ

والسابعة - ومنهم من لا يثبتها في المعلقات ، وهو قول الأصمعي وغيره - وهي للبيد
ابن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن
بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر وأولها :

عَفَتِ الدِّيَارَ حَاجَّهَا مَقَامُهَا بَمَنَى تَابَدَ غُؤُهَا فَرَجَائُهَا

فأما القصيدة التي لا يُعرف قائلها ، فيما ذكره أبو عبدة والأصمعي والمبرد وغيرهم ،

فهي قوله :

هَلْ بِالطَّلُولِ لِسَائِلٍ رَدُّ أَمْ هَلْ لَهَا بِتَكْلُمٍ عَهْدُ

وهي مطولة ، وفيها معان حسنة كثيرة .

ذكر شيء من أخبار أمية بن أبي الصلت الثقفي ، كان من شعراء الجاهلية
وقد أدرك زمن الإسلام

قال الحافظ ابن عساكر : هو أمية بن أبي الصلت ، عبد الله بن أبي ربيعة بن عوف
ابن عقدة بن عزة بن عوف بن ثقيف بن منبه بن بكر بن هوازن ، أبو عثمان ، ويقال
أبو الحكم الثقفي .

شاعر جاهلي قدم دمشق قبل الإسلام ، وقيل إنه كان مستقياً^(١) ، وإنه كان في أول
أمره على الإيمان ، ثم زاع عنه ، وإنه هو انذى أراد الله تعالى بقوله « وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ
الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ » .

قال الزُّبَيْر بن بَكَّار : فولدت رقية بنت عبد شمس بن عبد مناف أمية الشاعر ، ابن
أبي الصلت ، واسم أبي الصلت ربيعة بن وهب بن علاج بن أبي سلمة بن ثقيف .

وقال غيره : كان أبوه من الشعراء المشهورين بالطائف ، وكان أمية أشعرهم .

وقال عبد الرزاق : قال الثوري : أخبرني حبيب بن أبي ثابت أن عبد الله بن عمرو
قال في قوله تعالى « وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ
فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ » هو أمية بن أبي الصلت .

وكذا رواه أبو بكر بن مردويه ، عن أبي بكر الشافعي ، عن معاذ بن المثني ، عن
مسدد ، عن أبي عوانة ، عن عبد الملك بن عمير ، عن نافع بن عاصم بن مسعود قال :
إني لفي حلقة فيها عبد الله بن عمرو فقرأ رجل من القوم الآية التي في الأعراف « وَأَتْلُ
عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا » فقال : هل تدرون من هو ؟ فقال بعضهم :

(١) الذي في ابن عساكر ، وقيل إنه كان نبياً .

هو صيفي بن الراهب . وقال آخر : بل هو بلم رجل من بني إسرائيل . فقال : لا قال فمن ؟ قال هو أمية بن أبي الصلت .

وهكذا قال أبو صالح والكلبي وحكاه قتادة عن بعضهم .

وقال الطبراني : حدثنا علي بن عبد العزيز ، حدثنا عبد الله بن شبيب الربعي ، حدثنا محمد بن مسلمة بن هشام الحزمي ، حدثنا إسماعيل ابن الطريح بن إسماعيل الثقفي ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن مروان بن الحكم ، عن معاوية بن أبي سفيان ، عن أبيه ، قال :

خرجت أنا وأمие بن أبي الصلت الثقفي تجاراً إلى الشام ، فكلما نزلنا منزلاً أخذ أمية سيفراً له يقرؤه علينا ، فكنا كذلك حتى نزلنا قرية من قرى النصارى فجاءوه وأكرموه وأهدوا له وذهب معهم إلى بيوتهم .

ثم رجع في وسط النهار فطرح ثوبيه وأخذ ثوبين له أسودين فابسهما ، وقال لي : هل لك يا أبا سفيان في عالم من علماء النصارى إليه يتناهى علم الكتاب تسأله ؟ قلت : لا إرب لي فيه ، والله لئن حدثني بما أحب لا أثق به ، ولئن حدثني بما أكره لأجِدَنَّ منه .

قال : فذهب وخالفه شيخ من النصارى فدخل علىّ ، فقال : ما يمنعك أن تذهب إلى هذا الشيخ ؟ قلت : لست على دينه . قال : وإنّ ، فإنك تسمع منه عجباً وتراه . ثم قال لي : أثقني أنت ؟ قلت : لا ولكن قرشي . قال : فما يمنعك من الشيخ ، فوالله إنه ليحبكم ويوصي بكم .

قال فخرج من عندنا ، ومكث أمية عندهم حتى جاءنا بعد هدأة من الليل ، فطرح ثوبيه ثم انجدل على فراشه ، فوالله ما نام ولا قام .

حتى أصبح كثيراً حزينا ساقطاً غُبوقه على صَبُوحه ، ما يكلمنا ولا نكلمه .
ثم قال : ألا ترحلُ ؟ قلت : وهل بك من رحيل ؟ قال نعم .
فرحلنا فسرنا بذلك ليلتين ، ثم قال في الليلة الثالثة : ألا تحدث يا أبا سفيان ؟ قلت
وهل بك من حديث ؟ والله ما رأيت مثلاً الذي رجعت به من عند صاحبك .
قال : أما إن ذلك شيء لست فيه ، إنما ذلك شيء وَجِلْتُ منه مِنْ مُنْقَلَبِي .
قلت : وهل لك من مُنْقَلَب ؟
قال : إى والله ، لأموتن ثم لأَحْيَيْنَ .
قال : قلت : هل أنت قابلٌ أُمَانِي ^(١) ؟
قال : على ماذا ؟ قلت : على أنك لا تُبْعَث ولا تحاسب .
قال : فضحك ثم قال : بلى والله يا أبا سفيان ، لُنْبَعَثن ثم لُنْحَاسِبَن ولیدخلن فريقٌ
الجنة وفريقٌ النار .
قلت : ففي أيهما أنت أَخْبَرَك صاحبك ؟
قال لا علم لصاحبى بذلك ، لا فى ولا فى نفسه .
قال : فكنا فى ذلك ليلتين ، يَعْجَب منى وأضحك منه ، حتى قدمنا غوطة دمشق ،
فبعنا متاعنا وأقمنا بها شهرين .
فارتحلنا حتى نزلنا قريةً من قُرَى النصارى ، فلما رأوه جاءوه وأهدوا له وذهب معهم
إلى بيعتهم ، فما جاء إلا بعد منتصف النهار ، فلبس ثوبيه وذهب إليهم ، حتى جاء بعد
هَذَا من الليل ، فطرح ثوبيه ورمى بنفسه على فراشه ، فوالله ما نام ولا قام .
وأصبح حزينا كثيراً لا يكلمنا ولا نكلمه ، ثم قال : ألا ترحل ؟ قلت : بلى
إن شئت .

(١) المطبوعة : أمانى ، وهو خطأ .

فرحلنا كذلك مِنْ بَنِّهِ وَحُزْنِهِ لِيَالِي ، ثُمَّ قَالَ لِي : يَا أَبَا سَفِيانَ ، هَلْ لَكَ فِي الْمَسِيرِ
لِنَتَقَدَّمَ أَصْحَابَنَا ؟ قُلْتُ : هَلْ لَكَ فِيهِ ؟ قَالَ نَعَمْ .

فسرنا حتى برزنا من أَصْحَابِنَا سَاعَةً ، ثُمَّ قَالَ : هَيَّا صَخْرٌ . فَقُلْتُ : مَا تَشَاءُ ؟
قَالَ حَدَّثَنِي عَنْ عُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ ، أَيْحْتَنِبُ الْمَظَالِمَ وَالْمَحَارِمَ ؟
قُلْتُ : إِي وَاللَّهِ .

قَالَ : وَيَصِلُ الرَّحِمَ وَيَأْمُرُ بِصَلَاتِهَا ؟
قُلْتُ : إِي وَاللَّهِ .

قَالَ : وَكَرِيمِ الطَّرْفَيْنِ وَسَطِّ فِي الْعَشِيرَةِ ؟
قُلْتُ : نَعَمْ .

قَالَ : فَهَلْ تَعْلَمُ قُرْشِيًّا أَشْرَفَ مِنْهُ ؟
قُلْتُ : لَا وَاللَّهِ ، لَا أَعْلَمُ .

قَالَ : أُمُحْوِجٌ هُوَ ؟

قُلْتُ : لَا بَلْ هُوَ ذُو مَالٍ كَثِيرٍ .

قَالَ : وَكَمْ أَتَى عَلَيْهِ مِنَ السَّنِ ؟

فَقُلْتُ : قَدْ زَادَ عَلَى الْمِائَةِ .

قَالَ : فَالشَّرَفُ وَالسَّنُّ وَالْمَالُ أَزْرَيْنِ ^(١) بِهِ .

قُلْتُ : وَلَمْ ذَاكَ يُزْرَى بِهِ ، لَا وَاللَّهِ بَلْ يَزِيدُهُ خَيْرًا .

قَالَ : هُوَ ذَاكَ ، هَلْ لَكَ فِي الْمَبِيتِ ؟ قُلْتُ : لِي فِيهِ .

قَالَ فَاضْطَجَعْنَا حَتَّى مَرَّ النُّقْلُ . قَالَ : فَسَرْنَا حَتَّى نَزَلْنَا فِي الْمَنْزِلِ وَبَتْنَا بِهِ ، ثُمَّ

ارْتَحْنَا مِنْهُ .

(١) فِي الْأَكْثَفِ لِلْكَلَامِ ، وَالْوَفَا لِبَنِ الْجَوْزِيِّ ، وَدَلَائِلُ النُّبُوَّةِ : فَالشَّرَفُ وَالسَّنُّ أَزْرِيَا بِهِ .

فلما كان الليل قال لى : يا أبا سفيان . قلت : ما تشاء ؟ قال هل لك فى مثل البارحة .

قلت : هل لك فيه ؟ قال : نعم .

فسيرنا على ناقتين بَحْتِيَّتَيْنِ ، حتى إذا برزنا قال : هَيَّا صخر ، هيه عن
عُتْبَةَ بن ربيعة .

قال قلت : هيهما فيه .

قال : أيجنب الحارمَ والمظالمَ ويَصِلُ الرحمَ ويأمر بصلتها ؟ قلت : إى والله
إنه ليفعل .

قال وذو مال ؟ قلت : وذو مال .

قال : أتعلم قُرْشِيًّا أَسْوَدَ منه ؟ قلت : لا والله ما أعلم .

قال : كم أتى له من السن ؟ قلت قد زاد على المائة .

قال : فإن السن والشرف والمال أُرْزَبُنْ به .

قلت : كلا والله ما أزرى به ذلك ، وأنت قائلٌ شيئاً ففعله . قال : لا ، تدكِّرُ حديثى
يأتى منه ما هو آتٍ .

ثم قال : فإن الذى رأيتَ أصابنى أنى جئتَ هذا العالمَ فسألته عن أشياء ، ثم قلت
أخبرنى عن هذا النبى الذى يُنْتَظَرُ .

قال : هو رجل من العرب .

قلت : قد علمتُ أنه من العرب ، فمن أىّ العرب هو ؟

قال : من أهل بيتٍ تَحْجُّهُ العرب .

قلت وفينا بيتٌ تحجه العرب .

قال : هو من إخوانكم من قريش . فأصابنى والله شىء ما أصابنى

مثله قط ، وخرج من يدى فوزُ الدنيا والآخرة ، وكنت أرجو أن أكون إياه .
قلت : فإذا كان ما كان فصِفْهُ لى .

قال : رجل شابُّ حين دخل فى الكهولة ، بدَّءَ أمره [أنه] يحتب المظالم والمَحَارِم ،
ويصل الرحم ويأمر بصلتها ، وهو مُحْوَج كريمُ الطَّرَفَيْنِ متوسطٌ فى العشيرة ، أكثرُ
جنده من الملائكة .

قات : وما آية ذلك ؟ قال : قد رَجَفَتِ الشام منذ هلك عيسى بن مريم عليه السلام
ثمانين رَجْفَةً ، كلها فيها مصيبة ، وبقيت رَجْفَةٌ عامة فيها مصائب .
قال أبو سفيان : فقلت هذا والله الباطل ، لئن بَعَثَ الله رسولا لا يأخذه
إلا مُسِنَّأً شريفاً .

قال أمية : والذى حلفت به إن هذا لهكذا يا أبا سفيان ، يقول إن قول النصرانى
حق . هل لك فى المبيت ؟ قلت : نعم لى فيه .

قال فِينَنَا حتى جاءنا الثقل ، ثم خرجنا حتى إذا كان بيننا وبين مكة مرحلتان
[أو] ليلتان أدركنا راكب منْ خَلَفْنَا ، فسألناه فإذا هو يقول أصابت أهل الشام
بعدكم رَجْفَةٌ دَمَّرَتْ أهلها وأصابتهم فيها مصائب عظيمة .

قال أبو سفيان : فأقبل على أمية فقال : كيف ترى قول النصرانى يا أبا سفيان ؟ قلت
أرى وأظن والله أن ماحدثك به صاحبك حق .

قال أبو سفيان : فقدمننا مكة ، فقضيت ما كان معى ، ثم انطلقت حتى جئت اليمى
تاجراً فكننت بها خمسة أشهر ، ثم قدمت مكة .

فينا أنا فى منزلى جاءنى الناس يسألون علىَّ ويسألون عن بضائعهم ، حتى جاءنى
محمد بن عبد الله وهندٌ عندى تلاعب صبيانها ، فسَلَّم علىَّ ورحَّب بى ، وسألنى عن
سَقَرى ومُقَامى ولم يسألنى عن بضاعته ، ثم قام . فقلت لهند : والله إن هذا ليعجبنى ،

ما من من أحد من قريش له معى بضاعة إلا وقد سألنى عنها ، وما سألنى هذا عن بضاعته .

فقلت لى هند : أو ما علمت شأنه .

فقلت وأنا فزع : ما شأنه ؟

قالت يزعم أنه رسول الله .

فوقدنتى ، وتذكرت قول النصرانى ، فرجفت حتى قالت لى هند : مالك ؟ فانتبهت فقلت : إن هذا هو الباطل ، لهو أعقل من أن يقول هذا . قالت : بلى والله إنه ليقول ذلك ويدعو إليه ، وإن له لصحابة على دينه . قلت : هذا هو الباطل .

قال : وخرجت ، فبينما أنا أطوف بالبيت إذ بى قد لقيته ، فقلت له : إن بضاعتك قد بلغت كذا وكذا وكان فيها خير ، فأرسل من يأخذها ولست آخذ منك فيها ما آخذ من قومى . فأبى على وقال : إذن لا آخذها . قلت : فأرسل فخذها وأنا آخذ منك مثل ما آخذ من قومى . فأرسل إلى بضاعته فأخذها وأخذت منه ما كنت آخذ من غيره .

قال أبو سفيان : فلم أنشب أن خرجت إلى اليمن . ثم قدمت الطائف فزلت على أمية بن أبى الصلت ، فقال لى : يا أبا سفيان . [قلت] : ما تشاء [قال] : هل تذكر قول النصرانى ؟ فقلت أذكره وقد كان . فقال : ومن ؟

قلت : محمد بن عبد الله . قال : ابن عبد المطلب ؟ قلت : ابن عبد المطلب . ثم قصصت عليه خبر هند .

قال : فالله يعلم . وأخذ يتصبب عرقاً .

ثم قال : والله يا أبا سفيان لعلة ، إنَّ صفته لهى ، ولئن ظهَر وأنا حى للأطابن من الله عز وجل فى نصره عُدرا .

قال : ومضيت إلى اليمى فلم أنشب أن جاءنى هنالك استهلاؤه ، وأقبلت حتى نزلت على أمية بن أبى الصات بالطائف فقلت : يا أبا عثمان قد كان مِن أمر الرجل ما قد بَلَغك وسمَّته .

فقال : قد كان لعمرى .

قلت : فأين أنت منه يا أبا عثمان ؟

فقال : والله ما كنت لأومن برسول من غير ثَقِيف أبدا !

قال أبو سفيان : وأقبلت إلى مكة ، فوالله ماأنا ببعيد حتى جئت مكة فوجدت أصحابه يُضربون ويُحرقون .

قال أبو سفيان : فجعلت أقول : فأين جنده من الملائكة ؟ فدخلانى ما يدخل الناس من النفاسة .

وقد رواه الحافظ البيهقى فى كتاب « الدلائل » من حديث إسماعيل بن طريح به ، ولكن سياق الطبرانى الذى أوردناه أتم وأطول . والله أعلم .

وقال الطبرانى : حدثنا بكر بن أحمد بن نُفيل ، حدثنا عبد الله بن شبيب ، حدثنا يعقوب بن محمد الزُّهرى ، حدثنا مُجاشع بن عمرو الأسدى ، حدثنا ليث بن سعد ، عن أبى الأسود محمد بن عبد الرحمن ، عن عروة بن الزبير ، عن معاوية بن أبى سفيان ، عن أبى سفيان بن حرب ، أن أمية بن أبى الصلت كان بغزة أو بإيلياء ، فلما قفنا قال لى أمية : يا أبا سفيان هل لك أن تتقدم على الرُّقعة فتحدث ؟ قلت : نعم . قال : ففعلنا .

فقال لى : يا أبا سفيان إيه عن عُتْبَةَ بن ربيعة ؟ قلت : كريم الطرفين . [قال] : ويحْتَنِبُ
الحارمَ والمَظالمَ ؟ قلت : نعم .

قال : وشريف مُسِنٍ ؟ قلت : وشريف مسن .

قال : الشرف والسن أَرْزِيَا به .

فقلت له : كذبت ، ما ازداد سنًّا إلا ازداد شرفا .

قال : يا أبا سفيان إنها كلمة ما سمعت أحداً يقولها لى منذ تَبَصَّرْتُ ، فلا تَعَجَّلْ عَلَى
حتى أخبرك . قال قلت : هات .

قال : إني كنت أجد فى كتيبى نبيًّا يُبْعَثُ من حَرَّتِنَا هذه ، فكنت أظن بل كنت
لا أشك أنى أنا هو ، فلما دارستُ أهلَ العلم إذا هو من بنى عبد مناف ، فنظرت فى بنى
عبد مناف فلم أجد أحدا يصلح لهذا الأمر غير عُتْبَةَ بن ربيعة ، فلما أَخْبَرْتَنى بسنه عرفت
أنه ليس به ، حين جاوز الأربعين ولم يُوحَ إليه .

قال أبو سفيان : فضرب الدهرُ ضَرْبَهُ ، فأوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وخرجتُ فى ركبٍ من قریش أريد اليمن فى تجارة ، فمرت بأمية فقلت له كالمستهزئِ
به : يا أمية قد خرج النبیُّ الذى كنت تنعت .

قال : أما إنه حقُّ فاتَّبِعْهُ .

قلت : ما يمنعك من اتباعه ؟

قال : ما يمنعنى إلا الاستحياء من نساء قَئِيف ، إني كنت أحدثهن أنى هو ، ثم
يَرَيْنَنى تابعا لفلان من بنى عبد مناف !!

ثم قال أمية : كأننى بك يا أبا سفيان قد خالفتَه ثم قد رُبِطْتُ كما يُرَبَطُ الجدى حتى
يُؤْتَى بك إليه فيَحْكُمُ فيك بما يريد .

وقال عبد الرزاق : أخبرنا مَعْمَر ، عن الكلبي ، قال : بينا أمية راقدة ومعه ابنتان له إذ فرغت إحداها فصاحت عليه ، فقال لها : ما شأنك ؟ قالت رأيت نسرين كشطاً سقف البيت فنزل أحدهما إليك فشَقَّ بطنك ، والآخر واقف على ظهر البيت ، فناداه فقال : أَوْعَى ؟ قال : نعم . قال : أَرَاكَ ؟ قال : لا .
فقال : ذاك خير أريد بأبيكما فلم يفعله .

وقد روى من وجه آخر بسياق آخر ، فقال إسحاق بن بشر ، عن محمد بن إسحاق : عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، وعثمان بن عبد الرحمن ، عن الزهري ، عن سعيد ابن المسيب ، قال : قدمت الفارعة أخت أمية بن أبي الصلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد فتح مكة^(١) ، وكانت ذات لبٍّ وعقل وجمال ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بها مُعْجَبًا . فقال لها ذات يوم : يا فارعة ، هل تحفظين من شعر أخيك شيئاً ؟ فقالت : نعم ، وأعجب من ذلك ما قد رأيت .

قالت : كان أخى فى سفر ، فلما انصرف بدأنى فدخل علىَّ فرقد على سريري وأنا أخلق أديماً فى يدي ، إذ أقبل طائران أبيضان أو كالطيرين أبيضين ، فوقع على الكوة أحدهما ودخل الآخر فوقع عليه ، فشق الواقعُ عليه ما بين قصَّه^(٢) إلى عاتقه ثم أدخل يده فى جوفه فأخرج قابله فوضعه فى كفه ثم شمه ، فقال له الطائر الآخر : أَوْعَى ؟ قال : وَعَى . قال : أَرَاكَ ؟ قال : أبى . ثم رَدَّ القلب إلى مكانه فالتأم الجرح أسرع من طرفه عين . ثم ذهب .

فلما رأيت ذلك دنوت منه فحركته ، فقلت هل تجد شيئاً ؟ قال : لا إلا توهيناً فى جسدى . وقد كنت ارتعبت مما رأيت ، فقال : مالى أرائك مرتاعة ؟ قالت : فأخبرته

(١) الأرجح أنه بعد فتح الطائف ، كفى أسد الغابة والإصابة والاستيعاب . لأن أمية كان يقيم بالطائف .

(٢) القص : الصدر

الخبر . فقال : خير أريد بي ثم صُرف عني . ثم أنشأ يقول :

باتت هموى تسرى طوارقها أكف عيني والدمع سابقها
 مما أتاني من اليقين ولم أوتَ بَرَاةً يَقْصُ ناطقها
 أَمِنْ تَلَطَّى عليه واقدة ار محيط بهم سرادقها
 أم أسكن الجنة التي وعد أبرار مصفوفة تمارقها
 لا يستوى المنزلان ثم ولا أعمال لا تستوى طرائقها
 هما فريقان فرقة تدخل الجنة حقت بهم حداقها
 وفرقة منهم قد أدخلت النار فساءتهم مرافقها
 تعاهدت هذه القلوب إذا همت بخير عاقت عوائقها
 وصدها للشقاء عن طلب جنة دُنْيَا الله ماحقها
 عبد دعا نفسه فعاتبها يعلم أن البصير رامقها
 ما رغب النفس في الحياة ؟ وإن تحيا قليلا فالموت لاحقها
 يوشك من قر من مديته يوما على غيرة يوافقها
 إن لم تمت غبطة تمت هراما للموت كأس والمرء ذائقها

قال : ثم انصرف إلى رحله ، فلم يلبث إلا يسيراً حتى طعن في جنازته ^(١) ، فأتاني الخبر فانصرفت إليه فوجدته منعوشاً قد سُجِّي عليه ، فدنوت منه فشقق شهقة وشق بصره ونظر نحو السقف ورفع صوته وقال : لبيكاً لبيكاً ، ها أنا ذا لديكاً ، لا ذو مال فيفديني ولا ذو أهل فتحميني .

ثم أغمى عليه إذ شقق شهقة ، فقلت قد هلك الرجل .

(١) كذا في تاريخ ابن عساكر ١٢٥/٣ . وكان الأصل : طعن في حيارته . وهو تحريف .

فشق بصره نحو السقف فرفع صوته . فقال : لييكما لييكما ها أنا ذا لديكما ،
لا ذو براءة فأعتذر ، ولا ذو عشيرة فأنتصر .

ثم أغمى عليه إذ شهِق شُهقة وشق بصره ونظر نحو السقف فقال : لييكما لييكما ،
ها أنا ذا لديكما ، بالنعم محفود وبالذنب محصود .

ثم أغمى عليه إذ شهِق شُهقة فقال : لييكما لييكما ها أنا ذا لديكما .
إِنْ تَغْفِرِ اللَّهُمَّ تَغْفِرِ جَمًّا وَأَيُّ عَبْدٍ لَكَ لَا أُلْمَا
ثم أغمى عليه إذ شهِق شُهقة فقال :

كُلُّ عَيْشٍ وَإِنْ تَطَاوَلَ دَهْرًا صَائِرُ مَرَّةٍ إِلَى أَنْ يَزُولَا
لَيْتَنِي كُنْتُ قَبْلَ مَا قَدْ بَدَأَ لِي فِي قَلَالِ الْجِبَالِ أُرْعَى الْوُعُولَا
قالت : ثم مات . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا فارعة إن مثل أخيك
كمثل الذي آتاه الله آياته فانسُخ منها » الآية .

وقد تكلم الخطابي على غريب هذا الحديث .

وروى الحافظ ابن عساكر عن الزُّهْرِي أنه قال : قال أمية بن أبي
الصلت :

أَلَا رَسُولٌ لَنَا مِنَّا يُخَبِّرُنَا مَا بُعْدُ غَايَتِنَا مِنْ رَأْسِ مَجْرَانَا

قال : ثم خرج أمية بن أبي الصلت إلى البحرين ، وتنبأ رسولُ الله صلى الله عليه
وسلم ، وأقام أمية بالبحرين ثمانين سنين ، ثم قدم الطائف فقال لهم : ما يقول محمد بن عبد الله ؟
قالوا : يزعم أنه نبي ، هو الذي كنت تتمنى .

قال : فخرج حتى قدم عليه مكة فلقبه ، فقال : يا ابن عبد المطلب ماهذا الذي
تقول ؟ قال : أقول إني رسول الله وأن لا إله إلا هو . قال : إني أريد أن أكلّمك

فَعِدْنِي غَدًا . قال فمُوعِدُكَ غدا . قال فتحب أن آتيك وحدى أو فى جماعة من أصحابى ، وتأتينى وحدك أو فى جماعة من أصحابك ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أى ذلك شئت . قال : فى آتيك فى جماعة ، فأنت فى جماعة .

قال : فلما كان الغد غَدَا أُمِيَّةُ فى جماعة من قريش . قال : وغَدَا رسول الله صلى الله عليه وسلم معه نفر من أصحابه ؛ حتى جلسوا فى ظل الكعبة . قال : فبدأ أُمِيَّةُ نغطب ثم سجع ثم أنشد الشعر ، حتى إذا فرغ الشعر قال : أَجِبْنِي يَا ابْنَ عَبْدِالمطلب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (بسم الله الرحمن الرحيم . يَس والقرآن الحكيم) حتى إذا فرغ منها وثبَ أُمِيَّةُ يجرُّ رجله . قال : فتبعته قريش يقولون : ما تقول يا أُمِيَّة ؟ قال : أشهد أنه على الحق . فقالوا : هل تتبعه ؟ قال : حتى أنظر فى أمره .

قال : ثم خرج أُمِيَّةُ إلى الشام وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فلما قُتِلَ أهلُ بدر قَدِمَ أُمِيَّةُ من الشام حتى نزل بدرًا ، ثم ترحل يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال قائل : يا أبا الصلّت ما تريد ؟ قال : أريد محمدا . قال : وما تصنع ؟ قال : أومن به وألقى إليه مقاليدَ هذا الأمر . قال : أنتدرى مَنْ فى القليب ؟ قال : لا . قال : فيه عُتْبَةُ بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ، وهما ابنا خالك - وأمه ربيعة بنت عبد شمس - قال : فجَدَعَ أُذُنِي ناقته وقطع ذَنبها ، ثم وقف على القليب يقول :

ما ذا بِيَسْدِرٍ فَالْعَقَنُ قَلٍ مِنْ مَرَاذِيَةِ جَحَاحِحٍ

القصيدة إلى آخرها ، كما سيأتى ذكرها بتمامها فى قصة بدر إن شاء الله .

ثم رجع إلى مكة والطائف وترك الإسلام .

ثم ذكر قصة الطيرين وقصة وفاته كما تقدم ، وأنشد شعره عند الوفاة :

كلُّ عيشٍ وإنْ تَطَاوَلَ دَهْرًا صائرٌ مَرَّةً إلى أن يَزُولَا
ليتنى كنتُ قبلَ مَاقَدِّ بَدَا إلى فى قِلَالِ الجبالِ أَرْعى الوعولَا

فاجعل الموت نصبَ عينيك واحذر غَوْلَةَ الدهر إن للدهر غُولا
نائلاً ظُفَرها القساورَ والصد عان والطفلَ في المنار الشَّكِيلا
وبغاثَ النِياف واليَعْفَر النّا فرَ والعَوْهَج البرام الضئيلا

فقوله : القساور جمع قَسَوْرَة وهو الأسد . والصدعان : ثيران الوحش واحدها صدع .
والطفل الشَّكِيل : من الشَّكْلَة وهى حمرة فى العين^(١) ، والبغاث : الرَّخَم . والنِياف :
الجبال : واليَعْفَر : الظُّبى . والعَوْهَج : ولد النعامة .

يعنى أن الموت لا ينجو منه الوحوش فى البرارى ولا الرَّخَم الساكنة فى رؤوس
الجبال ، ولا يترك صغيرا لصِغره ولا كبيرا لكبره . وقد تكلم الخطابى وغيره على
غريب هذه الأحاديث .

وقد ذكر السهيلي فى كتابه « التعريف والإعلام » أن أمية بن أبى الصلت أول من
قال « باسمك اللهم » وذكر عند ذلك قصة غريبة .

وهو أنهم خرجوا فى جماعة من قرىش فى سفر ، فيهم حرب بن أمية والد أبى سفيان .
قال : فروا فى مسيرهم بحية فقتلوها ، فلما أمسوا جاءتهم امرأة من الجان فعاتبتهم فى قتل
تلك الحية ، ومعها قضيب فضربت به الأرض ضربة نفرت الإبلَ عن آخرها ، فذهبت
وشردت كل مذهب ، وقاموا فلم يزلوا فى طلبها حتى ردوها ، فلما اجتمعوا جاءتهم أيضا
فضربت الأرض بقضيبها فنفرت الإبل فذهبوا فى طلبها ، فلما أعياهم ذلك قالوا : والله
هل عندك لما نحن فيه من مَحْرَج ؟ فقال : لا والله ، ولكن سأنظر فى ذلك . قال :
فساروا فى تلك الحلة لعالمهم يجدون أحدا يسألونه عما قد حل بهم من العناء ، إذا نار تلوح
على بُعد ، فجاءوها فإذا شيخ على باب خيمة يوقد نارا ، وإذا هو من الجان فى غاية
الضآلة والدماة ، فسلموا عليه فسألهم عما هم فيه ، فقال : إذا جاءتكم فقل باسمك اللهم .
فإنها تهرب ، فلما اجتمعوا وجاءتهم الثالثة أو الرابعة قال فى وجهها أمية : باسمك اللهم

(١) الأصل : والطفل الشَّكِيل من حمرة العين . وما أثبتته من ابن عساكر .

فشردت ولم يَقَرَّ لها قرار ، لكن عَدَتْ الجنُّ على حَرْبِ بن أمية فقتلوه بتلك الحية ،
فقبره أصحابه هنالك حيث لا جار ولا دار ، ففي ذلك يقول الجان :

وقبرُ حَرْبٍ بمكانٍ قَقَرٍ وليس قُرْبُ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرُ

وذكر بعضهم : أنه كان يتفرَّس في بعض الأحيان في لغات الحيوانات ، فكان
يمرُّ في السَفَر على الطير فيقول لأصحابه : إن هذا يقول كذا وكذا . فيقولون لا نعلم
صدقَ مايقول . حتى مروا على قطيع غنم قد انقطعت منه شاة ومعه ولدها ، فالتفتت
إليه فَفَتَّتْ كأنها تستحثه . فقال : أتندرون ما تقول له ؟ قالوا : لا . قال : إنها تقول :
أسرع بنا لا يجرىء الذئب فياً كلك ، كما أكل الذئب أخاك عام أول . فأسرعوا حتى
سألوا الراعى : هل أكل له الذئب عام أولَ حَمَلاً بتلك البقعة ؟ فقال : نعم . قال : ومرَّ
يوماً على بعير عليه امرأة راكبة وهو يرفع رأسه إليها ويرغو ، فقال : إنه يقول لها :
إنك رَحَلْتِنِي وفي الحِدَاجَةِ^(١) نَحِيْط . فأنزلوا تلك المرأة وحلَّوْا ذلك الرَّحْلَ فإذا فيه
نَحِيْط كما قال .

وذكر ابن السُّكَيْت : أن أمية بن أبي الصلت بينما هو يشرب يوماً إذ نَعَبَ غراب ،
فقال : له بفيك التراب مرتين .

فقيل له : مايقول ؟ فقال إنه يقول : إنك تشرب هذا الكأس الذي في يدك ثم تموت .
ثم نعب الغراب فقال : إنه يقول : وآية ذلك أني أنزل على هذه المزبلة فأكل
منها فيعلق عظم في حلقى فأموت . ثم نزل الغراب على تلك المزبلة فأكل شيئاً فعلق
في حلقه عَظْمَ فَمَات .

فقال أمية : أمّا هذا فقد صدق في نفسه ، ولكن سأنظر هل صدق في أم لا . ثم
شرب ذلك الكأس الذي في يده ثم اتكأ فمات .

(١) الحداجة : مركب للنساء كالخفّة .

وقد ثبت في الصحيح من حديث ابن مهدي ، عن الثوري ، عن عبد الملك بن عمير ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد :

* ألا كلُّ شيءٍ ما خلا الله باطلٌ *

وكاد أُمية بن أبي الصلت أن يُسلم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا رَوْح ، حدثنا زكرياء بن إسحاق ، حدثنا إبراهيم ابن ميسرة ، أنه سمع عمرو بن الشريد يقول : قال الشريد : كنت رِدْفًا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي : « أَمَعَكَ من شعر أُمية بن أبي الصلت شيء ؟ » قلت نعم قال : فَأَنشِدْنِي . فَأَنشَدْتُهُ يَتًّا ، فلم يزل يقول لي كلما أَنشَدْتُهُ يَتًّا : إِيْهِ . حتى أَنشَدْتُهُ مائة بيت . قال : ثم سكت النبي صلى الله عليه وسلم وسكت .

وهكذا رواه مسلم من حديث سُفيان بن عُيينة ، عن أبي تميم بن ميسرة به . ومن غير وجه عن عمرو بن الشريد ، عن أبيه الشريد بن سويد الثقفي ، عن النبي صلى الله عليه وسلم . وفي بعض الروايات فقال رسول الله : « إنَّ كاد يُسلم » .

وقال يحيى بن محمد بن صاعد : حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري ، حدثنا أبو أسامة ، حدثنا حاتم بن أبي صُفْرة ، عن سَمَّاك بن حرب ، عن عمرو بن نافع ، عن الشريد الهمداني ، وأخواله ثقيف ، قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع ، فبينما أنا أمشي ذات يوم إذا وَقَعُ ناقة خَلْفِي ، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال الشريد ؟ فقلت : نعم . قال : أَلَا أَحْمَلُكَ ؟ قلت : بلى . وما بي من إعياء ولكني أردت البركة في ركوبتي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . فَأَنَاحَ خَمَانِي فقال : أَمَعَكَ من شعر أُمية بن أبي الصلت ؟ قلت : نعم . قال هات . فَأَنشَدْتُهُ . قال أظنه قال مائة بيت . فقال : « عِنْدَ اللَّهِ عِلْمُ أُمِيَّةَ بن أبي الصلت » .

ثم قال ابن صاعد : هذا حديث غريب . فأما الذى يُروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى أمية : « آمَنَ شِعْرُهُ وَكَفَرَ قَلْبُهُ » فلا أعرفه . والله أعلم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الله بن محمد - هو أبو بكر بن أبى شيبه - حدثنا عبدة ابن سليمان ، عن محمد بن إسحاق ، عن يعقوب بن عتبة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صدّق أمية فى شيء من شعره قال :

رَجُلٌ ^(١) وَتَوَرَّتْ تَحْتَ رِجْلِ يَمِينِهِ وَالنَّسْرُ لِلْآخِرَى وَلَيْثٌ مُرْصَدٌ
وَالشَّمْسُ تَبْدُو كُلَّ آخِرِ لَيْلَةٍ حَمَاءٌ يُصْبِحُ لَوْنُهَا يَتَوَرَّدُ
تَأْتِي فَمَا تَطْلُعُ لَنَا فِي رِسْلِهَا إِلَّا مُعَذِّبَةٌ وَإِلَّا تُجْلَدُ
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : صَدَقَ ^(٢) .

وفى رواية أبى بكر الهذلى ، عن عكرمة ، عن ابن عباس أنه قال : إن الشمس لا تَطْلُعُ حَتَّى يَنْخَسِهَا سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَقُولُونَ ^(٣) لَهَا : اطْلَعِي اطْلَعِي . فتقول : لا أطلع على قوم يعبدوننى من دون الله . فإذا هَمَّتْ بِالطَّلُوعِ أَتَاهَا شَيْطَانٌ يَرِيدُ أَنْ يَثْبُطَهَا فَتَطْلُعُ بَيْنَ قَرْنَيْهِ وَتَحْرِقُهُ ، فَإِذَا تَضَيَّفَتْ لِلْغُرُوبِ عَزَمَتْ اللَّهُ عِزَّ وَجَلْ ، فَيَأْتِيهَا شَيْطَانٌ يَرِيدُ أَنْ يَثْبُطَهَا عَنِ السَّجُودِ فَتَغْرُبُ بَيْنَ قَرْنَيْهِ وَتَحْرِقُهُ . أورده ابن عساكر مطولاً .

ومن شعره فى حَمَلَةِ الْعَرْشِ :

فَمِنْ حَامِلٍ إِحْدَى قَوَائِمِ عَرْشِهِ وَلَوْلَا إِلَهُ الْخَلْقِ كَلُّوا وَأَبْلَدُوا
قِيَامٌ عَلَى الْأَقْدَامِ عَانُونَ تَحْتَهُ فَرَائِصُهُمْ مِنْ شِدَّةِ الْخَوْفِ تَرَعَدُوا

(١) فى المطبوعة : زحل وهو كذلك فى الإصابة وجمع الزوائد وما أثبتته عن نسخة ١ ومسنده أحمد . والمراد أن هناك ملائكة فى صورة الرجال وآخرين فى صورة الثيران كما ذكر الجاحظ فى الحيوان ٢٢١-٢٢٢
(٢) المسند حديث رقم ٢٣١٤ (٣) الأصل والمطبوعة : يقول .

رواه ابن عساكر .

وروى عن الأصمى أنه كان ينشد من شعر أمية :

تَجَدُّوا اللَّهَ فَهُوَ لِلْجَدِّ أَهْلٌ رَبُّنَا فِي السَّمَاءِ أَمْسَى كَبِيرًا
بِالْبِنَاءِ الْأَعْلَى الَّذِي سَبَقَ الذِّ اسَ وَسَوَّى فَوْقَ السَّمَاءِ سَرِيرًا
شَرَجًا^(١) [مَا] يَنَالُهُ بَصَرُ الْعَيِّ نَ تَرَى دُونَهُ الْمَلَائِكَةَ صُورًا
ثُمَّ يَقُولُ الْأَصْمَى : الْمَلَائِكَةُ جَمْعُ مَلَكٍ ، وَالصُّورُ جَمْعُ أَصَوْرٍ وَهُوَ الْمَائِلُ الْعِنَقُ ،
وَهَؤُلَاءِ حَمَلَةُ الْعَرْشِ .

ومن شعر أمية بن أبي الصلت يمدح عبد الله بن جدعان التيمي :

أَأَذْكَرَ حَاجَتِي أَمْ قَدْ كَفَانِي حَيَاؤُكَ إِنَّ شَيْمَتَكَ الْحِيَاءُ
وَعِلْمُكَ بِالْحَقِّ وَأَنْتَ فَرَعٌ لَكَ الْحَسَبُ الْمُهَذَّبُ وَالسَّنَاءُ
كَرِيمٌ لَا يَفِيَّرُهُ صَبَاحٌ عَنِ الْخُلُقِ الْجَمِيلِ وَلَا مَسَاءُ
يُبَارِي الرِّيحَ مَكْرُمَةً وَجُودًا إِذَا مَا الْكَلْبُ أَحْجَرَهُ الشَّتَاءُ
وَأَرْضُكَ أَرْضُ مَكْرُمَةٍ بَلَّتْهَا بَنُو تَيْمٍ وَأَنْتَ لَهُ السَّمَاءُ
إِذَا أَتَيْتَنِي عَلَيْكَ النَّوْمَ كَفَاهُ مِنْ تَعَرُّضِهِ الثَّنَاءُ
وَلَهُ فِيهِ مَدَامِحُ أُخَرُ .

وقد كان عبد الله بن جدعان هذا من الكرماء الأجواد الممدحين المشهورين ، وكان له جفنة يأكل الراكب منها وهو على بعيره من عرض حافتها وكثرة طعامها ، وكان يملأها لباب البر يذبح بالشهد والسمن ، وكان يعتق الرقاب ويعين على النوائب ، وقد سألت عائشة النبي صلى الله عليه وسلم أينفعه ذلك ؟ فقال : إنه لم يقل يوما من الدهر : (رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ) .

(١) المرجع : الطويل .

ومن شعر أمية البديع :

لا يَنْكُثُونَ الْأَرْضَ عِنْدَ سُؤْلِهِمْ كَتَطَلَّبِ الْعِلَالَتِ بِالْعِيدَانِ
 بل يُسْفِرُونَ وجوهَهُمْ فَتَرَى لَهَا عِنْدَ السُّؤَالِ كَأَحْسَنِ الْأَلْوَانِ
 وإذا الْفَقْلُ أَقَامَ وَسَطَ رَحْلِهِمْ رَدَّوهُ رَبَّ صَوَاهِلِ وَقِيَانِ
 وإذا دَعَوْتَهُمْ لِكُلِّ مُلَّةٍ سَدُّوا شِعَاعَ الشَّمْسِ بِالْفُرْسَانِ
 آخر ترجمة أمية بن أبي الصلت .

بَحِيرَا الرَّاهِبِ

الذى تؤسم في رسول الله صلى الله عليه وسلم النبوة وهو مع عمه أبي طالب ، حين قدم الشام في تجار من أهل مكة ، وعمره إذ ذاك اثنتا عشرة سنة ، فرأى الغمامة تظله من بينهم ، فصنع لهم طعاما ضيافةً ، واستدعاهم . كما سيأتى بيان ذلك في السيرة .
 وقد روى الترمذى في ذلك حديثاً بسطنا الكلام عليه هنالك ، وقد أورد له الحافظ ابن عساكر شواهد وسائغات في ترجمة بَحِيرَا ، ولم يورد ما رواه الترمذى وهذا عَجَب .

وذكر ابن عساكر أن بَحِيرَا كان يسكن قرية يقال لها الكفر بينها وبين بُصْرَى ستة أميال ، وهى التى يقال لها « دير بحيرا » قال ويقال : إنه كان يسكن قرية يقال لها منفعة بالبقاء وراء زيرا . والله أعلم .

ذِكْرُ قَسِّ بْنِ سَاعِدَةَ الْإِيَادِيَّ

قال الحافظ أبو بكر محمد بن جعفر بن سهل الخرائطي في كتاب «هواتف الجان» :
حدثنا داود القنطري ، حدثنا عبد الله بن صالح ، حدثني أبو عبد الله المشرقي ، عن أبي
الحارث الورّاق ، عن ثور بن يزيد ، عن مُورِقِ الْعِجْلِي ، عن عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِت . قال :
لما قدم وفد إياد على النبي صلى الله عليه وسلم قال : يامعشر وفد إياد، ما فعل قس بن ساعدة
الإيادي ؟ قالوا : هلك يارسول الله . قال : لقد شهدته يوماً بسوق عكاظ على جمل أحمر
يتكلم بكلام مُعْجِبٍ مُوْنِقٍ لا أجِدُنِي أَحْفَظُهُ . فقام إليه أعرابي من أقاصي القوم فقال :
أنا أحفظه يارسول الله . قال : فسُرَّ النبي صلى الله عليه وسلم بذلك . قال : فكان بسوق
عكاظ على جمل أحمر وهو يقول : يامعشر الناس اجتمعوا ، فكلُّ مَنْ فَاتَ فَات ، وكل
شَيْءٌ آتٍ آت ، ليل دَاجٍ ، وسماء ذات أبراج ، وبحر عجاج ، نجوم تزهّر ، وجبال
مُرْساة ^(١) ؛ وأنهار مُجْرَاة ^(٢) ؛ إن في السماء لخبيراً ، وإن في الأرض لِعِبراً ، مالى أرى
الناس يذهبون فلا يرجعون ، أَرْضُوا بِالْإِقَامَةِ فَأَقَامُوا ، أَمْ تَرَكُوا فَنَامُوا . أقسم قسٌّ بالله
قَسْماً لا ريب فيه ، إن لله ديناً هو أَرْضَى مِنْ دِينِكُمْ هذا . ثم أنشأ يقول :

فِي	الذاهبين	الأولي	نَ مِنَ الْقُرُونِ لَنَا بَصَائِرُ
لَمَّا	رَأَيْتُ	مَوَارِدًا	لِلْمَوْتِ لَيْسَ لَهَا مَصَادِرُ
وَرَأَيْتُ	قَوْمِي	نَحْوَهَا	يَمْضِي الْأَصَاغِرُ وَالْأَكْبَرُ
لَا مَنْ	مَضَى	يَأْتِي إِلَيَّ	لَكَ وَلَا مِنْ الْبَاقِينَ غَابِرُ
أَقْنَعْتُ	أَنِي	لَا تَحَا	لَهُ حَيْثُ صَارَ الْقَوْمُ صَائِرُ

(١) الأصل والمطبوعة : مرسية وهو خطأ (٢) الأصل والمطبوعة : مجرية وهو خطأ .

وهذا إسناد غريب من هذا الوجه ، وقد رواه الطبراني من وجه آخر فقال في كتابه « المعجم الكبير » : حدثنا محمد بن السري بن مهران بن الناقد البغدادي ، حدثنا محمد بن حسان السهمي ، حدثنا محمد بن الحجاج ، عن مجالد ، عن الشعبي ، عن ابن عباس . قال : قدم وفد عبد القيس على النبي صلى الله عليه وسلم فقال : أيكم يعرف القس بن ساعدة الإيادي ؟ قالوا : كلنا يعرفه يارسول الله . قال : فما فعل ؟ قالوا هلك . قال : « فما أنساه بعكاظ في الشهر الحرام وهو على جبل أحر ، وهو يخطب الناس وهو يقول : يا أيها الناس اجتمعوا واستمعوا وعُوا ، مَنْ عاش مات ، ومن مات فات ، وكلُّ ما هو آت آت . إن في السماء لخبراً ، وإن في الأرض لخبراً ، مهّاد موضوع ، وسقف مرفوع ، ونجوم تمور ، وبحار لا تغور . وأقسم قسٌ قسماً حقاً لئن كان في الأمر رضى ليكون بعده سخط ، إن لله لديناً هو أحبُّ إليه من دينكم الذي أتم عليه . مالى أرى الناس يذهبون ولا يرجعون ؟ ! أرضوا بالمقام فأقاموا ، أم تركوا فناموا . ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أفیکم من بروى شعره ؟ فأنشده بعضهم :

في الذهبين الأولي ن من القرون لنا بصائر
لما رأيت موارد للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها يسعى الأصغر والأكبر
لا يرجع الماضى إلى ولا من الباقي غابر
أيقنت أنى لا تحا لة حيث صار القوم صائر

وهكذا أورده الحافظ البيهقي في كتابه « دلائل النبوة » من طريق محمد بن حسان السهمي به . وهكذا روينا في الجزء الذى جمعه الأستاذ أبو محمد عبد الله بن جعفر بن درستويه في أخبار قس ، قال : حدثنا عبد الكريم بن الهيثم

الدَّيْرَ عَا قُولِي^(١) ، عن سعيد بن شَيْب ، عن محمد بن الحجاج أبو^(٢) إبراهيم الواسطي نزيل بغداد ، ويعرف بصاحب الهريسة ، وقد كَذَّبَهُ يحيى بن مَعِين وأبو حاتم الرازي والدارقطني ، واتهمه غير واحد منهم ابن عَدِيّ بوضع الحديث .

وقد رواه البَزَّار وأبو نُعَيْم من حديث محمد بن الحجاج هذا ، ورواه ابن درستويه وأبو نعيم من طريق الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، وهذه الطريق أمثل من التي قبلها . وفيه أن أبا بكر هو الذي أورد القصة بكاملها نَظْمَهَا وَنَثَرَهَا بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ورواه الحافظ أبو نعيم من حديث أحمد بن موسى بن إسحاق الخَطْمِيّ^(٣) حدثنا علي بن الحسين بن محمد الخُزُمِي ، حدثنا أبو حاتم السَّجِسْتَانِي ، حدثنا وهب بن جرير ، عن محمد بن إسحاق ، عن الزُّهْرِي ، عن سعيد بن المسيَّب عن ابن عباس ، قال : قَدِمَ وفدُ بكر بن وائل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم : « ما فعل حليفُ لكم يقال له قُتَيْب بن ساعدة الإيادي » وذكر القصة مطولة .

وأخبرنا الشيخ المسند الرَّحْلَةُ أحمد بن أبي طالب الحجار ، إجازة إن لم يكن سماعا ، قال : أجاز لنا جعفر بن علي الهمداني ، قال أخبرنا الحافظ أبو طاهر أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السَّكَنِي سماعا . وقرأت على شيخنا الحافظ أبي عبد الله الذهبي ، أخبرنا أبو علي الحسن بن علي بن أبي بكر الخَلَّال سماعا ، قال أنبأنا جعفر بن علي سماعا ، قال أنبأنا السَّكَنِي سماعا ، أنبأنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن إبراهيم الرازي ، أنبأنا أبو الفضل محمد بن أحمد

(١) هو أبو يحيى عبد الكريم بن الهيثم بن زياد بن عمران القطان : نسب إلى دير العاقول وهو قرية من أعمال بغداد ، روى عنه البغوي والترمذي وغيرهما ، وكان ثقة ، توفي في شعبان سنة ٢٧٨ .

(٢) خ ط : عن إبراهيم الواسطي وهو خطأ شنيع . وكان محمد بن الحجاج هذا يصنع الهريسة ، ووضع حديثاً في شأنها . ميزان الاعتدال ٤٠/٣ ، وفي خ ط : الفريسة وهو تحريف .

(٣) ينسب إلى بطن من الأنصار ، وهم بنو خطمة بن جشم بن مالك بن الأوس بن حارثة . وفي الأصل المطبوعة الخطمي وهو تحريف .

ابن عيسى السَّعْدِي ، أنبأنا أبو القاسم عبيد الله بن أحمد بن علي المقرئ ، حدثنا أبو محمد عبد الله بن جعفر بن درستويه النحوي ، قال حدثنا إسماعيل بن إبراهيم بن أحمد السعدي قاضي فارس ، حدثنا أبو داود سليمان بن سيف بن يحيى بن درهم الطائي من أهل حرَّان ، حدثنا أبو عمرو سعيد بن يَرْبُوع ، عن محمد بن إسحاق ، حدثني بعض أصحابنا من أهل العلم عن الحسن بن أبي الحسن البصري أنه قال : كان الجارود بن المعلّى بن حنش بن معلّى العبدي نصرانياً حَسَنَ المعرفة بتفسير الكتب وتأويلها ، عالماً بِسِرِّ الفُرسِ وأقوالها ، بصيراً بالفلسفة والطب ، ظاهر الدهاء والأدب ، كامل الجمال ذا ثروة ومال ، وإنه قدم على النبي صلى الله عليه وسلم وافداً في رجال من عبد القيس ذوى آراء وأسنان وفصاحة وبيان وحجج وبرهان ، فلما قدم على النبي صلى الله عليه وسلم وقف بين يديه وأشار إليه وأنشأ يقول :

يَانِيَّ الْهُدَى أَتَتَكَ رِجَالٌ	قَطَعَتْ فَدَفْدَأً وَآلَاً فَالَاً ^(١)
وَطَوَتْ نَحْوَكَ الصَّاحِصَ تَهْوِي ^(٢)	لَا تَعْدُ الْكِلَالَ فَيْكَ كِلَالَا
كُلُّ بَهْمَاءٍ قَصَرَ الطَّرْفُ عَنْهَا	أَرْقَلَتْهَا قِلَاضُنَا إِرْقَالَاً ^(٣)
وَطَوَتْهَا الْعِتَاقُ يَمِجُّ فِيهَا	بِكَلِمَةٍ كَأَنِّجُمٍ تَتَلَا
تَبْتَغِي دَفْعَ بَأْسِ يَوْمٍ عَظِيمٍ	هَائِلٍ أَوْجَعَ الْقُلُوبَ وَهَالَا
وَمَزَاداً لِحُشْرِ الْخَلْقِ طُرّاً	وَفِرَاقاً لِمَنْ تَمَادَى ضَلَالَا
نَحْوَ نُورٍ مِنَ الْإِلَهِ وَبُرْهَا	نَ وَبِرٍّ وَنَعْمَةٍ أَنْ تُنَالَا
خَصَّكَ اللَّهُ يَا ابْنَ أَمْنَةٍ الْ	يَرْبَهَا إِذْ أَتَتْ سِجَالَا سِجَالَا
فَاجْعَلِ الْحِظَّ مِنْكَ يَاجِبَةَ الْ	حِزْبِيلاً لَا حِظَّ خَلْفَ أَحَالَا

(١) الفدغد : الفلاة . والآل : السراب . (٢) الصاحص : جمع صحصح وهو ما استوى من الأرض

(٣) الإرقال : الإسراع .

قال : فأدناه النبي صلى الله عليه وسلم وقرب مجلسه وقال له : يا جارود لقد تأخر الموعد^(١) بك وبقومك .

فقال الجارود : فذاك أبي وأمي ، أمّا مَنْ تأخّر عنك فقد فاتته حظه وتلك أعظم حُوبة وأغلظ عقوبة ، وما كنت فيمن رآك أو سمع بك فعذاك واتبع سواك وإني الآن على دين قد علمت به ، قد جئتكم وها أنا تاركه لدينك ، أفذلك مما يمحّص الذنوب والمآثم والحبوب ، ويرضى الربّ عن المريبوب ؟

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنا ضامن لك ذلك ، وأخلص الآن الله بالوحدانية ودّع عنك دين النصرانية .

فقال الجارود : فذاك أبي وأمي مُدّ يدك فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أنك محمد عبده ورسوله .

قال : فأسلم وأسلم معه أناس من قومه .

فسرّ النبي صلى الله عليه وسلم بإسلامهم ، وأظهر من إكرامهم ماسرّوا به وابتهجوا به .

ثم أقبل عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أفبكم من يعرف قسّ بن ساعدة الإيادي ؟

فقال الجارود : فذاك أبي وأمي كلنا نعرفه ، وإني من بينهم لعالم بخبره واقف على أمره .

كان قسّ^٢ يارسول الله سبّطاً من أسباط العرب ، عمر ستمائة سنة تقفّر منها خمسة

(١) الأصل والمطبوعة : الموعد . وهو خطأ .

أعمار في البراري والقفار ، يضحج بالتسبيح على مثال المسيح ، لا يقره قرار ولا تكنه دار ولا يستمتع به جار ، كان يابس الأسماح ويفوق الشياح ، ولا يفتر من رهبانته ، يتحسى في سياحته يبيض النعام ويأنس بالهوام ، ويستمتع بالظلام ، يُبصر فيعتبر ، ويفكر فيختبر .
فصار لذلك واحداً تضرب بحكمته الأمثال ، وتُكشَف به الأحوال ، أدرك رأس الحواريين سمعان .

وهو أول رجل تأله من العرب ووحد ، وأقرَّ وتعبد ، وأيقن بالبعث والحساب ، وحذّر سوء المسآب ، وأمر بالعمل قبل الفوت ، ووعظ بالموت ، وسلم بالقتضا ، على السخط والرضا ، وزار القبور ، وذكر النشور ، ونذب بالأشعار ، وفكر في الأقدار ، وأنبا عن السماء والنماء ، وذكر النجوم وكشف الماء ، ووصف البحار ، وعرف الآثار ، وخطب راكباً ، ووعظ دائباً ، وحذّر من الكرب ومن شدة الغضب ، ورسل الرسائل ، وذكر كل هائل ، وأرغم في خطبه ، وبين في كتبه ، وخوف الدهر ، وحذّر الأزر ، وعظّم الأمر ، وجنب الكفر ، وشوق إلى الخيفية ، ودعا إلى اللاهوتية .

وهو القائل في يوم عكاظ : شرقٌ وغربٌ ، ويتم وحزب ، وسلم وحرب ، ويابس ورطب ، وأجاج وعذب ، وشموس وأقمار ، ورياح وأمطار ، وليل ونهار ، وإنات وذكور ، وبرار وبحور ، وحَب ونبات ، وآباء وأمهاة ، وجَمع وأشتات ، وآيات في إثرها آيات ، ونور وظلام ، ويسرٌ وإعدام ، وربٌّ وأصنام ، لقد ضل الأنام ، نشوٌ مولود ، ووأدٌ مفقود ، وتربية محصود ، وفقير وغني ، ومحسن ومسيء ، تَباً لأرباب الغفلة ، ليصلحن العامل عمله ، وليفقدن الآمل أمله ، كلا بل هو إله واحد ، ليس بمولود ولا والد ، أعاد وأبدى ، وأمات وأحيا ، وخلق الذكرو الأنثى ، ربُّ الآخرة والأولى .

أما بعد : فيامعشر إياد ، أين ثمود وعاد ؟ وأين الآباء والأجداد ؟ وأين العليل
والعواد ؟ كلٌّ له معاد ، يُقسم قس برب العباد ، وساطح المهاد ، لتحشرون على الانفراد ،
في يوم التناد ، إذا نفخ في الصور ، ونقر في الناقور ، وأشرقت الأرض ، ووعظ الواعظ ،
فانتبذ القانط وأبصر اللاخط ، فويل لمن صدف عن الحق الأشهر ، والنور الأزهر ،
والعرض الأكبر ، في يوم الفصل ، وميزان العدل ، إذا حكم القدير ، وشهد النذير .
وبعد النصير ، وظهر التقصير ، ففريق في الجنة وفريق في السعير .

وهو القائل :

ذَكَرَ الْقَلْبُ مِنْ جَوَاهِ أَدَّكَارُ وَلِيَالٍ خَلَاهُنَّ نَهَارُ
وَسَجَالٌ هَوَاطِلٌ مِنْ غَمَامٍ تُرْتَبِ مَاءٌ فِي جَوَاهِنَّ نَارُ
ضَوِيهَا يَطْمِسُ الْعَيُونَ وَأَرَا دُشْدَادٌ فِي الْخَافِقَيْنِ تَطَارُ
وَقُصُورٌ مَشِيدَةٌ حَوَتْ الْخِيَةَ رَ وَأُخْرَى خَلَتْ فَنَنْ قِفَارُ
وَجِبَالٌ شَوَامِخٌ رَاسِيَاتٌ وَبِحَارٍ مِيَاهُنْ غِزَارُ
وَنَجُومٌ تَلُوحُ فِي ظُلَمِ اللَّيْلِ لَنْ نَرَاهَا فِي كُلِّ يَوْمٍ تَدَارُ
ثُمَّ شَمْسٌ يَحْمِيهَا قَمَرُ اللَّيْلِ لَوْ كُلُّ مُتَابِعٍ مَوَارُ
وَصَغِيرٌ وَأَشْمَطٌ وَكَبِيرٌ كُلُّهُمْ فِي الصَّعِيدِ يَوْمًا مَزَارُ
وَكَثِيرٌ مِمَّا يَقْصُرُ عَنْهُ حَدْسُهُ الْخَاطِرُ^(١) الَّذِي لَا يَحَارُ
فَالَّذِي قَدْ ذَكَرْتُ دَلَّ عَلَى الْإِلَهِ هُوَ نَفْسًا لَهَا هُدًى وَاعْتِبَارُ

قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مها نسيت فاست أنساء بسوق عكاظ ، واقفًا
على جبل أحر يخطب الناس : اجتمعوا فاسمعوا ، وإذا سمعتم فاعفوا ، وإذا وعيتم فانتفعوا ،
وقولوا وإذا قلتم فاصدقوا ، من عاش مات ، ومن مات فات ، وكل ما هو آتٍ آتٍ ، مطر

(١) في الآليء المصنوعة : الناظر .

ونبات ، وأحياء وأموات ، ليل داج ، وسماء ذات أبراج ، ونجوم تَزهَر ، وبحار
تَزخر ، وضوء وظلام ، وليل وأيام ، وبرٌّ وآثام ، إن في السماء خبراً ، وإن في الأرض
عبراً ، يحار فيهن البَصرا ، مهَاد موضوع ، وسقف مرفوع ، ونجوم تغور ، وبحار
لا تغور ، ومنايا دَوَانٍ ، ودهر خَوَّانٍ ، كحدّ النسطاس ، ووَزَن القسطاس ،
أقسَم قسٍّ قَسَمًا ، لا كاذبا فيه ولا آثما ، لئن كان في هذا الأمر رضى ، ليكونن سخط .
ثم قال : أيها الناس إن الله دينا هو أحب إليه من دينكم هذا الذى أتم عليه ، وهذا
زمانه وأوانه . ثم قال : مالى أرى الناس يذهبون فلا يرجعون ، أرضوا بالمقام فأقاموا ؟
أم تركوا فناموا .

والتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم : إلى بعض أصحابه فقال : أيكم يروى شعره
لنا ؟ فقال أبو بكر الصديق : فذاك أبى وأمى أنا شاهد له في ذلك اليوم حيث يقول :

في الزاهبين الأولي ن من القرون لنا بصائرُ
لما رأيت مَوَارِدًا للموتِ ليس لها مَصَادِرُ
ورأيت قومي نَحَوَهَا يمضى الأصغرُ والأكبرُ
لا يرجع الماضى إلى ولا من الباقين غابرُ
أيقنتُ أنى لا محال له حيث صار القوم صائرُ

قال : فقام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم شيخ من عبد القيس عظيم الهامة ، طويل
القامة ، بعيدُ ما بين المنكبين فقال : فذاك أبى وأمى ، وأنا رأيت من قس مجباً .

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما الذى رأيت يا أخا بنى عبد القيس ؟
فقال : خرجت في شببتي أربع بعيراً لى ندَّ عنى أقفوا أثره في تنائف قفاف ، ذات
ضغائيس ، وعَرَصات جَثَجاث بين صدور جُدعان ، وعمير حَوَذان ، ومهمه ظُلْمان ،
ورصيع أيْهقان ، فبينما أنا في تلك الفلوات أجول بسبْسبها ، وأرنق فدَفْدها ، إذا أنا بهضبة

فى نَشْرَاتِهَا أَرَاكَ كَبَّاشٌ مُخَضَّوْضَةً وَأَغْصَانُهَا مُتَهَدِّلَةٌ ، كَأَنَّ بَرِيرَهَا حَبُّ الْفُلْفُلِ وَبَوَاسِقُ أَقْحَوَانٍ ، وَإِذَا بَعَيْنُ خَرَّارَةٍ وَرَوْضَةٌ مُدْهَمَّةٌ ^(١) ، وَشَجَرَةٌ عَارِمَةٌ ، وَإِذَا أَنَا بَقْسٌ بِنِ سَاعِدَةٍ فِى أَصْلِ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَبِيَدِهِ قَضِيبٌ ، فَدَنَوْتُ مِنْهُ وَقُلْتُ لَهُ : أَنْعِمْ صَبَاحًا . فَقَالَ : وَأَنْتَ فَتَنْعِمُ صَبَاحَكَ . وَقَدْ وَرَدَتْ الْعَيْنُ سَبَاعَ كَثِيرَةٍ ، فَكَانَ كُلَّمَا ذَهَبَ سَبْعٌ مِنْهَا يَشْرَبُ مِنَ الْعَيْنِ قَبْلَ صَاحِبِهِ ضَرْبُهُ قُسٌّ بِالْقَضِيبِ الَّذِى بِيَدِهِ . وَقَالَ : اصْبِرْ حَتَّى يَشْرَبَ الَّذِى قَبْلَكَ . فَذَعِرْتُ مِنْ ذَلِكَ ذَعْرًا شَدِيدًا ، وَنَظَرْتُ إِلَى قَالٍ : لَا تَخَفْ . وَإِذَا بِقَبْرَيْنِ بَيْنَهُمَا مَسْجِدٌ ، فَقُلْتُ : مَا هَذَانِ الْقَبْرَانِ ؟ قَالَ : قَبْرَا أَخَوَيْنِ كَانَا يَعْبُدَانِ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بِهَذَا الْمَوْضِعِ . فَأَنَا مُقِيمٌ بَيْنَ قَبْرَيْهِمَا أَعْبُدُ اللَّهَ بَيْنَ قَبْرَيْهِمَا أَعْبُدُ اللَّهَ حَتَّى أَلْحَقَ بِهِمَا . فَقُلْتُ لَهُ : أَفَلَا تَلْحَقُ بِقَوْمِكَ فَتَكُونَ مَعَهُمْ فِى خَيْرِهِمْ وَتُبَايِنَهُمْ عَلَى شَرِّهِمْ ؟ فَقَالَ لِي : ثَكَلْتُكَ أُمِّكَ ! أَوْ مَا عَلِمْتُ أَنَّ وَلَدَ إِسْمَاعِيلَ تَرَكَوْا دِينَ آبَائِهِمْ وَاتَّبَعُوا الْأَضْدَادَ وَعَظَّمُوا الْأَنْدَادَ ؟ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى الْقَبْرَيْنِ وَأَنْشَأَ يَقُولُ :

خَلِيلٌ هُبًّا طَالَمَا قَدْ رَقَدْتُمَا	أَجَدُّ كَمَا لَا تَقْضِيَانِ كَرَا كَمَا
أَرَى النَّوْمَ بَيْنَ الْجِلْدِ وَالْعَظْمِ مِنْكَمَا	كَأَنَّ الَّذِى يَسْقَى الْعَقَارَ سَقَا كَمَا
أَمِنْ طَوْلِ نَوْمٍ لَا تَجْبِيَانِ دَاعِيًا	كَأَنَّ الَّذِى يَسْقَى الْعَقَارَ سَقَا كَمَا
أَلَمْ تَعْلَمَا أَنِّي بَنَجْرَانِ مُفْرَدَا	وَمَالِي فِيهِ مِنْ حَبِيبٍ سِوَا كَمَا
مُقِيمٌ عَلَى قَبْرَيْكُمَا لَسْتُ بَارِحًا	إِيَابَ اللَّيَالِي أَوْ يَجِيبَ صَدَا كَمَا
أَبْكِيكُمَا طَوْلَ الْحَيَاةِ وَمَا الَّذِى	يَرُدُّ عَلَى ذِي لَوْعَةٍ أَنَّ بَكََا كَمَا
فَلَوْ جُعِلَتْ نَفْسٌ لِنَفْسٍ إِمْرَى فِدَايِ	لُجِدْتُ بِنَفْسِي أَنْ تَكُونَ فِدَا كَمَا

(١) التَّنَائِفُ : جَمْعُ تَنَوُّفٍ وَهُوَ الْمَفَازَةُ . وَالْقَفَافُ : جَمْعُ قَفٍّ ، وَهُوَ حِجَارَةٌ غَاصَ بَعْضُهَا فِي بَعْضٍ لَا تَخَالُطُهَا سَهْوَةٌ . وَالضَّغَائِيسُ : أَغْصَانُ الْإِثْمِ وَالشُّوكِ الَّتِى تُوَكَّلُ . وَالْجُثَاثُ : نَبْتٌ . وَالْجَذَعَانُ : صَفَارُ الْجِبَالِ . وَالْحَوْذَانُ : نَبْتٌ . وَالظَّلْمَانُ : جَمْعُ ظَلِيمٍ وَهُوَ ذِكْرُ النَّعَامِ . وَالْأَيْهَقَانُ : عَشْبٌ يَطُولُ وَلَهُ وَرْدَةٌ حُمْرَاءُ وَوَرَقُهُ عَرِيضٌ وَيُوكَّلُ أَوْ الْمَرْجِيرُ الْبَرَى . وَالْكَبَاثُ : النَّضِيجُ مِنْ ثَمَرِ الْأَرَاكِ . وَالْمُخَضَّوْضَةُ : الْمَبْتَلَةُ . وَالْبَرِيرُ : الْأَوَّلُ مِنْ ثَمَرِ الْأَرَاكِ . وَالْمُدْهَمَّةُ : الْخَضْرَاءُ تَضْرِبُ إِلَى السَّوَادِ نَعْمَةً وَرَبَا .

كأنكما والموت أقرب غاية بروحى فى قبري كما قد أنا كما

قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : رحم الله قُصًا ، أمّا إنه سيبعث يوم القيامة أمةً وحده .

وهذا الحديث غريب جداً من هذا الوجه وهو مُرْسَل ، إلا أن يكون الحسن سمعه من الجارود . والله أعلم .

وقد رواه البيهقي ، والحافظ أبو القاسم ابن عساكر من وجه آخر من حديث محمد ابن عيسى بن محمد بن سعيد القرشي الأخبارى : حدثنا أبي ، حدثنا علي بن سليمان بن علي ، عن علي بن عبد الله ، عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما . قال : قدم الجارود بن عبد الله فذكر مثله أو نحوه مطولا بزيادات كثيرة فى نظمه ونثره ، وفيه ما ذكره عن الذى ضلّ بغيره فذهب فى طلبه قال : فبتُّ فى وادٍ لا آمن فيه حتفى ، ولا أركن إلى غير سيفى ، أقرب الكوكب ، وأرقم الغيّهَب ، حتى إذا الليل عَسَسَ ، وكاد الصبح أن يتنفس ، هتف بى هاتف يقول :

يا أيها الراقدُ فى الليل الأجمِ قد بعث الله نبيّاً فى الحرَمِ
من هاشمٍ أهلِ الوفاء والكرمِ يجنّو دُجَيَّاتِ الدِّياجى والبهمِ

قال : فأدرت طرفى فما رأيت له شخصاً ولا سمعت له فخصاً ، قال فأنشأت أقول :

يا أيها الهاتف فى داجى الظلمِ أهلاً وسهلاً بك من طيفِ أَلَمِ
بين هداك الله فى لحنِ الكلامِ ماذا الذى تدعو إليه يُفْتَمِّمُ ؟

قال : فإذا أنا بنحنحة وقائلٍ يقول : ظهر النور ، وبطل الزور ، وبعث الله محمداً بالحُبُور ، صاحب النجيب الأحمر ، والتاج والمِغْفَر ، والوجه الأزهر ، والحاجب الأقر ،

والطرف الأخور ، صاحب قول شهادة أن لا إله إلا الله ، وذلك محمد المبعوث إلى الأسود والأبيض أهل المدر والوبر . ثم أنشأ يقول :

الحمد لله الذى لم يخلق الخلق عبثاً
لم يُخلِّنا يوماً سُدًى من بعد عيسى واكثرث
أرسل فينا أحمداً خير نبيّ قد بعث
صلى عليه الله ما حجّ له ركب وحثّ
وفيه من إنشاء قس بن ساعدة :

يَا نَاعِيَّ الموتِ والمَلُوحِدِ فى جَدَتِ
عليهم من بقايا ثوبهم ^(١) خِرْقُ
دَعْمِهِمْ فَإِنَّ لَهُمْ يَوْمًا يُصَاحُ بِهِمْ
فهم إذا انتبهوا من نومهم أَرَقُّوا
حتى يعودوا بِجَالٍ غَيْرِ حَالِهِمْ
خَلَقًا جَدِيدًا كما من قبله خَلِقُوا
منهم عِـرَاةٌ ومنهم فى ثيابهم
منها الجديد ومنها المُنْهَجُ ^(٢) الخَلْقُ

ثم رواه البيهقي عن أبي محمد ^(٣) بن عبد الله بن يوسف بن أحمد الأصبهاني حدثنا أبو بكر أحمد بن سعيد بن فرّضخ الأخمعي بمكة ^(٤) ، حدثنا القاسم بن عبد الله بن مهدي ، حدثنا أبو عبد الله سعيد بن عبد الرحمن الخزومي ، حدثنا سفيان بن عيينة ، عن أبي حمزة الثمالي ، عن سعيد بن جبّير ، عن ابن عباس . فذكر القصة وذكر الإنشاد قال فوجدوا عند رأسه صحيفة فيها :

يَا نَاعِيَّ الموتِ والأمواتِ فى جَدَتِ
عليهم من بقايا ثوبهم ^(١) خِرْقُ
دَعْمِهِمْ فَإِنَّ لَهُمْ يَوْمًا يُصَاحُ بِهِمْ
كما يُنْذَبُ — من نوماته الصَّعِقُ

(١) المطبوعة : نومهم ، وهو خطأ . (٢) المنهج : الثوب الذى أسرع فيه إلى .
(٣) المطبوعة : محمد ، وهو خطأ . (٤) ذكر الدارقطني أن أحمد بن سعيد بن فرضخ روى عن القاسم بن عبد الله بن مهدي أحاديث موضوعة كلها كذب لا تحل روايتها ، والحمل فيها على ابن فرضخ فإنه المتهم بها فإنه كان يركب الأسانيد ويضع عليها الأحاديث . انظر اللآلئ المصنوعة ١٨٦/١ .

منهم عرأة وموتى في ثيابهم منها الجديد ومنها الأزرق الخلق
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والذي بعثني بالحق لقد آمن قس بالبعث » .
وأصله مشهور ، وهذه الطرق على ضعفها كالمتعاضدة على إثبات أصل القصة .
وقد تكلم أبو محمد بن درستويه على غريب ما وقع في هذا الحديث ، وأكثره ظاهر
إن شاء الله تعالى ، وما كان فيه غرابة شديدة نبهنا عليه في الحواشي .

وقال البيهقي : أنبأنا أبو سعد ^(١) سعيد بن محمد بن أحمد الشيعي ، حدثنا أبو عمرو
ابن أبي طاهر الحمد أباضي لفظاً ، حدثنا أبو لبابة محمد بن المهدي الأبيوردي ^(٢) حدثنا
أبي ، حدثنا سعيد بن هبيرة ، حدثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، عن أنس بن مالك قال :
قديم وفد إياد على النبي صلى الله عليه وسلم فقال : ما فعل قس بن ساعدة ؟ قالوا هلك .
قال : أما إني سمعت منه كلاماً ما أرى أني أحفظه . فقال بعض القوم نحن نحفظه
يا رسول الله . قال : هاتوا . فقال قائلهم : إنه وقف ^(٣) بسوق عكاظ فقال : يأيتها الناس
استمعوا ، واسمعوا وعوا ، كل من عاش مات ، وكل من مات فات ، وكل ما هو آت
آت ، ليل داج ، وسما ذات أبراج ، ونجوم تزهـر ، وبحار تزخر ، وجبال مرساة ^(٤)
وأنهار مجرأة ^(٥) إن في السماء لخبـرا ، وإن في الأرض لعبـرا ، أرى الناس يموتون
ولا يرجعون ، أرضوا بالإقامة فأقاموا ، أم تركو فناموا ؟ ! أقسم قس قسما بالله لا آثم
فيه ، إن لله ديناً هو أرضى مما آثم عليه ثم أنشأ يقول :

في الداهيين الأول
لما رأيت مصارعاً للقوم ليس لها مصادر
ورأيت قومي تحوها يمضي الأكابر والأصاغر

(١) ط خ : أبو سمد بن محمد ، وهو خطأ والتصويب من اللآلي ..
(٢) ط خ : الأموردي ، وهو خطأ . (٣) ط خ : لاني واقف ، وهو خطأ .
(٤) ط خ : مرسية . مجرية ، وهو خطأ .

أيقنت أنى لا محمداً لة حيث صار القوم صائراً

ثم ساقه البيهقي من طرق أخر قد نهينا عليها فيما تقدم . ثم قال بعد ذلك كله : وقد روى هذا الحديث عن الكلابي عن أبي صالح عن ابن عباس بزيادة ونقصان . وروى من وجه آخر عن الحسن البصري منقطعاً . وروى مختصراً من حديث سعد بن أبي وقاص وأبي هريرة . قلت : وعادة بن الصامت كما تقدم ، وعبد الله بن مسعود كما رواه أبو نعيم في كتاب « الدلائل » عن عبد الله بن محمد بن عثمان الواسطي ، عن أبي الوليد طريف ابن عبيد الله مولى على أبي طالب بالموصل عن يحيى بن عبد الحميد الحماني ، عن أبي معاوية عن الأعمش عن أبي الضحى ، عن مسروق ، عن ابن مسعود فذكره . وروى أبو نعيم أيضاً حديث عبادة المتقدم وسعد بن أبي وقاص .

ثم قال البيهقي : وإذا روى الحديث من أوجه أخر وإن كان بعضها ضعيفاً دلّ على أن للحديث أصلاً^(١) والله أعلم .

ذكر زيد بن عمرو بن نفيل رضي الله عنه

هو زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرظ بن رزاح ابن عدى بن كعب بن لؤي القرشي العدوي .

وكان الخطاب والد عمر بن الخطاب عمه وأخاه لأمه ، وذلك لأن عمرو بن نفيل كان كان قد خلف على امرأة أبيه بعد أبيه ، وكان لها من نفيل أخوه الخطاب . قاله الزبير ابن بكار ومحمد بن إسحاق .

(١) حديث قس ذكره السيوطي في اللآلئ المصنوعة واستعرض طرقها كلها ١/١٨٣ - ١٩٢ ، وذكر علل الطرق جميعاً ، ونقل عن ابن حجر قوله : « قد أفرد بعض الرواة طرق حديث قس بن ساعدة وهو في الطوائف للطبراني وغيرها ، وطرقها كلها ضعيفة » .

وكان زيد بن عمرو قد ترك عبادة الأوثان وفارق دينهم ، وكان لا يأكل إلا ما ذبح على اسم الله وحده .

قال يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق : حدثني هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن أسماء بنت أبي بكر قالت : لقد رأيت زيد بن عمرو بن نفيل مسنداً ظهره إلى الكعبة يقول : يامعشر قریش والذي نفس زيد بيده ما أَصْبَحَ أحدٌ منكم على دين إبراهيم غيري . ثم يقول : اللهم إني لو أعلم أَحَبَّ الوجوه إليك عَبْدُكَ به ، ولكني لأعلم . ثم يسجد على راحلته . وكذا رواه أبو أسامة عن هشام به . وزاد : وكان يصلي إلى الكعبة ويقول : إلهي إله إبراهيم ، ودينى دين إبراهيم .

وكان يُحْيِي المودودة ، ويقول للرجل إذا أراد أن يقتل ابنته : لا تقتلها ، ادفعها إلى أكلها ، فإذا ترعرعت نُحْذِها وإن شئت فادفعها .

أخرجه النسائي من طريق أبي أسامة ، وعلقه البخارى فقال : وقال الليث : كتب إلى هشام بن عروة عن أبيه به .

وقال يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق : وقد كان نفر من قریش : زيد بن عمرو ابن نفيل ، وورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ، وعثمان بن الحويرث بن أسد ابن عبد العزى ، وعبد الله بن جحش بن رئاب بن يعمر بن صبرة بن مُرَّة^(١) بن كبير ابن عُثْم بن دودان بن أسد بن خزيمة . وأمه أميمة بنت عبد المطلب . وأخته زينب بنت جحش التى تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد مولاه زيد بن حارثة . كما سيأتى بيانه . حضروا قریشاً عند وثن لهم كانوا يذبحون عنده لعيد من أعيادهم ، فلما اجتمعوا خلا بعض أولئك نفر إلى بعض وقالوا : تصادقوا وليكنم بعضكم على بعض . فقال

(١) المطبوعة : بُرَّة ، وهو تحريف .

قائلهم : تعلمنَّ والله ما قومكم على شيء ، لقد أخطأوا دين إبراهيم وخالفوه ، ماوثن يُعبد لا يضر ولا ينفع ؟! فابتغوا لأنفسكم^(١) .

فخرجوا يطلبون ويسيرون في الأرض يلتمسون الحنيفية دين إبراهيم .

فأما ورقة بن نوفل فتنصّر واستحكم في النصرانية وابتغى الكتب من أهلها حتى علم علماً كثيراً من أهل الكتاب .

ولم يكن فيهم أعدلُ أمراً وأعدلُ ثباتاً من زيد بن عمرو بن نفيل ، اعتزل الأوثان وفارق الأديان من اليهود والنصارى والمثل كلها إلا دين الحنيفية دين إبراهيم ، يوحد الله ويخلع من دونه ولا يأكل ذبائح قومه فأذاهم بالفراق لما هم فيه .

قال : وكان الخطاب قد آذاه أذى كثيراً حتى خرج منه إلى أعلى مكة ، ووكل به الخطاب شباباً من قريش وسفهاء من سفهائهم ، فقال : لا تتركوه يدخل [مكة] فكان لا يدخلها إلا سراً منهم فإذا علموا به أخرجوه وآذوه كراهية أن يفسد عليهم دينهم أو يتابعه أحد إلى ما هو عليه .

وقال موسى بن عتبة : سمعت من أرضي يحدث عن زيد بن عمرو بن نفيل كان يعيب على قريش ذبائحهم ويقول : الشاة خلقها الله وأنزل لها من السماء ماء وأنبت لها من الأرض ، لم تدبحوها على غير اسم الله ؟ ! إنكاراً لذلك وإعظاماً له .

وقال يونس عن ابن إسحاق : وقد كان زيد بن عمرو بن نفيل قد عزم على الخروج من مكة ليضرب^(٢) في الأرض يطلب الحنيفية دين إبراهيم ، وكانت امرأته صفية بنت الحضرى كلما أبصرته قد نهض للخروج وأرادته آذنت الخطاب بن نفيل .

فخرج زيد إلى الشام يلتمس ويطلب في أهل الكتاب الأول دين إبراهيم

(١) ابن هشام : باقوم التمسوا لأنفسكم . (٢) خ ط : فضرب .

ويسأل عنه ، ولم يزل في ذلك فيما يزعمون حتى أتى الموصل والجزيرة كلها ، ثم أقبل حتى أتى الشام فجاء فيها ، حتى أتى راهباً بديعة من أرض البلقاء كان ينتهى إليه علم النصرانية فيما يزعمون ، فسأله عن الحنيفية دين إبراهيم ، فقال له الراهب : إنك لتسأل عن دين ما أنت بواجدٍ مَنْ يحملك عليه اليوم ، لقد درس مَنْ علمه وذهب من كان يعرفه ، ولكنه قد أظَلَّ خروجُ نبي وهذا زمانه . وقد كان شامَّ اليهودية والنصرانية فلم يرض شيئاً منها ، فخرج سريعاً حين قال له الراهب ما قال يريد مكة ، حتى إذا كان بأرض لَحَمَ عدوا عليه فقتلوه ، فقال وَرَقَة يرثيه :

رَشَدْتَ وَأَنْعَمْتَ ابْنَ عَمْرٍو وَإِنَّمَا تَجَنَّبْتَ تَنْثُوراً مِنَ النَّارِ حَامِياً
بَدِينِكَ رَبِّاً لَيْسَ رَبُّ كَمِثْلِهِ وَتَرَكْتَ أَوْثَانَ الطَّوَاعِي كَمَا هِيَ
وَقَدْ تُذَكِّرُ الْإِنْسَانَ رَحْمَةً رَبِّهِ وَلَوْ كَانَ تَحْتَ الْأَرْضِ سَبْعِينَ وَاذِيَا

وقال محمد بن عثمان بن أبي شيبة : حدثنا أحمد بن طارق الوابشي ، حدثنا عمرو بن عطية ، عن أبيه ، عن ابن عمر ، عن زيد بن عمرو بن نفيل أنه كان يتأله في الجاهلية ، فانطلق حتى أتى رجلاً من اليهود فقال له أحب أن تدخلني معك في دينك . فقال له اليهودي : لا أدخلك في ديني حتى تبوء بنصيبك من غضب الله . فقال : من غضب الله أفرئ .

فانطلق حتى أتى نصرانياً ، فقال له : أحب أن تدخلني معك في دينك . فقال : لست أدخلك في ديني حتى تبوء بنصيبك من الضلالة . فقال : من الضلالة أفرئ .

قال له النصراني : فإني أدلك على دين إن تبعته اهتديت . قال : أي دين ؟ قال : دين إبراهيم . قال : فقال اللهم إني أشهدك أني على دين إبراهيم عليه أحياء وعليه أموات . قال : فذكر شأنه للنبي صلى الله عليه وسلم فقال : هو أمة وحده يوم القيامة .

وقد روى موسى بن عُقبة ، عن سالم ، عن ابن عمر نحو هذا .

وقال محمد بن سعد : حدثنا علي بن محمد بن عبد الله بن سيف القرشي ، عن إسماعيل ، عن مُجَالِدٍ عن الشَّعْبِيِّ ، عن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب ، قال : قال زيد بن عمرو بن نفيل : شَأَمَتَ الْيَهُودِيَّةَ وَالنَّصْرَانِيَّةَ فَكَرِهْتَهُمَا ، فَكَنْتُ بِالشَّامِ وَمَا وَالِاهَا ، حَتَّى أَتَيْتُ رَاهِبًا فِي صَوْمَعَةٍ فَذَكَرْتُ لَهُ اغْتِرَابِي عَنْ قَوْمِي وَكَرَاهَتِي عِبَادَةَ الْأَوْثَانِ وَالْيَهُودِيَّةِ وَالنَّصْرَانِيَّةِ . فَقَالَ لَهُ : أَرَأَيْكَ تَرِيدُ دِينَ إِبْرَاهِيمَ يَا أَخَا أَهْلِ مَكَّةَ ، إِنَّكَ لَتَطْلُبُ دِينًا مَا يَوْجَدُ الْيَوْمَ أَحَدٌ يَدِينُ بِهِ ، وَهُوَ دِينُ أَبِيكَ إِبْرَاهِيمَ ، كَانَ حَنِيفًا لَمْ يَكُنْ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا ، كَانَ يَصَلِّي وَيَسْجُدُ إِلَى هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي بِيْلَادِكَ ، فَالْحَقْ بِبِلَادِكَ فَإِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مِنْ قَوْمِكَ فِي بِلَادِكَ مَنْ يَأْتِي بِدِينِ إِبْرَاهِيمَ الْحَنِيفِيَّةِ وَهُوَ أَكْرَمُ الْخَلْقِ عَلَى اللَّهِ . وَقَالَ يُونُسُ عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ حَدَّثَنِي بَعْضُ آلِ زَيْدِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ نَفِيلٍ : أَنَّ زَيْدًا كَانَ إِذَا دَخَلَ الْكَعْبَةَ قَالَ : كَبِّئِكَ حَقًّا حَقًّا ، تَعْبُدًا وَرِقًّا ، عُدْتُ بِمَا عَاذَ بِهِ إِبْرَاهِيمَ [مُسْتَقْبَلُ الْقِبْلَةِ] ^(١) وَهُوَ قَائِمٌ ، إِذْ قَالَ إِلَهِي أَنْفَى لَكَ عَانَ رَاغِمٌ ، مَهْمَا تُجَسَّمْنِي فَإِنِّي جَاشِمٌ ، الْبَرَّ أَبْنَى لَا الْخَالَ ^(٢) ، لَيْسَ مُهَجَّرٌ كَمَنْ قَالَ ^(٣) .

وقال أبو داود الطيالسي : حدثنا المسعودي ، عن نفيل بن هشام بن سعيد بن زيد ابن عمرو بن نفيل العدوي ، عن أبيه عن جده ، أَنَّ زَيْدَ بْنَ عَمْرٍو وَوَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلٍ خَرَجَا يَلْتَمِسَانِ الدِّينَ حَتَّى اتَّهَبَا إِلَى رَاهِبٍ بِالْمَوْصِلِ ، فَقَالَ لَزَيْدِ بْنِ عَمْرٍو : مَنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ يَا صَاحِبَ الْبَعِيرِ ؟ فَقَالَ : مِنْ بَنِيَّةِ إِبْرَاهِيمَ . فَقَالَ : وَمَا تَلْتَمِسُ ؟ قَالَ : أَلْتَمِسُ الدِّينَ . قَالَ : ارْجِعْ فَإِنَّهُ يَوْشُكَ أَنَّ يَظْهَرَ فِي أَرْضِكَ .

(١) من ابن هشام (٢) الحال : الخلاء والكبر . وفي المطبوعة : أتمال ، وهو تحريف .
(٣) المهجر : من يسير في الهاجرة وهي شدة الحر . ومن قال : من نام في القائلة . وفي ابن هشام : ليس مهجر .

قال : فأما ورقة فَنَصَّرَ ، وأما أنا فعزمت على النصرانية فلم يوافقني فرجع وهو يقول :

لَبَّيْكَ حَقًّا حَقًّا ، تَعْبُدُ دَا وَرِقًّا ، الْبِرَّ أَبْغِي لَا الْخَالَ ، فَهَلْ مُهَجَّرُ كَمَنْ قَالَ؟! آمنتُ بما آمن به إبراهيم وهو يقول: أَنْفِي لَكَ عَانٍ رَاغِمٌ ، مَهْمَا تَجَشَّمْنِي فَإِنِّي جَاشِمٌ ، ثُمَّ يَخْرُ فَيَسْجُدُ .

قال وجاء ابنه يعنى سعيد بن زيد أحد العشرة رضى الله عنه فقال : يا رسول الله إن أبى كما رأيت وكما بلغك ، فاستغفر له ، قال : « نعم فإنه يبعث يوم القيامة أمةً وحده ^(١) » .

قال : وأتى زيد بن عمرو بن زيد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه زيد بن حارثة ، وهما يأكلان من سفرة لهما ، فدعواهما لهما فقال زيد بن عمرو : يا ابن أخى أنا لا آكل مما ذبح على الثَّصُبِ ^(٢) .

وقال محمد بن سعد : حدثنا محمد بن عمرو ، حدثني أبو بكر بن أبى سبرة ، عن موسى ابن ميسرة ، عن ابن أبى مُلَيْكَةَ ، عن حجر بن أبى إهاب . قال : رأيت زيد بن عمرو وأنا عند صنم بوانة بعد ما رجع من الشام ، وهو يراقب الشمس فإذا زالت استقبل الكعبة فصلى ركعة سجدة ثم يقول : هذه قبلة إبراهيم وإسماعيل ، لا أعبد حَجَرًا ولا أصلى له ولا آكل مما ذبح له ولا أستقسم بالأزلام ، وإنما أصلى لهذا البيت حتى أموت . وكان يحج

(١) خ ط : واحدة (٢) هنا يأتى اعتراض : كيف وفق الله زيداً إلى ترك أكل ما ذبح على النصب وما لم يذكر اسم الله عليه ورسول الله صلى الله عليه وسلم كان أولى بهذه الفضيلة فى الجاهلية ؟ وقد أجاب السهيلي بوجهين : الأول أنه ليس فى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أكل منها وإنما فى الحديث أن زيداً قال حين قدمت السفرة : لا آكل مما لم يذكر اسم الله عليه . والثانى : أن زيداً إنما فعل ذلك برأى رآه لا بشرع متقدم ، وإنما تقدم شرع إبراهيم بتحريم الميتة لا بتحريم ما ذبح لغير الله ، وإنما نزل تحريم ذلك فى الإسلام ، وبعض الأصوليين يقولون الأشياء قبل ورود الشرع على الإباحة . انظر الروض الأثف ١/١٤٧

فيقف بعرفة ، وكان يابّي فيقول : لبيك لا شريك لك ولا نِدَّ لك ثم يدفع من عرفة ماشيا وهو يقول : لبيك متعبداً مرقوقاً .

وقال الواقدي : حدثني علي بن عيسى الحكمي ، عن أبيه ، عن عامر بن ربيعة ، قال : سمعت زيد بن عمرو بن نفيل يقول : أنا أنتظر نبياً من ولد إسماعيل ثم من بني عبد المطلب ، ولا أراني أدركه ، وأنا أومن به وأصدقه وأشهد أنه نبي ، فإن طالت بك مدة فرأيتَه فأقرئه مني السلام ، وسأخبرك ما نعتُهُ حتى لا يخفى عليك . قلت : هلم .

قال : هو رجل ليس بالطويل ولا بالقصير ، ولا بكثير الشعر ولا بقليله ، وليست تفارق عينه حمرة ، وخاتم النبوة بين كتفيه ، واسمه أحمد ، وهذا البلد مولده ومبغته ، ثم يُخرجُه قومه منها ويكرهون ما جاء به حتى يهاجر إلى يثرب فيظهر أمره ، فإياك أن تُخدع عنه ، فإني طفت البلاد كلها أطلب دين إبراهيم ، فكان من أسأل من اليهود والنصارى والمجوس يقولون : هذا الدين وراءك . وينعتونه مثل ما نعتُهُ لك ، ويقولون : لم يبق نبي غيره .

قال عامر بن ربيعة : فلما أسلمت أخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم قول زيد بن عمرو وإقرائه منه السلام ، فردَّ عليه السلام وترحم عليه وقال : قد رأيتَه في الجنة يسحب ذيولاً .

وقال البخاري في صحيحه : ذكر زيد بن عمرو بن نفيل : حدثني محمد بن أبي بكر ، حدثنا فضيل بن سليمان ، حدثنا موسى بن عُبَبة ، حدثني سالم ، عن عبد الله بن عمر ، أن النبي صلى الله عليه وسلم لقي زيد بن عمرو بن نفيل بأسفل بَلَدَح^(١) قبل أن ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم الوحي ، فقدِّمت إلى النبي صلى الله عليه وسلم سُفرة فأبى أن يأكل منها . ثم قال زيد : إني لست آكل مما تذبحون على أنصابكم ، ولا آكل

(١) بلدح : واد قبل مكة من جهة المغرب قال ابن قيس الرقيات :

فَنِي فَالْجَارُ مِنْ عَبْدِ شَمْسٍ مُقْفِرَاتٌ فَبِلَدَحٍ فَخَرَاءُ

إلا ما ذكر اسم الله عليه . وإن زيد بن عمرو كان يعيب على قريش ذبايحهم ويقول : الشاة خالقها الله وأنزل لها من السماء الماء وأنبث لها من الأرض ، ثم تذبّحونها على غير اسم الله إنكاراً لذلك وإعظاماً له .

قال موسى بن عُبَبة : وحدثني سالم بن عبد الله ، ولا أعلمه إلا تحدّث به عن ابن عمر ، أن زيد بن عمرو ابن نفيل خرج إلى الشام يسأل عن الدّين ويتّبعه ، فأتى عالماً من اليهود فسأله عن دينهم ، فقال : إني لَعَلَى أَنْ أُدِينَ دِينَكُمْ^(١) فأخبرني . فقال : إنك لا تكون على ديننا حتى تأخذ نصيبك من غضب الله : قال زيد : وما أفرؤ إلا من غضب الله تعالى ، ولا أحمل من غضب الله شيئاً ولا أستطيعه^(٢) ، فهل تدلني على غيره ؟ قال : ما أعلمه ، إلا أن تكون حنيفاً . قال زيد : وما الحنيف ؟ قال دين إبراهيم عليه السلام ، لم يكن يهودياً ولا نصرانياً ولا يعبد إلا الله .

فخرج زيد ، فأتى عالماً من النصارى فذكر مثله ، فقال : لن تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك [من لعنة الله . قال : ما أفرؤ إلا من لعنة الله ، ولا أنحل من لعنة الله ولا من غضبه شيئاً أبداً ، ولا أستطيع ، فهل تدلني]^(٣) على غيره ؟ قال : ما أعلمه ، إلا أن تكون حنيفاً . قال : وما الحنيف ؟ قال : دين إبراهيم ، لم يكن يهودياً ولا نصرانياً ولا يعبد إلا الله .

فلما رأى زيد قولهم في إبراهيم خرج ، فلما برز رفع يديه فقال : اللهم إني أشهدك أني على دين إبراهيم .

قال : وقال الليث : كتب إلى هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت : رأيت زيد بن عمرو بن نفيل قائماً مُسْنِداً ظهره إلى الكعبة يقول :

(١) أى عازم عليه ومتهيّئ له .

(٢) الذى فى البخارى ١٧٨/٢ طبعة الأميرية : « وأنا أستطيعه » .

(٣) سقط من المطبوعة .

يا معشر قريش ، والله ما منكم على دين إبراهيم غيرى . وكان يُحْيِي الموءودة ، يقول للرجل إذا أراد أن يقتل ابنته : لا تقتلها ، أنا أكفيك مؤنتها . فيأخذها فإذا ترعرعت قال لأبيها : إن شئت دفعْتُها إليك ، وإن شئت كفيْتُك مؤنتها . انتهى ما ذكره البخارى^(١) .

وهذا الحديث الأخير قد أسنده الحافظ ابن عساكر ، من طريق أبي بكر بن أبي داود عن عيسى بن حماد ، عن الليث ، عن هشام ، عن أبيه عن أسماء فذكر نحوه . وقال عبد الرحمن بن أبي الزناد : عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن أسماء قالت : سمعت زيد بن عمرو بن نفيل وهو مسند ظهره إلى الكعبة يقول : يا معشر قريش إياكم والزنا فإنه يورث الفقر .

وقد ساق ابن عساكر هاهنا أحاديثَ غريبة جدا ، وفي بعضها نكارة شديدة . ثم أورد من طرق متعددة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : يُبْعَث يوم القيامة أمةٌ وحده . فمن ذلك ما رواه محمد بن عثمان بن أبي شيبة ، حدثنا يوسف بن يعقوب الصفار ، حدثنا يحيى بن سعيد الأموى ، عن مجالد عن الشعبي ، عن جابر ، قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن زيد بن عمرو بن نفيل أنه كان يستقبل القبلة فى الجاهلية ويقول : إلهى إله إبراهيم ودينى دين إبراهيم ويسجد . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يحشر ذاك أمةٌ وحده بينى وبين عيسى بن مريم » . إسناده جيد حسن .

وقال الواقدى : حدثنى موسى بن شَيْبَةَ ، عن خارجة بن عبد الله بن كعب بن مالك ، قال سمعت سعيد بن المسيَّب يذكر زيد بن عمرو بن نفيل فقال : توفى وقريش

(١) صحيح البخارى ١٧٨/٢ - ١٧٩ .

تبنى الكعبة ، قبل أن ينزل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس سنين ، ولقد نَزَلَ به ^(١) وإنه ليقول أنا على دين إبراهيم . فأسلم ابنه سعيد بن زيد وأتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأتى عمرُ بن الخطاب وسعيد بن زيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألاه عن زيد بن عمرو بن نفيل فقال : غفر الله له ورحمه ، فإنه مات على دين إبراهيم . قال : فكان المسلمون بعد ذلك اليوم لا يذكره ذاكر منهم إلا ترحم عليه واستغفر له ، ثم يقول سعيد بن المسيب : رحمه الله وغفر له .

وقال محمد بن سعد عن الواقدي : حدثني زكريا بن يحيى السَّعْدِيُّ ، عن أبيه قال : مات زيد بن عمرو بن نفيل بمكة ودفن بأصل حراء . وقد تقدم أنه مات بأرض البقاء من الشام لما عدا عليه قومٌ من بني نلَم فقتلوه بمكان يقال له مَيْفَعَة . والله أعلم .

وقال البَاغَنْدِيُّ : عن أبي سعيد الأشجّ ، عن أبي معاوية ، عن هشام عن أبيه ، عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « دخلتُ الجنة فرأيت لزيد بن عمرو بن نفيل دَوْحَتَيْن » وهذا إسناد جيد ، وليس هو في شيء من الكتب . ومن شعر زيد بن عمرو بن نفيل رحمه الله :

إلى الله أَهْدَى مِدْحَتِي وَثَنَائِيَا وَقَوْلَا رَضِيًّا لَا يَنِي الدَّهْرَ بَاقِيَا
إِلَى الْمَلِكِ الْأَعْلَى الَّذِي لَيْسَ فَوْقَهُ إِلَهُ وَلَا رَبُّ يَكُونُ مُدَانِيَا
وقد قيل إنها لأمية بن أبي الصَّلت . والله أعلم .

ومن شعره في التوحيد ما حكاه محمد بن إسحاق والزُّبَيْرُ بن بَكَّار وغيرهما :
وَأَسْلَمْتُ وَجْهِي لِمَنْ أَسْلَمَتْ لَهُ الْأَرْضُ تَحْمِلُ صَخْرًا ثَقَالَا

دَحَاها فَلَمَّا اسْتَوَتْ شَدَّهَا سَوَاءٌ وَأَرْسَى عَلَيْهَا الْجِبَالَ
وَأَسْلَمْتُ وَجْهِي لِمَنْ أَسْلَمْتُ لَهُ الْمُزْنُ تَحْمِلُ عَذْبًا زَلَالًا
إِذَا هِيَ سَيِّقَتْ إِلَى بِلْدَةٍ أَطَاعَتْ فَصَبَّتْ عَلَيْهَا سِجَالًا
وَأَسْلَمْتُ وَجْهِي لِمَنْ أَسْلَمْتُ لَهُ الرِّيحُ تَصْرِفُ حَالًا فَخَالًا

وقال محمد بن إسحاق : حدثني هشام بن عروة قال : روى أبي أن زيد بن

عمرو قال :

أَرْبَابًا وَاحِدًا أَمْ أَلْفَ رَبٍّ أَدِينُ إِذَا تَقَسَّمتِ الْأُمُورُ
عَزَلْتُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى جَمِيعًا كَذَلِكَ يَفْعَلُ الْجَلْدُ الصَّبُورُ
فَلَا الْعُزَّى أَدِينُ وَلَا ابْنَتَيْهَا وَلَا صَنَعَى بَنَى عَمْرُو أَزُورُ
وَلَا غَنَمًا أَدِينُ وَكَانَ رَبًّا لَنَا فِي الدَّهْرِ إِذْ حُلِيَ يَسِيرُ
عَجِبْتُ فِي اللَّيَالِي مُعْجِبَاتٍ وَفِي الْأَيَّامِ يَعْرِفُهَا الْبَصِيرُ
بَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَفْنَى رَجَالًا كَثِيرًا كَانَ شَأْنُهُمُ الْفَجُورُ
وَأَبْقَى آخِرِينَ بَيِّرَ قَوْمٍ فَيَرْبُلُ مِنْهُمْ الطُّفْلُ الصَّغِيرُ
وَيَدْنَا الْمَرْءَ يَعْتَرُ ثَابَ يَوْمًا كَمَا يَتَرَوَّجُ الْغَيْصُ النُّضِيرُ
وَلَكِنْ أَعْبُدِ الرَّحْمَنَ رَبِّي لِيَغْفِرَ ذَنْبِي الرَّبُّ الْغَفُورُ
فَتَقْوَى اللَّهِ رَبِّكُمْ أَحْفَظُوهَا مَتَى مَا تَحْفَظُوهَا لَا تَبُورُوا
تَرَى الْأَبْرَارَ دَارَهُمْ جَنَّاتٍ وَلِلْكَافَرِ حَامِيَةٌ سَعِيرُ
وَحَزَى فِي الْحَيَاةِ وَإِنْ يَمُوتُوا يَلَاقُوا مَا تَضِيقُ بِهِ الصُّدُورُ

هذا تمام ما ذكره محمد بن إسحاق من هذه القصيدة . وقد رواه أبو القاسم

البغوي عن مُصْعَبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، عن الضحَّاكِ بْنِ عُمَانَ ، عن عبد الرحمن بن أبي الزناد

قال : قال هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن أسماء بنت أبي بكر قالت : قال زيد بن عمرو بن نفيل :

عزلتُ الجنَّ والجنَّان عني كذلك يفعلُ الجلدُ الصَّبورُ
فلا العُزَّى أدِين ولا ابنتيها ولا صنمى بنى طسم أدير
ولا غمًا أدِينُ وكان ربًّا لنا فى الدهر إذ حُمى صغيرُ
أربًّا واحدًا أم ألف رب أدِينُ إذا تقسَّمت الأمورُ
ألم تعلم بأن الله أفنى رجالاً كان شأنهم الفجورُ
وأبقى آخرين بـ قومٍ فيربو منهم الطفلُ الصغيرُ
ويُنَّا المرء يـ ثاب يوما كما يتروَّح الغصن النضير

قالت : فقال ورقة بن نوفل :

رشدتَ وأنعمتَ ابن عمرو وإنما تجنبتَ تنوراً من النار حامياً
لدينك ربًّا ليس ربُّ كمثلِه وترَّكك جنان الجبال كما هيأ
أقول إذا أهبطتُ أرضاً مخوفةً جنائيك لا تُظهِرْ على الأعاديأ
حنانيك إن الجن أنت ^(١) رجاؤهم وأنت إلهى ربنا ورجائيا
لَتَذَرِكَنَّ المرء رحمةً ربه وإن كان تحت الأرض سبعين وادياً ^(٢)
أدينُ لربِّ يستجيبُ ولا أرى أدِينُ لمن لا يسمع الدهر داعيا
أقول إذا صليتُ فى كل بيعةٍ تباركتَ قدأ كثرتُ باسمك داعيا

تقدم أن زيد بن عمرو بن نفيل خرج إلى الشام هو وورقة بن نوفل وعثمان بن الحويرث وعبيد الله بن جحش ، فتنصَّروا إلا زيدا فإنه لم يدخل فى شيء من الأديان ،

(١) ط : كانت (٢) رواية ابن هشام :

وقد تدرك الإنسان رحمة ربه وإن كان تحت الأرض سبعين وادياً
وهى أولى ، وقد ذكرها المؤلف قبل . ونصب سبعين على تقدير فعل مثل : بعد تحت الأرض سبعين وادياً .

بل بقي على فطرته من عبادة الله وحده لا شريك له ، متّبعا ما أمكنه من دين إبراهيم .
على ما ذكرناه .

وأما ورقة بن نوفل فسيأتي خبره في أول المبعث

وأما عثمان بن الحويرث فأقام بالشام حتى مات فيها عند قيصر . وله خبر عجيب ذكره الأموي ، ومختصره : أنه لما قدّم على قيصر فشكا إليه ما لقي من قومه ، كتب له إلى ابن جفنة ملك عرب الشام ليجهز معه جيشاً لحرب قريش ، فعزم على ذلك ، فكتبت إليه الأعراب تنهاه عن ذلك لما رأوا من عظمة مكة وكيف فعل الله بأصحاب الفيل ، فكساه ابن جفنة قميصاً مصبوغاً مسموماً فمات من سمه ، فوثاه زيد بن عمرو بن نفيل بشعر ذكره الأموي ، تركناه اختصاراً .

وكانت وفاته قبل المبعث بثلاث سنين أو نحوها . والله سبحانه وتعالى أعلم .

ذكر شيء مما وقع من الحوادث في زمن الفترة

فمن ذلك بنيان الكعبة

وقد قيل : إن أول من بناه آدم . وجاء في ذلك حديث مرفوع عن عبد الله بن عمرو وفي سنده ابن لهيعة وهو ضعيف .

وأقوى الأقوال أن أول مَنْ بناه الخليل عليه السلام . كما تقدم . وكذلك رواه سَمَّاك بن حرب ، عن خالد بن عرعة ، عن علي بن أبي طالب . قال : ثم تهدّم فَبَنَته العالقة ، ثم تهدّم فَبَنَته جُرهم ، ثم تهدّم فَبَنَته قريش .

قلت : سيأتي بناء قريش له ، وذلك قبل المبعث بخمس سنين ، وقيل بخمس عشرة سنة . وقال الزهري : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بلغ الحلم . وسيأتي ذلك كله في موضعه إن شاء الله وبه الثقة .

ذكر كعب بن لؤي

روى أبو نُعَيْمٍ من طريق محمد بن الحسن بن زبالة ، عن محمد بن طلحة التيمي ، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث ، عن أبي سَلَمَةَ قال : كان كعب بن لؤي يجمع قومه يوم الجمعة ، وكانت قريش تسميه العروبة ، فيخطبهم فيقول : أما بعد فاسمعوا وتعلموا ، وافهموا واعلموا ، ليلٌ ساج ، ونهار ضاحٍ والأرض مهاد ، والسماء بناء ، والجبال أوتاد ، والنجوم أعلام ، والأولون كالآخرين ، والأثني والذكر ، والزوج^(١) وما يهيج إلى بلى ، فصلوا أرحامكم ، واحفظوا أصهاركم ، وثمرتوا أموالكم . فهل رأيتم من هالك رَجَعَ ؟

(٢) خ ط : والروح . وهو خطأ . والذي في دلائل النبوة لأبي نعيم : والأثني والذكر والزوج إلى بلى صائرون .

أَوْ مِيتَ نُشِرَ؟ الدار أَمَامَكُمْ ، وَالظَّنْ غَيْرَ مَا تَقُولُونَ ؛ حَرَمَكُمْ زَيْنُوهُ وَعَظُمُوهُ وَتَمَسَكُوا
بِهِ ، فَسَيَأْتِي لَهُ نَبَأٌ عَظِيمٌ ؛ وَسَيُخْرِجُ مِنْهُ نَبِيٌّ كَرِيمٌ ثُمَّ يَقُولُ :

نَهَارُ وَلِيلٌ كُلُّ يَوْمٍ بِحَادِثٍ سَوَاءٌ عَلَيْنَا لَيْلُهَا وَنَهَارُهَا

يُؤْوِيَانِ بِالْأَحْدَاثِ حِينَ تَأْوِيَانِ وَبِالنَّعَمِ الضَّافِي عَلَيْنَا سُتُورَهَا

عَلَى غَفْلَةٍ يَأْتِي النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ فَيُخْبِرُ أَخْبَارَ أَصْدُوقِ خَيْرِهَا

ثُمَّ يَقُولُ : وَاللَّهِ لَوْ كُنْتُ فِيهَا ذَا سَمْعٍ وَبَصَرٍ ، وَيَدٍ وَرَجُلٍ ، لَتَنصَبْتُ فِيهَا تَنْصَبَ
الْجَلِّ ، وَلَأَرْقَلْتُ فِيهَا إِرْقَالَ الْفَحْلِ ^(١) . ثُمَّ يَقُولُ :

يَا لَيْتَنِي شَاهِدًا فَخَوَاءَ ^(٢) دَعْوَتِهِ حِينَ الْعَشِيرَةُ تُتَبَغَّى الْحَقَّ خُذْلَانَا

قَالَ : وَكَانَ بَيْنَ مَوْتِ كَعْبِ بْنِ لُؤْيٍ وَمَبْعَثِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَمْسَانَةَ

عَامٍ وَسِتُونَ سَنَةً .

ذِكْرُ تَجْدِيدِ حَفْرِ زَمْزَمَ

عَلَى يَدَيِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ بْنِ هَاشِمٍ الَّتِي كَانَ قَدْ دَرَسَ رَسْمُهَا بَعْدَ طَمِّ جُرْهُمِ لَهَا
إِلَى زَمَانِهِ .

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ : ثُمَّ إِنْ عَبْدَ الْمَطْلَبِ بَيْنَمَا هُوَ نَائِمٌ فِي الْحِجْرِ [إِذَا أَتَى فَأَمَرَ
بِحَفْرِ زَمْزَمَ] ^(٣)

وَكَانَ أَوَّلَ مَا ابْتَدَى بِهِ عَبْدَ الْمَطْلَبِ مِنْ حَفْرِهَا ؛ كَمَا حَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ أَبِي حَبِيبٍ
الْمَصْرِيُّ عَنْ مَرْثَدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْيَزَنِيِّ ^(٤) ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ ذُرَيْرٍ ^(٥) الْعَافِقِيِّ أَنَّهُ سَمِعَ

(١) الْعَجَلُ . وَهُوَ خَطَأٌ . (٢) نَحْوَاءُ . وَهُوَ خَطَأٌ .

(٣) مَا بَيْنَ الْقَوْسَيْنِ سَاقِطٌ مِنَ الْمَطْبُوعَةِ . (٤) الْمَطْبُوعَةُ : الزَّنَى ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ :

(٥) الْمَطْبُوعَةُ : رَزِينَ ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

على بن أبي طالب رضى الله عنه يحدث حديثَ زمزم حين أمر عبدُ المطلب بحفرها
قال : قال عبد المطلب : إني لنأثم في الحجر إذ أتاني آتٍ فقال لى : احفر طيبة . قال :
قلت وما طيبة ؟ قال : ثم ذهب عنى .

قال : فلما كان الغد رجعت إلى مضجعى فنمت فيه ، فجاءنى فقال : احفر برة . قال :
قلت وما برة ؟ قال : ثم ذهب عنى .

فلما كان الغد رجعت إلى مضجعى فنمت فيه ، فجاءنى فقال : احفر المصنونة . قال قلت :
وما المصنونة ؟ قال ثم ذهب عنى .

فلما كان الغد رجعت إلى مضجعى فنمت فيه ، فجاءنى فقال : احفر زمزم . قال : قلت
وما زمزم ؟ قال : لا تنزف أبداً ولا تدم^(١) ، تسقى الحجيج الأعظم ، وهى بين القرث
والدم ، عند نقرة الغراب الأعصم ، عند قرية النمل^(٢) .

قال : فلما بين له^(٣) شأنها ودلَّ على موضعها ، وعرف أنه قد صدق ، غداً بمعه
ومعه ابنه الحارث بن عبد المطلب ، وليس له يومئذ ولدٌ غيره ، فحفر فيها ، فلما بدا
لعبد المطلب الطي^(٤) كبر ، فعرفت قريش أنه قد أدرك حاجته ، فقاموا إليه فقالوا :
يا عبد المطلب إنها بئر أينا إسماعيل ، وإن لنا فيها حقاً فأشركنا معك فيها . قال : ما أنا
بفاعل ، إن هذا الأمر قد خُصصَ به دُونكم وأُعطيته من بينكم . قالوا له : فأَنْصِفْنَا
فإننا غير تاركيك حتى نخاصمك فيها . قال : فاجعلوا بينى وبينكم من شئتم أحاكمكم إليه .
قالوا : كاهنة بنى سعد بن هذيم^(٥) قال : نعم . وكانت بأشراف الشام .

(١) بئر ذمة وذميم وذمية : قليلة الماء . فهو من أذمت البئر ، أى وجدتها ذمة ، كما تقول : أجبنت
الرجل إذا وجدته جباناً . وفى المطبوعة : تزم ، وهو تحريف .

(٢) ذكر السهيلي عللاً لهذه العلامات من أحوال زمزم . (٣) المطبوعة : لى ، وهو خطأ .

(٤) الطي : ما طوى به البئر من الحجارة . وفى المطبوعة : الطمي وهو تحريف .

(٥) الطبرى : سعد بن هذيم . وهو الصواب .

فركب عبد المطلب ومعه نفر من بنى أمية ، وركب من كل قبيلة من قريش نفر .
فخرجوا والأرض إذ ذاك مَافُورٌ ، حتى إذا كانوا يبيعونها فند ماء عبد المطلب وأصحابه ،
فعطشوا حتى استيقنوا بالهلكة ، فاستسقوا من معهم فأبوا عليهم وقالوا : إنا بمفازة وإنا
نخشى على أنفسنا مثل ما أصابكم . فقال عبد المطلب : إني أرى أن يحفر كل رجل منكم
حفرة لنفسه بما لكم الآن من القوة ، فكلما مات رجل دفعه أصحابه في حفرة ثم واروه ،
حتى يكون آخرهم رجلاً واحداً فضيعة رجل واحد أيسر من ضيعة رَكْبٍ جميعه . فقالوا :
نعم ما أمرت به .

فحفر كل رجل لنفسه حفرة ثم قعدوا ينتظرون الموت عطشاً .

ثم إن عبد المطلب قال لأصحابه : والله إن إلقاءنا^(١) بأيدينا هكذا الموت لا نضرب في
الأرض ولا نبتغي لأنفسنا لعجز ، فعسى الله أن يرزقنا ماء يبيع البلاء ، ارتحلوا . فارتحلوا ،
حتى إذا بعث عبد المطلب راحلته انفجرت من تحت خفها عين ماء عذب ، فكبر
عبد المطلب وكبر أصحابه ، ثم نزل فشرب وشرب أصحابه واستسقوا حتى ملأوا أسقيتهم
ثم دعا قبائل قريش وهم ينتظرون إليهم في جميع هذه الأحوال فقال : هلموا إلى الماء فقد
سقانا الله . فجاءوا فشربوا واستقوا كلهم ، ثم قالوا : قد والله قضى لك علينا ، والله
ما نخاصمك في زمزم أبداً ، إن الذى سقاك هذا الماء بهذه الفلاة هو الذى سقاك زمزم ،
فارجع إلى سقايتك راشداً .

فرجع ورجعوا معه ، ولم يصلوا إلى الكاهنة ، وخلوا بينه وبين زمزم .

قال ابن إسحاق : فهذا ما بلغني عن علي بن أبي طالب في زمزم .

قال ابن إسحاق : وقد سمعت من يحدث عن عبد المطلب أنه قيل له حين أمر

بحفر زمزم :

(١) ط خ : قال لأصحابه : ألقينا بأيدينا الخ . وهو تحريف - وما أثبتته عن ابن هشام .

ثم ادْعُ بالماء الرَّوِيَّ غَيْرَ الْكَدِرِ يسقى حجيجَ الله في كل مَبَرٍّ^(١)
ليس يُخَافُ منه شيءٌ ما عَمِرَ

قال : فخرج عبد المطلب حين قيل له ذلك إلى قريش ، فقال : تعلموا أني قد أُمرْتُ
أن أحفر زمزم . قالوا : فهل يُبَيِّنُ لك أين هي ؟ قال : لا . قالوا : فارجع إلى مَضْجَعِكَ
الذي رأيتَ فيه مارأيتَ ، فإن يَكُ حقاً من الله يبيِّنُ لك ، وإن يك من الشيطان فلن يعود
إليك . فرجع ونام فأتى فقيل له :

احفر زمزم ، إنك إن حفرتها لن تندم ، وهي تراثٌ من أبيك الأعظم ، لا تَنزِفْ
أبدًا ولا تُدَمِّمْ ، تسقى الحجيجَ الأعظم ، مثل نعام جافل^(٢) لم يُقسم ، يَنذِرُ فيها ناذر
لنُعمٍ^(٣) . تكون ميراثًا وعَقْدًا مُحْكَمًا . ليست كـبعض^(٤) ما قد تعلم ، وهي بين
الفرث والدم .

قال ابن إسحاق : فرغموا أن عبد المطلب حين قيل له ذلك قال : وأين هي ؟ قيل له
عند قرية النمل حيث يَنقرُ الغراب غدًا . فأنه أعلم أي ذلك كان .

قال : ففدَا عبدُ المطلب ومعه ابنه الحارث ، وليس له يومئذ ولد غيره . زاد الأموي :
ومولاه أصرم . فوجد قرية النمل ، ووجد الغراب ينقر عندها بين الوثنيين إساف وناثا
الذين كانت قريش تنحدر عندهما ، فجاء بالمعول وقام ليحفر حيث أُمر ، فقامت إليه
قريش وقالت : والله لا نتركك تحفر بين وثنيِّنا اللذين ننحدر عندهما . فقال عبد المطلب
لابنه الحارث : دُدْ عني حتى أحفر ، فوالله لأمضين لما أمرت به . فلما عرفوا أنه غير
نازع خلوا بينه وبين الحفر وكفوا عنه ، فلم يحفر إلا يسيراً حتى بدا له الطِّيُّ فكَبَّرَ

(١) مبر : مفضل من البر ، أي مناسك الحج ومواضع الطاعة .

(٢) الجافل : من جفلت الغنم إذا اتقاعت بجملتها . ولم يقسم : لم يتوزع ولم يتفرق .

(٣) المطبوعة : بمنعم . وهو خطأ . (٤) المطبوعة : لبعض ، وهو خطأ .

وعرف أنه قد صدق ، فلما تمالى به الحفر وجد فيها غزالين من ذهب اللذين كانت جرهم قد دفنتهما ، ووجد فيها أسيافا قلمعية وأدراعا .

فقال له قريش : يا عبد المطلب لنا معك في هذا شركٌ وحق . قال : لا ، ولكن هلم إلى أمرٍ نَصَف بيني وبينكم ، نضربُ عايتها بالقِدَاح . قالوا : وكيف نصنع ؟ قال : أجعل للكعبة قِدْحين ولى قِدْحين ولكم قِدْحين ، فمن خرج قدحاه على شيء كان له ، ومن تخلف قدحاه فلا شيء له . قالوا : أنصفت . فجعل للكعبة قدحين أصفرين وله أسودين ولهم أبيضين ، ثم أعطوا القداح الذى يضرب عند هُبل - وهبل أكبر أصنامهم ولهذا قال أبو سفيان يوم أحد : اعل هبل . يعنى هذا الصنم - وقام عبد المطلب يدعو الله .

وذكر يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق أن عبد المطلب جعل يقول :

اللهم أنت الملكُ الحمودُ ربى أنت المبدىُ المعيدُ
ومسك الراسيةِ الجمود من عندك الطارفُ والتليدُ
إن شئتُ ألهمتُ كما تريد لموضع الحلية والحديدُ
فبينَ اليوم لما تريد إني نذرت العاهدَ المعهودُ
اجعله ربِّ لى فلا أعود

قال وضرب صاحب القداح ، فخرج الأصفران على الغزالين للكعبة ، وخرج الأسودان على الأسياف والأدراع لعبد المطلب ، وتخلف قدحا قريش . فضرب عبد المطلب الأسيافَ بابا للكعبة ، وضرب فى الباب الغزالين من ذهب ، فكان أول ذهب حليته الكعبة^(١) فيما يزعمون .

ثم إن عبد المطلب أقام سِقَاية زمزم للحاج وذكر ابن إسحاق وغيره أن مكة كانا

(١) المطبوعة : حلية للكعبة ، وهو تحريف .

فيها بئار كثيرة قبل ظهور زمزم في زمن عبد المطلب ، ثم عددها ابن إسحاق وسمّاها وذكر أماكنها من مكة وحافريّتها ، إلى أن قال : قَعَّتْ زمزمُ على البئار كلها وانصرف الناس كلهم إليها لمكانها من المسجد الحرام ، ولفضلها على ماسواها من المياه ، ولأنها بئر إسماعيل بن إبراهيم ، وافتخرت بها بنو عبد مناف على قريش كلها وعلى سائر العرب .

وقد ثبت في صحيح مسلم في حديث إسلام أبي ذرّ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في زمزم : « إنها لَطَعَامُ طُعْمٍ . وشفاء سُقْمٍ » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الله بن الوليد ، عن عبد الله بن المؤمل ، عن أبي الزبير ، عن جابر بن عبد الله ، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ماء زمزم لِمَا شُرِبَ مِنْهُ » .

وقد رواه ابن ماجه من حديث عبد الله بن المؤمل ، وقد تكلموا فيه ولفظه : « ماء زمزم لِمَا شُرِبَ لَهُ » . ورواه سويد بن سعيد ، عن عبد الله بن المبارك ، عن عبد الرحمن بن أبي الموالي ، عن محمد بن المنكدر ، عن جابر ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ماء زمزم لما شرب له » ولكن سويد بن سعيد ضعيف . والحفوظ عن ابن المبارك عن عبد الله بن المؤمل كما تقدم . وقد رواه الحاكم عن ابن عباس مرفوعا « ماء زمزم لما شرب له » وفيه نظر . والله أعلم .

وهكذا روى ابن ماجه أيضا والحاكم عن ابن عباس أنه قال لرجل : إذا شربت من زمزم فاستقبل الكعبة واذكر اسم الله وتنفّس ثلاثا وتضلّع منها ، فإذا فرغت فاحمد الله ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن آية ما بيننا وبين المنافقين لا يتضلعون من ماء زمزم » .

وقد ذكر عن عبد المطلب أنه قال : اللهم إني لا أحلها لمغتسل ، وهى لشارب حلّ وبَلّ .

وقد ذكره بعض الفقهاء عن العباس بن عبد المطلب ، والصحيح أنه عن عبد المطلب نفسه ، فإنه هو الذى جَدَّدَ حَقَرَ زمزم كما قدمنا والله أعلم .

وقد قال الأموى فى مغازيه : حدثنا أبو عبيد ، أخبرنى يحيى بن سعيد ، عن عبد الرحمن بن حرملة ، سمعت سعيد بن المسيب يحدث أن عبد المطلب بن هاشم حين احتفر زمزم . قال : لا أحلها لمغتسل وهى لشارب حلّ وبَلّ . وذلك أنه جعل لها حوضين حوضاً للشرب ، وحوضاً للوضوء . فعند ذلك قال : لا أحلها لمغتسل ، لينزه المسجد عن أن يغتسل فيه . قال أبو عبيد : قال الأصمى : قوله « وبَلّ » إتياع . قال أبو عبيد : والإتياع لا يكون بواو العطف ، وإنما هو كما قال مُعْتَمِر بن سُلَيْمَان أن « بل » بلغة حمير : مباح . ثم قال أبو عبيد : حدثنا أبو بكر بن عياش ، عن عاصم بن أبى النجود ، أنه سمع زُرّاً أنه سمع العباس يقول : لا أحلها لمغتسل ، وهى لشارب حل وبَل . وحدثنا عبد الرحمن ابن مهدى ، حدثنا سفيان ، عن عبد الرحمن بن علقمة ، أنه سمع ابن عباس يقول ذلك . وهذا صحيح إليهما ، وكأنهما يقولان ذلك فى أيامهما على سبيل التبليغ والإعلام بما اشترطه عبد المطلب عند حفره لها ، فلا ينافى ما تقدم . والله أعلم .

وقد كانت السقاية إلى عبد المطلب أيام حياته ، ثم صارت إلى ابنه أبى طالب مدّة ، ثم اتفق أنه أُمِّلَ فى بعض السنين فاستدان من أخيه العباس عشرة آلاف إلى الموسم الآخر ، وصرفها أبو طالب فى الحجيج فى عامه فيما يتعلق بالسقاية ، فلمّا كان العام المقبل لم يكن مع أبى طالب شيء ، فقال لأخيه العباس : أسلفنى أربعة عشر ألفاً أيضاً إلى العام المقبل أعطيك جميع مالك ، فقال له العباس : بشرط إن لم تعطنى تترك السقاية لى أكفكها . فقال : نعم .

فلما جاء العام الآخر لم يكن مع أبي طالب ما يُعطى العباس ، فترك له السقاية فصارت إليه ، ثم بعده صارت إلى عبد الله ولده ثم إلى علي بن عبد الله بن عباس ، ثم إلى داود بن علي ، ثم إلى سليمان بن علي ، ثم إلى عيسى بن علي ، ثم أخذها المنصور واستناب عليها مولاه أبا رزين . ذكره الأُموي .

ذِكْرُ نَذْرِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ ذَبْحَ أَحَدِ وَلَدِهِ

قال ابن إسحاق : وكان عبد المطلب ، فيما يزعمون ، نَذَرَ حين لَقِيَ من قریش مالم يلقى عند حفر زمزم ، لئن وُلِدَ له عشرةُ نفرٍ ثم باغوا معه حتى يمنعه ليدبحن أحدهم لله عند الكعبة .

فلما تكامل بنوه عشرةً . وعرف أنهم سيمنعونه ، وهم : الحارث ، والزبير ، وحُجَل ، وضرار ، والمقوم ، وأبو لهب ، والعباس ، وحزمة ، وأبو طالب ، وعبد الله ، جمعهم ثم أخبرهم بنذره ودعاهم إلى الوفاء لله عز وجل بذلك . فأطاعوه وقالوا : كيف نصنع ؟ قال : لِيَأْخُذَ كل رجل منكم قِدْحًا ثم يكتب فيه اسمه ثم ائتنوني .

ففعَلُوا ثم أتوه ، فدخل بهم على هُبَلٍ في جوف الكعبة ، وكانت تلك البئر هي التي يجمع فيها ما يهدى للكعبة ، وكان عند هبل قداح سبعة ، وهي الأُزْلام التي يتحاكمون إليها إذا أعْضَل عليهم أمر من عَقْل أو نسب أو أمر من الأمور ، جاءوه فاستقسموا بها فما أمرتهم به أو نهتهم عنه امتثلوه .

والمقصود أن عبد المطلب لما جاء يستقسم بالقداح عند هبل خرج القِدْح على ابنه عبد الله وكان أصغر ولده وأحبهم إليه ، فأخذ عبد المطلب بيد ابنه عبد الله وأخذ الشفرة ثم أقبل به إلى إساف ونائلة ليدبحه ، فقامت إليه قریش من أُنْديتها فقالوا : ما تريد

يا عبد المطلب ؟ قال أذبجه ، فقالت له : قریش وبنوه إخوة عبد الله : والله لا تذبحه أبداً حتى تُعذّر فيه ، لئن فعلت هذا لا يزال الرجل يحىء بانبه حتى يذبجه ، فما بقاء الناس على هذا ؟!

وذكر يونس بن بكير عن ابن إسحاق أن العباس هو الذى اجتذب عبد الله من تحت رجل أبيه حين وضعها عليه ليذبجه ، فيقال إنه شج وجهه شجاً لم يزل فى وجهه إلى أن مات .

ثم أشارت قریش على عبد المطلب أن يذهب إلى الحجاز فإن بها عرّافة لها تابعٌ ، فيسألها عن ذلك ، ثم أنت على رأس أمرك ، إن أمرتك بذبجه فاذبحه ، وإن أمرتك بأمر لك وله فيه مخرج قبلته .

فانطلقوا حتى أتوا المدينة فوجدوا العرافة وهى سَجّاح ، فيما ذكره يونس بن بكير عن ابن إسحاق ، فركبوا حتى جاءوها فسألوها وقصّ عايتها عبد المطلب خبره وخبر ابنه ، فقالت لهم : ارجعوا عنى اليوم حتى يأتينى تابعى فأسأله .

فرجعوا من عندها ، فلما خرجوا قام عبد المطلب يدعو الله ، ثم غدوا عليها فقالت لهم قد جاءنى الخبر ، كم الدية فيكم ؟ قالوا : عشر من الإبل . وكانت كذلك . قالت : فارجعوا إلى بلادكم ثم قرّبوا صاحبكم وقرّبوا عشرًا من الإبل ، ثم اضربوا عليها وعليه بالقِداح فإن خرجت على صاحبكم فزيدوا من الإبل حتى يرضى ربكم ، وإن خرجت على الإبل فانحروها عنه فقد رضى ربكم ونجا صاحبكم .

فخرجوا حتى قدموا مكة ، فلما أجمعوا على ذلك الأمر قام عبد المطلب يدعو الله ، ثم قرّبوا عبد الله وعشرًا من الإبل ، ثم ضربوا ، فخرج القِدح على عبد الله ، فزادوا عشرًا ثم ضربوا ، فخرج القِدح على عبد الله ؛ فزادوا عشرًا فلم يزالوا يزدون عشرًا ويخرج القِدح على عبد الله حتى بلغت الإبل مائة ، ثم ضربوا فخرج القِدح على الإبل ،

فَقَالَتْ عِنْدَ ذَلِكَ قَرِيشَ لَعْبِدِ الْمَطْلَبِ ، وَهُوَ قَائِمٌ عِنْدَ هَبْلٍ يَدْعُو اللَّهَ : قَدْ اَتَمَّي رَضَى
رَبِّكَ يَا عَبْدَ الْمَطْلَبِ . فَعِنْدَهَا زَعَمُوا أَنَّهُ قَالَ : لَا حَتَّى أَضْرِبَ عَلَيْهَا بِالْقَدْحِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ،
فَضْرَبُوا ثَلَاثًا وَيَقَعُ الْقَدْحُ فِيهَا عَلَى الْإِبِلِ ، فَتُحَرَّتْ ثُمَّ تَرَكْتُ لَا يُصَدِّ عَنْهَا إِنْسَانٌ
وَلَا يَمْنَعُ . قَالَ ابْنُ هِشَامٍ وَيُقَالُ : وَلَا سَبْعُ .

وَقَدْ رَوَى أَنَّهُ لَمَّا بَلَغَتْ الْإِبِلُ مِائَةَ خَرَجَ الْقَدْحُ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ أَيْضًا ، فَزَادُوا
مِائَةَ أُخْرَى حَتَّى بَلَغَتْ مِائَتَيْنِ ، فَخَرَجَ الْقَدْحُ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ ، فَزَادُوا مِائَةَ أُخْرَى فَصَارَتْ
الْإِبِلُ ثَلَاثِمِائَةً ، ثُمَّ ضَرَبُوا فَخَرَجَ الْقَدْحُ عَلَى الْإِبِلِ فَنَحَرَهَا عِنْدَ ذَلِكَ عَبْدُ الْمَطْلَبِ .
وَالصَّحِيحُ الْأَوَّلُ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وَقَدْ رَوَى ابْنُ جَرِيرٍ عَنْ يُونُسَ بْنِ عَبْدِ الْأَعْلَى ، عَنْ ابْنِ وَهْبٍ ، عَنْ يُونُسَ
بْنِ يَزِيدٍ ، عَنْ الزَّهْرِيِّ ، عَنْ قَبِيصَةَ بِنِ ذُوَيْبٍ ، أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ سَأَلَتْهُ امْرَأَةٌ أَنَّهَا نَذَرَتْ
ذَبْحَ وَلَدِهَا عِنْدَ الْكَعْبَةِ ، فَأَمَرَهَا بِذَبْحِ مِائَةِ مِنَ الْإِبِلِ وَذَكَرَ لَهَا هَذِهِ الْقِصَّةَ عَنْ
عَبْدِ الْمَطْلَبِ . وَسَأَلَتْ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ فَلَمْ يَفْتَحْهَا بِشَيْءٍ بَلْ تَوَقَّفَ . فَبَلَغَ ذَلِكَ مَرْوَانَ بْنَ
الْحَكَمِ ، وَهُوَ أَمِيرُ عَلَى الْمَدِينَةِ ، فَقَالَ : إِنَّهُمَا لَمْ يَصِيبَا الْفُتْيَا . ثُمَّ أَمَرَ الْمَرْأَةَ أَنْ تَعْمَلَ
مَا اسْتَطَاعَتْ مِنْ خَيْرٍ ، وَنَهَاها عَنْ ذَبْحِ وَلَدِهَا وَلَمْ يَأْمُرْهَا بِذَبْحِ الْإِبِلِ ، وَأَخَذَ النَّاسُ
بِقَوْلِ مَرْوَانَ بِذَلِكَ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

ذَكَرَ تَزْوِيجَ عَبْدِ الْمَطْلَبِ ابْنَةَ عَبْدِ اللَّهِ

مِنْ أَمَةِ بِنْتِ وَهْبِ الزَّهْرِيَّةِ

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : ثُمَّ انْصَرَفَ عَبْدُ الْمَطْلَبِ آخِذًا بِيَدِ ابْنَةِ عَبْدِ اللَّهِ ، فَمَرَبَهُ ، فَمَا يَزْعُمُونَ ،
عَلَى امْرَأَةٍ مِنْ بَنِي أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزْزِيِّ بِنِ قَصِيٍّ ، وَهِيَ أُمُّ قَتَالِ أَخْتِ وَرْقَةَ بِنِ نُوْفَلِ بْنِ
أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزْزِيِّ بِنِ قَصِيٍّ وَهِيَ عِنْدَ الْكَعْبَةِ ، فَظَنَرَتْ إِلَى وَجْهِه فَقَالَتْ : أَيْنَ تَذْهَبُ

يا عبد الله ؟ قال : مع أبي . قالت : لك مثل الإبل التي نُحِرت عنك وقَعَ علىَّ الآن . قال :
أنا مع أبي ولا أستطيع خلافه ولا فراقه .

فخرج به عبد المطلب حتى أتى وهب بن عبد مناف بن زُهرة بن كلاب بن مُرّة بن
كعب بن لؤى بن غالب بن فهر ، وهو يومئذ سيد بني زُهرة سنّاً وشرفاً ، فزوَّجه ابنته
آمنة بنت وهب ، وهى يومئذ سيدة نساء قومها .

فزعموا أنه دخل عليها حين أملكها مكانه ، فوقع عليها ، فحمت منه برسول الله
صلى الله عليه وسلم ، ثم خرج من عندها فأتى المرأة التي عرضت عليه ماعرضت ، فقال
لها : مالك لا تعرضين علىَّ اليوم ما كنت عرضت بالأمس ؟ قالت له : فارقك النور الذي
كان معك بالأمس فليس لى بك حاجة ^(١) . وكانت تسمع من أخيها ورقة بن نوفل ،
وكان قد تنصّر واتبع الكتب ، أنه كائن فى هذه الأمة نبي ، فطمعت أن يكون منها ،
فجعله الله تعالى فى أشرف عنصر وأكرم تحنّد وأطيب أصل ، كما قال تعالى « اللهُ أَعْلَمُ
حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ » وسنذكر المولد مفصلاً .

ومما قالت أم قتال بنت نوفل من الشعر ، تتأسف على ما فاتها من الأمر الذى رامته ،
وذلك فيما رواه البيهقى من طريق يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق رحمه الله :

عليك بال زُهرة حيث كانوا وآمنة التي حملت غلاماً
ترى المهدى حين نزا عليها ونوراً قد تقدّمه أماما

(١) الواضح من الرواية أنها طلبت من عبد الله الفاحشة فأبى ، وفى اليوم التالى عرض هو عليها فأبت ،
وعلت لإبائها بأن النور الذى كان فى وجهه قد زال ، وفى هذا اتهام لعبد الله ، وفلسفة للفاحشة بأنها
كانت رغبة فى النور . . . ! وليس نور النبوة لإفراز عضو ولا لإشراق وجه ، والرواية ظاهرة الاختلاق ،
وهى ذم فى صورة مدح ! هذا وقد جاء بعد أنها طلبت منه الزواج .

[إلى أن قالت] :

فكلُّ الخلق يرجوه جميعاً يسود الناس مهتدياً إماماً
 براه الله من نورٍ صفاه فأذهب نوره عنا الظلاما
 وذلك صنع ربك إذ جاء إذا ماسار يوماً أو أقاما
 فيهدى أهل مكة بعد كفرٍ ويفرض بعد ذلك الصياما ^(١)

وقال أبو بكر محمد بن جعفر بن سهل الخرائطي : حدثنا علي بن حرب ، حدثنا محمد ابن عمارة القرشي ، حدثنا مسلم بن خالد الزنجي ، حدثنا ابن جريج ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن ابن عباس قال : لما انطلق عبد المطاب بابنه عبد الله ليُزوجه مَرَّ به على كاهنة من أهل تبالة متهودة قد قرأت الكتب ، يقال لها فاطمة بنت مر الخثعمية ، فرأت نور النبوة في وجه عبد الله فقالت يا فتى هل لك أن تقع على الآن وأعطيك مائة من الإبل ؟ فقال عبد الله :

أما الحرامُ فالَمَمَات دُونَهُ وَالْحِلَّ لَا حِلَّ فَأَسْتَبِيْنَهُ
 فكيف بالأمر الذي تَبَغِيْنِيْهِ

ثم مضى مع أبيه فزوجه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة ، فأقام عندها ثلاثاً . ثم إن نفسه دعتة إلى مادعته إليه الكاهنة فأتاها فقالت : ما صنعتَ بعدى ؟ فأخبرها . فقالت : والله ما أنا بصاحبة ربية ، ولكني رأيت في وجهك نوراً فأردت أن يكون فيّ ، وأبى الله إلا أن يجعله حيث أراد . ثم أنشأت فاطمة تقول :

إني رأيت نَحِيْلَةً لَمَعَتْ فتلاَّات بَحْنَاتِم ^(٢) الْقَطْرِ

(١) هذا أيضاً ظاهر الاختلاق ، وعليه ركازة الصنع وتفاهة الوضع ، ولا أدري لم خص الصيام من بين شعائر الإسلام ! . (٢) الحناتم : السحاب السود .

فلما تها^(١) نوراً يضيء له ما حوَّله كإضاءة البدر
ورجوتها^(٢) نغراً أبوه به ما كلُّ قادح زنده يُورى
لله ما زهرية^(٣) سَلَبَتْ ثوبيك ما استابت وما تدري

وقالت فاطمة أيضاً :

بنى هاشمٍ قد غادرت من أخيكم أُمَيَّة إذ للبهاء يعتركان
كما غادر الصباحُ عند خُوده فتائل قد ميَّت^(٢) له بدهان
وما كلُّ ما يحوى الفتى من تلاده بحزم ولا مافاته لتواني
فأجمل إذا طالبتَ أمراً فإنه سيكفيكه جَدَّان يعتلجان
سيكفيكه إما يد مُففعلة^(٣) وإما يد مبسوطه ببنان
ولما حوت منه أُمَيَّة ما حوت حوت منه نغراً ما لذلك ثانٍ

وروى الإمام أبو نعيم الحافظ في كتاب « دلائل النبوة » من طريق يعقوب بن محمد الزُّهري ، عن عبد العزيز بن عمران ، عن عبد الله بن جعفر ، عن ابن عون ، عن المسور بن مخرمة ، عن ابن عباس قال : إن عبد المطلب قدّم اليمين في رحلة الشتاء ، فنزل على حَبْر من اليهود . قال : فقال لى رجل من أهل الديور - يعنى أهل الكتاب - : يا عبد المطلب أتأذن لى أن أنظر إلى بعضك ؟ قال : نعم إذا لم يكن عورة . قال : ففتح إحدى منخرى فنظر فيه ثم نظر فى الآخر ، فقال : أشهد أن فى إحدى يديك مُلكاً وفى الأخرى نُبوّة ، وإنا نجد ذلك فى بنى زُهرة فكيف ذلك ؟ قلت : لا أدرى . قال :

(١) رواية أبى نعيم : فلما بها نور . وتروى : فلما تها نور . ومعنى لآتها : لختها

(٢) ميَّت : خلطت . ورواية أبى نعيم : ميَّت بدهان .

(٣) مففعلة : متشعبة متقبضة

هل لك من شاعة ؟ قلت وما الشاعة ؟ قال : زوجة . قلت : أما اليوم فلا . قال : فإذا رجعت
فتزوج فيهم .

فرجع عبد المطلب فتزوج هالة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة ، فولدت حمزة
وصفية ، ثم تزوج عبد الله بن عبد المطلب آمنة بنت وهب فولدت رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، فقالت قريش حين تزوج عبد الله بآمنة : فلج ، أى فاز وغلب ، عبد الله
على أبيه عبد المطاب .

كتاب سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وذكر أيامه وغزواته وسراياه والوفود إليه
وشمائله وفضائله ودلائله الدالة عليه

باب ذكر نسبه الشريف وطيب أصله المنيف

قال الله تعالى : « اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ » .

ولما سأل هرقل ملك الروم لأبي سفيان تلك الأسئلة عن صفاته عليه الصلاة والسلام ، قال : كيف نسبُه فيكم ؟ قال : هو فينا ذو نسب . قال : كذلك الرسل تُبعث في أنساب قومها . يعنى في أكرمها أحسابا وأكثرها قبيلة . صلوات الله عليهم أجمعين .

فهو سيد ولد آدم ونخبرهم في الدنيا والآخرة . أبو القاسم ، وأبو إبراهيم ، محمد ، وأحمد ، والملاحى الذى يُمنحى به الكفر ، والعاقب الذى مابعدُه نبيٌّ ، والجاشر الذى يُحشّر الناسُ على قدميه ^(١) ، والمقفى ، ونبي الرحمة ، ونبي التوبة ، ونبي المَلَحمة ، وخاتم النبيين ، والفتاح ، وطه ، ويس ، وعبد الله .

قال البيهقي : وزاد بعض العلماء فقال : سَمَّاهُ اللهُ في القرآن رسولا ، نبياً ، أمياً ^(٢) ، شاهداً ، مبشراً ، نذيراً ، وداعياً إلى الله يأذنه وسراجا منيراً . ورءوفاً رحماً ، ومذكراً ، وجعله رحمة ونعمة وهادياً .

وسنورد الأحاديث المروية في أسمائه عليه الصلاة والسلام في باب نقده بعد فراغ السيرة ، فإنه قد وردت أحاديث كثيرة في ذلك ، اعتنى بجمعها الحافظان الكبيران أبو بكر البيهقي ، وأبو القاسم بن عسَّاكر ، وأفرد الناسُ في ذلك

(١) يحشّر الناس على قدميه : على أثره . أو على عهده وزمانه . (٢) ط : أمينا وهو خطأ .

مؤلفات ، حتى رام بعضهم أن يجمع له عليه الصلاة والسلام ألف اسم ، وأما الفقيه الكبير أبو بكر بن العربي المالكي شازح الترمذي بكتابه الذي سماه « عارضة الأحوذى » فإنه ذكر من ذلك أربعة وستين اسما والله أعلم .

وهو ابن عبد الله ، وكان أصغر ولد أبيه عبد المطلب ، وهو الذبيح الثاني المقدى بمائة من الإبل كما تقدم .

قال الزهرى : وكان أجمل رجال قريش ، وهو أخو الحارث ، والزيبر ، وحمزة ، وضرار وأبي طالب ، واسمه عبد مناف ، وأبى لهب ، واسمه عبد العزى ، والمقوم ، واسمه عبد الكمية ، وقيل هما اثنان ، وحجل واسمه المغيرة ، والغيداق وهو كثير الجود ، واسمه نوفل ، ويقال إنه حجل . فهؤلاء أعمامه عليه الصلاة والسلام .

وعماته ست ، وهن : أروى ، وبرّة ، وأميمة ، وصفية ، وعاتكة ، وأم حكيم - وهى البيضاء - وسنتكلم على كل مهم فيما بعد إن شاء الله تعالى .

كلهم أولاد عبد المطلب ، واسمه شيبه ، يقال : لشيبه كانت فى رأسه ، ويقال له شيبه الحمد لجوده ؛ وإنما قيل له عبد المطلب لأن أباه هاشما لما مر بالمدينة فى تجارته إلى الشام نزل على عمرو بن زيد بن لبيد بن حرام بن خدّاش بن خندف بن عدى بن النجار الخزرجى النجّارى ، وكان سيد قومه ، فأعجبه ابنته سلمى فخطبها إلى أبيها ، فزوجها منه واشترط عليه مقامها عنده ، وقيل : بل اشترط عاياه أن لا تلد إلا عنده بالمدينة . فلما رجع من الشام بنى بها وأخذها معه إلى مكة ، فلما خرج فى تجارة أخذها معه وهى حبلى . فتركها بالمدينة ودخل الشام فمات بغزة ، ووضعت سلمى ولدها فسمته شيبه ، فأقام عند أخواله بنى عدى بن النجار سبع سنين .

ثم جاء عمه المطلب بن عبد مناف فأخذهُ خفية من أمه فذهب به إلى مكة ، فلما رآه

الناس ورأوه على الراحلة قالوا : من هذا معك ؟ فقال : عَبْدِي . ثم جاءوا فهنئوه به وجعلوا يقولون له عبد المطلب لذلك . فغلب عليه .

وسادَ في قريش سيادةً عظيمةً وذهب بشرفهم ورئاستهم ، فكانَ جَماعُ أمرهم عليه ، وكانت إليه السقاية والرفادة بعد المطلب ، وهو الذي جدد حَفَرَ زمزم بعد ما كانت مَظْمومة من عهد جُرهم ، وهو أول من طَلَى الكعبة بذهب في أبوابها مِنْ تَبْنِكَ الغزالتين من ذهب اللتين وجدهما في زمزم مع تلك الأسياف القلعية .

قال ابن هشام ^(١) : وعبد المطلب أخو أسد ونَضْلَة ^(٢) وأبى صَيْفَى وَحْيَة وخالدة ورُقْيَة والشَّاءَ وَضَعِيْفَة . كلهم أولاد هاشم ، واسمه عمرو ، وإنما سُمي هاشمًا لَهَشَمَ الثريد مع اللحم لقومه في سِنِي المَحَل ، كما قال مطرود بن كعب الخزاعي في قصيدته ، وقيل للزَّعْمَرَى والد عبد الله :

عمرو الذي ^(٣) هَشَمَ الثريدَ لقومه ورجالُ مكة مُسْنِتُونَ عَجافُ
سُنَّتْ إِلَيْهِ الرحلتانِ كلاهما سَفَرُ الشتاء ورحلَةُ الأَصِيفِ

وذلك لأنه أول من سَنَّ رحلتي الشتاء والصيف وكان أكبر ولد أبيه . وحكى ابن جرير أنه كان توأم أخيه عبد شمس ، وأن هاشمًا خرج ورجله ملتصقة برأس عبد شمس ، فماتت حتى سال بينهما دم ، فقال الناس : بذلك يكون بين أولادها حروب ، فكانت وقعة بني العباس مع بني أمية بن عبد شمس سنة ثلاث وثلاثين ومائة من الهجرة .

(١) ابن هشام : « فولد هاشم بن عبد مناف أربعة نفر ، وخمس نسوة ... » ثم ذكرهم . وهذه طريقة ابن كثير في النقل بالمعنى .
(٢) المطبوعة : وفضلة . وموتخزيف .
(٣) ويروى : عمرو العلي .

وشقيقهم الثالث المُطَلَّب ، وكان المطالب أصغر ولد أبيه ، وأمهم عاتكة بنت مرة ابن هلال .

ورابعهم نوفل من أم أخرى ، وهى واقدة بنت عمرو المازنية ، وكانوا قد سادوا قومهم بعد أبيهم وصارت إليهم الرياسة ، وكان يقال لهم الجيرون . وذلك لأنهم أخذوا لقبومهم قريش الأمان من ملوك الأقاليم ليدخلوا فى التجارات إلى بلادهم ، فكان هاشم قد أخذ أمانا من ملوك الشام والروم وغسان ، وأخذ لهم عبد شمس من النجاشى الأكبر ملك الحبشة ، وأخذ لهم نوفل من الأكاسرة ، وأخذ لهم المطالب أمانا من ملوك حمير . ولهم يقول الشاعر :

يا أيها الرجلُ الحوّلُ رَحْلُهُ إِلَّا نَزَلْتُ بِأَلِ عَبْدِ مَنْفٍ
وكان إلى هاشم السقاية والرفادة بعد أبيه ، وإليه وإلى أخيه المطالب نسبُ ذوى القُربى ، وقد كانوا شيئاً واحداً فى حالتى الجاهلية والإسلام لم يفترقوا ، ودخلوا معهم فى الشَّعْب ، وانخذل عنهم بنو عبد شمس ونوفل . ولهذا يقول أبو طالب فى قصيدته :

جزى الله عنا عَبدَ شمسٍ ونَوْفلاً عَقوبَةَ شَرٍّ عاجلاً غير آجِلٍ
ولا يعرف بنو أب تَبَاينُوا فى الوفاة مثَلَهُمْ ، فإن هاشم مات بغزة من أرض الشام ، وعبد شمس مات بمكة ، ونوفل مات بسلام^(١) من أرض العراق ، ومات المطالب ، وكان يقال له القمر لحسنه ، برَدْمان^(٢) من طريق اليمن . فهؤلاء الإخوة الأربعة المشاهير وهم هاشم ، وعبد شمس ، ونوفل ، والمطلب .

ولهم أخ خامس ليس بمشهور وهو أبو عمرو واسمه عبد ، وأصل اسمه عبد قصى . فقال الناس عبد بن قصى ، درج ولا عقب له . قاله الزبير بن بكار وغيره .

(٢) خ ط : برِيمان . وهو خطأ . وما أثبتته عن ابن هشام

(١) خ ط : بسلامان . وهو خطأ . وما أثبتته عن ابن هشام

وأخوات ست وهن ، تماضر ، وحية ، وريطة ، وقلابة ، وأم الأخت
وأم سفيان .

كل هؤلاء أولاد عبد مناف ، ومناف اسم صنم ، وأصل اسم عبد مناف المغيرة .
وكان قد رأس في زمن والده ، وذهب به الشرف كل مذهب . وهو أخو عبد الدار
الذي كان أكبر ولد أبيه وإليه أوصى بالمناصب كما تقدم . وعبد العزى وعبد وبرّة
وتخمر ، وأمه كلهم حبي بنت حليل بن حبشية^(١) بن سلول بن كعب بن عمرو الخزاعي ،
وأبوها آخر ملوك خزاعة وولادة البيت منهم .

وكلهم أولاد قصي واسمه زيد ، وإنما سمي بذلك لأن أمه تزوجت بعد أبيه بربيعه
بن حرام بن عذرة فسافر بها إلى بلاده وابنها صغير فسمى قصيا لذلك . ثم عاد إلى مكة
وهو كبير ولم شعث قريش وجمعها من متفرقات البلاد ، وأزاح يد خزاعة عن البيت ،
وأجلاهم عن مكة ورجع الحق إلى نصابه ، وصار رئيس قريش على الإطلاق ، وكانت
إليه الرقادة^(٢) والسقاية ، وهو سنها ، والسدانة والحجابة واللواء ، وداره دار الندوة كما
تقدم بسط ذلك كله . ولهذا قال الشاعر :

قُصِيَّ لَعْمَرِي كَانَ يُدْعَى مُجْمَعًا بِهِ جَمَعَ اللَّهُ الْقَبَائِلَ مِنْ فِهْرٍ

وهو أخو زهرة ، كلاهما ابن كلاب أخى تيم ، ويقظة أبي مخزوم . ثلاثهم أبناء مُرّة
أخى عدي وهُصَيص .

وهم أبناء كعب ، وهو الذي كان يخطب قومه كل جمعة ويشرهم بمبعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم وينشد في ذلك أشعاراً كما قدمنا . وهو أخو عامر وسامة وخزيمة
وسعد والحارث وعوف ، سبعتهم أبناء لؤي أخى تيم الأذرم . وهما أبناء غالب أخى الحارث

(١) المطبوعة : حبشي ، وهو خطأ . (٢) ط : الوفادة . وهو خطأ .

ومحارب . ثلاثتهم أبناء فيهر ، وهو أخو الحارث ، وكلاهما ابن مالك . وهو أخو الصلت ويخلد ، وهم بنو النضر الذي إليه جماع قريش على الصحيح كما قدمنا الدليل عليه ، وهو أخو مالك وملكان وعبد مناة وغيرهم ، كلهم أولاد كنانة أخى أسد وأسدة والهون ، أولاد خزيمية ، وهو أخو هذيل . وهما ابنا مذركة ، واسمه عمرو ، أخو طابخة واسمه عامر ، وقعة ، ثلاثتهم أبناء الياس ، وأخو الياس هو عيلان والد قيس كلها ، وهما ولدا مضر أخى ربيعة . ويقال لهما الصريمجان من ولد إسماعيل ، وأخواها أمار وإياد تيامنا ، أربعتهم أبناء نزار أخى قضاة ، فى قول طائفة ممن ذهب إلى أن قضاة حجازية عدنانية ، وقد تقدم بيانه . كلاهما أبناء معد بن عدنان .

وهذا النسب بهذه الصفة لا خلاف فيه بين العلماء ، فجميع قبائل عرب الحجاز ينتهون إلى هذا النسب ، ولهذا قال ابن عباس وغيره فى قوله تعالى : « قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فى الْقُرْبَى » : لم يكن بطن من بطون قريش إلا ورسول الله صلى الله عليه وسلم نسب يتصل بهم .

وصلق ابن عباس رضى الله عنه فيما قال وأزيد مما قال . وذلك أن جميع قبائل العرب العدنانية تنتهى إليه بالآباء وكثير منهم بالأمهات أيضاً ، كما ذكره محمد بن إسحاق وغيره فى أمهاته وأمهات آبائه وأمهاتهم ما يطول ذكره .

وقد حرره ابن إسحاق رحمه الله والحافظ ابن عساكر .

وقد ذكرنا فى ترجمة عدنان نسبه وما قيل فيه ، وأنه من ولد إسماعيل لا محالة ، وإن اختلف فى كم أب بينهما ؟ على أقوال قد بسطناها فيما تقدم . والله أعلم .

وقد ذكرنا بقية النسب من عدنان إلى آدم ، وأوردنا قصيدة أبى العباس الناشئة المتضمنة ذلك ، كل ذلك فى أخبار عرب الحجاز والله الحمد .

وقد تكلم الإمام أبو جعفر بن جرير رحمه الله في أول تاريخه على ذلك كلاماً مبسوطاً جيداً مجرّراً نافعاً^(١) .

وقد ورد حديث في انتسابه عليه السلام إلى عدنان وهو على المنبر، ولكن الله أعلم بصحته، كما قال الحافظ أبو بكر البيهقي: أنبأنا أبو الحسن علي بن أحمد بن عمر بن حفص المقرئ، ببغداد، حدثنا أبو عيسى بكار بن أحمد بن بكار، حدثنا أبو جعفر أحمد ابن موسى بن سعد، إملاء سنة ست وتسعين ومائتين، حدثنا أبو جعفر محمد بن أبان القلانسي، حدثنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن ربيعة القدامي، حدثنا مالك بن أنس، عن الزهري، عن أنس، وعن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام. قال: بلغ النبي صلى الله عليه وسلم أن رجلاً من كندة يزعمون أنهم منه وأنه منهم فقال «إنما كان يقول ذلك العباس وأبو سفيان بن حرب فيأمنّا بذلك، وإنا لن ننتفي من آبائنا، نحن بنو النضر ابن كنانة» .

قال: وخطب النبي صلى الله عليه وسلم فقال «أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر ابن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار، وما افترق الناس فرقتين إلا جعلني الله في خيرهما، فأخرجت من بين أبوي فلم يصبني شيء من عهر الجاهلية، وأخرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح، من لدن آدم حتى انتهيت إلى أبي وأمي، فأنا خيركم نفساً، وخيركم أبا» .

وهذا حديث غريب جداً من حديث مالك. تفرد به القدامي وهو ضعيف. ولكن سنذكر له شواهد من وجوه أخرى.

فمن ذلك قوله « خرجت من نكاح لا من سفاح » قال عبد الرزاق : أخبرنا ابن عُيَيْنَةَ ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه أبي جعفر الباقر في قوله تعالى « لقد جاءكم رسولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ » قال : لم يُصِبْهُ شَيْءٌ من ولادة الجاهلية .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إني خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح » .

وهذا مرسل جيد .

وهكذا رواه البيهقي عن الحاكم عن الأصم ، عن محمد بن إسحاق الصنعاني ، عن يحيى بن أبي بكير ، عن عبد الغفار بن القاسم ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله أخرجني من النكاح ولم يخرجني من السفاح » .

وقد رواه ابن عَدِيٍّ موصولاً فقال : حدثنا أحمد بن حفص ، حدثنا محمد بن أبي عمرو العدني المكي ، حدثنا محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين ، قال أشهد على أبي حدثني عن أبيه ، عن جده ، عن علي بن أبي طالب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم إلى أن ولدني أبي وأمي ، ولم يصبني من سفاح الجاهلية شيء » .

هذا غريب من هذا الوجه ولا يكاد يصح .

وقال هُشَيْم : حدثنا المديني ، عن أبي الحويرث ، عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما ولدني من نكاح أهل الجاهلية شيء ، ما ولدني إلا نكاح كنكاح الإسلام » .

وهذا أيضاً غريب أورده الحافظ ابن عساكر ، ثم أسنده من حديث أبي هريرة ، وفي إسناده ضعف والله أعلم .

وقال محمد بن سعد : أخبرنا محمد بن عمر ، حدثني محمد بن عبد الله بن مسلم ، عن عمه الزهري ، عن عروة ، عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ولدت من نكاح غير سفاح » .

ثم أورد ابن عساكر من حديث أبي عاصم ، عن شبيب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس في قوله تعالى : « وَتَقَلِّبُكَ فِي السَّاجِدِينَ » قال : مِنْ نَبِيٍّ إِلَى نَبِيٍّ حَتَّى أُخْرِجَتْ نَبِيًّا . ورواه عن عطاء .

وقال محمد بن سعد : أخبرنا هشام بن محمد الكلبي ، عن أبيه ، قال : كتبت للنبي صلى الله عليه وسلم خمسمائة أم ، فما وجدت فيهن سفاحا ولا شيئا مما كان من أمر الجاهلية .

وثبت في صحيح البخاري من حديث عمرو بن أبي عمرو عن سعيد المقبري ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بعثت من خير قرون بني آدم قرنا فقرنا ، حتى بعثت من القرن الذي كنت فيه » .

- وفي صحيح مسلم من حديث الأوزاعي عن شداد أبي عمار ، عن واثلة بن الأسقع ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل ، واصطفى من بني إسماعيل بني كنانة ، واصطفى من بني كنانة قريشا ، واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو نعيم ، عن سفيان ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن عبد الله بن الحارث بن نوفل ، عن المطلب بن أبي وداعة قال : قال العباس : بلغه صلى الله عليه وسلم بعض ما يقول الناس قال : « فصعد المنبر فقال : من أنا ؟ » قالوا : أنت رسول الله قال : « أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، إن الله خلق الخلق فجعلني في خير

خَلَقَهُ ، وجعلهم فرقتين فجعلني في خير فرقة ، وخلق القبائل فجعلني في خير قبيلة ، وجعلهم بيوتاً فجعلني في خيرهم بيتاً ، فأنا خيركم بيتاً وخيركم نفساً^(١) صلوات الله وسلامه عليه دائماً أبداً إلى يوم الدين .

وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا عبيد الله بن موسى ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن عبد الله بن الحارث بن نوفل ، عن العباس بن عبد المطلب ، قال : قلت لرسول الله إن قريشاً إذا التقوا لقي بعضهم بعضاً بالبشاشة ، وإذا لقونا لقونا بوجوه لا نعرفها . فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك غضباً شديداً ثم قال : « والذي نفس محمد بيده لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبكم الله ولرسوله » .

فقلت : يا رسول الله إن قريشاً جاسوا فتذاكروا أحسابهم فعملوا مثلك كمثلك نخلة في كنبوة^(٢) من الأرض .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله يوم خلق الخلق جعلني في خيرهم ، ثم لما فرقهم [قبائل] جعلني في خيرهم قبيلة ، ثم حين جعل البيوت جعلني في خير بيوتهم ، فأنا خيرهم نفساً وخيرهم بيتاً » .

ورواه أبو بكر بن أبي شَيْبَةَ ، عن ابن فضيل ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن عبد الله بن الحارث ، عن ربيعة بن الحارث قال : بلغ النبي صلى الله عليه وسلم فذكره بنحو ما تقدم ولم يذكر العباس .

وقال يعقوب بن سفيان : حدثني يحيى بن عبد الحميد ، حدثني قيس بن عبد الله ، عن الأعمش ، عن عليمَةَ بن ربيع ، عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله قسم الخلق قسمين فجعلني في خيرهما . قسماً ، فذلك قوله : « وأصحابُ

(١) مسند أحمد تحقيق أحمد شاكر حديث رقم ١٧٨٨

(٢) رواها ابن الجوزي . في كبا . وروى عن شمر أنه لم يسمع كنبوة .

اليمن « وأصحاب الشمال » ، فأنا من أصحاب اليمن ، وأنا خير أصحاب اليمن ، ثم جعل القسمين أثلاثاً فجعلني في خيرها ثلثاً ، فذلك قوله « وأصحاب الميمنة » « والسابقون السابقون » فأنا من السابقين ، وأنا خير السابقين .

ثم جعل الأثلاث قبائل فجعلني في خيرها قبيلة ، فذلك قوله : « وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليمٌ خبير » وأنا أتقَى ولدِ آدم وأكرمهم على الله ولا فخر .

ثم جعل القبائل بيوتاً فجعلني في خيرها بيتاً ، وذلك قوله : « إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ^(١) » فأنا وأهل بيتي مطهرون من الذنوب » .

وهذا الحديث فيه غرابة ونكارة .

وروى الحاكم والبيهقي من حديث محمد بن ذكوان ، خال ولد حماد بن زيد ، عن عمرو بن دينار ، عن ابن عمر قال : إنا لقعود بفناء النبي صلى الله عليه وسلم إذ مرت به امرأة ، فقال بعض القوم : هذه ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال أبو سفيان : مثل محمد في بنى هاشم مثل الريحانة في وسط النتن . فانطلقت المرأة فأخبرت النبي صلى الله عليه وسلم .

فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يُعرَف في وجهه الغضب . فقال : « ما بال أقوال تبغني عن أقوام ؟ ! إن الله خلق السماوات سبْعاً فاختار العلّياء منها فأسكنها مَنْ شاء من خلقه ، ثم خلق الخلق فاختار من الخلق بنى آدم ، واختار من بنى آدم العرب ،

(١) سورة الأحزاب ٣٣ .

واختار من العرب مُضَرَ ، واختار من مضر قريشاً ، واختار من قريش بنى هاشم ، واختارنى من بنى هاشم ، فأنا خيرٌ من خيار ، فمن أحبَّ العرب فبحبِّ أحبهم ، ومن أبغض العرب فببغضٍ أبغضهم .

هذا أيضاً حديث غريب .

وثبت فى الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أنا سيدُ ولدِ آدم يوم القيامة ولا نخر » .

وروى الحاكم والبيهقى أيضاً من حديث موسى بن عبيدة ، حدثنا عمرو بن عبد الله بن نوفل ، عن الزُّهْرَى ، عن أبى أسامة أو أبى سلمة ، عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قال لى جبريل : قلبت الأرض من مشارقها ومغاربها فلم أجد رجلاً أفضلَ من محمد ، وقلبت الأرض مشارقها ومغاربها فلم أجد بنى أبٍ أفضلَ من بنى هاشم » .

قال الحافظ البيهقى : وهذه الأحاديث وإن كان فى روايتها من لا يَحْتَجُّ به فبعضها يؤكد بعضاً ، ومعنى جميعها يرجع إلى حديث واثلة بن الأسقع . والله أعلم

قلت : وفى هذا المعنى يقول أبو طالب يمتدح النبى صلى الله عليه وسلم :

إذا اجتمعت يوماً قريشٌ لمفخرٍ	فعبدٌ منافٍ سرُّها وصميمُها
فإن حُصِّلَتْ أشرافُ عبدٍ منافٍ	ففى هاشمٍ أشرافُها وقديمُها
وإن فخرت يوماً فإنَّ محمداً	هو المصطفى من سرِّها وكريمُها
تداعت قريشٌ عُثْها وسميمُها	علينا فلم تظفر وطاشت حلومُها
وكنَّا قديماً لا نُقرُّ ظلامَةً	إذا ما تَنَوَّأ صُعْرَ الحدود نقيمُها
ونَحْمَى حِمَاهَا كلَّ يومٍ كريهةٍ	ونَضْرِبُ عن أجحارها مَنْ يَرُومُها

بنا انتمش العود الذواء وإنما بأ كنفنا تَنْدَى وتَنْمِي أرومها

وقال أبو السَّكَن زكريا بن يحيى الطائى فى الجزء المنسوب إليه المشهور : حدثنى عمر بن أبى زُحر بن حصين ، عن جده حميد بن مُنْهَب ، قال : قال جدى خُرَيْم بن أوس : هاجرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدمت عليه منصرفة من تبوك ، فأُسلمت ، فسمعت العباس بن عبد المطلب يقول : يا رسول الله إني أريد أن أمتدحك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قُلْ ، لا يَفْضُضُ الله فاك . فأنشأ يقول :

مِنْ قَبْلِهَا طَيْتَ فِي الظَّلَالِ وَفِي مُسْتَوْدَعٍ حَيْثُ يُخْصَفُ الْوَرَقُ
ثَمَّ هَبَطَتِ الْبِلَادُ لَا بَشْرًا : ت وَلَا مُضْغَةً وَلَا عَاقُ
بَلْ نُطْفَةٌ تَرَكْبُ السَّفِينِ وَقَدْ أَلْجَمَ نَسْرًا وَأَهْلَهُ الْغَرَقُ
تُنْقَلُ مِنْ صُلْبٍ ^(١) إِلَى رَحِمٍ إِذَا مَضَى عَالَمٌ بَدَأَ طَبَقُ
حَتَّى احْتَوَى يَبْنُوكَ الْمُهَيْمِنِ مِنْ خِنْدَفَ عَلِيَاءَ تَحْتَهَا النُّطُقُ ^(٢)
وَأَنْتَ لَمَّا وَلَدْتَ أَشْرَقْتَ الْأَرْضُ ضُ وَضَاءُ بَنُورِكَ الْأَفْقُ
فَنَحْنُ فِي ذَلِكَ الضِيَاءِ وَفِي النَّوْرِ وَسُبُلُ الرِّشَادِ نَحْتَرِقُ

وقد روى هذا الشعر لحسان بن ثابت .

فروى الحافظ أبو القاسم بن عساكر من طريق أبى الحسن بن أبى الحديد : أخبرنا محمد بن أبى نصر ، أنبأنا عبد السلام بن محمد بن أحمد القرشى ، حدثنا أبو حصين محمد ابن إسماعيل بن محمد التميمي ، حدثنا محمد بن عبد الله الزاهد الخراساني . حدثني إسحاق ابن إبراهيم بن سنان ، حدثنا سلام بن سليمان أبو العباس المكفوف المدائني ، حدثنا ورقاء بن عمر ، عن ابن أبي نجيح ، عن عطاء ومجاهد عن ابن عباس قال : سألت

(١) الشفا والبدء والتاريخ : من صالِب . (٢) النطق : جمع ناطق .

رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلت : فذاك أبى وأمى ، أين كنت وآدمُ فى الجنة ؟ قال : فتبسّم حتى بدّت نواجذه ثم قال : « كنت فى صُلبه ، وركب بى السفينة فى صلب أبى نوح ، وقذف بى فى صلب أبى إبراهيم ، لم يَلَنَقِ أبواى على سفاح قط ، لم يزل الله ينقلنى من الأصلاب الحسبية إلى الأرحام الطاهرة صَفِيًّا مَهْدَبًا ^(١) لا تتشعبُ شُعْبَتَانِ إلا كنت فى خيرها ، وقد أخذ الله بالنبوة ميثاقى وبالإسلام عهدى ، ونشر فى التوراة والإنجيل ذِكْرى ، وبين كل نبي صَفَتى ، تُشرق الأرض بنورى والغيام بوجهى ، وعلمنى كتابه وزادنى [شرفاً] فى سماءه ، وشق لى اسمًا من أسمائه ، فذو العرش محمود وأنا محمد وأحمد ، ووعدنى أن يحبّونى بالخوض والكوثر ، وأن يجعلنى أولَ شافع وأول مشفع ، ثم أخرجنى من خير قرْنٍ لأمتى ، وهم الحمّادون يأمرّون بالمعروف وينهون عن المنكر » .

قال ابن عباس : فقال حسان بن ثابت فى النبى صلى الله عليه وسلم :

مِنْ قَبْلِهَا طِبْتَ فى الظَّلَالِ وفى مُسْتَوْدَعٍ يوم يُخْصَفُ الورَقُ
ثم سَكَنْتِ البلادَ لا بَشَرُ أَذْ ت ولا نُظْفَةٌ ولا عَلَقُ
مُطَهَّرٌ تَرَكَبَ السَّفِينِ وقد أَلْجَمَ نَسْرًا وأَهْلَهُ الفِرَقُ
تُنْقَلُ مِنْ صُلْبٍ إلى رَحِمٍ إذا مَضَى طَبَقٌ بدأ طَبَقُ

فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « يرحم الله حسانًا » فقال على بن أبى طالب : وجبت الجنة لحسان ورب الكعبة .

ثم قال الحافظ ابن عساكر : هذا حديث غريب جداً .

(١) المطبوعة : صفى مهدي ، وهو تحريف .

قلت : بل منكر جداً . والحفوظ أن هذه الأبيات للعباس رضى الله عنه . ثم أوردها من حديث أبي السكن زكريا بن يحيى الطائى كما تقدم .

قلت : ومن الناس من يزعم أنها للعباس بن مرداس السلمى . فالله أعلم .

تنبيه : قال القاضى عياض فى كتابه « الشفاء » : « وأما أحمد الذى أتى فى الكتب وبشرت به الأنبياء فنفع الله بحكمته أن يسمّى به أحد غيره ولا يدعى به مدعو قبله ، حتى لا يدخل لبس على ضعيف القلب أو شك .

وكذلك محمد [أيضاً] لم يسمّ به أحد من العرب ولا غيرهم ، إلى أن شاع قبيل وجوده وميلاده أن نبياً يُبعث اسمه محمد ، فسمّى قوم قليل من العرب أبناءهم بذلك رجاء أن يكون أحدهم هو الله أعلم حيث يجعل رسالته .

وهم : محمد بن أحيحة بن الجلاح الأوسى ، ومحمد بن مسلمة^(١) الأنصارى ، ومحمد بن براء البكرى^(٢) ، ومحمد بن سفيان بن مجاشع ، ومحمد بن خمران الجعفى ، ومحمد بن خزاعى السلمى لا سابع لهم .

ويقال إن أول من سمى محمداً محمد بن سفيان [بن مجاشع]^(٣) واليمن تقول : بل محمد بن اليحمد من الأزد .

ثم إن الله حمى كل من تسمى به أن يدعى النبوة أو يدعىها له أحد ، أو يظهر عليه سبب يشكك^(٤) أحداً فى أمره ، حتى تحققت الشيمتان نه صلى الله عليه وسلم لم يناعز فيهما^(٥) هذا لفظه .

(١) المطبوعة : سلمة ، وهو خطأ . (٢) كذا فى الشفاء . وكان الأصل : ابن البراء الكندى .

(٣) ليست فى الشفاء . (٤) المطبوعة : يشكك وهو خطأ . (٥) الشفاء ١٩٠ الطبعة العثمانية .

باب مَوْلِدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

ولد صلوات الله عليه وسلامه يوم الاثنين .

لما رواه مسلم في صحيحه من حديث غِيلَانَ بْنِ جَرِيرٍ عَنْ ^(١) عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْبُدٍ الزَّمَّانِيِّ ^(٢) ،
عن أبي قتادة أن أعرابيا قال : يارسول الله ، ماتقول في صوم يوم الاثنين ؟ فقال : « ذاك
يوم ولدت فيه وأنزل علي فيه » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا موسى بن داود ، حدثنا ابن لهيعة ، عن خالد بن أبي عمران ،
عن حنّس الصنعاني ، عن ابن عباس ، قال : ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم
الاثنين ، واستنّبى يوم الاثنين ، وخرج مهاجرا من مكة إلى المدينة يوم الاثنين ، وقدم
المدينة يوم الاثنين ، وتوفي يوم الاثنين ، ورفّع الحجر يوم الاثنين .

تفرد به أحمد ، ورواه عمرو بن بكير عن ابن لهيعة ، وزاد : نزلت سورة المائدة يوم
الاثنين « اليوم أكملت لكم دينكم » .

وهكذا رواه بعضهم عن موسى بن داود به ، وزاد أيضا : وكانت وقعة بدر
يوم الاثنين . ومن قال هذا يزيد بن حبيب . وهذا منكر جدا .

قال ابن عساكر : والمحفوظ أن بدراً ونزول « اليوم أكملت لكم دينكم » يوم
الجمعة وصدق ابن عساكر .

وروى عبد الله بن عمر ، عن كريب ، عن ابن عباس : ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوم الاثنين وتوفي يوم الاثنين . وهكذا روى من غير هذا الوجه عن ابن عباس أنه ولد
يوم الاثنين .

(١) ط : جرير بن عبد الله ، وهو خطأ فاحش .

(٢) نسبة إلى زمان بن مالك بطن من ربيعة .

وهذا مالا خلاف فيه أنه ولد صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين .

وأبعد بل أخطأ من قال : ولد يوم الجمعة لسبع عشرة خلت من ربيع الأول .
نقله الحافظ ابن دحية فيما قرأه في كتاب « إعلام الروى بأعلام الهدى » لبعض الشيعة .
ثم شرع ابن دحية في تضعيفه وهو جدير بالتضعيف إذ هو خلاف النص .

ثم الجمهور على أن ذلك كان في شهر ربيع الأول ، فقيل : ليلتين خلتا منه . قاله
ابن عبد البر في الاستيعاب ، ورواه الواقدي عن أبي معشر نجيح بن عبد الرحمن المدني .
وقيل ثمان خلون منه . حكاها الحميدي عن ابن حزم . ورواه مالك وعقيل ويونس
ابن يزيد وغيرهم عن الزهري عن محمد بن جبير بن مطعم .

ونقل ابن عبد البر عن أصحاب التاريخ أنهم صححوه وقطع به الحافظ الكبير محمد
ابن موسى الخوارزمي . ورجحه الحافظ أبو الخطاب بن دحية في كتابه : « التنوير في
مولد البشر النذير » .

وقيل لعشر خلون منه نقله ابن دحية في كتابه . ورواه ابن عساكر عن أبي جعفر
الباقر ورواه مجالد عن الشعبي كما مر .

وقيل لثنتي عشرة خلت منه . نص عليه ابن إسحاق . ورواه ابن أبي شيبه في
مصنفه عن عفان ، عن سعيد بن ميناء ، عن جابر وابن عباس أنهما قالوا : ولد رسول الله
صلى الله عليه وسلم عام الفيل يوم الاثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول وفيه بُعث
وفيه عُزِّج به إلى السماء ، وفيه هاجر وفيه مات . وهذا هو المشهور عند الجمهور
والله أعلم .

وقيل لسبعة عشر خلت منه : كما نقله ابن دحية عن بعض الشيعة .

وقيل ثمان بقين منه : نقله ابن دحية من خط الوزير أبي رافع بن الحافظ أبي محمد

ابن حزم عن أبيه . والصحيح عن ابن حزم الأول أنه لثمان مضمين منه ، كما نقله عنه الحميدى وهو أثبت .

والقول الثانى : أنه ولد فى رمضان . نقله ابن عبد البر عن الزبير بن بكار ، وهو قول غريب جداً ، وكان مستنده أنه عليه الصلاة والسلام أوحى إليه فى رمضان بلا خلاف ، وذلك على رأس أربعين سنة من عمره ، فيكون مولده فى رمضان وهذا فيه نظر والله أعلم .

وقد روى خيثمة بن سايان الحافظ ، عن خلف بن محمد كِرْدُوس الواسطى ، عن المعلّى بن عبد الرحمن ، عن عبد الحميد بن جعفر ، عن الزهرى ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس قال : ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين فى ربيع الأول ، وأنزلت عليه النبوة يوم الاثنين فى أول شهر ربيع الأول ، وأنزلت عليه البقرة يوم الاثنين فى ربيع الأول . وهذا غريب جداً . رواه ابن عساكر .

قال الزبير بن بكار : حملت به أمه فى أيام التشريق فى شعب أبى طالب عند الجمرّة الوسطى . وولد بمكة بالدار المعروفة بدار محمد بن يوسف أخى الحجاج بن يوسف لثنتى عشرة ليلة خلت من شهر رمضان .

ورواه الحافظ ابن عساكر من طريق محمد بن عثمان بن عقبة بن مكرم ، عن المسيّب ابن شريك . عن شعيب بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده قال : حُلّ برسول الله صلى الله عليه وسلم فى يوم عاشوراء فى الحرم ، وولد يوم الاثنين لثنتى عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة ثلاث وعشرين من غزوة أصحاب الفيل .

وذكر غيره أن الخيزران ، وهى أم هارون الرشيد ، لما حَجَّتْ أمرت ببناء هذه الدار مسجداً . فهو يعرف بها اليوم .

وذكر السهيلي أن مولده عليه الصلاة والسلام كان في العشرين من نيسان . وهذا أعَدَلُ الزمان والفصول ، وذلك لسنة اثنتين وثمانين وثمانمائة لدى القرنين فيما ذكر أصحاب الزيج .

وزعموا أن الطالع كان لعشرين درجة من الجدى ، وكان المُشْتَرَى وَزُحَلْ مقترنين في ثلاث دَرَج من العقرب وهي درجة وسط السماء . وكان موافقا من البروج الحمل ، وكان ذلك عند طلوع القمر أول الليل . نقله كله ابن دحية والله أعلم .

قال ابن إسحاق : وكان مولده عليه الصلاة والسلام عام الفيل . وهذا هو المشهور عن الجمهور . قال إبراهيم بن المنذر الحزامي ^(١) : وهو الذي لا يشك فيه أحد من علمائنا أنه عليه الصلاة والسلام ولد عام الفيل ؛ وَبُعِثَ على رأس أربعين سنة من الفيل .

وقد رواه البيهقي من حديث أبي إسحاق السَّيِّعِي عن سعيد بن جُبَيْر عن ابن عباس قال : ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل .

وقال محمد بن إسحاق : حدثني المطلب بن عبد الله بن قيس بن مخزومة ، عن أبيه عن جده قيس بن مخزومة ، قال وَلِدْتُ أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل ، كُنَّا لِدَيْنِ ^(٢) .

قال : وسأل عثمان رضى الله عنه قُبَاثُ بْنُ أَشِّيمَ أَخَا بَنِي يَمْعَرِ بْنِ لَيْثٍ : أنت أكبر أم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم أكبر مني ، وأنا أقدم منه في الميلاد . ورأيت خَزَقَ الْفِيلِ ^(٣) أَخْضَرَ مُحْيِلًا . ورواه الترمذى والحاكم من حديث محمد بن إسحاق به .

(١) نسبة إلى جده الأعلى خالد بن حزام . (٢) ابن هشام : فنحن لِدَان . (٣) خزق الفيل : روثه .

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم عام عكاظ ابن عشرين سنة .
وقال ابن إسحاق : كان الفجار بعد الفيل بعشرين سنة ، وكان بناء الكعبة بعد
الفجار بخمس عشرة سنة ، والمبعث بعد بنائها بخمس سنين .
وقال محمد بن جبير بن مطعم : كانت عكاظ بعد الفيل بخمس عشرة سنة ، وبناء
الكعبة بعد عكاظ بعشر سنين ، والمبعث بعد بنائها بخمس عشرة سنة .

وروى الحافظ البيهقي من حديث عبد العزيز بن أبي ثابت المديني : حدثنا الزبير
ابن موسى ، عن أبي الحويرث قال : سمعت عبد الملك بن مروان يقول لقُبات بن أَشِيمَ
الْكِنَانِي ثم الليثي : يا قُبَاتُ أنت أكبرُ أم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال :
رسول الله صلى الله عليه وسلم أكبرُ مني ، وأنا أَسَنُ . ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم
عام الفيل ، ووقفت بي أمي على رَوْث الفيل محيلاً أَعْقَلُهُ ، وتنبأ رسول الله صلى الله
عليه وسلم على رأس أربعين سنة .

وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير ، حدثنا نعيم ، يعني
ابن ميسرة ، عن بعضهم ، عن سُويد بن غفلة أنه قال : أنا لِدَّة رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولدت عام الفيل .

قال البيهقي : وقد روى عن سويد بن غفلة أنه قال : أنا أصغر من رسول الله صلى الله
عليه وسلم بسنتين .

قال يعقوب : وحدثنا إبراهيم بن المنذر ، حدثنا عبد العزيز بن أبي ثابت ، حدثني
عبد الله بن عثمان بن أبي سليمان التوفلي ، عن أبيه ، عن محمد بن جبير بن مطعم . قال : ولد
رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل ، وكانت بعده عكاظ ^(١) بخمس عشرة سنة ،

(١) عكاظ : يوم من أيام العرب .

وَبُنِيَ الْبَيْتُ عَلَى رَأْسِ خَمْسٍ وَعَشْرِينَ سَنَةً مِنَ الْفِيلِ ، وَتَنَبَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى رَأْسِ أَرْبَعِينَ سَنَةً مِنَ الْفِيلِ .

وَالْمَقْصُودُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلِدَ عَامَ الْفِيلِ عَلَى قَوْلِ الْجُمْهُورِ .
فَقِيلَ بَعْدَهُ بِشَهْرٍ ، وَقِيلَ بِأَرْبَعِينَ يَوْمًا ، وَقِيلَ بِخَمْسِينَ يَوْمًا ، وَهُوَ أَشْهُرُ .
وَعَنْ أَبِي جَعْفَرٍ الْبَاقِرِ : كَانَ قُدُومُ الْفِيلِ لِلنَّصَفِ مِنَ الْحَرَمِ ، وَمَوْلِدُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَهُ بِخَمْسٍ وَخَمْسِينَ لَيْلَةً .
وَقَالَ آخَرُونَ : بَلْ كَانَ عَامُ الْفِيلِ قَبْلَ مَوْلِدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَشْرِ سَنِينَ . قَالَ ابْنُ أَبَزَى .

وَقِيلَ بِثَلَاثٍ وَعَشْرِينَ سَنَةً رَوَاهُ شُعَيْبُ بْنُ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ كَمَا تَقْدُمُ .
وَقِيلَ : بَعْدَ الْفِيلِ بِثَلَاثِينَ سَنَةً . قَالَهُ مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ عَنْ الزُّهْرِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ . وَاخْتَارَهُ مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ أَيْضًا رَحِمَهُ اللَّهُ .

وَقَالَ أَبُو زَكْرِيَا الْعَجَلَانِيُّ : بَعْدَ الْفِيلِ بِأَرْبَعِينَ عَامًا ، رَوَاهُ ابْنُ عَسَاكَرٍ وَهَذَا غَرِيبٌ جَدًّا .

وَأَغْرَبُ مِنْهُ مَا قَالَهُ خَلِيفَةُ بْنُ خِيَاطٍ : حَدَّثَنِي شُعَيْبُ بْنُ حَبَّانٍ ، عَنْ عَبْدِ الْوَاحِدِ ابْنِ أَبِي عَمْرٍو عَنْ الْكَلْبِيِّ ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : وَلِدَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ الْفِيلِ بِخَمْسٍ عَشْرَةِ سَنَةٍ . وَهَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ وَمُنْكَرٌ وَضَعِيفٌ أَيْضًا .

قَالَ خَلِيفَةُ بْنُ خِيَاطٍ : وَالْجَمْعُ عَلَيْهِ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَلِدَ عَامَ الْفِيلِ .

صفة مولده الشريف عليه الصلاة والسلام

قد تقدم أن عبد المطلب لما ذبح تلك الإبل المائة عن ولده عبد الله ، حين كان نذر ذبحه فسلمه الله تعالى ، لما كان قدّر في الأزل من ظهور النبي الأُمى صلى الله عليه وسلم خاتم الرسل وسيد ولد آدم من صلبه ، ذهب كما تقدم فزوجه أشرف عقيلة في قريش ، آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة الزُّهريّة ، حين دخل بها وأفضى إليها حملت برسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد كانت أم قتال رقيقة بنت نوفل ، أخت ورقة بن نوفل ، توسّمت ما كان بين عيني عبد الله قبل أن يجامع آمنة من النور ، فودّت أن يكون ذلك متصلاً بها لما كانت تسمع من أخيها من البشارات بوجود محمد صلى الله عليه وسلم ، وأنه قد أزف زمانه فعرضت نفسها عليه . قال بعضهم : ليتزوجها وهو أظهر . والله أعلم ، فامتنع عليها ، فلما انتقل ذلك النور الباهر إلى آمنة بمواقفته إياها كأنه ندم على ما كانت عرضت عليه . فتعرض لها لتعاوده . فقالت : لا حاجة لي فيك . وتأسفت على ما فاتها من ذلك وأنشدت في ذلك ما قدمناه من الشعر الفصيح البليغ . وهذه الصيانة لعبد الله ليست له وإنما هي لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإنه كما قال تعالى « الله أعلم حيث يجعل رسالته » .

وقد تقدم الحديث الروى من طريق جيد أنه قال عليه الصلاة والسلام : « ولدت من نكاح لا من سفاح » .

والمقصود أن أمه حين حملت به توفى أبوه عبد الله وهو حمّل في بطن أمه على المشهور .

قال محمد بن سعد : حدثنا محمد بن عمر ، هو الواقدي ، حدثنا موسى بن عبيدة اليزيدي ،

وحدثنا سعيد بن أبي زيد ، عن أيوب بن عبد الرحمن بن أبي صَمْعَةَ ، قال : خرج عبد الله بن عبد المطالب إلى الشام إلى غزاة في غير من غيران قريش يَحْمِلُونَهُ تجارات ، ففرغوا من تجارتهم ، ثم انصرفوا فمروا بالمدينة ، وعبدُ الله بن عبد المطالب يومئذ مريض ، فقال اتَّخَلَّفَ عند أخوالى بنى عَدِيَّ بن النجار .

فأقام عندهم مريضاً شهراً ومضى أصحابه فَقَدِمُوا مَكَّةَ ، فسألهم عبد المطالب عن ابنه عبد الله ، فقالوا : خلفناه عند أخواله بنى عدى بن النجار وهو مريض .
فبعث إليه عبد المطالب أكبرَ ولده الحارث ، فوجده قد توفى ودفن في دار النابغة فرجع إلى أبيه فأخبره .

فوجد عليه عبد المطالب وإخوته وأخواته وَجْداً شديداً .

ورسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ حَمَلٌ ، ولعبد الله بن عبد المطالب يومَ توفى خمس وعشرون سنة .

قال الواقدي : هذا هو أثبتُ الأفاويل في وفاة عبد الله وسنه عندنا .

قال الواقدي : وحدثني مَعْمَرُ عن الزهري ، أن عبد المطالب بعث عبد الله إلى المدينة يمتار لهم تمرًا فمات .

قال محمد بن سعد : وقد أنبأنا هشام بن محمد بن السائب الكلبي عن أبيه ، وعن عَوَّانه بن الحكم . قالوا : توفى عبد الله بن عبد المطالب بعد ما أتى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانية وعشرون شهراً ، وقيل سبعة أشهر .

وقال محمد بن سعد : والأول أثبت ، أنه توفى ورسول الله صلى الله عليه وسلم حَمَلٌ .

وقال الزُّبَيْرُ بن بَكَّار : حدثني محمد بن حسن ، عن عبد السلام ، عن ابن خربوذ ،

قال : توفي عبد الله بالمدينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم ابنُ شهرين ، وماتت أمه وهو ابن أربع سنين ، ومات جده وهو ابن ثمان سنين فأوصى به إلى عمه أبي طالب .

والذى رجّحه الواقدي وكتبه الحافظ محمد بن سعد أنه عليه الصلاة والسلام توفي أبوه وهو جنين في بطن أمه .
وهذا أبلغ اليتيم وأعلى مراتبه .

وقد تقدم في الحديث « ورؤيا أُمى الذى رأت حين حملت بي كأنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام » .

وقال محمد بن إسحاق : فكانت آمنة بنت وهب أمُّ رسول الله صلى الله عليه وسلم تحدّث أنها أُتيت حين حملت برسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل لها : إنك قد حملتِ بسيد هذه الأمة ، فإذا وقع إلى الأرض فقولى :

أُعِيْذه بالواحد ، من شر كل حاسد ، من كل برٍّ عاهد ^(١) وكل عبد رائد ، يذود عنى ذائد ، فإنه عند الحميد الماجد ، حتى أراه قد أتى المشاهد .

وآية ذلك أنه يخرج معه نور يملأ قصور بُصرى من أرض الشام ، فإذا وقع فسمّيه محمداً ، فإن اسمه فى التوراة أحمد ، يحمده أهلُ السماء وأهل الأرض ، واسمه فى الإنجيل أحمد ، يحمده أهل السماء وأهل الأرض ، واسمه فى القرآن محمد .

وهذا وذاك يقتضى أنها رأت حين حملت به عليه السلام كأنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام ، ثم لما وضعته رأت عياناً تأويل ذلك كما رآته قبل ذلك هاهنا . والله أعلم .

(١) الذى فى ابن هشام إلى قوله : حاسد . وهذه الزيادة باختلاف فى الوفا والدلائل .

وقال محمد بن سعد : أنبأنا محمد بن عمر ، هو الواقدي ، حدثنا محمد بن عبد الله بن مسلم ، عن الزهري . وقال الواقدي : حدثنا موسى بن عبدة ، عن أخيه ، ومحمد بن كعب القرظي ، وحدثني عبد الله بن جعفر الزهري ، عن عمته أم بكر بنت المسور عن أبيها . وحدثنا عبد الرحمن بن إبراهيم المزني وزيد ابن حشرج ، عن أبي وجزة . وحدثنا معمر ، عن أبي نجيح ، عن مجاهد . وحدثنا طلحة بن عمرو ، عن عطاء ، عن ابن عباس . دخل حديث بعضهم في حديث بعض : أن آمنة بنت وهب قالت : لقد علقت به - تعني رسول الله صلى الله عليه وسلم - فما وجدت له مشقة حتى وضعته ، فلما فصل مني خرج معه نور أضاء له ما بين المشرق والمغرب ، ثم وقع إلى الأرض معتمداً على يديه ، ثم أخذ قبضةً من التراب فقبضها ورفع رأسه إلى السماء .

وقال بعضهم : وقع جاثياً على ركبتيه ، وخرج معه نور أضاء له قصور الشام وأسواقها ، حتى رويت أعناق الإبل ببُصرى ، رافعا رأسه إلى السماء .

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي : أنبأنا محمد بن عبد الله الحافظ ، أنبأنا محمد بن إسماعيل أنبأنا محمد بن إسحاق ، حدثنا يونس بن مبشر بن الحسن ، حدثنا يعقوب بن محمد الزهري ، حدثنا عبد العزيز بن عمران حدثنا عبد الله بن عثمان بن أبي سليمان بن جبير بن مطعم ، عن أبيه ، عن ابن أبي سويد الثقفي ، عن عثمان بن أبي العاص ، حدثني أمي : أنها شهدت ولادة آمنة بنت وهب رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة ولده ، قالت : فما شيء أنظره في البيت إلا نور ، وإني أنظر إلى النجوم تدنو حتى إني لأقول لتقعنَّ عليّ .

وذكر القاضي عياض عن الشفاء أم عبد الرحمن بن عوف أنها كانت قابِلته ، وأنها أخبرت به حين سقط على يديها واستهلَّ سمعت قائلاً يقول : يرحمك الله . وإنه سطع منه نور رُئيت منه قصور الروم .

قال محمد بن إسحاق : فلما وضعته بعثت إلى عبد المطلب جاريتها ، وقد هلك أبوه
وهى حبلى ، ويقال إن عبد الله هلك والنبي صلى الله عليه وسلم ابن ثمانية وعشرين شهراً ،
فإنه أعلم أى ذلك كان - فقالت : قد ولد لك غلام فانظر إليه .

فلما جاءها أخبرته وحدثته بما كانت رأت حين حملت به ، وما قيل لها فيه ، وما
أمرت أن تسميه .

فأخذه عبد المطلب فأدخله على هبل في جوف الكعبة ، فقام عبد المطلب يدعو
ويشكر الله عز وجل ويقول :

الحمد لله الذى أعطانى	هذا الغلام الطيب الأردان
قد ساد فى المهد على الغلمان	أعيذه بليت ذى الأركان
حتى يكون بُلغة الفتیان	حتى أراه بالغ البنیان
أعيذه من كل ذى شنان	من حاسد مضطرب العنان
ذى همّة ليس له عينان	حتى أراه رافع اللسان
أنت الذى سُميت فى القرآن	فى كُتب ثابتة الثنائى

* أحمد مكتوب على اللسان *

وقال البيهقي : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، أنبأنا أبو بكر محمد بن أحمد بن حاتم
الدرايزدي^(١) - بمرو - حدثنا أبو عبد الله البوشنجي ، حدثنا أبو أيوب سليمان بن
سلمة الخبائري ، حدثنا يونس بن عطاء بن عثمان بن ربيعة بن زياد بن الحارث الصدائي
بمصر ، حدثنا الحكم بن أبان ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، عن أبيه العباس
ابن عبد المطلب رضى الله عنه . قال : ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم مختونا

(١) كذا ولعلها نسبة إلى دراورد .

مسرورا . قال : فأعجب جدّه عبد المطاب وحظّى عنده ، وقال : ليكونن لابنى هذا شأن . فكان له شأن .

وهذا الحديث فى صحته نظر .

وقد رواه الحافظ ابن عساكر ، من حديث سفيان بن محمد المصيصى ، عن هشيم ، عن يونس بن عبيد ، عن الحسن عن أنس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مِنْ كَرَامَتِي عَلَى اللَّهِ أَنِّي وَلِدْتُ مَخْتُونًا وَلَمْ يَرَ سِوَأَنّى أَحَدٌ » .

ثم أوردته من طريق الحسن بن عرفة عن هشيم به .

ثم أوردته من طريق محمد بن محمد بن سليمان — هو البا غنْدِي — حدثنا عبد الرحمن ابن أيوب الحمصى ، حدثنا موسى بن أبي موسى المقدسى ، حدثنى خالد بن سلمة ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم مسروراً مختوناً .

وقال أبو نعيم : حدثنا أبو أحمد محمد بن أحمد الغطرى ، حدثنا الحسين بن أحمد بن عبد الله المالكى ، حدثنا سليمان بن سلمة الخياطرى ، حدثنا يونس بن عطاء ، حدثنا الحكم ابن أبان ، حدثنا عكرمة ، عن ابن عباس ، عن أبيه العباس ، قال : ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم مختوناً مسروراً ، فأعجب ذلك جدّه عبد المطاب وحظّى عنده ، وقال ليكونن لابنى هذا شأن . فكان له شأن .

وقد ادعى بعضهم صحته لما ورد له من الطرق ، حتى زعم بعضهم أنه متواتر .

وفى هذا كله نظر .

ومعنى مختونا : أى مقطوع الختان . ومسروراً : أى مقطوع الشرة من بطن أمه .

وقد روى الحافظ ابن عساكر من طريق عبد الرحمن بن عُيينة البصرى ، حدثنا على ابن محمد المدائنى السامى ، حدثنا سلمة بن محارب بن مسلم بن زياد ، عن أبيه ، عن أئى بكرة ، أن جبريل ختن النبى صلى الله عليه وسلم حين طهر قلبه .
وهذا غريب جدا .

وقد روى أن جده عبد المطاب ختنه وعمل له دعوة جمع قريشاً عليها .
والله أعلم .

وقال البيهقى : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، أنبأنى محمد بن كامل القاضى - شفاهاً - أن محمد بن إسماعيل حدثه - يعنى السامى - حدثنا أبو صالح عبد الله بن صالح ، حدثنى معاوية بن صالح ، عن أبى الحكم التَّنُوخى . قال : كان المولود إذا ولد فى قريش دفعوه إلى نسوة من قريش إلى الصبح يَكْفَأْنَ عليه بُرْمَةً ، فلما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم دفعه عبد المطاب إلى نسوة فكفأن عليه بُرْمَةً ، فلما أصبحن أتبن فوجدن البرمة قد انفلقت عنه باثنتين ، ووجدنه مفتوح العينين شاخصاً ببصره إلى السماء . فأتاهن عبد المطاب فقلن له : ما رأينا مولودا مثله ، وجدناه قد انفلقت عنه البرمة ، ووجدناه مفتوحا عينيه شاخصا ببصره إلى السماء .

فقال : احفظنه فإنى أرجو أن يكون له شأن ، أو أن يصيب خيرا .

فلما كان اليوم السابع ذبح عنه ودعا له قريشاً ، فلما أكلوا قالوا : يا عبد المطاب ، أرايت ابنك هذا الذى أكرمتنا على وجهه ، ما سميت به ؟ قال : سميت به محمدا . قالوا : فما رغبت به عن أسماء أهل بيته ؟ قال : أردت أن يحمده الله فى السماء وخلقهُ فى الأرض .

قال أهل اللغة : كلُّ جامع لصفات الخير يسمى محمدا ، كما قال بعضهم :

إليك - أبيتَ اللعن - أَعْمَلْتُ نَاقِي إلى الماجِدِ القِرْمِ الكريمِ الحَمْدِ

وقال بعض العلماء : ألهمهم الله عز وجل أن سموه محمداً لمأ فيه من الصفات الحميدة ،
ليلتقى الاسم والفعل ، ويتطابق الاسم والمسمى في الصورة والمعنى ، كما قال عمه أبو طالب ،
ويروى لسان :

وَشَقَّ لَهُ مِنْ إِسْمِهِ لِيُجِلَّهُ فذو العرش محمودٌ وهذا محمدٌ

وسندكر أسماءه عليه الصلاة والسلام وشمائله ، وهى صفاته الظاهرة وأخلاقه الطاهرة
ودلائل نبوته وفضائل منزلته فى آخر السيرة إن شاء الله .

قال الحافظ أبو بكر البيهقى : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، حدثنا أبو العباس محمد بن
يعقوب ، حدثنا أحمد بن شيبان الرَّملى ، حدثنا أحمد بن إبراهيم الحلبى ، حدثنا الهيثم
ابن جميل ، حدثنا زهير ، عن محارب بن دثار ، عن عمرو بن يثرب ، عن العباس بن
عبد المطلب ، قال قلت : يا رسول الله ، دعانى إلى الدخول فى دينك أمانةً لنبوتك ،
رأيتك فى المهد تناغى القمر وتشير إليه بإصبعك ، فحيث أشرت إليه مال . قال :
« إني كنت أحدثه ويحدثني ويأبيني عن البكاء ، وأسمع وجبته حين يسجد
تحت العرش » .

ثم قال : تفرد به [أحمد بن إبراهيم الحلبى] وهو مجهول ^(١) .

فصل

فما وقع من الآيات ليلة مولده عليه الصلاة والسلام

قد ذكرنا فى باب هواتف الجان ما تقدم من خروور كثير من الأصنام ليلتشد
لوجوها وسقوطها عن أماكنها ، وما رآه النجاشى ملك الحبشة ، وظهور النور معه
(١) الأصل : تفرد به اللبثى . وما أثبتته عن الخصائص . وليس فى السند اللبثى . وهذا الخبر أخرجه أيضا
الخطيب وابن عساكر فى تاريخهما . وهو غريب الإسناد والمتن .

حتى أضاءت له قصور الشام حين ولد ، وما كان من سقوطه جائئاً رافعاً رأسه إلى السماء ، وانفلاق تلك البُرْمة عن وجهه الكريم ، وما شوهد من النور في المنزل الذي ولد فيه ودنوّ النجوم منهم وغير ذلك .

حكى السهيلي عن تفسير بَقِيّ بن مُحَمَّد الحافظ ، أن إِبائس رَنّ أربعَ رَنّات : حين لُعن ، وحين أُهبط ، وحين ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحين أنزلت الفاتحة .

قال محمد بن إسحاق : وكان هشام بن عروة يحدث عن أبيه عن عائشة قالت : كان يهودى قد سكن مكة يتّجر بها ، فلما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في مجلس قريش : يامعشر قريش هل ولد فيكم الليلة مولود ؟ فقال القوم : والله مانعله . فقال الله أكبر ، أمّا إذا أخطأكم فلا بأس ، انظروا واحفظوا ما أقول لكم : ولد هذه الليلة نبيُّ هذه الأمة الأخيرة ، بين كتفيه علامة فيها شعرات متواترات كأنهن عرف فرس ، لا يرضع ليلتين ، وذلك أن عفريتاً من الجن أدخل أصبعه في فيه فمنعه الرضاع .

فتصدع القوم من مجلسهم وهم يتعجبون من قوله وحديثه ، فلما صاروا إلى منازلهم أخبر كل إنسان منهم أهله فقالوا : قد والله ولد لعبد الله بن عبد المطلب غلام سموه محمداً . فالتقى القوم فقالوا : هل سمعتم حديث اليهودى وهل بلغكم مولد هذا الغلام ؟ فانطلقوا حتى جاءوا اليهودى فأخبروه الخبر . قال فاذهبوا معى حتى أنظر إليه . فخرجوا به حتى أدخلوه على آمنة فقالوا : أخرجى إلينا ابنك . فأخرجته وكشفوا له عن ظهره . فرأى تلك الشامة ، فوقع اليهودى مغشياً عليه ، فلما أفاق قالوا له : مالك ويلك ؟ قال : قد ذهبت والله

النبوة من بنى إسرائيل ، فَرَحِمَ بها يامعشر قريش ؟ والله لَيَسْطَوْنَ بكم سَطْوَةً يخرج خبرها من المشرق والمغرب ^(١) .

وقال محمد بن إسحاق : حدثني صالح بن إبراهيم [بن عبد الرحمن بن عوف] ^(٢) عن يحيى [بن عبد الله] ^(٣) بن عبد الرحمن بن سعد بن زُرَّارة قال : حدثني من شئت من رجال قومي [ممن لا أتهم] ^(٤) عن حسان بن ثابت . قال : إني لفلانمُ يَقَعُ ابن سبع سنين - أو ثمان ، أعقل ما رأيت وسمعت ^(٥) إذا يهودى فى يثرب يصرخ ذات غداة : يامعشر يهود . فاجتمعوا إليه - وأنا أسمع - فقالوا ويلك مالك ؟ قال : قد طلع نجم أحمد الذى يولد به فى هذه الليلة .

وروى الحافظ أبو نعيم فى كتاب « دلائل النبوة » من حديث أبى بكر بن عبد الله العامرى ، عن سليمان بن سحيم وذريح ^(٦) بن عبد الرحمن ، كلاهما عن عبد الرحمن ابن أبى سعيد عن أبيه ، قال : سمعت أبى مالك بن سنان يقول : جئت بنى عبد الأشهل يوماً لأتحدث فيهم ، ونحن يومئذ فى هدنة من الحرب ، فسمعت يوشع اليهودى يقول : أظَلَّ خروج نبي يقال له أحمد يخرج من الحرم . فقال له خليفة بن ثعلبة الأشهل ، كالمستهزى به : ماصفته ؟ فقال رجل ليس بالقصير ولا بالطويل ، فى عينيه حمرة ، يلبس الشَّمْلَةَ ويركب الحمار ، سيفه على عاتقه وهذا البلد مُهْجَرُهُ . قال : فرجعت إلى قومي

(١) كان الرسول نبي رحمة ولم يكن نبي عذاب ، « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » لذلك لا بد من الاحتراز فى فهم هذه النصوص التى تكررت مثل قوله فيما سبق :

ولهم آخرَ الزَّمانِ نبيٌّ يكثرُ القتلَ فيهم والحوشا

ولعلها من تزيد الرواة .

(٢) سقطت من المطبوعة . (٣) ليست فى ابن هشام . (٤) ابن هشام : « أعقل كل ما سمعت ، إذ سمعت يهودياً يصرخ بأعلى صوته على أكمة يثرب : يامعشر يهود حتى إذا اجتمعوا إليه .. » وهذا مثل على عدم التزام المؤلف للنص فيما ينقل . (٥) دلائل النبوة : ورميح بن عبد الرحمن

بنى خُدْرَةَ وأنا يومئذ أنعجب مما يقول يوشع، فأسمع رجلاً منا يقول : ويوشع يقول هذا وحده ؟ ! كل يهود يثرب يقولون هذا .

قال أبي مالك بن سنان : فخرجت حتى جئت بنى قُرَيْظَةَ فأجد جَمْعاً ، فتذاكروا النبي صلى الله عليه وسلم . فقال الزبير بن باطا : قد طلع الكوكب الأحمر الذي لم يطالع إلا لخروج نبي أو ظهوره ، ولم يبق أحد إلا أحمد ، وهذا مهاجره . قال أبو سعيد : فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم أخبره أبي هذا الخبر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو أسلم الزبير لأسلم ذووه من رؤساء اليهود ، إنما هم له تبع » .

وقال أبو نعيم : حدثنا عمر بن محمد ، حدثنا إبراهيم بن السندی ، حدثنا النَّضْرُ بن سلمة ، حدثنا إسماعيل بن قيس بن سليمان بن زيد بن ثابت ، عن إبراهيم بن يحيى بن ثابت ، سمعت زيد بن ثابت يقول : كان أحبار يهود بنى قريظة والنضير يذكرون صفة النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما طلع الكوكب الأحمر أخبروا أنه نبي وأنه لا نبي بعده ، واسمه أحمد ومُهَاجِرُهُ إلى يثرب ، فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أنكروا وحسدوا وكفروا . وقد أورد هذه القصة الحافظ أبو نعيم في كتابه من طرق أخرى والله الحمد .

وقال أبو نعيم ومحمد بن حبان : حدثنا أبو بكر بن أبي عاصم ، حدثنا وهب بن بقية حدثنا خالد ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ويحيى بن عبد الرحمن بن حاطب ، عن أسامة بن زيد ، قال : قال زيد بن عمرو بن نُفَيْل : قال لي حبر من أحبار الشام : قد خرج في بلدك نبي ، أوهو خارج ، قد خرج نجمه ، فارجع فصدِّقه واتبعه .

ذكر ارتجاس الإيوان

وسقوط الشرفات ، وخود النيران ، ورؤيا الموبدان ، وغير ذلك من الدلالات

قال الحافظ أبو بكر محمد بن جعفر بن سهل الخرائطي في كتاب هواتف الجان : حدثنا علي بن حرب ، حدثنا أبو أيوب يعلى بن عمران ، من آل جرير بن عبد الله البجلي ، حدثني مخزوم بن هاني الخزومي ، عن أبيه - وأتت عليه خمسون ومائة سنة - قال : لما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتجس إيوان كسرى ، وسقطت منه أربع عشرة شرفة ، وخمدت نار فارس ، ولم تحمد قبل ذلك بألف عام ، وغاضت بحيرة ساوة . ورأى الموبدان إبلاً صعباً تقود خيلاً عراباً قد قطعت دجلة وانتشرت في بلادهم ، فلما أصبح كسرى أفرعه ذلك فتصبر عليه تشجعاً ، ثم رأى أنه لا يدخر ذلك عن مراكزته ، فجمعهم ولبس تاجه وجلس على سريرته . ثم بعث إليهم فلما اجتمعوا عنده . قال : أتدرون فيم بعثت إليكم ؟ قالوا : لا إلا أن يخبرنا الملك . فبينما هم كذلك إذ ورد عليهم كتاب خمود النيران فازداد غمّاً إلى غمه ، ثم أخبرهم بما رأى وما هاله .

فقال الموبدان : وأنا ، أصلح الله الملك ، قد رأيت في هذه الليلة رؤيا . ثم قص عليه رؤياه في الإبل . فقال : أي شيء يكون هذا يا موبدان ؟ قال : حدث يكون في ناحية العرب . وكان أعلمهم من أنفسهم .

فكتب عند ذلك : من كسرى ملك الملوك إلى النعمان بن المنذر ؛ أما بعد فوجه إلى رجل عالم بما أريد أن أسأله عنه . فوجه إليه بعبد المسيح بن عمرو بن حيان بن بُقيلة^(١) الغساني ، فلما ورد عليه قال له : ألك علم بما أريد أن أسألك عنه ؟ فقال : لتخبرني أو ليسأني الملك عما أحب ، فإن كان عندي منه علم وإلا أخبرته بمن يعلم . فأخبره بالذي

(١) المطبوعة : بقيلة وهو خطأ .

وجه به إليه فيه . قال : علم ذلك عند خال لى يسكن مشارف الشام يقال له سَطِيح . قال فائته فاسأله عما سألتك عنه ثم ائتني بتفسيره .

فخرج عبد المسيح حتى انتهى إلى سَطِيح وقد أشفى على الضريح ، فسلم عليه وكله فلم يرد إليه سطيح جواباً فأنشأ يقول :

أَصَمَّ أَمْ يَسْمَعُ غِطْرِيفُ الِیْمَنُ أَمْ فَادَ فَازَلَمَ بِهِ شَأُو الْعَنَ (١)
يا فاصل الخطئة أعيت من ومن أنك شيخ الحى من آل سنن
وأثمه من آل ذب بن حجن أزرق نههم الناب صرار الأذن (٢)
أيض فضماض الرداء والبـدـن رسول قيل العجم يسرى للوسن (٣)
تجرب بی الأرض علنداة شزن لا يرهـب الرعد ولا ريب الزمن (٤)
ترفعنی وجناً وتهوى بی وجن حتى أتى عارى الجأجى والقطن (٥)

(١) فاد : مات . قال :

رعى خرزات الملك عشرين حجةً وعشرين حتى فاد والشيب شاملُ

وازلم : ذهب مسرعاً . والأصل فيه ازلام فخذت الهزمة تخفيفاً . وقيل : أصلها ازلام ، كاشاب فخذت الألف تخفيفاً أيضاً . وشأو العن : اعتراض الموت على الحق . وقيل : ازلم : قبض . والعن : الموت . أى عرض له الموت فقبضه . وقد تصحفت الرواية فى النهاية : أن فار . انظر النهاية ٢ / ١٣٩ .
(٢) صرار الأذن : ينصبها للاستماع .

(٣) وتروى : ينمى للوسن . والوسن : أول النوم .

(٤) العلنداة : القوة من النوق . والشزن : التى تعشى من نشاطها على جانب . شزن فلان إذا نشط .
وقيل : الشزن : المعنى من الحفاء .
هذا والمشهور فى رواية البيت :

تجوبُ بی الأرضُ علنداة شزن ترفعنی وجناً وتهوى بی وجن

أما الشطر الثانى هنا فيروى :

رَسُولُ قَيْلِ الْعَجْمِ يَنْمِى لِلْوَسَنِ لَا يَرْهَبُ الْوَعْدَ وَلَا رَيْبَ الزَّمَنِ

(٥) الوجن بفتح نـ يكون وينتجتن : الأرض الغليظة الصلبة . ويروى بالضم جمع وجن . والجأجى : جمع جؤجؤ ، وهو عظام الصدر . والقطن ينتج الطاء : أسفل الظهر . وقيل : الصواب القطن بكسر الطاء جمع قطنة وهى ما بين الخذين .

تَلْفُـهُ في الرِّيحِ بَوْغَاءِ الدِّمَنِ كَأَنَّمَا حُتِثَ مِنْ حِصْنِي شَكْنٌ ^(١)

قال : فلما سمع سَطِيحَ شعره رفع رأسه يقول : عبدُ المسيح ، على جمل مُشِيح ، أتى سَطِيح ، وقد أَوْفَى على الضريح ، بعثك مَلِكُ بنى ساسان ، لارتجاس الإيوان ، وخمود النيران ، ورؤيا الموبدَان ، رأى إبلاً صِعَاباً ، تقود خيلاً عِرَاباً ، قد قطعت دِجْلَةً ، وانتشرت في بلادها .

ياعبد المسيح إذا كثرت التلاوة ، وظهر صاحب الهِرَاوَةِ ، وفاض وادى السماوة ، وغازت بحيرة ساوة ، وخمدت نار فارس ، فليس الشام لسطيح شاماً . يملك منهم ملوك وملكات ، على عدد الشُّرُفَات وكلما هو آتٍ آت .
ثم قضى سَطِيحُ مكانه .

فنهض عبد المسيح إلى راحلته وهو يقول :

سَمَّرَ فَإِنَّكَ ماضى العَزَمِ شِمِيرُ	لا يُفِرُّ عَنْكَ تَفْرِيقُ وَتَغْيِيرُ
إِنَّ يُمَسِّ مُلْكُ بَنِي سَاسَانَ أَفْرَطَهُم	فَإِنَّ ذَا الدَّهْرِ أَطْوَارُ دَهَارِيرُ
فَرَبَّمَا رِبْمَا أَضَحَّوْا بِمَنْزَلَةٍ	يَخَافُ صَوْلَهُمُ الْأُسْدُ الْمَهَاصِيرُ
مِنْهُمْ أَخُو الصَّرْحِ بَهْرَامُ وَإِخْوَتُهُ	وَالْهَرَمَزَانُ وَسَابُورُ وَسَابُورُ
وَالنَّاسُ أَوْلَادُ عَلَاتٍ فَمَنْ عَلَمُوا	أَنْ قَدْ أَقْلَّ فَحَقُورُ وَمَهْجُورُ
وَرَبَّ قَوْمٍ لَمْ صَحْبَانِ ذِي أُذُنٍ	بَدَتْ تَأْيِيهِمْ فِيهِ الْمَزَامِيرُ
وَهُمْ بَنُو الْأُمِّ إِمَّا إِنْ رَأَوْا نَشَبًا	فَذَاكَ بِالْغَيْبِ مُحْفُوظٌ وَمَنْصُورُ

(١) البوغاء : التراب الناعم . والدمن : ما تدمن منه ، أى تجمع وتلبد . وتشهد له الرواية الأخرى :

* تلفحه الرِّيحُ ببوغاءِ الدِّمَنِ *

وحثت : حرك . والشكن : جبل .

وقد وردت هذه القصة في لسان العرب ٣/ ٣١٢ ، وفي الاكتفا للسكاكي بتحقيق باختلاف وزيادة ونقص قال الأزهري وهو حديث حسن غريب .

والخير والشر مقرونان في قرْنٍ فالخير مُتَّبِعٌ والشر محذورٌ

قال : فلما قَدِمَ عبد المسيح على كسرى أخبره بما قال له سطيح ، فقال كسرى : إلى أن يَمْلِكَ منا أربعة عشر مَلِكًا كانت أمور وأُمور !

فَمَلَكَ منهم عشرةٌ في أربع سنين ، وملك الباقون إلى خلافة عثمان رضى الله عنه .
ورواه البيهقي من حديث عبد الرحمن بن محمد بن إدريس ، عن علي بن حرب الموصلي بنحوه .

قلت : كان آخر ملوكهم - الذى سلب منه الملك يَزْدَجَرْد بن شهریار بن أبريز بن هرمز بن أنوشروان وهو انذى انشق الإيوان في زمانه . وكان لأسلافه في الملك ثلاثة آلاف سنة ومائة وأربعة وستون سنة . وكان أول ملوكهم جيومرت ^(١) بن أميم بن لاوذ بن سام بن نوح [وقد تقدم ترجمة شق وسطيح في أخبار أهل اليمن] ^(٢) .

أما سَطِيح هذا فقال الحافظ ابن عساكر في تاريخه : هو الربيع بن ربيعة بن مسعود ابن مازن بن ذئب بن عدى بن مازن بن الأزد . ويقال الربيع بن مسعود وأمه ردعا بنت سعد بن الحارث الحجورى . وذكر غير ذلك في نسبه .

قال : وكان يسكن الجابية .

ثم روى عن أبي حاتم السجستاني قال : سمعت المشيخة منهم أبو عبيدة وغيره قالوا : وكان من بعد لقمان بن عاد . ولد في زمن سيل العرم وعاش إلى ملك ذى نواس وذلك نحو من ثلاثين قرناً ، وكان مسكنه البحرين وزعمت عبد القيس أنه منهم وتزعم الأزد أنه منهم وأكثر المحدثين يقولون هو من الأزد ولا ندرى ممن هو غير أن ولده يقولون إنه من الأزد .

(١) ويقال له : كيومرت . رقى ط : خيومرت (٢) من المخطوطة ١ .

(٣) من هنا إلى قوله وقال أبو نعيم مكتوب بحاشية الحلية لم يرد في النسخة ١ واكتفى بقوله : وقد تقدم ..

وروى عن ابن عباس أنه قال : لم يكن شيء من بني آدم يشبه سطيحًا ، إنما كان الحما على وضم ليس فيه عظم ولا عصب إلا في رأسه وعينه وكفّيه ، وكان يطوى كما يطوى الثوب من رجليه إلى عنقه ، ولم يكن فيه شيء يتحرك إلا لسانه .

وقال غيره : إنه كان إذا غضب انتفخ وجلس .

ثم ذكر ابن عباس أنه قدم مكة فتلقاه جماعة من رؤسائهم منهم عبد شمس وعبد مناف أبناء قصي ، فامتحنوه في أشياء فأجابهم فيها بالصدق ، فسألوه عما يكون في آخر الزمان ، فقال : خذوا مني ومن إلهام الله إياي : أتم الآن يامعشر العرب في زمان الهرم ، سواء بصائركم وبصائر العجم ، لا علم عندكم ولا فهم ، وينشئ من عقبيكم ذوو فهم ، يطلبون أنواع العلم فيكسرون الصنم ، ويتبعون الردم ، ويقتلون العجم ، يطلبون الغنم . ثم قال : والباقي الأبد ، والبالغ الأمد ليخرجن من ذا البلد ، نبي مهتد ، يهتدي إلى الرشد ، يرفض يفتو والفند ، يبرأ عن عبادة الضد ، يعبد ربًّا انفراد ، ثم يتوفاه الله بخير دار محمودا ، من الأرض مفقودا ، وفي السماء مشهودا ، ثم يلي أمره الصديق ، إذا قضى صدق ، وفي رد الحقوق لا خرق ولا نزق ، ثم يلي أمره الحنيف ، مجرب غطريف ، قد أضاف المضيف ، وأحكم التحنيف . ثم ذكر عثمان ومقتله وما يكون بعد ذلك من أيام بني أمية ثم بني العباس . وما بعد ذلك من الفتن والملاحم . ساقه ابن عساكر بسنده عن ابن عباس بطوله .

وقد قدمنا قوله لربيعة بن نصر ملك اليمن حين أخبره برؤياه قبل أن يخبره بها ، ثم ما يكون في بلاد اليمن من الفتن وتغيير الدول ، حتى يعود إلى سيف بن ذي يزن فقال له : أفيدوم ذلك من سلطانه أم ينقطع ؟ قال : بل ينقطع . قال : ومن يقطعه ؟ قال نبي زكي يأتيه الوحي من قبل العلي . قال : ومن هذا النبي ؟ قال : من ولد غالب بن فهر ، بن مالك

ابن النَّضْر ، يكون الملك في قومه إلى آخر الدهر . قال : وهل للدهر من آخر ؟ قال :
نعم ، يوم يُجمع فيه الأولون والآخرون ، يسعد فيه المحسنون ويشقى فيه المسيئون . قال
أحقُّ ما تخبرني ؟ قال : نعم والشفق والغسق والقمر إذا اتسق إن ما أنباتك عليه لحق .
وواقفه على ذلك شق سواء بسواء بعبارة أخرى كما تقدم .

ومن شعر سَطِيح قوله :

عليكم بتقوى الله في السرِّ والجهر ولا تلبسوا صِدْقَ الأمانة بالغَدْرِ
وكونوا الجارَ الجنبِ خِصْناً وجُنَّةً إذا ما عرَّته النَّائباتُ من الدهْرِ

وروى ذلك الحافظ ابن عساكر ، ثم أورد ذلك المُعَاذِي بن زكريا الجُرَيْرِي فقال :
وأخبار سَطِيح كثيرة وقد جمعها غير واحد من أهل العلم . والمشهور أنه كان كاهناً ، وقد
أخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن نفعته ومبعثه . وروى لنا بإسناد الله به أعلم أن
النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن سَطِيح فقال : « نبي ضيَّعه قومه » .

قلت : أما هذا الحديث فلا أصل له في شيء من كتب الإسلام المعهودة ، ولم أره
بإسناد أصلاً ، ويروى مثله في خبر خالد بن سنان العبسي ولا يصح أيضاً .

وظاهر هذه العبارات تدل على علم جيد لسَطِيح ، وفيها رواح التصديق ، لكنه
لم يدرك الإسلام كما قال الجُرَيْرِي . فإنه قد ذكرنا في هذا الأثر أنه قال لابن أخته :
يا عبد المسيح إذا كثرت التلاوة ، وظهر صاحب المراوة ، وفاض وادى السماوة ، وغاضت
بحيرة ساوة ، وخمدت نار فارس ، فليس الشام لسَطِيح شاماً ، يملك منهم ملوك
وملكات ، على عدد الشرفات وكل ماهو آت آت . ثم قضى سَطِيح مكانه وكان ذلك
بعد مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم بشهر - أو شَيْعَه ^(١) - أي أقل منه .

وكانت وفاته بأطراف الشام مما يلي أرض العراق . فالله أعلم بأمره وما صار إليه .

وذكر ابن طرار الجريري^(١) أنه عاش سبعمائة سنة . وقال غيره خمسمائة سنة ، وقيل ثلاثمائة سنة فالله أعلم .

وقد روى ابن عساكر أن ملكاً سأل سطيحاً عن نسب غلام اختلف فيه ، فأخبره على الجليّة في كلام طويل مليح فصيح . فقال له الملك ياسطيح ألا تخبرني عن علمك هذا ؟ فقال : إن على هذا ليس مني ولا يجزّم ولا بظن ، ولكن أخذته عن أخ لي قد سمع الوحي بطور سيناء . فقال له أرأيت أخاك هذا الجنى أهو معك لا يفارقك ؟ فقال : إنه ليزول حيث أزل ، ولا أنطق إلا بما يقول .

وتقدم أنه ولد هو وشقيق بن مُصعب بن يَشكر بن رهم بن بسر بن عقبة الكاهن الآخر ، ولِدَا في يوم واحد ، فحملَا إلى الكاهنة طريفة بنت الحسين الحميدية فتفلت في أفواههما فورثا منها الكهانة ، وماتت من يومها . وكان نصف إنسان ويقال إن خالد بن عبد الله القسري من سلالته ، وقد مات شق قبل سطيح بدهر .

وأما عبد المسيح بن عمرو بن قيس بن حيّان بن بَقِيْلَة^(٢) الفسائي النصراني فكان من المعمرين .

وقد ترجمه الحافظ بن عساكر في تاريخه وقال هو الذي صالح خالد بن الوليد على [الحيرة^(٣)] وذكر له معه قصة طويلة وأنه أكل من يده سُمّاً ساعة فلم يصبه سوء ، لأنه لما أخذه قال : بسم الله وبالله رب الأرض والسماء الذي لا يضر مع اسمه أذى . ثم أكله

(١) ابن طرار الجريري : هو الإمام المشهور أبو الفرج المعافى بن زكريا الجريري التهرواني . وقد ذكره ابن كثير قريباً باسمه . الباب ١/ ٢٢٤ .
(٢) المطبوعة : بقيلة . وهو خطأ . (٣) سقطت من الأصل وهي من الاشتقاق لابن دريد ٤٨٥ .

فعائته غشية فضرب بيديه على صدره ، ثم عرق وأفاق رضى الله عنه وذكر لعبد المسيح أشعاراً غير ما تقدم (١) .

وقال أبو نعيم : حدثنا محمد بن أحمد بن الحسن ، حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة ، حدثنا عقبة بن مكرم ، حدثنا المسيب بن شريك ، حدثنا محمد بن شريك ، عن شعيب بن شعيب ، عن أبيه عن جده قال : كان بمرّ الظهران راهب من الرهبان يدعى عيصا من أهل الشام ، وكان متخفراً بالعاص بن وائل ، وكان الله قد آتاه علماً كثيراً وجعل فيه منافع كثيرة لأهل مكة من طيب ورفق وعلم .

وكان يلزم صومعة له ويدخل مكة في كل سنة فيلقى الناس ويقول : إنه يوشك أن يولد فيكم مولود يا أهل مكة يدين له العرب ويملك العجم ، هذا زمانه ، ومن أدركه واتبعه أصاب حاجته ، ومن أدركه نخالفة أخطأ حاجته ، وبالله ما تركت أرض النحر والنخيل والأمن ولا حلت بأرض الجوع والبؤس والخوف إلا في طلبه .

وكان لا يولد بمكة مولود إلا يسأل عنه ، فيقول ما جاء بعد . فيقال له : فصِّفه . فيقول لا .

ويكتم ذلك للذي قد علم أنه لاقٍ من قومه ، مخافةً على نفسه أن يكون ذلك داعيةً إلى أدنى ما يكون إليه من الأذى يوماً .

ولما كان صبيحة اليوم الذي ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج عبد الله ابن عبد المطلب حتى أتى عيصا ، فوقف في أصل صومعته ثم نادى : يا عيصاه . فناده من هذا ؟ فقال : أنا عبد الله . فأشرف عليه فقال : كن أباه فقد ولد المولود الذي كنت أحدثكم عنه يوم الاثنين ، ويبعث يوم الاثنين ، ويموت الاثنين .

(١) إلى هنا آخر الحاشية التي أثبتتها المطبوعة عن النسخة الحلية

قال : فإنه قد ولد لي مع الصبح مولود . قال فما سميته ؟ قال : محمداً قال : والله لقد كنت أشتى أن يكون هذا المولود فيكم أهل البيت ثلاث خصال نعرفه بها ، منها أن نجمه طلع البارحة ، وأنه ولد اليوم ، وأن اسمه محمد . انطلق إليه فإن الذي كنت أخبركم عنه ابنك . قال فما يدريك أنه ابني ؟ ولعله أن يولد في هذا اليوم مولود غيره ؟ قال : قد وافق ابنك الاسم ، ولم يكن الله لي شبيه علمه على العلماء فإنه حجة . وآية ذلك أنه الآن وَجِعَ فيشتكي أياماً ثلاثة ، فيظهر به الجوع ثلاثاً ثم يعافى . فاحفظ لسانك ، فإنه لم يُحَسِّدْ أحد حسده قط ، ولم يُبَغَّ على أحد كما يُبَغَّى عليه ، إن تعش حتى يبدو مقالته ثم يدعو لظهر لك من قومك ما لا تحتمله إلا على صبرٍ وعلى ذل ، فاحفظ لسانك ودار عنه . قال : فما عمره ؟ قال : إن طال عمره وإن قصر لم يبلغ السبعين ، يموت في وترٍ دونها من الستين في إحدى وستين أو ثلاث وستين في أعمار جُلِّ أمته .

قال : وحل برسول الله صلى الله عليه وسلم في عاشر المحرم . وولد يوم الاثنين لثنتي عشرة خلت من رمضان سنة ثلاث وعشرين من غزوة أصحاب الفيل .
هكذا رواه أبو نعيم ^(١) وفيه غرابة .

ذكر حواضنه ومرأضه عليه الصلاة والسلام

كانت أم أيمن واسمها بركة تحضنه ، وكان قد ورثها عليه الصلاة والسلام من أبيه فلما كبر أعتقها وزوجها مولاه زيد بن حارثة ، فولدت له أسامة بن زيد رضي الله عنهم .

وأرضعته مع أمه عليه الصلاة والسلام مولاة عمه أبي لهب ثؤيبة قبل حليلة السعدية .

(١) ورواه أيضا ابن عساكر

أخرج البخارى ومسلم فى صحيحيهما من حديث الزُّهْرَى عن عُرْوَةَ بن الزبير ، عن زينب بنت أم سلمة ، عن أم حبيبة بنت أبي سفيان ، قالت : يا رسول الله انكح أختى بنت أبي سفيان ولمسلم : « عَزَّة بنت أبي سفيان » .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أو تحبين ذلك ؟ » قلت : نعم لستُ لك بمخلية وأحبُّ مَنْ شاركنى فى خيرٍ أختى .

فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « فإن ذلك لا يحِلُّ لى » .

قالت : فإننا نحدِّث أنك تريد أن تنكح بنتَ أبي سلمة ، وفى رواية : « درة بنت أبي سلمة » قال : « بنت أم سلمة ؟ » قلت : نعم . قال : « إنها لو لم تكن ربيبتى فى حجرى ما حلَّت لى ، إنها لابنة أخى من الرضاعة ، أَرْضَعْتِ وَأَبَا سلمة ثَوْبِيَّةُ ، فلا تَعْرِضْنِ عَلَى بناتكن ولا أخواتكن » .

زاد البخارى : قال عُرْوَةُ : وثوبية مولاة لأبى لهب أعتقها فأرضعت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما مات أبو لهب أُرِيه بعضُ أهله بشرَّ خبيَّة ، فقال له : ماذا لقيت ؟ فقال أبو لهب : لم ألقَ بعدكم خيراً ، غير أنى سَقِيت فى هذه بعتاقتى ثوبية . وأشار إلى النقرة التى بين الإبهام والذى تليها من الأصابع .

وذكر السهلى وغيره : أن الرأى له هو أخوه العباس . وكان ذلك بعد سنة من وفاة أبى لهب بعد وقعة بدر . وفيه إن أبا لهب قال للعباس : إنه ليخفف علىّ فى مثل يوم الاثنين .

قالوا : لأنه لما بشرته ثوبية بميلاد ابن أخيه محمد بن عبد الله أعتقها من ساعته ، فجوزى بذلك لذلك .

ذكر رضاعه عليه الصلاة والسلام

من حليلة بنت أبي ذؤيب السعدية وما ظهر عليه من البركة وآيات النبوة
قال محمد بن إسحاق : فاسترضع له عليه الصلاة والسلام من حليلة بنت أبي ذؤيب ،
واسمه عبد الله بن الحارث بن شِجْنَةَ بن جابر بن رِزَام بن ناصرة [بن فُصَيَّة بن نصر] ^(١)
ابن سعد بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خَصَفَةَ ^(٢) بن قيس عَيْلان
ابن مُضَر .

قال : واسم أبي رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي أرضعه - يعنى زوج حليلة .
الحارث بن عبد المُزَيَّ بن رفاعة بن مَلَّان بن ناصرة بن سعد بن بكر بن هوازن .
وإخوته عليه الصلاة والسلام من الرضاعة : عبد الله بن الحارث ، وأنيسة بنت
الحارث ، وخِدَامَةُ ^(٣) بنت الحارث ، وهى الشَّيْء ، وذكروا أنها كانت تحضن رسول
الله صلى الله عليه وسلم مع أمه إذ كان عندهم .

قال ابن إسحاق : وحدثني جَهْم بن أبي جهم [مولى لامرأة من بنى تميم كانت عند
الحارث بن حاطب ، ويقال له] ^(٤) مولى الحارث بن حاطب ، قال : حدثني من سمع
عبد الله بن جعفر بن أبي طالب قال : حدثت عن حليلة بنت الحارث أنها قالت : قدمت
مكة فى نسوة - وذكر الواقدي بإسناده أنهن كنَّ عشرة نسوة من بنى سعد بن بكر
يلتمسن بها الرُّضْعَاء - من بنى سعد نلتمس بها الرُّضْعَاء فى سنة شَهْبَاء ^(٥) ، فقدمت

(١) من ابن هشام . (٢) المطبوعة : حفصة ، وهو خطأ .

(٣) قال السهيلي : وقال غيره حذافة بالحاء المضمومة وبالفاء مكان الميم .

(٤) ليست فى ابن هشام . (٥) شهباء : مجذبة .

على أتان لى قَمَرَاء كانت أذمت بالركب^(١) ، ومعى صبي لنا ، وشارف لنا والله ماتَبِضُ^(٢) بقطرة ، وما ننام ليلنا ذلك أجمع مع صبينا ذاك ، مانجد^(٣) فى ثدي ما يُغْنِيهِ ولا فى شارفنا ما يغذيه ، ولكننا كننا نرجو الغيث والفرج ، فخرجت على أتانى تلك فلقد أذمت بالركب حتى شق ذلك عليهم ضعفاً وعَجَفاً .

فقد منّا مكة ، فوالله ما علمت منا امرأة إلا وقد عُرض عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فتأباه إذا قيل إنه يتيم ، تركناه قلنا : ماذا عسى أن تصنع إلينا أمه ؟ إنما نرجو المعروف من أبى الولد ، فأما أمه فماذا عسى أن تصنع إلينا ! فوالله ما بقى من صواحبي امرأة إلا أخذت رضيعاً غيرى .

فلما لم نجد غيرَه وأجمعنا الانطلاق قلت لزوجى الحارث بن عبد العزى : والله إنى لأكره أن أرجع من بين صواحبي ليس معى رضيع ، لأنطلقن إلى ذلك اليتيم فلا خذنه . فقال : لا عليك أن تفعلى ، فعسى أن يجعل الله لنا فيه بركة . فذهبت فأخذته ، فوالله ما أخذته إلا أنى لم أجد غيره .

فما هو إلا أن أخذته فجئت به رَحلى فأقبل عليه ثدياى بما شاء من لبن ، فشرب حتى روى وشرب أخوه حتى روى ، وقام صاحبى إلى شارفنا تلك فإذا إنها لحافل ، فلب ماشرب وشربت حتى رويانا ، فبتنا بخير ليلة .

(١) القمراء التى يميل لونها إلى الخضرة . وقد ذكرها السهيلي أولاً : أذمت وقال : تريد أنها حبستهم وكأنه من الساء الدائم وهو الواقع . ويروى : « حتى أذمت » أى أذمت الأتان أى جاءت بما تدم عليه ، والمعنى أنها أبطأت عليهم حتى حبستهم . (٢) ما تبض : ما ترشح .

(٣) العجيب أن ابن كثير رحمه الله يعدل عن لفظ ابن إسحاق ويخلطه بما يفسد المعنى ، ولو أنه أثبتته بنصه لكفى وأغنى ، وإليك نص ابن إسحاق : « وما ننام ليلنا أجمع من صبينا الذى معنا ، من بكائه من الجوع ، ما فى ثدي ... الخ » ولو ذهبنا نتبع مفارقات المؤلف فى نقله عن ابن إسحاق لطال بنا الأمر ، ويكنى أن نعلم أن ابن كثير يلخص المعنى بعبارة ويزيد ويحذف ولا يلتزم النص إلا قليلاً .

فقال صاحبي حين أصبحنا : يا حليلة والله إني لأراك قد أخذت نَسمة مباركة ،
ألم تَرى ما بَدَّنا به الليلة من الخير والبركة حين أخذناه ؟ ! فلم يزل الله عز وجل
يزيدنا خيراً .

ثم خرجنا راجعين إلى بلادنا فوالله لقطعتُ أُناني بالركب حتى ما يتعلق بها حمار ،
حتى أن صواحي ليقان : ويلك يا بنت أبي ذؤيب ! هذه أُناتك التي خرجت عليها معنا ؟
فأقول : نعم والله إنها لهي . فيقان : والله إن لها لشأناً .

حتى قدمنا أرضَ بني سعد ، وما أعلم أرضاً من أرض الله أَجَدَبَ منها ، فإن كانت
غنمي لتسرح ثم تروح شباعاً لبنا فنحلب ماشئنا ، وما حوالينا أو حولنا أحدٌ تَبِضُّ له
شاةٌ بقطرة لبن ، وإن أغنامهم لتروح جِباعاً ، حتى إنهم ليقولون لرعاتهم أو لرعيانهم :
ويحكم انظروا حيث تسرح غنم بنت أبي ذؤيب فاسرحوا معهم . فيسرحون مع غنمي
حيث تسرح ، فتروح أغنامهم جِباعاً ما فيها قطرة لبن ، وتروح أغنامي شباعاً لبناً
نحلب ماشئنا .

فلم يزل الله يرينا البركة نتعرفها .

حتى بلغ سنتين فكان يَسِبُ شِباباً لا تشبه الغلمان ، فوالله ما بلغ السنتين حتى كان
غلاماً جَفراً ^(١) فقدمنا به على أمه ونحن أضنُّ شيء به مما رأينا فيه من البركة ، فلما رأته
أمه ، قلت لها : دَعِينَا نرجع بابتنا هذه السنة الأخرى ، فإننا نخشى عليه وباء مكة .

فوالله ما زلنا بها حتى قالت : نعم . فسرحتُه معنا فأقمنا به شهرين أو ثلاثة .

فبينما هو خلف بيوتنا مع أخ له من الرضاعة في بهمٍ لنا جاء أخوه ذلك يشتد ،
فقال : ذاك أخي القرشي جاءه رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعه فشقا بطنه .

فخرجت أنا وأبوه نشتد نحوَه ، فنجدَه قائماً مُنتقعا لونه ، فاعتنقه أبوه وقال : يا بني ماشأنك ؟ قال : جاءني رجلان عايلهما ثياب بيض ، أضجعاني وشقا بطني ، ثم استخرجا منه شيئاً فطرحاه ثم ردّاه كما كان . فرجعنا به معنا ، فقال أبوه : يا حليلة لقد خشيت أن يكون ابني قد أصيب فانطلقى بنا نرده إلى أهله قبل أن يظهر به ماتخوف . قالت حليلة : فاحتملناه فلم ترعُ أمه إلا به ، فقدمنا به عليها فقالت : ماردٌ كما به يا ظئر ، فقد كنتم عليه حربصين ؟ فقالا : لا والله ، إلا أن الله قد أدى عنا وقضينا الذي عاينا وقلنا نخشى الإلتلاف والأحداث نرده إلى أهله . فقالت : ماذا بكما ، فاصدقاني شأنكما . فلم تدعنا حتى أخبرناها خبره ، فقالت : أخشيتما عليه الشيطان ؟ ! كلا والله ما للشيطان عليه من سبيل ، والله إنه لكائن لابني هذا شأن ، ألا أخبركما خبره ؟ قلنا : بلى . قالت : حملت به فما حملت حملاً قط أخف منه ^(١) ، فأريت في النوم حين حملت به كأنه خرج مني نور أضاءت له قصور الشام ، ثم وقع حين ولدته وقوعاً ما يبعه المولود ، معتمداً على يديه رافعاً رأسه إلى السماء ، فدعاه عنكما .

وهذا الحديث قد روى من طرق آخر ، وهو من الأحاديث المشهورة المتداولة بين أهل السير والمغازي .

وقال الواقدي : حدثني معاذ بن محمد ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن ابن عباس ، قال : خرجت حليلة تطلب النبي صلى الله عليه وسلم وقد وجدت البهْمَ ثَقِيلَ ، فوجدته مع أخته فقالت : في هذا الحر ؟ فقالت أخته : يأومه ما وجد أخى حرّاً ، رأيت غمامة تظلل عليه ، إذا وقف وقفت ؛ وإذا سار سارت ، حتى انتهى إلى هذا الموضع .

وقال ابن إسحاق : حدثني ثور بن يزيد ، عن خالد بن معدان ، عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم قالوا له : أخبرنا عن نفسك . قال : « نعم أنا دعوة أبي إبراهيم

(١) يوم ذلك أنها حملت بغيره ، وهو غير ثابت .

وبشرى عيسى عليهما السلام ، ورأت أمي حين حمات بي أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام ، واسترضعت في بني سعد بن بكر ، فبينما أنا في بهم لنا أتاني رجلان عليهما ثياب بيض معهما طست من ذهب مملوء ثلجا ، فأضجعاني فشقا بطني ثم استخرجا قلبي فشقا فأخرجا منه علقة سوداء فألقياها ، ثم غسلا قلبي وبطني بذلك الثلج ، حتى إذا أنقياه ردّاه كما كان ، ثم قال أحدهما لصاحبه . زينه بعشرة من أمته . فوزنتي بعشرة فوزنتهم ، ثم قال : زينه بمائة من أمته . فوزنتي بمائة فوزنتهم . ثم قال زنه بألف من أمته . فوزنتي بألف فوزنتهم ، فقال : دعه عنك ، فلو وزنته بأمته لو زنتهم .

وهذا إسناد جيد قوى .

وقد روى أبو نعيم الحافظ في الدلائل من طريق عمر بن الصبح ، وهو أبو نعيم ، عن ثور بن يزيد ، عن مكحول ، عن شدّاد بن أوس هذه القصة مطولة جداً ، ولكن عمر بن صبح هذا متروك كذاب متهم بالوضع . فلهذا لم نذكر لفظ الحديث إذ لا يُفَرِّح به .

ثم قال : وحدثنا أبو عمرو بن حمدان ، حدثنا الحسن بن نفير ، حدثنا عمرو بن عثمان ، حدثنا بقية بن الوليد ، عن بحير بن سعيد ، عن خالد بن معدان ، عن عبد الرحمن ابن عمرو السلمي ، عن عتبة بن عبد الله ، أنه حدثه أن رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال : كيف كان أول شأنك يا رسول الله ؟ قال : « كانت حاضنتي من بني سعد بن بكر ، فانطلقت أنا وابنٌ لها في بهم لنا ولم نأخذ معنا زاداً ، فقلت : يا أخى اذهب فائقنا بزاد من عند أمنا . فانطلق أخى ومكثت عند البهم ، فأقبل طائران أبيضان كأنهما نسران ، فقال أحدهما لصاحبه : أهو هو ؟ فقال نعم ! فأقبلا بيئدراني ، فأخذاني فبطحاني للفقفا فشقا بطني ثم استخرجا قلبي فشقا ، فأخرجا منه علقتين سوداوين ، فقال أحدهما لصاحبه :

اثنى بماء ثلج . ففسلا به جوفى . ثم قال : اثنى بماء برد . ففسلا به قابى . ثم قال : اثنى بالسكينة فذرّها فى قابى . ثم قال أحدهما لصاحبه : خطّه . فخاطه وختم على قابى بخاتم النبوة ، فقال أحدهما لصاحبه : اجعله فى كفة واجعل ألفاً من أمته فى كفة . فإذا أنا أنظر إلى الألف فوق أشفق أن يخرّ علىّ بعضهم . فقال : لو أن أمته وُزِنَتْ به لمال بهم . ثم انطلقا فتركانى وفرقتُ فرّقاً شديداً ، ثم انطلقت إلى أمى فأخبرتها بالذى لقيت ، فأشفقت أن يكون قد لبس بى ، فقالت : أعيدك بالله . فرحلت بعيراً لها وحملتنى على الرحل . وركبت خلفى ، حتى بلغنا إلى أمى ، فقالت : أدّيت أمانتى ودمتّى . وحدّثتها بالذى لقيت ، فلم يرّعها ، وقالت : إنى رأيت خرج منى نور أضاءت منه قصور الشام .

ورواه أحمد من حديث بقية بن الوليد به . وهكذا رواه عبد الله بن المبارك وغيره عن بقية بن الوليد به .

وقد رواه ابن عساكر من طريق أبى داود الطيالسى ، حدثنا جعفر بن عبد الله بن عثمان القرشى ، أخبرنى عمير بن عمر بن عروة بن الزبير ، قال سمعت عروة بن الزبير يحدث عن أبى ذر الغفارى قال : قلت يارسول الله كيف علمت أنك نبي حين علمت ذلك واستيقنت أنك نبي ؟ قال : « يا أبا ذر ، أتانى ملكان وأنا ببعض بطحاء مكة ، فوقع أحدهما على الأرض ، وكان الآخر بين السماء والأرض ، فقال أحدهما لصاحبه : أهو هو ؟ قال : هو هو . قال زنه برجل . فوزنتى برجل فرجحته » وذكر تمامه ، وذكر شق صدره وخياطته وجعل الخاتم بين كتفيه قال : « فما هو إلا أن ولياً عنى فكأنا أعين الأمر معاينة » .

ثم أورده ابن عساكر عن أبى بن كعب بنحو ذلك ، ومن حديث شداد بن أوس بأبسط من ذلك .

وثبت في صحيح مسلم من طريق حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس بن مالك : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل عليه السلام وهو يلاعب مع الغلمان ، فأخذه فصرعه فشق عن قلبه ، فاستخرج القلب واستخرج منه عاقمة سوداء ، فقال : هذا حظ الشيطان ، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ، ثم لأمه ، ثم أعاده في مكانه ، وجاء الغلمان يسعون إلى أمه - يعني ظئره - فقالوا : إن محمداً قد قُتل . فاستقبلوه وهو مُنتقع اللون . قال أنس : وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره .

وقد رواه ابن عساكر من طريق ابن وهب ، عن عمرو بن الحارث عن عبد ربه ابن سعيد ، عن ثابت البناني ، عن أنس ، أن الصلاة فرضت بالمدينة ، وأن ملكين أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهبا به إلى زمزم فشقا بطنه فأخرجوا حشوته في طست من ذهب فغسلاه بماء زمزم ثم لبسا جوفه حكمة وعلمًا .

ومن طريق ابن وهب أيضا ، عن يعقوب بن عبد الرحمن الزهري ، عن أبيه عن عبد الرحمن بن عامر بن عتبة بن أبي وقاص ، عن أنس قال : أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث ليال : قال خذوا خيرهم وسيدهم ، فأخذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فعمد به إلى زمزم ، فشق جوفه ثم أتى بتور من ذهب فغسل جوفه ثم ملأ حكمة وإيمانًا . وثبت من رواية سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس .

وفي الصحيحين من طريق شريك بن أبي نمر ، عن أنس ، وعن الزهري عن أنس ، عن أبي ذر وقتادة عن أنس ، وعن مالك بن صعصعة عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث الإسراء كما سيأتي قصة شرح الصدر ليلتئذ وأنه غسل بماء زمزم .

ولا منافاة لاحتمال وقوع ذلك مرتين ، مرة وهو صغير ، ومرة ليلة الإسراء ليتأهب للوفود إلى الملأ الأعلى ولمناجاة الرب عز وجل والمثل بين يديه تبارك وتعالى .

وقال ابن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لأصحابه : « أنا أعزُّ بكم ، أنا قرشي واسترضت في بني سعد بن بكر » .

وذكر ابن إسحاق : أن حليمة لما أرجعته إلى أمه بعد فطامه مرت به على ركب من النصارى فقاموا إليه عليه الصلاة والسلام فقبلوه وقالوا إنا سنذهب بهذا الغلام إلى ملكنا فإنه كائن له شأن . فلم تكذب تنفلت منهم إلا بعد جهد .

وذكر أنها لما ردت به حين تخوفت عليه أن يكون أصابه عارض ، فلما قربت من مكة افتقدته فلم تجده ، فجاءت جده عبد المطلب فخرج هو وجماعة في طابه ، فوجده ورقة بن نوفل ورجل آخر من قریش فأتيا به جده ، فأخذه على عاتقه وذهب فطاف به يعودوه ويدعوه ثم رده إلى أمه آمنة .

وذكر الأموي من طريق عثمان بن عبد الرحمن الوقاصي ، وهو ضعيف ، عن الزُّهري ، عن سعيد بن المسيَّب ، قصة مولده عليه الصلاة والسلام ورضاعه من حليمة على غير سياق محمد بن إسحاق . وذكر أن عبد المطلب أمر ابنه عبد الله أن يأخذه فيطوف به في أحياء العرب ليتخذ له مرضعة ، فطاف حتى استأجر حليمة على رضاعه ، وذكر أنه أقام عندها ست سنين تزيره جدّه في كل عام ، فلما كان من شق صدره عندهم ما كان ردّه إليهم ، فأقام عند أمه حتى كان عمره ثمان سنين ماتت ، فكفله جده عبد المطلب فمات وله عليه الصلاة والسلام عشر سنين ، فكفله عمه شقيقا أبيه الزبير وأبو طالب ، فلما كان له بضع عشرة سنة خرج مع عمه الزبير إلى اليمن . فذكر أنهم رأوا منه آيات في تلك السفرة ، منها أن فحلا من الإبل كان قد قطع بعض الطريق في وادٍ تمرُّهم عليه ، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم برك حتى حك بكلِّ كَلِّه الأرض ، فركبه عليه الصلاة والسلام ، ومنها أنه خاض بهم سيلا عَرِمًا فأبىسه الله تعالى حتى جاوزوه ، ثم مات عمه الزبير وله أربع عشرة سنة فانفرد به أبو طالب .

والمقصود أن برّ كته عليه الصلاة والسلام حلت على حليلة السعدية وأهلها وهو صغير ، ثم عادت على هوازن بكالم فواصله حين أسرهم بعد وقعتهم ، وذلك بعد فتح مكة بشهر . فتوا إليه برضاعه فأعتقهم وتحنّ عليهم وأحسن إليهم ، كما سيأتى مفصلاً في موضعه إن شاء الله تعالى .

قال محمد بن إسحاق في وقعة هوازن : عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه عن جده . قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمخين ، فلما أصاب من أموالهم وسباياهم أدركه وفد هوازن بالجعرانة وقد أسدوا ، فقالوا يارسول الله إنا أهل وعشيرة ، وقد أصابنا من البلاء ما لم يخف عليك ، فامن علينا من الله عليك . وقام خطيبهم زهير بن صرد فقال : يارسول الله إن ما في الحظائر من السبايا خالاتك وحواضك اللاتي كن يكفلنك ، فلو أنا ما نحن^(١) ابن أبي شمر ، أو النعمان بن المنذر ثم أصابنا منهما مثل الذي أصابنا منك رجونا عائدتهما وعطفهما ، وأنت خير المكفولين . ثم أنشد :

أمنن علينا رسول الله في كرم	فإنك المرء نرجوه ونذخر
أمن على بيضة قد عاقها قدر	ممرق شملها في دهرها غير
أبقت لنا الدهر هتافاً على حزن	على قلوبهم الغماء والغمر
إن لم تداركها نعاء تنشرها	يأأرجح الناس حلماً حين يختبر
أمن على نسوة قد كنت ترضعها	إذ فوك يماؤه من محضها درر
أمن على نسوة قد كنت ترضعها	وإذ يزنيك ماتأني وما تذر
لا تجمعنا كمن شالت نعمته	واستبق منا فإنا معشر زهر
إنا لنشكر للنعمي وإن كفرت	وعندنا بعد هذا اليوم مدخر

وقد رويت هذه القصة من طريق عبيد الله بن رماحس الكلبي الرملي ،

(١) يعني أرضعنا . وابن أبي شمر هو الحارث الغساني .

عن زياد بن طارق الجشمي ، عن أبي سرد زهير بن جَرَوَل ، وكان رئيس قومه ، قال لما أَسْرَنَا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يومَ حنين فبينما هو يميز بين الرجال والنساء وثبتُ حتى قعدت بين يديه وأسمعته شعراً ، أذكره حين شَبَّ ونشأ في هوازن حيث أَرْضَعُوهُ :

أمنن علينا رسول الله في دَعَا	فإنك المرء نرجوه وننظرُ
أمنن على بيضة قد عاقها قَدَرُ	مَزَقْ شَمْلَهَا في دهرها غَيْرُ
أبقت لنا الحربُ هُتَافاً على حزن	على قلوبهم الغمَاء والغمرُ
إن لم تُداركها نعامُ تنشرها	يا أرجح الناس حلماً حين يُختبرُ
أمنن على نسوة قد كنت ترضعها	إذ فوك تملؤه من مُحْضها الدُرُرُ
إذ أنت طفلٌ صغيرٌ كنت ترضعها	وإذ يزيناك ما تأتى وما تذرُ
لا تجعلنا كمن شالت نعامته	واستبق منا فإننا معشر زُهرُ
إنا لنشكر للنعمى وإن كُفرتُ	وعندنا بعد هذا اليوم مُدَّخَرُ
فألبس العفو من قد كنت ترضعه	من أمهاتك إنَّ العفو مُشْتَهَرُ
إنا نوُمِّل عفواً منك تُلبسه	هذى البرية إذ تعفو وتنتصرُ
فاغفر عفا الله عما أنت راهبه	يوم القيامة إذ يُهْدَى لك الظَّفَرُ

قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أمّا ما كان لى ولبنى عبد المطلب فهو لله ولكم » فقالت الأنصار : وما كان لنا فهو لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم .

وسياتى أنه عليه الصلاة والسلام أطلق لهم الذرية ، وكانت ستة آلاف ما بين صبي وامرأة ، وأعطاهم أنعاماً وأناسى كثيراً . حتى قال أبو الحسين بن فارس : فكان قيمة ما أطلق لهم يومئذ خمسمائة ألف ألف درهم .

فهذا كاه من بركته العاجلة في الدنيا ، فكيف ببركته على من اتبعه في الدار الآخرة !

فصل

قال ابن إسحاق بعد ذكر رجوعه عليه الصلاة والسلام إلى أمه آمنة بعد رضاعة حليلة له .

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أمه آمنة بنت وهب وجدّه عبد المطلب في كلاءة الله وحفظه ، ينبتة الله نباتاً حسناً ؛ لِمَا يريد به من كرامته ، فلما بلغ ستّ سنين توفيت أمه آمنة بنت وهب .

قال ابن إسحاق : حدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أن أم رسول الله صلى الله عليه وسلم آمنة توفيت وهو ابن ست سنين بالأبواء بين مكة والمدينة ، كانت قد قدمت به على أخواله من بني عدى بن النجار بزّيره إياهم ، فماتت وهي راجعة به إلى مكة .

وذكر الواقدي بأسانيده أن النبي صلى الله عليه وسلم خرجت به أمه إلى المدينة ومعها أم أيمن وله ست سنين ، فزارت أخواله .

قالت أم أيمن : فجاءني ذات يوم رجلان من يهود المدينة فقالا لي : أخرجي إلينا أحمد ننظر إليه فنظرا إليه وقلّباه ، فقال أحدهما لصاحبه : هذا نبي هذه الأمة وهذه دار هجرته ، وسيكون بها من القتل والسّبي أمر عظيم .

فلما سمعت أمه خافت وانصرفت به ، فماتت بالأبواء وهي راجعة .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا حسين بن محمد ، حدثنا أيوب بن جابر ، عن سَمَاك ، عن القاسم بن عبد الرحمن ، عن ابن بُريدة عن أبيه قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله

عليه وسلم حتى إذا كنا بؤدّان قال « مكانكم حتى آتيكم » فانطلق ثم جاءنا وهو ثقیل ، فقال : « إني أتيت قبرأم محمد فسألت ربي الشفاعة - يعني لها - فمنعنيها ، وإني كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزورها ، وكنت نهيتكم عن لحوم الأضاحي بعد ثلاثة أيام فكلوا وأمسكوا ما بدا لكم ، ونهيتكم عن الأشربة في هذه الأوعية فأشربوا ما بدا لكم » .

وقد رواه البيهقي من طريق سفيان الثوري ، عن عاقمة بن يزيد ، عن سايان بن بريدة عن أبيه قال : انتهى النبي صلى الله عليه وسلم إلى رَسَم قبر فجلس وجلس الناس حوله فجعل يحرك رأسه كالخطاطب ، ثم بكى . فاستقبله عمر فقال ما يبكيك يا رسول الله ؟ قال : « هذا قبر آمنة بنت وهب استأذنت ربي في أن أزور قبرها فأذن لي ، واستأذنته في الاستغفار لها فأبى عليّ ، وأدركتني رِقَتها فبكيت » . قال : فما رويت ساعةً أكثرَ باكياً من تلك الساعة .

تابعه محارب بن دثار عن بُريدة عن أبيه .

ثم روى البيهقي عن الحاكم ، عن الأصمّ ، عن بحر بن نصر ، عن عبد الله بن وهب ، حدثنا ابن جُرَيْج ، عن أيوب بن هانئ ، عن مسروق بن الأجدع ، عن عبد الله بن مسعود قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر في المقابر ، وخرجنا معه ، فأمرنا فجلسنا ، ثم تخطى القبور حتى انتهى إلى قبر منها - فناجاه طويلاً ثم ارتفع نحيب رسول الله صلى الله عليه وسلم باكياً ، فبكينا لبكاء رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل علينا فتلقاه عمر بن الخطاب فقال : يا رسول الله ما الذي أبكاك ؟ لقد أبكنا وأفزعنا .

فجاء فجلس إلينا فقال : « أفزعكم بكأى ؟ قلنا نعم ! قال : « إن القبر الذى رأيتموني أناجى قبر آمنه بنت وهب ، وإنى استأذنت ربى فى زيارتها فأذن لى ، واستأذنت ربى فى الاستغفار لها فلم يأذن لى فيه ، ونزل علىّ (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربنى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم ، وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه ، فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حليم ^(١)) فأخذنى ما يأخذنى الولد للوالدة من الرقة ، فذلك الذى أبكاني » .

غريب ولم يخرجوه .

وروى مسلم عن أبى بكر بن أبى شيبه ، عن محمد بن عبيد ، عن يزيد بن كيسان ، عن أبى حازم ، عن أبى هريرة قال : زار النبي صلى الله عليه وسلم قبر أمه ، فبكى وأبكى من حوله ثم قال : « استأذنت ربى فى زيارة قبر أمى فأذن لى ، واستأذنته فى الاستغفار لها فلم يأذن لى ، فزوروا القبور تذكركم الموت » .

وروى مسلم عن أبى بكر بن أبى شيبه ، عن عفان ، عن حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس ، أن رجلا قال يا رسول الله أين أبى ؟ قال : « فى النار » فلما قفا دعاه فقال : « إن أبى وأباك فى النار » .

وقد روى البيهقي من حديث أبى نعيم الفضل بن دكين ، عن إبراهيم بن سعد ، عن الزهرى ، عن عامر بن سعد ، عن أبيه قال : جاء أعرابى إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إن أبى كان يصل الرحم ، وكان وكان ، فأين هو ؟ قال : « فى النار » .

قال : فكأن الأعرابى وجد من ذلك ، فقال : يا رسول الله أين أبوك ؟ قال : « حيثما مررت بقبر كافر فبشره بالنار » .

قال : فأسلم الأعرابي بعد ذلك . فقال : لقد كلفني رسول الله صلى الله عليه وسلم تعباً ،
ما مررت بقبر كافر إلا بشرته بالنار !

غريب ولم يخرجوه من هذا الوجه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو عبد الرحمن ، حدثنا سعيد - هو ابن أبي أيوب -
حدثنا ربيعة بن سيف المَعافري ، عن أبي عبد الرحمن الحُبلي ، عن عبد الله بن عمرو ،
قال : بينما نحن نمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ بصرُ يامراً لا يظن أنه عرفها ،
فلما توسط الطريق وقف حتى انتهت إليه ، فإذا فاطمة بنت رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال : « ما أخرجك من بيتك يا فاطمة ؟ » فقالت : أتيت أهل هذا البيت
فترجعت إليهم ميتهم وعزيتهم . قال : « لعلك بلغت معهم السكدي » قالت : معاذ الله
أن أكون بلغتهم معهم وقد سمعتك تذكر في ذلك ما تذكر .

قال : « لو بلغتهم معهم ما رأيت الجنة حتى يراها جدُّ أبيك .

ثم رواه أحمد وأبو داود والنسائي والبيهقي من حديث ربيعة بن سيف بن مانع المَعافري
الصنمى الإسكندري ، وقد قال البخاري عنده مناكير . وقال النسائي : ليس به بأس . وقال
مرة : صدوق ، وفي نسخة ضعيف . وذكره ابن حبان في الثقات وقال : كان يخطئ كثيراً .
وقال الدارقطني : صالح . وقال ابن يونس في تاريخ مصر : في حديثه مناكير . توفي قريباً
من سنة عشرين ومائة .

والمراد بالسكدي : القبور . وقيل : التَّوَحُّ .

والمقصود أن عبد المطلب مات على ما كان عليه من دين الجاهلية خلافاً لفُرقة الشيعة
فيه وفي ابنه أبي طالب . على ماسيأتي في وفاة أبي طالب .

وقد قال البيهقي - بعد روايته هذه الأحاديث في كتابه « دلائل النبوة » : وكيف

لا يكون أبواه وجدّه عليه الصلاة والسلام بهذه الصفة في الآخرة ، وقد كانوا يعبدون الوثن ، حتى ماتوا ولم يدينوا دينَ عيسى بن مريم عليه السلام ، وكُفّرهم لا يَقْدَحُ في نَسَبِهِ عليه الصلاة والسلام ، لأن أنكحة الكفار صحيحة . ألا تراهم يُسَلِّمون مع زوجاتهم فلا يلزمهم تجديد العقد ولا مفارقتهم ، إذا كان مثله يجوز في الإسلام . وبالله التوفيق . انتهى كلامه .

قلت : وإخباره صلى الله عليه وسلم عن أبويه وجده عبد المطلب بأنهم من أهل النار لا ينافي الحديثَ الوارد عنه من طرق متعددة أن أهل الفترة والأطفال والمجانين والصُّمَّ يمتحنون في العرصات يوم القيامة ، كما بسطناه سنداً ومتمناً [في تفسيرنا] عند قوله تعالى (وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا) فيكون منهم من يجيب ومنهم من لا يجيب . فيكون هؤلاء من جملة من لا يجيب فلا منافاة . والله الحمد والمنة .

وأما الحديث الذي ذكره السهيلي وذكر أن في إسناده مجهولين إلى ابن أبي الزناد ، عن عروة ، عن عائشة رضي الله عنها ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل ربّه أن يُحْيِي أبويه ، فأحياهما وآمناً به ، فإنه حديث منكر جدّاً . وإن كان ممكناً بالنظر إلى قدرة الله تعالى . لكن الذي ثبت في الصحيح يعارضه . والله أعلم .

فصل

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مع جده عبد المطلب بن هاشم — يعني بعد موت أمه آمنة بنت وهب — فكان يوضع لعبد المطلب فراش في ظل الكعبة وكان بنوه يجاسون حول فراشه ذلك حتى يخرج إليه ، لا يجلس عليه أحد من بنيهِ إجلالاً له .

قال : فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي وهو غلام جَفَر حتى يجلس عليه ، فيأخذه أعمامه ليؤخروه عنه ، فيقول عبد المطلب : إذا رأى ذلك منهم : دَعُوا ابني فوالله إن له لشأناً . ثم يجلسه معه على فراشه ويمسح ظهره بيده ويسره ما يراه يصنع .

وقال الواقدي : حدثني محمد بن عبد الله ، عن الزهري . وحدثنا عبد الله بن جعفر ، عن عبد الواحد بن حمزة بن عبد الله . وحدثنا هاشم بن عاصم الأسلمي ، عن المنذر بن جهم . وحدثنا مَعْمَر عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد . وحدثنا عبد الرحمن بن عبد العزيز عن أبي الحويرث . وحدثنا ابن أبي سبرة ، عن سليمان بن سحيم ، عن نافع ، عن ابن جبير - دخل حديث بعضهم في بعض - قالوا : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون مع أمه آمنة بنت وهب ، فلما توفيت قبضه إليه جده عبد المطلب وضمه وركب عليه رقة لم يرقها على ولده ، وكان يقرّبه منه ويُدْنِيه ، ويدخل عليه إذا خلا وإذا نام . وكان يجلس على فراشه فيقول عبد المطلب إذا رأى ذلك : دَعُوا ابني إنه يؤسس ملكاً .

وقال قوم من بني مُدَلِّج لعبد المطلب : احتفظ به ، فإننا لم نَرَ قدماً أشبه بالقدم الذي في المقام منه .

فقال عبد المطلب لأبي طالب : اسمع ما يقول هؤلاء ! فكان أبو طالب يحتفظ به .

وقال عبد المطلب لأم أيمن - وكانت تحضنه - : يا بركة لا تغفلي عن ابني ، فإني وجدته مع غلمان قريب من السّدره ، وإن أهل الكتاب يزعمون أن ابني نبي هذه الأمة .

وكان عبد المطلب لا يأكل طعاماً إلا يقول : على بابي . فيؤتى به إليه . فلما حضرت عبد المطلب الوفاة أوصى أبا طالب بحفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم وحياطته .

ثم مات عبد المطلب ودفن بالحجون .

وقال ابن إسحاق : فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمان سنين هلك جده

عبد المطلب بن هاشم .

ثم ذكر جمعه بناته وأمره بإيها بن أن يرثينه . وهن : أروى ، وأميمة ، وبرة ،

وصفية ، وعاتكة ، وأم حكيم البيضاء .

وذكر أشعارهن وما قلن في رثاء أبيهن وهو يسمع قبل موته ، وهذا أبلغ النوح .

وبسط القول في ذلك .

وقد قال ابن هشام : ولم أر أحداً من أهل العلم بالشعر يعرف هذا الشعر .

قال ابن إسحاق : فلما هلك عبد المطلب بن هاشم ولى السقاية وزمزم بعده ابنه

العباس ، وهو من أحدث إخوته سناً .

فلم تزل إليه حتى قام الإسلام وأقرها في يده رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد جده عبد المطلب مع عمه أبي طالب لوصية

عبد المطلب له به ، ولأنه كان شقيق أبيه عبد الله ، أمها فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن

عمران بن مخزوم .

قال : فكان أبو طالب هو الذى يلى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان

إليه ومعه .

وقال الواقدي : أخبرنا معمر ، عن ابن نجيح ، عن مجاهد . وحدثنا معاذ بن

محمد الأنصارى ، عن عطاء ، عن ابن عباس . وحدثنا محمد بن صالح وعبد الله بن جعفر

وإبراهيم بن إسماعيل بن أبي حبيبة - دخل حديث بعضهم في حديث بعض - قالوا :
لما توفي عبد المطلب قبض أبو طالب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان
يكون معه .

وكان أبو طالب لا مال له وكان يحبه حباً شديداً لا يحبه ولده ، وكان لا ينأى إلا
إلى جنبه ، ويخرج فيخرج معه .

وصبَّ به أبو طالب صباة لم يُصبَّ مثلها بشئ قط .

وكان يخصه بالطعام ، وكان إذا أكل عيال أبي طالب جميعاً أو فرادى لم يشبعوا ،
وإذا أكل معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم شبعوا . فكان إذا أراد أن يفديهم
قال كما أتم حتى يأتي ولدى . فيأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأكل معهم فكانوا
يُفضلون من طعامهم ، وإن لم يكن معهم لم يشبعوا فيقول أبو طالب : إنك لمبارك .

وكان الصبيان يصبحون رُمصاً شُعناً ويصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم
دهينا كحिला .

وقال الحسن بن عرفة : حدثنا علي بن ثابت ، عن طلحة بن عمرو ، سمعت عطاء
ابن أبي رباح ، سمعت ابن عباس يقول : كان بنو أبي طالب يصبحون رُمصاً عصفاً
ويصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم صقيلاً دهيناً .

وكان أبو طالب يقرب إلى الصبيان صفحتهم أول البُكرة ، فيجلسون ويتنهبون ،
ويكفُّ رسول الله صلى الله عليه وسلم يده فلا ينتهب معهم . فلما رأى ذلك عمه
عزل له طعامه على حدة .

وقال ابن إسحاق : حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، أن أباه حدثه
أن رجلاً من لُهب كان عائفاً ، فكان إذا قدم مكة أتاه رجال من قريش بعلمانهم ينظر
إليهم ويعتاف لهم فيهم .

قال : فأتى أبو طالب برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو غلام مع من يأتيه . قال : فنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم شغله عنه شيء . فلما فرغ قال : الغلام علىّ به . فلما رأى أبو طالب حرصه عليه غيَّبه عنه ، فجعل يقول : ويلكم ردُّوا علىّ الغلام الذى رأيته آنفاً فوالله ليكون له شأن .

قال : وانطلق به أبو طالب .

فصل

فى خروجه عليه الصلاة والسلام مع عمه أبى طالب إلى الشام
وقصته مع بحيرى الراهب

قال ابن إسحاق : ثم إن أبا طالب خرج فى ركب تاجراً إلى الشام . فلما تهيأ للرحيل وأجمع السير صَبَّ به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما يزعمون .

ففرق له أبو طالب وقال : والله لأخرجن به معى ولا أفارقه ولا يفارقنى أبداً . أو كما قال .

فخرج به . فلما نزل الركب بُصِّرَى من أرض الشام وبها راهب يقال له بحيرى فى صومعة له . وكان إليه علم أهل النصرانية ، ولم يزل فى تلك الصومعة منذ قط راهب فيها إليه يصير علمهم عن كتاب ، فيما يزعمون ، يتوارثونه كابراً عن كابر .

فلما نزلوا ذلك العام ببخيرى — وكانوا كثيراً مايمرون به فلا يكلمهم ولا يعرض لهم ، حتى كان ذلك العام ، فلما نزلوا قريباً من صومعته صنع لهم طعاماً كثيراً ، وذلك فيما يزعمون عن شيء رآه وهو فى صومعته ، يزعمون أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم

في الرَّكْب حتى أقبل وغمامة تظله من بين القوم ، ثم أقبلوا فنزلوا في ظل شجرة قريباً منه . فنظر إلى الغمامة حين أظلت الشجرة وتهصرت أغصان الشجرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى استظل تحتها .

فلما رأى ذلك بحيرى نزل من صومعته وقد أمر بطعام فصنع ، ثم أرسل إليهم فقال : إني صنعت لكم طعاماً يامعشر قريش ، فأنا أحب أن تحضروا كلكم ، كبيركم وصغيركم ، وعبدكم وحرکم .

فقال له رجل منهم : والله يابحيرى إن لك لشأناً اليوم ! ما كنت تصنع هذا بنا ، وقد كنا نمر بك كثيراً فما شأنك اليوم ؟

قال له بحيرى : صدقتَ قد كان ما تقول ، ولكنكم ضيف ، وقد أحببت أن أكرمكم وأصنع لكم طعاماً فتأكلون منه كلکم .

فاجتمعوا إليه ، وتحلف رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين القوم لحداثة سنه في رحال القوم تحت الشجرة

فلما رآهم بحيرى لم ير الصفة التي يعرف ويحده عنده فقال : يامعشر قريش لا يتخلفن أحد منكم عن طعامي .

قالوا : يابحيرى ما تخلف أحدٌ ينبغي له أن يأتيك إلا غلام ، وهو أحدثنا سناً فتخلف في رحالنا . قال : لا تفعلوا ادعوه فيحضر هذا الطعام معكم .

قال : فقال رجل من قريش مع القوم : واللوات والعزى إن كان للؤم بنا أن يتخلف محمد بن عبد الله بن عبد المطالب عن طعام من بيننا .

ثم قام إليه فاحتضنه وأجاسه مع القوم .

فلما رآه بحيرى جعل ياحظه لحظاً شديداً وينظر إلى أشياء من جسده قد كان يحدها

عنده من صفته، حتى إذا فرغ القوم من طعامهم وتفرقوا قام إليه بحيرى وقال له : يا غلام : أسألك بحق اللات والعزى إلا أخبرتنى عما أسألك عنه .

وإنما قال له بحيرى ذلك لأنه سمع قومه يحلفون بهما .

فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : لا تسألنى باللات والعزى شيئاً فوالله ما أبفضت شيئاً قط بغيرهما . فقال له بحيرى : فبالله إلا ما أخبرتنى عما أسألك عنه ؟ فقال له : سلى عما بدا لك .

فجعل يسأله عن أشياء من حاله من نومه وهيئته وأموره ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره . فوافق ذلك ما عند بحيرى من صفته .

ثم نظر إلى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه موضعه من صفته التى عنده .

فلما فرغ أقبل على عمه أبى طالب فقال : ما هذا الغلام منك ؟ قال : ابنى .

قال بحيرى : ما هو بابنك ، وما ينبغى لهذا الغلام أن يكون أبوه حياً .

قال : فإنه ابن أختى . قال فما فعل أبوه ؟ قال : مات وأمه حبلى به .

قال : صدقت ، ارجع بابن أخيك إلى بلده واحذر عليه اليهود ، فوالله لئن رأوه

وعرفوا منه ما عرفت ليبيغنه شراً ، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم فأسرع به إلى بلاده .

فخرج به عمه أبو طالب سريعاً حتى أقدمه مكة حين فرغ من تجارته بالشام .

قال ابن إسحاق : فزعموا فيما روى الناس أن زُريراً ، وتماًما ودريساً^(١) - وهم نفر

من أهل الكتاب - قد كانوا رأوا [من^(٢)] رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلما رأى بحيرى

فى ذلك السفر الذى كان فيه مع عمه أبى طالب ، فأرادوه فردّهم عنه بحيرى ، فذكّرهم الله

وما يجدون فى الكتاب من ذكره وصفته ، وأنهم [إن^(٣)] أجمعوا لما أرادوا به لم يخلصوا

(١) محرقة بالأصل : تماماً ودريساً . وما أثبتته من ابن هشام . (٢) سقطت من الأصل .

إليه . حتى عرفوا ما قال لهم وصدقوه بما قال فتركوه وانصرفوا عنه .

وقد ذكر يونس بن بكير عن ابن إسحاق أن أبا طالب قال في ذلك ثلاث قصائد .

هكذا ذكر ابن إسحاق هذا السياق من غير إسناد منه . وقد ورد نحوه من طريق مسند مرفوع .

فقال الحافظ أبو بكر الخرائطي : حدثنا عباس بن محمد الدوري ، حدثنا قراد أبو نوح ، حدثنا يونس ، عن ابن^(١) إسحاق ، عن أبي بكر بن أبي موسى ، عن أبيه قال : خرج أبو طالب إلى الشام ومعه رسول الله صلى الله عليه وسلم في أشياخ من قريش ، فلما أشرفوا على الراهب - يعني بحيرى - هبطوا فخلوا رحالهم ، ففرج إليهم الراهب وكانوا قبل ذلك يمرون به فلا يخرج ولا يلتفت إليهم .

قال : فنزل وهم يحلون رحالهم ، فجعل يتخللهم حتى جاء فأخذ بيد النبي صلى الله عليه وسلم فقال : هذا سيد العالمين .

وفي رواية البيهقي زيادة : هذا رسول رب العالمين ، بعثه الله رحمة للعالمين . فقال له أشياخ من قريش : وماء لملك ؟ فقال إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يبق شجر ولا حجر إلا خرَّ ساجدا ، ولا يسجدون إلا لنبي ، وإنى أعرفه بخاتم النبوة أسفل من غضروف كتفه .

ثم رجع فصنع لهم طعاما فلما أتاهاهم به - وكان هو في رعية الإبل - فقال : أرسلوا إليه . فأقبل وغمامة تظله . فلما دنا من القوم قال : انظروا إليه عليه غمامة . فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه إلى فيء الشجرة فلما جلس مال فيء الشجرة عليه . قال : انظروا إلى فيء الشجرة مال عليه .

(١) الأصل أبي وهو تحريف .

قال فبينما هو قائم عليهم وهو يَنشُدُهم ألا يذهبوا به إلى الروم ، فإن الروم إن رأوه عرفوه بالصفة فقتلوه ، فالتفت فإذا هو بسبعة نفر من الروم قد أقبلوا . قال : فاستقبلهم فقال ماجاء بكم ؟ قالوا : جئنا أن هذا النبي خارج في هذا الشهر ، فلم يبق طريق إلا بُعث إليه ناس ، وإنا أخبرنا خبره إلى طريقك هذه . قال : فهل خَلَفَكم أحد هو خير منكم ؟ قالوا : لا إنما أخبرنا خبره إلى طريقك هذه . قال : أفرايتم أمراً أراد الله أن يَقْضِيه هل يستطيع أحد من الناس رَدَّه ؟ فقالوا : لا . قال : فبايعوه وأقاموا معه عنده .

قال : فقال الراهب : أنشدكم الله أيُّكم وليُّه ؟ قالوا : أبو طالب . فلم يزل يناشده حتى رده وبعث معه أبو بكر بلالا وزوده الراهب من الكعك والزيت .

هكذا رواه الترمذى عن أبي العباس الفضل بن سهل الأعرج عن قراد أبي نوح به . والحاكم والبيهقى وابن عساكر من طريق أبي العباس محمد بن يعقوب الأصم عن عباس بن محمد الدورى به .

وهكذا رواه غير واحد من الحفاظ من حديث أبي نوح عبد الرحمن بن غزوان الخزازى مولاهم ، ويقال له الضبى ويعرف بقراد ، سكن بغداد وهو من الثقات الذين أخرج لهم البخارى ، ووثقه جماعة من الأئمة والحفاظ ولم أر أحداً جرَّحه . ومع هذا فى حديثه هذا غرابة .

قال الترمذى : حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه . وقال عباس الدورى : ليس فى الدنيا أحد يحدث به غير قراد أبي نوح ، وقد سمعه منه أحمد بن حنبل رحمه الله ويحيى بن معين لغرابته وانفراده . حكاه البيهقى وابن عساكر .

قلت : فيه من الغرائب أنه من مُرسلات الصحابة ، فإن أبا موسى الأشعري إنما قَدِمَ في سنة خيبر سنة سبع من الهجرة . ولا يلتفت إلى قول ابن إسحاق في جعله له من المهاجرة إلى أرض الحبشة من مكة .

وعلى كل تقدير فهو مرسل ، فإن هذه القصة كانت و لرسول الله صلى الله عليه وسلم من العمر فيما ذكره بعضهم ثنتا عشرة سنة ، ولعل أبا موسى تلقاه من النبي صلى الله عليه وسلم فيكون أبلغ ، أو من بعض كبار الصحابة رضى الله عنهم ، أو كان هذا مشهوراً مذكوراً أخذه من طريق الاستفاضة .

الثاني : أن الغمامة لم تذكر في حديث أصح من هذا .

الثالث : أن قوله : « وبعث معه أبو بكر بلالا » إن كان عمره عليه الصلاة والسلام إذ ذاك ثنتي عشرة سنة فقد كان عُمرُ أبي بكر إذ ذاك تسع سنين أو عشرة ، وعمر بلال أقل من ذلك ، فأين كان أبو بكر إذ ذاك ؟ ثم أين كان بلال ؟ كلاهما غريب ، اللهم إلا أن يقال إن هذا كان ورسول الله صلى الله عليه وسلم كبيراً ، إما بأن يكون سفره بعد هذا ، أو إن كان القول بأن عمره كان إذ ذاك ثنتي عشرة سنة غير محفوظ ، فإنه إنما ذكره مقيداً بهذا الواقدي . وحكى السهيلي عن بعضهم أنه كان عمره عليه الصلاة والسلام إذ ذاك تسع سنين والله أعلم .

قال الواقدي : حدثني محمد بن صالح وعبد الله بن جعفر وإبراهيم بن إسماعيل بن أبي حبيبة ، عن داود بن الحصين . قالوا : لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنتي عشرة سنة خرج به عمه أبو طالب إلى الشام في الغير التي خرج فيها للتجارة ونزلوا بالراهب بحيرى . فقال لأبي طالب بالسر ما قال . وأمره أن يحتفظ به فردّه معه أبو طالب إلى مكة .

وَشَبَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ أَبِي طَالِبٍ يَكْلُؤُهُ اللَّهُ وَيَحْفَظُهُ وَيَحُوطُهُ مِنْ أُمُورِ الْجَاهِلِيَّةِ وَمَعَائِبِهَا لِمَا يَرِيدُ مِنْ كَرَامَتِهِ .

حَتَّى بَلَغَ أَنْ كَانَ رَجُلًا أَفْضَلَ قَوْمَهُ مَرْوَةَ ، وَأَحْسَنَهُمْ خَلْقًا ، وَأَكْرَمَهُمْ مَخَالِطَةً ، وَأَحْسَنَهُمْ جَوَارًا ، وَأَعْظَمَهُمْ حِلْمًا وَأَمَانَةً ، وَأَصْدَقَهُمْ حَدِيثًا ، وَأَبْعَدَهُمْ مِنَ الْفَحْشِ وَالْأَذَى .

مَا رَأَى مُلَاحِيًا وَلَا مِمَارِيًّا أَحَدًا ، حَتَّى سَمَاهُ قَوْمُهُ الْأَمِينَ ، لِمَا جَمَعَ اللَّهُ فِيهِ مِنَ الْأُمُورِ الصَّالِحَةِ .

فَكَانَ أَبُو طَالِبٍ يَحْفَظُهُ وَيَحُوطُهُ وَيَنْصُرُهُ وَيَعُضِدُهُ حَتَّى مَاتَ .

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ : أَخْبَرَنَا خَالِدُ بْنُ مَعْدَانَ ، حَدَّثَنَا مُعْتَمِرُ بْنُ سُلَيْمَانَ ، سَمِعْتُ أَبِي يُحَدِّثُ عَنْ أَبِي جَبْرِ أَنَّ عَبْدَ الْمَطْلَبِ أَوْ أَبَا طَالِبٍ - شَكَ خَالِدٌ - قَالَ : لَمَّا مَاتَ عَبْدُ اللَّهِ عَظَفَ عَلَى مُحَمَّدٍ ، فَكَانَ لَا يَسَافِرُ سَفَرًا إِلَّا كَانَ مَعَهُ فِيهِ .

وَإِنَّهُ تَوَجَّهَ نَحْوَ الشَّامِ فَنَزَلَ مَنْزِلًا فَاتَاهُ فِيهِ رَاهِبٌ ؛ فَقَالَ إِنَّ فِيكُمْ رَجُلًا صَالِحًا . ثُمَّ قَالَ : أَيْنَ أَبُو هَذَا الْغَلَامِ ؟ قَالَ : فَقَالَ هَا أَنَا ذَا وَلِيهِ - أَوْ قِيلَ هَذَا وَلِيهِ - قَالَ : احْتَفِظْ بِهَذَا الْغَلَامِ وَلَا تَذْهَبْ بِهِ إِلَى الشَّامِ ، إِنَّ الْيَهُودَ حُسَّدَ وَإِنِّي أَخْشَاهُمْ عَلَيْهِ . قَالَ : مَا أَنْتَ تَقُولُ ذَلِكَ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ يَقُولُهُ .

فَرَدَّهُ وَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَوْدِعُكَ مُحَمَّدًا . ثُمَّ إِنَّهُ مَاتَ .

قِصَّةُ بَحِيرَى

حَكَى الشُّهْبِيُّ عَنْ سَيِّدِ الزُّهْرِيِّ أَنَّ بَحِيرَى كَانَ حَبْرًا مِنْ أَحْبَارِ يَهُودَ . قُلْتُ : وَالَّذِي يَظْهَرُ مِنْ سِيَاقِ الْقِصَّةِ أَنَّهُ كَانَ رَاهِبًا نَصْرَانِيًّا وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وعن المسعودى أنه كان من عبد القيس ، وكان اسمه جرجيس .

وفى كتاب « المعارف » لابن قتيبة : سَمِعَ هَاتِفَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ بِقَلِيلٍ يَهْتَفُ وَيَقُولُ : أَلَا إِنَّ خَيْرَ أَهْلِ الْأَرْضِ ثَلَاثَةٌ ، بَحِيرَى ، وَرَثَابُ بْنُ الْبَرَاءِ الشَّنَّى ، وَالثَّالِثُ الْمُنْتَظَرُ . وَكَانَ الثَّالِثُ الْمُنْتَظَرُ هُوَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

قال ابن قتيبة: وكان قبر رثاب الشنى وقبر ولده من بعده لا يزال يرى عندهما طش ، وهو المطر الخفيف .

فصل

فِي مَنْشَأِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَمَرْبَاهُ وَكِفَايَةُ اللَّهِ لَهُ ، وَحَيَاتِهِ
وَكَيْفَ كَانَ يَتِيمًا فَأَوَاهُ وَعَائِلًا فَأَغْنَاهُ

قال محمد بن إسحاق : فَشَبَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَكْلُؤُهُ اللَّهُ وَيَحْفَظُهُ ، وَيَحُوطُهُ مِنْ أَقْدَارِ الْجَاهِلِيَّةِ ، لِمَا يَرِيدُ مِنْ كَرَامَتِهِ وَرِسَالَتِهِ ، حَتَّى بَلَغَ أَنْ كَانَ رَجُلًا أَفْضَلَ قَوْمِهِ مَرْوَةً ، وَأَحْسَنَهُمْ خُلُقًا وَأَكْرَمَهُمْ حَسَبًا ، وَأَحْسَنَهُمْ جَوَارًا ، وَأَعْظَمَهُمْ حِلْمًا ، وَأَصْدَقَهُمْ حَدِيثًا ، وَأَعْظَمَهُمْ أَمَانَةً ، وَأَبْعَدَهُمْ مِنَ الْفَحْشِ وَالْأَخْلَاقِ الَّتِي تَدْنُسُ الرِّجَالَ ، تَنْزُّهَا وَتَكْرِمًا .

حتى ما اسمه في قومه إلا الأمين ، لِمَا جَمَعَ اللَّهُ فِيهِ مِنَ الْأُمُورِ الصَّالِحَةِ .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما ذكر لى ، يحدّث عما كان الله يحفظه به فى صغره وأمر جاهليته أنه قال : « لقد رأيتنى فى غلمان من قريش ننقل الحجارة لبعض ما يلعب الغلمان ، كلنا قد تعرّى وأخذ إزاره وجعله على رقبته يحمل عليه الحجارة ، فإنى لأقبل معهم كذلك وأدبر إذ لكنى لاكم ما أراه لكمةً وجيعةً ، ثم قال : شدّ عليك

إزارك . قال فأخذه فشده علىّ ، ثم جعلت أحمل الحجارة على رقبتى وإزارى علىّ من بين أصحابى . »

وهذه القصة شبيهة بما فى الصحيح عند بناء الكعبة ، حين كان ينقل هو وعمه العباس فإن لم تكنها فهي متقدمة عليها كالتلوطة لها . والله أعلم .

قال عبد الرزاق : أخبرنا ابن جريج ، أخبرني عمرو بن دينار ، أنه سمع جابر بن عبد الله يقول : لما بُنيت الكعبة ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل الحجارة ، فقال العباس لرسول الله صلى الله عليه وسلم : اجعل إزارك على عاتقك من الحجارة . ففعل نحرّاً إلى الأرض وطمحت عيناه إلى السماء ، ثم قام فقال : « إزارى » فشده عليه إزاره . أخرجاه فى الصحيحين من حديث عبد الرزاق . وأخرجاه أيضاً من حديث روح ابن عبادة ، عن زكرياء بن أبى إسحاق ، عن عمرو بن دينار عن جابر بنحوه .

وقال البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو سعيد بن أبى عمرو ، قالوا : أخبرنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، حدثنا محمد بن إسحاق الصاغانى ، حدثنا محمد بن بكير الحضرمي ، حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله الدشتكى ، حدثنا عمرو بن أبى قيس ، عن سمالك ، عن عكرمة ، حدثني ابن عباس عن أبيه أنه كان ينقل الحجارة إلى البيت حين بنت قريش البيت ، قال : وأفردت قريش رجلين رجلين ، الرجال ينقلون الحجارة ، وكانت النساء تنقل الشيد^(١) .

قال : فكنت أنا وابن أخى ، وكنا نحمل على رقابنا وأزرنّا تحت الحجارة ، فإذا غشينّا الناس اتّزرنّا . فينما أنا أمشى ومحمد أمامى قال نحرّاً وانبطح على وجهه ، فحُتّ أسمى وألقيت حجرى وهو ينظر إلى السماء ، فقلت : ما شأنك ؟ فقام وأخذ إزاره قال : « إني نهيت أن أمشى عرياناً » . قال : وكنت أكتمها من الناس مخافة أن يقولوا مجنون . وروى البيهقي من حديث يونس بن بكير ، عن محمد بن إسحاق ، حدثني محمد

(١) الشيد : ما طلى به حائط من جص ونحوه .

ابن عبد الله بن قيس بن نَحْرمة ، عن الحسن بن محمد بن علي بن أبي طالب ، عن أبيه عن جده علي بن أبي طالب . قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ما هَمَّتُ بشيء مما كان أهل الجاهلية يهْمُون به من النساء ، إلا ليلتين كتلتاهما عصمى الله عز وجل فيهما .

قلت ليلةً لبعض فتيان مكة - ونحن في رعاء غنم أهلها - فقلت لصاحبي : أبصر لي غنمى حتى أدخل مكة أَسْمُرَ فيها كما يَسْمُرُ الفتيان . فقال بلى . قال : فدخلت حتى جئت أولَ دار من دور مكة سمعت عَزَافًا بالفرايل والزمير ، فقلت ما هذا ؟ قالوا : تزوج فلان فلانة . فجلست أنظر وضرب الله على أذنى فوالله ما أيقظنى إلا مَسُّ الشمس ، فرجعتُ إلى صاحبي ، فقال : ما فعلت ؟ فقلت : ما فعلتُ شيئاً . ثم أخبرته بالذى رأيت .

ثم قلت له ليلة أخرى أبصر لي غنمى حتى أَسْمُرَ . ففعل ، فدخلت فلما جئت مكة سمعت مثل الذى سمعتُ تلك الليلة ، فسألتُ فقيل نكح فلان فلانة ، فجلست أنظرُ وضربَ الله على أذنى ، فوالله ما أيقظنى إلا مَسُّ الشمس .

فرجعتُ إلى صاحبي فقال : ما فعلت ؟ فقلت : لا شيء . ثم أخبرته الخبر . فوالله ما هَمَّتُ ولا عُدْتُ بعدَها لشيء من ذلك حتى أكرمنى الله عز وجل بنبوته .

وهذا حديث غريب جداً ، وقد يكون عن علي نفسه ويكون قوله في آخره : « حتى أكرمنى الله عز وجل بنبوته » مُقَحَّمًا والله أعلم .

وشيوخُ ابن إسحاق هذا ذكره ابن حبان في الثقات . وزعم بعضهم أنه من رجال الصحيح . قال شيخنا في تهذيبه : ولم أقف على ذلك . والله أعلم .

وقال الحافظ البيهقي : حدثني أبو عبد الله الحافظ ، حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، حدثنا الحسن بن علي بن عفان العامري ، حدثنا أبو أسامة ، حدثنا محمد بن عمرو ، عن

أَبِي سَلَمَةَ ، وَيَحْيَى بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَاطِبٍ ، عَنْ أَسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ ، عَنْ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ ، قَالَ : كَانَ صَنَمٌ مِنْ نُحَاسٍ يُقَالُ لَهُ إِسَافٌ وَنَائِلَةٌ يَتَمَسَّحُ بِهِ الْمُشْرِكُونَ إِذَا طَافُوا ، فَطَافَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَطُفْتُ مَعَهُ ، فَلَمَّا مَرَرْتُ مَسَحْتُ بِهِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَا تَمَسَّهُ » . قَالَ زَيْدٌ : فَطُفْنَا فَقُلْتُ فِي نَفْسِي لَأَمْسَنَّهُ حَتَّى أَنْظُرَ مَا يَكُونُ ، فَمَسَحْتُهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَلَمْ تَنْهَ » قَالَ الْبَيْهَقِيُّ : زَادَ غَيْرُهُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو بِإِسْنَادِهِ قَالَ زَيْدٌ : فَوَالَّذِي أَكْرَمَهُ وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ ، مَا اسْتَلِمَ صَنَمًا قَطُّ حَتَّى أَكْرَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِالَّذِي أَكْرَمَهُ وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ .

وَتَقْدِمُ قَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لِبَحْرِى حِينَ سَأَلَهُ بِاللَّاتِ وَالْعُزَّى « لَا تَسْأَلْنِي بِهِمَا فَوَاللَّهِ مَا أَبْغَضْتُ شَيْئًا بَغْضَهُمَا » .

فَأَمَّا الْحَدِيثُ الَّذِي قَالَهُ الْحَافِظُ أَبُو بَكْرٍ الْبَيْهَقِيُّ ، أَخْبَرَنَا أَبُو سَعْدٍ الْمَالِينِيُّ ، أَنَبَانَا أَبُو أَحْمَدَ ابْنُ عَدَى الْحَافِظُ ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَبِي سَبَاطٍ ، حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ ، عَنْ سَفْيَانَ الثَّوْرِيِّ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَقِيلٍ ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَشْهَدُ مَعَ الْمُشْرِكِينَ مَشَاهِدَهُمْ قَالَ : فَسَمِعَ مَلَكَيْنِ خَلْفَهُ وَاحِدَهُمَا يَقُولُ لِصَاحِبِهِ : اذْهَبْ بِنَا حَتَّى نَقُومَ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . قَالَ : كَيْفَ نَقُومُ خَلْفَهُ وَإِنَّمَا عَهْدُهُ بِاسْتِلَامِ الْأَصْنَامِ ؟ ! .

قَالَ : فَلَمْ يَعُدْ بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ يَشْهَدَ مَعَ الْمُشْرِكِينَ مَشَاهِدَهُمْ .

فَهُوَ حَدِيثٌ أَنْكَرَهُ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْأَئِمَّةِ عَلَى عُثْمَانَ بْنِ أَبِي شَيْبَةَ ، حَتَّى قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِيهِ : لَمْ يَكُنْ أَخُوهُ يَتَلَفَّظُ بِشَيْءٍ مِنْ هَذَا .

وَقَدْ حَكَى الْبَيْهَقِيُّ عَنْ بَعْضِهِمْ أَنَّ مَعْنَاهُ أَنَّهُ شَهِدَ مَعَ مَنْ يَسْتَلِمُ الْأَصْنَامَ ، وَذَلِكَ قَبْلَ قَوْلِ أَنْ يُوحَى إِلَيْهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي حَدِيثِ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ أَنَّهُ اعْتَزَلَ شُهُودَ مَشَاهِدِ الْمُشْرِكِينَ حَتَّى أَكْرَمَهُ اللَّهُ بِرِسَالَتِهِ .

وثبت في الحديث أنه كان لا يقف بالمرزلفة ليلة عرفة بل كان لا يقف مع الناس بعرفات . كما قال يونس بن بكير . عن محمد بن إسحاق ، حدثني عبد الله بن أبي بكر ، عن عثمان بن أبي سليمان ، عن نافع بن جبير بن مطعم ، عن أبيه جبير . قال : لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على دين قومه ، وهو يقف على بعير له بعرفات من بين قومه حتى يدفع معهم ، توفيقاً من الله عز وجل له .

قال البيهقي : معنى قوله : « على دين قومه » ما كان بقي من إرث إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ، ولم يُشرك بالله قطّ صلوات الله وسلامه عليه دائماً .

قلت : ويفهم من قوله هذا أيضاً أنه كان يقف بعرفات قبل أن يوحى إليه . وهذا توفيق من الله له .

ورواه الإمام أحمد عن يعقوب ، عن محمد بن إسحاق به . ولفظه « رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن ينزل عليه وإنه لواقف على بعير له مع الناس بعرفات حتى يدفع معهم توفيقاً من الله .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سفيان ، عن عمرو ، عن محمد بن جبير بن مطعم ، عن أبيه قال : أضللتُ بعيراً لي بعُرنة^(١) فذهبت أطلبه ، فإذا النبي صلى الله عليه وسلم واقف فقلت إن هذا من الحُمس^(٢) ماشأنه هاهنا ؟ وأخرجاه من حديث سفيان بن عُيينة به .

(١) عرنة : واد بمخاء عرفات .

(٢) الحُمس : جمع أحس . وكان يسمى به قريش ، لما ابتدعوا في شعائر الحج

ذكر شهوده عليه الصلاة والسلام حرب الفجار

قال ابن إسحاق : هاجت حربُ الفجار ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم ابن عشرين سنة .

وإنما سُمِّيَ يومَ الفجار ، بما استحلَّ فيه هذان الحيَّان - كنانة وقيسُ عيلان - من المحارم بينهم .

وكان قائد قریش وكنانة حربُ بن أمية بن عبد شمس . وكان الظفر في أول النهار لقيس على كنانة ، حتى إذا كان وسط النهار كان الظفر لكنانة على قيس .

وقال ابن هشام : فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع عشرة سنة - أو خمس عشرة سنة - فيما حدثني به أبو عُبَيْدة النحوى ، عن أبي عمرو بن العلاء ، هاجت حربُ الفجار بين قریش ومن معها من كنانة وبين قيس عيلان .

وكان الذى هاجها أن عُرْوَةَ الرَّحَّالِ بن عُتْبَةَ بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر ابن صَمُصعة بن معاوية بن بكر بن هَوازَن أَجاز لطيمة - أى تجارة - للنعمان بن المنذر . فقال البرَّاض بن قيس ، أحد بنى ضُمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ، : أتميَزها على كنانة ؟ قال : نعم وعلى الخلق .

نفرج فيها عروة الرَّحَّالِ وخرج البرَّاض يطلب غفلته ، حتى إذا كان بَتَيْمَن ذى طَلالْ بالعالية غفل عروة فوثب عليه البراض فقتله فى الشهر الحرام ، فلذلك سُمِّيَ الفِجار ، وقال البراض فى ذلك :

وداهيةٍ تهمُّ الناسَ قبلى	شدتُ لها بنى بكرٍ ضلوعى
هدمتُ بها بيوتَ بنى كلابٍ	وأرضعتُ الموالى بالضرَّوع
رفعتُ له بذى طلالٍ كفى	فخرَّ يَمِيدُ كالجدع الصَّرِيع

وقال كبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب :

وأبلغ - إن عرضت - بنى كلابٍ وعامرَ والخطوبُ لها موالٍ
وأبلغ - إن عرضت - بنى مُنمِرٍ وأخوالِ القتييلِ بنى هلالٍ
بأنّ الوافد الرَّحَّالَ أُمسى مقيماً عند تيمَنَ ذى طلالٍ

قال ابن هشام : فأتى آت قريشاً فقال : إن البراض قد قتل عروة ، وهو في الشهر الحرام بـعكاظ . فارتحلوا وهوازن لا تشعر بهم . ثم بلغهم الخبر فاتبعوهم فأدركوهم قبل أن يدخلوا الحرم . فاقتتلوا حتى جاء الليل فدخلوا الحرم فأمسكت هوازن عنهم .

ثم التقوا بعد هذا اليوم أياما والقوم متساندون على كل قبيل من قريش وكنانة رئيس منهم ، وعلى كل قبيل من قيس رئيس منهم .

قال : وشهد رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بعض أيامهم . أخرجه أعمامه معهم . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كنت أنبئ على أعمامى » أى أرد عليهم ثبيل عدوهم إذا رموهم بها .

قال ابن هشام : وحديث الفجار طويل هو أطول مما ذكرت ، وإنما منغى من استقصائه قطعه حديث سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال السهيلي : والفجار بكسر الفاء على وزن قِتَال . وكانت الفجارات في العرب أربعة ذكرهن المسعودى .

وآخرهن ، فجار البراض هذا . وكان القتال فيه في أربعة أيام ، يوم شمطة ، ويوم العباء ، وهما عند عكاظ ، ويوم الشرب - وهو أعظمها يوما - وهو الذى حضره رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه قيّد رئيس قريش وبنى كنانة وهما حرب بن أمية وأخوه سفيان أنفسهما لثلاثا يفرّوا . وانهزمت يومئذ قيس إلأبى نصر فإنهم ثبتوا . ويوم

الحريرة عند نخلة . ثم تواعدوا من العام للقبل إلى عكاظ . فلما توافوا الموعد ركب عتبة ابن ربيعة جملة ونادى : يامعشر مُضَرَّ علام تقاتلون ؟ فقالت له هوازن : ماتدعو إليه ؟ قال : الصالح . قالوا وكيف ؟ قال نَدَى قتلاكم ونزهنكم رهائن عايها ، ونعفو عن دياتنا . قالوا : ومن لنا بذلك ؟ قال أنا . قالوا : ومن أنت ؟ قال : عتبة بن ربيعة .

فوقع الصلح على ذلك وبعثوا إليهم أربعين رجلا فيهم حكيم بن حزام ، فلما رأت بنو عامر بن صعصعة الرهن فى أيديهم عَفَوْا عن دياتهم وانقضت حرب الفجار .

وقد ذكر الأموى حروبَ الفجار وأيامها واستقصاها مطولا فيما رواه عن الأثرم ، وهو المغيرة بن على ، عن أبى عُبَيْدَةَ مَعْمَر بن المثنى فذكر ذلك .

فصل

﴿ فى شهوده عليه الصلاة والسلام حاف الفضول ﴾

قال الحافظ البيهقى : أخبرنا أبو سعد المالىنى ، أنبأنا أبو أحمد بن عَدِى الحافظ ، حدثنا يحيى بن على بن هاشم الخفاف ، حدثنا اسماعيل بن على ، عن عبد الرحمن بن إسحاق ، عن الزُّهْرَى ، عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه . قال : قال رسول الله صلى عليه وسلم : « شهدتُ مع عمومى حلف المطيّين فما أحب أن أنكثه - أو كلمة نحوها - وإن لى حمر النعم » .

قال : وكذلك رواه بشر بن المفضل عن عبد الرحمن .

قال : وأخبرنا أبو نصر بن قتادة ، حدثنا أبو عمرو بن مطر ، حدثنا أبو بكر بن

أحمد بن داود السمناني، حدثنا معلى بن مهدي، حدثنا أبو عوانة، عن عمر بن أبي سلمة، عن أبيه، عن أبي هريرة. قال: قال رسول الله صلى عليه وسلم: «ما شهدت حلقاً لقريش إلا حلف المطيبين، وما أحب أن لي حمر النعم وأني كنت تقضته».

قال: والمطيبون هاشم، وأمّية، وزهرة، ونخزوم.

قال البيهقي: كذا روى هذا التفسير مُدرجاً في الحديث ولا أدري قائله.

وزعم بعض أهل السير أنه أراد حلف الفضول؛ فإن النبي صلى الله عليه وسلم لم يدرك حلف المطيبين.

قلت: هذا لا شك فيه، وذلك أن قريشاً تحالفوا بعد موت قصي وتنازعوا في الذي كان جعله قصي لابنه عبد الدار من السقاية، والرفادة، واللواء، والندوة، والحجابة، ونازعهم فيه بنو عبد مناف وقامت مع كل طائفة قبائل من قريش وتحالفوا على النصرة لحزبهم.

فأحضر أصحابُ بني عبد مناف جفنة فيها طيب، فوضعوا أيديهم فيها وتحالفوا. فلما قاموا مسحوا أيديهم بأركان البيت. فسموا المطيبين كما تقدم وكان هذا قديماً.

ولكن المراد بهذا الحلف حلف الفضول وكان في دار عبد الله بن جُدعان كما رواه الحميدي، عن سُفيان بن عُيينة، عن عبد الله، عن محمد وعبد الرحمن ابني أبي بكر قالوا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لقد شهدت في دار عبد الله بن جُدعان حلقاً لو دعيت به في الإسلام لأجبت، تحالفوا أن يردوا الفضول على أهلها وألا يعزّ^(١) ظالم مظلوماً».

قالوا: وكان حلف الفضول قبل المبعث بعشرين سنة في شهر ذي القعدة، وكان بعد حرب الفجار بأربعة أشهر. وذلك لأن الفجار كان في شعبان من هذه السنة.

(١) الأصل: بعد وما أثبتته من الروض الأتق. ومعنى يعز: يغلب.

وكان حلف الفضول أكرم حلف سُمِعَ به وأشرفه في العرب ، وكان أول من تكلم به ودعا إليه الزبير بن عبد المطلب . وكان سببه أن رجلاً من زبيد قدم مكة ببضاعة فاشتراها منه العاص بن وائل فحبس عنه حقه ، فاستعدى عليه الزبيدي الأحلاف عبد الدار ونخزوماً ومُجحاً وسهماً وعدى بن كعب ، فأبوا أن يعينوا على العاص بن وائل وزبروه - أي اتهموه - فلما رأى الزبيدي الشرَّ أَوْفَى على أبي قُبَيْس عند طلوع الشمس ، وقرش في أنديتهم حول الكعبة ، فنادى بأعلى صوته :

يَا آلَ فِهْرٍ لِمَ ظَلَمْتُمْ بَضَاعَتَهُ بِيْطَنُ مَكَّةَ نَائِي الدَّارِ وَالنَّفَرِ
وَمُحْرَمٍ أَشْعَثَ لَمْ يَقْضِ عُمرَتَهُ يَا لِرَجَالٍ وَبَيْنَ الْحَجَرِ وَالْحَجَرِ
إِنَّ الْحَرَامَ لَمَنْ تَمَتَّ كَرَامَتُهُ وَلَا حَرَامَ لَثَوْبِ الْفَاجِرِ الْغَدْرِ

فقام في ذلك الزبير بن عبد المطلب وقال : ما لهذا مترك .

فاجتمعت هاشم وزهرة وتيم بن مرة في دار عبد الله بن جدعان فصنع لهم طعاماً ، وتحالفوا في ذى القعدة في شهر حرام ، فتعاقدوا وتعاهدوا بالله ليكوننَّ يداً واحدة مع المظلوم على الظالم حتى يؤدي إليه حقه ما بلَّ بجره صوفةً ، وما رسي ثبيره وجرأء مكانهما ، وعلى التآسي في المعاش .

فسمت قرش ذلك الحلف حلف الفضول ، وقالو : لقد دخل هؤلاء في فضل من الأمر . ثم مشوا إلى العاص بن وائل فانتزعوا منه ساعة الزبيدي فدفعوها إليه .

وقال الزبير بن عبد المطلب في ذلك :

حَلَفْتُ لَنَنْقِدَنَّ حَلْفًا عَلَيْهِمْ وَإِنْ كُنَّا جَمِيعًا أَهْلَ دَارِ
نَسِيهِ الْفُضُولَ إِذَا عَقَدْنَا يَعْزُّ بِهَ الْغَرِيبُ لَذَى الْجَوَارِ
وَيَعْلَمُ مَنْ حَوَالِي الْبَيْتِ أَنَا أَبَا الضَّمِيمِ نَمْنَعُ كُلَّ عَارِ

وقال الزبير أيضاً :

إن الفضول تعاقدوا وتحالفوا ألا يقيم بطن مكة ظالمُ
أمرٌ عليه تعاقدوا وتواثقوا فالجبار والمعتز فيهم سالمُ
وذكر قاسم بن ثابت - في غريب الحديث - : أن رجلاً من خثعم قدم مكة حاجاً
أو معتمراً ، ومعه ابنة له يقال لها القتول من أوضاً نساء العالمين ، فاعتصبها منه نبيه بن
الحجاج وغيبها عنه . فقال الخثعمي : من يُعَدِّني على هذا الرجل ؟ فقيل له عليك
بحلف الفضول .

فوقف عند الكعبة ونادى يال حلف الفضول . فإذا هم يُعَنِّقون إليه من كل
جانب ، وقد انتصوا أسياهم يقولون : جاءك الغوث فما لك ؟ فقال : إن نبيها ظلمني في بنتي
وانزعها مني قسراً .

فساروا معه حتى وقفوا على باب داره ، فخرج إليهم فقالوا له : أخرج الجارية ، ويحك
فقد علمت من نحن وما تعاقدنا عليه ، فقال : أفعل ، ولكن متعوني بها الليلة . فقالوا
لا والله ولا شخب لقحة^(١) ، فأخرجها إليهم وهو يقول :

راح صهي ولم أحَيِّ القَتُولَا لم أودعهم وداعاً جميلاً
إذ أجَدَّ القُضُول أن يمنعوها قد أراني ولا أخاف القُضُولَا
لا تَحَالَى أنى عشيّة راح الرك ب هَتم على أن لا يزولا^(٢)

وذكراً أبيتاً آخر غير هذه .

وقد قيل إنما سمي هذا حلف الفضول لأنه أشبه حلفاً تحالفته جُرم على مثل هذا
من نصر المظلوم على ظالمه . وكان الداعي إليه ثلاثة من أشrafهم ، اسم كل واحد منهم :

(١) الشخب : ما خرج من الضرع من اللبن - واللحقة الناقة الحلوب .

(٢) الروس لأف : ألا أقولا .

فضل ، وهم الفضل بن فضالة ، والفضل بن وداعة ، والفضل بن الحارث . هذا قول ابن قتيبة .
وقال غيره : الفضل بن شراعة ، والفضل بن بضاعة ، والفضل بن قضاة . وقد أورد السهيلي
هذا رحمه الله .

وقال محمد بن إسحاق بن يسار : وتداعت قبائلُ من قر يش إلى حلف فاجتمعوا له
في دار عبد الله بن جُدعان لشرفه وسنه .

وكان حلفُهم عنده بنو هاشم و بنو عبد المطلب و بنو أسد بن عبد العزى وزُهرة
بن كلاب و تميم بن مُرة .

فتعاهدوا وتعاهدوا على أن لا يحدوا بمكة مظلوماً من أهلها وغيرهم ممن دخلها من
سائر الناس إلا كانوا معه وكانوا على من ظلمه حتى يرد عليه مظلمته .

فسمت قر يش ذلك الحلف حلف الفضول .

قال محمد بن إسحاق : فحدثني محمد بن زيد بن المهاجر [بن] ^(١) قُنْفَذ التَّيْمِي ^(٢) ،
أنه سمع طاححة بن عبد الله بن عوف الزهري يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« لقد شهدت في دار عبد الله بن جُدعان حلفاً ما أحبُّ أن لي به حمر النعم ولو دُعِيَ به
في الإسلام لأجبت » .

قال ابن إسحاق : وحدثني يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهادي ^(٣) الليثي ^(٤) ،
أن محمد بن إبراهيم بن الحارث التَّيْمِي حدثه أنه كان بين الحسين بن علي بن أبي طالب
وبين الوليد بن عتبة بن أبي سفيان - والوليد يومئذ أمير المدينة ، أمره عليها عمه معاوية بن
أبي سفيان . - منازعة في مال كان بينهما بذى المروة ^(٥) ، فكان الوليد تحامل على

(١) سقطت من المطبوعة . (٢) هو محمد بن زيد بن المهاجر بن قنفذ التيمي الجدعي المدني .

(٣) ط : الهادي . (٤) هو يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهادي الليثي المدني أبو عبد الله ، توفي

بالمدينة سنة ١٣٩ . وكان ثقة كثير الحديث . (٥) ذو المروة : قرية بوادي القرى .

الحسين في حقه لسلطانه ، فقال له الحسين : أحلف بالله لتنصفني من حق أو لآخذن سبني ثم لأقومن في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم لأدعون بحلف الفضول .
قال : فقال عبد الله بن الزبير - وهو عند الوليد حين قال له الحسين ما قال - وأنا أحلف بالله لأن دعا به لآخذن سبني ثم لأقومن معه حتى يُنصف من حقه أو نموت جميعاً .

قال وبلغت المسور بن مخزومة بن نوفل الزهري فقال مثل ذلك .
وبلغت عبد الرحمن بن عثمان بن عبيد الله التيمي فقال مثل ذلك .
فلما بلغ ذلك الوليد بن عتبة أنصف الحسين من حقه حتى رضى .

فصل في تزويجه عليه الصلاة والسلام خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي

قال ابن إسحاق : وكانت خديجة بنت خويلد امرأة تاجرة ذات شرف ومال ، تستأجر الرجال على مالها مضاربة .

فلما بلغها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بلغها من صدق حديثه وعظم أمانته وكرم أخلاقه ، بعثت إليه فعرضت عليه أن يخرج لها في مال تاجراً إلى الشام وتعطيه أفضل ماتعطى غيره من التجار . مع غلام لها يقال له ميسرة .

فقبله رسول الله صلى الله عليه وسلم منها وخرج في مالها ذاك ، وخرج معه غلامها ميسرة حتى نزل الشام ، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم في ظل شجرة قريباً من صومعة راهب من الرهبان ، فاطلع الراهب إلى ميسرة فقال : من هذا الرجل الذي نزل تحت الشجرة ؟ فقال ميسرة : هذا رجل من قريش من أهل الحرم .

فقال له الراهب : منازل تحت هذه الشجرة إلا نبي ^(١) .

ثم باع رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعته - يعني تجارته - التي خرج بها ، واشترى ما أراد أن يشتري ، ثم أقبل قافلاً إلى مكة ومعه ميسرة .

فكان ميسرة - فيما يزعمون - إذا كانت الهاجرة واشتد الحر ، يرى ملكين يظللانه من الشمس وهو يسير على بعيره .

فلما قدم مكة على خديجة بمالها باعت ما جاء به فأضعف أو قريباً ، وحدثها ميسرة عن قول الراهب ، وعما كان يرى من إظلال الملائكة إياه .

وكانت خديجة امرأة حازمة شريفة لبيبة ، مع ما أراد الله بها من كرامتها .

فلما أخبرها ميسرة ما أخبرها بعثت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت له فيما يزعمون ، يا ابن عم إني قد رغبت فيك لقرابتك ووُسْطُكَ ^(٢) في قومك ، وأمانتك وحسن خلقك وصدق حديثك . ثم عرضت نفسها عليه .

وكانت أوسط نساء قريش نسباً وأعظمهن شرفاً وأكثرهن مالا ، كلُّ قومها كان حريصاً على ذلك منها لو يقدر عليه .

فلما قالت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر ذلك لأعمامه ، فخرج معه عمه حمزة حتى دخل على خويلد بن أسد فخطبها إليه ، فتزوجها عليه الصلاة والسلام .

قال ابن هشام : فأصدقها عشرين بكرة ، وكانت أول امرأة تزوجها ، ولم يتزوج عليها غيرها حتى ماتت .

قال ابن إسحاق : فولدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولده كلهم إلا إبراهيم : القاسم وكان به يكنى ، والطيب والطاهر ، وزينب ، ورقية ، وأم كلثوم ، وفاطمة .

(١) يريد : ما نزل الآن ، وإلا فلم يخل أن ينزل تحتها كثير من الناس غير أنبياء .

(٢) وسطك : توسطك في قومك وكونك من أعرقهم . وتروى : وصيتك .

قال ابن هشام : أكبرهم القاسم ، ثم الطيب ، ثم الطاهر . وأكبر بناته رقية ، ثم زينب ؛ ثم أم كلثوم ، ثم فاطمة .

قال التيهني عن الحاكم قرأت بخط أبي بكر بن أبي خيثمة : حدثنا مُصعب بن عبدالله الزُّبيري ، قال : أكبرُ ولده عليه الصلاة والسلام القاسم ، ثم زينب ، ثم عبدالله ، ثم أم كلثوم ، ثم فاطمة ، ثم رقية .

وكان أول من مات من ولده القاسم ، ثم عبد الله .
وبلغت خديجة خمساً وستين سنة ، ويقال خمسين . وهو أصح .
وقال غيره : بلغ القاسمُ أن يركب الدابة والنَّحِيبَةَ ثم مات بعد النبوة .
وقيل : مات وهو رضيع ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن له مرضعاً في الجنة يستكمل رضاعه » .

والمعروف أن هذا في حق إبراهيم .

وقال يونس بن بكير : حدثنا إبراهيم بن عثمان ، عن القاسم ، عن ابن عباس قال : ولدت خديجة لرسول الله صلى الله عليه وسلم غلامين وأربع نسوة : القاسم ، وعبد الله ، وفاطمة ، وأم كلثوم ، وزينب ورقية .

وقال الزبير بن بَكَّار : عبدُ الله هو الطيب وهو الطاهر ، سُمِّيَ بذلك لأنه ولد بعد النبوة . [وأما الباقر] فأتوا قبل البعثة .

وأما بناته فأدركن البعثة ودخلن في الإسلام وهاجرن معه صلى الله عليه وسلم .
قال ابن هشام : وأما إبراهيم فمن مارية القبطية التي أهداها له المقوقس صاحب
اسكندرية من كورة أنضاء^(١) .

(١) مدينة بالصعيد شرق النيل .

وسنتكلم على أزواجه وأولاده عليه الصلاة والسلام في باب مفرد لذلك في آخر السيرة إن شاء الله تعالى وبه الثقة .

قال ابن هشام : وكان عُمرُ رسول الله صلى الله عليه وسلم حين تزوج خديجة خمساً وعشرين سنة ، فيما حدثني غير واحد من أهل العلم ، منهم أبو عمرو المَدَنِي .

وقال يعقوب بن سفيان : كتبت عن إبراهيم بن المنذر : حدثني عمر بن أبي بكر المؤمِّل ، حدثني غير واحد أن عمرو بن أسد زَوَّجَ خديجة من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمره خمسٌ وعشرون سنة وقريش تبني الكعبة .

وهكذا نقل البيهقي عن الحاكم أنه كان عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حين تزوج خديجة خمساً وعشرين سنة ، وكان عمرها إذ ذاك خمساً وثلاثين . وقيل خمساً وعشرين سنة .

وقال البيهقي : « باب ما كان يشتغل به رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يتزوج خديجة » .

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرنا أبو بكر بن عبد الله ، أخبرنا الحسن بن سُفيان ، حدثنا سُويد بن سعيد ، حدثنا عمرو بن أبي يحيى بن سعيد القرشي ، عن جده سعيد عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما بعث الله نبياً إلا راعى غم » فقال له أصحابه : وأنت يا رسول الله ؟ قال : « وأنا راعيتها لأهل مكة بالقراريط » .

رواه البخاري عن أحمد بن محمد المكي عن عمرو بن يحيى به .

ثم روى البيهقي من طريق الربيع بن بدر ، وهو ضعيف ، عن أبي الزبير عن

جابر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « آجرت نفسي من خديجة سَفَرَتَيْن بَقْلُوص » .

وروى البيهقي من طريق حَمَّاد بن سَلَمَة ، عن علي بن زيد ، عن عمار بن أبي عمار ، عن ابن عباس : أن أبا خديجة زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو - أظنه - قال - سكران .

ثم قال البيهقي : أخبرنا أبو الحسين بن الفضل القَطَّان ، أنبأنا عبد الله بن جعفر ، حدثنا يعقوب بن سُفْيَان ، قال حدثني إبراهيم بن المنذر ، حدثني عمر بن أبي بكر المؤمِّلِي حدثني عبد الله بن أبي عبيد بن محمد بن عمار بن ياسر ، عن أبيه ، عن مقسم بن أبي القاسم مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل ، أن عبد الله بن الحارث حدثه أن عمار بن ياسر كان إذا سمع ما يتحدث به الناس عن تزويج رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة وما يكثر فيه يقول :

أنا أعلمُ الناسَ بتزويجه إياها ، إني كنت له تَرَبَّأً وكنت له إلفاً وخِدْناً ، وإني خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم حتى إذا كنا بالحزورة أَجَزْنَا على أخت خديجة وهي جالسة على أَدَمَ تبيعها ، فنادتني فأنصرفت إليها ووقف لي رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقالت : أما بصاحبك هذا من حاجة في تزويج خديجة ؟ .

قال عمار : فرجعت إليه فأخبرته فقال : « بلى لَعَمْرِي » ..

فذكرت لها قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : اغدُوا علينا إذا أضبحنا . فغدونا عليهم فوجدناهم قد ذبحوا بقرة وأبسوا أبا خديجة حُلَّةً ، وصفرت لحيته ، وكلت أخاها فكلم أباه وقد سقى خمرًا ، فذكر له رسول الله صلى الله عليه وسلم ومكانه ، وسأله أن يزوجه فزوجه خديجة ، وصنعوا من البقرة طعاما فأكلنا منه ونام أبوها ثم

استيقظ صاحبا . فقال : ما هذه الحلة وما هذه الصُّفْرة وهذا الطعام ؟ فقالت له ابنته التي كانت قد كَلَّتْ عَمَّاراً : هذه حُلَّةٌ كساها محمد بن عبد الله خَتَنُكَ ، وبقرة أهداها لك ، فذبحناها حين زَوَّجْتَهُ خَدِيْجَةَ .

فأنكر أن يكون زَوَّجَهُ ، وخرج يصيح حتى جاء الحِجْرُ ، وخرج بنو هاشم برسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءوه فكلّموه . فقال : أين صاحبكم الذى تزعمون أنى زوجه خديجة ؟ فبرز له رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما نظر إليه قال : إن كنتُ زَوَّجْتَهُ فسيل ذاك ، وإن لم أكن فعلتُ فقد زَوَّجْتَهُ .

وقد ذكر الزُّهْرَى فى سِيره أن أباهما زوجها منه وهو سكران . وذكر نحو ما تقدم . حكاها السَّهْبَلَى .

قال المؤملى : المجتمع عليه أن عمها عمرو بن أسد هو الذى زَوَّجها منه .

وهذا هو الذى رجحه السَّهْبَلَى . وحكاه عن ابن عباس وعائشة . قالت : وكان خويلد مات قبل الفِجَارِ ، وهو الذى نازع تُبَعًّا حين أراد أخذ الحجر الأسود إلى اليمن ، فقام فى ذلك خويلد وقام معه جماعة من قريش ، ثم رأى تبعّ فى منامه ماروعه ، فنزع عن ذلك وترك الحجر الأسود مكانه .

وذكر ابن إسحاق فى آخر السيرة أن أخاها عمرو بن خويلد هو الذى زوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنه أعلم .

فصل

قال ابن إسحاق : وقد كانت خديجة بنت خويلد ذكرت لورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصى وكان ابن عمها - وكان نصرانياً قد تتبع الكتب وعلم من علم

الناس ، ما ذكر لها غلامها من قول الراهب وما كان يرى منه إذ كان
الملكان يُظْلانهُ .

فقال ورقة : لئن كان هذا حقاً يا خديجة إن محمداً لنبي هذه الأمة ، قد عرفت أنه كائن
لهذه الأمة نبي يُنتظر هذا زمانه . أو كما قال .

فجعل ورقة يستبطن الأمر ويقول حتى متى ؟ وقال في ذلك :

لَجَجْتُ وَكُنْتُ فِي الدَّكْرِ لُجُوجًا	لَهُمْ طَالَمَا بَعَثَ النَّشِيجَا
وَوَصَفَ مِنْ خَدِيجَةٍ بَعْدَ وَصْفِ	فَقَدْ طَالَ انْتِظَارِي يَا خَدِيجَا
بِطْنِ الْمَكْتَنِ ^(١) عَلَى رَجَائِي	حَدِيثُكَ أَنْ أَرَى مِنْهُ خُرُوجَا
بِمَا خَبَرْتِنَا مِنْ قَوْلِ قَيْسٍ	مِنْ الرُّهْبَانِ أَكْرَهَ أَنْ يَعُوجَا
بَأَنَّ مُحَمَّدًا سَيَسُودُ يَوْمًا ^(٢)	وَيَخْضَعُ مَنْ يَكُونُ لَهُ حَاجِيجَا
وَيُظْهِرُ فِي الْبِلَادِ ضِيَاءَ نُورٍ	يُقِيمُ ^(٣) بِهِ الْبَرِيَّةَ أَنْ تَمُوجَا
فَيَلْقَى مَنْ يَحَارِبُهُ خَسَارًا	وَيَلْقَى مَنْ يُسَالِمُهُ فُلُوجَا ^(٤)
فِي الْيَتَى إِذَا مَا كَانَ ذَاكُمْ	شَهِدْتُ وَكُنْتُ ^(٥) أَوْلَهُمْ وَلُوجَا
وُلُوجًا فِي الذِي كَرِهَتْ قُرَيْشٌ	وَلَوْ عَجَّتْ بِمَكَّتْهَا عَجِيجَا
أَرْجَى بِالذِي كَرِهُوا جَمِيعًا	إِلَى ذِي الْعَرْشِ إِنْ سَفَلُوا عُرُوجَا
وَهَلْ أَمْرَ السَّفَالَةِ غَيْرُ كُفْرٍ	بِمَنْ يَخْتَارُ ، مَنْ سَمَكَ الْبُرُوجَا
فَإِنْ يَبْقُوا وَأَبْقَى أَمُورٌ	يَضْجُ الْكَافِرُونَ لَهَا ضَجِيجَا
وَإِنْ أَهْلَكَ فَكُلَّ فِتَى سَيْلَقِي	مِنْ الْأَقْدَارِ مَتَلَفَةً حَرُوجَا ^(٦)

(١) المكنين : جانباً مكة ، أو بطاوحها وظواهرها (٢) ط : قوماً وهو خطأ . وفي ابن هشام :
سيسود فينا . (٣) خ ط : يقوم وهو خطأ ، وما أثبتته عن ابن هشام .
(٤) الفلوج : النجاج والظفر . (٥) ابن هشام : فكننت .
(٦) ط : خروجاً . وهو خطأ .

وقال ورقة أيضا فيما رواه يونس بن بكير^(١) عن ابن إسحاق عنه .

أَتَبْكُرُ أُمَّ أَنْتِ الْعَشِيَّةَ رَائِحُ
لَفُرْقَةٍ قَوْمٍ لَا أَحَبُّ فِرَاقِهِمْ
وَأَخْبَارِ صِدْقِ خُبْرَتِ عَنْ مُحَمَّدٍ
أَتَاكَ^(٢) الَّذِي وَجَّهَتْ يَأْخِزُ حَرَّةَ
إِلَى سُوقِ بَصْرَى فِي الرَّكَابِ الَّتِي غَدَتْ
فِيخْبِرُنَا عَنْ كُلِّ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ
بِأَنَّ ابْنَ عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدَ مُرْسَلٌ
وَضَلَّيْ بِهِ أَنْ سَوْفَ يُبْعَثُ صَادِقًا
وَمُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ حَتَّى يُرَى لَهُ
وَيَتَّبَعَهُ حَيًّا لَوْيَ وَغَالِبٍ
فَإِنْ أَبْقَى حَتَّى يُدْرِكَ النَّاسَ دَهْرُهُ
وَالَا فَإِنِّي يَا خَدِيجَةُ فَاعْلَمِي
وَزَادَ الْأُمُومَى :

فَتَتَّبَعُ دِينَ الَّذِي أَسَّسَ الْبِنَاءَ
وَأَسَّسَ بُنْيَانًا بِمَكَّةَ ثَابِتًا
مَثَابًا لِأَفْنَاءِ الْقَسَائِلِ كُلِّهَا
حِرَاجِيحِ^(٣) أَمْثَالِ الْقِدَاحِ مِنَ الشَّرَى
وَكَانَ لَهُ فَضْلٌ عَلَى النَّاسِ رَاجِحُ
تَلَاؤًا فِيهِ بِالْظَّلَامِ الْمَصَانِجُ
تَخَبُّ إِلَيْهِ الْيَعْمَلَاتُ الْطَّلَاحُ^(٤)
يُعَاقُ فِي أَرْسَافِهِنِ السَّرَاحُ

(١) ليست في ابن هشام ، لأن ابن هشام أثبت رواية زياد البكائي (٢) الاكتفا : فذاك .
(٢) الصحاخ : جمع صحصح وهي الأرض المستوية (٤) أى بطيئات مثقلات الخطو .
(٥) اليعملات : جمع يعملة ، وهي الناقة الجيبة . والطلأخ : المعبات . (٦) الحراجيج : الطوال

ومن شعره فيما أورده أبو القاسم السهيلي في روضه :

لقد نصحتُ لأقوامٍ وقلتُ لهم أنا النذيرُ فلا يَغْرَكمُ أحدُ
لا تَعْبُدَنَّ إلهاً غيرَ خالقِكُم فإن دَعَوْكم فقولوا يَنْنَا حَدَدُ^(١)
سُبْحان ذى العرش سبحاناً يدوم له وقبلنا سَبَّحَ الجودى والحمدُ
مسخرٌ كلُّ ماتحتَ السماء له لا ينبغى أن يُناوى مُلكه أحدُ
لا شيء مما ترى تَبْقَى بَشاشته يَبْقَى الإله ويودى المالُ والولدُ
لم تُغْنِ عن هُرْمٍ يوماً خزائنه وأُخْلِدَ قد حاولت عادٌ فما خَلَدُوا
ولا سَليمانُ إذ تَجَرى الرياحُ به والجن والإنس فيما يَبْنِيها مَرَدُ
أين الملوك التى كانت لعزتها من كل أوبٍ إليها وافدٌ يَفْدُ
حوضٌ هُنالك مورودٌ بلا كذبٍ لا بُدَّ مِنْ وِرْدِهِ يوماً كما ورَدُوا

ثم قال : هكذا نسبهُ أبو الفرج إلى ورقة . قال : وفيه أبيات تنسب إلى أمية ابن أبى الصلت .

قلت : وقد روينا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه كان يستشهد فى بعض الأحيان بشيء من هذه الأبيات . والله أعلم .

فصل

فى تجديد قریشِ بناء الكعبة قبل المبعث بخمس سنين

ذكر البيهقى بناء الكعبة قبل تزويجه عليه الصلاة والسلام خديجة .
والمشهور أن بناء قریشِ الكعبة بعد تزويج خديجة كما ذكرناه بعشر سنين .

ثم شرع البيهقي في ذكر بناء الكعبة في زمن إبراهيم كما قدمناه في قصته ، وأورد حديث ابن عباس المتقدم في صحيح البخاري ، وذكر ماورد من الإسرائيليات في بنائه في زمن آدم .

ولا يصح ذلك ، فإن ظاهر القرآن يقتضي أن إبراهيم أول من بناء مبتدئاً ، وأول من أسسه ، وكانت بقعته معظمة قبل ذلك معتنى بها مشرفة في سائر الأعصار والأوقات . قال الله تعالى : « إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ، فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مِّمَّا مَّامُ إِبرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا » (١) .

وثبت في الصحيحين عن أبي ذرٍّ قال : قلت يارسول الله أى مسجد وضع أول ؟ قال : « المسجد الحرام » قلت ثم أى ؟ قال « المسجد الأقصى » قلت كم بينهما ؟ قال : أربعون سنة « وقد تكامنا على هذا (٢) وأن المسجد الأقصى أسسه إسرائيل وهو يعقوب عليه السلام .

وفي الصحيحين « إن هذا البلد حرّمه الله يومَ خَلَقَ السماواتِ والأرض فهو حرامٌ بحرمة الله إلى يوم القيامة » .

وقال البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، حدثنا أبو عبد الله الصّفّار ، حدثنا أحمد ابن مهران ، حدثنا عُبَيْدُ اللَّهِ ، حدثنا إسرائيل ، عن أبي يحيى ، عن مُجَاهِد ، عن عبد الله ابن عمرو . قال : كان البيت قبل الأرض بألفي سنة ، « وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ » . قال : مِنْ تَحْتِهِ مُدَّتْ .

قال : وقد تابعه منصور عن مجاهد .

(١) سورة آل عمران . (٢) وذلك في الجزء الأول من البداية والنهاية للمؤلف .

قلت : وهذا غريب جداً ، وكأنه من الزَّامِلَتَيْنِ اللّتين أصابهما عبد الله بن عمرو يوم اليرموك ، وكان فيهما إسرائيليات يحدث منها ، وفيهما منكرات وغرائب ثم قال البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرنا أبو جعفر محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الله البغدادي ، حدثنا يحيى بن عثمان بن صالح ، حدثنا أبو صالح الجهنى ، حدثني ابن لهيعة ، عن يزيد بن أبي الخير ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بعث الله جبريل إلى آدم وحواء فقال لهما ابنيآ إلى بيتنا ، فخطّ لهما جبريل ، فجعل آدم يحفر وحواء تنقل ، حتى أجابه الماء نودى من تحته حسبك يا آدم . فلما بنيا أوحى الله تعالى إليه أن يطوف به ، وقيل له أنت أول الناس ، وهذا أول بيت ، ثم تناسخت القرون حتى حجه نوح ، ثم تناسخت القرون حتى رفع إبراهيم القواعد منه » .

قال البيهقي : تفرد به ابن لهيعة هكذا مرفوعاً .

قلت : وهو ضعيف ، ووَقَّفه على عبد الله بن عمرو أقوى وأثبت . والله أعلم .

وقال الربيع : أنبأنا الشافعي ، أنبأنا سفيان ، عن ابن أبي ليبيد ، عن محمد بن كعب القرظي - أو غيره - قال : حجَّ آدم فلقيته الملائكة فقالوا : بَرَّ نُسُكُك يا آدم ، لقد حجَّجْنَا قبلك بالفي عام .

وقال يونس بن بكير : عن ابن اسحاق حدثني بَقِيَّة - أو قال ثقة من أهل المدينة - عن عروة بن الزبير أنه قال : ما من نبي إلا وقد حجَّ البيت ، إلا ما كان من هود وصالح .

قلت : وقد ذكرنا حجَّهما إليه^(١) . والمقصود الحج إلى محله وبُقْعته ، وإن لم يكن ثمَّ بناء . والله أعلم .

(١) وذلك في الجزء الأول من البداية والنهاية للمؤلف .

ثم أورد البيهقي حديث ابن عباس المذكور في قصة إبراهيم عليه السلام بطوله وتماه وهو في صحيح البخارى .

ثم روى البيهقي من حديث سماك بن حرب ، عن خالد بن عرعة . قال : سأل رجل علياً عن قوله تعالى (إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ) أهو أول بيت بُنى فى الأرض ؟

قال : لا ، ولكنه أول بيت وضع فيه البركة للناس والهدى ، ومقام إبراهيم ومن دخله كان آمناً . وإن شئت نباتك كيف بناؤه !

إن الله تعالى أوحى إلى إبراهيم أن ابن لى بيتا فى الأرض . فضايق به ذرعا فأرسل إليه السكينة وهى ريح خجوج^(١) لها رأس ، فأتبع أحدهما صاحبه حتى انتهت ثم تطوقت فى موضع البيت تطوَّق الحية ، فبنى إبراهيم حتى بلغ مكان الحجر ، قال لابنه : ابنى حجرا . فالتمس حجراً حتى أتاه به ، فوجد الحجر الأسود قد ركب . فقال لأبيه : من أين لك هذا ؟ قال : جاء به من لا يتكل على بنائك ، جاء به جبريل من السماء . فأثمه .

قال : مرَّ عليه الدهر فأنهدم ، فبنته العالقة ، ثم أنهدم فبنته جرهم .

ثم أنهدم فبنته قریش ورسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ رجل شاب . فلما أرادوا أن يرفعوا الحجر الأسود اختصموا فيه فقالوا : نحكم بيننا أول رجل يخرج من هذه السكة ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أول من خرج عليهم ، فقضى بينهم أن يجعلوه فى مِرْط^(٢) ثم ترفعه جميع القبائل كلهم .

وقال أبو داود الطيالسى : حدثنا حماد بن سلمة وقيس وسلام كلهم عن سماك بن حرب ، عن خالد بن عرعة ، عن على بن أبى طالب قال : لما أنهدم البيت بعد جرهم بنته قریش ، فلما أرادوا وضع الحجر تشاجروا من يضعه .

(١) الحجوج : الريح الشديدة المرأو المتوتية فى هبوبها . (٢) المرط : كساء من صوف تمخرز .

فاتفقوا أن يضعه أول من يدخل من هذا الباب .

فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم من باب بنى شَيْبَةَ فَأَمَرَ بِثَوْبٍ فَوَضَعَ الْحَجَرَ فِي وَسْطِهِ وَأَمَرَ كُلَّ فَخِذٍ أَنْ يَأْخُذُوا بِطَائِقَةِ مِنَ الثَّوْبِ . فَرَفَعُوهُ وَأَخَذَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَضَعَهُ .

قال يعقوب بن سفيان : أخبرني أَصْبَغُ بْنُ فَرَجٍ ، أَخْبَرَنِي ابْنُ وَهْبٍ ، عَنْ يُونُسَ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ ، قَالَ : لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم الْحُلُمَ جَمَرَتْ امْرَأَةٌ الْكَعْبَةَ فَطَارَتْ شَرَارَةٌ مِنْ مَجْمَرِهَا فِي ثِيَابِ الْكَعْبَةِ فَاحْتَرَقَتْ ، فَهَدَمُوهَا ، حَتَّى إِذَا بَنَوْهَا فَبَلَّغُوا مَوْضِعَ الرُّكْنِ اخْتَصَمَتْ قَرِيشٌ فِي الرُّكْنِ : أَيُّ الْقَبَائِلِ تَبْلِي رَفْعُهُ .

فَقَالُوا : تَعَالَوْا نَحْكُمُ أَوَّلَ مَنْ يَطَّاعَ عَيْنَانَا ، فَطَاعَ عَلَيْهِمُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ غُلَامٌ عَلَيْهِ وَشَاحْ نَمْرَةٌ ، فَحَكَّمُوهُ فَأَمَرَ بِالرُّكْنِ فَوَضَعَ فِي ثَوْبٍ ، ثُمَّ أَخْرَجَ سَيِّدَ كُلِّ قَبِيلَةٍ فَأَعْطَاهُ نَاحِيَةً مِنَ الثَّوْبِ ، ثُمَّ ارْتَقَى هُوَ فَرَفَعُوا إِلَيْهِ الرُّكْنَ ، فَكَانَ هُوَ يَضَعُهُ . فَكَانَ لَا يَزْدَادُ عَلَى السَّنِّ إِلَّا رِضًى حَتَّى دَعَوْهُ الْأَمِينُ قَبْلَ أَنْ يَنْزِلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ ، فَطَفَقُوا لَا يَنْحَرُونَ جُزْؤاً إِلَّا اتَّمَسُّوهُ فَيَدْعُو لَهُمْ فِيهَا . وَهَذَا سِيَاقُ حَسَنِ ، وَهُوَ مِنْ سِيَرِ الزَّهْرِيِّ .

وفيه من الغرابة قوله : « فلما بلغ الحلم » والمشهور أن هذا كان ورسول الله صلى الله عليه وسلم عمره خمس وثلاثون سنة ، وهو الذي نص عليه محمد بن إسحاق بن يسار رحمه الله .

وقال موسى بن عُقْبَةَ : كان بناء الكعبة قبل المَبْعَثِ بخمس عشرة سنة . وهكذا قال مجاهد ، وعروة ، ومحمد بن جبير بن مطعم ، وغيرهم . فالله أعلم .

وقال موسى بن عُقْبَةَ : كان بين الفجار وبين بناء الكعبة خمس عشرة سنة .

قلت : وكان الفجار وحاف الفضول في سنة واحدة ، إذ كان عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرون سنة وهذا يؤيد ما قال محمد بن إسحاق والله أعلم .

قال موسى بن عُقبة : وإنما حمل قريشاً على بنائها أن السيول كانت تأتي من فوقها ، من فوق الردم الذي صفوه فخرَّ به ، يخافوا أن يدخلها الماء .

وكان رجل يقال له مُلَيْح سرق طيب الكعبة . فأرادوا أن يشيدوا بنيانها وأن يرفعوا بابها حتى لا يدخلها إلا من شاءوا .

فأعدوا لذلك نفقةً وُحْمًا ، ثم غَدَوْا إليها ليهدموها على شَفَقٍ وحذر أن يمنهم [الله] ^(١) الذي أرادوا .

فكان أول رجل طاعها وهدم منها شيئاً الوليدُ بن المغيرة ، فلما رأوا الذي فعل الوليد تتابعوا فوضعوها فأعجبهم ذلك .

فلما أرادوا أن يأخذوا في بنائها أحضروا عاملهم فلم يقدر رجل منهم أن يمضي أمامه موضعَ قَدَم .

فزعموا أنهم رأوا حيةً قد أحاطت بالبيت ، رأسها عند ذَنبها ، فأشفقوا منها شفقةً شديدة ، وخشوا أن يكونوا قد وقعوا مما عملوا في هلكة .

وكانت الكعبة حِرْزهم وَمَنْعَتهم من الناس وشرقاً لهم ، فلما سَقَطَ في أيديهم والتبس عليهم أمرهم قام فيهم المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم ، فذكر ما كان من نُصْحِهِ لهم وأمره إياهم أن لا يتشاجروا ولا يتحاسدوا في بنائها ، وأن يقتسموها أرباعاً ، وأن لا يدخلوا في بنائها مالاً حراماً .

وذكر أنهم لما عزموا على ذلك ذهب الحية في السماء وتغيبت عنهم ورأوا أن ذلك من الله عز وجل .

قال : و يقول بعض الناس : إنه اختطفها طائر وألقاها نحو أجْيَاد .

وقال محمد بن إسحاق بن يسار : فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا وثلاثين سنة اجتمعت قريش لبناء الكعبة ، وكانوا يهثون بذلك ليسقفوها ويهايون هدمها ، وإنما كانت رضا^(١) فوق القامة ، فأراحوا رَفْعها وتسقيفها .

وذلك أن نفرأ سرقوا كنز الكعبة ، وإنما كان [يكون]^(٢) في بئر في جوف الكعبة .

وكان الذي وجد عنده الكنز دُويك مولى لبني مُليح بن عمرو بن^(٣) خزاعة . فقطعت قريش يده .

وتزعم قريش أن الذين سرقوه وضعوه عند دويك .

وكان البحر قد رمى بسفينة إلى جُدَّة لرجل من تجار الروم ، فتحطمت . فأخذوا خشبها فأعدوه لتسقيفها .

قال الأموي : كانت هذه السفينة لقيصر ملك الروم تحمل آلات البناء من الرخام والخشب والحديد ، سَرَّحها قيصر مع باقوم الرومي إلى الكنيسة التي أحرقتها الفرس للحبشة ، فلما بلغت مَرَساها من جُدَّة بعث الله عايبا ريحا فخطمها .

قال ابن إسحاق : وكان بمكة رجل قبلي نجار ، فتهيا لهم في أنفسهم بعض ما يصلحها .

وكانت حية تخرج من بئر الكعبة التي كانت تطرح فيها ما يهدى إليها كل يوم ، فتشرَّق^(٤) على جدار الكعبة ، وكانت مما يهايون ، وذلك أنه كان لا يدنو منها أحد

(١) أي حجارة نضد بعضها على بعض من غير ملاط . (٢) من ابن هشام .

(٣) ابن هشام : من خزاعة . (٤) تشرَّق : تبرز للشمس . ووط : تنصرف ، وهو خطأ .

إلا احزألت وكشَّت^(١) وفتحت فاعا ، فكانوا يهابونها ، فينما هي يوماً تشرف على جدار الكعبة كما كانت تصنع ، بعث الله عليها طائراً فاخطفها فذهب بها .

فقال قريش : إنا لنرجو أن يكون الله تعالى قد رضى ما أردنا ، عندنا عامل رفیقٌ وعندنا خشبٌ ، وقد كفانا الله الحية .

وحكى السهيلي عن رزين ، أن سارقاً دخل الكعبة في أيام جرهم ليسرق كنزها ، فانهار البئر عليه حتى جاءوا فأخرجوه وأخذوا منه ما كان أخذه ، ثم سكنت هذا البئر حية رأسها كرأس الجدوى ، وبطنها أبيض وظهرها أسود ، فأقامت فيها خمسمائة عام . وهي التي ذكرها محمد بن اسحاق .

قال محمد بن اسحاق : فلما أجمعوا أمرهم لهدمها^(٢) وبنائها قام أبو وهب [بن^(٣)] عمرو بن عائذ^(٤) بن عبد بن عمران بن مخزوم - وقال ابن هشام : عائذ^(٤) بن عمران بن مخزوم - فتناول من الكعبة حجراً فوثب من يده حتى رجع إلى موضعه . فقال : يا معشر قريش لا تدخلوا في بنيانها من كسبكم إلا طيباً ، لا يدخل^(٥) فيها مهرٌ بنى ولا بيع رباً ، ولا مظالة أحد من الناس . والناس ينحلون هذا الكلام الوليد بن المغيرة ابن عبد الله بن عمر^(٦) بن مخزوم . ثم رجع ابن اسحاق أن قائل ذلك أبو وهب ابن عمرو . قال : وكان خال أبي النبي صلى الله عليه وسلم وكان شريفاً ممدحاً .

قال ابن اسحاق : ثم إن قريشاً تجزأت الكعبة . فكان شق الباب لبني عبد مناف وزهرة ، وما بين الركن الأسود والركن اليماني لبني مخزوم وقبائل من قريش انضموا

(١) احزألت : رفعت رأسها . وكشَّت : صوت من جلد لها لا من فيها .

(٢) ابن هشام : في هدمها . (٣) سقطت من ط .

(٤) ط : عايد ، وهو خطأ . (٥) ابن هشام : لا تدخلوا . (٦) ط : عمرو ، وهو خطأ .

إليهم . وكان ظهر الكعبة لبني جَحّح وسَهَم . وكان شِقُّ الحِجَر لبني عبد الدار بن قصي ، ولبنى أسد بن عبد العزى ولبنى عدى بن كعب رَهْو^(١) الحَظِيم .

ثم إن الناس إهابوا هَدَمَها وَفَرَقُوا منه ، فقال الوليد بن المغيرة : أنا أبدوكم في هَدَمِها . فأخذ المَعُول ثم قام عليها وهو يقول : اللهم لم تُرْعَ^(٢) ، اللهم إنا لا نريد إلا الخير .

ثم هدم من ناحية الركنين ، فتربص الناس تلك الليلة ، وقالوا : ننظر فإن أصيب لم نهدم منها شيئاً وردّذناها كما كانت ، وإن لم يصبه شيء فقد رضى الله ما صنعنا [من هدمها^(٣)] .

فأصبح الوليد غادياً على عمله ، فهدم وهدم الناس معه ، حتى إذا انتهى الهدم بهم إلى الأساس ، أساس إبراهيم عليه السلام ، أفضّوا إلى حجارة خُصِرَ كالأسنة آخذٍ بعضُها بعضاً .

ووقع في صحيح البخارى عن يزيد بن رومان « كأسنة الإبل » قال السهيلي : وأرى رواية السيرة « كالأسنة^(٤) » وهما والله أعلم .

قال ابن إسحاق : فحدثني بعض من يروى الحديث : أن رجلاً من قريش ممن كان يهدمها أدخل عتلة بين حجرين منها ليقاع بها أحدهما ، فلما تحرك الحجر انتفضت^(٥) مكة بأسرها ، فاتهبوا عن ذلك الأساس .

وقال موسى بن عُقبة : وزعم عبد الله بن عباس أن أولية قريش كانوا يحدثون أن رجلاً من قريش لما اجتمعوا لينزعوا الحجارة إلى تأسيس إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ، عمّد رجل منهم إلى حجر من الأساس الأول فرفعه وهو لا يدري أنه من

(١) الرهو : ما اطمأن من الأرض وارتفع ما حوله . وفي المطبوعة : وهو ، وهذا تحريف .

(٢) أى لم تنزع الكعبة . ويروى : اللهم لم نزع . (٣) ليست في ابن هشام .

(٤) ط : كالأسنة وهو تحريف . (٥) ابن هشام : نقضت .

الأساس الأول ، فأبصر القوم بَرَقَة تحت الحجر كادت تلمع بصرَ الرجل ونزا الحجر من يده فوق في موضعه ، وفزع الرجل والبُناة . فلما ستر الحجر عنهم ما تحته إلى مكانه عادوا إلى بتيانهم ، وقالوا لا تحركوا هذا الحجر ولا شيئاً بجذائه .

قال ابن اسحاق : وحدث أن قريشاً وجدوا في الركن كتاباً بالسريانية فلم يعرفوا ما هو ، حتى قرأه لهم رجل من يهود ، فإذا هو أنا الله ذو بَكَّة ، خلقتها يوم خلقت السماوات والأرض ، وصورت الشمس والقمر ، وحققها بسبعة أملاك حنفاء لا تزول حتى يزول أخشابها - قال ابن هشام : يعنى جبلاها - مبارك لأهلها في الماء واللبن .

قال ابن اسحاق : وحدث أنهم وجدوا في المقام كتاباً فيه : مكة [بيت ^(١)] الله الحرام ، يأتيها رزقها من ثلاثة سبل ، لا يُحَلُّها أول من أهلها .

قال : وزعم ليثُ بن أبي سليم أنهم وجدوا [حجرًا ^(٢)] في الكعبة قبل مَبْعَث النبي صلى الله عليه وسلم بأربعين سنة ، إن كان ما ذكر حقاً ، مكتوباً فيه : مَنْ يزرع خيراً يحصد غبطة ، ومن يزرع شراً يحصد ندامة ، تعملون السيئات وتُجْزَوْنَ الحسنات ؟ ! أجل كما [لا ^(٣)] يحتنى من الشوك العنب .

وقال سعيد بن يحيى الأموى : حدثنا المعتمر بن سليمان الرقى ، عن عبد الله بن بشر الزهرى - يرفع الحديث إلى النبي صلى الله عليه وسلم - قال : « وجد في المقام ثلاثة أصفح ، في الصفح الأول : إني أنا الله ذو بَكَّة ، صنعتُها يوم صنعت الشمس والقمر ، وحققها بسبعة أملاك حنفاء ، وباركت لأهلها في اللحم واللبن .

(١) سقطت من المطبوعة .

(٢) سقطت من المطبوعة .

(٣) من ابن هشام .

وفي الصفح الثاني : إني أنا الله ذو بَكَّة ، خلقت الرحم وشققت لها من اسمي ، فمن وصلها وصلته ، ومن قطعها بَدَّته .

وفي الصفح الثالث : إني أنا الله ذو بكة ، خلقت الخير والشر وقدرته ، فطوبى لمن أجريت الخير على يديه ، وويل لمن أجريت الشر على يديه .

قال ابن اسحاق : ثم إن القبائل من قريش جمعت الحجارة لبنائها ، كل قبيلة تجمع على حدة .

ثم بنوها حتى بلغ البناء موضع الركن ، فاختصموا فيه ، كل قبيلة تريد أن ترفعه إلى موضعه دون الأخرى . حتى تحاوروا^(١) وتحالفوا ، وأعدوا للقتال فقررت بنو عبد الدار جفنة مملوءة دماً ؛ ثم تعاهدواهم وبنو عدي بن كعب بن لؤي على الموت ، وأدخلوا أيديهم في ذلك الدم في تلك الجفنة . فسُموا لَعَقَة الدم .

فكثت قريش على ذلك أربع ليال أو خمساً ، ثم إنهم اجتمعوا في المسجد فتشاوروا وتناصفوا .

فرغم بعض أهل الرواية أن أبا أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر^(٢) بن مخزوم — وكان عامئذ أسن قريش كلها ، قال : يامعشر قريش اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل من باب هذا المسجد يقضى بينكم فيه ، ففعلوا .

فكان أول داخل دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رأوه قالوا : هذا الأمين رضينا ، هذا محمد . فلما انتهى إليهم وأخبروه الخبر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هلموا إلي ثوباً » . فأتى به وأخذ الركن فوضعه فيه بيده ثم قال : « لتأخذ كل قبيلة

(١) وتروى : تحاوروا بالزاي . أى انحازت كل قبيلة إلى جهة . وفي ط : تحاوروا أو تحالفوا وهو خطأ

(٢) ط : عمرو ، وهو خطأ .

بناحية من الثوب . ثم ارفعوه جميعاً » ففعلوا حتى إذا بلغوا به موضعه وضعه هو بيده صلى الله عليه وسلم . ثم بنى عليه .

وكانت قريش تسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمين .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد ، حدثنا ثابت - يعني أبا يزيد - حدثنا هلال يعني ابن حبان ، عن مجاهد عن مولاة - وهو السائب بن عبد الله - أنه حدثه أنه كان فيمن بنى الكعبة في الجاهلية قال : وكان لى حجر أنا نحتته أعبدته من دون الله ، قال : وكنت أجيء بالابن الخائر الذى آفقه على نفسى فأصبه عليه فيجىء الكلب فيلحسه ثم يشغرى فيبول عليه ؛ قال : فبنينا حتى بلغنا موضع الحجر ولا يرى الحجر أحد . فإذا هو وسط أحجارنا مثل رأس الرجل يكاد يترأى منه وجه الرجل . فقال بطن من قريش : نحن نضعه . وقال آخرون : نحن نضعه . فقالوا : اجعلوا بينكم حكماً . فقالوا : أول رجل يطلع من الفج . فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : أتاكم الأمين . فقالوا له ، فوضعه في ثوب . ثم دعا بطونهم فرفعوا نواحيه فوضعه هو صلى الله عليه وسلم ^(١) .

قال ابن إسحاق : وكانت الكعبة على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ثمانى عشرة ذراعاً وكانت تُكسى القباطى ^(٢) . ثم كسيت بعد البرود ^(٣) . وأول من كساها الديباج الحجاج بن يوسف .

قلت : وقد كانوا أخرجوا منها الحجر - وهو ستة أذرع أو سبعة أذرع من ناحية الشام - قصرت بهم النفقة ، أى لم يتمكنوا أن يبنوه على قواعد إبراهيم . وجعلوا للكعبة باباً واحداً من ناحية الشرق . وجعلوه مرتفعاً لئلا يدخل إليها كل أحد فيدخلوا من شاءوا ويمنعوا من شاءوا .

(١) القباطى : نوع من الثياب كان ينسج بمصر .

(٢) المطبوعة : البرود وهو خطأ .

وقد ثبت في الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها : « ألم ترى أن قومك قصرت بهم النفقة . ولولا حُدُثان قومك بكفرٍ لَنَقَضْتُ الكعبةَ وجعلت لها باباً شرقياً وباباً غربياً ، وأدخلت فيها الحِجْرَ » .

ولهذا لما تمكن ابنُ الزبير بنها على ما أشار إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاءت في غاية البهاء والحسن والسناء كاملة على قواعد الخليل ، لها بابان ملتصقان بالأرض شرقياً وغربياً ، يدخل الناس من هذا ويخرجون من الآخر .

فلما قتل الحجاجُ ابنَ الزبير كتب إلى عبد الملك بن مروان ، وهو الخليفة يومئذ ، فيما صنعه ابن الزبير ، اعتقدوا أنه فعل ذلك من تلقاء نفسه .

فأمر بإعادتها إلى ما كانت عليه فعمدوا إلى الحائط الشامي فحسّوه وأخرجوا منه الحِجْرَ ورسّوا حجارته في أرض الكعبة ، فارتفع باباها وسدّوا الغربي ، واستمر الشرقي على ما كان عليه ، فلما كان في زمن المهدي - أو ابنه المنصور - استشار مالكا في إعادةها على ما كان صنعه ابن الزبير . فقال مالك رحمه الله : إني أكره أن يتخذها الملوك مَلْعَبَةً

فتركها على ما هي عليه . فهي إلى الآن كذلك

وأما المسجد الحرام : فأول من آخر البيوت من حول الكعبة عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه ، اشتراها من أهلها وهدمها ، فلما كان عثمان اشترى دوراً وزادها فيه ، فلما ولى ابن الزبير أحكم بنيانه ، وحسّن جدرانه وأكثر أبوابه . ولم يوسّعه شيئاً آخر .

فلما استبد بالأمر عبد الملك بن مروان زاد في ارتفاع جدرانه ، وأمر بالكعبة فكسيت الديباج . وكان الذي تولى ذلك بأمره الحجاج بن يوسف .

وقد ذكرنا قصة بناء البيت والأحاديث الواردة في ذلك في تفسير سورة البقرة عند

قوله ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾ وذكرنا ذلك مطولاً مستقصى ، فمن شاء كتب به هاهنا . والله الحمد والمنة .

قال ابن إسحاق : فلما فرغوا من البنيان وبنوها على ما أرادوا قال الزبير بن عبد المطلب ^(١) ، فيما كان من أمر الحية التي كانت قريش تهاب بنيان الكعبة لها :

عجبتُ لما تصوّبت العقابُ	إلى الثعبان وهي لها اضطرابُ
وقد كانت تكون لها كَشِيشٌ	وأحيانا يكون لها وثابُ
إذا قُمْنَا إلى التأسيسِ شَدَّتْ	تهيئنا البناءِ وقد نهابُ
فله أنْ خَشِينَا الزجرَ جاءتْ	عُقَابٌ تتأبُّ ^(٢) لها انصبابُ
فضمَّتها إليهما ثم خَلَّتْ	لنا البنيان ليس لها حجابُ
فقمنا حاشدين إلى بناءِ	لنا منه القواعد والترابُ
غداة يُرْفَعُ التأسيسُ منه	وليس على مساويننا ثيابُ
أعزَّ به المليكُ بنى لؤيٍّ	فليس لأصله منهم ذهابُ
وقد حشدت هناك بنو عدى	ومرَّةً قد تقدما كلابُ
فبونا المليكُ بذاك عِزًّا	وعند الله يُلتمس الثوابُ

وقد قدّمنا في فصلٍ ما كان الله يحوط به رسوله صلى الله عليه وسلم من أقدار الجاهلية ، أنه كان هو والعباس عمه ينقلان الحجارة ، وأنه عليه الصلاة والسلام لما وضع إزاره تحت الحجارة على كتفه نهى عن خلع إزاره ، فأعاده إلى سيرته الأولى .

(١) يبدو على تلك الآيات الصنعة والتكلف ، ولا تصح نسبتها إلى الزبير .

(٢) تتلَّب : تقيم صدرها ورأسها . والفعل : اتلاب .

فصل

وذكر ابن إسحاق ما كانت قريش ابتدعوه في تسميتهم الخمس ، وهو الشدة في الدين والصلابة .

وذلك لأنهم عظموا الحرم تعظيماً زائدا بحيث التزموا بسببه أن لا يخرجوا منه ليلة عرفة . وكانوا يقولون : نحن أبناء الحرم وقطآن بيت الله .

فكانوا لا يقفون بعرفات مع علمهم أنها مشاعر إبراهيم عليه السلام ، حتى لا يخرجوا عن نظام ما كانوا قرّروه من البدعة الفاسدة . وكانوا لا يدخرون من الابن أقطاً ولا ستماً ولا يسلون شحماً وهم حُرُم . ولا يدخلون بيتاً من شعر ولا يستظلون إن استظلوا إلا ببیت من آدم . وكانوا يمنعون الحجيج والعُمّار - ماداموا مُحَرَّمين - أن يأكلوا إلا من طعام قريش ، ولا يطوفوا إلا في ثياب قريش ، فإن لم يجد أحد منهم ثوب أحد من الخمس ، وهم قريش وما ولدوا ومن دخل معهم من كنانة وخزاعة ، طاف عريانا ، ولو كانت امرأة ، ولهذا كانت المرأة إذا اتفق طوافها لذلك وضعت يدها على فرجها وتقول :

اليومَ يَبْدُو بَعْضُهُ أَوْ كُلُّهُ وَمَا بَدَا مِنْهُ فَلَا أَحَدَهُ

فإن تكرّم أحدٌ ممن يجد ثوبَ أَلْحَمْسٍ فطاف في ثياب نفسه فعليه إذا فرغ من الطواف أن ياقبها فلا ينتفع بها بعد ذلك . وليس له ولا لغيره أن يمسه . وكانت العرب تسمى تلك الثياب : « اللَّحْي » قال بعض الشعراء .

كَفَى حَزَنًا كَرَّيْ عَلَيْهِ كَأَنَّهُ لَقِيَ بَيْنَ أَيْدِي الطَّاغُوتِ حَرِيمُ

قال ابن إسحاق : فكانوا كذلك حتى بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم وأنزل

عليه القرآن ردًّا عليهم فيما ابتدعوه فقال « ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ » ^(١) أى
جمهور العرب من عرفات « واستغفروا الله إن غفور رحيم » ^(٢).

وقد قدّمنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقفُ بعرفات قبل أن ينزل عليه
توفيقاً من الله له .

وأنزل الله عليه ردًّا عليهم فيما كانوا حرّموا من اللباس والطعام على الناس « يَا بَنِي
آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ :
قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ » ^(٣) الآية .

وقال زياد البكائي ^(٤) ، عن ابن إسحاق : ولا أدري أكان ابتداعهم لذلك قبل
الفيل أو بعده .

(١) سورة البقرة ١٩٩ . (٢) سورة الأعراف ٣١ ، ٣٢ (٣) هو : أبو محمد زياد .
ابن عبد الله بن طفيل القيسي العامري البكائي راوى السيرة عن ابن إسحاق . توفي سنة ١٨٣ هـ

كتاب مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليماً كثيراً

وذكر شيء من البشارات بذلك

قال محمد بن إسحاق رحمه الله : وكانت الأخبار من اليهود ، والرهبان من النصارى ، والكهّان من العرب ^(١) قد تحدّثوا بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه لما تقارب زمانه .

أما الأخبار من اليهود والرهبان من النصارى فعلاً وجدوا في كتبهم من صفته وصفة زمانه ، وما كان من عهد أنبيائهم إليهم فيه .

قال الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَدْعُوهُمْ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ^(٢) ۞ .

وقال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ^(٣) ۞ . وقال الله تعالى : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ

رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ، ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ

(١) العبارة محرفة المطبوعة والمخطوطة : « وكانت الأخبار من اليهود والكهّان من النصارى ومن العرب » وما أثبتته من ابن هشام . (٢) سورة الأعراف ١٥٧ . (٣) سورة الصف ٦ .

الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا^(١) . وقال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ ، قَالَ أَأَقْرَضُكُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي ؟ قَالُوا أَقْرَضْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ^(٢) .

وفي صحيح البخارى عن ابن عباس قال : « مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا أَخَذَ عَلَيْهِ الْمِيثَاقَ ، لَنْ يُبْعَثَ مُحَمَّدٌ وَهُوَ حَيٌّ لِيُؤْمِنَ بِهِ وَلِيَنْصُرَنَّهُ . وأمره أن يأخذ على أمته الميثاق لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه وليتبعنه » .

يُعلم من هذا أن جميع الأنبياء بشرُوا وأمروا باتباعه .

وقد قال إبراهيم عليه السلام فيما دعا به لأهل مكة : ﴿ رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ^(٣) » وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو النضر ، حدثنا الفرج بن فضالة ، حدثنا لقمان بن عامر ، سمعت أبا أمامة قال : قلت : يا رسول الله ، ما كان بدء أمرك .

قال : « دعوة أبي إبراهيم ، وبُشْرَى عيسى ، ورأت أمى أنه يخرج منها نورٌ أضاءت له قصور الشام » .

وقد روى محمد بن إسحاق عن ثور بن يزيد ، عن خالد بن معدان عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه مثله .

ومعنى هذا أنه أراد : بدء أمره بين الناس واشتهار ذكره وانتشاره ، فذكر دعوة إبراهيم الذى تنسب إليه العرب ، ثم بشرى عيسى الذى هو خاتم أنبياء بنى إسرائيل كما تقدم . يدل هذا على أن من بينهما من الأنبياء بشرُوا به أيضا .

أما في اللأ الأعلى فقد كان أمره مشهوراً مذكوراً من قبل خلق آدم عليه الصلاة والسلام . كما قال الإمام أحمد :

حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، حدثنا معاوية بن صالح ، عن سعيد بن مؤيد الكلبي عن عبد الأعلى بن هلال السلمي ، عن العرياض بن سارية ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إني عند ^(١) الله خاتم النبيين ، وإن آدم لمنجدل في طينته ، وسأنيكم بأول ذلك ، دعوة أبي إبراهيم ، وبشارة عيسى بي ، ورؤيا أمي التي رأت ، وكذلك أمهات المؤمنين » .

وقد رواه الليث عن معاوية بن صالح وقال : إن أمه رأت حين وضعته نوراً أضاءت منه قصور الشام .

وقال الإمام أحمد أيضاً : حدثنا عبد الرحمن ، حدثنا منصور بن سعد ، عن بديل بن ميسرة ، عن عبد الله بن شقيق ، عن ميسرة الفجر قال : قلت يا رسول الله ، متى كنت نبياً ؟ قال : « وآدم بين الروح والجسد » .
تفرد بهن أحمد .

وقد رواه عمر بن أحمد بن شاهين في كتاب « دلائل النبوة » من حديث أبي هريرة فقال : حدثنا عبد الله بن محمد بن عبد العزيز - يعني أبا القاسم البغوي - حدثنا أبو همام الوليد بن مسلم ، عن الأوزاعي ، حدثني يحيى ، عن أبي سامة ، عن أبي هريرة قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم متى وجبت لك النبوة ؟ قال : « بين خلق آدم ونفخ الروح فيه » .

ورواه من وجه آخر عن الأوزاعي به . وقال : « وآدم منجدل في طينته » .
وروى عن البغوي أيضاً عن أحمد بن المقدم ، عن بَقِيَّة بن سعيد بن بشير ، عن

هَتَادَة ، عن أبي هريرة - مرفوعاً - في قول الله تعالى : « وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ ^(١) » قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كُنتَ أَوَّلَ النَّبِيِّينَ فِي الْخَلْقِ وَآخِرُهُمْ فِي الْبَعْثِ » .

ومن حديث أبي مُزَاحِم ، عن قيس بن الربيع ، عن جابر ، عن الشعبي ، عن ابن عباس قيل : يا رسول الله متى كنت نبياً ؟ قال : « وآدم بين الروح والجسد » .

وأما الكهان من العرب فأتتهم به الشياطين من الجن مما تَسْتَرِقُ من السَّمْع ، إذ كانت وهى لا تُحْجِبُ عن ذلك بالقذف بالنجوم ، وكان الكاهن والكاهنة لا يزال يقع منهما بعض ذكر أموره ^(٢) ، ولا يلقى العرب لذلك فيه بالا . حتى بعثه الله تعالى ، ووقعت تلك الأمور التي كانوا يذكرون فعرفوها .

فلما تقارَب أمرُ رسول الله صلى الله عليه وسلم وحضر زمان مبعثه حُجِبَت الشياطين عن السَّمْع ، وحِيلَ بينها وبين المقاعد التي كانت تقعد لاستراق السَّمْع فيها ، فرموا بالنجوم ، فعرفت الشياطين أن ذلك لأمرٍ حدث من أمر الله عز وجل .

قال : وفي ذلك أنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم « قُلْ أُوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا نَقْرَآنَا رَجَّيْنَا بِرُوحِ اللَّهِ قُرْآنَكَ رَبِّنا فَاتَّقِ اللَّهَ إِنَّكَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ هَدِيَّتٌ وَإِنِّ لَنَشْكُرُ » .

وقد ذكرنا تفسير ذلك كله في كتابنا التفسير ، وكذا قوله تعالى : « وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمْعُونَ الْقُرْآنَ ، فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا : أَنْصِتُوا ، فَلَمَّا قُضِيَ وَلَوْا

(١) سورة الأحزاب . (٢) الضمير يرجع إلى الرسول صلوات الله عليه .

إلى قومهم مُنْذِرِينَ ، قالوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ « الآيات ، ذكرنا تفسير ذلك كله هناك .

قال محمد بن إسحاق : حدثني يعقوب بن عُتْبَةَ بن المغيرة بن الأَخْنَس ، أنه حَدَّثَ أن أول العرب فَرَزَ لارمى بالنجوم حين رُمِيَ بها - هذا الحَيُّ من ثَقِيف - وأنهم جاءوا إلى رجل منهم يقال له : عمرو بن أمية أحد بني عِلَاج ، وكان أَدَهَى العرب وأنكرها^(١) ، فقالوا له : يا عمرو ألم تَرَ ما حدث في السماء من القذف بهذه النجوم ؟

قال : بلى ، فانظروا فإن كانت معالمُ النجوم التي يُهْتَدَى بها في البرِّ والبحر ، ويعرف بها الأنواء من الصيف والشتاء ، لِمَا يصاح الناس في معاشهم هي التي يرمى بها ، فهو والله طَيُّ الدنيا ، وهلاكُ هذا الخلق ، وإن كانت نجومًا غيرها وهي ثابتة على حالها فهذا الأمرِ أراد الله به هذا الخلق فما هو ؟ .

قال ابن إسحاق : وحدثني بعض أهل العلم أن امرأة من بني سَهْم - يقال لها الغَيْطَلَة - كانت كاهنة في الجاهلية ، جاءها صاحبها ليلسة من الليالي فانقضَّ تحتها ، ثم قال : أَدُر ما أَدُر^(٢) ، يومُ عَقَر ونحر ؟ قالت قریش حين بلغها ذلك : ما يريد ؟

ثم جاءها ليلة أخرى فانقضَّ تحتها ثم قال : شُعُوب^(٣) ما شعوب ؟ تصرع فيه كَعْبُ لِحْنُوب . فلما بلغ ذلك قریشا قالوا : ماذا يريد ؟ إن هذا الأمر هو كائن فانظروا ما هو .

(١) أنكرها : من النكر بمعنى الدهاء . وفي ط خ : وأمكرها وهو تحريف .

(٢) في الاكتفاء للكلامى : بدر ما بدر . وهو أصح .

(٣) شعوب : جمع شعب . ويشير إلى ذلك قوله : فما عرفوه حتى كانت وقعة بدر وأحد بالشعب .

فما عرفوه حتى كانت وقعة بدر وأُخذ بالشَّعب ، فعرفوا أنه كان الذى جاء به إلى صاحبه .

قال ابن إسحاق : وحدثني على بن نافع الجرشى أن جَنَّبَا - بطنا من اليمن - كان لهم كاهن فى الجاهلية ، فلما ذكر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتشر فى العرب ، قالت له جَنَّب : انظر لنا فى أمر هذا الرجل . واجتمعوا له فى أسفل جبله .

فنزل إليهم حين طلعت الشمس فوقف لهم قائماً متكئاً على قوس له فرفع رأسه إلى السماء طويلاً ، ثم جعل ينزو ، ثم قال : أيها الناس إن الله أكرم محمداً واصطفاه ، وطهر قلبه وحشاه ، ومُكثه فيكم أيها الناس قليل . ثم اشتد فى جبله راجعاً من حيث جاء . ثم ذكر ابن إسحاق قصة سوادِ بن قارب . وقد أخرجناها إلى هواتف الجان .

فصل

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قَتَادَة ، عن رجال من قومه ، قالوا إن مما دعانا إلى الإسلام - مع رحمة الله تعالى وهداه لنا - أن كنا نسمع من رجل من يهود^(١) - كنا أهل شرك أصحاب أوثان ، وكانوا أهل كتاب عندهم علم ليس لنا ، وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور ، فإذا نلنا منهم بعض مايكرهون قالوا لنا : إنه قد تقارب زمانُ نبيٍّ يبعث الآن نقاتكم معه قتل عاد وإرم . فكنا كثيراً مانسمع ذلك منهم .

فلما بعث الله رسولاً الله صلى الله عليه وسلم أجنبناه حين دعانا إلى الله ، وعرفنا ما كانوا يتوعدوننا به . فبادرناهم إليه ، فأمننا به وكفروا به .

ففينا وفيهم نزلت هذه الآية . « ولَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا

(١) ابن هشام : لما كنا نسمع من رجال من يهود .

مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا ، فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ « (١) .

وقال ورقاء : عن ابن أبي نجيح ، عن علي الأزدي : كانت اليهود تقول : اللهم ابعث لنا هذا النبي يحكم بيننا وبين الناس يستفتحون به - أي يستنصرون به .
رواه البيهقي .

ثم روى من طريق عبد الملك ابن هارون بن عنبرة ، عن أبيه ، عن جده ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : كانت اليهود بخير تقاتل غطفان ، فكلما التقوا هزمت يهود خيبر ، فعاذت اليهود بهذا الدعاء فقالوا : اللهم نسألك بحق محمد النبي الأمي الذي وعدتنا أن تخرجه في آخر الزمان إلا نصرتنا عليهم .
قال : فكانوا إذا التقوا دعوا بهذا الدعاء فهزموا غطفان .

فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم كفروا به . فأنزل الله عز وجل « وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا » الآية .

وروى عطية عن ابن عباس نحوه . وروى عن عكرمة من قوله نحو ذلك أيضاً .

قال ابن إسحاق : وحدثني صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، عن محمود بن لبيد ، عن سلمة بن سلام (٢) بن وقش ، وكان من أهل بدر ، قال : كان لنا جار من يهود في بني عبد الأشهل ، قال فخرج علينا يوما من بيته حتى وقف على بني عبد الأشهل .

قال سلمة : وأنا يومئذ أحدث من فيه سناً على فروة لي مصطجع فيها بفناء أهلي .

فذكر القيامة والبعث والحساب والميزان والجنة والنار .

قال : فقال ذلك لقوم أهل شرك أصحاب أوثنان ، لا يرون أن بعثاً كائنٌ بعد الموت .

فقالوا له : ويحك يا فلان ! أو ترى هذا كائناً ، أن الناس يبعثون بعد موتهم إلى دار فيها جنة ونار يجزون فيها بأعمالهم ؟

قال : نعم ، والذي يخلف به ، ويود ^(١) أن له تحطة من تلك النار أعظم تنور في الدار يحمونه ثم يدخلونه إياه فيطبقونه عليه وأن ينجو من تلك النار غداً .

قالوا له : ويحك يا فلان فما آية ذلك ؟

قال : نبي مبعوث من نحو هذه البلاد . وأشار بيده إلى نحو مكة واليمن .
قالوا : ومتى نراه ؟

قال : فنظر إليّ وأنا من أحدثهم سناً - فقال : إن يستنفذ هذا الغلام عمره يدركه .

قال سلمة : فوالله ما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم وهو حتى بين أظهرنا ، فآمنّا به وكفر به بغياً وحسداً !

قال : فقلنا له ويحك يا فلان ! ألسنت بالذي قلت لنا فيه ما قلت ؟

قال : بلى ؛ ولكن ليس به .

رواه أحمد عن يعقوب عن أبيه عن ابن عباس . ورواه البيهقي عن الحاكم بإسناده من طريق يونس بن بكير .

وروى أبو نعيم في الدلائل عن عاصم بن عمر بن قتادة ، عن محمود بن لبيد ، عن محمد

(١) ابن هشام : ولود .

ابن سامة ، قال : لم يكن في بني عبد الأشهل إلا يهودىً واحد يقال له يوشع ، فسمعتة يقول ، وإني لغلّامٌ في إزار : قد أظلكم خروجُ نبي يُبعث من نحو هذا البيت . ثم أشار بيده إلى بيت الله ، فمن أدركه فليصدّقه .

فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلمنا وهو بين أظهرنا لم يسلم حسداً وبغياً . وقد قدمنا حديثَ أبي سعيد عن أبيه في إخبار يوشع هذا عن خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم وصفته ونعته ، وإخبار الزبير بن باطا عن ظهور كوكب مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ورواه الحاكم عن البيهقي بإسناده من طريق يونس بن بكير عنه .

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن شيخ من بني قريظة قال قال لي : هل تدري عمّ كان إسلام ثعلبة بن سَعْيَة وأسيد بن سَعْيَة ، وأسد بن عبيد - نفر من بني هذيل ، إخوة بني قريظة كانوا معهم في جاهليتهم ، ثم كانوا ساداتهم في الإسلام ؟

قال : قلت لا .

قال : فإن رجلاً من اليهود من أرض الشام يقال له ابن الهَيَّيَّان قدم علينا قبل الإسلام بسنين ، فخلَّ بين أظهرنا ، لا والله مارأينا رجلاً قط لا يصلي الخُمس أفضل منه .

فأقام عندنا فكنا إذا قحط عنا المطر قلنا له : اخرج يا ابن الهَيَّيَّان فاستسق لنا . فيقول : لا والله حتى تقدّموا بين يدي مخرّجكم صدقة . فنقول له : كم ؟ فيقول : صاعاً من تمر ، أو مُدَّين من شعير .

قال : فنخرجها ، ثم يخرج بنا إلى ظاهر حَرَّتْنَا فيستسقى لنا ، فوالله ما يبرح مجلسه حتى يمر السحاب ويسقى . قد فعل ذلك غيره مرة ولا مرتين ولا ثلاثا .

قال : ثم حضرته الوفاة عندنا ، فلما عرف أنه ميت قال : يامعشر يهود ، ماترونه أخرجني من أرض الحمر والخمير إلى أرض البؤس والجوع ؟

قال : قلنا أنت أعلم .

قال : فإني إنما قدِمْتُ هذه البلدة أتوكِّف خروجَ نبي قد أظَلَّ زمانه ، هذه البلدة مهاجرة فكنت أرجو أن يُبعث فأتبعه ، وقد أظلكم زمانه فلا تُسَبِّقن إليه يامعشر يهود ، فإنه يُبعث بسفك الدماء وسبِّي الذراري من خالفه ، فلا يمنعنكم ذلك منه .

فلما بُعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاصر بني قريظة قال هؤلاء الفتية ، و كانوا شبابا أحداثا ، : يا بني قريظة والله إنه للنبي الذي عهد إليكم فيه ابن الهَيَّيَّان . قالوا : ليس به . قالوا : بلى والله ؛ إنه هو بصفته . فنزلوا فأسلموا فأحرزوا دماءهم وأموالهم وأهليهم .

قال ابن إسحاق : فهذا ما بلغنا عن أحبار يهود .

قلت : وقد قدمنا في قدوم تُبَّع اليماني ، وهو أبو كَرِب تُتَّان أسعد ، إلى المدينة ومحاصرته إياها ، وأنه خرج إليه ذانك الخبران من اليهود فقالا له : إنه لا سبيل لك عليها ، إنها مهاجرة نَجِيَّ يكون في آخر الزمان . فثَنَاهُ ذلك عنها .

وقد روى أبو نعيم في الدلائل من طريق الوليد بن مسلم ، حدثنا محمد بن حمزة بن يوسف بن عبد الله بن سلام ، عن أبيه عن جده . قال : قال عبد الله بن سلام : إن الله لما أراد هُدَى زيد بن سَعِيَّة قال زيد : لم يَبَقْ شيء من علامات النبوة إلا وقد عرفتُها في

وجه محمد صلى الله عليه وسلم ، حين نظرت إليه إلا اثنتين لم أخبرهما منه : يسبق حلمه وجهه ، ولا يزيده شدة الجبل عليه إلا حلمًا .

قال : فكنت أتألف له لأن أخالطه فأعرف حلمه وجهه ، فذكر قصة إسلافه للنبي صلى الله عليه وسلم مألًا في ثمرة . قال : فلما حلَّ الأجل أتيتُه فأخذت بمجامع قميصه وردائه - وهو في جنازة مع أصحابه - ونظرت إليه بوجه غليظ ، وقلت : يا محمد ألا تقضيني حقى ؟ فوالله ما علمتكم بنى عبد المطلب لمُطْلًا .

قال : فنظر إلى عمر وعيناه تدوران في وجهه كالفلك المستدير . ثم قال : يا عدو الله أتقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما أسمع ، وتفعل ما أرى ؟ فوالذى بعثه بالحق لولا ما أحاذر لومَه لضربت بسيفي رأسك .

ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر إلى عمر في سكون وتؤدة وتبسم . ثم قال : « أنا وهو كنا أحوج إلى غير هذا منك يا عمر ، أن تأمرنى بحسن الأداء ، وتأمره بحسن التباعة ، اذهب به يا عمر فاقضه حقه . وزد عشرين صاعًا من تمر . »

فأسلم زيد بن سَعْيَة رضى الله عنه . وشهد بقية المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتوفى عام تبوك رحمه الله .

ثم ذكر ابن إسحاق رحمه الله : إسلام سلمان الفارسى رضى الله عنه وأرضاه ، فقال : حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة الأنصارى ، عن محمود بن لبيد ، عن عبد الله بن عباس ، قال : حدثنى سلمان الفارسى - من فيه - قال :

كنت رجلاً فارسياً من أهل أصبهان ، من أهل قرية يقال لها جَبِي ، وكان أبى دِهْمَان قريته ، وكنت أحبَّ خلق الله إليه ، فلم يزل حبه إياى حتى حبسنى فى بيته كما تحبس الجارية .

واجتهدت في المجوسية ، حتى كنت قَطُن النار الذي يوقدها لا يتركها
تخبو ساعة .

قال : وكانت لأبي ضيعة عظيمة ، قال : فشغل في بنيان له يوماً فقال لي : يا بني إني
قد شغلت في بنياني هذا اليوم عن ضيعتي ، فاذهب إليها فاطَّلَعْهَا ، وأمرني فيها ببعض
ما يريد . ثم قال لي : ولا تحتبس عني فإنك إن احتبست عني كنت أهمَّ إلي من ضيعتي
وشغلتني عن كل شيء من أمري .

قال : فخرجت أريد ضيعتي التي بعثني إليها ، فمررت بكنيسة من كنائس النصارى ،
فسمعت أصواتهم فيها وهم يصلُّون . وكنت لا أدري ما أمرُ الناس ، لحبس أبي إياي في
بيته ، فلما سمعت أصواتهم دخلت عليهم أنظر ما يصنعون ، فلما رأيتهم أعجبتني صلاتهم
ورغبت في أمرهم . وقلت : هذا والله خير من الدين الذي نحن عليه .

فوالله ما برحتهم حتى غربت الشمس وتركت ضيعة أبي فلم آتها .

ثم قلت لهم : أين أصلُ هذا الدين ؟ قالوا : بالشام .

فرجعت إلى أبي وقد بعث في طلبي وشغلته عن أمره كله . فلما جئت قال : أي
بنيَّ أين كنت ؟ ألم أكن أعهد إليك ما عهدته ؟ قال : قلت يا أبتِ مررت بأناس
يصلون في كنيسة لهم ، فأعجبني ما رأيت من دينهم ، فوالله ما زلت عندهم حتى
غربت الشمس .

قال : أي بني ، ليس في ذلك الدين خير ، دينك ودين آبائك خير منه .

قال : قلت : كلا والله إنه لخير من ديننا .

قال : نخافني فجعل في رجلي قيداً ثم حبسني في بيته .

قال : وبعثت إلى النصارى فقلت لهم : إذا قدم عليكم ركب من الشام فأخبروني

بهم . قال : مقدم عليهم ركب من الشام فجاءوني النصرارى فأخبروني بهم . فقلت : إذا قضوا حوائجهم وأرادوا الرجعة إلى بلادهم فآذِنُونِي .

قال : فلما أرادوا الرجعة إلى بلادهم أخبروني بهم ، فألقيت الحديد من رجلى ثم خرجت معهم حتى قدمت الشام ، فلما قدمتها قلت : من أفضل أهل هذا الدين علماً ؟ قالوا الأسقفُ في الكنيسة .

قال فجئته فقلت له : إني قد رغبت في هذا الدين وأحببت أن أكون معك وأخدمك في كنيستك وأتعلّم منك فأصلى معك . قال : ادخل .

فدخلت معه ، فكان رجلاً سوء ، يأمرهم بالصدقة ويرغبهم فيها ، فإذا جمعوا له شيئاً كنزه لنفسه ولم يُعطه المساكين ، حتى جمع سبع قِلَالٍ من ذهب وورق .

قال : وأبغضتُه بغضاً شديداً لما رأيته يصنع .

ثم مات واجتمعت له النصرارى ليدفنوه . فقلت لهم : إن هذا كان رجلاً سوء ، يأمركم بالصدقة ويرغبكم فيها ، فإذا جئتموه بها كنزها لنفسه ولم يُعط المساكين منها شيئاً .

قال : فقالوا لي : وما علمك بذلك ؟ قال : فقلت لهم أنا أدلكم على كنزه . قالوا : فدُلُّنا . قال : فأريتهم موضعه ، فاستخرجوا سبع قِلَالٍ مملوءة ذهباً وورقاً ، فلما رأوها قالوا : لا ندفنه أبداً . قال : فصلبوه ورجعوه بالحجارة .

وجاءوا برجل آخر فوضعه مكانه . قال سلمان : فما رأيت رجلاً لا يصلى الخمس أرى أنه أفضل منه ، وأزهد في الدنيا ولا أرغب في الآخرة ، ولا أدأب ليلاً ونهاراً . قال : فأحببته حباً لم أحب شيئاً قبله مثله .

قال : فأقمت معه زماناً ، ثم حضرته الوفاة ، فقلت له : إني قد كنت معك ،

وأحببتك حباً لم أحبه شيئاً قبلك ، وقد حضرك ما ترى من أمر الله تعالى ، فإلى من توصى بي ؟ وبم تأمرني ^(١) ؟ قال : أى بنى والله ما أعلم اليوم أحداً على ما كنت عليه ، لقد هلك الناس وبدلوا وتركوا أكثر ما كانوا عليه ، إلا رجلاً بالموصل ، وهو فلان ، وهو على ما كنت عليه فالحق به .

قال : فلما مات وغيب لحقت بصاحب الموصل . فقلت : يا فلان ، إن فلاناً أوصاني عند موته أن ألقى بك ، وأخبرني أنك على أمره . فقال لى : أقم عندي .

فأقمت عنده فوجدته خير رجل على أمر صاحبه ، فلم يلبث أن مات ، فلما حضرته الوفاة قلت له : يا فلان إن فلاناً أوصى بى إليك وأمرنى بالحق بك ، وقد حضرك من أمر الله ما ترى ، فإلى من توصى بى ، وبم تأمرني ؟ قال : يا بنى والله ما أعلم رجلاً على مثل ما كنا عليه ، إلا رجلاً بنصيبين ، وهو فلان ، فالحق به .

فلما مات وغيب لحقت بصاحب نصيبين ، فأخبرته خبرى وما أمرنى به صاحباى . فقال : أقم عندي . فأقمت عنده ، فوجدته على أمر صاحبيه ، فأقمت مع خير رجل ، فو الله ما لبث أن نزل به الموت ، فلما حضر قلت له : يا فلان إن فلاناً كان أوصى بى إلى فلان ، ثم أوصى بى فلان إلى فلان ، ثم أوصى بى فلان إليك ، فإلى من توصى بى وبم تأمرني ؟

قال : يا بنى والله ما أعلمه بقى أحداً على أمرنا آمرك أن تأتيه ، إلا رجلاً بعُمورية من أرض الروم ، فإنه على مثل ما نحن عليه . فإن أحببت فائمه ، فإنه على أمرنا .

فلما مات وغيب لحقت بصاحب عُمورية ، فأخبرته خبر ، فقال : أقم عندي . فأقمت عند خير رجل على هدى أصحابه وأمرهم . قال : واكتسبت حتى كانت لى بقرات وغنيمة .

(١) الأصل : وبم تأمرني به . وهو لا يستقيم

قال : ثم نزل به أمر الله ، فلما حضر قلت له : يا فلان إني كنت مع فلان فأوصى بي إلى فلان ، ثم أوصى بي فلان إلى فلان ، ثم أوصى بي فلان إلى فلان . ثم أوصى بي فلان إليك ، فأى مَنْ توصى بي وبم تأمرنى ؟

قال : أى بنى ، والله ما أعلم أصبح أحدٌ على مثل ما كنا عليه من الناس أمرك أن أن تأتيه ، ولكنه قد أظلَّ زمانُ نبي مبعوث بدين إبراهيم يخرج بأرض العرب ، مُهاجره إلى أرضٍ ^(١) بينَ حَرَّتَيْنِ بينهما نخل ، به علامات لا تخفى : يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة ، بين كتفيه خاتم النبوة ، فإن استطعت أن تتأق بتلك البلاد فافعل .

قال : ثم مات وغيب ، ومكثت بعمورية ما شاء الله أن أمكث .

ثم مر بي نفرٌ من كَلْب تجار ، فقلت لهم احملوني إلى أرض العرب وأعطيكم بقراتى هذه وغنمى هذه . قالوا : نعم . فأعطيتهموها وحملوني معهم ، حتى إذا بلغوا وادى القرى ظهرونى فباعونى من رجل يهودى عبداً ، فكنت عنده ، ورأيت النخل ، فرجوت أن يكون البلد الذى وصف لى صاحبى ، ولم يحقَّ فى نفسى .

فبينما أنا عنده إذ قدم عليه ابن عم له من بنى قُرَيْظَةَ من المدينة ، فابتاعنى منه ، فاحتمانى إلى المدينة ، فوالله ما هو إلا أن رأيتها فعرفت بها بصفة صاحبى لها ، فأقمت بها .

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقام بمكة ما أقام ، ولا أسمع له بذكر مما أنا فيه من شغل الرِّق ؛ ثم هاجر إلى المدينة .

فوالله إني لنى رأس عِدْقٍ ^(٢) لسيدى أعمل فيه بعض العمل ، وسيدى جالس تحتى إذ أقبل ابن عم له حتى وقف عايه فقال : يا فلان قاتل الله بنى قَيْلَة ^(٣) . والله إناهم لاجتمعون الآن بقباء على رجل قدِم من مكة اليوم يزعمون أنه نبي .

(١) طح : الأرض وهو تحريف (٢) العذق : النخلة . (٣) بنو قيلة : الأنصار .

قال سلمان : فلما سمعتها أخذتني الرعدةُ حتى ظننت أني ساقط على سيدي ، فنزلت عن النخلة ، فجعلت أقول لابن عمه ماذا تقول ؟ ماذا تقول ؟

قال : فغضب سيدي فلكني لكمةً شديدة . ثم قال مالك ولهذا ؟ أقبل على عمك . قال : فقلت لا شيء . إنما أردت أن أستثبته عما قال .

قال : وقد كان عندي شيء قد جمعته ، فلما أمسيت أخذته ، ثم ذهبت به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بقاء ، فدخلت عليه فقلت له : إنه قد بلغني أنك رجل صالح ومعك أصحاب لك غرباء ذوو حاجة ، وهذا شيء كان عندي للصدقة ، فرأيتم أحقَّ به من غيركم .

قال : فقربته إليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : « كلوا » وأمسك يده فلم يأكل .

فقلت في نفسي : هذه واحدة .

ثم انصرفت عنه فجمعت شيئاً ، وتحول رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، ثم جئته فقلت له : إني قد رأيته لا تأكل الصدقة ، وهذه هدية أكرمتك بها . قال : فأكل رسول الله صلى الله عليه وسلم منها وأمر أصحابه فأكلوا معه .

قال : فقلت في نفسي هاتان ثنتان .

قال : ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بَقِيع الغَرَقَد قد تبع جنازة رجل من أصحابه وعاليه شملتان وهو جالس في أصحابه ، فسألت عليه ، ثم استدبرته أنظر إلى ظهره ، هل أرى الخاتم الذي وصف لي صاحبي ؟ فلما رأي رسول الله صلى الله عليه وسلم استدبرته عرف أنني أستثبت في شيء وُصِف لي ، فألقي رداءه عن ظهره فنظرت إلى الخاتم فعرفته ، فأكبت عليه أقبله وأبكي ، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تحوّل » فتحولت بين يديه ، فقصصت عليه حديثي كما حدثتك يا ابن عباس .

فأنجب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسمع ذاك أصحابه .

ثم شغل سلمان الرق حتى فاته مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدر وأحد .

قال سلمان : ثم قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم « كَاتِبُ يَاسَمَان » فكَاتَبَتْ صاحبي على ثلاثمائة نخلة أحبيها له بالفقير^(١) وأربعين أوقية . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأصحابه : « أَعِينُوا أَخْبَاكُم » فأعانوني فى النخل : الرجل بثلاثين وَدِيَّةً^(٢) ، والرجل بعشرين وَدِيَّةً ، والرجل بخمس عشرة ودية ، والرجل بعشرة ، يعين الرجل بقدر ما عنده ، حتى اجتمعت لى ثلاثمائة وَدِيَّةً . فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذهب يا سلمان فققر لها ، فإذا فرغت فائتنى أكن أنا أضعها بيدي » .

قال : فققرت ، وأعاني أصحابى ، حتى إذا فرغت جثته فأخبرته . فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم معى إليها ، فجعلنا نكرب إليه الودى ، ويضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده ، حتى إذا فرغنا ، فوالذى نفس سلمان بيده ما مات منها وَدِيَّةً واحدة .

فَأَدَيْتُ النخلَ وبقي على المال . فَأَتَى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل بيضة الدجاجة من ذهب من بعض المعادن . فقال : « ما فعل الفارسى المكاتب ؟ » قال : فدعيت له قال : « خذ هذه فأدّها مما عليك يا سلمان » .

قال : قلت : وأين تقع هذه مما على يا رسول الله ؟ قال : « خذها فإن الله سيؤدّي بها عنك » قال : فأخذتها فوزنت لهم منها ، والذى نفس سلمان بيده ، أربعين أوقية ، فأوفيتهم حقهم .

وعتق سلمان ، فشهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الخندق حُرّاً ثم لم يُفْتَنى معه مشهد .

(١) الفقير : البئر تغرس فيها الفسيلة . (٢) الودية : كغنية : صغار الفسيل .

قال ابن إسحاق : وحدثني يزيد بن أبي حبيب ، عن رجل من عبد القيس ، عن سلمان أنه قال : لما قلت : وأين تقع هذه من الذي على رسول الله ؟ أخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلبها على لسانه ، ثم قال : « خذها فأوفهم منها » فأخذتها فأوفيتهم منها حقهم كله أربعين أوقية .

وقال محمد بن إسحاق : حدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، حدثني من لا أتهم ، عن عمر بن عبد العزيز بن مروان قال : حدثت عن سلمان أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين أخبره أن صاحب عمورية قال له : إيت كذا وكذا من أرض الشام ، فإن بها رجلاً بين غيظتين يخرج كل سنة من هذه الغيضة مستجيزاً ، يعترضه ذوو الأسقام فلا يدعو لأحدٍ منهم إلا شفي فأسأله عن هذا الدين الذي تبتغي ، فهو يخبرك عنه .

قال سلمان : فخرجت حتى جئت حيث وصف لي ، فوجدت الناس قد اجتمعوا بمرضاهم هناك حتى يخرج لهم تلك الليلة مستجيزاً من إحدى الغيظتين إلى الأخرى ، فغشيه الناس بمرضاهم لا يدعو لمريض إلا شفي ، وغلبوني عليه فلم أخلص إليه حتى دخل الغيضة التي يريد أن يدخل إلا منكبه . قال : فتناولته فقال : من هذا ؟ والتفت إلى . قال : قلت يرحمك الله ! أخبرني عن الحنيفة دين إبراهيم .

قال : إنك لتسأل عن شيء ما يسأل عنه الناس اليوم ، قد أظلك زمان نبيٍّ يُبعث بهذا الدين من أهل الحرم ، فأته فهو يملكك عليه . ثم دخل .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسلمان : « لئن كنت صدقتني يا سلمان لقد لقيت عيسى بن مريم » .

هكذا وقع في هذه الرواية ، وفيها رجل مُبهم ، وهو شيخ عاصم بن عمر بن قتادة .

وقد قيل إنه الحسن بن عماره ، ثم هو منقطع بل مُفضّل بين عمر بن عبد العزيز وسلمان رضى الله عنه .

قوله : « لئن كنت صدقتنى ياسلمان لقد لقيت عيسى بن مريم » غريب جداً بل مُنكر ، فإن الفترة أقل ما قيل فيها أنها أربع مائة سنة ، وقيل ستمائة سنة بالشمسية ، وسلمان أكثر ما قيل أنه عاش ثلاثمائة سنة وخمسين سنة . وحكى العباس بن يزيد البخراي إجماع مشايخه على أنه عاش مائتين وخمسين سنة . واختلفوا فيما زاد إلى ثلاثمائة وخمسين سنة والله أعلم . والظاهر أنه قال لقد لقيت وصى عيسى بن مريم فهذا ممكن بالصواب .

وقال السهيلي : الرجل المبهم هو الحسن بن عماره وهو ضعيف ، وإن صح لم يكن فيه نكارة . لأن ابن جرير ذكر أن المسيح نزل من السماء بعد ما رفع فوجد أمه وامرأة أخرى يبكيان عند جذع المصلوب ، فأخبرها أنه لم يُقتل ، وبعث الحواريين بعد ذلك .

قال : وإذا جاز نزوله مرةً جاز نزوله مراراً ثم يكون نزوله الظاهر حين يَكسر الصليب ويقتل الخنزير ، ويتزوج حينئذ امرأة من بنى جذام ، وإذا مات دفن في حجرة روضة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد روى البيهقي في كتاب دلائل النبوة قصة سلمان هذه من طريق يونس ابن بكير ، عن محمد بن إسحاق كما تقدم ورواها أيضاً عن الحاكم عن الأصم بن يحيى ابن أبي طالب .

حدثنا علي بن عاصم ، حدثنا حاتم بن أبي صُفرة ، عن سَمَّاك بن حرب ، عن يزيد ابن صوحان ، أنه سمع سلمان يحدث كيف كان أول إسلامه . فذكر قصة طويلة وذكر أنه

كان من رامهرمز ، وكان له أخ أكبر منه غنى ، وكان سلمان فقيراً في كنف أخيه ،
وأن ابن دِهْقَانِها^(١) كان صاحباً له ، وكان يختلف معه إلى معلم لهم ، وأنه كان يختلف
ذلك الغلام إلى عبّاد من النصارى في كهف لهم ، فسأله سلمان أن يذهب به معه إليهم ،
فقال له : إنك غلام وأخشى أن تمّ عليهم فيقتلهم أبى . فالتزم له أن لا يكون منه
شيء يكرهه .

فذهب به معه فإذا هم ستة أو سبعة ، كأن الرّوح قد خرجت منهم من العبادة ،
يصومون النهار ويقومون الليل ، يأكلون الشجر وما وجدوا .
فذكر عنهم أنهم يؤمنون بالرّسل المتقدمين ، وأن عيسى عبد الله ورسوله وابن
أمته ، أيده بالمعجزات .

وقالوا له : يا غلام إن لك ربّاً ، وإن لك معاداً ، وإن بين يديك جنة ونارا ، وإن
هؤلاء القوم الذين يعبدون النيران أهل كفر وضلالة ، لا يرضى الله بما يصنعون وليسوا
على دينه .

ثم جعل يتردد مع ذلك الغلام إليهم ، ثم لزمهم سلمان بالكلية ، ثم أجلاهم ملك
تلك البلاد ، وهو أبو ذلك الغلام الذى صحبه سلمان إليهم عن أرضه ، واحتبس الملك
ابنه عنده ، وعرض سلمان دينهم على أخيه الذى هو أكبر منه فقال : إني مشغول بنفسى
فى طلب المعيشة .

فارتحل معهم سلمان حتى دخلوا كنيسة الموصل ، فسأّم عليهم أهلها ثم أرادوا أن
يتركوني عندهم ، فأبيت إلا صُحبتهم . فخرجوا حتى أتوا وادياً بين جبال ، فتحدّر إليهم
رهبان تلك الناحية يسأمون عليهم واجتمعوا إليهم ، وجعلوا يسألونهم عن غيبتهم عنهم
ويسألونهم عنى فيثنون علىّ خيراً .

(١) الدهقان : رئيس الإقليم أو زعيم فلاحى العجم . معرب .

وجاء رجل معظم فيهم فخطبهم فأتى على الله بما هو أهله، وذكر الرسل وما أيدوا به، وذكر عيسى بن مريم، وأنه كان عبد الله ورسوله، وأمرهم بالخير ونهاهم عن الشر، ثم لما أرادوا الانصراف تبعه سلمان ولزمه. قال فكان يصوم النهار ويقوم الليل من الأحد إلى الأحد، فيخرج إليهم ويعظهم ويأمرهم وينهاهم، فمكث على ذلك مدة طويلة، ثم أراد أن يزور بيت المقدس فصحبه سلمان إليه.

قال: فكان فيما يمشي يلتفت إلىّ ويُقبل علىّ فيعظني ويخبرني أن لي ربّاً، وأن بين يديّ جنةً وناراً وحساباً ويعلمني ويدكرني نحو ما كان يذكر القوم يوم الأحد. قال فيما يقول لي: يا سلمان إن الله سوف يبعث رسولا اسمه أحمد، يخرج من تهامة، يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة، بين كتفيه خاتم [النبوة] وهذا زمانه الذي يخرج فيه قد تقارب، فأما أنا فإني شيخ كبير ولا أحسبني أدركه، فإن أدركته أنت فصدقه واتبعه، قلت له: وإن أمرني بترك دينك وما أنت عليه؟ قال: وإن أمرك، فإن الحق فيما يحى به ورضا الرحمن فيما قال.

ثم ذكر قدومهما إلى بيت المقدس، وأن صاحبه صلى فيه هاهنا وهاهنا، ثم نام وقد أوصاه أنه إذا بلغ الظل مكان كذا أن يوقظه، فتركه سلمان حيناً آخر أزيد مما قال ليستريح، فلما استيقظ ذكر الله ولام سلمان على ترك ما أمره من ذلك. ثم خرجا من بيت المقدس فسأله مُقعد فقال: يا عبد الله سألتك حين وصلت فلم تعطني شيئاً، وها أنا أسألك. فنظر فلم يجد أحداً فأخذ بيده وقال: قم بسم الله. فقام وليس به بأس ولا قابة^(١) كأنما نشط من عقال. فقال لي: يا عبد الله، احمل على متاعى حتى أذهب إلى أهلي فأبشّرهم، فاشتغلت به، ثم أدركت الرجل فلم ألحقه ولم أدري أين ذهب، وكلما سألت عنه قوماً قالوا: أمامك.

(١) القلة: بحركة داء وألم من علة.

حتى لقيني ركب من العرب من بني كلب فسألتهم ، فلما سمعوا لغتي أناخ رجل منهم بعيره فحملني خلفه حتى أتوا بي بلادهم .

فباعوني فاشتريتي امرأة من الأنصار فحملتني في حائط لها .

وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم ذكر ذهابه إليه بالصدقة والمهدية ليستعلم ما قال صاحبه ، ثم تطلب النظر إلى خاتم النبوة ، فلما رآه آمن من ساعته ، وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره الذي جرى له .

قال : فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق فاشتراه من سيدته فأعتقه .

قال : ثم سأله يوماً عن دين النصارى فقال : لا خير فيهم . قال : فوقع في نفسي من أولئك الذين صحبتهم ، ومن ذلك الرجل الصالح الذي كان معي ببيت المقدس ، فدخلني من ذلك أمر عظيم ، حتى أنزل الله على رسول الله صلى الله عليه وسلم « لتجدنَّ أشدَّ النَّاسِ عداوةً للذين آمنوا اليهودَ والذين أشركوا ، ولتجدنَّ أقربهم مودةً للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى » ، ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون » فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئت وأنا خائف ، فجلست بين يديه فقرأ : بسم الله الرحمن الرحيم « ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون » الآيات . ثم قال : « يا سلمان أولئك الذين كنت معهم وصاحبك لم يكونوا نصارى كانوا مسلمين » فقلت : يا رسول الله والذي بعثك بالحق لهو أمرني باتباعك ، فقلت له : فإن أمرني بترك دينك وما أنت عليه؟ قال : نعم فاتركه ، فإن الحق وما يرضى الله فيما يأمرك .

وفي هذا السياق غرابة كثيرة وفيه بعض المخالفة لسياق محمد بن إسحاق ، وطريق محمد بن إسحاق أقوى إسناداً وأحسن اقتصاصاً وأقرب إلى مارواه البخاري في صحيحه من

حديث معتمر بن سليمان بن طرخان التيمي ، عن أبيه ، عن أبي عثمان النهدي ، عن سلمان الفارسي ، أنه تداوله بضعة عشر ، من رب إلى رب ، أى من معلّم إلى معلّم ومربّ إلى مثله . والله أعلم .

قال السهيلي : تداوله ثلاثون سيّداً من سيّد إلى سيّد ، فالله أعلم .
وكذلك استقصى قصة إسلامه الحافظ أبو نعيم في « الدلائل » وأورد لها أسانيد والفاظاً كثيرة ، وفي بعضها أن اسم سيّدته التي كاتبته حلبسة . فالله أعلم .

ذكر أخبار غريبة في ذلك

قال أبو نعيم في الدلائل : حدثنا سليمان بن أحمد ، حدثنا محمد بن زكرياء الغلابي^(١) ، حدثنا العلاء بن الفضل بن عبد الملك بن أبي السّوية المنقري ، حدثنا عبّاد بن كسيب ، عن أبيه ، عن أبي عتّوّارة الخزاعي ، عن سعيّر بن سودة العامري قال : كنت عشيقاً لعقيلة من عقائل الحى ، أركب لها الصعب والذّلول لا أبقي من البلاد مسرحاً أرجو رجاً في متجر إلا أتيت ، فأنصرفت من الشام بمرث وأثاث أريد به كبة الموسم^(٢) ودهاء العرب ، فدخلت مكة بليل مُسَدَف ، فأقمت حتى تعرّى عنى قميص الليل فرفعت رأسى فإذا قباب مُسامتة^٣ شَعَفَ الجبال ، مضروبة بأنطاع الطائف ، وإذا جزر تُنجر وأخرى تساق ، وإذا أكلة وحشّة على الطّهاء يقولون ألا عَجّلوا ألا عجّلوا ، وإذا رجل يجر على نَشز من الأرض ينادى : يا وفد الله ميلوا إلى الغداء . وأنيسان على مدرّجة يقول : يا وفد الله من طعم قليرح إلى اللّعاء . فجهرنى^(٣) ما رأيت فأقبلت أريد عيد القوم ، فعرف

(١) هو أبو بكر محمد بن زكريا بن دينار الغلابي البصري يعرف بـ زكرويه (٢) الكبة : الزحام .

(٣) جهرنى : راعنى

رجلٌ الذى بنى ، فقال : أمامك . وإذا شيخ كأن فى خديه الأساريع ^(١) ، وكأن الشعرى ^(٢) توقد من جبينه ، قد لاث على رأسه عمامة سوداء قد أبرز من ملاءها جمة ^(٣) فينانة كأنها سماسم ^(٤) . قال فى بعض الروايات : تحته كرسى سماسم ^(٥) ومن دونها تمرقة ، بيده قضيب متخصر به ، حوله مشايخ جلس نواكس الأذقان ، مامنهم أحد يفيض بكلمة . وقد كان نبي إلى خبر من أخبار الشام أن النبي الأمي هذا أو ان نجومه ، فلما رأيته ظننته ذلك فقلت : السلام عليك يا رسول الله . فقال : مه مه ، كلا وكأن قد ، وليتنى إياه . فقلت : من هذا الشيخ ؟ فقالوا هذا أبو نضلة ، هذا هاشم بن عبد مناف ، فوليت وأنا أقول : هذا والله المجد لا مجد آل جفنة - يعنى ملوك عرب الشام من غسان كان يقال لهم آل جفنة - . وهذه الوظينة التى حكاه عن هاشم هى الفادة يعنى إطعام الحبيج زمن الموسم .

وقال أبو نعيم : حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر ، حدثنا محمد بن أحمد بن أبى يحيى ، حدثنا سعيد بن عثمان ، حدثنا على بن قتيبة الخراسانى ، حدثنا خالد بن الياس ، عن أبى بكر بن عبد الله بن أبى الجهم ، عن أبيه عن جده . قال سمعت أبا طالب يحدث عن عبدالمطلب قال : بينا أنا نائم فى الحجر إذ رأيت رؤيا هالتي ، ففرغت منها فرعاً شديداً ، فأتيت كاهنة قریش وعلى مطرف خز وجمتى تضرب منكبي ، فلما نظرت إلى عرفت فى وجهى التغير ، وأنا يومئذ سيد قومى فقالت : ما بال سيدنا قد أتانا متغير اللون ؟ هل رابه من حدثان الدهر شيء ؟ فقلت لها : بلى !

(١) الأساريع لها معان كثيرة منها : دود بيض حر الرءوس (٢) الشعرى : نجم عظيم .
(٣) الجمة : مجتمع شعر الرأس . (٤) السماسم : الأولى عيدان السمس ، والثانية خشب أسود .

وكان لا يكلمها أحد من الناس حتى يقبّل يدها اليميني ، ثم يضع يده على أم رأسها ثم يذكر حاجته ، ولم أفعل لأنني [كنت ^(١)] كبير قومي .

فجلست فقلت : إني رأيت الليلة وأنا نائم في الحجر كأن شجرة نبّت ^(٢) قد نال رأسها السماء وضربت بأغصانها المشرق والمغرب ، وما رأيت نوراً أزهَرَ منها أعظم من نور الشمس سبعين ضعفاً ، ورأيت العرب والعجم ساجدين لها وهي تزدد كل ساعة عِظاً ونوراً وارتفاعاً ، ساعة تخنى وساعة تزهر ، ورأيت رهطاً من قريش قد تعلّقوا بأغصانها ، ورأيت قوماً من قريش يريدون قطعها ، فإذا دنّوا منها أخّرهم شاب لم أر قط أحسن منه وجهاً ولا أطيب منه ريحاً ، فيكسر أظهرهم ^(٣) ويقلع أعينهم . فرفعت يدي لأتناول منها نصيباً ، فنعنى الشاب ، فقلت : لمن النصيب ؟ فقال : النصيب لهؤلاء الذين تعلّقوا بها وسبقوك إليها . فانتهت مذعوراً فزعاً .

فرايت وجه الكاهنة قد تغيّر ، ثم قالت : لئن صدقت رؤياك ليخرجن من صُلبك رجلٌ يملك المشرق والمغرب ويدين له الناس . ثم قال - يعني عبد المطلب - لأبي طالب لعلك تكون هذا المولود ^(٤) .

قال : فكان أبو طالب يحدث بهذا الحديث بعد ما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد ما بعث . ثم قال ^(٥) كانت الشجرة والله أعلم أبا القاسم الأمين ، فيقال لأبي طالب : ألا تؤمن ؟ فيقول : السبة والعار !

(١) من الدلائل . (٢) الأصل : تنبت ، وهو تحريف . (٣) الدلائل : أضلهم . وفي الخصائص : أظهرهم . وما أثبتته من الدلائل .

(٤) كذا بالأصل ودلائل النبوة وهو تحريف ، وصوابه رواية ابن الجوزي في الوفا حيث قال : « ثم قالت لأبي طالب : لعلك أن تكون عم هذا المولود » الوفا ٨٠ بتحقيق . (٥) الدلائل : « فكان أبو طالب يحدث بهذا الحديث والنبي صلى الله عليه وسلم قد خرج ويقول : كانت الشجرة .. الخ . »

وقال أبو نعيم : حدثنا سليمان بن أحمد ، حدثنا محمد بن زكرياء الغلابي ، حدثنا العباس بن بكار الضبي ، حدثنا أبو بكر الهذلي ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : قال العباس : خرجت في تجارة إلى اليمن في ركب - منهم أبو سفيان بن حرب ، فقدمت اليمن فكنت أصنع يوماً طعاماً وأنصرف بأبي سفيان والنفر ، ويصنع أبو سفيان يوماً ، ويفعل مثل ذلك ، فقال لي في يومي الذي كنت أصنع فيه : هل لك يا أبا الفضل أن تنصرف إلى بيتي وترسل إليّ غداً ؟ فقلت : نعم .

فانصرفت أنا والنفر إلى بيته وأرسلت إلى الغداء ، فلما تغدى القوم قاموا واحتبسني . فقال : هل علمت يا أبا الفضل أن ابن أخيك يزعم أنه رسول الله ؟ فقلت : أيّ بني أخى ؟ فقال أبو سفيان : إياي تكتم ؟ ! وأيّ بني أخيك ينبغي أن يقول هذا إلا رجل واحد ! قلت وأيهم على ذلك ؟ قال : هو محمد بن عبد الله . فقلت : قد فعل ؟ قال : بلى قد فعل .

وأخرج كتاباً باسمه من ابنه حنظلة بن أبي سفيان فيه : أخبرك أن محمداً قام بالأبطح فقال : « أنا رسول أدعوكم إلى الله عز وجل » فقال العباس : قلت أجده يا أبا حنظلة صادقاً .

فقال : مهلاً يا أبا الفضل ، فوالله ما أحب أن يقول مثل هذا ، إني لا أخشى أن يكون عليّ خير من هذا الحديث يا بني عبد المطلب ، إنه والله ما برحت قریش تزعم أن لكم هبة وهبة ، كل واحدة منهما غاية ! لنشدتك يا أبا الفضل هل سمعت ذلك ؟ قلت : نعم قد سمعت . قال فهذه والله شؤمتكم . قلت : فلعلها يُمنّتنا .

قال : فما كان بعد ذلك إلا ليالٍ حتى قدم عبد الله بن حذافة بالخبر وهو مؤمن ، ففشا ذلك في مجالس اليمن ، وكان أبو سفيان يجلس مجلساً باليمن يتحدث فيه خبر من

أحبار اليهود ، فقال له اليهودى : ماهذا الخبر ؟ بلغنى أن فيكم عمّ هذا الرجل الذى قال ما قال ؟

قال أبو سفيان : صدّقوا ، وأنا عمه ، فقال اليهودى : أخو أبيه ؟ قال : نعم .
قال : حدّثنى عنه .

قال : لا تسألنى ! ما أحبُّ أن يدعى هذا الأمر أبداً ، وما أحبُّ أن أعيبه وغيره خير منه .

فرأى اليهودى أنه لا يغمس عليه ولا يحب أن يعيبه .

فقال اليهودى : ليس به بأس على اليهود ، وتوراة موسى .

قال العباس : فنادانى الخبر ، فجنّت فخرجت حتى جلست ذلك المجلس من الغد ، وفيه أبو سفيان بن حرب والخبر ، فقلت للخبر : بلغنى أنك سألت ابن عمى عن رجل منا زعم أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأخبرك أنه عمه ، وليس بعمّه ، ولكن ابن عمه ، وأنا عمه وأخو أبيه . قال : أخو أبيه ؟ قلت : أخو أبيه .

فأقبل على أبي سفيان فقال : صدّق ؟ قال : نعم صدق . فقلت : سلّنى فإن كذبتُ فليردّ علىّ .

فأقبل علىّ فقال : نشدّتك هل كان لابن أخيك صّبوة أو سفهة .

قلت : لا وإله عبد المطلب ، ولا كذب ولا خان ، وإنه كان اسمه عند قریش الأمين .

قال : فهل كتب بيده ؟

قال العباس : فظننت أنه خيرٌ له أن يكتب بيده ، فأردت أن أقولها ، ثم ذكرت مكانَ أبي سفيان يكذبُنى ويردُّ علىّ قلت : لا يكتب .

فوثب الخبر ونزل رداؤه وقال : ذُبِحَت يهود ، وقتلت يهود !

قال العباس : فلما رجعنا إلى منزلنا ، قال أبو سفيان : يا أبا الفضل ، إن اليهود تفرغ من ابن أخيك . قلت : قد رأيتَ ما رأيت ، فهل لك يا أبا سفيان أن تؤمن به ، فإن كان حقا كنت قد سبقت ، وإن كان باطلا فمعك غيرك من أكتفائك .

قال : لا أومن به حتى أرى الخيل في كداء ^(١) .

قلت : ماتقول ؟ قال : كلمة جاءت على فئ ، إلا أني أعلم أن الله لا يترك خيلا تطلع من كداء .

قال العباس : فلما استفتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ونظرنا إلى الخيل وقد طلعت من كداء ، قلت : يا أبا سفيان تذكر الكلمة ؟!

قال : إي والله إنني لذكرها ! فالحمد لله الذي هداني للإسلام .

وهذا سياق حسن عليه البهاء والنور وضياء الصدق ، وإن كان في رجاله من هو متكلم فيه . والله أعلم .

وقد تقدم ما ذكرناه في قصة أبي سفيان مع أمية بن أبي الصلت ، وهو شبيه بهذا الباب ، وهو من أغرب الأخبار وأحسن السياقات وعليه النور .

وسأني أيضا قصة أبي سفيان مع هرقل ملك الروم حين سأله عن صفات رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحواله ، واستدلّاه بذلك على صدقه ونبوته ورسالته . وقال له : كنت أعلم أنه خارج ، ولكن لم أكن أظن أنه فيكم ، ولو أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقاءه ، ولو كنت عنده لفلسات عن قدميه ، ولئن كان ماتقول حقا ليلكن موضع قدمي هاتين . وكذلك وقع والله الحمد والمنة .

(١) كداء : ثنية بأعلى مكة عند المحصب .

وقد أكثر الحافظ أبو نعيم من إيراد الآثار والأخبار عن الرهبان والأخبار والعرب ،
فأكثر وأطنب وأحسن وأطيب . رحمه الله ورضى عنه .

قصة عمرو بن مُرّة الجهني^(١)

قال الطبراني : حدثنا علي بن إبراهيم الخزازي الأهموازي ، حدثنا عبد الله
ابن داود بن دهاث بن إسماعيل بن عبد الله بن شريح بن ياسر بن سويد صاحب
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حدثنا أبي ، عن أبيه دهاث ، عن أبيه إسماعيل ، أن
أباه عبد الله حدثه عن أبيه ، أن أباه ياسر بن سويد حدثه عن عمرو بن مرة
الجهني قال :

خرجت حاجاً في جماعة من قومي في الجاهلية ، فرأيت في نومي وأنا بمكة ،
نورا ساطعاً [خرج^(٢)] من الكعبة حتى وصل إلى جبل يثرب وأشعر جهينة^(٣) .
فسمعت صوتاً بين النور وهو يقول : انقشعت الظلمات ، وسطع الضياء ، وبُعث
خاتم الأنبياء .

ثم أضاء إضاءة أخرى ، حتى نظرت إلى قصور الحيرة وأبيض الدائن^(٤) ،
وسمعت صوتاً من النور وهو يقول : ظهر الإسلام ، وكسرت الأصنام ،
ووصلت الأرحام .

فانتبهت فزعا فقلت لقومي : والله ليحدثن لهذا الحى من قريش حدثاً . وأخبرتهم
بما رأيت .

(١) هذه القصة ليست في النسخة الأولى وهي مثبتة في المطبوعة من النسخة الحلبية .

(٢) من الوفا . (٣) هو جبل جهينة ينحدر على ينبع من أعلاه . (٤) أبيض الدائن : قصر كسرى .

فلما انتهينا إلى بلادنا جاءني [الخبير أن رجلاً^(١)] يقال له أحمد قد بُعث .

فأتيته^(٢) فأخبرته بما رأيته . فقال [لي^(١)] « يا عمرو بن مرة أنا النبي المرسل إلى العباد كافة ، أدعوهم إلى الإسلام ، وأمرهم بحَقْنِ الدماء وصلّة الأرحام ، وعبادة الله ورفض الأصنام ، وحجّ البيت ، وصيام شهر رمضان [شهر^(١)] من اثني عشر شهراً . فمن أجاب فله الجنة ، ومن عصى فله النار . فآمن يا عمرو يؤمنك الله من هول جهنم » .

فقلت : أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله ، آمنت بما جئت من حلال وحرام ، وإن أرغم ذلك كثيراً من الأقوام . ثم أنشدته أبياتاً قلّتها حين سمعت به . وكان لنا صنم ، وكان أبي سادنا له فقمته إليه فكسرتة . ثم لحقت بالنبي صلى الله عليه وسلم وأنا أقول :

شهدتُ بأن الله حقٌّ وأنتى لآلهةِ الأحجارِ أولُ تاركِ
وشمّرتُ عن ساقِ الإزارِ مهاجراً إليك أجوب القفرَ بعد الدكادك^(٣)
لأصحبَ خير الناس نفساً ووالداً رسولَ ملِكِ الناس فوق الحباثكِ

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « مرحبا بك يا عمرو بن مُرّة » . فقلت : يا رسول الله ابعتني إلى قومي ، لعل الله يمنّ عليهم بي كما منّ علىّ بك . فبعثنى إليهم . وقال : « عليك بالرفق والقول السديد . ولا تكن فظاً . ولا متكبراً ولا حسوداً » .

فذكر أنه أتى قومه ، فدعاهم إلى ما دعاه إليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فأسلموا

(١) من الوفا . (٢) الوفا : فخرجت حتى أتيته .

(٣) الدكادك : أرض فيها غلظ . وفي الوفا : أجوب إليك الدعث بعد الدكادك . والدعث : الأرض المستوية

كلهم ، إلا رجلا واحداً منهم ، وأنه وفد بهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فرحَّب بهم وحياهم . وكتب لهم كتاباً هذه نسخته :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب [أمان ^(١)] من الله على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بكتاب صادق ، وحق ناطق مع عمرو بن مرة الجهني للجهينة بن زيد : إن لكم بطون الأرض وسهولها ، وتلاع الأودية وظهورها ^(٢) ، ترعون ^(٣) نباته وتشربون صافيه ، على أن تقرؤا بأئخمس ، وتصلوا صلاة الأئخمس ، وفي التبعية والصريمة [شتان ^(٤)] إن اجتمعنا وإن تفرقتا شاة شاة ، ليس على أهل الميرة صدقة ، ليس الوردة اللبقة وشهد على نبينا صلى الله عليه وسلم من حضر من المسلمين ^(٥) بكتاب قيس ابن شماس . »

وذكر شعراً قاله عمرو بن مرة في ذلك كما هو مبسوط من المسند الكبير وبالله الثقة وعليه التكلان .

وقال الله تعالى : « وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقاً غَلِيظاً ^(٥) » .

قال كثيرون من السلف : لما أخذ الله ميثاق بني آدم يوم (أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ؟) أخذ من النبيين ميثاقاً خاصاً ؛ وأكد مع هؤلاء الخمسة أولى العزم أصحاب الشرائع الكبار الذين أولهم نوح وآخرهم محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

(١) من الوفا .

(٢) في الوفا : إن لكم بطون الأرض وظهورها وتلاع الأودية وسهولها . وهو أصح وأولى والتلاع : جمع تلة : ما ارتفع من الأرض . (٣) الوفا : ترعون نباته ، وهو أصح .

(٤) الوفا : والله يشهد على ما بيننا ومن حضر من المسلمين . (٥) سورة الأحزاب آية ٧ .

وقد روى الحافظ أبو نعيم في كتاب « دلائل النبوة » من طرق عن الوليد بن مسلم ، حدثنا الأوزاعي ، حدثنا يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة : سئل النبي صلى الله عليه وسلم : متى وجبت لك النبوة ؟ قال : « بَيْنَ خَلْقِ آدَمَ وَنَفْخِ الرُّوحِ فِيهِ » . وهكذا رواه الترمذى من طريق الوليد بن مسلم . وقال : حسن غريب من حديث أبي هريرة ، لا نعرفه إلا من هذا الوجه

وقال أبو نعيم : حدثنا سليمان بن أحمد ، حدثنا يعقوب بن إسحاق بن الزبير الحلبي حدثنا أبو جعفر النُّفَيلِي ، حدثنا عمرو بن واقد ، عن عروة بن رويم ، عن الصُّنَابِحِيِّ ^(١) . قال : قال عمر : يا رسول الله ، متى جُعِلْتَ نبياً ؟ قال : « وآدَمُ مُنْجَدِلٌ فِي الطِّينِ » . ثم رواه من حديث نصر بن مُزَاحِم ، عن قيس بن ربيع ، عن جابر الجعفي ، عن الشَّعْبِيِّ ، عن ابن عباس قال : قيل يا رسول الله متى كنت نبياً ؟ قال : « وآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ » .

وفي الحديث الذى أوردناه فى قصة آدَمَ حين استخرج الله من صلبه ذريته خص الأنبياء بنور بين أعينهم . والظاهر - والله أعلم - أنه كان على قَدَرِ منازلهم ورُتَبِهِمْ عند الله .

وإذا كان الأمر كذلك فنور محمد صلى الله عليه وسلم كان أظهر وأكبر وأعظم منهم كلهم .

وهذا تنويه عظيم وتنبيه ظاهر على شرفه وعلو قدره .

وفى هذا المعنى الحديث الذى قال الإمام أحمد ، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، حدثنا معاوية بن صالح ، عن سعيد بن سُوَيْد الكَلْبِيِّ ، عن عبد الأعلى بن هلال السلمي ،

(١) الصنابحي : بضم الصاد وفتح النون وبعد الألف باء موحدة مكسورة ثم هاء ، نسبة إلى صنابح بن زاهر بن عامر بن عوثان بن زاهر بن يحابر ، الباب ٢ / ٦

عن العِرباض بن سارية . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إني عند الله لخاتم النبيين وإن آدم لَمُنْجِدٌ لِي فِي طِينَتِهِ ، وسأنبئكم بأول ذلك : دعوة أبي إبراهيم ، وبشارة عيسى بي ، ورؤيا أمي التي رأت ، وكذلك أمهات المؤمنين يرَيْن » .

ورواه الليث وابن وهب عن عبد الرحمن بن مهدي ، وعبد الله بن صالح عن معاوية ابن صالح وزاد « إن أمه رأت حين وضعته نوراً أضاءت منه قصور الشام » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرحمن ، حدثنا منصور بن سعيد ، عن بديل ، عن عبد الله بن شقيق ، عن ميسرة الفَجْر قال : قلت : يا رسول الله متى كنت نبياً ؟ قال : « وآدمُ بين الروح والجسد » .

إسناده جيد أيضاً .

وهكذا رواه إبراهيم بن طهمان ، وحامد بن زيد وخالد الحذاء عن بديل بن ميسرة به .

ورواه أبو نعيم عن محمد بن عمر بن أسلم ، عن محمد بن بكر بن عمرو الباهلي ، عن شيبان ، عن الحسن بن دينار ، عن عبد الله بن سفيان ، عن ميسرة الفَجْر قال : قلت : يا رسول الله متى كنت نبياً ؟ قال : « وآدم بين الروح والجسد » .

وقال الحافظ أبو نعيم في كتابه « دلائل النبوة » ^(١) : حدثنا أبو عمرو بن حمدان ، حدثنا الحسن بن سفيان ، حدثنا هشام بن عمار ، حدثنا الوليد بن مسلم ، عن خليل بن دعاج ، وسعيد ، عن قتادة ، عن الحسن عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، في قوله تعالى « وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم » قال : « كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث » .

(١) ليس في دلائل النبوة المطبوع .

ثم رواه من طريق هشام بن عمار عن بَقِيَّة ، عن سعيد بن نسير ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن أبي هريرة مرفوعاً مثله .

وقد رواه من طريق سعيد بن أبي عروبة وشيبان ، عن قتادة قال : ذكر لنا أن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مثله . وهذا أثبت وأصح والله أعلم .

وهذا إخبار عن التنويه بذكره في الملأ الأعلى وأنه معروف بذلك بينهم بأنه خاتم النبيين وآدم لم ينفخ فيه الروح ، لأن علم الله تعالى بذلك سابق قبل خلق السموات والأرض لا محالة ، فلم يبق إلا هذا الذي ذكرناه من الإعلام به في الملأ الأعلى . والله أعلم .

وقد أورد أبو نعيم من حديث عبد الرازق عن معمر ، عن همام ، عن أبي هريرة الحديث المتفق عليه : « نحن الآخرون السابقون يوم القيامة ^(١) المقضى لهم قبل الخلائق . بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم » .

وزاد أبو نعيم في آخره : فكان صلى الله عليه وسلم آخرهم في البعث وبه أُختمت النبوة . وهو السابق يوم القيامة ، لأنه أول مكتوب في النبوة والعهد .

ثم قال : ففي هذا الحديث الفضيلة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لما أوجب الله له النبوة قبل تمام خلق آدم ، ويحتمل أن يكون هذا الإيجاب هو ما أعلم الله ملائكته ماسبق في علمه وقضائه من بعثته له في آخر الزمان .

وهذا الكلام يوافق ما ذكرناه والله الحمد .

وروى إمامكم في مستدركه من حديث عبد الرحمن بن زيد بن أسلم - وفيه كلام -

(١) الذي في دلائل النبوة المطبوع إلى هنا ولم يستكمل الحديث ولم يذكر التعليق المذكور هنا ، وهذا يؤكد أن النسخة المطبوعة إنما هي مختصر لكتاب دلائل النبوة وليست هي الكتاب نفسه . انظر دلائل النبوة ص ١٧

عن أبيه ، عن جده ، عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لما اقترف آدم الخطيئة قال : يارب أسألك بحق محمد إلا غفرت لى ، فقال الله : يا آدم كيف عرفت محمداً ولم أخلقه بعد ؟ فقال : يارب لأنك لما خلقتنى بيدك ونفخت فى من روحك رفعت رأسى فرأيت على قوائم العرش مكتوبا : لا إله إلا الله محمد رسول الله . فعملت أنك لم تُضِفْ إلى اسمك إلا أحبَّ الخلق إليك فقال الله : صدقت يا آدم إنه لأحبُّ الخلق إلىّ ، وإذ قد سألتنى بحقه فقد غفرت لك ، ولولا محمد ما خلقتك » .

قال البيهقى : تفرّد به عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وهو ضعيف والله أعلم .

وقد قال الله تعالى « وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ . قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي ؟ قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ . فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ » (١) .

قال على بن أبى طالب وعبد الله بن عباس رضى الله عنهما : ما بعث الله نبياً من الأنبياء إلا أخذ عليه الميثاق : لئن بُعث محمد صلى الله عليه وسلم وهو حى ليؤمنن به ولينصرنه [وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته لئن بُعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه] (٢) .

وهذا تنويه وتنبيه على شرفه وعظمته فى سائر الملال وعلى السنة الأنبياء ، وإعلام لهم ومنهم برسالته فى آخر الزمان . وأنه أكرم المرسلين وخاتم النبيين .

وقد أوضح أمره وكشف خبره وبين سره ، وجلى مجده ومولده وبلده إبراهيم الخليل فى قوله عليه السلام حين فرغ من بناء البيت « رَبَّنَا وَأُبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ

يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» (١).

فكان أول بيان أمره على الجليّة والوضوح بين أهل الأرض ، على لسان إبراهيم الخليل أكرم الأنبياء على الله بعد محمد صلوات الله عليه وسلامه عليهما وعلى سائر الأنبياء .

ولهذا قال الإمام أحمد : حدثنا أبو النضر ، حدثنا الفرج - يعنى ابن فضالة - حدثنا لقمان بن عامر ، سمعت أبا أمامة قال : قلت يا نبي الله ما كان بدء أمرك ؟ قال : « دعوة أبى إبراهيم ، وبُشْرِى عيسى ، ورأت أمى أنه خرج منها نور أضاءت منه قصور الشام » .

تفرد به الإمام أحمد ولم يخرججه أحد من أصحاب الكتب الستة .

وروى الحافظ أبو بكر بن أبى عاصم فى كتاب « المولد » من طريق بَقِيَّة ، عن صفوان بن عمرو ، عن حجر بن حجر ، عن أبى مريق ، أن أعرابياً قال : يا رسول الله أى شىء كان أول أمر نبوتك ؟

فقال « أخذ الله منى الميثاق كما أخذ من النبيين ميثاقهم [ورأت أم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى منامها أنه خرج من بين رجلها سراج أضاءت له قصور الشام] » (٢) .

وقال الإمام محمد بن إسحاق بن يسار : حدثنى ثور بن يزيد ، عن خالد بن معدان عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم قالوا : يا رسول الله ، أخبرنا عن نفسك .

(١) سورة البقرة ١٢٩

(٢) ليست فى ١

قال : « دعوة أبى إبراهيم ، وبُشرى عيسى ، ورأت أمى حين حبلت كأنه خرج منها نور أضاءت له بُصرى من أرض الشام » .
إسناده جيد أيضاً .

وفيه بشارة لأهل مَحِلَّتِنَا أرض بُصْرَى ، وأنها أول بقعة من أرض الشام خلص إليها نور النبوة ، والله الحمد والمنة . ولهذا كانت أولَ مدينة فتحت من أرض الشام ، وكان فتحها صلحاً في خلافة أبى بكر رضى الله عنه . وقد قَدِمَها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مرتين في صحبة عمه أبى طالب وهو ابن اثنتى عشرة سنة ، وكانت عندها قصة بِحِيرَى الراهب كما بيناه . والثانية ومعه مَيَسَّرَة مولى خديجة في تجارة لها . وبها مَبْرُك الناقة التى يقال لها ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بركت عليه فأثْرُ ذلك فيها فيما يذكر ، ثم نُقِلَ وبني عليه مسجد مشهور اليوم . وهى المدينة التى أضاءت أعناقُ الإبل عندها من نور النار التى خرجت من أرض الحجاز سنة أربع وخمسين وستائة وفق ما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله « تَخْرُجُ نارٌ من أرض الحجاز تضيء لها أعناق الإبل ببُصْرَى » .

وقال الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ ، يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ، فَاَلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ ^(١) .

قال الإمام أحمد : حدثنا إسماعيل ، عن الجري ، عن أبي صخر الثقلي ، حدثني رجل من الأعراب قال : جابتُ جلوبةً إلى المدينة في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما فرغتُ من بيعي قلت لأتقين هذا الرجل فلا تسمعن منه .

قال : فتلقاني بين أبي بكر وعمر يمشون ، فتبعتهما حتى أتوا على رجل من اليهود ناشراً التوراة يقرأها يعزّي بها نفسه عن ابن له في الموت كأحسنِ الفتيان وأجملهم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَتَشُدُّكَ بِالَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَةَ ، هل تجدني في كتابك ذا صِفَتِي وَتُخْرِجِي ؟ » فقال برأسه هكذا - أي لا - فقال ابنه : إني والذى أنزل التوراة ، إنا لنجد في كتابنا صفتك وَتُخْرِجُكَ وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ . فقال : « أَقِيمُوا الْيَهُودِيُّ عَنْ أَخِيكُمْ » ثم ولي كفته والصلاة عليه .

هذا إسناد جيد وله شواهد في الصحيح عن أنس بن مالك رضي الله عنه .

وقال أبو القاسم البَغَوِيُّ : حدثنا عبد الواحد بن غِيَاثَ - أبو بحر - حدثنا عبد العزيز ابن مسلم ، حدثنا عاصم بن كَلَيْبَ ، عن أبيه ، عن الصَّلْتَانِ بنِ عاصمٍ وذكر أن خاله قال : كنت جالساً عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ شَخَصَ بصره إلى رجل ، فإذا يهودي عليه قميص وسراويل ونعلان . قال : فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يكلمه وهو يقول : يارسول الله . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ ؟ » قال : لا . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَتَقْرَأُ التَّوْرَةَ ؟ » قال : نعم . قال : « أَتَقْرَأُ الْإِنْجِيلَ ؟ » قال : نعم . قال : « وَالْقُرْآنَ ؟ » قال : لا . ولو شاء قرأته .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « فَمِ تَقْرَأُ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ، أَتَجِدُنِي نَبِيًّا ؟ » قال : إنا نجد نعتك وَتُخْرِجُكَ ، فلما خرجتَ رجونا أن تكون فينا ، فلما رأيناك عرفناك أنك است به .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ولم يابهودى ؟ » قال : إنا نجده مكتوباً : يدخل من أمته الجنة سبعون ألفاً بغير حساب ، ولا نرى معك إلا نفراً يسيراً .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أمتي لأكثر من سبعين ألفاً وسبعين ألفاً » .

هذا حديث غريب من هذا الوجه ، ولم يخرجوه .

وقال محمد بن إسحاق عن سالم مولى عبد الله بن مطيع ، عن أبي هريرة قال : أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم [يهود] فقال « أخرجوا أعلمكم » فقالوا : عبد الله بن صوريا . نفلا به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فناشده بدينه ، وما أنعم الله به عليهم ، وأطعمهم من المنّ والسّلوى ، وظلّهم به من الغمام « أتعلّمنى رسول الله ؟ » قال : اللهم نعم . وإن القوم ليعرفون ما أعرف ، وإن صفتك ونعتك لمبّين في التوراة ، ولكنهم حسدوك .

قال « فما يمنحك أنت ؟ » قال : أكره خلاف قومي . وعسى أن يتبعوك ويسلموا فأسلم .

وقال سلمة بن الفضل عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن أبي محمد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس أنه كان يقول : كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يهود خيبر « بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله صاحب موسى ، وأخيه ، والمصدق بما جاء به موسى ، ألا إن الله قال لكم : يامعشر يهود وأهل التوراة ، إنكم تجدون ذلك في كتابكم : إن محمداً ^{صلى الله عليه وسلم} رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود . ذلك مثّلهم في التوراة ومثّلهم في الإنجيل كزراع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب

الرِّزْقَ لِيَغِيْظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ . وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا . وإني أنشدكم بالله وبالذي أنزل عليكم ، وأنشدكم بالذي أطمع من كان قبلكم من أسلافكم وأسباطكم المنّ والسّوى ، وأنشدكم بالذي أَيْبَسَ البحرَ لآبائكم حتى أنجأكم من فرعون وعمله ، إلا أخبرتمونا هل تجدون فيما أنزل الله عليكم أن تؤمنوا بمحمد ؟ فإن كنتم لا تجدون ذلك في كتابكم فلا كُره عليكم قد تبَيَّنَ الرشد من الغي . وأدعوكم إلى الله وإلى نبيه صلى الله عليه وسلم . »

وقد ذكر محمد بن إسحاق بن يسار في كتاب « المبتدأ » عن سعيد بن بشير ، عن قتادة عن كعب الأحبار ، وروى غيره عن وهب بن منبه أن بَحْتَمَصَرَ بعد أن خَرَبَ بيت المقدس ، واستدل بنى إسرائيل بسمع سنين ، رأى في المنام رؤيا عظيمة هالته ، فجمع الكهنة والخزار ، وسألهم عن رؤياه تلك . فقالوا : ليقصّها الملك حتى نخبره بتأويلها . فقال : إني نسيتهما ، وإن لم تخبروني بها إلى ثلاثة أيام قتلنكم عن آخركم .

فذهبوا خائفين وجِلين من وعيده . فسمع بذلك دانيال عليه السلام وهو في سجنه . فقال للسجّان : اذهب إليه فقل له : إن هاهنا رجلا عنده علمُ رؤياك وتأويلها .

فذهب إليه فأعلمه فطلبه ، فلما دخل عليه لم يسجد له . فقال له : مامنعك من السجود لي ؟ فقال : إن الله آتاني علماً وعلمني وأمرني أن لا أسجد لغيره . فقال له بختنصر : إني أحب الذين يوفون لأربابهم بالعهود . فأخبرني عن رؤياي .

قال له دانيال : رأيت صنماً عظيماً رجلاه في الأرض ورأسه في السماء ، أعلاه من ذهب ووسطه فضة ، وأسفله من نحاس ، وساقاه من حديد ، ورجلاه من نِخار ، فبينما أنت تنظر إليه قد أعجبك حسنه وإحكامُ صنعته قذفه الله بحجر من السماء ، فوقع على قمة رأسه حتى طحنه

واختلط ذهبه وفضته ونحاسه وحديده ونخاره ، حتى تخيل لك أنه لو اجتمع الإنس والجن على أن يميزوا بعضه من بعض لم يقدرُوا على ذلك . ونظرت إلى الحجر الذى قُذِفَ به يَرَبُّو وَيَعْظُم وَيَنْتَشِر ، حتى ملأ الأرض كلها فصرت لا ترى إلا الحجر والسماء . فقال له مختصر : صدقت ، هذه الرويا التى رأيتها ، فما تأويلها ؟

فقال دانيال : أما الصنم فأُممٌ مختلفة فى أول الزمان وفى وسطه وفى آخره ؛ وأما الحجر الذى قُذِفَ به الصنم فدينٌ يَقْدَفُ الله به هذه الأمم فى آخر الزمان فيُظْهِرُ عليها ، فيبعث الله نبياً أُمياً من العرب فيدوِّخُ به الأمم والأديان كما رأيت الحجر دوِّخَ أصناف الصنم ، ويظهر على الأديان والأمم كما رأيت الحجر ظهر على الأرض كلها ، فيمحّص الله به الحق ويُزْهِقُ به الباطل ويَهْدِي به أهل الضلالة ، ويعلم به الأميين ويقوى به الضعفة ويعزُّ به الأدلة ، وينصر به المستضعفين .

وذكر تمام القصة فى إطلاق مختصر بنى إسرائيل على يدى دانيال عليه السلام .

وذكر الواقدى بأسانيده عن المغيرة بن شعبه فى قصة وفوده على المقوقس ملك الإسكندرية وسؤاله له عن صفات رسول الله صلى الله عليه وسلم قريباً من سؤال هرقل لأبى سفيان صخر بن حرب ، وذكر أنه سأل أساقفة النصارى فى الكنائس عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبروه عن ذلك ، وهى قصة طويلة ذكرها الحافظ أبو نعيم فى الدلائل^(١) .

وثبت فى الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرَّ بِمَدْرَاس^(٢) اليهود فقال

(١) دلائل النبوة .

(٢) المدراس : هو البيت الذى يقرأ فيه اليهود كتبهم . وفى ط : بِمَدْرَاس ، وهو تحريف .

لهم : « يامعشر اليهود أسلموا ، فوالذى نفسى بيده إنكم لتجدون صفتى فى كتبكم » الحديث .

وقال الإمام أحمد : حدثنا موسى بن داود ، حدثنا فليح بن سليمان ، عن هلال بن على ، عن عطاء بن يسار قال : لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص فقلت : أخبرنى عن صفات رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التوراة . فقال : أجل والله إنه لموصوف فى التوراة بصفته فى القرآن ، يأياها النبى إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ، وحِزْزاً للأُميين ، أنت عبدى ورسولى ، سميتك المتوكِّل ، لَافِظٌ ولا غليظ ولا صَخَّاب فى الأسواق ، ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر ، ولن يقبضه الله حتى يقيموا الملة العوجاء ، بأن يقولوا لا إله إلا الله ، يفتح به أعيناً عمياً وآذناً صماً وقلوباً غُلْفاً .

ورواه البخارى عن محمد بن سنان العوفى عن فليح به .

ورواه أيضاً عن عبد الله - قيل بن رجاء ، وقيل ابن صالح - عن عبد العزيز بن أبى سلمة ، عن هلال بن علوية ، ولفظه قريب من هذا وفيه زيادة .

ورواه ابن جرير من حديث فليح ، عن هلال عن عطاء ، وزاد : قال عطاء : فلقيت كعباً فسألته عن ذلك فما اختلف حرفاً . وقال : « فى البُيُوع » . وقال : سعيد عن هلال عن عطاء عن عبد الله بن سلام .

قال الحافظ أبو بكر البيهقى : أخبرناه أبو الحسين بن الفضل القطَّان ، حدثنا عبد الله بن جعفر ، حدثنا يعقوب بن سفيان ، حدثنا أبو صالح ، حدثنا الليث ، حدثنى خالد بن يزيد ، عن سعيد بن أبى هلال بن أسامة ، عن عطاء بن يسار ، عن ابن سلام أنه كان يقول : إنا لتجدُ صفةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحِزْزاً للأُميين ، أنت عبدى ورسولى ، سميت المتوكِّل ، ليس بفظ ولا غليظ ولا صَخَّاب فى الأسواق ، ولا يجرى السيئة بمثلها ولكن يعفو ويتجاوز ، ولن يقبضه

حتى يقيم به أمة العوجاء ، بَن يشهدوا أن لا إله إلا الله ، يفتح به أعينا عمياً وآذاناً صماً وقلوباً غفلاً .

وقال عطاء بن يسار : وأخبرني الليثي أنه سمع كعب الأخبار يقول مثل ما قال ابن سلام .

قلت : وهذا عن عبد الله بن سلام أشبهه ، ولكن الرواية عن عبد الله بن عمرو أكثر ، مع أنه كان قد وجد يوم اليرموك زاملتين من كتب أهل الكتاب ، وكان يحدث عنهما كثيراً .

وليُعلم أن كثيراً من السلف كانوا يطلقون « التوراة » على كتب أهل الكتاب ، فهي عندهم أعم من التي أنزلها الله على موسى . وقد ثبت شاهد ذلك من الحديث .

وقال يونس : عن محمد بن إسحاق ، حدثني محمد بن ثابت بن شرحبيل ، عن ابن أبي أوفى ، عن أم الدرداء : قالت : : قلت لكعب الأخبار : كيف تجدون صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة ؟

قال : نجده : محمد رسول الله ، اسمه المتوكل ، ليس بفظولا غليظولا صخاب في الأسواق ، وأعطى المفاتيح ، فيبصر الله به أعيناً عوراً ، ويُسمع آذاناً وُقراً ، وقيم به ألسنا معوجة ، حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله واحد لا شريك له ، يعين به المظلوم ويمنعه .

وقد روى عن كعب من غير هذا الوجه .

وروى البيهقي ، عن الحاكم ، عن أبي الوليد الفقيه ، عن الحسن بن سفيان ، حدثنا عتبة بن مكرم ، حدثنا أبو قطن عمرو بن الهيثم ، حدثنا حمزة بن الزيات ، عن سليمان الأعمش ، عن علي بن مدرك ، عن أبي زرعة ، عن أبي هريرة (وما كنت بجانب الطور

إِذْ نَادَيْنَا) قَالَ : نودوا : يَا أمة محمد استجبتم لكم قبل أن تدعوني ، وَأَعْطَيْتُكُمْ قَبْلَ أَنْ تَسْأَلُونِي .

وذكر وهب بن منبه أن الله تعالى أوحى إلى داود في الزبور : يا داود إنه سيأتي من بعدك نبي اسمه أحمد ومحمد ، صادقاً سيداً لا أغضب عليه أبداً ، ولا يُغضبني أبداً ، وقد غفرت له قبل أن يعصيني ماتقدم من ذنبه وما تأخر ، وأمته مرحومة ، أعطيتهم من النوافل مثل ما أعطيت الأنبياء ، وفرضت عليهم الفرائض التي افترضت على الأنبياء . والرسول ، حتى يأتوني يوم القيامة ونورهم مثل نور الأنبياء .

إلى أن قال : يا داود إني فضلت محمداً وأمته على الأمم كلها .

والعلم بأنه موجود في كتب أهل الكتاب معلوم من الدين ضرورة ، وقد دل على ذلك آيات كثيرة في الكتاب العزيز تكلمنا عليها في مواضعها والله الحمد .

فمن ذلك قوله (الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون ، وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين)^(١) .

وقال تعالى : (الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون)^(٢) .

وقال تعالى (إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذن سجداً ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولاً)^(٣) أي إن كان وعدنا ربنا بوجود محمد وإرساله لكائن لا محالة . فسبحان القدير على ما يشاء لا يعجزه شيء .

وقال تعالى إخباراً عن القسيسين والرهبان : (وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول .

(٣) سورة الإسراء ١٠٧ ، ١٠٨

(٢) سورة البقرة ١٤٦

(١) سورة القصص ٥٢ ، ٥٣

تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا
مَعَ الشَّاهِدِينَ^(١) .

وفي قصة النجاشي وسلمان وعبد الله بن سلام وغيرهم . كما سيأتي شواهد كثيرة
لهذا المعنى . والله الحمد والمنة .

وذكرنا في تضاعيف قصص الأنبياء^(٢) وصفهم لبعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم
ونعته وبلد مولده ودار مُهَاجَرِهِ ونعت أمته ، في قصة موسى وشُعَيْبَا وأرمياء
ودانيال وغيرهم .

وقد أخبر الله تعالى عن آخر أنبياء بني إسرائيل وخاتمهم عيسى بن مريم أنه قام في
بني إسرائيل خطيباً قائلاً لهم : (إني رسولُ الله إليكم مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ
وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ^(٣)) .

وفي الإنجيل البشارة بالفارقليط ، والمراد محمد صلى الله عليه وسلم .

وروى البيهقي عن الحاكم ، عن الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبار ، عن يونس بن
بَكِير ، عن يونس بن عمرو ، عن العيزار بن حرب ، عن عائشة رضي الله عنها أن
رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال « مكتوبٌ في الإنجيل لا فِظٌّ ولا غليظ ولا صخاب في
الأسواق ، ولا يجزى بالسِيئة مثلاً بل يعفو ويصفح » .

وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا فيض البجلي ، حدثنا سلام بن مسكين ، عن
مقاتل بن حيان قال : أوحى الله عز وجل إلى عيسى بن مريم : حِدِّ في أمري واسمع
وأطع يا ابن الطاهرة البكر البتول ، أنا خلقتك من غير فحل فجعلتك آية للعالمين ،
فإياي فاعبد . فبين لأهل سوران بالسريانية ، بلغ من بين يديك أني أنا الحق القائم

(٢) وذلك في الجزء الأول من البداية والنهاية

(١) سورة المائدة ٨٣ .

(٣) سورة الصف ٦ .

الذى لا أزول ، صدّقوا بالنبي الأُمى العربى صاحب الجمل والمدرعة والعمامة ، وهى التاج ،
والنعلين ، والمراوة ، وهى القضيب ، الجعد الرأس ، الصلّت^(١) الجبين ، المقرون الحاجبين ،
الأنجل العينين ، الأهدب الأشفار ، الأذعج العينين ، الأقفى الأنف ، الواضح الخدين ،
الكث اللحية ، عرقه فى وجهه كاللؤلؤ ، ريح المسك ينضح منه ، كأن عنقه إبريق فضة ،
وكان الذهب يجرى فى تراقيه ، له شعرات من لبته إلى سُرته تجرى كالقضيب ،
ليس فى بطنه شعرٌ غيره ، شثن^(٢) الكف والقدم ، إذا جاء مع الناس غمّهم ،
وإذا مشى كأنما يتقلّع من الصخر ويتحدّر من صَبَب ، ذو النسل القليل - وكأنه أراد
الذكور من صلبه .

هكذا رواه البيهقى فى دلائل النبوة من طريق يعقوب بن سفيان .

وروى البيهقى عن عثمان بن الحكم بن رافع بن سنان^(٣) حدثنى بعض عمومتى
وآبائى أنهم كانت عندهم ورقة يتوارثونها فى الجاهلية حتى جاء الله بالإسلام
وبقيت عندهم ، فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ذكروها له وأتوه بها
مكتوب فيها : بسم الله وقوله الحق وقول الظالمين فى تباب . هذا الذّكر لأمة تأتى فى
آخر الزمان ، يفسلون^(٤) أطرافهم ويأتزرون^(٥) على أوساطهم ، ويخوضون البحور إلى
أعدائهم ، فيهم صلاة لو كانت فى قوم نوح ما أهلكوا بالطوفان ، وفى عاد ما أهلكوا
بالريح ، وفى ثمود ما أهلكوا بالصيحة . بسم الله وقوله الحق وقول الظالمين فى تباب .
ثم ذكر قصة أخرى . قال فعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قرأت عليه فيها .

(١) الصلّت : الواضح (٢) أى غليظ أصابعهما . وذلك جمال فى الرجال . (٣) رواه
بن الجوزى فى الوفا : عن عمر بن حفص وكان من خيار الناس . قال : كان عند أبى أو عند جدى ورقة
توارثونها قبل الإسلام بزمان . (٤) الأصل : ليلون . وما أثبتته عن الوفا لابن الجوزى .
(٥) المطبوعة : ويوترون ، وهو تحريف .

وذكرنا عند قوله تعالى في سورة الأعراف (الذى يَحِدُّونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ) قصة هشام بن العاص الأموى ، حين بعثه الصديق في سرية إلى هرقل يدعوهُ إلى الله عز وجل . فذكر أنه أخرج لهم صور الأنبياء في رُقعة من آدم إلى محمد صلوات الله عليه وسلامه عليهم أجمعين ، على النعت والشكل الذى كانوا عليه . ثم ذكر أنه لما أخرج صورة رسول الله صلى الله عليه وسلم قام قائماً إكراماً له . ثم جلس وجعل ينظر إليها ويتأملها . قال : فقلنا له من أين لك هذه الصورة ؟ فقال : إن آدم سأل ربه أن يريه جميع الأنبياء من ذريته^(١) ، فأنزل عليه صورهم ، فكان في خزانة آدم عليه السلام عند مغرب الشمس فاستخرجها ذو القرنين ، فدفعها إلى دانيال .

ثم قال : أما والله إن نفسى قد طابت بالخروج من مُلكى وأنى كنت عبداً لأشركم ملكة حتى أموت . ثم أجازنا فأحسن جائزتنا وسرحنا .

فلما أتينا أبا بكر الصديق فحدثناه بما رأينا وما أجازنا وما قال لنا ، قال : فبكى وقال : مسكين لو أراد الله به خيراً لفعل . ثم قال : أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم واليهود يجدون نعت محمد عندهم .

رواه الحاكم بطوله . فليكتب هاهنا من التفسير . ورواه البيهقي في دلائل النبوة .

وقال الأموى : حدثنا عبد الله بن زياد عن ابن إسحاق قال : وحدثني يعقوب بن عبد الله بن جعفر بن عمرو بن أمية ، عن أبيه ، عن جده عمرو بن أمية قال : قدمت بريق من عند النجاشى أعطانيهم فقالوا لى : يا عمرو لو رأينا رسول الله لعرفناه من غير أن نخبرنا ، فرأى أبو بكر قلت أهو هذا ؟ قالوا : لا . فرأى عمر قلت : أهو هذا ؟ قالوا :

(١) خ ط : من ذلك وهو تحريف .

لا . فدخلنا الدار فمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنادوني : يا عمرو هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم . فنظرت فإذا هو هو من غير أن يخبرهم به أحد ، عرفوه بما كانوا يجدونه مكتوباً عندهم .

وقد تقدم إنذار سبأ لقومه وبشارته لهم بوجود رسول الله صلى الله عليه وسلم في شعر أسلفناه في ترجمته . فأغنى عن إعادته ، وتقدم قول الخبرين من اليهود لتتبع اليماني حين حاصر أهل المدينة أنها مهاجر نبي يكون في آخر الزمان . فرجع عنها ونظم شعراً^(١) يتضمن السلام على النبي صلى الله عليه وسلم .

(١) هذا الشعر المنسوب إلى تبع مختلف مصنوع كما حقق ذلك بعض الباحثين ، لأنه كان من حمير ولسانهم غير لسان عدنان .

قصة سيف بن ذى يزن الحميرى

وبشارته بالنبي الأمى

وقال الحافظ أبو بكر محمد بن جعفر بن سهل الخرائطى فى كتابه « هواتف الجان » حدثنا على بن حرب ، حدثنا أحمد بن عثمان بن حكيم ، حدثنا عمرو بن بكر - هو ابن بكار القعنبي - عن أحمد بن القاسم ، عن محمد بن السائب الكلبي ، عن أبي صالح ، عن عبد الله بن عباس . قال : لما ظهر سيف بن ذى يزن - قال ابن المنذر : واسمه النعمان ابن قيس - على الحبشة ، وذلك بعد مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم بسنتين أتمته وفود العرب وشعراؤها تهنئه وتمدحه وتذكر ما كان من حسن بلائه .

وأناه فيمن أناه وفود قريش فيهم عبد المطلب بن هاشم ، وأميه بن عبد شمس ، وعبد الله بن جدعان ، وخويلد بن أسد ، فى أناس من وجوه قريش . قدّموا عليه صنعاء ، فإذا هو فى رأس عُمدان الذى ذكره أميه بن أبى الصلت :

واشرب هنيئاً عليك التاج مرتفعاً فى رأس عُمدان داراً منك محلاًلاً

فدخل عليه الآذن ، فأخبره بمكانهم فأذن لهم ، فدنا عبد المطلب فاستأذنه فى الكلام . فقال له : إن كنت ممن يتكلم بين يدى الملوك فقد أذِنَّا لك . فقال له عبد المطلب : إن الله قد أحلك أيها الملك محلاً رفيعاً صعباً منيعاً ، شامخاً باذخاً ، وأنبتك منبتاً طابت أرومته وعزّت^(١) جرثومته ، وثبت أصله ، وبسق فرعه ، فى أكرم موطن وأطيب معدن ، فأنت - أبيت اللعن - ملك العرب ، وربيعةا الذى تُخصب به البلاد ، ورأس العرب الذى له تنقاد ، وعمودها الذى عليه العماد ، ومَعَقَها الذى يلجأ إليه العباد . وسلفك خير سلف ،

(١) الأصل : وعزيت . وما أثبتته عن الاكتفا للسكاعى ١/ ١٧٩ .

وأنت لنا منهم خير تخلف . فلن يَحْمِلَ^(١) من هم سلفه ولن يهلك من أنت خلفه ، ونحن أيها الملك أهل حرم الله وسدنة بيته ، أشخصنا إليك الذي أبهجت^(٢) من كشف الكرب الذي قد فدَحنا [فنحن]^(٣) ، وقد التهنئة لا وفد المرزئة .

قال : وأيهم أنت أيها المتكلم .

قال : أنا عبد المطلب بن هاشم . قال : ابن أختنا ؟ قال : نعم . قال ادن^(٤) . فأدناه ، ثم أقبل عليه وعلى القوم فقال : مرحباً وأهلاً وناقة ورَحْلاً ، ومُسْتَنَاحاً سهلاً ، ومِلْكَ رَجُلًا^(٥) يعطى عطاء جزلاً . قد سمع الملك مقاتلكم وعرف قرابتكم ، وقبل وسيلتكم ، فأتم أهل الليل والنهار ، ولكم الكرامة ما أقتم والحباء إذا ظعنتم .

ثم نهضوا إلى دار الكرامة والوفود ، فأقاموا شهراً لا يَصِلُونَ إليه ولا يأذن لهم بالانصراف ، ثم انتبه لهم انتباهة فأرسل إلى عبد المطلب فأدنى مجلسه وأخلاه ثم قال : يا عبد المطلب إني مُفَضُّ^(٦) إليك من سرِّ عِلْمِي ما لو يكون غيرك لم أُبْجَ به . ولكني رأيتك معدنه فأطلعتك عليه ، فليكن عندك مطويّاً حتى يأذن الله فيه ، فإن الله بالغ أمره .

إني أجد في الكتاب المكنون والعلم الخزون الذي اختزنناه^(٧) لأنفسنا واحتجبتناه^(٨) دون غيرنا خبراً عظيماً ، وخطراً جسيماً فيه شرف الحياة وفضيلة الوفاة ، للناس عامة ولرهطك كافة ولك خاصة .

فقال عبد المطلب : أيها الملك مثلك سرّ وبرّ ، فما هو ، فدأوك أهل الوبر

زمرّاً بعد زمر ؟

(١) الاكتفا : فلم يَحْمِلْ من أنت سلفه . وفي دلائل النبوة : فلم يَحْمِلْ ذكر من أنت سلفه .
(٢) الاكتفا : أبهجتنا . (٣) سقطت من الأصل والمطبوعة . (٤) الاكتفا : ادنه .
(٥) رجلاً : كثير العطاء . (٦) الاكتفا والدلائل : إني مفوض ، وهو الأصح . وفي الاكتفا : من سني (٧) ط : اخترناه . (٨) ط : احتجناه ، وهو تحريف .

قال : إذا ولد بتهامة ، غلام به علامة ، بين كتفيه شامة ، كانت له الإمامة ، ولكم به الزعامة إلى يوم القيامة .

قال عبد المطلب : أبيت اللعن ، لقد أثبت بخير ما آب به وافد ، ولولا هبة الملك وإجلاله وإعظامه لسألته من بشارته إياي ما أزداد به سرورا .

قال ابن ذى يزن : هذا حينه الذى يولد فيه أوقد ولد ، واسمه محمد ، يموت أبوه وأمه ، ويكفله جده وعمه ، ولدناه مراراً والله باعته جهاراً ، وجاعل له منا أنصاراً ، يعزُّ بهم أوليائه ويذل بهم أعداءه ، ويضرب بهم الناس عن عَرْض ، ويستبيح بهم كرائم الأرض ، يكسر الأوثان ويُحمد النيران ، يعبد الرحمن ويدحر الشيطان ، قوله فصل ، وحُكمه عدل ، يأمر بالمعروف ويفعله ، وينهى عن المنكر ويبطله .

فقال عبد المطلب : أيها الملك - عزَّ جدُّك ، وعلا كعبك ، ودام مُلكك ، وطال عمرك [فهذا نجارى]^(١) فهل الملك سار^(٢) لى يافصاح فقد أوضح لى بعض الإيضاح . فقال ابن ذى يزن : والبيت ذى الحجب والعلامات على التُّصَب^(٣) إنك يا عبد المطلب لجدُّه غير كذب

نحرَّ عبدُ المطلب ساجدا فقال : ارفع رأسك ، ثلج صدرك ، وعلا أمرك ، فهل أحسست شيئا مما ذكرت لك ؟

فقال : أيها الملك كان لى ابن وكنت به معجباً وعليه رفيقا ، فزوّجته كريمة من كرائم قومه أمنة بنت وهب ، فجاءت بفلام سميته محمداً ، فأت أبوه وأمه وكفلته أنا وعمه .

قال ابن ذى يزن : إن الذى قلت لك كما قلت ، فاحتفظ بابنك واحذر عليه اليهود ،

(١) ليست فى الاكتفا ولا فى الدلائل ولا فى الوفا . والنجار : الأصل . (٢) المراجع : سارى .

(٣) ط خ : النقب وهو تجريف . وما أثبتته عن المراجع السابقة .

فإنهم له أعداء ، ولن يجعل الله لهم عليه سبيلا ، واطوِ ما ذكرتُ لك دون هؤلاء
الرهط الذين معك ، فإنى لست آمنُ أن تدخل لهم ^(١) النفاسة من أن تكون لكم
الرياسة ، فيطلبون له الغوائل ، وينصبون له الحبائل ، فهم ^(٢) فاعلون أو أبناؤهم ، ولولا
أنى أعلم أن الموت مُجْتاحى قبل مَبْعَثِهِ لِسِرْتُ بِخَيْلى وَرَجِلى حتى أصير بيثرب دار
مملكته ^(٣) ، فإنى أجد فى الكتاب الناطق والعلم السابق أن ييثر استحكام أمره وأهل
نصرته وموضع قبره ، ولولا أنى أقيه الآفات وأحذر عليه العاهات لأعانتُ على
حادثة سنه أمره ولأوطأت أسنان العرب عَقْبِهِ ، ولكنى صارفٌ ذلك إليك عن ^(٤)
غير تقصير بمن معك .

قال : ثم أمر لكل رجل منهم بعشرة أعبد وعشرة إماء وبمائة من الإبل
وحللتين من البرود وبخمس أرطال من الذهب وعشرة أرطال فضة وكرش
مملوء عنبراً .

وأمر لعبد المطلب بعشرة أضعاف ذلك وقال له : إذا حال الحول فأتنى ، فمات ابن
ذى يزن قبل أن يحول الحول .

فكان عبدالمطلب كثيراً ما يقول : [يامعشر قریش] ^(٥) لا يغبطنى رجل منكم بجزيل
عطاء الملك [وإن كثرت] ^(٥) فإنه إلى نفاذ ، ولكن ليغبطنى بما يبقى لى ولعقبى من بعدى
ذِكْرُهُ وفَخْرُهُ وشرفه .

فإذا قيل له : متى ذلك ؟ قال : سيعلم ولو بعد حين .

قال : وفى ذلك يقول أمية بن عبد شمس ^(٦) :

(١) المراجع : أن تدخلهم . (٢) الاكتفا : وهم . (٣) الاكتفا : دار ملكه .
(٤) الاكتفا : عن . (٥) من الاكتفا . (٦) الأبيات فى الوفا لابن الجوزى باختلاف
(٢٢ - السيرة ١)

جَلَبْنَا النَّصْحَ حَقِّهِ^(١) المطايا على أَكْوَارِ أُنْجَالٍ وَنُوقٍ
مُقَلَّفَةٌ مَرَاتِعَهَا تَعَالَى إلى صَنْعَاءَ مِنْ فَجٍّ عَمِيقٍ^(٢)
تَوْمٌ بَنَى ابْنَ ذِي يَزْنَ وَتَفْرَى بذَاتِ بَطُونِهَا ذِمَّ^(٣) الطَّرِيقِ
وَتَرَعَى مِنْ نَحْأَيْلِهِ بُرُوقًا مُوَاصِلَةَ الْوَمِيزِ إِلَى بُرُوقِ
فَلَمَّا وَاصَلَتْ صَنْعَاءَ حَلَّتْ بَدَارِ الْمُلْكِ وَالْحَسْبِ الْعَرِيقِ

وهكذا رواه الحافظ أبو نعيم في الدلائل من طريق عمرو بن بكير بن بكَّار القَعْنَبِيِّ .

ثم قال أبو نعيم^(٤) : أَخْبَرْتُ عَنْ أَبِي الْحَسَنِ عَلَى بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ رَبِّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ عَفِيرِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ السَّفَرِ بْنِ عَفِيرِ بْنِ زُرْعَةَ بْنِ سَيْفِ بْنِ ذِي يَزْنَ ، حَدَّثَنِي أَبِي أَبُو يَزْنَ إِبْرَاهِيمَ ، حَدَّثَنَا عَمِّي أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ أَبُو رَجَاءَ بِهِ ، حَدَّثَنَا عَمِّي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، حَدَّثَنِي عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَفِيرَ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ زُرْعَةَ بْنِ سَيْفِ بْنِ ذِي يَزْنَ . الْحَمِيرِيُّ قَالَ : لَمَّا ظَهَرَ جَدِّي سَيْفُ بْنُ ذِي يَزْنَ عَلَى الْحَبَشَةِ . وَذَكَرَهُ بِطَوْلِهِ .

وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الْخُرَائِطِيُّ : حَدَّثَنَا أَبُو يَوْسُفَ يَعْقُوبُ بْنُ إِسْحَاقَ الْقَلُوسِيُّ ، حَدَّثَنَا الْعَلَاءُ بْنُ الْفَضْلِ بْنِ أَبِي سَوِيَّةَ ، أَخْبَرَنِي أَبِي عَنْ أَبِيهِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ أَبِي سَوِيَّةَ ، عَنْ جَدِّهِ أَبِي سَوِيَّةَ ، عَنْ أَبِيهِ خَلِيفَةَ قَالَ : سَأَلْتُ مُحَمَّدَ بْنَ عُمَانَ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ سَوَاءَةَ بْنِ خَثْعَمَ بْنِ سَعْدٍ فَقُلْتُ : كَيْفَ سَمَّاكَ أَبُوكَ مُحَمَّدًا ؟ فَقَالَ : سَأَلْتُ أَبِي عَمَّا سَأَلْتَنِي عَنْهُ ، فَقَالَ : خَرَجْتُ رَابِعَ أَرْبَعَةٍ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ أَنَا مِنْهُمْ ، وَسَفِيَّانُ بْنُ مُجَاشَعٍ بْنُ دَارِمَ ، وَأَسَامَةُ بْنُ مَالِكٍ بْنُ جُنْدُبِ بْنِ الْعَقِيدِ ، وَيَزِيدُ بْنُ رَبِيعَةَ بْنِ كِنَانَةَ بْنِ حَرْبُوصَ بْنِ مَازَنَ ، وَنَحْنُ نَزِيدُ بْنُ جَنْثَةَ مَلِكِ غَسَّانَ ، فَلَمَّا شَارَفْنَا الشَّامَ نَزَلْنَا عَلَى غَدِيرٍ عَلَيْهِ شَجَرَاتٌ فَتَحَدَّثْنَا ، فَسَمِعَ كَلَامَنَا رَاهِبٌ ، فَأَشْرَفَ عَلَيْنَا فَقَالَ : إِنَّ هَذِهِ لَفَةٌ مَاهِي بَلُغَةُ هَذِهِ الْبِلَادِ . فَقُلْنَا : نَعَمْ نَحْنُ قَوْمٌ مِنْ مُضَرَ .

(١) الأصل : تحقيه . (٢) المراتع : جمع مرتع . ومقلَّفة : بها القلفة بالكسر وهو ضرب من النبات أخضر له ثمرة صغيرة تمرص عليها الإبل . (٣) الوفا : أم الطريق . (٤) ليس في دلائل أبي نعيم المطبوعة .

قال : من أى المضرين ؟ قلنا : من خِندف . قال : أما إنه سيبعث وشيكا نبي خاتم النبیین ، فسارعوا إليه وخذوا بحظكم منه ترشدوا . فقلنا له : ما اسمه ؟ قال : اسمه محمد .

قال : فرجعنا من عند ابن جفنة فولد لكل واحد منا ابن فسماه محمداً .

يعنى أن كل واحد منهم طمع في أن يكون هذا النبي المبشر به ولده .

وقال الحافظ أبو بكر الخرائطى : حدثنا عبد الله بن أبى سعد ، حدثنا حازم بن عقال ابن الزهر بن حبيب بن المنذر بن أبى الحصين بن السمّوأل بن عاديّا ، حدثنى جابر بن جدّان ابن جميع بن عثمان بن سمالك بن الحصين بن السمّوأل بن عاديّا قال : لما حضرت الأوس بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر الوفاة ، اجتمع إليه قومه من غسان فقالوا : إنه قد حضرَك من أمر الله ماترى ، وكنا نأمرُك بالتزوج في شبابك فتأبى ، وهذا أخوك الخزرج له خمسة بنين ، وليس لك ولد غير مالك . فقال : لن يهلك هالكٌ تركَ مثلَ مالك ، إن الذى يُخرج النار من الوِئيمَةِ^(١) قادر أن يجعل لمالك نسلًا ورجالا بُسلًا ، وكلُّ إلى الموتِ .

ثم أقبل على مالك وقال : أى بنى : المنية ولا الدنية ، العقاب ولا العتاب ، التجلد ولا التلدد ، القبر خيرٌ من الفقر ، إنه من قلَّ ذلٌّ ، ومن كثرَ فرٌّ ، من كرم الكريم الدّفعُ عن الحريم . والدهرُ يومان : فيومٌ لك ويومٌ عليك ، فإذا كان لك فلا تبَطّرْ ، وإذا كان عليك فاصطبر ، وكلاهما سينحسر ، ليس يثبت منهما الملك المتوّج ، ولا اللّثم الملعج^(٢) ، سلّم ليومك حيّاك ربك ، ثم أنشأ يقول :

شهدتُ السّبايا يومَ آل محرّق وأدركُ عُمرى^(٣) صيحةَ الله فى الحجرِ

(١) الوئيمة : الحجارة . (٢) الملعج : الرجل الأحمق الهذر اللّثيم . اللسان ١٥٢/٣

(٣) كذا فى ١ والخصائص . وفى المطبوعة : أُمرى .

فلم أرَ ذا مُلكٍ من الناسِ واحداً
فعلَّ الذي أَرَدَى نموداً وجُرْهماً
تَفَرَّ بِهَمٍّ مِنْ آلِ عمرو بنِ عامِرٍ
فإنَّ لَمْ تَكُ الأَيَّامُ أَبْلَينَ جِدَّتِي
فإنَّ لَنَا رَبَّاً عَلاً فَوْقَ عَرْشِهِ
أَلَمْ يَأْتِ قَوْمِي أَنْ لَهِىَ دَعْوَةً
إِذَا بُعِثَ الْمُبْعُوثُ مِنْ آلِ غَالِبٍ
هَنَالِكَ فَابْغُوا نَصْرَهُ بِيَلَادِكُمْ
قَالَ : ثُمَّ قَضَى مِنْ سَاعَتِهِ .

ولا سُوقَةً إِلَّا إِلَى الْمَوْتِ وَالْقَبْرِ
سَيُعْقَبُ لِي نَسْلاً عَلَى آخِرِ الدَّهْرِ
عَيُونٌ لَدَى الدَّاعِي إِلَى طَلَبِ الْوَتْرِ
وَشَيَيْنَ رَأْسِي وَالْمَشِيبُ مَعَ الْعُمُرِ
عَالِماً بِمَا يَأْتِي مِنَ الْخَيْرِ وَالْشَّرِّ
يَفُوزُ بِهَا أَهْلُ السَّعَادَةِ وَالْبَرِّ
بِمَكَّةَ فِيمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَالْحَجَرِ
بَنِي عَامِرٍ إِنَّ السَّعَادَةَ فِي النَّصْرِ

باب فى هواتف الجان

وهو ما ألقته الجان على ألسنة الكهان ومسموعاً من الأوثان^(١)

وقد تقدم كلام شقّ وسطيح لربيعه بن نصر ملك اليمين فى البشارة بوجود رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رسولٌ زكىّ يأتى إليه الوحى من قبل العليّ » .
وسأتنى فى المولد قول سطيح لعبد المسيح : « إذا كثرت التلاوة ، وغاضت بحيرة ساوة . وجاء صاحب الهرأوة » يعنى بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم كما سأتنى بيانه مفصلاً^(٢) .

وقال البخارى : حدثنا يحيى بن سليمان الجعفى ، حدثنى ابن وهب ، حدثنى عمرو - هو محمد بن زيد - أن سالماً حدثه عن عبد الله بن عمر قال : ماسمت عمر يقول لشيء قط : « إنى لأظنه » إلا كان كما يظن .

بينما عمر بن الخطاب جالس إذ مر به رجل جميل ، فقال : لقد أخطأ ظنى أو إن هذا على دينه فى الجاهلية ، أو لقد كان كاهنهم ، على الرجل .
فدعى به . فقال له ذلك فقال : مارأيت كاليوم أستقبل به رجلاً مسلماً .

(١) كان القدماء رحمهم الله يحتفلون بالنبيات التى كانت تجد لدى العامة قبولاً ورواجاً ، ولكنهم لم تكن تستحق هذا الاحتمال ، وليس لها من الناحية العلمية وزن ، إذ أن فيها مجالا واسعا للتخيل والاختلاق وأهم من ذلك أن الإسلام وهو دين يعتمد على حقائق الحياة وشهادة التاريخ لا يحتاج فى إثباته وصدق رسوله إلى هتاف جان أو سجع كهان ، وخاصة أن الإسلام أبطل الكهانة وقضى عليها ، فكيف يستشهد بأقوال الكهان على صدقه أو تنطق الأوثان بصحته ؟ !

(٢) ليس فى ١ .

قال : فإنى أعزم عليك إلا ما أخبرتنى . قال : كنت كاهنهم فى الجاهلية ، قال : فما أعجب ما جاءتك به جنيتك ؟

قال : بينما أنا فى السوق يوماً جاءتنى أعرف فيها الفزع ، فقالت :

ألم ترَ الجنَّ وإبلاسها ، ويأسها من بعد أنكاسها ، ولحوقها بالقلاص وأحلاسها ؟

قال عمر : صدق ، بينما أنا نائم عند آهتهم جاء رجل بعجل فذببحه ، فصرخ به صارخ لم أسمع صارخاً قط أشد صوتاً منه ، يقول : يا جليح ، أمرُ نجيح رجل فصيح ، يقول لا إله إلا الله . فوثب القوم ، فقلت : لا أبرح حتى أعلم ما وراء هذا . ثم نادى : يا جليح أمرُ نجيح ، رجل فصيح ، يقول لا إله إلا الله . فقامت فما نشبنا أن قيل هذا نبى .

تفرد به البخارى .

وهذا الرجل هو سواد بن قارب الأزدى ، ويقال السدوسى من أهل السراة من جبال البلقاء له حبة ووفادة . قال أبو حاتم وابن منده : روى عنه سعيد بن جبير ، وأبو جعفر محمد بن على ، وقال البخارى : له حبة . وهكذا ذكره فى أسماء الصحابة أحمد بن روح البرذعى الحافظ ، والدارقطنى ، وغيرهما وقال الحافظ عبد الغنى بن سعيد المصرى : سواد بن قارب بالتخفيف . وقال عثمان الوقاصى : عن محمد بن كعب القرظى : كان من أشرف أهل اليمن .

ذكره أبو نعيم فى الدلائل . وقد روى حديثه من وجوه آخر مطولة بالبسط من رواية البخارى .

وقال محمد بن إسحاق : حدثنى من لا أتهم عن عبد الله بن كعب مولى عثمان بن

عُفان أنه حَدَّث أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه بينما هو جالس في الناس في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أقبل رجل من العرب داخل المسجد يريد عمر بن الخطاب . فلما نظر إليه عمر قال : إن الرجل لَعَلَّيْ شِرٌّ كَه ما فارقه بعدُ ، أو لقد كان كاهنا في الجاهلية .

فَسَلَّمَ عليه الرجل ثم جلس ، فقال له عمر : هل أسلمتَ ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين . قال : فهل كنت كاهنا في الجاهلية ؟

فقال الرجل : سبحان الله يا أمير المؤمنين ، لقد خِلْتُ فيَّ واستقبلتني بأمرٍ ما أراءكَ قَلْبَهُ لأحد من رعيَّتِكَ منذ وليتَ ما وليت .

فقال عمر : اللهم غَفِّرا ، قد كنا في الجاهلية على شِرٍّ من هذا ، نعبد الأصنام ونعتنق الأوثان ، حتى أكرمنا الله برسوله وبالإسلام .

قال : نعم والله يا أمير المؤمنين لقد كنت كاهنا في الجاهلية .

قال : فأخبرني ماجاء به صاحبك . قال : جاءني قبل الإسلام بشهر أو شَيْعَه ^(١)

فقال : ألم تر إلى الجن وإبلاسها ، وإياسها من دينها ، ولحوقها بالقلاص وأحلاسها .

قال ابن إسحاق : هذا الكلام سجع ليس بشعر .

فقال عمر : عند ذلك يحدث الناس : والله إني لعند وثن من أوثان الجاهلية في نفر

من قریش ، قد ذبح له رجل من العرب عجلا ، فنحن ننتظر قَسْمَهُ أن يقسم لنا منه ، إذ سمعت من جوف العجل صوتا ما سمعت صوتا قط أشد منه ، وذلك قبل الإسلام بشهر أو شَيْعَه يقول : يا ذَرِج ، أمر نجيح ، رجل يصيح يقول لا إله إلا الله .

قال ابن هشام : ويقال رجل يصيح ، بلسان فصيح ، يقول لا إله إلا الله .

(١) أى دونه بقليل، وشيع كل شء : ما هو له تبع .

قال : وأنشدني بعض أهل العلم بالشعر :

عجبتُ للجنِّ وإِبْلَاسِهِمَا وشَدَّهَا العِيسَ بِأَحْلَاسِهِمَا
تَهَوَّى إِلَى مَكَّةَ تَبَغَّى الْهُدَى مَا مُؤْمِنُو الْجِنِّ كَأَنْجَاسِهِمَا

وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي : حدثنا يحيى بن حجر بن النعمان الشامي ، حدثنا على ابن منصور الأنباري ، عن محمد بن عبد الرحمن الوَقَّاصِي ، عن محمد بن كعب القرظي ، قال : بينما عمر بن الخطاب رضى الله عنه ذات يوم جالس إذ مر به رجل ، فقبل : يا أمير المؤمنين أتعرف هذا المارَّ ؟ قال : ومن هذا ؟ قالوا : هذا سواد بن قارب ، الذى أتاه رِئِيَّةُ بظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال : فأرسل إليه عمر فقال له : أنت سواد بن قارب ؟ قال : نعم .

قال : فأنت على ما كنت عليه من كهانتك ؟

قال : فغضب وقال : ما استقبلني بهذا أحد منذ أسلمتُ يا أمير المؤمنين .

فقال عمر : ياسبحان الله ! ما كنا عليه من الشُّركِ أعظم مما كنت عليه من كهانتك ، فأخبرني ما أنباك رِئِيَّتُكَ ^(١) بظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال : نعم يا أمير المؤمنين بينما أنا ذات ليلة بين النائم واليقظان إذ أتاني رِئِيٌّ فصرى برجله وقال : قم يا سواد بن قارب ، واسمع مقاتلي واعقل إن كنت تعقل ، إنه قد بعث رسول من لؤى بن غالب يدعو إلى الله وإلى عبادته . ثم أنشأ يقول :

عجبتُ للجنِّ وَتِطْلَابِهِمَا وشَدَّهَا العِيسَ بِأَقْتَابِهِمَا
تَهَوَّى إِلَى مَكَّةَ تَبَغَّى الْهُدَى مَا صَادِقُ الْجِنِّ كَكُذَّابِهِمَا
فَارْحَلْ إِلَى الصَّفْوَةِ مِنْ هَاشِمٍ لَيْسَ قَدْ آمَاها كَأَذْنَابِهِمَا

(١) فأخبرني بإتيانك ربيك .

قال : قلت دعنى أنام فإنى أمسيت ناعساً .

قال : فلما كانت الليلة الثانية أتانى فضربنى برجله وقال : قم ياسواد بن قارب واسمع مقالتي ، واعقل إن كنت تعقل ، إنه بعث رسول من لؤى بن غالب ، يدعو إلى الله وإلى عبادته ، ثم أنشأ يقول :

عجبتُ للجن وتخبّارها ^(١) وشدّها العيسَ بأكوارها
تهوَّى إلى مكة تبغى الهدى ما مؤمنو الجن ككفارها
فارحل إلى الصفوة من هاشم بين روابيها وأحجارها
قال : قلت دعنى أنام ، فإنى أمسيت ناعساً .

فلما كانت الليلة الثالثة أتانى فضربنى برجله وقال : قم ياسواد بن قارب ، فاسمع مقالتي ، واعقل إن كنت تعقل ، إنه قد بعث رسول من لؤى بن غالب يدعو إلى الله وإلى عبادته . ثم أنشأ يقول :

عجبت للجن وتحسّاسها ^(١) وشدّها العيسَ بأحلاسها
تهوَّى إلى مكة تبغى الهدى ما خيّر الجن كأنجاسها
فارحل إلى الصفوة من هاشم واسمُ بعينيك إلى راسها

قال : فممت وقلت : قد امتحن الله قلبي ، فرحلت ناقتي ، ثم أتيت المدينة - يعنى مكة - فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أصحابه ، فدنوت فقلت : اسمع مقالتي يا رسول الله . قال : هات . فأنشأت أقول :

أتانى تجيىً بعد هذه ورقدة ^(٢) ولم يكُ فيما قد بلوت ^(٣) بكاذبٍ
ثلاث ليسال قوله كل ليل

(١) المطبوعة : وتخبّارها . وهو تحريف . وما أثبتته من ١ .

(٢) خ ط : قلو ت . وهو تحريف ، وما أثبتته عن الأكتفا .

فَشَمَّرَتْ عَنْ ذَيْلِي الْإِزَارَ وَوَسَّطَتْ بِي، الذَّعْلَبُ الْوَجْنَاءَ عَبر السَّبَاسِبِ
فَأَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ لَا شَيْءَ غَيْرُهُ وَأَنْتَ مَأْمُونٌ عَلَى كُلِّ غَائِبٍ^(١)
وَأَنْتَ أَذْنَى الْمُرْسَلِينَ وَسِيْلَةٌ إِلَى اللَّهِ يَا ابْنَ الْأَكْرَمِينَ الْأَطَايِبِ
فَمُرُّنَا بِمَا يَأْتِيكَ يَا خَيْرَ مَنْ مَشَى وَإِنْ كَانَ فِيمَا جَاءَ شَيْبُ الذَّوَائِبِ
وَكُنْ لِي شَفِيعًا يَوْمَ لَأْذُو شَفَاعَةٍ سِوَاكَ بَمُعْنٍ عَنْ سَوَادِ بْنِ قَارِبِ
قال : ففرح رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بمقالاتي فرحاً شديداً ، حتى رأوني
الفرح في وجوههم .

قال : فوثب إليه عمر بن الخطاب فالتزمه وقال : قد كنت أشتهى أن أسمع هذا
الحديث منك ، فهل يأتيك رتيك اليوم .

قال : أمّا منذ قرأت القرآن فلا ، ونعم العوض كتاب الله من الجن .
ثم قال عمر : كنا يوماً في حى من قریش يقال لهم آل ذريح وقد ذبحوا عجلاً لهم
والجزار يعالجه ، إذ سمعنا صوتاً من جوف العجل ولا نرى شيئاً ، قال : يا آل ذريح ،
أمرٌ نجيح ، صائح يصيح ، بلسان فصيح يشهد أن لا إله إلا الله .

وهذا منقطع من هذا الوجه ويشهد له رواية البخارى . وقد تساعدوا على أن السامع
الصوت من العجل هو عمر بن الخطاب والله أعلم .

وقال الحافظ أبو بكر محمد بن جعفر بن سهل الخرائطى فى كتابه الذى جمعه فى
هواتف الجان : حدثنا أبو موسى عمران بن موسى المؤدّب ، حدثنا محمد بن عمران بن محمد
ابن عبد الرحمن بن أبي ليلي ، حدثنا سعيد بن عبيد الله الوصّابى^(٢) ، عن أبيه ، عن أبي
جعفر محمد بن على قال : دخل سواد بن قارب السّدوسى على عمر بن الخطاب رضى الله

(١) الأصل غالب . وما أثبتته عن الدلائل والوفا .

(٢) نسبة إلى وصاب بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل .

عنه فقال : نشدتك بالله ياسواد بن قارب ، هل تحسن ^(١) اليوم من كهانتك شيئاً .
 فقال : سبحان الله يا أمير المؤمنين ، ما استقبلت أحداً من جلسائك بمثل
 ما استقبلتني به .

قال : سبحان الله ياسواد : ما كنا عليه من شرٍ كنا أعظمُ مما كنتَ عليه من كهانتك ،
 والله ياسواد لقد بلغني عنك حديث إنه لعجب من العجب .

قال : إى والله يا أمير المؤمنين إنه لعجب من العجب . قال : فخذْ ثنيه .

قال : كنتُ كاهناً في الجاهلية ، فبينما أنا ذات ليلة نائم إذ أتاني نَجِيٌّ فضرِبني برجله
 ثم قال : يا سواد اسمع أقل لك ، قلت : هات . قال :

عجبت للجن وإيجاسها ^(٢) ورَحَلها العيسَ بأحلاسها
 تهَوَى إلى مكة تَبْغِي الهدَى ما مؤمنوها مثلُ أرجاسها
 فارحل إلى الصفوة من هاشمٍ واسمُ بعينيك إلى رأسها

قال : فنمتُ ولم أحفل بقوله شيئاً . فلما كانت الليلة الثانية أتاني فضرِبني برجله ثم

قال لي : قم يا سواد بن قارب اسمع أقل لك . قلت : هات . قال :

عجبت للجن وتَطلّابها وشَدَّها العيسَ بأقْتابها
 تهَوَى إلى مكة تَبْغِي الهدَى ما صادقُ الجنِّ ككذابها
 فارحل إلى الصفوة من هاشمٍ ليس المقاديرُ كأذْبابها

قال : فحرَّكَ قوله مني شيئاً ، ونمتُ . فلما كانت الليلة الثالثة أتاني فضرِبني برجله

ثم قال : يا سواد بن قارب أتَعقل أم لا تعقل ؟ قلت : وما ذاك ؟ قال : ظهر بمكة نبي يدعو
 إلى عبادة ربه فالحقُّ به ، اسمع أقل لك . قلت : هات . قال :

(١) لعلها : هل تحسن . بدليل قوله بعد : هل تحسن اليوم منها بشيء .

(٢) ط : وأنجاسها .

عَجِبْتُ لِلْجَنِّ وَتَنَفَّارِهَا وَرَحَلَهَا الْعَيْسُ بِأَكْوَارِهَا
تَهَوَّى إِلَى مَكَّةَ تَبَغَى الْهُدَى مَا مُؤْمِنُو الْجَنِّ كَكْفَارِهَا
فَارْحَلْ إِلَى الصَّفْوَةِ مِنْ هَاشِمٍ بَيْنَ رَوَائِبِهَا وَأَحْجَارِهَا

قال : فعلت أن الله قد أراد بي خيراً . فمعت إلى بردة لي ففتقتها ولبستها ووضعت رجلى في غُرْزِ رَكابِ الناقة ، وأقبلت حتى انتهيت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فعرض على الإسلام فأسلمت ، وأخبرته الخبر فقال : « إذا اجتمع المسلمون فأخبرهم » فلما اجتمع المسلمون قت فقلت :

أَنَا نِيَّ نَجِيٍّ بَعْدَ هَذِهِ وَرَقْدَةٍ وَلَمْ يَكُ فِيمَا قَدْ بَلَوْتُ بِكَاذِبٍ
ثَلَاثَ لَيَالٍ قَوْلُهُ كُلَّ لَيْلَةٍ أَتَاكَ رَسُولٌ مِنْ لُؤَيٍّ بْنِ غَالِبٍ
فَشَمَّرْتُ عَنْ ذَيْلِ الْإِزَارِ وَوَسَّطْتُ بِي الَّذِ عُلِبَ الْوَجْنَاءُ عِبَرِ السَّبَاسِبِ^(١)
وَأَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ لَا رَبَّ غَيْرُهُ وَأَنْتَ مَأْمُونٌ عَلَى كُلِّ غَائِبٍ
وَأَنْتَ أَذْنَى الْمُرْسَلِينَ وَسِيلَةً إِلَى اللَّهِ يَا ابْنَ الْأَكْرَمِينَ الْأَطْيَابِ
فَمُرْنَا بِمَا يَأْتِيكَ يَا خَيْرَ مُرْسَلٍ وَإِنْ كَانَ فِيمَا جَاءَ شَيْبُ الذَّوَائِبِ
قال : فسرَّ المسلمون بذلك .

فقال عمر : هل تحس اليوم منها بشيء ؟ قال : أما إذ علمني الله القرآن فلا .
وقد رواه محمد بن السائب الكلبي عن أبيه عن عمر بن حفص قال : لما ورد
سواد بن قارب على عمر قال : يا سواد بن قارب ما بقي من كهانتك ؟
ففضض وقال : ما أظنك يا أمير المؤمنين استقبلت أحداً من العرب بمثل هذا .

(١) الذعلب : الناقة السريعة ، والوجناء : الشابة . والسباب : جمع سبب وهي الفلاة . هذا ، وقد
حرفت في الأصل : غير السبابس .

فلما رأى ما في وجهه من الغضب ، قال : أنظر سواد . الَّذِي كُنَّا عَلَيْهِ قَبْلَ الْيَوْمِ مِنَ الشَّرِكِ أَعْظَمُ . ثم قال : يا سواد حَدِّثْنِي حَدِيثًا كُنْتُ أَشْتَهِي أَسْمَعُهُ مِنْكَ .

قال : نعم ، يَينَا أَنَا فِي إِبِلٍ لِي بِالسَّرَاةِ لَيْلًا وَأَنَا نَائِمٌ ، وَكَانَ لِي نَجِيُّ مِنَ الْجَنِّ أَتَانِي فَضْرَبَنِي بِرَجْلِهِ فَقَالَ لِي : قُمْ يَا سَوَادُ بْنُ قَارِبٍ فَقَدْ ظَهَرَ بِتَهَامَةِ نَبِيٍّ يَدْعُو إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ . فَذَكَرَ الْقِصَّةَ كَمَا تَقْدُمُ وَزَادَ فِي آخِرِ الشَّعْرِ :

وَكُنْ لِي شَفِيعًا يَوْمَ لَا ذُو قَرَابَةٍ سِوَاكَ بِمَغْنٍ عَنْ سَوَادِ بْنِ قَارِبٍ

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « سِرُّ فِي قَوْمِكَ وَقُلْ هَذَا الشَّعْرُ فِيهِمْ » .

وَرَوَاهُ الْحَافِظُ ابْنُ عَسَاكَرٍ مِنْ طَرِيقِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، عَنْ الْحَكَمِ بْنِ يَعْلَى بْنِ عَطَاءِ الْحَارَبِيِّ ، عَنْ عَبَّادِ بْنِ عَبْدِ الصَّمَدِ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي سَوَادُ بْنُ قَارِبٍ الْأَزْدِيُّ قَالَ : كُنْتُ نَائِمًا عَلَى جَبَلٍ مِنْ جِبَالِ السَّرَاةِ فَاتَّانَى آتٌ فَضْرَبَنِي بِرَجْلِهِ . وَذَكَرَ الْقِصَّةَ أَيْضًا .

وَرَوَاهُ أَيْضًا مِنْ طَرِيقِ مُحَمَّدِ بْنِ الْبَرَاءِ ، عَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ عِيَّاشٍ ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ ، عَنْ الْبَرَاءِ . قَالَ : قَالَ سَوَادُ بْنُ قَارِبٍ : كُنْتُ نَازِلًا بِالْهَنْدِ فَجَاءَنِي رِثْيٌ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَذَكَرَ الْقِصَّةَ . وَقَالَ بَعْدَ إِنْشَادِ الشَّعْرِ الْآخِيرِ : فَضَحَكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ وَقَالَ : « أَفْلَحْتَ يَا سَوَادُ » .

وَقَالَ أَبُو نَعِيمٍ فِي كِتَابِ دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ جَعْفَرٍ ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْحُسَيْنِ ، حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ حَرْبٍ ، حَدَّثَنَا أَبُو الْمُنْذِرِ هِشَامُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ السَّائِبِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ الْعُمَانِيِّ قَالَ : كَانَ مِنْ أَجْلٍ يُقَالُ لَهُ مَا زَيْنُ بْنُ الْعُضُوبِ ^(١) يَسْدُنْ صِنًا بِقَرْيَةٍ يُقَالُ لَهَا سَمَايَا ، مِنْ عُمَّانَ ، وَكَانَتْ تَعْظُمُهُ بَنُو الصَّامِتِ وَبَنُو حَطَامَةَ

ومُهْرَة وهم أخوال مازن ، أمه زينب بنت عبد الله بن ربيعة بن خويص ^(١) أحد
بنى نمران .

قال مازن : فَعَتَرْنَا يوماً عند الصنم عتيرةً ، وهى الذبيحة ؛ فسمعت صوتاً من الصنم
يقول : يا مازن اسمع تُسَرِّ ، ظهر خير وبَطْن شبر ، بُعث نبي من مُصَرِّ ، بدين الله
الأكبر ، فدَعَّ نَحيتنا من حجر ، تسلم من حرِّ سَقَر .
قال : ففرزعت لذلك فرعاً شديداً .

ثم عَتَرْنَا بعد أيام عتيرة أخرى ، فسمعت صوتاً من الصنم يقول : أَقبل إلىَّ أَقبل ،
تَسْمَع ما لا تَجْهَل ، هذا نبي مرسل ، جاء بحق مُنْزَل ، فَأَمِنْ به كي تَعْدِل ، عن حر نار
تُشْعَل ، وقودها الجندل .

قال مازن : فقلت إن هذا لعَجَب ، وإن هذا لخَيْر يُرَاد بى ، وقدم علينا رجل
من الحجاز فقلت : ما الخبر وراءك ؟ فقال : ظهر رجل يقال له أحمد ، يقول لمن أتاه :
أجيبوا داعى الله .

فقلت : هذا نبأ ما سمعت . ففُتِرَتْ إلى الصنم فكسرتَه جُذَاذاً وركبت راحلتى حتى
قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فشرح الله صدرى للإسلام ، فأسلمت ، وقلت :

كَسَّرْتُ ياجِرَ أَجْذَاذًا ^(٢) وكان لنا ربًّا نُطِيف به ضَلالًا بتضلال
بالهاشمي هَدَانَا مِنْ ضَلالَتِنَا ولم يكن دينه مَنى على بال
يا رَاكِبًا بَلَّغْنِ عَمْرًا وإخوتها أَنى لِمَنْ قال رَبِّى ياجِرُ قَالى

يعنى بعمره : الصامت . وإخوتها : حطامة .

(١) دلائل النبوة : حويص بالماء .

(٢) الأصل باجرا . وهو تحريف . وما أنبته عن الاكتفا للكلأى . وفى الدلائل محرفة : باجرا .
والأجذاذ : جمع الجذ بكسر الجيم وهو الجزء المقطوع .

فقلت : يا رسول الله إني امرؤ مولع بالطرب وبالهلاك إلى النساء وشرب الخمر ، وألححت علينا السنون فأذهبن الأموال وأهزلن السراري ، وليس لي ولد ، فادع الله أن يذهب عني ما أجد ويأتينا بالحياة ، ويهب لي ولد .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « اللهم أبدله بالطرب قراءة القرآن ، وبالحرām الحلال وبالأثم والعُهر عفة ، وآته بالحياة ، وهب له ولدا » .

قال فأذهب الله عني ما أجد ، وأخصبت عمان ، وتزوجت أربع حرائر ، وحفظت شطر القرآن ، ووهب لي حيّان بن مازن . وأنشأ يقول :

إليك رسول الله خبت مطيّي	تجوب الفيافي من عُمان إلى العرج
لتشفع لي يا خير من وطئ الحصى	فيغفر لي ربي فأرجع بالفالج ^(١)
إلى معشر خالفت في الله دينهم	فلا رأيهم رأي ولا شرّهم شرّجى ^(٢)
وكنت امرءاً بالخمر والعُهر مولعاً	شبابي حتى آذن الجسم بالنهج
فبدلني بالخمر خوفاً وخشية	وبالعُهر إحساناً فخصني لي فرجى
فأصبحت همى في الجهاد ونيتي	فله ما صومى ولله ما حجّى

قال : فلما أتيت قومي أنبوني وشتمونى ، وأمرؤا شاعرا لهم فهجاني ، فقلت إن رددت عليه فإنما أهجو نفسي .

فرحلت عنهم فأتنتي منهم زلفة عظيمة ، وكنت القيم بأمورهم ، فقالوا : يا ابن عم : نبنا عليك أمرا وكرهنا ذلك ، فإن آيت ذلك فارجع وقم بأمورنا ، وشأنك وما تدين به .

فوجعت معهم وقلت :

كَبُغْضَ كُمْ عِنْدَنَا مَرُّ مَذَاقَتِهِ وَبُغْضُنَا عِنْدَكُمْ يَا قَوْمَنَا لَبَنٌ
لَا يَفْطِنُ الدَّهْرُ إِنْ بُتَّتْ مَعَابِكُمْ وَكَلِمَ حِينَ يُثْنَى عَيْنُنَا فَطِنٌ
شَاعَرْنَا مُنْتَحِمَ عَنْكُمْ وَشَاعِرَكُمْ فِي حَدْبِنَا مُبْلَغٌ فِي شَتْمِنَا لِسَنٌ
مَا فِي الْقُلُوبِ عَلَيْكُمْ فَاعْلَمُوا وَغَرُّ وَفِي قُلُوبِكُمُ الْبَغْضَاءُ وَالْإِحْنُ
قال مازن : فهداهم الله بعدُ إلى الإسلام جميعا .

وروى الحافظ أبو نعيم من حديث عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن جابر بن عبد الله ،
قال : إن أول خبر كان بالمدينة بمبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن امرأة بالمدينة كان
لها تابع من الجن ، فجاء في صورة طائر أبيض فوق على حائط لهم ، فقالت له : لم لا تنزل
إلينا فتحدثنا ونحدثك ، وتخبرنا ونخبرك ؟ فقال لها : إنه قد بُعث نبي بمكة حرّم الزنا
ومُنِع منا القرار .

وقال الواقدي : حدثني عبد الرحمن بن عبد العزيز ، عن الزهري ، عن علي بن
الحسين ، قال : إن أول خبر قَدِمَ المدينة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن امرأة
تُدعى فاطمة كان لها تابع ، فجاءها ذات يوم ، فقام على الجدار فقالت : ألا تنزل ؟ فقال :
لا إنه قد بُعث الرسول الذي حرّم الزنا .

وأرسله بعض التابعين أيضاً ، وسماء بابت لوزان ، وذكر أنه كان قد غاب عنها مدة ،
ثم لما قدم عاتبته فقال : إني جئت الرسول فسمعتني يحرم الزنا ، فعليك السلام .

وقال الواقدي : حدثني محمد بن صالح ، عن عاصم بن عمر بن قتادة قال : قال عثمان بن
عفان : خرجنا في غير إلى الشام ، قبل أن يُبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما كنا
بأفواه الشام ، وبها كاهنة ، فتعرضتنا ، فقالت : أتاني صاحبي فوقف على بابي ، فقلت :
ألا تدخل ؟ فقال : لا سبيل إلى ذلك ، خرج أحمد وجاء أمر لا يطاق .

ثم انصرفتُ فرجعتُ إلى مكة فوجدت رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خرج بمكة يدعو إلى الله عز وجل .

وقال الواقدي : حدثني محمد بن عبد الله الزُّهري قال : كان الوحي يُسمع ، فلما كان الإسلام مُنعوا .

وكانت امرأة من بنى أسد يقال لها سعيرة لها تابع من الجن ، فلما رأى الوحي لا يستطيع أتاها فدخل في صدرها فضج في صدرها فذهب عقلها ، فجعل يقول من صدرها : وضع العناق ، ومنع الرفاق ، وجاء أمر لا يطاق ، وأحمد حرّم الزنا .

وقال الحافظ أبو بكر الخرائطي : حدثنا عبد الله بن محمد البلوي - بمصر - حدثنا عمارة بن زيد ، حدثنا عيسى بن يزيد ، عن صالح بن كيسان ، عن حدثه ، عن مرداس بن قيس السدوسي قال : حضرت النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد ذكرت عنده الكهانة وما كان من تغييرها عند مخرجه ، فقالت : يارسول الله قد كان عندنا في ذلك شيء ، أخبرك أن جارية منا يقال لها الخُلصة لم يُعلم عليها إلا خيراً ، إذ جاءتنا فقالت : يامعشر دوس ، العجبُ العجب لما أصابني ، هل علمتم إلا خيراً ؟ قلنا : وما ذاك ؟ قالت . إني لفي غمى إذ غشيتني ظلمة ووجدت كحس الرجل مع المرأة ، فقد خشيت أن أكون حبلت . حتى إذا دنت ولادتها وضعت غلاماً أغضف له أذنان كأذني الكلب ، فكث فينا حتى إنه ليلعب مع الغلمان إذ وثب وثبة وألقى إزاره وصاح بأعلى صوته ، وجعل يقول : ياويلة ياويلة ياَعولة ياَعولة ، ياويل غم ، ياويل فهِم ، من قابس النار ، الخليلُ والله وراء العقبة ، فيهن فتیان حِسان نُجبة .

قال : فركبنا وأخذنا للأداة وقلنا : ياويلك ماترى ؟ فقال : [هل من جارية

طامث ؟ فقلنا : ومن لنا بها ؟ فقال شيخ منا : هي والله عندي عفيفة الأم فقلنا فعجلها .
فأتى بالجارية وطاع الجبل وقال للجارية : اطرحي ثوبك واخرجي في وجوههم ، وقال
للقوم : اتبعوا أثرها ، وقال لرجل منا يقال له أحمد بن حابس : يا أحمد بن حابس ، عليك
أول فارس . فحمل أحمد فطعن أول فارس فصرعه وانهمزوا فغنمناهم . قال : فابتئنا عليهم
بيتاً وسميناه ذا الخلصة ، وكان لا يقول لنا شيئاً إلا كان كما يقول .

حتى إذا كان مبعثك يارسول الله قال لنا يوماً : يامعشر دؤس ، نزلت بنو الحارث
ابن كعب . فركبنا فقال لنا : اكدسوا الخيل كدساً ، واحشوا القوم رمساً ، انقوهم
غديةً ، واشربوا الخمر عشية .

قال : فلقيناهم فهزمونا وغلبونا فرجعنا إليه فقلنا : ما حالك وما الذي صنعت بنا ؟
فنظرنا إليه وقد احمرت عيناه ، وانتصبت أذناه وانبرم غضباناً حتى كاد أن ينفطر وقام .

فركبنا واغفرنا هذه له ومكثنا بعد ذلك حيناً ، ثم دعانا فقال : هل لكم في غزوة
تهبُّ لكم عزّاً وتجعل لكم حرزاً ويكون في أيديكم كنزاً ؟ فقلنا : ما أحوجنا إلى
ذلك . فقال اركبوا . فركبنا فقلنا : ماتقول ؟ فقال : بنو الحارث بن مسleme . ثم قال :
قفوا ، فوقفنا ثم قال : عايكم بفهم ، ثم قال ليس لكم فيهم دم ، عايكم بمُضر ، هم أرباب
خيل ونعم . ثم قال : لا ، رهط دريد بن الصمة قليل العدد وفي الذمة . ثم قال لا ،
ولكن عايكم بكعب بن ربيعة وأسكنوها ضيعة عامر بن صعصعة ، فليكن
بهم الوقعة .

قال : فلقيناهم فهزمونا وفضحونا ، فرجعنا وقلنا : ويلك ماذا تصنع بنا . قال :
ما أدري كذبني الذي كان يصدّقني . اسجنوني في بيتي ثلاثاً ثم ائتوني .

ففعلنا به ذلك ثم أتينا به بعد ثلاثة ففتحنه عنه فإذا هو كأنه حجرة نار ، فقال : يامعشر

دوس ، حُرست السماء وخرج خَيْرُ الأنبياء . قلنا : أين ؟ قال : بمكة ، وأنا ميت ، فادفنوني في رأس جبل فإني سوف أضطرم ناراً ، وإني تركتموني كنت عليكم عاراً ، فإذا رأيتم اضطرامي وتلهي فادفنوني بثلاثة أحجار ثم قولوا مع كل حجر : باسمك اللهم : فإني أهذا وأطفي .

قال : وإنه مات فاشتعل ناراً ، ففعلنا به ما أمر ، وقد قذفناه بثلاثة أحجار نقول مع كل حجر : باسمك اللهم ، نحمد وطني .

وأقننا حتى قدم علينا الحاج فأخبرونا بمبعثك يا رسول الله .
غريب جداً .

وروى الواقدي عن أبيه عن ابن أبي ذئب ، عن مسلم بن جندب ، عن النَّضر بن سفيان الهذلي ، عن أبيه . قال : خرجنا في غير لنا إلى الشام ، فلما كنا بين الزرقاء ومُعَان قد عرَّسنا^(١) من الليل ، فإذا بفارس يقول وهو بين السماء والأرض : أيها النِّيام هُبُوا ، فليس هذا بحين رقاد ، قد خرج أحمد ، فطردت^(٢) الجن كل مطرد .
ففرغنا ونحن رُقَّةٌ حزاورة^(٣) كلهم قد سمع بهذا .

فرجعنا إلى أهلنا فإذا هم يذكرون اختلافاً بمكة بين قريش في نبي قد خرج فيهم من بني عبد المطلب اسمه أحمد .

ذكره أبو نعيم .

وقال الخرائطي : حدثنا عبد الله بن محمد البلوي^(٤) — بمصر حدثنا مُمَّارة بن زيد ،

(١) الوفا : وقد عرَّسنا .

(٢) الوفا : وطردت .
(٣) الأصل : حزورة ، وما أثبتته من الدلائل لأبي نعيم . والحزاورة جمع حزور كجعفر وهو الرجل القوى .

(٤) بفتح الباء واللام نسبة إلى بلي بن عمرو بن الحاف بن قضاة ، الباب ١/ ١٤٤ .

حدثني عبد الله بن العلاء ، حدثني يحيى بن عروة ، عن أبيه ، أن نفراً من قريش منهم ورقة ابن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي ، وزيد بن عمرو بن نفيل ، وعبد الله بن جحش بن رثاب ، وعثمان بن الحويرث ، كانوا عند صنم لهم يجتمعون إليه ، قد اتخذوا ذلك اليوم من كل سنة عيداً ، كانوا يعظمونه وينحرون له الجزور ، ثم يأكلون ويشربون الخمر ويعكفون عليه ، فدخلوا عليه في الليل فرأوه مكبواً على وجهه ، فأنكروا ذلك فأخذوه فردوه إلى حاله ، فلم يابث أن انقلب انقلاباً عنيقاً ، فأخذوه فردوه إلى حاله ، فانقلب الثالثة .

فلما رأوا ذلك اغتموا له وأعظموا ذلك . فقال عثمان بن الحويرث : ماله قد أكثر التَّنَكُّس ؟! إن هذا الأمر قد حدث . وذلك في الليلة التي ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم . فجعل عثمان يقول :

أَيَا صَنَمِ الْعَيْدِ الَّذِي صُفِّ حَوَاهِ	صَنَادِيدُ وَفَدٍ مِنْ بَعِيدٍ وَمِنْ قُرْبِ
تَنَكَّسْتَ مَغْلُوباً فَمَا ذَاكَ قُلْ لَنَا	أُذَاكَ سَفِيهَةٌ أَمْ تَنَكَّسْتَ لِلْعُتْبِ
فَإِنْ كَانَ مِنْ ذَنْبٍ أَتَيْنَا فَإِنَّا	نَبُوءُ بِإِقْرَارٍ وَتَلَوَى عَنِ الذَّنْبِ
وَإِنْ كُنْتَ مَغْلُوباً وَنَكَّسْتَ صَاغِراً	فَمَا أَنْتَ فِي الْأَوْثَانِ بِالسَّيْدِ الرَّبِّ

قال : فأخذوا الصنم فردوه إلى حاله . فلما استوى هتف بهم هاتف من الصنم بصوت جهير وهو يقول :

تَرَدَّى لِمَوْلُودٍ أَنْارَتْ بَنُورُهُ	جَمِيعُ فُجَاجِ الْأَرْضِ فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ
وَحَرَّتْ لَهُ الْأَوْثَانُ طُرّاً وَأَرَعَدَتْ	قُلُوبُ مُلُوكِ الْأَرْضِ طُرّاً مِنَ الرَّعْبِ
وَنَارُ جَمِيعِ الْفَرَسِ بَاخَتْ وَأَظْلَمَتْ	وَقَدَبَاتُ شَاهِ الْقُرْسِ فِي أَعْظَمِ الْكَرْبِ
وَصَدَّتْ عَنِ الْكُهَّانِ بِالْغَيْبِ جِئُهَا	فَلَا تُخْبِرُ عَنْهُمْ بِحَقٍّ وَلَا كِذْبِ

فيا لقصيِّ ارجعوا عن ضلالكم وهُبُوا إلى الإسلام وَالْمَنْزِلَ الرَّحْبَ^(١)
قال : فَمَا سَمِعُوا ذَلِكَ خَلَصُوا نَجِيًّا ، فقال بعضهم لبعض : تصادقوا وليكنم
بعضكم على بعض .
فقالوا : أَجَل !

فقال لهم ورقة بن نوفل : تعلمون والله ما قومكم على دينٍ ، ولقد أخطأوا الحجة
وتركوا دين إبراهيم ، ما حجرٌ تَطِيفُونَ به لا يَسْمَعُ ولا يبصر ولا ينفع ولا يضر ؟ !
يا قوم التمسوا لأنفسكم الدين .

قال : فخرجوا عند ذلك يضربون في الأرض ويسألون عن الحنيفية دين إبراهيم
عليه السلام .

فأما ورقة بن نوفل فتنصر وقرأ الكتب حتى عَلمَ علماً .

وأما عثمان بن الحويرث فسار إلى قيصر فتنصَّر وحسنت منزلته عنده .

وأما زيد بن عمرو بن نفيل فأراد الخروج فُخِس .

ثم إنه خرج بعد ذلك فضرب في الأرض حتى بلغ الرقة من أرض الجزيرة ، فلقى
بها راهباً عالماً فأخبره بالذي يطلب ، فقال له الراهب : إنك لتطلب ديناً ما تجد من
يَحْمِلُك عليه ، ولكن قد أظلك زمان نبي يخرج من بلدك يُبْعَث بدين الحنيفية .

فلما قال له ذلك رجع يريد مكة فغارت^(٢) عليه نَلم فقتلوه .

(١) لا يستطيع تقبل هذه الأشعار ولا الرضا بهذه الأخبار المتكلفة التي تغلب عليها النزعة الأسطورية
ولقد كان الأقدمون لا يجدون غضاضة في نقل هذه الأخبار وروايتها ، بل والسكوت عليها وكانت في
نظرهم تؤيد الدين وتخدمه ، أما في عصرنا الذي لا يقبل الخبر إلا بعد التمحيص والنقد فلا تثبت أمثال هذه
الروايات أمام النظر العلمي ؟ وكل ما نريده أن يفهم القارئ أنه في حل من رفض هذه الروايات
الأسطورية ، هذا والجانب الأخير من الرواية وهو ما بعد هذا الشعر صحيح مقبول بثبته التاريخ وقد رواه
عدة ، منهم الكلأعي في الاكتفا . (٢) كذا والقياس أغارت .

وأما عبد الله بن جحش فأقام بمكة حتى بعث النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم خرج مع من خرج إلى أرض الحبشة ، فلما صار بها تنصّر وفارق الإسلام ، فكان بها حتى هلك هنالك نصرانياً .^١

تقدم في ترجمة زيد بن عمر بن نُفَيْل له شاهد .

وقد قال الخرائطي : حدثنا أحمد بن إسحاق بن صالح أبو بكر الوراق ، حدثنا عمرو ابن عثمان ، حدثني أبي ، حدثنا عبد الله بن عبد العزيز ، حدثني محمد بن عبد العزيز ، عن الزُّهري ، عن عبد الرحمن بن أنس السلمي ، عن العباس بن مرداس أنه كان يعرف^(١) في لِقَاح له نصف النهار إذ طلعت عليه نعامه بيضاء عليها راكب عليه ثياب بياض مثل اللبن فقال : يا عباس بن مرداس ، ألم تر أن السماء قد كَفَّتْ أحراسها ، وأن الحرب تجرعت أنفاسها ، وأن الخيل وضعت أحلاسها ، وأن الذي نزل بالبر والتقوى ، يوم الاثنين ليلة الثلاثاء ، صاحب الناقة القصوى .

قال : فرجعت مرعوباً قد راغبت ما رأيت وسمعت ، حتى جئت وثناً لنا يلدعي الضَّمار^(٢) وكنا نعبده ونكلم من جوفه فكُنست ما حوله ثم تمسحت به وقبلته فإذا صائح من جوفه يقول :

قُلْ لِلْقَبَائِلِ مِنْ سُلَيْمٍ كُلِّهَا	هَلَكَ الضَّمَّارُ وَفَازَ أَهْلُ الْمَسْجِدِ
هَلَكَ الضَّمَّارُ وَكَانَ يُعْبَدُ مَرَّةً	قَبْلَ الصَّلَاةِ مَعَ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
إِنْ الَّذِي وَرَثَ النَّبُوَّةَ وَالْهَدَى	بَعْدَ ابْنِ مَرْيَمَ مِنْ قُرَيْشٍ مُهْتَدَى

قال : فخرجت مرعوباً حتى أتيت قومي فقصصت عليهم القصة وأخبرتهم الخبر ،

(١) أي يبالغها . (٢) الأصل الضماد ، وما أثبتته من الاكتفا وابن هشام ، وفي القاموس : والضمار ككتاب .. وصنم عبدة العباس بن مرداس ورهطه .

وخرجت في ثلاثمائة من قومي بني حارثة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بالمدينة ، فدخلنا المسجد ، فلما رآني رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي : « يا عباس كيف كان إسلامك » ؟ فقصص عليه القصة . قال فسرَّ بذلك وأسلمت أنا وقومي .

ورواه الحافظ أبو نعيم في الدلائل من حديث أبي بكر بن أبي عاصم عن عمرو ابن عثمان به .

ثم رواه أيضا من طريق الأصمعي ، حدثني الوصافي ^(١) ، عن منصور بن المعتمر ، عن قبيصة بن عمرو بن إسحاق الخزازي ، عن العباس بن مرداس السلمي قال :

أول إسلامي أن مرداساً أبي ، لما حضرته الوفاة أوصاني بصنم له يقال [له] ضمار ^(٢) فجعلته في بيت وجعلت آتية كل يوم مرة ، فلما ظهر النبي صلى الله عليه وسلم سمعت صوتاً مُرسلاً في جوف الليل راعني ، فوثبت إلى ضمار ^(٢) مستغيثاً ، وإذا بالصوت من جوفه وهو يقول :

قُلْ لِلْقَبِيلَةِ مِنْ سُلَيْمٍ كُلِّهَا هَلَاكَ الْأَنْبِيسُ وَعَاشَ أَهْلُ الْمَسْجِدِ
أَوْدَى ضِمَارٌ وَكَانَ يُعْبَدُ مَرَّةً قَبْلَ الْكِتَابِ إِلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
إِنَّ الَّذِي وَرَثَ النَّبُوَّةَ وَالْمُهْدَى بَعْدَ ابْنِ مَرْيَمَ مِنْ قُرَيْشٍ مُهْتَدَى

قال : فكتمته الناس ، فلما رجع الناس من الأحزاب بينا أنا في إيلي بطرف العقيق من ذات عرق راقداً ، سمعت صوتاً وإذا برجل على جناح نعامه وهو يقول : النور الذي

(١) نسبة إلى وصاف وهو اسم جماعة منهم وصاف بن عامر العجلي .. ينسب إليه عبيد الله بن الوليد ابن عبد الرحمن بن قيس الوصافي يروي عن عطية وعطاء ، سمع منه يعلى بن عبيد ووكيع وغيرهما ؛ وكان منكر الحديث الباب ٢٧٥/٣ .

(٢) الأصل : ضماد وهو تحريف .

وقع ليلة الثلاثاء مع صاحب الناقة العضباء في ديار إخوان بني العنقاء . فأجابه هاتف من شماله وهو يقول :

بشّر الجنّ وإبلاسها ، أن وضعت المطى أحلاسها ، وكالأت السماء أحراسها
قال : فوثبت مذعوراً وعلت أن محمداً مرسل ، فركبت فرسى واحتشت السير حتى
اتتهيت إليه فبايعته ، ثم انصرفت إلى ضمار فأحرقته بالنار ، ثم رجعت إلى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فأنشدته شعراً أقول فيه :

لعمرك إني يومَ أجعل جاهلاً	ضماراً لربّ العالمين مشاركاً
وتركي رسول الله والأوس حوله	أولئك أنصارٌ له ما أولئكاً
كتارك سهل الأرض والحزن يبتغي	ليسلك في وعث الأمور المسالكاً
فأمنت بالله الذي أنا عبده	وخالفت من أمسى يريد المهالكاً
ووجهت وجهي نحو مكة قاصداً	أبايع نبي الأكرمين المباركاً
نبي أتنا بَعْدَ عيسى بناطق	من الحق فيه الفصلُ فيه كذلكا
أمين على القرآن أول شافع	وأول مبعوث يُجيب الملائكا
تلافي عري الإسلام بعد انتقاضها	فأحكمها حتى أقام المناسكا
عنيتك يا خير البرية كلها	توسّطت في الفرعين والمجد مالكا
وأنت المصفي من قريش إذا سمّت	على ضميرها تبقى القرون المباركا
إذا انتسب الحيّان كعب ومالك	وجدناك محضاً والنساء العواركا ^(١)

(١) على ذلك الشعر - مع ما فيه من ركاكة - علامات الصنعة والافتراء منها :

١ - لم يخص الأوس بالذكر مع أنهم بعد الإسلام لم يعد لهم ذكر مستقل بل هم والخزرج أنصار .
٢ - وقوله : « ووجهت وجهي نحو مكة . . » مع أنه يذكر أنه يأبى ترك رسول الله والأوس حوله
وذلك في المدينة ، ومع أنه ذكر من قبل أن ذلك كان بعد رجوع الناس من الأحزاب .
=

قال الخرائطي : وحدثنا عبد الله بن محمد البلوي بمصر ، حدثنا عمارة بن زيد ، حدثنا إسحاق بن بشر وسامة بن الفضل ، عن محمد بن إسحاق ، حدثني شيخ من الأنصار يقال له عبد الله بن محمود من آل محمد بن مسلمة ، قال : بلغني أن رجلا من خثعم كانوا يقولون : إن مما دعانا إلى الإسلام أننا كنا قوما نعبد الأوثان ، فبينما نحن ذات يوم عند وثن لنا إذ أقبل نفر يتقاضون إليه يرجون الفرج من عنده لشيء شجر بينهم ، إذ هتف بهم هاتف يقول :

يا أيها الناس ذوو الأجسام	من بين أشياخ إلى غلام ^(١)
ما أنتم وطائشُ الأحلام	ومُسندُ الحكم إلى الأصنام
أكلُكم في حيرة نيام ^(٢)	أم لا ترون ما الذي أمامي
من ساطعٍ يجلو دُجى الظلام	قد لاح للناظر من تيهام
ذاك نبيُّ سيد الأنعام	قد جاء بعد الكفر بالإسلام
أكرمهُ الرحمن من إمام	ومن رسولٍ صادق الكلام
أعدلُ ذي حكم من الأحكام ^(٣)	يأمرُ بالصلاة والصيام
والبر والصلوات للأرحام	ويزجر الناس عن الآثام

٣ - وكيف علم العباس سريعا - مع أنه حديث الإسلام - أن رسول الله أول شافع وأول من تنشق عنه الأرض مع أن ذلك من التفاصيل الدقيقة التي لم تكن تقرر في ذلك الوقت ، وعلى كل فلا يستطيع حديث عهد بالإسلام أن يحيط بها .

٤ - كذلك قوله : تلاقى عرى الإسلام بعد انتقاضها .. إلا أن يفسر الإسلام بالدين عموما ، وهذا فهم خاص لا يتمكن منه العباس في ذلك الوقت . ومعنى أقام الناسكا ..
لأن هذا الشعر مثل واضح للصنعة والافتراء .

(١) الاكتفا : يا أيها الناس ذوو الأجسام . ومُسند الحكم إلى الأصنام .

(٢) الاكتفا : أكلكم أوره كالكمهم . والأوره : الأحمق .

(٣) الاكتفا : أعدل في الحكم من الحكم .

والرجس والأوثان والحرام من هاشم في ذروة السنام

* مستعلن^(١) في البلد الحرام *

قال : فلما سمعنا ذلك تفرقنا عنه وأتينا النبي صلى الله عليه وسلم فأسلمنا .

وقال الخرائطي : حدثنا عبد الله البلوي ، حدثنا عمارة ، حدثني عبيد الله بن الملاء ، حدثنا محمد بن عكبر ، عن سعيد بن جبير ، أن رجلا من بني تميم يقال له رافع بن عمير ، وكان أهدى الناس للطريق وأسراهم بايل وأهجمهم على هؤل ، وكانت العرب تسميه لذلك دعووس العرب ، لهدايته وجراسته على السير ، فذكر عن بدء إسلامه قال :

إني لأسير برمل عاج^(٢) ذات ليلة إذ غلبني النوم فنزلت عن راحلتي وأنختها وتوسدت ذراعها ونمت ، وقد تعوذت قبل نومي فقلت : أعوذ بعظيم هذا الوادي من الجن من أن أؤذى أو أهاج . فرأيت في منامي رجلا شابا يرصد ناقتي ويده حربة يريد أن يضعها في نحرها ، فانتبهت لذلك فرعاً فنظرت يمينا وشمالا فلم أر شيئا ، فقلت : هذا حلم . ثم عدت ففوت فرأيت في منامي مثل رؤياي الأولى ، فانتبهت فدرت حول ناقتي فلم أر شيئا وإذا ناقتي ترعد ، ثم غفوت فرأيت مثل ذلك فانتبهت فرأيت ناقتي تضطرب ، والتفت فإذا أنا برجل شاب كالذي رأيت في المنام بيده حربة ورجل شيخ ممسك بيده يرده عنها وهو يقول :

يامالك بن مهلهل بن دثارٍ مهلاً فداً لك مئزرى وإزارى
عن ناقة الإنسى لا تعرض لها واختز بها ماشئت من أثوارى
ولقد بدا لي منك ما لم أحسب ألا رعيت قرابتى وذمارى

(١) الاكتفا : مستعلن .

(٢) العاج : المرتفع .

تَسْمُو إِلَيْهِ بِحَرْبَةٍ مَسْمُومَةٍ تَبًّا لِفَعْلِكَ يَا أَبَا الْغَفَّارِ
لَوْلَا الْحَيَاءُ وَأَنْ أَهْلَكَ جِيرَةٌ لَعَلَّتْ مَا كَشَفْتَ مِنْ أَخْبَارِ
قال فأجابه الشاب وهو يقول :

أَرَدْتُ أَنْ تَعْلُو وَتَخْفُضَ ذِكْرَنَا فِي غَيْرِ مُزْرِيَةٍ أَبَا الْعِيزَارِ
مَا كَانَ فِيهِمْ سَيِّدٌ فِيمَا مَضَى إِنْ الْخِيَارُ هُمْ بَنُو الْأَخْيَارِ
فَأَقْصِدْ لِقَصْدِكَ يَا مُعْكَبِرَ إِنَّمَا كَانَ الْمَجِيرُ مِهْلَهْلُ بْنُ دِثَارِ

قال : فبينما هما يتنازعان إذ طلعت ثلاثة أنوار من الوحش فقال الشيخ للفتى :
قم يا ابن أخت نخذ أيها شئت فداء لناقة جارى الإنسى . فقام الفتى فأخذ منها ثوراً
وانصرف . ثم التفت إلى الشيخ فقال : يا هذا إذا نزلت واديا من الأودية نخفت هَوْلُهُ
فقل : أعوذ بالله ربِّ محمد من هَوْلِ هذا الوادى . ولا تَعُدُّ بأحد من الجن فقد
بطل أمرها . قال : فقلت له : ومن محمد هذا ؟ قال : نبي عربى ، لا شرقى ولا غربى ، بُعث
يوم الاثنين . قلت : وأين مسكنه ؟ قال : يثرب ذات النخل . قال : فركبت راحلتى حين
برق لى الصبح وجدَدْتُ السَّيْرَ حَتَّى تَقَحَّمَتِ الْمَدِينَةُ ، فَرَأَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فَخَدَّثَنِي بِحَدِيثِي قَبْلَ أَنْ أَذْكَرَ لَهُ مِنْهُ شَيْئاً وَدَعَانِي إِلَى الْإِسْلَامِ فَأَسْلَمْتُ ^(١) .

قال سعيد بن جبير وكنا نرى أنه هو الذى أنزل الله فيه (وأنه كان رجلاً من
الإنس يعوذون برجالٍ مِنَ الْجِنِّ فزادوهم رَهَقًا) .

وروى الخرائطى من طريق إبراهيم بن إسماعيل بن حماد بن أبى حنيفة ، عن داود
ابن الحسين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، عن على ، قال : إذا كنت بواد تخاف السبع
فقل أعوذ بـدانيال والجب ، من شر الأسد .

(١) وهذا أيضا مما لا يترتب على ثبوته شيء ، وهو من أساطير العزب عن الجن وما أكثرها .

وروى البَلَوِي عن عمارة بن زيد ، عن إبراهيم بن سعد ، عن محمد بن إسحاق ، حدثني يحيى بن عبد الله بن الحارث ، عن أبيه ، عن ابن عباس قصة قتال عليّ الجَنِّ بالبئر ذات العَلَمِ التي بالجَحْفَةِ حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم يستقي لهم الماء فأرادوا منعه وقطعوا الدلو فنزل إليهم ، وهي قصة مطولة منكورة جدا والله أعلم .

وقال الخرائطي : حدثني أبو الحارث محمد بن مصعب الدمشقي وغيره ، حدثنا سليمان ابن بنت شَرَحْبِيل الدمشقي ، حدثنا عبد القدوس بن الحجاج ، حدثنا خالد بن سعيد ، عن الشَّعْبِي ، عن رجل قال : كنت في مجلس عمر بن الخطاب وعنده جماعة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يتذاكرون فضائل القرآن فقال بعضهم : خواتيم سورة النحل . وقال بعضهم : سورة يس . وقال علي : فأين أتم عن فضيلة آية الكرسي : أما إنها سبعون كلمة في كل كلمة بركة .

قال : وفي القوم عمرو بن معدى كرب لا يحير جوابا ، فقال : أين أتم عن بسم الله الرحمن الرحيم ؟ فقال عمر : حدثنا يا أبا ثور .

قال : بينا أنا في الجاهلية إذ جهدني الجوع فأقحمت فرسى في البرية فما أصبت إلا بيضَ النعام ، فبينما أنا أسير إذا أنا بشيخ عربي في خيمة ، وإلى جانبه جارية كأنها شمس طالعة ومعه غنيمات له ، فقلت له : استأسر ثكلتك أمك . فرفع رأسه إلى وقال : يا فتى إن أردت قرى فانزل وإن أردت معونة أعناك . فقلت له : استأسر . فقال :

عرضنا عليك النزلَ منا تَكْرُماً
فلم ترَعَوِي جهلاً كفعل الأشأم
وجئتَ بهتانٍ وزور ودون ما
تمنَّيته بالبيضِ ^(١) حرَّ الغلاصم

قال : ووثب إليّ وثبة وهو يقول : بسم الله الرحمن الرحيم . فكأنني مثلت تحته .

(١) يقصد بالبيض هنا : ابنته وحريمه .

ثم قال : أقتلك أم أخلى عنك ؟ قلت : بل خلّ عنى . قال : نغلى عنى . ثم إن نفسى جاذبتنى بالمعاودة . فقلت استأسر ثكلتك أمك فقال :

بِسْمِ اللَّهِ وَالرَّحْمَنِ فُزْنَا هنالك والرحيم به قَهَرْنَا
وما تُغْنِي جَلَادَةُ ذِي حِفَاطٍ إذا يوماً ^(١) لمعركةٍ برزْنَا

ثم وثب لى وثبة كأنى مثلت تحته . فقال : أقتلك أم أخلى عنك ؟ قال : قلت بل خلّ عنى . نغلى عنى فانطلقت غير بعيد . ثم قلت فى نفسى : ياعمرو أيقهرك هذا الشيخ ! والله للموت خير لك من الحياة ، فرجعت إليه فقلت : استأسر ثكلتك أمك . فوثب إلى وثبة وهو يقول : بسم الله الرحمن الرحيم فكأنى مثات تحته ، فقال : أقتلك أم أخلى عنك ؟ قلت : بل خلّ عنى . فقال : هيهات ، يا جارية اثّينى بالمُدية . فأنته بالمدية فجزّ ناصيتى ، وكانت العرب إذا ظفرت برجل فجزّت ناصيته استعبدته ، فكنت معه أخدمه مدة . ثم إنه قال : ياعمرو أريد أن تركب معى البرية وليس بى منك وجل ، فإنى بيسم الله الرحمن الرحيم لوائق .

قال : فسرنا حتى أتينا وادياً أشباً مهولاً مُغولاً . فنأدى بأعلى صوته بيسم الله الرحمن الرحيم . فلم يبق طير فى وكره إلا طار . ثم أعاد القول فلم يبق سبع فى مَرَبضه إلا هرب ، ثم أعاد الصوت فإذا نحن بحبشى قد خرج علينا من الوادى كالنخلة السحوق ، فقال لى : ياعمرو إذا رأيتمنا قد اتحدنا فقل : غلبه صاحبى بيسم الله الرحمن الرحيم . قال : فلما رأيتهما قد اتحدنا قلت : غلبه صاحبى باللات والعزى فلم يصنع الشيخ شيئاً . فرجع إلى وقال : قد علمت أنك قد خالفت قولى . قلت : أجل ولست بعائد . فقال : إذا رأيتمنا قد اتحدنا فقل غلبه صاحبى بيسم الله الرحمن الرحيم . فقلت : أجل . فلما رأيتهما قد اتحدنا

قلت : غلبه صاحبي بيسم الله الرحمن الرحيم ، فاتكأ عليه الشيخ فَبَعَجَه بسيفه فاشتق بطنه ، فاستخرج منه شيئاً كهيئة القنديل الأسود ثم قال : ياعمرو هذا غِشُّه وغله . ثم قال : أَدْرِي مَنْ تِلْكَ الجارية ؟ قلت : لا . قال : تلك الفارعة بنت السليل الجُرْهُمِي من خيار الجن . وهؤلاء أهلها بنو عمها يغزوني منهم كل عام رجل ينصرني الله عليه بيسم الله الرحمن الرحيم . ثم قال : قد رأيت ما كان مني إلى الحبشي . وقد غلب على الجوع فأتيت بشيء آكله ، فأقحمت بفرسى البرية فما أصبت إلا بيض النعام ، فأتيته به فوجدته نائماً ، وإذا تحت رأسه شيء كهيئة الخشبة ، فاستلته فإذا هو سيف عرضه شبر في سبعة أشبار ، فضربت ساقيه ضربةً أَبْنَتُ الساقين مع القدمين ، فاستوى على قفا ظهره وهو يقول قاتلك الله ما أغدرك يا غدار . قال عمر : ثم ماذا صنعت ؟ قلت : فلم أزل أضربه بسيفي حتى قطعته إرباً إرباً . قال فوجم لذلك ثم أنشأ يقول :

بالقدر نلتَ أخا الإسلام عن كَثْبٍ	ما إن سمعتُ كذا في سالف العربِ
والعُجم تأنف مم ما جثته كرمًا	تبًّا لِمَا جثته في السيد الأربِ
إني لأعجب أني نلت قتلته	أم كيف جازاك عند الذنب لم تنبِ ؟
قرم عفا عنك مرأت وقد علقت	بالجسم منك يداه موضع العطبِ
لو كنت أخذ في الإسلام ما فعلوا	في الجاهلية أهل الشرك والصلبِ
إذاً لنالتك من عدلى مُسْطَبَةٍ ^(١)	تدعو لذا تقها بالويل والحربِ

قال : ثم ما كان من حال الجارية ؟ قلت : ثم إنني أتيت الجارية . فلما رأيتني قالت : ما فعل الشيخ ؟ قلت : قتله الحبشي ، فقالت : كذبت بل قتلته أنت بفدرك ثم أنشأت تقول :

يا عين جودى للفراس المنغوارِ ثم جودى بواكفاتٍ غِزارِ
لا تَمَلِّ البكاء إذ خانك الدهرُ بوافٍ [ذى] حقيقةٍ صبارِ
وتقِّ وذى وقارٍ وحِلمٍ وعدلٍ الفخار يومَ الفخارِ
لَهَفَ نفسى على بقائك عمرو أسلمتكَ الأعمارُ للأقـدارِ
ولعمرى لو لم ترُمهُ بفـدر رُمْتَ ليشاً كصارِمٍ بتارِ
قال : فأحفظنى قولها فاستلّت سيفى ودخلت الخيمة لأقتلها فلم أرفى الخيمة أحداً .
فاستقت للماشية وجئت إلى أهلى .
وهذا أثر عجيب (١) .

والظاهر أن الشيخ كان من الجان وكان ممن أسلم وتعلم القرآن ، وفيما تعلمه
بسم الله الرحمن الرحيم . وكان يتعوذ بها .

وقال الخرائطى : حدثنا عبد الله بن محمد البكوى ، حدثنا عمارة بن زيد ، قال :
حدثنى عبد الله بن العلاء ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن جدته أسماء بنت أبى بكر ،
قالت : كان زيد بن عمرو بن نفيل ، وورقة بن نوفل يذكران أنهما أتيا النجاشى بعد رجوع
أبرهة من مكة ، قالا : فلما دخلنا عليه قال لنا : اصْدُقَانِ أيها القرشيان هل ولد فيكم
مولود أراد أبوه ذبحه فضرب عليه بالقداح فسَلِمَ ونُحِرَتْ عنه إبل كثيرة ؟ قلنا : نعم .
قال : فهل لسكما علمٌ به ما فعل ؟

قلنا : تزوج امرأة يقال لها آمنة بنت وهب تركها حاملا وخرج . قال : فهل تعلمان
ولد أم لا ؟ قال ورقة بن نوفل : أخبرك أيها الملك ، إني ليلةً قد بُتْ عند وثن لنا كنا
نطيف به ، ونعبده إذ سمعت من جوفه هاتفا يقول :

(١) بل هو أسطورة لا سبيل إلى تصديقها .

وَلِدَ النَّبِيُّ فَذَلَّتْ الْأَمْلاَكُ وَنَأَى الضَّلَالُ وَأَذْبَرَ الْإِشْرَاكُ

ثم انتكس الصنم على وجهه فقال زيد بن عمرو بن نفيل : عندي كخبه أيها الملك . قال : هات قال : أنا في مثل هذه الليلة التي ذكر فيها حديثه خرجت من عند أهلي وهم يذكرون حَمَلَ آمَنَةٍ حَتَّى أَتَيْتَ جَبَلَ أَبِي قَيْسٍ أُرِيدُ الْخُلُوفَ فِيهِ لِأَمْرِ رَبَنِي ، إِذْ رَأَيْتُ رَجُلًا نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ لَهُ جَنَاحَانِ أَخْضِرَانِ ، فَوَقَفَ عَلَى أَبِي قَيْسٍ ثُمَّ أَشْرَفَ عَلَى مَكَّةَ فَقَالَ : ذَلَّ الشَّيْطَانُ وَبَطَلَتِ الْأَوْثَانُ ، وَلِدَ الْأَمِينُ . ثُمَّ نَشَرْتُو بَاً مَعَهُ وَأَهْوَى بِهِ نَحْوَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ . فَرَأَيْتَهُ قَدْ جَالَ مَاتَحْتَ السَّمَاءِ وَسَطَعَ نَوْرُكَادَانِ يَخْتَطِفُ بَصْرِي وَهَالَنِي مَا رَأَيْتُ . وَخَفَقَ الْهَاتِفَ بِجَنَاحَيْهِ حَتَّى سَقَطَ عَلَى الْكَعْبَةِ ، فَسَطَعَ لَهُ نَوْرٌ أَشْرَقَتْ لَهُ تِهَامَةٌ . وَقَالَ : ذَاكَتِ الْأَرْضُ وَأَدَّتْ رَبِيعَهَا . وَأَوْمَأَ إِلَى الْأَصْنَامِ الَّتِي كَانَتْ عَلَى الْكَعْبَةِ فَسَقَطَتْ كُلُّهَا .

قال النجاشي : ويحكما أخبركم عما أصابني ، إني لنأتم في الليلة التي ذكرتما في قبة وقت خلوتي ، إذ خرج عليَّ من الأرض عنق ورأس ، وهو يقول : حَلَّ الْوَيْلُ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ، رَمَتْهُمْ طَيْرُ أَبَايِيلَ ، بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ هَلَكَ الْأَشْرَمُ الْمُعْتَدِي الْجَرَمِ ، وولد النبي الأمي ، الْمَكِّي الْحَرَمِي ، مِنْ أَجَابِهِ سَعْدٌ ، وَمِنْ أَبَاهُ عَتِدٌ . ثُمَّ دَخَلَ الْأَرْضَ فغاب فذهبت أصبح فلم أطق الكلام ، ورمت القيام فلم أطق القيام ، فصرعت القبة بيدي ، فسمع بذلك أهلي فجاءوني فقلت : احجبوا عني الحبشة ، فحجبوهم عني ثم أطلق عن لساني ورجلي .

وسياتي^(١) إن شاء الله تعالى في قصة المولد رؤيا كسرى في سقوط أربع عشرة شرفة من إيوانه ، وخمود نيرانه ورؤيا موبذانه ، وتفسير سطوح لذلك على يدي عبد المسيح . وروى الحافظ أبو القاسم بن عساكر في تاريخه في ترجمة الحارث بن هاني بن المذليج بن ابن المقداد بن زمل بن عمرو العذري ، عن أبيه عن جده ، عن أبيه عن زمل بن عمرو العذري ،

(١) قد مر ذلك .

قال : كان لبني عُذْرَة ضَمٌّ يقال له صمام ، وكانوا يعظمونه ، وكان في بني هند بن حِرَام ابن ضبة بن عبد بن كبير^(١) بن عُذْرَة ، وكان سادنه رجلاً يقال له طارق ، وكانوا يَعْتَرُونَ عنده . فلما ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعنا صوتاً يقول : يا بني هند بن حرام ، ظهر الحق وأودى صمام ، ودفع الشرك الإسلام . قال : ففزعنا لذلك وهالنا . فمكثنا أياماً ثم سمعنا صوتاً وهو يقول : يا طارق ياتارق ، بُعث النبي الصادق ، بوحى ناطق ، صدع صادع بأرض تهامة ، لناصريه السلامة ، ولخاذليه البندامة ، هذا الوداع مني إلى يوم القيامة .

قال زميل : فوقع الضم لوجهه . قال : فابتعت راحلة ورحلت حتى أتيت النبي صلى الله عليه وسلم مع نفر من قومي وأنشدته شعراً قلته :

إليك رسول الله أَعْمَلْتُ نَصَّهَا وَكَلَّفَتْهُا حَزْناً وَغَوْرًا مِنَ الرَّمْلِ
لَأَنْصُرَ خَيْرَ النَّاسِ نَصْرًا مُؤَزَّرًا وَأَعْقِدُ حَبْلًا مِنْ حَبَالِكَ فِي حَبْلِي
وَأَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ لَا شَيْءَ غَيْرُهُ أَدِينُ بِهِ مَا أَثْقَلَتْ قَدَمِي نَعْلِي

قال : فأسلمت وبايعته ، وأخبرناه بما سمعنا فقال : « ذاك من كلام الجن » .

ثم قال : « يا معشر العرب ، إني رسول الله إليكم وإلى الأنعام كافة ، أدعوهم إلى عبادة الله وحده ، وأني رسوله وعبده ، وأن تحجوا البيت وتصوموا شهراً من اثني عشر شهراً وهو رمضان ، فمن أجازني فله الجنة نُزُلًا ، ومن عصاني كانت النار له مُنْقَلَبًا » . قال : فأسلمنا وعقد لنا لواءً . وكتب لنا كتاباً نسخته : « بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله لزم بن عمرو ومن أسلم معه خاصة ، إني بعثته إلى قومه عامداً ، فمن أسلم ففي حِزْبِ الله ورسوله . ومن أبى فله أمان شهرين . شهد على بن أبي طالب ومحمد بن مسleme الأنصاري » .

(١) الأصل : كثير وهو تحريف .

ثم قال ابن عساكر : غريب جداً^(١) .

وقال سعيد بن يحيى بن سعيد الأموى فى مغازيه : حدثنى محمد بن سعيد - يعنى عمه - قال : قال محمد بن المنكدر : إنه ذكر لى عن ابن عباس قال : هتف هاتف من الجن على أبى قبيس فقال :

قَبِّحَ اللهُ رَأْيَكُمْ آلَ فِهْرٍ	ما أدقَّ العقول والأفهام
حِينَ تُغْضَى لِمَنْ يَعِيبُ عَلَيْهَا	دين آبائها الحماة الكرام
حَالَفَ الْجِنَّ جَنْ بُضْرَى عَلَيْكُمْ	ورجال النخيل والآطام
يُوشِكُ الْخَيْلُ أَنْ تَرَوْهَا ^(٢) تَهَادَى	تقتل القوم فى حرام بهام
هَلْ كَرِيمٌ مِنْكُمْ لَهُ نَفْسٌ حُرٌّ	ماجدُ الوالدين والأعمام
ضَارِبٌ ضَرْبَةً تَكُونُ نَكَالًا	ورواحاً من كُرْبَةٍ واغْتَام

قال ابن عباس : فأصبح هذا الشعر حديثاً لأهل مكة يتناشدونه بينهم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هذا شيطان يكلم الناس فى الأوثان ، يقال له مسعر ، والله مخزبه » فكنوا ثلاثة أيام فإذا هاتف يهتف على الجبل يقول :

نَحْنُ قَتَلْنَا فِي ثَلَاثِ مِسْعَرَا	إِذْ سَفَّهَ الْجِنَّ وَسَنَ النُّكْرَا
قَتَعَتْهُ سَيْفًا حُسَامًا مُشْهَرَا	بَشْتَمِهِ نَبِينَنَا الْمُطَهَّرَا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هذا عفريت من الجن اسمه سمج آمن بنى سميته عبد الله ، أخبرنى أنه فى طلبه ثلاثة أيام » فقال على : جزاه الله خيراً يا رسول الله .

(١) وما الذى يحمل على رواية الأخبار الواهية ثم التعليق عليها بأنها غريبة جداً ! لقد كان الأولى نبذها وفى الثابت الصحيح غنية عن الغرائب والعجائب .
(٢) ط : أن تردھا . وهو تحريف .

وقد روى الحافظ أبو نعيم في الدلائل قال : حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر ، حدثنا أبو الفضل محمد بن عبد الرحمن بن موسى بن أبي حرب الصفار ، حدثنا عباس بن الفرج الرياشي ، حدثنا سليمان بن عبد العزيز بن أبي ثابت ، عن أبيه ، عن عبد الحميد بن بهرام ، عن شهر بن حوشب ، عن ابن عباس ، عن سعد بن عبادة قال : بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حضرموت في حاجة قبل الهجرة ، حتى إذا كنت في بعض الطريق ساعة من الليل فسمعت هاتفا يقول :

أبا عمرو تنأويني ^(١) الشهود	وراح النوم وامتنع الهجود
لذكر عصابة سلقوا وبادوا	وكل الخلق قصرهم يبيد
تولوا واردين إلى المنايا	حياضا ليس منهلها الورود
مضوا لسبيلهم وبقيت خلفا	وحيدا ليس يسعني وحيد
سدى لا أستطيع علاج أمر	إذا ما عالج الطفل الوليد
فلأيا ما بقيت إلى أناس	وقد باتت بمهلكها نمود
وعاد القرون بذي شعوب	سواء كلهم إرم حصيد

قال : ثم صاح به آخر : يا خرب ، ذهب بك العجب ؟ إن العجب كل العجب بين زهرة ويثرب .

قال : وما ذاك يا شاحب ؟ قال : نبي السلام ، بعث بخير الكلام إلى جميع الأنام ، فاخرج من البلد الحرام إلى نخيل وآطام .

قال : ما هذا النبي المرسل والكتاب المنزل ، والأمر المفضل ؟ قال رجل من ولد لؤي بن غالب ، بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة .

(١) خ ط : ناويني .

قال : هيهات فات عن هذا سني ، وذهب عنه زمني ، لقد رأيته والنضر بن كنانة نرعى غرضاً واحداً ، ونشرب حلباً بارداً ، ولقد خرجت به من دَوْحَةٍ في غداة شَبَمَةٍ^(١) وطلع مع الشمس وغرب معها ، ويروى ما يَسْمَعُ ويُثَبِتُ ما يُبْصِرُ ، ولئن كان هذا من ولده لقد سُلَّ السيف وذهب الخوف ، ودُحِضَ الزِّنا ، وهلك الربا .

قال : فأخبرني ما يكون ؟ قال : ذهبت الضراء والبؤس والمجاعة ، والشدة والشجاعة إلا بقيةً في خَزَاة . وذهبت الضراء والبؤس ، والخلق للنفوس إلا بقية من الخرز والأوس . وذهبت أخلياء والفخر ، والنيمة والفدر ، إلا بقية في بني بكر . يعني ابن هوازن . وذهب الفعل المندّم والعمل المؤثّم ، إلا بقية في خَنَم .

قال : أخبرني ما يكون ؟ قال : إذا غلبت البرّة ، وكُطِمت الحُرّة ، فاخرج من بلاد الهجرة ، وإذا كُفّ السلام ، وقطعت الأرحام ، فاخرج من البلد الحرام . قال : أخبرني ما يكون ؟ قال : لولا أذن تسمع ، وعين تلمع ، لأخبرتكم بما تفزع . ثم قال :

لا منامٌ هَدَأَتْهُ بنعيمٍ يا ابن غَوَظٍ ولا صباحُ أَتانا

قال : ثم صرّصَ صرصرة كأنها صرصرة حبلى ، فذهب الفجر ، فذهبت لأنظر فإذا عَطَايَةٌ^(٢) وثمان ميطان .

قال : فما علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هاجر إلى المدينة إلا بهذا الحديث .

ثم رواه عن محمد بن جعفر ، عن إبراهيم بن علي ، عن النضر بن سلمة ، عن حسان ابن عبادة بن موسى ، عن عبد الحميد بن بهرام ، عن شهر ، عن ابن عباس عن سعد بن عبادة . قال : لما بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة خرجت إلى حضرموت لبعض الحاج ، قال : فقضيت حاجتي ثم أقبلت حتى إذا كنت ببعض الطريق نمت ، ففزعني من الليل بصائح يقول :

(١) شَبَمَة : باردة . (٢) العطاية : دويبة ملساء تمشي مشياً سريعاً ثم تقف .

أبا عمرو تَنَاوَبَنِ السَّهْوُ وراح النوم وانقطع الهجودُ

وذكر مثله بطوله .

وقال أبو نعيم : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا إبراهيم بن علي ، حدثنا النضر بن سلمة ، حدثنا أبو غزيرة محمد بن موسى ، عن العطف بن خالد الوَصَّابِي ، عن خالد بن سعيد ، عن أبيه قال : سمعت تيمياً الدَّارِي يقول : كنت بالشام حين بعث النبي صلى الله عليه وسلم ، فخرجت لبعض حاجتي فأدركني الليل . فقلت : أنا في جوار عظيم هذا الوادي الليلة . قال : فلما أخذت مضجعي إذا أنا بمنادي ينادي لا أراه : عُدْ بالله ، فإن الجن لا تجير أحداً على الله . فقلت أيم الله [ما] تقول ؟ فقال : قد خرج رسول الأميين رسول الله ، وصاينا خلفه بالحجون . فأسلمنا واتبعناه ، وذهب كيد الجن ورُميت بالشُّهب ، فانطلق إلى محمد رسول رب العالمين فأسلم .

قال تميم : فلما أصبحت ذهبت إلى دير أيوب ، فسألت راهبا وأخبرته الخبر . فقال الراهب : قد صدَّقوك ، يَخْرُجُ مِنَ الْحَرَمِ ، ومُهَاجِرُهُ الْحَرَمِ ، وهو خير الأنبياء فلا تُسَبِّقُ إليه .

قال تميم : فتكلفت الشخوصَ حتى جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسلمتُ .

وقال حاتم بن إسماعيل ، عن عبد الله بن يزيد الهذلي ، عن عبد الله بن ساعدة الهذلي ، عن أبيه قال : كنا عند صنمنا سَوَاعَ ، وقد جلبنا إليه غنماً لنا مائتي شاة قد أصابها جَرَبٌ ، فأدنيناهما منه لنطلب بركته ، فسمعت منادياً من جوف الصنم ينادي : قد ذهب كيدُ الجن ورُمينا بالشُّهب ، لنبي اسمه أحمد .

قال فقلت غويت والله . فصدفت وجه غنمي مُنجداً إلى أهلي فرأيت رجلاً ،
فخبرني بظهور النبي صلى الله عليه وسلم .
ذكره أبو نعيم هكذا معلقا .

ثم قال : حدثنا عمر بن محمد بن جعفر ، حدثنا إبراهيم بن السندی ، حدثنا النضر
ابن سلمة ، حدثنا محمد بن مسلمة الخزومي ، حدثنا يحيى بن سليمان ، عن حكيم بن عطاء
الظفري - من بني سليم من ولد راشد بن عبد ربه - عن أبيه ، عن جده ، عن راشد بن
عبد ربه قال : كان الصنم الذي يقال له سَوَاع بالمعلاة من رهط تدين له هذيل وبنو ظفر
بن سليم ، فأرسلت بنو ظفر راشد بن عبد ربه بهدية من سليم إلى سواع .

قال راشد : فألقيت مع الفجر إلى صنم قبل صنم سواع ، فإذا صارخ يصرخ من
جوفه : العجبُ كل العجب من خروج نبي من بني عبد المطلب ، يحرم الزنا والربا
والذبح للأصنام ، وحرست السماء ورمينا بالشهب ، العجب كل العجب . ثم هتف
صنم آخر من جوفه : ترك الضمارُ وكان يُعبد ، خرج النبي أحمد ، يصلي الصلاة
ويأمر بالزكاة والصيام ، والبر والصلات للأرحام . ثم هتف من جوف صنم آخر
هاتف يقول :

إن الذي ورث النبوة والهدى بعد ابن مریم من قريش مُهتدى
نبي أتى يخبر بما سبق ، وبما يكون اليوم حقاً أو غد .

قال راشد : فألقيت سواعاً مع الفجر وثلعبان يلحسان ماحوله ، ويأكلان
ما يُهدى له ، ثم يعوجان عليه ببولهما ، فعند ذلك يقول راشد بن عبد ربه :

أربئ يبول الثلعبان برأسه لقد ذلَّ من بالَتْ عليه الثعالبُ

وذلك عند تخرج النبي صلى الله عليه وسلم ومهاجره إلى المدينة وتسامع الناس به ،

فخرج راشد حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم المدينة ومعه كلب له ، واسم راشد يومئذ ظالم ، واسم كلبه راشد ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم « ما اسمك ؟ » قال : ظالم . قال : « فواسم كلبك ؟ » قال : راشد ، قال « اسمك راشد ، واسم كلبك ظالم ! » وضحك النبي صلى الله عليه وسلم .

وباع النبي صلى الله عليه وسلم وأقام بمكة معه ، ثم طلب من رسول الله صلى الله عليه وسلم قطعة بوهاط - ووصفها له - فأقطعه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمعلاة من وهاط شأو الفرس ، ورُميته ثلاث مرات بحجر ، وأعطاه أداة مملوءة من ماء وتفل فيها وقال له « فرغها في أعلا القطيعة ولا تمنع الناس فضلها » ففعل . فجعل الماء معيناً يجرى إلى اليوم ، ففرس عليها النخل . ويقال إن وهاط كلها تشرب منه ، فسماها الناس ماء الرسول صلى الله عليه وسلم . وأهل وهاط يفتسلون بها . وبلغت رمية راشد الركب الذي يقال له ركب الحجر ، وغدا راشد على سِوَاع فكسره .

وقال أبو نُعَيْم : حدثنا سليمان بن أحمد ، حدثنا علي بن إبراهيم الخزازي الأهوازي ، حدثنا أبو محمد عبد الله بن داود بن دهاث بن إسماعيل بن مسرع بن ياسر ابن سويد صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حدثنا أبي ، عن أبيه دهاث ، عن أبيه إسماعيل ، أن أباه عبد الله حدثه عن أبيه مسرع بن ياسر ، أن أباه ياسر حدثه عن عمرو ابن مُرَّة الجهنى ، أنه كان يحدث قال :

خرجت حاجاً في جماعة من قومي في الجاهلية . فرأيت في المنام وأنا بمكة نوراً ساطعاً من الكعبة حتى أضاء في جبل يثرب وأشعر جهينة^(١) . فسمعت صوتاً في النور وهو يقول : انقشعت الظلماء ، وسطع الضياء ، وُبعث خاتم الأنبياء .

(١) أشعر جهينة : جبل ينحدر على ينبع من أعلاه . معجم البلدان .

ثم أضاء إضاءة أخرى حتى نظرت إلى قصور الحيرة وأبيض المدائن^(١) .
فسمعت صوتاً في النور وهو يقول : ظهر الإسلام ، وكسرت الأصنام ،
ووصلت الأرحام .

فانتبهت فزعاً ، فقلت لقومي : والله ليحدثن في هذا الحى من قریش حَدَث ،
وأخبرتهم بما رأيت . فلما انتهينا إلى بلادنا جاءنا رجل فأخبرنا أن رجلاً يقال له أحمد قد
بعث ، فأتيته فأخبرته بما رأيت فقال : « ياعمرو بن مرة ، إني المرسل إلى العباد كافة أدعوهم
إلى الإسلام ، وأمرهم بحَقْنِ الدماء وصلّة الأرحام ، وعبادة الله ورفض الأصنام ، وحج
البيت ، وصيام شهر من اثني عشر شهراً وهو شهر رمضان ، فمن أجاب فله الجنة . ومن
عصى فله النار ، فآمن ياعمرو بن مرة يؤمنك الله من نار جهنم » .

فقلت : أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله ، آمنت بكل ما جئت به
من حلال وحرام ، وإن أزعج ذلك كثيراً من الأقوام ، ثم أنشدته أبياتاً قلتها
حين سمعت به ، وكان لناصم وكان أبي سادنا له ، فقمتم إليه فكسرتهم ثم لحقت النبي
صلى الله عليه وسلم وأنا أقول :

شهدتُ بأن الله حقٌّ وأنتى لآلهة الأحجار أولُ تارك

فشمرتُ عن ساقٍ إزاراً مهاجرٍ إليك أدب الغور بعد الدَّكادك^(٢)

لأصحب خيرَ الناس نفساً ووالدا رسولَ ملكِ الناس فوق الحَبائِك

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « مرحباً بك ياعمرو بن مرة » . فقلت : يا رسول

بأبي أنت وأمي ، ابعث بي إلى قومي ، لعل الله أن يمنَّ بي عليهم كما منَّ
بك على .

(٢) الوفا والمصائص :

(١) أبيض المدائن : قصر كسرى .

فشمرتُ عن ساقِ الإزارِ مهاجرًا إليك أجوبُ الدعث بعد الدكادك

والدكادك : الأرض المستوية

فبعتني إليهم وقال : « عليك بالقول السديد ، ولا تكن فظاً ولا متكبراً ولا حسوداً » .

فأتيت قومي فقلت لهم : يا بني رفاعة ثم يا بني جهينة ، إني رسول من رسول الله إليكم ، أدعوكم إلى الجنة ، وأحذركم النار ، وأمركم بحَقْنِ الدماء ، وصلة الأرحام ، وعبادة الله ، ورفض الأصنام ، وحج البيت ، وصيام شهر رمضان ، شهر من اثني عشر شهراً . فمن أجاب فله الجنة . ومن عصى فله النار ، يامعشر جهينة : إن الله ، وله الحمد ، جعلكم خيار من أتم منه ، وبَغَضَ إليكم في جاهليتكم ما حجب إلى غيركم من الرفث ، لأنهم كانوا يجمعون بين الأختين ، ويَخْلِفُ الرجل على امرأة أبيه ، والتَّراتِ في الشهر الحرام . فأجيبوا هذا النبي المرسل صلى الله عليه وسلم من بني لؤى بن غالب ، تناولوا شرف الدنيا وكرامة الآخرة ، سارعوا سارعوا في ذلك يكون لكم فضيلة عند الله .

فأجابوا إلا رجلاً منهم قام فقال : يا عمرو بن مرة ، أَمَرَ الله عليك عيشك ! ، أأمرنا أن أنرفض آلهتنا ونفرق جماعتنا بمخالفة دين آبائنا إلى ما يدعو هذا القرشي من أهل تهامة ؟ لا ولا مرحباً ولا كرامة ، ثم أنشأ يقول :

إن اين مُرَّةٌ قد أتى بمقالةٍ ليست مقالة من يريد صلاحاً

إني لأَحْسِبُ قوله وفعاله يوماً وإن طال الزمان رباحاً

أُنَسِّقُ الأشياخَ مِمَّنْ قد مَضَى مَنْ رامَ ذلكَ لا أَصَابَ فَلَاحاً

فقال عمرو بن مرة : الكاذب مني ومنك أَمَرَ الله عيشه وأَبْكَمَ لسانه ، وأأكمه بصره .

قال عمرو بن مرة : والله مامات حتى سقط فوه ، وكان لا يجد طعم الطعام ، وعى وخرس .

وخرج عمرو بن مرة ومن أسلم من قومه حتى أتوا النبي صلى الله عليه وسلم ، فرحب

بهم وحبّاهم ، وكتب لهم كتاباً هذه نسخته : « بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من الله على لسان رسول الله بكتاب صادق ، وحق ناطق ، مع عمرو بن مرة الجهني ، لجهينة بن زيد : إن لكم بطون الأرض وسهولها ، وتلاع الأودية وظهورها ، ترعون نباته وتشربون صافيه . على أن تقرأوا بالتحس ، وتصلوا الصلوات الخمس ، وفي التّبعة والصّريمة شاتان إن اجتمعتا ، وإن تفرقتا فشاة شاة . ليس على أهل الميرة صدقة ، ليس الوردة البقة » . وشهد من حضرنا من المسلمين بكتاب قيس بن شماس رضى الله عنهم .

وذلك حين يقول عمرو بن مرة :

وَيَبِّنْ بَرَهَانَ الْقُرْآنَ لِعَامِرٍ	أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَظْهَرَ دِينَهُ
وَأَخْلَفْنَا فِي كُلِّ بَادٍ وَحَاضِرٍ	كِتَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ نُورٌ لَجَعْنَا
وَأَفْضَاهَا عِنْدَ اعْتِكَارِ الضَّرَائِرِ ^(١)	إِلَى خَيْرٍ مَنْ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ كُلِّهَا
بَطُونُ الْأَعَادِي بِالْظُّبَى وَالْخَوَاطِرِ	أَطَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ لَمَّا تَقَطَّعَتْ
إِذَا اجْتَلَبْتَ فِي الْحَرْبِ هَامُ الْأَكَابِرِ	فَنَحْنُ قَبِيلٌ قَدْ بَنَى الْمَجْدُ حَوْلَنَا
وَيَبِضُّ تَلَالَا فِي أَكْفٍ الْمَغَاوِرِ	بَنُو الْجَرْبِ نَقْرِيهَا ^(٢) يَأْيِدُ طَوِيلَةَ
بَسْمُرِ الْعَوَالِي وَالصَّفَاحِ الْبَوَاتِرِ	تَرَى حَوْلَهُ الْأَنْصَارَ تَحْمِي أَمِيرِهِمْ ^(٣)
وَدَارَتْ رَحَاها بِالْيُوثِ الْهُوَاصِرِ	إِذَا الْحَرْبُ دَارَتْ عِنْدَ كُلِّ عَظِيمَةٍ
كَثَلِ ضِيَاءِ الْبَدْرِ بَيْنَ الزُّوَاهِرِ	تَبْلَاجٌ مِنْهُ اللَّوْنُ وَازْدَادَ وَجْهَهُ

وقال أبو عثمان سعيد بن يحيى الأموي في مغازيه : حدثنا عبد الله ، حدثنا أبو عبد الله ، حدثنا المجالد بن سعيد ، والأجلح ، عن الشّعبي ، حدثني شيخ من جهينة

(١) ط خ : الصرائر ، وما أثبتته عن الوفا . (٢) ط خ : نقرها ، وما أثبتته عن الوفا . (٣) الوفا : يحمون سريه .

قال : مرض منا رجل مرضاً شديداً فنقل حتى حفرنا له قبره وهياًنا أمره ، فأغنى عليه ثم فتح عينيه وأفاق فقال : أحفرتم لى ؟ قالوا : نعم ، قال : فما فعل الفصل - وهو ابن عم له - قلنا : صالح مرّ آناً يسأل عنك . قال : أما إنه يوشك أن يُجعل فى حُفرتى ، إنه أثنى آت حين أغنى علىَّ فقال : ابك هُبَل ، أما ترى حفرتك تُنتَمِل ، وأمك قد كادت تُنكَل ؟ أرايتك إن حولناها عنك بالحول ، ثم ملأناها بالجندل ، وقذفنا فيها الفصل ، الذى مَضَى فأجزأك ، وظن أن لن يفعل ، أتشكر لربك وتصلّ ، وتدع دين من أشرك وضل ؟ قال : قلت نعم . قال : قم قد برئت .

قال : فبرىء الرجل . ومات الفصل فجعل فى حفرته .

قال الجهينى : فرأيت الجهينى بعد ذلك يصلى ويسب الأوثان ويقع فيها .

وقال الأموى : حدثنا عبد الله ، قال : بينما عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى مجلس يتحدثون عن الجن ، فقال خريم بن فاتك الأسدى : ألا أحدثك كيف كان إسلامى ؟ قال : بلى .

قال : إنى يومافى طلب ذؤدلى أنا منها على أثرٍ تنصب وتُصعد ، حتى إذا كنت بأبرق العزّاف^(١) أنخت راحلتى وقلت : أعوذ بعظيم هذه البلدة ، أعوذ برئيس هذا الوادى ، فإذا بهاتف يهتف بى :

ويحك ، عُدْ بالله ذى الجلالِ والمجدِ والعلواء والإفضالِ

ثم اتلُ آياتٍ من الأنفالِ ووحد الله ولا تُبالى

قال : فذعرت ذعراً شديداً ثم رجعت إلى نفسى فقلت :

(١) أبرق العزاف : ماء لبى أسد فى طريق القاصد إلى المدينة من البصرة . وفى الأصل والطبوعة : أبرق المراق وهو تحريف . وما أثبتته عن الدلائل ومعجم البلدان ٨٤/١ أوروبا .

يا أيها الهاتفُ ما تقول أرشدُ عندك أم تضليل ؟

* بين هداك الله ما الحويل ^(١) *

قال : فقال :

هذا رسولُ الله ذو الخيرات يثرب يدعو إلى النجاة

يأمر بالبرِّ وبالصلاحِ وَيَزْعُ الناس عن الهناتِ

قال قلت له : والله لا أبرح حتى آتية وأومن به . فنصبت رجلى في غرز

راحلتى وقلت :

أرشدنى أرشدنى هُـدَيْتَا لَا جُفْتَ مَاعِشْتَ وَلَا عَرَيْتَا

وَلَا بَرَحْتُ سِيداً مُقَيَّتَا لَا تُؤْثِرُ الْخَيْرَ الَّذِي أُتَيْتَا

* على جميع الجن ما يقينا *

فقال :

صاحبك الله وأدّى رَحَلَكَا وَعَظَّمَ الْأَجْرَ وَعَاقَى نَفْسَكَا

أَمِنْ بِهِ أَفَلَجَ رَبِّي حَقَّكََا وَانصِرْهُ نصراً عزيزاً نصركَا

قال : قلت : من أنت عافاك الله ، حتى أخبره إذا قدمت عليه ؟ فقال أنا ملك بن

ملك ، وأنا نقيبهِ على جن نصيبين . وكُفِّتَ إِبْلَكَ حَتَّى أَضُمَّهَا إِلَى أَهْلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

قال : فخرجت حتى أتيت المدينة يوم الجمعة والناس أرسل إلى المسجد ، والنبي صلى

الله عليه وسلم على المنبر كأنه البدر يخطب الناس ، فقلت أنيخ على باب المسجد حتى يصلى

وأدخل عليه فأسلمُ وأخبره عن إسلامي ، فلما أنختُ خرج إلىَّ أبو ذر فقال : مرحبا

وأهلاً وسهلاً قد بلغنا إسلامك ، فادخل فصلِّ . ففعلت ، ثم جئت إلى رسول الله صلى

الله عليه وسلم فأخبرني بإسلامي . فقلت : الحمد لله . قال : « أما إن صاحبك قد وفى لك وهو أهل ذلك ، وأدّى إليك إلى أهلك » .

وقد رواه الطبراني ^(١) في ترجمة خريم بن فاتك من معجمه الكبير قائلا : حدثنا الحسين بن إسحاق اليسيرى ، حدثنا محمد بن إبراهيم الشامى ، حدثنا عبد الله بن موسى الإسكندرى ، حدثنا محمد بن إسحاق ، عن سعيد بن أبي سعيد المقبرى ، عن أبي هريرة قال : قال خريم بن فاتك لعمر بن الخطاب : يا أمير المؤمنين ألا أخبرك كيف كان بدء إسلامي ؟ قال : بلى .

فذكره ، غير أنه قال : نخرج إلى أبو بكر الصديق فقال : ادخل ، فقد بلغنا إسلامك ، فقلت : لا أحسن الظهور . فعلمنى ، فدخلت المسجد فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنه البدر وهو يقول « مامن مسلم توضأ فأحسن الوضوء ثم صلى صلاة يحفظها ويعقها إلا دخل الجنة » .

فقال لى عمر : لتأتين على هذا بيينة أو لأنك لن بك . فشهد لى شيخ قریش عثمان بن عفان فأجاز شهادته . ثم رواه عن محمد بن عثمان بن أبى شيبة ، عن محمد بن تيم ، عن محمد ابن خليفة ، عن محمد بن الحسن ، عن أبيه قال : قال عمر بن الخطاب لخريم بن فاتك : حدثنى بحديث يعجبنى . فذكر مثل السياق الأول سواء .

وقال أبو نعيم : حدثنا سليمان بن أحمد ، حدثنا أبو عبد الملك أحمد بن إبراهيم القرشى الدمشقى ، حدثنا سليمان بن عبد الرحمن ابن بنت شَرَحْبِيل ، حدثنا إسماعيل بن عياش ، عن يحيى بن أبى عمرو الشيبانى ، عن عبد الله بن الديلمى ، قال : أتى رجل ابن عباس فقال : بلغنا أنك تذكر سَطِيجًا ، تزعم أن الله خلقه ، لم يخلق من بنى آدم شيئاً

(١) هذه الرواية ليست في ١ .

يشبهه؟ قال : قال : نعم إن الله خلق سطيحاً الغساني لحماً على وضم^(١) ولم يكن فيه عظم ولا عصب إلا الجمجمة ، والكفان . وكان يُطَوَّى من رجله إلى ترقوته كما يُطَوَّى الثوب ، ولم يكن فيه شيء يتحرك إلا لسانه . فلما أراد الخروج إلى مكة مُحِل على وضمة فأتى به مكة ، فخرج إليه أربعة من قريش : عبد شمس ، وهاشم ابنا عبد مناف بن قصي ، والأحوص بن فهر ، وعقيل بن أبي وقاص ، فانتموا إلى غير نسبهم وقالوا : نحن أناس من جُحَم أتيناك ، بلغنا قدومك فرأينا أن إتياننا إياك حق لك واجب علينا . وأهدى إليه عقيل صفيحة هندية ، وصعدة رُدَيْنِيَّة ، فوضعت على باب البيت الحرام ، لينظروا أهل يراها سطيح أم لا .

فقال : ياعقيل : ناولني يدك . فناوله يده فقال : ياعقيل والعالم الخِيفِيَّة ، والغافر الخطية ، والذمة الوفية ، والكعبة المبنية ، إنك لَجَائِي بالهدية ، الصفيحة الهندية ، الصعدة الردينية . قالوا : صدقت ياسطيح . فقال : والآتي بالفرح ، وقوس فَرْح ، وسائر الفرح ، واللَّطِيم المنبطح ، والنخل والرطب والبلح ، إن الغراب حيث مرَّ سنح ، فأخبر أن القوم ليسوا من جُحَم ، وأن نسبهم من قريش ذى البطح ، قالوا : صدقت ياسطيح نحن أهل البيت الحرام ، أتيناك لنزورك لما بلغنا من علمك ، فأخبرنا عما يكون في زماننا هذا وما يكون بعده ، فلعل أن يكون عندك في ذلك علم .

قال : الآن صدقتم ، خذوا مني ومن إلهام الله إياي ، أنتم يامعشر العرب في زمان الهرم ، سواء بصائركم وبصائر العجم ، لا علم عندكم ولا فهم ، وينشون من عقيمكم ذوو فهم ، يطلبون أنواع العلم ، فيكسرون الصنم ، ويبلغون الردم ، ويقتلون العجم ، يطلبون الغنم .

(١) الوض : شراع من جريد النخل .

قالوا : يسطيح فمن يكون أولئك ؟ فقال لهم : والبيت ذى الأركان ، والأمن والسكان ، لينشأن من عقبكم ولدان ، يكسرون الأوثان ، ويُنكرون عبادة الشيطان ، ويوحدون الرحمن ، وينشرون دين الديان ، يشرفون البنيان ، ويستفتون الفتيان .

قالوا : يسطيح من نسل من يكون أولئك ؟
قال : وأشرف الأشراف ، والمفضى للأشراف ، والمزعزع الأحقاف ، والمضعف الأضعاف ، لينشئون الألاف من عبد شمس وعبد مناف ، نشوءا يكون فيه اختلاف .

قالوا : يأسوءتاه يسطيح مما تخبرنا من العلم بأمرهم ، ومن أى بلد يخرج أولئك ؟
فقال : والباقي الأبد ، والبالغ الأمد ، ليخرُجَنَّ من ذا البلد ، فتى يهذى إلى الرشد ، يرفض يغوث والفند ، يبرأ من عبادة الضد ، يعبد رباً انفراد ، ثم يتوفاه الله محموداً ، من الأرض مفقوداً ، وفى السماء مشهوداً . ثم يلى أمره الصديق إذا قضى صدق ، فى رد الحقوق لا خرق ولا تزق ، ثم يلى أمره الحنيف ، مجرب غطريف ، ويترك قول العنيف ، قد ضاف المضيف ، وأحكم التحنيف . ثم يلى أمره داعياً لأمره مجرباً ، فتجتمع له جموعاً وعصباً ، فيقتلونه نعمة عليه وغضباً ، فيؤخذ الشيخ فيذبح إرباً ، فيقوم به رجال خُطباً . ثم يلى أمره الناصر ، يخلط رأى برأى الناكِر ، يظهر فى الأرض العساكر ، ثم يلى بعده ابنه يأخذ جمعه ويقل حمده ، ويأخذ المال ويأكل وحده ، ويكثر المال بعقبه من بعده ، ثم يلى من بعده عدة ملوك ، لا شك الدم فيهم مسفوك ، ثم بعدهم الصعلوك ، يطويهم كطى الدرنوك^(١) . ثم يلى من بعده عظمور^(٢) يقضى الحق ويدنى مصر ، يفتح الأرض افتتاحاً منكراً ، ثم يلى قصير القامة ، بظهره علامة ، يموت موتاً وسلامة . ثم يلى قليلاً باكر ، يترك الملك بأثر ، يلى أخوه بسنته سائر ، يختص بالأموال والمنابر ثم يلى من بعده أهوج ،

(١) الدرنوك : نوع من البسط له ثمل . (٢) الموجود فى المعاجم : عظيم كإردب ، وهو القوى الغليظ

صاحب دنيا ونعيم مخلص ، يتشاوره معاشره وذووه ، ينهضون إليه يخلعوناه يأخذ الملك ويقتلونه ، ثم يلى أمره من بعده السابع ، يترك الملك محلا ضائع ، بنوه فى ملكه كالمشوه جامع ، عند ذلك يطمع فى الملك كل عريان ، ويلى أمره اللفهان . يرضى نزاراً جمع قحطان ، إذا التقيا بدمشق جمعان بين بنيان ولبنان ، يصنف اليمين يومئذ صنفان : صنف المشورة ، وصنف المحذول . لا ترى إلا حباء محلول . وأسيراً مغلول ، بين القرباب والخيول . عند ذلك تحرب المنازل وتسلب الأرامل ، وتسقط الحوامل ، وتظهر الزلازل ، وتطالب الخلافة وأهل ، فتغضب نزار ، فتندى العبيد والأشرار ، وتقصى الأمثال والأخبار . وتغلو الأسعار فى صفر الأصفار يقتل كل حيا منه ، ثم يسرون إلى خنادق وإنها ذات أشعار وأشجار تصدله الأنهار ويهزمهم أول النهار ، تظهر الأخبار فلا ينفعهم نوم ولا قرار . حتى يدخل مصرأ من الأمصار ، فيدركه القضاء والأقدار . ثم يحىء الرماة تلف مشاة ، لقتل الحكمة ، وأسرى الحماة . وتهلك الغواة ، هنالك يدرك فى أعلى المياه . ثم يبور الدين ، وتقلب الأمور ، وتكفر الزبور ، وتقطع الجسور ، فلا يفلت إلا من كان فى جزائر البحور ، ثم تبور الحبوب ، وتظهر الأعاريب ، ليس فيهم معيب ، على أهل الفسوق والريب ، فى زمان عصيب ، لو كان للقوم حيا ، وما تغنى المنى .

قالوا : ثم ماذا يسطيح ؟ قال : ثم يظهر رجل من أهل اليمن كالشطن ، يذهب الله على رأسه الفتن .

وهذا أثر غريب كتبناه لغرابته وما تضمن من الفتن والملاحم ^(١) .

وقد تقدم قصة شق وسطيح مع ربيعة بن نصر ملك اليمن ، وكيف بشر بوجود رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكذلك تقدم قصة سطيح مع ابن أخته عبد المسيح ، حين أرسله ملك بنى ساسان ، لارتجاس الإيوان ، وخمود النيران ، ورؤيا الموبدان . وذلك ليلة مولد الذى نسخ بشريعته سائر الأديان .

(١) بل هو هذيان ما كان ينبغي أن يسطر فى الكتب . وما أشبهه بتنبؤات الفلكيين !

باب كيفية بدء الوحي

﴿ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذكر أول شيء أنزل عليه من القرآن العظيم ﴾

كان ذلك وله صلى الله عليه وسلم من العمر أربعون سنة .
وحكى ابن جرير عن ابن عباس وسعيد بن المسيب : أنه كان عمره إذ ذاك ثلاثاً وأربعين سنة .

قال البخارى : حدثنا يحيى بن بكير ، حدثنا الليث ، عن عُقَيْل ، عن ابن شهاب ، عن عُرْوَةَ بن الزبير ، عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت :
أول ما بُدِئَ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة^(١) في النوم ، وكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح .

ثم حُبِّبَ إليه الخلاء ، فكان^(٢) يخلو بغار حراء فيتحنث فيه - وهو التعبد - الليالى ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك ، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها .

حتى جاءه الحق وهو فى غار حراء .

فجاءه الملك فقال : اقرأ . فقال : ما أنا بقارىء . قال : فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى . فقال : اقرأ . فقلت : ما أنا بقارىء . فأخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى . فقال : اقرأ . فقلت : ما أنا بقارىء ، فأخذنى فغطنى الثالثة حتى بلغ منى الجهد . ثم أرسلنى فقال : « اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الإنسان من علقٍ ، اقرأ وربك الأكرم . الذى علّم بالقلم . علّم الإنسان ما لم يعلم » .

(١) البخارى : الصالحة . (٢) البخارى : وكان .

فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يَرْجُفُ فؤاده ، فدخل على خديجة بنت خويلد ، فقال : زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي . فزَمَّلُوهُ حتى ذهب عنه الروع .

فقال لخديجة - وأخبرها الخبر - : لقد خشيتُ على نفسي .

فقال خديجة : كلا ؛ والله لا يخزيك الله أبداً . إنك لتصل الرحم وتقرئ الضيف ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتعين على نوائب الحق .

فانطلقت به خديجة حتى أتت ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة . وكان امرءاً قد تنصّر في الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العبراني ، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب . وكان شيخاً كبيراً قد عمى .

فقال له خديجة : يا بن عم ! اسمع من ابن أخيك . فقال له ورقة : يا بن أخي ماذا ترى ؟ فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى . فقال له ورقة : هذا الناموس الذي كان ينزل على موسى ، يا ليتني فيها جذعا ، ليتني أكون حيا ، إذ يُخْرَجُكَ قومك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَوْ يُخْرِجُنِي هم ؟ ! » فقال : نعم ، لم يأت أحد بمثل ما جئت به إلا عودي ، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا .

ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي ^(١) فترة . حتى حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما بلغنا - حزناً غداً منه مراراً حتى يتردى من رهوس شواهق الجبال . فكلما أوفى بذروة جبل لكي يأتي نفسه تبدى له جبريل فقال : يا محمد ، إنك رسول الله حقاً . فيسكن لذلك جأشه ، وتقرئ نفسه ، فيرجع . فإذا طالت عليه فترة الوحي غداً كمثل ذلك . قال : فإذا أوفى بذروة جبل تبدى له جبريل فقال له : مثل ذلك .

هكذا وقع مطولاً في باب التعبير من البخاري .

(١) إلى هنا رواية البخاري في صحيحه في باب بدء الوحي ٣/١

قال ابن شهاب : وأخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن ، أن جابر بن عبد الله الأنصاري قال - وهو يحدث عن فترة الوحي - فقال في حديثه : « بينا أنا أمشي إذ سمعت صوتاً من السماء ، فرفعت بصري فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض : فرعبت منه ، فرجعت فقلت : زملوني ، زملوني . فأنزل الله « يا أيها المدثر ، قم فأنذر ، وربك فكبر ، وثيابك فطهر ، والرُّجْزَ فاهجر » فخمى الوحي وتتابع . ثم قال البخاري : تابعه عبد الله بن يوسف ، وأبو صالح ، يعني عن الليث ، وتابعه هلال ابن رداد^(١) عن الزهري . وقال يونس ومُعمر : - بوادره^(٢) .

وهذا الحديث قد رواه الإمام البخاري رحمه الله في كتابه في مواضع منه ، وتكلمنا عليه مطولاً في أول شرح البخاري في كتاب بدء الوحي إسناداً ومتناً ولله الحمد والمنة .

وأخرجه مسلم في صحيحه من حديث الليث به ، ومن طريق يونس ومُعمر عن الزهري كما علقه البخاري عنهما ، وقد رمزنا في الحواشي على زيادات مسلم ورواياته ، والله الحمد ، وانتهى سياقه إلى قول ورقة : أنصرك نصراً مؤزراً .

فقول أم المؤمنين عائشة « أول ما بُدِيَ به من الوحي الرؤيا الصادقة فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح » يقوَّى ما ذكره محمد بن إسحاق بن يسار عن عبيد بن عمير الليثي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « فجاءني جبريل وأنا نائم بنمط من ديباج فيه كتاب . فقال : اقرأ ، فقلت : ما أقرأ ؟ ففتني ، حتى ظننت أنه الموت ، ثم أرسلني » وذكر نحو حديث عائشة سواء .

فكان هذا كالتوطئة لما يأتي بعده من اليقظة ، وقد جاء مصرحاً بهذا في مغازي موسى بن عتبة عن الزهري ، أنه رأى ذلك في المنام ، ثم جاءه الملك في اليقظة .

وقد قال الحافظ أبو نعيم الأصبهاني : في كتابه « دلائل النبوة » : حدثنا محمد بن أحمد

(١) الأصل والمطبوعة : داود . وهو تحريف (٢) أي ترجف بوادره بدل رواية : يرجف فؤاده .

ابن الحسن ، حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة ، حدثنا جناب بن الحارث ، حدثنا عبد الله بن الأجلح ، عن إبراهيم ، عن علقمة بن قيس ، قال : إن أول ما يؤتى به الأنبياء في المنام حتى تهبط قلوبهم ، ثم ينزل الوحي بعد^(١) . وهذا من قبل علقمة بن قيس نفسه ، وهو كلام حسن يؤيده ما قبله ويؤيده ما بعده .

ذكر عمره عليه الصلاة والسلام

وقت بعثته وتاريخها

قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن أبي عدي ، عن داود بن أبي هند ، عن عامر الشعبي ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت عليه النبوة وهو ابن أربعين سنة ، فخيرت نبوته إسرافيل ثلاث سنين ، فكان يعلمه الكلمة والشيء ، ولم ينزل القرآن ، فلما مضت ثلاث سنين قرن بنبوته جبريل ، فنزل القرآن على لسانه عشرين سنة ، عشرًا بمكة وعشرًا بالمدينة . فمات وهو ابن ثلاث وستين سنة .

فهذا إسناد صحيح إلى الشعبي ، وهو يقتضي أن إسرافيل قرن معه بعد الأربعين ثلاث سنين ، ثم جاءه جبريل .

وأما الشيخ شهاب الدين أبو شامة فإنه قد قال : وحديث عائشة لا ينافي هذا . فإنه يجوز أن يكون أول أمره الرؤيا ، ثم وكّل به إسرافيل في تلك المدة التي كان يخلو فيها بجراء ، فكان يلقي إليه الكلمة بسرعة ولا يقيم معه تدريجًا له وتمرينًا ، إلى أن جاءه جبريل فعلمه بعد ما غطّه ثلاث مرات ، فحكّت عائشة ما جرى له مع

(١) ليس في دلائل النبوة المطبوع .

جبريل ولم نَحْكُ ما جرى له مع إسرائيل اختصاراً للحديث ، أو لم تكن وقفت على قصة إسرائيل .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن هشام ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وأربعين ، فمكث بمكة عشرًا ، وبالمدينة عشرًا ، ومات وهو ابن ثلاث وستين .

وهكذا روى يحيى بن سعيد ، وسعيد بن المسيب .

ثم روى أحمد عن غُنْدَرٍ ، ويزيد بن هارون ، كلاهما عن هشام ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنزل عليه القرآن وهو ابن أربعين سنة ، فمكث بمكة ثلاث عشرة سنة ، وبالمدينة عشر سنين . ومات وهو ابن ثلاث وستين سنة .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا حماد بن سلمة ، أنبأنا عمار بن أبي عمار ، عن ابن عباس قال : أقام النبي صلى الله عليه وسلم بمكة خمس عشرة سنة ، سبع سنين يرى الضوء ويسمع الصوت ، وثمانى سنين يوحى إليه ، وأقام بالمدينة عشر سنين .

قال أبو شامة : وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى عجائب قبل بعثته .

فمن ذلك ما فى صحيح مسلم عن جابر بن سمرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم علىَّ قبل أن أبعث ، إني لأعرفه الآن » . انتهى كلامه .

وإنما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الخلاء والانفراد عن قومه ، لما يراه من الضلال المبين ، من عبادة الأوثان والسجود للأصنام ، وقويت محبته للخلوة عند مقاربة إحياء الله إليه ، صلوات الله وسلامه عليه .

وقد ذكر محمد بن إسحاق ، عن عبد الملك بن عبد الله بن أبي سفيان بن العلاء بن حارثة - قال : وكان واعية - عن بعض أهل العلم قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج إلى حراء في كل عام شهراً من السنة يتنسك فيه ، وكان من نسك قريش في الجاهلية ، يطعم من جاءه من المساكين ، حتى إذا انصرف من مجاورته لم يدخل بيته حتى يطوف بالكعبة .

وهكذا روى عن وهب بن كيسان أنه سمع عبيد بن عمير يحدث عبد الله بن الزبير . مثل ذلك .

وهذا يدل على أن هذا كان عادة المتعبدين في قريش أنهم يجاورون في حراء للعبادة . وهذا قال أبو طالب في قصيدته المشهورة :

وَتَوَرَّ وَمَنْ أَرَسَى ثَبِيراً مَكَانَهُ وَرَاقٍ لِيَرْقَى فِي حِرَاءٍ وَنَازِلٍ

هكذا صوّبه على رواية هذا البيت كما ذكره السهيلي وأبو شامة وشيخنا الحافظ أبو الحجاج المزي رحمهم الله ، وقد تصحّف على بعض الرواة فقال فيه : وراق ليرقى في حر ونازل - وهذا ركيك ومخالف للصواب . والله أعلم .

وحراء يُقَصَّر ويمدّ ، ويصرف ويمنع ، وهو جبل بأعلى مكة على ثلاثة أميال منها عن يسار المارّ إلى منى ، له قُلة مشرفة على الكعبة منحنية ، والفار في تلك الحنية . وما أحسن ما قال رؤبة بن العجاج :

فلا وربّ الآمَنَاتِ القُطْنِ وربّ ركنٍ من حراء مُنَحْنِي

وقوله في الحديث : « والتحنّث : التعبد » تفسير بالمعنى ، وإلا لحقيقة التحنّث من حيث البنية^(١) فيما قاله السهيلي : الدخول في الحنّث . ولكن سمعت ألفاظ قليلة في

(١) الأصل والمطبوعة : من حنّث البنية . وفي ١ : من حنّث النية وكلاه تحريف .

اللغة معناها الخروج من ذلك الشيء كتحنث أى خرج من الحنث . وتحوَّب وتخرَّج وتأنَّم . وتهجد هو ترك الهجود وهو النوم للصلاة . وتنجَّس وتقذَّر . أوردها أبو شامة .
وقد سئل ابن الأعرابي عن قوله « يتحنث أى يتعبد » . فقال : لا أعرف هذا ، إنما هو يتحنف من الحنيفية دين إبراهيم عليه السلام .

قال ابن هشام : والعرب تقول : التحنث والتحنف . يدلون الفاء من الثاء ، كما قالوا جَدَفَ وجذَفَ ، كما قال رؤبة :

* لو كان أحجارى مع الأجذاف *

يريد الأجداث .

قال : وحدثني أبو عبيدة ، أن العرب تقول فُمَ في موضع مُمَّ .
قلت : ومن ذلك قول بعض المفسرين : « وفومها » أن المراد ثومها .

وقد اختلف العلماء في تعبدّه عليه السلام قبل البعثة هل كان على شرع أم لا ؟
وما ذلك الشرع ؟

ف قيل : شرع نوح .

وقيل : شرع إبراهيم . وهو الأشبه الأقوى .

وقيل موسى . وقيل عيسى .

وقيل : كل ما ثبت أنه شرعٌ عنده اتبعه وعمل به .

ولبسَّط هذه الأقوال ومناسباتها مواضع أخر في أصول الفقه والله أعلم .
وقوله « حتى لجأه الحق وهو بفار حراء » أى جاء بفتنة على غير موعد ، كما قال تعالى :
« وما كنتَ ترَجُو أن يُلقَى إليك الكتاب إلا رحمةً من ربك ^(١) » الآية .

وقد كان نزول صدر هذه السورة الكريمة وهي ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ، خَلَقَ
الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ . اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ . الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ ،
وهي أول ما نزل من القرآن كما قررنا ذلك في التفسير وكما سيأتى أيضا ، في
يوم الاثنين .

كما ثبت في صحيح مسلم عن أبي قتادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم :
سئل عن صوم يوم الاثنين ؟ فقال : « ذاك يومٌ ولدْتُ فيه ، ويومٌ أنزلَ
عليَّ فيه » .

وقال ابن عباس : ولد نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين ، ونُبيُّ
يوم الاثنين .

وهكذا قال عُبَيْد بن عُمَيْر وأبو جعفر الباقر وغير واحد من العلماء أنه عليه الصلاة
والسلام أوحى إليه يوم الاثنين ، وهذا مالا خلاف فيه بينهم .

ثم قيل : كان ذلك في شهر ربيع الأول ، كما تقدم عن ابن عباس وجابر أنه ولد
عليه السلام ، في الثاني عشر من ربيع الأول يوم الاثنين ، وفيه بعث ، وفيه عُرج به
إلى السماء .

والشهور أنه بعث عليه الصلاة والسلام في شهر رمضان ، كما نص على ذلك عُبَيْد
ابن عُمَيْر ، ومحمد بن إسحاق وغيرهما .

وقال ابن إسحاق مستدلا على ذلك بما قال الله تعالى : « شهرُ رمضان الذي أنزلَ
فيه القرآن هدى للناس » فقيل : في عشره .

وروى الواقدي بسنده عن أبي جعفر الباقر أنه قل : كان ابتداء الوحي إلى رسول
الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين ، لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان ، وقيل في الرابع
والعشرين منه .

قال الإمام أحمد : حدثنا أبو سعيد مولى بنى هاشم ، حدثنا عمران أبو العوام ، عن قتادة عن أبي المليح ، عن وائل بن الأسقع ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أنزلت صُحُف إبراهيم في أول ليلة من رمضان ، وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان ، والإنجيل لثلاث عشرة ليلة خلت من رمضان ، وأنزل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان .

وروى ابن مردويه في تفسيره عن جابر بن عبد الله مرفوعاً نحوه .
ولهذا ذهب جماعة من الصحابة والتابعين ، إلى أن ليلة القدر ليلة أربع وعشرين .

وأما قول جبيل « اقرأ » فقال : « ما أنا بقارى » فالصحيح أن قوله « ما أنا بقارى » نفى ، أى لست ممن يُحسن القراءة . ومن رجّحه النووى وقبّله الشيخ أبو شامة .

ومن قال إنها استفهامية فقله بعيد ، لأن الباء لا تزداد في الإثبات .

ويؤيد الأول رواية أبي نعيم من حديث المعتمر بن سليمان عن أبيه : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو خائف يُرعد : « ما قرأت كتاباً قط ولا أحسنه ، وما أكتب وما أقرأ » فأخذه جبريل فغتنه غتاً شديداً . ثم تركه فقال له : اقرأ . فقال محمد صلى الله عليه وسلم « ما أرى شيئاً أقرأه ، وما أقرأ ، وما أكتب » .

يروى : « ففطنى » كما فى الصحيحين « وغتنى » ويروى « قد غتنى » أى : خفنى « حتى بلغ منى الجهد » يروى بضم الجيم وفتحها وبالنصب وبالرفع . وفعل به ذلك ثلاثاً .

قال أبو سليمان الخطّابى : وإنما فعل ذلك به ليلاؤه صبره ويُحسن تأديبه ، فيرتاض لاحتمال ما كلفه به من أعباء النبوة ، ولذلك كان يعتره مثل حال المحموم ، وتأخذه الرّحضاء أى : البهر والعرق .

وقال غيره : إنما فعل ذلك لأمر : منها أن يستيقظ لعظمة ما يُلقى إليه بعد هذا

الصنيع المُشَقَّ على النفوس . كما قال تعالى ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾ ^(١) ولهذا كان عليه الصلاة والسلام إذا جاءه الوحي يحمرُّ وجهه ، ويفطُّ كما يفظُّ البَكْر من الإبل ، ويتفصَّد جبينه عرقاً في اليوم الشديد البرد .

وقوله : « فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خديجة يَرَجُفُ فؤاده » . وفي رواية : « بواده » جمع بادرة . قال أبو عبيدة : وهي لحة بين المنكب والعنق . وقال غيره : هي عروق تضطرب عند الفزع .

وفي بعض الروايات ترجف بآدله ، واحدها بادلة . وقيل بادل ، وهو ما بين العنق والترقوة . وقيل أصل الندى . وقيل : لحم الثديين . وقيل غير ذلك .

فقال : « زَمَلُونِي زَمَلُونِي » ، فلما ذهب عنه الرَّوْع قال لخديجة : « مالي ؟ أيُّ شيء عَرَضَ لي ؟ ! » وأخبرها ما كان من الأمر . ثم قال : « لقد خَشِيتُ على نفسي » وذلك لأنه شاهدَ أمراً لم يَعهده قبل ذلك ، ولا كان في خلده .

ولهذا قالت خديجة : أبشر ، كلاً والله لا يخزيك الله أبداً . قيل : من الخزي ، وقيل : من الحزن .

وهذا لعلمها بما أَجْرَى الله به جميلَ العوائد في خلقه ، أن من كان متصفاً بصفات الخير لا يُخْزَى في الدنيا ولا في الآخرة .

ثم ذكرت له من صفاته الجليلة ما كان من سجاياه الحسنة . فقالت : « إنك لتَصِل الرَّحْمَ وتَصْدُقُ الحديث » وقد كان مشهوراً بذلك صلوات الله وسلامه عليه عند المواقف والمفارِق .

« وَتَحْمِلُ الْكَلَّ » أي عن غيرك ، تعطى صاحب العيلة ما يريحه من ثقل

مؤنة عياله .

« وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ » أى تسبق إلى فعل الخير فتبادر إلى إعطاء الفقير فنكسب حسنته قبل غيرك . ويسمى الفقير معدوماً لأن حياته ناقصة ، فوجوده وعدمه سواء كما قال بعضهم :

ليس من مات فاستراح بِمَيِّتٍ إِنَّمَا الْمَيِّتُ مَيِّتُ الْأَحْيَاءِ
وقال أبو الحسن التهامي ، فيما نقله عنه القاضي عياض فى شرح مسلم :

عُدَّ ذَا الْفَقْرِ مَيِّتًا وَكِسَاهُ كَفَنًا بَالِيًا وَمَأْوَاهُ قَبْرًا

وقال الخطابى : الصواب « وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ » أى تبذل إليه أو يكون تكسب المعدوم بمعطيته^(١) مالا يعيش به .

واختار شيخنا الحافظ أبو الحجاج اللزى أن المراد بالمعدوم ههنا المال المُنْعَى ، أى يعطى المال لمن هو عادمه .

ومن قال إن المراد أنك تَكْسِبُ بِاتِّجَارِكَ الْمَالَ الْمَعْدُومَ ، أو النفيس القليل النظير ، فقد أَبْعَدَ النِّجْمَةَ ، وَأَغْرَقَ فِي النَّزْعِ ، وَتَكَلَّفَ مَا لَيْسَ لَهُ عِلْمٌ ، فَإِنْ مِثْلُ هَذَا لَا يُدْرِكُ بِهِ غَالِبًا ، وَقَدْ ضَعَّفَ هَذَا الْقَوْلَ عِيَاضُ وَالنَّوَوِيُّ وَغَيْرُهُمَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ .
« وَتَقْرَى الضَّيْفَ » أى تكرمه فى تقديم قراه ، وإحسان مأواه .

« وَتَعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ » ويروى « الْخَيْرِ » ، أى إذا وقعت نائبة لأحد فى خيرٍ أَعْنَتَ فِيهَا ، وَقَمَّتْ مَعَ صَاحِبِهَا حَتَّى يَجِدَ سَدَادًا مِنْ عَيْشٍ أَوْ قَوَامًا مِنْ عَيْشٍ .
وقوله : « ثُمَّ أَخَذَتْهُ فَانْطَلَقَتْ بِهِ إِلَى ابْنِ عَمِّهَا وَرَقَةَ بْنِ نُوْفَلٍ ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ » .

وقد قدّمنا طرفاً من خبره مع ذكر زيد بن عمرو بن نفيل رحمه الله ، وأنه كان ممن نَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، فَفَارَقَهُمْ وَارْتَحَلَ إِلَى الشَّامِ ، هُوَ وَزَيْدُ بْنُ عَمْرٍو وَعُثْمَانُ بْنُ الْخَوَّارِثِ ،
(١) معرفة بالأصل : أو يكون تلبس العدم بمعطية .

وعُبَيْدُ اللَّهِ بْنِ جَحْشٍ ، فَتَنَصَّرُوا كُلُّهُمْ ، لِأَنَّهُمْ وَجَدُوهُ أَقْرَبَ الْأَدْيَانِ إِذْ ذَاكَ إِلَى الْحَقِّ .
إِلَّا زَيْدُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ نُفَيْلٍ فَإِنَّهُ رَأَى فِيهِ دَخْلًا وَتَخْبِيطًا وَتَبْدِيلًا وَتَحْرِيفًا وَتَأْوِيلًا ،
فَأَبَتْ فِطْرَتُهُ الدَّخُولَ فِيهِ أَيْضًا ، وَبَشَرَهُ الْأَحْبَارُ وَالرَّهْبَانُ بِوُجُودِ نَبِيٍّ قَدْ أَزِفَ زَمَانُهُ
وَاقْتَرَبَ أَوَانُهُ .

فَرَجَعَ يَتَطَلَّبُ ذَلِكَ ، وَاسْتَمَرَّ عَلَى فِطْرَتِهِ وَتَوْحِيدِهِ . لَكِنْ اخْتَرَمَتْهُ الْمَنِيَّةُ قَبْلَ
الْبُعْثَةِ الْمَحْمُودِيَّةِ .

وَأَدْرَكَهَا وَرَقَةُ بْنُ نَوْفَلٍ وَكَانَ يَتَوَسَّمُهَا فِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كَمَا قَدَّمْنَا ،
بِمَا كَانَتْ خَدِيجَةُ تَنْفَعُهُ لَهُ وَتَصِفُهُ لَهُ ، وَمَا هُوَ مُنْطَوٍ عَلَيْهِ مِنَ الصِّفَاتِ الطَّاهِرَةِ الْجَمِيلَةِ
وَمَا ظَهَرَ عَلَيْهِ مِنَ الدَّلَائِلِ وَالْآيَاتِ .

وَلِهَذَا لَمَّا وَقَعَ مَا وَقَعَ أَخَذَتْ بِيَدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَاءَتْ بِهِ إِلَيْهِ ، فَوَقَفَتْ
بِهِ عَلَيْهِ وَقَالَتْ : ابْنَ عَمٍّ ، اسْمَعْ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ . فَلَمَّا قَصَّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
خَبَرَ مَا رَأَى ، قَالَ وَرَقَةُ : سُبُّوحٌ سُبُّوحٌ ، هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى مُوسَى .

وَلَمْ يَذْكُرْ عِيسَى وَإِنْ كَانَ مُتَأَخِّرًا بَعْدَ مُوسَى ، لِأَنَّهُ كَانَتْ شَرِيعَتُهُ مَتَمِّمَةً وَمَكْمَلَةً
لشريعة موسى عليهما السلام ، وَنَسَخَتْ بَعْضَهَا عَلَى الصَّحِيحِ مِنْ قَوْلِ الْعُلَمَاءِ . كَمَا قَالَ
﴿ وَلَا حُلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ﴾ ^(١) .

وَقَوْلُ وَرَقَةَ هَذَا كَمَا قَالَتِ الْجَنُّ : ﴿ يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى
مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ ^(٢) .

ثُمَّ قَالَ وَرَقَةُ : « يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَدَا » أَيْ يَا لَيْتَنِي أَكُونَ الْيَوْمَ شَابًّا مَتَمَكِّنًا مِنْ
الْإِيمَانِ وَالْعِلْمِ النَّافِعِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ .

(١) سورة آل عمران ٥٠

(٢) سورة الأحقاف ٣٠

« ياليتنى أكون حياً حين يخرجك قومك » يعنى حتى أخرج معك وأنصرك .
 فعندَهَا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَوْ تُخْرِجَنِي هَمْ ؟ » قال الشَّهِيلِي :
 وإنما قال ذلك ، لأن فراق الوطن شديد على النفوس ، فقال : « نعم ! إنه لم يأتِ أحدٌ
 بمثل ما جئت به إلا عودى ، وإن يُدْرِكْنِي يَوْمَكَ أَنْصُرَكَ نصراً مؤزراً » أى أنصرك
 نصراً عزيزاً أبداً .

وقوله « ثم لم يَنْشَبْ ورقةُ أن توفى » أى توفى بعد هذه القصة بقليل ، رحمه الله
 ورضى عنه ، فإن مثل هذا الذى صدر عنه تصديقٌ بما وجد ، وإيمان بما حصل من الوحي ،
 ونية صالحة للمستقبل .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا حسن ، عن ابن لهيعة ، حدثني أبو الأسود ، عن
 عروة ، عن عائشة ، أن خديجة سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ورقة بن نوفل
 فقال : « قد رأيته فرأيت عليه ثياب بياض ، فأحسبه لو كان من أهل النار لم يكن عليه
 ثياب بياض » .

وهذا إسناد حسن ، لكن رواه الزُّهْرِيُّ وهشام عن عروة مرسلًا . فالله أعلم .
 وروى الحافظ أبو يعلى ، عن شريح بن يونس ، عن إسماعيل ، عن مجالد ، عن
 الشعبي ، عن جابر بن عبد الله ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن ورقة بن نوفل
 فقال : « قد رأيته فرأيت عليه ثياب بياض ، أبصرته فى بطنان الجنة ^(١) وعليه السندس » .

وسئل عن زيد بن عمرو بن نفيل فقال « يبعث يوم القيامة أمةً وحده » .
 وسئل عن أبي طالب فقال : « أخرجته من غمرته من جهنم إلى صحصاح منها » .
 وسئل عن خديجة ، لأنها ماتت قبل الفرائض وأحكام القرآن ، فقال : « أبصرتها

(١) بطنان : كل شيء وسطه .

على نهر في الجنة في بيت من قَصَبٍ لا صَخَبٍ فيه ولا نَصَبٍ .

إسناد حسن ، ولبعضه شواهد في الصحيح . والله أعلم .

~~وقال~~ الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا عبيد بن إسماعيل ، حدثنا أبو أسامة ، عن

هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« لا تسبوا ورقة ، فإني رأيت له جنة أو جنتين » . ~~حدثنا~~

وكذا رواه ابن عساکر من حديث أبي سعيد الأشج ، عن أبي معاوية ، عن هشام ،

عن أبيه ، عن عائشة ، وهذا إسناد جيد . وروى مُرسلاً وهو أشبه .

وروى الحافظان : البيهقي وأبو نعيم في كتابيهما . « دلائل النبوة » من حديث

يونس بن بكير ، عن يونس بن عمرو ، عن أبيه ، عن عمرو بن شرحبيل ، أن رسول

الله صلى الله عليه وسلم قال لخديجة : « إني إذا خلوت وحدي سمعتُ نداءً ، وقد خشيتُ

والله أن يكون لهذا أمر » .

قالت : معاذ الله ، ما كان ليفعل ذلك بك ، فوالله إنك لتؤدّي الأمانة ، وتصل

الرحم ، وتصدق الحديث .

فلما دخل أبو بكر وليس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم ذكرت له خديجة فقالت :

يا عتيق اذهب مع محمد إلى ورقة .

فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ بيده أبو بكر . فقال : انطلق بنا إلى

ورقة . قال : « ومن أخبرك ؟ » قال : خديجة . فانطلقا إليه فقصا عليه . فقال رسول الله

صلى الله عليه وسلم : « إني إذا خلوت وحدي سمعتُ نداءً خلني : يا محمد يا محمد . فانطلق

هارباً في الأرض » . فقال له : لا تفعل . إذا أتاك فابث حتى تسمع ما يقول لك ، ثم

اتننى فأخبرني .

فلما خلا ناداه : يا محمد ، قل (بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين) حتى بلغ (ولا الضالّين) قل : لا إله إلا الله . هذا حديث مرسل فيه غرابة .
فأتى ورقة فذكر له ذلك ، فقال له ورقة : أبشر ثم أبشر . فأنا أشهد أنك الذي بشر بك ابنُ مريم ، وإنك على مثل ناموس موسى ، وإنك نبي مرسل ، وإنك ستؤمر بالجهاد بعد يومك هذا ، ولئن أدركني ذلك لأجاهدن معك .
فلما توفى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد رأيت القس في الجنة عليه ثياب الحرير ، لأنه آمن بي وصدّقني » يعني ورقة .

هذا لفظ البيهقي ، وهو مرسل ، وفيه غرابة وهو كون الفاتحة أول ما نزل .
وقد قدمنا من شعره ما يدل على إضماره الإيمان وعقده عليه وتأكّده عنده ، وذلك حين أخبرته خديجة ما كان من أمره مع غلامها ميسرة ، وكيف كانت الغامة تظله في هجير القيظ ، فقال ورقة في ذلك أشعارا قدّمناها قبل هذا ، منها قوله :

لأمرٍ طالما بعث النّسِيجاً	لججتُ وكنت في الذكري لجوجاً
فقد طال انتظاري يا خديجا	ووصف من خديجة بعد وصف
حديثك أن أرى منه خروجاً	بيطن المكّنين على رجائي
من الرهبان أكره أن يعوجاً	بما خبرتنا من قول قسّ
ويخصم من يكون له حجيجا	بأن محمداً سيسود قوماً
يقيم به البرية أن تعوجاً	ويظهر في البلاد ضياء نور
ويلقى من يساله فلوّجاً	فيلقى من يحاربه خساراً
شهدتُ وكنت أولهم ولوجاً	فياليتني إذا ما كان ذاك

ولو جأ في الذي^(١) كرهت قریش
أرجى بالذي كرهوا جميعاً
فإن يبقوا وأبق تكن^(٢) أمور
وقال أيضاً في قصيدته الأخرى :

وأخبارِ صدقٍ خُبرت عن محمدٍ
بأن ابنَ عبد الله أحمد مرسل
وظنى به أن سوف يُبعث صادقاً
وموسى وإبراهيم حتى يُرى له
ويتبعه حياً لؤى بن غالبٍ
فإن أبقى حتى يدرك الناسَ دهره
وإلا فإنى يا خديجة فاعلمى
يُخبرها عنه إذا غاب ناصحُ
إلى كلٍّ من ضمت عليه الأباطحُ
كما أرسل العبدان : هودٌ وصالحُ
بهاء ومنشور من الحق واضح
شبابهم والأشيبون الجحاحجُ
فإنى به مستبشر الود فارحُ
عن أرضك في الأرض العريضة سائحُ

وقال يونس بن بكير عن ابن اسحاق : قال ورقة :

فإن يك حقاً يا خديجة فاعلمى
وجبريلُ يأتيه وميكال معهما
يفوز به من فاز فيها بتوبة
فريقان منهم فرقة في جنانه
إذا ما دَعَوْا بالويل فيها تتابعُ
فسبحان من تهوى الرياح بأمره
ومنَ عرشه فوق السموات كلها
حديثك إيانا فأحمدُ مُرسلُ
من الله وحى يُشرح الصدر مُنزلُ
ويشقى به العانى الغرير المُضللُ
وأخرى بأحوالِ الجحيم تُعللُ
مقامعُ في هاماتهم ثم تُشعلُ
ومن هو في الأيام ما شاء يفعلُ
وأفضاؤه في خلقه لا تُبدلُ

(١) خ ط : ولو كان الذى . وما أثبتته هو الرواية المتقدمة لابن كثير ، وهى الموافقة لابن هشام والصحيحة أيضاً .

(٢) المضبوطة : يكن أموراً ، وهو تحريف .

وقال ورقة أيضاً :

يا للرجالِ وصَرَفِ الدهرِ والقَدَرِ
حتى خديجةُ تدعوني لأخبرها
وخبرتنى بأمرٍ قد سمعتُ به
بأن أحمدَ يأتيه فيخبره
فقلتَ علَّ الذي ترَجِّين يُنجزه
وأرسله إلينا كَئِ نَسأله
فقال حينَ أتانا مَنطِقاً عَجَباً
إني رأيتَ أمينَ الله واجهني
ثم استمرَّ فكاد الخوفُ يُدعرنِي
فقات ظنِّي وما أدري أَيَصْدُقُنِي
وسوفَ يُبليكَ إن أعلنت دعوتهم
وما لشيءٍ قضاء الله مِنْ غِيَرِ
أمرأً أراه سيأتي الناسَ مِنْ أُخَرِ
فيما مضى من قديم الدهرِ والعصرِ
جبريلُ أنكَ مبعوثٌ إلى البشرِ
لك الإله فرَجِّى الخيرَ وانتظري
عن أمره ما يرى في النومِ والسميرِ
يقفُ منه أعالى الجلدِ والشعرِ
في صورةٍ أكملت من أعظمِ الصُورِ
مما يسلَّمُ مِنْ حَوَلِي من الشجرِ
أنْ سوفَ يُبعثُ يتلو مُنْزَلَ السُورِ
من الجهادِ بلا منٍّ ولا كَدَرِ

هكذا أورد ذلك الحافظ البيهقي في الدلائل وعندى في صحتها عن ورقة نظر
والله أعلم .

وقال ابن إسحاق : حدثني عبد الملك بن عبد الله بن أبي سفيان بن العلاء بن جارية
التقي - وكان واعية ^(١) - عن بعض أهل العلم ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين
أراد الله كرامته وابتدأه بالنبوة ، كان إذا خرج لحاجته ^(٢) أبعد حتى يحسر البيوت ^(٣)

(٢) المطبوعة : الحاجة . وهو تحريف .

(١) المطبوعة داعية . وهو تحريف .

(٣) خ ط : الثوب . وهو تحريف شنيع .

عنه ويُفَضَّى إلى شعاب مكة وبطون أوديتها ، فلا يمرُّ بحجرٍ ولا شجرٍ إلا قال : السلام عليك يا رسول الله .

قال : فإلتفت حَوْله عن يمينه وعن شماله وخلفه فلا يرى إلا الشجرَ والحجارة ، فكث كذلك يَرَى ويسمع ما شاء الله أن يمكث ، ثم جاءه جبريل عليه السلام بما جاء من كرامة الله وهو بحراء في رمضان .

قال ابن إسحاق : وحدثني وهبُ بن كيسان مولى آل الزبير ، قال سمعت عبدَ الله ابن الزبير وهو يقول لعُبَيْد بن عُمَيْر بن قَتادة الليثي : حَدَّثَنَا يَا عُبَيْد : كيف كان بدءُ ما ابتدئَ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من النبوة حين جاءه جبريل . قال : فقال عُبَيْد وأنا حاضر ، يحدث عبدَ الله ابن الزبير وَمَنْ عنده من الناس :

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحاور في حراء في كل سنة شهراً يتَحَثُّ . قال : وكان ذلك مما تَحَثُّ^(١) به قريش في الجاهلية ، والتَحَثُّ : التبرُّر .

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحاور ذلك الشهر من كل سنة يُطْعَم من جاءه من المساكين ، فإذا قضى جواره من شهره ذلك كان أول ما يبدأ به إذا انصرف من جواره الكعبة قبل أن يدخل بيته ، فيطوف بها سبعاً أو ما شاء الله من ذلك ، ثم يرجع إلى بيته .

حتى إذا كان الشهر الذي أراد الله به فيه ما أراد من كرامته من السنّة التي بعثه فيها ، وذلك الشهر رمضان ، خرج إلى حراء كما كان يخرج لجواره ومعه أهله ، حتى إذا كانت الليلة التي أكرمه الله فيها برسالته ورحم العباد به جاءه جبريل بأمر الله تعالى .

(١) خ ط : يحبب . وهو تحريف .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نجاءنى وأنا نائم بنمط من ديباج فيه كتاب ، فقال : اقرأ . قلت : ما أقرأ ؟ قال : ففتنى حتى ظننت أنه الموت ، ثم أرسلنى فقال : اقرأ . قلت : ما أقرأ ؟ قال : ففتنى حتى ظننت أنه الموت ثم أرسلنى فقال : اقرأ . قلت : ما أقرأ ؟ قال : ففتنى حتى ظننت أنه الموت ثم أرسلنى فقال : اقرأ . قلت : ماذا أقرأ ؟ ما أقول ذلك إلا افتداءً ^(١) منه أن يعود لى بمثل ما صنع بى .

فقال : « اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الإنسان من علقٍ . اقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم » . قال : فقرأتها ثم انتهى وانصرف عني ، وهببت من نومي فكأنما كتب في قلبي كتابا .

قال : فخرجت حتى إذا كنت في وسطٍ من الجبل سمعت صوتاً من السماء يقول : يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل .

قال : فرفعت رأسي إلى السماء ، فأنظر فإذا جبريل في صورة رجل صافٍ قدميه في أفق السماء يقول : يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل .

فوقفت أنظر إليه فما أتقدم وما أتأخر ، وجعلت أصرف وجهي عنه في آفاق السماء فما أنظر في ناحية منها إلا رأيته كذلك .

فما زلت واقفاً ما أتقدم أمامي وما أرجع ورأى حتى بعثت خديجة رسلها في طلبي ، فبلغوا مكة ورجعوا إليها وأنا واقف في مكاني ذلك ، ثم انصرف عني .

وانصرفت راجعاً إلى أهلي حتى أتيت خديجة فجلست إلى نخذها مضيقاً إليها ، فقالت : يا أبا القاسم أين كنت ؟ فوالله لقد بعثت رسل في طلبك حتى بلغوا مكة ورجعوا إليّ .

(١) ط : اقتدا وهو تحريف .

ثم حَدَّثَها بالذى رأيتَ فقالَت : أبشِر يا ابن العم واثبُتْ ، فوالذى نفس خديجة بيده إني لأرجو أن تكون نبيَّ هذه الأمة .

ثم قامت فجمعت عليها ثيابها ثم انطلقت إلى ورقة بن نوفل ، فأخبرته بما أخبرها به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال ورقة : قَدْؤوس قدؤوس ، والذى نفس ورقة بيده لئن كنتِ صدقتنى ياخديجة لقد جاءه الناموس الأكبر الذى كان يأتى موسى ، وإنه لنبىُّ هذه الأمة ، وقولى له فليثبت .

فرجعت خديجة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته بقول ورقة .

فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم جواره وانصرف صنع كما كان يصنع ، بدأ بالكعبة فطاف بها ، فلقى ورقة بن نوفل وهو يطوف بالكعبة فقال : يا ابن أخى ، أخبرنى بما رأيتَ وسمعت .

فأخبره ، فقال له ورقة : والذى نفسى بيده إنك لنبىُّ هذه الأمة ، ولقد جاءك الناموس الأكبر الذى جاء موسى ، ولتُكذِّبَنَّهُ ولتُؤذِنَهُ ولتُخْرِجَنَّهُ ولتقاتلنهُ ^(١) ، ولئن أنا أدركتُ ذلك اليوم لأنصرنَّ الله نصراً يعلمه . ثم أدنى رأسه منه فقبل يا فوخه ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى منزله .

وهذا الذى ذكره عُبَيْد بن عُمَيْر كما ذكرناه كالتوطئة لما جاء بعده من اليقظة ، كما تقدم من قول عائشة رضى الله عنها : فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فَلَاقِ الصبح .

ويحتمل أن هذا المنام كان بعد ما رآه فى اليقظة صبيحة ليلته . ويحتمل أنه كان بعده بمدة . والله أعلم .

(١) الماء هنا لاكت .

وقال موسى بن عُقبة : عن الزُّهْرِي عن سعيد بن المسيَّب ، قال : وكان فيما بلغنا أول ما رأى ، يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن الله تعالى أراه رؤيا فى المنام ، فسقَّ ذلك عليه ، فذكرها لامرأته خديجة ، فعصمها الله عن التكذيب وشرح صدرها للتصديق فقالت : أبشرفان الله لم يصنع بك إلا خيراً .

ثم إنه خرج من عندها ثم رجع إليها ، فأخبرها أنه رأى بطنه شقَّ ثم غسل وطهر ثم أعيد كما كان . قالت : هذا والله خير فأبشر .

ثم استعلن له جبريل وهو بأعلى مكة فأجاسه على مجلس كريم مُعْجَب ، كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول : أجلسنى على بساط كهيفة الدُرُّنُوكِ^(١) ، فيه الياقوت واللؤلؤ ، فبشَّره برسالة الله عز وجل ، حتى اطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له جبريل اقرأ . فقال : كيف اقرأ ؟ فقال : « اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الإنسان من علقٍ اقرأ وربك الأكرم ، الذى علَّم بالقلم ، علَّم الإنسان ما لم يَعْلَمْ » .

قال : ويزعم ناس أن « يا أيها المدثر » أول سورة نزلت عليه والله أعلم .

قال : فقَبِلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم رسالة ربه واتَّبع ما جاء به جبريل من عند الله .

فلما انصرف مُنْقَلِباً إلى بيته جعل لا يمرُّ على شجر ولا حجر إلا سلَّم عليه ، فرجع إلى أهله مسروراً موقناً أنه قد رأى أمراً عظيماً ، فلما دخل على خديجة قال : أرايتك التى كنتُ حدِّثُكَ أنى رأيتَه فى المنام ؟ فإنه جبريل استعلن إلىَّ ، أرسله إلى ربي عز وجل . وأخبرها بالذى جاءه من الله وما سمع منه ، فقالت : أبشرفوا الله لا يفعل

(١) الدرنوك : نوع من البسط له خل .

الله بك إلا خيراً ، واقبل الذى جاءك من أمر الله فإنه حق ، وأبشر فإنك رسول الله حقاً .

ثم انطلقت من مكانها ، فأنت غلاماً لعُتْبَةَ بن ربيعة بن عبد شمس ، نصرانياً من أهل نَيْنَوَى يقال له عَدَّاس فقالت له : يا عداس أذكرك بالله إلا ما أخبرتنى : هل عندك علم من جبريل ؟ فقال : قدوس قدوس ، ما شأن جبريل يُذكر بهذه الأرض التى أهلها أهل الأوثان . فقالت : أخبرنى بعلمك فيه . قال : فإنه أمين الله بينه وبين النبیین ، وهو صاحب موسى وعيسى عليهما السلام .

فرجعت خديجة من عنده فحاجت ورقة بن نوفل ، فذكرت له ما كان من أمر النبى صلى الله عليه وسلم وما ألقاه إليه جبريل ، فقال لها ورقة : يا بُدَيَّة أختى ، ما أدرى لعل صاحبك النبى الذى ينتظر أهل الكتاب الذى يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة والإنجيل ، وأقسم بالله لئن كان إياه ثم أظهر دعواه وأنا حىُّ لأبئَنَّ الله فى طاعة رسوله وحُسن مؤازرته للصبر والنصر .

فمات ورقة رحمه الله .

قال الزهري : فكانت خديجة أول من آمن بالله وصدق رسوله صلى الله عليه وسلم .

قال الحافظ البيهقي بعد إيراده ما ذكرناه : والذى ذكر فيه من شقِّ بطنه يُحتمل أن يكون حكاية منه لما صنَّع به فى صباه ، يعنى شقَّ بطنه عنه حليلة ، ويحتمل أن يكون شقَّ مرة أخرى ، ثم ثالثة حين عرج به إلى السماء . والله أعلم .

وقد^(١) ذكر الحافظ ابن عساكر فى ترجمة ورقة بإسناده إلى سليمان بن طرخان التيمي قال :

(١) من هنا إلى وقال البيهقي حدثنا أبو عبد الله الحافظ ساقط من النسخة .

بلغنا أن الله تعالى بعث محمداً رسولاً على رأس خمسين سنة من بناء الكعبة .
وكان أول شيء اختصه به من النبوة والكرامة رؤيا كان يراها ، فقصَّ
ذلك على زوجته خديجة بنت خويلد فقالت له : أبشر فوالله لا يفعل الله بك
إلا خيراً .

فبينما هو ذات يوم في حراء ، وكان يفرُّ إليه من قومه ، إذ نزل عليه جبريلُ ،
فدنا منه ، فخافه رسول الله صلى الله عليه وسلم مخافة شديدة ، فوضع جبريلُ يده
على صدره ومن خلفه بين كتفيه ، فقال : اللهم احططْ وزرّه ، واشرح صدره ، وطهرْ
قلبه ، يا محمد أبشر ! فإنك نبي هذه الأمة ، اقرأ . فقال له نبي الله : وهو خائف يُرعد :
ما قرأتُ كتاباً قط ولا أحسنه ، وما أكتب وما أقرأ .

فأخذه جبريل فغتنه غتاً شديداً ثم تركه ، ثم قال له : اقرأ . فأعاد عليه مثله .
فأجلسه على بساط كهيئة الدرنوك فرأى فيه من صفائه وحسنه كهيئة اللؤلؤ والياقوت
وقال له : « اقرأ باسم ربك الذي خلق » الآيات ، ثم قال له : لا تحف يا محمد ، إنك
رسول الله .

ثم انصرف ، وأقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم همه ، فقال : كيف أصنع
وكيف أقول لقومي ؟ !

ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو خائف ، فأتاه جبريل من أمامه وهو في
صعته ^(١) ، فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمراً عظيماً ملاً صدره ، فقال له جبريل :
لا تحف يا محمد ، جبريل رسول الله ، جبريل رسول الله إلى أنبيائه ورسله ، فأيقن بكرامة
الله فإنك رسول الله .

فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يمر على شجر ولا حجر إلا هو ساجد

(١) أي عظيمته .

يقول : السلام عليك يا رسول الله . فاطمأنت نفسه وعرف كرامة الله إياه . فلما انتهى إلى زوجته خديجة أبصرت ما بوجهه من تغيّر لونه ، فأفزعها ذلك ، فقامت إليه ، فلما دنت منه جعلت تمسح عن وجهه وتقول : لعلك لبعض ما كنت ترى وتسمع قبل اليوم .

فقال : يا خديجة أرايت الذى كنت أرى فى المنام والصوت الذى كنت أسمع فى النيقظة وأهال منه ؟ فإنه جبريل قد استعلن لى وكلنى وأقرأنى كلاماً فرزت منه ، ثم عاد إلى فأخبرنى أنى نبى هذه الأمة ، فأقبلتُ راجعاً فأقبلت على شجر وحجارة فقلن : السلام عليك يا رسول الله .

فقال خديجة : أبشرفوا الله لقد كنت أعلم أن الله لن يفعل بك إلا خيراً ، وأشهد أنك نبى هذه الأمة الذى تنتظره اليهود ، قد أخبرنى به ناصح غلامى وبجيرى الراهب ، وأمرنى أن أتزوجك منذ أكثر من عشرين سنة . فلم تزل برسول الله صلى الله عليه وسلم حتى طعم وشرب وضحك .

ثم خرجت إلى الراهب وكان قريباً من مكة فلما دنت منه وعرفها ، قال : مالك ياسيدة نساء قريش ؟ فقالت : أقبلتُ إليك لتخبرنى عن جبريل .

فقال : سبحان الله ربنا القدوس ! ما بالُ جبريل يذكرك فى هذه البلاد التى يعبد أهلها الأوثان ؟ ! جبريل أمين الله ورسوله إلى أنبيائه ورسله وهو صاحب موسى وعيسى .

فعرفت كرامة الله لمحمد .

ثم أتت عبداً لعقبة بن ربيعة يقال له عداس ، فسألته فأخبرها بمثل ما أخبرها به الراهب وأزید ، قال : جبريل كان مع موسى حين أغرق الله فرعون

وقومه ، وكان معه حين كلمه الله على الطُّور ، وهو صاحب عيسى بن مريم الذى أيدّه الله به .

ثم قامت من عنده فأتت ورقة بن نوفل فسألته عن جبريل ، فقال لها مثل ذلك . ثم سألتها : ما الخبر ؟ فأخبرته أن يكتم ما تقول له ، خلف لها فقالت له : إن ابن عبد الله ذكركلى ، وهو صادق أحلف بالله ما كذب ولا كُذِّب ، أنه نزل عليه جبريل بحراء ، وأنه أخبره أنه نبيُّ هذه الأمة وأقرأه آيات أرسل بها .

قال : فدع ورقة لذلك وقال : لئن كان جبريل قد استقرت قدماء على الأرض لقد نزل على خير أهل الأرض ، وما نزل إلا على نبي ، وهو صاحب الأنبياء والرسل يرسله الله إليهم ، وقد صدقتك عنه ، فأرسلنى إلى ابن عبد الله أسأله وأسمع من قوله وأحدِّثه ، فإنى أخاف أن يكون غير جبريل ، فإن بعض الشياطين يتشبه به ليضل به بعض بنى آدم ويفسدهم ، حتى يصير الرجل بعد العقل الرضى مدكها مجنوناً .

فقامت من عنده وهى واثقة بالله أن لا يفعل بصاحبها إلا خيراً ، فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته بما قال ورقة ، فأنزل الله تعالى : « ن . والقلم وما يسطرون . ما أنت بنعمة ربك بمجنون » الآيات . فقال لها : كلا والله إنه لجبريل . فقالت له : أحب أن تأتية فتخبره لعل الله أن يهديه .

فجاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له ورقة : هذا الذى جاءك فى نور أو ظلمة ؟ فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صفة جبريل وما رآه من عظمتة وما أوحاه إليه .

فقال ورقة : أشهد أن هذا جبريل ، وأن هذا كلام الله ، فقد أمرك بشىء تبلىه قومك ، وإنه لأمر نبوة ، فإن أدرك زمانك أتبعك . ثم قال : أبشرك ابن عبد المطلب بما بشرك الله به .

قال : وذاع قولُ ورقة وتصديقه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فشقَّ ذلك على الملائكة من قومه .

قال : وفترَّ الوحي ، فقالوا : لو كان من عند الله لتتابع ولكن الله قلَّاه . فأنزل الله «والضحى» و «ألم نشرح» بكاملهما .

وقال البيهقي : حدثنا أبو عبد الله الحافظ ، حدثنا أبو العباس ، حدثنا أحمد بن عبد الجبار ، حدثنا يونس ، عن ابن إسحاق ، حدثني إسماعيل بن أبي حكيم مولى آل الزبير ، أنه حدثه عن خديجة بنت خويلد أنها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بيَّنه مما أكرمه الله به من نبوته : يا ابن عم تستطيع أن تخبرني بصاحبك هذا الذي يأتيك إذا جاءك ؟ فقال : نعم . فقلت : إذا جاءك فأخبرني .

فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم عندها إذ جاء جبريل ، فرآه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا خديجة ، هذا جبريل . فقالت : أترأه الآن ؟ قال : نعم . قالت : فاجلس إلى شقي الأيمن . فتحولَ فجلس . فقالت : أترأه الآن ؟ قال : نعم . قالت : فتحولَ فاجلس في حجري . فتحولَ فجلس في حجرها ، فقالت : هل ترأه الآن ؟ قال : نعم . فتحسَّرت رأسها فشالت خمارها ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم جالس في حجرها فقالت : هل ترأه الآن ؟ قال : لا . قالت : ما هذا بشيطان إنَّ هذا الملك يا ابن عم ، فاثبت وأبشر . ثم آمنت به وشهدت أن ما جاء به هو الحق .

قال ابن إسحاق : فحدثت عبد الله بن حسن هذا الحديث فقال : قد سمعت أُمى فاطمة بنت الحسين تحدث بهذا الحديث عن خديجة ، إلا أني سمعتها تقول : أدخلت رسول الله صلى الله عليه وسلم بينها وبين درعها فذهب عند ذلك جبريل عليه السلام .

قال : البيهقي وهذا شيء كان من خديجة تصنعه تستثبت به الأمر احتياطاً لدينها وتصديقاً .

فأما النبي صلى الله عليه وسلم فقد كان وثق بما قال له جبريل وأراه من الآيات التي ذكرناها مرة بعد أخرى ، وما كان من تسليم الشجر والحجر عليه صلى الله عليه وسلم تسليماً .

وقد قال مسلم في صحيحه : حدثنا أبو بكر بن أبي شَيْبَةَ ، حدثنا يحيى بن بُكَيْر ، حدثنا إبراهيم بن طهمان ، حدثني سِمَاك بن حَرْب ، عن جابر بن سَمُرَةَ ، رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم على قبل أن أبعث إني لأعرفه الآن » .

وقال أبو داود الطيالسي : حدثنا سليمان بن معاذ ، عن سِمَاك بن حرب ، عن جابر بن سَمُرَةَ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن بمكة لحجراً كان يسلم على ليالي بُعثت إني لأعرفه إذا مررت عليه » .

وروى البيهقي من حديث إسماعيل بن عبد الرحمن السُّدِّي الكبير ، عن عَبَّاد بن عبد الله ، عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه . قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فخرج في بعض نواحيها فما استقبله شجر ولا جبل إلا قال : السلام عليك يا رسول الله .

وفي رواية : لقد رأيته أدخل معه الوادي فلا يمر بحجر ولا شجر إلا قال : السلام عليكم يا رسول الله وأنا أسمعه .

فصل

قال البخارى فى روايته المتقدمة : ثم فَتَرَ الوحى حتى حزن النبى صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا حزناً غداً منه مراراً كى يتردّى من رؤوس شواهد الجبال ، فكلما أَوْفَى بِذِرْوَةِ جَبَلٍ لَكَ يُبَلِّغُ نَفْسَهُ تَبَدُّى لَهُ جَبْرِيلُ فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ إِنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا .
فَيَسْكُنُ لِذَلِكَ جَأْشَهُ وَتَقَرُّ نَفْسُهُ فَيَرْجِعُ .

فإذا طال عليه فترة الوحى غداً لمثل ذلك ، فإذا أوفى بذروة جبل تبدى له جبريل فقال له مثل ذلك .

وفى الصحيحين من حديث عبد الرزاق ، عن مَعْمَرٍ ، عن الزُّهْرَى ، قال : سمعت أبا سَلَمَةَ عبد الرحمن يحدث عن جابر بن عبد الله قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث عن فترة الوحى قال : فبينما أنا أمشى سمعت صوتاً من السماء ، فرفعت بصرى قبل السماء فإذا الملك الذى جاءنى بحراء قاعد على كرسى بين السماء ، فجنيت منه فرقا حتى هويت إلى الأرض ، فجنيت أهلى فقلت زملونى زملونى . فأنزل الله : « يا أيها المدثر قم فأنذر . وربك فكبر . وثيابك فطهر . والرجز فاهجر » .

قال : ثم حى الوحى وتتابع .

فهذا كان أول ما نزل من القرآن بعد فترة الوحى لا مطلقاً ، ذاك قوله ^(١) « اقرأ باسم ربك الذى خلق » .

وقد ثبت عن جابر أن أول ما نزل « يا أيها المدثر » واللائق بحمل كلامه ما أمكن على ما قلناه ، فإن فى سياق كلامه ما يدل على تقدم مجيء الملك الذى عرفه ثانياً بما عرفه ^(١) أى أن أول ما نزل مطلقاً هو « اقرأ » .

به أولاً إليه . ثم قوله : « يحدث عن فترة الوحي » دليل على تقدّم الوحي على هذا الإيجاء . والله أعلم .

وقد ثبت في الصحيحين من حديث علي بن المبارك وعند مسلم والأوزاعي كلاهما عن يحيى بن أبي كثير قال : سألت أبا سَلَمَةَ بن عبد الرحمن : أيُّ القرآن أنزل قبل ؟ فقال : « يا أيها المدثر » .

فقلت : و « اقرأ باسم ربك » ؟

فقال : سألت جابر بن عبد الله : أي القرآن أنزل قبل ؟ فقال : « يا أيها المدثر » فقلت : « و اقرأ باسم ربك » ؟ فقال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إني جاورت بحراء شهراً ، فلما قضيت جوارى نزلت فاستبطنت الوادي ، فنوديت ، فنظرت بين يدي وخلفي وعن يميني وعن شمالي فلم أر شيئاً ، ثم نظرت إلى السماء فإذا هو على العرش في الهواء ، فأخذتني رعدة - أو قال وحشة - فأتيت خديجة فأمرتهم فدَثَرُونِي ، فأنزل الله : « يا أيها المدثر » حتى بلغ « وثيابك فطهر » .

وقال في زواية : « فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض فجئيت منه » .

وهذا صريح في تقدم إتيانه إليه وإنزاله الوحي من الله عليه كما ذكرناه . والله أعلم .

ومنهم من زعم أن أول ما نزل بعد فترة الوحي سورة « والضحي والليل إذا سجي ما ودّعك ربك وما قلى » إلى آخرها . قاله محمد بن إسحاق .

وقال بعض القراء : ولهذا كبر رسول الله صلى الله عليه وسلم في أولها فرحاً . وهو قول بعيد يردّه ما تقدم من رواية صاحب الصحيح ، من أن أول القرآن نزولاً

بعد فترة الوحي : « يا أيها المدثر قم فأنذر » ولكن نزلت سورة « والضحي » بعد فترة أخرى كانت ليالى يسيرة .

كما ثبت في الصحيحين وغيرهما من حديث الأسود بن قيس ، عن جندب بن عبد الله البجلي . قال : اشتكى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يقم ليلة أو ليلتين أو ثلاثا ، فقالت امرأة : ما أرى شيطانك إلا تركك . فأنزل الله « والضحي والليل إذا سجى ما ودّعك ربك وما قلى » .

وبهذا الأمر حصل الإرسال إلى الناس وبالأول حصلت النبوة .

وقد قال بعضهم : كانت مدة الفترة قريبا من سنتين ، أو سنتين ونصفا . والظاهر ، والله أعلم ، أنها المدة التي اقترن معه ميكائيل . كما قال الشعبي وغيره .

ولا ينفي هذا تقدّم إحياء جبريل إليه أولا « اقرأ باسم ربك الذي خلق » . ثم اقترن به جبريل بعد نزول « يا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر » .

ثم حمى الوحي بعد هذا وتتابع ، أى تدارك شيئا بعد شيء .

وقام حينئذ رسول الله صلى الله عليه وسلم في الرسالة أتمّ القيام ، وشمر عن ساق العزم ، ودعا إلى الله القريب والبعيد ، والأحرار والعبيد ، فأمن به حينئذ كل ليبس نجيب سعيد ، واستمر على مخالفته وعصيانته كل جبار عنيد .

فكان أول من بادر إلى التصديق من الرجال الأحرار أبو بكر الصديق .

ومن الغلمان على بن أبي طالب .

ومن النساء خديجة بنت خويلد زوجته عليه السلام .

ومن الموالى موله زيد بن حارثة الكأبى رضى الله عنهم وأرضاهم .
وتقدم الكلام على إيمان ورقة بن نوفل بما وَجَدَ من الوحى ومات فى الفترة
رضى الله عنه .

فصل

فى مَنع الجن ومردة الشياطين من استراق السمع حين أنزل القرآن
لثلاثيخطف أحدهم منه ولو حرفاً واحداً فيلقيه على لسان وليه
فيلتبس الأمر ويختاط الحق

فكان من رحمة الله وفضله ولطفه بخلقه أَنْ حَجَبَهُم عن السماء ، كما قال الله تعالى
إخباراً عنهم فى قوله : « وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجدُناها مَلِئت حَرَساً شَدِيداً وَشُهُباً . وَأَنَّا
كُنَّا نَقْعُدُ منها مَقَاعِدَ للسمع فَمَنْ يَسْتَمِعُ الآنَ يَجِدْ لَهُ شُهَاباً رَصِداً ، وَأَنَّا لَا نَدْرى أَشَرُّ
أُرِيدَ بِنَّا فى الأَرْضِ أَمْ أَرادَ بِهِم رَبُّهُمْ رَشِداً » ^(١) .

وقال تعالى : « وما تَنَزَّلَتْ به الشياطينُ وما يَنبَغى لَهُم وما يستطيعون . إناهم عن
السَّمْعِ لَمْعُزُولون » ^(٢) .

قال الحافظ أبو نعيم : حدثنا سليمان بن أحمد ، وهو الطَّبْرانى ، حدثنا عبد الله بن
محمد بن سعيد بن أبى مريم ، حدثنا محمد بن يوسف النيرى أبى ، حدثنا إسرائيل ، عن أبى
إسحاق ، عن سعيد بن جُبَيْر ، عن ابن عباس قال : كان الجن يصعدون إلى السماء
يستمعون الوحى ، فإذا حفظوا الكلمة زادوا فيها تسعاً ، فأما الكلمة فتكون حقاً ،
وأما ما زادوا فتكون باطلا .

فلما بُعث النبي صلى الله عليه وسلم مُنِعُوا مقاعدَهم ، فذكروا ذلك لإبليس ، ولم تكن النجوم يُرمى بها قبل ذلك ، فقال لهم إبليس : هذا لأمر قد حدث في الأرض .

فبعث جنوده فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائماً يصلي بين جبلين ، فاتوه فأخبروه فقال : هذا الأمر الذي حدث في الأرض .

وقال أبو عوانة : عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس . قال : انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه عامدين إلى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وأرسلت عليهم الشهب ، فرجت الشياطين إلى قومهم فقالوا : مالكم ؟ قالوا : حيل بيننا وبين خبر السماء وأرسلت علينا الشهب . فقالوا : ما ذاك إلا من شيء حدث ، فاضربوا مشارق الأرض ومغاريها .

فمرّ نفر الذين أخذوا نحو تهامة ، وهو بنخل عامدين إلى سوق عكاظ ، وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر ، فلما سمعوا القرآن استمعوا له ، فقالوا : هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء .

فرجعوا إلى قومهم فقالوا : « يا قومنا إنا سَمِعْنَا قرآنًا عجبًا ، يَهْدِي إلى الرُّشْدِ فَأَمَنَّا به ، ولن نُشْرِكَ بربنا أحداً » فأوحى الله إلى نبيه صلى الله عليه وسلم : « قُلْ أُوْحِي إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قرآنًا عَجَبًا » أخرجاه في الصحيحين .

وقال أبو بكر بن أبي شَيْبَةَ : حدثنا محمد بن فضيل ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس . قال : إنه لم تكن قبيلة من الجن إلا ولهم مقاعد للسمع ، فإذا نزل الوحي سمعت الملائكة صوتاً كصوت الحديد ألقىتها على الصفا .

قال : فإذا سمعت الملائكة خرّوا سجّداً فلم يرفعوا رؤوسهم حتى ينزل ، فإذا نزل
قال بعضهم لبعض : ماذا قال ربكم ؟ فإن كان مما يكون في السماء قالوا : الحقّ وهو العليّ
الكبير . وإن كان مما يكون في الأرض من أمر الغيب أو موتٍ أو شيء مما يكون
في الأرض تكلموا به فقالوا : يكون كذا وكذا . فتسمعه الشياطين فينزلونه
على أوليائهم .

فلما بعث النبي محمد صلى الله عليه وسلم دُحِروا بالنجوم ، فكان أول من علم بها
ثَقِيفٌ . فكان ذو الغنم منهم ينطلق إلى غنمه فيذبح كل يوم شاة ، وذو الإبل فينحر كل
يوم بعيراً ، فأسرع الناس في أموالهم . فقال بعضهم لبعض : لا تفعلوا ، فإن كانت النجوم
التي يهتدون بها ، وإلا فإنه لأمرٌ حَدَثَ . فنظروا فإذا النجوم التي يهتدى بها كما هي
لم يَزَلْ منها شيء ، فكفّوا .

وصرف الله الجنّ فسمعوا القرآن ، فلما حضروه قالوا أنصتوا .

وانطلقت الشياطين إلى إبليس فأخبروه . فقال : هذا حَدَثٌ حَدَثَ في الأرض ،
فأتوني من كل أرض بتربة فأتوه بتربة . تبهامة فقال : هاهنا الحدث .

ورواه البيهقي والحاكم من طريق حماد بن سلمة ، عن عطاء بن السائب .

وقال الواقدي : حدثني أسامة بن زيد بن أسلم ، عن عمر بن عبدان العبّسي ، عن
كعب قال : لم يُرَمَ بنجم منذ رفع عيسى حتى تنبأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فرمى بها ،
فرأت قريش أمراً لم تكن تراه فجعلوا يُسَيِّبُونَ أنعامهم ويعتقون أرقاءهم يظنون أنه الفناء ،
فبلغ ذلك من فعاهم أهل الطائف ، ففعلت ثَقِيفٌ مثل ذلك .

فبلغ عبدَ ياليل بن عمرو ما صنعت ثَقِيفٌ . قال : ولم فعلتم ما أرى ؟ قالوا : رُمِيَ
بالنجوم فرأيناها تهافت من السماء . فقال : إن إفادة المال بعد ذهابه شديد فلا تعجلوا

وانظروا ، فإن تكن نجوما تُعرَف فهو عندنا من فناء الناس ^(١) ، وإن كانت نجوما لا تُعرَف فهو لأمرٍ قد حدث .

فنظروا فإذا هي لا تُعرَف ، فأخبروه ، فقال : الأمرُ فيه مُهَلَةٌ بعدُ ، هذا عندَ ظهور نبي .

فما مكثوا إلا يسيراً حتى قَدِمَ عليهم أبو سفيان بن حَرْبٍ إلى أمواله ، فجاء عبدُ ياليل فذاكره أمرَ النجوم ، فقال أبو سفيان : ظهر محمد بن عبد الله يدَّعي أنه نبيُّ مُرْسَلٍ . فقال عبدُ ياليل : فعند ذلك رُمي بها .

وقال سعيد بن منصور ، عن خالد بن حُصَيْن ، عن عامر الشَّعْبِيِّ قال : كانت النجوم لا يُرْمَى بها حتى بُعثَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فسَيَّيَوا أنعامهم وأعتقوا رقيقهم . فقال عبدُ ياليل : انظروا ، فإن كانت النجوم التي تعرف فهو عند فناء الناس ، وإن كانت لا تعرف فهو لأمرٍ قد حدث ، فنظروا فإذا هي لا تُعرَف .

قال : فأمسكوا ، فلم يلبثوا إلا يسيراً حتى جاءهم خروج النبي صلى الله عليه وسلم . وروى البيهقي والحاكم من طريق العَوْفِيِّ عن ابن عباس قال : لم تكن سماء الدنيا تُحْرَسُ في الفترة بين عيسى ومحمد صلوات الله عليهما وسلامه .

فلعل مرادَ من نَفَى ذلك أنها لم تكن تحرس حراسة شديدة ، ويجب حَمْلُ ذلك على هذا ، لِمَا ثَبَتَ في الحديث من طريق عبد الرزاق ، عن مَعْمَر ، عن الزُّهْرِيِّ ، عن علي ابن الحسين ، عن ابن عباس رضى الله عنهما : بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس إذ رمى بنجم فاستنار فقال : « ما كنتم تقولون إذا رمى بهذا ؟ » قالوا : كنا نقول مات

(١) الوفا : فهو عند فناء الناس .

عظيم ، ولد عظيم . فقال : « لا ولكن . . » . فذكر الحديث كما ذكرنا عند خلق السماء وما فيها من الكواكب في أول بدء الخلق ^(١) والله الحمد .

وقد ذكر ابن إسحاق في السيرة قصة رمى النجوم ، وذكر عن كبير ثقيف أنه قال لهم في النظر في النجوم : إن كانت أعلام السماء أو غيرها . ولكن سمّاه عمرو بن أمية . فالله أعلم .

وقال السدّي : لم تكن السماء تُحرس إلا أن يكون في الأرض نبيٌّ أو دينٌ لله ظاهر ، وكانت الشياطين قبل محمد صلى الله عليه وسلم قد اتخذت المقاعد في سماء الدنيا يستمعون ما يحدث في السماء من أمر .

فلما بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم نبياً رُجّحوا ليلةً من الليالي ، ففرع لذلك أهل الطائف فقالوا : هلك أهل السماء ! لِمَا رَأَوْا من شدة النار في السماء واختلاف الشهب ، فجعلوا يعتقون أرقّاءهم ، ويُسيّبون مواشيهم . فقال لهم عبدُ ياليل بن عمرو بن عمير : ويحكم يامعشر أهل الطائف ! أمسكوا عن أموالكم وانظروا إلى معالم النجوم ، فإن رأيتموها مستقرةً في أمكنتها فلم يَهْلِكْ أهلُ السماء ، وإنما هو من ابن أبي كبشة ، وإن أتم لم تروها فقد أهلك أهل السماء .

فنظروا فأروها ، فكفوا عن أموالهم .

وفزع الشياطين في تلك الليلة فأتوا إبليس فقال : اثنوي من كل أرض بقبضة من تراب . فأتوه فشمّ ، فقال : صاحبكم بمكة .

فبعث سبعة نفر من جنّ نصيبين فقدموا مكة فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم

في المسجد الحرام يقرأ القرآن ، فدنوا منه حرصاً على القرآن حتى كادت كلا كلهم تصيبه ثم أساموا ، فأنزل الله أمرهم على نبيه صلى الله عليه وسلم .

وقال الواقدي : حدثني محمد بن صالح عن ابن أبي حكيم - يعني إسحاق - عن عطاء ابن يسار ، عن أبي هريرة قال : لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أصبح كل صنم منكساً ، فأتت الشياطين فقالوا له : ما على الأرض من صنم إلا وقد أصبح منكساً . قال : هذا نبي قد بعث فالتمسوه في قرى الأرياف . فالتمسوه فقالوا : لم نجده . فقال : أنا صاحبه . فخرج يلتمسه فنودي : عليك بجنبة الباب^(١) - يعني مكة - فالتمس به فوجد بها عند قرن الثعالب ، فخرج إلى الشياطين فقال : إني قد وجدته معه جبريل ، فما عندكم قالوا : نزين الشهوات في عين أصحابه ونحببها إليهم . قال : فلا آسى إذا .

وقال الواقدي : حدثني طلحة بن عمرو ، عن ابن أبي مليكة ، عن عبد الله بن عمرو قال : لما كان اليوم الذي تنبأ فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم منعت الشياطين من السماء ورموا بالشهب ، فجاءوا إلى إبليس فذكروا ذلك له فقال : أمر قد حدث ، هذا نبي قد خرج عليكم بالأرض المقدسة تخرج بني إسرائيل .

قال : فذهبوا إلى الشام ثم رجعوا إليه فقالوا : ليس بها أحد . فقال إبليس : أنا صاحبه .

فخرج في طلبه بمكة ، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم بجرا منحدراً معه جبريل ، فرجع إلى أصحابه فقال : قد بعث أحمد ومعه جبريل ، فما عندكم ؟ قالوا : الدنيا نحببها إلى الناس . قال : فذاك إذا .

قال الواقدي : وحدثني طلحة بن عمرو ، عن عطاء ، عن ابن عباس قال : كانت

(١) دلائل النبوة والوفا : عليك بحجة القلب مكة .

الشياطين يستمعون الوحي ، فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم مُنعوا ، فشكّوا ذلك إلى إبليس فقال : لقد حدث أمر . فرقى فوق أبي قيس ، وهو أول جبل وضع على وجه الأرض ، فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى خلف المقام . فقال : أذهب فأكسر عنقه . فجاء يخطر وجبريل عنده ، فركضه جبريل ركضة طرحه في كذا وكذا ، فوَلَّى الشيطان هاربا .

ثم رواه الواقدي وأبو أحمد الزبيرى كلاهما عن رباح بن أبي معروف ، عن قيس بن سعد ، عن مجاهد . فذكر مثل هذا ، وقال : فركضه برجله فرماه بعدن .

فصل

في كيفية إتيان الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

قد تقدم كيفية ما جاءه جبريل في أول مرة ، وثاني مرة أيضا .

وقال مالك : عن هشام بن عروة عن أبيه ، عن عائشة رضى الله عنها : أن الحارث بن هشام سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : يارسول الله كيف يأتيك الوحي ؟

فقال : « أحبانا يأتينى مثل صلصة الجرس ، وهو أشدُّه علىَّ ، فيَقْصم عَنى وقد وعيت ماقل ، وأحيانا يتمثل لى الملك رجلا يكلِّمْنى فأعنى ما يقول » .

قالت عائشة رضى الله عنها : ولقد رأيته صلى الله عليه وسلم ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيَقْصم عنه وإن جبينه ليتفصدَّ عرقا .

أخرجاه في الصحيحين من حديث مالك به .

ورواه الإمام أحمد عن عامر بن صالح ، عن هشام بن عروة به نحوه .

وكذا رواه عبدة بن سليمان وأنس بن عياض عن هشام بن عروة .

وقد رواه أيوب السخّتيّاني عن هشام عن أبيه ، عن الحارث بن هشام أنه قال :

سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت كيف يأتيك الوحي ؟ فذكره ، ولم يذكر عائشة .

وفي حديث الإفك قالت عائشة : فوالله ما رام رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل عليه ، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء حتى إنه كان يتحدّر منه مثل الجُمَانِ من العَرَقِ ، وهو في يوم شاتٍ ، من ثِقَلِ الوحي الذي نزل عليه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، أخبرني يونس بن سليم ، قال أُمليَ على يونسُ بن يزيد ، عن ابن شهاب ، عن عروة بن عبد الرحمن بن عبد القارى ، سمعت عمر بن الخطاب يقول : كان إذا نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي يسمع عند وجهه كدوى النحل ، وذكر تمام الحديث في نزول (قد أفلح المؤمنون) .

وكذا رواه الترمذى والنسائى من حديث عبد الرزاق .

ثم قال النسائى : مُنْكَرٌ لا نعرف أحداً رواه غير يونس بن سليم ، ولا نعرفه .

وفي صحيح مسلم وغيره من حديث الحسن ، عن حِطَّانِ بن عبد الله الرقّاشى ، عن عبادة بن الصامت قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه الوحي كربه ذلك وتربّد وجهه . وفي رواية وغمض عينيه . وكنا نعرف ذلك منه .

وفي الصحيحين حديث زيد بن ثابت حين نزلت « لا يَسْتَوِى القاعدون من

المؤمنين » فلما شكى ابن أم مكتوم ضرارته نزلت « غيرُ أولى الضّرَرِ » .

قال : وكانت تخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم على نخذى وأنا أكتب ، فلما نزل الوحي كادت تخذ ترض^١ نخذى .

وفي صحيح مسلم من حديث همام بن يحيى ، عن عطاء ، عن يعلى بن أمية . قال قال لى عمر : أيسر^٢ك أن تنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يوحى إليه ؟ فرفع طرف الثوب عن وجهه وهو يوحى إليه بالجعرانة ، فإذا هو محمر^٣ الوجه . وهو يفظ كما يفظ البكر^(١) .

وثبت في الصحيحين من حديث عائشة لما نزل الحجاب ، وأن سودة خرجت بعد ذلك إلى المناصع ليلا ، فقال عمر : قد عرفناك ياسودة . فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته وهو جالس يتعشى والعرق في يده ، فأوحى الله إليه والعرق في يده ، ثم رفع رأسه فقال : « إنه قد أذن لكن أن تخرجن لحاجتك » .

فدل هذا على أنه لم يكن الوحي يُغيب عنه إحساسه بالكلية ، بدليل أنه جالس ولم يسقط العرق أيضا من يده صلوات الله وسلامه دائما عليه .

وقال أبو داود الطيالسي : حدثنا عباد بن منصور ، حدثنا عكرمة ، عن ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أنزل عليه الوحي تربد^٤ لذلك جسده ووجهه وأمسك عن أصحابه ولم يكلمه أحد منهم .

وفي مسند أحمد وغيره من حديث ابن لهيعة حدثني يزيد بن أبي حبيب ، عن عمرو بن الوليد ، عن عبد الله بن عمرو قلت : يا رسول الله هل تحس^٥ بالوحي ؟ قال : « نعم أسمع صلاصلا^٦ ثم أثبت عند ذلك ، وما من مرة يوحى إلى إلا ظننت أن نفسى تنفيط^(٢) منه » .

وقال أبو يعلى الموصلي : حدثنا إبراهيم بن الحجاج ، حدثنا عبد الواحد بن زياد ، حدثنا

(٢) تنفيط : تقبض .

(١) البكر : ولد الناقة ، أو الفتي منها

عاصم بن كليب ، حدثنا أبي ، عن خاله العليان بن عاصم قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنزل عليه ، وكان إذا أنزل عليه دام بصره وعيناه مفتوحةً وفرغ سمعه وقلبه لما يأتيه من الله عز وجل .

وروى أبو نعيم من حديث قتيبة ، حدثنا علي بن غراب ، عن الأخوص بن حكيم ، عن أبي عوانة ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه الوحي صدع وغلف رأسه بالحناء .

هذا حديث غريب جدا

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو النضر ، حدثنا أبو معاوية سنان ، عن ليث ، عن عن شهر بن حوشب ، عن أسماء بنت يزيد قالت : إني لآخذة بزمام العضباء ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ نزلت عليه المائدة كلها ، وكادت من ثقلها تدق عَضْدُ الناقة .

وقد رواه أبو نعيم من حديث الثوري عن ليث بن أبي سليم به .

وقال الإمام أحمد أيضا : حدثنا حسن ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثني جبر بن عبد الله ، عن أبي عبد الرحمن الحلي ، عن عبد الله بن عمرو قال : أنزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة المائدة وهو راكب على راحلته ، فلم تستطع أن تحمله فنزل عنها .

وروى ابن مردويه من حديث صباح بن سهل ، عن عاصم الأحول ، حدثني أم عمرو ، عن عمها أنه كان في مسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت عليه سورة المائدة ، فاندق عنق الراحلة من ثقلها .

وهذا غريب من هذا الوجه .

ثم قد ثبت في الصحيحين نزول سورة الفتح على رسول الله صلى الله عليه وسلم

مَرَّجَمَهُ مِنَ الْحَدِيدِيَّةِ ، وَهُوَ عَلَى رَاحِلَتِهِ . فَكَانَ يَكُونُ تَارَةً وَتَارَةً بِحَسَبِ الْحَالِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وَقَدْ ذَكَرْنَا أَنْوَاعَ الْوَحْيِ إِلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَوَّلِ شَرْحِ الْبُخَارِيِّ وَمَا ذَكَرَهُ الْحَلِيمِيُّ وَغَيْرُهُ مِنَ الْأُمَّةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ .

فصل

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : « لَا تَحْرُكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ، إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ، فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ^(١) » .

وَقَالَ تَعَالَى : « وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ ، وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ^(٢) » .

وَكَانَ هَذَا فِي الْإِبْتِدَاءِ ، كَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ شِدَّةِ حَرَصِهِ عَلَى اخْذِهِ مِنَ الْمَلِكِ مَا يُوْحَى إِلَيْهِ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِيَسَاوِقَهُ فِي التَّلَاوَةِ ، فَأَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَنْصَتَ لَذَلِكَ حَتَّى يَفْرَغَ مِنَ الْوَحْيِ ، وَتَكْفُلَ لَهُ أَنْ يَجْمَعَهُ فِي صَدْرِهِ ، وَأَنْ يَيْسَرَ عَلَيْهِ تِلَاوَتُهُ وَتَبْلِيغُهُ ، وَأَنْ يَبَيِّنَهُ لَهُ وَيُفَسِّرَهُ وَيُبَيِّنَهُ ، وَيُوقِفَهُ عَلَى الْمُرَادِ مِنْهُ .

وَلِهَذَا قَالَ « وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا » .

وَقَالَ : « لَا تَحْرُكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ » أَيْ فِي صَدْرِكَ « وَقُرْآنَهُ » أَيْ وَأَنْ تَقْرَأَهُ « فَإِذَا قَرَأْنَاهُ » أَيْ تَلَاوَعْنَا عَلَيْكَ الْمَلِكُ « فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ » أَيْ فَاسْتَمِعْ لَهُ وَتَدَبَّرْهُ « ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ » وَهُوَ نَظِيرُ قَوْلِهِ : « وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا » .

وَفِي الصَّحِيحِينَ مِنْ حَدِيثِ مُوسَى بْنِ أَبِي عَائِشَةَ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعالِجُ مِنَ التَّنْزِيلِ شِدَّةً ؛ فَكَانَ يَحْرُكُ

شفتيه ، فأنزل الله « لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه » قال : جمعه في صدرك ثم تقرأه « فإذا قرأناه فاتبع قرآنه » فاستمع له وأنصت « ثم إن علينا بيانه » قال : فكان إذا أتاه جبريل أطرق ، فإذا ذهب قرأه كما وعده الله عز وجل .

فصل

قال ابن إسحاق : ثم تتابع الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مصدق بما جاءه منه ، وقد قبله بقبوله وتحمل منه ما حمله ، على رضا العباد وسخطهم .

وللنبوة أثقال ومؤنة لا يحملها ولا يستضلع بها إلا أهل القوة والعزم من الرسل ، يعون الله وتوفيقه لما يلقون من الناس ، وما يرد عليهم مما جاءوا به عن الله عز وجل .

فخلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما أمر الله ، على ما يلقى من قومه من الخلاف والأذى .

قال ابن إسحاق : وآمنت خديجة بنت خويلد وصدقت بما جاءه من الله ووازرته على أمره .

وكانت أول من آمن بالله ورسوله ، وصدقت بما جاءه منه .

نخف الله بذلك عن رسوله ، لا يسمع شيئاً يكرهه من رد عليه ، ، وتكذيب له فيحزنه ذلك ، إلا فرج الله عنه بها ، إذا رجع إليها تثبتته وتخفف عنه ، وتصدقه وتهوّن عليه أمر الناس ، رضى الله عنها وأرضاها .

قال ابن إسحاق : وحدثني هشام بن عروة عن أبيه ، عن عبد الله بن جعفر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أمرت أن أبشر خديجة بيت من قصب ، لا صخب فيه ولا نصب » .

وهذا الحديث مخرّج في الصحيحين من حديث هشام .

قال ابن هشام : القَصَب هاهنا اللؤلؤ المجوّف .

قال ابن إسحاق : وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكّر جميع ما أنعم الله به عليه وعلى العباد من النبوة سرّاً إلى من يطمئن إليه من أهله .

وقال موسى بن عقبة عن الزهري : كانت خديجة أول من آمن بالله وصدق رسوله ، قبل أن تُقرض الصلاة .

قلت : يعنى الصلوات الخمس ليلة الإسراء ، فأما أصل الصلاة فقد وجب في حياة خديجة رضى الله عنها كما سنبينه .

وقال ابن إسحاق : وكانت خديجة أول من آمن بالله ورسوله ، وصدق بما جاء به .

ثم إن جبريل أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين افترضت عليه الصلاة فهمز له بمقبه في ناحية الوادى فانفجرت له عين من ماء زمزم ، فتوضأ جبريل ومحمد عليهما السلام ، ثم صلى ركعتين وسجد أربع سجعات ، ثم رجع النبي صلى الله عليه وسلم وقد أقرّ الله عينه ، وظابت نفسه ، وجاءه ما يحب من الله ، فأخذ يد خديجة حتى أتى بها إلى العين ، فتوضأ كما توضأ جبريل ، ثم ركب ركعتين وأربع سجعات ، ثم كان هو وخديجة يصلّيان سرّاً .

قلت : صلاة جبريل هذه غير الصلاة التى صلاها به عند البيت مرتين . فبين له أوقات الصلوات الخمس ، أولها وآخرها ، فإنّ ذلك كان بعد قرّضيتها ليلة الإسراء .

وسياتى بيان ذلك إن شاء الله وبه الثقة ، وعليه التكلان .

فصل

في ذكر أول من أسلم ، ثم ذكر متقدمي الإسلام من الصحابة وغيرهم

قال ابن إسحاق : ثم إن علي بن أبي طالب رضى الله عنه جاء بعد ذلك بيوم وهما يصليان ، فقال علي : يا محمد ما هذا ؟ قال : دينُ الله الذى اصطفى لنفسه ، وبعث به رسله فادعوك إلى الله وحده لا شريك له ، وإلى عبادته ، وأن تكفر باللات والعزى .

فقال علي : هذا أمرٌ لم أسمع به قبلَ اليوم ، فلستُ بقاضٍ أمراً حتى أحدث به أبا طالب .

فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفشى عليه سرّه قبل أن يستعلن أمره . فقال له : يا على إذ لم تسلم^(١) فاكتم . فكث على تلك الليلة ، ثم إن الله أوقع في قلب عليّ الإسلام ، فأصبح غادياً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاءه فقال : ماذا عرضت عليّ يا محمد ؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وتكفر باللات والعزى ، وتبرأ من الأنداد » ففعل عليّ وأسلم ، ومكث يأتيه عليّ خوف من أبي طالب ، وكنتم على إسلامه ولم يظهره . وأسلم ابن حارثة ، يعنى زيداً ، فكنا قريباً من شهر ، يختلف عليّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان مما أنعم الله به على عليّ أنه كان في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الإسلام .

(١) في ١ : إذ لم تسمع فاكتم .

قال ابن اسحاق : حدثني ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قال : وكان مما أنعم الله به على عليٍّ أن قریشاً أصابهم أزمة شديدة ، وكان أبو طالب ذا عيال كثيرة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمة العباس ، وكان من أيسر بني هاشم : « يا عباس إن أخاك أبا طالب كثير العيال ، وقد أصاب الناس ما ترى من هذه الأزمة ، فانطلق حتى نخفف عنه من عياله » فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً فضمه إليه ، فلم يزل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بعثه الله نبياً ، فاتبعه عليٌّ وآمن به وصدقته .

وقال يونس بن بكير ، عن محمد بن إسحاق ، حدثني يحيى بن أبي الأشعث الكندي من أهل الكوفة ، حدثني إسماعيل بن أبي إلياس بن عفيف ، عن أبيه ، عن حده عفيف ، وكان عفيف أخا الأشعث بن قيس لأمه ، أنه قال : كنت امرأة تاجراً فقدمت منى أيام الحج ، وكان العباس بن عبد المطلب امرأة تاجراً ، فأتته أبتاع منه وأبيعه .

قال : فبينما نحن إذ خرج رجل من خيباء فقام يصلي تجاه الكعبة ، ثم خرجت امرأة فقامت تصلي ، وخرج غلام فقام يصلي معه . فقلت : يا عباس ما هذا الدين ؟ إن هذا الدين ما ندرى ما هو !

فقال : هذا محمد بن عبد الله ، يزعم أن الله أرسله ، وأن كنوز كسرى وقيصر ستفتح عليه ، وهذه امرأته خديجة بنت خويلد آمنت به ، وهذا الغلام ابن عمه علي بن أبي طالب آمن به .

قال عفيف : فليتني كنت آمنت يومئذ فكنت أكون ثانياً !

وتابعه إبراهيم بن سعد عن ابن إسحاق ، وقال في الحديث : إذ خرج رجل

من خِباء قريب منه ، فنظر إلى السماء فلما رآها قد مالت قام يصلى . ثم ذكر قيام خديجة وراه .

وقال ابن جرير : حدثني محمد بن عُبَيْد المُحَارَبِي ، حدثنا سَعِيد بن خُثَيْم ، عن أسد ابن عُبَيْدة البَجَلِي ، عن يحيى بن عَفِيف قال : جئت زمن الجاهلية إلى مكة ، فنزلت على العباس بن عبد المطلب ، فلما طلعت الشمس وحلقت في السماء وأنا أنظر إلى الكعبة أقبل شاب فرمى ببصره إلى السماء ، ثم استقبل الكعبة فقام مُستقبلها ، فلم يلبث حتى جاء غلام فقام عن يمينه ، فلم يلبث حتى جاءت امرأة فقامت خلفهما ، فركع الشاب فركع الغلام والمرأة ؛ فرفع الشاب فرفع الغلام والمرأة ، فخر الشاب ساجداً فسجداً معه .

فقلت : يا عباس أمر عظيم !

فقال : أمر عظيم . فقال : أتدرى من هذا ؟ فقلت : لا . فقال : هذا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ابن أخي . أتدرى من الغلام ؟ قلت : لا . قال : هذا علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - أتدرى من هذه المرأة التي خلفهما ؟ قلت : لا . قال : هذه خديجة بنت خُوَيْلِد زوجة ابن أخي .

وهذا حَدَّثَنِي أَنَّ رَبَّكَ رَبَّ السماء والأرض أمره بهذا الذي تراهم عليه ، وأيم الله ما أعلم على ظهر الأرض كلها أحداً على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة .

وقال ابن جرير : حدثني ابن حُمَيْد ، حدثنا عيسى بن سودة بن أبي الجعد ، حدثنا محمد بن المُنْكَدَر وربيعة بن أبي عبد الرحمن وأبو حازم والكلبي . قالوا : على أول من أسلم .

قال الكلبي : أسلم وهو ابن تسع سنين .

وحدثنا ابن حميد ، حدثنا سلمة عن ابن اسحاق . قال : أولُ ذكر آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى معه وصدقته على بن أبي طالب ، وهو ابن عشر سنين وكان في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الإسلام .
قال الواقدي : أخبرنا إبراهيم ، عن نافع ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قال : أسلم على وهو ابن عشر سنين .

قال الواقدي : وأجمع أصحابنا على أن علياً أسلم بعد ما تنبأ رسول الله بسنة .
وقال محمد بن كعب : أول من أسلم من هذه الأمة خديجة ، وأول رجلين أسلما أبو بكر وعلي ، وأسلم على قبل أبي بكر ، وكان علي يكتُم إيمانه خوفاً من أبيه ، حتى لقيه أبوه قال : أسلمت ؟ قال : نعم . قال : وازر ابن عمك وانصره .
قال وكان أبو بكر الصديق أول من أظهر الإسلام .

وروى ابن جرير في تاريخه من حديث شُعْبَةَ عن أبي بَلَج ، عن عمرو بن ميمون ، عن ابن عباس . قال : أول من صلى على .

وحدثنا عبد الحميد بن يحيى ، حدثنا شريك ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن جابر . قال : بعث النبي صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين وصلى على يوم الثلاثاء . وروى من حديث شُعْبَةَ ، عن عمرو بن مُرَّة ، عن أبي حمزة - رجل من الأنصار - سمعت زيد بن أرقم يقول : أول من أسلم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب .

قال : فذكرته للنخعي فأنكره . وقال : أبو بكر أول من أسلم .

ثم قال : حدثنا عبيد الله بن موسى ، حدثنا العلاء ، عن المنهال بن عمرو ، عن عباد ابن عبد الله ، سمعت علياً يقول : أنا عبد الله وأخو رسوله ، وأنا الصديق الأكبر ،

لا يقولها بعدى إلا كاذب مُفتر، صليت قبل الناس بسبع سنين .

وهكذا رواه ابن ماجة عن محمد بن إسماعيل الرازى ، عن عبيد الله بن موسى الفهمى - وهو شيعى من رجال الصحيح - عن العلاء بن صالح الأزدى الكوفى - وثقوه - ولكن قال أبو حاتم : كان من عتق الشيعة - وقال على بن المدينى : روى أحاديث منكبر ، والنهال بن عمرو ثقة ، وأما شيخه عباد بن عبد الله - وهو الأسدى الكوفى - فقد قال فيه على بن المدينى : هو ضعيف الحديث ، وقال البخارى : فيه نظر . وذكره ابن حبان فى الثقات .

وهذا الحديث مُنكر بكل حال ، ولا يقوله على رضى الله عنه ، وكيف يمكن أن يصلى قبل الناس بسبع سنين ؟ ! هذا لا يتصور أصلا . والله أعلم .

وقال آخرون : أول من أسلم من هذه الأمة أبو بكر الصديق .

والجمع بين الأقوال كلها : أن خديجة أول من أسلم من النساء ، وظاهر السياقات - وقبّل الرجال أيضا -

وأول من أسلم من الموالى زيد بن حارثة .

وأول من أسلم من الغلمان على بن أبى طالب ، فإنه كان صغيراً دون البلوغ على المشهور ، وهؤلاء كانوا إذ ذاك أهل البيت .

وأول من أسلم من الرجال الأحرار أبو بكر الصديق ، وإسلامه كان أنفع من إسلام من تقدم ذكرهم إذ كان صدرّاً معظماً ، ورئيساً فى قریش مكرماً ، وصاحب مال ، وداعيةً إلى الاسلام ، وكان محبباً متألفا يبذل المال فى طاعة الله ورسوله . كما سيأتى تفصيلاه .

قال يونس عن ابن اسحاق : ثم إن أبا بكر الصديق لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم

فقال : أحق ما تقول قريش يا محمد ؟ من تركك آلهتنا ، وتسفيك عفولنا ، وتكفرك آباءنا ؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بلى ، إني رسول الله ونبيّه ، بعثني لأبلغ رسالته وأدعوك إلى الله بالحق ، فوالله إنه للحق ، أدعوك يا أبا بكر إلى الله وحده لا شريك له ، ولا تعبد غيره والموالاة على طاعته » .

وقرأ عليه القرآن ، فلم يقرّ ولم ينكر .

فأسلم وكفر بالأصنام ، وخلع الأنداد وأقر بحق الإسلام ، ورجع أبو بكر وهو مؤمن مصدق .

قال ابن إسحاق : حدثني محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحُصَيْن التميمي ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مَدَعَوْتُ أَحَدًا إِلَى الْإِسْلَامِ إِلَّا كَانَتْ عِنْدَهُ كِبُوءَةٌ وَتَرَدَّدَ وَنَظَرَ ، إِلَّا أَبَا بَكْرٍ ، مَا عَمَّ عَنْهُ حِينَ ذَكَرْتَهُ ، وَلَا تَرَدَّدَ فِيهِ » .
عَمَّ : أَى تَلَبَّثَ .

وهذا الذى ذكره ابن اسحاق فى قوله : « فلم يقر ولم ينكر » مُنْكَر ، فإن ابن إسحاق وغيره ذكروا أنه كان صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل البعثة ، وكان يعلم من صدقه وأمانته وحسن سجيته وكرم أخلاقه ما يمنعه من الكذب على الخلق فكيف يكذب على الله ؟

ولهذا بمجرد ما ذكر له أن الله أرسله بادر إلى تصديقه ولم يتلعم ، ولا عَمَّ .

وقد ذكرنا كيفية إسلامه فى كتابنا الذى أفردناه فى سيرته ، وأوردنا فضائله وشماله وأتبعنا ذلك بسيرة الفاروق أيضا ، وأوردنا ما رواه كل منهما عن النبي صلى الله عليه وسلم

من الأحاديث ، وما روى عنه من الآثار والأحكام والفتاوى ، فبلغ ذلك ثلاث مجلدات والله الحمد والمنة .

وقد ثبت في صحيح البخارى عن أبى الدرداء فى حديث ما كان بين أبى بكر وعمر رضى الله عنهما من الخصومة ، وفيه : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله بعثنى إليكم قتلتم كذبت ، وقال أبو بكر : صدق . وواسانى بنفسه وماله فهل أنتم تاركوا لى صاحبي » مرتين . فما أودى بعدها .

وهذا كالنص على أنه أول من أسلم رضى الله عنه .

وقد روى الترمذى وابن جبان من حديث شعبة عن سعيد الجريرى ، عن أبى نضرة عن أبى سعيد . قال : قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه : ألت أحق الناس بها ، ألت أول من أسلم ، ألت صاحب كذا ؟

وروى ابن عساكر من طريق بهلول بن عبيد ، حدثنا أبو إسحاق السبىعى عن الحارث ، سمعت علياً يقول : أول من أسلم من الرجال أبو بكر الصديق ، وأول من صلى مع النبى صلى الله عليه وسلم من الرجال على بن أبى طالب .

وقال شعبة : عن عمرو بن مرة ، عن أبى حمزة ، عن زيد بن أرقم قال : أول من صلى مع النبى صلى الله عليه وسلم أبو بكر الصديق .

رواه أحمد والترمذى والنسائى من حديث شعبة ، وقال الترمذى : حسن صحيح .

وقد تقدم رواية ابن جرير لهذا الحديث من طريق شعبة ، عن عمرو بن مرة ، عن أبى حمزة ، عن زيد بن أرقم قال : أول من أسلم على بن أبى طالب .

قال عمرو بن مرة : فذكرته لإبراهيم النخعى فأنكره ، وقال : أول من أسلم أبو بكر الصديق رضى الله عنه .

وروى الواقدي بأسانيده عن أبي أروى الدؤسي وأبي مسلم بن عبد الرحمن في جماعة من السلف : أول من أسلم أبو بكر الصديق .

وقال يعقوب بن سفيان حدثنا أبو بكر الحميدى ، حدثنا سفيان بن عُيينة ، عن مالك ابن مَعْوَل عن رجل قال : سئل ابن عباس : من أول من آمن ؟ فقال : أبو بكر الصديق ؛ أما سمعت قول حسان :

إذا تذكرت شَجَوًا من أخِي ثقة فاذكر أخاك أبا بكرٍ بما فعلا
خير البرية أوفاهَا وأَعْدَلُهَا بعدَ النبي وأولاهَا بِمَا حَمَلَا
والتالى الثانى المحمود مشهدهُ وأول الناس منهم صدَّق الرُّسُلَا
عاش حَيِّدًا لأمرِ اللهِ مُتَّبِعًا بأمرِ صاحبه الماضى وما انتقلَا

وقد رواه أبو بكر بن أبى شيبة ، حدثنا شيخ لنا عن مجالد ، عن عامر قال : سألت ابن عباس - أو سئل ابن عباس - أى الناس أول إسلامًا ؟ قال : أما سمعت قول حسان ابن ثابت فذكره .

وهكذا رواه الهيثم بن عدى ، عن مجالد عن عامر الشَّعْبى ، سألت ابن عباس فذكره .

وقال أبو القاسم البغوى : حدثنى سُرَيْج بن يونس ، حدثنا يوسف بن الماجشون قال : أدركت مشيختنا منهم محمد بن المنكدر ، وربيعة بن أبى عبد الرحمن ، وصالح بن كيسان ، وعثمان بن محمد ، لا يشكُّون أن أول القوم إسلاماً أبو بكر الصديق رضى الله عنه .

قلت : وهكذا قال إبراهيم النخعى ، ومحمد بن كعب ، ومحمد بن سيرين ، وسعد بن إبراهيم ، وهو المشهور عن جمهور أهل السنة .

وروى ابن عساكر عن سعد بن أبي وقاص ومحمد بن الحنفية أنهما قالا : لم يكن أولهم إسلاماً ، ولكن كان أفضلهم إسلاماً .

قال سعد : وقد آمن قبله خمسة .

وثبت في صحيح البخارى من حديث همام بن الحارث ، عن عمار بن ياسر قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وما معه إلا خمسة أعبد ، وامرأتان ، وأبو بكر .

وروى الإمام أحمد وابن ماجه من حديث عاصم بن أبى الجُود ، عن زِرِّ ، عن ابن مسعود قال : أول من أظهر الإسلام سبعة : رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو بكر ، وعُمار ، وأمه سُمَيَّة ، وصهيب ، وبلال ، والمقداد .

فأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فنفعه الله بعمه ، وأما أبو بكر فنفعه الله بقومه ، وأما سائرهم فأخذهم المشركون فألبسهم أذرع الحديد وصهروهم فى الشمس ، فما منهم من أحد إلا وقد واتاهم على ما أرادوا ، إلا بلالا فإنه هانت عليه نفسه فى الله ، وهان على قومه ، فأخذوه فأعطوه الولدان فجعلوا يطوفون به فى شعاب مكة وهو يقول : أَحَدٌ أَحَدٌ .

وهكذا رواه الثورى عن منصور عن مجاهد مرسلًا .

فأما ما رواه ابن جرير قائلا : أخبرنا ابن حميد ، حدثنا كنانة بن جبلة عن إبراهيم بن طهمان ، عن حجاج ، عن قتادة ، عن سالم بن أبى الجعد ، عن محمد بن سعد بن أبى وقاص قال : قلت لأبى : أكان أبو بكر أولكم إسلاما ؟ قال : لا ، ولقد أسلم قبله أكثر من خمسين ، ولكن كان أفضلنا إسلاما .

فإنه حديث منكر إسناداً ومتناً .

قال ابن جرير : وقال آخرون : كان أول من أسلم زيد بن حارثة ، ثم روى من

طريق الواقدي عن ابن أبي ذئب ، سألت الزُّهري : من أول من أسلم من النساء ؟ قال : خديجة . قلت : فمن الرجال ؟ قال : زيد بن حارثة .

وكذا قال عروة وسليمان بن يسار وغير واحد : أول من أسلم من الرجال زيد ابن حارثة .

وقد أجاب أبو حنيفة رضى الله عنه بالجمع بين هذه الأقوال بأن أول من أسلم من الرجال الأحرار أبو بكر ، ومن النساء خديجة ، ومن الموالى زيد بن حارثة ، ومن الغلمان على بن أبي طالب . رضى الله عنهم أجمعين .

قال محمد بن إسحاق : فلما أسلم أبو بكر وأظهر إسلامه دعا إلى الله عز وجل . وكان أبو بكر رجلاً ما لفاً لقومه محباً سهلاً ، وكان أنسب قريش لقريش ، وأعلم قريش بما كان فيها من خير وشر . وكان رجلاً تاجراً ذا خلق ومعروف . وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لغير واحد من الأمر ، لعلمه وتجارته وحسن مجالسته .

فجعل يدعو إلى الإسلام من وثق به من قومه ممن يفتشاه ويجلس إليه . فأسلم على يديه فيما بلغنى : الزبير بن العوام ، وعثمان بن عفان ، وطلحة بن عبيد الله ، وسعد بن أبي وقاص ، وعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنهم .

فانطلقوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعهم أبو بكر ، فعرض عليهم الإسلام وقرأ عليهم القرآن ، وأنبأهم بحق الإسلام فآمنوا .

وكان هؤلاء الثمانية الذين سبقوا في الإسلام ، [فصلوا و^(١)] صدقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وآمنوا بما جاء من عند الله .

(١) من ابن هشام . ويلاحظ أن لفظ ابن هشام يختلف عما هنا كثيراً .

وقال محمد بن عمر الواقدي : حدثني الضحاك بن عثمان ، عن نَحْرمة بن سليمان الوالبي عن إبراهيم بن محمد بن أبي طلحة قال : قال طلحة بن عبيد الله : حضرت سوق بُصْرَى ، فإذا راهب في صومعته يقول : سَلُوا أَهْلَ المَوْسَمِ : أفيهم رجل من أهل الحَرَمِ ؟

قال طلحة : قلت : نعم أنا . فقال : هل ظهر أحد بعدُ ؟ قات : ومن أحد ؟ قال : ابن عبد الله بن عبد المطلب ، هذا شهره الذي يَخْرُجُ فيه ، وهو آخر الأنبياء ، نَخْرجه من الحَرَمِ ، ومُهَاجِرَه إلى نخل وحرّة وسباخ ، فإياك أن تُسَبِّحَ إليه .

قال طلحة : فوقع في قلبي ما قال ، فخرجت سريعا حتى قدمت مكة ، فقلت : هل كان من حديث ؟ قالوا : نعم ، محمد بن عبد الله الأمين قد تَنَبَّأَ ، وقد اتبعه أبو بكر ابن أبي قُحَافَة .

قال : فخرجت حتى قَدِمْتُ على أبي بكر ، فقلت : اتبعتَ هذا الرجل ؟ قال : نعم ، فانطلقَ إليه فادخل عليه فاتبعه ، فإنه يدعو إلى الحق . فأخبره طلحة بما قال الراهب .

فخرج أبو بكر بطلحة فدخل به على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسلم طلحة ، وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قال الراهب ، فسُرَّ بذلك .

فلما أسلم أبو بكر وطلحة أخذهما نوفل بن خويلد بن العدوية ، وكان يدعى أسدَ قريش ، فشدَّهما في حبل واحد ، ولم يمنعهما بنو تَيْمٍ ، فلذلك سَمِيَ أبو بكر وطلحة القرينين . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « اللهم اكفنا شرَّ ابنِ العدوية » . رواه البيهقي .

وقال الحافظ أبو الحسن خَيْثمة بن سليمان الأُطْرُبُلسِيّ : حدثنا عبيد الله بن محمد ابن عبد العزيز العُمَرِيُّ قاضي المِصْبِيعَةِ ، حدثنا أبو بكر عبد الله بن عبيد الله بن إسحاق بن محمد بن عمران بن موسى بن طلحة بن عبيد الله ، حدثني أبي عبيد الله ، حدثني عبد الله

[بن محمد] بن عمران بن إبراهيم بن محمد بن طلحة ، قال حدثني أبي محمد بن عمران ، عن القاسم بن محمد بن أبي بكر ، عن عائشة رضي الله عنها قالت : خرج أبو بكر يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان له صديقاً في الجاهلية ، فلقيه فقال : يا أبا القاسم فُقدت من مجالس قومك ، واتهموك بالعيب لآبائها وأمها .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إني رسول الله أدعوك إلى الله » فلما فرغ كلامه أسلم أبو بكر ، فانطلق عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وما بين الأخشبين أحد أكثر سروراً منه بإسلام أبي بكر .

ومضى أبو بكر فراح لعثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وسعد ابن أبي وقاص فأسلموا .

ثم جاء الغد بعثمان بن مظعون ، وأبي عبيدة بن الجراح ، وعبد الرحمن بن عوف ، وأبي سلمة بن عبد الأسد ، والأرقم بن أبي الأرقم ، فأسلموا رضي الله عنهم .

قال عبد الله بن محمد : فحدثني أبي محمد بن عمران ، عن القاسم بن محمد ، عن عائشة قالت : لما اجتمع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وكانوا ثمانية وثلاثين رجلاً ألح أبو بكر على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الظهور ، فقال : « يا أبا بكر إنا قليل » .

فلم يزل أبو بكر يلح حتى ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتفرق المسلمون في نواحي المسجد كل رجل في عشيرته ، وقام أبو بكر في الناس خطيباً ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس ، فكان أول خطيب دعا إلى الله وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم ، وثار المشركون على أبي بكر وعلى المسلمين فضربوا في نواحي المسجد ضرباً شديداً ، ووطئ أبو بكر وضرب ضرباً شديداً ، ودنا منه الفاسق عتبة بن ربيعة فجعل يضربه بنعلين مخصوفتين ويحرفهما لوجهه ، ونزا على بطن أبي بكر حتى ما يعرف وجهه من أنفه .

وجاء بنو تيم يتعادون فأجلت المشركين عن أبي بكر ، وحملت بنو تيم أبا بكر في ثوب حتى أدخلوه منزله ولا يشكون في موته ، ثم رجعت بنو تيم فدخلوا المسجد وقالوا : والله لئن مات أبو بكر لنقتلن عتبة بن ربيعة .

فرجعوا إلى أبي بكر ، فجعل أبو قحافة وبنو تيم يكلمون أبا بكر حتى أجاب ، فتكلم آخر النهار فقال : ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فمشوا منه بالسنتهم وعدلوه ، ثم قاموا وقالوا لأمه أم الخير : انظري أن تطعميه شيئاً أو تسقيه إياه . فلما خلت به أخت عليه وجعل يقول : ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقالت : والله مالى علم بصاحبك . فقال : اذهبي إلى أم جميل بنت الخطاب فاسأليها عنه .

فخرجت حتى جاءت أم جميل فقالت : إن أبا بكر يسألك عن محمد بن عبد الله ؟ فقالت : ما أعرف أبا بكر ولا محمد بن عبد الله ، وإن كنت تحبين أن أذهب معك إلى ابنك . قالت : نعم . فضت معها حتى وجدت أبا بكر صريعاً دافعاً ، فدنت أم جميل وأعلنت بالصياح وقالت والله إن قوما نالوا هذا منك لأهل فسق وكفر، وإنى لأرجو أن ينتقم الله لك منهم .

قال : فما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالت : هذه أمك تسمع . قال : فلا شيء عليك منها . قالت : سالمٌ صالحٌ . قال : اين هو ؟ قالت : فى دار ابن الأرقم .

قال : فإن لله على أن لا أذوق طعاماً ولا أشرب شراباً أو آتى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فأمهلنا حتى إذا هدأت الرّجل وسكن الناس، خرجنا به يتكئ عليهما حتى أدخلتنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال فأكبّ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبله

وأكب عليه المسلمون ، ورقّ له رسول الله صلى الله عليه وسلم رقة شديدة .
فقال أبو بكر : بأبي وأمي يارسول الله ، ليس بي بأس إلا مانال الفاسق من وجهي ،
وهذه أُمِّي بِرَّةٌ بولدها ، وأنت مبارك فادعها إلى الله ، وادع الله لها عسى الله أن يستنقذها
بك من النار .

قال : فدعاها رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاها إلى الله فأسمت .

وأقاموا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدار شهرا وهم تسعة
وثلاثون رجلا .

وقد كان حمزة بن عبد المطلب أسلم يوم ضُرب أبو بكر .

ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب - أولأبي جهل بن هشام -
فأصبح عمر وكانت الدعوة يوم الأربعاء ، فأسلم عمر يوم الخميس ، فكبّر رسول الله صلى
الله عليه وسلم وأهل البيت تكبيرة سمعت بأعلى مكة .
وخرج أبو الأرقم ، وهو أعمى كافر ، وهو يقول : اللهم اغفر لُبَيٍّ عُبَيْد الأرقم
فإنه كفر .

فقام عمر فقال : يارسول الله علامٌ نُخْفِي ديننا ونحن على الحق ، ويظهر دينهم وهم
على الباطل ؟ قال : « يا عمر إنا قليل قد رأيت ما لقينا » .

فقال عمر : فوالذي بعثك بالحق لا يبقئ مجلس جلستُ فيه بالكفر إلا أظهرتُ
فيه الإيمان .

ثم خرج فطاف بالبيت ، ثم مر بقريش وهي تنتظره ، فقال أبو جهل بن هشام :
يزعم فلان أنك صَبَّأت ؟ فقال عمر : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً
عبده ورسوله .

فوثب المشركون إليه ، ووثب على عتبة فبرك عليه وجعل يضربه ، وأدخل إصبعه في عينه ، فجعل عتبة يصيح ، ففتحنى الناس ، فقام عمر فجعل لا يدنو منه أحد إلا أخذ بشريف من دنا منه ، حتى أعجز الناس . واتبع المجالس التي كان يجالس فيها فيظهر الإيمان .

ثم انصرف إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو ظاهر عليهم ، قال : ماعليك ، بأبي وأمي . والله ما بقى مجلس كنت أجالس فيه بالكفر إلا أظهرت فيه الإيمان غير هائب ولا خائف .

فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج عمر أمامه وحزمة بن عبد المطلب ، حتى طاف بالبيت وصلى الظهر مؤمناً ، ثم انصرف إلى دار الأرقم ومعه عمر ، ثم انصرف عمر وحده ، ثم انصرف النبي صلى الله عليه وسلم .

والصحيح أن عمر إنما أسلم بعد خروج المهاجرين إلى أرض الحبشة ، وذلك في السنة السادسة من البعثة . كما سيأتى في موضعه إن شاء الله .

وقد استقصينا كيفية إسلام أبي بكر وعمر رضي الله عنهما في كتاب سيرتهما على انفرادها ، وبسطنا القول هنالك والله الحمد .

وثبت في صحيح مسلم^(١) من حديث أبي أمامة عن عمرو بن عبسة السلمي رضي الله عنه قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في أول ما بعث وهو بمكة ، وهو حينئذ مُستخفٍ فقالت : ما أنت ؟ قال : أنا نبي . فقلت : وما النبي ؟ قال : رسول الله . قلت : الله أرسلك ؟ قال : نعم . قلت : بم أرسلك ؟ قال : بأن تعبد الله وحده لا شريك له وتكسر الأصنام ، وتوصل الأرحام . قال : قلت : نعم ما أرسلك به ، فمن تبعك على هذا ؟ قال : حر وعبد . يعني أبا بكر وبلا لا .

(١) إسلام عمرو بن عبسة في صحيح مسلم ٥٦٩/١ حديث رقم ٨٣٢ وانظره مطول مختلف .

قال فكان عمرو يقول : لقد رأيتني وأنا رُبُع الإسلام .

قال : فأسلمت . قلت : فأتبعك يا رسول الله ؟ قال : لا ولكن الحق بقومك ، فإذا أخبرت أنى قد خرجت فاتبعنى .

ويقال إن معنى قوله عليه السلام « حر وعبد » اسم جنس ، وتفسير ذلك بأبى بكر وبلال فقط فيه نظر ، فإنه قد كان جماعة قد أسلموا قبل عمرو بن عبسة ، وقد كان زيد بن حارثة أسلم قبل بلال أيضا ، فاعله أخبر أنه ربع الإسلام بحسب علمه ، فإن المؤمنين كانوا إذ ذاك يستسرون بإسلامهم لا يطلع على أمرهم كثير أحد من قراباتهم ، دَعِ الأُجانب ، دَعِ أهل البادية من الأعراب . والله أعلم .

وفى صحيح البخارى من طريق أبى أسامة عن هاشم بن هاشم ، عن سعيد بن المسيب قال : سمعت [أبا إسحاق ^(١)] سعد بن أبى وقاص يقول : ما أسلم أحد فى اليوم الذى أسلمت فيه ، ولقد مكثت سبعة أيام وإنى لثلث الإسلام .

أما قوله : « ما أسلم أحد فى اليوم الذى أسلمت فيه » فسهل ، ويروى : « إلا فى اليوم الذى أسلمت فيه » وهو مُشْكَل ، إذ يقتضى أنه لم يسبقه أحد بالإسلام .

وقد علم أن الصديق وعلياً وخديجة وزيد بن حارثة أسلموا قبله ، كما قد حَكَى الإجماع على تقدم إسلام هؤلاء غير واحد ، منهم ابن الأثير .

ونص أبو حنيفة رضى الله عنه على أن كلاً من هؤلاء أسلم قبل أبناء جنسه . والله أعلم .

وأما قوله : « ولقد مكثت سبعة أيام وإنى لثلث الإسلام » فمُشْكَل وما أدرى على ماذا يوضع عليه ، إلا أن يكون أخبر بحسب ماعلمه . والله أعلم .

(١) من صحيح البخارى ١٨٣/٢ . والرواية فيه : « إلا فى اليوم الذى أسلمت فيه » .

وقال أبو داود الطيالسي : حدثنا حماد بن سلمة ، عن عاصم ، عن زرّ ، عن عبد الله ، وهو ابن مسعود ، قال : كنت غلاما يافعا أُرعى غنما لعُقبّة بن أبي معيط بمكة . فأَتى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر ، وقد فرّا من المشركين ، فقال - أو قالا - : عندك يا غلام لبن تسقينا ؛ قلت : إني مؤتمن ، ولست بساقيكما . فقال : هل عندك من جذعة لم يَنْزُ عليها الفحل بعدُ ؟ قلت : نعم .

فأتيتهما بها فاعتقلا أبو بكر وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الضرع ودعا ، فَحَفَلَ الضرع ، وأتاه أبو بكر بصخرة متقعرة فخلب فيها ، ثم شرب هو وأبو بكر ثم سقياني ثم قال للضرع : اقلص . فقلص .

فلما كان بعدُ أتيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : علّمني من هذا القول الطيب ، يعني القرآن ، فقال : « إناك غلام مُعَلِّمٌ » فأخذت من فيه سبعين سورة ما ينازعني فيها أحد .

وهكذا رواه الإمام أحمد ، عن عَفَّان ، عن حماد بن سلمة به .

ورواه الحسن بن عرفة ، عن أبي بكر بن عيَّاش ، عن عاصم بن أبي النُّجُود به . وقال البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، حدثنا أبو عبد الله بن بَطَّة الأصبهاني ، حدثنا الحسن بن الجهم ، حدثنا الحسين بن الفرج ، حدثنا محمد بن عمر ، حدثني جعفر ابن محمد بن خالد بن الزبير ، عن أبيه - أو عن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان - قال : كان إسلام خالد بن سعيد بن العاص قديما وكان أول إخوته أسلم .

وكان يَدْعُ إسلامه أنه رأى في المنام أنه وقف به على شفير النار ، فذكر من سعتها ما الله أعلم به . ويرى في النوم كأن أتاه يدفعه فيها ، ويرى رسول الله صلى الله عليه وسلم آخذاً بِحَقْوَيْهِ ^(١) لا يقع ، ففرغ من نومه فقال : أحلف بالله إن هذه لرؤيا حق .

(١) الحقو : الكشح ، وهو ما بين الحاصرة إلى الضلع الخلف .

فلقي أبا بكر بن أبي قحافة فذكر ذلك له ، فقال أريد بك خير ، هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتبعه ، فإنك ستتبعه وتدخل معه في الإسلام ، والإسلام يحجزك أن تدخل فيها ، وأبوك واقع فيها .

فلقي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بأجْيَاد ، فقال : يا رسول الله يا محمد إلام تدعو ؟ قال : « أدعوك إلى الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ، وتخلع ما أنت عليه من عبادة حجر لا يسمع ، ولا يضر ، ولا يبصر ، ولا ينفع ، ولا يدري من عبده ممن لا يعبد » .

قال خالد : فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله . فسرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بإسلامه .

وتغيَّب خالد وعلم أبوه بإسلامه ، فأرسل في طلبه فأتى به ، فأنبه وضربه بمقرعة في يده حتى كسرها على رأسه . وقال : والله لأمنعنك القوت . فقال خالد : إن منعني فإن الله يرزقني ما أعيش به .

وانصرف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان يكرمه ويكون معه .

ذكر إسلام حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه عم النبي

صلى الله عليه وسلم

قال يونس بن بكير : عن محمد بن إسحاق : حدثني رجل من أسلم^(١) - وكان واعية - أن أبا جهل اعترض رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الصفا فأذاه وشتمه ونال منه ما يكره من العيب لدينه ، فذكر ذلك لحمزة بن عبد المطلب ، فأقبل نحوه ، حتى إذا قام على رسه رفع القوس فضربه بها ضربة شجّه منها شجرة منكورة .

(١) المطبوعة : بمن أسلم . وهو تحريف . وأسلم : قبيلة .

وقامت رجال من قريش من بنى مخزوم إلى حمزة لينصروا أبا جهل منه . وقالوا ما نراك يا حمزة إلا قد صَبَّأت

قال حمزة : ومن يمنعني وقد استبان لي منه ما أشهد أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن الذي يقول حق ، فوالله لا أنزع ، فامنعوني إن كنتم صادقين .

فقال أبو جهل : دعوا أبا عُمارة فإني والله لقد سبَّبت ابن أخيه سبًّا قبيحاً .

فلما أسلم حمزة عرفت قريش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عز وامتنع ، فكفُّوا عما كانوا يتناولون منه . وقال حمزة في ذلك شعراً .

قال ابن إسحاق : ثم رجع حمزة إلى بيته فأتاه الشيطان فقال : أنت سيد قريش اتبعت هذا الصابى وتركت دين آبائك للموت خير لك مما صنعت .

فأقبل حمزة على نفسه وقال : ما صنعت اللهم إن كان رشداً فأجعل تصديقته في قلبي ، وإلا فأجعل لي مما وقعت فيه مخرجاً .

فبات بلبلة لم يبت بمثله من وسوسة الشيطان .

حتى أصبح ففدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال : يا ابن أخي إني قد وقعت في أمر ولا أعرف المخرج منه ، وإقامة مثلي على ما لا أدري ما هو أرشد أم هو غي شديدٌ فحدثني حديثاً ، فقد انتهيت يا ابن أخي أن تحدثني .

فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكره ووعظه ، وخوفه وبشره . فالتقى الله في قلبه الإيمان بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقال : أشهد أنك الصادق شهادة الصدق ، فأظهر يا ابن أخي دينك ، فوالله ما أحب أن لي ما أظلمته السماء وأنى على ديني الأول .

فكان حمزة ممن أعز الله به الدين .

وهكذا رواه البيهقي عن الحاكم عن الأصم عن أحمد بن عبد الجبار ، عن يونس ابن بكير به .

ذكر إسلام أبي ذرٍّ رضي الله عنه

قال الحافظ البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، حدثنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب الحافظ ، حدثنا الحسين بن محمد بن زياد ، حدثنا عبد الله بن الرُّومي ، حدثنا النَّضر بن محمد ، حدثنا عكرمة بن عمار ، عن أبي زُمَيْل سَمَّاك بن الوليد ، عن مالك بن مَرثَد ، عن أبيه ، عن أبي ذرٍّ ، قال : كنت ربع الإسلام ، أسلم قبلي ثلاثة نفر وأنا الرابع ، أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : السلام عليك يا رسول الله أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله . فرأيت الاستبشار في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم . هذا سياق مختصر .

وقال البخاري : إسلام أبي ذرٍّ : حدثنا^(١) عمرو بن عباس ، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، عن المشني عن أبي جَمْرَةَ^(٢) ، عن ابن عباس . قال لما بلغ أبا ذرٍّ مبعثُ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأخيه : اركب إلى هذا الوادي فاعلم لي عِلْمَ هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي يأتيه الخبر من السماء ، فاسمع من قوله ثم ائتني .

فانطلق الآخر^(٣) حتى قَدِمَهُ وسمع من كلامه ، ثم رجع إلى أبي ذرٍّ فقال له : رأيته يأمر بمكارم الاخلاق وكلاماً ماهو بالشعر .

فقال : ماشفتني مما أردتُ .

فتزوّد وحمل شئنه [له] فيها ماء ، حتى قدم مكة ، فأتى المسجد فالتمس رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يعرفه ، وكره أن يسأل عنه ، حتى أدركه بعضُ الليل [اضطجع]^(٤) فراه على عرف أنه غريب ، فلما رآه تبعه ولم يسأل واحد منهما صاحبه عن شيء حتى

(٢) البخاري : حدثني . (٢) خ ط : حمزة . وهو تحريف وما أثبتته من صحيح البخاري ١٨٣/٢
(٣) البخاري : الأخ . (٤) ليست في البخاري .

أصبح ، ثم احتمل قربته وزاده إلى المسجد ، وظلَّ ذلك اليومَ ولا يراه النبي صلى الله عليه وسلم حتى أمسى ، فعاد إلى مضجعه . فمر به على فقال : أما آن^(١) للرجل [أن^(٢)] يعلم منزله فأقامه فذهب به معه لا يسأل واحد منهما صاحبه عن شيء .

حتى إذا كان يوم الثالث فعاد [على^(٣)] على مثل ذلك ، فأقام معه فقال : ألا تحدثني بالذي أقدمك ؟ قال : إن أعطيتني عهداً وميثاقاً لترشدنني ففعلت . ففعل فأخبره . قال : فإنه حق ، وإنه^(٤) رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإذا أصبحت فاتبعني ، فإني إن رأيت شيئاً أخاف عليك قت كآني أريق الماء ، وإن مضيت فاتبعني حتى تدخل مدخلي .

ففعل ، فانطلق يقفوه حتى دخل على النبي صلى الله عليه وسلم ودخل معه ، فسمع من قوله وأسلم مكانه .

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : « ارجع إلى قومك فأخبرهم حتى يأتيك أمرى » .

فقال : والذي بعثك بالحق^(٥) لأصرخن بها بين ظهرانيهم .

فخرج حتى أتى المسجد فنادى بأعلى صوته : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ثم قام [القوم^(٦)] فضربوه حتى أضجعوه .

فأتى العباسُ فأكبَّ عليه فقال : ويلكم ! أستم تعلمون أنه من غفار ، وأن طريق تجارتكم إلى الشام ؟ ! فأنقذه منهم . ثم عاد من الغد بمثلها^(٧) فضربوه وثاروا إليه فأكب العباس عليه .

هذا لفظ البخارى .

وقد جاء إسلامه مبسوطاً في صحيح مسلم وغيره .

فقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد بن هارون ، حدثنا سليمان بن المغيرة ، حدثنا حميد بن هلال عن عبد الله بن الصامت قال أبو ذر : خرجنا من قومننا غفار ، وكانوا يُحلون الشهر الحرام ، أنا وأخي أنيس وأمثنا .

(١) البخارى : أما نال . (٢) من البخارى . (٣) البخارى : وهو رسول الله .

(٤) البخارى : والذي نفسى بيده . (٥) البخارى : لمثلها .

فانطلقنا حتى نزلنا على خالٍ لنا ذى مال وذى هيئة ، فأكرمنا خالنا وأحسن إلينا ، فحسدنا قومُه فقالوا له : إنك إذا خرجت عن أهلك خلقت إليهم أنيس .
فجاء خالنا فنثى ما قيل له ^(١) فقلت له : أمّا ما مضى من معروفك فقد كدّرتَه ، ولاجماع لنا فيما بعد .

قال : فقررّ بنا صرمتنا ^(٢) فاحتملنا عليها ، وتغطى خالنا بثوبه وجعل يبكى .
قال : فانطلقنا حتى نزلنا حضرة مكة ، قال فنافر أنيس عن صرمتنا وعن مشايها ، فأتيا الكاهن فخير أنيسا . فأتانا بصرمتنا ومثليها .

وقد صليتُ ابن أخى ، قبل أن ألقى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ثلاث سنين .
قال : قلت لمن ؟ قال : لله . قلت : فأين توجه ؟ قال : حيث وجهنى الله . قال : وأصلّى عشاء حتى إذا كان من آخر الليل ألفتُ كَأَنى خِفَاءً ^(٣) حتى أعلونى الشمس .
قال : فقال أنيس : إن لى حاجة بمكة فألقني حتى آتيك . قال : فانطلق فراث ^(٤) علىّ ، ثم أتاني فقلت : ما حبسك قال : لقيت رجلا يزعم أن الله أرسله على دينك ، قال : فقلت : ما يقول الناس له ؟ قال : يقولون إنه شاعر وساحر . وكان أنيس شاعراً .

قال : فقال : لقد سمعتُ الكهان فما يقول بقولهم ، وقد وضعت قوله على إقراء الشعر فو الله ما يلتئم لسان أحد أنه شعر ، ووالله إنه لصادق وإنهم لكاذبون .
قال : فقلت له : هل أنت كافي حتى أنطلق ؟ قال : نعم ! وكُنْ من أهل مكة على حذر ، فإنهم قد شنّعوا له وتجهّموا له .

(١) تبي ما قيل له : أظهره وحدث به . (٢) الصرمة : القطعة من الإبل ما بين العشرين إلى الثلاثين (٣) الخفاء : الكساء . (٤) راث : أبطل .

قال : فانطأقت حتى قدمت مكة فتضعفت رجلا منهم فقلت : أين هذا الرجل الذى يدعو به الصابى ؟ قال : فأشار إلى . فقال أهل الوادى على بكل مدرة وعظم حتى خررت مغشىا على ، ثم ارتفعت حين ارتفعت كائى نَصَب أحر ، فأنت زمزم فشربت من ماءها وغسأت عنى الدم ودخلت بين الكعبة وأستارها ، فابثت به يابن أخى ثلاثين من يوم ويلة مالى طعام إلا ماء زمزم ، فسمنت حتى تكسرت عكن بطنى وما وجدت على كبدى سخفة جوع .

قال فبينما أهل مكة فى ليلة قراء إضحيان^(١) وضرب الله على أشحمة^(٢) أهل مكة ، فما يطوف بالبيت غير امرأتين ، فأتنا على وهما يدعوان إساف ونائلة . فقلت : أنكحوا أحدهما الآخر . فماتناها ذلك . فقلت : وهن مثل الخشبة غير أنى لم أركن .

قال : فانطلقتا يؤولان ويقولان : لو كان ههنا أحد من أنفارنا .

قال : فاستقباهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وهما هابطان من الجبل فقالا : مالكما ؟ فقالتا : الصابى بين الكعبة وأستارها . قالا : ما قال لكما ؟ قالتا : قال لنا كلمة تملأ الفم .

قال : وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وصاحبه حتى استلم الحجر وطاف بالبيت ، ثم صلى .

قال : فأنته فكنت أول من حياه بتحية أهل الإسلام . فقال : « عليك السلام ورحمة الله . من أنت ؟ » قال : قلت : من غفار ، قال : فأهوى بيده فوضعها على جبهته ، قال : فقلت فى نفسى : كره أن انتميت إلى غفار .

قال : فأردت أن آخذ بيده ففقدنى صاحبه ، وكان أعلم به منى . قال : متى كنت ههنا ؟

قال : قلت : كنت ههنا منذ ثلاثين من بين ليلة ويوم .

(٢) الأشحمة : الأذان .

(١) إضحيان : مضبئة .

قال : فمن كان يطعمك ؟ قلت : ما كان إلا ماء زمزم ، فسمنت حتى تكسرت
عُكُن بطني ، وما وجدت على كبدي سخفة جوع .

قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنها مباركة ، إنها طعام طعم » .

قال : فقال أبو بكر : ائذن لي يا رسول الله في طعامه الليلة . قال : ففعل .

قال : فانطلق النبي صلى الله عليه وسلم وانطلقت معهما ، حتى فتح أبو بكر بابا فجعل يقبض
لنا من زبيب الطائف ، قال : فكان ذلك أولَ طعام أكلته بها . فلبثت ملبثت .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إني قد وجَّهت إلى أرض ذات نخل
ولا أحسبها إلا يثرب ، فهل أنت مُبلغ عني قومك ، لعل الله ينفعهم بك ويأجرك فيهم » ؟
قال : فانطلقت حتى أتيت أخى أنيسا ، قال : فقال لي : ما صنعت ؟ قال : قلت
صنعت أنى أسلمت وصدقت .

قال : فما بى رغبة عن دينك فإنى قد أسلمت وصدقت .

ثم أتينا أمنا فقالت : ما بى رغبة عن دينكما ، فإنى قد أسلمت وصدقت ، فتحملنا
حتى أتينا قومنا غفار ، قال فأسلم بعضهم قبل أن يقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم
المدينة ، وكان يؤمهم خُفَّاف بن أَيْمَاء بن رخصة الغفارى وكان سيدهم يومئذ . وقال
بقيتهم : إذا قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم أسلمنا . قال : فقدم رسول الله صلى الله عليه
وسلم فأسلم بقيتهم . قال : وجاءت أسلم فقالوا : يا رسول الله إخواننا نسلم على الذى أسلموا
عليه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « غفار غفر الله لها ، وأسلم سالمها الله » . ورواه
مسلم عن هُدَبة بن خالد عن سليمان بن المغيرة به نحوه . وقد روى قصة إسلامه على وجه
آخر وفيه زيادات غريبة فالله أعلم . وتقدم ذكر إسلام سلمان الفارسى فى كتاب البشارات
بمبعثه عليه الصلاة والسلام .

ذكر إسلام ضماد

روى مسلم والبيهقي من حديث داود بن أبي هند ، عن عمرو بن سعيد ، عن سعيد ابن جبير ، عن ابن عباس . قال : قدم ضماد مكة ، وهو رجل من أزد شنوءة ، وكان يرقى من هذه الرياح ، فسمع سفهاء من سُفّه مكة يقولون : إن محمداً مجنون . فقال : أين هذا الرجل لعن الله أن يشفيه على يدي ؟

فاتميت محمداً فقات : إني أرقى من هذه الرياح ، وإن الله يشفي على يدي من شاء ، فهلم .

فقال محمد : « إن الحمد لله نحمده ونستعينه ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له ، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . ثلاث مرات » .

فقال : والله لقد سمعت قول الكهنة ، وقول السحرة ، وقول الشعراء ، فما سمعت مثل هؤلاء الكلمات ، فهلم يدك أبايعك على الإسلام .

فبايعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : وعلى قومك ؟ فقال : وعلى قومي .

فبعث النبي صلى الله عليه وسلم جيشاً فرموا بقوم ضماد . فقال صاحب الجيش للسرية : هل أصبتم من هؤلاء القوم شيئاً ؟ فقال رجل منهم : أصبت منهم مُظْهَرَةً^(١) . فقال رُدّها عليهم فإنهم قوم ضماد .

وفي رواية فقال له ضماد : أعد على كلماتك هؤلاء فلقد بلغن قاموس^(٢) البحر .

(١) المظهر : البحر التي أتت عليه الظهيرة وهو يرمى .

(٢) قاموس البحر : أبعد موضع فيه غوراً . هذا والرواية في الوفا : أعد على كلماتك هؤلاء ، فأعادهم عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات . فقال : لقد سمعت قول الكهنة والسحرة والشعراء فما سمعت مثل كلماتك هؤلاء ولقد بلغت قاموس البحر .

وقد ذكر أبو نعيم في دلائل النبوة إسلام من أسلم من الأعيان فصلا طويلا ، واستقصى ذلك استقصاء حسنا رحمه الله وأثابه .

وقد سَرَدَ ابنُ اسحاق أسماء من أسلم قديما من الصحابة رضى الله عنهم .
قال : ثم أسلم أبو عُبَيْدة ، وأبو سلمة ، والأرقم بن أبي الأرقم ، وعثمان بن مظعون ، وعُبَيْدة بن الحارث ، وسعيد بن زيد ، وامراته فاطمة بنت الخطاب .
وأسماء بنت أبي بكر ، وعائشة بنت أبي بكر ، وهى صغيرة .

وقَدَّامة بن مظعون ، وعبد الله بن مظعون .

✓ وخبَّاب بن الأَرْتِّ ، وعُمَيْر بن أبي وقاص ، وعبد الله بن مسعود ، ومسعود بن القارى^(١) ، وسَلِيط بن عمرو وعِيَّاش بن أبي ربيعة ، وامراته أسماء بنت سلمة^(٢) بن مُحَرَّبَة^(٣) التميمية ، وخُنَيْس بن حُذَاقَة ، وعامر بن ربيعة .

وعبد الله بن جحش ، وأبو أحمد بن جحش ، وجعفر بن أبي طالب ، وامراته أسماء بنت عُمَيْس .

وحاطب بن الحارث [وامراته فاطمة بنت الجلال . وحطَّاب بن الحارث^(٤)]
وامراته فُكَيْمَة ابنة يَسَار .

ومَعْمَر بن الحارث بن مَعْمَر الجُمَحَى ، والسائب بن عثمان بن مظعون .

والمطلب بن أزهري بن عبد مناف^(٥) ، وامراته رَمْلَة بنت أبي عوف بن صُبَيْرَة بن سعيد بن سَهْم . والنَّحَّام ، واسمه نعيم بن عبد الله بن أسيد ، وعامر بن فِهْرَة مولى أبي بكر ،

(١) هو مسعود بن ربيعة بن عمرو بن سعد بن عبد العزى بن حمالة بن غالب بن مخلم بن عائذة بن سبيع ابن الهون بن خزيمه من القارة . والقارة لقب لهم . وهى قبيلة . ولهم يقال : قد أنصف القارة من رامها
(٢) ابن هشام : سلامة . (٣) الأصل والمطبوعة : مخزمة التيمي ، وهو تحريف وما أثبتته عن ابن هشام . (٤) سقطت من الأصل وأثبتها من ابن هشام . (٥) ابن هشام : عبد عوف .

وخالد بن سعيد ، وأُمَيَّة ابنة خَلَف بن أسعد^(١) بن عامر بن بَيَاضَة من^(٢) خزاعة ، وحاطب بن عمرو بن عبد شمس ، وأبو حَذَيفَة بن عتبة بن ربيعة ، وواقد بن عبد الله بن عَرِين بن ثعلبة التميمي حليف بني عدى .

وخالد بن البُكَيْر ، وعامر بن البُكَيْر ، وعاقِل بن البُكَيْر ، وإياس بن البُكَيْر بن عبد ياليل بن ناشب بن غيرة من بني سعد بن ليث . وكان اسم عاقل غافلا فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عاقلا ، وهم حلفاء بني عدى بن كعب .
وعمار بن ياسر ، وصُهيب بن سنان .

ثم دخل الناس [فى الإسلام^(٣)] أرسالا من الرجال والنساء حتى فشا أمر الإسلام بمكة وتحدث به .

قال ابن إسحاق : ثم أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بعد ثلاث سنين من البعثة بأن يَصْدَع بما أمر ، وأن يصبر على أذى المشركين .
قال : وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلوا ذهبوا فى الشعاب واستخفوا بصلاتهم من قومهم .

فبينما سعد بن أبى وقاص فى نفر يصلون بشعاب مكة إذ ظهر عليهم بعض المشركين فناكروهم وعابوا عليهم ما يصنعون حتى قاتلوهم .

فضرب سعد رجلاً من المشركين بأخى جل فشجّه ، فكان أول دم هُرِيق فى الإسلام ورؤى الأموى فى مغازيه من طريق الوقاصى عن الزُّهْرى عن عامر بن سعد عن أبيه .
فذكر القصة بطولها ، وفيه أن المشجوج هو عبد الله بن خطل لعنه الله .

(١) ط ، خ : سعد وهو تحريف ، وما أنبته عن ابن هشام . (٢) الأصل : ابن ، وهو تحريف (٣) من ابن هشام .

باب

أمر الله رسوله عليه الصلاة والسلام بإبلاغ الرسالة

إلى الخاص والعام ، وأمره له بالصبر والاحتمال ، والإعراض عن الجاهلين المعاندين المكذبين بعد قيام الحجة عليهم ، وإرسال الرسول الأعظم إليهم ، وذكر ما لقي من الأذى منهم هو وأصحابه رضى الله عنهم .

قال الله تعالى : « وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ، وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ، وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ، الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ ، وَتَقْلُبُكَ فِي السَّاجِدِينَ ، إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ^(١) » .

وقال تعالى : « وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ^(٢) » .

وقال تعالى : « إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ ^(٣) » أى إن الذى فرض عليك وأوجب عليك بتبليغ القرآن لرادك إلى دار الآخرة وهى المعاد ، فيسألك عن ذلك . كما قال تعالى : « فَوَرَبُّكَ لَنَسْأَلُهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ » .

والآيات والأحاديث فى هذا كثيرة جداً ، وقد تقصينا الكلام على ذلك فى كتابنا التفسير ، وبسطنا من القول فى ذلك عند قوله تعالى فى سورة الشعراء « وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ » . وأوردنا أحاديث جمّة فى ذلك .

فمن ذلك : قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الله بن مُنَمَّر ، عن الأعمش ، عن عمرو بن

مرة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : لما أنزل الله « وأنذر عشيرتكَ الأقرين » أتى النبي صلى الله عليه وسلم الصفا فصعد عليه ثم نادى : « يا صباحاه » .

فاجتمع الناس إليه بين رجل يحىء إليه وبين رجل يبعث رسوله .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا بني عبد المطلب ، يا بني فهر ، يا بني كعب ، أرايتم لو أخبرتكم أن خيلا بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم صدقتموني ؟ » قالوا : نعم ! قال : « فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد » .

فقال أبو لهب ، لعنه الله : تبألك سائر اليوم ! أما دعوتنا إلا لهذا .

وأنزل الله عز وجل « تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ » .

وأخرجاه من حديث الأعمش به نحوه .

وقال أحمد : حدثنا معاوية بن عمرو ، حدثنا زائدة ، حدثنا عبد الملك بن عمير ، عن موسى بن طلحة ، عن أبي هريرة . قال : لما نزلت هذه الآية « وأنذر عشيرتكَ الأقرين » دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشاً فعمَّ وخصَّ . فقال : « يا معشر قريش أنقذوا أنفسكم من النار ، يا معشر بني كعب أنقذوا أنفسكم من النار ، يا معشر بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار ، يا معشر بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار ، يا فاطمة بنت محمد أنقذي نفسك من النار ، فإني والله لا أملك لكم من الله شيئاً إلا أن لكم رحماً سابغاً ببلاها^(١) » .

ورواه مسلم من حديث عبد الملك بن عمير ، وأخرجاه في الصحيحين من حديث الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، وأبي سلمة عن أبي هريرة ، وله طرق آخر عن أبي هريرة في مسند أحمد وغيره .

وقال أحمد أيضاً : حدثنا وكيع بن هشام ، عن أبيه ، عن عائشة رضي الله عنها . قالت : ...

(١) البلال : جمع بلل ، وفي الأصل : ببلاها . وفي البخارى ١٢٧/٣ : قال أبو عبد الله : ببلاها كذا ومع وببلاها أجود وأصح ، وببلاها لا أعرف له وجهاً .

لما نزل « وأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ » قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « يا فاطمة بنت محمد ، يا صفية بنت عبد المطلب ، يا بنى عبد المطلب ، لا أملك لكم من الله شيئاً ، سلوني من مالى ما شئتم » . ورواه مسلم أيضاً .

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي فى الدلائل : أخبرنا محمد بن عبد الحافظ ، حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، حدثنا أحمد بن عبد الجبار ، حدثنا يونس بن بكير ، عن محمد بن إسحاق ، قال : لُجِدْتُ من سمع عبد الله بن الحارث بن نوفل ، واستكتمنى اسمه ، عن ابن عباس ، عن على بن أبى طالب . قال : لما نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم « وأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ » ، واخضع جَنَاحُكَ لِمَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ » . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عَرَفْتُ أَنِّى إِنِ بَادَأْتُ بِهَا قَوْمِى رَأَيْتُ مِنْهُمْ مَا أَكْرَهُ ، فَصُمْتُ . فَبِئْسَ جَبْرِيْلٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ إِنِّ لَمْ تَفْعَلْ مَا أَمَرْتُكَ بِهِ رَبِّكَ عَذَبُكَ بِالنَّارِ » .

قال : فدعانى فقال « يا علىّ ! إن الله قد أمرنى أن أنذر عَشِيرَتِى الْأَقْرَبِينَ ، فاصنع لنا يا علىّ شاةً على صاع من طعام ، وأعدّ لنا عُسّاً ^(١) ابن ، ثم اجمع لى بنى عبد المطلب » .

ففعلت ، فاجتمعوا له يومئذ ، وهم أربعون رجلاً يزيدون رجلاً أو ينقصون ، فيهم أعمامه : أبو طالب ، وحمزة ، والعباس ، وأبو لهب الكافر الخبيث .

فقدّمت إليهم تلك الجفنة ، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم منها حذية ^(٢) فشقها بأسنانه ثم رمى بها فى نواحيها وقال : « كلوا بسم الله » فأكل القوم حتى نهلوا عنه ، ما نرى إلا آثار أصابعهم ، والله ! إن كان الرجل ليأكل مثلاًها . ثم قال رسول الله صلى الله

(٢) الحذية : القضة .

(١) العس : القدح الضخم .

عليه وسلم : « اسقهم ياعلى » فحُتَّ بذلك القعب فشربوا منه حتى نهلوا جميعا ، وأيم الله إن كان الرجل ليشرب مثله .

فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكلمهم بדרه أبو لهب لعنه الله فقال : لَهْدَّ ماسحركم صاحبكم . فتفرقوا ولم يكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما كان من الغد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عُدْ لنا مثل الذى كنت صنعت لنا بالأمس من الطعام والشراب ، فإن هذا الرجل قد بَدَّرَ إلى ماسمعت قبل أن أكلم القوم » .

ففعلت ، ثم جمعهم له وصنع رسول الله صلى الله عليه وسلم كما صنع بالأمس ، فأكلوا حتى نهلوا عنه وأيم الله إن كان الرجل لياً كل مثلها . ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اسقهم ياعلى ، فحُتَّ بذلك القعب فشربوا منه حتى نهلوا جميعاً وأيم الله إن كان الرجل منهم ليشرب مثله .

فلما أراد رسول الله أن يكلمهم ، بדרه أبو لهب لعنه الله إلى الكلام فقال : لَهْدَّ ماسحركم صاحبكم ؟ فتفرقوا ولم يكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما كان من الغد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ياعلى عُدْ لنا بمثل الذى كنت صنعت بالأمس من الطعام والشراب ، فإن هذا الرجل قد بدرنى إلى ماسمعت قبل أن أكلم القوم » .

ففعلت ، ثم جمعهم له . فصنع رسول الله صلى الله عليه وسلم كما صنع بالأمس ، فأكلوا حتى نهلوا عنه ، ثم سقيتهم من ذلك القعب حتى نهلوا ، وأيم الله إن كان الرجل لياً كل مثلها وليشرب مثلها .

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يابنى عبد المطاب إنى والله ما أعلم شابا من

العرب جاء قومه بأفضل مما جئكم به ، إني قد جئكم بأمر الدنيا والآخرة » .
هكذا رواه البيهقي من طريق يونس بن بكير ، عن ابن إسحاق عن شيخ أبيهم اسمه
عن عبد الله بن الحارث به .

وقد رواه أبو جعفر بن جرير ، عن محمد بن حميد الرازي ، عن سلمة بن الفضل
الأبرش ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الغفار أبو مريم بن القاسم ، عن المنهال بن عمرو ،
عن عبد الله بن الحارث ، عن ابن عباس عن علي فذكر مثله . وزاد بعد قوله : « وإني
قد جئكم بخير الدنيا والآخرة ، وقد أمرني الله أن أدعوكم إليه ، فأياكم يؤازرنى على هذا
الأمر على أن يكون أخى » وكذا وكذا .

قال : فأحجم القوم عنها جميعاً ، وقلت ولآئني لأحدثهم سنا وأرمصهم عينا ،
وأعظمهم بطنا ، وأخشمهم ساقا : أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه . فأخذ برقبتي فقال :
« إن هذا أخى وكذا وكذا فاسمعوا له وأطيعوا » .

قال : فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب : قد أمرك أن تسمع
لابنك وتطيع !

تفرد به عبد الغفار ابن القاسم أبو مريم ، وهو كذاب شيعى اتهمه على بن المدينى
وغيره بوضع الحديث ، وضعفه الباقون .

ولكن روى ابن أبى حاتم فى تفسيره عن أبيه : عن الحسين بن عيسى بن ميسرة
الحارثى عن عبد الله بن عبد القدوس ، عن الأعمش ، عن المنهال بن عمرو ، عن عبد الله
ابن الحارث . قال : قال على : لما نزلت هذه الآية « وأنذر عشيرتلك الأقربين » . قال
لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : اصنع لى رجل شاة بصاع من طعام ، وإناء لبنا ، وادع
لى بنى هاشم . فدعوتهم وإنهم يومئذ لأربعون غير رجل ، أو أربعون ورجل .

فذكر القصة نحو ما تقدم إلى أن قال : وبدّرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الكلام . فقال : « أيكم يقضى عني ديني ويكون خليفتي في أهلي ؟ » .

قال : فسكتوا وسكت العباس خشية أن يحيط ذلك بماله ، قال وسكت أنا لسنّ العباس .

ثم قالها مرة أخرى ، فسكت العباس ، فلما رأيت ذلك قلت : أنا يا رسول الله . قال : أنت ؟ ! قال : وإني يومئذ لأسوأهم هيئة ، وإني لأعمش العينين ، ضخم البطن ؛ خمش الساقين .

وهذه الطريق فيها شاهد لما تقدم إلا أنه لم يذكر ابن عباس فيها فالله أعلم .
وقد روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عباد بن عبد الله الأسدي وربيعة بن ناجذ عن علي نحو ما تقدم — أو كالشاهد له — والله أعلم .

ومعنى قوله في هذا الحديث : « من يقضى عني ديني ويكون خليفتي في أهلي » ، يعني إذا مات ، وكأنه صلى الله عليه وسلم خشي إذا قام بإبلاغ الرسالة إلى مشركي العرب ^(١) أن يقتلوه ، فاستوثق من يقوم بعده بما يُصالح أهله ، ويقضى عنه ؛ وقد آمنه الله من ذلك في قوله تعالى « يا أيها الرسول بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَعَثَ رَسُولَهُ وَاللَّهُ يَعْلَمُكَ مِنَ النَّاسِ » ^(٢) الآية .

والمقصود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استمر يدعو إلى الله تعالى ليلاً ونهاراً ، سراً وجهاً ، لا يَصْرِفُه عن ذلك صارف ولا يَرُدُّه عن ذلك رادٌّ ، ولا يصدّه عن ذلك صاد ، يتَّبِعُ الناس في أنديتهم ومجامعهم ومحافلهم ، وفي المواسم ، ومواقف الحج .

(١) ١ : إبلاغ مشركي العرب رسالة الله . (٢) سورة المائدة .

يدعو من لقيه من حرٍّ وعبد ، وضعيف وقوى ، وغنى وفقير ، جميع الخلق في ذلك عنده
شرع سواء .

وتسلط عليه وعلى من اتبعه من آحاد الناس من ضعفاءهم الأشداء الأقوياء من
مشركي قريش بالأذية القولية والفعلية .

وكان من أشد الناس عليه عمه أبو لهب ، واسمه عبد العزى بن عبد المطلب ، وامراته
أم جميل أروى بنت حرب بن أمية ، أخت أبي سفيان .

وخالفه في ذلك عمه أبو طالب بن عبد المطلب ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
أحب خلق الله إليه طبعاً ، وكان يحنو عليه ويحسن إليه ، ويدافع عنه ويحامي ، ويخالف
قومه في ذلك مع أنه على دينهم وعلى خلتهم ، إلا أن الله تعالى قد امتحن قلبه بحبه حبا
طبعياً لا شريعياً .

وكان استمراره على دين قومه من حكمة الله تعالى ، ومما صنعه لرسوله من الحماية ،
إذ لو كان أسلم أبو طالب لما كان له عند مشركي قريش وجاهة ولا كلمة ، ولا كانوا
يهابونه ويحترمونه . ولا جتروا عليه ، ولمدثوا أيديهم وألسنتهم بالسوء إليه ، وربك يخلق
ما يشاء ويختار ^(١) . وقد قسم خلقه أنواعاً وأجناساً .

فهذان العمّان كافران أبو طالب وأبو لهب ، ولكن هذا يكون في القيامة في
ضخّضاح من نار ، وذلك في الدرك الأسفل من النار ، وأنزل الله فيه سورة في كتابه
تتلى على المنابر ، وتقرأ في المواعظ والخطب ، تتضمن أنه سيصلى ناراً ذات لهب ، وامراته
حمالة الخطب .

(١) بل لو كان أبو طالب أسلم لكان ذلك داعياً إلى إسلام غيره من مشيخة قريش ، وبفهم من كلام
المؤلف أن الله سبحانه قضى على أبي طالب بالكفر بحماية لرسوله !! وهو تعليل غير سائغ .

قال الإمام أحمد : حدثنا إبراهيم بن أبي العباس ، حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه ، قال أخبر رجل يقال له ربيعة بن عباد من بني الدَّيْل ، وكان جاهلياً فأسلم ، قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجاهلية في سوق ذي المجاز وهو يقول : « يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا » والناس مجتمعون عليه ، ووراءه رجل وضىء الوجه أحول ذو غديرتين يقول : إنه صابئ كاذب . يتبعه حيث ذهب . فسألت عنه فقالوا : هذا عمه أبو لهب .

ثم رواه هو والبيهقي من حديث عبد الرحمن بن أبي الزناد بنحوه . وقال البيهقي أيضاً : حدثنا أبو طاهر الفقيه ، حدثنا أبو بكر محمد بن الحسن القطان ، حدثنا أبو الأزهر ، حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري ، حدثنا محمد بن عمر ، عن محمد بن المنكدر عن ربيعة الدَّيْل . قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بذى المجاز يتبع الناس في منازلهم يدعهم إلى الله ، ووراءه رجل أحول تقدُّ وجنتاه وهو يقول : أيها الناس لا يفرنكم هذا عن دينكم ودين آبائكم . قلت : من هذا ؟ قيل : هذا أبو لهب .

ثم رواه من طريق شُعْبَةَ عن الأشعث بن سليم ، عن رجل من كنانة قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بسوق ذي المجاز وهو يقول : « يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا » وإذا رجل خلفه يَسْفِي عليه التراب ، وإذا هو أبو جهل ، وإذا هو يقول : يا أيها الناس لا يفرنكم هذا عن دينكم فإنما يريد أن تتركوا عبادة اللات والعزى .

كذا قال : « أبو جهل » ، والظاهر أنه أبو لهب ، وسند ذكر بقية ترجمته عند ذكر وفاته وذلك بعد وقعة بدر ، إن شاء الله تعالى .

وأما أبو طالب فكان في غاية الشفقة والحنو الطبيعي كما سيظهر من صنائعه

وسجاياء ، واعتماده فيما يحامى به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله عنهم .

قال يونس بن بُكَيْر : عن طلحة بن يحيى ، عن عبد الله بن موسى بن طلحة ، أخبرني عُقَيْل بن أبي طالب قال : جاءت قريش إلى أبي طالب فقالوا : إن ابن أخيك هذا قد آذانا في نادينا ومسجدنا فأنهه عنا . فقال : ياعقيل انطلق فأتني بمحمد . فانطلقت فاستخرجته من كنس ، أو قال خنس ، يقول : بيت صغير ، فجاء به في الظهيرة في شدة الحر . فلما أتاهم قال : إن بنى عمك هؤلاء زعموا أنك تؤذيهم في ناديمهم ومسجدهم ، فأنته عن أذاهم .

فحاق رسول الله صلى الله عليه وسلم ببصره إلى السماء . فقال : « ترون هذه الشمس ؟ » قالوا نعم ! قال : « فما أنا بأقدر أن أدع ذلك منكم على أن تشتعلوا منه بشعلة » .

فقال أبو طالب : والله ما كذب ابن أخى قط فارجعوا .

رواه البخارى في التاريخ ، عن محمد بن العلاء ، عن يونس بن بُكَيْر . ورواه البيهقي ، عن الحاكم ، عن الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبار ، عنه به — وهذا لفظه —

ثم روى البيهقي من طريق يونس ، عن ابن إسحاق : حدثني يعقوب بن عُتْبَة بن المغيرة بن الأخنس ، أنه حدث أن قريشاً حين قالت لأبي طالب هذه المقالة بعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال له : يا ابن أخى إن قومك قد جاءوني وقالوا كذا وكذا ، فأبقى على وعلى نفسك ولا تحملى من الأمر مالا أطيق أنا ولا أنت ، فاكفف عن قومك ما يكرهون من قولك .

فظن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قد بدا لعمه فيه ، وأنه خاذله ومُسْلِمه ، وضمف عن القيام معه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا عم لو وضعت الشمس

في يميني والقمر في يساري ما تركت هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك في طلبه « ثم استعبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكى .

فلما ولى قال له حين رأى ما بلغ الأمر برسول الله صلى الله عليه وسلم : يا ابن أخي . فأقبل عليه ، فقال امضِ على أمرك وافعل ما أحببت ، فوالله لا أسلمك لشيء أبداً .

قال ابن إسحاق : ثم قال أبو طالب في ذلك :

والله لن يصلوا إليك بجمعهم حتى أوسد في التراب دفيناً
فامض لأمرك ما عليك غصاصة أبشر وقرّ بذاك منك عيوناً
ودعوتني وعلمت أنك ناصحي فلقد صدقت وكنت قدّم أميناً
وعرضت ديناً قد عرفت بأنه من خير أديان البرية ديناً
لولا الملامة أو حذارى سبّة لو جدتني سمحاً بذاك مبيناً

ثم قال البيهقي : وذكر ابن إسحاق لأبي طالب في ذلك أشعاراً .

وفي ذلك دلالة على أنّ الله تعالى عصمه بعّمه مع خلافة إياه في دينه ، وقد كان يعصمه حيث لا يكون عمه بما شاء ، لا معقب لحكمه . .

وقال يونس بن بكير : حدثني محمد بن إسحاق ، حدثني رجل من أهل مصر قديماً منذ بضع^(١) وأربعين سنة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس في قصة طويلة جرت بين مشرّكي مكة وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما قام رسول الله قال أبو جهل ابن هشام : يا معشر قريش إن محمداً قد أتى إلا ماترون من عيب ديننا ، وشتم آبائنا وتسفيه أعلامنا وسب آلهتنا ، وإنّي أعاهد الله لأجلس له غداً بحجر ، فإذا سجد في صلاته فضخت به رأسه ، فليصنع بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم .

فلما أصبح أبو جهل ، لعنه الله ، أخذ حجراً ثم جاس لرسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظره .

وغداً رسول الله صلى الله عليه وسلم كما كان يَغْدُو ، وكان قبْلُته الشام . فكان إذا صلى بين الركنين الأسود واليماني ، وجعل الكعبة بينه وبين الشام . فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي ، وقد غَدَتْ قريش فحاسوا في أُنْديتهم ينتظرون ، فلما سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم احتمل أبو جهل الحجر ثم أقبل نحوه ، حتى إذا دنا منه رجع مُنْبهتاً مُمْتَعِماً لونه مرعوباً ، قد يَبَسَتْ يداه على حَجَرِهِ ، حتى قذف الحجر من يده .

وقامت إليه رجال من قريش . فقالوا له : مابك يا أبا الحكم ؟ ! فقال : قُتَّ إِلَيهِ لأفعل ماقلت لكم البارحة ، فلما دنوتُ منه عَرَضَ لِي دونه فُحْلٌ من الإبل ؛ والله ما رأيت مثل هامته ، ولا قَصْرته ^(١) ولا أنيابه لفحل قط ، فهمَّ أن يأكلني .

قال ابن إسحاق : فذكر لي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ذلك جبريل ، ولو دنا منه لأخذه » .

وقال البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرني أبو النضر الفقيه ، حدثنا عثمان الدارمي ، حدثنا عبد الله بن صالح ، حدثنا الليث بن سعد ، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي قُرْوة ، عن أبان بن صالح ، عن علي بن عبد الله بن عباس ، عن أبيه ، عن عباس بن عبد المطلب . قال : كنت يوماً في المسجد فأقبل أبو جهل - لعنه الله - فقال : إن لله عليّ إن رأيت محمداً ساجداً أن أطأ على رقبته .

(١) القصرة : أصل العنق .

نُفِرَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى دَخَلَتْ عَلَيْهِ فَأَخْبَرَتْهُ بِقَوْلِ أَبِي جَهْلٍ ،
فُجِرَ غَضِبَانٌ حَتَّى جَاءَ الْمَسْجِدَ ، فَعَجِلَ أَنْ يَدْخُلَ مِنَ الْبَابِ فَاقْتَحَمَ الْحَائِطَ . فَقُلْتُ هَذَا
يَوْمٌ شَرٌّ ، فَاتَزَرْتُ ثُمَّ اتَّبَعْتُهُ ، فَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَرَأَ « اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ
الَّذِي خَلَقَ ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ » فَلَمَّا بَلَغَ شَأْنَ أَبِي جَهْلٍ « كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ »
أَنْ رَأَاهُ اسْتَغْفَنِي « فَقَالَ إِنْسَانٌ لِأَبِي جَهْلٍ : يَا أَبَا الْحَكَمِ هَذَا مُحَمَّدٌ . فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ :
أَلَا تَرَوْنَ مَا أَرَى ! وَاللَّهِ لَقَدْ سُدَّ أَفْقُ السَّمَاءِ عَلَيَّ . فَلَمَّا بَاغَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
آخِرَ السُّورَةِ سَجَدَ .

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ : حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنْ عَبْدِ الْكَرِيمِ ، عَنْ عِكْرَمَةَ ،
قَالَ : قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : قَالَ أَبُو جَهْلٍ لَمَّا رَأَيْتُ مُحَمَّدًا يُصَلِّيُ عِنْدَ الْكَعْبَةِ لِأَطَانٍ عَلَى عُنُقِهِ .
فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : « لَوْ فَعَلَ لِأَخَذْتَهُ الْمَلَائِكَةُ عَيْنَانَا » .
وَرَوَاهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ يَحْيَى بْنِ عَبْدِ الرَّزَّاقِ بِهِ .

قَالَ دَاوُدُ بْنُ أَبِي هِنْدٍ : عَنْ عِكْرَمَةَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ مَرَّ أَبُو جَهْلٍ بِالنَّبِيِّ .
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يُصَلِّي ، فَقَالَ : أَلَمْ أَتُكِّمْ أَنْ تَصَلُّوا يَا مُحَمَّدُ ؟ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا بِهَا أَحَدٌ
أَكْثَرَ نَادِيًا مِنِّي .

فَانْتَهَرَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَقَالَ جَبْرِيلُ : « فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ، سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ »
وَاللَّهُ لَوْ دَعَا نَادِيَهُ لِأَخَذْتَهُ زَبَانِيَةَ الْعَذَابِ .

رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ ، وَصَحَّحَهُ النَّسَائِيُّ مِنْ طَرِيقِ دَاوُدَ بِهِ .

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ : حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ يَزِيدَ أَبُو زَيْدٍ ، حَدَّثَنَا فُرَاتٌ ، عَنْ عَبْدِ الْكَرِيمِ
عَنْ عِكْرَمَةَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : قَالَ أَبُو جَهْلٍ : لَمَّا رَأَيْتُ مُحَمَّدًا عِنْدَ الْكَعْبَةِ يُصَلِّي
لَأَتَيْنَهُ حَتَّى أَطَأَ عُنُقَهُ .

قَالَ : فَقَالَ : « لَوْ فَعَلَ لِأَخَذْتَهُ الزَّبَانِيَةَ عَيْنَانَا » .

وقال أبو جعفر بن جرير : حدثنا ابن حُميد ، حدثنا يحيى بن واضح ، حدثنا يونس ابن أبي إسحاق ، عن الوليد بن العيزار ، عن ابن عباس قال : قال : أبو جهل لئن عاد محمد يصلى عند المقام لأقتلنه .

فأنزل الله تعالى : « اقرأ باسم ربك الذى خلق » حتى بلغ من الآية « لنسفعا بالناصية . ناصية كاذبة خاطئة فليدع ناديه سندع الزبانية » .

فجاء النبي صلى الله عليه وسلم يصلى فقبل مايمتك ؟ قال : قد اسود ماينى وبينه من الكتائب .

قال ابن عباس : والله لو تحرك لأخذته الملائكة والناس ينظرون إليه .

وقال ابن جرير حدثنا ابن عبد الأعلى ، حدثنا المعتمر ، عن أبيه ، عن نعيم بن أبي هند ، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة . قال : قال أبو جهل : هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم ؟ قالوا : نعم .

قال : فقال : واللات والعزى لئن رأيت يصلى كذلك لأطأن على رقبتة ، ولأعفرن وجهه بالتراب . فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى ليطأ على رقبتة ، قال : فما فجأهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه ، ويتقى بيديه .

قال : فقبل له : مالك ؟ قال : إن بينى وبينه خندقا من نار وهو لا وأجنحة .

قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو دنا منى لاختطفته الملائكة عضواً عضواً » .

قال : وأنزل الله تعالى - لا أدري فى حديث أبي هريرة أم لا - « كلاً إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى » إلى آخر السورة .

وقد رواه أحمد ومسلم والنسائي وابن أبي حاتم والبيهقي من حديث معتمر بن سليمان ابن طرخان التيمى ، به .

وقال الإمام أحمد : حدثنا وهب بن جرير ، حدثنا شُعْبَةُ ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو ابن ميمون ، عن عبد الله قال : مارأيت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم دعا على قریش غير يوم واحد ، فإنه كان يصلى ورهطاً من قریش جلوس ، وسلاً جزور قريب منه . فقالوا : من يأخذ هذا السَّلاَ فيأقيه على ظهره ؟ فقال عقبه بن أبي معيط : أنا . فأخذه فألقاه على ظهره . فلم يزل ساجداً حتى جاءت فاطمة فأخذته عن ظهره . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم عليك بهذا الملاء من قریش ، اللهم عليك بعقبة بن ربيعة ، اللهم عليك بشيبة بن ربيعة ، اللهم عليك بأبي جهل بن هشام ، اللهم عليك بعُقْبَةُ ابن أبي معيط ، اللهم عليك بأبي بن خلف - أو أمية بن خلف - » شُعْبَةُ الشَّاكُّ .

قال عبد الله : فلقد رأيتهم قتلوا يوم بدر جميعاً ، ثم سحبوا إلى القليب غير أبي ، أو أمية بن خلف ، فإنه كان رجلاً ضخماً فتقطع .

وقد رواه البخارى فى مواضع متعددة من صحيحه ، ومسلم من طرق عن ابن إسحاق به .

والصواب : أمية بن خلف ، فإنه الذى قتل يوم بدر ، وأخوه أبى إنما قتل يوم أحد كما سيأتى بيانه . والسَّلا : هو الذى يخرج مع ولد الناقة كالمشيمة لولد المرأة .

وفى بعض ألفاظ الصحيح أنهم لما فعلوا ذلك استضحكوا حتى جعل بعضهم يميل على بعض ، أى يميل هذا على هذا من شدة الضحك . لغتهم الله .

وفيه : أن فاطمة لما ألقته عنه أقبلت عليهم فسبَّتْهم ، وأنه صلى الله عليه وسلم لما فرغ من صلاته رفع يديه يدعو عليهم ، فلما رأوا ذلك سَكَنَ عنهم الضحك ، وخافوا دعوته ، وأنه صلى الله عليه وسلم دعا على الملاء منهم جملةً ، وعيَّن فى دعائه سبعة ، وقع فى أكثر الروايات تسمية ستة منهم : وهم عُتْبَةُ ، وأخوه شَيْبَةُ ، ابنا ربيعة

والوليد بن عُتبَة ، وأبو جهل بن هشام ، وعُتبَة بن أبي مُعِيط ، وأمّيةُ بن خلف . قال ابن إسحاق : ونسيت السابغ . قلت : وهو عُمارَة بن الوليد ، وقع تسميته في صحيح البخارى . *

قصة الإراشى

قال يونس بن بُكَيْر : عن محمد بن إسحاق ، حدثنا عبد الملك بن أبي سُفيان الثَّقَفِي قال : قَدِمَ رجلٌ من إراشٍ بإبلٍ له إلى مكة ، فابْتاعَها منه أبو جهل بن هشام ، فمُطَلَه بِأَتَمَانِها ، فَأَقْبَلَ الإِراشِي حَتَّى وَقَفَ عَلَى نَادَى قَرِيشٍ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسٌ فِي نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ ، فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ قَرِيشٍ مَنْ رَجُلٌ يُعَدِّينِي عَلَى أَبِي الْحَكَمِ بْنِ هِشَامٍ ، فَإِنِّي غَرِيبٌ وَابْنُ سَبِيلٍ ، وَقَدْ غَلَبَنِي عَلَى حَقِّي .

فَقَالَ أَهْلُ الْمَجْلِسِ : تَرَى ذَلِكَ - إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - يَهْزَأُونَ بِهِ ^(١) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، مَا يَعْلَمُونَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِي جَهْلٍ مِنَ الْعَدَاوَةِ - أَذْهَبَ إِلَيْهِ فَهُوَ يُؤَدِّيكَ ^(٢) عَلَيْهِ . فَأَقْبَلَ الإِراشِي حَتَّى وَقَفَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ ، فَقَامَ مَعَهُ ، فَلَمَّا رَأَوْهُ قَامَ مَعَهُ قَالُوا الرَّجُلُ مِمَّنْ مَعَهُمْ : اتَّبِعْهُ فَانْظُرْ مَا يَصْنَعُ .

فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى جَاءَهُ فَضْرَبَ عَلَيْهِ بَابَهُ . فَقَالَ : مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : مُحَمَّدٌ فَاخْرُجْ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ وَمَا فِي وَجْهِهِ قَطْرَةٌ دَمٍ ، وَقَدْ انْتَقَعَ لَوْنُهُ . فَقَالَ : أَعْطِ هَذَا الرَّجُلَ حَقَّهُ . قَالَ : لَا تَبْرَحْ حَتَّى أَعْطِيَهُ الَّذِي لَهُ . قَالَ : فَدَخَلَ فَخَرَجَ إِلَيْهِ بِحَقِّهِ فَدَفَعَهُ إِلَيْهِ ، ثُمَّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ لِلْإِراشِيِّ : الْحَقُّ لَشَأْنِكَ . فَأَقْبَلَ الإِراشِي حَتَّى وَقَفَ عَلَى ذَلِكَ الْمَجْلِسِ فَقَالَ : جَزَاهُ اللَّهُ خَيْرًا ، فَقَدْ أَخَذْتُ الَّذِي لِي .

(١) الأصل : يهزون . ولا معنى لها . (٢) كذا ، ولعلها يعديك .

وجاء الرجل الذى بعثوا معه فقالوا : ويحك ماذا رأيت ؟ قال : عجبا من العجب ! والله ما هو إلا أن ضرب عليه بابه فخرج وما معه رُوحه ، فقال : أعط هذا الرجل حقه . فقال : نعم لا تبرح حتى أخرج إليه حقه . فدخل فأخرج إليه حقه فأعطاه . ثم لم يلبث أن جاء أبو جهل فقالوا له : وبلك مالك ! فوالله ما رأينا مثل ما صنعت .

فقال : ويحكم : والله ما هو إلا أن ضرب على بابى وسمعت صوته فلبثت رعبا ، ثم خرجت إليه وإن فوق رأسه لفحلا من الإبل ما رأيت مثل هامته ، ولا قصرتة ولا أنيابها لفحل قط ، فوالله لو أبيت لأكفى .

فصل

وقال البخارى : حدثنا عَيَّاش بن الوليد ، حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثنى الأوزاعى ، عن يحيى بن أبى كثير ، عن محمد بن إبراهيم التيمى ، حدثنى عروة بن الزبير ، سألت ابن [عمر بن] ^(١) العاص فقلت : أخبرنى بأشدّ شيء صنعه المشركون برسول الله .

قال : بينما النبى صلى الله عليه وسلم يصلى فى حجر الكعبة ، إذ أقبل عليه عقبة بن أبى معيط فوضع ثوبه على عنقه ^(٢) فخنقه خنقا شديداً .

فأقبل أبو بكر رضى الله عنه حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن النبى صلى الله عليه وسلم وقال : « أتقتلون رجلاً أن يقول ربّى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم » الآية .

تابعه ابن إسحاق قال : أخبرنى يحيى بن عروة ، عن أبيه ، قال : قلت لعبد الله بن عمرو .

وقال عبدة : عن هشام ، عن أبيه قال : قيل لعمر بن العاص . وقال محمد بن عمرو : عن أبى سلمة ، حدثنى عمرو بن العاص .

(٢) البخارى : فى عنقه .

(١) من البخارى ١٨٢/٢

قال البيهقي وكذلك رواه سليمان بن بلال عن هشام بن عروة كما رواه عتبة .
انفرد به البخاري . وقد رواه في أماكن من صحيحه ، وصرح في بعضها بعبد الله بن عمرو بن العاص ، وهو أشبه لرواية عروة عنه ، وكونه عن عمرو أشبه لتقدم هذه القصة .

وقد روى البيهقي عن الحاكم ، عن الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبار ، عن يونس ، عن محمد بن إسحاق ، حدثني يحيى بن عروة ، عن أبيه عروة قال : قلت لعبد الله بن عمرو ابن العاص : ما أكثر ما رأيت قريشا أصابت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما كانت تظهره من عداوته ؟ فقال : لقد رأيتهم وقد اجتمع أشرافهم يوما في الحجر ، فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : مارأينا مثل ماصبرنا عليه من هذا الرجل قط ، سفه أحلامنا وشم آباءنا ، وعاب ديننا ، وفرق جماعتنا ، وسب آلهتنا ، وصبرنا منه على أمر عظيم . أو كما قالوا .

قال : فينما هم في ذلك طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأقبل يمشي حتى استلم الركن ، ثم مر بهم طائفاً بالبيت فغمزوه ببعض القول ، فعرفت ذلك في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم . فمضى ، فلما مر بهم الثانية غمزوه بمثلها ، ففرقتها في وجهه . فمضى ، فمر بهم الثالثة فغمزوه بمثلها .

فقال : « أستمعون يا معشر قريش ؟ أما والذي نفسي بيده لقد جئتكم بالذبح » .
فأخذت القوم كلته ، حتى مامنهم من رجل إلا وكأنما على رأسه طائر وقع ، حتى إن أشدهم فيه وصاة قبل ذلك ليرفأه ^(١) حتى إنه ليقول : انصرف أبا القاسم راشداً فما كنت بجهول . فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(١) يرفأه : يترضاه .

حتى إذا كان الغد اجتمعوا في الحجر وأنا معهم ، فقال بعضهم لبعض : ذكرتم ما بَلَغَ منكم وما بَلَغَكم عنه . حتى إذا بادأكم بما تسكروهن تركتموه !
فبينما هم على ذلك طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم فوثبوا إليه وثبة رجل واحد فأحاطوا به يقولون : أنت الذي تقول كذا وكذا ؟ ! لما كان يبلغهم من عيب آلهتهم ودينهم .

فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نعم أنا الذي أقول ذلك » .
ولقد رأيت رجلا منهم أخذ بجامع رداءه ، وقام أبو بكر يبكي دونه ويقول :
ويلكم (أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله) ثم انصرفوا عنه .
فإن ذلك لأكبر ما رأيت قريشا بلغت منه قط .

فصل

في تأليب الملاء من قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه
واجتماعهم بعمه أبي طالب القائم في منعه ونصرته ، وحرصهم عليه أن يُسلمه إليهم
فأبى عليهم ذلك بحول الله وقوته

قال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، عن حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس قال :
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد أُوذيتُ في الله وما يؤذى أحد ، وأُخِفْتُ في
الله وما يخاف أحد ، ولقد أتت عليّ ثلاثون من بين يوم وليلة ومالي وإبلالي ما يأكله
ذو كبد إلا ما يوارى إبط بلال ! » .

وأخرجه الترمذي وابن ماجه من حديث حماد بن سلمة به ، وقال الترمذي :

حسن صحيح .

وقال محمد بن إسحاق : وَحَدِّبْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَمَّهُ أَبُو طَالِبٍ وَمَنْعَهُ وَقَامَ دُونَهُ .

ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمر الله مظهرًا لدينه لا يرده عنه شيء .

فلما رأت قريش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يُعْتَبَهُمْ مِنْ شَيْءٍ أَنْكَرُوهُ عَلَيْهِ مِنْ فِرَاقِهِمْ وَعَتَبَ آلَهُتَهُمْ ، وَرَأَوْا أَنَّ عَمَّهُ أَبُو طَالِبٍ قَدْ حَدِّبَ عَلَيْهِ وَقَامَ دُونَهُ فَلَمْ يُسَلِّمَهُ لَهُمْ ، مَشَى رِجَالٌ مِنْ أَشْرَافِ قَرِيشٍ إِلَى أَبِي طَالِبٍ : عُتْبَةُ وَشَيْبَةُ ابْنَا رَبِيعَةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ ، ابْنُ عَبْدِ مَنَافٍ بْنِ قُصَيٍّ ، وَأَبُو سَفْيَانَ صَخْرُ بْنُ حَرْبٍ بْنُ أُمَيَّةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ ، وَأَبُو الْبَخْتَرِيِّ ، وَاسْمُهُ الْعَاصُ بْنُ هِشَامٍ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ أَسَدَ بْنِ عَبْدِ الْعَزَى بْنِ قُصَيٍّ ، وَالْأَسْوَدُ بْنُ الْمُطَّلَبِ بْنِ أَسَدَ بْنِ عَبْدِ الْعَزَى ، وَأَبُو جَهْلٍ ، وَاسْمُهُ عَمْرُو بْنُ هِشَامٍ بْنُ الْمُغِيرَةِ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِ بْنِ مَخْزُومٍ ، وَالْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِ بْنِ مَخْزُومٍ ابْنُ يَقْظَةَ بْنِ مُرَّةَ بْنِ كَعْبٍ بْنِ لُؤَيٍّ ، وَنَبِيَّهُ وَمُتَّبِعُهُ ، ابْنُ الْحَجَّاجِ بْنِ عَامِرٍ بْنُ حَذِيفَةَ بْنِ سَعِيدٍ بْنِ سَهْمٍ بْنِ عَمْرُو بْنِ هُصَيْنٍ بْنِ كَعْبٍ بْنِ لُؤَيٍّ ، وَالْعَاصُ بْنُ وَائِلٍ بْنِ سَعِيدٍ بْنِ سَهْمٍ . قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : أَوْ مِنْ مَشَى مِنْهُمْ .

فَقَالُوا : يَا أَبَا طَالِبٍ إِنَّ ابْنَ أَخِيكَ قَدْ سَبَّ آلَهُتَنَا ، وَعَابَ دِينَنَا وَسَفَّهَ أَحْلَامَنَا ، وَضَلَّلَ آبَاءَنَا ، فَإِمَّا أَنْ تَكْفِّهَ عَنَّا ، وَإِمَّا أَنْ تُحَلِّيَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ ، فَإِنَّكَ عَلَى مِثْلِ مَا نَحْنُ عَلَيْهِ مِنْ خِلَافِهِ ، فَتَكْفِيكَهُ .

فَقَالَ لَهُمْ أَبُو طَالِبٍ قَوْلًا رَفِيقًا ، وَرَدَّهُمْ رَدًّا جَمِيلًا ، فَانصَرَفُوا عَنْهُ .

ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما هو عليه ، يُظْهِرُ دِينَ اللَّهِ وَيَدْعُو إِلَيْهِ .

ثم شَرِي^(١) الأمر بينهم وبينه حتى تباعد الرجال وتضاعفوا .
وأكثر قريش ذِكرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بينها ، فتذامرُوا فيه وحَصَّ بعضهم بعضاً عليه .

ثم إنهم مشوا إلى أبي طالب مرة أخرى ، فقالوا : يا أبا طالب إن لك سنّاً وشرفاً ومنزلةً فينا ، وإنا قد استهنيناك من ابن أخيك فلم تَمْه عنا ، وإنا والله لا نصبر على هذا مِنْ شَتْمِ آبائنا ، وتسفيه أحلامنا ، وعَيْبِ آلِهتنا حتى تكفَّه عنا ، أو ننازله وإياك في ذلك حتى يهلك أحد الفريقين . أو كما قالوا . ثم انصرفوا عنه .

فعظُم على أبي طالب فراقُ قومه وعداوتهم ولم يَطِبْ نفساً بإسلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا خُذْلانه .

قال ابن إسحاق : وحدثني يعقوب بن عُتْبَة بن المغيرة بن الأخنس ، أنه حَدَّثَ أن قريشاً حين قالوا لأبي طالب هذه المقالة بعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : يا ابن أخى إن قومك قد جاءوني فقالوا كذا وكذا ، للذى قالوا له ، فأبق علىّ وعلى نفسك ولا تحمّلنى من الأمر مالا أطيع .

قال : فظن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قد بداَ لعمه فيه بدو^(٢) وأنه خاذله ومُسلّمه وأنه قد ضعف عن نصرته والقيام معه .

قال : فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا عم والله لو وضعوا الشمس في يمينى ، والقمر في يسارى على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله ، أو أهلك فيه ما تركته » .

قال : ثم استعَبَّر رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكى ثم قام !

(١) شَرِي : اشتد .

(٢) ابن هشام والمراجع : بداء .

فلما وَلَّى ناداه أبو طالب فقال : أَقْبِلْ يَا بْنَ أَخِي . فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : اذْهَبْ يَا بْنَ أَخِي فَقُلْ مَا أَحْبَبْتَ فَوَ اللَّهِ لَا أَسْلَمْتُكَ لشيءٍ أَبَدًا .

قال ابن إسحاق : ثُمَّ إِنَّ قَرِيشًا حِينَ عَرَفُوا أَنَّ أَبَا طَالِبٍ قَدْ أَبَى خُذْلَانَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِسْلَامَهُ ، وَإِجْمَاعَهُ لِفِرَاقِهِمْ فِي ذَلِكَ وَعِدَاوَتِهِمْ ^(١) ، مَشَوْا إِلَيْهِ بِعُمَارَةَ ابْنِ الْوَلِيدِ بْنِ الْمَغِيرَةِ ، فَقَالُوا لَهُ ، فِيمَا بَلَغْنِي : يَا أَبَا طَالِبٍ هَذَا عُمَارَةُ بْنُ الْوَلِيدِ أَنَّهُدُ فِتْيَ قَرِيشٍ وَأَجْمَلَهُ ، نَخَذُهُ فَلكَ عَقْلُهُ وَنَضْرُهُ ، وَاتَّخَذَهُ وَلَدًا فَهُوَ لَكَ ، وَأَسْلَمَ إِلَيْنَا ابْنُ أَخِيكَ هَذَا الَّذِي قَدْ خَالَفَ دِينَكَ وَدِينَ آبَائِكَ ، وَفَرَّقَ جَمَاعَةَ قَوْمِكَ ، وَسَفَّ أَحْلَامَنَا فَتَقْتَلُهُ ، فَإِنَّمَا هُوَ رَجُلٌ بِرَجُلٍ !

قال : وَاللَّهِ لَبِئْسَ مَا تَسْمُونَنِي ! أَتَعْطُونَنِي ابْنَكُمْ أَغْذُوهُ لَكُمْ ، وَأَعْطِيَكُمْ ابْنِي فَتَقْتُلُونَهُ ! هَذَا وَاللَّهِ مَا لَا يَكُونُ أَبَدًا .

قال : فَقَالَ الْمُطْعَمُ بْنُ عَدَى بْنُ نَوْفَلِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ بْنُ قُصَى : وَاللَّهِ يَا أَبَا طَالِبٍ لَقَدْ أَنْصَفَكَ قَوْمُكَ وَجَهَدُوا عَلَى التَّخْلِصِ مِمَّا تَكْرَهُ ، فَمَا أَرَاكَ تَرِيدُ أَنْ تَقْبَلَ مِنْهُمْ شَيْئًا .

فَقَالَ أَبُو طَالِبٍ لِلْمُطْعَمِ : وَاللَّهِ مَا أَنْصَفُونِي ، وَلَكِنَّكَ قَدْ أَجْمَعْتَ خُذْلَانِي وَمُظَاهَرَةَ الْقَوْمِ عَلَيَّ ، فَاصْنَعْ مَا بَدَأَ لَكَ . أَوْ كَمَا قَالَ .

فَحَقَّبَ الْأَمْرَ ، وَحَمَيْتِ الْحَرْبُ ، وَتَنَابَذَ الْقَوْمُ ، وَنَادَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا .

فَقَالَ أَبُو طَالِبٍ عِنْدَ ذَلِكَ يَعْرِضُ بِالْمُطْعَمِ بْنِ عَدَى وَيَعْمُ مِنْ خُذْلِهِ مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ وَمَنْ عَادَاهُ مِنْ قِبَائِلِ قَرِيشٍ ، وَيَذْكُرُ مَا سَأَلُوهُ وَمَا تَبَاعَدَ مِنْ أَمْرِهِمْ :

(١) الْأَصْلُ : وَعِدَاوَتُهُ . وَهُوَ تَحْرِيفٌ وَمَا أَثْبَتَهُ عَنْ ابْنِ هِشَامٍ .

أَلَا قُلْ لِعَمْرٍو وَالْوَلِيدِ وَمُطْعِمٍ أَلَا لَيْتَ حَظِّيَ مِنْ حَيَاتِكُمْ بَكْرٌ^(١)
 مِنْ الْخُورِ حَبَابٌ^(٢) كَثِيرٌ رُغَاوُهُ يُرْسُ عَلَى السَّاقِينَ مِنْ بَوْلِهِ قَطْرٌ
 تَخَافُ خَلْفَ الْوَرْدِ لَيْسَ بِإِلَاحِ إِذَا مَا عَلَا الْفِيَاءُ^(٣) قِيلَ لَهُ وَبَرٌ
 أَرَى أَخَوَيْنَا مِنْ أَيْنَا وَأَمْنَا إِذَا سُئِلَا قَالَا إِلَى غَيْرِنَا الْأَمْرُ
 بَلَى لَهَا أَمْرٌ وَلَكِنْ تَجَرَّجَا كَمَا جُرَجْتَ مِنْ رَأْسِ ذِي عَلَقِ الصَّخْرُ^(٤)
 أَخَصُّ خُصُوصًا عَبْدَ شَمْسٍ وَنُوفَلَا هَا نَبْذَانَا مَثَلُ مَا نَبْذِ الْجُرُ
 هَا أَغْمَزَا لِلْقُومِ فِي أَخَوَيْهِمَا فَقَدْ أَصْبَحَا مِنْهُمْ أَكْفَهُمَا صَفْرٌ
 هَا أَشْرَكََا فِي الْمَجْدِ مَنْ لَا أَبَا لَهُ مِنَ النَّاسِ إِلَّا أَنْ يُرْسَ^(٥) لَهُ ذِكْرٌ
 وَتَيْمٌ وَخُزُومٌ وَزُهْرَةٌ مِنْهُمْ وَكَانُوا لَنَا مَوْلَى إِذَا بُغِيَ النَّصْرُ
 فَوَاللَّهِ لَا تَنْفَكُ مِنَّا عُدَاوَةٌ وَلَا مِنْكُمْ مَا دَامَ مِنْ نَسْلِنَا شَفْرٌ^(٦)

فصل

في مبالغتهم في الأذية لآحاد المسلمين المستضعفين

قال ابن إسحاق : ثم إن قريشاً تذاًمروا بينهم على من في القبائل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين أسلموا معه .

فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم .
 ومنع الله منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعهه أبي طالب .

(١) أي أن بكرأ من الإبل أنفع لي منكم ، فليت لي بدلا من حياتكم . . (٢) الخور : الضعاف ،
 والحجاب : الصغير . (٣) الفياء : الصحراء . والوبر : دوية كالسنور .
 (٤) الأصل : تجرجا : محرفة ، وما أثبتته من ابن هشام . وتجرجم : سقط وانحدر . وذو علق : جيل
 في ديار بى أسد . (٥) يرس : يعرف . (٦) شفر بفتح الشين وضما : أحد .

وقد قام أبو طالب حين رأى قريشاً يصنعون ما يصنعون في بني هاشم وبني عبد المطلب ، فدعاهم إلى ما هو عليه من منع رسول الله صلى الله عليه وسلم والقيام دونه ، فاجتمعوا إليه وقاموا معه وأجابوه إلى ما دعاهم إليه ، إلا ما كان من أبي لهب عدو الله .

فقال في ذلك يمدحهم ويحزّضهم على ما وافقوه عليه من الحدب والنصرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

إذا اجتمعت يوماً قريشٌ لمفخرٍ	فعبدُ منافٍ سِرُّها وصميمُها
وإنْ حُصِّلَتْ أشرافُ عبدٍ منافِها	ففي هاشمٍ أشرافُها وقديمُها
وإنْ نَفَرَتْ يوماً فإنْ محمداً	هو المصطفى من سِرِّها وكريمِها
تداعتْ قريشٌ غُثمُها وسمينِها	علينا فلم تظفر وطاشت حلومِها
وكنّا قديماً لا نقرُّ ظلاماً	إذا ما ثَنَوْا صُغَرَ الرقابِ نُقيمِها
ونحْمى حماها كل يومٍ كرهيةٍ	ونضرب عن أحجارها من يرومِها
بنا انتعش العود الذواء وإنما	بأ كفافنا تَنَدَى وتَنَمَى أرومِها

فصل

فما اعترض به المشركون على رسول الله صلى الله عليه وسلم وما تعذّبوا له في أسئلتهم إياه أنواعاً من الآيات وخرق العادات على وجه العناد ، لا على وجه طلب الهدى وانرشاد

فهذا لم يُجابوا إلى كثير مما طلبوا ولا ما إليه رغبوا ، لعلم الحق سبحانه أنهم لو عاينوا وشاهدوا ما أرادوا الاستمروا في طغيانهم يعمهون ، ولظنوا في غيهم رضاهم يتردّون .

قال الله تعالى « وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لِيُؤْمِنُوا بِهَا ، قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ ، وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ، وَنُقَلِّبُ أَفْقَدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَالْمُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ، وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَاهُ إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ ^(١) » .

وقال تعالى : « إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ^(٢) » .

وقال تعالى : « وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ ، وَآتَيْنَا مُوَدَّ النَّاقَةِ مَبْصُرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ^(٣) » .

وقال تعالى « وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ، أَوْ تُكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ، أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قِيبِلًا ، أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرَفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ ، وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تَنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُوهُ . قُلْ : سُبْحَانَ رَبِّيْ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ^(٤) » .

وقد تكلمنا على هذه الآيات وما يشابهها في أماكنها في التفسير والله الحمد .

وقد روى يونس وزبياد ^(٥) عن ابن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، وهو شيخ من أهل مصر يقال له محمد بن أبي محمد ، عن سعيد بن جبيرة وعكرمة ، عن ابن عباس قال : اجتمع عليّ من أشرف قريش ، وعدد أسماءهم ، بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة فقال بعضهم لبعض : ابعثوا إلى محمد فكلّموه ، وخاصموه حتى تُعذروا فيه .

(١) سورة الأنعام ١٠٩-١١١ . (٢) سورة يونس ٩٦-٩٧ . (٣) سورة الإسراء ٥٩ .
(٤) سورة الإسراء ٩٠-٩٣ . (٥) يونس بن بكير ، وزيد البكائي ، وهما راوي السيرة عن ابن إسحاق

فبعثوا إليه : إن أشراف قومك قد اجتمعوا لك ليكلموك .

فجاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سريعا ، وهو يظن أنه قد بدّأهم في أمره بدو ، وكان حريصا يحب رشدهم ويعزّز عليه عنّتهم ، حتى جالس إليهم .

فقالوا : يا محمد إنا قد بعثنا إليك لنعذر فيك ، وإنا والله لا نعلم رجلا من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك ، لقد شتمت الآباء ، وعبت الدين ، وسفّعت الأحلام ، وشتمت الآلهة وفرقت الجماعة ، وما بقى من قبيح إلا وقد جئته فيما بيننا وبينك .

فإن كنت إنما جئت بهذا الحديث تطلب مالا جمعنا لك من أموالنا ، حتى تكون أكثرنا مالا ، وإن كنت إنما تطلب الشرف فينا سوّدناك علينا ، وإن كنت تريد منك ما مكنّاك علينا ، وإن كان هذا الذى يأتيك بما يأتيك ربيّا تراه قد غلب عليك ، وكانوا يسمون التابع من الجن الرّبيّ - فربما كان ذلك ؛ بذلنا أموالنا في طلب الطب حتى نبرئك منه أو نعذر فترك .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما بى ماتقولون ، ماجئتمكم بما جئتمكم به أطلب أموالكم ، ولا الشرف فيكم ، ولا الملك عايكم ، ولكن الله بعثنى إليكم رسولا ، وأنزل علىّ كتابا ، وأمرنى أن أكون لكم بشيرا ونذيرا ، فبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ، فإن تقبلوا منى ماجئتمكم به فهو حظكم من الدنيا والآخرة ، وإن تردّوه علىّ أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بينى وبينكم » . أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقالوا : يا محمد فإن كنت غير قابلٍ منا ماعرضا عليك فقد علمت أنه ليس أحد من الناس أضيقَ بلاداً ، ولا أقلّ مالا ، ولا أشدّ عيشا منا ، فسألنا ربك الذى بعثك

بما بعثك به فليسير عنا هذه الجبال التي قد ضيقت علينا ، ولييسط لنا بلادنا ، وليجر فيها أنهاراً كأنهار الشام والعراق ، وليبعث لنا من مضي من آبائنا ، وليكن فيما يبعث لنا منهم قصي بن كلاب ، فإنه كان شيخاً صدوقاً فنسألك عما تقول : أحق هو أم باطل ؟

فإن فعلت ما سألتك وصدقتك ، صدقتك وعرفنا به منزلتك عند الله ، وأنه بعثك رسولا كما تقول .

فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما بهذا بُعثت ، إنما جئتكم من عند الله بما بعثني به ، فقد بلغتكم ما أرسلت به إليكم ، فإن تقبلوه فهو حظكم في الدنيا والآخرة ، وإن تردوه على أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم » .

قالوا : فإن لم تفعل لنا هذا فخذ لنفسك ، فسل ربك أن يبعث لنا ملكاً يصدقك بما تقول ، ويراجعنا عنك ، وتسأله فيجعل لنا جناناً وكنوزاً وقصوراً من ذهب وفضة ، ويفنيك عما نراك تبغى ، فإنك تقوم في الأسواق وتلتبس المعاش^(١) كما نلتمسه ، حتى نعرف فضل منزلتك من ربك إن كنت رسولا كما تزعم .

فقال لهم : « ما أنا بفاعل ، ما أنا بالذي يسأل ربه هذا ، وما بُعثت إليكم بهذا ، ولكن الله بعثني بشيراً ونذيراً ، فإن قبلوا ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة ، وإن تردوه على أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم » .

قالوا : فأسقط السماء كما زعمت أن ربك إن شاء فعل ، فإننا لن نؤمن لك إلا أن تفعل .

فقال : « ذلك إلى الله إن شاء فعل بكم ذلك » .

فقالوا : يا محمد ما علم ربك أنا سنجلس معك ونسألك عما سألتك عنه ، ونطلب

(١) الأصل : المعاش محرفة . وما أثبتته عن ابن هشام .

منك ما نطلب ، فيتقدم إليك ويعلمك ماتراجعنا به ويخبرك ما هو صانع في ذلك بنا إذا لم نقبل منك ما جئتنا به .

فقد بلغنا أنه إنما يعلمك هذا رجلٌ باليمامة يقال له الرحمن ، وإنا والله لا نؤمن بالرحمن أبداً ، فقد أعذرنا إليك يا محمد ، أما والله لا نتركك وما فعات بنا حتى نهلكك أو تهلكنا .

وقال قائمهم : نحن نعبد الملائكة وهى بنات الله وقال قائمهم : لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله والملائكة قبيلا .

فلما قالوا ذلك قام رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم وقام معه عبد الله بن أبي أمية ابن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وهو ابن عمته عائكة بنت عبد المطلب ، فقال : يا محمد عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله ، ثم سألوك لأنفسهم أموراً ليعرفوا بها منزلتك من الله فلم تفعل ، ثم سألوك أن تعجل ما تخوفهم به من العذاب ، فوالله لا أؤمن لك أبداً حتى تتخذ إلى السماء سُلماً ، ثم ترقى منه وأنا أنظر حتى تأتينا ، وتأتى معك بنسخة منشورة ، ومعك أربعة من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول . وأيم الله لو فعلت ذلك لظننت أنى لا أصدقك .

ثم انصرف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهله حزينا أسفا لما فاتته مما^(١) طمع فيه من قومه حين دعوته ، ولمّا رأى من مُباعدتهم إياه .

وهذا المجلس الذى اجتمع عليه هؤلاء الملاء مجلسٌ ظلم وعدوان وعناد ، ولهذا

(١) الأصل : بما . محرفة ، والعبارة فى ابن هشام : مما كان يطمع به من قومه .

اقتضت الحكمة الإلهية والرحمة الربانية ألا يجابوا إلى ما سألوا ، لأن الله علم أنهم لا يؤمنون بذلك فيعاجلهم بالعذاب .

كما قال الإمام أحمد : حدثنا عثمان بن محمد ، حدثنا جرير ، عن الأعمش ، عن جعفر بن إياس ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : سأل أهل مكة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجعل لهم الصفا ذهباً ، وأن ينحى عنهم الجبال فيزدرعوا ، ف قيل له : إن شئت أن تستأني بهم ، وإن شئت أن تؤتيهم الذي سألوا فإن كفروا هلكوا كما أهلك من قبلهم الأمم .

قال : « لا بل أستأني بهم » .

فأنزل الله تعالى : « وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون ، وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات إلا تخويفاً ^(١) » .

وهكذا رواه النسائي من حديث جرير .

وقال أحمد : حدثنا عبد الرحمن ، حدثنا سفيان ، عن سلمة بن كهيل ، عن عمران ابن حكيم ، عن ابن عباس ، قال : قالت قريش للنبي صلى الله عليه وسلم : ادع لنا ربك يجعل لنا الصفا ذهباً ونؤمن بك . قال : وتفعلا ؟ قالوا : نعم .

قال : فدعا ، فاتاه جبريل فقال : إن ربك يقرأ عليك السلام ويقول لك : إن شئت أصبح الصفا لهم ذهباً ، فمن كفر منهم بعد ذلك أعذبه عذاباً لا أعذبه أحدًا من العالمين ، وإن شئت فتحت لهم باب الرحمة والتوبة .

قال : « بل التوبة والرحمة » .

وهذان إسنادان جيدان ، وقد بناءً مرسلان عن جماعة من التابعين منهم سعيد بن جبيرة وقتادة وابن جريج ، وغير واحد .

وروى الإمام أحمد والترمذي من حديث عبد الله بن المبارك ، حدثنا يحيى بن أيوب ، عن عبيد الله بن زحر ، عن علي بن يزيد ، عن القاسم ، عن ^(١) أبي أمامة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « عَرَضَ عَلَيَّ رَبِّي عِزَّوَجَلَّ أَنْ يَجْعَلَ لِي بَطْحَاءَ مَكَّةَ ذَهَبًا ، فَقُلْتُ : لَا يَأْرَبُ ، أَشْبَعُ يَوْمًا وَأَجُوعُ يَوْمًا ، أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ ، فَإِذَا جُعْتُ تَضَرَّعْتُ إِلَيْكَ وَذَكَرْتُكَ ، وَإِذَا شَبِعْتُ حَمَدْتُكَ وَشَكَرْتُكَ » .

لفظ أحمد . وقال الترمذي : هذا حديث حسن ، وعلى بن يزيد يضعف في الحديث .

وقال محمد بن إسحاق : حدثني شيخ من أهل مصر ، قدم علينا منذ بضع وأربعين سنة ، عن عسكرمة ، عن ابن عباس قال : بعثت قريش النضر بن الحارث ، وعقبة ابن أبي معيط ، إلى أحبار يهود بالمدينة ، فقالوا لهما : سلوهم عن محمد وصفاً لهم صفته ، وأخبراهم بقوله ، فإنهم أهل الكتاب الأول ، وعندهم علم ما ليس عندنا من علم الأنبياء .

فخرجوا حتى قدما المدينة ، فسألا أحبار يهود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ووصفاً لهم أمره وبعض قوله ، وقالوا : إنكم أهل التوراة ، وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا .

(١) الأصل بن أبي أمامة . وهو تحريف . وهو القاسم بن عبد الرحمن ، لم يرو إلا عن أبي أمامة من الصحابة .

قال : فقالت لهم أخبار يهود : سلوه عن ثلاث نأمركم بهن ، فإن أخبركم بهن ، فهو نبي مرسل ، وإن لم يفعل فهو رجل متقوّل فروا فيه رأيكم .
سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان من أمرهم ؟ فإنه قد كان لهم حديث عجيب .

وسلوه عن رجل طواف طاف مشارق الأرض ومغاربها ما كان [نبؤه]^(١) ؟
وسلوه عن الروح ما هي ؟

فإن أخبركم بذلك فهو نبي فاتبعوه ، وإن لم يخبركم فإنه رجل متقوّل ، فاصنعوا في أمره ما بدا لكم .

فأقبل النَّضر وعُقبه حتى قدِمَا على قريش فقالا : يا معشر قريش قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد ، قد أمرنا أخبار يهود أن نسأله عن أمور . فأخبرهم بها .
فجاءوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا محمد أخبرنا . فسألوه عما أمروهم به .
فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أخبركم غداً بما سألتهم عنه » .
ولم يستثن .

فانصرفوا عنه ، ومكث رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس عشرة ليلة لا يُحدث له في ذلك وحياً ، ولا يأتيه جبريل حتى أُرْجِفَ أهل مكة وقالوا : وعدنا محمد غداً ، واليوم خمس عشرة ليلة قد أصبحنا فيها لا يخبرنا بشيء مما سألناه عنه . وحتى أحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم مُكثُ الوحي عنه ، وشقَّ عليه ما يتكلم به أهل مكة .

ثم جاءه جبريل عليه السلام من الله عز وجل بسورة الكهف ، فيها مغابته إياه على

(١) من ابن هشام .

حزنه عليهم [وخبر] ^(١) ما سألوه عنه من أمر الفتية والرجل الطَّواف ، وقال الله تعالى :
« وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ، قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ، وما أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ
إِلَّا قَلِيلًا » .

وقد تكلمنا على ذلك كله في التفسير مطولا ، فمن أرادَه فعليه بكشفه
من هناك .

ونزل قوله : « أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ
آيَاتِنَا عَجَبًا » .

ثم شرع في تفصيل أمرهم ، واعترض في الوسط بتعليمه الاستثناء تحقيقا لا تعليقاً
في قوله « وَلَا تَقُولَنَّ لشيءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ، وَاذْكُرْ رَبَّكَ
إِذَا نَسِيتَ » .

ثم ذكر قصة موسى لتعلقها بقصة الخضر ، ثم ذى القرنين ، ثم قال : « وَيَسْأَلُونَكَ
عَنْ ذِي الْقُرْنَيْنِ ، قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا » ثم شرح أمره وحكى خبره .

وقال في سورة سبحان : « وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ، قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي » .
أى خَلْقٌ عَجِيبٌ مِنْ خَلْقِهِ ، وأمرٌ من أمره ، قال لها كوني فكانت ، وليس لكم
الاطلاعُ على كل ما خلقه ، وتصويرُ حقيقته في نفس الأمر يَصْعَبُ عَلَيْكُمْ بِالنِّسْبَةِ إِلَى
قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَحُكْمَتِهِ ، ولهذا قال : « وما أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا » .

وقد ثبت في الصحيحين أن اليهود سألوا عن ذلك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم
بالمدينة ، فتلا عليهم هذه الآية .

فإما أنها نزلت مرة ثانية أو ذكرها جواباً ، وإن كان نزولها متقدماً . ومن قال إنها إنما نزلت بالمدينة واستثنائها من سورة سبحان ففي قوله نظر . والله أعلم .

قال ابن إسحاق : ولما خشي أبو طالب دهم^(١) العرب أن يركبوه مع قومه ، قال قصيدته التي تعوذ فيها بحرم مكة وبمكانه منها ، وتودّد فيها أشراف قومه وهو على ذلك يخبرهم وغيرهم في شعره أنه غيرُ مُسلم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا تاركه لشيء أبداً حتى يهلك دونه . فقال :

ولما رأيتُ القومَ لا ودَّ فيهمُ	وقد قطعوا كلَّ العُرَى والوسائلِ
وقد صارحونا بالعداوةِ والأذى	وقد طأوعوا أمرَ العدوِّ المزائلِ
وقد حالفوا قومًا علينا أظنَّةً	يمضون غيظًا خلفنا بالأناملِ
صبرتُ لهم نفسي بسمراءَ سمحة	وأبيضَ عَضْبٍ من تُراثِ المقاولِ ^(٢)
وأحضرتُ عند البيتِ رهطِي وإخوتي	وأمسكتُ من أثوابه بالوصائلِ
قيامًا معاً مُستقبلين رِثاجَه	لدى حيثُ يقضي حلفه كلُّ نافلِ ^(٣)
وحيثُ يُنبيخ الأشعرون ركابهم	بمُفضي السيول من إسافٍ ونائلِ
موسمةَ الأعضاء أو قصراتها	مُخَيَّسةَ بين السِّديسِ وبازلِ ^(٤)
تري الودعَ فيها والرخامَ وزينةً	بأعناقها معقودةً كالعناكلِ ^(٥)

(١) ابن هشام : دهماء .

(٢) العَضْب : القاطع . والمقاول : الملوك .

(٣) النافل : التبري .

(٤) الموسمة : المعلقة . والقصرات : جمع قصرة ، وهي أصل العنق . والمخيسة : المذلة . والسديس من الإبل : الذي دخل في السنة الثامنة . والبازل : الذي خرج نابه ، وذلك في السنة التاسعة .

(٥) العناكل : الأغصان التي ينبت عليها التمر . واحداها عشكول ، وجمعها عناكيل ، وحذفت الباء للضرورة .

أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مِنْ كُلِّ طَاعِنٍ
وَمِنْ كَاشِحٍ يَسْعَى لِنَا بَمَعِيَةٍ
وَتَوْرٍ وَمَنْ أَرَسَى ثَبِيرًا مَكَانَهُ
وَبَالَيْتِ حَقَّ الْبَيْتِ مِنْ بَطْنِ مَكَّةِ
وَبِالْحَجَرِ الْمُسَوَّدِ إِذَا يَمْسُخُونَهُ
وَمَوْطِئِ إِبْرَاهِيمَ فِي الصَّخْرِ رَطْبَةً
وَأَشْوَاطِ بَيْنَ الْمَرْوَتَيْنِ إِلَى الصَّفَا
وَمَنْ حَجَّ بَيْتَ اللَّهِ مِنْ كُلِّ رَاكِبٍ
وَبِالشَّعْرِ الْأَقْصَى إِذَا عَمَدُوا لَهُ
وَتَوَقَّاهُمْ فَوْقَ الْجِبَالِ عَشِيَةً
وَلَيْلَةً جَمَعَ الْمَنَازِلَ مِنْ مِئَى
وَجَمَعَ إِذَا مَا الْمُقَرَّبَاتِ أَجَزَتْهُ
وَبِالْحَجَرَةِ الْكُبْرَى إِذَا صَمَدُوا لَهَا
وَكِنْدَةً إِذْ هُمْ بِالْحَصَابِ عَشِيَةً
حَلِيفَانِ شَدًّا عَقْدًا مَا احْتَلَفَا لَهُ
وَحَطَمَهُمْ سُمُرَ الرِّمَاحِ وَسَرَحَهُ

عَلَيْنَا بِسَوْءٍ أَوْ مُلِحٍّ بِبَاطِلٍ
وَمِنْ مُلْحَقٍ فِي الدِّينِ مَا لَمْ يُحَاوِلِ
وَرَاقٍ لِيَرْقَى فِي حَرَاءٍ وَنَازِلِ
وَبِاللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِنَفَافِلِ
إِذَا اكْتَنَفُوهُ بِالضُّحَى وَالْأَصَائِلِ
عَلَى قَدَمَيْهِ حَافِيًا غَيْرَ نَاعِلِ
وَمَا فِيهِمْ مِمَّا مِنْ صُورَةٍ وَتَمَائِلِ
وَمِنْ كُلِّ ذِي نَذْرٍ وَمِنْ كُلِّ رَاجِلِ
إِلَالٍ إِلَى مُفْضَى الشَّرَاحِ الْقَوَابِلِ ^(١)
يَقِيمُونَ بِالْأَيْدِي صُدُورَ الرِّوَابِلِ
وَهَلْ فَوْقَهَا مِنْ حُرْمَةٍ وَمَنَازِلِ
سِرَاعًا كَمَا يَخْرُجْنَ مِنْ وَقْعٍ وَابِلِ
يُؤْثُونَ قَذْفًا رَأْسَهَا بِالْجَنَادِلِ
تُجِيزُهُمْ حُجَّاجُ بَكْرِ بْنِ وَائِلِ
وَرَدًّا عَلَيْهِ عَاطِفَاتِ الْوَسَائِلِ
وَشَبْرَقَهُ وَخَدَّ النَّعَامِ الْجَوَافِلِ ^(٢)

(١) إلال : جبل عرفة . قال النابغة :

* يَزُرُّنَ إِلَّا لَا مَسِيرُهُنَّ التَّدَافُعُ *

وسمى إلالاً لأن الحجيج إذا رأوه ألوا في السير ، أى اجتهدوا فيه ليدركوا الموقف . والتراج : جمع شرج وهو مسبل الماء . والقوابل : التقابلة .

(٢) الشبرق : نبات يقال لياضه الحلى والرطبة الشبرق . والوخد : السير السريع . والجوافل : السرعة . والرواية في الروض : سمر الصفا ، وعليها يكون هناك معنى لطف « وسرحه » على سمر . والسمر : من شجر الطلع . والصفا : جمع صفح وهو عرض الجبل . والسرح : شجر عظام .

فهل بعدَ هذا مِن مَعَاذٍ لِعَائِدٍ
 يطاع بنا أمرُ العِدَا ودأنا
 كَذَبْتُمْ وَبَيْتِ اللَّهِ نَتْرُكُ مَكَّةَ
 كَذَبْتُمْ وَبَيْتِ اللَّهِ نُبْزَى مُحَمَّدًا
 ونُسلمه حتى نُصْرَعَ حَـوْله
 وَيَنْهَضُ قَوْمٌ بِالْحَدِيدِ إِلَيْكُمْ
 وحتى نرى ذا الضُّغْنِ يَرْكَبُ رَدْعَهُ
 وإنا لعمرُ اللَّهِ إن جَدًّا ما أرى
 بكفى فتًى مثلَ الشَّهَابِ سَمِيدِيعٍ
 شهوراً وأياماً وحولاً مُحَرَّمًا
 وما تَرَكُ قَوْمٌ ، لا أَبَالِكَ ، سِيدًا
 وأبيضَ يُسْتَسْقَى الغَمامُ بوجهه
 يلوذ به الهَلَالُكَ من آكلِ هَاشِمٍ
 لَعَمْرِي لقد أَجْرَى أَسِيدٌ وبِكْرُهُ

وهل من معيذٍ يَتَّقِي اللهَ عادِلٍ
 يُسَدُّ بنا أبوابُ تَرْكِهِ وَكَابِلٍ ^(١)
 ونظعن إلا أمرُكم في بِلَابِلٍ
 ولمَّا نطَاعِنَ دُونَهُ وَنُتَاضِلِ ^(٢)
 ونذهلَ عن أبنائنا والحالِ
 نهوضِ الرِّوَايا تحت ذاتِ الصَّلَاصِلِ ^(٣)
 من الطَّعْنِ فَعَلَ الْأَنْكَبِ الْمَتَحَامِلِ ^(٤)
 لثَلْبَتِيسِنَ أُسَيَافُنَا بِالْأَمَائِلِ
 أخى ثَقَّةٍ حَامِي الحَقِيقَةِ بَاسِلِ ^(٥)
 علينا وتأتى حِجَّةٌ بِمَعْدِ قَابِلِ
 يحوط الذِّمَارُ غَيْرَ ذَرْبٍ مَوَاكِلِ ^(٦)
 ثَمَالُ الْيَتَامَى عَصْمَةٌ لِلْأَرَامِلِ ^(٧)
 فهُمْ عِنْدَهُ فِي رَحْمَةٍ وَقَوَاضِلِ
 إلى بُفَضْنَا وَجَزَّ آنَا لَا كَلِ ^(٨)

(١) الاكتفا : * يطاعُ بنا العَدَى وودوا لَوْ أَنَّمَا *

وهي رواية بعض نسخ ابن هشام .

(٢) بُزَى : نساب . وى الروض نبذى . محرفة .

(٣) الروايا : الإبل تحمل الماء ، واحتبتها روايا ، والصلاصل : الزادات لها صاصلة بالماء .

(٤) الضغن : العداوة . ويركب درعه : يخرج صريبا لوجهه . والأنكب : المائل إلى جهة .

(٥) السديع : السيد . (٦) الذرب بالنسكين مخففة من الذرب بكسر الراء ، وهو : اللسان

الفاحش النطق ، والمواكل : العاجز الذى يعتمد على غيره . (٧) ثمال اليتامى : الذى يشملهم ويقوم بهم

(٨) أسيد وبكره : عتاب بن أسيد بن أبى العيس بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف .

وعثمان لم يَرْبَعْ عَلَيْنَا وَقَنْفَذَ^(١)
أَطَاعَا أُبَيًّا وَابْنَ عَمْسَدٍ يَفْوَثُهُمْ
كَمَا قَدْ لَقِينَا مِنْ سَبِيْعٍ وَنَوْفَلٍ
فَإِنْ يُلْقَيَا أَوْ يُمَكَّنَ اللَّهُ مِنْهُمَا
وَذَاكَ أَبُو عَمْرٍو أَبَى غَيْرَ بُغْضِنَا
يَنَاجِي بِنَا فِي كُلِّ تَمَسَّى وَمَصْبَحٍ
وَيُؤَلِّى لَنَا بِاللَّهِ مَا إِنْ يَغُشُّنَا
أَضَاقَ عَلَيْهِ بُغْضُنَا كُلَّ تَلْعَةٍ
وَسَائِلُ أبا الْوَلِيدِ مَاذَا حَبَوْتَنَا
وَكُنْتَ امْرَأً مِمَّنْ يُعَاشِ بِرَأْيِهِ
فَقُتِبَتْ لَا تَسْمَعُ بِنَا قَوْلَ كَاشِحٍ
وَمَرَّ أَبُو سَفْيَانَ عَنِّي مُعْرِضًا
يَفِرُّ إِلَى نَجْدٍ وَبَرْدٍ مِيَاهِهِ
وَيَخْبِرُنَا فَقُلَّ الْمُنَاصِحُ أَنَّهُ
أَمْطَعِمُ لَمْ أَخْذَلْكَ فِي يَوْمِ نَجْدَةٍ
وَلَا يَوْمَ خَصَمٍ إِذْ أَتَوَكَ الدَّهَّةَ^(٢)
وَلَكِنْ أَطَاعَا أَمْرَ تِلْكَ الْقَبَائِلِ^(٣)
وَلَمْ يَرْقُبَا فِينَا مَقَالَةَ قَائِلٍ^(٤)
وَكُلُّ تَوَلَّى مُعْرِضًا لَمْ يُجَامِلِ^(٥)
نَكْلٌ لَهَا صَاعًا بِصَاعِ الْمَكَايِلِ
لِيُظْغِنَنَا فِي أَهْلِ شَاءٍ وَجَامِلٍ^(٦)
فَنَاجِ أبا عَمْرٍو بِنَا ثُمَّ خَاتِلٍ^(٧)
بَلَى قَدْ نَرَاهُ جَهْرَةً غَيْرَ خَاتِلٍ^(٨)
مِنَ الْأَرْضِ بَيْنَ أَخْشَبٍ فَمَجَادِلٍ^(٩)
بَسَعِيكَ فِينَا مُعْرِضًا كَالْخَاتِلِ
وَرَحْمَتُهُ فِينَا وَلَسْتُ بِجَاهِلٍ
حَسُودٍ كَذُوبٍ مُبْغِضٍ ذِي دَغَاوِلٍ^(١٠)
كَأَمْرٍ قَيْلٌ مِنْ عِظَامِ الْمَقَاوِلِ
وَيَزْعَمُ أَنَّى لَسْتُ عَنْكُمْ بِغَافِلٍ
شَفِيقٌ وَيُخْفِي عَارِمَاتِ الدَّوَاحِلِ
وَلَا مُعْظِمٌ عِنْدَ الْأُمُورِ الْجَلَائِلِ
أُولَى جَدَلٍ مِنَ الْخُصُومِ الْمَسَاجِلِ^(١١)

(١) عثمان بن عبيد الله أخو طلحة ، وقنفذ : ابن عمير بن جدهان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم
ابن مرة . (٢) أبى : الأخنس بن شريق . (٣) سبيع : ابن خالد ، أخو بلعازث بن فهر .
ونوفل : ابن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي . (٤) أبو عمرو : قرظة بن عبد عمرو بن
نوفل بن عبد مناف . وبضعنا : يخرجنا . والشاء : اسم جمع ، وكذلك الجامل . (٥) خاتل : خادع .
(٦) يؤلى : يقسم . وفي ابن هشام : غير خاتل . (٧) التلعة : المشرف من الأرض .
(٨) الدغاوِل : الغوائل . (٩) المساجل : جمع مسجل بكسر الميم ؛ وهو الحصم السدافع .
أو جمه مساجل بضم الميم ، على تقدير حذف الألف الزائدة من مفاعل ، وتروى بالهاء جمع مسجل وهو اللسان .

أَمْطَعُمْ إِنْ الْقَوْمَ سَامُوكَ خُطَّةً
 جَزَى اللَّهُ عَنَا عَبْدَ شَمْسٍ وَنُوفَلًا
 بَمِيزَانٍ قِسْطٍ لَا يَخِيْسُ شَعِيرَةً
 لَقَدْ سَفِهَتْ أَحْلَامُ قَوْمٍ تَبَدَّلُوا
 وَنَحْنُ الصَّمِيمُ مِنْ نَفْثَةِ هَاشِمٍ
 وَسَهْمٍ وَمُخْزَوْمٍ تَمَالَوْا وَأَلْبُوا
 فَعَبْدَ مَنْفٍ أَنْتُمْ خَيْرُ قَوْمِكُمْ
 لَعَمْرِي لَقَدْ وَهَنْتُمْ وَعَجَزْتُمْ
 وَكُنْتُمْ حَدِيثًا حَطَبٍ قَدِرٍ وَأَنْتُمْ
 لِيَهِنِ بَنِي عَبْدِ مَنْفٍ عُقُوقُنَا
 فَإِنْ نَكُ قَوْمًا نَتَّيْرُ مَا صَنَعْتُمْ
 فَأَبْلَغُ قُصِيًّا أَنْ سَيُنْشَرُ أَمْرُنَا
 وَلَوْ طَرَقَتْ لَيْلًا قُصِيًّا عَظِيمَةً
 وَلَوْ صَدَقُوا ضَرْبًا خِلَالَ بَيُوتِهِمْ
 فَكُلُّ صَدِيقٍ وَابْنُ أُخْتٍ نَعْدُهُ
 سَوَى أَنْ رَهْطًا مِنْ كِلَابِ بْنِ مُرَّةٍ
 وَإِنِّي مَتَى أَوْكَلْتُ فَلَسْتُ بِوَائِلٍ
 عَقُوبَةً شَرًّا عَاجِلًا غَيْرَ آجِلٍ
 لَهُ شَاهِدٌ مِنْ نَفْسِهِ غَيْرَ عَائِلٍ ^(١)
 بَنِي خَلْفٍ قَيْضًا بَنِي الْغِيَاظِلِ ^(٢)
 وَآلِ قُصَيٍّ فِي الْخُطُوبِ الْأَوَائِلِ
 عَلَيْنَا الْعِدَا مِنْ كُلِّ طِمْلٍ وَخَامِلٍ ^(٣)
 فَلَا تُشْرِكُوا فِي أَمْرِكُمْ كُلَّ وَاعِلٍ ^(٤)
 وَجِئْتُ بِأَمْرِ مُخْطِئٍ لِلْمَفَاصِلِ
 الْآنَ حِطَابٌ أَقْدَرُ وَمَرَا جِلٍ ^(٥)
 وَخُذْلَانَا وَتَرَكْنَا فِي الْعَاقِلِ
 وَتَحْتَلِبُوهَا لِقَعَةً غَيْرَ بَاهِلٍ ^(٦)
 وَبَشَّرُ قُصِيًّا بَعْدَنَا بِالتَّخَاذِلِ
 إِذَا مَا لَجَأْنَا دُونَهُمْ فِي الْمَدَاخِلِ
 لَكُنَّا أَسَى عِنْدَ النِّسَاءِ الْمَطَافِلِ
 لَعَمْرِي وَجَدْنَا غِيَةً غَيْرَ طَائِلٍ ^(٧)
 بَرَاءَ إِلَيْنَا مِنْ مَعَقَّةٍ خَاذِلٍ

(١) يخيس . من خاس بالعهد إذا نقضه . وتروى لا يخس ، أى لا ينقص . والعائل : الظالم
 (٢) الغياطل : بنو سهم لأن أهمهم الغبطلة . (٣) الطمل : اللص وهو الفاحش أيضاً .
 (٤) الواغل : المتطفل . (٥) الحطب : اسم للجمع مثل ركب وليس بجمع . وقوله : خطاب أقدر
 هو جمع حاطب . والمعنى : كنتم متفقين لا تحطبون إلا لأقدر واحدة فأنت الآن بخلاف ذلك .
 (٦) تنثر : تنأر . واللقعة : الناقة ذات اللبن . والباهل : النقة التي لا صرار على أخلافها فهي مباحة
 الحلب ، يقال : ناقة مصرورة إذا كان على خلفها صرار يمنع الفصيل من أن يرضع .
 (٧) غيه : عاقبه .

ونعم ابنُ أختِ القومِ غيرُ مكذَّبٍ زهيرٌ حُساماً مُفرداً من حائلٍ
أشْمُ من الشمِّ البهاليلِ ينتمى إلى حسبٍ في حومةِ الجُدِ فاضلٍ
لعمري لقد كُلِّفْتُ وَجداً بأحمدٍ وإخوته دأبُ الحبِّ المواصلِ
فمن مثله في الناسِ أيُّ مؤمِّلٍ إذا قاسه الحُكامُ عندَ التفاضلِ
حليمٌ رشيدٌ عادلٌ غيرُ طائشٍ يوالى إلهاً ليس عنه بغافلٍ
كريمٌ المساعي ماجدٌ وابنُ ماجدٍ له إرثٌ مجدٍ ثابتٌ غيرُ ناضلٍ^(١)
وأيده ربُّ العبادِ بنصره وأظهر ديناً حقَّه غيرُ زائلٍ
فوالله لولا أن أجيء بسبِّة تُجرُّ على أشياخنا في المحافلِ
لكنا تبغناه على كلِّ حالةٍ من الدهرِ جدًّا غيرِ قولِ التهازلِ
لقد علموا أنَّ ابننا لا مُكذَّبٌ لدينا ولا يُعْنَى بقولِ الأباطلِ
فأصبحَ فينا أحمدٌ في أرومة تقصَّرُ عنها^(٢) سَورةُ المتناولِ
حدِّبْتُ بنفسِي دونه وحيته ودافعت عنه بالذِّرى والكلالِ كلِّ

قال ابن هشام : هذا ما صح لي من هذه القصيدة ، وبعضُ أهل العلم بالشعر ينكر أكرها .

قلت : هذه قصيدة عظيمة بليغة جداً لا يستطيع يقولها إلا من نسبت إليه ، وهي أغلُ من المعلقات السبع ! وأبلغ في تأدية المعنى منها جميعها^(٣) .
وقد أوردها الأموي في مغازيه مطولة بزيادات آخر والله أعلم .

(١) هذا البيت وما بعده ليس في ابن هشام . وناصل : زائل . (٢) ابن هشام : تقصّر عنه . (٣) أصدر ابن كثير رحمه الله هذا الحكم ، وفضل هذه القصيدة المفككة الأوصال على المعلقات السبع رغم ما فيها من ألفاظ متكلفة ومعاني ركيكة ، وعذره أنه لم يكن ناقداً أو خبيراً في الشعر . والقصيدة تخلو من طابع ذلك العصر في الألفاظ والمعاني والأساليب .

فصل

قال ابن إسحاق : ثم إنهم عدّوا على مَنْ أسلم واتّبع رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصحابه .

فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين ، فجعلوا يحبسونهم ويعذبونهم بالضرب والجوع والعطش وبرمضاء مكة إذا اشتد الحر ، من استضعفوه منهم ، يفتنونهم عن دينهم .

فمنهم من يفتن من شدة البلاء الذي يصيبهم ، ومنهم من يَصْلُبُ لهم ويعصمه الله منهم .

فكان بلال مولى أبي بكر ، لبعض بني جُحج مولدًا من مولديهم ، وهو بلال بن رباح واسم أمه حمامة ، وكان صادق الإسلام طاهر القلب ، وكان أمية بن خلف يخرج به إذا حمت الظهيرة ، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول له : لا والله لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى .

فيقول ، وهو في ذلك : أحدٌ أحد .

قال ابن إسحاق : فحدثني هشام بن عروة عن أبيه قال : كان ورقة بن نوفل يمرُّ به وهو يعذب لذلك وهو يقول : أحدٌ أحد . فيقول : أحدٌ أحد والله يا بلال ! ثم يقبل على أمية بن خلف ومن يصنع ذلك به من بني جُحج فيقول : أحلف بالله لئن قتلتهموه على هذا لآخذنه حنّاناً^(١) .

قلت : قد استشكل بعضهم هذا من جهة أن ورقة توفي بعد البعثة في فترة الوحي ،

(١) أى لآخذن قبره منسكا ومسترعاً .

وإسلام من أسلم إنما كان بعد نزول « يا أيها المدثر » فكيف يمرُّ ورقة ببلال ، وهو يعذَّب ؟ وفيه نظر .

ثم ذكر ابن إسحاق سرورَ أبي بكر ببلال وهو يعذَّب ، ناشراه من أمية بعبد له أسود فأعتقه وأراحه من العذاب .

وذكر مشراه لجماعة من أسلم من العبيد والإماء ، منهم بلال ، وعامر بن فُهيرة ، وأم عُميس^(١) [وزيرة^(٢)] التي أصيب بصرها ثم رده الله تعالى لها .

والتهدية وابنتها ، اشتراها من بنى عبد الدار ، بعثتهما سيديتهما تطحنان لها فسمعها وهي تقول لهما : والله لا أعتقكما أبداً . فقال أبو بكر : حل^(٣) يا أم فلان . فقالت : حلّ ، أنت أفسدتهما فأعتقتهما . قال : فيكم ها ؟ قالت : بكذا وكذا . قال : قد أخذتهما وهما حرتان ، أرجعا إليهما طحينها . قالتا : أو نفرغ منه يا أبا بكر ثم نرده إليهما . قال : [أو] ذلك إن شئنا .

واشترى جارية بنى مؤمل ، حى من بنى عدى ، كان عمر يضربها على الإسلام .

قال ابن إسحاق : لحدثني محمد بن عبد الله بن أبي عتيق ، عن عامر بن عبد الله ابن الزبير ، عن بعض أهله . قال : قال أبو قحافة لابنه أبي بكر : يا بني إني أراك تعتق ضعافا ، فلو أنك إذ فعلت ما فعلت أعتقت رجلا جلداء يمنعونك ويقومون دونك .

قال : فقال أبو بكر : يا أبت إني إنما أريد ما أريد .

(١) كذا بالأصل وابن هشام والروض الأثف . ولكن الزرقاني ضبطها بعين مبهمة مضمومة فتون . وقيل بموحدة فتختية . شرح المواهب ٢٦٩/١ .

(٢) سقطت من الأصل وأثبتتها من ابن هشام والمراجع . (٣) حل : تحلّى من يمينك ، وفق الاكتفاء : حل . بالنصب وهو أفصح .

قال : فُيُحَدِّثُ أَنَّهُ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ الْآيَاتِ إِلَّا فِيهِ وَفِيمَا قَالَ أَبُوهُ : « فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنِيَّ لَهُ لِلْغَيْبِ » إِلَى آخِرِ السُّورَةِ .

وقد تقدم ما رواه الإمام أحمد وابن ماجه من حديث عاصم بن بهدلة عن زُرِّ ، عن ابن مسعود قال : أول من أظهر الإسلام سبعة : رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو بكر وعُمَار ، وأمه سُمَيَّة ، وصُهَيْب ، وبلال ، والمقداد .

فأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فَنَعِمَ اللَّهُ بِعَمِّهِ ، وَأَبُو بَكْرٍ مَنَعَهُ اللَّهُ بِقَوْمِهِ ، وَأَمَّا سَائِرُهُمْ فَأَخَذَهُمُ الْمُشْرِكُونَ فَأَلْبَسُوهُمْ أَذْرُعَ الْحَدِيدِ وَصَهَرُوهُمْ فِي الشَّمْسِ ، فَمَا مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ وَاتَاهُمْ عَلَى مَا أَرَادُوا ، إِلَّا بِلَالًا فَإِنَّهُ هَانَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِي اللَّهِ تَعَالَى ، وَهَانَ عَلَى قَوْمِهِ فَأَخَذُوهُ فَأَعْطَوْهُ الْوِلْدَانَ فَجَعَلُوا يَطُوفُونَ بِهِ فِي شِعَابِ مَكَّةَ وَهُوَ يَقُولُ : أَحَدٌ أَحَدٌ .

ورواه الثوري عن منصور عن مجاهد مرسلًا .

قال ابن إسحاق : وكانت بنو مخزوم يخرجون بعمَّار بن ياسر وبأبيه وأمه ، وكانوا أهلَ بيتِ إسلام ، إِذَا حَمَتِ الظَّهْرَةَ يَعْذِبُونَهُمْ بِرَمْضَاءِ مَكَّةَ .
فيمرُّ بهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فيقول - فيما بلغني - : « صَبْرًا آلَ يَاسِرٍ مَوْعِدُكُمْ الْجَنَّةُ » .

وقد روى البيهقي عن الحاكم ، عن إبراهيم بن عِصْمَةَ الْعَدْلِ ، حَدَّثَنَا السَّرِيُّ بْنُ خُزَيْمَةَ ، حَدَّثَنَا مُسْلِمُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ أَبِي عُبَيْدٍ ، عَنْ أَبِي الزَّيْبَرِ ، عَنْ جَابِرٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ بِعَمَارٍ وَأَهْلِهِ وَهُمْ يَعْذِبُونَ فَقَالَ : « أَبْشُرُوا آلَ عَمَارٍ وَآلَ يَاسِرٍ ، فَإِنَّ مَوْعِدَكُمْ الْجَنَّةَ » فَأَمَّا أُمُّهُ فَيَقْتُلُوهَا فَتَأْتِي إِلَّا الْإِسْلَامَ .

وقال الإمام أحمد : حدثنا وَكِيع ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد قال .
أول شهيد كان في أول الإسلام استشهد : أم عمار سُمَيَّة ، طعنها أبو جهل بحربة في قلبها .
وهذا مرسل .

قال محمد بن إسحاق : وكان أبو جهل الفاسق الذي يُغَرِّى بهم في رجال من قريش ،
إن سمع برجل قد أسلم له شرف ومنعة أنبه وخزَّاه وقال : تركت دين أبيك وهو خير
منك ، لنسفنن حُلْمَكَ ، ولنفيئن^(١) رأيك ، ولنضعنَّ شرفك . وإن كان تاجراً قال :
والله لنكسِدَنَّ تجارتك ، وإنهلكن مالك . وإن كان ضعيفاً ضربه وأغرى به .
لعنه الله وقبحه .

قال ابن إسحاق : وحدثني حَكِيم بن جُبَيْر ، عن سعيد بن جبیر قال : قلت لعبدالله
ابن عباس : أكان المشركون يَبْلغون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من
العذاب ما يُعَذِّرون به في ترك دينهم ؟

قال : نعم والله ! إن كانوا ليضربون أحدهم ويُجيعونه ويعطشونه حتى ما يقدر أن
يستوى جالساً من شدة الضر الذي به ، حتى يعطيهم ماسأله من الفتنة ، حتى يقولوا له :
اللات والعزى إلهان من دون الله ؟ فيقول : نعم ! افتدأ منهم بما يبلغون من جهدهم .

قلت : وفي مثل هذا أنزل الله تعالى « مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ
وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ ، وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ
عَذَابٌ عَظِيمٌ »^(٢) .

فهؤلاء كانوا معذورين بما حصل لهم من الإهانة والعذاب البليغ ، أجازنا الله من
ذلك بنحوه وقوته .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن مسلم ، عن مسروق ، عن خَبَّاب بن الأَرْت. قال : كنت رجلاً قَيْنَا ، وكان لى عَلَى العاص بن وائل دِينَ ، فَأَتَيْتُهُ أَتْقَاضَهُ فَقَالَ : لا والله لا أَفْضِيكَ حَتَّى تَكْفِرَ بِمُحَمَّد . فقلت : لا والله لا أَكْفِرَ بِمُحَمَّد حَتَّى تَمُوتَ ثُمَّ تَبْعَثَ . قال فَإِنِى إِذَا مِتُّ ثُمَّ بَعَثْتَ جِئْتَنى وَلِىَ ثُمَّ مَالٌ وَوَلَدٌ فَأَعْطِيكَ ! فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى « أَفْرَأَيْتَ الَّذِى كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا » إِلَى قَوْلِهِ « وَيَأْتِينَا فَرْدًا » ^(١) . أَخْرَجَاهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ وَغَيْرَهُمَا مِنْ طَرَقٍ عَنِ الْأَعْمَشِ بِهِ .

وفى لفظ البخارى : « كنت قينا بمكة ، فعملت للعاص بن وائل سيفاً فجئت أَتْقَاضَهُ » فذكر الحديث .

وقال البخارى حدثنا الحُمَيْدِى ، حدثنا سُفْيَان ، حدثنا بَيَّان ^(٢) وإسماعيل ، قالَا : سَمِعْنَا قَيْسًا يَقُولُ : سَمِعْتُ خَبَّابًا يَقُولُ : أَتَيْتَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بِبِرْدَةٍ ^(٣) وَهُوَ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ ، وَقَدْ لَقِينَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ شِدَّةً ، فقلت : أَلَا تَدْعُو اللَّهَ ؟

فَقَعَدَ وَهُوَ مُحَرَّرٌ وَجْهَهُ فَقَالَ : « قَدْ ^(٤) كَانَ مِنْ كَانَ قَبْلَكُمْ لَيْمَ شَطَ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَادُونِ عِظَامِهِ مِنْ لَحْمٍ أَوْ عَصَبٍ ، مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ ، وَيُوضَعُ الْمُنْشَارُ عَلَى مَفْرَقِ رَأْسِهِ فَيَشْقُ بِأَثْنَيْنِ ^(٥) مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ ، وَلَيَتَمَنَّى اللَّهُ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّابِىُّ مِنَ صَنْعَاءَ إِلَى حَضَرِ مَوْتٍ مَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ » زَادَ بَيَّانُ ^(٦) « وَالذُّبَّ عَلَى غَنَمِهِ » .

وفى رواية « وَلَكِنْ كُنْتُمْ تَسْتَعْجِلُونَ » .

انفرد به البخارى دون مسلم .

(١) سورة مريم ٧٧-٨٠ (٢) فى ط ، خ : بنان وهو تحريف ، وما أثبتته من البخارى ١٨٢/٢

(٣) البخارى : بردة . (٤) البخارى : لقد . (٥) البخارى : ناثنين .

(٦) خ ، ط : بنان وهو تحريف .

وقد روى من وجه آخر عن خَبَّاب وهو مختصر بن هذا والله أعلم . وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرحمن ، عن سفيان وابن جعفر ، حدثنا شُعْبَةُ ، عن أبي إسحاق ، عن سعيد بن وهب ، عن خَبَّاب ، قال : شكونا إلى النبي صلى الله عليه وسلم شدة الرَّمْضَاءِ فما أَشْكَانَا . يعنى فى الصلاة . وقال ابن جعفر : فلم يُشْكِنَا .

وقال أيضا : حدثنا سليمان بن داود ، حدثنا شُعْبَةُ ، عن أبي إسحاق قال : سمعت سعيد بن وهب يقول : سمعت خَبَّابا يقول : شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الرَّمْضَاءِ فلم يُشْكِنَا . قال شُعْبَةُ : يعنى فى الظهيرة .

ورواه مسلم والنسائى والبيهقى من حديث أبي إسحاق السَّيِّعَى ، عن سعيد بن وهب ، عن خباب قال : شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حرَّ الرَّمْضَاءِ . - زاد البيهقى : فى وجوهنا وأكفنا - فلم يُشْكِنَا .

وفى رواية شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة فى الرَّمْضَاءِ فلم يُشْكِنَا .

ورواه ابن ماجه ، عن على بن محمد الطَّنَافِسىّ ، عن وَكِيع ، عن الأعمش ، عن أبي إسحاق ، عن حارثة بن مضرب العبدى ، عن خباب قال : شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حرَّ الرَّمْضَاءِ فلم يُشْكِنَا .

والذى يقع لى ، والله أعلم ، أن هذا الحديث مختصر من الأول ، وهو أنهم شكوا إليه صلى الله عليه وسلم ما يلقون من المشركين من التعذيب بحر الرَّمْضَاءِ ، وأنهم يسحبونهم على وجوههم فيتقون بأكفهم ، وغير ذلك من أنواع العذاب كما تقدم عن ابن إسحاق وغيره ، وسألوا منه صلى الله عليه وسلم أن يدعو الله لهم على المشركين ، أو

يستنصر عليهم ، فوعدهم ذلك ولم يُنجزه لهم في الحالة الراهنة ، وأخبرهم عن كان قبلهم أنهم كانوا يلقون من العذاب ما هو أشد مما أصابهم ولا يصرفهم ذلك عن دينهم ، ويبشروهم أن الله سيمت هذا الأمر ويظهره ويعلمه ، وينشره وينصره في الأقاليم والآفاق ، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله عز وجل والذئب على غنمه ، ولكنكم تستعجلون .

ولهذا قال : « شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حرَّ الرَّمضاء في وجوهنا وأكفنا فلم يُشكِنَا » أى لم يدع لنا في الساعة الراهنة .
فمن استدلل بهذا الحديث على عدم الإبرار ، أو على وجوب مباشرة المصلّى بالكف ، كما هو أحد قولى الشافعى ، فقيه نظر . والله أعلم .

باب

مجادلة المشركين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإقامة الحجّة الدامغة عليهم واعترافهم فى أنفسهم بالحق ، وإن أظهروا المخالفة عناداً وحسداً وبغياً وجحوداً

قال إسحاق بن راهويه : حدثنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن أيوب السخّتيانى ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أن الوليد بن المغيرة جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ عليه القرآن ، فكانه رَقَّ له ، فبلغ ذلك أبا جهل ، فأتاه فقال : يا عم إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا . قال : لم ؟ قال : ليعطوكه ، فإنك أتيت محمداً لتعرض ما قبّله !

قال : قد علمت قریشٌ أنى من أكرها مالا .
قال : فقل فيه قولاً يبلغ قومك أنك منكروه .

قال : وماذا أقول ؟ فوالله ما منكم رجل أعرف بالأشعار مني ، ولا أعلم برجزه ولا بقصيده مني ، ولا بأشعار الجن ، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا ، والله إن لقوله الذي يقوله حلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإنه لمثمر أعلاه ، مُغْدِق أسفله ، وإنه ليعلو ولا يُعْلَى ، وإنه ليحطم ما تحته .

قال : لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه .

قال : قف عني حتى أفكر فيه .

فلما فكر قال : إن هذا إلا سحر يُؤثرُ يَأْثُرُه عن غيره . فنزلت « دَرَنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَمْدُوداً وَبَنِينَ شُهُوداً ^(١) » الآيات .

هكذا رواه البيهقي عن الحاكم ، عن عبد الله بن محمد الصنعاني بمكة ، عن إسحاق به . وقد رواه حماد بن زيد ، عن أيوب ، عن عكرمة مرسلًا . فيه أنه قرأ عليه « إن الله يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ^(٢) » .

وقال البيهقي : عن الحاكم ، عن الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبار ، عن يونس بن بُكَيْر ، عن محمد بن إسحاق حدثني محمد بن أبي محمد ، عن سعيد بن جبيرة ، أو عكرمة عن ابن عباس ، أن الوليد بن المغيرة اجتمع ونفر من قریش وكان ذا سنٍّ فيهم ، وقد حضر الموسم ^(٣) فقال : إنا وفود العرب ستقدم عليكم فيه ، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا ، فأجمعوا فيه رأيا واحداً ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضاً ، ويرد قول بعضكم بعضاً ^(٤) .

فقيل : يا أبا عبد شمس فقل وأقم لنا رأياً تقوم به ^(٥) .

(١) سورة المدثر ١١-١٣ . (٢) سورة النحل ٩٠ . (٣) ط : المواسم : محرفة .

(٤) ابن هشام : ويرد قولكم بعضه بعضاً . (٥) ابن هشام والمراجع : قول .

فقال : بل أنتم ققولوا وأنا أسمع . فقالوا : تقول كاهن .

فقال : ما هو بكاهن ، رأيت الكهان ، فما هو بزمزمة الكهان . فقالوا : تقول مجنون . فقال : ما هو بمجنون ، ولقد رأينا الجنون وعرفناه فما هو بمنقته ولا تخالجه ولا وسوسته . فقالوا : تقول شاعر . فقال : ما هو بشاعر ، قد عرفنا الشعر برجزه وهزجه وقریضه ومقبوضه ومبسوطه ، فما هو بالشعر . قالوا : فنقول هو ساحر . قال : ما هو بساحر ، قد رأينا السحار وسحرم فما هو بتفتنه ولا بعقده .

قالوا : فما تقول يا أبا عبد شمس ؟

قال : والله إن لقوله لحلاوة ، وإن أصله لعدق^(١) ، وإن فرعه لجئ^(٢) ، فما أنتم بقائلين من هذا شيئاً إلا عُرِفَ أنه باطل ، وإن أقرب القول لأن تقولوا : هذا ساحر ، فتقولوا هو ساحر يفرّق بين المرء ودينه ، وبين المرء وأبيه ، وبين المرء وزوجته ، وبين المرء وأخيه ، وبين المرء وعشيرته .

فتفرقوا عنه بذلك فجعلوا يجلسون للناس حين^(٣) قدموا الموسم لا يمر بهم أحد إلا حذّروه إياه ، وذكروا لهم أمره .

وأُنزل الله في الوليد « ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَمْدُوداً وَبَنِينَ شُهُوداً^(٤) » الآيات ، وفي أولئك النفر الذين جعلوا القرآن عِصِينَ : « فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ^(٥) » .

قلت : وفي ذلك قال الله تعالى إخباراً عن جهلهم وقلة عقلهم : « بل قالوا أضغاث أحلامٍ بل افتراء ، بل هو شاعر ، فليأتنا بآيةٍ كما أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ^(٦) » فحاروا ماذا يقولون

(١) خ ط : لعدق . وما أثبتته عن ابن هشام والعدق : النخلة
من الثمر (٣) الأصل : حتى ، وما أثبتته عن ابن هشام . (٤) سورة الدثر ١١ - ١٣
(٥) سورة الحجر ٩٢ ، ٩٣ (٦) سورة الأنبياء ٥

فيه ، فكل شيء يقولونه باطل . لأن من خرج عن الحق مهما قاله أخطأ . قال الله تعالى :
« انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ^(١) » .

وقال الإمام عبدُ بنِ حميد في مسنده : حدثني أبو بكر بن أبي شَيْبَةَ ، حدثنا علي ابنِ مسنهر ، عن الأجلح ، هو ابن عبد الله الكِنْدِي ، عن الذَّيَّال بنِ حَرْمَلَةَ الأَسَدِي ، عن جابر بن عبد الله ، قال : اجتمع قريش يوماً فقالوا : انظروا أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر ، فليات هذا الرجل الذي فرَّق جماعتنا وشتَّت أمرنا وعاب ديننا ، فليكلِّمه ولينظر ماذا يرد عليه .

فقالوا : ما نعلم أحداً غير عُتْبَةَ بنِ ربيعة . فقالوا : أنت يا أبا الوليد .

فأتاه عتبة فقال : يا محمد أنت خيرٌ أم عبد الله ؟ فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقال : أنت خيرٌ أم عبد المطلب ؟ فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال : فإن كنت تزعم أن هؤلاء خيرٌ منك فقد عبدوا الآلهة التي عِبتَ ، وإن كنت تزعم أنك خير منهم فتكلِّمْ حتى نسمع قولك ، إنا والله ما رأينا سَخْلَةً ^(٢) قط أشأم على قومه منك ، فرَّقَت جماعتنا ، وشتَّت أمرنا ، وعِبتَ ديننا ، وفضحتنا في العرب ، حتى لقد طار فيهم أن في قريش ساحراً ، وأن في قريش كاهناً ، والله ما ننتظر إلا مثل صيحة الحُبلى أن يقوم بعضنا إلى بعض بالسيوف حتى نتفانى ، أيها الرجل ! إن كان إنما بك الحاجةُ جمعنا لك حتى تكون أغنى قريش رجلاً ، وإن كان إنما بك الباءة فاختر أيَّ نساء قريش شئت فلنزوجك عشرةً .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فرغت ؟ » قال : نعم . فقال رسول الله

(١) سورة الإسراء ٤٨ (٢) السخلة : تطلق على الذكر والأنثى من أولاد الضأن .

صلى الله عليه وسلم : بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم . كتاب فُصِّلَتْ آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون » إلى أن بلغ « فإن أعرضوا قُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ » .

فقال عتبة : حَسْبُكَ ، ما عندك غير هذا ؟ قال : لا .

فرجع إلى قريش فقالوا : ما وراءك ؟ قال : ما تركتُ شيئا أرى أنكم تكلمونه إلا كَلَّمْتَهُ .

قالوا : فهل أجابك ؟ فقال : نعم . ثم قال : لا والذي نَصَبَهَا بَنِيَّةً ما فهمتُ شيئا مما قال ، غير أنه أُنذِرَكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ .

قالوا : ويلك ! يكلمك الرجلُ بالعربية لا تدري ما قال ؟

قال : لا والله ما فهمت شيئا مما قال غير ذِكْرِ الصَاعِقَةِ .

وقد رواه البيهقي وغيره عن الحاكم ، عن الأصم عن عباس الدُّوْرِي ، عن يحيى بن معِين ، عن محمد بن فضَّيل ، عن الأجلح به . وفيه كلام .

وزاد : وإن كنت إنما بك الرياسة عقدنا ألويتنا لك فكنت رأساً ما بقيت .

وعنده أنه لما قال : « فإن أعرضوا قُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ » أمسك عُتْبَةُ ^(١) على فيه وناشده الرَّحْمَ أَنْ يكفَّ عنه ، ولم يخرج إلى أهله واحتبس عنهم .

فقال أبو جهل : والله يامعشر قريش ما نرى عُتْبَةَ إلا صَبَا إلى محمد وأعجبه طعامه ، وما ذاك إلا من حاجةٍ أصابته ، انطلقوا بنا إليه فأتوه .

فقال أبو جهل : والله ياعتبة ماجئنا إلا أنك صبوت إلى محمد وأعجبك أمره ، فإن كان بك حاجة جمعنا لك من أموالنا ما يغنيك عن طعام محمد .

(١) ط : عتبة . وهو تحريف .

فغضب وأقسم بالله لا يكلم محمداً أبداً . وقال : لقد علمت أنى من أكثر قريش مالا ،
ولكنى أتيت ، وقصّ عليهم القصة ، فأجبنى بشيء والله ما هو بسحر ولا بشعر ولا كهانة ،
قرأ « بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم » حتى بلغ « فإن أعرضوا
فقل أنذرتكم صاعقةً مثل صاعقة عاد وثمود » فأمسكتُ بفيه وناشدته الرَّحْمَ أن
يكفّ ، وقد علمت أن محمداً إذا قال شيئاً لم يكذب ، نفخت أن ينزل عليكم العذاب .

ثم قال البيهقي : عن الحاكم ، عن الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبار ، عن يونس ،
عن محمد بن إسحاق ، حدثني يزيد بن أبي زياد مولى بني هاشم ، عن محمد بن كعب قال :
حدثت أن عتبة بن ربيعة ، وكان سيداً حليماً ، قال ذات يوم وهو جالس في نادي قريش ،
ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس وحده في المسجد : يامعشر قريش ألا أقوم إلى هذا
فأعرضّ عليه أموراً لعله يقبل بعضها ويكفّ عنا .

قالوا : بلى يا أبا الوليد !

فقام عتبة حتى جلس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الحديث فيما قال له
عتبة وفيما عرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم من المال والملاّك وغير ذلك .

وقال زياد بن إسحاق : فقال عتبة : يامعشر قريش ألا أقوم إلى محمد فأكله وأعرض
عليه أموراً لعله يقبل بعضها فنعطيه إياها ويكفّ عنا . وذلك حين أسلم حمزة ورأوا
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يزيدون ويكثرّون .

فقالوا : بلى يا أبا الوليد ، فقم إليه وكلّه .

فقام عتبة حتى جلس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا ابن أخي إنك منا
حيثُ قد علمت من السّطة ^(١) في العشيرة والمكان في النسب ، وإنك فدأتيت قومك

(١) الأصل الشطر . وهو تحريف وما أثبتته من الاكتفاء للكلاعي . والسطة : الشرف .

بأمرٍ عظيمٍ فرقت جماعتهم ، وسفّيت به أحلامهم ، وعبتَ به آلهتهم ودينهم وكفّرت به من مضى من آبائهم ، فاسمع مني حتى أعرض عليك أموراً تنظر فيها ، لعلك تقبل منها بعضها .

قال : فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا أبا الوليد أسمع » .

قال : يا بن أخى إن كنت إنما تريد بما جئتَ به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وإن كنت تريد به شرفا سوّدناك علينا حتى لا نقطع أمرا دونك ، وإن كنت تريد به ملكا ملكناك علينا ، وإن كان هذا الذى يأتيك رثيّا تراه لا تستطيع ردّه عن نفسك طلبنا لك الطبّ وبذلنا فيه أموالنا حتى نُبرئك منه ، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يتداوى منه . أو كما قال له .

حتى إذا فرغ عتبة قال له النّبي صلى الله عليه وسلم : « أفرغتَ يا أبا الوليد ؟ » قال : نعم . قال : اسمع مني . قال : أفعل .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « حمّ تنزّل من الرحمن الرحيم كتابٌ فصّلت آياته قرآنًا عربيًّا لقويمٍ يَعلمون » فضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرؤها ، فلما سمع بها عتبة أنصت لها ، وألقى بيديه خلفه أو خلف ظهره معتمداً عليهما ليسمع منه .

حتى انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السجدة فسجدها ثم قال : « سمعتَ يا أبا الوليد ؟ » قال : سمعتُ . قال : « فأنت وذاك » .

ثم قام عتبة إلى أصحابه فقال بعضهم لبعض : نحلفُ بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذى ذهب به .

فلما جالسوا إليه قالوا : ما وراءك يا أبا الوليد ؟ قال : ورأى أنى والله قد سمعت قولاً

ما سمعتُ مثله قط ، والله ما هو بالشعر ولا الكهانة ، يامعشر قريش أطيعوني واجعلوها بي ، خلوا بينَ هذا الرجل وبين ما هو فيه واعتزلوه ، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ ، فإن تصبّه العربُ فقد كفّيتموه بغيركم ، وإن يظهر على العرب فمُلكه مُلككم ، وعزّه عزكم ، وكنتم أسعدَ الناس به .

قالوا : سحركَ والله يا أبا الوليد بلسانه .

قال : هذا رأيي لكم ، فاصنعوا ما بدا لكم .

ثم ذكر يونس ، عن ابن إسحاق شعراً قاله أبو طالب يمدح فيه عتبة .

وقال البيهقي : أخبرنا أبو محمد عبد الله بن يوسف الأصبهاني ، أخبرنا أبو قتيبة سلمة ابن الفضل الأدمي بمكة ، حدثنا أبو أيوب أحمد بن بشر الطيالسي ، حدثنا داود بن عمرو الضبي ، حدثنا الثنني بن زُرعة ، عن محمد بن إسحاق ، عن نافع ، عن ابن عمر . قال : لما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على عتبة بن ربيعة « حم تنزيل من الرحمن الرحيم » أتى أصحابه فقال لهم : يا قوم أطيعوني في هذا الأمر اليوم ، واعصوني فيما بعده ، فوالله لقد سمعتُ من هذا الرجل كلاماً ما سمعتُ أذنأى كلاماً مثله ، وما دريت ما أَرَدُ عليه .

وهذا حديث غريب جدا من هذا الوجه .

ثم روى البيهقي ، عن الحاكم ، عن الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبار ، عن يونس ، عن ابن إسحاق ، حدثني الزهري قال : حدثت أن أبا جهل وأبا سفيان والأخنس بن شريق خرجوا ليلةً ليسمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي بالليل في بيته ، فأخذ كل رجل منهم مجلساً ليستمع منه ، وكلُّ لا يعلم بمكان صاحبه ، فباتوا يستمعون له حتى إذا أصبحوا وطلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق ، فتلاوموا وقال بعضهم لبعض : لا تعودوا فلورآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئاً ثم انصرفوا .

حتى إذا كانت الليلة الثانية عاد كل رجل منهم إلى مجلسه ، فباتوا يستمعون له ، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق ، فقال بعضهم لبعض مثل ما قالوا أول مرة ثم انصرفوا .

فلما كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل منهم مجلسه فباتوا يستمعون له ، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق ، فقالوا : لا نبرح حتى تتعاهد ألا نعود . فتعاهدوا على ذلك ثم تفرقوا .

فلما أصبح الأحنس بن شريق أخذ عصاه ثم خرج حتى أتى أبا سفيان في بيته فقال : أخبرني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد ؟ فقال : يا أبا ثعلبة والله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها [وأشياء لا أعرفها ولا أعرف ما يراد بها ^(١)] فقال الأحنس : وأنا والذي حلفت به .

ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل فدخل عليه بيته فقال : يا أبا الحكم ما رأيك فيما سمعت من محمد ؟ فقال : ماذا سمعت ؟ ! تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف ، أطعموا فأطعمنا ، وحملوا فحملنا ، وأعطوا فأعطينا ، حتى إذا تجاثينا ^(٢) على الرُّكَب وكنا كفرسَى رهان قالوا : منا نبيٌّ يأتيه الوحي من السماء ! فمتى ندرك هذه ! والله لا نسمع به أبدا ولا نصدقه . فقام عنه الأحنس بن شريق .

ثم قال البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرنا أبو العباس ، حدثنا أحمد ، حدثنا يونس ، عن هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم ، عن المغيرة بن شعبه . قال : إن أولَ يومٍ عرفتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أني أمشي أنا وأبو جهل بن هشام في بعض أزقة مكة ، إذ لقينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله

(١) من الاكتفا . (٢) الاكتفا : تحادينا .

صلى الله عليه وسلم لأبى جهل : « يا أبا الحكم ، هلم إلى الله وإلى رسوله ، أدعوك إلى الله » .

فقال أبو جهل : يا محمد ، هل أنت مُنْتَهٍ عن سبِّ آلِهتنا ؟ هل تريد إلا أن نشهد أنك قد بَلَّغْتَ ؟ فنحن نشهد أن قد بَلَّغْتَ ، فوالله لو أنى أعلم أن ماتقول حق لا تبعثك .

فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقبل علىَّ فقال : والله إنى لأعلم أن مايقول حق ، ولكن [يمنعنى] شىء ، إن بنى قُصَى قالوا : فينا الحجابة . فقلنا : نعم . ثم قالوا : فينا السقاية فقلنا : نعم . ثم قالوا فينا الذَّوَّة . فقلنا : نعم . ثم قالوا : فينا اللِّوَاء . فقلنا : نعم . ثم أطعموا وأطعمنا ، حتى إذا تحاكَت الرُّكَب قالوا : منا نبى ! والله لا أفعل .

وقال البيهقى : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، قال أخبرنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم ، حدثنا محمد بن خالد ، حدثنا أحمد بن خلف ، حدثنا إسرائيل ، عن أبى إسحاق . قال : مر النبي صلى الله عليه وسلم على أبى جهل وأبى سفيان ، وهما جالسان ، فقال أبو جهل : هذا نبيكم يا بنى عبد شمس . قال أبو سفيان : وتَعْجَب أن يكون منا نبى ! فالنبيُّ يكون فيمن أقلُّ منا وأذل .

فقال أبو جهل : أعجبُ أن يخرج غلامٌ من بين شيوخ نبيًّا !
ورسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع ، فأتاهما فقال : « أمّا أنت يا أبا سفيان ، فما الله ورسوله غضبتَ ولكنك حَمِيتَ للأصل . وأما أنت يا أبا الحكم ، فما الله لتضحكن قليلاً ولتبكين كثيراً » فقال : بئسما تَعِدُنِي يا بنى أخى من نبوتك .

هذا مرسل من هذا الوجه ، وفيه غرابة . وقول أبى جهل ، لعنه الله ، كما قال الله تعالى مخبراً عنه وعن أضرابه « وإذا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُوكَ إِلَّا هُزُوًا ، أَهَذَا الَّذِى بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ؟ إِن كَادَ لِيُضِلَّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ، وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مِن أَضْلُ سَبِيلًا ^(١) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا هُشَيْمٌ ، حدثنا أَبُو بَشَرٍ ، عن سعيد بن جُبَيْرٍ ، عن ابن عباس قال : نزلت هذه الآية ورسول الله صلى الله عليه وسلم متوارٍ بمكة « ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها »^(١).

قال : كان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن ، فلما سمع ذلك المشركون سبوا القرآن ، وسبوا من أنزله ومن جاء به ، قال : فقال الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم « ولا تجهر بصلاتك » أى بقراءتك فيسمع المشركون فيسبوا القرآن « ولا تخافت بها » عن أصحابك ، فلا تسمعهم القرآن حتى يأخذوه منك « وابتغ بين ذلك سبيلاً » . وهكذا رواه صاحبنا الصحيح من حديث أبي بشر جعفر بن أبي حية به .

وقال محمد بن إسحاق : حدثني داود بن الحصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جهر بالقرآن وهو يصلى تفرقوا عنه وأبوا أن يستمعوا منه ، وكان الرجل إذا أراد أن يسمع من رسول الله بعض ما يتلو وهو يصلى ، استرق السمع دونهم فرقا منهم ، فإن رأى أنهم قد عرفوا أنه يستمع ذهب خشية أذاهم فلم يستمع ، فإن خفض رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يسمع الذين يستمعون من قراءته شيئا ، فأنزل الله تعالى « ولا تجهر بصلاتك » فيتفرقوا عنك « ولا تخافت بها » فلا يسمع من أراد أن يسمعها ممن يسترق ذلك ، لعله يرعوى إلى بعض ما يسمع ، فينتفع به « وابتغ بين ذلك سبيلاً » .

إلى هنا ينتهى الجزء الأول من السيرة النبوية لابن كثير

وبليه الجزء الثانى وأوله باب الهجرة إلى الحبشة

فهرس الموضوعات

الصفحة

	الموضوع
	ذكر أخبار العرب :
٣	نسبة العرب
٣	الخلاف في نسبة حمير
٤	الخلاف في نسبة قضاة
٨	قصة سبأ
١٣	لم يخرج كل أهل سبأ من اليمن
١٤	قصة ربيعة بن نصر مع شق وسطيح
١٨	قصة تبع ملك اليمن مع أهل المدينة
٢٤	حسان بن تبان يلي أمر اليمن
٢٥	وثوب لخنيعة ذي شنتر على ملك اليمن
٢٦	ذو نواس يملك اليمن
٢٦	أصل النصرانية ببلاد العرب ، وأصحاب الأخدود
٢٧	انتقال ملك اليمن إلى الحبش
٢٨	قصة أبرهة الأشرم
٢٩	قصد أبرهة مكة ليخرب الكعبة ، وعاقبته
٣٩	أشعار العرب في حادث الفيل
٤١	من ملك اليمن بعد أبرهة
٤٢	خروج الملك عن الحبشة ورجوعه إلى سيف بن ذي يزن
٤٥	أبيات لسيف بن ذي يزن في هزيمة الحبشة

- ٤٥ أبو الصلت يهنيء سيف بن ذى يزن
٤٦ شعر لعدى بن زيد في انتقال الملك عن الحبشة
٤٧ مدة ملك الحبشة باليمن
٤٨ مآل إليه أمر الفرس باليمن
٥٠ قصة الساطرون صاحب الحضرة
٥٢ شعر لأعشى قيس في قصة الحضرة
٥٣ وشعر لعدى بن زيد في أمر الحضرة
٥٥ خبر ملوك الطوائف

باب ذكر بني إسماعيل وهم عرب الحجاز وما كان من أمور الجاهلية إلى زمان البعثة :

- ٥٦ قصة إسماعيل
٥٧ نسبة عرب الحجاز إلى إسماعيل
٥٧ جُرهم تلى البيت الحرام
٥٨ القتال بين جُرهم وخزاعة
٥٨ صيرورة الأمر إلى خزاعة
٥٨ شعر لعمر بن الحارث الجرهمي
٦٠ ولاية خزاعة للبيت
٦١ عمرو بن لحي وعبادة الأصنام بأرض العرب
٦٣ أحاديث في أمر عمرو بن لحي
٦٦ ما ابتدعه العرب في الدين
٦٨ أصنام العرب
٧٠ طواغيت العرب

الصفحة	الموضوع
٧٤	خبر عدنان جد عرب الحجاز
٧٤	عدة الآباء بينه وبين إسماعيل
٧٤	بين عدنان وأرمياء
٧٥	كراهية مالك لرفع النسب إلى مابعد عدنان
٧٥	تقول عن السلف في ذلك
٧٧	قصيدة أبي العباس الناشيء في نظم النسب النبوى
٨١	شئ عن أبي العباس الناشيء
٨٢	ذكر أصول أنساب قبائل عرب الحجاز إلى عدنان :
٨٢	أولاد عدنان
٨٢	أولاد معد
٨٢	أولاد نزار
٨٣	أولاد مُضَر
٨٣	أولاد إلياس
٨٤	أولاد مدركة
٨٤	أولاد خزيمة
٨٤	أولاد كنانة
٨٤	الكلام على قریش نسبا واشتقاقا وفضلا
٨٤	نسب قریش
٨٧	اشتقاق قریش
٨٩	أولاد النضر بن كنانة
٩٠	أولاد مالك بن النضر
٩٠	أولاد فهر

الصفحة	الموضوع
٩٠	أولاد غالب
٩٠	أولاد لؤى
٩٠	خبر سامة بن لؤى
٩١	خبر عوف بن لؤى
٩٢	بنو مرة بن عوف
٩٢	أمر البسل
٩٣	أولاد كعب بن لؤى
٩٣	أولاد مرة
٩٣	أولاد كلاب بن مرة
٩٤	الجدرة
٩٤	خبر قصى بن كلاب وارتجاعه ولاية البيت من خزاعة .
٩٥	إجازة الحجيج كانت إلى صوفة
٩٥	وكانت الإجازة من مزدلفة في عدوان
٩٥	خبر عن عامر بن الظرب العدواني
٩٦	كان النسيء في بني قُقيم بن غدي
٩٦	أول من نسا الشهور على العرب
٩٦	شعر لجدل الطعان
٩٦	عود إلى خبر قصى
٩٧	ولاية قصى البيت
٩٧	كان لقصى جميع الرئاسة
٩٩	شعر في مدح قصى
٩٩	شعر لرزاح في إجابته أخاه قصيا

- ١٠٠ شعر ينسب لقصى بن كلاب - قصى يفوض المهام إلى عبد الدار
 ١٠١ أحفاد قصى يتنازعون على الرئاسة ثم يتقاسمونها
 ١٠٢ أولاد قصى - أولاد عبد مناف - أولاد هاشم - أولاد عبد المطلب
 ١٠٣ ولد عبد الله محمدًا صلى الله عليه وسلم

ذكر مجمل من الأحداث الواقعة في زمن الجاهلية ذكر جماعة مشهورين كانوا في الجاهلية

- ١٠٤ خبر خالد بن سنان
 ١٠٦ التحقيق أنه لم يكن نبيا
 ١٠٧ ذكر حاتم الطائي - أحاديث في أمر حاتم
 ١٠٩ خبر عن جود حاتم
 ١١١ أشعار لحاتم
 ١١٣ تعليق للقاضي أبي الفرج على بيت لحاتم - حاتم يقسم عطية النعمان على قومه -
 ١١٣ قيل لحاتم : هل في العرب أجود منك ؟
 ١١٤ كانت أم حاتم لا تمسك شيئا أيضا
 ١١٥ حاتم يقرى ضيوفه وهو ميت !
 ١١٦ ذكر شيء من أخبار عبد الله بن جُدعان - سبب ثرائه
 ١١٧ لا ينفعه كرمه عند الله
 ١١٨ ذكر امرئ القيس - أحاديث في شأنه
 ١١٩ امرؤ القيس وذو الخلصة
 ١٢٠ موت امرئ القيس - المعلقات السبع

الصفحة	الموضوع
١٢٢	ذكر شيء من أخبار أمية بن أبي الصلت - نزلت في شأنه آية من القرآن
١٢٣	خبر أمية مع أبي سفيان
١٢٩	رواية أخرى
١٣١	أخته تروى للرسول صلى الله عليه وسلم خبرا عنه
١٣٣	أمية يريد الإسلام ثم يُحْجَم
١٣٤	مُهر له عند وفاته
١٣٥	أمية أول من قال : باسمك اللهم
١٣٦	كان يتفرس في لغة الحيوان
١٣٧	كاد أمية أن يسلم - الرسول يستمع إلى شعر أمية
١٣٨	ويصدق في شيء من شعره - من شعر أمية
١٤٠	بحيرى الراهب
١٤١	ذكر قس بن ساعدة - أحاديث عنه
١٥٣	التحقيق في حديث قُسّ - ذكر زيد بن عمرو بن نُفَيْل - نسبه
١٥٤	ترك زيد عبادة الأوثان - أخبار في ذلك
١٥٥	الخطّاب يؤذى زيدا - كان زيد يعيب على قریش ذبائحهم - خرج يطلب الحنيفية دين إبراهيم .
١٥٦	يبعث أمة وحده
١٥٧	لقاؤه لراهب بالموصل
١٥٨	كان لا يأكل مما ذبح على النصب - كان يصلى لقبلة إبراهيم
١٥٩	انتظاره لخروج النبي صلى الله عليه وسلم ووصفه له - خبر البخارى في لقاء زيد للرسول صلى الله عليه وسلم
١٦٠	رَفَضَهُ لليهودية والنصرانية - كان يحبى الموءودة وينهى عن الفاحشة

١٦١

يحشر أمة وحده - توفي وقریش تبني الكعبة

١٦٢

ترسّم الرسول صلى الله عليه وسلم عليه وإخباره عنه - من شعر زيد بن نفييل

١٦٤

شعر لورقة بن نوفل في شأن زيد - مصير رفقة الذين خرجوا يلتمسون معه الدين

ذكر شيء مما وقع من الحوادث زمن الفترة :

١٦٦

بنيان الكعبة - ذكر كعب بن مالك

١٦٧

تجديد حفر زمزم وخبر عبد المطلب

١٧١

عبد المطلب يعثر على كنز الكعبة

١٧٢

فضل ماء زمزم

١٧٣

عبد المطلب لا يحلها لمغتسل - أمر السقاية

١٧٤

ذكر نذر عبد المطلب ذبح أحد ولده

١٧٦

فتوى لابن عباس وابن عمر - ذكر تزويج عبد الله من آمنه

كتاب سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم

١٨٣

باب ذكر نسبه الشريف - من أسمائه صلى الله عليه وسلم

١٨٤

ابن عبد الله - عماته صلى الله عليه وسلم - ابن عبد المطلب

١٨٥

إخوة عبد المطلب - ابن هاشم - إخوة هاشم

١٨٧

أخواته - ابن عبد مناف - ابن قصي - ابن كعب - ابن لؤي - ابن غالب

١٨٨

ابن فهر - ابن مالك - ابن النضر - ابن كنانة - ابن خزيمه - ابن

مُدْرَكَة - ابن الياس - ابن مضر - ابن معد - ابن عدنان - لا خلاف في

هذا النسب .

١٨٩

« نحن بنو النضر بن كنانة » - « خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح »

الموضوع

الصفحة

- ١٩١ أحاديث في فضل نسبه صلى الله عليه وسلم
 ١٩٤ شعر لأبي طالب في مدح النبي
 ١٩٥ شعر للعباس في مدحه صلى الله عليه وسلم
 ١٩٦ رواية أخرى عن حسان بن ثابت
 ١٩٧ لم يسم أحد قبله أحمد - ولم يسم أحد قبله محمدا إلا ستة - ولم يدع أحد منهم النبوة .

باب مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم

- ١٩٨ ولد يوم الاثنين - نقول عن العلماء في ذلك
 ١٩٩ أخطأ من قال يوم الجمعة - كان ذلك في شهر ربيع الأول - روايات في يوم مولده
 ٢٠٠ قيل إنه ولد في رمضان - روايتان في زمن حمل أمه به
 ٢٠١ ولد في العشرين من نيسان - كان مولده عام الفيل - روايات في ذلك
 ٢٠٤ صفة مولده الشريف - مات أبوه وهو حمل في بطن أمه
 ٢٠٥ وقيل مات بعد مولده بشهور - الأول أثبت
 ٢٠٦ ما قيل لأمه حين حملت به
 ٢٠٧ وصف أمه لمولده
 ٢٠٨ فرح عبد المطلب بمولده
 ٢٠٩ ولد محتونا مسرورا
 ٢١٠ وقيل ختنه جبريل حين طهر قلبه - انفلقت عنه البرمة - سماه جده محمدا .
 ٢١١ ألهمهم الله ذلك - حديث غريب عن العباس - ما وقع من الآيات ليلة مولده
 ٢١٥ ذكر ارتجاس الإيوان وخود النيران - خبر عبد المسيح مع سطيح وتأويله
 لرؤيا كسرى .

- ٢١٨ آخر ملوك الفرس - شيء عن سطيح
- ٢٢٠ من شعر سطيح - حديث موضوع عن سطيح - لم يدرك سطيح الإسلام - وفاته
- ٢٢١ وراثته الكهانة - شيء عن عبد المسيح بن عمرو الكاهن
- ٢٢٢ راهب يتنبأ بظهور الرسول صلى الله عليه وسلم
- ٢٢٣ ذكر حواضنه ومراضعه صلى الله عليه وسلم : - أم أيمن - ثوبية
- ٢٢٥ رضاعه من حليلة السعدية - نسب حليلة - اسم زوجها - قصة حليلة وإرضاعها للرسول
- ٢٢٨ شق صدره عند حليلة وإرجاعه إلى أمه
- ٢٣٣ عفو الرسول عن قوم حليلة يوم هوازن
- ٢٣٥ عودة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى أمه - وفاة أمه - زيارة الرسول لقبر أمه ونهيها عن الاستغفار لها
- ٢٣٧ حال أبي الرسول صلى الله عليه وسلم
- ٢٣٨ مات عبد المطلب على دين الجاهلية - التحقيق في شأن أبوي الرسول وجدّه
- ٢٣٩ لم يصح إسلام أبويه - كفالة عبد المطلب للرسول
- ٢٤٠ إكرام عبد المطلب له
- ٢٤١ وفاة عبد المطلب - كفالة عمه أبي طالب
- ٢٤٣ خروجه مع عمه أبي طالب وقصته مع بحيرى
- ٢٤٦ رواية أخرى في قصة بحيرى
- ٢٤٧ نقد هذه الرواية
- ٢٤٩ شب رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل قومه

- (٢٥٠) فصل في منشأه عليه السلام وكفالة الله له - شُدَّ عليه إزاره وهو ينقل الحجارة
- ٢٥٢ ما همَّ بشيء من عمل الجاهلية - كراهته للأصنام
- ٢٥٤ كان يقف بعرفات توفيقاً من الله
- ٢٥٥ شهوده حرب الفجار
- ٢٥٧ شهوده حلف الفضول
- ٢٥٩ سبب حلف الفضول
- ٢٦١ منازعة بين الحسين بن علي والوليد بن عتبة
- ٢٦٢ زواجه بخديجة
- ٢٦٣ أولاده من خديجة
- ٢٦٥ عمره حين تزوج خديجة - ما كان يشتغل به قبل الزواج
- ٢٦٦ رواية غريبه في زواجه بخديجة
- ٢٦٨ شعر لورق - في أمر النبي
- ٢٧٠ تجديد قريش بناء الكعبة قبل المبعث
- ٢٧١ إبراهيم أول من بنى الكعبة - فضل المسجد الحرام
- ٢٧٣ آدم يحج البيت - بناء قريش البيت - وضع الحجر الأسود
- ٢٧٥ السبب في بناء قريش الكعبة
- ٢٧٧ تجزأت قريش الكعبة
- ٢٧٨ قصة المهدم
- ٢٧٩ ما وجد فيها من الكتب
- ٢٨٠ رواية ابن إسحاق في بناء الكعبة ووضع الحجر
- ٢٨١ لم يبنوها على قواعد إبراهيم

الصفحة

الموضوع

٢٨٣

شعر الزبير بن عبد المطلب

٢٨٤

أمر الخمس

كتاب مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم

وذكر شيء من البشارات بذلك

٢٨٦

بشرت به الأحبار والرهبان

٢٨٧

دعوة إبراهيم وبشرى عيسى

٢٨٨

تقدم نبوته صلى الله عليه وسلم

٢٨٩

حديث الكهان من العرب

٢٩٠

فرغت العرب للرمي بالنجوم

٢٩١

كان اليهود يستفتحون بالرسول على المشركين ثم كفروا به

٢٩٤

بشارة ابن الهيثبان بالرسول

٢٩٥

إسلام زيد بن سَعِيَّة

٢٩٦

إسلام سلمان الفارسي

٣٠٣

رواية أخرى في إسلام سلمان

٣٠٤

رواية البيهقي في إسلام سلمان

٣٠٨

أخبار غريبة في البشارة بالنبي - خبر عن هاشم بن عبد مناف

٣٠٩

رؤيا لعبد المطلب

٣١١

خبر عن أبي سفيان

٣١٤

قصة عمرو بن مرة

٣١٦

أخذ الميثاق على الأنبياء بالتصديق به

٣١٧

تقدم نبوته

الصفحة	الموضوع
٣٢٠	أخذ الله ميثاق النبيين
٣٢٢	بشارة لأهل بَصْرَى
٣٢٣	من شهادة اليهود للرسول
٣٢٥	رؤيا مختصر
٣٢٦	صفة النبي في التوراة
٣٢٩	العلم بوجوده في كتب أهل الكتاب معلوم من الدين بالضرورة
٣٣٠	ذكره عند النصارى
٣٣٤	بشارة سيف بن ذى يزن بالنبي
٣٣٨	بشارة راهب بالنبي
٣٣٩	بشارة الأوس بن حارثة به

باب في هواتف الجان

٣٤١	خبر سواد بن قارب برواياته
٣٤٩	قصة مازن بن العضوب
٣٥٢	تابع من الجن يهتف بظهور النبي
٣٥٣	روايات في ذلك
٣٥٦	قصة ورقة بن نوفل ورفقته
٣٥٨	قصة العباس بن مرداس
٣٦١	هاتف يهتف : يا أيها الناس ذوو الأجسام ..
٣٦٢	قصة رافع بن عمير
٣٦٣	قصص غريبة في ذلك
٣٦٧	بشارة النجاشي

الموضوع

قصة صم عذرة

هاتف من الجن على أبى قبيس

خبر عن سعد بن عبادة

خبر عن تمسيم الدارى - منادٍ عند سُواع

خبر عن راشد بن عبد ربه

قصة عمرو بن مرة الجهنى

خبر عن شيخ من جهينة

خبر سطيح الكاهن

باب كيفية بدء الوحي

كان عمره أربعين سنة - أول ما بدى به الرؤيا الصالحة - مجىء جبريل إليه

فترة الوحي

عمره عليه السلام وقت البعثة وتاريخها - قرن به إسرائيل ثلاث سنين

ما كان الرسول يراه قبل البعثة من العجائب

كان رسول الله يتحنث بحراء كل سنة

على أى شرع كان يتعبد الرسول

جاءه جبريل يوم الاثنين - أوحى إليه فى ربيع الأول أو فى رمضان

وهو المشهور

شرح حديث مجىء جبريل

معنى « تكسب المعدوم » - شىء عن ورقة بن نوفل

إخبار الرسول عن ورقة

كان الرسول يسمع صوتا يناديه قبل البعثة

من شعر ورقة

- ٤٠٢ رواية عبيد بن عمير في بدء الوحي
- ٤٠٥ رواية موسى بن عُقبة عن الزهري في ذلك
- ٤٠٦ رواية ابن عساكر عن سليمان بن طرخان
- ٤١٠ خديجة تطلب من الرسول إعلامها بحبريل
- ٤١١ إني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم على
- ٤١٢ رواية البخاري عن فترة الوحي - أول ما نزل من القرآن والخلاف فيه
- ٤١٤ تتابع الوحي

فصل في منع الجان من استراق السمع

- ٤١٧ تعجب ثقيف من الرمي بالشهب
- ٤١٨ رواية الشعبي في ذلك
- ٤١٩ رواية ابن إسحق
- ٤٢٠ تنكيس الأصنام - تعجب الشياطين

كيفية إتيان الوحي إلى رسول الله

- ٤٢١ رواية البخاري في ذلك
- ٤٢٢ روايات في صفة نزول الوحي
- ٤٢٥ لا تحرك به لسانك
- ٤٢٦ تتابع الوحي - إسلام خديجة
- ٤٢٧ الدعوة سرا - كانت خديجة أول من آمن
- ٤٢٧ حبريل يعلم الرسول الصلاة

- ٤٢٨ فصل في ذكر أول من أسلم ومتقدمي الصحابة
- ٤٢٨ إسلام علي بن أبي طالب
- ٤٢٩ كان علي أول من أسلم
- ٤٣٠ عمره حين أسلم
- ٤٣٢ وقيل أبو بكر أول من أسلم - الجمع بين الأقوال
- ٤٣٣ صفة إسلام أبي بكر
- ٤٣٤ منزلة أبي بكر
- ٤٣٥ شعر لحسان في أبي بكر
- ٤٣٦ أول من أظهر الإسلام سبعة
- ٤٣٧ أبو بكر يدعو إلى الإسلام - من أسلم على يديه
- ٤٣٩ أبو بكر يؤذى في سبيل الله
- ٤٤٢ رواية عمرو بن عبسة
- ٤٤٤ إسلام عبد الله بن مسعود - إسلام خالد بن سعيد بن العاص
- ٤٤٥ ذكر إسلام حمزة بن عبد المطلب
- ٤٤٧ إسلام أبي ذر الغفاري
- ٤٥٢ إسلام ضماد الأزدي
- ٤٥٣ السابقون الأولون في رواية ابن إسحق
- ٤٥٥٦ باب أمر الله رسوله بإبلاغ الرسالة
- ٤٥٥ وأنذر عشيرتك الأقربين
- ٤٥٧ الرسول يدعو أهله
- ٤٥٨ رواية أخرى

الصفحة

الموضوع

- ٤٦١ أبو لهب يشتد على الرسول - وأبو طالب ينصره
- ٤٦٣ قريش تفاوض أبا طالب
- ٤٦٤ شعر لأبي طالب - أبو جهل يحاول قتل الرسول فيمنعه الله
- ٤٦٥ روايات في ذلك
- ٤٦٨ الرسول يدعو على رؤوس الكفر
- ٤٦٩ قصة الإراشي
- ٤٧٠ أشد شيء صنعه المشركون بالرسول
- ٤٧٢ تأليب الملأ من قريش على رسول الله :
- ٤٧٢ أوديت في الله وما يؤذى أحد
- ٤٧٣ قريش تلجأ إلى أبي طالب
- ٤٧٤ عودتهم إليه مرة أخرى
- ٤٧٥ أبو طالب لا يخذل الرسول صلى الله عليه وسلم - قريش تساوّم أبا طالب
- ٤٧٦ شعر لأبي طالب - مبالغة الكفار في إيذاء المسلمين
- ٤٧٧ شعر لأبي طالب
- ٤٧٧ ما اعترض به المشركون على رسول الله :
- ٤٨٠ طلبهم منه تسيير الجبال وتفجير الأنهار
- ٤٨٢ سألوه أن يجعل له الصفا ذهباً
- ٤٨٣ أشبع يوماً وأجوع يوماً - وفد قريش إلى أحبار المدينة
- ٤٨٥ أهل الكهف والخضر والروح
- ٤٨٦ قصيدة أبي طالب : - ولما رأيتُ القومَ لا وُدَّ فيهمُ
- ٤٩٢ عدوان الكفار على من أسلم - تعذيب بلال

الموضوع

الصفحة

٤٩٣

أبو بكر يشتري العبيد المسلمين

٤٩٤

تعذيب آل ياسر

٤٩٥

أبو جهل يُغري بالمسلمين - كان المشركون ييلفون من أصحاب رسول الله ما يُعذرون به في ترك دينهم

٤٩٦

تعذيب خباب بن الارت - يارسول الله ألا تدعو لنا؟! - شكونا إلى رسول الله شدة الرمضاء

٤٩٨

مجادلة المشركين لرسول الله صلى الله عليه وسلم - بين أبي جهل والوليد ابن المغيرة

٤٩٩

الوليد بن المغيرة يشاور قريشاً في ما يقولون في رسول الله صلى الله عليه وسلم

٥٠١

مجادلة عتبة بن ربيعة للرسول

٥٠٣

رواية أخرى في ذلك

٥٠٥

عتبة يدعو قريشاً إلى مهادنة الرسول - قريش تستمع إلى قراءة النبي

٥٠٦

رأى أبي جهل فيما سمع

٥٠٧

بين أبي جهل وأبي سفيان

٥٠٨

ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها

فهرس القوافى

(أ)

٢٨	الحارث بن حنزة	إبقاء
١٣٩	أمية بن أبى الصلت	الحياة
٣٩٥	—	الأحياء

(ب)

٢٨٣	الزبير بن عبد المطلب	اضطرابُ
٣٧٤	راشد بن عبد ربه	الثعالبُ
١٢٠	امروء القيس	عسيبُ
١٢١	علقمة بن عبدة	مشيبُ
٥٣٠	عدى بن زيد	مناكبها
٤٦	» » »	مواهبها
٣٤٨، ٣٤٥	سواد بن قارب	بكاذبِ
٣٦٦	—	العربِ
٣٥٦	—	والغربِ
٧٧	أبو العباس الناشئُ	المآربِ
٣٥٦	عثمان بن الحويرث	قربِ
٤٠	أبو قيس بن الأسات	الأخشبِ
٧٣	—	ذنبِ
٣٤٧، ٣٤٤	—	بقوتانيها

(ت)

١٠٠	قصي بن كلاب	ريث
١١١	حاتم الطائي	رويت
٣٨٠		عريتا
٣٨٠		النجاة

(ث)

١٥١		عبث
-----	--	-----

(ج)

٣٩٩ ، ٢٦٨	ورقة بن نوفل	النشيجا
٣٥١	مازن بن العضوب	العرج

(ح)

١٣٤	أمية بن أبي الصلت	ججاج
٢٦٩	ورقة بن نوفل	فادح
٤٠٠	» » »	ناصح
٣٧٧		صلاح

(د)

٨٣		معد
١٧١	عبد المطلب	المعبد
٢٧٠	ورقة بن نوفل	أحد
١٣٨	أمية بن أبي الصلت	وأبلدوا
١٣٨	أمية بن أبي الصلت	مرصد

٢١١	أبو طالب	محمد
١٢١	—	عهد
١١٢	حاتم الطائي	يزيد
٣٧٣، ٣٧١		الهجود
١١٧	أمية بن أبي الصلت	ينادي
٧٢	أعشى بن قيس	سنداد
١١٢	المتلمس	الفساد
٣٧٤		مهتدي
٣٥٩، ٣٥٨		المسجد
١٣	عباس بن مرداس	مطرود
٦٩	رجل من بني ملكان	سعد
٢١٠	—	الحمد
١٢٠	الناعبة الذيباني	الأمدة
١٢١	طرفة بن العبد	اليدي
(ر)		
١٤٢، ١٤١	قُس بن ساعدة	بصائر
١٧٠	—	مير
٣١	سبيعة بنت الأحب	الكبير
١٤٧	قُس بن ساعدة	نهار
١٣٦	—	قبر
١١١	حاتم الطائي	ستر
٥٨	عمرو بن الحارث	الحاجر

٢٣٣	زهير بن صرد	وندخرو
٢٣٤	أبو صرد بن زهير	ونتظرو
٤٧٦	أبو طالب	بكر
١٦٣	زيد بن نفيل	الصبور
٤٠	أمية بن أبي الصلت	الكفور
٥٣	عدى بن زيد	الموفور
١٦٣	زيد بن نفيل	الأمور
٢١٧	عبد المسيح بن عمرو	وتغير
١٦٧	كعب بن أوى	ونهارها
١١١	حاتم الطائي	أستثيرها
٣٩٥	أبو الحسن التهامي	قبرا
٣٧٠	—	المنكرا
٨٩	كثير عزة	أزهرها
١٣٩	أمية بن أبي الصلت	كبيرا
٢٥٩	الزبير بن عبد المطلب	دار
٥٠	—	الأخيار
٣٦٢	—	وإزارى
٣٦٣		العيزار
٣٦٧		غزار
٣٤٨ ، ٣٤٥		بأنوارها
٣٣٩	أوس بن حارثة	الحجر
٢٢٠	سطيح الكاهن	بالقدر

١١٢	حاتم الطائي	مجزري
٥	عمرو بن مرة	تنزير
١٧٨	فاطمة بنت مر	القطر
٢٥٩	—	والنفر
٣٧٨	عمرو بن مرة	لعامر
٧٨	حذافة بن غانم	فهر
١٧٨ ، ٩٩	—	فهر
٤٠١	ورقة بن نوفل	غير
	(س)	
٣٤٤		ب حلاسها
	(ش)	
٨٨	—	قريشاً
٨٨	الجمحي	قريشاً
	(ع)	
١١٤	أم حاتم الطائي	جانعا
١١٢	حاتم الطائي	أجمعا
٢٥٥	البراض	ضلوعى
	(ف)	
١٨٥	مطروذ بن كعب	عجاف
٣٩١	رؤبة بن الحجاج	الأجذاف
١٨٦	—	مناف

(ق)

٥	أعشى بن قيس	عتقوا
١١٣	حاتم الطائي	خرق
١٥١	قس بن ساعدة	خرق
١٩٥	العباس بن عبد المطلب	الورق
١٩٦	حسان بن ثابت	الورق
١٣٢	أمية بن أبي الصلت	سابقها
٣٣٨	أمية بن عبد شمس	ونوق

(ك)

٣٥	عبد المطلب	رحال
٩٢	ثعابة بن سعد	لك
٣٦٠	العباس بن مرداس	مشاركاً
٣٨٠		نفسكا
٣٧٦، ٣١٥	عمرو بن مرة	تارك

(ل)

٩٣	—	سئل
٤٠٠	ورقة بن نوفل	مرسل
١٣٧	ليد بن ربيعة	باطل
٣٨٠		تضليل
١٤٤	الجارود بن المعل	فالاً
١٦٢	زيد بن عمرو بن نفيل	ثقالا
١٥	أبو الصلت بن ربيعة	أحوالاً

٤٣٥	حسان بن ثابت	فعلاً
٢٦٠	نبيه بن الحجاج	جميلاً
٩٩	رزاح	الخليل
١٣٤ ، ١٣٣	أمية بن أبي الصلت	يزولاً
٤٨٦	أبو طالب	والوسائل
٧٠	أبو طالب	ونائل
٣٧٩	—	والإفضال
٣٥٠	مارن بن العضوبة	بتضال
٢٥٦	لييد بن ربيعة	موالى
١٨٦	أبو طالب	آجل
١١٨	امرؤ القيس	ومنزلة
١٨٦	أبو طالب	ونازل
٦١	إسماعيل بن رافع الأنصارى	المتحامل
٣٦٩	زمل بن عمرو	الرملة

(م)

٣٧٠		الأفهام
١٥٠		الحرم
١٢	أعشى بنى قيس	العرم
٣٩	أبو قيس بنى الأسلت	رزم
٢٣	تبّع	النسم
٥٢	أعشى بنى قيس	نعم
١٥٠		ألم

٤٩	خالد بن حق الشيباني	اللحام
١١١	حاتم الطائي	حرام
٢٦٠	الزبير بن عبد المطلب	ظالم
٤١	عبيد الله بن قيس الرقيات	مهزوم
١١٥	حاتم الطائي	شتامها
١٢١	لبيد بن ربيعة	فرجامها
٣٩	عبد الله بن الزبيري	حريمها
٤٧٧، ١٩٤	أبو طالب	وصيمها
٢٥	سيف بن ذي يزن	التأما
٧١	المستوغر	أسحما
٩٦	جذل الطعان	كراما
١٧٧	أم قتال	غلاما
١٤٩	قس بن ساعدة	كراكا
١٣٣	أمية بن أبي الصلت	الما
٣٦٤		الأشائم
١١٩	امروء القيس	داحي
٨	سبا	الحرام
٣٦١	—	غلام
٨٩		والتكرم
١٢٠	زهير بن أبي سلى	فالتعلم
١٢١	عنتر بن شداد	توهم
	(ن)	
٢١٦	عبد المسيح بن عمرو	العنن

٣٥٢	مازن بن العضوب	لَيْنُ
٣٧٢		أُتَا:
١٣٣	أمية بن أبي الصلت	مجرانا
٣٦٥		قهرنا
٧٢	المستوغر	مُثِينَا
٣٦	نفيل بن حبيب الخثعمي	عِينَا
٤٦٤	أبو طالب	دَفِينَا
٦٠	عمرو بن الحارث	الهونا
٥٩	عمرو بن الحارث	تَسِيرُونَا
٢٠٨	عبد المطلب	الأردانِ
١١٧	أمية بين أبي الصلت	بالعيدانِ
١٧٩	فاطمة بنت مر	يعتركانِ
١١٧	أمية بن أبي الصلت	الديانِ
٣٩١	رؤبة بن العجاج	منحني
١١٢	حاتم الطائي	يرتجيني

(ه)

٩١	سامة بن لؤي	مهرآه
١٧٨	عبد الله بن عبد المطلب	فأستبينه

(ي)

١٦٢	زيد بن عمرو بن نفيل	باقيا
١٦٤، ١٥٦	ورقة بن نوفل	حاميا

تصويبات

الصفحة	السطر	الصواب
٧	٧	حَرِير
٧	٨	أَبِي حُبَيِّ
٧	٨	عَنْ ذِي مِخْمَرٍ
خلافًا لما في الأصل من تحريف . وما أثبتته عن ترتيب مسند أحمد ١٥٧/٢٠		
٦٤	٧	يُمْنَع . ويحذف الهامش
١٠٧	٣	الطائي
١٢١	٣	بِبُرْقَةٍ
١٢١	٥	ابن قطيعة
١٤٩	١٢	أَجَدَّ كَمَا
{ ١٧٧ ، ٢٤٦ ، ٢٥١ ، ٢٦٤ ، ٢٦٩ ، ٢٧٢ ، ٣٣٠ ، ٣٠٤ ، ٢٩٤ }		
يونس بن بكير		
٢٤١	١٧	مَعْمَر
٢٦٠	١٤	وَلَمْ أَحِ
٢٦٠	١٦	عَشِيَّة
٢٦٤	١٩	أَنْصَاء
٣٠٤	٧	لَقِيتَ
٣٢٥	٨	بِحُتْمَصْرٍ
٣٣٦	١٤	ثَلَج
٣٩٨ ، ٣٨١		شَرَّ حَبِيل
٤٢٢	٣	السَّخْنَيَانِ

تعليقات

- ١ — في صفحة ١٤٢ سطر ٣ : « محمد بن حسان السهمي » وهو تحريف والصواب السَّمِّي كما في ميزان الاعتدال .
- ٢ — ص ٢٨٨ س ٦ : « وسأنتبكم بأول ذلك » كذا بالأصل وفي ترتيب مسند أحمد : « بتأويل ذلك » وهو أصوب .
- ٣ — ص ٢٨٨ س ٧ : « وكذلك أمهات المؤمنين » كذا وفي ترتيب المسند ١٨١/٢٠ « وكذلك ترى أمهات النبيين » .
- ٤ — ص ٢٩٥ س ١٩ ، ص ٢٩٦ س ١٣ : « زيد بن سَعْيَة » كذا بالأصل والدلائل ولكن الذهبي في المشتبه ٣٩٦/٢ قال : « وبمهملتين ونون زيد بن سَعْنَة الحَبْر »
- ٥ — ص ٣١٦ س ٧ : « ليس الوردة اللبقة » كذا ولا يتضح معناها .
- ٦ — ص ٢١١ س ١٤ « أحمد بن إبراهيم الميثي » كذا بالأصل والصواب كما في شرح المواهب : « أحمد بن إبراهيم الحلبي » قال عنه أبو حاتم : أحاديثه باطلة تدل على كذبه . وفي الخصائص « الحلبي » وهو تحريف .
- ٧ — ص ٢٤٠ س ١٧ « قريب » كذا والصواب « قريبا » .
- ٨ — ص ٣٥٢ س ١٠ : « ومنع منا القرار » كذا بالأصل ، ولكن الرواية في ترتيب مسند أحمد ٢٠/٢٠٤ : « ومنع من القرار » والمعنى : منع من الفرار يوم الزحف في الجهاد .

السيرة النبوية

للإمام أبي الفداء إسماعيل بن كثير

٧٠١ — ٧٧٤ هـ

تحقيق

مصطفى عبد الواحد

الجزء الثاني

١٣٩٦ هـ — ١٩٧٦ م

دار المعرفة

للطباعة والنشر والتوزيع

هاتف ٢٣٦٧٦٩ — ٢٤٦١٦١

ص.ب ٥٧٦٩

بيروت — لبنان

السيرة النبوية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

باب هجرة مَنْ هاجر مِنْ أصحاب رسول الله صلى عليه وسلم
من مكة إلى أرض الحبشة فراراً بدينهم من الفتنة

قد تقدّم ذكرُ أذية المشركين للمستضعفين من المؤمنين ، وما كانوا يعاملونهم به من
الضرب الشديد والإهانة البالغة .

وكان الله عز وجل قد حجّرهم عن رسوله صلى الله عليه وسلم ومنعه بعهه أبي طالب .
كما تقدم تفصيله . والله الحمد والمنة .

وروى الواقدي أن خروجهم إليها في رجب سنة خمسٍ من البعثة ، وأن أولَ مَنْ
هاجر منهم أحد عشر رجلاً وأربع نسوة ، وأنهم انتهوا إلى البحر ما بين مَاشٍ وراكب ،
فاستأجروا سفينة بنصف دينار إلى الحبشة .

وهم : عثمان بن عفان ، وامراته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وأبو حذيفة بن عتبة وامراته سهيلة بنت مُهَيْل ، والزبير بن العوّام ، ومُصْعَب بن
عَمِير ، وعبد الرحمن بن عوف ، وأبو سامة بن عبد الأسد ، وامراته أم سلمة بنت أبي
أمية ، وعثمان بن مظعون ، وعامر بن ربيعة العنزي ، وامراته ليلى بنت أبي حنمة ،
وأبو سبرة بن أبي رهم ، وحاطب^(١) بن عمرو ، وشهيل بن بيضاء ، وعبد الله بن
مسعود . رضى الله عنهم أجمعين .

قال ابن جرير : وقال آخرون : بل كانوا اثنين وثمانين رجلاً ، سوى نساءهم

(١) في ابن هشام : ويقال بل أبو حطب .

وأبنائهم ، وعَمَّار بن ياسر ، نَشَكُّ ، فإن كان فيهم فقد كانوا ثلاثة وثمانين رجلاً .

وقال محمد بن إسحاق : فلما رأى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ما يصيب أصحابه من البلاء ، وما هو فيه من العافية ، بمكانه من الله عز وجل ومن عمه أبي طالب ، وأنه لا يَقْدِر على أن يتمتعهم مما هم فيه من البلاء ، قال لهم : لو خرجتم إلى أرض الحبشة ، فإن بها مَلِكٌ لا يُظْلَم عنده أحد ، وهى أرضٌ صِدْق ، حتى يجعل الله لكم فَرَجًا مما أنتم فيه .

فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة وفراراً إلى الله بدينهم .

فكانت أول هجرة كانت فى الإسلام .

فكان أول من خرج من المسلمين عثمان بن عفان وزوجته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكذا روى البيهقي من حديث يعقوب بن سفيان ، عن عباس العنبري ، عن بشر بن موسى ، عن الحسن بن زياد البرُّجُمي^(١) ، حدثنا قتادة ، قال : أول من هاجر إلى الله تعالى بأهله عثمان بن عفان رضى الله عنه .

سمعت النَّصْر بن أنس يقول سمعت أبا حمزة ، يعنى أنس بن مالك ، يقول : خرج عثمان بن عفان ومعه امرأته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلى أرض الحبشة ، فأبطأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم خبرهما ، فقَدِمَت امرأة من قريش فقالت :

(١) نسبة إلى البراجم ، قبيلة من تميم ، وهو لقب لخمس بطون . الباب ١-١٠٧

يا محمد ، قد رأيتُ خَنَنَكَ^(١) ومعه امرأته . قال : على أى حالٍ رأيتهما ؟

قالت : رأيته قد حمل امرأته على حمار من هذه الدَّبابَةِ^(٢) وهو يسوقها .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : صحبهما الله ! إن عثمان أولُ من هاجر بأهله

بعد لوط عليه السلام .

قال ابن إسحاق : وأبو حذيفة بن عُتْبَةَ ، وزوجته سهيلة بنت سهيل بن عمرو ، وولدت له بالحبيشة محمد بن أبي حذيفة .

والزبير بن العوام ، ومُضْعَب بن عُمَيْر ، وعبد الرحمن بن عوف ، وأبو سلمة بن عبد الأسد ، وامرأته أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة ، وولدت له بها زينب .

وعثمان بن مظعون ، وعامر بن ربيعة حليف آل الخطاب ، وهو من بنى عَمْرَ بن وائل ، وامرأته ليلي بنت أبي حنمة ، وأبو سبرة بن أبي رهم العامري . وامرأته أم كلثوم بنت سهيل بن عمرو ، ويقال أبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر ، وهو أولُ من قدمها فيما قيل . وسهيل بن بيضاء .

فهؤلاء العشرة أولُ من خرج من المسلمين إلى أرض الحبشة ، فيما بلغنى .

قال ابن هشام : وكان عليهم عثمان بن مظعون ، فيما ذكر بعض أهل العلم .

قال ابن إسحاق : ثم خرج جعفر بن أبي طالب ومعه امرأته أسماء بنت عميس . وولدت له بها عبد الله بن جعفر .

وتتابع المسلمون حتى اجتمعوا بأرض الحبشة .

وقد زعم موسى بن عُقبة أن الهجرة الأولى إلى أرض الحبشة كانت حين دخل

(١) الحَنَن : الصبر . (٢) الدبابة : الضعفة التي تدب في المشي .

أبو طالب ومن حالفه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الشعب .
وفي هذا نظر . والله أعلم .

وزعم أن خروج جعفر بن أبي طالب إنما كان في الهجرة الثانية إليها ، وذلك بعد
عَوْد بعض من كان خرج أولاً ، حين بلغهم أن المشركين أسلموا وصلّوا ، فلما قدموا
مكة ، وكان فيمن قدِم عثمان بن مظعون ، فلم يجدوا ما أخبروا به من إسلام المشركين
صحيحاً ، فرجع من رجع منهم ومكث آخرون بمكة ، وخرج آخرون من المسلمين إلى أرض
الحبشة وهي الهجرة الثانية . كما سيأتى بيانه .

قال موسى بن عقبة : وكان جعفر بن أبي طالب فيمن خرج ثانياً .
وما ذكره ابن إسحاق من خروجه في الرّاعيل الأول أظهر كما سيأتى بيانه .
والله أعلم .

لكنه كان في زُمرَةٍ ثانية من المهاجرين أولاً ، وهو المقدم عليهم والمتّرجم عنهم
عند النجاشي وغيره . كما سنورده مبسوطاً .

* * *

ثم إن ابن إسحاق سردَ الخارجين صحبة جعفر رضى الله عنهم .
وهم : عمرو بن سعيد بن العاص ، وامرأته فاطمة بنت صفوان بن أمية بن مُحَرَّث
ابن شِقِّ السكناني .

وأخوه خالد ، وامرأته أمينة بنت خلف بن أسعد الخزاعي ، وولدت له بها سعيدا
وأمةً التي تزوجها بعد ذلك الزبير فولدت له عمراً وخالداً .

قال : وعبدُ الله بن جحش بن رِثَاب ، وأخوه عُبَيْدُ الله ، ومعه امرأته أم حبيبة
بنت أبي سفيان .

وقيسُ بن عبد الله من بنى أسد بن خزيمة وامراته بركة بنت يسار مولاة أبي سفيان .

ومُعَيْقِب بن أبي فاطمة ، وهو من موالى سعيد بن العاص . قال ابن هشام : وهو من دؤس .

قال : وأبو موسى [الأشعري] عبد الله بن قيس حليف آل عتبة بن ربيعة . وسنتكلم معه في هذا .

وعُتْبَةُ بن غَزْوَان ، ويزيد بن زَمْعَةَ بن الأسود ، وعمرو بن أمية بن الحارث بن أسد ، وطلّيب بن عُمَيْر بن وهب بن أبي كثير ^(١) بن عبد ، وسُوَيْبِط بن سعد بن حُرَيْمَلَة ^(٢) ، وجَهْم بن قيس القَبْدَوِي ، ومعه امرأته أم حرملة بنت عبد الأسود بن خزيمة ، وولده عمرو بن جَهْم وخزيمة بن جَهْم ، وأبو الرُّوم بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ، وفِرَاس بن النضر بن الحارث بن كَلْدَة ، وعامر بن أبي وقاص أخو سعد ، والمطلب بن أَرْهَر بن عبد عوف الزُّهْرِي . وامراته رَمْلَة بنت أبي عوف بن ضُبَيْرَة ، وولدت بها عبد الله .

وعبدُ الله بن مسعود ، وأخوه عتبة ، والمقداد بن الأسود ، والحارث بن خالد بن صَخْر التَّيْمِي ، وامراته رَيْطَة بنت الحارث بن جُبَيْلَة ^(٣) ، وولدت له بها موسى وعائشة وزينب وفاطمة .

وعمر بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مُرَّة ، وشَمَّاس بن عثمان بن الشريد الخزومي . قال : وإنما سمى شَمَّاساً لحسنه ، وأصلُ اسمه عثمان بن عثمان .

وهَبَّار بن سفيان بن عبد الأسد الخزومي ، وأخوه عبد الله ، وهشام بن أبي حذيفة

(١) وتروى : كبير . (٢) وتروى : حرملة .

(٣) في الاستيعاب : ابن جبلة .

ابن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم ، وسلمة بن هشام بن المغيرة ، وعيَّاش بن أبي ربيعة بن المغيرة ، ومُعْتَب بن عوف بن عامر ، ويقال له عَيْهَامَة ، وهو من حلفاء بني مخزوم .

قال : وقُدَّامَة وعبد الله أخوا عثمان بن مَظْعُون ، والسائب بن عثمان بن مظعون ، وحاطب بن الحارث بن مَعْمَر ، ومعه امرأته فاطمة بنت المُجَلَّل ، وابناه منها محمد والحارث ، وأخوه خطاب ، وامرأته فُكَيْهَة بنت يَسَّار ، وسفيان بن مَعْمَر بن حبيب ، وامرأته حَسَنَة وابناه منها جابر وجُنَادَة ، وابنها من غيره ، وهو شُرْحَبِيل بن عبد الله ، أحد الفَوْث بن مزاحم بن تميم ، وهو الذي يقال له شُرْحَبِيل بن حَسَنَة .

وعثمان بن ربيعة بن أَهْبَان بن وهب بن حُدَافَة بن جُحَمَح ، وخُنَيْس بن حُدَافَة بن قيس بن عدى ، وعبد الله بن الحارث بن قيس بن عدى بن سعيد بن سهم ، وهشام بن العاص بن وائل بن سعيد ، وقيس بن حُدَافَة بن قيس بن عدى ، وأخوه عبد الله .

وأبو قيس بن الحارث بن قيس بن عدى ، وإخوته : الحارث ومَعْمَر والسائب وبِشْر وسعيد ، أبناء الحارث ، و [أخو] سعيد بن قيس بن عدى لأمِّه ، وهو سعيد بن عمرو التميمي .

ومُعْمِر بن رِثَاب بن حذيفة بن مُهَشِّم بن سعيد بن سَهْم ، وحليف لبني سهم وهو حَمِيَّة بن جَزْء ^(١) ، الزُّبَيْدَى ومَعْمَر بن عبد الله العدَوِي ، وعروة بن عبد العزى ، وعدى بن نَضْلَة بن عبد العزى ، وابنه النعمان ، وعبد الله بن مَحْرَمَة العامري ، وعبد الله بن سهيل ابن عمرو ، وسَلِيط بن عمرو ، وأخوه السكران ، ومعه زوجته سَوْدَة بنت زَمْعَة ، ومالك بن ربيعة ، وامرأته عَمْرَة بنت السَّعْدَى ، وأبو حاطب ^(٢) بن عمرو العامري وحليفهم سعد بن خَوْلَة ، وهو من اليمن .

(١) ويروى كما في ابن هشام والاستيعاب : ابن جزاء .

(٢) ويروى كما في الاستيعاب : حاطب بن عمرو .

وأبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح الفهري ، وسُهَيْل بن بيضاء ، وهى أمه ،
واسمها دَعْد بنت جَعْد بن أمية بن ظَرِب بن الحارث بن فِهْر ، وهو سهيل بن وهب
ابن ربيعة بن هلال [بن أهيب] ^(١) بن ضَبَّة ، وعمر بن أبي سَرْح بن ربيعة بن هلال
[بن أهيب] ^(١) بن مالك بن ضَبَّة بن الحارث ، وعِيَاض بن زُهَيْر بن أبي شداد بن
ربيعة بن هلال بن مالك بن ضبة ، وعمر بن الحارث بن زهير بن أبي شداد بن ربيعة ،
وعثمان بن عبد غَنَم بن زهير أخوان ، وسعيد بن عبد قيس بن لقيط ، وأخوه
الحارث ، الفهريون .

قال ابن إسحق : فكان جميع من لَحِقَ بأرض الحبشة وهاجر إليها من المسلمين ،
سوى أبنائهم الذين خرجوا بهم صفاراً أو ولدوا بها ، : ثلاثة وثمانين رجلاً إن كان عمار
ابن ياسر فيهم ، وهو يُشَكُّ فيه .

قلت : وذِكْرُ ابن إسحق أبا موسى الأشعري فيمن هاجر من مكة إلى أرض الحبشة
غريب جدا .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا حسن بن موسى ، سمعت حُذَيْفًا ^(٢) أخا زُهَيْر بن
معاوية ، عن أبي إسحق ، عن عبد الله بن عَتْبَةَ ، عن ابن مسعود قال : بعثنا رسولُ
الله صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي ونحن نحو ^(٣) من ثمانين رجلاً ، فيهم عبد الله بن
مسعود وجعفر ، وعبد الله بن عَرْفَطَةَ ، وعثمان بن مظعون وأبو موسى .
فأتوا النجاشي .

(١) الزيادة من ابن هشام . (٢) الأصل خديج بالخاء . وهو تحريف وما أثبتته عن المسند .

(٣) ط : نحوا . وما أثبتته عن المسند .

وبعثت قريش عمرو بن العاص وعمار بن الوليد بهدية .

فلما دخلا على النجاشي سجدا له ثم ابتدراه عن يمينه وعن شماله ، ثم قالاه : إن نفرا من بنى عمنا نزلوا أرضك ورغبوا عنا وعن ملتنا .

قال : فأين هم ؟ قالوا : فى أرضك فابعث إليهم .

فبعث إليهم ، فقال جعفر : أنا خطيبكم اليوم . فاتبعوه .

فسلم ولم يسجد ، فقالوا له : مالك لا تسجد للملك ؟

قال : إنا لا نسجد إلا لله عز وجل .

قال : وما ذاك ؟

قال : إن الله بعث إلينا رسولا ، ثم أمرنا ألا نسجد لأحد إلا لله عز وجل ، وأمرنا بالصلاة والزكاة .

قال عمرو : فإنهم يخالفونك فى عيسى بن مريم .

قال : فما تقولون فى عيسى بن مريم وأمه .

قال : نقول كما قال الله : هو كلمته وروحه ألقاها إلى العذراء البتول التى لم يمسهما بشر ولم يفرضها ولد^(١) .

قال : فرفع عودا من الأرض ثم قال : يامعشر الحبشة والقسيسين والرهبان ، والله ما يزيدون على الذى تقول^(٢) فيه ماسوى^(٣) هذا ، مرحبا بكم وبمن جئتم من عنده ، أشهد أنه رسول الله وأنه الذى نجد فى الإنجيل ، وأنه الرسول الذى بشر به عيسى بن مريم ، انزلوا حيث شئتم ، والله لو لمّا أنا فيه من الملك لأتيتنه حتى أكون أنا الذى أحمل نعليه^(٤) !

(١) رواية النهاية لابن الأثير : ولم يفرضها ولد . قال : أى لم يؤثر فيها ولم يحزها ، يعنى قبل المسيح . ورواية ابن الجوزى فى الوفا : ولم يقرعها ذكر .

(٢) مسند أحمد : يقول . (٣) المسند : ما يسوى . (٤) زاد فى المسند : وأوضه .

وأمر بهدية الآخرين فردّت إليهما .

ثم تعجّل عبدُ الله بن مسعود حتى أدرك بدرًا .

وزعم أن النبي صلى الله عليه وسلم استغفر له حين بلغه موته .

وهذا إسناد جيد قوى وسياق حسن ، وفيه ما يقتضى أن أبا موسى كان فيمن هاجر

من مكة إلى أرض الحبشة ، إن لم يكن مُدرجا من بعض الرواة . والله أعلم .

وقد روى عن أبي إسحق السَّبيعيّ من وجه آخر .

فقال الحافظ أبو نُعيم في الدلائل : حدثنا سليمان بن أحمد ، حدثنا محمد بن زكريا

الغُلَابيّ ، حدثنا عبد الله بن رجاء ، حدثنا إسرائيل .

وحدثنا سليمان بن أحمد ، حدثنا محمد بن زكريا ، حدثنا الحسن بن عُلوية القَطَّان ،

حدثنا عباد بن موسى الخُتليّ ، حدثنا إسماعيل بن جعفر ، حدثنا إسرائيل .

وحدثنا أبو أحمد ، حدثنا عبد الله بن محمد بن شيرويه ، حدثنا إسحق بن إبراهيم ،

هو ابن راهَوَبة ، حدثنا عبید الله ^(١) بن موسى ، حدثنا إسرائيل ، عن أبي إسحق ،

عن أبي بُردة ، عن أبي موسى ، قال :

أمرنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أن نطلق مع جعفر بن أبي طالب إلى

أرض النجاشي ^(٢) .

فبلغ ذلك قريشا فبعثوا عمرو بن العاص وعُمارة بن الوليد ، وجمعوا

للنجاشي هدية .

وقدما على النجاشي فأتياه بالهدية ، فقبلها ، وسجدا له .

(١) دلائل النبوة ٢٠٥ : عبد الله . (٢) الدلائل أرض الحبشة .

ثم قال عمرو بن العاص : إن ناسا من أرضنا رغبوا عن ديننا ، وهم في أرضك .
قال لهم النجاشي : في أرضي ؟ !
قالا : نعم .

فبعث إلينا ، فقال لنا جعفر : لا يتكلم منكم أحد ، أنا خطيبكم اليوم .
فانتهينا ^(١) إلى النجاشي وهو جالس في مجلسه وعمرو بن العاص عن يمينه وعمارة
عن يساره ، والقسيسون جلوس سباطين ، وقد قال له عمرو وعمارة : إنهم
لا يسجدون لك .

فلما انتهينا بَدَرْنَا مَنْ عنده من القسيسين والرهبان : اسجدوا للملك .
فقال جعفر : لا نسجد إلا لله عز وجل .

فاما انتهينا إلى النجاشي قال : ما منعك أن تسجد ؟
قال : لا نسجد إلا لله .

فقال له النجاشي : وما ذاك ؟

قال : إن الله بعث فينا رسولا ، وهو الرسول الذي بشر به عيسى بن مريم عليه
الصلاة والسلام من بعده ، اسمه أحمد ، فأمرنا أن نعبد الله ولا نشرك به شيئا ، ونقيم
الصلاة ونؤتي الزكاة ، وأمرنا بالمعروف ، ونهانا عن المنكر .
فأعجب النجاشي قوله .

فلما رأى ذلك عمرو بن العاص قال : أصلح الله الملك ، إنهم يخالفونك في
عيسى بن مريم .

فقال النجاشي لجعفر : ما يقول صاحبكم في ابن مريم .

قال : يقول فيه قولَ الله : هو روحُ الله وكلته ، أخرجهُ من العذراء البتول التي لم يَقْرَبْهَا بشرٌ ولم يَقْرَضْهَا ولد .

فتناول النجاشيُّ عوداً من الأرض فرفعه فقال : يامعشر القسيسين والرهبان : مايزيدون هؤلاء على ما نقول في ابن مريم ولا وزنَ هذه .

مرحباً بكم وبمن جئتم من عنده ، فأننا أشهد أنه رسول الله ، وأنه الذي بشر به عيسى ، ولولا ما أنا فيه من الملك لأتيتهُ حتى أقبل نعليه ، امكثوا في أرضي ماشئتم .

وأمر لنا بطعام وكسوة ، وقال : ردُّوا على هذين هديتهما .

وكان عمرو بن العاص رجلاً قصيراً ، وكان عمارة رجلاً جليلاً ، وكانا أقبلًا في البحر فشربا ، ومع عمرو امرأته ، فلما شربا قال عمارة لعمرو : مُرْ امرأتك فلتقبِّلني . فقال له عمرو : ألا تستحي ! فأخذ عمارة عمرأً فرمى به في البحر ، فجعل عمرو يناشد عمارة حتى أدخله السفينة .

لحقه عليه عمرو في ذلك ، فقال عمرو للنجاشي : إنك إذا خرجت خلفك عمارة في أهلك . فدعا النجاشيُّ بعبارة فنفخ في إحليله ، فطار مع الوحش ^(١) .

وهكذا رواه الحافظ البيهقي في الدلائل عن طريق أبي علي الحسن بن سلام السوَّاق ، عن عبيد الله بن موسى ، فذكر بإسناده مثله ، إلى قوله : « فأمر لنا بطعام وكسوة » . قال : وهذا إسناد صحيح ، وظاهره يدل على أن أبا موسى كان بمكة ، وأنه خرج مع جعفر بن أبي طالب إلى أرض الحبشة .

والصحيح عن يزيد بن عبد الله بن أبي بُرْدَة ، عن جده أبي بردة ، عن أبي موسى : أنهم بلغهم مَخْرَجُ رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم باليمن ، فخرجوا مهاجرين في بضع وخمسين

(١) الذي في دلائل النبوة لأبي نعيم ١٩٦ - ٢٠٧ عدة روايات عن الهجرة إلى الحبشة وليس فيه رواية واحدة كاملة بهذا السياق الذي ذكره ابن كثير ، ولعله أدمج بعضها في بعض .

رجلا في سفينة ، فألقتهم سفينتهم إلى النجاشي بأرض الحبشة ، فوافقوا جعفرَ بن أبي طالب وأصحابه عندهم ، فأمره جعفر بالإقامة ، فأقاموا عنده حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم زمن خيبر .

قال : وأبو موسى شهد ماجرى بين جعفر وبين النجاشي فأخبر عنه .

قال : ولعل الراوى وَهَمَ في قوله : « أمرنا رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم أن ننطلق » . والله أعلم .

وهكذا رواه البخارى في باب هجرة الحبشة : حدثنا محمد بن العلاء ، حدثنا أبو أسامة ، حدثنا بُرَيْدُ^(١) بن عبد الله ، عن أبي بُرْدَةَ ، عن أبي موسى ، قال : بَلَفْنَا نَحْرُجُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ بِالْيَمَنِ ، فَرَكَبْنَا سَفِينَةً ، فَأَلْقَتْنَا سَفِينَنَا إِلَى النَّجَاشِيِّ بِالْحَبَشَةِ فَوَاقَفَنَا جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَأَقَمْنَا مَعَهُ حَتَّى قَدِمْنَا ، فَوَافِينَا^(٢) النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ افْتَتَحَ خَيْبَرَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « لَكُمْ أَتَمُّ أَهْلِ السَّفِينَةِ هَجْرَتَانِ » . وهكذا رواه مسلم عن أبي كُرَيْبٍ وَأَبِي عَامِرٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَرَّادٍ^(٣) ، كلاهما عن أبي أسامة به . وروياه في مواضع آخر مطولا . والله أعلم .

وأما قصة جعفر مع النجاشي فإن الحافظ ابن عساكر رواها في ترجمة جعفر بن أبي طالب من تاريخه ، من رواية نفسه ومن رواية عمرو بن العاص ، وعلى يديهما جرى الحديث ، ومن رواية ابن مسعود ، كما تقدم ، وأمَّ سَلَمَةَ كما سيأتى .

(١) خ ط : يزيد . وهو تحريف وما أثبتته من البخارى ١٨٦ / ٢ .

(٢) ابن يوسف بن أبي بردة بن أبي موسى .

(٣) البخارى : فوافقنا .

فأما رواية جعفر فإنها عزيزة جدا ، رواها ابن عساكر ، عن أبي القاسم السمرقندي ، عن أبي الحسين بن النُّقُور ، عن أبي طاهر الحائِص ، عن أبي القاسم بن البَغَوِي ، قال : حدثنا أبو عبد الرحمن الجعفي ، عن عبد الله بن عمر بن أبان ، حدثنا أسد بن عمرو البَجَلِي ، عن مُجَالِد بن سَعِيد ، عن الشَّعْبِي عن عبد الله بن جعفر ، عن أبيه قال :

بعثت قريش عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد بهدية من أبي سفيان إلى النجاشي ، فقالوا له ، ونحن عنده : قد صار إليك ناس من سفلتنا وسفهاثنا ، فادفعهم إلينا .

قال : لا حتى أسمع كلامهم .

قال : فبعث إلينا فقال : ما يقول هؤلاء ؟

قال : قلنا هؤلاء قوم يعبدون الأوثان ، وإن الله بعث إلينا رسولا فأمنا به وصدقناه .

فقال لهم النجاشي : أعبيدكم لكم ؟ قالوا : لا . فقال : فلكم عليهم دين ؟ . قالوا : لا .

قال : تخلُّوا سبيلهم .

قال : فخرجنا من عنده ، فقال عمرو بن العاص : إن هؤلاء يقولون في عيسى غير ما تقول .

قال : إن لم يقولوا في عيسى مثلَ قولي لم أدعهم في أرضي ساعة من نهار .

فأرسل إلينا ، فكانت الدعوة الثانية أشدَّ علينا من الأولى .

قال : ما يقول صاحبكم في عيسى بن مريم ؟

قلنا : يقول : هو روح الله و كلمته ألقاها إلى عذراء بتُول .

قال : فأرسل فقال : ادعوا لي فلانَ القسِّ وفلانَ الراهب ، فأتاه ناس منهم ، فقال :

ما تقولون في عيسى بن مريم ؟

فقالوا : أنت أعلمنا ، فما تقول ؟

! قال النجاشي ، وأخذ شيئاً من الأرض ، قال : ما عدّا عيسى ما قال هؤلاء .
مثل هذا .

ثم قال : أبؤذيكم أحداً ؟ قالوا : نعم .

فنادى منادٍ : من آذى أحداً منهم فأغرموه أربعة دراهم . ثم قال : أيكفيكم ؟
قلنا : لا . فأضعفها .

قال : فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وظهر بها قلنا له : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ظهر وهاجر إلى المدينة وقتل الذين كفا حدّثناك عنهم ،
وقد أردنا الرحيل إليه ، فرُدّنا .

قال : نعم . حملنا وزودنا ، ثم قال : أخبر صاحبك بما صنعتُ إليكم ، وهذا
صاحبى معكم ، أشهد أن لا إله إلا الله وأنه رسول الله ، وقل له يستغفر لى .

قال جعفر : فخرجنا حتى أتينا المدينة ، فتلقانى رسول الله صلى الله عليه وسلم
واعتنقنى ، ثم قال : ما أدرى أنا بفتح خير أفرح أم بقدم جعفر !
ووافق ذلك فتح خير . ثم جلس .

فقال رسول النجاشي : هذا جعفر فسّله ما صنع به صاحبنا .

فقال : نعم ، فعل بنا كذا وكذا ، وحملنا وزودنا ، وشهد أن لا إله إلا الله وأنك
رسول الله ، وقال لى : قل له يستغفر لى .

فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فتوضأ ثم دعا ثلاث مرات : اللهم اغفر للنجاشي
فقال المسلمون : آمين .

ثم قال جعفر : فقلت للرسول : انطلق فأخبر صاحبك بما رأيت من رسول الله
صلى الله عليه وسلم .

ثم قال ابن عساكر : حسن غريب .

وأما رواية أم سلمة فقد قال يونس بن بُكَيْر ، عن محمد بن إسحق ، حدثني الزُّهري ، عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن حارث بن هشام ، عن أم سلمة رضي الله عنها ، أنها قالت :

لما ضاقت مكة وأوذى أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم وفتنوا ورأوا ما يصيبهم من البلاء والفتنة في دينهم وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يستطيع دفع ذلك عنهم ، وكان رسول الله في منعةٍ من قومه ومن عمه ، لا يصل إليه شيء مما يكره . ومما ينال أصحابه ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن بأرض الحبشة ملكاً لا يُظلم أحد عنده ، فالحقوا ببلاده حتى يجعل الله لكم فرجاً ومخرجاً مما أنتم فيه » .

فخرجنا إليها أرسالاً ، حتى اجتمعنا بها ، فنزلنا بجبر دار إلى خير جار آمنين على ديننا ، ولم نخشَ فيها ظلماً .

فلما رأت قريش أننا قد أصبنا داراً وأمننا غاروا منا ، فاجتمعوا على أن يبعثوا إلى النجاشي فينا ليخرجنا من بلاده وليردنا عليهم .

فبعثوا عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة ، فجمعوا له هدايا ولبطارقته ، فلم يدعوا منهم رجلاً إلا هَيَّأوا له هدية على حدة ، وقالوا لها : ادفعوا إلى كل بطريق هديته قبل أن تتكلموا فيهم ، ثم ادفعوا إليه هداياه ، فإن استطعتم أن يردَّهم عليكم قبل أن يكلمهم فافعلوا .

فقدما عليه ، فلم يبق بطريق من بطارقته إلا قدموا إليه هديته ، فكلّموه فقالوا له : إنما قدّمنا على هذا الملك في سفهائنا ، فارقوا أقوامهم في دينهم ولم يدخلوا في دينكم .

فبعثنا قومهم ليردّهم الملك عليهم ، فإذا نحن كلمناه فأشيروا عليه بأن يفعل .
فقالوا : نفعل .

ثم قدّموا إلى النجاشي هداياه ، وكان من أحب ما يهدون إليه من مكة الأدم^(١) ،
وذكر موسى بن عقبة أنهم أهدوا إليه فرسا وجبة ديباج .

فلما أدخلوا عليه هداياه قالوا له : أيها الملك ، إن فتيةً منا سفهاء فارقوا دين قومهم
ولم يدخلوا في دينك ، وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه ، وقد لجأوا إلى بلادك ، وقد بعثنا
إليك فيهم عشائرهم ، آبائهم وأعمامهم وقومهم لتردّهم عليهم ، فإنهم أعلى بهم عينا ،
فإنهم لن يدخلوا في دينك فتمنعهم لذلك .

فغضب ثم قال : لا لعمر الله ! لا أردّهم عليهم حتى أَدْعُوهم فأكلّمهم وأنظر ما أمرهم ،
قومٌ لجأوا إلى بلادى واختاروا جوارى على جوار غبرى ، فإن كانوا كما يقولون رددتهم
عليهم ، وإن كانوا على غير ذلك منعّتهم ولم أدخل بينهم وبينهم ، ولم أنعم عينا .
وذكر موسى بن عقبة أن أمراءه أشاروا عليه بأن يردّهم إليهم ، فقال : لا والله حتى
أسمع كلامهم وأعلم على أى شيء هم عليه .

فلما دخلوا عليه سلّموا ولم يسجدوا له ، فقال : أيها الرهط ألا تحدثونى مالكم
لا تحيئونى كما يحييّننى من أئنانا من قومكم ؟ !
فأخبرونى ماذا تقولون فى عيسى ، وما دينكم ؟

أنصارى أنتم ؟

قالوا : لا .

قال : أفیهود أنتم ؟

(١) الأدم : الجلد ، أو المصوغ منه .

قالوا : لا .

قال : فعلى دين قومكم ؟

قالوا : لا .

قال : فما دينكم ؟

قالوا : الإسلام .

قال : وما الإسلام ؟

قالوا : نَعْبُدُ اللَّهَ ، لا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا .

قال : من جاءكم بهذا ؟

قالوا : جاءنا به رجل من أنفسنا ، قد عرفنا وجهه ونَسَبَهُ ، بعثه الله إلينا كما بَعَثَ الرسلَ إلى مَنْ قَبْلُنَا ، فأمرنا بالبرِّ والصدقة والوفاء وأداء الأمانة ، ونهانا أن نعبد الأوثان ، وأمرنا بعبادة الله وحده لا شريك له فصدَّقناه وعرفنا كلامَ الله ، وعلمنا أن الذى جاء به من عند الله ، فلما فعلنا ذلك عادانا قومنا وعادوا النَّبِيَّ الصَّادِقَ ، وكذَّبوه وأرادوا قتله ، وأرادونا على عبادة الأوثان ، ففرَرْنَا إليك بديننا ودمائنا من قومنا .

قال : والله إن هذا لمن المِشْكَاة التى خرج منها أمرُ موسى .

قال جعفر : وأما التَّحِيَّةُ : فإن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أخبرنا أن تحية أهل الجنة السلام ، وأمرنا بذلك فحَيَّيْنَاكَ بالذى يَحْيِيْ بعضنا بعضا .

وأما عيسى بن مريم ، فعبدُ الله ورسولُه وكلته ألقاها إلى مريم وروحُ منه ، وابن العذراء البَتُول .

فأخذ عُودًا وقال : والله ما زاد ابنُ مريم على هذا وزنَ هذا العود .

فقال عطاء الحبشة : والله لئن سمعت الحبشة لتخلعنك .

فقال : والله لا أقول في عيسى غيرَ هذا أبداً ، وما أطاع اللهُ الناسَ فيَّ حينَ ردِّ عليَّ مُلكي فأطيع^(١) الناسَ في دين الله ، معاذَ الله من ذلك .

وقال يونس عن ابن إسحاق : فأرسل إليهم النجاشي فجمعهم ، ولم يكن شيء أبغض لعمر بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة من أن يسمع كلامهم .

فلما جاءهم رسولُ النجاشي اجتمع القوم فقالوا : ماذا تقولون ؟ فقالوا : وماذا نقول ! نقول والله ما نعرف وما نحن عليه من أمر ديننا ، وما جاء به نبينا صلى الله عليه وسلم كائنٌ من ذلك ما كان .

فلما دخلوا عليه كان الذي يكلمه منهم جعفر بن أبي طالب رضى الله عنه .

فقال له النجاشي : ما هذا الدين الذي أنتم عليه ؟ فارقم دين قومكم ولم تدخلوا في يهودية ولا نصرانية .

فقال له جعفر : أيها الملك ، كنا قومًا على الشرك ، نعبد الأوثان ونأكل الميتة ونسئ الجوار ، يستحل المحارم بعضنا من بعض في سفك الدماء وغيرها ، لا نحل شيئاً ولا نحرّمه ، فبعث الله إلينا نبياً من أنفسنا نعرف وفاءه وصدقه وأمانته ، فدعانا إلى أن نَعْبُدَ الله وحده لا شريك له ، ونَصِلَ الأرحام ونَحْمِيَ الجوار ، ونصلي الله عز وجل ونصوم له ولا نعبد غيره .

وقال زياد^(٢) عن ابن إسحاق : فدعانا إلى الله لنوحده ونعبد ، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة ، وصلة الأرحام وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش وقول الزور

(١) المطبوعة : فاطم . وهو تحريف .

(٢) هو زياد البكائي راوى السيرة عن ابن إسحاق ، وروايته مقابلة لرواية يونس بن بكير .

وأكل مال اليتيم وقَذَفَ الْمُحْصَنَةَ ، وأمرنا أن نعبد الله ولا نشرك به شيئاً ، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام .

قال : فعَدَّدَ^(١) عليه أمورَ الإسلام .

فصَدَّقناه وآمَنَّا به واتبعناه على ما جاء به من عند الله ، فعَبَدْنَا الله وحده لا شريك له ، ولم نشرك به شيئاً ، وحرَّمنا ما حرم علينا وأحلَّنا ما أحلَّ لنا .

فَعَدَّا علينا قومنا فعَدَّبُونَا لِيَقْتَنُونَا عن ديننا ويردُّونَا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله ، وأن نستحلَّ ما كنَّا نستحلُّ من الخبائث .

فلما قهرونا وظالمونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك واخترناك على من سِوَاكَ ، ورَغِبْنَا في جوارك ورجونا ألا نُظَلَّمُ عندك أيُّهَا الْمَلِكُ .

قالت : فقال النجاشي : هل معك شيء مما جاء به ؟

فقرأ عليه صدرًا من « كهيعص » فبكى والله النجاشي حتى أخضلت لحيته ، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم .

ثم قال : إن هذا الكلام ليخرج من المشكاة التي جاء بها موسى ، انطلقوا راشدين ، لا والله لا أردُّهم عليكم ولا أنعمُكم عَيْنًا .

فخرجنا من عنده ، وكان أَبْقَى الرجلين فينا عبدُ الله بن ربيعة ، فقال عمرو بن العاص : والله لآتينه غدًا بما أستأصلُ به خَصْرَاءَهُمْ ، ولأخبرنه أنهم يزعمون أن إله الذي يَعْبُدُ ، عيسى بن مريم ، عَبْدٌ !

فقال له عبد الله بن ربيعة : لا تفعل ، فإنهم وإن كانوا خالفونا فإن لهم رحماً ولهم حقًّا .

(١) الأصل : فعدوا . محرفة ، وما أثبتته عن ابن هشام .
(٢) هو زياد البكائي راوى السيرة عن ابن إسحاق ، وروايته مقابلة لرواية يونس بن بكير .

فقال : والله لأفعلن .

فلما كان الغدُ دخل عليه فقال : أيها الملك إنهم يقولون في عيسى قولاً عظيماً ، فأرسل إليهم فسألهم عنه .

فبعث والله إليهم ، ولم ينزل بنا مثلها .

فقال بعضنا لبعض : ماذا تقولون له في عيسى إن هو يسألكم عنه ؟ فقالوا : نقول والله الذي قاله الله فيه ، والذي أمرنا نبينا أن نقوله فيه .

فدخلوا عليه وعنده بطارقته ، فقال : ما تقولون في عيسى بن مريم ؟

فقال له جعفر : نقول هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول .

فدلى النجاشي يده إلى الأرض فأخذ عوداً بين إصبعيه فقال : ما عدا عيسى بن مريم مما قلت هذا العويد .

فتناخرت بطارقته^(١) ، فقال : وإن تناخرتم والله ! اذهبوا فأنتم شيوم في الأرض . الشيوم : الآمنون في الأرض . من سبكم غريم ، من سبكم غرم ، من سبكم غرم ، ثلاثاً . ما أحب أن لي دبراً وأني آذيت رجلاً منكم ، والدبر بلسانهم : الذهب .

وقال زياد عن ابن إسحاق : ما أحب أن لي دبراً من ذهب . قال ابن هشام : ويقال : زبراً . وهو الجبل بلفتهم .

ثم قال النجاشي : فوالله ما أخذ الله مني الرشوة حين ردّ عليّ ملكي ، ولا أطاع الناس فيّ فأطيع الناس فيه ، ردّوا عليهما هداياهم فلا حاجة لي بها ، وأخرجنا من بلادى .

(١) ط : بطارقته وهو تحريف .

نُفِرَ جَا مَقْبُوحَيْنِ مُرَدُّو دَا عَلَيْهِمَا مَا جَاءَا بِهِ .

قالت : فَأَقْمِنَا مَعَ خَيْرِ جَارٍ فِي خَيْرِ دَارٍ .

فَلَمْ يَنْشَبْ^(١) أَنْ خَرَجَ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ الْحَبْشَةِ يَنَازِعُهُ فِي مَلِكِهِ .
فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُنَا حَزَنًا حَزَنًا قَطُّ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ ، فَرَقَا مِنْ أَنْ يَظْهَرَ ذَلِكَ الْمَلِكُ عَلَيْهِمَا
مَلِكٌ لَا يَعْرِفُ مِنْ حَقِّنَا مَا كَانَ يَعْرِفُهُ .

فَجَعَلْنَا نَدْعُو اللَّهَ وَنَسْتَنْصِرُهُ لِلنَّجَاشِيِّ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ سَائِرًا .
فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : مَنْ يُخْرِجُ فَيَحْضُرُ الْوَقِيعَةَ
حَتَّى يَنْظُرَ عَلَى مَنْ تَكُونُ .

فَقَالَ الزَّيْبِرُ ، وَكَانَ مِنْ أَحَدِهِمْ سَنًّا : أَنَا .
فَنَفَخُوا لَهُ قِرْبَةً فَجَعَلَهَا فِي صَدْرِهِ ، فَجَعَلَ يَسْبَحُ عَلَيْهَا فِي النَّيْلِ حَتَّى خَرَجَ مِنْ شَقِهِ
الْآخِرِ إِلَى حَيْثُ التَّقَى النَّاسُ ، فَحَضَرَ الْوَقِيعَةَ .

فَهَزَمَ اللَّهُ ذَلِكَ الْمَلِكَ وَقَتْلَهُ وَظَهَرَ النَّجَاشِيُّ عَلَيْهِ .
فَجَاءَنَا الزَّيْبِرُ ، فَجَعَلَ يُبْلِيحُ لَنَا بَرْدَانَهُ وَيَقُولُ : أَلَا فَأَبْشُرُوا ، فَقَدْ أَظْهَرَ
اللَّهُ النَّجَاشِيَّ .

قالت^(٢) : فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُنَا فَرَحًا بِشَيْءٍ قَطُّ فَرَحَنَا بِظُهُورِ النَّجَاشِيِّ . ثُمَّ أَقْمِنَا عِنْدَهُ حَتَّى
خَرَجَ مِنَّا إِلَى مَكَّةَ وَأَقَامَ مِنْ أَقَامَ .

(١) ط : نشب . محرفة .

(٢) ط . قلت : محرفة .

قال الزهرى : فحدثتُ هذا الحديث عُرْوَةُ بْنُ الزَّيْرِ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ ، فَقَالَ عُرْوَةُ :
أَتَدْرِي مَا قَوْلُهُ : مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنِّي الرِّشْوَةَ حِينَ رَدَّ عَلَيَّ مُلْكِي فَأَخَذَ الرِّشْوَةَ فِيهِ ، وَلَا أَطَاعَ
النَّاسَ فِيَّ فَأَطَاعَ النَّاسَ فِيهِ ؟

فقلت : لا ، ما حدثتني ذلك أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام عن
أُمِّ سَلَمَةَ .

فقال عُرْوَةُ : فَإِنَّ عَائِشَةَ حَدَّثَتْنِي أَنَّ أَبَاهُ كَانَ مَلِكَ قَوْمِهِ ، وَكَانَ لَهُ أَخٌ لَهُ مِنْ صُلْبِهِ
اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا ، وَلَمْ يَكُنْ لِأَبِي النَّجَاشِيِّ وَلَدٌ غَيْرَ النَّجَاشِيِّ ، فَأَدَارَتْ الْحَبْشَةُ رَأْيَهَا بَيْنَهَا
فَقَالُوا : لَوْ أَنَا قَتَلْنَا أَبَا النَّجَاشِيِّ وَمَلَّكْنَا أَخَاهُ ، فَإِنَّ لَهُ اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا مِنْ صُلْبِهِ فَتَوَارَثُوا
الْمُلْكَ ، لَبَقِيتَ الْحَبْشَةَ عَلَيْهِمْ دَهْرًا طَوِيلًا لَا يَكُونُ بَيْنَهُمْ اخْتِلَافٌ .
فَعَدَوْا عَلَيْهِمْ فَقَتَلُوهُ وَمَلَّكُوا أَخَاهُ .

فدخل النجاشيُّ بَعْمَهُ حَتَّى غَلَبَ عَلَيْهِ ، فَلَا يُدِيرُ أَمْرَهُ غَيْرُهُ ، وَكَانَ لِيَبِئْسَ
حَازِمًا مِنَ الرِّجَالِ .

فَلَمَّا رَأَتْ الْحَبْشَةُ مَكَانَهُ مِنْ عَمِّهِ ، قَالُوا : قَدْ غَلَبَ هَذَا الْفَلَامُ عَلَى أَمْرِ عَمِّهِ ، فَمَا نَأْمَنُ
أَنْ يَمْلِكَهُ عَلَيْنَا ، وَقَدْ عَرَفْنَا أَنَا قَتَلْنَا أَبَاهُ ، فَلَنْ نَفْعَلَ لَمْ يَدْعُ مِنَّا شَرِيفًا إِلَّا قَتَلَهُ ، فَكَلَّمُوهُ
فِيهِ فَلْيَقْتُلْهُ أَوْ لِيُخْرِجْهُ مِنْ بِلَادِنَا .

فَمَشَوْا إِلَى عَمِّهِ فَقَالُوا : قَدْ رَأَيْنَا مَكَانَ هَذَا الْفَتَى مِنْكَ ، وَقَدْ عَرَفْنَا أَنَا قَتَلْنَا أَبَاهُ
وَجَعَلْنَاكَ مَكَانَهُ ، وَإِنَّا لَا نَأْمَنُ أَنْ يَمْلِكَ عَلَيْنَا فَيَقْتُلَنَا ، فَإِمَّا أَنْ تَقْتُلَهُ وَإِمَّا أَنْ تُخْرِجْهُ
مِنْ بِلَادِنَا . قَالَ : وَيَحْكُمُ ! قَتَلْتُمْ أَبَاهُ بِالْأَمْسِ وَأَقْتُلْهُ الْيَوْمَ ! بَلْ أَخْرِجْهُ
مِنْ بِلَادِكُمْ .

فَخَرَجُوا بِهِ فَوَقَفُوهُ فِي السُّوقِ وَبَاعُوهُ مِنْ تَاجِرٍ مِنَ التُّجَّارِ قَذَفَهُ فِي سَفِينَةٍ بِسِتْمِائَةِ دِرْهَمٍ
أَوْ بِسَبْعِمِائَةٍ فَانْطَلَقَ بِهِ .

فلما كان العشيّ هاجت سحابة من سحاب الخريف، فخرج عمه يتمطرّ تحتها فأصابته صاعقةٌ فقتلته .

ففرّ عوا إلى ولده، فإذا هم مُحْمِقُونَ ليس في أحد منهم خير . فرَجَ (١) على الحبشة أمرهم . فقال بعضهم لبعض : تعلمون والله إن مَلِككم الذى لا يُصْلح أمركم غيره لَلَّذى بَعَثَ الغَدَاةَ ، فإن كان لكم بأمر الحبشة حاجة فأدرِكوه قبل أن يذهب . فخرجوا في طلبه ، فأدرِكوه فردُّوه ، فعمقوا عليه تاجه وأجلسوه على سريره ومَلَكوه .

فقال التاجر : ردوا علىّ مالى كما أخذتم منى غلامى . فقالوا : لا نعطيك . فقال : إذا والله لأكلمنّه .

فمشى إليه فكلّمه فقال : أيها الملك ، إني ابتعتُ غلاما فقبض منى الذين باعوه ثمنه ، ثم عدّوا على غلامى فنزعوه من يدى ولم يرُدُّوا علىّ مالى .

فكان أولَ ماخبر من صلابة حُكْمه وعدّله أن قال : لتَرُدَّن عليه ماله أو لتَجْعَلَن يَدَ غلامه فى يده فليذهبن به حيث شاء .

فقالوا : بل نعطيه ماله . فأعطوه إياه .

فلذلك يقول : ما أخذ الله منى الرِّشوة فأخذ الرِّشوة حين ردَّ علىّ ملكى ، وما أطاع الناسَ فىّ فأطيع الناسَ فيه .

وقال موسى بن عُقبة : كان أبو النجاشى ملك الحبشة ، فمات والنجاشى غلام صغير ، فأوصى إلى أخيه أنَّ إليك مُلْك قومك حتى يَبْلُغَ ابْنى ، فإذا بلغ فله المُلْك .

(١) مرج : اضطرب واختلط .

فرغب أخوه في الملك ، فباع النجاشي من بعض التجار .
 فمات عمه من ليلته وقضى ، فردت الحبشة النجاشي حتى وضعوا التاج على رأسه .
 هكذا ذكره مختصراً ، وسياق ابن إسحق أحسن وأبسط فالله أعلم .

والذي وقع في سياق ابن إسحاق إنما هو ذِكْرُ عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة .

والذي ذكره موسى بن عُقبة والأموي وغير واحد أنهما عمرو بن العاص وعمار
 ابن الوليد بن المغيرة .

وهو أحد السبعة الذين دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين تضحكوا يوم
 وضع سلا الجزور على ظهره صلى الله عليه وسلم وهو ساجد عند الكعبة .

وهكذا^(١) تقدم في حديث ابن مسعود وأبي موسى الأشعري .

والمقصود أنهما حين خرجا من مكة ، كانت زوجة عمرو معه ، وعمار كان شابا
 حسنا ، فاصطحبا في السفينة ، وكان عمار طمع في امرأة عمرو بن العاص ، فألقى عمرا في
 البحر ليهلكه ، فسبح حتى رجع إليها ، فقال له عمار : لو أعلم أنك تحسن السباحة لما
 ألقىتك . ففقد عمرو عليه .

فلما لم يقض لهما حاجة في المهاجرين من النجاشي ، وكان عمار قد توصل إلى بعض
 أهل النجاشي ، فوشى به عمرو ، فأمر به النجاشي فسُحِر حتى ذهب عقله وساح في البرية
 مع الوحوش .

وقد ذكر الأموي قصته مطولة جداً ، وأنه عاش إلى زمن إمارة عمر بن الخطاب ، وأنه
 تقصده بعض الصحابة ومسكه ، فجعل يقول : أرسلني أرسلني وإلا مت . فلما لم يرسله
 مات من ساعته فالله أعلم .

(١) أى كونهما عمرو بن العاص وعمار بن الوليد .

وقد قيل : إن قريشا بعثت إلى النجاشي في أمر المهاجرين مرتين : الأولى مع عمرو ابن العاص وعُمارة ، والثانية مع عمرو وعبد الله بن أبي ربيعة .
نص عليه أبو نُعَيْمٍ في الدلائل . والله أعلم .
وقد قيل إن البعثة الثانية كانت بعد وقعة بدر . قاله الزُّهْرِي . لينالوا من هناك ثأراً ، فلم ينجبهم النجاشي رضي الله عنه وأرضاه إلى شيء ، مما سألوا . فالله أعلم .

وقد ذكر زياد عن ابن إسحق أن أبا طالب لما رأى ذلك من صنيع قريش ، كتب إلى النجاشي أبياتاً يحضه فيها على العدل وعلى الإحسان إلى من نزل عنده من قومه :
أَلَا لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ فِي النَّأْيِ جَعْفَرُ ۖ وَعَمْرُو وَأَعْدَاءُ الْعَدُوِّ الْأَقَارِبُ
وَمَا نَالَتْ (١) أَفْعَالُ النَّجَاشِيِّ جَعْفَرًا وَأَصْحَابَهُ ، أَوْ عَاقَ ذَلِكَ شَاغِبُ
تَعْلَمُ أَيْتَ اللَّعْنِ أَنْكَ مَا جَدُّ ۖ كَرِيمٌ فَلَا يَشْقَى إِلَيْكَ (٢) الْجَانِبُ
وَنَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ زَادَكَ بَسْطَةً ۖ وَأَسْبَابَ خَيْرِ كُلِّهَا بِكَ لَا زِبُ (٣)

وقال يونس عن ابن إسحق : حدثني يزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير ، قال :
إنما كان يكلم النجاشيَّ عثمان بن عفان رضي الله عنه ، والمشهور أن جعفرًا هو المترجم
رضي الله عنه .

وقال زياد البكَّائي عن ابن إسحق : حدثني يزيد بن رومان عن عروة ، عن
عائشة رضي الله عنها ، قالت : لما مات النجاشي كان يُتحدث أنه لا يزال يُرى على
قبره نور .

(٢) وتروى : لديك .

(١) وتروى : وهل نالت .

(٣) لازب : لاصق ملازم .

ورواه أبو داود عن محمد بن عمرو الرازى ، عن سلمة بن الفضل ، عن محمد بن إسحق به : لما مات النجاشى رضى الله عنه كنا نتحدث أنه لا يزال يُرى على قبره نور .

* * *

وقال زياد عن محمد بن إسحق : حدثني جعفر بن محمد ، عن أبيه قال : اجتمعت الحبشة فقالوا للنجاشى : إنك فارقت ديننا . وخرجوا عليه .

فأرسل إلى جعفر وأصحابه فيها لهم سفنا وقال : اركبوا فيها وكونوا كما أنتم ، فإن هُزمت فامضوا حتى تلحقوا بحيث شئتم ، وإن ظفرت فاثبتوا .

ثم عمد إلى كتاب فكتب فيه : هو يشهد أن لا إله إلا الله ويشهد أن عيسى عبده ورسوله وروحه وكلته ألقاها إلى مريم . ثم جعله فى قبائه عند المنكب الأيمن .

وخرج إلى الحبشة وضموا له ، فقال : يامعشر الحبشة ، ألسن أحق الناس بكم ؟ قالوا : بلى .

قال : فكيف أنتم بسيرتى فيكم ؟ قالوا : خير سيرة .

قال : فما بكم ؟ قالوا : فارقت ديننا وزعمت أن عيسى عبده ورسوله .

قال : فما تقولون أنتم فى عيسى ؟

قالوا : نقول هو ابن الله .

فقال النجاشى ، ووضع يده على صدره على قبائه : وهو يشهد أن عيسى بن مريم لم يزد على هذا . وإنما يعنى ما كتب .

فرضوا وانصرفوا .

فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما مات النجاشي صلى عليه واستغفر له .

وقد ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نعى النجاشي في اليوم الذي مات فيه ، وخرج بهم إلى المصلى فصفا بهم وكبر أربع تكبيرات .

وقال البخارى : « موت النجاشي » حدثنا أبو الربيع ، حدثنا ابن عيينة ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مات النجاشي : مات اليوم رجل صالح ، قوموا فصلوا على أخيكم أصحمة » .

وروى ذلك من حديث أنس بن مالك وابن مسعود وغير واحد .

وفي بعض الروايات تسميته أصحمة ، وفي رواية مصحمة ، وهو أصحمة بن بحر ^(١) . وكان عبدا صالحا ليبيبا ذكيا ، وكان عادلا عالما رضى الله عنه وأرضاه .

وقال يونس عن ابن إسحق : اسم النجاشي مَصْحَمَة . وفي نسخة صححها البيهقي : أصحم . وهو بالعربية عطية .

قال : وإنما النجاشي اسم الملك ، كقولك كسرى ، هرقل .

قلت : كذا ، ولعله يريد به قيصر ، فإنه علم لكل من ملك الشام مع الجزيرة من بلاد الروم ، وكسرى علم على من ملك الفرس ، وفرعون علم لمن ملك مصر كافة ، والمقوقس لمن ملك الإسكندرية ، وتبع لمن ملك اليمن والشحر ، والنجاشي لمن ملك الحبشة ، وبطيالموس لمن ملك اليونان ، وقيل الهند ، وخاقان لمن ملك الترك .

(١) الأصل : أصحمة بن أبحر . وما أثبتته من القاموس .

وقال بعض العلماء : إنما صَلَّى عليه لأنه كان يكتم إيمانه من قومه ، فلم يكن عنده يوم مات مَنْ يَصَلِّي عليه ، فلهذا صلى عليه .

قالوا : فالغائب إن كان قد صَلَّى عليه ببلده لا تُشرع الصلاة عليه ببلد أخرى ، ولهذا لم يَصَلِّ [على] النبي صلى الله عليه وسلم في غير المدينة ، لا أهل مكة ولا غيرهم ، وهكذا أبو بكر وعمر وعثمان وغيرهم من الصحابة ، لم يُنقل أنه صَلَّى على أحد منهم في غير البلدة التي صَلَّى عليه فيها . فإله أعلم .

قلت : وشهودُ أبي هريرة رضى الله عنه الصلاة على النجاشي دليل على أنه إنما مات بعد فتح خيبر [في السنة] التي قدم [فيها] بقية المهاجرين إلى الحبشة مع جعفر بن أبي طالب رضى الله عنه يوم فتح خيبر .

ولهذا روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : والله ما أدرى بأيهما أنا أسرُّ ، بفتح خيبر أم بقدوم جعفر بن أبي طالب !

وقدموا معهم بهدايا وتحف من عند النجاشي رضى الله عنه إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وصحبتهُم أهلُ السفينة اليمنية أصحاب أبي موسى الأشعري ، وقومه من الأشعريين رضى الله عنهم .

ومع جعفر وهدايا النجاشي : ابن أخى النجاشي ذو نختر أو ذو نخمر ، أرسله ليعلم النبي صلى الله عليه وسلم عوضاً عن عمه ، رضى الله عنهما وأرضاها .

وقال السهيلي : توفي النجاشي في رجب سنة تسع من الهجرة ، وفي هذا نظر والله أعلم .

وقال البيهقي : أنبأنا الفقيه أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الطوسي ، حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، حدثنا هلال بن العلاء الرقي ، حدثنا أبي العلاء بن مُدْرِك ، حدثنا أبو هلال بن العلاء ، عن أبيه ، عن غالب ، عن أبي أمامة قال :
قدم وفدُ النجاشي على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام يخدمهم ، فقال أصحابه :
نحن نكفيك يا رسول الله . فقال : « إنهم كانوا لأصحابي مكرمين ، وإني أحب أن أكافئهم » .

ثم قال : وأخبرنا أبو محمد عبد الله بن يوسف الأصبهاني ، أنبأنا أبو سعيد بن الأعرابي ، حدثنا هلال بن العلاء ، حدثنا أبي ، حدثنا طلحة بن يزيد ، عن الأوزاعي ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن أبي سلمة ، عن أبي قتادة ، قال : قدم وفدُ النجاشي على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يخدمهم ، فقال أصحابه :
نحن نكفيك يا رسول الله . فقال : « إنهم كانوا لأصحابنا مكرمين ، وإني أحب أن أكافئهم » .

تفرَّد به طلحةُ بن زيد ، عن الأوزاعي .

وقال البيهقي : حدثنا أبو الحسين بن بشران ، حدثنا أبو عمرو بن السمَّك ، حدثنا حنبل بن إسحق ، حدثنا الحميدي ، حدثنا سفيان ، حدثنا عمرو ، قال : لما قدِم عمرو ابن العاص من أرض الحبشة جلس في بيته فلم يخرج إليهم ، فقالوا : ما شأنه ماله لا يخرج ؟

فقال عمرو : إن أضحمة يزعم أن صاحبكم نبي .

[إسلام عمر بن الخطاب]

قال ابن إسحق : ولما قدم عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة على قريش ، ولم يدركوا ما طلبوا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وردّهم النجاشي بما يكرهون وأسلم عمر بن الخطاب ، وكان رجلاً ذا شَكِمة لا يُرامُ ما وراء ظهره امتنع به أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وبجمزة ، حتى غاظوا ^(١) قريشا .

فكان عبد الله بن مسعود يقول : ما كنا نقدر على أن نصلي عند الكعبة حتى أسلم عمر ، فلما أسلم عمرُ قاتل قريشا حتى صلى عند الكعبة وصلينا معه .

قلت : وثبت في صحيح البخاري عن ابن مسعود أنه قال : « مازلنا أعزّة منذ أسلم عمر بن الخطاب » .

وقال زياد البكائي : حدثني مسعر بن كدام ، عن سعد بن إبراهيم قال : قال ابن مسعود : إن إسلام عمر كان فتحاً ، وإن هجرته كانت نصراً ، وإن إمارته كانت رحمة ، ولقد كنا وما نصلي عند الكعبة حتى أسلم عمر ، فلما أسلم عمر قاتل قريشاً حتى صلى عند الكعبة وصلينا معه .

قال ابن إسحق : وكان إسلام عمر بعد خروج من خرج من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحبشة .

حدثني عبد الرحمن بن الحارث بن عبد الله بن عيّاش بن أبي ربيعة ، عن عبد العزيز ابن عبد الله بن عامر بن ربيعة ، عن أمه أم عبد الله بنت أبي حثمة قالت : والله إنا

(١) ابن هشام : حتى غاروا قريشا . أي غلبوهم .

لنترحل إلى أرض الحبشة ، وقد ذهب عامر في بعض حاجتنا ، إذ أقبل عمر فوقف وهو على شركه ، فقالت : وكنا نلقى منه أذى لنا وشدة غليتنا .

قالت : فقال : إنه للانطلاق يا أم عبد الله ؟ !

قلت : نعم ، والله لنخرجن في أرض من أرض الله ، إذ آذيتُمونا وقهرتُمونا ، حتى يجعل الله لنا مخرجاً .

قالت : فقال : صحبكم الله !

ورأيت له رقعة لم أكن أراها ، ثم انصرف وقد أحزنه فيما أرى خروجنا .

قالت : فجاء عامر بحاجتنا تلك ؛ فقلت له : يا أبا عبد الله لو رأيت عمر آتفا ورقته وحزنه عاينا !

قال : أطمعت في إسلامه ؟ قالت : قلت : نعم .

قال : لا يُسلم الذي رأيت حتى يُسلم حمارُ الخطاب !

قالت : يأساً منه ، لما كان يرى من غلظته وقسوته على الإسلام .

* * *

قلت : هذا يردُّ قولَ من زعم أنه كان تمام الأربعين من المسلمين . فإن المهاجرين إلى الحبشة كانوا فوق الثمانين .

اللهم إلا أن يقال : إنه كان تمام الأربعين بعد خروج المهاجرين .

ويؤيد هذا ما ذكره ابن إسحاق ههنا في قصة إسلام عمر وحده رضي الله عنه ، وسيأتيها ، فإنه قال :

وكان إسلام عمر فيما بلغني أن أخته فاطمة بنت الخطاب ، وكانت عند سعيد بن زيد ابن عمرو بن نفيل ، كانت قد أسلمت ، وأسلم زوجها سعيد بن زيد ، وهم مُستخفون بإسلامهم من عمر .

وكان نُعَيْم بن عبد الله النخَّام ، رجل من بني عَدِي ، قد أسلم أيضاً مستخفياً بإسلامه من قومه .

وكان خَبَّاب بن الأَرْتِ يختاف إلى فاطمة بنت الخطاب يقرئها القرآن ، فخرج عمر يوماً متوشِّحاً سيفه ، يريد رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ورهطاً من أصحابه قد ذُكروا ^(١) له أنهم قد اجتمعوا في بيت عند الصفا ، وهم قريب من أربعين ، من بين رجال ونساء ، ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم عُمَةُ حمزة وأبو بكر بن أبي قُحافة الصديق وعلى بن أبي طالب رضى الله عنهم ، في رجال من المسلمين ممن كان أقام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمسكة ولم يخرج فيمن خرج إلى أرض الحبشة .

فأقبحه نُعَيْم بن عبد الله فقال : أين تريد يا عمر ؟

قال : أريد محمداً ، هذا الصابيُّ الذي فرَّق أمر قريش ، وسفَّه أحلامها وعاب دينها وسبَّ آلهتها ، فأقتله .

فقال له نُعَيْم : والله لقد غرَّتك نفسك يا عمر ! أترى بنى عبد مناف تاركيك تمشى على الأرض وقد قتلت محمداً ؟ ! أفلا ترجع إلى أهل بيتك فتقيم أمرهم ؟

قال : وأى أهل بيتي ؟ قال : خَتَنُكَ وابن عمك سعيد بن زيد وأختك فاطمة ، فقد والله أسلموا وتابعا محمداً صلى الله عليه وسلم على دينه ، فعليك بهما .

فرجع عمر عائداً إلى أخته فاطمة ، وعندها خباب بن الأَرْتِ معه صحيفة فيها « طه » يُقرئها إياها .

فلما سمعوا حسَّ عمر تغيُّبَ خباب في مخدع لهم أو في بعض البيت ، وأخذت فاطمة

(١) الأصل : فذكروا . والتصويب من ابن هشام .

بذت الخطاب الصحيفة فجعلتها تحت نخذها ، وقد سمع عمر حين دنا إلى الباب قراءة خبَاب عليها .

فلما دخل قال : ما هذه المنيمة التي سمعت ؟ قالوا له : ما سمعت شيئا .

قال : بلى والله لقد أُخبرتُ أنكما تابعتما محمدا على دينه . وبطش بختنه سعيد بن زيد ، فقامت إليه أخته فاطمة بنت الخطاب لتسكفه عن زوجها فضر بها فشجها . فلما فعل ذلك قالت له أخته وختنه : نعم قد أسلمنا وآمنّا بالله ورسوله ، فاصنع ما بدا لك .

فلما رأى عمر ما بأخته من الدم ندم على ما صنع وارعوى ، وقال لأخته : أعطيني هذه الصحيفة التي كنتم تقرأون آنفا ، أنظر ما هذا الذي جاء به محمد . وكان عمر كاتباً .

فلما قال ذلك قالت له أخته : إنا نخشاك عليها . قال : لا تخافى . وحلف بأهله ليردنها إذا قرأها إليها .

فلما قال ذلك طمعت في إسلامه ، فقالت : يا أخى إنك نجس على شركك ، وإنه لا يمسّه إلا المطهرون .

فقام عمر فاغتسل ، فأعطته الصحيفة ، وفيها « طه » . فلما قرأ منها صدرا قال : ما أحسن هذا الكلام وأكرمّه ! .

فلما سمع ذلك خبَاب بن الأرت خرج إليه فقال له : والله يا عمر إنى لأرجو أن يكون الله قد خصّك بدعوة نبيه صلى الله عليه وسلم ، فإنى سمعته أمس وهو يقول : اللهم أيد الإسلام بأبى الحكم بن هشام أو بعمر بن الخطاب . فأنه الله يا عمر .

فقال عند ذلك : فدلّنى يا خباب على محمد حتى آتيه فأسلم . فقال له خباب : هو فى بيت عند الصفا معه نفر من أصحابه .

فأخذ عمر سيفه فتوشحه، ثم عمد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فضرب عليهم الباب ، فلما سمعوا صوته قام رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر من خَلَل الباب فإذا هو بعمر متوشح بالسيف ، فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فزع فقال : يا رسول الله هذا عمر بن الخطاب متوشحا بالسيف .

فقال حمزة فَأَذَنُ له : فإن كان جاء يريد خيرا بذلناه ، وإن كان يريد شرا قتلناه بسيفه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إيدن له .

فأذن له الرجل ، ونهض إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لقيه في الحجرة ، فأخذ بجُحْزته أو بمجمع رداءه ثم جذبه جذبة شديدة ، فقال : ما جاء بك يا بن الخطاب ؟ فوالله ما أرى أن تنتهى حتى يُنزل الله بك قارعة .

فقال عمر : يا رسول الله ، جئت لك لأومن بالله ورسوله وبما جاء من عند الله .

قال : فكَبَّر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبيرة ، فعَرَف أهل البيت أن عمر قد أسلم .

فتفرق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكانهم وقد عَزُّوا في أنفسهم حين أسلم عمر مع إسلام حمزة، وعلموا أنهما سيمنعان رسول الله صلى الله عليه وسلم، وينتصفون بهما من عدوهم .

قال ابن إسحق : فهذا حديث الرواة من أهل المدينة عن إسلام عمر حين أسلم رضى الله عنه .

قال ابن إسحق : وحدثني عبد الله بن أبي نَجِيح المكي ، عن أصحابه عطاء ومجاهد وعن روى ذلك ، أن إسلام عمر فيما تحدثوا به عنه أنه كان يقول :

كنت للإسلام مُبَاعِداً ، وكنت صاحبَ خمر في الجاهلية أحبها وأشربها ، وكان لنا مجلس يجتمع فيه رجال من قريش بالحزورة^(١)

فخرجت ليلة أريد جلسائى أولئك ، فلم أجد فيه منهم أحداً ، فقلت : لو أنى جئت فلانا الخمار لعلى أجد عنده خمرأ فأشرب منها .

فخرجت فخبثته فلم أجده . قال : فقلت : لو أنى جئت الكعبة فطُفْتُ سبعة أو سبعين .

قال : فخبثت المسجد ، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلى ، وكان إذا صلى استقبل الشام وجعل الكعبة بينه وبين الشام ، وكان مصلاه بين الركنين الأسود واليمانى .

قال : فقلت حين رأيته : والله لو أنى استمعتُ لحمد الليلة حتى أسمع مايقول . فقلت : لئن دنوت منه لأستمع منه لأروِّعنه ، فخبثت من قبل الحجر ، فدخلت تحت ثيابها فجعلت أمشى وريداً ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلى يقرأ القرآن ، حتى قمت فى قبلته مُسْتَقْبِلَهُ مايبينى وبينه إلا ثياب الكعبة .

قال : فلما سمعت القرآن رَقَّ له قلبى وبكيتُ ودخانى الإسلامُ . فلم أزل فى مكانى قائماً حتى قضى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم صلاته ، ثم انصرف ، وكان إذا انصرف خرج على دار ابن أبى حسين ، وكان مسكنه فى الدار الرقطاء التى كانت بيد معاوية .

قال عمر : فتبعته ، حتى إذا دخل بين دار عباس ودار ابن أزهري أدركته ، فلما سمع

(١) الحزورة : كانت سوق مكة ، ثم دخلت المسجد لما زيد فيه .

حسى عرفنى ، فظن أنى إنما اتبعته لأوذيهِ ، فَهَمَنِ ^(١) ثم قال : ما جاء بك يا ابن الخطاب هذه الساعة ؟

قال : قلت : جئتُ لأومن بالله وبرسوله وبما جاء من عند الله .

قال : فحمد الله رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : « قد هداك الله يا عمر » ثم مسح صدرى ودعألى بالثبات .

ثم انصرفت ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيته .

قال ابن إسحق : فالله أعلم أى ذلك كان .

قلت : وقد استقصيت كيفية إسلام عمر رضى الله عنه وماورد فى ذلك من الأحاديث والآثار مطولاً فى أول سيرته التى أفردتها على حدة . والله الحمد والمنة .

قال ابن إسحق : وحدثنى نافع مولى ابن عمر ، عن ابن عمر قال : لما أسلم عمر قال : أى قریش أنقلُ للحديث ؟

فقل له : جميل بن معمر الجمحى .

فعداً عليه . قال عبد الله : وغدوتُ أتبع أثره وأنظر مايفعل وأنا غلام أعقل كلَّ ما رأيت .

حتى جاءه فقال له : أعلمت يا جميل أنى أسلمتُ ودخلتُ فى دين محمد صلى الله عليه وسلم ؟

قال : فوالله ماراجعته حتى قام يجرُّ رداءه ، واتبعه عمر واتبعته أنا ، حتى [إذا]

قام على باب المسجد صرخ بأعلى صوته : يامعشر قریش . وهم فى أنديتهم حول الكعبة . ألا إن ابن الخطاب قد صبأ .

(١) نهى : زجرنى .

قال : يقول عمر من خلفه : كذب ولكني قد أسلمتُ، وشهدت أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .

وثاروا إليه ، فما برح يقاتلهم ويقاتلونهم ، حتى قامت الشمس على رؤوسهم .
قال : وطَلَحَ^(١) ففعد ، وقاموا على رأسه وهو يقول : افعلوا ما بدا لكم ، فأحلفُ بالله أن لو قد كنا ثلاثمائة رجل لقد تركناها لكم أو تركتموها لنا .
قال : فبينما هم على ذلك إذ أقبل شيخ من قريش عليه حلة حَبَرَة وقميص موشَّى ، حتى وقف عليهم .

فقال : ما شأنكم ؟

فقالوا : صبأ عمر .

قال : فمَهْ ، رجل اختار لنفسه أمراً فماذا تريدون ؟ أترون بني عَدِي يُسْلَمون لكم صاحبكم هكذا ؟ ! خلّوا عن الرجل .

قال : فوالله لكانما كانوا ثوباً كُشِط عنه .

قال : فقلت لأبي بعد أن هاجر إلى المدينة : يا أبت ، من الرجل الذي زجر القوم عنك بمكة يوم أسلمت وهم يقاتلونك .

قال : ذاك أيُّ بُنَيِّ العاصِ بن وائل السَّهمي .

وهذا إسناد جيد قوى ، وهو يدل على تأخر إسلام عمر ، لأن ابن عمر عُرِضَ يوم أحد وهو ابن أربع عشرة سنة ، وكانت أحد في سنة ثلاث من الهجرة ، وقد كان مميزاً يوم أسلم أبوه ، فيكون إسلامه قبل الهجرة بنحو من أربع سنين . وذلك بعد البعثة بنحو تسع سنين . والله أعلم .

وقال البيهقي : حدثنا الحاكم ، أخبرنا الأعمش ، أخبرنا أحمد بن عبد الجبار ، حدثنا يونس ، عن ابن إسحق قال :

ثم قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرون رجلاً وهو بمكة ، أو قريب من ذلك ، من النصارى حين ظهر خبره من أرض الحبشة ، فوجدوه في المجلس ، فكلّموه وسألوه ، ورجال قريش في أندية حول الكعبة .

فلما فرغوا من مساءلتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عما أرادوا دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الله عز وجل وتلا عليهم القرآن ، فلما سمعوا فاضت أعينهم من الدمع ، ثم استجابوا له وآمنوا به وصدقوه وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كتابهم من أمره .

فلما قاموا من عنده اعتراضهم أبو جهل في نفر من قريش فقال : خيبتكم الله من ركب ! بعثكم من وراءكم من أهل دينكم ترتادون لهم فتأتونهم بخبر الرجل ، فلم تطمئن بحالكم عنده حتى فارقتم دينكم وصدقتموه بما قال لكم ، ما نعلم ركباً أحق منكم ! أو كما قال .

قالوا لهم : لا نجأه لكم ، سلامٌ عليكم ، إنما أعمالنا ولكم أعمالكم لا نألون أنفسنا خيراً .

فيقال : إن نفر من نصارى نجران ، والله أعلم أى ذلك كان .

ويقال ، والله أعلم ، أن فيهم نزلت هذه الآيات : « الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون ، وإذا يُنلى عليهم قالوا آمناً به ، إنه الحق من ربنا ، إنا كنا من قبله مسلمين ، أولئك يؤتُونَ أجرهم مرتين بما صَبَرُوا ويدرأون بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون . وإذا سمعوا اللغو أَعْرَضُوا عنه ، وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم ، سلامٌ عليكم لا نبتغي الجاهلين ^(١) » .

فصل

قال البيهقي في الدلائل : باب ماجاء في كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي :

ثم روى عن الحاكم ، عن الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبار ، عن يونس ، عن ابن إسحق ، قال : بسم الله الرحمن الرحيم « هذا كتاب من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي الأصم عظيم الحبشة ، سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، لم يتخذ صاحبة ولا ولدا ، وأن محمدا عبده ورسوله ، وأدعوك بدعاية الله ، فإني أنا رسوله ، فأثبتم تسلم : « يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ، ولا تتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله ، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ^(١) » .

فإن أبيت فعليك إثم النصارى من قومك .

هكذا ذكره البيهقي بعد قصة هجرة الحبشة ، وفي ذكره هاهنا نظر ، فإن الظاهر أن هذا الكتاب إنما هو إلى النجاشي الذي كان بعد المسلم صاحب جعفر وأصحابه .

وذلك حين كتب إلى ملوك الأرض يدعوهم إلى الله عز وجل قبيل الفتح ، كما كتب إلى هرقل عظيم الروم قيصر الشام ، وإلى كسرى ملك الفرس ، وإلى صاحب مصر ، وإلى النجاشي .

قال الزهري : كانت كتب النبي صلى الله عليه وسلم إليهم واحدة ، يعني نسخة واحدة ، وكلها فيها هذه الآية ، وهي من سورة آل عمران ، وهي مدنية بلا خلاف ، فإنها من صدر السورة .

وقد نزل ثلاث وثمانون آية من أولها في وفد نجران ، كما قررنا ذلك في التفسير ،
والله الحمد والمنة .

فهذا الكتاب إلى الثاني لا إلى الأول .

وقوله فيه : « إلى النجاشي الأصحح » لعل « الأصحح » مقحم من الراوى بحسب
ما فهم . والله أعلم .

وأنسب من هذا هاهنا ما ذكره البيهقي أيضا ، عن الحاكم ، عن أبي الحسن محمد بن
عبد الله الفقيه ، بمرؤ ، حدثنا حماد بن أحمد ، حدثنا محمد بن حميد ، حدثنا سلمة بن
الفضل ، عن محمد بن إسحق ، قال :

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمريّ إلى النجاشي في شأن
جعفر بن أبي طالب وأصحابه ، وكتب معه كتابا :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى النجاشي الأصحح ملك الحبشة ،
سلام عليك ، إني أحمد إليك الله الملك القدوس المؤمن المهيمن ، وأشهد أن عيسى روح
الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطاهرة الطيبة الحصينة ، فحملت بعيسى ، فخلقته من
روحه ونفخته ، كما خلق آدم بيده ونفخه ، وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له ، والموالاتة
على طاعته ، وأن تتبعني فتؤمن بي وبالذي جاءني ، إني رسول الله ، وقد بعثت إليك
ابن عمي جعفرًا ومعه نفر من المسلمين ، فإذا جاءوك فاقمهم ، ودع التجير فإني أدعوك
وجنودك إلى الله عز وجل ، وقد بلغت ونصحت ، فاقبلوا نصيحتي ، والسلام على
من اتبع الهدى » .

فكتب النجاشي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : بسم الله الرحمن الرحيم ، إلى

محمد رسول الله من النجاشي الأصحم بن أبجر^(١) ، سلام عليك يا نبي الله من الله ورحمة الله وبركاته ، لا إله إلا هو الذي هداني إلى الإسلام ، فقد بلغني كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى ، فورب السماء والأرض إن عيسى ما يزيد على ما ذكرت ، وقد عرفنا ما بُعثت به إلينا ، وقرينا ابن عمك وأصحابه ، فأشهد أنك رسول الله صادقا ومصداقا ، وقد بايعتُك وبايعتُ ابن عمك وأسلمتُ على يديه لله رب العالمين ، وقد بعثت إليك يا نبي الله بأريحا بن الأصحم بن أبجر ، فإنني لا أملك إلا نفسي ، وإن شئت أن آتيك فعلتُ يا رسول الله ، فإنني أشهد أن ما تقول حق .

فصل

في ذكر مخالفة قبائل قريش بنى هاشم وبنى عبد المطلب

في نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم

وحَصَرَهُمْ إِيَّاهُمْ فِي شِعْبِ أَبِي طَالِبٍ مَدَّةَ طَوِيلَةٍ ، وَكَتَابَتْهُمْ بِذَلِكَ صَحِيفَةٌ ظَالِمَةٌ فَاجِرَةٌ ، وَمَا ظَهَرَ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ مِنْ آيَاتِ النَّبُوَّةِ وَدَلَائِلِ الصِّدْقِ .

قَالَ مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ عَنْ الزَّهْرِيِّ : ثُمَّ إِنَّ الْمَشْرِكِينَ اشْتَدُّوا عَلَى الْمُسْلِمِينَ كَأَشَدِّ مَا كَانُوا ، حَتَّى بَلَغَ الْمُسْلِمُونَ^(٢) الْجُهْدَ وَاشْتَدَّ عَلَيْهِمُ الْبَلَاءُ ، وَجُمِعَتْ قُرَيْشٌ فِي مَكْرَها أَنْ يَقْتُلُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِلَانِيَةً .

فَلَمَّا رَأَى أَبُو طَالِبٍ عَمَلَ الْقَوْمِ جَمَعَ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يُدْخِلُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شِعْبَهُمْ ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَمْنَعُوهُ مِمَّنْ أَرَادُوا قَتْلَهُ .

فاجتمع على ذلك مسلمهم وكافرهم ، فمنهم من فعله حمية ، ومنهم من فعله إيمانا وبقينا .

(٢) ط : المسلمين .

(١) الذي في القاموس : ابن بجر .

فلما عرفت قريش أن القوم قد منعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأجمعوا على ذلك ، اجتمع المشركون من قريش ، فأجمعوا أمرهم ألا يجالسوه ولا يبايعوه ولا يَدْخُلُوا بيوتهم حتى يسلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتل ، وكتبوا في مكرهم صحيفة وعهودا ومواثيق : لا يَقْبَلُوا من بنى هاشم صاحباً أبداً ، ولا تأخذهم بهم رافة حتى يساموه للقتل .

فابث بنو هاشم في شعبهم ثلاث سنين ، واشتد عليهم البلاء والْجَهْدُ ، وقطعوا عنهم الأسواق ، فلا يتركوا لهم طعاماً يَقْدُمُ مكة ولا يبيعاً إلا بادروهم إليه فاشتروه . يريدون بذلك أن يدركوا سفك دم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فكان أبو طالب إذا أخذ الناس مضاجعهم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاضطجع على فراشه ، حتى يرى ذلك من أراد به مكرأ أو اغتيا لاله ، فإذا نام الناس أمر أحد بنيه أو إخوته أو بنى عمه فاضطجعوا على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتي بعض فرشهم فينام عليه .

فما كان رأسُ ثلاث سنين تلاوَمَ رجال من بنى عبد مناف ومن قصي ، ورجال من سواهم من قريش قد ولدتهم نساء من بنى هاشم ، ورأوا أنهم قد قطعوا الرَّحِمَ واستخفُّوا بالحق .

واجتمع أمرهم من ليلتهم على نقض ما تعاهدوا عليه من الغدر والبراءة منه . وبعث الله على صحيفتهم الأرضة فاحست كلَّ ما كان فيها من عهد وميثاق . ويقال : كانت معائمة في سقف البيت ، فلم تترك أسما لله فيها إلا لحسَّته ، وبقي ما كان فيها من شرك وظلم وقضيعة رحم .

وأطاع الله عز وجل رسوله على الذي صنع بصحيفتهم فذكر ذلك رسول الله صلى الله

عليه وسلم لأبي طالب ، فقال أبو طالب : لا والثواب ما كذبني .

فانطلق يمشى بعصافته من بني عبد المطلب ، حتى أتى المسجد وهو حافل من قريش ، فلما رأوهم عامدين لجماعتهم أنكروا ذلك وظنوا أنهم خرجوا من شدة البلاء ، فأتوهم ليعطوهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فتكلم أبو طالب فقال : قد حدثت أمور بينكم لم نذكرها لكم ، فأتوا بصحيفتكم التي تعاهدتم عليها ، فعلم أنه أن يكون بيننا وبينكم صلح .

وإنما قال ذلك خشية أن ينظروا في الصحيفة قبل أن يأتوا بها .

فأتوا بصحيفتهم معجبين بها . لا يشكون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مدفوع إليهم ، فوضعوها بينهم ، وقالوا : قد آن لكم أن تقبلوا وترجعوا إلى أمر يجمع قومكم ، فإنما قطع بيننا وبينكم رجل واحد ، جعلتموه خطرا لهلكة قومكم وعشيرتكم وفسادهم .

فقال أبو طالب : إنما أتيتكم لأعطيكم أمرا لكم فيه نصف ، إن ابن أخي أخيه . لم يكذبني ، أن الله برئ من هذه الصحيفة التي في أيديكم ، ومحاكل اسم هو له فيها ، وترك فيها غدركم وقطيعةكم إيانا وتظاهركم علينا بالظلم .

فإن كان الحديث الذي قال ابن أخي كما قال فأفيقوا ، فوالله لا نُسلمه أبدا حتى يموت من عندنا آخرنا .

وإن كان الذي قال باطلا دفعناه إليكم فقتلتموه أو استحيتم .

قالوا : قد رضينا بالذي تقول .

ففتحوا الصحيفة ، فوجدوا الصادق المصدق صلى الله عليه وسلم قد أخبر خبرها .

فلما رأتها قريش كالذي قال أبو طالب قالوا : والله إن كان هذا قط إلا سحرا من صاحبكم .

فارتكسوا وعادوا بشرّ ما كانوا عليه من كفرهم والشدة على رسول الله صلى الله عليه وسلم والقيام على رهنه بما تعاهدوا عليه .

فقال أولئك النفر من بنى عبد المطلب : إن أُولَى بالكذب والسحر غيرُنا ، فكيف ترون ، فإننا نعلم أن الذى اجتمعتم عليه من قطيعتنا أَقْرَبُ إلى الجُبْتِ والسَّحَرِ مِن أمرنا ، ولولا أنكم اجتمعتم على السحر لم تفسد صحيفتكم وهى فى أيديكم ، طمس ما كان فيها من اسمه وما كان فيها من بغى تركه ، أفنحن السَّحرة أم أنتم .

* * *

فقال عند ذلك النفرُ من بنى عبد مناف وبنى قصى ورجالٌ من قريش ولدتهم نساء من بنى هاشم ، منهم أبو البَخْتَرى ، والمُطْعِم بن عَدِى ، وزُهَيْر بن أبى أمية بن المغيرة ، وزَمْعَةُ ابن الأسود ، وهشام بن عمرو ، وكانت الصحيفة عنده وهو من بنى عامر بن لؤى ، فى رجال من أشrafهم ووجوههم : نحن براء مما فى هذه الصحيفة .

فقال أبو جهل لعنه الله : هذا أمرٌ قِضى بليلى .

وأنشأ أبو طالب يقول الشعر فى شأن صحيفتهم ويمدح النفر الذين تبرأوا منها ونقضوا ما كان فيها من عهد ويمتدح النجاشى .

* * *

قال البيهقى : وهكذا روى شيخنا أبو عبد الله الحافظ ، يعنى من طريق ابن أبيهية ، عن أبى الأسود ، عن عروة بن الزبير ، يعنى كسباق موسى بن عُقبة رحمه الله .

وقد تقدم عن موسى بن عُقبة أنه قال : إنما كانت هجرة الحبشة بعد دخولهم إلى الشَّعب ، عن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم فى ذلك . فالله أعلم .

قلت : والأشبه أن أبا طالب إنما قال قصيدته اللامية التى قدمنا ذكرها بعد دخولهم الشَّعب أيضا ، فذكرها ههنا أنسب . والله أعلم .

ثم روى البيهقي من طريق يونس ، عن محمد بن إسحق قال :
لما مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الذي بُعث به وقامت بنو هاشم وبنو
المطلب دونه ، وأبوا أن يُسلموه ، وهم من خلافه على مثل ما قومهم عليه . إلا أنهم اتفقوا
أن يستذلوا ويساموا أخاهم لما قارفه من قومه .

فلما فعات ذلك بنو هاشم وبنو المطلب . وعرفت قريش ألا سبيل إلى محمد ،
اجتمعوا على أن يكتبوا فيما بينهم على بنى هاشم وبنى عبدالمطلب : ألا ينأ كحومهم ولا
ينسكحوا إليهم وألا يسامعهم ولا يبتاعوا منهم ، وكتبوا صحيفة في ذلك
وعلقوها بالكعبة .

ثم عدوا على من أسلم فأوثقهم وأذوهم ، واشتدَّ عليهم البلاء وعظمت الفتنة وزلزلوا
زلزالا شديدا .

ثم ذكر القصة بطولها في دخولهم شعب أبي طالب وما بلغوا فيه من فتنة الجهد
الشديد ، حتى كان يُسمع أصوات صبيانهم يتضاغون من وراء الشعب من الجوع .

حتى كره عامة قريش ما أصابهم وأظهروا كراهيتهم لصحيفتهم الظالمة .
وذكروا أن الله برحمته أرسل على صحيفة قريش الأربعة ، فلم تدع فيها أسما هو الله
إلا أكلته ، وبقي فيها الظلم والقطيعة والبهتان ، فأخبر الله تعالى بذلك رسول الله صلى
الله عليه وسلم فأخبر بذلك عمه أبا طالب .

ثم ذكر بقية القصة كرواية موسى بن عتبة وأتم .

وقال ابن هشام عن زياد عن محمد بن إسحق :

فلما رأت قريش أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نزلوا بلدا أصابوا منه ^(١)

(١) ابن هشام : أصابوا به .

أمنًا وقرارًا ، وأن النجاشي قد منع من لجأ إليه منهم ، وأن عمر قد أسلم ، فكان هو وحزبه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وجعل الإسلام يفشو في القبائل ، فاجتمعوا^(١) واثمروا على أن يكتبوا كتابا يتعاقدون فيه على بنى هاشم وبنى عبد المطلب ، على ألا يفكحوا إليهم ولا يُنكحوهم ، ولا يبيعوهم شيئًا ولا يبتاعوا منهم ، فلما اجتمعوا لذلك كتبوا في صحيفة ، ثم تعاهدوا وتواثقوا على ذلك ، ثم علقوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيدا على أنفسهم .

وكان كاتب الصحيفة منصور بن عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ابن قصي .

قال ابن هشام : ويقال النضر بن الحارث . فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فشلَّ بعض أصابعه .

وقال الواقدي : كان الذي يكتب الصحيفة طلحة بن أبي طلحة العبدري .

قلت : والمشهور أنه منصور بن عكرمة ، كما ذكره ابن إسحق ، وهو الذي شلَّت يده فما كان ينتفع بها ، وكانت قریش تقول بينها : انظروا إلى منصور بن عكرمة . قال الواقدي : وكانت الصحيفة معاقدة في جوف الكعبة .

قال ابن إسحق : فلما فعلت ذلك قریش أنحازت بنو هاشم وبنو المطلب إلى أبي طالب ، فدخلوا معه في شِعبه واجتمعوا إليه .

وخرج من بنى هاشم أبو لُب بن عبد العزَّى بن عبد المطلب إلى قریش فظاهرهم . وحدثني حسين بن عبد الله أن أبا لُب لقي هند بنت عتبة بن ربيعة حين فارق

(١) ابن هشام : اجتمعوا . وهو الصواب .

قومه وظاهر عليهم قريشا فقال : يابنة عتبة ، هل نصرت اللات والعزى وفارقت من فارقتها^(١) وظاهر عليها .

قالت : نعم ، فجزاك الله خيرا يا أبا عتبة .

قال ابن إسحق : وحُذث أنه كان يقول في بعض ما يقول : يَعدُّنى محمدُ أشياء لا أراها يزعم أنها كائنة بعد الموت ، فماذا وضع في يديَّ بعد ذلك ؟ ! ثم ينفخ في يديه فيقول : تبَّأ لكما ، لا أرى فيكما شيئا مما يقول محمد .
فأنزل الله تعالى : « تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ » .

قال ابن اسحق : فلما اجتمعت على ذلك قريش وصنعوا فيه الذى صنعوا قال أبو طالب :

أَلَا أبلغاً عندَّ على ذاتِ بيننا
ألم تعلموا أننا وجدنا محمداً
وأنَّ عليه في العبادِ محبةً
وأنَّ الذى أُلصقتم من كتابكم
أفيقوا أفيقوا قبل أن يُحفرَ الترى
ولا تتبعوا أمرَ الوشاةِ وتقطعوا
وتستجلبوا حرباً عواناً^(٣) وربما
فلستنا وربَّ البيتِ نسلم أحداً
لؤيًّا وخُصًّا من لؤيِّ بنى كعب
نبيًّا كموسى خطًّا فى أول الكتُبِ
ولا خيرَ ممَّن خصَّه الله بالحبِّ
لكم كائنٌ نحسًّا كراغية السَّقبِ^(٢)
ويُضح من لم يحن ذنباً كذى الذنبِ
أواصرنا بعد المودَّةِ والقربِ
أمرًّا على من ذاقه حَلْبُ الحربِ
لعزاء من عَضَّ الزمانِ ولا كُربِ

(١) ابن هشام : فارقهما .

(٢) راغية السقب : أراد ناقة صالح . والسقب : ولد الناقة : والراغية من الرغاء ، وهو صوت الإبل .

(٣) عوانا : مستمرة .

وَلَمَّا تَبَيَّنَ مِنَّا وَمِنْكُمْ سَوَالِفُ وَأَيْدٍ أُتِرَّتْ بِالْقُسَايَةِ الشُّهْبِ^(١)
بِمُعْتَرِكٍ ضَيْقٍ تَرَى كِسْرَ الْقَفَا بِهِ وَالنُّسُورَ الطُّخْمَ يَعْكِفْنَ كَالشَّرْبِ^(٢)
كَأَنَّ مَجَالَ^(٣) الْخَيْلِ فِي حَجَرَاتِهِ وَمَعْمَعَةَ الْأَبْطَالِ مَعْرَكَةَ الْحَرْبِ^(٣)
أَلَيْسَ أَبُونَا هَاشِمٌ شَدَّ أَرْزَهُ وَأَوْصَى بَنِيهِ بِالطُّعَانِ وَبِالضَّرْبِ
وَلَسْنَا نَمَلُ الْحَرْبَ حَتَّى تَمَلَّنَا وَلَا نَشْتَكِي مَا قَدْ يَنْوُبُ مِنَ النُّكْبِ
وَلَكِنَّا أَهْلُ الْحَفَاطِظِ وَالنُّهَى إِذَا طَارَ أَرْوَاحُ الْكِمَاةِ مِنَ الرُّعْبِ

قال ابن إسحق : فأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثا ، حتى جهدوا ولم يصل إليهم شيء إلا سرًّا مُستخفياً به من أراد صلتهم من قريش .

وقد كان أبو جهل بن هشام ، فيما يذكرون ، لقي حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد معه غلام يحمل قمحا يريد به عمته خديجة بنت خويلد ، وهي عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشعْب ، فتعلّق به وقال : أتذهب بالطعام إلى بني هاشم ؟ والله لا تذهب أنت وطعامك حتى أفضحك بمكة .

فجاءه أبو البَخْتَرِيّ بن هشام بن الحارث بن أسد فقال : مالك وله ؟ .

فقال : يحمل الطعام إلى بني هاشم .

فقال له أبو البَخْتَرِيّ : طعامك كان لعمته عنده بعثت به إليه ، أمتنعه أن يأتيها بطعامها ؟ خلّ سبيل الرجل .

قال : فأبى أبو جهل لعنه الله ، حتى نال أحدهما من صاحبه ، فأخذ أبو البَخْتَرِيّ لَحْيَ بغير فضر به به فشجّه ووطئه ووطئا شديداً .

(١) تين : تفصل ، والسوالف : صفحات الأعناق . وأُتِرَتْ : قصعت . والقساية : نوع من السيوف .

(٢) النُّسُور الطُّخْم : السود الرعوس . والشرب : الجماعة من القوم يشربون .

(٣) الأصل : صحال . ولا معنى لها . وما أثبتته عن نسخة من ابن هشام .

وحزّةُ بن عبد المطلب قريبٌ يرى ذلك ، وهم يكرهون أن يبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فيشتمون بهم .

[المستهزئون]

ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم على ذلك يدعو قومه ليلاً ونهاراً وسراً وجهاراً ، منادياً بأمر الله تعالى لا يتقى فيه أحداً من الناس .

فجعلت قريش حين منعه الله منها وقام عمّه وقومه من بني هاشم وبني عبد المطلب دونه ، وحالوا بينهم وبين ما أرادوا من البطش به يهَمْزونه ويستَهْزئون به ويخاصمونه . وجعل القرآن ينزل في قريش بأحداثهم ، وفيمن نصّب لعداوته .

منهم مَنْ سَمَّى لنا ، ومنهم من نزل القرآن في عامة مَنْ ذَكَرَ الله من الكفار . فذكر ابن إسحاق أبا لهب ونزول السورة فيه ، وأمّية بن خلف ونزول قوله تعالى : « ويلٌ لكلُّ هُمْزَةٍ لُْمَزَةٍ » السورة بكاملها فيه .

والعاص بن وائل ونزول قوله « أفرأيتَ الذي كَفَرَ بآياتنا وقال : لأوتينَّ مالاً وولداً »^(١) فيه . وقد تقدم شيء من ذلك .

وأبا جهل بن هشام ، وقوله للنبي صلى الله عليه وسلم : لتتركنَّ سبَّ آلِهتنا أو لنسبنَّ إلهك^(٢) [الذي تعبد]^(٣) ، ونزول قول الله فيه : « ولا تسبُّوا الذين يدعون من دون الله فيسبُّوا الله عدواً بغير علم »^(٤) الآية .

والنضر بن الحارث بن كلدة بن علقمة ، ومنهم من يقول علقمة بن كلدة ، قاله السهيلي ، وجلسه بعد النبي صلى الله عليه وسلم في مجالسه ، حيث يتلو القرآن ويدعوا إلى

(١) سورة مريم ٧٧ . (٢) الأصل : آلِهتك . وهو تحريف وما أثبتته عن ابن هشام .

(٣) من ابن هشام . (٤) سورة الأنعام ١٠٨ .

الله ، فيتلو عليهم النضرُ شيئاً من أخبار رستم واسفنديار وما جرى بينهما من الحروب في زمن الفُرس ، ثم يقول : والله ما محمد بأحسن حديثاً مني ، وما حديثه إلا أساطيرُ الأولين اكتبتهَا كما اكتبتهَا .

فأنزل الله تعالى : « وقالوا أساطيرُ الأولين اكتبتهَا فهي تَمَلَّى عليه بُكْرَةً وأصيلاً^(١) » وقوله : « ويلٌ لكل أفاكٍ أتم^(٢) » .

* * *

قال ابن اسحق : وجلس رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا ، يوماً مع الوليد بن المغيرة في المسجد .

فجاء النضرُ بن الحارث حتى جلس معهم ، وفي المجلس غيرُ واحد من رجال قريش .

فتكلم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فعرضَ له النضرُ ، فكلَّمه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حتى أخمَّه ، ثم تلا عليه وعليهم : « إنكم وما تعبدون مِن دُونِ الله حَصَبُ جهنم أنتم لها واردون ، لو كان هؤلاء آلهةً ما وردوها وكلٌّ فيها خالدون ، لهم فيها زفيرٌ وهم فيها لا يسمعون^(٣) » .

ثم قام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وأقبلَ عبدُ الله بن الزُّبَيْرِ السَّهْمِيُّ حتى جلس .

فقال الوليد بن المغيرة له : والله ما قام النَّضرُ بن الحارث لابن عبد المطلب آفاً وما قعد ، وقد زعم محمد أنا وما نعبد من آلهتنا هذه حَصَبُ جهنم .

فقال عبد الله بن الزُّبَيْرِ : أما والله لو وجدته لخصمته ، فسألو محمداً : أكلُّ

من يعبد من دون الله حَصَبُ جَهَنَّمَ مع من عبده ؟ فنحن نعبد الملائكة ، واليهود تعبد عَزِيراً ، والنصارى تعبد عيسى .

فعجب الوليد ومن كان معه في المجلس من قول ابن الزُّبَيْرِ ، ورأوا أنه قد احتجَّ وخاضم .

فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « كلُّ من أحبَّ أن يُعبدَ من دون الله فهو مع مَنْ عبده في النار ، إنهم إنما يعبدون الشياطين ومَنْ أمرتهم بعبادته » .

فأنزل الله تعالى : « إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ . لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ » ^(١) .

أى عيسى وعزير ومن عبد من الأحرار والرهبان الذين مضوا على طاعة الله تعالى . ونزل فيما يذكرون أنهم يعبدون الملائكة وأنها بنات الله : « وقالوا اتخذ الرحمن ولداً ، سبحانه ، بل عبادٌ مُكْرَمُونَ » ^(٢) . والآيات بعدها .

ونزل في إعجاب المشركين بقول ابن الزُّبَيْرِ : « وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ . وقالوا آلَھْتَنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ؟ ما ضربه لك إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ » ^(٣) .

وهذا الجدل الذى سلكوه باطل .

وهم يعلمون ذلك ، لأنهم قوم عرب ، ومن لغتهم أن « ما » لما لا يعقل ، فقوله « إنكم وما تعبدون من دون الله حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ » إنما أريد بذلك ما كانوا يعبدونه من الأحجار التى كانت صُورَ أصنام ، ولا يتناول ذلك الملائكة الذين

(١) سورة الأنبياء ١٠١، ١٠٢ (٢) سورة الأنبياء ٢٦-٢٩ (٣) سورة الزخرف ٥٧، ٥٨

زعموا أنهم يعبدونهم في هذه الصور ، ولا المسيح ، ولا عُزَيْرًا ، ولا أحدا من الصالحين ، لأن اللفظ لا يتناولهم لا لفظاً ولا معنى .

فهم يعلمون أن ما ضربوه بعيسى بن مريم من المثل جدلٌ باطل ، كما قال الله تعالى : « ما ضربوه لك إلا جدلاً بل هم قومٌ خصمون » .

ثم قال : « إن هو » أى عيسى « إلا عبدٌ أنعمنا عليه » أى بنموتنا « وجعلناه مثلاً لبنى إسرائيل » أى دليلاً على تمام قدرتنا على ما نشاء ، حيث خلقناه من أنثى بلا ذكر ، وقد خلقنا حواء من ذكر بلا أنثى ، وخلقنا آدم لا من هذا ولا من هذا ، وخلقنا سائر بنى آدم من ذكر وأنثى .

كما قال في الآية الأخرى : « ولنَجْعَلَهُ آيَةً للناس » أى أمانة ودليلاً على قدرتنا الباهرة « ورحمة منا » نرحم بها من نشاء .

وذكر ابن إسحق الأحنس بن شريق ونزول قوله تعالى فيه : « ولا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ » ^(١) الآيات .

وذكر الوليد بن المغيرة حيث قال : أُبْنِزَلْ على محمد وأترك وأنا كبير قريش وسيدُها ، ويُتْرَك أبو مسعود عمرو بن عمرو ^(٢) الثَّقَفِي سيد ثقيف ، فنحن عظيمي القريتين ، ونزول قوله فيه : « وقالوا لولا نُزِّلَ هذا القرآنُ على رَجُلٍ من القريتين عظيمٍ » ^(٣) والتي بعدها .

وذكر أبي بن خلف حين قال لعقبة بن أبي معيط : ألم يبلُغني أنك جالستَ محمداً وسمعت منه ؟ وجهي من وجهك حرامٌ إلا أن تتقل في وجهه . ففعل ذلك عدوُّ الله عقبة لعنه الله . فأنزل الله : « ويومَ يعصُ الظالم على يديه يقول : يا ليتني اتخذتُ مع الرسول سبيلاً ، يا ويلتنا ليتني لم أَتَّخِذْ فُلانًا خليلاً » ^(٤) والتي بعدها .

(١) سورة نون ١٠ (٢) ابن هشام : عمرو بن عمير . (٣) سورة الزخرف ٣١ .

(٤) سورة الفرقان ٢٧ ، ٢٨ .

قال : ومشي أبى بن خلفٍ بعظمٍ بالٍ قد أرمَ فقال : يا محمد أنت تزعم أن الله يبعث هذا بعد ما أرمَ ؟ ! ثم فته بيده ، ثم نفخه فى الريح نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال : نعم ، أنا أقول ذلك ، يبعثه الله وإياك بعد ما تكونان هكذا ، ثم يدخلك النار . وأنزل الله تعالى : « وضرب لنا مثلاً ونسى خلقه ، قال : من يُحْيِي الْعِظَامَ وهى رميم . قل : يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ^(١) » إلى آخر السورة .

قال : واعترض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما بلغنى وهو يطوف عند باب الكعبة ، الأسود بن المطلب والوليد بن المغيرة وأمية بن خلف والعاص بن وائل ، فقالوا : يا محمد ، هلم فلنعبد ما تعبد وتعبد ما نعبد ، فنشترك نحن وأنت فى الأمر . فأنزل الله فيهم : « قل يا أيها الكافرون . لا أعبد ما تعبدون » إلى آخرها . ولما سمع أبو جهل بشجرة الزقوم قال : أتدرون ما الزقوم ؟ هو تمر يُضرب بالزبد ! ثم قال : هلم فلنترقم .

فأنزل الله تعالى : « إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُومِ طَعَامُ الْأَثِيمِ ^(٢) » . قال : ووقف الوليد بن المغيرة فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يكلمه وقد طمع فى إسلامه . فمرَّ به ابنُ أم مكتوم ، عاتكة بنت عبد الله بن عنكثة ، الأعمى ، فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل يستقرئه القرآن . فشق ذلك عليه حتى أضجَّره ، وذلك أنه شغله عما كان فيه من أمر الوليد وما طمع فيه من إسلامه . فلما أكثر عليه انصرف عنه عابساً وتركه . فأنزل الله تعالى : « عَبَسَ وَتَوَلَّى ، أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى » إلى قوله : « مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ » .

وقد قيل : إن الذي كان يحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جاءه ابن أم مكتوم : أمية بن خلف . فالله أعلم .

ثم ذكر ابن اسحق من عاد من مهاجرة الحبشة إلى مكة .
وذلك حين بلغهم إسلام أهل مكة ، وكان النقل ليس بصحيح ، ولكن كان له سبب .

وهو ما ثبت في الصحيح وغيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جلس يوماً مع المشركين ، وأنزل الله عليه : « والنجم إذا هوى ، ما ضل صاحبكم » يقرؤها عليهم حتى ختمها وسجد ، فسجد من هناك من المسلمين والمشركين والجن والإنس .

وكان لذلك سبب ذكره كثير من المفسرين عند قوله تعالى : « وما أرسأنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته ، فيدسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم ^(١) » .

وذكروا قصة القرأنيق ، وقد أحببنا الإضراب عن ذكرها صفحاً لئلا يسمعها من لا يضعها على مواضعها ، إلا أن أصل القصة في الصحيح .

قال البخاري : حدثنا أبو مَعْمَر ، حدثنا عبد الوارث ، حدثنا أيوب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : سجد النبي صلى الله عليه وسلم بالنجم ، وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس .

انفرد به البخاري دون مسلم .

وقال البخاري : حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا غندر ، حدثنا شعبة ، عن أبي إسحق ،

سمعت الأسود ، عن عبد الله قال : قرأ النبي صلى الله عليه وسلم « والنجم » بمكة ، فسجد فيها ، وسجد من معه غير شيخ أخذ كفاً من حصاً أو تراب فرفعه إلى جبهته وقال : يكفيني هذا ، فرأيتُه بعدُ قُتِلَ كافرًا .

ورواه مسلم ، وأبو داود ، والنسائي ، من حديث شُعبة .

وقال الإمام أحمد : حدثنا إبراهيم ، حدثنا رباح ، عن معمر ، عن ابن طاووس ، عن عكرمة بن خالد ، عن جعفر بن المطلب بن أبي وداعة ، عن أبيه قال : قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة سورة النجم ، فسجد وسجد من عنده ، فرفعتُ رأسي وأبيتُ أن أسجد ، ولم يكن أسلم يومئذ المطلب ، فكان بعد ذلك لا يسمع أحدا يقرأها إلا سجد معه .

وقد رواه النسائي ، عن عبد الملك بن عبد الحميد ، عن أحمد بن حنبل به .
وقد يُجمع بين هذا والذي قبله بأن هذا سجد ولكنه رفع رأسه استكباراً ، وذلك الشيخ الذي استثناه ابنُ مسعود لم يسجد بالكلية . والله أعلم .

والمقصود أن الناقل لما رأى المشركين قد سجدوا متابعةً لرسول الله صلى الله عليه وسلم اعتقد أنهم قد أسلموا واصطلحوا معه ولم يبقَ نزاع بينهم .

فطار الخبرُ بذلك وانتشر حتى بلغ مهاجرة الحبشة بها ، فظنوا صحة ذلك .
فأقبل منهم طائفة طامعين بذلك ، وثبتت جماعة ، وكلاهما مُحسن مصيب فيما فعل .
فذكر ابن إسحق أسماء من رجع منهم :

عثمان بن عفان ، وامراته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو حذيفة ابن عتبة بن ربيعة ، وامراته سُهيلة بنت سُهيل ، وعبد الله بن جحش بن رثاب ، وعُتبة

ابن غَزْوَان ، والزبير بن العوام ، ومُضْعَب بن عُمير ، وسُوَيْبِط بن سعد ، وطليب بن عمير ، وعبد الرحمن بن عوف ، والمُقَدَّاد بن عمرو ، وعبد الله بن مسعود ، وأبو سَلَمَةَ بن عبد الأسد ، وامراته أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة ، وشمَّاس بن عثمان .

وسلمة بن هشام ، وعِيَّاش بن أبي ربيعة ، وقد حُبِسَا بِمَكَّةَ حتى مضت بدرٌ وأُحْدِثُوا الخندق .

وعَمَّار بن ياسر ، وهو ممن شكَّ فيه : أخرج إلى الحبشة أم لا .
ومعتب بن عوف ، وعثمان بن مظعون ، وابنه السائب ، وأخواه قُدَّامة وعبد الله ابنا مظعون ، وخُنَيْس بن حُذَافَة ، وهشام بن العاص بن وائل ، وقد حُبِسَ بِمَكَّةَ إلى بعد الخندق ، وعامر بن ربيعة وامراته ليلي بنت أبي حَثْمَة ، وعبد الله بن مَخْرَمَة .

وعبدُ الله بن سهيل بن عمرو ، وقد حُبِسَ حتى كان يوم بدر فأنحاز إلى المسلمين فشهد معهم بدرا .

وأبو سَيْرَة بن أبي رُهم ، وامراته أم كلثوم بنت سهيل .
والسَّكران بن عمرو بن عبد شمس ، وامراته سَوْدَة بنت زَمْعة ، وقد مات بِمَكَّةَ قبل الهجرة وخلف على امراته رسولُ الله صلى الله عليه وسلم .

وسعد بن خَوْلَة ، وأبو عبيدة بن الجراح ، وعمرو بن الحارث بن زهير ، وسُهَيْل ابن بيضاء ، وعمرو بن أبي سرح .

فجميعهم : ثلاثةٌ وثلاثون رجلا ، رضى الله عنهم .

وقال البخارى : وقالت عائشة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أُرِيتُ دَارَ هِجْرَتِكُمْ ذات نخل بين لابَتَيْنِ » .

فهاجرَ من هاجر قِبل المدينة ، ورجع عامة من كان هاجر إلى الحبشة إلى المدينة .

وفيه عن أبي موسى وأسماء رضى الله عنهما ، عن النبي صلى الله عليه وسلم .
وقد تقدم حديث أبي موسى ، وهو في الصحيحين ، وسيأتى حديث أسماء بنت
عميس ، بعد فتح خيبر حين قدم من كان تأخر من مهاجرة الحبشة ، إن شاء الله ،
وبه الثقة .

وقال البخارى : حدثنا يحيى بن حمّاد ، حدثنا أبو عوّانة ، عن سليمان بن إبراهيم ،
عن علقمة ، عن عبد الله ، قال : كنا نسلم على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلى فيردّ
علينا ، فلما رجعنا من عند النجاشى سلمنا عليه فلم يردّ علينا ، فقلنا : يا رسول الله ، إنا كنا
نسلم عليك فترد علينا ، فلما رجعنا من عند النجاشى لم ترد علينا .
قال : « إِنَّ فِي الصَّلَاةِ شُغْلًا » .

وقد روى البخارى أيضا ومسلم وأبو داود والنسائى من طرق آخر ، عن سليمان بن
مهران ، عن الأعشى به :

وهو يقوى تأويل من تأوّل حديث زيد بن أرقم الثابت في الصحيحين : كنا نتكلم
في الصلاة ، حتى نزل قوله : « وقوموا لله قانتين »^(١) فأمرنا بالسكوت ونهيناعن الكلام .
على أن المراد جنس الصحابة ، فإن زيدا أنصارى مدنى ، وتحريم الكلام في الصلاة
ثبت بمكة ، فتعين الحمل على ما تقدم .

وأما ذكره الآية وهى مدينة فشكل ، ولعله اعتقد أنها الحرمة لذلك ، وإنما كان
الحرّم له غيرها معها . والله أعلم

قال ابن إسحق : وكان ممن دخل منهم بجوار^(٢) [فيما سمى لنا^(٣)] عثمان بن

(١) سورة البقرة ٢٣٨ (١) الأصل : وكان ممن دخل معهم بجوار . وهو تحريف ، وما أثبتته عن ابن هشام
(٣) من ابن هشام

مَظْعُونُ فِي جِوَارِ الْوَلِيدِ بْنِ الْغَيْرَةِ ، وَأَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الْأَسَدِ فِي جِوَارِ خَالِهِ أَبِي طَالِبٍ ،
فَإِنَّ أُمَّهُ بَرَّةَ بِنْتَ عَبْدِ الْمَطْلَبِ ^(١) .

فَأَمَّا عُمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ فَإِنْ صَالِحُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ حَدَّثَنِي عَنْ
حَدَّثَهُ عَنْ عُمَانَ قَالَ : لَمَّا رَأَى عُمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ مَا فِيهِ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ مِنَ الْبَلَاءِ وَهُوَ يَرُوحُ وَيَقْدُو فِي أَمَانٍ مِنَ الْوَلِيدِ بْنِ الْغَيْرَةِ قَالَ : وَاللَّهِ إِنَّ غُدُوِّي
وَرَوْاحِي فِي جِوَارِ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الشَّرْكِ ، وَأَصْحَابِي وَأَهْلُ دِينِي يَلْقَوْنَ مِنَ الْبَلَاءِ وَالْأَذَى
فِي اللَّهِ مَا لَا يَصِيبُنِي لَنَقْصٍ كَثِيرٍ ^(٢) فِي نَفْسِي !

فَمَشَى إِلَى الْوَلِيدِ بْنِ الْغَيْرَةِ فَقَالَ لَهُ : يَا أَبَا عَبْدِ شَمْسٍ ، وَفَتَ ذِمَّتُكَ ، وَقَدْ رَدَدْتُ
إِلَيْكَ جِوَارَكَ .

قال : لم يابن أخى ؟ لعله آذاك أحدٌ من قومي ؟

قال : لا ، ولكنى أرضى بجوار الله عز وجل ، ولا أريد أن أستجير بغيره .

قال : فانطلقْ إلى المسجد فارددْ على جِوَارِي علانيةً كما أجزتْكَ علانيةً .

قال : فانطلقا ، فخرجا حتى أتيا المسجد ، فقال الوليد بن الغيرة : هذا عثمان قد جاء
يردُّ على جِوَارِي .

قال : صدق ، قد وجدته وفيًّا كريم الجوار ، ولكنى قد أحببت ألا أستجير
بغير الله ، فقد رددت عليه جِوَارَهُ .

ثم انصرف عثمان رضى الله عنه ، وكبيد بن ربعة بن مالك بن جعفر في مجلس من
قريش ينشدهم ، فجلس معهم عثمان فقال لبيد :

* أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ *

(١) ابن هشام : وأم أبي سلمة برة بنت عبد المطلب (٢) ابن هشام : كبير .

فقال عثمان : صدقت .

فقال لبید :

* وكلُّ نعيمٍ لا محالةَ زائلٌ *

فقال عثمان : كذبت ، نعيمُ الجنة لا يزول .

فقال لبید : يامعشر قريش ، والله ما كان يؤذِي جليسُكم ، فمتى حدثَ

هذا فيكم ؟ !

فقال رجل من القوم : إن هذا سفينةٌ في سفهاء معه ، قد فارقوا ديننا ، فلا تجدنَ

في نفسك من قوله .

فردَّ عليه عثمان حتى شَرى أمرُها ، فقام إليه ذلك الرجل ولطم عينه فَحَضَّرَها ،

والوليد بن المغيرة قريب يرى ما بلغ [من] ^(١) عثمان ، فقال : أما والله يابن أخى إن كانت عينُك عمّا أصابها لَغْنِيَّةٌ ، ولقد كنتَ في ذمة مَنِيعة .

قال : يقول عثمان : بل والله إنَّ عيني الصحيحة لفقيرةٌ إلى مثل ما أصاب أختها في

الله ! وإني لفي جوارٍ من هو أعزُّ منك وأقدرُ يا أبا عبد شمس .

فقال له الوليد : هلم يابن أخى إلى جوارك فَعُدْ . قال : لا .

* * *

قال ابن إسحق : وأما أبو سلمة بن عبد الأسد ؛ فحدثني أبي إسحق بن يسار ، عن

سلمة بن عبد الله بن أبي سلمة ، أنه حدّثه أن أبا سلمة لما استجار بأبي طالب مشى إليه رجال

من بني مخزوم فقالوا له : يا أبا طالب ، هذا منعت منا ابن أخيك محمداً ، فمالك

ولصاحبنا تمنعه منا ؟

(١) من ابن هشام .

قال : إنه استجار بي ، وهو ابن أختي ، وإن أنا لم أمنع ابن أختي لم أمنع ابن أختي .

فقام أبو لهب فقال : يامعشر قريش ، والله لقد أكثرتم على هذا الشيخ ، ماتزالون تتواثبون عليه في جواره من بين قومه ، والله لتنتهين أو لنقومن معه في كل مقام فيه حتى يبلغ ما أراد .

قالوا : بل ننصرف عما تكره يا أبا عتبة . وكان لهم ولياً وناصراً على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبقوا على ذلك .

فطمع فيه أبو طالب حين سمعه يقول مايقول ، ورجا أن يقوم معه في شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقال أبو طالب يحرّض أبا لهب على نصرته ونصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم :

إِنَّ امْرَأًا أَبُو عْتِيبَةَ عُمَهُ	لَنِي رَوْضَةٌ مَا إِنْ يُسَامُ الْمَظَالِمَا
أَقُولُ لَهُ وَأَيْنَ مِنْهُ نَصِيحَتِي	أَبَا مُعْتَبٍ ثَبَّتْ سَوَادَكَ قَائِمًا
وَلَا تَقْبِلَنَّ الدَّهْرَ مَا عَشَتْ خُطَّةً	تُسَبُّ بِهَا إِمَامًا هَبَطَتِ الْمَوَاسِمَا
وَوَلَّ سَبِيلَ الْعَجْزِ غَيْرَكَ مِنْهُمْ	فَإِنَّكَ لَمْ تُخْلَقْ عَلَى الْعَجْزِ لَازِمًا
وَحَارِبٍ فَإِنَّ الْحَرْبَ نَصْفٌ وَلَنْ تَرَى	أَخَا الْحَرْبِ يَعْطِي الْخُسْفَ حَتَّى يُسَالِمَا
وَكَيْفَ وَلَمْ يَجْنُوا عَلَيْكَ عَظِيمَةً	وَلَمْ يَخْذُلُوكَ غَائِمًا أَوْ مُغَارِمَا
جَزَى اللَّهُ عَنَّا عَبْدَ شَمْسٍ وَنُوفَلًا	وَتَيْمًا وَمُخْزَوْمًا عَقُوقًا وَمَأْتَمًا
بِتَفْرِيقِهِمْ مِنْ بَعْدِ وَدٍّ وَأَلْفَةٍ	جَامَعَتْنَا كَيْمَا يَنَالُوا الْحَارِمَا
كَذَبْتُمْ وَبَيْتَ اللَّهِ نُبْزَى ^(١) مُحَمَّدًا	وَلَمَّا تَرَوْا يَوْمًا لَدَى الشَّعْبِ قَائِمًا

قال ابن هشام : وبقي منها بيت تركناه .

ذكر غَزِم الصديق على الهجرة إلى أرض الحبشة

قال ابن إسحق : وقد كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، كما حدثني محمد بن مسلم الزُّهْرِي ، عن عروة ، عن عائشة ، حين ضاقت عليه مكة وأصابه فيها الأذى ، ورأى من تظاهر قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مارأى ، استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الهجرة فأذن له .

فخرج أبو بكر رضى الله عنه مهاجراً ، حتى إذا سار من مكة يوماً أو يومين ، لقيه ابنُ الدَّغِنَةِ^(١) ، أخو بني الحارث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ، وهو يومئذ سيدُ الأحابيش .

قال الواقدي : اسمه الحارث بن يزيد ، أحد بني بكر بن عبد مناة بن كنانة . وقال السُّهَيْلِي : اسمه مالك .

فقال : إلى أين يا أبا بكر ؟ قال : أخرجني قومي وآذوني وضيقوا عليّ . قال : ولم ؟ والله إنك لتزين العشيرة وتعين على النوائب وتفعل المعروف وتكسب العدوم ، ارجع فإنك في جوارى .

فرجع معه ، حتى إذا دخل مكة قام معه ابن الدَّغِنَةِ فقال : بامعشر قريش ، إني قد أجرتُ ابنَ أبي قحافة ، فلا يعرض له أحد إلا بخير . قال : فكفوا عنه .

(١) ابن الدغنة ، بفتح الدال المشددة وكسر الغين المعجمة والنون مخففة مفتوحة ، كذا ضبطه الزرقاني ، وهو ضبط الرواة ، وأهل اللغة يضبطونه بالدال مشددة مضمومة والغين مضمومة والنون مشددة مضمومة ومعنى الدغنة : المسترخية .

قالت : وكان لأبي بكر مسجد عند باب داره في بني تميم ، فكان يصلي فيه ، وكان رجلاً رقيقاً إذا قرأ القرآن استبكي .

قالت : فيقف عليه الصبيان والعبيد والنساء ، يعجبون لما يرون من هيئته .
قال : فمشى رجال من قريش إلى ابن الدغنة فقالوا : يا ابن الدغنة ، إنك لم تجز هذا الرجل ليؤذينا ، إنه رجل إذا صلى وقرأ ماجأ به محمد يرقُّ وكانت له هيئة ، ونحن نتخوَّف على صبياننا ونسائنا وضعفائنا أن يفتنهم ، فآتته فمرَّه أن يدخل بيته فليصنع فيه ماشاء .

قالت : فمشى ابن الدغنة إليه فقال : يا أبا بكر ، إني لم أجرك لتؤذي قومك ، وقد كرهوا مكانك الذي أنت به وتأذوا بذلك منك ، فادخل بيتك فاصنع فيه ما أحببت .

قال : أو أردُّ عليك جوارك وأرضى بجوار الله .

قال : فارددْ عليَّ جوارى . قال : قد رددته عليك .

قال : فقام ابن الدغنة فقال : يامعشر قريش ، إن ابن أبي قحافة قد ردَّ عليَّ جوارى ، فشأنكم بصاحبكم .

وقد روى الإمام البخارى هذا الحديث ^(١) متفرداً به ، وفيه زيادة حسنة .

فقال : حدثنا يحيى بن بُكَيْر ، حدثنا الليث ، عن عُقَيْل ، قال ابن شهاب ^(٢)

فأخبرني عروة بن الزبير أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت :

لم أعقل أبوي ^(٣) قط إلا وهما يدرينان الدين ، ولم يمرَّ علينا يوم إلا يأتينا فيه

(١) صحيح البخارى باب هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة ١٩٠/٢

(٢) الأصل : قال ابن هشام : وهو تحريف وما أثبتته من صحيح البخارى ١٩٠/٢

(٣) الأصل : أبواى . وهو خطأ . وما أثبتته عن البخارى .

رسولُ الله صلى الله عليه وسلم طرفى النهار بكرة وعشية .

فلما ابتلى المسلمون خرج أبو بكر مهاجراً نحو أرض الحبشة ، حتى إذا بلغ بَرَك الغَمَاد ^(١) لقيه ابنُ الدَّغْنَةِ وهو سيد القارّة ^(٢) ، فقال : أين تريد يا أبا بكر ؟ فقال أبو بكر : أخرجنى قومى فأريد أن أسبح فى الأرض فأعبدَ ربى .

فقال ابن الدغنة : فإن مثلك يا أبا بكر لا يُخْرَج ولا يُخْرَج مثله ، إنك تكسب المعدوم ، وتصل الرحم ، وتحمل الكلَّ ، وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الحق ، وأنا لك جارٌّ ، فارجع فأعبد ربَّك ببلدك .

فرجع ، وارتحل معه ابنُ الدغنة ، وطاف ابن الدغنة عشيةً فى أشراف قريش فقال لهم : إن أبا بكر لا يُخْرَج مثله ولا يُخْرَج ، أخرجون رجلاً يكسب المعدوم ، ويصل الرحم ويحمل الكلَّ ويقرى الضيف ، ويعين على نوائب الحق ؟ !

فلم يكذب قريش بجوار ابن الدغنة ، وقالوا لابن الدغنة : مُرْ أبا بكر فليعبد ربه فى داره ويصل فيها ، وليقرأ ما شاء ، ولا يؤذينا بذلك ولا يستعلن به ، فإننا نخشى أن يفتن نساءنا وأبناءنا .

فقال ابنُ الدغنة ذلك لأبى بكر .

فأبى أبو بكر بذلك يعبد ربه فى داره ، ولا يستعلن بصلاته ولا يقرأ فى غير داره . ثم بدا لأبى بكر فابتنى مسجداً بفناء داره ، وكان يصلى فيه ويقرأ القرآن .

فيتقدّف ^(٣) نساء المشركين وأبناءؤهم يعجبون منه وينظرون إليه ، وكان أبو بكر رجلاً بكاءً لا يملك عيظه إذا قرأ القرآن .

(١) برك الغماد : موضع وراء مكة بخمس ليال مما يلى البحر . وقد حكى فى الباء الضم والكسر

(٢) قبيلة تشتهر بالزعم وهم ما يقال : قد أنصف القارة من رامها .

(٣) أى يتدافعون فيقفذ بعضهم بعضاً فيتساقطون عليه . ورواية المواهب : « فيقفص » أى يزدحم ورواية المروزى والمستمل : فيقفذ بالنون . شرح المواهب ٢٨٩/١

فأفرغ ذلك أشراف قريش من المشركين ، فأرسلوا إلى ابن الدغنة فقدم عليهم ، فقالوا : إنا كنا أجراً نأبأ بكر بجوارك على أن يعبد ربه في داره ، فقد جاوز ذلك فابتنى مسجداً بفناء داره فأعلن الصلاة والقراءة فيه ، وإنا قد خشينا أن يفتن أبناءنا ونساءنا فأنه ، فإن أحب أن يقتصر على أن يعبد ربه في داره فعل ، وإن أبي إلا أن يعلن ذلك فسله أن يرد عليك ذمتك ، فإنا قد كرهنا أن نخفرك ، ولسنا مقرين لأبي بكر الاستعلان .

قالت عائشة : فأتى ابن الدغنة إلى أبي بكر فقال : قد علمت الذي قد عاقدتك عليه ، فإما أن تقتصر على ذلك ، وإما أن ترد إلى ذمتي ، فإني لا أحب أن تسمع العرب أني أخفرت في رجل عقدت له .

فقال أبو بكر : فإني أردت عليك جوارك وأرضى بجوار الله عز وجل .

ثم ذكر تمام الحديث في هجرة أبي بكر رضى الله عنه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما سيأتي مبسوطاً .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق ، قال : لقيه ، يعني أبا بكر الصديق حين خرج من جوار ابن الدغنة ، سفيه من سفهاء قريش ، وهو عائد إلى الكعبة ، فحنا على رأسه تراباً ، فرَّ بأبي بكر الوليد بن المغيرة أو العاص بن وائل ، فقال له أبو بكر رضى الله عنه : ألا ترى ما يصنع هذا السفيه ؟ ! فقال : أنت فعلت ذلك بنفسك . وهو يقول : أي رب ما أحلمك ، أي رب ما أحلمك ، أي رب ما أحلمك !

فصل

كل هذه القصص ذكرها ابن إسحاق معترضاً بها بين تعاقد قريش على بني هاشم وبني المطلب ، وكتابتهم عليهم الصحيفة الظالمة وحصرهم إياهم في الشعب ، وبين نقض

الصحيفة وما كان من أمرها ، وهى أمور مناسبة لهذا الوقت ، ولهذا قال الشافعى رحمه الله : من أراد المغازى فهو عيال على ابن إسحق .

قال ابن إسحق : هذا وبنو هاشم وبنو المطلب فى منزلهم الذى تعاقدت فيه قريش عليهم فى الصحيفة التى كتبوها .

ثم إنه قام فى نقض الصحيفة نفرٌ من قريش .

ولم يُبَلِّ فيها أحد أحسنَ من بلاء هشام بن عمرو بن الحارث بن حبيب بن نصر ابن مالك بن حِسل بن عامر بن لؤى ، وذلك أنه كان ابنَ أخى فضلة بن هشام بن عبد مناف لأمه . وكان هشام لبني هاشم واصلا ، وكان ذا شرف فى قومه .

فكان ، فيما بلغنى ، يأتى بالبعير ، وبنو هاشم وبنو المطلب فى الشعب ليلاً ، قد أوقره طعاما ، حتى إذا بلغ به فَمَ الشَّعْب خلع خطامه من رأسه ثم ضرب على جنبه فدخل الشَّعْب عليهم ، ثم يأتى به قد أوقره بُرّاً فيفعل به مثل ذلك .

ثم إنه مشى إلى زهير بن أبى أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم ، وكانت أمه عاتكة بنت عبد المطلب ، فقال : يا زهير أقد رضيت أن تأكل الطعام وتلبس الثياب وتنسك النساء ، وأخوالك حيث علمت لا يُباعون ولا يبتاع منهم ، ولا ينكحون ولا ينكح إليهم ؟ أما إنى أحلف بالله لو كانوا أخوالَ أبى الحكم بن هشام ، ثم دعوته إلى مثل ما دعاك إليه منهم ما أجابك إليه أبدا .

قال : ويحك يا هشام ، فماذا أصنع ؟ إنما أنا رجل واحد ، والله لو كان معى رجل آخر لقمْتُ فى نقضها .

قال : قد وجدت رجلا . قال : من هو ؟ قال : أنا . قال له زهير : ابغنا ثالثا .

فذهب إلى المطعم بن عديّ فقال له : يا مطعم ، أقد رضيت أن يهلك بطنان من

بنى عبد مناف وأنت شاهد على ذلك موافق لقريش فيه؟! أما والله لنن أمكنتموهم من هذه لتجدتهم إليها منكم سراعا .

قال : ويحك فماذا أصنع ؟ إنما أنا رجل واحد .

قال : وجدت لك ثانيا . قال : من ؟ قال : أنا . قال : ابغنا ثالثا . قال : قد فعلت قال : من هو ؟ قال : زهير بن أبي أمية . قال ابغنا رابعا . فذهب إلى أبي البختري بن هشام فقال نحو ما قال للطعم بن عدى ، فقال : وهل تجد أحدا يعين على هذا ؟ قال : نعم . قال : من هو ؟ قال : زهير بن أبي أمية والطعم بن عدى وأنا معك . قال : ابغنا خامسا .

فذهب إلى زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد ، فكلّمه وذكر له قرابتهم وحقهم ، فقال له : وهل على هذا الأمر الذى تدعونى إليه من أحد ؟ قال : نعم . ثم سمى القوم .

فأتعدوا حطّم الحجون ليلا بأعلى مكة ، فاجتمعوا هنالك ، وأجمعوا أمرهم وتعاهدوا على القيام فى الصّحيفة حتى ينقضوها ، وقال زهير : أنا أبدوكم فأكون أول من يتكلم . فلما أصبحوا غدّوا إلى أنديتهم ، وغدا زهير بن أبي أمية عليه حلة ، فطاف بالبيت سبيعا ، ثم أقبل الناس فقال : يا أهل مكة أنا كل الطعام ولبس الثياب ، وبنو هاشم همّكى لا يبتاعون ولا يبتاع منهم ، والله لا أقعد حتى تشقّ هذه الصّحيفة القاطعة الظالمة .

قال أبو جهل : وكان فى ناحية المسجد : والله لا تشقّ .

قال زمعة بن الأسود : أنت والله أكذب ، مارضينا كتابتها حين كتبت .

قال أبو البختري : صدق زمعة ، لا نرضى ما كتب فيها ولا نقرّ به .

قال المطعم بن عدى : صدقما وكذب من قال غير ذلك ، نبأ إلى الله منها ومما كتب فيها .

وقال هشام بن عمرو نحواً من ذلك .

قال أبو جهل : هذا أمر قد قضى بليل وتشوور فيه بغير هذا المكان .

وأبو طالب جالس في ناحية المسجد .

وقام المطعم بن عدى إلى الصحيفة ليشقها فوجد الأرضة قد أكلتها إلا « باسمك اللهم »

وكان كاتب الصحيفة منصور بن عكرمة فسلَّت يده ، فيما يزعمون .

قال ابن هشام : وذكر بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي

طالب : يا عم إن الله قد سلَّط الأرضة على صحيفة قريش ، فلم تدع فيها اسماً هو لله إلا أثبتته

فيها ، ونفَت منها الظلم والقطيعة والبهتان .

فقال : أربك أخبرك بهذا ؟ قال : نعم .

قال : فوالله ما يدخل عليك أحد .

ثم خرج إلى قريش فقال : يا معشر قريش ، إن ابن أخى قد أخبرنى بكذا وكذا ،

فهل صحيفةكم ، فإن كانت كما قال فانتهبوا عن قطيعتنا وانزلوا عنها ، وإن كان كاذباً

دفعْتُ إليكم ابن أخى .

فقال القوم : قد رضينا . فتعاقدوا على ذلك .

ثم نظروا فإذا هى كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فزادهم ذلك شراً .

فعند ذلك صنع الزهط من قريش فى نقض الصحيفة ما صنعوا .

قال ابن إسحاق : فلما مُرِّقَتْ وبطل ما فيها قال أبو طالب فيما كان من أمر أولئك

القوم الذين قاموا فى نقض الصحيفة يمدحهم :

الاهل اَتَى بِحَرِيَّتَا صُنْعُ رَبِّنَا
فِيخْبِرُهُمْ أَنَّ الصَّحِيفَةَ مَزَّقَتْ
تَرَاوَحَهَا إِفْكٌ وَسِخَرٌ مُجْمَعٌ
تَدَاعَى لَهَا مَنْ لَيْسَ فِيهَا بِقَرَقَرٍ^(١)
وَكَانَتْ كِفَاءً وَقَعْمَةً بِأَيْمَةٍ
وَيَظُنُّ أَهْلُ الْمَكَّةِ فِيهِمْ بَوَا
وَيُتْرَكُ حَرَاثُ يَقْلُبُ أَمْرَهُ
فَمَنْ يَنْشَ مِنْ حُضَارِ مَكَّةَ عِزَّهُ
نَشَانَا بِهَا وَالنَّاسُ فِيهَا قَلَائِلُ
وَنُطْعَمُ حَتَّى يَتْرَكَ النَّاسُ فَضْلَهُمْ
جَزَى اللَّهُ رَهْطًا بِالْحُجُوجِ تَجَمَّعُوا
قَعُودًا لَدَى حَظَمِ الْحُجُوجِ كَأَنَّهُمْ
أَعَانَ عَلَيْهِمْ كُلُّ صَقَرٍ كَأَنَّهُ
جَرَى عَلَى جُلٍّ^(٢) الْخَطُوبِ كَأَنَّهُ
مِنَ الْأَكْرَمِينَ مِنْ لَوْئِيٍّ بَنٍ غَالِبٍ
طَوِيلُ النِّجَادِ خَارِجٌ نِصْفُ سَاقِهِ

عَلَى ثَأْيِهِمْ وَاللَّهُ بِالنَّاسِ أَرْوَدُ^(٣)
وَأَنْ كُلُّ مَالٍ يَرْضَاهُ اللَّهُ مُفْسَدُ
وَلَمْ يُلَفَّ سَحَرٌ آخِرَ الدَّهْرِ يَصْعَدُ
فَطَاثُرُهَا فِي رَأْسِهَا يَتَرَدَّدُ
لِيُقَطَعَ مِنْهَا سَاعِدٌ وَمُقَلَّدُ^(٤)
فَرَانِصُهُمْ مِنْ خَشْيَةِ الشَّرِّ تَرْعَدُ
أُيْتُهُمْ فِيهَا عِنْدَ ذَاكَ وَيُنْجَدُ
فَعَزَّنَا فِي بَطْنِ مَكَّةَ أَتْلَدُ
فَلَمْ تَنْفِكْكَ نَزْدَادُ خَيْرًا وَنُحْمَكُ
إِذَا جَعَلْتَ أَيْدِي الْفُيُضِينَ تَرْعَدُ
عَلَى مَلَا يَهْدِي لِحَزْمٍ وَيُرْشَدُ
مَقَاوِلَةٌ بَلْ هُمْ أَعَزُّ وَأَجْمَدُ
إِذَا مَامَشَى فِي رَفْرِفِ الدَّرْعِ أَحْرَدُ^(٥)
شَهَابٌ بِكَفَى قَابَسٍ يَتَوَقَّدُ
إِذَا سِيمَ خَسَفًا وَجْهُهُ يَتَرَبَّدُ
عَلَى وَجْهِهِ يُسْقَى الْغَامُ وَيُسْعَدُ

(١) بحريتنا : أراد بهم الذين بأرض الحبشة ، نسبهم إلى البحر لركوبهم إياه . كما قال عليه السلام لأسماء بنت عميس حين قدمت من أرض الحبشة : « البحرية الحبشية » وأرود : أرفق .

(٢) القرقر : أراد الدليل ، والقرقر : الأرض الموطوءة التي لا تمنع سالكيها . ويجوز أن يريد به : ليس بنى هزل . الروض .

(٣) المقلد : العنق .

(٤) رفرف الدرع : فضولها . والأحرد : الذي في مشيه تناقل ، وهو من الحرد ، وهو عيب في الرجل .

(٥) وتروى : جلى ..

عَظِيمُ الرَّمَادِ سَيِّدٌ وَابْنُ سَيِّدٍ يَحْضُ عَلَى مَقَرِّ الضِّيُوفِ وَيَحْسِدُ
وَيَبْنِي لِأَبْنَاءِ الْعَشِيرَةِ صَالِحًا إِذَا نَحْنُ طُفْنَا فِي الْبِلَادِ وَيَمْهَدُ
أَلْظَ^(١) بِهَذَا الصُّلْحِ كُلِّ مُبْرَأٍ عَظِيمُ اللَّوَاءِ أَمْرُهُ ثُمَّ يَحْمَدُ
قَضَوْا مَا قَضَوْا فِي لَيْلِهِمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا عَلَى مَهَلٍ وَسَائِرِ النَّاسِ رُقِدَ
هُمْ رَجَعُوا سَهْلَ بْنَ بَيْضَاءَ رَاضِيًا وَسُرَّ أَبُو بَكْرٍ بِهَا وَمُحَمَّدُ
مَتَى شَرَكِ الْأَقْوَامُ فِي حَلٍّ أَمَرْنَا وَكُنَّا قَدِيمًا قَبْلَهُمْ نَتَوَدَّدُ
وَكُنَّا قَدِيمًا لَا نَقْرُ ظُلَامَةً وَنَدْرِكُ مَا شِئْنَا وَلَا نَتَشَدَّدُ
فِيَالِ قُصَيٍّ هَلْ لَكُمْ فِي نَفُوسِكُمْ وَهَلْ لَكُمْ فِيمَا يَجِيءُ بِهِ غَدُ
فَإِنِّي وَإِيَّاكُمْ كَمَا قَالَ قَائِلٌ لَدَيْكَ الْبَيَانُ لَوْ تَكَلَّمْتَ أَسْوَدُ

قال السهيلي : أسود اسم جبل قتل به قتيل ولم يعرف قاتله ، فقال أولياء المقتول :
لديك البيان لو تكلمت أسود . أى يا أسود لو تكلمت لأبنت لنا عن قتله^(٢) .

ثم ذكر ابن إسحاق شعرَ حسان يمدح المظعم بن عدى وهشام بن عمرو لقيامهما
في نقض الصحيفة الظالمة الفاجرة الغاشمة .

وقد ذكر الأموي هاهنا أشعاراً كثيرة اكتبناها بما أورده ابن إسحاق .

وقال الواقدي : سألت محمد بن صالح ، وعبد الرحمن بن عبد العزيز : متى خرج
بنو هاشم من الشعب ؟ قالوا : في السنة العاشرة ، يعنى من البعثة ، قبل الهجرة
بثلاث سنين .

قلت : وفي هذه السنة بعد خروجهم توفى أبو طالب عم رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، وزوجته خديجة بنت خويلد رضى الله عنها . كما سيأتى بيان ذلك إن شاء
الله تعالى .

(١) أَلْظَ : أُلْغَ وطالب . (٢) السهيلي : فقال أولياء المقتول هذه المقالة فذهبت مثلاً .

فصل

وقد ذكر محمد بن إسحاق رحمه الله بعد إبطال الصحيفة قصصا كثيرة تتضمن نَصَبَ عداوة قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتنفيذِ أحياء العرب والقادمين إلى مكة لحجٍّ أو عمرة أو غير ذلك منه ، وإظهارَ الله المعجزات على يديه ، دلالةً على صدقه فيما جاءهم به من البينات والهدى ، وتكذيباً لهم فيما يرمونه من البغي والعدوان والمكر والخداع ، ويرمونه من الجنون والسحر والكهانة والتفوُّل ، والله غالب على أمره .

فذكر قصة الطفيل بن عمرو الدؤسيّ رسالةً .

وكان سيداً مطاعاً شريفاً في دوس ، وكان قد قَدِمَ مكة فاجتمع به أشراف قريش وحذَّروه من رسول الله ونهوه أن يجتمع به أو يسمع كلامه .

قال : فوالله ما زالوا بي حتى أَجْمَعْتُ ألا أسمع منه شيئاً ولا أكله ، حتى حشَوْتُ أذنيّ حين غدوتُ إلى المسجد كُرْسُفاً ^(١) فَرَقاً مِنْ أَنْ يبلغني شيءٌ من قوله ، وأنا لا أريد أن أسمع .

قال فغدوت إلى المسجد ، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلي عند الكعبة .

قال : فقممت منه قريباً ، فأبى الله إلا أن يُسمعني بعضَ قوله .

قال : فسمعت كلاماً حسناً ، قال : فقلت في نفسي : وأتُكَلِّمُ أُمِّي ! والله إني لرجل لبيبٌ شاعرٌ ما يُخَفِّي عَلَى الْحَسَنِ مِنَ الْقَبِيحِ ، فما يمنعني أن أسمع من هذا الرجل ما يقول ، فإن كان الذي يأتي به حسناً قبلته ، وإن كان قبيحاً تركته .

(١) الكرسف : القطن

قال : فمكثت حتى انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيته [فاتبعته حتى إذا دخل بيته ^(١)] دخلت عليه فقلت : يا محمد إن قومك قالوا لي كذا وكذا .
الذي قالوا .

قال : فوالله ما برحوا بي يخوفوني أمرك حتى سدّدت أذنيّ بكرسُفٍ لثلاث أسمع قولك ، ثم أبى الله إلا أن يُسمّنى قولك ، فسمعت قولاً حسناً ، فاعرض علىّ أمرك .

قال : فعرض علىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسلام وتلا علىّ القرآن ، فلا والله ما سمعت قولاً قط أحسن منه ، ولا أمراً أعدل منه .

قال : فأسألتُ وشهدت شهادة الحق ، وقلت : يا نبي الله إني امرؤ مُطاعٌ في قومي ، وإني راجع إليهم وداعيهم إلى الإسلام ، فادعُ الله أن يجعل لي آيةً تكون لي عوناً عليهم فيما أدعُوهم إليه .

قال فقال : اللهم اجعل له آيةً .

قال فخرجت إلى قومي ، حتى إذا كنت بَثْنِيَّةٍ تطلّعي على الحاضر ، وقع بين عيني نورٌ مثل المصباح . قال : فقلت : اللهم في غير وجهي فإني أخشى أن يظنوا أنها ^(٢) مُثَلَّةٌ وقعت في وجهي لفراق دينهم .

قال : فتحوّل فوق في رأس سَوْطِي . قال : فجعل الحاضرون ^(٣) يتراءون ذلك النور في رأس سوطي كالقنديل المعلق وأنا أنهبط ^(٤) عليهم من الثنّية ، حتى جثتهم فأصبحت فيهم .

(١) سقطت من المصبوعة . (٢) الأصل : يظنوا بها وما أثبتته من ابن هشام .

(٣) ابن هشام : الحاضر (٤) ابن هشام : أهبط

فلما نزلت أتانى أبى ، وكان شيخا كبيرا ، فقلت : إليك عنى يا أبتِ ، فلست منك ولست منى .

قال : ولم يابنى ؟

قال : قلت أسلمتُ وتابعتُ دينَ محمد صلى الله عليه وسلم .

قال : أى بنى فدينك دينى . فقلت : فاذهب فاغتسل وطهر ثيابك ، ثم ائتنى حتى أعلمك مما علمت .

قال : فذهب فاغتسل وطهر ثيابه ، ثم جاء فعرضت عليه الإسلام فأسلم .

قال : ثم أتتني صاحبتى ، فقلت : إليك عنى ، فلستُ منك ولست منى .

قالت : ولم ؟ بأبى أنت وأمى .

قال : قلت : فرّق بينى وبينك الإسلامُ ، وتابعتُ دينَ محمد صلى الله عليه وسلم .

قالت : فدينى دينك .

قال : فقلت فاذهبنى إلى حمى ^(١) ذى الشرى فتطهّرى منه . وكان ذو الشرى صنماً

لدّوس ، وكان الحمى حمى سخّوه حوله ، به وشل ^(٢) من ماء يهبط من جبل .

قالت : بأبى أنت وأمى ، أتخشى على الصّبية من ذى الشرى شيئا ؟

قلت : لا ، أنا ضامن لذلك .

قال : فذهبتُ فاغتسلت ، ثم جاءت فعرضتُ عليها الإسلام فأسلمت .

ثم دعوت دوساً إلى الإسلام فأبطاوا علىّ ، ثم جئتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم

بمكة . فقلت : يا رسول الله ، إنه قد غلبنى على دوس الزنا ، فادع الله عليهم .

قال : « اللهم اهدِ دوساً ، ارجع إلى قومك فادعهم وارفق بهم » .

(٢) الوشل : الماء القليل .

(١) ويقال له أيضا : حمى

قال : فلم أزل بأرض دوس أدعوم إلى الإسلام ، حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، ومضى بدر^(١) وأحد والخندق ، ثم قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن أسلم معي من قومي ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر ، حتى نزلت المدينة بسبعين أو ثمانين بيتاً من دوس ، فلحقنا برسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر فأسهم لنا مع المسلمين .

ثم لم أزل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى فتح الله عليه مكة ، فقلت : يا رسول الله ابعتني إلى ذى الكفّين صنم عمرو بن حُمة حتى أحرقه .

قال ابن إسحاق : نخرج إليه ، فجعل الطفيل وهو يوقد عليه النار يقول :

يَا ذَا الْكَفَّينَ^(٢) لستُ مِنْ عُبَادِكَ مِلَادُنَا أَقْدَمُ مِنْ مِيلَادِكَ

إِنِّي حَشَوْتُ النَّارَ فِي فَوَادِكَ

قال : ثم رجعت [إلى^(٣)] رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان معه بالمدينة ، حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما ارتدّت العربُ خرج الطفيل مع المسلمين ، فسار معهم حتى فرغوا من طليحة ومن أرض نجد كلها ، ثم سار مع المسلمين إلى اليمامة ومعه ابنه عمرو بن الطفيل .

فراى رؤيا وهو متوجه إلى اليمامة ، فقال لأصحابه : إني قد رأيت رؤيا فاعبروها لي ، رأيت أن رأسي حلق ، وأنه خرج من فمي طائر ، وأنه لقيتني امرأة فأدخلتني في فرجها ، وأرى ابني يطلبني طلبا حثيثا ثم رأيتني حبس عني .

قالوا : خيراً . قال : أمّا أنا والله فقد أولّتها .

(١) الكفّين : أراد الكفّين بالتشديد فخفف للضرورة . وذكر السهيلي أنه قد يخفف في غير الشعر ، فإن صح هذا فهو تثنية كفء من كفأت الإناء ثم سهلت الهمزة ونقلت حركتها إلى الفاء كالحب والحب .
الروض ٢٣٥/١ (٢) من ابن هشام .

قالوا : ماذا ؟ قال : أمّا حَلَقَ رَأْسِي فَوَضَعَهُ ، وأمّا الطائر الذى خرج منه فروجى ، وأمّا المرأة التى أدخلتني فى فرجها فالأرض تُخْفَرُ لى فأغْيَبَ فيها . وأمّا طلبُ ابْنى إِيَّايَ ثُمَّ حَبَسَهُ عَنى فَإِنى أَرَاهُ سَيَجْتَهِدُ أَنْ يَصِيبَهُ مَا أَصَابَنِى .

فقتل رحمه الله تعالى شهيداً باليمامة ، وجرح ابنه جراحةً شديدة ، ثُمَّ اسْتَبَلَّ مِنْهَا ، ثُمَّ قَتَلَ عَامَ الْيَرْمُوكَ زَمَنَ عُمَرَ شَهِيداً . رحمه الله .

هكذا ذكر محمد بن إسحاق قصة الطّفِيلِ بن عمرو مُرْسَلةً بلا إسناد . ونخبره شاهد فى الحديث الصحيح .

قال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، حدثنا سفيان ، عن أبى الزناد ، عن الأعرج ، عن أبى هريرة ؛ قال : لما قدم الطّفِيلُ وأصحابه على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : **إِنْ دَوَسًا قَدْ اسْتَعَصَتْ ، قَالَ : « اللَّهُمَّ اهْدِ دَوَسًا وَائْتِ بِهِمْ » .**

رواه البخارى ، عن أبى نعيم ، عن سفيان الثورى .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد ، أنبأنا محمد بن عمرو ، عن أبى سلمة ، عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قَدِمَ الطّفِيلُ بن عمرو الدَّوسى وأصحابه ، فقالوا : يا رسول الله إن دوساً قد عصت وأبت فادع الله عليها . قال أبو هريرة فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه فقلت : هلكت دوس ! فقال : **« اللَّهُمَّ اهْدِ دوساً ، وَائْتِ بِهِمْ » .**

إسناده جيد ولم يخرجوه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سليمان بن حرب ، حدثنا حماد بن زيد ، عن حجاج الصوّاف ، عن أبى الزبير ، عن جابر ، أن الطّفِيلَ بن عمرو الدَّوسى أتى النّبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله هل لك فى حصْنٍ حصين ومَنعة ؟ قال : **حصنٌ كان لدّوس فى الجاهلية .**

فأبى ذلك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، للذى ذَخَرَ الله للأَنْصار .

فلما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة هاجر إليه الطُّفيل بن عمرو ، وهاجر معه رجل من قومه ، فاجتَوَا^(١) المدينة ، فمرض فجزع فأخذ مشاقص فقطع بها براجمه^(٢) ، فشخبت يدها فما رقا الدم حتى مات .

فراه الطفيل بن عمرو في منامه في هيئة حسنة ، ورآه مغطياً يديه ، فقال له : ما صنع ربك ؟ فقال : غفر لي بهجرتي إلى نبيه صلى الله عليه وسلم . قال : فما لي أراك مغطياً يديك ؟ قال : قيل لي لن يصلح منك ما أفسدت !

قال : فقصها الطفيل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم وليديه فاغفر » .

رواه مسلم عن أبي بكر بن أبي شَيْبَةَ وإسحاق بن إبراهيم ، كلاهما عن سليمان ابن حَرْب به .

فإن قيل : فما الجمع بين هذا الحديث وبين ما ثبت في الصحيحين من طريق الحسن ، عن جُنْدُب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كان فيمن كان قبلكم رجل به جرح فجزع ، فأخذ سكيناً فخرَّ بها يده فما رقا الدم حتى مات ، فقال الله عز وجل عبدي بادرنى بنفسه فخرمت عليه الجنة » .

فالجواب من وجوه :

أحدها : أنه قد يكون ذاك مُشْرَكا وهذا مؤمناً .

ويكون قد جعل هذا الصَّنِيع سبباً مستقلاً في دخوله النار ، وإن كان شِرْكه مستقلاً إلا أنه نَبَّه على هذا لتعتبر أمته .

(١) اجتوا المدينة : كرهوا المقام بها لضجر وسقم .

(٢) المشاقص : جم مشقس وهو سهم فيه نصل عريض : والبراجم : مفاصل الأصابع

الثانى : قد يكون هَذَا عَالِمًا بِالتَّحْرِيمِ ، وَهَذَا غَيْرِ عَالِمٍ لِحُدَاثَةِ عَهْدِهِ بِالإِسْلَامِ .

الثالث : قد يكون ذَاكَ فَعَلَهُ مُسْتَحِلًّا لَهُ ، وَهَذَا لَمْ يَكُنْ مُسْتَحِلًّا بَلْ مَخْطِئًا .

الرابع : قد يكون أَرَادَ ذَاكَ بِصَنْعِهِ الْمَذْكُورِ أَنْ يَقْتُلَ نَفْسَهُ ، بِخِلَافِ هَذَا فَإِنَّهُ يَجُوزُ أَنَّهُ لَمْ يَقْصِدْ قَتْلَ نَفْسِهِ وَإِنَّمَا أَرَادَ غَيْرَ ذَلِكَ .

الخامس : قد يكون هَذَا قَلِيلَ الْحَسَنَاتِ فَلَمْ تَقَاوِمِ كِبَرَ ذَنْبِهِ الْمَذْكُورِ ، فَدَخَلَ النَّارَ وَهَذَا قَدْ يَكُونُ كَثِيرَ الْحَسَنَاتِ فَقَاوَمَتِ الذَّنْبَ فَلَمْ يَلَجِ النَّارَ ، بَلْ غُفِرَ لَهُ بِالْهَجْرَةِ إِلَى نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَلَكِنْ بَقِيَ الشَّيْنُ فِي يَدِهِ فَقَطَّ وَحَسُنَتْ هَيْئَةُ سَائِرِهِ فَغَطَّى الشَّيْنُ مِنْهُ ، فَلَمَّا رَأَى الطِّفِيلُ بِنَ عَمْرٍو مَغْطِيًا يَدَيْهِ قَالَ لَهُ : مَا لَكَ ؟ قَالَ : قِيلَ لِي لَنْ يَصْلَحَ مِنْكَ مَا أَفْسَدْتَ . فَلَمَّا قَصَّهَا الطِّفِيلُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعَا لَهُ فَقَالَ : « اللَّهُمَّ وَلِيْدَيْهِ فَاغْفِرْ » أَى فَاصْلَحْ مِنْهَا مَا كَانَ فَاسِدًا .

وَالْحَقُّ أَنَّ اللَّهَ اسْتَجَابَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي صَاحِبِ الطِّفِيلِ ابْنِ عَمْرٍو .

قِصَّةُ أَعْشَى بْنِ قَيْسٍ

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : حَدَّثَنِي خَلَادُ بْنُ قُرَّةَ بْنِ خَالِدِ الشُّدُوسِيِّ وَغَيْرُهُ مِنْ مَشَائِخِ بَكْرِ ابْنِ وَائِلٍ ، عَنْ ^(١) أَهْلِ الْعِلْمِ ، أَنَّ أَعْشَى بْنَ قَيْسٍ بْنَ ثَعْلَبَةَ بْنَ عُكَّابَةَ بْنَ صَعْبٍ بْنَ عَلِيٍّ ابْنِ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ ، خَرَجَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرِيدُ الْإِسْلَامَ ، فَقَالَ يَمْدَحُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

(١) ابْنُ هِشَامٍ : مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ .

أَلَمْ تَفْتَمِضْ عَيْنَاكَ لَيْلَةَ أَرْمَدَا
وما ذاك مِنْ عِشْقِ النِّسَاءِ وَإِنَّمَا
وَلَكِنْ أَرَى الدَّهْرَ الَّذِي هُوَ خَائِنٌ
كَهَوْلًا وَشُبَّانًا فَقَدْتُ وَثْرَةً
وما زِلْتُ أَبْنَى الْمَالَ مُذُنًا يَافِعٌ
وَأَبْذُلُ الْعِيسَ الْمَرَاقِيلَ تَعْتَلِي
أَلَا أَيُّهَا هَذَا السَّائِلِي أَيْنَ يَمَمْتُ
فَإِنْ تَسْأَلِي عَنِّي فَيَارُبُّ سَائِلِي
أَجَدَّتْ بَرَجْلِيهَا النَّجَاءُ (٢) وَرَاجَعَتْ
وَفِيهَا إِذَا مَا هَجَّرَتْ عَجْرَفِيَّةً
وَأَلَيْتُ لَا آوِي لَهَا مِنْ كِلَالَةٍ
مَتَى مَا تُتَاخَى عِنْدَ بَابِ ابْنِ هَاشِمٍ
نَبِيٌّ يَرَى مَا لَا تَرَوْنَ وَذِكْرُهُ
لَهُ صَدَقَاتُ مَا تَغِبُّ وَنَائِلٌ
أَجِدْكَ لَمْ تَسْمَعْ وَصَاةَ مُحَمَّدٍ

وَبَيْتٌ كَمَا بَاتَ السَّلِيمُ مُسَهَّدًا
تَنَاسَيْتُ قَبْلَ الْيَوْمِ خُلَّةً (١) مَهْدَا
إِذَا أَصْلَحْتُ كَفَّأَيَ عَادَ فَاغْسَدَا
فَلِلَّهِ هَذَا الدَّهْرُ كَيْفَ تَرَدَّدَا
وَلِيدًا وَكِهْلًا حِينَ شَبْتُ وَأَمْرَدَا
مَسَافَةً مَا بَيْنَ النَّجِيرِ فَصَرَّخَدَا (٣)
فَإِنَّ لَهَا فِي أَهْلِ يَثْرِبٍ مَوْعِدَا
حَفِيٌّ عَنِ الْأَعَشَى بِهِ حَيْثُ أَصْعَدَا
يَدَاها خِنَافًا لَيْنًا غَيْرَ أَحْرَدَا (٤)
إِذَا خِلْتُ حِرْبَاءَ الظَّهِيرَةِ أَصِيدَا (٥)
وَلَا مِنْ حَفِيٍّ حَتَّى تُلَاقِيَ مُحَمَّدَا
تُرَاحَى وَتَلْقَى مِنْ فَوَاضِلِهِ نَدَى
أَغَارَ لَعْمَرَى فِي الْبِلَادِ وَأَنْجَدَا (٦)
فَلَيْسَ عَطَاءُ الْيَوْمِ مَانِعُهُ غَدَا
نَبِيُّ الْإِلَهِ حَيْثُ أَوْصَى وَأَشْهَدَا

(١) وتروى : صحبة . (٢) العيس المراقيل : الإبل المسرعة . والنجير وصرخد : بلدان .

(٣) ط : النجاء . وهو تحريف .

(٤) خفت الناقة ببيها في السير إذا مالت بهما نشاطا .

(٥) الحرباء : دويبة تستقبل الشمس برأسها ، والأصيد : المائل العنق ، والمقصود حين تكون الشمس في وسط السماء وذلك أحر ما تكون الرضاء ، يصف ناقته بالنشاط وقوة المشي في ذلك الوقت .

(٦) رواية ابن دريد في الاشتقاق ١/ ١٨ :

نبي يرى ما لا ترون وذكره لعمرى غار في البلاد وأنجدَا

قال : « ومن روى : « أغار لعمرى » فقد لحن وأخطأ » .

إذا أنت لم تَرَحَلْ بِزَادٍ مِنَ التَّقَى ولا قِيتَ بعد الموت مَنْ قد تَزَوَّدَا
نَدِمْتَ عَلَى أَنْ لَا تَسْكُونُ كَمَثَلِهِ فَتُرْصِدْ لِلْأَمْرِ الَّذِي كَانَ أَرْصَدَا
فِيَاكَ وَالْمِيتَاتِ لَا تَقْرَبَنَّهَا وَلَا تَأْخُذْنَ سَهْمًا خَدِيدًا لَتُقْصِدَا
وَذَا النُّصْبِ الْمَنْصُوبِ لَا تَنْسُكَنَّه وَلَا تَعْبُدِ الْأَوْثَانَ وَاللَّهُ فَاعْبُدَا
وَلَا تَقْرَبَنَّ حُرَّةً ^(١) كَانَ سِرُّهَا عَلَيْكَ حَرَامًا فَانْكَحْنِ أَوْ تَأْبَدَا ^(٢)
وَذَا الرَّحِمِ الْقُرْبَى فَلَا تَقْطَعْهُ لِعَاقِبَةٍ وَلَا الْأَسِيرَ الْمُقَيَّدَا
وَسَبِّحْ عَلَى حِينِ الْعِشِيِّ ^(٣) وَالضُّحَى وَلَا تَحْمَدِ الشَّيْطَانَ وَاللَّهُ فَاحْمَدَا
وَلَا تَسْخَرَنَّ مِنْ بَأْسِ ذِي ضَرَارَةٍ وَلَا تَحْسَبَنَّ الْمَالَ لِلْعَرَى مُخْلَدَا

قال ابن هشام : فلما كان بمكة أو قريب منها ، اعترضه بعضُ المشركين من قريش فسأله عن أمره ، فأخبره أنه جاء يريد رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ليُسلم .
فقال له : يا أبا بصير : إنه يحرمُ الزنا . فقال الأعشى : والله إن ذلك لأمر مالى فيه من أرب .

فقال : يا أبا بصير : إنه يحرم الخمر . فقال الأعشى : أما هذه فوالله إن فى نفسى منها العلالات ، ولكنى منصرف فأتروى منها عاى هذا ، ثم آتية فأسلم .
فانصرف فمات فى عامه ذلك ولم يعدْ إلى النبى صلى الله عليه وسلم .
هكذا أورد ابن هشام هذه القصة هاهنا ، وهو كثير المؤاخذات لمحمد بن إسحاق رحمه الله ، وهذا مما يؤاخذ به ابن هشام رحمه الله !

فإن الخمر إنما حُرمت بالمدينة بعد وقعة بنى النضير كما سيأتى بيانه .

(١) وتروى : جارة .

(٢) تأبَد : تَرَهَّب ، لأنَّ الراهب أبدا أعزب ، فنيل له متبَّد ، اشتق من لفظ الأبَد .

(٣) ابن هشام : العشيات .

فالظاهر أن عَزَمَ الأعشى على القدوم للإسلام إنما كان بعد الهجرة ، وفي شعره ما يدل على ذلك ، وهو قوله :

ألا أيُّ هذا السائلِ أين يَمَمْتُ فإن لها في أهلِ يَثْرِبِ مَوْعِدًا

وكان الأنسب والأليق بابن هشام أن يؤخّر ذكر هذه القصة إلى ما بعد الهجرة ولا يوردها ها هنا . والله أعلم .

قال الشَّهْبِيلِي : وهذه غفلة من ابن هشام ومَن تابعه ، فإن الناس مُجْمَعُونَ على أن الخمر لم ينزل تحريمها إلا في المدينة بعد أحد .

وقد قال : وقيل إن القائل للأعشى هو أبو جهل بن هشام في دار عتبة ابن ربيعة .

وذكر أبو عبيدة أن القائل له ذلك هو عامر بن الطفيل في بلاد قيس ، وهو مقبل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال : وقوله : ثم آتاه فأسلم لا يُخْرِجه عن كفره بلا خلاف والله أعلم .

ثم ذكر ابن إسحاق ها هنا قصة الإراشى وكيف استعدى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبي جهل في ثمن الجمل الذي ابتاعه منه ، وكيف أذل الله أبا جهل وأرغم أنفه حتى أعطاه ثمنه في الساعة الراهنة .

وقد قدمنا ذلك في ابتداء الوحي ، وما كان من أذية المشركين عند ذلك .

قصة مصارعة رُكَّانة

وكيف أراه الشجرة التي دعاها فأقبات صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : وحدثني أبي إسحاق بن يسار قال : كان رُكَّانة بن عبد يزيد ابن هاشم بن المطلب بن عبد مناف أشدَّ قريش .

نحلاً يوماً برسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض شعاب مكة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : يارُكَّانة ألا تتقي الله وتقبل ما أدعوك إليه .

قال : إني لو أعلم أن الذي تقول حق لا تبعثك .

فقال له رسول الله : « أفرأيتَ إن صرعتك أعلم أن ما أقول حق ؟ » . قال : نعم . قال : « فقم حتى أصارعك » .

قال : فقام رُكَّانة إليه فصارعه ، فلما بطش به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أضجعه لا يملك من نفسه شيئاً .

ثم قال : عُدَّ يا محمد . فعاد فصرعه . فقال : يا محمد والله إن هذا للعجب ، أتصرعني ؟!

قال : « وأعجب من ذلك إن شئت أريكه ، إن اتقيت الله واتبعت أمرى » .

قال : وما هو ؟ قال : « أدعوك هذه الشجرة التي ترى فتأتيني » . قال : فادعها .

فدعاها فأقبات حتى وقفت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال لها :

ارجعي إلى مكانك ! فرجعت إلى مكانها .

قال : فذهب رُكَّانة إلى قومه فقال : يا بني عبد مناف ساحرُوا بصاحبكم أهل

الأرض ، فوالله ما رأيت أسحرَ منه قط ! ثم أخبرهم بالذي رأى والذي صنع .

هكذا روى ابن إسحاق هذه القصة مرسله بهذا البيان .

وقد روى أبو داود والترمذى من حديث أبي الحسن العسقلانى ، عن أبي جعفر بن محمد بن ركانة ، عن أبيه ، أن ركانة صارع النبي صلى الله عليه وسلم ، فصرعه النبي صلى الله عليه وسلم . ثم قال الترمذى : غريب . ولا نعرف أبا الحسن ولا ابن ركانة .

قلت : وقد روى أبو بكر الشافعى بإسناد جيد ، عن ابن عباس رضى الله عنهما : أن يزيد بن ركانة صارع النبي صلى الله عليه وسلم ، فصرعه النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات ، كل مرة على مائة من الغنم ، فلما كان فى الثالثة قال : يا محمد ما وضع ظهرى إلى الأرض أحد قبلك ، وما كان أحد أبغض إلى منك ، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله . فقام عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وردّ عليه غنمه .

وأما قصة دعائه الشجرة فأقبلت ، فسيأتى فى كتاب دلائل النبوة بعد السيرة من طرق جيدة صحيحة فى مرات متعددة . إن شاء الله وبه الثقة .

وقد تقدم عن أبى الأشدين أنه صارع النبي صلى الله عليه وسلم فصرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم ذكر ابن إسحاق قصة قدوم النصارى من أهل الحبشة نحواً من عشرين ركباً إلى مكة فأسلموا عن آخرهم ، وقد تقدم ذلك بعد قصة النجاشى . والله الحمد والمنة .

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جلس فى المسجد فجلس^(١) إليه المستضعفون من أصحابه ، خباب ، وعمار ، وأبو فكيهة يسار^(٢) مولى صفوان بن أمية ، وصهيب ، وأشباههم من المسلمين ، هزئت بهم قريش ، وقال بعضهم لبعض :

(١) الأصل : يجلس وهو تحريف لا يستقيم به المعنى ، وما أثبتته من ابن هشام .

(٢) الأصل : وأبو فكيهة ويسار . وهو خطأ . وما أثبتته من ابن هشام .

هؤلاء أصحابه كما ترون ، هؤلاء مَنْ الله عليهم من بيننا بالهدى ودين الحق ، لو كان ما جاء به محمد خيراً ما سبقنا هؤلاء إليه وما خصهم الله به دوننا .

فأنزل الله عز وجل فيهم : « وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ، مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ ، وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ ، فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ، وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنْ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا . أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ . وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلْ مِنْكُمْ سُوءاً بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ^(١) » .

قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيراً ما يجلس عند المروة إلى مبيعة ^(٢) غلام نصراني يقال له جبر ، عبد لبني الحضرمي ، وكانوا يقولون : والله ما يعلم محمدًا كثيراً مما يأتي به إلا جبر .

فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم « إِنَّمَا يَعْلَمُهُ بَشَرٌ . لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمٌ ^(٣) » وهذا لسان عربي مبين .

ثم ذكر نزول سورة الكوثر في العاص بن وائل حين قال عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنه أبتر . أي لا عقب له . فإذا مات انقطع ذكره . فقال الله تعالى : « إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ » أي المقطوع الذكر بعده ، ولو خلف ألوفاً من النسل والذرية ، وليس الذكر والصيت ولسان الصدق بكثرة الأولاد والأنسال والعقب . وقد تكلمنا على هذه السورة في التفسير . والله الحمد .

(١) سورة الأنعام ٥٢-٥٤ . (٢) الأصل بيعة وما أثبتته عن ابن هشام . والمبيعة : مفعلة مثل المعيشة .

(٣) سورة النحل ١٠٣ .

وقد روى عن أبي جعفر الباقر : أن العاص بن وائل إنما قال ذلك حين مات القاسم ابن النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان قد بلغ أن يركب الدابة ويسير على النجبية .

ثم ذكر نزول قوله : « وقالوا لولا أنزل عليه ملكٌ ، ولو أنزلنا ملكاً لقضى الأمر^(١) » وذلك بسبب قول أبي بن خلف وزمعة بن الأسود ، والعاص بن وائل ، والنضر بن الحارث : لولا أنزل عليك ملك يكلم الناس عنك .

قال ابن إسحاق : ومرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا بالوليد بن المغيرة وأممية بن خلف وأبي جهل ابن هشام ، فهمزوه واستهزؤا به ، فغاضه ذلك فأنزل الله تعالى في ذلك من أمرهم « ولقد استهزئ برُسلٍ من قبلك لَخاق بالذين سَخِرُوا منهم ما كانوا به يستهزئون »^(٢) .

قلت : وقال الله تعالى « ولقد كذَّبت رُسلٌ من قبلك فصَبَرُوا على ما كُذِّبُوا وأَوْذُوا حتى أتاهم نَصْرُنَا ولا مبدِّل لِكلماتِ الله ولقد جاءك من نَبَأِ الْمُرْسَلِينَ »^(٣) وقال تعالى « إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ »^(٤) .

قال سفيان : عن جعفر بن إياس ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس . قال : المستهزئون : الوليد بن المغيرة ، والأسود بن عبد يغوث الزهري ، والأسود بن المطلب أبو زمعة ، والحارث بن عيطل^(٥) ، والعاص بن وائل السهمي .

فأتاه جبريل فشكاهم إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأراه الوليد فأشار جبريل إلى أمته وقال : كفيته .

ثم أراه الأسود بن المطلب ، فأومأ إلى عنقه وقال : كفيته .

ثم أراه الأسود بن عبد يغوث فأومأ إلى رأسه وقال : كفيته .

(١) سورة الأنعام (٢) سورة الحجر ٩٥ . (٣) سيأتي أنه ابن الطلائع . كما في ابن هشام

والروى .

ثم أراه الحارث بن عَيْطَل فأومأ إلى بطنه وقال : كُفَيْتِهِ .

ومرَّ به العاص بن وائل فأومأ إلى أخصه وقال : كُفَيْتِهِ .

فأما الوليد فمرَّ برجل من خزاعة وهو يَرِيش نَبَلًا له فأصاب أنمله فقطعها .

وأما الأسود بن عبد يغوث فخرج في رأسه قروح فمات منها .

وأما الأسود بن المطلب فعمى . وكان سبب ذلك أنه نزل تحت سَمرة فجعل يقول :

يَا بَنِي أَلَا تَدْفَعُونَ عَنِّي ! قَدْ قُتِلْتُ . فَجَعَلُوا يَقُولُونَ : مَا نَرَى شَيْئًا . وجعل يقول : يَا بَنِي

أَلَا تَمْنَعُونَ عَنِّي قَدْ هَلَكْتُ ، هَا هُوَ ذَا الطَّعْنُ بِالشُّوكِ فِي عَيْنِي . فَجَعَلُوا يَقُولُونَ : مَا نَرَى

شَيْئًا . فلم يزل كذلك حتى عميت عيناه .

وأما الحارث بن عَيْطَل فأخذ المَاءَ الْأَصْفَرَ فِي بَطْنِهِ حَتَّى خَرَجَ خُرُوءَهُ مِنْ فِيهِ

فمات منها .

وأما العاص بن وائل فبينما هو كذلك يوماً إذ دخل في رأسه شِبْرَقَةٌ حَتَّى امْتَلَأَتْ

مِنْهَا فمات منها .

وقال غيره في هذا الحديث : فركب إلى الطائف على حمار فربض به على شِبْرَقَةٍ ،

يعنى شوكة ، فدخلت في أخص قدمه شوكة فقتلته .

رواه البيهقي بنحو من هذا السياق .

وقال ابن إسحاق : وكان عطاء المستهزئين كما حدثني يزيد بن رومان ، عن

عروة بن الزبير خمسة نفر ، وكانوا ذوى أسنان وشرف في قومهم : الأسود بن

المطلب أبو زمعة ، دعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « اللَّهُمَّ أَعْمِ بَصَرَهُ

وَأَسْكَلْهُ وَلَدَهُ » .

والأسود بن عبد يغوث ، والوليد بن المغيرة ، والعاص بن وائل ، والحارث ابن الطلائة .

وذكر أن الله تعالى أنزل فيهم « فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين ، إنا كنفيناك المستهزئين الذين يجعلون مع الله إلهاً آخر فسوف يعلمون » .

وذكر أن جبريل أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يطوفون بالبית ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنبه ، فمر به الأسود بن المطلب فرمى في وجهه بورقة خضراء فعصى .

ومر به الأسود بن عبد يغوث فأشار إلى بطنه فاستسقى باطنه فمات منه حبناً .
ومر به الوليد بن المغيرة فأشار إلى أثر جرح بأسفل كعبه ، كان أصابه قبل ذلك بسنين ، من مروره برجل يريش نبلاً له من خزاعة ، فتعلق سهم بإزاره فخدشه خدشا يسيراً ، فانتقض بعد ذلك فمات .

ومر به العاص بن وائل فأشار إلى أخمص رجله فخرج على حمار له يريد الطائف فربض به على شبرقة فدخلت في أخمص رجله شوكة فقتلته .

ومر به الحارث بن الطلائع فأشار إلى رأسه فامتعض قيحا فقتله .

ثم ذكر ابن إسحاق : أن الوليد بن المغيرة لما حضره الموت أوصى بنيه الثلاثة وهم خالد وهشام والوليد . فقال لهم : أي بني ، أوصيكم بثلاث : دمي في خزاعة فلا تطلوه ^(١) ، والله إنى لأعلم أنهم منه براء ولكني أخشى أن تسبوا به بعد اليوم ، وربأى في ثقيف فلا تدعوه حتى تأخذوه ، وعقرى ^(٢) عند أبي أزيهر الدؤسى فلا يفوتنكم به . وكان

(١) لا تطلوه : لا تهدروه . وفي ابن هشام : فلا تطلنه .

(٢) العقر بالضم في الأصل : دية فرج المرأة إذا غضبت على نفسها ، ثم كثر ذلك حتى استعمل في المهر .

أبو أزيهر قد زوّج الوليد بنتاً له ثم أمسكها عنه فلم يدخاها عليه حتى مات ، وكان قد قبض عُقْرَهَا منه ، وهو صداقها .

فلما مات الوليد وثبتَ بنو مخزوم على خزاعة يلتمسون منهم عَقْلَ الوليد ، وقالوا إنما قتله سهمُ صاحبكم ، فأبتَ عليهم خزاعةُ ذلك ، حتى تقاولوا أشعاراً وغلظ بينهم الأمر . ثم أعطتهم خزاعة بعضَ العَقْلِ واصطلحوا وتحاجزوا .

قال ابن إسحاق : ثم عدّا هشامُ بن الوليد على أبي أزيهر وهو بسوق ذى المجاز فقتله ، وكان شريفاً في قومه ، وكانت ابنته تحت أبي سفيان ، وذلك بعد بدر ، فعمد يزيد بن أبي سفيان لجمع الناس لبني مخزوم وكان أبوه غائباً ، فلما جاء أبو سفيان غاضبه ماصنع ابنه يزيد ، فلامه على ذلك وضربه وودى أبا أزيهر وقال لابنته : أعدتِ إلى أن تقتل قريشَ بعضها بعضاً في رجل من دوس ؟ !

وكتب حسانُ بن ثابت قصيدة له يحضُّ أبا سفيان في دم أبي أزيهر ، فقال : بئس ماظنَّ حسانُ أن يقتل بعضنا بعضاً وقد ذهب أشرافنا يوم بدر .

ولما أسلم خالدُ بن الوليد وشهد الطائفَ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سأله في رِبا أبيه من أهل الطائف .

قال ابن إسحاق : فذكر لي بعضُ أهل العلم أن هؤلاء الآيات نزلن في ذلك « يا أيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ^(١) » وما بعدها .

قال ابن إسحاق : ولم يكن في بني أزيهر ثأر فعلمه حتى حجز الإسلامُ بين الناس ، إلا أن ضرارَ بن الخطَّاب بن مرداس الأسلمي ^(٢) خرج في نفر من قريش إلى أرض

(١) سورة البقرة ٢٧٨ . (٢) في ابن هشام : الدوسي . وهو ضرار بن الخطَّاب بن مرداس بن كبير بن عمرو بن حبيب بن عمرو بن شيبان بن محارب ، كان فارس قريش في الجاهلية وأدرك الإسلام ، وكان شاعراً فارساً ، وهو من رجال بني فهر أخذ مرباعهم في الجاهلية . الاشتقاق ١٠٣/١

دَوْس ، فَنَزَلُوا عَلَى امْرَأَةٍ يُقَالُ لَهَا أُمُ غَيَّلَانَ مَوْلَاةٌ لِدَوْس ، وَكَانَتْ تَمْشِي عَلَى النِّسَاءِ وَتَجْهِي
الْعَرَائِسَ ، فَأَرَادَتْ دَوْسُ قَتْلَهُمْ بِأَبْنَى أَزْيَهْر ، فَقَامَتْ دُونَهُ أُمُ غَيَّلَانَ وَنِسْوَةٌ كُنَّ مَعَهَا
حَتَّى مَنَعْتَهُمْ .

قال الشَّهِيلِي : يُقَالُ إِنَّهَا أَدْخَلَتْهُ بَيْنَ دَرْعِيهَا وَبَدْنِهَا .

قال ابن هشام : فَلَمَّا كَانَتْ أَيَّامَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، أَتَتْهُ أُمُ غَيَّلَانَ وَهِيَ تَرَى أَنَّ ضِرَارًا
أَخُوهُ ، فَقَالَ لَهَا عُمَرُ : لَسْتُ بِأَخِيهِ إِلَّا فِي الْإِسْلَامِ ، وَقَدْ عَرَفْتُ مِنْتَكَ عَلَيْهِ . فَأَعْطَاهَا
عَلَى أَنَّهَا بِنْتُ سَبِيلٍ .

قال ابن هشام : وَكَانَ ضِرَارُ بْنُ الْخَطَّابِ لَحِقَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ يَوْمَ أَحُدَ ، فَجَعَلَ
يُضْرِبُهُ بِعَرَضِ الرَّمْحِ وَيَقُولُ : انْجُ يَا بْنَ الْخَطَّابِ لَا أَقْتُلُكَ . فَكَانَ عُمَرُ يَعْرِفُهَا لَهُ بَعْدَ
الْإِسْلَامِ . رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

فصل

وَذَكَرَ الْبَيْهَقِيُّ هَاهُنَا دَعَاءَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى قَرِيشٍ حِينَ اسْتَعْصَتْ عَلَيْهِ
بِسَمْعٍ مِثْلَ سَمْعِ يُوسُفَ .

وَأُورِدَ مَا أَخْرَجَاهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ ^(١) مِنْ طَرِيقِ الْأَعْمَشِ ، عَنْ مُسْلِمِ بْنِ صَبِيحٍ ، عَنْ
مُسْرُوقٍ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ . قَالَ : خَمْسٌ مُضَيَّنَةٌ ؛ اللَّزَامُ ، وَالرُّومُ ، وَالْدُّخَانُ ،
وَالْبَطْشَةُ ، وَالْقَمَرُ .

وَفِي رِوَايَةٍ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ : إِنْ قَرِيشًا ، لَمَّا اسْتَعْصَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبْطَأُوا عَنِ الْإِسْلَامِ ، قَالَ : « اللَّهُمَّ أَعِزِّي عَلَيْهِمْ بِسَمْعٍ كَسَمْعِ يُوسُفَ » .

(١) أورد البخاري هذه الروايات في تفسير سورة الفرقان والدخان في صحيحه ٣٤٧/٢ ، ٣٦١ ،
٣٦٢ . وهي مختلفة عما هنا

قال : فأصابهم سَنَةٌ حَصَّتْ^(١) كُلَّ شَيْءٍ ، حتى أكلوا الجيف والميتة ، وحتى أن أحدهم كان يرى ما بينه وبين السماء كهيئة الدخان من الجوع ، ثم دعا فكشف الله عنهم ، ثم قرأ عبد الله هذه الآية « إنا كاشِفُو العذابِ قليلاً إنكم عائدون » قال فعادوا فكفروا فأخروا إلى يوم القيامة ، أو قال فأخروا إلى يوم بدر ، قال عبد الله : إن ذلك لو كان يوم القيامة كان لا يكشف عنهم « يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إنا مُنتَقِمُونَ » قال : يوم بدر .

وفي رواية عنه : قال : لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الناس إِدْبَاراً قال : « اللهم سَبِّعْ كسيع يوسف » فأخذتهم سَنَةٌ حتى أكلوا الميتة والجلود والعظام ، فجاءه أبو سفيان وناس من أهل مكة فقالوا : يا محمد إنك تزعم أنك بُعثت رحمة وإن قومك قد هلكوا ، فادع الله لهم .

فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسُقوا الغيث ، فأطبقت عليهم سَبْعاً فشكا الناس كثرة المطر ، فقال : « اللهم حوالينا ولا علينا » فأنجذب السحاب عن رأسه فسقى الناس حولهم .

قال : لقد مضت آية الدخان ، وهو الجوع الذي أصابهم ، وذلك قوله « إنا كاشفوا العذاب قليلاً إنكم عائدون » وآية الروم ، والبطشة الكبرى ، وانشقاق القمر ، وذلك كله يوم بدر .

قال البيهقي : يريد ، والله أعلم ، البطشة الكبرى والدخان وآية اللزَام كُلِّهَا حصلت ببدر .

(١) الأصل : فحَصَّت . وهو تحريف والتصويب من البخارى ٢٦٢/٢ ولفظ البخارى : فأصابهم سنة حصت كل شيء . وحصت : أهلكت . والحص : حلق الشعر .

قال : وقد أشار البخارى إلى هذه الرواية ، ثم أورد من طريق عبد الرزاق عن مَعْمَر ، عن أيوب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال جاء : أبو سفيان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغيث من الجوع لأنهم لم يجدوا شيئاً حتى أكلوا العهن ، فأنزل الله تعالى : « ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون » قال : فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى فرج الله عنهم . ثم قال الحافظ البيهقي : وقد روى في قصة أبي سفيان مادل على أن ذلك بعد الهجرة ، ولعله كان مرتين . والله أعلم .

فصل

ثم أورد البيهقي قصة فارس والروم ونزول قوله تعالى « آلهم . غلبت الروم في أدنى الأرض ، وهم من بعد غلبهم سيفعلون . في بضع سنين ، لله الأمر من قبل ومن بعد ، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم » . ثم روى من طريق سفيان الثوري ، عن حبيب بن أبي عمرو ، عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس قال : كان المسلمون يحبون أن يظهر الروم على فارس لأنهم أهل كتاب ، وكان المشركون يحبون أن تظهر فارس على الروم لأنهم أهل أوثان ، فذكر ذلك المسلمون لأبي بكر ، فذكره أبو بكر للنبي صلى الله عليه وسلم فقال : « أما أنهم سيظهرون » فذكر أبو بكر ذلك للمشركين فقالوا : اجعل بيننا وبينك أجلاً ، إن ظهروا كان لك كذا وكذا ، وإن ظهرنا كان لنا كذا وكذا . فذكر ذلك أبو بكر للنبي صلى الله عليه وسلم فقال : « ألا جعلته أداة » . قال : دون العشر . فظهرت الروم بعد ذلك .

وقد أوردنا طرق هذا الحديث في التفسير وذكرنا أن المباحث - أى المراهن - لأبي بكر أمية بن خلف ، وأن الرهن كان على خمس قلائص ، وأنه كان إلى مدة ، فزاد

فيها الصديق عن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الرهن . وأن غلبة الروم على فارس كان يوم بدر ، أو كان يوم الحديبية ، فالله أعلم .

ثم روى من طريق الوليد بن مسلم ، حدثنا أسيد السكلابي ، أنه سمع العلاء بن الزبير السكلابي يحدث عن أبيه . قال : رأيت غلبة فارس الروم ، ثم رأيت غلبة الروم فارس ، ثم رأيت غلبة المسلمين فارس والروم ، وظهورهم على الشام والعراق .
كل ذلك في خمس عشرة سنة !

فصل

في الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة إلى بيت المقدس ، ثم عروجه
من هناك إلى السموات ، وما رأى هنالك من الآيات

ذكر ابن عساكر أحاديث الإسراء في أوائل البعثة ، وأما ابن إسحاق فذكرها في
هذا الموطن بعد البعثة بنحو من عشر سنين .
وروى البيهقي من طريق موسى بن عُقبة ، عن الزهري أنه قال : أسرى برسول الله
صلى الله عليه وسلم قبل خروجه إلى المدينة بسنة .

قال : وكذلك ذكره ابن لهيعة ، عن أبي الأسود ، عن عروة .

ثم روى الحاكم ، عن الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبار ، عن يونس بن بكير ،
عن أسباط بن نصر ، عن إسماعيل الشدي . أنه قال : فرض على رسول الله صلى الله
عليه وسلم الخمسُ ببيت المقدس ليلة أُسرى به ، قبل مُهاجره بستة عشر شهراً .

فعلى قول السدي يكون الإسراء في شهر ذي القعدة ، وعلى قول الزهري وعروة
يكون في ربيع الأول .

وقال أبو بكر بن أبي شَيْبَةَ : حدثنا عثمان ، عن سعيد بن ميناء ، عن جابر وابن
عباس ، قالا : ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل يوم الاثنين الثاني عشر من
ربيع الأول ، وفيه بُعث ، وفيه عرج به إلى السماء ، وفيه هاجر ، وفيه مات .

فيه انقطاع . وقد اختاره الحافظ عبد الغني بن سرور المقدسي في سيرته ، وقد أورد
حديثاً لا يصح سنده ، ذكرناه في فضائل شهر رجب ، أن الاسراء كان ليلة السابع
والعشرين من رجب والله أعلم .

ومن الناس من يزعم أن الإسماء كان أول ليلة الجمعة من شهر رجب ، وهى ليلة الرغائب التى أحدثت فيها الصلاة المشهورة ، ولا أصل لذلك . والله أعلم . وينشد بعضهم فى ذلك :

ليلة الجمعة عرج بالنبي ليلة الجمعة أول رجب

وهذا الشعر عليه رككة ، وإنما ذكرناه استشهاده لمن يقول به .
وقد ذكرنا الأحاديث الواردة فى ذلك مستقصاةً عند قوله تعالى : « سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من من آياتنا ، إنه هو السميع البصير » .
فلتكتب من هناك على ماهى عليه من الأسانيد والعزو ، والكلام عليها ومعها .
ففيها مقنع وكفاية . والله الحمد والمنة .

ولنذكر ملخص كلام ابن إسحاق رحمه الله : فإنه قال بعد ذكر ماتقدم من الفصول .

« ثم أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، وهو بيت المقدس من إيلياء ، وقد فشا الإسلام بمكة فى قريش وفى القبائل كلها . »
قال : وكان من الحديث فيما بلغنى عن مسرّاه صلى الله عليه وسلم عن ابن مسعود ، وأبى سعيد ، وعائشة ، ومعاوية ، وأم هانئ بنت أبى طالب رضى الله عنهم ، والحسن بن أبى الحسن ، وابن شهاب الزهري ، وقتادة وغيرهم من أهل العلم ، ما اجتمع فى هذا الحديث ، كلٌ يُحدث عنه بعض ما ذكر لى من أمره .

وكان فى مسرّاه صلى الله عليه وسلم وما ذكر لى منه بلاء وتمحيص ، وأمر من أمر الله

وقدّرت^(١) وسلطانته ، فيه عبرة لأولى الألباب ، وهُدّى ورحمة وثبات لمن آمن وصدّق وكان من أمر الله على يقين .

فأُسرّى به كيف شاء وكما شاء ، ليريه من آياته ما أراد ، حتى عاين ما عاين من أمره وسلطانته العظيم وقدرته التي يصنع بها ما يريد .

وكان عبد الله بن مسعود فيما بلغنى يقول : أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم : بالبراق ، وهى الدابة التى كانت تُحمل عليها الأنبياء قبله ، تضع حافرَها فى موضع منتهى طرفها ، فحمل عليها .

ثم خرج به صاحبه يرى الآيات فيما بين السماء والأرض .

حتى انتهى إلى بيت المقدس ، فوجد فيه إبراهيم وموسى وعيسى ، فى نفر من الأنبياء قد جُمعوا له ، فصلى بهم .

ثم أتى بثلاثة آية من لبن وخمر وماء . فذكر أنه شرب إناء اللبن ، فقال لى جبريل : هُديت وهديت أمتك .

وذكر ابن إسحاق فى سياق الحسن البصرى مُرسلاً أن جبريل أيقظه ، ثم خرج به إلى باب المسجد الحرام ، فأركبه ، البراق ، وهو دابة أبيض بين البغل والحمار ، وفى نغديه جناحان يحفّض بهما رجله ، يضع حافرَه فى منتهى طرفه ، ثم حملنى عليه ثم خرج معى لا يفوتنى ولا أفوته .

قلت : وفى الحديث ، وهو عن قتادة فيما ذكره ابن إسحاق ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أراد ركوب البراق شمس به ، فوضع جبريل يده على مَعْرِفته ثم قال

ألا تستحي يا براق مما تصنع ! فوالله ما ركبك عبدٌ لله قبل محمد أكرم عليه منه . قال :
فاستحي حتى ارفض عرقا ، ثم قرَّ حتى ركبتُه .

قال الحسن في حديثه : فضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومضى معه جبريل ،
حتى انتهى به إلى بيت المقدس فوجد فيه إبراهيم وموسى وعيسى في نفر من الأنبياء ،
فأمَّهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فصلى بهم .

ثم ذكر اختياره إناء اللبن على إناء الخمر ، وقول جبريل له : هديت وهديت أمتك ،
وحرَّمت عليكم الخمر .

قال : ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة ، فأصبح يخبر
قريشاً بذلك .

فذكر أنه كذَّب به أكثرُ الناس ، وارتدَّت طائفة بعد إسلامها .

وبادر الصديقُ إلى التصديق وقال : إني لأصدقُه في خبر السماء بُكرة وعيشة ، أفلا
أصدقُه في بيت المقدس !

وذكر أن الصديق سأله عن صفة بيت المقدس ، فذكرها له رسول الله صلى
الله عليه وسلم .

قال : فيومئذ سمي أبو بكر الصديق .

قال الحسن : وأنزل الله في ذلك « وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنةً
للناس » الآية .

وذكر ابن إسحاق فيما بلغه عن أم هاني ، أنها قالت : ما أسرى برسول الله
صلى الله عليه وسلم إلا من بيتي ، نام عندي تلك الليلة بعد ما صلى العشاء الآخرة ، فلما

كان قبيل الفجر أهبنًا^(١) فلما كان الصبح وصلينا معه ، قال : « يأم هاني لقد صليت معكم العشاء الآخرة في هذا الوادي ، ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه ، ثم قد صليت الغداة معكم الآن كما ترين » .

ثم قام ليخرج ، فأخذتُ بطرف رداءه فقلت : يا بني الله لا تحدث بهذا الحديث الناس فيكذبونك ويؤذونك .

قال : « والله لأحدنهموه » . فأخبرهم فكذبوه .

فقال : وآية ذلك أني مررتُ بعير بني فلان بوادي كذا وكذا ، فأنفَرهم حسُ الدابة ، فندَّ لهم بعير فدللتهم عليه وأنا متوجه إلى الشام ، ثم أقبلت حتى إذا كنت بضجَّان^(٢) مررت بعير بني فلان ، فوجدت القوم نياماً ولهم إناء فيه ماء قد غطوا عليه بشيء ، فكشفت غطاءه وشربت ما فيه ، ثم غطيت عليه كما كان ، وآية ذلك أن عيرهم تُصَوَّب الآن من ثَنِيَّةِ التَّنْعِيمِ البيضاء ، يقدِّمها جبل أَوْرَقٍ عليه غِرارتان إحداها سوداء والأخرى بَرَقَاء . قال : فابتدر القوم الثنية فلم يلقهم أول من الجمل الذي وصف لهم وسألوهم عن الإناء وعن البعير ، فأخبروهم كما ذكر صلوات الله وسلامه عليه .

وذكر يونس بن بُكَيْر ، عن أسباط ، عن إسماعيل السُّدِّي ، أن الشمس كادت أن تغرب قبل أن يَقدِّم ذلك العير ، فدعا الله عز وجل فخبسها حتى قدِّموا كما وصف لهم .

قال : فلم تحتبس الشمسُ على أحد إلا عليه ذلك اليومَ وعلى يوشع بن نون .

رواه البيهقي .

(١) أهبنًا : أيقظنا . (٢) ضجَّان : جبل بناحية نهامة . وفي الأصل : صحنان محرفة .

قال ابن إسحاق : وأخبرني من لا أتهم عن أبي سعيد قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لما فرغت مما كان في بيت المقدس أتى بالمعراج ، ولم أر شيئاً قط أحسن منه ، وهو الذي يمدُّ إليه ميتكم عينيه إذا حضر .

فأصعدني فيه صاحبي حتى انتهى بي إلى باب من أبواب السماء يقال له باب الحفظة عليه برید^(١) من الملائكة يقال له إسماعيل ، تحت يده اثنا عشر ألف ملك ، تحت يد كل ملك منهم اثنا عشر ألف ملك .

قال : يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذا حدث بهذا الحديث : « وما يعلم جنود ربك إلا هو » .

ثم ذكر بقية الحديث وهو مطوّل جداً ، وقد سقناه بإسناده ولفظه بكامله في التفسير وتكلمنا عليه ، فإنه من غرائب الأحاديث وفي إسناده ضعف .

وكذا في سياق حديث أم هانئ ، فإن الثابت في الصحيحين من رواية شريك بن أبي نمر ، عن أنس ، أن الإسراء كان من المسجد من عند الحجر .

وفي سياقه غرابة أيضاً من وجوه قد تكلمنا عليها هناك . ومنها قوله : « وذلك قبل أن يوحى إليه » والجواب أن مجيئهم أول مرة كان قبل أن يوحى إليه ، فكانت تلك الليلة ولم يكن فيها شيء ، ثم جاء الملائكة ليلة أخرى ولم يقل في ذلك : « وذلك قبل أن يوحى إليه » بل جاء بعد ما أوحى إليه .

فكان الإسراء قطعاً بعد الإحياء ، إما بقليل كما زعمه طائفة ، أو بكثير نحو من عشر سنين كما زعمه آخرون ، وهو الأظهر .

وغسل صدره تلك الليلة قبل الإسراء غسلاً ثانياً ، أو ثالثاً على قول ، أنه مطلوب إلى الملائكة الأعلى والحضرة الإلهية .

(١) ابن هشام : ملك من الملائكة .

ثم ركب البراق رفعة له وتعظيماً وتكريماً ، فلما جاء بيت المقدس ربطه بالحلقة التي كانت ترتبط بها الأنبياء ، ثم دخل بيت المقدس فصلى في قبلته تحية المسجد .
وأنكر حذيفة رضى الله عنه دخوله إلى بيت المقدس وربطه الدابة وصلاته فيه .
وهذا غريب ، والنص الموثب مقدم على النافي .

ثم اختلفوا في اجتماعه بالأنبياء وصلاته بهم : أكان قبل عروجه إلى السماء كما دل عليه ما تقدم ، أو بعد نزوله منها كما دل عليه بعض السياقات . وهو أنسب . كما سذكه على قولين . فالله أعلم .

وقيل : إن صلاته بالأنبياء كانت في السماء .

وهكذا تخيظه من الآنية اللبن والحمر والماء ، هل كانت ببيت المقدس كما تقدم ؟ أوفى السماء كما ثبت في الحديث الصحيح .

والمقصود أنه صلى الله عليه وسلم لما فرغ من أمر بيت المقدس نصب له المعراج وهو السلم فصعد فيه إلى السماء ، ولم يكن الصعود على البراق كما قد يتوهمه بعض الناس ، بل كان البراق مربوطاً على باب مسجد بيت المقدس يرجع عليه إلى مكة .

فصعد من سماء إلى سماء في المعراج ، حتى جاوز السابعة ، وكلما جاء سماء تلقته منها مقرَّبوها ومن فيها من أكابر الملائكة والأنبياء .

وذكروا أعيان من رآه من المرسلين ، كآدم في سماء الدنيا ، ويحيى وعيسى في الثانية وإدريس في الرابعة ، وموسى في السادسة^(١) على الصحيح ، وإبراهيم في السابعة مسنداً ظهره إلى البيت المعمور ، الذى يدخله كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة يتعبدون فيه صلاةً وطوافاً ثم لا يعودون إليه إلى يوم القيامة .

(١) لم يذكر المؤلف من رأى في الثالثة والخامسة .

ثم جاوز مراتبهم كلهم ، حتى ظهر لمستوى يُسمع فيه صريف الأقدام ، ورفعت رسول الله صلى الله عليه وسلم سِدْرَةُ المنتهى ، وإذا ورقها كآذان الفيلة ، ونبتتها كتملال حجر ، وغشيتها عند ذلك أمور عظيمة وألوان متعددة باهرة ، وركبتها الملائكة مثل الغربان على الشجرة كثرةً ، وفراشٌ من ذهب ، وغشيتها من نور الرب جل جلاله .

ورأى هناك جبريل عليه السلام ، له ستمائة جناح ما بين كل جناحين كما بين السماء والأرض ، وهو الذى يقول الله تعالى : « ولقد رآه نزلةً أخرى . عند سِدْرَةِ المنتهى عندها جنة المأوى . إذ يغشى السدرة ما يغشى . مازاغ البصرُ وما طغى » أى مازاغ يمينا ولا شمالا ولا ارتفع عن المكان الذى حُدَّ له النظر إليه .

وهذا هو الثبات العظيم والأدب الكريم .

وهذه الرؤيا الثانية لجبريل عليه السلام على الصفة التى خلقه الله تعالى عليها ، كما نقله ابن مسعود وأبو هريرة وأبو ذر وعائشة رضى الله عنهم أجمعين .

والأولى هى قوله تعالى : « علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى . وهو بالأفق الأعلى . ثم دنا فتدلى . فكان قاب قوسين أو أدنى . فأوحى إلى عبده ما أوحى » وكان ذلك بالأبطح ، تدلى جبريل على رسول الله صلى الله عليه وسلم سادًا عِظَمُ خلقه ما بين السماء والأرض ، حتى كان بينه وبينه قاب قوسين أو أدنى .

هذا هو الصحيح فى التفسير ، كما دل عليه كلام أكابر الصحابة المتقدم ذكرهم رضى الله عنهم . فأما قول شريك عن أنس فى حديث الإسراء : « ثم دنا الجبارُ ربُّ العزة فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى » فقد يكون من فهم الراوى فأقحمه فى الحديث^(١) والله أعلم .

(١) قال السهيلي : « وهذا مع صحة نقله لا يكاد أحد من المفسرين يذكره ، لاستحالة ظاهره أو للغة عن موضعه . ولا استحالة فيه » انظر رأيه فى الروض ١ / ٢٤٩

وإن كان محفوظاً فليس بتفسير للآية الكريمة ، بل هو شيء آخر غير مادلت عليه الآية الكريمة والله أعلم .

وفرض الله سبحانه وتعالى على عبده محمد صلى الله عليه وسلم وعلى أمته الصلوات ليلتئذ ، خمسين صلاة في كل يوم وليلة ، ثم لم يزل يختلف بين موسى وبين ربه عز وجل حتى وضعها الرب ، جل جلاله وله الحمد والمنة ، إلى خمس ، وقال : « هي خمسٌ وهي خمسون الحسنه بعشر أمثالها » .

فحصل له التكليم من الرب عز وجل ليلتئذ . وأئمة السنة كالمُطبِّقين على هذا . واختلفوا في الرؤية فقال بعضهم : رآه بفؤاده مرتين . قاله ابن عباس وطائفة . وأطلق ابن عباس وغيره الرؤية ، وهو محمول على التقييد . ومن أطلق الرؤية أبو هريرة وأحمد بن حنبل رضى الله عنهما . وصرح بعضهم بالرؤية بالعينين .

واختاره ابن جرير ، وبالعَرف فيه ، وتبعه على ذلك آخرون من المتأخرين . ومن نص على الرؤية بعينَي رأسه الشيخ أبو الحسن الأشعري فيما نقله السهيلي عنه ، واختاره الشيخ أبو زكريا النووي في فتاويه .

وقالت طائفة : لم يقع ذلك ، لحديث أبي ذر في صحيح مسلم : قلت : يا رسول الله هل رأيت ربك ؟ فقال : « نورٌ أنَّى أراه » وفي رواية « رأيت نورا » . قالوا : ولم يكن رؤية الباقي بالعين الفانية .

ولهذا قال الله تعالى لموسى فيما روى في بعض الكتب الإلهية : يا موسى إنه لا يرانى حتىَّ إلا مات ، ولا يابس إلا تدَّهده .

والخلاف في هذه المسئلة مشهور بين السلف والخلف . والله أعلم .

ثم هبط رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيت المقدس . والظاهر أن الأنبياء هبطوا معه تكريماً له وتعظيماً عند رجوعه من الحضرة الإلهية العظيمة ، كما هي عادة الوافدين ، لا يجتمعون بأحد قبل الذى طلبوا إليه .

ولهذا كان كلما مرّ على واحد منهم يقول له جبريل عندما يتقدم ذاك للسلام عليه : هذا فلان فسلم عليه .

فلو كان قد اجتمع بهم قبل صعوده لما احتاج إلى تعرّف بهم مرة ثانية .
ومما يدل على ذلك أنه قال : « فلما حانت الصلاة : أتمّتهم » ولم يحنّ وقت إذ ذاك إلا صلاة الفجر ، فتقدّمهم إماماً بهم عن أمر جبريل ، فيما يرويه عن ربه عز وجل .
فاستفاد بعضهم من هذا أن الإمام الأعظم يقدّم فى الإمامة على ربّ المنزل ، حيث كان بيت المقدس محلّتهم ودار إقامتهم .
ثم خرج منه فركب البراق وعاد إلى مكة ، فأصبح بها وهو فى غاية الثبات والسكينة والوقار .

وقد عاين فى تلك الليلة من الآيات والأمور التى لو رآها أو بعضها غيره لأصبح مندهشاً أو طائش العقل .

ولكنه صلى الله عليه وسلم أصبح واجماً ، أى ساكناً ، يخشى إن بدأ فأخبر قومه بما رأى أن يبادروا إلى تكذيبه .

فتلطّف بإخبارهم أولاً بأنه جاء بيت المقدس فى تلك الليلة .

وذلك أن أبا جهل لعنه الله ، رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد الحرام وهو جالس واجمّ . فقال له : هل من خبر ؟ فقال : نعم . فقال : وما هو ؟

فَقَالَ : إِنِّي أُسْرِي بِي اللَّيْلَةُ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدَسِ .

قَالَ : إِلَى بَيْتِ الْمَقْدَسِ ؟ قَالَ : نَعَمْ .

قَالَ : أَرَأَيْتَ إِنْ دَعَوْتُ قَوْمَكَ لِكَتْخِبَهُمْ ، أَتُخْبِرُهُمْ بِمَا أَخْبَرْتَنِي بِهِ ؟ قَالَ : نَعَمْ .

فَأَرَادَ أَبُو جَهْلٌ جَمْعَ قُرَيْشٍ لِيَسْمَعُوا مِنْهُ ذَلِكَ ، وَأَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَمْعَهُمْ لِيُخْبِرَهُمْ ذَلِكَ وَيُبَلِّغَهُمْ .

فَقَالَ أَبُو جَهْلٌ : هَيَّا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، وَقَدْ اجْتَمَعُوا مِنْ أُنْدِيَتِهِمْ . فَقَالَ : أَخْبِرْ قَوْمَكَ بِمَا أَخْبَرْتَنِي بِهِ .

فَقَصَّ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَبْرَ مَا رَأَى ، وَأَنَّهُ جَاءَ بَيْتَ الْمَقْدَسِ هَذِهِ اللَّيْلَةَ وَصَلَّى فِيهِ .

فَمِنْ بَيْنِ مَصْفُوقٍ وَبَيْنِ مَصْنُوعٍ تَكْذِيبًا لَهُ وَاسْتِبْعَادًا لِحَبْرِهِ ، وَطَارَ الْخَبْرُ بِمَكَّةَ . وَجَاءَ النَّاسُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَأَخْبَرُوهُ أَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ كَذَا وَكَذَا .

فَقَالَ : إِنَّكُمْ تَكْذِبُونَ عَلَيْهِ . فَقَالُوا : وَاللَّهِ إِنَّهُ لَيَقُولُهُ .

فَقَالَ : إِنْ كَانَ قَالَهُ فَلَقَدْ صَدَقَ .

ثُمَّ جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحَوْلَهُ مُشْرِكُو قُرَيْشٍ ، فَسَأَلَهُ عَنْ ذَلِكَ ، فَأَخْبَرَهُ ، فَاسْتَعْلَمَهُ عَنْ صِفَاتِ بَيْتِ الْمَقْدَسِ ، لِيَسْمَعَ الْمُشْرِكُونَ وَيَعْلَمُوا صِدْقَهُ فِيمَا أَخْبَرَهُمْ بِهِ . وَفِي الصَّحِيحِ : أَنَّ الْمُشْرِكِينَ هُمُ الَّذِينَ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ ذَلِكَ .

قَالَ : لَجَعَلْتُ أَخْبِرَهُمْ عَنْ آيَاتِهِ ، فَالْتَبَسَ عَلَيَّ بَعْضُ الشَّيْءِ ، فَجَلَّى اللَّهُ لِي بَيْتَ الْمَقْدَسِ ، حَتَّى جَعَلْتُ أَنْظُرَ إِلَيْهِ دُونَ دَارِ عَقِيلٍ وَأَنْعَمْتُ لَهُمْ . فَقَالَ : أَمَّا الصِّفَةُ فَقَدْ أَصَابَ .

وذكر ابن إسحاق ما تقدم من إخباره لهم بمروره بعيرهم وما كان من شربه ماءهم .

فأقام الله عليهم الحجة واستنارت لهم المحجة ، فآمن من آمن على يقين من ربه ، وكفر من كفر بعد قيام الحجة عليه .

كما قال الله تعالى « وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس » أى اختباراً لهم وامتحاناً .

قال ابن عباس : هى رؤيا عين أريها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وهذا مذهب جمهور السلف والخلف ، من أن الإسراء كان بيدنه وروحه صلوات الله وسلامه عليه ، كما دل على ذلك ظاهر السياقات من ركوبه وصعوده في المعراج وغير ذلك . ولهذا قال : « سُبحان الذى أَسْرَى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنُريه » والتسبيح إنما يكون عند الآيات العظيمة الخارقة ، فدلّ على أنه بالروح والجسد ، والعبدُ عبارةٌ عنهما .

وأيضاً فلو كان مناماً لما بادر كفار قريش إلى التّكذيب به والاستبعاد له ، إذ ليس في ذلك كبيرُ أمر ، فدلّ على أنه أخبرهم بأنه أُسرى به يقظةً لا مناماً .

وقوله في حديث شريك عن أنس : « ثم استيقظت فإذا أنا في الحجر » معدود في غلطات شريك ، أو محمول على أن الانتقال من حال إلى حال يسمى يقظة .

كما سيأتى في حديث عائشة رضى الله عنها حين ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف فكذبوه ، قال : « فرجعت مهموما فلم أستفق إلا بقرن الثعالب » .

وفى حديث أبى أسيد حين جاء بابنه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحسّكه فوضعه على نخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واشتغل رسول الله صلى الله عليه وسلم

بالحديث مع الناس ، فرفع أبو أسيد ابنه ، ثم استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجد الصبي ، فسأل عنه فقالوا رفع فسماه المُنذر .

وهذا الحُملُ أحسنُ من التغليب . والله أعلم .

وقد حكى ابن إسحاق فقال : حدثني بعض آل أبي بكر ، عن عائشة أم المؤمنين أنها كانت تقول : ما فقدُ جسدُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن الله أسرى بروحه .

قال : وحدثني يعقوب بن عتبة : أن معاوية كان إذا سئل عن مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : كانت رؤيا من الله صادقة .

قال ابن إسحاق : فلم يُنكر ذلك من قولها ، لقول الحسن : إن هذه الآية نزلت في ذلك « وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس » وكما قال إبراهيم عليه السلام « يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك » وفي الحديث : « تمام عيناي ^(١) وقلبي يقظان » .

قال ابن إسحاق : فالله أعلم أي ذلك كان قد جاءه وعين فيه مناعين من أمر الله تعالى ، على أي حالة كان نائماً أو يقظان ^(٢) ، كل ذلك حقٌ وصدق .

قلت : وقد توقف ابنُ إسحاق في ذلك وجوزَ كلاً من الأمرين من حيث الجملة ، ولكن الذي لا يُشك فيهِ ولا يُتَمارى أنه كان يقظان لا محالة ، لما تقدم .

وليس مقتضى كلام عائشة رضي الله عنها أن جسده صلى الله عليه وسلم ما فقد وإنما كان الإسراء بروحه ، أن يكون مناماً كما فهمه ابن إسحاق ، بل قد يكون وقع

(١) الأصل : عيني : وما أنبته من ابن هشام . (٢) ط : يقظانا . وهو خطأ

الإسراء بروحه حقيقة وهو يقظان لا نائم ، وركب البراق وجاء بيت المقدس وصعد السموات وعاین ماعین حقيقة ويقظة لا مناما .

لعل هذا مراد عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها ، ومراد من تابعها على ذلك ، لاما فهمه ابن إسحاق من أنهم أرادوا بذلك المنام . والله أعلم .

تنبيه : ونحن لا ننكر وقوع منام قبل الإسراء طبق ما وقع بعد ذلك ، فإنه صلى الله عليه وسلم كان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، وقد تقدم مثل ذلك في حديث بدء الوحي ، أنه رأى مثل ما وقع له يقظة مناما قبله ، ليكون ذلك من باب الإرهاس والتوطئة والتثبت والإيناس . والله أعلم .

ثم قد اختلف العلماء في أن الإسراء والمعراج هل كانا في ليلة واحدة أو كل في ليلة على حدة ؟ فمنهم من يزعم أن الإسراء في اليقظة ، والمعراج في المنام .

وقد حكى المهلب بن أبي صفرة^(١) في شرحه البخارى عن طائفة أنهم ذهبوا إلى أن الإسراء [وقع] مرتين ؛ مرة بروحه مناما ، ومرة ببدنه وروحه يقظة .

وقد حكاها الحافظ أبو القاسم السهيلي عن شيخه أبى بكر بن العربى الفقيه .

قال السهيلي : وهذا القول يجمع الأحاديث ، فإن في حديث شريك عن أنس : وذلك فيما يرى قلبه وتنام عيناه ولا ينام قلبه ، وقال في آخره : « ثم استيقظت فإذا أنا في الحجر » وهذا منام . ودل غيره على اليقظة .

ومنهم من يدعى تعدد الإسراء في اليقظة أيضاً ، حتى قال بعضهم : إنها أربع إسرائات . وزعم بعضهم أن بعضها كان بالمدينة .

وقد حاول الشيخ شهاب الدين أبو شامة رحمه الله أن يوفق بين اختلاف ما وقع

(١) الذى فى السهيلي : « ورأيت المهلب فى شرح البخارى » وليس هو المهلب بن أبى صفرة الأزدي أمير خراسان

في روايات حديث الإسراء بالجمع المتعدد ، فجعل ثلاث إسرائات ، مرة من مكة إلى بيت المقدس فقط على البراق ، ومرة من مكة إلى السماء على البراق أيضا لحديث حذيفة ، ومرة من مكة إلى بيت المقدس ثم إلى السموات .

فنقول : إن كان إنما حمله على القول بهذه الثلاث اختلاف الروايات ، فقد اختلف لفظ الحديث في ذلك على أكثر من هذه الثلاث صفات .

ومن أراد الوقوف على ذلك فليُنظر فيما جمعناه مستقصى في كتابنا التفسير عند قوله تعالى « سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا » .

وإن كان إنما حمله أن التقسيم انحصر في ثلاث صفات بالنسبة إلى بيت المقدس وإلى السموات ، فلا يلزم من الحصر العقلي الوقوع كذلك في الخارج إلا بدليل . والله أعلم .

والعجب أن الإمام أبا عبد الله البخاري رحمه الله ذكر الإسراء بعد ذكره موت أبي طالب ، فوافق ابن إسحاق في ذكره المعراج في أواخر الأمر ، وخالفه في ذكره بعد موت أبي طالب .

وابنُ إسحاق آخر ذكر موت أبي طالب على الإسراء . فإله أعلم أي ذلك كان .

والمقصود أن البخاري فرّق بين الإسراء وبين المعراج ، فبوّب لكل واحد منهما بابا على حدة .

فقال : « باب حديث الإسراء » وقول الله سبحانه وتعالى « سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا » حدثنا يحيى بن بُكير ، حدثنا الليث ، عن عُقيل ، عن ابن شهاب ، حدثني

أبو سلمة بن عبد الرحمن ، قال : سمعت جابر بن عبد الله أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لما كذبتني قریش كنت ^(١) في الحجر ، فحَلَّى الله لى بيت المقدس ، فطفت أحدثهم ^(٢) عن آياته وأنا أنظر إليه » .

وقد رواه مسلم والترمذى والنسائى من حديث الزهرى ، عن أبى سلمة ، عن جابر به .
ورواه مسلم والنسائى والترمذى من حديث عبد الله بن الفضل ، عن أبى سلمة ، عن أبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه .

ثم قال البخارى : باب حديث المراح : حدثنا هُذبة بن خالد ، حدثنا هَمَام ، حدثنا قتادة ، عن أنس بن مالك ، عن مالك بن صَعَصعة أن النبي صلى الله عليه وسلم أحدثهم عن ليلة أُسرى به قال : « بينا أنا فى الحَظِيم ، وربما قال فى الحِجْر ، مُضْطَجِعاً ^(٣) إذ أتانى آت ، فَقَدْ ، قال ^(٤) : وسمعتة يقول : فشقَّ ، ما بين هذه إلى هذه ، فقلت للجارود وهو إلى جنبى ، ما يعنى به ؟ قال : من نُقْرة ^(٥) نحره إلى شعرته ، وسمعتة يقول من قصه إلى شعرته .

« فاستخرج قلبى ، ثم أتيت بطست من ذهب مملوءة إيماناً ، فغسل قلبى ثم حُشَى ، ثم أعيد ، ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض » .
فقال الجارود : وهو البراق يا أبا حمزة ؟ قال أنس : نعم .

« يضع خطوه عند أقصى طرفه . فحُمِلت عليه ، فانطلق بى جبرائيل حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح قيل : من هذا ؟ قال : جبرائيل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال نعم . قيل : مرحباً به ، فنعم المحيىء جاء .

(١) البخارى : قمت . (٢) البخارى : أخبرهم . (٣) الأصل : مضجعا . وما أثبتته من البخارى .

(٤) الأصل : فقال وسمعتة . وما أثبتته من صحيح البخارى ١٨٧/٢

(٥) البخارى : نقرة . وهى بمعنى نقرة .

ففتح ، فلما خلصت فإذا فيها آدم ، فقال : هذا أبوك آدم فسلم عليه . فسلمت عليه فرد السلام ثم قال : مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح .

ثم صعد بي إلى السماء الثانية ، فاستفتح قيل من هذا ؟ قال : جبرائيل . قيل : من ومعك ؟ قال : محمد . قيل : وقد أرسل إليه ؟ [قال : نعم :] قيل : مرحبا به فنعم الحجيء جاء .

ففتح فلما خلصت إذا يحيى وعيسى وهما ابنا خالة . قال : هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما . فسلمت عليهما فردا ثم قال : مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح .

ثم صعد بي إلى السماء الثالثة ، فاستفتح جبرائيل قيل : من هذا ؟ قال : جبرائيل . قال : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم . قيل : مرحبا به . فنعم الحجيء جاء .

ففتح فلما خلصت إذا يوسف ، قال : هذا يوسف فسلم عليه . فسلمت عليه فرد ، ثم قال : مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح .

ثم صعد بي حتى أتى السماء الرابعة ، فاستفتح قيل : من هذا ؟ قال : جبرائيل . قال : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم . قيل : مرحبا به ، فنعم الحجيء جاء .

فلما خلصت إذا إدريس ، قال : هذا إدريس فسلم عليه . فسلمت عليه فرد ، ثم قال : مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح .

ثم صعد بي حتى أتى السماء الخامسة ، فاستفتح قيل : من هذا ؟ قال : جبرائيل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم . قيل : مرحبا به ، فنعم الحجيء جاء .

فلما خلصت إذا هارون ، قال : هذا هارون فسلم عليه . فسلمت عليه فرد ثم قال : مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح .

ثم صعد بي حتى أتى السماء السادسة ، فاستفتح فقيل : من هذا ؟ قال : جبرائيل .
قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم . قيل : مرحبا به ،
فنعم المجيء جاء .

فلما خلصت إذا موسى ، قال : هذا موسى فسلم عليه ، فسلمت عليه فردّ ، ثم قال :
مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح .

فلما تجاوزت بكى ، فقيل له : ما يبكيك ؟ قال : أبكى لأن غلاما بُعث بعدى يدخل
الجنة من أمته أكثر ممّن يدخلها من أمتي .

ثم صعد بي إلى السماء السابعة ، فاستفتح جبرائيل قيل : من هذا ؟ قال : جبرائيل .
قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد بُعث إليه ؟ قال : نعم . قيل : مرحبا به ،
فنعم المجيء جاء .

فلما خلصت إذا إبراهيم ، قال : هذا أبوك إبراهيم فسلم عليه ، فسلمت عليه فرد
السلام ثم قال : مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح .

ثم رُفعت إلى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ، وإذا أربعة أنهار : نهران ظاهران ، ونهران باطنان .
فقلت : ما هذا يا جبرائيل ؟ قال : أما الباطنان فنهران في الجنة ، وأما الظاهران
فالنيل والفرات .

ثم رفع لى البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ، ثم أُتيت بإناء من
خمر وإناء من لبن وإناء من غسل ، فأخذت اللبن . قال : هي الفِطْرَةُ التي أنت
عليها وأمتك .

ثم فرض على الصلوات ، خمسون صلاة كل يوم ، فرجعت فمررت على موسى
فقال : بم أمرت ؟ قال : أمرت بخمسين صلاة كل يوم . قال : إن أمتك لا تستطيع خمسين

صلاة كل يوم ، وإني والله قد جربت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة ؛
فارجع إلى ربك فسله التخفيف لأمتك .

فرجعت فوضع عنى عَشْرًا . .

فرجعت إلى موسى فقال مثله فرجعت فوضع عنى عَشْرًا .

فرجعت إلى موسى فقال مثله ، فرجعت فوضع عنى عَشْرًا .

فرجعت إلى موسى فقال مثله ، فرجعت فأمرت بعشر صلوات كل يوم ،

فقال مثله .

فرجعت فأمرت بخمس صلوات كل يوم .

فرجعت إلى موسى فقال : بم أمرت ؟ فقلت : بخمس صلوات كل يوم .

قال : إن أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم ، وإني قد جربت الناس قبلك

وعالجت بني إسرائيل أشدَّ المعالجة فارجع إلى ربك فسله التخفيف لأمتك .

قال : سألت ربي حتى استحيت ولكن أرضى وأسلم .

قال : فلما جاوزت ناداني مناد : أمضيتُ فريضتي ، وخففتُ عن عبادي .

هكذا روى البخارى هذا الحديث ههنا . وقد رواه فى مواضع آخر من صحيحه ،

ومسلم والترمذى والنسائى من طرق ، عن قتادة ، عن أنس ، عن مالك بن صعصعة .

ورويناه من حديث أنس بن مالك عن أبى بن كعب . ومن حديث أنس عن

أبى ذر . ومن طرق كثيرة عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم .

وقد ذكرنا ذلك مستقصى بطرقه وألفاظه فى التفسير .

ولم يقع فى هذا السياق ذِكْرُ بيت المقدس ، وكأن بعض الرواة يحذف بعض

الخبر للعلم به ، أو ينساه أو يذكر ما هو الأهم عنده ، أو يبسط تارة فيسوقه كله ، وتارة

يحذف عن مخاطبه بما هو الأنفع عنده .

وَمَنْ جَعَلَ كُلَّ رَوَايَةِ إِسْرَاءَ عَلَى حَدِّةٍ كَمَا تَقْدَمُ عَنْ بَعْضِهِمْ فَقَدْ أَبْعَدَ جَدًّا .
وذلك أن كل السياقات فيها السلام على الأنبياء ، وفي كلٍ منها يعرفه بهم ، وفي
كلها يُفَرِّضُ عليه الصلوات ، فكيف يمكن أن يُدَّعى تعدُّد ذلك ؟ !
هذا في غاية البعد والاستحالة .. والله أعلم .

ثم قال البخارى : حدثنا الحميدى ، حدثنا سفيان ، عن عمرو ، عن عكرمة ، عن ابن
عباس في قوله تعالى : « وما جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ » . قال : هي رؤيا
عين أريها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به إلى بيت المقدس . « والشجرة
الملعوننة في القرآن » قال : هي شجرة الزقوم .

فصل

ولما أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم من صبيحة ليلة الإسراء جاءه جبرائيل
عند الزوال ، فبين له كيفية الصلاة وأوقاتها .
وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه فاجتمعوا ، وصلى به جبرائيل في ذلك
اليوم إلى الغد والمسلمون يَأْتُمُّونَ بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو يقتدى بجبرائيل ، كما
جاء في الحديث عن ابن عباس وجابر : « أَمَّنِي جبرائيل عند البيت مرتين » .
فبين له الوقتين الأول والآخر ، فهما وما بينهما الوقت الموسَّع ، ولم يذكر توسعة
في وقت المغرب .

وقد ثبت ذلك في حديث أبي موسى وبُرَيْدة وعبد الله بن عمرو ، وكلها في صحيح
مسلم . وموضع بسط ذلك في كتابنا « الأحكام » والله الحمد .
فأما ما ثبت في صحيح البخارى عن مَعْمَر ، عن الزُّهْرِي ، عن عروة ، عن عائشة
قالت : « فرضت الصلاة أول ما فرضت ركعتين ، فأقرت صلاة السفر وزيدَ في
صلاة الحضر » .

وكذا رواه الأوزاعي ، عن الزُّهري ، ورواه الشَّعْبِيُّ عن مسروق عنها .
وهذا مُشْكَلٌ من جهة أن عائشة كانت تُتِمُّ الصَّلَاةَ فِي السَّفَرِ ، وكذا
عثمان بن عفان ، وقد تكلمنا على ذلك عند قوله تعالى : « وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ
فَإِيسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا » ^(١) .
قال البيهقي : وقد ذهب الحسنُ البصريُّ إلى أن صلاةَ الحضرِ أولَ ما فُرِضَتْ أربعا ،
كما ذكره مُرسِلا من صلاته عليه السلام صبيحةَ الإسراء : الظهرَ أربعا ، والعصرَ
أربعا ، والمغربَ ثلاثا يَجْهَرُ فِي الْأَوَّلِينَ ، والعشاءَ أربعا يَجْهَرُ فِي الْأَوَّلِينَ ، والصبحَ
ركعتين يَجْهَرُ فِيهِمَا .

قلت : فلعن عائشة أرادت أن الصلاة كانت قبل الإسراء تكون ركعتين ركعتين ،
ثم لما فرضت الخمس فرضت حضرا على ما هي عليه ، ورخص في السفر أن يصلي ركعتين
كما كان الأمر عليه قديما ، وعلى هذا لا يبقى إشكال بالكلية . والله أعلم .

فصل

[في] انشقاق القمر في زمان النبي صلى الله عليه وسلم

وجعل الله له آية على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما جاء به من الهدى ودين
الحق ، حيث كان ذلك وقت إشارته الكريمة .

قال الله تعالى في مُحْكَمِ كتابه العزيز : « اقتربت الساعةُ وانشقَّ القمرُ ، وإن يروا
آيةً يُعْرِضُوا ويقولوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ ، وكذبوا واتبعوا أهواءهم وكلُّ أمرٍ مُسْتَعْتَرٍ » ^(٢) .

(١) سورة النساء ١٠١ (٢) سورة القمر ١-٣

وقد أجمع المسلمون على وقوع ذلك في زمنه عليه الصلاة والسلام ، وجاءت بذلك الأحاديث المتواترة من طرق متعددة تفيد القطع عند من أحاط بها ونظر فيها .

ونحن نذكر من ذلك ما تيسر إن شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان ، وقد تقصينا ذلك في كتابنا التفسير ، فذكرنا الطرق والألفاظ محررة ، ونحن نشير هاهنا إلى أطراف من طرقها ونعزوها إلى الكتب المشهورة بحول الله وقوته .

وذلك مروى عن أنس بن مالك ، وجبير بن مطعم ، وحذيفة ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم أجمعين .

أما أنس فقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك قال : سأل أهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم آية ، فانشق القمر بمكة مرتين . فقال : « اقتربت الساعة وانشق القمر » .

ورواه مسلم ، عن محمد بن رافع ، عن عبد الرزاق به .

وهذا من مراسلات الصحابة ، والظاهر أنه تلقاه عن الجهم الغفير من الصحابة ، أو عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أو عن الجميع .

وقد روى البخاري ومسلم هذا الحديث من طريق شيبان . زاد البخاري : وسعيد ابن أبي عروبة ، وزاد مسلم : وشعبة ، ثلاثهم عن قتادة عن أنس : أن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية فأراهم القمر شقتين حتى رأوا حراء بينهما . لفظ البخاري .

وأما جبير بن مطعم فقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن كثير ، حدثنا سليمان بن كثير ، عن حصين بن عبد الرحمن ، عن محمد بن جبير بن مطعم ، [عن أبيه] . قال : انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فصار فرقتين ، فرقة على هذا الجبل ،

وفرقه على هذا الجبل . فقالوا : سحرنا محمد ، فقالوا : إن كان سحرنا فإنه لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم .
تفرد به أحمد .

وهكذا رواه ابن جرير من حديث محمد بن فضيل وغيره ، عن حصين به .
وقد رواه البيهقي من طريق إبراهيم بن طهمان وهشيم كلاهما عن حصين بن عبد الرحمن ، عن جبير بن محمد بن جبير بن مطعم ، عن أبيه عن جده به ، فزاد رجلا في الإسناد .

وأما حذيفة بن اليمان فروى أبو نعيم في « الدلائل » ^(١) من طريق عن عطاء بن السائب عن أبي عبد الرحمن السلمي . قال : خطبنا حذيفة بن اليمان بالمداين فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « اقتربت الساعة وانشق القمر » ألا وإن الساعة قد اقتربت ، ألا وإن القمر قد انشق ، ألا وإن الدنيا قد آذنت بفراق ، ألا وإن اليوم المضمار وغدا السباق .

فلما كانت الجمعة الثانية انطلقت مع أبي إلى الجمعة ، فحمد الله وقال مثله وزاد : ألا وإن السابق من سبق إلى الجمعة .

فلما كنا في الطريق قلت لأبي : ما يعني بقوله - « غداً السباق » قال : من سبق إلى الجنة .

وأما ابن عباس فقال البخاري : حدثنا يحيى بن بكير ^(٢) ، حدثنا بكر ، عن جعفر ، عن عراك بن مالك ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن ابن عباس ، قال : إن القمر انشق في زمان النبي صلى الله عليه وسلم .

(١) ليس في دلائل النبوة المطبوع . وفيها روايات أخرى عن ابن مسعود وابن عمر وابن عباس ٢٣٣ - ٢٣٦ . (٢) الأصل : ابن كثير . وهو تحريف وما أثبتته عن صحيح البخاري ٢٦٩/٢ باب التفسير .

ورواه البخارى أيضا ومسلم من حديث بكر ، وهو ابن نصر ، عن جعفر قوله :
« اقتربت الساعة وانشقَّ القمرُ ، وإن يروا آيةً يُعْرَضُوا ويقولوا سحرٌ مُستمر » . قال :
قد مضى ذلك ، كان قبل الهجرة ، انشقَّ القمرُ حتى رأوا شِقَّيه .

وهكذا رواه العوفى عن ابن عباس رضى الله عنه وهو من مراسلاته .

وقال الحافظ أبو نُعَيْم : حدثنا سليمان بن أحمد ، حدثنا بكر بن سُهيل ، حدثنا
عبد الغنى بن سعيد ، حدثنا موسى بن عبد الرحمن ، عن ابن جُرَيْج ، عن عطاء عن ابن
عباس . وعن مقاتل ، عن الضحَّاك ، عن ابن عباس فى قوله : « اقتربت الساعةُ وانشقَّ
القمرُ » . قال ابن عباس : اجتمع المشركون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم
الوليد بن المغيرة ، وأبو جهل بن هشام ، والعاص بن وائل ، والعاص بن هشام ، والأسود
ابن عبد يَعْفُوث ، والأسود بن المطلب [بن أسد بن عبد العزَّى] ^(١) ، وزَمْعَةُ بن
الأسود ، والنضر بن الحارث ، ونظراؤهم [كثير] ^(٢) .

فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم : إن كنتَ صادقا فشقَّ لنا القمرَ فرقتين نصفًا على
أبى قُبَيْسٍ ونصفًا على قُعَيْقَعَانَ . فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم : « إن فعلتُ
تؤمنوا ؟ » قالوا : نعم . وكانت ليلة بدر ، فسأل الله عز وجل أن يعطيه ماسألوا ، فأَمْسَى
القمرُ قد سلب ^(٣) نصفًا على أبى قُبَيْسٍ ونصفًا على قُعَيْقَعَانَ ، ورسول الله صلى الله عليه
وسلم ينادى : يا أبا سلمة بن عبد الأسد والأرقم بن الأرقم اشهدوا .

ثم قال أبو نُعَيْم : وحدثنا ^(٤) سليمان بن أحمد ، حدثنا الحسن بن العباس الرازى ،
عن الهيثم بن الثَّمان ، حدثنا إسماعيل بن زياد ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، عن ابن
عباس ، قال : انتهى أهلُ مكة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : هل من آيةٍ
نعرف بها أنك رسول الله .

(١) من دلائل النبوة ٢٣٤ . (٢) دلائل النبوة : قد مثل نصفًا (٣) ليس فى دلائل
النبوة المطبوع .

فَهِبطَ جِبْرَائِيلُ فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ قُلْ لِأَهْلِ مَكَّةَ أَنْ يَحْتَفِلُوا هَذِهِ اللَّيْلَةَ فَسَيَرُوا آيَةً إِنْ
انْتَفَعُوا بِهَا .

فَأَخْبَرَهُمُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَقَالَةِ جِبْرَائِيلَ ، فَخَرَجُوا لَيْلَةَ الشَّقِّ لَيْلَةَ أَرْبَعِ
عَشْرَةٍ ، فَانْشَقَّ الْقَمَرُ نِصْفَيْنِ ، نِصْفًا عَلَى الصِّفَا وَنِصْفًا عَلَى الْمُرْوَةِ فَنَظَرُوا ، ثُمَّ قَالُوا بِأَبْصَارِهِمْ
فَمَسَحُوهَا ، ثُمَّ أَعَادُوا النَّظَرَ فَنَظَرُوا ، ثُمَّ مَسَحُوا أَعْيُنَهُمْ ثُمَّ نَظَرُوا ، فَقَالُوا : يَا مُحَمَّدُ مَا هَذَا
إِلَّا سِحْرُ رَاهِبٍ .

فَأَنْزَلَ اللَّهُ : « اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ » .

ثُمَّ رَوَى الضَّحَّاكُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ . قَالَ : جَاءَتْ أَحْبَارُ الْيَهُودِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا : أَرْنَا آيَةً حَتَّى نُؤْمِنَ بِهَا .

فَسَأَلَ رَبَّهُ ، فَأَرَاهُمُ الْقَمَرَ قَدْ انْشَقَّ بِحُزْنَيْنِ ؛ أَحَدُهُمَا عَلَى الصِّفَا وَالْآخَرُ عَلَى الْمُرْوَةِ ،
قَدَرِ مَا بَيْنَ الْعَصْرِ إِلَى اللَّيْلِ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ ثُمَّ غَابَ . فَقَالُوا : هَذَا سِحْرُ مُفْتَرٍ .

وَقَالَ الْحَافِظُ أَبُو الْقَاسِمِ الطَّبْرَانِيُّ : حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَمْرٍو الرِّزَّازُ ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى
الْقِطْعِيُّ ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَكْرٍ ، حَدَّثَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ ، عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ ، عَنْ عِكْرَمَةَ ، عَنْ
ابْنِ عَبَّاسٍ . قَالَ : كُفِّ الْقَمَرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا : سِحْرُ الْقَمَرِ
فَنَزَلَتْ : « اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ » ، وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا
سِحْرُ مُسْتَمِرٍّ .

وَهَذَا إِسْنَادٌ جَيِّدٌ ، وَفِيهِ أَنَّهُ كُفِّ تِلْكَ اللَّيْلَةَ ، فَلَعَلَّهُ حَصَلَ لَهُ انْشِقَاقٌ فِي لَيْلَةِ كَسُوفِهِ ،
وَلِهَذَا خَفِيَ أَمْرُهُ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ ، وَمَعَ هَذَا قَدْ شُوهِدَ ذَلِكَ فِي كَثِيرٍ مِنْ بَقَاعِ
الْأَرْضِ ، وَيُقَالُ : إِنَّهُ أُرْخِيَ ذَلِكَ فِي بَعْضِ بِلَادِ الْهِنْدِ ، وَبُنِيَ بِنَاءُ تِلْكَ اللَّيْلَةِ وَأُرْخِيَ بِلَيْلَةِ
انْشِقَاقِ الْقَمَرِ .

وأما ابن عمر ، فقال الحافظ البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، وأبو بكر أحمد ابن الحسن القاضي ، قالا : حدثنا أبو العباس الأصم ، حدثنا العباس بن محمد الدوري ، حدثنا وهب بن جرير ، عن شعبة ، عن الأعشى ، عن مجاهد به .

قال مسلم : كرواية مجاهد عن أبي معمر عن ابن مسعود .

وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .

وأما عبد الله بن مسعود فقال الإمام أحمد : حدثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، عن أبي معمر ، عن ابن مسعود . قال : انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم شقتين حتى نظروا إليه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اشهدوا . وهكذا أخرجاه من حديث سفيان ، وهو ابن عيينة ، به . ومن حديث الأعشى عن إبراهيم ، عن أبي معمر ، عن عبد الله بن سمرة ، عن ابن مسعود قال : انشق القمر ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « اشهدوا » وذهبت فرقة نحو الجبل . افظ البخاري (١) .

ثم قال البخاري : وقال أبو الضحَّاك ، عن مسروق ، عن عبد الله بمكة ، وتابعه محمد بن مسلم ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، عن أبي معمر ، عن عبد الله رضى الله عنه .

وقد أسند أبو داود الطيالسي حديث أبي الضحى ، عن مسروق ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت قریش : هذا سحر ابن أبي كبشة .

فقالوا : انظروا ما يأتيكم به السفار ، فإن محمدا لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم .

(١) ليس بلفظ البخاري .

قال : نجاء السفّار فقالوا ذلك .

وقال البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، حدثنا أبو العباس ، حدثنا العباس بن محمد الدوري ، حدثنا سعيد بن سليمان ، حدثنا هُشيم ، حدثنا مغيرة ، عن أبي الضُّحى ، عن مسروق ، عن عبد الله ، قال : انشق القمر بمكة حتى صار فرقتين .

فقال كفارُ قريش لأهل مكة : هذا سحرٌ سحرَكم به ابنُ أبي كبشة ، انظروا السّفّار ، فإن كانوا رأوا ما رأيتم فقد صدّق ، وإن كانوا لم يروا مثلَ ما رأيتم فهو سحرٌ سحرَكم به .

قال : فسئل السّفّار قال ، وقدموا من كل وجهة ، فقالوا : رأينا . وهكذا رواه أبو نُعيم من حديث جابر ، عن الأعمش ، عن أبي الضُّحى ، عن مسروق عن عبد الله به .

وقال الإمام أحمد : حدثنا مُوَمِّل ، حدثنا إسرائيل ، عن سِمَاك ، عن إبراهيم ، عن الأسود ، عن عبد الله ، وهو ابن مسعود ، قال : انشق القمرُ على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى رأيتَ الجبلَ بين فرُجتي القمر .

وهكذا رواه ابن جرير من حديث أسباط عن سِمَاك به .

وقال الحافظ أبو نُعيم : حدثنا أبو بكر الطَّلُحِي ، حدثنا أبو حُصَيْن محمد بن الحسين الوادِعيّ ، حدثنا يحيى الحِمَّانِي ، حدثنا يزيد ، عن عطاء ، عن سِمَاك ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبد الله . قال : كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم بمنى وانشق القمر حتى صار فرقتين ، فرقة خلف الجبل . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « اشهدوا ، اشهدوا » .

وقال أبو نُعيم : حدثنا سليمان بن أحمد ، حدثنا جعفر بن محمد القَلَانِسِيّ ، حدثنا

آدم بن أبي إياس ، حدثنا الليث بن سعد ، حدثنا هشام بن سعد ، عن عتبة ، عن عبد الله ابن عتبة ، عن ابن مسعود . قال : انشق القمر ونحن بمكة ، فاقدر رأيت أحداً شقيها على الجبل الذي بمنى ونحن بمكة .

وحدثنا أحمد بن إسحاق ، حدثنا أبو بكر بن أبي عاصم ، حدثنا محمد بن حاتم ، حدثنا معاوية بن عمرو ، عن زائدة ، عن عاصم ، عن زير ، عن عبد الله ، قال : انشق القمر بمكة فرأيت فرقتين .

ثم روى من حديث علي بن سعيد بن مسروق ، حدثنا موسى بن عمير ، عن منصور ابن المعتز ، عن زيد بن وهب ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : رأيت القمر والله منشقاً باثنتين بينهما حراء .

وروى أبو نعيم من طريق الشدّي الصغير ، عن الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس قال : انشق القمر فلقنتين ، فلقة ذهب ، وفلقة بقيت .

قال ابن مسعود : لقد رأيت جبل حراء بين فلقتي القمر ، فذهب فلقة ، فتعجب أهل مكة من ذلك ، وقالوا : هذا سحر مصنوع سيذهب .

وقال إيث بن أبي سليم ، عن مجاهد قال : انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فصار فرقتين . فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بكر : « فاشهد يا أبا بكر » .

وقال المشركون : سحر القمر حتى انشق .

فهذه طرق متعددة قوية الأسانيد تفيد القطع لمن تأملها وعرف عدالة رجالها . وما يذكره بعض القصاص من أن القمر سقط إلى الأرض حتى دخل في كم النبي

صلى الله عليه وسلم وخرج من السكم الآخر ، فلا أصل له ، وهو كذب مفتري
ليس بصحيح .

والقمر حين انشق لم يزايل السماء ، غير أنه حين أشار إليه النبي صلى الله عليه وسلم
انشق عن إشارته فصار فرقتين ، فسارت واحدة حتى صارت من وراء حراء ، ونظروا
إلى الجبل بين هذه وهذه . كما أخبر بذلك ابن مسعود أنه شاهد ذلك .
وما وقع في رواية أنس في مسند أحمد : « فانشق القمر بمكة مرتين » فيه نظر ،
والظاهر أنه أراد فرقتين . والله أعلم .

فصل

في وفاة أبي طالب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم

ثم من بعده خديجة بنت خويلد زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنها .

وقيل : بل هي توفيت قبله . والمشهور الأول .

وهذان المشفقان ؛ هذا في الظاهر ، وهذه في الباطن ، هناك كافر ، وهذه مؤمنة صديقة رضي الله عنها وأرضاها .

قال ابن إسحاق : ثم إن خديجة وأبا طالب هلكا في عام واحد .

فتتابعت على رسول الله صلى الله عليه وسلم المصائب بهلك خديجة ، وكانت له وزير صدق على الابتلاء يسكن إليها^(١) ، وبهلك عمه أبي طالب ، وكان له عضداً وحزناً في أمره ، ومنعة وناصر على قومه .

وذلك قبل مهاجره إلى المدينة بثلاث سنين .

فلما هلك أبو طالب ، نالت قريش من رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأذى ما لم تكن تطمع به في حياة أبي طالب ، حتى اعترضه سفيه من سفهاء قريش فنثر على رأسه تراباً .

فحدثني هشام بن عروة عن أبيه ، قال : فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيته والتراب على رأسه ، فقامت إليه إحدى بناته تغسله وتبكي ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) ابن هشام : وكانت له وزير صدق على الإسلام يسكن إليها .

يقول : « لا تبكى يا بُنية ، فإن الله مانع أباك » ويقول بين ذلك : « مانالت مني ^(١) قريش شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب » .

وذكر ابن إسحاق قبل ذلك : أن أحدهم ربما طرح الأذى في بُرْمته صلى الله عليه وسلم إذا نُصبت له .

قال : فكان إذا فعلوا ذلك ، كما حدثني عمر بن عبد الله عن عروة ، يخرج بذلك الشيء على العود فيقذفه على بابه ثم يقول : « يا بني عبد مناف أيُّ جوارٍ هذا ؟! » ثم يلقيه في الطريق .

قال ابن إسحاق : ولما اشتكى أبو طالب ، وبلغ قريشاً ثَقْلَهُ ، قالت قريش بعضها لبعض : إن حمزة وعمر قد أسلما ، وقد فشا أمرُ محمد في قبائل قريش كلها ، فانطلقوا بنا إلى أبي طالب فليأخذ لنا على ابن أخيه وليعطه منّا ، فإننا والله ما نأمن أن يَبْتَزونا أمرنا .

قال ابن إسحاق : وحدثني العباس بن عبد الله بن مَعْبُد ، عن بعض أهله ، عن ابن عباس قال : لما مشوا إلى أبي طالب وكلوه ، وهم أشراف قومه عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو جهل بن هشام ، وأمّية بن خلف ، وأبو سفيان بن حرب ، في رجال من أشرافهم ، فقالوا : يا أبا طالب إنك منّا حيث قد علمت ، وقد حضرك ما ترى ، وتحوّفنا عليك ، وقد علمت الذي بيننا وبين ابن أخيك فادعُه فخذُ لنا منه وخذْ له منّا لِيَكُفَّ عَنَّا وَلِنَكْفِ عَنْهُ ، وَلِيَدَعَنَا وَدِينَنَا وَلِنَدَّعِهِ وَدِينَهُ .

فبعث إليه أبو طالب فجاءه فقال : يا ابن أخي ، هؤلاء أشرافُ قومك قد اجتمعوا إليك ليعطوك وليأخذوا منك .

(١) الأصل : ما نالتني . وما أثبتته عن ابن هشام .

قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا عم ، كلمة واحدة تعطونها تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم » .

فقال أبو جهل : نعم وأبيك وعشر كلمات .

قال : « تقولون لا إله إلا الله . وتخلعون ما تعبدون من دونه » .

فصبقوا بأيديهم . ثم قالوا : يا محمد أتريد أن تجعل الآلهة إلهاً واحداً ؟ إن أمرك لعجب .

قال : ثم قال بعضهم لبعض : إنه والله ما هذا الرجل بمعطيك شيئاً مما تريدون ، فانطلقوا وامضوا على دين آبائكم حتى يحكم الله بينكم وبينه . ثم تفرقوا .

قال : فقال أبو طالب : والله يابن أخي ما رأيتك سألتهم شططا .

قال : فطمع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ، فجعل يقول له : « أى عم فأنت فقئها أستحل لك بها الشفاعة يوم القيامة » .

فلما رأى حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يابن أخي والله لولا مخافة الشبهة عليك وعلى بنى أبيك من بعدى ، وأن تظن قريش أنى إنما قلتها جزعاً من الموت لقلتها ، لا أقولها إلا لأسررك بها .

قال : فلما تقارب من أبى طالب الموت نظر العباس إليه يحرك شفتيه ، فأصغى إليه بأذنه .

قال : فقال : يابن أخي والله لقد قال أخى الكلمة التى أمرته أن يقولها .

قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لم أسمع » .

قال : وأنزل الله تعالى فى أولئك الرهط « ص والقرآن ذى الذِّكْرِ بل الذين كفروا

فى عزّة وشقاق » الآيات :

وقد تكلمنا على ذلك فى التفسير والله الحمد والمنة .

وقد استدلل بعض من ذهب من الشيعة وغيرهم من الغلاة إلى أن أبا طالب مات مسلما بقول العباس [فى] هذا الحديث ؛ يابن أخى لقد قال أخى الكلمة التى أمرته أن يقولها .
يعنى لا إله إلا الله .

والجواب عن هذا من وجوه :

أحدها : أن فى السند مَبْهَمًا لا يُعرف حاله وهو قوله : « عن بعض أهله » وهذا إيهام فى الاسم والحال ، ومثله يُتَوَقَّف فيه لو انفرد .

وقد روى الإمام أحمد والنسائى وابن جرير نحوه من هذا السياق من طريق أبى أسامة ، عن الأعمش ، حدثنا عبّاد ، عن سعيد بن جُبَيْر . فذكره ولم يذكر قول العباس .

ورواه الثورى أيضا ، عن الأعمش ، عن يحيى بن عمار السكونى ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس . فذكره بغير زيادة قول العباس .

ورواه الترمذى وحسنه ، والنسائى وابن جرير أيضا .

ولفظ الحديث من سياق البيهقى ، فيما رواه من طريق الثورى ، عن الأعمش ، عن يحيى بن عمار ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : مرض أبو طالب ، فجاءت قریش وجاء النبى صلى الله عليه وسلم [و] عند رأس أبى طالب مجلس رجل ، فقام أبو جهل كى يمنعه ذاك ، وشكّوه إلى أبى طالب ، فقال : يابن أخى ماتريد من قومك ؟

فقال : « يا عم إنما أريد منهم كلمة تَدِلُّ لهم بها العرب ، وتودى إليهم بها الجزية العجم ، كلمة واحدة » .

قال : : ماهي ؟

قال : « لا إله إلا الله » .

قال : فقالوا : أجعل الآلهة إلهاً واحداً ؟ إن هذا شيءٌ عَجَاب .

قال : ونزل فيهم : « ص والقرآن ذى الذِّكر » الآيات إلى قوله : « إلا اختلاق » .

ثم قد عارضه ، أعني سَيَاقَ ابن إسحاق ، ماهو أصحُّ منه ، وهو ما رواه البخارى قائلا :

حدثنا محمود ، حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا مَعْمَر ، عن الزُّهْرِي ، عن ابن المسيَّب ، عن أبيه رضى الله عنه . أن أبا طالب لما حضرته الوفاة دخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم وعنده أبو جهل . فقال : « أى عم ، قل لا إله إلا الله ، كلمةٌ أحاجُّ لك بها عند الله » .

فقال أبو جهل وعبد الله بن أبى أمية : يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب ؟ ! فلم يزالا يكلماناه حتى قال آخر ما كلمهم به : على ملة عبد المطلب .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لأستغفرنَّ^(١) لك ما لم أنه عنك » .

فنزلت : « ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قرْبى مِنْ بَعْدِ ماتين لهم أنهم أصحاب الجحيم^(٢) » ونزلت : « إنك لا تهدي من أحببت^(٣) »
ورواه مسلم ، عن إسحاق بن إبراهيم وعبد الله ، عن عبد الرزاق .

وأخرجاه أيضاً من حديث الزُّهْرِي ، عن سعيد بن المسيَّب ، عن أبيه بنحوه . وقال فيه : فلم يزل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يعرضها عليه ، ويعودان له بتلك المقالة ، حتى قال آخر ما قال : على ملة عبد المطلب . وأبى أن يقول : لا إله إلا الله .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « أما لأستغفرنَّ لك ما لم أنه عنك » فأنزل الله

(١) الأصل : لأستغفر . وهو تخريف . (٢) سورة التوبة ١١٣ (٣) سورة القصص ٥٦ .

يعنى بعد ذلك : « ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قرى » .

ونزل في أبي طالب : « إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين » .

وهكذا روى الإمام أحمد ومسلم والترمذى والنسائى ، من حديث يزيد بن كيسان عن أبي حازم ، عن أبي هريرة ، قال : لما حضرت وفاة أبي طالب أتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « يا عمّاه ، قل لا إله إلا الله أشهد لك بها يوم القيامة » . فقال : لولا أن تعيرني قريش ، يقولون ما حملته عليه إلا فرغ الموت ، لأقررت بها عينك ولا أقولها إلا لأقرّ بها عينك .

فأنزل الله عز وجل : « إنك لا تهدي من أحببت ، ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين » .

وهكذا قال عبد الله بن عباس وابن عمر ومجاهد والشَّعْبِي وقتادة : أنها نزلت في أبي طالب حين عرض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقول : لا إله إلا الله . فأبى أن يقولها ، وقال : هو على ملة الأشياخ . وكان آخر ما قال : هو على ملة عبد المطلب .

ويؤكد هذا كله ما قال البخارى : حدثنا مُسَدَّد ، حدثنا يحيى ، عن سفيان ، عن عبد الملك بن عُمر ، حدثني عبد الله بن الحارث ، قال : حدثنا العباس بن عبد المطلب أنه قال : قلت للنبي صلى الله عليه وسلم : ما أغنيت عن عمك ، فإنه كان يحوطك ويفضلك ؟

قال : « [هو] في ضَحَضَاح من نار ، ولولا أنا لكان في الدَّرَك الأسفل ^(١) » .

(١) زاد في البخارى : من النار .

ورواه مسلم في صحيحه من طرق ، عن عبد الملك بن عمير به .

[و] أخرجاه في الصحيحين من حديث الليث ، حدثني ابن الهاد ، عن عبد الله بن خباب ، عن أبي سعيد ، أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم وذُكر عنده عمه فقال : « لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة ، فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبه ينفلي منه دماغه » .

لفظ البخاري . وفي رواية « نفلي منه أم دماغه » .

وروى مسلم ، عن أبي بكر بن أبي شيبه ، عن عفان ، عن حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أبي عثمان ، عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أهون أهل النار عذابا أبو طالب ، مُنتعل بنعلين من نار ينفلي منهما دماغه » .

وفي معاني يونس بن بكير « ينفلي منهما دماغه حتى يسيل على قدميه » ذكره السهيلي .

وقال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده : حدثنا عمرو ، هو ابن اسماعيل بن مجالد ، حدثنا أبي ، عن مجالد ، عن الشعبي ، عن جابر ، قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أوقيل له : هل نفعت أبا طالب ؟

قال : « أخرجته من النار إلى ضحضاح منها » .

تفرد به البزار .

قال السهيلي : وإنما لم يقبل النبي صلى الله عليه وسلم شهادة العباس أخيه أنه قال الكلمة وقال : « لم أسمع » لأن العباس كان إذ ذاك كافرا غير مقبول الشهادة .

قلت : وعندى أن الخبر بذلك ما صح لضعف سنده . كما تقدم .

ومما يدل على ذلك أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك عن أبي طالب فذكر

له ما تقدم .

وبتعليل صحته لعله قال ذلك عند معاينة الملك بعد الغرغرة ، حين لا ينفع نفساً
إيمانها . والله أعلم .

وقال أبو داود الطيالسي : حدثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، سمعت ناجية بن كعب
يقول : سمعت علياً يقول : لما توفي أبي أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : إن
عمك قد توفي . فقال : « اذهب فواره » فقلت : إنه مات مشركاً ، فقال : « اذهب
فواره ولا تُحدثن شيئاً حتى تأتي » .
ففعلت فأتيته ، فأمرني أن أغتسل .

ورواه النسائي عن محمد بن المثنى ، عن غُندَر ، عن شعبة .

ورواه أبو داود والنسائي من حديث سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن ناجية ، عن
علي : لما مات أبو طالب قلت : يا رسول الله إن عمك الشيخ الضالّ قد مات ،
فمن يواريه ؟

قال : « اذهب فوارٍ أباك ولا تُحدثن شيئاً حتى تأتيني » .

فأتيته فأمرني فاغتسلت ، ثم دعا لي بدعوات ما يسرني أن لي يهن ما على
الأرض من شيء .

وقال الحافظ البيهقي : أخبرنا أبو سعد الماليني ، حدثنا أبو أحمد بن عدي ، حدثنا
محمد بن هارون بن حميد ، حدثنا محمد بن عبد العزيز بن أبي رزمة ، حدثنا الفضل ، عن
إبراهيم بن عبد الرحمن ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، عن ابن عباس : أن النبي صلى الله
عليه وسلم عاد من ^(١) جنازة أبي طالب فقال : وصلتكَ رَحِم ، وجُزيت خيراً يا عم .

(١) في الوفا لابن الجوزي : عارض جنازة . وهذا ما يتفق مع قوله بعد : « ولم يقم على قبره » .

قال : وروى عن أبي النيمان الهوزنى ، عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلًا وزاد :
ولم يبق على قبره .

قال : وإبراهيم بن عبد الرحمن هذا هو الخوارزمي تكلموا فيه .
قلت : قدروى عنه غير واحد منهم الفضل بن موسى السينانى^(١) ، ومحمد بن سلام
البيكندى^(٢) . ومع هذا قال ابن عدى : ليس بمعروف ، وأحاديثه عن كل من روى عنه
ليست بمستقيمة .

وقد قدمنا ما كان يتعاطاه أبو طالب من الحماسة والحاجة والممانعة عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم والدفع عنه وعن أصحابه ، وما قاله فيه من المادح والثناء ، وما أظهره له
ولأصحابه من المودة والمحبة والشفقة في أشعاره التي أسلفناها ، وما تضمنته من العيب
والتنقيص لمن خالفه وكذبه ، بتلك العبارة الفصيحة البليغة الهاشمية المطلية التي لا تدانى
ولا تسامى ، ولا يمكن عريبًا مقارنتها ولا معارضتها .

وهو في ذلك كله يعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صادقٌ بآرئ راشد ، ولكن مع
هذا لم يؤمن قلبه .

وفرق بين علم القلب وتصديقه . كما قررنا ذلك في شرح كتاب الإيمان من
صحيح البخارى .

وشاهد ذلك قوله تعالى : « الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ،
وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون » .

وقال تعالى في قوم فرعون : « وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم » وقال موسى

(١) كان من أقران ابن المبارك في السن والعلم ، ولد سنة ١١٥ ومات سنة ١٩١ . ونسب إلى
سينان إحدى قرى مرو . (٢) نسبة إلى بيكند ، بلدة بين بخارى وجيجون .

لفرعون : « لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا ربُّ السموات والأرض بصائر وإنى لأظنك يافرعون مشبوراً » .

وقول بعض السلف في قوله تعالى : « وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ » أنها نزلت في أبي طالب حيث كان ينهى الناس عن أذية رسول الله صلى الله عليه وسلم وينأى هو عما جاء به الرسول من الهدى ودين الحق .

فقد روى عن ابن عباس ، والقاسم بن مخيمرة ، وحبيب بن أبي ثابت ، وعطاء بن دينار ، ومحمد بن كعب ، وغيرهم ، ففيه نظر . والله أعلم .

والأظهرُ والله أعلم ، الرواية الأخرى عن ابن عباس ؛ وهم ينهون الناس عن محمد أن يؤمنوا به . وبهذا قال مجاهد وقتادة والضحاك وغير واحد . وهو اختيار ابن جرير . وتوجيهه : أن هذا الكلام سيق لتمام ذمِّ المشركين ، حيث كانوا يصدُّون الناس عن اتباعه ولا ينتفعون هم أيضاً به .

ولهذا قال : « وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعْ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ، وَإِنْ يَرَوْا كَلًّا آيَةً لَا يُؤْمِنُوا بِهَا ، حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ، وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلَكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ » .

وهذا اللفظ وهو قوله « وَهُمْ » يدلُّ على أن المراد بهذا جماعة ، وهم المذكورون في سياق الكلام وقوله : « وَإِنْ يُهْلَكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ » يدل على تمام الذم .

وأبو طالب لم يكن بهذه الثابتة ، بل كان يصدُّ الناس عن أذية رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بكل ما يقدر عليه من فعال ومقال ، ونفس ومال .

ولكن مع هذا لم يقدّر الله له الإيمان ، لئله تعالى فى ذلك من الحكمة العظيمة ،
والحجة القاطعة البالغة الدامغة التى يجب الإيمان بها والتسليم لها .
ولولا ما نهانا الله عنه من الاستغفار للمشركين ، لاستغفرنا لأبى طالب
وترجّنا عليه !

فصل

فى موت خديجة بنت خويلد

وذِكرُ شىء من فضائلها ومناقبها رضى الله عنها وأرضاها ، وجعل جنات الفردوس
منقلبها ومشواها . وقد فصل ذلك لا محالة بخبر الصادق المصدوق ، حيث بشرها ببیت فى
الجنة من قصَب لا صخب فيه ولا نصب .

قال يعقوب بن سفيان : حدثنا أبو صالح ، حدثنا الليث ، حدثنى عُقيل ، عن ابن
شهاب قال : قال عروة بن الزبير : وقد كانت خديجة توفيت قبل أن تفرض الصلاة .
ثم روى من وجه آخر عن الزهري أنه قال : توفيت خديجة بمكة قبل خروج رسول
الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، وقبل أن تفرض الصلاة .

وقال محمد بن إسحاق : ماتت خديجة وأبو طالب فى عام واحد .

وقال البيهقى : بلغنى أن خديجة توفيت بعد موت أبى طالب بثلاثة أيام . ذكره
عبدالله بن منده فى كتاب المعرفة ، وشيخنا أبو عبد الله الحافظ .

قال البيهقى : وزعم الواقدى أن خديجة وأبا طالب ماتا قبل الهجرة بثلاث سنين عام
خرجوا من الشعب ، وأن خديجة توفيت قبل أبى طالب بخمس وثلاثين ليلة .
قلت : مرادهم قبل أن تُفرض الصلوات الخمس ليلة الإسراء .

وكان الأنسبُ بنا أن نذكر وفاة أبي طالب وخديجة قبل الإسراء ، كما ذكره البيهقي وغير واحد ، ولكن أخرنا ذلك عن الإسراء لمقصد ستطلع عليه بعد ذلك ، فإن الكلام به ينتظم ويتسق الباب . كما تقف على ذلك إن شاء الله .

وقال البخارى : حدثنا قتيبة ، حدثنا محمد بن فضيل بن غزوان ، عن عمارة ، عن أبي زرعة ، عن أبي هريرة . قال : أتى جبرائيل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام ، أو طعام أو شراب ، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني ، وبشّرْها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب .

وقد رواه مسلم من حديث محمد بن فضيل به .

وقال البخارى : حدثنا مسدد ، حدثنا يحيى ، عن إسماعيل ، قال : قلت لعبد الله بن أبي أوفى : بشّر النبي صلى الله عليه وسلم خديجة ؟ قال : نعم ، بيت من قصب لا صخب فيه ولا نصب .

ورواه البخارى أيضا ومسلم من طرق عن إسماعيل بن أبي خالد به .

قال السهيلي : وإنما بشّرْها « بيت في الجنة من قصب » ، يعنى قصب اللؤلؤ ، لأنها حازت قصب السبق إلى الإيمان « لا صخب فيه ولا نصب » لأنها لم ترفع صوتها على النبي صلى الله عليه وسلم ولم تتعبه يوماً من الدهر ، فلم تصخب عليه يوماً ولا آذته أبداً .

وأخرجاه في الصحيحين ، من حديث هشام بن عروة عن أبيه ، عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : ما غرّت على امرأة للنبي صلى الله عليه وسلم ما غرّت على خديجة - وهلكت قبل أن يتزوجني - لما كنت أسمع به يذكرها .

وأمره الله أن يبشّرها بيت في الجنة من قصب ، وإن كان لِيَذْبَحِ الشاةَ فيُهْدَى في
خَلَائِلِهَا منها ما يَسْمَعُن .

لفظ البخارى .

وفي لفظ عن عائشة : ما غِرْتُ على امرأةٍ ما غِرْتُ على خديجة ، مِنْ كثرةِ ذِكْرِ
رسولِ الله صلى الله عليه وسلم إياها ، وتزوجني بعدها بثلاث سنين ، وأمره ربه ، أو
جبرائيل ، أن يبشّرها بيت في الجنة من قصب .

وفي لفظ له قالت : ما غِرْتُ على أحد من نساء النبي صلى الله عليه وسلم ما غِرْتُ على
خديجة ، وما رأيتها ، ولكن كان يُكْثِرُ ذِكْرُهَا ، وربما ذبح الشاةَ فيقطعها أعضاء ثم
يبيعها في صدائق خديجة ، فربما قلت : كأنه لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة ! فيقول :
« إنها كانت وكانت ، وكان لى منها ولد » .

ثم قال البخارى : حدثنا إسماعيل بن خليل ، أخبرنا على بن مُسْهِرٍ ، عن هشام بن
عروة ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : استأذنت هالة بنت خويلد أختُ خديجة
على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعرف استئذان خديجة ، فارتاع فقال :
اللهم هالة !

[قالت^(١)] فغِرْتُ قُلْتُ : ما تَذْكُرُ مِنْ عَجَازٍ قريش حمراء الشّدَقين
هَلِكْتَ في الدهر [قد^(١)] أبدلك الله خيراً منها .

وهكذا رواه مسلم ، عن سُويْد بن سعيد ، عن على بن مُسْهِرٍ به .

وهذا ظاهر في التقرير على أن عائشة خير من خديجة ، إما فضلاً وإما عشرةً ، إذ
لم يُنْكَرْ عليها ولا ردّ عليها ذلك ، كما هو ظاهر سياق البخارى رحمه الله .

ولكن قال الإمام أحمد : حدثنا مؤمل أبو عبد الرحمن ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن عبد الملك - هو ابن عمير - عن موسى بن طلحة ، عن عائشة قالت : ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً خديجة فأطنب في الثناء عليها ، فأدركني ما يدرك النساء من الغيرة ، فقلت : لقد أعقبك الله يا رسول الله من عجوزٍ من مجازٍ قريش حمراء الشدين .

قال : فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم تغيراً لم أراه تغير عند شيء قط إلا عند نزول الوحي أو عند الخيلة حتى يعلم رحمة أو عذابا .

وكذا رواه عن بهز بن أسد ، وعثمان بن مسلم ، كلاهما عن حماد بن سلمة ، عن عبد الملك بن عمير به .

وزاد بعد قوله : « حمراء الشدين » : « هلك في الدهر الأول » . قال : قالت : فتمعر وجهه تمعراً ما كنت أراه إلا عند نزول الوحي أو عند الخيلة حتى ينظر رحمة أو عذابا .

تفرد به أحمد . وهذا إسناد جيد .

وقال الإمام أحمد أيضاً : عن ابن إسحاق ، أخبرنا مجالد ، عن الشعبي ، عن مسروق ، عن عائشة قالت : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا ذكر خديجة أثني عليها بأحسن الثناء .

قالت : فغرت يوماً فقلت : ما أكثر ما تذكرها حمراء الشدين ، قد أبدلك الله خيراً منها .

قال : « ما أبدلني الله خيراً منها ، وقد آمنت بي إذ كفر بي الناس ، وصدقتني إذ كذبتني [الناس] ، وآستني بما لها إذ حرمني الناس ، ورزقني الله ولدها إذ حرمني أولاد النساء » .

تفرد به أحد أيضا . وإسناده لا بأس به . ومُجَالِد رَوَى له مسلم مُتَابِعَةً ، وفيه كلام مشهور . والله أعلم .

ولعل هذا، أعنى قوله : « ورزقني الله ولدها إذ حرمني أولاد النساء » كان قبل أن يولد إبراهيم بن النبي صلى الله عليه وسلم من مارية ، وقبل مَقْدَمِهَا بِالْكَلْبَةِ وهذا مُتَمِّين فإن جميع أولاد النبي صلى الله عليه وسلم ، كما تقدم وكما سيأتي ، من خديجة إلا إبراهيم ، فمن مارية القبطية المصرية رضى الله عنها .

وقد استدلل بهذا الحديث جماعة من أهل العلم على تفضيل خديجة على عائشة رضى الله عنها وأرضاها .

وتكلم آخرون في إسناده .

وتأولّه آخرون على أنها كانت خيراً عشرةً ، وهو محتمل أو ظاهر ، وسببه أن عائشة تمت بشبابها وحُسْنِهَا وَجَمِيلَ عَشْرَتِهَا ، وليس مرادها بقولها : « قد أبدلك الله خيراً منها » أنها تزوّج نفسها وتفضّلها على خديجة ، فإن هذا أمرٌ مَرَّجعه إلى الله عز وجل ، كما قال : « فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى^(١) » وقال تعالى : « ألم تر إلى الذين يزكّون أنفسهم ، بل الله يزكّي من يشاء^(٢) » الآية .

وهذه مسألة وقع النزاعُ فيها بين العلماء قديما وحديثا ، وبجانها طرقٌ يقتصر عليها أهل التشيع وغيرهم ، لا يعدلون بخديجة أحداً من النساء : لسلام الربّ عليها ، وكون ولدِ النبي صلى الله عليه وسلم جميعهم ، إلا إبراهيم ، منها ، وكونه لم يتزوج عليها حتى ماتت إكراماً لها وتقدير إسلامها ، وكونها من الصّدّيقات ، ولها مقامُ صِدْقٍ في أول البعثة ، وبذلت نفسها وما لها لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأما أهل السنة فهم من يفلو أيضاً ويثبت لكل واحدة منهما من الفضائل ما هو معروف ، ولكن تحمّلهم قوة التسنّن على تفضيل عائشة لكونها ابنة الصديق ، ولكونها أعلم من خديجة ، فإنه لم يكن في الأمم مثل عائشة في حفظها وعلمها وفصاحتها وعقلها ، ولم يكن الرسول يحب أحداً من نسائه كمحبته إياها ، ونزلت براءتها من فوق سبع سموات ، وروّت بعده عنه عليه السلام علماً جمّاً كثيراً طيباً مباركاً فيه ، حتى قد ذكر كثير من الناس الحديث المشهور « خذوا شطر دينكم عن الحميراء » .

والحق أن كلا منهما لها من الفضائل ما لو نظر الناظر فيه لبهره وحيره .
والأحسن التوقّف في ذلك إلى الله عز وجل .
ومن ظهر له دليل يقطع به ، أو يغلب على ظنه في هذا الباب ، فذاك الذي يجب عليه أن يقول بما عنده من العلم .
ومن حصل له توقف في هذه المسألة أو في غيرها ، فالطريق الأقوم والمسلوك الأسلم أن يقول : الله أعلم .

وقد روى الإمام أحمد والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي ، من طريق هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عبد الله بن جعفر ، عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خيرُ نساءها مريم بنت عمران ، وخير نساءها خديجة بنت خويلد » أى خير زمانهما .

وروى شعبة ، عن معاوية بن قرة ، عن أبيه قرة بن إياس ، رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا ثلاث : مريم بنت عمران ، وآسية امرأة فرعون ، وخديجة بنت خويلد ، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام » .

رواه ابن مردويه في تفسيره ، وهذا إسناد صحيح إلى شعبة وبعده .

قالوا : والقَدْر المشترك بين الثلاث نسوة ؛ آسية ومريم وخديجة ، أن كلاًّ منهن كَفَلَتْ نبياً مرسلًا ، وأحسنَت الصُّحبة في كفالتها وصدَّقته حين بُعث .
ومريم كفلت ولدها أئِمَّ كفالة وأعظمها وصدَّقته حين أرسل .
وخديجة رغبت في تزويج رسول الله صلى الله عليه وسلم بها وبذلت في ذلك أموالها ، كما تقدم ، وصدَّقته حين نزل عليه الوحي من الله عز وجل .

وقوله : « وفضلُ عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام » هو ثابت في الصحيحين من طريق شعبة أيضاً ، عن عمرو بن مُرَّة ، عن مرة الطيب الهمداني ، عن أبي موسى الأشعري ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كَمُلْ من الرجال كثير ، ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ، ومريم بنت عمران ، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام » والثريد هو الخبز واللحم جميعاً ، وهو أنفخ طعام العرب ، كما قال بعض الشعراء :

إذا ما أُلْخِزَ تَأَدِمَهُ بلَحْمٌ فذاك أمانةَ الله الثريدُ

ويحمل قوله : « وفضل عائشة على النساء » أن يكون محفوظاً فيعَم النساء المذكورات وغيرهن ، ويحتمل أن يكون عاماً فيما عداهن ويبقى الكلام فيها وفيهن موقوفاً يحتمل التسوية بينهما ، فيحتاج من رجح واحدة منهن على غيرها إلى دليل من خارج . والله أعلم .

فصل

فى تزويجه عليه السلام بعد خديجة رضى الله عنها بعائشة

بنت الصديق ، وسودة بنت زمعة رضى الله عنهما

والصحيح أن عائشة تزوجها أولاً كما سيأتى .

قال البخارى فى باب تزويج عائشة ، حدثنا مُعلّى بن أسد ، حدثنا وَهيب ، عن هشام ابن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لها : « أريتك فى المنام مرتين ، أرى أنك فى سرقة^(١) من حرير ، ويقول^(٢) : هذه امرأتك . فأكشف عنها فإذا هى أنت ، فأقول إن كان هذا^(٣) من عند الله يُخْضِه » .

قال البخارى : باب نكاح الأبكار . وقال ابن أبى مُليكة : قال ابن عباس لعائشة : لم ينكح النبى صلى الله عليه وسلم بكرةً غيرك .

حدثنا إسماعيل بن عبدالله ، حدثنى أخى ، عن سليمان بن بلال ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : قلت : يا رسول الله ، أرايت لو نزلت وادياً وفيه شجرة قد أكل منها ، ووجدت شجرة لم يؤكل منها ، فى أيها كنت تُرتع بعيرك؟ قال : « فى التى لم يُرتع منها » معنى أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يتزوج بكرةً غيرها . انفراد به البخارى .

ثم قال : حدثنا عبيد بن إسماعيل ، حدثنا أبو أسامة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة . قالت : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أريتك فى المنام فيجىء

(٢) أى جبريل . وفى رواية : ويقال .

(١) السرقة : القطعة .

(٣) البخارى : إن يك هذا .

بك الملك في سَرَقَة من حرير فقال لي هذه امرأتك ، فكشفت عن وجهك الثوب فإذا أنت هي ، فقلت : إن يكن هذا من عند الله يُمْنُبه .

وفي رواية : « أريتُك في المنام ثلاث ليال . »

وعند الترمذی أن جبریل جاءه بصورتها في خرقة من حرير خضراء فقال : هذه زوجتك في الدنيا والآخرة .

وقال البخاری : [باب] تزويج الصغار من الكبار ؛ حدثنا عبد الله بن يوسف ، حدثنا الليث عن يزيد ، عن عراك ، عن عروة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب عائشة إلى أبي بكر ، فقال له أبو بكر : إنما أنا أخوك . فقال : « أنت أخي في دين الله وكتابه ، وهي لي حلال . »

هذا الحديث ظاهر سياقه كأنه مُرْسَل ، وهو عند البخاری والمحققين مُتَّصِل ، لأنه من حديث عروة عن عائشة رضي الله عنها ، وهذا من أفراد البخاری رحمه الله .

وقال يونس بن بُكَيْر ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه . قال : تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشةَ بعد خديجة بثلاث سنين ، وعائشة يومئذ ابنة ست سنين ، وبَنَى بها وهي ابنة تسع ، ومات رسول الله صلى الله عليه وسلم وعائشة ابنة ثمانى عشرة سنة .

وهذا غريب .

وقد روى البخاری عن عبيد بن إسماعيل ، عن أبي أسامة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، قال : توفيت خديجة قبل نَحْرَج النبي صلى الله عليه وسلم بثلاث سنين ، فلبث سنين أو قريباً من ذلك ، ونكح عائشة وهي بنت ست سنين ، ثم بنى بها وهي بنت تسع سنين .

وهذا الذى قاله عروة مرسل فى ظاهر السياق كما قدمنا ، ولكنه فى حكم المتصل فى نفس الأمر .

وقوله : « تزوّجها وهى ابنة ست سنين ، وبني بها وهى ابنة تسع » مالا خلاف فيه بين الناس ، وقد ثبت فى الصحاح وغيرها .

وكان بناؤه بها عليه السلام فى السنة الثانية من الهجرة إلى المدينة .

وأما كَوْنُ تزويجها كان بعد موت خديجة بنحوٍ من ثلاث سنين ففيه نظر .

فإن يعقوب بن سفيان الحافظ قال : حدثنا الحجاج ، حدثنا حمّاد ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : تزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم متوفى خديجة قبل مخرجه من مكة وأنا ابنة سبع أو ست سنين ، فلما قدمنا المدينة جاءنى نسوة وأنا ألب فى أرجوحة وأنا مجّمة ، فهأنتى وصنّعتنى ثم أتىنى بى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم [فبئى بى] . وأنا ابنة تسع سنين .

فقوله فى هذا الحديث : « متوفى خديجة » . يقتضى أنه على أثر ذلك قريباً ، اللهم إلا أن يكون قد سقط من النسخة بعد متوفى خديجة ، فلا ينفى ما ذكره يونس بن بكير وأبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه . والله أعلم .

وقال البخارى : حدثنا فروة بن أبى المغراء ، حدثنا على بن مُسهر ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة . قالت : تزوجنى النبى صلى الله عليه وسلم وأنا بنت ست سنين ، فقدمنا المدينة فنزلنا فى بنى الحارث بن الخزرج ، فوعكت فتمزق شعرى وقد وفّت لى جُميمة ، فأتنى أمى أم رومان وإبنى لنى أرجوحة ومعى صواحب لى ، فصرخت بى فأتيتها ما أدرى ما تريد منى ، فأخذت بيدي حتى أوقفتنى على باب الدار ، وإبنى لأهّج حتى سكن بعضُ نفسى ، ثم أخذت شيئاً من ماء فمسّت به وجهى ورأسى ، ثم أدخلتنى

الدار . قال : فإذا نسوة من الأنصار في البيت ، فقلن : على الخير والبركة وعلى خير طائر . فأسلمتني إليهن فأصلحن من شأنى ، فلم يرعنى إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحى ، فأسلمتني إليه وأنا يومئذ بنت تسع سنين .

وقال الإمام أحمد في مسند عائشة أم المؤمنين : حدثنا محمد بن بشر ، حدثنا بشر ، حدثنا محمد بن عمرو [حدثنا] أبو سلمة ويحيى ، قالوا : لما هلكت خديجة جاءت خولة بنت حكيم امرأة عثمان بن مظعون فقالت : يا رسول الله ألا تزوج ؟ قال : من ؟ قالت : إن شئت بكراً ، وإن شئت ثيباً .

قال : فمن البكر ؟ قالت أحب خلق الله إليك عائشة ابنة أبي بكر .

قال : ومن الثيب ؟ قالت سودة بنت زمعة ، قد آمنت بك واتبعتك . قال : فاذهي فاذكريهما على .

فدخلت بيت أبي بكر فقالت : يا أم رومان ماذا أدخل الله عليك من الخير والبركة ! قالت : وما ذاك ؟ قالت : أرسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم أخطب عليه عائشة ، قالت : انظري أبا بكر حتى يأتى .

فجاء أبو بكر فقلت : يا أبا بكر ماذا أدخل الله عليكم من الخير والبركة ! قال : وما ذاك ؟ قالت : أرسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم أخطب عليه عائشة . قال : وهل تصلح له ؟ إنما هي ابنة أخيه .

فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له قال : « ارجعى إليه فقولى له : أنا أخوك وأنت أختى في الإسلام وابنتك تصلح لى » .

فرجعت فذكرت ذلك له قال : انتظرى ، وخرج . قالت أم رومان : إن مطعم بن عدى قد ذكرها على ابنه ، والله ما وعد أبو بكر وعداً قط فأخلفه .

فدخل أبو بكر على مطعم بن عدى وعنده امرأته أم الصبي . فقالت : يا ابن أبي قحافة لعلك مُصْنِيءٌ صاحبنا تَدْخُلُه في دينك الذى أنت عليه إن تزوّج إليك ؟ ! فقال أبو بكر للمطعم بن عدى أَقُولَ هذه تقول ؟ [قال : ^(١)] إنها تقول ذلك . فخرج من عنده وقد أذهب الله ما كان في نفسه من عِدَّتِه التى وعده .

فرجع فقال لخولة : ادعى لى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فدعته فزوجها إياه ، وعائشة يومئذ بنت ست سنين .

ثم خرجت فدخلت على سودة بنت زمعة فقالت : ما أدخل الله عليك من الخير والبركة ؟ ! قالت : وما ذاك ؟ قالت : أرسلنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أخطبك إليه . قالت : وددتُ ، ادخلنى إلى أبى بكر فاذا كرى ذلك له ، وكان شيخاً كبيراً قد أدركه السن قد تحلف عن الحج ، فدخلت عليه فخيته بتحية الجاهلية ، فقال : من هذه ؟ قالت : خولة بنت حكيم . قال : فما شأنك ؟ قالت : أرسلنى محمد بن عبد الله أخطب عليه سودة . فقال : كفء كريم ، ما تقول صاحبك ؟ قالت : تحب ذلك . قال : ادعها إلى . فدعها . قال : أى بُنية ، إن هذه تزعم أن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب قد أرسل يخطبك ، وهو كفء كريم ، أتخبين أن أزوجك به ؟ قالت : نعم . قال : ادعها لى .

فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجها إياه .

فجاء أخوها عبد بن زمعة من الحج ، فجاء يَحْنِى على رأسه التراب . فقال بعد أن أسلم : لعمرُك إنى لسفيه يوم أخنى فى رأسى التراب أن تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم سودة بنت زمعة !

قالت عائشة : فقدمنا المدينة فزلنا فى بنى الحارث بن الخزرج فى السُّنْح .

قالت : فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل بيتنا واجتمع إليه رجال من الأنصار

ونساء ، فجاءتني أمي وإني لفي أرجوحة بين عذقين يرجح بي ، فأنزلتني من الأرجوحة
ولي جُميمة ففرقتها ومسحت وجهي بشيء من ماء ، ثم أقبلت تقودني حتى وقفت بي
عند الباب ، وإني لأنهج حتى سكن من نفسي ، ثم دخلت بي فإذا رسول الله صلى الله
عليه وسلم جالس على سرير في بيتنا وعنده رجال ونساء من الأنصار ، فأجلستني في
حجره ثم قالت : هؤلاء أهلك ، فبارك الله لك فيهم ، وبارك لهم فيك . فوثب الرجال
والنساء فخرجوا ، وبني بي رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتنا مانحرت على جزور ،
ولا ذبحت على شاة ، حتى أرسل إلينا سعد بن عبادَة بجَفنة كان يرسل بها إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم إذا دار إلى نسائه . وأنا يومئذ ابنة تسع سنين .

وهذا السياق كأنه مُرسل ، وهو متصل .

لما رواه البيهقي من طريق أحمد بن عبد الجبار ، حدثنا عبد الله بن إدريس الأزدی ،
عن محمد بن عمرو ، عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب ، قال : قالت عائشة : لما مات
خديجة جاءت خولة بنت حكيم فقالت : يا رسول الله ألا تزوج ؟ قال : ومن ؟ قالت :
إن شئت بكرة وإن شئت ثيباً . قال : من البكر ومن الثيب ؟ قالت : أما البكر
فابنة أحب خلق الله إليك ، وأما الثيب فسودة بنت زمعة ، قد آمنت بك واتبعك .
قال فاذكريهما على .

وذكر تمام الحديث نحو ما تقدم .

وهذا يقتضى أن عقده على عائشة كان متقدما على تزويجه بسودة بنت زمعة .
ولسكن دخوله على سودة كان بمكة ، وأما دخوله على عائشة فتأخر إلى المدينة في
السنة الثانية كما تقدم وكما سيأتى .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أسود ، حدثنا شريك ، عن هشام ، عن أبيه ، عن عائشة

قالت : لما كبرت سودة وهبت يومها لى ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم لى بيومها مع نسائه . قالت : وكانت أول امرأة تزوجها بعدى .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو النضر ، حدثنا عبد الحميد ، حدثنى شهر ، حدثنى عبد الله بن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب امرأة من قومه يقال لها سودة وكانت مُصْبِيَّة ، كان لها خمس صبية أوست من بعائها مات : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما يمنعك منى ؟ » قالت : والله يابى الله ما يمنعنى منك أن لا تكون أحب البرية لى ، ولكنى أكرمك أن يمنعوا هؤلاء الصبية عند رأسك بكرة وعشية . قال : فهل منعك منى غير ذلك ؟ قالت : لا والله . قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : يرحمك الله ! إن خير نساء ركبى أعجاز الإبل ؛ صالح ؟ نساء قریش ، أجنأه لى ولد فى صغره ، وأرعاه لى بعل بذات يده .

قلت : وكان زوجها قبله عليه السلام السكران بن عمرو أخو سهيل بن عمرو ، وكان ممن أسلم وهاجر إلى الحبشة كما تقدم ، ثم رجع إلى مكة فمات بها قبل الهجرة رضى الله عنه .

هذه السياقات كلها دالة على أن العقد على عائشة كان متقدما على العقد بسودة ، وهو قول عبد الله بن محمد بن عقيل . ورواه يونس عن الزهرى .

واختار ابن عبد البر أن العقد على سودة قبل عائشة ، وحكاها عن قتادة وأبى عبيد . قال : ورواه عقيل عن الزهرى .

فصل

قد تقدم ذكر موت أبي طالب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنه كان ناصراً له وقائماً في صفه ومدافعاً عنه بكل ما يقدر عليه من نفس ومال ومقال وفعال .

فلما مات اجتراً سفهاء قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم ونالوا منه ما لم يكونوا يصلون إليه ولا يقدرون عليه .

كما قد رواه البيهقي ، عن الحاكم ، عن الأصم ، حدثنا محمد بن إسحاق الصنعاني ، حدثنا يوسف بن بهلول ، حدثنا عبد الله بن إدريس ، حدثنا محمد بن إسحاق ، عن حدثه ، عن عروة بن الزبير ، عن عبد الله بن جعفر قال : لما مات أبو طالب عرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم سفيه من سفهاء قريش فألقى عليه تراباً ، فرجع إلى بيته فأتت امرأة من بناته تمسح عن وجهه التراب وتبكي ، فجعل يقول : « أي بنية لا تبكي ، فإن الله مانع أباك » .

ويقول ما بين ذلك : « مانالت قريش شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب ثم شرعوا » .

وقد رواه زياد البكائي ، عن محمد بن إسحاق ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه مرسلًا . والله أعلم .

وروى البيهقي أيضاً عن الحاكم وغيره ، عن الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبار ، عن يونس بن بكير ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مازالت قريش كاعين^(١) حتى مات أبو طالب » .

(١) كاعين : جنباء

ثم رواه عن الحاكم ، عن الأصم ، عن عباس الدؤرى ، عن يحيى بن مَعِين ، حدثنا عقبة الجدر ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « مازالت قريش كاعّة حتى توفي أبو طالب .

وقد روى الحافظ أبو الفرج ابن الجوزى بسنده عن ثعلبة بن صُقَيْر^(١) وحكيم بن حزام ، أنهما قالا : لما توفي أبو طالب وخديجة ، وكان بينهما خمسة أيام ، اجتمع على رسول الله صلى الله عليه وسلم مصيبتان ، ولزم بيته وأقلّ الخروج ، ونالت منه قريش ما لم تكن تنال ولا تطعم فيه .

فبلغ ذلك أبا لهب فجاء فقال : يا محمد امضِ لما أردت ، وما كنت صانعاً إذ كان أبو طالب حياً فاصنعه ، لا واللّات لا يُوصَل إليك حتى أموت .
وسبّ ابنُ الغَيْطَلَة رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فأقبل إليه أبو لهب فقال منه ، فوالى يصيح : يامعشر قريش صبا أبو عتبة . فأقبلت قريش حتى وقفوا على أبي لهب فقال : ما فارقتُ دينَ عبدِ المطلب . ولكنى أ منع ابنَ أخى أن يُضامَ حتى يمضى لما يريد .

فقالوا : لقد أحسنت وأنجّلت ووصلت الرحم .
فمكث رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك أياما يأتى ويذهب لا يعرض له أحد من قريش ، وهابوا أبا لهب ، إذ جاء عقبة بن أبى مُعَيْط وأبو جهل إلى أبى لهب فقالا له : أخبرك ابنُ أخيك أين مُدْخَلُ أبيك ؟
فقال له أبو لهب : يا محمد أين مدخل عبد المطلب ؟ قال : مع قومه . فخرج إليهما فقال : قد سألته فقال : مع قومه .
فقالا : يزعم أنه في النار !

(١) الأصل : صغير . وهو تحريف . وما أثبتته من الوفا لابن الجوزى ٢١٠ .

فقال : يا محمد أيدخل عبد المطلب النار ؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ومن مات على مامات عليه عبد المطلب دخل النار .

فقال أبو لهب - لعنه الله - : والله لا برحت لك إلا عدوا ^(١) أبداً وأنت تزعم أن عبد المطلب في النار .

واشتد عند ذلك أبو لهب وسائر قريش عليه .

قال ابن إسحاق : وكان نفر الذين يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته : أبو لهب ، والحكم بن أبي العاص بن أمية ، وعقبة بن أبي معيط ، وعدى بن الحمراء ، وابن الأصداء الهذلي .

وكانوا جيرانه ، لم يُسلم منهم أحد إلا الحكم بن أبي العاص . وكان أحدهم ، فيما ذكر لي ، يطرح عليه رحم الشاة وهو يصلي ، وكان أحدهم يطرحها في برمته إذا نصبت له ، حتى اتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم حجراً يستتر به منهم إذا صلى ، فكان إذا طرحوا شيئاً من ذلك يحمله على عود ثم يقف به على بابه ثم يقول : يا بني عبد مناف أي جوار هذا ؟ ! ثم يلقيه في الطريق .

قلت : وعندي أن غالب ما روى مما تقدم - من طرّحهم سلا الجزور بين كتفيه وهو يصلي ، كما رواه ابن مسعود ، وفيه أن فاطمة جاءت فطرحته عنه وأقبلت عليهم فشتمتهم ، ثم لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا على سبعة منهم كما تقدم . وكذلك ما أخبر به عبد الله بن عمرو بن العاص من خنقهم له عليه السلام خنقاً شديداً ،

(١) ابن الجوزي : لا برحت لك عدوا ، وهي كذلك في طبقات ابن سعد .

حتى حال دونه أبو بكر الصديق قائلاً : أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله ! وكذلك عزم أبي جهل ، لعنه الله ، على أن يطاء على عنقه وهو يصلي فخيل بينه وبين ذلك ، وما أشبه ذلك - كان بعد وفاة أبي طالب والله أعلم . فذكرها ههنا أنسب وأشبه .

فصل^٦

في ذهابه عليه السلام إلى أهل الطائف يدعوهم إلى الله تعالى ، وإلى نصرته دينه ، فردوا عليه ذلك ولم يقبلوا ، فرجع عنهم إلى مكة

قال ابن إسحاق : فلما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأذى ما لم تكن نالته منه في حياة عمه أبي طالب .

فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف يلتمس من ثقيف النصرة والمنعة بهم من قومه ، ورجا أن يقبلوا منه ما جاءهم به من الله تعالى .

فخرج إليهم وحده .

فحدثني يزيد بن أبي زياد ، عن محمد بن كعب القرظي ، قال : انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف ، وعمد إلى نفر من ثقيف وهم سادة ثقيف وأشرفهم وهم إخوة ثلاثة : عبد ياليل ، ومسعود ، وحبيب ، بنو عمرو بن عمير بن عوف بن عقدة بن غيرة ابن عوف بن ثقيف . وعند أحدهم امرأة من قريش من بني جُمَح .

فجلس إليهم فدعاهم إلى الله وكلهم لما جاءهم له من نصرته على الإسلام والقيام معه على من خالفه من قومه ، فقال أحدهم : هو يَمْرُط ثياب الكعبة إن كان الله أرسلك . وقال الآخر : أما وجد الله أحداً أرسله غيرك ؟ وقال الثالث : والله لا أكلمك أبداً لأن كنت رسولاً من الله كما تقول لأنك أعظم خطراً من أن أرد عليك الكلام ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغي لي أن أكلمك .

فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من عندهم وقد يؤس من خير ثقيف ، وقد قال لهم ، فيما ذكر لي ، إذ فعلتم ما فعلتم فاكتموا عليّ . وكره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبلغ قومَه عنه فيذُثّرهم ذلك عليه .

فلم يفعلوا ، وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبُّونه ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس وأجأوه إلى حائط لعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وهما فيه ، ورجع عنه من سفهاء ثقيف من كان يتبعه .

فعمد إلى ظل حُبلة^(١) من عنب فجلس فيه ، وابنا ربيعة ينظران إليه ويريان ما يلقى من سفهاء أهل الطائف .

وقد لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما ذكر لي ، المرأة التي من بني جمح ، فقال لها : ماذا لقينا من أمّحائك !

فلما اطمأن قال فيما ذكر : « اللهم إليك أشكو ضَعْفَ قوَّتِي وهواني على الناس ، يا أرحم الراحمين ، أنت ربُّ المستضعفين ، وأنت ربي ، إلى من تكلّني ، إلى بعيدٍ يتجهّمني ، أم إلى عدوٍ ملّكته أمري ؟! إن لم يكن بك غضبٌ عليّ فلا أبالي ، ولكن عافيتك هي أوسع لي .

أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات ، وصَلِّحْ عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تُنزل بي غضبك أو تُحِلَّ عليّ سخطك ، لك العُتْبَى حتى ترضى ، لا حول ولا قوة إلا بك » .

قال : فلما رآه ابنا ربيعة عتبة وشيبة وما لقي تحركت له رِجْهُمَا ، فدعّوا غلاماً لهما نصرانياً يقال له عَدَّاس [وقالاه] خذ قطعاً من هذا العنب فضعه في هذا الطبق ، ثم اذهب به إلى ذلك الرجل فقل له يأكل منه .

(١) الحبلّة : الكرمة .

فَفَعَلَ عَدَّاسٌ، ثُمَّ ذَهَبَ بِهِ حَتَّى وَضَعَهُ بَيْنَ يَدَي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ قَالَ لَهُ كُلْ .

فَلَمَّا وَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَهُ فِيهِ قَالَ : « بِسْمِ اللَّهِ » ثُمَّ أَكَلَ ، ثُمَّ نَظَرَ عَدَّاسٌ فِي وَجْهِهِ ، ثُمَّ قَالَ : وَاللَّهِ إِنْ هَذَا الْكَلَامُ مَا يَقُولُهُ أَهْلُ هَذِهِ الْبِلَادِ . فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : وَمَنْ أَهْلُ أَى بِلَادٍ أَنْتَ يَا عَدَّاسُ وَمَا دِينُكَ ؟ قَالَ : نَصْرَانِي وَأَنَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ نَيْنَوَى .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مِنْ قَرْيَةِ الرَّجُلِ الصَّالِحِ يُونُسَ بْنِ مَتَّى ؟

فَقَالَ لَهُ عَدَّاسٌ : وَمَا يَدْرِيكَ مَا يُونُسَ بْنِ مَتَّى ؟

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ذَلِكَ أَخِي كَانَ نَبِيًّا وَأَنَا نَبِيٌّ .

فَأَكَبَّ عَدَّاسٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْبَلُ رَأْسَهُ وَيَدِيهِ وَقَدَمِيهِ .

قَالَ : يَقُولُ ابْنَا رَبِيعَةَ أَحَدُهُمَا لَصَاحِبِهِ : أَمَّا غَلَامُكَ فَقَدْ أَفْسَدَهُ عَلَيْكَ .

فَلَمَّا جَاءَ عَدَّاسٌ قَالَا لَهُ : وَيْلَكَ يَا عَدَّاسُ ! مَا لَكَ تَقْبَلُ رَأْسَ هَذَا الرَّجُلِ

وَيَدِيهِ وَقَدَمِيهِ ؟

قَالَ : يَا سَيِّدِي مَا فِي الْأَرْضِ شَيْءٌ خَيْرٌ مِنْ هَذَا ، لَقَدْ أَخْبَرَنِي بِأَمْرِ مَا يَعْلَمُهُ إِلَّا نَبِيٌّ .

قَالَا لَهُ : وَيْحَكَ يَا عَدَّاسُ لَا يَصْرَفُكَ عَنْ دِينِكَ ، فَإِنْ دِينُكَ خَيْرٌ مِنْ دِينِهِ .

وَقَدْ ذَكَرَ مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ نَحْوًا مِنْ هَذَا السِّيَاقِ ، إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَذْكُرِ الدَّعَاءَ وَزَادَ :

وَقَعْدَ لَهُ أَهْلُ الطَّائِفِ صَقَّيْنِ عَلَى طَرِيقِهِ ، فَلَمَّا مَرَّ جَعَلُوا لَا يَرِفَعُ رَجْلِيهِ وَلَا يَضَعُهُمَا إِلَّا رَضَخَوْهَا بِالْحِجَارَةِ حَتَّى أَدْمَوْهُ ، فَخَلَّصَ مِنْهُمْ وَهَمَا يَسِيلَانِ الدَّمَاءَ ، فَعَمِدَ إِلَى ظِلِّ نَخْلَةٍ

وهو مكروب ، وفي ذلك الحائط عُتْبَة وشَيْبَة ابنا ربيعة فكره مكانهما لعداوتهما
الله ورسوله .

ثم ذكر قصة عَدَّاس النصراني ، كنعو ماتقدم .

وقد روى الإمام أحمد ، عن أبي بكر ابن أبي شَيْبَة ، حدثنا مروان بن معاوية
الفزاري ، عن عبد الله بن عبد الرحمن الطائفي ، عن عبد الرحمن بن خالد بن أبي جبل
العدواني ، عن أبيه ، أنه أبصر رسول الله صلى الله عليه وسلم في مَشْرِق ثَقِيف وهو
قائم على قوس أو عصي ، حين أتاهم يبتغي عندهم النصر ، فسمعتة يقول : « والسماء
والطارق » حتى ختمها .

قال : فوعيتها في الجاهلية وأنا مشرك ، ثم قرأتها في الإسلام . قال : فدعنتي ثقيف
فقالوا : ماذا سمعت من هذا الرجل ؟ فقرأتها عليهم ، فقال من معهم من قريش : نحن
أعلم بصاحبنا ، لو كنا نعلم ما يقول حقاً لاتبعناه .

وثبت في الصحيحين ، من طريق عبد الله بن وهب ، أخبرني يونس بن يزيد ،
عن ابن شهاب قال : أخبرني عروة بن الزبير ، أن عائشة حدثته أنها قالت لرسول الله
صلى الله عليه وسلم : هل أتى عليك يوم كان أشدَّ عليك من يوم أحد ؟

قال : « ما لقيتُ من قومك كان أشدَّ منه يومُ العقبة ، إذ عَرَضْتُ نفسي على ابن
عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجنني إلى ما أردت ، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم
أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب ، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلمتني ، فنظرت فإذا
فيها جبريل عليه السلام ، فناداني فقال : إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردُّوا
عليك ، وقد بعث لك ملكَ الجبال ، لتأمره بما شئتَ فيهم .

ثم ناداني ملك الجبال فسلم على ثم قال : يا محمد قد بعثني الله ، إن الله قد سمع قول

قومك لك ، وأنا ملك الجبال قد بعثني إليك ربك لتأمرني ماشئت ، إن شئت تطبق عليهم الأخشبين ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله لا يشرك به شيئا » .

فصل^٦

وقد ذكر محمد بن اسحاق سماع الجن لقراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك مرّجعه من الطائف حين بات بنخلة وصلى بأصحابه الصبح ، فاستمع الجن الذين صُرفوا اليه قراءته هنالك .

قال ابن إسحاق : وكانوا سبعة نفر ، وأنزل الله تعالى فيهم قوله : « وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن » .

قلت : وقد تكلمنا على ذلك مستقصى في التفسير ، وتقدم قطعة من ذلك ، والله أعلم .

ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة مرّجعه من الطائف في جوار المطعم بن عدى ، وازداد قومه عليه حنقاً وغيظاً وجرأة وتكديبا وعناداً . والله المستعان وعليه التكلان .

وقد ذكر الأموي في مغازيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أريقط إلى الأخنس بن شريق ، فطلب منه أن يحيره بمكة ، فقال : إن حليف قريش لا يجير على صميمها .

ثم بعثه إلى سُهَيْل بن عمرو ليحيره فقال : إن بني عامر بن لؤى لا تجير على بني كعب بن لؤى .

فبعثه إلى المطعم بن عديّ ليجيره فقال : نعم ، قل له فليأت .

فذهب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فبات عنده تلك الليلة ، فلما أصبح خرج معه هو وبنوه ستة أو سبعة ، متقلدّى السيوف جميعاً ، فدخلوا المسجد وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : طُفّ . واحتبّوا بحمائل سيوفهم في المطاف .

فأقبل أبو سفيان إلى مطعم فقال : أمجيزٌ أو تابع ؟ قال : لا بل مجير .
قال : إذا لا تُخفّر .

فجلس معه حتى قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم طوافه ، فلما انصرف انصرفوا معه . وذهب أبو سفيان إلى مجلسه .

قال : فكث أياماً ثم أذن له في الهجرة .

فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة توفي مطعم بن عدي بعده
يسير ، فقال حسان بن ثابت : والله لأرثينه . فقال فيما قال :

فلو كان مجدّدٌ مَخْلَدَ اليومِ واحداً من الناسِ نَحَى مجْدُهُ اليومَ مُطْعِماً
أجرتَ رسولَ الله منهم فأصبحوا عبادك مالِئِي مُحِلٌّ وأحرماً
فلو سُئِلت عنه مَعَدٌّ بأَسْرِها وقحطانُ أو باقى بَقِيَةِ جُرْها
لقالوا : هو المُوَفِّي بِخَفَرَةِ جارِه وذمّتِ يوماً إذا ما تجشّما
وما تَطْلُعُ الشمسُ المنيرةُ فوقَهم على مثله فيهم أعزٌّ وأكرمّا
إباء إذا يَأْبَى وألين شِمةً وأنومُ عن جارٍ إذا الليلُ أظلمّا

قلت : ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم يوم أسارى بدر : « لو كان المطعم بن عدي حياً ثم سألتني في هؤلاء النتنى ^(١) لوهبتهم له » .

(١) المطبوعة : النقباء . وهو تحريف شنيع أعان عليه كتابتها في الأصل بالألف بلا نقط والرواية كما في الوفا والمواهب : ثم كلمني في هؤلاء النتنى لأطلقهم له . وسماهم نتنى لكفرهم . كما في النهاية .

فصل

في عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه الكريمة على أحياء العرب
في مواسم الحج أن يؤووه وينصروه ويمنعوه من كذبه وخالفه ،
فلم يجبه أحد منهم لما ذكره الله تعالى للأنصار
من الكرامة العظيمة رضى الله عنهم

قال ابن إسحاق : ثم قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ، وقومه أشد ما كانوا
عليه من خلافه وفراق دينه ، إلا قليلا مستضعفين من آمن به .

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه في المواسم ، إذا كانت ، على
قبائل العرب يدعواهم إلى الله عز وجل ، ويخبرهم أنه نبي مرسل ، ويسألهم أن يصدّقوه
ويمنعوه حتى يبين عن الله مابعثه به .

قال ابن إسحاق : فحدثني من أصحابنا من لا أتهم ، عن زيد بن أسلم ، عن ربيعة
بن عباد الدؤلي^(١) ، ومن حدثه أبو الزناد عنه ، وحدثني حسين بن عبد الله بن عبيد
الله بن عباس قال : سمعت ربيعة بن عباد يحدثه أبي ، قال : إني لسلام شاب مع أبي
بمعي ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقف على منازل القبائل من العرب فيقول :
« يا بني فلان إني رسول الله إليكم ، أمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ، وأن
تخلعوا ما تعبدون من دونه من هذه الأنداد ، وأن تؤمنوا بي وتصدّقوا بي ، وتمنعوني
حتى أبين عن الله مابعثني به » .

(١) ويقال فيه الديلي .

قال : وخلفه رجل أحول وضىء له غدیرتان ، عليه حُلَّةٌ عَدَنِيَّةٌ ، فإذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله وما دعا إليه ، قال ذلك الرجل : يا بني فلان إن هذا إنما يدعوكم إلى أن تَسْلُخُوا اللات والعزى من أعناقكم وحلفاءكم من الجن من بنى مالك بن أقيش ، إلى ما جاء به من البدعة والضلالة فلا تطيعوه ولا تسمعوا منه .

قال : فقلت لأبي : يَأْبَتُ من هذا الرجل الذى يَتَّبِعُهُ ويردُّ عليه ما يقول ؟
قال : هذا عمه عبد العزى بن عبد المطلب أبو لهب .

وقد روى الإمام أحمد هذا الحديث ، عن إبراهيم بن أبي العباس ، حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد ، عن أبيه أخبرنى رجل يقال له ربيعة بن عباد من بنى الدَّيْلِ ، وكان جاهلياً فأسلم ، قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الجاهلية فى سوق ذى الحِجَاز وهو يقول : « يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تَفْلَحُوا » والناس مجتمعون عليه ، ووراءه رجل وضىء الوجه أحول ذو غدیرتين يقول : إنه صابىء كاذب . يتبعه حيث ذهب . فسألت عنه فقالوا : هذا عمه أبو لهب .

ورواه البيهقى ، من طريق محمد بن عبد الله الأنصارى ، عن محمد بن عمرو ، عن محمد ابن المنكدر ، عن ربيعة الدَّيْلِي : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بسوق ذى الحِجَاز يتبع الناس فى منازلهم يدعوهم إلى الله ، ووراءه رجل أحول تَقْد وَجَنَتَاه وهو يقول : أيها الناس لا يَغَرِّبَنَّكُمْ هذا عن دينكم ودين آبائكم . قلت : من هذا ؟ قالوا هذا أبو لهب .

وكذا رواه أبو نُعَيْم فى الدلائل من طريق ابن أبي ذئب وسعيد بن سلمة بن أبى الحُسام ، كلاهما عن محمد بن المنكدر به نحوه .

* ثم رواه البيهقى من طريق شعبة ، عن الأشعث بن سليم ، عن رجل من كنانة

قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بسوق ذى المجاز وهو يقول : « يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا » وإذا رجل خلفه يسنفي عليه التراب ، فإذا هو أبو جهل وهو يقول : يا أيها الناس لا يغيرنكم هذا عن دينكم ، فإنما يريد أن تتركوا عبادة اللات والعزى .

كذا قال في هذا السياق : « أبو جهل » وقد يكون وهماً ، ويحتمل أن يكون تارة يكون ذا وتارة يكون ذا ، وأنهما كانا يتناوبان على إيذائه صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : وحدثني ابن شهاب الزهري أنه عليه السلام أتى كِنْدَةَ في منازلهم وفيهم سيد لهم يقال له مُلَيْح ، فدعاهم إلى الله عز وجل وعرض عليهم نفسه فأبوا عليه .

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن عبد الرحمن بن [عبد الله بن] ^(١) حصين أنه أتى كَلْبًا في منازلهم إلى بطن منهم يقال لهم بنو عبد الله ، فدعاهم إلى الله وعرض عليهم نفسه ، حتى إنه ليقول : « يا بني عبد الله إن الله قد أحسن اسمَ أبيكم » فلم يقبلوا منه ماعرض عليهم .

وحدثني بعض أصحابنا عن عبد الله بن كعب بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بني حنيفة في منازلهم ، فدعاهم إلى الله وعرض عليهم نفسه فلم يك أحد من العرب أقبح ردًّا عليه منهم .

وحدثني الزهري أنه أتى بني عامر بن صَفْصَعة ، فدعاهم إلى الله وعرض عليهم نفسه . فقال له رجل منهم يقال له بَيْحَرَة ^(٢) بن فراس : والله لو أتى أخذت هذا الفتى

(١) من ابن هشام . (٢) الأصل بحيرة . وما أثبتته من ابن هشام والروض الأتف .

من قريش لأكلت به العرب ، ثم قال له : أرأيتَ إن نحن تابعنك على أمرك ، ثم أظهركَ الله على من يخالفك أ يكون لنا الأمر من بعدك ؟
قال : « الأمر لله يضعه حيث يشاء » .

قال : فقال له : أفنهذف نحورنا للعرب دونك ، فإذا أظهركَ الله كان الأمر لغيرنا !
لا حاجة لنا بأمرك . فأبوا عليه .

فلما صدر الناس رجعت بنو عامر إلى شيخ لهم قد كان أدركه السن حتى لا يقدر أن يوافي معهم المواسم ، فكانوا إذا رجعوا إليه حدثوه بما يكون في ذلك الموسم ، فلما قدموا عليه ذلك العام سألهم عما كان في موسمهم ، فقالوا : جاءنا فتى من قريش ، ثم أخذ بنى عبد المطلب ، يزعم أنه نبيٌّ يدعونا إلى أن نمنعه ونقوم معه ونخرج به إلى بلادنا .

قال : فوضع الشيخ يده على رأسه ثم قال : يا بنى عامر هل لها من تلافٍ ؟ هل لذنابها من مطلب ؟ والذى نفس فلان بيده ماتتوها إسماعيليُّ قط ، وإنها لحقٌّ ، فأين رأيكم كان عنكم !

وقال موسى بن عقبة عن الزهرى : فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في تلك السنين يمرض نفسه على قبائل العرب في كل موسم ، ويكلم كلَّ شريف قومٍ ، لا يسألهم مع ذلك إلا أن يؤثروه ويمنعوه ، ويقول : « لا أكره أحداً منكم على شيء ، من رضى منكم بالذى أدعوه إليه فذلك ، ومن كرهه لم أكرهه ، إنما أريد أن تحزرونى فيما يرادى من القتل حتى أبلغ رسالة ربى ، وحتى يقضى الله لى ولين صحبى بما شاء .
فلم يقبله أحد منهم ، وما يأتى أحداً من تلك القبائل إلا قال : قومُ الرجل أعلم به ، أتروز أن رجلاً يصلحنا وقد أفسد قومَه ولفظوه !

وكان ذلك مما ذخره الله للأنصار وأكرمهم به .

وقد روى الحافظ أبو نعيم من طريق عبد الله بن الأجلح ويحيى بن سعيد الأموى ، كلاهما عن محمد بن السائب الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، عن العباس . قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لأرى لى عندك ولا عند أخيك منعة ، فهل أنت تُخرجى إلى السوق غداً حتى نقرّ فى منازل قبائل الناس » وكانت تجتمع العرب .

قال : فقلت : هذه كِنْدَةٌ ولُقْها ، وهى أفضل من يحج البيت من اليمن ، وهذه منازل بكر بن وائل ، وهذه منازل بنى عامر بن صعصعة ، فاختر لنفسك .

قال : فبدأ بكندة فاتاهم فقال : ممن القوم ؟ قالوا : من أهل اليمن . قال : من أى اليمن ؟ قالوا : من كندة . قال : من أى كندة ؟ قالوا : من بنى عمرو بن معاوية .

قال : فهل لكم إلى خير ؟ قالوا : وما هو ؟

قال : « تشهدون أن لا إله إلا الله وتقيمون الصلاة وتؤمنون بما جاء من عند الله » .

قال عبد الله بن الأجلح : وحدثنى أبى عن أشياخ قومه ، أن كندة قالت له : إن ظفرتَ تجعل لنا الملكَ من بعدك ؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الملك لله يجعله حيث يشاء » .

فقالوا : لا حاجة لنا فيما جئتنا به .

وقال الكلبي : فقالوا : أجئتنا لتصدّنا عن آلهتنا ونناخذ العرب ؛ الحقّ بقومك فلا حاجة لنا بك .

فانصرف من عندهم فأتى بكر بن وائل فقال : ممن القوم ؟ قالوا : من بكر بن وائل . فقال : من أى بكر بن وائل ؟ قالوا : من بنى قيس بن ثعلبة . قال : كيف العدد ؟ قالوا : كثير مثل الثرى .

قال : فكيف المنعة ؟ قالوا : لامنعة ، جاورنا فارس ، فنحن لامتنع منهم ولا نجير عليهم .

قال : « فتجملون الله عليكم إن هو أبقاكم حتى تنزلوا منازلهم ، وتستنكحوا نساءهم ، وتستعبدوا أبناءهم أن تسبّحوا الله ثلاثا وثلاثين ، وتحمدوه ثلاثا وثلاثين ، وتكبروه أربعاً وثلاثين ؟ » .

قالوا : ومن أنت ؟

قال : أنا رسول الله . ثم انطلق .

فلما ولى عنهم ، قال الكلبي : وكان عمه أبو لهب يتبعه ، فيقول للناس لا تقبلوا قوله . ثم مر أبو لهب فقالوا : هل تعرف هذا الرجل ؟ قال : نعم ، هذا فى الذروة منا ، فعن أى شأنه تسألون ؟ فأخبروه بما دعاهم إليه وقالوا : زعم أنه رسول الله .

قال : ألا لاترفعوا برأسه قولاً ، فإنه مجنون يهذى من أم رأسه .

قالوا : قد رأينا ذلك حين ذكر من أمر فارس ماذا ؟ !

قال الكلبي : فأخبرني عبد الرحمن العامري ^(١) ، عن أشياخ من قومه قالوا : أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن بسوق عكاظ ، فقال : ممن القوم ؟ قلنا :

(١) الأصل : المايرى . وما أثبتته من دلائل النبوة لأبى نعيم ٢٤٣ .

من بنى عامر بن صعصعة . قال : من أى بنى عامر بن صعصعة ؟ قالوا ^(١) : بنو كعب بن ربيعة . قال كيف المنعة [فيكم] ^(٢) ؟ قلنا : لا يرام ما قبلنا ، ولا يصطلى بنارنا . قال : فقال لهم : إني رسول الله ، وآتيكم لتمنعوني حتى أبلغ رسالة ربي ، ولا أكره أحداً منكم على شيء .

قالوا : ومن أى قریش أنت ؟ قال : من بنى عبد المطلب . قالوا : فأين أنت من عبد مناف ؟ قال : هم أول من كذبني وطردي .

قالوا : ولكننا لا نطردك ولا نؤمن بك ، وسنمنعك حتى تبلغ رسالة ربك .

قال : فنزل إليهم والقوم يتسوقون ، إذ أتاهم بئجرة ^(٣) بن فراس القشيري ، فقال : من هذا الرجل أراه عندكم أنكره ؟

قالوا : محمد بن عبد الله القرشي . قال : فما لكم وله ؟

قالوا : زعم لنا أنه رسول الله فطلب إلينا أن نمنعه حتى يبلغ رسالة ربه .

قال : ماذا رددتكم عليه ؟

قالوا : بالترحيب والسعة ، نخرجك إلى بلادنا ونمنعك ما نمنع به أنفسنا .

قال بئجرة ^(٣) : ما أعلم أحداً من أهل هذه السوق يرجع بشيء أشد من شيء نرجعون به ، بدائم ^(٤) لتنابدوا الناس وترميكم العرب عن قوس واحدة ، قومه أعلم به ، لو آتسوا منه خيراً لكانوا أسعد الناس به ، أتعمدون إني زهيق قد طرده قومه وكذبوه فتؤوونه وتنصرونه ؟ فبئس الرأي رأيتم .

(١) الدلائل : قلنا (٢) من الدلائل . (٣) الأصل : بئجرة . وما أثبتته عن ابن هشام والسهيلي والنضري . (٤) المطبوعة : بدائم . وهو تحريف وما أثبتته من الدلائل .

ثم أقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : قم فالحق بقومك ، فوالله لولا أنك عند قومي لضربت عنقك .

قال : فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ناقته فركبها ، ففمر الخبيثُ بيحرة شاكلتها فقصت برسول الله صلى الله عليه وسلم قائلته .

وعند بنى عامر يومئذ ضباغة ابنة عامر بن قرط ، كانت من النسوة اللاتي أسلن مع رسول الله بمكة ، جاءت زائرة إلى بنى عمها ، فقالت : يا آل عامر ، ولا عامر لي ! أيصنع هذا برسول الله بين أظهركم لا يمنعه أحد منكم !

فقام ثلاثة من بنى عمها إلى بيحرة واثنين أعاناه ، فأخذ كل رجل منهم رجلاً فجلد به الأرض ثم جلس على صدره ، ثم علّوا وجوههم لطمًا .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم بارك على هؤلاء والعن هؤلاء » .

قال : فأسلم الثلاثة الذين نصرّوه وقتلوا شهداء ، وهم : غطيف^(١) وغطفان ابنا سهل ، وعروة ، أو عذرة بن عبد الله بن سلمة . رضى الله عنهم .

وقد روى هذا الحديث بتمامه الحافظ سعيد بن يحيى بن سعيد الأموى فى مغازيه ، عن أبيه به .

وهلك الآخرون وهم ؛ بيحرة بن فراس ، وحزن بن عبد الله بن سلمة بن قشير ، ومعاوية بن عباد أحد بنى عقيل ، لعنهم الله لعناً كثيراً .

وهذا أثر غريب كتبناه لغرابته . والله أعلم .

وقد روى أبو نعيم له شاهداً من حديث كعب بن مالك رضى الله عنه ، في قصة عامر ابن صعصعة وقبيح ردّهم عليه .

وأغربُ من ذلك وأطولُ مارواه أبو نعيم والحاكم والبيهقي ، والسيق لأبي نعيم رحمهم الله ، من حديث أبان بن عبد الله البجلي ، عن أبان بن تغلب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، حدثني علي بن أبي طالب ؛ قال :

لما أمر الله رسوله أن يعرض نفسه على قبائل العرب ، خرج وأنا معه وأبو بكر إلى منى ، حتى دَفَعْنَا إلى مجلس من مجالس العرب .

فتقدم أبو بكر رضى الله عنه فسلم ، وكان أبو بكر مقدماً في كل خير ، وكان رجلاً نَسَابَةً ، فقال : ممن القوم ؟ قالوا : من ربيعة .

قال : وأى ربيعة أنتم أمن هَامِهَا أم لَهَا زِمَهَا ؟ قالوا : بل من هَامِهَا العظمى .

قال أبو بكر : فمن أى هَامَتِهَا العظمى ؟ فقال : ذَهْلُ الأَكْبَرِ .

قال لهم أبو بكر : منكم عوف الذى كان يقال : لا حَرَّ بوادى عَوْف ؟ قالوا : لا .

قال : فننكم بسطام بن قيس أبو اللواء^(١) ومنتهى الأحياء ؟ قالوا : لا . قال : فننكم الحَوْفَزَانُ بن شَرِيك قاتل الملوك وسالباها أنفسها ؟ قالوا : لا .

قال : فننكم جَسَّاس بن مُرَّة بن ذُهْل ، حامى الذُّمَار ومَانع الجَار ؟ قالوا : لا .

قال : فممنكم المَزْدَلَف صاحب العامة الفردة ؟ قالوا : لا .

قال : فأنتم أخوال الملوك من كِنْدَةَ ؟ قالوا : لا .

قال : فأنتم أصهار الملوك من نَحْم ؟ قالوا : لا .

قال لهم أبو بكر رضى الله عنه : فلستم بذُهْل الأَكْبَرِ ، بل أنتم ذَهْل الأصغر .

(١) دلائل النبوة لأبي نعيم : أبو الملوك .

قال: فوثب إليه منهم غلام يدعى دَغْفَل بن حنظلة الذهلي ، حين بَقَلَ وجهه ، فأخذ بزمام ناقة أبي بكر وهو يقول :

إن على سائلنا أن نَسْأله والعبد لا تعرفه أو نَحْمَلَه

يا هذا إنك سألتنا فأخبرناك ولم نكتفك شيئاً ، ونحن نريد أن نسألك ، فمن أنت ؟
قال : رجل من قريش .

فقال الغلام : بنح بنح : أهل السؤدد والرئاسة ، قادمة العرب وهاديها ^(١) فمن أنت من قريش ؟ فقال له : رجل من بني تيم بن مُرَّة . فقال له الغلام : أمكنت والله الراحم من سواء الثغرة ! أفضنكم قصي بن كلاب الذي قتل بمكة المتغلبين عليها ، وأجلى بقيتهم وجمع قومه من كل أوب حتى أوطنهم مكة ، ثم استولى على الدار وأنزل قريشا منازلها ، فسمته العرب بذلك مُجْعَمًا ، وفيه يقول الشاعر :

أليس أبوكم كان يُدعى مُجْعَمًا به جمع الله القبائل من قُهرٍ .
فقال أبو بكر : لا .

قال : فمنكم عبد مناف الذي انتهت إليه الوصايا وأبو الغطاريف السادة ؟ فقال أبو بكر : لا .

قال : فمنكم عمرو بن عبد مناف هاشم ، الذي هشم الثريد لقومه ولأهل مكة ، ففيه يقول الشاعر :

عمرو العُلا هشم الثريد لقومه ورجال مكة مُسننون عجافُ
سنوا إليه الرحلتين كليهما عند الشتاء ورحلة الأضيافِ
كانت قريشُ بيضةً فتفَلقت فالبحُ خالصةٌ لعبدِ مناف

(١) الدلائل : أزمة العرب وهداتها .

الرَّائِشِينَ وَلَيْسَ يُعْرِفُ رَأْسُ^١ وَالْقَائِلِينَ هَلُمَّ لِلْأَضْيَافِ
وَالضَّارِبِينَ الْكَبِشَ يَبْرُقُ بَيْضُهُ وَالْمَانِعِينَ الْبَيْضَ بِالْأَسْيَافِ
لَهُ دَرَكٌ لَوْ نَزَلَتْ بِدَارِهِمْ مَنَعُوكَ مِنْ أَرْزُلٍ وَمِنْ إِقْرَافٍ^(١)
فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : لَا .

قال : فَمَنْكُمْ عَبْدُ الْمَطْبِ شَيْبَةُ الْحَمْدِ ، وَصَاحِبُ عَيْرِ مَكَّةَ ، وَمُطْعَمُ طَيْرِ السَّمَاءِ
وَالْوَحُوشِ وَالسَّبَاعِ فِي الْفَلَاحِ ، الَّذِي كَأَنَّ وَجْهَهُ قَمَرٌ يَتَلَأَلُ فِي اللَّيْلَةِ الظُّلُمَاءِ ؟ قال : لَا .
قال : أَفَمِنْ أَهْلِ الْإِفَاضَةِ أَنْتَ ؟ قال : لَا . قال : أَفَمِنْ أَهْلِ الْحِجَابَةِ أَنْتَ ؟ قال : لَا .
قال : أَفَمِنْ أَهْلِ النَّدْوَةِ أَنْتَ ؟ قال : لَا . قال : أَفَمِنْ أَهْلِ السَّقَايَةِ أَنْتَ ؟ قال : لَا .
قال : أَفَمِنْ أَهْلِ الرَّفَادَةِ أَنْتَ ؟ قال : لَا .
قال : فَمِنْ الْمُفِيزِينَ أَنْتَ ؟ قال : لَا .

ثمَّ جَذَبَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ زِمَامَ نَاقَتِهِ مِنْ يَدِهِ ، فَقَالَ لَهُ الْغَلَامُ :
صَادَفَ دَرًّا السَّيْلَ دَرًّا يَدْفَعُهُ يَهِيضُهُ حِينًا وَحِينًا يَرْفَعُهُ^(٢)
ثمَّ قَالَ : أَمَّا وَاللَّهِ يَا أَخَا قُرَيْشٍ لَوْ ثَبَتَ لَخَبَرْتُكَ أَنَّكَ مِنْ زَمَعَاتِ قُرَيْشٍ وَلَسْتَ
مِنَ الذَّوَائِبِ .

قال : فَأَقْبَلَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَبَسَّمُ ، قَالَ عَلِيٌّ : فَقُلْتُ لَهُ : يَا أَبَا بَكْرٍ
لَقَدْ وَقَعْتَ مِنَ الْأَعْرَابِ عَلَى بَاقِعَةٍ^(٣) : فَقَالَ : أَجَلُ يَا أَبَا الْحَسَنِ ، إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ طَائِمَةٍ
إِلَّا وَفَوْقَهَا طَائِمَةٌ ، وَالْبَلَاءُ مُوَكَّلٌ بِالْقَوْلِ .

(١) الْأَرْزُلُ : الضِّيقُ وَالشَّدَّةُ . وَالْإِقْرَافُ : التَّهْمَةُ .

(٢) الدَّلَائِلُ : صَادَفَ دَرًّا السَّيْلَ سَيْلًا يَدْفَعُهُ يَهِيضُهُ حِينًا وَحِينًا يَصْدَعُهُ

(٣) الْبَاقِعَةُ : الرَّجُلُ الدَّاهِيَةُ .

قال : ثم انتهينا إلى مجلس عليه السكينة والوقار ، وإذا مشايخ لهم أقدار وهيئات ، فتقدم أبو بكر فسلم . قال علي : وكان أبو بكر مقدماً في كل خير .

فقال لهم أبو بكر : ممن القوم ؟ قالوا من بنى شيبان بن ثعلبة ، فالتفت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : بأبي أنت وأمي ليس بعد هؤلاء من عزّ في قومهم . وفي رواية : ليس وراء هؤلاء عذر من قومهم ، وهؤلاء غرّ في قومهم ، وهؤلاء غرر الناس . وكان في القوم مفروق بن عمرو ، وهاني بن قبيصة ، والمثنى بن حارثة ، والنعمان بن شريك .

وكان أقرب القوم إلى أبي بكر مفروق بن عمرو ، وكان مفروق بن عمرو قد غلب عليهم بيانا ولسانا ، وكانت له غدirtان تسقطان على صدره ، فكان أدنى القوم مجلسا من أبي بكر .

فقال له أبو بكر : كيف العدد فيكم ؟ فقال له : إنا لنزيد على ألف ، ولن نغاب ألف من قلة .

فقال له : فكيف المنعة فيكم ؟ فقال : علينا الجهد ولكل قوم جدّ .

فقال أبو بكر : فكيف الحرب بينكم وبين عدوكم ؟

فقال مفروق : إنا أشدّ مانكون لقاء حين نغضب ، وإنا لنؤثر الجياد على الأولاد ، والسلاح على اللقاح ، والنصر من عند الله ، يُدبِلنا مرةً ويُدبِل علينا [مرة] ^(١) ، لعلك أخو قريش ؟

فقال أبو بكر : إن كان بلغكم أنه رسول الله فهذا هو هذا .

فقال مفروق : قد بلغنا أنه يدّكر ذلك .

ثم التفت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم [فقال : إلام تدعو يا أخا قريش ؟ ^(١)]
فتقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم [فجلس وقام أبو بكر يُظله بثوبه فقال صلى الله
عليه وسلم : « أدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأناى رسول الله ،
وأن تُؤوؤنى وتنصرونى حتى أؤدّى عن الله الذى أمرنى به ، فإن قريشا قد تظاهرت
على أمر الله ، وكذّبت رسوله ، واستغنت بالباطل عن الحق ، والله هو الغنى الحميد » .
قال له : وإلام ماتدعو أيضا يا أخا قريش ؟

فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم « قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ : أَلَا
تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا » إلى قوله « ذَلِكَُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ » .
فقال له مفروق : وإلام ماتدعو أيضا يا أخا قريش ؟ فوالله ما هذا من كلام أهل
الأرض ، ولو كان من كلامهم لعرفناه .

فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنْ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِى
الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغَى ، يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ » .
فقال له مفروق : دعوتَ والله يا أخا قريش إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال ،
ولقد أفكّ قومٌ كذّبوك وظاهروا عليك .

وكانه أحبّ أن يشركه فى الكلام هانىء بن قبيصة فقال : وهذا هانىء بن قبيصة
شيخنا وصاحب ديننا .

فقال له هانىء : قد سمعتُ مقاتلك يا أخا قريش وصدّقت قولك ، وإنى أرى أن
تتركنا ديننا واتباعنا إياك على دينك لجلس جلسته إلينا ليس له أول ولا آخر ، لم
تفكر فى أمرك وننظر فى عاقبة ما تدعو إليه ، زلّة فى الرأى ، وطيشة فى العقل ،

(١) سقطت من الأصل ، وأثبتها من دلائل النبوة .

وقلةُ نظر في العاقبة ، وإنما تكون الزلة مع العجلة ، وإنَّ من ورائنا قوماً نكُفُّه أن نَعْقِدَ عليهم عَقْداً . ولكن ترجعُ وترجع وتُنْظَر وتُنْظَر .

وكأنه أحب أن يَشْرَكَه في الكلام المثنى بن حارثة فقال : وهذا المثنى شيخنا وصاحب حربنا .

فقال المثنى : قد سمعتُ مقاتلك واستحسنيت قولك يا أخا قريش ، وأعجبني ماتكلمت به ، والجواب هو جوابُ هاني بن قبيصة ، وترَكُّنا ديننا واتباعنا إياك لمجلس جلسته إلينا ، وإنما نزلنا بين صَرَّيْن أحدهما اليمامة ، والآخر السماوة ^(١) .

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : وما هذان الصريان ؟
فقال له : أما أحدهما فطفوف البر وأرض العرب ، وأما الآخر فأرض فارس وأنهار كسرى ، وإنما نزلنا على عهدٍ أخذَه علينا كسرى أن لا تُحْدِث حدثاً ، ولا تُؤْوِي مُحْدِثاً . ولعل هذا الأمر الذي تدعوننا إليه مما تكبره الملوك ، فأما ما كان مما يلي بلاد العرب فذنبُ صاحبه مغفور ، وعذره مقبول ، وأما ما كان [مما] يلي بلاد فارس فذنبُ صاحبه غير مغفور ، وعذره غير مقبول . فإن أردت أن ننصرَكَ ونمنعَكَ مما يلي العرب فَعَلْنَا .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أسأتم الردَّ إذ أفصحتُم بالصدق ، إنه لا يقوم بدين الله إلا من حاطه من جميع جوانبه .

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أرأيتم إن لم تلبثوا إلا يسيراً حتى يمنحكم الله بلادهم وأموالهم ويُفَرِّشَكُم بناتهم ، أنسَبِحون الله وتقدسونه ؟

فقال له النعمان بن شريك : اللهم وإن ذلك لك يا أخا قريش !
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً » .

(١) اللسان ١٩/١٩٢ : « وإنما نزلنا الصريين اليمامة والسماوة هما تشبة صرى .. وهو كل ماء مجتمع »

ثم نهض رسول الله صلى الله عليه وسلم قابضاً على يدي أبي بكر .
قال علي : ثم التفت إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا علي أية أخلاق
للعرب كانت في الجاهلية ، ما أشرفها ! بها يتحاجزون في الحياة الدنيا .
قال : ثم دفعنا إلى مجلس الأوس والخزرج ، فما نهضنا حتى بايعوا النبي صلى الله
عليه وسلم .

قال علي : وكانوا صدقاء صُبراء ، فسرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم من معرفة
أبي بكر رضى الله عنه بأنسابهم .

قال : فلم يلبث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا يسيراً حتى خرج إلى أصحابه
فقال لهم : « احمدا الله كثيراً ، فقد ظفرت اليوم أبناء ربيعة بأهل فارس ، قتلوا
ملوكهم وأستباحوا عسكرهم وبى نصروا » . قال : وكانت الواقعة بقرقر إلى جنب ذى قار ،
وفيها يقول الأعشى :

فدَّى لبنى ذُهل بن شيبانَ ناقتي وراكبُها عند اللقاءِ وقلَّتِ
همُ ضربوا بالخنوِ خنوقَ قرقرٍ ^(١) مقدمةَ الهامُرِ حتى تولَّتِ
فله عينا من رأى من فوارسٍ كذُهل بن شيبانٍ بها حينَ ولَّتِ
فصاروا وثُرنا والمودةُ بيننا وكانت علينا غمرةٌ فتجلَّتِ

هذا حديث غريب جداً ، كتبناه لما فيه من دلائل النبوة ومحاسن الأخلاق
ومكارم الشيم وفصاحة العرب .

وقد ورد هذا من طريق أخرى ، وفيه أنهم لما تحاربوا هم وفارس والتقوا معهم
بقرقر ، مكان قريب من الفرات ، جعلوا شعارهم اسمَ محمد صلى الله عليه وسلم فنصروا
على فارس بذلك ، وقد دخلوا بعد ذلك في الإسلام .

(١) الخنو : كل منعرج وكل شيء فيه اعوجاج . ويوم اخنو من أيام العرب .

وقال الواقدي : أخبرنا عبد الله بن واثبة العبسي ، عن أبيه ، عن جده قال :
جاءنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في منازلنا بمنى ، ونحن نازلون بإزاء الجمره الأولى التي
تلى مسجد أخيف وهو على راحلته مردفا خلفه زيد بن حارثة ، فدعانا فوالله ما استجبنا
له ولا خير لنا .

قال : وقد كنا سمعنا به وبدعائه في المواسم ، فوقف علينا يدعوننا فلم نستجب له وكان
معنا ميسرة بن مسروق العبسي ، فقال لنا : أحلف بالله لو قد صدقنا هذا الرجل وحملناه
حتى نحلّ به وسط بلادنا لكان الرأي ، فأخلف بالله ليظهرن أمره حتى يبلغ
كلّ مَبْلَغ .

فقال القوم : دَعْنَا مِنْكَ لَا تَعْرِضْنَا لِمَا لَا قِبَلَ لَنَا بِهِ .

وطمع رسول الله صلى الله عليه وسلم في ميسرة ، فكلمه ، فقال ميسرة : ما أحسن
كلامك وأنوره ، ولكن قومي يخالفونني ، وإنما الرجل بقومه ، فاذا لم يعضدوه
فالعدي أبعد .

فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج القوم صادرين إلى أهلهم . فقال
لهم ميسرة : ميلوا نأتي فذلك فإن بها يهوداً نساؤهم عن هذا الرجل . فقالوا إلى يهود
فأخرجوا سفراً لهم فوضعوه ثم درسوا ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم النبي الأمي
العربي يركب الحمار ويحتزئ بالكسرة ، ليس بالطويل ولا بالقصير ولا بالجعد ولا
بالسبط ، في عينيه حمرة ، مشرق اللون . فإن كان هو الذي دعاكم فأجيبوه وادخلوا في
دينه ، فإننا نحسده ولا نتبعه ، وإنا [منه] في مواطن بلاء عظيم ولا يبقى أحد من العرب
إلا اتبعه وإلا قاتله فكونوا ممن يتبعه .

فقال ميسرة : يا قوم ألا [إن] هذا الأمر بين .

فقال القوم : نرجع إلى الموسم ونلقاه فرجعوا إلى بلادهم وأبى ذلك عليهم رجالهم ، فلم يتبعه أحد منهم .

فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة مهاجرا وحجَّ حجة الوداع لقاه ميسرة فعرفه . فقال : يا رسول الله والله ما زلتُ حريصا على اتباعك من يوم أنحتَ بنا حتى كان ما كان ، وأبى الله إلا ماترى من تأخر إسلامي ، وقد مات عامة النفر الذين كانوا معي ، فأين مذخلهم يا رسول الله ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كل من مات على غير دين الإسلام فهو في النار .

فقال : الحمد لله الذي أنقذني . فأسلم وحسن إسلامه ، وكان له عند أبي بكر مكان .

وقد استقصى الإمام محمد بن عمر الواقدي فقص [خبر] القبائل واحدة واحدة فذكر عرضه عليه السلام نفسه على بنى عامر وعَسَّانَ وبنى فزارة وبنى مُرَّة وبنى حنيفة وبنى سُليم وبنى عبس وبنى نَضْر بن هوازن ، وبنى ثعابة بن عُكابة ، وكندة وكعب وبنى الحارث بن كعب وبنى عُذرة وقيس بن الخطيم وغيرهم .

وسياق أخبارها مطولة ، وقد ذكرنا من ذلك طرفا صالحا والله الحمد والمنة .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أسود بن عامر ، أخبرنا إسرائيل ، عن عثمان ، يعني ابن المغيرة ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن جابر بن عبد الله قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على الناس بأنوقف ^(١) ، فيقول : « هل مِنْ رجلٍ يحماني إلى قومه فإن قريشا قد منعوني أن أبلغ كلامَ ربِّي عز وجل ؟ » .

(١) أى موقف الناس بعرفة .

فأتاه رجل من همدان فقال : ممن أنت ؟ قال الرجل : من همدان . قال : فهل
عند قومك من مَنعة ؟ قال : نعم !

ثم إن الرجل خشي أن يخفّره قومه ، فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :
آتيهم فأخبرهم ثم آتيك من عامٍ قابل . قال نعم .

فانطلق ، وجاء وفد الأنصار في رجب .

وقد رواه أهل السنن الأربعة من طرق ، عن إسرائيل به ، وقال الترمذى :

حسن صحيح .

فصلٌ

[في] قدوم وفد الأنصار عاماً بعد عام حتى بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة بعد بيعة ، ثم بعد ذلك تحول إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة فنزل بين أظهرهم كما سيأتي بيانه وتفصيله إن شاء الله وبه الثقة .

حديث سُويْد بن صامت الأنصاري

وهو سُويْد بن الصامت بن عطية بن حوط بن حبيب بن عمرو بن عوف بن مالك ابن الأوس وأمه ليلى بنت عمرو النجارية أخت سلمى بنت عمرو أم عبد المطلب بن هاشم . فسُويْد هذا ابن خالة عبد المطلب جد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال محمد بن إسحاق بن يسار : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك من أمره ، كلما اجتمع الناس بالموسم أتاهم يدعو القبائل إلى الله وإلى الإسلام ، ويُعرض عليهم نفسه وما جاء به من الهدى والرحمة ، ولا يسمع بقادم يُقدِّم مسكة من العرب له اسم وشرف إلا تصدَّى له ودعاه إلى الله تعالى ، وعرض عليه ما عنده .

قال ابن إسحاق : حدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن أشياخ من قومه . قالوا : قدم سُويْد بن الصامت أخو بني عمرو بن عوف مكة حاجاً أو معتمراً ، وكان سُويْد إنما يسميه قومه فيهم الكامل لجلده وشعره وشرفه ونسبه ، وهو الذي يقول :

أَلَا رَبَّ مَنْ تَدْعُو صَدِيقًا وَلَوْ تَرَى مَقَالَتَهُ بِالْغَيْبِ سَاءَ مَا يَفْرَى
مَقَالَتُهُ كَالشَّهَادَةِ مَا كَانَ شَاهِدًا وَبِالْغَيْبِ مَأْثُورٌ عَلَى ثَغْرِ النَّحْرِ
يَسْرُكُ بِأَدْيِهِ وَتَحْتَ أَدِيمِهِ تَمِيمَةٌ غَشِيَتْ تَبْتَرِي عَقِبَ الظَّهِيرِ

تُبَيِّنُ لَكَ الْعَيْنَانِ مَا هُوَ كَاتَمٌ مِنْ الْغِلِّ وَالْبَغْضَاءِ بِالنَّظَرِ الشَّرِّ
فَرِشْنِي بِخَيْرٍ طَالَمَا قَدْ بَرَيْتَنِي وَخَيْرُ الْمَوَالِي مَنْ يَرِيشُ وَلَا يَبْرِي

قال : فتصدى له رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سمع به ، فدعاه إلى الله والإسلام ، فقال له سويد : فاعل الذي معك مثل الذي معي .

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : وما الذي معك ؟ قال مجالة لقمان . يعنى حكمة لقمان .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اعرضها عليّ . فعرضها عليه ، فقال : « إن هذا الكلام حسن ، والذي معي أفضل من هذا ؛ قرآن أنزله الله عليّ هو هدى ونور » .
فتلا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن ودعاه إلى الإسلام ، فلم يبعد منه وقال : إن هذا القول حسن .

ثم انصرف عنه فقدم المدينة على قومه فلم يلبث أن قتله الخزرج ، فإن كان رجالاً من قومه ليقولون : إنا لراه قُتل وهو مسلم . وكان قتله قبل بُعث .

وقد رواه البيهقي ، عن الحاكم ، عن الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبار ، عن يونس بن بُكير ، عن ابن إسحاق بأخصر من هذا .

إسلام إياس بن معاذ

قال ابن إسحاق : وحدثني الحَصِين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ ، عن محمود بن لَبِيد قال : لما قدم أبو الحَيْسَر أنس بن رافع مكة ، ومعه فتية من بني عبد الأشهل ، فيهم إياس بن معاذ يلتمسون الحلف من قريش على قومهم من الخزرج ،

— سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاهم فجلس إليهم فقال : « هل لكم في خير مما جئتم له » ؟ قال قالوا : وما ذاك ؟

قال : أنا رسول الله إلى العباد ، أدعوهم إلى أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئا ، وأنزل علي الكتاب . ثم ذكر لهم الإسلام وتلا عليهم القرآن .

قال : فقال إياس بن معاذ ، وكان غلاما حدثا : يا قوم هذا والله خير مما جئتم له .

فأخذ أبو الحخير أنس بن رافع حفنة من تراب البطحاء فضرب بها وجه إياس بن معاذ وقال : دعنا منك ، فلعمري لقد جئنا لغير هذا .

قال : فصمت إياس ، وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم ، وانصرفوا إلى مدينة وكانت وقعة بعث بين الأوس والخزرج .

قال ثم لم يلبث إياس بن معاذ أن هلك .

// قال محمود بن لبيد : فأخبرني من حضرني من قومه أنهم لم يزالوا يسمعون يهلل الله ويكبره ويحمده ويسبحه حتى مات ، فما كانوا يشكون أنه قد مات مساء ، لقد كان استشعر الإسلام في ذلك المجلس حين سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما سمع .

قات : كان يوم بعث ، وبعث موضع بالمدينة ، كانت فيه وقعة عظيمة قتل فيها خلق من أشراف الأوس والخزرج وكبرائهم ، ولم يبق من شيوخهم إلا القليل .

وقد روى البخاري في صحيحه ، عن عبيد بن إسماعيل ، عن أبي أمامة ، عن هشام ، عن أبيه عن عائشة قالت : كان يوم بعث يوماً قدّمه الله لرسوله ، قدّم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وقد افترق ملأهم وقتل سرائهم .

باب

بدء إسلام الأنصار رضى الله عنهم

قال ابن إسحاق : فلما أراد الله إظهار دينه وإعزاز نبيه ، وإنجاز موعده له ، خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في الموسم الذي لقيه فيه النفر من الأنصار ، فعرض نفسه على قبائل العرب كما كان يصنع في كل موسم .

فبينما هو عند العقبة لقي رهطاً من الخزرج أراد الله بهم خيراً .

فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن أشياخ من قومه . قالوا : لما لقيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم : « من أنتم ؟ » . قالوا : نفر من الخزرج قال : أمن موالى يهود ؟ قالوا : نعم .

قال : أفلا تجلسون أكلكم ؟ . قالوا : بلى .

فجلسوا معه فدعاهم إلى الله وعرض عليهم الإسلام ، وتلا عليهم القرآن .

قال : وكان مما صنع الله بهم في الإسلام أن يهود كانوا معهم في بلادهم ، وكانوا أهل كتاب وعلم ، وكانوا هم أهل شرك أصحاب أوثان ، وكانوا قد غزوه في بلادهم ، فكانوا إذا كان بينهم شيء قالوا : إن نبياً مبعوث الآن قد أظلم زمانه تتبعه ، نفتلكم معه قتل عاد وإرم .

فلما كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أولئك النفر ودعاهم إلى الله ، قال بعضهم لبعض يا قوم تعلمون والله إنه النبي الذي توعدكم به يهود ، فلا يسبقنكم إليه .

فأجابوه فيما دعاهم إليه ، بأن صدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام وقلو

إنّا قد تركنا قومنا ولا قومَ بينهم من العداوة والشر ما بينهم ، وعسى أن يجمعهم الله بك ، فسندّم عليهم فندعوهم إلى أمرك ونعرض عليهم الذى أجبتك إليه من هذا الدين ، فإن يجمعهم الله عليك فلا رجلَ أعز منك . ثم انصرفوا راجعين إلى بلادهم قد آمنوا وصدقوا .

قال ابن إسحاق : وهم فيما ذكر لى ستة نفر كلهم من الخزرج ، وهم : أبو أمامة أسعد بن زرارة بن عُدس بن عُبَيْد بن ثعلبة بن غَنَم بن مالك بن النجار .

قال أبو نعيم : وقد قيل إنه أول من أسلم من الأنصار من الخزرج .

ومن الأوس : أبو الهيثم بن التَّيَّهَان ، وقيل إن أول من أسلم رافع بن مالك ، ومعاذ ابن عفراء والله أعلم .

وعوف بن الحارث بن رفاعة بن سَوَاد بن مالك بن غَنَم بن مالك بن النجار ، وهو ابن عفراء ، النَجَّاريان ، ورافع بن مالك بن العَجَلان بن عمرو بن زُرَيْق الزُرُق . وقُطَيْبة بن عامر بن حَدِيدَة بن عمرو بن غَنَم بن سَوَاد بن غَنَم بن كعب بن سلمة بن سعد بن على بن أسد بن ساردة بن يزيد ^(١) بن جُشَم بن الخزرج السلمي ، ثم من بنى سواد ، وعُقبة بن عامر بن نابى بن زيد بن حرام بن كعب بن سلمة السلمي أيضاً ، ثم من بنى حَرَام . وجابر بن عبد الله بن رِثَاب بن النعمان بن سِنَان بن عُبَيْد بن عدى ابن غَنَم بن كعب بن سلمة السلمي أيضاً ، ثم من بنى عُبَيْد رضى الله عنهم .

وهكذا روى عن الشَّعْبِي والزهرى وغيرهما أنهم كانوا ليلئذ ستة نفر من الخزرج .

وذكر موسى بن عقبة فيما رواه عن الزهرى وعروة بن الزبير أن أول اجتماعه عليه

السلام بهم كانوا ثمانية وهم : مُعَاذ بن عفراء ، وأسعد بن زُرارة ، ورافع بن مالك ،

(١) ابن هشام : يزيد بالتاء .

وَذَكْوَان ، وهو ابن عبد قيس ، وعبادة بن الصامت ، وأبو عبد الرحمن يزيد بن ثعلبة ، وأبو الهيثم بن التيهان ، وعُوَيْم بن ساعدة . فأسلّموا وواعدوه إلى قابل .
 فرجعوا إلى قومهم فدعّوهم إلى الإسلام ، وأرسلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ بن عفراء ورافع بن مالك أن ابعث إلينا رجلاً يفقهنا .
 فبعث إليهم مُصْعَب بن عُمَيْر فنزل على أسعد بن زُرارة .
 وذكر تمام القصة كما سيوردها ابن إسحاق أتم من سياق موسى بن عقبة .
 والله أعلم .

قال ابن إسحاق : فلما قدّموا المدينة إلى قومهم ذكروا لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعّوهم إلى الإسلام ، حتى فشا فيهم فلم تَبَقْ دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حتى إذا كلن العام المقبل وافى الموسم من الأنصار اثنا عشر رجلاً وهم : أبو أمية أسعد بن زُرارة المتقدم ذكره ، وعوف بن الحارث المتقدم ، وأخوه معاذ وهما ابنا عفراء ، ورافع بن مالك المتقدم أيضاً . وَذَكْوَان بن عبد قيس بن خَلْدَة بن مُخَلَّد بن عامر ابن زُرَيْق الزُرْقِي . قال ابن هشام : وهو أنصاري مهاجري . وعبادة بن الصامت بن قيس ابن أَصْرَم بن فِهْر بن ثعلبة بن غَنَم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج ، وحليفهم أبو عبد الرحمن يزيد بن ثعلبة بن خَزَمَة بن أَصْرَم البَلَوِي ، والعباس بن عبادة بن نَضْلَة بن مالك بن العَجْلَان بن يزيد بن غنم بن سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج العجلاني ، وعقبة بن عامر بن نابي المتقدم ، وقُطَيْبَة بن عامر بن حديدة المتقدم .

فهؤلاء عشرة من الخزرج .

ومن الأوس اثنان وهما : عُوَيْم بن ساعدة ، وأبو الهيثم مالك بن التيهان .

قال ابن هشام التَّيْهَانُ يخفف ويثقل كَمِيت ومَيِّت .

قال السهيلي : أبو الهيثم بن التيهان اسمه مالك بن مالك بن عَتِيك بن عمرو بن

عبد الأعم بن عامر بن زعور بن جُشَم بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن

الأوس . قال : وقيل إنه إراشى وقيل بَلَوَى . وهذا لم ينسبه ابن إسحاق ولا ابن هشام .

قال : والهيثم فرخ العقاب ، وضرب من النبات .

والمقصود أن هؤلاء الاثنى عشر رجلاً شهدوا الموسم عامئذ ، وعزموا على

الاجتماع برسول الله صلى الله عليه وسلم فلقوه بالعقبة فبايعوه عندها بيعة النساء وهي

العقبة الأولى .

وروى أبو نُعَيْم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ عليهم من قوله في سورة

إبراهيم « وإذ قال إبراهيمُ رَبِّ اجعل هذا البلد آمناً » إلى آخرها .

وقال ابن إسحاق : حدثني يزيد بن أبي حبيب ، عن مَرُثَد بن عبد الله اليزني ، عن

عبد الرحمن بن عُسَيْلَةَ الصَّنَابِجِي ، عن عبادة ، وهو ابن الصامت ، قال : كفت ممن

حضر العقبة الأولى ، وكنا اثني عشر رجلاً : فبايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم

على بيعة النساء ، وذلك قبل أن تُفترض الحربُ ، على ألا نشرك بالله شيئاً ، ولا نسرق

ولا نزنى ولا نقتل أولادنا ، ولا نأتى بهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ، ولا نعصيه في

معروف . فإن وفيتم فلکم الجنة ، وإن غشيتم من ذلك شيئاً فأمرُكم إلى الله ، إن شاء

عذب وإن شاء غفر .

وقد روى البخاري ومسلم هذا الحديث من طريق الليث بن سعد ، عن يزيد بن أبي

حبيب . به نحوه .

قال ابن إسحاق : وذكر ابن شهاب الزهري عن عائذ الله أبي إدريس الخولاني ، أن عبادة بن الصامت حدثه قال : بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة الأولى ألاّ نشرك بالله شيئاً ، ولا نسرق ولا ننزى ولا نقتل أولادنا ، ولا نأتى بهتاناً نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ، ولا نعصيه في معروف ، فإن وقّيتم فلکم الجنة ، وإن غشيتم من ذلك شيئاً فأخذتم بحدّه في الدنيا فهو كفارة له ، وإن سترتم عايه إلى يوم القيامة فأمرکم إلى الله إن شاء عذب وإن شاء غفر .

وهذا الحديث مخرّج في الصحيحين وغيرها من طرق عن الزهري به نحوه .
وقوله : « على بيعة النساء » يعنى على وفق ما نزلت عليه بيعة النساء بعد ذلك عام الحديبية ، وكان هذا ما نزل على وفق ما بايع عليه أصحابه ليلة العقبة . وليس هذا عجيباً ، فإن القرآن نزل بموافقة عمر بن الخطاب في غير ما موطن ، كما بيناه في سيرته وفي التفسير . وإن كانت هذه البيعة وقعت عن وحى غير متلوف هو أظهر . والله أعلم .

قال ابن إسحاق : فلما انصرف عنه القوم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم مُصْعَب بن عُمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي ، وأمره أن يُقرّهم القرآن ، ويعلمهم الإسلام ويفقههم في الدين .

وقد روى البيهقي عن ابن إسحاق قال : لحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما بعث مصعباً حين كتبوا إليه أن يبعثه إليهم ، وهو الذي ذكره موسى بن عقبة كما تقدم ، إلا أنه جعل المرة الثانية هي الأولى .

قال البيهقي : وسياق ابن إسحاق أتم .

وقال ابن إسحاق : فكان عبد الله بن أبي بكر يقول : لأدرى ما العقبة الأولى .

ثم يقول ابن إسحاق : بلى لعمرى قد كانت عَقْبَةً وعَقْبَةً .

قالوا كلهم : فنزل مُصعبُ على أسعد بن زُرارة ، فكان يسمى بالمدينة المُقرئ .

قال ابن إسحاق : فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة أنه كان يصلي بهم ، وذلك أن الأوس والخزرج كره بعضهم أن يؤمَّهُ بعضُ رضى الله عنهم أجمعين .

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن أبي أمامة بن سَهْل بن حُنيف ، عن أبيه ، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك قال : كنت قائدَ أبي حين ذهب بصره ، فكنت إذا خرجت به إلى الجمعة فسمع الأذان بها صلى على أبي أمامة . أسعد بن زرارَة .

قال : فكث حيناً على ذلك ، لا يسمع لأذان الجمعة إلا صلى عليه واستغفر له .

قال : فقلت في نفسي والله إن هذا بنى لَعَجَز ، ألا أسأله ؟ فقلت : يا أبت مالك إذا سمعت الأذانَ للجمعة صليت على أبي أمامة ؟ فقال : أى بنى كان أولَ من جمع بنا بالمدينة في هَزمِ النبيت ^(١) من حرّة بنى بياضة في بقيع يقال له : بقيع ^(٢) الخضات . قال : قلت : وكم أنتم يومئذ ؟ قال : أربعون رجلاً .

وقد روى هذا الحديث أبو داود وابن ماجه من طريق محمد بن إسحاق رحمه الله .

وقد روى الدارقطنى عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب إلى مصعب بن عمير يأمره بإقامة الجمعة ، وفي إسناده غرابة والله أعلم .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبيد الله بن المغيرة بن مُعَيْقِب ، وعبد الله بن أبى بكر ابن محمد بن عمرو بن حَزَم ، أن أسعد بن زُرارة خرج بمصعب بن عمير يريد به دارَ بنى عبد الأشهل ودار بنى ظفر ، وكان سعد بن معاذ ابن خالة أسعد بن زرارَة ، فدخل

(١) : هزم الحرة . وهزم النبيت : جبل على يريد من المدينة . (٢) ابن هشام : بقيع وهى رواية أصوب .

به حائطا من حوائط بني ظفر على بُر يقال لها : بُر مَرَق ، فجلسا في الحائط واجتمع إليهما رجال ممن أسلم .

وسعد بن معاذ وأسيد بن الحُضَيْر يومئذ سيدا قومهما من بني عبد الأشهل ، وكلاهما مُشْرِك على دين قومه .

فلما سمعا به قال سعد لأسيد : لا أبالك ! أنطلق إلى هذين الرجلين اللذين قد أتيا دارينا ليسفها ضعفاءنا فازجرهما وانهما أن يأتيا دارينا ، فإنه لولا أسعد بن زرارة مني حيث قد علمت كفتك ذلك ، هو ابن خالتي ولا أجد عليه مقدما .

قال : فأخذ أسيد بن حضير حربته ثم أقبل إليهما ، فلما رآه أسعد بن زرارة قال لمصعب : هذا سيد قومه ، وقد جاءك ، فاصدق الله فيه .
قال مصعب : إن يجلس أكله .

قال فوقف عليهما متشتما فقال : ما جاء بكما إلينا تسفهان ضعفاءنا ؟ اعتزلانا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة .

وقال موسى بن عقبة : فقال له غلام : أتيتكما في دارنا بهذا الرّعيْد^(١) الغريب الطريد ليتسفه ضعفاءنا بالباطل ويدعوهم إليه .

قال ابن إسحاق : فقال له مصعب : أو تجلس فتسمع ، فإن رضيت أمراً قبلته ، وإن كرهته كفّ عنك ما تكره .

قال : أنصفت . قال : ثم ركز حربته وجلس إليهما ، فكلمه مصعب بالإسلام وقرأ عليه القرآن .

فقالا فيما يذكر عنهما : والله لآعرفنا في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم في إشراقه وتسليمه .

ثم قال : ما أحسنَ هذا وأجمله ! كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين .

قالا له : تغتسل فتطهر وتطهر ثوبيك ، ثم تشهد شهادة الحق ثم تصلّى .

فقام فاغتسل وطهر ثوبيه وتشهد شهادة الحق ، ثم قام فركع ركعتين ، ثم قال لهما : إن ورأى رجلا إن اتبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه ، وسأرسله إليكما الآن ، سعد بن معاذ .

ثم أخذ خربته وانصرف إلى سعد وقومه ، وهم جلوس في ناديههم ، فلما نظر إليه سعد ابن معاذ مقبلا قال : أحلف بالله لقد جاءكم أسيد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم . فلما وقف على النادى قال له سعد : ما فعلت ؟ قال : كلمت الرجلين ، فوالله ما رأيت بهما بأسا ، وقد نهيتهما فقللا : نفعل ما أحببت . وقد حدثت أن بنى حارثة خرجوا إلى أسعد بن زرارة ليقتلوه ، وذلك أنهم عرفوا أنه ابن خالتك ليحقروك .

قال : فقام سعد بن معاذ مغضباً مبادراً تخوفاً للذى ذكر له من بنى حارثة ، وأخذ الحربة في يده ثم قال : والله ما أراك أغنيت شيئا .

ثم خرج إليهما سعد ، فلما رآهما مطمئنين عرف أن أسيدا إنما أراد أن يسمع منهما ، فوقف متشمتا ثم قال لأسعد بن زرارة : والله يا أبا أمامة والله لولا ما بينى وبينك من القرابة ما زُمتَ هذا منى ، أنفشنا في دارنا بما نكره ؟

قال : وقد قال أسعد لمصعب : جاءك والله سيد من ورائه [من] ^(١) قومه إن يتبعك لا يتخلف عنك منهم اثنان .

قال : فقال له مصعب : أو تقعد فنسمع ، فإن رضيت أمراً رغبت فيه قبلته ، وإن كرهته عزلنا عنك ما نكره .

قال سعد : أنصفت ، ثم ركز الحربة وجلس ، فعرض عليه الإسلام وقرأ عليه القرآن .

(١) سقطت من المطبوعة . وأثبتها من أ .

وذكر موسى بن عقبة أنه قرأ عليه أول الزخرف .

قال : فعرّفنا والله في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم ، في إشرافه وتسهيله .

ثم قال لهما : كيف تصنعون إذا أنتم أسلمتم ودخلتم في هذا الدين .

قالا : نغتسل فتطهرّ وتطهرّ ثوبيك ثم تشهد شهادة الحق ، ثم نصلّي ركعتين .

قال : فقام فاغتسل وطهرّ ثوبيه وشهد شهادة الحق ، ثم ركع ركعتين .

ثم أخذ حربته ، فأقبل عائداً إلى نادى قومه ومعه أسيد بن الحضير ، فلما رآه قومه

مقبلاً قالوا : نخلف بالله لقد رجع إليكم سعد بغير الوجه الذى ذهب به من عندهم .

فلما وقف عليهم قال : يا بنى عبد الأشهل كيف تعلمون أمرى فيكم ؟ قالوا : سيدنا

وأفضلنا رأياً وأيمننا نقيّةً .

قال : فإنّ كلام رجالكم ونساءكم على حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله .

قال : فوالله ما أمسى في دار بنى عبد الأشهل رجلٌ ولا امرأة إلا مسلماً

أو مسلمة .

ورجع سعدٌ ومُصعبٌ إلى منزل أسعد بن زُرارة ، فأقاما عنده يدعوان الناس إلى

الإسلام ، حتى لم تبق دارٌ من دور الأنصار إلا وفيها رجالٌ ونساء مسلمون .

إلا ما كان من دار بنى أمية بن زيد ، وخطمة ، ووائل ، وواقف ، وتلك أوس ، وهم

من الأوس بن حارثة .

وذلك أنهم كان فيهم أبو قيس بن الأسلت واسمه صَيْفَى . وقال الزبير بن بَكَّار :

سمه الحارث . وقيل عبيد الله . واسم أبيه الأسلت عامر بن جُشم بن وائل بن زيد بن

قيس بن عامر بن مُرّة بن مالك بن الأوس . وكذا نسب الكلبى أيضاً

وكان شاعراً لهم قائداً يستمعون منه ويطيعونه ، فوقف بهم عن الإسلام حتى كان

بعد الخندق .

قلت : وأبو قيس بن الأسلت هذا ذكر له ابن إسحاق أشعاراً باثية حسنة تقرّب من أشعار أمية بن [أبي] الصلت الثقفى .

قال ابن إسحاق فيما تقدم : ولما انتشر أمرُ رسول الله صلى الله عليه وسلم في العرب وبلغ البلدان ذكر بالمدينة ، ولم يكن حتى من العرب أعلم بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين ذكر وقبل أن يذكر ، من هذا الحى من الأوس والخزرج وذلك لما كان يسمعون من أخبار يهود .

فلما وقع أمره بالمدينة وتحدثوا بما بين قريش فيه من الاختلاف ، قال أبو قيس بن الأسلت أخو بني واقف .

قال السهلى : هو أبو قيس صرمة بن أبي أنس ، واسم أبي أنس قيس بن صرمة بن مالك بن عدى بن عمرو بن غنم بن عدى بن النجار ، قال : وهو الذى أنزل فيه وفي عمر « أحلّ لكم ليلة الصيام الرّفث إلى نساءكم ^(١) » الآية .

قال ابن إسحاق : وكان يحب قريشاً ، وكان لهم صهراً ، كانت تحتها أرنب بنت أسد ابن عبد العزى بن قصى ، وكان يقيم عندهم السنين بامراته .

قال قصيدة يعظم فيها الحرمة ، وينهى قريشاً فيها عن الحرب ، ويذكر فضلهم وأحلامهم ويذكرهم بلاء الله عندهم ودفعه عنهم الفيل وكيدته ، ويأمرهم بالكف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم :

أيا راكباً إمّا عرضت فبلّغن ^(١) مغلّة عني لوى بن غالب
رسول امرئ قد راعه ذات بينكم على النسأى محزونٍ بذلك ناصب

وقد كانت عندى للهموم مُعرَّسٌ
 بُنيتكم شَرْجَين كلُّ قبيلة
 أعيدكم بالله من شرِّ صنْعكم
 وإظهار أخلاقٍ ونجوى سقيمة
 فذكرهم بالله أولَ وهلة
 وقل لهم والله يحكم حكمه
 متى تبعثوها تبعثوها ذميمة
 تقطع أرحاماً وتهلك أمة
 وتستبدلوا بالأتحمية بعدها
 وبالمسك والكافور غبراً سوابغاً
 فإياكم والحرب لا تعلقنكم
 تزيّن للأقوام ثم يرونها
 تحرق لا تشوى ضعيفاً وتذبحى
 ألم تملؤا ما كان فى حربٍ داحسٍ
 وكم ذا أصابت من شريفٍ مُسودٍ
 عظيم رمادٍ النارِ يُحمد أمره
 وماء هريقٍ فى الضلال كأنما
 يخبركم عنها امرؤ حقُّ عالمٍ

ولم أقض منها حاجتى ومآبى
 لها أرملٌ من بين مُذكٍ وحاطبٍ (١)
 وشرٌّ تباغىكم ودسَّ العقاربِ
 كوخُ الأشفى (٢) وقعها حقُّ صائبِ
 وإحلالِ أحرامِ الظباءِ الشواذبِ (٣)
 ذروا الحربَ تذهبْ عنكم فى المرآحِبِ
 هى الغولُ للأقْصَيْنِ أو للأقاربِ
 وتبرى السديفَ من سنامٍ وغاربِ
 شليلاً وأصداءِ ثيابِ المحاربِ (٤)
 كأنَّ قَتيرَيْها عيونُ الجنادِبِ (٥)
 وحوضاً وخيمَ الماءِ مُرَّ المشاربِ
 بعاقبةٍ إذ بيّنت أمَّ صاحبِ (٦)
 ذوى العزِّ منكم بالحتوفِ الصوائِبِ
 فتعتبروا، أو كان فى حربٍ حاطبِ
 طويلِ العادِ ضيقه غيرُ خائبِ
 وذى شيمةٍ تحضِّ كريمِ المضاربِ
 أذاعت به ريجُ الصبا والجنائبِ
 بأيامها والعالمُ علمُ التجاربِ

(١) شرجين : فريقين مختلفين . والأرمل : الصوت المختلط والذكر : موقد النار . (٢) الأشفى : جمع لشفى وهى الخرز . (٣) الشواذب : الضامرة البطون . (٤) الأتحمية : ثياب رفاق تصنع باليمن . والشليل : درع قصيرة والأصداء : جمع صداء الحديد . (٥) القتير : حلق الدرع . والجنادب : الجراد . (٦) أم صاحب : أى عجوزا، كأم صاحب لك .

فَبِيعُوا الْخِرَابَ مِنْهُ مُحَارِبَ وَاذْكُرُوا
وَلِيَّ امْرِيٍّ فَاخْتَارَ دِينًا فَلَا يَكُنْ
أَقِيمُوا لَنَا دِينَاً حَنِيفًا فَانْتُمْ
وَأَنْتُمْ لِهَذَا النَّاسِ نُورٌ وَعِصْمَةٌ
وَأَنْتُمْ إِذَا مَا حُصِّلَ النَّاسُ جَوْهَرٌ
تَصُونُونَ أَنْسَابًا ^(١) كَرَامًا عَتِيقَةً
يَرَى طَالِبُ الْحَاجَاتِ نَحْوَ بَيوتِكُمْ
لَقَدْ عَلِمَ الْأَقْوَمُ أَنَّ سَرَاتِكُمْ
وَأَفْضَلُهُ رَأْيًا وَأَعْلَاهُ سُنَّةً
فَقُومُوا فَصَلُّوا رَبَّكُمْ وَتَمَسَّحُوا
فَعِنْدَكُمْ مِنْهُ بَلَاءٌ وَمَصْدَقٌ
كَتَبْتُهُ بِالسَّهْلِ تَمْشِي وَرَجُلُهُ
فَلَمَّا أَتَاكُمْ نَصْرُ ذِي الْعَرْشِ رَدَّهَمْ
فَوَلَّوْا سَرَاعًا هَارِبِينَ وَلَمْ يُؤَبِّ
فَإِنْ تَهَلَّكُوا نَهَلِكُ وَتَهْلِكُ مَوَاسِمُ

حَسَابِكُمْ ، وَاللَّهِ خَيْرٌ مُحَاسِبٍ
عَلَيْكُمْ رَقِيبًا غَيْرُ رَبِّ الثَّوَابِ
لَنَا غَايَةٌ ، قَدْ يُهْتَدَى بِالدَّوَابِ
تُؤْمِنُونَ وَالْأَحْلَامُ غَيْرُ عَوَازِبِ
لَكُمْ سُرَّةَ الْبَطْحَاءِ تُشْمُ الْأَرَانِبِ
مَهْذَبَةَ الْأَنْسَابِ غَيْرَ أَشَانِبِ
عَصَائِبَ هَلَكَى تَهْتَدَى بِعَصَائِبِ
عَلَى كُلِّ حَالٍ خَيْرٌ أَهْلُ الْجَبَابِجِ ^(٢)
وَأَقُولُهُ لِلْحَقِّ وَسَطُ الْمَوَاقِبِ
بَارَكَانِ هَذَا الْبَيْتِ بَيْنَ الْأَخَاشِبِ
غَدَاةَ أَبِي يَكْسُومَ هَادِي الْكِتَابِ
عَلَى الْقَاذِقَاتِ فِي رُءُوسِ الْمَنَاقِبِ
جَنُودُ الْمَلِكِ بَيْنَ سَافٍ وَحَاصِبِ
إِلَى أَهْلِهِ مَلْحُجَّشٍ غَيْرُ عَصَائِبِ
يُعَاشُ بِهَا ، قَوْلُ امْرِيٍّ غَيْرِ كَاذِبِ

وحرب داحس التي ^(٣) ذكرها أبو قيس في شعره كانت في زمن الجاهلية مشهورة
وكان سببها فيما ذكره أبو عبيد معمر بن المثنى وغيره : أن فرساً يقال لها داحس كانت
لقيس بن زهير بن جذيمة بن رواحة الغطفاني ، أجزاها ^(٤) مع فرس لحذيفة بن بدر بن عمرو

(١) ابن هشام : أجسادا . (٢) الجبابج : المنازل . (٣) الأصل : النى .

(٤) الأصل : أجزاه . وفي ابن هشام بالتذكير في كل المواضع .

ابن جُؤَيَّةَ النُظفَانِي أَيْضاً ، يقال لما الغبراء ، نجاة داحس سابقاً فأمر حذيفة من ضرب وجهها ، فوثب مالك بن زهير فلطم وجه الغبراء ، فقام حَمَلُ بن بَدْر فلطم مالكا .
ثم إن أبا جنيد العنسي لقي عوفَ بن حذيفة فقتله ، ثم لقي رجل من بني فزارة مالكا فقتله ، فشبت الحربُ بين بني عبس وفزارة ، فقتل حذيفة بن بدر وأخوه حَمَلُ ابن بدر وجماعات آخرون ، وقالوا في ذلك أشعاراً كثيرة يطول بسطها وذكرها .
قال ابن هشام : وأرسل قيس داحساً والغبراء ، وأرسل حذيفة الخطَّارَ والحنفاء ، والأول أصح .

قال : وأما حرب حاطب [فيعني حاطب] ^(١) بن الحارث بن قيس بن هَيْشَةَ بن الحارث بن أمية بن معاوية بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس ، كان قتل يهودياً جاراً للخزرج ، فخرج إليه زيد بن الحارث بن قيس بن مالك بن أحر بن حارثة بن ثعلبة بن كعب بن مالك بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج ، وهو الذي يقال له ابن فُسْحَم ^(٢) في نفر من بني الحارث بن الخزرج ، فقتلوه فوقعت الحرب بين الأوس والخزرج فاقتلوا قتلاً شديداً وكان الظفر للخزرج ، وقتل يومئذ الأسود ^(٣) بن الصامت الأوسى قتله المجذّر بن ذياذ حليف بني عوف بن الخزرج ، ثم كانت بينهم حروب يطول ذكرها أيضاً .

والمقصود أن أبا قيس بن الأسلت مع علمه وفهمه لم ينتفع بذلك حين قدم مصعب بن عمير المدينة ودعا أهلها إلى الإسلام ، فأسلم من أهلها بشرٌ كثير .
ولم يَبْقَ دار ، أي محلة ، من دور المدينة إلا وفيها مسلم ومسلمات ، غير دار بني واقف قبيلة أبي قيس ، ثبطهم عن الإسلام .

(١) من ابن هشام . (٢) الأصل : قسحم بالقاف . وما أثبتته عن شرح القاموس .

(٣) ابن هشام : سويد بن صامت .

وهو القائل أيضا :

أربّ الناس أشياء أَلَمْتُ يُلَفُّ الصَّعْبُ مِنْهَا بِالذَّلُولِ
أربّ الناس إِمَّا إِنْ ضَلَلْنَا فَيَسِّرُنَا لِمَعْرُوفِ السَّبِيلِ
فلولا ربُّنا كنّا يهوداً وما دينُ اليهودِ بذى شُكُولِ
ولولا ربنا كنّا نصارى مع الرهبانِ فى جَبَلِ الْجَلِيلِ
ولكنّا خُلِقْنَا إِذْ خُلِقْنَا حَنِيفًا دِينُنَا عَنْ كُلِّ جِيلِ
نَسُوقُ الْهَدَى تَرْسُفَ مُذْنَعَاتٍ مَكشَّفَةَ الْمَنَاقِبِ فى الْجُلُولِ

وحاصل مايقول : أنه حائر فيما وقع من الأمر الذى قد سمعه من بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتوقّف الواقفُ فى ذلك مع علمه ومعرفته .

وكان الذى تَبَطَّه عن الإسلام أولاً عبدُ الله بن أبى بن سَلُول بعدما أخبره أبو قيس أنه الذى بَشَّرَ [به] يهود فنعه عن الإسلام .

قال ابن إسحاق : ولم يُسَلِّمْ إلى يوم الفتح هو وأخوه وخرج .

وأنكر الزبير بن بَكَّار أن يكون أبو قيس أسلم . وكذا الواقدى . قال :

كان عزم على الإسلام أولَ ما دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلأمه عبدُ الله بن أبى فخلفَ لا يُسَلِّمْ إلى حَوَلٍ ، فمات فى ذى القعدة .

وقد ذكر غيره فيما حكاه ابن الأثير فى كتابه [أسد] الغابة ؛ أنه لما حضره الموتُ

دعاه النبي صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام فسمع يقول : لا إله إلا الله .

وقال الإمام أحمد : حدثنا حسن بن موسى ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن ثابت ،

عن أنس بن مالك ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عادر رجلاً من الأنصار ، فقال :

« يا خالِ قُلْ لا إله إلا الله » فقال : أخالُ أم عم ؟ قال : بل خالُ . قال : نغشِرُ لى أن

أقول لا إله إلا الله ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم .

تفرد به أحمد رحمه الله .

وذكر عكرمة وغيره أنه لما توفي أراد ابنه أن يتزوج امرأته كيشة بنت معن بن عاصم ، فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك ، فأنزل الله « ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء ^(١) » الآية .

وقال ابن إسحاق وسعيد بن يحيى الأموى فى مغازيه : كان أبو قيس هذا ترهب فى الجاهلية وليس السُّوح ، وفارق الأوثان ، واغتسل من الجنابة ، وتطهر من الحائض من النساء ، وهم بالنصرانية ثم أمسك عنها ، ودخل بيتا له فاتخذ مسجداً لا يدخل عليه فيه حائض ولا جنب ، وقال : أعبد إله إبراهيم ، حين فارق الأوثان وكرهها .
حتى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم فحسن إسلامه .

وكان شيخا كبيرا ، وكان قوَّالا بالحق معظما لله فى جاهليته ، يقول فى ذلك أشعاراً حسناً ، وهو الذى يقول :

يقول أبو قيس وأصبح غادياً	ألا ما استطعتم من وصاتي فافعلوا
فأوصيكم بالله والبرِّ والتقى	وأعرضكم ، والبرُّ بالله أول
وإن قومكم سادوا فلا تحسدنهم	وإن كنتم أهل الرياسة فاعدلوا
وإن نزلت إحدى الدواهي بقومكم	فأنفسكم دون العشيرة فاجعلوا
وإن ناب غرم فادح فارقوهم	وما حملوكم فى الملمات فاحملوا
وإن أنتم أمعزتم ^(٢) فتمعفوا	وإن كان فضل الخير فيكم فأفضلوا

وقال أبو قيس أيضا :

سبحوا الله شرق كل صباح
طلعت شمسهُ وكلّ هلال

(١) سورة النساء ٢٢ . (٢) أمعزتم : أصابتكم شدة .

عالم السرِّ والبيانِ جميعاً^(١) ليس ما قال ربنا بضلالٍ
 وله الطيرُ تستزيدُ وتأوى في وكورٍ مِنْ آمِناتِ الجبالِ
 وله الوحشُ بالَفَلَاةِ تراها في حِقَافٍ^(٢) وفي ظلالِ الرمالِ
 وله هودتِ يهودُ ودانتِ كلَّ دينٍ مخافةً من عُضالٍ^(٣)
 وله شمسُ النصرى وقاموا كلَّ عيدٍ لربِّهم واحتفالِ
 وله الراهبُ الحبيسُ تراه رَهْنَ بُؤْسٍ وكان أنعمَ^(٤) بالِ
 يا بَنِي الأرحامِ لا تقطعوها وصلوها قصيرةً مِنْ طَوَالِ
 واتقوا الله في ضعافِ اليتامى ربما يُستَحِلُّ غيرُ الحلالِ
 واعلموا أنَّ لليتيمِ وليّاً عائلاً يَهْتَدِي بغيرِ سؤالِ
 ثم مالَ اليتيمِ لا تأكلوه إنَّ مالَ اليتيمِ يرعاه والى
 يا بَنِي التَّخومِ لا تَخْزُلُوها إنَّ خَزَلَ التَّخومِ ذو عُقالٍ^(٥)
 يا بَنِي الأيامِ لا تَأْمَنُوها واحذروا مكرها ومرَّ الليالِ
 واعلموا أن مَرَّها^(٦) لنفادِ الحَقِّ ما كان مِنْ جَدِيدٍ وبالى
 واجمعوا أمرَكم على البرِّ والنقَّةِ وى وتركِ الخِفا وأخذِ الحلالِ
 قال ابن إسحاق : وقال أبو القيسِ صِرْمَةُ أَيْضاً يَذْكُرُ مَا أكرمهم الله به من
 لإسلام ، وما خصهم به من نزول رسول الله صلى الله عليه وسلم عندهم :
 ثوى في قریشٍ بضعَ عشرةَ حِجَّةً يَذْكُرُ لو يَأْتِي صَدِيقاً موأتياً
 وسيأتى ذكرها بتمامها فيما بعد إن شاء الله وبه الثقة .

(١) ابن هشام : لدينا . (٢) الحِقَاف : جمع حَقَف : وهو الموج من الرمل أو المستدير منه .
 (٣) ابن هشام : إذا ذكرت عُضال . (٤) ابن هشام . ناعم بال . (٥) التَّخوم : الحدود .
 وتَخْزُلُها : تقطعوها والعقال ما يمنع الرجل من المشى . (٦) الأصل : أمرها . وما أنبته عن ابن هشام .

قصة بيعة العقبة الثانية

قال ابن إسحاق : إن مُضْعَب بن عُمَيْر رجع إلى مكة ، وخرج من الأنصار من المسلمين مع حجاج قومهم من أهل الشرك ، حتى قَدِمُوا مكة فواعدوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم العقبة من أواسط أيام التشريق ، حين أراد الله بهم من كرامته والنصر لِنَبِيِّهِ وإِعْزَازِ الإسلامِ وأَهْلِهِ [وإِذْلالِ الشركِ وأَهْلِهِ] ^(١) .

فحدثني مَعْبَد بن كعب بن مالك ، أن أخاه عبد الله بن كعب ، وكان من أعلم الأنصار ، حدثه أن أباه كعباً حدثه ، وكان ممن شهد العقبة وباع رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بها ، قال :

خرجنا في حُجَّاجٍ قَوْمِنَا من المشركين ، وقد صَلَّينا وَفَقِهْنَا . ومعنا البراء بن معرور سيدنا وكبيرنا ، فلما وَجَّهْنَا لِسَفَرِنَا وخرجنا من المدينة قال البراء : يا هؤلاء إني قد رأيتُ رأياً ، والله ما أدري أتوافقونني عليه أم لا ؟ قلنا : وما ذاك ؟ قال : قد رأيتُ أن لا أدع هذه البَنِيَّةَ مني بظهر ، يعني الكعبة ، وأن أصِلِّيَ إليها .

قال : فقُلْنَا والله ما بَلَّغْنَا أن نَبِيَّنَا صلى الله عليه وسلم يَصَلِّيُ إلَّا إلى الشام ، وما نريد أن نخالفه .

فقال : إِنِّي لَمَصَلِّ إليها . قال : فقُلْنَا له : لَكِنَّا لَنفَعُل .

قال : فَسَكْنَا إِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ صَلَّينا إلى الشام وَصَلَّيْنا هُوَ إلى الكعبة ، حتى قَدِمْنَا مكة [قال : وقد كُنَّا عَيْنًا عَلَيْهِ ما صَنَعَ وَأَبَى إلَّا الإِقَامَةَ على ذلك . فلما قَدِمْنَا

(١) من ابن هشام .

مكة^(١) قال لي : يا بن أخي انطلق بنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أسأله عما صنعتُ في سفرى هذا ، فإنه قد وقع في نفسى منه شيء ، لِمَا رأيت من خلافكم إياى فيه .

قال : فخرجنا نسأل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكنا لا نعرفه ولم نره قبل ذلك ، فلقينا رجلاً من أهل مكة فسألناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : هل تعرفانه ؟ فقلنا : لا . فقال : هل تعرفان العباس بن عبد المطلب عمه ؟ قال : قلنا : نعم . وقد كنا نعرف العباس ، كان لا يزال يقدّم عابنا تاجراً ، قال : فإذا دخلتما المسجد فهو الرجل الجالس مع العباس .

قال : فدخلنا المسجد ، وإذا العباس جالس ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس معه فسألنا ثم جلسنا إليه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس : هل تعرف هذين الرجاين يا أبا الفضل ؟ قال : نعم ، هذا البراء بن معرور سيد قومه ، وهذا كعب بن مالك .

قال : فوالله ما أنسى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : الشاعر ؟ قال : نعم ؟ فقال له البراء بن معرور : يا نبي الله ، إني خرجت في سفرى هذا قد هدانى الله تعالى للإسلام ، فرأيت ألا أجعل هذه البديّة منى بظهر ، فصليتُ إليها ، وقد خالفنى أصحابى في ذلك ، حتى وقع في نفسى من ذلك شيء ، فماذا ترى ؟ قال : « قد كنت على قبلة لو صبرت عليها » .

قال : فرجع البراء إلى قبلة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فصلى معنا إلى الشام .

(١) من ابن هشام .

قال : وأهلُه يزعمون أنه صلى إلى الكعبة حتى مات ، وليس ذلك كما قالوا ، نحن أعلم به منهم .

قال كعب بن مالك : ثم خرجنا إلى الحج وواعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة من أوسط أيام التشريق ، فلما فرغنا من الحج وكانت الليلة التي واعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها ، ومعنا عبد الله بن عمرو بن حرام أبو جابر ، سيدنا من سادتنا أخذناه ، وكنا نكتم من معنا من قومنا من المشركين أمرنا ، فكلمناه وقلنا له : يا أبا جابر إنك سيدنا من سادتنا وشريف من أشرافنا ، وإنا نرغب بك عما أنت فيه أن تكون خطيباً للنار غداً . ثم دعواناه إلى الإسلام ، وأخبرناه بميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم إيانا بالعقبة . قال : فأسلم وشهد معنا العقبة وكان نقيباً .

وقد روى البخارى ، حدثنى إبراهيم ، حدثنا هشام ، أن ابن جريج أخبرهم ، قال عطاء ، قال جابر : أنا وأبى وخالائى^(٢) من أصحاب العقبة . قال عبد الله بن محمد : قال ابن عيينة : أحدهما^(٢) البراء بن معرور . حدثنا على بن المدينى ، حدثنا سفيان ، قال كان عمرو يقول : سمعت جابر بن عبد الله يقول : شهد بى خالائى العقبة .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ، عن ابن خثيم ، عن أبى الزبير عن جابر قال : مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة عشر سنين يتبع الناس فى منازلهم ، عكاظ^(١) وحنينة ، فى المواسم ، يقول : « من يؤوينى ؟ من ينصرنى ؟ حتى أبلغ رسالة ربى وله الجنة » فلا يجد أحداً يؤويه ولا ينصره ، حتى إن الرجل ليخرج من اليمن

(١) المسند : بمكاظ . (٢) الأصل : « خالى » و « أحدهم » وما أثبتته من صحيح البخارى .

أو من مضر ، كذا قال فيه ، فيأتيه قومه وذوو رحمة فيقولون : احذر غلام قريش لا يفتنك .
وتمضي بين رحالهم وهم يشيرون إليه بالأصابع .

حتى بعثنا الله إليه من يثرب فأوفياه وصدقناه ، فيخرج الرجل منا فيؤمن به ويقرئه القرآن فينقلب إلى أهله فيسلمون بإسلامه ، حتى لم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رهط من المسلمين يظهمرون الإسلام .

ثم ائتمروا جميعاً فقلنا : حتى متى نترك رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوف^(١) ويطرد في جبال مكة ويخاف ؟

فرحل إليه منا سبعون رجلاً حتى قدموا عليه في الموسم ، فواعدناه شعب العقبة ، فاجتمعنا عندها من رجل ورجلين حتى توافينا فقلنا : يا رسول الله علام نبأبعك ؟

قال : « تبأيعوني على السمع والطاعة في النشاط والكسل ، والنفقة في العسر واليسر ، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأن تقولوا في الله لا تخافوا في الله لومة لائم ، وعلى أن تنصروني فتمنعوني إذا قدمت عليكم مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبنائكم ولحكم الجنة ، فقمنا إليه [فبأيعناه^(٢)] وأخذ بيده أسعد بن زرارة وهو من أصغرهم . وفي رواية البيهقي : وهو أصغر السبعين إلا أنا ، فقال : رويداً يا أهل يثرب ، فإننا لم نضرب إليه أكتاب إلا بل إلا ونحن نعلم أنه رسول الله ، وإن إخراجهم اليوم من أوطانهم للعرب كافة وقتل خياركم و [أن^(٣)] تعضكم السيوف ، فإما أنتم قوم تصبرون على ذلك ، نخذوه وأجركم على الله ، وأما أنتم قوم تخافون من أنفسكم خيفة^(٤) فذرّوه ، فبيئنا ذلك فهو أعذر لكم عند الله .

(١) ليست في المسند . (٢) من المسند . (٣) المسند : جنة . أي جينا .

قالوا أَمِطُ^(١) عنا يَا أَسْعَدُ ، فَوَاللَّهِ لَا نَدْعُ هَذِهِ الْبَيْعَةَ وَلَا نَسْلُبُهَا أَبَدًا .

قال : فقمنا إليه فبايعناه وأخذ علينا وشرط ويعطينا على ذلك الجنة .

وقد رواه الإمام أحمد أيضاً والبيهقي من طريق داود بن عبد الرحمن العطار .

زاد البيهقي عن الحاكم ، بسنده إلى يحيى بن سليم ، كلاهما عن عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن أبي إدريس به نحوه .

وهذا إسناد جيد على شرط مسلم ولم يخرجوه .

وقال البرّار : وروى غير واحد عن ابن خثيم ، ولا نعلمه يُروى عن جابر إلا من

هذا الوجه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سليمان بن داود ، حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد ، عن موسى بن عبد الله ، عن أبي الزبير ، عن جابر ، قال : كان العباس آخذاً بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسولُ الله يواثقنا ، فلما فرغنا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أَخَذْتُ وَأَعْطَيْتُ .

وقال البرّار : حدثنا محمد بن مَعْمَرٍ ، حدثنا قُبَيْصَةُ ، حدثنا سفيان ، هو الثوري ، عن جابر ، يعني الجُعْفَى ، عن داود ، وهو ابن أبي هند ، عن الشَّعْبِيِّ ، عن جابر ، يعني ابن عبد الله ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للقباء من الأنصار : « تَوَوَّنِي وَتَمْنَعُونِي ؟ » قال : نعم . قالوا : فما لنا ؟ قال : « الجنة » . ثم قال : لا نعلمه يُروى إلا بهذا الإسناد عن جابر .

ثم قال ابن إسحاق عن مَعْبُدٍ ، عن عبد الله ، عن أبيه كعب بن مالك ، قال : فَمِنْهُمَا تِلْكَ اللَّيْلَةُ مَعَ قَوْمِنَا فِي رِحَالِنَا ، حَتَّى إِذَا مَضَى ثَلَاثُ اللَّيْلِ خَرَجْنَا مِنْ رِحَالِنَا لِمِيعَادِ رَسُولِ

(١) الأصل : أبط . وهو تحريف . وما أثبتته من المسند .

الله صلى الله عليه وسلم تتسلَّل تسَلَّل القَطَا مُسْتَحْفَيْن ، حتى اجتمعنا في الشَّعب عند العقبة ، ونحن ثلاثة وسبعون رجلاً ، ومعنا امرأتان من نساءنا نَسِيْبَةُ بنت كعب أم عُمارة إحدى نساء بني مازن بن النجار ، وأسماء ابنة عمرو بن عدى بن نابتى إحدى نساء بني سلمة ، وهى أم مَنِيع .

وقد صرح ابن إسحاق في رواية يونس بن بُكير عنه بأسمائهم وأنسابهم وما ورد في بعض الأحاديث أنهم كانوا سبعين ، والعرب كثيراً ما تحذف الكسمر .

وقال عروة بن الزبير وموسى بن عُقبة : كانوا سبعين رجلاً وامرأة واحدة . قال : منهم أربعون من ذوى أسنانهم ، وثلاثون من شبابهم . قال : وأصغرهم أبو مسعود وجابر بن عبد الله .

قال كعب بن مالك : فلما اجتمعنا في الشَّعب ننتظر رسولَ الله صلى الله عليه وسلم حتى جاءنا ومعه العباس بن عبد المطلب ، وهو يومئذ على دين قومه إلا أنه أحبَّ أن يخضر أمرَ ابن أخيه ويتوثَّق له .

فلما جلس كان أولَ متكلم العباسُ بن عبد المطلب فقال : يامعشر الخزرج - قال : وكانت العرب إنما يُسمون هذا الحىَّ من الأنصار الخزرج ، خزرجها وأوسها - إنَّ محمداً منا حيث قد علمتم ، وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثلِ رأينا فيه ، فهو في عزة من قومه ومنعة في بلده ، وإنه قد أبى إلا الانحيازَ إليكم والحقَّ بكم ، فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتوه إليه وما نعوه ممن خالفه فأتهم وما تحمَّلتم من ذلك ، وإن كنتم ترون أنكم مُساووه وخاذلوه بعدَ الخروجِ إليكم فمن الآن فدعوه ، فإنه في عزة ومنعة من قومه وبلده .

قال : فقلنا له : قد سمعنا ما قلت ، فتكلَّم يارسول الله نخذ لنفسك ولربك ما أحببت .

قال : فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتلا القرآن ودعا إلى الله ورغب في الإسلام ، قال : « أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم » .

قال : فأخذ البراء بن معرور بيده [و] قال : نعم ، فوالذي بعثك بالحق لنمنعك مما تمنع منه أئزنا^(١) ، فبايعنا يا رسول الله فنحن والله أبناء الحروب ورثناها كابراً عن كابر .

قال : فاعترض القول ، والبراء يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أبو الهيثم بن التيهان فقال : يا رسول الله إن بيننا وبين الرجال حبلاً وإنا قاطعوها ، يعني اليهود ، فهل عسيت إن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا ؟

قال : فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : « بل الدّم الدم ، والهذم الهذم ، أنا منكم وأنتم مني ، أحارب من حاربتم وأسلم من سلمتم » .

قال كعب : وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أخرجوا إلىّ منكم اثني عشر نقيّاً ، يكونون على قومهم بما فيهم » .

فأخرجوا منهم اثني عشر نقيّاً ، تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس .

قال ابن إسحاق : وهم : أبو أمامة أسعد بن زُرارة المتقدم ، وسعد بن الربيع بن عمرو بن أبي زهير بن مالك بن امرئ القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج ابن الحارث بن الخزرج ، وعبد الله بن رواحة [بن ثعلبة]^(٢) بن امرئ القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج ، ورافع بن مالك بن العجلان المتقدم ، والبراء بن معرور بن صخر بن خنساء بن سنان بن عبيد بن عدى ابن غنم بن كعب بن سلمة بن سعد بن علي بن أسد بن ساردة بن تزريد بن جشم بن

(١) أئزنا : نساءنا . والعرب تكى بالإزار عن المرأة وتكى به عن النفس أيضاً .

(٢) من ابن هشام .

الخزرج ، وعبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة ، وعبادة بن الصامت المتقدم ، وسعد بن عبادة بن دُكَيْم بن حارثة بن [أبي] خزيمة^(١) بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج ، والمنذر بن عمرو بن خنيس بن حارثة بن لؤذان بن عبدود بن زيد بن ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج .

فهؤلاء تسعة من الخزرج .

ومن الأوس ثلاثة وهم : أسيد بن حضير بن سَمَاك بن عَتِيك بن رافع بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل بن جُشَم بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس ، وسعد بن خيثمة بن الحارث بن مالك بن كعب بن النجَّاط بن كعب بن حارثة ابن غنم بن السلم بن امرئ القيس بن مالك بن الأوس ، ورفاعة بن عبد المنذر بن زُنَيْر^(٢) بن زيد بن أمية بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك ابن الأوس .

قال ابن هشام : وأهل العلم يعدُّون فيهم أبا الهيثم بن التَّيْهَان بدل رفاعة هذا ، وهو كذلك في رواية يونس عن ابن إسحاق ، واختاره السُّهَيْلِي وابن الأثير في القاب .

ثم استشهد ابن هشام على ذلك بما رواه عن أبي زيد الأنصاري فيما ذكره من شعر كعب بن مالك في ذكر النقباء الاثني عشر هذه الليلة ، ليلة العقبة الثانية ، حين قال :
أبلغُ أَيْبً أَنَّهُ قَالَ^(٣) رَأْيُهُ وَحَانَ غَدَاةُ الشَّعْبِ وَالْحَيْنُ وَقَعُ
أَبَى اللَّهِ مَا مَنَنْتُكَ نَفْسُكَ إِنَّهُ بِمَرْصَادِ أَمْرِ النَّاسِ رَاءَ وَسَامِعُ

(١) في غريب السيرة لأبي ذر : ابن أبي خزيمة . (٢) الاستيعاب : ابن زبير .

(٣) قال : بطل .

وأبلغ أبا سفيان أن قد بدّالنا
فلا ترغبني في حشدٍ أمرٍ تريده
ودونك فاعلم أن تقضَ عهدنا
أباه البراء وابن عمرو كلاهما
وسعدُ أباه الساعديُّ ومُنذرُ
وما ابن ربيع إن تناولتَ عهده
وأيضاً فلا يعطيكه ابن رَواحٍ
وفاءً به والقوقلى ابن صامتٍ
أبو هيثمٍ أيضاً وفيّ بمنثليها
وما ابن حُضَيْرٍ إن أردتَ بمطْمَعٍ
وسعدُ أخو عمرو بن عوفٍ فإنه
أولاًك نجومٌ لا يُفِيكُ منهم
قال ابن هشام : فذكر فيهم أبا الهيثم بن التيهان، ولم يذكر رفاعه .

قلت : وذكر سعد بن معاذ وليس من النقباء بالكلية في هذه الليلة .

وروى يعقوب بن سفيان ، عن يونس بن عبد الأعلى ، عن ابن وهب ، عن مالك
قال : كان الأنصار ليلة العقبة سبعين رجلاً ، وكان نقباؤهم اثني عشر نقيباً ، تسعة من
الخزرج وثلاثة من الأوس .

وحدثني شيخ من الأنصار أن جبرائيل كان يشير إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
إلى من يجعله نقيباً ليلة العقبة ، وكان أسيد بن حُضَيْرٍ أحد النقباء تلك الليلة .

رواه البيهقي .

وقال ابن إسحاق : فحدثني عبد الله بن أبي بكر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للنقباء : أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم ، وأنا كفيل على قومي . قالوا : نعم .

وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، أن القوم لما اجتمعوا لبيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العباس بن عباد بن نضلة الأنصاري أخو بني سالم بن عوف : يامعشر الخزرج هل تدرون علام تبائعون هذا الرجل ؟ قالوا : نعم .

قال : إنكم تبائعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس ، فإن كنتم ترون أنكم إذا أنهكت أموالكم مصيبة وأشرافكم قتلاً أسلمتموه ، فمن الآن ، فهو والله إن فعلتم خزي الدنيا والآخرة ، وإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه على نهكة الأموال وقتل الأشراف فخذوه ، فهو والله خير الدنيا والآخرة .

قالوا : فإننا نأخذه على مصيبة الأموال وقتل الأشراف ، فאלنا بذلك يارسول الله إن نحن وفينا ؟

قال : « الجنة » .

قالوا : ابسط يدك . فبسط يده فبايعوه .

قال عاصم بن عمر بن قتادة : وإنما قال العباس بن عباد ذلك ليشد العقد في أعناقهم .

وزعم عبد الله بن أبي بكر أنه إنما قال ذلك ليؤخر البيعة تلك الليلة ، رجاء أن يحضرها عبد الله بن أبي بن سلول سيد الخزرج ، ليكون أقوى لأمر القوم . فآله أعلم أي ذلك كان .

قال ابن إسحاق : فبنوا النجار يزعمون أن أبا أمامة أسعد بن زرارة كان أول من ضرب على يده . وبنو عبد الأشهل يقولون : بل أبو الهيثم بن التيهان .

قال ابن إسحاق : وحدثني معبد بن كعب ، عن أخيه عبد الله ، عن أبيه كعب بن مالك قال : فكان أول من ضرب على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم البراء بن معرور ، ثم بايع القوم .

وقال ابن الأثير في الغابة : وبنو سلمة يزعمون أن أول من بايعه ليلئذ كعب بن مالك .

وقد ثبت في صحيح البخارى ومسلم من حديث الزهرى عن عبد الرحمن بن عبد الله ابن كعب ، عن أبيه عن كعب بن مالك في حديثه حين تخلف عن غزوة تبوك . قال : ولقد شهدتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة حين تواقنا على الإسلام وما أحبُّ أن لى بها مشهد بدر ، وإن كانت بدرٌ أكثر^(١) في الناس منها .

وقال البيهقي : أخبرنا أبو الحسين بن بشران ، أخبرنا عمرو بن السماك ، حدثنا حنبل بن إسحاق ، حدثنا أبو نعيم ، حدثنا زكريا بن أبي زائدة ، عن عامر الشعبي قال : انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم مع العباس عمه إلى السبعين من الأنصار عند العقبة تحت الشجرة ، فقال : ليتكلم متكلمكم ولا يُطل الخطبة فإن عليكم من المشركين عينا ، وإن يعلموا بكم يفضحوك .

فقال قائلهم ، وهو أبو أمامة : سل يا محمد لربك ما شئت ، ثم سل لنفسك بعد ذلك ما شئت ، ثم أخبرنا ما لنا من الثواب على الله وعليكم إذا فعلنا ذلك .

(١) البخارى : بدر أذكر . وفي المطبوعة : بدرا كثير . تحريف .

قال : أسألكم لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً ، وأسألكم لنفسي وأصحابي أن تؤوونا وتنصرونا وتمنعونا مما تمنعون منه أنفسكم .

قالوا : فما لنا إذا فعلنا ذلك .

قال : لكم الجنة .

قالوا : فلك ذلك ؟

ثم رواه حنبل عن الإمام أحمد ، عن يحيى بن زكريا ، عن مجالد ، عن الشعبي ، عن أبي مسعود الأنصاري ، فذكره قال : وكان أبو مسعود أصغرهم .

وقال أحمد عن يحيى ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن الشعبي ، قال : فإسمع الشُّبَّ والشبان خطبةً مثلها .

وقال البيهقي : أخبرنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن مُحْمَش ، أخبرنا محمد بن إبراهيم بن الفضل الفحام ، أخبرنا محمد بن يحيى الذهلي ، أخبرنا عمرو بن عثمان الرقي ، حدثنا زهير ، حدثنا عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن إسماعيل بن عبيد الله بن رفاعه ، عن أبيه ، قال : قدمت روايا خمر ، فأتاها عبادة بن الصامت فخرقها وقال : إنا بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في النشاط والكسل ، والنفقة في العسر واليسر ، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وعلى أن نقول في الله لا تأخذنا فيه لومة لائم ، وعلى أن ننصر رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قدم علينا يثرب مما نمنع به أنفسنا وأرواحنا وأبناءنا ولنا الجنة .

فهذه بيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي بايعناه عليها .

وهذا إسناد جيد قوى ولم يخرجوه .

وقد روى يونس عن ابن إسحاق ، حدثني عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت ،

عن أبيه ، عن جده عبادة بن الصامت ، قال : بايعنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بيعة الحرب على السمع والطاعة في عسرنا ويسرنا ، ومنشطنا ومكْرَهنا وأثرَةٍ علينا ، وأن لا ننازع الأمرَ أهله ، وأن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم .

قال ابن إسحاق في حديثه عن معبد بن كعب ، عن أخيه عبد الله بن كعب بن مالك . قال : فلما بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صرخ الشيطان من رأس العقبة بأنْقَدَ صوتٌ سمعته قط : يا أهل الجَبَابِجِ - والجبابج المنازل - هل لكم في مُدَمِّمِ والصُّبَاءِ معه قد اجتمعوا على حربكم .

قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هذا أَرْبُ العقبة ، هذا ابن أَرْبٍ ^(١) » .

قال ابن هشام : ويقال ابن أَرْبٍ .

« أسمع أئى عدوّ الله ، أما والله لأنفرغن ^(٢) لك . ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ارفضوا إلى رحالكُم .

قال : فقال العباس بن عبادة بن نَضْلَةَ : يا رسول الله والذي بعثك بالحق إن شئت لتميلنَّ على أهل منى غداً بأسيا فنا .

قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لم تؤمر بذلك ، ولكن ارجعوا إلى رحالكُم .

قال : فرجعنا إلى مضاجعنا فَمِنِمَّا فيها حتى أصبحنا .

فلما أصبحنا غَدَتْ علينا جَلَّةٌ قريش حتى جاءونا في منازلنا فقالوا : يامعشر الخزرج

(٢) ابن هشام : لأنفرغن .

(١) الأصل : أَرْبٍ ، وما أثبتته من ابن هشام .

إنه قد بلغنا أنكم قد جئتم إلى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا وتأيعونه على حربنا ، وإنه والله ما من حيٍّ من العرب أبغض إلينا من أن تنشب الحربُ بيننا وبينهم منكم .

قال : فانبعث مَنْ هناك مِنْ مشركي قومنا يحلفون ما كان من هذا شيء وما علمناه .

قال : وصدقوا ، لم يعلموا ، قال وبعضنا ينظر إلى بعض .

قال : ثم قام القوم ، وفيهم الحارث بن هشام بن المغيرة الخزومي وعليه نعلان له جديدان .

قال : فقلت له كلمة ، كأني أريد أن أشرك القوم بهافيا قالوا : يا أبا جابر أما تستطيع أن تتخذ وأنت سيدٌ من سادتنا مثل نعلَى هذا الفتى من قریش ؟

قال : فسمعها الحارث فغلمهما من رجليه ثم رمى بهما إلى . قال والله لنتعلمهما .

قال يقول أبو جابر : مه أحفظتَ والله الفتى فاردد إليه نعليه . قال قلت : والله لا أردُّهما ، فألَّ والله صالح ، لئن صدق الفألُ لَأَسْلُبْنَهُ !

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي بكر أنهم أتوا عبد الله بن أبي بن سلول فقالوا مثل ما ذكر كعب من القول فقال لهم : إن هذا الأمر جسيم ما كان قومي ليتفرقوا^(١) على مثل هذا ، وما علمته كان . قال فانصرفوا عنه .

قال : ونقر الناسُ من منى ، فتنطَّس القومُ الخَبَرُ فوجدوه قد كان ، فخرجوا في طلب القوم .

(١) ابن هشام : ليتفوتوا على مثل هذا .

فأدركوا سعد بن عبادة بأذاخر ، والمنذر بن عمرو أخا بني ساعدة بن كعب بن الخزرج وكلاهما كان نقيباً .

فأما المنذر فأعجز القوم ، وأما سعد بن عبادة فأخذوه فربطوا يديه إلى عنقه ينسج^(١) رَحْلَهُ ، ثم أقبلوا به حتى أدخلوه مكة يضربونه ويحبذونه بجمته ، وكان ذا شعر كثير .

قال سعد : فوالله إني لفي أيديهم إذ طلع على نفر من قريش فيهم رجل وضى أبيض شعشاع حلوا من الرجال ، فقلت في نفسي : إن يك عند أحد من القوم خير فعند هذا .

فلما دنا مني رفع يده فلكنني لكعة شديدة ، فقلت في نفسي : لا والله ما عندهم بعد هذا من خير ! .

فوالله إني لفي أيديهم يسحبونني إذ أوى لي رجل من معهم ، قال : ويحك ! أما بينك وبين أحد من قريش جوار ولا عهد ؟ قال : قلت : بلى والله ، لقد كنت أجير لجبير بن مطعم تجاره وأمنعهم ممن أراد ظلمهم ببلادي ، وللحارث بن حرب بن أمية بن عبد شمس . فقال : ويحك ! فاهتف باسم الرجلين واذكر ما بينك وبينهما .

قال : ففعلت ، وخرج ذلك الرجل إليهما فوجدهما في المسجد عند الكعبة ، فقال لهما : إن رجلا من الخزرج الآن كيضرب بالأبطح كتهتف بكما . قالا : ومن هو ؟ قال : سعد بن عبادة . قالا : صدق والله ، إن كان كيحير لنا تجارنا ويمنعهم أن يظلموا ببلده .

قال : فجاءا فخلصا سعداً من أيديهم ، فانطلق . وكان الذي لكم سعداً سهيل ابن عمرو .

(١) النسج : الشراك الذي يشد به الرحل .

قال ابن هشام : وكان الذي أوى له أبو البختري بن هشام .
وروى البيهقي بسنده عن عيسى بن أبي عيسى بن جبير قال : سمعتُ قريشاً قائلًا يقول
في الليل على أبي قُبَيْس :

فإنَّ يَسْلَمَ السَّعْدَانِ يُصْبِحُ مُحَمَّدٌ بِمَكَّةَ لَا يَخْشَى حِلَافَ الْخَالِفِ
فلما أصبحوا قال أبو سفيان : مَنْ السَّعْدَانِ ؟ أسعدُ بن بكر أم سعد بن هذيم ؟ .
فلما كانت الليلة الثانية سمعوا قائلًا يقول :

أَيَا سَعْدُ سَعْدَ الْأَوْسِ كُنْ أَنْتَ نَاصِرًا وَيَا سَعْدُ سَعْدَ الْخَزَرَجِينَ الْغَطَّارِ
أَجِيئَا إِلَى دَاعِيِ الْهُدَى وَتَمَنِّيَا عَلَى اللَّهِ فِي الْفَرْدُوسِ مُنِيَّةَ عَارِفِ
فإنَّ ثَوَابَ اللَّهِ لِلطَّالِبِ الْهُدَى جَنَّانٌ مِنَ الْفَرْدُوسِ ذَابَتْ رَفَارِفِ
فلما أصبحوا قال أبو سفيان : هو والله سعد بن معاذ وسعد بن عباد .

﴿ فصل ﴾

قال ابن إسحاق : فلما رجع الأنصار الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة
العقبة الثانية إلى المدينة أظهروا الإسلام بها .

وفي قومهم بقايا من شيوخٍ لهم على دينهم من الشرك ، منهم عمرو بن الجموح بن
زيد بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة .

وكان ابنه معاذ بن عمرو ممن شهد العقبة ، وكان عمرو بن الجموح من سادات بني
سلمة وأشرفهم ، وكان قد اتخذ صنماً من خشب في داره يقال له مناة ، كما كانت
الأشراف يصنعون ، يتخذها إلهاً يعظمه ويظهره ، فلما أسلم فتیانُ بني سلمة ؛ ابنه معاذ ،
ومعاذ بن جبل كانوا يُدْجِلُونَ بالليل على صنم عمرو ذلك فيحملونه فيطرحونه في بعض

حُفِرَ بَنِي سَلَمَةَ وَفِيهَا عَذِرُ النَّاسِ مِنْكَسًّا عَلَى رَأْسِهِ ، فَإِذَا أَصْبَحَ عَمَرُو قَالَ : وَيْلَكُمْ مِنْ عَدَا عَلَى إِلَهِنَا هَذِهِ اللَّيْلَةَ ؟ ثُمَّ يَغْدُو يَلْتَمِسُهُ حَتَّى إِذَا وَجَدَهُ غَسَلَهُ وَطَيَّبَهُ وَطَهَرَهُ ثُمَّ قَالَ : أَمَا وَاللَّهِ لَوْ أَعْلَمُ مِنْ فَعَلِ بَكَ هَذَا لِأَخْرِيْتَهُ . فَإِذَا أَمْسَى وَنَامَ عَمَرُو عَدَا عَلَيْهِ فَفَعَلُوا مِثْلَ ذَلِكَ ، فَيَغْدُو فَيَجِدُهُ فِي مِثْلِ مَا كَانَ فِيهِ مِنَ الْأَذَى فَيَفْسِلُهُ وَيَطْيِيهِ وَيَطَهَرُهُ ، ثُمَّ يَعْدُونَ عَلَيْهِ إِذَا أَمْسَى فَيَفْعَلُونَ بِهِ مِثْلَ ذَلِكَ ، فَلَمَّا أَكْثَرُوا عَلَيْهِ اسْتَخْرَجَهُ مِنْ حَيْثُ أَلْقَوْهُ يَوْمَا فَفَسَلَهُ وَطَهَرَهُ وَطَيَّبَهُ . ثُمَّ جَاءَ بِسَيْفِهِ فَعَلَقَهُ عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ لَهُ : إِنِّي وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ مِنْ يَصْنَعُ بَكَ مَا أَرَى ، فَإِنْ كَانَ فِيكَ خَيْرٌ فَاْمْتَنِعْ ، هَذَا السَّيْفُ مَعَكَ . فَلَمَّا أَمْسَى وَنَامَ عَمَرُو عَدَا عَلَيْهِ فَأَخَذُوا السَّيْفَ مِنْ عُنُقِهِ ثُمَّ أَخَذُوا كَلْبًا مِيتًا فَقَرَنُوهُ بِهِ بِجَبَلٍ ثُمَّ أَلْقَوْهُ فِي بئرٍ مِنْ آبَارِ بَنِي سَلَمَةَ فِيهَا عَذِرٌ مِنَ النَّاسِ ، وَغَدَا عَمَرُو بْنُ الْجَوْحِ فَلَمْ يَجِدْهُ فِي مَكَانِهِ الَّذِي كَانَ بِهِ ، فَخَرَجَ يَتَّبِعُهُ حَتَّى إِذَا وَجَدَهُ فِي تِلْكَ الْبئرِ مِنْكَسًّا مَقْرُونًا بِكَلْبٍ مِيتٍ ، فَلَمَّا رَأَاهُ أَبْصَرَ شَأْنَهُ وَكَلَّمَ مَنْ أَسْلَمَ مِنْ قَوْمِهِ فَأَسْلَمَ بِرَحْمَةِ اللَّهِ وَحُسْنِ إِسْلَامِهِ ، فَقَالَ حِينَ أَسْلَمَ ، وَعَرَفَ مِنَ اللَّهِ مَا عَرَفَ ، وَهُوَ يَذْكُرُ صَنْمَتَهُ ذَلِكَ وَمَا أَبْصَرَ مِنْ أَمْرِهِ ، وَيَشْكُرُ اللَّهَ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِمَّا كَانَ فِيهِ مِنَ الْعَمَى وَالضَّلَالَةِ وَيَقُولُ :

وَاللَّهُ لَوْ كُنْتَ إِلَهًا لَمْ تَكُنْ	أَنْتَ وَكَلْبٌ وَسَطٌ بِئْرٌ فِي قَرْنٍ
أَفِ لِمَلَقَاكَ إِلَهًا مُسْتَدِنٌ	الآن فَتَشْنَاكَ عَنْ سُوءِ الْغَبْنِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ ذِي الْمِنَّةِ	الْوَاهِبِ الرِّزَاقِ دَيَّانِ الدِّينِ
هُوَ الَّذِي أَنْقَذَنِي مِنْ قَبْلِ أَنْ	أَكُونَ فِي ظُلْمَةٍ قَبِيرٍ مُرْتَهَنٍ

فصل يتضمن أسماء من شهد بيعة العقبة الثانية وجملتهم على ما ذكره ابن إسحاق ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان

فمن الأوس أحد عشر رجلاً :

أسيد بن خضير أحد النقباء ، وأبو الهيثم بن التيهان بدرى أيضاً ، وسلمة بن سلامة ابن وقش بدرى ، وظهير بن رافع ، وأبو بردة بن نيار^(١) ، ونهير بن الهيثم بن نابي بن مجدة بن حارثة ، وسعد بن خيثمة أحد النقباء ، بدرى وقتل بها شهيداً ، ورفاعة بن عبد المنذر بن زهير تقيب بدرى ، وعبد الله بن جبير بن النعمان بن أمية بن البرك بدرى ، وقتل يوم أحد شهيداً أميراً على الرماة ، ومعن بن عدى بن الجعد بن عجلان بن الحارث ابن ضبيعة البلوي حليف للأوس شهد بدرًا وما بعدها وقتل باليامة شهيداً ، وعويم بن ساعدة شهد بدرًا وما بعدها .

ومن الخزرج اثنان وستون رجلاً :

أبو أيوب خالد بن زيد ، وشهد بدرًا وما بعدها ومات بأرض الروم زمن معاوية شهيداً ، ومعاذ بن الحارث ، وأخوه عوف ومعوذوهم بنو عفرأ بدريون ، وعُمارة بن حزم شهد بدرًا وما بعدها وقتل باليامة ، وأسعد بن زُرارة أبو أمامة أحد النقباء ، مات قبل بدر ، وسهل بن عتيك ، بدرى ، وأوس بن ثابت بن المنذر بدرى ، وأبو طلحة زيد بن سهل ، بدرى ، وقيس بن أبي صعصعة عمرو بن زيد بن عوف

(١) الأصل : دينار وهو خطأ . والتصويب من السكتي والأسماء للدولابي . واسمه هاني بن نيار ابن عمرو بن عبيد بن كلاب .

ابن مَبْدُول بن عمرو بن غَنَم بن مازن كان أميراً على الساقة يوم بدر ، وعمرو بن غَزِيَّة ، وسعد بن الربيع أحد النقباء شهد بدرًا وقتل يوم أحد ، وخارجة بن زيد شهد بدرًا وقتل يوم أحد .

وعبد الله بن رَوَاحَة أحد النقباء ، شهد بدرًا وأُحْدَقَ والخندق . وقتل يوم مُؤْتَةَ أميرًا ، وبَشِير بن سعد ، بدرى ، وعبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه الذى أَرَى النداء ، وهو بدرى .

وخلَّاد بن سُويد بدرى أُحْدَى خَنْدَقِي ، وقتل يوم بنى قَرْيَظَة شهيدًا ، طُرِحت عليه رَحَى فشَدَخَتْه ، فيقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن له لأجر شهيدين » .

وأبو مسعود عُقْبَة بن عمرو البدرى . قال ابن إسحاق : وهو أٌحْدَثُ من شهد العَقْبَة سنًا ولم يشهد بدرًا .

وزياد بن كَيْبِد ، بدرى ، وفَرْوَة بن عمرو بن وَذَفَة^(١) وخالد بن قيس بن مالك بدرى ، ورافع بن مالك أحد النقباء ، وَذَكْوَان بن عبد قيس بن خلدة بن مخلد بن عامر بن زُرَيْق ، وهو الذى يقال له مهاجرى أنصارى ، لأنه أقام عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة حتى هاجر منها ، وهو بدرى وقتل يوم أحد ، وعَبَّاد بن قيس بن عامر بن خالد بن عامر بن زريق بدرى ، وأخوه الحارث بن قيس بن عامر بدرى أيضًا .

والبراء بن مَعْرُور أحد النقباء وأول من بايع فيما تزعم بنو سلمة ، وقد مات قبل مَقْدَم النبی صلى الله عليه وسلم المدينة وأوصى له بثلاث ماله فردّه رسول الله صلى الله عليه وسلم على ورثته .

(١) الأصل : وَذَفَة . وهى رواية . وما أثبتته من الاشتقاق لابن دريد ٤٦١ قال : والوذفة زعموا الروضة . قال ابن هشام ويقال : وذفة .

وابنه بشر بن البراء ، وقد شهد بدرًا وأحدًا والخندق ومات بخير شهيدا من أكلة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من تلك الشاة المسمومة ، رضى الله عنه ، وسنان بن صَيْفٍ ابن صَخْر بدرى ، والطُّفَيْل بن النُّعْمَان بن خَنَسَاء بدرى ، قتل يوم الخندق ، ومَعْقِل بن المُنْذِر بن سَرْح بدرى ، وأخوه يزيد بن سنان المنذر بدرى ، ومسعود بن زيد بن سُبَيْع ، والضَّحَّاك بن حارثة بن زيد بن ثعلبة بدرى ، ويزيد بن خدام^(١) بن سُبَيْع ، وجَبَّار بن صخر [بن أمية]^(٢) بن خنساء بن سنان بن عُبَيْد بدرى ، والطُّفَيْل بن مالك بن خنساء بدرى . وكعب بن مالك ، وسُلَيْم بن عامر بن حديدة بدرى ، وقُطَيْبَة بن عامر بن حديدة بدرى ، وأخوه أبو المنذر يزيد بدرى أيضا ، وأبو اليسر كعب بن عمرو بدرى ، وصَيْفِي ابن سَواد بن عُبَاد .

وثعلبة بن غَنَمَة بن عدى بن نَابِي ، بدرى واستشهد بالخندق ، وأخوه عمرو بن غنمة بن عدى ، وعَبْس بن عامر بن عدى ، بَدْرِي ، وخالد بن عمرو بن عدى بن نَابِي ، وعبد الله بن أنيس حليف لهم من قضاة .

وعبد الله بن عمرو بن حَرَام أحد النقباء ، بدرى واستشهد يوم أحد ، وابنه جابر ابن عبد الله ، ومعاذ بن عمرو بن الْجَوْح بدرى ، وثابت بن الجُدْع ، بدرى وقتل شهيدًا بالطائف ، ومُعْمِر بن الحارث بن ثعلبة بدرى ، وخَدِيج بن سلامة حليف لهم^(٣) من بَلِيّ ، ومعاذ بن جبل شهد بدرًا وما بعدها ومات بطاعوثِ عُمَوَس في خلافة عمر بن الخطاب .

وعُبَادَة بن الصامت أحد النقباء شهد بدرًا وما بعدها ، والعباس بن عُبَادَة بن نَضْلَة ، وقد أقام بمكة حتى هاجر منها ، فكان يقال له مهاجرى أنصارى أيضا ، وقتل يوم أحد

(٢) من ابن هشام .

(١) الاستيعاب : ابن حرام .

(٣) أى لبني حرام بن كعب .

شهيداً ، وأبو عبد الرحمن يزيد بن ثعلبة بن خزيمة بن أصرم حليف لهم [من بنى غصينة] ^(١) من بلى وعمرو بن الحارث بن لبدة ^(٢) ، ورقاعة بن عمرو بن زيد بدرى ، وعقبة ابن وهب بن كلدة حليف لهم ^(٣) بدرى وكان ممن خرج إلى مكة فأقام بها حتى هاجر منها ، فهو ممن يقال له مهاجرى أنصارى أيضاً ، وسعد بن عبادة بن دليم أحد النقباء ، والمنذر بن عمرو نقيب بدرى أُحْدَى وقُتل يوم بئر معونة أميراً وهو الذى يقال له: أعتق ليموت .

وأما المرأتان فأم عُمارة نسيبة بنت كعب بن عمرو بن عوف بن مبذول بن عمرو ابن غنم بن مازن بن النجار ، المازنية النجارية .

قال ابن إسحاق : وقد كانت شهدت الحرب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهدت معها أختها وزوجها زيد بن عاصم بن كعب ، وابناها حبيب ^(٤) وعبد الله .

وابنها حبيب ^(٥) هذا هو الذى قتله مسيلة الكذاب حين جعل يقول له : أتشهد أن محمداً رسول الله ؟ فيقول : نعم . فيقول : أتشهد أنى رسول الله ؟ فيقول : لا أسمع . فجعل يقطعه عضواً عضواً حتى مات فى يديه ، لا يزيد على ذلك ، فكانت أم عُمارة ممن خرج إلى اليمامة مع المسلمين حين قُتل مسيلة ، ورجعت وبها اثنا عشر جرحاً من بين طعنة وضربة . رضى الله عنها .

والأخرى أم مَنِيع أسماء ابنة عمرو بن عَدْرِى بن نَابِى بن عمرو بن سَواد بن غنم بن كعب بن سلمة . رضى الله عنها .

(١) من ابن هشام . (٢) الأصل : كندة والتصويب من ابن هشام . (٣) أى لبى سالم بن غنم
(٤) كذا ضبطه الزرقانى بفتح النون . (٥) الأصل خبيب وما أنبئته عن ابن هشام .

باب

بدء الهجرة من مكة إلى المدينة

قال الزُّهْرِيُّ ، عن عروة ، عن عائشة : قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - وهو يومئذ بمكة - للمسلمين : « قد أُرِيتُ دارَ هجرتكم ، أُرِيتُ سَبِيحَةَ ذاتِ نَحْلٍ بَيْنَ لَابَتَيْنِ » .

فهاجر من هاجر قِبَلَ المدينة حين ذَكَرَ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وَرَجَعَ إِلَى المدينة مَنْ كَانَ هَاجِرًا إِلَى أرض الحبشة من المسلمين .
رواه البخارى .

وقال أبو موسى : عن النبي صلى الله عليه وسلم : « رأيت في المنام أتى أهاجر من مكة إلى أرض بها نخل ، فذهبَ وَهْلِي إِلَى أَنهَا اليمامة أو هَجَرَ ، فإذا هِيَ المدينة يَثْرِبُ » .

وهذا الحديث قد أسنده البخارى فى مواضع آخر بطوله .

ورواه مسلم كلاهما عن أبى كُرَيْب . زاد مسلم وعبد الله بن مراد ، كلاهما عن أبى أسامة ، عن يزيد بن عبد الله بن أبى بُرْدَةَ ، عن جده أبى بردة ، عن أبى موسى عبد الله ابن قيس الأشعرى ، عن النبي صلى الله عليه وسلم الحديث بطوله .

قال الحافظ أبو بكر البيهقى : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرنا أبو العباس القاسم بن القاسم السيارى بمرور ، حدثنا إبراهيم بن هلال ، حدثنا العامرى ، عن غلى بن الحسن بن شقيق ، حدثنا عيسى بن عبيد الكندى ، عن غيلان بن عبد الله العامرى

عن أبي زُرْعَةَ بن عمرو بن جَرِير ، عن جرير ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله أوحى إلى أي هؤلاء البلاد الثلاثة نزلت فهي دار هجرتك : المدينة ، أو البحرين ، أو قنسرين » .

قال أهل العلم : ثم عزم له على المدينة ، فأمر أصحابه بالهجرة إليها .

هذا حديث غريب^(١) جداً ، وقد رواه الترمذى فى المناقب من جامعه منفرداً به عن أبى عمار الحسين بن حُرَيْث ، عن الفضل بن موسى ، عن عيسى بن عبيد ، عن غيلان بن عبد الله العامرى ، عن أبى زُرْعَةَ بن عمر بن جَرِير ، عن جرير ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله أوحى إلى أي هؤلاء الثلاثة نزلت فهي دار هجرتك ؛ المدينة ، أو البحرين ، أو قنسرين » ثم قال : غريب لا نعرفه إلا من حديث الفضل تفرد به أبو عمار .

قلت : وغيلان بن عبد الله العامرى هذا ذكره ابن حبان فى الثقات ، إلا أنه قال : روى عن أبى زُرْعَةَ حديثاً منكراً فى الهجرة . والله أعلم .

قال ابن اسحاق : لما أذن الله تعالى فى الحرب بقوله « أذن للذين يُقاتلون بأنهم ظلموا » ، وإن الله على نصرهم لقدير ، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربُّنا الله^(٢) » الآية .

فلما أذن الله فى الحرب وتابَعَه هذا الحىُّ من الأنصار على الإسلام والنصرة له ، ولمن

(١) قال الزرقانى : صححه الحاكم وأقره الذهبى فى تلخيصه ، لكنه قال فى الميزان : حديث منكرو ، ما أقدم الترمذى على تحسينه بل قال غريب . وقال الحافظ : فى ثبوته نظر ، لخالفته ما فى الصحيح . شرح المواهب ٣١٨/١ . (٢) سورة الحج ٣٩ ، ٤٠ .

اتبعه وأوى إليهم من المسلمين ، أمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أصحابه من المهاجرين من قومه ومن معه بمكة من المسلمين بالخروج إلى المدينة والهجرة إليها والحق بإخوانهم من الأنصار وقال : « إن الله قد جعل لكم إخواناً وداراً تأمنون بها » .

فخرجوا إليها أرسالا .

وأقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بمكة ينتظر أن يأذن له ربه في الخروج من مكة والهجرة إلى المدينة .

فكان أول من هاجر إلى المدينة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين من قريش من بنى مخزوم ، أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وكانت هجرته إليها قبل بيعة العقبة بسنة ، حين آذته قريش مَرَّجِعَهُ من الحبشة ، فعزم على الرجوع إليها ، ثم نبغ أن بالمدينة لهم إخوانا فعزم إليها .

قال ابن إسحاق : فحدثني أبي ، عن سلمة بن عبد الله بن عمر بن أبي سلمة ، عن جدته أم سلمة قالت : لما أجمع أبو سلمة الخروج إلى المدينة رحل لي بغيره ثم حملني عليه وجعل معي ابني سلمة بن أبي سلمة في حجري ، ثم خرج يقود بي بغيره .

فلما رآته رجالُ بني المغيرة قاموا إليه فقالوا : هذه نفسك غلبتنا عليها ، أرأيت صاحبتنا هذه علامَ نتركك تسير بها في البلاد ؟ قالت : ففزعوا خطامَ البعير من يده وأخذوني منه .

قالت : وغضب عند ذلك بنو عبد الأسد رهط أبي سلمة ، وقالوا : والله لا نترك ابننا عندها إذ نزعتموها من صاحبنا . قالت : فتجاذبوا ابني سلمة بينهم حتى خلعوا يده ،

وانطلق به بنو عبد الأسد ، وحبسني بنو المغيرة عتدهم وانطلق زوجي أبو سلمة إلى المدينة .

قالت : ففرّق بيني وبين ابني وبين زوجي .

قالت : فكنت أخرج كلّ غداة فأجلس في الأبطح ، فما أزال أبكي حتى أمسي ، سنةً أو قريباً منها .

حتى مرّ بي رجل من بني عمي أحد بني المغيرة ، فرأى ما بي فرحّني ، فقال لبني المغيرة : ألا تحرّجون من هذه المسكينة ؟ فرّقتم بينها وبين زوجها وبين ولدها ؟ !
قالت : فقالوا لي : الحقّ بزواجك إن شئت .

قالت : فردّ بنو عبد الأسد إلىّ عند ذلك ابني ، قالت : فارتحلتُ بغيري ، ثم أخذت ابني فوضعتَه في حجرِي ، ثم خرجت أريد زوجي بالمدينة .

قالت : وما معي أحد من خلق الله . حتى إذا كنت بالتنعيم لقيت عثمان بن طلحة ابن أبي طلحة أخا بني عبد الدار ، فقال : إلى أين يا ابنة أبي أمية ؟ قلت : أريد زوجي بالمدينة . قال : أو ما مملك أحد ؟ قلت : ما معي أحد إلا الله وبنيّ هذا . فقال : والله ما لك من مترك .

فأخذ بخطّام البعير فانطلق معي يَهْوِي بي ، فو الله ما صحبتُ رجلاً من العرب قط أرى أنه كان أكرم منه ، كان إذا بلغ المنزل أناخ بي ، ثم استأخر عني حتى إذا نزلتُ استأخر ببعيري فحط عنه ثم قيّده في الشجر ، ثم تنجّى إلى شجرة فاضطجع تحتها . فإذا دنا الرّواح قام إلى بعيري فقدمه فرحّله ، ثم استأخر عني وقال : اركبي . فإذا ركبت فاستويت على بعيري أتى فأخذ بخطّامه فقادني حتى ينزل بي .

فلم يزل يصنع ذلك بي حتى أقدمني المدينة ، فلما نظر إلى قرية بني عمرو بن عوف

بِقُبَاءٍ قَالَ : زَوْجُكَ فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ ، وَكَانَ أَبُو سُلَيْمَةَ بِهَا نَازِلًا ، فَادْخُلِهَا عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ .
ثُمَّ انْصَرَفَ رَاجِعًا إِلَى مَكَّةَ .

فَكَانَتْ تَقُولُ : مَا أَعْلَمُ أَهْلَ بَيْتٍ فِي الْإِسْلَامِ أَصَابَهُمْ مَا أَصَابَ آلَ أَبِي سُلَيْمَةَ ،
وَمَا رَأَيْتُ صَاحِبًا قَطُّ كَانَ أَكْرَمَ مِنْ عُمَانَ بْنِ طَلْحَةَ .

أَسْلَمَ عُمَانُ بْنُ طَلْحَةَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ الْعَبْدَرِيُّ هَذَا بَعْدَ الْحَدِيثِيَّةِ ، وَهَاجَرَ هُوَ وَخَالِدُ بْنُ
الْوَلِيدِ مَعًا ، وَقُتِلَ يَوْمَ أَحَدٍ أَبَوَهُ وَإِخْوَتَهُ ؛ الْحَارِثُ وَكِلَابٌ وَمُسَافِيعٌ ، وَعَمَّهُ عُمَانُ بْنُ
أَبِي طَلْحَةَ . وَدَفَعَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْفَتْحِ إِلَى ابْنِ عَمِّهِ شَيْبَةَ وَالِدَ
بَنِي شَيْبَةَ مِفْتَاحَ الْكَعْبَةِ ، أَقْرَبَهَا عَلَيْهِمْ فِي الْإِسْلَامِ كَمَا كَانَتْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، وَنَزَلَ فِي ذَلِكَ
قَوْلُهُ تَعَالَى : « إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا ^(١) » .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : ثُمَّ كَانَ أَوَّلُ مَنْ قَدِمَهَا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ بَعْدَ أَبِي سُلَيْمَةَ ، عَامِرُ بْنُ
رَبِيعَةَ حَلِيفُ بَنِي عَدِيٍّ ، مَعَهُ امْرَأَتُهُ لَيْلَى بِنْتُ أَبِي حَنْظَلَةَ الْعَدَوِيَّةِ . ثُمَّ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ
ابْنُ رِثَابٍ بْنُ يَعْمُرَ بْنِ صَبْرَةَ بْنِ مُرَّةَ بْنِ كَبِيرٍ بْنُ غَنَمٍ بْنُ دُودَانَ بْنِ أَسَدٍ بْنِ خَزِيمَةَ ،
حَلِيفُ بَنِي أُمَيَّةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ ، احْتَمَلَ بِأَهْلِهِ وَأَخِيهِ عَبْدِ ، أَبِي أَحْمَدَ ، اسْمُهُ عَبْدُ كَاذَكَرَهُ
ابْنُ إِسْحَاقَ وَقِيلَ ثَمَامَةُ . قَالَ السَّهْلِيُّ : وَالْأَوَّلُ أَصَحُّ .

وَكَانَ أَبُو أَحْمَدَ رَجُلًا ضَرِيرَ الْبَصَرِ ، وَكَانَ يَطُوفُ مَكَّةَ أَعْلَاهَا وَأَسْفَلَهَا بِغَيْرِ قَائِدٍ ،
وَكَانَ شَاعِرًا وَكَانَتْ عِنْدَهُ الْفَارَعَةُ بِنْتُ أَبِي سَفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ ، وَكَانَتْ أُمُّهُ أُمَيَّةُ بِنْتُ
عَبْدِ الْمَطْلَبِ بْنِ هَاشِمٍ .

فَعَلَقَتْ دَارَ بَنِي جَحْشٍ هَجْرَةً ، فَرَّ بِهَا عَتَبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ وَالْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ

وأبو جهل بن هشام وهم مُضْعِدُونَ إلى أعلى مكة ، فنظر إليها عتبة تَحْفُقُ أباها يَبَابًا
ليس بها ساكن ، فلما رآها كذلك تنفس الصَّدَاء وقال :

وكلُّ دارٍ وإن طالتْ سلامتها يومًا ستُذركم الفُكْبَاء والحُوبُ .

قال ابن هشام : وهذا البيت لأبي دُوَاد الإيَادِي فِي قصيدة له . قال السهيلي : واسم
أبي دُوَاد حنظلة بن شرقى وقيل حارثة .

ثم قال عُتْبَة : أصبحت دار بني جحش خلاء من أهلها . فقال أبو جهل : وما تبكي
عليه من قُلٍّ بن فلٍّ^(١) ثم قال ، يعنى للعباس : هذا من عمل ابن أخيك ، هذا فرق
جماعتنا ، وشئت أمرنا ، وقطع بيننا .

قال ابن إسحاق : فنزل أبو سامة وعامر بن ربيعة وبنو جحش بقباء على مبشر بن
عبد المنذر ثم قدم المهاجرون أرسالا .

قال : وكان بنو غنم بن دُوْدَانَ أهلَ إسلام قد أُوْعِبُوا إلى المدينة هجرة رجالهم
ونسائهم وهم : عبد الله بن جحش ، وأخوه أبو أحمد ، وعُكَّاشَة بن مَحْصَن ، وشجاع ،
وعقبة ابنا وهب ، وأزبد بن جُمَيْرَة^(٢) ومنقذ بن نُبَاتَة ، وسعيد بن رقيش ، ومحرز بن
نُضْلَة ، وزيد بن رُقَيْش ، وقيس بن جابر ، وعمرو بن محسن ، ومالك بن عمرو ،
وصفوان بن عمرو ، وقُتَيْف بن عمرو ، وربيعه بن أكرم ، والزيبر بن عبيدة ، وتمام بن
عبيدة ، وسَخْبَرَة بن عبيدة ، ومحمد بن عبد الله بن جحش . ومن نسائهم زينب بنت
جحش ، وحملة بنت جحش ، وأم حبيب بنت جحش ، وجدامة بنت جندل ،
وأم قيس بنت محسن ، وأم حبيب بنت مُنَمَّاة ، وآمنة بنت رُقَيْش ، وسَخْبَرَة
بنت تميم .

(٢) ويقال فيه : ابن حميرة . وابن حمير .

(١) الفل : الواحد .

قال أبو أحمد بن جحش في هجرتهم إلى المدينة :

ولما رأنتي أمُّ أحمد غادياً بذيمةٍ من أخشى بَقِينٍ وأرهَبُ
تقول فأمَّا كنتَ لأبدُ فاعللاً فَيَمُّ بنا البلدانَ ولتَنَّا يثربُ
فقلت لها : ما يثربُ بِمَظَنَّةٍ ^(١) وما يَشَا الرحمنَ فالعبدُ يركبُ
إلى الله وجهي والرسولِ ومن يُقِمُّ إلى الله يوماً وجهه لا يخبُّ
فكم قد تركنا من حميمٍ مُناصحٍ وناصحةٍ تبكي بدمعٍ وتذُبُّ
تري أن وثراً نأيننا ^(٢) عن بلادنا ونحن نرى أن الرغائبَ نطلبُ
دعوتُ بني غمٍ لحقن دماهم وللاحقُ لما لاح للناس ملحبُ
أجابوا بحمدِ الله لنا دعاهمُ إلى الحق دايغ والنجاح فأوعبوا
وكنّا وأصحاباً لنا فارقوا الهدى أعانوا علينا بالسلاح وأجلبوا
كفوجين أما منهم ما فوقَّ على الحق مهديٌ وفوجٌ معذبُ
طغوا وتمنوا كذبةً وأزلهم عن الحق إبليسٌ نخابوا وخيبوا
ورعنا إلى قولِ النبيِّ محمدٍ فطابَ ولأه الحق منّا وطيبوا
نمتُ بأرحامِ إليهم قريصةٍ ولا قُربَ بالأرحامِ إذ لا تُقربُ
فأى ابنُ أخت بعدنا يأمنكم وأيةُ صهرٍ بعد صهرى يُرُقبُ
ستعلم يوماً أيثنا إذ تزايلوا وزيلُ أمرُ الناس للحق أضوبُ

قال ابن إسحاق : ثم خرج عمر بن الخطاب ، وعيَّاش بن أبي ربيعة ، حتى
قدما المدينة .

(١) ابن هشام : فقلت لها : بل يثرب اليوم وجهنا . (٢) الأصل : نايبا . وهو تحريف وما أثبتته
عن ابن هشام .

فحدثني نافع ، عن عبد الله بن عمر ، عن أبيه قال : أتعدنا لما أردت الهجرة إلى المدينة أنا وعيَّاش بن أبي ربيعة وهشام بن العاص التناضب من إضاعة بني غِفَار فوق مَرَف ، وقلنا : أيُّنا لم يصبح عندها فقد حُبِس ، فليَمُض صاحباه .

قال : فأصبحتُ أنا وعيَّاش عند التناضب ، وحُبِس هشام وقتن فافتن .

فلما قدمنا المدينة نزلنا في بني عمرو بن عوف بَقَاء ، وخرج أبو جهل بن هشام والحارث بن هشام إلى عيَّاش ، وكان ابن عمهما وأخاهما لأُمِّهما ، حتى قدِمَا المدينة ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، فكلَّاه وقالَا له : إن أمك قد نذرت أن لا يمسَّ رأسها مشط حتى تراك ، ولا تستظل من شمس حتى تراك . فرقَّ لها ، فقلت له : إنه والله إن يريدك القوم إلا ليفتنوك عن دينك فاحذرهم ، فوالله لو قد آذى أمك القملُ لامتشطت ، ولو قد اشتد عليها حرُّ مكة لاستظلت !

قال : فقال : أبرئ قسمَ أمي ، ولي هنالك مال فأخذه . قال : قلت : والله إنك لتعلم أني لئن أكرش مالاً ، فلك نصف مالى ولا تذهب معهما .

قال : فأبى عليَّ إلا أن يخرج معهما ، فلما أبى إلا ذلك قلت : أمّا إذ فعلتَ ما فعلتَ فخذ ناقتي هذه ، فإنها ناقة نجبية ذلول فالزم ظهرها ، فإن رابك من أمر القوم ريبٌ فانجُ عليها .

فخرج عليها معهما ، حتى إذا كانوا ببعض الطريق قال له أبو جهل : يا أخى والله لقد استغلظتُ بعيرى هذا ، أفلا تُعقِبني على ناقتك هذه ؟ قال : بلى . فأناخ وأناخا ليتحول عليها ، فلما استووا بالأرض عدّوا عليه فأوثقاه رباطاً ، ثم دخلا به مكة وفتناه فافتن .

قال عمر : فكنا نقول : لا يقبلُ الله ممن افتن توبةً . وكانوا يقولون ذلك لأنفسهم .

حتى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم للمدينة وأنزل الله : « قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ . وَأَنْبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ . وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بُغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ » (١) .

قال عمر : وكتبتها وبعثت بها إلى هشام بن العاص .
قال هشام : فلما أتتني جعلت أقرأها بذي طُوًى أصعَّد بها وأصوَّب ولا أفهمها ،
حتى قلت : اللهم فهمنيها ، فالتقى الله في قلبي أنها إنما أنزلت فينا وفيما كنا نقول في
أنفسنا ، ويقال فينا .

قال : فرجعتُ إلى بعيري فجلست عليه فلحقت برسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة .

وذكر ابن هشام أن الذي قدم بهشام بن العاص ، وعيَّاش ابن أبي ربيعة إلى المدينة
الوليد بن المغيرة سرقهما من مكة وقدم بهما يحملهما على بعيره وهو ماش معهما ، فعثر
فدميت أصبعه فقال :

هَلْ أَنْتَ إِلَّا إِبْصَعٌ دَمِيتِ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا لَقِيتِ

وقال البخاري : حدثنا أبو الوليد ، حدثنا شُعْبَةُ ، أنبأنا أبو إسحاق سمع البراء قال :
أول من قدم علينا مُصْعَبُ بْنُ عُيمِرٍ وابن أم مكتوم ، ثم قدم علينا عَمَّارُ وَبِلَالُ .
وحدثني محمد بن بَشَّار ، حدثنا غُفْدَرُ ، حدثنا شُعْبَةُ ، عن أبي إسحاق ، سمعت البراء

ابن عازب قال : أول من قدم علينا مصعب بن عمير وابن أم مكتوم وكانا يُقرئان الناس ،
فقدم بلال وسعد وعمار بن ياسر ، ثم قدم عمر بن الخطاب في عشرين نفرًا من أصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم .

ثم قدم النبي صلى الله عليه وسلم ، فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم
برسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى جعل الإمام يقرئ : قدِم رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، فما قدِم حتى قرأتُ « سُبْح اسمَ ربك الأعلى » في سور من المفصل .

ورواه مسلم في صحيحه من حديث إسرائيل عن أبي إسحاق ، عن البراء بن
عازب بنحوه .

وفيه التصريح بأن سعد بن أبي وقاص هاجر قبل قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم
المدينة ، وقد زعم موسى بن عقبة عن الزهري أنه إنما هاجر بعد رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، والصواب ما تقدم .

قال ابن إسحاق : ولما قدم عمر بن الخطاب المدينة هو ومن لحق به من أهله وقومه
وأخوه زيد بن الخطاب ، وعمرُو وعبد الله ابنا سُراقَة بن المعتمر ، وخُنيس بن حُذافة
السهمي زوج ابنته حفصة ، وابن عمه سعيد بن زيد بن عمرو بن نُفيل ، وواقد بن عبد الله
التميمي حليف لهم ، وخوَلَى بن أبي خولى ، ومالك بن أبي خولى حليفان لهم من بني عِجَل ،
وبنو البُكَيْرِ إياس وخالد وعاقِل وعامر ، وحلفاؤهم من بني سعد بن ليث ، فنزلوا على رفاة
عبد المنذر بن زُهير في بني عمرو بن عوف بقباء .

قال ابن إسحاق : ثم تتابع المهاجرون رضى الله عنهم . فنزل طلحة بن عبيد الله
وصُهيب بن سنان على خبيب بن إيساف أخى بلحارث بن الخزرج بالسُّنَح . ويقال :
بل نزل طلحة على أسعد بن زُرارة .

قال ابن هشام : وذكر لي عن أبي عثمان النهدي أنه قال : بلغني أن صُهيبيًا حين أراد الهجرة قال له كفار قريش : أتيتنا صعلوكا حقيراً فكأثر مالك عندنا وبلغت الذي بلغت ، ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك ؟ ! والله لا يكون ذلك .

فقال لهم صهيب : أرايتم إن جعلت لكم مالى أتخلون سبيلي ؟ قاله ! : نعم .
قال : فإنى قد جعلت لكم مالى .

فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « ربيع صهيب ، ربيع صهيب » .
وقد قال البيهقي : حدثنا الحافظ أبو عبد الله ، إملاء ، أخبرنا أبو العباس إسماعيل بن عبد الله بن محمد بن ميكال ، أخبرنا عبدان الأهوازي ، حدثنا زيد بن الجريش ، حدثنا يعقوب بن محمد الزهرى ، حدثنا حصين بن حذيفة بن صئفى بن صهيب ، حدثني أبي وعمومتى ، عن سعيد بن المسيب ، عن صهيب ؛ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أريت دار هجرتكم سبخة بين ظهري حرّتين ، فإما أن تكون هجر أو تكون يثرب » .

قال : وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وخرج معه أبو بكر ، وكنت قد هممت معه بالخروج فصددني فتيان من قريش ، فجعلت ليلتي تلك أقوم لا أقعد ، فقالوا : قد شعله الله عنكم بيظنه . ولم أكن شاكياً ، فناموا . فخرجت ولحقني منهم ناس بعد ما سرت يريدون ليردوني ، فقلت لهم : إن أعطيتكم أواق من ذهب وتخلون سبيلي وتوفون لى ؟ ففعلوا فتبعتهم إلى مكة . فقلت : احفروا تحت أسكفة الباب فإن بها أواق ، واذهبوا إلى فلانة فخذوا الحلتين .

وخرجت حتى قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بقباء قبل أن يتحوّل منها ،

فلما رآنى قال : « يا أبا يحيى ربح البيع » فقلت : يا رسول الله ما سبقنى إليك أحدٌ وما أخبرك إلا جبرائيل عليه السلام .

قال ابن إسحاق : ونزل حمزة بن عبد المطلب وزيد بن حارثة وأبو مرثد كنان بن الحصين وابنه مرثد الغنويان حليفا حمزة ، وأنسة وأبو كبشة مؤليا رسول الله صلى الله عليه وسلم على كلثوم بن الهدم أخى بنى عمرو بن عوف بقاء ، وقيل على سعد بن خيثمة وقيل بل نزل حمزة على أسعد بن زرارة . والله أعلم .

قال : ونزل عبيدة بن الحارث وأخواه الطفيل وحصين ، ومسطح بن أثانة وسويبط ابن سعد بن حُرَيْمِلَة أخو بنى عبد الدار ، وطليب بن عمير أخو بنى عبد بن قصي ، وخبَّاب مولى عتبة بن غزوان على عبد الله بن سلمة أخى بلعجلان بقاء^(١) ، ونزل عبد الرحمن بن عوف فى رجال من المهاجرين على سعد بن الربيع ، ونزل الزبير بن العوام وأبو سبرة بن أبى رهم على منذر بن محمد بن عقبة بن أحيحة بن الجلاح بالعصبة دار بنى جحججى ، ونزل مصعب بن عمير على سعد بن معاذ ، ونزل أبو حذيفة بن عتبة وسالم مولاه على سلمة .

قال ابن إسحاق . وقال الأُموى : على خبيب بن إساف أخى بنى حارثة . ونزل عتبة بن غزوان على عباد بن بشر بن وقش فى بنى عبد الأشهل ، ونزل عثمان بن عفان على أوس ابن ثابت بن المنذر أخى حسان بن ثابت فى دار بنى النجار .

(١) ابن هشام : أخى بلعارث بن المزرج .

قال ابن إسحاق : ونزل العزاب من المهاجرين على سعد بن خيثمة ، وذلك أنه كان عزّبا . والله أعلم أى ذلك كان .
وقال يعقوب بن سفيان : حدثني أحمد بن أبي بكر بن الحارث بن زُرارة ابن مصعب بن عبد الرحمن بن عوف ، حدثنا عبد العزيز بن محمد بن عبيد الله ، عن نافع ، عن ابن عمر ، أنه قال : قدمنا [من] مكة فبرز لنا العُصبة^(١) ، عمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح وسالم مولى أبي حذيفة ، فكان يؤمهم سالم مولى أبي حذيفة لأنه كان أكثرهم قرآنا .

(١) العُصبة : موضع بقاء .

فصل

في سبب هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه الكريمة

قال الله تعالى « وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطٰنًا نَّصِيرًا » .

أرشده الله وألمه أن يدعو بهذا الدعاء ، أن يجعل له مما هو فيه فرجاً قريباً ومخرجاً عاجلاً ، فأذن له تعالى في الهجرة إلى المدينة النبوية ، حيث الأنصارُ والأحباب ، فصارت له داراً وقراراً ، وأهلها له أنصاراً .

قال أحمد بن حنبل وعثمان بن أبي شَيْبَةَ ، عن جرير ، عن قابوس بن أبي ظبيان^(١) ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، فأمر بالهجرة وأنزل عليه : « وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ ، وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطٰنًا نَّصِيرًا » .

وقال قتادة : « أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ » المدينة « وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ » الهجرة من مكة « وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطٰنًا نَّصِيرًا » كتابُ الله وفرائضه وحدوده .

قال ابن إسحاق : وأقام رسول الله بمكة بعد أصحابه من المهاجرين ينتظر أن يؤذن له في الهجرة .

(١) ح : قابوس بن أبي ظبيان .

ولم يتخلف معه بمكة إلا من حُبس أو قتن ، إلا على بن أبي طالب وأبو بكر بن أبي قُحافة رضى الله عنهما .

وكان أبو بكر كثيراً ما يستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الهجرة فيقول له « لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحباً » فيطمع أبو بكر أن يَكُونَهُ .

فلما رأت قريش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد صار له شِيعَةٌ وأصحابٌ من غيرهم بغير بلدهم ورأوا خروجَ أصحابه من المهاجرين إليهم ، عرفوا أنهم قد نزلوا داراً وأصابوا منهم منعة .

فَحَذَرُوا خروجَ رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم ، وعرفوا أنه قد أجمعَ لحربهم .

فاجتمعوا له في دار الندوة ، وهى دار قُصَى بن كِلَاب التى كانت قريش لا تَقْضَى أمراً إلا فيها ، يتشاورون فيما يصنعون فى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خافوه .

قال ابن إسحاق : فحدثني من لا أتهم من أصحابنا ، عن عبد الله بن أبي نَجِيح ، عن مجاهد بن جبر ، عن عبد الله بن عباس ، وغيره من لا أتهم ، عن عبد الله عباس ، قال : لما اجتمعوا لذلك واتَّعدوا أن يدخلوا فى دار الندوة ليتشاوروا فيها فى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، غدَّوا فى اليوم الذى اتَّعدوا له ، وكان ذلك اليوم يسمى يوم الزَّحمة ، فاعترضهم إبليس لعنه الله فى صورة شيخ جليل عليه بَتُّ^(١) له فوقف على باب الدار ، فلما رأوه واقفاً على بابها قالوا : مَنْ الشيخ ؟ قال : شيخٌ من أهل نجد ، سمع بالذى اتَّعدتم له فحضر معكم ليسمع ما تقولون ، وعسى أن لا يُعْدمكم منه رأياً ونصحا . قالوا : أجل فادخل .

(١) البت : الكساء الغليظ . وفى المطبوعة : بتلة ، وهو خطأ .

فدخل معهم وقد اجتمع فيها أشراف قريش : عتبة وشيبة ، وأبو سفيان ، وطعيمة ابن عدي ، وجبير بن مطعم بن عدي ، والحارث بن عامر بن نوفل ، والنضر بن الحارث ، وأبو البختري بن هشام ، وزمعة بن الأسود ، وحكيم بن حزام ، وأبو جهل ابن هشام ونبيه ومُنْبه ابنا الحجاج ، وأمّية بن خلف ، ومن كان منهم ، وغيرهم ممن لا يُعدُّ من قريش .

فقال بعضهم لبعض : إن هذا الرجل قد كان من أمره ما قد رأيتم ، وإننا والله ما نأمنه على الوثوب علينا بمن قد اتبعه من غيرنا ، فأجمعوا فيه رأيا .

قال : فتشاوروا ، ثم قال قائل منهم ، قيل إنه أبو البختري بن هشام : احبسوه في الحديد وأغلقوا عليه بابا ، ثم تربصوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء الذين كانوا قبله ، زُهيرا والنايفة ومن مضى منهم من هذا الموت ، حتى يصيبه ما أصابهم .

فقال الشيخ النجدي : لا والله ما هذا لكم برأى ، والله لئن حبستموه كما تقولون ليُخرجنَّ أمره من وراء الباب هذا الذي أغلقتم دونه إلى أصحابه ، فلاؤشكوا أن يثبُّوا عليكم فينتزعوه من أيديكم ثم يكاثروكم به حتى يغلبوكم على أمركم ، ما هذا لكم برأى .

فتشاوروا ، ثم قال قائل منهم : نخرجه من بين أظهرنا فننفيه من بلادنا ، فإذا خرج عنا فوالله ما نبألى أين ذهب ولا حيث وقع ، إذا غاب عنا وفرغنا منه فأصلحنا أمرنا وألفتنا كما كانت .

قال الشيخ النجدي : لا والله ما هذا لكم برأى ، ألم تروا حُسن حديثه وحلاوة منطقته وغلبته على قلوب الرجال بما يأتي به ؟ ! والله لو فعلتم ذلك ما أمنتُ أن يحلَّ على حي من العرب فيغلب عليهم بذلك من قوله وحديثه حتى يتابعوه عليه ، ثم يسير بهم

إليكم حتى يظأكم بهم فيأخذ أمركم من أيديكم ، ثم يفعل بكم ما أراد ، أدبروا فيه رأياً غير هذا .

فقال أبو جهل بن هشام : والله إن لي فيه رأياً ما أراكم وقعتم عليه بعد . قالوا : وما هو يا أبا الحكم ؟

قال : أرى أن نأخذ من كل قبيلة فتى شاباً جليداً نسيباً وسيطاً فينا ، ثم نعطي كل فتى منهم سيفاً صارماً ، ثم يعمدوا إليه فيضربوه بها ضربة رجل واحد فيقتلوه فنستريح منه ، فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل جميعها ، فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعاً ، فرضوا منا بالعقل ففعلناه لهم .

قال : يقول الشيخ النجدي : القول ما قال الرجل ، هذا الرأي ولا رأي غيره .
تتفرق القوم على ذلك وهم مجمعون له .

فأتى جبرائيل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : لا تبث هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبث عليه .

قال : فلما كانت عتمة من الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه حتى ينام فيثبون عليه ، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانهم قال لعلي بن أبي طالب : نمت على فراشي وتسج ببردي هذا الخضرمي الأخضر ، فتم فيه فإنه لن يخلص إليك شيء تسكره منهم . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينام في برده ذلك إذا نام .

وهذه القصة التي ذكرها ابن إسحاق قد رواها الواقدي بأسانيده ، عن عائشة وابن عباس وعلى وسراقة بن مالك بن جعشم وغيرهم ، دخل حديث بعضهم في بعض ، فذكر نحو ما تقدم .

قال ابن إسحاق : فحدثني يزيدُ بن أبي زياد ، عن محمد بن كعب القرظي ، قال :
لما اجتمعوا له ، وفيهم أبو جهل قال وهم على بابه : إن محمداً يزعم أنكم إن تابعتموه على
أمره كنتم ملوك العرب والعجم ، ثم بُعثتم من بعد موتكم ، فجعلت لكم جناناً كجنان
الأردن ، وإن لم تفعلوا كان فيكم ذبحٌ ، ثم بُعثتم بعد موتكم ، ثم جعلت لكم ناراً
تُحرقون فيها .

قال : فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذ حفنة من تراب في يده ثم قال :
« نعم أنا أقول ذلك ، أنت أحدُهم » .

وأخذ الله على أبصارهم عنه فلا يرونه ، فجعل يَنثر ذلك التراب على رؤوسهم وهو
يتنو هذه الآيات : « يس . والقرآن الحكيم . إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ على صراطٍ مُسْتَقِيمٍ »
إلى قوله : « وجعلنا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ »
ولم يَبْقَ منهم رجلٌ إلا وقد وُضع على رأسه تراباً .

ثم انصرف إلى حيث أراد أن يذهب .

فأنام آتٍ ممن لم يكن معهم فقال : ماتنتظرون ههنا ؟ قالوا : محمداً . فقال : خيِّبكم الله !
قد والله خرج عليكم محمد ، ثم ماترك منكم رجلاً إلا وقد وضع على رأسه تراباً ، وانطلق
لحاجته ، أفما ترون ما بكم ؟ !

قال : فوضع كلُّ رجلٍ منهم يده على رأسه ، فإذا عليه تراب ، ثم جعلوا يتطلَّعون
فيرون عليّاً على الفراش متسجّياً ببرد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيقولون : والله إن
هذا الحمد نأثماً عليه برده ، فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا ، فقام علىٌّ عن الفراش
فقالوا : والله لقد كان صدقنا الذي كان حدثنا .

قال ابن إسحاق : فكان مما أنزل الله في ذلك اليوم وما كانوا أجمعوا له قوله تعالى : « وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ، وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ ، وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ » ^(١) وقوله « أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُّ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ » ^(٢) .

قال ابن إسحاق : فأذن الله لنبيه صلى الله عليه وسلم عند ذلك بالهجرة .

(٢) سورة الطور ٣١ .

(١) سورة الأنفال ٣٠ .

باب

هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه الكريمة من مكة إلى المدينة
ومعه أبو بكر الصديق رضى الله عنه

وذلك أولُ التاريخ الإسلامي ، كما اتفق عليه الصحابة في الدولة العُمَريَّة . كما ينفّاه
في سيرة عمر ، رضى الله عنه وعنهم أجمعين .

قال البخارى : حدثنا مطر بن الفضل ، حدثنا رَوْح ، حدثنا هشام ، حدثنا
عِكْرمة ، عن ابن عباس قال : بُعث النبي صلى الله عليه وسلم لأربعين سنة ، فكث
فيها ثلاث عشرة يوحى إليه ، ثم أمر بالهجرة فهاجر عشر سنين ، ومات وهو ابن ثلاثٍ
وستين سنة .

وقد كانت هجرته عليه السلام في شهر ربيع الأول ، سنة ثلاث عشرة من بعثته
عليه السلام ، وذلك في يوم الإثنين .

كما رواه الإمام أحمد عن ابن عباس ، أنه قال : ولد نبيكم يوم الإثنين ، وخرج
من مكة يوم الإثنين ، ونبيُّ يوم الإثنين ، ودخل المدينة يوم الإثنين ، وتوفى يوم
الاثنين .

قال محمد بن إسحاق : وكان أبو بكر حين استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في
الهجرة فقال له : لا تَعْجَلْ لعل الله أن يجعل لك صاحباً ، قد طمع بأن يكون رسولُ الله
صلى الله عليه وسلم إنما يعنى نفسه .

فابتاع راحلتين فحبسهما في داره يعلفهما إعداداً لذلك . قال الواقدي : اشتراها بمائتي درهم .

قال ابن إسحاق : فحدثني من لا أتهم ، عن عروة بن الزبير ، عن عائشة أم المؤمنين ، أنها قالت : كان لا يُخطئ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتي بيت أبي بكر أحد طرفي النهار إما بُكرة ، وإما عشيّة .

حتى إذا كان اليوم الذي أذن الله فيه رسوله صلى الله عليه وسلم في الهجرة والخروج من مكة من بين ظهراني قومه أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجرة في ساعة كان لا يأتي فيها .

قالت : فلما رآه أبو بكر قال : ما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الساعة إلا لأمر حدث .

قالت : فلما دخل تأخر له أبو بكر عن سريره ، فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس عند رسول الله^(١) صلى الله عليه وسلم أحد إلا أنا وأختي أسماء بنت أبي بكر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أخرج عني من عندك » قال : يا رسول الله إنما هما ابتاعى ، وما ذاك فذاك أبي وأمي ؟

قال : إن الله قد أذن لي في الخروج والهجرة .

قالت : فقال أبو بكر : الصحبة يا رسول الله ؟ قال : الصحبة .

قالت : فوالله ما شعرت قط قبل ذلك اليوم أن أحداً يبكي من الفرح ، حتى رأيت أبا بكر يومئذ يبكي !

ثم قال : يابني الله إن هاتين راحلتين كنت أعدتهما لهذا .

(١) ابن هشام : وليس عند أبي بكر .

فاستأجرا عبد الله بن أَرْقَطَ^(١) قال ابن هشام: ويقال عبد الله بن أَرْيَظَ . رجلاً من بني الدَّيْل بن بكر ، وكانت أمه من بني سَهْم بن عمرو ، وكان مشركاً ، يدهمها على الطريق ، ودفعها إليه راحلتيهما ، فكانتا عنده يرعاها لميعادهما .

قال ابن إسحاق : ولم يعلم ، فيما بلغني ، بخروج رسول الله صلى الله عليه وسلم أحده حين خرج إلا على بن أبي طالب وأبو بكر الصديق وآل أبي بكر .

أما على فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره أن يتخلف حتى يؤدي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الودائع التي كانت عنده للناس ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وليس بمكة أحد عنده شيء يخشى عليه إلا وضعه عنده ، لما يعلم من صدقه وأمانته .

قال ابن إسحاق : فلما أجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم [الخروج]^(٢) أتى أبا بكر ابن أبي قحافة ، فخرجا من خَوْخَة لأبي بكر في ظهر بيته .

وقد روى أبو نعيم من طريق إبراهيم بن سعد ، عن محمد بن إسحاق ، قال : بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرج من مكة مهاجراً إلى الله يريد المدينة قال .

« الحمد لله الذي خلّقني ولم أكُ شيئاً ، اللهم أعني على هَوْلِ الدنيا ، وبوائقِ الدهر ، ومصائب الليالي والأيام .

اللهم اصحبني في سفرى ، واخلفني في أهلى ، وبارك لى فيما رزقتنى ، ولك فذللى ، وعلى صالح خلقي فقوّمنى ، وإليك ربّ فحبّبنى ، وإلى الناس فلا تكِلّنى .

ربّ المستضعفين وأنت ربى ، أعوذ بوجهك الكريم الذى أشرقت له السموات

(٢) من ابن هشام .

(١) الأصل : أرقط : وما أثبتته عن ابن هشام .

والأرض ، وكُشِفَتْ به الظلمات ، وصُلِحَ عليه أمر الأولين والآخرين ، أن تُحِلَّ عَلَى غَضَبِكَ ، أو تنزل بى سخطك ، أعوذ بك من زوال نعمتك ، وفَجْأَةٍ نَقَمْتِكَ ، وتحوُّل عافيتك وجميع سخطك . لك العُتْبَى ^(١) عندى خير ما استطعتُ ، لا حول ولا قوة إلا بك . » .

قال ابن إسحاق : ثم عمداً إلى غار بثور ، جبل بأسفل مكة ، فدخله .
وأمر أبو بكر الصديق ابنه عبد الله أن يتسمَّعَ لها ما يقول الناس فيهما نهاره ، ثم يأتيهما إذا أمسى بما يكون في ذلك اليوم من الخبر .
وأمر عامر بن فهيرة موله أن يرعى غنمه نهاره ، ثم يريحها عليهما إذا أمسى في الغار .

فكان عبد الله بن أبي بكر يكون في قریش نهاره معهم ، يسمع ما يأترون به ، وما يقولون في شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر ، ثم يأتيهما إذا أمسى فيخبرهما الخبر .

وكان عامر بن فهيرة يرعى في رُعيان أهل مكة ، فإذا أمسى أراح عليهما غمَّ أبى بكر فاحتلبا وذبحا ، فإذا غدا عبدُ الله بن أبى بكر من عندهما إلى مكة أتبع عامرُ ابن فهيرة أثره بالغنم يعفَى عليه .

وسيأتى في سياق البخارى ما يشهد لهذا .

وقد حكى ابن جرير عن بعضهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سبق الصديقَ في الذهاب إلى غارِ ثور ، وأمر عليّاً أن يدلّه على مسيره ليلحقه ، فلحقه في أثناء الطريق .

وهذا غريب جداً وخلاف المشهور من أنهما خرجا معاً .

قال ابن إسحاق : وكانت أسماء بنت أبي بكر رضى الله عنها تأتيهما من الطعام إذا أمست بما يصلحهما .

قالت أسماء : ولما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر أتانا نفر من قريش فيهم أبو جهل بن هشام ، فوقفوا على باب أبي بكر فخرجت إليهم فقالوا : أين أبوك يا ابنة أبي بكر ؟ قالت : قلت : لا أدري والله أين أبي . قالت : فرفع أبو جهل يده ، وكان فاحشاً خبيثاً ، فلطم خدّي لكمة طرّح منها قرطى ، ثم انصرفوا .

قال ابن إسحاق : وحدثني يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزبير ، أن أباه حدثه ، عن جدته أسماء قالت : لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج أبو بكر معه ، احتمل أبو بكر ماله كله معه ، خمسة آلاف درهم أو ستة آلاف درهم ، فانطلق بها معه . قالت : فدخل علينا جدى أبو قحافة ، وقد ذهب بصره ، فقال : والله إنى لأراه قد فجّعكم بماله مع نفسه .

قالت : قلت : كلاً يا أبت إنه قد ترك لنا خيراً كثيراً . قالت : وأخذت أحجاراً فوضعتها في كوة في البيت الذى كان أبى يضع ماله فيها ، ثم وضعت عليها ثوبا ، ثم أخذت سده فقلت : يا أبت ضع يدك على هذا المال . قالت : فوضع يده عليه فقال : لا بأس ، إذا كان قد ترك لكم هذا فقد أحسن ، وفى هذا بلاغ لكم .

ولا والله ما ترك لنا شيئاً ، ولكن أردت أن أسكن الشيخ بذلك !

وقال ابن هشام : وحدثني بعض أهل العلم أن الحسن بن أبى الحسن البصرى .

قال : انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر إلى الغار ليلاً ، فدخل أبو بكر قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلمس الغار لينظر أفيه سبع أو حية ، بقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه .
وهذا فيه انقطاع من طرفيه ..

وقد قال أبو القاسم البغوي : حدثنا داود بن عمرو الضبي ، حدثنا نافع بن عمر الجمحي ، عن ابن أبي مليكة ، أن النبي صلى الله عليه وسلم لما خرج هو وأبو بكر إلى ثور ، فجعل أبو بكر يكون أمام النبي صلى الله عليه وسلم مرة ، وخلفه مرة . فسأله النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال : إذا كنتُ خلفك خشيتُ أن تؤتى من أمامك ، وإذا كنتُ أمامك خشيتُ أن تؤتى من خلفك .

حتى إذا انتهى إلى الغار من ثور ، قال أبو بكر : كما أنت حتى أدخل يدي فأحسّه وأقصّه ، فإن كانت فيه دابةٌ أصابتنى قبلك .

قال نافع : فبلغني أنه كان في الغار جحر فالتق أبو بكر رجله ذلك الجحر تخوفاً أن يخرج منه دابة أو شيء يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم .
وهذا مرسل . وقد ذكرنا له شواهد أخر في سيرة الصديق رضي الله عنه .

وقال البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرنا أبو بكر أحمد بن إسحاق ، أنبأنا موسى بن الحسن ، حدثنا عباد ، حدثنا عفان بن مسلم ، حدثنا السري بن يحيى . حدثنا محمد بن سيرين ، قال : ذكر رجال على عهد عمر ، فكانهم فضّلوا عمر على أبي بكر ، فبلغ ذلك عمر فقال : والله لليلة من أبي بكر خير من آل عمر ، وليوم من أبي بكر خير من آل عمر !

لقد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة انطلق إلى الغار ومعه أبو بكر فجعل

يمشى ساعة بين يديه وساعة خلفه . حتى فطن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :
يا أبا بكر مالك تمشى ساعة خلفى وساعة بين يدي ؟ فقال : يا رسول الله أذكر الطلب
فأمشى خلفك ، ثم أذكر الرصد فأمشى بين يديك . فقال : يا أبا بكر لو كان شئ
لأحببت أن يكون بك دوني ؟ قال : نعم والذي بعثك بالحق .

فلما انتهيا إلى الغار قال أبو بكر : مكانك يا رسول الله حتى أستبرئ لك الغار ،
فدخل فاستبرأه ، حتى إذا كان ذكر أنه لم يستبرئ الجحرة فقال : مكانك يا رسول الله
حتى أستبرئ . فدخل فاستبرأ ثم قال : انزل يا رسول الله . فنزل .
ثم قال عمر : والذي نفسى بيده لتلك الليلة خير من آل عمر .

وقد رواه البيهقي من وجه آخر عن عمر وفيه : أن أبا بكر جعل يمشى بين يدي
رسول الله صلى الله عليه وسلم تارة وخلفه أخرى ، وعن يمينه وعن شماله . وفيه أنه
لما حفيت رجلاً رسول الله صلى الله عليه وسلم حمله الصديق على كاهله ، وأنه لما
دخل الغار سدّد تلك الأجرة كلّها وبقي منها حجر واحد ، فألقمه كعبه ، فجعلت
الأفاعى تنهشه ودموعه تسيل . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تحزن
إن الله معنا » .

وفي هذا السياق غرابة ونكارة .

وقال البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو سعيد بن أبي عمرو . قالوا : حدثنا
أبو العباس الأصم ، حدثنا عباس الدوري ، حدثنا أسود بن عامر شاذان ، حدثنا
إسرائيل ، عن الأسود ، عن جندب بن عبد الله ، قال : كان أبو بكر مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم في الغار ، فأصاب يده حجر فقال :

إِنْ أَنْتَ إِلَّا إِصْبَعٌ دَمِيَّتٍ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا لَقِيتِ

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ، أخبرني عثمان الجَزَرِي ، أن مقسماً مولى ابن عباس أخبره عن ابن عباس في قوله تعالى « وَإِذِ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ » قال : تشاورت قريش ليلة بمكة ، فقال بعضهم : إذا أصبح فأثبته بالوثاق ، يريدون النبي صلى الله عليه وسلم . وقال بعضهم : بل اقتلوه . وقال بعضهم : بل أخرجوه . فأطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك ، فبات على فراش النبي صلى الله عليه وسلم تلك الليلة ، وخرج النبي صلى الله عليه وسلم حتى لحق بالغار ، وبات للمشركون يحرسون علياً يحسبونه النبي صلى الله عليه وسلم .

فلما أصبحوا ثاروا عليه ، فلما رأوا علياً رد الله عليهم مكرهم . فقالوا : أين صاحبك هذا ؟ فقال : لا أدري .

فاقتفوا أثره ، فلما بلغوا الجبل اختلط عليهم ، فصعدوا الجبل ففروا بالغار ، فرأوا على بابه نسج العنكبوت ، فقالوا : لو دخل هاهنا أحد لم يكن نسج العنكبوت على بابه ، فكش فيه ثلاث ليال .

وهذا إسناد حسن ، وهو من أجود ما روى في قصة نسج العنكبوت على فم الغار ، وذلك من حماية الله ورسوله صلى الله عليه وسلم .

[وقال الحافظ ^(١) أبو بكر أحمد بن علي بن سعيد القاضي في مسند أبي بكر ، حدثنا بشار الخفاف ، حدثنا جعفر وسليمان ^(٢) ، حدثنا أبو عمران الجوني ، حدثنا الملعلي بن زياد ، عن الحسن البصري ، قال : انطلق النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر إلى الغار ، وجاءت قريش يطلبون النبي صلى الله عليه وسلم ، وكانوا إذا رأوا على باب الغار نسج العنكبوت قالوا : لم يدخل أحد .

(١) سقط هذا الخبر من (١) (٢) كذا ولعله جعفر بن سليمان الضبعي .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم قائماً يصلي وأبو بكر يرتقب ، فقال أبو بكر للنبي صلى الله عليه وسلم : هؤلاء قومك يطلبونك ، أما والله ما على نفسي أثيل^(١) ولكن مخافة أن أرى فيك ما أكره .

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : « يا أبا بكر لا تخف إن الله معنا » .

وهذا مرسل عن الحسن ، وهو حسن بحاله من الشاهد .

وفيه زيادة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم في الغار . وقد كان عليه السلام إذا أحزنه أمرٌ صلى .

وروى هذا الرجل ، أعنى أبا بكر أحمد بن علي القاضي ، [عن] عمرو الناقد ، عن خلف بن تميم ، عن موسى بن مطير ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، أن أبا بكر قال لابنه : يا بني إذا حدث في الناس حدثٌ فأت الغار الذي اختبأت فيه أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم فكن فيه ، فإنه سيأتيك رزقك فيه بكرةً وعشيا^(٢) .

وقد نظم بعضهم هذا في شعره حيث يقول :

نَسَجُ داوودَ ما حَمَى صاحبَ الفا رِوكانَ الفَخَّارُ للعنكبوتِ

وقد ورد أن حمامتين عَشَّستا على بابه أيضا ، وقد نظم ذلك الصرصري في شعره حيث يقول :

فغَمَى عليه العنكبوتُ بنَسْجِه وظلَّ على الباب الحمامُ يبيضُ

والحديث بذلك رواه الحافظ ابن عساكر ، من طريق يحيى بن محمد بن صاعد ، حدثنا عمرو بن علي ، حدثنا عون بن عمرو أبو عمرو القيسى ، ويلقب بعوين^(٣) ، حدثني أبو مُصْعَب المَكِّي ، قال : أدركت زيدَ بن أرقم والغيرة بن شُعْبَةَ وأنس بن مالك ،

(١) أثيل : أحزن . (٢) إلى هنا من (١) . (٣) الأصل : عوين .

يذكرون أن النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الغار أمر الله شجرةً فخرجت في وجه النبي صلى الله عليه وسلم تستره ، وأن الله بعث العنكبوت فنسجت ما بينهما فسترت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأمر الله حمامتين وحشيتين فأقبلتا تدفآن^(١) حتى وقعتا بين العنكبوت وبين الشجرة ، وأقبلت فتيان قريش من كل بطن منهم رجلٌ ، معهم عصيتهم وقسيئهم وهراواتهم ، حتى إذا كانوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم قدر مائتي ذراع قال الدليل ، وهو سراقه بن مالك بن جُعشم المذلجي : هذا الحجر ثم لا أدرى أين وضع رجله . فقال الفتيان : أنت لم تخطى منذ الليلة . حتى إذا أصبحوا^(٢) قال : انظروا في الغار ، فاستبقه القوم حتى إذا كانوا من النبي صلى الله عليه وسلم قدر خمسين ذراعا ، فإذا الحمامتان ، فرجع^(٣) فقالوا : ما ردك أن تنظر في الغار؟ قال : رأيت حمامتين وحشيتين بقم الغار ، فعرفت أن ليس فيه أحد .

فسمعا النبي صلى الله عليه وسلم فعرف أن الله قد درأ عنهما بهما ، فسمتا عليهما ، أي برك عليهما ، وأحذرهما الله إلى الحرم فأفرخا كما ترى .

وهذا حديث غريب جداً من هذا الوجه ، قد رواه الحافظ أبو نعيم من حديث مسلم بن إبراهيم وغيره ، عن عون بن عمرو ، وهو الملقب بعوين ، بإسناده مثله . وفيه أن جميع حمام مكة من نسل تيك الحمامتين .

وفي هذا الحديث أن القائف الذي اقتنى لهم الأثر سراقه بن مالك المذلجي .

وقد روى الواقدي عن موسى بن محمد بن إبراهيم ، عن أبيه أن الذي اقتنى لهم الأثر

كرز بن علقمة .

(١) الدفيف من الطائر : مره فوق الأرض أو أن يحرك جناحاه ورجلاه فريق الأرض .

(٢) الأصل : أصبحن . وهو تحريف . (٣) الأصل : ترجع . وهو تحريف .

قلت : ويحتمل أن يكونا جميعاً اقتضيا الأثر . والله أعلم .

وقد قال الله تعالى : « إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ ، إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ ، إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ : لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا . فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا ، وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ، وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ^(١) » .

يقول تعالى مؤنباً لمن تخاف عن الجهاد مع الرسول : « إِلَّا تَنْصُرُوهُ » أنتم فإن الله ناصرهم ومؤيده ومُظفرهم ، كما نصره « إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا » من أهل مكة هارباً ليس معه غير صاحبهِ وصديقه أبي بكر ليس غيره .

ولهذا قال « ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ » أى وقد لجأ إلى الغار فأقاما فيه ثلاثة أيام لَيْسَكُنِ الطَّلَبُ عَنْهُمَا .

وذلك لأن المشركين حين فقدوها كما تقدم ذهبوا في طلبهما كل مذهب من سائر الجهات ، وجعلوا لمن ردها ، أو أحدها مائة من الإبل ، واقتصوا آثارها حتى اختلط عليهم ، وكان الذى يقتص الأثر لقريش سُراقَةُ بن مالك بن جُعْشَم كما تقدم ، فصعدوا الجبل الذى هما فيه ، وجعلوا يمرّون على باب الغار ، فتَحَاذَى أَرْجُلُهُمْ لِبَابِ الْغَارِ وَلَا يَرُونَهَا ، فحفظا من الله لهما .

كما قال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا همام ، أنبأنا ثابت ، عن أنس بن مالك ، أن أبا بكر حدثه ، قال : قلت للنبي صلى الله عليه وسلم ونحن في الغار : لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا تحت قدميه .

فقال : « يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما » .

وأخرجه البخارى ومسلم فى صحيحيهما من حديث هام به .

وقد ذكر بعضُ أهل السير أن أبا بكر لما قال ذلك تال النبي صلى الله عليه وسلم :

لو جاءونا من هاهنا لذهبنا من هنا .

فنظر الصديق إلى الغار قد انفرج من الجانب الآخر ، وإذا البحر قد اتصل به ،

وسفينة مشدودة إلى جانبه .

وهذا ليس بمنكر من حيث القدرة العظيمة ، ولكن لم يرد ذلك بإسناد قوى

ولا ضعيف ، ولسنا نثبت شيئاً من تلقاء أنفسنا ، ولكن ما صحَّ أو حسنَّ سنده قلنا

به . والله أعلم .

وقد قال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا الفضل بن سهل ، حدثنا خلف بن تميم ، حدثنا

موسى بن مطير القرشى ، عن أبيه ، عن أبي هريرة أن أبا بكر قال لابنه : يا بنى إن

حدثت فى الناس حدثاً فأت الغار الذى رأيتنى اختبأت فيه أنا ورسول الله صلى الله

عليه وسلم فكنْ فيه ، فإنه سيأتيك فيه رزقك غدوةً وعشية .

ثم قال البزار : لا نعلم يرويه غيرُ خلف بن تميم .

قلت : وموسى بن مطير هذا ضعيف متروك ، وكذَّبه يحيى بن معين فلا

يقبل حديثه .

وقد ذكر يونس بن بُكير ، عن محمد بن إسحاق ، أن الصديق قال فى دخولها

الغار ، وسيرهما بعد ذلك ، وما كان من قصة سُراقَة كما سيأتى ، شعراً فنه قوله :

قال النسبي ، ولم أَجْزَع يُوقَرْنِي ونحن في سُذْفٍ^(١) من ظُلْمَةِ الْغَارِ
لا تَحْشَ شَيْئًا فَإِنَّ اللَّهَ ثَالِثُنَا وقد تَوَكَّلْ لِي مِنْهُ بِإِظْهَارِ

وقد روى أبو نعيم هذه القصيدة من طريق زياد ، عن محمد بن إسحاق فذكرها
مطولة جداً وذكر معها قصيدة أخرى والله أعلم .

وقد روى ابن لُحَيْعَةَ ، عن أبي الأسود ، عن عروة بن الزبير ، قال : فكث
رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بعد الحج ، يعنى الذى بايع فيه الأنصار ، بقية ذى الحجة
والحرم وصفر .

ثم إن مشركى قريش أجمعوا أمرهم ومكرهم على أن يقتلوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، أو يحبسوه ، أو يخرجوه ، فأطلعه الله على ذلك فأنزل عليه : « وَإِذْ يَمْكُرُ
بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا^(٢) » الآية . فأمر علياً فنام على فراشه ، وذهب هو وأبو بكر ، فلما
أصبحوا ذهبوا فى طلبهما فى كل وجه يطلبونهما .

وهكذا ذكر موسى بن عقبة فى مغازيه ، وأن خروجه هو وأبو بكر إلى الغار
كان ليلاً .

وقد تقدم عن الحسن البصرى فيما ذكره ابن هشام التصريح بذلك أيضاً .

وقال البخارى : حدثنا يحيى بن بُكَيْر ، حدثنا الليث عن عُقَيْل قال ابن شِهَاب :
فأخبرنى عُرْوَةُ بن الزبير ، عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت : لم أعقل
أبوىَّ قط إلا وهما يَدِينَانِ الدِّينَ ، ولم يمر علينا يومٌ إلا يأتينا فيه رسول الله صلى الله
عليه وسلم طرفى النهار بُكْرَةً وعشية ، فلما ابتلى المسلمون خرج أبو بكر مهاجراً نحو
أرض الحبشة ، حتى إذا بلغ بَرَكَ الْغِيَادِ لقيه ابن الدَّغْنَةِ وهو سيد القارّة .

(١) ابن هشام : سُدْفَةٌ . (٢) سورة الأنفال ٣٠ .

فذكرت ما كان من ردّه لأبي بكر إلى مكة وجواره له . كما قدمناه عند هجرة الحبشة إلى قوله : فقال أبو بكر : فإني أردُّ عليك جوارك وأرضى بجوار الله .

قالت : والنبيُّ صلى الله عليه وسلم يومئذ بمكة . فقال النبي صلى الله عليه وسلم للمسلمين : « إني أريت دارَ هجرتكم ذاتَ نخل بين لابتين » وهما الحرتان .

فهاجر من هاجر قبل المدينة ، ورجع بعضُ من كان هاجر قبل الحبشة إلى المدينة . وتجهز أبو بكر مهاجراً قبل المدينة . فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « على رسلك فإنِّي أرجو أن يؤذَن لي » فقال أبو بكر : وهل ترجو ذلك بأبي أنت وأمي ؟ قال : نعم .

فخس أبو بكر نفسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصحبه ، وعلف راحلتين كانتا عنده ورق السَّمَر ، وهو الخَبِيط ، أربعة أشهر ، وذكر بعضهم أنه علفهما ستة أشهر .

قال ابن شهاب : قال عروة : قالت عائشة : فبينما نحن يوماً جلوسٌ في بيت أبي بكر في حرِّ الظهيرة ، فقال قائل لأبي بكر : هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم متقنّاً في ساعةٍ لم يكن يأتينا فيها ، فقال أبو بكر : فداء له أبي وأمي ، والله ما جاء به في هذه الساعة إلا أمر !

قالت : فجاء رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قاستأذن فأذن له ، فدخل فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أخرج من عندك . فقال أبو بكر : إنما هم أهلاك بأبي أنت يا رسول الله .

قال : فإنه قد أذن لي في الخروج . فقال أبو بكر : الصحبة بأبي أنت وأمي ! قال النبي صلى الله عليه وسلم : نعم .

قال أبو بكر : فخذ أنت يا رسول الله إحدى راحلتَي هاتين . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بالثمن .

قالت عائشة : فجهزناهما أحث^(١) الجِهاز ، فصنعنا لهما سُفرة^(٢) في جِراب ، فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها فربطت به على فم الجراب ، فلذلك سُميت ذات النطاقين .

قالت : ثم لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر بفار في جبل ثور ، فكننا فيه ثلاث ليال ، يبيت عندهما عبد الله بن أبي بكر ، وهو غلام شاب ثَقِفٌ لَقِنٌ^(٣) ، فيُدْج من عندهما بسَحَر فيصبح مع قريش بمكة كبائتٍ ، لا يسمع أمراً يُكادان به إلا وعاه حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام ، ويرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى أبي بكر منحةً من غم فيُرِيحهما عليهما حين يذهب ساعة من العشاء ، فيبيتان في رِسل ، وهو لبن منحتهما ورضيفهما^(٤) ، حتى يَنقُ بها عامر بن فهيرة بَعْلَس ، يفعل ذلك في كل ليلة من تلك الليالي الثلاث .

واستأجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رجلاً من بني الدَّيْل ، وهو من بني عبد بن عدى ، هادياً خَرِيْتاً . والخريت : الماهر بالهداية . قد غَمَس^(٥) حِلْفاً في آل العاص بن وائل السهمي ، وهو على دين كفار قريش ، فأَمِنَاه فدفعنا إليه راحلتيهما ، وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال براحتيهما صبح ثلاث ليال . وانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل ، فأخذ بهم طريق السواحل .

قال ابن شهاب : فأخبرني عبد الرحمن بن مالك المدلجي وهو ابن أخي سُرَاقَة ، أن أباه أخبره أنه سمع سُرَاقَة بن مالك بن جُعشم يقول : جاءنا رُسل كفار قريش

(١) أحث الجِهاز : أسرع . وتروى : أحب الجِهاز . (٢) سفرة : زادا .

(٣) ثَقِف : حاذق . ولَقِن : سريع الفهم . (٤) الأصل : ورضيعهما . وما أثبتته من البخاري .

والرضيف : اللبن يغلى بالرضفة (٥) غَمَس حلفاً : عقده . وكانوا يغمسون أيديهم فجفنة توكيدا للحلف .

يُجْعَلُونَ فِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبَى بَكْرٍ دِيَّةَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا لِمَنْ قَتَلَهُ أَوْ أَسْرَهُ .

فِينَمَا أَنَا جَالِسٌ فِي مَجْلَسٍ مِنْ مَجَالِسِ قَوْمِي بَنِي مُدَلِجٍ ، إِذَا أَقْبَلَ رَجُلٌ مِنْهُمْ حَتَّى قَامَ عَلَيْنَا وَنَحْنُ جُلُوسٌ . فَقَالَ : يَا سِرَاقَةَ إِنِّي رَأَيْتُ آتِفًا أَسْوَدَةً ^(١) بِالسَّاحِلِ أَرَاهَا مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ .

قَالَ سِرَاقَةُ : فَعَرَفْتُ أَنَّهُمْ هُمْ ، فَقُلْتُ لَهُ : إِنَّهُمْ لَيْسُوا بِهِمْ ، وَلَكِنَّكَ رَأَيْتَ فُلَانًا وَفُلَانًا انْطَلَقُوا بِأَعْيُنِنَا .

ثُمَّ لَبِثْتُ فِي الْمَجْلَسِ سَاعَةً ، ثُمَّ مَتَّ فِدَخَلْتُ فَأَمَرْتُ جَارِيَّتِي أَنْ تَخْرُجَ بِفَرَسِي وَهِيَ مِنْ وَرَاءِ أَكْمَةٍ فَتَحْبِسَهَا عَلَيَّ ، وَأَخَذْتُ رِمْحِي فَخَرَجْتُ مِنْ ظَهْرِ الْبَيْتِ فَخَطَطْتُ بِزُجَّةٍ ^(٢) الْأَرْضَ وَخَفَضْتُ عَلَيْهِ ، حَتَّى أَتَيْتُ فَرَسِي فَرَكِبْتُهَا فَدَفَعْتُهَا تَقَرُّبُ ^(٣) بِي حَتَّى دَنَوْتُ مِنْهُمْ ، فَعَثَرَتْ بِي فَرَسِي فَخَرَزَتْ عَنْهَا ، فَهَمْتُ فَأَهْوَيْتُ يَدِي إِلَى كِنَانَتِي فَاسْتَخَرَجْتُ مِنْهَا الْأَزْلَامَ ، فَاسْتَقَسَمْتُ بِهَا أَضْرَهُمْ أَمْ لَا ؟ فَخَرَجَ الَّذِي أَكْرَهُ . فَرَكِبْتُ فَرَسِي وَعَصِيتُ الْأَزْلَامَ .

فَجَعَلَ فَرَسِي يَقَرُّبُ بِي ، حَتَّى إِذَا سَمِعْتُ قِرَاءَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ لَا يَلْتَفِتُ وَأَبُو بَكْرٍ يُكْثِرُ اللَّاتِفَاتِ ، سَاخَتْ يَدَا فَرَسِي فِي الْأَرْضِ حَتَّى بَلَغَتَا الرِّكْبَتَيْنِ ، فَخَرَزَتْ عَنْهَا فَأَهْوَيْتُ ، ثُمَّ زَجَرْتُهَا فَهَضَمَتْ ، فَلَمْ تَسْكُدْ تَخْرُجُ يَدِيهَا ، فَلَمَّا اسْتَوَتْ قَائِمَةً إِذَا لِأَثَرِ يَدِيهَا غِبَارٌ سَاطِعٌ فِي السَّمَاءِ مِثْلَ الدِّخَانِ ، فَاسْتَقَسَمْتُ الْأَزْلَامَ فَخَرَجَ الَّذِي أَكْرَهُ .

(٢) الزج : حديدة تجمل في طرف الرمح .

(١) الأسود : يكنى بها عن الشخص .

(٣) الأصل : ففرت . وما أثبتته من البخاري .

فناديتهم بالأمان ، فوقفوا فركبت فرسى حتى جثهم ووقع فى نفسى حين لقيت
مالقيت من المجلس عنهم أن سيظهر أمرُ رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقلت له : إن
قومك قد جعلوا فيك الدية ، وأخبرتهم أخباراً ما يريد الناسُ بهم ، وعرضت عليهم الزادَ
والمَتاع ، فلم يَرَزَ آنى^(١) ولم يسألانى إلا أن قالوا : أَخْفِ عَنَّا . فسألته أن يكتب لى كتابَ
أَمْنٍ ، فأمر عامر بن فهيرة فكتب لى رقعة من أَدَمَ . ثم مضى رسولُ الله صلى الله
عليه وسلم .

وقد روى محمد بن إسحاق ، عن الزهرى ، عن عبد الرحمن بن مالك بن جُشم ،
عن أبيه ، عن عمه سراقَة فذكر هذه القصة ، إلا أنه ذكر أنه استقسم بالأزلام أولَ
ما خرج من منزله فخرج السهم الذى يكره : لا يضره ، وذكر أنه عثر به فرسه أربع
مرات ، وكلُّ ذلك يستقسم بالأزلام ويخرج الذى يكره : لا يضره . حتى ناداهم بالأمان .
وسأل أن يكتب له كتابا يكون أمانةً ما بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال :
فكتب لى كتابا فى عَظْمٍ ، أو رقعة أو خِرقة ، وذكر أنه جاء به إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو بالجعرانة مرَّجِعَهُ من الطائف ، فقال له « يومُ وفاءٍ وبرٍّ ، ادنه »
فدنوت منه ، وأسلمت .

قال ابن هشام : هو عبد الرحمن بن الحارث بن مالك بن جشم .
وهذا الذى قاله جَيْد .

ولما رجع سُرَاقَة جعل لا يلقى أحدا من الطَّلب إلا ردَّه وقال : كُفَيْتُمْ
هذا الوجه .

(١) الأصل : فلم يردانى وهو تصحيف وما أثبتته من صحيح البخارى .

فلما ظهر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وصل إلى المدينة ، جعل سراقه يقصُّ على الناس ما رأى وما شاهد من أمر النبي صلى الله عليه وسلم وما كان من قصة جواده ، واشتهر هذا عنه ، فخاف رؤساء قريش معرفته ، وخشوا أن يكون ذلك سبباً لإسلام كثير منهم ، وكان سراقه أميرَ بنى مُذَلِّجٍ ورئيسهم ، فكتب أبو جهل ، لعنه الله ، إليهم :

بنى مُذَلِّجِ إني أخاف سفيهمك سراقه مُسْتَفْوٍ لِنَصْرِ مُحَمَّدٍ
عليكم به ألا يفرِّقَ جَمْعَكُم فيصبح شتَّى بعد عزِّ وسُودِّ

قال : فقال سراقه بن مالك يحيب أبا جهل في قوله هذا :

أبا حَكَمٍ والله لو كنتَ شاهداً لأمرِ جوادى إذ تَسُوخُ قوائمه
عجبتَ ولم تَشْكُكْ بأنَّ محمداً رسولٌ وبرهان فن ذا يقاومه^(١)
عليك فكفَّ القومَ عنه فإني أخالُ لنا يوماً سببدو معاله
بأمرٍ توذَّ النصرَ فيه فإنهم وإنَّ جميعَ الناس طُرّاً مُسألَمه

وذكر هذا الشعر الأُموي في مغازيه بسنده عن أبي إسحاق ، وقد رواه أبو نعيم بسنده من طريق زياد عن ابن إسحاق ، وزاد في شعر أبي جهل أبياتاً تتضمن كفراً بليفاً .

وقال البخارى بسنده إلى ابن شهاب : فأخبرني عروة بن الزبير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقي الزبير في رَكْبٍ من المسلمين كانوا تجاراً قافلين من الشام ، فكسَّ الزبيرُ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر ثياب بيض .

(١) : نبي وبرهان فن ذا يكلمه .

وسمع المسلمون بالمدينة بمخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة ، فكانوا
دُونَ كُلِّ غَدَاةٍ إِلَى الْحَرَّةِ فَيَنْتَظِرُونَهُ حَتَّى يَرُدَّهُمْ حَرُّ الظَّهْرِ .

فَانْقَلَبُوا يَوْمًا بَعْدَ مَا أَطَالُوا ابْتِظَارَهُمْ ، فَلَمَّا أَوُوا إِلَى بَيْوتِهِمْ أَوْفَى رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ
عَاطِمٌ^(١) مِنْ آطَامِهِمْ لِأَمْرٍ يَنْظُرُ إِلَيْهِ ، فَبَصُرَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ
مَبْيُضِينَ^(٢) يَزُولُ بِهِمُ السَّرَابُ ، فَلَمْ يَمْلِكِ الْيَهُودِيُّ أَنْ قَالَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ : يَا مَعْشَرَ
عَرَبٍ هَذَا جَدُّكُمْ الَّذِي تَنْتَظِرُونَ .

فَنَارَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى السِّلَاحِ فَتَلَقَّوْا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِظَهْرِ الْحَرَّةِ ،
عَدَلَ بِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ حَتَّى نَزَلَ بِهِمْ فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ ، وَذَلِكَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ مِنْ
شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ .

فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ لِلنَّاسِ ، وَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَامِتًا ، فَطَفِقَ مَنْ
جَاءَ مِنَ الْأَنْصَارِ مَنْ لَمْ يَرَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَحْيَى أَبَا بَكْرٍ ، حَتَّى أَصَابَتْ
الشَّمْسُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ حَتَّى ظَلَّلَ عَلَيْهِ بَرْدَانَهُ ، فَعَرَفَ
النَّاسَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ ذَلِكَ .

فَلَبِثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ بَضْعَ عَشْرَةِ لَيَالٍ وَأُسَسَ
الْمَسْجِدَ الَّذِي أُسَسَ عَلَى التَّقْوَى ، وَصَلَّى فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

ثُمَّ رَكِبَ رَاحِلَتَهُ وَسَارَ يَمْشِي مَعَهُ النَّاسُ حَتَّى بَرَكْتَ عِنْدَ مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمَدِينَةِ ، وَهُوَ يَصَلِّي فِيهِ يَوْمَئِذٍ رِجَالُ الْمُسْلِمِينَ . وَكَانَ مِرْبَدًّا لِلتَّمَرِ

(١) الْأَطْمُ : الْحَصَنُ . (٢) مَبْيُضِينَ : عَلَيْهِمُ الثِّيَابُ الْبَيْضُ الَّتِي كَسَاهَا لَيَالِيَهُمُ الزَّبِيرُ وَطَلْحَةُ .
وَقَالَ ابْنُ التِّينِ : يَحْتَمِلُ أَنْ مَعْنَاهَا مُسْتَعْجِلِينَ ، قَالَ ابْنُ فَارَسٍ : يُقَالُ : بَاطِئُ أَيْ مُسْتَعْجِلُ شَرَحَ
المواهب ١ / ٣٥٠ .

لِسُهَيْلٍ وَسَهْلٍ غَلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي حَجَرِ أَسْعَدَ بْنِ زُرَّارَةَ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ بَرَكْتَ بِهِ رَاحِلَتَهُ : « هَذَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ الْمَنْزِلَ » .

ثُمَّ دَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْغَلَامَيْنِ فَسَاوَمَهُمَا بِالْمَرْبَدِّ لِيَتَّخِذَهُ مَسْجِدًا ، فَقَالَا : بَلْ نَهْبُهُ لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَأَبَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَقْبَلَهُ مِنْهُمَا هِبَةً حَتَّى ابْتَاعَهُ مِنْهُمَا . ثُمَّ بَنَاهُ مَسْجِدًا .

فَطَفَّقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْقُلُ مَعَهُمُ اللَّابِنَ فِي بَنِيَانِهِ ، وَهُوَ يَقُولُ حِينَ يَنْقُلُ اللَّابِنَ :

هَذَا الْحِمَالُ لَا حِمَالُ خَيْرَ هَذَا أَيْرُ رَبَّنَا وَأَطْهَرُ

وَيَقُولُ :

لَا هُمْ إِنْ الْأَجْرَ أَجَرَ الْآخِرَةَ فَارْحَمِ الْأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرَةَ

فَتَمَثَّلَ بِشَعْرِ رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لَمْ يَسْمَعْ لِي . قَالَ ابْنُ شِهَابٍ : وَلَمْ يَبْلُغْنَا فِي الْأَحَادِيثِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَمَثَّلَ بِبَيْتِ شَعْرِ تَامٍ غَيْرِ هَذِهِ الْآيَاتِ .

هَذَا لَفْظُ الْبُخَارِيِّ ، وَقَدْ تَفَرَّدَ بِرَوَايَتِهِ دُونُ مُسْلِمٍ ، وَلَهُ شَوَاهِدٌ مِنْ وَجْهِهِ آخَرٌ ، وَلَيْسَ فِيهِ قِصَّةُ أُمِّ مَعْبُدٍ الْخَزَاعِيَّةِ .

وَلَنْذَكَرْ هُنَا مَا يَنْاسِبُ ذَلِكَ مَرْتَبًا أَوْ لَا فَأُولَا .

قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ : حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ مُحَمَّدٍ أَبُو سَعِيدٍ الْعَنْقَرِيُّ ^(١) ، حَدَّثَنَا إِسْرَائِيلُ ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ ، عَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ ، قَالَ : اشْتَرَى أَبُو بَكْرٍ مِنْ عَازِبٍ سَرَجًا بِثَلَاثَةِ عَشْرَ دِرْهَمًا ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ لِعَازِبٍ : مُرِ الْبَرَاءَ فَلْيَحْمِلْهُ إِلَى

(١) نسب إلى العنقر وهو الریحان ، كان يبيعه أو يزرعه ، مات سنة ١٩٩ يروى عن إسرائيل والثوري . الباب ٢ / ١٥٦ .

منزلى . فقال : لا حتى نتحدثا كيف صنعت حين خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت معه .

فقال أبو بكر : خرجنا فأدْلجنا فأحْشَنا يومنا وليلتنا حتى أظهرنا وقام قائمُ الظهيرة ، فضربتُ بصرى هل أرى ظلاً نأوى إليه ، فإذا أنا بصخرة فأهويتُ إليها فإذا بقية ظلها فسويته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفرشت له فروةً وقلت : اضطجع يا رسول الله . فاضطجع .

ثم خرجت أنظر هل أرى أحداً من الطلب ، فإذا أنا براعى غنم ، فقلت : لمن أنت يا غلام ؟ فقال : لرجل من قريش . فسماه فعرفته ، فقلت : هل فى غنمك من لبن ؟ قال : نعم ! قلت : هل أنت حالبٌ لى ؟ قال نعم . فأمرته فاعتقل شاةً منها ثم أمرته فنفض ضرعها من الغبار ، ثم أمرته فنفض كفيها من الغبار ، ومعنى إداوة على فيها خرقة فخلب لى كُشبة^(١) من اللبن ، فصببت على القدح حتى برد أسفله ، ثم أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فوافيته وقد استيقظ ، فقلت : اشرب يا رسول الله . فشرب حتى رضيت ، ثم قلت : هل آن الرحيل ؟ فارتحلنا والقوم يطلبوننا .

فلم يدركنا أحدٌ منهم إلا سُراقه بن مالك بن جعشم على فرس له ، فقلت : يا رسول الله هذا الطلب قد لحقنا ؟ قال : « لا تحزن إن الله معنا » .

حتى إذا دنا فكان بيننا وبينه قدر رُمح ، أو رحمين أو قال رحمين أو ثلاثة ، قلت : يا رسول الله هذا الطلبُ قد لحقنا ! وبكيت ، قال : لم تبكى ؟ قلت : أما والله ما على نفسى أبكى ، ولكن أبكى عليك .

فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « اللهم اكفنا بما شئت » فساخت قوائم فرسه إلى بطنها فى أرض صلِّدٍ ، ووثب عنها وقال : يا محمد قد علمت أن هذا عملك

(١) الكشبة : القليل من اللبن .

فادعُ الله أن ينجيني مما أنا فيه ، فوالله لأعْمِنَ على مَنْ ورأى من الطلب ، وهذه كنانتي نخذ منها سهماً فإنك ستمرُّ بإبلى وغنمى بموضع كذا وكذا نخذ منها حاجتك .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا حاجة لى فيها » ودعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأطلق ورجع إلى أصحابه .

ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا معه ، حتى قدما المدينة وتلقاه الناس ، فخرجوا في الطرق [و] على الأناجير^(١) ، واشتد الخدم والصبيان في الطريق يقولون : الله أكبر جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، جاء محمد .

قال : وتنازع القومُ أيهم ينزل عليه ، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنزلُ الليلةَ على بنى النجار أحوال عبد المطلب لأكرمهم بذلك » فلما أصبح غدا حيث أمر .

قال البراء : أولُ من قدّم علينا من المهاجرين مُصْعَبُ بنُ عُمَيْرٍ أخو بنى عبد الدار ، ثم قدم علينا ابن أم مكتوم الأعمى أحد بنى فهر ، ثم قدم علينا عمر بن الخطاب في عشرين راكبا ، فقلنا : ما فعل رسول الله ؟ قال : هو على أثرى . ثم قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر معه .

قال البراء : ولم يقدّم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قرأت سوراً من المنفصل .

أخرجاه في الصحيحين من حديث إسرائيل بدون قول البراء : أول من قدم علينا . إلخ . فقد انفرد به مسلم فرواه من طريق إسرائيل به .

وقال ابن إسحاق : فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الفار ثلاثاً ومعه أبو بكر ، وجعلت قریش فيه حين فقدوه مائة ناقة لمن ردّه عليهم ، فلما مضت الثلاث وسكن عنهما الناس أتاها صاحبهما الذي استأجراه ببيعيريهما وبيعير له ، وأتتهما أسماء بنت أبي بكر بفسرتيهما ، ونسيت أن تجعل لها عصاماً ، فلما ارتحلا ذهبت لتعلق السفرة فإذا ليس فيها عصام ، فتحل نطاقيها فتجعله عصاماً ثم علقها به . فكان يقال لها : ذات النطاقيين لذلك .

قال ابن إسحاق : فلما قرّب أبو بكر الراحلتين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قدّم له أفضلهما ثم قال : اركب فداك أبي وأمي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إني لا أركب بغيراً ليس لي » قال : فهي لك يا رسول الله بأبي أنت وأمي . قال : لا ولكن ما الثمن الذي ابتعتها به ؟ قال : كذا وكذا . قال : أخذتها بذلك . قال : هي لك يا رسول الله .

وروى الواقدي بأسانيده أنه عليه السلام أخذ القصواء ، قال : وكان أبو بكر اشتراها بثمانمائة درهم .

وروى ابن عساکر من طريق أبي أسامة عن هشام ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : وهي الجدعاء . وهكذا حكى السهيلي عن ابن إسحاق أنها الجدعاء والله أعلم .

قال ابن إسحاق : فركبا وانطلقا . وأردف أبو بكر عامر بن فهيرة موله خلفه ليخدمهما في الطريق .

فحدثت عن أسماء أنها قالت : لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر أتانا نفر من قریش منهم أبو جهل ، فذكر ضربه لها على خدها لكمة طرح منها قرطها من أذنهما كما تقدم .

قالت : فكثنا ثلاثَ ليالٍ ماندرى أين وجهَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، حتى أقبل رجلٌ من الجن من أسفل مكة يتغنى بأبيات من شعر غناء العرب ، وإن الناس ليتبغفونه يسمعون صوته وما يرونه ، حتى خرج من أعلى مكة وهو يقول :

جزى الله ربُّ الناس خيراً جزائه رفيقَيْنَ حَلًّا خيمَتِي أمَّ مَعْبِدٍ
ها نزلًا بالبرِّ ثم تروّحا فأفلح من أمسى رفيقَ محمدٍ
ليهنِ بنى كعبٍ مكانُ فتاتهم ومَقْعَدُها للمؤمنين بمرصَدٍ

قالت أسماء : فلما سمعنا قوله عرفنا حيث وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن وجهه إلى المدينة .

قال ابن إسحاق : وكانوا أربعة ؛ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو بكر ، وعامر ابن فهيرة مولى أبي بكر ، وعبد الله بن أرقط^(١) كذا يقول ابن إسحاق ، والمشهور عبد الله بن أريقط الدبلي . وكان إذ ذاك مشركا .

قال ابن إسحاق : ولما خرج بهما دليلهما عبد الله بن أرقط^(١) سلك بهما أسفل مكة ثم مضى بهما على الساحل حتى عارض الطريق أسفل من عُسْفان ، ثم سلك بهما على أسفل أمّج ، ثم استيجاز بهما حتى عارض الطريق بعد أن أجاز قُدَيْدًا ، ثم أجاز بهما من مكانه ذلك فسلك بهما الحَرَّارَ^(٢) ثم أجاز بهما ثَنِيَّةَ المَرَّةِ ، ثم سلك بهما لِقْفًا ، ثم أجاز بهما مَدْلَجَةَ لِقْفٍ ، ثم استبطن بهما مَدْلَجَةَ حِجَاجٍ ثم سلك بهما مَرَجِحَ حِجَاجٍ ، ثم تبطن بهما مَرَجِحَ من ذى العضوين ؛ ثم بطن ذى كَشَرٍ^(٣) ، ثم أخذ بهما على الجَدَّاجِد ، ثم على الأجرَد ، ثم سلك بهما ذا سَلَمٍ من بطن أعداء مَدْلَجَةَ

(١) الأصل : أرقط . وهو تحريف والتصويب من ابن هشام .

(٢) الحرار : واد أو ماء بالمدينة . (٣) الأصل : كشد ، وما أثبتته من معجم البلدان .

نَعِيمٍ^(١) ، ثم على العبايد ، ثم أجاز بهما القاحلة ثم هبط بهما العرج وقد أبطأ عليهم بعضُ ظهرهم ، فحمل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلٌ من أسلم يقال له أوس بن حجر على جمل يقال له ابن الرداء ، إلى المدينة وبعث معه غلاما يقال له مسعود بن هُنَيْدَة ، ثم خرج بهما [دليلهما من العرج ، فسلكت بهما ثنية العائر عن يمين ركوبة ، ويقال ثنية العائر فيما قال ابن هشام ، حتى هبط بهما بطن رَم ، ثم قدم بهما^(٢)] قُبَاء على بنى عمرو بن عوف ، لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول يوم الاثنين حين اشتد الضَّحَاء وكادت الشمس تعتدل .

وقد روى أبو نعيم من طريق الواقدي نحوه من ذكر هذه المنازل ، وخالفه في بعضها والله أعلم .

قال أبو نعيم : حدثنا أبو حامد بن جبلة ، حدثنا محمد بن إسحاق ، عن السَّرَّاج ، حدثنا محمد بن عباد بن موسى العجلي ، حدثني أخى موسى بن عباد ، حدثني عبد الله بن سيار ، حدثني إلياس بن مالك بن الأوس الأسلمي ، عن أبيه ، قال : لما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر مرثوا بإبل لنا بالجحفة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لمن هذه الإبل ؟ فقالوا : لرجل من أسلم . فالتفت إلى أبي بكر فقال : سلمت إن شاء الله . فقال : ما اسمك ؟ قال : مسعود . فالتفت إلى أبي بكر فقال : سعدت إن شاء الله .

قال : فأتاه أبي فحملة على جمل يقال له ابن الرداء .

قلت : وقد تقدم عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج من مكة يوم الاثنين ، ودخل المدينة يوم الاثنين .

(١) نعيم : عين على ثلاثة أميال من السقيا بين مكة والمدينة .

(٢) سقطت من أ

والظاهر أن بين خروجه عليه السلام من مكة ودخوله المدينة خمسة عشر يوماً .
لأنه أقام بغار ثور ثلاثة أيام ، ثم سلك طريق الساحل وهي أبعد من الطريق الجادة .

واجتاز في مروره على أم مَعْبِد بنت كعب من بني كعب بن خُزاعة .

قال ابن هشام : وقال يونس عن ابن إسحاق : اسمها عاتكة بنت خلف بن مَعْبِد
ابن ربيعة بن أصرم .

وقال الأُموي : هي عاتكة بنت تبيع حليف بني مُنْقِذ بن ربيعة بن أصرم بن
صنيس^(١) بن حرام بن خَيْسة بن كعب بن عمرو .

ولهذه المرأة من الولد معبد ونضرة وحنيدة بنو أبي معبد ، واسمه أكرم بن عبد العزى
ابن معبد بن ربيعة بن أصرم بن صنيس .

وقصتها مشهورة مروية من طرق يشد بعضها بعضا .

وهذه قصة أم معبد الخُزاعية :

قال يونس عن ابن إسحاق : فنزل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بخيمة أم معبد
واسمها عاتكة بنت خلف بن معبد بن ربيعة بن أصرم ، فأرادوا القِرَى فقالت : والله
ما عندنا طعام ولا لنا منحة ولا لنا شاة إلا حائل .

فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض غنمها فمسح ضرعها بيده ودعا الله
وحلب في العُسِّ حتى أرغى وقال : اشربي يا أم معبد . فقالت : اشربي فأنت أحقُّ به .
فردّه عليها فشربت ، ثم دعا بجائل أخرى ففعل مثل ذلك بها فشربه ، ثم دعا بجائل

(١) في الإصابة : خبيس .

أخرى ففعل بها مثل ذلك فسقى دليله ، ثم دعا بجائل أخرى ففعل بها مثل ذلك فسقى عامراً ، ثم تروّح .

وطلبت قریش رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغوا أمّ مَعْبُد فسألوا عنه ، فقالوا : أَرَأَيْتَ مُحَمَّدًا مِنْ حِلْيَتِهِ كَذَا وَكَذَا ؟ فوصفوه لها .

فقلت : ما أدري ما تقولون ، قَدِمْنَا فَتَى حَالِبُ الْحَائِلِ .
قالت قریش : فذاك الذي نريد .

وقال الحافظ أبو بكر البزار ، حدثنا محمد بن معمر ، حدثنا يعقوب بن محمد ، حدثنا عبد الرحمن بن عقبة بن عبد الرحمن بن جابر بن عبد الله ، حدثنا أبي ، عن أبيه ، عن جابر قال : لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر مهاجرين فدخلوا الغار ، إذا في الغار جُبْرٌ فَأَلْقَمَهُ أَبُو بَكْرٍ عَقِبَهُ حَتَّى أَصْبَحَ ، مخافة أن يخرج على رسول الله صلى الله عليه وسلم منه شيء .

فأقاما في الغار ثلاث ليالٍ ثم خرجا حتى نزل بنخيات أم معبد ، فأرسلت إليه أم معبد : إنى أرى وجوها حسناً ، وإن الحى أقوى على كرامتكم منى .

فلما أمسوا عندها بعثت مع ابن لما صغير بشفرة وشاة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اَرْدَدِ الشَّفْرَةَ وَهَاتِ لَنَا فَرَقًا » يعنى القَدَح . فأرسلت إليه أن لا لبن فيها ولا ولد . قال : هات لنا فرقا فجاءت بفرق فضرب ظهرها فاجترت ودرّت فخاب فلأ القدح فشرب وسقى أبا بكر ، ثم حلب فبعث فيه إلى أم معبد .

ثم قال البزار : لا نعلمه يُروى إلا بهذا الإسناد ، وعبد الرحمن بن عُبَيْدَةَ لا نعلم أحداً حدّث عنه إلا يعقوب بن محمد ، وإن كان معروفاً في النسب .

وروى الحافظ البيهقي من حديث يحيى بن زكريا بن أبي زائدة ، حدثنا محمد بن

عبد الرحمن بن أبي ليلى ، حدثنا عبد الرحمن بن الأصبهاني ، سمعت عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن أبي بكر الصديق قال : خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة فأنهينا إلى حى من أحياء العرب ، فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيت منتحياً فقصد إليه ، فلما نزلنا لم يكن فيه إلا امرأة فقالت : يا عبد الله إنما أنا امرأة وليس معى أحد ، فعليكما بعظيم الحى إن أردتم القرى . قال : فلم يجبها وذلك عند المساء ، فجاء ابن لها بأعز يسوقها ، فقالت : يا بنى انطلق بهذه العنز والشفرة إلى هذين الرجلين فقل لهما تقول لكما أى اذبحا هذه وكلاً وأطعمانا .

فلما جاء قال له النبي صلى الله عليه وسلم : انطلق بالشفرة وجئنى بالقدح . قال : إنها قد عزبت وليس بها لبن ، قال : انطلق ، فجاء بقدح فمسح النبي صلى الله عليه وسلم ضرعها ثم حلب حتى ملأ القدح ، ثم قال : انطلق به إلى أمك . فشربت حتى رويت ، ثم جاء به فقال : انطلق بهذه وجئنى بأخرى . ففعل بها كذلك ثم سقى أبا بكر ، ثم جاء بأخرى ففعل بها كذلك ، ثم شرب النبي صلى الله عليه وسلم .

فبقنا ليلتنا ، ثم انطلقنا . فكانت تسميه المبارك . وكثرت غنمها حتى جلبت جلبا إلى المدينة ، فرأى أبو بكر فرأى ابنها فعرفه ، فقال : يا أمه هذا الرجل الذى كان مع المبارك . فقامت إليه فقالت : يا عبد الله من الرجل الذى كان معك؟ قال : أو ماتدرين من هو؟ قالت : لا . قال : هو نبي الله . قالت فأدخلنى عليه .

قال : فأدخلها فأطعمها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعطاه . زاد ابن عبدان فى روايته : - قالت : فدللتى عليه ، فانطلقت معى ، وأهدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا من أقط ومنتاع الأعراب . قال : فكساها وأعطاه .

قال : ولا أعلمه إلا قال : وأسلمت .

إسناد حسن .

وقال البيهقي : هذه القصة شبيهة بقصة أم معبد ، والظاهر أنها هي . والله أعلم .

وقال البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو بكر أحمد بن الحسن القاضي ، قالا : حدثنا أبو العباس الأصم ، حدثنا الحسن بن مكرم ، حدثني أبو أحمد بشر بن محمد السكرى ، حدثنا عبد الملك بن وهب المذحجي ، حدثنا أنجر بن الصباح ، عن أبي معبد الخزاعي ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج ليلة هاجر من مكة إلى المدينة هو وأبو بكر وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر ودليلهم عبد الله بن أريقط اللثي ، فرؤوا نجيمتي أم معبد الخزاعية .

وكانت أم معبد امرأة برزة جلدة تحب وتجلس بفناء الخيمة فتطعم وتسقى ، فسألوها هل عندها لحم أو لبن يشترونه منها ؟ فلم يجدوا عندها شيئا من ذلك ، وقالت : لو كان عندنا شيء ما أعوزكم القرى ، وإذا القوم مرملون مستنون .

فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا شاة في كسر^(١) خيمتها فقال : ما هذه الشاة يا أم معبد ؟ فقالت : شاة خلفها الجهد عن الغنم . قال : فهل بها من لبن ؟ قالت : هي أجهد من ذلك . قال : تأذنين لي أن أحلبها ؟ قالت : إن كان بها حلب فاحلبها .

فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشاة فمسحها وذكر اسم الله ومسح ضرعها وذكر اسم الله ، ودعا بإناء لها يربض الرهط^(٢) فتفاجت^(٣) واجترت فحلب فيه ثجأ

(١) يربض الرهط : يشبعهم حتى يربضوا .

(٢) كسر الخيمة : جانبها .

(٣) تفاجت : فرجت مابين رجليها .

حتى ملأه ، فسقاها وسقى أصحابه فشربوا عَمَلًا بعد نَهْل ، حتى إذا رَوُوا شرب آخرهم وقال : ساقى القوم آخرهم . ثم حلب فيه ثانياً عوداً على بدء ، فغادره عندها . ثم ارتحلوا .

قال : فقلَّ مالبث أن جاء زوجها أبو معبد يسوق أعزاً عجافاً يتساوكن هزلاً لا تقي بهن ^(١) تخهن قليل ، فلما رأى اللبن تحب وقال : من أين هذا اللبن يا أم معبد ، ولا حلوبة في البيت والشاء عازب ؟ !

فقالت : لا والله إنه مر بنا رجل مبارك كان من حديثه كيت وكيت .

فقال : صفيه لي ، فوالله إني لأراه صاحب قريش الذي تطلب .

فقالت : رأيت رجلاً ظاهر الوضاعة حسن الخلق مليح الوجه لم تعبهُ نُجْلَةٌ ^(٢) ولم تزر به صُعْلَةٌ ^(٣) ، قسيمٌ وسيمٌ ، في عينيه دَعَجٌ ، وفي أشفاره وَطْفٌ ^(٤) ، وفي صوته صَحْلٌ ، أحولُ أكلُ أزعجُ أَقْرَنُ في عنقه سَطَعٌ ^(٥) وفي لحيته كثائَةٌ ، إذا صمت فعليه الوقار ، وإذا تكلم سما وعلاه البهاء ، حلو المنطق فصلٌ لا نزر ولا هذر ، كأن منطقه خرزاتٌ نظمٌ يتحدرن ، أبهى الناس وأجمله من بعيد ، وأحسنه من قريب ، رُبْعَةٌ لا تشناه ^(٥) عينٌ من طول ، ولا تقتحمه عينٌ من قصر ، غُصْنٌ بين غصنين ، فهو أنضر الثلاثة منظراً ، وأحسنهم قدراً ، له رفقاء يحفون به ، إن قال استمعوا لقوله ، وإن أمر تبادروا لأمره ، مخفودٌ مخشودٌ ، لا عابس ولا مُفند .

فقال - يعني بعلمها - : هذا والله صاحب قريش الذي تطلب ، ولو صادفته لالتمت

أن أصحابه ، ولأجهدن إن وجدت إلى ذلك سبيلاً .

(١) يتساوكن : يتمايلن . والنقى : المنخ . (٢) النجلة : عظم البطن . والصعلة : صغر الرأس . (٣) وطف : طول . (٤) سَطَع : طول . (٥) الأصل : تشناه . وهو تحريف . وما أثبتته عن الوفا لابن الجوزي والمواهب والدلائل لأبي نعيم . ومعنى تشناه : تبغضه .

قال : وأصبح صوتُ بمكة عالٍ بين السماء والأرض يسمعونَهُ ولا يرون من يقول ، وهو يقول :

جزى الله ربُّ الناس خيراً جزائه رفيقَيْن حَلاً خيمتي أمَّ معبدٍ
 هما نزلاً بالبرِّ وارتحلاً به فأفلحَ مَنْ أُمسى رفيقَ محمدٍ
 فيا أقصَى ما زوى الله عنكم به من فِعالٍ لا تجازى وسؤددٍ
 سلّوا اختكم عن شائها وإنائها فإنكم إن تسألوا الشاة تشهد
 دعاهم شاة حائل فتخلبت له بصرحٍ ، ضرة الشاة ^(١) مُزبدٍ
 فغادره رهناً لدينها لحالب يدُرُّ لها في مضدٍ ثم موزدٍ

قال : وأصبح الناس ، يعني بمكة ، وقد فقدوا نبيهم ، فأخذوا على خيمتي أم معبد حتى لحقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال : وأجابه حسان بن ثابت :

لقد خاب قومٌ زال عنهم نبيهم وقد سُرى ^(٢) من يسرى إليهم ويفتدي
 ترحل عن قومٍ فزالت عقولهم وحلَّ على قومٍ بنورٍ مُجددٍ
 وهل يستوى ضلال قومٍ تسفوها عَمى وهداةٌ يهتدون بمهتدٍ
 نبيٌّ يرى ما لا يرى الناسُ حوله ويتلو كتابَ الله في كل مشهدٍ
 وإن قال في يومٍ مقالةً غائبٍ فتصديقها في اليوم أو في ضحى الغدِ
 لين ابنُ أبابكر سعادةً جَدُّه بصحبته مَنْ يُسعد الله يسعد
 ويهن بنى كعب مكانُ فتاتهم ومقعدها للساكنين بمرصدٍ

قال - يعني عبد الملك بن وهب - : فبلغني أن أبا معبد أسلم وهاجر إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

(١) الضرة : أصل الضرع .

(٢) الوفا ودلائل أبي نعم : وقدر .

وهكذا روى الحافظ أبو نعيم من طريق عبد الملك بن وهب اللذحي ، فذكر مثله سواء . وزاد في آخره : قال عبد الملك : بلغني أن أم معبد هاجرت وأسلمت ولحقت برسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم رواه أبو نعيم من طرق ، عن بكر بن محرز الكلبي الخزاعي ، عن أبيه محرز ابن مهدي ، عن حرام بن هشام بن حبيش بن خالد ، عن أبيه ، عن جده حبيش بن خالد صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أخرج من مكة خرج منها مهاجراً هو وأبو بكر وعامر بن فهيرة ودليلهما عبد الله بن أريقط الليثي ، فمروا بخيمة أم معبد ، وكانت امرأة برزة جلدة تحتجى بفناء القبة ، وذكر مثل ما تقدم سواء .

قال . وحدثناه ، فيما أظن ، محمد بن أحمد بن علي بن مخلد ، حدثنا محمد بن يونس ابن موسى ، يعني السكدي ، حدثنا عبد العزيز بن يحيى بن عبد العزيز مولى العباس بن عبد المطلب ، حدثنا محمد بن سليمان بن سليط الأنصاري ، حدثني أبي ، عن أبيه سليط البدرى ، قال : لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في الهجرة معه أبو بكر وعامر ابن فهيرة وابن أريقط يدلهم على الطريق ، مرة بأم معبد الخزاعية وهي لا تعرفه فقال لها : يا أم معبد هل عندك من لبن ؟ قالت : لا والله إن الغنم لعازية . قال : فما هذه الشاة ؟ قالت : خلقتها الجهد عن الغنم ؟ ثم ذكر تمام الحديث كنحو ما تقدم .

ثم قال البيهقي : يُحتمل أن هذه القصص كلها واحدة .

ثم ذكر قصة شبيهة بقصة شاة أم معبد الخزاعية فقال : حدثنا أبو عبد الله الحافظ ، إمامنا ، حدثنا أبو بكر أحمد بن إسحاق بن أيوب ، أخبرنا محمد بن غالب ، حدثنا

أبو الوليد ، حدثنا عبد الله بن إِيَاد بن لَقِيط ، حدثنا إِيَاد بن لَقِيط ، عن قيس بن النعمان ، قال : لما انطلق النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر مُسْتَخْفَيْن ، مرُّوا بعبد يرمى غنماً فاستسقياه الابن فقال : ما عندي شاة تحلب ، غير أن هاهنا عَنَاقاً^(١) حلت أول الشتاء ، وقد أخذت^(٢) وما بقي لها من لبن . فقال : ادع بها . فدعا بها فاعتقلها النبي صلى الله عليه وسلم ومسح ضرعها ودعا حتى أنزلت ، وجاء أبو بكر بمجن حلب فسقى أبا بكر ثم حلب فسقى الراعى ، ثم حلب فشرب .

فقال الراعى : بالله من أنت ؟ فوالله ما رأيت مثلك قط . قال : أو تراك تكتم على حتى أخبرك ؟ قال : نعم .

قال : فإني محمد رسول الله .

فقال : أنت الذى تزعم قریش أنه صابى ؟ قال : إنهم ليقولون ذلك .

قال : فإني أشهد أنك نبي ، وأشهد أن ما جئت به حق ، وأنه لا يفعل ما فعلت إلا نبي ، وأنا متبعلك .

قال : إنك لا تستطيع ذلك يومك هذا ، فإذا بلغك أني قد ظهرت فأتنا .

ورواه أبو يعلى الموصلى ، عن جعفر بن حميد الكوفي ، عن عبد الله بن إِيَاد ابن لَقِيط به .

وقد ذكر أبو نعيم هاهنا قصة عبد الله بن مسعود فقال : حدثنا عبد الله بن جعفر ، حدثنا يونس بن حبيب ، حدثنا أبو داود ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن عاصم ، عن زِرِّ ، عن عبد الله بن مسعود . قال : كنت غلاماً يافعا أرمى غنماً لُعْبَةً بن أبي مُعَيْط بمكة ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر ، وقد فرَّاً من المشركين ، فقالا : يا غلام

(١) العناق : الأثني من ولد المعز . (٢) أخذت : جاءت بولدها ناقص الخلق .

عندك ابن تسقيننا ؟ . فقلت : إني مؤتمن ولست بساقيكما ، فقالا : هل عندك من جذعة لم يَنْزُ عليها الفحلُ بعدُ ؟ قلت : نعم .

فأتيتهما بها ، فاعتقلاها أبو بكر وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الضرع فدعا ، فحفل الضرعُ وجاء أبو بكر بصخرة متقعرة فخاب فيها ، ثم شرب هو وأبو بكر وسقياني ، ثم قال للضرع : اقاصِ فقلص .

فلما كان بعدُ أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : علّمني من هذا القول الطيب ، يعنى القرآن . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنك غلام معلّم » فأخذت من فيه سبعين سورة ما ينازعني فيها أحد .

فقوله في هذا السياق : « وقد قرأ من المشركين » ليس المراد منه وقت الهجرة ، إنما ذلك في بعض الأحوال قبل الهجرة .

فإن ابن مسعود ممن أسلم قديما وهاجر إلى الحبشة ورجع إلى مكة كما تقدم ، وقصته هذه صحيحة ثابتة في الصحاح وغيرها . والله أعلم .

وقال الإمام أحمد^(١) : حدثنا عبد الله بن مُصعب بن عبد الله ، هو الزبير ، حدثني أبي ، عن فائد مولى عبادل ، قال : خرجت مع إبراهيم بن عبد الرحمن بن سعد ، حتى إذا كنا بالعرج أتى ابن سعد ، وسعد وهو الذي دل رسول الله صلى الله عليه وسلم على طريق رَكُوبَةِ^(٢) فقال إبراهيم : ما حدّثك أبوك ؟ قال ابن سعد : حدثني أبي أن رسول الله صل الله عليه وسلم أتاهم ومعه أبو بكر ، وكانت لأبي بكر عندنا بنت

(١) سقط هذا الخبر من (١) . (٢) الأصل ركونة . وهو تحريف . وهي ثنية بين مكة والمدينة عند العرج .

مسترضة ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد الاختصار في الطريق إلى المدينة ، فقال له سعد : هذا القامر من ركوبة ، وبه لسان من أسلم يقال لهما المهانان . فإن شئت أخذنا عليهما . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « خذ بنا عليهما » .

قال سعد : فخرجنا حتى إذا أشرفنا إذا أحدهما يقول لصاحبه : هذا اليماني . فدعاها رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرض عليهما الإسلام فأسلما ، ثم سألهما عن أسمائهما فقالا : نحن المهانان . فقال : « بل أنتما المكرمان » وأمرهما أن يقدمَا عليه المدينة ، فخرجنا حتى إذا أتينا ظاهر قباء فتلقاه بنو عمرو بن عوف ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أين أبو أمامة أسعد بن زرارة ؟ » فقال سعد بن خيثمة : إنه أصاب قبلي يا رسول الله أفلا أخبره ذلك ؟

ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا طلع على النخل فإذا الشرب مملوء ، فالتفت رسول الله إلى أبي بكر فقال : يا أبا بكر هذا المنزل . رأيتني أنزل إلى حياض كحياض بنى مدلج .
انفرد به أحمد .

فصل

في دخوله عليه السلام المدينة ، وأين استقر منزله بها

وما يتعلق به

قد تقدم فيما رواه البخارى ، عن الزهرى ، عن عروة ، أن النبى صلى الله عليه وسلم دخل المدينة عند الظهر .

قلت : ولعل ذلك كان بعد الزوال ، لما ثبت فى الصحيحين من حديث إسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن البراء بن عازب ، عن أبى بكر فى حديث الهجرة قال : فقدّمنا ليلاً فتنازعه القوم أيّهم ينزل عليه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنزل على بنى النجار أخوال عبد المطلب أكرمهم بذلك » .

وهذا والله أعلم إما أن يكون يوم قدومه إلى قباء ، فيكون حال وصوله إلى قرب المدينة كان فى حرّ الظهر وأقام تحت تلك النخلة ، ثم سار بالمسلمين فنزل قباء وذلك ليلاً ، وأنه أطلق على ما بعد الزوال ليلاً ، فإنّ العشيّ من الزوال .

وإما أن يكون المراد بذلك لما رحل من قباء ، كما سيأتى ، فسار فما انتهى إلى بنى النجار إلا عشاء . كما سيأتى بيانه . والله أعلم .

وذكر البخارى عن الزهرى ، عن عروة ، أنه نزل فى بنى عمرو بن عوف بقباء ، وأقام فيهم بضعة عشرة ليلة ، وأسّس مسجد قباء فى تلك الأيام .

ثم ركب ومعه الناس حتى بركت به راحلته فى مكان مسجده ، وكان مِرْبَدًّا

انفلاء بن يثيمين وهما سهيل وسهيل ، فابتاعه منهما واتخذهُ مسجداً . وذلك في دار بني النجار رضی الله عنهم .

وقال محمد بن إسحاق ، حدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير ، عن عبد الرحمن بن عويم بن ساعدة ، قال : حدثني رجال من قومي من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا : لما بَلَّغْنَا نَخْرَجُ النبي صلى الله عليه وسلم من مكة وتوَكَّفْنَا قدومه ، كُنَّا نَخْرُجُ إِذَا صَلَّيْنَا الصُّبْحَ إِلَى ظَاهِرِ حَرَّتِنَا نَنْتَظِرُ النبي صلى الله عليه وسلم فَوَالله ما نَبْرَحُ حَتَّى تَغْلِبَنَا الشَّمْسُ عَلَى الظَّلَالِ ، فَإِذَا لَمْ نَجِدْ ظِلًّا دَخَلْنَا ، وَذَلِكَ فِي أَيَّامِ حَارَةٍ .

حتى إذا كان اليوم الذي قدم فيه رسول الله جلوسنا كما كنا نجلس ، حتى إذا لم يبق ظلٌ دخلنا بيوتنا ، وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخلنا البيوت فكان أول من رآه رجل من اليهود ، فصرخ بأعلى صوته : يَا بَنِي قَيْلَةَ هَذَا جَدُّكُمْ قَدْ جَاءَ .

فخرجنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في ظل نخلة ومعه أبو بكر في مثل سنّه ، وَأَكْثَرُنَا لَمْ يَكُنْ رَأَى رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَبْلَ ذَلِكَ ، وَرَكِبَهُ النَّاسُ ، وَمَا يَعْرِفُونَهُ مِنْ أَبِي بَكْرٍ ، حَتَّى زَالَ الظِّلُّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ، فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ فَأَظْلَهُ بِرِدَائِهِ ، فَعَرَفْنَاهُ عِنْدَ ذَلِكَ .

وقد تقدم مثل ذلك في سياق البخاري ، وكذا ذكر موسى بن عُقْبَةَ فِي مَغَازِيهِ .

وقال الإمام أحمد : حدثنا هاشم ، حدثنا سليمان ، عن ثابت ، عن أنس بن مالك ، قال : إِنِّي لَأَسْعَى فِي الْغُلَمَانِ يَقُولُونَ : جَاءَ مُحَمَّدٌ . فَأَسْعَى وَلَا أَرَى شَيْئًا ، ثُمَّ يَقُولُونَ : جَاءَ مُحَمَّدٌ . فَأَسْعَى وَلَا أَرَى شَيْئًا .

قال : حتى جاء رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه أبو بكر ، فكَمْنَا في بعض خَرَابِ المدينة ، ثم بعثنا رجلا من أهل البادية يُؤذَنُ بهما الأنصارَ فاستقبلهما زهاء خمسمائة من الأنصار حتى انتهوا إليهما ، فقالت الأنصار : انطلقا آمَنَيْنِ مطاعين .

فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه بين أظهرهم ، فخرج أهل المدينة حتى إن العواتق لفوق البيوت يتراءينه يقلن : أيهم هو ؟ أيهم هو ؟ فما رأينا منظراً شبيهاً به .

قال أنس : فلقد رأيته يوم دخل علينا ويوم قُبِضَ فلم أر يومين شبيهاً بهما .
ورواه البيهقي عن الحاكم ، عن الأصم ، عن محمد بن إسحاق الصنعاني ، عن أبي النضر هاشم بن القاسم ، عن سليمان بن المغيرة ، عن ثابت ، عن أنس بن نحوه ، أو مثله .

وفي الصحيحين من طريق إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن البراء ، عن أبي بكر في حديث الهجرة قال : وخرج الناس حين قدمنا المدينة في الطرق وعلى البيوت ، والفلمانُ والخدم يقولون : الله أكبر جاء رسول الله ، الله أكبر جاء محمد ، الله أكبر جاء محمد ، الله أكبر جاء رسول الله . فلما أصبح انطلق وذهب حيث أمر .

وقال البيهقي : أخبرنا أبو عمرو الأديب ، أخبرنا أبو بكر الإسماعيلي ، سمعت أبا خليفة يقول : سمعت ابن عائشة يقول : لما قَدِم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينة جعل النساء والصبيان يقلن :

طلع البدرُ علينا من ثَنِيَّاتِ الوداع

وَجِبَ الشُّكْرُ عَلَيْنَا مَا دَعَا اللَّهُ دَاعٍ

قال محمد بن إسحاق : فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما يذكرون يعني حين نزل ، بقاء على كلثوم بن الهدم أخى بنى عمرو بن عوف ثم أحد بنى عبید ، ويقال : بل نزل على سعد بن خيثمة .

ويقول من يذكر أنه نزل على كلثوم بن الهدم : إنما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خرج من منزل كلثوم بن الهدم جالس للناس فى بيت سعد بن خيثمة ، وذلك أنه كان عزباً لا أهل له ، وكان يقال لبيته بيت العزاب . والله أعلم .

ونزل أبو بكر رضى الله عنه على خبيب بن إسماعيل ، أحد بنى الحارث بن الخزرج بالسُّنْح ، وقيل : على خارجة بن زيد بن أبى زهير أخى بنى الحارث بن الخزرج .

قال ابن إسحاق : وأقام على بن أبى طالب بمكة ثلاث ليال وأيامها ، حتى أدى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الودائع التى كانت عنده .

ثم لحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل معه على كلثوم بن الهدم ، فكان على بن أبى طالب إنما كانت إقامته بقاء ليلة أو ليلتين .

يقول : كانت بقاء امرأة لا زوج لها مسلمة ، فرأيت إنساناً يأتيها من جوف الليل فيضرب عليها بابها فتخرج إليه ، فيعطئها شيئاً معه فتأخذ ، فاستترتُ بشأنه فقلت لها : يا أمّة الله ، من هذا الذى يضرب عليك بابك كل ليلة فتخرجين إليه فيعطئك شيئاً لا أدري ما هو ، وأنت امرأة مسلمة لا زوج لك ؟ .

قالت : هذا سهل بن حنيف ، وقد عرف أنى امرأة لا أحد لى ، فإذا أمسى عدا على أوثان قومهم فكسرها ثم جاءنى بها فقال : احتطبي بهذا .

فكان على رضى الله عنه يأنثر ذلك من شأن سهل بن حنيف حين هلك عنده بالعراق .

قال ابن إسحاق : فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بقاء في بني عمرو بن عوف يوم الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم الأربعاء ويوم الخميس ، وأسس مسجده .
ثم أخرجه الله من بين أظهرهم يوم الجمعة ، وبنو عمرو بن عوف يزعمون أنه مكث فيهم أكثر من ذلك .

وقال عبد الله بن إدريس ، عن محمد بن إسحاق قال : وبنو عمرو بن عوف يزعمون أنه عليه السلام أقام فيهم ثمانى عشرة ليلة .
قلت : وقد تقدم فيما رواه البخارى من طريق الزهرى ، عن عروة ، أنه عليه السلام أقام فيهم بضع عشرة ليلة .

وحكى موسى بن عقبة عن مجمع بن يزيد بن حارثة أنه قال : أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا ، يعنى في بني عمرو بن عوف بقاء ، اثنتين وعشرين ليلة .
وقال الواقدى : ويقال أقام فيهم أربع عشرة ليلة .

قال ابن إسحاق : فأدركت رسول الله صلى الله عليه وسلم الجمعة في بني سالم بن عوف ، فصلاها في المسجد الذى في بطن الوادى ، وادى رانواناء ، فكانت أول جمعة صلاها بالمدينة .

فأتاه عتيان بن مالك وعباس بن عباد بن نضلة في رجال من بني سالم ، فقالوا : يا رسول الله أقم عندنا في العدد والعدة والمنعة قال : خلوا سبيلها فإنها مأمورة . لناقته نخلوا سبيلها .

فانطلقت حتى إذا وازت دار بنى بياضة تلقاه زياد بن كبيد وفرزة بن عمرو ، رجال من بني بياضة ، فقالوا : يا رسول الله هلم إلينا إلى العدد والعدة والمنعة .
قال : « خلوا سبيلها فإنها مأمورة » نخلوا سبيلها .

فانطلقت حتى إذا مرت بدار بنى ساعدة اعترضه سعد بن عبادة والمنذر بن عمرو ، في رجال من بنى ساعدة، فقالوا : يا رسول الله هلمَّ إلينا في العدد والمنعة . قال : « خَلُّوا سَبِيلَهَا فَإِنِهَا مَأْمُورَةٌ » فَخَلُّوا سَبِيلَهَا .

فانطلقتُ حتى إذا وازت^(١) دار بنى الحارث بن الخزرج اعترضه سعدُ بن الربيع وخارجةُ بن زيد وعبد الله بن رَوَاحَةَ في رجال من بنى الحارث بن الخزرج فقالوا : يا رسول الله هلمَّ إلينا إلى العدد والعدة والمنعة .

قال : « خَلُّوا سَبِيلَهَا فَإِنِهَا مَأْمُورَةٌ » فَخَلُّوا سَبِيلَهَا .

فانطلقت حتى إذا مرت بدار عدى بن النجار ، وهم أخواله ، دُنْيَا ، أُمُّ عَبْدِ الْمَطْلَبِ سلمى بنت عمرو إحدى نسائهم ، اعترضه سَلِيطُ بن قيس ، وأبو سَلِيطِ أُسَيْرَةُ بن [أبي] ^(٢) خارجة في رجال من بنى عدى بن النجار فقالوا : يا رسول الله هلمَّ إلى أخوالك إلى العدد والعدة والمنعة .

قال : « خَلُّوا سَبِيلَهَا فَإِنِهَا مَأْمُورَةٌ » فَخَلُّوا سَبِيلَهَا .

فانطلقت ، حتى إذا أتت دار بنى مالك بن النجار بركت على باب مسجده عليه السلام اليوم ، وكان يومئذ مِرْبَدًّا لِفَلَامِينَ يَتِيمِينَ من بنى مالك بن النجار ، وهما سهل وسهيل ابنا عمرو ، وكانا في حجر مُعَاذِ بن عَفْرَاءَ .

قلت : وقد تقدم في رواية البخارى من طريق الزهري ، عن عروة أنها كانا في حجر أسعد بن زُرَّارة . والله أعلم .

وذكر موسى بن عُقْبَةَ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرَّ في طريقه بعبد الله

ابن أبيّ بن سلّول وهو في بيت ، فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظر أن يدعوه إلى المنزل ، وهو يومئذ سيد الخزرج في أنفسهم ، فقال عبد الله : انظر الذين دَعَوْكَ فانزل عليهم .

فذكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفر من الأنصار ، فقال سعد بن عُبادة يعتذر عنه : لقد مَنّْ الله علينا بك يا رسول الله وإنا نريد أن نَعْقِدَ على رأسه التاج ونملّكه علينا .

قال موسى بن عقبة : وكانت الأنصار قد اجتمعوا قبل أن يركب رسول الله صلى الله عليه وسلم من بني عمرو بن عوف ، فمشوا حول ناقته ، لا يزال أحدهم ينازع صاحبه زمامَ الناقة شُحًّا على كرامة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيما له .

وكما مرّ بدار من دور الأنصار دعوه إلى المنزل فيقول صلى الله عليه وسلم : دَعُوهَا فَإِنهَا مَأْمُورَةٌ ، فَإِنَّمَا أُنْزِلَ حَيْثُ أُنْزِلَنِي اللَّهُ .

فلما انتهت إلى دار أبي أيوب بركت به على الباب ، فنزل فدخل بيتَ أبي أيوب حتى ابتنى مسجده ومساكنه .

قال ابن إسحاق : لما بركت الناقة برسول الله صلى الله عليه وسلم لم ينزل عنها ، حتى وثبت فسارت غيرَ بعيد ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم واضع لها زمامها لا يَنْثِيها به ، ثم التفتت خلفها فرجعت إلى مبركها أول مرة فبركت فيه ، ثم تَحَلَّحَتْ ورزمت ووضعت جِراءَها . فنزل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فاحتمل أبو أيوب خالدُ بن زيد ، رحله فوضعه في بيته ، ونزل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وسأل عن المِرْبَدِ لمن هو ؟ فقال له معاذ بن عفراء : هو يا رسول الله لسهل وسهيل

ابن عمرو وهما يتيان لى ، وسأرضيهما منه فاتخذ مسجداً . فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبنى .

ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى دار أبى أيوب حتى بنى مسجده ومساكنه فعمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون من المهاجرين والأنصار . وستأتى قصة بناء المسجد قريباً إن شاء الله .

وقال البيهقى فى الدلائل : وقال أبو عبد الله : أخبرنا أبو الحسن على بن عمرو والحافظ ، حدثنا أبو عبد الله محمد بن محمد بن سُلَيْمَان بن إسماعيل بن أبى الورد ، حدثنا إبراهيم بن صِرْمَة ، حدثنا يحيى بن سعيد ، عن إسحاق بن عبد الله بن أبى طلحة ، عن أنس ، قال : قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فلما دخلنا جاء الأنصار برجالها ونسائها فقالوا : إلینا یارسول الله . فقال « دعوا الناقة فإنها مأمورة » . فبرکت على باب أبى أيوب فخرجت جوارٍ من بنى النجار یضربن بالدفوف وهن یقلن .

نحن جَوَارٍ من بنى النجار یاحَبُّذا مُحَمَّدٌ من جارٍ
فخرج إلیهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « أتحبوننى ؟ » فقالوا : إى والله یارسول الله . فقال : « وأنا والله أحبکم ، وأنا والله أحبکم ، وأنا والله أحبکم » .
هذا حدیث غریب من هذا الوجه لم یروه أحد من أصحاب السنن ، وقد خرجه الحاکم فى مستدرکه کایروی .

ثم قال البيهقى : أخبرنا أبو عبد الرحمن السُّلَمى ، أخبرنا أبو القاسم عبد الرحمن بن سليمان النحاس المقرئ ببغداد ، حدثنا عمر بن الحسن الحلبي ، حدثنا أبو خيثمة الصَّيِّصى ، حدثنا عيسى بن يونس ، عن عوف الأعرابي ، عن ثُمَامَة ، عن أنس .

قال : مر النبي صلى الله عليه وسلم بحى من بنى النجار ، وإذا جوار يضرين بالدفوف يقان .

نحن جوارٍ من بنى النجار يا حباذا محمد من جارٍ
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يعلم الله أن قلبي يحبكم » .

ورواه ابن ماجه ، عن هشام بن عمار ، عن عيسى بن يونس به .

وفى صحيح البخارى عن مَعْمَر ، عن عبد الوارث ، عن عبد العزيز ، عن أنس قال :
رأى النبي صلى الله عليه وسلم النساء والصبيان مُقبلين ، حسبت أنه قال من عرس ،
فقام النبي صلى الله عليه وسلم مثلاً فقال : « اللهم أنتم من أحب الناس إلى » قالها
ثلاث مرات .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث ، حدثني أبي ، حدثني عبد العزيز
ابن صُهيب ، حدثنا أنس بن مالك . قال : أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة
وهو مُرْدَفٌ أبا بكر ، وأبو بكر شيخ يُعرف ورسول الله صلى الله عليه وسلم
شاب لا يعرف .

قال : فيلقى الرجلُ أبا بكر فيقول : يا أبا بكر من هذا الرجل الذى بين يديك ؟
فيقول : هذا الرجل يهدينى السبيل .

فيحسب الحاسب أنما يهديه الطريق ، وإنما يعنى سبيل الخير .

فالتفت أبو بكر فإذا هو بفارس قد لحقهم فقال : يابنى الله هذا فارس قد لحق بنا ،
فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « اللهم اصرعه » فصرعته فرسه ثم قامت
تُحْمَحِمُ ، ثم قال : مُرْنِي يَا نَبِيَّ اللَّهِ بِمَا شِئْتُ . فقال : « قِفْ مَكَانَكَ وَلَا تَتْرُكْ أَحَدًا
يَلْحَقُ بِنَا » .

قال : فكان أولَ النهار جاهدًا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان آخرَ النهار مَسْلُحَةً^(١) له .

قال : فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم جانب الحرّة ، ثم بعث إلى الأنصار فجاءوا فسَلَّموا عليهما وقالوا : اركبا آمَنَيْنِ مطاعين .

فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وَحَفُّوا حَوْلَهُمَا بالسلاح .
وقيل في المدينة : جاء نبي الله صلى الله عليه وسلم . فاستَشَرَفُوا نبيَّ الله ينظرون إليه ويقولون : جاء نبيُّ الله .

قال : فأقبل يسير حتى نزل إلى جانب دار أبي أيوب .

قال : فإنه ليحدثُ أهلَهُ إذ سمع به عبدُ الله بن سَلَام ، وهو في نخل لأهله يحترف .
لهم ، فعَجِلَ أن يضع الذي يحترف فيها ، فجاء وهى معه ، وسمع من نبي الله صلى الله عليه وسلم ورجع إلى أهله .

وقال نبي الله : أى بيوت أهلنا أقربُ ؟ فقال أبو أيوب : أنا يابى الله ، هذه دارى وهذا بابى . قال : فانطلق فهِبْ لَنَا مَقِيلًا . فذهب فهِبًا ثم جاء . فقال : يا رسول الله قد هيأتُ مَقِيلًا ، قَوْمًا على بركة الله قَئِيلًا .

فلما جاء نبي الله صلى الله عليه وسلم جاء عبد الله بن سلام فقال : أشهد أنك نبي الله حقًا ، وأنت جئت بحق ولقد علمت يهودُ أنى سيدُهم وابنُ سيدهم ، وأعلمهم وابن أعلمهم ، فادعهم فسَلِّمهم .

فدخلوا عليه فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يامعشر اليهود ، ويلكم اتقوا الله ، فوالله الذى لا إله إلا هو إنكم لتَعْلَمُونَ أنى رسولُ الله حقًا ، وأنى جئت بحقٍ أسلموا » .

(١) المسلحة : قوم ذوو سلاح ، وتطلق أيضًا على الثغر والمِرْقَب . والمراد أنه كان مدافعًا عن الرسول .

فقالوا : ما نعلمه ، ثلاثا .

وكذا رواه البخارى منفرداً به ، عن محمد غير منسوب ، عن عبد الصمد به .

قال ابن إسحاق : وحدثني يزيد بن أبي حبيب ، عن مرثد بن عبد الله اليزنى ، عن أبي رهم السماعي ، حدثني أبو أيوب ، قال لما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي نزل في السُّفْل ، وأنا وأم أيوب في العُلُو ، فقلت له : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، إني أكره وأعظم أن أكون فوقك وتكون تحتي ، فإظهر أنت فكُن في العلو ونزل نحن فنكون في السفلى .

فقال : « يا أبا أيوب إنَّ أرفق بنا وبمن يغشانا أن أكون في سفلى البيت » .

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفله وكنا فوقه في المسكن . فلقد انكسر حُبُّ لنا فيه ماء ، فقامت أنا وأم أيوب بقطيفة لنا ما لنا لحافٌ غيرها ، ندشف بها الماء تخوفاً أن يقطر على رسول الله صلى الله عليه وسلم منه شيء فيؤذيه .

قال : وكنا نصنع له العشاء ثم نبعث إليه ، فإذا رَدَّ علينا فضلة تيممت أنا وأم أيوب موضعَ يده فأكلنا منه نبتغي بذلك البركة ، حتى بعثنا إليه ليلةً بعشائه وقد جعلنا له فيه بصلاً أو ثوماً ، فردّه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم أرَ ليده فيه أثراً ، قال : فخبثته فزعاً فقلت : يا رسول الله بأبي أنت وأمي ردّدتَ عشاءك ولم أر فيه موضعَ يدك ؟ فقال « إني وجدت فيه ريحَ هذه الشجرة ، وأنا رجل أناجي ، فأما أنتم فكلّوه » قال : فأكلناه ولم نصنع له تلك الشجرة بعدُ .

وكذلك رواه البيهقي ، من طريق الميث بن سعد ، عن يزيد بن أبي حبيب ،

عن أبي الحسن ، أو أبي الخير ، مَرْثَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْيَزَنِي ، عن أبي رُحْم ، عن أبي أيوب فذكره .

ورواه أبو بكر بن أبي شيبة ، عن يونس بن محمد المؤدب ، عن الليث .

وقال البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرنا أبو عمرو الحيرى ، حدثنا عبد الله ابن محمد ، حدثنا أحمد بن سعيد الدارمى ، حدثنا أبو النعمان ، حدثنا ثابت بن يزيد ، حدثنا عاصم الأخول ، عن عبد الله بن الحارث ، عن أَفْلَحَ مَوْلَى أَبِي أَيُوب ، عن أبي أيوب ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل عليه فنزل في السفلى وأبو أيوب في العلو ، فانتهبه أبو أيوب فقال : نمشى فوق رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم ! فتنحّوا فباتوا في جانب ، ثم قال للنبي صلى الله عليه وسلم ، يعنى في ذلك ، فقال : « الشَّفْلُ أَرْفَقُ بِنَا » فقال : لا أعلو سقيفةً أنت تحتها ، فتحول رسول الله صلى الله عليه وسلم في العلو ، وأبو أيوب في السفلى .

فكان يصنع لرسول الله صلى الله عليه وسلم طعاما ، فإذا جىء به سأل عن موضع أصابعه فيتبع موضع أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فصنع له طعاما فيه ثوم ، فلما رد إليه سأل عن موضع أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم ففزع له : لم يأكل . ففزع وصعد إليه فقال : أحرام ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لا ولكنى أكرهه » قال فإني أكره ما تكره ، أو ما كرهت . قال : وكان النبي صلى الله عليه وسلم يأتيه الملك . رواه مسلم عن أحمد بن سعيد به .

وثبت في الصحيحين عن أنس بن مالك ، قال : جىء رسول الله صلى الله عليه وسلم ببَدْر^(١) ، وفي رواية بَدْر ، فيه خضروات من بقول ، قال : فسأل فأخبر بما فيها ، فلما رآها كره أكلها ، قال : « كُلْ فَإِنِ أَنَا جِئْتُ مِنْ لَا تَنَاجَى » .

(١) بدر : بطن مستدير يشبه البدر .

وقد روى الواقدي أن أسعد بن زُرارة لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم في دار أبي أيوب أخذ بِخِطَامِ ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت عنده .

وروى عن زيد بن ثابت أنه قال : أولُ هدية أُهديت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نزل دارَ أبي أيوب ، أنا جئتُ بها ، قصعة فيها خبز مَثْرُود بَابِن وَسْمِن ، فقلت : أرسلتُ بهذه القصعة أُمِّي . فقال : « يَا لَكَ اللَّهُ فَيْك » ودعا أصحابه فَأَكَلُوا ، ثُمَّ جَاءَتْ قصعة سعد بن عبادَة ثريد وعِراقَ لَحْم .

وما كانت من ليلةٍ إِلَّا وعلى باب رسول الله صلى الله عليه وسلم الثلاثةُ والأربعة يحملون الطعام يتناوبون ، وكان مقامه في دار أبي أيوب سبعة أشهر .

قال : وبعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وهو نازل في دار أبي أيوب مولاه زيدَ بن حارثة وأبا رافع ، ومعهما بعيران وخمسمائة درهم ، ليحيثا بفاطمة وأم كلثوم ابنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم وسَوْدَة بنت زَمْعَة زوجته ، وأسامة بن زيد ، وكانت رقية قد هاجرت مع زوجها عثمان ، وزينب عند زوجها بمكة أبي العاص بن الربيع ، وجاءت معهم أم أيمن امرأة زيد بن حارثة وخرج معهم عبد الله بن أبي بكر بعيال أبي بكر وفيهم عائشة أم المؤمنين ولم يدخل بها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال البيهقي : أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان ، أخبرنا أحمد بن عبيد الصَّغَار ، حدثنا خلف بن عمرو العُكْبَرِي ، حدثنا سعيد بن منصور ، حدثنا عطف بن خالد ، حدثنا صديق بن موسى ، عن عبد الله بن الزبير ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة ، فاستناخت به راحلته بين دار جعفر بن محمد بن علي وبين دار الحسن ابن زيد ، فأتاه الناس فقالوا : يا رسول الله المنزل . فانبعثت به راحلته فقال : « دَعَوْهَا فإنها مأمورة » .

ثم خرجت به حتى جاءت موضع المنبر ، فاستناخت ثم تحللت ، وممَّ عريش كانوا يعرشونه ويعمرونه ويتبرّدون فيه ، فبذل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن راحلته فيه فأوى إلى الظل فأتاه أبو أيوب فقال : يا رسول الله إن منزلي أقرب المنازل إليك فأقل رحلك إلى ؟ قال : نعم . فذهب برحله إلى المنزل ، ثم أتاه رجل فقال يا رسول الله أين تحل ؟ قال : « إن الرجل مع رحله حيث كان » وثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم في العريش اثنتي عشرة ليلة حتى بنى المسجد .

وهذه منقبة عظيمة لأبي أيوب خالد بن زيد رضى الله عنه ، حيث نزل في داره رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد روينا من طريق يزيد بن أبي حبيب عن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس رضى الله عنه ، أنه لما قدم أبو أيوب البصرة ، وكان ابن عباس نائباً عليها من جهة علي ابن أبي طالب رضى الله عنه ، فخرج له ابن عباس عن داره حتى أنزله فيها كما أنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم في داره ، وملّكه كلَّ ما أغلق عليها بابها . ولما أراد الانصراف أعطاه ابن عباس عشرين ألفاً ، وأربعين عبداً .

وقد صارت دار أبي أيوب بعده إلى مولاه أفلح ، فاشتراها منه المغيرة بن عبد الرحمن ابن الحارث بن هشام بألف دينار وأصلح ما وهى من بنائها ، ووهبها لأهل بيت فقراء من أهل المدينة .

وكذلك نزوله عليه السلام في دار بنى النجار واختيار الله له ذلك منقبة عظيمة ، وقد كان في المدينة دور كثيرة تباع تسعاً ، كلُّ دار محلة مستقلة بمساكنها ونخيلها وزروعها وأهلها ، كلُّ قبيلة من قبائلهم قد اجتمعوا في محلتهم وهى كاقرى المتلاصقة ، فاختر الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم دار بنى مالك بن النجار .

وقد ثبتت في الصحيحين من حديث شُعْبَةَ ؛ سمعت قتادة ، عن أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : خير دُور الأنصار بنو النجار ، ثم بنو عبد الأشهل ، ثم بنو الحارث بن الخزرج ، ثم بنو ساعدة ، وفي كلِّ دور الأنصار خير .
فقال سعد بن عبادَة : ما أرى النبي صلى الله عليه وسلم إلا قد فَضَّل علينا . فقيل : قد فَضَّلَكم على كثير .
هذا لفظ البخارى .

وكذلك رواه البخارى ومسلم من حديث أنس وأبى سلمة ، عن أبى أسيد مالك بن ربيعة ، ومن حديث عبادَة بن سهل عن أبى حميد ، عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثله سواء . زاد في حديث أبى حميد : فقال أبو أسيد لسعد بن عبادَة : ألم تر أن النبي صلى الله عليه وسلم خير الأنصار فجعلنا آخرًا ، فأدرك سعدُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله خيَّرت دُورَ الأنصار فجعلتنا آخرًا ؟ قال : « أو ليس بحسبكم أن تكونوا من الأخيار » .

[و] قد ثبت لجميع مَنْ أسلم من أهل المدينة وهم الأنصار الشرفُ والرفعة في الدنيا والآخرة . قال الله تعالى : « والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعدَّ لهم جنات تجري من تحتها الأنهارُ خالدين فيها أبدًا ذلك الفوزُ العظيم ^(١) » وقال تعالى : « والذين تبوأوا الدارَ والإيمانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يَحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ^(٢) » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لولا الهجرةُ لكنتُ امرءًا من الأنصار ، ولو

سَلَكَ النَّاسُ وَادِيًا وَشِعْبًا لَسَلَكْتَ وَادِيَ الْأَنْصَارِ وَشِعْبَهُمْ ، لَأَنْصَارِ شِعَارِ وَالنَّاسُ دِثَارٌ .
وقال : « الْأَنْصَارُ كَرِشِي وَعَيْبَتِي » .

وقال : « أَنَا سَلِمٌ لِمَنْ سَالَمَهُمْ وَحَرْبٌ لِمَنْ حَارَبَهُمْ » .

وقال البخارى : حَدَّثَنَا حَجَّاجُ بْنُ مِنْهَالٍ ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ ، حَدَّثَنِي عَدِيُّ بْنُ ثَابِتٍ ، قَالَ :
سَمِعْتُ الْبَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَوْ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الْأَنْصَارُ لَا يُحِبُّهُمْ إِلَّا مُؤْمِنٌ ، وَلَا يَبْغُضُهُمْ إِلَّا مُنَافِقٌ ، فَمَنْ أَحَبَّهُمْ
أَحَبَّهُ اللَّهُ وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ أَبْغَضَهُ اللَّهُ » .

وقد أخرجه بقية الجماعة إلا أبا داود من حديث شعبة به .

وقال البخارى أيضا : حَدَّثَنَا مُسْلِمُ بْنُ أَبِرَاهِيمَ ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ
اللَّهِ بْنِ جَبْرِ ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « آيَةُ الْإِيمَانِ
حُبُّ الْأَنْصَارِ ، وَآيَةُ النِّفَاقِ بَغْضُ الْأَنْصَارِ » .

ورواه البخارى أيضا عن أَبِي الْوَلِيدِ [وَ] الطَّيَالِسِيِّ وَمُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ خَالِدِ بْنِ
الْحَارِثِ وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَهْدِيٍّ ، أَرَبَعُهُمْ عَنْ شُعْبَةَ بِهِ .
وَالْآيَاتُ وَالْأَحَادِيثُ فِي فَضَائِلِ الْأَنْصَارِ كَثِيرَةٌ جَدًّا .

وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَ أَبُو قَيْسٍ صِرْمَةُ بْنُ أَبِي أَنَسٍ الْمُتَقَدِّمُ ذِكْرَهُ ، أَحَدُ شُعَرَاءِ الْأَنْصَارِ ،
فِي قُلُومِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ وَأَضْرَمَ إِيَّاهُ وَمَوَاسَاتِمَهُمْ لَهُ وَلِأَصْحَابِهِ ،
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ .

قال ابن إسحاق : وَقَالَ أَبُو قَيْسٍ صِرْمَةُ بْنُ أَبِي أَنَسٍ أَيْضًا يَذْكُرُ مَا أَكْرَمَهُمُ اللَّهُ
بِهِ مِنَ الْإِسْلَامِ وَمَا خَصَّهُمْ بِهِ مِنْ رَسُولِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

ثَوَى فِي قَرِيشٍ بَضْعَ عَشْرَةَ حِجَّةً يُذَكِّرُ لَوْ يَلْقَى صَدِيقًا مَوَاتِيًا

وَيَعْرِضُ فِي أَهْلِ الْمَوَاسِمِ نَفْسَهُ
 فَلَمَّا أَتَانَا وَاطْمَأْنَنْتَ بِهِ النَّوَى ^(١)
 وَالْفَى صَدِيقًا وَاطْمَأْنَنْتَ بِهِ النَّوَى
 يَقْصُؤُ لَنَا مَا قَالَ نُوْحٌ لِقَوْمِهِ
 فَأَصْبَحَ لَا يَخْشَى مِنَ النَّاسِ وَاحِدًا
 بَذَلْنَا لَهُ الْأَمْوَالَ مِنْ جُلٍّ ^(٢) مَا لَنَا
 نَعَادِي الَّذِي عَادَى مِنَ النَّاسِ كُلَّهُمْ
 وَنَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ لَأَشْيَ غَيْرِهِ
 أَقُولُ إِذَا صَلَّيْتُ فِي كُلِّ بَيْعَةٍ
 أَقُولُ إِذَا جَاوَزْتُ أَرْضًا مَخِيفَةً
 فَطَأُ مُعْرِضًا إِنْ اُخْتُوفَ كَثِيرَةٌ
 فَوَاللَّهِ مَا يَدْرِي الْفَتَى كَيْفَ سَعْيُهُ
 وَلَا تَحْفَلِ النَّخْلُ الْمَعِيْمَةُ ^(٥) رَبِّهَا
 فَلَمْ يَرِ مَنْ يُؤْوَى وَلَمْ يَرِ دَاعِيَا
 وَأَصْبَحَ مَسْرُورًا بِطَبِيعَةِ رَاضِيَا
 وَكَانَ لَهُ عَوْنًا مِنَ اللَّهِ بَادِيَا
 وَمَا قَالَ مُوسَى إِذْ أَجَابَ الْمُنَادِيَا
 قَرِيبَا وَلَا يَخْشَى مِنَ النَّاسِ نَائِيَا ^(٣)
 وَأَنْفَسَنَا عِنْدَ الْوَعَى وَالتَّاسِيَا
 جَمِيعًا وَلَوْ كَانَ الْحَبِيبَ الْمَوَاسِيَا
 وَأَنَّ كِتَابَ اللَّهِ أَصْبَحَ هَادِيَا ^(٤)
 حَنَانِيكَ لَا تُظْهِرُ عَلَيْنَا الْأَعَادِيَا
 تَبَارَكَتَ اسْمُ اللَّهِ أَنْتَ الْمَوَالِيَا
 وَإِنَّكَ لَا تُتْبِقُ لِنَفْسِكَ بَاقِيَا
 إِذَا هُوَ لَمْ يَجْعَلْ لَهُ اللَّهُ وَاقِيَا
 إِذَا أَصْبَحْتَ رَبِّيَا وَأَصْبَحَ ثَاوِيَا

ذَكَرَهَا ابْنُ إِسْحَاقَ وَغَيْرُهُ ، وَرَوَاهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزَّيْبِرِ الْحَمِيدِيُّ وَغَيْرُهُ ، عَنْ سَفْيَانَ
 ابْنِ عُيَيْنَةَ ، عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ الْأَنْصَارِيِّ ، عَنْ عَجُوزٍ مِنَ الْأَنْصَارِ قَالَتْ : رَأَيْتُ عَبْدَ
 اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ يَخْتَلِفُ إِلَى صِرْمَةَ بْنِ قَيْسٍ يَرَوِي هَذِهِ الْأَبْيَاتَ .

رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ .

(١) ابْنُ هِشَامٍ : فَلَمَّا أَتَانَا أَطْهَرَ اللَّهُ دِينَهُ . (٢) ح : بَاغِيَا .

(٣) ابْنُ هِشَامٍ : حَلَّ . (٤) ابْنُ هِشَامٍ : وَنَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ أَفْضَلُ هَادِيَا .

(٥) الْمَعِيْمَةُ : الْعَطْشَى . وَالْأَصْلُ : الْمَقِيْمَةُ ، وَمَا أُثْبِتَ عَنْ ابْنِ هِشَامٍ .

فصل

وقد شُرِّفَت المدينة أيضا بهجرته عليه السلام إليها وصارت كهفًا لأولياء الله وعباده الصالحين ومَعْقَلاً وَحِصْناً مَنِيْعاً للمسلمين ، ودارَ هُدًى للعالمين .

والأحاديثُ في فضلها كثيرة جداً لها موضع آخر نوردُها فيه . إن شاء الله .

وقد ثبت في الصحيحين من طريق حبيب بن يساف ، عن جعفر بن عاصم ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إِنَّ الْإِيْمَانَ لِيَأْرِزُ إِلَى الْمَدِينَةِ كَمَا تَأْرِزُ الْحَيَةُ إِلَى جُجْرَهَا » .

ورواه مسلم أيضاً عن محمد بن رافع ، عن شِبابَة ، عن عاصم بن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر ، عن أبيه ، عن ابن عمر ، عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه .

وفي الصحيحين أيضاً من حديث مالك ، عن يحيى بن سعيد ، أنه سمع أبا الحُبَابِ سعيد بن يسار ، سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أُمِرْتُ بِقَرْيَةٍ تَأْكُلُ الْقُرَى ، يَقُولُونَ يَثْرِبُ وَهِيَ الْمَدِينَةُ ، تَنْقِي النَّاسَ كَمَا يَنْقِي الْكَبِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ ^(١) » .

وقد انفرد الإمام مالك عن بقية الأئمة الأربعة بتفضيلها على مكة .

وقد قال البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرني أبو الوليد وأبو بكر بن عبد الله ، قالَا حدثنا الحسن بن سفيان ، حدثنا أبو موسى الأنصاري ، حدثنا سعيد بن سعيد ، حدثني أخي ، عن أبي هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَخْرَجْتَنِي مِنْ أَحَبِّ الْبِلَادِ إِلَى فَاسَكُنِّي أَحَبَّ الْبِلَادِ إِلَيْكَ » فَأَسْكَنَهُ اللَّهُ الْمَدِينَةَ .

وهذا حديث غريب جداً .

والمشهور عن الجمهور أن مكة أفضل من المدينة إلا المكان الذي ضمَّ جسدَ رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد استدلل الجمهور على ذلك بأدلة يطول ذكرها ها هنا ، ومحملها ذكرناها في كتاب المناسك من الأحكام إن شاء الله تعالى .

وأشهرُ دليلٍ لهم في ذلك ما قال الإمام أحمد : حدثنا أبو اليمان ، حدثنا شعيب ، عن الزُّهري ، أخبرنا أبو سلمة بن عبد الرحمن ، أن عبد الله بن عدي بن الحمراء أخبره ، أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم وهو واقف بالحزورة في سوق مكة يقول : « والله إنك خيرُ أرض الله وأحب أرض الله إلىَّ ، ولولا أني أخرجت منك ما خرجتُ » .

وكذا رواه أحمد عن يعقوب بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن صالح بن كيسان عن الزُّهري به .

وهكذا رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه ، من حديث الليث ، عن عُقيل عن الزُّهري به . وقال الترمذي : حسن صحيح .

وقد رواه يونس عن الزُّهري به . ورواه محمد بن عمرو عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة . وحديث الزُّهري عندي أصح .

قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن الزُّهري ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة ، قال : وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحزورة فقال : « علمتُ أنك خيرُ أرض الله وأحبُّ الأرض إلى الله ، ولولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجتُ » وكذا رواه النسائي من حديث معمر به .

قال الحافظ البيهقي : وهذا وهمٌ من معمر .

وقد رواه بعضهم عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، وهو أيضاً
وَهُمْ ، والصحيح رواية الجماعة .

وقال أحمد أيضاً : حدثنا إبراهيم بن خالد ، حدثنا رباح ، عن مَعْمَر ، عن محمد بن
مسلم بن شهاب الزهري ، عن أبي سلمة ، عن بعضهم ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال وهو في سوق الخزوة : « والله إنك لخير أرض الله وأحب الأرض إلى الله ،
ولولا أني أخرجت منك ماخرجت » .

ورواه الطبراني ، عن أحمد بن خُليد الحلبي ، عن الحميدي ، عن ابن أخي الزهري ،
عن محمد بن جبير بن مطعم ، عن عبد الله بن عَدِي بن الحراء به .
فهذه طرق هذا الحديث ، وأصحها ما تقدم . والله أعلم .

وقائع السَّنة الأولى من الهجرة ذِكْرُ ما وقع في السنة الأولى من الهجرة النبوية من الحوادث والوقائع العظيمة

اتفق الصحابة رضی الله عنهم في سنة ست عشرة ، وقيل سنة سبع عشرة ، أو ثمانى عشرة ، في الدولة العُمَريّة على جَعْل ابتداء التاريخ الإسلامي من سنة الهجرة .
وذلك أَنَّ أميرَ المؤمنين عمر رضی الله عنه رُفِعَ إليه صَكٌّ ، أى حُجَّةٌ ، لرجلٍ على آخر ، وفيه أنه يحلُّ عليه في شعبان ، فقال عمر : أى شعبان ؟ أشعبانُ هذه السنة التي نحن فيها أو السنة الماضية ، أو الآتية ؟

ثم جمع الصحابة فاستشارهم في وضع تاريخٍ يتعرفون به حُلُولَ الديون وغير ذلك .
فقال قائل : أرّخوا كتّأريخ الفرس . فـكـره ذلك .
وكانت الفرس يؤرخون بملوكهم واحداً بعد واحد .
وقال قائل : أرّخوا بتاريخ الروم . وكانوا يؤرخون بملك اسكندر بن فلبس المقدوني . فـكـره ذلك .

وقال آخرون : أرّخوا بمولد رسول الله صلى الله عليه وسلم .
وقال آخرون : بل بمبعثه .
وقال آخرون : بل بهجرته .
وقال آخرون : بل بوفاته عليه السلام .
فقال عمر رضی الله عنه إلى التاريخ بالهجرة لظهوره واشتহারه ، واتفقوا معه على ذلك .

وقال البخارى فى صحيحه : التاريخ ومتى أرخوا التاريخ : حدثنا عبد الله بن مسلم ، حدثنا عبد العزيز ، عن أبيه ، عن سهل بن سعد ، قال : ماعدوا من مبعث النبى صلى الله عليه وسلم ولا من وفاته ، ماعدوا إلا من مقدمه المدينة .

وقال الواقدى : حدثنا ابن أبى الزناد عن أبيه . قال : استشار عمر فى التاريخ فأتجمعوا على الهجرة .

وقال أبو داود الطيالسى عن قُرَّة^(١) بن خالد السدوسى ، عن محمد بن سيرين . قال : قام رجل إلى عمر فقال أرخوا . فقال : ما أرخوا ؟ فقال : شيء تفعله الأعاجم يكتبون فى شهر كذا من سنة كذا .

فقال عمر : حسن فأرخوا .

فقالوا : من أى السنين نبدأ ؟ فقالوا : من مبعثه ، وقالوا : من وفاته ، ثم أجمعوا على الهجرة ، ثم قالوا وأى الشهور نبدأ ؟ قالوا : رمضان ، ثم قالوا : الحرم ، فهو مَصْرَفُ الناس من حجّهم ، وهو شهر حرام فاجتمعوا على الحرام .

وقال ابن جرير : حدثنا قتيبة ، حدثنا نوح بن قيس الطائى ، عن عثمان بن محصن ، أن ابن عباس كان يقول فى قوله تعالى : « والفجر وليالٍ عشر » . هو الحرام فجر السنة .

وروى عن عبيد بن عمير قال : إن الحرام شهر الله ، وهو رأس السنة يُكسى [فيه] البيت ، ويؤرّخ به الناس ، ويُضرب فيه الورق .

قال أحمد : حدثنا رَوْح بن عباد ، حدثنا زكريا بن إسحاق ، عن عمرو بن دينار ، قال : إن أول من ورّخ الكتب يعلى بن أمية باليمن ، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدّم المدينة فى ربيع الأول ، وإن الناس أرخوا لأول السنة .

(١) الأصل : فروة . وهو تحريف .

وروى محمد بن إسحاق عن الزهري وعن محمد بن صالح ، عن الشعبي أنهما قالا : أرخ بنو إسماعيل من نار إبراهيم ، ثم أرخوا من بنيان إبراهيم وإسماعيل البيت ، ثم أرخوا من موت كعب بن لؤي ، ثم أرخوا من الفيل ، ثم أرخ عمر بن الخطاب من الهجرة ، وذلك سنة سبع عشرة ، أو ثمانى عشرة .

وقد ذكرنا هذا الفصل محرراً بأسانيد وطرقه فى السيرة العمريّة والله الحمد .
والقصود أنهم جعلوا ابتداء التاريخ الإسلامى من سنة الهجرة ، وجعلوا أولها من الحرم فيما اشتهر عنهم . وهذا هو قول جمهور الأئمة .
وحكى السهيلي وغيره عن الإمام مالك أنه قال : أول السنة الإسلامية ربيع الأول ، لأنه الشهر الذى هاجر فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم .
[وقد استدلل السهيلي على ذلك فى موضع آخر بقوله تعالى : « لَسَجْدُ أَتَسَّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ » أى من أول يوم حلول النبى صلى الله عليه وسلم المدينة ، وهو أول يوم من التاريخ كما اتفق الصحابة على أول سننى التاريخ عام الهجرة ^(١) .
ولاشك أن هذا الذى قاله الإمام مالك رحمه الله مناسب ، ولكن العمل على خلافه ، وذلك لأن أول شهور العرب الحرم ، فجعلوا السنة الأولى سنة الهجرة . وجعلوا أولها الحرم كما هو المعروف ، لئلا يختلط النظام . والله أعلم .

فنبول وبالله المستعان : استهلّت سنة الهجرة المباركة ورسول الله صلى الله عليه وسلم مقيم بمكة ، وقد بايع الأنصار بيعة العقبة الثانية كما قدمنا فى أوسط أيام التشريق ، وهى ليلة الثانى عشر من ذى الحجة قبل سنة الهجرة .
ثم رجع الأنصار وأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسلمين فى الهجرة إلى المدينة

(١) سقطت من ح .

فهاجر من هاجر من أصحابه إلى المدينة حتى لم يَبْقَ بمكة من يُمكنه الخروج إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحَسَّ أبو بكر نفسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليَصْحبه في الطريق كما قدمنا ، ثم خرجا على الوجه الذي تقدم بَسَطه ، وتأخَّرَ عليُّ بن أبي طالب بعد النبي صلى الله عليه وسلم بأمره ليؤدِّي ما كان عنده عليه السلام من الودائع ، ثم لحقهم بقاء ، فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين قريبا من الزوال وقد اشتدَّ الضَّحَاء .

قال الواقدي وغيره : وذلك لليلتين خَلَّتَا من شهر ربيع الأول . وحكاه ابن إسحاق ، إلا أنه لم يمرِّج عليه ، ورجَّح أنه لثنتي عشرة ليلة خَلَّتْ منه . وهذا هو المشهور الذي عليه الجمهور . وقد كانت مدة إقامته عليه السلام بمكة بعد البعثة ثلاث عشرة سنة في أصح الأقوال .

وهو رواية حماد بن سلمة ، عن أبي حمزة الضَّبي عن ابن عباس ، قال : بُعث رسول الله صلى الله عليه وسلم لأربعين سنة ، وأقام بمكة ثلاث عشرة سنة . وهكذا روى ابن جرير عن محمد بن معمر ، عن رَوْح بن عُبادة ، عن زكريا بن إسحاق ، عن عمرو بن دينار ، عن ابن عباس أنه قال : مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ثلاث عشرة .

وتقدم أن ابن عباس كتب أبياتِ صِرْمَة بن أبي أنس بن قيس :
 ثَوَى في قريشٍ بضعَ عشرةَ حِجَّةً يذْكَرُ لو يَلْقَى صَدِيقًا مُوَاتِياً
 وقال الواقدي : عن إبراهيم بن إسماعيل ، عن داود بن الحَصَيْن ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أنه استشهد بقولِ صِرْمَة :

ثَوَى في قريشٍ بضعَ عشرةَ حِجَّةً يذْكَرُ لو يَلْقَى صَدِيقًا مُوَاتِياً

وهكذا رواه ابن جرير ، عن الحارث ، عن محمد بن سعد ، عن الواقدي ، خمس عشرة حجة ، وهو قولٌ غريب جداً .

وأغربُ منه ما قال ابن جرير : حَدَّثَتْ عَنْ رَوْحِ بْنِ عُبَادَةَ ، حَدَّثَنَا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ قَالَ : نَزَلَ الْقُرْآنُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَمَانِي سِنِينَ بِمَكَّةَ ، وَعَشْرًا بِالْمَدِينَةِ .

وكان الحسن يقول : عشرًا بمكة ، وعشرًا بالمدينة .

وهذا القول الآخر الذي ذهب إليه الحسن البصري من أنه أقام بمكة عشرَ سنين ذهب إليه أنسُ بن مالك وعائشة وسعيدُ بن المسيَّب وعمرو بن دينار ، فيما رواه ابن جرير عنهم .

وهو روايةٌ عن ابن عباس رواها أحمد بن حنبل ، عن يحيى بن سعيد ، عن هشام عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابنُ ثلاث وأربعين ، فكث بمكة عشرًا .

وقد قدمنا عن الشعبي أنه قال : قُرْنُ إِسْرَافِيلُ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثَ سِنِينَ يُبْلَقُ إِلَيْهِ الْكَلِمَةُ وَالشَّيْءُ . وفي رواية يَسْمَعُ حَسَّهُ وَلَا يَرَى شَخْصَهُ ، ثُمَّ كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ جَبْرِيلُ .

وقد حكى الواقدي عن بعض مشايخه أنه أنكر قول الشعبي هذا .

وحاول ابنُ جرير أن يجمعَ بَيْنَ قول مَنْ قَالَ : إنه عليه السلام أقام بمكة عشرًا ، وقول مَنْ قَالَ : ثلاث عشرة . بهذا الذي ذكره الشعبي . والله أعلم .

فصل

ولما حلَّ الرُّكْبُ النبوى بالمدينة ، وكان أول نزوله بها فى دار بنى عمرو بن عوف ، وهى قُبَاء كما تقدم ، فأقام بها أكثر ما قيل ، ثنتين وعشرين ليلة . وقيل ثمانى عشرة ليلة . وقيل بضعة عشرة ليلة وقال موسى بن عقبة : ثلاث ليال .

والأشهرُ ما ذكره ابن إسحاق وغيره أنه عليه السلام أقام فيهم بقاء من يوم الاثنين إلى يوم الجمعة .

وقد أُسِّس فى هذه المدة المختلف فى مقدارها ، على ما ذكرناه ، مسجد قباء . وقد ادَّعى السهيلي أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أسسه فى أول يومٍ قدم إلى قباء ، وحمل على ذلك قوله تعالى « لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ » وردَّ قول مَنْ أعرَبها : مِنْ تَأْسِيسِ أَوَّلِ يَوْمٍ .

وهو مسجدٌ شريف فاضل ، نزل فيه قوله تعالى : « لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ ، فِيهِ رَجُلٌ يَحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يَحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ »^(١) كما تكلمنا على تقرير ذلك فى التفسير . وذكرنا الحديث الذى فى صحيح مسلم أنه مسجد المدينة والجواب عنه .

وذكرنا الحديث الذى رواه الإمام أحمد : حدثنا حسن بن محمد حدثنا أبو إدريس ، حدثنا شُرَحْبِيل ، عن عُوَيْم بن ساعدة ، أنه حدَّثه أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أتاهم فى مسجد قباء فقال : « إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحْسَنَ عَلَيْكُمْ الشَّاءَ فى الطَّهْرِ فى قصة مسجدكم ، فإِذَا الطَّهْرُ الذى تطهرون به ؟ » قالوا : والله يارسول الله مانعٌ شيناً ، إلا أنه كان

(١) سورة التوبة ١٠٨ .

لنا جيران من اليهود ، فكانوا يفسلون أديارهم من الغائط ، ففسلنا كما غسلوا .
وأخرجه ابن خزيمة في صحيحه ، وله شواهد أخر .

وروى عن خزيمة بن ثابت ومحمد بن عبد الله بن سلام وابن عباس .

وقد روى أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث يونس بن الحارث ، عن
إبراهيم بن أبي ميمونة ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : نزلت هذه
الآية في أهل قُبَاء « فيه رجالٌ يحبُّون أن يتطهَّروا والله يحبُّ المطهَّرين » . قال : كانوا
يستنجون بالماء فنزلت فيهم هذه الآية .

ثم قال الترمذي : غريب من هذا الوجه .

قلت : ويونس بن الحارث هذا ضعيف . والله أعلم .

وعن قال بأنه المسجد الذي أسس على التقوى مارواه عبد الرزاق ، عن مَعْمَر ، عن
الزهرى ، عن عروة بن الزبير ، ورواه على بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، وحُكِيَ
عن الشعبي والحسن البصرى وقتادة وسعيد بن جبير وعطية العوفى ، وعبد الرحمن بن
زيد بن أسلم ، وغيرهم .

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يزوره فيما بعد ويصلى فيه ، وكان يأتي قُبَاء كلَّ
سبت تارة راكباً وتارة ماشياً . وفي الحديث : « صلاةٌ في مسجد قباء كعمرة » .

وقد ورد في حديث أن جبرائيل عليه السلام هو الذى أشار للنبي صلى الله عليه وسلم
إلى موضع قبلة مسجد قباء .

فكان هذا المسجد أولَ مسجدٍ بنى فى الإسلام بالمدينة ، بل أول مسجد جعل لعموم
الناس فى هذه الملة .

واحتَرَزْنَا بهذا عن المسجد الذى بناه الصديق بمكة عند باب داره يتعبد فيه ويصلى ،
لأن ذلك كان لخاصة نفسه لم يكن للناس عامة ، والله أعلم .

وقد تقدم إسلام سلمان في البشارات ، [و] أن سلمان الفارسي لما سمع بقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم [إلى المدينة ذهب إليه وأخذ معه شيئاً فوضعه بين يديه وهو بقاء] [و] قال : هذا صدقة . فكف رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يأكله ، وأمر أصحابه فأكلوا منه ، ثم جاء مرة أخرى ومعه شيء فوضعه وقال هذه هدية فأكل منه وأمر أصحابه فأكلوا . تقدم الحديث بطوله [(١)] .

فصل

في إسلام عبد الله بن سلام رضى الله عنه

قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا عوف ، عن زرارة ، عن عبد الله ابن سلام ، قال : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة انجفل^(٢) الناس ، فكنت فيمن انجفل ، فلما تبينت وجهه عرفت أنه ليس بوجه كذاب ؛ فكان أول شيء سمعته يقول : « أَفْشُوا السَّلَامَ ، وَأَطْعَمُوا الطَّعَامَ ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ » ، تدخلوا الجنة بسلام .

ورواه الترمذى وابن ماجه من طرق ، عن عوف الأعرابي ، عن زرارة بن أبى أوفى به عنه . وقال الترمذى : صحيح .

ومقتضى هذا السياق يقتضى أنه سمع بالنبي صلى الله عليه وسلم ورآه أول قدمه حين أناخ بقاء في بنى عمرو بن عوف .

وتقدم في رواية عبد العزيز بن صهيب عن أنس ، أنه اجتمع به حين أناخ عند دار

(١) سقط من ح . (٢) انجفل الناس : انقلعوا فوضوا .

أبي أيوب عند ارتحاله من قباء إلى دار بني النجار كما تقدم ؛ فلعله رآه أول مارآه بقباء ، واجتمع به بعد ما صار إلى دار بني النجار . والله أعلم .

وفي سياق البخارى من طريق عبد العزيز عن أنس قال : فلما جاء النبي صلى الله عليه وسلم جاء عبد الله بن سلام فقال : أشهد أنك رسول الله وأنتك جئت بحق ، وقد علمت يهود أنى سيدهم وابن سيدهم وأعلمهم وابن أعلمهم ، فادعهم فسلّمهم عنى قبل أن يعلموا أنى قد أسلمت ، فإنهم إن يعلموا أنى قد أسلمت قالوا فى ما ليس فى .

فأرسل نبي الله صلى الله عليه وسلم إلى اليهود فدخلوا عليه ، فقال لهم : « يامعشر اليهود ويلكم اتقوا الله ، فوالله الذى لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أنى رسول الله حقا وأنى جئكم بحق فأسلموا » قالوا : ما نعلمه . قالوا : [ذلك] للنبي صلى الله عليه وسلم قالها ثلاث مرار . قال : « فأى رجل فيكم عبد الله ^(١) بن سلام ؟

قالوا : ذاك سيدنا وابن سيدنا ، وأعلمنا وابن أعلمنا . قال : أفرايتم إن أسلم ؟ قالوا : حاش لله ، ما كان ليسلم .

قال : « يابن سلام اخرج عليهم » .

فخرج فقال : يامعشر يهود اتقوا الله ، فوالله الذى لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أنه رسول الله وأنه جاء بالحق . فقالوا : كذبت . فأخرجهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

هذا لفظه .

وفي رواية : فلما خرج عليهم شهد شهادة الحق قالوا شرنا وابن شرنا ، وتنفصوه فقال : يا رسول الله هذا الذى كنت أخاف .

(١) ابن هشام : الحصين بن سلام .

وقال البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرنا الأصم ، حدثنا محمد بن إسحاق الصنعاني ، حدثنا عبد الله بن أبي بكر ، حدثنا حميد عن أنس ، قال : سمع عبد الله بن سلام بقدم النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو في أرض له ، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إني سائلك عن ثلاثٍ لا يعلمن إلا نبي ؛ ما أول أشرط الساعة ؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة ؟ وما بال الولد [يَنزَعُ] إلى أبيه أو إلى أمه .

قال : أخبرني بهن جبريلُ آنفاً . قال : جبريل ! قال : نعم . قال : عدوُّ اليهود من الملائكة . ثم قرأ ^(١) : « مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ » .

قال : « أَمَا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ فَنَارٌ تَخْرُجُ عَلَى النَّاسِ مِنَ الْمَشْرِقِ تَسْوَقُهُمْ إِلَى الْمَغْرِبِ ، وَأَمَّا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فِزْيَادَةُ كَبِدِ حَوْتٍ ^(٢) » ، وَأَمَّا الْوَلَدُ فَإِذَا سَبَقَ مَاءُ الرَّجُلِ مَاءَ الْمَرْأَةِ نَزَعَ الْوَلَدَ ، وَإِذَا سَبَقَ مَاءُ الْمَرْأَةِ مَاءُ الرَّجُلِ نَزَعَتْ الْوَلَدَ » .

فقال : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنت رسول الله . يا رسول الله إن اليهود قومٌ بَهْتٌ ، وإنهم إنْ يَعْلَمُوا بِإِسْلَامِي قَبْلَ أَنْ تَسْأَلَهُمْ عَنِّي يَهْتَنُونِي .

فجاءت اليهود . فقال : أيُّ رجل عبد الله فيكم ؟ قالوا : خيرُنا وابن خيرنا ، وسيدنا وابن سيدنا . قال : أرايتم إن أسلم ؟ قالوا : أعاده الله من ذلك .

فخرج عبد الله فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله . قالوا شَرُّنا وابن شرنا وإنتقصوه .

قال : هذا الذي كنت أخاف يا رسول الله .

(١) أي الرسول صلوات الله عليه . (٢) قال القسطلاني : هي القطعة المنفردة المتعلقة بالكبد وهي أهنأ طعام وأمرؤه .

ورواه البخارى عن عبد بن حميد^(١) عن عبد الله بن أبي بكر به . ورواه عن حامد بن عمر عن بشر بن الفضل عن حميد به .

قال محمد بن إسحاق : حدثني عبد الله بن أبي بكر ، عن يحيى بن عبد الله ، عن رجل من آل عبد الله بن سلام ، قال : كان من حديث عبد الله بن سلام حين أسلم وكان حبراً عالماً ، قال : لما سمعتُ برسول الله وعرفتُ صفته واسمه وهيئته و [زمانه] الذى كنا نتوَكَّف^(٢) له ، فكنتُ بقاءً مسراً بذلك^(٣) صامتاً عليه ، حتى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، المدينة .

فلما قدم نزل بقاءً في بني عمرو بن عوف ، فأقبل^(٤) رجل حتى أخبر بقدمه ، وأنا في رأس نخلة لى أعمل فيها ، وعمتي خالدة بنت الحارث تحتى جالسة .

فلما سمعتُ الخبر بقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم كبرتُ ، فقالت عمتى حين سمعتُ تكبيرى : لو كنتُ سمعتُ بموسى بن عمران ما زدتُ .

قال : قلت لها : أى عمة ، والله هو أخو موسى بن عمران وعلى دينه ، بُعث بما بعث به .

قال : فقالت له : يا ابن أخى أهو الذى كنا نُخْبِرُ أنه يُبعثُ مع نفس الساعة ؟ قال : قلت لها نعم . قالت : فذاك إذاً .

قال : فخرجتُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلمتُ ثم رجعتُ إلى أهل بيتى فأمرتهم فأسلموا ، وكنتمُ إسلامى من اليهود وقلت : يا رسول الله إن اليهود قومٌ بُهت^(٥) وإنى أحبُّ أن تُدخلنى في بعض بيوتك فتغيبنى عنهم ، ثم تسألهم عنى فيخبروك

(١) الأصل : عبد بن منير وهو خطأ . (٢) تتوَكَّف : تترقب وتنتظر . وفي الأصل : تتوقف مصحفة . وهو تحريف : وما أثبتته عن ابن هشام . (٣) ابن هشام : فكنتُ مسراً لذلك صامتاً عليه . (٤) ابن هشام : فلما نزل بقاءً على بنى عمرو بن عوف أقبل . (٥) البهت : جمع بهيت ، كقضب وقضيب . والبهيت هو الذى يهت القول ويختلفه .

كيف أنا فيهم ، قبل أن يعلموا بإسلامي ، فإنهم إن يعلموا بذلك بهتوني وعابوني .
وذكر نحو ما تقدم .

قال : فأظهرت إسلامي وإسلام أهل بيتي ، وأسلمت عمتي خالدة بنت الحارث .
وقال يونس بن بكير ، عن محمد بن إسحاق : حدثني عبد الله بن أبي بكر ،
حدثني يحدث عن صفية بنت حيي قالت : لم يكن أحد من ولد أبي وعمي أحبَّ
إليهما مني ، لم ألقهما في ولد لهما قط أهنَّ إليهما إلا أخذاني دونه ، فلما قدم رسول الله
صلى الله عليه وسلم قبَاء ، قرية بني عمرو بن عوف ، غداً إليه أبي وعمي أبو ياسر بن
أخطب مُفلسين ، فوالله ما جاءنا إلا مع مغيب الشمس ، فجاءنا فاترين كسلانين
ساقطين يمشيان الهويني ، فهششت إليهما كما كنت أصنع ، فوالله ما نظر إلي واحد
منهما ، فسمعت عمي أبا ياسر يقول لأبي : أهو هو ؟ قال : نعم والله ! قال :
تعرفه بنعته وصفته ؟ قال : نعم والله . قال : فماذا في نفسك منه ؟ قال : عداوته
والله ما بقيت !

وذكر موسى بن عُقبة عن الزهري أن أبا ياسر بن أخطب حين قدم رسول الله
صلى الله عليه وسلم المدينة ذهب إليه وسمع منه وحادثه ثم رجع إلى قومه فقال : يا قوم
أطيعون ، فإن الله قد جاءكم بالذي كنتم تنتظرون ، فاتبعوه ولا تخالفوه .

فانطلق أخوه حيي بن أخطب ، وهو يومئذ سيد اليهود ، وهما من بني النضير ،
فجلس إلى رسول الله وسمع منه ، ثم رجع إلى قومه ، وكان فيهم مطاعا ، فقال : أتيت
من عند رجل والله لا أزال له عدواً أبداً . فقال له أخوه أبو ياسر : يا ابن أم أظعنني في
هذا الأمر واعصني فيما شئت بعده لا تهلك .

قال : لا والله لا أطيعك أبداً ، واستحوذ عليه الشيطان واتبعه قومه على رأيه .

قلت : أما أبو ياسر واسمه حيي بن أخطب فلا أدري ما آل إليه أمره ، وأما حيي
ابن أخطب والد صفية بنت حيي فشرّب عداوة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، ولم
يزل ذلك دأبه لعنه الله حتى قُتل صبراً بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم قتل
مُقاتلة بنى قريظة . كما سيأتي إن شاء الله .

فصل

ولما ارتحل عليه السلام من قباء وهو راكبٌ ناقته القَصْواء ، وذلك يوم الجمعة ،
أدركه وقتُ الزوال وهو في دار بني سالم بن عوف ، فصلّى بالمسلمين الجمعة هنالك ، في
واد يقال له وادي رانواناء .

فكانت أولَ جُمعة صلاتها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمسلمين بالمدينة ،
أو مطلقاً ، لأنه ، والله أعلم ، لم يكن يتمكن هو وأصحابه بمكة من الاجتماع حتى
يقيموا بها جمعة ذات خطبة وإعلان بموعظة ، وما ذاك إلا لشدة مخالفة المشركين له ،
وأذيتهم إياه .

ذكر خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ

قال ابن جرير : حدثني يونس بن عبد الأعلى ، أخبرنا ابن وهب ، عن سعيد بن
عبد الرحمن الجُمحي ، أنه بلغه عن خطبة النبي صلى الله عليه وسلم في أول جمعة صلاتها بالمدينة
في بني سالم بن عمرو بن عوف رضى الله عنهم : « الحمد لله أحمدوه وأستعينه ، وأستغفروه
وأستهديه ، وأؤمن به ولا أكفره ، وأعادي من يكفره ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده
لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى والحق والنور والموعظة على

فترة من الرسل ، وقلة من العلم ، وضلالة من الناس ، وانقطاع من الزمان : ودنو من الساعة ، وقرب من الأجل .

من يطع الله ورسوله فقد رشد ، ومن يعصهما فقد غوى وفرط وضل ضلالاً بعيداً .

وأوصيكم بتقوى الله ، فإنه خير ما أوصى به المسلم المسلم أن يحضه على الآخرة ، وأن يأمره بتقوى الله . فاحذروا ما حذركم الله من نفسه ، ولا أفضل من ذلك نصيحة ولا أفضل من ذلك ذكرى ، وإنه تقوى لمن عمل به على وجل ومخافة ، وعون صدق على ما تبتغون من أمر الآخرة .

ومن يصلح الذي بينه وبين الله من أمر السر والعلانية لا ينوى بذلك إلا وجه الله يكن له ذكراً في عاجل أمره وذخراً فيما بعد الموت حين يفتر المرء إلى ما قدم ، وما كان من سوى ذلك يود لو أن بينه وبينه أمداً بعيداً ، ويحذركم الله نفسه والله رءوف بالعباد .

والذي صدق قواً ، وأنجز وعده ، لا خلف لذلك فإنه يقول تعالى : « ما يبدل القول لدى وما أنا بظالم للعبيد » .

واتقوا الله في عاجل أمركم وآجله في السر والعلانية فإنه « مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفُرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا » « وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا » وإن تقوى الله توفى مقته ، وتوفى عقوبته ، وتوفى سخطه ، وإن تقوى الله تبيض الوجه ، وترضى الرب ، وترفع الدرجة .

خذوا بحظكم ولا تفرطوا في جنب الله ، قد علمكم الله كتابه ، ونهج لكم سبيله ليعلم الذين صدقوا وليعلم الكاذبين ، فأحسنوا كما أحسن الله إليكم ، وعادوا أعداءه

وجاهدوا في الله حق جهاده ؛ هو اجتباكم وسماكم المسلمين ، لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيْنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيْنَةٍ ، وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ، فَأَكْثَرُوا ذِكْرَ اللَّهِ ، وَاعْمَلُوا لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ ، فَإِنَّهُ مِنْ أَصْلَحِ مَايُنْهِي وَيُنْهِي اللَّهُ يَكْفِيهِ مَايُنْهِي وَبَيْنَ النَّاسِ ، ذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ يَقْضِي عَلَى النَّاسِ وَلَا يَقْضُونَ عَلَيْهِ ، وَيَمْلِكُ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ ، اللَّهُ أَكْبَرُ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ .

هكذا أوردها ابن جرير وفي السند إرسال .

وقال البيهقي : باب أول خطبة خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة :

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرنا أبو العباس الأصم ، حدثنا أحمد بن عبد الجبار ، حدثنا يونس بن بُكَيْر ، عن ابن إسحاق ، حدثني المغيرة بن عثمان بن محمد بن عثمان والأخنس بن شَرِيق ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف ، قال : كانت أول خطبة خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة أن قام فيهم فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال « أما بعد أيها الناس فقدّموا لأنفسكم ، تَعْلَمُونَ وَاللَّهِ لِيُضْعَقَنَّ أَحَدَكُمْ ثُمَّ لِيُدْعَنَ غَنَمُهُ لَيْسَ لَهَا رَاعٌ ، ثُمَّ لِيَقُولَنَّ لَهُ رَبِّهِ ، لَيْسَ لَهُ تَرْجَمَانٌ وَلَا حَاجِبٌ يَحْجِبُهُ دُونَهُ : أَلَمْ يَأْتِكُمْ رَسُولِي فَبَلَّغْتُكُمْ ، وَأَتَيْتُكُمْ مَا لَا وَأَفْضَلْتُ عَلَيْكُمْ ، فَمَا قَدَّمْتُمْ لِنَفْسِكُمْ ؟ فَيَنْظُرُ يَمِينًا وَشِمَالًا فَلَا يَرَى شَيْئًا ، ثُمَّ يَنْظُرُ قَدَامَهُ فَلَا يَرَى غَيْرَ جَهَنَّمَ ، فَمَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَبْقَى وَجْهَهُ مِنَ النَّارِ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ فَلْيَفْعَلْ ، وَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ ، فَإِنْ بَهَا تَجْزَى الْحَسَنَةُ عَشْرَ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِينَ ضِعْفٍ . وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ^(١) وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ . »

ثم خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة أخرى فقال : « إن الحمد لله أحمدُه

(١) ابن هشام : والسلام عليكم وعلى رسول الله .

وأستعينه ، نعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلَّ له ، ومن يضلل فلا هادي له . وأشهد أن لا إله إلا الله [وحده لا شريك له] ^(١) ، إن أحسن الحديث كتابُ الله ، قد أفلح من زينّه الله في قلبه وأدخله في الإسلام بعد الكفر واختاره على ماسواه من أحاديث الناس ، إنه أحسنُ الحديث وأبلغه ، أحبُّوا مَنْ أحبَّ الله ، أحبُّوا الله مِنْ كُلِّ قلوبكم [ولا تملُّوا كلام الله وذكره ولا تقسى عنه قلوبكم] ^(٢) فإنه من [كلِّ ما يخلق الله] ^(٣) يختار الله ويصطفى ، فقد سمَّاه خيرته من الأعمال وخيرته من العباد ، والصالح من الحديث ، ومن كل ما أوتي الناس من الحلال والحرام ، فاعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً واتقوه حقَّ تقاته ، واصدُّقوا الله صالح ما تقولون بأفواهكم ، وتحابُّوا بروح الله بينكم ، إنَّ الله يفضب أن يُنكثَ عهده . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .»

وهذه الطريق أيضاً مرسله ، إلا أنها مقوية لما قبلها ، وإن اختلفت الألفاظ .

فصل

في بناء مسجده الشريف في مدة مقامه عليه السلام

بدار أبي أيوب رضی الله عنه

وقد اختلف في مدة مقامه بها ، فقال الواقدي : سبعة أشهر ، وقال غيره أقل من شهر . والله أعلم .

قال البخاري : حدثنا إسحاق بن منصور ، أخبرنا عبد الصمد ، قال سمعت أبي يحدث فقال حدثنا أبو التَّيَّاح يزيد بن حُميد الضبي ، حدثنا أنس بن مالك ، قال : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة نزل في علو المدينة في حي يقال لهم بنو عمرو بن

(١) من ابن هشام .

عوف ، فأقام فيهم أربع عشرة ليلة ثم أرسل إلى ملأ بنى النجار فجاءوا متقلدي سيوفهم . قال : وكأني أنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحلته وأبو بكر ردفه ، وملأ بنى النجار حوله ، حتى ألتى بفناء أبي أيوب .

قال : فكان يصلى حيث أدركته الصلاة ، ويصلى في مَرابض الغنم .

قال : ثم إنه أمر ببناء المسجد ، فأرسل إلى ملأ بنى النجار فجاءوا فقال : يا بنى النجار ثامنوني بحائطكم هذا . فقالوا : لا والله لا نطلب ثمنه إلا إلى الله عز وجل . قال : فكان فيه ما أقول لكم : كانت فيه قبور المشركين ، وكانت فيه خَرَبٌ ^(١) ، وكان فيه نخل ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقبور المشركين فُنُبِشت ، وبأخرب فسوَّيت ، وبالنخل فُقُطِع .

قال : فصَفَّوا النخلَ قبلَةَ المسجد ، وجعلوا عُصَادَتِيهِ حِجَارَةً ، قال : فجعلوا ينقلون ذلك الصخر وهم يرتجزون ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم معهم يقول : اللهم إنه لا خيرَ إلا خيرُ الآخرة فانصر الأنصارَ والمهاجرة .

وقد رواه البخارى فى مواضع آخر ومسلم من حديث أبى عبد الصمد وعبد الوارث ابن سعيد .

وقد تقدم فى صحيح البخارى عن الزهري ، عن عروة ، أن المسجد الذى كان مَرِبدًا - وهو يَبْدُر التمر - لثيمين كانا فى حِجْر أسعد بن زُرارة وهما سهل وسهيل ، فساوهمما فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا : بل نهْبُهُ لك يا رسول الله . فأبى حتى ابتاعه منهما وبناه مسجدا .

قال : وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو ينقل معهم التراب :

(١) الحرب : جمع خربة كلمة وكلم .

هَذَا الْحَمَالُ لِاحْمَالِ خَيْبَرَ هَذَا أَبَرُّ رَبَّنَا وَأَطْهَرُ

ويقول :

لَا هُمْ إِلَّا الْأَجَرُ أَجْرُ الْآخِرَةِ فَارْحَمِ الْأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرَةَ
وذكر موسى بن عُقْبَةَ أَنَّ أَسْعَدَ بْنَ زُرَّارَةَ عَوَّضَهَا مِنْهُ نَخْلًا لَهُ فِي بِيَاضَةِ قَالَ :
وَقِيلَ ابْتِاعَهُ مِنْهُمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
قلت : وذكر محمد بن إسحاق أَنَّ الْمَرْبُودَ كَانَ لِفُلَاحِينَ يَتِيمِينَ فِي حِجْرِ مَعَاذِ بْنِ عَقْرَاءَ ،
وَهُمَا سَهْلٌ وَسُهَيْلٌ ابْنَا عَمْرٍو . فَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وروى البيهقي من طريق أبي بكر بن أبي الدنيا ، حدثنا الحسن بن حماد الضبي ،
حدثنا عبد الرحيم بن سليمان ، عن إسماعيل بن مسلم ، عن الحسن ؛ قَالَ : لما بنى رسول
الله صلى الله عليه وسلم المسجد أعانه عليه أصحابه وهو معهم يتناول الابن حتى اغبر صدره ،
فقال : ابنوه عريشا كعريش موسى . فقلت للحسن : ما عريش موسى ؟ قال : إذا رفع
يديه بلغ العريش ، يعني السقف .

وهذا مرسل وروى من حديث حماد بن سلمة ، عن أبي سنان ، عن يعلى بن شداد بن
أوس ، عن عبادة ، أَنَّ الْأَنْصَارَ جَمَعُوا مَالًا فَأَتَوْا بِهِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا :
يَا رَسُولَ اللَّهِ ابْنِ هَذَا الْمَسْجِدَ وَزَيْنَهُ ، إِلَى مَتَى نَصَلِّي تَحْتَ هَذَا الْجُرَيْدِ ؟ فَقَالَ : مَا بِي رَغْبَةٌ
عَنْ أَخِي مُوسَى ، عَرِيشَ كَعَرِيشِ مُوسَى .
وهذا حديث غريب من هذا الوجه .

وقال أبو داود : حدثنا محمد بن حاتم ، حدثنا عبد الله بن موسى ، عن سنان ، عن
فِرَاسٍ ، عَنْ عَطِيَّةِ الْعَوْفِيِّ ، عَنْ ابْنِ عَمْرٍو ، أَنَّ مَسْجِدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَتْ

سواريه على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من جذوع النخل ، أعلاه مظلل بجريد النخل ، ثم إنها تحرّبت في خلافة أبي بكر ، فبناها بجذوع وبجريد النخل ، ثم إنها تحرّبت في خلافة عثمان فبناها بالآجر ، فما زالت ثابتة حتى الآن . وهذا غريب .

وقد قال أبو داود أيضا : حدثنا مجاهد بن موسى ، حدثني يعقوب بن إبراهيم ، حدثني أبي ، عن أبي صالح ، حدثنا نافع ، عن ابن عمر ، أخبره أن المسجد كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مبنيا باللبن ، وسقفه الجريد ، وعمده خشب النخل ، فلم يزد فيه أبو بكر شيئا ، وزاد فيه عمر وبناه على بنائه في عهد النبي صلى الله عليه وسلم باللبن والجريد وأعادَ عمدَه خشبا ، وغيرَه عثمان رضى الله عنه وزاد فيه زيادة كثيرة ، وبني جداره بالحجارة المنقوشة والقَصَّة^(١) وجعل عمدَه من حجارة منقوشة وسقفَه بالساج^(٢) .

وهكذا رواه البخارى عن على بن المدينى ، عن يعقوب بن إبراهيم به . قلت : زاده عثمان بن عفان رضى الله عنه متأولا قوله صلى الله عليه وسلم : « من بنى لله مسجداً ولو كمفحص قطاة بنى الله له بيتا فى الجنة » .

ووافقهُ الصحابة الموجودون على ذلك ولم يغيروه بعده ، فيستدل بذلك على الراجح من قول العلماء أن حكم الزيادة حكم المزيد ، فتدخل الزيادة فى حكم سائر المسجد من تضعيف الصلاة فيه وشد الرّحال إليه .

وقد زيد فى زمان الوليد بن عبد الملك باني جامع دمشق ، زاده له بأمره عمر بن

(١) القصة : الجبس . (٢) فى ١ : بالصلاح وهو تصحيف . والساج : اسم لنوع من

الشجر .

عبد العزيز حين كان نائبه على المدينة ، وأدخل الحجرة النبوية فيه . ثم زيد زيادة كثيرة فيما بعد ، وزيد من جهة القبلة حتى صارت الروضة والمنبر بعد الصفوف المقدسة كما هو المشاهد اليوم .

قال ابن إسحاق : ونزل رسول الله على أبي أيوب حتى بنى مسجده ومساكنه وعمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليرغب المسلمين في العمل فيه ، فعمل فيه المهاجرون والأنصار ودأبوا فيه ، فقال قائل من المسلمين :

لئن قمَدْنَا والنبيَّ يعملُ لَذاك مِنَّا العملُ المِضللُ

وأرتجز المسلمون وهم يبنونه يقولون :

لا عيشَ إلا عيشُ الآخِره اللهم ارحم الأنصار والمهاجره

فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا عيش إلا عيش الآخرة ، اللهم ارحم المهاجرين والأنصار » .

قال : فدخل عمار بن ياسر ، وقد ألقوه باللين فقال : يا رسول الله قتلوني يحملون عليّ ما لا يحملون .

قالت : أم سلمة فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفذ وفرته بيده ، وكان رجلاً جَعْدًا ، وهو يقول : « ويح ابن سمية ليسوا بالذين يقتلونك ، إنما تقتلك الفئة الباغية » .

وهذا منقطع من هذا الوجه ، بل هو مُعْضَل بين محمد بن إسحاق وبين أم سلمة ، وقد وصله مسلم في صحيحه من حديث شعبة ، عن خالد الحذاء ، عن سعيد والحسن ، يعني ابني أبي الحسن البصري ، عن أمهما خيرة مولاة أم سلمة ، عن أم سلمة قالت :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تقتل عماراً الفئة الباغية » ورواه من حديث ابن عليّة ، عن ابن عَوْن ، عن الحسن ، عن أمه ، عن أم سلمة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمار ، وهو ينقل الحجارة : « ويمح لك يا ابن سمية ! تقتلك الفئة الباغية » .

وقال عبد الرزاق : أخبرنا مَعْمَر ، عن الحسن يحدث عن أمه ، عن أم سلمة ، قالت : لما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه يَبْنُونَ المسجد ، جعل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يحمل كل واحد لَبِنَةً لَبْنَةً ، وعمار يحمل لبنتين ، لبنة عنه ولبنة عن النبي صلى الله عليه وسلم فمسح ظهره وقال : « ابن سُمَيَّة ، للناس أجرٌ ولك أجران ، وآخرُ زادك شربة من لبن وتقتلك الفئة الباغية » .

وهذا إسناد على شرط الصحيحين .

وقد أورد البيهقي وغيره من طريق جماعة ، عن خالد الحذاء ، عن عكرمة ، عن أبي سعيد الخدري ، قال : كنا نحمل في بناء المسجد لبنة لبنة ، وعمار يحمل لبنتين لبنتين . فرآه النبي صلى الله عليه وسلم فجعل ينفذ التراب عنه ويقول : « ويمح عمار ! تقتله الفئة الباغية ، يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار » قال يقول عمار : أعوذ بالله من الفتن .

لكن روى هذا الحديث الإمام البخاري عن مُسَدَّد ، عن عبد العزيز بن الحنّار ، عن خالد الحذاء ، وعن إبراهيم بن موسى ، عن عبد الوهاب الثقفي ، عن خالد الحذاء به ، إلا أنه لم يذكر قوله : « تقتلك الفئة الباغية » .

قال البيهقي : وكأنه إنما تركها لما رواه مسلم من طريق ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد [قال : أخبرني مَنْ هو خيرٌ مِنّي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمار حين جعل يحفر الخندق ، جعل يمسح رأسه ويقول : « بؤس ابن سُمَيَّة ! تقتله فئة باغية » .

وقد رواه مسلم أيضا من حديث شعبة ، عن أبي مسلم ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد ^(١) [قال : حدثني من هو خير مني ، أبو قتادة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمار بن ياسر « بؤسًا لك يا ابن سُمَيَّة تقتلك الفئة الباغية » .

وقال أبو داود الطيالسي : حدثنا وهيب ، عن داود بن أبي هند ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حفر الخندق كان الناس يحمون لبنة لبنة ، وعمار ناقه من وجع كان به ، فجعل يحمل البنتين لبنتين . قال أبو سعيد : لحدثني بعض أصحابي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينفذ التراب عن رأسه ويقول : « ويحك ابن سمية تقتلك الفئة الباغية » .

قال البيهقي : فقد فرَّق بين ماسمعه بنفسه وما سمعه من أصحابه .

قال : ويُشبه أن يكون قوله : « الخندق » وهما ، أو أنه قال له ذلك في بناء المسجد وفي حفر الخندق . والله أعلم .

قلت : حملُ اللبن في حفر الخندق لا معنى له ، والظاهر أنه اشتبه على الناقل . والله أعلم .

وهذا الحديث من دلائل النبوة ، حيث أخبر صلوات الله وسلامه عليه عن عمار أنه تقتله الفئة الباغية .

وقد قتله أهل الشام في وقعة صفين ، وعمَّار مع عليٍّ وأهل العراق .

وقد كان عليٌّ أحقَّ بالأمر من معاوية ، ولا يلزم من تسمية أصحاب معاوية بفاة تكفيرهم ، كما يحاوله جهلة الفرقة الضالة من الشيعة وغيرهم ، لأنهم وإن كانوا بفاة في نفس الأمر فإنهم كانوا مجتهدين فيما تعاطوه من القتال ، وليس كل مجتهد مصيبًا ، بل المصيب له أجران والخطيئ له أجر .

ومن زاد في هذا الحديث بعد : « تقتلك الفئة الباغية » : « لا أناها الله شفاعتي يوم القيامة » فقد افترى في هذه الزيادة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإنه لم يقلها إذ لم تنقل من طريق تقبل والله أعلم .

وأما قوله : « يدعوم إلى الجنة ويدعونه إلى النار » فإن عماراً وأصحابه يدعون أهل الشام إلى الألفة واجتماع الكلمة ، وأهل الشام يريدون أن يستأثروا بالأمر دون من هو أحق به ، وأن يكون الناس أوزاعاً على كل قطر إمام برأسه ، وهذا يؤدي إلى افتراق الكلمة واختلاف الأمة ، فهو لازمٌ مذهبهم وناشئٌ عن مسلكتهم ، وإن كانوا لا يقصدونه والله أعلم .

والمقصود هاهنا إنما هو قصة بناء المسجد النبوي ، على بانيه أفضل الصلاة والتسليم .

وقد قال الحافظ البيهقي في الدلائل : حدثنا أبو عبد الله الحافظ إمامنا ، حدثنا أبو بكر بن إسحاق ، أخبرنا عبيد بن شريك ، حدثنا نعيم بن حماد ، حدثنا عبد الله بن المبارك ، أخبرنا حشرج بن نباتة ، عن سعيد بن جهان ، عن سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : جاء أبو بكر بحجر فوضعه ، ثم جاء عمر بحجر فوضعه ، ثم جاء عثمان بحجر فوضعه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هؤلاء ولاية الأمر بعدى » .

ثم رواه من حديث يحيى بن عبد الحميد الحماني ، عن حشرج عن سعيد ، عن سفينة . قال : لما بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد وضع حجراً . ثم قال « لِيَضَعْ أبو بكر حجراً إلى جنب حجري ، ثم ليضع عمر حجراً إلى جنب حجر أبي بكر ، ثم ليضع عثمان حجراً إلى جنب حجر عمر » فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هؤلاء الخلفاء من بعدى » .

وهذا الحديث بهذا السياق غريب جداً .

والمعروف ما رواه الإمام أحمد، عن أبي النضر، عن حشر بن نباتة الببسي، وعن بهز وزيد بن الحباب وعبد الصمد وحامد بن سلمة، كلاهما عن سعيد بن جهمان، عن سفيينة قال سمعت رسول الله يقول : « الخلافة ثلاثون عاما، ثم يكون من بعد ذلك الملك » ثم قال سفيينة : أمسك ؛ خلافة أبي بكر سنتين، وخلافة عمر عشر سنين، وخلافة عثمان اثنتا عشرة سنة، وخلافة عليّ ست سنين .
هذا لفظ أحمد .

ورواه أبو داود والترمذي والنسائي من طرق، عن سعيد بن جهمان، وقال الترمذي حسن لا نعرفه إلا من حديثه ولفظه « الخلافة بعدى ثلاثون سنة ثم يكون مُلكاً عَضُوضاً » وذكر بقيته .

قلت : ولم يكن في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم أول ما بنى منبرٌ يخطب الناس عليه، بل كان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب وهو مستندٌ إلى جذع عند مصلاه في الحائط القبلي، فلما اتخذ له عليه السلام المنبر، كما سيأتي بيانه في موضعه، وعدل إليه ليخطب عليه، فلما جاوز ذلك الجذعَ خار ذلك الجذعُ وحنَّ حنينَ الثَّوْقِ العِشَارِ، لما كان يسمع من خطب الرسول عليه السلام عنده، فرجع إليه النبي صلى الله عليه وسلم فاحتضنه حتى سكن كما يسكن المولود الذي يسكت، كما سيأتي تفصيل ذلك من طرق عن سهل بن سعد الساعدي وجابر وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس وأنس بن مالك وأم سلمة رضي الله عنهم .

وما أحسن ما قال الحسن البصري بعد ما روى هذا الحديث، عن أنس بن مالك :
يا معشر المسلمين الخشبةُ تحنُّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم شوقاً إليه، أو ليس الرجال الذين يرجون لقاءه أحق أن يشتاقوا إليه ؟ !

تنبيه على فضل هذا المسجد الشريف والمحل المنيف

قال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن أنيس بن أبي يحيى ، حدثني أبي ، قال : سمعت أبا سعيد الخدري قال : اختلف رجلان ، رجل من بني خُدْرة ورجل من بني عمرو بن عوف ، في المسجد الذي أُسِّس على التقوى ، فقال الخدري : هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال العمري : هو مسجد قُبَاء . فأتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألاه عن ذلك فقال : « هو هذا المسجد » لمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال : « في ذلك خير كثير » يعني مسجد قُبَاء .

ورواه الترمذي عن قتيبة ، عن حاتم بن إسماعيل ، عن أنيس بن أبي يحيى الأسلمي به وقال : حسن صحيح .

وروى الإمام أحمد ، عن إسحاق بن عيسى ، عن الليث بن سعد والترمذي والنسائي جميعاً ، عن قتيبة ، عن الليث ، عن عمران بن أبي أنس ، عن عبد الرحمن بن أبي سعيد ، عن أبيه ، قال : تمارى رجلان في المسجد الذي أُسِّس على التقوى ، وذكر نحو ماتقدم . وفي صحيح مسلم من حديث حميد الخُراط ، عن أبي سامة بن عبد الرحمن أنه سأل عبد الرحمن ابن أبي سعيد ، كيف سمعتَ أباك في المسجد الذي أُسِّس على التقوى ؟ قال أبي : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته عن المسجد الذي أُسِّس على التقوى فأخذ كفاً من حصباء فضرب به الأرضَ ثم قال : « هو مسجدكم هذا » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، حدثنا ربيعة بن عثمان التميمي ، عن عمران بن أبي أنس ، عن سهل بن سعد ، قال : اختلف رجلان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد الذي أُسِّس على التقوى ، فقال أحدهما : هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال الآخر : هو مسجد قُبَاء . فأتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألاه فقال : « هو مسجدي هذا » .

وقال الإمام أحمدُ حدثنا أبو نعيم ، حدثنا عبد الله بن عامر الأسلمى ، عن عمر بن
أبي أنس ، عن سهل بن سعد ، عن أبي بن كعب ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
« المسجد الذى أسس على التقوى مسجدى هذا » .

فهذه طرق متعددة لعلها تقرب من إفادة القطع بأنه مسجد الرسول الله صلى الله
عليه وسلم .

وإلى هذا ذهب عمر ، وابنه عبد الله ، وزيد بن ثابت ، وسعيد بن المسيب ، واختاره
ابن جرير .

وقال آخرون : لا منافاة بين نزول الآية فى مسجد قباء كما تقدم بيانه ، وبين هذه
الأحاديث ، لأن هذا المسجد أولى بهذه الصفة من ذلك ، لأن هذا أحد المساجد الثلاثة
التي تُشدُّ الرحال إليها ، كما ثبت فى الصحيحين من حديث أبي هريرة ، قال : قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : « لا تشدُّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ؛ مسجدى هذا والمسجد الحرام ،
ومسجد بيت المقدس » .

وفى صحيح مسلم عن أبي سعيد ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا تشدُّ الرحال
إلا إلى ثلاثة مساجد » وذكرها .

وثبت فى الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « صلاةٌ فى مسجدى هذا
خير من ألف صلاةٍ فيما سواه إلا المسجد الحرام » .

وفى مسند أحمد بإسناد حسن زياد حسنة وهى قوله « فإنَّ ذلك أفضل » .

وفى الصحيحين من حديث يحيى القطان ، عن حبيب ، عن حفص بن عاصم ، عن
أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما بين بيتى ومنبرى روضةٌ من رياض
الجنة » ومنبرى على حوضى » .

والأحاديث في فضائل هذا المسجد الشريف كثيرة جداً وسنوردها في كتاب المناسك من كتاب الأحكام الكبير إن شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم .

وقد ذهب الإمام مالك وأصحابه إلى أن مسجد المدينة أفضل من المسجد الحرام ، لأن ذاك بناه إبراهيم ، وهذا بناه محمداً صلى الله عليه وسلم ، ومعلوم أن محمداً صلى الله عليه وسلم أفضل من إبراهيم عليه السلام .

وقد ذهب الجمهور إلى خلاف ذلك ، وقرروا أن المسجد الحرام أفضل ، لأنه في بلد حرّمه الله يوم خلق السموات والأرض ، وحرّمه إبراهيم الخليل عليه السلام ، ومحمد خاتم المرسلين ، فاجتمع فيه من الصفات ما ليس في غيره ، وبسط هذه المسألة موضع آخر وبالله المستعان .

فصل

وبنى لرسول الله صلى الله عليه وسلم حول مسجده الشريف حُجراً لتكون مساكن له ولأهله ، وكانت مساكن قصيرة البناء قريبة الفناء .

قال الحسن بن أبي الحسن البصرى ، وكان غلاماً مع أمه خيرة مولاة أم سلمة ، لقد كنت أنال أطولَ سقف في حجرة النبي صلى الله عليه وسلم بيدي .

قلت : إلا أنه قد كان الحسن البصرى شكلاً ضخمًا طويلاً . رحمه الله .

وقال الشَّهيلي في الرّوض : كانت مساكنه عليه السلام مبنية من جريد عليه طين ، بعضها من حجارة مرصومة ، وسقفها كلها من جريد .

وقد حكى عن الحسن البصرى ما تقدم .

وكانت حُجْرَه من شعر مربوطة بخشب من عَرعر .

قال : وفي تاريخ البخارى أن بابه عليه السلام كان يُقرع بالأظافر ، فدل على أنه لم يكن لأبوابه حلق .

قال : وقد أضيفت الحجر كلها بعد موت أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المسجد .

قال الواقدي وابن جرير وغيرهما : ولما رجع عبد الله بن أريقط الدبلى إلى مكة بعث معه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر زيد بن حارثة وأبارافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليأتوا بأهاليهم من مكة ، وبعنا معهم بحملين وخمسائة درهم ليشتروا بها إبلا من قديد ، فذهبوا فجاءوا بينتى النبي صلى الله عليه وسلم فاطمة وأم كلثوم وزوجتيه سودة وعائشة ، وأمها أم رومان ، وأهل النبي صلى الله عليه وسلم وآل أبي بكر صحبة عبد الله بن أبي بكر ، وقد شرد بعائشة وأمها أم رومان الجمل في أثناء الطريق ، فجعلت أم رومان تقول : واعروساه ، وابنتاه . قالت عائشة : فسمعت قائلا يقول : أرسلى خطأه ، فأرسلت خطامه فوقف بإذن الله وسلمنا الله عز وجل . فتقدموا فنزلوا بالسُّنَح ، ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعائشة في شوال بعد ثمانية أشهر كما سيأتى .

وقدِمَت معهم أسماء بنت أبي بكر امرأة الزبير بن العوام وهى حامل مَمَّ بعبد الله بن الزبير كما سيأتى بيانه فى موضعه من آخر هذه السنة .

فصل

فيا أصاب المهاجرين من مُحَيَّ المدينة رضى الله عنهم أجمعين
وقد سلم الرسول منها بحول الله وقوته ودعا ربه
فأزاحها الله عن مدينته

قال البخارى : حدثنا عبد الله بن وهب بن يوسف ، حدثنا مالك بن هشام بن
عروة ، عن أبيه ، عن عائشة أنها قالت : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة
وَعَلَكَ أبو بكر وبلال ، قالت فدخلتُ عليهما فقلت : يا أبتِ كيف تجدك ؟ ويا بلال
كيف تجدك ؟ قالت وكان أبو بكر إذا أخذته الحمى يقول :

كلُّ امرئٍ مُصَيِّحٌ في أهلهِ والموتُ أذنى مِن شِرَاكِ نعلهِ
وكان بلال إذا أفلع عنه الحمى يرفع عقيرته ويقول :

ألا ليت شعري هل أبيتُ ليلةً بوادٍ وحولى إذ خَرُ وجليلٌ^(١)
وهل أردنٌ يوماً ميامٍ مجنَّةٍ وهل يبدوُنَ لى شامةٍ وطَفِيلُ

قالت عائشة : فبُغِت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال : اللهم حَبِّبْ
إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد ، وصَحَّحها وبارك لنا في صاعها ومُدِّها ، وانقل حُمَّها
فاجعلها بالْجَحْفَةِ^(٢) .

ورواه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة عن هشام مختصراً .

وفى رواية البخارى له عن أبي أسامة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه عن عائشة ،
فذكره وزاد بعد شعر بلال . ثم يقول : اللهم العن عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة
وأمية بن خلف كما أخرجونا إلى أرض الوباء .

(١) الإذخر : الحشيش الأخضر ، أو حشيش طيب الرائحة . والجليل : بنت ضعيف .

(٢) الجحفة : قرية جامعة على اثنين وثلاثين ميلاً من مكة . وكان بها حينئذ يهود .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الله حَبَّبَ إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد اللهم بارك لنا في صاعها وفي مدها ، وصَحَّحْها لنا وانقل حُمَّها إلى الجحفة » .

قالت : وقدمنَّا المدينةَ وهى أَوْبًا أَرْضِ الله ، وكان بُطْحان يجرى نَجَلًا ، يعنى ماء آجنا .

وقال زياد عن محمد بن إسحاق : حدثنى هشام بن عروة وعمر بن عبد الله بن عروة ابن الزبير ، عن عائشة قالت : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة قَدِمَها وهى أَوْبًا أَرْضِ الله من الحمى ، فأصاب أصحابه منها بلاء وسُقْمٌ وصرف الله ذلك عن نبيه ، قالت : فكان أبو بكر وعامر بن فهيرة وبلال مولى أبى بكر فى بيت واحد فأصابتهم الحمى ، فدخلتُ عليهم أَدْعُوهم وذلك قبل أن يُضْرَبَ علينا الحجابُ ، وبهم ما لا يعلمه إلا الله من شدة الوعك ، فدنوت من أبى بكر فقلت : كيف تجدك يا أبت ؟ فقال :

كلُّ امرئٍ مُصَبِّحٌ فى أهله والموتُ أدنى من شِرَاكِ نعلهِ
قالت : فقلت : والله ما يدرى أبى ما يقول . قالت : ثم دنوت إلى عامر بن فهيرة فقلت : كيف تجدك يا عامر ؟ قال :

لقد وجدتُ الموتَ قبل ذَوْقه إنَّ الجبانَ حَتَفَهُ مِنْ فوقهِ
كلُّ امرئٍ مجَاهِدٌ بطوقهِ كالثورٍ يَحْمَى جِلْدَهُ برَوْقه
قال : فقالت : والله ما يدرى ما يقول ، قالت : وكان بلال إذا أدركته الحمى اضطجع بفناء البيت ثم رفع عقيرته فقال :

ألا ليت شِعْرِى هل أبيتَنَّ ليلةً بفتحٍ وحولى إذخر وجليلُ
وهل أردنَ يوماً مياهَ بحنةٍ وهل يبدونَ لى شامةٍ وطفيلُ

قالت عائشة : فذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما سمعت منهم وقلت : إني ليهذون وما يعقلون من شدة الحمى فقال : « اللهم حبب إلينا المدينة ، كما حببت إلينا مكة أو أشد » ، وبارك لنا في مدها وصاعها ، وانقل وباءها إلى مَهْيعة « ومَهْيعة هي الجحفة .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يونس ، حدثنا ليث ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن أبي بكر بن إسحاق بن يسار ، عن عبد الله بن عروة ، عن عروة ، عن عائشة ، قالت : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة اشتكى أبو بكر وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر وبلال ، فاستأذنت عائشة رسول الله صلى الله عليه وسلم في عيادتهم فأذن لها ، فقالت لأبي بكر : كيف تجدك ؟ فقال :

كُلُّ امرئٍ مصبَّحٍ في أهله والموتُ أدنى من شراك نَعْلِهِ
وسألت عامراً فقال :

إني وجدت الموتَ قبلَ ذوقه إنَّ الجبانَ حتْفُهُ من فوقه
وسألت بلالاً فقال :

يأليت شعري هل أبينَّ ليلةً بفتحٍ وحولي إذ خرَّ وجليلُ

فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم - فأخبرته ، فنظر إلى السماء وقال : « اللهم حبب إلينا المدينة كما حببت إلينا مكة أو أشد » ، اللهم بارك لنا في صاعها وفي مدها ، وانقل وباءها إلى مَهْيعة « وهي الجحفة فيما زعموا .

وكذا رواه النسائي عن قتيبة ، عن الليث به . ورواه الإمام أحمد ، من طريق عبد الرحمن ابن الحارث عنها ، مثله .

وقال البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو سعيد بن أبي عمرو ، قالا : حدثنا

أبو العباس الأصم ، حدثنا أحمد بن عبد الجبار ، حدثنا يونس بن بُكير ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، قالت : قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهي أوبأ أرض الله ، وواديها بطنحان تجلّ .

قال هشام : وكان وباؤها معروفًا في الجاهلية ، وكان إذا كان الوادي وبيثًا فأشرف عليها الإنسان قيل له أن ينهق ينهق الحمار ، فإذا فعل ذلك لم يضره وباء ذلك الوادي . وقد قال الشاعر حين أشرف على المدينة :

لعمري لئن عبرت من خيفة الردى نهيق الحمار إنني لجزوع

وروى البخاري من حديث موسى بن عُقبة ، عن سالم ، عن أبيه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « رأيت كأن امرأة سوداء ثائرة الرأس خرجت من المدينة حتى قامت بمنهية ، وهي الجحفة . فأولتها أن وباء المدينة نُقل إلى مهيعة ، وهي الجحفة » .

هذا لفظ البخاري ولم يخرج مسلم ورواه الترمذي وصححه والنسائي وابن ماجه من حديث موسى بن عُقبة .

وقد روى حماد بن زيد ، عن هشام بن عروة ، عن عائشة ، قالت : قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهي وبيثة ، فذكر الحديث بطوله إلى قوله : « وانقل حُماها إلى الجحفة » .

قال هشام : فكان المولود يولد بالجحفة فلا يبلغ الحلم حتى تُصرعه الحمى . ورواه البيهقي في دلائل النبوة .

وقال يونس عن ابن إسحاق : قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهي وبيثة ، فأصاب أصحابه بها بلاء وسقم حتى أجهدهم ذلك ، وصرف الله ذلك عن نبيه صلى الله عليه وسلم .

وقد ثبت في الصحيحين عن ابن عباس قال : قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم

وأصحابه صبيحة رابعة ، يعنى مكة ، عام عُمره القضاء ، فقال المشركون : إنه يقدم عليكم وقد قد وهنهم حتى يثرب ، فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرملوا وأن يمشوا ما بين الركنتين ، ولم يمنعهم أن يرملوا الأشواط كلها إلا الإبقاء عليهم .

قلت : وعمره القضاء كانت فى سنة سبع فى ذى القعدة ، فإما أن يكون تأخر دعاؤه عليه السلام بنقل الوباء إلى قريب من ذلك ، أو أنه رفع وبقي آثار منه قليل ، أو أنهم بقوا فى خمار ما كان أصابهم من ذلك إلى تلك المدة . والله أعلم .

وقال زياد عن ابن إسحاق : وذكر ابن شهاب الزهري عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة هو وأصحابه أصابهم حمى للمدينة حتى جهدوا مرضاً ، وصرف الله ذلك عن نبيه صلى الله عليه وسلم ، حتى كانوا وما يصلون إلا وهم قعود .

قال : فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يصلون كذلك فقال لهم : « اعلّموا أن صلاة القاعد على النصف من صلاة القائم » فتجشّم المسلمون القيام على ما بهم من الضعف والسقم ، التماس الفضل !

فصل

فى عَقْدِهِ عليه السلام الألفة بين المهاجرين والأنصار بالكتاب الذى أمر به فكتب بينهم والمؤاخاة التى أمرهم بها وقرّرها عليها ، ومُؤَادَعَتِهِ اليهود الذين كانوا بالمدينة

وكان بها من أحياء اليهود بنو قَيْنَقَاع وبنو النضير وبنو قُرَيْظَةَ .

وكان نزولهم بالحجاز قَبْلَ الأنصار أيام بَحْتَنْصَرَّ حين دَوَّخ بلاد المقدس . فيما ذكره الطبرى .

ثم لما كان سيلُ العَرَمِ وتفرقت شذَرُ مَذَرٍ ، نزل الأوسُ والخزرج المدينة عند اليهود ، فخالقوهم وصاروا يتشبهون بهم لِمَا يرون لهم عليهم من الفضل في العلم الماثور عن الأنبياء .

لكنَّ مَنْ الله على هؤلاء الذين كانوا مشركين بالهدى والإسلام ، وخذل أولئك لحسدِّهم وبغيتهم واستكبارهم عن اتباع الحق .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عَفَّانُ ، حدثنا حماد بن سلمة ، حدثنا عاصم الأحول ، عن أنس بن مالك ، قال : حالف رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار في دار أنس بن مالك .

وقد رواه الإمام أحمد أيضا والبخارى ومسلم وأبو داود من طرق متعددة ، عن عاصم بن سليمان الأحول ، عن أنس بن مالك ، قال : حالف رسول الله صلى الله عليه وسلم بين قریش والأنصار في داري . وقال الإمام أحمد : حدثنا نصر بن باب ، عن حجاج ، هو ابن أُرطاة ، قال : وحدثنا سُريج ، حدثنا عبَّاد ، عن حجاج ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه عن جده : أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب كتاباً بين المهاجرين والأنصار أن يَعْقِلُوا معاقليهم ، وأن يَقْدُوا عانيهم بالمعروف والإصلاح بين المسلمين .

قال أحمد : وحدثنا سُريج ، حدثنا عباد ، عن حجاج ، عن الحكم ، عن قاسم ، عن ابن عباس مثله .

تفرد به الإمام أحمد .

وفى صحيح مسلم عن جابر : كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم على كل بطن عقولة .

وقال محمد بن إسحاق : كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاباً بين المهاجرين والأنصار وادَّع فيه اليهود وعاهدوهم وأقرَّهم على دينهم وأموالهم ، واشترط عليهم وشرط

لهم : بسم الله الرحمن الرحيم « هذا كتاب من محمد النبي الأُمي ، بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم ، أنهم أُمَّةٌ واحدة من دون الناس ، المهاجرون من قريش على ربّعتهم ^(١) يتعاقلون بينهم ، وهم يَفْدُون عانيهم بالمعروف والقِسْط ، وبنو عَوْف على ربّعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تَقْدِي عانيها بالمعروف والقِسْط بين المؤمنين .

ثم ذكر كل بطن من بطون الأنصار وأهل كل دار : بنى ساعدة ، وبنى جُشم ، وبنى النجار ، وبنى عمرو بن عوف ، وبنى التَّبِيت .

إلى أن قال : وإنّ المؤمنين لا يتركون مُفْرَحًا ^(٢) بينهم أن يُعطوه بالمعروف في فداء [أ] وعقل ، ولا يُحَالِفُ مؤمنٌ مولى مؤمنٍ دونه ، وإن المؤمنين المتقين على مَنْ بَغَى منهم أو ابتغى دَسِيعَةً ^(٣) ظلم أو إثم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين ، وإن أيدّهم عليه جميعهم ، ولو كان ولد أحدهم ، ولا يَقْتُلُ مؤمنٌ مؤمنًا في كافر ، ولا ينصر كافرًا على مؤمن ، وإن ذمة الله واحدة يحير عليهم أديانهم ، وإن المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس .

وإنه مَنْ تَبِعْنَا مِنْ يَهُودٍ فَإِنَّ لَهُ النِّصْرَ وَالْأَسُوءَةَ غَيْرَ مَظْلُومِينَ وَلَا مُتَنَاصِرِينَ عَلَيْهِمْ ، وإن سَلِمَ الْمُؤْمِنِينَ وَاحِدَةً ، لَا يَسَالِمُ مُؤْمِنٌ دُونَ مُؤْمِنٍ فِي قِتَالٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا عَلَى سَوَاءٍ وَعَدْلٍ بَيْنَهُمْ . وإن كلَّ غَازِيَةٍ غَزَتْ مَعَنَا يُعْقَبُ بَعْضُهَا بَعْضًا .

وإن المؤمنين يُبَيِّءُ ^(٤) بعضهم بعضًا بما نال دماءهم في سبيل الله ، وإن المؤمنين

(١) ربعتهم : حالم التي أتى الإسلام وهم عليها .

(٢) قال ابن هشام : المفرح المنقل بالدين والكثير العيال . قال الشاعر :

إذا أنت لم ترح تودى أمانة وتحمل أخرى أفرحتك الودائع

(٣) الدسيسة : العظيمة . وفي الأصل . دسيسة . وهو تحريف .

(٤) يبئ : يمنع .

المتقين على أحسن هدى وأقومه ، وإنه لا يحير مشرك مالا لقرش ولا نفسا ولا يحول دونه على مؤمن ، وإنه من اعتبط مؤمنا قتلا عن يمينه فإنه قود به إلى أن يرضى ولي المقتول ، وإن المؤمنين عليه كافة ولا يحل لهم إلا قيام عليه .

وإنه لا يحل لمؤمن أقر بما في هذه الصحيفة وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثا ولا يؤويه ، وإنه من نصره أو آواه فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل ، وإنكم مهما اختلفتم فيه من شيء فإن مرده إلى الله عز وجل وإلى محمد صلى الله عليه وسلم .

وإن اليهود يُنفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين ، وإن يهود بنى عوف أمة مع المؤمنين ، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم مواليهم وأنفسهم ، إلا من ظلم وأثم فإنه لا يوتغ^(١) إلا نفسه وأهل بيته .

وإن لليهود بنى النجار وبنى الحارث وبنى ساعدة وبنى جشم وبنى الأوس وبنى ثعلبة وجفنة وبنى الشطيبة^(٢) مثل ما لليهود بنى عوف ، وإن بطانة يهود كأنفسهم ، وإنه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد ، ولا يتحجز على ثأر جرح ، وإنه من فتك فبنفسه [فتك وأهل بيته]^(٣) إلا من ظلم ، وإن الله على أبر^(٤) هذا ، وإن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم ، وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة ، وإن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم ، وإنه لم يأثم امرؤ بحليفه ، وإن النصر للمظلوم ، وإن يثرب حرام جوفها^(٥) لأهل هذه الصحيفة ، وإن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم ، وإنه لا تجار حرمة إلا بإذن أهلها .

وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فإن مردّه إلى

(١) يوتغ : يهلك (٢) الأصل : الشطنة وهو تحريف ، وما أثبتته عن ابن هشام .
(٣) من ابن هشام (٤) الأصل : أئر . وهو تحريف . (٥) الأصل : حرفها . وما أثبتته عن ابن هشام

الله وإلى محمد رسول الله، وإن الله على أتقى ما في هذه الصحيفة وأبرّه، وإنه لا تُجار قريش ولا من نصرها، وإن بينهم النصر على مَنْ دَرَمَ يَثْرَبَ، وإذا دُعوا إلى صلح يصلحونه ويلبسونه فإنهم يصلحونه، وأنهم إذا دُعوا إلى مثل ذلك فإنه لهم على المؤمنين، إلا من حارب في الدين، على كل أناس حصتهم من جانبهم الذي قبلهم.

وإنه لا يَحُولُ هذا الكتاب دون ظالم أو آثم، وإنه مَنْ خرج آمِنٌ ومن قعد آمِنٌ بالمدينة، إلا من ظلم أو آثم، وإن الله جارٌّ لمن برَّ واتقى.»

كذا أورده ابن إسحاق بنحوه. وقد تكلم عليه أبو عُبَيْد القاسم بن سَلَام رحمه الله في كتاب الغريب وغيره بما يطول.

فصل

في مؤاخاة النبي صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار
ليرتفق المهاجري بالأنصاري

كما قال تعالى : « والذين تبوءوا الدارَ والأَهلَ مِنَ الْإِيمَانِ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ »
ومن يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ »^(١) وقال تعالى : « والذين عَاقَدْتَ أَيْمَانُكُمْ فَاتُوهُمْ أَصِيبُهُمْ إِنْ اللَّهُ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيداً »^(٢) .

قال البخاري : حدثنا الصَّلت بن محمد ، حدثنا أبو أسامة ، عن إدريس ، عن طلحة بن مُصَرِّف ، عن سعيد بن جُبَيْر ، عن ابن عباس « ولكلِّ جعلنا موالى » قال : ورثة « والذين عَاقَدْتَ أَيْمَانُكُمْ » كان المهاجرون لما قدموا المدينة يرث المهاجريُّ الأنصاريُّ دون ذوى رَحِمِهِمُ لِلأَخُوَّةِ التي آخَى النبي صلى الله عليه وسلم بينهم ، فلما نزلت « ولكلِّ جعلنا موالى » نُسخَتْ ثم قال : « والذين عَاقَدْتَ أَيْمَانُكُمْ فَاتُوهُمْ أَصِيبُهُمْ » من^(٣) النصر والرَّقَادَة والنصيحة ، وقد ذهب الميراث وبوصى له .

وقال الإمام أحمد : قرئ على سفيان : سمعت عاصما عن أنس قال : حالف النبي صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار في دارنا . قال سفيان : كأنه يقول آخَى .

وقال محمد بن إسحاق : وآخى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه من المهاجرين والأنصار ، فقال : - فيما بلغنا ونعوذ بالله أن نقول عليه ما لم يقل - « تآخَوْا فِي اللَّهِ أَخَوَيْنِ أَخَوَيْنِ » .

(١) سورة الحشر ٩ . (٢) سورة النساء ٣٣ والقراء . (٣) البخاري : إلا النصر . . .

ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب فقال : « هذا أخى » .

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد المرسلين ، وإمام المتقين ، ورسول رب العالمين الذى ليس له خطير ولا نظير من العباد ، وعلى بن أبي طالب أخوين .
وكان حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسود رسوله وعم رسول الله صلى الله عليه وسلم وزيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أخوين ، وإليه أوصى حمزة يوم أحد ، وجعفر بن أبي طالب ذو الجناحين ومعاذ بن جبل أخوين .
قال ابن هشام : كان جعفر يومئذ غائبا بأرض الحبشة .

قال ابن إسحاق : وكان أبو بكر وخارجة بن زيد الخزرجى أخوين ، وعمر بن الخطاب وعتبان بن مالك أخوين ، وأبو عبيدة وسعد بن معاذ أخوين ، وعبد الرحمن ابن عوف وسعد بن الربيع أخوين ، والزبير بن العوام وسامة بن سلامة بن وقش أخوين ، ويقال : بل كان الزبير وعبد الله بن مسعود أخوين ، وعثمان بن عفان وأوس بن ثابت بن المنذر النجارى أخوين ، وطلحة [بن عبيد الله] وكعب بن مالك أخوين ، وسعيد بن زيد وأبي بن كعب أخوين ، ومصعب بن عمير وأبو أيوب أخوين ، وأبو حذيفة ابن عتبة وعبد بن بشر أخوين ، وعمار وحذيفة بن اليمان العباسى حليف عبد الأشهل أخوين . ويقال : بل كان عمار وثابت بن قيس بن شماس أخوين .
قلت : وهذا السند من وجهين .

قال : وأبو ذرّ برير بن جنادة ، والمنذر بن عمرو الملقب ليموت ^(١) أخوين ، وحاطب بن أبى بلتعة وعويم بن ساعدة أخوين ، وسلمان وأبو الدرداء أخوين ، وبلال وأبو رويحة عبد الله بن عبد الرحمن الخثعمى ثم أحد القرع ^(٢) أخوين .

(١) هو المنذر بن عمرو بن خنيس ، قتل يوم بدر معونة أميرا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان يقال له : أعنى ليموت ، أى سار مسرعا . (٢) ويروى القرع بالقاف .

قال : فهو لاء مَنْ سُمِّيَ لنا من كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أخى بينهم من أصحابه . رضى الله عنهم .

قلت : وفي بعض ما ذكره نظر .

أما مؤاخاة النبي صلى الله عليه وسلم وعلى ، فإن من العلماء من ينكر ذلك ويمنع صحته ، ومُسْتَنَدُه في ذلك أن هذه المؤاخاة إنما شرعت لأجل ارتفاق بعضهم من بعض وليتألف قلوب بعضهم على بعض ، فلا معنى لمؤاخاة النبي صلى الله عليه وسلم لأحد منهم ، ولا مهاجرى لهم هجرى آخر ، كما ذكره من مؤاخاة حمزة وزيد بن حارثة . اللهم إلا أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم لم يجعل مصلحة على إلى غيره ، فإنه كان ممن ينق عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من صِغَرِه في حياة أبيه أبى طالب ، كما تقدم عن مجاهد وغيره . وكذلك يكون حمزة قد التزم بمصالح مولا هم زيد بن حارثة فأخاه بهذا الاعتبار . والله أعلم .

وهكذا ذكره لمؤاخاة جعفر ومعاذ بن جبل فيه نظر ، كما أشار إليه عبد الملك بن هشام ، فإن جعفر بن أبى طالب إنما قَدِمَ في فتح خيبر في أول سنة سَبْعٍ كما سيأتى بيانه ، فكيف يؤاخى بينه وبين معاذ بن جبل أولَ مَقْدَمِه عليه السلام إلى المدينة ؟ اللهم إلا أن يقال إنه أَرْصَدَ لأخوته إذا قَدِمَ حين يَقْدَمُ .

وقوله : « وكان أبو عبيدة وسعد بن معاذ أخوين » يخالف ما رواه الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد ، حدثنا حماد ، حدثنا ثابت ، عن أنس بن مالك ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخى بين أبى عبيدة بن الجراح وبين أبى طلحة .

وكذا رواه مسلم منفرداً به ، عن حجاج بن الشاعر ، عن عبد الصمد بن عبد الوارث به .

وهذا أصح مما ذكره ابن إسحاق من مؤاخاة أبي عبيدة وسعد بن معاذ .
والله أعلم .

وقال البخارى : باب كيف آخى النبي صلى الله عليه وسلم بين أصحابه . وقال
عبد الرحمن بن عوف : آخى النبي صلى الله عليه وسلم بينى وبين سعد بن الربيع لما
قدمنا المدينة .

وقال أبو جُحَيْفَةَ : آخى النبي صلى الله عليه وسلم بين سلمان الفارسى وأبى الدرداء
رضى الله عنهما .

حدثنا محمد بن يوسف ، حدثنا سفيان ، عن حميد ، عن أنس ، قال : قَدِمَ
عبدُ الرحمن بن عوف فأخى النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبين سعد بن الربيع الأنصارى ،
فعرض عليه أن يُنَاصِفَهُ أَهْلَهُ وَمَالَهُ ، فقال عبد الرحمن : بَارَكَ اللهُ لَكَ فى أَهْلِكَ وَمَالِكَ ،
دُلَّنِى عَلَى السُّوقِ . فَرَجَّ شَيْئًا مِنْ أَقْطَ وَسَمْنٍ ، فَرَأَاهُ النَّبِىُّ صلى الله عليه وسلم بَعْدَ أَيَّامٍ
وَعَلَيْهِ وَصَرٌّ مِنْ صُفْرَةٍ ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : مَهْمَ يَاعَبْدُ الرَّحْمَنِ ؟ قال :
يَا رَسُولَ اللَّهِ تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ . قال : «فَمَا سَقَتْ فِيهَا ؟» قال : وَزَنَ نَوَاقٍ مِنْ
ذَهَبٍ ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : «أَوَلَمْ وَلَوْ بِشَاةٍ» .

تفرد به من هذا الوجه . وقد رواه أيضا فى مواضع آخر ، ومسلم من طرق
عن حميد به .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عَفَّانُ ، حدثنا حماد ، حدثنا ثابت وحميد ، عن أنس ،
أن عبد الرحمن بن عوف قدم المدينة فأخى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين سعد
ابن الربيع الأنصارى ، فقال له سعد : أَيْ أَخِى ، أَنَا أَكْثَرُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَالًا ، فَانْظُرْ
شَطْرَ مَالِى نَخْذَهُ ، وَتَحْتِى امْرَأَتَانِ فَانْظُرْ أَيَهُمَا أَحَبُّ إِلَيْكَ حَتَّى أَطْلُقَهَا .

فقال عبد الرحمن : بارك الله لك في أهلك ومالك ، دلوني على السوف . فذله
فذهب فاشترى وباع فربح فجاء بشيء من أقط وسمن . ثم لبث ما شاء الله أن يلبث فجاء
وعليه ودع زعفران فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مهم ؟ » فقال : يا رسول الله
تزوجتُ امرأة ، قال : « ما أضدَقْتها ؟ » قال : وزن نواة من ذهب ، قال « أو لم
ولو بشاة » .

قال عبد الرحمن : فلقد رأيتني ولو رفعت حجراً لرجوتُ أن أصيب
ذهباً وفضة .

وتعاقب البخارى هذا الحديث عن عبد الرحمن بن عوف غريب ، فإنه لا يعرف
مسنداً إلا عن أنس ، اللهم إلا أن يكون أنس تلقاه عنه . فالله أعلم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد ، أخبرنا حميد ، عن أنس ، قال : قال المهاجرون :
يا رسول الله مارأينا مثل قومٍ قدِمْنَا عليهم أحسنَ مواساةً في قليل ، ولا أحسنَ بذلاً من
كثير ، لقد كفَوْنَا المؤونة وأشركونا في المنهأ ، حتى لقد خشينا أن يذهبوا بالأجر كله .
قال : « لا ، ما أثنتم عليهم ودعوتم الله لهم » .

هذا حديث ثلاثي الإسناد على شرط الصحيحين ، ولم يخرج أحد من أصحاب
الكتب الستة من هذا الوجه ، وهو ثابت في الصحيح من [غيره] .

وقال البخارى : أخبرنا الحكم بن نافع ، أخبرنا شعيب ، حدثنا أبو الزناد ، عن
الأعرج ، عن أبي هريرة ، قال : قالت الأنصار : اقسم بيننا وبين إخواننا النخيل .
قال : لا . قالوا : أفتكفوننا المؤونة ونشرككم في الثمرة . قالوا : سمعنا وأطعنا .
تفرّد به .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للأنصار
« إن إخوانكم قد تركوا الأموال والأولادَ وخرجوا إليكم » فقالوا : أموالنا بيننا

قطائع . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أو غير ذلك ؟ » قالوا وما ذاك
يارسول الله ؟ قال : « هم قوم لا يعرفون العمل ، فتكفونهم وتقاسمونهم الثمر » .
قالوا نعم .

وقد ذكرنا ماورد من الأحاديث والآثار في فضائل الأنصار وحُسن سجاياهم عند
قوله تعالى : « والذين تبوءوا الدارَ والإيمانَ مِن قبلهم » الآية .

فصل

في موت أبي أمامة أسعد بن زُرارة

ابن عدس بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النَجَّار ، أحد النقباء الاثني عشر
ليلة العقبة على قومه بنى النجار ، وقد شهد العقبات الثلاث ، وكان أول من بايع رسول الله
صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة الثانية في قول ، وكان شاباً ، وهو أول من جمع بالمدينة في
نقيع الخَضَمَات في هَزْم النَبِيت . كما تقدم .

قال محمد بن إسحاق : وهلك في تلك الأشهر أبو أمامة أسعد بن زرارَة والمسجد
يُبنى ، أخذته الذبجة أو الشمقة .

وقال ابن جرير في التاريخ : أخبرنا محمد بن عبد الأعلى ، حدثنا يزيد بن زريع ،
عن مَعْمَر ، عن الزُّهْرِي ، عن أنس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كَوَى أسعد بن
زرارة في الشوكة .

رجاله ثقات .

قال ابن إسحاق : حدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، عن
يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أسعد بن زرارَة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم : « بئس الميتُ أبو أمانةٍ لإيهودٍ ومنافقي العرب ، يقولون : لو كان نبياً لم يمتْ صاحبه ، ولا أملك لنفسي ولا لصاحبي من الله شيئاً » ،

وهذا يقتضى أنه أول من مات بعد مقدّم النبي صلى الله عليه وسلم .

وقد زعم أبو الحسن بن الأثير في الغابة أنه مات في شوال بعد مقدم النبي صلى الله عليه وسلم بسبعة أشهر . قاله أعلم .

وذكر محمد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، أن بني النجار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقيم لهم نقيباً بعد أبي أمانة أسعد بن زُرارة فقال : « أتم أخوالى وأنا بما فيكم وأنا تقييكم » وكره أن يخصّ بها بعضهم دون بعض ، فكان من فضل بني النجار الذي يعتدّون به على قومهم أن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم تقييهم .

قال ابن الأثير : وهذا يردُّ قول أبي نعيم وابن منده في قولهما : إن أسعد بن زُرارة كان نقيباً على بني ساعدة ، إنما كان على بني النجار .

وصدّق ابن الأثير فيما قال .

وقد قال أبو جعفر بن جرير في التاريخ : كان أول من توفي بعد مقدمه عليه الصلاة والسلام المدينة من المسلمين ، فيما ذكر ، صاحبُ منزله كلثوم بن الهدم ، لم يلبث بعد مقدمه إلا يسيراً حتى مات ، ثم توفي بعده أسعدُ بن زُرارة وكانت وفاته في سنة مقدّمه قبل أن يفرغ بناء المسجد ، بالذبحجة أو الشهقة .

قلت : وكلثوم بن الهدم بن امرئ القيس بن الحارث بن زيد بن عبيد بن زيد بن مالك بن عوف ، بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس ، الأنصارى الأوسى ، وهو من بني عمرو بن عوف وكان شيخاً كبيراً أسلم قبل مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ونزل بقباء نزل في منزل هذا في الليل ،

وكان يتحدث بالنهار مع أصحابه في منزل سعد بن الربيع رضى الله عنهما إلى أن ارتحل إلى دار بنى النجار كما تقدم .

قال ابن الأثير : وقد قيل إنه أول من مات من المسلمين بعد مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم بعده أسعد بن زرارة . ذكره الطبرى .

فصل

في ميلاد عبد الله بن الزبير في شوال سنة الهجرة

فكان أول مولود ولد في الإسلام من المهاجرين ، كما أن النعمان بن بشير أول مولود ولد للأنصار بعد الهجرة رضى الله عنهما .

وقد زعم بعضهم أن ابن الزبير ولد بعد الهجرة بعشرين شهراً . قاله أبو الأسود . ورواه الواقدي عن محمد بن يحيى بن سهل بن أبي حنمة عن أبيه ، عن جده .

وزعموا أن النعمان ولد قبل الزبير بستة أشهر على رأس أربعة عشر شهراً من الهجرة .

والصحيح ما قدمنا . فقال البخارى : حدثنا زكريا بن يحيى ، حدثنا أبو أسامة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن أسماء ، أنها حملت بعبد الله بن الزبير ، قالت : فخرجت وأنا مُمَيَّمَةٌ فأتيت المدينة فنزلت بقباء فولدته بقباء ، ثم أتيت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعه في حجره ثم دعا بتمرة فمضغها ثم تفل في فيه ، فكان أول شيء دخل جوفه ريق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم حنكه بتمرة ، ثم دعا له وبرك عليه . فكان أول مولود ولد في الإسلام . تابعه خالد بن مخلد ، عن علي ابن مُسَهَّر ، عن هشام ، عن أبيه ، عن أسماء أنها هاجرت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهي حُبْلَى .

حدثنا قُتَيْبَةُ ، عن أَبِي أُسَامَةَ ، عن هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ ، عن أَبِيهِ ، عن عَائِشَةَ قَالَتْ :
أَوَّلُ مَوْلُودٍ وَلِدَ فِي الْإِسْلَامِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ ، أَتَوْا بِهِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَخَذَ
النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَمْرَةً فَلَاكَهَا ثُمَّ أَدْخَلَهَا فِي فِيهِ ، فَأَوَّلُ مَا دَخَلَ بَطْنُهُ رِيقُ النَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

فهذا حجةٌ على الواقديّ وغيره ، لأنه ذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث مع
عبد الله بن أريقط لما رجع إلى مكة زيد بن حارثة وأبا رافع ليأتوا بعياله وعيال
أبي بكر ، فقد مروا بهم إثر هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأسماء حاملٍ متمٍّ ، أي مُقَرَّبٍ
قد دَنَا وَضَعُهَا لَوْلَدِهَا ، فلما ولدته كَبَّرَ الْمَسَامُونَ تَكْبِيرَةً عَظِيمَةً فَرَحًا بِمَوْلَدِهِ ، لأنه
كان قد بلغهم عن اليهود أنهم سَحَرُوهُمْ حَتَّى لَا يُولَدَ لَهُمْ بَعْدَ هِجْرَتِهِمْ وَلَدٌ ، فَأَكْذَبَ
اللَّهُ الْيَهُودَ فِيمَا زَعَمُوا .

فصل

وَبَنَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَائِشَةَ فِي شَوَّالٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ

قال الإمام أحمد : حدثنا وَكِيعٌ ، حدثنا سفيان ، عن إسماعيل بن أمية ، عن
عبد الله بن عُرْوَةَ ، عن أَبِيهِ ، عن عَائِشَةَ قَالَتْ : تزوّجني رسول الله صلى الله عليه وسلم
في شوال ، وَبَنَى بِي فِي شَوَّالٍ ، فَأَيُّ نِسَاءِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ أَحْظَى
عِنْدَهُ مِنِّي ؟

وكانت عائشة تستحب أن تُدْخَلَ نِسَاءُهَا فِي شَوَّالٍ .

ورواه مسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه من طرق عن سفيان الثوري به . وقال
الترمذي : حسن صحيح لا نعرفه إلا من حديث سفيان الثوري .

فعلى هذا يكون دخوله بها عليه السلام بعد الهجرة بسبعة أشهر ، أو ثمانية أشهر .
وقد حكى القولين ابن جرير ، وقد تقدم في تزويجه عليه السلام بسودة كيفية
تزويجه ودخوله بعائشة بعد ما قدموا المدينة ، وأن دخوله بها كان بالسُّنْح نهاراً . وهذا
خلاف ما يعتاده الناس اليوم ، وفي دخوله عليه السلام بها في شوال ردّ لما يتوهمه بعض
الناس من كراهية الدخول بين العيدين خشية المفارقة بين الزوجين ، وهذا ليس بشيء
لما قالت عائشة رآدة على مَنْ توهمه من الناس في ذلك الوقت : تزوجني في شوال ،
وبني بي في شوال ، أى دخل بي في شوال ، فأى نساؤه كان أحظى عنده منى ؟

فدلّ هذا على أنها فهمت منه عليه السلام أنها أحب نساؤه إليه ، وهذا الفهم منها
صحيح لمادل على ذلك من الدلائل الواضحة ، ولو لم يكن إلا الحديث الثابت في صحيح
البخارى عن عمرو بن العاص : قلت يا رسول الله أى الناس أحب إليك ؟ قال :
« عائشة » قلت : من الرجال ؟ قال : « أبوها » .

فصل

قال ابن جرير : وفي هذه السنة ، يعنى السنة الأولى من الهجرة ، زيد في صلاة
الحضر ، فيما قيل ، ركعتان ، وكانت صلاة الحضر والسفر ركعتين ، وذلك بعد مقدم
النبي صلى الله عليه وسلم المدينة بشهر من ربيع الآخر لمضى ثنتى عشرة ليلة مضت .
وقال : وزعم الواقدي أنه لا خلاف بين أهل الحجاز فيه .

قلت : قد تقدم الحديث الذى رواه البخارى من طريق معمر عن الزُّهْرى عن
عُرْوَة ، عن عائشة قالت : فُرِضَت الصلاة أول ما فرضت ركعتين ، فَأَقْرَرَت صلاةُ السَّفر
وزيد في صلاة الحضر .

وروى من طريق الشَّعْبى عن مسروق عنها .

وقد حكى البيهقي عن الحسن البصري ، أن صلاة الحضر أول ما فرضت فرضت أربعاً . والله أعلم .

وقد تكلمنا على ذلك في تفسير سورة النساء عند قوله تعالى « وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ ^(١) » الآية .

فصل

في الأذان ومشروعيته عند مقدم النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة النبوية

قال ابن إسحاق : فلما اطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة واجتمع إليه إخوانه من المهاجرين واجتمع أمر الأنصار ، استحکم أمر الإسلام ، فقامت الصلاة وفُرضت الزكاة والصيام ، وقامت الحدود وفرض الحلال والحرام وتبَّوْا الإسلام بين أظهرهم .

وكان هذا الحى من الأنصار هم الذين تبَّوْأوا الدارَ والإيمانَ .

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدمها إنما يجتمع الناس إليه للصلاة لحين مواقيتها بغير دعوة ، فهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أن يجعل بُوقاً كبوق يهود الذى يدعون به لصلاتهم . ثم كرهه ، ثم أمر بالناقوس فُنُحت ليُضرب به للمسلمين للصلاة .

فبيناهم على ذلك رأى عبدُ الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه أخو بلحارث بن الخزرج النداء ، فأتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله إنه طاف بى هذه الليلة طائف ، مرَّ بى رجل عليه ثوبان أخضران يحمل ناقوساً فى يده ، فقلت :

يا عبد الله أتبيع هذا الناقوس؟ فقال: وما تصنع به؟ قال: قلت: ندعو به إلى الصلاة. قال: ألا أدلك على خير من ذلك؟ قلت: وما هو؟ قال: تقول، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمداً رسول الله، أشهد أن محمداً رسول الله، حتى على الصلاة حتى على الصلاة، حتى على الفلاح حتى على الفلاح، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله.

فلما أخبر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إنها لرؤيا حق إن شاء الله، فقم مع بلال فآلقها عليه فليؤذن بها فإنه أندى صوتاً منك».

فلما أذن بها بلال سمعه عمر بن الخطاب وهو في بيته فخرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يجر رداءه وهو يقول: يانبي الله والذي بعثك بالحق لقد رأيتُ مثل الذي رأى.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فله الحمد.

قال ابن إسحاق: فحدثني بهذا الحديث محمد بن إبراهيم بن الحارث، عن محمد بن عبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه، عن أبيه.

وقد روى هذا الحديث أبو داود والترمذي وابن ماجه وابن خزيمة من طرق عن محمد بن إسحاق به، وصححه الترمذي وابن خزيمة وغيرهما.

وعند أبي داود أنه علمه الإقامة؛ قال: ثم تقول إذا أقيمت الصلاة: الله أكبر، الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمداً رسول الله، حتى على الصلاة، حتى على الفلاح، قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله.

وقد روى ابن ماجه هذا الحديث عن أبي عبيد محمد بن عبيد بن ميمون عن محمد بن سلمة الحراني عن ابن إسحاق كما تقدم.

ثم قال : قال أبو عبيد : وأخبرني أبو بكر الحَكَمي أن عبد الله بن زيد الأنصاري قال في ذلك :

الحمد لله ذي الجلال وذو الإكرام حمداً على الأذان كبيراً
إذ أتاني به البشيرُ من الله فأكرم به لدىَّ بشيراً
في ليالٍ وإلى بهن ثلاثٍ كلها جاء زادني توقيراً

قلت : وهذا الشعر غريب ، وهو يقتضي أنه رأى ذلك ثلاث ليال حتى أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنه أعلم .

ورواه الإمام أحمد ، من حديث محمد بن إسحاق قال : وذكر الزُّهري عن سعيد ابن المسيَّب عن عبد الله بن زيد به نحو رواية ابن إسحاق . عن محمد بن إبراهيم التيمي ولم يذكر الشعر .

وقال ابن ماجه : حدثنا محمد بن خالد بن عبد الله الواسطي ، حدثنا أبي عن عبد الرحمن بن إسحاق ، عن الزُّهري ، عن سالم عن أبيه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استشار الناسَ لِمَا يهْمُهم من الصلاة ، فذكروا البوق فكرهه من أجل اليهود ، ثم ذكروا الناقوس فكرهه من أجل النصارى . فأرى النداء تلك الليلة رجلٌ من الأنصار يقال له : عبد الله بن زيد وعمر بن الخطاب ، فطرق الأنصاريُّ رسول الله عليه وسلم ليلاً ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالاً فأذن به .

قال الزُّهري : وزاد بلالٌ في نداء صلاة الغداة : « الصلاةُ خيرٌ من النوم » مرتين ، فأقرها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال عمر : يا رسول الله رأيتُ مثلاً الذي رأى ولكنه سبقني .

وسياتي تحرير هذا الفصل في باب الأذان من كتاب الأحكام الكبير . إن شاء الله تعالى وبه الثقة .

فأما الحديث الذي أورده السهيلي بسنده من طريق البرّار ، حدثنا محمد بن عثمان بن مخلد ، حدثنا أبي ، عن زياد بن المنذر ، عن محمد بن علي بن الحسين ، عن أبيه ، عن جده ، عن علي بن أبي طالب ، فذكر حديث الإسراء وفيه : فخرج ملك من وراء الحجاب فأذن بهذا الأذان ، وكلما قال كلمة صدّقه الله تعالى ، ثم أخذ الملك بيد محمد صلى الله عليه وسلم فقدمه ، فأمر بأهل السماء وفيهم آدم ونوح . ثم قال السهيلي : وأخلاق بهذا الحديث أن يكون صحيحا لما يعضده ويشاكله من حديث الإسراء .

فهذا الحديث ليس كما زعم السهيلي أنه صحيح ، بل هو مُنكر ، تفرّد به زياد بن المنذر أبو الجارود الذي تنسب إليه الفرقة الجارودية ، وهو من المتهمين . ثم لو كان هذا قد سمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء لأوشك أن يأمر به بعد الهجرة في الدعوة إلى الصلاة . والله أعلم .

قال ابن هشام : وذكر ابن جُرَيْج قال : قال لي عطاء : سمعت عُبيد بن عمير يقول : ائتمر النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه [بالناقوس] للاجتماع للصلاة ، فبينما عمر ابن الخطاب يريد أن يشتري خشبتين للناقوس إذ رأى عمر في المنام : لا تجعلوا الناقوس بل أذنوا للصلاة .

فذهب عمر إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليخبره بما رأى ، وقد جاء النبي صلى الله عليه وسلم الوحي بذلك ، فزارع عمر إلا بلال يؤذن ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أخبره بذلك : « قد سبقك بذلك الوحي » .

وهذا يدل على أنه قد جاء الوحي بتقرير مارآه عبد الله بن زيد بن عبد ربه ، كما صرح به بعضهم . والله تعالى أعلم .

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير ، عن امرأة من بني النجار ، قالت : كان يتي من أطول بيت حول المسجد ، فكان بلال يؤذن عليه للفجر كلَّ غَدَاة ، فيأتي بسَحَر فيجلس على البيت ينتظر الفجر ، فإذا رآه تمطى ثم قال : اللهم أحمدك وأستعينك على قريش أن يقيموا دينك . قالت : ثم يؤذن قالت : والله ما علمته كان تركها ليلة واحدة . يعني هذه الكلمات .
وزواه أبو داود من حديثه منفرداً به .

فصل

في سرية حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه

قال ابن جرير : وزعم الواقدي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عقد في هذه السنة في شهر رمضان ، على رأس سبعة أشهر من مهاجره ، حمزة بن عبد المطلب لواء أبيض في ثلاثين رجلاً من المهاجرين ، ليعترض لغيرات قريش ، وأن حمزة لقي أبا جهل في ثلاثمائة رجل من قريش ، فحجز بينهم نجدي بن عمرو ، ولم يكن بينهم قتال .

قال : وكان الذي يحمل لواء حمزة أبو مرثد الغنوي .

فصل

في سرية عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب

قال ابن جرير : وزعم الواقدي أيضاً أن النبي صلى الله عليه وسلم عقد في هذه السنة على رأس ثمانية أشهر في شوال لعبيدة بن الحارث لواء أبيض ، وأمره بالمسير إلى بطن رابغ .

وكان لواؤه مع مسطح بن أثاثة ، فبلغ ثنيّة المرّة وهى بناحية الجحفة ، فى ستين من المهاجرين ليس فيهم أنصارى ، وأنهم التقوا هم والمشركون على ماء يقال له أحياء ، وكان بينهم الرمى دون المسابقة^(١) . قال الواقدى : وكان المشركون مائتين عليهم أبوسفیان صخر بن حرب وهو المثبت وعندنا ، وقيل كان عليهم مكرز بن حفص .

فصل

قال الواقدى : وفيها ، يعنى فى السنة الأولى فى ذى القعدة ، عَقَد رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد بن أبى وقاص إلى الخرار لواءً أبيض يحملُه المقداد ابن الأسود .

فحدثنى أبو بكر بن إسماعيل ، عن أبيه ، عن عامر بن سعد ، [عن أبيه] قال : خرجت فى عشرين رجلاً على أقدامنا ، أو قال : أحد وعشرين رجلاً ، فكنا نكمن النهار ونسير الليل ، حتى صَبَحْنَا الخرار صَبَحَ خامسة ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عهد إلىّ ألا أجاوز الخرار ، وكانت العير قد سبقتنى قبل ذلك بيوم .

قال الواقدى : كانت العير ستين ، وكان من مع سعد كلهم من المهاجرين . قال أبو جعفر بن جرير : وعند ابن إسحاق أن هذه السرايا الثلاث التى ذكرها الواقدى كلها فى السنة الثانية من الهجرة من وقت التاريخ .

قلت : كلام ابن إسحاق ليس بصريح فيما قاله أبو جعفر لمن تأمله ، كما سنورده فى أول كتاب المغازى فى أول السنة الثانية من الهجرة ، وذلك تَولُوما نحن فيه إن شاء الله .

(١) المطبوعة : المسابقة . وهو تحريف .

ويحتمل أن يكون مراده أنها وقعت هذه السرايا في السنة الأولى ، وسنزيدها بسطا
وشرحا إذا انتهينا إليها إن شاء الله تعالى .

والواقدي عنده زيادات حسنة ، وتاريخ ^نمحرّر غالبا ، فإنه من أئمة هذا الشأن الكبار
وهو صدوق في نفسه مكثّر ، كما بسطنا القول في عدالته وجرحه في كتابنا الموسوم
« بالتكميل في معرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل » والله الحمد والمنة .

فصل

وممن ولد في هذه السنة المباركة ، وهي الأولى من الهجرة ، عبدُ الله بن الزبير ،
فكان أول مولود ولد في الإسلام بعد الهجرة ، كما رواه البخاري عن أمه أسماء وخالته
عائشة أم المؤمنين ابنتي الصديق رضى الله عنهما .

ومن الناس من يقول : ولد النعمان بن بشير قبله بستة أشهر ، فعلى هذا يكون
ابنُ الزبير أول مولود ولد بعد الهجرة من المهاجرين .

ومن الناس من يقول إنهما ولدا في السنة الثانية من الهجرة .

والظاهر الأول ، كما قدمنا بيانه ، والله الحمد والمنة ، وسنشير في آخر السنة الثانية إلى
القول الثاني إن شاء الله تعالى .

قال ابن جرير : وقد قيل إن المختار بن أبي عبيد وزيد بن سمية ولدا في هذه السنة
الأولى ^(١) . فالله أعلم .

وممن توفي في هذه السنة الأولى من الصحابة ؛ كُثُوم بن الهذم الأوسي ، الذي
نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسكنه بقباء إلى حين ارتحل منها إلى دار بني

(١) الأصل : في هذه السنة الثانية . والتصويب من تاريخ الطبري .

النَّجَّار كما تقدم ، وبعده ، فيها ، أبو أمانة أسعد بن زُرَّارة نقيب بني النجار ، توفي
ورسول الله صلى الله عليه وسلم بيني المسجد . كما تقدم رضى الله عنهما وأرضاها .
قال ابن جرير : وفي هذه السنة ، يعنى الأولى من الهجرة ، مات أبو أُحَيَّةَ بِمَالِهِ
بِالطَّائِف ، ومات الوليد بن المغيرة والعاض بن وائل السَّهْمِيَّ فيها بِمَكَّة .
قلت : وهؤلاء ماتوا على شركهم لم يُسَلِّمُوا الله عز وجل .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ذكر ما وقع في السنة الثانية من الهجرة

وقع فيها كثير من المغازي والسرايا ، ومن أعظمها وأجلها بدر الكبرى التي كانت في رمضان منها ، وقد فرق الله بها بين الحق والباطل ، والهدى والقي .
وهذا أو ان ذكر المغازي والبعوث فنقول وبالله المستعان :

كتاب المغازي

قال الإمام محمد بن إسحاق بن يسار في كتاب السيرة ، بعد ذكر أخبار اليهود ونصّبهم العداوة للإسلام وأهله ، وما نزل فيهم من الآيات ؛ فمنهم حيي بن أخطب وأخواه أبو ياسر وجدي ، وسلام بن مشكم ، وكفانة بن الربيع بن أبي الحقيق ، وسلام بن أبي الحقيق وهو أبو رافع الأعمور ، تاجر أهل الحجاز وهو الذي قتله الصحابة بأرض خيبر كما سيأتي ، والربيع بن الربيع بن أبي الحقيق ، وعمرو بن جحاش ، وكعب بن الأشرف وهو من طيء ثم أحد بني نهبان وأمه من بني النضير ، وقد قتله الصحابة قبل أبي رافع كما سيأتي ، وحليفاه الحجاج بن عمر وكردم بن قيس لعنهم الله .
فهؤلاء من بني النضير .

ومن بني ثعلبة بن الفطيمون ^(١) عبد الله بن صوريا ، ولم يكن بالحجاز بعد أعلم بالتوراة منه . قلت : وقد قيل إنه أسلم .

(١) الفطيمون : كلمة عبرانية تطلق على كل من ولي أمر اليهود وملوكهم .

وابن صُلُوبَا ، وَخَيْرِيق ، وَقَدْ أَسْلَمَ يَوْمَ أُحُدٍ كَمَا سَيَأْتِي ، وَكَانَ حَبْرَ قَوْمِهِ .
 وَمِنْ بَنِي قَيْنِقَاعَ زَيْدُ بْنُ اللَّصِيتِ ، وَسَعْدُ بْنُ حَنِيفٍ ، وَمَحْمُودُ بْنُ سَيْحَانَ ^(١) ،
 وَعُزَيْرُ بْنُ أَبِي عَزِيزٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ ضَيْفٍ ، وَشُوَيْدُ بْنُ الْحَارِثِ ، وَرِفَاعَةُ بْنُ قَيْسٍ ،
 وَفِنْحَاصٌ ، وَأَشْيَعٌ ، وَنُعْمَانُ بْنُ أَضَا ، وَبَحْرِيٌّ بْنُ عَمْرٍو ، وَشَأْسُ بْنُ عَدِيٍّ ، وَشَأْسُ بْنُ
 قَيْسٍ ، وَزَيْدُ بْنُ الْحَارِثِ ، وَنُعْمَانُ بْنُ عَمْرٍو ^(٢) وَسُكَيْنُ بْنُ أَبِي سَكِينٍ ، وَعَدِيٌّ
 بْنُ زَيْدٍ ، وَنُعْمَانُ بْنُ أَبِي أَوْقَى ، أَبُو أَنْسٍ ، وَمَحْمُودُ بْنُ دَحْيَةَ ، وَمَالِكُ بْنُ صَيْفٍ .
 وَكَعْبُ بْنُ رَاشِدٍ ، وَعَازِرٌ ، وَرَافِعُ بْنُ أَبِي رَافِعٍ ، وَخَالِدُ وَأَزَارُ بْنُ أَبِي أَزَارٍ . قَالَ ابْنُ
 هِشَامٍ : وَيُقَالُ أَزَرُ بْنُ أَبِي أَزَرَ ، وَرَافِعُ بْنُ حَارِثَةَ ، وَرَافِعُ بْنُ حُرَيْمَةَ ، وَرَافِعُ بْنُ خَارِجَةَ
 وَمَالِكُ بْنُ عَوْفٍ ، وَرِفَاعَةُ بْنُ زَيْدٍ بْنُ التَّابُوتِ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ .
 قُلْتُ : وَقَدْ تَقَدَّمَ إِسْلَامُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَكَانَ حَبْرَهُمْ وَأَعْلَمُهُمْ ،
 وَكَانَ اسْمُهُ الْحَصِينُ ، فَلَمَّا أَسْلَمَ سَمَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَبْدُ اللَّهِ .
 قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَمِنْ بَنِي قَرِيظَةَ الزَّيْبِرُ بْنُ بَاطِلٍ وَهَبٌ ، وَعَزَالُ بْنُ شَمُوِيلَ ^(٣) ،
 وَكَعْبُ بْنُ أَسَدٍ ، وَهُوَ صَاحِبُ عَقْدِهِمُ الَّذِي تَقْضُوهُ عَامُ الْأَحْزَابِ ، وَشَمُوِيلُ بْنُ زَيْدٍ ،
 وَجَبَلُ بْنُ عَمْرٍو بْنُ سُكَيْنَةَ ، وَالنَّجَّامُ بْنُ زَيْدٍ ، وَكَرْدَمُ ^(٤) بْنُ كَعْبٍ ، وَوَهْبُ بْنُ زَيْدٍ
 وَنَافِعُ بْنُ أَبِي نَافِعٍ ، وَعَدِيٌّ بْنُ زَيْدٍ ، وَالْحَارِثُ بْنُ عَوْفٍ ، وَكَرْدَمُ بْنُ زَيْدٍ ، وَأَسَامَةُ بْنُ
 حَبِيبٍ ، وَرَافِعُ بْنُ رُمَيْلَةَ ، وَجَبَلُ بْنُ أَبِي قُشَيْرٍ ، وَوَهْبُ بْنُ يَهُوذَا :
 قَالَ : وَمِنْ بَنِي زُرَيْقٍ ، لَبِيدُ بْنُ أَعْصَمٍ ، وَهُوَ الَّذِي سَحَرَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ . وَمِنْ يَهُودِ بَنِي حَارِثَةَ : كَثَانَةُ بْنُ صُورِيَا ، وَمِنْ يَهُودِ بَنِي عَمْرٍو بْنُ عَوْفٍ قَرْدَمُ
 ابْنِ عَمْرٍو ، وَمِنْ يَهُودِ بَنِي النَّجَارِ ، سُلْسَلَةُ بْنُ بَرَّهَامٍ .

(١) الْأَصْلُ : سَيْحَانُ . وَمَا أَثْبَتَهُ عَنْ ابْنِ هِشَامٍ . (٢) الْأَصْلُ : عَمِيرُ . وَمَا أَثْبَتَهُ مِنْ ابْنِ هِشَامٍ .
 (٣) شَمُوَالُ . (٤) ابْنُ هِشَامٍ : قَرْدَمُ .

قال ابن إسحاق : فهؤلاء أحرارُ يهود وأهل الشرور والعداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله عنهم ، وأصحابُ المسألة الذين يُكثرون الأسئلة لرسول الله صلى الله عليه وسلم على وجه التعنت والعناد والكفر . قال : وأصحاب النصب لأمر الإسلام ليظفئوه ، إلا ما كان من عبد الله بن سلام ومُخَيَّرِيق .

ثم ذكر إسلامَ عبد الله بن سلام ، وإسلام عمته خالدة ، كما قدمناه .
وذكر إسلام مخيريق يوم أحد كما سيأتى ، وأنه قال لقومه ، وكان يوم السبت ،
يا معشر يهود والله إنكم لتعلمون أن نصر محمد عليكم لحقٌ . قالوا : إن اليومَ يومُ
السبت ، قال : لا سبت لكم . ثم أخذ سلاحه وخرج وعهد إلى مَنْ وراءه من قومه : إن
قُتِلت هذا اليوم فأموالى ل محمد يرى فيها ما أراه الله . وكان كثيرَ الأموال .
ثم لحق برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمات حتى قُتل رضى الله عنه . قال : فكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيما بلغنى : « مخيريق خيرُ يهود » .

فصل

ثم ذكر ابن إسحاق مَنْ مَلَ إلى هؤلاء الأضداد من اليهود من المنافقين من
الأوس والخزرج .

فمن الأوس : زُوَي بن الحارث ، وجُلَّاس بن سُويد بن الصامت الأنصارى ، وفيه
نزل : « يَخْلَفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا ، وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ ^(١) » وذلك
أنه قال حين تخلف عن غزوة تبوك : لئن كان هذا الرجل صادقاً لنحن شرٌّ من الحر .

فماها ابنُ امرأته عُمر بن سعد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنكر الجلاسُ ذلك وحلف ما قال ، فنزل فيه ذلك .

قال : وقد زعموا أنه تاب وحسنت توبته حتى عُرف منه الإسلامُ والخير .

قال : وأخوه الحارث بن سويد ، وهو الذى قتل المُجذّر بن ذِياد البَلَوى وقيسَ بن زيد أحد بني ضُبَيْعة يوم أحد ، خرج مع المسلمين وكان منافقاً ، فلما التقى الناس عدداً عليهما فقتلتهما ثم لحق بقريش .

قال ابن هشام : وكان المُجذّر قد قتل أباه سُوَيْدَ بن الصامت في بعض حروب الجاهلية ، فأخذ بثأر أبيه منه يوم أحد .

كذا قال ابن هشام . وقد ذكر ابن إسحاق أن الذى قتل سويدَ بن الصامت إنما هو معاذُ بن عَفراء قتله في غير حربٍ قبلَ يوم بُعاث ، رماه بسهم فقتله .

وأنكر ابن هشام أن يكون الحارث قتل قيسَ بن زيد ، قال : لأن ابن إسحاق لم يذكره في قتلى أحد .

قال ابن إسحاق : وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرَ عمر بن الخطاب بقتله إن هو ظفر به ، فبعث الحارث إلى أخيه الجلاس يطلب له التوبة ليرجع إلى قومه ، فأنزل الله ، فيما بلغنى عن ابن عباس : « كيف يَهْدِي الله قوماً كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أنَّ الرسولَ حقٌّ وجاءهم البيناتُ والله لا يَهْدِي القومَ الظالمين ^(١) » إلى آخر القصة .

قال : ويحَاد بن عثمان بن عامر ، ونَبْتَل بن الحارث ، وهو الذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أحبَّ أن ينظر إلى شيطان فلينظر إلى هذا » وكان جسيماً أَذَلَمَ ^(٢) نَازَرَ شعر الرأسِ أحمر العينين أسْفَعَ ^(٣) الخدين ، وكان يسمع الكلامَ من

(١) سورة آل عمران ٨٦ . (٢) الأذلم : المسترخى الشفتين أو الشديد السواد .

(٣) البفعة : حمرة تضرب إلى السواد .

رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ينقله إلى المنافقين، وهو الذى قال : إنما محمد أذن^(١) من حدثه بشيء صدّقه . فأُنزل الله فيه : « ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن^(٢) » الآية .

قال : وأبو حبيبة بن الأزعر ، وكان ممن بنى مسجد الضرار ، وثعلبة بن حاطب ومعتب بن قشير ، وهما اللذان عاهدا الله لئن آتانا من فضله لنصدّقن ، ثم نكّنا ، فنزل فيهما ذلك ، ومعتب هو الذى قال يوم أحد : لو كان لنا من الأمر شيء ما قُتِلنا هاهنا . فنزلت فيه الآية . وهو الذى قال يوم الأحزاب : كان محمد يعدنا أنا نأكل كنوز كسرى وقيصر . وأحدنا لا يأمن أن يذهب إلى الغائط . فنزل فيه : « وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا^(٣) » .

قال ابن إسحاق : والحارث بن حاطب .

قال ابن هشام . ومعتب بن قشير ، وثعلبة والحارث ابنا حاطب ، وهم^(٤) من بنى أمية بن زيد ، من أهل بدر ، وليسوا من المنافقين ، فيما ذكر لى من أثق به من أهل العلم . قال : وقد ذكر ابن إسحاق ثعلبة والحارث في بنى أمية بن زيد ، في أسماء أهل بدر . قال ابن إسحاق : وعبد بن حنيف أخو سهل بن حنيف ، وبخزج ، وكان ممن بنى مسجد الضرار وعمر بن خذّام^(٥) وعبد الله بن نبتل ، وجارية بن عامر بن العطّاف ، وابناه يزيد^(٦) وتجمع ابنا جارية ، وهم ممن اتخذ مسجد الضرار ، وكان مجمع غلاماً حدثاً قد جمع أكثر القرآن و [كان] يصلى بهم فيه ، فلما خرب مسجد الضرار كما سيأتى بيانه بعد غزوة تبوك ، وكان في أيام عمر سأل أهل قباء عمر أن يصلى بهم مجمع فقال : لا والله ، أو ليس إمام المنافقين في مسجد الضرار ؟ !

(١) سورة التوبة ٦١ . (٢) سورة الأحزاب (٣) الأصل : وهما . وما أنبته عن ابن هشام .

(٤) الأصل : حزام . وما أنبته عن ابن هشام . (٥) ابن هشام : زيد

خلف بالله ما علمتُ بشيء من أمرهم . فزعموا أن عمر تركه فصلى بهم .

قال : ووديعه بن ثابت ، وكان ممن بنى مسجد الضرار ، وهو الذى قال : إنما كنا نخوض ونلعب . فنزل فيه ذلك .

قال : وخِدام بن خالد ، وهو الذى أخرج مسجد الضرار من داره .

قال ابن هشام ، مستدركا على ابن إسحاق فى منافقى بنى النبيت من الأوس : وبشر ورافع ابنا زيد .

قال ابن إسحاق : ومِربع بن قَيْظى ، وكان أعمى ، وهو الذى قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين أجاز فى حائطه وهو ذاهب إلى أحد : لا أحلّ لك إن كنت نبياً أن تمرّ فى حائطى . وأخذ فى يده حفنة من تراب ثم قال : والله لو أعلم أنى لا أصيب بها غيرك لميتك بها . فابتدره القوم ليقتلوه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « دعوه فهذا الأعمى أعمى القلب أعمى البصر ^(١) » وقد ضربه سعد بن زيد الأشهلى بالقوس فشجّه .

قال : وأخوه أَوْس بن قَيْظى ، وهو الذى قال : إن بيوتنا عورة . قال الله : « وما هى بعورةٍ إن يريدون إلا فراراً ^(٢) » قال : وحاطب بن أمية بن رافع ، وكان شيخاً جسيماً قد عسا ^(٣) فى جاهليته ، وكان له ابنٌ من خيار المسلمين يقال له يزيد بن حاطب أصيب يوم أحد حتى أثبتته الجراحات ، فحمل إلى دار بنى ظفر .

فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، أنه اجتمع إليه من بها من رجال المسلمين ونساءهم وهو يموت ، فجعلوا يقولون : أبشر بالجنة يا بن حاطب . قال : فنجم نفاقُ أبيه فجعل يقول : أجل ! جنةٌ من حرّمل ، غررتم والله هذا المسكين من نفسه !

(١) ابن هشام : أعمى البصيرة . (٢) سورة الأحزاب ١٣ . (٣) عسا : أسن وكبر .

قال وبشير بن أبيرق أبو طعمة سارق الدرعين ، الذى أنزل الله فيه : « ولا تُجادل عن الذين يَحْتَنُونَ أَنْفُسَهُمْ ^(١) » الآيات .

قال : وقُزَمان حليفُ لبنى ظُفر ، الذى قَتَلَ يومَ أُحد سبعة نفر ، ثم لما آلمته الجراحة قتل نفسه وقال : والله ما قاتلتُ إِلَّا حِمِيَّةً على قومي . ثم مات لعنه الله .
قال ابن إسحاق : ولم يكن فى بنى عبد الأشهل منافق ولا منافقة يُعلم ، إلا أن الضحاك بن ثابت كان يتهم بالنفاق وحُبُّ يهود .
فهؤلاء كلهم من الأوس .

قال ابن إسحاق : ومن الخزرج : رافع بن وديعة ، وزيد بن عمرو ، وعمرو بن قيس ، وقيس بن عمرو بن سهل ، وأجدُّ بن قيس ، وهو الذى قال : ائذن لى ولا تَفْتَنى .
وعبد الله بن أبيِّ بن سلول ، وكان رأسَ المنافقين ورئيس الخزرج والأوس أيضا ، كانوا قد أجمعوا على أن يَمْلِكُوهُ عليهم فى الجاهلية ، فلما هدام الله للإسلام قبلَ ذلك ، شَرِقَ اللعينُ بريقه وغازه ذلك جداً ، وهو الذى قال : لئن رجعنا إلى المدينة ليُخرجُنَّ الأعرُضُ منها الأذلَّ .

وقد نزلت فيه آيات كثيرة جداً ، وفيه وفى وديعة ، رجل من بنى عوف ، ومالك ابن أبى قوَقَل وسويد وداعس ، وهم من رهطه نزل قوله تعالى : « لئن أخرجوا لا يُخرجون معهم ^(٢) » الآيات حين مالوا فى الباطن إلى بنى النضير .

فصل

ثم ذكر ابن إسحاق مَنْ أَسْلَمَ من أجبار اليهود على سبيل التَّقِيَّةِ ، فكانوا كفارا في الباطن ، فَأَتْبَعَهُم بِصَنَفِ الْمُنَافِقِينَ ، وَهُمْ مِنْ شَرِّهِمْ :

سَعْدُ بْنُ حُنَيْفٍ ، وَزَيْدُ بْنُ الْأَصْبِتِ ، وَهُوَ الَّذِي قَالَ حِينَ ضَلَّتْ نَاقَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يَزْعُمُ مُحَمَّدٌ أَنَّهُ يَأْتِيهِ خَيْرُ السَّمَاءِ وَهُوَ لَا يَدْرِي أَيْنَ نَاقَتُهُ ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « وَاللَّهِ لَا أَعْلَمُ إِلَّا مَا عَلَّمَنِي اللَّهُ ، وَقَدْ دَلَّنِي اللَّهُ عَلَيْهَا ، فَهِيَ فِي هَذَا الشَّعْبِ قَدْ حَبَسَتْهَا شَجَرَةٌ بِزَمَامِهَا » فَذَهَبَ رِجَالُ مِنَ الْمَسَامِينِ فَوَجَدُوهَا كَذَلِكَ .

قال : وَنَعْمَانُ بْنُ أَوْفَى ، وَعُثْمَانُ بْنُ أَوْفَى ، وَرَافِعُ بْنُ حُرَيْمَةَ ، وَهُوَ الَّذِي قَالَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ مَاتَ - فِيمَا بَلَّغْنَا - : « قَدْ مَاتَ الْيَوْمَ عَظِيمٌ مِنَ عِظَاءِ الْمُنَافِقِينَ » .

وَرَفَاعَةُ بْنُ زَيْدِ بْنِ التَّائِبِ ، وَهُوَ الَّذِي هَبَّتِ الرِّيحُ الشَّدِيدَةُ يَوْمَ مَوْتِهِ عِنْدَ مَرْجِعِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ تَبُوكَ فَقَالَ : « إِنَّمَا هَبَّتْ لِمَوْتِ عَظِيمٍ مِنَ عِظَاءِ الْكُفَّارِ » فَلَمَّا قَدَمُوا الْمَدِينَةَ وَجَدُوا رَفَاعَةَ قَدْ مَاتَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ .

وَسَيْلَسَةُ بْنُ بُرْهَامٍ ، وَكَفَنَانَةُ بْنُ صُورِيَا .

فَهَؤُلَاءِ مِنْ أَسْلَمَ مِنْ مُنَافِقِي الْيَهُودِ .

قال : فَكَانَ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ يَحْضُرُونَ الْمَسْجِدَ ، وَيَسْمَعُونَ أَحَادِيثَ الْمُسْلِمِينَ ، وَيَسْتَحِرُّونَ وَيَسْتَهْزِئُونَ بِدِينِهِمْ .

فاجتمع في المسجد يوماً منهم أناس ، فراحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحدثون بينهم خافضى أصواتهم قد لَصِقَ بعضهم إلى بعض ، فأمر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخرجوا من المسجد إخراجاً عنيفاً .

فقام أبو أيوب إلى عمرو بن قيس أحد بنى النجار ، وكان صاحب آلهتهم في الجاهلية ، فأخذ برجله فسحبه حتى أخرجه وهو يقول ، لعنه الله : أخرجنى يا أبا أيوب من مربد بنى ثعلبة .

ثم أقبل أبو أيوب إلى رافع بن وديعة النجارى فلَبَّه بردائه ، ثم نثره نثرأ شديداً ولطم وجهه فأخرجه من المسجد وهو يقول : أف لك مناقفا خيشنا .

وقام عمارة بن حزم إلى زيد بن عمرو ، وكان طويل اللحية ، فأخذ بلحيته وقاده بها قوداً عنيفاً حتى أخرجه من المسجد ، ثم جمع عمارة يديه جميعاً فلدَمَه بهما لَدَمَةً^(١) في صدره خراً منها ، قال يقول : خدشتنى يا عمارة . فقال عمارة . أبعدك الله يا منافق ، فما أعدَّ الله لك من العذاب أشدَّ من ذلك ، فلا تقرَّ بنَّ مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقام أبو محمد مسعود بن أوس بن زيد بن أصرم بن زيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك ابن النجار ، وكان بدرياً ، إلى قيس بن عمرو بن سهل ، وكان شاباً وليس في المنافقين شاب سواه ، فجعل يدفع في قفاه حتى أخرجه .

وقام رجل من بنى خُدْرة^(٢) إلى رجل يقال له الحارث بن عمرو ، وكان ذا جُمَّة ، فأخذ بجُمَّته فسحبه بها سحبا عنيفاً على ما مر به من الأرض حتى أخرجه ، فجعل يقول

(١) اللدم : الضرب يبطل الكف . (٢) ابن هشام : من بلخندرة .

المنافق : قد أغلظت يا أبا الحارث ، فقال : إنك أهلٌ لذلك أئى عدوّ الله لما أنزل فيك ،
فلا تقرّ بنّ مسجد رسول الله صلى الله وسلم فإنك نجس .

وقام رجل من بنى عمرو بن عوف إلى أخيه زوى بن الحارث فأخرجه إخراجاً
عنيفاً وأقّف منه وقال : غلب عليك الشيطان وأمره .

ثم ذكر ابن إسحاق ما نزل فيهم من الآيات من سورة البقرة ، ومن سورة التوبة ،
وتكلم على تفسير ذلك فأجاد وأفاد . رحمه الله .

ذكر أول المغازى وهى غزوة الأبواء

ويقال لها غزوة ودّان وأول البعث

وهو بَعَثُ حمزةَ بن عبد المطلب أو عبيدة بن الحارث كما سيأتى فى المغازى .

قال البخارى : كتاب المغازى . قال ابن إسحاق : أول ما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم الأبواء ، ثم بواط ، ثم العُشيرة .

ثم روى عن زيد بن أرقم أنه سئل : كم غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال :
نسع عشرة ، شهد منها سبع عشرة أولهن العُسيرة ، أو العُشيرة .

وسيأتى الحديث بإسناده ولفظه والكلام عليه عند غزوة العُشيرة إن شاء الله
وبه الثقة .

وفى صحيح البخارى عن بُريدة قال : غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم ستَّ
عشرة غزوة .

ولسلم عنه : أنه غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ست عشرة غزوة . وفى
رواية له عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا تسع عشرة غزوة . وقاتل فى
ثمانٍ منهن .

وقال الحسين بن واقد ، عن ابن بريدة ، عن أبيه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
غزا سبع عشرة غزوة وقاتل فى ثمان ، يوم بدر ، وأحد ، والأحزاب ، والمريسيع ،
وقُدَيْد وخيبر ، ومكة ، وحُنين . وبعث أربعاً وعشرين سريةً .

وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا محمد بن عثمان الدمشقى التَّنُوخى ، حدثنا الهيثم
ابن مُحمَّد ، أخبرنى النعمان ، عن مَكْحُول ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا ثمانى

عشرة غزوة ، قاتل في ثمانى غزوات ، أولهن بدر ، ثم أحد ، ثم الأحزاب ، ثم قريظة ، ثم بئر معونة^(١) ، ثم غزوة بنى المصطلق من خزاعة ، ثم غزوة خيبر ، ثم غزوة مكة ، ثم حنين والطائف .

قوله : « بئر معونة » بعد قريظة فيه نظر ، والصحيح أنها بعد أحد كما سيأتى .

قال يعقوب : حدثنا سلمة بن شبيب ، حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا مَعمر ، عن الزهرى ، سمعت سعيد بن المسيب يقول : غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانى عشرة غزوة . وسمعت مرة أخرى يقول : أربعا وعشرين . فلا أدري أكان ذلك وهما أو شيئاً سمعه بعد ذلك .

وقد روى الطبرانى عن الدَّبْرِى^(٢) ، عن عبد الرزاق ، عن مَعمر ، عن الزهرى . قال : غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعا وعشرين غزوة .

وقال عبد الرحمن بن حميد فى مسنده : حدثنا سعيد بن سلام ، حدثنا زكريا بن إسحاق ، حدثنا أبو الزبير ، عن جابر ، قال : غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم إحدى وعشرين غزوة .

وقد روى الحاكم من طريق هشام ، عن قتادة ، أن مغازى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسراياه كانت ثلاثاً وأربعين . ثم قال الحاكم : لعله أراد السرايا دون الغزوات ، فقد ذكرت فى « الإكليل » على الترتيب بعوث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسراياه زيادة على المائة .

قال : وأخبرنى الثقة من أصحابنا ببخارى أنه قرأ فى كتاب أبى عبد الله محمد بن نصر ، السرايا والبعوث دون الحروب نيفاً وسبعين .

(١) بئر معونة لم تكن غزوة ولم يشهداها الرسول صلوات الله عليه ، بل وقع فيها العدوان على البعث الذى أرسله إلى نجد فى حاية أبى البراء ملاعب الأسنة ، ثم غدر بهم عامر بن الطفيل ولعلها أقحمت على الثمانية .
(٢) هو أبو يعقوب اسحق بن إبراهيم بن عباد الدبرى ، راوى كتب عبد الرزاق عنه ، روى عنه الطبرنى وغيره . وفى الأصل : الدرر . محرفة .

وهذا الذى ذكره الحاكم غريب جداً ، وَحَمَلَهُ كَلَامَ قَتَادَةَ عَلَى مَاقَالِ فِيهِ نَظَرٌ .

وقد روى الإمام أحمد عن أزهر بن القاسم الراسبي ، عن هشام الدستوائي^(١) عن قَتَادَةَ ، أن مغازى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسراياه ثلاث وأربعون . أربع وعشرون بَعَثًا ، وتسع عشرة غزوة ، خرج في ثمان منها بنفسه : بدر ، وأحد ، والأحزاب ، والمرَيسِم ، وخيبر ، وفتح مكة ، وحنين ، [والطائف] .

وقال موسى بن عقبة ، عن الزهري : هذه مغازى رسول الله صلى الله عليه وسلم التى قاتل فيها : يوم بدر فى رمضان سنة ثنتين ، ثم قاتل يوم أحد فى شوال سنة ثلاث ، ثم قاتل يوم الخندق ، وهو يوم الأحزاب وبنى قريظة ، فى شوال من سنة أربع ، ثم قاتل بنى المصطلق وبنى لحيان فى شعبان سنة خمس ، ثم قاتل يوم خيبر سنة ست ، ثم قاتل يوم الفتح فى رمضان سنة ثمان ، ثم قاتل يوم حنين وحاصر أهل الطائف فى شوال سنة ثمان ، ثم حج أبو بكر سنة تسع ، ثم حج رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع سنة عشر ، وغزا ثلثى عشرة غزوة ولم يكن فيها قتال ، وكانت أول غزاة غزاها الأَبَواء .

وقال حنبل بن هلال ، عن إسحاق بن العلاء ، عن عبد الله بن جعفر الرقي ، عن مطرف بن مازن اليماني ، عن معمر ، عن الزهري قال : أولُ آية نزلت فى القتال : « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا » الآية بعد مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة .

فكان أولَ مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم يومُ بدر ، يوم الجمعة لسبع عشرة من رمضان .

(١) هو أبو بكر هشام بن أبي عبد الله الدستوائي البصرى البكرى ، كان يبيع الثياب الدستوائية فنسب إليها . روى عن قَتَادَةَ وأبى الزبير المكي . مات سنة ثلاث أو أربع وخمسين ومائة . الباب ١/٤١٩

إلى أن قال : ثم غزا بنى النضير ، ثم غزا أحداً في شوال ، يعنى من سنة ثلاث ، ثم قاتل يوم الخندق في شوال سنة أربع ، ثم قاتل بنى لحيان في شعبان سنة خمس ، ثم قاتل يوم الفتح في شعبان سنة ثمان ، وكانت حنين في رمضان سنة ثمان . وغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم إحدى عشرة غزوة لم يقابل فيها ، فكانت أول غزوة غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم الأبواء ، ثم العشيرة ، ثم غزوة غطفان ، ثم غزوة بنى سليم ، ثم غزوة الأبواء ، ثم غزوة بدر الأولى ، ثم غزوة الطائف ، ثم غزوة الحديبية ، ثم غزوة الصفراء ، ثم غزوة تبوك آخر غزوة . ثم ذكر البعوث .

هكذا كتبتُه من تاريخ الحافظ ابن عساكر ، وهو غريب جداً ، والصواب ما سنفذ كره فيما بعد إن شاء الله مرتباً .

وهذا الفن مما ينبغى الاعتناء به والاعتبار بأمره والتهيؤ له ، كما رواه محمد بن عمر الواقدي ، عن عبد الله بن عمر بن علي ، عن أبيه ، سمعت علي بن الحسين يقول : كنا نعلم مغازي النبي صلى الله عليه وسلم كما نعلم السورة من القرآن .

قال الواقدي : وسمعت محمد بن عبد الله يقول : سمعت عمي الزهري يقول : في علم المغازي علم الآخرة والدنيا .

وقال محمد بن إسحاق في المغازي ، بعد ذكره ما تقدم مما سقناه عنه ، من تعيين رؤوس الكفر من اليهود والمنافقين ، لعنهم الله أجمعين وجمعهم في أسفل سافلين .

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم تهيأ لخر به وقام فيما أمره الله به من جهاد عدوه وقتال من أمره به ممن يليه من المشركين .

قال : وقد قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة يوم الاثنين حين اشتد الضحَاء وكادت الشمس تعتدل ، لثنتي عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول ، ورسول الله صلى

الله عليه وسلم يومئذ ابن ثلاث وخمسين سنة ، وذلك بعد أن بعثه الله بثلاث عشرة سنة .
 فأقام بقية شهر ربيع الأول وشهر ربيع الآخر وجادين ورجبا وشعبان وشهر رمضان
 وشوالا وذا القعدة وذا الحجة ، وولي تلك الحجة المشركون ، والمحرم .
 ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم غازياً في صفر على رأس اثني عشر شهراً
 من مقدمه المدينة .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة سعد بن عباد .

قال ابن إسحاق : حتى بلغ ودّان وهي غزوة الأبواء . قال ابن جرير : ويقال لها
 غزوة ودّان أيضاً . يريد قريشا وبنو ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ، فوادعته فيها
 بنو ضمرة ، وكان الذي وادعه منهم نخشي بن عمرو الضمري ، وكان سيدهم في
 زمانه ذلك .

ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ولم يلق كيذا ، فأقام بها بقية صفر
 وصدرًا من شهر ربيع الأول .

قال ابن هشام : وهي أول غزوة غزاها عليه السلام .

قال الواقدي : وكان لواؤه مع عمه حمزة ، وكان أبيض .

قال ابن إسحاق : وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في مقامه ذلك بالمدينة
 عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف بن قصي في ستين ، أو ثمانين ، راكبا من
 المهاجرين ، ليس فيهم من الأنصار أحد ، فسار حتى بلغ ماء بالحجاز أسفل ثنية المرأة
 فلقى بها جمعا عظيما من قريش ، فلم يكن بينهم قتال ، إلا أن سعد بن أبي وقاص قد
 رمى يومئذ بسهم ، فكان أول سهم رمى به في سبيل الله في الإسلام .

ثم انصرف القوم عن القوم ، وللمسلمين حامية ، وفرّ من المشركين إلى المسلمين

لقدادُ بن عمرو البهراني حليف بني زُهرة ، وعُتْبة بن غَزْوَان بن جابر المازني حليف بني
وفل بن عبد مناف ، وكانا مسلمين ولكنهما خرجا ليتوصلا بالكفار .

قال ابن إسحاق : وكان على المشركين يومئذ عِكرمة بن أبي جهل .

وروى ابن هشام عن [ابن ^(١)] [أبي عمرو بن العلاء ، عن أبي عمرو المدني أنه قال :
كان عليهم مِكرَز بن حفص .

قلت : وقد تقدم عن حكاية الواقدي قولان : أحدهما أنه مِكرَز ، والثاني أنه
أبو سفيان صخر بن حرب ، وأنه رجح أنه أبو سفيان . فالله أعلم .

ثم ذكر ابن إسحاق القصيدة المنسوبة إلى أبي [بكر] الصديق في هذه السرية
التي أولها :

أَمِنْ طَيْفٍ سَلَمَى بِالْبَطَاحِ الدَّمَائِثِ ^(٢) أَرِقْتَ وَأَمِرٍ فِي الْعَشِيرَةِ حَادِثٍ
تَرَى مِنْ لُؤْيٍ فِرْقَةً لَا يَصْدُهَا عَنْ الْكُفْرِ تَذْكِيرٌ وَلَا بَعْثُ بَاعِثٍ
رَسُولٌ أَتَاهُمْ صَادِقٌ فَتَكَذَّبُوا عَلَيْهِ وَقَالُوا لَسْتَ فِينَا بِمَا كَثُرَ
إِذَا مَادَعُونَاهُمْ إِلَى الْحَقِّ أَذْبَرُوا وَهَرُّوا هَرِيرَ الْمُجَحَّرَاتِ اللَّوَاهِثِ ^(٣)
القصيدة إلى آخرها ، وذكر جواب عبد الله بن الزُّبَيْرِ في مناقبتها
التي أولها :

أَمِنْ رَسْمٍ دَارٍ أَقْفَرْتَ بِالْعَنَاشِ ^(٤) بَكَيْتَ بَعِينَ دَمْعُهَا غَيْرُ لَابِثٍ
وَمِنْ عَجَبِ الْأَيَّامِ ، وَالْدَّهْرِ كُلِّهِ لَهُ عَجَبٌ مِنْ سَابِقَاتٍ وَحَادِثٍ

(١) من ابن هشام . (٢) الدمائث : اللينة .

(٣) هروا . وثبوا . والمجحرات : السحاب التي ألجئت إلى أجحارها .

(٤) العناش : أكاداس الرمل ، جمع عنث .

لجيشِ أُناتنا ذى عَرَامٍ يَقُودُهُ عُبَيْدَةُ يَدْعَى فِي الْهِيَا جِ ابْنَ حَارِثٍ
لِنَتْرِكَ أَصْنَامًا بِمَكَّةَ عَكْفًا مَوَارِيثُ مَوْرُوثٍ كَرِيمٍ لَوَارِثٍ
وَذَكَرَ تَمَامَ الْقَصِيدَةِ ، وَمَا مَنَعْنَا مِنْ إِيرَادِهَا بِتَمَامِهَا إِلَّا أَنَّ الْإِمَامَ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنَ هِشَامٍ
رَحِمَهُ اللَّهُ وَكَانَ إِمَامًا فِي اللُّغَةِ ، ذَكَرَ أَنَّ كَثْرَ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالشَّعْرِ يَنْكُرُ هَاتَيْنِ الْقَصِيدَتَيْنِ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَقَالَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَاصٍ فِي رَمِيَّتِهِ تِلْكَ فِيمَا يَذْكُرُونَ :

أَلَا هَلْ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ أَنَّى حَمَيْتُ صَحَابَتِي بِصُدُورِ نَبْلِي
أُذَوِّدُ بِهَا أَوَائِلَهُمْ ذِيادًا بِكُلِّ حُزُونَةٍ وَبِكُلِّ سَهْلٍ
فَمَا يَعْتَدُّ رَامٍ فِي عَدُوٍّ بِسَهْمٍ يَارَسُولَ اللَّهِ قَبْلِي
وَذَلِكَ أَنَّ دِينِكَ دِينُ صِدْقٍ وَذُو حَقٍّ أَتَيْتَ بِهِ وَفَضْلٍ ^(١)
يُنَجِّي الْمُؤْمِنُونَ بِهِ وَيُنْخِزِي بِهِ الْكُفَّارَ عِنْدَ مَقَامِ مَهْلٍ ^(٢)
فَهَلَّا قَدْ غَوَيْتَ فَلَا تَعْنِي غَوَى الْحَى وَيَحْكُ يَا بْنَ جَهْلٍ

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَأَكْثَرُ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالشَّعْرِ يَنْكُرُهَا لِسَعْدٍ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : فَكَانَتْ رَايَةُ عُبَيْدَةَ ، فِيمَا بَلَّغْنَا أَوَّلَ رَايَةِ عَقْدَهَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْإِسْلَامِ لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ .

وَقَدْ خَالَفَهُ الزُّهْرِيُّ وَمُوسَى بْنُ عُبْقَةَ وَالْوَاقِدِيُّ ، فَذَهَبُوا إِلَى أَنَّ بَعْثَ حَمْزَةَ قَبْلَ
بَعْثِ عُبَيْدَةَ بْنِ الْحَارِثِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وَسَيَأْتِي فِي حَدِيثِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ أَنَّ أَمْرَاءَ السَّرَايَا عَبْدُ اللَّهِ بْنَ جَحْشٍ الْأَسَدِيَّ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَبَعْضُ الْعُلَمَاءِ يَزْعُمُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَهُ حِينَ
أَقْبَلَ مِنْ غَزْوَةِ الْأَبْوَاءِ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَى الْمَدِينَةِ . وَهَكَذَا حَكَى مُوسَى بْنُ عُبْقَةَ عَنِ الزُّهْرِيِّ .

(١) ابْنُ هِشَامٍ : وَعَدَلُ . (٢) وَتَرَوَى : سَهْلُ .

فصل

قال ابن إسحاق : وبعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في مقامه ذلك حمزةَ بن عبد المطلب بن هاشم إلى سيف البحر من ناحية العيص في ثلاثين راكباً من المهاجرين ، ليس فيهم من الأنصار أحد ، فلقى أبا جهل بن هشام بذلك الساحل في ثلاثمائة راكب من أهل مكة ، فحجز بينهم مجديُّ بن عمرو الجهني ، وكان موادعاً للفريقين جميعاً ، فانصرف ، بعضُ القوم عن بعض ولم يكن بينهم قتال .

قال ابن إسحاق : وبعض الناس يقول : كانت راية حمزة أولَ راية عقدتها رسول الله صلى الله عليه وسلم لأحد من المسلمين ، وذلك أن بعثه وبعث عبدة كانا معاً ، فشبه ذلك على الناس .

قلت : وقد حكى موسى بن عقبة عن الزُّهري ، أن بعث حمزة قبل عبدة بن الحارث ، ونص على أن بعث حمزة كان قبل غزوة الأبواء ، فلما قفل عليه السلام من الأبواء بعث عبدة بن الحارث في ستين من المهاجرين . وذكر نحو ما تقدم .

وقد تقدم عن الواقدي أنه قال : كانت سرية حمزة في رمضان من السنة الأولى ، وبعدها سرية عبدة في شوال منها . والله أعلم .

وقد أورد ابن إسحاق عن حمزة رضي الله عنه شعراً يدل على أن رايته أول راية عقدت في الإسلام ، لكن قال ابن إسحاق : فإن كان حمزة قال ذلك فهو كما قال ، لم يكن يقول إلا حقاً ، والله أعلم أي ذلك كان . فأما ما سمعنا من أهل العلم عندنا : فعبيدة أول ، والقصيدة هي قوله :

ألا يلقومى للتحلم والجهل وللنقص من رأى الرجال وللعقل
وللا كيننا بالظالم لم نطأ لهم حرماً من سواهم ولا أهل

كُنَّا تَبْلَنَاهُمْ وَلَا تَبِلُ^(١) عِنْدَنَا
وَأَمْرٍ بِإِسْلَامٍ فَلَا يَقْبَلُونَهُ
فَمَا بَرَحُوا حَتَّى انْتَدَبْتُ لِفَارَةِ
بِأَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ أُولَ خَافِقٍ
لِوَالِهِ لَدِيهِ النَّصْرُ مِنْ ذِي كَرَامَةٍ
عَشِيَّةَ سَارُوا حَاشِدِينَ وَكَلَّنَا
فَلَمَّا تَرَاءَيْنَا أَنَاخُوا فَعَقَّلُوا
وَقَلْنَا لَهُمْ حَبِلَ إِلَهُ نَصِيرُنَا
فَنَارَ أَبُو جَهْلٍ هُنَاكَ بَاغِيَا
وَمَا نَحْنُ إِلَّا فِي ثَلَاثِينَ رَاكِبَا
فِيَالِ لَوْى لَا تَطِيعُوا غَوَاتِكُمْ
فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يُصَبَّ عَلَيْكُمْ

لَهُمْ غَيْرُ أَمْرٍ بِالْعَفَافِ وَبِالْعَدْلِ
وَيَنْزِلُ مِنْهُمْ مِثْلَ مَنْزِلَةِ الْهَزْلِ
لَهُمْ حَيْثُ حَلُّوا أُبْتَغَى رَاحَةُ الْفَضْلِ
عَلَيْهِ لَوْاءٌ لَمْ يَكُنْ لَاحَ مِنْ قَبْلِ
إِلَهٍ عَزِيزٍ فَعَلُهُ أَفْضَلُ الْفَعْلِ
مَرَاجِلُهُ مِنْ غِيْظِ أَصْحَابِهِ تَغْلِي
مَطَايَا وَعَقَلْنَا مَدَى غَرَضِ النَّبْلِ
وَمَا لَكُمْ إِلَّا الضَّلَالَةُ مِنْ حَبْلِ
نَغَابٍ وَرَدَّ اللَّهُ كَيْدَ أَبِي جَهْلٍ
وَهُمْ مَائَتَانِ بَعْدَ وَاحِدَةٍ فَضْلٍ
وَفِيئُوا إِلَى الْإِسْلَامِ وَالْمَنْهَجِ السَّهْلِ
عَذَابٌ فَتَدْعُوا بِالنَّدَامَةِ وَالشُّكْلِ

قال : فأجابه أبو جهل بن هشام لعنه الله فقال :

عَجِبْتُ لِأَسْبَابِ الْحَفِيزَةِ وَالْجَهْلِ
وَلِلتَّارِكِينَ مَا وَجَدْنَا جِدْوَدَنَا
ثُمَّ ذَكَرَ تَمَامَهَا .

قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرون هاتين القصيدتين لحزرة رضى الله عنه
ولأبى جهل لعنه الله .

(١) تَبْلَنَاهُمْ : عاديناهم . وى الأصل : تَبْلَنَاهُمْ محرفة .

غزوة بُواط من ناحية رَضوى

قال ابن إسحاق : ثم غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر ربيع الأول ،
يعنى من السنة الثانية ، يريد قريشا .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة السائب بن عثمان بن مظعون .
وقال الواقدي : استخلف عليها سعد بن معاذ . وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم
في مائتي راكب ، وكان لواؤه مع سعد بن أبي وقاص وكان مقصده أن يعترض لعير
قريش وكان فيه أمية بن خلف ومائة رجل وألفان وخمسمائة بعير .
قال ابن إسحاق : حتى بلغ بُواط من ناحية رَضوى ، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق
كيداً ، فلبث بها بقية شهر ربيع الآخر وبعض جمادى [الأولى] .

غزوة العشيرة

ثم غزا قريشا . يعنى ^(١) بذلك الغزوة التي يقال لها غزوة العشيرة وبالمهملّة ، والعشيرة
وبالمهملّة ، والعشيرة وبالمهملّة ^(٢) .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة أبا سلمة بن عبد الأسد .
قال الواقدي : وكان لواؤه مع حمزة بن عبد المطلب . قال : وخرج عليه السلام
بتمرّض لعيرات قريش ذاهبة إلى الشام .

قال ابن إسحاق : فسلك على نَقَب بنى دينار ، ثم على قَيْفَاء الخييار ، فنزل تحت
شجرة ببطحاء ابن أزره يقال لها ذات الساق ، فصلى عندها فتمّ مسجده ، فصنع له عندها

(١) أى ابن إسحق .

(٢) يريد حكاية الأقوال التي وردت في اسم تلك الغزوة ، فهي : العشيرة مصفرة وتروى بالسين .
والعشيرة مصفرة بدون هاء في آخره وتروى كذلك بالسين . والعشيرة مصفرة ممدودة وتروى بالسين .

طعام فأكل منه وأكل الناس معه ، فرُسوم ^(١) أنفاق البرمة معلوم هناك ، واستسقى له من ماء يقال له المشيرب .

ثم ارتحل فترك الخلائق ^(٢) بيسار وسلك شعبة عبد الله ، ثم صَبَّ للشاد ^(٣) حتى هبطَ يَلِيل ^(٤) ، فنزل بمجتمعه ومجتمع الضبوعة ، ثم سلك فَرَشَ مَلَك حتى لقي الطريق بصخيرات اليمام ، ثم اعتدل به الطريق حتى نزل العُشيرة من بطن يَنْدُب .

فأقام بها جمادى الأولى وليالى من جمادى الآخرة ، ووَادَعَ فيها بنى مُدْج وحلفاءهم من بنى ضَمْرَة ، ثم رجع إلى المدينة ولم يَلْتَقَ كيداً .

وقد قال البخارى : حدثنا عبد الله ، حدثنا وهب ، حدثنا شُعْبَة ، عن أبى إسحاق ، قال : كنت إلى جنب زيد بن أَرْقَمَ فقبل له : كم غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم مِنْ غَزْوَةٍ ؟ قال : تسع عشرة . قلت ^(٥) : كم غزوت أنت معه ؟ قال : سبع عشرة غزوة . قلت : فأيهن كان أول ؟ قال العُشَيْر ، أو العُسَيْر . فذكرت لقتادة فقال : العُشَيْر .

وهذا الحديث ظاهر فى أن أول الغزوات العشيرة ، ويقال بالسين ، وبهما مع حذف التاء ، وبهما مع اللد . اللهم إلا أن يكون المراد [أول] غزاة شهداها مع النبى صلى الله عليه وسلم زيد بن أَرْقَمَ العشيرة ، - وينتد لا ينفى أن يكون قبلها غيرها لم يشهداها زيد بن أَرْقَمَ ، وبهذا يحصل الجمع بين ما ذكره محمد بن إسحاق وبين هذا الحديث . والله أعلم .

قال محمد بن إسحاق : ويومئذ ^(٦) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى ما قال .

(١) ابن هشام : فوضع . (٢) الخلائق جمع خلية وهى البرالتى لاماء فيها ، وهى آبار معلومة . الروض

(٣) صوبها الحشنى بأنها : صب لليسار .

(٤) الأصل : مَال وهو تحريف . وما أثبتته عن ابن هشام . ويليل : قرية قرب وادى الصفراء من أعمال المدينة

(٥) البخارى : قيل . والقائل هو أبو إسحق السبيعى . (٦) ابن هشام : وفى تلك الغزوة قال .

حدثني يزيد بن محمد بن خثيم^(١)، عن محمد بن كعب القرظي، حدثني أبو يزيد محمد ابن خثيم^(٢)، عن عمار بن ياسر، قال: كنت أنا وعلى بن أبي طالب رفيقين في غزوة العُشيرة [من بطن يَنْبُع^(٣)] فلما نزلها رسول الله صلى الله عليه وسلم أقام بها شهراً، فصالح بها بني مُدْج وحلفاءهم من بني ضَمْرَة فوادعهم، فقال لي على بن أبي طالب: هل لك يا أبا اليقظان أن تأتي هؤلاء النفر من بني مدج يعملون في عين لهم، ننظر كيف يعملون؟ فأتيناهم فنظرنا إليهم ساعة فَعَشِينَا النوم، فعمدنا إلى صور^(٤) من النخل في دَقَعَاء^(٥) من الأرض فَنِمْنَا فيه، فوالله ما أَهَبْنَا إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم يحر كنا بقدمه، فجلسنا وقد تترَبَّنا من تلك الدَقَعَاء، فيومئذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي: [مالك^(٦)] يا أبا تراب؟ لما عليه من التراب، فأخبرناه بما كان من أمرنا فقال: «ألا أخبركم بأشقى الناس رجلين؟» قلنا: بلى يا رسول الله. فقال: «أَحْيَمَر ثمود الذي عقر الناقة، والذي يضر بك يا عليّ على هذه، ووضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على رأسه^(٧)، حتى تُبَلَّ منها هذه، ووضع يده على لحيته.»

وهذا حديث غريب من هذا الوجه له شاهد من وجه آخر في تسمية عليّ أبا تراب، كما في صحيح البخاري، أن علياً خرج مغاضباً فاطمة، فجاء المسجد فنام فيه فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألها عنه فقالت خرج مغاضباً فجاء إلى المسجد فأيقظه وجعل يمسح التراب عنه ويقول: «قُمْ أبا تراب قم أبا تراب.»

(١) الأصل: خثيم. وما أثبتته عن ابن هشام. (٢) ليست في ابن هشام. وبعدها اختلاف كثير عن نص ابن هشام. (٣) الصور: صغار النخل. (٤) الدقعاء: التراب. (٥) من ابن هشام. (٦) هامش ابن هشام: على قرنه.

غزوة بدر الأولى

قال ابن إسحاق : ثم لم يُقم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة حين رجع من العشرة إلا ليالي قلائل لا تبلغ العشر ، حتى أغار كرز بن جابر الفهري على سرح^(١) المدينة ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في طلبه حتى بلغ وادياً يقال له سفوان من ناحية بدر ، وهى غزوة بدر الأولى ، وفاته كرز فلم يدركه .
وقال الواقدي : وكان لواؤه مع علي بن أبي طالب .

قال ابن هشام والواقدي : وكان قد استخلف على المدينة زيد بن حارثة .
قال ابن إسحاق : فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأقام جمادى ورجبا وشعبان ، وقد كان بعث بين يدي ذلك سعداً في ثمانية رهط من المهاجرين ، فخرج حتى بلغ الخرار من أرض الحجاز .

قال ابن هشام : ذكر بعض أهل العلم أن بعث سعد هذا كان بعد حمزة . ثم رجع ولم يلق كيداً .

هكذا ذكره ابن إسحاق مختصراً وقد تقدم ذكر الواقدي لهذه البعوث الثلاثة ، أعنى بعث حمزة في رمضان ، وبعث عبيدة في شوال ، وبعث سعد في ذى القعدة كلها في السنة الأولى .

وقد قال الإمام أحمد : حدثني عبد المتعال بن عبد الوهاب ، حدثني يحيى بن سعيد ، وقال عبد الله بن الإمام أحمد : وحدثني سعيد بن يحيى بن سعيد الأموى ، حدثنا أبي ، حدثنا الجالد ، عن زياد بن علاقة ، عن سعد بن أبي وقاص ، قال : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة جاءته جبهة فقالوا : إنك قد نزلت بين أظهرنا فأوثق حتى

(١) الشرح : مايرعى من النعم .

نأتيك وقومنا ، فأوثق لهم ، فأسلموا . قال : فبعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في رجب ولا نكون مائة ، وأمرنا أن نغير على حى من بنى كنانة إلى جنب جهينة ، فأغرنا عليهم وكانوا كثيراً فلجأنا إلى جهينة فمنعونا وقالوا : لم تقاتلون في الشهر الحرام ؟ فقال بعضنا لبعض : ماترون ؟ فقال بعضنا : نأتى نبي الله فنخبره . وقال قوم : لا بل نقيم هاهنا . وقلت أنا في أناس معى : لا بل نأتى غير قريش فنقتطعها . وكان الفىء إذ ذاك من أخذ شيئاً فهو له .

فانطلقنا إلى العير وانطلق أصحابنا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فأخبروه الخبر فقام غضبان محمر الوجه ، فقال : « أذهبتُم من عندى جميعاً ورجعتم متفرقين ! إنما أهلك من كان قبلكم الفرقة ، لأبعثنَّ عليكم رجالاً ليس بخيركم أصبركم على الجوع والعطش » .

فبعث علينا عبد الله بن جحش الأسدى ، فكان أول أمير في الإسلام . وقد رواه البيهقي في الدلائل من حديث يحيى بن أبى زائدة ، عن مجالد به نحوه . وزاد بعد قولهم لأصحابه : لم تقاتلون في الشهر الحرام ؟ فقالوا : نقاتل في الشهر الحرام من آخر جنا من البلد الحرام .

ثم رواه من حديث أبى أسامة ، عن مجالد ، عن زياد بن علاقة ، عن قطبة بن مالك ، عن سعد بن أبى وقاص ، فذكر نحوه فأدخل بين سعد وزباد قطبة بن مالك وهذا أنسب . والله أعلم .

وهذا الحديث يقتضى أن أول السرايا عبد الله بن جحش الأسدى ، وهو خلاف ما ذكره ابن إسحاق أن أول الرايات عُقدت لمبيدة بن الحارث بن المطلب ، وللاواقدى حيث زعم أن أول الرايات عُقدت لحمة بن عبد المطلب . والله أعلم .

باب سرية عبد الله بن جحش

التي كان سببها ^(١) لغزوة بدر العظمى، وذلك يوم الفرقان يوم التقى الجمعان
والله على كل شيء قدير

قال ابن إسحاق: وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن جحش بن رثاب
الأسدي في رجب مقفله من بدر الأولى، وبعث معه ثمانية رهط من المهاجرين، ليس
فيهم من الأنصار أحد، وهم: أبو حذيفة بن عتبة، وعكاشة بن محصن بن حُرثان
حليف بني أسد بن خزيمة، وعُتبة بن غزوان حليف بني نوفل، وسعد بن أبي وقاص
الزهري، وعامر بن ربيعة الوائلي حليف بني عدى، وواقد بن عبد الله بن عبد مناف بن
عَرِين بن ثعلبة بن يربوع التميمي حليف بني عدى أيضاً، وخالد بن البكير أحد بني
سعد بن ليث حليف بني عدى أيضاً، وسهل بن بيضاء الفهري، فهؤلاء سبعة ثامنهم
أميرهم عبد الله بن جحش رضى الله عنه.

وقال يونس عن ابن إسحاق: كانوا ثمانية وأميرهم التاسع. فالله أعلم.

قال ابن إسحاق: وكتب له كتابا، وأمره أن لا ينظر فيه حتى يسير يومين، ثم ينظر
فيه فيمضي لما أمره به، ولا يستكره من أصحابه أحداً.

فلما سار بهم يومين فتح الكتاب فإذا فيه: «إذا نظرت في كتابي فامض حتى تنزل
نخلة بين مكة والطائف فترصد بها قريشاً وتعلم لنا من أخبارهم». فلما نظر في الكتاب
قال: سمعاً وطاعة. وأخبر أصحابه بما في الكتاب. وقال: قد نهاني أن أستكره أحداً
منكم، فمن كان منكم يريد الشهادة ويرغب فيها فلينطلق، ومن كره ذلك فليرجع، فأما
أنا فماضٍ لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فمضى ومضى معه أصحابه لم يتخلف منهم أحد ، وسلك على الحجاز حتى إذا كان بمعدن فوق الفرع يقال له بجران ، أضلَّ سعدُ بن أبي وقاص وعُتْبة بن غَزْوانَ بغيراً لها كانا يعتقبانه فتخلفا في طلبه ، ومضى عبد الله بن جحش وبقية أصحابه حتى نزل نخلة .

فمرت غير لقريش فيها عمرو بن الحضرمي ، قال ابن هشام : واسم الحضرمي عبد الله ابن عباد [أحد ^(١)] الصَّدَف ^(٢) . وعثمان بن عبد الله بن المغيرة الخزومي ، وأخوه نوفل والحكم بن كيسان مولى هشام بن المغيرة .

فلما رأهم القوم هابوهم وقد نزلوا قريباً منهم ، فأشرف لهم عُكاشة بن مَخْصَنَ وكان قد حلق رأسه ، فلما رأوه أمنوا ، وقال عمار : لا بأس عليكم منهم .

وتشاور الصحابة فيهم ، وذلك في آخر يوم من رجب فقالوا : والله لئن تركتموهم هذه الليلة ليدخلنَّ الحرم فليمتنعنَّ به منكم ، ولئن قتلتموهم لتقتلنهم في الشهر الحرام . فتردد القوم وهابوا الإقدام عليهم .

ثم شجعوا أنفسهم عليهم وأجمعوا على قتل مَنْ قدروا عليه منهم وأخذ ما معهم ، فرمى واقدُ بن عبد الله النخعي عمرو بن الحضرمي بسهم فقتله ، واستأسر عثمانُ بن عبد الله والحكم بن كيسان ، وأفلت القوم نوفلُ بن عبد الله فأعجزهم .

وأقبل عبدُ الله بن جحش وأصحابه بالغير والأسيرين ، حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد ذكر بعضُ آل عبد الله بن جحش أن عبد الله قال لأصحابه : إن لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيما غنمنا الخمس . فعزله وقسم الباقي بين أصحابه ، وذلك قبل أن ينزل الخمس .

قال : ولما نزل الخمس نزل كما قسمه عبد الله بن جحش . كما قاله ابن إسحاق .

(١) من ابن هشام (٢) قال ابن هشام : واسم الصدف : عمرو بن مالك .

فلما قدمو على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما أمرتكم بقتالٍ في الشهر الحرام » فوقف العيرَ والأسيرين ، وأبى أن يأخذ من ذلك شيئاً .

فلما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم أَسْقَطَ ^(١) في أيدي القوم ، وظنوا أنهم قد هلكوا ، وعَنَّفَهم إخوانهم من المسلمين فيما صنعوا ، وقالت قريش : قد استحلَّ محمد وأصحابه الشهرَ الحرام وسفكوا فيه الدم وأخذوا فيه الأموال وأسروا فيه الرجال . فقال من يردُّ عليهم من المسلمين ممن كان بمكة : إنما أصابوا ما أصابوا في شعبان . وقالت يهود : تُفائِل بذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم : عمرو بن الحضرمي قتله واقد بن عبد الله . عمرو : عمرت الحربُ ، والحضرمي : حَضَرَت الحرب . وواقد ابن عبد الله : وقَدَّت الحرب . فجعل الله ذلك عليهم لا لهم .

فلما أكثر الناسُ في ذلك أنزل الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم : « يسألونك عن الشهرِ الحرامِ قتالٍ فيه ، قُلْ : قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ، وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ ، وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَعْظَمُ كَبْرًا عِنْدَ اللَّهِ ، وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ، وَلَا يَزَالُونَ يَقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ^(٢) » .

أى إن كنتم قتلتم في الشهر الحرام ، فقد صدوكم عن سبيل الله مع الكفر به وعن المسجد الحرام ، وإخراجكم منه وأنتم أهله أَعْظَمُ كَبْرًا عِنْدَ اللَّهِ مِنْ قَتْلِ مَنْ قَتَلْتُمْ مِنْهُمْ ، وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ . أى قد كانوا يفتنون المسلم عن دينه حتى يردُّوه إلى الكفر بعد إيمانه ، فذلك أَعْظَمُ كَبْرًا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْقَتْلِ ، ثم هم مقيمون على أخبث ذلك وأعظمه غير تائبين ولا نازعين ، ولهذا قال الله تعالى : « وَلَا يَزَالُونَ يَقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا » الآية .

قال ابن إسحاق : فلما نزل القرآن بهذا الأمر وفرَّج الله عن المسلمين ما كانوا فيه من الشَّقِّ ، قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم العيرَ والأسيرين ، وبعثت قريش في فداء عثمان والحكم بن كيسان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا نَقْدِيكوهما حتى يَقْدَمَ صاحبانا » ، يعني سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان « فَإِنَا نَحْشَاكُمَ عليهما . فَإِن تَقْتُلُوهُمَا نَقْتُلُ صَاحِبِيكُم » .

فقدم سعد وعتبة ، فأفداهما رسولُ الله صلى الله عليه وسلم . فأما الحكم بن كيسان فأسلم فحسُن إسلامه ، وأقام عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قُتل يوم بئر معونة شهيداً ، وأما عثمان بن عبد الله فالحق بمكة فمات بها كافراً .

قال ابن إسحاق : فلما تجلَّى عن عبد الله بن جحش وأصحابه ما كانوا فيه حين نزل القرآن طمعوا في الأجر ، فقالوا : يا رسول الله أنطمع أن تكون لنا غَزَاةً نُعْطَى فيها أجر المجاهدين ؟ فأنزل الله فيهم : « إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ » ^(١) فوضعهم ^(٢) الله من ذلك على أعظم الرجاء .

قال ابن إسحاق : والحديثُ في ذلك عن الزهري ويزيد بن رومان ، عن عروة ابن الزبير .

ومكذا ذكر موسى بن عقبة في مغازيه ، عن الزهري ، وكذا روى شعيب عن الزهري ، عن عروة ، نحوه من هذا وفيه : وكان ابن الحضرمي أول قتيل قُتل بين المسلمين والمشرَكين .

وقال عبد الملك بن هشام : هو أول قتيل قتله المسلمون ، وهذه أول غنيمة غنمها

(١) سورة البقرة ٢١٨ . (٢) الأصل : فوضعهم . وما أثبتته عن ابن هشام .

المسلمون ، وعثمان والحكم بن كيسان أول من أسره المسلمون .

قلت : وقد تقدم فيما رواه الإمام أحمد عن سعد بن أبي وقاص أنه قال : فكان عبد الله بن جحش أول أمير في الإسلام .

وقد ذكرنا في التفسير لما أورده ابن إسحاق شواهد مُسندة .

فمن ذلك ما رواه الحافظ أبو محمد بن أبي حاتم ، حدثنا أبي ، حدثنا محمد بن أبي بكر المَدَنِي ، حدثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، حدثني الحَضْرَمِي ، عن أبي السَّوَّار ، عن جُنْدَب بن عبد الله ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث رهطاً وبعث عليهم أبا عبيدة ابن الجراح ، أو عبيدة بن الحارث ، فلما ذهب بكى صباغةً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس ، فبعث عليهم مكانه عبد الله بن جحش وكتب له كتاباً ، وأمره ألاَّ يقرأه حتى يبلغ مكان كذا وكذا . وقال : « لا تُكرهن أحداً على المسير معك من أصحابك » .

فلما قرأ الكتاب استرجع وقال : سمعاً وطاعة لله ولرسوله . فخرَّبهم الخبر وقرأ عليهم الكتاب ، فرجع منهم رجلان وبقي بقيتهم ، فلقوا ابن الحَضْرَمِي فقتلوه ، ولم يدروا أن ذلك اليوم من رجب أو من جمادى ، فقال المشركون للمسلمين : قتلتم في الشهر الحرام ! فأنزل الله : « يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير » الآية .

وقال اسماعيل بن عبد الرحمن السُّدِّي الكبير في تفسيره ، عن أبي مالك ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، وعن مرة ، عن ابن مسعود ، عن جماعة من الصحابة « يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير » وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث سرية وكانوا سبعة نفر عليهم عبد الله بن جحش ، وفيهم : عمار بن ياسر ، وأبو حذيفة بن عتبة ، وسعد بن أبي وقاص ، وعتبة بن غزوان ، وسهل بن بيضاء

وعامر بن فهيرة ، وواقف بن عبد الله اليربوعي حليف لعمر بن الخطاب .

وكتب لابن جحش كتابا وأمره ألا يقرأه حتى ينزل بطن مَلَكٍ ، فلما نزل بطن مَلَكٍ فتش الكتاب ، فإذا فيه : أن سر حتى تنزل بطن نخلة . فقال لأصحابه : من كان يريد الموت فليمض وليوص ، فإنني مريض وماض لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فسار ، وتخلف عنه سعد وعتبة أضلاً راحلة لهما فأقاما يطلبانها ، وسار هو وأصحابه حتى نزل بطن نخلة ، فإذا هو بالحكم بن كيسان والمغيرة بن عثمان وعبد الله ابن المغيرة .

فذكر قتل واقف لعمر بن الحضرمي ، ورجعوا بالغنيمة والأسيرين ، فكانت أول غنيمة غنمها المسلمون . وقال المشركون : إن محمداً يزعم أنه يتبع طاعة الله ، وهو أول من استحلَّ الشهر الحرام وقتل صاحبنا في رجب . وقال المسلمون : إنما قتلناه في جمادى .

قال الشدي : وكان قتلهم له في أول ليلة من رجب وآخر ليلة من جمادى الآخرة .

قلت : لعل جمادى كان ناقصا فاعتقدوا بقاء الشهر ليلة الثلاثين ، وقد كان الهلال رؤى تلك الليلة . فالله أعلم .

وهكذا روى العوفي ، عن ابن عباس ، أن ذلك كان في آخر ليلة من جمادى ، وكانت أول ليلة من رجب ولم يشعروا .

وكذا تقدم في حديث جندب الذي رواه ابن أبي حاتم .

وقد تقدم في سياق ابن إسحاق أن ذلك كان آخر ليلة من رجب ، وخافوا إن لم يتداركوا هذه الغنيمة ويتهمزوا هذه القرصة دخل أولئك في الحرّم فيتعذر عليهم ذلك ، فأقدموا عليهم عالمين بذلك .

وكذا قال الزهري عن عروة . رواه البيهقي . فله أعلم أى ذلك كان .
قال الزهري عن عروة : فبلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عقل ابن الحضرمي
وحرّم الشهر الحرام كما كان يحرمه ، حتى أنزل الله براءه . رواه البيهقي .

قال ابن إسحاق : فقال أبو بكر الصديق في غزوة عبد الله بن جحش ، جواباً
للمشركين فيما قالوا من إحلال الشهر الحرام . قال ابن هشام : هي لعبد الله بن جحش :
تعدّون قتلاً في الحرام عظيمةً وأعظمُ منه لو يرى الرّشدَ راشداً
صُدودكمُ عمّا يقولُ محمدٌ وكُفّرُ به والله راء وشاهدُ
وإخراجكم من مسجد الله أهله لثلاث يرى الله في البيت ساجداً
فإنّا وإن عيّزتمونا بقتله وأرجفَ بالإسلام باغٍ وحاسداً
سقيناً من ابن الحضرمي رماحنا بنخلة لما أوقد الحربَ واقدُ
دماً وابنُ عبد الله عمان بيننا ينازعه غلٌّ من القيد عانداً

فصل

في تحويل القبلة في سنة ثنتين من الهجرة قبل وقعة بدر

وقال بعضهم : كان ذلك في رجب من سنة ثنتين . وبه قال قتادة وزيد بن أسلم وهو
رواية عن محمد بن إسحاق .

وقد روى أحمد عن ابن عباس ما يدل على ذلك ، وهو ظاهر حديث البراء بن عازب
كما سيأتي . والله أعلم . وقيل في شعبان منها .

قال ابن إسحاق بعد غزوة عبد الله بن جحش : ويقال صرفت القبلة في شعبان على
رأس ثمانية عشر شهراً من مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة .

وحكى هذا القول ابن جرير من طريق السدى، فسنده عن ابن عباس وابن مسعود وناس من الصحابة .

قال الجمهور الأعظم : إنما صرفت في النصف من شعبان ، على رأس ثمانية عشر شهراً من الهجرة .

ثم حكى عن محمد بن سعد ، عن الواقدي ، أنها حوت يوم الثلاثاء النصف من شعبان ، وفي هذا التحديد نظر . والله أعلم .

وقد تكلمنا على ذلك مستقصى في التفسير عند قوله تعالى : « قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها ، فول وجهك شطر المسجد الحرام ، وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون » . وما قبلها وما بعدها ، من اعتراض سفهاء اليهود والمنافقين والجهلة الطغام على ذلك ، لأنه أول نسخ وقع في الإسلام .

هذا وقد أحال الله قبل ذلك في سياق القرآن تقرير جواز النسخ عند قوله « ما ننسخ من آية أو ننسها ، تأتي بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير » .

وقد قال البخارى : حدثنا أبو نعيم ، سمع زهيراً ، عن أبي إسحاق ، عن البراء ، أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً ، أو سبعة عشر شهراً ، وكان يعجبه أن تكون قبلته إلى البيت ، وأنه صلى أول صلاة صلاها إلى الكعبة العصر ، وصلى معه قوم ، فخرج رجل ممن كان معه فمرّ على أهل مسجد وهم راكعون فقال : أشهد بالله لقد صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم قبل مكة . فداروا كما هم قبل البيت . وكان الذى مات على القبلة قبل أن تحوّل رجال قتلوا ، لم ندر ما تقول فيهم ، فأنزل الله « وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرءوف رحيم »

رواه مسلم من وجه آخر .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زُرْعَة ، حدثنا الحسن بن عطية ، حدثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن البراء ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد صلى نحو بيت المقدس ستة عشر ، أو سبعة عشر شهراً ، وكان يحب أن يوجه نحو الكعبة ، فأنزل الله : « قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها ، فول وجهك شطر المسجد الحرام » . قال : فوجه نحو الكعبة .

قال السفهاء من الناس ، وهم اليهود : ما ولّاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها ؟ فأنزل الله : « قل لله المشرق والمغرب يُهْدَى من يشاء إلى صراطٍ مستقيم »

وحاصل الأمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلى بمكة إلى بيت المقدس والكعبة بين يديه ، كما رواه الإمام أحمد عن ابن عباس رضى الله عنه ، فلما هاجر إلى المدينة لم يمكنه أن يجمع بينهما ، فصلى إلى بيت المقدس أول مقدمه المدينة واستدبر الكعبة ستة عشر شهراً ، أو سبعة عشر شهراً ، وهذا يقتضى أن يكون ذلك إلى رجب من السنة الثانية . والله أعلم .

وكان عليه السلام يحب أن يصرف قبلته نحو الكعبة ، قبلة إبراهيم ، وكان يكثر الدعاء والتضرع والابتهاال إلى الله عز وجل ، فكان مما يرفع يديه وطره إلى السماء سائلاً ذلك فأنزل الله عز وجل : « قد نرى تقلب وجهك في السماء ، فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام » الآية .

فلما نزل الأمر بتحويل القبلة خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين وأعلمهم بذلك ، كما رواه النسائي عن أبي سعيد بن الملقى ، وأن ذلك كان وقت الظهر .

وقال بعض الناس : نزل تحويلها بين الصلاتين . قاله مجاهد وغيره .

ويؤيد ذلك ما ثبت في الصحيحين عن البراء ، أن أول صلاة صلاها عليه السلام إلى الكعبة بالمدينة العصر .

والعجب أن أهل قُبَاء لم يبلغهم خبر ذلك إلى صلاة الصبح من اليوم الثاني ، كما ثبت في الصحيحين ، عن ابن عمر ، قال : بينما الناس بقباء في صلاة الصبح إذ جاءهم آت فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أنزل عليه الليلة قرآن ، وقد أمر أن يستقبل الكعبة فاستقبلوها . وكانت وجوههم إلى الشام ، فاستداروا إلى الكعبة .
وفي صحيح مسلم عن أنس بن مالك نحو ذلك .

والمقصود أنه لما نزل تحويل القبلة إلى الكعبة ، ونسخ به الله تعالى حكم الصلاة إلى بيت المقدس ، طعن طاعنون من السفهاء والجهلة والأغبياء ، قالوا : ما ولأهم عن قبلتهم التي كانوا عليها ؟

هذا والكفرة من أهل الكتاب يعلمون أن ذلك من الله ، لما يجدونه من صفة محمد صلى الله عليه وسلم في كتبهم ، من أن المدينة مهاجرة ، وأنه سيؤمر بالاستقبال إلى الكعبة كما قال : « وإن الذين أوتوا الكتاب ليتعلمون أنه الحق من ربهم » الآية .
وقد أجابهم الله تعالى مع هذا كله عن سؤالهم ، ونعتهم فقال : « سيقول السفهاء من الناس ما ولأهم عن قبلتهم التي كانوا عليها . قل : لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراطٍ مستقيم » أي هو المالك المتصرف ، الحاكم الذي لامعقب لحكمه ، الذي يفعل ما يشاء في خلقه ، ويحكم ما يريد في شرعه ، وهو الذي يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ، ويضل من يشاء عن الطريق القويم ، وله في ذلك الحكمة التي يجب لها الرضا والتسليم .

ثم قال تعالى : « وكذلك جعلناكم أمة وسطاً » أى خياراً « لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً » أى وكما اخترنا لكم أفضل الجهات فى صلاتكم وهديناكم إلى قبة أبيكم إبراهيم والد الأنبياء ، بعد التى كان يصلى بها موسى فمن قبله من المرسلين ، كذلك جعلناكم خيار الأمم و خلاصة العالم وأشرف الطوائف وأكرم التالذ والطارف ، لتكونوا يوم القيامة شهداء على الناس لإجماعهم عليكم وإشارتهم يومئذ بالفضيلة إليكم .

كما ثبت فى صحيح البخارى ، عن أبى سعيد مرفوعاً ، من استشهاد نوح بهذه الأمة يوم القيامة ، وإذا استشهد بهم نوح مع تقدّم زمانه فمن بعده بطريق الأولى والأخرى .

ثم قال تعالى مبيناً حكمته فى حلول نعمته بمن شكّ وارتاب بهذه الواقعة ، وحلول نعمته على من صدّق وتابع هذه الكائنة ، فقال : « وما جعلنا القبلة التى كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول » . قال ابن عباس : إلا لنرى من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه .

« وإن كانت لكبيرة » أى وإن كانت هذه الكائنة لعظيمة الموقع كبيرة المحل شديدة الأمر ، إلا على الذى هدى الله ، أى فهم مؤمنون بها مصدّقون لها ، لا يشكّون ولا يرتابون ، بل يرضون ويؤمنون ويعملون ، لأنهم عبيد للحاكم العظيم ، القادر المقتدر الحليم الخبير ، اللطيف العليم .

وقوله : « وما كان الله ليضيع إيمانكم » أى بشرعته استقبال بيت المقدس والصلاة إليه : « إن الله بالناس لرؤوف رحيم » .

والأحاديث والآثار فى هذا كثيرة جداً يطول استقصاؤها ، وذلك مبسوط فى التفسير ، وسنزيد ذلك بياناً فى كتابنا « الأحكام الكبير » .

وقد روى الإمام أحمد ، حدثنا علي بن عاصم ، حدثنا حُصَيْن بن عبد الرحمن ، عن عمرو بن قيس ، عن محمد بن الأشعث ، عن عائشة ، قالت : قال رسول الله صلى الله وسلم ، يعنى فى أهل الكتاب : « إنهم لم يحسدونا على شىء كما يحسدونا على يوم الجمعة التى هدانا الله إليها وضلوا عنها ، وعلى القبلة التى هدانا الله لها وضلوا ، وعلى قولنا خلف الإمام آمين » .

فصل

فى فريضة شهر رمضان سنة ثنتين ، قبل وقعة بدر

قال ابن جرير : وفى هذه السنة فرض صيام شهر رمضان . وقد قيل : إنه فرض فى شعبان منها ، ثم حكى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة وجد اليهود يصومون يومَ عاشوراء ، فسأهم عنه فقالوا : هذا يومُ نَجَّى الله فيه موسى . فقال : « نحن أحقُّ بموسى منكم » فصامه وأمر الناس بصيامه .

وهذا الحديث ثابت فى الصحيحين عن ابن عباس .

وقد قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون . أياماً معدودات ، فمن كان منكم مريضاً أو على سفرٍ فعِدَّةٌ من أيامٍ آخر ، وعلى الذين يُطيقونه فِدْيَةٌ طعامُ مسكين ، فمن تطوع خيراً فهو خيرٌ له وأن تصوموا خيرٌ لكم إن كنتم تعلمون ، شهرُ رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبيناتٍ من الهدى والفرقان ، فمن شهد منكم الشهرَ فليصمه ومن كان مريضاً أو على سفرٍ فعِدَّةٌ من أيامٍ آخر ^(١) » الآية .

وقد تكلمنا على ذلك فى التفسير بما فيه كفاية ، من إيراد الأحاديث المتعلقة بذلك

والآثار المروية في ذلك والأحكام المستفادة منه . والله الحمد .

وقد قال الإمام أحمد . حدثنا أبو النضر ، حدثنا المسعودي ، حدثنا عمرو بن مرة ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن معاذ بن جبل ، قال : أُحيلت الصلاة ثلاثة أحوال ، وأُحيل الصيام ثلاثة أحوال . فذكر أحوال الصلاة . قال : وأما أحوال الصيام : فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدِم المدينة فجعل يصوم من كل شهر ثلاثة أيام ، وصام عاشوراء .

ثم إن الله فرض عليه الصيام وأنزل : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ » إلى قوله : « وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ » فكان من شاء صام ومن شاء أطعم مسكيناً فأجزأ ذلك عنه ، ثم إن الله أنزل الآية الأخرى : « شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ » إلى قوله : « فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ » فأثبت صيامه على المقيم الصحيح ورخص فيه للمريض والمسافر ، وأثبت الإطعام للكبير الذي لا يستطيع الصيام . فهذان حولان .

قال : وكانوا يأكلون ويشربون وباتون النساء ما لم يناموا ، فإذا ناموا امتنعوا . ثم إن رجلاً من الأنصار يقال له صِرْمَةٌ كان يعمل صائماً حتى أمسى ، فجاء إلى أهله فصلّى العشاء ثم نام فلم يأكل ولم يشرب حتى أصبح ، فأصبح صائماً ، فرآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جهداً شديداً فقال : « مَا لِي أَرَاكَ قَدْ جَهِدْتَ جَهْدًا شَدِيدًا ؟ » فأخبره قال : وكان عمر قد أصاب من النساء بعد ما نام ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له ، فأنزل الله : « أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ ، هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ » إلى قوله « ثُمَّ آمَنُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ^(١) »

ورواه أبو داود في سننه والحاكم في مستدركه ، من حديث السعودي نحوه .
وفي الصحيحين من حديث الزهري عن عمرو ، عن عائشة أنها قالت : كان
عاشوراء يُصام ، فلما نزل رمضان كان من شاء صام ومن شاء أفطر . وللبخاري عن ابن
عمر وابن مسعود مثله .

ولتحرير هذا موضع آخر من التفسير ومن الأحكام الكبير . وبالله المستعان .

قال ابن جرير : وفي هذه السنة أمر الناس بزكاة الفطر ، وقد قيل : إن رسول الله
صلى الله عليه وسلم خطب الناس قبل الفطر بيوم أو يومين ، وأمرهم بذلك .
قال : وفيها صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلاة العيد وخرج بالناس إلى المصلى ،
فكان أول صلاة عيد صلاتها ، وخرجوا بين يديه بالحربة ، وكانت للزبير وهبها له
النجاشي ، فكانت تُحمَل بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأعياد .
قلت : وفي هذه السنة فيما ذكره غير واحد من المتأخرين فُرِضت الزكاة ذات
النُصب^(١) : كما سيأتي تفصيل ذلك كله بعد وقعة بدر . إن شاء الله تعالى وبه الثقة وعليه
التكلان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

غزوة بدر العظمى ، يوم الفرقان يوم التقى الجمعان

قال الله تعالى : « ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلةٌ فاتقوا الله لعلكم تشكرون^(١) » .
وقال الله تعالى « كما أخرجك ربك من بيتك بالحق ، وإن فريقاً من المؤمنين لكارهون . يجادلونك في الحق بعد ما تبين ، كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون . وإذا يعدُّكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم ، وتودُّون أن غيرَ ذاتِ الشوكة تكون لكم ، ويريد الله أن يُحقِّقَ الحقَّ بكلماته ويقطع دابرَ الكافرين . ليُحقِّقَ الحقَّ ويبطل الباطل ولو كره المجرمون » وما بعدها إلى تمام القصة من سورة الأنفال .

وقد تكلمنا عليها هنالك . وسنورد هاهنا في كل موضع ما يناسبه .

قال ابن إسحاق رحمه الله بعد ذكره سرية عبد الله بن جحش : ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع بأبي سفيان صخر بن حرب مقبلاً من الشام في غير لقريش عظيمة فيها أموال وتجارة ، وفيها ثلاثون رجلاً ، أو أربعون ، منهم مخزومة بن نوفل وعمر بن العاص .

قال موسى بن عقبة : عن الزهري ، كان ذلك بعد مقتل ابن الحضرمي بشهرين . قال : وكان في العير ألفٌ بغير تحمل أموال قريش بأسرها إلا حوَّيط بن عبد العزى ، فلهذا تخلف عن بدر .

قال ابن إسحاق : فحدثني محمد بن مسلم بن شهاب ، وعاصم بن عمر بن قتادة

وعبد الله بن أبي بكر ، ويزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير ، وغيرهم من علمائنا ، عن ابن عباس ، كلُّ قد حدثني بعض الحديث فاجتمع حديثهم فيما سقتُ من حديث بذر قالوا : لمَ اسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبي سفيان مقبلاً من الشام نهب المسلمين إليهم وقال : « هذه غيرُ قريش فيها أموالهم ، فاخرجوا إليها لعل الله ينفلِكهموها » .

فانتدب الناسُ نخفَ بعضهم وثقلَ بعض ، وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يَلتقي حرباً ، وكان أبو سفيان حين دنا من الحجاز يتجسس^(١) من لقي من الركبان تخوفاً على أمر^(٢) الناس ، حتى أصاب خبراً من بعض الركبان : أن محمداً قد استنفر أصحابه لك ولعيرك . فحذر عند ذلك ، فاستأجر ضَمَضَمَ بن عمرو الغفاري ، فبعثه إلى مكة وأمره أن يأتي قريشاً فيستنفرهم إلى أموالهم ويخبرهم أن محمداً قد عرض لها في أصحابه ، فخرج ضَمَضَمَ بن عمرو سريعاً إلى مكة .

قال ابن إسحاق : فحدثني من لا أنهم ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ويزيد بن رومان عن عروة بن الزبير . قالوا : وقد رأيت عاتكة بنت عبد المطلب قبل قدوم ضَمَضَمَ إلى مكة بثلاث ليال رؤيا أفزعته ، فبعثت إلى أخيها العباس بن عبد المطلب فقالت له : يا أخي والله لقد رأيت الليلة رؤيا أفظمتني وتخوَّفت أن يدخل على قومك منها شرٌّ ومصيبة ، فآتكم على ما أحدثك . قال لها : وما رأيت ؟

قالت : رأيت راكباً أقبل على بعير له حتى وقف بالأبطح ثم صرخ بأعلى صوته : ألا انفروا يا آل غَدَر لمصارعكم في ثلاث . فأرى الناس اجتمعوا إليه ، ثم دخل المسجد والناس يتبعونه ، فبينما هم حوله مثل به بعيره على ظهر الكعبة ، ثم صرخ بمثلها : ألا انفروا يا آل غَدَر لمصارعكم في ثلاث . ثم مثل به بعيره على رأس أبي قُبَيْس ، فصرخ بمثلها ، ثم أخذ صخرة فأرسلها فأقبلت تهوى ، حتى إذا كانت بأسفل الجبل ارفضت ، فما بقي بيت من بيوت مكة ولا دارٌ إلا دخلتها منها فلكة .

(١) ابن هشام : يتجسس . (٢) ح : على أموال الناس .

قال العباس : والله إن هذه لرؤيا ، وأنت فاكتمها لا تذكريها لأحد .
ثم خرج العباس فلقى الوليد بن عتبة ، وكان له صديقا ، فذكرها له واستكتمه إياها ،
فذكرها الوليد لابنه عتبة ، ففشا الحديث حتى تحدثت به قريش .

قال العباس : ففدت لأطوف بالبيت ، وأبو جهل ابن هشام في رهط من قريش
قعود يتحدثون برؤيا عاتكة ، فلما رأني أبو جهل قال : يا أبا الفضل إذا فرغت من
طوافك فأقبل إلينا . فلما فرغت أقبلت حتى جلست معهم ، فقال أبو جهل : يا بني
عبد المطلب ، متى حدثت فيكم هذه النبئة ؟ قال : قلت : وما ذاك ؟ قال : تلك الرؤيا
التي رأت عاتكة . قال : قلت : وما رأت ؟ قال : يا بني عبد المطلب ، أما رضيتم أن يتنبأ
رجالكم حتى تنبأ نساؤكم ؟ قد زعمت عاتكة في رؤياها أنه قال : انفروا في ثلاث .
فسنتربص بكم هذه الثلاث ، فإن يك حقا ماتقول فسيكون ، وإن تَمُض الثلاث ولم يكن
من ذلك شيء نكتب عليكم كتابا أنكم أكذب أهل بيت في العرب .

قال العباس : فوالله ما كان مني إليه كبير شيء ، إلا أني جحدت ذلك وأنكرت
أن تكون رأت شيئا .

قال : ثم تفرقنا ، فلما أمسيت لم تبق امرأة من بني عبد المطلب إلا أتتني فقالت :
أقررتم لهذا الفاسق الخبيث أن يقع في رجالكم ، ثم قد تناول النساء وأنت تسمع ،
ثم لم يكن عندك غيرة لشيء مما سمعت ؟ قال : قلت : قد والله فعلت ، ما كان مني إليه
من كبير ، وأيم الله لأعرضن له ، فإذا عاد لأكفيكنه .

قال : ففدت في اليوم الثالث من رؤيا عاتكة وأنا حديد مغضب ، أرى أني قد
فاتني منه أمر أحب أن أدركه منه .

قال : فدخلت المسجد فرأيت ، فوالله إنني لأمشي نحوه أتعرضه ليعود لبعض
أما قال فأتع به ، وكان رجلا خفيفا حديد الوجه ، حديد اللسان حديد النظر ، قال :

إذ خرج نحوَ باب المسجد يشتد ، قال : قلت في نفسي : ماله لعنه الله ؟ أكلُ هذا فَرَقَ مني أن أُشَاتمه ؟ ! وإذا هو قد سمع ما لم أسمع ؛ صوتَ ضَمْضَم بن عمرو الغِفَارِي وهو يصرخ ببطن الوادي واقفا على بعيره ، قد جدع بعيره وحوّل رَحْلَه وشقّ قميصه وهو يقول : يامعشر قريش اللطيمة اللطيمة ، أموالكم مع أبي سفيان قد عَرَض لها محمد في أصحابه لا أرى أن تدركوها ، الغوث الغوث .

قال : فشغلني عنه وشغله عني ما جاء من الأمر .

فتجهز الناسُ سُرَاعًا وقالوا : أیظن محمد وأصحابه أن تكون كعير ابن الحضرمي ؟ !
[كَلَّا] ^(١) والله ليعلمنَّ غير ذلك .

وذكر موسى بن عُقبة رؤيا عاتكة كنعو من سياق ابن إسحاق .

قال : فلما جاء ضَمْضَم بن عمرو على تلك الصفة ، خافوا من رؤيا عاتكة فخرجوا على الصَّعب والذلول .

قال ابن إسحاق : فكانوا بين رجلين : إما خارج وإما باعث مكانه رجلا ، وأوعبت قريش فلم يتخلف من أشرافها أحد ، إلا أن أباهب بن عبد المطلب باعث مكانه العاصي بن هشام بن المغيرة ، استأجره بأربعة آلاف درهم كانت له عليه قد أفلس بها .

قال ابن إسحاق : وحدثني ابن أبي نَجِيح أن أمية بن خلف كان قد أجمع القعود ، وكان شيخا جليلا جسيما ثقيلا ، فأتاه عُقبة بن أبي مُعيط ، وهو جالس في المسجد بين ظهري قومه ، بمجمرَةٍ يحملها فيها نار وتَجْمَر ، حتى وضعها بين يديه ثم قال : يا أباعلى استجمرْ فإنما أنت من النساء !

(١) من ابن هشام .

قال : قبحك الله ، وقبح ما جئت به . قال : ثم تجهز وخرج مع الناس .
هكذا قال ابن إسحاق في هذه القصة .

وقد رواها البخاري^(١) على نحو آخر فقال : حدثني أحمد بن عثمان ، حدثنا شريح
ابن مسلمة ، حدثنا إبراهيم بن يوسف ، عن أبيه ، عن أبي إسحاق ، حدثني عمرو بن
ميمون ، أنه سمع عبد الله بن مسعود حدث عن سعد بن معاذ ، أنه كان صديقا لأمية بن
خلف ، وكان أمية إذا مرَّ بالمدينة نزل على سعد بن معاذ ، وكان سعد إذا مرَّ بمكة
نزل على أمية .

فلما قدّم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة انطلق سعد بن معاذ معتمراً فبذل
على أمية بمكة ، قال سعد لأمية : انظر لي ساعة خلوة لعلّي أطوف بالبيت ، فخرج به قريباً
من نصف النهار ، فلقيهما أبو جهل ، فقال : يا صفوان من هذا معك ؟ قال : هذا سعد .
قال له أبو جهل : ألا أراك تطوف بمكة آمناً وقد أوتيت الصبابة وزعمتم أنكم تنصرونهم
وتعينونهم ، أما والله لولا أنك مع أبي صفوان مارجت إلى أهلك سالماً .
فقال له سعد ، ورفع صوته عليه : أما والله لئن منعتني هذا لأمنعتك ما هو أشدُّ عليك
منه : طريقك على المدينة .

فقال له أمية : لا ترفع صوتك يا سعد على أبي الحكم ، فإنه سيد أهل الوادي . قال
سعد : دعنا عنك يا أمية ، فوالله لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «إنهم
قاتلوك» قال : بمكة ؟ قال : لا أدري .

ففرع لذلك أمية فرعاً شديداً

فلما رجع إلى أهله قال : يا أم صفوان ألم ترني ما قال لي سعد ؟ قالت :
وما قال لك ؟ .

(١) في أول كتاب المغازي ، باب ذكر النبي صلى الله عليه وسلم من يقتل ببدر .

قال : زعم أن محمداً أخبرهم أنهم قاتليّ ، فقلت له : بمكة ؟ قال : لا أدري .
فقال أمية : والله لا أخرج من مكة .

فلما كان يوم بدر ، استنفر أبو جهل الناس ، فقال : أدركوا عيركم . ففكره أمية
أن يخرج ، فأناه أبو جهل فقال : يا أبا صفوان ، إنك متى يراك الناس قد تحلّفت ، وأنت
سيد أهل الوادي ، تحلفوا معك .

فلم يزل به أبو جهل حتى قال : أما إذ غلبتني ^(١) فوالله لأشتريّ أجود
بغير بمكة .

ثم قال أمية : يا أم صفوان جهّزني . فقالت له : يا أبا صفوان ، وقد نسيت ما قال
لك أخوك اليتيم ؟ قال : لا ، وما أريد أن أجوزَ معهم إلا قريبا .

فلما خرج أمية أخذ لا ينزل منزلا إلا عقل بعيره ، فلم يزل كذلك حتى قتله
الله ببدر .

وقد رواه البخاري في موضع آخر ^(٢) ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبيد الله بن موسى ،
عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق به نحوه .
تفرد به البخاري .

وقد رواه الإمام أحمد ، عن خلف بن الوليد ، وعن أبي سعيد ، كلاهما عن إسرائيل
وفي رواية إسرائيل قالت له امرأته : والله إن محمداً لا يكذب .

قال ابن إسحاق : ولما فرغوا من جهازهم وأجمعوا المسيرَ ذكروا ما كان ^(٣)
بينهم وبين بني بكر بن عبد مناة بن كنانة من الحرب ، فقالوا : إنا نخشى أن يأتونا

(١) الأصل : عبتني . وهو تحريف ، وما أثبتته من صحيح البخاري .

(٢) في باب علامات النبوة . (٣) الأصل : ما كانوا . وما أثبتته عن ابن هشام

مِنْ خَلْفَنَا . وكانت الحرب التي كانت بين قريش وبين بنى بكر في ابنِ لِحَفْص بن الأَخِيف من بنى عامر بن لُؤى ، قتله رجل من بنى بكر ، بإشارة عامر بن يزيد بن عامر بن المُلَوَّح ، ثم أخذ بثأره أخوه مِكَرَز بن حَفْص ، فقتل عامراً وخاض بسيفه في بطنه ، ثم جاء من الليل فعلقه بأستار الكعبة ، فخافوهم بسبب ذلك الذى وقع بينهم .

قال ابن إسحاق : لخدثنى يزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير قال : لما أجمعت قريش المسيرَ ذكرت الذى كان بينها وبين بنى بكر ، فكاد ذلك أن يَنْتَهِم ، فبتدئ لهم إبليس في صورة سُرَاقَة بن مالك بن جُعْشُم المَذَلْجى ، وكان من أشرف بنى كنانة ، فقال : أنا لكم جارٌّ مِنْ أَنْ تَأْتِيَكُمْ كِنَانَة من خَلْفَكُمْ بشيء تَكْرَهُونه . فخرجوا سراعا .

قلت : وهذا معنى قوله تعالى : « ولا تكونوا كالذين خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيط . وَإِذْ زَيْنُ الشَّيْطَانُ أَعْمَاهُمْ وَقَالَ : لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّى جَارٌّ لَكُمْ . فَلَمَّا تَرَأَتِ الْقِفَّتَانُ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ : إِنِّى بَرِئٌ مِنْكُمْ إِنِّى أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّى أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ^(١) » .

غَرَّهم لعنه الله حتى ساروا وسار معهم منزلة منزلةً ، ومعه جنوده وراياته ، كما قاله غير واحد منهم ، فأسلمهم لمصارعهم . فلما رأى الجدَّ والملائكة تنزل للنصر وعابن جبريل نكص على عقبيه وقال : إِنِّى بَرِئٌ مِنْكُمْ إِنِّى أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّى أَخَافُ اللَّهَ . وهذا كقوله تعالى : « كَتَلُ الشَّيْطَانُ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُر . فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِئٌ مِنْكَ إِنِّى أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ » ^(٢) :

وقد قال الله تعالى : « وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا » ^(٣) .

فإبليس لعنه الله لما عاين الملائكة يومئذ تنزل للنصر فرّ ذاهباً ، فكان أولَ مَنْ هرب يومئذ ، بعد أن كان هو المشجّع لهم المحير لهم ، كما غرّهم ووعدهم ومنّاهم ، وما بعدهم الشيطانُ إلا غرورا .

وقال يونس عن ابن إسحاق : خرجت قريش على الصَّعب والدَّلُول في تسعمائة وخمسين مقاتلاً معهم مائتا فرس يقودونها ، ومعهم القِيَّان يضرّون بالدُفوف ويغنّين بهجاء المسلمين .

وذكر المطعمين لقريش يوماً يوماً .

وذكر الأموى : أن أولَ مَنْ نحر لهم حين خرجوا من مكة أبو جهل ، نحر لهم عَشْرًا ، ثم نحر لهم أمية بن خلف بعسفان تسعاً ، ونحر لهم سهيلُ بن عمرو بقديد عَشْرًا ، ومالوا من قديد إلى ميساه نحو البحر فظلوا ^(١) فيها وأقاموا بها يوماً . فنحر لهم شيبةُ بن ربيعة تسعاً ، ثم أصبحوا بالجحفة فنحر لهم يومئذ عتبة بن ربيعة عَشْرًا ، ثم أصبحوا بالأبواء فنحر لهم نُبَيْه ومُنْبه ابنا الحجاج عَشْرًا ، ونحر لهم العباس بن عبد المطلب عَشْرًا ، ونحر لهم على ماء بدر أبو البَخْتري عَشْرًا ، ثم أكلوا من أزوادهم .

قال الأموى : حدثنا أبي ، حدثنا أبو بكر الهذلي ، قال : كان مع المشركين ستون فرساً وستمئة درع ، وكان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسان وستون درعاً . هذا ما كان من أمر هؤلاء في تَفْيِدهم من مكة ومسيرهم إلى بدر .

وأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابن إسحاق : وخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في لياليِ مُضْتٍ من شهر رمضان في أصحابه ، واستعمل ابنَ أم مكتوم على الصلاة بالناس ، وردَّ أبا كُبَّابة من الرِّوْحاء واستعمله على المدينة .

(١) في شرح الواهب : فظلوا فأقاموا يوماً .

وَدَفَعَ اللّوَاءَ إِلَى مُضْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ وَكَانَ أَبْيَضَ ، وَبَيْنَ يَدَي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَايَتَانِ سَوْدَاوَانِ ، إِحْدَاهُمَا مَعَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ يُقَالُ لَهَا : الْعُقَابُ ، وَالْأُخْرَى مَعَ بَعْضِ الْأَنْصَارِ .

قال ابن هشام : كانت راية الأنصار مع سعد بن معاذ .
وقال الأُموي : كانت مع الحباب بن المنذر .

قال ابن إسحاق : وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الساقة قيسَ بن أبي صَعَصَعَةَ أَخَا بَنِي مَازَنَ بْنِ النُّجَارِ . وقال الأُموي : وكان معهم فَرَسَانِ ، عَلَى إِحْدَاهُمَا مُصْعَبُ ابْنِ عُمَيْرٍ ، وَعَلَى الْآخَرَى الزَّيْبِرُ بْنُ الْعَوَامِ ، وَمِنْ [الْمِيْمَةِ] سَعْدُ بْنُ خَيْثَمَةَ وَمِنْ [الْمَيْسِرَةِ] الْمُقْدَادُ ابْنُ الْأَسْوَدِ .

وقد روى الإمام أحمد من حديث أبي إسحاق ، عن حارثة بن مضرب ، عن علي ، قال : ما كان فينا فارسٌ يوم بدر غير المُقْدَادِ .

وروى البيهقي من طريق ابن وهب ، عن أبي صخر ، عن أبي معاوية اليُخْلِي ، عن سعيد بن جُبَيْرٍ ، عن ابن عباس ، أن علياً قال له : ما كان معنا إلا فرسان : فرس للزَّيْبِرِ وفرس للمُقْدَادِ ابْنِ الْأَسْوَدِ ، يَعْنِي يَوْمَ بَدْرٍ .

وقال الأُموي : حدثنا أبي ، حدثنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن التيمي قال : كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر فارسان ، الزَّيْبِرُ بْنُ الْعَوَامِ عَلَى الْمِيْمَةِ ، وَالْمُقْدَادُ ابْنُ الْأَسْوَدِ عَلَى الْمَيْسِرَةِ .

قال ابن إسحاق : وكان معهم سبعون بعيراً يَعْتَقِبُونَهَا ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلِيٌّ وَمَرْثَدُ بْنُ أَبِي مَرْثَدٍ يَعْتَقِبُونَ بَعِيراً ، وَكَانَ حَمْزَةُ وَزَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ وَأَبُو كُبَيْشَةَ وَأَنْسَةُ [مَوْلِيَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ] ^(١) يَعْتَقِبُونَ بَعِيراً .

(١) من ابن هشام .

كذا قال ابن إسحاق رحمه الله تعالى .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، عن حماد بن سلمة ، حدثنا عاصم بن بهدلة ، عن زِرِّ بن حُبَيْش ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : كنا يومَ بدر كلُّ ثلاثة على بعير ، كان أبو لُبَابَةَ وَعَلَى زَمِيلَيَّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . قال : فكانت عُقْبَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقالا : نحن نمشي عنك . فقال : « ما أنتما بأقوى مني ، ولا أنا بأغنى عن الأجر منكما » .

وقد رواه النسائي ، عن الفلاس ، عن ابن مهدي ، عن حماد بن سلمة به . قلت : ولعل هذا كان قبل أن يردَّ أبا لُبَابَةَ مِنَ الرِّوْحَاءِ ، ثم كان زميلا له على ومَرَّتُهُ بدل أبي لُبَابَةَ . والله أعلم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن زُرَّارة بن أبي أَوْفَى ، عن سعد بن هشام ، عن عائشة : أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمر بالأجراس أن تُقَطَّعَ من أعناق الإبل يوم بدر .

وهذا على شرط الصحيحين . وإنما رواه النسائي ، عن أبي الأشعث ، عن خالد بن الحارث ، عن سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة به .

قال شيخنا الحافظ المِزِّي في الأطراف : وتابعه سعيد بن بشر عن قتادة . وقد رواه هشام عن قتادة ، عن زُرَّارة ، عن أبي هريرة . فإله أعلم .

وقال البخاري : حدثنا يحيى بن بُكَيْر ، حدثنا الليث ، عن عُقَيْل ، عن ابن شهاب ، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك ، أن عبد الله بن كعب قال : سمعت كعب ابن مالك يقول : لم أتخلف عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في غزوةٍ غزاها إلا في غزوة تبوك ، غير أني تخلفت عن غزوة بدر ، ولم يعاتب الله أحدا تخلف عنها ، إنما

خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد غير قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد .

تفرّد به

قال ابن إسحاق : فسلك رسول الله صلى الله عليه وسلم طريقه من المدينة إلى مكة على نَقَبِ المدينة ، ثم على العقيق ، ثم على ذى الحليفة ، ثم على أولات الجيش ، ثم مَرَّ على تَرْبَانَ ، ثم على مَلَل ، ثم على غَميس الحمام ، ثم على صُخَيْرَات اليمامة ، ثم على السَّيَّالَةِ ، ثم على فَبَجِّ الرَّوْحاء ، ثم على شُنُوكة ، وهى الطريق المعتدلة .

حتى إذا كان بعرق الطَّيِّبَةِ لقي رجلاً من الأعراب ، فسألوه عن الناس فلم يجدوا عنده خبراً ، فقال له الناس : سلّم على رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : أوفيكُم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالوا : نعم . فسلّم عليه ، ثم قال : لئن كنت رسولَ الله فأخبرنى عما فى بطن ناقتى هذه . قال له سلمة بن سلامة بن وقش : لا تسأل رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، وأقبل علىّ فأنا أخبرك عن ذلك ، نزوتَ عليها فى بطنها منك سَخْلَةٌ ^(١) . فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : مَهْ أَفْخِشْتَ على الرجل . ثم أعرَضَ عن سلمة .

ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم سَجَسَج ، وهى بئر الروحاء ، ثم ارتحل منها ، حتى إذا كان منها بالمنصرف ترك طريقَ مكة بيسار وسلك ذات اليمين على النازية ، يريد بدرًا ، فسلك فى ناحية منها حتى إذا جَزَعَ واديا ^(٢) يقال له رُحْقَان ^(٣) بين النازية وبين مضيق الصفراء ، ثم على المضيق ، ثم انصبَّ منه ، حتى إذا كان قريباً من الصفراء بعث

(١) السخلة : ولد الضأن أو الماعز ، واستعارها هنا لولد الناقة

(٢) جَزَعَ واديا : قطعه عرضاً . (٣) الأصل : وحقان . وما أثبتته عن ابن هشام .

بَسْبَسَ^(١) بن عمرو الجُهَنِي حليف بنى ساعدة وعدى بن أبي الزَّغْبَاء حليف بنى النجار إلى بدر ، يتجسسان الأخبار عن أبي سفيان صخر بن حرب وعيره .

وقال موسى بن عُقْبَة : بعثما قبل أن يخرج من المدينة ، فلما رجعا فأخبراه بخبر العير استنفر الناس إليها .

فإن كان ما ذكره موسى بن عقبة وابن إسحاق محفوظا فقد بعثما مرتين . والله أعلم .

قال ابن إسحاق رحمه الله : ثم ارتحل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قدمها ، فلما استقبل الصفراء ، وهى قرية بين جبلين ، سأل عن جبلها ما اسمها^(٢) ؟ فقالوا : يقال لأحدهما مُسْلِح وللآخر تُحْرَى ، وسأل عن أهلها ف قيل : بنو النار ، وبنو حُرَاق ، بطنان من غِفَار . فكرههما رسول الله صلى الله عليه وسلم والمرور بينهما وتقاءل بأسمائهما وأسماء أهلها ، فتركهما والصفراء ييسار ، وسلك ذات اليمين على واد يقال له ذَفِرَان ، فجزع فيه ثم نزل .

وأناه الخبر عن قريش ومسيرهم لينعوا غيرهم .

فاستشار الناس وأخبرهم عن قريش .

فقام أبو بكر الصديق فقال وأحسن .

ثم قام عمر بن الخطاب فقال وأحسن .

(١) قال الزرقاني : ويقال له بسبسة ، كما وقع لجميع رواة مسلم وبعض روة أبي داود . والأصح ما ذكره ابن إسحق . قال ابن الكلبي : إنه الذى أراداه الشاعر بقوله :

أَقِمْ لَهَا صُدُورَهَا يَا بَسْبَسُ إِنَّ مَطَايَا الْقَوْمِ لَا تُحْسَسُ

(٢) الأصل : ما أسماؤهما وما أثبتته عن ابن هشام .

ثم قام المقداد بن عمرو فقال : يا رسول الله امض لما أراك الله ، فنحن معك ، والله لا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى : اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون ، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون ؛ فوالذى بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد ^(١) لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه .

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا ودعا له .

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أشيروا على أيها الناس » وإنما يريد الأنصار ، وذلك أنهم كانوا عدد الناس ، وأنهم حين بايعوه بالعقبة قالوا : يا رسول الله إنا برآء من ذمامك حتى تصل إلى ديارنا ، فإذا وصلت إلينا فأنت في ذمتنا نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا . فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخوف ألا تكون الأنصار ترى عليها نصره إلا من دهمه بالمدينة من عدوه ، وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدوٍ من بلادهم .

فما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال له سعد بن معاذ : والله لكانك تريدنا يا رسول الله ؟ قال : « أجل » قال : فقد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهدنا وموآثقتنا على السمع والطاعة لك ، فامض يا رسول الله إما أردت فنحن معك ، فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً ، إنا لصبر في الحرب صدق عند اللقاء ، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك ، فسير على بركة الله .

قال : فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقول سعد ونشطه ، ثم قال : « سيروا

(١) برك الغماد : قال المازمي : موضع على خمس ليال من مكة إلى جهة اليمن . وقال البكرى : هي أقاصى هجر . وقال الهمداني : هو في أقصى اليمن من شرح المواهب ١/٤١٢ .

وأبشروا ، فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين ، والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم .

هكذا رواه ابن إسحاق رحمه الله . وله شواهد من وجوه كثيرة .

فمن ذلك ما رواه البخاري في صحيحه : حدثنا أبو نعيم ، حدثنا إسرائيل ، عن مُحَارِق ، عن طارق بن شهاب ، قال سمعت ابن مسعود يقول : شهدت من المقداد بن الأسود مشهداً لأن أكون صاحبه أحبُّ إلى مما عُدِلَ به ، أتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يدعو على المشركين . فقال : لا نقول كما قال قوم موسى لموسى : اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون . ولكن نقاتل عن يمينك وعن شمالك وبين يديك وخلفك .

فرايتُ النبي صلى الله عليه وسلم أشرق وجهه وسرَّه .

انفرد به البخاري دون مسلم ، فرواه في مواضع من صحيحه من حديث مُحَارِق به ، ورواه النسائي من حديثه ، وعنده : وجاء المقدادُ بن الأسود يوم بدر على فرسٍ . فذكره .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبيدة ، هو ابن حميد ، عن حميد الطويل ، عن أنس ، قال : استشار النبي صلى الله عليه وسلم تخرجه إلى بدر ، فأشار عليه أبو بكر ، ثم استشارهم فأشار عليه عمر ، ثم استشارهم فقال بعض الأنصار : إياكم يريد رسول الله يامعشر الأنصار .

فقال بعض الأنصار : يا رسول الله ، إذأ لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى : اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون ، ولكن والذي بعثك بالحق لو ضربت أكبادها إلى برك الغماد لاتبعناك .

وهذا إسناد ثلاثي صحيح على شرط الصحيح .

وقال أحمد أيضاً : حدثنا عفان ، حدثنا حماد ، عن ثابت ، عن أنس بن مالك ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : شاور حين بلغه إقبال أبي سفيان ، قال : فتكلم أبو بكر فأعرض عنه ، ثم تكلم عمر فأعرض عنه ، فقال سعد بن عباد : إيانا يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والذي نفسى بيده لو أمرتنا أن نخيضها البحار لأخضناها ، ولو أمرتنا أن نضرب أكبادها إلى برك الغماد لفعلنا .

فندب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس .

قال : فانطلقوا حتى نزلوا بدرأ ، ووردت عليهم روايا قریش وفيهم غلام أسود لبنى الحجاج فأخذوه ، وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه عن أبي سفيان وأصحابه فيقول : مالى علم بأبي سفيان ، ولكن هذا أبو جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة ومية بن خلف . فإذا قال ذلك ضربوه ، فإذا ضربوه . قال : نعم ، أنا أخبركم ، هذا أبو سفيان . فإذا تركوه فسألوه قال : مالى بأبي سفيان علم ، ولكن هذا أبو جهل وعتبة وشيبة وأميه . فإذا قال هذا أيضاً ضربوه .

ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلى ، فلما رأى ذلك انصرف فقال : والذي نفسى بيده إنكم لتضربونه إذا صدق وتتركونه إذا كذبكم .

قال : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا مضرع فلان ، يضع يده على الأرض هاهنا وهاهنا ، فما أطاق أحدكم عن موضع يد رسول الله صلى الله عليه وسلم .
ورواه مسلم عن أبي بكر ، عن عفان به نحوه .

وقد روى ابن أبي حاتم فى تفسيره وابن مردويه ، واللفظ له ، من طريق عبد الله ابن كريمة ، عن يزيد بن أبى حبيب ، عن أسلم ، عن أبى عمران ، أنه سمع أبا أيوب الأنصارى يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن بالمدينة : « إني أخبرت عن غير أبى سفيان أنها مقبلة ، فهل لكم أن نخرج قبل هذه العير لعل الله يغنمهاها ؟ » فقلنا : نعم .

نخرج وخرجنا ، فلما سرنا يوماً أو يومين قال لنا : « ماترون في القوم ، فإنهم قد أخبروا بمخرجكم ؟ » فقلنا : لا والله ما لنا طاقة بقتال القوم ، ولكننا أردنا العير .
ثم قال : « ماترون في قتال القوم ؟ » فقلنا مثل ذلك .

فقام المقداد بن عمرو [فقال] : إذاً لا نقول لك يا رسول الله كما قال قوم موسى لموسى : اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون .

قال : فتمنينا معشر الأنصار لو أننا قلنا مثل ما قال المقداد ، أحب إلينا من أن يكون لنا مال عظيم ، فأنزل الله عز وجل على رسوله : « كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقاً من المؤمنين لكارهون » وذكر تمام الحديث .

ورى ابن مردويه أيضاً ، من طريق محمد بن عمرو بن علقمة بن وقاص الليثي ، عن أبيه عن جده ، قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بدر ، حتى إذا كان بالزواء خطب الناس فقال : « كيف ترون ؟ » فقال أبو بكر : يا رسول الله بلغنا أنهم بكذا وكذا . قال : ثم خطب الناس فقال : « كيف ترون ؟ » فقال عمر مثل قول أبي بكر .
ثم خطب الناس فقال : « كيف ترون ؟ » .

فقال سعد بن معاذ : يا رسول الله إيانا تريد ؟ فوالذي أكرمك وأنزل عليك الكتاب ما سلكتها قط ولا لي بها علم ، ولئن سرت حتى تأتي برك الغداح من ذي يمن لنسيرن معك ، ولا نكون كالذين قالوا لموسى : اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون . ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكم متبعون ، ولعل أن تكون خرجت لأمر وأحدث الله إليك غيره ، فانظر الذي أحدث الله إليك فامض ، فصل حبال من شئت ، واقطع حبال من شئت ، وعاد من شئت ، وسالم من شئت ، وخذ من أموالنا ما شئت .

فَنَزَلَ الْقُرْآنُ عَلَى قَوْلِ سَعْدٍ : « كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ ، وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ » الْآيَاتِ .

وَذَكَرَهُ الْأُمَوِيُّ فِي مَغَازِيهِ ، وَزَادَ بَعْدَ قَوْلِهِ : « وَخَذَ مِنْ أَمْوَالِنَا مَا شِئْتَ » : « وَأَعْطَانَا مَا شِئْتَ ؛ وَمَا أَخَذْتَ مِنْهَا كَانَ أَحَبَّ إِلَيْنَا مِمَّا تَرَكْتَ ؛ وَمَا أَمَرْتَ بِهِ مِنْ أَمْرٍ فَأَمَرْنَا تَبَعٌ لِأَمْرِكَ ، فَوَاللَّهِ لَأَنْتَ سَرْتُ حَتَّى تَبْلُغَ الْبَرْكَ مِنْ غَمْدَانٍ لِنَسِيرَنَّ مَعَكَ » .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : ثُمَّ ارْتَحَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ ذِفْرَانَ ، فَسَلَكَ عَلَى ثَنَائِيَا يُقَالُ لَهَا الْأَصَافِرُ ، ثُمَّ انْحَطَّ مِنْهَا إِلَى بَلَدٍ يُقَالُ لَهُ الدَّابَّةُ ، وَتَرَكَ الْحَنَانُ بَيْمِينَ ، وَهُوَ كَثِيبٌ عَظِيمٌ كَالْجَبَلِ الْعَظِيمِ ، ثُمَّ نَزَلَ قَرِيبًا مِنْ بَدْرٍ ، فَرَكِبَ هُوَ وَرَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ .
قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : هُوَ أَبُو بَكْرٍ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ ، كَمَا حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ حَبَّانَ ، حَتَّى وَقَفَ عَلَى شَيْخٍ مِنَ الْعَرَبِ فَسَأَلَهُ عَنْ قَرِيشٍ وَعَنْ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ وَمَا بَلَغَهُ عَنْهُمْ ، فَقَالَ الشَّيْخُ : لَا أَخْبِرُكَ مَا حَتَّى تَخْبِرَانِي مِمَّنْ أَنْتُمَا ؟

فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِذَا أَخْبَرْتَنَا أَخْبِرْنَاكَ . فَقَالَ : أَوْ ذَاكَ بِذَاكَ ؟ قَالَ : نَعَمْ .

قَالَ الشَّيْخُ : فَإِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّ مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ خَرَجُوا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا ، فَإِنْ كَانَ صَدَقَ الَّذِي أَخْبَرَنِي فَهَمَّ الْيَوْمَ بِمَكَانٍ كَذَا وَكَذَا . لِمَكَانٍ الَّذِي بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَبَلَغَنِي أَنَّ قَرِيشًا خَرَجُوا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا ، فَإِنْ كَانَ الَّذِي أَخْبَرَنِي صَدَقَنِي فَهَمَّ الْيَوْمَ بِمَكَانٍ كَذَا وَكَذَا . لِمَكَانٍ الَّذِي بِهِ قَرِيشٌ .

فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ خَبَرِهِ قَالَ : مِمَّنْ أَنْتُمَا ؟ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « نَحْنُ مِنْ مَاءٍ » ثُمَّ انْصَرَفَ عَنْهُ . قَالَ يَقُولُ الشَّيْخُ : مَا مِنْ مَاءٍ ؟ أَمِنْ مَاءِ الْعِرَاقِ ؟

قال ابن هشام : يقال لهذا الشيخ سُفَيان الضَّمَرى .

قال ابن إسحاق : ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه ، فلما أَمَسَ بعث علىَّ بن أبي طالب والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص ، في نفر من أصحابه ، إلى ماء بدر يلتمسون الخبر له ، كما حدثني يزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير .

فأصابوا راويةً لقريش فيها أسلم غلام بنى الحجاج ، وعريض أبو يسار غلام بنى العاص بن سعيد ، فأتوا بهما فسألوهما ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم قائمٌ يصلى ، فقالوا : نحن سقاة قريش بعثونا نسقيهم من الماء .

فكره القوم خبرهما ، ورجوا أن يكونا لأبى سفیان فضربوها ، فلما أذلقوها^(١) قالوا : نحن لأبى سفیان . فتركوها .

وركع رسول الله صلى الله عليه وسلم وسجد سجديته وسلم . وقال : « إذا صدقكم ضربتموها ، وإذا كذباكم تركتموها ! صدقا والله إنهما لقريش ، أخبراني عن قريش ؟ قالوا : هم [والله^(٢)] وراء هذا الكَثيب الذى ترى بالعدوة القُصوى ، والكثيب المعنقل .

فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم : كم القومُ قالوا : كثير ، قال : ما عدتُهم ؟ قالوا : لاندري . قال : كم ينحرون كلَّ يوم ؟ قالوا : يوماً تسعاً ويوماً عشرة . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « القومُ ما بين التسعمائة إلى الألف » .

ثم قال لهما : فَمَنْ فيهم من أشرف قريش ؟

قالا : عُتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو البَخْتَرى بن هشام ، وحكيم بن حزام ، ونوفل بن خويلد ، والحارث بن عامر بن نوفل ، وطُعيمة بن عدى بن نوفل ، والنضر

(١) أذلقوها : آذوهما . (٢) عن ابن هشام .

ابن الحارث ، وزمعة بن الأسود ، وأبو جهل بن هشام ، وأمّية بن خلف ، ونبیه ومنبه ابنا الحجاج ، وسُهیل بن عمرو وعمرو بن عبد ود .
قال : فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الناس فقال : « هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ كبدها » .

قال ابن إسحاق : وكان بسبس بن عمرو وعدى بن أبي الزغباء قد مضيا حتى نزلا بدرأ فأناخا إلى تلّ قريب من الماء ، ثم أخذا شئاً لهما يستقيان فيه ، ونجدى بن عمرو ألجھى على الماء ، فسمع عدى وبسبس جاريتين من جواری الحاضر وهما يتلازمان ^(١) على الماء والملازمة تقول لصاحبتها : إنما تأتى العيرُ غداً أو بعد غد ، فأعملُ لهن ثم أقضيك الذى لك . قال نجدى : صدقت . ثم خلص بينهما .
وسمع ذلك عدى وبسبس فجلسا على بعيريهما ، ثم انطلقا حتى أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأخبراه بما سمعا .

وأقبل أبو سفيان حتى تقدم العيرَ حذرا حتى ورد الماء ، فقال لمجدى بن عمرو : هل أحسست أحداً ؟ قال : ما رأيت أحداً أنكره ، إلا أنى قد رأيت راكبين قد أناخا إلى هذا التل ثم استقيا فى شئ لهما ثم انطلقا . فأتى أبو سفيان مناخهما فأخذ من أبعاد بعيريهما ففتته فإذا فيه النوى ، فقال : هذه والله علائف يثرب .

فرجع إلى أصحابه سريعا ، فضرب وجهه عيره عن الطريق فساحلَ بها ، وترك بدرأ بيسار ، وانطلق حتى أسرع .

وأقبلت قريش ، فلما نزلوا الجحفة رأى جهم بن الصلت بن مخزومة بن المطلب بن عبد مناف رؤيا ، فقال : إني رأيت فيما يرى النائم ، وإني لبين النائم واليقظان ، إذ

(١) يتلازمان : يتقاضيان .

نظرت إلى رجل قد أقبل على فرس حتى وقف ومعه بعير له ، ثم قال : قُتِلَ عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو الحكم بن هشام ، وأممية بن خلف وفلان وفلان ؛ فعدَّ رجالاً ممن قُتِلَ يوم بدر من أشرف قريش ، ثم رأيتُه ضرب في لَبَّةٍ بعيره ثم أرسله في العسكر فما بقي خِباء من أخبية العسكر إلا أصابه نَضْحٌ من دمه .

فبلغت أبا جهل لعنه الله فقال : هذا أيضا نبيٌّ آخر من بني المطلب ! سيعلم غداً مَنْ المقتولُ إن نحن التقينا .

قال ابن إسحاق : ولما رأى أبو سفيان أنه قد أحرزَ عيره أرسل إلى قريش : إنكم إنما خرجتم لتنعوا غيركم ورجالكم وأموالكم ، فقد نجَّاه الله فارجعوا .

فقال أبو جهل بن هشام : والله لا ترجع حتى تَرِدَ بدرًا ، وكان بدرٌ موسماً من مواسم العرب يجتمع لهم به سوق كلِّ عام ، فنقيم عليه ثلاثاً فننحر الجزور^(١) ونطعم الطعام ونسقي الخمر ونَعْرِفُ علينا القِيانَ وتسمع بنا العرب ويمسیرنا وجَعْنُنا ، فلا يزالون يهابوننا أبداً ، فامضوا .

وقال الأَخْنَسُ بن شَرِيق بن عمرو بن وهب الثَّقَفِيُّ ، وكان حليفاً لبني زُهرة ، وهم بالحنيفة : يا بني زهرة قد نَجَّى الله لكم أموالكم ، وخالَصَ لكم صاحبكم مخزومة بن نوفل ، وإنما نفرتم لتنعوه وماله ، فاجعلوا^(٢) بي جُنُبَهَا وارجعوا ، فإنه لا حاجة لكم بأن تخرجوا في غير ضَيْعَةٍ ، لا ما يقول هذا .

قال : فرجعوا فلم يشهدوا زُهْرِيَّ واحد ، أطاعوه وكان فيهم مُطاعاً . ولم يكن بَقِيَ بطنٌ من قريش إلا وقد نفرَ منهم ناس إلا بني عَدَى ، لم يخرج منهم

(١) ابن هشام : الجزر . (٢) ابن هشام : فاجعلوا لي .

رجل واحد ، فرجعت بنو زهرة مع الأخنس ، فلم يشهد بدرأ من هاتين القبيلتين أحد .

قال : ومضى القوم ، وكان بين طالب بن أبي طالب ، وكان في القوم ، وبين بعض قريش محاورة ، فقالوا : والله لقد عرفنا يابني هاشم ، وإن خرجتم معنا ، أن هواكم مع محمد . فرجع طالب إلى مكة مع من رجع ، وقال في ذلك :

لَا هُمْ إِمَّا يَغْزُونَ طالباً في عُصْبَةٍ مُحَارَبُ
فِي مِقْنَبٍ مِنْ هَذِهِ الْمَقَانِبِ ^(١) فليكن المسلوبُ غيرَ السَّالِبِ
وليكن المغلوبُ غيرَ الغالبِ

قال ابن إسحاق : ومضت قريش حتى نزلوا بالعدوة القصوى من الوادي خلف العَقَنْقَلِ وبطن الوادي وهو يَلِيلُ ، بين بدر وبين العَقَنْقَلِ الكثيبُ الذي خَلْفَهُ قريش ، والقلب ببدر في العدوّة الدنيا من بطن يَلِيلٍ إلى المدينة .

قلت : وفي هذا قال تعالى « إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدُوَّةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدُوَّةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ » أي من ناحية الساحل « وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِاخْتِلَافِ الْمِيعَادِ ، وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا » ^(٢) الآيات .

وبعث الله السماء ، وكان الوادي دَهْشًا ^(٣) فأصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه منها ماءً لَبَدَ لهم الأرضَ ولم يمنعهم من السير ، وأصاب قريشا منها ماءً لم يقدروا على أن يرتحلوا معه .

(١) المِقْنَب : الجماعة من الخيل مقدارها ثلاثمائة أو نحوها .

(٢) سورة الأنفال ٤٢ (٣) دَهْشًا : لينا .

قلت : وفي هذا قوله تعالى « وَيُنَزِّل عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رَجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ » (١) .

فذكر أنه طهرهم ظاهراً وباطناً ، وأنه ثبت أقدامهم وشجع قلوبهم وأذهب عنهم تخذيل الشيطان وتخويقه للنفوس ووسوسته الخواطر ، وهذا تثبيت الباطن والظاهر ، وأنزل النصر عليهم من فوقهم في قوله : « إِذْ يُوحَىٰ رُبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِي مَعَكُمْ ، فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ، سَأَلْتُ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ ، فَأَضْرَبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ » أي على الرؤوس « وَاضْرَبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ » أي لئلا يستمسك منهم السلاح « ذَلِكَ بَأْنَهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ، ذَلِكَمُذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ » (٢) .

قال ابن جرير : حدثني هارون بن إسحاق ، حدثنا مُصْعَبُ بْنُ الْقُدَامِ ، حدثنا إسرائيل ، حدثنا أبو إسحاق ، عن حارثة ، عن علي بن أبي طالب ، قال : أصابنا من الليل طَشٌّ (٣) من المطر ، يعني الليلة التي كانت في صبيحتها وقعة بدر ، فانطلقنا تحت الشجر والحُجُف (٤) نستظل تحتها من المطر ، وبات رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني قائماً يصلي ، وحرَّضَ على القتال .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، عن شُعْبَةَ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ ، عن حارثة بن مضرب ، عن علي ، قال : ما كان فينا فارسٌ يوم بدر إلا المقداد ؛ ولقد رأيتنا وما فينا إلا نائم إلا نائم إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرة يصلي ويبكي حتى أصبح .

وسياتي هذا الحديث مطولاً .

(١) سورة الأنفال ١٢ . (٢) سورة الأنفال ١٣ ، ١٤ . (٣) الطش : المطر الضعيف ، وهو فوق الرذاذ . (٤) الحُجُف : جمع حُجُفَة وهي الترس الصغير يطارق بين جلدتين .

ورواه النسائي عن بُندار، عن غُنْدَر، عن شُعْبَةَ به . وقال مجاهد : أنزل عليهم المطر فأطفأ به الغبار وتلبدت به الأرض وطابت به أنفسهم وتبقت به أقدامهم .
قلت : وكانت ليلة بدر ليلة الجمعة السابعة عشر من شهر رمضان ، سنة ثنتين من الهجرة ، وقد بات رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الليلة يصلي إلى جذم شجرة هناك ، ويكثر في سجوده أن يقول : « يا حيّ يا قيوم » يكرر ذلك ويُلظُّ به عليه السلام .

قال ابن إسحاق : فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يبادرهم إلى الماء حتى جاء أدنى ماء من بدر نزل به .

قال ابن إسحاق : فحدثت عن رجال من بني سلمة ، أنهم ذكروا أن الحباب ابن منذر بن الجحوح قال : يارسول الله أرايتَ هذا المنزل ، أمئزلاً أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه ، أم هو الرأي والحرب والمكيدة ؟
قال : بل هو الرأي والحرب والمكيدة .

قال : يارسول الله ، فإن هذا ليس بمنزل ، فامض بالناس حتى نأتى أدنى ماء من القوم فننزله ، ثم نفور ماوراء من القلب ، ثم نبني عليه حوضاً فنملؤه ماء ، ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد أشرت بالرأى » .

قال الأموي : حدثنا أبي ، قال : وزعم الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال : بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يجمع الأقباص^(١) وجبريل عن يمينه إذا أتاه ملك من الملائكة فقال : يا محمد إن الله يقرأ عليك السلام . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(١) بالأصل غير منقوطة . ولم أجد هذا النص ، والقبس : الجماعة من الناس .

« هو السلام ومنه السلام وإليه السلام » فقال الملك : إن الله يقول لك : إن الأمر الذى أمرك به الحبابُ بن المنذر .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا جبريل هل تعرف هذا ؟ فقال : ما كلَّ أهل السماء أعرف ، وإنه لصادق وما هو بشيطان .

فنهض رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من الناس فسار حتى أتى أدنى ماء من القوم نزل عليه ، ثم أمر بالقلب فغُورَّت ، وبني حوضاً على القلب الذى نزل عليه فلى ماء ، ثم قذفوا فيه الآنية .

وذَكَرَ بعضهم أن الحباب بن المنذر لما أشار بما أشار به على رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل ملك من السماء وجبريلُ عند النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال الملك : يا محمد ، ربُّك يقرأ عليك السلام ويقول لك : إن رأى ما أشار به الحباب ، فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جبريل فقال : ليس كل الملائكة أعرفهم ، وإنه ملك وليس بشيطان .

وذكر الأُموي أنهم نزلوا على القلب الذى إلى المشركين نصفَ الليل ، وأنهم نزلوا فيه واستقوا منه وملاًوا الحياضَ حتى أصبحت ملاءً وليس للمشركين ماء .

قال ابن إسحاق : فحدثني عبد الله بن أبي بكر ، أنه حدث أن سعد بن معاذ قال يا نبي الله ألا نبني لك عريشاً تكون فيه ونعدُّ عندك ركائبك ، ثم نلقى عدونا ، فإن أعزنا الله وأظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحببنا ، وإن كانت الأخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا من قومنا ، فقد تخلف عنك أقوام مانحن بأشدَّ حباً لك منهم ، ولو ظنوا أنك تلقى حرباً ما تخلفوا عنك ، يمنعك الله بهم يُناصحونك ويجاهدون معك .

فَأَتْنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْرًا وَدَعَا لَهُ بِخَيْرٍ ، ثُمَّ بُنِيَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَرِيشٌ كَانَ فِيهِ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَقَدْ ارْتَحَلَتْ قَرِيشٌ حِينَ أَصْبَحَتْ فَأَقْبَلَتْ .
فَلَمَّا رَأَاهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَصُوبٌّ مِنَ الْعَقَنْقَلِ ، وَهُوَ الْكَتِيبُ الَّذِي جَاءُوا مِنْهُ إِلَى الْوَادِي ، قَالَ : « اللَّهُمَّ هَذِهِ قَرِيشٌ قَدْ أَقْبَلَتْ بِجِيَلَانِهَا وَفَخَّرَهَا تُمَحَّادُكَ وَتَكْذَبُ رُسُولَكَ ، اللَّهُمَّ فَتَصَرَّكَ الَّذِي وَعَدْتَنِي ، اللَّهُمَّ أَحْزِمِهِمْ ^(١) الْغَدَاةَ » .
وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَدْ رَأَى عَتَبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ فِي الْقَوْمِ وَهُوَ عَلَى جَمَلٍ لَهُ أَحْمَرٌ : إِنْ يَكُنْ فِي أَحَدٍ مِنَ الْقَوْمِ خَيْرٌ فَعِنْدَ صَاحِبِ الْجَمَلِ الْأَحْمَرِ ، إِنْ يَطِيعُوهُ يَرْشُدُوا .

قَالَ : وَقَدْ كَانَ خُفَافٌ بَنُ أَيْمَاءَ بْنِ رَحَضَةَ ، أَوْ أَبُوهُ أَيْمَاءُ بْنُ رَحَضَةَ الْغِفَارِيُّ ، بَعَثَ إِلَى قَرِيشٍ ابْنًا لَهُ بِجَزَائِرٍ أَهْدَاهَا لَهُمْ وَقَالَ : إِنْ أَحْبَبْتُمْ أَنْ تُنَدِمَكُمْ بِسِلَاحٍ وَرِجَالٍ فَعَلْنَا قَالَ : فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ مَعَ ابْنِهِ : أَنْ وَصَلْتِكَ رَحِمَ ، وَقَدْ قَضَيْتَ الَّذِي عَلَيْكَ ، فَلَعَمْرِي إِنْ كُنَّا إِنَّمَا نَقَاتِلُ النَّاسَ مَا بِنَا ضَعْفٌ عَنْهُمْ ، وَإِنْ كُنَّا إِنَّمَا نَقَاتِلُ اللَّهَ ، كَمَا يَزْعُمُ مُحَمَّدٌ ، فَمَا لِأَحَدٍ بِاللَّهِ مِنْ طَاقَةٍ !

قَالَ : فَلَمَّا نَزَلَ النَّاسُ أَقْبَلَ نَفَرٌ مِنْ قَرِيشٍ حَتَّى وَرَدُوا حَوْضَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فِيهِمْ حَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : دَعُوهُمْ . فَمَا شَرِبَ مِنْهُ رَجُلٌ يَوْمَئِذٍ إِلَّا قُتِلَ ، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ فَإِنَّهُ لَمْ يَقْتُلْ ، ثُمَّ أَسْلَمَ بَعْدَ ذَلِكَ فَخَسَنَ إِسْلَامَهُ ، فَكَانَ إِذَا اجْتَهَدَ فِي يَمِينِهِ قَالَ : لَا وَالَّذِي نَجَّيَنِي يَوْمَ بَدْرَ .

قُلْتُ : وَقَدْ كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَئِذٍ ثَلَاثِمِائَةً وَثَلَاثَةَ عَشَرَ

(١) أَحْزَمَهُمْ : أَهْلَكَهُمْ .

رجلا كما سيأتى بيان ذلك فى فصل نَعْقِدُهُ بعد الوقعة ونذكر أسماءهم على حروف المعجم إن شاء الله .

فى صحيح البخارى عن البراء ، قال : كُنَّا نَتَحَدَّثُ^(١) أَنَّ أَصْحَابَ بَدْرٍ ثَلَاثَةٌ وَبِضْعَةُ عَشْرٍ ، عَلَى عِدَّةِ أَصْحَابِ طَالُوتَ الَّذِينَ جَاوَزَا مَعَهُ النَّهْرَ ، وَمَا جَاوَزَهُ مَعَهُ إِلَّا مُؤْمِنٌ .

وللبخارى أيضا عنه قال : اسْتَصْغَرْتُ أَنَا وَابْنُ عُمَرَ يَوْمَ بَدْرٍ ، وَكَانَ الْمُهَاجِرُونَ يَوْمَ بَدْرٍ نَيْفًا عَلَى سِتِينَ ، وَالْأَنْصَارُ نَيْفٌ وَأَرْبَعُونَ وَمِائَتَانِ .

وروى الإمام أحمد عن نصر بن رِثَابٍ ، عن حجاج ، عن الحكم ، عن مقسم ، عن ابن عباس أنه قال : كَانَ أَهْلُ بَدْرٍ ثَلَاثَةً وَثَلَاثَةَ عَشْرٍ ، وَكَانَ الْمُهَاجِرُونَ سِتَّةً وَسَبْعِينَ وَكَانَتْ هَزِيمَةُ أَهْلِ بَدْرٍ لِسَبْعِ عَشْرَةِ مَضِينَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ .

وقال الله تعالى : « إِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكَ كَثِيرًا لَفَشَيْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ »^(٢) الْآيَةُ .

وَكَانَ ذَلِكَ فِي مَنَامِهِ تِلْكَ اللَّيْلَةُ . وَقِيلَ : إِنَّهُ نَامَ فِي الْعَرِيشِ ، وَأَمَرَ النَّاسَ أَنْ لَا يِقَاتِلُوا حَتَّى يَأْذَنَ لَهُمْ ، فَدَنَا الْقَوْمُ مِنْهُمْ فَجَعَلَ الصَّدِيقُ يَوْقُظُهُ وَيَقُولُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ دَنَا مِنَّا فَاسْتَيْقِظْ . وَقَدْ أَرَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُمْ فِي مَنَامِهِ قَلِيلًا .

ذَكَرَهُ الْأُمَوِيُّ وَهُوَ غَرِيبٌ جَدًّا .

وقال تعالى : « وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّيَمُّمِ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ ، لِيَقْضَى اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا »^(٣) .

(١) البخارى . سمعت البراء رضى الله عنه يقول : حدثنى أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم من شهد بدرا أنهم كانوا عدة أصحاب طالوت .

(٢) سورة الأنفال ٤٤ .

(٣) سورة الأنفال ٤٣ .

فعند ما تقابل الفريقان قلَّ الله كلاًّ منهما في أعين الآخرين ليجترئ هؤلاء على هؤلاء وهؤلاء على هؤلاء ، لما له في ذلك من الحكمة البالغة .

وليس هذا معارضاً لقوله تعالى في سورة آل عمران : « قد كان لكم آيةٌ في فئتين التقتا ، فئةٌ تقاتل في سبيل الله ، وأخرى كافرةٌ يرونهم مثليهم رأيَ العين ، والله يؤيد بنصره من يشاء » .

فإن المعنى في ذلك على أصح القولين : أن الفرقة الكافرة ترى الفرقة المؤمنة مثلياً عدد الكافرة على الصحيح أيضاً ، وذلك عند التحام الحرب والمسابقة^(١) أوقع الله الوهن والرعب في قلوب الذين كفروا ، فاستدرجهم أولاً ، بأن أراهم إياهم عند المواجهة قليلاً ، ثم أيد المؤمنين بنصره ، فجعلهم في أعين الكافرين على الضعف منهم حتى وهنوا وضعفوا وغلبوا . ولهذا قال : « والله يؤيد بنصره من يشاء ، إن في ذلك لعلبةً لأولى الأبصار » . قال إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن أبي عبيد وعبد الله ، لقد قللوا في أعيننا يوم بدر ، حتى أنى لأقول لرجل إلى جنبي : أتراهم سبعين ؟ فقال : أراهم مائة !

قال ابن إسحاق : وحدثني أبي إسحاق بن يسار وغيره من أهل العلم ، عن أشياخ من الأنصار قالوا : لما اطمأن القوم بعثوا عُمر بن وَهَب الجُمَحِي فقالوا اخزرنَا القوم أصحاب محمد .

قال : فاستجال بفرسه حول العسكر ثم رجع إليهم فقال : ثلاثمائة رجل يز يدون قليلاً أو ينقصون ، ولكن أمهلوني حتى أنظر : ألقوم كمينٌ أو مدد .

قال : فضرب في الوادي حتى أبعد فلم ير شيئاً ، فرجع إليهم فقال : ما رأيت شيئاً ، ولكن قد رأيت يامعشر قريش البلايا تحمل المنايا ، نواضحٌ يترب تحمل الموت الناقع ،

(١) الأصل : والمسابقة وهو تحريف .

قومٌ ليس لهم منعة ولا ملجأ إلا سيوفهم ، والله ما أرى أن يُقتل رجلٌ منهم حتى يُقتل رجلاً منكم ، فإذا أصابوا منكم أعدادهم فما خيرُ العيش بعد ذلك !؟ فرَوَا رأيكم .
فلما سمع حكيم بن حزام ذلك مشى في الناس ، فأتى عتبة بن ربيعة فقال : يا أبا الوليد إنك كبير قریش وسيدها المطاع فيها ، هل لك إلى أن لا تزال تُذكر فيها بخير إلى آخر الدهر ؟

قال : وما ذاك يا حكيم ؟ قال : ترجع بالناس وتحمل أمرَ حليفك عمرو ابن الحضرمي . قال : قد فعلتُ ، أنت علىّ بذلك ، إنما هو حليفٌ فعليّ عقْله وما أصيب من ماله . فأْت ابن الحَنْظَلِيَّة ، يعني أبا جهل ، فأني لا أخشى أن يشجر^(١) أمرَ الناس غيره .

ثم قام عتبة خطيباً فقال : يامعشر قریش إنكم والله ما تصنعون بأن تلقوا محمداً وأصحابه شيئاً ، والله لئن أصبتموه لا يزال الرجل ينظر إلى وجه رجل يكره النظرَ إليه ، قَتَلَ ابن عمه ، أو ابن خاله ، أو رجلاً من عشيرته ، فارجعوا وخلوا بين محمد وبين سائر العرب ، فإن أصابوه فذلك الذي أردتم ، وإن كان غير ذلك ألقاكم ولم تعرّضوا منه ما تريدون .

قال حكيم : فانطلقت حتى جئت أبا جهل ، فوجدته قد نثَلَ درعاً فهو يهينها^(٢) فقلت له : يا أبا الحكم إن عتبة أرسلني إليك بكذا وكذا . فقال : انتفخ والله سحره^(٣) حين رأى محمداً وأصحابه ، فلا والله لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد ، وما بعُتْبَةُ ما قال ، ولكنه رأى محمداً وأصحابه أكلة جزور ، وفيهم ابنه ، فقد تخوّفكم عليه .
ثم بعث إلى عامر بن الحضرمي ؛ فقال : هذا حليفك يريد أن يرجع الناس ، وقد

(١) يشجر : يخالف ويفسد . وفي الأصل : يسجر . وما أثبتته عن ابن هشام (٢) نثَلَ : أخرج .
ويهينها : يهينها ويصاحبها (٣) انتفخ سحره : جبن والسحر : الرثة .

رَأَيْتَ ثَارَكَ بِعَيْنِكَ فَقُمْ فَانْشُدْ خُفْرَتَكَ وَمَقْتَلَ أَخِيكَ .

فقام عامرُ بن الحضرمي فاكتشف ثم صرخ : واعمرأه واعمرأه . قال : فحُميت الحرب وحَقِبَ أمر الناس واستوثقوا على ما هم عليه من الشر ، وأفسد على الناس الرأى الذى دعاهم إليه عتبة .

فلما بلغ عتبة قولُ أبى جهل : انتفخ والله سَخْرُه ، قال : سيعلم مُصَفِّرُ استه^(١) من انتفخ سَخْرُه أنا أم هو !

ثم التمس عتبة بَيْضَةً ليدخلها فى رأسه ، فما وجد فى الجيش بَيْضَةً تَسَعُه مِنْ عِظَمِ رأسه ، فلما رأى ذلك اعتجر على رأسه يُرْدِله .

وقد روى ابنُ جرير من طريق مُسَوَّر بن عبد الملك اليربوعي ، عن أبيه ، عن سعيد بن المسيَّب قال : بينا نحن عند مروان بن الحكم إذ دخل حاجبه فقال : حكيم بن حزام يستأذن . قال : ائذن له . فلما دخل قال : مرحبا يا أبا خالد أدنُ ، فخال عن صدر المجلس حتى جلس بينه وبين الوسادة ثم استقبله فقال : حدثنا حديث بدر .

فقال : خرجنا حتى إذا كنا بالجحففة رجعت قبيلةٌ من قبائل قريش بأسرها ، فلم يشهد أحد من مشركيهم بدراً ، ثم خرجنا حتى نزلنا العُدوة التى قال الله تعالى ، فجئت عتبة بن ربيعة فقلت : يا أبا الوليد هل لك فى أن تذهب بشرف هذا اليوم ما بقيت ؟ قال : أفعل ماذا ؟ قلت : إنكم لا تطلبون من محمد إلا دَمَ ابن الحضرمي وهو حليفك ، فتحمل بديتته ويرجع الناس .

فقال : أنت علىَّ بذلك ، واذهب إلى ابن الحنظلية ، يعنى أبا جهل ، فقل له :

(١) مصفر استه : أراد مصفر بدنه بالصفرة وهى الطيب . ولكنه قصد المبالغة بالذم فذكر ما يسوؤه أن يذكر .

هل لك أن ترجع اليوم بمن معك عن ابن عمك ؟

فجئته فإذا هو في جماعة من بين يديه ومن خلفه ، وإذا ابنُ الحضرمي واقف على رأسه وهو يقول : فسَخْتُ عقدي من عبد شمس ، وعقدي اليوم إلى بني مخزوم . فقلت له : يقول لك عتبة بن ربيعة : هل لك أن ترجع اليوم بمن معك ؟ قال : أما وجد رسولاً غيرك ؟ قلت : لا ، ولم أكن لأكون رسولاً لغيره .

قال حكيم : فخرجت مبادراً إلى عتبة لئلا يفوتني من الخبر شيء ، وعتبة متكئ على أيمناء بن رَحْصَةَ الغفاري ، وقد أهدى إلى المشركين عشرة جزائر .

فطلع أبو جهل الشرُّ في وجهه فقال لعتبة : انتفخ سَحْرُك ؟ فقال له عتبة : ستعلم . فسَلَّ أبو جهل سيفه فضرب به متن فرسه ، فقال أيمناء بن رَحْصَةَ : بئس القائل هذا . فعند ذلك قامت الحرب .

وقد صفَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه وعبَّاهم أحسن تعبئة .

فروى الترمذي عن عبد الرحمن بن عوف ، قال : صفَّنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر ليلاً .

ورى الإمام أحمد من حديث ابن لهيعة ، حدثني يزيد بن أبي حبيب ، أنَّ أسلم أبا عمران حدَّثه ، أنه سمع أبا أيوب يقول : صفَّنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يومَ بدر ، فبدرت منا بادرةُ أمام الصف ، فنظر إليهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « معي معي » .

تفرد به أحمد . وهذا إسناد حسن .

وقال ابن إسحاق : وحدثني حَبَّان بن واسع بن حَبَّان ، عن أشياخ من قومه ، أن

رسول الله صلى الله عليه وسلم عدل صفوف أصحابه يوم بدر ، وفي يده قِدْحٌ ^(١) يعدل به القوم ، فر بسواد بن غَزِيَّة حليف بنى عدى بن النجار وهو مُسْتَنْتَل ^(٢) من الصف . فطعن في بطنه بالقِدْح وقال : « استَوِ ياسواد » .

فقال : يا رسول الله أوجعتني وقد بعثك الله بالحق والعدل فأقِدْنِي . فكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بطنه فقال : استَقِدْ . قال : فاعتنقه فقبل بطنه ، فقال : ما حملك على هذا يا سواد ؟ قال : يا رسول الله حضر ما ترى ، فأردتُ أن يسكون آخر العهد بك أن يمسَّ جلدى جلدك .

فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير وقاله .

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، أن عوف بن الحارث ، وهو ابن عفراء ، قال : يا رسول الله ما يُضحك ^(٣) الربَّ من عبده ؟ قال : « عَمَّسُهُ يَدَهُ في العدو حاسراً » .

فنزعه درعا كانت عليه فقتلها ، ثم أخذ سيفه فقاتل حتى قُتل رضى الله عنه .

قال ابن إسحاق : ثم عدل رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفوف ورجع إلى العريش فدخله ومعه أبو بكر ليس معه فيه غيره .

وقال ابن إسحاق وغيره : وكان سعد بن معاذ رضى الله عنه واقفاً على باب العريش متقلداً بالسيف ومعه رجال من الأنصار ، يحرسون رسول الله صلى الله عليه وسلم خوفاً عليه من أن يذَّهمه العدو من المشركين ، والجنائبُ النجائبُ مهَيَّأة لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن احتاج إليها ركبتها ورجع إلى المدينة ، كما أشار به سعد بن معاذ .

وقد روى البزار في مسنده من حديث محمد بن عجيل ، عن عليٍّ أنه خطبهم فقال : يا أيها الناس من أشجعُ الناس ؟ فقالوا : أنت يا أمير المؤمنين .

(١) القدح السهم . (٢) مستنل : متقدم . (٣) يضحك : يرضى .

فقال : أما إني ما بارزني أحد إلا انتصفتُ منه ، ولكن هو أبو بكر ، إنا جعلنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم عريشاً فقلنا : من يكون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لئلا يَهْوَى إليه أحدٌ من المشركين ؟ فوالله ما دنا منا أحد إلا أبو بكر شاهراً بالسيف على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يَهْوَى إليه أحد إلا أهوى إليه . فهذا أشجع الناس .

قال : ولقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذته قريش ، فهذا يحادّه ، وهذا يُتَلْتَلِه ، ويقولون : أنت جعلت الآلهة إلهاً واحداً ، فوالله ما دنا منا أحد إلا أبو بكر يضرب ويجاهد هذا ويُتَلْتَل هذا ، وهو يقول : ويلكم ! أقتلون رجلاً أن يقول ربي الله .

ثم رفع على بردة كانت عليه فبكي حتى اخضلت لحيته ثم قال : أنشدكم الله : أمؤمن آلِ فرعون خيرٌ أم هو ؟ فسكت القوم ، فقال على : فوالله لساعةً من أبي بكر خير من ملء الأرض من مؤمن آل فرعون ، ذاك رجلٌ يَكُفُّ إيمانه ، وهذا رجل أعلن إيمانه .

ثم قال البزار : لا نعلمه يروى إلا من هذا الوجه .

فهذه خصوصية للصديق ، حيث هو مع الرسول في العريش ، كما كان معه في الغار رضى الله عنه وأرضاه .

ورسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر الاتِّهَال والتضرع والدعاء ، ويقول فيما يدعو به : « اللهم إنك إن تهلك هذه العصابة لا تُعبد بعدها في الأرض » وجعل يهتف بربه عز وجل ويقول : « اللهم أنجز لي ما وعدتني ، اللهم نصرّك » .

ويرفع يديه إلى السماء حتى سقط الرداء عن منكبيه ، وجعل أبو بكر رضى الله عنه

يلتزمه من ورائه ويسوَّى عليه رداءه ويقول مشفقاً عليه من كثرة الابتهاال : يا رسول الله بعض مناشدتك ربك ، فإنه سينجز لك ما وعدك .

هكذا حكى السهيلي عن قاسم بن ثابت ، أن الصديق إنما قال : بعض مناشدتك ربك ، من باب الإشفاق لما رأى من نصَّبه في الدعاء والتضرع حتى سقط الرداء عن منكبيه فقال : بعض هذا يا رسول الله . أى : لم تُتعب نفسك هذا التعب ، والله قد وعدك بالنصر . وكان رضى الله عنه رقيق القلب شديد الإشفاق على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وحكى السهيلي عن شيخه أبى بكر بن العربى بأنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مقام الخوف ، والصديق فى مقام الرجاء ، وكان مقام الخوف فى هذا الوقت ، يعنى أكمل . قال : لأن الله أن يفعل ما يشاء ، يخاف أن لا يعبد فى الأرض بعدها ، فيخوفه ذلك عبادة .

قلت : وأما قول بعض الصوفية : إن هذا المقام فى مقابلة ما كان يوم الغار . فهو قول مردود على قائله ، إذ لم يتذكر هذا القائل عورَ ما قال ولا لازمه ولا ما يترتب عليه . والله أعلم .

هذا وقد تواجه الفتنان وتقابل الفريقان ، وحضر الخصمان بين يدى الرحمن ، واستغاث بربه سيد الأنبياء ، وضجَّ الصحابة بصنوف الدعاء إلى رب الأرض والسماء ، سامع الدعاء وكاشف البلاء .

فكان أول من قتل من المشركين الأسود بن عبد الأسد المخزومى .

قال ابن إسحاق : وكان رجلاً شرساً سيئ الخلق فقال : أعاهد الله لأشربنَّ من حوضهم أو لأهدمنه أو لأموتنَّ دونه . فلما خرج خرج إليه حمزة بن عبد المطلب ، فلما

التقياض ضربه حمزة فأطن^(١) قدمه بنصف ساقه وهو دون الحوض ، فوقع على ظهره تشخُب رجله دماً نحو أصحابه ، ثم حبا إلى الحوض حتى اقتحم فيه ، يريد ، زعم ، أن تبرئ يمينه ، وأتبعه حمزة فضر به حتى قتله في الحوض .

قال الأموى : فتحى عند ذلك عتبة بن ربيعة ، وأراد أن يظهر شجاعته ، فبرز بين أخيه شَيْبَةَ وابنه الوليد ، فلما توسطوا بين الصفيين دعوا إلى البراز ، فخرج إليهم فتية من الأنصار ثلاثة ، وهم عوف ومعاذ ابنا الحارث وأمهما عَفْرَاء ، والثالث عبد الله بن رَوَاحَةَ فيما قيل ، فقالوا : من أنتم ؟ قالوا : رهط من الأنصار . فقالوا : مالنا بكم من حاجة . وفي رواية فقالوا : أكَفَاء كِرَام ، ولكن أخرجوا إلينا من بنى عمناء ، ونادى مناديتهم : يا محمد أخرج إلينا أكَفَاءنا من قومنا .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « قُمْ يَا عبيدةَ بن الحارث ، وقم يا حمزة ، وقم يا على » .

وعند الأموى أن النفر من الأنصار لما خرجوا كره ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأنه أول موقف واجه فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم أعداءه ، فأحب أن يكون أولئك من عشيرته ، فأمرهم بالرجوع وأمر أولئك الثلاثة بالخروج .

قال ابن إسحاق : فلما دنوا منهم قالوا : من أنتم ؟ وفي هذا دليل أنهم كانوا مُلبسين لا يُعرفون من السلاح ، فقال عبيدةُ : عبيدة . وقال حمزة : حمزة . وقال على : على . قالوا : نعم ، أكَفَاء كرام . فبارز عبيدةُ ، وكان أسنَّ القوم ، عتبة ، وبارز حمزةُ شيبَةَ ، وبارز علىُ الوليدَ بن عتبة .

فأما حمزة فلم يُمهل شيبَةَ أن قتله ، وأما على فلم يُمهل الوليدَ أن قتله ، واختلف

(١) أطن : أطار .

عبيدة وعتبة بينهما بضربتين ، كلاهما أثبت صاحبه ، وكرّ حمزة وعلى بأسيا فهما على عتبة فذفقا^(١) عليه ، واحتملا صاحبهما فحازاه إلى أصحابهما^(٢) . رضى الله عنه .

وقد ثبت في الصحيحين من حديث أبي مجلز ، عن قيس بن عباد ، عن أبي ذر : أنه كان يُقسم قسماً أن هذه الآية « هذان خصمان اختصموا في ربهم »^(٣) نزلت في حمزة وصاحبه ، وعتبة وصاحبه ، يوم برزوا في بدر .
هذا لفظ البخارى في تفسيرها .

وقال البخارى : حدثنا حجاج بن منهال ، حدثنا المعتمر بن سليمان ، سمعت أبا ، حدثنا أبو مجلز ، عن قيس بن عباد ، عن علي بن أبي طالب ، أنه قال : أنا أول من يجثو بين يدي الرحمن عز وجل في الخصومة يوم القيامة .

قال قيس : وفيهم نزلت : « هذان خصمان اختصموا في ربهم » قال : هم الذين بارزوا يوم بدر : على وحمزة وعبيدة وشيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة .
تقرّد به البخارى .

وقد أوسعنا الكلام عليها في التفسير بما فيه كفاية والله الحمد والمنة .
وقال الأموى : حدثنا معاوية بن عمرو ، عن أبي إسحاق ، عن ابن المبارك ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن عبد الله البهيّ ، قال : برز عتبة وشيبة والوليد ، وبرز إليهم حمزة وعبيدة وعلى ، فقالوا : تكلّموا نعرفكم . فقال حمزة : أنا أسد الله وأسد رسول الله أنا حمزة بن عبد المطلب . فقال : كفى كريم . وقال على : أنا عبد الله وأخو رسول الله . وقال عبيدة : أنا الذى فى الحلفاء ، فقام كل رجل إلى رجل فقاتلوم فقتلهم الله .

(٢) ابن هشام : إلى أصحابه .

(١) ذفقا عليه : أجهزا .

(٣) سورة الحج ١٩ .

فقلت هند في ذلك :

أَعَيْنِي جُودِي بِدَمْعٍ سَرِبَ عَلَى خَيْرِ خِنْدِفٍ لَمْ يَنْقَلِبْ
تَدَاعَى لَهُ رَهْطُهُ غُدُوَّةً بَنُو هَاشِمٍ وَبَنُو الْمُطَلِّبِ
يَذِيقُونَهُ حَادًّا أَسْيَافَهُمْ يَعْلَوْنَهُ بِعَدِّ مَا قَدْ عَطِبَ
ولهذا نذرت هند أن تأكل من كبدة حمزة .

قلت : وعبيدة هذا هو ابن الحارث بن المطلب بن عبد مناف ، ولما جاءوا به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أضعموه إلى جانب موقف رسول الله صلى الله عليه وسلم فأشرفه ^(١) رسول الله صلى الله عليه وسلم قدمه فوضع خده على قدمه الشريفة وقال : يا رسول الله لو رأيته أبو طالب لعلم أني أحق بقوله :

وَنُسَلِّمُهُ حَتَّى نُصَرِّعَ دُونَهُ وَتَذْهَلُ عَنْ أَبْنَائِنَا وَالْحَلَالِ

ثم مات رضى الله عنه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أشهد أنك شهيد » .
رواه الشافعى رحمه الله .

وكان أول قتيل من المسلمين في المعركة مهجع مولى عمر بن الخطاب رُمى
بسهم فقتله .

قال ابن إسحاق : فكان أول من قُتل ، ثم رُمى بعده حارثة بن سُراقَة أحد بنى
عدى بن النجار وهو يشرب من الخوض بسهم فأصاب نحره فمات .

وثبت في الصحيحين ، عن أنس ، أن حارثة بن سُراقَة قُتل يوم بدر وكان في
النَّظَارَة ، أصابه سهمٌ غَرَبَ فقتله ، فجاءت أمه فقالت : يا رسول الله أخبرني عن حارثة ،
فإن كان في الجنة صبرت وإلا فليرين الله ما أصنع ، يعنى من النِّياح ، وكانت لم تُحَرِّم .

(١) كذا وفي لسان العيون : فأفرشه .

بعد . فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم « وَيْحَكَ أَهْبَيْتِ ، إِنِّهَا جِنَانٌ ثَمَانٌ ، وَإِنْ ابْنُكَ أَصَابَ الْفَرْدَوْسَ الْأَعْلَى ! » .

قال ابن إسحاق : ثم تراخف الناسُ ودنا بعضهم من بعض . وقد ^(١) أمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أصحابه أن لا يحملوا حتى يأمرهم ، وقال : إِنْ اكْتَنَفَكُمُ الْقَوْمُ فَأَنْضَحُوهُمْ عَنْكُم بِالنَّبْلِ .

وفى صحيح البخارى عن أبى أسيد ، قال : قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر : إِذَا أَكْتَبُوكُمْ ، يَعْنِى الْمُشْرِكِينَ ، فَارْمُوهُمْ وَاسْتَنْبِقُوا نَبْلَكُمْ .

وقال البيهقى : أَخْبَرَنَا الْحَاكِمُ ، أَخْبَرَنَا الْأَصَمُّ ، حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْجَبَّارِ ، عَنْ يُونُسَ بْنِ بُكَيْرٍ ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ ، حَدَّثَنِى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزَّيْرِ ، قَالَ : جَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَعَارَ الْمُهَاجِرِينَ يَوْمَ بَدْرٍ : يَابُنَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ . وَشَعَارَ الْخَزْرَجِ : يَابُنَى عَبْدِ اللَّهِ . وَشَعَارَ الْأَوْسِ : يَابُنَى عُبَيْدِ اللَّهِ ، وَسَمَّى خَيْلَهُ خَيْلَ اللَّهِ . قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : كَانَ شَعَارَ الصَّحَابَةِ يَوْمَ بَدْرٍ : أَحَدٌ أَحَدٌ .

قال ابن إسحاق : وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْعَرِيشِ مَعَهُ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، يَعْنِى وَهُوَ يَسْتَفِيثُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : « إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجِبْ لَكُمْ أَنِّى مُدْكِمٌ بَأْنَفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ . وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، إِنْ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ » ^(٢) .

قال الإمام أحمد : حَدَّثَنَا أَبُو نُوحٍ قُرَادٌ ، حَدَّثَنَا عِكْرَمَةُ بْنُ عَمَارٍ ، حَدَّثَنَا سِمَاكُ الْحَنْفِيُّ أَبُو زُمَيْلٍ ، حَدَّثَنِى ابْنُ عَبَّاسٍ ، حَدَّثَنِى عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، قَالَ : لَمَّا كَانَ يَوْمَ بَدْرٍ

(١) الأصل : وقال . وهو تحريف . وما أثبتته عن ابن هشام .

(٢) سورة الأنفال ٩ ، ١٠ .

نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه وهم ثلاثمائة ونيف ، ونظر إلى المشركين فإذا هم ألف وزيادة ، فاستقبل النبي صلى الله عليه وسلم القبلة وعليه رداؤه وإزاره ثم قال : « اللهم أنجز لي ما وعدتني ، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام فلا تبعد بعد في الأرض أبداً » .

فما زال يستغيث بربه ويدعوه حتى سقط رداؤه ، فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فردّه ثم التزمه من ورائه ثم قال : يا رسول الله كفاك ^(١) مناشدتك ربك ، فإنه سينجز لك ما وعدك . فأنزل الله : « إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مُردّفين » .

وذكر تمام الحديث كما سيأتي .

وقد رواه مسلم وأبو داود والترمذي وابن جرير وغيرهم من حديث عكرمة بن عمار اليماني ، وصححه على ابن المديني والترمذي .

وهكذا قال غير واحد ، عن ابن عباس والسدي وابن جرير وغيرهم ، أن هذه الآية نزلت في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر .

وقد ذكر الأموي وغيره أن المسامين عجبوا إلى الله عز وجل في الاستغاثة بحجابه والاستعانة به .

وقوله تعالى : « بألف من الملائكة مُردّفين » أي ردّفاً لكم وممدداً لفتحتكم .

رواه العوفي عن ابن عباس . وقاله مجاهد وابن كثير وعبد الرحمن بن زيد وغيرهم .

وقال أبو كدينة ، عن قابوس ، عن ابن عباس « مُردّفين » وراء كل ملك ملك

(١) الأصل : كذاك . وهو تحريف .

وفي رواية عنه بهذا الإسناد « مُرْدَفِين » بعضهم على أثر بعض وكذا قال أبو ظبيان والضحاك وقتادة .

وقد روى على بن أبي طلحة الوالبي عن ابن عباس قال : وأمدَّ الله نبيَّه والمؤمنين بألف من الملائكة ، وكان جبريل في خمسمائة مُجَنَّبَةٍ وميكائيل في خمسمائة مجنبَةٍ ، وهذا هو المشهور .

ولكن قال ابن جرير : حدثني الثني ، حدثنا إسحاق ، حدثنا يعقوب بن محمد الزهري ، حدثني عبد العزيز بن عمران ؛ عن الربيع ، عن أبي الحويرث عن محمد بن جبیر ، عن علي ، قال : نزل جبريل في ألفٍ من الملائكة على ميمنة النبي صلى الله عليه وسلم وفيها أبو بكر ، ونزل ميكائيل في ألف من الملائكة على ميسرة النبي صلى الله عليه وسلم ، وأنا في الميسرة .

ورواه البيهقي في الدلائل ، من حديث محمد بن جبیر ، عن علي ، فزاد : ونزل إسرافيل في ألف من الملائكة .

وذکر أنه طعن يومئذ بالحربة حتى اختضبت إبطه من الدماء ، فذكر أنه نزلت ثلاثة آلاف من الملائكة .

وهذا غريب وفي إسناده ضعف ، ولو صح لكان فيه تقوية لما تقدم من الأقوال . ويؤيدها قراءة من قرأ : « بألفٍ من الملائكة مُرْدَفِين » بفتح الدال . والله أعلم .

وقال البيهقي : أخبرنا الحاكم ، أخبرنا الأصم ، حدثنا محمد بن سنان القزاز ، حدثنا عبيد الله بن عبد الحميد أبو علي الحنفي ، حدثنا عبيد الله بن عبد الرحمن بن موهب ، أخبرني إسماعيل بن عوف بن عبد الله بن أبي رافع ، عن عبد الله بن محمد بن عمر ابن علي بن أبي طالب ، عن أبيه عن جده ، قال : لما كان يوم بدر قاتلتُ شيئاً من قتال ، ثم جئت مسرعاً لأنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فعل ، قال : فجئت فإذا هو

ساجد يقول « يا حي يا قيوم يا حي يا قيوم » لا يزيد عليها . فرجعت إلى القتال ثم جئت وهو ساجد يقول ذلك أيضا ، فذهبت إلى القتال ثم جئت وهو ساجد يقول ذلك أيضا ، حتى فتح الله على يده .

وقد رواه النسائي في اليوم واللييلة ، عن بُندار ، عن عبيد الله بن عبد الحميد أبي على الحنفي .

وقال الأعمش : عن أبي إسحاق ، عن أبي عبيدة ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : ما سمعت مُناشداً يَنشدُ أشدَّ من مُناشدة محمد صلى الله عليه وسلم يوم بدر ، جعل يقول : « اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك ، اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تُعبد » ثم التفت وكأن شقَّ وجهه القمرُ وقال : كأنني أنظر إلى مصارع القوم عشيةً .
رواه النسائي من حديث الأعمش به .

وقال : لما التقينا يوم بدر قام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فما رأيت مُناشداً يَنشدُ حقاً له أشدَّ مُناشدةً من رسول الله صلى الله عليه وسلم . وذكره .

وقد ثبت إخباره عليه السلام بمواضع مصارع رءوس المشركين يوم بدر في صحيح مسلم ، عن أنس بن مالك كما تقدم ، وسيأتي في صحيح مسلم أيضا عن عمر بن الخطاب .

ومقتضى حديث ابن مسعود أنه أخبر بذلك يوم الواقعة . وهو مناسب ، وفي الحديثين الآخرين عن أنس وعمر ما يدل على أنه أخبر بذلك قبل ذلك بيوم .

ولا مانع من الجمع بين ذلك ، بأن يخبر به قبلُ بيوم وأكثر ، وأن يخبر به قبل ذلك بساعة يوم الواقعة . والله أعلم .

وقد روى البخاري من طرق ، عن خالد الحذاء ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال وهو في قبة له يوم بدر « اللهم أنشدك عهدك ووعدك ،

اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم أبداً » فأخذ أبو بكر بيده وقال : حسبك يا رسول الله أخلصت على ربك . فخرج وهو يثب في الدرع وهو يقول : « سيَهْزَمُ الجمع ويُولُون الدُّبْرَ . بل الساعة مَوْعِدُهُم والساعة أدهى وأمر » .

وهذه الآية مكية . وقد جاء تصديقها يوم بدر ، كما رواه ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أبو الربيع الزَّهراني ، حدثنا حماد ، عن أيوب ، عن عكرمة قال : لما نزلت : « سيَهْزَمُ الجمع ويُولُون الدُّبْرَ » قال عمر : أيُّ جمع يهزم وأي جمع يغلب ؟ قال عمر : فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يثب في الدرع وهو يقول : « سيَهْزَمُ الجمع ويُولُون الدُّبْرَ . بل الساعة مَوْعِدُهُم والساعة أدهى وأمر » ففرفت تأويلها يومئذ .

وروى البخاري من طريق ابن جريج ، عن يوسف بن ماهان ، سمع عائشة تقول : نزل على محمد بمكة - وإني لجارية ألعب - « بل الساعة مَوْعِدُهُم والساعة أدهى وأمر » .

قال ابن إسحاق : وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يناشد ربَّه ما وعده من النصر ويقول فيما يقول : « اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد » وأبو بكر يقول : يا نبي الله بعض مناشدتك ربك ، فإن الله منجز لك ما وعدك .

وقد حقق النبي صلى الله عليه وسلم [خفقة] وهو في العريش ، ثم انتبه فقال : « أبشر يا أبا بكر أتاك نصر الله ، هذا جبريل أخذ بعنان فرسه يقوده على ثنأياه النَّقْعُ » يعني الغبار .

قال : ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الناس فحزَّضهم وقال : « والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر إلا أدخله الله الجنة » .

قال عُمير بن الحُمام ، أخو بني سلمة وفي يده تمرات يأكلهن : بخ بخ ! أفأبيئني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء ؟ قال : ثم قذف التمرات من يده وأخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل . رحمه الله .

وقال الإمام أحمد : حدثنا هاشم بن سليمان ، عن ثابت ، عن أنس ، قال : بعث النبي صلى الله عليه وسلم بسبباً عيماً ينظر ما صنعت عيرُ أبي سفيان ، فجاء وما في البيت أحدٌ غيري وغير النبي صلى الله عليه وسلم . قال : لا أدري ما استثنى من بعض نسائه ، قال : لحديثه الحديث . قال : فخرج رسول الله فتكلم فقال « إن لنا طليبةً ، فمن كان ظهره حاضراً فليركب معنا » فجعل رجالٌ يستأذنونَه في ظهورهم في علو المدينة قال : « لا إلا من كان ظهره حاضراً » .

وانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حتى سبقوا المشركين إلى بدر ، وجاء المشركون ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يتقدمن أحد منكم إلى شيء حتى أكون أنا دونه » .

فدنا المشركون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض » .

قال يقول عُمير بن الحُمام الأنصاري : يا رسول الله جنة عرضها السموات والأرض؟! قال : نعم . قال : بخ بخ ؟ فقال رسول الله : « ما يحملك على قول بخ بخ ؟ قال : لا والله يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها . قال : فإنك من أهلها .

قال : فأخرج تمرات من قرنه فجعل يأكل منهن ثم قال : لنن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها حياة طويلة ! قال : فرمى ما كان معه من التمر ثم قاتلهم حتى قتل رحمه الله .

ورواه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة وجماعة ، عن أبي النضر هاشم بن القاسم ، عن سليمان بن المغيرة به .

وقد ذكر ابن جرير أن عُميراً قاتل وهو يقول رضى الله عنه :
رَكُضًا إِلَى اللَّهِ بِغَيْرِ زَادٍ إِلَّا التَّقَى وَعَمَلُ الْمَعَادِ
وَالصَّبْرُ فِي اللَّهِ عَلَى الْجِهَادِ وَكُلُّ زَادٍ عُرْضَةُ النِّفَادِ
غَيْرُ التَّقَى وَالْبِرِّ وَالرَّشَادِ

وقال الإمام أحمد : حدثنا حجاج ، حدثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن حارثة بن مضرب ، عن علي ، قال : لما قدمنا المدينة أصبنا من ثمارها فاجتويناها وأصابنا بها وَعَكٌ ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحيز عن بدر ، فلما بلغنا أن المشركين قد أقبلوا سار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بدر ، وبدر بئر ، فسبقنا المشركين إليها ، فوجدنا فيها رجلين : رجلا من قريش ومولى لعقبة بن أبي معيط ، فأما القرشي فانفلت ، وأما المولى فوجدناه ، فجعلنا نقول له : كم القوم ؟ فيقول : هم والله كثير عددهم شديد بأسهم . فجعل المسلمون إذا قال ذلك ضربوه .

حتى انتهوا به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له : كم القوم ؟ قال : هم والله كثير عددهم شديد بأسهم . فجهد النبي صلى الله عليه وسلم أن يخبره كم هم فأبى . ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم سأله : كم ينحرون من الجزر ؟ فقال : عَشْرًا كل يوم . فقال النبي صلى الله عليه وسلم « القوم ألف » ، كلُّ جزور لمائة وتبعها .

ثم إنه أصابنا من الليل طَشٌّ مِنْ مَنْ مَطَرٌ ، فانطلقنا تحت الشجر والحُجُفِ نَسْتَبْطِلُ تَحْتَهَا مِنَ الْمَطَرِ ، وبات رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو ربه ويقول « اللهم إنك إن تهلك هذه الفئة لا تعبد » .

فلما طلع الفجر نادى : الصلاة عبادَ الله . فجاء الناس من تحت الشجر والحجف ، فصلى بنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وحرَّضَ على القتال ثم قال : « إنَّ جمع قريش تحت هذه الصَّلَعِ الحمراء من الجبل » .

فلما دنا القومُ منا وصافقناهم إذا رجلٌ منهم على جمل له أحمر يسير في القوم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا على ناد حمزة » ، وكان أقربهم من المشركين ، من صاحب الجمل الأحمر ؟ فجاء حمزة فقال : هو عتبة بن ربيعة . وهو ينهى عن القتال ويقول لهم : يا قوم اعصبوها برأسى وقولوا : جئنا عتبة بن ربيعة . وقد علمتُ أنى لست بأجنبكم .

فسمع بذلك أبو جهل فقال : أنت تقول ذلك ، والله لو غيرك يقوله لأعضضته ، قد ملأتُ رثك جوفك رعباً . فقال : إياي تعير يا مُصَفِّرَ استه ؟ ستعلم اليوم أينما الجبان .

فبرز عتبة وأخوه شيبة وابنه الوليد حميةً فقالوا : من يبارز ؟ فخرج فتية من الأنصار مشدبة ، فقال عتبة : لا نريد هؤلاء ، ولكن نبارز من بنى عننا من بنى عبد المطلب .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قم يا حمزة ، وقم يا على ، وقم يا عبدة بن الحارث بن المطلب » .

فقتل الله عتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة ، وجرح عبدة فقتلنا منهم سبعين ، وأسرونا سبعين .

وجاء رجل من الأنصار بالعباس بن عبد المطلب أسيراً ، فقال العباس : يا رسول الله الله إن هذا ما أسرنى ، لقد أسرنى رجلٌ أجْلَحَ من أحسن الناس وجهاً على فرس أبلق ما أراه في القوم . فقال الأنصارى : أنا أسرته يا رسول الله .

فقال : « اسكت ، فقد أيدك الله بملك كريم » .

قال : فأسرنا من بنى عبد المطلب العباس وعقيلاً ونوفلاً بن الحارث .

هذا سياق حسن ، وفيه شواهد لما تقدم ولما سيأتى ، وقد تفرد بالإمام أحمد ،

وروى أبو داود بعضه من حديث إسرائيل به .

ولما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم من العرش وحرّض الناس على القتال ، والناس على مصافهم صابرين ذاكرين الله كثيراً ، كما قال الله تعالى آمراً لهم « يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئةً فاثبتوا واذكروا الله كثيراً^(١) » الآية .

وقال الأموى : حدثنا معاوية بن عمرو ، عن أبي إسحاق ، قال : قال الأوزاعى : كان يقال : قلماً ثبت قومٌ قياماً ، فمن استطاع عند ذلك أن يجلس أو يفضّ طرفه ويذكر الله رجوتُ أن يسلم من الرياء .

وقال عتبة بن ربيعة يوم بدر لأصحابه : ألا ترونهم ، يعنى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، جثياً على الركب كأنهم حرس ، يتلّظون كما تتلظ الحيات ، أو قال الأفاعى .

قال الأموى فى مغازيه : وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم حين حرض المسلمين على القتال قد نقل كل امرئ ما أصاب ، وقال : « والذى نفسى بيده لا يقاتلهم اليوم رجل [فيقتل] صابراً محسباً مقبلاً غير مُذبر إلا أدخله الله الجنة » . وذكر قصة عمير ابن الحمام كما تقدم .

وقد قاتل بنفسه الكريمة قتالاً شديداً ببذنه ، وكذلك أبو بكر الصديق ، كما كانا

في العريش يجاهدان بالدعاء والتضرع ، ثم نزلا فحرّضا وحشّا على القتال ، وقاتلا بالأبدان
تجمعا بين المقامين الشريفين .

قال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، حدثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن حارثة
ابن مضرب ، عن علي ، قال : لقد رأيتنا يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو أقربنا من العدو ، وكان من أشد الناس يومئذ بأسا .

ورواه النسائي من حديث أبي إسحاق عن حارثة ، عن علي قال : كنا إذا حجي
البأس ولقي القوم اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو نعيم ، حدثنا مسعر ، عن أبي عون ، عن أبي صالح
الخنفي ، عن علي ، قال : قيل لعلي ولأبي بكر رضي الله عنهما يوم بدر : مع أحدكما
جبريل ومع الآخر ميكائيل ، وإسرافيل ملك عظيم يشهد القتال ولا يقاتل . أو قال :
يشهد الصف .

وهذا يشبه ما تقدم من الحديث : أن أبا بكر كان في الميمنة ، ولما تنزل الملائكة
يوم بدر تنزيلا ، كان جبريل على أحد المجنبتين في خمسمائة من الملائكة ، فكان في
الميمنة من ناحية أبي بكر الصديق ، وكان ميكائيل على الجنبه الأخرى في خمسمائة من
من الملائكة فوققوا في اليسرة ، وكان علي بن أبي طالب فيها .

[وفي حديث رواه أبو يعلى ، من طريق محمد بن جبير بن مطعم ، عن علي ، قال
كنت أسبح على القلب يوم بدر ، فجاءت ريح شديدة ثم أخرى ثم أخرى ، فنزل ميكائيل في ألف
من الملائكة فوق علي يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم وهناك أبو بكر ، وإسرافيل
في ألف في اليسرة وأنا فيها ، وجبريل في ألف قال : ولقد طفت يومئذ حتى
بلغ إبطي] (١) .

وقد ذكر صاحب العقد وغيره أن أنخر بيت قالته العرب قول حسان بن ثابت :
وبئير بدرٍ إذ يكفُّ مطيهم جبريلُ تحت لوائنا ومحمدُ

وقد قال البخارى : حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، حدثنا جبرير ، عن يحيى بن سعيد ،
عن معاذ بن رفاع بن رافع الزُرْقَى ، عن أبيه ، وكان أبوه من أهل بدر ، قال : جاء
جبريل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ماتعدون أهل بدر فيكم ؟ قال : من أفضل
المسلمين ، أو كلمة نحوها ، قال : وكذلك من شهد بدرًا من الملائكة .
انفرد به البخارى .

وقد قال الله تعالى : « إذ يوحى ربك إلى الملائكة أئى معكم فثبتوا الذين آمنوا ،
سألتنى فى قلوب الذين كفروا الرعب ، فاضربوا فوق الأعناق - يعنى الرؤوس -
واضربوا منهم كلَّ بنان » .

وفى صحيح مسلم من طريق عكرمة بن عمار ، عن أبي زُمَيْل ، حدثنى ابن عباس ،
قال : بينما رجل من المسلمين يشتد فى أثر رجل من المشركين أمامه ، إذ سمع ضربة
بالسوط فوقه وصوت الفارس [يقول : (١) أقدم حيزوم ، إذ نظر إلى المشرك أمامه قد
خرَّ مُستلقيا ، فنظر إليه فإذا هو [قد] (١) حُطِمَ [أنفه] (١) وشقَّ وجهه بضربة (٢) السوط
فاخضرَّ (٣) ذلك أجمع ، فجاء الأنصارى فحدث ذلك (٤) رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :
« صدقتَ ذلك من مدد السماء الثالثة . » فقتلوا يومئذ سبعين ، وأسرُوا سبعين .

قال ابن إسحاق : حدثنى عبد الله بن أبي بكر بن حزم ، عن حدثه ، عن ابن
عباس ، عن رجل من بنى غِفَار ، قال : حضرت أنا وابن عم لى بدرًا ونحن على شَرِّ كُفَا ،

(١) من صحيح مسلم . (٢) ضربة السوط .

(٣) الأصل : وحضر . بالخاء والضاد . وما أثبتته عن صحيح مسلم بشرح النووى ١٢ / ٨٦

(٤) مسلم : بذلك .

وإننا لفي جبل ننتظر الوقعة على مَنْ تكون الدائرة ^(١) ، فأقبلت سحابة ، فلما دنت من الجبل سمعنا منها حَمَمَةَ الخيل ، وسمعنا قائلاً يقول : أَقْدِمُ حَيَزُومُ : فأما صاحبي فأنكشف قِنَاعُ قلبه فمات مكانه ، وأما أنا لكِدْتُ ^(٢) أن أهلك ثم انتعشت ^(٣) بعد ذلك .

وقال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي بكر ، عن بعض بني ساعدة ، عن أبي أسيد مالك بن ربيعة ، وكان شهيد بدرًا ، قال ، بعد أن ذهب بصره : لو كنت اليومَ بيدٍ ومعى بصرى لأريتكم الشَّعْبَ الذى خرجت منه الملائكة لا أشك فيه ولا أتمارى .

فلما نزلت الملائكة ورآها إبليس وأوحى الله إليهم : « أنى معكم فثبَّتُوا الذى آمنوا » . وثبتيتهم : أن الملائكة كانت تأتى الرجلَ فى صورة الرجل يعرفه فيقول له : أبشروا فإنهم ليسوا بشيء ، والله معكم ، كُرُّوا عليهم .

وقال الواقدي : حدثني ابن أبي حبيبة ، عن داود بن الحصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : كان الملك يتصوَّر فى صورة مَنْ يعرفون فيقول : إني قد دنوت منهم وسمعتهم يقولون : لو حملوا علينا ما ثبتتنا . ليسوا بشيء . إلى غير ذلك من القول .

فذلك قوله : « إذ يوحى ربك إلى الملائكة أنى معكم فثبَّتُوا الذين آمنوا » الآية .

ولما رأى إبليسُ الملائكة نسكَّص على عقبيه وقال : « إني برىء منكم ، إني أرى مالا تَرَوْنَ » وهو فى صورة سُراقَة .

وأقبل أبو جهل يحرِّض أصحابه ويقول : لا يهولنكم خذلانُ سُراقَة إياكم ، فإنه كان على مَوعِد من محمد وأصحابه . ثم قال : واللوات والعزى لا نرجع حتى نفرِّق محمداً وأصحابه فى الجبال ، فلا تقتلوهم وخذوهم أخذاً .

(١) ابن هشام وأبو نعيم : الديرة . (٢) ابن هشام وأبو نعيم : فكنت .

(٣) ابن هشام وأبو نعيم : ثم تماسكت .

وروى البيهقي من طريق سلامة ، عن عُقيل ، عن ابن شهاب ، عن أبي حازم ، عن سهل بن سعد ، قال : قال أبو أسيد ، بعد ما ذهب بصره : يا ابن أخي والله لو كنت أنا وأنت بيدر ، ثم أطلق الله بصرى ، لأريتكَ الشعب الذى خرجت علينا منه الملائكة من غير شك ولا تمار .

وروى البخارى ، عن إبراهيم بن موسى ، عن عبد الوهاب ، عن خالد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر : « هذا جبريل آخذ برأس فرسه وعليه أداة الحرب » .

وقال الواقدي : حدثنا ابن أبي حبيبة ، عن داود بن الحصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، وأخبرني موسى بن محمد بن إبراهيم التيمي ، عن أبيه ، وحدثني عابد بن يحيى ، عن أبي الحويرث ، عن سمارة بن أكيمة اللثي ، عن عكرمة ، عن حكيم بن حزام ، قالوا : لما حضر القتال ورسول الله صلى الله عليه وسلم رافع يديه يسأل الله النصر وما وعده يقول « اللهم إنْ ظهروا على هذه العصاة ظهر الشرك ولا يقوم لك دين » وأبو بكر يقول : والله لينصرك الله وليبيضنَّ وجهك . فأنزل الله ألفا من الملائكة مُردفين عند اكتاف العدو .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أبشر يا أبا بكر هذا جبريل مُعْتَجِرٌ بعامة صفراء آخذ بعنان فرسه بين السماء والأرض ، فلما نزل إلى الأرض تغيب عنى ساعة ثم طلع وعلى ثناياه النقع يقول : أتاك نصرُ الله إذ دعوته » .

وروى البيهقي عن أبي أمامة بن سهل ، عن أبيه ، قال : يا بني لقد رأيتنا يوم بدر وإن أحدنا ليشير إلى رأس المشرك فيقع رأسه عن جسده قبل أن يعل إليه السيف .

وقال ابن إسحاق : حدثني والدى ، حدثني رجال من بنى مازن ، عن أبي واقد الليثي ، قال : إني لأتبع رجلاً من المشركين لأضربه ، فوقع رأسه قبل أن يصل إليه سيفي ، فعرفت أن غيرى قد قتله .

وقال يونس بن بُكَيْر ، عن عيسى بن عبد الله التيمي ، عن الربيع بن أنس ، قال : كان الناس يعرفون قتلَى الملائكة مَن قتلوه بضرِبٍ فوقَ الأعناقِ وعلى البَنانِ مثلَ سِمَةِ النارِ وقد أحرق به .

وقال ابن إسحاق : حدثني من لا أتهم ، عن مقسم ، عن ابن عباس ، قال : كانت سيماء الملائكة يوم بدر عمام بيضا قد أرخوها على ظهورهم إلا جبريل ، فإنه كانت عليه عمامة صفراء .

وقد قال ابن عباس : لم تقاتل الملائكةُ في يومٍ سوى يوم بدر من الأيام ، وكانوا يكونون فيما سواه من الأيام عدداً ومدداً لا يضرُّون .

وقال الواقدي : حدثني عبد الله بن موسى بن أبي أمية ، عن مصعب بن عبد الله ، عن مولى لسهيل بن عمرو ، سمعت سهيل بن عمرو يقول : لقد رأيت يومَ بدر رجلاً بيضاً على خيلٍ بُلقٍ بين السماء والأرض مُعلِّمين يَقتلون ويأسرون .

وكان أبو أسيد يحدث بعد أن ذهب بصره ، قال : لو كنتُ معكم الآن ببدرٍ ومعى بصرى ، لأريتكم الشعب الذي خرجت منه الملائكة لأشك ولا أمتري .

قال : وحدثني خارجة بن إبراهيم ، عن أبيه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل : « من القاتل يومَ بدر من الملائكة أقدم حيزوم ؟ » فقال جبريل : يا محمد ما كلَّ أهل السماء أعرف .

قلت : وهذا الأثر مرسل ، وهو يردُّ قولَ من زعم أن حيزوم اسم فرس جبريل ، كما قاله السهيلي وغيره . والله أعلم .

وقال الواقدي : حدثني إسحاق بن يحيى ، عن حمزة بن صهيب ، عن أبيه قال : فما أدري كم يدٍ مقطوعة وضربة جائفة لم يدمَ كُلمها قد رأيتها يوم بدر !

وحدثني محمد بن يحيى ، عن أبي عقيل ، عن أبي بُردة بن نيار ، قال : جئت يومَ

بدر بثلاثة أرؤس فوضعتهم بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : أما رأسان فقتلتكما ، وأما الثالث فإني رأيت رجلاً طويلاً [قتله] فأخذت رأسه .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ذاك فلان من الملائكة » .

وحدثني موسى بن محمد بن إبراهيم ، عن أبيه ، قال : كان السائب بن أبي حُبَيْش يحدث في زمن عمر يقول : والله ما أسرني أحدٌ من الناس . فيقال : فمن ؟ يقول : لما انهزمت قريش انهزمتُ معها ، فأدركني رجل أشعر طويل على فرس أبيض فأوثقني رباطاً ، وجاء عبد الرحمن بن عوف فوجدني مربوطاً فنادى في العسكر : من أسرَ هذا ؟ حتى انتهى بي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : من أسرك ؟ قلت : لا أعرفه . وكرهت أن أخبره بالذي رأيت . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أسرك ملك من الملائكة اذهب يا بن عوف بأسيرك » .

وقال الواقدي : حدثني عابد بن يحيى ، حدثنا أبو الخوَيْرِث ، عن عمارة بن أكيمة ، عن حكيم بن حزام ، قال : لقد رأيتنا يومَ بدر وقد وقعَ بِجَادٌ ^(١) من السماء قد سدَّ الأفق ، فإذا الوادي يسيل سهلاً ، فوقع في نفسي أن هذا شيء من السماء أُيِّد به محمد ، فما كانت إلا الهزيمةُ ولقيَ الملائكةُ .

[وقال إسحاق بن راهويه ، حدثنا وهب بن جرير بن حازم ، حدثني أبي ، عن محمد بن إسحاق ، حدثني أبي ، عن جبير بن مطعم ، قال : رأيت قبلَ هزيمة القوم ، والناس يقتتلون ، مثل البجاد الأسود قد نزل من السماء مثل النمل الأسود ، فلم أشك أنها الملائكة فلم يكن إلا هزيمة القوم] ^(٢) .

ولما تنزَّلت الملائكة للنصر وراهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أغفىَ إغفاءً

ثم استيقظ ، وبشّر بذلك أبا بكر وقال « أبشر يا أبا بكر هذا جبريل يقود فرسه على ثناياه النَّقْع » يعنى من المعركة .

ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من العريش فى الدّرع فجعل يحرض على القتال ، ويبشّر الناس بالجنة ويشجعهم بنزول الملائكة ، والناس بعدُ على مصافّهم لم يحملوا على عدوهم ، حصل لهم السكينة والطمانينة .

وقد حصل النعاسُ الذى هو دليلٌ على الطمانينة والثبات والإيمان ، كما قال : « إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسُ أَمْنَةً مِنْهُ » وهذا كما حصل لهم بعد ذلك يوم أحد بنص القرآن .

ولهذا قال ابن مسعود : النعاسُ فى المصافّ من الإيمان ، والنعاس فى الصلاة من النفاق .

وقال الله تعالى : « إِنْ أَسْتَفْتَحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ ، وَإِنْ تَذَنَّهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ، وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فُتُوكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَإِنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ^(١) » .

قال الإمام أحمد . حدثنا يزيد بن هارون ، حدثنا محمد بن إسحاق ، حدثني الزُّهرى ، عن عبد الله بن ثعلبة ، أن أبا جهل قال ، حين التقى القوم : اللهم أقطعنا للرحم وآتانا بما لا نعرف فأحِثَّه الغداة : فكان هو المستفتح .

وكذا ذكره ابن إسحاق فى السيرة ، ورواه النسائى من طريق صالح بن كيسان عن الزهرى ، ورواه الحاكم من حديث الزهرى أيضاً . ثم قال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

وقال الأُموى : حدثنا أسباط بن محمد القرشى ، عن عطية ، عن مطرف ، فى قوله :

« إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح » قال : قال أبو جهل : اللهم [أعن] أعزّ الفثنين ، وأكرم القبيلتين ، وأكثر الفريقين . فنزلت : « إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح » .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في قوله : « وإذ يبعثكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم » قال : أقبلت عيه أهل مكة تريد الشام ، فبلغ ذلك أهل المدينة فخرجوا ومعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدون العير .

فبلغ ذلك أهل مكة فأسرعوا إليها لكيلا يغلب عليها النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فسبقت العير رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان الله قد وعدهم إحدى الطائفتين ، وكانوا يحبون أن يلقوا العير .

وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمسلمين يريد القوم ، وكره القوم مسيرهم لشوكة القوم ؛ فنزل النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون ، وبينهم وبين الماء رملة دغصة ، ^(١) فأصاب المسلمون ضعف شديد ، وألقى الشيطان في قلوبهم الغيظ يوسوسهم تزعمون أنكم أولياء الله وفيكم رسوله ، وقد غلبكم المشركون على الماء وأنتم كذا ^(٢) .

فأمطر الله عليهم مطراً شديداً ، فشرب المسلمون وتطهروا ، فأذهب الله عنهم رجز الشيطان ، فصار الرمل لبداً ومشى الناس عليه والدواب .

فساروا إلى القوم وأيد الله نبيه والمؤمنين بألف من الملائكة ، فكان جبريل في خمسمائة من الملائكة مجنبة ، وميكائيل في خمسمائة من الملائكة مجنبة .

وجاء إبليس في جند من الشياطين ومعه ذريته وهم في صورة رجال من بني مُدَجْل ، والشيطان في صورة سراق بن مالك بن جعشم ، وقال الشيطان للشركين : « لا غالب لكم اليوم من الناس ، وإني جار لكم » .

(١) الدغصة : المستدير من الرمل . (٢) في الروايات أن بعضهم كانوا محدثين من الاحتلام .

فلما اصطَفَ الناسُ قال أبو جهل : اللهم أُولَانَا بالحق فانصره .

ورفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه فقال : « يارب إن تَهْلِكَ هذه العصابة فلن تُعبد في الأرض أبداً » .

فقال له جبريل : خذ قبضةً من التراب . فأخذ قبضةً من التراب فرمى بها وجوههم ، فما من المشركين من أحد إلا وأصاب عينيه ومنخره وفمه تراب من تلك القبضة ، فوَلَّوْا مدبرين .

وأقبل جبريل إلى إبليس فلما رآه ، وكانت يده في يد رجل من المشركين ، انتزع إبليس يده ثم وَلَّى مدبراً وشيعته ، فقال الرجل : ياسراقَة أَمَا زَعَمْتَ أَنَّكَ لَنَا جَارٌ ؟ قال : إني أرى مالا ترون ، إني أخاف الله والله شديد العقاب . وذلك حين رأى الملائكة . رواه البيهقي في الدلائل .

[وقال الطبراني : حدثنا مسعدة بن سعد العطار حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي ، حدثنا عبد العزيز بن عمران ، حدثنا هشام بن سعد ، عن عبد ربه بن سعيد بن قيس الأنصاري ، عن رفاعة بن رافع ، قال : لما رأى إبليس ما فعل الملائكة بالمشركين يوم بدر أشفق أن يُخْلَص إليه ، فتشبث به الحارث بن هشام ، وهو يظن أنه سراقَة بن مالك ، فوكز في صدر الحارث ثم خرج هارباً حتى ألقى نفسه في البحر ورفع يديه فقال : اللهم إني أسألك نظرتك إياي ، وخاف أن يخلص القتل إليه . وأقبل أبو جهل فقال يامعشر الناس لا يَهُولَنكم خذلانُ سُرَاقَة بن مالك ، فإنه كان على ميعاد من محمد ، ولا يَهُولَنكم قتل شيبَة وعُتْبَة والوليد فإنهم قد عَجَلُوا ، فواللات والعزى لا نرجع حتى نفرقهم بالجبال ، فلا ألفين رجلاً منكم قَتَلَ رجلاً ، ولكن خذوهم أخذاً حتى تعرفوهم سوء صنيعهم ، من مفارقتهم إياكم ورغبتهم عن اللات والعزى .

ثم قال أبو جهلا متمثلاً :

ماتتكم الحربُ الشَّمُوسُ مِنِّي بازِلُ عامِينَ حَدِيثٌ سَنِي

لمثل هذا ولدتني أُمِّي^(١)

وروى الواقدي ، عن موسى بن يعقوب الزمعي ، عن أبي بكر بن أبي سليمان ، عن أبي حنمة ، سمعت مروان بن الحكم يسأل حكيم بن حزام عن يوم بدر ، فجعل الشيخ يكره ذلك ، فألحَّ عليه فقال حكيم : التقينا فاقتلنا ، فسمعت صوتاً وقع من السماء إلى الأرض مثل وقعة الحصاة في الطست ، وقبض النبي صلى الله عليه وسلم القبضة التراب فرمى بها فانهزمنا .

قال الواقدي : وحدثنا إسحاق بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله ، عن عبد الله بن ثعلبة بن صُقَيْر^(٢) ، سمعت نوفل بن معاوية الديلمي يقول : انهزمنا يوم بدر ونحن نسمع صوتاً كوقع الحصى في الطاس في أفئدتنا ومن خلفنا ، وكان ذلك من أشدَّ الرعب علينا .

وقال الأموي : حدثنا أبي ، حدثنا ابن أبي إسحاق ، حدثني الزهري ، عن عبد الله ابن ثعلبة بن صُقَيْر ، أن أبا جهل حين التقى القوم قال : اللهم أقطعنا للرحم وآتانا بما لا نعرف فأحنه الغداة . فكان هو المستفتح .

فبينما هم على تلك الحال ، وقد شجع الله المسلمين على لقاء عدوهم وقلَّهم في أعينهم حتى طمعوا فيهم ، خفق رسول الله صلى الله عليه وسلم خفقةً في العريش ثم انتبه فقال : « أبشر يا أبا بكر هذا جبريل مُعْتَجِرٌ بعامتة آخذ بعِصَمَانِ فرسه يقوده ، على ثنأياه النَّقْعُ ، أتاك نصر الله وعِدَّتُهُ » .

(١) سقط من أ (٢) المطبوعة : صغير . وهو خطأ .

وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ كفًّا من الحصى بيده ، ثم خرج فاستقبل القوم فقال : « شأهت الوجوه » ثم نفحهم بها ، ثم قال لأصحابه : احمولوا .

فلم تكن إلا الهزيمة ، فقتل الله من قُتل من صناديدهم ، وأسر من أسر منهم .
وقال زياد عن ابن إسحاق : ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ حفنة من الحصباء فاستقبل بها قريشاً ثم قال : « شأهت الوجوه » ثم نفحهم بها وأمر أصحابه فقال : « شدُّوا » فكانت الهزيمة ، فقتل الله من قتل من صناديد قريش ، وأسر من أسر من أسرافهم .

وقال السدِّي الكبير : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلّ يوم بدر : « أعطى حصباء من الأرض » فناولوه حصباء عليها تراب ، فرمى به في وجوه القوم فلم يبقَ مشرك إلا دخل في عينيه من ذلك التراب شيء ، ثم ردّ فيهم المسلمون يقتلونهم ويأسرونهم ، وأنزل الله في ذلك : « فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ، وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى » .

وهكذا قال عروة وعكرمة ومجاهد ومحمد بن كعب ومحمد بن قيس وقتادة وابن زيد وغيرهم : إن هذه الآية نزلت في ذلك يوم بدر .

وقد فعل عليه السلام مثل ذلك في غزوة حنين . كما سيأتى في موضعه إذا انتهينا إليه إن شاء الله وبه الثقة .

وذكر ابن إسحاق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حرّض أصحابه على القتال ورمى المشركين بما رماهم به من التراب وهزمهم الله تعالى ، صعد إلى العريش أيضاً ومعه أبو بكر ، ووقف سعد بن معاذ ومن معه من الأنصار على باب العريش ومعهم السيوف خيفة أن تكرّر راجعة من المشركين إلى النبي صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : ولما وضع القوم أيديهم يأسرون ، رأى رسول الله صلى الله

عليه وسلم ، فيما ذكر لي ، في وجه سعد بن معاذ الكراهية لما يصنع الناس ، فقال له : « كَأَنِّي بَكَ يَا سَعْدُ تَكْرَهُ مَا يَصْنَعُ الْقَوْمُ ؟ » قال : أَجَلُ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، كَانَتْ أَوَّلُ وَقْعَةٍ أَوْقَعَهَا اللَّهُ بِأَهْلِ الشَّرْكِ ، فَكَانَ الْإِثْمَانُ فِي الْقَتْلِ أَحَبَّ إِلَى مَنْ اسْتَبَقَاءَ الرِّجَالَ .

قال ابن إسحاق : وحدثني العباس بن عبد الله بن معبد ، عن بعض أهله ، عن عبد الله بن عباس ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه يومئذ « إِنِّي قَدْ عَرَفْتُ أَنَّ رِجَالَ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ وَغَيْرِهِمْ قَدْ أُخْرِجُوا كُرْهًا لَا حَاجَةَ لَهُمْ بِقِتَالِنَا ، فَمَنْ لَقِيَ مِنْكُمْ أَحَدًا مِنْ بَنِي هَاشِمٍ فَلَا يَقْتُلْهُ ، وَمَنْ لَقِيَ أَبَا الْبَخْتَرِيِّ بْنَ هِشَامٍ بْنَ الْحَارِثِ بْنِ أَسَدٍ فَلَا يَقْتُلْهُ ، وَمَنْ لَقِيَ الْعَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عَمَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَا يَقْتُلْهُ ، فَإِنَّهُ إِنَّمَا خَرَجَ مُسْتَكْرَهًا » .

فقال أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة : أَنْقَتِلْ آبَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا وَإِخْوَانَنَا وَنَتْرِكِ الْعَبَّاسَ ، وَاللَّهُ لَنَنْ لَقِيْتَهُ لِأَلْحَمَتِهِ بِالسَّيْفِ .

فبلغت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لعمر : « يَا أَبَا حَفْصٍ » قال عمر : وَاللَّهِ إِنَّهُ لِأَوَّلُ يَوْمٍ كُنَّا فِيهِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَبِي حَفْصٍ ، « أَيُضْرَبُ وَجْهُ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ بِالسَّيْفِ ! » .

فقال عمر : يَا رَسُولَ اللَّهِ دَعْنِي فَلَا تُضْرَبُ عُنُقُهُ بِالسَّيْفِ فَوَاللَّهِ لَقَدْ نَافَقَ .

فقال أبو حذيفة : مَا أَنَا بِأَمِنْ مِنْ تِلْكَ الْكَلِمَةِ الَّتِي قُلْتَ يَوْمَئِذٍ ، وَلَا أَزَالُ مِنْهَا خَائِفًا إِلَّا أَنْ تَكْفُرَهَا عَنِّي الشَّهَادَةُ . فَقُتِلَ يَوْمَ الْيَمَامَةِ شَهِيدًا . رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

مَقْتُلُ أَبِي الْبَخْتَرِيِّ بْنِ هِشَامٍ

قال ابن إسحاق : وَإِنَّمَا نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ قَتْلِ أَبِي الْبَخْتَرِيِّ

لأنه كان أكفّ القوم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة . كان لا يؤذيه ولا يبلغه عنه شيء يكرهه ، وكان ممن قام في نقض الصحيفة ، فلقبه المجذّر بن زياد البكوى حليف الأنصار فقال له : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهانا عن قتلك . ومع أبي البختري زميل له خرج معه من مكة ، وهو جُنادة بن نعلية وهو من بني ليث . قال : وزميلي ؟ فقال له المجذّر : لا والله ما نحن بتاركى زميلك ، ما أمرنا رسول الله إلا بك وحدك ، قال : لا والله إذاً لأموتن أنا وهو جميعا ، لا يتحدث عنى نساء قريش بمكة أنى تركت زميلي حرصاً على الحياة !

وقال أبو البختري وهو ينازل المجذّر :

لن يترك^(١) ابن حرة زميله حتى يموت أو يرى سبيله

قال : فاقنتلا فقتله المجذّر بن زياد . وقال في ذلك :

إما جهلت أو نسيت نسي الطاعنين برماح اليزنى
فأثبت النسبة إني من بلي والطاعنين^(٢) الكبش حتى ينحنى
بشرؤيتهم من أبوه البختري أو بشرن بمثلها منى بني
أنا الذي يقال أصلى من بلي أطمعن بالصعدة^(٣) حتى تنثنى
وأعبط القرن بعضب مشرفى أرزم للموت كإرزام المرى^(٤)
فلا ترى مجذراً يفرى فرى^(٥)

ثم أتى المجذّر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : والذي بعثك بالحق لقد جهدت عليه أن يستأسر فأتيك به فأبى إلا أن يقاتلنى ، فقاتلته فقتلته .

(١) ابن هشام : لن يسلم (٢) ابن هشام : الضاريين (٣) الصعدة : الرمح .
(٤) أعبط : أقتل . والقرن : النظير في الحرب . والعضب : السيف القاطع . وأرزم : أحن . والمرى :
التي يستنزل لبها على عسر . (٥) يفرى فرى : يصنع صنعى

فصل

في مقتل أمية بن خلف

قال ابن إسحاق ، وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه . وحدثني أمية بن عبد الله بن أبي بكر وغيرهما ، عن عبد الرحمن بن عوف ، قال : كان أمية بن خلف لي صديقاً بمكة ، وكان اسمي عبد عمرو فتسميت حين أسلمت عبد الرحمن ، فكان يلقيني ونحن بمكة فيقول : يا عبد عمرو أرغبت عن اسم سماك أموك ؟ قال : فأقول : نعم . قال ^(١) : فإني لا أعرف الرحمن ، فأجعل بيني وبينك شيئاً أدعوك به ، أما أنت فلا تجيئني باسمك الأول ، وأما أنا فلا أدعوك بما لا أعرف . قال : وكان إذا دعاني يا عبد عمرو لم أجبه . قال : فقلت له : يا أبا علي اجعل ماشئت . قال : فأت عبد الإله . قال : قلت : نعم .

قال : فكنت إذا مررت به قال : يا عبد الإله . فأجيبه فأنتحدث معه .

حتى إذا كان يوم بدر مررت به وهو واقف مع ابنه علي وهو آخذ بيده ، قال : ومعى أذراع لي قد استلبتها فأنا أحملها ، فلما رأيته قال : يا عبد عمرو فلم أجبه ، فقال : يا عبد الإله . فقلت : نعم . قال : هل لك في فأنا خير لك من هذه الأذراع التي معك ؟ قال : قلت : نعم ها الله ^(٢) .

قال : فطرحته الأذراع من يدي وأخذت بيده ويده ابنه ، وهو يقول ما رأيت كالיום قط ، أما لكم حاجة في اللبن ^(٣) ؟ ثم خرجت أمشي بهما .

قال ابن إسحاق : حدثني عبد الواحد بن أبي عون ، عن سعد بن إبراهيم ، عن

(١) ابن هشام : فيقول . (٢) ابن هشام : ها الله ذا . وها : حرف تنبيه ولفظ الجلالة مجرور بحرف قسم مضمّر قام التنبيه مقامه . (٣) قال ابن هشام : يريد باللبن أن من أسرنى اختدعت منه بإبل كثيرة اللبن .

أبيه ، عن عبد الرحمن بن عوف ، قال : قال لى أمية ابن خلف وأنا بينه وبين ابه آخذاً بأيديهما : يا عبد الإله من الرجلُ منكم المُعَلَّم بريشه نعمة في صدره ؟ قال : قلت : حمزة قال : ذاك الذى فعل بنا الأفاعيل .

قال عبد الرحمن : فوالله إني لأقودها إذ رآه بلال معى ، وكان هو الذى يعذب بلالاً بمسكة على الإسلام ، فلما رآه قال : رأسُ الكفر أمية بن خلف ، لا نجوتُ إن نجا . قال قلت : أى بلال ، أسيرى ، قال : لا نجوتُ إن نجا . قال : ثم صرخ بأعلى صوته : يا أنصار الله ، رأسُ الكفر أمية بن خلف ، لا نجوتُ إن نجا . فأحاطوا بنا حتى جعلونا في مثل المسكة^(١) فانا أذبُّ عنه ، قال : فأخلف رجلُ السيف فضرب رجلَ ابنه فوقع ، وصاح أمية صيحةً ما سمعتُ بمثله قط . قال : قلت : انجُ بنفسك ولا نجاء [بك]^(٢) ، فوالله ما أغنى عنك شيئاً . قال : فهبروها بأسياهم حتى فرغوا منها . قال : فكان عبد الرحمن يقول : يرحم الله بلالا ، فجئنى بأدراعى وبأسيرى !

وهكذا رواه البخارى في صحيحه قريباً من هذا السياق ، فقال في الوكالة : حدثنا عبد العزيز ، هو ابن عبد الله ، حدثنا يوسف ، هو ابن الماجشون ، عن صالح بن ابراهيم ابن عبد الرحمن بن عوف ، عن أبيه ، عن جده عبد الرحمن بن عوف ، قال : كاتبُ أمية ابن خلف كتاباً بأن يحفظنى في صاغيتى^(٣) بمكة وأحفظه في صاغيته بالمدينة ، فلما ذكرتُ الرحمن قال : لا أعرف الرحمن ، كاتبنى باسمك الذى كان في الجاهلية . فكاتبته عبد عمرو ، فلما كان يوم بدر خرجت إلى جبل لأحرزه حين نام الناس فأبصره بلال فخرج حتى وقف على مجلس [من] الأنصار فقال : أمية بن خلف ؟ ! لا نجوتُ إن نجا أمية بن خلف .

فخرج معه فريق من الأنصار في آثارنا ، فلما خشيت أن يلحقونا خلقت لهم ابنه

(١) المسكة : السوار ، أى أحدقوا بهم . (٢) من ابن هشام . (٣) صاغيتى : خاصتى .

لأشفلهم فقتلوه ، ثم أتوا حتى تبعونا وكان رجلاً ثقيلاً ، فلما أدركونا قلت له : ابرك . فبرك .
فألقيت عليه نفسي لأمنعه ، فتخللوه بالسيوف من تحتي حتى قتلوه ، وأصاب أحدهم رجلى
بسيفه ، فكان عبد الرحمن بن عوف يرينا ذلك في ظهر قدمه .

سمع يوسف صالحاً وإبراهيم أباه .

تفرد به البخارى من بينهم كلهم . وفي مسند رفاعة بن رافع أنه هو الذى قتل
أمية بن خلف .

مقتل أبى جهل لعنه الله

قال ابن هشام : وأقبل أبو جهل يومئذ يرتجز [وهو يقاتل] ^(١) ويقول :

ما تنقِمُ الحربُ العَوَانُ متى بازلُ عامين حديثٌ سنَى

لمثل هذا ولدتنى أُمى

قال ابن إسحاق : ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من عدوه أمر بأبى جهل
أن يُلْتَمَسَ فى القتلى .

وكان أول من لقي أبا جهل كما حدثنى ثور بن زيد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس
وعبد الله بن أبى بكر أيضاً ، قد حدثنى ذلك ، قالوا : قال معاذ بن عمرو بن الجموح
أخو بنى سلمة : سمعت القوم وأبو جهل فى مثل الحرجة ^(٢) وهم يقولون : أبو الحكم
لا يُخلَصُ إليه .

فلما سمعتها جعلته من شأنى فصمَدْتُ نحوه ، فلما أمكفنى حملت عليه فضر بته ضربةً
أطنت ^(٣) قدمه بنصف ساقه ، فوالله ما شبَّهتها حين طاحت إلا بالنواة تطيح من تحت
مرْضَخَةِ النَّوَى حين يُضرب بها . قال : وضر بنى ابنه عكرمة على عاتقى فطرح يدى

(١) من ابن هشام . (٢) قال ابن هشام : الحرجة : الشجر الملتف . (٣) أطنت : أطارت .

فتملقت بجلدة من جنبي ، وأجهضني^(١) القتالُ عنه ، فلقد قاتلتُ عامةَ يومي وإني لأسحبها خلفي ، فلما آذنتني وضعت عليها قدمي ثم تمطيت بها عليها حتى طرحتها .

قال ابن إسحاق : ثم عاش بعد ذلك حتى كان زمن عثمان .

ثم مرَّ بأبي جهل ، وهو عَقِير ، مُعَوِّذُ بن عَفْرَاءَ فضر به حتى أثبتته ، وتركه وبه رَمَقٌ ، وقاتل معوذ حتى قُتل .

فر عبد الله بن مسعود بأبي جهل ، حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يلتبس في القتلى ، وقد قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما بلغني : انظروا إن خفي عليكم في القتلى إلى أثر جرح في ركبته ، فإني ازدحت أنا وهو يوماً على مأذبة لعبد الله بن جُدْعَانٍ ونحن غلامان وكنت أشفَّ منه ييسير ، فدفعته فوق علي ركبتيه فجَحَّشَ^(٢) في أحدهما جَحْشًا لم يزل أثره به .

قال ابن مسعود : فوجدته بآخر رمق فعفرته ، فوضعت رجلي على عنقه . قال : وقد كان ضَبَّ بِي^(٣) مرةً بمسكة فأذاني ولكرني ، ثم قلت له : هل أخزأك الله ياعدو الله ؟ قال : وبماذا أخزاني [قال^(٤)] أَعْمَدُ من رجل قتلتموه^(٥) . أخبرني لمن الدائرة اليوم ؟ قال : قلت لله ولرسوله .

قال ابن إسحاق : وزعم رجال من بني تَحْزُوم أن ابن مسعود كان يقول : قال لي : لقد ارتقيت مُرْتَقَى صَعْبًا يَارُوَيْعِي الغنم . ثم احتزرتُ رأسه ، ثم جثت به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : يارسول الله هذا رأسُ عدو الله . فقال : « آله الذي لا إله غيره ؟ » . وكانت يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقلت : نعم والله الذي لا إله غيره . ثم ألقيتُ رأسه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله .

(١) أجهضني : غلبني . (٢) جحش : انخدش . (٣) ضب : قبض عليه ولزمه .

(٤) ليست في ابن هشام . (٥) ابن هشام : أعمد من رجل قتله قومه .

هكذا ذكر ابن إسحاق رحمه الله .

وقد ثبت في الصحيحين من طريق يوسف بن يعقوب بن الماسجون ، عن صالح ابن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، عن أبيه ، عن عبد الرحمن بن عوف ، قال : إني لواقفٌ يومَ بدر في الصف ، فنظرت عن يميني وشمالى ، فإذا أنا بين غلامين من الأنصار حديثه أسنانهما ، فتمنيت أن أكون بينَ أَظْلَع^(١) منهما ، فغمزنى أحدهما فقال : يا عم أتعرف أبا جهل ؟ فقلت : نعم وما حاجتك إليه ؟ قال : أخبرت أنه بسب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والذي نفسى بيده لئن رأيته لا يفارق سوادى سواده حتى يموت الأعجلُ منا . فتمعجت لذلك ، فغمزنى الآخر فقال لى أيضاً مثلهما . فلم أنشب أن نظرت إلى أبى جهل وهو يحول فى الناس ، فقلت : ألا ترى أن هذا صاحبكم الذى تسألان عنه . فابتدراه بسيفيهما فضرباه حتى قتلاه ، ثم انصرفا إلى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبراه فقال : « أَيْكَمَا قَتَلَهُ ؟ » . قال كلُّ منهما : أنا قتلاته . قال : « هل مسَحْتُمَا سيفيَكما ؟ » قالَا : لا . قال : فنظر النبى صلى الله عليه وسلم فى السيفين فقال : « كلاهما قتله » وقضى بسكبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح ، والآخر معاذ بن عَفْرَاء . وقال البخارى : حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا ابراهيم بن سعد ، عن أبيه عن جده ، قال : قال عبد الرحمن : إني لفي الصف يوم بدر إذ التفتُ فإذا عن يميني وعن سارى فتیان حديثا السن ، فكأننى لم آمَنُ بمكانهما إذ قال لى أحدهما سرًّا من صاحبه : يا عم أرنى أبا جهل . فقلت : يا بن أخى ما تصنع به ؟ قال : عاهدتُ الله إن أَيْتَهُ أن أقتله أو أموت دونه . وقال لى الآخر سرًّا من صاحبه مثله . قال : فما سرِّنى ننى بين رجلين مكانهما ، فأشرت لهما إليه ، فشَدَّا عليه مثل الصقرين حتى ضرباهما ابنا عفراء .

(١) أَظْلَع : أضعف .

وفى الصحيحين أيضا من حديث أبي سليمان التيمي ، عن أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله صلى عليه الله وسلم « من ينظر ماذا صنع أبو جهل ؟ » قال ابن مسعود : أنا يا رسول الله . فانطلق فوجده قد ضربه ابنا عقرء حتى برد . قال : فأخذ بلحيته قال فقلت : أنت أبو جهل ؟ فقال : وهل فوق رحل قتلتموه . أو قال : قتله قومه !

وعند البخارى ، عن أبي أسامة ، عن إسماعيل بن قيس ، عن ابن مسعود ، أنه أتى أبا جهل فقال : هل أخراك الله ؟ فقال : هل اعمد من رجل قتلتموه !

وقال الأعمش ، عن أبي إسحاق ، عن أبي عبيدة ، عن عبد الله ، قال : انتهيت إلى أبي جهل وهو صريع وعليه بيضة ومعه سيف جيد ، ومعى سيف ردىء ، فجعلت أنقف رأسه بسيفي وأذكر نَقْعًا كان ينقف رأسى بمكة حتى ضعفت ^(١) يده ، فأخذت سيفه فرفع رأسه فقال : على من كانت الدائرة ، لنا أو علينا ؟ ألسن رؤيعينا بمكة ؟

قال : فقتلته ، ثم أتيت النبي صلى الله عليه وسلم ، فقلت : قتلت أبا جهل . فقال : الله الذى لا إله إلا هو ؟ فاستحلفنى ثلاث مرات . ثم قام معى إليهم فدعا عليهم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، حدثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن أبي عبيدة ، قال : قال عبد الله : انتهيت إلى أبي جهل يوم بدر وقد ضربت رجله وهو يذب الناس عنه بسيف له ، فقلت : الحمد لله الذى أخراك الله يا عدو الله . قال : هل هو إلا رجل قتله قومه !

فجعلت أتناوله بسيف لى غير طائل ، فأصبت يده ، فندر ^(٢) سيفه ، فأخذته فضربته حتى قتلتته .

قال : ثم خرجت حتى أتيت النبي صلى الله عليه وسلم كأنما أقول ^(٣) من الأرض فأخبرته فقال : « الله الذى لا إله إلا هو ؟ » فرددها ثلاثا . قال : قلت : الله الذى لا إله إلا هو .

(١) : صفت . (٢) : ندر : سقط . (٣) : أقول : أحمل .

قال : فخرج يمشى معى حتى قام عليه فقال : « الحمد لله الذى قد أخزأك الله يا عدوَّ الله ، هذا كان فرعون هذه الأمة » .

وفى رواية أخرى قال ابن مسعود : فَتَقَلَّنِي سَيِّقَهُ .

وقال أبو إسحاق الفزاريّ ، عن الثوري ، عن أبي إسحاق ، عن أبي عبيدة ، عن ابن مسعود قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر فقلت : قد قتلت أبا جهل فقال : « آله الذى لا إله إلا هو ؟ » فقلت : آله الذى لا إله إلا هو مرتين ، أو ثلاثا .

قال : فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « الله أكبر ، الحمد لله الذى صدق وعده ، ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده » ثم قال : « انطلق فأرنيه ، فانطلقت فأريته ، فقال : « هذا فرعون هذه الأمة » .

ورواه أبو داود والنسائي من حديث أبي إسحاق السَّبَّيْعِيِّ به .

وقال الواقدي : وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على مَصْرَع ابني عَفْرَاء فقال : « رحم الله ابنيَّ عفراء ، فهما شركاء فى قتل فرعون هذه الأمة ورأس أئمة الكفر » فقيل : يا رسول الله ومن قتله معهما ؟ قال : « الملائكة » ، وابن مسعود قد شَرِكَ فى قتله .
رواه البيهقي .

وقال البيهقي : أخبرنا الحاكم ، أخبرنا الأصمّ ، حدثنا أحمد بن عبد الجبار ، حدثنا يونس بن بُكَيْر ، عن عَنبَسَةَ بن الأزهر ، عن أبي إسحاق ، قال : لما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم البشيرُ يوم بدر بقتل أبي جهل استحلفه ثلاثة أيمان بالله الذى لا إله إلا هو لقد رأيته قتيلا ؟ فحلف له ، فخر رسول الله صلى الله عليه وسلم ساجداً .

ثم روى البيهقي من طريق أبي نُعَيْم ، عن سلمة بن رجاء ، عن الشَّعْثَاء ، امرأة من بني أسد ، عن عبد الله بن أبي أَوْفَى ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى ركعتين حين بُشِّرَ بالفتح وحين جرىء برأس أبي جهل .

وقال ابن ماجه : حدثنا أبو بشر بكر بن خلف ، حدثنا سلمة بن رجاء ، قال حدثني شعثة ، عن عبد الله بن أبي أوفى ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى يوم بُشِّرَ برأس أبي جهل ركعتين .

وقال ابن أبي الدنيا : حدثنا أبي ، حدثنا هشام ، أخبرنا مجالد ، عن الشعبي ، أن رجلاً قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إني مررت ببدر فرأيت رجلاً يخرج من الأرض فيضربه رجل بمقمة معه حتى يغيب في الأرض ، ثم يخرج فيفعل به مثل ذلك مراراً . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ذاك أبو جهل بن هشام ، يعذب إلى يوم القيامة .

وقال الأُموي في مغازيه : سمعت أبي ، حدثنا المجالد بن سعيد ، عن عامر ، قال جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : فقال إني رأيت رجلاً جالساً في بدر ورجل يضرب رأسه بعمود من حديد حتى يغيب في الأرض ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ذاك أبو جهل وكل به ملائكة يفعل به كلما خرج ، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة » .

وقال البخاري : حدثنا عبيد بن إسماعيل ، حدثنا أبو أسامة ، عن هشام ، عن أبيه قال : قال الزبير : لقيت يوم بدر عبيدة بن سعيد بن العاص وهو مدجج لا يرى منه إلا عيناه ، وهو يُكنى أبا ذات الكرش ، فقال : أنا أبو ذات الكرش ، فحملت عليه بعزة قطعته في عينه فمات . قال هشام : فأخبرت أن الزبير قال : لقد وضعت رجلي عليه ثم تمطيت ، فكان الجهد أن نزعتها وقد انثنى طرفاها ، قال عروة : فسأله إياها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاه إياها ، فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذها ثم طلبها أبو بكر فأعطاه إياها ، فلما قبض أبو بكر سأله إياه عمر بن الخطاب فأعطاه إياها ، فلما قبض عمر أخذها ، ثم طلبها عثمان منه فأعطاه إياها ، فلما قتل عثمان وقعت عند آل علي فطلبها عبد الله بن الزبير فكانت عنده حتى قتل .

وقال ابن هشام : حدثني أبو عبيدة وغيره من أهل العلم بالمغازي ، أن عمر بن الخطاب قال لسعيد بن العاص ، ومرّ به ؛ إني أراك كأن في نفسك شيئا ، أراك تظن أني قتلت أباك ؟ إني لو قتلت لم أعتذر إليك من قتله ، ولكني قتلتُ خالي العاص بن هشام بن المغيرة ، فأما أبوك فإني مررت به وهو يبحث بحث الثور برّوقه ، فجذتُ عنه وقصد له ابنُ عمه عليّ فقتله .

قال ابن إسحاق : وقاتل عُكاشة بن مُخَصَّن بن حرثان الأسدي حليف بني عبد شمس يوم بدر بسيفه حتى انقطع في يده فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاه جَدَلًا من حطب فقال : « قاتل بهذا يا عكاشة » .

فلما أخذه من رسول الله صلى الله عليه وسلم هزّة فعاد سيفاً في يده طويل القامة شديد المتن أبيض الحديد ، فقاتل به حتى فتح الله على المسلمين ، وكان ذلك السيف يسمّى العَوْن ، ثم لم يزل عنده يشهد به المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قتله طليحة الأسدي أيام الردة ، وأنشد طليحة في ذلك قصيدة منها قوله :

عُشِيَّة غادرتُ ابنَ أفرَمَ ثاوياً وعُكاشة الغنمي عند مجال

وقد أسلم بعد ذلك طليحة ، كما سيأتي بيانه .

قال ابن إسحاق : وعُكاشة هو الذي قال حين بشر رسول الله صلى الله عليه وسلم أمته بسبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب : ادع الله أن يجعلني منهم قال : « اللهم اجعله منهم » .

وهذا الحديث مخرّج في الصحاح والحسان وغيرها .

قال ابن إسحاق : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما بلغني - « منا خيرُ فارسٍ في العرب » قالوا : ومن هو يا رسول الله ؟ قال « عُكاشة بن مُخَصَّن » فقال ضرار

ابن الأزرور : ذاك رجل منا يارسول الله . قال : ليس منكم ، ولكنه منا للحِلف .

وقد روى البيهقي ، عن الحاكم ، من طريق محمد بن عمر الواقدي ، حدثني عمر بن عثمان الخشني ، عن أبيه ، عن عمته ، قالت : قال عكاشة بن محصن : انقطع سيفي يوم بدر فأعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم عوداً فإذا هو سيف أبيض طويل ، فقاتلت به حتى هزم الله المشركين ، ولم يزل عنده حتى هلك .

وقال الواقدي : وحدثني أسامة بن زيد ، عن داود بن الحصين ، عن رجال من بني عبد الأشهل ، عِدَّة ، قالوا : انكسر سيفُ سلمة بن حريش يوم بدر ، فبقى أعزل لا سلاح معه ، فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم قضيباً كان في يده من عراجين ابنِ طاب ^(١) فقال : اضرب به . فإذا سيفٌ جيد ، فلم يزل عنده حتى قتل يوم جِسر أبي عبيدة .

ردّه عليه السلام عين قتادة

قال البيهقي في الدلائل : أخبرنا أبو سعد الماليني ، أخبرنا أبو أحمد بن عدي ، حدثنا أبو يعلى ، حدثنا يحيى الحماني ، حدثنا عبد العزيز بن سليمان بن الفسيل ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، عن أبيه ، عن جده قتادة بن النعمان ، أنه أصيبت عينه يوم بدر فسالت حدقته على وجنته ، فأرادوا أن يقطعوها فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « لا » فدعاه فغمز حدقته براحتة ، فكان لا يدرى أىّ عينيه أصيب !

وفي رواية : فكانت أحسن عينيه .

وقد روينا عن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز أنه لما أخبره بهذا الحديث عاصم ابن عمر بن قتادة وأنشد مع ذلك :

(١) ابن طاب : ضرب من الرطب .

أنا ابنُ الذي سألتَ على الخدِّ عينُهُ فرُدَّتْ بكفُّ المصطفى أيَّما رَدَّ
فقال عمر بن عبد عبد العزيز رحمه الله عند ذلك ، منشدا قول أمية بن أبي الصلت
في سيف بن ذى يزن ، فأنشده عمر في موضعه حقا :
تلك المكارمُ لا قَعْبَانُ من لبِنٍ شَيْبَاً بماءِ فعادا بعدُ أبوالا

فصل في قصة أخرى شبيهة بها

قال البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرنا محمد بن صالح ، أخبرنا الفضل بن
محمد الشَّعْرَانِي ، حدثنا إبراهيم بن المنذر ، أخبرنا عبد العزيز بن عمران ، حدثني رفاعة بن
يحيى ، عن معاذ بن رفاعة بن رافع ، عن أبيه رافع بن مالك ، قال : لما كان يوم بدر
تجمع الناس على أبي بن خلف ، فأقبلتُ إليه فنظرتُ إلى قطعة من درعه قد انقطعت من
تحت إبطه ، قال : فطعنته بالسيف فيها طعنة ، ورُميت بسهم يوم بدر ، ففُقِئت عيني ،
فبصق فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا لي ، فما آذاني منها شيء .
وهذا غريب من هذا الوجه ، وإسناده جيد ولم يخرجوه . ورواه الطبراني من
حديث إبراهيم بن المنذر .

قال ابن هشام : ونادى أبو بكر ابنه عبد الرحمن ، وهو يومئذ مع المشركين لم يُسلم
بعد ، فقال : أين مالي يا خبيث ؟ فقال عبد الرحمن :
لم يَبْقَ إِلَّا شَكَّةٌ وَيَعْبُوبٌ وَصَارُمٌ يَقْتُلُ ضُلَّالَ الشَّيْبِ
يعنى لم يبق إلا عدة الحرب وحصان وهو اليعبوب ، يقاتل عليه شيوخ الضلالة .
هذا يقوله في حال كفره .

وقد روينا في مغازي الأموى ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل يمشى هو

وأبو بكر الصديق بين القتلى ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « نَفَّاقٌ هَامَأٌ » :
فيقول الصديق :

مِنْ رِجَالٍ أَعِزَّةٍ عَلَيْنَا ، وَهُمْ كَانُوا أَعْقَ وَأَظْلَمًا !

ذكر طرح رءوس الكفر في بئر يوم بدر

قال ابن إسحاق : وحدثني يزيد بن رومان ، عن عروة ، عن عائشة ، قالت : لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقتلى أن يطرحوا في القليب ، طُرحوا فيه ، إلا ما كان من أمية بن خلف فإنه انتفخ في درعه فلاأها ، فذهبوا ليخرجوه فتزابل [لحمه] فأقرّوه وألقوا عليه ماغييه من التراب والحجارة .

فلما ألقاهم في القليب وقف عليهم فقال : « يا أهل القليب ، هل وجدتم ماوعدكم ربكم حقاً ، فإنني قد وجدت ماوعدني ربي حقاً ؟ » .

قالت فقال له أصحابه : يا رسول الله أتكلم قوماً موتى ؟ !
فقال : « لقد علموا أن ماوعدهم ربهم حق » .

قالت عائشة : والناس يقولون : لقد سمعوا ماقلت لهم . وإنما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد علموا .

قال ابن إسحاق : وحدثني حميد الطويل ، عن أنس بن مالك ، قال : سمع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم رسول الله من جوف الليل وهو يقول « يا أهل القليب ، يا عتينا ابن ربيعة ، ويا شيبه بن ربيعة ، ويا أمية بن خلف ، ويا أبا جهل بن هشام ، فعدّد من كان منهم في القليب ، هل وجدتم ماوعد ربكم حقاً فإنني قد وجدت ماوعدني ربي حقاً .

فقال المسلمون : يا رسول الله أتنادي قوماً قد جيّفوا ؟ .

فقال : « ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ، ولكنهم لا يستطيعون أن يحيبوني » .
وقد رواه الإمام أحمد عن ابن أبي عدي ، عن حميد ، عن أنس . فذكر نحوه . وهذا
على شرط الشيخين .

قال ابن إسحاق : وحدثني بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
يا أهل القلب بئس عشيرة النبي كنتم لنبيكم ، كذبتموني وصدقني الناس ، وأخترتموني
وأوآنى الناس ، وقالتتموني ونصرني الناس ؛ هل وجدتكم ما وعدكم ربيكم حقا ؟ فإني قد وجدت
ما وعدني ربي حقا » .

قلت : وهذا مما كانت عائشة رضي الله عنها تتأوله من الأحاديث ، كما قد جُمع
ما كانت تتأوله من الأحاديث في جزء ، وتعتقد أنه معارض لبعض الآيات .

وهذا المقام مما كانت تعارض فيه قوله : « وما أنت بمسمعٍ من في القبور » وليس
هو بمعارض له ، والصواب قول الجمهور من الصحابة ومن بعدهم ، للأحاديث الدالة نصاً
على خلاف ما ذهب إليه رضي الله عنها وأرضاها .

وقال البخاري : حدثنا عبيد بن إسماعيل ، حدثنا أبو أسامة ، عن هشام بن عروة ،
عن أبيه قال : ذكر عند عائشة أن ابن عمر رفع إلى النبي صلى الله عليه وسلم أن الميت
يعذب في قبره ببكاء أهله . فقالت : رحمه الله ! إنما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنه
ليعذب بخطيئته وذنبه ، وإن أهله ليكون عليه الآن » .

قالت : وذلك مثل قوله : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام على القلب وفيه قتلى
بدر من المشركين ، فقال لهم ما قال ، قال : إنهم ليسمعون ما أقول . وإنما قال : « إنهم
الآن ليعلمون أن ما كنت أقول لهم حق » ثم قرأت : « إنك لا تسمع الموتى »
و « ما أنت بمسمعٍ من في القبور » تقول : حين تبوأوا مقاعدكم من النار .
وقد رواه مسلم عن أبي كريب عن أبي أسامة به .

وقد جاء التصريح بسماع الميت بعد دفنه في غير ما حديث ، كما سنقرر ذلك في كتاب الجنائز من الأحكام الكبير إن شاء الله .

ثم قال البخارى : حدثني عثمان ، حدثنا عُبَيْدَة ، عن هشام ، عن أبيه ، عن ابن عمر قال : وقف النبي صلى الله عليه وسلم على قليب بدر فقال : « هل وجدتم ما وعد ربكم حقا » ثم قال : « إنهم الآن يسمعون ما أقول لهم » .

وذُكر لعائشة فقالت : إنما قال النبي صلى الله عليه وسلم : إنهم الآن ليعلمون أن الذى كنت أقول لهم هو الحق . ثم قرأت : « إنك لا تُسمع الموتى » حتى قرأت الآية . وقد رواه مسلم عن أبي كُريب ، عن أبي أسامة ، وعن أبي بكر بن أبى شيبة ، عن وكيع ، كلاهما عن هشام بن عروة .

وقال البخارى : حدثنا ^(١) عبد الله بن محمد ، سمع رَوْحَ بن عُبَادَة ، حدثنا سعيد بن أبى عَرُوبَة ، عن قتادة قال : ذُكر لنا أنس بن مالك ، عن أبى طلحة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر يوم بدر بأربعة وعشرين رجلا من صناديد قريش فُقذُوا في طَوِيِّ ^(٢) من أطواء بَدْر خَيْبِثٍ نُحِبِّثُ ، وكان إذا ظهر على قوم أقام بالعرصة ^(٣) ثلاث ليال ، فلما كان ببدر اليوم الثالث أمر براجلته فشدَّ عليها رحلها ، ثم مشى وتبعه أصحابه وقالوا ما نرى ينطلق إلا لبعض حاجته . حتى قام على شفة الرَّكِيّ ، فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم : يافلان بن فلان ، ويافلان بن فلان ، يسرُّكم ^(٤) أنكم أطيتم الله ورسوله ؟ فإننا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا ، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا ! » .

فقال عمر : يا رسول الله ماتكم من أجساد لا أرواح فيها ؟

(١) البخارى : حدثني . (٢) الطوى : البئر المبنية بالحجارة (٣) العرصة : الموضع الواسع لابتداء فيه .

(٤) البخارى : أيسرُكم .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « والذي نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم » .

قال قتادة : أحياءهم الله حتى أسمعهم قوله توبيخاً وتصغيراً ونقمةً وحسرةً وندماً . وقد أخرجه بقية الجماعة إلا ابن ماجه من طرق ، عن سعيد بن أبي عروبة . ورواه الإمام أحمد ، عن يونس بن محمد المؤدب ، عن شيبان بن عبد الرحمن ، عن قتادة ، قال : حدث أنس بن مالك . فذكر مثله . فلم يذكر أبا طلحة . وهذا إسناد صحيح ، ولكن الأول أصح وأظهر . والله أعلم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا حماد ، عن ثابت ، عن أنس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك قتلى بدر ثلاثة أيام حتى جفوا ، ثم أتاهم فقام عليهم فقال : « يا أمية ابن خلف ، يا أبا جهل بن هشام ، يا عتبة بن ربيعة ، يا شيبة بن ربيعة ، هل وجدت ما وعد ربكم حقاً ؟ فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقاً » .

قال : فسمع عمر صوته فقال : يا رسول الله أتناديهم بعد ثلاث وهل يسمعون ؟ يقول الله تعالى : « إنك لا تسمع الموتى » فقال : « والذي نفسى بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ، ولكن لا يستطيعون أن يجيبوا » . ورواه مسلم ، عن هذبة بن خالد ، عن حماد بن سلمة به .

وقال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت :

عرفتُ ديارَ زينبٍ بالكِثيبِ	كخطَّ الوَحْيِ في الورقِ القَشِيبِ ^(١)
تداولها الرياحُ وكلُّ جَوْنٍ	من الوَسْمِ ^(٢) مُنْهَمِرٍ سَكُوبٍ
فأمسى رَشْمُهَا خَلْقاً وأمستْ	يَبَاباً بعدَ ساكنها الحَبِيبِ
فدَعَّ عنكَ التذَكُّرَ كلَّ يومٍ	ورُدَّ حرارةَ القلبِ الكِثيبِ ^(٣)

(١) الوحى : الكتابة . (٢) الوسمى : مطر الحريف . (٣) ابن هشام : الصدر الكتيب .

وخبَّرَ بالذى لا عَيْبَ فيه بصِدْقٍ غيرِ إخبارِ الكذوبِ
 بما صَنَعَ المليكُ غَدَاةَ بدرٍ لِنَافٍ فى المشرِكينَ مِنَ النَّصِيبِ
 غَدَاةَ كَأَنَّ جَمْعَهُمُ حِرَاءُ بَدَتْ أركانُهُ جُنَحَ النُّرُوبِ
 فَلَاقِينَاهُمْ مَتَا يَجْمَعُ كَأَسَدِ الغَابِ مِرْدَانٍ وَشَيْبِ
 أَمَامَ مُحَمَّدٍ قَدْ وَازَرُوهُ عَلَى الأَعْدَاءِ فى لَفْحِ الحُرُوبِ
 بِأَيْدِيهِمْ صَوَارِمُ مُرْهَفَاتٍ وَكُلُّ مُجَرَّبٍ خَاطَى الكُمُوبِ
 بَنُو الأَوْسِ الغَطَارِفِ وَازَرَتْهَا بَنُو النَّجَارِ فى الدِّينِ الصَّلِيبِ
 فَغَادَرْنَا أَبَا جَبَلٍ صَرِيحَا وَعُتْبَةَ قَدْ تَرَكَنَا بِالْجُبُوبِ ^(١)
 وَشَيْبَةَ قَدْ تَرَكَنَا فى رِجَالِ ذَوَى حَسَبٍ إِذَا نُسِبُوا حَسِيبِ
 يَنَادِيهِمْ رَسولُ اللَّهِ لَمَّا قَذَفْنَاهُمْ كِبَاكِبَ فى القَلِيبِ
 أَلَمْ تَجِدُوا كَلَامِي كَانَ حَقًّا وَأَمْرُ اللَّهِ يَأْخُذُ بِالْقُلُوبِ
 فَمَا نَطَقُوا وَلَوْ نَطَقُوا لَقَالُوا صَدَقْتَ وَكُنْتَ ذَا رَأْيٍ مُصِيبِ

قال ابن إسحاق : ولما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُلقوا فى القليب أخذ عتبة بن ربيعة فسُحِبَ فى القليب ، فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما بلغنى - فى وجه أبى حذيفة بن عتبة فإذا هو كئيب قد تغيَّرَ لونه فقال : « يا حذيفة لعلك قد دخلك من شأن أهلك شيء ؟ » أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقال : لا والله يا رسول الله ، ما شككتُ فى أبى ولا فى مَصْرَعِهِ ، ولكنى كنت أعرف من أبى رأياً وحلماً وفضلاً ، فكنت أرجو أن يهديه ذلك للإسلام ، فلما رأيت ما أصابه ، وذكرت ما مات عليه من الكفر بعد الذى كنت أرجو له ، أحزنتنى ذلك . فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير وقال له خيراً .

وقال البخارى : حدثنا الحميدى ، حدثنا سفيان ، حدثنا عمرو ، عن عطاء ، عن ابن عباس : « الذين بدّلوا نعمة الله كُفْرًا » قال : هم والله كفار قريش . قال عمرو : هم قريش ، ومحمد نعمة الله : « وأحلّوا قومهم دار البوار » قال : النار يوم بدر . قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت :

قوى الذين هم آووا نبيهم	وصدّقوه وأهل الأرض كفار
إلا خصائص أقوام هم سلف	للصالحين من الأنصار أنصار
مستبشرين بقسم الله قولهم	لما أتاهم كريم الأصل مختار
أهلاً وسهلاً فى أمن وفى سعة	نعم النبي ونعم القسم والجار
[فأنزلوه بدار لا يخاف بها	من كان جارهم دارا هى الدار ^(١)]
وقاسموهم بها الأموال إذ قدّموا	مهاجرين وقسم الجاحد ^(٢) النار
سيرنا وساروا إلى بدر لحينهم	لو يعلمون يقين العلم ماساروا
والاهم ^(٣) بفرور ثم أسأهم	إن الخبيث لمن والاه غرّار
وقال إني لكم جار فأوردهم	شرّ الموارد فيه الخزي والعار
ثم التقينا فولّوا عن سرائهم	من منجدين ومنهم فرقة غاروا

وقال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن أبى بكر وعبد الرزاق ، قالا : حدثنا إسرائيل ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من القتلى قيل له : عليك العير ليس دونها شيء . فناداه العباس وهو فى الوثاق : إنه لا يصلح لك . قال : لم ؟ قال : لأن الله وعدك إحدى الطائفتين ، وقد أنجز لك ما وعدك .

(١) من ابن هشام . (٢) الأصل : الجاهل . وما أثبتته عن ابن هشام

(٣) ابن هشام : دلام

وقد كانت جملة مَنْ قُتِلَ من سرّاة الكفار يوم بدر سبعين ، هذا مع حضور ألف من الملائكة .

وكان قَدَّرَ الله السابق فيمن بَقِيَ منهم أَنْ يُسَلَّمَ منهم بشر كثير ، ولو شاء الله لسلط عليهم ملكاً واحداً فأهلكهم عن آخرهم ، ولكن قَتَلُوا من لا خير فيه بالكلية .

وقد كان في الملائكة جبريل الذي أمره الله تعالى فاقتلع مدائن قوم لوط ، وكنَّ سَبْعَا فيهن من الأمم والدواب والأراضي والمزروعات ، وما لا يعلمه إلا الله ، فرفعن حتى بلغ بهن عنان السماء على طرف جناحه ، ثم قلبهن منكسات وأتبعهن بالحجارة التي سوّمت لهم . كما ذكرنا ذلك في قصة قوم لوط .

وقد شرع الله جهاد المؤمنين للكافرين ، ويبيّن تعالى حكمه في ذلك فقال : « فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب ، حتى أَدْمَغْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوُثَاقَ فإِمَامَةً بعدُ وإما فداء ، حتى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ، ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ » ^(١) الآية . وقال تعالى : « قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِمَهُمْ وَيَنْصَرِكُمْ عَلَيْهِمْ وَيُشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ . وَيُذْهِبَ غِظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ » ^(٢) الآية .

فكان قتلُ أبي جهل على يدي شاب من الأنصار ، ثم بعد ذلك يوقف عليه عبد الله بن مسعود ومسك بلحيته وصعد على صدره حتى قال له : لقد رقيت مرتقياً صعباً يارؤيى الغنم . ثم بعد هذا حَزَّ رأسه واحتمله حتى وضعه بين يدي رسول الله .

فشفى الله به قلوب المؤمنين ، كان هذا أبلغ من أن تأتيه صاعقة أو أن يسقط عليه سقف منزله أو يموت حتف أنفه ! والله أعلم .

وقد ذكر ابن إسحاق فيمن قُتل يوم بدر مع المشركين ، ممن كان مسلماً ولكنه خرج معهم تقيّة منهم ، لأنه كان فيهم مضطهداً قد فتنوه عن إسلامه ، جماعة منهم : الحارث بن زَمْعَة بن الأسود ، وأبو قيس بن الفاكه ، [وأبو قيس بن الوليد بن المغيرة]^(١) وعلى بن أمية بن خلف ، والعاص بن مُنْبِه بن الحجاج .

قال : وفيهم نزل قوله تعالى : « إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم ، قالوا : فيم كنتم . قالوا : كنا مُستضعفين فى الأرض . قالوا : ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها . فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً »^(٢) .

وكان جملة الأسارى يومئذ سبعين أسيراً ، كما سيأتى الكلام عليهم فيما بعد إن شاء الله ، منهم من آل رسول الله صلى الله عليه وسلم : عمه العباس بن عبد المطلب ، وابن عمه عَقِيل بن أبى طالب ، ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب .

وقد استدلل الشافعى والبخارى وغيرهما بذلك على أنه ليس كلُّ مَنْ مَلَكَ ذا رحم مُحَرَّم يَعْتَق عليه ، وعارضوا به حديث الحسن ، عن ابن سمرّة فى ذلك . فالله أعلم .

وكان فيهم أبو العاص ابن الربيع بن عبد شمس بن أمية زوج زينب بنت النبى صلى الله عليه وسلم .

فصل

وقد اختلف الصحابة في الأسارى : أَيْقَتلون أو يُقَادون على قولين .

كما قال الإمام أحمد : حدثنا علي بن عاصم ، عن حميد ، عن أنس ، وذكر رجل ، عن الحسن ، قال : استشار رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس في الأسارى يوم بدر فقال : « إن الله قد أمكنكم منهم » .

قال : فقام عمر فقال : يا رسول الله اضرب أعناقهم ، قال : فأعرض عنه النبي صلى الله عليه وسلم .

ثم عاد النبي فقال للناس مثل ذلك ، فقام أبو بكر الصديق فقال : يا رسول الله نرى أن تعفو عنهم وأن تقبل منهم الفداء .

قال : فذهب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان فيه من الغم ، فعفا عنهم وقبل منهم الفداء .

قال وأنزل الله تعالى : « لولا كتابٌ من الله سبق لمسكم » الآية .

انفرد به أحمد .

وقد روى الإمام أحمد ، واللفظ له ، ومسلم وأبو داود والترمذي وصححه وكذا على ابن المديني وصحَّحه ، من حديث عكرمة بن عمار ، حدثنا سمالك الحنفي أبو زميل ، حدثني ابن عباس ، حدثني عمر بن الخطاب قال : نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه يوم بدر وهم ثلاثة ونيف ، ونظر إلى المشركين فإذا هم ألف وزيادة .

فذكر الحديث كما تقدم إلى قوله : فقتل منهم سبعون رجلا ، وأسر منهم سبعون رجلا .

واستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر وعليًا وعمر ، فقال أبو بكر : يا رسول الله هؤلاء بنو العم والعشيرة والإخوان ، وإنى أرى أن تأخذ منهم الفدية ،

فيكون ما أخذناه قوة لنا على الكفار ، وعسى أن يهديهم الله فيكونوا لنا عضداً .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ماترى يا بن الخطاب ؟ » قال : قلت : والله ما أرى ما رأى أبو بكر ، ولكن أرى أن تمكنني من فلان ، قريب لعمر ، فأضرب عنقه ، وتمكن علياً من عقيل فيضرب عنقه ، وتمكن حمزة من فلان أخيه فيضرب عنقه ، حتى يعلم الله أنه ليست في قلوبنا هوداة للمشركين ، وهؤلاء صناديدهم وأئمتهم وقادتهم .
فهو ي رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال أبو بكر ولم يهو ما قلت وأخذ منهم الفداء .

فلما كان من الغد قال عمر : فغدوت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وهما يبيكان فقلت : يا رسول الله أخبرني ماذا يبكيك أنت وصاحبك ، فإن وجدت بكاءً بكيتُ ، وإن لم أجد بكاءً تباكيت لبكائكما ؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : للذي عَرَضَ على أصحابك من أخذهم الفداء ، قد عَرَضَ على عذابكم أدنى من هذه الشجرة . لشجرة قريبة .
وأنزل الله تعالى : « ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض ، ترويدن عَرَضَ الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم . لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم » من الفداء ، ثم أحلّ لهم الفنائم . وذَكَرَ تمام الحديث .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن عمرو بن مُرَّة ، عن عبيدة ، عن عبد الله ، قال : لما كان يوم بدر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما تقولون في هؤلاء الأسرى ؟ قال : فقال أبو بكر : يا رسول الله قومك وأهلك استبقهم واستأن بهم لعل الله أن يتوب عليهم .

قال : وقال عمر : يا رسول الله أخرجوك وكذبوك ، قرَّبهم فأضرب أعناقهم .

قال : وقال عبد الله بن رَوَاحَة : يارسول الله انظر وادياً كثير الخطب فأدخلهم فيه ثم أضرمه عليهم ناراً .

قال : فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يردّ عليهم شيئاً . فقال ناس : يأخذ بقول أبي بكر . وقال ناس : يأخذ بقول عمر ، وقال ناس يأخذ بقول عبد الله بن رَوَاحَة . فخرج عليهم فقال : « إن الله ليلين قلوب رجال فيه حتى تكون ألّين من اللّين وإن الله ليشد قلوب رجال فيه حتى تكون أشدّ من الحجارة ، وإن مثلك يا أبا بكر كمثل إبراهيم قال : « فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم » ومثلك يا أبا بكر كمثل عيسى قال : « إن تعذبهم فإنهم عبادك ، وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم » وإن مثلك يا عمر كمثل نوح قال : « ربّ لا تدز على الأرض من الكافرين دياراً » وإن مثلك يا عمر كمثل موسى قال : « ربّنا اطمس على أموالهم واشدّد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم » أنتم عالة فلا يبقين أحد إلا بفداء أو ضربة عنق . قال عبد الله : فقلت : يارسول إلا سهيل بن بيضاء فإنني قد سمعته يذكّر الإسلام . قال : فسكت .

قال : فما رأيتني في يوم أخوف أن تقع على حجارة من السماء من ذلك اليوم . حتى قال : « إلا سهيل بن بيضاء » .

قال : فأنزل الله : « ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض ، تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم ، لولا كتاب من الله سبق لمسكم إلى آخر الآيتين .

وهكذا رواه الترمذی والحاكم من حديث أبي معاوية ، وقال الحاكم : صحيح الإسناد ولم يخرجاه . ورواه ابن مردويه من طريق عبد الله بن عمر وأبي هريرة بنحو ذلك . وقد روى عن أبي أيوب الأنصاري بنحوه .

وقد روى ابن مردويه والحاكم في المستدرک ، من حديث عبيد الله بن موسى ،

حدثنا إسرائيل ، عن إبراهيم بن مهاجر ، عن مجاهد ، عن ابن عمر ، قال : لما أسر الأسارى يوم بدر أسر العباس فيمن أسر ، أسره رجل من الأنصار . قال : وقد أوعده الأنصار أن يقتلوه . فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « إني لم أنم الليلة من أجل عمي العباس ، وقد زعمت الأنصار أنهم قاتلوه » قال عمر : أفأتيهم؟ قال : نعم .

فأتى عمر الأنصار فقال لهم : أرسلوا العباس . فقالوا : لا والله لا نرسله . فقال لهم عمر : فإن كان لرسول الله رضا؟ قالوا فإن كان له رضا فخذ . فأخذ عمر ، فلما صار في يده قال له عمر : يا عباس أسلم ، فوالله لئن تسلم أحب إلى من أن يسلم الخطأب . وماذا لك إلا لما رأيت رسول الله يعجبه إسلامك .

قال : واستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر ، فقال أبو بكر : عشيرتك فأرسلهم . واستشار عمر فقال : اقتلهم . فقادهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله : « ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض » الآية . ثم قال الحاكم في صحيحه : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

وروى الترمذى والنسائى وابن ماجه ، من حديث سفيان الثورى ، عن هشام بن حسان ، عن محمد بن سيرين ، عن عبيدة ، عن علي ، قال : جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : خير أصحابك في الأسارى إن شاءوا الفداء وإن شاءوا القتل ، على أن يقتل عاماً قابلاً منهم مثلهم . قالوا : الفداء أو يقتل منا .

وهذا حديث غريب جداً ، ومنهم من رواه مراسلاً عن عبيدة . والله أعلم . وقد قال ابن إسحاق ، عن ابن أبي نجيح ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، في قوله : « لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم » يقول : لولا أنى لا أعذب من عصانى حتى أتقدم إليه لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم . وهكذا روى عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد أيضاً . واختاره ابن إسحاق وغيره .

وقال الأعمش : سَبَقَ مِنْهُ أَلَا يَعْذِبُ أَحَدًا شَهِدَ بِدِرًّا . وَهَكَذَا رَوَى عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ وَسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ وَعَطَاءُ بْنُ أَبِي زُبَاحٍ .

وقال مجاهد والثوري : « لَوْلَا كِتَابُ اللَّهِ سَبَقَ » أَيْ لَمْ يَغْفِرْهُ .

وقال الواجبى : عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، سَبَقَ فِي أُمِّ الْكِتَابِ الْأَوَّلِ أَنْ الْمَغَانِمِ وَفِدَاءِ الْأَسَارَى حَلَالٌ لَكُمْ ، وَلِهَذَا قَالَ بَعْدَهُ : « فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا » .

وهكذا روى عن أبي هريرة وابن مسعود وسعيد بن جبيرة وعطاء والحسن وقتادة والأعمش ، واختاره ابن جرير .

وقد تَرَجَّحَ هَذَا الْقَوْلُ بِمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَ مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلِي ؛ نُصِرْتُ بِالرَّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ ، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهْرًا ، وَحَلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ وَلَمْ تَحِلْ لِأَحَدٍ قَبْلِي ، وَأُعْطِيتِ الشَّفَاعَةَ ، وَكَانَ النَّبِيُّ يَبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ وَبَعَثَتْ إِلَى النَّاسِ عَامَةً » .

وروى الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم « لَمْ تَحِلْ الْغَنَائِمُ لِسُودِ الرُّعُوسِ غَيْرَنَا » .

ولهذا قال تعالى : « فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا » فَأُذِنَ لِلَّهِ تَعَالَى فِي أَكْلِ الْغَنَائِمِ وَفِدَاءِ الْأَسَارَى .

وقد قال أبو داود : حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْمُبَارَكِ الْعَبْسِيُّ ، حَدَّثَنَا سَفْيَانُ بْنُ حَبِيبٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ ، عَنْ أَبِي الْعَبَّاسِ ، عَنْ أَبِي الشَّعَثَاءِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَعَلَ فِدَاءَ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ يَوْمَ بَدْرٍ أَرْبَعًا ، وَهَذَا كَانَ أَقَلَّ مَا فُودِيَ بِهِ أَحَدٌ مِنْهُمْ مِنَ الْمَالِ ، وَأَكْثَرُ مَا فُودِيَ بِهِ الرَّجُلُ مِنْهُمْ أَرْبَعَةُ آلَافِ دِرْهَمٍ .

وقد وعد الله من آمن منهم بالخلف عما أخذ منه في الدنيا والآخرة ، فقال تعالى :
« يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى إن يعلم الله في قلوبكم خيراً يؤتكم خيراً مما أخذ منكم ويفقر لكم » الآية .

وقال الواحشي ، عن ابن عباس ، نزلت في العباس فقادى نفسه بالأربعين أوقية من ذهب . قال العباس : فأتاني الله أربعين عبداً . يعني كلهم يتجر له . قال : وأنا أرجو المغفرة التي وعدنا الله جل ثناؤه .

وقال ابن إسحاق : حدثني العباس بن عبد الله بن معبد^(١) ، عن بعض أهله ، عن ابن عباس ، قال : لما أمسى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر والأسارى محبوسون بالوثاق ، بات النبي صلى الله عليه وسلم ساهراً أول الليل ، فقال له أصحابه : مالك لا تنام يا رسول الله ؟ فقال : سمعت أنين عمي العباس في وثاقه « فأطلقوه ، فسكت ، فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : وكان رجلاً موسراً فقادى نفسه بمائة أوقية من ذهب .

قلت : وهذه المائة كانت عن نفسه وعن ابني أخويه عقيل ونوفل ، وعن حليفه عتبة بن عمرو أحد بني الحارث بن فهر ، كما أمره بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ادعى أنه كان قد أسلم ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أما ظاهرك فكان علينا ، والله أعلم بإسلامك وسيجزيك » فادّعى أنه لا مال عنده .

قال : « فأين المال الذي دفنته أنت وأم الفضل وقلت لها : إن أصبت في سفري فهذا لبنى الفضل وعبد الله وقيم ؟ » .

فقال : والله إنى لأعلم أنك رسول الله ، إن هذا شيء ما علمه إلا أنا وأم الفضل .

رواه ابن إسحاق ، عن ابن أبي نجیح ، عن عطاء ، عن ابن عباس .

وثبت في صحيح البخارى من طريق موسى بن عقبة ، قال الزهري : حدثني أنس

(١) الأصل : معقل . وهو تحريف . وهو العباس بن عبد الله بن معبد بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي المدني .

ابن مالك ، قال : إن رجالاً من الأنصار استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا : إيدن لنا فلنترك لابن أختنا العباس فداءه . فقال : « لا والله لا تذرُون منه درهما » .

قال البخارى : وقال ابراهيم بن طهمان ، عن عبد العزيز بن صهيب ، عن أنس ، أن النبي صلى الله عليه وسلم أُوتى بمال من البحرين فقال : « انثروه في المسجد » فكان أكثر مالٍ أُتِيَ به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ جاءه العباس فقال : يا رسول الله أعطنى ، إني فاديت نفسى وفاديتُ عقيلاً . فقال : خذ . فحُثَا في ثوبه ، ثم ذهب يقله فلم يستطع ، فقال مُرْ بعضهم يرفعه إلى . قال : لا . قال : فارفعه أنت على . قال : لا . فنثر منه ثم ذهب يقله فلم يستطع ، فقال : مُرْ بعضهم يرفعه إلى . قال : لا . قال : فارفعه أنت على . قال : لا . فنثر منه ثم احتمله على كاهله ثم انطلق . فما زال يُتبعه بصره حتى خفى علينا عجباً من حرصه !
فما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وثمَّ منها درهم .

وقال البيهقي : أخبرنا الحاكم ، أخبرنا الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبار ، عن يونس ، عن أسباط بن نصر ، عن إسماعيل بن عبد الرحمن السدى ، قال : كان فداء العباس وابنى أخويه عقيل بن أبى طالب ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب ، كلُّ رجل أربعائة دينار ، ثم توعَّد تعالى الآخرين فقال : « وإنَّ يريدوا خيانتك فقدَّ خانوا الله مِنْ قَبْلُ فأمكن منهم والله عليمٌ حكيمٌ » .

فصل

والمشهور أن الأسارى يوم بدر كانوا سبعين ، والقتلى من المشركين سبعين كما ورد في غير ما حديث مما تقدم وسيأتى إن شاء الله ، وكما في حديث البراء بن عازب في صحيح البخارى أنهم قتلوا يوم بدر سبعين ، وأسروا سبعين .

وقال موسى بن عقبة : قُتل يومَ بدر من المسلمين من قريش ستة ومن الأنصار

ثمانية ، وقتل من المشركين تسعة وأربعون ، وأسروهم تسعة وثلاثون .
هكذا رواه البيهقي عنه .

قال : وهكذا ذكر ابن كهيعة ، عن أبي الأسود ، عن عروة ، في عدد من استشهد
من المسلمين وقتل من المشركين .

ثم قال : أخبرنا الحاكم ، أخبرنا الأصم ، أخبرنا أحمد بن عبد الجبار ، عن يونس
بن بُكير ، عن محمد بن إسحاق ، قال : واستشهد من المسلمين يوم بدر أحد عشر رجلا
أربعة من قريش وسبعة من الأنصار ، وقتل من المشركين بضعة وعشرون رجلا .
وقال في موضع آخر : وكان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعون أسيراً ،
وكانت القتل مثل ذلك .

ثم روى البيهقي ، من طريق أبي صالح ، كاتب الليث ، عن الليث ، عن عُقيل ،
عن الزُّهري ، قال : وكان أول قتيل من المسلمين مُنْجِع مولى عمر ، ورجل من الأنصار
وقتل يومئذ من المشركين زيادةً على سبعين ، وأسروهم مثل ذلك .

قال : ورواه ابن وهب ، عن يونس بن يزيد ، عن الزهري ، عن عروة بن الزبير ،
قال : قال البيهقي : وهو الأصح فيما رويناه في عدد من قُتل من المشركين وأسروهم .
ثم استدللَّ على ذلك بما ساقه هو والبخاري أيضاً من طريق أبي إسحاق ، عن البراء
ابن عازب ، قال : أمَّر رسول الله صلى الله عليه وسلم على الرماة يوم أحد عبد الله بن
جبير ، فأصابوا منا سبعين . وكان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه قد أصابوا من المشركين
يوم بدر أربعين ومائة ، سبعين أسير ، وسبعين قتيلاً .

قلت : والصحيح أن جملة المشركين كانوا مابين التسعمائة إلى الألف .
وقد صرَّح قتادة بأنهم كانوا تسعمائة وخمسين رجلاً ، وكأنه أخذه من هذا الذي
ذكرناه . والله أعلم .

وفى حديث عمر المتقدم أنهم كانوا زيادة على الألف ، والصحيح الأول ، لقوله عليه السلام « القوم ما بين التسعمائة إلى الألف » .

وأما الصحابة يومئذ فكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً ، كما سيأتى التنصيص على ذلك وعلى ، أسمائهم إن شاء الله .

وتقدم فى حديث الحكم ، عن مقسم ، عن ابن عباس أن وقعة بدر كانت يوم الجمعة السابع عشر من شهر رمضان ، وقاله أيضاً عروة بن الزبير وقتادة وإسماعيل والسدى الكبير وأبو جعفر الباقر .

وروى البيهقى ، من طريق قتبية ، عن جرير ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن الأسود عن عبد الله بن مسعود فى ليلة القدر ، قال : « تحرّوها لإحدى عشرة بقين فإن صبيحتها يوم بدر » .

قال البيهقى : وروى عن زيد بن أرقم ، أنه سئل عن ليلة القدر فقال : ليلة تسع عشرة ما شك . وقال : يوم الفرقان يوم التقى الجمعان .

قال البيهقى : والمشهور عن أهل المغازى أن ذلك لسبع عشرة ليلة مضت من شهر رمضان .

ثم قال البيهقى : أخبرنا أبو الحسين بن بشران ، حدثنا أبو عمرو بن السّمّاك ، حدثنا حنبل بن إسحاق ، حدثنا أبو نعيم ، حدثنا عمرو بن عثمان ، سمعت موسى بن طلحة يقول : سئل أبو أيوب الأنصارى عن يوم بدر ، فقال : إما لسبع عشرة خلت ، أو ثلاث عشرة خلت ، أو لإحدى عشرة بقيت ، وإما لسبع عشرة بقيت . وهذا غريب جداً .

[وقد ذكر الحافظ ابن عساكر فى ترجمة قُبات بن أَشيم اللبّثى ، من طريق الواقدى

وغيره بإسنادهم إليه ، أنه شهد يوم بدر مع المشركين ، فذكر هزيمتهم مع قلة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : وجعلت أقول في نفسي : ما رأيت مثل هذا الأمر فرّ منه إلا النساء ، والله لو خرجت نساء قريش بالسّهاء^(١) ردت محمداً وأصحابه . فلما كان بعد الخندق قلت : لو قدمت المدينة فنظرت إلى ما يقول محمد . وقد وقع في نفسي الإسلام ، قال : فقدمتها فسألت عنه ، فقالوا : هو ذاك في ظل المسجد في ملأ من أصحابه . فأتيته وأنا لا أعرفه من بين أصحابه ، فسلمت فقال : يا قباث بن أشيم ، أنت القائل يوم بدر : ما رأيت مثل هذا الأمر فرّ منه إلا النساء ؟ فقلت : أشهد أنك رسول الله فإن هذا الأمر ما خرج مني إلى أحد قط ولا تزمزمت به ، إلا شيئاً حدثت به نفسي ، فلولا أنك نبي ما أطلعك عليه ، هلم أبايحك على الإسلام فأسلمت^(٢) .

فصل

وقد اختلفت الصحابة رضى الله عنهم يوم بدر في المغانم من المشركين يومئذ لمن تكون منهم .

وكانوا ثلاثة أصناف حين ولّى المشركون : ففرقة أخذت برسول الله صلى الله عليه وسلم تحرسه ، خوفاً من أن يرجع أحد من المشركين إليه .
وفرقة ساقط وراء المشركين يقتلون منهم ويأسرون .
وفرقة جمعت المغانم من متفرقات الأماكن .

فادّعى كل فريق من هؤلاء أنه أحق بالمغنم من الآخرين لما صنع من الأمر المهم . قال ابن إسحاق : لحدثني عبد الرحمن بن الحارث وغيره عن سليمان بن موسى ، عن مكحول ، عن أبي أمامة الباهلي قال : سألت عبادة بن الصامت ، عن الأنفال فقال : فينا أصحاب بدر نزلت حين اختلفنا في النفل وساءت فيه أخلاقنا ، فبزعه الله من أيدينا

فجعله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقسمه بين المسلمين عن بواء . يقول : عن سواء . وهكذا رواه أحمد عن محمد بن سلمة ، عن محمد بن إسحاق به .

ومعنى قوله : « على الداء » أى ساوى فيها بين الذين جمعوها ، وبين الذين اتبعوا العدو ، وبين الذين ثبتوا تحت الرايات ، لم يخصص بها فريقاً منهم من ادعى التخصيص بها

ولا ينفى هذا تخميسها وصرف الخمس في مواضعه ، كما قد يتوهمه بعض العلماء ، منهم أبو عبيدة وغيره ، والله أعلم . بل قد تنفل رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه ذا الفقار من مغنم بدر .

قال ابن جرير : وكذا اصطفى جملاً لأبي جهل كان في أنفه بُرّة من فضة ، وهذا قبل إخراج الخمس أيضاً .

وقال الإمام أحمد : حدثنا معاوية بن عمرو ، حدثنا ابن إسحاق ، عن عبد الرحمن ابن الحارث بن عبد الله بن عباس بن أبي ربيعة ، عن سليمان بن موسى ، عن أبي سلام ، عن أبي أمامة ، عن عبادة بن الصامت ، قال : خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم فشهدت معه بدرًا ، فالتقى الناس فهزم الله العدو ، فانطلقت طائفة في آثارهم يهزمون ويقتلون ، وأكبت طائفة على المغنم يحوزونه ويجمعونه ، وأحدقت طائفة برسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصيب العدو منه غرة ، حتى إذا كان الليل وفاء الناس بعضهم إلى بعض قال الذين جمعوا الغنائم : نحن حويناها وليس لأحد فيها نصيب ، وقال الذين خرجوا في طلب العدو : لستم بأحق به منا ، نحن نفينا منها العدو وهزمناهم ، وقال الذين أحدقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم : خفنا أن يصيب العدو منه غرة فاشتغلنا به . فأنزل الله : « يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول ، فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين » .

قسمها رسول الله بين المسلمين : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أغار في أرض العدو نفل الربع ، فإذا أقبل راجعا نفل الثالث ، وكان يكره الأنفال .

وقد روى الترمذى وابن ماجه ، من حديث الثورى ، عن عبد الرحمن بن الحارث آخره . وقال الترمذى : هذا حديث حسن . ورواه ابن حبان فى صحيحه والحاكم فى مستدركه من حديث عبد الرحمن ، وقال الحاكم : صحيح على شرط مسلم ولم يخرجه .

وقد روى أبو داود والنسائى وابن حبان والحاكم من طرق ، عن داود بن أبى هند ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : لما كان يوم بدر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من صنع كذا وكذا فله كذا وكذا . فسارع فى ذلك شبان الرجال وبقى الشيوخ تحت الرايات ، فلما كانت الغنائم جاءوا يطلبون الذى جعل لهم ، قال الشيوخ : لا تستأثروا علينا ، فإننا كنا رداء لكم لو انكشفتم لفتنم إلينا . فتنازعوا ، فأنزل الله تعالى : « يسألونك عن الأنفال ، قل الأنفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين » .

وقد ذكرنا فى سبب نزول هذه الآية آثارا آخر يطول بسطها ها هنا

ومعنى الكلام : أن الأنفال مَرَجَعها إلى حكم الله ورسوله يحكمان فيها بما فيه المصلحة للعباد فى المعاش والمعاد ، ولهذا قال تعالى : « قل الأنفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين » .

ثم ذكر ما وقع فى قصة بدر ، وما كان من الأمر حتى انتهى إلى قوله : « واعلموا أن ما غنمتم من شىء فإن لله خمس وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل » الآية فالظاهر أن هذه الآية مبينة لحكم الله فى الأنفال الذى جعل مرده إليه وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم ، فبيّنه تعالى وحكم فيه بما أراد تعالى ، وهو قول أبى زيد .

وقد زعم أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

قسم غنائم بدر على السَّوَاءِ بين الناس ، ولم يُخْمَسْهَا . ثم نزل بيان الخُمُسِ بعد ذلك ناسخاً لما تقدم .

وهكذا روى الواليُّ ، عن ابن عباس ، وبه قال مجاهد وعكرمة والسُّدِّي ، وفي هذا نظر . والله أعلم . فإن في سياق الآيات قبل آية الخُمُسِ وبعدها كلها في غزوة بدر ، فيقتضى أن ذلك نزل جملةً في وقت واحد غير متفاصل بتأخر يقتضى نَسَخَ بعضه بعضاً .

ثم في الصحيحين عن علي رضي الله عنه ؛ أنه قال في قصة شارٍ فيه اللذين اجْتَبَ أُسْنِمَتُهُمَا حمزة ، أن إحداهما كانت من الخُمُسِ يوم بدر ، ما يردُّ صريحاً على أبي عبيد أن غنائم بدر لم تَحْمَسْ . والله أعلم . بل خُمِّسَتْ كما هو قول البخاري وابن جرير وغيرهما ، وهو الصحيح الراجح . والله أعلم .

فصل

في رجوعه عليه السلام من بدر إلى المدينة ، وما كان من الأمور في مسيره إليها مؤيداً منصوراً ، عليه من ربه أفضل الصلاة والسلام

وقد تقدم أن الوقعة كانت يوم الجمعة السابع عشر من رمضان سنة اثنتين من الهجرة .

وثبت في الصحيحين أنه كان إذا ظهر على قوم أقام بالعرصة ثلاثة أيام ، وقد أقام عليه السلام بعرصة بدر ثلاثة أيام كما تقدم ، وكان رحيله منها ليلة الاثنين ، فركب ناقته ووقف على قليب بدر ، فقرع أولئك الذين سُحِبُوا إليه كما تقدم ذكره .

ثم سار عليه السلام ومعه الأسارى والغنائم الكثيرة ، وقد بعث عليه السلام بين يديه بشيرين إلى المدينة بالفتح والنصر والظفر على من أشرك بالله وجحد به كفر ؛ أحدهما عبد الله بن رواحة إلى أعالي المدينة ، والثاني زيد بن حارثة إلى السافلة .

قال أسامة بن زيد : فأتانا الخبر حين سوَّينا على رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان زوجها عثمان بن عفان رضى الله عنه قد احتبس عندها يمرضها بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد ضرب له رسول الله بسهمه وأجره في بدر .

قال أسامة : فلما قدم أبي زيدُ بن حارثة جثته وهو واقف بالمصلى وقد غشيه الناس وهو يقول : قُتل عتبة بن ربيعة ، وأبو جهل بن هشام ، وزمعة بن الأسود ، وأبو البختري العاص بن هشام ، وأميمة بن خلف ، ونُبَيْه ومُنْبَه ابنا الحجاج . قال : قلت : يا أبا أحقُّ هذا ؟ قال : إى والله يابنى .

وروى البيهقي من طريق حماد بن سلمة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن أسامة ابن زيد ، أن النبي صلى الله عليه وسلم خلف عثمان وأسامة بن زيد على بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجاء زيدُ بن حارثة على العَصْبَاء ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبشارة ، قال أسامة : فسمعت الهَيْعَةَ فخرجت ، فإذا زيد قد جاء بالبشارة ، فوالله ما صدقت حتى رأينا الأسارى . وضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم لعثمان بسهمه .

وقال الواقدي : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مرجعه من بدرِ العَصْرِ بالأَثِيل ، فلما صلى ركعة تبسَّم ، فسُئِلَ عن تبسمه فقال : يرى ميكائيل وعلى جناحه النِّقْع فتبسَّم إلى وقال : إني كنت في طلب القوم . وأتاه جبريل حين فرغ من قتال أهل بدر على فرس أنثى معقود الناصية وقد عَصَمَ نَنْيَيْهِ الغبار فقال : يا محمد إن ربى بعثنى إليك وأمرنى ألا أفارقك حتى ترضى ، هل رضيت ؟ قال : نعم .

قال الواقدي : قالوا : وقدَّم رسول الله صلى الله عليه وسلم زيدَ بن حارثة وعبدَ الله ابن رواحة من الأَثِيل فجاء يوم الأحد حين اشتد الضحى ، وفارق عبدُ الله بن رواحة زيدَ بن حارثة من العَقِيق ، فجعل عبد الله بن رواحة ينادى على راحلته : يا معشر الأنصار أهبِّروا بسلامة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتل المشركين وأسره ، قُتل ابنا ربيعة ، وابنا الحجاج ، وأبو جهل ، وقتل زمعة بن الأسود ، وأميمة بن خلف ، وأسره سهيل بن عمرو .

قال عاصم بن عدى: فقمتم إليه فذبحوه فقلت: أحقاً يا بن رواحة؟ فقال: إى والله، وغداً يقدّم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأسرى مقرّنين. ثم تتّبع دور الأنصار بالعالية يبشّرون داراً داراً، والصبيان ينشدون معه يقولون: قُتل أبو جهل الفاسق، حتى إذا انتهى إلى دار بنى أمية وقدم زيد بن حارثة على ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم القصواء يبشرون أهل المدينة، فلما جاء المصلّى صاح على راحلته: قتل عتبة وشيبة ابنا ربيعة، وابنا الحجاج، وقُتل أمية بن خلف وأبو جهل وأبو البختري وزمعة بن الأسود، وأسير سهيل ابن عمرو ذو الأنياب، فى أسرى كثير.

فجعل بعض الناس لا يصدقون زيداً ويقولون: ما جاء زيد بن حارثة إلا فلا^(١) حتى غاظ المسلمين ذلك وخافوا.

وقدم زيد حين سويّا على رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبيع، وقال رجل من المنافقين لأسامة: قتل صاحبكم ومن معه. وقال آخر لأبى لبابة: قد تفرق أصحابكم تفرقاً لا يجتمعون فيه أبداً، وقد قُتل عليه أصحابه، قُتل محمد، وهذه ناقته نعرفها، وهذا زيد لا يدري ماذا يقول من الرعب، وجاء فلا. فقال أبو لبابة: يكذب الله قولك. وقالت اليهود: ما جاء زيد إلا فلا.

قال أسامة: فجئت حتى خلوت بأبى فقلت: أحق ما تقول؟ فقال: إى والله حق ما أقول يا بنى.

فقويت نفسى، ورجعت إلى ذلك المنافق فقلت: أنت المرجف برسول الله وبالمسلمين لتقدمك إلى رسول الله إذا قدم فليضر بن عنقك. فقال: إنما هو شيء سمعته من الناس يقولونه.

قال: فجئ بالأسرى وعليهم شقران مولى رسول الله صل الله عليه وسلم، وكان قد شهد معهم بذراً، وهم تسعة وأربعون رجلاً الذين أحضوا.

قال الواقدي : وهم سبعون في الأصل مُجْتَمِعٌ عَلَيْهِ لا شك فيه .

قال : ولقي رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الرِّوْحاءِ رءوسَ الناسِ يَهْنَأُونَ بما فتح الله عليه . فقال له أُسَيْدُ بْنُ الْحَضِيرِ : يا رسول الله الحمد لله الذي أظفرك وأقرَّ عينك ، والله يا رسول الله ما كان تخلفني عن بدر وأنا أظن أنك تَلْقَى عدوًّا ، ولكن ظننت أنها غيرُ ، ولو ظننت أنه عدوٌّ ما تخلفتُ .

فقال له رسول الله : « صدقت » .

قال ابن إسحاق : ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم قافلاً إلى المدينة ومعه الأسارى ، وفيهم عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ ، والنضر بن الحارث ، وقد جعل على النفل عبد الله بن كعب بن عمرو بن عوف بن مَبْدُولِ بْنِ عمرو بن غَنَمِ بْنِ مازن بن النجار . فقال راجز من المسلمين . قال ابن هشام : [يقال إنه] هو عدى بن أبي الزَّغْبَاءِ :

أَقِمِّ لَهَا صَدُورَهَا يَا بَسْبَسَ ليس بذى الطَّلَحِ لها مُعَرَّسٌ^(١)
ولا بصحراءٍ عُمَيْرٍ يُحْبَسُ إنَّ مطايا القوم لا تُحْبَسُ
فَحَمَلُهَا عَلَى الطَّرِيقِ أَكْبَسُ قد نصر الله وفرَّ الأَخْسُ

قال : ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا خرج من مضيق الصفراء نزل على كثيب بين المضيق وبين النازية يقال له سَيْرٌ إِلَى سَرْحَةٍ بِهِ ، فقسَّم هُنَالِكَ النفلَ الذي أفاء الله على المسلمين من المشركين على السواء ، ثم ارتحل ، حتى إذا كان بالروحاء لقيه المسلمون يَهْنَأُونَهُ بما فتح الله عليه ومن معه من المسلمين ، فقال لهم سلامة بن سلامة بن وقش ، كما حدثني عاصم بن عمر ويزيد بن رومان : ما الذي تهنئوننا به ؟ ! والله إن لقينا إلا عجائز صُلَعًا كَالْبُدْنِ الْمُعَقَّلَةِ فَنَحْرُهَا .

فتبسَّم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : « أَيْ ابْنِ أَخِي أَوْلَتْكَ الْمَلَأُ » .

قال ابن هشام : يعنى الأشرافَ والرؤساء .

مقتل النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط لعنهما الله

قال ابن إسحاق : حتى إذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصفراء قُتِلَ النضر ابن الحارث ، قتله على بن أبي طالب ، كما أخبرني بعض أهل العلم من أهل مكة ، ثم خرج حتى إذا كان بعرق الظبية قُتِلَ عقبة بن أبي معيط .

قال ابن إسحاق : فقال عقبة حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله : فَمَنْ للصُّبْيَةِ يا محمد ؟ قال : « النار ! » .

وكان الذى قتله عاصم بن ثابت بن أبي الأثلح ، أخو بني عمرو بن عوف ، كما حدثني أبو عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر .

وكذا قال موسى بن عُقبة فى مغازيه ، وزعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقتل من الأسارى أسيراً غيره .

قال : ولما أُقْبِلَ إليه عاصم بن ثابت قال : يامعشر قريش ، علام أُقْتَلَ مِنْ بَيْنِ مَنْ هَاهُنَا ؟

قال : على عداوتك الله ورسوله .

وقال حماد بن سلمة ، عن عطاء بن السائب ، عن الشعبي ، قال : لما أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتل عقبة قال : أتقتلني يا محمد من بين قريش ؟

قال : نعم أتدرون ما صنع هذا بى ؟ جاء وأنا ساجد خلف المقام ، فوضع رجله على عنقي وغمزها فما رفعها حتى ظننت أن عيني ستندران ، وجاء مرةً أخرى بسلاشاة فألقاه على رأسي وأنا ساجد ، فجاءت فاطمة ففسلته عن رأسي .

قال ابن هشام : ويقال بل قَتَلَ عُقْبَةَ على بن أبي طالب ، فيما ذكره الزهرى وغيره من أهل العلم .

قلت : كان هذان الرجلان من شر عباد الله ، وأكثيرهم كفراً وعناداً وبنياً وحسداً
 وهجاء للإسلام وأهله . لعنهما الله ، وقد فعل !
 قال ابن هشام : فقالت قَتَيْلَةُ بنت الحارث ، أخت النَّضْرِ بن الحارث ، في
 مقتل أخيها^(١)

يَا رَا كِبَاً إِنَّ الْأَثِيلَ ^(٢) مَظَنَّةٌ	مِنْ صُبْحِ خَامِسَةٍ وَأَنْتَ مُوَفَّقٌ
أَبْلَغُ بِهَا مَيْتًا بِأَنْ تَحْيَا	مَا إِنْ تَزَالُ بِهَا النِّجَابُ تَحْنُقُ
مَتَى إِلَيْكَ وَعَبْرَةٌ مَسْفُوحَةٌ	جَادَتْ بِوَابِلِهَا وَأُخْرَى تَحْنُقُ
هَلْ يَسْمَعَنَّ النَّضْرُ إِنْ نَادَيْتُهُ	أَمْ كَيْفَ يَسْمَعُ مَيْتٌ لَا يَنْطِقُ
أَمَحْدُ يَا خَيْرَ ضِيٍّ كَرِيمَةٍ	مِنْ قَوْمِهَا وَالْفَحْلُ لُحْلٌ مَعْرَقُ ^(٣)
مَا كَانَ ضَرْكَ لَوْ مَنَنْتَ وَرَبَّمَا	مَنْ الْفَتَى وَهُوَ الْمَغِيظُ الْمُخَنْقُ
أَوْ كُنْتَ قَابِلَ فِدْيَةٍ فَلْيُنْفَقَنَّ	بَاعِزٌّ مَا يَغْلُو بِهِ مَا يُنْفَقُ ^(٤)
وَالنَّضْرُ أَقْرَبُ مَنْ أَسْرَتْ قَرَابَةً	وَأَحَقُّهُمْ إِنْ كَانَ عِتْقٌ يُعْتَقُ
ظَلَّتْ سَيْوْفُ بَنِي أَبِيهِ تَنْوُسُهُ	لِلَّهِ أَرْحَامُ هُنَالِكَ ^(٥) تُشَقَّقُ
صَبْرًا يَقَادُ إِلَى الْمَنِيَةِ مُتَعَبًا	رَسَفَ الْمُقَيَّدِ وَهُوَ عَانٍ مُوثَقُ

قال ابن هشام : ويقال ، والله أعلم ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغه هذا
 الشعر قال : « لو بلغني هذا قبل قتله لَمَنْذْتُ عليه ! » .

قال ابن إسحاق : وقد تلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا الموضع أبو هند
 مولى فروة بن عمرو البياضي حجاجه عليه السلام ، ومعه زِقٌّ خمر^(٦) مملوء حَيْسًا ،

(١) ابن هشام تبكيه . (٢) الأثيل ، موضع قرب المدينة بين بدر ووادي الصفراء .

(٣) الضي : الأصل . وتروى : ضئ . والمعرق الكريم (٤) الأغاني ١/١٩ :

لو كنت قابل فدية فلنأتين بأعز ما يغلو لديك ويُنفق

(٥) ابن هشام : هناك (٦) ابن هشام : ولقي رسول الله .. بحميت مملوء حيسا . والحميت : الزق

وهو التمر والسويق بالسمن ، هدية لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقبله منه ووصى به الأنصار .

قال ابن إسحاق : ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قدم المدينة قبل الأسارى بيوم .

قال ابن إسحاق : وحدثني نبيه بن وهب أخو بني عبد الدار ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أقبل بالأسارى فرقمهم بين أصحابه وقال : « استوصوا بهم خيراً » .

قال : وكان أبو عزيز بن عمير بن هاشم أخو مصعب بن عمير لأبيه وأمه في الأسارى ، قال أبو عزيز : مرَّ بي أخي مُصْعَبُ بن عمير ورجل من الأنصار يأسرني فقال : شديديك به ، فإن أمه ذات متاع لعلها تقدِّيه منك .

قال أبو عزيز : فكنت في رهط من الأنصار حين أقبلوا بي من بدر ، فكانوا إذا قدَّموا غداءهم وعشاءهم خصَّوني بالخبز وأكلوا التمر لوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم بنا ، ما تقع في يد رجل منهم كسرة خبز إلا نفحنى بها فاستحى فأردُّها فيردها على ما يمسُّها !

قال ابن هشام : وكان أبو عزيز هذا صاحب لواء المشركين بيدربعد النصر بن الحارث ، ولما قال أخوه مصعب لأبني اليُسْر ، وهو الذي أسره ما قال ، قال له أبو عزيز : يا أخي هذه وصاتك بي ! فقال له مُصْعَبُ : إنه أخي دونك .

فسألت أمه عن أغلى ما فدى به قرشي ، فقيل لها : أربعة آلاف درهم ، فبعنت بأربعة آلاف درهم فقدته بها .

قلت : وأبو عزيز هذا اسمه زرارة ، فيما قاله ابن الأثير في غابة الصحابة ، وعده خليفة بن خياط في أسماء الصحابة . وكان أخا مصعب بن عمير لأبيه ، وكان لها أخ آخر

لأبويهما وهو أبو الروم بن عمير ، وقد غَلِطَ مَنْ جعله قُتِلَ يومَ أحدٍ كافراً ، ذاك أبو عَزَّةَ ، كما سيأتى فى موضعه . والله أعلم .

قال ابن إسحاق : حدثنى عبد الله بن أبى بكر ، أن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن ابن سعد بن زرارة قال : قُدِمَ بالأسارى حين قدم بهم وسَوْدَةُ بنت زَمْعَةَ زوج النبي صلى الله عليه وسلم عند آل عَفْرَاءَ فى مناحتهم على عوف ومعوذ ابني عفراء ، قال : وذلك قبل أن يُضْرَبَ عليهن الحجابُ . قال : تقول سودة : والله إني لَعندهم إذ أتينا فقبل : هؤلاء الأسارى قد أتى بهم . قالت : فرجعت إلى بيتي ورسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ، وإذا أبو يزيد سُهَيْل بن عمرو فى ناحية الحجرة مجموعةً يداه إلى عنقه بحبل ، قالت : فلا والله ما مَلَكْتُ نفسى حين رأيت أبا يزيد كذلك أن قلت : أى أبا يزيد ، أعطيتُم بأيديكم ، ألا مِتَمَ كراماً ؟ !

فوالله ما أنْهَيْتُ إلا قولُ رسول الله صلى الله عليه وسلم مِنَ البيت : « يَسْوَدَةُ أَعْلَى الله وعلى رسوله تحرّضين !! » قال : قلت : يارسول الله والذى بعثك بالحق ما مَلَكْتُ نفسى حين رأيت أبا يزيد مجموعةً يداه إلى عنقه أن قلتُ ما قلتُ .

ثم كان من قصة الأسارى بالمدينة ماسياتى بيانه وتفصيله فيما بعد ، من كيفية فدائهم وكَيْتِهِ . إن شاء الله .

ذكر فرح النجاشى بوقعة بدر رضى الله عنه

قال الحافظ البيهقى : أخبرنا أبو القاسم عبد الرحمن بن عبيد الله الحُرْفِيُّ ببغداد ، حدثنا أحمد بن سلمان النَّجَّاد ، حدثنا عبد الله بن أبى الدنيا ، حدثنى حمزة بن العباس ، حدثنا عَبدان بن عثمان ، حدثنا عبد الله بن المبارك ، أخبرنا عبد الرحمن بن يزيد ، عن جابر ، عن عبد الرحمن ، رجل من أهل صنعاء ، قال : أرسل النجاشى ذات يوم إلى

جعفر بن أبي طالب وأصحابه فدخلوا عليه وهو في بيت عليه خلقان ثياب جالس على التراب . قال جعفر : فأشفقنا منه حين رأيناه على تلك الحال ، فلما أن رأى مافي وجوهنا قال : إني أبشركم بما يسركم ، إنه جاءني من نحو أرضكم عينٌ لي فأخبرني أن الله قد نصر نبيّه وأهلك غدوّه وأسر فلان وفلان وقتل فلان وفلان ، التقوا بواد يقال له بدر كثير الأراك كأنى أنظر إليه ، كنت أرى لسيدى رجل من بنى ضمرة إبله .

فقال له جعفر : ما بالك جالسا على التراب ليس تحتك بساط و عليك هذه الأخطا ؟ قال : إنا نجد فيما أنزل الله على عيسى : إن حقّا على عباد الله أن يُخَدِّثوا الله تواضعا عند ما يُحدث لهم من نعمة . فلما أحدث الله لي نصرَ نبيه صلى الله عليه وسلم أحدثُ له هذا التواضع ^(١) .

فصل في وصول خبر مصاب أهل بدر إلى أهاليهم بمكة

قال ابن إسحاق : وكان أول من قدم مكة بمصاب قريش الحيسمان بن عبد الله الخزاعي فقالوا له : ما وراءك ؟ قال : قُتل عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ، وأبو الحكم ابن هشام ، وأميمة بن خلف ، وزمعة بن الأسود ، ونُدَيْسَة ومُنَبّه ، وأبو البَخْتَرِي ابن هشام .

فلما جعل يعدد أشراف قريش قال صفوان بن أمية : والله لن ^(٢) يعقل هذا ، فسأله عنى . فقالوا : ما فعل صفوان بن أمية ؟ قال : هو ذاك جالسا في الحجر ، قد والله رأيت أباه وأخاه حين قُتلا .

قال موسى بن عقبة : ولما وصل الخبر إلى أهل مكة وتحقّوه قطعت النساء شعورهن وعُقرت خيولٌ كثيرة ورواحل .

(١) يبدو على هذا الخبر الافتعال والصنعة . وفي سنده من هو مجهول الحال . وأبو القاسم الحرفي كان مضطرب السماع .
(٢) ابن هشام : والله إن يعقل .

وذكر السهيلي عن كتاب الدلائل لقاسم بن ثابت أنه قال لما كانت وقعة بدر سمع أهل مكة هاتفا من الجن يقول :

أَزَارَ الْخَفِيفُونَ بَدْرًا وَقِيعَةً سَيْفَقَضُّ مِنْهَا رَكْنُ كَسْرَى وَقِصْرًا
أَبَادَتِ رَجَالًا مِنْ لُؤَيٍّ وَأَبْرَزَتْ خِرَائِدَ يَضْرِبُ بَيْنَ التَّرَائِبِ حُسْرًا
فَيَاوِيحُ مِنْ أَمْسَى عَدُوٍّ مُحَمَّدٍ لَقَدْ جَارَ عَنْ قَصْدِ الْهُدَى وَتَحْيِرًا

قال ابن إسحاق : وحدثني حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس ، عن عكرمة مولى ابن عباس قال : قال أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم : كنت غلاما للعباس بن عبد المطلب ، وكان الإسلام قد دخلنا أهل البيت ، فأسلم العباس وأسلمت أم الفضل وأسلمت ، وكان العباس يهاب قومه ويكره خلافهم وكان يكتم إسلامه ، وكان ذا مال كثير متفرق في قومه . وكان أبو لهب قد تخلف عن بدر فبعث مكانه العاص ابن هشام بن المغيرة ، وكذلك كانوا صنعوا ، لم يتخلف منهم رجل إلا بعث مكانه رجلا . فلما جاءه الخبر عن مُصاب أصحاب بدر من قريش كبتة الله وأخزاه ووجدنا في أنفسنا قوةً وعزاً ، قال : وكنت رجلا ضعيفا وكنت أعمل الأقداح أنحتها في حجرة زمزم ، فوالله إني لجالس فيها أنحت أقداحي وعندي أم الفضل جالسة وقد سرنا ما جاءنا من الخبر ، إذ أقبل أبو لهب يجرُ رجله بشر حتى جلس على طُنب ^(١) الحجرة فكان ظهره إلى ظهري ، فبينما هو جالس إذ قال الناس : هذا أبو سفيان ، واسمه المغيرة بن الحارث بن عبد المطلب قد قديم . قال : فقال أبو لهب : هلم إليّ ، فعندك لعمري الخبر .

قال : فجلس إليه والناس قيام عليه فقال : يا ابن أخي أخبرني كيف كان أمر الناس ؟

قال : والله ما هو إلا أن لقينا القومَ فمَنَحْنَاهُمْ أَكْتافَنَا يقتلوننا كيف شاءوا ،

(١) الطنب : الطرف .

ويأسروننا كيف شاءوا ، وإيم الله مع ذلك ما لُمتُ الناسَ ، لَقِينَا رَجَالاً بِيضاً عَلَى خَيْلٍ بُلُقٍ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، وَاللَّهُ مَا تُلِقُ ^(١) شَيْئاً وَلَا يَقُومُ لَهَا شَيْءٌ .

قال أبو رافع : فرفعت طُنْبُ الحِجْرَةِ بِيَدِي ثُمَّ قُلْتُ : تَلَكُ وَاللَّهِ الْمَلَأْتُكَ !
قال : فرفع أبو لهب يده فضرب وجهي ضربة شديدة ، قال وثأورته ^(٢) فاحتلمني وضرب بي الأرض ثم برك علىّ بضربتي ، وكنت رجلاً ضعيفاً ، فقامت أم الفضل إلى عمود من عمد الحِجْرَةِ فأخذته فضربت به ضربة فبلغت في رأسه شجرة منكرة ، وقالت : استضعفتُه أَنْ غَابَ عَنْهُ سَيْدُهُ !

فقام مولياً ذليلاً ، فوالله ما عاش إلا سبع ليالٍ حتى رماه الله بالعدسة ^(٣) فقتلته .
زاد يونس عن ابن إسحاق : فلقد تركه ابنه بعد موته ثلاثاً ما دفناه حتى أنتن .
وكانت قريش تتقي هذه العدسة كما تتقي الطاعون ، حتى قال لهم رجل من قريش :
ويحكما ألا تستحيان أن أباكما قد أنتن في بيته لا تدفناناه ؟ فقالا : إنا نخشى عدوة
هذه القرحة ، فقال : انطلقا فأنأعينكما عليه . فوالله ما غسلوه إلا قذفاً بالماء عليه
من بعيد ما يدنون منه ، ثم احتملوه إلى أعلى مكة فأسندوه إلى جدار ثم رضموا
عليه بالحجارة .

[قال يونس عن ابن إسحاق : وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن
أبيه ، عن عائشة أم المؤمنين ، أنها كانت لا تمرُّ على مكان أبي لهب هذا إلا تسترَّتْ
بشوبها حتى تجُوزَ ^(٤)] .

قال ابن إسحاق : وحدثني يحيى بن عباد قال : ناحت قريش على قتلام ، ثم قالوا :

(١) تليق : تبق . (٢) ثأورته : واثبته . وفي ١ : بادرته .

(٣) العدسة : قرحة فاتلة كانت تنشأ بها العرب . (٤) سقط من ١ .

لا تفعلوا يبلغ^(١) محمداً وأصحابه فيشمتوا بكم ، ولا تبعثوا في أسراكم حتى تستأنسوا بهم
لا يَأْرَب^(٢) عليكم محمد وأصحابه في الفداء .

قلت : وكان هذا من تمام ما عذب الله به أحياءهم في ذلك الوقت وهو ترّكهم
النوح على قتلاهم ، فإن البكاء على الميت مما يبيلُ فؤاد الحزين .

قال ابن إسحاق : وكان الأسود بن المطلب قد أصيب له ثلاثة من ولده ، زَمْعَة
وعَقِيل والحارث ، وكان يحب أن يبكي على بنيهِ قال : فيينا هو كذلك إذ سمع نائحة من
الليل ، فقال لغلام له ، وكان قد ذهب بصره ، انظر هل أُحِلَّ النَّحْبُ ؟ هل بكت
قريش على قتلاها ؟ لعلي أبكي على أبي حَكِيمَة ، يعني ولده زَمْعَة ، فإن جوفى
قد احترق !

قال : فلما رجع إليه الغلام قال : إنما هي امرأة تبكي على بعير لها أضلّته . قال : فذاك
حين يقول الأسود :

أَتَبْكِي أَنْ أَضِلُّ ^(٣) لَهَا بَعِيرٌ	وَيَمْنَعُهَا مِنَ النُّومِ الشُّهُودُ
فَلَا تَبْكِي عَلَيَّ بَكَرٍ وَلَكِنْ	عَلَى بَدْرِ تَقَاصَّرَتِ الْجُدُودُ ^(٤)
عَلَى بَدْرِ سَرَاةِ بَنِي هُصَيْنٍ	وَمُخْزُومٍ وَرَهْطِ أَبِي الْوَلِيدِ
وَبَكِّي إِنْ بَكَيتِ أَبَا عَقِيلٍ ^(٥)	وَبَكِّي حَارِثًا أَسَدَ الْأَسُودِ
وَبَكِّيهِمْ وَلَا تَسْمِي جَمِيعًا	وَمَا لَأَبِي حَكِيمَةٍ مِنْ نَدِيدٍ ^(٦)
أَلَا قَدْ سَادَ بَعْدَهُمْ رِجَالُ	وَلَوْ لَا يَوْمٌ بِدْرِ لَمْ يَسُودُوا ^(٧)

(١) ابن هشام : فيبلغ . (٢) لا يَأْرَب : لا يشتد . (٣) ابن هشام : أن يضل .

(٤) البكر . الفتى من الإبل . والجدود : الخطوط . (٥) ابن هشام : على عقيل .

(٦) تسمى : تسمى . والتديد . الشبيه . (٧) هنا إقواء .

فصل

في بعث قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فداء أسراهم

قال ابن إسحاق : وكان في الأسارى أبو وداعة بن ضُبيرة السهمي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن له بمكة ابناً كيساً تاجراً ذا مال ، وكأنكم به قد جاء في طلب فداء أبيه » فلما قالت قريش : لا تعجلوا بفداء أسراكم لا يأرب عليكم محمد وأصحابه ؛ قال المطلب بن أبي وداعة ، وهو الذي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عنى : صدقتم لا تعجلوا . وانسل من الليل وقدم المدينة ، فأخذ أباه بأربعة آلاف درهم فانطلق به .

قلت : وكان هذا أول أسير فدى ثم بعث قريش في فداء أسراهم فقدم مكرز ابن حفص بن الأخيف في فداء سهيل بن عمرو ، وكان الذي أسره مالك بن الدخشم أخو بني سالم بن عوف ، فقال في ذلك :

أسرتُ سهيلاً فلا أبتغي أسيراً به من جميع الأمم
وخندفُ تعلم أن الفتى فتاها سهيل إذا يظلم
ضربت بذي الشفر حتى انثنى وأكرهت نفسي على ذى العلم

قال ابن إسحاق : وكان سهيل رجلاً أعلم من شفته السفلى .

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن عمرو بن عطاء أخو بني عامر بن لؤي ، أن عمر ابن الخطاب قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : دعني أنزع ثنية سهيل بن عمرو يذلع لسانه فلا يقوم عليك خطيباً في موطن أبداً . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا أمثل به فيمثل الله بي وإن كنت نبياً » .

قلت : هذا حديث مرسل بل مُعْضَل .

قال ابن إسحاق : وقد بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمر في هذا : « إنه عسى أن يقوم مقاماً لا تدمه » .

قلت : وهذا هو المقام الذي قامه سهيل بمكة حين مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتد من ارتد من العرب ، ونجم النفاق بالمدينة وغيرها ، فقام بمكة فخطب الناس وثبَّتْهم على الدين الخفيف . كما سيأتي في موضعه .

قال ابن إسحاق : فلما قاوَلْهم فيه مِكرَز وانتهى إلى رضائهم ، قالوا : هات الذي لنا . قال : اجعلوا رجلى مكان رجله وخلوا سبيله حتى يبعث إليكم بفدائه ، فخلوا سبيل سهيل وحبسوا مكرزاً عندهم .

وأُشْدله ابن إسحاق في ذلك شعراً أنكره ابن هشام ، فالله أعلم .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي بكر قال : وكان في الأسارى عمرو بن أبي سفيان صخر بن حرب .

قال ابن إسحاق : وكانت أمه بنت عقبة بن أبي مُعيط . قال ابن هشام : بل كانت أمه أخت أبي معيط .

قال ابن هشام : وكان الذي أسره على بن أبي طالب .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي بكر قال : فقيل لأبي سفيان : أفدى عمراً ابنك ، قال : أيجتمع على دمي ومالي ! قتلوا حنظلةً وأفدى عمراً ؟ دعوه في أيديهم يمسكوه ما بدا لهم .

قال : فبينما هو كذلك محبوس بالمدينة إذ خرج سعد بن النعمان بن أكل ، أخو بني عمرو بن عوف ثم أحد بني معاوية ، معتمراً ومعه مربية^(١) له ، وكانت شيخاً مسلماً ، في

(١) مربية : تصغير امرأة .

غنى له بالبقيع ، فخرج من هنالك معتمراً ، ولم يظن أنه يُحبس بمكة إنما جاء معتمراً ، وقد كان عهد قريش أن قريشا لا يعرضون لأحد جاء حاجاً أو معتمراً إلا بخير ، فعدا عليه أبو سفيان بن حرب بمكة فحبسه بابه عمرو ، وقال في ذلك :

أرھط ابن أكال أجيبوا دعاءه تعاقدتم لا تسلموا السيد الكهل
فإن بنى عمرو لئام أذلة لئن لم يكفوا^(١) عن أسيرهم الكبل
قال : فأجابه حسان بن ثابت يقول :

لو كان سعد يوم مكة مطلقاً لأكثر فيكم قبل أن يؤسر القتل
بعضب حسام أو بصفراء نبعة تحن إذا ما أنبضت تحفز النبلا^(٢)

قال : ومشى بنو عمرو بن عوف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه خبره ، وسألوه أن يعطيهم عمرو بن أبي سفيان فيفكوا به صاحبهم ، فأعطاهم النبي ، فبعثوا به إلى أبي سفيان فغلى سبيل سعد .

قال ابن إسحاق : وقد كان في الأسارى أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس بن أمية ، حتن رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوج ابنته زينب . قال ابن هشام : وكان الذى أسره خراش بن الصمة أحد بني حرام .

قال ابن إسحاق : وكان أبو العاص من رجال مكة المعدودين مالا وأمانة وتجارة ، وكانت أمه هالة بنت خويلد أخت خديجة بنت خويلد ، وكانت خديجة هى التى سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يزوجه بابنتها زينب وكان لا يخالفها ، وذلك قبل الوحي .

وكان عليه السلام قد زوج ابنته رقية ، أو أم كلثوم ، من عتبة بن أبي لهب ، فلما جاء الوحي قال أبو لهب : اشغلوا محمداً بنفسه . وأمر ابنه عتبة فطلق ابنة رسول الله صلى

(١) وتروى : يفكوا .

(٢) الصفراء : القوس . والنبع : شجر تصنع منه القسي . تحن : بصوت وترها . أنبضت : حركت .

الله عليه وسلم قبل الدخول ، فتزوجها عثمان بن عفان رضى الله عنه . ومشوا إلى أبي العاص فقالوا : فارق صاحبك ونحن نزوجك بأى امرأة من قريش شئت . قال : لا والله إذاً لا أفارق صاحبتى وما أحب أن لى بامرأتى امرأة من قريش . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يثنى عليه فى صهره فيما بلغنى .

قلت : الحديث بذلك فى الثناء عليه فى صهره ثابت فى الصحيح ، كما سيأتى . قال ابن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يَحُلُّ بِمَكَّةَ ولا يُحَرِّمُ ، مغلوباً على أمره ، وكان الإسلام قد فرق بين زينب ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أبي العاص ، وكان لا يقدر على أن يفرِّق بينهما .

قلت : إنما حرَّم الله المسلمات على المشركين عام الحديبية سنة ست من الهجرة . كما سيأتى بيانه إن شاء الله تعالى .

قال ابن إسحاق : حدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : لما بعث أهل مكة فى فداء أسراهم بعثت زينب بنت رسول الله فى فداء أبي العاص بمال ، وبعثت فيه بَقْلَادَةً لها كانت خديجة أدخلتها بها على أبي العاص حين بنى عليها .

قالت : فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم رقَّ لها رقَّةً شديدة وقال : « إن رأيتم أن تُطلقوها أسيرها وتردُّوا عليها الذى لها فافعلوا » . قالوا : نعم يا رسول الله ، فأطلقوه وردوا عليها الذى لها .

قال ابن إسحاق : فكان ممن سى لنا ممن منَّ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأسارى بغير فداء من بنى أمية : أبو العاص بن الربيع ، ومن بنى مخزوم المُلْطَب بن حَنْطَب بن الحارث بن عبيد بن عمر بن مخزوم أسره بعضُ بنى الحارث بن الخزرج ، فترك فى أيديهم حتى خلَّوا سبيله فلحق بقومه .

قال ابن إسحاق : وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخذ عليه أن يَحُلَّ

سبيل زينب ، يعنى أن تهاجر إلى المدينة ، فوفى أبو العاص بذلك كما سيأتى .
وقد ذكر ذلك ابن إسحاق ها هنا فأخبرناه لأنه أنسب . والله أعلم .
وقد تقدم ذكر افتداء العباس بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم نفسه وعقيل
ونوفلا ابني أخويه بمائة أوقية من الذهب .

وقال ابن هشام : كان الذى أسر أبا العاص أبو أيوب خالد بن زيد .
قال ابن إسحاق : وصيفى بن أبى رفاعه بن عائذ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ،
ترك فى أيدي أصحابه ، فأخذوا عليه ليبيعتن لهم بفدائه فخلوا سبيله ولم يف لهم . قال حسان
بن ثابت فى ذلك :

ما كان صيفى ليوفى أمانةً قفا ثعلب أعياء ببعض الموارد
✕ قال ابن إسحاق : وأبو عزة عمرو بن عبد الله بن عثمان بن أهيب بن حذافة بن جهم
كان محتاجاً ذا بنات ، قال : يارسول الله لقد عرفت مالى من مال ، وإنى لذو حاجة وذو
عيال فامنن على ، فمن عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذ عليه ألا يظاهر عليه
أحدًا ، فقال أبو عزة يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك :

مَنْ مُبْلَغٌ عَنِ الرَّسُولِ مُحَمَّدًا بَأْنِكَ حَقٌّ وَالْمَلِيكُ حَمِيدُ
وَأَنْتَ امْرُؤٌ تَدْعُو إِلَى الْحَقِّ وَالْهُدَى عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ الْعَظِيمِ شَهِيدُ
وَأَنْتَ امْرُؤٌ بَوِّثٌ فِينَا مَبَاءً لَهَا دَرَجَاتٌ سَهْلَةٌ وَصَعُودُ
فَأَنْتَ مَنْ حَارَبْتَهُ لَمْ حَارِبْ شَقِيٌّ وَمَنْ سَالَمْتَهُ لَسَعِيدُ
وَلَكِنْ إِذَا ذُكِّرْتُ بِدَرَأٍ وَأَهْلٍ تَأَوَّبَ مَا بَى حَسْرَةٍ وَقَعُودُ

قلت : ثم إن أبا عزة هذا نقض ما كان عاهد الرسول عليه ، ولعب المشركون بعقله ،
فرجع إليهم ، فلما كان يوم أحد أمر أيضاً ، فسأل من النبي صلى الله عليه وسلم أن يمن
عليه أيضاً فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لا أدعك تمسح عارضيك وتقول : خدعت
محمداً مرتين ! » ثم أمر به فضربت . عنقه كما سيأتى فى غزوة أحد .

ويقال : إن فيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يُلدغ المؤمن من جُحر مرتين » وهذا من الأمثال التي لم تسمع إلا منه عليه السلام .

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير ، قال : جلس عُمر بن وهب الجحى مع صفوان بن أمية في الحجر بعد مُصاب أهل بدر ييسر ، وكان عمر بن وهب شيطاناً من شياطين قريش ، ومن كان يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ويلقون منه عناء وهو بمكة ، وكان ابنه وهب بن عمر في أسارى بدر .

قال ابن هشام : والذي أسره رفاعه بن رافع أحد بني زريق .

قال ابن إسحاق : فحدثني محمد بن جعفر ، عن عروة فذكر أصحاب القلب ومصابهم ، فقال صفوان : والله ما إن في العيش [بعدهم] خير . قال له عمر : صدقت ، أما والله لولا دين عليّ ليس عندي قضاؤه وعياله أخشى عليهم الضيعة بعدى لركبت إلى محمد حتى أقتله ، فإن لي فيهم علة ، ابني أسير في أيديهم .

قال : فاعثمتها صفوان بن أمية فقال : عليّ دينك أنا أقضيه عنك ، وعيالك مع عيالي أواسيهم ما بقوا ، لا يسعني شيء ويعجز عنهم .

فقال له عمر : فاكم عليّ شأني وشأنك . قال : سأفعل .

قال : ثم أمر عمر بسيفه فشحذ له وسّم ، ثم انطلق حتى قدم المدينة ، فبينما عمر بن الخطاب في نفر من المسلمين يتحدثون عن يوم بدر ويذكرون ما أكرمهم الله به وما أراهم في عدوهم ، إذ نظر عمر إلى عمر بن وهب وقد أناخ على باب المسجد متوشعا السيف . فقال : هذا الكلب عدو الله عمر بن وهب ماجاء إلا لشر ، وهو الذي حرّش بيننا وحرّنا^(١) للقوم يوم بدر .

ثم دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا نبي الله هذا عدو الله عمير بن وهب قد جاء متوشحاً سيفه . قال : فأدخله على . قال : فأقبل عمر حتى أخذ بحمالة سيفه في عنقه فلبَّه بها وقال لمن كان معه من الأنصار : ادخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجلسوا عنده ، واحذروا عليه من هذا الخبيث فإنه غير مأمون .

ثم دخل به على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رآه رسول الله وعمر أخذ بحمالة سيفه في عنقه قال : « أرسله يا عمر ، اذنُ يا عمير » فدنا ثم قال : أنعم صباحاً . وكانت تحية أهل الجاهلية بينهم . فقال رسول الله : « قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك يا عمير ، بالسلام تحية أهل الجنة » قال : أما والله يا محمد إن كنت بها لحديث عهد .

قال : « فما جاء بك يا عمير ؟ » قال : جئت لهذا الأسير الذي في أيديكم فأحسنوا فيه .

قال : « فما بال السيف في عنقك ؟ »

قال : قبضها الله من سيوف وهل أغنت شيئاً ! .

قال : « اصدقني ما الذي جئت له ؟ » قال : ما جئت إلا لذلك .

قال : « بل قعدت أنت وصفوان بن أمية في الحجر ، فذكرتما أصحاب القليب من قريش ، ثم قلت : لولا دين علي وعيال عندى لخرجت حتى أقتل محمداً ، فتحمل لك صفوان بن أمية بدينك وعيالك ، على أن تقتلني له ، والله حائل بينك وبين ذلك » فقال عمير : أشهد أنك رسول الله ، قد كنا يا رسول الله نكذبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء وما ينزل عليك من الوحي ، وهذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان ، فوالله إني لأعلم ما أتاك به إلا الله ، فالحمد لله الذي هداني للإسلام وساقني هذا المساق . ثم شهد شهادة الحق .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فقهوا أخاكم في دينه ، وعلموه القرآن وأطلقوا أسيره » ففعلوا .

ثم قال : يا رسول الله إني كنت جاهداً على إطفاء نور الله ، شديد الأذى لمن كان

على دين الله ، وأنا أحب أن تأذن لي فأقدم مكة فأدعوهم إلى الله وإلى رسوله وإلى الإسلام
لعل الله يهديهم ، وإلا آذيتهم في دينهم كما كنت أؤذي أصحابك في دينهم .

فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلحق بمكة .
وكان صفوان حين خرج عمير بن وهب يقول : أبشروا بوقعة تأتاكم الآن في أيام
تنسيكم وقعة بدر .

وكان صفوان يسأل عنه الركبان ، حتى قدم راكب فأخبره عن إسلامه ، فحلف ألا
يكلمه أبداً ولا ينفعه بنفع أبداً .

قال ابن إسحاق : فلما قدم عمير مكة أقام بها يدعو إلى الإسلام ويؤذي من خالفه
أذى شديداً ، فأسلم على يديه ناس كثير .

قال ابن إسحاق : وعمير بن وهب ، أو الحارث بن هشام ، هو الذي رأى عدو
الله إبليس حين نكص على عقبيه يوم بدر وفرّ هارباً وقال : إني برئ منكم إني أرى
مالاً ترون ، وكان إبليس يومئذ في صورة سراقه بن مالك بن جُعشم أمير مدلج .

فصل

ثم إن الإمام محمد بن إسحاق رحمه الله تكلم على ما نزل من القرآن في قصة بدر ،
وهو من أول سورة الأنفال إلى آخرها ، فأجاد وأفاد ، وقد تفصينا الكلام على ذلك في
كتابنا التفسير فمن أراد الاطلاع على ذلك فلينظره ثم ، والله الحمد والمنة .

فصل

ثم شرع ابن إسحاق في تسمية من شهد بدرًا من المسلمين ، فسرّد أسماء من شهدها
من المهاجرين أولاً ، ثم أسماء من شهدها من الأنصار أو سبها وخزرجها إلى أن قال :
فجميع من شهد بدرًا من المسلمين من المهاجرين والأنصار ، من شهدها ومن ضرب له
بسمه وأجره ، ثلاثمائة رجل وأربعة عشر رجلاً .

من المهاجرين ثلاثة وثمانون .

ومن الأوس : أحدٌ وستون رجلاً . ومن الخزرج : مائة وسبعون رجلاً .

وقد سردهم البخارى فى صحيحه^(١) مرتبين على حروف المعجم بعد البداءة برسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أبى بكر وعثمان وعلى رضى الله عنهم .

وهذه تسمية من شهد بدرًا من المسلمين مرتبين على حروف المعجم وذلك من كتاب الأحكام الكبير للحافظ ضياء الدين محمد بن عبد الواحد المقدسى وغيره ، بعد البداءة باسم رئيسهم ونخبرهم وسيد ولد آدم محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(١) ذكر البخارى منهم أربعة وثلاثين غير رسول الله .

أسماء أهل بدر مرتبة على حروف المعجم

حرف الألف

أَبِي بن كعب النُّجَارِي سِيد القراء ، الأَرْقَم بن أَبِي الأَرْقَم ، وأبو الأَرْقَم عبد مناف
ابن أسد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم المخزومي ، أسعد بن يزيد بن الفاكه بن يزيد بن
خَلْدَة بن عامر بن العَجْلَان .

أسود بن زيد بن ثعلبة بن عُبيد بن غَنَم ، كذا قال موسى بن عقبة . وقال
موى : سواد بن رزام بن ثعلبة بن عبيد بن عدى شك فيه ، وقال سلمة بن الفضل
عن ابن إسحاق : سواد بن زُرَيْق بن ثعلبة ، وقال ابن عائذ : سواد بن زيد .
أسير بن عمرو الأنصاري أبو سليط ، وقيل أسير بن عمرو بن أمية بن لَوْذَان بن
سالم بن ثابت الخزرجي ، ولم يذكره موسى بن عقبة
أنس بن قَتَادَة بن ربيعة بن خالد بن الحارث الأوسي ، كذا سماه موسى بن عقبة ،
و [سماه] الأموي في السيرة : أنيس .

قلت : وأنس بن مالك خادم النبي صلى الله عليه وسلم ، لما روى عمر بن شَبَّة التميمي
حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري ، عن أبيه ، عن ثُمَامَة بن أنس ، قال : قيل لأنس بن مالك
أشهدتَ بدرًا ؟ قال : وأين أغيب عن بدر لا أمَّ لك !

وقال محمد بن سعد : أخبرنا محمد بن عبد الله الأنصاري ، حدثنا أبي ، عن مولى لأنس
ابن مالك ، أنه قال لأنس : شهدتَ بدرًا ؟ قال : لا أمَّ لك ! وأين أغيب عن بدر .

قال محمد بن عبد الله الأنصاري : خرج أنس بن مالك مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم إلى بدر وهو غلام يخدمه .

قال شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزي في تهذيبه : هكذا قال الأنصارى ، ولم يذكر ذلك أحد من أصحاب المغازى .

أنس بن معاذ بن أنس بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار ، أنسة الحبشى مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أوس بن ثابت بن المنذر النجارى .

أوس بن خولى بن عبد الله بن الحارث بن عبيد بن مالك بن سالم بن غنم بن عوف بن الخزرج الخزرجى . وقال موسى بن عقبة : أوس بن عبد الله بن الحارث بن خولى ، أوس بن الصامت الخزرجى أخو عبادة بن الصامت ، إياس بن البكير بن عبد ياليل بن ناشب بن غيرة بن سعد بن ليث بن بكر حليف بنى عدى بن كعب .

حرف الباء

بُخَيْر بن أبى بخير حليف بنى النجار ، بَحَّاث^(١) بن ثعلبة بن خزيمة بن أصرم بن عمرو بن عماره البلوى حليف الأنصار ، بَسْبَسَ بن عمرو بن ثعلبة بن خَرْشة بن زيد ابن عمرو بن سعيد بن ذبيان بن رشدان بن قيس بن جهينة الجهنى حليف بنى ساعدة ، وهو أحد العَيْنَيْنِ هو وعدى بن أبى الزغباء كما تقدم ، بَشْر بن البراء بن معرور الخزرجى الذى مات بخير من الشاة المسمومة ، بَشِير بن سعد بن ثعلبة الخزرجى والد النعمان بن بشير ، ويقال إنه أول من بايع الصديق ، بشير بن عبد المنذر أبو لُبَابَة الأوسى ، ردّه عليه السلام من الروحاء واستعمله على المدينة وضرب له بسهمه وأجره .

حرف التاء

تميم بن يعار بن قيس بن عدى بن أمية بن جدارة بن عوف بن الحارث بن

(١) ويقال له : نحاب وهى رواية ابن إسحاق . وما هنا قول ابن هشام .

الخرزج ، تميم مولى خِرَاش بن الصَّمَّة ، تميم مولى بنى غَنَم بن السَّلَم . وقال ابن هشام :
هو مولى سعد بن خيشمة .

حرف الثاء

ثابت بن أَقْرَم بن ثعلبة بن عَدَى بن العَجَلَان ، ثابت بن ثعلبة ، ويقال لثعلبة هذا :
الجذَع بن زيد بن الحارث بن حَرَام بن غَنَم بن كعب بن سلمة .

ثابت بن خالد بن النعمان بن خنساء بن عسيرة بن عبد بن عوف بن غَنَم بن مالك
ابن النجار النجاري ، ثابت بن خنساء بن عمرو بن مالك بن عَدَى بن عامر بن غَنَم بن
عَدَى بن النجار النجاري .

ثابت بن عمرو بن زيد بن عَدَى بن سَواد بن مالك بن غَنَم بن عَدَى بن النجار
النجاري ، ثابت بن هَزَال الخزرجي ، ثعلبة بن حاطب بن عمرو بن عبيد بن أمية بن
زيد بن مالك بن الأوس ، ثعلبة بن عمرو بن عبيد بن مالك النجاري ، ثعلبة بن عمرو
بن مَحْصَن الخزرجي ، ثعلبة بن عَنَمَة^(١) بن عَدَى بن نابي السلمي ، ثَقَف بن عمرو من
بنى حجر آل بنى سليم ، وهو من حلفاء بنى كثير بن غَنَم بن دُودان بن أسد .

حرف الجيم

جابر بن خالد بن [مسعود بن] عبد الأشهل بن حارثة بن دينار بن النجار
النجاري ، جابر بن عبد الله بن رِثَاب بن النعمان بن سِنَان بن عبيد بن عَدَى بن غَنَم بن
كعب بن سلمة السلمي أحد الذين شهدوا العقبة .

قلت : فأما جابر بن عبد الله بن عمرو بن حَرَام السلمي أيضا ، فذكره البخاري
فيهم في مسند عن سعيد بن منصور عن أبي معاوية عن الأعمش ، عن أبي سفيان ع
جابر ، قال : كنت أمتح لأصحابي المساء يوم بدر .

(١) ويقال : ابن غنمة كما في الاستيعاب .

وهذا الإسناد على شرط مسلم ، لكن قال محمد بن سعد : ذكرت لمحمد بن عمر يعني الواقدي ، هذا الحديث فقال : هذا وهم من أهل العراق . وأنكر أن يكون جابر شهد بدمراً .

وقال الإمام أحمد بن حنبل : حدثنا رَوْح بن عبادة ، حدثنا زكريا بن إسحاق ، حدثنا أبو الزبير ، أنه سمع جابر بن عبد الله يقول : غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تسع عشرة غزوة ولم أشهد بدمراً ولا أحداً ، منعتني أبي ، فلما قُتل أبي يوم أحد لم أنخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن غزاة .

ورواه مسلم عن أبي خَيْثَمَةَ عن رَوْح .

جَبَّار بن صخر الشَّامِي ، جَبْرِ بن عَتِيكَ الأنصاري ، جُبَيْر بن إِبَّاس الخزرجي .

حرف الحاء

الحارث بن أنس بن رافع الخزرجي ، الحارث بن أوس بن معاذ بن أخي سعد بن معاذ الأوسي ، الحارث بن حاطب بن عمرو بن عبيد بن أمية بن زيد بن مالك بن الأوس ، ردّه عليه السلام من الطريق وضرب له بسهمه وأجره ، الحارث بن خزيمة بن عدى بن أبي غنم ابن سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج حليف لبني زُعُور بن عبد الأشهل ، الحارث بن الصُّمَّة الخزرجي ، ردّه عليه السلام لأنه كُسِر من الطريق ، وضرب له بسهمه وأجره ، الحارث بن عُرْفُجَةَ الأوسي ، الحارث بن قيس بن خَلْدَةَ أبو خالد الخزرجي ، الحارث ابن النعمان بن أمية الأنصاري ، حارثة بن سُراقَةَ النجاري أصابه سهمٌ غَرَبٌ وهو في النَّظَّارَةِ فرفع إلى الفردوس ، حارثة بن النعمان بن رافع الأنصاري حاطب بن أبي بَلْتَعَةَ اللَّخْمِي حليف بني أسد بن عبد العزى بن قصي .

حاطب بن عمرو بن عبيد بن أمية الأشجَمِي من بني دهمان . هكذا ذكره ابن هشام عن غير ابن إسحاق . وقال الواقدي : حاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبد وُدّ ،

كذا ذكره ابن عائذ في مغازيه . وقال ابن أبي حاتم : حاطب بن عمرو بن عبد شمس ، سمعته من أبي وقال : هو رجل مجهول .

الحَبَّابُ بن المنذر الخزرجي ، ويقال كان لواء الخزرج معه يومئذ .

حبيب بن أسود مولى بني خرام من بني سلمة ، وقال موسى بن عقبة : حبيب ابن سعد بدل أسود ، وقال ابن أبي حاتم : حبيب بن أسلم مولى آل جُشم بن الخزرج ، أنصاري بدرى .

حُرَيْث بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه الأنصاري ، أخو عبدالله بن زيد الذي أرى النداء ، الحصين بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف ، حمزة بن عبد المطلب بن هاشم عم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حرف الحاء

خالد بن البُكَيْر أخو إياس المتقدم . خالد بن زيد أبو أيوب النجاري ، خالد بن قيس بن مالك بن العجلان الأنصاري ، خازجة بن الحمير حليف بني خنساء من الخزرج ، وقيل اسمه حارثة بن الحمير وسماه ابن عائذ خازجة . فالله أعلم . خازجة بن زيد الخزرجي صهر الصديق ، خَبَّاب بن الأرت حليف بني زهرة ، وهو من المهاجرين الأولين وأصله من بني تميم ويقال من خزاعة ، خَبَّاب مولى عتبة بن غزوان من المهاجرين الأولين ، خِرَاش بن الصمة السلمي ، حُبيب بن إساف بن عنبه الخزرجي ، خُرَيْم بن فاتك ذكره البخاري فيهم ، خليفة بن عدى الخزرجي ، خُليد بن قيس بن النعمان بن سنان بن عبيد الأنصاري السلمي ، خُنَيْس بن حُذافة بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم بن عمرو بن هُصَيْن بن كعب بن اؤى السهمي ، قتل يومئذ فتأيّمت منه حفصة بنت عمر بن الخطاب ، خَوَّات بن جُبَيْر الأنصاري ضرب له بسهمه وأجره لم يشهدا بنفسه ، خَولى بن أبي خولى العجلي حليف بني عدى من المهاجرين الأولين ،

خَلَّادُ بْنُ رَافِعٍ ، وَخَلَّادُ بْنُ سُؤَيْدٍ ، وَخَلَّادُ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْجَمُوحِ الْخَزْرَجِيُّونَ .

حرف الذال

ذَكْوَانُ بْنُ عَبْدِ قَيْسٍ الْخَزْرَجِيُّ ، ذُو الشَّامِلِينَ بْنِ عَبْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نَضْلَةَ مِنْ غَبْشَانَ
ابْنِ سَلِيمٍ بْنِ مَلِكَانَ بْنِ أَفْصَى بْنِ حَارِثَةَ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَامِرٍ مِنْ بَنِي خَزَاعَةَ حَلِيفِ
لَبْنَى زُهْرَةَ قَتَلَ يَوْمَئِذٍ شَهِيداً . قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَاسْمُهُ عَمِيرٌ وَإِنَّمَا قِيلَ لَهُ ذُو الشَّامِلِينَ لِأَنَّهُ
كَانَ أَعْسَرَ .

حرف الراء

رَافِعُ بْنُ الْحَارِثِ الْأَوْسِيُّ ، رَافِعُ بْنُ عُنَجْدَةَ . قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : هِيَ أُمُّهُ ، رَافِعُ بْنُ
الْمَعْلَى بْنِ لَوْذَانَ الْخَزْرَجِيُّ قَتَلَ يَوْمَئِذٍ ، رَبِيعَى بْنُ رَافِعِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ بْنِ
الْجَدِّ بْنِ عَجْلَانَ بْنِ ضُبَيْعَةَ وَقَالَ مُوسَى بْنُ عَقَبَةَ : رَبِيعَى بْنُ أَبِي رَافِعٍ ، رَبِيعُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ
الْخَزْرَجِيُّ ، رَبِيعَةُ بْنُ أَكْثَمَ بْنِ سَخْبَرَةَ بْنِ عَمْرِو بْنِ لَكَيْزِ بْنِ عَامِرٍ بْنِ غَنَمِ دُودَانَ
ابْنِ أَسَدِ بْنِ خَزِيمَةَ حَلِيفِ لَبْنَى عَبْدِ شَمْسٍ بَنَى عَبْدِ مَنَافٍ وَهُوَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ ،
رَخِيلَةَ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ خَالِدِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ عَامِرٍ بْنِ بَيَاضَةَ الْخَزْرَجِيِّ ، رِفَاعَةَ بْنِ رَافِعِ الزُّرْقِيِّ أَخُو خَلَّادِ بْنِ
رَافِعٍ ، رِفَاعَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُنْذَرِ بْنِ زُنَيْرِ الْأَوْسِيِّ أَخُو أَبِي لُبَابَةَ ، رِفَاعَةُ بْنُ عَمْرِو بْنِ
زَيْدِ الْخَزْرَجِيِّ .

حرف الزاي

الزَّيْبِرُ بْنُ الْعَوَامِ بْنِ خُوَيْلِدِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزَى بْنِ قَصَى ، ابْنُ عَمَةٍ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحَوَارِيهِ .

زِيَادُ بْنُ عَمْرِو . وَقَالَ مُوسَى بْنُ عَقَبَةَ : زِيَادُ بْنُ الْأَخْرَسِ بْنِ عَمْرِو الْجَهَنِيِّ .
وَقَالَ الْوَاقِدِيُّ : زِيَادُ بْنُ كَعْبِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَدَى بْنِ رِفَاعَةَ بْنِ كَلِيبِ بْنِ بَرْدَعَةَ بْنِ

عدى بن عمرو بن الزُّبَيْرِ بن رشدان بن قيس بن جهينة .

زياد بن كَيْبِد الزُّرْق ، زياد بن المزين بن قيس الخزرجى ، زيد بن أسلم بن ثعلبة ابن عدى بن عَجَلان بن ضُبَيْعة ، زيد بن حارثة بن شُرْحَبِيل مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم رضى الله عنه ، زيد بن الخطاب بن نفيل أخو عمر بن الخطاب رضى الله عنهما ، زيد بن سهل بن الأسود بن حَرَام النجارى أبو طلحة رضى الله عنه .

حرف السين

سالم بن عمير الأوسى ، سالم بن [غنم بن] عوف الخزرجى ، سالم بن معقل مولى أبى حذيفة ، السائب بن عثمان بن مظعون الجحى ، شهد مع أبيه ، سبيع بن قيس بن عَيْشَةَ الخزرجى ، سَبْرَة بن فاتك ذكره البخارى ، سراقه بن عمرو النجارى ، سراقه بن كعب النجارى أيضا ، سعد بن خولة مولى بنى عامر بن لؤى من المهاجرين الأولين ، سعد بن خيشمة الأوسى قتل يومئذ شهيداً ، سعد بن الربيع الخزرجى الذى قتل يوم أحد شهيداً ؛ سعد بن زيد بن مالك الأوسى ، وقال الواقدى : سعد بن زيد بن الفاكه الخزرجى ، سعد بن سهيل بن عبد الأشهل النجارى ، سعد بن عبيد الأنصارى ، سعد بن عثمان بن خلدة الخزرجى أبو عبادة ، وقال ابن عائذ : أبو عبيدة . سعد بن معاذ الأوسى وكان لواء الأوس معه .

سعد بن عبادة بن دُلَيْم الخزرجى ، ذكره غير واحد منهم عروة والبخارى وابن أبى حاتم والطبرانى فيمن شهد بدرأ ، ووقع فى صحيح مسلم ما يشهد بذلك حين شاور النبى صلى الله عليه وسلم فى ملتقى النفير من قريش ، فقال سعد بن عبادة : كأنك تريدنا يا رسول الله الحديث . والصحيح أن ذلك سعد بن معاذ .

والشهور أن أسعد بن عبادة رَدَّه من الطريق ، قيل : لاستنابته على المدينة وقيل لدعته حية فلم يتمكن من الخروج إلى بدر .

حكاه السهيل عن بن قتيبة فالله أعلم .

سعد بن أبي وقاص . مالك بن أهيب الزهري أحد العشرة ، سعد بن مالك أبو سهل ، قال الواقدي : تجهز ليخرج فرض فأت قبل الخروج .

سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوي ابن عم عمر بن الخطاب ، يقال : قدم من الشام بعد مرجعه من بدر فضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بنهما وأجره .

سفيان بن بشر بن عمرو الخزرجي ، سلمة بن أسلم بن حريش الأوسي ، سلمة بن ثابت بن وقش بن زغبة ، سلمة بن سلامة بن وقش بن زغبة ، سليم بن الحارث النجاري ، سليم بن عمرو السلمي ، سليم بن قيس بن فهد الخزرجي ، سالم بن ملحان أخو حرام بن ملحان النجاري ، سمالك بن أوس بن خرشة أبو دجانة ، ويقال سمالك بن خرشة ، سمالك بن سعد بن ثعلبة الخزرجي وهو أخو بشير بن سعد المتقدم . سهل بن حنيف الأوسي ، سهل بن عتيك النجاري ، سهل بن قيس السلمي ، سهيل بن رافع النجاري الذي كان له ولأخيه موضع المسجد النبوي كما تقدم ، سهيل بن وهب الفهري ، وهو ابن بيضاء وهي أمه ، سنان بن أبي سنان بن محسن بن حرثان من المهاجرين حليف بني عبد شمس بن عبد مناف ، سنان بن صيفي السلمي ، سواد بن زريق بن زيد الأنصاري . وقال الأموي : سواد بن رزام . سواد بن غزيرة بن أهيب البلوي ، سويط بن سعد بن حرملة العبدي ، سويد بن مخشي أبو مخشي الطائي حليف بني عبد شمس ، وقيل اسمه أزيد بن حمير .

حرف الشين

شجاع بن وهب بن ربيعة الأسدي ، أسد بن خزيمة حليف بني عبد شمس من المهاجرين الأولين . شماس بن عثمان الخزومي . قال ابن هشام : واسمه عثمان بن عثمان وإنما

سمى شماساً لحسنه وشبهه شماساً كان في الجاهلية ، شقران مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال الواقدي : لم يُسهم له وكان على الأسرى فأعطاه كل رجل ممن له في الأسرى شيئاً ، فحصل له أكثر من سهم .

حرف الصاد

صُهيب بن سنان الرومي من المهاجرين الأولين ، صفوان بن وهب بن ربيعة الفهري أخو سهيل بن بيضاء ، قتل شهيداً يومئذ ، صخر بن أمية بن خنساء السلمي .

حرف الضاد

ضحّاك بن حارثة بن زيد السلمي ، ضحّاك بن عبد عمرو النجاري ، ضَمْرَة بن عمرو الجهني . وقال موسى بن عقبة : ضَمْرَة بن كعب بن عمرو حليف الأنصار ، وهو أخو زياد بن عمرو .

حرف الطاء

طلحة بن عبيد الله التيمي أحد العشرة قدم من الشام بعد مرجعهم من بدر ، فضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهمه وأجره ، طفيل بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف من المهاجرين ، وهو أخو حصين وعبيدة ، طفيل بن مالك بن خنساء السلمي طفيل بن النعمان بن خنساء السلمي ابن عم الذي قبله ، طُليب بن عمير بن وهب بن أبي كبير بن عبد بن قصي . ذكره الواقدي .

حرف الظاء

ظهير بن رافع الأوسي ذكره البخاري .

حرف العين

عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح الأنصاري ، الذي حمته الدَّبر^(١) حين قُتل بالرَّجيع عاصم بن عدى بن الجدّ بن عجلان ، ردّه عليه السلام من الروحاء وضرب له بسهمه وأجره ، عاصم بن قيس بن ثابت الخزرجي ، عاقل بن البكير أخو إياس وخالد وعامر ، عامر بن أمية بن زيد بن الحُصْحاس النجاري ، عامر بن الحارث الفهري كذا ذكره سلمة عن ابن إسحاق وابن عائذ . وقال موسى بن عقبة وزياذ عن ابن إسحاق : عمرو بن الحارث ، عامر بن ربيعة بن مالك العنزي حليف بني عدى من المهاجرين ، عامر بن سلمة بن عامر ابن عبد الله البلوي القُضَاعِي حليف بني سالم بن مالك بن سالم بن غَنَم . قال ابن هشام : ويقال عمر بن سلمة ، عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أهيب بن ضَبَّة بن الحارث بن فهر أبو عبيدة بن الجراح أحد العشرة من المهاجرين الأولين ، عامر بن فهيرة مولى أبي بكر ، عامر بن مُحَمَّد النجاري ، عائذ بن ماعِض بن قيس الخزرجي ، عَبَّاد بن بشر بن وَقْش الأوسى ، عَبَّاد بن قيس بن عامر الخزرجي ، عَبَّاد بن قيس بن عَيْشَة الخزرجي أخو سُبَيْع المتقدم ، عباد بن الخشخاش القُضَاعِي ، عبادة بن الصامت الخزرجي ، عبادة بن قيس بن كعب بن قيس ، عبد الله بن أمية بن عُرْفُطَة ، عبد الله بن ثعلبة بن خزيمة أخو بَحَّاث المتقدم ، عبد الله بن جحش بن رَبَّاب الأسدي ، عبد الله بن جُبَيْر ابن النعمان الأوسى .

عبد الله بن الجدّ بن قيس السلمي ، عبد الله بن حقّ بن أوس الساعدي .
وقال موسى بن عقبة والواقدي وابن عائذ : عبد رب بن حق ، وقال ابن هشام :
عبد ربه بن حق .

(١) الدبر : النحل .

عبد الله بن الحخير حليف لبني حَرَام ، وهو أخو خاتجة بن الحخير من أشجع ، عبد الله ابن الربيع بن قيس الخزرجي ، عبد الله بن رواحة الخزرجي عبد الله بن زيد بن عبد ربه ابن ثعلبة الخزرجي ، الذي أرى النداء .

عبد الله بن سُرَاقَة العدوي لم يذكره موسى بن عُقبة ولا الواقدي ولا ابن عائذ ، وذكره ابن إسحاق وغيره .

عبد الله بن سلمة بن مالك العجلان حليف الأنصار ، عبد الله بن سهل بن رافع أخو بني زَعُورَا ، عبد الله بن سُهَيْل بن عمرو خرج مع أبيه والمشركون ثم فرَّ من المشركون إلى المسلمين فشهدا معهم ، عبد الله بن طارق بن مالك القضاعي حليف الأوس ، عبد الله بن عامر من بَلِيٍّ ، ذكره ابن إسحاق .

عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول الخزرجي وكان أبوه رأس المنافقين ، عبد الله ابن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم أبو سلمة زوج أم سلمة ، قُتِل يومئذ ، عبد الله بن عبد مناف بن النعمان السلمي ، عبد الله بن عباس ، عبد الله بن عثمان ابن عامر بن عمرو بن كعب بن تيم بن مُرَّة بن كعب أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، عبد الله بن عُرْفُطَة بن عَدَى الخزرجي .

عبد الله بن عمر بن حَرَام السلمي أبو جابر ، عبد الله بن عُمَيْر بن عَدَى الخزرجي ، عبد الله بن قيس بن خالد النجاري ، عبد الله بن قيس بن صخر بن حَرَام السلمي . عبد الله بن كعب بن عمرو بن عوف بن مَبْدُول بن عمرو بن غَنَم بن مازن بن النجار ، جعله النبي صلى الله عليه وسلم مع عَدَى بن أبي الزَّغْبَاء على النفل يوم بدر .

عبد الله بن حَخْرَمَة بن عبد العُزْرى من المهاجرين الأولين ، عبد الله بن مسعود الهذلي حليف بني زُهْرَة من المهاجرين الأولين ، عبد الله بن مَظْعُون الجحفي من المهاجرين الأولين ، عبد الله بن النعمان بن بَلْدَمَة السلمي ، عبد الله بن أُنَيْسَة بن النعمان السلمي ،

عبد الرحمن بن جبر بن عمرو أبو عيسى الخزرجي ، عبد الرحمن بن عبد الله بن
نُعامة أبو عقيل القُضاعي البَلَوِي .

عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زُهرة بن كلاب الزهري
أحد العشرة رضى الله عنهم ، عبس بن عامر بن عدى السلمى ، عبيد بن التَّيْهَان أخو أبو
الهيثم بن التَّيْهَان ، ويقال عَتِيكَ بدل عبيد .

عبيد بن ثعلبة من بنى غَنَم بن مالك ، عبيد بن زيد بن عامر بن عمرو بن العَجَلان بن
عامر ، عبيد بن أبى عبيد .

عُبَيْدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف أخو الحُصَيْن والطُّفَيْل ، وكان أحد
الثلاثة الذين بارزوا يوم بدر فقطعت يده ثم مات بعد المعركة ، رضى الله عنه .

عُتْبَان بن مالك بن عمرو الخزرجي ، عتبة بن ربيعة بن خالد بن معاوية البَهْرَانِي
حليف بنى أمية بن لَوْذَان ، عتبة بن عبد الله بن صخر السلمى ، عتبة بن غَزْوَان بن جابر
من المهاجرين الأولين .

عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف الأموى أمير
المؤمنين أحد الخلفاء الأربعة وأحد العشرة ، تخلف على زوجته رقية بنت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يَرْضَاهَا حتى ماتت فضرِبَ له بسهمه وأجره .

عُثْمَان بن مَظْمُون الجَحْمِي أبو السائب ، أخو عبد الله وقدامة من المهاجرين الأولين .
عَدَى بن أبى الزَّغْبَاء الجُهْنِي ، وهو الذى أرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم
وَبَسَّسَ بن عمرو بين يديه عَيْنًا .

عِصْمَة بن الحصين بن وَبَرَة بن خالد بن العَجَلان ، عَضِيمَة حليف لبنى الحارث بن سِوَار
من أَشْجَع ، وقيل من بنى أسد بن خزيمة ، عطية بن نُويرَة بن عامر بن عطية الخزرجي ،
عُقْبَة بن عامر بن نَابِي السلمى ، عقبة بن عثمان بن خَلْدَة الخزرجي أخو سعد بن عثمان .

عقبة بن عمرو أبو مسعود البدرى ، وقع فى صحيح البخارى أنه شهد بدرًا وفيه نظر عند كثير من أصحاب المغازى ، ولهذا لم يذكره .

عقبة بن وهب بن ربيعة الأسدى ، أسد خزيمه ، حليف لبني عبد شمس وهو أخو شجاع بن وهب من المهاجرين الأولين ، عُقبة بن وهب بن كَلْدَة حليف بنى غطفان .

عُكَّاشَة بن مَخْصَن الغنمى من المهاجرين الأولين ، وممن لا حساب عليه .

على بن أبى طالب الهاشمى أمير المؤمنين ، أحد الخلفاء الأربعة ، وأحد الثلاثة الذين بارزوا يومئذ رضى الله عنه .

عمار بن ياسر العنسى المذحجى من المهاجرين الأولين ، عمارة بن حزم بن زيد النجارى .
عمر بن الخطاب أمير المؤمنين أحد الخلفاء الأربعة وأحد الشيخين المقتدى بهما رضى الله عنهما .

عمر بن عمرو بن إياس من أهل اليمن حليف لبني كَوْذان بن عمرو بن سالم ، وقيل هو أخو ربيع وورقة ، عمرو بن ثعلبة بن وهب بن عدى بن مالك بن عدى بن عامر أبو حكيم .

عمرو بن الحارث بن زهير بن أبى شداد بن ربيعة بن هلال بن أهيب بن ضَبْشَة بن الحارث بن فهر الفهرى ، عمرو بن سُراقَة العدوى من المهاجرين ، عمرو بن أبى سَرْح الفهرى من المهاجرين . وقال الواقدى وابن عائذ : معمر بدل عمرو .

عمرو بن طَلْق بن زيد بن أمية بن سِنَان بن كعب بن غنم ، وهو فى بني حَرَام ، عمرو ابن الجُوح بن حَرَام الأنصارى ، عمرو بن قيس بن زيد بن سَواد بن مالك بن غنم .
ذكره الواقدى والأموى .

عمرو بن قيس بن مالك بن عدى بن خنساء بن عمرو بن مالك بن عدى بن عامر أبو خَارِجَة ، ولم يذكره موسى بن عقبة .

عمرو بن عامر بن الحارث الفهري ذكره موسى بن عقبة ، عمرو بن معبد بن الأزعر الأوسى ، عمرو بن معاذ الأوسى أخو سعد بن معاذ ، عمير بن الحارث بن ثعلبة ويقال عمرو بن الحارث بن كبدة بن ثعلبة السلمى ، عمير بن حرام بن الجموح السلمى ، ذكره ابن عائد والواقدي .

عمير بن الحُطام بن الجُمُوح ابن عم الذى قبله ، قُتل يومئذ شهيداً ، عمير بن عامر بن مالك ابن الخنساء بن مَبْدُول بن عمرو بن غنم بن مازن أبو داود المازنى .

عمير بن عوف مولى سُهيل بن عمرو ، وسماه الأموى وغيره : عمرو بن عوف . وكذا وقع فى الصحيحين فى حديث بَعَثَ أبى عبيدة إلى البحرين .

عمير بن مالك بن أَهْيَب الزهرى أخو سعد بن أبى وقاص قتل يومئذ شهيداً ، عنتره مولى بنى سليم وقيل إنه منهم ، فالله أعلم . عوف بن الحارث بن رفاعه بن الحارث النَّجَارى وهو ابن عفراء بنت عبيد بن ثعلبة النجارية قتل يومئذ شهيداً ، عُوَيْم بن ساعدة الأنصارى من بنى أمية بن زيد ، عِيَّاض بن غنم الفهري من المهاجرين الأولين . رضى الله عنهم أجمعين .

حرف الغين

غَنَّام بن أوس الخزرجى . ذكره الواقدي وليس بمُجْمَع عليه .

حرف الفاء

الفاكه بن بِشْر بن الفاكه الخزرجى ، فَرْوَة بن عمرو بن ودْفَة ^(١) الخزرجى .

حرف القاف

قَتَادَة بن النعمان الأوسى . قُدَّامة بن مظعون الجحى من المهاجرين أخو عثمان وعبدالله

(١) فى الاشتقاق ٤٦١ : ابن ودْفَة . قال : والودْفَة زعموا الروضة .

قُطَيْبَةُ بْنُ عَامِرٍ بْنِ حَدِيدَةَ السَّلْمَى . قَيْسُ بْنُ السَّكَنِ النُّجَارِيُّ ، قَيْسُ بْنُ أَبِي سَعْدَةَ
عَمْرُو بْنُ زَيْدِ الْمَازَنِى كَانَ عَلَى السَّاقَةِ يَوْمَ بَدْرَ . قَيْسُ بْنُ مُحْصَنٍ بْنُ خَالِدِ الْخَزْرَجِيِّ ، قَيْسُ
ابْنِ مُخَلَّدٍ بْنُ ثَعْلَبَةَ النُّجَارِيِّ .

حرف الكاف

كَعْبُ بْنُ حَمَانَ^(١) وَيُقَالُ جَمَّارٌ وَيُقَالُ جَمَّازٌ . وَقَالَ ابْنُ هِشَامٍ : كَعْبُ بْنُ غُبْشَانَ^(٢)
وَيُقَالُ : كَعْبُ بْنُ مَالِكِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ جَمَّازٍ . وَقَالَ الْأُمَوِيُّ : كَعْبُ بْنُ ثَعْلَبَةَ بْنِ حَبَالَةَ بْنِ غَنَمِ
الْفَسَّانِيِّ مِنْ حُلَفَاءِ بَنِي الْخَزْرَجِ بْنِ سَاعِدَةَ .

كَعْبُ بْنُ زَيْدِ بْنِ قَيْسِ النُّجَارِيِّ ، كَعْبُ بْنُ عَمْرٍو أَبُو الْيُسْرِ السَّلْمَى ، كَلْبَةُ بْنُ ثَعْلَبَةَ
أَحَدَ الْبَكَّاثِينَ ذَكَرَهُ مُوسَى بْنُ عَقِبَةَ ، كَنْزَا بْنُ حُصَيْنٍ بْنُ يَرْبُوعَ أَبُو مَرْثَدَ الْغَنَوِيُّ ،
مِنْ الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ .

حرف الميم

مَالِكُ بْنُ الدُّخْشَمِ وَيُقَالُ ابْنُ الدُّخْشَنِ الْخَزْرَجِيُّ ، مَالِكُ بْنُ أَبِي خَوْلَى الْجَعْفِيُّ حَلِيفُ
بَنِي عَدَى ، مَالِكُ بْنُ رَبِيعَةَ أَبُو أَسِيدِ السَّاعِدِيِّ ، مَالِكُ بْنُ قَدَامَةَ الْأَوْسِيُّ ، مَالِكُ بْنُ
عَمْرٍو أَخُو ثَقْفِ بْنِ عَمْرٍو وَكِلَاهُمَا مُهَاجِرِيٌّ ، وَهُمَا مِنْ حُلَفَاءِ بَنِي تَمِيمٍ بْنِ دُودَانَ بْنِ أَسَدَ ،
مَالِكُ بْنُ قَدَامَةَ الْأَوْسِيُّ ، مَالِكُ بْنُ مَسْعُودِ الْخَزْرَجِيِّ ، مَالِكُ بْنُ ثَابِتٍ بْنُ كُنَيْسَةَ الْمَزَنِيِّ
حَلِيفُ ابْنِ عَمْرٍو بْنِ عَوْفٍ ، مَبْشَرُ بْنُ عَبْدِ الْمُنْذَرِ بْنِ زَنْبَرِ الْأَوْسِيِّ أَخُو أَبِي إِبْرَاهِيمَ وَرَفَاعَةَ ،
قَتَلَ يَوْمَئِذٍ شَهِيداً ، الْحِذْرُ بْنُ زِيَادٍ^(٣) الْبَلَوِيُّ مُهَاجِرِيٌّ ، مُحَرِّزُ بْنُ عَامِرِ النُّجَارِيِّ ، مُحَرِّزُ
ابْنِ نَضْلَةَ الْأَسَدِيِّ حَلِيفُ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ مُهَاجِرِيٌّ ، مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ حَلِيفُ بَنِي عَبْدِ

(١) ابْنُ هِشَامٍ : ابْنُ حَمَارٍ . (٢) ابْنُ هِشَامٍ : كَعْبُ بْنُ جَمَّازٍ وَهُوَ مِنْ غُبْشَانَ .

(٣) الْأَصْلُ زِيَادٌ . وَهُوَ تَخْرِيفٌ وَمَا أَثْبَتَهُ عَنِ الْإِسْتِثْقَاءِ لِابْنِ دُرَيْدٍ ٥٥٠ .

الأشمل ، مُذَلَجٌ ويقال مِذْلَاجٌ بن عمرو أخو ثَقَف بن عمرو مهاجري ، مَرْتَدٌ بن أبي مَرْتَدٍ الفَنَوِي ، مِسْطَحٌ بن أَثَاثَةَ بن عَبَّاد بن المطلب بن عبد مناف من المهاجرين الأولين ، وقيل اسمه عوف ، مسعود بن أوس الأنصاري النجَّاري ، مسعود بن خَلْدَةَ الخَزْرَجِي ، مسعود بن ربيعة القاري حليف بنى زهرة مهاجري ، مسعود بن سعد ويقال ابن عبد سعد بن عامر بن عدى بن جُشَم بن مَجْدَعَةَ بن حارثة بن الحارث ، مسعود بن سعد بن قيس الخزرجي ، مُصْعَب بن عُمير العبدي مهاجري كان معه اللواء يومئذ ، معاذ بن جبل الخزرجي ، معاذ بن الحارث النجَّاري وهذا هو ابن عَفْرَاء أخو عوف ومُعَوِّذ ، معاذ بن عمرو بن الجموح الخزرجي ، معاذ بن ما عِض الخزرجي أخو عائذ .
مَعْبِد بن عَبَّاد بن قُشَيْر بن الْقِدَم^(١) بن سالم بن غَنَم ، ويقال مَعْبِد بن عُبَادَةَ بن قيس وقال الواقدي : قَشْعَر بدل قُشَيْر . وقال ابن هشام : قَشْعَر أبو خميسة .

مَعْبِد بن قيس بن صخر السلمي أخو عبد الله بن قيس ، مُعْتَب بن عبيد بن إياس البلوي القضاعي ، معتب بن عوف الخزاعي ، حليف بنى مخزوم من المهاجرين ، مُعْتَب بن قشير الأوسي ، مَعْقِل بن المنذر السلمي ، معمر بن الحارث الجحفي من المهاجرين ، مَعْنُ ابن عدى الأوسي ، مُعَوِّذ بن الحارث الجحفي وهو ابن عفراء ، أخو معاذ بن عوف ، معوذ ابن عمرو بن الجموح السلمي لعله أخو معاذ بن عمرو ، الْقِدَاد بن عمرو البَهْرَانِي ، وهو المقداد ابن الأسود من المهاجرين الأولين وهو ذو المقال الحمود ، ابن المتقدم ذكره وكان أحد الفرسان يومئذ ، مُكَلِيل بن وَبَرَةَ الخزرجي ، المنذر بن عمرو بن خُنَيْس الساعدي ، المنذر بن قدامة بن عَرَجَةَ الخزرجي ، المنذر بن محمد بن عُقْبَةَ الأنصاري من بني جَعْفَرِي مِنْهَجَم مولى عمر بن الخطاب أصله من اليمن وكان أول قتيل من المسلمين يومئذ .

١٠ (١) الأصل : القدم . وما أثبتته من الاشتقاق ٤٥٩ . والقدم : السيد المطاء .

حرف النون

نصر بن الحارث بن عبد رزاح بن ظُفر بن كعب ، نعمان بن عبد عمرو النجاري ، وهو أخو الضَّحَّاك . نعمان بن عمرو بن رفاعة النجاري ، نعمان بن عمرو بن الحارث حليف لبني الأوس ، نعمان بن مالك بن ثعلبة الخزرجي ، ويقال له قَوْقُل ، نعمان بن يسَّار مولى لبني عبید ، ويقال نعمان بن سنان . نوفل بن عبید الله بن نَضْلَة الخزرجي .

حرف الهاء

هانيء بن نِيَّار أبو بُرْدَة البَلَوِي ، خال البراء بن عازب . هلال بن أمية الواقي ، وقع ذكره في أهل بدر في الصحيحين في قصة كعب بن مالك ، ولم يذكره أحد من أصحاب المغازي . هلال بن المعلّى الخزرجي ، أخو رافع بن المعلّى .

حرف الواو

واقد بن عبد الله التميمي ، حليف بني عدى من المهاجرين ، ودِيعَة بن عمرو بن جَرَاد الجُهَنِي ، ذكره الواقدي وابن عائذ ، ورقة بن إِيَّاس بن عمرو الخزرجي أخو ربيع بن إِيَّاس ، وهب بن سعد بن أبي سَرَح ، ذكره موسى بن عقبة وابن عائذ والواقدي في بني عامر بن لؤي ولم يذكره ابن اسحاق .

حرف الياء

يزيد بن الأخنس بن جَنَاب بن حبيب بن جرّة السُّلَمِي . قال السُّهَيْلِي : شهد هو وأبوه وابنه يعني بدرًا ، ولا يعرف لهم نظير في الصَّجَابَة ، ولم يذكرهم ابن إسحاق والأَكْثَرُونَ ، لكن شهدوا معه بيعة الرضوان .

يزيد بن الحارث بن قيس الخزرجي ، وهو الذي يقال له ابن فُسْحَم^(١) وهي أمه ،
قتل يومئذ شهيداً ببدر ، يزيد بن عامر بن حديدة أبو المنذر السلمي ، يزيد بن المنذر بن
سرح السلمي وهو أخو مَعْقِل بن المنذر .

باب الكنى

أبو أُسَيْد مَالِك بن ربيعة تقدم ، أبو الأعور بن الحارث بن ظالم النجاري ، وقال
ابن هشام : أبو الأعور الحارث بن ظالم . وقال الواقدي : أبو الأعور كعب بن الحارث
ابن جُنْدَب بن ظالم ، أبو بكر الصديق عبد الله بن عثمان ، تقدم ، أبو حَبَّة بن عمرو بن
ثابت ، أحد بني ثعلبة بن عمرو بن عوف الأنصاري . أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة من
المهاجرين وقيل اسمه مِهْشَم ، أبو الحمراء مولى الحارث بن رفاعه بن عفراء ، أبو خزيمة
ابن أوس بن أَضْرَم النجاري ، أبو سبرة مولى أبي رُحْم بن عبد العزى من المهاجرين ،
أبو سنان بن مُحْصَن بن حُرْثَان ، أخو عكاشة ومعه ابنه سنان من المهاجرين .

أبو الصياح بن النعمان وقيل : عمير بن ثابت بن النعمان بن أمية بن امرئ القيس
ابن ثعلبة ، رجع من الطريق وقتل يوم خيبر ، رجع لجرح أصابه من حجر فصرَب له
بسهمه ، أبو عَرَجَة من حلفاء بني جَحْجَجِي ، أبو كبشة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
أبو لُبَابَة بِشِير بن عبد المنذر ، تقدم ، أبو مرثد الفَنَوِي كَنَاز بن حُصَيْن تقدم ، أبو مسعود
البدرى عقبة بن عمرو تقدم ، أبو مُكَيْل بن الأزعر بن زيد الأوسى .

فصل

فكان جملة من شهد بدرًا من المسلمين ثلثمائة وأربعة عشر رجلاً ، منهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم .

(١) الأصل : قسح . وصوابه عن القاموس . وفصحم أمه .

كما قال البخارى : حدثنا عمرو بن خالد ، حدثنا زهير ، حدثنا أبو إسحاق ، سمعت البراء بن عازب يقول : حدثني أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم ممن شهد بدرًا ، أنهم كانوا عِدَّةَ أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر ، بضعة عشر وثلاثمائة . قال البراء : لا والله ما جاوز معه النهر إلا مؤمن .

ثم رواه البخارى من طريق إسرائيل وسفيان الثورى ، عن أبي إسحاق عن البراء نحوه .

قال ابن جرير : وهذا قول عامة السلف أنهم كانوا ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا . وقال أيضاً : حدثنا محمود ، حدثنا وهب ، عن شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن البراء ، قال : استُصغرت أنا وابنُ عمر يومَ بدر ، وكان المهاجرون يوم بدرَ نبيًا على ستين ، والأنصار نبيًا وأربعين ومائتين . هكذا وقع في هذه الرواية .

وقال ابن جرير : حدثني محمد بن عُبيد المُحاربى ، حدثنا أبو مالك الجُبَنيّ ، عن الحجاج ، وهو ابن أَرْطاة ، عن الحكم ، عن مِقْسَم ، عن ابن عباس قال : كان المهاجرون يوم بدر سبعين رجلا ، وكان الأنصار مائتين وستة وثلاثين رجلا ، وكان حامل راية النبي صلى الله عليه وسلم على بن أبي طالب ، وحامل راية الأنصار سعد بن عباد . وهذا يقتضى أنهم كانوا ثلثمائة وستة رجال .

قال ابن جرير : وقيل : كانوا ثلثمائة وسبعة رجال . قلت : وقد يكون هذا عدًّا معهم النبي صلى الله عليه وسلم والأول عدًّا بدونه . والله أعلم .

وقد تقدم عن ابن إسحاق أن المهاجرين كانوا ثلاثة وثمانين رجلا ، وأن الأوس أحد وستون رجلا . والخزرج مائة وسبعون رجلا وسردهم .

وهذا مخالف لما ذكره البخارى ، ولما روى عن ابن عباس فأله أعلم .
وفى الصحيح ، عن أنس أنه قيل له : شهدتَ بديراً ؟ فقال : وأين أغيب .
وفى سنن أبى داود عن سعيد بن منصور ، عن أبى معاوية ، عن الأعمش ، عن أبى
سفيان طلحة بن نافع ، عن جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام أنه قال : كنت أمتح
لأصحابى الماء يوم بدر .
وهذان لم يذكرهما البخارى ولا الضياء . فأله أعلم .

قلت : وفى الذين عدَّهم ابن إسحاق فى أهل بدر من ضرب له بسهم فى مَنَمَها وإنه
لم يحضرها ، تخلف عنها لعذر أذن له فى التخلف بسببها ، وكانوا ثمانية أو تسعة وهم :
عثمان بن عفان تخلف على رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم يمرضها حتى ماتت
فضرب له بسهمه وأجره ، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل كان بالشام فضرب له
بسهمه وأجره .

وطلحة بن عبيد الله كان بالشام أيضاً فضرب له بسهمه وأجره .
وأبو لبابة بشير بن عبد المنذر رده رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرُّوحاء حين
بلغه خروج النفير من مكة ، فاستعمله على المدينة وضرب له بسهمه وأجره .
والحارث بن حاطب بن عبيد بن أمية ، رده رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضاً
من الطريق وضرب له بسهمه وأجره .

والحارث بن الصَّمة ، كُسِر بالرُّوحاء فرجع فضرب له بسهمه زاد الواقدي : وأجره .
وخَوَّات بن جبير لم يحضر الواقعة وضرب له بسهمه وأجره .
وأبو الصياح بن ثابت ، خرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأصاب ساقه فصيلُ حجر
فرجع وضرب له بسهمه وأجره .

قال الواقدي : وسعد أبو مالك ، تجهز ليخرج فمات وقيل : إنه مات بالروحاء
فضرب له بسهمه وأجره .

وكان الذين استشهدوا من المسلمين يومئذ أربعة عشر رجلاً ، من المهاجرين ستة وهم : عبيدة بن الحارث بن المطلب ، قطعت رجله فمات بالصفراء رحمه الله ، وعُمير بن أبي وقاص ، أخو سعد بن أبي وقاص الزهري قتله العاص بن سعيد وهو ابن ست عشرة سنة ، ويقال إنه كان قد أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرجوع لصغره فبكى فأذن له في الذهاب فقتل رضى الله عنه ، وحليفهم ذو الشَّمالين ابن عبد عمرو الخزاعي ، وصفوان بن بيضاء ، وعافل بن البكير الليثي حليف بني عدى ، ومِهْجَع مولى عمر بن الخطاب وكان أول قتيل قتل من المسلمين يومئذ .

ومن الأنصار ثمانية وهم : حارثة بن سُراقَة رماه حَبَّان بن العرقَة بسهم فأصاب حنجرته فمات ، ومعوذ وعوف ابنا عفراء ، ويريد بن الحارث ، ويقال : ابن فُسْحَم ، وعُمير بن الحمام ، ورافع بن المعلى بن لوذَّان ، وسعد بن خيثمة ، ومبشر بن عبد المنذر رضى الله عن جميعهم .

وكان مع المسلمين سبعون بغيراً كما تقدم .

قال ابن إسحاق : وكان معهم فرسان على أحدهما المقداد بن الأسود واسمها بَعْرَجَة ، ويقال سَبَّحَة ، وعلى الأخرى الزبير بن العوام واسمها اليَعْسُوب .

وكان معهم لواء يحمله مصعب بن عمير ، ورايتان يحمل إحداها للمهاجرين على ابن أبي طالب ، والى للأنصار يحملها سعد بن عبادَة .

وكان رأس مشورة للمهاجرين أبو بكر الصديق ، ورأس مشورة الأنصار سعد ابن معاذ .

وأما جمع المشركين : فأحسن ما يقال فيهم : إنهم كانوا ما بين التسعمائة إلى الألف وقد نصَّ عروة وقتادة أنهم كانوا تسعمائة وثلاثين رجلاً .

وقال الواقدي : كانوا تسعمائة وثلاثين رجلاً .

وهذا التحديد يحتاج إلى دليل ، وقد تقدم في بعض الأحاديث أنهم كانوا أزيد من ألف ، فلعله عدّد أتباعهم معهم والله أعلم .
وقد تقدم الحديث الصحيح عند البخاري عن البراء أنه قُتل منهم سبعون وأُسر سبعون .

وهذا قول الجمهور ، ولهذا قال كعب بن مالك في قصيدة له :

فَأَقَامَ بِالْعَطَنِ الْمَعَطَنِ مِنْهُمْ سَبْعُونَ عُتْبَةً مِنْهُمْ وَالْأَسُودَ

وقد حكى الواقدي الإجماع على ذلك . وفيما قاله نظر ، فإن موسى بن عقبة وعروة ابن الزبير قالا خلاف ذلك ، وهما من أئمة هذا الشأن ، فلا يمكن حكاية الاتفاق بدون قولهما ، وإن كان قولهما مرجوحاً بالنسبة إلى الحديث الصحيح . والله أعلم .
وقد سرد أسماء القتلى والأسارى ابنُ إسحاق وغيره ، وحرّر ذلك الحافظ الضياء في أحكامه جيداً .

وقد تقدم في غرضون سياقات القصة ذكر أول من قُتل منهم ، وهو الأسود بن عبد الأسد المخزومي ، وأول من فرّ وهو خالد بن الأعلم الخزاعي ، أو العقيلي ، حليف بني مخزوم ، وما أفاده ذلك ، فإنه أُسر ، وهو القاتل في شعره :
ولسنا على الأعقاب تَدْمَى كلومنا ولكن على أقدامنا يَقْطُرُ الدَّمُ
فما صدق في ذلك .

وأول من أسروا عقبة بن أبي مُعيط والنضر بن الحارث ، قُتلا صبراً بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين الأسارى ، وقد اختلف في أيهما قُتل أولاً على قولين .

وأنه عليه السلام أطلق جماعة من الأسارى مجاناً بلا فداء ، منهم أبو العاص بن

الربيع الأموى ، والمطَّاب بن حُنْطَب بن الحارث المخزومى ، وصَيْفَى بن أبى رفاعَة كما تقدم ، وأبو عَزَّة الشاعر ، ووهب بن عُمير بن وهب الجحى كما تقدم ، وفادَى بقيتهم حتى عمه العباس أخذ منه أكثر مما أخذ من سائر الأسرى ، لئلا يحاييه لكونه عمه ، مع أنه قد سأله الذين أسروه من الأنصار أن يتركوا له فداءه فأبى عليهم ذلك ، وقال : لا تتركوا منه درهما .

وقد كان فداؤهم متفاوتا ، فأقل ما أخذ أربعائة ، ومنهم من أخذ منه أربعون أوقية من ذهب .

قال موسى بن عقبة : وأخذ من العباس مائة أوقية من ذهب .

ومنهم من استؤجر على عمل بمقدار فدائه كما قال الإمام أحمد : حدثنا على بن عاصم ، قال : قال داود : حدثنا عكرمة ، عن ابن عباس قال : كان ناسٌ من الأسرى يوم بدر لم يكن لهم فداء ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فداءهم أن يعلموا أولادَ الأنصار الكتابة ، قال : فجاء غلام يوما يبكى إلى أمه فقالت : ما شأنك ؟ فقال : ضربنى معلّى فقالت : الخبيث يطلب بذخل^(١) بذّر ! والله لا تأتیه أبداً .

انفرد به أحمد وهو على شرط السنن . وتقدم بسط ذلك كله والله الحمد والمنة .

فصل فى فضل من شهد بدرا من المسلمين

قال البخارى فى هذا الباب : حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثنا معاوية بن عمرو ، حدثنا أبو إسحاق ، عن مُحمّد ، سمعت أنساً يقول : أصيب حارثة يوم بدر فجاءت أمه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله قد عرفتَ منزلةَ حارثة منى فإن يكُ فى الجنة أصبر وأحسب ، وإن تكن الأخرى فترى ما أصنع . فقال : « ويحك أو هبّلت أو جنة واحدة هى ؟ إنها جنان كثيرة وإنه فى جنة الفردوس » .

(١) الذحل : الثأر . وفى الأصل : بذخل . محرفة .

تفرد به البخارى من هذا الوجه .

وقد روى من غير هذا الوجه من حديث ثابت وقتادة عن أنس ، وأن حارثة كان في النَّظَّارة وفيه : « إن ابنك أصاب الفردوسَ الأعلى » .

وفي هذا تنبيه عظيم على فضل أهل بدر ، فإن هذا الذى لم يكن في بُجُوحَةِ القتال^(١) ولا في حَوْمَةِ الوغى ، بل كان من النَّظَّارة من بعيد ، وإنما أصابه سَهْمٌ غَرِبَ وهو يشرب من الحوض ، ومع هذا أصاب بهذا الموقف الفردوسَ التى هى أعلى الجنان وأوسط الجنة ، ومنه تفجَّرَ أنهار الجنة التى أمر الشارع أمته إذا سألوا الله الجنة أن يسألوه إياها .

فإذا كان هذا حالَ هذا ، فما ظنُّكَ بمن كان واقفاً في نَحْرِ العدو ، وعدوهم على ثلاثة أضعافهم عدداً وعدداً ؟ !

ثم روى البخارى ومسلم جميعاً عن إسحاق بن راهويه ، عن عبد الله بن إدريس ، عن حصين بن عبد الرحمن ، عن سعد بن عبيدة ، عن أبي عبد الرحمن السُّلَمي ، عن علي بن أبي طالب قصة حاطب بن أبي بلتعة وبمته الكتاب إلى أهل مكة عام الفتح ، وأن عمر استأذن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم في ضرب عنقه فإنه قد خان الله ورسوله والمؤمنين . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قد شهد بدرًا ، وما يدريك لعل الله أطاع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » .

ولفظ البخارى : « أليس من أهل بدر ؟ ولعل الله أطاع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة ، أو قد غفرت لكم » .
فدمعت عينا عمر وقال : الله ورسوله أعلم .

(١) تبجج : تمكن في المقام والحلول . وبجوحه المكان وسطه . وفي الأصل : بججة . محرفة

وروى مسلم عن قتيبة ، عن الليث ، عن أبي الزبير ، عن جابر ، أن عبداً لحاطب جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكو حاطباً قال : يا رسول الله ليدخلن حاطب النار . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كذبت ، لا يدخلها ، إنه شهد بدرأ والحديبية » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سليمان بن داود ، حدثنا أبو بكر بن عيَّاش ، حدثني الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لن يدخل النار رجلٌ شهد بدرأ أو الحديبية » .
تفرد به أحمد وهو على شرط مسلم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد ، أنبأنا حماد بن سلمة ، عن عاصم بن أبي النجود ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم « قال : إن الله اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » .

ورواه أبو داود عن أحمد بن سنان ، وموسى بن إسماعيل ، كلاهما عن يزيد ابن هارون به .

وروى البزار في مسنده : حدثنا محمد بن مرزوق ، حدثنا أبو حذيفة ، حدثنا عكرمة ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إني لأرجو أن لا يدخل النار من شهد بدرأ إن شاء الله » .
ثم قال : لا نعلم يُروى عن أبي هريرة إلا من هذا الوجه .

فات : وقد تفرد البزار بهذا الحديث ولم يخرجوه ، وهو على شرط الصحيح . والله أعلم .

وقال البخاري في باب شهود الملائكة بدرأ : حدثنا إسحاق بن إبراهيم ،

حدثنا جرير ، عن يحيى بن سعيد ، عن معاذ بن رفاع بن رافع الزُّرقى ،
عن أبيه ، وكان أبوه من أهل بدر ، قال : جاء جبريل إلى النبي صلى الله
عليه وسلم فقال : ماتعدُّون أهلَ بدر فيكم ؟ قال : من أفضل المسلمين ، أو
كلمة نحوها .

قال : وكذلك من شهد بدرًا من الملائكة
انفرد به البخارى .

فصل

في قدوم زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم مهاجرةً من مكة إلى المدينة
بعد وقعة بدر بشهر ، يمتضى ما كان شرط زوجها أبو العاص
للنبي صلى الله عليه وسلم كما تقدم

قال ابن إسحاق : ولما رجع أبو العاص إلى مكة وقد خلى سبيله ، يعنى كما تقدم ،
بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة ورجلاً من الأنصار مكانه فقال :
كونا بيطن بأجج حتى تمر بكما زينب فتصحبها فتأينى بها . فخرجا مكانهما وذلك
بعد بدر بشهر أو شيعه ^(١) .

فلما قدم أبو العاص مكة أمرها باللاحق بأبيها فخرجت تجهز .

قال ابن إسحاق : فحدثني عبدالله بن أبي بكر ، قال : حدثت عن زينب أنها قالت :
بينما أنا آتجهز لقيتني هند بنت عتبة فقالت : يا ابنة محمد ، ألم يبلغني أنك تريدين اللحق
بأبيك ؟ قالت : فقلت : ما أردت ذلك . فقالت : أى ابنة عم ، لا تفعل ، إن كان لك
حاجة بمتاع مما يرفق بك في سفرك أو بمال تتبلغين به إلى أبيك فإن عندى حاجتك
فلا تَضْطَئِ ^(٢) منى فإنه لا يدخل بين النساء ما بين الرجال . قالت : والله ما أراها
قالت ذلك إلا لتفعل . قالت : ولكنى خفتها فأنكرت أن أكون أريد ذلك .

قال ابن إسحاق : فتجهزت ، فلما فرغت من جهازها قدم إليها أخو زوجها كنانة بن
الربيع بعيراً فركبته وأخذ قوسه وكنانته ، ثم خرج بها نهراً يقود بها وهى فى هودج لها ،
وتحدث بذلك رجال من قريش ، فخرجوا فى طلبها حتى أدركوها بذي طوى ، وكان أول

(٢) لا تضطئى : لا تنقبض منى . وأصله : اضطأ .

(١) شيعه : قريب منه .

من سبق إليها هَبَّار بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى الفهري ، فروَّعها هبار بالرمح وهي في اليهودج ، وكانت حاملاً فيما يزعمون فطرحته ، وبرك حموها كنفانة ونثر كنفانته ثم قال : والله لا يدنو مني رجل إلا وضعت فيه سهماً . فتكره الناس عنه .

وأتى أبو سفيان في جِلَّة من قريش فقال : يا أيها الرجل كَفَّ عنا نَبْلَكَ حتى نكَلِّمَكَ . فكف ، فأقبل أبو سفيان حتى وقف عليه فقال : إنك لم تُصِبْ ، خرجت بالمرأة على رموس الناس علانية ، وقد عرفت مصيبتنا ونكبتنا وما دخل علينا من محمد ، فيظن الناس إذ خرجت بابنته إليه علانية على رموس الناس من بين أظهرنا ، أن ذلك عن ذلِّ أصابنا ، وأن ذلك ضعف منا ووَهْن ، ولعمري مالنا بحبسها من أيها من حاجة وما لنا من ثُورة^(١) ، ولكن ارجع بالمرأة حتى إذا هددت الأصوات وتحدث الناس أن قد رددناها فسلها سرًّا وألحقها بأبيها . قال : ففعل .

وقد ذكر ابن إسحاق أن أولئك النفر الذين ردوا زينب لما رجعوا إلى مكة قالت هند تذهبهم على ذلك :

أَفَى السَّـلْمِ أَعْيَاراً جَفَاءً وَغِلَظَةً وَفِي الْحَرْبِ أَشْبَاهَ النِّسَاءِ الْعَوَارِكِ^(٢)

وقد قيل إنها قالت ذلك للذين رجعوا من بدر بعد ما قُتِل منهم الذين قتلوا .

قال ابن إسحاق : فأقامت ليالى ، حتى إذا هددت الأصوات خرج بها ليلاً حتى أسلمها إلى زيد بن حارثة وصاحبه ، فقدا بها ليلاً على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد روى البيهقي في الدلائل من طريق عمر بن عبد الله بن عروة بن الزبير ، عن

(٢) العوارك : الخوائض .

• (١) الثُورة : طلب الثأر .

عروة ، عن عائشة فذكر قصة خروجها وردَّهم لها ووَضَعها مافي بطنها ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث زيد بن حارثة وأعطاه خاتمه لتجىء معه فتلطَّف زيد فأعطاه راعياً من مكة فأعطى الخاتم لزَيْنب ، فلما رآته عرفته فقالت : من دفع إليك هذا؟ قال : رجل في ظاهر مكة . فخرجت زينب ليلاً فركبت وراءه حتى قدم بها المدينة .

قال : فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « هي أفضلُ بناتي أُصِيبَتْ فيَّ » .

قال : فبلغ ذلك عليَّ بن الحسين بن زين العابدين ، فأتى عروة فقال : ما حديثٌ بَلَغني أنك تحدِّثته؟ فقال عروة : والله ما أحب أن لي ما بين المشرق والمغرب وأني أُنقص فاطمة حقاً هولها ، وأما بعد ذلك أن لا أحدث به أبداً .

قال ابن إسحاق : فقال في ذلك عبد الله بن رواحة أو أبو خَيْثَمَة أخو بني سالم بن عوف . قال ابن هشام : هي لأبي خَيْثَمَة :

أتاني الذي لا يَقْدِر الناس قدره	لزينب فيهم من عُقُوقٍ ومَأْثِمٍ
وإخراجهم لم يُخْزَ فيها محمدٌ	على مَأْظُفٍ وَيَنْبِنَا عِطْرُ مَنْشَمٍ ^(١)
وأُمسَى أبو سفيان من حِلْفِ ضَنْمٍ	ومن حربنا في رَغَمِ أَنْفٍ وَمَنْدَمٍ
قرناً ابنته عمرأ ومولَى يمينه	بذَى حَلَقٍ جَلَدِ الصَّلَاصِلِ مُحْكَمٍ ^(٢)
فأقسمتُ لا تنفكُ منّا كتابُ	سُرَّةُ خَمِيسٍ من لُهامٍ مُسَوِّمٍ ^(٣)
نروع قريشَ الكُفْرَ حتى نَعْلُها ^(٤)	بِحَاظِمَةِ فَوْقِ الْأَنْوَفِ بِمِيسَمٍ

(١) المَأْظُف : معترك الحرب ، وعطر منشم : كناية عن شدة الحرب . ومنشم : كانت امرأة تباع العطر فيبشترى منها العوتى ، حتى تشاءموا بها .

(٢) ذو حلق : أراد به الفل . والصلاصل جمع صلصلة ، وهي صلصلة الحديد .

(٣) اللهام : الكثير . والمسوم : العلم . (٤) نروع : نزع . ونعلها : نذيقها الحرب مرة بعد مرة .

نَزَّلَهُمْ أَكْنَافَ نَجْدٍ وَنَخْلَةٍ وَإِنْ يُبْتِهَمُوا بِالْخَيْلِ وَالرَّجُلِ تُنْتَهَمُ
يَدُ^(١) الدَّهْرِ حَتَّى لَا يَبْعُوجَ سِرْبُنَا وَنُلْحَقَهُمْ آثَارَ عَادٍ وَجُـرْهُمُ
وَيَنْدُمُ قَوْمٌ لَمْ يَطِيعُوا مَحْمُوداً عَلَى أَمْرِهِمْ وَأَيَّ حَيْنٍ تَنْدَمُ
فَأَبْلَغُ أَبَا سَفِيَانَ إِمَّا لَقِيْتَهُ لَنْ أَنْتَ لَمْ تُخْصِ سَجُوداً وَتُسَلِّمُ
فَأَبْشِرْ بِخَزْيٍ فِي الْحَيَاةِ مَعْجَلٍ وَسِرْبَالٍ قَارٍ خَالِداً فِي جَهَنَّمَ
قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَمَوْلَى يَمِينَ أَبِي سَفِيَانَ الَّذِي عَنَاهُ الشَّاعِرُ هُوَ عَامِرُ بْنُ الْحَضْرَمِيِّ .
وَقَالَ ابْنُ هِشَامَ : إِنَّمَا هُوَ عُقْبَةُ بْنُ عَبْدِ الْحَارِثِ بْنِ الْحَضْرَمِيِّ ، فَأَمَّا عَامِرُ بْنُ الْحَضْرَمِيِّ
فَإِنَّهُ قُتِلَ يَوْمَ بَدْرٍ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَقَدْ حَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ أَبِي حَبِيبٍ ، عَنْ بُكَيْرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْأَشْجَعِ ،
عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ يَسَّارَ ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ الدَّوْسِيِّ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ . قَالَ : بَعَثَ النَّبِيُّ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَرِيَّةً أَنَا فِيهَا فَقَالَ : « إِنْ ظَفَرْتُمْ بِبَهَّارِ بْنِ الْأَسَدِ وَالرَّجُلِ الَّذِي سَبَقَ مَعَهُ
إِلَى زَيْنَبَ فَحَرِّقُوهُمَا بِالنَّارِ » .

فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ بَعَثَ إِلَيْنَا فَقَالَ : إِنِّي قَدْ كُنْتُ أَمَرْتُكُمْ بِتَحْرِيقِ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ إِنْ
أَخَذْتُمُوهُمَا ، ثُمَّ رَأَيْتُ أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَحْرِقَ بِالنَّارِ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، فَإِنْ ظَفَرْتُمْ
بِهِمَا فَاقْتُلُوهُمَا » .

تَفَرَّدَ بِهِ ابْنُ إِسْحَاقَ وَهُوَ عَلَى شَرْطِ السَّنَنِ وَلَمْ يَخْرُجْهُ .

وَقَالَ الْبُخَارِيُّ : حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ حَدَّثَنَا اللَّيْثُ ، عَنْ بُكَيْرٍ ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ يَسَّارَ ، عَنْ
أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ قَالَ : بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَعْثٍ فَقَالَ : « إِنْ وَجَدْتُمْ فُلَانًا
وَفُلَانًا فَاحْرَقُوهُمَا بِالنَّارِ » ثُمَّ قَالَ حِينَ أَرَدْنَا الْخُرُوجَ : إِنِّي أَمَرْتُكُمْ أَنْ تَحْرِقُوا فُلَانًا وَفُلَانًا ،
وَإِنَّ النَّارَ لَا يَعْذِّبُ بِهَا إِلَّا اللَّهُ ، فَإِنْ وَجَدْتُمُوهُمَا فَاقْتُلُوهُمَا .

(١) يَدُ الدَّهْرِ : مَدْرَمَانَهُ . وَفِي الْأَصْلِ : يَدِي . وَمَا أَتَيْتُهُ عَنْ ابْنِ هِشَامٍ .

وقد ذكر ابن إسحاق أن أبا العاص أقام بمكة على كفره واستمرت زينب عند أبيها بالمدينة ، حتى إذا كان قبيل الفتح خرج أبو العاص في تجارة لقريش ، فلما قفل من الشام لقيته سرية فأخذوا مامعه وأعجزهم هربا ، وجاء تحت الليل إلى زوجته زينب فاستجار بها فأجارتها .

فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لصلاة الصبح وكبر وكبر الناس صرخت من صفة النساء : أيها الناس أجرت أبا العاص بن الربيع .

فلما سلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل على الناس فقال : « أيها الناس هل سمعتم الذى سمعت ؟ » قالوا : نعم . قال : « أما الذى نفس محمد بيده ما علمتُ بشيء حتى سمعت ماسمعت ، وإنه يُخبر على المسلمين أذناهم » . ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل على ابنته زينب فقال : « أئى بُنية أكرمى مثواه ولا يخلص إليك فإنك لا تحلين له » قال : وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فحتمهم على رد ما كان معه ، فردوه بأسره لا يفقد منه شيئا .

فأخذه أبو العاص فرجع به إلى مكة ، فأعطى كل إنسان ما كان له ثم قال : يامعشر قريش ، هل بقي لأحد منكم عندى مال لم يأخذه ؟ قالوا : لا نجزأك الله خيرا فقد وجدناك وفيئا كريما .

قال : فإنى أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله ، والله مامنعنى عن الإسلام عنده إلا تخوف أن تظنوا أنى إنما أردت أن آكل أموالكم ، فلما أداها الله إليكم وفرغت منها أسلمت .

ثم خرج حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : فحدثنى داود بن الحصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : رد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب على النكاح الأول ولم يحدث شيئا .

وهذا الحديث قد رواه الإمام أحمد وأبو داود والترمذى وابن ماجه من حديث محمد بن إسحاق ، وقال الترمذى : ليس بإسناده بأس .

ولكن لا نعرف وجه هذا الحديث ، ولعله قد جاء من قِبَل حِفْظ داود بن الحصين وقال السهيلي : لم يَقُلْ به أحد من الفقهاء فيما علمت .

وفى لفظ : رَدَّهَا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ست سنين ، وفى رواية : بعد سنتين بالنكاح الأول . رواه ابن جرير . وفى رواية : لم يُحْدِثْ نكاحا .

وهذا الحديث قد أشكل على كثير من العلماء ، فإن القاعدة عندهم أن المرأة إذا أسلمت وزوجها كافر ، فإن كان قبل الدخول تعجلت الفرقة ، وإن كان بعده انتظر إلى انقضاء العدة ، فإن أسلم فيها استمر على نكاحها ، وإن انقضت ولم يُسَلِّمْ انفسخ نكاحها وزينب رضى الله عنها أسلمت حين بُعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهاجرت بعد بدر بشهر ، وحُرِّمَ المسلمات على المشركين عام الحديبية سنة ست ، وأسلم أبو العاص قبل الفتح سنة ثمان

فمن قال : رَدَّهَا عليه بعد ست سنين ، أى من حين هجرتها فهو صحيح . ومن قال : بعد سنتين . أى من حين حُرِّمَتِ المسلمات على المشركين فهو صحيح أيضا .

وعلى كل تقدير فالظاهر انقضاء عدتها فى هذه المدة التى أقلها سنتان من حين التحريم أو قريب منها ، فكيف رَدَّهَا عليه بالنكاح الأول ؟

فقال قائلون : يحتتمل أن عدتها لم تَنْقُضْ ، وهذه قصة يمين يتطرق إليها الاحتمال . وعارض آخرون هذا الحديث بالحديث الأول الذى رواه أحمد والترمذى وابن ماجه من حديث الحجاج بن أرطاة ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه عن جده ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رَدَّ بنته على أبى العاص بن الربيع بمهر جديد ونكاح جديد .

قال الإمام أحمد : هذا حديث ضعيف وإِياه لم يسمعه الحجاج من عمرو بن شعيب ، إنما سمعه من محمد بن عبيد الله العَرَزَمِي ، والعرزمي لا يساوي حديثه شيئاً ، والحديث الصحيح الذي روى أن النبي صلى الله عليه وسلم أقرها على النكاح الأول .
وهكذا قال الدارقطني : لا يثبت هذا الحديث ، والصواب حديث ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ردها بالنكاح الأول .

وقال الترمذي : هذا حديث في إسناده مقال . و[الذي] العمل عليه عند أهل العلم ، أن المرأة إذا أسلمت قبل زوجها ثم أسلم زوجها أنه أحق بها ما كانت في العدة ، وهو قول مالك والأوزاعي والشافعي وأحمد وإسحاق . وقال آخرون : بل الظاهر انقضاء عدتها ، ومن رَوَى أنه جَدَّدَ لها نكاحاً فضعيف .

ففي قضية زينب ، والحالة هذه ، دليل على أن المرأة إذا أسلمت وتأخر إسلام زوجها حتى انقضت عدتها ، فنكاحها لا يفسخ بمجرد ذلك ، بل يبقى بالخيار إن شاءت تزوجت غيره وإن شاءت تربصت وانتظرت إسلام زوجها أي وقت كان ، وهي امرأته ما لم تزوج .

وهذا القول فيه قوة وله حظ من جهة . الفقه والله أعلم .

ويستشهد لذلك بما ذكره البخاري حيث قال : نكاح من أسلم من المشركات وعدتهن : حدثنا إبراهيم بن موسى ، حدثنا هشام ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، كان المشركون على منزلتين من رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ، كانوا مشركي أهل الحرب يقاتلونهم ويقاتلونه ، ومشركي أهل عهد لا يقاتلهم ولا يقاتلونه . فكان إذا هاجرت امرأة من أهل الحرب لم تُخطب حتى تحيض وتطهر ، فإذا طهرت حل لها النكاح ، فإن هاجر زوجها قبل أن تنكح ردت إليه ، وإن هاجر عبد منهم أو

أمة فهما حران ولهما ما للمهاجرين .

ثم ذكر من أهل العهد مثل حديث مجاهد .

هذا لفظه بحروفيه .

فقوله : « فكان إذا هاجرت امرأة من أهل الحرب لم تخطب حتى تحيض وتطهر »

يقتضى أنها كانت تستبرئ بحیضة لا تعتد بثلاثة قروء ، وقد ذهب قوم إلى هذا .

وقوله : فإن هاجر زوجها قبل أن تنكح ردت إليه ، يقتضى أنه وإن هاجر بعد انقضاء

مدة الاستبراء والعدة أنها تردّ إلى زوجها الأول ما لم تنكح زوجا غيره ، كما هو الظاهر من

قصة زينب بنت النبي صلى الله عليه وسلم ، وكما ذهب إليه من ذهب من العلماء . والله أعلم .

فصل

فيما قيل من الأشعار في غزوة بدر العظمى^(١)

فمن ذلك ما ذكره ابن إسحاق ، عن حمزة بن عبد المطلب ، وأنكرها ابن هشام :

ألم ترَ أمراً كان من عجب الدهر وللحين أسباب مبينة الأمر
وما ذاك إلا أن قوما أفادهم^(٢) فخانوا^(٣) تواص بالعقوق والكفر
عشية راحوا نحو بدرٍ بجمعهم وكانوا رهوناً للركية من بدر^(٤)
وكنا طلبنا العير لم نبغ غيرها فساروا إلينا فالتقينا على قدر
فلما التقينا لم تكن مثنوية^(٥) لنا غير طعن بالثقة السمر
وضرب ببيض يختلي الهام حدها مشهرة الألوان بيئة الأثر^(٦)
ونحن تركنا عتبة الفى ثاوياً وشيبة في قتلى تجرجم في الجفر^(٧)
وعمرو ثوى فيمن ثوى من محماتهم فشقت جيوب النائح على عمرو
جيوب نساء من لوى بن غالب كرام تفرعن الذوائب من فهر
أولئك قوم قتلوا في ضلالهم وخلوا لواء غير مختضر النصر
لواء ضلال قاد إبليس أهله نخاس بهم إن الخبيث إلى غدر
وقال لهم إذ عاين الأمر واضحاً برئت إليكم مابى اليوم من صبر

(١) أكثر ما ذكره ابن إسحاق من الأشعار التي قيلت في غزوة بدر مصنوع مخلق ، لا تبدو عليه مسحة ذلك العصر ، كما نبه على ذلك ابن هشام ، وهو من صنع بعض النظامين الذين كانوا يتصورون الحادث ثم يصوغون الأشعار على مقتضاه .

(٢) أفادهم : أهلكتهم . (٣) الأصل : فخافوا . وما أثبتته عن ابن هشام .

(٤) رهونا : جمع رهن ، والركية : البئر التي لم تطو بالحجارة . (٥) المثنوية : أراد الرجوع .

(٦) يختلي : يقطع . والأثر : فرند السيف . (٧) تجرجم : تسقط . والجفر : البئر لم تطو .

فإني أرى مالا ترون وإني أخاف عقاب الله والله ذو قسَمٍ
 فقدّمهم للحِجْنِ حتى تورّطوا وكان بما لم يخبر القوم ذا خَبرٍ
 فكانوا غداة البئر ألفاً وجمعنا ثلاثُ مئتين كالسُدّمة^(١) الزُّهرِ
 وفيما جنود الله حين يُمدّنا بهم في مقام ثمّ مُستوضح الذِّكرِ
 فشدّ بهم جبريلُ تحتَ لوائنا لدا ما زقٍ فيه منايهمُ تجري
 وقد ذكر ابن إسحاق جوابها من الحارث بن هشام تركناها عمدا .

وقال علي بن أبي طالب وأنكرها ابن هشام :
 ألم ترَ أن الله أبلى رسوله بلاءً عزيزٍ ذى اقتدار وذى فضلٍ
 بما أنزل الكفارَ دارَ مذلةٍ فلاقوا هواناً من أسارى ومن قتلٍ
 فأمسى رسولُ الله قد عزّ نصره وكان رسول الله أرسل بالعدلِ
 فجاء بفرقان من الله مُنزَلٍ مبيّنة آياته لذوى العقلِ
 فآمن أقوامٌ بذاك وأيقنوا فأمسوا بحمد الله مجتمعي الشَّمَلِ
 وأنكر أقوامٌ فزأغت قلوبهم فزادهم ذو العرش خَبلاً على خَبَلٍ
 وأمكن منهم يومَ بدر رسوله وقوما غضاباً فعلهم أحسنُ الفعلِ
 بأيديهم بيضُ خفافٍ عصوا بها وقد حادّوها بالجلاء وبالصقلِ
 فكم تركوا من ناشئ ذى حمية صريعاً ومن ذى نَجْدَةٍ منهم كهلٍ
 تبيت عيونُ النائماتِ عليهم تجود بأَسْبالِ الرِّشاشِ وبالوَبَالِ^(٢)
 نوائح تنعى عتبة الغي وابنه وشيبة تنعاه وتنعى أبا جهلٍ
 وذا الرّجل^(٣) تنعى وابن جدعان فيهم مُسَلَّبة حرّى مبيّنة الشُّكلِ

(١) السدّم : الفعل الهاج . وانزهر : المشرقة اللون .

(٢) الرشاش : المطر الضعيف . والوبل : الكثير . استعاره للسمع .

(٣) يريد بنى الرجل الأسود بن عبد الأسد الذى قطعت رجله وهو يقتحم الخوض .

ثوى منهم في بدر عصابة ذوو نجدات في الحروب وفي الحُل
دعا النبی منهم من دعا فأجابہ ولقی أسباباً مرمقة الوصل^(١)
فأضحوا لدى دار الجحيم بمغزلٍ عن الشغب والعدوان في أسفل السفل^(٢)
وقد ذكر ابن إسحاق تقيضها من الحارث أيضا تركناها قصداً .

وقال كعب بن مالك :

عجبتُ لأمر الله والله قادرُ على ما أراد ليس الله قاهرُ
قضى يومَ بدرٍ أن نلاقى معشراً بفؤاد وسبيلُ البغي بالناس جائرُ
وقد حشدوا واستنفروا من يليهم من الناس حتى جمعهم متكاثراً
وسارت إلينا لا نحاول غيرنا بأجمعها كعبٌ جميعاً وعامرُ
وفينا رسولُ الله والأوسُ حوله له مقبل منهم عزيزٌ وناصرُ
وجمعُ بني النجار تحتَ لوائه يُمشون في الماذي^(٣) والنقعُ نائرُ
فلما لقيناهم وكلُّ مجاهدٍ لأصحابه مُستبسلُ النفس صابرُ
شهدنا بأنَّ الله لا ربَّ غيره وأن رسولَ الله بالحق ظاهرُ
وقد عريتُ بيضَ خفافٍ كأنها مقاييسُ يزهيها لعينيك شاهرُ
بهنَّ أبدنا جمعهم فتبهددوا وكان يلاقى الحين من هو فاجرُ
فكُلبَ أبو جهل صريعاً لوجهه وعتبةٌ قد غادرته وهو عائرُ
وشيبةٌ والتَّيْمِي غادرتُ في الوغى وما منهم إلا بذى العرش كافرُ
فأمسوا وقودَ النار في مستقرِّها وكلُّ كفورٍ في جهنم صائرُ

(١) مرمقة : ضعيفة واهية . (٢) ابن هشام : في أسفل السفل .

(٣) الماذي : الدرع اللينة السهلة ، وتطلق على السلاح كله .

تَلْغَى عَلَيْهِمْ وَهِيَ قَدْ شَبَّ حَیْهَا
وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ قَدْ قَالَ أَقْبِلُوا
لَأْمُرٍ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَهْلِكَوا بِهِ
وَقَالَ كَعْبُ فِي يَوْمِ بَدْرٍ :

أَلَا هَلْ أَتَى غَسَّانَ فِي نَأْيِ دَارِهَا
بِأَنْ قَدْ رَمَتْنا عَنْ قِسِيٍّ عِدَاوَةٌ
لِأَنَّا عَبْدُنَا اللَّهُ لَمْ نَرْجُ غَيْرَهُ
نَبِيُّ اللَّهِ فِي قَوْمِهِ إِرْثُ عِزَّةٍ
فَسَارُوا وَسِرُّنَا فَالتَقِينَا كَأَنَّنا
ضَرْبَانَهُمْ حَتَّى هَوَى فِي مَكْرِنَا
فَوُتُّوا وَدُسْنَاهُمْ بَيِضُ صَوَارِمٍ
وَقَالَ كَعْبُ أَيْضًا :

لَعَمْرُ أَيْيَكَا يَا بَنِي لُؤَيٍّ
لَمَّا حَامَتِ فَوَارِسُكُمْ بِيَدِ
وَرَدْنَاهُ وَنَوْرُ اللَّهِ يَنْجُو
رَسُولُ اللَّهِ يَقْدُمُنَا بِأَمْرِ
فَمَا ظَفَرَتْ فَوَارِسُكُمْ بِيَدِ
فَلَا تَعْجَلْ أَبَا سَفِيَّانَ وَارْقُبْ
بِنَصْرِ اللَّهِ رُوحُ الْقُدُسِ فِيهَا
عَلَى زَهْوٍ لَدَيْكُمْ وَاتْتِخَاءِ
وَلَا صَبْرُوا بِهِ عِنْدَ اللَّقَاءِ
دُجَى الظَّلَمَاءِ عَنَّا وَالْفُطَاءِ
مِنْ أَمْرِ اللَّهِ أَحْكَمَ بِالْقَضَاءِ
وَمَا رَجَعُوا إِلَيْكُمْ بِالسَّوَاءِ
جِيَادَ الْخَيْلِ تَطْلُعُ مِنْ كَدَاءِ
وَمِيكَالٍ فَيَا طَيْبَ الْمَلَاءِ

وَقَالَ حَسَنُ بْنُ ثَابِتٍ ، قَالَ ابْنُ هِشَامٍ وَيُقَالُ هُوَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ السَّهْمِيِّ :

مُسْتَشْعِرِي حَلَقِ الْمَاضِي يَقْدُمُهُمْ
أَعْنَى رَسُولَ إِلَهٍ اِتَّخَلَّقَ فَضْلُهُ
وَقَدْ زَعَمْتَ أَنَّ تَحْمَمُوا ذِمَارَكُمْ
[ثُمَّ وَرَدْنَا وَلَمْ نَسْمَعْ لِقَوْلِكُمْ
مُسْتَعْصِمِينَ بِجَبَلٍ غَيْرِ مُنْجِذٍ
فِينَا الرَّسُولُ وَفِينَا الْحَقُّ تَتَّبِعُهُ
وَافٍ وَمَاضٍ شَهَابٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ
وَقَالَ حَسَنُ بْنُ ثَابِتٍ أَيْضًا :

أَلَا لَيْتَ شَعْرِي هَلْ أَتَى أَهْلَ مَكَّةَ
قَتَلْنَا سَرَاةَ الْقَوْمِ عِنْدَ مَجَالِنَا
قَتَلْنَا أَبَا جَهْلٍ وَعُتْبَةَ قَبْلَهُ
قَتَلْنَا سُودًا ثُمَّ عُتْبَةَ بَعْدَهُ
فَكَمْ قَدْ قَتَلْنَا مِنْ كَرِيمٍ مُسَوَّدٍ ^(١)
تَرَكْنَاهُمْ لِلْعَاوِيَاتِ يَنْبَنَّهُمْ ^(٢)
لَعَمْرُكَ مَا حَامَتْ فَوَارِسُ مَالِكٍ
وَأَشْيَاعُهُمْ يَوْمَ التَّقِينَا عَلَى بَدْرِ
إِبَادَتُنَا الْكَفَّارَ فِي سَاعَةِ الْعُسْرِ
فَلَمْ يَرْجِعُوا إِلَّا بِقَاصِمَةِ الظُّهْرِ
وَشَيْبَةَ يَكْبُو لِلْيَدِينِ وَلِلنَّجْرِ
وَطُعْمَةً أَيْضًا عِنْدَ ثَائِرَةِ الْقَتْرِ ^(٣)
لَهُ حَسَبٌ فِي قَوْمِهِ نَابُهُ الَّذِي كَرَّ
وَيَصْلُونَ نَارًا بَعْدُ حَامِيَةَ الْقَعْرِ
وَأَشْيَاعُهُمْ يَوْمَ التَّقِينَا عَلَى بَدْرِ

وَقَالَ عُبَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ فِي يَوْمِ بَدْرٍ ، فِي قِطْعِ رَجُلِهِ فِي مَبَارَزَتِهِ هُوَ
وَحِمَزَةٌ وَعَلَى مَعَ عَتْبَةَ وَشَيْبَةَ وَالْوَلِيدُ بْنُ عَتْبَةَ . وَأَنْكَرَهَا ابْنُ هِشَامٍ :
سَتَبْلُغُ عَنَّا أَهْلَ مَكَّةَ وَقَعَةً يَهْبُ لَهَا مَنْ كَانَ عَنْ ذَلِكَ نَائِيًا

(١) الْمَاضِي : الدُّرُوعُ الْإِيَّةُ . وَالْمُسْتَشْعِرُ : الْإِبْسَ عَلَى جِسْمِهِ بِغَيْرِ حَاجِزٍ . وَالنَّحِيزَةُ : الطَّيْمَةُ .
وَالرَّعْدِيدُ : الْجَبَانُ .
(٢) مِنْ ابْنِ هِشَامٍ . (٣) الْقَتْرُ : الْغَبَارُ .
(٤) ابْنُ هِشَامٍ : مَرْزَأُ . (٥) يَنْبَنُّهُمْ : يَعَاوِدُهُمْ .

بَعْتَبَةٌ إِذْ وَلَّى وَشَيْبَةٌ بَعْدَهُ وما كان فيها بِكْرُ عَتَبَةٍ رَاضِيَا
فَإِنْ تَقْطَعُوا رِجْلِي فَإِنِّي مُسَلِّمٌ أَرْجِي بِهَا عَيْشًا مِنْ اللَّهِ دَانِيَا
مَعَ الْحُورِ أَمْثَالِ التَّمَاثِيلِ أُخْلِصَتْ من الجنة العُلْيَا مَنْ كَانَ عَالِيَا
وَبَعْتُ بِهَا عَيْشًا تَعْرِفْتُ صَفْوَهُ وعاجَلْتُهُ حَتَّى فَقَدْتُ الْأَدَانِيَا
فَأَكْرَمَنِي الرَّحْمَنُ مِنْ فَضْلٍ مِنْهُ بثوبٍ مِنَ الْإِسْلَامِ غَطَّى الْمَسَاوِيَا
وَمَا كَانَ مَكْرُوهًا إِلَى قَتَالِهِمْ غَدَاةُ دَعَا الْأَكْفَاءَ مَنْ كَانَ دَاعِيَا
وَلَمْ يَبْنِ إِذْ سَأَلُوا النَّبِيَّ سِوَانَا ثَلَاثَتُنَا حَتَّى حَضَرْنَا الْمُنَادِيَا
لَقِينَاهُمْ كَالْأَسَدِ تَخْطُرُ بِالْقَنَا نُقَاتِلُ فِي الرَّحْمَنِ مَنْ كَانَ عَاصِيَا
فَمَا بَرَحَتْ أَقْدَامُنَا مِنْ مَقَامِنَا ثَلَاثَتُنَا حَتَّى أَزَيَرُوا النَّائِيَا^(١)

وقال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضا يذم الحارث بن هشام على فراره يوم بدر وتره كه قومه لا يقاتل دونهم :

تَبَلَّتْ فَوَادُكَ فِي الْمَنَامِ خَرِيدَةٌ^(٢) تَشْفِي^(٣) الضَّجِيعَ بِبَارِدِ بَسَامِ
كَالْمَسْكِ تَخْلُطُهُ بِمَاءِ سَحَابَةٍ أَوْ عَاتِقٍ كَدَمِ الدَّيْبِ مَدَامِ
نُفِجَ الْحَقِييَةُ بَوْضُهَا مُتَنَفِّذٌ بَلْهَاءَ غَيْرِ وَشِيكَةِ الْأَقْسَامِ^(٤)
بُنِيَتْ عَلَى قَطَنِ أَجَمٍّ كَأَنَّهُ فَضْلًا إِذَا قَعَدَتْ مَدَاكُ رُخَامِ^(٥)
وَتَكَادُ تَكْسِلُ أَنْ تَجِيءَ فَرَاشُهَا فِي جِسْمِ خَرْعَةٍ^(٦) وَحُسْنِ قَوَامِ

(١) النائيا : النايا ، فزيدت فيه الهزة .

(٢) الخريدة : الحساء الناعمة . (٣) تشفي : تسقي .

(٤) نفج : عالية . وأراد بالحقيية الأرداف . والبوس : الردف . ومتنضد : يملو بعضه بعضاً . والبلهاء : الغافلة . والأقسام : جمع قسم . أى أنها لا تمضي قسمها . (٥) القطن : الوسط . والأجم : الذى لا عظام فيه . وفصلاً : نصب على الحال . والمداك : مدق الطيب . (٦) الحرعة : الحسنة القوام .

أما النهارَ فلا أُفترِّ ذِكرَها والليلَ توزِعي بها أحلامي
أقسمتُ أنساها وأترك ذِكرَها حتى تغيبَ في الضريح عظامي
بل مَنْ لِعاذلةٍ تلوم سفاهةً ولقد عصيتُ على الهوى لُؤامِي
بكرتُ إلى بسُخرةٍ بعدَ الكرى وتقاربِ مِنْ حادثِ الأيامِ
زعمتُ بأن المرءَ يَكربُ عمره عذمٌ لمعتكرٍ من الأصرامِ^(١)
إن كنتِ كاذبةً الذي حدَّثتني فنجوتِ مَنْجى الحارثِ بن هشامِ
ترك الأُحبةَ أن يقاتل دونهم ونجاً برأسِ طِمرةٍ ولجامِ^(٢)
يذرُ العناجيجَ الجيادَ بقفرةٍ مرَّةَ الدُمُوكِ بِمُخَصَدٍ ورجامِ^(٣)
ملأتُ به الفَرَجينَ فارمدتُ به وثوىَ أحبتهُ بشرٌ مُقامِ
وبنو أيبه ورهطه في معركِ نصرَ الإلهَ به ذوى الإسلامِ
طحنتهمُ واللهُ يُنفذُ أمره حربٌ يُشبُّ سعيُهما بضرامِ
لولا الإلهَ وجزيها لتركته جزرَ السَّبَاعِ ودُسْنه بِحوامِي^(٤)
مِنْ بَيْنِ مأسورٍ يُشدُّ وثاقه صَفَرٍ إذا لاقى الأُسنةَ حامِي
ومجدلٍ لا يستجيب لدعوةٍ حتى تزولَ شوامخُ الأعلامِ
بالعارِ والذلِّ المبين إذا رأى بيضَ السيوفِ تَسوقُ كلَّهُما
بيدَيَّ أغرَّ إذا انتهى لم يُخزهِ نَسَبُ القِصارِ سَمِيعِ^(٥) مِقْدَامِ
بيضٍ إذا لاقَتْ حديدًا صُمِّمَتْ كالبرقِ تحت ظلالٍ كلِّ غمامِ

(١) يكرِب : يحزن . والأصرام : جمع الجمع لصرمة ، وهى القطعة من الإبل ما بين العشرين إلى الأربعين .
والمعتكر : المختلط لا يستطاع عده . (٢) الطمرة : الفرس الجواد .

(٣) العناجيج : جياد الخيل . والدُمُوك : البكرة السريعة المرسى بها على السانية . والمُخَصَد : الحبل المقتول . والرجام : حجر يشد بطرف الدلو لتمرّع في البئر . يصف الفرس بسرعة الجرى . هذا وفي الأصل : « مر الذمول » وهو تحريف . صوابه من ابن هشام والديوان .

(٤) الحوامى : ميامن الحافر ومياسره . (٥) السميع : السيد .

قال ابن هشام : تركنا في آخرها ثلاث أبيات أفدع فيها .

قال ابن هشام : فأجابه الحارث بن هشام أخو أبي جهل عمرو بن هشام فقال :

القوم^(١) أعلم ما تركت قتالهم حتى رموا فرسي^(٢) بأشقر مزيدي
وعرفت أني إن أقاتل واحداً أقتل ولا ينفكي عدوي مشهدي
فصددت عنهم والأحبة فيهم طمعاً لهم بعقاب يوم مفسد

وقال حسان أيضاً :

يا حارٍ قد عولت غير معولٍ عند الهياج وساعة الأحساب
إذ تمتطى سرح اليمين نجية مرطى الجراء طويلة الأقراب^(٣)
والقوم خلفك قد تركت قتالهم ترجو النجاء وليس حين ذهاب
ألا عطفت على ابن أمك إذ نوى قمع الأسنة^(٤) ضائع الأسلاب
عجل المليك له فأهلك جمعه بشنار مخزية وسوء عذاب

وقال حسان أيضاً :

لقد علمت قريش يوم بدر غداة الأسر والقتل الشديد
بأننا حين تستجر العوالي حماة الحرب يوم أبي الوليد
قتلنا ابني ربيعة يوم سارا إلينا في مضاعفة الحديد
وفر بها حكيم يوم جالت بنو النجار تنظر كالأسود
وولت عند ذاك جموع مهزلة وأسلمها الحويرث من بعيد
لقد لاقيتم ذلاً وقتلاً جبراً نافذاً تحت الوريد
وكل قوم قد ولوا جميعاً ولم يلأوا على الحسب التليد

(٢) ابن هشام : حتى حبوا مهري .

(١) ابن هشام : الله أعلم .

(٣) السرح : السريعة . ومرطى الجراء : سريعة الجرى . والأقرب جمع قرب وهو الحاصرة ، أو من

الشاكلة إلى مراق البطن . (٤) القمع : أن يصاب برمية فيموت مكانه .

وقالت هند بنت أثاثه بن عباد بن المطلب ترثي عبيدة بن الحارث بن المطلب :

لقد ضمنَ الصفراءَ مجدّاً وسودداً . وحلماً أصيلاً وافرَ اللب والعقلِ
عبيدة فابكيه لأضياف غربة . وأرملة تهوى لأشعث كالجلدِ
وبكيه للأقوام في كل شتوة . إذا احمرَّ آفاقُ السماء من المحلِ
وبكيه للأيتام والريح زَفْزَفُ . وتَشْيِبُ قدَرِ طالما أزدبت تغلى
فإنْ تُصبحَ النيرانُ قد مات ضَوْوُها . فقد كان يذُ كيهن بالخطب الجزلِ
لطارق ليلٍ أو للتمس القِرَى . ومُسْتَبَحٍ أضْحى لديه على رسلِ

وقال الأُموي في مغازيه : حدثني سعيد بن قطن قال : قالت عاتكة بنت عبد المطلب في رؤياها التي رأت وتذكر بدرأ :

ألمّا تكن رؤياي حقاً وباتكم . بتأويلها فلّ من القوم هاربُ
رأى فاتاكم باليقين الذي رأى . بعينه ما تفرى السيوفُ القواضبُ
فقاتم ولم أْ كذب عليكم وإنما . يكذبُ بني بالصدق من هو كاذبُ
وما جاء إلا رهبة الموت هارباً . حكيمٌ وقد أعيت عليه المذاهبُ
أقامت سيوفُ الهند دون رؤوسكم . وخطية^(١) فيها الشبّا والتغالبُ
كأن حريق النار لمنعَ ظُبانها . إذا ما تعاطتها الليوثُ المشاغِبُ
ألا بأبي يومَ اللقاء محمداً . إذ أعرضَ من عون الحروبِ الفواربُ
مرى بالسيوفِ المرهفاتِ نفوسكم . كيفاً كما تمرى السحابُ الجنايبُ^(٢)
فكم برّدت أسيافه من مليكة . وزُرع ورْدٌ بعد ذلك صالبُ

(١) الخطية : الرماح (٢) الجنايب : الرياح التي تهب جنوباً ، وهي تمرى السحاب تستغل مطره . وأصل المرى مسح ضرع الناقة ليدبر لبنها .

فما بال قَتَلَى فِي الْقَلِيبِ وَمِثْلَهُمْ لَدَى ابْنِ أَخِي أُسْرَى لَهُ مَا يَضَارِبُ
فَكَانُوا نِسَاءً أَمْ أَتَى لِنَفْسِهِمْ مِنْ اللَّهِ حَيْنٌ سَاقٍ وَالْحَيْنُ حَالِبُ
فَكَيْفَ رَأَى عِنْدَ اللِّقَاءِ مُحَمَّدًا بَنُو عَمِّهِ وَالْحَرْبُ فِيهَا التَّجَارِبُ
أَلَمْ يَفْشِكُمْ ضَرْبًا يَحَارُّ لَوْقَمَهُ الْجَبَانُ وَتَبْذُو بِالنَّهَارِ الْكُوكِبُ
حَلَفْتُ لَنْ عَادُوا لِنَضْطَلِينَهُمْ بَحَارًا تَرْدَى تَجْرٍ فِيهَا^(١) الْقَانِبُ
كَأَنَّ ضِيَاءَ الشَّمْسِ لَمَعَ ظُبَاتِهَا لَهَا مِنْ شُعَاعِ النُّورِ قَرْنٌ وَحَاجِبُ
وَقَالَتْ عَاتِكَةُ أَيْضًا فِيمَا نَقَلَ الْأُمَوِيُّ :

هَلَّا صَبَرْتُمْ لِلنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ بِيَدِي وَمَنْ يَفْشَى الْوَغَى حَقٌّ صَابِرٍ
وَلَمْ تَرْجِعُوا عَنْ مُرْهَفَاتِ كَأَنِّهَا حَرِيقٌ بِأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ بَوَاتِرٍ
وَلَمْ تَصْبِرُوا لِلْبَيْضِ حَتَّى أَخَذْتُمْ قَلِيلًا بِأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ الْمَشَاعِرِ
وَوَلَيْتُمْ نَفَرًا وَمَا الْبَطْلُ الَّذِي يِقَاتِلُ مِنْ وَقَعِ السَّلَاحِ بِنَافِرٍ
أَنَا كَمْ بَمَا جَاءَ النَّبِيُّونَ قَبْلَهُ وَمَا ابْنُ أَخِي الْبَرُّ الصَّدُوقُ بِشَاعِرٍ
سَيَكْفِي الَّذِي ضَيَعْتُمْ مِنْ نَبِيِّكُمْ وَيَنْصُرُهُ الْحَيَّانُ عَمْرُو وَعَامِرُ

وقال طالب بن أبي طالب يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرثي أصحاب القليب
من قريش الذين قتلوا يومئذ من قومه ، وهو بعد على دين قومه إذ ذاك :

أَلَا إِنَّ عَيْنِي أَنْفَدَتْ دَمْعَهَا سَكْبًا تَبَكَّى عَلَى كَمَبٍ وَمَا إِنَّ تَرَى كَعْبًا
أَلَا إِنَّ كَعْبًا فِي الْحُرُوبِ تَخَاذَلُوا وَأَرَادَاهُمْ ذَا الدَّهْرِ وَاجْتَرَحُوا ذَنْبًا
وَعَامِرُ تَبَكَّى لِلْمَلِمَاتِ غُدُوَّةً فَيَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَرَى^(٢) لَهُمْ قُرْبًا

(١) المطبوعة : تجربتها . وهو تحريف . (٢) ابن هشام : لها .

[هـ أخوأي لن يُعدّا لغيةً تُعدّ ولن يُستام جارهما غضباً^(١)]
 فيا أخويناعبد شمسٍ ونوفلاً^(٢) فداً لكما لا تبعثوا بيننا حرباً
 ولا تُصبحوا من بعدٍ ودٍ وألفة أحاديث فيها كلُّكم يشتكي النكبا
 ألم تعلموا ما كان في حربٍ داحسٍ وحرب^(٣) أبي يكسوم إذ ملأوا الشعبا
 فلولاً دفاعُ الله لا شيءٌ غيرُهُ لأصبحتم لا تمنعون لكم ميرباً
 فما إن جنينا في قريشٍ عظيمةً سوى أن حميناً خير من وطئ الترابا
 أختاً ثقةً في النائباتِ مُرّزاً كريماً نثاه لا بخيلاً ولا ذرباً^(٤)
 يُطيف به العافون يَفشون بابه يؤثمون نهراً لا نزوراً ولا صرباً^(٥)
 فوالله لا تنفكُ نفسى حزينَةً تَمَلَمَل حتى تصدقوا الخرجَ الصرباً

فصل

وقد ذكر ابن إسحاق أشعاراً من جهة المشركين قوية الصنعة يرثون بها قتلاهم يوم بدر .

فمن ذلك قول ضِرَار بن الخطّاب بن مِرْداس أخى بنى مُحارب بن فهر ، وقد أسلم بعد ذلك ، والسهيلي في روضه يتكلم على أشعار من أسلم منهم بعد ذلك :

عجبتُ لفخر الأوس والخبزِ دأثر عليهم غداً والدهرُ فيه بصائرُ
 ونخري بني النّجار إن كان معشراً أصيبوا بيدٍ كلهم ثم صائرُ
 فإن تك قتلِي غودرت من رجالنا فإنّا رجالاً بعدهم سنغادرُ

(١) من ابن هشام . (٢) الأصل : ونوفل . وهو تحريف .

(٣) ابن هشام : وجيش أبي يكسوم . (٤) النثا : العطاء . والذرب : الفاسد .

(٥) الصرب : المنقطع .

وتُرْدَى بنا الجُرْد العَنَاجِيجُ ^(١) وَسَطَكُمْ
 ووسط بني النجار سوف نكرها
 لها بالقنا والدارعين زوافر
 وليس لهم إلا الأمانى ناصر
 لهن بها ليل عن النوم ساهر
 بهن دم من يحاربن مائر ^(٢)
 بأحمد أمسى جدكم وهو ظاهر
 يُحَامُونَ فِي اللَّأْوَاءِ ^(٣) وَالْمَوْتُ حَاضِرُ
 وَيُدْعَى عَلَى وَسْطٍ مِنْ أَنْتَ ذَا كَرُ
 بنو الأوس والنجار حين تفاخر
 إِذَاعَدَّتِ الْأَنْسَابُ كَعْبٌ وَعَامِرُ
 غَدَاةُ الْهَيَاجِ الْأَطْيَبُونَ الْأَكَابِرُ
 هم الطاعنون الخليل في كل معرك

فأجابه كعب بن مالك بقصيدته التي أسلفناها وهي قوله :

عَجِبْتُ لِأَمْرِ اللَّهِ وَاللَّهُ قَادِرُ عَلَى مَا أَرَادَ لَيْسَ اللَّهُ قَاهِرُ
 قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ وَاسْمُهُ شَدَّادُ بْنُ الْأَسْوَدِ بْنِ شُعُوبَ .

قلت : وقد ذكر البخارى أنه خلف على امرأة أبى بكر الصديق حين طلقها الصديق
 وذلك لما حرم الله المشركات على المسلمين واسمها أم بكر :

تَحْيَى بِالسَّلَامَةِ أُمُّ بَكْرٍ وَهَلْ لِي بَعْدَ قَوْمِي مِنْ سَلَامٍ
 فَمَاذَا بِالْقَلِيبِ قَلِيبِ بَدْرِ مِنْ الْقَيْنَاتِ وَالشُّرْبِ الْكَرَامِ

(٢) المائر : السائل .

(١) العناجيج : جياذ الخيل .

(٢) اللأواء : شدة البأس .

وماذا بالقلوبِ قلوبِ بَدْرِ من الشِّيزَى تكلَّل بالسنام^(١)
 وكم لك بالطَّوى طَّوى بَدْرِ من الحَوَمَات والنَّعم المُسام^(٢)
 وكم لك بالطَّوى طَّوى بَدْرِ من الغايات والدُّسُع^(٣) العِظامِ
 وأصحاب الكريم أبي عليٍّ أخی الكأسِ الكريمة والنَّدَامِ
 وإنك لو رأيت أبا عَقيـلٍ وأصحابَ الثَّنِيَّة من نَعَامِ^(٤)
 إذا لَظَلَّت مِن وَجَدٍ عليهم كَأَمَّ السَّقْبِ جائلة المرامِ^(٥)
 يخبرنا الرسولُ لسوف نَحْيَا وكيف حياءُ أَضْدَاء وهامِ

قلت : وقد أورد البخارى بعضها فى صحيحه ليعرف به حال قائلها .

قال ابن إسحاق : وقال أمية بن أبى الصَّلْت يرنى من قُتل من قریش يوم بدر :

ألاً بَكَيْت على السِّكْرَا م بنى الكرام أولى الممَادِحِ
 كِبْكَ الحِمَام على فرو ع الأيْكَ فى الفِصْنِ الجوانحِ^(٦)
 يَبْكِي حَرَّى مستكِي نَاتٍ يَرُحْنَ مع الروائِحِ
 أمناهن الباكيا تُ المَعُولَات مِن النوائِحِ
 مَن يَبْكِيهُم يَبْكِي على حُزْنٍ وَيَصْدُقُ كلَّ مادِحِ
 ماذا بِيَدِ فالعَقْنُ قَل مِن مَرَازِبَةٍ جِجَاجِجِ^(٧)
 فمدافع البرقين فالحنَّان من طَرَفِ الأواشِحِ^(٨)

(١) الشيزى : جفان من خشب . والسنام لحم ظهر البعير . وأراد أصحابها الطمعين فيها .

(٢) الحومات : جمع حومة ، وهى القطعة من الإبل . (٣) الدسُع : العطايا .

(٤) النعام : موضع . (٥) السقب : ولد الناقة حين تضعه . (٦) الجوانح : الموائل .

(٧) العنقل : السكيب المنقذ من الرمل . والمرازبة : الرؤساء . والججاجج : السادة .

(٨) البرقين والحنان والأواشِح : مواضع .

مُشْمَطٌ وَشُبَّانٌ بِهَا لَيْلٌ مَغَاوِيرٌ وَحَاوِحٌ ^(١)
 أَلَّا تَرَوْنَ لِي أَرَى وَلَقَدْ أَبَانَ لِكُلِّ لَامِحٍ
 أَنْ قَدْ تَفَرَّ بَطْنُ مَكَّةَ فَهِيَ مُوحِشَةُ الْأَبَاطِحِ
 مِنْ كُلِّ بِطْرِيْقٍ لِبَطْرِيْقٍ نَقَى الْوَدَّ ^(٢) وَاضِحٌ
 دُعْمُوْسٌ أَبْوَابُ الْمَلِكِ وَجَائِبٌ لِلْخَرْقِ فَاتِحٌ ^(٣)
 وَمِنْ السَّرَاطِمَةِ الْخَلَا جَمْعُ الْمَلَاوِثَةِ الْمَنَاجِحِ ^(٤)
 الْقَائِلِينَ الْفَاعِلَ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ بِكُلِّ صَالِحٍ
 الْمَطْعَمِينَ الشَّخْمَ فَوْقَ الْخَبِزِ شَحْمًا كَالْأَنَافِحِ ^(٥)
 تُنْقَلُ الْجَفَانُ مَعَ الْجَفَانِ إِلَى جَفَانٍ كَالْمَنَاضِحِ ^(٦)
 لَيْسَتْ بِأَصْفَارٍ لِمَنْ يَغْفُو وَلَا رُوحَ رَحَارِحٍ ^(٧)
 لِلضَّيْفِ ثُمَّ الضَّيْفِ بَعْدَ الضَّيْفِ وَالْبُسْطُ الشَّلَاطِحُ ^(٨)
 وَهَبَ الْمَثْنَيْنِ مِنَ الْمَثْنَيْنِ إِلَى الْمَثْنَيْنِ مِنَ الْوَقَائِحِ
 سَوَقٌ الْمَوْزِلُ لِلْمَوْزِلِ صَادِرَاتٍ عَنْ بِلَادِحٍ ^(٩)
 لِكِرَامِهِمْ فَوْقَ الْكِرَامِ مِزِيَّةٌ وَزَنَ الرُّوَاجِحِ
 كَمَشَاقِلِ الْأَرطَالِ بِالْقَسَاسِ بِالْأَيْدِي الْمَوَاضِحِ
 خَذَلْتَهُمْ فَتَةً وَهُمْ يَحْمُونَ عَوْرَاتِ الْفَضَائِحِ

- (١) الوحاوح : جمع وحاوح وهو القوى . (٢) ابن هشام : ققى اللون .
 (٣) الدعْموس : دويبة تغوص في الماء . يصفهم بكثرة الدخول على الملوك . والخرق : القلادة الواسعة .
 (٤) السرامطة : جمع سرطم وهو الواسع الخلق . والخلاجة : جمع خلجيم وهو الضخم الضويل .
 (٥) الأنافح : جمع لافحة . وهو شجر كالباذنجان . والإفحة أيضا : شيء يستخرج من بطن الجدى
 الرضيع أصفر فيعصر في صوفة فيغزل كالجن .
 (٦) المناضح : الحياض . (٧) الرح : الجفان الواسعة . والرحارح : جمع رحراح ، وهو الواسع
 المنبسط ، يريد أنها عميقة . (٨) السلاطح : العريضة . (٩) بلادح : موضع .

الضارين التَّقدمية بالمُهَنْدَةِ الصَّفَائِحِ (١)
 ولقد عَنَّا صَوْتَهُمْ مِنْ بَيْنِ مُسْتَسْقٍ وَصَائِحِ
 اللَّهُ دَرُّ بَنِي عَلَى أَيَّمِ مِنْهُمْ وَنَاكِحِ
 إِن لَّمْ يُغَيِّرُوا غَارَةَ شِعْوَاءَ تَحْجَرُ كُلَّ نَابِغِ
 بِالْمُقَرَّبَاتِ الْمُبْعَدَاتِ الطَّامِحَاتِ مَعَ الطَّوَامِغِ
 مُرْدَاً عَلَى جُرْدٍ إِلَى أُسْدٍ مُكَالِبَةٍ كَوَالِحِ (٢)
 وَيُلَاقِ قِرْنَ قِرْنَهُ مَشَى الْمُصَافِحِ لِلْمَصَافِحِ
 بَرْهَاءَ أَلْفٍ ثُمَّ أَلْفٍ بَيْنَ ذِي بُذْنٍ وَرَامِغِ
 قال ابن هشام : تركنا منها بيتين نال فيهما من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قلت : هذا شعر الخذول المعكوس المنكوس ، الذي حمّله كثرة جهله وقلة عقله على أن مدح المشركين وذم المؤمنين .
 واستوحش بمكة من أبي جهل بن هشام وأضرابه من الكفرة اللثام والجهلة الطغام ولم يستوحش بها من عبد الله ورسوله وحبيبه وخليله ، فَخَرَّ البشر ومن وجهه أنور من القمر ، ذى العلم الأكمل والعقل الأشمل ، ومن صاحبه الصديق المبادر إلى التصديق ، والسابق إلى الخيرات وفعل المكرمات ، وبذل الألوف والمئات في طاعة رب الأرض والسموات .

وكذلك بقية أصحابه الغر الكرام ، الذين هاجروا من دار الكفر والجهل إلى

(١) التقديمية : المقدمة . يصفهم بالتقدم في القتال أول الجيش .

(٢) المكالبة : بهم الشر والحدة . والكوالح : جمع كالح . وهو المتجهم العابس .

دار العلم والإسلام . رضى الله عن جميعهم ما اختلط الضياء والظلام . وما تعاقبت الليالى والأيام .

وقد تركنا أشعاراً كثيرة أوردتها ابن إسحاق رحمه الله خوف الإطالة وخشية الملالة . وفيما أوردنا كفاية . والله الحمد والمنة .

وقد قال الأموى فى مغازيه : سمعت أبى ، حدثنا سليمان بن أرقم ، عن ابن مسعود ، عن أبى هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عفا عن شعر الجاهلية .

قال سليمان : فذكر ذلك الزهري فقال : عفا عنه إلا قصيدتين ؛ كلمة أمية التى ذكر فيها أهل بدر ، وكلمة الأعشى التى يذكر فيها الأخص .

وهذا حديث غريب ، وسليمان بن أرقم هذا متروك . والله أعلم .

فصل

فى غزوة بنى سليم فى سنة ثنتين من الهجرة النبوية

قال ابن إسحاق : وكان فراغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدر فى عقب شهر رمضان ، أو فى شوال .

ولما قدم المدينة لم يقيم بها إلا سبع ليال حتى غزا بنفسه يريد بنى سليم .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة سباع بن عُرْفطة الغِفَارى ، أو ابن أم مكتوم الأعمى .

قال ابن إسحاق : فبلغ ماء من مياههم يقال له الكدر ، فأقام عليه ثلاث ليال ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً ، فأقام بها بقية شوال وذا القعدة ، وأفدى فى إقامته تلك جُلَّ الأسارى من قريش .

فصل

[في] غزوة السَّوَيْق في ذى الحجة منها ، وهي غزوة قَرْقَرَةَ الكَدْر

قال السهيلي : والقَرْقَرَةُ : الأرض الملساء . والكَدْر : طير في ألوانها كُدْرَة .

قال ابن إسحاق : وكان أبو سفيان كما حدثني محمد بن جعفر بن الزبير ويزيد بن رومان ، ومن لاأتهم ، عن عبد الله بن كعب بن مالك ، وكان من أعلم الأنصار ، حين رجع إلى مكة ورجع فل قريش من بَدْر ، نذر ألاَّ يمسَّ رأسه ماء من جَنَابَة حتى يَفْزَوْ مُحَمَّدًا .

فخرج في مائتي راكب من قريش لتبرَّ يمينه ، فسلك النَّجْدِيَّة حتى نزل بصدر قناة إلى جبل يقال له نَيْب من المدينة على بَرْد أو نحوه .

ثم خرج من الليل حتى أتى بني النضير تحت الليل فأتى حُيَّ بن أخطب فضرب عليه بابه ، فأبى أن يفتح له وخافه ، فانصرف عنه إلى سَلَام بن مِسْكُمْ ، وكان سيد بني النضير في زمانه ذلك وصاحب كنزهم ، فاستأذن عليه فأذن له فقراه وسقاه وبطن له من خَبَر الناس .

ثم خرج في عقب ليلته حتى أتى أصحابه ، فبعث رجلا من قريش ، فأتوا ناحية منها يقال لها العُرَيْض فحرقوا في أضواء من نخل بها ، ووجدوا رجلا من الأنصار وحليفاً له في حرث لها فقتلوهما ، وانصرفوا راجعين .

فَنَذِرَ بهم الناس ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في طلبهم .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة أبا لُبَابَة بشير بن عبد المنذر .

قال ابن إسحاق : فبلغ قَرْقَرَةَ الكَدْر ، ثم انصرف راجعا وقد فاته أبو سفيان وأصحابه .

ووجد أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم أزواداً كثيرة قد ألقاها المشركون يتخفّفون منها وعامّتها سَويق ، فسَمّيت غزوة السَويق

قال المسلمون : يارسول الله أنطمع أن تكون هذه لنا غزوة ؟ قال : نعم .

قال ابن إسحاق : وقال أبو سفيان فيما كان من أمره هذا ، ويمدح سَلام بن

مِشْكَم اليهودى :

وإني تخيرتُ المدينةَ واحداً	لِخلفٍ فلم أندم ولم أتلوّم
سَقَانِي فِرَوَانِي كُفَيْتاً ^(١) مُدَامَةً	على عَجَلٍ مِنِّي سَلام ^(٢) بن مِشْكَم
ولما تَوَلَّى الجَيْشُ قُلْتُ ولم أكن	لأُفْرِحْهُ ^(٣) : أبشِرْ بعزٍّ ومَغْنَمٍ
تأملُ فإِنَّ القَوْمَ سِرٌّ ولأنهم	صريحُ لُؤْيٍ لاشْمَاطِيط ^(٤) جُرم
وما كان إلا بعض ليلة راكبٍ	أتى ساعياً من غير خَلَّةٍ مُعْدَمٍ

فصل

في دخول علي بن أبي طالب رضى الله عنه على زوجته

فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم

وذلك في سنة ثنتين بعد وقعة بدر، لما رواه البخارى ومسلم من طريق الزهري ، عن علي بن الحسين ، عن أبيه الحسين بن علي ، عن علي بن أبي طالب قال : كانت لى شارف من نصيبي من المَغْنَمِ يوم بدر ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم أعطاني شارقاً مما أفاء الله من الخُمس يومئذ ، فلما أردت أبتنى فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم واعدت رجلاً

(١) الكميت : الحمر التي فيها سواد وحمرة . (٢) خففت اللام لضرورة الشعر .

(٣) لأفْرِحْهُ : لأَتَقِلَّ عليه .

(٤) الشماطيظ : القوم المفرقة .

صَوَّأْنَا مِنْ بَنِي قَيْنَقَاعَ أَنْ يَرْتَحِلَ مَعِيَ فَنَأْتِي بِإِذْخَرٍ ، فَأَرَدْتُ أَنْ أُبِيعَهُ مِنَ الصَّوَّأَغِينِ فَاسْتَمَعِينَ بِهِ فِي وَلِيْمَةِ عُرْسِي ، فَبَيَّنَا أَنَا أَجْمَعُ لِبَشَارَتِي مِنَ الْأَقْتَابِ وَالْغُرَائِرِ وَالْجِبَالِ ، وَشَارَفَايَ مُنَاخَتَانِ إِلَى جَنْبِ حَجَرَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ حَتَّى جَمَعْتُ مَا جَمَعْتُ ، فَإِذَا أَنَا بِشَارَفِي قَدْ أُحِيتِ أَسْنَمَتُهُمَا وَبُقِرَتْ خَوَاصِرُهُمَا وَأُخِذَ مِنْ أَكْبَادِهِمَا ، فَلَمْ أَمْلِكْ عَيْنِي حِينَ رَأَيْتُ الْمَنْظَرَ ، فَقُلْتُ : مَنْ فَعَلَ هَذَا ؟ قَالُوا : فَعَلَهُ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ ، وَهُوَ فِي هَذَا الْبَيْتِ وَهُوَ فِي شَرِبٍ مِنَ الْأَنْصَارِ وَعِنْدَهُ قَيْنَتُهُ وَأَصْحَابُهُ ، فَقَالَتْ فِي غَنَائِهَا :

* أَلَا يَا حَمْزُ لِلشَّرَفِ النَّوَاءُ *

فَوُثِبَ حَمْزَةُ إِلَى السَّيْفِ فَأُجِبَّ أَسْنَمَتُهُمَا وَبُقِرَ خَوَاصِرُهُمَا وَأُخِذَ مِنْ أَكْبَادِهِمَا .
قال علي : فانطلقت حتى أدخل على النبي صلى الله عليه وسلم وعنده زيد بن حارثة ، فعرف النبي صلى الله عليه وسلم الذي لقيتُ ، فقال : مالك ؟ فقلت : يارسول الله ما رأيت كاليوم ! عدَا حمزة على ناقتي فَأُجِبَّ أَسْنَمَتُهُمَا وَبُقِرَ خَوَاصِرُهُمَا ، وَهَـا هُوَ ذَا فِي الْبَيْتِ مَعَهُ شَرِبٌ .

فَدَعَا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِرِدَائِهِ فَارْتَدَاهُ ، ثُمَّ انْطَلَقَ يَمْشِي وَاتَّبَعَتْهُ أَنَا وَزَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ ، حَتَّى جَاءَ الْبَيْتَ الَّذِي فِيهِ حَمْزَةُ فَاسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ فَأَذِنَ لَهُ ، فَطَفِقَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُلَوِّمُ حَمْزَةَ فِيمَا فَعَلَ ، فَإِذَا حَمْزَةُ تَمْلُ حُمْرَةَ عَيْنَاهُ ، فَنَظَرَ حَمْزَةُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ صَعَّدَ النَّظَرَ فَنَظَرَ إِلَى رُكْبَتَيْهِ ثُمَّ صَعَّدَ النَّظَرَ فَنَظَرَ إِلَى وَجْهِهِ ثُمَّ قَالَ حَمْزَةُ : وَهَلْ أَنْتُمْ إِلَّا عَبِيدُ لِأَبِي !

فَعَرَفَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ تَمْلُ ، فَانْكَصَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى عَقْبِيهِ الْقَهْقَرَى فَخَرَجَ وَخَرَجْنَا مَعَهُ .

هَذَا لَفْظُ الْبُخَارِيِّ فِي كِتَابِ الْمَغَازِي ، وَقَدْ رَوَاهُ فِي أَمَّا كُنْ آخِرُ مَنْ صَحَّحَهُ بِالْفَاطَةِ كَثِيرَةً .

وفي هذا دليل على ما قدمناه من أن غنائم بدر قد حُصِّت ، لا كآزعه أبو عُبَيْد القاسم بن سلام في كتاب « الأموال » من أن الخمس إنما نزل بعد قسمتها ، وقد خالفه في ذلك جماعة منهم البخارى وابن جرير ، ويَبْدَأُ غلظه في ذلك في التفسير وفيما تقدم والله أعلم .

وكان هذا الصنع من حمزة وأصحابه رضى الله عنهم قبل أن تحرّم الخمر ، بل قد قتل حمزة يوم أحد كما سيأتى ، وذلك قبل تحریم الخمر . والله أعلم .

وقد يستدل بهذا الحديث من يرى أن عبسارة السكران مسلوبة لا تأثير لها لا في طلاق ولا إقرار ولا غير ذلك ، كما ذهب إليه من ذهب من العلماء ، كما هو مقرر في كتاب الأحكام .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سفيان ، عن ابن أبي نَجِيح ، عن أبيه ، عن رجل سمع عليًّا يقول : أردت أن أخطب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنته فقلت : ما لي من شيء ، ثم ذكرت عائده وصلته فخطبتها إليه ، فقال : « هل لك من شيء ؟ » قلت : لا قال : « فأين درعك الحُطْمِيَّة »^(١) التي أعطيتك يوم كذا وكذا ؟ قال : هي عندي . قال فأعطينها . قال : فأعطينها إياه .

هكذا رواه أحمد في مسنده ، وفيه رجل مُبْهَم .

وقد قال أبو داود : حدثنا إسحاق بن إسماعيل الطالقاني ، حدثنا عبدة ، حدثنا سعيد ، عن أيوب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : لما تزوج عليُّ فاطمة رضى الله عنهما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أعطها شيئًا . قال : ما عندي شيء . قال : أين درعك الحطمية ؟

ورواه النسائي ، عن هارون بن إسحاق ، عن عبدة بن سليمان ، عن سعيد بن أبي عروبة عن أيوب السخّثياني به .

(١) منسوبة إلى بطن من عبد القيس يقال لهم حطمة بن محارب كانوا يعملون الدروع .

وقال أبو داود : حدثنا كثير بن عبيد الحمصي ، حدثنا أبو حيوة ، عن شعيب بن أبي حمزة ، حدثني غيلان بن أنس ، من أهل حمص ، حدثني محمد بن عبد الرحمن بن ثوبان عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، أن علياً لما تزوج فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد أن يدخل بها فمنعه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يعطيها شيئاً ، فقال : يا رسول الله ليس لي شيء . فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : « أعطها درعك » فأعطاه درعه ثم دخل بها .

وقال البيهقي في الدلائل : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم ، حدثنا أحمد بن عبد الجبار ، حدثنا يونس بن بكير ، عن ابن إسحاق ، حدثني عبد الله بن أبي نجیح ، عن مجاهد ، عن علي ، قال : خطبت فاطمة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت مولاة لي : هل علمت أن فاطمة قد خطبت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قلت : لا . قالت : فقد خطبت ، فما يمنعك أن تأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيزوجك . فقلت : وعندي شيء أتزوج به ! فقالت : إنك إن جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم زوجك .

قال : فوالله ما زالت ترجيني حتى دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلما أن قعدت بين يديه أحنمت فوالله ما استطعت أن أتكلم جلالة وهيبه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما جاء بك ؟ ألك حاجة ؟ » فسكت فقال : « لعلك جئت تخطب فاطمة ؟ » ، فقلت : نعم . فقال : « وهل عندك من شيء تستحلها به ؟ » فقلت : لا والله يا رسول الله . فقال « ما فعلت درع سَلَحْتَكِها ؟ » .

فوالذي نفس عليّ بيده إنها لخطمية ما قيمتها أربعة دراهم ، فقلت : عندي . فقال : « قد زوجتكمها فابعث إليها بها فاستحلها بها » . فإن كانت لصادق فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : فولدت فاطمة لعليٍّ حسناً وحسيناً ومحسناً - مات صغيراً - وأم كلثوم وزينب .

ثم روى البيهقي من طريق عطاء بن السائب ، عن أبيه عن علي قال : جهز رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة في خميل وقربة ووسادة آدم حشوها إذ خَر .

ونقل البيهقي عن كتاب المعرفة لأبي عبد الله بن منده ، أن عليا تزوج فاطمة بعد سنة من الهجرة وابتنى بها بعد ذلك بسنة أخرى .

قلت : فعلى هذا يكون دخوله بها في أوائل السنة الثالثة من الهجرة ، فظاهر سياق حديث الشارفين يقتضى أن ذلك عقب وقعة بدر بيسير ، فيكون ذلك كما ذكرناه في أواخر السنة الثانية . والله أعلم .

فصل

في ذكر جُل من الحوادث في سنة ثنتين من الهجرة

تقدم ما ذكرناه من تزويجه عليه السلام بعائشة أم المؤمنين رضى الله عنها ، وذكرنا ماسلف من الغزوات المشهورة ، وقد تضمن ذلك وفيات أعيان من المشاهير من المؤمنين والمشركين .

فكان ممن توفى فيها : الشهداء يوم بدر ، وهم أربعة عشر مابين مهاجرى وأنصارى ، تقدم تسميتهم ، والرؤساء من مشركى قريش وقد كانوا سبعين رجلا على المشهور ، وتوفى بعد الوقعة بيسير أبو لهب عبد العزى بن عبد المطلب ، لعنه الله . كما تقدم .

ولما جاءت البشارة إلى المؤمنين من أهل المدينة مع زيد بن حارثة وعبد الله بن رَوَاحَة بما أحلَّ الله بالمشركين وبما فتح على المؤمنين ، وجدوا رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توفيت وساووا عليها التراب .

وكان زوجها عثمان بن عفان قد أقام عندها يمرّضها بأمر النبي صلى الله عليه وسلم له بذلك . ولهذا ضرب له بسهمه في مغنم بدر وأجره عند الله يوم القيامة .

ثم زوجه بأختها الأخرى أم كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولهذا كان يقال لعثمان بن عفان ذو النورين . ويقال : إنه لم يُعَلِّقْ أحدٌ على ابنتي نبي واحدة بعد الأخرى غيره رضى الله عنه وأرضاه .

وفيهما حُوت القبلَة كما تقدم ، وزيدٌ في صلاة الحضر ، على ماسلف .
وفيهما فرض الصيام ، صيام رمضان ، كما تقدم . وفيها فرضت الزكاة ذات النصب وفرضت زكاة الفطر .

وفيهما خضع المشركون من أهل المدينة واليهود الذين هم بها من بني قينقاع وبني النضير وبني قريظة ويهود بني حارثة وصانعوا المسلمين ، وأظهر الإسلام طائفة كثيرة من المشركين واليهود وهم في الباطن منافقون ، منهم من هو على ما كان عليه ، ومنهم من انحَلَّ بالكلية فبقى مُدَبِّذًا لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ، كما وصفهم الله في كتابه .

قال ابن جرير : وفيها كتب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المعاقِلَ ^(١) وكانت معلقةً بسيفه .

قال ابن جرير : وقيل إن الحسن بن علي ولد فيها .
قال : وأما الواقدي فإنه زعم أن ابن أبي سبرة حدثه عن إسحاق بن عبد الله عن أبي جعفر ، أن علي بن أبي طالب بنى بقاطمة في ذى الحجة منها .
قال : فإن كانت هذه الرواية صحيحة فالقول الأول باطل .

وإلى هنا ينتهى الجزء الثانى من السيرة النبوية لابن كثير
وبليه الجزء الثالث ، وأوله سنة ثلاث من الهجرة

(١) كتب الرسول بين قريش والأنصار كتابا فيه : أنهم يتعاقلون بينهم معاقلهم الأولى ، أى يكونون على ما كانوا عليه في الديات .

فَهْرَسُ الْمَوْضُوعَاتِ

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
كان يُرَى على قبر النجاشي نور	٢٧	باب الهجرة إلى أرض الحبشة :	٣
الحبشة تخرج على النجاشي فيحتال عليهم	٢٨	متى كانت - المهاجرون يركبون سفينة	٣
الرسول ينعى النجاشي ويصلى عليه	٢٩	إلى الحبشة .	
اسم النجاشي والخلاف فيه .	٢٩	أسماء المهاجرين ، وعددهم .	٣
لماذا صلى الرسول على النجاشي ؟	٣٠	سبب الهجرة - كانت أول هجرة في	٤
متى توفي النجاشي .	٣٠	الإسلام .	
قدوم وفد النجاشي على الرسول	٣١	عثمان أول من هاجر - أسماء المهاجرين	٤
وإكرامه لهم		الأوائل	
إسلام عمر بن الخطاب	٣٢	رأى موسى بن عقبة في تلك الهجرة .	٥
متى أسلم عمر - رواية أم عبد الله بنت	٣٢	المهاجرون مع جعفر بن أبي طالب	٦
أبي حنيفة		رواية الإمام أحمد في الهجرة إلى الحبشة	٩
رواية ابن إسحق عن أهل المدينة في	٣٣	رواية أبي نعيم	١١
إسلام عمر .		التحقيق في شأن هجرة أبي موسى	١٣
رواية أخرى عن أهل مكة	٣٦	الأشعري إلى الحبشة	
عمر يعلن إسلامه لجميل بن معمر	٣٨	قصة جعفر مع النجاشي	١٤
وفد نصارى نجران يسلم ، وينزل فيهم	٤٠	رواية ابن عساكر عن جعفر .	١٥
القرآن		رواية أم سلمة	١٧
كتاب النبي (ص) إلى النجاشي	٤١	الرسولان اللذان أرسلتهما قريش إلى	٢٦
رواية أخرى للبيهقي	٤٢	النجاشي	
قصة الشعب وحصار بني هاشم والمطلب	٤٣	آيات منسوبة لأبي طالب أرسلها إلى	٢٧
نقض الصحيفة ، وما ظهر فيها .	٤٤	النجاشي	

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٨٢	مصارعة الرسول (ص) لركانة	٤٧	رواية للبيهقي في ذلك
٨٣	بعض قصص المستهزئين ، وما نزل فيهم	٤٧	رواية ابن إسحق
٨٦	عطاء المستهزئين ، وعاقبتهم	٤٨	أبو لهب يظاهر قريشا على الرسول
٨٧	الوليد بن المغيرة يوصي بنيه عند موته	٤٩	قصيدة أبي طالب في تحالف قريش
٨٩	دعاء الرسول على قريش	٥٠	بين حكيم بن حزام وأبي جهل
٩١	بين فارس والروم	٥١	المستهزئون وما نزل فيهم من القرآن
٩٣	قصة الإسراء والمعراج .	٥٦	عودة المهاجرين من الحبشة وسببها
٩٣	متى كان الإسراء	٥٩	عثمان بن مظعون يدخل مكة في جوار
٩٤	رواية ابن إسحق في قصة الإسراء		الوليد بن المغيرة ثم يرده . .
٩٨	رواية ابن إسحق عن المعراج	٦١	وأبو سلمة يستجير بأبي طالب .
٩٨	الجواب عن وجوه غريبة في حديث	٦٢	أبيات لأبي طالب يحرض أبا لهب على
	الإسراء		نصرته
٩٩	بقية حديث المعراج		أبو بكر الصديق يعزم على الهجرة إلى
١٠٠	رؤية الرسول لجبريل		الحبشة فيجيره ابن الدغنة ، ثم يرد جواره
١٠١	فرض الصلاة ليلة الإسراء	٦٤	رواية البخاري في ذلك
١٠١	الاتفاق على تكليم الرسول لربه ليلة	٦٧	رواية ابن إسحق في نقض الصحيفة
	المعراج	٧٠	قصيدة أبي طالب في نقض الصحيفة
١٠١	الخلاف في رؤية الرسول لربه	٧١	متى خرج بنو هاشم من الشعب
١٠٢	عودة الرسول إلى مكة	٧٢	قصة إسلام الطفيل بن عمرو
١٠٢	إخبار الرسول لأبي جهل بالإسراء	٧٦	رواية الإمام أحمد في ذلك
١٠٤	كان الإسراء بالروح والجسد	٧٧	الخلاف في شأن قاتل نفسه
١٠٥	رأى عائشة ومعاوية في الإسراء	٧٨	قصة أعشى بن قيس ، وقصيدته
١٠٥	توجيه المؤلف لرأى عائشة		

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
١٢٦	رواية البخارى فى وفاة أبى طالب	١٠٦	لايفكر تقدم الإسراء مناما
١٢٧	رواية أخرى لمسلم وأحمد	١٠٦	يجوز تعدد الإسراء
١٢٧	أبو طالب فى ضحضاح من جهنم	١٠٧	رواية البخارى عن الإسراء
١٢٩	رواية أبى داود فى وفاة أبى طالب	١٠٨	رواية البخارى عن المعراج
١٢٩	الرسول يقول : « وصلّتك رحم	١١٢	جبريل يعلم الرسول الصلاة
	وجزيت خيرا يا عم »	١١٢	توجيه حديث عائشة : فرضت
١٣٠	موقف أبى طالب من الرسول ،		الصلاة ركعتين
	والفرق بين العلم والتصديق	١١٣	(فصل فى انشقاق القمر)
١٣١	هل نزلت فيه « وهم يبهون عنه	١١٤	رواية عن أنس ، وجبير بن مطعم
	ويأنون عنه » ؟	١١٥	روايات عن خديفة بن اليمان ، وابن عباس
١٣٢	(فصل فى موت خديجة)	١١٨	رواية عن ابن عمر وابن مسعود
١٣٢	متى توفيت خديجة ؟	١٢٠	هذه الطرق تفيد القطع
١٣٢	جبريل يبشر خديجة	١٢١	معنى انشقاق القمر
١٣٢	منزلتها عند الرسول	١٢٢	(فصل فى وفاة أبى طالب وخديجة)
١٣٦	الخلافا فى المفاضلة بين خديجة وعائشة	١٢٢	توفيت خديجة بعد أبى طالب ،
١٣٧	الفصل فى ذلك		وقيل قبله
١٣٩	(فصل فى تزويجه عليه السلام بعائشة)	١٢٢	قريش تطمع فى الرسول
١٣٩	رواية البخارى فى ذلك	١٢٣	قريش تسلم أبابا طالب عند مرضه
١٤١	متى تزوجها الرسول ؟		فى شأن الرسول
١٤١	كيف بنى بها رسول الله	١٢٤	الرسول يدعو عمه إلى الإسلام
١٤٢	رواية الإمام أحمد فى زواجه بعائشة	١٢٥	بعض الشيعة يدعى إسلام أبى طالب
	وسودة		والرد عليهم

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
١٥٨	الوفود ترفض دعوة الرسول	١٤٥	رواية أخرى في ذلك
١٥٩	الرسول يخرج مع العباس ليعرض دعوته .	١٤٦	اجتراء سفهاء قريش على الرسول بعد وفاة عمه
١٦٠	رواية الكلبي عن بني عامر بن صعصعة	١٤٧	أبو لهب يحمي الرسول ، ثم يتخلى عنه
١٦٣	رواية أبي نعيم عن خروج الرسول مع أبي بكر يعرض نفسه	١٤٨	النفر الذين كانوا يؤذون رسول الله في بيته
١٧٠	ميسرة بن مسروق يدعو قومه إلى اتباع الرسول فيأبون	١٤٩	(فصل في ذهابه عليه السلام إلى الطائف)
١٧٢	رواية الإمام أحمد عن رجل من همدان	١٤٩	رواية ابن إسحاق في ذلك
١٧٣	(فصل في قدوم وفد الأنصار)	١٥١	رواية موسى بن عقبة وأحمد
١٧٣	حديث سويد بن صامت الأنصاري	١٥٢	« هل أتى عليك يوم أشد من يوم أحد ؟ »
١٧٤	إسلام إياس بن معاذ	١٥٣	سماع الجن لقراءة الرسول
١٧٦	بدء إسلام الأنصار	١٥٣	الرسول يدخل مكة في جوار المطعم
١٧٧	أسماء المسلمين الأوائل من الأوس والخزرج	١٥٤	من رثاء حسان بن ثابت لمطعم بن عدي
١٧٨	بيعة العقبة الأولى ومن شهدها	١٥٥	(فصل في عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه على أحياء العرب)
١٨٠	الرسول يبعث مع الأنصار مصعب ابن عمير	١٥٥	الرسول يعرض دعوته وأبو لهب يحذر الناس منه
١٨١	إسلام أسيد بن حضير وسعد بن معاذ	١٥٧	الرسول يأتي كندة وكتابوا بني حنيفة ✓
١٨٤	الإسلام يفشو في دور الأنصار	١٥٧	بنو عامر بن صعصعة يساومون
١٨٥	قصيدة أبي قيس بن الأسلت يحذر قريشاً من الاختلاف		الرسول فيرفض

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٢٠٧	هاتف يهتف بقريش	١٨٧	حرب داحس وحرب حاطب
٢٠٧	صنم عمرو بن الجوح	١٨٨	لم يسلم أبو قيس بن الأسلت
٢٠٩	أسماء من شهد بيعة العقبة الثانية	١٩٠	رواية لابن إسحاق في إسلام قيس
٢٠٩	شهدها من الأوس أحد عشر رجلا	١٩٠	من أشعار قيس بن الأسلت
٢٠٩	ومن الخزرج اثنان وستون رجلا	١٩٢	قصة بيعة العقبة الثانية
٢١٣	(باب بدء الهجرة من مكة إلى المدينة)	١٩٢	مخالفة كعب بن مالك لقومه في القبلة
٢١٣	« قد أريت دار هجرتكم »	١٩٤	إسلام عبد الله بن حرام أبو جابر
٢١٤	حديث غريب في دار الهجرة	١٩٥	رواية الإمام أحمد في العقبة
٢١٤	الإذن بالحرب	١٩٦	بقية. رواية ابن إسحاق عن كعب
٢١٥	الرسول يأمر أصحابه بالخروج إلى المدينة .	١٩٨	أسماء النقباء من الأوس والخزرج
٢١٥	أول من هاجر من المسلمين	١٩٩	شعر لأبي زيد الأنصاري في النقباء
٢١٥	هجرة أم سلمة	٢٠٠	رواية للبيهقي عن النقباء
٢١٧	من هاجر بعد أبي سلمة	٢٠١	أنتم على قومكم كفلاء
٢١٧	هجرة بني جحش	٢٠١	إنكم تباعون على حرب الأحمر والأسود
٢١٨	هجرة بني غنم بن دودان	٢٠١	لماذا قال العباس بن عباد ذلك ؟
٢١٩	قصيدة أبي جحش	٢٠٢	أول من ضرب على يد الرسول يبايعه
٢١٩	هجرة عمر بن الخطاب وعياش	٢٠٢	سَلِّ يا محمد لربك ما شئت
٢٢٠	هشام بن العاص يرجع من الهجرة ويفتن .	٢٠٣	عبادة بن الصامت يبين ما بايعوا عليه
٢٢١	منازل المهاجرين بالمدينة	٢٠٤	الشيطان يصرخ بأهل مكة بعد البيعة
		٢٠٤	المشركون يأتون الخزرج ليتحققوا من البيعة
		٢٠٦	المشركون يظفرون بسعد بن عباد

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٢٤٤	رواية البخارى عن الهجرة	٢٢٣	صهيب يترك ماله للمشركين ويهاجر
٢٤٦	حديث البخارى عن سراقه	٢٢٤	منازل المهاجرين بالمدينة
٢٤٨	رواية ابن إسحاق عن سراقه	٢٢٦	(فصل فى سبب هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه)
٢٤٩	أبيات لأبى جهل وجوابها لسراقه	٢٢٦	إقامة الرسول بمكة ينتظر الإذن بالهجرة
٢٤٩	الزبير يلقى الرسول فى الطريق	٢٢٧	حديث دار الندوة
٢٥٠	الأنصار يستقبلون الرسول	٢٣٠	الرسول يخرج من داره ولا يراه الكافرون
٢٥٠	الرسول يؤسس مسجده بقاء	٢٣٢	باب هجرة رسول الله ومعه أبو بكر
٢٥١	رواية الإمام أحمد عن البراء بن عازب	٢٣٢	متى كانت الهجرة
	فى الهجرة	٢٣٣	حديث عائشة عن الهجرة
٢٥٤	رواية ابن إسحاق عن الهجرة	٢٣٤	دعاء الرسول عند الهجرة
٢٥٧	قصة أم معبد الخزاعية	٢٣٥	دخول الفار
٢٦٤	قصة لعبد الله بن مسعود	٢٣٦	موقف أسماء فى الهجرة
٢٦٥	رواية للإمام أحمد	٢٣٧	من جهاد أبى بكر فى الهجرة
٢٦٧	دخوله عليه السلام المدينة ومنزله بها	٢٣٩	رواية الإمام أحمد
٢٦٧	متى قدم عليه السلام وأين نزل	٢٣٩	خبر الليهقى عن الهجرة
٢٦٨	حديث ابن إسحاق عن قدوم الرسول	٢٤٠	رواية للحافظ بن عساكر
٢٦٩	فرح المسلمين بقدوم الرسول	٢٤٢	تفسير آية : « إلا تنصروه »
٢٧٠	منزل الرسول بالمدينة أول قدومه	٢٤٣	ما ظنك باثنين الله ثالثهما
٢٧١	أول جمعة صلاها الرسول بالمدينة	٢٤٤	أبيات منسوبة لأبى بكر
٢٧٢	خلوا سبيلها فإنها مأمورة	٢٤٤	رواية عن عروة بن الزبير
٢٧٢	رواية لموسى بن عقبة		
٢٧٤	رواية للبيهقى فى قدوم الرسول		

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٣٠٦	رواية ابن إسحق في بناء المسجد	٢٧٥	رواية للإمام أحمد
٣٠٦	حديث عمار « تقتلك الفئة الباغية »	٢٧٧	الرسول في منزل أبي أيوب
٣٠٩	حديث « هؤلاء ولالة الأمر بعدى »	٢٧٩	أول هدية أهديت إلى رسول الله بالمدينة
٣١١	فضل المسجد الشريف	٢٧٩	النبي يرسل زيد بن حارثة وأبا رافع
٣١٣	بناء الحجرات		إلى مكة
٣١٤	قدوم فاطمة وأم كلثوم وعائشة	٢٧٩	رواية للبيهقي في نزول الرسول بدار
٣١٥	فصل في ما أصاب المهاجرين من حمى المدينة		أبي أيوب
٣١٩	عقده عليه السلام الألفة بين المهاجرين والأنصار	٢٨٠	منقبة عظيمة لأبي أيوب وبنو النجار
		٢٨١	ثبت للأنصار الشرف والرفعة
		٢٨٢	قصيدة أبي قيس صرمة بن أبي أنس في فضل الأنصار
٣٢٠	كتاب المواعدة بين المؤمنين واليهود		
٣٢٤	مؤاخاة النبي بين المهاجرين والأنصار	٢٨٤	شرفت المدينة بهجرة الرسول إليها
٣٢٩	موت أسعد بن زرارة	٢٨٥	المفاضلة بين مكة والمدينة
٣٣١	ميلاد عبد الله بن الزبير	٢٨٧	وقائع السنة الأولى من الهجرة
٣٣٢	بناء الرسول بعائشة	٢٨٧	مبدأ التاريخ الإسلامى
٣٣٣	زيادة الصلاة في الحضر	٢٨٩	حوادث السنة الأولى من الهجرة
٣٣٤	مشروعية الأذان	٢٩٠	مدة إقامة الرسول بمكة والخلاف فيها
٣٣٨	سرية حمزة بن عبد المطلب	٢٩٢	المسجد الذى أسس على التقوى
٣٣٨	سرية عبيدة بن الحارث	٢٩٤	إسلام عبد الله بن سلام
٣٣٩	الرسول يعقد لواء لسعد بن أبي وقاص	٢٩٩	أول جمعة صلاها الرسول بالمدينة
٣٤٠	من ولد في السنة الأولى للهجرة	٢٩٩	خطبة الرسول في أول جمعة
٣٤٣	ذكر ما وقع في السنة الثانية	٣٠١	رواية البيهقي عن تلك الخطبة
٣٤٢	أخبار اليهود الذين نصبوا العداوة للرسول	٣٠٢	بناء المسجد الشريف

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٣٧٢	تحويل القبلة في سنة اثنتين من الهجرة	٣٤٤	إسلام غيريق
٣٧٥	موقف أهل الكتاب من تحويل القبلة	٣٤٤	من مال إلى اليهود من المنافقين
٣٧٧	فريضة رمضان ، قبل بدر	٣٤٩	من أسلم من أحبار اليهود تقية
٣٧٨	أحوال الصيام وأحوال الصلاة	٣٤٩	ما كان يفعله المنافقون في المسجد
٣٧٩	فرض زكاة الفطر	٣٥٢	غزوة الأبواء ، وهي أول المغازي
٣٨٠	غزوة بدر العظمى	٣٥٢	عدد غزوات الرسول
٣٨١	رؤيا عاتكة بنت عبد المطلب	٣٥٦	غزوة ودان
٣٨٣	أمية بن خلف يخرج مكرها	٣٥٧	قصيدة منسوبة لأبي بكر
٣٨٦	إبليس يتبدى للكفار في صورة سراقاة	٣٥٧	جوابها لابن الزبيري
٣٨٧	خروج قريش	٣٥٨	آيات لسعد بن أبي وقاص
٣٨٧	خروج الرسول والمسلمين	٣٥٩	بعث الرسول لحمة
٣٩٠	الطريق الذي سلكه المسلمون	٣٥٩	أول راية عقدت في الإسلام
٣٩١	استشارة الرسول لأصحابه	٣٥٩	آيات لحمة في ذلك
٣٩٢	موقف الأنصار	٣٦٠	أبو جهل يحيب حمزة
٣٩٦	طريق المسلمين إلى بدر	٣٦١	غزوة بواط
٣٩٧	المسلمون يظفرون بغلامين لقريش	٣٦١	غزوة العشيرة
٣٩٨	الرسول يرسل عينين يستخبران	٣٦٣	تسمية الرسول لعلي أبا تراب
٣٩٨	رؤيا لجهم بن الصلت	٣٦٤	غزوة بدر الأولى
٣٩٩	أبو سفيان يحاول الرجوع بالناس	٣٦٦	سرية عبد الله بن جحش
٣٩٩	الأخنس بن شريق يرجع ببني زهرة	٣٧٠	كان عبد الله بن جحش أول أمير في
٤٠٠	طالب بن أبي طالب يرجع		الإسلام
٤٠٠	قريش تنزل بالعدوة القصوى	٣٧٢	آيات لأبي بكر في تلك السرية

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٤١٤	« هذان خصمان اختصموا في ربهم »	٤٠١	المطر ينزل على المسلمين - الرسول
٤١٥	هند ترثي قتلى المشركين		بيئت يصلى
٤١٥	إصابة عبيدة ووفاته - أول قتييل	٤٠٢	الحباب بن المنذر يشير على الرسول
	قتل من المسلمين		فيتسمع رأيه
٤١٦	التحام الصفوف	٤٠٣	بناء عريش لرسول الله
٤١٧	الرسول يدعو عند التحام الصفوف	٤٠٤	قريش تقبل بخيلائها
٤١٨	نزول الملائكة وعددهم	٤٠٥	عدد المسلمين يومئذ
٤١٩	من مناشدة الرسول لربه	٤٠٦	معنى « ويقال لكم في أعينهم »
٤٢٠	سيهزم الجمع ويولون الدبر	٤٠٦	عمير بن وهب يقدر عدد المسلمين
٤٢١	عمير بن الحمام يرمى التمرات ويتقدم	٤٠٧	حكيم بن حزام يحاول الرجوع
٤٢٢	خبر مفصل للإمام أحمد عن غزوة بدر		بقريش فيأبى أبو جهل
٤٢٤	الرسول يحرّض على القتال	٤٠٨	حكيم بن حزام يحدث مروان بن
٤٢٥	شجاعة الرسول		الحكم حديث بدر
٤٢٦	قتال الملائكة في بدر	٤٠٩	الرسول يسوئ الصفوف
٤٣٣	الرسول يرمى بالتراب في وجوه المشركين	٤١٠	« ما يضحك الرب من عبده »
٤٣٣	إبليس يفرّ حين يرى الملائكة	٤١٠	الرسول مع أبي بكر في العريش
٤٣٤	أبو جهل يستفتح	٤١١	أبو بكر أشجع الناس
٤٣٥	الرسول يقول « شأهت الوجوه »	٤١١	الرسول يكثر الابتهاال لربه
٤٣٦	سعد بن معاذ يحب الإثخان في القتال	٤١٢	مقام الخوف ومقام الرجاء
٤٣٦	الرسول يأمر بتجنّب قتل بعض قريش	٤١٢	التقاء الجمعين - أول من قتل من المشركين
		٤١٣	المبارزة بين المسلمين والمشركين

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٤٦٥	الخلاف في اليوم الذي وقعت فيه بدر	٤٣٦	مقتل أبي البختري بن هشام
٤٦٥	خبر عن قباث بن أشيم	٤٣٨	مقتل أمية بن خلف
٤٦٦	اختلاف الصحابة في المغام	٤٤٠	مقتل أبي جهل
٤٦٩	رجوعه عليه السلام من بدر إلى المدينة	٤٤٧	ردّه عليه السلام عين قتادة
٤٧٠	قدوم البشيرين إلى أهل المدينة	٤٤٨	قصة أخرى شبيهة بها
٤٧٢	وصول الرسول إلى الروحاء	٤٤٨	بين أبي بكر وابنه عبد الرحمن
٤٧٣	مقتل النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط	٤٤٩	طرح رموس الكفر في القليب
٤٧٤	قتيلة بنت الحارث ترضى النضر أخاها	٤٥٢	قصيدة حسان في ذلك
٤٧٥	الرسول يوصى بالأسارى خيرا	٤٥٣	حذيفة بن عتبة يحزن على أبيه
٤٧٦	فرح النجاشي بوقعة بدر	٤٥٤	قصيدة لحسان بن ثابت في فضل الأنصار
٤٧٧	وصول خبر مصاب بدر إلى مكة	٤٥٥	الحكمة في شرع الجهاد
٤٧٨	بين أبي لهب وأبي رافع	٤٥٦	من قتل من المستضعفين
٤٨٠	أبيات للأسود بن المطلب في رثاء قتلى بدر	٤٥٦	جملة الأسارى
٤٨١	بعث قريش إلى رسول الله فداء أسراهم	٤٥٧	اختلاف الصحابة في الأسرى وحكم الله في ذلك
٤٨١	أول أسير فدى من المشركين	٤٦١	معنى : « لولا كتاب من الله سبق »
٤٨٢	أبوسفيان يحبس سعد بن النعمان بمكة	٤٦٢	العباس بن عبد المطلب يفدى نفسه
٤٨٤	زينب تفدى زوجها أبا العاص	٤٦٣	عدد القتلى والأسرى من المشركين وعدد القتلى من المسلمين
٤٨٤	الذين من عليهم الرسول بغير فداء	٤٦٤	عدد من شهد بدرا من المشركين
٤٨٥	الرسول يمن على أبي عزة الجمحي	٤٦٥	وعدد من شهداها من المسلمين

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٥٠٧	جملة من شهد بدرا من المسلمين	٤٨٦	قدوم عمير بن وهب المدينة وإسلامه
٥٠٩	من تخلفوا عن بدر بعذر	٤٩٠	أسماء أهل بدر مرتبة على حروف المعجم .
٥١٠	الذين استشهدوا من المسلمين ببدر	٤٩٠	حرف الألف
٥١٠	جمع المشركين والخلاف فيه	٤٩١	حرف الباء - حرف التاء
٥١٢	فضل من شهد بدرا من المسلمين	٤٩٢	حرف الثاء - حرف الجيم
٥١٦	قدوم زينب بنت الرسول من مكة مهاجرة .	٤٩٣	حرف الحاء
٥٢٠	إسلام أبي العاص بن الربيع	٤٩٤	حرف الخاء
٥٢٢	ما في قصة زينب من الفقه	٤٩٥	حرف الذال - حرف الراء - حرف الزاي .
٥٢٤	ما قيل من الأشعار في غزوة بدر	٤٩٦	حرف السين
٥٢٤	قصيدة لحمة بن عبد المطلب	٤٩٧	حرف الشين - حرف الصاد - حرف الضاد .
٥٢٥	قصيدة لعل بن أبي طالب	٤٩٩	حرف الطاء - حرف الظاء
٥٢٦	قصيدة لكعب بن مالك	٥٠٣	حرف الفين - حرف الفاء - حرف القاف .
٥٢٨	قصيدة لحسان بن ثابت	٥٠٤	حرف الكاف - حرف الميم
٥٢٨	قصيدة لعبيدة بن الحارث	٥٠٦	حرف النون - حرف الهاء - حرف الواو - حرف الياء
٥٢٩	قصيدة لحسان بن ثابت	٥٠٧	باب الكنى
٥٣١	أبيات للحارث بن هشام		
٥٣١	قصيدتان لحسان بن ثابت		
٥٣٢	أبيات لهند بنت أثاثة ترثي عبيدة بن الحارث .		
٥٣٢	قصيدة لعاتكة بنت عبد المطلب		

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٥٣٨	تعليق المؤلف على قصيدة أمية	٥٣٣	أبيات أخرى لعاتكة
٥٣٩	غزوة بني سليم	٥٣٣	طالب بن أبي طالب يمدح الرسول
٥٤٠	غزوة السويق ، وهي قرقرة الكدر		ويرثي أصحاب القليب
٥٤١	دخول علي بن أبي طالب على فاطمة	٥٣٤	قصيدة لضرار بن الخطاب
٥٤٥	ذكر جمل من الحوادث في سنة ٥٤٥	٥٣٥	قصيدة لشداد بن الأسود
	اثنتين من الهجرة	٥٣٦	قصيدة لأمية بن أبي الصلت

فهرس القوافى

قافية الهمزة

٥٢٧	كعب بن مالك	وانتخاه
٥٤٢	—	النواء

(ب)

٤٠٠	طالب بن أبى طالب	محارب
٤١٥	هند	ينقلب
٤٤٨	عبد الرحمن بن أبى بكر	الشيب
٢٧	أبو طالب	الأقارب
٥٣٢	عاتكة بنت عبد المطلب	هارب
٢١٩	أبو أحمد بن جحش	وأرهب
٥٣٣	طالب بن أبى طالب	كعباً
٥٣١	حسان بن ثابت	الأحساب
١٨٥	أبو قيس بن الأسلت	غالب
٤٩	أبو طالب	كعب
٤٥٢	حسان بن ثابت	القشيب

(ت)

١٦٩	الأعشى	وقلت
٢٢١		لقيت
٢٤٠		للعنكبوت

(ث)

٣٥٧	عبد الله بن الزبيري	لابث
٣٥٧	أبو بكر	حادث

(ح)

٥٣٦	أمية بن أبي الصلت	المادخ
-----	-------------------	--------

(د)

٣٧٢	عبد الله بن جحش	راشد
٤٨٥	حسان بن ثابت	ومحمد
٧٠	أبو طالب	أزود
٥١١	كعب بن مالك	والأسود
٤٨٠	الأسود بن المطلب	السهود
١٣٨	بعض الشعراء	الثريد
٤٨٥	أبو عزة الجحى	حميد
٧٩	أعشى بن قيس	مسهدا
٤٢٢	عمير بن الحمام	المعاد
٢٦٢، ٢٥٥	الماتف	معبد
٢٦٢	حسان بن ثابت	ويقتدي
٤٨٥	حسان بن ثابت	الموارد
٤٤٨	عاصم بن عمر	رد
٢٤٩	أبو جهل	محمد
٥٣١	حسان بن ثابت	الشديد
٥٢٨	حسان بن ثابت	رديد

(ر)

٣٠٤، ٢٥١		وأطهرُ
٥٣٤	ضرار بن الخطاب	بصائرُ
٤٥٤	حسان بن ثابت	كفارُ
٥٢٦	كعب بن مالك	قاهرُ
٤٧٨	الهاثف	وقيصراً
٣٣٦	عبد الله بن زيد	كبيراً
٢٧٥، ٢٧٤		جارٍ
٢٤٤	أبو بكر	الغارِ
٥٣٣	عاتكة بنت عبد المطلب	صابرٍ
٥٢٨	حسان بن ثابت	العُسرِ
١٧٣	سويد بن الصامت	يفرّى -
٥٢٤	حمزة بن عبد المطلب	الأمرِ
١٦٤	الشاعر	فهرٍ

(س)

٤٧٢	عدى بن أبي الزغباء	معرسُ
-----	--------------------	-------

(ض)

٢٤٠	الصرمى	يبيضُ
-----	--------	-------

(غ)

١٩٩	أبو زيد الأنصارى	واقعُ
٣١٨	الشاعر	الجزوعُ
١٦٥	دغفل بن حنظلة	برفَعه

(ف)

١٦٤	الشاعر	عجاف
٢٠٧	الماتف	القطارف
٢٠٧	»	المخالف

(ق)

٤٧٤	قتيلة بنت الحارث	موقف
٣١٦	عامر بن فهيرة	فوقه

(ك)

٧٥	الطفيل بن عمرو	عبادكا
٥١٧	زينب بنت الرسول	العوارك

(ل)

٣٠٦	—	المضلل
٦٠	لبيد بن أبي ربيعة	باطل
١٨٩	أبو قيس بن الأسلت	فافعوا
٣١٧، ٣١٦، ٣١٥	بلال	وجايل
٤٤٨	أمية بن أبي الصلت	أبو الـ
٤٨٣	حسان بن ثابت	القتلا
٤٨٣	أبو سفيان	الكهلا
١٦٤	دغفل بن حنظلة	يحماله
٤٣٧	أبو البختری	سبياله
١٩٠	أبو قيس بن الأسلت	هلال
٣٥٨	سعد بن أبي وقاص	نبلي
٥٢٥	علي بن أبي طالب	فضل

٣٦٠	أبو جهل	وبالبطل
٣٥٩	حزّة	وللعقل
٥٣٢	هند بنت أثانة	والعقل
٣١٧، ٣١٦، ٣١٥	أبو بكر الصديق	نعله
	(م)	
٤٨١	مالك بن الدخشم	الأئمّة
٢٤٩	سراقة بن مالك	قوائمه
٥٢٧	كعب بن مالك	عليهها
١٥٤	حسان بن ثابت	مطعما
٦٢	أبو طالب	المظالم
٤٤٩		أظلماً
٥٢٩	حسان بن ثابت	بسّام
٥٣٥	شداد بن الأسود	سلام
٥١٨	عبد الله بن رواحة	مأثم
٥٤١	أبو سفيان	أتلّوم
	(ن)	
٢١٨	عمرو بن الجحوح	قرن
	(هـ)	
٣٠٦، ٣٠٤، ٢٥١	—	والمهاجرة
	(ي)	
٥٢٨	عبيدة بن الحارث	نائيا
٢٩٠، ٢٨٢، ١٩١	أبو قيس بن أنس	مواتياً
٤٣٧	المجذر بن زياد	بلي
٤٣٤	أبو جهل	منى

« تصويبات »

الصفحة	السطر	الصواب	الصفحة	السطر	الصواب
٤١	٨	يَتَّخِذَ	٢٤١	هامش	يحرك جناحيه وزجليه
٦٥	هامش	ولهم يقال	٤١٧	٦	فويق الأرض
٩٧	١٨	البهقي	٤٤٣	٦	مناشتك
١٠٣	٢٠	فقالوا	٥٢٧	٦	أعد
١٩٢	١	ثم إن			عداوة
٢٠٩	٣	وقش			

« استدراكات »

١ - في ص ٣ س ١٢ قال المؤلف : « وقد تقدم عن أبي الأشدين أنه صارع النبي » ولكنه لم يتقدم ذلك . ولعله وهم وتابع السهيلي حيث أشار في الروض ١ / ٢٣٨ إلى تقدم ذلك أيضا .

٢ - في ص ٢٢١ س ١٣ « الوليد بن المغيرة » كذا بالأصل . والصواب : الوليد بن الوليد بن المغيرة . كما في ابن هشام .

٣ - في ص ٤٤٢ س ٥ الصواب : بَيَّنَّ أَضْلَعَ مِنْهُمَا . هكذا الرواية في الصحيحين . ومعنى أضلع : أقوى وأشدّ . وقد فسرتها في الهامش بناء على تحريف الأصل : أظلم : أضعف . وهذه آفة التعويل على النسخ .

٤ - في ص ٥٢٢ س ١٠ « قضية زينب » كذا بالأصل ولعلها قصة .

« من تصويبات الجزء الأول »

١ - في صفحات ٣٤٤ ، ٣٤٥ ، ٣٤٨ الصواب : وتَظْلَاهَا ، وتَخْبَاهَا - وتَجَسَّسَهَا وتَنَفَّازَهَا . بفتح أوائل الكلمات .

٢ - في ص ٣٣٥ س ١٥ الصواب : واحتَجَّنَاهُ . ويحذف الهامش ، وكان نتيجة خطأ في القراءة .

٣ - ص ٣٤١ س ٥ الصواب : على الرجل .

السيرة النبوية

للإمام أبي الفداء إسماعيل بن كثير

٧٠١ — ٧٧٤ هـ

تحقيق

مصطفى عبد الواحد

المجلد الثالث

١٢٩٢ هـ = ١٩٧٦ م

دار المعرفة

للطباعة والنشر والتوزيع

هاتف ٢٣٦٧٦٩ — ٢٤٦١٦١

ص.ب ٥٧٦٩

بيروت — لبنان

السيرة النبوية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سنة ثلاث من الهجرة

في أولها كانت غزوة نَجْد ويقال لها غزوة ذى أمر .

قال ابن إسحاق : فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة السَّوِيق أقام بالمدينة بقية ذى الحجة أو قريباً منها ، ثم غزا نجداً يريد غطفان ، وهى غزوة ذى أمر^(١) .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة عثمان بن عفان .

قال ابن إسحاق : فأقام بنجد صقراً كله ، أو قريباً من ذلك ، ثم رجع ولم يَلْقَ كيداً .

وقال الواقدي : بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن جمعاً من غطفان من بنى ثعلبة ابن مُحَارِب تجمعوا بذى أمر يريدون حربَه ، فخرج إليهم من المدينة يوم الخميس لثنتي عشرة خلت من ربيع الأول سنة ثلاث ، واستعمل على المدينة عثمان بن عفان ، فغاب أحد عشر يوماً ، وكان معه أربعائة وخمسون رجلاً .

وهربت منه الأعراب في رموس الجبال حتى بلغ ماء يقال له ذو أمر فمسكروا به ، وأصابهم مطر كثير فابتلت ثياب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنزل تحت شجرة هناك ونشر ثيابه لتجف ، وذلك بمرأى من المشركين ، واشتغل المشركون في شئونهم .

(١) ذو أمر : موضع من ديار غطفان . وقال ابن سعد : بناحية النخيل .

فبعث المشركون رجلاً شجاعاً منهم يقال له غَوْرَثُ بن الحارث أو دُعْنُور بن الحارث فقالوا : قد أمكفك الله من قتل محمد .

فذهب ذلك الرجل ومعه سيف صقيل ، حتى قام على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف مشهوراً ، فقال : يا محمد من يمنعك مني اليوم ؟ قال : الله . ودفع جبريل في صدره فوق السيف من يده .

فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : من يمنعك مني ؟ قال : لا أحد ، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، والله لا أكره عليك جمعاً أبداً . فأعطاها رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه .

فلما رجع إلى أصحابه فقالوا : ويلك ، مالك ؟ فقال : نظرتُ إلى رجل طويل فدفع في صدرى فوقعت لظهرى فعرفت أنه ملك ، وشهدت أن محمداً رسول الله ، والله لا أكره عليه جمعاً . وجعل يدعو قومه إلى الإسلام .

قال : ونزل في ذلك قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قومٌ أن يبسطوا إليكم أيديهم فكفَّ أيديهم عنكم ^(١) » الآية .

قال البيهقي : وسيأتي في غزوة ذات الرقاع قصة تشبه هذه ، فلعلهما قصتان . قلت : إن كانت هذه محفوظة فهي غيرها قطعاً ، لأن ذلك الرجل اسمه غَوْرَث ابن الحارث أيضاً لم يُسلم بل استمرَّ على دينه ، ولم يكن عاهد النبي صلى الله عليه وسلم ألا يقاتله . والله أعلم .

غزوة الفُرْع من بجران

قال ابن إسحاق : فأقام بالمدينة ربيعاً الأول كله أو إلا قليلاً منه ثم غدا ^(٢)

(١) سورة المائدة ١١ . (٢) ابن هشام : ثم غزا .

يريد قريشاً ، قال ابن هشام : واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم .
 قال ابن إسحاق : حتى بلغ بُحْران ^(١) ، وهو معدن بالحجاز من ناحية الفرع ^(٢) .
 وقال الواقدي : إنما كانت غيبته عليه السلام عن المدينة عشرة أيام . فالله أعلم .

خبر يهود بنى قينقاع من أهل المدينة

وقد زعم الواقدي أنها كانت في يوم السبت النصف من شوال سنة ثنتين من الهجرة . فالله أعلم .

وهم المرادون بقوله تعالى : « كمثل الذين من قبلهم قريباً ذاقوا وبأل أمرهم ولهم عذاب أليم » ^(٣) .

قال ابن إسحاق : وقد كان فيما بين ذلك من غزو رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بنى قينقاع .

قال : وكان من حديثهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جمعهم في سوقهم ثم قال : يا معشر يهود احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النعمة وأسلموا ، فإنكم قد عرفتم أني نبي مرسل تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله إليكم .

فقالوا : يا محمد إنك ترى أننا قومك ؟ لا يفرئك أنك لقيت قوماً لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة ، أما والله لئن حاربناك لتعلمن أننا نحن الناس .

قال ابن إسحاق : فحدثني مولى لزيد بن ثابت ، عن سعيد بن جبير ، وعن عكرمة ، عن ابن عباس قال : ما نزل هؤلاء الآيات إلا فيهم : « قل للذين كفروا سَتَغْلِبُونَ وَتُخْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَيُدْخِلُ الْمُهَاد . قد كان لكم آية في فئتين النقباء » يعني أصحاب بدر

(١) بحران : بضم الباء وفتحها وهي أول قرية مارت اسماعيل وأمه التمر بمكة .

(٢) الفرع : بضم الفاء والراء وفي المواهب بفتحهما . (٣) سورة الحشر ١٥ .

من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقريش : « فثمة تقتاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثلهم رأى العين والله يؤيد بنصره من يشاء ، إن في ذلك لآية لأولى الأبصار ^(١) » .

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة أن بني قينقاع كانوا أول يهود تقضوا العهد وحاربوا فيما بين بدر وأحد .

قال ابن هشام : فذكر عبد الله بن جعفر بن المسور بن مخرمة عن أبي عون ، قال : كان [من ^(٢)] أمر بني قينقاع أن امرأة من العرب قدمت بحب لها فباعته بسوق بني قينقاع ، وجلست إلى صائغ هناك منهم فجعلوا يريدونها على كشف وجهها فأبت ، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعمده إلى ظهرها ، فلما قامت انكشفت سواتها فضحكوا بها ، فصاحت فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله وكان يهودياً ، فشدت اليهود على المسلم فقتلوه ، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود فأغضب ^(٣) المسلمون ، فوقع الشر بينهم وبين بني قينقاع .

قال ابن إسحاق : فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة قال : فخاصهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلوا على حكمه .

فقام إليه عبد الله بن أبي بن سلول حين أمكنه الله منهم فقال : يا محمد أحسن في موالى . وكانوا حلفاء الخزرج . قال : فأبأ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا محمد أحسن في موالى فأعرض عنه . قال : فأدخل يده في جيب درع النبي صلى الله عليه وسلم . قال ابن هشام : وكان يقال لها ذات الفضول . فقال له رسول الله صلى الله

عليه وسلم : أرسلني . وغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى رأوا لوجه ظملاً ثم قال : ويحك أرسلني .

قال : لا والله لا أرسلك حتى تحسن في موالي ، أربعمائة حاسر وثلاثمائة دارع قد منعوني من الأحمر والأسود ، تحصدكم في غداة واحدة ! إني والله اسروا أخشى الدوائر . قال : فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : هم لك .

قال ابن هشام : واستعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم في محاصرته إياهم أبا لبابة بشير بن عبد المذزر ، وكانت محاصرته إياهم خمس عشرة ليلة .

قال ابن إسحاق : وحدثني أبي ، عن عبادة بن الوليد ، عن عبادة بن الصامت قال : لما حاربت بنو قينقاع رسول الله صلى الله عليه وسلم تبشّث بأمرهم عبد الله بن أبي وقام دونهم ، ومشى عبادة بن الصامت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان من بنى عوف له من حلفهم مثل الذي لهم من عبد الله بن أبي ، نخلفهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبرأ إلى الله وإلى رسوله من حلفهم ، وقال : يا رسول الله أتوتني الله ورسوله والمؤمنين وأبرأ من حلف هؤلاء الكفار وولايتهم .

قال : وفيه وفي عبد الله بن أبي نزلت الآيات من المائدة : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض » الآيات حتى قوله : « فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم ، يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة » يعني عبد الله بن أبي إلى قوله « ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون » يعني عبادة بن الصامت . وقد تسكلمنا على ذلك في التفسير .

سرية زيد بن حارثة

إلى غير قریش^(١) صحبة أبي سفيان أيضاً ، وقيل صحبة صفوان

قال يونس بن^(٢) بكير ، عن ابن إسحاق : . وكانت بعد وقعة بدر بستة أشهر .

قال ابن إسحاق : وكان من حديثها أن قریشاً خافوا طريقهم التي كانوا يسلكون إلى الشام حين كان من وقعة بدر ما كان ، فسلكوا طريق العراق ، فخرج منهم تجار فيهم أبو سفيان ومعه فضة كثيرة ، وهي عظم تجارتهم ، واستأجروا رجلاً من بكر بن وائل يقال له فرات بن حيّان ، يعني العجلى حليف بني سبهم ، ليدلهم على تلك الطريق . قال ابن إسحاق : فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة ، فلقبهم على ماء يقال له القردة^(٣) ، فأصاب تلك العير وما فيها وأعجزه الرجال ، فقدم بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقال في ذلك حسان بن ثابت :

دَعَوْا فَلَجَّاتِ الشَّامِ قَدْ حَالَ دُونَهَا جِلَادٌ كَأَفْوَاهِ الْمَخَاضِ الْأَوَارِكِ^(٤)
بَأَيْدِي رِجَالٍ هَاجَرُوا نَحْوَ رَبِّهِمْ وَأَنْصَارِهِ حَقًّا وَأَيْدِي الْمَلَأَتِكَ
إِذَا سَلَكَتُ لِلْفُورِ مِنْ بَطْنِ عَالِجٍ فَقُولَا لَهَا لَيْسَ الطَّرِيقُ هُنَاكَ^(٥)

قال ابن هشام : وهذه القصيدة في أبيات الحسن ، وقد أجابه فيها أبو سفيان ابن الحارث .

وقال الواقدي : كان خروج زيد بن حارثة في هذه السرية مستهلاً جادى الأولى على رأس ثمانية وعشرين شهراً من الهجرة ، وكان رئيس هذه العير صفوان بن أمية .

(١) ابن هشام : إلى القردة . (٢) الأصل : عن بكير . وهو تحريف . (٣) القردة : ماء من مياه نجد .

(٤) الفلجاء جمع فنجة ، وهي النهر الصغير . وقال السهيلي : الفلجاء جمع فاج وهو العين الجارية .

ف : والمخاض : واحدتها خلفه من غير لفظها . وهي الحامل ، وقد قيل في الواحد : ماخض . والأوارك :

رئت الأراك واشتكت من أكا . (٥) الفور : ما انخفض من الأرض . وعالج : موضع كثير الرمل .

وكان سبب بعثه زيد بن حارثة أن نعيم بن مسعود قدم المدينة ومعه خبر هذه العير وهو على دين قومه ، واجتمع بكنانة بن أبي الحقيق في بني النضير ومعهم سليط بن النعمان من أسلم ، فشرّبوا ، وكان ذلك قبل أن تحرّم الخمر ، فتحدث بقضية العير نعيم بن مسعود وخروج صفوان بن أمية فيها وما معه من الأموال ، فخرج سليط من ساعته فأعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبعث من وقته زيد بن حارثة فلقوهم فأخذوا الأموال وأعجزهم الرجال ، وإنما أسرّوا رجلاً أو رجلين ، وقدّموا بالعير نخمسها رسول الله صلى الله عليه وسلم فبلغ نخسها عشرين ألفاً ، وقسم أربعة أخماسها على السرية . وكان فيمن أسر الدليل قرأت بن حيان ، فأسلم . رضى الله عنه .

قال ابن جرير : وزعم الواقدي أن في ربيع من هذه السنة تزوج عثمان بن عفان أم كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأدخلت عليه في جمادى الآخرة منها .

مقتل كعب بن الأشرف اليهودي

وكان من بني طيء ، ثم أحد بني نبهان ولكن أمه من بني النضير .

هكذا ذكره ابن إسحاق قبل جلاء بني النضير ، وذكره البخاري والبيهقي بعد قصة بني النضير ، والصحيح ما ذكره ابن إسحاق ، لما سيأتي ، فإن بني النضير إنما كان أمرها بعد وقعة أحد ، وفي محاصرتهم حرّمت الخمر كما سنبينه بطريقه إن شاء الله . قال البخاري في صحيحه : « قتل كعب بن الأشرف » حدثنا علي بن عبد الله ، حدثنا سفيان ، قال عمرو : سمعت جابر بن عبد الله يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من لـكعب بن الأشرف ؟ فإنه قد آذى الله ورسوله . فقال محمد بن مسلمة فقال : يا رسول الله أتحب أن أقتله ؟ قال : نعم . قال : فأذن لي أن أقول شيئاً . قال : قل .

فأتاه محمد بن مسلمة فقال : إن هذا الرجل قد سألنا صدقةً وإنه قد عَنَّا^(١) وإنى قد أتيتك أَسْتَسْلِفُكَ . قال : وأيضاً والله لَتَمْلُئَنَّهُ .

قال : إنا قد اتبعناه فلا نحبُّ أن نَدَّعه حتى ننظر إلى أى شىء يصير شأنه ، وقد أردنا أن تُسَلِّفنا^(٢) .

قال : نعم أرهنونى . قلت : أى شىء تريد ؟ قال : أرهنونى نساءكم .

فقالوا : كيف نُرْهِنُكَ نساءنا وأنت أجمل العرب ! قال : فأرهنونى أبناءكم . قالوا : كيف نُرْهِنُكَ أبناءنا فيَسَبُّ أحدُهم فيقال : رُهن بوسق أو وسقين ! هذا عارٌ علينا ، ولكن نُرْهِنُكَ الأُمة . قال سفيان : يعنى السلاح^(٣) .

فواعده أن يأتيه ليلاً ، فجاءه ليلاً ومعه أبو نائلة^(٤) وهو أخو كعب من الرضاعة . فدعاهم إلى الحصن فنزل إليهم ، فقالت له امرأته : أين تخرج هذه الساعة ؟ وقال غير عمرو^(٥) : قالت : أسمع صوتاً كأنه يَقْطُرُ منه الدم . قال : إنما هو أخى محمد بن مسلمة ورضيعى أبو نائلة ، إن الكريم لو دعى إلى طَعْمَةٍ لبلى لأجاب !

قال : ويُدخل محمد بن مسلمة معه رجلين ، فقال : إذا ما جاء فبى ماثل^(٦) بشعره ، فأشَمَّهُ ، فإذا رأيتمونى استمكنتُ من رأسه فدونتكم فاضربوه . وقال : مرة ، ثم أَشَمَّكُمْ^(٧) .

فنزل إليهم متوشَّحاً وهو يَنْفُخُ منهُ ريح الطيب فقال^(٨) : ما رأيت كالיום ريحاً . أى أطيَّب . وقال غير عمرو : قال^(٩) : عندى أعطر نساء العرب وأجمل العرب .

(١) عَنَّا : أتبعنا . (٢) زاد فى بعض روايات البخارى : وسقاً أو وسقين .

(٣) الأُمة فى اللغة : الدرع . وإطلاق السلاح عليها من إطلاق اسم السكل على البعس . وتصدوا من ذلك ألا ينكر عليهم السلاح حين يأتونه به . (٤) هو سليمان بن سلامة .

(٥) غير عمرو : أى رواية أخرى غير رواية عمرو بن دينار . (٦) وتروى : قتلى بشعره . أى أخذ .

(٧) أَشَمَّكُمْ : أمسككم من الدم . (٨) أى محمد بن مسلمة . (٩) أى كعب .

قال عمرو : فقال : أتاذن لي أن أشمَّ رأسك ؟ قال : نعم . فشَمَّهُ ثمَّ أشمَّ أصحابه ، ثمَّ قال : أتاذن لي ؟ قال : نعم . فلما استمكن منه قال : دونكم . فقتلوه . ثمَّ أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فأخبروه .

وقال محمد بن إسحاق : كان من حديث كعب بن الأشرف ، وكان رجلاً من طيء . ثمَّ أحد بنى تبهان وأمه من بنى النضير ، أنه لما بلغه الخبرُ عن مقتل أهل بدر حين قدم زيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة ، قال : والله لئن كان محمد أصاب هؤلاء القوم لبطن الأرض خيرٌ من ظهرها .

فلما تيقنَّ عدو الله الخبرَ خرج إلى مكة ، فنزل على المطلب بن أبي وداعة بن ضبيرة السهمي ، وعنده عاتكة بنت أبي العيص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، فأنزله وأكرمته ، وجعل يحرض على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويُشدُّ الأشرار ويندب من قُتل من المشركين يوم بدر .

فذكر ابن إسحاق قصيدته التي أولها :

طَحَنَتْ رَحَى بَدْرِ لِمَهْلِكِ أَهْلِهِ وَلَمَثَلِ بَدْرِ تَسْتَهْلِ وَتَدْمَعُ

وذكر جوابها من حسان بن ثابت رضى الله عنه ومن غيره .

ثمَّ عاد إلى المدينة فجعل يشبُّ بنساء المسلمين ويهجو النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه .

وقال موسى بن عقبة : وكان كعب بن الأشرف أحد بنى النضير أو فيهم ، قد أذى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجاء وركب إلى قريش فاستغفروهم ، وقال له أبو سفيان وهو بمكة : أناشدك أدبنا أحبُّ إلى الله أم دينُ محمد وأصحابه ؟ وأينا أهدى في رأيك وأقرب إلى الحق ؟ إنا نطعم الجُزور السكَّوماء ونسقى اللبن على الماء ونظم ما هبَّت الشمال .

فقال له كعب بن الأشرف : أنتم أهدى منهم سبيلا !

قال فأُنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم : « ألم ترَ إلى الذين أُوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجُبَتِ والطاغوتِ ويقولون للذين كفروا : هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا أولئك الذين كَفَّهم الله وَمَنْ يَلْعَنُ اللهُ فلنُ تَجِدَ له نَصيراً » وما بعدها .

قال موسى ومحمد بن إسحاق : وقدم المدينة يُعَلِّمُ بالعداوة ويحرِّضُ الناسَ على الحرب ، ولم يُخْرِجْ من مكة حتى أجمع أمرهم على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجعل يشبِّ بأم الفضل بن الحارث وبغيرها من نساء المسامين .

قال ابن إسحاق : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما حدثني عبد الله بن المغيث ابن أبي بَرْدَة : مَنْ لابنِ الأشرف ؟

فقال له محمد بن مسلمة أخو بني عبد الأشهل : أنا لك به يا رسول الله أنا أقتله . قال : فافعل إن قدرت على ذلك .

قال : فرجع محمد بن مسلمة ، فكث ثلاثاً لا يأكل ولا يشرب إلا ما يعلق نفسه ، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاه فقال له : لم تركت الطعام والشراب ؟ فقال : يا رسول الله قلت لك قولاً لا أدرى هل أفي لك به أم لا . قال : إنما عليك الجُهد .

قال : يا رسول الله ، إنه لا بُدَّ لنا أن نقول . قال : فقولوا ما بدا لكم فأنتم في حلٍّ من ذلك .

قال : فاجتمع في قتله محمد بن مسلمة وسُلَكان بن سلامة بن وقش ، وهو أبو لائلَة أحد بني عبد الأشهل ، وكان أخا كعب بن الأشرف من الرضاعة ، وعبد بن بشر بن

وَقَشَ أَحَدُ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ ، وَالْحَارِثُ بْنُ أَوْسٍ بْنُ مَعَاذِ بْنِ عَبْدِ الْأَشْهَلِ ،
وَأَبُو عَبْسٍ بْنُ جَبْرِ أَخُو بَنِي حَارِثَةَ .

قال : فَقَدَّمُوا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ إِلَى عَدُوِّ اللَّهِ كَعْبِ سُلْكَانَ بْنِ سَلَامَةَ أَبَا نَائِلَةَ ،
فَجَاءَهُ فَتَحَدَّثَ مَعَهُ سَاعَةً فَتَنَاشَدَا شِعْرًا ، وَكَانَ أَبُو نَائِلَةَ يَقُولُ الشَّعْرَ ، ثُمَّ قَالَ : وَيْحَكَ
يَا بَنَ الْأَشْرَفِ ! إِنِّي قَدْ جِئْتُكَ لِحَاجَةٍ أُرِيدُ ذِكْرَهَا لَكَ فَاتَّعَمُّ عَنِّي . قَالَ : أَفْعَلُ .

قال : كَانَ قَدُومُ هَذَا الرَّجُلِ عَلَيْنَا بَلَاءً ، عَادَتُنَا الْعَرَبُ وَرَمَتُنَا عَنْ قَوْسٍ
وَاحِدَةٍ وَقَطَعَتْ عَنَا السَّبِيلَ ، حَتَّى ضَاعَ الْعِيَالُ وَجَهَدَتِ الْأَنْفُسُ وَأَصْبَحْنَا قَدْ جَهَدْنَا
وَجَهَدَ عِيَالُنَا .

فَقَالَ كَعْبٌ : أَنَا ابْنُ الْأَشْرَفِ ! أَمَّا وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ أَخْبِرُكَ يَا بَنَ سَلَامَةَ أَنَّ الْأَمْرَ
يَصِيرُ إِلَى مَا أَقُولُ .

فَقَالَ لَهُ سُلْكَانٌ : إِنِّي قَدْ أَرَدْتُ أَنْ تَبِيعَنا طَعَامًا وَتُرْهَنَكَ وَنَوَثِقَ لَكَ وَتَحْسِنَ
فِي ذَلِكَ .

قال : تَرْهَنُونِي أَبْنَاءَكُمْ ؟ قَالَ : لَقَدْ أَرَدْتُ أَنْ تَفْضَحْنَا ، إِنْ مَعِيَ أَصْحَابًا لِي عَلَى
مِثْلِ رَأْيِي ، وَقَدْ أَرَدْتُ أَنْ آتِيكَ بِهِمْ فَتَبِيعَهُمْ وَتَحْسِنَ فِي ذَلِكَ وَتُرْهَنَكَ مِنْ
الْحَلِيقَةِ مَا فِيهِ وَفَاءً .

وَأَرَادَ سُلْكَانُ أَلَّا يَنْسُكَرَ السِّلَاحَ إِذَا جَاءُوا بِهِمَا . فَقَالَ : إِنْ فِي الْحَلِيقَةِ لَوْفَاءً .
قال : فَجَرَعَ سُلْكَانُ إِلَى أَصْحَابِهِ فَأَخْبَرَهُمْ خَبْرَهُ ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَأْخُذُوا السِّلَاحَ ثُمَّ يَنْطَلِقُوا
فِيَجْتَمِعُوا إِلَيْهِ ، فَاجْتَمَعُوا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

قال ابن إسحاق : لَخْدَثَنِي ثَوْرُ بْنُ زَيْدٍ ، عَنْ عِكْرَمَةَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : مَشَى
مَعَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى بَقِيعِ الْفَرَقَدِ ثُمَّ وَجَّهَهُمْ وَقَالَ : « انْطَلِقُوا عَلَى

اسم الله ، اللهم أعينهم » ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيته وهو في ليلة مقمرة ، فانطلقوا حتى انتهوا إلى حصنه .

فهمتف به أبو نائلة وكان حديث عهد بعُرس ، فوثب في ملحفته ، فأخذت امرأته بناحيتهما وقالت : أنت امرؤ محارب ، وإن أصحاب الحرب لا يزلون في هذه الساعة ، قال : إنه أبو نائلة لو وجدني نائمًا ما أيقظني . فقالت : والله إنى لأعرف في صوته الشر . قال : يقول لها كعب : لو دُعِيَ الفتى لطلعةٍ أجاب !

فنزّل فتحدث معهم ساعة وتحدثوا معه ، ثم قالوا : هبل لك يا ابن الأشرف أن نتمشى إلى شعب العجوز فتحدث به بقية ليلتنا هذه ؟ قال : إن شئتم . فخرجوا فمشوا ساعة .

ثم إن أبا نائلة شام يده في فؤدِ رأسه ، ثم شم يده فقال : ما رأيتُ كالليلة طيباً أعطر قط . ثم مشى ساعة ثم عاد لمثلها حتى اطمأن ، ثم مشى ساعة ثم عاد لمثلها فأخذ بفؤدِ رأسه ثم قال : اضربوا عدو الله ! فاختلفت عليه أسيافهم فلم تغن شيئاً .

قال محمد بن مسلمة : فذكرت مغولاً^(١) في سيفي فأخذته وقد صاح عدو الله صيحة لم يبق حولنا حصنٌ إلا أوقدت عليه نار ، قال : فوضعت في ثُنْتِهِ^(٢) ثم تحاملتُ عليه حتى بلغت عاتته^(٣) ، فوقع عدو الله . وقد أصيب الحارث بن أوس بجرح في رجله أو في رأسه أصابه بعضُ سيوفنا .

قال : فخرجنا حتى سلكنّا على بنى أمية بن زيد ثم على بنى قريظة ثم على بُعَاث ، حتى أسندنا في حرة العريض ، وقد أبطأ علينا صاحبنا الحارث بن أوس ونزفه الدم ، فوقفنا له ساعة ثم أتانا يتبع آثارنا فاحتملناه ، فحُثْنَا به رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر الليل وهو قائم يصلي ، فسلمنا عليه ، فخرج إلينا فأخبرناه بقتل عدو الله وتفل رسول الله صلى

(١) المغول : أصل طويل . (٢) الثنة : ما بين الممرّة والعانة . (٣) الاكتفا : غايته .

الله عليه وسلم على جرح صاحبنا ، ورجعنا إلى أهلنا فأصبحنا وقد خافت يهود بوقعتنا
بعدو الله ، فليس بها يهودى إلا وهو خائف على نفسه .

قال ابن جرير : وزعم الواقدي أنهم جاءوا برأس كعب بن الأشرف إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : وفى ذلك يقول كعب بن مالك :

فغودرَ منهم كعبٌ صريعاً فذلتَ بعدَ مَضْرَعِهِ النضيرُ
على الكفّينَ نَمَمٌ وقد علتهُ بأيدِينَا مُشْهَرَّةٌ ذُكُورُ
بأمرِ محمدٍ إذ دَسَّ لِيلاً إلى كعبٍ أخا كعبٍ يسيرُ
فما كرهَ فأنزله بمكرٍ ومحمود أخو ثقة جَسُورُ

قال ابن هشام : وهذه الأبيات فى قصيدة له فى يوم بنى النضير ستأتى .

قلت : كان قتلُ كعب بن الأشرف على يدى الأوس بعد وقعة بدر ، ثم
إن الخزرج قتلوا أبا رافع بن أبى الحقيق بعد وقعة أحد ، كما سيأتى بيانه إن شاء
الله وبه الثقة .

وقد أورد ابن إسحاق شعرَ حسان بن ثابت :

لله دَرٌّ عَصَابَةٌ لَاقِيَهُمْ يَا ابْنَ الْحَقِيقِ وَأَنْتَ يَا ابْنَ الْأَشْرَفِ
يَسْرُونَ بِالْبَيْضِ الْخِلَافِ إِلَيْكُمْ مَرَحًا كَأَسَدٍ فِي عَرِينٍ مُغْرِفِ
حَتَّى أَتَوْكُمْ فِي مُحَلٍّ بِلَادِكُمْ فَسَقَوْكُمْ حَتَفًا بَيْضَ دُفْفِ
مُسْتَبْصِرِينَ لِنَصْرِ دِينِ نَبِيِّهِمْ مُسْتَصْغِرِينَ لِكُلِّ أَمْرٍ مُجْجَفِ

قال محمد بن إسحاق : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مَنْ ظَفَرْتُمْ بِهِ مِنْ رِجَالِ
يَهُودٍ فَاقْتُلُوهُ » .

فوثب عند ذلك نَحِيصَةُ بْنُ مَسْعُودِ الْأَوْسَى عَلَى ابْنِ سُلَيْمَةَ ، رَجُلٍ مِنْ تِجَارِ يَهُودٍ

كان يلابسهم ويبياعهم ، فقتله ، وكان أخوه حُوَيْصَةُ بن مسعود أَسَنَ منه ولم يُسَلِّمْ بعدُ ، فلما قتله جعل حُوَيْصَةُ يضربه ويقول : أَيْ عَدُوَّ اللَّهِ أَقْتَلْتَهُ ؟ ! أما والله لَرُبَّ شَخْمٍ فِي بَطْنِكَ مِنْ مَالِهِ !

قال مُحْيِصَةُ : قُتِلْتُ والله لقد أَمَرَنِي بِقَتْلِهِ مَنْ لَوْ أَمَرَنِي بِقَتْلِكَ لَضَرَبْتُ عُنُقَكَ ! قال : فَوَاللَّهِ إِنْ كَانَ لِأَوَّلِ إِسْلَامِ حُوَيْصَةَ وَقَالَ : وَاللَّهِ لَوْ أَمَرَكُمُ مُحَمَّدٌ بِقَتْلِي لَتَقَتَلَنِي ؟ قال : نعم ، والله لو أَمَرَنِي بِضَرْبِ عُنُقِكَ لَضَرَبْتُهَا ! قال : فَوَاللَّهِ إِنْ دِينًا بَلَغَ بِكَ هَذَا لَعَجَبٌ ! فَاسَلِمَ حُوَيْصَةُ . قال ابن إسحاق : حَدَّثَنِي بِهَذَا الْحَدِيثِ مُوَلَّى ابْنِي حَارِثَةَ عَنْ ابْنَةِ مُحْيِصَةَ ، عَنْ أَبِيهَا .

وقال في ذلك مُحْيِصَةُ :

يَوْمَ ابْنِ أُمٍّ ^(١) لَوْ أَمَرْتُ بِقَتْلِهِ لَطَبَقْتُ ذِفْرَاهُ بِأَبْيَضِ قَارِبٍ ^(٢)
حُسَامٌ كُلُّونَ الْمَلْحِ أَخْلَصَ صَقْلُهُ مَتَى مَا أَصَوَّبُهُ قَلِيلِسَ بِكَاذِبٍ
وَمَا سَرَّني أَنِي قَتَلْتُكَ طَائِعًا وَأَنْ لَنَا مَا بَيْنَ بُضْرَى وَمَأْرِبٍ

وحكى ابن هشام ، عن أبي عبيدة ، عن أبي عمرو المدنى ، أن هذه القصة كانت بعد مقتل بنى قريظة ، فإن المقتول كان كعب بن يهوذا ، فلما قتله مُحْيِصَةُ عن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بنى قريظة قال له أخوه حُوَيْصَةُ ما قال ، فردَّ عليه مُحْيِصَةُ بما تقدم ، فَاسَلِمَ حُوَيْصَةُ يومئذ . فالله أعلم .

تنبيه : ذكر البيهقي والبخارى قبله خبر بنى النضير قبل وقعة أحد ، والصواب إيرادها بعد ذلك ، كما ذكر ذلك محمد بن إسحاق وغيره من أئمة المغازى .

وبرهانه : أن الخمر حُرِّمَتْ لِمَالِي حِصَارِ بَنِي النَّضِيرِ ، وَثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ أَنَّهُ اصْطَبَحَ

(١) ابن هشام : ابن أُمٍّ . (٢) الذفرى : عظم نائى خلف الأذن وفى ابن هشام : قاضب . وهو القاطع .

الخمَرَ جماعةٌ ممن قُتِلَ يومَ أحدَ شهيداً ، فدل على أن الخمر كانت إذ ذاك حلالاً ، وإِنما حرمت بعد ذلك ، فتبيّن ما قلناه من أن قصة بني النضير بعد وقعة أحد . والله أعلم .

تنبيه آخر : خبرُ يهود بنى قَيْنُقَاع بعد وقعة بدر . كما تقدم . وكذلك قَتَلَ كعب ابن الأشرف اليهودى على يدى الأوس .

وخبر بنى النضير بعد وقعة أحد كما سيأتى . وكذلك مَقَتَلَ أبى رافع اليهودى تاجر أهل الحجاز على يدى الخزرج .

وخبرُ يهود بنى قريظة بعد يوم الأحزاب وقصة الخندق . كما سيأتى .

غزوة أُحُد في شوال سنة ثلاث

« فائدة » ذكرها المؤلف في تسمية أُحُد . قال : سُمِّيَ أُحُدٌ أُحْدًا لِتَوَحُّدِهِ مِنْ بَيْنِ تِلْكَ الْجِبَالِ .

وفي الصحيح : « أُحُدٌ جِبَلٌ يُحْبَنُ وَنَحْبُهُ » قيل : معناه أهله . وقيل : لأنه كان يَبْشُرُهُ بِقُرْبِ أَهْلِهِ إِذَا رَجَعَ مِنْ سَفَرِهِ ، كَمَا يَفْعَلُ الْحُبُّ . وقيل : على ظاهره كقوله : « وَإِنَّ مِنْهَا لَمَّا يَلْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ » .

وفي الحديث عن أبي عبيس بن جبر : « أُحُدٌ يُحْبَنُ وَنَحْبُهُ ، وَهُوَ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ ، وَغَيْرُ بَيْغُضْنَا وَنَبْغُضِهِ . وَهُوَ عَلَى بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ النَّارِ » .

قال السهيلي مقوياً لهذا الحديث : وقد ثبت أنه عليه السلام قال : « المرء مع مَنْ أَحَبَّ » .

وهذا من غريب صُنع السهيلي . فإن هذا الحديث إنما يراد به الناسُ ، ولا يسمَّى الجبل امرأةً .

وكانت هذه الغزوة في شوال سنة ثلاث . قاله الزهري وقتادة وموسى بن عقبة ومحمد بن إسحاق ومالك .

قال ابن إسحاق : للنصف من شوال . وقال قتادة : يوم السبت الحادى عشر منه . قال مالك : وكانت الوقعة في أول النهار ، وهى على المشهور التى أنزل الله فيها قوله تعالى : « وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ . إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا ، وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ . وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ . إِذْ يَقُولُ الْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ

يُمدُّكم ربُّكم بثلاثةِ آلافٍ من الملائكةِ مُنزَلين . بلى إنَّ تَصَبُّروا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلافٍ مِنَ الملائكةِ مُسَوِّمين » الآيات وما بعدها إلى قوله : « ما كان الله ليذرَ المؤمنين على ما أنتم عليه ، حتى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ، وما كان الله لِيُظْلِمَكم على الْغَيْبِ ^(١) » .

وقد تكلمنا على تفاصيل ذلك كله في كتاب التفسير بما فيه كفاية والله الحمد والمنة .

ولنذكر هاهنا ملخص الواقعة مما ساقه محمدُ بنُ إسحاق وغيره من علماء هذا الشأن رحمه الله .

وكان من حديث أحد ، كما حدثني محمد بن مسلم الزُّهري ومحمد بن يحيى بن حَبَّان ، وعاصم بن عمر بن قتادة ، والحَصَيْن بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ ، وغيرهم من علمائنا ، كلهم قد حدَّث ببعض هذا الحديث عن يوم أحد ، وقد اجتمع حديثهم كلهم فيما سقتُ . قالوا - أو من قال منهم - :

لَمَّا أَصِيبَ يَوْمَ بَدْرٍ مِنْ كِفَارِ قُرَيْشِ أَصْحَابُ الْقَلْبِ وَرَجِعَ فَلَهُمْ إِلَى مَكَّةَ ، وَرَجِعَ أَبُو سَفْيَانَ بَعِيرُهُ ، مَشَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ وَعِصْرَمَةَ بْنُ أَبِي جَهْلٍ وَصَفْوَانَ ابْنَ أُمَيَّةَ ، فِي رِجَالٍ مِنْ قُرَيْشٍ مَنْ أَصِيبَ آبَاؤُهُمْ وَأَبْنَاؤُهُمْ وَإِخْوَانُهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ ، فَكَلَّمُوا أَبَا سَفْيَانَ وَمَنْ كَانَتْ لَهُ فِي تِلْكَ الْعِيرِ مِنْ قُرَيْشٍ تِجَارَةٌ ، فَقَالُوا : يَا مَعْشَرَ قُرَيْشِ ، إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ وَتَرَكَ وَقَتَلَ خِيَارَكُمْ ، فَأَعِينُونَا بِهَذَا الْمَالِ عَلَى حَرْبِهِ لَعَلَّنَا نَدْرِكُ مِنْهُ ثَأْرًا . ففعلوا .

قال ابن إسحاق : ففهم كما ذكر لي بعضُ أهل العلم أنزل الله تعالى : « إِنَّ الَّذِينَ

كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصِدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ، فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ^(١) » .

قالوا : فاجتمعت قريش لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين فعل ذلك أبو سفيان وأصحاب العير بأحاديثها ومن أطاعها من قبائل كنانة وأهل تهامة .

وكان أبو عزة عمرو بن عبد الله الجُمَحِيّ قد مَنّ عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر ، وكان فقيراً ذا عيال وحاجة ، وكان في الأسارى ، فقال له صفوان بن أمية : يا أبا عزة ، إنك امرؤ شاعر فأعِنَّا بلسانك وأخرج معنا . فقال : إن محمداً قد مَنّ عليّ فلا أريد أن أظهر عليه . قال : بلى ، فأعِنَّا بنفسك ، فلك الله إن رجعت أن أغنيك ، وإن قُتلتَ أن أجعل بناتك مع بناتي يصيبهن ما أصابهن من عُسر ويُسر .

فخرج أبو عزة يسير في تهامة ويدعو بني كنانة ويقول :

أيا ^(٢) بني عبد منافِ الرُّزَامِ ^(٣) أنتم حماة وأبوكم حام

لا يَعدُوَنِي نصرُكم بعد العام لا تُسلموني لا يحلُ إسلام

قال : وخرج نافع بن عبد مناف بن وهب بن حذافة بن جُحج إلى بني مالك بن

كنانة يحرّضهم ويقول :

يا مال ^(٤) مال الحَسَبِ المقدّم أنشد ذا القربى وذا التذمّر

مَن كان ذا رحمٍ ومن لم يرَحم الحلفَ وَسَطَ البلدِ المحرّم

عند حَطيّم الكعبةِ المعظّم

قال : ودعا جُبَيْر بن مُطعم غلاماً له حبشياً يقال له وَحْشَى يَقذف بحربة له قذف

(٢) سورة الأنفال ٣٦ . (٣) ابن هشام : ليها . (٤) الرزام : جمع رازم ، وهو الذي يثبت في الحرب لا يبرح . (٥) يا مال : يريد يا مالك لحذف آخره للتخميم .

الحبشة ، قلما يُخْطىُ بها ، فقال له : اخرج مع الناس ، فإن أنت قتلت حمزة عم محمد بمعى طُعيمة بن عدى فانت عتيق .

قال : نخرجت قریش بجدها وحديدها وجدها وأحايشها ، ومن تابعها من بنى كفانة وأهل تهامة ، وخرجوا معهم بالطعن^(١) التماس الحفيظة وألا يفرؤا .
وخرج أبو سفيان صخر بن حرب ، وهو قائد الناس ، ومعه زوجته هند بنت عتبة بن ربيعة .

وخرج عكرمة بن أبي جهل بزوجه ابنة عمه أم حكيم بنت الحارث بن هشام بن المغيرة . وخرج عمه الحارث بن هشام بزوجه فاطمة بنت الوليد بن المغيرة .
وخرج صفوان بن أمية ببرزة بنت مسعود بن عمرو بن عمير النخعية ، وخرج عمرو ابن العاص برينة بنت منبّه بن الحجاج ، وهى أم ابنه عبد الله بن عمرو .
وذكر غيرهم ممن خرج بامراته .

قال : وكان وحشى كلماً مرّ بهند بنت عتبة أو مرّت به تقول : ويهاً أبا دسمة اشف واشتف . يعنى تحرضه على قتل حمزة بن عبد المطلب .

قال : فأقبلوا حتى نزلوا بعينين يحمل بطن السبخة من قناة على شفير الوادى مقابل المدينة .

فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون قال لهم : «قد رأيتُ والله خيراً ، رأيتُ بقرأً تذبح ، ورأيتُ فى ذباب سيفى ثلماً . ورأيتُ أنى أدخلت يدى فى درع حصينة . فأولتها المدينة .» .

وهذا الحديث رواه البخارى ومسلم جميعاً عن أبى كريب ، عن أبى أسامة ، عن

(١) الطعن : جمع ظمنه وهى المرأة ما دامت فى هودج .

بريد بن عبد الله بن أبي بردة ، عن أبي بردة ، عن أبي موسى الأشعري ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « رأيت في المنام أني أهاجر من مكة إلى أرض بها نخل ، فذهب وهلي ^(١) إلى أنها اليمامة أو هجر ، فإذا هي المدينة يثرب . ورأيت في رؤيائي هذه أني هزرت سيفاً فانقطع صدره ، فإذا هو ما أصيب من المؤمنين يوم أحد ، ثم هزرت أخرى فعاد أحسن ما كان ، فإذا هو ما جاء الله به من الفتح واجتماع المؤمنين ، ورأيت فيها أيضاً بقرأ ، والله خير ^(٢) ، فإذا هم النفر من المؤمنين يوم أحد ، وإذا الخير ما جاء الله به من الخير وثواب الصدق الذي أتانا بعد يوم بدر » .

وقال البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرنا الأصم ، أخبرنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرني ابن أبي الزناد ، عن أبيه ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن ابن عباس ، قال : تعقل رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه ذا الفقار يوم بدر . قال ابن عباس : وهو الذي رأى فيه الرؤيا يوم أحد .

وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما جاءه المشركون يوم أحد كان رأيته أن يقيم بالمدينة فيقاتلهم فيها ، فقال له ناس لم يكونوا شهدوا بدرأ : نخرج يا رسول الله إليهم نقاتلهم بأحد . ورجوا أن يصيبهم من الفضيلة ما أصاب أهل بدر .

فما زالوا برسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لبس أداته ، ثم ندموا وقالوا : يا رسول الله أقم ، فالرأى رأيك .

فقال لهم : ما ينبغي لنبي أن يضع أداته بعد ما لبسها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه .

قال : وكان قال لهم يومئذ قبل أن يلبس الأداة : إني رأيت أني في درع حصينة ،

(١) وهلي : أول ظني .

(٢) قال القسطلاني : والله خير : رفع مبتدأ أو خير ، وفيه حذف تقديره : وصنع الله خير .

فَأَوَّلُهَا الْمَدِينَةُ ، وَأَنى مُرْدِفٌ كَبْشًا وَأَوَّلَتْهُ كَبْشَ الْكَتَيْبَةِ ، وَرَأَيْتُ أَنَّ سَيْفِي ذَا الْفَقَارِ
فُلٌّ ، فَأَوَّلَتْهُ فَلًّا فَيَكُم ، وَرَأَيْتُ بَقْرًا يُذْبَحُ ، فَبَقَّرْتُ^(١) ، وَاللَّهُ خَيْرٌ .

رواه الترمذى وابن ماجه من حديث عبد الرحمن بن أبى الزناد عن أبيه به .

وروى البيهقى من طريق حماد بن سلمة ، عن على بن زيد ، عن أنس مرفوعاً قال :
رَأَيْتُ فِيمَا يَرَى النَّسَائِمُ كَأَنى مُرْدِفٌ كَبْشًا ، وَكَأَن ضَبَّةَ سَيْفِي انْكَسَرَتْ ، فَأَوَّلْتُ
أَنى أَقْتُلُ كَبْشَ الْقَوْمِ ، وَأَوَّلْتُ كَسْرَ ضَبَّةِ سَيْفِي قَتَلَ رَجُلٍ مِنْ عِتْرَتِي .

فَقَتَلَ حَمْزَةَ ، وَقَتَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَلْحَةَ ، وَكَانَ صَاحِبَ اللَّوَاءِ .

وَقَالَ مُوسَى بْنُ عَقَبَةَ : وَرَجَعْتُ قَرِيشَ فَاسْتَجْلَبُوا مَنْ أَطَاعَهُمْ مِنْ مُشْرِكِي الْعَرَبِ ،
وَسَارَ أَبُو سَفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ فِي جَمْعِ قَرِيشَ ، وَذَلِكَ فِي شَوَالٍ مِنَ السَّنَةِ الْمُقْبِلَةِ مِنْ وَقْعَةِ
بَدْرَ ، حَتَّى نَزَلُوا بِبَطْنِ الْوَادِى الَّذِى قَبْلَى أَحَدَ ، وَكَانَ رِجَالُ الْمُسْلِمِينَ لَمْ يَشْهَدُوا
بَدْرًا قَدْ نَدَمُوا عَلَى مَا فَاتَهُمْ مِنَ السَّابِقَةِ ، وَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ لِيُبْلُوا مَا أَبْلَى إِخْوَانَهُمْ
يَوْمَ بَدْرَ .

فَلَمَّا نَزَلَ أَبُو سَفْيَانَ وَالْمُشْرِكُونَ بِأَصْلِ أَحَدٍ فَرَحَ الْمُسْلِمُونَ الَّذِينَ لَمْ يَشْهَدُوا بَدْرًا
بِقُدُومِ الْعَدُوِّ عَلَيْهِمْ ، وَقَالُوا : قَدْ سَاقَ اللَّهُ عَلَيْنَا أَمْنَيْنَا .

ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرَى لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ رُؤْيَا فَأَصْبَحَ ، فَجَاءَهُ نَفَرٌ مِنْ
أَصْحَابِهِ فَقَالَ لَهُمْ : « رَأَيْتُ الْبَارِحَةَ فِي مَنَامِي بَقْرًا تُذْبَحُ ، وَاللَّهُ خَيْرٌ ، وَرَأَيْتُ سَيْفِي ذَا الْفَقَارِ
انْقَصَمَ مِنْ عِنْدِ ضَبَّتِهِ ، أَوْ قَالَ : بِهِ فُلُولٌ ، فَكُفِّرْتُهُ ، وَهِيَ مَصِيَّتَانِ ، وَرَأَيْتُ أَنى فِي دَرَعِ
حَصِينَةٍ وَأَنى مُرْدِفٌ كَبْشًا » .

فَلَمَّا أَخْبَرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِرُؤْيَاهُ ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَاذَا

(١) يريد بالبقر هنا : مصر بقره بقره بقرا ، أى شق بطنه .

أُولْتُ رُؤْيَاكَ؟ قَالَ : « أُولْتُ الْبَقْرَ الَّذِي رَأَيْتُ بَقْرًا فِينَا فِي الْقَوْمِ ، وَكَرِهْتُ مَا رَأَيْتُ بِسَيْفِي » .

ويقول رجال : كَانَ الَّذِي رَأَى بِسَيْفِهِ : الَّذِي أَصَابَ وَجْهَهُ ، فَإِنْ الْعَدُوْ أَصَابَ وَجْهَهُ يَوْمَئِذٍ ، وَقَصَبُوا رُبَاعِيْتَهُ وَخَرَقُوا شَفَتَهُ ، يَزْعُمُونَ أَنَّ الَّذِي رَمَاهُ عُتْبَةُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ ، وَكَانَ الْبَقْرُ مَنْ قُتِلَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ .

وَقَالَ : أُولْتُ الْكَبْشَ أَنَّهُ كَبْشُ كَتِيْبَةِ الْعَدُوْ يَقْتُلُهُ اللَّهُ ، وَأُولْتُ الدَّرْعَ الْحَصِيْنَةَ الْمَدِيْنَةَ ، فَامْكَنُوا وَاجْعَلُوا الذَّرَارِيَّ فِي الْآطَامِ ، فَإِنْ دَخَلَ عَلَيْنَا الْقَوْمُ فِي الْأَزَقَةِ قَاتِلْنَاهُمْ وَرُمُوا مِنْ فَوْقِ الْبُيُوتِ . وَكَانُوا قَدْ سَكَّوْا أَزَقَةَ الْمَدِيْنَةِ بِالْبُنْيَانِ حَتَّى [صَارَتْ] كَالْحَصَنِ . فَقَالَ الَّذِينَ لَمْ يَشْهَدُوا بِدَرَأٍ : كُنَّا نَتَمَنَّى هَذَا الْيَوْمَ وَنَدْعُو اللَّهَ ، فَقَدْ سَاقَهُ اللَّهُ إِلَيْنَا وَقَرَّبَ الْمَسِيرَ .

وَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ : مَتَى نَقَاتِلُهُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِذَا لَمْ نَقَاتِلْهُمْ عِنْدَ شِعْبِنَا؟ وَقَالَ رَجَالٌ : مَاذَا نَمْنَعُ إِذَا لَمْ نَمْنَعِ الْحَرْبَ بَرَّوْعٍ؟

وَقَالَ رَجَالٌ قَوْلًا صَدَقُوا بِهِ وَمَضَوْا عَلَيْهِ ، مِنْهُمْ حِزْبُ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ ، قَالَ : وَالَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ لُنَجَادِلَنَّهُمْ .

وَقَالَ نَعِيمُ بْنُ مَالِكٍ بْنُ ثَعْلَبَةَ ، وَهُوَ أَحَدُ بَنِي سَالِمٍ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ لَا تَحْرِمْنَا الْجَنَّةَ ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا دُخْلَهَا .

فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : بِمَ؟ قَالَ : بِأَنِّي أَحْبَبْتُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا أَفِرُّ يَوْمَ الزَّحْفِ . فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : صَدَقْتَ . وَاسْتَشْهَدْ يَوْمَئِذٍ .

وَأَبَى كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ إِلَّا الْخُرُوجَ إِلَى الْعَدُوْ ، وَلَمْ يَنْفِئَاهُ إِلَى قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَأْيِهِ ، وَلَوْ رَضُوا بِالَّذِي أَمَرَهُمْ كَانَ ذَلِكَ ، وَلَكِنْ غَلَبَ الْقَضَاءُ وَالْقَدَرُ .

وعامة من أشار عليه بالخروج رجال لم يشهدوا بدرا ، قد علموا الذي سبق لأصحاب بدر من الفضيلة .

فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الجمعة وعظ الناس وذكرهم ، وأمرهم بالجد والجهاد ، ثم انصرف من خطبته وصلاته ، فدعا بالأمتة فلبسها ، ثم أذن في الناس بالخروج .

فلما رأى ذلك رجال من ذوى رأى قالوا : أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نمكث بالمدينة وهو أعلم بالله وما يريد ويأتيه الوحي من السماء .

فقالوا : يا رسول الله امكث كما أمرتنا . فقال : ما ينبغي لنبي إذا أخذ لأمة الحرب وأذن بالخروج إلى العدو أن يرجع حتى يقاتل ، وقد دعوتكم إلى هذا الحديث فأبئتم إلا الخروج ، فمليكم بتقوى الله والصبر عند البأس إذا لقيتم العدو وانظروا ماذا أمركم الله به فافعلوا .

قال : فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون ، فسلكوا على البدائع وهم ألف رجل ، والمشركون ثلاثة آلاف ، فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل بأحد .

ورجع عنه عبد الله بن أبي بن سلول في ثلاثمائة ، فبقى رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبعمائة .

قال البيهقي : هذا هو المشهور عند أهل المغازي ، أنهم بقوا في سبعمائة مقاتل . قال : والمشهور عن الزهري أنهم بقوا في أربعمائة مقاتل . كذلك رواه يعقوب بن سفيان عن أصبغ ، عن ابن وهب ، عن يونس ، عن الزهري ، وقيل عنه بهذا الإسناد سبعمائة . ف والله أعلم .

قال موسى بن عقبة : وكان على خيل المشركين خالد بن الوليد ، وكان معهم مائة

فرس ، وكان لواؤه مع عثمان بن طلحة . قال : ولم يكن مع المسلمين فرس واحدة . ثم ذكر الواقعة كما سيأتى تفصيلها إن شاء الله تعالى .

وقال محمد بن إسحاق : لما قصَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤياه على أصحابه قال لهم : إن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا فإن أقاموا أقاموا بشرَّ مقام ، وإن هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها .

وكان رأى عبد الله بن أبي بن سلول مع رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في ألا يخرج إليهم .

فقال رجال من المسلمين ، ممن أكرم الله بالشهادة يوم أحد ، وغيرهم ممن كان فاته بدر : يا رسول الله اخرج بنا إلى أعدائنا لا يرون أننا جبنًا عنهم وضعفنا .

فقال عبد الله بن أبي : يا رسول الله لا تخرج إليهم ، فوالله ما خرجنا منها إلى عدو قط إلا أصاب منا ، ولا دخلها علينا إلا أصابنا منه .

فلم يزل الناسُ برسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دخل فلبس لأمته ، وذلك يوم الجمعة حين فرغ من الصلاة ، وقد مات في ذلك اليوم رجل من بنى النجار يقال له مالك ابن عمرو ، فصلَّى عليه ثم خرج عليهم وقد ندم الناس وقالوا : استكرهنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن لنا ذلك .

فلما خرج عليهم قالوا : يا رسول الله إن شئت فاقعد . فقال : ما ينبغي لنبى إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل .

فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في ألف من أصحابه .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم .

قال ابن إسحاق : حتى إذا كان بالشوط بين المدينة وأحد انخرل عنه عبد الله بن

أبى بثث الناس ، وقال : أطاعهم وعصاني ، ما ندرى علامَ نقتل أنفسنا هاهنا أيها الناس .

فرجع بن اتبعه من قومه من أهل النفاق والريب ، واتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام السلمى والد جابر بن عبد الله ، فقال : يا قوم أذكركم الله ألا تحذلوا قومكم ونبيكم عندما حضر من عدوهم . قالوا : لو نعلم أنكم تقاتلون ما أسلمناكم ، ولكننا لا نرى أن يكون قتال .

فلما استعصوا عليه وأبوا إلا الانصراف قال : أبعدكم الله أعداء الله ، فسيغنى الله عنكم نبيه صلى الله عليه وسلم .

قلت : وهؤلاء القوم هم المرادون بقوله تعالى : « وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُم تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا . قالوا : لو نعلم قتالاً لا تبعنكم ، هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان ، يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم والله أعلم بما يكتمون ^(١) » .

يعنى أنهم كاذبون في قولهم : لو نعلم قتالاً لا تبعنكم . وذلك لأن وقوع القتال أمره ظاهر بين واضح لا خفاء ولا شك فيه .

وهم الذين أنزل الله فيهم : « فمآلکم فی المنافقین فتنین والله أركسهم بما كسبوا ^(٢) » الآية . وذلك أن طائفة قالت : نقاتلهم . وقال آخرون : لا نقاتلهم . كما ثبت وبُين في الصحيح .

وذكر الزهري أن الأنصار استأذنوا حينئذ رسول الله صلى الله عليه وسلم في الاستعانة بحلفائهم من يهود المدينة ، فقال : لا حاجة لنا فيهم .

وذكر عروة بن موسى بن عقبة أن بنى سلمة وبنى حارثة لما رجع عبد الله بن أبي وأصحابه هممتا أن تفشلا ، فبنتهما الله تعالى ، ولهذا قال : « إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشِلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ » .

قال جابر بن عبد الله : ما أحبُّ أنهما لم تنزل والله يقول : « وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا ^(١) » كما ثبت في الصحيحين عنه .

قال ابن اسحاق : ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سلك في حرّة بنى حارثة ، فذبّ فرسٌ بذنبه فأصاب كُلابَ ^(٢) سيفٍ فاستلّه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لصاحب السيف : شِمِّ سَيْفَكَ . أى أغمده ، فإني أرى السيوفَ ستُسَلُّ اليوم .

ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه : مَنْ رَجُلٌ يُخْرِجُ بَنَاءَ عَلَى الْقَوْمِ مِنْ كَتَبَ - أى من قريب - من طريق لا يمر بنا عليهم؟ فقال أبو خيثمة أخو بنى حارثة بن الحارث : أنا يا رسول الله . فنفذ به في حرّة بنى حارثة وبَيْنَ أَمْوَالِهِمْ ، حتى سلك به في مالٍ لِمَرْبَعِ ابْنِ قَيْظَى ، وكان رجلاً منافقاً ضريراً البصر ، فلما سمع حسّاً رسول الله ومن معه من المسلمين قام يَحْتَجِي فِي وَجْهِهِمُ التُّرَابَ ويقول : إِنْ كَفَتَ رَسُولُ اللَّهِ فَإِنِّي لَا أَحِلُّ لَكَ أَنْ تَدْخُلَ فِي حَائِطِي .

قال ابن إسحاق : وقد ذكر لي أنه أخذ حفنةً من التراب في يده ثم قال : والله لو أعلم أني لا أصيب بها غيرك يا محمد لضربتُ بها وجهك . فابتدره القوم ليقتلوه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لَا تَقْتُلُوهُ ، فهذا الأعمى أعمى القلب أعمى البصر . وقد

(١) أى لما حصل لهم من الشرف ببناء الله تعالى وإنزاله فيهم آية ناطقة بصحة الولاية .

(٢) الكلاب : ذؤابة السيف .

بَدَرَ إِلَيْهِ سَعْدُ بْنُ زَيْدٍ أَخُو بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ قَبْلَ نَهْيِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَضَرَبَهُ بِالْقَوْسِ فِي رَأْسِهِ فَشَجَّهُ .

ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل الشعب من أحد ، في عُدوة الوادى وفى الجبل ، وجعل ظهره وعسكره إلى أحد ، وقال : لا يقاتلنَّ أحدٌ حتى آمره بالقتال .

وقد سرّحت قريش الظَّهْرَ والكُرَاعَ^(١) في زُرُوع كانت بالصَّمْعَةِ من قناة كانت للمسلمين ، فقال رجل من الأنصار حين نهى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عن القتال : أَتُرْعَى زُرُوعُ بَنِي قَيْلَةَ وَلَمَّا نَضَارِبُ ؟ !

وتعباً رسولُ الله صلى الله عليه وسلم للقتال وهو في سبعمائة رجل ، وأمرَ على الرماة يومئذٍ عبدُ الله بن جُبَيْر أَخا بني عمرو بن عوف ، وهو معلمٌ يومئذٍ بثياب بيض ، والرماةُ خمسون رجلاً ، فقال : انضح الخيلَ عَمَّا بِالْفَيْلِ لا يأتونا من خَلْفِنَا ، إِنْ كَانَتْ لَنَا أَوْ عَلَيْنَا فَانْبُتْ مَكَانَكَ لَا نُؤْتِيَنَّ مِنْ قِبَلِكَ .

وسیاتی شاهد هذا فی الصحیحین إن شاء الله تعالی .

قال ابن إسحاق : وظاهر رسول الله صلى الله عليه وسلم بين درعين . يعني لبس درعاً فوق درع ، ودفع اللواء إلى مُضْعَب بن عِمْرٍ أَخِي بنِي عبد الدار .

قلت : وقدر رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة من الغلمان يوم أحد ، فلم يملكهم من حضور الحرب لصغرهم ، منهم : عبدالله بن عمر ، كما ثبت في الصحيحين قال : عرضت على النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد فلم يُجزني ، وعرضت عليه يوم الخندق وأبا ابن خمس عشرة فأجازني .

وكذلك ردَّ يومئذ أسامة بن زيد ، وزيد بن ثابت والبراء بن عازب ، وأسيّد بن

(١) الظهر : الإبل . والكراع : الخيل .

ظهير ، وعرابية بن أوس بن قبيطى . ذكره ابن قتيبة وأورده السهيلي ، وهو الذى يقول فيه الشماخ :

إذا ما رايةٌ رفعت لمجدٍ تلقّاها عرابةٌ باليمنِ

ومنهم ابن سعيد بن خيشمة . ذكره السهيلي أيضا ، وأجازهم كلهم يوم الخندق . وكان قد ردّ يومئذ سمرّة بن جندب ورافع بن خديج ، وهما ابنا خمس عشرة سنة ، فقيل : يا رسول الله إن رافعا رام فأجازه . فقيل : يا رسول الله فإن سمرّة يصرع رافعا فأجازه .

قال ابن إسحاق : وتعبأت قريش ، وهم ثلاثة آلاف ومعهم مائتا فرس قد جنبوها ، فجعلوا على ميمنة الخليل خالد بن الوليد ، وعلى ميسرتها عكرمة بن أبى جهل بن هشام .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من يأخذُ هذا السيف بحقه ؟ فقام إليه رجالٌ فأمسكه عنهم ، حتى قام إليه أبو دُجّانة سِمّاك بن خرشة أخو بنى ساعدة ، فقال : وما حقّه يا رسول الله ؟

قال : أن تضرب به فى العدو حتى ينحني .

قال : أنا آخذه يا رسول الله بحقه . فأعطاه إياه .

هكذا ذكره ابن إسحاق منقطعا .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا يزيد وعفان ، قالا حدثنا حماد ، هو ابن سلمة ، أخبرنا ثابت ، عن النبی ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ سيفاً يوم أحد فقال : من يأخذ هذا السيف ؟ فأخذ قومٌ فجعلوا ينظرون إليه ، فقال : من يأخذه بحقه ؟ فأحجم القوم ، فقال أبو دُجّانة سِمّاك : أنا آخذه بحقه . فأخذه فقلق به هامَ المشركين .

ورواه مسلم ، عن أبى بكر عن عفان به .

قال ابن إسحاق: وكان أبو دُجَانَةَ رجلاً شجاعاً يَحْتَمِلُ عِنْدَ الْحَرْبِ ، وَكَانَ لَهُ عَصَابَةٌ حُمْرَاءُ يُعَلِّمُ بِهَا عِنْدَ الْحَرْبِ يَعْتَصِبُ بِهَا ، فَيُعَلِّمُ أَنَّهُ سَيَقَاتِلُ .

قال : فلما أخذ السيفَ من يد رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرج عصابته تلك فاعتصَبَ بِهَا ، ثُمَّ جَعَلَ يَتَبَخَّرُ بَيْنَ الصَّفَيْنِ .

قال : فحدثني جعفر بن عبد الله بن أسلم ، مولى عمر بن الخطاب ، عن رجل من الأنصار من بني سلمة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأى أبا دُجَانَةَ يَتَبَخَّرُ : إِنَّمَا لِمِشْيَةِ يَبْغِضُهَا اللَّهُ إِلَّا فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْطِنِ !

قال ابن إسحاق : وقد قال أبو سفيان لأصحاب اللواء من بني عبد الدار يحرضهم على القتال : يَا بَنِي عَبْدِ الدَّارِ قَدْ وَلَيْتُمْ لَوَاءَنَا يَوْمَ بَدْرٍ ، فَأَصَابَنَا مَا قَدْ رَأَيْتُمْ ، وَإِنَّمَا يُؤْتَى النَّاسُ مِنْ قِبَلِ رَايَاتِهِمْ ، إِذَا زَالَتْ زَالُوا ، فَإِنَّمَا أَنْ تَكْفُونَا لَوَاءَنَا وَإِنَّمَا أَنْ تُخْلَوْا بَيْنَنَا وَيَبْنِيهِ فَنَكْفِيكُمْ .

فَهَمُّوا بِهِ وَتَوَاعَدُوهُ وَقَالُوا : نَحْنُ نُسَلِّمُ إِلَيْكَ لَوَاءَنَا ! سَتَعَلِّمُ غَدًا إِذَا التَقِينَا كَيْفَ نَصْنَعُ .
وَذَلِكَ الَّذِي أَرَادَ أَبُو سُفْيَانَ .

قال : فلما التقى الناس ودنا بعضهم من بعض ، قامت هند بنت عتبة في النسوة اللاتي معها ، وأخذت الدفوفَ يضر بن بها خلف الرجال ويحرضن على القتال ، فقالت هند فيما تقول :

وَيْهًا بَنِي عَبْدِ الدَّارِ وَيَهًا حُمَاةَ الْأَدْبَارِ
ضَرْبًا بِكُلِّ بَتَّارٍ

وتقول أيضاً :

إِنْ تَقْبَلُوا نَعَانِقَ وَنَفَرَشَ النَّمَارِقِ
أَوْ تَذُبُّرُوا نَفَارِقَ فِرَاقٍ غَيْرِ وَامِقِ

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، أن أبا عامر عبد عمرو بن صَيْفٍ ابن مالك بن النعمان أحد بني ضبيعة ، وكان قد خرج إلى مكة مُبَاعِداً للرسول الله صلى الله عليه وسلم معه خمسون غلاماً من الأوس . وبعض الناس يقول : كانوا خمسة عشر . وكان يَعدُّ قريشاً أن لو قد لقي قومَه لم يختلف عليه منهم رجلان .

فلما التقى الناسُ كان أولَ من نقيهم أبو عامر في الأحابيش وعبدان أهل مكة ، فنَادَى : يا معشر الأوس أنا أبو عامر . قالوا : فلا أنعم الله بك عَيْنًا يا فاسق . وكان يسمَّى في الجاهلية الراهب ، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاسق .

فلما سمع ردَّهم عليه قال : لقد أصاب قومي بعدى شرًّا ثم قاتلهم قتالاً شديداً ثم أرضخهم بالحجارة .

قال ابن إسحاق : فأقبل الناسُ حتى حميت الحربُ ، وقاتل أبو دُجَانَةَ حتى أُمعن في الناس .

قال ابن هشام : وحدثني غير واحد من أهل العلم أن الزبير بن العوام قال : وجدت في نفسي حين سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم السيفَ فَمَنَعَنِيه وأعطاه أبا دُجَانَةَ ، وقلت : أنا ابنُ صَفِيَّةَ عمتي ومن قريش ، وقد قتُ إليهِ وسألته إياه قبله فأعطاه أبا دُجَانَةَ وتركني ، والله لأنظرن ما يصنع .

فاتبعته ، فأخرج عصابةً له حمراء فعصب بها رأسه ، فقالت الأنصار : أخرج أبو دُجَانَةَ عصابةً الموت : وهكذا كانت تقول له إذا تعصَّب . فخرج وهو يقول :

أنا الذي عاهدني خليلي ونحن بالسفحِ لدى النخيلِ
أن لا أقوم الدهرَ في السكيئولِ أضربُ بسيفِ الله والرسولِ

وقال الأموي : حدثني أبو عبيد في حديث النبي صلى الله عليه وسلم ، أن رجلاً أتاه وهو يقاتل به ، فقال : لعلك إن أعطيتك تقاتل في السكيئول ؟ قال : لا . فأعطاه سيفاً فجعل يرتجز ويقول :

أنا الذي عاهدني خليلي أن لا أقوم الدهر في الكيول
وهذا حديث يروى عن شُعْبَةَ ، ورواه إسرائيل كلاهما عن أبي إسحاق ، عن هند
بنت خالد أو غيره يرفعه .

الكيول : يعنى مؤخر الصفوف . سمعته من عدة من أهل العلم ، ولم أسمع هذا
الحرف إلا في هذا الحديث .

قال ابن هشام : فجعل لا يلقى أحداً إلا قتله . وكان في المشركين رجل لا يدع
جريحاً إلا ذفَّ عليه فجعل كل منهما يدنو من صاحبه ، فدعوتُ الله أن يجمع بينهما ،
فالتقيا ، فاختلفا ضربتين فضرب المشركُ أبا دجانة فانتقاه بدرقته فعضَّتْ سيفه ،
وضربه أبو دجانة فقتله . ثم رأيتُه قد حمل السيف على مفرق رأس هند بنت عتبة ، ثم
عدل السيف عنها فقلت : الله ورسوله أعلم .

وقد رواه البيهقي في الدلائل من طريق هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن الزبير بن
العوام بذلك .

قال ابن إسحاق : قال أبو دجانة : رأيت إنساناً يحمّس الناسَ حمساً شديداً ،
فخصمته له ، فلما حملت عليه السيف ولول فإذا امرأة ، فأكرمتُ سيفَ رسول الله
صلى الله عليه وسلم أن أضرب به امرأة .

وذكر موسى بن عُقْبَةَ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عرضه طلبه منه عمرُ
فأعرض عنه ، ثم طلبه منه الزبير فأعرض عنه ، فوجدَا في أنفسهما من ذلك ، ثم عرضه
الثالثة فطلبه أبو دجانة فدفعه إليه فأعطى السيفَ حقّه .

قال : فزعموا أن كعب بن مالك قال : كنت فيمن خرج من المسلمين ، فلما رأيت
مثل المشركين يقتل المساكين قت فتجاوزتُ ، فإذا رجلٌ من المشركين جمع اللّامة يجوز

المسلمين وهو يقول : استَوْسِقُوا كما استَوْسَقْتُ جُزُرُ الْغَمِّ ^(١) . قال : وإذا رجل من المسلمين ينتظره وعليه لأمته ، فضيت حتى كبت من وزائه ، ثم قت أقدّر المسلم والكافر ببصرى ، فإذا الكافر أفضلهما عُدَّةً وَهْيَةً . قال : فلم أزل أنتظرهما حتى التقيا ، ف ضرب المسلم الكافر على حبل عاتقه ضربةً بالسيف فبلغت وركه وتفرق فرقتين ، ثم كشف المسلم عن وجهه وقال : كيف ترى يا كعب ؟ أنا أبو دُجَانة !

مقتل حمزة رضى الله عنه

قال ابن إسحاق : وقاتل حمزةُ بن عبد المطلب حتى قتل أُرْطاة بن عبد شُرْحَبِيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ، وكان أحدَ النفر الذين يحملون اللواء . وكذلك قتل عثمان بن أبى طلحة ، وهو حامل اللواء ، وهو يقول :
 إن على أهْلِ اللّواءِ حقًّا أن يُخْضِبُوا الصَّعْدَةَ أو تَنْدَقًا
 فحمل عليه حمزة فقتله ^(٢) .

ثم مرَّ به سِباع بن عبد العُزَّى العُشَاشَانِي ، وكان يكنى بأبى نيار ، فقال حمزة : هلم إلى يابن مقطّعة البظور . وكانت أمه أم أُنمار مولاة شريق بن عمرو بن وهب الثقفي ، وكانت ختانة بمكة ، فلما التقيا ضربه حمزة فقتله .

فقال وحشى غلام جبير بن مطعم : والله إنى لأنظر لحمزة يهدئ الناس بسيفه مايليق ^(٣) شيئاً يمرُّ به ، مثل الجمل الأورق ، إذ قد تقدّمنى إليه سِباع ، فقال حمزة : هلم يابن مقطّعة البظور . فضربه ضربةً فكأنا أخطأ رأسه ، وهزّزت حربى حتى إذا رضيت منها دفعتها عليه فوقعت في ثُنْتِهِ ^(٤) حتى خرجت من بين رجله ، فأقبل

(١) استَوْسِقُوا : اجتمعوا والجزر : ما يذبح من الشاة واحداً جزءة .

(٢) ليس في ابن هشام . (٣) مايليق : ما يبق . (٤) الثنة : بين السرة والعانة .

نحوى فقلب ، فوقع وأمهله حتى إذا مات جئت فأخذت حرّيتي ، ثم تنحيتُ إلى العسكر ولم يكن لي بشيء حاجةٌ غيره .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن الفضل بن عيّاش بن ربيعة بن الحارث ، عن سليمان بن يسار ، عن جعفر بن عمرو بن أمية الضمّري ، قال : خرجتُ أنا وعبيد الله ابن عدى بن الحليار ، أحد بني نوفل بن عبد مناف في زمان معاوية ، فأدربنا مع الناس ، فلما مررنا بحمص وكان وحشيّ مولى جبير قد سكنها وأقام بها ، فلما قدّمناها قال عبيد الله بن عدى : هل لك في أن تأتي وحشيّاً فنسأله عن قتل حمزة كيف قتله ؟ قال قلت له : إن شئت .

فخرجنا نسأل عنه بحمص ، فقال لنا رجل ونحن نسأل عنه : إنكما ستجدانه بفناء داره ، وهو رجل قد غلبت عليه الحمرة ، فإن تجدها صاحباً تجداً رجلاً عربياً وتجدا عنده بعض ماتريدان وتُصيبا عنده ما شئتما من حديثٍ تسألانه عنه ، وإن تجدها وبه بعض ما به فانصبرِ فاعنه ودعاه .

قال : فخرجنا نمشي حتى جئناه ، فإذا هو بفناء داره على طنفسة له ، وإذا شيخٌ كبير مثل البُعَاث ، وإذا هو صاِح لا بأس به ، فلما انتهينا إليه سلّمنا عليه .

فرفع رأسه إلى عبيد الله بن عدى فقال ابنٌ لعدى بن الحليار أنت ؟ قال : نعم . قال : أما والله مارأيتك منذ ناولتُك أمك السّعدية التي أرضعتك بذي طوى ، فإنّي ناولتُكها وهي على بغيرها فأخذتُك بعرضيّك فلمعت لي قدماك حتى رفعتُك إليها ، فوالله ما هو إلا أن وقفت علىّ فعرفتُهما !

قال : فجلسنا إليه فقلنا : جئناك لتحدثنا عن قتل حمزة ، كيف قتلتَه ؟

فقال : أما إني سأحدثكم كما حدث رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سألني عن ذلك .

كنت غلاماً لجبير بن مطعم ، وكان عمه طُعَيْمَةُ بن عَدَى قد أصيب يومَ بدر ، فلما سارت قريش إلى أحد قال لي جبير : إن قتلْتَ حمزةَ عم محمدَ بعَمَى فأنت عَتِيق . قال : فخرجت مع الناس ، وكنت رجلاً حبشياً أفذف بالحرْبة قَذَف الحبشةَ قلَّ ما أخطيء بها شيئاً ، فلما التقى الناسُ خرجتُ أنظر حمزةَ وأتبصره ، حتى رأيتُه في عرض الناس كأنه الجمل الأورق يهدُّ الناسَ بسيفه هدّاً ما يقوم له شيء ، فوالله إني لأتهيأ له أُرِيده وأستتر منه بشجرة أو بحجر ليدنو مني ، إذ تقدمني إليه سِمَاعُ بن عبد العزى ، فلما رآه حمزة قال : هلم إلىَّ يا بنَ مقطعةِ البُظور . قال : فضر به ضربة كأنما أخطأ رأسه ، قال : وهزئت حربتي حتى إذا رضيتُ منها دفعْتُها عليه فوقعت في ثَنَّتِه ، حتى خرجتُ من بين رجلَيْه ، وذهب لينوء نحوى فغلب ، وتركته وإياها حتى مات ، ثم أتيتُه فأخذتُ حربتي ثم رجعت إلى العسكر وقعدت فيه ، ولم يسكن لي بغيره حاجة ، إنما قتلتُه لِأَعْتَق .

فلما قدمتُ مكةَ عتقت ، ثم أُمْتُ ، حتى إذا افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكةَ هربتُ إلى الطائف ، فسكنتُ بها ، فلما خرج وفدُ الطائف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لبسُهموا تَعَيَّت على المذاهبُ ، فقلت : ألحقُ بالشام أو باليمن أو ببعض البلاد ، فوالله إني أنى ذلك من هَمِّي إذ قال لي رجل : ويحك ! إنه والله لا يَقْتُل أحداً من الناس دَخَلَ في دينه وشهد شهادةَ الحق .

قال : فلما قال لي ذلك خرجتُ حتى قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فلم يرْعه إلا بي قائماً على رأسه أشهد شهادةَ الحق ، فلما رآني قال لي : أوحشني أنت ؟ قلت : نعم يا رسول الله . قال : اقعد لحدثني كيف قتلتَ حمزة ؟

قال : فحدثته كما حدثتك ، فلما فرغت من حديثي قال : ويحك غيَّب عنى وجهك فلا أرى بك !

قال : فكنت أتكبُّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم حيث كان لئلا يرانى ، حتى قبضه الله عز وجل .

فلما خرج المسلمون إلى مسيلة الكذاب صاحب اليمامة خرجت معهم وأخذت حربتي التى قتلتُ بها حمزة ، فلما التقى الناسُ رأيتُ مسيلة قائماً وبيده السيف ، وما أعرفه ، فتهيأتُ له وتهيأتُ له رجلٌ من الأنصار من الناحية الأخرى ، كلانا يريد ، فهزَّزتُ حربتي حتى إذا رضيتُ منها دفعتها عليه فوقع فيه ، وشدَّ عليه الأنصارى بالسيف ، فربُّك أعلمُ أيُّنا قتله ، فإن كنت قتلتُه فقد قتلتُ خيرَ الناس بعدَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقتلتُ شرَّ الناس !

قلت : الأنصارى هو أبو دُجانة سِمَاك بن خَرَّشة .

وقال الواقدى فى الرَّدَّة : هو عبد الله بن زبد بن عاصم المازنى . وقال سيف بن عمرو : هو عدى بن سهل . وهو القاتل :

ألم ترَ أنى ووحشيتهم قتلتُ مسيلةَ المُفْتَتِنِ
ويسألنى الناسُ عن قتله فقلتُ : ضربتُ وهذا طعنُ

والمشهور أن وحشياً هو الذى بدره بالضربة وذَفَفَ عليه أبو دُجانة ، إما روى ابنُ إسحاق ، عن عبد الله بن الفضل ، عن سليمان بن يسار ، عن ابن عمر قال : سمعتُ صارخاً يومَ اليمامة يقول : قتله العبدُ الأسود .

وقد روى البخارى قصةَ مقتل حمزة من طريق عبد العزيز بن عبد الله بن أبى سلمة

اللاجشون ، عن عبد الله بن الفضل ، عن سليمان بن يسار ، عن جعفر بن عمرو بن أمية الضمري ، قال : خرجت مع عبد الله بن عدي بن الحيار . فذكر القصة كما تقدم . وذكر أن عبيد الله بن عدي كان مُعْتَجِراً عمامةً لا يرى منه وحشياً إلا عينيه ورجليه ، فذكر من معرفته له ماتقدم .

وهذه قِيافةٌ عظيمة ، كما عرف مُجَزَّزُ الدُّجَلِي أَقْدَامَ زَيْدٍ وابْنِهِ أَسَامَةَ مع اختلاف أُلُوَاهِمَا .

وقال في سياقته : فلما أن صُفَّ الناس للقتال خرج سِبَاعُ فقال : هل من مُبَارِزٍ ؟ فخرج إليه حمزةُ بن عبد المطلب فقال له : يَسْبَاعُ يَا بَنَ أُمِّ أُنْمَارٍ مُقَطَّعةُ البُظُورِ ، اُنْحَاذُ اللهَ ورسوله ! ثم شَدَّ عليه فكان كَأَمْسِ الدَّاهِبِ !

قال : وكُنْتُ لِحِمزةَ تَحْتَ صخرة ، فلما دنا مني رميته بحربتي فأضعها في ثُنته ، حتى خَرَجْتُ من بين وركيه ، قال : فكان ذلك آخرَ العهد به .

إلى أن قال : فلما قُبِضَ رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج مسيلةُ الكذاب قلت : لأُخرج إلى مسيلةَ لَعْلَى أَقْتله فأَكْفَى به حمزة . قال : فخرجت مع الناس فكان من أمره ما كان . قال : فإذا رجل قائم في ثَلْثة جِدَار كأنه جمل أَوْرَقُ ثائر الرأس ، قال : فرميته بحربتي فأضعها بين ثَدْيَيْهِ حتى خرجت من [بين] ^(١) كتفيه ، قال : ووُثِبَ إليه رجل من الأنصار فضر به بالسيف على هامته .

قال عبد الله بن الفضل : فأخبرني سليمان بن يسار أنه سمع عبد الله بن عمر يقول : فقالت جارية على ظهر البيت : وأمير المؤمنين ^(٢) ! قتله العبدُ الأسود .

قال ابن هشام : فبلغني أن وحشياً لم يزل يُحَدِّثُ في النحر حتى خُلِعَ من الديوان ، فكان عمر بن الخطاب يقول : قد قلتُ إن الله لم يكن لِيَدَعَ قاتل حمزة !

(١) من صحيح البخاري . (٢) البخاري : وأمير المؤمنين .

قلت : وتوفي وحشي بن حرب ، أبو دثمة ، ويقال أبو حرب ، بحمص ، وكان أول من لبس الثياب المذلوكة .

قال ابن إسحاق : وقَاتَلَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ دُونَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى قُتِلَ . وَكَانَ الَّذِي قَتَلَهُ ابْنُ قَمَيْثَةَ اللَّيْثِي ، وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَرَجَعَ إِلَى قَرِيشٍ فَقَالَ : قَتَلْتُ مُحَمَّدًا .

قلت : وذكر موسى بن عقبة في مغازيه عن سعيد بن المسيب أن الذي قتل مُصْعَبًا هو أَبِيُّ بْنُ خَلَفٍ . فَاللَّهُ أَعْلَمُ .

قال ابن إسحاق : فَلَمَّا قُتِلَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ أُعْطِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللِّوَاءَ عَلَى بَنِي أَبِي طَالِبٍ .

وقال يونس بن بُكَيْرٍ عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ : كَانَ اللِّوَاءُ أَوَّلًا مَعَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَوَاءَ الْمُشْرِكِينَ مَعَ عَبْدِ الدَّارِ قَالَ : نَحْنُ أَحَقُّ بِالْوَفَاءِ مِنْهُمْ ، أَخَذَ اللِّوَاءَ مِنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فَدَفَعَهُ إِلَى مُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ ، فَلَمَّا قَتَلَ مُصْعَبٌ أُعْطِيَ اللِّوَاءَ عَلَى بَنِي أَبِي طَالِبٍ .

قال ابن إسحاق : وَقَاتَلَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَرِجَالًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ .

قال ابن هشام : وَحَدَّثَنِي مَسْلَمَةُ بْنُ عَلْقَمَةَ الْمَازِنِيُّ ، قَالَ : لَمَّا اشْتَدَّ الْقِتَالُ يَوْمَ أَحَدٍ جَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَحْتَ رَايَةِ الْأَنْصَارِ ، وَأَرْسَلَ إِلَى عَلِيٍّ : أَنْ قَدِّمِ الرَّايَةَ . فَقَدَّمَ عَلَى وَهُوَ يَقُولُ : أَنَا أَبُو الْقَصَمِ . فَمَادَاهُ أَبُو سَعْدٍ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ ، وَهُوَ صَاحِبُ لَوَاءِ الْمُشْرِكِينَ : هَلْ لَكَ يَا أَبَا الْقَصَمِ فِي الْبِرَّازِ مِنْ حَاجَةٍ ؟ قَالَ : نَعَمْ . فَبَرَزَا بَيْنَ الصَّفَيْنِ ، فَاخْتَلَفَا ضَرْبَتَيْنِ ، فَضْرِبَهُ عَلَى فَصْرَعِهِ ، ثُمَّ انْصَرَفَ وَلَمْ يُجْهَزْ عَلَيْهِ .

فَقَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ : أَفَلَا أَجْهَزْتَهُ عَلَيْهِ ؟ فَقَالَ : إِنَّهُ اسْتَقْبَلَنِي بِعَوْرَتِهِ فَعُظِفَتْنِي عَلَيْهِ الرَّحْمُ وَعَرَفْتُ أَنَّ اللَّهَ قَدْ قَتَلَهُ .

وقد فعل ذلك على رضى الله عنه يوم صِفِّين مع بُسر بن أبى أرطاة لما حمل عليه ليقته أبدو له عورته فرجع عنه .

وكذلك فعل عمرو بن العاص حين حمل عليه على فى بعض أيام صِفِّين أبدو عن عورته فرجع على أيضاً . فى ذلك يقول الحارث بن النضر :

أفنى^(١) كل يوم فارس غير مُنتَه وعورته وسط العجاجة بادية
يكف لها عنه على سنانة ويضحك منها فى الخلاء معاوية !

وذكر بونس عن ابن إسحاق ، أن طلحة بن أبى طلحة العبدرى حامل لواء المشركين يومئذ دعا إلى البراز فأحجم عنه الناس ، فبرز إليه الزبير بن العوام فوثب حتى صار معه على جملة ، ثم اقتحم به الأرض فألقاه عنه وذبحه بسيفه ، فأنى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن لكل نبي حواريًا وحواري الزبير » وقال : لو لم يبرز إليه لبرزت أنا إليه لما رأيت من إحجام الناس عنه .

وقال ابن إسحاق : قتل أبا سعد بن أبى طلحة سعد بن أبى وقاص .

وقاتل عاصم بن ثابت بن أبى الأفلح فقتل نافع بن أبى طلحة وأخاه الحلاس ، كلاهما يشمره سهمًا فيأتى أمه سُلَافة فيضع رأسه فى حجرها ، فتقول : يابنى من أصابك ؟ فيقول : سمعت رجلا حين رماني يقول : خذها وأنا ابن أبى الأفلح . فنذرت إن أمكنها الله من رأس عاصم أن تشرب فيه الخمر .

وكان عاصم قد عاهد الله لا يمس مشركاً أبداً ولا يمشه . ولهذا حماه الله منه يوم الرِّجيع كما سيأتى .

قال ابن إسحاق : والتقى حنظلة بن أبى عامر ، واسمه عمرو ، ويقال عبد عمرو بن صَيْفٍ ، وكان يقال لأبى عامر فى الجاهلية الراهب ، لكثرة عبادته ، فسماه رسول الله

(١) لأصل : أتى . وهو تحريف . وما أثبتته عن الروض الأنف ١٣٣/٢ .

صلى الله عليه وسلم الفاسق ، لما خالف الحق وأهله وهرب من المدينة هرباً من الإسلام ومخافةً للرسول عليه السلام . وحفظلة الذى يُعرف بحفظلة الغسيل ، لأنه غسلته الملائكة . كما سأتى . هو وأبو سفيان صخر بن حرب ، فلما علاه حفظلة رآه شدّاد بن الأوس ، وهو الذى يقال له ابن شعوب ، فضربه شدّاد فقتله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن صاحبكم لتغسله الملائكة ، فاسألوا أهله ما شأنه ؟ » . فسئلت صاحبه . قال الواقدي : هى جميلة بنت أبي بن سلول وكانت عروساً عليه تلك الليلة .

فقلت : خرج وهو جنب حين سمع الهاتفة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كذلك غسلته الملائكة !

وقد ذكر موسى بن عقبة أن أباه ضَرَبَ رجله فى صدره ، فقال : ذَنْبَانِ أَصَبَتْهُمَا ، ولقد نهيتك عن مصرعك هذا ، ولقد والله كنت وصولاً للرحم برّاً بالوالد .

قال ابن إسحاق : وقال ابن شعوب فى ذلك :

لَأُحْمِيَنَّ صَاحِبِي وَنَفْسِي بِطَعْنَةٍ مِثْلِ شَعَاعِ الشَّمْسِ

وقال ابن شعوب :

وَلَوْلَا دِفَاعِي يَا بَنَ حَرْبٍ وَمَشْهَدِي
لَأَلْفَيْتَ يَوْمَ النَّعْفِ ^(١) غَيْرَ مُجِيبٍ
وَلَوْلَا مَكْرَرِي الْمُهْرَ بِالنَّعْفِ فَرَقَرْتُ ^(٢)
عَلَيْهِ ضِبَاعٌ ^(٣) أَوْ ضِرَاءُ كَلِيبٍ ^(٤)
وقال أبو سفيان :

وَلَوْ شِئْتُ نَجَّيْتُ كُمَيْتٌ ^(٥) طِمْرَةٌ
وَلَمْ أُحْمِلِ النَّعْمَاءَ لَابْنَ شُعُوبٍ

(١) النعف : ما انحدر من حذونة الجبل (٢) فرقرت : أسرع وتطاشت . وى ابن هشام : فرقرت . بانقاف . (٣) ابن هشام : ضباع عليه (٤) الضراء : الفارية من السكاب . (٥) الطمرة : القرس المسريعة الجرى .

وما زال مُهْزَى مَزْجَرَ الكَلْبِ مِنْهُمْ
أَقَاتْلَهُمْ وَأَدْعَى يَالَغَالِبِ
فَبِكَيْ وَلَا تَرَعْنِي مَقَالَةَ عَاذِلِ
أَبَاكَ وَإِخْوَانًا لَهُ قَدْ تَتَابَعُوا
وَسَلَّى الَّذِي قَدْ كَانَ فِي النَّفْسِ أَنْتَى
وَمِنْ هَاشِمٍ قَرْمًا^(١) كَرِيمًا وَمُضْعَبًا
فَلَوْ أَنْتَى لَمْ أَشْفِ نَفْسِي مِنْهُمْ
فَأَبُوا وَقَدْ أَوْدَى الْجَلَايِبُ مِنْهُمْ
أَصَابَهُمْ مَنْ لَمْ يَكُنْ لِدَمَائِهِمْ
فَأَجَابَهُ حِسَانُ بْنُ ثَابِتٍ :

ذَكَرْتَ الْقُرُومَ الصَّيْدَ مِنْ آلِ هَاشِمٍ
أَتَعْجَبُ أَنْ أَقْصَدْتَ حِمْرَةَ مِنْهُمْ
أَلَمْ يَقْتُلُوا عَمْرًا وَعُتْبَةَ وَابْنَهُ
غَدَاةَ دَعَا الْعَاصِي عَلِيًّا فَرَاغَهُ
وَلَسْتَ لِزُورٍ قُلْتَهُ بِمَصِيبِ
نَجِيًّا وَقَدْ سَمَّيْتَهُ بِنَجِيبِ
وَشَيْبَةَ وَالْحِجَاجَ وَابْنَ حَبِيبِ
بِضْرِبَةٍ عَظْبٍ بَلَّهَ بِمُخْضِيبِ

فصل

قال ابن إسحاق : ثم أنزل الله نصره على المسلمين ، وصدقهم وعده ، فحشّوهم
بالسيف حتى كشفوهم عن العسكر ، وكانت الهزيمة لا شك فيها .
وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد ، عن عبد الله بن الزبير ، عن
الزبير ، قال : والله لقد رأيتني أنظر إلى خدام^(٣) همد بذت عتبة وصواحبها مشمرات هوارب ،

(١) القرم : السيد . (٢) الخدب : الهوج . والمعبط . الذي يسيل دمه . (٣) الخدم : السوق .

مادون أخذهن قليلٌ ولا كثير، إذ مالت الرماةُ على العسكر حين كشفنا القومَ عنه وخلصوا ظهورنا للخيل، فأَتينا من خلفنا، وصرخ صارخ: ألا إن محمداً قد قُتل. فانكشفنا وانكشف القومُ علينا، بعد أن أصبنا أصحابَ اللواء، حتى مايدنو منه أحدٌ منهم.

فحدثني بعض أهل العلم، أن اللواء لم يزل صريعاً حتى أخذته عمرة بنت علقمة الحارثية فرفعته لقريش فلاثوا به، وكان اللواء مع صواب، غلظم لبني أبي طلحة حبشي، وكان آخر من أخذه منهم، فقاتل به حتى قطعت يده، ثم برك عليه، فأخذ اللواء بصدوره وعنقه حتى قُتل عليه وهو يقول: اللهم هل أعزرت. يعني: اللهم هل أعذرت.

فقال حسان بن ثابت في ذلك:

نخرتم باللواء وشرُّ نخرٍ	لواء حين رُدَّ إلى صوابٍ
جعاتم فخرٌ كم فيه لعبدٍ	والأم من يطا عفر الترابِ
ظننتم والسفيه له ظنونٌ	وما إن ذاك من أمر الصوابِ
بأن جَلَدنا يوم التقينا	بمكة ببيعكم حمر العيابِ
أقر العين أن عَصبت يده	وما إن تُعَصبان على خِصَابِ

وقال حسان أيضاً في رفع عمرة بنت علقمة اللواء لهم:

إذا عَصِلُ سِيقَت إلينا كأنها	جدايةُ شَرِكْ مُعَلَماتِ الحَوَاجِبِ ^(١)
أقمنا لهم طَعناً مُبِيراً منكِلاً	وحزْ ناهم بالضربِ من كلِّ جانبِ
فلولا لواء الحارثية أصبحوا	يُبَاعون في الأسواقِ ببيعِ الجلائِبِ

قال ابن إسحاق: فانكشف المسلمون وأصاب منهم العدو، وكان يومَ بلاء

(١) الجداية: الغزال. وشرك: موضع.

وتحميص ، أكرم الله فيه من أكرم بالشهادة ، حتى خلص العدو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذُتَّ بالحجارة حتى وقع لشقه ، فأصيبت رباعيته وشُجَّ في وجهه وكُلمت شفته ، وكان الذي أصابه عتبة بن أبي وقاص .

حدثني حميد الطويل ، عن أنس بن مالك قال : كُسر رباعية النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد وشُجَّ في وجهه ، فجعل يمسح الدم ويقول : كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى الله . فأنزل الله : « ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يُعذبهم فإنهم ظالمون » .

قال ابن جرير في تاريخه : حدثنا محمد بن الحسين ، حدثنا أحمد بن الفضل ، حدثنا أسباط ، عن السدي ، قال أتى ابن قنثة الحارثي فرمى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فكسر أنفه ورباعيته وشجّه في وجهه فأثقله ، وتفرق عنه أصحابه ودخل بعضهم المدينة وانطلق طائفة فوق الجبل إلى الصخرة ، وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الناس : إلى عباد الله ، إلى عباد الله . فاجتمع إليه ثلاثون رجلاً ، فجعلوا يسيرون بين يديه فلم يقف أحد إلا طلحة وسهل بن حنيف ، فخاه طلحة فرمى بسهم في يده فبيست يده ، وأقبل أبي بن خلف الجمحي وقد حلف ليقتلن النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : بل أنا أقتله . فقال : يا كذاب أين تفرّ ، فحمل عليه فطعنه النبي صلى الله عليه وسلم في جيب الدرع فجرح جرحاً خفيفاً فوق يخور خوار الثور فاحتملوه ، وقالوا : ليس بك جراحة نما يجرعك ؟ قال : أليس قال : لأقتلنك ! لو كانت تجتمع ريبة ومُضَر لقتلهم . فلم يلبث لا يوماً أو بعض يوم حتى مات من ذلك الجرح .

وفشا في الناس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قُتل ، فقال بعض أصحاب الصخرة : ليت لنا رسولا إلى عبد الله بن أبي فياخذ لنا أمانة من أبي سفيان ، يا قوم إن ندا قد قتل فارجموا إلى قومكم قبل أن يأتوكم فيقتلوكم .

فقال أنس بن النضر : يا قوم إن كان محمد قد قُتل فإن رب محمد لم يُقتل ، فقاتلوا على ما قاتل عليه محمد صلى الله عليه وسلم ، اللهم إني أعتذر إليك مما يقول هؤلاء وأُبرأ إليك مما جاء به هؤلاء . ثم شدَّ بسيفه فقاتل حتى قُتل !

وانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الناس حتى انتهى إلى أصحاب الصخرة ، فلما رأوه وضع رجلهما في قوسه يرميه فقال : أنا رسول الله . ففرحوا بذلك حين وجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفرح رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأى أن في أصحابه من يمتنع به ، فلما اجتمعوا وفيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب عنهم الحزن ، فأقبلوا يذكرون الفتح وما فاتهم منه ويذكرون أصحابهم الذين قُتلوا .

فقال الله عز وجل في الذين قالوا : إن محمداً قد قُتل فارجعوا إلى قومكم : « وما محمد إلا رسولٌ قد خلت من قبله الرُّسل » الآية .

فأقبل أبو سفيان حتى أشرف عليهم ، فلما نظروا إليه نسوا ذلك الذي كانوا عليه وهمَّهم أبو سفيان ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس لهم أن يقولوا ، اللهم إن تقتل هذه العصابة لا تُعبَد في الأرض » . ثم ندب أصحابه فرمهم بالحجارة حتى أنزلوهم .

فقال أبو سفيان يومئذ : أعلُّ هُبْل ، حنظلة بحنظلة ، ويومٌ أحد بيوم بدر .

وذكر تمام القصة . وهذا غريب جداً وفيه نكارة .

قال ابن هشام : وزعم ربيع بن عبد الرحمن بن أبي سعيد ، عن أبيه ، عن أبي سعيد ، أن عتبة بن أبي وقاص رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكسر رباطيته اليمنى السفلى وجرح شفته السفلى ، وأن عبد الله بن شهاب الزهري شجَّه في جبهته ، وأن عبد الله بن قثم جرح وجنته فدخلت حلقمتان من حلق المغفر في وجنته ، ووقع رسول الله صلى الله

عليه وسلم في حفرة من الحفر التي عملها أبو عامر ليقع فيها المسلمون فأخذ علي بن أبي طالب بيده ورفع طليحة بن عبيد الله حتى استوى قائماً ، ومصّ مالك بن سنان أبو أبي سعيد الدم من وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ازدردته فقال : من مسّ دمه دمي لم تمسه النار .

قلت : وذكر قتادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما وقع لشقه أغمى عليه ، فرّ به سالم مولى أبي حذيفة فأجلسه ومسح الدم عن وجهه ، فأفاق وهو يقول : كيف يُفلح قومُ فعلوا هذا بنبيهم وهو يدعوهم إلى الله . فأنزل الله : « ليس لك من الأمر شيء » الآية .

رواه ابن جرير وهو مرسل ، وسيأتى بسط هذا في فصل وحده .

قلت : كان أول النهار للمسلمين على الكفار ، كما قال الله تعالى « ولقد صدّقكم الله وعده إذ تحسّونهم بإذنه حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتهم من بعد ما أراكم ما تحبون ، منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ، ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ، ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين إذ تضرعون ولا تلّون على أحدٍ والرسول يدعوكم في أخراكم فأثابكم غمّاً بغم » الآية .

قال الإمام أحمد : حدثنا سليمان بن داود ، أخبرنا عبد الرحمن بن أبي الزناد ، عن أبيه ، عن عبيد الله ، عن ابن عباس ، أنه قال : مانصر الله في موطن كما نصر يوم أحد .

قال : فأنكرنا ذلك . فقال : بيني وبين من أنكر ذلك كتابُ الله : إن الله يقول في يوم أحد : « ولقد صدّقكم الله وعده إذا تحسّونهم بإذنه » يقول ابن عباس : : والحسُّ القتل « حتى إذا فشلتم » إلى قوله « ولقد عفا عنكم والله ذو فضل

على المؤمنين » وإنما عَنَى بهذا الرماة وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم أقامهم في موضع ثم قال : احموا ظهورنا ، فإن رأيتُمونا نَقْتَلْ فلا تنصرونا ، وإن رأيتُمونا نَغْنَمْ فلا تَشْرِكُونَا .

فلما غم النبي صلى الله عليه وسلم وأباحوا عسكر المشركين أكْبَر الرماةُ جميعاً ، فدخلوا في العسكر ينهبون ، وقد التقت صفوفُ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهم هكذا ، وشَبَّكَ بين أصابع يديه ، والتبسوا .

فلما أخلَّ الرماة تلك الخلَّة التي كانوا فيها دخلت الخيل من ذلك الموضع على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فضرب بعضهم بعضاً ، فالتبسوا وقتل من المسلمين ناس كثير ، وقد كان لرسول الله وأصحابه أولُ النهار ، حتى قتل من أصحاب لواء المشركين سبعة أو تسعة ، وجال المسلمون جولةً نحو الجبل ولم يَبْلُغُوا حيث يقول الناس الغارَ ، وإنما كان تحت المهراس .

وصاح الشيطان : قُتِلَ مُحَمَّدٌ ، فلم يُشَكَّ فيه أنه حق ، فما زلنا كذلك ما نشك أنه حق حتى طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم بين السعدين نعرفه بتسكفئه إذا مشى . قال : فقرحنا كأنه لم يُصِبْنَا ما أصابنا . قال : فرقَى نحونا وهو يقول : اشتد غضبُ الله على قوم دَمَوْا وجه رسول الله . ويقول مرة أخرى : اللهم إنه ليس لهم أن يَعْلُونَا . حتى انتهى إلينا .

فمكث ساعة فإذا أبو سفيان يصيح في أسفل الجبل : أَعْلُ هُبَل ، أَعْلُ هُبَل ، مرتين ، يعني آلهته ، أين ابن أبي كبشة ؟ أين ابن أبي قحافة ؟ أين ابن الخطاب ؟ فقال عمر بن الخطاب : ألا أجيبه ؟ قال : بلى . قال : فلما قال : اعل هبل قال : الله أَعْلَى وأَجَلٌ . قال أبو سفيان : يابن الخطاب قد أَنْعَمَتْ عَلَيْهَا ^(١) ، فعادِ عنها ، أو فعَالِ عنها .

(١) يريد الحرب . وفعال : أمر ، أى عال عنها وأقصر عن لومها .

فقال : أين ابن أبي كبشة أين ابن أبي قحافة ، أين ابن الخطاب ؟ فقال عمر : هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا أبو بكر ، وهأنذا عمر .

قال : فقال أبو سفيان : يومٌ بيوم بدر ، الأيام دُول ، وإن الحرب سِجَال .

قال : فقال عمر : لا سواء ، قَتَلْنَا فِي الْجَنَّةِ وَقَتَلَاكُمْ فِي النَّارِ .

قال : إنكم تزعمون ذلك ، لقد خَبِنَا إِذْنٌ وَخَسَرْنَا !

ثم قال أبو سفيان : أَمَا أَنْتُمْ سَوْفَ تَجِدُونَ فِي قَتْلَاكُمْ مُثْلَةً ، ولم يكن ذلك عن رأى سَرَاتِنَا . قال : ثم أدركته حَمِيَّةُ الْجَاهَنِيَّةِ فَقَالَتْ : أَمَا إِنَّهُ إِنْ كَانَ ذَلِكَ لَمْ نَسْكُرْهُ .

وقد رواه ابن أبي حاتم والحاكم في مستدركه والبيهقي في الدلائل من حديث سليمان ابن داود الهاشمي به .

وهذا حديث غريب ، وهو من مراسلات ابن عباس ، وله شواهد من وجوه كثيرة سند كرمها ما تيسر إن شاء الله ، وبه الثقة وعليه التكلان . وهو المستعان .

قال البخاري : حدثنا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى ، عَنْ إِسْرَائِيلَ ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ ، عَنْ الْبَرَاءِ ، قَالَ : لَقِينَا الْمَشْرُكِينَ يَوْمَئِذٍ ، وَأَجْلَسَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَيْشًا مِنَ الرِّمَاءِ وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جُبَيْرٍ ، وَقَالَ : لَا تَبْرَحُوا ، إِنْ رَأَيْتُمُونَا ظَهَرْنَا عَلَيْهِمْ فَلَا تَبْرَحُوا ، وَإِنْ رَأَيْتُمُوهُمْ ظَهَرُوا عَلَيْنَا فَلَا تَعِينُونَا .

فلما لقينا هربوا ، حتى رأيت النساء يشتدْنَ فِي الْجَبَلِ رَفَعْنَ عَنْ سَوْقِهِنَّ قَدْ بَدَتْ خِلَافُهُنَّ ، فَأَخَذُوا يَقُولُونَ : الْغَنِيمةُ الْغَنِيمةُ . فقال عبد الله : عَهْدٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَلَّا تَبْرَحُوا . فَأَبَوْا ، فَلَمَّا أَبْرَأَ صُرِفَتْ وَجُوهُهُمْ ^(١) .

فَأَصِيبُ سَبْعُونَ قَتِيلًا ، وَأَشْرَفَ أَبُو سَفْيَانَ فَقَالَ : أَفَى الْقَوْمِ مُحَمَّدٌ ؟ فَقَالَ : لَا تَجِيبُوهُ .

(١) صرفت وجوههم : تعيروا فلم يردوا أين يذهبون .

قَالَ : أَفَى الْقَوْمِ ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ ؟ فَقَالَ (١) : لَا تَحْيِيوهُ . فَقَالَ : أَفَى الْقَوْمِ ابْنُ الْخَطَّابِ ؟
قَالَ : إِنَّ هَؤُلَاءِ قُتِلُوا ، فَلَوْ كَانُوا أَحْيَاءَ لَأَجَابُوا .

فَلَمْ يَمْلِكْ سِرَّ نَفْسِهِ فَقَالَ : كَذَبْتَ يَا عَدُوَّ اللَّهِ ، أَبْقَى اللَّهُ حَيَاتِي مَا تُحَرِّكُكَ .
فَقَالَ أَبُو سَفْيَانَ : أَعْلُ هُبَل . فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَجِيبُوهُ . قَالُوا :
مَا نَقُولُ ؟ قَالَ : قُولُوا : اللَّهُ أَعْلَى وَأَجَلُّ

فَقَالَ أَبُو سَفْيَانَ : لَنَا الْعُزَّى وَلَا عُزَّى لَكُمْ . فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
أَجِيبُوهُ . قَالُوا : مَا نَقُولُ ؟ قَالَ : قُولُوا : اللَّهُ مَوْلَانَا وَلَا مَوْلَى لَكُمْ .
قَالَ أَبُو سَفْيَانَ : يَوْمَ يَوْمٍ بَدْر ، وَالْحَرْبُ سِجَال ، وَتَجْدُونَ مُثْلَهُ لَمْ أَمُرْ
بِهَا وَلَمْ تَسُوْنِي .

وهذا من أفراد البخارى دون مسلم .

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَد : حَدَّثَنَا مُوسَى ، حَدَّثَنَا زُهَيْر ، حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاق ، أَنَّ الْبَرَاءَ بْنَ
عَازِبٍ قَالَ : جَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الرَّمَاةِ يَوْمَ أُحُدٍ ، وَكَانُوا خَمْسِينَ
رَجُلًا ، عَبْدَ اللَّهِ بْنُ جُبَيْرٍ ، قَالَ : وَوَضَعَهُمْ مَوْضِعًا وَقَالَ : إِنَّ رَأَيْتُمُونَا تَحْتَظِفْنَا الطَّيْرُ فَلَا
تَبْرَحُوا حَتَّى أُرْسَلَ إِلَيْكُمْ ، وَإِنْ رَأَيْتُمُونَا ظَهَرْنَا عَلَى الْعَدُوِّ وَأَوْطَانَاهُمْ فَلَا تَبْرَحُوا حَتَّى
أُرْسَلَ إِلَيْكُمْ .

قَالَ : فَهَؤُوم ، قَالَ : فَأَنَا وَاللَّهِ رَأَيْتِ النَّسَاءَ يَشْتَدِدْنَ عَلَى الْجَبَلِ وَقَدْ بَدَتْ
أَسْوَاقُهُنَّ وَخَلَا خَلْفُهُنَّ رَافِعَاتٍ ثِيَابَهُنَّ .

فَقَالَ أَحْمَدُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جُبَيْرٍ : الْغَنِيْمَةُ ، أَيْ قَوْمُ الْغَنِيْمَةِ ، ظَهَرَ أَصْحَابُكُمْ ، فَمَا
تَنْظُرُونَ ؟ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جُبَيْرٍ : أُنْسَيْتُمْ مَا قَالَ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟
قَالُوا : إِنَّا وَاللَّهِ لَنَاتَيْنَ النَّاسَ فَلَنَصِيْبِينَ مِنَ الْغَنِيْمَةِ .

(١) الْقَائِلُ هُوَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ .

فلما أتوهم صُرفت وجوههم فأقبلوا منهزمين ، فذلك الذى يدعوهم الرسولُ فى آخرهم ، فلم يبق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غير اثنى عشر رجلاً ، فأصابوا من سبعين رجلاً ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أصابوا من المشركين يوم بدر أربعين ومائة : سبعين أسيراً وسبعين قتيلاً .

فقال أبو سفيان : أفى القوم محمد ؟ أفى القوم محمد ؟ أفى القوم محمد ؟ ثلاثاً ، فنهام رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجيبوه .

ثم قال : أفى القوم ابن أبى قحافة ، أفى القوم ابن أبى قحافة ؟ أفى القوم ابن الخطاب ، أفى القوم ابن الخطاب ؟ ثم أقبل على أصحابه فقال : أما هؤلاء فقد قُتلوا وقد كُفيتهم . فما ملك عمر نفسه أن قال : كذبت والله يا عدو الله ، إن الذين عددت لأحياء كلهم ، وقد بقى لك ما يسوءك .

فقال : يومٌ بيوم بدر ، والحرب سجال ، إنكم ستجدون فى القوم مثلاً لم آمر بها ولم تسؤى . ثم أخذ يرتجز : أعلُّ هُبْلُ أعلُّ هُبْل .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا تجيبونه ؟ قالوا : يا رسول الله وما نقول ؟ قال : قولوا : الله أعلُّ وأجل .

قال : إن العُزَّى لنا ولا عُزَّى لكم ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا تجيبونه ؟ قالوا : يا رسول الله ما نقول ؟ قال : قولوا : الله مولانا ولا مولى لكم .

ورواه البخارى من حديث زهير ، وهو ابن معاوية ، مختصراً . وقد تقدم روايته له مطولة من طريق إسرائيل عن أبى إسحاق .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا حماد بن سلمة ، أخبرنا ثابت وعلى بن زيد ،

عن أنس بن مالك ، أن المشركين لما رهِقوا النبي صلى الله عليه وسلم وهو في سبعة من الأنصار ورجل من قريش ، قال : من يردهم عنا وهو رفيق في الجنة ؟ فجاء رجل من الأنصار فقاتل حتى قُتل .

فلما رهِقوه أيضاً قال : من يردهم عنا وهو رفيق في الجنة ؟ حتى قُتل السبعة .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أنصفنا أصحابنا .

ورواه مسلم عن هُذَبة بن خالد ، عن حماد بن سلمة به .

وقال البيهقي في الدلائل : بإسناده عن عمارة بن غزبة ، عن أبي الزبير ، عن جابر

قال : انهزم الناسُ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد وبقى معه أحد عشر رجلاً من الأنصار وطلحة بن عبيد الله وهو يُصعد في الجبل ، فلحقهم المشركون فقال : ألا أحد لهؤلاء ؟ فقال طلحة : أنا يا رسول الله . فقال : كما أنت يا طلحة ، فقال رجل من الأنصار : فأنا يا رسول الله . فقاتل عنه ، وصعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن بقي معه ، ثم قُتل الأنصاري فلحقوه ، فقال : ألا رجل لهؤلاء ؟ فقال طلحة مثل قوله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل قوله . فقال رجل من الأنصار : فأنا يا رسول الله ، فقاتل وأصحابه يصعدون ، ثم قُتل فلحقوه .

فلم يزل يقول مثل قوله الأول ويقول طلحة : أنا يا رسول الله . فيجيبه ، فيستأذنه رجل من الأنصار للقتال فيأذن له فيقاتل مثل من كان قبله .

حتى لم يَبْقَ معه إلا طلحة ، ففَشَوْهما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من لهؤلاء ؟ فقال طلحة : أنا . فقاتل مثل قتال جميع من كان قبله ، وأصيبت أنامله فقال : حس ، فقال : لو قلت : بسم الله لرفعتك الملائكة والناس ينظرون إليك حتى تُلجج بك في جوف السماء . ثم صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه وهم مجتمعون .

وروى البخاري عن عبد الله بن أبي شيبة ، عن وكيع ، عن إسماعيل ، عن قيس بن

أبي حازم . قال : رأيت يدَ طلحةَ شَلَاءَ وفي بها النبيَّ صلى الله عليه وسلم يوم أحد .
وفي الصحيحين من حديث موسى بن إسماعيل ، عن معتمر بن سليمان ، عن أبيه ، عن أبي
عثمان النهدي قال : لم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم في بعض تلك الأيام التي يقاتل فيهن
غير طلحة وسعد عن حديثهما .

وقال الحسن بن عرفة - حدثنا مروان بن معاوية ، عن هاشم بن هاشم السعدي ،
سمعت سعيد بن المسيَّب يقول : سمعت سعد بن أبي وقاص يقول : نثَّل لي رسول
الله صلى الله عليه وسلم كنفاته يوم أحد وقال : ارمِ فذاك أبي وأُمي .
وأخرجه البخاري ، عن عبد الله بن محمد ، عن مروان به .

وفي صحيح البخاري من حديث عبد الله بن شداد ، عن علي بن أبي طالب قال :
ما سمعت النبي صلى الله عليه وسلم جمع أبويه لأحد إلا لسعد بن مالك ، فأني سمعته يقول
يومَ أحد : يا سعد ارمِ فذاك أبي وأُمي .

قال محمد بن إسحاق : حدثني صالح بن كيسان ، عن حمص آل سعد ، عن سعد بن أبي
وقاص أنه رمى يوم أحد دونَ رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال سعد : فلقد رايت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يناولني النَّبْلَ ويقول : ارمِ فذاك أبي وأُمي ! حتى إنه ليناولني
السهم ليس له نَصْل فأرمي به .

وثبت في الصحيحين من حديث إبراهيم بن سعد ، عن أبيه ، عن جده ، عن سعد
ابن أبي وقاص قال : رأيت يومَ أحد عن يمين النبي صلى الله عليه وسلم وعن يساره رجسين
عليهما ثياب بيض يقاتلان أشدَّ القتال ما رأيتهما قبل ذلك ولا بعده . يعني جبريل
وميكائيل عليهما السلام .

وقال أحمد : حدثنا عفان ، أخبرنا ثابت ، عن أنس ، أن أبا طلحة كان يرمي بين
يدَي النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد ، والنبي صلى الله عليه وسلم خلفه يترس به ، وكان

رامياً ، وكان إذا رمى رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم خصه ينظر أين يقع سهمه ، ويرفع أبو طلحة صدره ويقول : هكذا ، بأبي أنت وأمي يا رسول الله لا يصيبك سهم ، تحرى دون تحرك . وكان أبو طلحة يُسوّر نفسه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول : إني جلد يا رسول الله ، فوجهي في حوائجك ومُرني بما شئت .

وقال البخاري : حدثنا أبو مَعْمَر^(١) ، حدثنا عبد الوارث ، حدثنا عبد العزيز^(٢) ، عن أنس قال : لما كان يوم أحد انهزم الناس عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وأبو طلحة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم مُحْبُوبٌ عليه بحَجَفَةٍ^(٣) له ، وكان أبو طلحة رجلاً رامياً شديد النَّزَع كسر يومئذ قوسين أو ثلاثاً ، وكان الرجل يمر معه الجفبة من النبل فيقول^(٤) : انثرها لأبي طلحة .

قال : وبُشِّرَ النبي صلى الله عليه وسلم ينظر إلى القوم ، فيقول أبو طلحة : بأبي أنت وأمي لا تُشرف يصيبك سهمٌ من سهام القوم ، تحرى دون تحرك . ولقد رأيت عائشة بنت أبي بكر وأم سليم وإيهما لمشترتان أرى خَدَمَ سوقهما تنقزان^(٥) القربَ على متونهما تفرغانه في أفواه القوم ، ثم ترجعان فتملآنها ثم تحيئان فتفرغانه في أفواه القوم . ولقد وقع السيف من يدي أبي طلحة إماماً مرتين وإماماً ثلاثاً .

قال البخاري : وقال لي خليفة : حدثنا يزيد بن زريع ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن أنس ، عن أبي طلحة قال : كنت فيمن تغشاه النعاس يوم أحد حتى سقط سيفي من يدي مراراً ، يسقط وآخذه ويسقط فأخذه .

هكذا ذكره البخاري معلقاً بصيغة الجزم ، ويشهد له قوله تعالى « ثم أنزل عليكم من بعد الغمّ أمنةً نعاساً يغشى طائفةً منكم ، وطائفةٌ قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق

(١) هو عبد الله بن عمرو العقدي . (٢) هو عبد العزيز بن صهيب . (٣) محبوب : مترس عليه يحميه . والحجفة : ترس من جلد . (٤) القائل هو النبي صلى الله عليه وسلم عليه (٥) خدم سوقهما : خلاخيلهما . قال القسطلاني : وذلك محمول على نظر الفجأة . وتنقزان : تلبان وتفرغان القرب .

ظنَّ الجاهلية يقولون : هل لنا من الأمرِ مِنْ شَيْءٍ ، قل إنَّ الأمرَ كله لله يُخَفُّونَ في أنفسهم مالا يُبَدُّونَ لك ، يقولون : لو كان لنا من الأمرِ شَيْءٌ ما قَتَلْنَا هَاهُنَا ، قل لو كنتم في بيوتكم لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ . إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ .

قال البخارى : حَدَّثَنَا عَبْدَانُ^(١) أَخْبَرَنَا أَبُو حَمْزَةَ ، عَنْ عُمَانَ بْنِ مَوْهَبٍ ، قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ حَجَّ الْبَيْتَ فَرَأَى قَوْمًا جُلُوسًا ، فَقَالَ : مَنْ هَؤُلَاءِ الْقَعُودُ ؟ قَالَ : هَؤُلَاءِ قُرَيْشٌ قَالَ : مَنْ الشَّيْخُ ؟ قَالُوا : ابْنُ عَمْرِو . فَأَتَاهُ فَقَالَ : إِنِّي سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ أَتَحَدِّثُنِي ؟ قَالَ : أُنْشِدُكَ بِحَرَمَةِ هَذَا الْبَيْتِ : أُنْعِمُ أَنْ عُمَانَ بْنَ عَفَّانٍ فَرَّ يَوْمَ أُحُدٍ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَتَعْلَمُهُ تَغْيِيبٌ عَنْ بَدْرِ فَلَمْ يَشْهَدْهَا ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَتَعْلَمُ أَنَّهُ تَخَلَّفَ عَنْ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ فَلَمْ يَشْهَدْهَا ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَسَكَبَرٌ^(٢) .

قال ابن عمر : تعال لأخبرك ولأبين لك عما سألتني عنه .

أما فراره يوم أُحُدٍ : فأشهد أن الله عَفَا عَنْهُ ، وأما تَغْيِيبُهُ عَنْ بَدْرِ فَإِنَّهُ كَانَ تَحْتَهُ بِنْتُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَتْ مَرِيضَةً ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ لَكَ أَجْرَ رَجُلٍ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا وَسَهْمَهُ .

وأما تَغْيِيبُهُ عَنْ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ : فَإِنَّهُ لَوْ كَانَ أَحَدٌ أَعَزَّ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ عُمَانَ بْنِ عَفَّانٍ لَبَعَثَهُ مَكَانَهُ ، فَبَعَثَ عُمَانَ ، وَكَانَتْ بَيْعَةُ الرِّضْوَانِ بَعْدَ مَا ذَهَبَ عُمَانُ إِلَى مَكَّةَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ الْيَمْنَى : هَذِهِ يَدُ عُمَانَ . فَضَرَبَ بِهَا عَلَى يَدِهِ . فَقَالَ : هَذِهِ لِعُمَانَ .

(١) عبدان : لقب عبد الله بن عثمان المروزي . (٢) كبر : مستحسنا لما أجابه ابن عمر ،

لطابقته لما يعتقد في عثمان رضي الله عنه .

اذهب بهذا^(١) الآن معك .

وقد رواه البخارى أيضا فى موضع آخر ، روى من حديث أبى عوانة ، عن عثمان بن عبد الله بن مَوْهَب به .

وقال الأُموى فى مغازيه ، عن ابن إسحاق : حدثنى يحيى بن عباد ، عن يمينه ، عن جده سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ، وقد كان الناس انهزموا عنه حتى بلغ بعضهم إلى المُنَقَّى دون الأعوص ، وفرَّ عمار بن عفان وسعد بن عثمان رجل من الأنصار حتى بلغوا الجَلْعَب ، جبل بناحية المدينة مما يلي الأعوص ، فأقاموا ثلاثاً ثم رجعوا ، فرجعوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم : لقد ذهبتم فيها عريضة .

والمقصود أن أحداً وقع فيها أشياء مما وقع فى بدر ، منها : حصول النعاس حال التحام الحرب ، وهذا دليل على طمأنينة القلوب بنصر الله وتأيدته وتمايم توكلها على خالقها وبارئها .

وقد تقدم الكلام على قوله تعالى فى غزوة بدر : « إذ يَفْشِيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ » الآية وقال هاهنا : « ثم أنزل عليكم من بعد الفم أَمَنَةً نُعَاسًا يَفْشِي طَائِفَةً مِنْكُمْ » يعنى المؤمنين السَّكَمَل كما قال ابن مسعود وغيره من السلف : النعاس فى الحرب من الإيمان ، والنعاس فى الصلاة من النفاق . ولهذا قال بعد هذا : « وطائفة قد أهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ » الآية . ومن ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استنصر يوم أحد كما استنصر يوم بدر بقوله : « إِنْ تَشَأْ لَا تُعْبِدُ فى الأرض » .

كما قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد وعفان قالا : حدثنا حماد ، حدثنا ثابت ، عن أنس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول يوم أحد : « اللهم إنيك إن تشأ لا تُعْبِدُ فى الأرض » .

(١) يريد : اذهب بهذه الأجوبة التى أجبك بها .

ورواه مسلم عن حجاج بن الشاعر ، عن عبد الصمد ، عن حماد بن سلمة به .

وقال البخارى : حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثنا سفيان ، عن عمرو ، سمع جابر بن عبد الله قال : قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد : « أ رأيت إن قُتلتُ فأين أنا ؟ قال : فى الجنة ، فألقى تمرات فى يده ثم قاتل حتى قُتل » .

ورواه مسلم والنسائى من حديث سفيان بن عيينة به .

وهذا شبيهه بقصة عُمير بن الحُصَّام التى تقدمت فى غزوة بدر رضى الله عنهما وأرضاها .

فصل

فيما لقي النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ من المشركين قبحهم الله

قال البخاري : ما أصاب النبي صلى الله عليه وسلم من الجراح يوم أحد .

حدثنا إسحاق بن نصر ، حدثنا عبد الرزاق ، عن همام بن منبه ، سمع أبا هريرة

قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اشتد غضب الله على قوم فعلوا بنبيه - يشير إلى رباعيته - اشتد غضب الله على رجل يقتله رسول الله في سبيل الله » .

ورواه مسلم من طريق عبد الرزاق ، حدثنا مخلد بن مالك ، حدثنا يحيى بن سعيد

الأموي ، حدثنا ابن جريج ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : « اشتد غضب الله على من قتل النبي في سبيل الله ، اشتد غضب الله على قوم دموا وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

وقال أحمد : حدثنا حماد ، أخبرنا ثابت ، عن أنس ، أن رسول الله صلى الله

عليه وسلم قال يوم أحد وهو : « عن وجهه وهو يقول : « كيف يُفْلَح قومٌ شَجَّوا نبيهم وكُتِّموا رباعيته ، وهو يدعو إلى الله » فأنزل الله : « ليس لك من الأمر شيء ، أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون » .

ورواه مسلم عن القعقي ، عن حماد بن سلمة به .

ورواه الإمام أحمد ، عن هارون ، عن حميد ، عن أنس ، أن رسول الله

صلى الله عليه وسلم كُتِّمَتْ رباعيته وشُجَّ في . حتى سال الدم على وجهه فقال : « كيف يُفْلَح قوم فعلوا هذا بنبيه وهو يدعوهم إلى الله » فأنزل الله تعالى : « ليس

لَكَ مِنْ أَمْرِ شَيْءٍ » .

وقال البخارى : حدثنا قتيبة ، حدثنا يعقوب ، عن أبى حازم ، أنه سمع سهل بن سعد وهو يسأل عن جرح النبي صلى الله عليه وسلم فقال : أما والله إني لأعرف من كان يفسل جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن كان يسكب الماء وبما دُوى ، قال : كانت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم تفسله وعلى يسكب الماء بالجن ، فلما رأت فاطمة أن الماء لا يزيد الدم إلا كثرة أخذت قطعة من حصير فأحرقتها وألصقتها فاستمسك الدم ، وكسرت رباعيته يومئذ ، وجرح وجهه وكسرت البيضة على رأسه .

وقال أبو داود الطيالسى فى مسنده : حدثنا ابن المبارك ، عن إسحاق ، عن يحيى بن طلحة بن عبيد الله ، أخبرنى عيسى بن طلحة ، عن أم المؤمنين عائشة قالت : كان أبو بكر إذ ذكر يوم أحد قال : ذلك يوم كله لطلحة ! ثم أنشأ يحدث قال : كنت أول من فاء يوم أحد ، فرأيت رجلا يقاتل فى سبيل الله دونه ، وأراه قال : حمية ، قال : فقلت : كُنْ طلحة ، حيث فاتنى ما فاتنى ، فقلت : يكون رجلا من قومي أُنسب إلى ، وبينى وبين المشركين رجل لا أعرفه ، وأنا أقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منه وهو يخطف المشى خطفا لا أخطفه ، فإذا هو أبو عبيدة بن الجراح ، فأنهينا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كسرت رباعيته وشجَّ فى وجهه ، وقد دخل فى وجنته حلقتان من حلق المَغْفَر ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عليكم أصحابكما » يريد طلحة . وقد نَزَف ، فلم نلتفت إلى قوله .

قال : وذهبت لأنزع ذلك من وجهه ، فقال : أقسم عليك بحقى لما تركتنى . فتركته فكره تناولها بيده فيؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأزمَّ عليها بفيه ، فاستخرج إحدى الحلقتين ووقعت ثنيتيه مع الحلقة ، وذهبت لأصنع ما صنع فقال : أقسمت عليك بحقى لما تركتنى . قال : ففعل مثل ما فعل فى المرة الأولى ، فوقعت ثنيتيه الأخرى مع الحلقة ،

فكان أبو عبيدة رضى الله عنه من أحسن الناس همماً !
فأصلحنا من شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أتينا طلحة في بعض تلك
الجفار فإذا به بضع وسبعون من بين طعنة ورمية وضربة ، وإذا قد قطعت إصبعه ،
فأصلحنا من شأنه .

وذكر الواقدي عن ابن أبي سبرة ، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة ، عن أبي
الحويرث ، عن نافع بن جبير ، قال : سمعت رجلاً من المهاجرين يقول : شهدت أحداً
فنظرت إلى النبل تأتي من كل ناحية ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم وسطها كل ذلك
يُصْرَفُ عنه ، ولقد رأيت عبد الله بن شهاب الزهري يومئذ يقول : دلوني على محمد
لا نجوتُ إن نجا ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنبه مامعه أحد ، فجأوزه ، فمات به
في ذلك صفوان بن أمية ، فقال : والله مارأيت به ، أحلف بالله إنه منا ممنوع ، خرجنا أربعة
فتعاهدنا وتعاهدنا على قتله فلم نخلص إليه .

قال الواقدي : ثبت عندى أن الذى رمى فى وجنتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ابنُ قُتَيْبَةَ ، والذى رمى فى شفتيه وأصاب رباعيته عتبةُ بن أبي وقاص .
وقد تقدم عن ابن إسحاق نحو هذا ، وأن الرباعية التى كسرت له عليه السلام
هى اليمنى السفلى .

قال ابن إسحاق : وحدثني صالح بن كيسان ، عن حدثه ، عن سعد بن أبي وقاص ،
قال : ما حرصت على قتل أحد قط ما حرصت على قتل عتبة بن أبي وقاص ، وإن كان
ما علمتُ لسيِّئُ الخلق مُبَغَضاً فى قومه ، ولقد كفأتى فيه قولُ رسول الله صلى الله عليه
وسلم « اشتد غضب الله على من دمى وجه رسوله » .

وقال عبد الرزاق : حدثنا مَعْمَر ، عن الزهري ، عن عثمان الجريري ، عن مِقْسَم ،

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا على عتبة بن أبي وقاص حين كسر رباعيته ودمى وجهه فقال : « اللهم لا يحول عليه الحولُ حتى يموت كافراً » .

ثم حال عليه الحولُ حتى مات كافراً إلى النار .

وقال أبو سليمان الجوزجاني : حدثنا محمد بن الحسن ، حدثني إبراهيم بن محمد ، حدثني ابن عبد الله بن محمد بن أبي بكر بن حرب ، عن أبيه ، عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم داوى وجهه يوم أحد بعظمٍ بال .
هذا حديث غريب رأيته في أثناء كتاب المغازي للأُموي في وقعة أحد .

ولما نال عبد الله بن قنثة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نال ، رجع وهو يقول : قتلْتُ محمداً . وصرخ الشيطان أربُّ العقبة يومئذ بأبعد صوت : ألا إن محمداً قد قُتل .

فحصل بهتة عظيمة في المسلمين ، واعتقد كثير من الناس ذلك ، وصمموا على القتال عن حوزة الإسلام حتى يموتوا على مامات عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، منهم أنس بن النضر وغيره ممن سيأتى ذكره .

وقد أنزل الله تعالى التسلية في ذلك على تقدير وقوعه ، فقال تعالى : « وما محمد إلا رسولٌ قد خلت من قبله الرسل ، أفإن مات أو قُتل انقلبتم على أعقابكم ، ومن يقلب على عقبيه فلن يضرَّ الله شيئاً وسيجزى الله الشاكرين . وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً ، ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ، ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها ، وسنجزى الشاكرين . وكأى من نبي قاتل معه ربيون كثير ، فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله ، وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين . وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا

وانصُرْنَا على القوم الكافرين . فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْحَسَنِينَ . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ . بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ . سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبَشِّرِ الظَّالِمِينَ « (١) » .

وقد تكلمنا على ذلك مستقصى في كتابنا التفسير والله الحمد .

وقد خطب الصديق رضى الله عنه في أول مقامٍ قامه بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أيها الناس ، من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت . ثم تلا هذه الآية : « وما محمد إلا رسولٌ قد خلت من قبله الرسل ، أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم » الآية . قال : فكان الناس لم يسمعوها قبل ذلك ، فما من الناس أحد إلا يتلوها .

وروى البيهقي في دلائل النبوة من طريق ابن أبي نجيح ، عن أبيه قال : مرَّ رجل من المهاجرين يوم أُحد على رجل من الأنصار وهو يتشحَّط في دمه . فقال له : يا فلان ، أشعرت أن محمداً قد قُتل ؛ فقال الأنصارى : إن كان محمد صلى الله عليه وسلم قد قُتل فقد بلغ الرسالة فقاتلوا عن دينكم !

فنزل : « وما محمد إلا رسولٌ قد خلت من قبله الرسل » الآية .

ولعل هذا الأنصارى هو أنس بن النضر رضى الله عنه ، وهو عم أنس بن مالك . قال الإمام أحمد : حدثنا يزيد ، حدثنا حميد ، عن أنس ، أن عمه غاب عن قتال بدر ، فقال غُيبَ عن أول قتال قاتله النبي صلى الله عليه وسلم للمشركين ، ائن الله أشهدني قتالا للمشركين ليدين ما أصنع .

فلما كان يوم أحد انكشف المسلمون ، فقال : اللهم إني أعوذ بك عما صنع

هؤلاء ، بمعنى أصحابه ، وأبرزاً إليك مما جاء به هؤلاء ، بمعنى المشركين ، ثم تقدم فلقبه سعد بن معاذ دون أحد فقال سعد : أنا معك . قال سعد : فلم أستطع أصنع ما صنع .

فوجد فيه بضع وثمانون ، من بين ضربة بسيف وطعنة برمح ورمية بسهم .
قال : فكنا نقول : فيه وفي أصحابه نزلت : « فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر » .

ورواه الترمذى عن عبد بن حميد ، والنسائى عن إسحاق بن راهويه ، كلاهما عن يزيد بن هارون به . وقال الترمذى : حسن .
قلت : بل على شرط الصحيحين من هذا الوجه .

وقال أحمد : حدثنا بهز ، وحدثنا هاشم ، قال : حدثنا سليمان بن المغيرة ، عن ثابت قال : قال أنس : عمى . قال هاشم : أنس بن النضر . سميتُ به ، ولم يشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر . قال : فشقَّ عليه وقال : أولُ مشهدٍ شهدهُ رسول الله صلى الله عليه وسلم غيبتُ عنه ، ولئن أراهُ الله مشهداً فيما بعدُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نيزبَن الله ما أضنع . قال : فهاب أن يقول غيرها .

فشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد ، قال : فاستقبل سعد بن معاذ ، فقال له أنس : يا أبا عمرو أين ؟ واهأ لريح الجنة أجده دون أحد . قال : قاتلهم حتى قُتل ، فوجد في جسده بضع وثمانون من ضربة وطعنة ورمية .

قال : فقالت أخته عتي الربيع بنت النضر : فما عرفتُ أخى إلا بينانه . ونزلت هذه الآية : « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ، وما بدلوا تبديلاً » .

قال : فكانوا يرون أنها نزلت فيه وفي أصحابه .

ورواه مسلم ، عن محمد بن حاتم ، عن بهز بن أسد . ورواه الترمذى والنسائى من حديث عبد الله بن المبارك . وزاد النسائى ، وأبو داود وحمام بن سلمة ، أربعتهم عن سليمان بن المغيرة به . وقال الترمذى : حسن صحيح .

وقال أبو الأسود ، عن عروة بن الزبير قال : كان أبى بن خلف أخو بنى جُمَح قد حلف وهو بمكة ليقتلن رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلما بلغت رسول الله صلى الله عليه وسلم جَنَفْتُهُ قال : بل أنا أقتله إن شاء الله .

فلما كان يوم أحد أقبل أبى في الحديد مقنعا وهو يقول : لا نجوتُ إن نجا محمد . فحمل على رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد قتله ، فاستقبله مصعب بن عمير أخو بنى عبد الدار بقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه ، فقتل مصعب بن عمير ، وأبصر رسول الله صلى الله عليه وسلم تَرْقُوة أبى بن خلف من فُرجة بين سابعة الدرع والبيضة فطعنه فيها بالحربة فوقع إلى الأرض عن فرسه ، ولم يخرج من طعنته دم .

فأتاه أصحابه فاحتملوه وهو يخور خوار الثور فقالوا له : ما أجزعك ! إنما هو خَدَش .

فذكر لهم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أقتل أبيًا ، ثم قال : والذي نفسى بيده ، لو كان هذا الذى بى بأهل ذى المجاز لما اتوا أجمعون .

فمات إلى النار ، فسُحِقًا لأصحاب السعير !

وقد رواه موسى بن عقبة في مغازيه ، عن الزهرى ، عن سعيد بن المسيب نحوه .

وقال ابن إسحاق : لما أسند رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الشَّعب ، أدركه أبى ابن خلف وهو يقول : لا نجوتُ إن نجوت .

فقال القوم : يا رسول الله يعطف عليه رجلٌ منا ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : دعوه .

فلما دنا منه : تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الحربة من الحارث بن الصمة ، فقال بعض القوم ، كما ذكر لي ، فلما أخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم انتفض انتفاضة تطايرَنا عنه تطايرَ الشعر عن ظهر البعير إذا انتفض ، ثم استقبله رسول الله صلى الله عليه وسلم فطعنه في عنقه طعنة تدأداً منها عن فرسه مراراً .

وذكر الواقدي عن يونس بن بكير ، عن محمد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر ابن قتادة ، عن عبد الله بن كعب بن مالك ، عن أبيه . نحو ذلك .

قال الواقدي : وكان ابن عمر يقول : مات أبي بن خلف ببطن رابع ، فإني لأسير ببطن رابع بعد هوي من الليل إذا أنا بنار تاججت ، فهبثها وإذا برجل يخرج منها بسلسلة يجذبها يهيجه العطش ، فإذا رجل يقول : لا تسقه ، فإنه قتيل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هذا أبي بن خلف .

وقد ثبت في الصحيحين كما تقدم ، من طريق عبد الرزاق ، عن معمر ، عن همام ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اشتد غضبُ الله على رجل يقتله رسول الله في سبيل الله » .

ورواه البخاري ، من طريق ابن جريج ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : « اشتد غضبُ الله على من قتله رسول الله بيده في سبيل الله » .

وقال البخاري . قال أبو الوليد ، عن شعبة ، عن ابن المنكدر ، سمعت جابراً قال : لما قُتل أبي جعت أبكي وأكشف الثوب عن وجهه ، فجعل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ينهونني والنبي صلى الله عليه وسلم لم ينه ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لا تبكوه أو مات بكمية ، ما زالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رُفع » .

هكذا ذكر هذا الحديث هاهنا معلقاً ، وقد أسنده في الجنازة عن بندار عن غفدر ، عن شعبة .

ورواه مسلم والنسائي من طرق عن شعبة به .

وقال البخاري : حدثنا عبدان ، أخبرنا عبد الله بن المبارك ، عن شعبة ، عن سعد ابن إبراهيم ، عن أبيه إبراهيم ، أن عبد الرحمن بن عوف أتى بطعام وكان صائماً فقال : قُتِلَ مُصْعَبُ بْنُ عَمِيرٍ وَهُوَ خَيْرٌ مِنِّي ، كُفِّنَ فِي بَرْدَةٍ إِنْ غُطِّيَ رَأْسُهُ بَدَتْ رِجْلَاهُ ، وَإِنْ غُطِّيَ رِجْلَاهُ بَدَا رَأْسُهُ ، وَأَرَاهُ قَالَ : وَقُتِلَ حَمْرَةٌ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي ، ثُمَّ بَسَطَ لَنَا مِنَ الدُّنْيَا مَا بَسَطَ ، أَوْ قَالَ : أُعْطِينَا مِنَ الدُّنْيَا مَا أُعْطِينَا . وَقَدْ خَشِينَا أَنْ تَكُونَ حَسَنَاتِنَا عُجِّلَتْ لَنَا . ثُمَّ جَعَلَ يَبْكِي حَتَّى بَرَدَ الطَّعَامُ .
انفرد به البخاري .

وقال البخاري : حدثنا أحمد بن يونس ، حدثنا زهير ، حدثنا الأعمش ، عن شقيق ، عن خَبَّابِ بْنِ الْأَرْتِ ، قَالَ : هَاجَرْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَبْتَغِي وَجْهَ اللَّهِ ، فَوَجَبَ أَجْرُنَا عَلَى اللَّهِ ، فَمَنَّا مَنْ مَضَى أَوْ ذَهَبَ لَمْ يَأْكُلْ مِنْ أَجْرِهِ شَيْئاً ، كَانَ مِنْهُمْ مُصْعَبُ بْنُ عَمِيرٍ ، قُتِلَ يَوْمَ أَحَدٍ لَمْ يَتْرِكْ إِلَّا نَمْرَةً ^(١) ، كُنَّا إِذَا غَطَّيْنَاهَا رَأْسَهُ خَرَجَتْ رِجْلَاهُ ، وَإِذَا غُطِّيَ بِهَا رِجْلَاهُ خَرَجَ رَأْسُهُ ، فَقَالَ لَنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : غَطُّوا بِهَا رَأْسَهُ وَاجْعَلُوا عَلَى رِجْلِهِ الْإِذْخَر . وَمِنَّا مَنْ أَبْنَعَتْ لَهُ ثَمَرَتُهُ فَهُوَ يَهْدِيهَا ^(٢) .
وأخرجه بقية الجماعة إلا ابن ماجه من طرق ، عن الأعمش به .

وقال البخاري : حدثنا عبيد الله بن سعيد ، حدثنا أبو أسامة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن بائشة قالت : لَمَّا كَانَ يَوْمَ أَحَدٍ هُزِمَ الْمُشْرِكُونَ ، فَصَرَخَ إِبْلِيسُ لَعْنَةُ اللَّهِ

(١) النمرة : يرده من سوف .

(٢) يهديها : يجتنيها .

عليه : أَيْ عِبَادَ اللَّهِ ^(١) أَخْرَاكُمْ . فَرَجَعَتْ أَوْلَاهُمْ فَاجْتَلَدَتْ هِيَ وَأَخْرَاهُمْ ، فَبَصُرَ حَذِيفَةُ فَإِذَا هُوَ بِأَيِّهِ الْيَمَانُ فَقَالَ : أَيْ عِبَادَ اللَّهِ أَيْ أُنَى ! قَالَ : قَالَتْ : فَوَاللَّهِ مَا احْتَجَزُوا حَتَّى قَتَلُوهُ . فَقَالَ حَذِيفَةُ : يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ .

قَالَ عُرْوَةُ : فَوَاللَّهِ مَا زَالَ فِي حَذِيفَةَ بَقِيَّةٌ خَيْرٌ ^(٢) حَتَّى لَقِيَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ .
قُلْتُ : كَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ الْيَمَانَ وَثَابِتَ بْنِ وَقَّشَ كَانَا فِي الْآطَامِ مَعَ النِّسَاءِ لِكِبَرِهِمَا وَضَعْفِهِمَا ، فَقَالَا : إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ آجَالِنَا إِلَّا ظِمٌّ ^(٣) حَمَارٌ . فَتَزَلَّ لَا يَحْضُرَا الْحَرْبَ فَجَاءَ طَرِيقَهُمَا نَاحِيَةُ الْمُشْرِكِينَ ، فَأَمَّا ثَابِتٌ فَقَتَلَهُ الْمُشْرِكُونَ ، وَأَمَّا الْيَمَانُ فَقَتَلَهُ الْمَسَامُونَ خَطَأً . وَتَصَدَّقَ حَذِيفَةُ بِدِيَةِ أَبِيهِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، وَلَمْ يِعَاتَبْ أَحَدٌ مِنْهُمْ ، لظُهُورِ الْعَذْرِ فِي ذَلِكَ .

فصل

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَأَصِيبَتْ يَوْمَئِذٍ عَيْنُ قَتَادَةَ بْنِ النُّعْمَانِ حَتَّى سَقَطَتْ عَلَى وَجْتِهِ ، فَرَدَّهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ ، فَكَانَتْ أَحْسَنَ عَيْنِيهِ وَأَحَدَهُمَا .
وَفِي الْحَدِيثِ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، أَنَّ قَتَادَةَ بْنَ النُّعْمَانِ أَصِيبَتْ عَيْنُهُ يَوْمَ أُحُدٍ حَتَّى سَالَتْ عَلَى خَدِّهِ ، فَرَدَّهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكَانَهَا ، فَكَانَتْ أَحْسَنَ عَيْنِيهِ وَأَحَدَهُمَا ، وَكَانَتْ لَا تَرْمُدُ إِذَا رَمَدَتْ الْأُخْرَى .

وَرَوَى الدَّارِقُطْنِيُّ بِإِسْنَادٍ غَرِيبٍ ، عَنْ مَالِكٍ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي صَعْصَعَةَ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ ، عَنْ أَخِيهِ قَتَادَةَ بْنِ النُّعْمَانِ قَالَ : أَصِيبَتْ عَيْنَايَ يَوْمَ أُحُدٍ فَسَقَطَتَا عَلَى وَجْنَتِي ، فَأَتَيْتُ بِهِمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَعَادَهُمَا مَكَانَهُمَا وَبَصَقَ فِيهِمَا فَعَادَتَا تَبَرُّقَانِ .

(١) يريد المسلمين ، أى احتجزوا من الذين وراءكم متأخرين عنكم ، ليقتل بعض المسلمين بعضاً .

(٢) وقيل : بقية حزن . القسطلاني ٦ / ٣٠٠

(٣) بظمه : ما بين الشريطين والوردين ، والمراد : ما بقى إلا يسير ، لأنه ليس شيء أقصر ظمًا منه .

والمشهور الأول ، أنه أصيبت عينه الواحدة ، ولهذا لما وفد ولده على عمر بن عبد العزيز قال له : من أنت ؟ فقال له مرتجلاً :

أنا ابنُ الذي سالتَ على الخلدِ عينهُ فرُدَّتْ بكفِّ المصطفى أحسنَ الردِّ
فعادتْ كما كانت لأوَّلِ أمرِها فياحُسْنُها عَيْنًا ويا حُسْنَ ما خَدَّ

فقال عمر بن عبد العزيز عند ذلك : .

تلك المكارمُ لا قَعْبَانُ من لبنٍ شَيْبًا بماءِ فعادَا بعدُ أبوالا !
نم وصله فأحسن جائزته رضى الله عنه .

فصل

قال ابن هشام : وقالت أم عمارَةَ نَسِيبَةَ^(١) بنت كعب المازِنِيَّة يوم أحد فذكر سعيد بن أبي زيد الأنصارى ، أن أم سعد بنت سعد بن الربيع ٥٥ قور . دخلت على أم عمارَةَ فقلت لها : يا خالة أخبريني خبرك . فقالت : خرجتُ أولَ النهار أنظر ما يصنع الناسُ ومعى سِقَاءُ فيه ماء ، فانتَهيتُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى أصحابه ، والدولةُ والريحُ للمسلمين ، فلما انهزم المسلمون انحزْتُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقامتُ أبأشر القتالَ وأدبُ عنه بالسيف وأرمى عن القوس ، حتى خَلَصْتُ الجراحُ إلى .

قالت : فرأيت على عاتقها جرحاً أجوفَ له غَوْر ، فقلت لها : مَنْ أصابك بهذا ؟ قالت : ابن قَتِيَّة أَمَّاءُ الله ، لما ولَّى الناسُ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبلَ يقول : دأُونِي على محمد لا نجوت إن نجيا . فاعترضتُ له أنا ومُصْعَب بن عُمرَير وأناس ممن ثَبَّت

(١) نسيبة ، بفتح النون وكسر السين المهملة ، كما ضبطها فى الإكمال والتبصير والإصابة وغيره ، وصحبها بالتصغير وهم ، إنما هذا فى نسيبة أم عطية ، فقله فى أم عمارَةَ غلط . انظر شرح المواهب ٢ / ٤١ .

مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فضر بني هذه الضربة ، ولقد ضربته على ذلك ضرباتٍ ، ولكن عدوَّ الله كانت عليه درعان .

قال ابن إسحاق : وَرَّسَ أَبُو دُجَانَةَ دُونَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِنَفْسِهِ ، يَقَعُ النَّبْلُ فِي ظَهْرِهِ وَهُوَ مُنْحَنٍ عَلَيْهِ حَتَّى كَثُرَ فِيهِ النَّبْلُ .

قال ابن إسحاق : وَحَدَّثَنِي عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رُمِيَ عَنْ قَوْسِهِ ، حَتَّى انْدَقَتْ سَيْتَتَاهَا فَأَخَذَهَا قَتَادَةُ بْنُ النُّعْمَانِ فَكَانَتْ عِنْدَهُ .

قال ابن إسحاق : وَحَدَّثَنِي الْقَاسِمُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ رَافِعٍ ، أَخُو بَنِي عَدَى بْنِ النَّجَّارِ ، قَالَ : انْتَهَى أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ عَمَ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَطَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ ، فِي رِجَالٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، وَقَدْ أَلْقَوْا بِأَيْدِيهِمْ فَقَالَ : فَمَا يُجْلِسُكُمْ ؟ قَالُوا : قُتِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . قَالَ : فَمَا تَصْنَعُونَ بِالْحَيَاةِ بَعْدَهُ ! قَوْمُوا فَمُوتُوا عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . ثُمَّ اسْتَقْبَلَ الْقَوْمَ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ ، وَبِهِ سَمِّيَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ .

فَحَدَّثَنِي حُمَيْدُ الطَّوِيلُ ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : لَقَدْ وَجَدْنَا بِأَنَسِ بْنِ النَّضْرِ يَوْمَئِذٍ سَبْعِينَ ضَرْبَةً ، فَمَا عَرَفَهُ إِلَّا أَخْتَهُ ، عَرَفَتْهُ بَيْنَانَهُ .

قال ابن هشام : وَحَدَّثَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ ، أَنَّ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ أَصِيبَ فَوْهَ يَوْمَئِذٍ فَهَمَّ ، وَجُرِحَ عَشْرِينَ جِرَاحَةً أَوْ أَكْثَرَ ، أَصَابَهُ بَعْضُهَا فِي رِجْلِهِ فَعَرَجَ .

فصل

قال ابن إسحاق : وَكَانَ أَوَّلُ مَنْ عَرَفَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ الْهَزِيمَةِ وَقَوْلِ النَّاسِ قُتِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كَمَا ذَكَرَ لِي الزُّهْرِيُّ ، كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ

قال : رأيت عينيه تزهزان من تحت المغفر ، فناديت بأعلى صوتي يا معشر المسلمين أبشروا هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم . فأشار رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أنصت .

قال ابن إسحاق : فلما عرف المسلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم نهضوا به ، ونهض معهم نحو الشعب معه أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعلى بن أبي طالب وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام والحارث بن الصمة ورهط من المسلمين ، فلما أَسْنَدَ^(١) رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشعب أدركه أبي بن خلف ، فذكر قَتَلَهُ عليه السلام أبيًا كما تقدم .

قال ابن إسحاق : وكان أبي بن خلف ، كما حدثني صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن ابن عوف يَلْقَى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فيقول : يا محمد إن عندى العوذَ ، فرسًا ، أغلفه كل يوم فرقًا من ذرة أقتلك عليه .

فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : بل أنا أقتلك إن شاء الله .

فلما رجع إلى قريش وقد خدشه في عنقه خدشًا غير كبير فاحتقن الدم ، فقال : قتلنى والله محمد . فقالوا له : ذهب والله فؤادك ! والله إن بك بأسٌ . قال : إنه قد كان قال لى بمكة : أنا أقتلك . فو الله لو بَصَق على لَقَتَلَنى ! فمات عدو الله بِسَرِفٍ^(٢) ، وهم قافلون به إلى مكة .

قال ابن إسحاق : فقال حسان بن ثابت في ذلك :

لَقَدْ وَرِثَ الضَّلَالَةَ عَنْ أَبِيهِ أَبِي يَوْمَ بَارَزَهُ الرَّسُولُ
أَتَيْتَ إِلَيْهِ تَحْمَلُ رِمَّ عَظْمٍ وَتُوَعِدُهُ وَأَنْتَ بِهِ جَهُولُ
وَقَدْ قَتَلْتَ بَنُو النُّجَارِ مِنْكُمْ أُمِيَّةَ إِذْ يُعَوِّثُ : يَا عَقِيلُ

(١) أَسْنَدَ : صعد . أى استند إلى جانب من الجبل . (٢) سرف : موضع على ستة أميال من مكة .

وَتَبَّ أَبْنَا رِيْعَةَ إِذْ أَطَاعَا أَبَا جَهْلٍ لِأُمِّهَا الْهَبُولُ
وَأَفْلَتَ حَارِثٌ لَمَّا شُغِلْنَا بِأَسْرِ الْقَوْمِ ، أُسْرَتُهُ قَلِيلُ
وَقَالَ حَسَانُ بْنُ ثَابِتٍ أَيْضًا :

أَلَا مَنْ مُبْلَغٌ عَنِّي أَيْبًا فَقَدْ ^(١) أَلْقَيْتَ فِي سُحْقِ السَّعِيرِ
تَمَنَّى بِالضَّلَالَةِ مِنْ بَعِيدٍ وَتُقَسِّمُ أَنْ قَدَرْتَ مَعَ النُّذُورِ
تُمْنِيكَ الْأَمَانِي مِنْ بَعِيدٍ وَقَوْلُ الْكُفْرِ يَرْجِعُ فِي غُرُورِ
فَقَدْ لَاقَتْكَ طَعْنَةُ ذِي حِفَاظٍ كَرِيمِ الْبَيْتِ لَيْسَ بِذِي فُجُورِ
لَهُ فَضْلٌ عَلَى الْأَحْيَاءِ طَرًّا إِذَا نَابَتْ مُلَمَّاتُ الْأُمُورِ

قال ابن إسحاق : فلما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى فم الشعب خرج على ابن أبي طالب حتى ملأ درقته ماء من المهراس ^(٢) ، فجاء بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليشرب منه ، فوجد له ريحاً فعافه ولم يشرب منه ، وغسل عن وجهه الدم وصب على رأسه وهو يقول : « اشتدَّ غضبُ الله على مَنْ دَمَى وَجَهَ نَبِيهِ » .

وقد تقدم شواهد ذلك من الأحاديث الصحيحة بما فيه الكفاية .

قال ابن إسحاق : فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشعب معه أولئك نفر من أصحابه إذ علت عالية من قریش الجبل . قال ابن هشام : فيهم خالد بن الوليد .

قال ابن إسحاق : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم إنه لا ينبغي لهم أن يفعلوا .

فقاتل عمر بن الخطاب ورهط معه من المهاجرين حتى أهبطوهم من الجبل ، ونهض

(١) ابن هشام : لقد .

(٢) الدركة : الحجة ، وهي ترس من جلد . والمهراس : ماء بأحد .

النبي صلى الله عليه وسلم إلى صخرة من الجبل ليعلموها وقد كان بَدَنٌ ^(١) رسول الله صلى الله عليه وسلم وظاهر بين درعين ، فلما ذهب لينهض لم يستطع ، فجلس تحته طلحة بن عبيد الله فنهض به حتى استوى عليها .

فحدثني يحيى بن عباد ، بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه ، عن عبد الله بن الزبير ، عن الزبير ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يومئذ : « أُوجِبَ طلحةُ ^(٢) » حين صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ما صنع .

قال ابن هشام : وذكر عمر مولى عفرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الظهر يوم أحد قاعداً من الجراح التي أصابته ، وصلى المسلمون خلفه قعوداً .

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة قال : كان فينا رجل أَعْي لا يُدْرَى مَنْ هو يقال له قُزْمان ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إذا ذُكر : « إنه لمن أهل النار » .

قال : فلما كان يوم أحد قاتلاً شديداً ، فقتل هو وحده ثمانية أو سبعة من المشركين ، وكان ذا بَأْسٍ ، فائتته الجراحة ، فاحتُمِلَ إلى دار بني ظفر .

قال : فجعل رجال من المسلمين يقولون له : والله لقد أبليت اليوم يا قزمان فأبشر .

قال : بماذا أبشر ! فوالله إن قاتلتُ إلا عن أحساب قومي ، ولولا ذلك ما قاتلتُ !

قال : فلما اشتدت عليه جراحته أخذ سهماً من كنفاته فقتل به نفسه .

وقد ورد مثل قصة هذا في غزوة خيبر . كما سيأتي إن شاء الله .

قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن الزهري ، عن المسيّب ،

عن أبي هريرة ، قال : شهدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر فقال لرجل

(١) بدن : نقل من السن . (٢) يعنى : أحدث شيئاً يستوجب به الجنة .

من يدعى الإسلام : « هذا من أهل النار » .

فأما حضر القتال قاتل الرجل قتالا شديداً ، فأصابته جراحة ، فقبيل : يا رسول الله الرجل الذي قلت إنه من أهل النار . قاتل اليوم قتالا شديداً وقد مات . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « إلى النار » .

فكاد بعض القوم يرتاب ، فبينما هم على ذلك إذ قبيل : فإنه لم يمت ولكن به جراح شديدة ، فأما كان من الليل لم يصبر على الجراح فقتل نفسه .

فخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقال : « الله أكبر ، أشهد أنى عبد الله ورسوله » .

ثم أمر بلالا فنادى فى الناس : « إنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة ، وإن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر ! » .

وأخرجاه فى الصحيحين من حديث عبد الرزاق به .

قال ابن إسحاق : وكان ممن قُتل يوم أحد مُخْبِرِيق ، وكان أحد بنى ثعلبة بن الفِطَيُون فأما كان يوم أحد قال : يا معشر يهود ، والله لقد علمتم أن نصر محمد عليكم لحق . قالوا : إن اليوم يوم السبت . قال : لا سبت لكم .

فأخذ سيفه وعدته وقال : إن أُصِبتُ فمألى ل محمد يصنع فيه ما شاء .

ثم غدا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتل معه حتى قتل .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا : « مُخْبِرِيق خير يهود » .

قال السهيلي : فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم أموال مُخْبِرِيق ، وكانت سمع

حوائط ، أوقافاً بالمدينة لله .

قال محمد بن كعب القرظي : وكانت أول وقف بالمدينة .

وقال ابن إسحاق : وحدثني الحصين بن عبد الرحمن بن عمر بن سعد بن معاذ ، عن أبي سفيان مولى ابن أبي أحمد ، عن أبي هريرة ، أنه كان يقول : حدثوني عن رجل دخل الجنة لم يصل قط .

فإذا لم يعرفه الناس سألوه من هو ؟ فيقول : أصيرم بنى عبد الأشهل ، عمرو بن ثابت بن وقش .

قال الحصين : فقلت لخمود بن أسد : كيف كان شأن الأصيرم ؟ قال : كان يأتي الإسلام على قومه ، فلما كان يوم أحد بدا له فأسلم ، ثم أخذ سيفه ففدا حتى دخل في عرض الناس ، فقاتل حتى أثبتته الجراحة . قال : فبينما رجال من بنى عبد الأشهل يلتصقون قتلاهم في المعركة إذا هم به ، فقالوا : والله إن هذا لأصيرم ماجء به ؟ لقد تركناه وإنه لمنكر لهذا الحديث . فسألوه فقالوا : [ماجاء بك يا عمرو] ^(١) أحذب على قومك أم رغبة في الإسلام ؟

فقال : بل رغبة في الإسلام ، آمنت بالله وبرسوله وأسلمت ، ثم أخذت سيفي وغدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتلت حتى أصابني ما أصابني .

فلم يلبث أن مات في أيديهم ، فذكروه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « إنه من أهل الجنة » .

قال ابن إسحاق : وحدثني أبي ، عن أشياخ من بنى سلمة ، قالوا : كان عمرو بن الجوح رجلا أعرج شديد العرج ، وكان له بنون أربعة مثل الأسد يشهدون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم للمشاهد ، فلما كان يوم أحد أرادوا حبسه وقالوا : إن الله قد عذرك . فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : إن بنى يريدون أن يحبسوني عن هذا

الوجه والخروج معك فيه ، فوالله إني لأرجو أن أطأ بعرجتي هذه الجنة !
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أما أنت فقد عذرك الله فلا جهاد عليك »
وقال لبنيه : « ما عليكم أن لا تمنعوه ، لعل الله أن يرزقه الشهادة » .
فخرج معه فقتل يوم أحد رضى الله عنه .

قال ابن إسحاق : ووقعت هند بنت عتبة - كما حدثني صالح بن كيسان - والنسوة
اللائى معها يمثلن بالقتلى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يجذعن الآذان
والأنوف ، حتى اتخذت هند من آذان الرجال وأنوفهم خدماً^(١) وقلائد ، وأعطت
خدمها وقلائدها وقرطها وحشياً . وبقرت عن كبد حمزة فلاكتها فلم تستطع أن
تسيفها فلفظتها .

وذكر موسى بن عتبة أن الذى بقر عن كبد حمزة وحشياً ، فحملها إلى هند فلاكتها
فلم تستطع أن تسيفها . فالله أعلم .

قال ابن إسحاق : ثم علت على صخرة مشرفة فصرخت بأعاسوتها فقالت :

نحن جزينناكم بيوم بدرٍ والحرب بعد الحرب ذات سُغَرٍ^(٢)
ما كان لى عن عتبة من صبرٍ ولا أخى وعمه وبكرٍ
شفيت نفسى وقضيت نذرى شفيت وحشى غليل صدرى
فشكرك وحشى على عمرى حتى ترم أعظمى فى قبرى

قال : فأجابتها هند بنت أثاثة بن عبّاد بن المطلب فقالت :

خزيت فى بدرٍ وبعد بدرٍ يابنت وقاعٍ عظيم الكفرِ
صبحك الله غداة الفجرِ مـ الهاشميين الطوال الزهرِ

بكلِّ قَطَّاعٍ حُسَامٍ يَفْرِي حَمْزَةً لَيْثِي وَعَلَى صَقْرِي
إِذْ رَامَ شَيْبٌ وَأَبُوكَ غَدْرِي نَحْضَبًا مِنْهُ ضَوَاحِي النَّحْرِ
وَنَذْرِكِ السَّوَاءَ فَشَرُّ نَذْرِ

قال ابن إسحاق : وكان الحليس بن زيان أخو بني الحارث بن عبد مناة - وهو يومئذ سيد الأحابيش - مرَّ بأبي سفيان وهو يضرب في شِدْقِ حمزة بن عبد المطلب بَرُجِّ الرمح ويقول : ذُقْ عُنُقُ !

فقال الحليس : يا بني كنانة ، هذا سيدُ قريش يصنع بآبن عمه ماترونَ لَحْمًا !
فقال : ويحك اكتمها عني فإنها كانت زَلَّةً .

قال ابن إسحاق : ثم إن أبا سفيان حين أراد الانصرافَ أشرفَ على الجبلِ ثم صرخ بأعلى صوته : أَتَعَمَّتْ ^(١) [فَعَالٍ] ^(٢) ! إن الحربَ سِجَالٌ ، يومٌ يَوْمٌ بدر ، أعلُّ هُبُلٍ أَى ظَهَرِ دِينِكَ ^(٣) .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر : « قم يا عمر فأجبه فقل : الله أَعْلَى وَأَجَلُّ ، لا سِوَاءَ ، قَتَلْنَا فِي الْجَنَّةِ وَقَتَلْنَاكَ فِي النَّارِ » .

فقال له أبو سفيان : هلم إلي يا عمر . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر : انته فانظر ماشأنه .

فجاء فقال له أبو سفيان : أنشدك الله يا عمر ، أَقَتَلْنَا مُحَمَّدًا ؟ فقال عمر : اللهم لا ، وإِنَّهُ لَيَسْمَعُ كَلَامَكَ الْآنَ . قال : أنت عَفْدَى أَصْدَقُ مِنْ ابْنِ قَتَّةٍ وَأَبْرَأُ .

(١) أتعمت : بفتح التاء : خطاب لنفسه . وبسكونها يريد : الحرب أو الواقعة أو الألام : « أجبت بنعم »

(٢) من ابن هشام . وفعال : اسم للفعل الحسن . وقال السهيلي : فعال : أمر ، أى عال عنها وأقصر عن لومها ، تقول العرب : اعل عني وعال ، بمعنى ارتفع عني ودعني .

(٣) ابن هشام : أى : أظهر دينك .

قال ابن إسحاق : ثم نادى أبو سفيان : إنه قد كان في قتلكم مثل^(١) والله ماضيتُ وما سخطت ، وما نهيت ولا أمرت .

قال : ولما انصرف أبو سفيان نادى : إن موعداكم بدر العام المقبل . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل من أصحابه : قل : نعم هو بيننا وبينك موعد . قال ابن إسحاق : ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب فقال : أخرج في آثار القوم وانظر ماذا يصنعون وما يريدون ، فإن كانوا قد جنّبوا الخيلَ وامتطوا الإبلَ فإنهم يريدون مكة ، وإن ركبوا الخيلَ وساقوا الإبلَ فهم يريدون المدينة . والذي نفسى بيده إن أرادوها لأسيرن^١ إليهم فيها ثم لأناجزنهم . قال علي : فخرجت في أثرهم أنظر ماذا يصنعون ، فجنّبوا الخيلَ وامتطوا الإبلَ ووجهوا إلى مكة .

(١) المثل : كاللثة ، التسييل بالقتل .

ذكر دعاء النبي صلى الله عليه وسلم بعد الواقعة يوم أحد

قال الإمام أحمد : حدثنا مروان بن معاوية الفزاري ، حدثنا عبد الواحد بن أيمن المكّي ، عن ابن رفاعة الزُرقي ، عن أبيه ، قال : لما كان يومُ أحد وانكفأ المشركون قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « استقوا حتى أثنى على ربّي عز وجل ، فصاروا خلفه صفوفاً فقال :

« اللهم لك الحمد كله ، اللهم لا قابض لما بسطت ، ولا باسط لما قبضت ، ولا هادي لمن أضللت ، ولا مضلّ لمن هديت ، ولا معطي لما منعت ولا مانع لما أعطيت ، ولا مقرب لما باعدت ولا مبعد لما قرّبت ، اللهم اسط علينا من برّكاتبك ورحمتك وفضلك وريزقك .

اللهم إني أسألك النعيمَ المقيمَ الذي لا يحول ولا يزول ، اللهم إني أسألك النعيمَ يوم العيلة والأمنَ يوم الخوف .

اللهم إني عائدُ بك من شرٍّ ما أعطيتنا وشرٍّ ما منعتنا .

اللهم حبّب إلينا الإيمانَ وزينّه في قلوبنا ، وكرّه إلينا الكفرَ والفسقَ والعصيان واجعلنا من الراشدين .

اللهم توفّقنا مسلمين وأحيينا مسلمين ، وألحقنا بالصالحين غيرَ خزايا ولا مفتونين .

اللهم قاتل الكفرةَ الذين يُكذّبون رُسُلَكَ ويصدّون عن سبيلك ، واجعل عليهم رجزَكَ وعذابك . اللهم قاتل الكفرةَ الذين أوتوا الكتاب ، إله الحق .

ورواه النسائي في اليوم والليلة ، عن زياد بن أيوب ، عن مروان بن معاوية ، عن عبد الواحد بن أيمن ، عن عبيد بن رفاعة ، عن أبيه به .

فصل

قال ابن إسحاق : وفرغ الناس لقتلاهم ، فحدثني محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن ابن أبي صعصعة المازني ، أخو بني النجار ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : مَنْ رَجُلٌ يَنْظُرُ لِي مَا فَعَلَ سَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ أَفَى الْأَحْيَاءِ هُوَ أَمْ فِي الْأَمْوَاتِ ؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ : أَنَا .

فنظر فوجده جريحاً في القتلى وبه رمق ، قال : فقال له : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرني أن أنظر أفى الأحياء أنت أم في الأموات .

فقال : أنا في الأموات ، فأبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم سلامي وقل له : إن سعد بن الربيع يقول لك : جزاك الله عن خير ما جرى نبياً عن أمته . وأبلغ قومك عني السلام وقل لهم : إن سعد بن الربيع يقول لكم : إنه لا عذر لكم عند الله إن خلص إلى نبيكم وفيكم عين تطرف !

قال : ثم لم أبرح حتى مات وجئت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته خبره .

فت . كان الرجل الذي التمس سعداً في القتلى محمد بن سلمة ، فيما ذكره محمد بن عمر الواقدي . وذكر أنه ناداه مرتين فلم يجبه ، فلما قال : إن رسول الله أمرني أن أنظر خبرك . أجابه بصوت ضعيف وذكره .

وقال الشيخ أبو عمر في الاستيعاب : كان الرجل الذي التمس سعداً أبي بن كعب . فالله أعلم .

وكان سعد بن الربيع من النقباء ليلة العقبة رضي الله عنه ، وهو الذي آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين عبد الرحمن بن عوف .

قال ابن إسحاق : وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغني يلتمس حمزة بن عبد المطلب ، فوجده بطن الوادي قد بُقر بطنه عن كبده ومثّل به فجُدع أنفه وأذناه . فحدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حين رأى مارأى : « لولا أن تحزن صفية وتكون سنة من بعدى ، لتركته حتى يكون في بطون السباع وحواصل الطير ، ولئن أظهرني الله على قريش في موطن من المواطن لأمثان بثلاثين رجلا منهم » .

فلما رأى المسلمون حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيظه على من فعل بعمه مافعل ، قالوا : والله لئن أظفرنا الله بهم يوماً من الدهر لنمثّلن بهم مثلة لم يمثّلها أحد من العرب .

قال ابن إسحاق : فحدثني بُريدة بن سفيان بن فروة الأشلمي ، عن محمد بن كعب ، وحدثني من لا أتهم عن ابن عباس ، أن الله أنزل في ذلك : « وإن عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عاقبتهم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين » الآية .

قال : فعفا رسول الله صلى الله عليه وسلم وصبر ونهى عن المثلة .

قلت : هذه الآية مكية ، وقصة أحد بعد الهجرة بثلاث سنين ، فكيف يلتئم هذا ؟ ! فالله أعلم .

قال : وحدثني حميد الطويل ، عن الحسن ، عن سمرّة ، قال : ما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم في مقام قط ففارقه حتى يأمر بالصدقة وينهى عن المثلة .

وقال ابن هشام : ولما وقف النبي صلى الله عليه وسلم على حمزة قال : « لن أصاب بمثلك أبداً ، ما وقفت قط موقفاً أغيظ إلى من هذا ! » .

ثم قال : « جاءني جبريل فأخبرني أن حمزة مكتوب في السماوات السبع : « حمزة ابن عبد المطلب أسد الله وأسدُ رسوله » .

قال ابن هشام : وكان حمزة وأبو سلمة بن عبد الأسد أخوَي رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاعة ، أرضعتهما ثلاثتهم ثُوْبِيَّةُ مولاة أبي لهب .

ذكر الصلاة على حمزة وقتل أحد

وقال ابن إسحاق : وحدثني من لا أتهم ، عن مِقْسَمٍ ، عن ابن عباس ، قال : « أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بحمزة فسُجِّي بِبُرْدَةٍ ثم صلى عليه ، فكَبَّرَ سبع تكبيرات ، ثم أتى بالقتلى يوضعون إلى حمزة فصلى عليهم وعليه معهم ، حتى صلى عليه ثنتين وسبعين صلاة » .

وهذا غريب وسنده ضعيف .

قال السهيلي : ولم يقل به أحد من علماء الأمصار .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا حماد ، حدثنا عطاء بن السائب ، عن الشَّعْبِيِّ ، عن ابن مسعود ، قال : إن النساء كنَّ يومَ أحدٍ خَلَفَ المسلمون يُجْهَزن على جرحى المشركين ، فلو حلفتُ يومئذ رجوتُ أن أبرَّ أن ليس أحدٌ منا يريد الدنيا حتى أنزل الله : « منكم من يُريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة » ، ثم صَرَفَكم عنهم ليبتليكم . » .

فلما خالف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعَصَوْا ما أمروا به أفرد رسول الله صلى الله عليه وسلم في تسعة : سبعة من الأنصار واثنين من قريش وهو عاشرهم ، فلما رَهَقُوهُ قال : رحم الله رجلا ردَّهم عنا . فلم يزل يقول ذا حتى قُتِلَ السبعة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لصاحبيَّه : ما أنصفنا أصحابنا .

فجاء أبو سفيان فقال : أعلُ هُبَل . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قولوا : الله أعلَى وأَجَلُّ . فقالوا : الله أعلَى وأَجَلُّ .

فقال أبو سفيان : لنا العُزَّى ولا عِزَى لَكُمْ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قولوا : الله مولانا ولا مَوْلَى لَكُمْ .

ثم قال أبو سفيان : يومٌ بيوم بدر ، يومٌ لنا ويوم علينا ، ويوم نساء ويوم نُسَرَّ ، حنظلة بحنظلة ، وفلان بفلان .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا سَواء ، أَمَّا قَتَلْنَا فَأَحياء يُرَزَقُونَ وقَتَلْنَاكُمْ فِي النارِ يَعَذَّبُونَ .

قال أبو سفيان : قد كانت في القوم مُثْلَةٌ وإن كانت لَعَنَ غَيْرِ مَلَأَ مِنَّا ، ما أَمَرْتُ ولا نَهَيْتُ ولا أَحْبَبْتُ ولا كَرِهْتُ ، ولا ساءَ نِي ولا سَرَرَنِي .

قال : فنظروا فإذا حمزة قد بُقِرَ بطنه وأخذت هندُ كبده فلا كَتَمَها فلم تستطع أن تأكلها . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أَأَكَلْتُ شَيْئًا ؟ قالوا : لا . قال : ما كان الله لِيُدْخِلَ شَيْئًا من حمزة في النار .

قال : فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم حمزةَ فَصَلَّى عليه وجيء برجل من الأنصار فوُضِعَ إلى جنبه فَصَلَّى عليه ، ورفع الأنصارى وترك حمزة . وجيء بآخر فوضعه إلى جنب حمزة فَصَلَّى عليه ، ثم رفع وترك حمزة . حتى صلى عليه يومئذ سبعين صلاة .

تفرد به أحمد ، وهذا إسناد فيه ضعف أيضا من جهة عطاء بن السائب . فالله أعلم . والذي رواه البخاري أثبت حيث قال : حدثنا قتيبة ، حدثنا الليث ، عن ابن شهاب ، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك ، أن جابر بن عبد الله أخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يجمع بين الرجلين من قتلى أحد في ثوب واحد ثم يقول : أيُّهم أكثر أخذًا للقرآن ؟ فإذا أشير له إلى أحدهما قَدَّمَهُ في اللحد ، وقال : أنا شهيد على هؤلاء يوم القيامة . وأمر بدفنهم بدمائهم ولم يصل عليهم ولم يغسلوا .

تفرد به البخارى دون مسلم . ورواه أهل السنن من حديث الليث بن سعد به .

وقال أحمد : حدثنا محمد ، يعنى ابن جعفر ، حدثنا شُعْبَةُ ، سمعت عبدَ ربه يحدث عن الزهرى ، عن ابن جابر ، عن جابر ابن عبد الله ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال فى قتلى أحد : فإنَّ كلَّ جرح أو كلَّ دمٍ يفوح مسكاً يوم القيامة . ولم يصلِّ عليهم .

وثبت أنه صلى عليهم بعد ذلك بسنين عديدة قبل وفاته بيسير . كما قال البخارى : حدثنا محمد بن عبد الرحيم ، حدثنا زكريا بن عدي ، أخبرنا [ابن^(١)] المبارك ، عن حيوة ، عن يزيد بن أبى حبيب ، عن أبى الخير ، عن عُبَيْة بن عامر ، قال : صلى^(٢) رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على قتلى أحد بعد ثمانى سنين كالمودع للأحياء والأموات ، ثم طلع المنبر فقال : « إني بين أيديكم فرطٌ وأنا عليكم شهيد ، وإنَّ موعدكم الخوضُ ، وإني لأنظر إليهم من مقامى هذا ، وإني لست أخشى عليكم أن تُشركوا ، ولكنى أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوها .

قال : فكان آخر نظرةٍ نظرَتها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ورواه البخارى فى مواضع آخر ، ومسلم ، وأبو داود ، والنسائى ، من حديث يزيد ابن أبى حبيب به نحوه .

وقال الأُموى : حدثنى أبى ، حدثنا الحسن بن عماره ، عن حبيب بن أبى ثابت ، قال : قالت عائشة : خرجنا من السَّحَرِ تَخْرُجَ رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أحد نستطلع الخبر ، حتى إذا طلع الفجر إذا رجلٌ مُتَجَرِّبٌ يشتمُّ ويقول :
لَبَّثْ قَلِيلًا يَشْهَدُ الْهَيْجَا حَلًّا^(٣)

(١) ابن المبارك هو عبدالله . وقد سقطت من الأصل . وأثبتها من صحيح البخارى فى غزوة أحد .
(٢) قال القسطلانى : المراد أنه دعا لهم بدعاء صلاة الميت ، والاجماع يدل له ، لأنه لا يصلّى عليه - أى القبر - عند الشافعية ، وعند أبى حنيفة المخالف : لا يصلّى على القبر بعد ثلاثة أيام . لإرشاد السارى ٦ / ٢٩١ .
(٣) نسبه فى تاج العروس ٧ / ٢٩٠ لحمل بن سعدانة الصحابى . ومجزه : « ما أحسن الموت إذا خان الأجل » وروايت فى اللسان ١٣ / ١٩٣ : « ضح قليلا يدرك .. » وقال : « يعنى به حمل بن بدر » .

قال : فنظرنا فإذا أسيد بن حُضَيْر ، ثم مكثنا بعد ذلك ، فإذا بعيرٌ قد أقبل ، عليه امرأة بين وسَقَيْن .

قالت : فدنونا منها فإذا هي امرأة عمرو بن الجحوح ، فقلنا لها : ما الخبر ؟ قالت : دفع الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واتخذ من المؤمنين شهداء « وردَّ الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال ، وكان الله قويا عزيزا » .
ثم قالت لبعيرها : حل . ثم نزلت ، فقائنا لها : ما هذا ؟ قالت : أخى وزوجى .

وقال ابن إسحاق : وقد أفبكت صفية بنت عبد المطلب لتنظر إليه ، وكان أخاها لأبيها وأما ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابنها الزبير بن العوام : ألْقِها فارْجِعْها لا ترى ما بأخيها . فقال لها : يا أمه إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرُك أن ترجعى . قالت : ولَمْ ، وقد بلغنى أنه مُثِّل بأخى وذلك فى الله ، فما أرضانا ما كان من ذلك ، لأحسنين ولأصبرين إن شاء الله .

فلما جاء الزبير إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره بذلك قال : خَلِّ سبيلها ، فأتته فنظرت إليه وصَلَّت عليه واسترجعت واستغفرت .

قال ابن إسحاق : ثم أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فدفن ، ودفن معه ابن أخته عبد الله بن جحش وأمه أميمة بنت عبد المطلب ، وكان قد مُثِّل به غير أنه لم يقرر عن كبده . رضى الله عنهما .

قال السَّهْمِي : وكان يقال له المجدِّع فى الله . قال : وذَكَر سعد أنه هو وعبد الله بن جحش دَعِيا بدعوة فاستُجِبت لهما ، فدعا سعد أن يلقى فارساً من المشركين فيقتله ويَسْتَأبه ، فكان ذلك . ودعا عبد الله بن جحش أن يلقاه فارسٌ فيقتله ويَجْدع أنفه فى الله ، فكان ذلك .

وذكر الزبير بن بَكَار أن سيفه يومئذ انقطع ، فأعطاه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عرجوناً فصار في يد عبد الله بن جحش سيفاً يقاتل به ، ثم بيع في تركة بعض ولده بمائتي دينار .

وهذا كما تقدم لعلكاشة في يوم بدر .

وقد تقدم في صحيح البخارى أيضاً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يجمع بين الرجلين والثلاثة في القبر الواحد ، بل في الكفن الواحد .

وإنما أرخص لهم في ذلك لما بالمسلمين من الجراح التي يَشْقُ معها أن يحفروا الكل واحد واحد . ويقدم في اللحد أكثرها أخذاً للقرآن .

وكان يجمع بين الرجلين المتصاحبين في اللحد الواحد ، كما جمع بين عبد الله بن عمرو بن حرام والنجابر ، وبين عمرو بن الجموح ، لأنهما كانا متصاحبين . ولم يغسلوا بل تركهم بحراحهم ودمائهم .

كما روى ابن إسحاق عن الزهري ، عن عبد الله بن ثعلبة بن صُعَيْر^(١) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انصرف عن القتلى يوم أحد قال : « أنا شهيدٌ على هؤلاء ، أنه ما من جريح يُجرَح في سبيل الله إلا والله يبعثه يوم القيامة يَدْمِي جرحه ، اللون لونُ دم والريح ريح مسك » .

قال : وحدثني عمي موسى بن يسار ، أنه سمع أبا هريرة يقول : قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم : « ما من جريح يُجرَح في الله إلا والله يبعثه يوم القيامة وجرحه يَدْمِي ، اللون لون الدم والريح ريح المسك » .

(١) من بني عذرة حبيب بني زهرة ، له رؤية ولم يثبت له سماع ، مات سنة تسع وثمانين وغرب الله عين .

وهذا الحديث ثابت في الصحيحين من غير هذا الوجه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا علي بن عاصم ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد بالشهداء أن يُنزع عنهم الحديد والجلود وقال : « ادفنوهم بدمائهم وثيابهم » .

رواه أبو داود وابن ماجه من حديث علي بن عاصم به .

وقال الإمام أبو داود في سننه : حدثنا القعنبي ، أن سليمان بن المغيرة حدثهم ، عن حميد بن هلال ، عن هشام بن عامر ، أنه قال : جاءت الأنصار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد فقالوا : قد أصابنا قرح وجه فكيف تأمر ؟ فقال : « احفروا وأوسعوا ، واجعلوا الرّجلين والثلاثة في القبر الواحد » .

قيل : يارسول الله فأيهم يُقدّم ؟ قال : أكثرهم قرآنا .

ثم رواه من حديث الثوري ، عن أيوب ، عن حميد بن هلال ، عن هشام بن عامر . فذكره . وزاد : وأعمقوا .

قال ابن إسحاق : وقد احتَمَل ناسٌ من المسلمين قتلاهم إلى المدينة فدفنوا بها ، ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقال : « ادفنوهم حيث صُرِعوا » .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا علي بن إسحاق ، حدثنا عبد الله وعَتَّاب ، حدثنا عبد الله ، حدثنا عمر بن سَلَمَة بن أبي يزيد المديني ، حدثني أبي ، سمعت جابر بن عبد الله يقول : استشهد أبي بأحد ، فأرسلني أخواتي إليه بناضح لهن ، فقلن : اذهب فاحتمل أباك على هذا الجمل فادفنه في مقبرة بني سَلَمَة .

فقال : فجئته وأعوانٌ لي ، فبلغ ذلك نبي الله وهو جالس بأحد ، فدعاني فقال : « والذي نفسي بيده لا يدفن إلا مع إخوته » .

فدفن مع أصحابه بأحد .

تفرد به أحمد .

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شُعْبَةُ ، عن الأسود بن قيس ، عن نبيح ، عن جابر بن عبد الله ، أن قتلى أحدُ حملوا من مكانهم ، فنَادَى منَادَى النبي صلى الله عليه وسلم : أَنْ رُدُّوا القَتْلَى إِلَى مَضَاجِعِهِمْ .

وقد رواه أبو داود والنسائي من حديث الثَّوْرِيِّ ، والترمذِيُّ ، من حديث شُعْبَةَ والنسائي أيضا ، وابن ماجه من حديث سفيان بن عيينة ، كلهم عن الأسود بن قيس ، عن نبيح العَمَرِيِّ ، عن جابر بن عبد الله قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة إلى المشركين يقاتلهم وقال لى أبى عبدُ الله : يا جابر لا عليك أن تكون في نَظَارَى أهل المدينة حتى تعلم إلى ما يصيرُ أمرنا ، فإني والله لولا أنى أترك بناتٍ لى بَعْدَى لأحببتُ أن تُقْتَلَ بين يدي .

قال : فَبَيْنَا أنا في النَّظَارَيْنِ إِذْ جَاءَتْ عَمَتِي بِأَبِي وَخَالِي عَادِلَتَهُمَا عَلَى نَاضِحٍ ، فَدَخَلَتْ بِهِمَا الْمَدِينَةَ لِتَدْفِنَهُمَا فِي مَقَابِرِنَا ، إِذْ لَحِقَ رَجُلٌ ينادى : أَلَا إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَرْجِعُوا بِالْقَتْلَى فَتَدْفِنُوها فِي مِصَارِعِها حَيْثُ قُتِلَتْ . فَرَجَعْنَا بِهِمَا فَدَفَنَّاهُمَا حَيْثُ قُتِلَا .

فَبَيْنَا أنا في خِلافة معاوية بن أبي سفيان إِذْ جَاءَنِي رَجُلٌ فَقَالَ : يَا جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، وَاللَّهِ لَقَدْ أُنْزِلَ أَبَاكَ عَمَالُ مُعَاوِيَةَ فَبَدَأَ ، فَخَرَجَ طَائِفَةٌ مِنْهُ .

فَأَتَيْتُهُ فَوَجَدْتُهُ عَلَى النَّحْوِ الَّذِي دَفَنْتُهُ لَمْ يَتَغَيَّرْ ، إِلَّا مَا لَمْ يَدْعَ الْقَتْلَ أَوْ الْقَتِيلَ .

ثم ساق الإمامُ قصةَ وفاته دَيْنَ أَبِيهِ ، كما هو ثابت في الصحيحين .

وروى البيهقي من طريق حماد بن زيد ، عن أيوب ، عن أبي الزبير ، عن جابر بن

عبد الله قال : لما أُجْرِى معاويةُ العَيْنَ عِنْدَ قَتْلِ أَحَدٍ بَعْدَ أَرْبَعِينَ سَنَةً اسْتُصْرِخْنَا إِلَيْهِمْ ،

فأنيناهم فأخبر جناهم ، فأصابَت المِسْحاةَ قَدَمَ حمزة فانبعثَ دَمًا !

وفى رواية ابن إسحاق عن جابر قال : فأخبر جناهم كأنما دُفِنُوا بالأَمْس .

وذكر الواقدي أن معاوية لما أراد أن يُجْرَى العَيْنَ نادى مناديه : من كان له قَتِيلٌ
بأحد فليَشْهَدْ . قال جابر : فحفرنا عنهم فوجدتُ أبى فى قبره كأنما هو نائم على هيئته
ووجدنا جاره فى قبره عمرو بن الجموح ويده على جرحه ، فأزيلت عنه فانبعث جرحه دَمًا !
ويقال : إنه فاح من قبورهم مثل ريح المسك رضى الله عنهم أجمعين . وذلك بعد
ست وأربعين سنة من يوم دفنوا .

وقد قال البخارى : حدثنا مُسَدَّد ، حدثنا بشر بن المفضل ، حدثنا حسين المعلم ، عن
عطاء ، عن جابر قال : لما حضر أحدٌ دعانى أبى من الليل فقال لى : ما أُرانى إلا مقتولا
فى أول من يُقْتَل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وإنى لا أتركُ بعدى أعزَّ على
منك غيرَ نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإن علىَّ دينًا فاقضِ واستوص
بأخواتك خيرا .

فأصبحنا ، وكان أول قَتِيل ، فدَفِنْتُ معه آخرَ فى قبره ، ثم لم تَطِبْ نفسى أن أتركه
مع آخر فاستخرجته بعد ستة أشهر ، فإذا هو كيوم وضعته هيئة غيرَ أذنه .
وثبت فى الصحيحين من حديث شعبة ، عن محمد بن المنكدر ، عن جابر ، أنه لما قُتِل
أبوه جعل يكشف عنه الثوب ويبكى ، فنهاه الناسُ فقال رسول الله : « تَبْكِيه أو لا تبكيه ،
لم يَزَلْ للملائكةُ تَظْلُهُ حتى رفعتموه » .
وفى رواية أن عمته هى الباكية .

وقال البيهقي : حدثنا أبو عبد الله الحافظ وأبو بكر أحمد بن الحسن القاضى ، قالا :
حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، حدثنا محمد بن إسحاق ، حدثنا فيض بن وثيق البصرى ،

حدثنا أبو عبادة الأنصارى ، عن الزهرى ، عن عروة ، عن عائشة ، قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجابر : « يا جابر ألا أبشرك ؟ قال : بلى ، بشرك الله بالخير . فقال : « أشعرت أن الله أحيا أباك فقال : تمنى على عبدى ما شئت أعطكه . قال : يا رب عبدتك حق عبادتك ، أتمنى عليك أن تردنى إلى الدنيا فأقاتل مع نبيك وأقتل فيك مرة أخرى . قال : إنه سلف منى أنه إليها لا يرجع » .

وقال البيهقي : حدثنا أبو الحسن محمد بن أبي العروف الأسفرايينى ، حدثنا أبو سهل بشر بن أحمد ، حدثنا أحمد بن الحسين بن نصر ، حدثنا على بن المدينى ، حدثنا موسى ابن إبراهيم بن كثير بن بشير بن الفاكه الأنصارى ، قال : سمعت طلحة بن خراش بن عبد الرحمن بن خراش بن الصمة الأنصارى ثم السلمى ، قال : سمعت جابر بن عبد الله قال : نظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال . « مالى أراك مُبْتَمَماً ؟ قال : قلت : يا رسول الله قُتِلَ أبى وترك ديناً وعيالا ، فقال : ألا أخبرك ؟ ما كلم الله أحداً إلا من وراء حجاب ، وإنه كلم أباك كِفَاحاً وقال له : يا عبدى سَأْنى أعطك . فقال : أسألك أن تردنى إلى الدنيا فأقتل فيك ثانية ، فقال : إنه قد سبق منى القول : أنهم إليها لا يرجعون . قال : يا رب فأبلغ من ورأى . فأنزل الله « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يُرزقون ^(١) » الآية .

وقال ابن إسحاق : وحدثنى بعض أصحابنا عن عبد الله بن محمد بن عقیل ، سمعت جابراً يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا أبشرك يا جابر ؟ قلت : بلى ، قال : إن أباك حيث أصيب بأحد أحياء الله ثم قال له : ماتحب يا عبد الله ، ماتحب أن أفعل بك ؟ قال : أى رب أحب أن تردنى إلى الدنيا فأقاتل فيك فأقتل مرة أخرى » .

وقد رواه أحمد عن على بن المدينى ، عن سفيان بن عيينة ، عن محمد بن على بن

ربيعة السلمي ، عن ابن عقيـل ، عن جابر ، وزاد : فقال الله : إني قضيت أنهم إليها لا يرجعون .

وقال أحمد : حدثنا يعقوب ، حدثنا أبي ، عن ابن إسحاق ، حدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن عبد الرحمن بن جابر ، عن عبد الله عن جابر بن عبد الله ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ، إذا ذكر أصحاب أحد : « أما والله لو دبت أنى غودرت مع أصحابه بخضن الجبل » يعني سفح الجبل .
تفرد به أحمد .

وقد روى البيهقي من حديث عبد الأعلى بن عبد الله بن أبي فروة ، عن قطن بن وهب ، عن عبيد بن عمير ، عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انصرف من أحد مرّاً على مُصعب بن عمير وهو مقتول على طريقه ، فوقف عليه فدعاه ثم قرأ : « من المؤمنين رجالٌ صدّقوا ما عاهدوا الله عليه » الآية قال : « أشهد أن هؤلاء شهداء عند الله يوم القيامة فأتوهم وزورهم ، والذي نفسي بيده لا يسلم عليهم أحدٌ إن يوم القيامة إلا ردوا عليه » .

وهذا حديث غريب .

وروى عن عبيد بن عمير مراسلاً .

وروى البيهقي من حديث موسى بن يعقوب ، عن عباد بن أبي صالح ، عن أبيه ، عن أبي هريرة قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يأتي قبور الشهداء ، فإذا أتى فرضة الشعب قال : « السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار » ثم كان أبو بكر بعد النبي صلى الله عليه وسلم يفعله ، وكان عمر بعد أبي بكر يفعله ، وكان عثمان بعد عمر يفعله .

قال الواقدي : كان النبي صلى الله عليه وسلم يزورهم كلَّ حَوْلٍ ، فإذا بلغ نقرة الشعب يقول : « السلام عليكم بما صبرتم فنعِم عُقْبَى الدار » ثم كان أبو بكر يفعل ذلك كل حول ، ثم عمر ثم عثمان ، وكانت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم تأتيهم فتبكي عندهم وتدعو لهم ، وكان سعد يَسْلَمُ ثم يَقْبَلُ على أصحابه فيقول : ألا تَسْلَمُونَ على قوم يردُّون عليكم .

ثم حكى زيارتهم عن أبي سعيد ، وأبي هريرة ، وعبد الله بن عمر ، وأم سلمة رضى الله الله عنهم .

وقال ابن أبي الدنيا : حدثني إبراهيم ، حدثني الحكم بن نافع ، حدثنا العطف بن خالد ، حدثني خالتي قالت : ركبْتُ يوماً إلى قبور الشهداء - وكانت لاتزال تأتيهم - فنزلتُ عند حمزة فصليت ماشاء الله أن أصلي ، وما في الوادي داع ولا مجيب ، إلا غلاماً قائماً أخذاً برأس دابتي ، فلما فرغت من صلاتي قلت هكذا بيدي : « السلام عليكم » قالت : فسمعت ردَّ السلام علىَّ يخرج من تحت الأرض ، أعرفه كما أعرف أن الله عز وجل خلقني ، وكما أعرف الليل والنهار ، فاقشعرت كلُّ شعرة مني !

وقال محمد بن إسحاق ، عن إسماعيل بن أمية ، عن أبي الزبير ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم « لما أُصيب إخوانكم يوم أحد جعل الله أرواحهم في أجواف طيرٍ خُضِرَ ترِدُّ أنهار الجنة وتَأْكُل من ثمارها وتَأْوِي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش ، فلما وجدوا طيبَ مأكلهم ومشربهم ومَقِيلهم قالوا : مَنْ يبلغ إخواننا عنا أنا أحياء في الجنة نُرْزَقُ لثلاً يَنْكَلُوا عن الحرب ولا يزهدوا في الجهاد ؟

فقال الله عز وجل : أنا أبلغهم عنكم . فأنزل الله في الكتاب قوله تعالى : « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يُرزقون » .

وروى مسلم والبيهقي من حديث أبي معاوية ، عن الأعمش ، عن عبد الله بن مرة ، عن مسروق قال : سألنا عبد الله بن مسعود عن هذه الآية : « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يُرزقون » .

فقال : أما إنا قد سألنا عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أرواحهم في جوف طير خضر تسرح في أيها شاءت ، ثم تأوى إلى قناديل معلقة بالعرش ، قال : فبينما هم كذلك إذ اطلع عليهم ربك اطلاعة ، فقال : اسألوني ما شئتم . فقالوا : ياربنا وما نسألك ونحن نسرح في الجنة في أيها شئنا . ففعل ذلك بهم ثلاث مرات ، فلما رأوا أن لن يُتركوأ من أن يسألوا قالوا : نسألك أن ترد أرواحنا إلى أجسادنا في الدنيا نُقتل في سبيلك مرة أخرى . قال : فلما رأى أنهم لا يسألون إلا هذا تركوأ .

فصل

في عدد الشهداء

قال موسى بن عقبة : جميع من استشهد يوم أحد من المهاجرين والأنصار تسعة وأربعون رجلاً .

وقد ثبت في الحديث الصحيح عند البخاري عن البراء ، أنهم قتلوا من المسلمين سبعين رجلاً . فالله أعلم .

وقال قتادة : عن أنس ، قُتل من الأنصار يوم أحد سبعون ، ويوم بئر معونة سبعون ويوم اليمامة سبعون .

وقال حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس ، أنه كان يقول : قارب السبعين يوم أحد ، ويوم بئر معونة ، ويوم مؤتة ، ويوم اليمامة .

وقال مالك : عن يحيى بن سعيد الأنصاري ، عن سعيد بن المسيب ، قُتل من الأنصار يوم أحد ويوم اليمامة سبعون ، ويوم جسر أبي عبيدة سبعون .

وهكذا قال عكرمة وعروة والزهرى ومحمد بن إسحاق فى قتلى أحد ، ويشهد له قوله تعالى « أولمّا أصابتكم مُصيبَةٌ قد أصبتم مِثلها قلتم : أنّى هذا ^(١) » يعنى أنهم قتلوا يوم بدر سبعين وأسروا سبعين .

وعن ابن إسحاق : قتل من الأنصار - لعله من المسلمين - يوم أحد خمسة وستون ، أربعة من المهاجرين : حمزة وعبد الله بن جحش ومُضْعَب بن عُمير وشمّاس بن عُثمان والباقون من الأنصار .

وسرد أسماءهم على قبائلهم . وقد استدرك عليه ابن هشام زيادة على ذلك خمسة آخرين ، فصاروا سبعين على قول ابن هشام .

وسرد ابن إسحاق أسماء الذين قتلوا من المشركين ، وهم اثنان وعشرون رجلا . وعن عروة : كان الشهداء يوم أحد أربعة ، أو قال سبعة ، وأربعين . وقال موسى بن عقبة : تسعة وأربعون . وقتل من المشركين يومئذ ستة عشر رجلا وقال عروة : تسعة عشر . وقال ابن إسحاق : اثنان وعشرون .

وقال الربيع عن الشافعى : ولم يؤسر من المشركين سوى أبى عَزَّة الجحى ، وقد كان فى الأسارى يوم بدر ، فمنّ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بلا فدية واشترط عليه ألا يقاتله ، فلما أسر يوم أحد قال : يا محمد امنن على لِبَنَاتى ، وأعاهد ألا أقاتلك . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا أدعك تمسح عارضيك بمكة وتقول : خدعت محمدا مرتين ، ثم أمر به فضربت عنقه .

وذكر بعضهم أنه يومئذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يُلدَغ المؤمن من جُحر مرتين ! »

فصل

قال ابن إسحق : ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، فلقيته حنّة بنت جحش كما ذكر لي ، فلما لقيت الناس نعى إليها أخوها عبد الله بن جحش ، فاسترجعت واستغفرت له ، ثم نعى لها خالها حمزة بن عبد المطلب فاسترجعت واستغفرت له ، ثم نعى لها زوجها مصعب بن عمير فصاحت وولّوت . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن زوج المرأة منها لمكان ! » لما رأى من تثبتها عند أخيها وخالها وصياحها على زوجها .

وقد قال ابن ماجه : حدثنا محمد بن يحيى ، حدثنا إسحاق بن محمد الفروى ، حدثنا عبد الله بن عمر ، عن إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن جحش ، عن أبيه ، عن حنّة بنت جحش ، أنه قيل لها : قُتل أخوك . فقالت : رحمه الله وإنا لله وإنا إليه راجعون . فقالوا : قتل زوجك قالت : واحزناء !

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن للزوج من المرأة شعبة ما هي لشيء ! » قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الواحد بن أبي عون ، عن إسماعيل ، عن محمد ، عن سعد بن أبي وقاص ، قال : مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بامرأة من بنى دينار وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأحد ، فلما نعوها لها قالت : ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالوا : خير يا أم فلان هو بحمد الله كما تحبين . قالت : أرونيه حتى أنظر إليه . قال : فأشير لها إليه حتى إذا رآته قالت : كل مصيبة بعدك جلل .

قال ابن هشام : الجلل يكون من القليل والكثير ، وهو ههنا القليل . قال امرؤ القيس :

لَقَتَلُ بَنِي أُسْدٍ رَبَّهُمْ أَلَا كُلُّ شَيْءٍ خِلَافُ جَلَلٍ

أى صغير وقليل .

قال ابن إسحاق : فلما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهله ناول سيفه ابنته فاطمة فقال : « اغسلى عن هذا دمه يا بنية ، فوالله لقد صدقنى فى هذا اليوم » .
وناولها على بن أبى طالب سيفه فقال : وهذا فاغسلى عنه دمه ، فوالله لقد صدقنى اليوم .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لئن كنت صدقت القتال لقد صدقه معك سهل بن حنيف وأبو دُجَّانة » .

وقال موسى بن عقبة فى موضع آخر : ولما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم سيف على مخضباً بالدماء قال : « لئن كنت أحسنت القتال فقد أحسن عاصم بن ثابت بن أبى الأثلج والحارث بن الصمة وسهل بن حنيف » .

وروى البيهقى عن سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : جاء على بن أبى طالب بسيفه يوم أحد قد انحنى فقال لفاطمة : هالك السيف حميداً فإنها قد شفتنى .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لئن كنت أجذت الضرب بسيفك لقد أجاده سهل بن حنيف وأبو دُجَّانة وعاصم بن ثابت والحارث بن الصمة » .
قال ابن هشام : وسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا هو ذو الفقار .
قال : وحدثنى بعض أهل العلم عن ابن أبى نجيح قال : نادى مناد يوم أحد : لاسيف إلا ذو الفقار ^(١) .

قال : وحدثنى بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعلى : « لا يصيب المشركون منا مثلاً حتى يفتح الله علينا » .

قال ابن إسحاق : ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم بدار بنى عبد الأشهل ، فسمع

(١) ابن هشام : لا سيف إلا ذو الفقار ، ولا بنى إلا على . ولا ندرى لماذا أسقطها ابن كثير !

البكاء والنواح على قتلاهم ، فذرفت عيننا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : « لكن حمزة لا بواكى له » .

فما رجع سعد بن معاذ وأسيد بن الحضير إلى دار بنى عبد الأشهل أمرا نساءهن أن يتحزمن ثم يذهبن فيبكين على عم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثني حكيم بن حكيم بن عباد بن حنيف ، عن بعض رجال بنى عبد الأشهل قال : لما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بكاءهن على حمزة خرج عليهن وهن في باب المسجد يبكين فقال : « ارجعن يرحمكن الله فقد آسيتن بأنفسكن » .

قال : ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ عن النوح ، فيما قال ابن هشام . وهذا الذي ذكره منقطع ومنه مرسل .

وقد أسنده الإمام أحمد فقال : حدثنا زيد بن الحباب ، حدثني أسامة بن زيد . حدثني نافع ، عن ابن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رجع من أحد جعل نساء الأنصار يبكين على من قُتل من أزواجهن قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ولكن حمزة لا بواكى له » .

قال : ثم نام فاستنبه وهن يبكين قال : « فبين اليوم إذا يبكين يندبن حمزة » . وهذا على شرط مسلم .

وقد رواه ابن ماجه ، عن هارون بن سعيد ، عن ابن وهب ، عن أسامة بن زيد الليثي ، عن نافع ، عن ابن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرّ بنساء بنى عبد الأشهل يبكين هنكاهن يوم أحد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لكن حمزة لا بواكى له » .

فجاء نساء الأنصار يبكين حمزة ، فاستيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « ويجهن ما اتقبن بعد مروورهن ، فلينقبن ولا يبكين على هالك بعد اليوم » .

وقال موسى بن عقبة : ولما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم أزقة المدينة إذا التوحُّ والبكاء في الدور قال : « ما هذا ؟ » قالوا : هذه نساء الأنصار يبكين قتلاهم فقال : « لكن حمزة لا بواكى له » واستغفر له .

فسمع ذلك سعدُ بن معاذ وسعد بن عباد ومعاذ بن جبل وعبد الله بن رواحة ، فمشوا إلى دورهم فجمعوا كلَّ نائحة باكية كانت بالمدينة ، فقالوا : والله لا تبكين قتلى الأنصار حتى تبكين عمَّ النبي صلى الله عليه وسلم ، فإنه قد ذكر أنه لا بواكى له بالمدينة . وزعموا أن الذي جاء بالنوائح عبد الله بن رواحة ، فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما هذا ؟ » فأخبر بما فعلت الأنصار بنسائهم ، فاستغفر لهم وقال لهم خيرا وقال : « ما هذا أردت ، وما أحبُّ البكاء » ونهى عنه .

وهكذا ذكر ابن كهيعة ، عن أبي الأسود ، عن عروة بن الزبير سواء .

قال موسى بن عقبة : وأخذ المنافقون عند بكاء المسلمين في المكر والتفريق عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحزين المسلمين ، وظهر غش اليهود ، وفارت المدينة بالنفاق فَوَّرَ المِرْجَل .

وقالت اليهود : لو كان نبيا ما ظهروا عليه ولا أصيب منه ما أصيب ، ولكنه طالب مُلْكٍ تكون له الدولة وعليه .

وقال المنافقون مثل قولهم ، وقالوا للمسلمين : لو كنتم أطعتمونا ما أصابكم الذين أصابوا منكم .

فأنزل الله القرآن في طاعة مَنْ أطاع ونفاق من نفاق وتعزية المسلمين ، يعنى فيمن قُتِلَ منهم فقال : « وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ » الآيات كلها - كما تكلمنا على ذلك في التفسير والله الحمد والمنة .

ذكر خروج النبي ﷺ بأصحابه

على ما بهم من القرح والجراح ، في أثر أبي سفيان ، إرهاباً له ولأصحابه
حتى بلغ حمراء الأسد ، وهي على ثمانية أميال من المدينة

قال موسى بن عقبة بعد اقتصاصه وقعة أحد ، وذكره رجوعه عليه السلام
إلى المدينة :

وقدِمَ رجلٌ من أهل مكة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسأله عن أبي سفيان
وأصحابه فقال : نازلتهم فسمعتهم يتلاومون ويقول بعضهم لبعض : لم تصنعوا شيئاً ،
أصبتُم شوكة القوم وخذتم ثم تركتموهم ولم تبتروهم ، فقد بقي منهم ردوس
يجمعون لكم .

فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم - وبهم أشد القرح - بطلب العدو لئلا يسمعوها
بذلك ، وقال : لا ينطلقنّ معي إلا من شهد القتال . فقال عبد الله بن أبي : أنا راكب
معلك . فقال : لا .

فاستجابوا لله ولرسوله على الذي بهم من البلاء . فانطلقوا .
فقال الله في كتابه : « الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح ،
الذين أحسنوا منهم واتقوا أجرٌ عظيم » (١) .

قال : وأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم للجابر ، حين ذكر أن أباه أمره بالمقام
في المدينة على أخواته .

قال : وطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم العدو حتى بلغ حمراء الأسد .
وهكذا روى ابن كهيعة ، عن أبي الأسود ، عن عروة بن الزبير ، سواء .

وقال محمد بن إسحاق في مغازيه : وكان يوم أحد يوم السبت النصف من شوال ،
أما كان الغد من يوم الأحد لست عشرة ليلة مضت من شوال ، أذن مؤذن رسول الله
صلى الله عليه وسلم في الناس بطلب العدو ، وأذن مؤذنه : ألا يخرجن أحدًا إلا من حضر
يومنا بالأمس . فكلمه جابر بن عبد الله فأذن له .

قال ابن إسحاق : وإنما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مُرْهِبًا للعدو ليُبَيِّنَ لهم
أنه خرج في طلبهم ، ليظنوا به قوةً ، وأن الذي أصابهم لم يوهنهم عن عدوهم .
قال ابن إسحاق رحمه الله : فحدثني عبد الله بن خزيمة بن زيد بن ثابت ، عن أبي
السائب مولى عائشة بنت عثمان ، أن رجلاً من بني عبد الأشهل قال : شهدتُ أحدًا أنا
وأخ لي ، فرجعنا جريحين ، فلما أذن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخروج في
طلب العدو قلت لأخي وقال لي : أتقوتنا غزوةً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ !
والله ما لنا من دابة نركبها وما منا إلا جريح ثقيل . فخرجنا مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، وكنت أيسر جرحاً منه ، فكان إذا غلب حملته عُقْبَةٌ ومشى عُقْبَةٌ ^(١) ، حتى
انتهينا إلى ما انتهى إليه المسلمون .

قال ابن إسحاق : فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهى إلى حمراء
الأسد ، وهي من المدينة على ثمانية أميل ، فأقام بها الاثنين والثلاثاء والأربعاء ثم
رجع إلى المدينة .

قال ابن هشام : وقد كان استعمل على المدينة ابن أم مكتوم .

قال ابن إسحاق : حدثني عبد الله بن أبي بكر [أن] معبد بن أبي معبد الخزاعي ، وكانت خزاعة مسلمهم وكافرهم عيبية ^(١) رسول الله صلى الله عليه وسلم بتهمته ، صفقتهم ^(٢) معه لا يخفون عنه شيئاً كان بها ، ومعبد يومئذ مشرك ، مرّ برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مقيم بحمراء الأسد ، فقال : يا محمد أما والله لقد عزّ علينا ما أصابك في أصحابك ، ولوددنا أن الله عافاك فيهم .

ثم خرج من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بحمراء الأسد حتى لقي أبا سفيان ابن حرب ومن معه بالروحاء ، وقد أجمعوا الرجعة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وقالوا : أصبنا حدّ أصحابه وقادتهم وأشرفهم ثم نرجع قبل أن نستأصلهم ؟ ! لنكفرن على بقيتهم فلنفرغن منهم .

فلما رأى أبو سفيان معبدًا قال : ما وراءك يا معبد ؟ قال : محمد قد خرج في أصحابه يطلبكم في جمعٍ لم أر مثله قط ، يتحرقون عليكم تحرقًا ، قد اجتمع معه من كان تخلف عنه في يومكم وندموا على ما صنعوا ، فيهم من الخلق عليكم شيء لم أر مثله قط .

قال : ويليک ماتقول ؟ قال : والله ما أراك ترتحل حتى ترى نواصي الخيل .

قال : فوالله لقد أجمعنا الكفرة عايهم نستأصل شقيهم . قال : فإني أنهارك عن ذلك ، ووالله لقد حملني مارأيتُ على أن قلت فيه أبياتًا من شعر . قال : وما قلت ؟ قال : قلت :

كادت تُهد من الأصوات راحتي إذ سـ لأرض الجرد الأبايل ^(٣)
تردي ^(٤) بأسدٍ كرام لا تنأبله عند اللقاء ولا ميميل معازيل
فظلتُ عدوًّا أظنُّ الأرض مائلةً لِمَا سَمَّوْا برئيسٍ غميرٍ مخدولٍ

(١) ابن هشام : عيبية نصح نرسول الله . والعيبية : موضع السر . (٢) صفقتهم : حلقهم .

(٣) الجرد : غنق الخيل . والأبايل : الجماعات . (٤) تردى : تسرع .

قلت ويل ابن حرب من لقاءكم إذا تَفَطَّمَتِ البطحاء بالجيل^(١)
إني نذير لأهل البسل^(٢) ضاحية لكل ذي إربة منهم ومعقول
من جيش أحمد لا وخش^(٣) يقابله وليس يوصف ما أُنذرت بالقيل
قال : فتى ذلك أبا سفيان ومن معه .

ومرَّ به ركبٌ من عبد القيس فقال : أين تريدون ؟ قالوا : للدينة . قال : ولم ؟ قالوا
نريد الميرة . قال : فهل أنتم مبلغون عنى محمدًا رسالة أرسلكم بها إليه وأحل لكم
إيلكم هذه غداً زيباً بنكاظ إذا وافيتموها ؟ قالوا : نعم . قال : فإذا وافيتموه فأخبروه
أنا قد أجمعنا السير إليه وإلى أصحابه لنستأصل بقيتهم .

فر الركبُ برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بحمراء الأسد ، فأخبروه بالذي قال
أبو سفيان ، فقال : حسبنا الله ونعم الوكيل .
وكذا قال الحسن البصري .

وقد قال البخاري : حدثنا أحمد بن يونس ، أراه قال : حدثنا أبو بكر ، عن أبي
حصين ، عن أبي الضحى ، عن ابن عباس : حسبنا الله ونعم الوكيل . قالها إبراهيم عليه
السلام حين أتى في النار ، وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قالوا : إن الناس قد جمعوا
لكم فأخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا : حسبنا الله ونعم الوكيل .
تفرد بروايته البخاري .

وقد قال البخاري : حدثنا محمد بن سلام ، حدثنا أبو معاوية ، عن هشام ، عن
أبيه ، عن عائشة رضي الله عنها : « الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم
القرحُ للذين أحسنوا منهم واتقوا أجرٌ عظيم » قالت لعروة : يا ابن أختي كان أبواك

(١) تَفَطَّمَتِ : اهترت . والجيل : الصف من الناس . (٢) أهل البسل : قريش .
(٣) الوخش : الردي . وق ابن هشام : تنابلة . والقنابل : جمع قنبلة الطائفة من الناس والجيل .

منهم ، الزبير وأبو بكر رضى الله عنهما ، لما أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أصاب يوم أحد وانصرف عنه المشركون خاف أن يرجعوا ، فقال : من يذهب في إثرهم ؟ فانتدب منهم سبعون رجلا فيهم أبو بكر والزبير .

هكذا رواه البخارى . وقد رواه مسلم مختصراً من وجهٍ عن هشام ، وهكذا رواه سعيد بن منصور وأبو بكر الحيدى جميعاً عن سفيان بن عيينة . وأخرجه ابن ماجه من طريقه . ، عن هشام بن عروة به . ورواه الحاكم فى مستدركه من طريق أبى سعيد عن هشام بن عروة به ، ورواه من حديث الشدى عن عروة ، وقال فى كل منهما : صحيح ولم يخرجاه .

كذا قال . وهذا السياق غريب جداً ، فإن المشهور عند أصحاب المغازى أن الذين خرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حمراء الأسد كلٌّ من شهد أحداً ، وكانوا سبعائة ، كما تقدم . قُتل منهم سبعون وبقي الباقون .

وقد روى ابن جرير من طريق العوفى ، عن ابن عباس قال : إن الله قذَفَ فى قلب أبى سفيان الرعب يوم أحد بعد الذى كان منه ، فرجع إلى مكة ، وكانت وقعة أحد فى شوال ، وكان التجار يقدّمون فى ذى القعدة المدينة فينزّلون بيد الصغرى فى كل سنة مرة ، وإنهم قدموا بعد وقعة أحد ، وكان أصاب المسلمين القرحُ واشتكوا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واشتد عليهم الذى أصابهم ، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم ندب الناس لينطلقوا بهم ويتبعوا ما كانوا متّبعين وقال لنا : ترتحلون الآن فتأتون الحجّ ولا يقدرّون على مثلها حتى عام قابل .

فجاء الشيطان يخوّف أوليائه فقال : إن الناس قد جمعوا لكم . فأبى عليه الناس أن يتبعوه فقال : إني ذاهبٌ وإن لم يتبعنى أحد .

فانتدب معه أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن

عوف وأبو عبيدة وابن مسعود وحذيفة في سبعين رجلاً ، فساروا في طلب أبي سفيان حتى بلغوا الصفراء فأنزل الله : « الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجرٌ عظيم » .
وهذا غريب أيضاً .

وقال ابن هشام : حدثنا أبو عبيدة ، أن أبا سفيان بن حرب لما انصرف يوم أحد أراد الرجوع إلى المدينة ، فقال لهم صفوان بن أمية : لا تفعلوا ، فإن القوم قد حرّبوا ، وقد خشينا أن يكون لهم قتالٌ غير الذي كان ، فارجعوا . فرجعوا .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم وهو بحمراء الأسد حين بلغه أنهم هُمّوا بالرجعة : « والذي نفسي بيده لقد سوّمت لهم حجارةً لو صُبَّحوا بها لكانوا كأمسٍ الذاهب ! » .

قال : وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم في وجهه ذلك قبل رجوعه المدينة ، معاوية ابن المغيرة بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس ، جد عبد الملك بن مروان لأمه عائشة بنت معاوية ، وأبا عزة الجمحي ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمره ببدر ثم منّ عليه فقال : يا رسول الله أقلني ، فقال : لا والله لا تمسح عارضيك بمكة تقول : خدعت محمداً مرتين . اضرب عنقه يا زبير . فضرب عنقه .

قال ابن هشام : وبلغني عن ابن المسيّب أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن المؤمن لا يُلدغ من جحر مرتين ، اضرب عنقه يا عاصم بن ثابت » فضرب عنقه .

وذكر ابن هشام : أن معاوية بن المغيرة بن أبي العاص استأمن له عثمانُ على ألا يقيم بعد ثلاثٍ ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها زيد بن حارثة وعمار بن ياسر وقال : ستجدانه في مكان كذا وكذا فاقتلاه . ففعلوا رضي الله عنهما .

قال ابن إسحاق . ولما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة كان عبد الله بن أبيّ كما حدثني الزهري له مقام يقومه كل جمعة لا يُنكر له شرفاً في نفسه وفي قومه ، وكان فيهم شريفاً ، إذا جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة وهو يخطب الناس قام فقال : أيها الناس ، هذا رسول الله بين أظهركم أكرمكم الله به وأعزكم به ، فانصروه وعزّروه واسمعوا له وأطيعوا . ثم يجلس .

حتى إذا صنع يوم أحد ما صنع ورجع الناس قام يفعل ذلك كما كان يفعله ، وخذ المسلمون بثيابه من نواحيه وقالوا : اجلس أيّ عدوّ الله ، والله لست لذلك بأهل وقد صنعت ما صنعت .

فخرج يتخطّى رقاب الناس وهو يقول : والله لكأنا قلت بُجراً^(١) أن قت أشدّ أمره !

فلقيه رجال من الأنصار بباب المسجد فقالوا : ويلك مالك ؟ قال : قت أشدّ أمره فوثب إلى رجال من أصحابه يجذونني ويعنفونني ، لكأنا قلت بُجراً أن قت أشدّ أمره .

قالوا : ويلك ارجع يستغفر لك رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : والله ما أبني أن يستغفر لي .

ثم ذكر ابن اسحاق ما نزل من القرآن في قصة أحد من سورة آل عمران عند قوله « وإذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال والله سميعٌ عليم » .

قال : إلى تمام ستين آية . وتكلم عليها .

وقد بسطنا الكلام على ذلك في كتابنا التفسير بما فيه كفاية .

ثم شرع ابن إسحاق في ذكر شهداء أحد وتعدادهم بأسمائهم وأسماء آبائهم على قبائلهم كما جرت عادته .

فذكر من المهاجرين أربعة : حمزة ومُضْعَب بن عمير وعبد الله بن جَحْش وشمَّاس ابن عثمان رضى الله عنهم ، ومن الأنصار إلى تمام خمسة وستين رجلاً . واستدرك عليه ابن هشام خمسة أخرى فصاروا سبعين على قول ابن هشام .

ثم سمي ابن إسحاق مَنْ قُتِلَ من المشركين وهم اثنان وعشرون رجلاً على قبائلهم أيضاً .

قلت : ولم يؤسر من المشركين سوى أبي عَزَّة الجحى ، كما ذكره الشافعى وغيره ، وقتله رسول الله صلى الله عليه وسلم صَبْرًا بين يديه ، أمر الزبير ، ويقال : عاصم بن ثابت ابن أبى الأفلح ، فضرب عنقه .

فصل

فما تقول به المؤمنون والكفار في وقعة أحد من الأشعار

وإنما نورد شعر الكفار لنذكر جوابها من شعر الإسلام ، ليكون أبلغ في وقعها من الأسماع والأفهام ، وأقطع لشبهة الكفرة الطغام .

قال الإمام محمد بن إسحاق رحمه الله : وكان مما قيل من الشعر يوم أحد قول هُبَيْرَةَ ابن أبي وهب الخزومي ، وهو على دين قومه من قريش ، فقال :

ما بالُ همٍّ عميدٍ باتَ يَطْرُقني	بالودِّ من هندی إذ تعدُّو عواديها
باتت تعاتبني هندٌ وتعذُّلني	والحربُ قد شُفِلت عني مواليها
مهلاً فلا تعذِّليني إن من خُلقي	ما قد علمت وما إن لست أخفيها
مُسَاعَفٌ لبني كعبٍ بما كفِّلوا	حَمَالُ عبءٍ وأَقْوالٍ أعانها
وقد حملتُ سِلاحِي فوق مُشْتَرَفٍ	سَاطِ سَبُوحٍ إذا تَجَرَّى يباريها ^(١)
كأنه إذ جرى عَيْرٌ بَقْدَفَدَةٍ	مُكَدَّمٌ لاحِقٌ بالعُونِ يحفيها ^(٢)
من آلِ أغوَجٍ يرتاح النَّدى له	كجذع شعراء مُستَعْمِلٍ مراقبها
أعدَدته ورقاقَ الحدِّ مُنتَخِلاً	ومارِئاً لخطوبٍ قد ألاقها ^(٣)
هذا وبيضاء مثل النّهي مُحْكَمَةٍ	لظَّتْ عليَّ فما تبذو مساويها ^(٤)
سُقنا كنانة من أطراف ذي يمنٍ	عَرَضَ البلاد على ما كان يُزجِها
قالت كنانة أئى تذهبون بنا	قلنا النّخيل فأمّوها ومن فيها ^(٥)

(١) مشترف : مشرف . والساطي : الفرس البعيد الخطو . والسبوح : الذي يسبح في جريه .
 (٢) العير : حمار الوحش . والقدفدة : القلاة . والمكدم المعض : والعون : جمع غانة وهو القطيع من حمر الوحش . (٣) رقاق الحد : السيوف . ومنتخلا : متخيرا والمارن : الرمح الصلب المدن .
 (٤) البيضاء : يريد بها الدرع . والنهي : الغرير . لظت : لصقت . (٥) النخيل : عين قرب المدينة .

نَحْنُ الْفَوَارِسُ يَوْمَ الْجَرِّ^(١) مِنْ أَحَدٍ هَابَتْ مَعْدُ قَقْلُنَا نَحْنُ نَأْتِيهَا
هَابُوا ضِرَابًا وَطَعْنَا صَادِقًا خَذِمًا^(٢) مِمَّا يَرَوْنَ وَقَدْ ضُمَّتْ قَوَاصِيهَا^(٣)
نَمَتْ رُخْنًا كَأَنَّا عَارِضٌ بَرْدٌ وَقَامَ هَامُ بَنِي النِّجَارِ يَبْكِيهَا^(٤)
كَأَنَّ هَامَهُمْ عِنْدَ الْوَعْيِ فَلَقَّ مِنْ قَيْضِ رَبْدٍ نَفْتَهُ عَنْ أَدَاحِيهَا^(٥)
أَوْ حَنْظَلٌ دَعَذَعْتَهُ الرِّيحُ فِي غُصْنٍ بِأَلِ تَعَاوَرَهُ مِنْهَا سَوَافِيهَا^(٦)
قَدْ نَبَذَلِ الْمَالَ سَحًّا لَا حِسَابَ لَهُ وَنَظُنُّ الْخَلِيلَ شَرًّا فِي مَاقِيهَا^(٧)
وَلَيْلَةٌ يَصْطَلِي بِالْفَرَثِ جَارُهَا يَخْتَصُّ بِالنَّقَرَى الْمُثْرَيْنِ دَاعِيهَا^(٨)
وَلَيْلَةٌ مِنْ بُحَادَى ذَاتِ أُنْدَبِيَّةٍ جَرَبًا بُحَادِيَّةٍ قَدْ بَتَّ أُسْرِيهَا^(٩)
لَا يَنْبِجُ الْكَلْبُ فِيهَا غَيْرَ وَاحِدَةٍ مِنْ الْقَرِيسِ وَلَا تَسْرِي أَفَاعِيهَا^(١٠)
أَوْ قَدْتُ فِيهَا لِذِي الضَّرَاءِ جَاحِمَةً كَالْبَرْقِ ذَاكِيَةِ الْأَرْكَانِ أَجْمِيهَا^(١١)
أُورِثْنِي ذَالِكُمْ عَمْرُوُ وَوَالِدُهُ مِنْ قَبْلِهِ كَانَ بِالْمَشْتَى يُغَالِيهَا^(١٢)
كَانُوا يُبَارُونَ أَنْوَاءَ النُّجُومِ فَمَا دَنَّتْ عَنِ السُّورَةِ الْعُلْيَا مَسَاعِيهَا

قال ابن إسحاق : فأجابه حسان بن ثابت رضى الله عنه فقال :

قال ابن هشام : وتروى لسكعب بن مالك وغيره . قلت : وقول ابن إسحاق أشهر وأكثر والله أعلم :

- (١) الجر : أصل الجبل . (٢) الحزم : القاطع . (٣) العارض : السحاب . وبرد : به برد ، وهو حب الغمام . (٤) القيض : القشرة العليا اليابسة من البيض . والربد : النعام . والأداحي : جمع أدحى وهو مبيض النعام . (٥) دَعَذَعْتَهُ : حركته . وتعاوره : تتداوله . والسواقي : الرياح الشديدة . (٦) سحًا : صبا . والشزر في الطعن : أن يكون من ناحية غير مستقيمة . (٧) يَصْطَلِي : يستدفئ . والنقري : الدعوة الخاصة ، أى يختص الأغنياء طلبا لمكافأته ، يصف شدة الزمان . (٨) أُنْدَبِيَّةٌ : جمع ندى على غير قياس ، وقيل : لأنه جمع الجمع ، والجرباء : المقطعة . (٩) القريس : البرد الشديد . (١٠) الجاحمة : المتهمة . (١١) ابن هشام : بالثنى . وما هنا أوضح .

سُقْتُمْ كِنَانَةً جَهْلًا مِنْ سَفَاهَتِكُمْ إِلَى الرَّسُولِ مُجْنَدِ اللَّهِ مُخْزِيهَا
أُورِدْتُمُوهَا حِيَاضَ الْمَوْتِ ضَاحِيَةً فَالْنَارُ مَوْعِدُهَا وَالْقَتْلُ لَاقِيهَا
جَمْعَتُمُوهُمْ أَحَايِشًا بِلَا حَسَبٍ أُمَّةُ الْكُفْرِ غَرَّتْكُمْ طَوَاغِيهَا
أَلَا اعْتَبَرْتُمْ بِخَيْلِ اللَّهِ إِذْ قَتَلَتْ أَهْلَ الْقَلْبِ وَمَنْ أَلْقَيْنَهُ فِيهَا
كَمْ مِنْ أَسِيرٍ فَكَكْنَاهُ بِلَا تَمَنٍّ وَجَزَّ نَاصِيَةً كُنَّا مَوَالِيَهَا
قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَقَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ يُحِبُّ هُبَيْرَةَ بْنَ أَبِي وَهَبٍ الْخَزَوِيَّ أَيْضًا :

أَلَا هَلْ أَتَى غَسَانَ عَنَّا وَدُونَهُمْ مِنْ الْأَرْضِ خَرَقَ سَيْرِهِ مُتَنَعِعٌ (١)
صَحَارَى وَأَعْلَامٌ كَأَنَّ قَتَامَهَا مِنْ الْبُعْدِ نَقَعٌ هَامِدٌ مُتَقَطَعٌ (٢)
تَظَلُّ بِهِ الْبَزْلُ الْعَرَامِيسُ رُزْحًا وَيَحُلُّوهُ بِهِ غَيْثُ السَّنَنِ فَيُمْرَعُ (٣)
بِهِ جَيْفُ الْحُسْرِىَ يَلُوحُ صَلِيبُهَا كَمَا لَاحَ كَتَّانُ التَّجَارِ الْمَوْضِعِ (٤)
بِهِ الْعَيْنُ وَالْآرَامُ يَمُشِينَ خِلْفَةً وَبَيِضُ نَعَامٍ قَيْضُهُ يَتَقْلَعُ (٥)
مُجَالِدُنَا عَنْ دَيْنَسَا كُلُّ نَخْمَةٍ مُذْرَبَةٍ فِيهَا الْقَوَانِسُ تَلْعُ (٦)
وَكُلُّ صَمُوتٍ فِي الصَّوَانِ كَأَنَّهَا إِذَا لُبَسَتْ نَهَى مِنَ الْمَاءِ مَتَرَعٌ (٧)
وَلَكِنْ يَبْذُرُ سَائِلُوا مَنْ لَقِيتُمْ مِنَ النَّاسِ وَالْأَنْبَاءِ بِالْغَيْبِ تَنْفَعُ
وَإِنَّا بِأَرْضِ الْخَوْفِ لَوْ كَانَ أَهْلُهَا سَوَانًا لَقَدْ أَجْلَوْا لِبَلِيلٍ فَأَقْشَعُوا
إِذَا جَاءَ مِنَّا رَاكِبٌ كَانَ قَوْلُهُ أَعِدُّوا لِمَا يُزْجِي ابْنَ حَرْبٍ وَيَجْمَعُ

- (١) المتنعع : المضطرب . (٢) الأعلام : الجبال . والقتام الغبار . والنقع : الغبار أيضا .
(٣) البزل : جمع بازل . وهى الناقة التى تبلغ التاسعة . والعراميس : الصلبة . والرزح : المعية .
(٤) الصليب : ودك العظام . والموضع : المبسوط .
(٥) العين : بقرا الوحش والآرام . وخلفة : قطعة وراء قطعة . والقبيض : قشور البيض . ويتقلع : يتشقق
(٦) مذربة : محدة . والقوانس : جمع قونس وهى بيضة السلاح .
(٧) كل صموت : أراد به الدرع . جعلها صموتا لشدة نسجها وإحكام صنعها . والنهى : القدير .
والمترع : المليء .

فَمَا يُهْمُ النَّاسَ مِمَّا يَكِيدُنَا فَنَحْنُ لَهُ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ أَوْسَعُ
فَلَوْ غَيْرُنَا كَانَتْ جَمِيعًا تَكِيدُهُ السَّبَرَةُ قَدْ أَعْطَوْا يَدًا وَتَوَزَّعُوا
نُجَالِدُ لَا تُبْقَى عَلَيْنَا قَبِيلَةٌ مِنَ النَّاسِ إِلَّا أَنْ يَهَابُوا وَيَفْظَعُوا
وَلَمَّا ابْتَنَوْا بِالْعَرَضِ قَالَتْ سُرَاتُنَا عَلَامَ إِذَا لَمْ تَمْنَعْ الْعَرَضُ نَزَرَ عُ^(١)
وَفِينَا رَسُولُ اللَّهِ نَتَّبِعُ أَمْرَهُ إِذَا قَالَ فِينَا الْقَوْلَ لَا تَنْظَلَّ عُ^(٢)
تَدَلَّى عَلَيْهِ الرُّوحُ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ يُنَزَّلُ مِنْ جَوْ السَّمَاءِ وَيُرْفَعُ
نُشَاوِرُهُ فِيمَا نُرِيدُ وَقَصْرُنَا^(٣) إِذَا مَا اشْتَهَى أَنَا نَطِيعٌ وَنَسْمَعُ
وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ لَمَّا بَدَّوْنَا لَنَا ذَرُّوْا عَنكُمْ هَوْلَ الْمَنِيَّاتِ وَاطْمَعُوا
وَكُونُوا كَمَنْ يَشْرِي الْحَيَاةَ تَقَرُّبًا إِلَى مَلِكٍ يُحْيِيَا لَدَيْهِ وَيُرْجَعُ
وَلَكِنْ خَذُوا أَسْيَافَكُمْ وَتَوَكَّلُوا عَلَى اللَّهِ إِنَّ الْأَمْرَ لِلَّهِ أَجْمَعُ
فَسِرْنَا إِلَيْهِمْ جَهْرَةً فِي رِحَالِهِمْ ضَحِيًّا عَلَيْنَا الْبَيْضُ لَا نَتَخَشَّعُ
بِمَلُومَةٍ فِيهَا السَّنَوَرُ وَالْقَنَا إِذَا ضَرَبُوا أَقْدَامَهَا لَا تَوَرَّعُ^(٤)
فَجَنَّا إِلَى مَوْجٍ مِنَ الْبَحْرِ وَسَطَهُ أَحَايِشُ مِنْهُمْ حَاسِرٌ وَمُقَنَّعُ
ثَلَاثَةَ آلَافٍ وَنَحْنُ نَصِيَّةُ ثَلَاثَ مِثْلِينَ إِنَّ كَثْرَتَنَا فَارْبَعُ^(٥)
نُقَاوِرُهُمْ تَجْرَى الْمَنِيَّةُ بَيْنَنَا نُشَارِعُهُمْ حَوْضَ الْمَنَايَا وَنُشْرَعُ
تَهَادَى قِسِيُّ النَّبْعِ فِينَا وَفِيهِمْ وَمَاهُو إِلَّا الْيَثْرَبِيُّ الْمُقَطَّعُ^(٦)
وَمَنْجُوفَةٌ حَرَمِيَّةٌ صَاعِدِيَّةٌ يَذُرُّ عَلَيْهَا السَّمُّ سَاعَةً تُصْنَعُ^(٧)

(١) العرض : سفح الجبل . وهو جبل أحد . (٢) لا تنظلع : لا تميل عنه .

(٣) قصرنا : غابتنا . (٤) الملمومة : الكتيبة . والسنور : السلاح . لانورع : لا تكف .

(٥) النصية : الحيار من القوم .

(٦) النبع : شجر للقسي والسهام ينبت في قلة الجبل . واليثرى : الوتر المنسوب إلى يثر .

(٧) المنجوفة : السهام . والحرمية : المنسوبة إلى الحرم . والصاعدية : منسوبة إلى صاعد ، كان يصنعها

تَصُوبُ بِأَبْدَانِ الرِّجَالِ وَتَارَةً
وَحِيلٌ تَرَاهَا بِالْفَضَاءِ كَأَنَّهَا
فَلَمَّا تَلَاقَيْنَا وَدَارَتْ بِنَا الرِّحَا
ضَرْبَانَهُمْ حَتَّى تَرَكْنَا سَرَائِهِمْ
لَدُنْ غُدُوَّةٍ حَتَّى اسْتَفْقْنَا عَشِيَّةً
وَرَا حَوَائِ سِرَاعًا مَوْجَعِينَ^(١) كَأَنَّهُمْ
وَرَحْنَا وَأُخْرَانَا بِطَاءٍ كَأَنَّا
فَنِلْنَا وَنَالَ الْقَوْمُ مِنَّا وَرُبَّمَا
وَدَارَتْ رَحَانَا وَاسْتَدَارَتْ رَحَاهُمْ
وَمَحْنُ أَنَاسٍ لَا نَرَى الْقَتْلَ سُبَّةً
جِلَادٌ عَلَى رَيْبِ الْحَوَادِثِ لَا نَرَى
بَنُو الْحَرْبِ لَا نَعْيًا بِشَيْءٍ نَقُولُهُ
بَنُو الْحَرْبِ إِنْ نَظَرْنَا فَلَسْنَا بِفُحْشٍ
وَكُنَّا شُهَابًا يَتَقَى النَّاسُ حَرَّهُ
نَفَرَتْ عَلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ وَقَدْ سَرَى
فَسَلَّ عَنْكَ فِي عَالِيَا مَعَدٍّ وَغَيْرِهَا

تَمَرُّ بِأَعْرَاضِ الْبِصَارِ تَقَعَّقُ^(٢)
جَرَادٌ صَبَاً فِي قَرَّةٍ يَتَرَبَّعُ^(٣)
وَلَيْسَ لِأَمْرِ حَمَّهِ اللَّهُ مَدْفَعٌ
كَأَنَّهُمْ بِالْقَاعِ خُشْبٌ مُصَرَّعٌ
كَأَنَّ ذَكَانَا حَرُّ نَارٍ تَلْفَعُ^(٤)
جَهَامٌ هَرَاقَتْ مَاءَهُ الرِّيحُ مُقْلَعٌ^(٥)
أَسْوَدٌ عَلَى لَحْمٍ بَيْشَةٌ ضَلَعٌ^(٦)
فَعَلَمْنَا وَلَكِنْ مَا لَدَى اللَّهِ أَوْسَعُ
وَقَدْ جَعَلُوا كُلَّ مِنَ الشَّرِّ يَشْبَعُ
عَلَى كُلِّ مَنْ يَحْمِي الدَّمَارَ وَيَمْنَعُ
عَلَى هَالِكٍ عَيْنًا لَنَا الدَّهْرَ تَدْمَعُ
وَلَا نَحْنُ مِمَّا جَرَّتْ الْحَرْبُ تُجْزَعُ
وَلَا نَحْنُ مِنْ أَظْفَارِنَا نَتَوَجَّعُ
وَيَفْرُجُ عَنْهُ مَنْ يَلِيهِ وَيَسْفَعُ^(٧)
لَكُمْ طَلَبٌ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ مُتَبَّعُ
مَنْ النَّاسِ مِنْ أَخْزَى مَقَامًا وَأَشْنَعُ

(١) قال السهيلي : « يقول : تشق أبدان الرجال حتى تبلغ البصار فتقعق فيها ، وهي جمع بصرة ، وهي حجارة لينة . ويجوز أن يكون أراد جمع بصيرة ، مثل كريمة وكرام . والبصيرة : الدرع ، وقيل : الفرس » .
(٢) الصبا : ربح شرقية . والقرة : الليلة الباردة . يتربع : يذهب ويحيى .
(٣) ذكانا : حرارتنا في الحرب .
(٤) الجهام : السحاب الرقيق .
(٥) بيشة : موضع كثير الأسود . وفي ابن هشام : ظلم .
(٦) يفرج عنه : ينكشف . ويسفع : يافح .
(٧) (٤) ابن هشام : موجفين .

ومن هو لم يترك له الحرب مفخراً ومن خذه يوم الكريهة أضرع
شدنا بحول الله والنصر شدة عليكم وأطراف الأسنّة شرع
تكره القنا فيكم كأن فروعها عزالى مزاد ماؤها يتهزع^(١)
عمدنا إلى أهل اللواء ومن يطر بذكر اللواء فهو فى الحمد أسرع
فخائوا وقد أعطوا يداً وتحاذوا أبى الله إلا أمره وهو أضنع

قال ابن إسحاق : وقال عبد الله بن الزبعرى فى يوم أحد وهو يومئذ مشرك بعد :

يا غراب البين أسمعتَ فقل إنما تنطق شيئاً قد فعل
إن للخير وللشر مدى وكلاً ذلك وجه وقيل^(٢)
والعطيات خساس بينهم وسواء قبر مؤم ومقل
كل عيش ونعيم زائل وبنات الدهر يلعن بكل
أبلغاً حسان عنى آية فقريض الشعر يشفى ذا الفل
كم ترى بالجر من ججمة وأكف قد أترت ورجل^(٣)
وسرايل حسان سريت عن كرامة أهلكوا فى المنزل
كم قتلنا من كريم سيد ماجد الجدين مقدم بطل
صادق النجدة قرم بارع غير ملثا لدى وقع الأسل
فسل المهراس ما ساكنه بين أقحاف وهام كاللجل^(٤)
ليت أشياخى بيدر شهدوا جزع الخرج من وقع الأسل

(١) العزالي : جمع عزلى ، وهى مصب الماء من الراوية . واليزاد : جمع مزادة وهى الراوية .
ويتهزع : يتقطع . (٢) القبل : العيان والواجهة . (٣) الجر : أصل الجبل . وأترت : قطعت .
(٤) المهراس : ماء بأحد . وفى ابن هشام : من ساكنه . والأقحاف : جمع قحف . والهوام :
الردوس . والحجل : الذكر من البجج .

حين حَكَّتْ بَقْبَاءَ بَرَكَا^(١) واستحَرَ القتلُ في عَبدِ الأشل
ثم نَحَفُوا عِنْدَ ذَاكِمِ رُقَصَا^(٢) رَقَصَ الحَفَّانَ يعلو في الجبل^(٣)
فقتلنا الضَّعْفَ من أشرفهم وعدلنا مَيْلَ بَذَرٍ فاعتدل
لألومِ النفسِ إِلَّا أَنَّنَا لو كَرَرْنَا لَفَعَلْنَا الْمُفْتَعِلَ
بسيوفِ المُنَدِّ تَعْلُو هَامَهُم عِلَّالًا تَعْلُوهُمْ بِمَدِّ نَهْلٍ

قال ابن إسحاق : فأجابه حسان بن ثابت رضى الله عنه :

ذهبت بَابِنِ الزَّبْعَرَى وَقَعَةً^(٤) كان منا الفضلُ فيها لو عدل
ولقد نلتم وِنَلْنَا مِنْكُمْ وكذلك الحربُ أحيانًا دُولُ
نَضَعُ الْأَسْيَافَ فِي أَكْتَافِكُمْ حيثُ نَهَوَى عِلَّالًا بَعْدَ نَهْلٍ
نَخْرُجُ الْأَصْبَحَ مِنْ أَسْتَاهِمُ كَسَلَاحِ النَّيْبِ بِأَكْلَنِ الْعَصَلِ^(٥)
إِذْ تُؤَلُّونَ عَلَى أَعْقَابِكُمْ هَرَبًا فِي الشَّعْبِ أَشْبَاهَ الرِّسْلِ^(٦)
إِذْ شَدَدْنَا شَدَّةَ صَادِقَةٍ فَأَجَانَاكُمْ إِلَى سَفْحِ الْجَبَلِ
بِخَنَاطِيلِ كَأَشْدَاقِ الْمَلَا مَنْ يُبْلِقُوهُ مِنَ النَّاسِ يُهْلُ^(٧)
ضَاقَ عَنَا الشُّعْبُ إِذْ نَجَزَعَهُ وَمَلَأْنَا الْفَرْطَ مِنْهُ وَالرَّجَلَ^(٨)
بِرَجَالٍ لَسْتُمْ أَمْثَالَهُمْ أَيْدُوا جَبْرِيلَ نَصْرًا فَتَزَلُ^(٩)

(١) البرك : الصدر . وعبد الأشل : هم بنو عبد الأشهل .

(٢) الرقص : الحبيب في السير ، وهو الإسراع . والحفان : فراخ النعام .

(٣) الأصباح : وهو اللبن الممزوج بالماء . والنَّيْبُ : النوق المسنة . والعصل : نبات يصلح الإبل إذا أكلته .

(٤) الرسل : الغنم إذا أرسلها الراعي ، والرسل : القطيع من كل شيء .

(٥) الخناطيل : الجماعات . والأشداق : جمع شدة ، وهو من الوادي عرضاه وناحيته . والملا : الفلاة ذات حر وسراب . ويهل : يفرح .

(٦) نجزعه : نقطعه عرضاً . والفريط : المرتفع من الأرض . والرجل : المظلم منها .

(٧) أيدوا جبريل : أراد : أيدوا بجبريل .

وعولونا يومَ بدرٍ بالتُّقى طاعةَ الله وتصدقِ الرُّسُلُ
 وقتلنا كلَّ رأسٍ منهم وقتلنا كلَّ جَحْجَاحٍ رِفْلٍ^(١)
 وتركنا في قريشٍ عِشْرَةً يومَ بدرٍ وأحاديثَ المَثَلِ
 ورسولَ الله حقًّا شاهِدًا يومَ بدرٍ والتنايلِ الهُبْلِ^(٢)
 في قريشٍ من جُوعٍ جُمعوا مثلَ ما يُجْمَعُ في الخِصْبِ الهَمْلِ^(٣)
 نحن لا أمثالكم وُلدُ استها نَحْضِرُ البأسَ إذا البأسُ نَزَلَ

قال ابن إسحاق : وقال كعب يبكى حمزة ومن قُتل من المسلمين يوم أحد ،
 رضى الله عنهم :

نَشَجَتْ وهل لك مِن مَنشَجٍ وكنت متى تدَّكرُ تَلَجَجٍ
 تدَّكرُ قَـوْمٍ أَتَانِي لَهُم أحاديث في الزمن الأعوجِ
 فَقَلْبُكَ مِن ذِكْرِهِمْ خَافِقٌ من الشوقِ والحزنِ المُنْضَجِ
 وَقَتْلَاهُمُ فِي جِثَّانِ النَعِيمِ كرامُ المداخلِ والمَخْرَجِ
 بما صَبَرُوا تَحْتَ ظِلِّ اللِّوَاءِ لواءِ الرسولِ بذى الأَضُوجِ^(٤)
 غَدَاةَ أَجَابَتْ بِأَسْيَافِهَا جميعاً بنو الأوسِ والخزرجِ
 وَأَشْيَاعُ أَحْمَدٍ إِذْ شَابِعُوا على الحقِ ذى النورِ والمَنهَجِ
 فَمَا بَرَّحُوا يَضْرِبُونَ السَّكْمَاءَ وَيَمْنُضُونَ فِي القَسْطِ المَرَهَجِ^(٥)

(١) الجحجاج : السيد . والرفل : الذى يجز ثوبه خيلاء .

(٢) التنايل : القصار . والهبل : الذين ثقلوا لكثرة اللحم عليهم .

(٣) الهمل : الإبل المهمة التى تركت دون راع .

(٤) الأضوج : جمع ضوج ، وهو منعطف الوادى .

(٥) القسطل : الغبار .

كذلك حتى دعاهم مليكاً إلى جنة دَوْحة المَوَاجِجِ (١)
 وكلهم مات جُرَّ البلاء على ملة الله لم يخرج
 كحزمة لما وفى صادقاً بذى هبة صارم سلجج (٢)
 فلاقاه عبدُ بنى نوفل يُبربر كالجلل الأدعج (٣)
 فأوجَّره حرَّبة كالشهاب تلهب في اللهب الموهج
 ونعمان أوفى بميثاقه وحفظة الخير لم يُنحج (٤)
 عن الحق حتى غدت روحه إلى منزل فاخر الزبرج (٥)
 أولئك لا من ثوى منكم من النار في الدرك المرتجج

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت يهكى حمزة ومن أصيب من المسلمين يوم
 أحد ، وهى على روى قصيدة أمية بن أبى الصلت فى قتلى المشركين يوم بدر .

قال ابن هشام : ومن أهل العلم بالشعر من ينكر هذه لحسان . والله أعلم :

يأتى قومي فاندبى بسُحيرة شَجَوَ النوائج
 كالحاملاتِ الوقر بالثقل الملحاحات الدوالج (٦)
 المنعولات الخامشات وجوه حُرَّاتِ صحاح
 وكان سيل دموعها أنصابُ تُخَضَّبُ بالذبايح
 يتقضن أشعاراً لمن هناك بادية المسائح (٧)
 وكأنهم أذئاب خيل بالضحى شمس رَوامج

(١) الدوحة : الكثرة الأغصان . والموج : المدخل (٢) السلجج : الرهف .

(٣) عبد بنى نوفل : وحشى قاتل حمزة . ويبربر : يصبح . والأدعج : الأسود .

(٤) لم ينحج : لم يعل . (٥) الزبرج : الوشى .

(٦) الدوالج : الحاملات الثقل . (٧) المسائح : ذوائب الشعر .

من بين مشرور ومج زور يذذع بالبوارح ^(١)
 يكيّن شجواً مُسلبات كدّحتهن الكوادخ
 ولقد أصاب قلوبها تجلّ له جلب قوارخ ^(٢)
 إذ أقصد الحذثان من كنا نرجى إذ نُشايخ ^(٣)
 أصحاب أخذ غلهم دهر ألم له جوارخ
 من كان فارسنا وحا مينا إذا بُعث المسالغ ^(٤)
 يا حزر لا والله لا أنساك ماصراً للنفاح
 للمناخ أيتام وأض ياف وأرملة تلامح ^(٥)
 وليا بنوب الدهر في حرب خرب وهي لافح
 يافارساً يامذرهما حمز قد كنت المصامح ^(٦)
 عنا شديداً الخنو ب إذا ينوب لهن فادح
 ذكرتني أسد الرسو ل وذلك مذرهما للمنافح
 عنا كان يعدّ إذ عدّ الشريفون الجحاجح
 ملو القماقم جهرة سبط اليدين أغرّ واضح
 لا طائش رعرش ولا ذو علة بالحمل آنح ^(٧)
 بحر فليس يغبّ جا رأ منه سبّ أو منادح
 أودى شباب أولى احف نظ والثقيلون المراجح
 المُطعمون إذا المشا قى سايحة ناضح

- (١) المشرور : الذي وضرمه من خصفة ليحف . ويذذع : يفرق . والبوارح : الرياح الشديدة .
 (٢) الجلب : أن يكون بين الجلد واللحم ماء . والجلب : جمع جلبه وهو قشرة تعلو الجرح عند البرء .
 (٣) نشايخ : نمحر .
 (٤) المناخ : جمع لقحة وهي الناقة ذات اللبن .
 (٥) تلامح : تنظر لحة ثم تغض بصرها . (٦) المصامح : المدافع القوى .
 (٧) آنح : ضعيف واهن . يقال آنح البعير : إذا حمل الثقل أخرج من صدره صوت المعتصر .

لَحْمَ الْجِلَادِ وفوقه مِنْ شَحْمِهِ شُطْبٌ شَرَّاحٌ
لِيَدَافِعُوا عَنْ جَارِهِمْ مَارَامَ ذُو الضُّفْنِ الْمَكَاشِحِ
لَهْفَى لِسْبَاتٍ رُزْءٌ نَاهِمٌ كَانَهُمُ الْمَصَاحِجُ
شُمٌّ بَطْـأَرَقَةٌ غَطَا رَفَقَةً خَضَارِمَةً مَسَامِجٌ ^(١)
الْمُشْتَرُونَ الْحَمْدَ بِالْأَمْوَالِ إِنَّ الْحَمْدَ رَاجِحٌ
وَالْجَامِزُونَ بِلُجْمِهِمْ يَوْمًا إِذَا مَا صَاحَ صَائِحٌ ^(٢)
مَنْ كَانَ يُرْمَى بِالنَّوَا قَر ^(٣) مِنْ زَمَانٍ غَيْرِ صَاحٍ
بِمَا إِنْ تَزَالُ رِكَابُهُ يَرْمِيهِمْ فِي غَيْرِ صَاحِجٍ ^(٤)
رَاحَتٌ تَبَارَى وَهُوَ فِي رَكْبٍ صَدُورُهُمْ رَوَاشِحُ
حَتَّى تَتَوَبَّعَ لَهُ الْمَعَا لِي لَيْسَ مِنْ فُوزِ السَّفَائِحِ ^(٥)
يَا حَزَقًا قَدْ أَوْحَدْتَنِي كَالْعُودِ شَذَبَهُ الْكَوَافِحُ ^(٦)
أَشْكُو إِلَيْكَ وَفُوقَكَ التُّرْبُ الْمَكُورُ وَالصَّفَائِحُ
مَنْ جَنْدَلٍ يَلْقَاهُ فُوقَكَ إِذَا جَادَ الضَّرْحُ ضَارِحٌ ^(٧)
فِي وَاسِعٍ يَحْشُونَهُ بِالتُّرْبِ سَوَّاهُ الْمَاسِجِ
فَعَزَّوْنَا أَنَا نَقْوُ لَ وَقَوْلُنَا بَرَحُ بَوَارِحٍ ^(٨)
مَنْ كَانَ أَمْسَى وَهُوَ عَمَّا أَوْقَعَ الْحِذْنَانُ جَانِحٌ
فَلْيَأْتِنَا فَلْتَبْكِ عَيْنَاهُ لَهْلُكَانَا النَّوَافِحُ ^(٩)

(١) البطارقة : الرؤساء ، والفظارقة : السادة . والحضارقة : المكثرون من العطاء . والمسامح : الكرام .

(٢) الجامزون : الواثبون . واللجم : جمع لجام . (٣) النواقر : الدوابى والمصائب .

(٤) يرسم : يسن الرسم ، وهو نوع من سير الإبل . والفبر : جمع غبراء وهى الأرض : والصصاحج : الأرض المستوية .

(٥) السفائح : جمع سفيح وهو من قذاح الميسر . (٦) الكوافح : الذين يتناولونه بالقطم .

(٧) الضرح : الحفر للبيت . (٨) برح : صعب . (٩) النوافح : من ينفخون بالعطاء والخير .

القائلين نفاعلين ذوى السماحة والمآدخ
من لا يزال ندى يديه له طوال الدهر مائع^(١)
قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر سكرها لحسان .

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك يبكى حمزة وأصحابه :

طَرَقَتْ هُمُومَكَ فَالْقَادُ مَسْهَدُ	وَجَزَعَتْ أَنْ سُلَّخَ الشَّبَابُ الْأَغْيَدُ
وَدَعَتْ فَوَادِكَ لِلْهَوَى ضَمِيرَةً	فَهَوَاكَ غَوْرِيَّ وَصَحْوَكَ مُنْجِدُ
فَدَعِ التَّمَادِي فِي الْغَوَايَةِ سَادِرًا	قَدْ كُنْتُ فِي طَلَبِ الْغَوَايَةِ تَفْنَدُ ^(٢)
وَلَقَدْ أَتَى لَكَ أَنْ تَنْهَى طَانِعًا	أَوْ تَسْتَفِيقَ إِذَا نَهَكَ الْمُرْشِدُ
وَلَقَدْ هُدِدتْ لِقَفْدِ حِمَزَةٍ هَدَّةً	ظَلَّتْ بَنَاتُ الْجَوْفِ مِنْهَا تَرَعُدُ
وَلَوْ أَنَّهُ فُجِعَتْ حِرَاهُ بِمَثَلِهِ	لَرَأَيْتَ رَاسِي صَخْرَهَا يَتَبَدَّدُ
قَرْنُكُمْ تَمَكَّنَ فِي ذَوَابِهِ هَاشِمٍ	حَيْثُ النُّبُوَّةُ وَالنَّدَى وَالسُّودُ
وَالْعَاقِرُ الْكُومَ الْجِلَادُ إِذَا غَدَتْ	رِيحٌ يَكَادُ الْمَاءُ مِنْهَا يَجْمَدُ
وَالنَّارُكَ الْقِرْنَ الْكَمِيَّ مَجْدَلًا	يَوْمَ الْكَرِيهَةِ وَالْقَنَا يَتَقَصَّدُ
وَتَرَاهُ يَرْفُلُ فِي الْحَسِيدِ كَأَنَّهُ	ذُو لِبْدَةٍ شَتَّى الْبِرَانِ أُرْبَدُ ^(٣)
عَمَّ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ وَصْفِيهِ	وَرَدَ الْحِمَامَ فَطَابَ ذَاكَ الْمَوْرَدُ
وَأَنْى الْمُنِيَّةَ مُعْلِمًا فِي أُسْرَةٍ	نَصَرُوا النَّبِيَّ وَمِنْهُمْ الْمُسْتَشْهِدُ
وَلَقَدْ إِخَالَ بِذَاكَ هِنْدًا بُشِّرَتْ	لِتُمِيتَ دَاخِلَ غُصَّةٍ لَا تَبْرُدُ
مِمَّا صَبَحْنَا بِالْعَقَنْقَلِ قَوْمَهَا	يَوْمًا تَغِيْبُ فِيهِ عَنْهَا الْأَسْعَدُ

(١) مائع : طالب مبتغ . (٢) تفند : تعذل وتلام . (٣) ذو لبدة : يريد أسدا . والشتن : الغليظ . والبرائن للأسد كالأصابع للإنسان . والأربد : المغبر .

ويُنْزِرُ بِدْرِ إِذْ يَرُدُّ وَجُوهَهُمْ جَبْرِيلُ تَحْتَ لَوَائِفِ مُحَمَّدٍ
 حَتَّى رَأَيْتَ لَدَى النَّبِيِّ سَرَائِهِمْ قَسَمِينَ نَقَتْلُ مِنْ نَشَاءٍ وَنَطْرُدُ
 فَأَقَامَ بِالْعَطَنِ الْمَعَطَّنَ مِنْهُمْ سَبْعُونَ عَتَبَةً مِنْهُمْ وَالْأَسْوَدُ
 وَابْنُ الْمَغِيرَةِ قَدْ ضَرَبْنَا ضَرْبَةً فَوْقَ الْوَرِيدِ لَهَا رَشَاشٌ مُزْبِدُ
 وَأُمِّيَةُ الْجَمْحَى قَوْمٌ مِثْلَهُ عَضْبٌ بِأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ مُهْنَدُ
 فَاتَاكَ فَلِ الشَّرَكِيِّينَ كَانَهُمْ وَالْخَلِيلُ تَنْفَعُهُمْ ^(١) نَعَامٌ شُرْدُ
 شَتَّانَ مِنْ هُوَ فِي جَهَنَّمَ ثَاوِيَا أَبَدًا وَمَنْ هُوَ فِي الْجَنَانِ مَخْلَدُ

قال ابن إسحاق : وقال عبد الله بن رَوَاحَةَ يَبْكِي حِمَزَةً وَأَصْحَابَهُ يَوْمَ أُحُدٍ . قال ابن هشام : وَأَنْشَدْنِيهَا أَبُو زَيْدٍ لِكَعْبِ بْنِ مَالِكٍ . فَاللهُ أَعْلَمُ :

بَكَتْ عَيْنِي وَحَقَّ لَهَا بَكَاهَا وَمَا يُغْنِي الْبُكَاءُ وَلَا الْعَوِيلُ
 عَلَى أَسَدِ الْإِلَهِ غَدَاةَ قَالُوا أَحْمَزَةُ ذَاكُمُ الرَّجُلُ الْقَتِيلُ
 أُصِيبَ الْمَسَامُونَ بِهِ جَمِيعًا هُنَاكَ وَقَدْ أُصِيبَ بِهِ الرَّسُولُ
 أَبَا يَعْلَى لَكَ الْأَرْكَانُ هُدَّتْ وَأَنْتَ الْمَاجِدُ الْبَرُّ الْوَصُولُ
 عَلَيْكَ سَلَامٌ رَبِّكَ فِي جَنَانٍ مَخَالِطُهُمْ نَعِيمٌ لَا يَزُولُ
 أَلَا يَا هَاشِمَ الْأَخِيَّارِ صَبْرًا فَكُلُّ فَعَالِكُمْ حَسَنٌ جَمِيلُ
 رَسُولَ اللَّهِ مُصْطَفًى كَرِيمًا بِأَمْرِ اللَّهِ يَنْطَلِقُ إِذْ يَقُولُ
 أَلَا مَنْ مُبْلِغٌ عَنِّي لُؤْيَا فَبِعَدَدِ الْيَوْمِ دَائِلَةٌ تَدُولُ
 وَقَبْلَ الْيَوْمِ مَا عَرَفُوا وَذَاقُوا وَقَائِعُنَا بِهِمْ يُشْفَى الْغَلِيلُ
 نَسْتَمِمْ ضَرْبَنَا بِقَلْبِ بَدْرِ غَدَاةَ أَتَاكُمْ الْمَوْتُ الْعَجِيلُ

غداة ثوى أبى
وعتبه وان
ومررنا أمة مجلعباً
وهام بنى ربيعة سائلوها
ألا ياهند قابكي لا تملّى
ألا ياهند لا تبدي شمتاً
عنيفه الطير حائمة تجول
وعتبه وان
ومررنا أمة مجلعباً
وهام بنى ربيعة سائلوها
ألا ياهند قابكي لا تملّى
ألا ياهند لا تبدي شمتاً

قال ابن إسحاق : وقالت صفية بنت عبد المطلب تبكى أخاها حمزة بن عبد المطلب،
وهي أم الزبير عمّة النبي صلى الله عليه وسلم ورضى الله عنهم أجمعين :

أسأله أصحاب أحد مخافة
فقال الخبير إن حمزة قد ثوى
دعاه إله حق ذو العرش دعوة
فذلك ما كنا نرجى ونرتجى
فوالله لا أنساك ماهبت الصبا
على أسد الله الذى كان مذرهماً^(١)
فياليت شلوى^(٢) عندذاك وأعظمى
أقول وقد أعلى النعنى عشرين
بنات أبى من أعجم وخير
وزير رسول الله خير وزير
إلى جنة يحياها وسرور
لحمزة يوم الحشر خير مصير
بكاء وحزناً تحضرى ومسيري
يزود عن الإسلام كل كفور
لدى أضبع حصادى ونسور
جزى الله خيراً من أخ ونصير

قال ابن إسحاق : وقالت نعم ، امرأة شماس بن عثمان ، تبكى زوجها والله أعلم
ولله الحمد والمنة :

(١) مجلعباً : ممتداً على الأرض . والحيزوم : ما اكتنف الحلقوم من جب تصدّر . والالدين : اللين من الرماح .
(٢) المذره : المدافع الحامى .
(٣) الشلو : العضو .

ياعينُ جودى بفيضٍ غيرِ إنسائِ على كريمٍ من الفتيان لبَّاسِ
صعب البديهة ميمونٌ نقيته حَمَّالُ ألويةِ رَكَّابُ أفراسِ
أقولُ لَمَّا أتى الناعى له جَزَعًا أودى الجوادُ وأودى لُطَمِ الكاسِ
وقلتُ لما خلتُ منه مجالسُهُ لا يُبعدُ اللهُ منَّا قُرْبَ شَمَّاسِ

قال : فأجابها أخوها الحكم بن سعيد بن يربوع يعزيها فقال :

أقنَى حياءك فى سترِ وفى كرمِ فإنما كان شَمَّاسٌ من الناسِ
لا تقتلِ النفسَ إذ حانت منيته فى طاعة الله يومَ الروعِ والباسِ
قد كان حمزةُ ليثَ الله فاصطبرى فذاق يومئذٍ من كأسِ شَمَّاسِ

وقالت هند بنت عتبة امرأة أبى سفيان حين رجعوا من أحد :

رجعتُ وفى نفسى بلابلُ جَمَّةٌ وقد فاتنى بعضُ الذى كان مَطْلَبِى
من اصحاب بدرٍ من قريش وغيرهم بنى هاشم منهم ومن أهلِ يثربِ
ولكننى قد نلتُ شيئًا ولم يكن كما كنتُ أرجو فى مَسِيرِى ومركمِ

وقد أورد ابن إسحاق فى هذا أشعاراً كثيرة تركنا كثيراً منها خشية الإطالة وخوف الملالة ، وفيما ذكرنا كفاية . والله الحمد .

وقد أورد الأموى فى مغازيه من الأشعار أكثر مما ذكره ابن إسحاق كما جرت عادته ، ولا سيما هاهنا .

فمن ذلك ما ذكره لسان بن ثابت أنه قال فى غزوة أحد . فالله أعلم :

طاوَعوا الشيطانَ إذ أخزاهمُ فاستبان الخِزْيُ فيهم والفشلُ
حين صاحوا صيحةً واحدةً معَ أبى سفيان قالوا أعلُ هُبْلُ
فأجبناهم جميعاً كلُّنا ربُّنا الرحمنُ أعلَى وأَجَلُ

اثبتوا تستعملوها مرة من حياض الموت والموت نَهَلْ
واعلموا أنا إذا ما نضحت عن خيال الموت قَدِرْتُ تَشْتَعِلْ
وكان هذه الأبيات قطعة من جوابه لعبد الله بن الزبيرى . والله أعلم .
« آخر الكلام على وقعة أحد »

فصل

قد تقدم ما وقع فى هذه السنة الثالثة من الحوادث والغزوات والسرايا ، ومن أشهرها
وقعة أحد كانت فى النصف من شوال منها ، وقد تقدم بسطها والله الحمد .

وفىها فى أحد توفى شهيداً أبو يعلى ، ويقال أبو عمارة أيضاً ، حمزة بن عبد المطلب
عم رسول الله صلى الله عليه وسلم الملقب بأسد الله وأسد رسوله ، وكان رضيع النبی صلى
الله عليه وسلم هو وأبو سلمة بن عبد الأسد ، أرضعتهم ثُوبية مولاة أبى لهب ، كما ثبت
ذلك فى الحديث المتفق عليه .

فعلى هذا يكون قد جاوز الخمسين من السنين يوم قتل رضى الله عنهم ، فإنه كان
من الشجعان الأبطال ومن الصديقين الكبار ، وقتل معه يومئذ تمام السبعين . رضى
الله عنهم أجمعين .

وفىها عقد عثمان بن عفان على أم كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد
وفاة أختها رقية ، وكان عقده عليها فى ربيع الأول منها ، وبني بها فى جمادى الآخرة
منها . كما تقدم فيها . ذكره الواقدي .

وفىها قال ابن جرير : ولد لفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسن بن على
ابن أبى طالب . قال : وفىها علقت بالحسين رضى الله عنهم .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رب يسر

سنة أربع من الهجرة النبوية

في المحرم منها كانت سرية أبي سلمة بن عبد الأسد إلى طليحة الأسدي ، فانتهى إلى ما يقال له قطن .

قال الواقدي : حدثنا عمر بن عثمان بن عبد الرحمن بن سعيد اليربوعي ، عن سلمة ابن عبد الله بن عمر بن أبي سلمة وغيره ، قالوا : شهد أبو سلمة أحداً فجرح جرحاً على عضده ، فأقام شهراً يداوى ، فلما كان المحرم على رأس خمسة وثلاثين شهراً من الهجرة ، دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : اخرج في هذه السرية فقد استعملتك عليها . وعقد له لواء وقال : سير حتى تأتي أرض بني أسد فأغر عليهم ، وأوصاه بتقوى الله وبمن معه من المسلمين خيراً .

وخرج معه في تلك السرية خمسون ومائة .

فانتهى إلى أدنى قطن ، وهو ماء لبني أسد ، وكان هناك طليحة الأسدي وأخوه سلمة ابنا خويلد ، وقد جمعا حلفاء من بني أسد ليقصدوا حرب النبي صلى الله عليه وسلم ، فجاء رجل منهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره بما تمالأوا عليه فبعث معه أبا سلمة في سرية هذه .

فلما انتهوا إلى أرضهم تفرقوا وتركوا نعا كثيراً لهم من الإبل والغنم ، فأخذ ذلك كله أبو سلمة وأسر منهم معه ثلاثة ممالك ، وأقبل راجعاً إلى المدينة ، فأعطى ذلك الرجل

الأسدى الذى دلّهم نصيباً وافراً من المغنم ، وأخرج صَفِيّ النّبي صلى الله عليه وسلم ، عبداً وخمس الغنيمة ، وقسمها بين أصحابه . ثم قدم المدينة .

قال عمر بن عثمان : فحدثني عبد الملك بن عبيد ، عن عبد الرحمن بن سعيد بن يربوع ، عن عمر بن أبى سلمة قال : كان الذى جَرَحَ أبى أبوسامة الجُشمى ، فمكث شهراً يداويه فبرأ ، فلما برأ بعثه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى الحرم ، يعنى من سنة أربع ، إلى قَطَنَ ، فغاب بضعة عشرة ليلة ، فلما دخل المدينة انتقض به جرحه فمات لثلاث بقين من جمادى الأولى .

قال عمر : واعتدّت أمى حتى خلت أربعة أشهر وعشر ، ثم تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل بها فى ليالٍ بقين من شوال ، فكانت أمى تقول : ما بأسٌ بالنكاح فى شوال والدخول فيه ، قد تزوجنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شوال وبئى فيه .

قال : وماتت أم سلمة فى ذى القعدة سنة تسع وخمسين .

رواه البيهقى .

قلت : سنذكر فى أواخر هذه السنة فى شواها تزيج النّبي صلى الله عليه وسلم بأم سلمة ، وما يتعلق بذلك من ولاية الابن أمّه فى النكاح ، ومذاهب العلماء فى ذلك . إن شاء الله تعالى . وبه الثقة .

غزوة الرّجيع

قال الواقدي : وكانت في صفر يعني سنة أربع . بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهل مكة ليحيزوه .

قال : والرّجيع على ثمانية أميال من عسفان .

قال البخاري : حدثني إبراهيم بن موسى ، أخبرنا هشام بن يوسف ، عن معمر ، عن الزهري ، عن عمرو بن أبي سفيان الثقفي ، عن أبي هريرة ، قال : بعث النبي صلى الله عليه وسلم سرية عينا ، وأمر عليهم عاصم بن ثابت ، وهو جدّ عاصم ^(١) بن عمر بن الخطاب .

فانطلقوا حتى إذا كانوا بين عسفان ومكة ، ذكروا الحية من هذيل يقال لهم بنو لحيان ، فتبعوهم بقریب من مائة رايم ، فاقتصوا آثارهم حتى أتوا منزلا نزله فوجدوا فيه نوى تمر تزودوه من المدينة فقالوا : هذا تمر يثرب . فتبعوا آثارهم حتى لحقوهم .

فلما انتهى عاصم وأصحابه لجأوا إلى فدّقد ^(٢) ، وجاء القوم فأحاطوا بهم فقالوا : لكم العهد والميثاق إن نزلتم إلينا ألا نقتل منكم رجلاً . فقال عاصم : أما أنا فلا أنزل في ذمة كافر ، اللهم أخبر عنا رسولك .

فقاتلهم حتى قتلوا عاصمًا في سبعة عر بالنبل .

وبقي خبيب وزيد ورجل آخر ، فأعطوهم العهد والميثاق ، فلما أعطوهم العهد والميثاق

(١) قال الحافظ عبد العظيم : غلط عبد الرزاق وابن عبد البر فقالا في عاصم هذا : هو جد عاصم بن عمر ابن الخطاب ، وذلك . هـ . وإنما هو خال عاصم ، لأن أم عاصم بن عمر جميلة بنت ثابت ، وعاصم هو أخو جميلة . كذا ذكر ذلك الزبير القاضى وعمه مصعب . لإرشاد السارى ٣١٢/٦ .

(٢) فدّقد : را مشرفة .

نزلوا إليهم ، فلما استمكنوا منهم حلّوا أوتارَ قسيّهم فربطوهم بها ، فقال الرجل الثالث الذى معهما : هذا أول القدر ! فأبى أن يصحبهم . فخرّوه وعالجوه على أن يصحبهم فلم يفعل ، فقتلوه .

وانطلقوا بحُبَيْب وزيد حتى باعواهما بمكة ، فاشتري خُبَيْباً بنو الحارث بن عامر بن نوفل ، وكان خبيب هو قتل الحارث يوم بدر ، فكثّ عندهم أسيراً حتى إذا أجمعوا قتله استعار موسى من بعض بنات^(١) الحارث يستعدّ بها فأعارته .

قالت : ففعلتُ عن صبيّ لى فدرج إليه حتى أتاه فوضعه على نخذه ، فلما رأيته فرغتُ فرجةَ عَرَفَ ذلك منى ، وفى يده موسى فقال : أتحشّين أن أقتله ؟ ما كنت لأفعل ذلك إن شاء الله .

وكانت تقول : : مارأيتُ أسيراً قط خيراً من حُبَيْب ، لقد رأيته يأكل من قِطْفِ عنب وما بمكة يومئذٍ من ثمرة ، وإنه لموثق فى الحديد وما كان إلا رزقاً رزقه الله .

فخرجوا به من الحرم ليقتلوه فقال : دعونى أصلى ركعتين ، ثم انصرف إليهم فقال : لولا أن تروا أن ما بى جزعٌ من الموت لزدت . فكان أول من سنَّ الركعتين عند القتل هو . ثم قال : اللهم أحصهم عدداً واقتلهم بدداً . ثم قال :

ولستُ أبالى حين أُقتل مُسلماً على أى شقٍّ كان فى الله مضرعى
وذلك فى ذات الإله وإن يشأْ يُبارك على أوصالٍ شلّوْ مُمرّعى^(٢)

قال : ثم قام إليه عُقبة بن الحارث فقتله ، وبعثت قريش إلى عاصم ليؤتوا بشيء من جسده يعرفونه ، وكان عاصم قتل عظيماً من عظمائهم^(٣) يومَ بدر ، فبعث الله

(١) اسمها زينب بنت الحارث : أخت عقبة بن الحارث الذى قتل خبيبا .
(٢) أوصال : جمع وصل وهو العضو . والشلو : الجسد والعضو . (٣) قيل : هو عقبة بن أبى معيط .

عليه مثل الظَّلَّة من الدَّبر^(١) فحمتَه من رُسُلهم فلم يَقْدروا منه على شيء .

وقال البخارى : حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثنا سفيان ، عن عمرو ، سمع جابر بن عبد الله يقول : الذى قتل خبيباً هو أبو سرّوعة .

قلت : واسمه عقبة بن الحارث وقد أسلم بعد ذلك ، وله حديث فى الرضاع وقد قيل إن أبا سرّوعة وعقبة أخوان . فالله أعلم .

هكذا ساق البخارى فى كتاب المغازى من صحيحه قصة الرَّجِيع . ورواه أيضاً فى التوحيد وفى الجهاد من طرق ، عن الزهرى ، عن عمرو بن أبى سفيان وأسد ابن حارثة الثقفى جليف بنى زهرة ، ومنهم من يقول عمر بن أبى سفيان والمشهور عمرو .

وفى لفظ للبخارى : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة رهطٍ سريةً عيناً ، وأمر عليهم عاصم بن ثابت بن أبى الأفلح . وساق بنحوه .

وقد خالفه محمد بن إسحاق وموسى بن عقبة وعروة بن الزبير فى بعض ذلك .

ولنذكر كلام ابن إسحاق ليعرف ما بينهما من التفاوت والاختلاف ، على أن ابن إسحاق إمام فى هذا الشأن غير مدافع ، كما قال الشافعى رحمه الله : من أراد المغازى فهو عيال على محمد بن إسحاق !

قال محمد بن إسحاق : حدثنا عاصم بن عمر بن قتادة قال : قدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أحد رهطٍ من عَصَل القارة ، فقالوا : يا رسول الله إنَّ فينا إسلاماً فابعث معنا نفرًا من أصحابك يفقهوننا فى الدين ويقرئونا القرآن ويعلموننا شرائع الإسلام .

فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم نفراً ستة من أصحابه ، وهم مرثد بن أبي مرثد الغنوى ، حليف حمزة بن عبد المطلب .

قال ابن إسحاق : وهو أمير القوم .

وخالد بن البكير الليثي حليف بني عدى ، وعاصم بن ثابت بن أبي الأفلح أخو بني عمرو بن عوف ، وخبيب بن عدى أخو بني جحجعي بن كلفة بن عمرو بن عوف ، وزيد بن الدثينة أخو بني بياضة بن عامر ، وعبد الله بن طارق حليف بني ظفر رضى الله عنهم .

هكذا قال ابن إسحاق أنهم كانوا ستة ، وكذا ذكر موسى بن عقبة وسامهم كما قال ابن إسحاق .

وعند البخارى : أنهم كانوا عشرة ، وعنده أن كبيرهم عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح . والله أعلم .

قال ابن إسحاق : فخرجوا^(١) مع القوم ، حتى إذا كانوا على الرجيع ماء لهذيل بناحية الحجاز من صدور الهداة^(٢) غدروا بهم ، فاستصرخوا عليهم هذيلًا ، فلم يرع القوم وهم في رحالهم إلا الرجال بأيديهم السيوف قد غشوم ، فأخذوا أسياقهم ليقاتلوا القوم فقالوا لهم : إنا والله ما نريد قتلكم ، ولكننا نريد أن نصيب بكم شيئًا من أهل مكة ، ولكم عهد الله وميثاقه ألا نقتلكم .

فأما مرثد وخالد بن البكير وعاصم بن ثابت فقالوا : والله لا نقبل من مشرك عهداً ولا عقدًا أبدًا ، وقال عاصم بن ثابت . والله أعلم والله الحمد والمنة :

ما علّيتى وأنا جلد نابل والقوس فيها وتر عُنابل^(٣)

(١) ابن هشام : فخرج . (٢) الهداة : موضع بين عسفان ومكة ، على سبعة أميال من عسفان .

(٣) النابل : صاحب النبل . والعُنابل : الغليظ .

تَزَلُّ عَنْ صَفَحَتِهَا الْمَعَابِلُ^(١) الْمَوْتُ حَقٌّ وَالْحَيَاةُ بَاطِلٌ
وَكُلُّ مَا حَمَّ الْإِلَهِ نَازِلٌ بِالْمَرَّةِ وَالْمَرَّةِ إِلَيْهِ آيِلٌ
إِنْ لَمْ أَقَاتِلْكُمْ فَأَمَى هَابِلٌ

وقال عاصم أيضاً :

أَبُو سَلِيْمَانَ وَرِيْشُ الْمُقْعَدِ وَضَالَّةٌ مِثْلُ الْجَحِيمِ الْمَوْقِدِ^(٢)
إِذَا النَّوَاجِي افْتُرَشَتْ لَمْ أُرْعِدِ وَنُجْنًا مِنْ جِلْدِ نَوْرِ أَجْرِدِ^(٣)
وَمُؤْمِنٌ بِمَا عَلَى مُحَمَّدٍ

وقال أيضاً :

أَبُو سَلِيْمَانَ وَمِثْلِي رَامِي وَكَانَ قَوِيٌّ مَعْشَرًا كِرَامًا

قال : ثم قاتل حتى قتل وقتل صاحبه .

فلما قُتِلَ عَاصِمٌ أَرَادَتْ هَذِيلُ أَخْذَ رَأْسِهِ لِيَبِيعُوهُ مِنْ سُلَاقَةِ بِنْتِ سَعْدِ بْنِ سَهِيلٍ ،
وَكَانَتْ قَدْ نَذَرَتْ حِينَ أَصَابَ ابْنُهَا يَوْمَ أَحَدٍ : لَنْ قَدَّرْتُ عَلَى رَأْسِ عَاصِمٍ لَتَشْرِبَنَّ
فِي قِحْفِهِ الْخَمْرَ .

فَنَعْنَتْهُ الدَّبَّيْرُ ، فَلَمَّا حَالَتَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ قَالُوا : دَعُوهُ حَتَّى يُمَسِّيَ فَيُذْهِبَ عَنْهُ فَنَأْخُذَهُ ،
فَبِعَثَ اللَّهُ الْوَادِيَّ فَاحْتَمَلَ عَاصِمًا فَذَهَبَ بِهِ .

وَقَدْ كَانَ عَاصِمٌ قَدْ أُعْطِيَ اللَّهُ عَهْدًا لَا يَمَسُّهُ مُشْرِكٌ وَلَا يَمَسُّ مُشْرِكًا
أَبَدًا . تَنْجَسًا .

فَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَقُولُ حِينَ بَلَغَهُ أَنَّ الدَّبَّيْرَ مَنَعَتْهُ : يَحْفَظُ اللَّهُ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ !

(١) المعابل : جمع معبلة وهو نصل عريض طويل .

(٢) المقعد : رجل كان يريش السهام . والضالة : السلاح ، أو السهام .

(٣) النجنا : الترس لاحتديد فيه . والأجرد : الأملس .

كان عاصم نذر الأيمسه مشرك ولا يمسّ مشركاً أبداً في حياته ، فمنعه الله بعد وفاته
كما امتنع منه في حياته !

قال ابن إسحاق : وأما خبيب وزيد بن الدثينة وعبد الله بن طارق ، فلانوا
ورقوا ورغبوا في الحياة وأعطوا بأيديهم ، فأسروهم ثم خرجوا بهم إلى مكة
ليبيعهم بها .

حتى إذا كانوا بالظهران انتزع عبد الله بن طارق يده من القرآن ثم أخذ سيفه
واستأخر عنه القوم فرموه بالحجارة حتى قتلوه ، فقبّره بالظهران .

وأما خبيب بن عدي وزيد بن الدثينة ، فقدموا بهما مكة ، فباعوهما من قريش
بأسيرين من هذيل كانا بمكة .

قال ابن إسحاق : فابتاع خبيبا حجير بن أبي إهاب التميمي حليف بني نوفل
لعمبة بن الحارث بن عامر بن نوفل ، وكان أبو إهاب أخا الحارث بن عامر لأمه
ليقتله بأبيه .

قال : وأما زيد بن الدثينة فابتاعه صفوان بن أمية ليقتله بأبيه ، فبعثه مع مولى له
يقال له نسطاس إلى التنعيم ، وأخرجه من الحرم ليقتله ، واجتمع رهط من قريش فيهم
أبو سفيان بن حرب ، فقال له أبو سفيان حين قدم ليقتل : أنشدك الله يا زيد ، أنحب
أن محمداً الآن عندنا مكانك نضرب عنقه وأنت في أهلك ؟

قال : والله ما أحب أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وأنا
جالس في أهلي .

قال : يقول أبو سفيان : ما رأيت من الناس أحداً يحب أحداً كحب أصحاب

محمد محمداً !

قال : ثم قتله نسطاس .

قال : وأما خبيب بن عدى : فحدثني عبد الله بن أبي نجيح أنه حدث عن مائوية مولاة حجير بن أبي إهاب ، وكانت قد أسلمت ، قالت : كان عندى خبيب حُسن فى بيتى ، فلقد أطلعت عليه يوماً وإن فى يده لقطعاً من عنب مثل رأس الرجل يأكل منه ، وما أعلم فى أرض الله عنباً يؤكل !

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي نجيح أنهما قالا : قالت : قال لى حين حصَّره القتل : ابغى إلى بحديدة أنظهرُ بها للقتل . قالت : فأعطيت غلاماً من الحى الموصى ، فقلت له : ادخل بها على هذا الرجل البيت . فقالت : فوالله إن هو إلا أن ولى الغلامُ بها إليه فقلت : ماذا صنعتُ ؟! أصاب والله الرجل ثأره ، يقتل هذا الغلام فيكون رجلاً برجل .

فلما ناوله الحديدة أخذها من يده ثم قال : لعمرك ماخفت أملك غدرى حين بعثتك بهذه الحديدة إلى ! ثم خلى سبيله .

قال ابن هشام : ويقال إن الغلام ابنها .

قال ابن إسحاق : قال عاصم : ثم خرجوا بخبيب حتى جاءوا به إلى التنعيم ليصلبوه .

وقال لهم : إن رأيتم أن تدعوى حتى أركع ركعتين فافعلوا ، قالوا : دونك فاركع . فركع ركعتين أتمهما وأحسنهما ، ثم أقبل على القوم فقال : أما والله لولا أن تظنثوا أنى إنما طوَّلت جزعاً من القتل لاستكثرتُ من الصلاة .

قال : فكان خبيب أول من سنَّ هاتين الركعتين عند القتل للمسلمين (١) .

(١) فى هامش الأصل : « حاشية بخط المصنف . قال السهيلي : وإنما صارت سنة لأنها فعلت فى زمن النبي صلى الله عليه وسلم واستحسن من صنيعه ، قال : وقد صلاها يزيد بن حارثة فى حياة النبي صلى الله عليه وسلم .

قال : ثم رفعوه على خشبة فلما أوثقوه قال : اللهم إنا قد بلفنا رسالة رسولك ، قبلته
الغداة ما يصنع بنا ، ثم قال : اللهم أحصهم عدداً واقتلهم بدداً ولا تغادر منهم أحداً .
ثم قتلوه .

وكان معاوية بن أبي سفيان يقول : حضرته يومئذ فيمن حضره مع أبي سفيان ،
فلقد رأيته يُلقيني إلى الأرض فرقاً من دعوة خبيب ، وكانوا يقولون : إن الرجل إذا
دُعي عليه فاضطجع لجنبه زلت عنه .

وفي مغازي موسى بن عقبة : أن خبيبا وزيد بن الدثنة قُتلا في يوم واحد ، وأن
رسول الله صلى الله عليه وسلم سَمِعَ يومَ قُتلا وهو يقول : وعليكما أو عليك السلام .
خبيب قتله قريش !

وذكر أنهم لما صلّوا زيد بن الدثنة رموه بالنبل ليفتنوه عن دينه ، فما زاده إلا
إيماناً وتسليماً .

ثم ساق بإسناده من طريق أبي بكر بن أبي خيثمة ، عن يحيى بن معين ، عن يحيى بن عبد الله بن
بكير ، عن الليث بن سعد قال : بلغني أن زيد بن حارثة استأجر من رجل بفلا من الطائف واشترط عليه
السكري أن ينزله حيث شاء ، قال به إلى خربة فإذا بها قتلى كثيرة ، فلما هم بقتله قال له زيد : دعني حتى
أصلي ركعتين . فقال : صل ركعتين ، فطالما صلى هؤلاء فلم تنفعهم صلاتهم شيئاً !
قال : فصليت ثم جاء ليقتلني فقلت : يا أرحم الراحمين ، فإذا صارخ يقول : لا تقتله . فهاب وذهب ينظر
فلم ير شيئاً ، ثم جاء ليقتلني فقلت : يا أرحم الراحمين . فسمع أيضاً الصوت يقول لا تقتله . فذهب لينظر ثم
جاء ، فقلت يا أرحم الراحمين ، فإذا أنا بفارس على فرس في يده حرب في رأسها شعلة من نار فطعنه بها
حتى أفضده فوق ميتا ، ثم قال : لما دعوت الله في المرة الأولى كنت في السماء السابعة ، ولما دعوته في المرة
الثانية كنت في السماء الدنيا ، ولما دعوته في الثالثة أتيتك .

قال السهيلي : وقد صلاها حجر بن عدى بن الأديب حين حمل إلى معاوية من العراق ومعه كتاب زياد
ابن أبيه وفيه : أنه خرج عليه وأراد خله ، وفي الكتاب شهادة جماعة من التابعين منهم الحسن وابن
سيرين ، فلما دخل على معاوية قال : السلام عليك يا أمير المؤمنين . قال : أو أنا أمير المؤمنين ؟ وأمر بقتله .
فصلى ركعتين قبل قتله ثم قتل رحمه الله .

قال : وقد عاتبت عائشة معاوية في قتله فقال : إنما قتله من شهد عليه ، ثم قال : دعيني وحجراً فأني
سألقاه على الجادة يوم القيامة ! . قالت : فأين ذهب عنك حلم أبي سفيان ؟ قال : حين غاب مثلك من
قومي « اهـ » .

وذكر عروة وموسى بن عقبة أنهم لما رفعوا خبيباً على الخشبة نادوه يناشدونه :
أحب أن محمداً مكانك ؟

قال : لا والله العظيم ما أحب أن يفدني بشوكة يشاكها في قدمه ! فضحكوا منه .
وهذا ذكره ابن إسحاق في قصة زيد بن الدثنة . فالله أعلم .
قال موسى بن عقبة : زعموا أن عمرو بن أمية دفن خبيباً .

قال ابن إسحاق : وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد ،
عن عقبة بن الحارث ، قال : سمعته يقول : والله ما أنا قتلت خبيباً ، لأننا كنت أصغر من
ذلك ، ولكن أبا ميسرة أخا بني عبد الدار أخذ الحربة فجعلها في يدي ، ثم أخذ يدي
وبالحربة ثم طعنه بها حتى قتله .

قال ابن إسحاق : وحدثني بعض أصحابنا قال : كان عمر بن الخطاب استعمل سعيد
ابن عامر بن حذيم الجمحي على بعض الشام ، فكانت تصيبه غشية وهو بين ظهري
القوم ، فذكر ذلك لعمر وقيل : إن الرجل مصاب ، فسأله عمر في قدمه قدمها عليه فقال :
ياسعيد ما هذا الذي يصيبك ؟ فقال : والله يا أمير المؤمنين ما بي من بأس ، ولكنني كنت
فيمن حضر خبيب بن عدي حين قُتل ، وسمعت دعوته ، فوالله ما خطرَ على قلبي
وأنا في مجلس قط إلا غشي علي ! فزادته عند عمر خيراً .

وقد قال الأموي : حدثني أبي قال : قال ابن إسحاق : وبلغنا أن عمر قال : من
سره أن ينظر إلى رجل نسيجٍ وحده فليُنظر إلى سعيد بن عامر .

قال ابن هشام : أقام خبيب في أيديهم حتى انسلخت الأشهر الحرم ثم قتلوه .

وقد روى البيهقي من طريق إبراهيم بن إسماعيل ، حدثني جعفر بن عمرو بن أمية ،
عن أبيه ، عن جده عمرو بن أمية ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بعثه عيناً وحده
قال : جئت إلى خشبة خبيب فرقيت فيها وأنا أتخوف العيون ، فأطلقته فوقع إلى الأرض

ثم اقتحمتُ فانتبذت قليلا ، ثم التفتُ فلم أر شيئا ، فكأُنا بلعته الأرض ، فلم تُدكر
لخبيب رمة حتى الساعة .

ثم روى ابن إسحاق عن محمد بن أبي محمد ، عن سعيد أو عكرمة ، عن ابن عباس ،
قال : لما قُتل أصحاب الرّجيع قال ناس من المنافقين : يا ويح هؤلاء المفتونين الذين
هلكوا هكذا ، لاهم أقاموا في أهلهم ولاهم أدّوا رسالة أصحابهم .

فأنزل الله فيهم : « ومن الناس من يُعجبك قوله في الحياة الدنيا ويُشهد الله على
ما في قلبه وهو ألدُّ الخصام ^(١) » وما بعدها .

وأنزل الله في أصحاب السرية « ومن الناس من يَشْرِي نفسه ابتغاءَ مَرْضاة الله والله
رءوف بالعباد ^(٢) » .

قال ابن إسحاق وكان مما قيل من الشعر في هذه الغزوة قولُ خبيب حين أجمِعوا
على قتله . قال ابن هشام : ومن الناس من ينكرها له :

لقد جمع الأحزابُ حَوْلِي وألْبُوا	قبائلهم واستَجَمَعُوا كُلَّ تَجْمَعِ
وكلهم مُبْدِي العداوةِ جَاهِدُ	عَلَيَّ لَأَنِّي فِي وَثَاقٍ بِمَضْمَعٍ ^(٣)
وقد جَمَعُوا أبناءهم ونساءهم	وَقُرِّبْتُ مِنْ جَذَعٍ طَوِيلٍ مُمْنَعِ
إلى الله أشكو غُرْبَتِي ثم كُرْبَتِي	وما أرصد الأعداء ^(٤) لي عند مصرعي
فذا العرش صَبَرَنِي على ما يراد بي	فقد بضَعُوا الحِيَّ وقد يأس مَطْمَعِي
وذلك في ذات الإله وإن يشَأْ	يبارِكُ على أوصالِ شِلْوٍ مُمَزَّعِ
وقد خيّرُونِي الكفرَ والموتُ دونه	وقد هَمَلت عَيْنَايَ مِنْ غَيْرِ مُجْزَعِ
وما بي حذارُ الموتِ إِنِّي لَمَيِّتٌ	ولكن حذارِي جَحَمُ نارٍ مُلْفَعِ

(١) سورة البقرة ٢٠٤ . (٢) سورة البقرة ٢٠٧ (٣) ابن هشام : بمصيه . (٤) ابن هشام : الأحزاب .

فوالله ما أرجو إذا ميتٌ مسلماً على أى جنبٍ كان في الله مضجعي
فلست بمبديٍّ للعدوِّ تحشعاً ولا جزعاً إني إلى الله مرجعي
وقد تقدم في صحيح البخارى بيتان من هذه القصيدة وهما قوله :

فلست أبالي حين أقتلُ مسلماً على أى شِقٍّ كان في الله مضرعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ يبارك على أوصالٍ شلّو ممزعر

وقال حسان بن ثابت يرثي خبيباً فيما ذكره ابن إسحاق :

ما بال عينك لا ترقأ مدامعها سحاً على الصدرِ مثل اللؤلؤ القلق^(١)
على خبيبٍ فتى الفتيا قد علموا لا فشل حين تلقاه ولا نزق
فاذهب خبيبُ جزاك الله طيبةً وجنةً أخلد عند الحور في الرفق
ماذا تقولون إن قال النبي لكم حين الملائكة الأبرار في الأفق
فيم قتلتم شهيد الله في رجلى طاغٍ قد أوعث في البلدان والرفق^(٢)
قال ابن هشام : تركنا بعضها لأنه أقذع فيها .

وقال حسان يهجو الذين غدروا بأصحاب الرّجيع من بنى لحيان ، فيما ذكره ابن إسحاق
والله أعلم والله الحمد والمنة والتوفيق والعصمة :

إن سرك الغدرُ صرفاً لا مزاج له قأت الرّجيع فسَلَّ عن دار لحيان
قومٌ تواصوا بأكل الجار بينهم فالكلبُ والفرد والإنسانُ مثلان
لو ينطق التيسُ يوماً قام يخطبهم وكان ذا شرفٍ فيهم وذا شان
وقال حسان بن ثابت أيضاً ، يهجو هذيلًا وبنى لحيان على غدرهم بأصحاب الرّجيع
أرضى الله تعالى عنهم أجمعين :

لعمري لقد شانت هذيل بن مدرك أحاديثُ كانت في خبيب وعاصم

(١) القلق : التحرك المتساقط . والأصل : القلق . وما أنبته عن ابن هشام .

(٢) الرفق : جمع رفقة .

أَحَادِيثُ لَحْيَانٍ صَلَّوْا بِقَبِيحِهَا
 أَنَسٌ هُمْ مِنْ قَوْمِهِمْ فِي صَمِيمِهِمْ
 هُمْ غَدَرُوا يَوْمَ الرَّجِيعِ وَأَسْلَمْتُ
 رَسُولَ رَسُولِ اللَّهِ غَدْرًا وَلَمْ تَكُنْ
 فَسُوفَ يَرْوَنَ النَّصْرَ يَوْمًا عَلَيْهِمْ
 أَبَابِيلُ دُبُرِ شَمْسٍ دُونَ لَحْمِهِ
 لَعْلَ هَذِيلاً أَنْ يَرَوْا بِمَصَابِهِ
 وَنُوقِعَ فِيهَا وَقْعَةً ذَاتَ صَوْتَةٍ
 بِأَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ إِنَّ رَسُولَهُ
 قَبِيلَةٌ لَيْسَ الْوَفَاءُ بِهِمْ
 إِذَا النَّاسُ حَلُّوا بِالْفَضَاءِ رَأَيْتَهُمْ
 مَحْلَهُمْ دَارُ الْبُورِ وَرَأَيْتَهُمْ
 وَلَحْيَانُ جَرَّ أَمُونُ شَرَّ الْجَرَائِمِ
 بِمَنْزِلَةِ الزَّمْعَانِ دُبُرِ الْقَوَادِمِ ^(١)
 أَمَاتَهُمْ ذَا عَفَاةٍ وَمَكَارِمِ
 هَذِيلٌ تَوَقَّى مُفْكَرَاتِ الْحَارِمِ
 بِقَتْلِ الَّذِي تَحْمِيهِ دُونَ الْحَرَائِمِ
 حَمَتْ لَحْمَ شَهَادٍ عَظِيمِ الْمَلَا حِمِ ^(٢)
 مَصَارِعَ قَتْلَى أَوْ مَقَامَا الْمَأْتَمِ
 يُوَافِي بِهَا الرِّكْبَانُ أَهْلَ الْمَوَاسِمِ
 رَأَى رَأَى ذِي حِزْمٍ يَلْحِيَانُ عَالِمِ
 وَإِنْ ظَلَمُوا لَمْ يَدْفَعُوا كَفَّ ظَالِمِ
 بِمَجْرَى مَسِيلِ الْمَاءِ بَيْنَ الْحَارِمِ ^(٣)
 إِذَا نَابَهُمْ أَمْرٌ كَرَّ أَيْ الْبَهَائِمِ

وقال حسان رضى الله عنه أيضاً يمدح أصحاب الرجيع ويسميهم بشعره ، كما ذكره
 ابن إسحاق رحمه الله تعالى :

صَلَّى إِلَهِ عَلَى الَّذِينَ تَتَابَعُوا
 رَأْسُ السَّرِيَةِ مَرْدُودٌ وَأَمِيرُهُمْ
 وَابْنُ لِيَطَارِقُ وَابْنُ دَثَنَةَ مِنْهُمْ
 وَالْعَاصِمُ الْمَقْتُولُ عِنْدَ رَجِيعِهِمْ
 مَنَعَ الْمَقَادَةَ أَنْ يَتَالَوْا ظَهْرَهُ
 يَوْمَ الرَّجِيعِ فَأَكْرَمُوا وَأُثْبِتُوا
 وَابْنُ الْبُكَيْرِ إِمَامُهُمْ وَخُثَيْبُ
 وَافَاهُ نَمَّ حَامُهُ الْمَكْتُوبُ
 كَسَبَ الْمَعَالَى إِنَّهُ لَكَ كَسُوبُ
 حَتَّى يُجَالِدَ إِنَّهُ لَنَجِيبُ
 قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَأَكْثَرُ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالشَّعْرِ يَنْكُرُهَا لِحْسَانِ .

(١) الزمعة : هنة زائدة وراء الظلف أو شبه أظفار الغنم في الرسغ وأراد بالقوادم : الأيدي .

(٢) الأبابيل : الجماعات . والدبر : ذكور النحل . والشمس : الحامية . والملاحم : الحروب . وفي ابن

هشام : عظام الملاحم . (٣) الحارم : مسابيل الماء .

سرية عمرو بن أمية الضمري

على أثر مقتل خبيب

قال الواقدي : حدثني إبراهيم بن جعفر ، عن أبيه ، وعبد الله بن أبي عبيدة ، عن جعفر بن [الفضل بن الحسن بن ^(١)] عمرو بن أمية الضمري ، وعبد الله بن جعفر ، عن عبد الواحد بن أبي عوف ، وزاد بعضهم على بعض قالوا : كان أبو سفيان بن حرب قد قال لغفر من قريش بمكة : ما أحدٌ يفتال محمداً فإنه يمشي في الأسواق فندرك ثأرنا ؟ فأتاه رجل من العرب فدخل عليه منزله وقال له : إن أنت وفيتني خرجتُ إليه حتى أغتاله ، فإني هادٍ بالطريق خريّت ، معي خنجر مثل خافية النسر . قال : أنت صاحبنا . وأعطاه بعبيراً ونفقة وقال : اطوِ أمرَكَ فإني لا آمن أن يسمع هذا أحدٌ فيَنميهِ إلى محمد . قال : قال العربي : لا يعلمه أحد .

فخرج ليلاً على راحلته فسار خمساً وصَبَحَ ظَهْرَ الحَيِّ يوم سادسة ، ثم أقبل يسأل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى المصلى فقال له قائل : قد توجه إلى بني عبد الأشهل .

فخرج الأعرابي يقود راحلته حتى انتهى إلى بني عبد الأشهل فعقل راحلته ثم أقبل يوم رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجده في جماعة من أصحابه يتحدث في مسجده . فلما دخل ورآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه : إن هذا الرجل يريد غدراً والله حائلٌ بينه وبين ما يريد . فوقف وقال : أيكم ابن عبد المطلب ؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنا ابن عبد المطلب . فذهب ينحني على رسول الله صلى الله عليه

(١) هذه الزيادة وما بعدها من أمثالها منقولة عن الطبري ٣ : ٣٢ .

وسلم كأنه يُسارُهُ فحبَّذهُ أُسيد بن حُضَيْر وقال : تنحَّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجذب بداخل إزاره ، فإذا الخنجر ، فقال : يا رسول الله هذا غادر .

فأسقط في يد الأعرابي وقال : دَمِي دَمِي يا محمد . وأخذه أُسيد بن حُضَيْرُ يَلْبِسُهُ فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : اصدقتني ما أنت وما أقدمك ، فإن صدقتني نفعتك الصدق ، وإن كذبتني فقد اطلعتُ على ما هممت به . قال العربي : فأنا آمن ؟ قال : وأنت آمن .

فأخبره بنجر أبي سفيان وما جعل له . فأمر به فحبس عند أُسيد بن حُضَيْر ، ثم دعا به من الغد فقال : قد أمنتك فاذهب حيث شئت ، أو خير لك من ذلك ؟ قال : وما هو ؟ فقال : أن تشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله .

فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأنك أنت رسول الله ، والله يا محمد ما كنت أفرقُ من الرجال ، فما هو إلا أن رأيتك فذهب عقلي وضعفتُ ثم اطلعت على ما هممتُ به ، فما سبقت به الركبان ولم يَطَّلِع عليه أحدٌ ، فعرفتُ أنك ممنوع ، وأنك على حق ، وأن حزب أبي سفيان حزب الشيطان .

فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يتبسم . وأقام أياماً ثم استأذن النبي صلى الله عليه وسلم فخرج من عنده ولم يُسمع له بذكر .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن أمية الصَّمَرِي ولسلمة بن أسلم بن حَرِيس^(٢) : اخرجوا حتى تأتيا أبا سفيان بن حرب ، فإن أصبنا منه غِرَّةً فاقتلاه .

قال عمرو : فخرجت أنا وصاحبي حتى أتينا بطن يأجيج ، فقيدنا بعيرنا وقال لي صاحبي : يا عمرو هل لك في أن تأتي مكة فنطوف بالبيت سبعا ونصلي ركعتين فقلت : [أنا أعلم بأهل مكة منك إنهم إذا أظلموا رشوا أفئيتهم ثم جلسوا بها]^(١) [إني أعرف

(١) من تاريخ الطبري : ٣/ ٣٢ . (٢) الأصل : حريش . وهو تحريف وما أثبتته عن شرح

بمكة من الفرس الأبلق . فأبى عليٌّ فأنطلقنا فأتينا مكة فطفنَّا أسبوعاً^(١) وصلينا ركعتين ، فلما خرجت لقيني معاوية بن أبي سفيان فعرفني وقال : عمرو بن أمية ، واحزنناه . فنذير بنا أهل مكة ، فقالوا : ماجاء عمرو في خير . وكان عمرو فأنسكا في الجاهلية . فحشد أهل مكة وتجمعوا ، وهرب عمرو وسلمة وخرجوا في طلبهما واشتدوا في الجبل . قال عمرو : فدخلت في غار فتنصبت عنهم حتى أصبحت ، وباتوا يطلبوننا في الجبل وعمى الله عليهم طريق المدينة أن يهتدوا له ، فلما كان ضحوة الغد أقبل عثمان بن مالك بن عبيد الله التيمي يخطي لفرسه حشيشاً فقلت لسلمة بن أسلم : إذا أبصرنا أشعر بنا أهل مكة وقد انفضوا عنا . فلم يزل يدنو من باب الغار حتى أشرف علينا ، قال : فخرجت إليه فطعمته طعنة تحت الثدي بمنجرجى ، فسقط وصاح فاجتمع أهل مكة فأقبلوا بعد تفرقهم [ورجعت إلى مكاني فدخلت فيه] وقلت لصاحبي : لا تتحرك . فأقبلوا حتى أتوه وقالوا : من قتلك؟ قال : عمرو بن أمية الضمري . فقال أبو سفيان : قد علمنا أنه لم يأت خيبر . ولم يستطع أن يخبرهم بمكاننا؛ فإنه كان بآخر رمق فمات ، وشغلوا عن طلبنا بصاحبهم فحملوه ، فمكثنا ليلتين في مكاننا حتى [سكن عنا الطلب ثم] خرجنا [إلى التنعيم] فقال صاحبي : يا عمرو بن أمية ، هل لك في خبيب بن عدى تُنزله ؟ فقلت له : أين هو ؟ قال : هو ذاك مصلوب حوله الخرس . فقلت : أمهلني وتنح عني فإن خشيت شيئاً فأنحُ إلى بعيرك فاقعد عليه فأت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر ودعني فإنني عالم بالمدينة . ثم استدرت عليه حتى وجده فحملته على ظهري فما مشيت به إلا عشرين ذراعاً حتى استيقظوا فخرجوا في أثرى فطرحت الخشبة فما أنسى وجيبها ، يعني صوتها ، ثم أهلت عليه التراب برجلي ، فأخذت طريق الصفراء فأغيوا ورجعوا ، وكنت لا أدرى مع بقاء نفسي ، فأنطلق صاحبي إلى البعير فركبه ، وأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره ،

وأقبلتُ حتى أشرفت على الغليل غليل ضجنان ، فدخلتُ في غارٍ معي قوسي وأسهمي
وخنجرى ، فبينما أنا فيه إذ أقبل رجل من بنى الدَّيْل بن بكر أعور طويل يسوق غنما
ومعزى ، فدخل الغار وقال : من الرجل ؟ فقلت : رجل من بنى بكر . فقال : وأنا من
بنى بكر . ثم اتسكا ورفع عقيرته يتغنى ويقول :

فلستُ بمُسلمٍ مادمتُ حيًّا واستُ أدِين دين المساهمينَا

فقلت في نفسي : والله إنى لأرجو أن أقتلك . فلما نام قت إليه فقتلته شرَّ قتلة
قتلها أحد قط .

ثم خرجت حتى هبطت ، فلما أسهلت في الطريق إذا رجلان بعثما قريش يتجسسان
الأخبار ، فقلت : استأسرا فأبى أحدهما فرميته فقتلته ، فلما رأى ذلك الآخر استأسر
فشددته وثاقاً ، ثم أقبلت به إلى النبي صلى الله عليه وسلم .

فلما قدمتُ المدينة أتى صبيانُ الأنصار وهم يلعبون ، وسمعوا أشياخهم يقولون :
هذا عمرو . فاشتد الصبيان إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبروه ، وأتيته بالرجل قد
ربطت إبهامه بوتر قوسي ، فلقد رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يضحك !
ثم دعا لى بخير .

وكان قدوم سلمة قبل قدوم عمرو بثلاثة أيام .

رواه البيهقي .

وقد تقدم أن عمراً لما أهبط خبيباً لم ير له رمةً ولا جسداً ، فلعله دُفن مكان
سقوطه ، والله أعلم .

وهذه السرية إنما استدركها ابن هشام على ابن إسحاق ، وساقها بنحو من سياق
الواقدي لها ، لكن عنده أن رفيق عمرو بن أمية في هذه السرية جبار بن صخر ،
فالله أعلم والله الحمد .

سَرِيَّةُ بَيْتِ مَعُونَةَ

وقد كانت في صفر منها . وأغْرَبَ مكحولٌ رحمه الله حيث قال : إنها كانت بعد الخندق .

قال البخاري : حدثنا أبو مَعْمَر ، حدثنا عبد الوارث ، حدثنا عبد العزيز ، عن أنس بن مالك ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعين رجلاً لحاجة يقال لهم القُرَّاء . فعرض لهم حَيَّان من بني سُلَيْم : رِغْلٌ وذَكْوَان ، عند بَيْتٍ يقال لها بَيْتُ مَعُونَةَ ، فقال القوم : والله ما إياكم أَرَدْنَا وإنما نحن مجتازون في حاجة للنبي صلى الله عليه وسلم . فقتلوهم .

فدعا النبي صلى الله عليه وسلم عليهم شهراً في صلاة الغداة ، وذلك بدء القنوت وما كنا نَقْنُتُ .

ورواه مسلم من حديث حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس بن خزيمة .

ثم قال البخاري : حدثنا عبد الأعلى بن حماد ، حدثنا يزيد بن زريع ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك ، أن رِغْلاً وذَكْوَاناً وعُصَيَّةً وبني لَحْيَانَ استمَدُّوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على عدو فأمدهم بسبعين من الأنصار ، كنا نسميهم القُرَّاء في زمانهم ، كانوا يحتطبون بالنهار ويصلُّون بالليل ، حتى إذا كانوا ببَيْتِ مَعُونَةَ قتلوهم وغدروا بهم ، فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فقتل شهراً يدعو في الصباح على أحياء من العرب : على رِغْلٍ وذَكْوَانٍ وعُصَيَّةٍ وبني لَحْيَانَ ، قال أنس : فقرأنا فيهم قرآنًا ، ثم إن ذلك رُفِعَ « بَلِّغُوا عَنَّا قَوْمَنَا أَنَّا قَدْ آقَيْنَا رَبَّنَا فَرَضِيَ عَنَّا وَأَرْضَانَا » .

ثم قال البخاري : حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا همام ، عن إسحاق بن عبد الله ابن أبي طلحة ، حدثني أنس بن مالك ، أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث حراماً ،

أَخْلَامُ سُلَيْمٍ ، فِي سَبْعِينَ رَاكِبًا ، وَكَانَ رَئِيسَ الْمُشْرِكِينَ عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ خَيْرُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ ثَلَاثِ خِصَالٍ فَقَالَ : يَكُونُ لَكَ أَهْلُ السَّهْلِ وَلِي أَهْلُ الْمَدَرِ ، أَوْ أَكُونُ خَلِيفَتَكَ ، أَوْ أَغْزُوكَ بِأَهْلِ غَطَفَانَ بِأَلْفٍ وَأَلْفٍ .

فَطَعَنَ عَامِرٌ فِي بَيْتِ أُمِّ فُلَانٍ ^(١) فَقَالَ : غُدَّةٌ كَنُفَسَةِ الْبَكْرِ فِي بَيْتِ امْرَأَةٍ مِنْ آلِ فُلَانٍ ، انْتَوْنِي بِفَرَسِي . فَمَاتَ عَلَى ظَهْرِ فَرَسِهِ .

فَانْطَلَقَ حَرَامُ أَخْوَامِ سُلَيْمٍ ، وَهُوَ رَجُلٌ أَعْرَجٌ ، وَرَجُلٌ مِنْ بَنِي فُلَانٍ فَقَالَ : كُونَا قَرِيبًا حَتَّى آتِيَهُمْ ، فَإِنْ آمَنُونِي كُنْتُمْ قَرِيبًا وَإِنْ قَتَلُونِي أَتَيْتُمْ أَصْحَابَكُمْ . فَقَالَ : أَتُؤْمِنُونِي حَتَّى أَبْلُغَ رِسَالَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . لَجَعَلُ يَحْدِثُهُمْ وَأَوْمَأُوا إِلَى رَجُلٍ فَاتَاهُ مِنْ خَلْفِهِ فَطَعَنَهُ . قَالَ هَمَّامٌ : أَحْسَبُهُ حَتَّى أَنْفَذَهُ بِالرَّمْحِ . فَقَالَ : اللَّهُ أَكْبَرُ ! فَرَزْتُ وَرَبَّ الْكَعْبَةِ !

فَلَحِقَ الرَّجُلُ فَمَقَتَلُوا كُلَّهُمْ غَيْرَ الْأَعْرَجِ ، وَكَانَ فِي رَأْسِ جَبَلٍ ، فَانْزَلَ اللَّهُ عَلَيْنَا ثُمَّ كَانَ مِنَ الْمُنْسُوخِ : « إِنْ أَلْقَدْنَا لَقِينَا رَبَّنَا فَرَضَى عَنَّا وَأَرْضَانَا » .
فَدَعَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثِينَ صَبَاحًا عَلَى رِغْلٍ وَذَكَوَانٍ وَبَنِي الْحَيَّانِ وَعَصِيَّةَ الَّذِينَ عَصَوْا اللَّهَ وَرَسُولَهُ .

وَقَالَ الْبُخَارِيُّ : حَدَّثَنَا حَبِيبَانِ ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ ، أَخْبَرَنِي مَعْمَرٌ ، حَدَّثَنِي ثُمَامَةُ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَنَسٍ ، أَنَّهُ سَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ : لَمَّا طَعَنَ حَرَامُ بْنُ مَلْجَانَ - وَكَانَ خَالَه - يَوْمَ بَيْرِ مَعُونَةَ قَالَ بِالْدَمِ هَكَذَا ، فَفَضَّحَهُ عَلَى وَجْهِهِ وَرَأْسِهِ ، وَقَالَ : فَرَزْتُ وَرَبَّ الْكَعْبَةِ .

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ عُبَيْدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ ، عَنْ أَبِي أُسَامَةَ ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ ، أَخْبَرَنِي أَبِي ، قَالَ : لَمَّا قَتَلَ الَّذِينَ بَيْتَ مَعُونَةَ وَأَسْرَعُوا بَنِي أُمِيَّةَ الضَّمْرَى قَالَ لَهُ عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ : مِنْ هَذَا ؟ وَأَشَارَ إِلَى قَتِيلٍ ، فَقَالَ لَهُ عَمْرُو بْنُ أُمِيَّةَ : هَذَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ قَالَ :

(١) طعن : أصابه الضَّعَاعُونَ . وَأُمُّ فُلَانٍ : هِيَ سُلُوكُ بِنْتُ شَيْبَانَ ، امْرَأَةُ أَخِيهِ .

لقد رأيته بعد ما قُتل رفع إلى السماء حتى أتى لأنظر إلى السماء بينه وبين الأرض ثم وضع .
فأتى النبي صلى الله عليه وسلم خبرهم فنعاهم فقال : إن أصحابكم قد أصيبوا ، وإنهم قد
سألوا ربهم فقالوا : ربنا أخبر عنا إخواننا بما رضىنا عنك ورضيت عنا . فأخبرهم عنهم
وأصيب يومئذ فيهم عروة بن أسماء بن الصلت فسمى عروة به ، ومنذر بن عمرو
وسمى به منذر .

هكذا وقع في رواية البخارى مرسلًا عن عروة .

وقد رواه البيهقي من حديث يحيى بن سعيد عن أبي أسامة عن هشام ، عن أبيه عن
عائشة ، فساق من حديث الهجرة ، وأدرج في آخره ما ذكره البخارى هاهنا ، والله أعلم .
وروى الواقدي عن مصعب بن ثابت ، عن أبي الأسود وعن عروة ، فذكر القصة
وشأن عامر بن فهيرة وإخبار عامر بن الطفيل أنه رفع إلى السماء ، وذكر أن الذى قتله
جبار بن سلمى الكلأبى .

قال : ولما طعنه بالرمح قال : فُزْتُ ورب الكعبة .

ثم سأل جبار بعد ذلك : ما معنى قوله : فُزْتُ ؟ قالوا : يعنى بالجنة . فقال : صدق
والله . ثم أسلم جبار بعد ذلك لذلك !

وفى مغازى موسى بن عقبة ، عن عروة ، أنه قال : لم يوجد جسدُ عامر بن فهيرة ،
يرون أن الملائكة وارتته .

وقال يونس : عن ابن إسحاق : فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى بعد أحد ،
بقية شوال وذا القعدة وذا الحجة والحرم ، ثم بعث أصحابَ بئر معونة فى صفر على رأس
أربعة أشهر من أحد .

فحدثنى أبى إسحاق بن يسار ، عن المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ،

وعبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حَزْم ، وغيرهما من أهل العلم قالوا : قدِم أبو بَرَاء عامر بن مالك بن جعفر مُلَاعِب الأَسِنَّة على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، فعرض عليه الإسلام ودعاه إليه فلم يُسلم ولم يُبعد وقال : يا محمد لو بعثت رجالاً من أصحابك إلى أهل نجد فدعوتهم إلى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك .

فقال صلى الله عليه وسلم : إني أخشى عليهم أهل نجد .

فقال أبو براء : أنا لهم جارٌ .

فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المنذر بن عمرو وأخا بني ساعدة ، المُعْنِق ليموت ، في أربعين رجلاً من أصحابه من خيار المسلمين ، فيهم الحارث بن الصَّمة وحرام بن ملحان أخو بني عدى بن النجار ، وعروة بن أسماء بن الصَّلْت السلمي ، ونافع بن بُذيل بن ورقاء الخزاعي ، وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر ، في رجال من خيار المسلمين .

فساروا حتى نزلوا بئر معونة وهي بين أرض بني عامر وحرّة بني سُليم ، فلما نزلوا بعثوا حرام بن ملحان بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عامر بن الطفيل ، فلما أتاه لم ينظر في الكتاب حتى عدا على الرجل فقتله ، ثم استصرخ عليهم بني عامر فأبوا أن يجيبوا إلى مادعاهم ، وقالوا : لن نُخَفِّر أبا براء وقد عَقَد لهم عَقْدًا وجواراً .

فاستصرخ عليهم قبائل من بني سُليم ، عُصَيَّة ورِعْلا وذَكَوان والقارة ، فأجابوه إلى ذلك ، فخرجوا حتى غشوا القوم فأحاطوا بهم في رحالهم ، فلما رأوهم أخذوا أسياфهم ثم قاتلوا القوم حتى قُتلوا عن آخرهم ، إلا كعب بن زيد أخا بني دينار بن النجار ، فإنهم تركوه به رمق ، فارتث من بين القتلى فماش حتى قُتل يوم الخندق .

وكان في سَرَح القوم عمرو بن أمية الضَّمْرِي ورجل من الأنصار من بني عمرو بن عوف فلم ينبهما بمصاب القوم إلا الطيرُ تحوم حول العسكر فقالا : والله إن لهذه الطير

أشأننا ، فأقبلا لينظرا ، فإذا القوم في دمائهم ، وإذا الخيل التي أصابتهم واقفة ، فقال الأنصارى لعمر بن أمية : ماذا ترى ؟ فقال : أرى أن نلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فنخبره الخبر . فقال الأنصارى : لكنى لم أكن لأرغب بنفسى عن موطن قُتل فيه المنذر بن عمرو ، وما كنت لأخبر عنه الرجال . فقاتل القوم حتى قُتل ، وأخذ عمرو أسيراً ، فلما أخبرهم أنه من مضر أطلقه عامر بن الطفيل وجزاً ناصيته وأعتقه عن رقبة كانت على أمه فيما زعم !

قال : وخرج عمرو بن أمية حتى إذا كان بالقرقرة من صدر قناة أقبل رجلان من بنى عامر حتى نزلا في ظلٍ هو فيه ، وكان مع العامرين عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوار لم يعلمه عمرو بن أمية ، وقد سألهما حين نزلا : ممن أنتم ؟ قالا : من بنى عامر . فأمهلهما حتى إذا ناما عدا عليهما وقتلهما وهو يرى أن قد أصاب بهما ثأراً من بنى عامر فيما أصابوا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما قدم عمرو بن أمية على رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبره بالخبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد قتلت قتيلين لأدبَ بينهما » ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هذا عملُ أبى براء ، قد كنتُ لهذا كارهاً متخوفاً » .

فبلغ ذلك أبا براء فشقَّ عليه إخفارُ عامر إياه ، وما أصاب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بسببه وجواره .

فقال حسان بن ثابت في إخفار عامر أبا براء ويحرض بنى أبى براء على عامر :

بنى أمّ البنين ألم يرُغمكم
وأنتم من ذوائبِ أهلِ نجدِ
تهكّمُ عامرٍ بأبى براء
ليُخفّره وما خطأ كعمدِ
ألا أبلغ ربيعة ذالمساعى
أحدثت في الحدثنان بعدى
أبوك أبو الحروب أبو براء
وخالك ماجدٌ حكمُ بنِ سعدِ

قال ابن هشام : أم البنين أم أبي براء ، وهي بنت عمرو بن عامر بن ربيعة بن عامر

بن صعصعة .

قال : فحمل ربيعة بن عامر بن مالك على عامر بن الطفيل فطعمه في نخذه فأشواه^(١)

ووقع عن فرسه ، وقال : هذا عمل أبي براء ، إن أمت فدى لعمرى فلا يتبعن به ، وإن أعش فسأرى رأيي .

وذكر موسى بن عقبة عن الزهري نحو سياق محمد بن إسحاق ، قال موسى : وكان

أمير القوم المنذر بن عمرو وقيل : مرثد بن أبي مرثد .

وقال حسان بن ثابت يبيح قتل بئر معونة ، فيما ذكره ابن إسحاق رحمه الله ،

والله أعلم :

على قتلى مَعُونَةٍ فَاسْتَهْلَى	بدمع العينِ سَحًّا غيرَ نَزَرٍ
على خيل الرسول غداة لاقوا	ولاقتهم مناياهم بِقَدَرٍ
أصابهمُ الفناء بِعَقْدِ قَوْمٍ	تُخَوِّنُ عَقْدُ حِبَالِهِمْ بِغَدَرٍ
فيألفني لمنذر إذ تولى	وأعنق في منيته بصير
وكان قد أصيبَ غداة ذاك	من أبيض ماجدٍ من سِرِّ عمرو

(١) أشواه : لم يصب مقاتله .

غزوة بني النضير

وهي التي أنزل الله تعالى فيها سورة الحشر

في صحيح البخاري عن ابن عباس أنه كان يسميها سورة بني النضير .

وحكى البخاري عن الزهري ، عن عروة أنه قال : كانت بنو النضير بعد بدر بستة أشهر قبل أحد .

وقد أسنده ابن أبي حاتم في تفسيره عن أبيه ، عن عبد الله بن صالح ، عن الليث ، عن عقيل ، عن الزهري به .

وهكذا روى حنبل بن إسحاق ، عن هلال بن العلاء ؛ عن عبد الله بن جعفر الرقي ، عن مطرف بن مازن اليماني ، عن معمر ، عن الزهري ، فذكر غزوة بدر في سابع عشر رمضان سنة ثنتين .

قال : ثم غزا بني النضير ، ثم غزا أحداً في شوال سنة ثلاث ، ثم قاتل يوم الخندق في شوال سنة أربع .

وقال البيهقي : وقد كان الزهري يقول : هي قبل أحد .

قال : وذهب آخرون إلى أنها بعدها ، وبعد بئر معونة أيضاً .

قلت : هكذا ذكر ابن إسحاق كما تقدم ، فإنه بعد ذكره بئر معونة ورجوع عمرو ابن أمية وقتله ذينك الرجلين من بني عامر ، ولم يشعر بعهدهما الذي معهما من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد قتلتَ رجلين لأدينهما » .

قال ابن إسحاق : ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بني النضير يستعينهم في حمية ذينك القتيلين من بني عامر اللذين قتاها عمرو بن أمية ، للعهد الذي كان صلى الله

عليه وسلم أعطاهما ، وكان بين بني النضير وبين بني عامر عهد وحلف ، فلما أتاهاهم صلى الله عليه وسلم قالوا : نعم يا أبا القاسم نعينك على ما أحببت .

ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا : إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه . ورسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنب جدار من بيوتهم قاعد . فَمَنْ رَجُلٌ يَعْلَمُ عَلَى هَذَا الْبَيْتِ فَيُلْقِي عَلَيْهِ صَخْرَةً وَيَرْيَحُنَا مِنْهُ .

فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب ، فقال : أنا لذلك . فصعد ليلقي عليه صخرة كما قال ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من أصحابه فيهم أبو بكر وعمر وعلي ، فأتى رسول الله الخبر من السماء بما أراد القيام ، فقام وخرج راجعاً إلى المدينة .

فلما استلبث النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه قاموا في طلبه ، فلقوا رجلاً مقبلاً من المدينة ، فسألوه عنه فقال : رأيته داخلًا المدينة . فأقبل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهوا إليه ، فأخبرهم الخبر بما كانت يهود أرادت من الغدر به .

قال الواقدي : فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة يأمرهم بالخروج من جواره وبلده ، فبعث إليهم أهل النفاق يثبتونهم ويحرضونهم على المقام ويعدونهم النصر ، فقويت عند ذلك نفوسهم ، وحجى حيي بن أخطب ، وبعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنهم لا يخرجون ، ونابدوه بنقض العهود .

فعند ذلك أمر الناس بالخروج إليهم .

قال الواقدي : فحاصروهم خمس عشرة ليلة .

وقال ابن إسحاق : وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بالتهيؤ لحربهم والمسير إليهم .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم ، وذلك في شهر

ربيع الأول .

قال ابن إسحاق : فسار حتى نزل بهم فحاصروهم ست ليال ، ونزل تحریمُ الخمر

حينئذ ، وتحصنوا في الحصون ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع النخيل والتحريق فيها ، فنادوه : أن يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد وتعيب من صنعه ، فما بال قطع النخيل وتحريقها .

قال : وقد كان رهط من بني عوف بن الخزرج منهم عبد الله بن أبي ووديعه ومالك وسويد وداعس قد بعثوا إلى بني النضير : أن اثبتوا وتمنعوا ، فإننا لن نُسلمكم ، إن قوتلتم قاتلنا معكم وإن أخرجتم خرجنا معكم . فتربصوا ذلك من نصرهم فلم يفعلوا ، وقذف الله في قلوبهم الرعب ، فسألوا رسول الله أن يُجْلِسهم ويكف عن دماءهم على أن لهم ما حلت الإبل من أموالهم إلا الحائقة .

وقال العوفي : عن ابن عباس ، أعطى كل ثلاثة بعيرا يعتقبونه [و] وسقاً^(١) .
رواه البيهقي .

وروى من طريق يعقوب بن محمد ، عن الزهري ، عن إبراهيم بن جعفر بن محمود بن محمد بن مسلمة ، عن أبيه ، عن جده ، عن محمد بن مسلمة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه إلى بني النضير وأمره أن يؤجلهم في الجلاء ثلاث ليال .
وروى البيهقي وغيره أنه كانت لهم ديون مؤجلة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ضَعُوا وتعجلوا .

وفي صحته نظر . والله أعلم .

قال ابن إسحاق : فاحتملوا من أموالهم ما استقلت به الإبل ، فكان الرجل منهم يهدم بيته عن نجاف^(٢) بابه فيضعه على ظهر بعيره فينطلق به ، فخرجوا إلى خيبر ، ومنهم من سار إلى الشام ، فكان من أشرف من ذهب منهم إلى خيبر : سلام بن أبي الحقيق وكفانة بن الربيع بن أبي الحقيق ، وحُي بن أخطب ، فلما نزلوها دان لهم أهلها .

(١) الوسق : حمل البعير . (٢) النجاف : أسكفة الباب .

حدثني عبد الله بن أبي بكر أنه حدث أنهم استقبلوا بالنساء والأبناء والأموال ، معهم الدفوف والمزامير والقيان يعزفن خلفهم بزهاء ونفر ، ما رؤى مثله لحي من الناس في زمانهم .

قال : وخلوا الأموال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، يعنى النخيل والمزارع ، فكانت له خاصة يضمنها حيث شاء ، فقسمها على المهاجرين الأولين دون الأنصار ، إلا أن سهل ابن حنيف وأبا دجاجة ذكرا فقراً فأعطاهما ، وأضاف بعضهم إليهما الحارث بن الصمة . حكاها السهيلي .

قال ابن إسحاق : ولم يُسلم من بنى النضير إلا رجلان وهما يامين بن عمير بن كعب ابن عم عمرو بن جحاش وأبو سعد بن وهب ، فأحرزا أموالهما .
قال ابن إسحاق : وقد حدثني بعض آل يامين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليامين : ألم تر ما لقيت من ابن عمك وما هم به من شأى ؟ فجعل يامين لرجل جُعلاً على أن يقتل عمرو بن جحاش ، فقتله لعنه الله .

قال ابن إسحاق : فأنزل الله فيهم سورة الحشر بكلمها ، يذكر فيها ما أصابهم به من نعمته وما سلط عليهم به رسوله وما عمل به فيهم .
ثم شرع ابن إسحاق يفسرها . وقد تكلمنا عليها بطولها مبسوبة في كتابنا التفسير والله الحمد .

قال الله تعالى : « سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ، هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ ، مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ ، فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ ، يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ ، فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ ، وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ . ذَلِكَ

بأنهم شاقوا الله ورسوله، ومن يشاق الله فين الله شديد العقاب . ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليخزي الفاسقين .

سبح سبحانه وتعالى نفسه السكرية ، وأخبر أنه يسبح له جميع مخلوقاته العلوية والسفلية وأنه العزيز ، وهو منيع الجنب فلا ترام عظمته وكبريائه ، وأنه الحكيم في جميع ما خلق وجميع ما قدر وشرع ، فمن ذلك تقديره وتدييره وتيسيره لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعباده المؤمنين في ظفرهم بأعدائهم اليهود الذين شاقوا الله ورسوله وجانبوا رسوله وشرعه ، وما كان من السبب المفضي لقتالهم كما تقدم ، حتى حاصرهم المؤيد بالرعب والرهب مسيرة شهر ، ومع هذا فأسرهم بالحاصرة بجنوده ونفسه الشريفة ست ليال ، فذهب بهم الرعب كل مذهب حتى اناعوا وصالحوا على حق دمائهم وأن يأخذوا من أموالهم ما استقلت به ركبهم ، على أنهم لا يصحبون شيئاً من السلاح إهانة لهم واحتقاراً ، فجعلوا يحزبون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين ، فاعتبروا يا أولى الأبصار .

ثم ذكر تعالى أنه لو لم يصبهم الجلاء وهو التسيير والنفي من جوار الرسول من المدينة لأصابهم ما هو أشد منه من العذاب الدنيوي وهو القتل ، مع ما أذخر لهم في الآخرة من العذاب الأليم المقدر لهم .

ثم ذكر تعالى حكمة ما وقع من تحريق نخلمهم وترك ما بقي لهم ، وأن ذلك كله سائغ فقال : « ما قطعتم من لينة » وهو جيد التمر « أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله » إن الجميع قد أذن فيه شرعاً وقدرأً ، فلا حرج عليكم فيه ولنعم ما رأيتم من ذلك ، وليس هو بفساد كما قاله شرار العباد ، إنما هو إظهار للقوة وإخزاء للكفرة الفجرة .

وقد روى البخارى ومسلم جميعاً عن قتبية ، عن الليث ، عن نافع ، عن ابن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حرق نخل بني النضير وقطع ، وهى البويرة ، فأنزل

الله : « ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليخزي الفاسقين » .
وعند البخارى من طريق جويرية بن أسماء ، عن نافع ، عن ابن عمر ، أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم حرق نخل بنى النضير وقطع ، وهى البويرة ، ولها يقول
حسان بن ثابت :

وهان على سراة بنى لؤى حريقٌ بالبويرة مستطيرُ
فأجابه أبو سفيان بن الحارث يقول :
أدام الله ذلك من صنيعٍ وحرَّق في نواحيها السعيرُ
ستعلم أينما منها بسترٍ وتعلم أى أرضينا نصيرُ

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك يذكر إجلاء بنى النضير وقتل كعب بن
الأشرف قاله الله أعلم :

لقد خزيت بغدرتها الجبور^(١) كذاك الدهر ذو صرفٍ يدورُ
وذلك أهم كفروا ربَّ عظيمٍ أمرُهُ أمرٌ كبيرُ
وقد أوتوا معاً فهماً وعِلماً وجاءهم من الله النذيرُ
نذيرٌ صادقٌ أدَّى كتاباً وآياتٍ مبينةً تنيرُ
فقالوا ما أتيتَ بأمرٍ صدقٍ وأنت بمنكرٍ منا جديرُ
فقال بلى لقد أدبت حقاً يصدقنى به الفهمُ الخبيرُ
فمن يتبعه يهْدِ لِسْكَلٍ رُشْدٍ ومن يفر به يحْبِ السُكُفُورُ
فلما أشربوا غُدرًا وكفروا وجدَّ بهم حق النفورُ
أرى الله النبيَّ برأى صدقٍ ودينٌ لله يحْكُمُ الخورُ
فأيده وسلَّطه عليهم وكان نصيره ، النصيرُ

(١) الجبور : جمع جبر ، وهم علماء اليهود .

فُؤَدِرَ مِنْهُمْ كَعْبٌ صَرِيحاً فذَلَّتْ بَعْدَ مَصْرَعِهِ النَّضِيرُ
عَلَى الْكَفَّيْنِ نَمٌّ وَقَدْ عَلَنَتْهُ بِأَيْدِينَا مُشَهَّرَةٌ ذُكُورُ
بَأْمِرِ مُحَمَّدٍ إِذْ دَسَّ لَيْلًا إِلَى كَعْبٍ أَخَا كَعْبٍ يَسِيرُ
فَاكْرَهَ فَأَنزَلَهُ بِمَكْرٍ وَمُحَمَّدُ أَخُو ثَقَةِ جَسُورُ
فَتَلَّكَ بَنُو النَّضِيرِ بَدَارَ سُوءِ أَبَارَهُمْ بِمَا اجْتَرَمُوا الْمِيرُ^(١)
غَدَاةِ أَتَاهُمْ فِي الزَّحْفِ رَهْوَ^(٢) رَسُولُ اللَّهِ وَهُوَ بِهِمْ بَصِيرُ
وَعَسَّانُ الْحِمَاهِ مُؤَاوِرُوهُ عَلَى الْأَعْدَاءِ وَهُوَ لَهُمْ وَزِيرُ
فَقَالَ السَّلْمُ وَيَحْكُمُ فَصَدُّوا وَخَالَفَ أَمْرَهُمْ كَذِبُ وَزُورُ
فَذَاقُوا غِيبَ أَمْرِهِمْ وَبَلَاءَ لِكُلِّ ثَلَاثَةٍ مِنْهُمْ بَعِيرُ
وَأَجْلُوا عَامِدِينَ لَقِينَقَاعٍ وَغُودِرَ مِنْهُمْ نَخْلٌ وَدُورُ
وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ جَوَابَهَا لِسَمَالِ الْيَهُودِي ، فَتَرَكَهَا قَصْداً .

قال ابن إسحاق : وكان مما قيل في بني النضير قول ابن لقيم العبسي ، ويقال : قاله
قيس بن بحر بن طريف الأشجعي :

أَهْلِي فِدَاءٍ لَامِرِيٍّ غَيْرِ هَالِكِ أَحَلَّ الْيَهُودَ بِالْحِسِيِّ الزَّئِمِ^(٣)
يَقِيلُونَ فِي جَمْرِ الْعِضَاءِ وَبَدَّلُوا أَهْيَضَ عَوْدًا بِالْوَدِيِّ الْمَكَمِ^(٤)
فَإِنْ يَكُ ظَنِّي صَادِقًا بِمُحَمَّدٍ تَرَوْا خَيْلَهُ بَيْنَ الصَّلَا وَيَرْمَرُمِ^(٥)
يَوْمَ بَهَا عَمْرُوبِنْ بَهْشَةَ إِنْهُمْ عَدُوٌّ وَمَا حَيُّ صَدِيقٌ كَمَجْرَمِ
عَلَيْهِنَّ أَبْطَالٌ مَسَاعِيرٍ فِي الْوُغَى يَهْزُونُ أَطْرَافَ الْوُشَيْجِ الْمُقَوِّمِ^(٦)

(١) أَبَارَهُمْ : أَهْلَكَهُمْ . (٢) رَهْوَا : سَبَا سَهْلًا . (٣) الْحِسِيُّ : مَا يَخْشَى مِنَ الطَّعَامِ وَالزَّئِمِ
الرَّجُلُ يَكُونُ فِي الْقَوْمِ لَيْسَ مِنْهُمْ . يَرِيدُ : أَحْلَاهُمْ بِأَرْضِ غَرْبَةٍ فِي غَيْرِ عَشَائِرِهِمْ . وَانْظُرِ الرُّوضِ الْأَنْثَى
٢ / ١٧٧ . (٤) جَر : الْأَصْلُ خَر . وَمَا أَثْبَتَهُ مِنْ ابْنِ هِشَامٍ . وَالْعِضَاءُ : شَجَرٌ . وَأَهْيَضَ
مَكَانَ مَرْتَفِعٍ . وَالْوَدِيُّ : صِفَارُ النَّخْلِ . وَالْمَكَمِ : الَّذِي خَرَجَ كَلَامُهُ . (٥) الصَّلَا : مَوْضِعٌ . وَيَرْمَرُمِ
جَبَلٌ . (٦) الْوُشَيْجِ : شَجَرُ الرَّمَاحِ .

وكلّ رقيق الشفرتين مهتد
فمن مبلغ عن قريشاً رسالة
بأن أخاهم فاعلمن محمداً
فدبّوا له بالحقّ تجسم أموركم
نبيّ تلافته من الله رحمة
فقد كان في بدرٍ لعمريّ عبرة
غداة أتى في الخزرجية عامداً
معاناً بروح القدس ينكي عدوه
رسولاً من الرحمن يتلو كتابه
أرى أمره يزداد في كل موطن
توورثن من أزمان عادٍ وجُرم
فهل بعدهم في المجد من متكرّم
تليد الندى بين الحجون وزمزم
وتسمو من الدنيا إلى كلّ مُعظم
ولا تسألوه أمرَ غيبٍ مرجّم
لكم ياقريش والقلب الملمّم
إليكم مطيعاً للعظيم المكرم
رسولاً من الرحمن حقاً بعلم
فلما أثار الحقّ لم يتلعثم
علواً لأمرٍ حمّه الله مُحكم

قال ابن إسحاق : وقال علي بن أبي طالب ، وقال ابن هشام : قلها رجل من المسلمين ، ولم أر أحداً يعرفها على :

عرفتُ ومن يعتدل يعرف
عن الكلام الحكم اللاء من
رسائل تُدرّس في المؤمنين
فأصبح أحمدُ فينا عزيزاً
فيا أيها الموعوده سفاهاً
أستم تحافون أدنى العذاب
وأن تُصرّعوا تحت أسيافه
غداة رأى الله طفياناً
فأنزل جبريل في قتله
وأبقتُ حقاً ولم أصدف
لدى الله ذى الرأفة الأراف
بهن اصطفى أحمدَ المصطفى
عزيز المقامة والموقف
ولم يأت جوراً ولم يعنف
وما آمنُ الله كالأخوف
كصرع كعب أبي الأشرف
وأعرض كالجلج الأجنف
بوحى إلى عبده مُلطف

فدسَّ الرسولُ رسولاً له بأبيض ذي هبةٍ مرهفٍ
فباتت عيونٌ له مَعُولَاتٌ متى يُنْعَ كعبٌ لها تَذْرِفُ
وقلن لأحمد ذرنا قليلاً فإننا من النوح لم نَشْتَفِ
نُفْلَاهُمْ ثم قال اظْمَنُوا دُحوراً على رَغَمِ الْآثِفِ
وأجلى النضيرِ إلى غربةٍ وكانوا بدارِ ذوى زُخْرَفِ
إلى أذِرْعَاتِ رِدَافَا وم على كل ذى دُبُرٍ أعْجَفِ
وتركنا جوابها أيضاً من سمال اليهودى قصداً .

ثم ذكر تعالى حكم الفء ، وأنه حكم بأموال بنى النضير لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وملكها له ، فوضعها رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث أراه الله تعالى .
كما ثبت في الصحيحين ، عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أنه قال : كانت أموال
بنى النضير مما أفاء الله على رسوله مما لم يوجب المسلمون عليه بخيل ولا ركاب ، فكانت
لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصةً ، فكان يعزل نفقة أهله سنة ثم يجعل ما بقى
في الكراع والصلاح عدةً في سبيل الله عز وجل .

ثم بين تعالى حكم الفء وأنه للمهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان على منوالهم
وطريقتهم : « ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ، كي لا يكون دولة بين
الأغنياء منكم ، وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ، واتقوا الله إن الله
شديد العقاب » .

قال الإمام أحمد : حدثنا عارم وعفان ، قالوا : حدثنا معتمر ، سمعت أبي يقول : حدثنا
أنس بن مالك ، عن نبي الله صلى الله عليه وسلم أن الرجل كان يجعل له من ماله النخلات
أو كما شاء الله ، حتى فُتحت عليه قريظة والنضير ، قال : فجعل يردُّ بعد ذلك .

قال : وإنَّ أهلى أمرونى أن آتى نبيَّ الله صلى الله عليه وسلم فأسأله الذى كان أهله أعطوه أو بعضه ، وكان نبي الله صلى الله عليه وسلم أعطاه أمَّ أيمن أو كما شاء الله .

قال : فسألتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم فأعطانيهن ، فجاءت أم أيمن فجعلت الثوب فى عنقى وجعلت تقول : كلا والله الذى لا إله إلا هو لا أعطيكنهن وقد أعطانيهن أو كما قالت . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لك كذا وكذا . وتقول : كلا والله .

قال : ويقول لك كذا وكذا . وتقول : كلا والله . قال : ويقول لك كذا وكذا حتى أعطاها حسبتُ أنه قال عشرة أمثاله أو قال قريباً من عشرة أمثاله أو كما قال .

أخرجاه بنحوه من طرق عن معتمر به .

ثم قال تعالى : ذاماً للمنافقين الذين مالوا إلى بنى النضير فى الباطن كما تقدم ، ووعدهم النصر فلم يكن من ذلك شيء ، بل خذلوهم أحوج ما كانوا إليهم ، ونُزَّروهم من أنفسهم فقال : « ألم ترَ إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجنَّ معكم ولا نُطِيع فيكم أحداً أبداً ، وإن قوتلتم لننصرنَّكم والله يشهد إنهم لكاذبون ، لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ، ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ، ولئن نصروهم ليولنَّ الأدبارَ ثم لا ينصرون » .

ثم ذمَّهم تعالى على جُبْنهم وقلة علمهم وخفة عقلهم النافع ، ثم ضرب لهم مثلاً قبيحاً شنيعاً بالشيطان حين « قال للإنسان : اكفر فلما كفر قال : إني بريء منك إني أخاف الله ربَّ العالمين ، فكان عاقبتهما أنهما فى النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين » .

قصة عمرو بن سعدى القرظى

حين مرَّ على ديار بنى النضير وقد صارت يبابا ليس بها داع ولا مجيب ، وقد كانت بنو النضير أشرف منى بنى قريظة ، حتى حداه ذلك على الإسلام وأظهر صفته رسول الله صلى الله عليه وسلم من التوراة .

قال الواقدي حدثنا ابراهيم بن جعفر ، عن أبيه ، قال : لما خرجت بنو النضير من المدينة أقبل عمرو بن سعدى فأطاف بمنزلهم ، فرأى خرابها وفكر ، ثم رجع إلى بنى قريظة فوجدهم فى الكنيسة ، فنفتح فى بوقهم فاجتمعوا فقال الزبير بن باطا : يا أبا سعيد أين كنت منذ اليوم لم تزل . وكان لا يفارق الكنيسة وكان يتأله فى اليهودية . قال : رأيت اليوم عبراً قد عبرنا بها ، رأيت منازل إخواننا خالية بعد ذلك العز والجلد والشرف الفاضل والعقل البارع ، قد تركوا أموالهم وملأوها غيرهم وخرجوا خروج ذل ، ولا والتوراة ما سلط هذا على قوم قط لله بهم حاجة ، وقد أوقع قبل ذلك بابن الأشرف ذى عزهم ثم بيته فى بيته آمنا ، وأوقع بابن سئينة سيدهم ، وأوقع ببني قينقاع فأجلاهم وهم أهل جد يهود ، وكانوا أهل عُدَّة وسلاح ونجدة ، فحصرهم فلم يخرج إنسان منهم رأسه حتى سباهم وكلم فيهم فتركهم على أن أجلاهم من يثرب ، يا قوم قد رأيتم ما رأيتم فاطيعوني وتعالوا نتبع محمداً ، والله إنكم لتعلمون أنه نبي قد بشرنا به وبأمره ابن الهيثم أبو عمير وابن حراش ، وهما أعلم به دجاءنا يتوكلان قدومه وأمرانا باتباعه ، جاءنا من بيت المقدس وأمرنا أن نقرئه منهما السلام ، ثم ماتا على دينهما ودفنهما بحرّتنا هذه .

فأسكت القوم فلم يتكلم منهم متكلم .

ثم أعاد هذا الكلام ونحوه ، وخوَّفهم بالحرب والسَّباء والجلاء . فقال الزبير بن باطا : قد والتوراة قرأت صفته فى كتاب باطا ، التوراة التى نزلت على موسى ، ليس فى المثانى الذى أحدثنا .

قال : فقال له كعب بن أسد : ما يمنحك يا أبا عبد الرحمن من اتباعه ؟ قال أنت يا كعب . قال كعب : فلم ؟ والتوراة ما حُلَّتْ بينك وبينه قط .
قال الزبير : بل أنت صاحب عهدنا وعَقْدنا فإن اتبعته اتبعناه وإن أبيت أبيتنا .
فأقبل عمرو بن سعدى على كعب ، فذكر ما تناقولا في ذلك ، إلى أن قال عمرو : ما عندي في أمره إلا ما قلت : ما تطيب نفسي أن أصير تابعا !
رواه البيهقي .

غزوة بني لحيان

التي صلى فيها صلاة الخوف بعسفان

ذكرها البيهقي في الدلائل ، وإنما ذكرها ابن إسحاق فيما رأيته من طريق هشام عن زياد عنه في جمادى الأولى من سنة ثنتين من الهجرة بعد الخندق وبني قريظة وهو أشبه مما ذكره البيهقي والله أعلم .
وقال الخافظ البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله الخافظ ، حدثنا أبو العباس الأصم ، حدثنا أحمد بن عبد الجبار وغيره ، قالوا : لما أصيب خُيَيب وأصحابه خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم طالبا بدمائهم ليصيب من بني لحيان غرةً ، فسلك طريق الشام ليرى أنه لا يريد بني لحيان حتى نزل بأرضهم فوجدهم قد حَذَرُوا وتمَنَّعُوا في رموس الجبال ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو أننا هبطنا عسفان لرأت قريش أننا قد جئنا مكة » .
فخرج في مائتي راكب حتى نزل عسفان ، ثم بعث فارسين حتى جاءا كُرَاعَ الغَمِيمِ ^(١) ثم انصرفا .

فذكر أبو عيَّاش الزُّرْقِيُّ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى بعسفان صلاة الخوف .

(١) الغميم : ود أُمم عسفان بثلثة أميال . يضاف إلى كُرَاع ، جبل أسود بطرف الحرة ممتد إليه .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا الثوري ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن ابن عيَّاش ، قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعسفان فاستقبلنا المشركون عليهم خالد بن الوليد وهم بيننا وبين القبلة ، فصلَّى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الظهر فقالوا : قد كانوا على حالٍ لو أصبنا غرَّتهم . ثم قالوا : تأتي الآن عليهم صلاةٌ هي أحبُّ إليهم من أبنائهم . وأنفسهم .

قال : فنزل جبريل بهذه الآيات بين الظهر والعصر : « وإذا كنتَ فيهم فأقمتَ لهم الصلاة » .

قال : فحضرت ، فأمرهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فأخذوا السلاح ، فصففنا خلفه صفين ، ثم ركع فركعنا جميعاً ، ثم رفع فرفعنا جميعاً ، ثم سجد بالصف الذي يليه والآخرون قيام يحرسونهم ، فلما سجدوا وقاموا جلس الآخرون فسجدوا في مكانهم ، ثم تقدم هؤلاء إلى مصافِّ هؤلاء ، وجاء هؤلاء إلى مصافِّ هؤلاء . قال : ثم ركع فركعوا جميعاً ثم رفع فرفعوا جميعاً ، ثم سجد الصف الذي يليه والآخرون قيام يحرسونهم ، فلما جلسوا جلس الآخرون فسجدوا ، ثم سلم عليهم . ثم انصرف .

قال : فصلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين ، مرة بأرض عسفان ، ومرة بأرض بني سليم .

ثم رواه أحمد عن عُثْمَانَ ، عن شعبة ، عن منصور به ، نحوه .

وقد رواه أبو داود عن سعيد بن منصور ، عن جرير بن عبد الحميد ، والنسائي عن الفلاس ، عن عبد العزيز بن عبد الصمد ، عن محمد بن المثنى ، ووثئدار ، عن عُثْمَانَ ، عن شعبة ، ثلاثهم عن منصور به .

وهذا إسناد على شرط الصحيحين ، ولم يخرجه واحد منهما .

لسكن روى مسلم من طريق أبي خيثمة زهير بن معاوية ، عن أبي الزبير ، عن جابر

قال : غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قوماً من جُهينة ، فقاتلوا قتالاً شديداً ، فلما أن صلى الظهر قال المشركون : لو ملنا عليهم مَيْلَةً لا تقطعناهم .

فأخبر جبريلُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بذلك ، وذكر لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « وقالوا : إنه ستأتيهم صلاة هي أحبُّ إليهم من الأولاد » فذكر الحديث كنحو ما تقدم .

وقال أبو داود الطيالسي : حدثنا هشام ، عن أبي الزبير ، عن جابر بن عبد الله قال : « صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأصحابه الظهر بنخلٍ ، فهمت به المشركون ثم قالوا : دعوهم فإن لهم صلاة بعد هذه الصلاة هي أحبُّ إليهم من أبنائهم .

قال : فنزل جبريل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره ، فصلى بأصحابه صلاة العصر ، فصفتهم صفين بين أيديهم رسولُ الله والعدو بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكبر وكبروا جميعاً وركعوا جميعاً ، ثم سجد الذين يلونهم والآخرين قياماً ، فلما رفعوا رؤوسهم سجد الآخرون ، ثم تقدم هؤلاء وتأخر هؤلاء ، فكبروا جميعاً وركعوا جميعاً ، ثم سجد الذين يلونه والآخرين قياماً ، فلما رفعوا رؤوسهم سجد الآخرون .

وقد استشهد البخاري في صحيحه برواية هشام هذه عن أبي الزبير ، عن جابر . وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد ، حدثنا سعيد بن عبيد الهنائي ^(١) ، حدثنا عبد الله بن شقيق ، حدثنا أبو هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل بين ضجنان وعُسقان ، فقال المشركون : إن هؤلاء صلاة هي أحبُّ إليهم من أبنائهم وأبكارهم وهي العصر ، فجمعوا أمرهم فملوا عليهم مَيْلَةً واحدة .

وإن جبريل أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وأمره أن يقيم أصحابه شطرين فيصلي

(١) الهنائي : نسبة إلى هناة بن مالك بن فهم بن غنم بن دوس ، بطن من الأزد . الباب ٣ / ٢٩٤ .

بعضهم ويقدم الطائفة الأخرى وراءهم ، وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ، ثم تأتى الأخرى فيصلون معه ، يأخذ هؤلاء حذرهم وأسلحتهم ، ليكون لهم ركعة ركعة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولرسول الله ركعتان .

ورواه الترمذى والنسائى من حديث عبد الصمد به ، وقال الترمذى : حسن صحيح . قلت : إن كان أبو هريرة شهد هذا فهو بعد خير ، وإلا فهو من مُرسلات الصحابي ، ولا يضر ذلك عند الجمهور . والله أعلم .

ولم يذكر فى سياق حديث جابر عند مسلم ولا عند أبى داود الطيالسى أمر عُسفان ولا خالد بن الوليد ، لكن الظاهر أنها واحدة .

بقى الشأنُ فى أن غزوة عسفان قبل الخندق أو بعدها ؟ فإن من العلماء ، منهم الشافعى ، من يزعم أن صلاة الخوف إنما شرعت بعد يوم الخندق ، فإنهم أخرّوا الصلاة يومئذ عن ميقاتها لعذر القتال ، ولو كانت صلاة خوف مشروعة إذ ذاك لفعلوها ولم يؤخروها ، ولهذا قال بعض أهل المغازى : إن غزوة بنى لحيان التى صلى فيها صلاة الخوف بعسفان كانت بعد بنى قريظة .

وقد ذكر الواقدى بإسناده عن خالد بن الوليد قال : لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحديبية لقيته بعسفان فوقفت بإزائه وتعرضت له ، فصلى بأصحابه الظهر أمامنا ، فهممنا أن نغير عليه ثم لم يعزم لنا ، فأطلعنا الله على ما فى أنفسنا من الهم به ، فصلى بأصحابه صلاة العصر صلاة الخوف .

قلت : وعمره الحديبية كانت فى ذى القعدة سنة ست بعد الخندق وبنى قريظة كما سيأتى .

. وفى سياق حديث أبى عيَّاش الزرقى ما يقتضى أن آية صلاة الخوف نزلت فى هذه

الغزوة يوم عُصفان ، فاقضى ذلك أنها أول صلاة خوف صلاحها . والله أعلم .
وسنذكر إن شاء الله تعالى كيفية صلاة الخوف واختلاف الروايات فيها في كتاب
« الأحكام الكبير » إن شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان .

غزوة ذات الرقاع

قال ابن إسحاق : ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة بعد غزوة بني النضير
شهرى ربيع وبعض جمادى ، ثم غزا نجداً يريد بني محارب وبني ثعلبة من غطفان
واستعمل على المدينة أبا ذر .

قال ابن هشام : ويقال : عثمان بن عفان .

قال ابن إسحاق : فسار حتى نزل نخلاً وهى غزوة ذات الرقاع .

قال ابن هشام : لأنهم رَقَعُوا فيها راياتهم ، ويقال لشجرة هناك اسمها
ذات الرقاع .

وقال الواقدي : يجبل فيه بُقَع حمر وسود وبيض .

وفى حديث أبي موسى : إنما سميت بذلك لما كانوا يربطون على أرجلهم من
الخِرْق من شدة الحر .

قال ابن إسحاق : فلقى بها جمعاً من غطفان ، فتقارب الناس ولم يكن بينهم
حرب ، وقد خاف الناس بعضهم بعضاً ، حتى صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس
صلاة الخوف .

وقد أسند ابن هشام حديث صلاة الخوف هاهنا عن عبد الوارث بن سعيد التَّنُورِي ،
عن يونس بن عُبَيْد ، عن الحسن ، عن جابر بن عبد الله ، وعن عبد الوارث ، عن
أيوب ، عن أبي الزبير ، عن جابر ، وعن عبد الوارث ، عن أيوب ، عن نافع ،

عن ابن عمر ، ولكن لم يذكر في هذه الطرق غزوة نجد ولا ذات الرقاع ، ولم يتعرض
لزمان ولا مكان .

وفي كون غزوة ذات الرقاع التي كانت بنجد لقتال بني محارب وبني ثعلبة بن غطفان
قبل الخندق نظر .

وقد ذهب البخارى إلى أن ذلك كان بعد خيبر ، واستدل على ذلك بأن أبا موسى
الأشعرى شهدا ، كما سيأتى ، وقدمه إنما كان ليالى خيبر صحبة جعفر وأصحابه ،
وكذلك أبو هريرة ، وقد قال : صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة
نجد صلاة الخوف .

ومما يدل على أنها بعد الخندق أن ابن عمر إنما أجازة رسول الله صلى الله عليه وسلم
في القتال أول ما أجازة يوم الخندق . وقد ثبت عنه في الصحيح أنه قال : غزوت مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل نجد فذكر صلاة الخوف .

وقول الواقدي : إنه عليه السلام خرج إلى ذات الرقاع في أربعائة ويقال سبعائة من
أصحابه ليلة السبت لعشر خلون من المحرم سنة خمس . فيه نظر .

ثم لا يحصل به نجا من أن صلاة الخوف إنما شرعت بعد الخندق ، لأن الخندق
كان في شوال سنة خمس على المشهور ، وقيل في شوال سنة أربع ، فتحصل على هذا
القول تحلص من حديث ابن عمر ، فأما حديث أبي موسى وأبي هريرة فلا .

قصة غورث بن الحارث

قال ابن إسحاق في هذه الغزوة : حدثني عمرو بن عبيد ، عن الحسن ، عن جابر
ابن عبد الله ، أن رجلا من بني محارب يقال له غورث قال لقومه من غطفان ومحارب :

ألا أقتل لكم محمداً؟ قالوا: بلى، وكيف تقتله؟ قال: أفتك به.

قال: فأقبل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس، وسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجره. فقال: يا محمد، أنظرني إلى سيفك هذا؟ قال: نعم. فأخذه ثم جعل يهرزه ويهمهم، فكتبته الله. ثم قال: يا محمد، أما تخافني؟ قال: لا، ما أخاف منك؟ قال: أما تخافني وفي يدي السيف؟ قال: لا، يمتنعني الله منك. ثم عمد إلى سيف النبي صلى الله عليه وسلم فردّه عليه.

فأنزل الله عز وجل: «يا أيها الذين آمنوا أذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يبدّسوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون»^(١).

قال ابن إسحاق: وحدثني يزيد بن رومان، أنها إنما أنزلت في عمرو بن جحاش أخى بنى النضير وما هم به.

هكذا ذكر ابن إسحاق قصة غورث هذا عن عمرو بن عبيد القدرى رأس الفرقة الضالة، وهو وإن كان لا يهتم بتعمد الكذب في الحديث إلا أنه ممن لا ينبغي أن يروى عنه لبدعته ودعائه إليها.

وهذا الحديث ثابت في الصحيحين من غير هذا الوجه والله الحمد.

فقد أورد الحافظ البيهقي هاهنا طرقالهكذا الحديث من عدة أماكن، وهى ثابتة في الصحيحين من حديث الزهري عن سنان بن، أبى سنان وأبى سلمة عن جابر، أنه غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة نجد، فلما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم أدركته القائلة في وادٍ كثير العِضاه^(٢)، ففرق الناس يستظلون بالشجر، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت ظل شجرة فعلق بها سيفه.

(٢) العِضاه: شجر عظيم له شوك.

(١) سورة المائدة.

قال جابر : فَنِمْنَا نَوْمَةً فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُونَا فَأَجْبِنَاهُ ، وَإِذَا عِنْدَهُ أَعْرَابِي جَالِسٌ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنْ هَذَا اخْتَرَطَ سَيْفِي وَأَنَا نَائِمٌ فَاسْتَيْقِظْتُ وَهُوَ فِي يَدِهِ صَلْتًا ^(١) فَقَالَ : مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي ؟ قُلْتَ : اللَّهُ . فَشَامَ السَّيْفَ وَجَلَسَ . وَلَمْ يَعَاقِبْهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ فَعَلَ ذَلِكَ .

وقد رواه مسلم أيضاً ، عن أبي بكر بن أبي شيبة ، عن عفان ، عن أبان ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن أبي سلمة ، عن جابر قال : أَقْبَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى إِذَا كُنَّا بِذَاتِ الرَّقَّاعِ ، وَكُنَّا إِذَا أَتَيْنَا عَلَى شَجَرَةٍ ظَلِيلَةٍ تَرَكْنَاهَا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَجَاءَهُ رَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، وَسَيْفٌ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعْلَقٌ بِشَجَرَةٍ ، فَأَخَذَ سَيْفَ رَسُولِ اللَّهِ فَأَخْرَطَهُ وَقَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : تَخَافُنِي ؟ قَالَ : لَا . قَالَ : فَمَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي ؟ قَالَ : اللَّهُ يَمْنَعُنِي مِنْكَ . قَالَ : فَهَدَدَهُ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَغْمَدَ السَّيْفَ وَعَلَقَهُ .

قال : وَنُودِيَ بِالصَّلَاةِ ، فَصَلَّى بِطَائِفَةٍ رَكَعَتَيْنِ ثُمَّ تَأَخَّرُوا ، وَصَلَّى بِالطَّائِفَةِ الْأُخْرَى رَكَعَتَيْنِ . قَالَ : فَكَانَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْبَعُ رَكَعَاتٍ وَلِلْقَوْمِ رَكَعَتَانِ . وَقَدْ عَلِقَهُ الْبُخَارِيُّ بِصِيفَةِ الْجَزَمِ عَنْ أَبَانَ بِهِ .

قال البخاري : وَقَالَ : مُسَدَّدٌ عَنْ أَبِي عَوَانَةَ عَنْ أَبِي بَشْرٍ ، إِنْ اسْمُ الرَّجُلِ غَوْرَثُ بَيْنَ الْحَارِثِ . وَأَسْنَدُ الْبَيْهَقِيِّ مِنْ طَرِيقِ أَبِي عَوَانَةَ ، عَنْ أَبِي بَشْرٍ ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ قَيْسٍ ، عَنْ جَابِرٍ قَالَ : قَاتَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُحَارِبَ وَغَطَفَانَ بَنَخَلَ ، فَرَأَوْا مِنَ الْمُسْلِمِينَ غُرَّةً ، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ : غَوْرَثُ بْنُ الْحَارِثِ حَتَّى قَامَ عَلَى رَأْسِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالسَّيْفِ وَقَالَ : مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي ؟ قَالَ : اللَّهُ . فَسَقَطَ السَّيْفُ مِنْ يَدِهِ .

فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ السَّيْفَ وَقَالَ : مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي ؟ فَقَالَ : كُنْ خَيْرَ

(١) صلتا : مجردا من غمده ، بمعنى مصلت .

أَخِذْ. قَالَ : تشهد أن لا إله إلا الله ؟ قال : لا ، ولكن أعاهدك على ألا أقاتلك ولا أكون مع قوم يقاتلونك .

نفلى سبيله ، فأتى أصحابه وقال : جئتم من عند خير الناس .

ثم ذكر صلاة الخوف ، وأنه صلى أربع ركعات ، بكل طائفة ركعتين .

وقد أورد البيهقي هنا طرق صلاة الخوف بذات الرقاع ، عن صالح بن خوات بن جبير ، عن سهل بن أبي حنمة ، وحديث الزهري ، عن سالم عن أبيه ، في صلاة الخوف بنجد . وموضع ذلك كتاب الأحكام . والله أعلم .

قصة الذي أصيبت امرأته في هذه الغزوة

قال محمد بن إسحاق : حدثني عمي صدقة بن يسار ، عن عقيل بن جابر ، عن جابر بن عبد الله قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة ذات الرقاع من نخل فأصاب رجل امرأة رجل من المشركين ، فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم قافلا ، أتى زوجها وكان غائبا ، فلما أخبر الخبر حلف لا ينتهي حتى يهريق في أصحاب محمد دما .

فخرج يتبع أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلا فقال : من رجل يكلؤنا ليلتنا ؟ فانتدب رجل من المهاجرين ورجل من الأنصار . فقالا : نحن يا رسول الله ، قال : فكونا بقم الشعب من الوادي . وهما عمّار بن ياسر وعبداد بن بشر ، فلما خرجا إلى قم الشعب قال الأنصاري للمهاجري : أي الليل تحب أن أكفيكه أوله أم آخره ؟ قال : بل اكفني أوله . فاضطجع المهاجري فنام وقام الأنصاري يصلي .

قال : وأتى الرجل فلما رأى شخص الرجل عرف أنه ريثة القوم ، فرمى بهم

فوضعه فيه ، فانتزعه ووضعه وثبت قائماً . قال : ثم رمى بسهم آخر فوضعه فيه فنزعه فوضعه وثبت قائماً . قال : ثم عادله بالثالث فوضعه فيه فنزعه فوضعه ، ثم ركع وسجد ، ثم أهبَّ صاحبه فقال : اجلس فقد أثبت .

قال : فوثب الرجل فلما رأها عرف أنه قد نذرا به ، فهرب .

قال : ولما رأى المهاجرى ما بالأنصارى من الدماء قال : سبحان الله أفلا أهبتني أولَ مارماك ؟!

قال : كنت في سورة أقرأها ، فلم أحب أن أقطعها حتى أنفذها ، فلما تابع عليّ الرمي ركعتُ فآذنتك ، وأيم الله لولا أن أضيع نقرأ أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظه لقطع نفسي قبل أن أقطعها أو أنفذها !

هكذا ذكره ابن إسحاق في المغازي . وقد رواه أبو داود عن أبي توبة ، عن عبد الله ابن المبارك ، عن ابن إسحاق به .

وقد ذكر الواقدي عن عبد الله العمري ، عن أخيه عبيد الله ، عن القاسم بن محمد ، عن صالح بن خوات ، عن أبيه ، حديث صلاة الخوف بطوله . قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أصاب في محالهم نسوة ، وكان في السبي جارية وضيئة ، وكان زوجها يحبها ، فحلف ليطلبن محمداً ولا يرجع حتى يصيب دماً أو يخلص صاحبتها ، ثم ذكر من السياق نحو ما أورده محمد بن إسحاق .

قال الواقدي : وكان جابر بن عبد الله يقول : بينا أنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاء رجل من أصحابه بفرخ طائر ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يظفر إليه ، فأقبل إليه أبواء أو أحدهما حتى طرح نفسه في يدي الذي أخذ فرخه ، فرأيت أن الناس عجبوا من ذلك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتعجبون من هذا الطائر أخذتم فرخه فطرح نفسه رحمة لفرخه ؟ فوالله لرؤيتكم أرحمُ بكم من هذا الطائر بفرخه !!

قصة جل جابر في هذه الغزوة

قال محمد بن إسحاق : حدثني وهب بن كيسان ، عن جابر بن عبد الله ، قال : خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى غزوة ذات الرقاع من نخل على جبل لي ضعيف ، فلما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم جعلت الرفاقُ تمضي وجعلت أتخلف ، حتى أدركني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : مالك يا جابر ؟ قلت : يا رسول الله أبطأ بي جلي هذا . قال : أنخه . قال : فأنخته وأناخ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : أعطني هذه العصا من يدك أو اقطع عصا من شجرة . ففعلت فأخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم فنخسه بها نخسات ثم قال : اركب . فركبت ، فخرج والذي بعثه بالحق يُواهي ناقته مواهقة^(١) .

قال : وتحدثت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أتبيعي جملك هذا يا جابر ؟ قال : قلت : بل أهبه لك . قال : لا واسكن بعني ، قال : قلت : فسمنيه ، قال : قد أخذته بدرهم ، قال : قلت : لا إذا تغبني يا رسول الله ! قال : فبدرهمين ، قال : قلت : لا . قال : فلم يزل يرفع لي رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ الأوقية ، قال : فقالت : أفقد رضيت ؟ قال : نعم ، قلت : فهو لك ، قال : قد أخذته .

ثم قال : يا جابر هل تزوجت بعد ؟ قال : قلت : نعم يا رسول الله ، قال : أثيباً أم بكراً ؟ قال : قلت : بل ثيباً . قال : أفلا جارية تلاعبها وتلاعبك !

قال : قلت يا رسول الله إن أبي أصيب يوم أحد وترك بنات له سبعاً ، فنكحت امرأة جامعة تجمع رؤوسهن فتقوم عليهن . قال : أصبت إن شاء الله ، أما إنا لو جئنا صِراراً^(٢) أمرنا بجزور فنحرت فأقننا عليها يومنا ذلك وسمعت بنا فنفضت نمارقها . قال : فقلت : والله يا رسول الله مالنا نمارق . قال : إنها ستكون فإذا أنت قدمت فاعمل عملا كيتساً .

(٢) صرار : موضع على ثلاثة أميال من المدينة .

قال : فلما جئنا صراراً أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بجزور فنحرت وأقمنا عليها ذلك اليوم ، فلما أمسى رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل ودخلنا . قال : فحدثت المرأة الحديث وما قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالت : فدونك فسمع وطاعة .

فلما أصبحت أخذت برأس الجمل فأقبلت به حتى أنحت على باب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جلست فى المسجد قريباً منه ، قال : وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى الجمل فقال : ما هذا ؟ قالوا : يا رسول الله هذا جمل جاء به جابر ، قال : فأين جابر ، فدعيت له ، قال : فقال : يا ابن أخى خذ برأس جملك فهو لك . قال : ودعا بلالا فقال : اذهب بجابر فأعطه أوقية . قال : فذهبت معه فأعطاني أوقية وزادنى شيئاً سيراً .

قال : فوالله ما زال ينمى عندى ويرى مكانه من بيننا حتى أصيب أمس فيما أصيب لنا . يعنى يوم الحرّة .

وقد أخرجه صاحب الصحيح من حديث عبيد الله بن عمر العمرى ، عن وهب بن كيسان ، عن جابر بنحوه .

قال السهيلي : فى هذا الحديث إشارة إلى ما كان أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم جابر بن عبد الله أن الله أحيا والده وكله فقال له : تمنّ علىّ . وذلك أنه شهيد وقد قال الله تعالى : « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم » وزادهم على ذلك فى قوله : « للذين أحسنوا الحسنى وزيادة » ثم جمع لهم بين العوض والمعوّض فردّ عليهم أرواحهم التى اشتراها منهم فقال : « ولا تحسبنّ الذين قُتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون » والروح للإنسان بمنزلة المطية كما قال ذلك عمر بن عبد العزيز . قال :

فلذلك اشترى رسول الله صلى الله عليه وسلم من جابر جملة ، وهو مطيته ، فأعطاه ثمنه ثم رده عليه وزاده مع ذلك .

قال : فقيه تحقيق لما كان أخبره به عن أبيه .

وهذا الذى سلكه السهيلي هاهنا إشارة غريبة وتحليل بديع . والله سبحانه وتعالى أعلم .

وقد ترجم الحافظ البيهقي فى كتابه « دلائل النبوة » على هذا الحديث فى هذه الغزوة فقال : باب ما كان ظهر فى غزاته هذه من بركاته وآياته فى جمل جابر بن عبد الله رضى الله عنه .

وهذا الحديث له طرق عن جابر وألفاظ كثيرة ، وفيه اختلاف كثير فى كمية ثمن الجمل وكيفية ما اشترط فى البيع . وتحرير ذلك واستقصاؤه لائق بكتاب البيع من الأحكام والله أعلم . وقد جاء تقييده بهذه الغزوة ، وجاء تقييده بغيرها ، كما سيأتى . ومُسْتَبْعَد تعداد ذلك والله أعلم .

غزوة بدر الآخرة

وهي بدر الموعد التي تواعدوا إليها من أحد كما تقدم .

قال ابن إسحاق : ولما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة من غزوة ذات الرقاع أقام بها بقية جمادى الأولى وجمادى الآخرة ورجباً ، ثم خرج في شعبان إلى بدر لميعاد أبي سفيان .

قال ابن هشام : واستعمل على للمدينة عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سؤل .

قال ابن إسحاق : فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرأً وأقام عليه ثمانياً ينتظر أبا سفيان .

وخرج أبو سفيان في أهل مكة حتى نزل مجنّة من ناحية الظهران . وبعض الناس يقول : قد بلغ عسفان ثم بدا له في الرجوع فقال : يامعشر قريش إنه لا يصلحكم إلا عام خصب ترعون فيه الشجر وتشربون فيه اللبن ، فإن عامكم هذا عام جذب وإني راجع فارجموا .

فرجع الناس فسمّاهم أهل مكة جيشَ السويق يقولون : إنما خرجتم تشربون السويق . قال : وأتى مخشئ بن عمرو الصّمري وقد كان وادّع النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة ودّان على بني ضمرة فقال : يا محمد أجئت للقاء قريش على هذا الماء ؟ قال : نعم يا أخا بني ضمرة ، وإن شئت ردّدنا إليك ما كان بيننا وبينك وجالدناك حتى يحكم الله بيننا وبينك . قال : لا والله يا محمد مالنا بذلك من حاجة .

ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ولم يلق كيذاً .

قال ابن إسحاق : وقد قال عبد الله بن رواحة يغني في انتظارهم أبا سفيان ورجوعه بقريش عامه ذلك . قال ابن هشام : وقد أنشدنيها أبو زيد الكعب بن مالك :

وَعَدْنَا أَبَا سَفْيَانَ بَذْرًا فَلَمْ يَجِدْ لِمُعَادِهِ صِدْقًا وَمَا كَانَ وَافِيًا
فَأَقْسِمَ لَوْ لَا قَيْتَنَا فَلَقَيْتَنَا لِأُبَّتْ ذِمِّيَا وَافْتَقَدْتَ الْمَوَالِيَا
تَرَكْنَا بِهِ أَوْصَالَ عُتْبَةَ وَابْنِهِ وَعَمْرًا أَبَا جَهْلٍ تَرَكْنَاهُ ثَاوِيَا
عَصَيْتُمْ رَسُولَ اللَّهِ أَفَإِلَيْكُمْ وَأَمْرُكَ السَّيِّءُ الَّذِي كَانَ غَاوِيَا
فَإِنِّي وَإِنْ عَنَّفْتُمُونِي لَقَاتِلُ فَدَى لِرَسُولِ اللَّهِ أَهْلِي وَمَالِيَا
أَطْعَمَاهُ لَمْ نَعْدِلْهُ فِينَا بغيره شِهَابًا لِنَافِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ هَادِيَا

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت في ذلك :

دَعُوا فَلَجَاتُ الشَّامِ قَدْ حَالَ دُونَهَا جِلَادٌ كَأَفْوَاهِ الْخَاضِ الْأَوَارِكِ^(١)
بِأَيْدِي رِجَالٍ هَاجَرُوا نَحْوَ رَبِّهِمْ وَأَنْصَارِهِ حَقًّا وَأَيْدِي الْمَلَائِكِ
إِذَا سَلَكَتِ لِلغُزْرِ مِنْ بَطْنِ غَالِجٍ فَقُولَا لَهَا لَيْسَ الطَّرِيقُ هُنَاكَ
أَقْنَا عَلَى الرَّسِّ النَّزْوِعِ ثَمَانِيَا بَارِعِنَ جَرَّارٍ عَرِيضِ الْمُبَارِكِ^(٢)
بِكُلِّ كَمِيَّتٍ جُوزُهُ نَصْفُ خَلْقِهِ وَقُبِّ طَوَالِ مَشْرِفَاتِ الْحَوَارِكِ^(٣)
تَرَى الْعَرَفِجَّ الْعَامِيَّ تَذَرِي أَصُولَهُ مَنَاسِمُ أَخْفَافِ الْمَطِيِّ الرُّوَاتِكِ^(٤)
فَإِنْ تَلَقَّ فِي تَطَوَافِنَا وَالتَّمَاسِنَا فِرَاتَ بْنَ حِيَانَ يَكُنْ رَهْنُ هَالِكِ
وَإِنْ تَلَقَّ قَيْسُ بْنُ أَمْرِ الْقَيْسِ بَعْدَهُ يَزْدُ فِي سَوَادٍ لَوْنُهُ لَوْنُ حَالِكِ
فَأَبْلَغَ أَبَا سَفْيَانَ عَنِّي رِسَالَةً فَإِنَّكَ مِنْ غُرِّ الرِّجَالِ الصَّمَالِكِ
قال : فَأَجَابَهُ أَبُو سَفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ ، وَقَدْ أَسْلَمَ فِيمَا بَعْدَ ذَلِكَ :
أَحْسَنَ إِنَّا يَا ابْنَ آكَلَةِ الْفَعَا وَجَدُّكَ نَقْتَالُ الْخُرُوقَ كَذَلِكَ^(٥)

(١) الفلجيات : جمع فلج ، وهو النهر الصغير . والأوارك : الإبل التي رعت الأراك .

(٢) الرس : البئر . والنزوع : القرية القعر . والأرعن : الجيش ذو الفضول .

(٣) الكميّة : الفرس . والجوز : الوسط . والقب : جمع أقب ، وهو الفرس الضامر البطن والحوارك : جمع حارك وهو أعلى الكاهل .

(٤) العرفج : شجر سهلي . والعامي : الذي أتى عليه العام . والرواتك : المسرعة

(٥) الفعا : شيء كالنبت . والخروق : القفار . ونقتال : نقطع .

خرجنا وماتنجو اليعافيرُ بيننا ولو وألت منا بشدٍ مُداركِ^(١)
 إذا ما انبعثنا من مُناخٍ حسبتَه مُدمنَ أهلِ الموسمِ المتعاركِ^(٢)
 أمتَ على الرمسِ السزوعِ تريدنا وتتركنا في النخلِ عند المداركِ
 على الزرعِ تَمْشِي خيلُنَا وركابُنَا فما وطئتُ الصَّقْنَه بالذِّ كَادِكِ^(٣)
 أقنَا ثلاثًا بين سَلْعٍ وفارِعٍ بِجُرْدِ الجيَادِ والمطَى الرَّوَاتِكِ^(٤)
 حَسِبْتُمْ جِلَادَ القومِ عندَ فَنَائِكُمْ^(٥) كَمَا خَذَكُمْ بِالْعَيْنِ أَرْطَالِ آنُكِ^(٦)
 فلا تَبْعُثِ الخيلَ الجيَادِ وقل لها على نحو قولِ المُعْصِمِ المُتَمَاسِكِ
 سَعِدْتُمْ بها وغيرُكم كانَ أهلُها فوارسُ من أبناءِ فهِرِ بنِ مالِكِ
 فإنك لا في هجرةٍ إنْ ذُكِرَتْها ولا حرَمَاتٍ دِينُهَا أَنْتَ نَاسِكُ^(٧)

قال ابن هشام : تركنا منها أبياتًا لا اختلاف قوافيها .

وقد ذكر موسى بن عقبة عن الزهري وابن أبي عمير ، عن أنى الأسود ، عن عروة بن الزبير ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استنفر الناس لموعدة أبي سفيان ، وانبعث المنافقون في الناس يُتَبَطِّطُونَهُمْ ، فسلم الله أوليائه ، وخرج المسلمون صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بدر ، وأخذوا معهم بضائع وقالوا : إن وجدنا أبا سفيان وإلا اشترينا من بضائع موسم بدر .

(١) اليعافير : جمع يعفور وهو ولد الظبية . ووألت : احتمت . والشد : الجرى .

(٢) المدمن : الموضع به آثار الناس والدواب .

(٣) الذكادك : جمع دكدك ، مائكيس واستوى من الرمل ، أو أرض فيها غلظ .

(٤) الرواتك : التي تقارب في خطوها .

(٥) ابن هشام : عند قبائهم . ورواها ابن سلام في طبقات الشعراء : حول بيوتكم .

(٦) العين : المال ، والذهب ، والدينار . والآتك : الرصاص الأبيض . وقد ذكر السهيلي عن ابن سلا . أن أبا سفيان بن حرب قال لأبي سفيان بن الحارث : يا ابن أخي لم جعلتها آنك ، إن كانت الفضة بيضاء جيدة !

(٧) وتروى : ولا حرمت الدين أنت بناسك .

ثم ذكر نحو سياق ابن إسحاق في خروج أبي سفيان إلى مجنّة ، ورجوعه ، وفي مقابلة الضمري ، وعرض النبي صلى الله عليه وسلم والمناظرة فأبى ذلك .
قال الواقدي : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إليها في ألف وخمسمائة من أصحابه ، واستخلف على المدينة عبد الله بن رواحة . وكان خروجه إليها في مستهل ذي القعدة ، يعني سنة أربع .

والصحيح قول ابن إسحاق ، أن ذلك في شعبان من هذه السنة الرابعة ، ووافق قول موسى بن عقبة أنها في شعبان ، لكن قال : في سنة ثلاث وهذا وهم ، فإن هذه توعدوا إليها من أحد وكانت أحد في شوال سنة ثلاث كما تقدم . والله أعلم .
قال الواقدي : فأقاموا ببدر مدة الموسم الذي كان يعقد فيها ثمانية أيام ، فرجعوا وقد ربحوا من الدرهم درهمين . وقال غيره : فانقلبوا كما قال الله عز وجل : « فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء » واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم ^(١) .

فصل

في جملة من الحوادث الواقعة سنة أربع من الهجرة

قال ابن جرير : وفي جمادى الأولى من هذه السنة مات عبد الله بن عثمان بن عفان رضي الله عنه ، يعني من رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو ابن ست سنين ، فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزل في حفرة والده عثمان بن عفان رضي الله عنه .

قلت : وفيه توفي أبو سامة عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي المخزومي ، وأمه برة بنت عبد المطالب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان رضيع رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتضعا من ثويبة مولاة أبي لهب .

وكان إسلام أبي سلمة وأبي عبيدة وعثمان بن عفان والأرقم بن أبي الأرقم قديماً في يوم واحد .

وقد هاجر هو وزوجته أم سلمة إلى أرض الحبشة ، ثم عاد إلى مكة وقد ولد لها بالحبشة أولاد ، ثم هاجر من مكة إلى المدينة ، وتبعته أم سلمة إلى المدينة كما تقدم . وشهد بدرًا وأحداً ، ومات من آثار جرح جرّحه بأحد . رضى الله عنه وأرضاه . له حديث واحد في الاسترجاع عند المصيبة ، سيأتي في سياق تزويج رسول الله صلى الله عليه وسلم بأم سلمة قريباً .

قال ابن جرير : وفي ليال خلّون من شعبان منها ولد الحسين بن علي من فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى الله عنهم .

قال : وفي شهر رمضان من هذه السنة تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت خزيمة بن الحارث بن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة ، الهلالية .

وقد حكى أبو عمر بن عبد البر ، عن علي بن عبد العزيز الجرجاني أنه قال : كانت أخت ميمونة بنت الحارث . ثم استغربه وقال : لم أره لغيره . وهي التي يقال لها أم المساكين لكثرة صدقاتها عليهم وبرها لهم وإحسانها إليهم . وأصدقها ثلثي عشرة أوقية ونشاً^(١) ودخل بها في رمضان ، وكانت قبله عند الطفيل بن الحارث فطلقها .

قال أبو عمر بن عبد البر ، عن علي بن عبد العزيز الجرجاني : ثم خلف عليها أخوه عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف .

قال ابن الأثير في الغابة : وقيل كانت تحت عبد الله بن جحش فقتل عنها يوم أحد .

(١) النش . نصف أوقية ، وهو عشرون درهما .

قال أبو عمر : ولا خلاف أنها ماتت في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقيل :
لم تلبث عنده إلا شهرين أو ثلاثة حتى توفيت رضى الله عنها .
وقال الواقدي : في شوال من هذه السنة تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم سلمة
بنت أبي أمية .

قلت : وكانت قبله عند زوجها أبي أولادها أبي سلمة بن عبد الأسد ، وقد كان شهد
أحداً كما تقدم ، وجرح يوم أحد فداوى جرحه شهراً حتى برئ ، ثم خرج في سرية فغنم
منها نهما ومغنا جيداً ، ثم أقام بعد ذلك سبعة عشر يوماً ثم انتقض عليه جرحه فمات لثلاث
بقيين من جمادى الأولى من هذه السنة .

فلما حلت في شوال خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى نفسها بنفسه الكريمة
وبعث إليها عمر بن الخطاب في ذلك مراراً ، فتذكر أنها امرأة غيّرى ، أى شديدة الغيرة
وأنها مُصِيبَةٌ ، أى لها صبيان يشغلونها عنه ويحتاجون إلى مؤنة تحتاج معها أن تعمل لهم في
قوتهم ، فقال : أما الصَّبيَّةُ فإلى الله وإلى رسوله . أى نفقتهم ليس إليك ، وأما الغيرة
فأدعو الله فيذهبها .

فأذنت في ذلك وقالت لعمر آخر ما قالت له : قم فزوّج النبیّ صلى الله عليه وسلم . تعنى
قد رضيت وأذنت .

فتوهم بعض العلماء أنها تقول لابنها عمر بن أبي سلمة ، وقد كان إذ ذاك صغيراً لا يلى
مثله العقد ، وقد جمعت في ذلك جزءاً مفرداً يبيّن فيه الصواب في ذلك . والله الحمد والمنة .
وأن الذى ولى عقدها عليه ابنها سلمة بن أبي سلمة ، وهو أكبر ولدها .

وساغ هذا لأن أباه ابن عمها ، فللابن ولاية أمه إذا كان سبباً لها من غير جهة البنوة
بالإجماع . وكذا إذا كان معتقاً أو حاكماً .

فأما تحض البنوة فلا يلي بها عقد النكاح عند الشافعي وحده ، وخالفه الثلاثة :
أبو حنيفة ومالك وأحمد رحمهم الله . ولبسط هذا موضع آخر يذكر فيه ، وهو كتاب
النكاح من الأحكام الكبير . إن شاء الله .

قال الامام أحمد : حدثنا يونس ، حدثنا ليث ، يعني ابن سعد ، عن يزيد بن عبد الله
بن أسامة بن الهاد ، عن عمرو بن أبي عمرو ، عن المطالب ، عن أم سلمة قالت : أتاني
أبو سلمة يوماً من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : لقد سمعت من رسول الله صلى
الله عليه وسلم قولاً سررت به ، قال : « لا يصيب أحداً من المسلمين مصيبة فيسترجع عند
مصيبته ثم يقول : اللهم آجرني في مصيبتى واخلف لى خيراً منها إلا فعل به » . قالت
أم سلمة : حفظت ذلك منه .

فلما توفي أبو سلمة استرجعتُ وقلت : اللهم آجرني في مصيبتى واخلف لى خيراً منها
ثم رجعت إلى نفسى فقلت : من أين لى خير من أبى سلمة ؟

فلما انقضت عِدَّتى استأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أدبغ إهاباً لى ، ففسلت
يدى من القرظ وأذنت له ، فوضعت له وسادة آدم حشوها ليف ، فقعد عليها فخطبني إلى
نفسى ، فلما فرغ من مقالته قلت : يا رسول الله ما بى أن لا تكون بك الرغبة ، ولكنى
امرأة بى غير شديدة ، فأخاف أن ترى منى شيئاً يعذبني الله به ، وأنا امرأة قد دخلت
فى السن وأنا ذات عيال .

فقال : أما ما ذكرت من الغيرة فسيذهبها الله عنك ، وأما ما ذكرت من السن فقد
أصابني مثل الذى أصابك ، وأما ما ذكرت من العيال فإنما عيالك عيالى . فقالت : فقد
سلمتُ لرسول الله صلى الله عليه وسلم . فقالت أم سلمة : فقد أبدلنى الله بأبى سلمة خيراً
منه ، رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد رواه الترمذى والنسائى من حديث حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن عمر بن أبى سلمة ، عن أمه أم سلمة عن أبى سلمة به . وقال الترمذى حسن غريب . وفى رواية للنسائى عن ثابت عن ابن عمر بن أبى سلمة عن أبيه . ورواه ابن ماجه عن أبى بكر بن أبى شيبه عن يزيد بن هارون ، عن عبد الملك بن قدامة الجحى عن أبيه ، عن عمر بن أبى سلمة به .

وقال ابن إسحاق : ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم - يعنى من بدر الموعود - راجعاً إلى المدينة فأقام بها حتى مضى ذو الحجة وولى تلك الحجة المشركون وهى سنة أربع .

وقال الواقدى : وفى هذه السنة يعنى سنة أربع أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن ثابت أن يتعلم كتاب يهود .
قلت : فثبت عنه فى الصحيح أنه قال : تعلمته فى خمسة عشر يوماً . والله أعلم .

سنة خمس من الهجرة النبوية

غزوة دومة الجندل في ربيع الأول منها

قال ابن إسحاق : ثم غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم دُومة الجندل (١) .

قال ابن هشام : في ربيع الأول - يعني من سنة خمس - واستعمل على المدينة سبّاع بن عُرْفُطَةَ الغِفَارِي .

قال ابن إسحاق : ثم رجع إلى المدينة قبل أن يصل إليها ولم يلق كيداً ، فأقام بالمدينة بقية سنته .

هكذا قال ابن إسحاق .

وقد قال محمد بن عمر الواقدي بإسناده عن شيوخه عن جماعة من السلف قالوا : أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يَدْنُو إلى أداني الشام ، وقيل له : إنَّ ذلك مما يُفزع قيصر ، وذُكر له أن بدُومة الجندل جمعاً كبيراً وأنهم يَظلمون من مرَّ بهم ، وكان لها سوق عظيم ، وهم يريدون أن يَدْنُوا من المدينة .

فندب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس ، فخرج في ألف من المسلمين ، فكان يسير اللَّيْلَ وَيَكْمُنُ النَّهَارَ ، ومعه دليل له من بني عُذْرَةَ يقال له مذكور ، هادٍ خَرَّيْتُ (٢) .

فلما دنأ من دُومة الجندل أخبره دليله بسوائم بني تميم ، فسار حتى هجم على ماشيتهم ورعائهم ، فأصاب من أصاب وهرب من هرب في كل وجه ، وجاء الخبرُ أهل دُومة الجندل فتفرقوا ،

(١) دومة : بضم الدال عند أهل اللغة ، وأصحاب الحديث يفتحونها . كذا في الصحاح . قال البكري : سميت بدومي بن إسماعيل ، وكان نزلها . (شرح المواهب ٩٥/٢) .

(٢) الخريت : الماهر بالهداية .

فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسَاحَتِهِمْ فَلَمْ يَجِدْ فِيهَا أَحَدًا ، فَقَامَ بِهَا أَيَّامًا ، وَبَثَّ السَّرايَا ، ثُمَّ رَجَعُوا وَأَخَذَ مُحَمَّدُ بْنُ سَلَمَةَ رَجُلًا مِنْهُمْ فَأَتَى بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَسَأَلَهُ عَنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ : هَرَبُوا أَمْسَ . فَعَرَضَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْإِسْلَامَ فَأَسْلَمَ ، وَرَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمَدِينَةِ .

قَالَ الْوَاقِدِيُّ : وَكَانَ خُرُوجُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى دُومَةِ الْجَنْدَلِ فِي رَبِيعِ الْآخِرِ ^(١) سَنَةِ خَمْسَ .

قَالَ : وَفِيهِ تَوَفَّيْتُ أُمَّ سَعْدَ بْنَ عِبَادَةَ ، ابْنَتَهَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذِهِ الْغَزْوَةِ .

وَقَدْ قَالَ أَبُو عِيْسَى التِّرْمِذِيُّ فِي جَامِعِهِ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي عَرُوبَةَ ، عَنْ قُقَادَةَ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ ، أَنَّ أُمَّ سَعْدٍ مَاتَتْ وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَائِبٌ ، فَلَمَّا قَدِمَ صَلَّى عَلَيْهَا وَقَدْ مَضَى لَذَلِكَ شَهْرٌ . وَهَذَا مَرْسَلٌ جَيِّدٌ ، وَهُوَ يَقْتَضِي أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ غَابَ فِي هَذِهِ الْغَزْوَةِ شَهْرًا فَمَا فَوْقَهُ عَلَى مَا ذَكَرَهُ الْوَاقِدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ .

غَزْوَةُ الْخَنْدَقِ وَهِيَ غَزْوَةُ الْأَحْزَابِ

وَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهَا صَدْرَ سُورَةِ الْأَحْزَابِ . فَقَالَ تَعَالَى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا ، وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا * إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ ، وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظَّنُونَا ، هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا

(١) عِنْدَ جَرِيرٍ عَنِ الْوَاقِدِيِّ : فِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ . وَكَذَلِكَ فِي تَرْجُومَةِ الْمَوَاهِبِ : « وَكَانَ فِي شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ عَلَى رَأْسِ تِسْعَةٍ وَأَرْبَعِينَ شَهْرًا مِنَ الْهِجْرَةِ » وَكَانَتْ رَجُوعُهُ إِلَى الْمَدِينَةِ فِي الْعَشْرِ مِنْ رَبِيعِ الْآخِرِ .

شديداً * وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرضٌ ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً *
 وإذ قالت طائفةٌ منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ، ويستأذن فريقٌ منهم النبيَّ
 يقولون إنَّ بيوتنا عورةٌ . وما هي بعورةٌ إنَّ يريدون إلا فراراً * ولو دُخلت عليهم
 من أفطارها ثم سئلوا الفتنة لآتوها وما تلبثوا بها إلا يسيراً * ولقد كانوا عاهدوا الله
 من قبل لا يولّون الأديبار وكان عهدُ الله مسئولا * قل لن يَنْفَعَكُم الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ
 الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذْ لَا تُنْتَمَعُونَ إِلَّا قَلِيلاً * قل من ذا الذي يَعْصِمُكُم مِّنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ
 بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهْمَ مِّنَ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا * قد يَعْلَمُ اللَّهُ
 الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلاً * أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ
 فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ
 الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِالسَّيْفِ حَدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ ، أَوَلَيْكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ
 ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا * يحسبون الأحزابَ لم يذهبوا وإن يأتِ الأحزابُ يودُّوا لو أنهم
 بادون في الأعراب يسألون عن أنبيائكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا إلا قليلاً * لقد كان لكم
 في رسول الله أسوةٌ حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً * ولما
 رأى المؤمنون الأحزابَ قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله ، وصدق الله ورسوله وما زادهم
 إلا إيماناً وتسليماً * من المؤمنين رجالٌ صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نَحْبَهُ ومنهم
 مَنْ يُنْتَظَرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا * لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ
 عَلَيْهِمْ إِنْ اللَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا * وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغِيظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ
 الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا * وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ
 صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ ، فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ، وَأَوْرَثَكُم أَرْضَهُمْ
 وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَّأُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا .

وقد تسكلمنا على كل من هذه الآيات الكريمة في التفسير والله الحمد والمنة .

ولنذكر هاهنا ما يتعلق بالقصة إن شاء الله وبه الثقة وعليه التسلل .

وقد كانت غزوة الخندق في شوال سنة خمس من الهجرة نص على ذلك ابن إسحاق وعروة بن الزبير وقتادة والبيهقي وغير واحد من العلماء سلفاً وخلفاً .

وقد روى موسى بن عقبة عن الزهري أنه قال : ثم كانت وقعة الأحزاب في شوال سنة أربع .

وكذلك قال الإمام مالك بن أنس ، فيما رواه أحمد بن حنبل عن موسى بن داود عنه .

قال البيهقي : ولا اختلاف بينهم في الحقيقة ، لأن مرادهم أن ذلك بعد مضي أربع سنين وقبل استكمال خمس .

ولا شك أن المشركين لما انصرفوا عن أحد واعدوا المساهمين إلى بدر العام القابل ، فذهب النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه كما تقدم في شعبان سنة أربع ورجع أبو سفيان بقرش لجذب ذلك العام ، فلم يكونوا ليأتوا إلى المدينة بعد شهرين ، فتعين أن الخندق في شوال من سنة خمس . والله أعلم .

وقد صرح الزهري بأن الخندق كانت بعد أحد بستين . ولا خلاف أن أحداً في شوال سنة ثلاث ، إلا على قول من ذهب إلى أن أول التاريخ من محرم السنة الثانية لسنة الهجرة ، ولم يعدوا الشهور الباقية من سنة الهجرة من ربيع الأول إلى آخرها ، كما حكاه البيهقي . وبه قال يعقوب بن سفيان الفسوي ، وقد صرح بأن بدرأ في الأولى ، وأحداً في سنة ثنتين ، وبدر الموعد في شعبان سنة ثلاث ، والخندق في شوال سنة أربع .

وهذا يخالف لقول الجمهور ، فإن المشهور أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب جعل أول

التاريخ من محرم سنة الهجرة ، وعن مالك من ربيع الأول سنة الهجرة ، فصارت الأقوال ثلاثة والله أعلم .

والصحيح قول الجمهور : أن أحداً في شوال سنة ثلاث ، وأن الخندق في شوال سنة خمس من الهجرة والله أعلم .

فأما الحديث المتفق عليه في الصحيحين من طريق عبيد الله عن نافع ، عن ابن عمر أنه قال : عُرِضَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ أَحَدٍ وَأَنَا ابْنُ أَرْبَعِ عَشْرَةَ سَنَةً فَلَمْ يُجِزْنِي ، وَعُرِضَتْ عَلَيْهِ يَوْمَ الْخَنْدَقِ وَأَنَا ابْنُ خَمْسِ عَشْرَةَ فَأُجِزَنِي . فَقَدْ أَجَابَ عَنْهَا جَمَاعَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ مِنْهُمْ الْبَيْهَقِيُّ بِأَنَّهُ عَرِضَ يَوْمَ أَحَدٍ فِي أَوَّلِ الرَّابِعَةِ عَشْرَةِ ، وَيَوْمَ الْأَحْزَابِ فِي أَوَّلِ الْخَامِسَةِ عَشْرَةِ .

قلت : ويحتمل أنه أراد أنه لما عَرِضَ عَلَيْهِ فِي يَوْمِ الْأَحْزَابِ كَانَ قَدْ اسْتَكْمَلَ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً الَّتِي يُجَازِ لَهَا الْعُلَمَاءُ ، فَلَا يَبْقَى عَلَى هَذَا زِيَادَةٌ عَلَيْهَا .
ولهذا لما بَلَغَ نَافِعُ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ هَذَا الْحَدِيثَ قَالَ : إِنَّ هَذَا الْفَرْقُ بَيْنَ الصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ . ثُمَّ كَتَبَ بِهِ إِلَى الْآفَاقِ وَعَاطَمَ عَلَى ذَلِكَ جُمْهُورُ الْعُلَمَاءِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وهذا سياق القصة مما ذكره ابن إسحاق وغيره .

قال ابن إسحاق : ثُمَّ كَانَتْ غَزْوَةُ الْخَنْدَقِ فِي شَوَالِ سَنَةِ خَمْسٍ .

فَخَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ رُومَانَ ، عَنْ عُرْوَةَ وَمَنْ لَا أَتَهُمْ ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ^(١) بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ وَمُحَمَّدِ بْنِ كَعْبِ الْقُرْظِيِّ وَالزَّهْرِيِّ ، وَعَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ وَغَيْرُهُمْ مِنْ عُلَمَائِنَا . وَبَعْضُهُمْ يَحَدِّثُ مَا لَا يَحْدِثُ بَعْضُهُمْ . قَالُوا :

إِنَّهُ كَانَ مِنْ حَدِيثِ الْخَنْدَقِ : أَنَّ نَفَرًا مِنَ الْيَهُودِ مِنْهُمْ سَلَامٌ بْنُ أَبِي الْحُقَيْقِ النَّضْرِيِّ ، وَحِجِّي بْنُ أَخْطَبِ النَّضْرِيِّ ، وَكِئَانَةُ بْنُ الرَّبِيعِ بْنِ أَبِي الْحُقَيْقِ ، وَهَوْذَةُ بْنُ قَيْسِ

(١) ابن هشام : عبد الله بن كعب .

الوائلى ، وأبو عمار الوائلى ، فى نفر من بنى النضير ونفر من بنى وائل ، وهم الذين حَزَبُوا الأحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خرجوا حتى قدموا على قريش بمكة فدعَوْهم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا : إنا سنكونُ معكم عليه حتى نستأصله .
فقالَت لهم قريش : يا معشر يهود إنكم أهل الكتاب الأول والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد ، أفديننا خيرٌ أم دينه ؟

قالوا : بل دينكم خير من دينه ، وأنتم أولى بالحق منه .

فهم الذين أنزل الله فيهم : « ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهْدَى من الذين آمنوا سبيلاً . أولئك الذين لعنهم الله ، ومن يلعن الله فلن تجدَ له نصيراً ^(١) » الآيات .

فلما قالوا ذلك لقريش سرَّهم ونشطوا لما دعَوْهم إليه من حَرْب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاجتمعوا لذلك وأعدوا له .

ثم خرج أولئك نفر من يهود حتى جاءوا غطفان من قيس عَيْلان ، فدعَوْهم إلى حرب النبى صلى الله عليه وسلم وأخبروهم أنهم يكونون ^(٢) معهم عليه ، وأن قريشاً قد تابعوهم على ذلك واجتمعوا معهم فيه .

فخرجت قريش وقائدها أبو سفيان ، وخرجت غطفان وقائدها عيينة بن حِصْن بن حذيفة بن بدر فى بنى فزارة والحارث بن عوف بن أبى حارثة المُرِّى فى بنى مرة ، ومِسْعَر ابن رُخَيْلة بن نُوَيْرَةَ بن طريف بن سُحْمَةَ بن عبد الله بن هلال بن خَلَاوة بن أشجع بن رَيْث بن غطفان فيمن تابعه من قومه مِنْ أَشْجَع .

فلما سمع بهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وما أجمعوا له من الأمر ضَرَب الخندق على المدينة .

(٢) ابن هشام : سيكونون .

(١) سورة النساء .

قال ابن هشام : يقال إن الذي أشار به سلمان .

قال الطبري والسهيلي : أول من حفر الخنادق : منوشهر بن أيرج بن أفريدون .
وكان في زمن موسى عليه السلام .

قال ابن إسحاق : فعمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ترغيباً للمسلمين في الأجر ،
وعمل معه المسلمون ، وتحلّف طائفة من المنافقين يعتذرون بالضعف^(١) ، ومنهم من ينسئل
خفيةً بغير إذنه ولا علمه عليه الصلاة والسلام .

وقد أنزل الله تعالى في ذلك قوله تعالى « إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ،
وإذا كانوا معه على أمرٍ جامعٍ لم يذهبوا حتى يستأذنوه ، إن الذين يستأذنونك أولئك
الذين يؤمنون بالله ورسوله ، فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئتَ منهم واستغفر
لهم الله إن الله غفور رحيم * لا تجعلوا دُعاء الرسول بينكم كدُعاء بعضكم بعضاً قد يعلم
الله الذين يتسللون منكم لوأذاً ، فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تُصيبهم فتنةٌ
أو يُصيبهم عذابٌ أليم ، ألا إن الله ما في السماوات والأرض قد يعلم ما أنتم عليه ، ويوم
يُرْجمون إليه فينبئهم بما عملوا والله بكلِّ شيءٍ عليم^(٢) » .

قال ابن إسحاق : فعمل المسلمون فيه حتى أحكموه ، وارتجزوا فيه برجل من المسلمين
يقال له جُعيل سماء رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرًا ، فقالوا فيما يقولون :
سماء من بعد جُعيلٍ عمرًا وكان للبائس يوماً ظهراً^(٣)
وكانوا إذا قالوا : عمرًا . قال معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : عمرًا . وإذا قالوا :
ظهراً قال لهم : ظهرا .

(١) ابن هشام : وجعلوا يورون بالضعيف من العمل . (٢) سورة النور .

(٣) ظهرا : قوة ومعونة .

وقد قال البخارى : حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثنا معاوية بن عمرو ، حدثنا أبو إسحاق ، عن حميد ، سمعت أنساً قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الخندق ، فإذا المهاجرون والأنصار يحفرون في غداة باردة ولم يكن لهم عبيد يعملون ذلك لهم ، فلما رأى ما بهم من النصب والجوع قال : « اللهم إن العيش عيش الآخرة ، فاغفر للأنصار والمهاجرة » فقالوا مجيبين له :

نحن الذين بآبوا محمداً على الجهاد ما بقينا أبداً

وفي الصحيحين من حديث شعبة ، عن معاوية بن قرة عن أنس : نحوه .

وقد رواه مسلم من حديث حماد بن سلمة عن ثابت وحيد عن أنس ، بنحوه .

وقال البخارى : حدثنا أبو مَعْمَر ، حدثنا عبد الوارث ، عن عبد العزيز ، عن أنس قال : جعل المهاجرون والأنصار يحفرون الخندق حول المدينة وينقلون التراب على مَتُونِهِمْ ويقولون :

نحن الذين بآبوا محمداً على الإسلام ما بقينا أبداً

قال : يقول النبي صلى الله عليه وسلم مجيباً لهم : « اللهم إنه لا خير إلا خير الآخرة ، فبارك في الأنصار والمهاجرة » .

قال : يُؤْتُونَ بِلَاءٍ كَفَى مِنَ الشَّعِيرِ فَيُصْنَعُ لَهُمْ بِإِهَالَةِ سَفْحَةٍ ^(١) توضع بين يدي القوم والقوم جياع ، وهى بَشِعةٌ فى الخلق ولها ريح منتن !

وقال البخارى : حدثنا قتيبة بن سعيد ، حدثنا عبد العزيز بن ^(٢) أبي حازم ، عن سهل بن سعد ، قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الخندق وهم يحفرون ، ونحن ننقل التراب على أكتادنا ^(٣) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(١) الإهالة : الدكة . والسفحة : المنفرة الريح الفاسدة الطعم .

(٢) البخارى : عن أبي حازم . وهو أبو عبد العزيز .

(٣) الأكتاد : جمع كتد ، وهو ما بين السكاهل إلى الظهر .

« اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة ، فاغفر للمهاجرين والأنصار . »

ورواه مسلم عن القَعْنَبِيِّ ، عن عبد العزيز به .

وقال البخارى : حدثنا مسلم بن إبراهيم ، حدثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن البراء ابن عازب ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل التراب يوم الخندق حتى أغمرَ بطنه ، أو اغبرَّ بطنه يقول :

والله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سَكِينَةً علينا
وَبُتَّ الأقدامَ إِن لاقينا
إِن الألى قد بَغَوْا علينا
إذا أرادوا فتنةً أبينا

ورفع بها صوته : أبينا ، أبينا .

ورواه مسلم من حديث شعبة به .

ثم قال البخارى : حدثنا أحمد بن عثمان ، حدثنا شريح بن مسلم ، حدثني إبراهيم ابن يوسف ، حدثني أبي ، عن أبي إسحاق ، عن البراء يحدث قال : لما كان يوم الأحزاب وخندق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، رأيته ينقل من تراب الخندق حتى وارى عنى الترابُ جِلْدَةَ بطنه ، وكان كثير الشعر ، فسمعته يرتجز بكلمات عبد الله بن رَواحة وهو ينقل من التراب يقول :

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سَكِينَةً علينا
وَبُتَّ الأقدامَ إِن لاقينا
وإِن أرادوا فتنةً أبينا

ثم يمد صوته بأخرها .

وقال البيهقي فى الدلائل : أخبرنا على بن أحمد بن عبدان ، أخبرنا أحمد بن عبيد الصَّفار ، حدثنا إسماعيل بن الفضل البجلي ، حدثنا إبراهيم بن يوسف البلخي ، حدثنا

المسيب بن شريك ، عن زياد بن أبي زياد ، عن أبي عثمان ، عن سلمان ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب في الخندق وقال :

باسم الله وبه هُـدِينَا ولو عبدنا غيره شَقِينَا
يا حبذا ربًّا وحبَّ دِينًا

وهذا حديث غريب من هذا الوجه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سليمان ، حدثنا شعبة ، عن معاوية بن قرة ، عن أنس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهم يحفرون الخندق : « اللهم لا خيرَ إلا خيرُ الآخرة ، فأصلح الأنصارَ والمهاجرة » .

وأخرجاه في الصحيحين من حديث عُذْر ، عن شعبة .

قال ابن إسحاق : وقد كان في حفر الخندق أحاديث بلغتنى ، من الله فيها عبرة في تصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحقيق نبوته ، عاين ذلك المسلمون .

فمن ذلك : أن جابر بن عبد الله كان يحدث أنه اشتدت عليهم في بعض الخندق كذبة^(١) ، فشكَّوْها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا بإناء من ماء فتفل فيه ثم دعا بما شاء الله أن يدعو به ، ثم نضح الماء على تلك الكذبة ، فيقول من حضرها : فوالذي بعثه بالحق لآنهالت حتى عادت كالكتيب مائرٌ فأساً ولا مسحاة .

هكذا ذكره ابن إسحاق منقطعاً عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه .

وقد قال البخارى رحمه الله : حدثنا خَلَاد بن يحيى ، حدثنا عبد الواحد بن أيمن ، عن أبيه ، قال : أتيت جابراً فقال : إنا يوم الخندق نحفر فعرضت كذبة شديدة فجاءوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : هذه كذبة عرضت في الخندق ، فقال : أنا نازل .

(١) الكذبة : القطعة الصلبة من الأرض لا يعمل فيها المعول .

ثم قام وبطنه معصوب بحجر ، ولبثنا ثلاثة أيام لا ندوق ذواقا^(١) ، فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم المِعْوَل فضرب فعاد كثيباً أهَيْلَ أو أَهَيْمَ^(٢) .

فقلت : يا رسول الله ائذن لى إلى البيت . فقلت لامرأتى : رأيت بالنبي صلى الله عليه وسلم شيئاً ما كان فى ذلك صَبْرٌ ، فعندك شىء ؟ قالت : عندى شعير وعَنَاق^(٣) ، فذبحتُ العَنَاقَ وطَحَنْتُ الشعيرَ حتى جعلنا اللحم فى البُرْمَةِ^(٤) ، ثم جئتُ النبي صلى الله عليه وسلم والمعجِنُ قد انكسر والبرمة بين الأثاني^(٥) قد كادت أن تنضج ، فقلت : طُعِمَ لى^(٦) فقم أنت يا رسول الله ورجل أو رجلان . قال : كم هو ؟ فذكرت له ، فقال : كثير طيب ، قل لها لا تَنزِعِ البرمة ولا الخبزَ من التنور حتى آتى . فقال : قوموا . فقام المهاجرون والأنصار .

فلما دخل على امرأته قال : ويحك ! جاء النبي صلى الله عليه وسلم بالمهاجرين والأنصار ومن معهم . قالت : هل سألك ؟ قلت : نعم . فقال : ادخلوا ولا تضاغظوا ، فجعل يكسر الخبزَ ويجعل عليه اللحم ويَحْمُرُ^(٧) البُرْمَةَ والتنور إذا أخذ منه ، ويقرب إلى أصحابه ، ثم ينزع . فلم يزل يكسر الخبزَ ويغرف حتى شبعوا وبقي بقية . قال : كلى هذا وأهْدِى ، فإن الناس أصابهم مجاعة .
تفرد به البخارى .

وقد رواه الإمام أحمد ، عن وكيع ، عن عبد الواحد بن أيمن ، عن أبيه

- (١) ذواقا : شيئاً من مأكل أو مشروب . (٢) الأهيل أو الأهم : السائل .
(٣) العناق : الأثني من ولد الماعز . (٤) البرمة : القدر .
(٥) الأثاني : حجارة ثلاثة توضع عليها القدر . (٦) طعيم : تصغير طعام : لتقليله .
(٧) يحمر : يغطى .

أَيُّمَنَ الْحَبَشِيُّ مَوْلَى بَنِي مَخْزُومٍ ، عَنْ جَابِرٍ بِقِصَّةِ الْكُذْبَةِ وَرَبَطَ الْحَجَرَ عَلَى بَطْنِهِ الْكَرِيمِ .

وَرَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي الدَّلَائِلِ ، عَنْ الْحَاكِمِ ، عَنْ الْأَصَمِّ ، عَنْ أَحْمَدَ بْنَ عَبْدِ الْجَبَّارِ ، عَنْ يُونُسَ بْنِ بُكَيْرٍ ، عَنْ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ أَيُّمَنَ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ جَابِرٍ ، بِقِصَّةِ الْكُذْبَةِ وَالطَّعَامِ . وَطَوَّلَهُ أَتَمُّ مِنْ رِوَايَةِ الْبُخَارِيِّ قَالَ فِيهِ : لَمَّا عَلِمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِتَقْدَارِ الطَّعَامِ قَالَ لِلْمُسْلِمِينَ جَمِيعًا : قَوْمُوا إِلَى جَابِرٍ . فَقَامُوا ، قَالَ : فَلَقِيتُ مِنَ الْحَيَاءِ مَا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ ، وَقُلْتُ : جَاءَنَا بِمَخْلُوقٍ عَلَى صَاعٍ مِنْ شَعِيرٍ وَعَفَاقٍ . وَدَخَلْتُ عَلَى امْرَأَتِي أَقُولُ : افْتَضَحْتِ ، جَاءَكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْخَنْدَقِ أَجْمَعِينَ ، فَقَالَتْ : هَلْ كَانَ سَأَلَكَ كَمْ طَعَامِكَ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ . فَقَالَتْ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ .

قَالَ : فَكَشَفْتُ عَنِّي غَمًّا شَدِيدًا ، قَالَ : فَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : خَدِّمِي وَدَعِينِي مِنَ اللَّحْمِ . وَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُثْرِدُ وَيُغْرِفُ اللَّحْمَ وَيَخْتَمِرُ هَذَا وَيَخْتَمِرُ هَذَا ، فَازَالَ يَقْرُبُ إِلَى النَّاسِ حَتَّى شَبِعُوا أَجْمَعِينَ وَيَعُودُ التَّنْثُورُ وَالْقِدْرُ أَمْلَأًا مَا كَانَا !

ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : كُلِّي وَأَهْدِي . فَلَمْ تَزَلْ تَأْكُلُ وَتَهْدِي يَوْمَهَا . وَقَدْ رَوَاهُ كَذَلِكَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْحَارَبِيِّ ، عَنْ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ أَيُّمَنَ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ جَابِرٍ بِهِ وَأَبْسَطُ أَيْضًا ، وَقَالَ فِي آخِرِهِ : وَأَخْبَرَنِي أَنَّهُمْ كَانُوا ثَلَاثِمِائَةً أَوْ قَالَ : ثَلَاثِمِائَةً .

وَقَالَ يُونُسُ بْنُ بَكِيرٍ ، عَنْ هِشَامِ بْنِ سَعْدٍ ، عَنْ أَبِي الزَّيْبَرِ ، عَنْ جَابِرٍ . فَذَكَرَ الْقِصَّةَ بَطُولِهَا فِي الطَّعَامِ فَقَطْ وَقَالَ : وَكَانُوا ثَلَاثِمِائَةً .

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ : حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَلِيٍّ ، حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ ، حَدَّثَنَا حَنْظَلَةُ بْنُ أَبِي

سفيان ، عن أبي الزبير ، حدثنا ابن مينا ، سمعت جابر بن عبد الله قال : لما حفر الخندق رأيت من النبي صلى الله عليه وسلم خصاً^(١) ، فأنكفأت إلى امرأتى فقلت : هل عندك شيء ، فإني رأيت برسول الله صلى الله عليه وسلم خصاً شديداً ؟ فأخرجتني جراًباً فيه صاع من شعير ولنا بهيمة^(٢) داجن ، فذبجتها ، فطحنها ، ففرغتها إلى فراغى ، وقطعتها في برمتها ، ثم ولّيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت : لا تفضحنى برسول الله صلى الله عليه وسلم وبمن معه ، فحنته فساررته فقلت : يا رسول الله ذبحت بهيمة لنا ، وطحننا صاعاً من شعير كان عندنا ، فتعال أنت ونفر معك . فصاح رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا أهل الخندق إن جابراً قد صنع سُوراً^(٣) خفياً بكم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تنزلن برمتكم ولا تخبزن عجينةكم حتى آجىء .

فجئت وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يقدم الناس ، حتى جئت امرأتى فقالت : بك وبك . فقلت : قد فعلت الذى قلت . فأخرجت لنا عجينة فبسق فيه وبارك ، ثم عد إلى برمتنا فبسق وبارك ، ثم قال : ادع خبازة فلتخبز معك ، واقدحى^(٤) من برمتك ولا تنزلوها .

وهم ألف ، فأقسم بالله لأكلوا حتى تركوه وانحرفوا ، وإن برمتنا لتفط^(٥) كما هي وإن عجينا كما هو .

ورواه مسلم عن حجاج بن الشاعر ، عن أبي عاصم به نحوه .

(١) الخمس : ضمور البطن من الجوع . (٢) البهيمه : بضم الباء تصغير بهيمة وهى الصغير ومن أولاد الغنم . والداجن : ما يربى فى البيوت من الغنم ولا تخرج إلى المرعى .
(٣) سُوراً : يروى بالهمزة ، وفى اليونانية بتركها : وهو الطعام الذى يدعى إليه ، وهى لفظة فارسية ، وهذا دليل على تكلم الرسول بالفارسية . والسُور بالهمز : البقية .
(٤) اقدحى : اغرقى .
(٥) تفط : تفور بحيث يسفع لها غطيط .

وقد روى محمد بن إسحاق هذا الحديث وفي سياقه غرابة من بعض الوجوه فقال :
حدثني سعيد بن ميناء ، عن جابر بن عبد الله ، قال : عملنا مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم في الخندق ، وكانت عندي شوية غير جد سمينة ، قال : فقلت : والله لو صنعتها
لرسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : وأمرت امرأتى فطحننت لنا شيئاً من شعير فصنعت لنا
منه خبزاً وذبحت تلك الشاة فشويناه لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما أُمسينا وأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم الانصراف عن الخندق ، قال : وكنا
نعمل فيه نهراً فإذا أُمسينا رجعنا إلى أهالينا ، فقلت : يا رسول الله إني قد صنعت لك
شوية كانت عندنا وصنعنا معها شيئاً من خبز هذا الشعير ، فأنا أحب أن تنصرف معي
إلى منزلي . قال : وإنما أريد أن ينصرف معي رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده .

قال : فلما أن قلت ذلك قال : نعم . ثم أمر صارخاً فصرخ : أن انصرفوا مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيت جابر بن عبد الله . قال : قلت : إنا لله وإنا
إليه راجعون ! .

قال : فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقبل الناس معه ، فجلس وأخرجناها إليه ،
قال : فبرك وسمى الله تعالى ، ثم أكل ، وتواردها الناس كلما فرغ قوم قاموا وجاء ناس ،
حتى صدر أهل الخندق عنها .

والعجب أن الإمام أحمد إنما رواه من طريق سعيد بن ميناء ، عن يعقوب بن إبراهيم بن
سعد ، عن أبيه ، عن ابن إسحاق عنه ، عن جابر مثله سواء .

قال محمد بن إسحاق : وحدثني سعيد بن ميناء ، أنه قد حدث أن ابنة لبشير بن سعد
أخت النعمان بن بشير قالت : دعيت أمي عمرة بنت رواحة ، فأعطتني حفنة من تمر في
ثوبي ، ثم قالت : أي بُنية اذهبي إلى أبيك وخالك عبد الله بن رواحة بغدائهما . قالت :
فأخذتها وانطلقت بها .

فمرزت برسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ألتمس أبي وخالي ، فقال : تعالى يا بنيّة ما هذا معك ؟ قالت : قلت : يا رسول الله هذا تمر بعثتني به أمي إلى أبي بشير بن سعد وخالي عبد الله بن رواحة يتغديانه . فقال : هاتيه . قالت : فصبيته في كفي رسول الله صلى الله عليه وسلم فما ملأتهما .

ثم أمر بثوب فبسط له ، ثم دحا بالتمر عليه فتبدّد فوق الثوب ، ثم قال لإنسان عنده : اصرخ في أهل الخندق أن هلم إلى الغداء .

فاجتمع أهل الخندق عليه ، فجعلوا يأكلون منه وجعل يزيد ، حتى صدر أهل الخندق عنه وإنه ليسقط من أطراف الثوب .

هكذا رواه ابن إسحاق وفيه انقطاع ، وهكذا رواه الحافظ البيهقي من طريقه ولم يزد .

قال ابن إسحاق : وحُدثت عن سلمان الفارسي أنه قال : ضربتُ في ناحية من الخندق فغلظت عليّ صخرة ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قريب مني ، فلما رأيته أضرب ورأى شدة المسكان عليّ نزل فأخذ المعول من يدي فضرب به ضربة لمعت تحت المعول بَرَقَةٌ ، ثم ضرب به ضربة أخرى فلمعت تحته بَرَقَةٌ أخرى ، قال : ثم ضرب به الثالثة فلمعت بَرَقَةٌ أخرى ، قال : قلت : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ! ما هذا الذي رأيتُ لمع تحت المعول وأنت تضرب ؟ قال : أوقد رأيت ذلك يا سلمان ؟ قال : قلت : نعم . قال : أما الأولى فإن الله فتح عليّ باب اليمن ، وأما الثانية فإن الله فتح عليّ باب الشام والمغرب ، وأما الثالثة فإن الله فتح عليّ بها المشرق .

قال البيهقي : وهذا الذي ذكره ابن إسحاق قد ذكره موسى بن عُقبة في مغازيه ، وذكره أبو الأسود عن عروة .

ثم روى البيهقي من طريق محمد بن يونس الكديمي وفي حديثه نظر . لكن رواه ابن جرير في تاريخه عن محمد بن بشار وبندار ، كلاهما عن محمد بن خالد بن عثمة ، عن كثير بن عبد الله بن عمرو بن غوف المزني ، عن أبيه عن جده ، فذكر حديثاً فيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خط الخندق بين كل عشرة أربعين ذراعاً قال : واحتق المهاجرون والأنصار في سلمان ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : سلمان منا أهل البيت .

قال عمرو بن عوف : فكنت أنا وسلمان وحذيفة والنعمان بن مقرن وستة من الأنصار في أربعين ذراعاً ، فحفرنا حتى إذا بلغنا الندي ظهرت لنا صخرة بيضاء مروة ، فكسرت حديدنا وشقت علينا ، فذهب سلمان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في قبة تركية ، فأخبره عنها ، فجاء فأخذ المول من سلمان فضرب الصخرة ضربة صدعها ، وبرقت منها بركة أضأت ما بين لابتينها - يعني المدينة - حتى كأنها مصباح في جوف ليل مظلم ، فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبيراً ففتح وكبر المسلمون ، ثم ضربها الثانية فكذلك ، ثم الثالثة فكذلك . وذكر ذلك سلمان والمسلمون لرسول الله صلى الله عليه وسلم وسألوه عن ذلك النور ، فقال : لقد أضأت لي من الأولى قصور الحيرة ومدائن كسرى كأنها أنياب الكلاب ، فأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها ، ومن الثانية أضأت القصور الحمر من أرض الروم كأنها أنياب الكلاب ، وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها . ومن الثالثة أضأت قصور صنعاء كأنها أنياب الكلاب ، وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها فأبشروا ، واستبشر المسلمون وقالوا : الحمد لله موعود صادق .

قال : ولما طلعت الأحزاب قال المؤمنون : هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً . وقال المنافقون : يخبركم أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وأنها تفتح لكم ، وأنتم تحفرون الخندق لا تستطيعون أن تبرزوا !

فَنَزَلَ فِيهِمْ « وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مُّارِعَدْنَا اللَّهُ وَرَسُولَهُ إِلَّا غُرُورًا » .

وهذا حديث غريب .

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني : حَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ مَلُولٍ ، حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زِيَادٍ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَزِيدٍ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ، قَالَ : لَمَّا أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْخَنْدَقِ فَخُنْدَقَ عَلَى الْمَدِينَةِ قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا وَجَدْنَا صَفَاةً لَا نَسْتَطِيعُ حَفْرَهَا . فَقَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَمْنَا مَعَهُ ، فَلَمَّا أَتَاهَا أَخَذَ الْمِعْوَلَ فَضَرَبَ بِهِ ضَرْبَةً وَكَبْرًا ، فَسَمِعْتُ هَدَّةً لَمْ أَسْمَعْ مِثْلَهَا قَطُّ فَقَالَ : فَتُحَتَّ فَارِس . ثُمَّ ضَرَبَ أُخْرَى فَكَبَّرَ فَسَمِعْتُ هَدَّةً لَمْ أَسْمَعْ مِثْلَهَا قَطُّ ، فَقَالَ : فَتُحَتَّ الرُّوم . ثُمَّ ضَرَبَ أُخْرَى فَكَبَّرَ فَسَمِعْتُ هَدَّةً لَمْ أَسْمَعْ مِثْلَهَا قَطُّ ، فَقَالَ : جَاءَ اللَّهُ بِمُحْمِرٍ أَعْوَانًا وَأَنْصَارًا .

وهذا أيضا غريب من هذا الوجه . وعبد الرحمن بن زياد بن أنعم الإفريقي فيه ضعف فإله أعلم .

وقال الطبراني أيضا : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ ، حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْجَرْمِيُّ حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمَةَ ، حَدَّثَنَا نَعِيمُ بْنُ سَعِيدٍ الْغَرِيُّ ، أَنَّ عِكْرَمَةَ حَدَّثَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : احْتَفَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْخَنْدَقَ ، وَأَصْحَابُهُ قَدَّ شَدُّوا الْحِجَارَةَ عَلَى بَطُونِهِمْ مِنَ الْجُوعِ ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : هَلْ دُلْتُمْ عَلَى رَجُلٍ يُطْعَمُنَا أَكْلَةً ؟ قَالَ رَجُلٌ : نَعَمْ . قَالَ : أَمَّا لَا فَيَقْدَمُ فِدْلُنَا عَلَيْهِ . فَاذْهَبُوا إِلَى [بَيْتِ] الرَّجُلِ ، فَإِذَا هُوَ فِي الْخَنْدَقِ يَعْالِجُ نَصِيبَهُ مِنْهُ ، فَأَرْسَلْتُ امْرَأَتَهُ أَنْ جِيءَ ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَتَانَا . فَجَاءَ الرَّجُلُ يَسْعَى وَقَالَ : يَا أَبْنَى وَأُمَى ، وَلَهُ مَعْرَةٌ .

ومعها جذيها فوثب إليها فقال النبي صلى الله عليه وسلم : الجدى من ورائها فذبح الجدى ، وعمدت المرأة إلى طحينة لها فعجنمتها وخبزت فأدركت القدر فثردت قصعتها فقربتها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم أصبعه فيها وقال : بسم الله اللهم بارك فيها اطعموا . فأكلوا منها حتى صدروا ولم يأكلوا منها إلا ثلثها وبقي ثلثاها . فسرح أولئك العشرة الذين كانوا معه أن اذهبوا وسرّحوا إلينا بعدئذكم . فذهبوا فجاء أولئك العشرة فأكلوا منها حتى شبعوا ، ثم قام ودعا لربة البيت وسمّت^(١) عليها وعلى أهل بيتها ، ثم مشوا إلى الخندق فقال : اذهبوا بنا إلى سلمان ، وإذا صخرة بين يديه قد ضعف عنها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : دعونى فأكون أول من ضربها . فقال : بسم الله . فضربها فوقعت فلقة ثلثها فقال : الله أكبر قصور الشام ورب الكعبة ، ثم ضرب أخرى فوقعت فلقة فقال : الله أكبر قصور فارس ورب الكعبة .

فقال عندها المنافقون : نحن نخندق على أنفسنا وهو يعدنا قصور فارس والروم . ثم قال الحافظ البيهقي : أخبرنا على بن أحمد بن عبدان ، أخبرنا أحمد بن عبيد الصنفار ، حدثنا محمد بن غالب بن حرب ، حدثنا هودبة ، حدثنا عوف ، عن ميمون بن أستاذ الزهرى ، حدثنى البراء بن عازب الأنصارى ، قال : أما كان حين أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفر الخندق عرض لنا فى بعض الخندق صخرة عظيمة شديدة لا تأخذ فيها المعاول ، فشكوا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآها أخذ المعول وقال : بسم الله وضرب ضربة فكسر ثلثها وقال : الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام والله إني لأبصر قصورها الحمر إن شاء الله ، ثم ضرب الثانية فقطع ثلثاً آخر فقال : الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس والله إني لأبصر قصر المدائن الأبيض ، ثم ضرب الثالثة فقال : بسم الله فقطع بقية الحجر فقال : الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن . والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني الساعة .

وهذا حديث غريب أيضاً تفرد به ميمون بن أستاذ هذا ، وهو بصرى روى عن البراء وعبد الله بن عمرو ، وعنه حميد الطويل والجريري وعوف الأعرابي . قال أبو حاتم عن إسحاق بن منصور عن ابن معين : كان ثقة . وقال علي بن المديني : كان يحكي بن سعيد القطان لا يحدث عنه .

وقال النسائي : حدثنا عيسى بن يونس ، حدثنا ضمرة ، عن أبي زرعة السيباني ، عن أبي سكينه رجل من البحرين ، عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال : لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفر الخندق عرضت لهم صخرةٌ حالت بينهم وبين الحفر ، فقام النبي صلى الله عليه وسلم وأخذ المِغُولَ ووضع رداءه ناحية الخندق وقال : « وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم » فندر ثلث الحجر ، وسلمان الفارسي قائم ينظر فبرق مع ضربة رسول الله صلى الله عليه وسلم برقة ، ثم ضرب الثانية وقال : « وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم » . فندر الثلث الآخر وبرقت برقة فراها سلمان ، ثم ضرب الثالثة وقال : « وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم » . فندر الثلث الباقي .

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ رداءه وجلس . فقال سلمان : يا رسول الله رأيتك حين ضربت لا تضرب ضربة إلا كانت معها برقة . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا سلمان رأيت ذلك ؟ قال : إي والذي بعثك بالحق يا رسول الله .

قال : فإني حين ضربت الضربة الأولى رفعت لي مدائن كسرى وما حولها ومدائن كثيرة ، حتى رأيتها بعيني . فقال له من حضره من أصحابه : يا رسول الله ادع [الله] أن يفتحها علينا ويغنمنا ذراريهم ونحرب بأيدينا بلادهم . فدعا بذلك .

قال : ثم ضربت الضربة الثانية ، فرفعت لي مدائن قيصر وما حولها حتى رأيتها

يعني . قالوا : يا رسول الله ادع الله أن يفتحها علينا ويفنمنا ذراريهم ونخرب بأيدينا بلادهم . فدعا .

ثم قال : ثم ضربت الضربة الثالثة فرفعت لى مدائن الحبشة وما حولها من القرى حتى رأيتها يعني . ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « دعوا الحبشة ما ودّعوكم واتركوا الترك ما تركوكم » .

هكذا رواه النسائي مطوّلاً ، وإنما روى منه أبو داود : « دَعُوا الحبشة ما ودّعوكم واتركوا الترك ما تركوكم » عن عيسى بن محمد الرملى ، عن ضَمْرَةَ بن ربيعة ، عن أبي زُرْعَةَ يحيى بن أبي عمرو السَّيْبَانِي^(١) به .

ثم قال ابن إسحاق : وحدثني من لا آتهم ، عن أبي هريرة أنه كان يقول حين فُتِحَتْ هذه الأمصار في زمان عمر وزمان عثمان وما بعده : افتتحوها ما بدا لكم ، فوالذى نفس أبي هريرة بيده ما افتتحت من مدينة ولا تفتحونها إلى يوم القيامة إلا وقد أعطى الله محمداً صلى الله عليه وسلم مفاتيحها قبل ذلك .

وهذا من هذا الوجه منقطع أيضاً ، وقد وُصِّلَ من غير وجه والله الحمد .

فقال الإمام أحمد : حدثنا حجاج ، حدثنا ليث ، حدثني عقيل بن خالد ، عن ابن شهاب ، عن سعيد بن المسيَّب ، أن أبا هريرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « بُعِثَتْ بجوامع الكلم ونُصِرَت بالعرب ، وبيننا أنا نائم أُتيت بمفاتيح خزائن الأرض فوَضَعْتُ في يدي » .

وقد رواه البخاري منفرداً به ، عن يحيى بن بُكَيْر ، وسعد بن عفير ، كلاهما عن الليث به . وعنده قال أبو هريرة : فذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنتم تَنْتَلُونَهَا . وقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد ، حدثنا محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي

(١) نسبة إلى سيِّبان ، بطن من حمير ، توفى أبو زرعة سنة ١٤٨ ، وكان ثقة . اللباب ١/٥٨٥ .

هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ ، وَأُوتِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِداً وَطَهُوراً ، وَبَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ أُتِيتُ بِمِفْتَاحِ خَزَائِنِ الْأَرْضِ فَتَلَّتْ فِي يَدِي » .

وهذا إسناد جيد قوى على شرط مسلم ولم يخرجوه . وفي الصحيحين : « إذا هلك قيصر فلا قيصر بعده ، وإذا هلك كسرى فلا كسرى بعده ، والذي نفسى بيده لَتَنْفَقَنَّ كِبُوزُهُمَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ » .

وفي الحديث الصحيح : « إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا ، وَسَيِّئَاتُ مُلْكِ أُمَّتِي مَا زَوَى لِي مِنْهَا » .

فصل

قال ابن إسحاق : ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الأسيال من رومة بين الجرف وزغابة في عشرة آلاف من أحايشهم وَمَنْ تَبِعَهُمْ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ وَأَهْلِ تِهَامَةَ ، وَأَقْبَلَتْ غَطَفَانُ وَمَنْ تَبِعَهُمْ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ حَتَّى نَزَلُوا بِذَنْبِ نَقْعَى ^(١) إِلَى جَانِبِ أَحَدٍ .

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم إِلَى سَلْعٍ ^(٢) فِي ثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، فَضْرَبَ هُنَالِكَ عَسْكَرَهُ ، وَالْخَنْدُقُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقَوْمِ ، وَأَمَرَ بِالذَّرَارِيِّ وَالنِّسَاءِ فَجُعِلُوا فَوْقَ الْأَطَامِ ^(٣) .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم .

قلت : وهذا معنى قوله تعالى « إِذْ جَاءُوكَ مِنْ قَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظَّنُونَا » ^(٤) .

(١) موضع من أعراض المدينة . (٢) سلع : جبل بالمدينة . (٣) الأطام : الحصون . (٤) سورة الأحزاب ١٠ .

قال البخارى : حدثنا عثمان بن أبى شيبة ، حدثنا عبيد ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة : « إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار » . قالت : ذلك يوم الخندق .

قال موسى بن عقبة : ولما نزل الأحزاب حول المدينة أغلق بنو قريظة حصنهم دونهم . قال ابن إسحاق : وخرج حيي بن أخطب النضرى حتى أتى كعب بن أسد القرظى صاحب عَقْدَم وعهدم .

فلما سمع به كعب أغلق باب حصنه دون حيي ، فاستأذن عليه فأبى أن يفتح له ، فناداه : ويحك يا كعب افتح لى . قال : ويحك يا حيي ، إنك امرؤ مشثوم ، وإنى قد عاهدتُ محمداً فلستُ بناقِض ما بينى وبينه ، ولم أر منه إلا وفاءً وصِدْقاً .

قال : ويحك افتح لى أكلك . قال : ما أنا بفاعل . قال : والله إن أغلقتَ دونى إلا خوفاً على جشيتك ^(١) أن آكل معك منها فأحفظ الرجلَ ففتح له ، فقال : ويحك يا كعب ! جئتُك بعز الدهر وبحرٍ طامٍ .

قال : وما ذاك ؟ قال : جئتُك بقريش على قادتها وسادتها ، حتى أنزلتهم بمجتمع الأسيال من رومة ، وبغطفان على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بذنْب نَقَمى إلى جانب أحد ، قد عاهدونى وعاهدونى على ألا يبرحوا حتى نستأصل محمداً ومن معه .

فقال كعب : جئتُنى والله بذل الدهر وبجْهَام ^(٢) قد هراق ماؤه يرعد ويُبْرِق وليس فيه شيء ، ويحك يا حيي فدعنى وما أنا عليه ، فأبى لم أر من محمد إلا وفاءً وصداً .

(١) ابن هشام : إلا عن جشيتك . والجشيشة : طعام يصنع من البر الذى طحن غليظاً .

(٢) الجهام : السحاب الذى لاماء فيه .

وقد تكلم عمرو بن سعد القرظي ، فأحسنَ فيما ذكره موسى بن عقبة ، ذكرهم
ميثاقَ رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده ومعاهدتهم إياه على نصره ، وقال : إذا لم
تنصروه فأتركوه وعدوه .

قال ابن إسحاق : فلم يزل حيي بكعب يقتله في الذروة والغارب حتى سمع له ، يعني
في نقض عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي محاربتة مع الأحزاب ، على أن أعطاه
حيي عهدَ الله وميثاقه لئن رجعت قريش وغطفان ولم يصيبوا محمداً أن أدخل معك في
حصنك حتى يصيبني ما أصابك .

فنفق كعب بن أسد العهدَ وبرئ مما كان بينه وبين رسول الله صلى الله
عليه وسلم .

قال موسى بن عقبة : وأمر كعب بن أسد وبنو قريظة حيي بن أخطب أن يأخذهم
من قريش وغطفان رهائن تكون عندهم لئلا ينالهم ضيم إن هم رجعوا ولم يناجزوا محمداً ،
قالوا : وتكون الرهائن تسعين رجلاً من أشrafهم . فنازلهم حيي على ذلك . فعند ذلك
نقضوا العهدَ ومزقوا الصحيفة التي كان فيها العقد إلا بني سَعْنَةَ ، أسد وأسيد وتعلبة ،
فإنهم خرجوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : فلما انتهى الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى المسلمين
بعث سعد بن معاذ ، وهو يومئذ سيد الأوس ، وسعد بن عبادة وهو يومئذ سيد الخزرج ،
ومعهما عبد الله بن رواحة وخوات بن جبير قال : انطلقوا حتى تأتوا هؤلاء القوم
فتنظروا أحقَّ ما بلغنا عنهم ، فإن كان حقاً فالحنوا لي لحناً أعرفه ولا تنفثوا في أعضاء
المسلمين وإن كانوا على الوفاء فاجهروا به للناس . قال : فخرجوا حتى أتوهم .

قال موسى بن عقبة ، فدخلوا معهم حصنهم فدعواهم إلى المواعدة وتجديد الحلف . فقالوا : الآن وقد كسر جناحنا وأخرجهم ، يريدون بني النضير . ونالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجعل سعد بن عبادة يشاتمهم فأغضبوه فقال له سعد بن معاذ : إنا والله ماجئنا لهذا ، ولما بيننا أ كبر من المشاتمة .

ثم ناداهم سعد بن معاذ فقال : إنكم قد علمتم الذي بيننا وبينكم يا بني قريظة ، وأنا خائف عليكم مثل يوم بني النضير أو أمر منه . فقالوا : أكلت أير أريك . فقال : غير هذا من القول كان أجمل بكم وأحسن .

وقال ابن إسحاق : نالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا : من رسول الله ؟ لا عهد بيننا وبين محمد . فشاتمهم سعد بن معاذ وشاتموه ، وكان رجلا فيه حدة ، فقال له سعد ابن عبادة : دع عنك مشاتمهم ، لما بيننا وبينهم أرَبَى من المشاتمة .

ثم أقبل السعدان ومن معهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلموا عليه ثم قالوا : عُضِل والقارة . أى كغذَرهم بأصحاب الرّجيع خُمِب وأصحابه .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الله أكبر أبشروا يا معشر المسلمين .

قال موسى بن عقبة : ثم تقنع رسول الله صلى الله عليه وسلم بثوبه حين جاءه الخبر عن بني قريظة ، فاضطجع ومكث طويلا ، فاشتد على الناس البلاء والخوف حين رأوه اضطجع ، وعرفوا أنه لم يأتهم عن بني قريظة خير . ثم إنه رفع رأسه وقال : أبشروا بفتح الله ونصره .

فلما أن أصبحوا دنا القوم بعضهم من بعض وكان بينهم رمى بالقبيل والحجارة .

قال سعيد بن المسيب : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم إني أسألك عهدك ووعدك ، اللهم إن تشأ لا تعبد .

قال ابن إسحاق وعَظُمَ عند ذلك البلاء واشتد الخوف ، وأنام عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم ، حتى ظن المؤمنون كلَّ ظن ، ونجم النفاق ، حتى قال معتب بن قُشَيْر أخو بني عمرو بن عوف : كان محمد يَعِدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر ، وأحدنا لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط !

وحقّ قال أَوْس بن قَيْظَى : يارسول الله إن بيوتنا عورة من العدو ، وذلك عن ملاء من رجال قومه ، فأذن لنا أن نرجع إلى دارنا فإنها خارج من المدينة .

قلت : هؤلاء وأمثالهم المرادون بقوله تعالى : « وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض : ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا * » وإذ قالت طائفةٌ منهم يا أَهْلَ يَثْرِبَ لا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا ، ويستأذن فريقٌ منهم النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وما هي بعورة إن يريدون إلا فرارا » .

قال ابن إسحاق : فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم مرابطاً ، وأقام المشركون يحاصرونه بضعاً وعشرين ليلة قريباً من شهر ، ولم يكن بينهم حرب إلا الرِّمِيَّ بالنبل .

فلما اشتد على الناس البلاء بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما حدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، ومن لا أنهم ، عن الزهري ، إلى عُيَيْنَةَ بن حصن والحارث بن عوف المرِّي ، وهما قائدَا غطفان وأعطاهما ثلث ثمار المدينة ، على أن يرجعا بمن معهما عنه وعن أصحابه ، فجرى بينه وبينهم الصلح ، حتى كتبوا الكتاب ولم تقع الشهادة ولا عزيمة الصلح ، إلا المروضة .

فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفعل ذلك بعث إلى السَّعْدِين فذكر لها ذلك ، واستشارهما فيه .

فقالا : يارسول الله أمراً تحبه فنصنعه ، أم شيئاً أمَرَكَ الله به لا بد لنا من العمل به ، أم شيئاً تصنعه لنا ؟

فقال : بل شيء أصنعه لكم ، والله ما أصنع ذلك إلا لأني رأيت العربَ رمتكم عن قوسٍ واحدة وكالَبوكم من كلِّ جانب ، فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم إلى أمرٍ ما .

فقال له سعد بن معاذ : يا رسول الله قد كنا وهؤلاء على الشرك بالله وعبادة الأوثان ، لانعبد الله ولا نعرفه ، وهم لا يطعمون أن يأكلوا منها ثمرةً واحدة إلا قرى أو بيعاً ، أخفين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزَّنا بك وبه ، نعطيهم أموالنا ؟ ما لنا بهذا من حاجة ، والله لا نعطيهم إلا السيِّف ، حتى يحكم الله بيننا وبينهم !

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أنت وذاك . فتناول سعد بن معاذ الصحيفةَ فحما ما فيها من الكتاب ، ثم قال : لِيَجْهَدُوا عَلَيْنَا .

قال : فأقام النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه محاصرين ، ولم يكن بينهم وبين عدوهم قتال إلا أن فوارس من قریش ، منهم عمرو بن عبد ودّ بن أبي قيس ، أحد بني عامر بن لؤي ، وعكرمة بن أبي جهل ، وهُبيرة بن أبي وهب الخزوميان ، وضِرار بن الخطاب ابن مِرْداس أحد بني محارب بن فهر ، تلبَّسوا للقتال ثم خرجوا على خيلهم حتى مروا بمنازل بني كنانة فقالوا : تهايأوا يا بني كنانة للحرب ، فستعلمون من الفرسان اليوم .

ثم أقبلوا تُعَنِّقُ بهم خيلهم حتى وقفوا على الخندق فلما رأوه قالوا : والله إن هذه لَمَكيدة ما كانت العرب تسكدها . ثم تيمَّموا مكاناً من الخندق ضيقاً ، فضرَبوا خيلهم فانفجرت منه ، فجالت بهم في السَّبْخَةِ بين الخندق وسَلْع ، وخرج علىّ بن أبي طالب في نفر معه من المسلمين حتى أخذوا عليه الثغرة التي أقحموا منها خيلهم وأقبلت الفرسان تُعَنِّقُ نحوهم .

وكان عمرو بن عبد ودّ قد قاتل يوم بدر حتى أثبتته الجراحة فلم يشهد يومَ أحد ،

فلما كان يوم الخندق خرج معلماً ليرى مكانه ، فلما خرج هو وخيله قال : مَنْ يبارز ؟
فبرز له عليّ بن أبي طالب رضى الله عنه ، فقال له : يا عمرو إنك كنت عاهدت الله
لا يدعوك رجلٌ من قريش إلى إحدى خلتين إلا أخذتها منه . قال : أجل . قال له عليّ :
فإني أدعوك إلى الله وإلى رسوله وإلى الإسلام . قال : لا حاجة لى بذلك . قال : فإني
أدعوك إلى النزال . قال له : لم يا بن أخي ، فوالله ما أحبُّ أن أقتلك ! قال له عليّ :
لكنى والله أحبُّ أن أقتلك . فحصى عمرو عند ذلك ، فاقتحم عن فرسه فقهره وضرب
وجهه ، ثم أقبل على عليّ فتنازلا وتجاولا فقتله عليّ رضى الله عنه .
وخرجت خيلهم منهزمة حتى اقتحمت من الخندق هاربة .

قال ابن إسحاق وقال علي بن أبي طالب في ذلك :

نصر الحجارة من سفاهة رأيه ونصرت ربَّ محمد بصواب
فصدّرت حين تركته متجدّلاً كالجدع بين دَكاك^(١) وروابي
وعففت عن أثوابه ولو أننى كنت للمقطر بزّنى أثوابى
لا تحسبن الله خاذل دينه ونبيّه يا معشر الأحزاب

قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر يشك فيها لعلّ .

قال ابن هشام : وألقى عكرمة ربحه يومئذ وهو منهزم عن عمرو ، فقال في ذلك
حسان بن ثابت :

فرّاً وألقى لنا ربحه لعلّ عكرم لم تفعل
ووليت تعدو كعدو الظلي من ما إن يحور عن المعدل
ولم تلو ظهرك مستانساً كأن قفاك قفا فرعل
قال ابن هشام : الفراعيل : صفار الصبّاع .

(١) الدكاك : جمع دكدك ، وهو الرمل اللين .

وذكر الحافظ البيهقي في دلائل النبوة عن ابن إسحاق في موضع آخر من السيرة قال : خرج عمرو بن عبد ودّ وهو مقنّع بالحديد فنادى : من يبارز ؟ فقام على بن أبي طالب فقال : أنا لها يا نبي الله . فقال : إنه عمرو ، اجلس . ثم نادى عمرو : ألا رجل يبرز ؟ فجعل يؤنبهم ويقول : أين جنتكم التي تزعمون أنه من قُتل منكم دخلها ؟ أفلا تُبرزون إلى رجلاً ؟ فقام على فقال : أنا يا رسول الله ؟ فقال : اجلس . ثم نادى الثالثة فقال :

ولقد بُحِثت من النداء للجمعهم : هل من مُبارزٍ
ووقفت إذ جبنُ المشجع مَوْقف القرن المناجز
ولذلك إني لم أزل متسرّعاً قبل الهزاهز^(١)
إن الشجاعة في الفتى والجود من خير الفرائز

قال : فقام على رضى الله عنه فقال : يا رسول الله أنا . فقال : إنه عمرو ، فقال : وإن كان عمراً ! فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فمشى إليه حتى أتى وهو يقول :

لا تعجلنّ فقد أنا لك مجيبُ صوتك غير عاجزٍ
في نية وبصيرة والصدق مُنجي كلِّ فائزٍ
إني لأرجو أن أقيّم عليك نائحة الجنائز
من ضربة تجلأ يبقَى ذِكْرها عند الهزاهز

فقال له عمرو : من أنت ؟ قال : أنا على ، قال : ابن عبد مناف ؟ قال : أنا على بن أبي طالب . فقال : يا ابن أخي من أعمامك من هو أسنُّ منك فإني أكره أن أهريق دمك ؟ فقال له على : لكنى والله لا أكره أن أهريق دمك ! فغضب فنزل وسلّ سيفه كأنه

شعلة نار ، ثم أقبل نحو علي مفضباً واستقبله عليٌ بدارقته ، فضربه عمرو في درقته ففقدوها وأثبت فيها السيف وأصاب رأسه فشجّه ، وضربه عليٌ على حبل عاتقه فسقط ، وثار العجاج ، وسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم التكبير فعرّفنا أن علياً قد قتل . فتمّ يقول علي :

أعلى تفتحم الفوارس هكذا عني وغنم أخروا أصحابي
اليوم يمنعني الفرار حفيظتي ومصم في الرأس ليس بناي
إلى أن قال :

عبدَ الحجارة من سفاهة رأيه وعبدتُ ربَّ محمدٍ بصواب
إلى آخرها .

قال : ثم أقبل عليٌ نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجهه يتهلل ، فقال له عمر بن الخطاب : هلاً استلبته درعه ، فإنه ليس للعرب درع خير منها ؟ فقال : ضربته فاتقاني بسواته ، فاستحييت ابن عَمَى أن أسلبه . قال : وخرجت خيوله منهزمة حتى اقتحمت من الخندق .

وذكر ابن إسحاق فيما حكاه عن البيهقي ، أن علياً طعمه في ترقوته حتى أخرجها من مرقاه ، فمات في الخندق ؛ وبعث المشركون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشترون جيفته بعشرة آلاف ، فقال : هو لكم لا نأكل ثمن الموتى .

وقال الإمام أحمد : حدثنا نصر بن باب ، حدثنا حجاج ، عن الحكم ، عن مقسم ، عن ابن عباس ، أنه قال : قتل المسلمون يوم الخندق رجلاً من المشركين فأعطوا بجيفته مالا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ادفعوا إليهم جيفته ، فإنه خبيث الجيفة خبيث الدية » فلم يقبل منهم شيئاً .

وقد رواه البيهقي من حديث حماد بن سلمة ، عن حجاج ، وهو ابن أَرْطَاة ، عن الحكم ، عن مِقْسَم ، عن ابن عباس : أن رجلا من المشركين قُتِلَ يوم الأحزاب فبعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ابعث إلينا بجسده ونعطيهم اثني عشر ألفا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا خير في جسده ولا في ثمنه » .

وقد رواه الترمذی من حديث سفيان الثوري ، عن ابن أبي ليلى ، عن الحكم ، عن مِقْسَم ، عن ابن عباس ، وقال : غريب .

وقد ذكر موسى بن عقبة أن المشركين إنما بعثوا يطلبون جسدَ نوفل بن عبد الله الحِمْيَرِي حين قُتِلَ وعرضوا عليه الدية فقال : « إنه خبيثٌ خبيثُ الدية ، فلعنهُ الله وامن ديتهُ . فلا أَرَبَ لنا في ديتهُ ، ولسنا نمنعكم أن تدفنوه » .

وذكر يونس بن بُكَيْر عن ابن إسحاق قال : وخرج نوفل بن عبد الله بن المغيرة الحِمْيَرِي فسأل المبارزة ، فخرج إليه الزبير بن العوام فضربه فشقَّه باثنتين ، حتى فلَّ في سيفه فلا وانصرف وهو يقول :

إني امرؤٌ أُحْمِي وَأُحْتَمَى عن النبي المصطفى الأُمِّي

وقد ذكر ابن جرير أن نوفلا لما تورط في الخندق رماه الناس بالحجارة فجل يقول : قَتَلَهُ أَحْسَنُ مِنْ هَذِهِ يَامَعْشَرَ الْعَرَبِ . فنزل إليه على فقتله ، وطلب المشركون رِمَّتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمَنْ قَاتَى عَلَيْهِمْ أَنْ يَأْخُذَ مِنْهُمْ شَيْئًا وَمَكَّنَّهُمْ مِنْ أَخْذِهِ إِلَيْهِمْ .

وهذا غريب من وجهين .

وقد روى البيهقي من طريق حماد بن يزيد ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عبد الله بن الزبير ، قال : جُعِلَتْ يوم الخندق مع النساء والصبيان في الأُطْمَ ومعى عمر بن أبي سلمة ، فجعل يطأطأ لي فأصعد على ظهره فأنظر قال : فنظرت إلى أبي وهو يحمل

مرّة هاهنا ومرة هاهنا ، فما يرتفع له شيء إلا أتاه ، فلما أمسى جاءنا إلى الأظم ، قلت : يا أبت رأيتك اليوم وما تصنع . قال : ورأيتني يا بني ؟ قلت : نعم . قال : فدّى لك أبى وأمى !

قال ابن إسحاق : وحدثني أبو ليلى ، عبد الله بن سهل بن عبد الرحمن بن سهل الأنصارى أخو بني حارثة ، أن عائشة أم المؤمنين كانت فى حصن بنى حارثة يوم الخندق ، وكان من أحرز حصون المدينة . قال : وكانت أم سعد بن معاذ معها فى الحصن . قالت عائشة . وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب . قالت : فرّ سعد وعليه درع مُقلّصة قد خرجت منها ذراعه كلها ، وفى يده حربته يرّفل بها ويقول :

لَبَّثَ قَلِيلًا يَشْهَدُ الْهَيْجَا حَمَلٌ ^(١) لا بأس بالموت إذا حان الأجل !

فقال له أمه : الحقّ بنى فقد والله أخرت . قالت عائشة : فقلت لها : يا أم سعد والله لوددت أن درع سعد كانت أسبغ مامهى . قالت : وخفت عليه حيث أصاب السهم منه . فرمى سعد بن معاذ بسهم فقطع منه الأكل .

قال ابن إسحاق : حدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، قال : رماه حَبَّان بن قيس بن العَرِقة أحد بنى عامر بن لؤى ، فلما أصابه قال : خذها منى وأنا ابن العَرِقة . فقال له سعد : عرّق الله وجهك فى النار ، اللهم إن كنت أبقيت من حرب قریش شيئاً فأبقني لها ، فإنه لا قوم أحبُّ إلى أن أجاهد من قوم آذوا رسولك وكذبوه وأخرجوه . اللهم وإن كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعلها لى شهادة ولا تمتنى حتى تُقرّعينى من بنى قريظة .

(١) الأصل : جمل وهو تحريف . وقد مر هذا الشطر فى صفحة ٨٢ من هذا الجزء . وانظر فيها تخريجها . قال فى تاج العروس ٢٩٠/٧ : وقد تمثّل به سعد بن معاذ يوم الخندق .

قال ابن إسحاق : وحدثني من لا أتهم ، عن عبد الله بن كعب بن مالك ، أنه كان يقول : ما أصاب سعداً يومئذ إلا أبو أسامة الجشمي حليف بني مخزوم ، وقد قال أبو أسامة في ذلك شعراً قاله لعكرمة بن أبي جهل :

أَعِزَّكُمْ هَلَّا لُمْتُني إِذْ تقول لي فداك بأطام المدينة خالد
أَلَسْتُ الَّذِي أَلَزَمْتُ سَعْدًا مَرِيضَةً لها بين أنشاء المرافق عانِدُ^(١)
قَضَى نَحْبَهُ مِنْهَا سَعِيدٌ فَأَعْوَلْتُ عليه مع الشُّمَطِ العذاري النواهد
وَأَنْتَ الَّذِي دَافَعْتَ عَنْهُ وَقَدَدَعَا عبيدُهُ جمعاً منهم إِذْ يكابدُ
على حين ما هم جائرٌ عن طريقه وآخرٌ مرعوبٌ عن القصدِ قاصدُ

قال ابن إسحاق : والله أعلم أي ذلك كان .

قال ابن هشام : ويقال إن الذي رمى سعداً خفاجة بن عاصم بن حبان .

قلت : وقد استجاب الله دعوة وليه سعد بن معاذ في بني قريظة ، أقرَّ الله عينه فحكم فيهم بقدرته وتيسيره ، وجعلهم هم الذين يطلبون ذلك . كما سيأتي بيانه . فحكم بقتل مقاتلتهم وسبى ذراريهم ، حتى قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد حكمت فيهم بحكم الله فوق سبع أرقعة^(٢) .

قال ابن إسحاق : وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد قال : كانت صفية بنت عبد المطلب في فارع ، حصن حسان بن ثابت . قالت : وكان حسان معنا فيه مع النساء والصبيان ، فمرَّ بنا رجل من يهود فجعل يُطيف بالحصن ، وقد حاربت بنو قريظة وقطعت ما بينها وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وليس بيننا

(١) عند العرق : سال فلم يرقأ . (٢) الأرقعة : السماوات ، جمع رقيق . ورواية الصحيح :

وبينهم أحد يدفع عنا ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون في نحور عدوم لا يستطيعون أن ينصرفوا عنهم إلينا ، إذ أتانا آتٍ فقلت : يا حسان إن هذا اليهودي كما ترى يُطيف بالحصن ، وإني والله ما آمنه أن يدل على عورتنا من وراءنا من يهود ، وقد شغل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فانزل إليه فاقتله . قال : يغفر الله لك يا بنت عبد المطلب ! والله لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا .

قالت : فلما قال لي ذلك ولم أر عنده شيئاً ، احتجرتُ ثم أخذت عموداً ثم نزلت من الحصن إليه فضربت به بالعمود حتى قتلتها فلما فرغت منه رجعت إلى الحصن فقلت : يا حسان انزل فاستلبه فإنه لم يمنعني من سلبه إلا أنه رجل . قال : مالي بسلبه حابة يابنة عبد المطلب (١) !

قال موسى بن عقبة : وأحاط المشركون بالمسلمين حتى جعلوهم في مثل الحصن من كتابهم ، فحاصروهم قريباً من عشرين ليلة ، وأخذوا بكل ناحية ، حتى لا يُدري أتم (٢) أم لا .

قال : ووجهوا نحو منزل رسول الله صلى الله عليه وسلم كتيبة غليظة فقاتلوهم يوماً إلى الليل ، فلما حانت صلاة العصر دنت الكتيبة فلم يقدر النبي صلى الله عليه وسلم ولا أحد من أصحابه الذين كانوا معه أن يصلوا الصلاة على نحو ما أرادوا ، فانكفأت الكتيبة مع الليل ، فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « شغلونا عن صلاة العصر ملأ الله بطونهم وقلوبهم ، وفي رواية : وقبورهم ، ناراً » .

(١) ذكر السهيلي أن بعض العلماء دفع هذا وأنكره وذلك أنه حديث منقطع الإسناد . وقال : لو صح هذا ليجن به حسان ، فإنه كان يهاجن الشعراء وكانوا يناضونه ويردون عليه ، فما عيره أحد منهم بيجن ولا اسمه به . فدل هذا على ضعف حديث ابن إسحاق . الروض ١٩٤/٢ .

(٢) كذا بالأصل .

فلما اشتد البلاء نَاقَ ناسٌ كثيرٌ وتكلموا بكلامٍ قبيح .

فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بالناس من البلاء والكرب جعل يبشِّرهم ويقول : « والذي نفسى بيده كَيْفُرجنَّ عنكم ماترون من الشدة ، وإنى لأرجو أن أطوف بالبيت العتيق آمناً ، وأن يدفع الله إلى مفاتيح الكعبة ، وليهلكن الله كسرى وقيصروا لتُنْفِقن كنوزها في سبيل الله ! » .

وقد قال البخارى : حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ ، حَدَّثَنَا رَوْحُ ، حَدَّثَنَا هِشَامُ ، عَنْ مُحَمَّدٍ ، عَنْ عُبَيْدَةَ ^(١) ، عَنْ عَلِيٍّ ، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ : « مَلَأَ اللَّهُ عَلَيْهِم يَوْمَئِذٍ قُبُورَهُمْ نَاراً ، كَمَا شَغَلُونَا عَنِ الصَّلَاةِ الْوَسْطَى حَتَّى غَابَتِ الشَّمْسُ » . وهكذا رواه بقية الجماعة إلا ابن ماجه من طرق ، عن هشام بن حسان ، عن محمد بن سيرين ، عن عبيدة ، عن علي بنه . ورواه مسلم والترمذى من طريق سعيد بن أبى عروبة ، عن قتادة ، عن أبى حسان الأعرج ، عن عبيدة ، عن علي بنه . وقال الترمذى : حسن صحيح .

ثم قال البخارى : حَدَّثَنَا الْمَكِّيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، حَدَّثَنَا هِشَامُ ، عَنْ يَحْيَى ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ جَاءَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ بَعْدَ مَا غَرَبَتِ الشَّمْسُ فَجَعَلَ يَسُبُّ كُفْرَ قُرَيْشٍ وَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا كِدْتُ أَنْ أَصْلَى حَتَّى كَادَتِ الشَّمْسُ أَنْ تَغْرُبَ . قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « وَاللَّهِ مَا صَلَّيْتُهَا » فَزَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَطْحَانَ ^(٢) فَبُذِلَ لِلصَّلَاةِ وَتَوَضَّأْنَا لَهَا ، فَصَلَّى الْعَصْرَ بَعْدَ مَا غَرَبَتِ الشَّمْسُ ، ثُمَّ صَلَّى بَعْدَهَا الْمَغْرِبَ .

وقد رواه البخارى أيضا ومسلم والترمذى والنسائى من طرق ، عن يحيى بن أبى كثير ، عن أبى سلمة بنه .

(١) عبيدة بفتح العين وكسر الواو - ابن سمرو السلمي الكوفي ، كما ضبطه القسطلانى . لإرشاد السارى ٣٢٦/٦

(٢) بطحان : واد بالمدينة .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد ، حدثنا ثابت ، حدثنا هلال ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : قاتل النبي صلى الله عليه وسلم عدوًّا فلم يفرغ منهم حتى أخرج العصر عن وقتها ، فلما رأى ذلك قال : « اللهم من حبسنا عن الصلاة الوسطى فاملاً بيوتهم ناراً ، واملاً قبورهم ناراً » .

ونحو ذلك تفرد به أحمد ، وهو من رواية هلال بن خباب العبدي الكوفي ، وهو ثقة يصحح له الترمذي وغيره .

وقد استدلل طائفة من العلماء بهذه الأحاديث على كون الصلاة الوسطى هي صلاة العصر ، كما هو منصوص عليه في هذه الأحاديث ، وأنزم القاضي الماوردي مذهب الشافعي بهذا لصحة الحديث .

وقد حررنا ذلك نقلاً واستدلالاً عند قوله تعالى : « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين ^(١) » .

وقد استدلل طائفة بهذا الصنيع على جواز تأخير الصلاة لعذر القتال ، كما هو مذهب مكحول والأوزاعي .

وقد بَوَّب البخاري ذلك واستدل بهذا الحديث بقوله صلى الله عليه وسلم يوم أمرهم بالذهاب إلى بني قريظة - كما سيأتي - : « لا يصلُّنَّ أحدٌ العصرَ إلا في بني قريظة » وكان من الناس من صلى العصر في الطريق ، ومنهم من لم يصل إلا في بني قريظة بعد الغروب ، ولم يعنّف واحداً من الفريقين ، واستدل بما ذكره عن الصحابة ومن معهم في حصار تستر سنة عشرين في زمن عمر ، حيث صلوا الصبح بعد طلوع الشمس لعذر القتال واقترب فتح الحصن .

(١) سورة البقرة آية ٢٣٨ .

وقال آخرون من العلماء وهم الجمهور ، منهم الشافعى : هذا الصنيع يوم الخندق منسوخ بشرعية صلاة الخوف بعد ذلك ، فإنها لم تكن مشروعة إذ ذاك فلهذا أخروها يومئذ . وهو مشكل .

قال ابن إسحاق : وجماعة ذهبوا إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى صلاة الخوف بعُسفان ، وقد ذكرها ابن إسحاق وهو إمام فى المغازى قبل الخندق ، وكذلك ذات الرقاع ذكرها قبل الخندق . فالله أعلم .

وأما الذين قالوا : إن تأخير الصلاة يوم الخندق وقع نسياناً ، كما حكاه شراح مسلم عن بعض الناس ، فهو مُشْكَل ، إذ يبعد أن يقع هذا من جمع كبير مع شدة حرصهم على محافظة الصلاة ، كيف وقد روى أنهم تركوا يومئذ الظهر والعصر والمغرب حتى صلوا الجميع فى وقت العشاء ، من رواية أبى هريرة وأبى سعيد .

قال الإمام [أحمد] : حدثنا يزيد وحجاج ، قالا : حدثنا ابن أبى ذئب ، عن المقبرى ، عن عبد الرحمن بن أبى سعيد الخدرى ، عن أبيه . قال : حُبَسْنَا يوم الخندق حتى ذهب هَوًى من الليل حتى كُفِينَا . وذلك قوله : « وكفى الله المؤمنين القتالَ وكان الله قوياً عزيزاً » قال : فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا فأمره فأقام فصلى الظهر كما كان يصلها فى وقتها ، ثم أقام العصر فصلاها كذلك ، ثم أقام المغرب فصلاها كذلك ، ثم أقام العشاء فصلاها كذلك وذلك قبل أن ينزل . قال حجاج : فى صلاة الخوف « فإن خفتم فرجالاً أو ركبانا » .

وقد رواه النسائى عن الفلاس ، عن يحيى القطان ، عن ابن أبى ذئب به . قال : شَفَلْنَا المشركون يوم الخندق عن صلاة الظهر حتى غربت الشمس . فذكره .

وقال أحمد : حدثنا هُشَيْم ، حدثنا أبو الزبير ، عن نافع بن جبير ، عن أبى عبيدة بن عبد الله بن مسعود ، عن أبيه أن المشركين شَفَلُوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم

الخنديق عن أربع صلوات حتى ذهب من الليل ما شاء الله . قال : فأمر بلالا فأذن ثم أقام
فصلى الظهر ، ثم أقام فصلى العصر ، ثم أقام فصلى المغرب ، ثم أقام فصلى العشاء .

وقال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا محمد بن مَعْمَر ، حدثنا مُؤَمِّل يعني ابن إسماعيل ،
حدثنا حماد ، يعني ابن سلمة ، عن عبد الكريم ، يعني ابن أبي الحَارِق ، عن مجاهد ، عن
جابر بن عبد الله ، أن النبي صلى الله عليه وسلم شُغِلَ يوم الخندق عن صلاة الظهر والعصر
والمغرب والعشاء ، فأمر بلالا فأذن وأقام فصلى الظهر ، ثم أمره فأذن وأقام فصلى العصر ،
ثم أمره فأذن وأقام فصلى المغرب ، ثم أمره فأذن وأقام فصلى العشاء . ثم قال : « ما على
وجه الأرض قومٌ يذكرون الله في هذه الساعة غيركم » .

تفرد به البزار ، وقال : لا نعرفه إلا من هذا الوجه . وقد رواه بعضهم عن عبد
الكريم عن مجاهد عن أبي عبيدة عن عبد الله .

فصل

في دعائه عليه السلام على الأحزاب

وكيف صرّهم الله بحوله وقوته ، استجابا لرسوله صلى الله عليه وسلم وصيانةً لحوزته
الشريفة ، فزلزل قلوبهم ، ثم أرسل عليهم الريح الشديدة فزلزل أبدانهم .

قال الإمام أحمد : حدثنا أبو عامر ، حدثنا الزبير - يعني ابن عبد الله - حدثنا ربيع
بن أبي سعيد الخدري ، عن أبيه ، قال : قلنا يوم الخندق : يا رسول الله هل من شيء نقوله ؟
فقد بلغت القلوب الحناجر ! قال : « نعم : اللهم استر عوراتنا وآمن روعاننا » . قال :
فضرب الله وجوه أعدائه بالريح .

وقد رواه ابن أبي حاتم في تفسيره عن أبيه ، عن أبي عامر - وهو العقدي^(١) - عن

(١) هو أبو عامر عبد الملك بن عمرو العقدي . يروى عن شعبة . الباب ١٤٤/٢ .

الزبير بن عبد الله مولى عثمان بن عفان ، عن ربيع بن عبد الرحمن بن أبي سعيد ، عن أبيه ، عن أبي سعيد ، فذكره وهذا هو الصواب .

وقال الإمام أحمد : حدثنا حسين ، عن ابن أبي ذئب ، عن رجل من بني سلمة ، عن جابر بن عبد الله ، أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى مسجد الأحزاب فوضع رداءه وقام ورفع يديه مدّاً يدعو عليهم ولم يصل . قال : ثم جاء ودعا عليهم وصلى .

وثبت في الصحيحين من حديث إسماعيل بن أبي خالد ، عن عبد الله بن أبي أوفى قال : دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأحزاب فقال : « اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الأحزاب ، اللهم اهزمهم وزلزلهم » وفي رواية : اللهم اهزمهم وانصرنا عليهم .

وروى البخارى عن قتيبة ، عن الليث ، عن سعيد المقبرى عن أبيه ، عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « لا إله إلا الله وحده ، أعزّ جُنده ونصر عبده وغلب الأحزاب وحده ، فلا شيء بعده » .

وقال ابن إسحاق : وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فيما وصف الله من الخوف والشدّة لِيَتَظَاهَرِ عَدُوَّهُمْ عَلَيْهِمْ وَإِتْيَانَهُمْ إِيَّاهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ أَسْفَلِ مِنْهُمْ .

قال : ثم إن نعيم بن مسعود بن عامر بن أنيف بن ثعلبة بن قنذ بن هلال بن خلاوة ابن أشجع بن ريث بن غطفان ، أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله إني قد أسلمت وإن قومي لم يعلموا بإسلامي ، فمرّني بما شئت . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنما أنت فينا رجل واحد ، فَخَذَلْ عَنَّا إِنْ اسْتَطَعْتَ ، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ » .

فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بني قريظة ، وكان لهم نديماً في الجاهلية ، فقال : يا بني قريظة قد عرفتم ودّي إياكم وخاصة ما بيني وبينكم . قالوا : صدقت لست عفدنا بمتهم .

فقال لهم : إن قريشاً و غطفان ليسوا كأنتم ، البلدُ بلدكم فيه أموالكم وأبناؤكم ونسأؤكم لاتقدرون على أن تتحولوا منه إلى غيره ، وإن قريشاً و غطفان قد جاءوا لحرب محمد وأصحابه ، وقد ظاهرتموهم عليه ، وبلدُهم ونسأؤهم وأموالهم بغيره ، فليسوا كأنتم فإن رأوا نُهْزَةً أصابوها ، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل ببلدكم ، ولا طاقة لـكم به إن خلا بكم ، فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهناً من أشرفهم يكونون بأيديكم ثقة لـكم على أن تقاتلوا معهم محمداً حتى تنأجزوهُ . قالوا : لقد أشرت بالرأى .

ثم خرج حتى أتى قريشاً ، فقال لأبى سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش : قد عرفتم ودّى لـكم وفراقى محمداً ، وإنه قد بلغنى أمرٌ قد رأيت علىّ حقاً أن أبلغكموه نصحاً لـكم فاكتموا عني . قالوا : نفعل .

قال : تعلموا أن معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد ، وقد أرسلوا إليه : إنا قد ندمنا على ما فعلنا ، فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين من قريش و غطفان رجالاً من أشرفهم فنعطيكهم فتضرب أعناقهم ، ثم نكون معك على من بقى منهم حتى تستأصلهم . فأرسل إليهم : أن نعم . فإن بعثت إليكم يهودٌ يلتمسون منكم رهناً من رجالكم فلا تدفعوا إليهم منكم رجالاً واحداً .

ثم خرج حتى أتى غطفان فقال : يا معشر غطفان إنكم أصلى وعشيرتى وأحبُّ الناس إلىّ ولا أراكم تتهمونى . قالوا : صدقت ما أنت عندنا بمتهم . قال : فاكتموا عني . قالوا : نفعل . ثم قال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم ما حذرهم .

فلما كانت ليلة السبت من شوال سنة خمس ، وكان من صنيع الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم أن أرسل أبو سفيان بن حرب وروسُ غطفان إلى بنى قريظة عكرمة بن أبى جهل فى نفر من قريش و غطفان ، فقال لهم : إنا لسنا بدارم مقام ، هلك الخلفُ والخافر ،

فأعدّوا للقتال حتى نناجز محمداً ونفرغ مما بيننا وبينه . فأرسلوا إليهم : إن اليوم يوم السبت ، وهو يوم لا نعمل فيه شيئاً ، وقد كان أحدث فيه بعضنا حدثاً فأصابهم ما لم يخفَ عليكم ، ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم محمداً حتى تعطونا رهناً من رجالكم يكونون بأيدينا ثقةً لنا حتى نناجز محمداً ، فإننا نخشى إن صرستكم الحرب واشتد عليكم القتال أن تنشَمروا إلى بلادكم وتتركونا والرجل في بلادنا ولا طاقة لنا بذلك منه .

فلما رجعت إليهم الرسل بما قالت بنو قريظة قالت قريش وغطفان : والله إن الذي حدثكم نعيم بن مسعود لحقّ . فأرسلوا إلى بنى قريظة : إنا والله لا ندفع إليكم رجلاً واحداً من رجالنا ، فإن كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا . فقالت بنو قريظة حين انتهت إليهم الرسل بهذا : إن الذي ذكر لكم نعيم بن مسعود لحقّ ، ما يريد القوم إلا أن تقاتلوا فإن رأوا فرصة انتهزوها وإن كان غير ذلك انشَمروا إلى بلادهم وخلّوا بينكم وبين الرجل في بلدكم . فأرسلوا إلى قريش وغطفان : إنا والله ما نقاتل معكم حتى تعطونا رهناً .

فأبوا عليهم وخذّل الله بينهم وبعث الله الريح في ليلة^(١) شاتية شديدة البرد ، فجعلت تسكفأ قدورهم وتطرح آيتهم .

وهذا الذي ذكره ابن إسحاق من قصة نعيم بن مسعود أحسن مما ذكره موسى بن عقبة .

وقد أوردته عنه البيهقي في الدلائل ، فإنه ذكر ما حاصله : أن نعيم بن مسعود كان يذيع ما يسمعه من الحديث ، فاتفق أنه مر برسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم

(١) ابن هشام : ليال .

عشاء ، فأشار إليه أن تعال . فجاء فقال : ما وراءك ؟ فقال : إنه قد بعثت قريش و غطفان إلى بنى قريظة يطلبون منهم أن يخرجوا إليهم فيفاجزوك ، فقالت قريظة : نعم فأرسلوا إلينا بالرهن . وقد ذكر فيما تقدم : أنهم إيماناً بقضوا العهد على يدى حِي بن أخطب بشرط أن يأتهم برهائن تكون عندهم تَوْثِيقَةً .

قال : فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : إني مُسرٌّ إليك شيئاً فلا تذكره . قال : إنهم قد أرسلوا إليّ يدعونني إلى الصلح وأرد بنى النضير إلى دورهم وأموالهم . فخرج نعيم بن مسعود عامداً إلى غطفان . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الحربُ خُذعةٌ وعسى أن يصنع الله لنا » .

فأتى نعيم غطفان وقريشاً فأعلمهم ، فبادر القومُ وأرسلوا إلى بنى قريظة عكرمة وجعاعة معه ، واتفق ذلك ليلة السبت ، يطلبون منهم أن يخرجوا للقتال معهم فاعتلت اليهود بالسبت ، ثم أيضاً طلبوا الرهنَ توثيقاً فأوقع الله بينهم واختلفوا .

قلت : وقد يحتمل أن تكون قريظة لما ينسوا من انتظام أمرهم مع قريش و غطفان بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدون منه الصلح على أن يردَّ بنى النضير إلى المدينة . والله أعلم .

قال ابن إسحاق : فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اختلف من أمرهم وما فرق الله من جمعهم ، دعا حذيفة بن اليمان فبعثه إليهم لينظر ما فعل القوم ليلاً .

قال ابن إسحاق : فحدثني يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي قال : قال رجل من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان : يا أبا عبد الله أرايتم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبه مموه ؟ قال : نعم يا بن أخي . قال : فكيف كنتم تصنعون ؟ قال : والله لقد كنا نجتهد . قال : والله لو أدر كنا ما تركناه يمشى على الأرض ولحملناه على أعناقنا !

قال : فقال حذيفة : يا بن أخى والله لقد رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخندق ، وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هَوِيًّا من الليل ثم التفت إلينا فقال : مَنْ رَجُلٌ يقوم فينظر لنا ما فعل القومُ ثم يرجع ؟ فشرط له رسول الله صلى الله عليه وسلم الرَّجْمَةَ ، أسأل الله أن يكون رفيقاً في الجنة . فما قام رجل من شدة الخوف وشدة الجوع والبرد ، فلما لم يَقم أحدٌ دعانى ، فلم يكن لى بدٌّ من القيام حين دعانى ، فقال : يا حذيفة اذهب فادخل في القوم فانظر ماذا يفعلون ولا تتحدثن شيئاً حتى تأتينا .

قال : فذهبت فدخلت في القوم والريحُ وجنود الله تفعل بهم ما تفعل ، لا تُقرّ لهم قدراً ولا ناراً ولا بناءً ، فقام أبو سفيان فقال : يا معشر قريش لينظر امرؤ من جلسه . قال حذيفة : فأخذتُ بيد الرجل الذى كان إلى جنبى فقلت : من أنت ؟ قال فلان بن فلان ؛ ثم قال : يا معشر قريش إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام ، لقد هلك الكُراع والخُف وأخلفتنا بنو قريظة وبلغنا عنهم الذى نكره ، ولقينا من شدة الريح ما ترون ، ما تطمئن لنا قِدر ولا تقوم لنا نار ولا يستمسك لنا بناء ، فارتحلوا فإني مرتحل . ثم قام إلى جملة وهو معقول فجلس عليه ثم ضربه فوثب به على ثلاث ، فما أطلق عقاله إلا وهو قائم . ولولا عهدُ رسول الله صلى الله عليه وسلم إليّ : لا تتحدث شيئاً حتى تأتيني . لقتلته بسهم .

قال حذيفة : فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم يصلى في مِرْطَ لبعض نسائه مُرَحَّل ، فلما رآنى أدخلنى إلى رجليه وطرح على طرف المِرْط ، ثم ركَع وسجد وإني لَفِيهِ ؛ فلما سلم أخبرته الخبر . وسمعتُ غطفانُ بما فعلت قريش فأنشَمروا راجعين إلى بلادهم .

وهذا منقطع من هذا الوجه .

وقد روى هذا الحديث مسلم بن الحجاج في صحيحه ، من حديث الأعمش عن إبراهيم

ابن يزيد التيمي عن أبيه ، قال : كنا عند حذيفة فقال له رجل : لو أدركتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قاتلت معه وأبليت . فقال له حذيفة : أنت كنت تفعل ذلك ؟ لقد رأيتُنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الأحزاب في ليلة ذات ریح شديدة وقرّ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا رجل يأتيني بخبر القوم يكون معي يوم القيامة ؟ فلم يجبه منا أحد ، ثم الثانية ثم الثالثة مثله . ثم قال : يا حذيفة قم فأتنا بخبر القوم ، فلم أجدهم ، فأتناهم ، فقال : اتبني بخبر القوم ولا تدعهم عليّ . قال : فضيت كأنما أمشي في حمام حتى أتيتهم ، فإذا أبو سفيان يُصلي ظهره بالنار ، فوضعت سهماً في كبـد قوسي وأردت أن أرميه ثم ذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تدعهم عليّ . ولو رميته لأصـبته ، فرجعت كأنما أمشي في حمام ، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأصابني البرد حين رجعت وقررت ، فأخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم وألبسني من فضل عبادة كانت عليه يصلي فيها ، فلم أبرح نائماً حتى الصبح ، فلما أن أصبحت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قم يا نومان !

وقد روى الحاكم والحافظ البيهقي في الدلائل هذا الحديث مبسوطاً من حديث عكرمة بن عمار ، عن محمد بن عبد الله الدؤلي ، عن عبد العزيز بن أخي حذيفة قال : ذكر حذيفة مشاهدتهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال جلساؤه : أما والله لو كنا شهدنا ذلك لكننا فعلنا وفعلنا . فقال حذيفة : لا تمنّوا ذلك ، لقد رأيتنا ليلة الأحزاب ونحن صافئون قعود ، وأبو سفيان ومن معه فوقنا ، وقرينة اليهود أسفل منا يخافهم على ذرارينا وما أتت علينا ليلة قط أشد ظلمة ولا أشد ريحاً منها في أصوات ريحها أمثال الصواعق ، وهي ظلمة ما يرى أحدنا إصبعه .

فجعل المنافقون يستأذنون النبي صلى الله عليه وسلم ويقولون : إن بيوتنا عورة وما هي

بعورة . فما يستأذنا أحد منهم إلا أذن له ، ويأذن لهم ويتسللون ، ونحن ثلاثمائة أو نحو ذلك ، إذ استقبلنا رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً رجلاً حتى أتى علىّ وما علىّ جنة من العدو ولا من البرد إلا مرطاً لمرأتى ما يتجاوز ركبتي ، قال : فأتانى وأنا جاثٍ على ركبتي فقال : من هذا ؟ فقلت : حذيفة . فقال : حذيفة ! فتعاصرت للأرض فقات : بلى يا رسول الله . كراهية أن أقوم . فقامت فقال : إنه كائن في القوم خبرٌ فأتنى بخبر القوم . قال : وأنا من أشد الناس فزعاً وأشدهم قرأً .

قال : فخرجت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه ، وعن يمينه وعن شماله ، ومن فوقه ومن تحته » قال : فوالله ما خلق الله فرعاً ولا قرأً في جوفٍ إلا خرج من جوفٍ فما أجد فيه شيئاً ! قال : فلما وليت قال : يا حذيفة لا تتحدثن في القوم شيئاً حتى تأتيني .

قال : فخرجت حتى إذا دنوت من عسكر القوم نظرت ضوء نار لهم توقد ، وإذا رجل أذم ضخم يقول بيديه على النار ويمسح خاصرته ويقول : الرحيل الرحيل . ولم أكن أعرف أباسفيان قبل ذلك ، فانتزعت سهماً من كمانتي أبيض الريش فأضعه في كبدي قوسى لأرميه به في ضوء النار ، فذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تتحدثن فيهم شيئاً حتى تأتيني . فأمسكتُ ورددت سهمي إلى كفانتي ، ثم إنى شجعت نفسي حتى دخلت العسكر ، فإذا أدنى الناس منى بنو عامر يقولون : يا آل عامر الرحيل الرحيل لا مقام لكم . وإذا الريح في عسكرهم ما تتجاوز عسكرهم شبراً ، فوالله إنى لأسمع صوت الحجارة في رحالهم وفرشهم ، الريح تضرب بها ، ثم إنى خرجت نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انتصفت بنى الطريق أو نحو من ذلك إذا أنا بنحو من عشرين فارساً ونحو ذلك معتمين فقالوا : أخبر صاحبك أن الله قد كفاه .

قال : فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مشتمل في شملة يصلى ، فوالله

ماعدًا أن رجعت راجعني القرئ وجعلت أقرقف ، فأومأ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده وهو يصلي ، فدنوت منه فأسبل على شملته ؛ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمرٌ صلى . فأخبرته خبر القوم ، أخبرته أني تركتهم يرّحلون . قال : وأنزل الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم ترّوها وكان الله بما تعملون بصيرا » يعنى الآيات كلها إلى قوله : « وردّ الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً » أى صرف الله عنهم عدوهم بالريح التى أرسلها عليهم والجنود من الملائكة وغيرهم التى بعثها الله إليهم « وكفى الله المؤمنين القتال » أى لم يحتاجوا إلى منازلهم ومبارزتهم بل صرفهم القوى العزيز بحوله وقوته .

لهذا ثبت فى الصحيحين عن أبى هريرة قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا إله إلا الله وحده ، صدق وعده ونصر عبده ، وأعز جنده ، وهزم الأحزاب وحده ، فلا شيء بعده » .

وفى قوله : « وكفى الله المؤمنين القتال » إشارة إلى وضع الحرب بينهم وبينهم . وهكذا وقع ، ولم ترجع قريش بعدها إلى حرب المسلمين ، كما قال محمد بن إسحاق رحمه الله : فلما انصرف أهل الخندق عن الخندق قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا : « لن تغزوك قريش بعد عامكم ولكنكم تغزونهم » . قال : فلم تغز قريش بعد ذلك ، وكان يغزوهم بعد ذلك حتى فتح الله عليه مكة . وهذا بلاغ من ابن إسحاق .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا يحيى عن سفيان ، حدثني أبو إسحاق ، سمعت سليمان بن صرد رضى الله عنه يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الآن تغزونهم ولا يغزوننا .

وهكذا رواه البخاري من حديث إسرائيل وسفيان الثوري كلاهما عن أبي إسحاق السبيعي ، عن سليمان بن صرد به .

قال ابن إسحاق : واستشهد من المسلمين يوم الخندق ثلاثة من بني عبد الأشهل ، وهم سعد بن معاذ - وستاتي وفاته مبسوطه - وأنس بن أوس بن عتيك بن عمرو ، وعبد الله بن سهل ، والطفيل بن النعمان ، وعلبة بن غنمة الجهميان السلماني ، وكعب بن زيد النجاري ، أصابه سهمٌ غرّب فقتله .

قال : وقتل من المشركين ثلاثة وهم : منبه بن عثمان بن عبيد بن السباق بن عبد الدار ، أصابه سهم فمات منه بمكة ، ونوفل بن عبد الله بن المغيرة اقتحم الخندق بفرسه فتورط فيه فقتل هناك وطلبوا جسده بثمان كبير . كما تقدم . وعمرو بن عبد ود العامري ، قتله علي بن أبي طالب .

قال ابن هشام : وحدثني الثقة أنه حدث عن الزهري أنه قال : قتل علي يومئذ عمرو بن عبد ود وابنه حسيل بن عمرو . قال ابن هشام : ويقال عمرو بن عبد ود . ويقال عمرو بن عبد .

فصل

في غزوة بني قريظة

وما أحلَّ الله تعالى بهم من البأس الشديد مع ما أعدَّ الله لهم في الآخرة من العذاب الأليم .

وذلك لسكفرهم ونقضهم العهد التي كانت بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ومُآلاتهم الأحزاب عليه ، فما أجْدَى ذلك عنهم شيئاً ، وباهوا بغضب من الله ورسوله والصفقة الخاسرة في الدنيا والآخرة .

وقد قال الله تعالى : « وردَّ الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً ، وكفى الله المؤمنين القتالَ وكان الله قوياً عزيزاً * وأنزلَ الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيبهم وقذف في قلوبهم الرعبَ فريقاً تقتلون وتأسرون فريقاً . وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تطأوها ، وكان الله على كل شيء قديراً (١) » .

قال البخارى : حدثنا محمد بن مقاتل ، حدثنا عبد الله ، حدثنا موسى بن عُبَبة ، عن سالم ونافع ، عن عبد الله ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا قفل من الغزو والحج والعمرة يبدأ فيسكبّر ثم يقول : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، آيئون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون ، صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده » .

قال محمد بن إسحاق رحمه الله : ولما أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف عن الخندق راجعاً إلى المدينة والمسلمون ووضعوا السلاح .

فلما كانت الظهر أتى جبريلُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، كما حدثني الزهري ،
مُعْتَجِراً بِعِمَامَةٍ مِنْ اسْتَبْرَقٍ عَلَى بَغْلَةٍ عَلَيْهَا رَحَالَةٌ عَلَيْهَا قَبْلِيْفَةٌ مِنْ دِيبَاجٍ ، فَقَالَ : أَوْقَدْ
وَضَعْتَ السِّلَاحَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : نَعَمْ . فَقَالَ جَبْرِيلُ : مَا وَضَعْتَ الْمَلَأُكَ السِّلَاحَ
بَعْدُ وَمَا رَجَعْتَ الْآنَ إِلَّا مِنْ طَلَبِ الْقَوْمِ ، إِنْ اللَّهُ بِأَمْرِكَ يَا مُحَمَّدُ بِالْمَسِيرِ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ ،
فَإِنِّي عَامِدٌ إِلَيْهِمْ فَرُلْزِلَ بِهِمْ .

فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُؤَذِّنًا فَأَذَّنَ فِي النَّاسِ : مَنْ كَانَ سَامِعًا مَطِيعًا
فَلَا يَصْلِيَنَّ الْعَصْرَ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ . قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَاسْتَعْمَلَ عَلَى الْمَدِينَةِ
ابْنَ أُمِّ مَكْتُومٍ .

وَقَالَ الْبُخَارِيُّ : حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي نُمَيْرٍ ، عَنْ هِشَامٍ ، عَنْ
أَبِيهِ ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ : لَمَّا رَجَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْخَنْدَقِ وَوَضَعَ السِّلَاحَ
وَاجْتَسَلَ أَتَاهُ جَبْرِيلُ فَقَالَ : قَدْ وَضَعْتَ السِّلَاحَ ! وَاللَّهِ مَا وَضَعْنَاهُ ! فَاخْرَجَ إِلَيْهِمْ ،
قَالَ : فَإِلَى أَيْنَ ؟ قَالَ : هَاهُنَا . وَأَشَارَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ فَخَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
وَقَالَ أَحْمَدُ : وَحَدَّثَنَا حَسَنٌ ، حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ سَلَمَةَ ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ ، عَنْ أَبِيهِ ،

عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا فَرَغَ مِنَ الْأَحْزَابِ دَخَلَ الْمَغْسَلُ لِيُغْتَسَلَ ،
وَجَاءَ جَبْرِيلُ فَرَأَيْتُهُ مِنْ خَلَلِ الْبَيْتِ قَدْ عَصَّبَ رَأْسَهُ الْغَبَارُ ، فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ أَوْضَعْتُمْ
أَسْلِحَتَكُمْ ؟ فَقَالَ : وَضَعْنَاهُ أَسْلِحَتُنَا ، فَقَالَ : إِنَّا لَمْ نَضَعْ أَسْلِحَتُنَا بَعْدُ ، انْهَدِ إِلَى
بَنِي قُرَيْظَةَ .

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ : حَدَّثَنَا مُوسَى ، حَدَّثَنَا جَرِيرُ بْنُ حَازِمٍ ، عَنْ حَمِيدِ بْنِ هَلَالٍ ، عَنْ
أَنْسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : كُنْتُ أَنْظُرُ إِلَى الْغَبَارِ سَاطِعًا فِي زَفَاقِ بَنِي غَنَمٍ مَوْكَبِ جَبْرِيلَ ، حِينَ
سَارَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ .

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ أَسْمَاءَ ، حَدَّثَنَا جُوَيْرِيَةُ بْنُ أَسْمَاءَ ، عَنْ

نافع ، عن ابن عمر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب : « لا يصليَنَّ أحدُ العصر إلا في بني قريظة » فأدرك بعضهم العصر في الطريق ، فقال بعضهم : لا نصلي العصر حتى نأتيها ، وقال بعضهم : بل نصلي لم يُرد منا ذلك . فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فلم يعذف واحداً منهم .

وهكذا رواه مسلم عن عبد الله بن محمد بن أسماء به .

وقال الحافظ البيهقي : حدثنا أبو عبد الله الحافظ وأبو بكر أحمد بن الحسن القاضي قالا : حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، حدثنا محمد بن خالد بن علي ، حدثنا بشر بن حرب ، عن أبيه ، حدثنا الزهري ، أخبرني عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك : أن عمه عبيد الله أخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رجع من طلب الأحزاب وضع عنه اللأمة واغتسل واستحجم ، فتبدى له جبريل عليه السلام فقال : عذرك من محارب ! ألا أراك قد وضعت اللأمة وما وضعناها بعد !

قال : فوثب النبي صلى الله عليه وسلم فزعاً فعزم على الناس ألا يصلوا صلاة العصر إلا في بني قريظة .

قال : فابس الناس السلاح فلم يأتوا بني قريظة حتى غربت الشمس ، فاختم الناس عند غروب الشمس ، فقال بعضهم : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم عزم علينا ألا نصلي حتى نأتي بني قريظة ، فإنما نحن في عزيمة رسول الله صلى الله عليه وسلم فابس علينا ثم . وصلى طائفة من الناس احتساباً ، وترك طائفة منهم الصلاة حتى غربت الشمس فصاها حين جاءوا بني قريظة احتساباً . فلم يعذف رسول الله صلى الله عليه وسلم واحداً من الفريقين .

ثم روى البيهقي من طريق عبد الله العمري ، عن أخيه عبيد الله ، عن القاسم بن محمد ، عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عندها فسلم علينا رجل ونحن في

لبيت ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فزعاً وقت في أثره فإذا بدحية الكلبي ، قال : هذا جبريل أمرني أن أذهب إلى بني قريظة وقال : قد وضعت السلاح لكننا لم نضع ، طلبنا المشركين حتى بلغنا حراء الأسد . وذلك حين رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فزعاً وقال لأصحابه : عزمت عليكم ألا تصلوا صلاة العصر حتى تأتوا بني قريظة ، فغربت الشمس قبل أن يأتوهم ، قالت طائفة من المسلمين : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يرد أن تدعوا الصلاة تصلوا . وقالت طائفة : والله إنا لنرى عزيمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وما علينا من إثم . حلت طائفة إيماناً واحتساباً وترك طائفة إيماناً واحتساباً ، ولم يعنف رسول الله صلى الله عليه وسلم واحداً من الفريقين . وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فمر بمجالس بينه وبين بني قريظة فقال : هل مر بكم أحد ؟ فقالوا : مر علينا دحية الكلبي على بغلة نهباء تحته قطيفة ديباج . فقال : ذلك جبريل أرسل إلى بني قريظة ليزلزلهم ويقذف في أوبهم الرعب .

فحاصرهم النبي صلى الله عليه وسلم وأمر أصحابه أن يستروه بالحجف^(١) حتى يسمع كلامهم ، فنأداهم : يا إخوة القردة والخنازير . فقالوا : يا أبا القاسم لم تكن فخاشاً . فحاصرهم حتى نزلوا على حكم سعد بن معاذ وكانوا حلفاءه ، فحكم فيهم أن تقتل نقاتهم ونسب ديارهم ونساؤهم .

ولهذا الحديث طرق جيدة عن عائشة وغيرها .

وقد اختلف العلماء في المصيب من الصحابة يومئذ من هو ؟ بل الإجماع على أن كلاً من الفريقين مأجور ومعذور غير معنف .

(١) الحجف : جمع حجة . وهي الترس من جلد بلا خشب ولا عتب .

فقلت طائفة من العلماء : الذين أخرّوا الصلاة يومئذ عن وقتها المقدّر لها حتى صلّوها في بني قريظة هم المصيبون ، لأنّ أمرهم يومئذ بتأخير الصلاة خاصّ ، فيقدّم على عموم الأمر بها في وقتها المقدّر لها شرعاً .

قال أبو محمد بن حزم الظاهري في كتاب السيرة : وعلم الله أنّا لو كنا هناك لم نصلّ العصر إلّا في بني قريظة ولو بعد أيام !

وهذا القول منه ماشٍ على قاعدته الأصلية في الأخذ بالظاهر .

وقالت طائفة أخرى من العلماء : بل الذين صلّوا الصلاة في وقتها لما أدركتهم وهم في مسيرهم هم المصيبون ، لأنهم فهموا أنّ المراد إنّما هو تعجيل السير إلى بني قريظة لتأخير الصلاة ، فعملوا بمقتضى الأدلة الدالة على أفضلية الصلاة في أول وقتها ، مع فهمهم عن الشارع ما أراد ، ولهذا لم يعنفهم ولم يأمرهم بإعادة الصلاة في وقتها التي حوّلت إليه يومئذ كما يدعيه أولئك ، وأما أولئك الذين أخرّوا فعدّوا بحسب ما فهموا ، وأكثروا ما كانوا يؤمرون بالقضاء وقد فعلوه .

وأما على قول من يجوز تأخير الصلاة لعذر القتال ، كما فهمه البخاري حيث احتج على ذلك بحديث ابن عمر المتقدم في هذا ، فلا إشكال على من أخرّ ولا على من قدّم أيضاً . والله أعلم .

ثم قال ابن إسحاق : وقدّم رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبي طالب ومعه رايته وابتدورها الناس .

وقال موسى بن عقبة في مغازيه عن الزهري : فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في مُغتسله كما يزعمون قد رجّل أحدَ شِقِيّيه أتاه جبريل على فرس عليه لأمته حتى وقف بباب المسجد عند موضع الجنائز ، فخرج إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له جبريل :

غفر الله لك أو قد وضعت السلاح ؟ ! قال : نعم فقال جبريل : لسكننا لم نضعه منذ نزل بك العدو وما زلت في طلبهم حتى هزمهم الله - ويقولون : إن على وجه جبريل لأثر الغبار - فقال له جبريل : إن الله قد أمرك بقتال بنى قريظة فأنا عامدٌ إليهم بمن معي من الملائكة نزلزل بهم الحصون ، فاخرج بالناس .

فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في أثر جبريل فر على مجلس بنى غنم وهم ينتظرون رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألهم فقال : مرّ عليكم فارسٌ آفأ ؟ قالوا : مرّ علينا دحية الكلبي على فرس أبيض تحته نمط أو قطيفة ديباج عليه الألامة . فذكروا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ذاك جبريل ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشبه دحية الكلبي بجبريل ، فقال : الحقوني ببني قريظة فصلوا فيهم العصر .

فقاموا وما شاء الله من المسامحة فانطلقوا إلى بنى قريظة ، فحانت صلاة العصر وهم بالطريق ، فذكروا الصلاة فقال بعضهم لبعض : ألم تعلموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمركم أن تصلوا العصر في بنى قريظة . وقال آخرون : هي الصلاة . فصلى منهم قوم وأخرت طائفة الصلاة حتى صلوا في بنى قريظة بعد أن غابت الشمس ، فذكروا الرسول الله صلى الله عليه وسلم من عجل منهم الصلاة ومن أخرها ، فذكروا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعنف واحداً من الفريقين .

قال : فلما رأى عليُّ بن أبي طالب رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلاً تلقاه وقال : ارجع يا رسول الله فإن الله كافيك اليهود . وكان عليٌّ قد سمع منهم قولاً سيئاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأزواجه رضى الله عنهن ، فذكره أن يسمع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لم تأمرني بالجوع ؟ فكتمه . فسمع منهم فقال : أظنك سمعت فيّ منهم أذى ، فامض فإن أعداء الله لو رأوني لم يقولوا شيئاً مما سمعت . فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بحضنهم ، وكانوا في أعلاه ، نادى بأعلى

صوته نغراً من أشرافهم حتى أسمعهم فقال : أجيئوا يامعشر يهود يا إخوة القردة ، قد نزل بكم خزي الله عز وجل .

فحاصروهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتائب المسلمين بضع عشرة ليلة ، وردَّ الله حُيَّي بن أخطب حتى دخل حصنَ بنى قريظة ، وقذف الله في قلوبهم الرعب ، واشتد عليهم الحصار ، فصرخوا بأبى لُبابة بن عبد المنذر - وكانوا حلفاء الأنصار - فقال أبو لبابة : لا آتيهم حتى يأذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : قد أذنتُ لك .

فأتاهم أبو لبابة فبكوا إليه وقالوا : يا أبا لبابة ماذا ترى وماذا تأمرنا ؟ فإنه لا طاقة لنا بالقتال .

فأشار أبو لبابة بيده إلى حلقه وأمرَّ عليه أصابعه ، يريهم أنما يراد بهم القتلُ . فلما انصرف أبو لبابة سَقَطَ في يده ، ورأى أنه قد أصابته فتنةٌ عظيمة ، فقال : والله لا أنظر في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أُحْدِثَ لله توبةً نصوحاً يعلمها الله من نفسى .

فرجع إلى المدينة فربط يديه إلى جذع من جذوع المسجد . وزعموا أنه ارتبط قريباً من عشرين ليلة .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين غاب عليه أبو لبابة : أما قرع أبو لبابة من حلفائه ؟ فذُكر له ما فعل ، فقال : لقد أصابته بعدى فتنةٌ ولو جاءنى لاستغفرت له ، وإذا قد فعل هذا فإن أحرَّكه من مكانه حتى يقضى الله فيه ما يشاء .

وهكذا رواه ابن لهيعة ، عن أبى الأسود ، عن عروة . وكذا ذكره محمد بن إسحاق في مغازيه في مثل سياق موسى بن عقبة عن الزهرى ، ومثل رواية أبى الأسود عن عروة .

قال ابن إسحاق : ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم على بئر من آبار بني قريظة من ناحية أموالهم يقال لها بئر أنى ، فحاصروهم خمسا وعشرين ليلة حتى جاهدوهم الحصار وقذف في قلوبهم الرعب .

وقد كان حي بن أخطاب دخل معهم حصنهم حين رجعت عنهم قريش وغطفان وفاء لكعب بن أسد بما كان عاهده عليه ، فلما أيقنوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غير منصرف عنهم حتى يفتأجزهم قال كعب بن أسد : يامعشر يهود قد نزل بكم من الأمر ماترون ، وإني عارضٌ عليكم خلافاً ثلاثاً فخذوا بما شئتم منها . قالوا : وما هن ؟ قال : نتابع هذا الرجل ونصدقّه ، فوالله لقد تبين لكم أنه لنبي مرسل وأنه للذي تجدونه في كتابكم ، فتأمنون به على دماءكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم . قالوا : لانفارق حكم التوراة أبداً ولا نستبدل به غيره .

قال : فإذا أيتّم على هذه فمهل فلنقتل أبناءنا ونساءنا ، ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالاً مُصلّتين بالسيوف ^(١) ، لم نترك وراءنا ثقلاً حتى يحكم الله بيننا وبين محمد ، فإن نهلك نهلك ولم نترك وراءنا نسلاً نخشى عليه ، وإن تظهر فلمعمرى لنجدن النساء والأبناء .

قالوا : أقتل هؤلاء المساكين ؟ فما خير العيش بعدهم ؟ قال : فإن أيتّم على هذه ، فالليلة ليلة السبت ، وإنه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد آمنونا فيها ، فانزلوا علينا نصيب من محمد وأصحابه غيرة . قالوا : أنفسد سببتنا ونحدث فيه ما لم يحدث فيه من كان قبلنا إلا من قد علمت فأصابه ما لم يخف عنك من المسخ .

يقال : ما بات رجلٌ منك منذ ولدته أمه ليلة من الدهر حازماً .

ثم إنهم بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ابعث إلينا أبا لبابة بن عبد المنذر أخا بني عمرو بن عوف ، وكانوا حلفاء الأوس ، نستشيرهم في أمرنا .

فأرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رآوه قام إليه الرجال وجهش إليه النساء والصبيان ليكون في وجهه ، فرق لهم وقالوا : يا أبا لبابة أترى أن نزل على حكم محمد ؟ قال : نعم . وأشار بيده إلى حلقة أنه الذبح .

قال أبو لبابة : فوالله ما زالت قدمي من مكانهما حتى عرفت أني قد خنت الله ورسوله .

ثم انطلق أبو لبابة على وجهه ، ولم يأت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى ارتبط في المسجد إلى عمود من عمدته ، وقال : لا أبرح مكانى حتى يتوب الله عليّ مما صنعت . وأعاهد الله ألا أطأ بنى قريظة أبداً ولا أرى في بلد خنت الله ورسوله فيه أبداً .

قال ابن هشام : وأنزل الله ، فيما قال سفيان بن عيينة ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن عبد الله بن أبي قتادة : « يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون ^(١) » .

قال ابن هشام : أقام مرتبطاً ست ليال ، تأتيه امرأته في وقت كل صلاة فتجعله حتى يتوضأ ويصلي ، ثم يرتبط ، حتى نزلت توبته في قوله تعالى : « وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم ^(١) » .

وقول موسى بن عتبة أنه مكث عشرين ليلة مرتبطاً به . والله أعلم . وذكر ابن إسحاق أن الله أنزل توبته على رسوله من آخر الليل وهو في بيت أم

سلمة ، فجعل يبتسم فسألته أم سلمة فأخبرها بتوبة الله على أبي لُبَابَة ، فاستأذنته أن تبشّره فأذن لها ، فخرجت فبشّرته ، فنار الناسُ إليه يبشرونه ، وأرادوا أن يحلّوه من رباطه فقال : والله لا يحلّني منه إلا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم . فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى صلاة الفجر حلّه من رباطه رضى الله عنه وأرضاه .

قال ابن إسحاق : ثم إن ثعلبة بن سَعْيَةَ وأُسَيد بن سَعْيَةَ وأسد بن عبيد ، وهم نفر من بني هَـذِل ليسوا من بني قريظة ولا النضير ، نسبهم فوق ذلك هم بنو عم القوم ، أسلموا في تلك الليلة التي نزلت فيها قريظة على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وخرج في تلك الليلة عمرو بن سَعْدَى القرظي فرَّ بحرس رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليهم محمد بن مسَلَمَة تلك الليلة ، فلما رآه قال : من هذا ؟ قال : أنا عمرو بن سَعْدَى . وكان عمرو قد أبى أن يدخل مع بني قريظة في غدرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : لا أغدر بمحمد أبداً . فقال محمد بن مسَلَمَة حين عرفه : اللهم لا تحرمني إقالة عثرات الكرام . ثم خلى سبيله فخرج على وجهه حتى بات في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة تلك الليلة ، ثم ذهب لم يُدر أين توجه من الأرض إلى يومه هذا فذكر شأنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ذاك رجل نجّاه الله بوفائه .

قال : وبعض الناس يزعم أنه كان أوثق برُمّة فيمن أوثق من بني قريظة ، فأصبحت رُمّته ملقاةً ولم يُدر أين ذهب ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه تلك المقالة . والله أعلم أيّ ذلك كان .

قال ابن إسحاق : فلما أصبحوا نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم . فتواثبت الأوسُ فقالوا : يا رسول الله إنهم كانوا موالينا دون الخزرج ، وقد فعلت في موالى إخواننا بالأمس ما قد علمت ، يعنون عَفْوَهُ عن بني قينقاع حين سأله فيهم عبد الله ابن أبي . كما تقدم .

قال ابن إسحاق : فلما كلمته الأوس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يامعشر الأوس ألا ترضون أن يحكم فيهم رجل منكم ؟ قالوا : بلى . قال : فذلك إلى سعد بن معاذ . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جعل سعد بن معاذ في خيمة لامرأة من أسلم يقال لها ربيعة في مسجده وكانت تداوى الجرحى ، فلما حكمه في بني قريظة أتاه قومه فحمله على حمار قد وطأوا له بوسادة من آدم ، وكان رجلا جسيما جميلا ، ثم أقبلوا معه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يقولون : يا أبا عمرو أحسن في مواليك ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما ولّاك ذلك لتحسن فيهم . فلما أكرهوا عليه قال : قد آن لسعد ألا تأخذه في الله لومة لائم !

فرجع بعض من كان معه من قومه إلى دار بني عبد الأشهل فنعى لهم رجال بني قريظة قبل أن يصل إليهم سعد عن كلمته التي سمع منه .

فلما انتهى سعد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قوموا إلى سيدكم . فأما المهاجرون من قريش فيقولون : إنما أراد الأنصار ، وأما الأنصار فيقولون : قد عم رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين . فقاموا إليه . فقالوا : يا أبا عمرو إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ولّاك أمر مواليك لتحكم فيهم . فقال سعد : عليكم بذلك عهد الله وميثاقه أن الحكم فيهم لما حكمت ؟ قالوا : نعم . قال : وعلى من هاهنا . في الناحية التي فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو معرض عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لإجلاله . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم . قال سعد : فإني أحكم فيهم أن يقتل الرجال وتقسّم الأموال وتسبى الذراري والنساء . قال ابن إسحاق : فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن عبد الرحمن بن عمر بن سعد ابن معاذ ، عن علقمة بن وقاص الليثي ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد : لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة .

وقال ابن هشام : حدثني من أثنى به من أهل العلم أن علي بن أبي طالب صاح وهم محاصرو بني قريظة : يا كتيبة الإيمان . وتقدم هو والزيير بن العوام وقال : والله لأذوقن ماذاق حمزة أو أفتحن حصنهم . فقالوا : يا محمد نزل على حكم سعد بن معاذ .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن سعد بن إبراهيم ، سمعت أبا أمامة بن سهل ، سمعت أبا سعيد الخدري ، قال : نزل أهل قريظة على حكم سعد بن معاذ . قال : فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى سعد فأتاه على حمار ، فلما دنا قريباً من المسجد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قوموا لسيدكم أو خيركم . ثم قال : إن هؤلاء نزلوا على حكمك . قال : تقتل مقاتلتهم وتسبي ذريتهم . قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قضيت بحكم الله . وربما قال : قضيت بحكم الملك . وفي رواية الملك .

أخرجاه في الصحيحين من طرق عن شعبة .

وقال الإمام أحمد : حدثنا حُجَين ويونس ، قالوا : حدثنا الليث بن سعد ، عن أبي الزبير ، عن جابر بن عبد الله أنه قال : رُمِيَ يومَ الأحزاب سعدُ بن معاذ فقطعوا أكَحْلَه ، فحسّمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنار فانتفخت يده فزفه ، فلما رأى ذلك قال : اللهم لا تُخرج نفسي حتى تُقرَّ عيني من بني قريظة . فاستمسك عرقه فما قطر قطرةً حتى نزلوا على حكم سعد ، فأرسل إليه فحكم أن تقتل رجالهم وتسبي نساؤهم وذرايعهم يستعين بهم المسلمون . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أصبت حكم الله فيهم . وكانوا أربعمائة . فلما فرغ من قتلهم انفتق عرقه فمات .

وقد رواه الترمذي والنسائي جميعاً عن قتيبة ، عن الليث به . وقال الترمذي :

حسن صحيح .

وقال الإمام أحمد : حدثنا ابن مُعَير ، عن هشام ، أخبرني أبي ، عن عائشة قالت : لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق ووضع السلاح واغتسل فأتاه جبريل وعلى رأسه الغبار فقال : قد وضعت السلاح فوالله ما وضعتها اخرج إليهم . قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأين ؟ قال : هاهنا . وأشار إلى بني قريظة . فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم . قال هشام : فأخبرني أبي أنهم نزلوا على حكم النبي صلى الله عليه وسلم فردَّ الحكمَ فيهم إلى سعد . قال : فإني أحكم أن تقتل المقاتلة وتُسبى النساء والذرية وتقسم أموالهم .

قال هشام : قال أبي : فأخبرت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لقد حكمت فيهم بحكم الله

وقال البخاري : حدثنا زكريا بن يحيى ، حدثنا عبد الله بن مُعَير ، حدثنا هشام عن أبيه ، عن عائشة قالت : أصيب سعدٌ يومَ الخندق ، رماه رجل من قريش يقال له حِبان ابن العزقة ، رماه في الأكل ، ففُضِرَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم خيمةً في المسجد ليعوده من قريب ، فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق وضع السلاح واغتسل ، فأتاه جبريل وهو يفيض رأسه من الغبار فقال : قد وضعت السلاح ؟ والله ما وضعتُهُ اخرج إليهم . قال النبي صلى الله عليه وسلم : فأين ؟ فأشار إلى بني قريظة . فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فَنَزَلُوا على حكمه ، فردَّ الحكمَ إلى سعد . قال : فإني أحكم فيهم أن تقتل المقاتلة وأن تسبى النساء والذرية وأن تقسم أموالهم . قال هشام : فأخبرني أبي عن عائشة أن سعداً قال : اللهم إني أعلم أنك تعلم أنه ليس أحدٌ أحبَّ إليَّ أن أجاهدكم فيك من قومٍ كذبوا رسولَكَ وأخرجوه ، اللهم فإني أظن أنك قد وضعت الحرب بيننا وبينهم ، فإن كان بقي من حرب قريش شيء فأتبقني له حتى أجاهدكم فيك ، وإن كنت وضعت الحرب فافجرها واجعل موتى فيها . فانفجرت من لُبَّتِهِ فلم يرُعْهم وفي

المسجد خيمة من بني غِفَار إلا الدَّمُ يسيل إليهم ، فقالوا : يا أهل الخيمة ما هذا الذي يأتينا من قبلكم ؟ فإذا سعد يغدو جرحه دمًا فمات منها .

وهذا رواه مسلم من حديث عبد الله بن مُبَرِّك به .

قلت : كان دعا أولاً بهذا الدعاء قبل أن يحكم في بني قريظة ، ولهذا قال فيه : ولا تُمتني حتى تُقرَّ عيني من بني قريظة . فاستجاب الله له ، فلما حكم فيهم وأقر الله عينه أي قرار دعا ثانياً بهذا الدعاء فجعل الله له شهادة رضى الله عنه وأرضاه . وسيأتي ذكر وفاته قريباً إن شاء الله .

وقد رواه الإمام أحمد من وجه آخر عن عائشة مطولاً مبداً وفيه فوائد فقال : حدثنا يزيد ، أنبأنا محمد بن عمرو ، عن أبيه ، عن جده علقمة بن وقاص ، قال : أخبرني عائشة قالت : خرجت يوم الخندق أقفو الناس فسمعت وثيداً الأرض ورأى ، فإذا أنا بسعد بن معاذ ومعه ابن أخيه الحارث بن أوس يحمل مجننه قالت : فجلستُ إلى الأرض فمر سعد وعليه درع من حديد قد خرجت منها أطرافه ، فأناتخوف على أطراف سعد ، قالت : وكان سعد من أعظم الناس وأطولهم ، فمرَّ وهو يرتجز ويقول :

لَبَّثَ قَلِيلاً يُدْرِكُ الْهَيَجَا حَمَلٌ مَا أَحْسَنَ الْمَوْتَ إِذَا حَانَ الْأَجَلُ

قالت : فقامت فافتحمت حديقةً فإذا نفر من المساهين ، فإذا فيها عمر بن الخطاب وفيهم رجل عليه سبعة له ، تعني المغفر ، فقال عمر : ما جاء بك والله إنك لجرئة وما يؤمنك أن يكون بلاءٌ أو يكون تحوُّزٌ . فما زال يلومني حتى تمنيت أن الأرض فتحت ساعتئذٍ فدخلتُ فيها فرفع الرجل السبعة عن وجهه فإذا هو طلحة بن عبيد الله فقال : يا عمر ويحك إنك قد أكرت منذ اليوم وأين التحوُّز أو الفرار إلا إلى الله عز وجل .

قالت : ويرحمي سعداً رجلاً من قريش يقال له ابن العرقة وقال : خذها وأنا ابن العرقة .

فأصاب أكله فقطعه ، فدعا الله سعد فقال : اللهم لا تمتني حتى تقر عيني من بنى قريظة .
قالت : وكانوا حلفاء ومواليه في الجاهلية . قالت فرقاً بكلمته وبعث الله الريح على
المشركين وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً . فالحق أبو سفيان ومن معه
بتهامة ، ولحق عيينة بن بدر ومن معه بنجد .

ورجعت بنو قريظة فتحصنوا في صياصيمهم ، ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم
إلى المدينة وأمر بقبة من آدم ، فضربت على سعد في المسجد . قالت : فجاء جبريل وإن
على ثيابه لَنَقَعَ الغبار فقال : أقد وضعت السلاح ! لا والله ما وضعت الملائكة السلاح
بعد ، اخرج إلى بنى قريظة فقاتلهم .

قالت : فلبس رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمنه وأذن في الناس بالرحيل أن
يخرجوا ، فر على بنى نعيم ، وهم جيران المسجد حوله فقال : من مرّ بكم ؟ قالوا : مرّ بنا
دحية السكابي ، وكان دحية السكابي تشبهه لحيته وسنّه ووجهه جبريل عليه السلام .

فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فحاصرهم خمساً وعشرين ليلة ، فلما اشتد حصرهم
واشتد البلاء قيل لهم : أنزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم . فاستشاروا أبا لبابة
ابن عبد المنذر فأشار إليهم أنه الذبح قالوا : ننزل على حكم سعد بن معاذ . فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : أنزلوا على حكم سعد بن معاذ . فأتى به على حمار عليه إكاف من
ليف قد حُمل عليه وحفّ باقومه ، فقالوا : يا أبا عمرو حلفاؤك ومواليك وأهل النكابة ،
ومن قد علمت . قالت : ولا يرجع إليهم شيئاً ولا يلتفت إليهم ، حتى إذا دنا من دورهم
التفت إلى قومه فقتل : قد آن لي ألا أبالي في الله لومة لائم !

قالت : قال أبو سعيد : فلما طلّع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قوموا إلى
سيدكم فأنزلوه . قال عمر : سيدنا الله . قال : أنزلوه . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
احكم فيهم فقال سعد : فإني أحكم فيهم أن تقتل مقاتلاتهم وتُسبي ذراريهم وتقسم

أموالهم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد حكمتَ فيهم بحكم الله وحكم رسوله .
ثم دعا سعداً فقال : اللهم إن كنتَ أبقيتَ على نبيك من حرب قريش شيئاً فأبقني
لها ، وإن كنتَ قطعتَ الحربَ بينه وبينهم فأقبضني إليك . قالت : فأنفجرَ كَلِمَةً وكان
قد برئَ حتى لا يرى منه إلا مثل الخُرْصِ ^(١) ، ورجع إلى قبته التي ضربَ عليه رسول
الله صلى الله عليه وسلم .

قالت عائشة : فحضره رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر ، قالت : فوالذي
نفس محمد بيده إنى لأعرف بكاءَ عمر من بكاءِ أبي بكر وأنا في حجرني ، وكانوا كما قال
الله : « رَحَاءَ بَيْنِهِمْ » ^(٢) .

قال علقمة : فقلت : يا أمه فكيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع ؟ قالت :
كانت عينه لا تدمع على أحد . ولكنه كان إذا وجدَ فإنما هو آخذٌ بلحيته .
وهذا الحديثُ إسناده جيد وله شواهد من وجوه كثيرة ، وفيه التصريحُ بدعاء سعد
مرتين ، مرة قبلَ حكمه في بنى قريظة ومرة بعد ذلك ، كما قلناه أولاً والله الحمد والمنة .
وسندُ كَرِ كَيْفِيَّةِ وفاته ودفنه وفضله في ذلك رضى الله عنه وأرضاه بمدِّ فراغنا
من القصة .

قال ابن إسحاق : ثم استنزَلُوا ، فحبسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة في دار
بنت الحارث امرأة من بنى النجار . قلت : هي نسيبة ابنة الحارث بن كرز بن حبيب
بن عبد شمس ، وكانت تحت مسيلة الكذاب ، ثم خلف عليها عبد الله بن عامر
ابن كرز .

ثم خرج صلى الله عليه وسلم إلى سوق المدينة فحَنَدَقَ بها خنادق ، ثم بعث إليهم فضرب أعناقهم في تلك الخنادق ، فخرج بهم إليه أرسالا ، وفيهم عدو الله حَيَّ بن أخطب وكعب بن أسد رأس القوم وهم ستمائة أو سبعمائة . والمكثِر لهم يقول : كانوا ما بين الثمانمائة والتسعمائة .

قلت : وقد تقدم فيما رواه الليث عن أبي الزبير عن جابر أنهم كانوا أربعمائة فالله أعلم .

قال ابن إسحاق : وقد قالوا لكعب بن أسد وهم يُذهب بهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسالا : يا كعب ما تراه يَصْنَعُ بنا ؟ قال : أفي كل مَوْطَنٍ لا تَعْقِلُونَ ! ألا ترون الداعى لا يَنْزِعُ ومن ذهب به منكم لا يَرْجِعُ ، هو والله القتل ! فلم يزل ذلك الدأب حتى فرغ منهم ، وأتى بجي بن أخطب وعائيه حُلَّة له فُقَّاحِيَّةٌ ^(١) قد شقها عليه من كل ناحية قدرَ أنملة لثلاث يُسَلِّبُها ، مجموعةً يدها إلى عنقه بحبل . فلما نظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أما والله ما لمتُ نفسي في عداوتك ، ولكنه من يَحْذِلُ الله يَحْذِلُ !

ثم أقبل على الناس فقال : أيها الناس ، إنه لا بأس بأمر الله ، كِتَابٌ وَقَدَرٌ وملحمة كتبها الله على بنى إسرائيل ! ثم جالس فضربت عنقه . فقال جَبَل بن جَوَّال التَّعَلْبِي :

لَعَمْرُكَ مَا لَمْ ابْنُ أَخْطَبَ نَفْسَهُ ولكنه من يَحْذِلُ الله يَحْذِلُ
لجَاهِدَ حَتَّى أَبْلُغَ النَفْسَ عُذْرَهَا وَقَلْقَلْ بِيغْيِ الْعِزَّ كُلَّ مُقْلَقِلٍ ^(٢)

(١) الفقاح : الزهر إذا انشقت أكنه . والمراد أنها كانت تضرب إلى الحرة . قال ابن هشام : فقاحية : ضرب من الوشى .
(٢) قلقل : سعى وتحرك .

وذكر ابن إسحاق قصة الزبير بن باطا ، وكان شيخا كبيرا قد عمى ، وكان قد من يوم بعث على ثابت بن قيس بن شماس وجز ناصيته ، فلما كان هذا اليوم أراد أن يكافئه فجاءه فقال : هل تعرفنى يا أبا عبد الرحمن ؟ قال : وهل يجهل مثلى مثلك . فقال له ثابت : أريد أن أكافئك . فقال : إن الكريم يحزى الكريم .

فذهب ثابت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستطلقه فأطلقه له ، ثم جاءه فأخبره فقال : شيخ كبير لا أهل [له ^(١)] ولا ولد ، فما يصنع بالحياة ! فذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستطلق له امرأته وولده ، فأطلقهم له . ثم جاءه فقال : أهل بيت بالحجاز لا مال لهم ، فما بقاؤهم على ذلك ؟ فأتى ثابت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستطلق مال الزبير بن باطا ، فأطلقه له .

ثم جاءه فأخبره فقال له : يا ثابت ما فعل الذى كان وجهه امرأة صينية تتراءى فيها عذارى حتى ^(٢) ، كعب بن أسد ؟ قال : قُتل .

قال : فما فعل سيد الحاضر والبادى حُيى بن أخطب ؟ قال : قُتل .
قال : فما فعل مُقدمتنا إذا شدّنا وحاميتنا إذا فررنا : عزال بن شموال ^(٣) ؟ قال : قتل .

قال : فما فعل المجلسان ؟ يعنى بنى كعب بن قريظة وبنى عمرو بن قريظة . قال : ذهبوا قتلوا .

قال : فإنى أسألك يا ثابت بيمدى عندك إلا ألحقمتنى بالقوم ، فوالله ما فى العيش بعد هؤلاء من خير ، فما أنا بصابر لله فيلة ^(٤) دلو ناضح حتى ألقى الأحبة .

(١) من ابن هشام . (٢) ابن هشام : عذارى الحمى .

(٣) ابن هشام : سموال بالسين .

(٤) المذكور فى ابن هشام والروض الأنف للسهرلى : فتلة بالطاء . ولعله تحريف فيهما ، ما دام ابن كثير قد ضبطه بالحروف .

فقدّمه ثابت فُضِرَت عنقه .

فلما بلغ أبا بكر الصديق قوله : « أَلْقِ الْأَحْبَةَ » قال : يلقاهم والله في نار جهنم خالداً فيها مخلداً !

قال ابن إسحاق : « قُتِلَ » بالغاء والياء المثناة من أسفل . وقال ابن هشام ، بالقاف والباء الموحدة . وقال ابن هشام : الناضح : البعير الذي يُسْتَقَى عليه الماء لسقى النخل . وقال أبو عبيدة : معناه إفراغة دلو .

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمر بقتل كل من أُنْبِتَ منهم . فحدثني شعبة بن الحجاج ، عن عبد الملك بن عمير ، عن عطية القرظي ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمر أن يقتل من بنى قريظة كل من أُنْبِتَ منهم ، وكنت غلاماً ، فوجدوني لم أُنْبِتْ فخلّوا سبيلي .
ورواه أهل السنن الأربعة من حديث عبد الملك بن عمير ، عن عطية القرظي نحوه .

وقد استدل به من ذهب من العلماء إلى أن إنبات الشعر الخشن حول الفرج دليل على البلوغ ، بل هو بلوغ في أصح قول الشافعي .

ومن العلماء من يفرق بين صبيان أهل الزمة ، فيكون بلوغاً في حقهم دون غيرهم ، لأن المسلم قد يتأذى بذلك لمقصد .

وقد روى إسحاق عن أيوب بن عبد الرحمن ، أن سلمى بنت قيس أم المنذر استطلقت من رسول الله صلى الله عليه وسلم رفاعة بن شموال ، وكان قد بلغ فلاذ بها ، وكان يعرفهم قبيل ذلك فأطلقه لها ، وكانت قالت : يا رسول الله إن رفاعة يزعم أنه سيُصَلَّى وبأكل لحم الجمل . فأجابها إلى ذلك فأطلقه .

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة ، عن عائشة قالت : لم يُقتل من نسائهم إلا امرأة واحدة ، قالت : والله إنها لعندي تحدثت معي تضحك ظهراً وبطناً ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقتل رجالها في السوق إذ هتف هاتف باسمها أين فلانة ؟ قالت : أنا والله . قالت : قلت لها : ويلك مالك ؟ قالت : أقتل ! قلت : ولم ؟ قالت : لحدث أحدثته . قالت : فانطلق بها فضربت عنقها .

وكانت عائشة تقول : فوالله ما أنسى عجباً منها طيبُ نفسها وكثرة ضحكها وقد عرفت أنها تُقتل !

وهكذا رواه الإمام أحمد ، عن يعقوب بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن محمد بن إسحاق به . قال ابن إسحاق : هي التي طرحت الرّاحا على خلاد بن سويد فقتلته . يعني فقتلها رسول الله صلى الله عليه وسلم به .

قال ابن إسحاق في موضع آخر : وسماها نبانة امرأة الحكم القرظي .

قال ابن إسحاق : ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم أموال بني قريظة ونساءهم وأبناءهم على المسلمين بعد ما أخرج الخمس ، وقسم للفارس ثلاثة أسهم ، سهمين للفارس وسهماً لراكبه ، وسهماً للمراجل ، وكانت الخيل يومئذ ستاً وثلاثين . قال : وكان أول فيء وقعت فيه السهمان وخمسون .

قال ابن إسحاق : وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سعيد بن زيد بسبايا من بني قريظة إلى نجد فابتاع بها خيلاً وسلاحاً . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اصطفى من نسائهم ريمانة بنت عمرو بن خنافة إحدى نساء بني عمرو بن قريظة ، وكان عليها حتى توفي عنهما وهي في ملكه ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عرض عليها الإسلام فامتنعت ثم أسلمت بعد ذلك فسُر رسول الله صلى الله عليه وسلم بإسلامها

وقد عرض عليها أن يمتقها ويتزوجها فاخترت أن تستمر على الرق ليكون أسهل عليها فلم تزل عنده حتى توفي عليه الصلاة والسلام .

ثم تسكلم ابن إسحاق على ما نزل من الآيات في قصة الخندق من أول سورة الأحزاب ، وقد ذكرنا ذلك مستقصى في تفسيرها والله الحمد والمنة .

وقد قال ابن إسحاق : واستشهد من المسلمين يوم بني قريظة خَلَاد بن سُوَيْد بن ثعلبة بن عمرو الخزرجي طُرحت عليه رحاً فشدخته شدخاً شديداً ، فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن له لأجر شهيدين » .

قلت : كان الذي ألقى عليه الرحى تلك المرأة التي لم يقتل من بني قريظة امرأة غيرها كما تقدم . والله أعلم .

قال ابن إسحاق : ومات أبو سنان بن محصن بن حُرْثان من بني أسد بن خزيمة ورسول الله صلى الله عليه وسلم محاصر بني قريظة فدفن في مقبرتهم اليوم .

وفاة سعد بن معاذ رضي الله عنه

قد تقدم أن حِبَّان بن العَرَقَة لعنه الله رماه بسهم فأصاب أكله ، فحسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم كيئاً بالنار فاستمسك الجرحُ ، وكان سعد قد دعا الله ألا يميته حتى يُقر عينه من بني قريظة ، وذلك حين نقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم من العهود والمواثيق والذمام ومالوا عليه مع الأحزاب ، فلما ذهب الأحزاب وانقشعوا عن المدينة وبأت بنو قريظة بسواد الوجه والصفقة الخاسرة في الدنيا والآخرة ، وسار إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحاصرهم كما تقدم ، فلما ضيق عليهم وأخذهم من كل جانب أنابوا أن ينزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيحكم فيهم بما أَرَادَهُ اللهُ ، فردَّ الحكم فيهم إلى رئيس الأوس وكانوا حلفاءهم في الجاهلية ،

وهو سعد بن معاذ، فرضوا بذلك. ويقال : بل نزلوا ابتداءً على حكم سعد لما يرجون من حُنوّه عليهم وإحسانه وميله إليهم ، ولم يعلموا بأنهم أبغض إليه من أعدادهم من القردة والخنازير لشدة إيمانه وصديقيته رضى الله عنه وأرضاه .

فبعث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان في خيمة في المسجد النبوى ، فجىء به على حمار تحته إكاف قد وطئ تحته لمرضه ، ولما قارب خيمة الرسول صلى الله عليه وسلم أمر عليه السلام من هناك بالقيام له . قيل : لئِنزل من شدة مرضه ، وقيل توقيراً له بحضرة المحكوم عليهم ليكون أبلغ في نفوذ حكمه . والله أعلم .

فلما حكم فيهم بالقتل والسبى وأقرّ الله عينه وشفى صدره منهم وعاد إلى خيمته من المسجد النبوى صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الله عز وجل أن تكون له شهادة ، واختار الله له ما عنده فأنفجر جرحه من الليل ، فلم يزل يخرج منه الدم حتى مات رضى الله عنه .

قال ابن إسحاق : فلما انقضى شأنُ بنى قريظة انفجر بسعد بن معاذ جرحه فمات منه شهيداً .

حدثنى معاذ بن رفاعة الزُرقي قال : حدثنى من شئت من رجال قومي : أن جبريل أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قبض سعد بن معاذ من جوف الليل معتجراً بعمامة من استبرق ، فقال : يا محمد من هذا الميت الذى فُتحت له أبواب السماء واهتز له العرش ؟ قال : فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم سرباً يجر ثوبه إلى سعد فوجده قد مات رضى الله عنه .

هكذا ذكره ابن إسحاق رحمه الله .

وقد قال الحافظ البيهقي في الدلائل : حدثنا أبو عبد الله الحافظ ، حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، حدثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، حدثنا أبي وشعيب بن الليث ، قالوا : حدثنا الليث بن سعد ، عن يزيد بن الهاد ، عن معاذ بن رفاعه ، عن جابر بن عبد الله قال : جاء جبريل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : من هذا العبد الصالح الذي مات فتحت له أبواب السماء وتحرك له العرش ؟

قال : نخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا سعد بن معاذ ، قال : فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على قبره وهو يدفن ، فبينما هو جالس إذ قال : « سبحان الله » مرتين ، فسبح القوم ، ثم قال : « الله أكبر الله أكبر » فكبر القوم ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عجبْتُ لهذا العبد الصالح شُدِّد عليه في قبره حتى كان هذا حين فُرِّجَ له » .

وروى الإمام أحمد والنسائي من طريق يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهاد ، ويحيى بن سعيد عن معاذ بن رفاعه عن جابر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد يوم مات وهو يدفن : « سبحان الله لهذا الصالح الذي تحرك له عرشُ الرحمن وفتحت له أبواب السماء ، شُدِّد عليه ثم فَرِّجَ الله عنه » .

وقال محمد بن إسحاق : حدثني معاذ بن رفاعه ، عن محمود بن عبد الرحمن بن عمرو ابن الجوح ، عن جابر بن عبد الله قال : لما دفن سعد ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبَّح رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبَّح الناس معه ، ثم كبر فكبر الناس معه فقالوا : يا رسول الله مم سبَّحت ؟ قال : « لقد تضايق على هذا العبد الصالح قبره حتى فرج الله عنه » .

وهكذا رواه الإمام أحمد ، عن يعقوب بن إبراهيم بن سعد ، عن أبيه ، عن ابن إسحاق به .

قال ابن هشام : ومجاز هذا الحديث قول عائشة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن للقبر ضمةً لو كان أحد منها ناجياً لكان سعد بن معاذ » .

قلت : وهذا الحديث قد رواه الإمام أحمد : حدثنا يحيى ، عن شعبة ، عن سعد بن إبراهيم ، عن نافع ، عن عائشة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن للقبر ضفطةً ، ولو كان أحد ناجياً منها لتجا سعد بن معاذ » .

وهذا الحديث سنده على شرط الصحيحين ، إلا أن الإمام أحمد رواه عن غُذَر ، عن شعبة ، عن سعد بن إبراهيم ، عن إنسان ، عن عائشة به .

ورواه الحافظ البزار عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : حدثنا عبد الأعلى بن حماد ، حدثنا داود ، عن عبد الرحمن ، حدثنا عبيد الله بن عمر ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد هبط يوم مات سعد بن معاذ سبعون ألف ملك إلى الأرض لم يهبطوا قبل ذلك ، ولقد ضمةً القبر ضمة . ثم بكى نافع !

وهذا إسناد جيد ، لكن قال البزار : رواه غيره عن عبيد الله عن نافع مرسلًا .

ثم رواه البزار ، عن سليمان بن سيف ، عن أبي عتاب ، عن سُكين بن عبد الله بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد نزل لموت سعد بن معاذ سبعون ألف ملك ما وطئوا الأرضَ قبلها » وقال حين دفن : « سبحان الله لو انفلت أحدٌ من ضفطة القبر لا نفلت منها سعد » .

وقال البزار : حدثنا إسماعيل بن حفص ، عن محمد بن فضيل ، حدثنا عطاء بن السائب ، عن مجاهد ، عن ابن عمر قال : اهتز العرش لحب لقاء الله سعد بن معاذ . فقيل : إنما يعني السرير « ورفع أبويه على العرش » قال : تفتحت أعواده . قال : ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم قبره فاحتبس فلما خرج قيل له : يا رسول الله ما حبسك ؟ قال : ضُمَّ سعد في القبر ضمة فدعوت الله فكشف عنه .

قال البزار : تفرد به عطاء بن السائب . قلت : وهو متكلم فيه .

وقد ذكر البيهقي رحمه الله بعد روايته ضمة سعد رضى الله عنه في القبر أثراً غريباً فقال : حدثنا أبو عبد الله الحافظ ، حدثنا أبو العباس ، حدثنا أحمد بن عبد الجبار ، حدثنا يونس ، عن ابن إسحاق ، حدثني أمية بن عبد الله ، أنه سأل بعض أهل سعد : ما بلغكم من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا ؟ فقالوا : ذكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن ذلك فقال : كان يقصّر في بعض الطهور من البول .

وقال البخارى : حدثنا محمد بن المثنى ، حدثنا الفضل بن مساور ، حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن جابر قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : اهتزّ العرش لموت سعد بن معاذ .

وعن الأعمش ، حدثنا أبو صالح ، عن جابر ، عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله . فقال رجل لجابر ؟ فإن البراء بن عازب يقول : اهتز السرير ؟ [فقال] إنه كان بين هذين الحيين ضفائناً سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ .

ورواه مسلم ، عن عمرو الناقد ، عن عبد الله بن إدريس وابن ماجه ، عن علي بن محمد ، عن أبي معاوية ، كلاهما عن الأعمش به . وليس عندهما زيادة قول الأعمش عن أبي صالح عن جابر .

وقال أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، عن ابن جريج ، أخبرني أبو الزبير ، أنه سمع جابر ابن عبد الله يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وجنازة سعد بن معاذ بين أيديهم : اهتز لها عرش الرحمن .

ورواه مسلم عن عبد بن حميد ، والترمذى عن محمود بن غيسلان كلاهما عن عبد الرزاق به .

قال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن سعيد ، حدثنا عوف ، حدثنا أبو نضرة ، سمعت

أبا سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم : اهتزَّ العرشُ لموت سعد بن معاذ .

ورواه النسائي عن يعقوب بن إبراهيم ، عن يحيى به .

وقال أحمد : حدثنا عبد الوهاب ، عن سعيد ، قال قتادة : حدثنا أنس بن مالك ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وجنازته موضوعة : اهتز لها عرش الرحمن . ورواه مسلم عن محمد بن عبد الله الأزدي ، عن عبد الوهاب به .

وقد روى البيهقي من حديث المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، عن الحسن البصري ، قال : اهتز عرش الرحمن فرحاً بروحه .

وقال الحافظ البراء : حدثنا زهير بن محمد ، حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن قتادة ، عن أنس قال : لما أُحلت جنازةُ سعد قال المنافقون : ما أخفَّ جنازته ! وذلك لحكمه في بني قريظة . فسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : لا ولكن الملائكة تحمّله .

إسناد جيد .

وقال البخاري : حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا غفر ، حدثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، سمعت البراء بن عازب يقول : أهديت للنبي صلى الله عليه وسلم حُلّة حرير ، فجعل أصحابه يمسّونها ويمسّونها من لينها ، فقال : « أتعجبون من لين هذه ؟ لمناديلُ سعد بن معاذ خيرُها أو ألين » .

ثم قال : رواه قتادة والزُّهري ، سمعنا أنسا عن النبي صلى الله عليه وسلم .

وقال أحمد : حدثنا عبد الوهاب ، عن سعيد ، هو ابن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك ، أن أكيذر دومة أهدى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبةً وذلك قبل أن يُنهي عن الحرير ، فلبسها فعجب الناس منها فقال : « والذي نفسي بيده لمناديل سعد في الجنة أحسنُ من هذه » .

وهذا إسناد على شرط الشيخين ولم يخرجوه ، وإنما ذكره البخارى تعليقا .

وقال أحمد : حدثنا يزيد ، حدثنا محمد بن عمرو ، حدثني واقد بن عمرو بن سعد بن معاذ ، قال محمد : وكان واقد من أحسن الناس وأعظمهم وأطولهم ، قال : دخلت على أنس بن مالك فقال لى : من أنت ؟ قلت : أنا واقد بن عمرو بن سعد بن معاذ . فقال : إنك بسعدٍ لشببيه . ثم بكى وأكثر البكاء وقال : رحمةُ الله على سعد ! كان من أعظم الناس وأطولهم . ثم قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشاً إلى أكيذر دومة ، فأرسل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجة من ديباج منسوج فيها الذهب ، فلبسها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام على المنبر وجلس فلم يتكلم ثم نزل ، فجعل الناس يامسون الجبة وينظرون إليها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أتعجبون منها ؟ لمناديل سعد ابن معاذ فى الجنة أحسن مما ترون » .

وهكذا رواه الترمذى والنسائى من حديث محمد بن عمرو به . وقال الترمذى : حسن صحيح .

قال ابن إسحاق بعد ذكر اهتزاز العرش لموت سعد ابن معاذ : وفى ذلك يقول رجل من الأنصار :

وما اهتزَّ عرشُ الله من موتِ هالك سمعنا به إلا لسعدٍ أبى عمرو

قال : وقالت أمه ، يعنى كميشة بنت رافع بن معاوية بن عبيد بن ثعلبة الخدرية الخزرجية حين احتمل سعد على نعشه تندبه :

ويلَ أم سعدٍ سعداً صرامةً وحداً

وسؤوداً ومجداً وفارساً مُعداً

سداً به مَسداً يقدّها ماقدّا

قال : يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كل نائحة تكذب إلا نائحة سعد بن معاذ ! »

قلت : كانت وفاته بعد انصراف الأحزاب بنحو من خمس وعشرين ليلة ، إذ كان قدوم الأحزاب في شوال سنة خمس كما تقدم فأقاموا قريباً من شهر ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لحصار بني قريظة ، فأقام عليهم خمساً وعشرين ليلة ، ثم نزلوا على حكم سعد فمات بعد حكمه عليهم بقليل ، فيكون ذلك في أواخر ذى القعدة أو أوائل ذى الحجة من سنة خمس والله أعلم .

وهكذا قال محمد بن إسحاق : إن فتح بني قريظة كان في ذى القعدة وصدر ذى الحجة . قال : وولى تلك الحجة المشركون .

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت يرثي سعد بن معاذ رضى الله عنه :

لقد سَجَمَتْ من دمع عينيَّ عَبرةٌ	وَحَقٌّ لِعيني أن تفيض على سعدٍ ^(١)
قتيلٌ ثوى في مَعْرَكٍ فُجِعَتْ به	عيونٌ ذَواري الدمع دأمة الوَجْدِ ^(٢)
على مِلَّةِ الرحمن وارثُ جنَّةٍ	مع الشهداء وفَذاها أكرمُ الوفْدِ
فإن تكُ قد وعدتنا وتركتنا	وأَمْسَيْتَ في غَبراءٍ مُظْلَمَةِ اللحدِ
فأنت الذى يأسعدُ أبْتَ بِمَشْهَدِ	كريمٍ وأثوابِ المسكارمِ والمجدِ
بحكمك في حَيٍّ قَريظةً بالذى	قضى الله فيهم ما قضيت على عَمْدِ
فوافق حكمُ الله حكمك فيهمُ	ولم تَعْفُ إِذْ كُتِرَ ما كان من عَهْدِ
فإن كان ريبُ الدهرِ أمْضاك في الألى	شَرَوْا هذه الدنيا بِجَنّاتها الخلدِ
فنعم مصيرُ الصادقين إذا دُعُوا	إلى الله يوماً للوجاهة والقصدِ

فصل

فيما قيل من الأشعار في الخندق وبني قريظة

قال البخارى : حدثنا حجاج بن منهال ، حدثنا شعبة ، حدثنا عدى بن ثابت ، أنه سمع البراء بن عازب قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم لحسان : اجهم أو هاجهم وجبريل معك . قال البخارى : وزاد إبراهيم بن طهمان ، عن الشيباني ، عن عدى بن ثابت ، عن البراء بن عازب قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم يوم قريظة لحسان بن ثابت : اجهج المشركين فإن جبريل معك .

وقد رواه البخارى أيضاً ومسلم والنسائي من طرق عن شعبة بدون الزيادة التي ذكرها البخارى يوم بني قريظة .

قال ابن إسحاق رحمه الله : وقال ضرار بن الخطاب بن مرداس أخو بني محارب ابن فهر في يوم الخندق . قلت : وذلك قبل إسلامه :

ومُشفقةً تظنُّ بنا الظنوناً	وقد قدنا عرندسةً طحوناً ^(١)
كأن زهاءها أحدٌ إذا ما	بدت أركانه للناظريناً
ترى الأبدان فيها مُسبغاتٍ	على الأبطال واليَبَ الحصيناً ^(٢)
وجُرداً كالقِداحِ مسوَّماتٍ	نؤمُّ بها الغواة الخاطئيناً ^(٣)
كأنهم إذا صالوا وصُلنا	يباب الخندقين مُصاخوناً
أناس لا نرى فيهم رشيداً	وقد قالوا ألسنا راشديناً
فأحجرتناهم شهراً كريئاً	وكنا فوقهم كالقاهريناً ^(٤)

(١) المرندس : القوى . والطحون : المهلكة . يريد الكتيبة .

(٢) الأبدان : جمع بدن وهي الدرع القصيرة . واليَب : محركة : الترسة أو الدروع من الجلد .

(٣) الجرد : جمع أجرد وهو من الخيل : السباق . والمسومات : المعلمات أو المرسلات .

(٤) أحجرتناهم : حصرناهم . والكريت : التام .

نُراوهم ونغدو كلَّ يوم
بأيدينا صوارمُ مرهقات
كأنَّ وميضهنَّ مُعريَّاتٍ
وميضُ عَقِيقَةٍ لَمَعَتْ بَلِيلٍ
فلولا خَنْدَقٌ كانوا لديه
ولكنَّ حالَ دونهم وكانوا
فإن نرحل فإننا قد تركنا
إذا جنَّ الظلامُ سمعتَ نوحاً
وسوف نرورك عَمَّا قَرِيبٍ
بجمعٍ من كِنَانَةٍ غَيْرِ عُزْلِ
عليهم في السلاح مُدَجِّجِينَا
نَقْدُهَا الْمَفَارِقَ وَالشُّنُونَا^(١)
إذا لاحت بأيدي مُصَلِّتِينَا
تَرَى فِيهَا الْعَقَائِقَ مُسْتَبِينَا^(٢)
لَدَمَّرْنَا عَلَيْهِمُ أَجْمَعِينَا
بِهِ مِنْ خَوْفِنَا مَتَعَوِّذِينَا
لَدَى أَيْيَاتِكُمْ سَعْدًا رَهِينَا
عَلَى سَعْدٍ يَرْجِعُنَ الْحَنِينَا
كَمَا زَرْنَاكُمْ مُتَوَازِينَا
كَأَسَدِ الْغَابِ إِذْ حَمَتِ الْعَرِينَا

قال : فأجابه كعب بن مالك أخو بني سلمة رضى الله عنه فقال :

وسائلةٍ تُسألُ ما لَقِينَا
صَبْرُنَا لَا نَرَى اللَّهَ عَدْلًا
وكان لنا النبيُّ وَزِيرَ صِدْقٍ
نَقَاتِلُ مَعَشَرًا ظَلَمُوا وَعَقَوْا
نَعَالِجَهُمْ إِذَا نَهَضُوا إِلَيْنَا
تَرَانَا فِي فَضْافِضٍ سَابِغَاتٍ
وَفِي أَيْمَانِنَا بَيْضٌ خِفَافٍ
ولو شهدتُ رَأْتُنَا صَابِرِينَا
عَلَى مَا نَابَنَّا مَتَوَكِّلِينَا
بِهِ نَعْلُو الْبَرِيَّةَ أَجْمَعِينَا
وَكَانُوا بِالْعِدَاوَةِ مُرْصِدِينَا
بَضْرِبٍ يُعْجِلُ الْمُتَسَرِّعِينَا
كَغُدْرَانِ الْمَلَأِ مُتَسَرِّبِلِينَا^(٣)
بِهَا نَشْفَى مَرَاهِجَ الشَّاغِبِينَا

(١) الشُّنُون : جمع شَأْن : يجمع العظام في الرأس .

(٢) العَقِيقَةُ : من البرق ما يبقَى في السحاب من شعاعه .

(٣) الفَضَافِضُ : جمع فَضَافُضَةٍ وهى الدرع الواسعة . والغُدْرَانُ : جمع غُدَيْر . والمَلَأُ : الصَّحْرَاءُ .

بِيَابِ الْخُنْدَقِينَ كَأَنَّ أَسَدًا شَوَابِكُهُمْ يَحْمِيهِمُ الْعَرِينَا
 فَوَارِسُنَا إِذَا بَكَرُوا وَرَاحُوا عَلَى الْأَعْدَاءِ شَوْسًا مُعْلِينَا ^(١)
 لِنَنْصُرَ أَحَدًا وَاللَّهُ حَتَّى نَكُونَ عِبَادَ صِدْقٍ مُخْلِصِينَا
 وَيَسْلُمُ أَهْلُ مَكَّةَ حِينَ سَارُوا وَأَحْزَابٌ أَتَوْا مُتَحَزِّينَا
 بَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ لَهُ شَرِيكَ وَأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الْمُؤْمِنِينَ
 فَإِذَا تَقَاتَلُوا سَعْدًا سَفَاهَا فَإِنَّ اللَّهَ خَيْرُ الْقَادِرِينَ
 سَيُدْخِلُهُ جَنَّاتٍ طَيِّبَاتٍ تَكُونُ مَقَامَةً لِلصَّالِحِينَ
 كَمَا قَدْ رَدَّكُمْ فَلَا شَرِيدًا بَغِيظَكُمْ خَزَايَا خَائِبِينَ
 خَزَايَا لَمْ تَنَالُوا نَيْمًا خَيْرًا وَكَدْتُمْ أَنْ تَكُونُوا دَامِرِينَ
 بَرِيحٌ عَاصِفٌ هَبَّتْ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ تَحْتَهَا مُتَكَمِّينَا ^(٢)

قال ابن إسحاق : وقال عبد الله بن الزُّبَيْرِ السَّهْمِيُّ فِي يَوْمِ الْخُنْدَقِ . قُلْتُ : وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُسْلِمَ :

حَتَّى الدِّيَارِ مَحَا مَعَارِفَ رَسْمِهَا طُولُ الْبَلَى وَتَرَاوُحُ الْأَحْقَابِ
 فَكَأَنَّمَا كَتَبَ الْيَهُودُ رِسْمَهَا إِلَّا الْكَتِيفَ وَمَقْعَدَ الْأَطْنَابِ ^(٣)
 فَقَرَأَ كَأَنَّكَ لَمْ تَكُنْ تَلْهُو بِهَا فِي نَعْمَةٍ بِأَوَانِسِ أَتْرَابِ
 فَاتْرَكَ تَذَكُّرَ مَا مَضَى مِنْ عَيْشَةٍ وَحِجْلَةٍ خَلَقِ الْمَقَامِ بِيَابِ
 وَاذْكُرْ بَلَاءَ مَعَاشِرٍ وَاشْكُرْهُمْ سَارُوا بِأَجْمَعِهِمْ مِنَ الْأَنْصَابِ ^(٤)

(١) متكمميننا : عينا لا تبصرون .

(٢) الشوس : جمع أشوس وهو الذى ينظر بمؤخر عينه كبيرا . والعلم : الذى جعل لنفسه علامة فى الحرب يعرف بها .

(٣) الكتيف : الخطيرة . والأطناب : جمع طناب وهو الجبل الذى تشد به الخيمة ونحوها .

(٤) الأنصاب هنا : الحجارة التى يعلم بها الحرم .

أنصاب مكة عامدين ليثرب
يدعُ الحزونَ منهاجاً معلومةً
فيها الجياد شواذبٌ مجنوبةٌ
من كل سلهيةٍ وأجرَدَ سلهٍ
جيشٌ عيينة قاصدٌ بلوائه
قرمان كالبدرين أصبحَ فيهما
حتى إذا وردوا المدينة وارتدوا
شهرًا وعشرًا قاهرين محمداً
نادوا برحاتهم صبيحةَ قلمٍ
نولا الخنادقُ غادروا من جمعهم
في ذى غياطلَ جحفَل جَبْجَاب^(١)
في كل نشزٍ ظاهرٍ وشعابٍ^(٢)
قُبُ البطون لواحقُ الأقرابِ^(٣)
كالسيد بادر غفلة الرءقابِ^(٤)
فيه وصخرٌ قائدُ الأحزابِ
غيثُ الفقير ومَعْقِلُ الهُرَّابِ
للموت كلُّ مُجْرَبٍ قَضَابِ
وصحابه في الحرب خيرُ صحابِ
كِدْنَا نكون بها مع الخِيَابِ
قتلى لطيرٍ سَفْبٍ وذئابِ

قال : فأجابه حسان بن ثابت رضى الله عنه فقال :

هل رسمُ دارسةِ المقامِ يَبَابِ
ققرٌ عفارِهمُ السحابِ رسومَه
ولقد رأيتُ بها الحلولَ يزِينهم
فدَعِ الديارَ وذِكْرُ كلِّ خريدةٍ
واشكُ الهمومَ إلى الإله وما تَرى
ساروا بأجمعهم إليهِ والْبوا
متكلمٌ لمُحاورٍ بجوابِ
وهبوبٌ كلُّ مُطْلَةٍ مِرْبَابِ^(٥)
بيضُ الوجوه ثواقبُ الأحسابِ
بيضاءُ آنسةٍ الحديثِ كعابِ
من معشر ظلموا الرسولَ غضابِ
أهلُ القرى وبوادي الأعرابِ

(١) الفياطل: الأصوات المختلطة . يريد كثرة الجيش والجحفل : الجيش الكثير . والجَبْجَاب : الكثير .

(٢) الحزون : جمع حزن وهو ما ارتفع من الأرض . والنشز كذلك . والمنساج : جمع منهج وهو الطريق الواضح .

(٣) الشواذب : الضواصر . والمجنوبة : التي تقاد . والقب : جمع أقب وهو الضامر من الخيل . واللواحق : الضامرة . والأقرباب : جمع قرب ، وهو الحاصرة .

(٤) السلهية : الطويلة . (٥) الرهم : جمع رهمة ، وهو الطر الضعيف الدائم . والمرباب : الدائمة .

جيشٌ عُنَيْنَةٌ وابنُ حربٍ فيهمُ
حتى إذا وردوا المدينة وارتجوا
وغدّوا علينا قادرين بأيّدهم
بهبوب مُعَصِفَةٍ تَفَرِّقُ جمعهم
فكفَى الإلهُ المؤمنين قتالهم
من بعد ما قنطوا ففرّق جمعهم
وأقرَّ عينَ مُحَمَّدٍ وصحابه
على القوادِ موقعِ ذى رِيَّةٍ
عَلِقَ الشقاءَ بقلبه ففَوَّاهُ
متخمطون بحلّةِ الأحزابِ (١)
قتلَ الرسولَ ومَغَمَّ الأسلابِ
رُدُّوا بفيظهمُ على الأعقابِ (٢)
وجنودِ ربك سيدِ الأربابِ
وأناهمُ فى الأجرِ خيرَ ثوابِ
تنزيلُ نصرٍ مليكنا الوهابِ
وأذلَّ كلَّ مكذِبٍ مرتابِ
فى الكفرِ ليس بظاهرِ الأثوابِ
فى الكفرِ آخرَ هذهِ الأحقابِ

قال : وأجابه كعب بن مالك رضى الله عنه أيضاً فقال :

أَبَقَى لَنَا حَدَثُ الحروبِ بَقِيَّةً
بيضاءُ مُشْرِقةِ الدُّرَى وَمَعَاظِنَا
كاللُّوبِ يُبْذَلُ جَهْمًا وَحَفِيلُهَا
ونزائماً مثل السراجِ نَمَى بها
عرَى الشَّوَى منها وأردفَ نَحْصَهَا
من خَيْرِ نَحْلَةٍ ربنا الوهابِ
حُمَّ الجذوعِ غزيرةِ الأحلابِ (٣)
للجارِ وابنِ العمِ والمُنْتَابِ (٤)
عَلَفُ الشَّعِيرِ وَجَزَّةُ الْمُقْضَابِ (٥)
جُرْدُ المَتُونِ وَسَائِرُ الآرَابِ (٦)

(١) متخمطون : مختلطون .

(٢) الأيد : القوة .

(٣) المعائن : قال السهيلي : يعنى منابت النخل عند الماء شبهها بمعائن الإبل وهى مباركها عند الماء .
وقوله : حمّ الجذوع : وصفها بالحمّة وهى السواد لأنها تضرب إلى السواد من الخضرة والنعمة ، وشبه
ما يجتنى منها بالحب فقال : غزيرة الأحلاب . الرّوض ٢٠٤/٢ .

(٤) اللوب : جمع لوبة وهى الحرة ، وهى أرض ذات حجازة سود . واللوب أيضاً : النحل ،
ويجوز أن يكون شبهها بالنحل فى كثرتها . وجهها وحفيلها : أراد الكثير منها . ولانتاب : الزائر الملم .
(٥) النزائم : النحل التى تجلب إلى غير بلادها ، يريد أنهم استلبوها من الأعداء . والمقضاب : مزرعة
كما قال السهيلي ، وجزتها : ما يجز منها للنحل .

(٦) الشوى : القوائم . والنحض : اللحم . والآراب : المفاصل واحداً لرب .

قُوداً تُرَاحَ إِلَى الصَّبَاحِ إِذَا غَدَتْ فَعَلَ الضَّرَاءُ تُرَاحَ لِلْكَلَابِ ^(١)
وَتَحُوطُ سَائِمَةَ الدِّيارِ وَتَارَةً تُرْدِي الْعِدَى وَتُؤَوِّبُ بِالْأَسْلَابِ
حُوشِ الْوَحُوشِ مُطَارَةً عِنْدَ الْوُغَى عُبَسَ الْلِقَاءِ مُبِينَةَ الْإِنْجَابِ ^(٢)
عُلِفَتْ عَلَى دَعَاةٍ فَصَارَتْ بُدْنًا دُخَسَ الْبَضِيعُ خَفِيفَةَ الْأَقْصَابِ ^(٣)
بَقْدُونٍ بِالزَّغَفِ الْمَضَاعِفِ شَكُّهُ وَبِمُتْرَصَاتٍ فِي الثَّقَافِ صِيَابِ ^(٤)
وَصَوَارِمٍ نَزَعَ الصِّيَاقِلُ عَلَيْهَا وَبِكُلِّ أَرْوَعٍ مَاجِدِ الْأَنْسَابِ ^(٥)
يَصِلُ الْيَمِينَ بَمَارِنٍ مُتْقَارِبِ وَكَلَّتْ وَقِيعَتُهُ إِلَى خَبَابِ ^(٦)
وَأَغْرَ أَزْرَقُ فِي التَّنْصَافِ كَأَنَّهُ فِي طُخْيَةِ الظُّلَمَاءِ ضَوْءُ شَهَابِ ^(٧)
وَكَتِيبَةٍ يَنْفِي الْقِرَافَ قَتِيرُهَا وَتُرْدُ حَدَّ قَوَاحِزِ النُّشَابِ ^(٨)
جَاوَى مُلْمَلَةً كَأَنَّ رَمَاحَهَا فِي كُلِّ مَجْمَعَةٍ صَرِيمَةٌ غَابِ ^(٩)
تَأَوَّى إِلَى ظِلِّ الْإِوَاءِ كَأَنَّهُ فِي صَمْدَةٍ انْطَلَقَتْ فِيهِ عُقَابِ ^(١٠)
أَعَيْتَ أَبَا كَرْبٍ وَأَعَيْتَ تُبْعًا وَأَبَتْ بِسَالَتِهَا عَلَى الْأَعْرَابِ ^(١١)
وَمَوَاعِظٌ مِنْ رَبَّنَا نُهْدَى بِهَا بِلِسَانِ أَزْهَرِ طَيِّبِ الْأَثْوَابِ

- (١) القود : الطوال الأعناق . والضراء : الكلاب الضارية . والسلاب : جمع كالب وهو صاحب الكلاب الذي يصيد بها .
(٢) الحوش : الوحشية ؛ وأصله من الإبل الحوشية وهي التي يزعمون أن خول نعم الجن قد ضربت فيها ويسمونها الحوش . قال رؤبة : * جرت رحانا من بلاد الحوش *
والمطارة : المستخفة . والعبس : جمع عبوس .
(٣) البضيع : اللحم المستطيل . والدخيس من اللحم : الكثير . والأقصاب : جمع قصب وهو العنق .
(٤) الزغف : الدروع الواسعة . والشك : الخلق والنسج . والمترصات : المحكمة ، يعني الرماح المثقفة .
والصياب : المصيدة . (٥) عليها : خشوتها وتثلها . (٦) المارن : اللين . ووقعته : صقله .
وخباب : اسم صيقل . (٧) أغر أزرقي : يريد الرمح . وطخية الظلماء : شدتها .
(٨) القران : اقتران التبسل واجتماعه . والقدير : رهوس مسامير الدرع . القواحز : قعر السهم إذا رماه فوق بين يديه . (٩) الجأوى : التي يخالط غيرها حمرة . والململة : المجتمعة .
(١٠) الصمدة : القناة المستوية . والحطى : الرماح المنسوبة إلى الحط ، موضع كانت تنبع فيه .
والنق : الظل . (١١) أبو كرب وتبع : من ملوك اليمن قبل الإسلام .

عُرِضَتْ عَلَيْنَا فَاشْتَبِهْنَا ذِكْرَهَا مِنْ بَعْدِ مَا عُرِضَتْ عَلَى الْأَحْزَابِ
حِكْمًا يَرَاهَا الْمُجْرِمُونَ بِرَعْمِهِمْ حَرَجًا وَيَفْهَمُهَا ذَوُو الْأَلْبَابِ
جَاءَتْ سَخِينَةٌ كَيْ تَغَالِبَ رَبِّهَا فَلْيُغْلِبَنَّ مُغَالِبُ الْغَلَابِ ١

قال ابن هشام : حدثني من أثنى به ، حدثني عبد الملك بن يحيى بن عبّاد بن عبد الله ابن الزبير ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له لما سمع منه هذا البيت : « لقد شكرك الله يا كعب على قولك هذا » .

قلت : ومراده بسَخِينَةٍ قريش ، وإنما كانت العرب تسميهم بذلك لكثرة أكلهم الطعام السخن الذي لا يتهيأ لغيرهم غالباً من أهل البوادي . قاله أعلم .

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك أيضاً :

مَنْ سَرَّهُ ضَرْبٌ يُمْتَنَعُ بَعْضُهُ بَعْضًا كَمَعْمَةِ الْأَبَاءِ الْحَرَقِ (١)
فَلِيَّاتٍ مَأْسَدَةٍ تُسْنُّ سِيوفَهَا بَيْنَ اللَّذَادِ وَبَيْنَ جِذْعِ الْخَنْدَقِ (٢)
دَرَبُوا بِضَرْبِ الْمُعْلَمِينَ وَأَسْلَمُوا مُنْجَاتٍ أَنْفُسَهُمْ لِرَبِّ الْمَشْرِقِ
فِي عَصَبَةٍ نَصَرَ الْإِلَٰهَ نَبِيَّهٖ بِهِمْ وَكَانَ بَعِيدَهُ ذَا مَرْفَقِي
فِي كُلِّ سَابِقَةٍ تَخْطُ فُضُولُهَا كَالنَّهْيِ هَبَّتْ رِيحُهُ لِلتَّرْفِقِ (٣)
بِيضَاءِ مُحْكَمَةٍ كَأَنَّ قَتِيرَهَا حَدَقَ الْجَنَادُ بِذَاتِ شَكِّ مَوْثِقِ (٤)
جَدَلَاءَ يَحْفَظُهَا نِجَادًا مُهَنَّدَ صَافِي الْحَدِيدَةِ صَارِمِ ذِي رُونِقِ (٥)

- (١) المعمة : صوت النار فيما عظم وكثف من القصباء . والأباء : القصب وحدثها إباءة . وفي الأصل : الإناء . وما أثبتته عن ابن هشام . (٢) اللزاد : موضع بالمدينة حيث حفر الخندق .
(٣) السابغة : الدرع الوافية . وفصولها : أطرافها . والنهي : القدير . والمترق : صفة للنهي .
(٤) القتيير : رهوس مسامير الدرع . والجناد : الجراد . والشاك : المنسج .
(٥) الجدلاء : الدرع القوية القتل . ويحفظها : يرفعها ، وذلك أن الدرع إذا طالت فضولها ربطوها بنجاد سيف . والنجاد : حائل السيف .

تلكم مع التقوى تكون لباسنا
نصل السيوف إذا قصرن بخطونا
فترى الجاهم ضاحياً هاماتها
نلقى العدو بفخمة مملومة
ونعد للأعداء كل مقلص
تردى بفرسان كأن كماتهم
صدق بماطون الكاة حتوفهم
أمر الإله بربطها لصدوه
لتكون غيظاً للعدو وحيثاً
ويعيننا الله العزيز بقوة
ونطيع أمر نبيينا ونجيبه
ومتى ينادى للشدائد نأثها
من يتبع قول النبي فإنه
فبذاك ينصرنا ويظهر عزنا
إن الذين يكذبون محمداً

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك أيضاً :

لقد علم الأحزاب حين تألبوا
أضاميم من قيس بن عيلان أضفقت
علينا وراموا ديننا ما نواعد
وخفد لم يذروا بما هو واقع^(١)

(١) المعلن : الفرس الخفيف .

(٢) تردي : تسرع . والظل : المطر الضعيف . والاثق : ما يكون عن الظل من زلق وطين ، والأسد أجوع ما تكون وأجراً في ذلك الحين .

(٣) العاية : ظلمة الغبار . والوشيج : الرماح . والزرق : القاتل .

(٤) الأضاميم : واحدها أضامة ، وهو كل شيء مجتمع . وأصفت : اجتمعت .

يَذُودُونَنَا عَنْ دِينِنَا وَنَذُودُهُمْ عَنْ الْكُفْرِ وَالرَّحْمَنِ رَأْيٌ وَسَامِعُ
 إِذَا غَايَظُونَا فِي مَقَامِ أَعَانِنَا عَلَى غِيظِهِمْ نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَاسِعُ
 وَذَلِكَ حَفَظُ اللَّهِ فِينَا وَفَضْلُهُ عَلَيْنَا وَمَنْ لَمْ يَحْفَظِ اللَّهُ ضَائِعُ
 هَذَا لِلدِّينِ الْحَقِّ وَاخْتَارَهُ لَنَا وَلِلَّهِ فَوْقَ الصَّانِعِينَ صَنَائِعُ^(١)
 قال ابن هشام : وهذه الأبيات في قصيدة له - يعني طويلة -

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت في مقتل بني قريظة :

أَقْدَ لَقَيْتُ قُرَيْظَةً مَا سَاءَها وَمَا وَجَدْتُ لَذْلَ مِنْ نَصِيرِ
 أَصَابَهُمْ بَلَاءٌ كَانَ فِيهِ سِوَى مَا قَدْ أَصَابَ بَنِي النَّصِيرِ
 غَدَاةُ أَنَا هُمْ يَهْوَى إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ كَالْقَمَرِ الْمُنِيرِ
 لَهُ خَيْلٌ مُجَنَّبَةٌ تَعَادَى بَفَرَسَانِ عَلَيْهَا كَالصَّقُورِ
 تَرَكْنَاهُمْ وَمَا ظَفَرُوا بِشَيْءٍ دَمَاؤُهُمْ عَلَيْهَا كَالْعَبِيرِ
 فَهَمْ صَرَخَى تَحْوُمُ الطَّيْرِ فِيهِمْ كَذَلِكَ يُدَانُ ذُو الْعَنْدِ الْفَجُورِ
 فَأَنْزَرُ مِثْلَهَا نُصَجًا قَرِيشًا مِنَ الرَّحْمَنِ إِنْ قَبِلْتَ نَذِيرِي

قال : وقال حسان بن ثابت أيضاً في بني قريظة :

تَعَاقَدَ مَعْشَرٌ نَصَرُوا قَرِيشًا وَلَيْسَ لَهُمْ بِيَلَدَتِهِمْ نَصِيرُ
 هُمْ أَوْتُوا الْكِتَابَ فَضَيَّعُوهُ وَهُمْ عُغْيٌ مِنَ التَّوْرَةِ بُورُ
 كَفَرْتُمْ بِالْقُرْآنِ وَقَدْ أُتِيتُمْ بِتَصْدِيقِ الَّذِي قَالَ النَّذِيرُ
 فَهَانَ عَلَى سَرَاةِ بَنِي لُؤَيٍّ حَرِيقٌ بِالْبُؤَيْرَةِ مُسْتَطِيرُ

فأجابه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب فقال :

أَدَامَ اللَّهُ ذَلِكَ مِنْ صَنِيعِ وَحَرَّقَ فِي طَوَائِفِهَا السَّعِيرُ

(١) الأصل : صانع . وما أثبتته عن ابن هشام .

سَتَعْلَمُ أَبْنَانَا مِنْهَا بِنُزْمٍ وَتَعْلَمُ أَيْ أَرْضَيْنَا تَضِيرُ^(١)

فَلَوْ كَانَ النُّخَيْلُ بِهَارِكَابَا لَقَالُوا لَا مَقَامَ لَكُمْ فَسَيَرُوا

قلت : وهذا قاله أبو سفيان بن الحارث قبل أن يُسَلِّمَ ، وقد تقدم في صحيح البخاري بعض هذه الآيات .

وذكر ابن إسحاق جواب حسان في ذلك لجل بن جَوَّال الثعلبي تركناه قصداً .

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضاً يبكي سعداً وجماعة ممن استشهد

يوم بنى قريظة :

أَلَا يَا قَوْمِي هَلْ لَمَّا حُمَّ دَافِعُ	وهل ماضى من صالح العيش راجعُ
تَذَكَّرْتُ عَصراً قَدْ مَضَى فَتَهَافَنْتُ	بناتُ الحشَا واهلٌ مَنَى اللدَامِعُ
صَبَابَةٌ وَجَدٍ ذَكَّرْتَنِي إِخْوَةً	وَقَتْلَى مَضَى فِيهَا طُفَيْلٌ وَرَافِعُ
وَمَعْدَةٌ فَأَضْحَجُوا فِي الْجَنَانِ وَأَوْحَشَتْ	مَنَازِلَهُمْ فَلْأَرْضِ مِنْهُمْ بَلَّاقِعُ ^(٢)
وَقَوْا يَوْمَ بَدْرٍ لِلرَّسُولِ وَفَوْقَهُمْ	ظِلَالُ الْمَنَآيَا وَالسِّيُوفُ الْوَلَامِعُ
دَعَا فَأَجَابُوهُ بِحَقِّهِ وَكَلَّمَهُمْ	مَطِيعٌ لَهُ فِي كُلِّ أَمْرٍ وَسَامِعُ
فَمَا نَكَلُوا حَتَّى تَوَلَّوْا جَمَاعَةً	وَلَا يَقْطَعُ الْآجَالَ إِلَّا الْمَصَارِعُ
لَأَنَّهُمْ يَرْجُونَ مِنْهُ شِفَاعَةً	إِذَا لَمْ يَكُنْ إِلَّا النَّبِيُّونَ شَافِعُ
فَذَلِكَ يَا خَيْرَ الْعِبَادِ بِلَاؤُنَا	إِجَابَتُنَا اللَّهُ وَالْمَوْتُ نَاقِعُ
لَنَا الْقَدَمُ الْأُولَى إِلَيْكَ وَخَلَفْنَا	لَأَوَّلُنَا فِي مِلَّةِ اللَّهِ تَابِعُ
وَنَعْلَمُ أَنَّ الْمُلْكَ لِلَّهِ وَحْدَهُ	وَأَنْ قَضَاءَ اللَّهِ لَا بُدَّ وَاقِعُ

مقتل أبي رافع سَلَّام بن أبي الحَقِيق اليهودي لعنه الله
في قصر له في أرض خيبر ، وكان تاجراً مشهوراً بأرض الحجاز

قال ابن إسحاق : ولما انقضى شأنُ الخندق وأمر بنى قريظة ، وكان سَلَّام بن أبي الحَقِيق ، وهو أبو رافع ، فيمن حَزَبَ الأحزابَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت الأوسُ قبلَ أُحُدٍ قد قتلت كعبَ بن الأشرف فاستأذن الخزرجُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم في قتل سَلَّام بن أبي الحَقِيق وهو بخيبر فأذن لهم .

قال ابن إسحاق : فحدثني محمد بن مسلم الزُّهري ، عن عبد الله بن كعب بن مالك ، قال : وكان مما صَنَعَ الله لرسوله صلى الله عليه وسلم أن هذين الحَيَّين من الأنصار : الأوس والخزرج ، كانا يتصاولان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تصاولَ الفَحْلين ، لا تَصْنَعُ الأوسُ شيئاً فيه غَنَاءٌ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وقالت الخزرج : والله لا يذهبون بهذه فضلاً علينا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلا ينتهون حتى يوقعوا مثلها . وإذا فعلت الخزرج شيئاً قالت الأوس مثلَ ذلك .

قال : ولما أصابت الأوسُ كعبَ بن الأشرف في عداوته لرسول الله صلى الله عليه وسلم قالت الخزرج : والله لا يذهبون بها فضلاً علينا أبداً .

قال : فتذاكروا مَن رجلٌ لرسول الله صلى الله عليه وسلم في العداوة كابن الأشرف ؟ فذكروا ابنَ أبي الحَقِيق وهو بخيبر ، فاستأذنوا الرسول صلى الله عليه وسلم في قتله فأذن لهم .

فخرج من الخزرج من بنى سلمة خمسة نفر : عبد الله بن عَمِيك ، ومسعود بن سِنان ،

وعبد الله بن أنيس ، وأبو قتادة الحارث بن ربیع ، وخزاعي بن أسود حليف لهم من أسلم ، فخرجوا وأمر عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عتيك ، ونهاهم أن يقتلوا وليداً أو امرأة .

فخرجوا حتى إذا قدموا خيبر أتوا دار ابن أبي الحقيق ليلاً ، فلم يدعوا بيتاً في الدار حتى أغلقوه على أهلها . قال : وكان في عليّة له إليها عَجَلَة ^(١) قال : فأسندوا إليها حتى قاموا على بابها فاستأذنوا ، فخرجت إليهم امرأته ، فقالت : من أنتم ؟ قالوا : أناس من العرب نلتمس الميرة . قالت : ذاكم صاحبكم فادخلوا عليه . فلما دخلنا أغلقنا علينا وعليه الحجرة تحوطاً أن يكون دونه مجاورة تحول بيننا وبينه . قال : فصاحت امرأته فنوّهت بنا ، فابتدّرناه وهو على فراشه بأسيافنا ، فوالله ما يدلّنا عليه في سواد الليل إلا بياضه كأنه قُبْطِيّة ^(٢) مُلْفَاة . قال : فلما صاحت بنا امرأته جعل الرجل منا يرفع عليها سيفه ثم يذكر نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكفّ يده ، ولولا ذلك لفرغنا منها بليل . قال : فلما ضربناه بأسيافنا تحامل عليه عبد الله بن أنيس بسيفه في بطنه حتى أنفذه وهو يقول : قَطْنِي قَطْنِي . أَيْ حَسْبِي حَسْبِي .

قال : وخرجنا وكان عبد الله بن عتيك سيئ البصر ، قال : فوقع من الدرجة فوثّبت يده وثناً شديداً ^(٣) ، وحملناه حتى نأثى به منهراً من عيونهم فندخل فيه . فأوقدوا النيران واشتدوا في كل وجه يطلبوننا ، حتى إذا يئسوا رجعوا إليه فاكتنفوه وهو يَقْضَى .

قال : فقلنا : كيف لنا بأن نعلم بأن عدو الله قد مات ؟ قال : فقال رجل منا : أنا أذهب فأنظر لكم . فانطلق حتى دخل في الناس قال : فوجدتها - يعني امرأته -

(١) العلية : الغرفة : والعجلة : الدرج من النخل .

(٢) القبطية : ثياب بيض كانت تصنع بمصر .

(٣) وثّبت : فكّت ، أو أصابها وجع بلا كسر . وفي الأصل : وثبت . وما أثبتته عن ابن هشام .

ورجال يهود حوله وفي يدها المصباح تنظر في وجهه وتحديثهم وتقول : أما والله قد سمعتُ صوت ابن عتيك ثم أكذبتُ نفسي وقلت : أنى ابن عتيك بهذه البلاد ! ثم أقبلت عليه تنظر في وجهه فقالت : فاذ (١) . والله يهود . فما سمعتُ كلمة كانت ألدَّ على نفسي منها .

قال : ثم جاءنا فأخبرنا فاحتملنا صاحبنا وقد منّا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرناه بقتل عدو الله ، واختلافنا عنده في قتله كلنا يدعيه . قال : فقال : هاتوا أسياكم . فجئنا بها فنظر إليها ، فقال لسيف عبد الله بن أنيس : هذا قتله ، أرى فيه أثر الطعام .

قال ابن إسحاق : فقال حسان بن ثابت في ذلك :

لله دَرٌّ عَصَابَةٌ لَا قِيَتَهُم يَا ابْنَ الْحَقِيقِ وَأَنْتَ يَا ابْنَ الْأَشْرَفِ
يَسْرُونَ بِالْبَيْضِ الْخِلَافِ إِلَيْكُمْ مَرَحًا كَأَسَدٍ فِي عَرَيْنٍ مُغْرَفٍ (٢)
حَتَّى أَتَوْكُمْ فِي مَحَلِّ بِلَادِكُمْ فَسَقَوْكُمْ حَتْفًا بَيْضَ دُفْفٍ
مُسْتَبْصِرِينَ لِنَصْرِ دِينِ نَبِيِّهِمْ مُسْتَصْفِرِينَ لِكُلِّ أَمْرٍ يُجْحَفِ
هَكَذَا أورد هذه القصة الإمام محمد بن إسحاق رحمه الله .

وقد قال الإمام أبو عبد الله البخاري : حدثنا إسحاق بن نصر ، حدثنا يحيى بن آدم ، حدثنا ابن أبي زائدة ، عن أبيه ، عن أبي إسحاق ، عن البراء بن عازب قال : بعث النبي صلى الله عليه وسلم رهطاً إلى أبي رافع فدخل عليه عبد الله بن عتيك يده ليلاً وهو نائم فقتله .

قال البخاري : حدثنا يوسف بن موسى ، حدثنا عبد الله بن موسى ، عن

(١) فاذ : مات . (٢) مغرف : ذو شجر كثير ملتف .

إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن البراء قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي رافع اليهودي رجلاً من الأنصار وأمر عليهم عبد الله بن عتيك ، وكان أبو رافع يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعين عليه ، وكان في حصن له بأرض الحجاز ، فلما دنوا منه وقد غربت الشمس وراح الناس بسرّحهم قال عبد الله : اجلسوا مكانكم فإني منطلق متلطّف للبواب لعلّي أن أدخل . فأقبل حتى دنا من الباب ثم تقنّع بشوبه كأنه يقضى حاجته وقد دخل الناس ، فهتف به البواب : يا عبد الله إن كنت تريد أن تدخل فادخل فإني أريد أن أغلق الباب . فدخلت فكمّنت ، فلما دخل الناس أغلق الباب ثم علّق الأغاليق على وَدٍّ^(١) قال : قممت إلى الأقاليد وأخذتها وفتحت الباب ، وكان أبو رافع يَسْمُر عنده وكان في علالي له ، فلما ذهب عنه أهل سمره صعدت إليه ، فجعلت كلما فتحت باباً أغلقت على من داخل ، فقلت : إن القوم نذروا بي^(٢) لم يخلصوا إلىّ حتى أقتله . فأنهيت إليه فإذا هو في بيت مظلم وسط عياله لا أدرى أين هو من البيت قلت : أبا رافع . قال : من هذا ؟ . فأهويت نحو الصوت فأضربه بالسيف ضربة وأنا دَهِش ، فما أغنيت شيئاً ، وصاح فخرجت من البيت فأمكنث غير بعيد ، ثم دخلت إليه فقلت : ما هذا الصوت يا أبا رافع ؟ فقال : لأملك الويل إن رجلاً في البيت [ضربني^(٣)] قبل بالسيف . قال : فأضربه ضربة أنخنته ولم أقتله ، ثم وضعت صبيب^(٤) السيف في بطنه حتى أخذ في ظهره ، فعرفت أني قتلتها ، فجعلت أفتح الأبواب باباً باباً حتى انتهيت إلى درجة له فوضعت رجلي وأنا أرى أني قد انتهيت ، فوقعت في ليلة مقمرة فاندكسرت ساق فصبّتها بعمامة حتى انطلقت حتى جلست على الباب فقات : لا أخرج الليلة حتى أعلم أقتلته . فلما صاح الديك قام الناعى على السور فقال : أنعى أبا رافع ناصر أهل

(١) الود : الوند ، أدغم التاء بعد قلبها دالا .

(٢) نذروا : علموا . وفي الأصل : سدروا لي . وما أثبتته عن صحيح البخاري ٢١٤/٢ .

(٣) من صحيح البخاري ٢١٥/٢ .

(٤) الصبيب : طرف السيف .

الحِجَارَ . فَانْطَلَقْتُ إِلَى أَصْحَابِي فَقُلْتُ : النِّجَاءُ فَقَدْ قَتَلَ اللَّهُ أَبَا رَافِعٍ . فَانْتَهَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَخَدِثْتُهُ فَقَالَ : ابْسُطْ رِجْلَكَ . فَبَسَطْتُ رِجْلِي فَسَحَّهَا فَكَأَنَّمَا لَمْ أَشْتَكُمَا قَطْ .

قَالَ الْبُخَارِيُّ : حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَمَّانَ بْنُ حَكِيمٍ الْأَوْدِيُّ ، حَدَّثَنَا شُرَيْحٌ ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ يَوْسُفَ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ سَمِعْتَ الْبَرَاءَ ، قَالَ : بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى أَبِي رَافِعٍ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ عَتِيكَ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنُ عُتْبَةَ فِي نَاسٍ مَعَهُمْ ، فَاَنْطَلَقُوا حَتَّى دَنَوْا مِنَ الْحَصَنِ ، فَقَالَ لَهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَتِيكَ : امْكُثُوا أَنْتُمْ حَتَّى أَنْطَلِقَ أَنَا فَأَنْظُرْ . قَالَ : فَتَلَطَّفْتُ حَتَّى أَدْخَلَ الْحَصْنَ ، فَفَقَدُوا حِمَارًا لَهُمْ فَخَرَجُوا بِقَبَسٍ يَطْلُبُونَهُ . قَالَ : فَخَشِيتُ أَنْ أَعْرِفَ قَالَ : فَطَطِيتُ رَأْسِي وَجَلَسْتُ كَأَنِّي أَقْضِي حَاجَةً فَقَالَ ^(١) : مَنْ أَرَادَ أَنْ يَدْخُلَ فَلْيَدْخُلْ قَبْلَ أَنْ أَغْلِقَهُ . فَدَخَلْتُ ثُمَّ اخْتَبَأْتُ فِي مَرْبُطِ حِمَارٍ عِنْدَ بَابِ الْحَصَنِ ، فَتَعَمَّشُوا عِنْدَ أَبِي رَافِعٍ وَتَحَدَّثُوا حَتَّى ذَهَبَ سَاعَةٌ مِنَ اللَّيْلِ ، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَى بِيُوتِهِمْ .

فَلَمَّا هَدَّاتِ الْأَصْوَاتُ وَلَا أَسْمَعُ حَرَكَةً خَرَجْتُ . قَالَ : وَرَأَيْتُ صَاحِبَ الْبَابِ حَيْثُ وَضَعَ مِفْتَاحَ الْحَصَنِ فِي كَوَّةٍ ، فَأَخَذَتْهُ . فَفَتَحَتْ بِهِ بَابَ الْحَصَنِ قَالَ : قُلْتُ : إِنْ نَذَرْتُ الْقَوْمُ أَنْطَلَقْتُ عَلَى مَهْلٍ . ثُمَّ عَمَدْتُ إِلَى أَبْوَابِ بِيُوتِهِمْ فَفَلَقْتُهَا عَلَيْهِمْ مِنْ ظَاهِرٍ .

ثُمَّ صَعَدْتُ إِلَى أَبِي رَافِعٍ فِي سُلَّمٍ فَإِذَا الْبَيْتُ مَظْلَمٌ قَدْ طَفِيَ سِرَاجُهُ ، فَلَمْ أَذَرِ أَيْنَ الرَّجُلُ ، فَقُلْتُ : يَا أَبَا رَافِعٍ . قَالَ : مِنْ هَذَا ؟ فَعَمَدْتُ نَحْوَ الصَّوْتِ فَأَضْرَبُهُ ، وَصَاحَ فَلَمْ تَنْفَن شَيْئًا . قَالَ : ثُمَّ جِئْتُهُ كَأَنِّي أَغْيِثُهُ فَقُلْتُ : مَالِكُ يَا أَبَا رَافِعٍ . وَغَيَّرْتُ صَوْتِي قَالَ : لَا أُعْجِبُكَ ^(٢) لَأَمْكُ الْوَيْلُ ! دَخَلَ عَلَى رَجُلٍ فَضَرَبَنِي بِالسَّيْفِ . قَالَ : فَعَمَدْتُ إِلَيْهِ

أيضا فأضر به أخرى فلم تفن شيئا ، فصاح وقام أهله . ثم جثت وغيرت صوتي كهيئة المغيث فإذا هو مستلق على ظهره فأضع السيف في بطنه ثم أنكفي عليه حتى سمعت صوت العظم ، ثم خرجت دهشاً حتى أتيت السلم أريد أن أنزل فأسقط منه ، فأنحامت رجلي فمصبتها ، ثم أتيت أصحابي أحجل . فقلت : انطلقوا فبشروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأني لا أبرح حتى أسمع الناعية . فلما كان في وجه الصبح صعد الناعية فقال : أنمي أبا رافع . قال : فقمتم أمشي ما بي قلباً^(١) فأدركت أصحابي قبل أن يأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فبشروته .

تفرد به البخاري بهذه السياقات من بين أصحاب الكتب الستة . ثم قال : قال الزهري : قال أبي بن كعب : قد قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر فقال : أفلحت الوجوه . قالوا : أفلح وجهك يا رسول الله . قال : أفتمكتموه ؟ قالوا : نعم . قال : ناولني السيف . فسله فقال : أجل هذا طعامه في ذباب السيف .

قلت : يحتمل أن عبد الله بن عتيك لما سقط من تلك الدرجة انفكت قدمه وانكسرت ساقه ووئدت^(٢) رجله ، فلما عصبها استكن ما به لما هو فيه من الأمر الباهر ، ولما أراد المشي أعين على ذلك لما هو فيه من الجهاد النافع ، ثم لما وصل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم واستقرت نفسه ثاوره الوجع في رجله ، فلما بسط رجله ومسح رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب ما كان بها من بأس في الماضي ولم يبق بها وجع يتوقع حصوله في المستقبل ، جمعاً بين هذه الرواية والتي تقدمت . والله أعلم .

هذا ، وقد ذكر موسى بن عقبة في مغازيه مثل سياق محمد بن إسحاق ، وسمى الجماعة الذين ذهبوا إليه كما ذكره ابن إسحاق وإبراهيم وأبو عبيد .

(١) القلب : العلة والداء . (٢) الأصل : وثبت . وهو تحريف .

مقتل خالد بن سفيان بن نُبَيْح الهذلي

ذكره الحافظ البيهقي في الدلائل تلوه مقتل أبي رافع .

قال الإمام أحمد : حدثنا يعقوب ، حدثنا أبي ، عن ابن إسحاق ، حدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن ابن عبد الله بن أنيس ، عن أبيه قال : دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إنه قد بشني أن خالد بن سفيان بن نُبَيْح الهذلي يجمع لي الناس ليفزوني وهو بعرة ، فأنته فقتله . قال : قلت : يا رسول الله انعمه لي حتى أعرفه . قال : إذا رأيته وجدت له قشعيرة .

قال : فخرجت متوشحاً سبي حتى وقعت عليه وهو بعرة مع طعن يرتاد لمن منزلاً وحين كان وقت العصر ، فلما رأيته وجدت ما وصف لي رسول الله صلى الله عليه وسلم من القشعيرة ، فأقبلت نحوه وخشيت أن يكون بيني وبينه مجادلة تشغاني عن الصلاة ، فصليت وأنا أمشي نحوه ، أومئ برأسي للركوع والسجود ، فلما انتهيت إليه قال : من الرجل ؟ قلت : رجل من العرب سمع بك وبجمعك لهذا الرجل فجاءك لذلك . قال : أجل أنا في ذلك . قال : فشيت معه شيئاً حتى إذا أمكنني حملت عليه السيف حتى قتلت ، ثم خرجت وتركت ظعائنه مكبات عليه .

فلما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرآني قال : أفلح الوجه . قال : قلت : قتلته يا رسول الله . قال : صدقت . قال : ثم قام معي رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل في بيته فأعطاني عصا فقال : أمسك هذه عندك يا عبد الله بن أنيس . قال : فخرجت بها على الناس فقالوا : ما هذه العصا ؟ قال : قلت : أعطانيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمرني أن أمسكها . قالوا : أو لا ترجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتسأله عن ذلك . قال : فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله لم أعطيتني

هذه العصا ؟ قال : آيةٌ بيني وبينك يوم القيامة إن أقلّ الناس المتخصّرون^(١) يومئذ .
قال : فقرّنها عبد الله بسيفه ، فلم تزل معه حتى إذا مات أمر بها فضُمت في كفنه
ثم دفنا جميعاً .

ثم رواه الإمام أحمد عن يحيى بن آدم ، عن عبد الله بن إدريس ، عن محمد بن
إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ، عن بعض ولد عبد الله بن أنيس ، أو قال : عن
عبد الله بن عبد الله بن أنيس ، عن عبد الله بن أنيس فذكر نحوه .

وهكذا رواه أبو داود ، عن أبي مَعمر ، عن عبد الوارث ، عن محمد بن إسحاق ،
عن محمد بن جعفر ، عن عبد الله بن أنيس ، عن أبيه . فذكر نحوه . ورواه الحافظ البيهقي
من طريق محمد بن سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عبد الله
ابن عبد الله بن أنيس ، عن أبيه . فذكره .

وقد ذكر قصته عروة بن الزبير وموسى بن عقبة في مغازيهما رسالةً . قاله أعلم .
قال ابن هشام : وقال عبد الله بن أنيس في قتله خالد بن سفيان :

تركتُ ابنَ ثورٍ كالحوارِ وحوله	نوائحُ تفرى كلَّ جيبٍ مُقدّرٍ ^(٢)
تناولتهُ والظعنُ خلفه	بأبيض من ماء الحديدِ المهذّرِ
عَجُومٍ لِهَامِ الدارينِ كأنه	شهابٌ غَضِيٌّ من هُلبٍ مُتوقّدٍ ^(٣)
أقول له والسيفُ يعجّمُ رأسه	أنا ابن أنيس فارسٌ غيرُ قعدُرٍ
أنا ابن الذي لم يُنزل الدهرُ قدره	رَحيبٌ فِناء الدار غيرِ مزَنَدٍ ^(٤)
وقلت له خذها بضربةٍ ماجدٍ	خفيفٍ على دين النبي محمدٍ
وكنت إذا همّ النبيُّ بكافرٍ	سبقت إليه باللسان وباليدِ

(١) المتخصرون : المتكثرون على المحاصر ، جمع غصرة ، وهي ما عسك الإنسان بيده من عصا ونحوها .

(٢) الحوار : ولد الناقة إلى أن يفصل عن أمه . وتفرى : تقطع .

(٣) عجوم : مختبر . والقعدد : الجبان . (٤) المزند : البخيل الضيق .

قلت : عبد الله بن أنيس بن حرام أبو يحيى الجهني صحابي مشهور كبير القدر ، كان فيمن شهد العقبة ، وشهد أحداً والخندق وما بعد ذلك ، وتأخر موته بالشام إلى سنة ثمانين على المشهور . وقيل توفي سنة أربع وخمسين . والله أعلم .

وقد فرق علي بن الزبير وخليفة بن خياط بين عبد الله بن أنيس أبي عيسى الأنصاري ، الذي روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه دعا يوم أحد بإداوة فيها ماء فخلّ فيها وشرب منها ، كما رواه أبو داود والترمذي من طريق عبد الله العمري ، عن عيسى بن عبد الله بن أنيس عن أبيه . ثم قال الترمذي : وليس إسناده يصح ، وعبد الله العمري ^(١) ضعيف من قبل حفظه .

(١) هو عبد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب ، العمري . وهو ضعيف غلب عليه الصلاح فلم يحفظ وكثر الخطأ في روايته . الباب ١٥٣/٢ .

قصة عمرو بن العاص مع النجاشي بعد وقعة الخندق

وإسلامه

قال محمد بن إسحاق بعد مقتل أبي رافع .

وحدثني يزيد بن أبي حبيب ، عن راشد مولى حبيب بن أوس الثقي ، عن حبيب ابن أوس ، حدثني عمرو بن العاص من فيه قال : لما انصرفنا يوم الأحزاب عن الخندق جمعتُ رجالاً من قريش كانوا يرون رأيي ويسمعون مني ، فقلت لهم : تعلمون والله أني أرى أمر محمد يعلو الأمور علواً منكراً ، وإني لقد رأيت أمراً فأترون فيه ؟ قالوا : وما رأيت ؟

قال : رأيت أن نلحق بالنجاشي فنكون عنده ، فإن ظهر محمدٌ على قومنا كنّا عند النجاشي ، فإننا إن كنّا تحت يديه أحبُّ إلينا من أن نكون تحت يدي محمد ، وإن ظهر قومنا فنحن من قد عرفوا فلن يأتينا منهم إلا خير .

قالوا : إن هذا الرأي . قلت : فاجمعوا لنا ما نهدي له . فكان ^(١) أحب ما يهدي إليه من أرضنا الأدم ^(٢) ، فجمعنا له أدماً كثيراً .

ثم خرجنا حتى قدمنا عليه . فوالله إنا لعنده إذ جاءه عمرو بن أمية الضمري وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعثه إليه في شأن جعفر وأصحابه .

قال : فدخل عليه ثم خرج من عنده . قال : فقلت لأصحابي : هذا عمرو بن أمية ،

(٢) الأدم : الجلد أو أحره ، أو المصبوغ منه .

(١) ابن هشام : وكان .

لو قد دخلتُ على النجاشي فسأله إياه فأعطانيه فضربتُ عنقه ، فإذا فعلتُ رأيتُ قريشُ
أنى قد أجزأتُ عنها حين قتلْتُ رسولَ محمد .

قال : فدخلتُ عليه فسجدتُ له كما كنتُ أصنع . فقال : مرحبا بصديقي ، هل
أهديتَ لى من بلادك شيئا ؟ قال : قلتُ : نعم أيها الملك ، قد أهديتُ لك أدما كثيرا .
قال : ثم قربته إليه فأعجبته واشتهاه . ثم قلتُ له : أيها الملك إني قد رأيتُ رجلا خرج من
عندك ، وهو رسول رجل عدو لنا ، فأعطنيه لأقتله ، فإنه قد أصاب من
أشرافنا وخيارنا .

قال : فغضب ثم مدَّ يده فضرب بها أنفه ضربةً ظننتُ أنه قد كسره ، فلو انشقت
الأرض لدخلتُ فيها فرقا !

ثم قلتُ : أيها الملك والله لو ظننتُ أنك تكره هذا ما سألتُكه .
قال : أنسألني أن أعطيك رسولَ رجل يأتيه الناموسُ الأكبر الذي كان يأتي
موسى فنتقتله ؟

قال : قلتُ : أيها الملك أ كذاك هو ؟ قال : ويحك يا عمرو أ طعني واتبعه ، فإنه
والله أعلمُ الحق ، وليظهرنَّ على من خالفه كما ظهر موسى بن عمران على فرعون وجنوده .
قال : قلتُ : أفتبأي معنى له على الإسلام ؟ قال : نعم . فبسط يده فبأي معته
على الإسلام .

ثم خرجتُ على أصحابي وقد حال رأيي عما كان عليه ، وكتمتُ أصحابي إسلامي ،
ثم خرجتُ عامداً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لأسلم ، فلقيتُ خالد بن الوليد وذلك
قبيل الفتح ، وهو مقبل من مكة فقلتُ : أين أبا سليمان ؟ فقال : والله لقد استقام الميسم^(١)

(١) الميسم : المسكوة . وهو أثر الحسن أيضا . ورواية أبي ذر : في شرح السيرة : المنسم بالنون .
قال : « ومعناه : تبين الطريق ووضح » .

وإن الرجل لَنبيٍّ ، أذهبُ واللهُ أُسلمُ فحتى متى ! قال : قلت : والله ما جئت إلا لأسلم .

قال : فقد منّا المدينة على النبي صلى الله عليه وسلم فيقدم خالد بن الوليد فأسلم وبايع ، ثم دنوت فقلت : يا رسول الله إني أبايعك على أن تغفر لي ما تقدم من ذنبي ، ولا أذكر ما تأخر .

قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا عمرو بايع فإن الإسلام يحبُّ ما كان قبله ، وإن الهجرة تحبُّ ما كان قبلها .
قال : فبايعته ثم انصرفت .

قال ابن إسحاق : وقد حدثني من لا أتهم أن عثمان بن طلحة بن أبي طلحة كان معهما ، أسلم حين أسلما ، فقال عبد الله بن أبي الزُبَيْر السَّهْمِي :

أَنشَدُ عُثْمَانَ بْنَ طَلْحَةَ خَلَفْنَا وَمُلَقَى نَعَالِ الْقَوْمِ عِنْدَ الْمُقْبَلِ (١)
وَمَا عَقَدَ الْآبَاءُ مِنْ كُلِّ حِلْفَةٍ وَمَا خَالِدٌ مِنْ مِثْلِهَا بِمَحَلِّ
أَمْفِتَاحِ بَيْتٍ غَيْرِ بَيْتِكَ تَبْتَغِي وَمَا تَبْتَغِي مِنْ بَيْتٍ بِمَجْدٍ مُؤَثَّلٍ (٢)
فَلَا تَأْمَنَنَّ خَالِدًا بَعْدَ هَذِهِ وَعُثْمَانَ جَاءَا بِالْأُدْهَمِ الْمُعْضَلِ (٣)

قلت : كان إسلامهم بعد الحديبية ، وذلك أن خالد بن الوليد كان يومئذ في خيل المشركين كما سيأتي بيانه ، فكان ذكر هذا الفصل في إسلامهم بعد ذلك أنسب ، ولكن ذكرنا ذلك تبعا للإمام محمد بن إسحاق رحمه الله تعالى ، لأن أول ذهاب عمرو ابن العاص إلى النجاشي كان بعد وقعة الخندق ، [و] الظاهر أنه ذهب بقية سنة خمس . والله أعلم .

(٢) ابن هشام : من مجد بيت مؤثّل .

(١) خلفنا : كذا بالأصل ، ولعلها : خلفنا .

(٣) الدهيم : الداهية .

فصل

في تزويج النبي صلى الله عليه وسلم بأم حبيبة بنت أبي سفيان

ذكر البيهقي بعد وقعة الخندق من طريق السكبي عن أبي صالح عن ابن عباس في قوله تعالى : « عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة » قال : هو تزويج النبي صلى الله عليه وسلم بأم حبيبة بنت أبي سفيان ، فصارت أم المؤمنين وصار معاوية خال المؤمنين .

ثم قال البيهقي : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، حدثنا أحمد بن نجيدة ، حدثنا يحيى ابن عبد الحميد ، أنبأنا ابن المبارك ، عن معمر ، عن الزهري ، عن عروة ، عن أم حبيبة أنها كانت عند عبيد الله بن جحش ، وكان رَحَلَ إلى النجاشي فمات ، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج بأم حبيبة وهي بأرض الحبشة وزوجها إياه النجاشي ومهرها أربعة آلاف درهم ، وبعث بها مع شُرْحَبِيل بن حَسَنَة وجهازها من عنده وما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء . قال : وكان مهور أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أربعائة .

قلت : والصحيح أن مهور أزواج النبي صلى الله عليه وسلم كانت ثلثي عشرة أوقية ونشأ ، والوقية أربعون درهما ، والنش النصف . وذلك يعدل خمسمائة درهم .

ثم روى البيهقي من طريق ابن لهيعة عن أبي الأسود ، عن عروة أن عبيد الله بن جحش مات بالحبشة نصرانيا ، فخلف على زوجته أم حبيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وزوجها منه عثمان بن عفان رضي الله عنه .

قلت : أما تنصّر عبيد الله بن جحش فقد تقدم بيانه ، وذلك على أثر ما هاجر مع

المسلمين إلى أرض الحبشة استنزله الشيطان فزين له دين النصراني فصار إليه حتى مات ، عليه لعنة الله . وكان يعيّر المسلمين فيقول لهم : أبصرنا وصأصأتم . وقد تقدم شرح ذلك في هجرة الحبشة (١) .

وأما قول عروة : إن عثمان زوّجها منه . فغريب ، لأن عثمان كان قد رجع إلى مكة قبل ذلك ، ثم هاجر إلى المدينة وصحبته زوجته رقية كما تقدم . والله أعلم .

والصحيح ما ذكره يونس ، عن محمد بن إسحاق قال : بلغني أن الذي ولي نكاحها ابنُ عمها خالد بن سعيد بن العاص .

قلت : وكان وكيل رسول الله صلى الله عليه وسلم في قبول العقد أضحمة النجاشي ملك الحبشة ، كما قال يونس عن محمد بن إسحاق ، حدثني أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي فزوّجه أمّ حبيبة بنت أبي سفيان وساق عنه أربع مائة دينار .

وقال الزبير بن بكار : حدثني محمد بن الحسن ، عن أبيه ، عن عبد الله بن عمرو بن زهير ، عن إسماعيل بن عمرو ، أن أم حبيبة بنت أبي سفيان قالت : ما شعرت وأنا بأرض الحبشة إلا برسول النجاشي ، جارية يقال لها أبرهة كانت تقوم على ثيابه ودهنه فاستأذنت عليّ فأذنت لها ، فقالت : إن الملك يقول لك : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب إليّ أن أزوجك . فقلت : بشرك الله بالخير . وقالت : يقول لك الملك : وكلّي من يزوجك .

قالت : فأرسلتُ إلى خالد بن سعيد بن العاص فوكلته ، وأعطيت أبرهة سوارين

من فضة وخذمتين ^(١) من فضة كانتا على وخواتيم من فضة في كل أصابع رجلى ، سروراً بما بشرتني به .

فلما أن كان من العشي أمر النجاشي جعفر بن أبي طالب ومن كان هناك من المسلمين أن يحضروا ، وخطب النجاشي وقال : الحمد لله الملك القدوس المؤمن العزيز الجبار ، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وأنه الذي بشر به عيسى بن مريم . أما بعد فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم طلب أن أزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان فأجبت إلى مادعا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد أصدقها أربعمئة دينار . ثم سكب الدنانير بين يدي القوم .

فتكلم خالد بن سعيد فقال : الحمد لله أحسنه وأستغفره ، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون . أما بعد ، فقد أجبت إلى مادعا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوجته أم حبيبة بنت أبي سفيان ، فبارك الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

ودفع النجاشي الدنانير إلى خالد بن سعيد فقبضها ، ثم أرادوا أن يقوموا فقال : اجلسوا فإن من سنة الأنبياء إذا تزوجوا أن يؤكل طعاماً على التزويج . فدعا بطعام فأكلوا ثم تفرقوا .

قلت : فلعل عمرو بن العاص لما رأى عمرو بن أمية خارجاً من عند النجاشي بعد الخندق إنما كان في قضية أم حبيبة . فالله أعلم .

لكن قال الحافظ البيهقي : ذكر أبو عبد الله بن منده أن تزويجه عليه السلام بأم حبيبة كان في سنة ست ، وأن تزويجه بأم سلمة كان في سنة أربع .

(١) الخدمة في الأصل : سمة للابل .

قلت : وكذا قال خليفة وأبو عبيد الله معمر بن المنثري وابن البرقي ، وأن تزويج أم حبيبة كان في سنة ست . وقال بعض الناس : سنة سبع . قال البيهقي : هو أشبه .
قلت : قد تقدم تزويجه عليه السلام بأم سلمة في أواخر سنة أربع ، وأما أم حبيبة فيحتمل أن يكون قبل ذلك ، ويحتمل أن يكون بعده ، وكونه بعد الخندق أشبه ، لما تقدم من ذكر عمرو بن العاص أنه رأى عمرو بن أمية عند النجاشي ، فهو في قضيتها والله أعلم .

وقد حكى الحافظ ابن الأثير في الغابة عن قتادة ، أن أم حبيبة لما هاجرت من الحبشة إلى المدينة خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم وتزوجها .
وحكى عن بعضهم أنه تزوجها بعد إسلام أبيها بعد الفتح ، واحتج هذا القائل بما رواه مسلم من طريق عكرمة بن عمار اليماني عن أبي زُمَيْل سَمَّاك بن الوليد ، عن ابن عباس أن أبا سفيان قال : يارسول الله ثلاث أعطينهن . قال : نعم . قال : تؤمّرنى على أن أقاتل الكفار كما كنت أقاتل المسلمين . قال : نعم . قال : ومعاوية تجعله كاتباً بين يديك . قال : نعم . قال : وعندى أحسن العرب وأجمله أم حبيبة بنت أبي سفيان أزوجكم . الحديث بتمامه .

قال ابن الأثير : وهذا الحديث مما أنكر على مسلم ، لأن أبا سفيان لما جاء يحدد العقد قبيل الفتح دخل على ابنته أم حبيبة فنذت عنه فراش النبي صلى الله عليه وسلم فقال : والله ما أدري أرغبت بي عنه أو به عني ؟ قالت : بل هذا فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت رجل مشرك . فقال : والله لقد أصابك بعدى يابنية شرٌّ . وقال ابن حزم : هذا الحديث وضعه عكرمة بن عمار ، وهذا القول منه لا يتابع عليه .
وقال آخرون : أراد أن يحدد العقد لما فيه بغير إذنه من الفضاضة عليه . وقال بعضهم : لأنه اعتقد انفساخ نكاح ابنته بإسلامه .

وهذه كلها ضعيفة ، والأحسن في هذا أنه أراد أن يزوجه ابنته الأخرى عمرة لما رأى في ذلك من الشرف له واستعان بأختها أم حبيبة كما في الصحيحين . وإنما وهم الراوى في تسميته أم حبيبة وقد أوردنا لذلك خبراً مفرداً .

قال أبو عبيد القاسم بن سلام : توفيت أم حبيبة سنة أربع وأربعين . وقال أبو بكر بن أبي خيثمة : توفيت قبل معاوية بسنة . وكانت وفاة معاوية في رجب سنة ستين .

تزوجها عليه السلام بزَيْنَب بنت جحش

ابن رثاب بن يعمر بن صبرة بن مُرَّة بن كَعب بن غَهم بن دُودان بن أسد بن خزيمه الأسديَّة أم المؤمنين . وهى بنت أميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت قبله عند مولاه زيد بن حارثة رضى الله عنه .

قال قتادة والواقدي وبعض أهل المدينة : تزوجها عايه السلام سنة خمس ، زاد بعضهم في ذى القعدة . قال الحافظ البيهقي : تزوجها بعد بنى قريظة . وقال خليفة بن خياط وأبو عبيدة معمر بن المثنى وابن منده : تزوجها سنة ثلاث . والأول أشهر وهو الذى سلكه ابن جرير وغير واحد من أهل التاريخ .

وقد ذكر غير واحد من المفسرين والفقهاء وأهل التاريخ في سبب تزويجه إياها عايه السلام حديثاً ذكره أحمد بن حنبل في مسنده تركنا إيراد قصداً لئلا يضعه من لا يفهم على غير موضعه .

وقد قال الله تعالى في كتابه العزيز : « وإذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفى في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه ، فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطراً وكان أمر الله مفعولاً . ما كان على

النبي من جرج فيما فرض الله له ، سنة الله في الذين خلوا من قبل وكان أمر الله قدراً مقدوراً » (١) .

وقد تسكأنا على ذلك في التفسير بما فيه كفاية .

فالمراد بالذي أنعم الله عليه ها هنا زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنعم الله عليه بالإسلام ، وأنعم عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعق وزوجه بآبنة عمه زينب بنت جحش .

قال مقاتل بن حبان : وكان صداقه لها عشرة دنانير وستين درهماً وخاراً ومِلْحَفَةً ودرعاً وخمسين مُدّاً وعشرة أمداد من تمر ، فكثت عنده قريباً من سنة أو فوقها ، ثم وقع بينهما فجاء زوجها يشكو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان صلى الله عليه وسلم يقول له : اتق الله وأمسك عليك زوجك .

قال الله : « وتخفى في نفسك ما الله مبديه » قال علي بن الحسين زين العابدين والسدي : كان [رسول] الله قد علم أنها ستكون من أزواجه ، فهو الذي كان في نفسه عليه السلام . وقد تكلم كثير من السلف ها هنا بآثار غريبة ، وبعضها فيه نظر تركناها .

قال الله تعالى : « فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها » ذلك أن زيدا طلقها ، فلما انقضت عدتها بعث إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم يخاطبها إلى نفسها ثم تزوجها ، وكان الذي زوجها منه رب العالمين تبارك وتعالى ، كما ثبت في صحيح البخاري عن أنس ابن مالك ، أن زينب بنت جحش كانت تفخر على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فتقول : زوّجكن أهليـكن وزوجني الله من فوق سبع سموات .

وفي رواية من طريق عيسى بن طهمان عن أنس ، قال : كانت زينب تفخر على

نساء النبي صلى الله عليه وسلم وتقول : أنكحني الله من السماء . وفيها أنزلت آية الحجاب « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بَيْوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَظِيرٍ إِنَّهُ » الآية .

وروى البيهقي من حديث حماد، بن زيد عن ثابت، عن أنس، قال : جاء زيد يشكو زينب ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : اتق الله وأمسك عليك زوجك . قال أنس : فلو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كاتماً شيئاً لسكرتم هذه ، فكانت تفخر على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم تقول : زوّجكن أهليكن وزوّجني الله من فوق سبع سماوات . ثم قال : رواه البخاري عن أحمد ، عن محمد بن أبي بكر المقدسي ، عن حماد بن زيد .

ثم روى البيهقي من طريق عفان ، عن حماد بن زيد، عن ثابت عن أنس ، قال : جاء زيد يشكو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من زينب بنت جحش ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أمسك عليك أهلك . فنزلت : « وَتَخْفَى فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ » .

ثم قال : [رواه] البخاري : عن محمد بن عبد الرحيم ، عن معلى بن منصور ، عن محمد مختصراً . وقال ابن جرير : حدثنا ابن حميد، حدثنا جرير عن مغيرة، عن الشعبي قال : كانت زينب تقول للنبي صلى الله عليه وسلم : إني لأدل عليك بثلاث، ما من نسائك امرأة تُدُلُّ بهن ، أن جدى وجدك واحد ، تعنى عبد المطلب ، فإنه أبو أبى النبي صلى الله عليه وسلم وأبو أمها أئمة بنت عبد المطلب ، وأنى أنكحنيك الله عز وجل من السماء ، وأن السفير جبريل عليه السلام .

وقال الإمام أحمد : حدثنا هاشم - يعنى ابن القاسم - حدثنا النضر ، حدثنا سليمان ابن المنيرة ، عن ثابت ، عن أنس قال : لما انقضت عدة زينب قال النبي صلى الله عليه وسلم لزيد : اذهب فاذكرها على . فانطلق حتى أتاها وهي تخمر عجبها، قال : فلما رأيتهما

عَظُمَتْ فِي صَدْرِي حَتَّى مَا اسْتَطِيعَ أَنْ أَنْظَرَ إِلَيْهَا ، أَنْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَكَرَهَا ، فَوَلَّيْتُهَا ظَهْرِي وَنَكَصْتُ عَلَى عَقْبِي . وَقُلْتُ : يَا زَيْنَبُ أَبْشِرِي ، أَرْسَلَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَذْكُرُكَ . قَالَتْ : مَا أَنَا بِصَانَعَةِ شَيْئَا حَتَّى أُوَامِرَ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ . ثُمَّ قَامَتْ إِلَى مَسْجِدِهَا وَنَزَلَ الْقُرْآنُ ، وَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَدَخَلَ عَلَيْهَا بِغَيْرِ إِذْنٍ . قَالَ أَنَسٌ : وَلَقَدْ رَأَيْنَا حِينَ دَخَلَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَطْعَمَنَا عَلَيْهَا الْخُبْزَ وَاللَّحْمَ ، فَفَرَجَ النَّاسَ وَبَقِيَ رَجَالٌ يَتَحَدَّثُونَ فِي الْبَيْتِ بَعْدَ الطَّعَامِ ، فَفَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاتَّبَعْتَهُ فَجَعَلَ يَتَّبِعُ حُجْرَةَ نِسَائِهِ يَسْلُمُ عَلَيْهِنَّ وَيَقْلُنَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ وَجَدْتِ أَهْلَكَ ؟ فَمَا أَدْرِي أَنَا أَخْبَرْتَهُ وَالْقَوْمَ قَدْ خَرَجُوا أَوْ أَخْبِرَ . قَالَ : فَانْطَلَقَ حَتَّى دَخَلَ الْبَيْتَ فَذَهَبَتْ أَدْخَلَ مَعَهُ ، فَأَلْقَى السِّتْرَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ ، وَنَزَلَ الْحِجَابَ وَوَعِظَ الْقَوْمَ بِمَا وَعَظُوا بِهِ : « لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ » الْآيَةُ . وَكَذَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيُّ مِنْ طَرِيقِ سُلَيْمَانَ بْنِ الْمَغِيرَةِ .

ذِكْرُ نَزُولِ الْحِجَابِ صَبِيحَةَ عَرْسِهَا

الَّذِي وَلِيَ اللَّهُ عَقْدَ نِكَاحِهِ

فَنَاسَبَ نَزُولُ الْحِجَابِ فِي هَذَا الْعَرَسِ صَيَانَةً لَهَا وَلِأَخَوَاتِهَا مِنْ أَمَهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَذَلِكَ وَفْقَ الرَّأْيِ الْعَمَرِيِّ .

قَالَ الْبُخَارِيُّ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الرَّقَّاشُ ، حَدَّثَنَا مُعْتَمِرُ بْنُ سُلَيْمَانَ ، سَمِعْتُ أَبِي حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، قَالَ : لَمَّا تَزَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَيْنَبَ بِنْتَ جَعْفَرٍ دَعَا الْقَوْمَ فَطَعَمُوا وَجَلَسُوا يَتَحَدَّثُونَ ، فَإِذَا هُوَ يَتَهَيَّأُ لِلْقِيَامِ فَلَمْ يَقُمْ ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ قَامَ ، فَلَمَّا قَامَ قَامَ مِنْ قَامٍ وَقَعْدَ ثَلَاثَةِ نَفَرٍ ، وَجَاءَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيَدْخُلَ فَإِذَا الْقَوْمُ جُلُوسٌ ثُمَّ إِنَّهُمْ قَامُوا فَانْطَلَقُوا ، فَجِئْتُ فَأَخْبَرْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُمْ

قد انطلقوا ، فجاء حتى دخل فذهبت أدخل فألقى الحجاب بيني وبينه ، فأنزل الله تعالى « يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي » الآية .

وقد رواه البخارى فى مواضع آخر ومسلم والنسائى من طرق عن معتمر . ثم رواه البخارى منفردا به من حديث أيوب عن أبى قلابه عن أنس نحوه .

وقال البخارى : حدثنا أبو معمر ، حدثنا عبد الوارث ، حدثنا عبد العزيز بن صهيب ، عن أنس بن مالك قال : بُنى على النبي صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش بخبز ولحم ، فأرسلت على الطعام داعياً ، فيجىء قوم فيأكلون ويخرجون ثم يجىء قوم فيأكلون ويخرجون ، فدعوت حتى ماأجد أحداً أدعوه ، فقلت : يا نبي الله ماأجد أحداً أدعوه . قال : ارفعوا طعامكم ، وبقي ثلاثة رهط يتحدثون فى البيت ، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم فانطلق إلى حجرة عائشة فقال : السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته . قالت : وعليك السلام ورحمة الله وبركاته ، كيف وجدت أهلَكَ باركَ الله لك ! فتمرى حجر نسائه كلهن ويقول لهن كما يقول لعائشة ويقلن له كما قالت عائشة ، ثم رجع النبي صلى الله عليه وسلم فإذا رهط ثلاثة فى البيت يتحدثون ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم شديد الحياء ، فخرج منطلقاً نحو حجرة عائشة فما أدري أخبرته أم أخبر أن القوم خرجوا ، فخرج حتى إذا وضع رجله فى أسكفة الباب وأخرى خارجه أرخى الستر بيني وبينه ، وأنزلت آية الحجاب .

تفرد به البخارى من هذا الوجه . ثم رواه منفرداً به أيضاً عن إسحاق ، هو ابن نصر ، عن عبد الله بن بكير السهمي ، عن محمد بن أنس بنحو ذلك ، وقال : « رجلان » بدل ثلاثة . فالله أعلم .

قال البخارى : وقال إبراهيم بن طهمان ، عن الجعد أبى عثمان ، عن أنس فذكر نحوه .

وقد قال ابن أبي حاتم : حَدَّثَنَا أَبِي ، حَدَّثَنَا أَبُو الْمُظَفَّر ، حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ ،
عَنِ الْجَعْدِ أَبِي عُمَانَ الْيَشْكُرِيِّ ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، قَالَ : أَعْرَسَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِبَعْضِ نِسَائِهِ ، فَصَنَعَتْ أُمُّ سَلِيمٍ حَيْسًا ثُمَّ حَطَّتْهُ فِي تَوْرٍ فَقَالَتْ : اذْهَبْ إِلَى رَسُولِ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَخْبِرْهُ أَنَّ هَذَا مِنَّا لَهُ قَلِيلٌ . قَالَ أَنَسٌ : وَالنَّاسُ يَوْمئِذٍ فِي جَهْدٍ ،
فَجِئْتُ بِهِ فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ بَعَثْتَ بِهَذَا أُمَّ سَلِيمٍ إِلَيْكَ وَهِيَ تَقْرُتُكَ السَّلَامُ وَتَقُولُ : إِنْ
هَذَا مِنَّا لَهُ قَلِيلٌ فَنَظَرَ إِلَيْهِ ثُمَّ قَالَ : ضَعْنِي فِي نَاحِيَةِ الْبَيْتِ . ثُمَّ قَالَ : اذْهَبْ فَادْعِ لِي فَلَانًا
وَفَلَانًا . فَسَمِيَ رَجُلَانِ كَثِيرًا قَالَ : وَمَنْ لَقِيتَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ . فَدَعَوْتُ مَنْ قَالَ لِي وَمَنْ لَقِيتُ
مِنَ الْمُسْلِمِينَ . فَجِئْتُ وَالْبَيْتُ وَالصُّفَّةُ وَالْحَجَرَةُ مَلَأَتْ مِنَ النَّاسِ . فَقُلْتُ : يَا أَبَا عُمَانَ كَمْ كَانُوا ؟
قَالَ : كَانُوا زَهَاءً ثَلَاثُمِائَةٍ .

قَالَ أَنَسٌ : فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : جِئِي . فَجِئْتُ بِهِ إِلَيْهِ فَوَضَعَ يَدَهُ
عَلَيْهِ وَدَعَا وَقَالَ مَا شَاءَ اللَّهُ . ثُمَّ قَالَ : لِيَتَحَلَّقَ عَشْرَةُ عَشْرَةٍ وَيُسَمُّوْا ، وَلِيَأْكُلْ كُلُّ إِنْسَانٍ
مِمَّا يَكُلِيهِ . فَفَعَلُوا يَسْمُونَ وَيَأْكُلُونَ حَتَّى أَكَلُوا كُلَّهُمْ ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ : ارْفَعِيهِ . قَالَ : فَجِئْتُ فَأَخَذْتُ التَّوْرَ فَنَظَرْتُ فِيهِ ، فَلَا أَدْرِي أَهْوَ حِينَ وَضَعْتَهُ أَكْثَرَ
أَمْ حِينَ رَفَعْتَهُ !

قَالَ : وَتَخَلَّفَ رَجُلَانِ يَتَحَدَّثُونَ فِي بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَزَوْجُ رَسُولِ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّتِي دَخَلَ بِهَا مَعَهُمْ مُوَلِّيَةٌ وَجْهًا إِلَى الْحَائِطِ ، فَاطَالُوا الْحَدِيثَ
فَشَقُّوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَكَانَ أَشَدَّ النَّاسِ حَيَاءً ، وَلَوْ عَلِمُوا كَانَ ذَلِكَ
عَلَيْهِمْ عَزِيزًا . فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَلَّمَ عَلَى حُجْرَتِهِ وَعَلَى نِسَائِهِ ، فَلَمَّا رَأَوْهُ
قَدْ جَاءَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ ثَقَلُوا عَلَيْهِ ابْتَدَرُوا الْبَابَ فَخَرَجُوا ، وَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ حَتَّى أَرَخَى السِّتْرَ وَدَخَلَ الْبَيْتَ وَأَنَا فِي الْحَجَرَةِ ، فَكَثَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ فِي بَيْتِهِ يَسِيرًا وَأَنْزَلَ اللَّهُ الْقُرْآنَ ، فَخَرَجَ وَهُوَ يَقْرَأُ هَذِهِ الْآيَةَ : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

لَا تَدْخُلُوا بَيْوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرِ نَاظِرِينَ إِنَاءَهُ ، وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ ، إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ ، وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ، وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا . إِنْ تَبَدَّلُوا شَيْئًا أَوْ خَفَوْهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ^(١) .

قال أنس : فقرأهن على قِبَلِ النَّاسِ وَأَنَا أُحَدِّثُ النَّاسَ بِهِنَ عَهْدًا .

وقد رواه مسلم والترمذى والنسائى جميعا عن قتيبة ، عن جعفر بن سليمان ، عن الجعد أبى عثمان به . وقال الترمذى : حسن صحيح . ورواه مسلم أيضا عن محمد بن رافع ، عن عبد الرزاق ، عن مَعْمَرٍ ، عن الجعد أبى عثمان به .

وقد روى هذا الحديث البخارى والترمذى والنسائى من طرق ، عن أبى بشر الأحمسى الكوفى ، عن أنس بنحوه . ورواه ابن أبى حاتم من حديث أبى نَضْرَةَ الْعَبْدَى عن أنس بنحوه ، ولم يخرّجوه . ورواه ابن جرير من حديث عمرو بن سعيد ومن حديث الزُّهْرَى عن أنس نحو ذلك .

قلت : كانت زينب بنت جحش رضى الله عنها من المهاجرات الأول ، وكانت كثيرة الخير والصدقة ، وكان اسمها أولا رَءَةَ فسمّاها النبي صلى الله عليه وسلم زينب ، وكانت تكنى بأُمِ الْحَكَمِ .

قالت عائشة رضى الله عنها : ما رأيت امرأة قط خيرا فى الدين من زينب وأتقى لله وأصدق حديثا وأوصل للرحم وأعظم أمانة وصدقة .

وثبت في الصحيحين كما سيأتى في حديث الإفك عن عائشة أنها قالت : وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن زينب بنت جحش وهى التى كانت تُسامىنى من نساء النبى صلى الله عليه وسلم ، فعصمها الله بالورع فقالت : يا رسول الله أحمى سمعى وبصرى ، ما علمت إلا خيراً .

وقال مسلم بن الحجاج فى صحيحه : حدثنا محمود بن عيلان ، حدثنا الفضل بن موسى الشيبانى ، حدثنا طلحة بن يحيى بن طلحة ، عن عائشة أم المؤمنين قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أسرعكن لحوقاً بى أطولكن يداً . قالت : فكنا نتطاول أينا أطول يداً . قالت : فكانت زينب أطولنا يداً ، لأنها كانت تعمل بيدها وتتصدق . انفراد به مسلم .

قال الواقدي وغيره من أهل السير والمغازى والتواريخ : توفيت سنة عشرين من الهجرة ، وصلى عليها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ودفنت بالبقيع وهى أول امرأة صُنِعَ لها النَشْءُ .

سنة ست من الهجرة النبوية

قال البيهقي : كان يقال : في الحرم منها سرية محمد بن مسleme قبل نجد ، وأسروا فيها ثمامة بن أثال اليمامي .

قلت : نكس في سياق ابن إسحاق عن سعيد القُبري عن أبي هريرة ، أنه شهد ذلك . وهو إنما هاجر بعد خيبر فيؤخر إلى ما بعدها . والله أعلم .

وهي السنة التي كان في أوائلها غزوة بني لحيان على الصحيح .

قال ابن إسحاق : وكان فتح بني قريظة في ذي القعدة وصدر من ذي الحجة ، وولي تلك الحجة المشركون ، يعني في سنة خمس . كما تقدم .

قال : ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ذا الحجة والحرم وصفرًا وشهري ربيع ، وخرج في جمادى الأولى على رأس ستة أشهر من فتح بني قريظة إلى بني لحيان يطالب بأصحاب الرّجيع خبيب وأصحابه ، وأظهر أنه يريد الشام ليصيب من القوم غرّة . قال ابن هشام : واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم .

والمقصود أنه عليه السلام لما انتهى إلى منازلهم هربوا من بين يديه ، فتحصنوا في رؤوس الجبال فقال إلى عُسفان فلقى بها جمعًا من المشركين وصلى بها صلاة الخوف . وقد تقدم ذكر هذه الغزوة في سنة أربع وهنالك ذكرها البيهقي .

والأشبه ما ذكره ابن إسحاق أنها كانت بعد الخندق . وقد ثبت أنه صلى بعُسفان يوم بني لحيان ، فلتكتب هاهنا وتحول من هناك ، اتباعًا لإمام أصحاب المغازي في زمانه وبعده ، كما قال الشافعي رحمه الله : من أراد المغازي فهو عيال على محمد بن إسحاق .

وقد قال كعب بن مالك في غزوة بني لحيان :

لَوْ أَنَّ بَنِي لَحِيَّانَ كَانُوا تَنَاضَرُوا اقْعُوا عُصَبًا فِي دَارِهِمْ ذَاتَ مَصْدَقٍ
لَقَعُوا سَرَعَانًا يَمْلَأُ السَّرْبَ رَوْعُهُ أَمَامَ طَحُونٍ كَالْجَرَّةِ قَيْلَقٍ ^(١)
وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا وَبَارَأ تَتَبَعْتُ شِعَابَ حِجَازٍ غَيْرِ ذِي مُتَنَفِقٍ ^(٢)

غزوة ذي قرد

قال ابن إسحاق : ثم قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فلم يُقيم بها إلا ليالي قلائل حتى أغار عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري في خيل من غطفان على إقحاح النبي صلى الله عليه وسلم بالغابة ، وفيها رجل من بني غفار ومعه امرأته ، فقتلوا الرجل واحتملوا المرأة في اللقاح .

قال ابن إسحاق : فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي بكر ومن لاأتهم ، عن عبد الله بن كعب بن مالك - كل قد حدث في غزوة ذي قرد بعض الحديث - أنه كان أول من نذر بهم سلمة بن عمرو بن الأكوع الأسلمي ، غدا يريد الغابة متوشحاً قوسه ونبله ومعه غلام لطلحة بن عبيد الله معه فرس له يقوده ، حتى إذا علا ثنية الوداع نظر إلى بعض خيولهم فأشرف في ناحية سَلَمَ ثم صرخ : واصباحاه ! ثم خرج يشتد في آثار القوم وكان مثل السبع ، حتى لحق بالقوم فجعل يردُّهم بالنبل ويقول :

خُذْهَا وَأَنَا ابْنُ الْأَكُوعِ الْيَوْمُ يَوْمُ الرُّضْعِ

فإذا وجهت الخيل نحوه انطلق هارباً ثم عارضهم فإذا أمكنه الرمي رمى ثم قال :

خُذْهَا وَأَنَا ابْنُ الْأَكُوعِ الْيَوْمُ يَوْمُ الرُّضْعِ

قال : فيقول قائلهم : أَوْيَكُنْمُنَا ^(٣) هو أول النهار .

(١) السرعان : أوائل الخيل . والسرب : القلب . والطحون : الكتبية العظيمة . والحجرة : باب السماء . والقيلق : الكتبية .

(٢) الوبار : جمع وبر وهي دوية كالسنور . والشعاب : جمع شعب . والمتنفق : المخرج .

(٣) يكمننا : يخوفنا ، أو يصرفنا عن غايتنا .

قال : وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم صياحُ ابن الأَكوع فصرخ بالمدينة :
 الفرع الفرع . فترامت الخيول إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان أول من
 انتهى إليه من الفرسان المقداد بن الأسود ، ثم عباد بن بشر وسعد بن زيد وأسيد بن
 ظهير - يشك فيه - وعُكاشة بن محصن ، ومُحرز بن فضلة أخو بني أسد بن خزيمة وأبو
 قتادة الحارث بن ربیع أخو بني سلمة ، وأبو عياش عبيد بن زيد بن صامت أخو بني زريق
 قال : فلما اجتمعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر عليهم سعد بن زيد ثم قال :
 اخرج في طلب القوم حتى ألحقك في الناس . وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي
 عياش فيما بلغني عن رجال من بني زريق : يا أبا عياش لو أعطيت هذا الفرس رجلاً هو
 أفرس منك فلحق بالقوم . قال أبو عياش : فقلت يا رسول الله أنا أفرسُ الناس . ثم
 ضربت الفرس فوالله ما جرى بي خمسين ذراعاً حتى طرحتني فمضيت من ذلك ، فزعم
 رجال من زريق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى فرس أبي عياش معاذ بن ماعص أو
 عائد بن ماعص بن قيس بن خلدة ، وكان ثامناً . قال : وبعض الناس يعدُّ سلمة بن الأكوع
 ثامناً ويطرح أسيد بن ظهير . قاله أعلم أي ذلك كان . قال : ولم يكن سلمة بن الأكوع
 يومئذ فارساً ، قد كان أول من لحق بالقوم على رجله .

قال : ففرج الفرسان حتى تلاحقوا ، فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة أن أول فارس
 لحق بالقوم مُحَرز بن فضلة وكان يقال له الأخرم ويقال له قُمير ، وكانت الفرس التي تحته
 لمحمود بن مسلمة ، وكان يقال للفرس ذو اللمة فلما انتهى إلى العدو قال لهم : قِفُوا معشر
 بني الأسكيفة حتى يلحق بكم من وراءكم من أدباركم من المهاجرين والأنصار . قال :
 فحمل عليه رجل منهم فقتله وجال الفرس فلم يقدر عليه حتى وقف على آريه من بني عبد
 الأشهل ، أي رجع إلى مربطه الذي كان فيه بالمدينة .

قال ابن إسحاق : ولم يقتل يومئذ من المسلمين غيره . قال ابن هشام :

وقد ذكر غير واحد من أهل العلم أنه قد قُتل معه أيضا وقاص بن مجزز المدلجي .

قال ابن إسحاق : وحدثني بعض من لا أتهم عن عبد الله بن كعب بن مالك أن محزرا كان على فرس لمُكاشة بن مِحصن يقال لها الجناح ، فقتل محرز واستلب جناح . فإله أعلم .

قال : ولما تلاحقت الخيل قتل أبو قتادة حبيب بن عينة وغشاه برده ثم لحق بالناس ، وأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسلمين . قال ابن هشام : واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم . فإذا حبيب مسجى ببرد أبي قتادة فاسترجع الناس وقالوا : قُتل أبو قتادة . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليس بأبي قتادة ولكنه قتيْل لأبي قتادة . ووضع عليه برده لتعرفوا أنه صاحبه .

قال : وأدرك عكاشة بن محصن أوبارا وابنه عمرو بن أوبار وهما على بعير واحد فانتظمهما بالرمح فقتلهما جميعا واستنقذوا بعض اللقاح . قال : وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل بالجبل من ذي قرد ، وتلاحق به الناس فأقام عليه يوما وليلة ، وقال له سلمة بن الأكوع : يا رسول الله لو سرحتني في مائة رجل لاستنقذت بقية السرح وأخذت بأعناق القوم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغني : إني إني الآن ليُغَبِقُونَ في غطفان . فقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه في كل مائة رجل جَزورا وأقاموا عليها ، ثم رجع قافلا حتى قدم المدينة .

قال : وأقبلت امرأة الغفاري على ناقة من إبل النبي صلى الله عليه وسلم حتى قدمت عليه المدينة فأخبرته الخبر ، فلما فرغت قالت : يا رسول الله إني قد نذرت لله أن أنحرها إن نجاني الله عليها . قال : فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : « بئسما جزيتها

أن حملك الله عليها ونجّاك بها ثم تنحريها ، إنه لا نذر في معصية الله ولا فيما لا يملكين ، إنما هي ناقةٌ من إبل ، فارجمي إلى أهلِكَ على بركة الله .

قال ابن إسحاق : والحديث في ذلك عن أبي الزبير المكي عن الحسن البصري .

هكذا أورد ابن إسحاق هذه القصة بما ذكر من الإسناد والسياق .

وقد قال البخاري رحمه الله بعد قصة الحديبية وقبل خير : غزوة ذي قرد ، وهي الغزوة التي أغاروا على لقاح النبي صلى الله عليه وسلم قبل خير بثلاث .

حدثنا قتيبة بن سعيد ، حدثنا حاتم ، عن يزيد بن أبي عبيد ، سمعت سلمة بن الأكوع يقول : خرجت قبل أن يؤذَنَ بالأولى^(١) ، وكانت لقاح النبي صلى الله عليه وسلم ترعى بذي قرد قال : فلقيني غلام لعبد الرحمن بن عوف فقال : أخذت لقاحُ النبي صلى الله عليه وسلم . فقلت : من أخذها ؟ قال : غطفان . قال : فصرختُ ثلاث صرخات : واصباحاه ! قال : فأسمعت ما بين لابتي المدينة . ثم اندفعت على وجهي حتى أدركتهم وقد أخذوا يستقون من الماء ، فجعلت أرميهم بنبلي ، وكنت رامياً ، وأقول : أنا ابن الأكوع اليوم يوم الرضع^(٢) . وأرتجز . حتى استنفذت اللقاحَ منهم واستلبت منهم ثلاثين بُردة .

قال : وجاء النبي صلى الله عليه وسلم والناس فقلت : يا رسول الله قد حميتُ القومَ الماءَ وهم عطاش فابعت إليهم الساعة . فقال : « يا ابن الأكوع ، ملكت فأسجِح^(٣) » ثم رجعنا وبرُدفتي رسول الله صلى الله عليه وسلم على ناقته حتى قدمنا المدينة .

وهكذا رواه مسلم عن قتيبة به ، ورواه البخاري عن أبي عاصم السهلي ، عن يزيد ابن أبي عبيدة ، عن مولاة سلمة بنحوه .

(١) الأولى : صلاة الصبح . (٢) يوم الرضع : يوم هلاك اللثام . (٣) أسجِح : اعف
(١٩ - السيرة ٣)

وقال الإمام أحمد: حدثنا هاشم بن القاسم ، حدثنا عكرمة بن عمار ، حدثني إياس بن سلمة بن الأكوع ، عن أبيه ، قال : قدمنا المدينة زمن الحديبية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرجت أنا ورياح غلام النبي صلى الله عليه وسلم بظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخرجت بفرس لطلحة بن عبيد الله أريد أن أئديه مع الإبل ، فلما كان بغلس أغار عبد الرحمن بن عيينة على إبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتل راعيها وخرج يطردها هو وأناس معه في خيل ، فقلت : يارباح أقعد على هذا الفرس فألقه بطلحة وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قد أغير على سرحه .

قال . وقتت على تل فجعلت وجهي من قبل المدينة ، ثم ناديت ثلاث مرات : يا صباحاه اقال : ثم اتبعت القوم معي سيفي ونبلي ، فجعلت أرميهم وأعقر بهم ، وذلك حين يسكن الشجر ، فإذا رجع إلى فارس جلست له في أصل شجرة ثم رميت ، فلا يقبل إلى فارس إلا عقرت به ، فجعلت أرميهم وأنا أقول :

أنا ابن الأكوع واليوم يوم الرضع

قال : فألحق برجل منهم فأرميه وهو على راحلته فيقع سهمي في الرجل حتى انتظم كتفه فقلت :

خذها وأنا ابن الأكوع واليوم يوم الرضع

، فإذا كنت في الشجر أحرقتهم بالنبل ، فإذا تضايقت الشيايا علوت الجبل فرديتهم بالحجارة ، فما زال ذاك شأني وشأنهم أتبعهم وأرتجز حتى ما خلق الله شيئا من ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا خلفته وراء ظهرى فاستنقذته من أيديهم ، ثم لم أزل أرميهم حتى ألقوا أكثر من ثلاثين رجلا وأكثر من ثلاثين برودة يستخفون منها ولا يلقون من ذلك شيئا إلا جمعات عليه حجارة وجمعت على طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا امتد الضحى أتاهم عيينة بن بدر الفزاري مددا لهم وهم في ثنية ضيقة ، ثم علوت

الجليل فأنا فوقهم ، فقال عيينة : ما هذا الذى أرى ؟ قالوا : لقينا من هذا البرح ، ما فارقنا
بسحر حتى الآن وأخذ كل شيء بأيدينا وجعله وراء ظهره . فقال عيينة : لولا أن هذا
يرى أن وراءه طلباً لقد ترككم ، ليقم إليه نفر منكم . فقام إلى نفر منهم أربعة فصعدوا
فى الجبل ، فلما أسمعتهم الصوت قلت : أنعرفوننى ؟ قالوا : ومن أنت ؟ قلت : أنا ابن
الأكوع ، والذى كرم وجه محمد لا يطلبنى رجل منكم فيدركنى ولا أطلبه فيفوتنى .
فقال رجل منهم : إن أظن . قال : فما برحتُ مقعدى ذلك حتى نظرت إلى فوارس
رسول الله صلى الله عليه وسلم يُخللون الشجرَ وإذا أولهم الأخرم الأسدى ، وعلى أثره أبو
قتادة فارس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلى أثره المقداد بن الأسود الكندى ، فولى
المشركون مدبرين ، وأنزل من الجبل فأخذ عنان فرسه ، فقلت : يا أكرم ائذن القوم
- يعنى احذرهم - فإنى لا آمن أن يقطعموك فأتشد حتى يلحق رسول الله صلى الله عليه
وسلم وأصحابه . قال : ياسلمة إن كنت تؤمن بالله واليوم الآخر وتعلم أن الجنة حق
والنار حق فلا تحل بينى وبين الشهادة !

قال : فخلّيت عنان فرسه ، فيلحق بعبد الرحمن بن عيينة ويمطف عليه عبد الرحمن ،
فاختلفا طمعتين ، فقمر الأخرم بعبد الرحمن وطعنه عبد الرحمن فقتله . فتحول عبد
الرحمن على فرس الأخرم ، فيلحق أبو قتادة بعبد الرحمن فاختلفا طمعتين فقمر بأبى قتادة
وقتله أبو قتادة ، وتحول أبو قتادة على فرس الأخرم .

ثم إنى خرجت أعدو فى أثر القوم حتى ما أرى من غبار صحابة النبى صلى الله عليه
وسلم شيئاً ، ويمرّ ضون قبل غيبوبة الشمس إلى شعب فيه ماء يقال له ذو قرد ، فأرادوا أن
يشربوا منه فأبصرونى أعدو وراءهم فعطفوا عنه وأسندوا فى الثنية ثنية ذى بئر وغربت
الشمس ، وألحق رجلاً فأرميه فقلت : خذها وأنا ابن الأكوع واليوم يوم الرضع . قال :
فقال : يائسكل أم أكوع بُكرة . فقلت : نعم أى عدو نفسه . وكان الذى رميته بُكرة^(١) ،

(١) ضحبح مسلم : « قال : يائسكلته أمه أكوعه بكرة . قال . قلت : ياعدو نفسه أكوعك بكرة . »

وأتبعته سهما آخر فعلق به سهما ، ويخلفون فرسين فجثت بهما أسوقها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على الماء الذي أجليتهم عنه ، ذو قرد ، وإذا بنى الله صلى الله عليه وسلم في خمسمائة ، وإذا بلال قد نحر جزوراً مما خلفت فهو يشوى لرسول الله صلى الله عليه وسلم من كبدها وسنامها .

فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله خلني فأتخب من أصحابك مائة فأخذها على الكفار بالعشوة فلا يبقى منهم نخب إلا قتلته . فقال : أأكنت فاعلاً ذلك يا سلمة ؟ قال : قلت : نعم والذي أكرمك . فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى رأيت نواجذه في ضوء النار ، ثم قال : إنهم يُقرّون الآن بأرض غطفان . فجاء رجل من غطفان فقال : مرؤا على فلان النطفاني فنحر لهم جزوراً ، فلما أخذوا يكشطون جلدها رأوا غبرة فتركوها وخرجوا هرابا .

فلما أصبحنا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : خيرُ فرساننا أبو قتادة ، وخير رجالتنا سلمة . فأعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم سهم الفارس والراجل جميعاً ، ثم أردفني وراءه على العضباء راجعين إلى المدينة .

فلما كان بيننا وبينها قريب من ضحوة ، وفي القوم رجل من الأنصار كان لا يسبق جعل ينادى : هل من مسابق ، ألا رجل يسابق إلى المدينة ؟ فأعاد ذلك مراراً وأنا وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم مُردِّفٍ ، فقلت له : أما تُكرم كريماً ولا تهاب شريفاً ؟ قال : لا ، إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : قلت : يا رسول الله بأبي أنت وأمي خلني فلاُسبق الرجل . قال : إن شئت . قلت : أذهب إليك . فطفر عن راحلته وثنيت رجلي فطفرت عن الناقة ، ثم إنى ربطت عليه شرفاً أو شرفين ، يعني استبقيت من نفسي ، ثم إنى عدوت حتى ألحقته فأصك بين كتفيه بيدي قلت : سبقتك والله . أو كلمة نحوها . قال : فضحك وقال : إن أظن . حتى قدمنا المدينة .

وهكذا رواه مسلم من طرق عن عكرمة بن عمار بنحوه ، وعنده : فسبقته إلى المدينة ، فلم نلبث إلا ثلاثا حتى خرجنا إلى خير . ولأحمد هذا السياق .

ذكر البخارى والبيهقى هذه الغزوة بعد الحديبية وقبل خير ، وهو أشبه مما ذكره ابن إسحاق والله أعلم . فينبغى تأخيرها إلى أوائل سنة سبع من الهجرة ، فإن خير كانت في صفر منها .

وأما قصة المرأة التي نجت على ناقة النبي صلى الله عليه وسلم ونذرت نحرها لنجاتها عليها فقد أوردها ابن إسحاق بروايته عن أبي الزبير ، عن الحسن البصرى مرسلا . وقد جاء متصلا من وجوه آخر .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا حماد بن زيد ، حدثنا أبو بوب عن أبي قلابة ، عن أبي للملب ، عن عمران بن حصين ، قال : كانت العضباء لرجل من بني عقيل وكانت من سوابق الحاج فأخذت العضباء معه . قال : فرّ به رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في وثاق ورسول الله صلى الله عليه وسلم على حمار عاية قطيفة ، فقال : يا محمد علام تأخذوني وتأخذون سابقة الحاج ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نأخذك بجريرة حلفائك ثقيف . قال : وكانت ثقيف قد أسروا رجلاين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم . وقال فيما قال : [إني] مسلم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو قُلْتها وأنت تملك أمرك أفلحت كلّ الفلاح . قال : ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد إني جائع فأطعمني وإني ظمآن فاسقني . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذه حاجتك . ثم فُدى بالرجلين وحبس رسول الله صلى الله عليه وسلم العضباء لرحله .

قال : ثم إن المشركين أغاروا على سرح المدينة فذهبوا به ، وكانت العضباء فيه ، وأسروا امرأة من المسلمين . قال : وكانوا إذا نزلوا أراحوا إبله بأفئنتهم . قال : فقامت المرأة ذات ليلة بعد ما نائموا فجمعت كلما أتت على بعير رغا حتى أتت على العضباء ، فأتت

على ناقة ذلول مُجَرَّسة^(١) فركبتها ثم وجهتها قبل المدينة. قال : ونذرت إن الله أنجاها عليها لتنحرنها ، فلما قدمت المدينة عُرِفَت الناقة فقيـل : ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بنذرها أو أنه فأخبرته ، فقال : بئس ماجزيتها أو بئس ماجزتها إن أنجاها الله عليها لتنحرنها .

قال : ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا وفاء لنذر في معصية الله ولا فيما لا يملك ابن آدم » .

ورواه مسلم عن أبي الربيع الزهراني ، عن حماد بن زيد .

قال ابن إسحاق : وكان مما قيل من الأشعار في غزوة ذي قرد قول حسان بن ثابت

رضى الله عنه :

لولا الذي لاقت ومَسَّ نسورها	بجنوب ساية أمس في التقواد ^(٢)
للقيـنكم يحملن كلَّ مُدَجَّج	حامى الحقيقة ماجد الأجداد
ولسرَّ أولاد اللقيطة أننا	سَلِمَ غداة فوارس اللقداد
كنا ثمانية وكانوا جَحَفَلا	لجبا فشكوا بالرماح بداد ^(٣)
كنا من القوم الذين يلونهم	ويقدّمون عنان كلَّ جواد
كلّا وربّ الراقصات إلى مَنى	يقطعن عرض تخارم الأطواد ^(٤)
حتى نبيل الخيل في عرصاتكم	وتؤوب بالملكات والأولاد ^(٥)

(١) المجرسة : المدربة في الركوب والسير .

(٢) لاقت : يربد الخيل . ونسورها : النسر كالنواة في بطن الحافر ، وفي الفرس عشرون عضوا

كل عضو منها باسم طائر . وساية : موضع .

(٣) المحفل : الجيش الكثير . والجب : ذو الجلبة والصياح . وبداد : متفرقين .

(٤) المخارم : الطرق . والأطواد : الجبال .

(٥) نبيل : نجعلها تبول . والعرصات : جمع عرصة وهي البقعة الواسعة بين الدور . والملكات : النساء .

رَهْوَأَ بِكُلِّ مُقْلَصٍ وَطِمْرَةٍ فِي كُلِّ مُعْتَرِكٍ عَطْفَنٍ وَوَادٍ ^(١)
 أَفَنَى دَوَابِرَهَا وَلَا حَ مَتُونَهَا يَوْمَ تُقَادُ بِهِ وَيَوْمَ طِرَادٍ
 فَكَذَلِكَ إِنَّ جِيَادَنَا مَلْبُونَةٌ وَالْحَرْبُ مُشْعَلَةٌ بِرِيحِ غَوَادٍ ^(٢)
 وَسَيُوفُنَا بِيضُ الْخَدَائِدِ تَجْتَلِي جُنَّ الْحَدِيدِ وَهَامَةُ الْمِرْتَادِ
 أَخَذَ إِلَهِهِ عَلَيْهِمُ الْحَرَامَ وَلَمَرَّةَ الرَّحْمَنِ بِالْأَسْدَادِ
 كَانُوا بَدَارٍ نَاعِمِينَ فَبَدَّلُوا أَيَّامَ ذِي قَرْدٍ وَجَوْهَ عَنَادِ

قال ابن إسحاق : فغضب سعد بن زيد أمير سرية الفوارس للمتقدمين أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم على حسان وحلف لا يكلمه أبداً ، وقال : انطلق إلى خيلي وفوارسي فجعلها للمقداد . فاعتذر إليه حسان بأنه وافق الروي اسم المقداد ثم قال أبيتاً يمدح بها سعد بن زيد :

إِذَا أَرَدْتُمْ الْأَشَدَّ الْجَلْدَا أَوْ ذَا غَنَاءِ فَعَلَيْكُمْ سَعْدَا
 سَعْدُ بْنُ زَيْدٍ لَا يَهْدُ هَدَا

قال : فلم تقع منه بموقع .

وقال حسان بن ثابت في يوم ذي قرد :

أَظَنَّ عَيْنِيَّةُ إِذْ زَارَهَا بَأْنَ سَوْفَ يَهْدِمُ فِيهَا قُصُورَا
 فَأَكْذَبْتَ مَا كُنْتَ صَدَّقْتَهُ وَقَلَّمْتَ سَنَقَمَ أَمْرًا كَبِيرَا
 فَعِفَّتِ الْمَدِينَةُ إِذْ زَرْتَهَا وَأَنْتَ لِلْأَسَدِ فِيهَا زُبَيْرَا
 وَوَلَّوْا سَرَاعًا كَشَدَّ النِّعَامِ وَلَمْ يَكْشِفُوا غَنَ مِلْطٍ حَصِيرَا ^(٣)
 أَمِيرٌ عَلَيْنَا رَسُولُ الْمَلِكِ أَحَبُّ بِذَلِكَ إِلَيْنَا أَمِيرَا

(١) رهوا : سريما . والمقلس : المشمر . والطمرة : الفرس السريع .

(٢) ملبونة : تسقى الابن .

(٣) اللط : الناقة ، من قولهم : أطلت الناقة بذنبها إذا أدخلته بين رجلها . والحصير ما يكتف به حول الإبل من عيدان الحظيرة .

رسولٌ يصدق ما جاءه . ويتلو كتاباً مضيئاً منيراً .
 وقال كعب بن مالك في يوم ذي قرد يمدح الفرسان يومئذ من المسلمين :
 أَيْحَسِبُ أَوْلَادُ الْقَيْطَةِ أَنَا عَلَى الْخَيْلِ لَسْنَا مِثْلَهُمْ فِي الْفَوَارِسِ
 وَإِنَّا أَنَاسٌ لَا نَرَى الْقَتْلَ سُبَّةً وَلَا نَنْتَنِي عِنْدَ الرَّمَاحِ الْمَدَاعِيسِ ^(١)
 وَإِنَّا لَنَفَرَى الضَّيْفَ مِنْ قَعِ الدَّرَى وَنَضْرِبُ رَأْسَ الْأَبْلَجِ الْمُنْشَاوِسِ ^(٢)
 نَزْدُ كَمَاةَ الْمُعْلَمِينَ إِذَا انْتَحَوْا بِضَرْبِ يَسْلَى نَحْوَةَ الْمُتَقَاعِيسِ ^(٣)
 بِكُلِّ فِتْنَى حَامِيَ الْحَقِيقَةِ مَا جَدِ كَرِيمٍ كَسَرَ حَانَ الْعِضَاءِ مُخَالِيسِ ^(٤)
 يَذُودُونَ عَنْ أَحْسَابِهِمْ وَبِلَادِهِمْ بَيْضِ تَقْدُ الْمَامِ تَحْتَ الْقَوَانِيسِ ^(٥)
 فَسَائِلُ بَنِي بَدْرِ إِذَا مَا لَقِيَهُمْ بِمَا فَعَلَ الْإِخْوَانُ يَوْمَ التَّمَارِسِ ^(٦)
 إِذَا مَا خَرَجْتُمْ فَاصْدُقُوا مِنْ لَقِيمِ وَلَا تَكْتُمُوا أَخْبَارَ كَمْ فِي الْمَجَالِسِ
 وَقُولُوا زَلَّلْنَا عَنْ مَخَالِبِ خَادِرٍ بِهِ وَحَرُّ فِي الصَّدْرِ مَا لَمْ يُمَارَسِ ^(٧)

(١) المداعس : الرماح التي لا تنثنى . (٢) القمع : جمع قمع وهو أعلى سنام البعير . والأبلج : المشرق . والمنشاوس : المتكبر . وفي ابن هشام : الأبلج . (٣) السكامة : الفوارس . والمتقاعس : الذي لا يلين . (٤) السرحان : الذئب . والعشاء : شجر ضخم . (٥) القوانس : أعلى بيض الحديد (٦) التمارس : المجادلة في الحرب . (٧) الحادر : الأسد الذي يلزم أخته . والوحر : الحقد

غزوة بنى المصطلق من خزاعة

قال البخارى : وهى غزوة المريسيع . قال محمد بن إسحاق : وذلك فى سنة ست . وقال موسى بن عقبة سنة أربع . وقال النعمان بن راشد عن الزهرى : كان حديث الإفك فى غزوة المريسيع . هكذا رواه البخارى عن مغازى موسى بن عقبة أنها كانت فى سنة أربع . والذى حكاه عنه وعن عروة أنها كانت فى شعبان سنة خمس . وقال الواقدى : كانت لليلتين من شعبان سنة خمس فى سبعمائة من أصحابه .

وقال محمد بن إسحاق بن يسار ، بعد ما أورد قصة ذى قرد : فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة بعض جمادى الآخرة ورجب ، ثم غزا بنى المصطلق من خزاعة فى شعبان سنة ست . قال ابن هشام : واستعمل على المدينة أبا ذر الغفارى ويقال نُمَيْلة بن عبد الله الليثى .

قال ابن إسحاق : حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبى بكر ومحمد بن يحيى ابن حبان ، كلٌ قد حدثنى بعض حديث بنى المصطلق قالوا : بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن بنى المصطلق يجمعون له وفائدهم الحارث بن أبى ضرار ، أبو جُوَيْرِيَةَ بنت الحارث التى تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذا ، فلما سمع بهم خرج إليهم حتى لقيهم على ماء من مياههم يقال له المريسيع من ناحية قديد إلى الساحل ، فتراحم الناس واقتتلوا ، فهزم الله بنى المصطلق وقتل من قتل منهم ، ونقل رسول الله صلى الله عليه وسلم أبناءهم ونساءهم وأموالهم فأفاءهم عليه . وقال الواقدى : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لليلتين مضتا من شعبان سنة خمس من الهجرة فى سبعمائة من أصحابه إلى بنى المصطلق ، وكانوا حلفاء بنى مُذَلْج ، فلما انتهى إليهم دفع راية المهاجرين إلى أبى بكر الصديق ، ويقال إلى عمار بن ياسر ، وراية الأنصار إلى سعد بن عباد ، ثم أمر عمر بن

الخطاب فنأدى في الناس أن قولوا : لا إله إلا الله . تمنعوا بها أنفسكم وأموالكم . فأبوا
لفتراموا بالنبل ، ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين فحملوا حملة رجل واحد ،
لما أفلت منهم رجل واحد ، وقتل منهم عشرة وأسر سائرهم ولم يقتل من المسلمين
إلا رجل واحد .

وثبت في الصحيحين من حديث عبد الله بن عون قال : كتبت إلى نافع أسأله عن
الدعاء قبل القتال فقال : قد أغار رسول الله صلى الله عليه وسلم على بني المصطلق وهم
فازروني في أنعامهم تُسقى على الماء ، فقتل مقاتلتهم وسبى سبيهم فأصاب يومئذ - أحسبه
لحال - جويرية بنت الحارث . وأخبرني عبد الله بن عمر بذلك ، وكان بذلك الجيش .
قال ابن إسحاق : وقد أصيب رجل من المسلمين يقال له هشام بن صبابه ، أصابه
رجل من الأنصار وهو يرى أنه من العدو فقتله خطأ .

وذكر ابن إسحاق أن أخاه مقيس بن صبابه قدم من مكة مظهراً للإسلام فطلب
إديه أخيه هشام من رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه قتل خطأ ، فأعطاه دينه ، ثم مكث
يسيراً ثم عدا على قاتل أخيه فقتله ، ورجع مرتدداً إلى مكة وقال في ذلك :

شفى النفس أن قد بات بالقاع مُسنداً يضرّج ثوبينه دماء الأخادع^(١)
وكانت هموم النفس من قبل قتله تلم فتحميني وطاء المضاجع
حللت به وترى وأدركت ثورتى وكنت إلى الأوثان أول راجع
ثارت به فهراً وحملت عقله سراً بني النجار أرباب فارع^(٢)
قلت : ولهذا كان مقيس هذا من الأربعة الذين أهدر رسول الله صلى الله عليه وسلم

يوم الفتح دماءهم وإن وجدوا معلقين بأستار الكعبة .

(١) الأخادع : جمع أخدع ، وهو عرق في الحجبتين ، وهو شعبة من الوريد .

(٢) فارع : حصن بالمدينة .

قال ابن إسحاق : فبينما الناس على ذلك الماء وردت واردة الناس ، ومع عمر بن الخطاب أجيرو له من بنى غفار يقال له جهجاه بن مسعود يقود فرسه ، فازدحم جهجاه وسنان بن وبرة الجهني حليف بنى عوف بن الخزرج على الماء فاقتتلا ، فصرخ الجهني : يامعشر الأنصار . وصرخ جهجاه : يامعشر المهاجرين . فغضب عبد الله بن أبي بن سلول وعنده رهط من قومه فيهم زيد بن أرقم غلامٌ حَدَّثَ فقال : أوقد فعلوها ؟ قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا ! والله ما أعدنا وجلايب قريش هذه إلا كما قال الأول : « سمن كلبك يا كلك ! » أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل . ثم أقبل على من حضره من قومه فقال : هذا ما فعلتم بأنفسكم ، أحللتهم بلادكم وقاسمتهم أموالكم ، أما والله لو أمسكتهم عنهم ما بأيديكم لتحوّلوا إلى غير داركم .

فسمع ذلك زيد بن أرقم فمشى به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر ، وعنده عمر بن الخطاب فقال : مرّ به عبّاد بن بشر فليقتله . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه ، لا ولكن أذن بالرحيل . وذلك في ساعة لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يرتحل فيها . فارتحل الناس .

وقد مشى عبد الله بن أبي بن سلول إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بلغه أن زيد بن أرقم بلغه ما سمع منه ، فحلف بالله ما قلت ما قال ولا تكلمت به . وكان في قومه شريفاً عظيماً ، فقال من حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأنصار من أصحابه : يا رسول الله غسى أن يكون الغلام أوهم في حديثه ولم يحفظ ما قال الرجل . حَدَّثَنَا عَلَى ابن أبي ودفعاً عنه .

فلما استقل رسول الله صلى الله عليه وسلم وسار لقيه أسيد بن حضير فحياه بتحية النبوة وسلم عليه وقال : يا رسول الله والله لقد رحّت في ساعة منكّرة ما كنت تروّج

في مثلها ؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أو ما بلغك ما قال صاحبكم ؟ قال : أئى صاحب يارسول الله ؟ قال : عبد الله بن أبى . قال : وما قال ؟ قال : زعم أنه إن رجع إلى المدينة أخرج الأعز منها الأذل . قال : فأنت والله يارسول الله تخرجه إن شئت ، هو والله الذليل وأنت العزيز . ثم قال : يارسول الله ارفق ، فوالله لقد جاءنا الله بك وإن قومه لينظّمون له الخرز ليتوجوه ، فإنه ليرى أنك قد استلبتَه مُكَا .

ثم مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس يومهم ذلك حتى أسمى وليتهم حتى أصبح ، وصذر يومهم ذلك حتى آذتهم الشمس ، ثم نزل بالناس فلم يلبثوا أن وجدوا من الأرض فوقعوا نياما . وإنما فعل ذلك ليشغل الناس عن الحديث الذى كان بالأمس من حديث عبد الله بن أبى ، ثم راح رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس وسلك الحجاز حتى نزل على ماء بالحجاز فوق النقيع يقال له بقاء . فلما راح رسول الله صلى الله عليه وسلم هبت على الناس ريحٌ شديدة فأذتهم وتخوفوها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تخوفوها فإنما هبت لموت عظيم من عطاء الكفار . فلما قدموا المدينة وجدوا رفاعة بن زيد بن التابوت أحد بنى قينقاع ، وكان عظيما من عطاء اليهود وكهفا للمنافقين ، مات ذلك اليوم .

وهكذا ذكر موسى بن عقبة والواقدي .

وروى مسلم من طريق الأعمش ، عن أبى سفيان ، عن جابر نحو هذه القصة ، إلا أنه لم يسم الذى مات من المنافقين . قال : هبت ريحٌ شديدة والنبي صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره فقال : هذه لموت منافق . فلما قدمنا المدينة إذا هو قد مات عظيم من عطاء المنافقين .

قال ابن إسحاق : ونزلت السورة التى ذكر الله فيها المنافقين في ابن أبى ومن كان على مثل أمره ، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بأذن زيد بن أرقم وقال :

هذا الذى أَوْفَى الله بأذنه . قلت : وقد تكلمنا على تفسيرها بتمامها فى كتابنا السابق .
بما فيه كفاية عن إعادته هاهنا ، وسرّذنا طرق هذا الحديث عن زيد بن أرقم والله
الحد والملة ، فمن أراد الوقوف عليه أو أحب أن يكتبه هاهنا فليطلبه من هناك .
وبالله التوفيق .

قال ابن إسحاق : حدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، أن عبد الله بن عبد الله بن أبي بن
سأول أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله إنه بلغني أنك تريد قتل
عبد الله بن أبيّ فيما بلغك عنه ، فإن كنت فاعلا فمرّ لى به فأنا أحمل إليك رأسه ، فوالله
لقد علمت الخزيج ما كان بها من رجل أبرّ بوالده منى ، وإنى أخشى أن تأمر به غيرى
فيقتله فلا تدعى نفسى أن أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبيّ يمشى فى الناس فأقتله ، فأقتل
مؤمنًا بكافر فأدخل النار .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بل نترقب به ونحسن صحبته ما بقى مغيبا . وجعل
بعد ذلك إذا أحدث الحدث كان قومه هم الذين يعاتبونه ويأخذونه ويعنفونه ، فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب حين بلغه ذلك من شأنهم : كيف
ترى يا عمر ؟ أما والله لو قتلت يوم قلت لى لأرعدت له آنف لو أمرتها اليوم بقتله
لقتلته . فقال عمر : قد والله علمت لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم بركة
من أمرى .

وقد ذكر عكرمة وابن زيد وغيرهما أن ابنه عبد الله رضى الله عنه وقف لأبيه
عبد الله بن أبيّ بن سأول عند مضيق المدينة فقال : قف فوالله لا تدخلها حتى يأذن
رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك . فلما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم استأذنه فى
ذلك فأذن له فأرسله حتى دخل المدينة .

قال ابن إسحاق : وأصيب يومئذ من بنى المصطلق ناسٌ ، وقتل على بن أبي طالب منهم رجلين : مالكا وابنه .

قال ابن هشام : وكان شعار المسلمين : يا منصور أمت أمت .

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أصاب منهم سبياً كثيراً فقسمهم في المسلمين .

وقال البخارى : حدثنا قتيبة بن سعيد ، أخبرني إسماعيل بن جعفر ، عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن ، عن محمد بن يحيى بن حبان ، عن ابن مُحَيْرِز ، أنه قال : دخلت المسجد فرأيت أبا سعيد الخدري فجلست إليه فسألته عن العزل ، فقال أبو سعيد : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة بنى المصطلق فأصبنا سبياً من سبي العرب فاشتبهنا النساء واشتدت علينا العزوبة ، وأحببنا العزل وقلنا نازل ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا قبل أن نسأله ، فسألناه عن ذلك فقال : « ما عليكم ألا تفعلوا ، ما من نسمة كائنة إلى يوم القيامة إلا كائنة » وهكذا رواه [مسلم] .

قال ابن إسحاق : وكان فيمن أصيب يومئذ من السبايا جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار ، فحدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة عن عائشة قالت : لما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم سبايا بنى المصطلق وقعت جويرية بنت الحارث في السهم لثابت ابن قيس بن شماس ، أو لابن عم له ، فكاتبته على نفسها وكانت امرأة حلوة ملاحاة لا يراها أحد إلا أخذت بنفسه ، فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم لتستعينه في كتابتها . قالت : فوالله ما هو إلا أن رأيته على باب حجرتي فكرهتها وعرفت أنه سيرى منها ما رأيت . فدخلت عليه فقالت : يا رسول الله أنا جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار سيد قومه ، وقد أصابني من البلاء ما لم يخف عليك ، فوقفت في السهم لثابت بن قيس بن شماس

أولابن عم له فكاتبته على نفسى فجئتكَ أستعينك على كتابتى .

قال : فهل لك فى خير من ذلك ؟ قالت : وما هو يا رسول الله ؟ قال : أقضى عنك كتابك وأنزوجه . قالت : نعم يا رسول الله قد فعلتُ .

قالت : وخرج الخبرُ إلى الناس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تزوج جويرة بنت الحارث ، فقال الناس : أصهارُ رسول الله صلى الله عليه وسلم . فأرسلوا ما بأيديهم . قالت : فلقد اعتق بزويجه إياها مائة أهل بيت من بنى المصطلق ، فما أعلم امرأة أعظم بركة على قومها منها .

ثم ذكر ابن إسحاق قصة الإفك بتمامها فى هذه الغزوة ، وكذلك البخارى وغير واحد من أهل العلم ، وقد حررت طرق ذلك كله فى تفسير سورة النور ، فليحقق بكأله إلى هاهنا وبالله المستعان .

وقال الواقدى : جدثنا حرام ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه قال : قالت جويرة بنت الحارث : رأيت قبل قدوم النبى صلى الله عليه وسلم بثلاث ليال كأن القمر يسير من يثرب حتى وقع فى حجرى ، فكرهت أن أخبر به أحداً من الناس حتى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما سُبينا رجوت الرؤيا ، قالت : فأعتقنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتزوجنى ، والله ما كلفته فى قومي حتى كان المسلمون هم الذين أرسلوهم وما شعرت إلا بجارية من بنات عُمى تخبرنى الخبر ، فحمدت الله تعالى .

قال الواقدى : ويقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل صداقها عتق أربعين من بنى المصطلق .

وذكر موسى بن عقبة عن بنى المصطلق أن أباهما طلبها وافتداها ، ثم خطبها منه رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجه إياها .

قصة الإفك

وهذا سياق محمد بن إسحاق حديث الإفك :

قال ابن إسحاق : حدثني الزهري ، عن علقمة بن وقاص وسعيد بن المسيب ^(١) وعروة بن الزبير وعبيد الله بن عبد الله ^(٢) بن عتبة ، قال الزهري : وكل قد حدثني بهذا الحديث ، وبعض القوم كان أوعى له من بعض ، وقد جمعت كل الذي ^(٣) حدثني القوم .

قال ابن إسحاق : وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عن عائشة ، وعبد الله بن أبي بكر ، عن عمرة بنت عبد الرحمن ، عن عائشة عن نفسها حين قال فيها أهل الإفك ما قالوا ، فكل قد دخل في حديثها عن هؤلاء جميعاً يحدث بعضهم ما لم يحدث صاحبه ، وكل كان عنها ثقة ، فكلهم حدث عنها بما سمع قالت :

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد سفرأ أقرع بين نسائه فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه ، فلما كان غزوة بني الأصطلق أقرع بين نسائه ، كما كان يصنع ، فخرج سهمي عليهن معه ، فخرج بي رسول الله صلى الله عليه وسلم . قالت : وكان النساء إذ ذاك يأكلن العلق ^(٤) لم يهجن اللحم فيثقلن ، وكنت إذا رُحِّل لي بعيري جلست في هودجى ، ثم يأتي القوم الذين كانوا يرحلون لي فيحملوني ويأخذون بأسفل الهودج فيرفعونه فيضعونه على ظهر البعير فيشدونه بحباله ، ثم يأخذون برأس البعير فينطلقون به .

(١) ابن هشام : سعيد بن جبير . (٢) الأصل : وعبد الله بن عبيد الله . وما أنبته عن ابن هشام .
(٣) ابن هشام : لك الذي . (٤) العلق : جمع علقة ، وهى كل ما يتبلغ به من العيش .

قالت : فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفره ذلك وجه قافلاً حتى إذا كان قريباً من المدينة نزل منزلاً فبات به بعض الليل ، ثم أذن مؤذنٌ في الناس بالرحيل ، فارتحل الناس ، وخرجت لبعض حاجتي وفي عنقي عقد لي فيه جَزَع ظفَّار^(١) فلما فرغت أنسل من عنقي ولا أدري ، فلما رجعت إلى الرجل ذهبت ألتمسه في عنقي فلم أجده ، وقد أخذ الناس في الرحيل ، فرجعت إلى مكاني الذي ذهبت إليه فالتصمت حتى وجدته ، وجاء القوم خلافي الذين كانوا يرحلون لي البعير وقد كانوا فرغوا من رحلته ، فأخذوا المودج وهم يظنون أني فيه كما كنت أصنع ، فاحتملوه فشدوه على البعير ولم يشكوا أني فيه ، ثم أخذوا برأس البعير فانطلقوا به .

فرجعت إلى العسكر وما فيه دأع ولا مجيب ، قد انطلق الناس . قالت : فتلففت بجلبابي ثم اضطجعت في مكاني ، وعرفت أن لو افتتحت لرجع الناس إلى .
قالت : فوالله إنني لمضطجعة إذ مرَّ بي صفوان بن المعطل السلمي وكان قد تحلف عن العسكر لبعض حاجاته فلم يبت مع الناس ، فرأي سوادى فأقبل حتى وقف عليّ وقد كان يراني قبل أن يضرب علينا الحجاب ، فلما رآني قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ! طعمينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ وأنا متلففة في ثيابي . قال : ما خلفك يرحمك الله ؟ قالت : فما كلمته . ثم قرب إلى البعير فقال : اركبي . واستأخر عني .

قالت : فركبت وأخذ برأس البعير فانطلق سريعاً يطلب الناس ، فوالله ما أدركنّا الناس وما افتتحت حتى أصبحت ، ونزل الناس فلما اطمأنوا طاع الرجل يقودني ، فقال أهل الإفك ما قالوا ، وارتج العسكر ووالله ما أعلم بشيء من ذلك .

ثم قدمنا المدينة فلم ألبث أن اشتكيت شكوى شديدة لا يبلغني من ذلك شيء .

(١) الجزع : الحرز . وظفَّار : مدينة باليمن .

وقد انتهى الحديث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى أبويّ ، لا يذكرون لي منه قليلا ولا كثيرا ، إلا أني قد أنكرت من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعضَ لطفه بي ، كنت إذا اشتكيت رحمي ولطف بي ، فلم يفعل ذلك بي في شكواي ذلك ، فأنكرت ذلك منه ، كان إذا دخل عليّ وعندى أمي تمرّضني قال : كيف تيكم ؟ لا يزيد علي ذلك .

قالت : حتى وجدت في نفسي فقلت : يا رسول الله ، حين رأيت ما رأيت من جفائه لي : لو أذنت لي فانتقلتُ إلى أمي فرَضتني . قال : لا عليك . قالت : فانتقلت إلى أمي ولا علم لي بشيء مما كان ، حتى نَفِيت من وجعي بعد بضع وعشرين ليلة ، وكنا قوماً عرباً لا نتخذ في بيوتنا هذه الكنف التي تتخذها الأعاجم نعافها ونكرها ، إنما كنا نخرج في فُسْح المدينة وإنما كانت النساء يخرجن في كل ليلة في حوائجن ، فخرجت ليلة لبعض حاجتي ومعى أمِ مِسْطَح ابنة أبي رُهم بن المطلب ، قالت : فوالله إنها لتمشي معي إذ عثرت في مِرطها فقالت : تعس مِسْطَح . ومسطح لقب واسمه عوف . قالت : فقلت : بئس لعمر و الله ما قلت لرجل من المهاجرين ، وقد شهد بدرأ . قالت : أو ما بلغك الخبر يا بنت أبي بكر ؟ قالت : قلت : وما الخبر ؟ فأخبرتني بالذي كان من قول أهل الإفك . قلت : أو قد كان هذا ؟ قالت : نعم . والله لقد كان . قالت : فوالله ما قدرت على أن أقضي حاجتي ، ورجعت ، فوالله ما زلت أبكي حتى ظننت أن البكاء سيَصْدَع كبدي . قالت : وقلت لأمي : يفر الله لك تحدثت الناس بما تحدثوا به ولا تذكرين لي من ذلك شيئاً ! قالت : أي بنية خَفَفِي ^(١) عليك الشأن فوالله لقلّ ما كانت امرأة حسناء عند رجل يحبها لها ضرائر إلا كَثُرْنَ وكَثُرَ الناسُ عليها .

قالت : وقد قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فخطبهم ، ولا أعلم بذلك ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ما بال رجال يؤذونني في أهلي ويقولون عليهم غير الحق ، والله ما علمتُ عليهم إلا خيراً ، ويقولون ذلك لرجل والله ما علمتُ منه إلا خيراً ، ولا يدخل بيتاً من بيوتى إلا وهو معي .

قالت : وكان كبيرُ ذلك عند عبد الله بن أبيّ بن سلول في رجال من الخزرج مع الذي قال مسطح وحنمة بنت جحش ، وذلك أن أختها زينب بنت جحش كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تكن امرأة من نسائه تناصبني في المنزلة عنده غيرها . فأما زينب فعصمها الله بدينها فلم تقل إلا خيراً ، وأما حنمة فأشاعت من ذلك ما أشاعت تضارني لأختها فشقيت بذلك .

فلما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المقالة قال أسيد بن حضير : يا رسول الله إن يكونوا من الأوس نكفيهم وإن يكونوا من إخواننا من الخزرج فمرنا أمرك ، فوالله إنهم لأهل أن تضرب أعناقهم .

قالت : فقام سعد بن عباد ، وكان قبل ذلك يرى رجلاً صالحاً فقال : كذبت لعمر الله ما تضرب أعناقهم ، أما والله ما قلت هذه المقالة إلا أنك قد عرفت أنهم من الخزرج ولو كانوا من قومك ما قلت هذا . فقال أسيد بن حضير : كذبت لعمر الله ، ولكنك منافق تجادل عن المنافقين .

قالت : وتساور الناس حتى كاد يكون بين هذين الحَيَّين من الأوس والخزرج شر .

ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل علىّ فدعا علىّ بن أبي طالب وأسماء ابن زيد فاستشارهما ، فأما أسماء فأثنى خيراً وقاله ، ثم قال : يا رسول الله أهلك وما نعلم منهم إلا خيراً ، وهذا الكذبُ والباطل . وأما علىّ فإنه قال : يا رسول الله إن النساء

لكثير وإنك لقادر على أن تستخلف ، وسَل الجارية فإنها ستصدقك . فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بُريرة يسألها . قالت : فقام إليها على فضربها ضرباً شديداً ويقول : أصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم . قالت : فتقول : والله ما أعلم إلا خيراً ، وما كنت أعيب على عائشة شيئاً إلا أنى كنت أعجن عجيني فأمرها أن تحفظه فتنام عنه فتأتى الشاة فتأكله !

قالت : ثم دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندي أبواى وعندي امرأة من الأنصار وأنا أبكى وهى تبكى ، فجلس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : يا عائشة إنه قد كان ما بلغك من قول الناس ، فاتقى الله ، وإن كنت قد قارفت سوءاً مما يقول الناس فتوبى إلى الله ، فإن الله يقبل التوبة عن عباده . قالت : فوالله إن هو إلا أن قال لى ذلك فقلص^(١) دمعى حتى ما أحس منه شيئاً ، وانتظرت أبوى أن يجيبا عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يتكلما .

قالت : وایم الله لأننا كنت أحقّر فى نفسى وأصغر شأننا من أن يُنزل الله فى قرآننا يقرأ به ويُصلّى به ، ولكنى كنت أرجو أن يرى النبى صلى الله عليه وسلم فى نومه شيئاً يكذب الله به عنى لما يعلم من براءتى ويخبر خبيراً ، وأما قرآننا ينزل فى فوالله لنفسى كانت أحقر عندى من ذلك . قالت : فلما لم أر أبوى يتكلمان قلت لهما : ألا نجيبان رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقالا : والله ما ندرى بما نجيبه . قالت : والله ما أعلم أهل بيت دخل عليهم ما دخل على آل أبى بكر فى تلك الأيام . قالت : فلما استعجبا على استعبرتُ فبكيت ثم قلت : والله لا أتوب إلى الله مما ذكرت أبداً ، والله إنى لأعلم لئن أقررت بما يقول الناس والله يعلم أنى منه بريئة لأتوان ما لم يكن ، ولئن أنا أنكرت

ما يقولون لا تُصدقوني . قالت : ثم التمت اسم يعقوب فما أذكره فقلت : ولكن سأقول كما قال أبو يوسف : « فصبرٌ جميل والله المستعان على ما تصفون » قالت : فوالله ما برح رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسه حتى تغشاه من الله ما كان يغشاه ، فسجى بثوبه ووضعت وسادة من آدم تحت رأسه ، فأما أنا حين رأيت من ذلك ما رأيت فوالله ما فرغت وما باليت ، قد عرفت أنى بريئة وأن الله غير ظالمى ، وأما أبوإى فوالذى نفس عائشة بيده ماسرئى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ظننت لتخرجن أنفسهما فرقا من أن يأتى من الله تحقيق ما قال الناس .

قالت : ثم سرئى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس وإنه ليتحدّر من وجهه مثل الجمان فى يوم شاتٍ ، فجعل يمسح العرق عن وجهه ويقول : أبشرى يا عائشة ، قد أنزل الله عز وجل براءتك . قالت : قلت : الحمد لله .

ثم خرج إلى الناس فخطبهم وتلا عليهم ما أنزل الله عز وجل من القرآن فى ذلك ، ثم أمر بمسطح بن أثانة وحسان بن ثابت وخمعة بنت جحش ، وكانوا ممن أفصح بالفاحشة فضربوا حدّهم .

وهذا الحديث مخرّج فى الصحيحين عن الزُّهرى ، وهذا السياق فيه فوائد جمة . وذكر حدّ القذف لحسان ومن معه ، رواه أبو داود فى سننه .

قال ابن إسحاق : وقال قائل من المسلمين فى ضرب حسان وأصحابه :

لقد ذاق حسان الذى كان أهله وخمعة إذ قالوا هجيراً ومسطح^(١)
تعاطوا برجم الغيب زوج نبيهم وسخطة ذى العرش الكريم فأترحوا^(٢)
وآذوا رسول الله فيها فجلّوا مخازى تنبى عمومها وفُضّحوا

(١) الهجير : الفاحش من القول .

(٢) أترحوا : أحزنوا ، من الفرح .

وَصُبَّتْ عَلَيْهِمْ مُحْصَدَاتُ كَأَنهَا شَائِبٌ قَطَرٌ فِي دُرِّ الزُّنْ تَسْفَحُ^(١)

وقد ذكر ابن إسحاق أن حسان بن ثابت قال شعراً يهجو فيه صفوان بن المعطل
وجاعة من قريش ممن تخاصم على الماء^(٢) من أصحاب جهنم كما تقدم أوله هي :
أَمْسَى الْجَلَايِبُ قَدْ عَزُّوا وَقَدْ كَثُرُوا وابن الفريضة أَمْسَى بِيضَةُ الْبَلَدِ^(٣)
قَدْ ثَكَلَتْ أُمُّهُ مِنْ كُنْتِ صَاحِبَهُ أَوْ كَانَ مُنْتَشِبًا فِي بُرْنِ الْأَسَدِ
مَا لِقَتَيْلَى الَّذِي أَغْدُو فَاخْذِهِ مِنْ دَبَةٍ فِيهِ يُمَظَاهَا وَلَا قَوْدِ
مَا الْبَحْرُ حِينَ تَهَبُ الرِّيحُ شَامِيَةً فَيَغْطِئُ وَيَرَى السَّيْفَ بِالزَّبَدِ^(٤)
يَوْمًا بِأَغْلَبَ مَتَى حِينَ تُبْصِرُنِي مِنْغِيظُ أَفْرَى كَفْرَى الْعَارِضِ الْبَرْدِ^(٥)
أَمَّا قَرِيشُ فَإِنِّي لَا أَسْلَمُهَا حَتَّى يُنَبِّئُوا مِنَ الْغِيَاثِ لِلرَّشَدِ
وَيَتْرَكُوا اللَّاتَ وَالْعَزَى بِمَعْرَلَةٍ وَيَسْجُدُوا كُلُّهُمْ لِلوَاحِدِ الصِّدِّ
وَيَشْهَدُوا أَنَّ مَا قَالَهُ الرَّسُولُ لَهُمْ حَقٌّ فَيُوفُوا بِحَقِّ اللَّهِ وَالْوُكُودِ^(٦)
قال : فاعترضه صفوان بن المعطل فضربه بالسيف وهو يقول :

تَلَقَّى ذُبَابَ السَّيْفِ عَنِّي فَإِنِّي غَلَامٌ إِذَا هُوَ جِيتُ لَسْتُ بِشَاعِرٍ
وذكر أن ثابت بن قيس بن شماس أخذ صفوان حين ضرب حسان فشده وثاقاً ،
فلقيه عبد الله بن رواحة فقال : ما هذا ؟ فقال : ضرب حسان بالسيف . فقال عبد الله :
هل علم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء من ذلك ؟ قال : لا . فأطلقه ثم أتوا كلهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابن المعطل : يا رسول الله آذاني وهجاني فاحتملني

(١) المحصدات : السياط الشديدة القتل . والشائب : جمع شؤبوب وهي الدفعة من المطر . والزُن : السحاب
(٢) ابن هشام : يعرض باين المعطل فيه ، ويمن أسلم من العرب من مضر .
(٣) الجلايب : الغرباء .
(٤) يَغْطِئُ : يركب بعضه بعضاً . والعير : جانب البحر .
(٥) أَفْرَى : أقطع . والعارض : السحاب .
(٦) الوكود : العهود والمواثيق .

الغضبُ فضرِبته . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا حسان أنشَوْهُتَ على قومي إذ هدام الله . ثم قال : أحسن يا حسان فيما أصابك . فقال : هي لك يا رسول الله . فموضه منها بيرحاء^(١) التي تصدق بها أبو طلحة وجارية قبطية يقال لها سيرين جاءه منها ابنه عبد الرحمن .

قال : وكانت عائشة تقول : سُئِلَ عن ابن المفضل فوجد رجلاً حَصُوراً ما يأتى النساء . ثم قتل بعد ذلك شهيداً رضى الله عنه .

* * *

قال ابن إسحاق : ثم قال حسان بن ثابت يعتذر من الذى كان قال فى شأن عائشة :

حَصَانُ رَزَانُ مَا تَزُنُ بِرَبِيبَةٍ	وَتَصْبِحُ غَرْنِي مِنْ لَحُومِ الْغَوَافِلِ ^(٢)
عَقِيلَةٌ حَيٍّ مِنْ لَوْيٍّ بِنِ غَالِبٍ	كَرَامِ الْمَسَاعِي مَجْدُهُمْ غَيْرُ زَائِلٍ
وَإِنْ الَّذِي قَدْ قِيلَ لَيْسَ بِلَائِطٍ	بِكَ الدَّهْرِ بِلَ قَبْلُ امْرِئٍ بِي مَاحِلٍ ^(٣)
فَإِنْ كَفْتُ قَدْ قُلْتُ الَّذِي قَدْ زَعَمْتُ	فَلَا رَفَعْتُ سَوَطِي إِلَى أَنَا مِلِي
فَكَيْفَ وَوَدَّيْ مَا حَيِّتَ وَنُصْرَتِي	لَأَلَّ رَسُولَ اللَّهِ زَيْنُ الْحَافِلِ
وَإِنْ لَمْ عَزًّا تَرَى الْفَاسَ دُونَهُ	قَصَاراً وَطَالَ الْعَزُّ كُلَّ التَّطَاوُلِ

ولتكتب هاهنا الآيات من سورة النور ، وهى من قوله : « إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ، لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ » إلى : « مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ » وما أوردناه هنالك من الأحاديث والطرق والآثار عن السلف والخلف . وبالله التوفيق .

(١) حاء : اسم رجل أضيفت إليه البئر وفى ابن هشام : وهى قصر بنى جديلة اليوم بالمدينة .

(٢) تزن : تهم والغرنى : الجماعة . (٣) لائط : لاصق . والمالح : الواشى .

غزوة الحديبية

وقد كانت في ذى القعدة سنة ست بلا خلاف . ومن نص على ذلك الزهري ،
ونافع مولى ابن عمر ، وقتادة ، وموسى بن عُقبة ، ومحمد بن إسحاق بن يسار وغيرهم .
وهو الذى رواه ابن لهيعة عن أبى الأسود عن عروة ، أنها كانت في ذى القعدة
سنة ست .

وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا إسماعيل بن الخليل ، عن على بن مُسهر ، أخبرنى
هشام بن عروة ، عن أبيه : قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحديبية في رمضان ،
وكانت الحديبية في شوال :

وهذا غريب جدا عن عروة .

وقد روى البخارى ومسلم جميعا عن هُذَبة ، عن هَمَّام ، عن قتادة ، أن أنس بن
مالك أخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتمر أربع عُمرَ في ذى القعدة إلا العمرة التى
مع حجته ، عمرة من الحديبية في ذى القعدة ، وعمرة من العام المقبل في ذى القعدة ، ومن
الجعرانة في ذى القعدة حيث قَسَمَ غنائم حُنَيْن ، وعمرة مع حجته .
وهذا لفظ البخارى .

وقال ابن إسحاق : ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة رمضان وشوالا
وخرج في ذى القعدة معتمراً لا يريد حرباً . قال ابن هشام : واستعمل على المدينة مُمَيْلَة
ابن عبد الله الليثى .

قال ابن إسحاق : واستنفر العربَ ومن حوله من أهل البوادي من الأعراب ليخرجوا

معه ، وهو يخشى من قریش أن یدْرُضُوا له بحربٍ أو یصدوه عن البیت ، فأبطأ علیه كثيرٌ من الأعراب .

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن معه من المهاجرين والأنصار ومن لحق به من العرب ، وساق معه الهدى وأحرَمَ بالعمرة ليأمنَ الناسُ من حربه ، وليعلم الناس أنه إنما خرج زائراً لهذا البيت ومعظماً له .

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن مسلم بن شهاب الزهري ، عن عروة بن الزبير ، عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحکم أنهما حدثاه قالاً : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية يريد زيارة البيت لا يريد قتالاً ، وساق معه الهدى سبعين بدنة ، وكان الناس سبعائة رجل ، وكانت كل بدنة عن عشرة نفر ، وكان جابر ابن عبد الله فيما بلغني يقول : كنا أصحاب الحديبية أربع عشرة مائة .

قال الزهري : وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا كان بُعْثَغان لقيه بشر^(١) بن سفيان السكبي ، فقال : يا رسول الله هذه قریش قد سمعتُ بمسيرك فخرجوا معهم العوذ المطافيل^(٢) ، قد لبسوا جلودَ النمر وقد نزلوا بذى طوى ، يماهدون الله لا تدخلها عليهم أبداً ، وهذا خالد بن الوليد في خيلهم قد قدموا إلى كراع النعميم .

قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا ويح قریش ! قد أكلتهم الحربُ ، ماذا عليهم لو خلوا بيني وبين سائر العرب ، فإن هم أصابوني كان ذلك الذي أرادوا ، وإن أظهرني الله عليهم دخلوا في الإسلام وافرين ، وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة ، فما تظن قریش ؟ فوالله لا أزال أجاهد على هذا الذي بعثنى الله به حتى يُظهره الله أو تنفرد هذه السالفة .^(٣) ثم

(١) ويقال له : بسر . كما قال ابن هشام .

(٢) العوذ المطافيل : النوق ذوات اللين معها أولادها . وهى كناية عن النساء معها الأطفال .

(٣) السالفة : صفحة العنق . وأراد بذلك الموت .

قال : مَنْ رجلٌ يخرج بنا على طريقٍ غير طريقهم التي هم بها ؟ .
قال ابن إسحاق : فحدثني عبد الله بن أبي بكر أن رجلاً من أسلم قال : أنا يارسل
الله . فسلكت بهم طريقاً وغراً أُجْرَلُ (١) بين شعاب ، فلما خرجوا منه وقد شَقَّ ذلك
على المساكين فأفَضُوا إلى أرض سهلة عند منقطع الوادي ، قال رسول الله : قولوا : نستغفر
الله ونتوب إليه . فقالوا ذلك . فقال : والله إنها لَلْحِطَّةُ التي عُرِضَتْ على بني إسرائيل
فلم يقولوها .

قال ابن شهاب : فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس فقال : اسلكوا
ذات اليمين بين ظهري الحمض . في طريق يُخْرِجُهُ على ثنية المَرَار مَهْبطَ الحُدَيْبِيَّةِ
من أسفل مكة .

قال : فسلكت الجيش ذلك الطريق ، فلما رأت خيلُ قريش قَتَرَةَ الجيش قد خالفوا
عن طريقهم ركضوا راجعين إلى قريش .

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا سلك في ثنية المَرَار بركت ناقته
فقال الناس : خلَّأتُ (٢) . فقال : ما خلَّأتُ وما هو لها بخلق ، ولا كن حبسها حابسُ
الفيل عن مكة ، لا تَدْعُونِي قريشُ اليومَ إلى خطبة يسألوني فيها صَلةَ الرحم إلا
أعطيهم إياها .

ثم قال للناس : انزلوا . قيل له : يارسل الله ما بالوادي ماء يُنْزَلُ عليه . فأخرج
سهماً من كنفاته فأعطاه رجلاً من أصحابه فنزل به في قلب من تلك القُلب ، فعرزه في
جوفه فجاش بالرواء حتى ضَربَ الناسُ عنه بعُطْنِ (٣) .

(١) الأجرل : الكثير المجارة .

(٢) خلَّأت : حرنت وبركت من غير علة . (٣) ضرب الناس بعُطْنِ : أناخوا حول الماء بعد الذي

قال ابن إسحاق : فحدثني بعض أهل العلم عن رجال من أسلم أن الذي نزل في القليب بسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ناجية بن جُنْدَب ^(١) ، سائق بدن رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال ابن إسحاق : وقد زعم بعض أهل العلم أن البراء بن عازب كان يقول : أنا الذي نزلت بسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فالله أعلم أى ذلك كان . ثم استدلل ابن إسحاق للأول أن جارية من الأنصار جاءت البئر وناجية أسفله يَمِيح ^(٢) فقالت :

ياأيها المائح دَلَوِي دونكا إني رأيت الناس يَمُحِدُونكَ
يُذْنُون خيراً وَيُجِدُونكَ

فأجابها فقال :

قد علمت جارية يَمَانِيهِ أنى أنا المائحُ واسمى ناجية
وطعنة ذات رَشَاشٍ واهِيهِ طعنُها عندَ صدور العادِيهِ

قال الزهري في حديثه : فلما اطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه بديل بن ورقاء في رجال من خزاعة ، فكلموه وسألوه ما الذى جاء به ؟ فأخبرهم أنه لم يأت يريد حرباً وإنما جاء زائراً للبيت ومعظماً لحرمته . ثم قال لهم نحو ما قال لبشر بن سفيان ، فرجعوا إلى قريش فقالوا : يامعشر قريش إنكم تَعَجَّلُون على محمد ، وإن محمداً لم يأت لقتال إنما جاء زائراً لهذا البيت . فأتهمهم وجبهم وقالوا : وإن جاء ولا يريد قتالاً ، فوالله لا يدخلها علينا عنوة ولا تحدث بذلك عنا العرب .

قال الزهري : وكانت خزاعة عَيْبَة ^(٣) نُصَح رسول الله صلى الله عليه وسلم مسلمها ومشرکہا لا يُخْفُون عنه شيئاً كان بمكة .

(٢) يَمِيح : يملأ الدلاء .

(١) ذكر ابن هشام بقية نسبه .

(٣) العيبة : موضع السر والخاصة .

قال : ثم بعثوا إليه مكرز بن حفص بن الأخيف أخا بني عامر بن لؤى ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلا قال : هذا رجل غادر . فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلمه قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم نحووا مما قال لبديل وأصحابه ، فرجع إلى قريش فأخبرهم بما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم بعثوا بـمُحَلِّيس بن علقمة أو ابن زبَّان وكان يومئذ سيد الأحابيش ، وهو أحد بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن هذا من قوم يتألهون فابعثوا الهدى في وجهه حتى يراه . فلما رأى الهدى يسيل عليه من غرض الوادي في قلائده قد أكل أوباره من طول الحبس عن محله رجع إلى قريش ولم يصل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إعظاما لما رأى ، فقال لهم ذلك . قال : فقالوا له : اجلس فإنما أنت أعرابي لا علم لك .

قال ابن إسحاق : فحدثني عبد الله بن أبي بكر أن الحليس غضب عند ذلك وقال : يامعشر قريش والله ما على هذا حالنا كم ولا على هذا عاهدناكم ، أصد عن بيت الله من جاءه معظما له ؟ والذي نفس الحليس بيده لتخلن بين محمد وبين ما جاء له أو لتفرن بالأحابيش نفرة رجل واحد . قالوا : مه كفف عنا حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به .

قال الزهري في حديثه : ثم بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عروة بن مسعود الثقفي فقال : يامعشر قريش إني قد رأيت ما يلقي منكم من بعثتموه إلى محمد إذ جاءكم من التعنيف وسوء اللفظ ، وقد عرفتم أنكم والد وأنى ولد ، وكان عروة لسبيعة بنت عبد شمس ، وقد سمعت بالذي نابكم فجمعت من أطاعني من قومي ثم جئتكم حتى آسيتكم بنفسى . قالوا : صدقت ما أنت عندنا بمتهم .

فخرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس بين يديه ثم قال : يا محمد أجمعت أو شباب الناس ثم جئت بهم إلى بيضتك لتفضها بهم ؟ ! إنها قریش قد خرجت معها العوذ المطافيل قد لبسوا جلود النمر ، بماهدون الله لاندخلها عليهم عنة أبدا ، وأيم الله لكأني بهؤلاء قد انكشفوا عنك غدا .

قال : وأبو بكر الصديق رضى الله عنه خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : امضن بظر اللات ! أنحن نكشف عنه ؟ قال : من هذا يا محمد ؟ قال : هذا ابن أبى قحافة . قال : أما والله لولا يدك كانت لك عندي لكافأتك بها ، ولكن هذه بهذه . قال : ثم جعل يتناول حية رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يكلمه ، والمغيرة ابن شعبة واقف على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديد ، قال : فجعل يقرع يده إذ يتناول حية رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول : اكفف يدك عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ألا تصل إليك . قال : فيقول عروة : ويحك ما أفظك وأغلظك !

قال : فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له عروة : من هذا يا محمد ؟ قال : هذا ابن أخيك المغيرة بن شعبة . قال : أى غدر وهل غسلت سوائتك إلا بالأمس !

قال الزهرى : فكلّمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحو مما كلم به أصحابه ، وأخبره أنه لم يأت يريد حرباً ، فقام من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد رأى ما يصنع به أصحابه ، لا يتوضأ إلا ابتدروا وضوءه ولا يبصق بصاقاً إلا ابتدروه ولا يسقط من شعره شيء إلا أخذوه ، فرجع إلى قریش فقال : يا معشر قریش إني قد جئت كسرى في ملكه وقيصر في ملكه والنجاشي في ملكه ، وإني والله ما رأيت ملكاً في قومه قط مثل محمد في أصحابه ! ولقد رأيت قوماً لا يؤمنون بشيء أبداً ، فروا رأيكم .

قال ابن إسحاق : وحدثني بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا خِرَاشَ بن أُمَيَّةَ الخِزَاعِي فبعثه إلى قريش بمكة وحمله على بعير له يقال له الثعلب ، ليبلغ أشرافهم عنه ما جاء له ، فعقروا به جل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأرادوا قتله ، فمنعه الأحابيشُ فخلَّوْا سبيله حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : وحدثني بعض من لاأتهم عن عكرمة عن ابن عباس ، أن قريشا كانوا يمشوا أربعين رجلا منهم أو خمسين ، أمرهم أن يُطِيفُوا بعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصيبوا لهم من أصحابه أحداً فأخذوا ، فأُتِيَ بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فمعا عنهم وخلي سبيلهم ، وقد كانوا رَمَوْا في عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجارة والنبل .

ثم دعا عمر بن الخطاب ليعثه إلى مكة فيبلغ عنه أشراف قريش ما جاء له ، فقال : يا رسول الله إني أخاف قريشاً على نفسي وليس بمكة من بني عدى أحد يمتعني ، وقد عرفت قريش عداوتي إياها وغلظتي عليها ولكنني أدلك على رجل أعزَّ بها مني ، عثمان بن عفان .

فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان بن عفان فبعثه إلى أبي سفيان وأشراف قريش يخبرهم أنه لم يأت للحرب ، وإنما جاء زائراً لهذا البيت معظماً لحرمته .

فخرج عثمان إلى مكة فلقية أبا نَـبَّانَ بن سعيد بن العاص حين دخل مكة أو قبل أن يدخلها ، فحمله بين يديه ثم أجاره حتى بلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلق عثمان حتى أتى أبا سفيان وعظاء قريش فبلغهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أرسله به ، فقالوا لعثمان حين بلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن شئت أن تطوف بالبيت فطُف . قال : ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم .

واحتبسته قريش عندها ، فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين أن عثمان قد

قتل . قال ابن إسحاق : فحدثني عبد الله بن أبي بكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حين بلغه أن عثمان قد قتل : لا نبرح حتى نُنَاجِزَ القومَ .

ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى البيعة ، وكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة وكان الناس يقولون : بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الموت . وكان جابر بن عبد الله يقول : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبايعنا على الموت ، ولكن بايعنا على ألا نفر .

فبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس ولم يتخلف عنه أحد من المسلمين حضرها إلا الجَدُّ بن قيس أخو بني سلمة ، وكان جابر بن عبد الله يقول : والله لكأني أنظر إليه لاصقاً بإبط ناقته قد ضباً^(١) إليها يستقر من الناس .

ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الذي ذكر من أمر عثمان باطل .

قال ابن هشام : وذكر وكيع عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن الشعبي ، أن أول من بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة الرضوان أبو سنان الأسدي .

قال ابن هشام : وحدثني من أثق به عن حديثه بإسناده عن ابن أبي مليكة ، عن ابن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بايع لعثمان فضرب بإحدى يديه الأخرى .

وهذا الحديث الذي ذكره ابن هشام بهذا الإسناد ضعيف ، لكنه ثابت في الصحيحين .

قال ابن إسحاق : قال الزهري : ثم بعثت قريش سهيل بن عمرو أخا بني عامر بن لؤي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا : انت محمدًا وصالحه ، ولا يكن في صالحه

(١) ضباً : لصق .

إلا أن يرجع عنا عامه هذا ، فوالله لا تتحدث العربُ أنه دخلها عنوة أبداً .
فأتاه سهيل بن عمرو فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلاً قال : قد أراد
القومُ الصلحَ حين بعثوا هذا الرجل .

فلما انتهى سهيل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تكلم فأطال الكلام ، وتراجعا
ثم جرى بينهما الصلح .

فلما التأم الأمرُ ولم يبق إلا الكتاب وثب عمر فأتى أبا بكر فقال : يا أبا بكر أليس
برسول الله ؟ قال : بلى . قال : أو لسنا بالمسلمين ؟ قال : بلى . قال : أو ليسوا بالمشركين ؟
قال : بلى . قال : فعلامَ نُعطى الدِّينِيَّةُ في ديننا ؟ قال : أبو بكر : يا عمر الزم غَرْزَه ^(١)
فإني أشهد أنه رسول الله . قال عمر : وأنا أشهد أنه رسول الله .

ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ألتَ برسول الله ؟ قال :
بلى . قال : أو لسنا بالمسلمين ؟ قال : بلى . قال : أو ليسوا بالمشركين ؟ قال : بلى . قال :
فعلامَ نُعطى الدِّينِيَّةُ في ديننا ؟ قال : أنا عبدُ الله ورسوله إن أخالف أمره ولن يضيعني .
وكان عمر رضى الله عنه يقول : ما زلتُ أصوم وأصدق وأصلي وأعتق من الذي
صَنَعْتُ يومئذٍ ، مخافةً كلامي الذي تكلمته يومئذٍ ، حتى رجوت أن يكون خيراً .

قال : ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليَّ بن أبي طالب رضى الله عنه فقال :
اكتب : بسم الله الرحمن الرحيم قال : فقال سهيل : لا أعرف هذا ، ولكن اكتب :
باسمك اللهم . قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اكتب باسمك اللهم . فكتبها .
ثم قال : اكتب : « هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو » . قال :
فقال سهيل : لو شهدتُ أنك رسول الله لم أقانك ، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك .

(١) الغرز : ركاب من جلد توضع فيه الرجل . والمراد : اتبع أمره ولا تخالفه .

قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اكتب : « هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو ، اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيهن الناس ويكف بعضهم عن بعض ، على أنه من أتى محمداً من قريش بغير إذن وليه رده عليهم ، ومن جاء قريشاً من مع محمد لم يردوه عليه ، وأن بيننا عيبة ^(١) مكفوفة ، وأنه لا إسلال ^(٢) ولا إغلال ، وأنه من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه ، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه » .

فتوالت خراطة فقالوا : نحن في عقد محمد وعهده . وتوالت بنو بكر فقالوا : نحن في عقد قريش وعهدهم .

وإنك ترجع عامك هذا فلا تدخل علينا مكة ، وإنه إذا كان عام قابل خرجنا عنك فدخلناها بأصحابك فاقت بها ثلاثاً ، معك سلاح الراب : السيوف في القرب لا تدخلها بغيرها .

قال : فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتب الكتاب هو وسهيل بن عمرو إذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في الحديد قد انفلت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خرجوا وهم لا يشكون في الفتح لرؤيا رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رأوا مارأوا من الصلح والرجوع وما تحمل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفسه دخل على الناس من ذلك أمر عظيم حتى كادوا يهلكون .

فلما رأى سهيلُ أبا جندل قام إليه فضرب وجهه وأخذ بتلبينه وقال : يا محمد قد تجلت القضية بيني وبينك قبل أن يأتيك هذا . قال : صدقت . فجعل ينتره بتلبينه ويحرقه

(١) العيبة : موضع السر ومكفوفة : مطوية . (٢) الإسلال : السرقة الخفية . والإغلال : الخيانة .

يعنى يردّه^(١) إلى قریش ، وجعل أبو جندل يصرخ بأعلى صوته : يا معشر المسلمين اُردُّوا إلى المشركين يَفْتَنُونَنِي في ديني .

فزاد ذلك الناس إلى ما بهم .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا أبا جندل اصبر واحتسب ، فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً . إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً وأعطيناهم على ذلك وأعطينا عهداً الله ، وإنا لا نغدر بهم » .

قال : فوثب عمر بن الخطاب مع أبي جندل يمشى إلى جنبه ويقول : اصبر أبا جندل ، فإنما هم المشركون وإنما دم أحدكم دم كلب . قال : ويذني قائم السيف منه . قال : يقول عمر : رجوت أن يأخذ السيف فيضرب أباه ! قال : فضنَّ الرجلُ بأبيه ، ونفذت القضية .

فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكتاب أشهد على الصلح رجالاً من المسلمين ورجالاً من المشركين : أبو بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وعبد الرحمن ابن عوف ، وعبد الله بن سُهَيْل بن عمرو ، وسعد بن أبي وقاص ، ومحمود بن مسleme ومكرز بن حفص ، وهو يومئذ مشرك ، وعلى بن أبي طالب ، وكتب ، وكان هو كاتب الصحيفة .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مُضْطَرَباً في الحِلِّ^(٢) ، وكان يصلي في الحرم ، فلما فرغ من الصلح قام إلى هَذِيه فنَحَرَه ، ثم جلس فخلق رأسه ، وكان الذي خلقه في ذلك اليوم خِرَاش بن أمية بن الفضل الخزاعي ، فلما رأى الناس أن رسول الله وسلم قد نَحَرَ وخلق توائبوا ينحرون ويخلقون .

(٢) مضطرباً : كانت خيامه مقامة في الحل .

(١) ابن هشام : ليرده .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي نجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قال : حاق رجال يوم الحديبية وقصر آخرون ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يرحم الله المحققين » . قالوا : والمقصرين يارسول الله ؟ قال : « يرحم الله المحققين » قالوا : والمقصرين يارسول الله ؟ قال : « يرحم الله المحققين » قالوا : والمقصرين يارسول الله ؟ قال : « والمقصرين » .

قالوا : يارسول الله فلم ظهرت الترحيم للمحققين دون المقصرين ؟ قال : لم يشكروا .

وقال عبد الله بن أبي نجيح : حدثني مجاهد ، عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أهدى عام الحديبية في هداياه جملاً لأبي جهل في رأسه برة من فضة ليعطي بذلك المبركين .

هذا سياق محمد بن إسحاق رحمه الله لهذه القصة ، وفي سياق البخارى كما سيأتى مخالفة في بعض الأماكن لهذا السياق كما سترأها إن شاء الله وبه الثقة . ولنوردها بتمامها ، ونذكر في الأحاديث الصحاح والحسان ما فيه [غناء] . إن شاء الله تعالى وعليه التكلان وهو المستعان .

قال البخارى : حدثنا خالد بن مخلد ، حدثنا سليمان بن بلال ، حدثنا صالح بن كيسان ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن زيد بن خالد ، قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية فأصابنا مطر ذات ليلة ، فصلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح ، ثم أقبل علينا بوجهه فقال : « أتدرون ماذا قال ربكم » ؟ فقلنا : الله ورسوله أعلم . فقال : قال الله تعالى : « أصبح من عبادى مؤمنٌ بى وكافرٌ بى ، فأما من

قال: مُطَرْنَا بِرَحْمَةِ اللَّهِ وَبِفَضْلِ اللَّهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالسُّكُوبِ ، وَأَمَّا مِنْ قَالَ : مُطَرْنَا
بِنَجْمٍ كَذَا فَهُوَ مُؤْمِنٌ بِالسُّكُوبِ كَافِرٌ بِي .

وَهَكَذَا رَوَاهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنْ صَحِيحِهِ ، وَمُسْلِمٌ مِنْ طَرُقِ عَنِ الزُّهْرِيِّ ، وَقَدْ رَوَى
عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ .

وَقَالَ الْبُخَارِيُّ : حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى ، عَنْ إِسْرَائِيلَ ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ ، عَنْ
الْبَرَاءِ قَالَ : تَعْدُونَ الْفَتْحَ فَتَحَ مَكَّةَ ، وَقَدْ كَانَ فَتَحَ مَكَّةَ فَتَحًا ، وَنَحْنُ نَعُدُّ الْفَتْحَ بَيْعَةَ
الرِّضْوَانِ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ ، كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْبَعَ عَشْرَةَ مِائَةً وَالْحُدَيْبِيَّةُ بَثْرٌ
فَنَزَحْنَاهَا فَلَمْ نَتْرِكْ فِيهَا قَطْرَةً فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَتَاهَا فَجَلَسَ عَلَى
شَفِيرِهَا ثُمَّ دَعَا بِإِنَاءٍ مِنْ مَاءٍ فَتَوَضَّأَ ثُمَّ مَضْمَضَ وَدَعَا ثُمَّ صَبَّهُ فِيهَا فَتَرَكْنَاهَا غَيْرَ بَعِيدٍ
ثُمَّ لَمَّا أَصْدَرْتَنَا مَا شَدَّنَا نَحْنُ وَرِكَابُنَا .
انْفَرَدَ بِهِ الْبُخَارِيُّ .

وَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : « فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتَحًا قَرِيبًا » : صَلَحَ
الْحُدَيْبِيَّةِ . قَالَ الزُّهْرِيُّ : فَمَا فَتَحَ فِي الْإِسْلَامِ فَتَحٌ قَبْلَهُ كَانَ أَكْبَرَهُ مِنْهُ ، إِنَّمَا كَانَ الْقِتَالُ
حَيْثُ اتَّقَى النَّاسُ ، فَلَمَّا كَانَتِ الْهُدْنَةُ وَوَضَعَتِ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا وَأَمِنَ النَّاسُ كَلَّمَ بَعْضُهُمْ
بَعْضًا وَاتَّقَوْا فَتَفَاوَضُوا فِي الْحَدِيثِ وَالْمَنَازَعَةِ ، فَلَمْ يَكَلِّمْ أَحَدٌ فِي الْإِسْلَامِ يَمْقُلُ شَيْئًا إِلَّا
دَخَلَ فِيهِ ، وَلَقَدْ دَخَلَ فِي تَيْبِكَ السَّنَتَيْنِ مِثْلُ مَنْ كَانَ دَخَلَ فِي الْإِسْلَامِ قَبْلَ ذَلِكَ أَوْ أَكْثَرَ .
قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَالِدَيْلِيلُ عَلَى مَا قَالَهُ الزُّهْرِيُّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
خَرَجَ إِلَى الْحُدَيْبِيَّةِ فِي أَلْفٍ وَأَرْبَعِ مِائَةِ رَجُلٍ فِي قَوْلِ جَابِرٍ ، ثُمَّ خَرَجَ عَامَ فَتَحِ مَكَّةَ بِمَدِّ
ذَلِكَ بِسَنَتَيْنِ فِي عَشْرَةِ آلَافٍ .

وَقَالَ الْبُخَارِيُّ : حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ عِيسَى ، حَدَّثَنَا ابْنُ فُضَيْلٍ ، حَدَّثَنَا حُصَيْنٌ ،
عَنْ سَالِمٍ ، عَنْ جَابِرٍ قَالَ : عَطَشَ النَّاسُ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ

يديه رَكْوَة فتوضاً منها ، ثم أقبل الناسُ نحوه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
مالكم ؟ قالوا : يا رسول الله ليس عندنا ما نتوضأ به ولا ما نشرب إلا مافى رَكْوَتِكَ .
فوضع النبي صلى الله عليه وسلم يده فى الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال
العيون . قال : فشربنا وتوضأنا . فقلنا لجابر : كم كنتم يومئذ ؟ قال : لو كنا مائة ألف
لكفانا ، كنا خمس عشرة مائة .

وقد رواه البخارى أيضاً ومسلم من طرق ، عن حصين ، عن سالم بن أبى الجعد
عن جابر به .

وقال البخارى : حدثنا الصلت بن محمد ، حدثنا يزيد بن زريع ، عن سعيد ، عن
قتادة قلت لسعيد بن المسيب : بلغنى أن جابر بن عبد الله كان يقول : كانوا أربع
عشرة مائة . فقال لى سعيد : حدثنى جابر : كانوا خمس عشرة مائة الذين بايعوا النبي
صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية .

تابعه أبو داود ، حدثنا قرّة عن قتادة . تفرد به البخارى .

ثم قال البخارى : حدثنا على بن عبد الله ، حدثنا سفيان ، قال عمرو : سمعت جابراً
قال : قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية : « أنتم خير أهل الأرض »
وكنا ألفاً وأربعمائة ولو كنت أبصر لليوم لأريتكم مكان الشجرة .

وقد روى البخارى أيضاً ومسلم من طرق ، عن سفيان بن عيينة به . وهكذا رواه
الليث بن سعد ، عن أبى الزبير ، عن جابر قال : إن عبداً لحاطبٍ جاء يشكوه فقال :
يا رسول الله ليدخان حاطبُ النار . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كذبت
لا يدخلها ، شهد بدرأ والحديبية » .

رواه مسلم .

وعند مسلم أيضاً من طرق [عن] ابن جريج ، أخبرنى أبو الزبير ، أنه سمع جابراً

يقول : أخبرتنى أمٌ ميسر أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عند حفصة : « لا يدخل أحد النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة الذين بايعوا تحتها » فقالت حفصة : بلى يا رسول الله ، فانتهرها ، فقالت حفصة : « وإن منكم إلا واردُها » فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قد قال تعالى : « ثم ننجي الذين اتقوا ونذرُ الظالمين فيها جثيا » . قال البخارى : وقال عبيد الله بن معاذ : حدثنا أبى ، حدثنا شعبة ، عن عمرو بن مُرّة ، حدثنى عبد الله بن أبى أوفى قال : كان أصحاب الشجرة ألفاً وثلاثمائة وكانت أسلمُ ثمن المهاجرين .

تابعه محمد بن بشار ، حدثنا أبو داود ، حدثنا شعبة .

هكذا رواه البخارى معلقا عن عبد الله . وقد رواه مسلم عن عبيد الله بن معاذ ، عن أبيه عن شعبة به . وعن محمد بن المنقّى ، عن أبى داود ، عن إسحق بن إبراهيم ، عن النضر ابن شميل كلاهما عن شعبة به .

ثم قال البخارى : حدثنا على بن عبد الله ، حدثنا سفيان ، عن الزهرى ، عن عروة ، عن مروان والمِسُور بن مَخْرَمَة ، قالا : خرج النبى صلى الله عليه وسلم عامَ الحديبية فى بضع عشرة مائة من أصحابه ، فلما كان بذي الحليفة قلّد الهذلى وأشعر وأحرَم منها . تفرد به البخارى وسيأتى هذا السياق بتمامه .

والمقصود أن هذه الروايات كلها مخالفة لما ذهب إليه ابن إسحاق من أن أصحاب الحديبية كانوا سبع مائة .

وهو والله أعلم إنما قال ذلك تفقُّهاً من تلقاء نفسه من حيث إن البدن كن سبعين بدنة ، وكل منها عن عشرة على اختياره ، فيكون المهاون سبعائة .

ولا يلزم أن يهذى كلُّهم ولا أن يُحرَم كلُّهم أيضاً ، فقد ثبت أن رسول الله صلى الله

عليه وسلم بعث طائفة منهم فيهم أبو قتادة ولم يُحْرَم أبو قتادة حتى قتل ذلك الحمار الوحشي فأكل منه هو وأصحابه ، وحملوا منه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في أثناء الطريق فقال : هل منكم أحدٌ أمره أن يحمل عليها أو أشار إليها ؟ قالوا : لا . قال : فكلوا ما بقي من الحمار .

وقد قال البخارى : حدثنا شعبة بن الربيع ، حدثنا علي بن المبارك ، عن يحيى عن عبد الله بن أبي قتادة أن أباه حدثه قال : انطلقنا مع النبي صلى الله عليه وسلم عام الحديبية فأحرَم أصحابي ولم أحرَم .

وقال البخارى : حدثنا محمد بن رافع ، حدثنا شبابة بن سوار القزاري ، حدثنا شعبة ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبيه قال : لقد رأيت الشجرة ثم أتيتها بعد فلم أعرفها . حدثنا موسى ، حدثنا أبو عوانة ، حدثنا طارق ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبيه أنه كان فيمن بايع تحت الشجرة فرجعنا إليها العام المقبل فعميت علينا .

وقال البخارى أيضاً : حدثنا محمود ، حدثنا عبيد الله ، عن إسرائيل ، عن طارق بن عبد الرحمن ، قال : انطلقت حاجاً فررت بقوم يصلون ، فقلت : ما هذا المسجد ؟ قالوا : هذه الشجرة حيث بايع النبي صلى الله عليه وسلم بيعة الرضوان . فأتيت سعيد بن المسيب فأخبرته فقال سعيد : حدثني أبي أنه كان فيمن بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة ، قال : فلما كان من العام المقبل نسيناها فلم نَقْدِر عليها .

ثم قال سعيد : إن أصحاب محمد لم يَعْلَموها ، وعَلِمْتُمُوهَا أَنْتُمْ ! فَأَنْتُمْ أَعْلَمُ ؟ ورواه البخارى ومسلم من حديث الثوري وأبي عوانة وشبابة عن طارق .

وقال البخارى : حدثنا سعيد ، حدثني أخى ، عن سليمان ، عن عمرو بن يحيى ، عن عباد بن تميم قال : لما كان يومُ الحرة والناسُ يبائعون لعبد الله بن حفظة ، فقال ابن

زيد : على ما يبايع ابنَ حفظة الناسُ ؟ قيل له : على الموت . فقال : لا أبايع على ذلك أحداً بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وكان شهد معه الحديبية .

وقد رواه البخارى أيضاً ومسلم من طرق عن عمرو بن يحيى به .

وقال البخارى : حدثنا قتيبة بن سعيد ، حدثنا حاتم ، عن يزيد بن أبى عبيد قلت لسلمة بن الأكوع : على أى شيء يبايعم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية ؟ قال : على الموت .

ورواه مسلم من حديث يزيد بن أبى عبيد .

وفى صحيح مسلم عن سلمة أنه بايع ثلاث مرات فى أوائل الناس ووسطهم وأواخرهم . وفى الصحيح عن معقل بن يسار أنه كان آخذاً بأغصان الشجرة عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبايع الناس ، وكان أول من بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ أبو سنان ، وهو وهب بن مخصن أخو عكاشة بن محصن ، وقيل سنان ابن أبى سنان .

وقال البخارى : حدثنى شجاع بن الوليد ، سمع النضر بن محمد ، حدثنا صخر بن الربيع ، عن نافع قال : إن الناس يتحدثون أن ابن عمر أسلم قبل عمر ، وليس كذلك ، ولكن عمر يوم الحديبية أرسل عبد الله إلى فرس له عند رجل من الأنصار أن يأتى به ليقاتل عليه ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يبايع عند الشجرة ، وعمر لا يدرى بذلك ، فبايعه عبد الله ، فانطلق فذهب معه حتى بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهى التى تحدث الناس أن ابن عمر أسلم قبل عمر .

وقال هشام بن عمار : حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثنا عمر بن محمد العمرى ، أخبرنى نافع ، عن ابن عمر أن الناس كانوا مع النبى صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية تفرقوا فى ظلال الشجرة ، فإذا الناس مُحْدِقُونَ بالنبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا عبد الله انظر

ما شأن الناس قد أحدقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدهم يبائعون ، فبايع ثم رجع إلى عمر فخرج فبايع .

تفرد به البخارى من هذين الوجهين .

ذكرى سياق البخارى لعمرة الحديبية

قال فى كتاب المغازى : حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثنا سفيان ، سمعت الزهري حين حدث هذا الحديث حفظتُ بعضه وثبتتني معمرٌ ، عن عروة بن الزبير ، عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم يزيد أحدهما على صاحبه ، قالا : خرج النبي صلى الله عليه وسلم عام الحديبية فى بضع عشرة مائة من أصحابه ، فلما أتى ذا الحليفة قلَّد الهدنى وأشعره^(١) وأحرم منها بعمرة وبعث عيناً له من خزاعة .

وسار النبي صلى الله عليه وسلم حتى إذا كان بقدير الأشطاط أتاه عينه قال : إن قريشاً جمَعوا لك جموعاً ، وقد جمعوا لك الأحابيش وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت ومانعوك . فقال : أشيروا أيها الناس على ، أترون أن أميل إلى عيالمهم وذراى هؤلاء الذين يريدون أن يصدونا عن البيت ، فإن يأتونا كان الله قد قطع عيناً من المشركين وإلا تركفاهم مخروبين . قال أبو بكر : يا رسول الله خرجت عامداً لهذا البيت لا تريد قتل أحد ولا حرب أحد ، فتوجه له فن صدنا عنه قاتلناه . قال : امضوا على اسم الله . هكذا رواه هاهنا ووقف ولم يزد شيئاً على هذا .

وقال فى كتاب الشهادات^(٢) : حدثني عبد الله بن محمد ، حدثنا عبد الرزاق ، أنبأنا معمرٌ ، أخبرني الزهري ، أخبرني عروة بن الزبير ، عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم ، يصدّق كل واحد منهما حديث صاحبه ، قالا : خرج رسول الله صلى الله عليه

(١) أشعره : ألبسه الشعار تمييزاً له . (٢) هو فى كتاب الشروط صحيح البخارى ١٠ / ٢

وسلم زمن الحديبية حتى إذا كانوا ببعض الطريق قال النبي صلى الله عليه وسلم : إن خالد ابن الوليد بالغميم في خيل لقريش طليعة ، فخذوا ذات اليمين . فوالله ما شعر بهم خالد حتى إذا هم بقترة الجيش ، فانطلق يرّكض نذيراً لقريش .

وسار النبي صلى الله عليه وسلم حتى إذا كان بالثنية التي يهبط عليهم منها بركت به راحلته ، فقال الناس : حلّ حل^(١) ، فألحت ، فقالوا : خلّات القصواء خلّات القصواء . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما خلّات القصواء وما ذاك لها بخلق ، ولكن حبسها حابس الفيل . ثم قال : والذي نفسي بيده لا يسألوني خطّة يعظمون فيها حرّات الله إلا أعطيتهم إياها . ثم زجرها فوثبت .

فعدل عنهم حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمّد قليل الماء يتبرّضه^(٢) [الناس^(٣)] تبرّضاً فلم يلبثه الناس حتى نزّحوه ، وشكى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العطش ، فانتزع سهماً من كفاته ثم أمرهم أن يجعلوه فيه ، فوالله ما زال يجيش لهم بالرّيح حتى صدّروا عنه .

فبينما هم كذلك إذا جاء بُدّيل بن ورقاء الخزاعي في نفر من قومه من خزاعة - وكانوا عيّبة نصّح رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل تهامة - فقال : إني تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي نزلوا أعداد مياه الحديبية معهم العوذ للمطافيل ، وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إنا لم نجئ لقتال أحد ، ولكن جئنا مُقتمرين ، وإن قريشاً قد نهكتهم الحرب وأضرّت بهم ، فإن شاءوا مادّتهم مدة ويحلّوا بيني وبين الناس ، فإن أظهر فإن شاءوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا ، وإلا فقد جئوا ،

(٢) يتبرّضه : يأخذونه قليلاً قليلاً .

(١) حلّ : كلمة يقال للناقة إذا بركت .

(٣) من صحيح البخارى ١٠/٢

وإن هم أبوا فالذى نفسى بيده لأفاننهم على أمرى هذا حتى تنفرد سالفتى، ولينفذن أمر الله .

قال بُدَيْل : سأبلغهم ماتقول . فانطلق حتى أتى قريشاً فقال : إنا قد جئناكم من عند هذا الرجل وسمعناه يقول قولاً ، فإن شئتم أن نعرضه عليكم فعلنا . فقال سفهاؤهم : لا حاجة لنا أن نخبرنا عنه بشيء . وقال ذوو الرأي منهم : هات ماسمعه يقول . قال : سمعته يقول كذا وكذا . فحدثهم بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقام عروة بن مسعود فقال : أى قوم ، أأست بالوالد ؟ قالوا : بلى . قال : أو لستم بالولد ؟ قالوا بلى . قال : فهل تهمنى ؟ قالوا : لا . قال : أأستم تعلمون أنى استغفرت أهل عكاظ فلما بلّحوا ^(١) على جئسكم بأهلى وولدى ومن أطاعنى ؟ قالوا : بلى . قال : فإن هذا قد عرض لكم خطّة رُشد اقبلوها ودعونى آتية ، فقالوا : ائته .

فأتاه ، فجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم نحواً من قوله لبُديّل فقال عروة عند ذلك : أى محمد ، أرايت إن استأصلت أمر قومك هل سمعت بأحد من العرب اجتاحت أهله قبلك ؟ وإن تسكن الأخرى فإنى والله لا أرى وجوهاً وإنى لأرى أشواباً من الناس خليقاً أن يفرّوا ويدعوك .

فقال له أبو بكر : امصص بظر اللات ! أنحن نفرّ عنه وندّعه ؟ ! قال : من ذا ؟ قالوا : أبو بكر . قال : أما والذى نفسى بيده لولا يدك كانت لك عندى لم أجرك بها لأجبتك .

قال : وجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم ، فكلما تكلم أخذ بلحيته ، والمغيرة بن شعبة قائم على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه السيف وعليه المغفر ، فكلما أهوى عروة بيده إلى لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب يده بفعل السيف وقال له : آخر

(١) بلّحوا : أبطأوا .

يدك عن خية رسول الله صلى الله عليه وسلم . فرفع عروة رأسه فقال . من هذا ؟ قالوا :
المغيرة بن شعبة . فقال : أى غدر ألت أسعى فى غدرتك !

وكان المغيرة بن شعبة صَحْبَ قوماً فى الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم ، ثم جاء فأسلم ،
فقال النبى صلى الله عليه وسلم : أما الإسلام فأقبل ، وأما المال فلست منه فى شىء .
ثم إن عروة جعل يَرْمُقُ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعينيه ، قال : فوالله
ما تنخَّم رسول الله صلى الله عليه وسلم نخامة إلا وقعت فى كف رجل منهم فذلك بها
وجهه وجلده ، وإذا أمرهم ابتدروا أمره ، وإذا توضع كادوا يقتتلون على وضوئه ، وإذا
تكلم خفصوا أصواتهم عنده وما يُحَدِّثُونَ إليه النظرَ تعظيماً له .

فرجع عروة إلى أصحابه فقال : أى قوم ، والله لقد وفدت على الملوك ، وفدت على
قيصر وكسرى والنجاشى ، والله إن رأيت ملكاً قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب
محمد محمداً ؛ والله إن تنخَّم نخامة إلا وقعت فى كف رجل منهم فذلك بها وجهه وجلده ^(١) ،
وإذا أمرهم ابتدروا أمره ، وإذا توضع كادوا يقتتلون على وضوئه وإذا تكلم خفصوا
أصواتهم عنده وما يُحَدِّثُونَ النظر إليه تعظيماً له ، وإنه قد عَرَضَ عليكم
خطة رشد فاقبلوها .

فقال رجل من بنى كنانة : دعونى آتية . فقالوا : انته . فلما أشرف على النبى صلى الله
عليه وسلم وأصحابه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا فلان وهو من قوم يعظمون
البُذَن فابعثوها له . فبعثت له واستقبله الناس يلبسون . فلما رأى ذلك قال : سبحان الله
ما ينبغى لهؤلاء أن يُصدَّوا عن البيت . فلما رجع إلى أصحابه قال : رأيت البُذَن قد قُلِّدت
وأشعرت ، فما أرى أن يُصدوا عن البيت .

(١) لعل هذا الوصف مبالغة فى الحب والتعظيم ، كان فيه مخالفة لمبادئ الإسلام التى تدعو إلى النظافة
وتحت على التطهر ، ولعل هذا لا يتناسب مع ما كان عليه المسلمون من وضوء وطهر . ونحن لا ننكر
الرواية ولكننا نحملها على المبالغة والتجاوز .

فقام رجل منهم يقال له مِكَرَز بن حفص فقال : دعوني آتيه . قالوا : ائته . فلما أشرف عليهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا مِكَرَز وهو رجل فاجر . فجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فينما هو يكلمه إذ جاء سهيل بن عمرو .

قال معمر : فأخبرني أيوب ، عن عكرمة ، أنه لما جاء سهيل بن عمرو قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد سهّل لكم من أمركم » .

قال معمر : قال الزهري في حديثه : فجاء سهيل فقال : هات فاكتب بيننا وبينكم كتاباً . فدعا النبي صلى الله عليه وسلم الكاتب فقال النبي صلى الله عليه وسلم : اكتب بسم الله الرحمن الرحيم . فقال سهيل : أما الرحمن فوالله ما أدري ماهو ، ولكن اكتب باسمك اللهم كما كنت تكتب . فقال المسلمون : والله لا نكتبها إلا بسم الله الرحمن الرحيم . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : اكتب باسمك اللهم .

ثم قال : هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله . فقال سهيل : والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك ، ولكن اكتب محمد بن عبد الله . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والله إني لرسول الله وإن كذبتُموني ، اكتب محمد ابن عبد الله .

قال الزهري : وذلك لقوله : لا يسألوني خُطَّةً يعظّمون فيها حرمة الله ، إلا أعطيتهم إياها .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : على أن تُخلّوا بيننا وبين البيت فنطوف به . قال سهيل : والله لا نتحدث العرب أنا أخذنا ضُفْطَةً ولكن ذلك من العام المقبل . فكتب . فقال سهيل : وعلى أنه لا يأتيك منا رجل وإن كان على دينك إلا رددته إلينا .

قال المسلمون : سبحان الله كيف يُرَدُّ إلى المشركين وقد جاء مسلماً .

فبينما هم كذلك إذ جاء أبو جندل بن مهيل بن عمرو يرسف في قيوده وقد خرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين ، فقال سهيل : هذا يا محمد أول من أقاضيك عليه أن ترده إلى . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إنا لم نقض الكتاب بعد . قال : فوالله إذا لم أصالحك على شيء أبداً . قال النبي صلى الله عليه وسلم : فأجزه لى . قال ما أنا بمجيزه لك . قال : بلى فافعل . قال : ما أنا بفاعل . قال مكرز : بلى قد أجزناه لك .

قال أبو جندل : أى معشر المسلمين أردت إلى المشركين وقد جئت مسلماً ، ألا ترون ما قد لقيت ؟ ! وكان قد عذب عذاباً شديداً فى الله . فقال عمر رضى الله عنه : فأثيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : ألسن نبى الله حقاً ؟ قال : بلى . قلت : ألسنا على الحق وعدونا على الباطل ؟ قال : بلى . قلت : فلم نُعطى الدنية فى ديننا إذن ؟ . قال : إنى رسول الله ولست أعصيه وهو ناصرى .

قلت : أو لست كنت تحدثنا أنا سنأتى البيت فنطوف به ؟ قال : « بلى ، فأخبرتكم أنا نأتيه العام » ؟ قال : قلت : لا . قال : « فإنك آتية ومطوف به » .

قال : فأثيت أبا بكر فقلت : يا أبا بكر أليس هذا نبى الله حقاً . قال : بلى . قلت : ألسنا على الحق وعدونا على الباطل . قال : بلى . قال : قلت : فلم نُعطى الدنية فى ديننا إذن . قال : أيها الرجل إنه لرسول الله وليس يعصى ربّه وهو ناصره ، فاستمسك بغيره فوالله إنه على الحق .

قلت : أليس كان يحدثنا أنا سنأتى البيت ونطوف به ؟ قال : بلى ، أفأخبرك أنك تأتية العام . فقلت : لا . قال : فإنك آتية ومطوف به .

قال الزهرى : قال عمر : فعملتُ لذلك أعمالاً .

قال : فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : قوموا فانحروا ثم احلقوا .

قال : فوالله ما قام منهم رجل ، حتى قال ذلك ثلاث مرات ، فلما لم يبق منهم أحد دخل على أم سلمة فذكر لها ما لقي من الناس ؛ فقالت أم سلمة : يا نبي الله أتحب ذلك ؟ اخرج ثم لا تكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بُدْنَكَ وتدعو حالقك فيحلقك .

فخرج فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك : نحر بُدْنَه ودعا حالقه فحلقه ، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا ، وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غمّاً .

ثم جاءه نسوة مؤمنات فأنزل الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن » حتى بلغ « بعصم الكوافر » فطلق عمر يومئذ امرأتين كانتا له في الشرك . فتزوج إحداها معاوية بن أبي سفيان والأخرى صفوان بن أمية .

ثم رجع النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، فجاءه أبو بصير ، رجل من قريش ، وهو مسلم فأرسلوا في طلبه رجلين فقالوا : العهد الذي جعلت لنا . فدفعه إلى الرجلين ، فخرجا به حتى بلغا ذا الحليفة ، فنزلوا يأكلون من تمر لهم ، فقال أبو بصير لأحد الرجلين : والله إني لأرى سيفك هذا يافلان جيداً . فاستله الآخر فقال : أجل والله إنه لجيد لقد جربت به ثم جربت . فقال أبو بصير : أرني أنظر إليه . فأمكنه منه فضربه حتى برد وفرّ الآخر حتى أتى المدينة فدخل المسجد يعدو ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رآه : « لقد رأى هذا ذعراً » .

فلما انتهى إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال : قُتِلَ والله صاحبي وإني لمقتول . فجاء أبو بصير فقال : يا نبي الله قد والله أوفى الله ذمتك ، قد رددتني إليهم ثم أنجاني الله منهم . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « وبَلْ أمه ! مسعر حرب لو كان له أحد ! »

فلما سمع ذلك عرف أنه سيرده إليهم ، فخرج حتى أتى سيف البحر .

قال : وينفلت منهم أبو جندل بن سهيل بن عمرو فلحق بأبي بصير ، فجعل لا يخرج من قريش رجل قد أسلم إلا لحق بأبي بصير حتى اجتمعت منهم عصابة ، فوالله ما يسمعون

بعير خرجت لقريش إلى الشام إلا اعتراضوا لها فقتلوه وأخذوا أموالهم .
فأرسلت قريش إلى النبي صلى الله عليه وسلم تناشده بالله والرحم لما أرسل إليهم فن
أنابه فهو آمن ، فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم إليهم . فأنزل الله تعالى : « وهو الذي كف
أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم » حتى
بلغ : « الحمية حمية الجاهلية » .

وكانت حميتهم أنهم لم يقرؤا أنه نبي الله ، ولم يقرؤا ببسم الله الرحمن الرحيم ،
وحالوا بينهم وبين البيت .

فهذا سياق فيه زيادات وفوائد حسنة ليست في رواية ابن إسحاق عن الزهري ، فقد
رواه عن الزهري عن جماعة منهم سفيان بن عيينة ومَعْمَر ومحمد بن إسحاق ، كلهم عن
الزهري عن عروة عن مروان ومِسْوَر ، فذكر القصة .

وقد رواه البخاري في أول كتاب الشروط عن يحيى بن بُكَيْر ، عن الليث بن سعد ،
عن عُقَيْل عن الزهري عن عروة عن مروان بن الحكم والمسور بن مخرمة ، عن
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر القصة .

وهذا هو الأشبه ، فإن مروان ومِسْوَر كانا صغيرين يوم الحديبية ، والظاهر أنهما
أخذاه عن الصحابة رضى الله عنهم أجمعين .

وقال البخاري : حدثنا الحسن بن إسحاق ، حدثنا محمد بن سابق ، حدثنا مالك
ابن مِفْعُول ، سمعت أبا حُصَيْن قال : قال أبو وائل : لما قدم سُهيل بن حُنيف من صِفِّين
أتيناه نستخبره فقال : اتهموا الرأى ، فلقد رأيتني يوم أبي جندل ولو أستطيع أن أرد
على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره لرددت ، والله ورسوله أعلم ، وما وضعنا أسيافنا

عن عواتقنا لأمر يُفْطِننا إلا أسهلن بنا إلى أمرٍ نعرفه ، قبل هذا الأمر مانسُدُّ منها خُصْماً
إلا انفجر علينا خُصْمٌ^(١) ما ندرى كيف نأتى له .

وقال البخارى : حدثنا عبد الله بن يوسف ، أخبرنا مالك ، عن زيد بن أسلم ، عن
أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسير فى بعض أسفاره وكان عمر بن الخطاب
يسير معه ليلاً ، فسأله عمر بن الخطاب عن شىء فلم يجبه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم
سأله فلم يجبه ، ثم سأله فلم يجبه ، فقال عمر بن الخطاب : شككتك أمك يا عمر ، نَزَرْتُ^(٢)
رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات كل ذلك لا يجيبك .

قال عمر : فحُركْتُ بعيرى ثم تقدمت أمامَ المسلمين ، وخشيت أن ينزل فى قرآن ،
فما نَسِبتُ أن سمعت صارخاً يصرُخ بى ، قال : فقلت : لقد خشيت أن يكون نزل فى قرآن .
فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألت عليه فقال : « لقد أنزلت علىَّ الليلة
سورة لَهْيَ أَحَبُّ إلىَّ مما طلعت عليه الشمس » ثم قرأ : « إنا فتَحْنَا لك فتْحاً مَبِيناً » .
قلت : وقد تكلمنا على سورة الفتح بكما لها فى كتابنا التفسير بما فيه كفاية والله الحمد
والمنة ، ومن أحب أن يكتب ذلك هنا فليفعل .

(١) الحُصْم : الجانب . ويريد بهذا الأمر : الفتنة التى حدثت بين على ومعاوية .

(٢) نَزَرْتُ : ألحجت عليه .

فصل في ذكر السرايا والبعوث

التي كانت في سنة ست من الهجرة

وتلخيص ذلك ما أورده الحافظ البيهقي عن الواقدي :

في ربيع الأول منها أو الآخر بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عكاشة بن محصن في أربعين رجلاً إلى [غزو مرزوق] ^(١) فهربوا منه ونزل على مياههم وبعث في آثارهم وأخذ منهم مائتي بعير فاستاقها إلى المدينة .

وفيها كان بعث أبي عبيدة بن الجراح إلى ذي القصة بأربعين رجلاً أيضاً ، فساروا إليهم مشاة حتى أتوها في عمية الصبيح ، فهربوا منه في رءوس الجبال ، فأسر منهم رجلاً فقدم به على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعثه محمد بن مسلمة في عشرة نفر وكن القوم لهم حتى باتوا [فقتل] ^(٢) أصحاب محمد بن مسلمة كلهم وأفلت هو جريحاً . وفيها كان بعث زيد بن حارثة بالجُموم ^(٣) فأصاب امرأة من مزينة يقال لها حليلة ، فدلّتهم على محلة من كحال بني سليم فأصابوا منها نساءً وأسروا [جماعة من المشركين] ^(٤) وكان فيهم زوج حليلة هذه فوهبه رسول الله صلى الله عليه وسلم لزوجها وأطلقهما .

وفيها كان بعث زيد بن حارثة أيضاً في جمادى الأولى إلى بني ثعلبة في خمسة عشر رجلاً ، فهربت منه الأعراب ، فأصاب من نعمهم عشرين بعيراً ثم رجع بعد أربع ليال .

(١) سقطت من الأصل وأثبتها من المواهب . (٢) سقطت من الأصل .

(٣) الأصل : الجُموم . وما أثبتته من المواهب . (٤) سقطت من الأصل وأثبتها من المواهب .

وفيهما خرج زيد بن حارثة في جمادى الأولى إلى العيص .

قال : وفيها أخذت الأموال التي كانت مع أبي العاص بن الربيع ، فاستجار بزینب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجارته .

وقد ذكر ابن إسحاق قصته حين أخذت العير التي كانت معه وقتل أصحابه وفرّ هو من بينهم حتى قدم المدينة ، وكانت امرأته زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قد هاجرت بعد بدر ، فلما جاء المدينة استجار بها فأجارته بعد صلاة الصبح ، فأجاره لها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر الناس بردّ ما أخذوا من غيره ، فردّوا كلّ شيء كانوا أخذوه منه حتى لم يفقد منه شيئاً ، فلما رجع بها إلى مكة وأدّى إلى أهلها ما كان لهم معه من الودائع أسلم ، وخرج من مكة راجعاً إلى المدينة ، فردّ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم زوجته بالنكاح الأول ولم يُحدث نكاحاً ولا عقداً كما تقدم بيان ذلك . وكان بين إسلامه وهجرتها ست سنين ، ويروى سنتين .

وقد بينّا أنه لا منافاة بين الروایتين ، وأن إسلامه تأخر عن وقت تحریم المؤمنات على الكفار بسنتين ، وكان إسلامه في سنة ثمان في سنة الفتح لا كما تقدم في كلام الواقدي من أنه سنة ست . فالله أعلم .

وذكر الواقدي في هذه السنة أن دحية بن خليفة الكلبي أقبل من عند قيصر ، قد أجاز به بأموال وخلع ، فلما كان بحُسمى لقيه ناس من جذام فقطعوا عليه الطريق فلم يتركوا معه شيئاً ، فبعث إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة أيضاً رضى الله عنه .

قال الواقدي : حدثني عبد الله بن جعفر ، عن يعقوب بن عتبة ، قال : خرج عليّ رضى الله عنه في مائة رجل إلى أن نزل إلى حى من بنى أسد بن بكر ، وذلك أنه بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لهم جمعاً يريدون أن يمدّوا يهود خيبر ، فسار إليهم بالليل

وَكُنْ بِالنَّهَارِ وَأَصَابَ عَيْنًا لَهُمْ ، فَأَقْرَبَ لَهُ أَنَّهُ بُعِثَ إِلَى خَيْبَرَ يُعْرَضُ عَلَيْهِمْ عَلَى أَنْ يَجْعَلُوا لَهُمْ تَمْرَ خَيْبَرَ .

قال الواقدي رحمه الله تعالى : وفي سنة ست في شعبان كانت سرية عبد الرحمن بن عوف إلى دومة الجندل وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنهم أطاعوا فتزوج بنت ملكهم ، فأسلم القوم وتزوج عبد الرحمن بنت ملكهم تماضر بنت الإصبع الكلبية ، وهي أم أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف .

قال الواقدي : في شوال سنة ست كانت سرية كرز بن جابر الفهري إلى الرُّمَيْيِّين الذين قتلوا راعي رسول الله صلى الله عليه وسلم واستاقوا النعم ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في آثارهم كرز بن جابر في عشرين فارساً فردّوهم .

وكان من أمرهم ما أخرجه البخاري ومسلم ، من طريق سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك ، أن رهطاً من عُكْلٍ وعُرَيْنَةَ - وفي رواية : من عكل أو عرينة - أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا رسول الله إنا أناسٌ أهلُ ضَرْعٍ ، ولم نكن أهل ريف فاستوَحْنَا المدينة . فأمر لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بِذَوْدٍ^(١) وراعٍ ، وأمرهم أن يخرجوا فيه فيشربوا من أنبائها وأبوالها ، فانطلقوا حتى إذا كانوا بناحية الحرة قتلوا راعي رسول الله صلى الله عليه وسلم واستاقوا الذود وكفروا بعد إسلامهم ، فبعث النبي صلى الله عليه وسلم في طلبهم ، فأمر بهم فقطع أيديهم وأرجلهم وسمّر^(٢) أعينهم وتركهم في الحرة حتى ماتوا وهم كذلك .

قال قتادة : فبلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا خطب بعد ذلك حصّاً على الصدقة ونهى عن المثلّة .

(١) الذود : القطيع من الإبل بين الثلاث إلى العشر . (٢) سمر : فقا .

وهذا الحديث قد رواه جماعة عن قتادة ورواه جماعة عن أنس بن مالك .
وفي رواية مسلم عن معاوية بن قرة عن أنس ، أن نفرأ من عُريفة أتوا رسول الله صلى
الله عليه وسلم فأسلموا وبايعوه ، وقد وقع في المدينة الموم - وهو البرسام ^(١) - فقالوا :
هذا الموم قد وقع يارسول ، لو أذنت لنا فرجعنا إلى الإبل . قال : نعم فاخرجوا فكونوا
فيها . فخرجوا فقتلوا الراعين وذهبوا بالإبل .

وعنده : سار من الأنصار قريبُ عشرين فأرسلهم إليهم وبعث معهم قائفاً يقتص
أثرهم ، فأتى بهم فقطع أيديهم وأرجلهم وسمّر أعينهم .

وفي صحيح البخارى من طريق أيوب ، عن أبي قلابة ، عن أنس ، أنه قال :
قدم رهط من عَكل فأسلموا واجتووا المدينة ، فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فذكروا ذلك له فقال : الحقوا بالإبل واشربوا من أبوالها وألبانها . فذهبوا وكانوا فيها
ماشاء الله ، فقتلوا الراعى واستاقوا الإبل فجاء الصريحُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
فلم ترتفع الشمس حتى أتى بهم فأمر بمسامير فأحيت فكواهم بها وقطع أيديهم وأرجلهم ،
وألقام في الحرة يستسقون فلا يسقون حتى ماتوا ولم يحجمهم .

وفي رواية عن أنس قال : فلقد رأيت أحدهم يكدم الأرض بفيه من العطش .
قال أبو قلابة : فهؤلاء قتلوا وسرقوا وكفروا بعد إيمانهم وحاربوا الله ورسوله
صلى الله عليه وسلم .

وقد روى البيهقي من طريق عثمان بن أبي شيبة ، عن عبد الرحمن بن سليمان ، عن
محمد بن عبيد الله ، عن أبي الزبير ، عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث
في آثارهم قال : اللهم عمّ عليهم الطريق ، واجعلها عليهم أضيّق من مسك جمل ،
قال : فعمّى الله عليهم السبيل ، فأدركوا فأتى بهم ، فقطع أيديهم وأرجلهم وسمّل أعينهم .
وفي صحيح مسلم : إنما سمّلهم لأنهم سمّلوا أعين الرّعاء .

(١) البرسام : ذات الجنب . وهو التهاب في الغشاء المحيط بالرئة .

فصل فيما وقع من الحوادث في هذه السنة

أعني سنة ست من الهجرة .

فيها نزل فَرَضَ الْحَجِّ ، كما قرره الشافعي رحمه الله زمن الحديبية في قوله تعالى « وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ » .

ولهذا ذهب إلى أن الحج على التراخي لا على الفور ، لأنه صلى الله عليه وسلم لم يحج إلا في سنة عَشْر .

وخالفه الثلاثة مالك وأبو حنيفة وأحمد ، فعندهم أن الحج يجب على كل من استطاعه على الفور ، وَمَنَعُوا أَنْ يَكُونَ الْوَجُوبُ مُسْتَفَاداً مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : « وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ » وإنما في هذه الآية الأمر بالإتمام بعد الشروع فقط ، واستدلوا بأدلة قد أوردنا كثيراً منها عند تفسير هذه الآية من كتابنا التفسير والله الحمد والمنة بما فيه كفاية .

وفي هذه السنة حرِّمَتِ الْمَسَلَمَاتُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ ، تخصيصاً لعموم ما وقع به الصلح عام الحديبية على أنه لا يأتيك منا أحدٌ وإن كان على دينك إلا رَدَدْتَهُ عَلَيْنَا ، فنزل قوله تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَاْمْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ ، فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ ، لَاحِنٌ لِلَّذِينَ هُم بِهِنَّ يَجُولُونَ لَهَا » الآية .

وفي هذه السنة كانت غزوة المَرَيْسِعِ التي كان فيها قصة الإفك ونزول براءة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها كما تقدم .

وفيها كانت عمرة الحديبية ، وما كان من صَدِّ الْمُشْرِكِينَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وكيف وقع الصلح بينهم على وضع الحرب بينهم عشر سنين ، فأَمِنَ النَّاسُ فِيهِمْ

بعضهم بعضاً ، وعلى أنه لا إغلال ولا إسلال . وقد تقدم كل ذلك مبسوطاً في أما كنهه
ولله الحمد والمثنة . وولى الحج في هذه السنة المشركون .

قال الواقدي : وفيها في ذى الحجة منها بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة
نفر مصطحبين حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس صاحب الإسكندرية . وشجاع بن وهب
ابن أسد بن جذيمة شهد بدرأ إلى الحارث بن أبي شمر الفسافي يعني ملك عرب النصارى ،
ودحية بن خليفة الكلبي إلى قيصر ، وهو هرقل ملك الروم ، وعبد الله بن حذافة
السهمي إلى كسرى ملك الفرس ، وسليط بن عمرو العامري إلى هوزة بن علي الحنفي ،
وعمر بن أمية الضمري إلى النجاشي ملك النصارى بالحبشة وهو أصحمة بن الحر .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سنة سبع من الهجرة

غزوة خيبر في أولها

قال شعبة عن الحاكم ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى في قوله : « وأتابهم فتحاً قريياً » قال : خيبر .

وقال موسى بن عقبة : لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية مكث عشرين يوماً أو قريباً من ذلك ثم خرج إلى خيبر ، وهي التي وعده الله إياها .
وحكى موسى عن الزهري أن افتتاح خيبر في سنة ست والصحيح أن ذلك في أول سنة سبع . كما قدمنا .

قال ابن إسحاق : ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة حين رجع من الحديبية ذا الحجة وبعض الحرم ، ثم خرج في بقية الحرم إلى خيبر .
وقال يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق عن الزهري ، عن عروة عن مروان والمسيور قالا : . انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية فنزلت عليه سورة الفتح بين مكة والمدينة ، فقدم المدينة في ذي الحجة فأقام بها حتى سار إلى خيبر فنزل بالرّجيع : وادّ بين [خيبر و] غطفان فتخوّف أن يُمدّهم غطفان ، حتى أصبح ففدا عليهم .

قال البيهقي : وبمعناه رواه الواقدي عن شيوخه في خروجه أول سنة سبع من الهجرة .

وقال عبد الله بن إدريس : عن إسحاق ، حدثني عبد الله بن أبي بكر ، قال : لما كان افتتاح خيبر في عقيب الحرم ، وقدم النبي صلى الله عليه وسلم في آخر صفر .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة مُمَيْلَة بن عبد الله الليثي .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا وهيب ، حدثنا خُثَيْم يعني ابن عراك ، عن أبيه أن أبا هريرة قدم المدينة في رهط من قومه والنبي صلى الله عليه وسلم في خيبر وقد استخلف سِبَاع بن عُرْفُطَة يعني الغطفاني على المدينة . قال : فأنتهيت إليه وهو يقرأ في صلاة الصبح في الركعة الأولى كهيمص وفي الثانية ويل للمطففين ، فقلت في نفسي : ويل لفلان إذا اكتال [اكتال] بالوافي وإذا كال كال بالناقص .

قال : فلما صلى رددنا شيئاً حتى أتينا خيبر وقد افتتح النبي صلى الله عليه وسلم خيبر ، قال : فكلم المسلمين فأشركونا في سهامهم .

وقد رواه البيهقي من حديث سليمان بن حرب ، عن وهيب ، عن خُثَيْم بن عراك ، عن أبيه عن نفر من بني غِفَار قال : إن أبا هريرة قدم المدينة فذكره .

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرج من المدينة إلى خيبر سلك على عصر وبني له فيها مسجداً ثم على الصَّهَاء ، ثم أقبل بجيشه حتى نزل به بواد يقال له الرجيع ، فنزل بينهم وبين غطفان ، ليحول بينهم وبين أن يمددوا أهل خيبر ، كانوا لهم مظاهرين على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبلغني أن غطفان لما سمعوا بذلك جمعوا ثم خرجوا ليظاهروا اليهود عليه ، حتى إذا ساروا منقلة سمعوا خلفهم في أموالهم وأهلهم حساً ، ظنوا أن القوم قد خالفوا إليهم فرجعوا على أعقابهم فأقاموا في أموالهم وأهلهم وخلّوا بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين خيبر .

وقال البخاري : حدثنا عبد الله بن مسleme ، عن مالك ، عن يحيى بن سعيد ، عن

بشير أن سويد بن النعمان أخبره أنه خرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام خيبر حتى إذا كانوا بالصهباء - وهي من أدنى خيبر - صلى العصر ثم دعا بالأزواد فلم يؤت إلا بالسويق فأمر به فترى فأكل وأكلنا : ثم قام إلى المغرب فمضى ثم صلى ولم يتوضأ .

وقال البخارى : حدثنا عبد الله بن مسleme ، حدثنا حاتم بن إسماعيل ، عن يزيد بن أبى عبيد ، عن سلمة بن الأكوع قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خيبر فسرنا ليلاً فقال رجل من القوم لعامر : يا عامر ألا تسمعنا من هُنيئاتك ؟ وكان عامر رجلاً شاعراً . فنزل يحدو بالقوم يقول :

لَا هُمْ لَوْلَا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا
فَاغْفِرْ فِدَاءَكَ مَا أَبْقَيْنَا وَأَلْقَيْنَ سَكِينَةً عَلَيْنَا
وَتَبَّتْ الْأَقْدَامُ إِنْ لَاقَيْنَا إِنْ إِيَّاكَ إِذَا صَبَحَ بَنَّا أَبَيْنَا
وبالصياح عَوَّلُوا عَلَيْنَا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من هذا السائق ؟ قالوا : عامر بن الأكوع قال : يرحمه الله ! فقال رجل من القوم : وجبت يانبي الله لولا أمتعتنا به !

فأتينا خيبر فنصرناهم حتى أصابتنا نخمسة شديدة . ثم إن الله فتحها عليهم فلما أمسى الناس مساء اليوم الذى فتحت عليهم أوقدوا نيرانا كثيرة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هذه النيران على أى شئ توقدون ؟ قالوا : على لحم . قال : على أى لحم ؟ قالوا : لحم الحمر الإنسانية . قال النبي صلى الله عليه وسلم : أهريقوها واكسروها . فقال رجل : يا رسول الله أو نهريقها ونفسلها ؟ فقال : أو ذاك . فلما تصاف الناس كان سيف عامر قصيراً فتناول به ساق يهودى ليضربه فيرجع ذباب سيفه فأصاب عين ركة عامر فمات منه ، فلما قفلوا قال سلمة : رآنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو آخذ بيدي قال : مالك ؟ قلت : فذاك أبى وأمى

زعموا أن عامراً حبط عمله . قال النبي صلى الله عليه وسلم : كذب من قاله ، إن له لأجرين - وجمع بين إصبعيه - إنه لجاهدٌ مجاهدٌ قلَّ عرى مشى بها مثله .

ورواه مسلم من حديث حاتم بن إسماعيل وغيره عن يزيد بن أبي عبيد مثله . ويكون [مثله] منصوباً على الحالية من نكرة ، وهو سائغ إذا دلت على تصحيح معنى ، كما جاء في الحديث «فصلى وراءه رجال قياماً» .

وقد روى ابن إسحاق قصة عامر بن الأكوع من وجه آخر فقال : حدثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي ، عن أبي الهيثم بن نصر بن دهر الأسلمي ، أن أباه حدثه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في مسيره إلى خيبر لعمامير بن الأكوع ، وهو عم سلمة بن عمرو بن الأكوع : « انزل يا بن الأكوع نخذ لنا من هفاتك » . قال : فنزل يرتجز لرسول الله صلى الله عليه وسلم :

والله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
إنا إذا قومٌ بغوا علينا وإن أرادوا فتنةً أبينا
فأنزلن سكينَةً علينا وثبَّت الأقدامَ إن لاقينا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يرحمك ربك . فقال عمر بن الخطاب : وجبت يا رسول الله لو أمتعتنا به . فقتل يوم خيبر شهيداً . ثم ذكر صفة قتله كنحو ما ذكره البخاري .

قال ابن إسحاق : وحدثني من لائهم عن عطاء بن أبي مروان الأسلمي ، عن أبيه عن أبي معتب بن عمرو ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أشرف على خيبر قال لأصحابه وأنا فيهم : قفوا ، ثم قال : « اللهم رب السموات وما أظللن ورب الأرضين وما أقلن ، ورب الشياطين وما أضللن ، ورب الرياح وما أذرين ، فإنا نسألك خير هذه القرية

وخير أهلها وخير مافيا، ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر مافيا، أقدموا
بسم الله .

وهذا حديث غريب جداً من هذا الوجه .

وقد رواه الحافظ البيهقي ، عن الحاكم ، عن الأصم ، عن العطاردى ، عن يونس
ابن بكير ، عن إبراهيم بن إسماعيل بن مجمع ، عن صالح بن كيسان ، عن أبي مروان
الأسلمى ، عن أبيه عن جده قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خيبر حتى
إذا كنا قريباً وأشرقت علينا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس : قفوا . فوقف الناس
فقال : « اللهم رب السموات السبع وما أظللان ، ورب الأرضين السبع وما أظللان ، ورب
الشياطين وما أضللان ، فإننا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير مافيا ونعوذ بك من
شر هذه القرية وشر أهلها وشر مافيا ، أقدموا بسم الله الرحمن الرحيم » .

قال ابن إسحاق : وحدثني من لائهم ، عن أنس بن مالك قال : كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم إذا غزا قوماً لم يُغزَ عليهم حتى يصبح ، فإن سمع أذاناً أمسك وإن لم
يسمع أذاناً أغار ، فنزلنا خيبرَ ليلاً فبات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أصبح لم
يسمع أذاناً ، فركب وركبنا معه وركبتُ خلفَ أبي طلحة وإن قدمي لتمسُّ قدم رسول
الله صلى الله عليه وسلم ، واستقبلنا عمالَ خيبر غادين قد خرجوا بمساحيهم ومكاتلهم ،
فلما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم والجيش قالوا : محمد والخميس معه ! فأذبروا هُراً ،
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الله أكبر خربت خيبر ، إنا إذا نزلنا بساحة قوم
فساء صباحُ المُنذرين .

قال ابن إسحاق : حدثنا هرون عن حميد عن أنس بمثله .

وقال البخارى : حدثنا عبد الله بن يوسف ، حدثنا مالك ، عن حميد الطويل ، عن

أنس بن مالك أن رسول الله أتى خيبر ليلاً وكان إذا أتى قوماً بليلاً لم يُغزِ بهم حتى يصبح ، فلما أصبح خرجت اليهودُ بمساحيهم ومكائيلهم ، فلما رأوه قالوا : محمد والله ، محمد والخميس ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : خربت خيبر ، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين .

تفرد به دون مسلم .

وقال البخارى : حدثنا صدقة بن الفضل ، حدثنا أبو عيينة ، حدثنا أيوب ، عن محمد بن سيرين ، عن أنس بن مالك ، قال : صَبَحْنَا خَيْبَرَ بَكْرَةً فُجِرَ أَهْلُهَا بِالمَسَاجِي ، فلما بصروا بالنبي صلى الله عليه وسلم قالوا : محمد والله ، محمد والخميس ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الله أكبر خربت خيبر ، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين . قال : فأصبنا من لحوم الحمر فنأدى منأدى النبي صلى الله عليه وسلم : إن الله ورسوله ينهيانكم عن لحوم الحمر فإنها رجس .

تفرد به البخارى دون مسلم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن قتادة ، عن أنس ، قال : لما أتى النبي صلى الله عليه وسلم خيبر فوجدهم حين خرجوا إلى زرعهم ومساحيهم ، فلما رأوه ومعه الجيش نكصوا فرجعوا إلى حصنهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم : الله أكبر خربت خيبر ، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين .

تفرد به أحمد وهو على شرط الصحيحين .

وقال البخارى : حدثنا سليمان بن حرب ، حدثنا حماد بن زيد ، عن ثابت ، عن أنس بن مالك قال صلى رسول الله عليه وسلم الصبحَ قريباً من خيبر بفلس ، ثم قال : الله أكبر خربت خيبر إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين .

فخرجوا يسمعون بالسكك فقتل النبي صلى الله عليه وسلم المقاتلة وسبى الذرية

وكان في السبي صفية ، فصارت إلى دحية الكلبي ، ثم صارت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فجعل عتقها صداقها .

قال عبد العزيز بن صهيب لثابت : يا أبا محمد ، أنت قلت لأنس : ما أضدقها ؟
فحرك ثابت رأسه تصديقاً له . تفرد به دون مسلم . وقد أورد البخاري ومسلم النهي عن
لحوم الحرم الأهلية من طرق تذكر في كتاب الأحكام .

وقال الحافظ البيهقي : أنبأنا أبو طاهر الفقيه ، أنبأنا خطاب بن أحمد الطوسي ،
حدثنا محمد بن حميد الأبيوردی ، حدثنا محمد بن الفضل ، عن مسلم الأعور الملائی ، عن
أنس بن مالك ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعود المريض ويتبع الجنائز
ويجيب دعوة المملوك ويركب الحمار ، وكان يوم بنى قريظة والنضير على حمار ، ويوم خيبر
على حمار مخطوم برسن ليف وتحته إكاف من ليف .

وقد روى هذا الحديث بتمامه الترمذي ، عن علي بن حجر ، عن علي بن مظهر ،
وابن ماجه ، عن محمد بن الصباح ، عن سفيان ، وعن عمر بن رافع عن جرير ، كلهم عن
مسلم ، وهو ابن كيسان الملائی الأعور الكوفي ، عن أنس به . وقال الترمذي : لا نعرفه
إلا من حديثه وهو يضعف .

قلت : والذي ثبت في الصحيح عند البخاري عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم أجرى في رفاق خيبر حتى انحسر الإزار عن نخذة ، فالظاهر أنه كان يومئذ على
فرس لا على حمار .

ولعل هذا الحديث إن كان صحيحاً محمول على أنه ركبته في بعض الأيام وهو
محاصرها . والله أعلم .

وقال البخاري : حدثنا محمد بن سعيد الخزازي ، حدثنا زياد بن الربيع ، عن

أبي عمران الجوني ، قال : نظر أنس إلى الناس يوم الجمعة فرأى طيالة فقال : كأنهم الساعة يهود خيبر .

وقال البخاري : حدثنا عبد الله بن مسleme ، حدثنا حاتم ، عن يزيد بن أبي عبيد ، عن سلمة بن الأكوع قال : كان علي بن أبي طالب تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في خيبر وكان رمداً ، فقال : أنا أنخلف عن النبي صلى الله عليه وسلم ؟ فلقق به .

فلما بنتنا الليلة التي فتحت خيبر قال : لأعطين الراية غداً ، أو ليأخذن الراية غداً ، رجل يحب الله ورسوله يفتح عليه . فنحن نرجوها ، فقيل : هذا علي . فأعطاه . ففتح عليه .

وروى البخاري أيضاً ومسلم عن قتيبة عن حاتم به .

ثم قال البخاري : حدثنا قتيبة ، حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن ، عن أبي حازم قال : أخبرني سهل بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر : لأعطين هذه الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحب الله ورسوله . قال : فبات الناس يدوكون ^(١) ليلتهم أيهم يعطاها ، فلما أصبح الناس غدوا على النبي صلى الله عليه وسلم كلهم يرجو أن يعطاها ، فقال : أين علي بن أبي طالب ؟ فقالوا : هو يارسول الله يشتكي عينيه . قال : فأرسل إليه فأتى ، فصق رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه ودعاه ، فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع ، فأعطاه الراية ، فقال علي : يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : أنفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ، ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يحب عليهم من حق الله تعالى فيه ، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم .

(١) يدوكون : يختلفون ويسألون .

وقد رواه مسلم والنسائي جميعاً عن قتيبة به .

وفي صحيح مسلم والبيهقي من حديث سُهَيْل بن أَبِي صالح ، عن أَبِيهِ ، عن أَبِي هُرَيْرَةَ
قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله
ويحبه الله وسوله يفتح الله عليه » .

قال عمر : فما أحبتُ الإمارة إلا يومئذ !

فدعا علياً فبعثه ثم قال : « اذهب فقاتلْ حتى يفتح الله عليك ولا تلتفت » قال
علي : على ما أقاتِلُ الناسَ ؟ قال : قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً
عبده ورسوله ، فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا منا دماءهم وأموالهم إلا بحقها ، وحسابهم
على الله » .

لفظ البخاري .

وقال الإمام أحمد : حدثنا مُصْعَب بن المِقْدَام وجحش بن المنثري ، قالا : حدثنا
إسرائيل ، حدثنا عبد الله بن عِصْمَةَ العِجْلِي ، سمعت أبا سعيد الخدري رضي الله
عنه يقول : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ الراية فهزَّها ثم قال : من يأخذها
بحقها ؟ فجاء فلان فقال : أنا . قال : امض . ثم جاء رجل آخر فقال : امض . ثم قال
النبي صلى الله عليه وسلم : « والذي كرَّم وجه محمد لأعطينها رجلاً لا يفرُّ » فقال :
هاك يا علي .

فانطلق حتى فتح الله عليه خيبر وقدك وجاء بعجوتها وقديدها .

تفرد به أحمد وإسناده لا بأس به ، وفيه غرابة .

وعبد الله بن عِصْمَةَ ، ويقال ابن أعصم ، وهكذا يكتبُ بأبي علوان العِجْلِي ، وأصله
من اليمامة سكن الكوفة ، وقد وثَّقه ابنُ معين ، وقال أبو زُرْعَةَ : لا بأس به ، وقال

أبو حاتم : شيخ . وذكره ابن حبان في الثقات ، وقال : يخطئ كثيراً . وذكره في الضعفاء ، وقال : يحدث عن الأثبات مما لا يشبه حديث الثقات حتى يسبق إلى القلب أنها موهومة أو موضوعة .

وقال يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق : حدثني بُريدة بن سفيان بن فروة الأسلمي ، عن أبيه ، عن سلمة بن عمرو بن الأكوخ رضى الله عنه قال : بعث النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر رضى الله عنه إلى بعض حصون خيبر ، فقاتل ثم رجع ولم يكن فتحاً وقد جهد .

ثم بعث عمر رضى الله عنه فقاتل ثم رجع ولم يكن فتحاً . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لأعطين الراية غداً رجلاً يحبه الله ورسوله . ويحب الله ورسوله ، يفتح الله على يديه ، وليس بفرار .

قال سلمة : فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب رضى الله عنه ، وهو يومئذ أرمَد ، فتفل في عينيه ثم قال : « خذ الراية وامض بها حتى يفتح الله عليك » .

فخرج بها والله يأنح^(١) يهرول هرولاً ، وإنا لخلفه نتبع أثره ، حتى ركز رايته في رَضَم^(٢) من حجارة تحت الحصن ، فاطلع يهودى من رأس الحصن فقال : من أنت ؟ قال : أنا علي بن أبي طالب . فقال اليهودى : غلبتم وما أنزل على موسى . فما رجع حتى فتح الله على يديه .

وقال البيهقي : أنبأنا الحاكم ، أنبأنا الأصب ، أنبأنا العطاردي ، عن يونس بن بكير ، عن الحسين بن واقد ، عن عبد الله بن بُريدة ، أخبرني أبي ، قال : لما كان يوم خيبر أخذ اللواء

(١) يأنح : من لأنح وهو علو النفس من شدة العدو . وتروى : يصول .

(٢) الرَضَم : حجارة بعضها فوق بعض ، من غير بناء .

أبو بكر ، فرجع ولم يفتح له ، وقُتل محمود بن مسلمة ورجع الناس .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لأدفعن لوأني غداً إلى رجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ، لن يرجع حتى يفتح الله له » فبئنا طيبة نفوسنا أن الفتح غداً ، فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الغداة ، ثم دعا بالواء وقام قائماً ، فما منا من رجل له منزلة من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وهو يرجو أن يكون ذلك الرجل ، حتى تطاولت أنا لها ورفعت رأسي لمنزلة كانت لي منه ، فدعا علي بن أبي طالب وهو يشتكي عينيه . قال : فمسحها ثم دفع إليه اللواء ففتح له ، فسمعت عبد الله بن بريدة يقول : حدثني أبي أنه كان صاحب مرحب .

قال يونس : قال ابن إسحاق : كان أول حصون خيبر فتحاً حصن ناعم ، وعنده قتل محمود بن مسلمة ألقيت عليه رحي منه فقتلته .

ثم روى البيهقي ، عن يونس بن بكير ، عن المسيب بن مسلمة الأزدي ، حدثنا عبد الله بن بريدة ، عن أبيه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ربما أخذته الشقيقة^(١) فلبث اليوم واليومين لا يخرج ، فلما نزل خيبر أخذته الشقيقة فلم يخرج إلى الناس ، وإن أبا بكر أخذ راية رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نهض فقاتل قتالاً شديداً ثم رجع فأخذه امر فقاتل قتالاً شديداً هو أشد من القتال الأول ثم رجع ، فأخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « لأعطينها غداً [رجلاً] يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يأخذها عنوة » وليس ثمَّ عليٌّ ، فتطاولت لها قریش ، ورجا كل رجل منهم أن يكون صاحب ذلك ، فأصبح وجاء علي بن أبي طالب على بعير له حتى أناخ قريباً وهو أزمَد قد عَصَب عينه بشقة بُرْد

(٣) الشقيقة : وجع يأخذ نصف الرأس والوجه .

قطرى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مالك ؟ قال : رمدتُ بعدك . قال : ادنُ منى . فتفل فى عينه فما وجعها حتى مضى لسبيله .

ثم أعطاه الراية فنهض بها وعليه جبةُ أرجوانٍ حمراء قد أخرج خملها ، فأتى مدينة خيبر وخرج مَرَحَبَ صاحب الحصن وعليه مِغْفَر يَمَانِي وحَجَر قد ثقبه مثل البَيْضَةِ على رأسه وهو يرتجز ويقول :

قد علمتُ خيبرُ أنى مَرَحَبُ شاكٍ سلاحي بطلٌ مجرَّبُ
إذا الليوثُ أقبلتُ تَلَهَبُ وأحجمتُ عن صولةِ المغلَّبِ
فقال على رضى الله عنه :

أنا الذى سَمِنْتَنِي أُمى حَيدَرَه كَلَيْتُ غَابَاتٍ شَدِيدِ الْقَسُورَه
أَكِيلُكُمْ بِالصَّاعِ كَيْلَ السَّنْدَرَه^(١)

قال : فاختلعا ضربتين ، فبدره على بضربة فقدَّ الحجرَ والمغفرَ ورأسه ، ووقع فى الأضراس ، وأخذ المدينة .

وقد روى الحافظ البزار عن عباد بن يعقوب ، عن عبد الله بن بكر ، عن حكيم ابن جُبَيْر ، عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس قصة بَعَثَ أبى بكر ثم عمر يوم خيبر ثم بعث على فكان الفتح على يديه . وفى سياقه غرابة ونكارة وفى إسفاده من هو متهم بالتشيع . والله أعلم .

وقد روى مسلم والبيهقى واللفظ له ، من طريق عكرمة بن عمار ، عن إياس بن سلمة ابن الأَكْوع عن أبيه ، فذكر حديثاً طويلاً وذكر فيه رجوعهم عن غزوة بنى فزارة . قال : فلم نمكث إلا ثلاثاً حتى خرجنا إلى خيبر . قال : وخرج عامر فجعل يقول :

(١) السندرة : ضرب من السكيل غراف جراف .

والله لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
ونحن من فضلك ما استغفنا فأنزلن سكينه علينا
وثبت الأقدام إن لاقينا

قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من هذا القائل ؟ فقالوا : عامر . فقال :
غفر لك ربك . قال : وما خص رسول الله صلى الله عليه وسلم قط أحداً به إلا استشهد .
فقال عمر وهو على جمل : لولا متعتنا بهامر !

قال : فقدمنا خير نخرج مرحب وهو يخطر بسيفه ويقول :
قد علمت خير أنى مرحب شاكي السلاح بطل مجرب
إذا الحروب أقبلت تأهب
قال : فبرز له عامر رضى الله عنه وهو يقول :

قد علمت خير أنى عامر شاكي السلاح بطل مغامر
قال : فاختلفا ضربتين ، فوقع سيف مرحب في ترس عامر فذهب يسعل له^(١) ، فرجع
على نفسه فقطع أ كحله فكانت فيها نفسه .
قال سلمة : فخرجت فإذا نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون : بطل
عمل عامر قتل نفسه !

قال : فأنيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أبكي فقال : مالك ؟ فقلت :
قالوا : إن عامراً بطل عمله . فقال : من قال ذلك ؟ فقلت : نفر من أصحابك . فقال :
كذب أولئك ، بل له الأجر مرتين .

قال : وأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى علي رضى الله عنه يدعوه وهو
أرمد وقال : لأعطين الراية اليوم رجلاً يحب الله ورسوله . قال : فحسبته أقوده . قال :
فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينه فبرأ ، فأعطاه الراية ، فبرز مرحب وهو يقول :

(١) يسعل : ينشط .

قد علمتُ خيبرُ أنى مَرَحِبُ شاكى السلاحِ بطلُ مجرِبُ
إذا الحروبِ أقبلتْ تلهِبُ

قال : فبرز له على وهو يقول :

أنا الذى سَمَتْنى أُمى حَيْدره كليث غاباتِ كَرِيه المَنْظَره
أوفيهُم بالصاع كيلَ السَّنْدَره

قال : فضرب مرحبا ففلق رأسه فقتله . وكان الفتح .

هكذا وقع فى هذا السياق أن علياً هو الذى قتل مرحباً اليهودى لعنه الله .

وقال أحمد : حدثنا حسين بن حسن الأشقر ، حدثني قابوس بن أبى ظبيان ، عن
أبيه عن جده عن على قال : لما قتلتُ مرحباً جثت برأسه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .
وقد روى موسى بن عُقبة عن الزهرى ، أن الذى قتل مرحباً هو محمد بن مسلمة .
وكذلك قال محمد بن إسحاق : حدثني عبد الله بن سهل أحد بني حارثة ، عن

جابر بن عبد الله ، قال : خرج مرحب اليهودى من حصن خيبر وهو يرتجز ويقول :

قد علمتُ خيبرُ أنى مَرَحِبُ شاكى السلاحِ بطلُ مجرِبُ
أطعنُ أحياناً وحيناً أضربُ إذا الليوثُ أقبلتْ تلهِبُ
إنِ حمى لَأَجِمى لَأُقربُ

قال : فأجابه كعب بن مالك :

قد علمتُ خيبرُ أنى كعبُ مفرِّجُ الغمِّ جَرَمى صلبُ
إذ شَبَّتْ الحربُ وثارُ^(١) الحربُ معى حُسامُ كالنقيقِ عَضْبُ
بطاًكمُ حتى يَذِلَّ الصعبُ بكفِّ ماضٍ ليس فيه عيبُ

قال : وجعل مَرَحِب يرتجز ويقول : هل من مبارز ؟ فقال رسول الله صلى الله

(١) ابن هشام : تلتها الحرب

عليه وسلم : من لهذا ؟ فقال محمد بن مسلمة : أنا له يارسول الله ، أنا والله الموتور والثائر ، قتلوا أخى بالأمس . فقال : قم إليه اللهم أعنه عليه .

قال : فلما دنا أحدهما من صاحبه دخلت بينهما شجرة عُمرية ^(١) من شجر العُشر ^(٢) المسد ^(٣) ، فجعل كل واحد منهما يلوذ من صاحبه بها ، كلما لاذ بها أحدهما اقتطع بسيفه مادونه ، حتى برز كل واحد منهما لصاحبه وصارت بينهما كالرجل القائم ما فيها فنن ، ثم حمل على محمد بن مسلمة فضربه فاتقاه بالدرة فوقع سيفه فيها فعضت [به] ، فاستمته وضربه محمد بن مسلمة حتى قتله .

وقد رواه الإمام أحمد ، عن يعقوب بن إبراهيم ، عن أبيه عن ابن إسحاق بنحوه . قال ابن إسحاق : وزعم بعض الناس أن محمداً ارتجز حين ضربه وقال :

قد علمت خبيراً أنى ماضٍ حلوا إذا شئتُ وسمٌ قاضٍ
وهكذا رواه الواقدي عن جابر وغيره من السلف ، أن محمد بن مسلمة هو الذى قتل مرحباً .

ثم ذكر الواقدي أن محمداً قطع رجلى مرحب فقال له : أجهز على . فقال : لا ، ذق الموت كما ذاقه محمود بن مسلمة . فمر به على وقطع رأسه ، فاخصما فى سلبه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة سيفه وريحه ومغفره ويبيضته . قال : وكان مكتوباً على سيفه :

هَذَا سَيْفُ مَرْحَبٍ مِنْ يَذْقُهُ يَعْطَبُ

(١) العمرية : القديمة .

(٢) العُشر : شجر فيه حراق لم يقتدح الناس فى أجود منه .

(٣) المسد : الشديد القتل . ولم ترد هذه الكلمة فى ابن هشام .

ثم ذكر ابن إسحاق أن أخا مرحب وهو ياسر خرج بعده وهو يقول : هل من مبارز؟

فزعم هشام بن عروة أن الزبير خرج له ، فقالت أم صفية بنت عبد المطلب : يقتل ابني يا رسول الله . فقال : بل ابنك يقتله إن شاء الله . فالتقيا فقتله الزبير . قال : فكان الزبير إذا قيل له : والله إن كان سيفك يومئذ صارما يقول : والله ما كان بصارم ولكني أكرهته .

وقال يونس عن ابن إسحاق ، عن بعض أهله عن أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : خرجنا مع علي إلى خيبر ، بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم برأيته ، فلما دنا من الحصن خرج إليه أهله فقاتلهم فضربه رجل منهم من يهود فطرح ثُرُسَه من يده ، فتساول على باب الحصن فترس به عن نفسه ، فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه ثم ألقاه من يده ، فلقد رأيتني في نفر معي سبعة أنا ثامنهم نجَّه على أن نقلب ذلك الباب فما استطعنا أن نقلبه .

وفي هذا الخبر جهالة وانقطاع ظاهر .

ولكن روى الحافظ البيهقي والحاكم من طريق مُطَّلَب بن زياد ، عن ليث بن أبي سليم ، عن أبي جعفر الباقر ، عن جابر ، أن علياً حمل الباب يوم خيبر حتى صعد المسلمون عليه فافتتحوها ، وإنه جُرَّب بعد ذلك فلم يحمله أربعون رجلاً !

وفيه ضعف أيضاً . وفي رواية ضعيفة عن جابر : ثم اجتمع عليه سبعون رجلاً وكان جَهِدُهم أن أعادوا الباب .

وقال البخاري : حدثنا مكي بن إبراهيم ، حدثنا يزيد بن أبي عبيد ، قال : رأيت أثر ضربة في ساق سلمة ، فقلت : يا أبا مسلم ما هذه الضربة ؟ قال : هذه ضربة أصابني

يوم خيبر فقال الناس : أصيب سلمة . فأنيت النبي صلى الله عليه وسلم فنفت فيه ثلاث نفثات ، فما اشتكيتها حتى الساعة .

ثم قال البخارى : حدثنا عبد الله بن مسleme ، حدثنا ابن أبى حازم ، عن أبيه عن سهل ، قال : التقى النبي صلى الله عليه وسلم والمشركون فى بعض مغازيه فاقتتلوا ، فقال كل قوم إلى عسكرهم ، وفى المسلمين رجل لا يدع من المشركين شاذة ولا فاذة إلا اتبعها فضربها بسيفه ، فقيل : يا رسول الله ما أجراً منا أحدث ما أجراً فلان . قال : إنه من أهل النار . فقالوا : أينما من أهل الجنة إن كان هذا من أهل النار ؟ ! فقال رجل من القوم : لأتبعنه فإذا أسرع وأبطأ كنت معه ، حتى جرح فاستعجل الموت فوضع نصاب سيفه بالأرض وذبابه بين نديه ، ثم تحامل عليه فقتل نفسه .

فجاء الرجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : أشهد أنك رسول الله . قال : وماذا لك ؟ فأخبره فقال : « إن الرجل يعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وإنه من أهل النار ، ويعمل بعمل أهل النار فيما يبدو للناس وإنه من أهل الجنة .

رواه أيضاً عن قتيبة عن يعقوب ، عن أبى حازم ، عن سهل . فذكره مثله أو نحوه .

ثم قال البخارى : حدثنا أبو اليان ، حدثنا شعيب ، عن الزهرى ، أخبرنى سعيد ابن المسيب أن أبا هريرة قال : شهدنا خيبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل ممن معه يدعى الإسلام : هذا من أهل النار . فلما حضر القتال قاتل الرجل أشد القتال حتى كثرت به الجراحة ، حتى كاد بعض الناس يرتاب . فوجد الرجل ألم جراحه فأهوى بيده إلى كنانته فاستخرج منها أسهماً فحجر بها نفسه ، فاشتد رجال من المسلمين فقالوا : يا رسول الله صدق الله حديثك ، انتحر فلان فقتل نفسه . فقال : قم يا فلان فأذن : إنه لا يدخل

الجَنَّةَ إِلَّا مُؤْمِنٌ ، وَإِنَّ اللَّهَ يُؤَيِّدُ الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ ! » .

وقد روى موسى بن عُقبة عن الزهري قصة العبد الأسود الذي رزقه الله الإيمان والشهادة في ساعة واحدة . وكذلك رواها ابن لهيعة عن أبي الأسود ، عن عروة قالا : وجاء عبد حبشي أسود من أهل خيبر كان في غنم لسيده ، فلما رأى أهل خيبر قد أخذوا السلاح سألهم قال : ما تريدون ؟ قالوا : نقاتل هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي .

فوقع في نفسه ذِكر النبي فأقبل بغممه حتى عمد لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إلى ما تدعو ؟ قال : أدعوك إلى الإسلام ، إلى أن تشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله وألا تعبد إلا الله . قال : فقال العبد : فماذا يكون لى إن شهدت بذلك وآمنت بالله ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الجنة إن متَّ على ذلك .

فأسلم العبد فقال : يانبي الله إن هذه الغنم عندي أمانة . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : آخر جها من عسكرنا وارمها بالحصا ، فإن الله سيؤدى عنك أمانتك . ففعل فرجعت الغنم إلى سيدها ، فعرف اليهودى أن غلامه قد أسلم .

فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فوعظ الناس فذكر الحديث في إعطائه الراية علياً ودنوه من حصن اليهود وقتله مَرَجَباً ، وقُتِلَ مع عليٍّ ذلك العبد الأسود ، فاحتمله المسلمون إلى عسكرهم فأدخل في الفسطاط ، فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلع في الفسطاط ثم اطلع على أصحابه فقال : « لقد أكرم الله هذا العبد وساقه إلى خير ، قد كان الإسلام في قلبه حقاً ، وقد رأيت عند رأسه اثنتين من الحور العين ! » .

وقد روى الحافظ البيهقي من طريق ابن وهب ، عن حيوة بن شريح عن ابن الهاد ، عن شُرَحْبِيل بن سعد ، عن جابر بن عبد الله ، قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

في غزوة خيبر، فخرجت سرية فأخذوا إنساناً معه غنم يربعها فذكر نحو قصة هذا العبد الأسود وقال فيه : قُتل شهيداً وما سجد لله سجدة !

ثم قال البيهقي : حدثنا محمد بن محمد بن محمد بن محمد الفقيه ، حدثنا أبو بكر القطان ، حدثنا أبو الأزهر ، حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا حماد ، حدثنا ثابت ، عن أنس أن رجلاً أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله إني رجل أسود اللون قبيح الوجه لا مال لي ، فإن قاتلت هؤلاء حتى أقتل أدخل الجنة ؟ قال : نعم .

فتقدم فقاتل حتى قُتل ، فأتى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مقتول فقال : لقد حسن الله وجهك وطيب ريحك وكثر مالك وقال : « لقد رأيت زوجتي من الحور العين ينفازان جنته عليه ، يدخلان فيما بين جلده وجنته » .

ثم روى البيهقي من طريق ابن جريج ، أخبرني عكرمة بن خالد ، عن ابن أبي عمار ، عن شذاد بن الهاد ، أن رجلاً من الأعراب جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمن به واتبعه فقال : أهاجر معك . فأوصى به النبي صلى الله عليه وسلم بعض أصحابه ، فلما كانت غزوة خيبر غنم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقسمه وقسم له ، فأعطى أصحابه ما قسم له وكان يرعى ظهريهم ، فلما جاء دفعوه إليه فقال : ما هذا ؟ قالوا : قسم قسم لك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ما على هذا اتبعتك ولكني اتبعتك على أن أرمي هاهنا ، وأشار إلى حلقه بسهم ، فأموت فأدخل الجنة . فقال : « إن تصدق الله يصدقك » .

ثم نهضوا إلى قتال العدو ، فأتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم يُحمل وقد أصابه سهم حيث أشار ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : هو هو ؟ قالوا : نعم . قال : « صدق الله فصدقه » .

وكفنه النبي صلى الله عليه وسلم في جبة النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قدّمه فصلى

عليه وكان مما ظهر من صلاته : « اللهم هذا عَبْدُكَ خرج مهاجراً في سبيلك قُتل شهيداً وأنا عليه شهيد » .

وقد رواه النسائي عن سُويد بن نصر ، عن عبد الله بن المبارك عن ابن جريج به نحوه .

فصل

قال ابن إسحاق : وتدنى رسول الله صلى الله عليه وسلم الأموال بأخذها مالا مالا ويفتتحها حصناً حصناً ، وكان أول لُحصونهم فُتِح حصنُ ناعم ، وعنده قُتل محمود بن مسلمة ، أُلقيت عليه رَحَى منه فقتلته . ثم القموص حصن بنى أبي الحقيق .

وأصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم سبايا ، منهن صفية بنت حُي بن أخطب ، وكانت عند كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق وبنتي عم لها ، فاصطفى رسول الله صلى الله عليه وسلم صفية لنفسه ، وكان دِخية بن خليفة قد سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم صفية ، فلما اصطفاها لنفسه أعطاه ابنتي عمها .

قال : وفشت السبايا من خير في المسلمين ، وأكل الناس لحوم الحمر فذَكَرَ نَهْيَ رسول الله صلى الله عليه وسلم إياهم عن أكلها .

وقد اعتنى البخارى بهذا الفصل ، فأورد النهى عنها من طرق جيدة .

وتحريمها مذهبُ جمهور العلماء سلفاً وخلفاً وهو مذهب الأئمة الأربعة .

وقد ذهب بعض السلف ، منهم ابن عباس إلى إباحتها ، وتنوعت أجوبتهم عن الأحاديث الواردة في النهى عنها .

فقيل : لأنها كانت ظهراً يستعينون بها في الحملة . وقيل : لأنها لم تكن تُحْتَس بعد . وقيل : لأنها كانت تأكل العذرة ، يعني جَلالة .

والصحيح أنه نهى عنها لذاتها ، فإن في الأثر الصحيح أنه نادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله ورسوله ينهايكم عن لحوم الحمر ، فإنها رجس .
فأكفأوها والقدور تفور بها ..

وموضع تقرير ذلك في كتاب الأحكام .

قال ابن إسحاق : حدثني سَلَامُ بْنُ كِرْكِرَةَ ، عن عمرو بن دينار ، عن جابر بن عبد الله ، ولم يشهد جابر خيبر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نهى الناس عن أكل لحوم الحمر أذن لهم في لحوم الخيل .

وهذا الحديث أصله ثابت في الصحيحين ، من حديث حماد بن زيد ، عن عمرو بن دينار ، عن محمد بن علي ، عن جابر رضى الله عنه قال : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر عن لحوم الحمر ورخص في الخيل .

لفظ البخارى .

قال ابن إسحاق : وحدثنا عبد الله بن أبي نَجِيح ، عن مكحول ، أن النبي صلى الله عليه وسلم نهاهم يومئذ عن أربع : عن إتيان الحبالى من النساء ، وعن أكل الحمار الأهلى ، وعن أكل كل ذى ناب من السباع ، وعن بيع المغنم حتى تُقسم .

وهذا مرسل .

وقال ابن إسحاق : وحدثني يزيد بن أبي حبيب ، عن أبي مرزوق مولى نجيب ، عن حَسَنِ الصَّنْعَانِي ، قال : غزونا مع رُوَيْفِعِ بْنِ ثَابِتِ الأنصارى المغرب ، فافتتح قرية من قرى المغرب يقال لها جِرَبَة ، فقام نينا خطيباً فقال : أيها الناس إني لا أقول فيكم إلا ما سمعتُ من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فينا يومَ خيبر ، قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : لا يحلُّ لامرئٍ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسقى ماءه زرعَ

غيره ، يعنى إتيان الحبالى من السبى ، ولا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يصيب امرأة من السبى حتى يستبرئها ، ولا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيع مَفْنَأَ حتى يُقَسَمَ ، ولا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يركب دابة من قَءِ المسلمين حتى إذا أُعْجِفَهَا رَدَّهَا فِيهِ ، ولا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يلبس يوما من قَءِ المسلمين حتى إذا أَخْلَقَهُ رَدَّهُ فِيهِ .

وهكذا روى هذا الحديث أبو داود من طريق محمد بن إسحاق . ورواه الترمذى عن حفص بن عمرو الشَّيبَانِى ، عن ابن وهب ، عن يحيى بن أيوب ، عن ربيعة بن سليم ، عن بشر بن عبيد الله ، عن رويغ بن ثابت مختصراً . وقال : حسن .

وفى صحيح البخارى عن نافع ، عن ابن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى يوم خيبر عن لحوم الحمر الأهلية وعن أكل الثوم .

وقد حكى ابن حزم عن على وشريك بن الحَنْبَلِ أَنَّهُمَا ذَهَبَا إِلَى تَحْرِيمِ البصل والثوم النَّىءِ . والذي نقله الترمذى عنهما الكراهة . فالله أعلم .

وقد تكلم الناس فى الحديث الوارد فى الصحيحين من طريق الزهرى ، عن عبد الله والحسن ابْنِى محمد بن الحنفية ، عن أبيهما ، عن أبيه على بن أبى طالب رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن نكاح المتعة يوم خيبر وعن لحوم الحمر الأهلية .

هذا لفظ الصحيحين من طريق مالك وغيره ، عن الزهرى وهو يقتضى تقييد تحريم نكاح المتعة بيوم خيبر .

وهو مُشْكَلٌ من وجهين : أحدهما أن يوم خيبر لم يكن ثمَّ نساء يتمتعون بهن ، إذ قد حصل لهم الاستغناء بالسَّبَاءِ عن نكاح المتعة .

الثانى : أنه قد ثبت فى صحيح مسلم عن الربيع بن سبرة ، عن مَعْبَد عن أبيه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أذن لهم فى المتعة زمن الفتح ، ثم لم يخرج من مكة حتى نهى عنها وقال : إن الله قد حرمها إلى يوم القيامة .

فعلى هذا يكون قد نهى عنها ثم أذن فيها ثم حُرمت ، فيلزم النسخ مرتين وهو بعيد .

ومع هذا فقد نصَّ الشافعى على أنه لا يعلم شيئاً أبيع ثم حُرِّم ، ثم أبيع ثم حرم ، غير نكاح المتعة . وما حذاه على هذا رحمه الله إلا اعتماده على هذين الحديثين كما قدمناه ^(١) .

وقد حكى الشَّهْبِيلِي وغيره عن بعضهم أنه ادَّعى أنها أبيعَت ثلاثَ مرات ، وحُرِّمت ثلاثَ مرات . وقال آخرون : أربعَ مرات . وهذا بعيد جداً . والله أعلم .
واختلفوا أىَّ وقتٍ أول ما حُرِّمت ، فقيل : فى خيبر . وقيل : فى عُمرَةِ القضاء . وقيل : فى عام الفتح . وهذا يظهر . وقيل : فى أوطاس . وهو قريب من الذى قبله . وقيل : فى تبوك . وقيل : فى حجة الوداع .
رواه أبو داود .

وقد حاول بعض العلماء أن يجيب عن حديث على رضى الله عنه بأنه وقع فيه تقديم وتأخير .

ولمَّا الحُفُوظُ فيه ما رواه الإمام أحمد : حدثنا سفيان ، عن الزهري ، عن الحسن وعبد الله ابني محمد عن أبيهما ، وكان حَسَنُ أرضاهما فى أنفسهما ، أن علياً قال لابن عباس : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن نكاح المتعة وعن لحوم الجمر الأهلية زمن خيبر .

قالوا : فاعتقد الراوى أن قوله خير ظرف للنهى عنهما ، وليس كذلك إنما هو ظرف للنهى عن لحوم الجر ، فأما نكاح المتعة فلم يذكر له ظرفا ، وإنما جمعه معه لأن عليا رضى الله عنه بلغه أن ابن عباس أباح نكاح المتعة ولحوم الجر الأهلية كما هو المشهور عنه ، فقال له أمير المؤمنين على : إنك امرؤ تانه ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن نكاح المتعة ولحوم الجر الأهلية يوم خير .

فجمع له النهى ليرجع عما كان يعتقد في ذلك من الإباحة .

وإلى هذا التقرير كان مَيْلُ شيخنا الحافظ أبى الحجاج المِزى نفعه الله برحمته آمين .

ومع هذا ما رجع ابن عباس عما كان يذهب [إليه] من [إباحة] الحُر والمتعة .

أما النهى عن الجر فتأوله بأنها كانت حمولتهم ، وأما المتعة فإنما كان يبيحها عند الضرورة في الأسفار ، وجعل النهى على ذلك في حال الرفاهية والوجدان ، وقد تبعه على ذلك طائفة من أصحابه وأتباعهم ، ولم يزل ذلك مشهورا عن علماء الحجاز إلى زمن ابن جريج وبعده .

وقد حُكي عن الإمام أحمد بن حنبل رواية كذهب ابن عباس ، وهى ضعيفة .

وحاول بعض من صَنَّف في الحلال نقل رواية عن الإمام بمثل ذلك . ولا يصح أيضا والله أعلم . وموضع تحرير ذلك في كتاب الأحكام . وبالله المستعان .

قال ابن إسحاق : ثم جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يَدْنِي الحصون والأموال . فحدثني عبد الله بن أبي بكر ، أنه حدثه بعض من أسلم^(١) أن بنى سَهْم من أسلم أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا رسول الله لقد جَهِدْنَا وما بأيدينا شيء فلم يجدوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا يعطيهم إياه ، فقال : « اللهم إنك قد عرفت حالهم وأن ليست لهم قوة وأن ليس بيدي شيء أعطيهم إياه ، فافتح عليهم أعظم حصونها عنهم غنًا^(٢) »

(٢) الأصل : غنى . وما أثبتته من ابن هشام .

(١) ابن هشام : بعض أسلم

وأكثرها طعاماً وودّكا . ففدنا الناس ففتح عليهم حصن الصَّعب بن معاذ ، وما بخير حصن كان أكثر طعاماً وودّكا منه .

قال ابن إسحاق : ولما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصونهم ما افتتح وحاز من الأموال ما حاز انتهوا إلى حصنهم الوطيح والسلام ، وكان آخر حصون خيبر افتتاحاً ، فحاصروهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعة عشرة ليلة .
قال ابن هشام : وكان شعارهم يوم خيبر : يا منصور أمت أمت .

قال ابن إسحاق : وحدثني بُريدة بن سفيان الأسدي الأسلي ، عن بعض رجال بني سلمة ، عن أبي اليسر كعب بن عمرو ، قال : إني لمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر ذات عشية إذ أقبلت غنم لرجل من يهود تريد حصنهم ونحن محاصروهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مَنْ رجل يطعمنا من هذه الغنم ؟ قال أبو اليسر : فقلت : أنا يا رسول الله . قال : فافعل .

قال : فخرجت أشدُّ مثل الظِّلِّم ، فلما نظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مولياً قال : اللهم أمتعنا به . قال : فأدركتُ الغنم وقد دخلتُ أولها الحصن ، فأخذتُ شاتين من أخراها فاحتضنتهما تحت يدي ، ثم جئت بهما أشدُّ كأنه ليس معي شيء ، حتى ألقيتهما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فذبحوهما فأكلوها .

فكان أبو اليسر من آخر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم موتاً . وكان إذا حدث هذا الحديث بكى ثم قال : أمتعوا بني لعمري ! حتى كنت من آخرهم .

وقال الحافظ البيهقي في الدلائل : أخبرنا أبو محمد عبد الله بن يوسف الأصبهاني ، حدثنا أبو سعيد بن الأعرجي ، حدثنا سعدان بن نصر ، حدثنا أبو معاوية ، عن عاصم الأحرول ، عن أبي عثمان النهدي ، أو عن أبي قلابة ، قال : لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم خيبر قدم والتمر خضرة ، قال : فأسرع الناس إليها فحجموا فشكروا ذلك لإليه ، فأمرهم

أَنْ يَرْسُوا الْمَاءَ فِي الشَّانِ^(١) ثُمَّ يَجْرُونَهُ عَلَيْهِمْ إِذَا أَتَى الْفَجْرُ وَيَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ ،
فَفَعَلُوا ذَلِكَ فَكَأَنَّمَا نَشِطُوا مِنْ عَقْلِ .

قال البيهقي : ورويناه عن عبد الرحمن بن رافع موصولا ، وعنه : بين صلاتي
المغرب والعشاء .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يحيى وبهرز ، قالا : حدثنا سليمان بن المغيرة ، حدثنا حميد بن
هلال ، حدثنا عبد الله بن مفضل ، قال : دلى جراب من شحم يوم خيبر فالتزمته فقلت :
لا أعطى أحدا منه شيئا . قال : فالتفت فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبسم .

وقال أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا شعبة ، عن حميد بن هلال ، عن عبد الله بن مفضل ،
قال : كنا نحاصر قصر خيبر ، فألقى إلينا جراب فيه شحم ، فذهبت فأخذه فرايت
النبي صلى الله عليه وسلم فاستحييت .

وقد أخرجه صاحب الصحيح من حديث شعبة . ورواه مسلم أيضا عن شيبان بن
فروخ ، عن عثمان بن المغيرة .

وقال ابن إسحق : وحدثني من لآتهم عن عبد الله بن مفضل المزني قال : أصبت من
في خيبر جراب شحم ، قال : فاحتلمته على عنقي إلى رحلي وأصحابي . قال : فلقيني
صاحب المغنم الذي جعل عليها ، فأخذ بناحيته وقال : هلم حتى تقسمه بين المسلمين .
قال : وقلت : لا والله لا أعطيك . قال : وجعل يحاذيني الجراب ، قال : فرآنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم ونحن نصنع ذلك فتبسم ضاحكا ، ثم قال لصاحب المغنم : خل بينه وبينه .
قال : فأرسله فانطلقت به إلى رحلي وأصحابي فأكلناه .

(١) يرسوا : يبردوا . والشان : القرب .

وقد استدلل الجمهور بهذا الحديث على الإمام مالك في تحريمه شحوم ذبائح اليهود وما كان غلبهم عليه غيرهم من المسلمين ، لأن الله تعالى قال : « وطعامُ الذين أوتوا الكتاب حِلٌّ لكم » قال : « لكم » قال : وليس هذا من طعامهم . فاستدلوا عليه بهذا الحديث وفيه نظر . وقد يكون هذا الشحم مما كان حلالاً لهم والله أعلم .

وقد استدلوا بهذا الحديث على أن الطعام لا يُخَمَّس ، ويعضد ذلك ما رواه الإمام أبو داود : حدثنا محمد بن العلاء ، حدثنا أبو معاوية ، حدثنا إسحاق الشيباني ، عن محمد بن أبي مجالد ، عن عبد الله بن أبي أوفى قال : قلت : كنتم تخمسون الطعام في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : أصبنا طعاماً يوم خيبر ، وكان الرجل يحییء فياً خذ منه قدر ما يكفيه ثم ينصرف .

تفرد به أبو داود وهو حسن .

ذكر قصة صفية بنت حُيَّ بن أخطب النضرية

رضى الله عنها

كان من شأنها أنه لما أجلي رسول الله صلى الله عليه وسلم يهود بني النضير من المدينة كما تقدم ، فذهب عامتهم إلى خير وفيهم حُيَّ بن أخطب وبنو أبي الحقيق ، وكانوا ذوى أموال وشرف في قومهم ، وكانت صفية إذ ذاك طفلة دون البلوغ ، ثم لما تأهلت للتزويج تزوجها بعض بني عمها ، فلما زفت إليه وأدخلت إليه بنى بها ومضى على ذلك ليال ، رأت في منامها كأن قر السماء قد سقط في حجرها ، فقصّت رؤياها على ابن عمها فطمم وجهها وقال : أتتمنين ملك يثرب أن يصير بعلك !

فما كان إلا مجيء رسول الله صلى الله عليه وسلم وحصاره إيَّاهم ، فكانت صفية في جملة السبي ، وكان زوجها في جملة القتلى .

ولما اصطفاها رسول الله صلى الله عليه وسلم وصارت في حوزة وملكه كما سيأتي ، وبنى بها بعد استبرائها وحملها وجد أثر تلك اللطمة في خدها ، فسألها ما شأنها فذكرت له ما كانت رأت من تلك الرؤيا الصالحة رضى الله عنها وأرضاها .

قال البخارى : حدثنا سليمان بن حرب ، حدثنا حماد بن زيد ، عن ثابت ، عن أنس بن مالك ، قال : صلى النبي صلى الله عليه وسلم الصبح قريبا من خير بفلس ثم قال : « الله أكبر خير بخت خير ، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين » .

فخرجوا يسعون في السكك ، فقتل النبي صلى الله عليه وسلم المقاتلة وسبي الذرية ، وكان في السبي صفية فصارت إلى دحية الكلبي ، ثم صارت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فجعل عتقها صداقها .

ورواه مسلم أيضا من حديث حماد بن زيد ، وله طرق عن أنس .
 وقال البخارى : حدثنا آدم ، عن شعبة ، عن عبد العزيز بن صهيب قال : سمعتُ
 أنس بن مالك يقول : سبى النبي صلى الله عليه وسلم صفية فاعتقها وتزوجها . قال ثابت
 لأنس : ما أصدقها ؟ قال : أصدقها نفسها فاعتقها .
 تفرد به البخارى من هذا الوجه .

قال البخارى : حدثنا عبد الغفار بن داود ، حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن ح .
 وحدثنا أحمد بن عيسى ، حدثنا وهب ، أخبرني يعقوب بن عبد الرحمن الزهرى ، عن
 عمرو مولى المطلب ، عن أنس بن مالك قال : قدمنا خير فلما فتح صلى الله عليه وسلم
 الحصن ذكر له جمال صفية بنت حُي بن أخطب ، وقد قتل زوجها وكانت عروسا ،
 فاصطفاه النبي صلى الله عليه وسلم لنفسه ، فخرج بها حتى بلغ بها سُدَّ الصهباء ^(١) حلت
 فبنى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم صنع حَيْسًا فى نِطْع ^(٢) صغير ثم قال لى :
 آذِنْ مَنْ حَوْلَكَ . فكانت تلك وليمة على صفية . ثم خرجنا إلى المدينة فرأيت النبي
 صلى الله عليه وسلم يُجَوِّى لها وراءه بعباءة ثم يجلس عند بعيره ، فيضع ركبته وتضع صفية
 رجلها على ركبته حتى تركب .

تفرد به دون مسلم .

وقال البخارى : حدثنا سعيد بن أبى مریم ، حدثنا محمد بن جعفر بن أبى كثير ،
 أخبرني حُميد ، أنه سمع أنسًا يقول : أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بين خير والمدينة
 ثلاث ليل يُبْنَى عليه بصفية ، فدعوت المسلمين إلى وليمة وما كان فيها من خبز ولحم ،
 وما كان فيها إلا أن أمر بلالا بالأنطاع فُبَسِطت فألقى عليها التمر والأقط والسمن ، فقال
 المسلمون : إحدى أمهات المؤمنين أو مملكت يمينه ؟ فقالوا : إن حجَّ بها فهي إحدى

(١) الصهباء : موضع بينه وبين خير مرحلة . والسد : الحاجز .

(٢) النِطْع : بساط من الأدم .

أمهات المؤمنين ، وإن لم يحجبها فهي مما ملكت يمينه . فلما ارتحل وطأ لها خلفه ومدَّ الحجاب .

افرد به البخارى .

وقال أبو داود : حدثنا مُسَدَّد ، حدثنا حماد بن زيد ، عن عبد العزيز بن صهيب ، عن أنس بن مالك ، قال : صارت صفيّة لدِحية الكلبي ، ثم صارت لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال أبو داود : حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، قال : حدثنا ابن عليّة ، عن عبد العزيز بن صهيب ، عن أنس قال : جُمع السبي - يعنى بخيبر - فجاء دحية فقال : يا رسول الله أعطنى جارية من السبي قال : اذهب فخذ جارية . فأخذ صفيّة بنت حبي ، فجاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا نبي الله أعطيت دحية . قال يعقوب : صفيّة بنت حبي سيدة قريظة والنضير ، ماتصلح إلّا لك . قال : ادعوا بها . فلما نظر إليها النبي صلى الله عليه وسلم قال : خذ جارية من السبي غيرها . وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتقها وتزوجها .

وأخرجاه من حديث ابن عليّة .

وقال أبو داود : حدثنا محمد بن خلّاد الباهلي ، حدثنا بهز بن أسد ، حدثنا حماد بن سلمة ، حدثنا ثابت عن أنس ، قال : وقع في سهم دحية جارية جميلة ، فاشترأها رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبعة أرؤس ، ثم دفعها إلى أم سلمة تصنعها وتهيئها . قال حماد : وأحسبه قال : وتعتد في بيتها ، صفيّة بنت حبي .

تفرد به أبو داود .

قال ابن إسحاق : فلما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم القموص حصن بني أبي

الحقيق أتى بصفية بنت حبي بن أخطب وأخرى معها ، فمر بهما بلال - وهو الذي جاء بهما - على قتلى من قتلى يهود ، فلما رأتهم التي مع صفية صاحت وصكّت وجهها وحشت التراب على رأسها ، فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أغزبوا^(١) عنى هذه الشيطانة . وأمر بصفية فخيرت خلفه وألقى عليها رداءه ، فعرف المسلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اصطفاها لنفسه .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبلال ، فيما بلغنى ، حين رأى بتلك اليهودية مارأى : أنزعت منك الرحمة يا بلال حتى تمرّ بامرأتين على قتلى رجالهما ! .

وكانت صفية قد رأت في المنام وهى عروس بكنانة بن الربيع بن أبى الحقيق أن قرأ وقع فى حجرها ، فعرضت رؤياها على زوجها فقال : ماهذا إلا أنك تمنين ملك الحجاز محمداً . فلطم وجهها لكمة خضر عينها منها . فأتى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وبها أثر منه ، فسألها ماهذا ، فأخبرته الخبر .

قال ابن إسحاق : وأتى رسول الله بكنانة بن الربيع ، وكان عنده كنز بنى النضير ، فسأله عنه فجحد أن يكون يعلم مكانه . فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً من اليهود فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إني رأيت كنانة يطيف بهذه الخربة كل غداة . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكنانة : أرايت إن وجدناه عندك أقتلك ؟ قال : نعم . فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخربة فحفرت فأخرج منها بمض كنزهم ، ثم سأله عما بقى فأبى أن يؤديه فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبير بن العوام فقال : عذبه حتى تستأصل ما عنده . وكان الزبير يقدح بزنده^(٢) فى صدره حتى أشرف على نفسه ، ثم دفعه رسول الله إلى محمد بن مسلمة فضرب عنقه بأخيه محمود بن مسلمة .

(٢) ابن هشام : زند .

(١) أغزبوا : أبعدوا .

فصل

قال ابن إسحاق : وحاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل خيبر في حصنهم الوطيح والسلام ، حتى إذا أيقنوا بالهلكة سألوه أن يسيرهم وأن يحقن دماءهم . ففعل ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حاز الأموال كلها الشق والنظاة والكتيبة وجميع حصونهم ، إلا ما كان من ذينك الحصنين ، فلما سمع [بهم] أهل فذك قد صنعوا ما صنعوا بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسيرهم ويحقن دماءهم ويخلوا له الأموال ففعل . وكان ممن مشى بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبينهم في ذلك محيصة بن مسعود أخو بني حارثة .

فلما نزل أهل خيبر على ذلك سألو رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعاملهم في الأموال على النصف ، وقالوا : نحن أعلم بها منكم وأنعمر لها . فصالحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصف على أننا إذا شئنا أن نخرجكم أخرجناكم . وعامل أهل فذك بمثل ذلك .

فصل في فتح حصونها وقسمة أرضها

قال الواقدي : لما تحوّل اليهود من حصن ناعم وحصن الصعب بن معاذ إلى قلعة الزبير حاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام ، فجاء رجل من اليهود يقال له عزال فقال : يا أبا القاسم تؤمنني على أن أدلك على ما تستريح به من أهل النظاة وتخرج إلى أهل الشق ، فإن أهل الشق قد هلكوا رعباً منك ؟

قال : فأمنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهله وماله فقال له اليهودي : إنك لو أقت شهرأ تحاصرهم ما بالوا بك ، إن لهم تحت الأرض دُبُولاً^(١) يخرجون بالليل فيشربون منها ثم يرجعون إلى قلعهم .

(١) الدبول : الجداول .

فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع دُبُولهم ، فخرجوا فقاتلوا أشد القتال ، وقتل من المسلمين يومئذ نفر وأصيب من اليهود عشرة ، وافتتحه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان آخر حصون النبطاة . وتحوّل إلى الشق ، وكان به حصون ذوات عدد ، فكان أول حصن بدأ به منها حصن أبيّ ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على قلعة يقال لها سموان فقاتل عليها أشد القتال ، فخرج منهم رجل يقال له عزول فدعا إلى البراز فبرز إليه الحباب بن المنذر ، فقطع يده اليمنى من نصف ذراعه ووقع السيف من يده ، وفر اليهودى راجعاً فاتبعه الحباب فقطع عرقوبه . وبرز منهم آخر فقام إليه رجل من المسلمين فقتله اليهودى ، فهض إليه أبودجانة فقتله وأخذ سلبه ، وأحجموا عن البراز فكبر المسلمون ، ثم تحاملوا على الحصن فدخلوه وأمامهم أبودجانة ، فوجدوا فيه أثاثاً ومتاعاً وغنماً وطعاماً ، وهرب من كان فيه من المقاتلة وتجمعوا الجزر كأنهم الضباب حتى ساروا إلى حصن البزاة بالشق ، وتمنّوا أشدّ الامتناع ، فزحف إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فقاموا ورمى معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده الكريمة ، حتى أصاب نبلهم بجانه عليه الصلاة والسلام فأخذ عليه السلام كفّاً من الحصار فرمى حصنهم بها فرجف بهم حتى ساءخ في الأرض وأخذهم المسلمون أخذاً باليد .

قال الواقدي : ثم تحوّل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهل الأخيصة والوطيح والسلام ، حصنّ أبي الحقيق ، وتحصنوا أشدّ التحصن وجاء إليهم كلٌّ من كان انهزم من النبطاة إلى الشق ، فتحصنوا معهم في القموص وفي الكتيبة ، وكان حصناً منيعاً وفي الوطيح والسلام وجعلوا لا يطّاعون من حصونهم ، حتى هم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينصب المنجنيق عليهم .

فلما يقنوا بالهلكة وقد حصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة عشر يوماً نزل إليه ابن أبي الحقيق فصالحه على حَقن دمائهم ويسيرهم ويحلّون بين رسول الله صلى الله عليه وسلم

وبين ما كان لهم من الأرض والأموال والصفراء والبيضاء والسكرع والحقة وعلى البر،
إلا ما كان على ظهر إنسان ، يعنى لباسهم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وبرئت
منكم ذمة الله وذمة رسوله إن كنتم شيئا . فصالحوه على ذلك .
قلت : ولهذا لما كنتموا وكذبوا وأخفوا ذلك المسك الذى كان فيه أموال جزيلة ،
تبين أنه لا عهد لهم ، قتل ابنى أبى الحقيق وطائفة من أهله ، بسبب نقض العهد
منهم واللواتيق .

وقال الحافظ البيهقي : حدثنا أبو الحسن على بن محمد المقرئ الأسفرايينى ، حدثنا
الحسن بن محمد بن إسحاق ، حدثنا يوسف بن يعقوب ، حدثنا عبد الواحد بن غياث ،
حدثنا حماد بن سلمة ، حدثنا عبيد الله بن عمر ، فيما يحسب أبو سلمة ، عن نافع عن ابن عمر ،
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتل أهل خيبر حتى ألجأهم إلى قصرهم ، فغلب على الأرض
والزرع والنخل ، فصالحوه على أن يحملوا منها ولهم ما حملت ركابهم ورسول الله صلى الله عليه
وسلم الصفراء والبيضاء ، ويخرجون منها ، واشترط عليهم ألا يكتموا ولا يُغيّبوا شيئا ،
فإن فعلوا فلا ذمة لهم ولا عهد .

فغيّبوا مسكاً^(١) فيه مالٌ وحلى لحيتى بن أخطب ، وكان احتمله معه إلى خيبر حين
أجليت النضير ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حينئذ : ما فعل مسكٌ حى الذى جاء
به من النضير ؟ فقال : أذهبت النفقات والحروب . فقال : العهد قريب والمال أكثر من ذلك
فدفعه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الزبير فمسه بمذاب ، وقد كان حى قبل ذلك
دخل خربة ، فقال : قد رأيت حياً يطوف فى خربة هاهنا . فذهبوا فطافوا فوجدوا
المسك فى الخربة .

فقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنى أبى الحقيق ، وأحدهما زوج صفية بنت

حي بن أخطب ، وسبى رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءهم وذرياتهم وقسم أموالهم بالنكت الذى نكتوا .

وأراد إجلاءهم منها ، فقالوا : يا محمد دَعْنَا نَكُون فى هذه الأرض نصلحها ونقوم عليها . ولم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا لأصحابه غلال يقومون عليها ، وكانوا لا يفرغون أن يقوموا عليها ، فأعطاهم خيبر على أن لهم الشَّطْر من كل زرع ونخيل وشئ ، ما بدا لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكان عبد الله بن رواحة يأتهم كلَّ عام فيُخَرِّجها عليهم ، ثم يُضمهم الشَّطْر ، فشكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم شدةَ خَرْصه ، وأرادوا أن يرشوه فقال : يا أعداء الله تطعمونى السُّحْت ! والله لقد جئتكم من عند أحب الناس إلى ، ولأنتم أبغضُ إلى من عدتكم من القردة والخنزير ، ولا يَحْمَلْنى بغضى إياكم وحجى إياه على أن لا أعدل عليكم .

فقالوا : بهذا قامت السموات والأرض !

قال : فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعين صفة خُصرة ، فقال : يا صفة ما هذه الخُصرة ؟ فقالت : كان رأسى فى حجر ابن أبى الحقيق وأنا نائمة ، فرأيت كأن قرأ وقع فى حجرى ، فأخبرته بذلك فلطمنى وقال : تتمنين ملك يثرب .

قالت : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبغض الناس إلى ، قَتَلَ زوجى وأبى ، فما زال يعتذر إلى ويقول : إن أباك أَلَبَّ علىَّ العربَ وفعل ما فعل ، حتى ذهب ذلك من نفسى .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطى كلَّ امرأة من نسائه ثمانين وسقاً من تمر كل عام وعشرين وسقاً من شعير ، فلما كان فى زمان عمر غشوا المسلمين وألقوا ابنَ

عمر من فوق بيت ففدعوا^(١) يديه ، فقال عمر : من كان له سهمٌ بخيبر فليحضر حتى نقسمها . فقسمها . بينهم . فقال رئيسهم : لا تخرجنّا دَعْنَا نكُون فيها كما أقرّنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر . فقال عمر : أتراني سقطَ على قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كيف بك إذا وقصّت »^(٢) بك راحلتك نحو الشام يوماً ثم يوماً ثم يوماً .

وقسمها عمر بين من كان شهد خيبر من أهل الخديبية .

وقد رواه أبو داود مختصراً من حديث حماد بن سلمة .

قال البيهقي : وعلقه البخاري في كتابه فقال : ورواه حماد بن سلمة . قلت : ولم أره في الأطراف فالله أعلم .

وقال أبو داود : حدثنا سليمان بن داود المهري ، حدثنا ابن وهب ، أخبرني أسامة ابن زيد اللثبي ، عن نافع ، عن عبد الله بن عمر ، قال : لما فُتحت خيبر سألت يهود رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُقرّهم على أن يعملوا على النصف مما خرج منها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أقرّكم فيها على ذلك ما شئنا .

فكانوا على ذلك ، وكان التمر يُقسم على الشَّهْمَانِ من نصف خيبر وبأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الخمس ، وكان أطعم كل امرأة من أزواجه من الخمس مائة وسق من تمر وعشرين وسقا من شعير .

فلما أراد عمر إخراج اليهود أرسل إلى أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فقال لهن : من أحبّ منكن أن أقسم لها مائة وسق فيكون لها أصلها وأرضها وماؤها ، ومن الزرع مزرعة عشرين وسقا من شعير فعلنا ، ومن أحب أن نعزل الذي لها في الخمس كما هو فعلنا .

(١) الفدع : اعوجاج الرسغ من اليد أو الرجل . (٢) وقصت : أسرعت .

وقد روى أبو داود من حديث محمد بن إسحاق حدثني نافع ، عن عبد الله بن عمر ، أن عمر قال : أيها الناس إن رسول الله صلى الله عليه وسلم عامل يهود خيبر على أن يخرجهم إذا شاء ، فمن كان له مالٌ فليلحق به ، فإني أُخرج يهود . فأخرجهم .

وقال البخاري : حدثنا يحيى بن بكير ، حدثنا الليث ، عن يونس ، عن ابن شهاب ، عن سعيد بن المسيب ، أن جبير بن مطعم أخبره قال : مشيت أنا وعتبان بن عفان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا : أعطيت بني المطلب من خمس خيبر وتركنا ، ونحن وهم بمنزلة واحدة منك . فقال : « إنما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد » . قال جبير بن مطعم : ولم يقسم النبي صلى الله عليه وسلم لبني عبد شمس وبني نوفل شيئاً .

تفرد به دون مسلم .

وفي لفظ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن بني هاشم وبني عبد المطلب شيء واحد ، إنهم لم يفارقونا في جاهلية ولا إسلام » .

قال الشافعي : دخلوا معهم في الشعب وناصرهم في إسلامهم وجاهليتهم .

قلت : وقد ذم أبو طالب بني عبد شمس ونوفلاً حيث يقول :

جزى الله عنا عبد شمس ونوفلاً عقوبة شرٍ عاجلاً غير آجلٍ

وقال البخاري : حدثنا الحسن بن إسحاق ، حدثنا محمد بن ثابت ، حدثنا زائدة ،

عن عبيد الله بن عمر ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر للفرس سهمين وللرجال سهماً .

قال : فسرّه نافع فقال : إذا كان مع الرجل فرس فله ثلاثة أسهم ، وإن لم يكن

معه فرس فله سهم .

وقال البخاري : حدثنا سعيد بن أبي مريم ، حدثنا محمد بن جعفر ، أخبرني زيد ،

عن أبيه ، أنه سمع عمر بن الخطاب يقول : أما والذي نفسي بيده لولا أن أترك آخر الناس بيانا^(١) ليس لم شيء ما فُتحت على قرية إلا قسمتها كما قسم النبي صلى الله عليه وسلم خيبر ، ولكني أتركها خزانة لم يقسمونها .

وقد رواه البخاري أيضا من حديث مالك ، وأبو داود عن أحمد بن حنبل ، عن ابن مهدي ، عن مالك ، عن زيد بن أسلم ، عن أبيه عن عمر به .

وهذا السياق يقتضي أن خيبر بكاملها قُسمت بين الغانمين .

وقد قال أبو داود : حدثنا ابن السرح ، أنبأنا ابن وهب ، أخبرني يونس ، عن ابن شهاب قال : بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم افتتح خيبر عتوة بعد القتال وترك من ترك من أهلها بعد القتال .

وبهذا قال الزهري : خمس رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر ثم قسم سائرها على من شهدا .

وفيا قاله الزهري نظر ، فإن الصحيح أن خيبر جميعها لم تقسم ، وإنما قسم نصفها بين الناس كما سيأتي بيانه .

وقد احتج بهذا مالك ومن تابعه على أن الإمام مخير في الأراضي المغنومة ، إن شاء قسمها وإن شاء أرصدها لمصالح المسلمين ، وإن شاء قسم بعضها وأرصد بعضها لما ينوبه في الحاجات والمصالح^(٢) .

قال أبو داود : حدثنا الربيع بن سليمان المؤذن ، حدثنا أسد بن موسى ، حدثنا يحيى ابن زكريا ، حدثني سفيان ، عن يحيى بن سعيد ، عن بشير بن يسار ، عن سهل بن أبي حثمة قال : قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر نصفين ؛ نصفاً لنوابه ، ونصفاً بين المسلمين : قسمها بينهم على ثمانية عشر سهما .

(١) بيانا : أى على طريقة واحدة ، وهي كلمة غير عربية .

(٢) ت : « إن شاء قسمها ، وإن شاء قسم بعضها ، كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم في خيبر ، فإنه خمسها ثم قسم نصفها في الغانمين ، وأرصد نصفها لما ينوبه في الحاجات والمصالح » .

تفرد به أبو داود . ثم رواه أبو داود من حديث بشير بن يسار مرسلًا ، فعين نصف النوائب الوطيح والكتيبة والسَّلام وما حيزَ معها ، ونصف المسلمين الشَّق والنَّظاة وما حيزَ معهما ، وسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما حيزَ معهما .

وقال أيضاً : حدثنا حسين بن علي ، حدثنا محمد بن فضيل ، عن يحيى بن سعيد ، عن بشير بن يسار مولى الأنصار ، عن رجال من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ظهر على خيبر قسمها على ستة وثلاثين سهماً ، جمع كلَّ سهم مائة سهم ، فكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمسلمين النصف من ذلك ، وعزل النصف الثاني لمن نزل به من الوفود والأمور ونوائب الناس .

تفرد به أبو داود .

قال أبو داود : حدثنا محمد بن عيسى ، حدثنا مجمع بن يعقوب بن مجمع بن يزيد الأنصاري ، سمعت أبي يعقوب بن مجمع يقول عن عمه عبد الرحمن بن يزيد الأنصاري ، عن عمه مجمع بن حارثة الأنصاري - وكان أحد القراء الذين قرأوا القرآن - قال : قُسمت خيبر على أهل الحديبية ، فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثمانية عشر سهماً ، وكان الجيش ألفاً وخمسمائة فيهم ثلثمائة فارس ، فأعطى الفارس ، سهمين وأعطى الراجل سهماً .

تفرد به أبو داود .

وقال مالك عن الزهري ، أن سعيد بن المسيب أخبره أن النبي صلى الله عليه وسلم افتتح بعضَ خيبر عنوةً .

ورواه أبو داود . ثم قال أبو داود : قرئ على الحارث بن مسكين وأنا شاهد ، أخبركم ابن وهب ، حدثني مالك بن أنس ، عن ابن شهاب أن خيبر بعضها كان عنوةً وبعضها صلحاً ، والكتيبة أكثرها عنوةً وفيها صلح ، قلت لمالك : وما الكتيبة ؟

قال : أرض خيبر ، وهى أربعون ألف عَذْق . قال أبو داود : والعَذْق : النخلة .
والعَذْق : العرجون .

ولهذا قال البخارى : حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا حرَمَى ، حدثنا شعبة ، حدثنا عمارة ،
عن عكرمة ، عن عائشة قالت : لما فتحت خيبر قلنا : الآن نشبع من التمر .

حدثنا الحسن ، حدثنا قرّة بن حبيب ، حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار ، عن
أبيه ، عن ابن عمر قال : ما شعبنا - يعنى من التمر - حتى فُتِحنا خيبر .

وقال محمد بن إسحاق : كانت الشق والنطاة فى سهمان المسلمين ، الشق : ثلاثة عشر
سهما ونطاة خمسة أسهم ، قسم الجميع على ألف وثمانمائة سهم ، ودفع ذلك إلى من شهد
الحديبية من حضر خيبر ومن غاب عنها ، ولم يغب عن خيبر ممن شهد الحديبية إلا جابر
ابن عبد الله ف ضرب له بسهمه .

قال : وكان أهل الحديبية ألفا وأربعمائة ، وكان معهم مائتا فرس لكل فرس
سهمان ، فصرف إلى كل مائة رجل سهم من ثمانية عشر سهما ، وزيد المائتا فارس
أربعمائة سهم نخلهم .

وهكذا رواه البيهقى من طريق سفيان بن عيينة ، عن يحيى بن سعيد ، عن صالح بن
كيسان أنهم كانوا ألفا وأربعمائة معهم مائتا فرس .

قلت : وضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم بسهم وكان أول سهم من سهمان
الشق مع عاصم بن عدى .

قال ابن إسحاق : وكانت الكتيبة خُصّاً لله تعالى ^(١) ، وسهم النبي صلى الله عليه وسلم ،
وسهم ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ، وطُعمَةُ أزواج النبي صلى الله عليه
وسلم ، وطُعمَةُ أقوام مشوا فى صلح أهل فَدَك ، منهم مُحِيصَةُ بن مسعود أقطعه رسول الله

صلى الله عليه وسلم ثلاثين وسقا من تمر وثلاثين وسقا من شعير . قال : وكان وادياها اللذان قسمت عليه يقال لهما وادى السُرير ووادى خاص .

ثم ذكر ابن إسحاق تفاصيل الإقطاعات منها ، فأجاد وأفاد رحمه الله .
قال : وكان الذى ولى قسمتها وحسابها جبار بن صخر بن أمية بن خنساء أخو بنى سلمة وزيد بن ثابت رضى الله عنهما .

قلت : وكان الأمير على خَرَص نخيل خيبر عبد الله بن رواحة فخرصها سنتين ، ثم لما قتل رضى الله عنه فى يوم مؤتة ولى بعده جبار بن صخر رضى الله عنه .

وقد قال البخارى : حدثنا إسماعيل ، حدثنى مالك ، عن عبد الجيد بن سهيل ، عن سعيد بن المسيب عن أبى سعيد الخدرى وأبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمل رجلا على خيبر فجاء بتمرٍ جَنِيب ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أكلَ تمر خيبر هكذا ؟ » قال : لا والله يا رسول الله ، إنا لناخذ الصاع من هذا بالصاعين ، والصاعين بالثلاثة ، فقال : « لا تفعل بع الجمع بالدراهم ، ثم ابتع بالدراهم جنيبا » .

قال البخارى : وقال الدراوردي ، عن عبد الجيد ، عن سعيد بن المسيب ، أن أبا سعيد وأبا هريرة حدثاه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أخا بنى عدى من الأنصار إلى خيبر وأمره عليها . وعن عبد الجيد عن أبى صالح السمان ، عن أبى سعيد وأبى هريرة مثله .

قلت : كان سهمُ النبي صلى الله عليه وسلم الذى أصاب مع المسلمين مما قسم بخيبر وفدك بكاملها ، وهى طائفة كبيرة من أرض خيبر ، نزلوا من شدة رعبهم منه صلوات الله وسلامه عليه فصالحوه ، وأموال بنى النضير المتقدم ذكرها مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب .

فكانت هذه الأموال لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة ، وكان يعزل منها نفقة أهله لسنة ، ثم يجعل ما بقي يجعل مال الله يصرفه في السكراع والسلاح ومصالح المسلمين . فلما مات صلوات الله وسلامه عليه اعتقدت فاطمة وأزواج النبي صلى الله عليه وسلم - أو أكثرهن - أن هذه الأراضي تكون موروثه عنه ، ولم يبلغن ما ثبت عنه من قوله صلى الله عليه وسلم : « نحن معشر الأنبياء لا نورث ، ما تركناه فهو صدقة » .

ولما طلبت فاطمة وأزواج النبي صلى الله عليه وسلم والعباس نصيبهم من ذلك وسألوا الصديق أن يسلمه إليهم ؛ ذكر لهم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا نورث ما تركنا صدقة » وقال : أنا أعول من كان يعول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والله لقربة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب إلي أن أصل من قرابتي .

وصدق رضي الله عنه وأرضاه ، فإنه البارُّ الراشد في ذلك التابع للحق .

وطلب العباس وعليّ على لسان فاطمة ، إذ قد فاتهم الميراث ، أن ينظرا في هذه الصدقة وأن يصرفا ذلك في المصارف التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يصرفها فيها ، فأبى عليهم الصديق ذلك ، ورأى أن حقاً عليه أن يقوم فيما كان يقوم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وألا يخرج من مسلكه ولا عن سننه .

فتنضبت فاطمة رضي الله عنها عليه في ذلك ووجدت في نفسها بعض الموجدة .

ولم يكن لها ذلك ، والصديق من قد عرفت هي والمسلمون محله ومنزله من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيامه في نصرة النبي صلى الله عليه وسلم في حياته وبعد وفاته ، فجزاه الله عن نبيه وعن الإسلام وأهله خيراً .

وتوفيت فاطمة رضي الله عنها بعد ستة أشهر ثم جدّد على البيعة بعد ذلك ، فلما كان أيام عمر بن الخطاب سألوه أن يفوض أمر هذه الصدقة إلى علي والعباس ، وثقلوا

عليه بجماعة من سادات الصحابة ، ففعل عمر رضى الله عنه ذلك ، وذلك لكثرة أشغاله واتساع مملكته وامتداد رعيته .

فتغلب على^١ على عمه العباس فيها ، ثم تساوفاً يَحْتَصِمَانِ إلى عمر ، وقدَّما بين أيديهما جماعة من الصحابة وسألوا منه أن يقسمها بينهما فينظر كل^٢ منهما فيما لا ينظر فيه الآخر . فامتنع عمر من ذلك أشدَّ الامتناع وخشى أن تكون هذه القسمة تشبه قسمة الموارث وقال : انظروا فيها وأنتم جميع ، فإن عجزتما عنها فادفعوها إلى^٣ ، والذي تقوم السماء والأرض بأمره لا أفضى فيها قضاءً غير هذا .

فاستمرَّ فيها ومن بعدها إلى ولدهما إلى أيام بنى العباس ، تُصرف في المصارف التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصرفها فيها ؛ أموال بنى النضير وفدك وسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر .

فصل

وأما من شهد خيبرَ من العبيد والنساء فَرَضَ (١) لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً من الغنيمة ولم يُسْهِم لهم .

قال أبو داود : حدثنا أحمد بن حنبل ، حدثنا بشر بن المفضل ، عن محمد بن زيد ، حدثني عمير مولى أبي الأحزم قال : شهدتُ خيبرَ مع سادتي ، فكلّموا في رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر بي فقلدت سيفاً ، فإذا أنا أجْرُهُ ، فأخبر أنى مملوك ، فأمر لى بشيء من طريق اللئاع .

ورواه الترمذى والنسائى جميعاً ، عن قتيبة ، عن بشر بن المفضل به . وقال الترمذى :

(١) الرضخ : عطاء من الغنيمة غير محدد .

حسن صحيح . ورواه ابن ماجه عن علي بن محمد عن وكيع عن هشام بن سعد عن محمد بن زيد بن المهاجر ، عن مُنْقِذ عن عُمر به .

وقال محمد بن إسحاق : وشهد خير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نساء فرضخ لهن [من الفء ^(١)] ولم يضرب لهن بسهم .

حدثني سليمان بن سُحيم ، عن أمية بنت أبي الصلت ، عن امرأة من بنى غنار قد سماها لي ، قالت : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في نسوة من بنى غفار ، فقلنا : يا رسول الله قد أردنا أن نخرج معك إلى وجهك هذا - وهو يسير إلى خير - فنداوى الجرحى ونعين المسلمين بما استطعنا فقال : « على بركة الله » .

قالت : فخرجنا معه ، قالت : وكنت جارية حدثه السن ، فأردفني رسول الله صلى الله عليه وسلم على حقيبة رحله ، قالت : [فوالله أنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الصبح ونزلت عن حقيبة رحله ^(١)] قالت : وإذابها دم مني وكانت أول حيضة حضتها ، قالت : فتقبَّضْتُ إلى الناقة واستحييت . فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بي ورأى الدم قال : « مالك ؟ لعلك تَفْسَتِ » قالت : قلت : نعم ، قال : « فأصلحي من نفسك ثم خذي إناءً من ماء فاطرحي فيه ملحاً ثم اغسلي ما أصاب الحقيبة من الدم ، ثم عودي لمرّ بكبك » .

قالت : فلما فتح الله خيرَ رَضَخَ لنا من الفء ، وأخذ هذه القلادة التي تزين في عنقي فأعطانيها وعلّقها بيده في عنقي ، فوالله لا تفارقني أبداً . وكانت في عنقها حتى ماتت ، ثم أوصت أن تدفن معها .

قالت : وكانت لا تطهر من حيضها إلا جعلت في طهورها ملحاً ، وأوصت به أن يجعل في غسلها حين ماتت .

وهكذا رواه الإمام أحمد وأبو داود من حديث محمد بن إسحاق به .

قال شيخنا أبو الحجاج المِزِّي في أطرافه : ورواه الواقدي ، عن أبي بكر بن أبي سبرة ، عن سليمان بن سُحيم ، عن أم علي بنت أبي الحكم ، عن أمية بنت أبي الصلت عن النبي صلى الله عليه وسلم به .

وقال الإمام أحمد : حدثنا حسن بن موسى ، حدثنا رافع بن سلامة الأشجعي ، حدثني حُشْرَج بن زياد ، عن جدته أم أبيه ، قالت : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة خيبر وأنا سادسة ست نسوة ، قالت : فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم أن معه نساء ، قالت : فأرسل إلينا فدعانا ، قالت : فرأينا في وجهه الغضب فقال : « ما أخرجكن وبأمر من خرجتن ؟ » قلنا : خرجنا ننساول السهام ونسقى السَّويق ، ومعنا دواء للجرحى ونغزل الشَّعر فنعين به في سبيل الله . قال : فمرنن فانصرفن .

قالت : فلما فتح الله عليه خيبر أخرج لنا سهاما كسهام الرجال ، فقلت لها : يا جدَّة وما الذي أخرج لـكن ؟ قالت : تمرّاً .

قلت : إنما أعطاهن من الحاصل ، فأما أنه أسَّهَمَ لهن في الأرض كسهام الرجال فلا ! والله أعلم .

وقال الحافظ البيهقي : وفي كتابي عن أبي عبد الله الحافظ ، أن عبد الله الأصهباني أخبره ، حدثنا الحسين بن الجهم ، حدثنا الحسين بن الفرج ، حدثنا الواقدي ، حدثني عبد السلام بن موسى بن جبير ، عن أبيه عن جده ، عن عبد الله بن أنيس قال : خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خيبر ومعى زوجتي وهي حبلى فنَفَسَتْ في الطريق ، فأخبرتُ لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي : « انقع لها تمرّاً فإذا انغمر فأمر به لتشر به » ففعلت فإِذَا رأت شيئاً تسكره ، فلما فتحنا خيبر أجدى ^(١) النساء ولم يُسَّهَم لهن ، فأجدى زوجتي وولدي الذي ولد . قال عبد السلام : لست أدري غلام أو جارية .

ذكر قدوم جعفر بن أبي طالب رضى الله عنه ومن كان بقى بالحبيشة
من هاجر إليها من المسلمين ، ومن انضم إليهم من أهل اليمن
على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مخيم بخيبر

قال البخارى : حدثنا محمد بن العلاء ، حدثنا أبو أسامة ، حدثنا بُرَيْد بن عبد الله بن
أبي بردة ، عن أبي بردة ، عن أبي موسى قال : بلغنا تَخْرُجُ النبي صلى الله عليه وسلم ونحن
باليمن ، فخرجنا مهاجرين إليه أنا وأخوان لى أنا أصغرهم ، أحدهما أبو بردة والآخر أبو رهم ،
إما قال : فى بَضْع ، وإما قال : فى ثلاثة وخمسين أو اثنين وخمسين رجلا من قومى .

فركبنا سفينةً فالتفتنا سفينتنا إلى النجاشى بالحبيشة ، فوافقنا جعفر بن أبي طالب ،
فأقنا معه حتى قدمنا جميعاً ، فوافقنا النبي صلى الله عليه وسلم حين افتتح خيبر ، فكان
أناسٌ من الناس يقولون لنا - يعنى لأهل السفينة - : سبقناكم بالهجرة .

ودخلت أسماء بنت عميس - وهى بمن قدم معنا - على حفصة زوج النى صلى الله عليه
وسلم زائرة ، وقد كانت هاجرت إلى النجاشى فيمن هاجر ، فدخل عمر على حفصة وأسماء
عندها فقال حين رأى أسماء : من هذه ؟ قالت : أسماء ابنة عميس . قال عمر : ألحشية هذه ؟
البحرية هذه ؟ قالت أسماء : نعم . قال : سبقناكم بالهجرة ، فنحن أحق برسول الله صلى الله عليه
وسلم منكم . فغضبت وقالت : كلا والله كنتم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يطعم جائعكم ،
ويعطى جاهلكم ، وكنا فى دار - أو فى أرض - البُعداء والبُغضاء بالحبيشة ، وذلك فى الله
وفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإيم الله لا أظعم طعاماً ولا أشرب شراباً حتى أذكر
ما قلت للنبي صلى الله عليه وسلم وأسله ، والله لا أكذب ولا أزيغ ولا أزيد عليه .

فلما جاء النبي صلى الله عليه وسلم قالت : يابى الله إن عمر قال كذا وكذا . قالت : قال :

« فقلت له ؟ » قالت : قلت كذا وكذا . قال : « ليس بأحق بي منكم ، وله ولأصحابه
جرة واحدة ، ولكم أنتم أهل السفينة هجرتان » .

قالت : فلقد رأيت أبا موسى وأهل السفينة يأتوني أرسالا يسألوني عن هذا
الحديث ، ما من الدنيا شيء هم به أفرح ولا أعظم في أنفسهم مما قال لهم النبي صلى
الله عليه وسلم .

قال أبو بردة : قالت أسماء : فلقد رأيت أبا موسى وإنه ليستعيد هذا الحديث مني .
وقال أبو بردة عن أبي موسى : قال النبي صلى الله عليه وسلم « إني لأعرف أصوات
رفقة الأشعرين بالقرآن حين يدخلون بالليل ، وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن
بالليل ، وإن كنت لم أر منازلهم حين نزلوا بالنهار ، ومنهم حكيم بن حزام إذا لقي العدو
— أو قال الخيل — قال لهم : إن أصحابي يأمرونكم أن تنظروهم » .

وهكذا رواه مسلم عن أبي كريب وعبد الله بن برآد عن أبي أسامة به .

ثم قال البخاري : حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، حدثنا حفص بن غياث ، حدثنا بُريد
[ابن عبد الله^(١)] عن أبي بردة ، عن أبي موسى ، قال : قدمنا على النبي صلى الله عليه وسلم
بعد أن افتتح خيبر ، فقسم لنا ولم يقسم لأحد لم يشهد الفتح غيرنا .

تفرد به البخاري دون مسلم ورواه أبو داود والترمذي وصححه من حديث بُريد به .
وقد ذكر محمد بن إسحاق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عمرو بن أمية
الضُمري إلى النجاشي يطلب منه من بقي من أصحابه بالحبشة ، فقدموا صحبة جعفر وقد
فتح النبي صلى الله عليه وسلم خيبر .

قال : وقد ذكر سفيان بن عيينة عن الأجاج عن الشعبي ، أن جعفر بن أبي طالب
قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح خيبر ، فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم
بين عينيه والتزمه وقال : « ما أدري بأيهما أنا أسرُّ بفتح خيبر أم بقدوم جعفر » .

وهكذا رواه سفيان الثوري عن الأجلح ، عن الشعبي مرسلًا .

وأُسند البيهقي من طريق حسن بن حسين العرزمي ، عن الأجلح ، عن الشعبي عن جابر قال : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر قدم جعفر من الحبشة ، فتلقاها وقبّل جبهته وقال : « والله ما أدرى بأيهما أفرح ، بفتح خيبر أم بقدوم جعفر » . ثم قال البيهقي ، حدثنا أبو عبد الله الحافظ ، حدثنا الحسين بن أبي إسماعيل العلوي ، حدثنا أحمد بن محمد البيروتي ، حدثنا محمد بن أحمد بن أبي طيبة ، حدثني مكّي بن إبراهيم الرُّعَيْنِي ، حدثنا سفيان الثوري ، عن أبي الزبير ، عن جابر قال : لما قدم جعفر بن أبي طالب من أرض الحبشة تلقاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما نظر جعفر إليه حَجَلَ - قال مكّي : يعني مشى على رجل واحدة - إعظاماً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم بين عينيه .

ثم قال البيهقي : في إسناده من لا يُعرف إلى الثوري .

قال ابن إسحاق : وكان الذين تأخروا مع جعفر من أهل مكة إلى أن قدموا معه خير ستة عشر رجلاً . وسرد أسماءهم وأسماء نسائهم وهم : جعفر بن أبي طالب الهاشمي ، وامراته أسماء بنت عُمَيْس ، وابنه عبد الله ولد بالحبشة ، وخالده بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس ، وامراته أمينة بنت خلف بن أسعد ، وولده سعيد ، وأمة بنت خالد ولدا بأرض الحبشة ، وأخوه عمرو بن سعيد بن العاص ، ومُعَيْقِب بن أبي فاطمة ، وكان إلى آل سعيد بن العاص .

قال : وأبو موسى الأشعري عبد الله بن قيس حليف آل عتبة بن ربيعة ، وأسود ابن نوفل بن خويلد بن أسد الأسدي ، وجَنَّهُم بن قيس بن عبد شُرَحْبِيل العبدي ، وقد ماتت امرأته أم حَرَملة بنت عبد الأسود بأرض الحبشة ، وابنه عمرو ، وابنته خزيمة ماتتا بها رحمهم الله ، وعامر بن أبي وقاص الزُّهري ، وعتبّة بن مسعود حليف لهم من

هذيل ، والحارث بن خالد بن صخر التيمي ، وقد هلك بها امرأته ربيعة بنت الحارث
رحمها الله ، وعثمان بن ربيعة بن أهبان الجحى ، ومحمية بن جزء الزبيدي حليف بني سهم ،
ومعمر بن عبد الله بن نضلة العدوي ، وأبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس ، ومالك
ابن ربيعة بن قيس بن عبد شمس العامريان ، ومع مالك هذا امرأته عمرة بنت السعدى ،
والحارث بن عبد شمس بن لقيط الفهري .

قلت : ولم يذكر ابن إسحاق أسماء الأشعرين الذين كانوا مع أبي موسى الأشعري
وأخويه أبا بردة وأبا رهم وعمه أبا عامر ، بل لم يذكر من الأشعرين غير أبي موسى ولم
يتعرض لذكر أخويه وهما أسن منه كما تقدم في صحيح البخارى .

وكان ابن إسحاق رحمه الله لم يطلع على حديث أبي موسى في ذلك . والله أعلم .
قال : وقد كان معهم في السفينتين نساء من نساء من هلك من المسلمين هنالك وقد
حرر هاهنا شيئاً كثيراً حسناً .

قال البخارى : حدثنا على بن عبد الله ، حدثنا سفيان ، سمعت الزهرى ، وسأله
إسماعيل بن أمية قال : أخبرني عتبة بن سعيد ، أن أبا هريرة أتى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وسأله - يعنى أن يقسم له - فقال بعض بنى سعيد بن العاص : لاتعطه . فقال
أبو هريرة : هذا قاتل ابن قوَّال . فقال : واعجباً لو برَّ تدلَّى من قدوم الضأن ^(١) .
تفرد به دون مسلم .

قال البخارى : ويذكر عن الزبيدي عن الزهرى ، أخبرني عتبة بن سعيد ، أنه

(١) الوبر : فراء دوية تشبه السنور ، وتسمى غنم بنى إسرائيل . وتدلَّى : انحدر . وقدوم الضأن :
جبل بأرض دوس قوم أبي هريرة . أراد بذلك تحقيره . ورواية صحيح البخارى : قدوم الضأل باللام .
وما هنا رواية الأصل وأبى ذر .

سمع أبا هريرة يخبر سعيد بن العاص قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا نأ على سرية من المدينة قبل نجد .

قال أبو هريرة : فقدم أبان وأصحابه على النبي صلى الله عليه وسلم بخيبر بعد ما افتتحها ، وإن حُزم خيلهم لليف .

قال أبو هريرة : فقلت : يا رسول الله لا تقسم لهم . فقال أبان : وأنت بهذا يا وبر تحذر من رأس ضال . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « يا أبان اجلس » ولم يقسم لهم . وقد أسند أبو داود هذا الحديث ، عن سعيد بن منصور ، عن إسماعيل بن عياش ، عن محمد بن الوليد الزبيدي به نحوه .

ثم قال البخاري : حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا عمرو بن يحيى بن سعيد ، أخبرني جدي وهو سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص ، أن أبان بن سعيد أقبل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسلم عليه ، فقال أبو هريرة : يا رسول الله هذا قاتل ابن قوقل . فقال أبان لأبي هريرة : وأعجبا لك يا وبر ^(١) تردى من قدوم ضأن ، تنعى على امرأ أكرمه الله بيدي ، ومنعه أن يهينني بيده ؟ .

هكذا رواه منفرداً به هاهنا ^(٢) . وقال في الجهاد بعد حديث الحميدي ، عن سفيان ، عن الزهري عن عنبسة بن سعيد ، عن أبي هريرة قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بخيبر بعد ما افتتحها ، فقلت : يا رسول الله أسهم لى . فقال بعض آل سعيد ابن العاص : لا تقسم له . فقلت : يا رسول الله هذا قاتل ابن قوقل . الحديث .

قال سفيان : حدثني السعيدى - يعنى عمرو بن يحيى بن سعيد - عن جده عن أبي هريرة بهذا :

ففى هذا الحديث التصريح من أبي هريرة بأنه لم يشهد خيبر وتقدم فى أول هذه

(١) صحيح البخارى : وأعجبا لك وبر تدأ .

(٢) من هنا إلى أول خبر الحجاج علاط ساقطة من (١) .

الغزوة . رواه الإمام أحمد من طريق عراك بن مالك ، عن أبي هريرة وأنه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما افتتح خيبر فكلّم المسلمين فأشركونا في أسهامهم . وقال الإمام أحمد : حدثنا روح ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد ، عن عمار بن أبي عمار ، قال : ما شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مغنماً قط إلا قسم لي ، إلا خيبر فإنها كانت لأهل الحديبية خاصة .

قلت : وكان أبو هريرة وأبو موسى جاءا بين الحديبية وخيبر .

وقد قال البخاري : حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثنا معاوية بن عمرو ، حدثنا أبو إسحاق ، عن مالك بن أنس ، حدثني ثور ، حدثني سالم مولى [عبد الله] بن مطيع ، أنه سمع أبا هريرة يقول : افتتحنا خيبر فلم نغنم ذهباً ولا فضة ، إنما غنمنا الإبل والبقر والمتاع والحوائط ، ثم انصرفنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى وادي القرى ومعه عبد له يقال له مدغم أهدها له بعض بني الضبيب ، فبينما هو يحط رحل رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاء سهم عائر حتى أصاب ذلك العبد ، فقال الناس : هنيئاً له الشهادة . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كلا والذي نفسي بيده إن الشّملة التي أصابها يوم خيبر لم تُصبها المقاسم لتشتعل عليه ناراً » .

فجاء رجل حين سمع ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم بشراك أو شركا كين فقال : هذا شيء كنتُ أصبته . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « شرك أو شركا كين من نار » .

ذكر قصة الشاة المسمومة

وما كان من أمر البرهان الذي ظهر عندها والحجة البالغة فيها

قال البخاري : رواه عروة ، عن عائشة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال :

حدثنا عبد الله بن يوسف ، حدثنا الليث ، حدثني سعيد ، عن أبي هريرة قال : لما فُتحت خيبر أُهديت لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاة فيها سم .
هكذا أورده هاهنا مختصراً .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا حجاج ، حدثنا ليث ، عن سعيد بن أبي سعيد ، عن أبي هريرة قال : لما فُتحت خيبر أُهديت للنبي صلى الله عليه وسلم شاة فيها سم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اجمعوا لي من كان هاهنا من يهود » فجمعوا له ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « إني سألتكم عن شيء فهل أنتم صادق عنه ؟ » قالوا : نعم يا أبا القاسم . فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أبوكم ؟ » قالوا : أبونا فلان ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كذبتكم بل أبوكم فلان » قالوا : صدقت وبررت . فقال : « هل أنتم صادق عن شيء إذا سألتكم عنه ؟ » قالوا : نعم يا أبا القاسم ، وإن كذبنا عرفت كذبنا كما عرفته في أيينا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أهل النار ؟ » فقالوا : نكون فيها يسيراً ثم تخلفونا فيها .

فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم « والله لا تخلفكم فيها أبداً » .
ثم قال لهم : « هل أنتم صادق عن شيء إذا سألتكم ؟ » فقالوا : نعم يا أبا القاسم . فقال : « هل جعلتم في هذه الشاة سمّاً ؟ » فقالوا : نعم . قال : « ما حملكم على ذلك ؟ » قالوا : أردنا إن كنت كاذباً أن نستريح منك ، وإن كنت نبياً لم يضرك .

وقد رواه البخاري في الجزية عن عبد الله بن يوسف ، وفي المغازي أيضاً عن قتيبة ، كلاهما عن الليث به . وقال البيهقي : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، أنبأنا أبو العباس الأصم ، حدثنا سعيد بن سليمان ، حدثنا عباد بن العوام ، عن سفیان بن حسين ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب وأبي سلمة بن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة ، أن امرأة من يهود أُهدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاة مسمومة فقال لأصحابه : « أمسكوا فإنها مسمومة » وقال لها :

« ما حملك على ما صنعت ؟ » قالت : أردتُ أن أعلم إن كنت نبياً فسيُطْلَعك الله عليه ، وإن كنت كاذباً أريح الناس منك . قال : فما عرض لها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

رواه أبو داود عن هارون بن عبد الله ، عن سعيد بن سليمان به .
ثم روى البيهقي عن طريق عبد الملك بن أبي نضرة ، عن أبيه ، عن جابر بن عبد الله نحو ذلك .

وقال الإمام أحمد : حدثنا شريح ، حدثنا عبّاد ، عن هلال - هو ابن خَبَّاب - عن عكرمة ، عن ابن عباس أن امرأة من اليهود أهدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاة مسمومة ، فأرسل إليها فقال : « ما حملك على ما صنعت ؟ » قالت : أحببتُ - وأردتُ - إن كنت نبياً فإن الله سيُطْلَعك عليه ، وإن لم تكن نبياً أريح الناس منك .
قال : فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا وجد من ذلك شيئاً احتجم ، قال : فسافر مرةً فلما أحرم وجد من ذلك شيئاً فاحتجم .
تفرد به أحمد وإسناده حسن .

وفي الصحيحين من حديث شعبة عن هشام بن زيد ، عن أنس بن مالك ، أن امرأة يهودية أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم بشاة مسمومة فأكل منها ، فجىء بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألها عن ذلك ، قالت : أردت لأقتلك . فقال : « ما كان الله لِيَسْلُطَكَ عَلَىَّ » أو قال : « على ذلك » . قالوا : ألا تقتلها ؟ قال : « لا » .
قال أنس : فما زلتُ أعرفها في لهوات رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال أبو داود : حدثنا سليمان بن داود المهزبي ، حدثنا ابن وهب ، أخبرني يونس ، عن ابن شهاب ، قال : كان جابر بن عبد الله يحدث أن يهودية من أهل خيبر سُمِّت شاة

مَصْلِيَّةٌ^(١) ثم أهدتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الذراع فأكل منها ، وأكل رهطٌ من أصحابه معه ، ثم قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ارفعوا أيديكم » .

وأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المرأة فدعاها فقال لها : « أَسَمِّتِ هذه الشاة ؟ » قالت اليهودية : من أخبرك ؟ قال : « أخبرتني هذه التي في يدي » وهي الذراع ، قالت : [نعم] . قال : « فما أردتِ بذلك ؟ » قالت : قلت : إن كنت نبيا فلن تضرك ، وإن لم تكن نبيا استرحنا منك .

فعفا عنهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يعاقبها ، وتوفى بعض أصحابه الذين أكلوا من الشاة ، واحتجهم النبي صلى الله عليه وسلم على كاهله من أجل الذي أكل من الشاة ، حجَّه أبو هند بالقرن والشفرة وهو مولى لبني بياضة من الأنصار .

ثم قال أبو داود : حدثنا وهب بن بَقِيَّة ، حدثنا خالد ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أهدت له يهودية بخبز شاة مَصْلِيَّة نحو حديث جابر . قال : فمات بِشْرُ بن البراء بن معرور ، فأرسل إلى اليهودية فقال : « ما حملك على الذي صنعت ؟ » فذكر نحو حديث جابر ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتلت ولم يذكر أمرَ الحِجَامَةِ .

قال البيهقي : ورويناه من حديث حماد بن سلمة ، عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة .

قال : ويحتمل أنه لم يقتلها في الابتداء ، ثم لما مات بِشْرُ بن البراء أمر بقتلها .
وروى البيهقي من حديث عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الزهري ، عن عبد الرحمن

ابن كعب بن مالك ، أن امرأة يهودية أهدت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم شاة مَصْلِيَّةَ بخيبر ، فقال : « ما هذه ؟ » قالت : هدية . وحذرت أن تقول صدقة فلا يأكل . قال : فأكل وأصحابه ثم قال : « أمسكوا » ثم قال للمرأة : « هل سمعتِ ؟ » قالت : من أخبرك هذا ؟ قال : « هذا العظم » لساقها وهو في يده ، قالت : نعم . قال : « لم » . قالت : أردت إن كنت كاذبا أن نستريح منك ، وإن كنت نبيا لم يضرْك . قال : فاحتجم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على الكاهل وأسر أصحابه فاحتجموا . ومات بعضهم .

قال الزهري : فأسلمت فتركها النبي صلى الله عليه وسلم .

قال البيهقي : هذا مُرْسَل ، ولعله قد يكون عبد الرحمن حمله عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه .

وذكر ابنُ لُهِيعَةَ عن أبي الأسود ، عن عروة ، وكذلك موسى بن عُقْبَةَ عن الزهري قالوا : لما فَتَحَ رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر وقتل منهم من قتل ، أهدت زينب بنت الحارث اليهودية وهي ابنة أخي مَرْحَبٍ لصفية شاة مَصْلِيَّةَ وسمَّتها ، وأكثرت في الكتف والذراع ، لأنه بلغها أنه أحبُّ أعضاء الشاة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على صفية ومعه بشر بن البراء بن معرور ، وهو أحد بني سلمة ، فقدَّمت إليهم الشاة المَصْلِيَّةَ ، فتناول رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الكتفَ وانتَهِش منها ، وتناول بشر عظاما فانتَهِش منه ، فلما استرطَ ^(١) رسول الله صلى الله عليه وسلم لقمة استرطَ بشرُ بن البراء ما في فيه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ارفعوا أيديكم فإن كتف هذه الشاة يخبرني أني نُعِيت فيها » فقال بشر بن البراء :

(١) استرط : ابتلع .

والذى أكرمك لقد وجدت ذلك فى أكلتى التى أكلت ، فما معنى أن ألقظها إلا أنى أعظمتك أن أبفضك طعامك ، فلما أسغت ما فى فيك لم أرغب بنفسى عن نفسك ورجوت أن لا تكون استرطتها وفيها نعى . فلم يقم بشر من مكانه حتى عاد لونه كالطيلسان وماطله وجهه حتى كان لا يتحول حتى يحول .

قال الزهري : قال جابر : واحتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ، حججه مولى بنى بياضة بالقرن والشفرة ، وبقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده ثلاث سنين حتى كان وجهه الذى توفى فيه فقال : « مازلت أجِدُ من الأكلة التى أكلتُ من الشاة يوم خيبر عِدَاداً ^(١) حتى كان هذا أو انقطاع أبهرى » . فتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم شهيداً .

وقال محمد بن إسحاق : فلما اطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أهدت له زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم شاة مصلية ، وقد سألت أى عضو أحبُّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبل لها الذراع . فأكثر فيها من السم ، ثم سُمّت سائر الشاة ثم جاءت بها ، فلما وضعتها بين يديه تناول الذراع فلاك منها مضغاً فلم يسغها ، ومعه بشر بن البراء بن معرور ، قد أخذ منها كما أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأما بشر فأساغها ، وأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلفظها ثم قال : « إن هذا العظ يخبرنى أنه مسموم » .

ثم دعاها فاعترفت ، فقال : « ما حملك على ذلك » قالت : بلغت من قومي ما لم يخف عليك ، فقلت : إن كان كذا با استرحتُ منه ، وإن كان نبياً فسئخبر .

قال : فتجاوز عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومات بشر من أكلته التى أكل .

قال ابن إسحاق : وحدثني مروان بن عثمان بن أبي سعيد بن الملق ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال في مرضه الذي توفي فيه - ودخلت عليه أخت بشر بن البراء بن معرور - : « يا أم بشر إن هذا الأوان وجدت [فيه] انقطاع أبهرى من الأكلة التي أكلت مع أخيك بنخبر » .

قال ابن هشام : الأبهز : العرق المعلق بالقلب .

قال : فإن كان المسلمون ليرون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات شهيداً مع ما أكرمه الله به من النبوة .

وقال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا هلال بن بشر وسليمان بن يوسف الحراني ، قالا : حدثنا أبو غياث سهل بن حماد ، حدثنا عبد الملك بن أبي نضرة عن أبيه ، عن أبي سعيد الخدري ، أن يهودية أهدت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم شاة سميطاً ، فلما بسط القوم أيديهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أمسكوا فإن عضوا من أعضائها يخبرني أنها مسمومة » فأرسل إلى صاحبته : « أستممت طعامك ؟ » قالت : نعم . قال : « ما حالك على ذلك ؟ » قالت : إن كنت كذاباً أن أريح الناس منك ، وإن كنت صادقاً علمت أن الله سيطلعك عليه .

فبسط يده وقال : « كلوا بسم الله » . قال : فأكلنا وذكرنا اسم الله فلم يضر

أحداً منا .

ثم قال : لا يُروى عن عبد الملك بن أبي نضرة إلا من هذا الوجه .

قلت : وفيه نكارة وغبابة شديدة . والله أعلم .

وذكر الواقدي أن عيينة بن حصن قبل أن يسلم رأى في منامه رؤيا ورسول الله صلى

الله عليه وسلم محاصرٌ خبير ، فطمع من رؤياه أن يقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم

فيظفر به ، فلما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر وجده قد افتتحها ؛ فقال : يا محمد أعطني ما غنمت من حلفائي - يعني أهل خيبر - فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كذبت رؤياك » وأخبره بما رأى .

فرجع عيينة فلقية الحارث بن عوف فقال : ألم أقل إنك توضع في غير شيء ، والله ليظهرن محمد على ما بين المشرق والمغرب ، وإن يهود كانوا يخبروننا بهذا ، أشهد لسمعت أبا رافع سلام بن أبي الحقيق يقول : إنا لنحسد محمداً على النبوة حيث خرجت من بني هارون ، إنه لم يرسل ، ويهود لا تطاوعني على هذا . ولنا منه ذبحان ؛ واحد يثرب وآخر بخيبر . قال الحارث : قلت لسلام : يملك الأرض ؟ قال : نعم والتوراة التي أنزلت على موسى وما أحب أن تعلم يهود بقولي فيه .

فصل

قال ابن إسحاق : فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر انصرف إلى وادي القرى فحاصر أهلها ليالي ثم انصرف راجعاً إلى المدينة .

ثم ذكر من قصة مدغم وكيف جاءه سهم غارب فقتله ، وقال الناس : هنيئاً له الشهادة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كلا والذي نفسي بيده إن الشملة التي أخذها يوم خيبر لم يصبها المقاسم لتشتعل عليه نازاً » .

وقد تقدم في صحيح البخاري نحو ما ذكره ابن إسحاق والله أعلم . وسيأتي ذكر قتاله عليه السلام بوادي القرى .

قال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن سعيد ، عن محمد بن يحيى بن حبان ، عن أبي عمرة ، عن زيد بن خالد الجهني ، أن رجلاً من أشجع من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي يوم خيبر ، فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال : « صلوا على صاحبكم »

فتغير وجوه الناس من ذلك ، فقال : « إن صاحبكم غلّ في سبيل الله » فقدشنا متاعه فوجدنا خرزاً من خرز يهود مايساوى درهمين .

وهكذا رواه أبو داود والنسائي من حديث يحيى بن سعيد القطان . ورواه أبو داود وبشر بن الفضل وابن ماجه من حديث الليث بن سعد ثلاثهم عن يحيى بن سعيد الأنصاري به .

وقد ذكر البيهقي أن بني فزارة أرادوا أن يقاتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم مرجعه من خيبر وتجمعوا لذلك فبعث إليهم يواعدهم موضعاً معيناً فلما تحققوا ذلك هربوا كل مهرّب ؛ وذهبوا من طريقه كل مذهب .

وتقدم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حلتّ صفية من استبرائها دخل بها بمكان يقال له سدّ الصهباء في أثناء طريقه إلى المدينة ؛ وأولم عليها بحنيس ، وأقام ثلاثة أيام يُبني عليه بها ، وأسلمت فأعتقها وتزوجها وجعل عتاقها صداقها ، وكانت إحدى أمهات المؤمنين كما فهمه الصحابة لما مدّ عليها الحجاب وهو مردفها وراءه رضى الله عنها .

وذكر محمد بن إسحاق في السيرة قال : لما أعرس رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفية بخيبر - أو ببعض الطريق - وكانت التي جمّتها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومشطتها وأصلحت من أمرها أم سليم بنت ملحان أم أنس بن مالك ، وبات بها رسول الله صلى الله عليه وسلم في قبة له وبات أبو أيوب متوشحاً بسيفه يحرس رسول الله صلى الله عليه وسلم ويُطيف بالقبة حتى أصبح ، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانه قال : « مالك يا أبا أيوب ؟ » قال : خِفْتُ عليك من هذه المرأة ، وكانت امرأة قد قتلت أباهما وزوجها وقومها ، وكانت حديثه عهد بكفر فخِفْتُها عليك . فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اللهم احفظ أبا أيوب كما بات يحفظني » .

ثم قال : حدثني الزهري عن سعيد بن المسيّب ، فذكر نومهم عن صلاة الصبح مرجعهم من خير ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أولهم استيقاظاً فقال : « ماذا صنعتَ بنا يا بلال ؟ » قال : يا رسول الله أخذ بنفسى الذى أخذ بنفسك . قال : « صدقت » ثم اقتاد ناقته غير كثير ثم نزل فتوضأ وصلى كما كان يصلّيها قبل ذلك . وهكذا رواه مالك عن الزهري عن سعيد مرسل . وهذا مرسل من هذا الوجه .

وقد قال أبو داود : حدثنا أحمد بن صالح ، حدثنا ابن وهب ، أخبرني يونس ، عن ابن شهاب ، عن سعيد بن المسيّب ، عن أبي هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قُتل من غزوة خيبر ، فسار ليلةً حتى إذا أدركنا الكرى عرّس وقال بلال : « اكلاً لنا الليل » قال : فغلبت بلالاً عيناه وهو مستندٌ إلى راحلته فلم يستيقظ النبي صلى الله عليه وسلم ولا بلال ولا أحد من أصحابه حتى ضربتهم الشمس ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أولهم استيقاظاً ، ففرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : « يا بلال » قال : أخذ بنفسى الذى أخذ بنفسك بأبى أنت وأمى يا رسول الله . قال : فاقتادوا رواحلتهم شيئاً ثم توضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمر بلالاً فأقام الصلاة وصلى لهم الصبح ، فلما أن قضى الصلاة قال : « من نسي صلاةً فليصلها إذا ذكرها ، فإن الله تعالى يقول : « وأقم الصلاة لِذِكْرِي » .

قال يونس : وكان ابن شهاب يقرأها كذلك .

وهكذا رواه مسلم عن حرّمة بن يحيى ، عن عبد الله بن وهب به ، وفيه أن ذلك كان مرجعهم من خير .

وفى حديث شعبة عن جامع بن شدّاد ، عن عبد الرحمن بن أبى علقمة ، عن ابن مسعود أن ذلك كان مرجعهم من الحديبية ، فى رواية عنه أن بلالاً هو الذى كان يَكُلُوهم ، وفى رواية عنه أنه هو الذى كان يَكُلُوهم .

قال الحافظ البيهقي : فيحتمل أن ذلك كان مرتين . قال : وفي حديث عمران بن حصين وأبي قتادة نومهم عن الصلاة ، وفيه حديث الميضاة ، فيحتمل أن ذلك إحدى هاتين المرتين أو مرة ثالثة .

قال : وذكر الواقدي في حديث أبي قتادة أن ذلك كان مرجعهم من غزوة تبوك . قال : وروى زافر بن سليمان ، عن شعبة ، عن جامع بن شدّاد ، عن عبد الرحمن ، عن ابن مسعود أن ذلك كان مرجعهم من تبوك . فإله أعلم .

ثم أورد البيهقي ما رواه صاحب الصحيح من قصة عوف الأعرابي ، عن أبي رجاء عن عمران بن حصين ، في قصة نومهم عن الصلاة وقصة المرأة صاحبة السّطيحتين وكيف أخذوا منهما ماء روى الجليش بكأله ولم ينقص ذلك منهما شيئاً .

ثم ذكر ما رواه مسلم من حديث ثابت البناني ، عن عبد الله بن رباح ، عن أبي قتادة ، وهو حديث طويل وفيه نومهم عن الصلاة وتكثير الماء من تلك الميضاة . وقد رواه عبد الرزاق عن معمر عن قتادة .

وقال البخاري : حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا عبد الواحد ، عن عاصم عن أبي عثمان ، عن أبي موسى الأشعري قال : لما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبراً ، وقال : لما توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خيبر أشرف الناس على واد فرفعوا أصواتهم بالتكبير : الله أكبر لا إله إلا الله . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اربعوا على أنفسكم إنكم لا تدعون أصمّ ولا غائباً إنكم تدعون سميعاً قريباً وهو معكم » . وأنا خلف دابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعتني وأنا أقول : لا حول ولا قوة إلا بالله . فقال : يا عبد الله بن قيس . قلت : لبيك يا رسول الله . قال : « ألا أدلك على كلمة من كنز الجنة ؟ » قلت : بلى يا رسول الله فذاك أبي وأمي . قال : « لا حول ولا قوة إلا بالله » .

وقد رواه بقية الجماعة من طرق ، عن عبد الرحمن بن مُلٍ أبي عثمان النهدي ، عن
أبي موسى الأشعري .
والصواب أنه كان مرجعهم من خيبر ، فإن أبا موسى إنما قدِم بعد فتح خيبر .
كما تقدم .

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما بلغني - قد أعطى
ابن لقيم العباسي حين افتتح خيبر ما بها من دجاجة أو داجن ، وكان فتح خيبر في صفر ،
فقال ابن لقيم في فتح خيبر :

رُميت نَظَاةٌ مِنَ الرُّسُولِ بِفَيْلِقٍ	شهباء ذاتِ مناكِبٍ وَفَقَارٍ ^(١)
وَاسْتَيْقَنْتُ بِالذَّلِّ لَمَّا شُيِّعَتْ	وَرَجَالُ أَسْلَمٍ وَسَطَهَا وَغِفَارٍ
صَبَحَتْ بَنِي عَمْرٍو بِنِزْزَعَةٍ غُدُوَّةٍ	وَالشَّقُّ أَظْلَمَ أَهْلُهُ بِنَهَارٍ
جَرَّتْ بِأَبْطَحِهَا الذُّيُولُ فَلَمْ تَدَعْ	إِلَّا الدَّجَاجَ نَصِيحَ الْأَسْحَارِ
وَلِكُلِّ حَصْنٍ شَاغِلٌ مِنْ خِيْلِهِمْ	مِنْ عَبْدِ الْأَشْهَلِ أَوْ بَنِي النَّجَارِ
وَمُهَاجِرِينَ قَدْ أَعْلِمُوا سِيَاهَهُمْ	فَوْقَ الْمَغَافِرِ لَمْ يَنْوُوا لِفِرَارٍ
وَلَقَدْ عَلِمْتُ لِيَعْلَبِينَ مُحَمَّدٌ	وَلِيَمْتُونِ بِهَا إِلَى أَصْفَارٍ ^(٢)
فَرَّتْ يَهُودٌ عِنْدَ ذَلِكَ فِي الْوَغَى	تَحْتَ الْعِجَاجِ غَمَامٌ الْأَبْصَارِ ^(٣)

(١) نَظَاةٌ : حصن بخيبر . والفياق الكتبية . والشهباء : السكتيرة السلاح وذات مناكِب وفقار : شديدة .

(٢) أَصْفَارٌ : جمع صفر وهو الشهر المعروف .

(٣) الغمام : جفون العين . قال السهيلي : وهو بيت مشكل ؛ غير أن في بعض النسخ وهي قليلة عن ابن هشام أنه قال : فرت : فتحت ، من قولك : فرت الدابة ، فإذا فتحت فاهها ، وغمام الأبصار : هي مفعول فرت ، وهي جفون أعينهم . انظر الروض الأنف .

فصل

في ذكر من استشهد بخير من الصحابة رضى الله عنهم
على ما ذكره ابن إسحاق بن يسار رحمه الله وغيره من أصحاب المغازي

فمن خير المهاجرين ربيعة بن أكنم بن سَخْبَرَة الأسدي مولى بنى أمية ، وثقيف بن عمرو ورفاعة بن مسروح خلفاء بنى أمية ، وعبد الله بن الهيثب بن أهيب بن سُحَيْم بن غيرة من بنى سعد بن ليث حليف بنى أسد وابن أختهم . ومن الأنصار بشر بن البراء ابن معرور من أكلة الشاة المسمومة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كما تقدم ، وفُضَيْل ابن النعمان السلميّان ، ومسعود بن سعد بن قيس بن خالد بن عامر بن زُرَيْق الزُرَيْق ، ومحمود بن مسleme الأشملى ، وأبو ضِيَّاح حارثة بن ثابت بن النعمان العُمري ، والحارث بن حاطب ، وعروة بن مُرَّة بن سُرَاقَة ، وأوس [بن] الفائد^(١) وأنيف بن حبيب ، وثابت بن أثلة وطلحة ، وعمارة بن عقبة رمى بسهم فقتله ، وعامر بن الأكوع ثم سلمة ابن عمرو بن الأكوع أصابه طرف سيفه في ركبتة فقتله رحمه الله كما تقدم ، والأسود الراعى . وقد أفرد ابن إسحاق هاهنا قصته وقد أسلفناها في أوائل الغزوة والله الحمد والمنة .

قال ابن إسحاق : ومن استشهد بخير فيما ذكره ابن شهاب من بنى زهرة مسعود ابن ربيعة حليف لهم من القارة ، ومن الأنصار ثم من بنى عمرو بن عوف أوس بن قتادة رضى الله عنهم أجمعين .

(١) الأصل : وأوس الفارض . وما أثبتته عن الإصابة .

خبر الحجاج بن علاط البهزي رضى الله عنه

قال ابن إسحاق : ولما فُتحت خير كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم الحجاج بن علاط السلمى ثم البهزي فقال : يا رسول الله إن لى بمكة مالا عند صاحبتى أم شيبه بنت أبى طلحة - وكانت عنده له منها مُعرض بن الحجاج - ومالاً متفرقا فى تجار أهل مكة ، فأذن لى يا رسول الله . فأذن له ، فقال : إنه لا بد لى يا رسول الله من أن أقول . قال : قل .

قال الحجاج : نخرجت حتى إذا قدمت مكة وجدت بثنية البيضاء رجالا من قريش يستمعون الأخبار ويسألون عن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد بلغهم أنه قد سار إلى خير وقد عرفوا أنها قرية الحجاز ريفاً ومنعة ورجالا ، وهم يتجسسون الأخبار من الركبان ^(١) .

فلما رأونى قالوا : الحجاج بن علاط - قال : ولم يكونوا علموا بإسلامى - عنده والله الخبر ، أخبرنا يا أبا محمد فإنه قد بلغنا أن القاطع قد سار إلى خير وهى بلد يهود وريف الحجاز . قال : قلت : قد بلغنى ذلك وعندى من الخبر ما يسركم . فالتبطوا ^(٢) بجنبى ناقتى يقولون : إيه يا حجاج ؟ قال : قلت : هُزم هزيمة لم تسمعوا بمثلها قط ، وقد قُتل أصحابه قتلا لم تسوا بمثله قط ، وأسر محمد أسراً ، وقالوا : لا نقله لى نبعث به إلى مكة [فيقتلوه بين أظهرهم بمن كان أصاب من رجالهم . قال : فقاموا وصاحوا بمكة] ^(٣) وقالوا : قد جاءكم الخبر ، وهذا محمد إنما تنتظرون أن يُقدم به عليكم فيقتل بين أظهركم .

(١) ابن هشام : يتجسسون الأخبار ويسألون الركبان .

(٢) التبطوا : مشوا بجانبها ولازموها .

(٣) من ابن هشام .

قال : قلت : أعينوني على جمع مالى بمكة وعلى غرمائى ، فإنى أريد أن أقدم خيبر فأصيب من قَلِّ محمد وأصحابه قبل أن يسبقنى التجار إلى ما هناك . قال : فقاموا فجمعوا إلى ما كان لى كَأَحْثَ جَمْعٍ سمعتُ به ، قال : وجئت صاحبتى فقلت : مالى ، وكان [لى] ^(١) عندها مال موضوع ، فلعلى ألحق بخيبر فأصيب من فُرْصِ البيع قبل أن يسبقنى التجار .

قال : فلما سمع العباس بن عبد المطلب الخبرَ وما جاءه عنى أقبل حتى وقف إلى جنبى وأنا فى خيمة من خيم التجار ، فقال : يا حجاج ما هذا الذى جئت به ؟ قال : قلت : وهل عندك حِفْظٌ لِمَا وَضَعْتُ عندك ؟ قال : نعم . قال : قلت : فاستأخِرْ حتى ألقاك على خلَاء ، فإنى فى جَمْعٍ مالى كما ترى ، فانصرف حتى أفرغ . قال : حتى إذا فرغت من جمع كل شىء كان لى بمكة وأجمعت الخروج لقيت العباس فقلت : احفظ على حديثى يا أبا الفضل ، فإنى أخشى الطلب ثلاثاً ثم قل ماشئت . قال : أفعل . قلت : فإنى والله تركت ابن أخيك عروساً على بنت ملكهم - يعنى صفية بنت حى - وقد افتتح خيبر وانتثل ما فيها وصارت له ولأصحابه . قال : ما تقول يا حجاج ؟ قال : قلت : إى والله فاكتم عنى ، ولقد أسلمتُ وما جئت إلا لأخذ مالى فرقاً عليه من أن أغلب عليه ، فإذا مضت ثلاثٌ فأظهر أمرَكَ فهو والله على ماتحب ، قال : حتى إذا كان اليوم الثالث لبس العباس حلةً له وتَخَاقَ ^(٢) وأخذ عصاه ، ثم خرج حتى أتى الكعبة فطاف بها ، فلما رآوه قالوا : يا أبا الفضل هذا والله التجلُّدُ لِحَرِّ المصيبة ! قال : كلا والله الذى حلقتُ به ، لقد افتتح محمدٌ خيبرَ ونزل عروساً على بنت ملكهم وأحرز أموالهم وما فيها ، وأصبحت له ولأصحابه . قالوا : من جاءك بهذا الخبر ؟ قال : الذى جاءكم بما جاءكم به ، ولقد دخل عليكم مسلماً وأخذ أمواله فانطلق ليلحق بمحمد وأصحابه

فيكون معه ، فقالوا : يا لعباد الله ! أنفلت عدو الله ، أما والله لو علمنا لكان لنا وله شأن .
قال : ولم ينشئوا أن جاءهم الخبر بذلك .

وهكذا ذكر ابن إسحاق هذه القصة منقطعة .

وقد أسند ذلك الإمام أحمد بن حنبل فقال : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، سمعت ثابتاً يحدث عن أنس قال : لما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر قال الحجاج ابن علاط : يا رسول الله إن لي بمكة مالا وإن لي بها أهلاً ، وإنى أريد أن آتيهم ، أفأنا في حلٍّ إن أنا نلت منك أو قلت شيئاً ؟ فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقول ما شاء ، فأتى امرأته حين قدم فقال : اجمعي لي ما كان عندك ، فإني أريد أن أشتري من غنائم محمد وأصحابه فإنهم قد استبيحوا وأصبحت أموالهم .

قال : وفشا ذلك بمكة ، فانتقم المسلمون وأظهر المشركون فرحاً وسروراً .

قال : وبلغ الخبر العباسَ فقير وجعل لا يستطيع أن يقوم . قال معمر : فأخبرني عثمان الخزرجي عن مِقْسَم قال : فأخذ ابنا يقال له قُتَم واستلقى ووضع على صدره وهو يقول .

حِجِّي قُتَم . شِبْه ذِي الْأَنْفِ الْأَشَمِّ

بَنِي ذِي النَّعْمِ بَرَّغَمٍ مِنْ زَعَمِ

قال ثابت عن أنس : ثم أرسل غلاماً له إلى حجاج بن علاط فقال : ويليكَ ما جئت به وماذا تقول ؟ فما وعد الله خيرٌ مما جئت به . فقال : حجاج بن علاط : اقرأ على أبي الفضل السلام وقل له فليُخَلِّ لي في بعض بيوته لآتيه ، فإن الخبر على ما يسره . فجاء غلامه فلما بلغ الدار قال : أبشر يا أبا الفضل . قال : فوثب العباس فرحاً حتى قبل بين عينيه ، فأخبره ما قال حجاج فأعتقه .

قال : ثم جاءه الحجاج فأخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد افتتح خيبر وغنم

أموالهم ، وجرت سهامُ الله في أموالهم ، واصطفى رسول الله صلى الله عليه وسلم صفية بنت حيي واتخذها لنفسه ، وخيرها أن يعتمقها وتكون زوجته أو تلحق بأهلها ، فاخترت أن يعتمقها وتكون زوجته . قال : ولكني جئت لمال كان هاهنا أردت أن أجمعه فأذهب به ، فاستأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأذن لي أن أقول ماشئت ، فأخف على ثلاثا ثم اذكر ما بدا لك .

قال : فجمعت امرأته ما كان عندها من حلى أو متاع فجمعتها ودفعته إليه ثم انشمر به ، فلما كان بعد ثلاثٍ أتى العباسُ امرأةَ الحجاج فقال : ما فعل زوجك ؟ فأخبرته أنه ذهب يوم كذا وكذا ، وقالت : لا يحزنك الله يا أبا الفضل لقد شق علينا الذي بلغك ، قال : أجل لا يحزنني الله ولم يكن بحمد الله إلا ما أحببنا ، فتح الله خير على رسوله وجرت فيها سهامُ الله ، واصطفى رسول الله صلى الله عليه وسلم صفية لنفسه ، فإن كانت لك حاجة في زوجك فالحقى به . قالت : أظنك والله صادقا ؟ قال : فإنني صادق والأمرُ على ما أخبرتك ، ثم ذهب حتى أتى مجالسَ قریش وهم يقولون إذا مر بهم : لا يصيبك إلا خير يا أبا الفضل . قال : لم يصبنى إلا خير بحمد الله ، أخبرني الحجاج بن علاط أن خير فتحها الله على رسوله وجرت فيها سهام الله واصطفى صفية لنفسه ، وقد سألتني أن أخفي عنه ثلاثا ، وإنما جاء ليأخذ ماله وما كان له من شيء هاهنا ثم يذهب . قال : فرد الله السكّابة التي كانت بالمسلمين على المشركين ، وخرج المسلمون من كان دخل بيته مكتئبا حتى أتى العباس فأخبرهم الخبر ، فمَرَّ المسلمون وردّا ما كان من كآبة أو غيظ أو حزن على المشركين .

وهذا الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجهُ أحد من أصحاب الكتب الستة سوى النسائي عن إسحاق بن إبراهيم ، عن عبد الرزاق به نحوه .

ورواه الحافظ البيهقي من طريق محمود بن غيلان عن عبد الرزاق . ورواه أيضاً من طريق يعقوب بن سفيان ، عن زيد بن المبارك ، عن محمد بن ثور عن معمر به نحوه .

وكذلك ذكر موسى بن عقبة في مغازيه أن قريشا كان بينهم تراهن عظيم وتبايع ، منهم من يقول : يظهر محمد وأصحابه . ومنهم من يقول : يظهر الحليفان ويهود خيبر . وكان الحجاج بن علاط السلمي ثم البهزي قد أسلم وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح خيبر ، وكان تحته أم شيبه أخت عبد الدار بن قصي ، وكان الحجاج مُكثرا من المال ، وكانت له معادن أرض بني سليم ، فلما ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم على خيبر استأذن الحجاج رسول الله صلى الله عليه وسلم في الذهاب إلى مكة يجمع أمواله ، فأذن له نحو ما تقدم . والله أعلم .

[قال السهيلي رحمه الله : وروينا في سبب إسلام الحجاج هذا أمرا عجيبا مع الجن . قال : وهو والد نصر بن حجاج الذي نفاه عمر بن الخطاب رضى الله عنه من المدينة بسبب اقتتان بعض جواري المدينة . وفيه تقول الفريضة بنت همام أم الحجاج بن يوسف الثقفي :

ألا سبيلَ إلى خمرٍ فأشربها ولا سبيلَ إلى نصر بن حجاج

قال : فلما ذهب إلى الشام فهوى امرأة أبي الأسود السلمي وأضنى من حبها ، وكان يقال له الضنى . ومات بذلك ^(١) .

قال ابن إسحاق : ومما قيل من الشعر في غزوة خيبر قول حسان :

بئس ما قاتلت خيبرُ عتّا جمعوا من مزارعٍ ونخيلٍ

كرهوا الموت فاستبيح حهام وأقرؤوا فعل الذميمة الدليل

أمن الموت يهربون فإن المو ت موت الهزال غير جميل

وقال كعب بن مالك فيما ذكره ابن هشام عن أبي زيد الأنصاري :

ونحن وردنا خيبرا وفروضه بكل فتى عارى الأشاجع مذود ^(٢)

(١) سقط من المطبوعة . (٢) الفروض : مواضع الشرب من الأنهار . والأشاجع : عروق ظاهر الكف . والمذود : الحامي المدافع .

جوادٍ لدى الغايَاتِ لا واهنِ القوى جرىء على الأعداءِ في كل مَشهدٍ
عظيم رَمَادِ القِدرِ في كل شَتوةٍ ضروبٍ بِنَصلِ المَشرفِ المَهندِ
يرى القتلَ مَدْحًا إنْ أَصابَ شهادَةً من الله يَرجوها وفوزاً بأَحمدِ
يَذُودُ ويحمي عن ذِمَارِ مُحَمَّدٍ ويدفع عنه باللسانِ وباليَدِ
وينصره من كل أمرٍ يَريبه يَجودُ بنفسٍ دونَ نفسِ مُحَمَّدِ
يصدِّقُ بالأَنبَاءِ بالغيبِ مُخلصًا يريدُ بِذاك العِزَّ والفوزَ في غَدِ

فصل

في مروره عليه السلام بوادي القرى ومحاصرته قوما من اليهود ومصالحته

يهود على ما ذكره الواقدي

قال الواقدي : حدثني عبد الرحمن بن عبد العزيز ، عن الزهري ، عن أبي سلمة ،
عن أبي هريرة قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر إلى وادي
القرى ، وكان رفاعة بن زيد بن وهب الجذامي قد وهب لرسول الله صلى الله عليه
وسلم عبدا أسود يقال له مِذْعَم ، فكان يرْحَلُ لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما نزلنا
بوادي القرى انتهينا إلى يهود وقدم إليها ناس من العرب ، فبينما مِذْعَمُ يحطُّ رَحْلَ رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقد استقبلتنا يهود بالرمي حين نزلنا ولم نكن على تعبئة ، وهم
يصيحون في آطامهم ، فيَقْبِلُ سَهْمٌ عائر فأصاب مدعما فقتله ، فقال الناس : هنيئًا له الجنة .
فقال النبي صلى الله عليه وسلم « كلا والدي نفسي بيده إن الشملة التي أخذها يوم خيبر من
المغانم لم تصبها المقاسم لتشتعل عليه ناراً » فلما سمع بذلك الناس جاء رجل إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم بشراك أو شركين . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « شراك من نار

أو شرا كان من نار». وهذا الحديث في الصحيحين من حديث مالك عن ثور بن يزيد عن أبي الغيث عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه.

قال الواقدي : فعَبَّى رسول الله أصحابه للقتال وصفهم ، ودفع لواءه إلى سعد بن عباد ، وراية إلى الحباب بن المنذر ، وراية إلى مهمل بن حنيف ، وراية إلى عباد ابن بشر ، ثم دعاهم إلى الإسلام وأخبرهم إن أسلموا أحرزوا أموالهم وحققوا دماءهم وحسابهم على الله .

قال : فبرز رجل منهم ، فبرز إليه الزبير بن العوام فقتله ، ثم برز آخر فبرز إليه على فقتله ، حتى قتل منهم أحد عشر رجلا ، كلما قتل منهم رجلا دعى من بقي منهم إلى الإسلام .

ولقد كانت الصلاة تحضر ذلك اليوم فيصلي بأصحابه ثم يعود فيدعوهم إلى الإسلام وإلى الله عز وجل ورسوله ، وقتلهم حتى أَمَسَ^(١) ، وغدا عليهم فلم ترتفع الشمس قيد رمح حتى أعطوا بأيديهم ، وفتحها عنوة وغنمهم الله أموالهم وأصابوا أئانا ومتاعا كثيرا .

وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بوادي القرى أربعة أيام ، قسم ما أصاب على أصحابه ، وترك الأرض والنخيل في أيدي اليهود وعاملهم عليها ، فلما بلغ يهود تيماء ما وطئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر وفدك ووادي القرى صالحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجزية ، وأقاموا بأيديهم أموالهم .

فلما كان عمر أخرج يهود خيبر وفدك ولم يخرج أهل تيماء ووادي القرى لأنهما داخلتان في أرض الشام ، ويرى أن ما دون وادي القرى إلى المدينة حجاز ، ومن وراء ذلك من الشام .

قال : ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا إلى المدينة بعد أن فرغ من خيبر ووادي القرى وغنمه الله عز وجل .

قال الواقدي : حدثني يعقوب بن محمد ، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي صعصعة ، عن الحارث بن عبد الله بن كعب ، عن أم عمارة ، قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجرف وهو يقول : « لا تَطْرُقُوا النساء بعد صلاة العشاء » قالت : فذهب رجل من الحى فطرق أهله فوجد ما يكره ، نفلى سبيلها ولم يهجر ، وضمن بزوجه أن يفارقها وكان له منها أولاد وكان يحبها ، فعصى رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى ما يكره .

فصل

ثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما افتتح خيبر عامل يهودها عليها على شطر ما يخرج منها من تمر أو زرع .

وقد ورد في بعض ألفاظ هذا الحديث على أن يعملوها من أموالهم ، وفي بعضها : وقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم : « تقرأكم فيها ما شئنا » .

وفي السنن أنه كان يبعث عليهم عبد الله بن رواحة يخرصها عليهم عند استواء ثمارها ثم يضمهم إليهم ، فلما قُتل عبد الله بن رواحة بمؤنة بعث جبار بن صخر كما تقدم . وموضع تحرير ألفاظه وبيان طريقه كتاب للزراعة من كتاب الأحكام إن شاء الله وبه الثقة .

وقال محمد بن إسحاق : سألت ابن شهاب كيف أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم يهود خيبر نخلمهم ؟ فأخبرني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم افتتح خيبر عنوة بعد القتال ، وكانت خيبر مما أفاء الله عليه ، خمسها وقسمها بين المسلمين ونزل من نزل من أهلها على الجلاء بعد القتال ، فدعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « إن شئتم

دفعت إليكم هذه الأموال على أن تعملوها وتكون ثمارها بيننا وبينكم ، فأقرّكم ما أقرّكم الله .

فقبلوا وكانوا على ذلك يعملونها ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث عبد الله ابن رواحة فيقسم ثمرها ويعدل عليهم في الخرص .

فلما توفي الله نبيه صلى الله عليه وسلم أقرها أبو بكر بأيديهم على المعاملة التي عاملهم عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى توفي ، ثم أقرهم عمر بن الخطاب صدراً من إمارته ، ثم بلغ عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في وجهه الذي قبضه الله فيه : « لا يجتمعن بجزيرة العرب دينان » ففحص عمر عن ذلك حتى بلغه الثبوت ، فأرسل إلى يهود فقال : إن الله أذن لي في إجلائكم . وقد بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يجتمعن في جزيرة العرب دينان » فن كان عنده عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم فليأتني به أنفذه له ، ومن لم يكن عنده عهد فليتهجز للجلاء . فأجلى عمر من لم يكن عنده عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قلت : قد ادعى يهود خيبر في أزمان متأخرة بعد الثلاثمائة أن بأيديهم كتابا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه أنه وضع الجزية عنهم .

وقد اغترّ بهذا الكتاب بعض العلماء حتى قال بإسقاط الجزية عنهم ، من الشافعية الشيخ أبو علي بن خيرون ، وهو كتاب مزوّر [مكذوب مفتعل لا أصل له ، وقد بينت بطلانه من وجوه عديدة في كتاب مفرد] (١)

وقد تعرض لذكره وإبطاله جماعة من الأصحاب في كتبهم كابن الصباغ في مسائله ، والشيخ أبي حامد في تعليقاته ، وصنف فيه ابن المسلمة جزءاً منفرداً للرد عليه ، وقد تحرّكوا به بعد السبعائة وأظهروا كتابا فيه نسخة ما ذكره الأصحاب في كتبهم ، وقد وقفت عليه فإذا هو مكذوب ، فإن فيه شهادة سعد بن معاذ ، وقد كان مات قبل زمن

خير ، وفيه شهادة معاوية بن أبى سفيان ولم يكن أسلم يومئذ ، وفي آخره : وكتبه على ابن أبى طالب . وهذا لحن وخطأ ، وفيه وضع الجزية ولم تكن شرعت بعد ، فإنها إنما شرعت أول ما شرعت وأخذت من أهل نجران . وذكروا أنهم وفدوا فى حدود سنة تسع . والله أعلم .

ثم قال ابن إسحاق : وحدثنى نافع مولى عبد الله بن عمر ، عن ابن عمر قال : خرجت أنا والزبير بن العوام والمقداد بن الأسود إلى أموالنا بخيبر فتعاهدنا ، فلما قدمنا تفرقنا فى أموالنا ، قال : فعُدِى علىَّ تحت الليل وأنا نائم على فراشى فقُذعت يداى من مرفقى ، فلما استصرخ على صاحبائى فأتيتانى فسألانى من صنع هذا بك ؟ فقلت : لا أدرى ، فأصلحا من يدى ، ثم قدما بى على عمر ، فقال : هذا عمل يهود خير .

ثم قام فى الناس خطيبا فقال : أيها الناس إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عامل يهود خير على أنا نخرجهم إذا شئنا ، وقد عدّوا على عبد الله بن عمر فقدّعوا يديه كما بلغكم مع عدّوتهم على الأنصارى قبله ، لا نشك أنهم كانوا أصحابه ليس لنا هناك عدو غيرهم ، فمن كان له مال من خير فليالحق به فإنى نخرج يهود . فأخرجهم .

قلت : كان لعمر بن الخطاب سهمه الذى بخيبر ، وقد كان وقفه فى سبيل الله وشرط فى الوقف ما أشار به رسول الله صلى الله عليه وسلم كما هو ثابت فى الصحيحين ، وشرط أن يكون النظر فيه للأرشد فالأرشد من بناته وبنيه .

قال الحافظ البيهقى فى الدلائل : جماع أبواب السرايا التى تذكر بعد فتح خير وقبل عمرة القضية ، وإن كان تاريخ بعضها ليس بالواضح عند أهل المغازى .

سرية أبي بكر الصديق إلى بني فزارة

قال الإمام أحمد : حدثنا بهز ، حدثنا عكرمة بن عمار ، حدثنا إياس بن سلمة ، حدثني أبي ، قال : خرجنا مع أبي بكر ابن أبي قحافة وأمّره رسول الله صلى الله عليه وسلم علينا ففزوننا بني فزارة ، فلما دنونا من الماء أمرنا أبو بكر فعرّسنا ، فلما صلينا الصبح أمرنا أبو بكر فشئنا الغارة ، فقتلنا على الماء من مرّ قبلنا .

قال سلمة : ثم نظرت إلى عنق من الناس فيه الذرية والنساء نحو الجبل وأنا أعدو في آثارهم ، فخشيت أن يسبقوني إلى الجبل فرميت بسهم فوقهم وبين الجبل ، قال : فجئت بهم أسوقهم إلى أبي بكر حتى أتيت على الماء وفيهم امرأة من فزارة عليها قشع^(١) من آدم ومعهما ابنة لها من أحسن العرب ، قال : فنفلني أبو بكر بنتها ، قال : فما كشفت لها ثوبا حتى قدمت المدينة ، ثم بث فلم أكشف لها ثوبا ، قال : فلقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم في السوق فقال لي : « يا سلمة هب لي المرأة » قال : فقلت : والله يارسول الله لقد أعجبني وما كشفت لها ثوبا . قال : فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركني ، حتى إذا كان من الغد لقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم في السوق فقال : « يا سلمة هب لي المرأة » . قال : فقلت : يارسول الله والله لقد أعجبني وما كشفت لها ثوبا . قال : فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركني ، حتى إذا كان من الغد لقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم في السوق فقال : « يا سلمة هب لي المرأة لله أبوك » قال : قلت : يارسول الله والله ما كشفت لها ثوبا وهي لك يارسول الله . قال : بعث بها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهل مكة وفي أيديهم أسارى من المسلمين ففداهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بتلك المرأة .

وقد رواه مسلم والبيهقي من حديث عكرمة بن عمار به .

(١) القشع : الفرو الخلق .

سرية عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى تربة من أرض هوازن
وراء مكة بأربعة أميال

ثم أورد البيهقي من طريق الواقدي بأسانيده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث
عمر بن الخطاب رضى الله عنه في ثلاثين راكبا ومعه دليل من بني هلال ، وكانوا
يسرون الليل ويكمنون النهار ، فلما انتهوا إلى بلادهم هربوا منهم وكرّ عمر راجعا إلى
المدينة ، فقيل له : هل لك في قتال خثعم ؟ فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يأمرني
إلا بقتال هوازن في أرضهم .

سرية عبد الله بن رواحة إلى يسير بن رزام اليهودي

ثم أورد من طريق إبراهيم بن كهيعة ، عن أبي الأسود ، عن عروة ، ومن طريق
موسى بن عقبة عن الزهري ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عبد الله بن رواحة في
ثلاثين راكبا فيهم عبد الله بن رواحة إلى يسير بن رزام اليهودي حتى أتوه بخيبر ، وبلغ رسول الله
صلى الله عليه وسلم أنه يجمع غطفان ليفزوه بهم ، فأتوه فقالوا : أرسلنا إليك رسول الله صلى الله
عليه وسلم ليستعملك على خير . فلم يزالوا به حتى تبعهم في ثلاثين رجلا مع كل رجل منهم رديف^(١)
من المسلمين ، فلما بلغوا قرقرة نيار وهى من خير على ستة أميال ندم يسير بن رزام فأهوى بيده
إلى سيف عهد الله بن رواحة ، ففطن له عبد الله بن رواحة فزجر بعيره ثم اقتحم يسوق بالقوم ،
حتى استمكن من يسير ضرب رجله قطمها ، واقتحم يسير وفي يده نخراش من شوخط^(٢)
فضرب به وجه عبد الله بن رواحة فشجه شجة مأمومة^(٣) . وانكفا كل رجل من المسلمين
على رديفه فقتله ، غير رجل واحد من اليهود أعجزهم شدا ولم يُصَب من المسلمين أحد ،

(١) النخراش المجن ، وهو عصا معقوفة . والشوخط : شجر من النبع .

(٢) مأمومة : في أم رأسه .

وبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم في شجرة عبد الله بن رواحة فلم تُقَيِّح ولم تؤذ حتى مات .

سرية أخرى مع بشير بن سعد

روى من طريق الواقدي بإسناده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث بشير بن سعد في ثلاثين راكباً إلى بني مرة من أرض فدك فاستاق نهمهم ، فقاتلوه وقتلوا عامة من معه وصبر هو يومئذ صبراً عظيماً ، وقاتل قتالا شديداً ، ثم لجأ إلى فدك فبات بها عند رجل من اليهود ، ثم كرّ راجعاً إلى المدينة .

قال الواقدي : ثم بعث إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم غالب بن عبد الله ، ومعه جماعة من كبار الصحابة ، فذكر منهم أسامة بن زيد ، وأبا مسعود البدرى ، وكعب بن عجرة .

ثم ذكر مقتل أسامة بن زيد لمرداس بن نهيك حليف بني مرة ، وقوله حين علاه بالسيف : لا إله إلا الله ، وأن الصحابة لاموه على ذلك حتى سقط في يده وندم على ما فعل . وقد ذكر هذه القصة يونس بن بكير عن ابن إسحاق عن شيخ من بني سلمة ، عن رجال من قومه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث غالب بن عبد الله الكلبي إلى أرض بني مرة فأصاب مرداس بن نهيك [حليفاً لهم من الحرقة فقتله أسامة . قال ابن إسحاق : فحدثني محمد بن أسامة بن محمد بن أسامة عن أبيه عن جده أسامة بن زيد : قال : أدر كته أنا ورجل من الأنصار - يعني مرداس بن نهيك ^(١)] فلما شهرنا عليه السيف قال : أشهد أن لا إله إلا الله ، فلم ننزع عنه حتى قتلناه .

فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرناه فقال : « يا أسامة من لك بلا إله إلا الله » فقلت : يا رسول الله إنما قالها تعوذاً من القتل . قال : « فمن لك يا أسامة بلا إله إلا الله » .

فوالذي بعثه بالحق ما زال يرددها علىّ حتى تمنيت أن ماضى من إسلامي لم يكن ، وأنى أسلت يومئذ ولم أقتله . فقلت : إني أعطى الله عهداً ألا أقتل رجلاً يقول لا إله إلا الله أبداً . فقال : « بعدى يا أسامة » فقلت بعدك .

وقال الإمام أحمد : حدثنا هُشيم بن بشير ، أنبأنا حصين ، عن أبي ظبيان ، قال : سمعت أسامة بن زيد يحدث قال : بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحرة من جُهينة ، قال : فصبحناهم وكان منهم رجل إذا أقبل القوم كان من أشدهم علينا ، وإذا أذبروا كان حاميتهم ، قال : ففشيته أنا ورجل من الأنصار ، فلما تغشينا قال : لا إله إلا الله . فكف عنه الأنصاري وقتلته ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « يا أسامة أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله ؟! » قال : فقلت : يا رسول الله إنما كان متعوذاً من القتل . قال : فكررها علىّ ، حتى تمنيت أنى لم أكن أسلت إلا يومئذ . وأخرجه البخاري ومسلم من حديث هُشيم به نحوه .

وقال ابن إسحاق : حدثني يعقوب بن عتبة ، عن مسلم بن عبد الله الجهني ، عن جندب بن مكيث الجهني قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم غالب بن عبد الله الكلبي كلب ليث إلى بني الملوّح بالسكديد وأمره أن يغير عليهم ، وكنت في سريته ، فمضينا حتى إذا كنا بالقديد^(١) لقينا الحارث بن مالك بن البرصاء اللبيّ فأخذناه فقال : إني إنما جئت لأسلم ، فقال له غالب بن عبد الله : إن كنت إنما جئت لتسلم فلا يضرك

رباطُ يومٍ وليلة ، وإن كنت على غير ذلك استوثقنا منك .

قال : فأوثقه رباطاً وخلف عليه رويحلاً أسود كان معنا ، وقال : امكث معه حتى تمرَّ عليك ، فإن نازعك فاحترز رأسه . ومضينا حتى أتينا بطن الكديد ، فنزلنا عشيةً بعد العصر ، فبعثني أصحابي إليه فعمدتُ إلى تلٍ يُطلعي على الحاضر ، فانبطحت عليه . وذلك قبل غروب الشمس ، فخرج رجل منهم فنظر فرآني منبطحاً على التل فقال لامرأته : إني لأرى سواداً على هذا التل مارأيته في أول النهار ، فانظري لاتكون الكلابُ اجتريَّت بعضَ أوعيتك . فنظرت فقالت : والله ما أ فقد منها شيئاً ، قال : فناوليني قوسى وسهمين من نبلى ، فناولته فرماني بسهم في جنبي أو قال في جيبني ، فنزعتهُ فوضعتهُ ولم أتحرك ، ثم رماني بالآخر فوضعه في رأس منكبي فنزعتهُ فوضعتهُ ولم أتحرك ، فقال لامرأته : أما والله لقد خالطه سَهْمَايَ ولو كان رَيْبَةً^(١) رَيْبَةً لتتحرك ، فإذا أصبحتِ فابتغى سهمي نخذيهما لاتمضيهما على الكلاب .

قال : فأملهننا حتى إذا راحت روائحهم وحتى احتلبوا وعطنوا وسكنوا وذهبت عَمَةٌ من الليل ؛ شنفاً عليهم الغارة ، فقتلنا واستقنا النعم ووجَّهنا قافلين به ، وخرج صريحُ القوم إلى قومهم بقرُبنا ، قال : وخرجنا سراعاً حتى نمر بالخارث بن مالك بن البرصاء وصاحبه ، فانطلقنا به معنا وأنا صريحُ الناس فجاءنا مالا قبيل لنا به ، حتى إذا لم يكن بيننا وبينهم إلا بطنُ الوادى من قديد بعث الله من حيث شاء ماءً مارأينا قبل ذلك مطراً ولا حالاً ، وجاء بما لا يقدر أحد أن يقدم عليه ، فلقد رأيتهم وقوفاً ينظرون إلينا ما يقدر أحد منهم أن يقدم عليه ، ونحن نجذبها أو نحدوها - شك الثفيلي - فذهبنا سراعاً حتى أسندنا بها في المسلك ، ثم حدَرنا عنه حتى أعجزنا القوم بما في أيدينا .

وقد رواه أبو داود من حديث محمد بن إسحاق في روايته عبد الله بن غالب ، والصواب غالب بن عبد الله كما تقدم .

(١) الرَيْبَةُ : طليعة القوم . وفي المطبوعة : رَيْبَةٌ . وهو تحريف .

وذكر الواقدي هذه القصة بإسناد آخر وقال فيه : وكان معه من الصحابة مائة وثلاثون رجلا .

ثم ذكر البيهقي من طريق الواقدي سرية بشير بن سعد أيضاً إلى ناحية خيبر ، فلقوا جمعاً من العرب وغنموا نهما كثيراً ، وكان بعثه في هذه السرية بإشارة أبي بكر وعمر رضى الله عنهما ، وكان معه من المسلمين ثلاثمائة رجل ودليله حُسَيْل بن نويرة وهو الذى كان دليل النبي صلى الله عليه وسلم إلى خيبر ، قاله الواقدي .

سرية أبي حذرَد إلى الغابة

قال يونس عن محمد بن إسحاق : كان من حديث قصة أبي حذرَد وغزوته إلى الغابة ما حدثني جعفر بن عبد الله بن أسلم عن أبي حذرَد قال : تزوجت امرأة من قومي فأصدقته مائتي درهم ، قال : فأنيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أستعينه على نكاحي . فقال : « كم أصدقت ؟ » فقلت : مائتي درهم ، فقال : « سبحان الله والله لو كنتم تأخذونها من واد ما زدتُم ، والله ما عندي ما أعينك به » فلبثت أياماً ثم أقبل رجل من جيشم بن معاوية يقال له رفاعة بن قيس - أو قيس بن رفاعة - في بطن عظيم من جيشم حتى نزل بقومه ومن معه بالغابة يريد أن يجمع قيساً على محاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان ذا اسم وشرف في جيشم ، قال : فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجلين من المسلمين فقال : « اخرجوا إلى هذا الرجل حتى تأتوا منه بخبر وعلم » . وقدم لنا شارفاً عجفاء فحمل عليه أحدنا ، فوالله ما قامت به ضعفاً حتى دعمها الرجال من خلفها بأيديهم حتى استقلت وما كادت ، وقال : « تبلَّغوا على هذه » .

فخرجنا ومعنا سلاحنا من النبل والسيوف ، حتى إذا جئنا قريباً من الحاضر مع غروب الشمس فكفنا في ناحية وأمرت صاحبي فكمننا في ناحية أخرى من حاضر القوم ،

وقلت لها : إذا سمعاني قد كبرت وشدت في العسكر فكبراً وشدّاً معي .
فوالله إنا كذلك ننظر أن نرى غرة أو نرى شيئاً وقد غشنا الليل حتى ذهب
فحة العشاء ، وقد كان لهم راع قد سرح في ذلك البلد فأبطأ عليهم وتخوفوا عليه ، فقام
صاحبهم رفاعة بن قيس فأخذ سيفه فجعله في عنقه فقال : والله لأتيقن أمر راعينا ولقد
أصابه شر ، فقال نفر من معه : والله لا تذهب نحن نكفيك . فقال : لا إلا أنا . قالوا :
نحن معك . فقال : والله لا يتبعني منكم أحد . وخرج حتى مر بي ، فلما أمكنني نفحته
بسهم فوضعت في فواده ، فوالله ما تكلم فوثبت إليه فاحتزرت رأسه ، ثم شدت ناحية
العسكر وكبرت وشد أصحابي وكبراً ، فوالله ما كان إلا النجا من كان فيه عندك
بكل ما قدروا عليه من نسايتهم وأبنائهم وماخف معهم من أموالهم ، واستقنا إبلا عظيمة
وغنا كثيرة فجنبنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجئت برأسه أحمله معي ، فأعطاني
من تلك الإبل ثلاثة عشر بعيراً في صدقي فجمعت إلى أهلي .

السرية التي قتل فيها محم بن جثامة عامر بن الأضبط

قال ابن إسحاق : حدثني يزيد بن عبد الله بن قسيط ، عن ابن عبد الله ^(١) بن أبي حذرد ،
عن أبيه قال : بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى إضم في نفر من المسلمين منهم ؛
أبو قتادة الحارث بن ربیع ومحم بن جثامة بن قيس ، فخرجنا حتى إذا كنا بطن إضم
مرّ بنا عامر بن الأضبط الأشجعي على قعود له معه متّيع له ووطب ^(٢) من لبن ، فلم
علينا بتحيه الإسلام فأمسكنا عنه ، وحمل عليه محم بن جثامة فقتله لشيء كان بينه وبينه
وأخذ بعيره ومُتّيعه ، فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرناه الخبر فنزل فينا
القرآن « يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى اليكم

(١) ابن هشام : عن القعقاع بن عبد الله بن أبي حذرد .

(٢) المتبع : المتاع القليل . والوطب وعاء اللبن .

السلام لست مؤمناً تبتغون عرضَ الحياة الدنيا ، فعندَ الله مغانمٌ كثيرة ، كذلك كنتم من قبلُ فمنَّ الله عليكم فتبينوا إن الله كان بما تعملون خبيراً^(١) .

هكذا رواه الإمام أحمد ، عن يعقوب عن أبيه عن محمد بن إسحاق عن يزيد بن عبد الله بن قسيط ، عن القمقاع بن عبد الله بن أبي حذرَد عن أبيه . فذكره .

قال ابن إسحاق : حدثني محمد بن جعفر ، سمعت زياد بن ضُميرة بن سعد الضُمري^(٢)

يحدث عن عروة بن الزبير ، عن أبيه وعن جده قالا - وكانا شهدا حينئذ - قالا : فصلی

رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الظهر فقام إلى ظل شجرة فقمع فيه فقام إليه عيينة بن

بدر فطلب بدم عاصم بن الأضبط الأشجعي وهو سيد عامر : هل لكم أن تأخذوا منا

الآن خمسين بعيراً وخمسين إذا رجعنا إلى المدينة ؟ فقال عيينة بن بدر : والله لا أدعه

حتى أذيق نساءه من الحزن مثل ما أذاق نسائي . فقام رجل من بني ليث يقال له ابن

مُكَيْل وهو قصير من الرجال ، فقال : يا رسول الله ما أجدر لهذا القتيل شَبَهاً في غُرة

الإسلام إلا كنتم وردت فرُميت^(٣) أو لاها ففقرت أخرها ، استن^(٤) اليومَ وغيرَ غداً .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هل لكم أن تأخذوا خمسين بعيراً الآن

وخمسين إذا رجعنا إلى المدينة ؟ » فلم يزل بهم حتى رضوا بالدية ، فقال قوم محمَّد بن

جَنَامَة : إبتوا به حتى يستغفر له رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال : فجاء رجل طَوَّال

صَرَب^(٥) اللحم في حُلَّة قد تهيأ فيها للقتل ، فقام بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « اللهم لا تنفر لحمَّ » قالها ثلاثاً . فقام وإنه ليتلقى

دموعه بطرف ثوبه .

قال محمد بن إسحاق : زعم قومه أنه استغفر له بعد ذلك .

(٢) ابن هشام : السلمي .

(١) سورة النساء ٩٤ .

(٤) استن : ضغ الأحكام والسنن .

(٣) غير ١ : فصربت .

(٥) ضرب اللحم : خفيفه .

وهكذا رواه أبو داود من طريق حماد بن سلمة عن ابن إسحاق ، ورواه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة ، عن أبي خالد الأحمر عن ابن إسحاق ، عن محمد بن جعفر ، عن زيد بن ضميرة عن أبيه وعمه ، فذكر بعضه .

والصواب كما رواه ابن إسحاق عن محمد بن جعفر عن زياد بن سعد بن ضميرة ^(١) عن أبيه وعن جده . وهكذا رواه أبو داود من طريق ابن وهب ، عن عبد الرحمن بن أبي الزناد ، وعن عبد الرحمن بن الحارث ، عن محمد بن جعفر عن زياد بن سعد بن ضميرة عن أبيه وجده بنحوه كما تقدم .

وقال ابن إسحاق : حدثني سالم أبو النضر أنه قال ^(٢) : لم يقبلوا الدية حتى قام الأقرع بن حابس فخلا بهم وقال : يا معشر قيس ، سألكم رسول الله صلى الله عليه وسلم قتيلًا تتركونه ليصلح به بين الناس فمنعتموه إياه ، أفأنتم أن يفضب عليكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيفضب الله لفضبه ، ويلعنكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيلعنكم الله بلعنته لكم ، لتأسلنه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أو لآتين بخمسين من بني تميم كلهم يشهدون أن القاتل كافر ما صلى قط فلا يُطلب ^(٣) دمه . فلما قال ذلك لهم أخذوا الدية .

وهذا منقطع معضل .

وقد روى ابن إسحاق عن لا يُتهم عن الحسن البصري ، أن محلما لما جلس بين يديه عليه الصلاة والسلام قال له : « أمنتك ثم قتلته ؟ » ثم دعا عليه .

قال الحسن : فوالله ما مكث محلما إلا سبعا حتى مات فلفظته الأرض ثم دفنوه فلفظته الأرض ثم دفنوه فلفظته الأرض ، فرضموا عليه من الحجارة حتى واروه ، فبلغ

(١) ابن هشام : زياد بن ضميرة بن سعد .

(٢) ابن هشام : وأخبرنا سالم أبو النضر أنه حدث أن عينة بن حصن... (٣) ابن هشام : فلا يُطلب .

رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « إن الأرض لتطابق على من هو شرُّ منه ، ولكن الله أراد أن يعظكم في حُرْم ما بينكم لما أراكم منه » .

وقال ابن جرير : حدثنا وكيع ، حدثنا جرير ، عن ابن إسحاق ، عن نافع عن ابن عمر ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم محمَّ بن جَثَامَة مَبْعُوثًا فلقبهم عامر بن الأَضْبَط فَيَا م بتحية الإسلام - وكانت بينهم هِنَةٌ في الجاهلية - فرماه محمَّ بسهم فقتله ، فجاء الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتكلم فيه عيينة والأقرع ، فقال الأقرع : يا رسول الله سُنَّ اليوم وغير غدا ، فقال عيينة : لا والله حتى تذوق نساؤه من الشُّكْل ما أذاق نسائي محمَّ في بُرْدَيْن فجلس بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستغفر له ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا غفر الله لك » فذكروا ذلك له فقال : « إن الأرض لتقبل من هو شر من صاحبكم ، ولكن الله أراد أن يعظكم من حرمتكم » ثم طرحوه في جبل فألقوا عليه من الحجارة ونزلت : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا » الآية .

وقد ذكره موسى بن عقبة عن الزهري ، ورواه شعيب عن الزهري عن عبد الله بن وهب ، عن قبيصة بن ذؤيب نحو هذه القصة ، إلا أنه لم يسمَّ محمَّ بن جَثَامَة ولا عامر بن الأَضْبَط ، وكذلك رواه البيهقي عن الحسن البصري بنحو هذه القصة وقال : وفيه نزل قوله تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا » الآية . قلت : وقد تكلمنا في سبب نزول هذه الآية ومعناها في التفسير بما فيه الكفاية . والله الحمد والمنة .

سرية عبد الله بن حُذَافَة السهمي

ثبت في الصحيحين من طريق الأعمش ، عن سعد بن عبيدة ، عن أبي عبد الرحمن

الحُبلى ، عن على بن أبى طالب قال : استعمل النبىُّ صلى الله عليه وسلم رجلاً من الأنصار على سرّية بعثهم وأمرهم أن يسمعوا له ويطيعوا ، قال : فأغضبوه فى شيء فقال : اجعوا الى حطباً . فجمعوا . فقال : أوقدوا ناراً . فأوقدوا . ثم قال : ألم يأمركم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تسمعوا لى وتطيعوا ؟ قالوا : بلى . قال : فادخلوها . قال : فنظر بعضهم إلى بعض وقالوا : إنما فررنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من النار . قال : فسكن غضبه وطفئت النار .

فلما قدّموا على النبى صلى الله عليه وسلم ذكروا ذلك له فقال : « لو دخلوها ماخرجوا منها ، إنما الطاعة فى المعروف » .

وهذه القصة ثابتة أيضاً فى الصحيحين من طريق يعقلى بن مسلم ، عن سعيد ابن جبير ، عن ابن عباس ، وقد تكلمنا على هذه بما فيه كفاية فى التفسير والله الحمد والمنة .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عمرة القضاء

ويقال القِصَاص . ورجحه الشَّهْلِي . ويقال عمرة القَضِيَّة ، فالأولى قضاء عما كان أحصر عام الحديبية والثاني من قوله تعالى : « وألحِرمات قِصَاصٌ » والثالث من المقاضاة التي كان قاضاهم عليها على أن يرجع عنهم عامه هذا ثم يأتي في العام القابل ولا يدخل مكة إلا في جُلْبَان^(١) السلاح وألا يقيم أكثر من ثلاثة أيام .

وهذه العمرة هي المذكورة في قوله تعالى في سورة الفتح المباركة : « لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتَدْخُلَنَّ المسجدَ الحرامَ إن شاء الله آمنين مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ » الآية . وقد تكلمنا عليها مستقصى في كتابنا التفسير بما فيه كفاية .

وهي الموعود بها في قوله عليه الصلاة والسلام لعمر بن الخطاب حين قال له : ألم تكن تحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به ؟ قال : « بلى أفأخبرتكَ أنك تأتيه عامك هذا ؟ » قال : لا . قال : « فإنك آتيه ومُطَوِّفٌ به » .

وهي المشار إليها في قول عبد الله بن رَوَاحَةَ حين دخل بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة يوم عمرة القضاء وهو يقول :

خَلُّوا بَنِي الْكَفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ الْيَوْمَ نَضْرِبُكُمْ عَلَى تَأْوِيلِهِ
كَأَضْرَبْنَاكُمْ عَلَى تَنْزِيلِهِ

(١) الجلبان : شبه الجراب من الجلد يوضع فيه السيف .

أى هذا تأويل الرؤيا التى كان رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءت مثل
فلق الصبح .

قال ابن إسحاق : فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر إلى المدينة
أقام بها شهرى ربيع وجماديين ورجباً وشعبان وشهر رمضان وشوالاً ، يبعث فيما بين
ذلك سراياه .

ثم خرج من ذى القعدة فى الشهر الذى صدّه فيه المشركون معتمراً عمرة القضاء
مكّان عمرته التى صدّوه عنها .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة عُوَيْف بن الأضيظ الدؤلى .

ويقال لما عمرة القِصَاص ، لأنهم صدّوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذى القعدة
فى الشهر الحرام من سنة ست ، فانتص رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم فدخل مكة
فى ذى القعدة فى الشهر الحرام الذى صدّوه فيه من سنة سبع .

بلغنا عن ابن عباس أنه قال : فأنزل الله تعالى فى ذلك « والحرماتُ قِصَاص » .

وقال معتمر بن سليمان عن أبيه فى منازيه : لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم
من خيبر أقام بالمدينة وبعث سراياه حتى استهل ذو القعدة ، فنادى فى الناس : أن تجهزوا
للعمرة . فتجهزوا وخرجوا إلى مكة .

وقال ابن إسحاق : وخرج معه المسلمون ممن كان صدّ معه فى عمرته تلك وهى
سنة سبع ، فلما سمع به أهل مكة خرجوا عنه وتحدثت قريش بينها أن محمداً فى عُسرة
وجهد وشدة .

قال ابن إسحاق : فحدثني من لا أنهم ، عن عبد الله بن عباس قال : صَفّوا له عند
دار الندوة لينظروا إليه وإلى أصحابه ، فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسجد

اضطجع بردائه وأخرج عَصْدَه اليمنى ثم قال : « رحم الله امرأاً أراها اليوم من نفسه قوة » .

ثم استلم الركن ، ثم خرج يهرول ويهرول أصحابه معه ، حتى إذا واره البيت منهم واستلم الركن اليماني مشى حتى يستلم الركن الأسود ، ثم هزول كذلك ثلاثة أطواف ومشى سائرهما . فكان ابن عباس يقول : كان الناس يظنون أنها ليست عليهم ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما صنعها لهذا الحى من قريش للذى بلغه عنهم حتى حج حجة الوداع فازمها فضت الشفة بها .

وقال البخارى : حدثنا سليمان بن حرب ، حدثنا حماد - هو ابن زيد - عن أيوب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فقال المشركون : إنه يقدم عليكم وقد هُتِبَ يثرب . فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يرملوا الأشواط الثلاثة وأن يمشوا ما بين الركنين ، ولم يمنعهم أن يأمرهم أن يرملوا الأشواط كلها إلا الإبقاء عليهم .

قال أبو عبد الله : وزاد بن سلمة - يعنى حماد بن سلمة - عن أيوب ، عن سعيد عن ابن عباس قال : لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم لعامهم الذى استأمن قال : « ارملوا ليرى المشركون قوتهم ، والمشركون من قبل قعيقعان . »
ورواه مسلم عن أبي الربيع الزهراني ، عن حماد بن زيد . وأسند البيهقي طريق حماد بن سلمة .

وقال البخارى : حدثنا علي بن عبد الله ، حدثنا سفيان ، حدثنا إسماعيل بن أبي خالد ، سمع ابن أبي أوفى يقول : لما اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم سترناه من غلمان للمشركين ومنهم أن يؤذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وسياتى بقية الكلام على هذا المقام .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي بكر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخل مكة في تلك العمرة دخلها وعبد الله بن رواحة أخذ بخطام ناقته يقول :

خَلُّوا بَنِي الْكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ خَلُّوا فَكُلُّ الْخَيْرِ فِي رَسُولِهِ
يَا رَبِّ إِنِّي مُؤْمِنٌ بِقِيَمِهِ أَعْرِفْ حَقَّ اللَّهِ فِي قَبُولِهِ
نَحْنُ قَتَلْنَاكُمْ عَلَى تَأْوِيلِهِ كَمَا قَتَلْنَاكُمْ عَلَى تَنْزِيلِهِ
ضَرْبًا يَزِيلُ الْهَامَ عَنْ مَقِيلِهِ وَيُذْهِلُ الْخَلِيلَ عَنْ خَلِيلِهِ

قال ابن هشام : نحن قتلناكم على تأويله إلى آخر الأبيات لعمار بن ياسر في غير هذا اليوم - يعني يوم صفين - قاله السهيلي .

قال ابن هشام : والدليل على ذلك أن ابن رواحة إنما أراد المشركين ، والمشركون لم يقرؤوا بالتنزيل ، وإنما يقاتل على التأويل من أقرء بالتنزيل .

وفيا قاله ابن هشام نظر ، فإن الحافظ البيهقي روى من غير وجه عن عبد الرزاق عن معمر ، عن الزهري ، عن أنس قال : لما دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة في عمرة القضاء مشى عبد الله بن رواحة بين يديه ، وفي رواية وهو أخذ بفرزه وهو يقول :

خَلُّوا بَنِي الْكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ قَدْ نَزَلَ الرَّحْمَنُ فِي تَنْزِيلِهِ
بِأَنْ خَيْرَ الْقَتْلِ فِي سَبِيلِهِ نَحْنُ قَتَلْنَاكُمْ عَلَى تَأْوِيلِهِ

وفي رواية بهذا الإسناد بعينه :

خَلُّوا بَنِي الْكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ الْيَوْمَ نَضْرِبُكُمْ عَلَى تَنْزِيلِهِ
ضَرْبًا يَزِيلُ الْهَامَ عَنْ مَقِيلِهِ وَيُذْهِلُ الْخَلِيلَ عَنْ خَلِيلِهِ

يَا رَبِّ إِنِّي مُؤْمِنٌ بِقِيَمِهِ

وقال يونس بن بكير عن هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عام القَصِيَّةِ مكة فطاف بالبيت على ناقته واستلم الركن بِمِحْجَنِهِ . قال ابن هشام : من غير علة ، والمسلمون يَشْتَدُونَ حَوْلَهُ ، وعبد الله بن رواحة يقول :

باسمِ الذِي لَا دِينَ إِلَّا دِينُهُ باسمِ الذِي مُحَمَّدٌ رَسُولُهُ

خلوا بَنِي الْكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ

قال موسى بن عقبة عن الزهري : ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من العام القابل من عام الحديبية معتمراً في ذِي الْقَعْدَةِ سنة سبع ، وهو الشهر الذي صَدَّه الْمُشْرِكُونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، حتى إِذَا بَلَغَ يَأْجِجَ وَضَعَ الْأَدَاةَ كُلَّهَا الْحُجُفَ وَالْمِجَانَّ وَالرِّمَاحَ وَالنَّبْلَ ، ودخلوا بسلاح الرَّاكِبِ السِّیُوفَ ، وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بَيْنَ يَدَيْهِ جَعْفَرَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ إِلَى مَيْمُونَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ الْعَامِرِيَّةِ نَحَطَهَا عَلَيْهِ ، فجعلت أَمْرَهَا إِلَى الْعَبَّاسِ وَكَانَ تَحْتَهُ أَخْتَاهَا أُمُّ الْفَضْلِ بِنْتُ الْحَارِثِ ، فزوجها الْعَبَّاسُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

فلما قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَ أَصْحَابَهُ قَالَ : « اكشفوا عَنِ الْمَنَاكِبِ وَاسْعَوْا فِي الطَّوَافِ » . ليرى الْمُشْرِكُونَ جَلْدَهُمْ وَقَوَّتَهُمْ ، وَكَانَ يَكَايِدُهُمْ بِكُلِّ مَا اسْتَطَاعَ ، فَاسْتَكْفَ^(١) أَهْلُ مَكَّةَ الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ وَالصَّبِيَّانُ يَنْظُرُونَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ وَهُمْ يَطُوفُونَ بِالْبَيْتِ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ يَرْتَجِزُ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَتَوْشِحًا بِالسَّيْفِ وَهُوَ يَقُولُ :

خَلُّوا بَنِي الْكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ أَنَا الشَّهِيدُ أَنَّهُ رَسُولُهُ

(١) استكف : أحاطوا به .

قد أنزلَ الرحمنُ في تنزيله في صحف تُتلى على رسوله
فاليوم نضربكم على تأويله كما ضربناكم على تنزيله
ضرباً يزيل الهام عن مَقِيلِه ويذهل الخليلَ عن خليلِه

قال : وتغيَّب رجالٌ من أشراف المشركين أن ينظروا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم غيظاً وحقناً ، ونفاسة وحسداً . وخرجوا إلى الخندمة^(١) ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة وأقام ثلاث ليال ، وكان ذلك آخر القضية يوم الحديبية .

فلما أتى الصبح من اليوم الرابع أتاه سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلس الأنصار يتحدث مع سعد بن عباد ، فصاح حويطب بن عبد العزى : نناشدك الله والعقدَ لما خرجت من أرضنا ، فقد مضت الثلاثُ . فقال سعد بن عباد : كذبتَ لا أم لك ليس بأرضك ولا بأرض آبائك والله لا يخرج . ثم نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم سهيلاً وحويطباً فقال : « إني قد نسكت فيكم امرأةً فما يضركم أن أمكث حتى أدخل بها ونصنع الطعام فناكل وتأكلون معنا » فقالوا : نناشدك الله والعقدَ إلا خرجت عنا .

فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا رافع فأذن بالرحيل ، وركب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل ببطن سرف وأقام المسلمون وخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا رافع ليحمل ميمونة ، وأقام بسرف حتى قدمت عليه ميمونة ، وقد لقيت ميمونة ومن معها عناءً وأذى من سفهاء المشركين ومن صبيانهم ، فقدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بسرف فبنى بها ثم أدج فسار حتى أتى المدينة .

وقدّر الله أن يكون موتُ ميمونة بسرف بعد ذلك بحين ، فماتت حيث بنى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم ذكر قصة ابنة حمزة إلى أن قال : وأنزل الله عز وجل في تلك العمرة « الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص » فاعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشهر الحرام الذي صدّ فيه .

وقد روى ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة بن الزبير نحوه من هذا السياق ، ولهذا السياق شواهد كثيرة من أحاديث متعددة .

ففي صحيح البخارى من طريق فليح بن سليمان ، عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج معتمرا ، فحال كفار قريش بينه وبين البيت ، فنحر هديه وحلق رأسه بالحديبية ، وقاضاهم على أن يعتمر العام المقبل ولا يحمل سلاحا إلا سيوفا ، ولا يقيم بها إلا ما أحبوا .

فاعتمر من العام المقبل فدخلها كما كان صالحهم ، فلما أن أقام بها ثلاثا أمروه أن يخرج فخرج .

وقال الواقدي : حدثني عبد الله بن نافع ، عن أبيه ، عن ابن عمر قال : لم تكن هذه عمرة قضاء وإنما كانت شرطا على المسلمين أن يعتمروا من قابل في الشهر الذي صدّهم فيه المشركون .

وقال أبو داود : حدثنا الثقفيلي ، حدثنا محمد بن سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عمرو بن ميمون ، سمعت أبا حنيفة يحدث أن ميمون بن مهران قال : خرجت معتمرا عام حاصر أهل الشام ابن الزبير بمكة ، وبعث معي رجال من قومي بهدي .

قال : فلما انتهينا إلى أهل الشام منعونا أن ندخل الحرم ، قال : فبحرت الهدى مكانى ثم أحللت ثم رجعت ، فلما كان من العام المقبل خرجت لأقضى عمرتي ، فأنيت بن عباس فسألته فقال : أبذل الهدى ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أصحابه

من السلاح والخييل ، ففزع قريش وقالوا : والله ما أحدثنا حدثاً ، وإنا على كتابنا وهُدُنَّا ، فقيم يغزوننا محمد في أصحابه ؟

ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة الظهران ، وقدّم رسول الله صلى الله عليه وسلم السلاح إلى بطن يأجج حيث ينظر إلى أنصاب الحرم ، وبعث قريش مكرز بن حفص بن الأحنف في نفر من قريش ، حتى لقوه ببطن يأجج ورسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه والمهدي والسلاح قد تلاحقوا ، فقالوا : يا محمد ما عُرِفْتَ صغيراً ولا كبيراً بالغدر ، تدخل بالسلاح في الحرم على قومك ، وقد شَرَطْتَ لهم ألا تدخل إلا بسلاح المسافر السيوف في القرب ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « إني لأدخل عليهم السلاح » فقال مكرز بن حفص : هذا الذي تُعْرِفُ به ، البر والوفاء ، ثم رجع سريعاً بأصحابه إلى مكة .

فلما أن جاء مكرز بن حفص بخبر النبي صلى الله عليه وسلم خرجت قريش من مكة إلى رؤوس الجبال وخلصوا مكة وقالوا : لا ننظر إليه ولا إلى أصحابه .

فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهدى أمامه حتى حُبِسَ بذى طوى ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وهو على ناقته القصواء وهم مُحَدِّقُونَ به يلبون وهم متوشحون السيوف ، فلما انتهى إلى ذى طوى وقف على ناقته القصواء وابن رواحة أخذ يزممها وهو يرتجز بشعره ويقول :

* خلوا بني الكفار عن سبيله * إلى آخره

وفي الصحيحين من حديث ابن عباس قال : قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه صبيحة رابعة - يعنى من ذى القعدة سنة سبع - فقام المشركون : إنه يقدم عليكم وقد هَتَمْتُمْ حُمًى يثرب . فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرملوا

الأشواط الثلاثة ، وأن يمشوا بين الركنتين ، ولم يمنعه أن يرملوا الأشواط كلها إلا الإبقاء عليهم .

قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن الصباح ، حدثنا إسماعيل بن زكريا ، عن عبد الله ابن عثمان ، عن أبي الطفيل ، عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل مرة الظهران من عمرته بلغ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قريشا تقول : ما يتبعنا من العجف^(١) . فقال أصحابه : لو انتحرننا من ظهرنا فأكلنا من لحومنا وحسونا من مرقه أصبحنا غداً حين ندخل على القوم وبنائجة^(٢) ، فقال : « لا تفعلوا ولكن اجمعوا إلى من أزوادكم » فجمعوا له وبسطوا الأنطاع فأكلوا حتى تركوا ، وحشا كل واحد منهم في جرابه .

ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دخل المسجد وقعدت قريش نحو الحجر ، فاضطجع بردائه ثم قال : « لا يرى القوم فيكم غمزة » فاستلم الركن ثم رمل حتى إذا تغيّب بالركن اليماني مشى إلى الركن الأسود ، فقالت قريش : ما يرضون بالمشى أما إنهم ليتنفرون نفرَ الطّباء ! ففعل ذلك ثلاثة أطواف فكانت سنة .

قال أبو الطفيل : وأخبرني ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل ذلك في حجة الوداع .

تفرد به أحمد من هذا الوجه .

وقال أبو داود ، حدثنا أبو سلمة موسى ، حدثنا حماد - يعني ابن سلمة - أنبأنا أبو عاصم الغنوي ، عن أبي الطفيل قال : قلت لابن عباس : يزعم قومك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رمل بالبيت وأن ذلك سنة ؟ فقال : صدقوا وكذبوا . قلت : ما صدقوا وما كذبوا ؟ قال : صدقوا ، رمل رسول الله عليه وسلم ، وكذبوا ليس بسنة ، إن قريشاً زمن الحديبية قالت : دعوا محمداً وأصحابه حتى يموتوا موت

الْفَنَفَ (١) ، فلما صالحوه على أن يجيئوا من العام المقبل فيقيموا بمكة ثلاثة أيام قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمشركون من قَبْلِ قُعَيْقَعَانَ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : « ارمِلوا بالبيت ثلاثاً » قال : وليس بسنة .

وقد رواه مسلم من حديث سعيد الجريري ، وعبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسين وعبد الملك بن سعيد بن أبجر ، ثلاثتهم عن أبي الطفيل عامر بن واثلة ، عن ابن عباس به نحوه .

وكون الرَّمَل في الطواف سنة مذهب الجمهور ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم رمل في عمرة القضاء وفي عمرة الجعرانة أيضاً ، كما رواه أبو داود وابن ماجه من حديث عبد الله ابن عثمان بن خثيم ، عن أبي الطفيل عن ابن عباس فذكره .

وثبت في حديث جابر عند مسلم وغيره أنه عليه السلام رمل في حجة الوداع في الطواف ، ولهذا قال عمر بن الخطاب : فيم الرملان وقد أطال الله الإسلام ؟ ومع هذا لا نترك شيئاً فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم . وموضع تقرير هذا كتاب الأحكام . وكان ابن عباس في المشهور عنه لا يرى ذلك سنة ، كما ثبت في الصحيحين من حديث سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، قال : إنما سعى النبي صلى الله عليه وسلم بالبيت وبالصفا والمروة ليرى المشركين قوته .

لفظ البخاري .

وقال الواقدي : لما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم نسكه في القضاء دخل البيت ، فلم يزل فيه حتى أذن بلال الظَّهْرَ فوق ظَهر الكعبة ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره بذلك ، فقال عكرمة بن أبي جهل : لقد أكرم الله أبا الحكم حين لم يسمع هذا العبد يقول ما يقول ! وقال صفوان بن أمية : الحمد لله الذي أذهب أبي قبل أن يرى هذا . وقال

(١) النَفَف : دود في أنوف الإبل والغنم ، ويقال للمحتقر : نففة .

خالد بن أسيد : الحمد لله الذى أمات أبى ولم يشهد هذا اليوم حتى يقوم بلال ينهق فوق البيت . وأما سهيل بن عمر ورجال معه لما سمعوا بذلك غطّوا وجوههم .
قال الحافظ البيهقي : قد أكرم الله أكرهم بالإسلام .
قلت : كذا ذكره البيهقي من طريق الواقدي أن هذا كان فى عمرة القضاء ،
والمشهور أن ذلك كان فى عام الفتح . والله أعلم .

وأما قصة تزويجه عليه السلام بميمونة

فقال ابن إسحاق : حدثني أبان بن صالح وعبد الله بن أبي نجيح ، عن عطاء
ومجاهد ، عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج ميمونة بنت
الحارث فى سفره ذلك وهو حرام ، وكان الذى زوجه إياها العباس بن عبد المطلب .
قال ابن هشام : كانت جعلت أمرها إلى أختها أم الفضل ، فجعلت أم الفضل
أمرها إلى زوجها العباس ، فزوّجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصدقها عنه
أربعمائة درهم .

وذكر السهيلي أنه لما انتهت إليها خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم لها وهى راكبة
بعيراً قالت : الجمل وما عليه لرسول الله صلى الله عليه وسلم .
قال : وفيها نزلت الآية : « وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي
أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين » (٢) .

وقد روى البخارى من طريق أيوب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم تزوج ميمونة وهو مُحْرَم ، وبني بها وهو حلال ، وماتت بسرف .
قال السهيلي (١) وروى الدارقطنى من طريق أبي الأسود قتيب عروة ، ومن طريق مطر

(١) سورة الأحزاب ٥٠ . (٢) كذا فى الوقيت : البيهقي .

الوراق ، عن عكرمة ، عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج ميمونة وهو حلال .

قال : وتأولوا رواية ابن عباس الأولى أنه كان مُحْرَمًا ، أى فى شهر حرام ، كما قال الشاعر :

قتلوا ابن عفان الخليفة مُحْرَمًا فدعا فلم أر مثله غـذولًا

أى فى شهر حرام .

قلت : وفى هذا التأويل نظر ، لأن الروايات متظافرة عن ابن عباس بخلاف ذلك ، ولا سيما [من] ^(١) قوله : « تزوجها وهو محرم وبني بها وهو حلال » وقد كان فى شهر ذى القعدة أيضا وهو شهر حرام .

وقال محمد بن يحيى الذهلى ، حدثنا عبد الرزاق ، قال : قال لى الثورى : لا يلتفت ^(٢) إلى قول أهل المدينة . أخبرنى عمرو عن أبى الشعثاء ، عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج وهو مُحْرَم .

قال أبو عبد الله : قلت لعبد الرزاق : روى سفيان الحديثين جميعًا ، عن عمرو ، عن أبى الشعثاء ، عن ابن عباس وابن خثيم ^(٣) ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : نعم ، أما حديث ابن خثيم فحدثنا هاهنا - يعنى باليمن - وأما حديث عمرو فحدثنا ثم - يعنى بمكة - .

وأخرجاه ^(٤) فى الصحيحين من حديث عمرو بن دينار به .

وفى صحيح البخارى من طريق الأوزاعى ، حدثنا عطاء ، عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج ميمونة وهو مُحْرَم . فقال سعيد بن المسيب : وهم

(٢) ١ : لا يلتفت .

(٤) ١ : أخرجاه .

(١) من ١

(٣) ١ خثيم وهو تحريف .

ابن عباس وإن كانت خالته ، ما تزوجها إلا بعد ما حلَّ .

وقال يونس عن ابن إسحاق : حدثني بَقِيَّةٌ ، عن سعيد بن المسيَّب ، أنه قال : هذا عبد الله بن عباس يزعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نكح ميمونة وهو مُحْرَمٌ فذكر كلمته ، إنما قَدِمَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مكة فكان الحِلُّ والنكاح جميعا ، فُسِّبَ ذلك على ابن عباس ^(١) .

وروى مسلم وأهل السنن من طرق عن يزيد بن الأصم العامري ، عن خالته ميمونة بنت الحارث ، قالت : تزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن حلالان ^(٢) بِسَرَفٍ . لكن قال الترمذی : روى غير واحد هذا الحديث عن يزيد بن الأصم مرسلا ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج ميمونة .

وقال الحافظ البيهقي : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، أنبأنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأصفهاني الزاهد ، حدثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي ، حدثنا سليمان بن حرب ، حدثنا حماد بن زيد ، حدثنا مطر الوراق ، عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن ، عن سليمان بن يسار ، عن أبي رافع قال : تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ميمونة وهو حلال وبني ^(٣) بها وهو حلال وكنت الرسولَ بينهما .

وهكذا رواه الترمذی والنسائي جميعا ، عن قتيبة ، عن حماد بن زيد به ، ثم قال الترمذی : حسن ولا نعلم أحداً أسنده عن حماد عن مطر . ورواه مالك عن ربيعة عن سليمان مرسلا .

[ورواه سليمان بن بلال عن ربيعة مرسلا .

قلت : وكانت وفاتها بسرف سنة ثلاث وستين ، ويقال : سنة ستين ، رضي الله عنها ^(٤)]

(١) غير أ : حلال .

(٢) سقطت من أ .

(١) على الناس .

(٣) أ : وبني .

ذكر خروجه عليه السلام من مكة بعد قضاء عمرته

قد تقدم ما ذكره موسى بن عقبة أن قريشاً بعثوا إليه حُوَيْطِب بن عبد العزى بعد مضي أربعة أيام ليرحل عنهم كما وقع به الشرط ، فعرض عليهم أن يعمل وليمة عرسه بميمونة عندهم ، وإنما أراد تأليفهم بذلك ، فأبوا عليه وقالوا : بل اخرج عنا . فخرج . وكذلك ذكره ابن إسحاق ^(١) .

وقال البخاري : حدثنا عبيد الله بن موسى ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن البراء قال : اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم في ذي القعدة ؛ فأبى أهل مكة أن يدعوه يدخل مكة حتى قاضم على أن يقيموا بها ثلاثة أيام ، فلما كتبوا الكتاب كتبوا : هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله . قالوا : لا نقرُّ بهذا ، لو نعلم أنك رسول الله مامنناك شيئاً ، ولكن أنت محمد بن عبد الله . قال : « أنا رسول الله وأنا محمد بن عبد الله » ثم قال لعلي بن أبي طالب : « أُمح رسول الله » قال : لا والله لا أحوك أبداً ، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب ، وليس يُحسن يكتب ، فكتب : هذا ما قاضى عليه محمد ابن عبد الله لا يدخل مكة [السلح^(٢)] إلا السيف في القرب ، وألا يخرج من أهلها بأحد أراد أن يتبعه ، وألا يمنع من أصحابه أحداً أراد أن يقيم بها .

فلما دخل ^(٣) ومضى الأجل أتوا علياً فقالوا : قل لصاحبك : اخرج عنا فقد مضى الأجل ، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم فتبعته ابنة حمزة تنادي : يا عم يا عم . فتناولها علي فأخذ بيدها وقال لفاطمة : دونك ابنة عمك . فحملتها ، فاختم فيها علي وزيد وجعفر ^(٤) ، فقال علي : أنا أخذتها وهي ابنة عمي . وقال جعفر : ابنة عمي وخالتها تحتي ، وقال زيد : ابنة أخي . فقضى بها النبي صلى الله عليه وسلم لخالتها وقال : « الخالة بمنزلة الأم » وقال

(١) في ابن هشام : ثلاثة أيام وأتاه حُوَيْطِب في اليوم الثالث . (٢) من صحيح البخاري .

(٣) دخلها . (٤) ١ : وحفص . وهو تحريف !

لعلى : « أنت منى وأنا منك » وقال لجعفر : « أشبهتَ خلقي وخلُقتى » وقال لزيد : « أنت أخونا ومولانا » قال^(١) على : ألا تزوج ابنة حمزة ، قال : « إنها ابنة أخى من الرضاة » .

تفرّد به البخارى من هذا الوجه .

وقد روى الواقدى قصة ابنة حمزة فقال : حدثنى ابن أبى حبيبة ، عن داود بن الحصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس أن عمارة ابنة حمزة بن عبد المطلب وأمها سلمى بنت عميس كانت بمكة .

فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمّ على بن أبى طالب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : علام نترك ابنة عمنا يتيمة بين ظهرانى المشركين ؟ فلم يَنْه النبي صلى الله عليه وسلم عن إخراجها ، فخرج بها ، فتكلم زيد بن حارثة وكان وصيّ حمزة ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد آخى بينهما حين آخى بين المهاجرين ، فقال : أنا أحقُّ بها ، ابنةُ أخى ، فلما سمع بذلك جعفر قال : الخالة والدة ، وأنا أحقُّ بها لمكان خالتها عندى أسماء بنت عميس . وقال على : ألا أراكم تحتصمون ! هى ابنة عمى وأنا أخرجتها من بين أظهر المشركين ، وليس لكم إلها سبب دونى ، وأنا أحقُّ بها منكم . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « أنا أحكم بينكم ، أما أنت يا زيد فمولى الله ومولى رسول الله ، وأما أنت يا جعفر فتشبه خلقي وخلُقتى ، وأنت يا جعفر أولى بها ، تحتك خالتها ولا تُنكح المرأة على خالتها ولا على عمتها » ففضى بها لجعفر .

قال الواقدى : فلما قضى بها لجعفر [قام جعفر^(٢)] فحجّل حول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « ما هذا يا جعفر ؟ » فقال : يا رسول الله كان النجاشى إذا أرضى أحداً قام فحجّل حوله . فقال للنبي صلى الله عليه وسلم : تزوجها فقال : « ابنة أخى من

(١) ١ : فقال ورواية البخارى : وقال . (٢) سقطت من ١ .

الرضا « . فزوّجها رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمة بن أبي سلمة ، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « هل جَزَيْتُ أبا سلمة » .

قلت : لأنه ذكر الواقدي وغيره أنه هو الذي زوّج رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمه أم سلمة ، لأنه كان أكبر من أخيه عمر بن أبي سلمة . والله أعلم .
قال ابن إسحاق : ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة في ذى الحجة ، وتولى ^(١) المشركون تلك الحجة .

قال ابن هشام : وأنزل الله في هذه العمرة فيما حدثني أبو عبيدة قوله تعالى : « لقد صدّق الله رسوله الرُّؤُيا بالحقِّ لَتَدْخُلَنَّ المسجد الحرام إن شاء الله آمنين مُحَلِّقِينَ رءوسكم ومقصرين لا تخافون فعمل ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا » [يعني خير ^(٢)] .

فصل

ذكر البيهقي هاهنا سرية ابن أبي العوّاء السلمي إلى بني سليم .

ثم ساق بسنده عن الواقدي : حدثني محمد بن عبد الله بن مسلم ، عن الزهري قال : لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من عمرة القضية رجع في ذى الحجة من سنة سبع ، فبعث ابن أبي العوّاء السلمي في خمسين فارسا ، فخرج العين إلى قومه فحذّروهم وأخبرهم فجمعوا جمعا كثيرا وجاءهم ابن أبي العوّاء والقوم مُعِدُّون ، فلما أن رأهم ^(٣) أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأوا جمعهم دعوهم إلى الإسلام ، فرشقوهم بالنبل ولم يسمعوا قولهم وقالوا : لا حاجة لنا إلى ما دعوتهم إليه . فرموا ساعة وجعلت الأمدادُ

(٢) من ابن هشام .

(١) : وولى .

(٣) غير : رأوهم .

تأتى حتى أٌحدقوا بهم من كل جانب ، فقاتل القوم قتالا شديداً حتى قُتل عامتهم ، وأصيب ابن أبى العوجاء بجراحات كثيرة ، فتحامل حتى رجع إلى المدينة بمن بقي معه من أصحابه فى أول يوم من شهر صفر سنة ثمان .

فصل : قال الواقدى : فى الحجة^(١) من هذه السنة - يعنى سنة سبع - ردّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنته زينب على زوجها أبى العاص بن الربيع ، وقد قدّمنا الكلام على ذلك^(٢) ، وفيها قدّم حاطبُ بن أبى بلتعة من عند المقوقس ومعه مارية وسيرين ، وقد أسلمتا فى الطريق ، وغلّام خصى .

قال الواقدى : وفيها اتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم منبره درجتين ومقعده ، قال : والثابت عندنا أنه عمل فى سنة ثمان :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رب يسر وأعن بحولك وقوتك

سنة ثمان من الهجرة النبوية

فصل

في إسلام عمرو بن العاص ، وخالد بن الوليد ، وعثمان بن طلحة بن أبي طلحة^(١) رضى الله عنهم
وكان قدومهم في أوائل سنة ثمان على ما سيأتى

قد تقدم طَرف من ذلك^(٢) فيما ذكره ابن إسحاق بعد مقتل أبي رافع اليهودى ،
وذلك في سنة خمس من الهجرة .

وإنما ذكره الحافظ البيهقي ها هنا بعد عمرة القضاء ، فروى من طريق الواقدي :
أنبأنا عبد الحميد بن جعفر ، عن أبيه ، قال عمرو بن العاص : كنت للإسلام مجانباً معانداً ،
حضرتُ بدرًا مع المشركين فنجوت ، ثم حضرت أحداً فنجوتُ ، ثم حضرتُ
الحنذلق فنجوت .

قال : فقلت في نفسى : كم أوضع^(٣) ! والله ليظهرنَّ محمدًا على قريش . فلحققت بمالى
بالرَهط^(٤) ، وأقلتُ من الناس - أى من لقائهم - .

فلما حضر الحديبية وانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصلح ، ورجعت

(١) ١ : وطلحة بن أبي طلحة وهو تحريف . (٢) تقدم ذلك في هذا الجزء .

(٣) أوضع : أدبر وأحارب . (٤) الرهط : موضع في شعر هذيل . المراد : ٦٤٥/٢

قريش إلى مكة . جعلت أقول : يدخل محمد قابلاً مكة بأصحابه ، ما مكة بمنزل ولا الطائف ، ولا شيء خير من الخروج ، وأنا بعد ناء عن الإسلام ، وأرى لو أسلمت قريش كلها لم أسلم .

فقدمت مكة وجمعت رجالاً من قومي ، وكانوا يرون رأيي ويسمعون مني ويقدمونني فيما نابهم ، فقلت لهم : كيف أنا فيكم ؟ قالوا : ذو رأينا وميدْرَهنا^(١) في يمين نَقِيية^(٢) وبركة أمر . قال : قلت : تعلمون إني والله لأرى أمر محمدٍ أمراً يعلو الأمور علواً مُنْكَرًا ، وإني قد رأيت رأياً . قالوا : وما هو ؟ قلت : نلحق بالنجاشي فنكون معه ، فإن يظهر محمد كنا عند النجاشي [فإننا أن] نكون تحت يد النجاشي أحب إلينا من أن نكون تحت يد محمد ، وإن تظهر قريش فنحن من قد عرفوا .

قالوا : هذا الرأي . قال : قلت : فاجمعوا ما نهديه له . وكان أحب ما يُهْدَى إليه من أرضنا الأدم . فجمعنا له^(٣) أدماً كثيراً ثم خرجنا حتى قدمنا على النجاشي ، فوالله إنا لعنده إذ جاء عمرو بن أمية الضمري ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعثه بكتاب كتبه يزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان ، فدخل عليه ثم خرج من عنده فقلت لأصحابي : هذا عمرو بن أمية الضمري ولو قد دخلت على النجاشي فسألته إياه فأعطانيه فضربت عنقه ، فإذا فعلت ذلك سُرّت قريش^(٤) وكنت قد أجزأتُ عنها حين^(٥) قتلت رسول محمد .

فدخلت على النجاشي فسجدت له كما كنت أصنع ، فقال : حبا بصديق ، أهديت لي من بلادك شيئاً إقال : قلت : نعم أيها الملك ، أهديت لك أدماً كثيراً . ثم قدمته فأعجبته وفرّق منه شيئاً؟ بين بطارقتي ، وأمر بسائرهم فأدخل في موضع وأمر أن يُكتب ويُحفظ به .

(١) الطبوعة : نفسه . وهو تحريف .

(٢) : سرور قريشا .

(١) : ذا رأي . والدره : المدافع .

(٣) غير أ : خُملنا أدماً .

(٥) المطبوعة : حتى . وهو تحريف .

فلما رأيت ريبَ نفسه قلت : أيها الملك إني قد رأيت رجلاً خرج من عندك ، وهو رسول عدوّ لنا قد وتَرنا وقتل أشرافنا وخيارنا ، فأعطنيه فأقتله . فغضب من ذلك ورفع يده فضرب بها أنفي^(١) ضربة ظننت أنه كسره ، فابتدر مِنْخَرَاي فجعلت أتلقى الدم بثيابي ، فأصابني من الذل ما لو انشقت بي الأرض دخلتُ فيها فرقا منه .

ثم قلت : أيها الملك لو ظننت أنك تكبره ما قلتُ ما سألتك . قال : فاستحيا وقال : يا عمرو تسألني أن أعطيك رسولَ مَنْ يأتيه الناموسُ الأكبر الذي كان يأتي موسى ؛ والذي كان يأتي عيسى لئقتله .

قال عمرو : فقَيَّرَ اللهُ قلبي عما كنت عليه ، وقلتُ في نفسي : عرف هذا الحقَّ العربُ والعجم ، وتحالف أنت ! ثم قلت : أتشهد أيها الملك بهذا ؟ قال : نعم أشهد به عند الله يا عمرو ، فأطعني واتبعه ، فوالله إنه لَعلى الحق وليُظهَرَن على من خالفه كما ظهر موسى على فرعون وجنوده .

قلت : أتبايعني له على الإسلام ؟ قال : نعم . فبسط يده فبايعني على الإسلام ، ثم دعا بطست ففسل عني الدم وكساني ثياباً . وكانت ثيابي قد امتلأت بالدم فألقيتها . ثم خرجت على أصحابي فلما رأوا كسوة النجاشي سُرُوا بذلك وقالوا : هل أدركت من صاحبك ما أردت ؟ فقلت لهم : كرهت أن أكلمه في أول مرة وقلت أعود إليه . فقالوا : الرأي ما رأيت .

قال : ففارقهم وكأني أتمد إلى حاجة ، فعمدت إلى موضع السفن فأجد سفينة قد سُحِنَتْ تُدْفَع ، قال : فركبت معهم ودفعوها حتى انتهوا إلى الشُّعْبَةِ وخرجت من السفينة ومعى نفقة ، فابتعت بغيراً وخرجت أريد المدينة حتى مررت على مَرِّ الظهران ، ثم

(١) في الروايات الأخرى : أنفه .

ثم مضيت حتى إذا كنت بالهدة فإذا رجلاان قد سبقاني بغير كثير يريدان منزلاً ، وأحدهما داخل في الخيمة والآخر يمسك الراحلتين ، قال : فنظرت فإذا خالد بن الوليد ، قال : قلت : أين تريد ؟ قال : محمداً ، دخل الناس في الإسلام فلم يبقَ أحد به طُعم^(٥) ، والله لو أمتُ لأخذ برقابنا كما يؤخذ برقبة الضبع في مفارقتها .

قلت : وأنا والله قد أردت محمداً وأردت الإسلام . فخرج عثمان بن طلحة فرحب بي ، فزولنا جميعاً في المنزل .

ثم اتفقنا حتى أتينا المدينة ، فما أنسى قولَ رجل لقيناه بئر أبي عتبة يصيح : يارباح يارباح يارباح . فتفاءلنا بقوله وسرنا ، ثم نظر إلينا فأسمعه يقول : قد أعطت مكةُ المقادة بعد هذين . فظننت أنه يعينني ويعني خالد بن الوليد ، وولّي مدبراً إلى المسجد سريعاً ، فظننت أنه بشر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدمونا ، فكان كما ظننت .

وأتحنا بالحرة ، فلبسنا من صالح ثيابنا ، ثم نودى بالعصر فانطلقنا حتى أطلعنا عليه ، وإن لوجه تهللاً والمسلمون حوله قد سرُّوا بإسلامنا فتقدم خالد بن الوليد فبايع ، ثم تقدم عثمان بن طلحة فبايع ، ثم تقدمت فوالله ما هو إلا أن جلست بين يديه فما استطعت أن أرفع طرفي حياء منه . قال : فبايعته على أن يُغفر لي ماتقدم من ذنبي ولم يحضرني ماتأخر ، فقال : « إن الإسلام يحبُّ ما كان قبله ، والهجرة تجبُّ ما كان قبلها » .

قال : فوالله ما عدل بي رسول الله صلى الله عليه وسلم وبخالد بن الوليد أحداً من أصحابه في أمرٍ حربه منذ أسلمنا ، ولقد كنا عند أبي بكر بتلك المنزلة ، ولقد كنت عند عمر بتلك الحالة ، وكان عمر على خالدٍ كالعائب .

قال عبد الحميد بن جعفر شيخ الواقدي : فذكرت هذا الحديث ليزيد بن حبيب

(١) الطعم : القدرة .

فقال : أخبرني راشد مولى حبيب بن أبي أوس الثقفي ، عن مولاة حبيب ، عن عمرو ابن العاص نحو ذلك :

قلت : كذلك رواه محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن راشد ، عن مولاة حبيب [قال :] حدثني عمرو بن العاص من فيه ، فذكر ماتقدم في سنة خمس بعد مقتل أبي رافع . وسياقُ الواقدي أبسطُ وأحسن .

قال الواقدي عن شيخه عبد الحميد : فقلت ليزيد بن أبي حبيب : وقت لك متى قدم عمرو وخالده ؟ قال : لا ، إلا أنه قال قبل الفتح . قلت : فإن أبي أخبرني أن عمرا وخالداً وعثمان بن طلحة قدِموا لهلال صفر سنة ثمان .

وفي صحيح مسلم ما يشهد لسياق إسلامه وكيفية حسن صحبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم مدة حياته ، وكيف مات وهو يتأسف على ما كان منه في مدة مباشرته الإمارة بعده عليه الصلاة والسلام ، وصفة موته رضى الله عنه .

طريق إسلام خالد بن الوليد

قال الواقدي : حدثني يحيى بن المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، قال سمعت أبي يحدث عن خالد بن الوليد قال : لما أراد الله بي ما أراد من الخير قذف في قلبي الإسلامَ وحَضَرَنِي رُشْدِي ، فقلت : قد شهدتُ هذه المواطنَ كلها على محمد صلى الله عليه وسلم ، فليس في مواطن أشهدهُ إلا أنصرفُ وأنا أرى في نفسي أني مُوضعٌ في غير شيء ، وأن محمداً سيَظهر .

فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحديبية خرجت في خيل من المشركين فلقيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه بُعْثَان ، فممت بإزائه وتعرَّضت له ، فصلى بأصحابه الظهر أماناً فهمَمنّا أن نغير عليهم ثم لم يُعزم لنا - وكانت فيه خيرة - فاطَّلَعَ على

ما في أنفسنا من الهم به فصلى بأصحابه صلاة العصر صلاة الخوف ، فوقع ذلك منا موقعا وقلت : الرجل ممنوع ، فاعتزلنا ، وعدل عن سنن^(١) خيلنا وأخذ ذات اليمين .

فلما صالح قريشاً بالحد يبية ودافعتهم قريش بالرّواح قلت في نفسي : أى شيء بقى ؟ أين أذهب ؟ إلى النجاشي ؟ فقد اتبع محمداً وأصحابه عنده آمنون ، فأخرج إلى هرقل فأخرج من ديني إلى نصرانية أو يهودية ؟ فأقيم في عجم^(٢) ، فأقيم في داري بمن بقى ؟ فأنا في ذلك إذ دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة في عمرة القضيّة [فتغيّبت ولم أشهد دخوله ، وكان أخى الوليد بن الوليد قد دخل مع النبي صلى الله عليه وسلم في عمرة القضيّة^(٣)] فطلبني فلم يجدني فكتب إلى كتاباً فإذا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد ؛ فإنني لم أر أعجب من ذهاب رأيك عن الإسلام وعقلك عقلك ! ومثل الإسلام جهله أحد ؟ وقد سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنك وقال : أين خالد ؟ فقلت : يأتي الله به ، فقال : « مثله جهل الإسلام ؟ ولو كان جعل نسكايته وحده مع المسلمين كان خيرا له ، ولقد مناه على غيره » فاستدرك يا أخى ما قد فاتك [من] مواطن صالحة .

قال : فلما جاءني كتابه نشطت للخروج وزادني رغبة في الإسلام ، وسرّني سؤال رسول الله صلى الله عليه وسلم عني ، وأرى في النوم كأنني في بلاد ضيقة مجذبة فخرجت في بلاد خضراء واسعة ، فقلت : إن هذه لرؤيا . فلما أن قدمت المدينة قلت : لأذكرنها لأبي بكر ، فقال : تخرجك الذي هداك الله للإسلام ، والضيق الذي كنت فيه من الشرك .

قال : فلما أجمعت الخروج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت : من أصحابي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فليقت صفوان بن أمية فقلت : يا أبا وهب أما ترى

(١) السنن : الجهة . (٢) ١ : مع عجم . (٣) سقط من ١ .

ما نحن فيه ؟ إنما نحن كأضراس ، وقد ظهر محمد على العرب والعجم ، فلو قد منا على محمد
واتبعناه فإن شرف محمد لنا شرف ؟ فأبى أشد الإباء فقال : لو لم يبق غيري
ما اتبعته أبدا .

فافترقنا وقلت : هذا رجل قُتل أخوه وأبوه ببذر . فلقيت عكرمة بن أبي جهل
فقلت له مثل ما قلت لصفوان بن أمية ، فقال لي مثل ما قال صفوان بن أمية . قلت :
فاكتم علي . قال : لا أذكره .

فخرجت لي منزلي فأمرت براحتي فخرجت بها ، إلى أن لقيت عثمان بن طلحة
فقلت : إن هذا لي صديق ، فلو ذكرت له ما أرجو . ثم ذكرت من قُتل من آبائه ،
فكرهت أن أذكره ، ثم قلت : وما علي وأنا راحل من ساعتي . فذكرت له ما صار
الأمر إليه ، فقلت : إنما نحن بمنزلة ثعلب في جحر لو صُبَّ فيه ذُئوب من ماء نخرج ،
وقلت له نحواً مما قلت لصاحبي ، فأسرع الإجابة ، وقلت له : إني غدوت اليوم وأنا أريد
أن أغدو ، وهذه راحتي بفتح مُناخة . قال : فأنعدت أنا وهو يأجيج ، إن سبقني أقام
وإن سبقته أقمت عليه .

قال : فأدخلنا سحراً فلم يطلع الفجر حتى التقينا بيأجيج ، فغدونا حتى انتهينا إلى الهدية
فنجد عمر بن العاص بها ، قال : مرحباً بالقوم . فقلنا : وبك . فقال : إلى أين
مسيركم ؟ فقلنا : وما أخرجك ؟ فقال : وما أخرجكم ؟ قلنا : الدخول في الإسلام واتباع محمد
صلى الله عليه وسلم . قال : وذاك الذي أقدمني .

فاصطحبنا جميعاً حتى دخلنا المدينة ، فأخذنا بظهر الحرة ركابنا فأخبر بنا رسول الله صلى
الله عليه وسلم فسر بنا ، فلبست من صالح ثيابي ثم عمدت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلقيني أخى : فقال أسرع ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخبر بك فسر
بقدمك وهو ينتظركم .

فأسرعنا المشى فاطلعت عليه فما زال يتبسم إلىّ حتى وقفت عليه ، فسأمت عليه بالنبوة فرد على السلام بوجه طلق ، فقلت : إني أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله . فقال : « تعال » ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الحمد لله الذي هدانا لهذا قد كفت أرى لك عقلاً رجوت ألا يسلمك إلا إلى خير » قلت : يا رسول الله إني قد رأيت ما كفت أشهد من تلك المواطن عليك معانداً للحق فادع الله أن يغفرها لى . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الإسلام يجب ما كان قبله » قلت : يا رسول الله على ذلك . قال : « اللهم اغفر لخالد بن الوليد كل ما أَوْضَعَ فيه من صدرٍ عن سبيل الله » .

قال خالد : وتقدّم عثمان وعمر و فبايعا رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : وكان قدومنا في صفر سنة ثمان ، قال : والله ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعُدُّ لى أحدًا من أصحابه فيما حَزَبَه .

سرية شجاع بن وهب الأسدي إلى نفر من هوازن

قال الواقدي : حدثني ابن أبي سبرة ، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة ، عن عمر بن الحكم ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم شجاع بن وهب في أربعة وعشرين رجلاً إلى جمع من هوازن ، وأمره أن يغير عليهم ، فخرج وكان يسير الليل ويكن النهار حتى جاءهم وهم غارثون ، وقد أوعز إلى أصحابه ألا تمتنعوا في الطلب ، فأصابوا نعماً كثيراً وشاء فاستاقوا ذلك حتى إذا قدموا المدينة فكانت سهامهم خمسة عشر بعيراً كل رجل وزعم غيره أنهم أصابوا سبئياً أيضاً ، وأن الأمير اصطفى عنهم جارية وضيفة ثم قدم أهلهم مسلمين ، فشاور النبي صلى الله عليه وسلم أميرهم في ردهم إليهم ، فقال : نعم فردوهم ، وخيّر الجارية التي عنده فاختارت المقام عنده .

وقد تكون هذه السرية هي المذكورة فيما رواه الشافعي عن مالك عن نافع عن

ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث سريةً قبل نجد فكان فيهم عبد الله بن عمر ، قال : فأصبنا إبلا كثيرا فبلغت سهامنا اثني عشر بعيراً وَنَفَّلْنَا رسول الله ^(١) صلى الله عليه وسلم بعيراً بعيراً .

أخرجاه في الصحيحين من حديث مالك ، ورواه مسلم أيضا من حديث الليث ومن حديث عبد الله كلهم عن نافع عن ابن عمر بنحوه .

وقال أبو داود : حدثنا هناد ، حدثنا عبدة ، عن محمد بن إسحاق ، عن نافع عن ابن عمر قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سريةً إلى نجد فخرجتُ فيها فأصبنا نَعَمًا كثيرا ، فنَفَّلْنَا أميرنا بعيراً بعيراً لكل إنسان ، ثم قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقسم بيننا غنيمتنا ، فأصاب كل رجل منا اثنا عشر بعيراً بعد الخمس ، وما حاسبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالذي أعطانا صا حُبنا ولا عاب عليه ما صنع ، فكان لكل منا ثلاثة عشر بعيراً بنَفَله .

سرية كعب بن عُمر إلى بني قضاة من أرض الشام

قال الواقدي : حدثنا محمد بن عبد الله ^(٢) [عن] الزهري ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كعب بن عمير الغفاري في خمسة عشر رجلا حتى انتهوا إلى ذات أطلاح من الشام ، فوجدوا جمعا من جمعهم كثيرا ، فدعَوْهم إلى الإسلام فلم يستجيبوا لهم ورشقوهم بالنبل ، فلما رأى ذلك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلوهم أشدَّ القتال حتى قُتِلوا ، فارتث ^(٣) منهم رجلٌ جريح في القتلى ، فلما أن بردَ عليه الليلُ تحامل حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهم بالبعثة إليهم فبلغه أنهم ساروا إلى موضع آخر .

(١) البخاري : وَنَفَّلْنَا بعيرا بعيرا . بالبناء للمجهول .

(٢) ارتث : جرح وبه رمق .

(٣) من أ .

غزوة مؤتة

وهي سرية زيد بن حارثة في نحو من ثلاثة آلاف إلى أرض البلقاء من أطراف^(١) الشام

قال محمد بن إسحاق بعد قصة عمرة القضيّة : فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة بقية ذى الحجة - وولى تلك الحجة المشركون - والحرم وصفرأ وشهرى ربيع وبعث في جمادى الأولى بعثه إلى الشام الذين أصيبوا بمؤتة .

فحدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه إلى مؤتة في جمادى الأولى من سنة ثمان ، واستعمل عليهم زيد بن حارثة ، وقال : « إن أصيب زيد فجعفر بن أبي طالب على الناس ، فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة على الناس » .

فتجهز الناس ثم تهبأوا للخروج وهم ثلاثة آلاف .

وقال الواقدي : حدثني ربيعة بن عثمان ، عن عمرو بن الحكم ، عن أبيه قال : جاء النعمان بن فنحص اليهودي فوقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الناس ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « زيد بن حارثة أمير الناس ، فإن قُتل زيد فجعفر بن أبي طالب ، فإن قُتل جعفر فعبد الله بن رواحة ، فإن قُتل عبد الله بن رواحة فليترضى المسلمون بينهم رجلاً فليجعلوه عليهم » .

فقال النعمان : أبا القاسم إن كنت نبياً فلو سميت من سميت قليلاً أو كثيراً أصيبوا جميعاً ؛ إن الأنبياء من بنى إسرائيل كانوا إذا سموا الرجل على القوم فقالوا : إن أصيب فلان

ففلان ، فلو سَمَّوْا مائةً أَصِيبُوا جميعاً . ثم جعل يقول لزيد : اعْهَدْ فَإِنَّكَ لَا تَرْجِعُ أَبَداً ،
إِنْ كَانَ مُحَمَّدٌ نَبِيًّا .

فقال زيد : أَشْهَدُ أَنَّهُ نَبِيٌّ صَادِقٌ بَارٌّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
رواه البيهقي .

قال ابن إسحاق : فلما حَضَرَ خُرُوجُهُمْ وَدَّعَ النَّاسُ أُمَرَاءَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وسلم وسلموا عليهم ، فلما وَدَّعَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ [مع ^(١)] مَنْ وَدَّعَ بَكِي ، فَقَالُوا :
مَا يَبْكِيكَ يَا بْنَ رَوَاحَةَ . فقال : أَمَّا وَاللَّهِ مَا بِي حُبُّ الدُّنْيَا وَلَا صَبَابَةٌ بِكُمْ ، وَلَكِنِّي
سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ يَذْكُرُ فِيهَا النَّارَ
« وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا » ^(٢) فَلَسْتُ أَدْرِي كَيْفَ لِي
بِالصَّدْرِ بَعْدَ الْوُرُودِ !

فقال المسلمون : صَحِّبَكُمْ اللَّهُ وَدَفَعَ عَنْكُمْ وَرَدَّكُمْ إِلَيْنَا صَالِحِينَ .

فقال عبد الله بن رَوَاحَةَ :

لَكِنِّي أَسْأَلُ الرَّحْمَنَ مَغْفِرَةً وَضَرْبَةَ ذَاتِ فَرْغٍ تَقْدِفُ الزُّبْدَا ^(٣)
أَوْ طَعْنَةً يَبِيدُنِي حَرَّانُ مُجْهِزَةٍ بِحَرْبَةٍ تُنْفِذُ الْأَحْشَاءَ وَالْكَبْدَا ^(٤)
حَتَّى يُقَالَ إِذَا مَرُّوا عَلَى جَدَّتِي أُرْشِدُهُ اللَّهُ مِنْ غَايٍ وَقَدْ رَشَدَا

قال ابن إسحاق : ثُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ تَهَيَّأُوا لِلْخُرُوجِ ، فَأَتَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ رَسُولَ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَدَّعَهُ ثُمَّ قَالَ :

فثَبَّتَ اللَّهُ مَا آتَاكَ مِنْ حَسَنِ تَثْبِيتَ مُوسَى وَنَصْرًا كَالَّذِي نَصَرُوا
إِنِّي تَفَرَّسْتُ فِيكَ الْخَيْرَ نَافِلَةً اللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي ثَابِتُ الْبَصْرِ

(٢) سورة مريم الآية ٧١ .

(٤) الحران : الشديد .

(١) ليست في أ .

(٣) الفرغ : السعة .

أنت الرسولُ فمن يُحَرِّمِ نوافلهَ والوجهَ منه فقد أَرَزَى به القَدَرُ
قال ابن إسحاق : ثم خرج القوم وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يشيعهم ،
حتى إذا ودعهم وانصرف ، قال عبد الله بن رواحة :
خلف السلام على امرئٍ ودَّعته في النخل خيرُ مُشيعٍ وخليلٍ

[وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثنا أبو خالد الأحمر ، عن
الحجاج ، عن الحكم ، عن مِقْسَم ، عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعث إلى مؤتة فاستعمل زيدا ، فإن قُتِلَ زيد فجعفر ، فإن قتل جعفر فابن رواحة ،
فتخلف ابن رواحة فجمع مع النبي صلى الله عليه وسلم ، فرآه فقال : « ما خلفك ؟ »
فقال : أجمع معك . قال : « لَعَذْوَةُ أَوْ رَوْحَةُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا ^(١) »] .

وقال أحمد : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الحجاج ، عن الحكم ، عن مِقْسَم ، عن
ابن عباس قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن رواحة في سرية فوافق
ذلك يوم الجمعة ^(٢) ، قال : فقدّم أصحابه وقال : أتخلف فأصلي مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم الجمعة ثم ألحقهم . قال : فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رآه فقال :
« ما منعك أن تصدو مع أصحابك ؟ » فقال : أردت أن أصلي معك الجمعة
ثم ألحقهم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو أنفقت ما في الأرض جميعاً
ما أدركت غَدوتهم » .

وهكذا رواه الترمذي ، عن أحمد بن منيع ، عن أبي معاوية ، ثم قال : لا نعرفه
إلا من هذا الوجه .

وقال شعبة : لم يسمع الحكم عن مِقسم إلا خمسة أحاديث - وعدّها شعبة - وليس هذا الحديث منها ^(١) .

[قلت : والحجاج بن أرطاة في روايته نظر والله أعلم ^(٢)] .
والمقصود من إيراد هذا الحديث أنه يقتضى أن خروج الأمراء إلى مؤتة كان في يوم
جمعة . والله أعلم .

قال ابن إسحاق : ثم مضوا حتى نزلوا معانَ من أرض الشام ، فبلغ الناس أن
هرقل قد نزل مآبَ من أرض البلقاء في مائة ألف من الروم ، وانضم إليه من لحم
وجذام والقيين وبهراء وبلى مائة ألف منهم عليهم رجل من بلى ، ثم أحد إراشة يقال له
مالك بن زافلة .

وفي رواية يونس عن ابن إسحاق : فبلغهم أن هرقل نزل بمآب في مائة ألف من
الروم ومائة ألف من المستعربة .

[وقيل : كان الروم مائتي ألف ومن أعدّاهم خمسون ألفا . وأقل ما قيل : إن الروم
كانوا مائة ألف ومن العرب خمسون ألفا . حكاه السهيلي ^(٣)]

فلما بلغ ذلك المسلمين أقاموا على معان ليلتين ينظرون في أمرهم ، وقالوا : نكتب
إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم نخبره بعدد عدونا ، فإما أن يُمددنا بالرجال ، وإما أن
يأمرنا بأمره فنمضي له . قال : فشجع الناس عبدُ الله بن رواحة وقال : يا قوم والله إن
التي تكرهون لَكُنِّي خرجتم تطلبون الشهادة ، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ،

(١) غير : « وهذا الحديث قد رواه الترمذي من حديث أبي معاوية عن الحجاج - وهو ابن أرطاة .
ثم علله الترمذي بما حكاه عن شعبة أنه قال : لم يسمع الحكم عن مِقسم إلا خمسة أحاديث وليس هذا منها » .
(٢) ليس في أ .
(٣) من أ .

مانقاتلهم إلا بهذا الدين الذى أكرمنا الله به ، فانطلقوا فإنما هى إحدى الحسنيين ،
إما ظهور وإما شهادة .

قال : فقال الناس : قد والله صدق ابن رواحة . فمضى الناس .

فقال عبد الله بن رواحة فى محبسهم ذلك :

جلبنا الخيل من أجأ وفرع ^(١)	تعر من الحشيش إلى العكوم ^(١)
حذوناها من الصوان سيناً ^(٢)	أزل كأن صفحته أديم ^(٢)
أقامت ليلتين على معان ^(٣)	فأعقب بعد فترتها جوم ^(٣)
فرحنا والجناد مسومات ^(٤)	تنفس فى مناخرها سموم ^(٤)
فلا وأبى مآب لتأينها ^(٥)	وإن كانت بها عرب وروم ^(٥)
فعبأنا أعنتها فجاءت ^(٥)	عوايس والغبار لها بریم ^(٥)
بذى لب كأن البيض فيه ^(٦)	إذا برزت قوائسها النجوم ^(٦)
فراضية المعيشة طلقها ^(٧)	أسفدنا فتنكح أوتنیم ^(٧)

قال ابن إسحاق : فحدثني عبد الله بن أبى بكر أنه حدث عن زيد بن أرقم قال :
كنت^(٨) يتما لعبد الله بن رواحة فى حجره ، فخرج بى فى سفره ذلك مردي فى

(١) أجأ : أحد جبل طيء والآخر سلمى . وفرع : أطول جبل بأجأ وأوسطه . وتعر : تطعم وتشبع .
والرواية عند السهيلي : تفر . بالقاف ، وقال : تفر أى يجمع بعضها إلى بعض . والعكوم : جمع عكم
وهو الجانب .

(٢) حذوناها : جعلنا لها نعلا من حديد . والصوان : حجارة ملس ، والسبت : النعال التى تصنع
من الجلود المدبوغة . والأزل : الأملس . والأديم : الجلد .

(٣) معان : موضع بالشام . والفترة : السكون والضعف . والجوم : اجتماع القوة .

(٤) سموم ، بضم السين ، جمع سم وها عرقان فى خيشوم الفرس . والسموم بفتح السين : ربيع حارة .
وفى ابن هشام : فى مناخرها السموم .

(٥) البریم : كل ما فيه لونان مختلطان ؛ والدمع المختلط بالإمعد .

(٦) اللجب : اختلاط الأصوات من كثرة الجيش . والقوايس : جمع قونس وهو أعلى بيضة الحديد .

(٧) راضية المعيشة : العيشة اللينة المطمئنة . تميم : تبقى دون زوج - يريد أنهم قد تجاوزوا عن الدعة والراحة .

(٨) ١ : كان .

على حقيقة رحله ، فوالله إنه ليسير ليلتئذٍ سمعته وهو ينشد أبياته هذه :

إذا أذيتني وحملت رجلي مسيرة أربع بعد الحساء^(١)
فشانك أنعم وخلاك دم ولا أرجع إلى أهلي ورأى^(٢)
وجاء المسلمون وغادروني بأرض الشام مشتبهى الثواء^(٣)
وردك كل ذي نسب قريب إلى الرحمن منقطع الإخاء
هناك لا أبالي طلع بلي ولا نخل أسافلها رواء^(٤)
قال : فلما سمعته منه بكيت ، فحفظني بالدرّة وقال : ما عليك بالكع أن يرزقني

الله الشهادة وترجع بين شعبي الرّحل ؟

ثم قال عبد الله بن رواحة في بعض سفره ذلك وهو يرتجز :

يازيد زيد اليعملات الذّبّل تطاول الليل هديت فانزل^(٥)

قال ابن إسحاق : ثم مضى الناس ، حتى إذا كانوا بتخوم البلقاء لقيتهم جوع
هرقل من الروم والعرب بقرية من قرى البلقاء يقال لها مشارف ، ثم دنا العدو وانحاز
المسلمون إلى قرية يقال لها مؤتة فالتقى الناس عندها ، فتعجب لهم المسلمون ، فجهلوا على
مؤمنتهم رجلا من بني عذرة يقال له قطبة بن قتادة ، وعلى ميسرتهم رجلا من الأنصار
يقال له عباية بن مالك .

- (١) الحساء : سهل من الأرض يستنقم فيه الماء ، أو غلظ فوقه رمل يجمع ماء المطر .
(٢) شأنك أنعم : يريد أنه يريحها ولا يكلفها عناء السفر بعد ذلك . ولا أرجع : مجزوم على الدعاء .
(٣) مشتبهى الثواء : لا يريد رجوعا . وقد روى : مستهوى الثواء . قال السهيلي : مستهوى الثواء :
مستفعل من النهاية والانتها ، أى حيث انتهى مشواه .
(٤) البعل : ما يشرب بعروقه من الأرض . وأسافلها رواء : كذا في ابن هشام ، وغيره . وفى :
أساقها ورأى .
(٥) العملات : النوق السريعة . والذّبّل : التى أوهنها السير .

وقال الواقدي : حدثني ربيعة بن عثمان ، عن المقبري ، عن أبي هريرة قال : شهدت مؤتة فلما دنا منا للمشركون رأينا مالا قبل لأحد به من العدة والسلاح والكرّاع والديباج والحريّر والذهب ، فبرق بصرى ، فقال لى ثابت بن أرقم : يا أبا هريرة كأنك ترى جوعاً كثيرة ؟ قلت : نعم . قال : إنك لم تشهد بدرأ معنا ، إنا لم نُفَصِّرْ بالكثرة .
رواه البيهقي .

قال ابن إسحاق : ثم التقى الناسُ فاقتتلوا ، فقاتل زيد بن حارثة براية رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى شاط في رماح القوم ، ثم أخذها جعفر فقاتل القومَ حتى قُتل ، وكان جعفر أولَ [رجل من]^(١) المسلمين عقر في الإسلام .

وقال ابن إسحاق : وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد ، حدثني أبي الذي أَرْضَعْنِي وكان أحد بني مُرّة بن عوف ، وكان في تلك الغزوة غزوة مؤتة قال : والله لَكُنْني أنظر إلى جعفر حين اقتحم عن فرس له شَقراء ثم عَقَرها ثم قاتل القومَ حتى قُتل وهو يقول :

يا حَبْذا الجَنَّةَ واقتَرابها طيِّبَةً وبارِئُ شَرابِها
والرومُ رُومٌ قد دنا عَذابُها [كافرٌ بعِدةٍ أنسابها]^(٢)
* على إن لا قِيَّتْها ضرابُها *

وهذا الحديث قد رواه أبو داود من حديث أبي إسحاق ولم يذكر الشعر .

وقد استدل به مَنْ جَوَّزَ قتل الحيوان خشية أن يَنْتَفِعَ به العدوُّ ، كما يقول أبو حنيفة في الأغنام إذا لم تَتَّبِعْ في السَّيْرِ ويُنْخَشَى من لحوق العدوِّ وانتفاعهم بها أنها تُذْبَح وتُحْرَقُ لِيُحَالَ^(٣) بينهم وبين ذلك . والله أعلم .

قال السهيلي : ولم يَنْكُرْ على جعفر أحدٌ فدلَّ على جوازِهِ إلا إذا أَمِنَ أَخَذَ العدوُّ لَهُ ،

ولا يدخل ذلك في النهي عن قتل الحيوان عبثاً . قال ابن هشام : وحدثني من أثق به من أهل العلم أن جعفر أخذ اللواء يمينه فقطعت ، فأخذه بشماله فقطعت ، فاحتضنه بمضديه حتى قُتل وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة ، فأثابه الله بذلك جناحين في الجنة يطير بهما حيث يشاء ، ويقال : إن رجلاً من الروم ضربه يومئذ ضربة فقطعه نصفين .

قال ابن إسحاق : وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد ، قال : حدثني أبي الذي أَرْضَعَنِي ، وكان أحد بني مرة بن عوف ، قال : فلما قُتل جعفر أخذ عبدُ الله بن رَوَاحَةَ الرَّايَةِ ثم تقدم بها وهو على فرسه ، فجعل يَسْتَنْزِلُ نفسه ويتردد ببعض التردد ويقول :

أَقْسَمْتُ يَا نَفْسُ لَتَنْزِلَنَّهُ لَتَنْزِلَنَّ أَوْ لَتُكْرِهَنَّ
إِنْ أَجْلَبَ النَّاسُ وَشَدُّوا الرِّهْ مَالِي أَرَاكَ تَكْرِهِينَ الْجَنَّةَ !
قَدْ طَالَ مَا قَد كُنْتَ مُطْمَئِنَّةً هَلْ أَنْتِ إِلَّا نُظْفَةٌ فِي شَنَّةٍ

وقال أيضاً :

يَا نَفْسُ إِنْ لَا تُفْعَلِي تَمُوتِي هَذَا حِمَامُ الْمَوْتِ قَدْ صَلَّيْتَ
وَمَا تَمْنَيْتِ فَقَدْ أُعْطِيتِ إِنْ تَفْعَلِي فَعِلْهُمَا هُدَيْتِ

يريد صاحبيه زيدا وجعفرأ ، ثم نزل . فلما نزل أتاه ابن عم له يعرق من لحم ، فقال : شَدَّ بِهَذَا صُلْبِكَ فَإِنَّكَ قَدْ لَقِيتَ فِي أَيَّامِكَ هَذِهِ مَا لَقِيتَ . فأخذه من يده فأنهش منه نَهْشَةً . ثم سمع الحطمة^(١) في ناحية الناس فقال : وَأَنْتِ فِي الدُّنْيَا ! ثُمَّ أَلْقَاهُ مِنْ يَدِهِ ثُمَّ أَخَذَ سَيْفَهُ ثُمَّ تَقَدَّمَ ، فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

قال : ثم أخذ الراية ثابتُ بن أقرم أخو بني العجلان . فقال : يا معشر المسلمين

(١) الحطمة : الزلزال والمضاربة .

اصطلحوا على رجل منكم ، قالوا : أنت . قال : ما أنا بفاعل ، فاصطلح الناس على خالد بن الوليد ، فلما أخذ الراية دافع القوم وخاشي^(١) بهم ، ثم انحاز وانحيز عنه حتى انصرف بالناس .

قال ابن إسحاق : ولما أصيب القوم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما بلغني - : « أخذ الراية زيد بن حارثة فقاتل بها حتى قتل شهيداً ، ثم أخذها جعفر فقاتل بها حتى قتل شهيداً » قال : ثم صمت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تغيرت وجوه الأنصار وظنوا أنه قد كان في عبد الله بن رواحة بعض ما يكرهون . ثم قال : أخذها عبد الله بن رواحة فقاتل بها حتى قتل شهيداً .

ثم قال : لقد رفعوا إلى الجنة فيما يرى النائم على سرر من ذهب ، فرأيت في سرير عبد الله بن رواحة ازوراراً عن سريري صاحبيه ، فقلت : عمّ هذا ؟ فقيل لي : مضياً وتردد عبد الله بن رواحة بعض التردد ثم مضى .
هكذا ذكر ابن إسحاق هذا منقطعاً .

وقد قال البخاري : حدثنا أحمد بن واقد ، حدثنا حماد بن زيد ، عن أبيوب ، عن حميد بن هلال ، عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نعى زيدا وجعفرأ وابن رواحة للناس قبل أن يأتيهم خبر ، فقال : أخذ الراية زيد فأصيب ، ثم أخذها جعفر فأصيب ، ثم أخذها ابن رواحة فأصيب ، وعيناه تذرفان . حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم .

تفرد به البخاري . ورواه في موضع آخر وقال فيه وهو على المنبر : « وما يسرهم أنهم عندنا » .

(١) خاشي : حجز بينهم وبين الروم .

وقال البخارى : حدثنا أحمد بن أبى بكر ، حدثنا مغيرة بن عبد الرحمن الخزومى ^(١) ،
وليس بالخرزامى ، عن عبد الله بن سعيد ، عن نافع ، عن عبد الله بن عمر ، قال : أمر
رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة مؤتة زيد بن حارثة ، فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : إن قتل زيد فجعفر ، وإن قتل جعفر فعبد الله بن رواحة . قال عبد الله :
كنت فيهم فى تلك الغزوة فالتسنا جعفر بن أبى طالب فوجدناه فى القتلى ووجدنا فى
جسده بضعا وتسعين من ضربة ورمية .

تفرد به البخارى أيضاً .

وقال البخارى أيضاً : حدثنا أحمد ، حدثنا ابن وهب ، عن عمرو [عن] ابن أبى
هلال [هو سعيد بن أبى هلال الليثى ^(٢)] قال : وأخبرنى نافع أن ابن عمر أخبره أنه وقف
على جعفر بن أبى طالب يومئذ وهو قتيل فعددت به خمسين بين طعنة وضربة ليس منها
شئ فى دُبره .

وهذا أيضاً من أفراد البخارى .

ووجه الجمع بين هذه الرواية والى قبلها أن ابن عمر اطَّلَعَ على هذا العدد ، وغيره
اطَّلَعَ على أكثر من ذلك ، أو أن هذه فى قُبَلِهِ أُصِيبَهَا قَبْلَ أَنْ يَقْتَلَ ، فلما صُرِعَ إلى
الأرض ضربوه أيضاً ضرباتٍ فى ظهره ، فعدَّ ابنُ عمر ما كان فى قُبَلِهِ وهو فى وجوه
الأعداء قبل أن يقتل رضى الله عنه .

ومما يشهد لما ذكره ابن هشام من قطع يمينه وهى مُمَسَّكَةٌ اللواء ثم شماله ، مارواه
البخارى : حدثنا محمد بن أبى بكر ، حدثنا عمر بن على ، عن إسماعيل بن أبى خالد ،
عن عامر ، قال : كان ابن عمر إذا حيَّ ابن جعفر قال : السلام عليك يا ابن
ذى الجناحين .

(١) وليس للخزومى فى البخارى سوى هذا الحديث ، وهو بطريق المتابعة عنده . وكان فقيه أهل

(٢) ليست فى ١ .

المدينة بعد مالك . إرشاد السارى ٣٨٣/٦ .

ورواه أيضا في المناقب ، والنسائي من حديث يزيد بن هرون ، عن إسماعيل بن أبي خالد .

وقال البخاري : حدثنا أبو نعيم ، حدثنا سفيان ، عن إسماعيل ، عن قيس بن أبي حازم ، قال : سمعت خالد بن الوليد يقول : لقد دُقَّ في يدي يومَ مؤتة تسعةُ أسياف ، فابقى في يدي إلا صفيحةٌ يمانية .

ثم رواه عن محمد بن المثنى ، عن يحيى عن إسماعيل ، حدثني قيس ، سمعت خالد ابن الوليد يقول : لقد دُقَّ في يدي يومَ مؤتة تسعةُ أسياف وصبرت في يدي صفيحةٌ يمانية .

انفرد به البخاري .

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي : حدثنا أبو نصر بن قتادة ، حدثنا أبو عمرو مطر ، حدثنا أبو خليفة الفضل بن الحباب الجعي ، حدثنا^(١) سليمان بن حرب ، حدثنا الأسود ابن شيبان ، عن خالد بن سمير ، قال : قدم علينا عبد الله بن رباح الأنصاري ، وكانت الأنصار تفقهه ، فغشيه الناس فغشيته فيمن غشيه ، فقال : حدثنا أبو قتادة فارسُ رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم جيشَ الأمراء وقال : عليكم زيدُ بن جارثة . فإن^(٢) أصيب زيد فجعفر ، فإن أصيب جعفر فعبد الله ابن رواحة ، قال : فوثب جعفر وقال : يا رسول الله ما كنت أرغب أن تستعمل زيدا^(٣) علي . قال : امض فإنك لا تدري أى ذلك خير .

فانطلقوا فلبثوا ما شاء الله ، فصعد رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المنبر فأمر فنودي :

(١) : أنا .

(٢) غير أ : وقال إن .

(٣) : أن يستعمل زيد .

الصلوة جامعة . فاجتمع الناسُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « أخبركم عن جيشكم هذا ، إنهم انطلقوا فلقوا العدو فقتل زيد شهيداً . فاستغفر له ، ثم أخذ اللواء جعفر فشدَّ على القوم حتى قُتل شهيداً ، شهد له بالشهادة واستغفر له ، ثم أخذ اللواء عبد الله بن رواحة فأثبت قدميه حتى قُتل شهيداً فاستغفر له ، ثم أخذ اللواء خالد بن الوليد ولم يكن من الأمراء هو أمر نفسه ^(١) . ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم إنه سيفٌ من سيوفك أنت ^(٢) تنصره » فن يومئذ سُمي خالد سيفَ الله .

ورواه النسائي من حديث عبد الله بن المبارك ، عن الأسود بن شيبان به نحوه ، وفيه زيادة حسنة وهو أنه عليه السلام لما اجتمع إليه الناس قال : بابُ خيرٍ باب خير . وذكر الحديث .

وقال الواقدي : حدثني عبد الجبار بن عمار بن غزيرة ، عن عبد الله بن أبي بكر ، عن عمرو بن حزم ، قال : لما التقى الناسُ بمؤتة جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر وكشف الله له ما بينه وبين الشام فهو ينظر إلى مُعَتَرِّكهم ، فقال : أخذ الراية زيدُ ابن حارثة فجاءه الشيطان فحبَّب إليه الحياة وكرَّه إليه الموت ، وحبَّب إليه الدنيا ، فقال : الآن حين استحکم الإيمانُ في قلوب المؤمنين تحبَّب إلى الدنيا ! فمضى قُدماً حتى استشهد فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : استغفروا له ، فقد دخل الجنة وهو شهيد .

قال الواقدي : وحدثني محمد بن صالح ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لما قُتل زيدُ أخذ الراية جعفرُ بن أبي طالب ، فجاءه الشيطان فحبَّب إليه الحياة وكرَّه إليه الموتَ ومَنَّاه الدنيا ، فقال : الآن حين استحکم الإيمانُ في قلوب المؤمنين يَمْنِئُنِي الدنيا ! ثم مضى قُدماً حتى استشهد ، فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وسلم . وقال : استغفروا الأخيكم فإنه شهيدٌ دخل الجنة ، وهو يطير في الجنة بجناحين من ياقوت حيث شاء من الجنة .

قال : ثم أخذ الراية عبد الله بن رواحة فاستشهد ، ثم دخل الجنة مُقْتَرَضًا فَشَقَّ ذلك على الأنصار ، فقيل : يا رسول الله ما اعتراضه ؟ قال : لما أصابته الجراحُ نكل ، فعاتب نفسه فتشجّع واستشهد ودخل الجنة .
فسرّى عن قومه .

قال الواقدي : وحدثني عبد الله بن الحارث بن الفضيل ، عن أبيه قال : لما أخذ خالد بن الوليد الراية قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : الآن سَمِيَ الوطيسُ .

قال الواقدي : فحدثني العطف بن خالد ، قال : لما قتل ابن رواحة مساءً بات خالد ابن الوليد فلما أصبح غداً وقد جعل مُقَدِّمَتَهُ ساقاً وساقته مقدمةً وميمينته ميسرةً وميسرته ميمينَةً . قال : فأنكروا ما كانوا يعرفون من راياتهم وهيئتهم وقالوا : قد جاءهم مددٌ ، فرعبوا وانكشفوا منهزمين ، قال : فقتلوا مقتلةً لم يقتلها قومٌ .

وهذا يوافق ما ذكره موسى بن عقبة رحمه الله في مغازيه ، فإنه قال ، بعد عمرة الحديبية : ثم صدر^(١) رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة فكث بها ستة أشهر ، ثم إنه بعث جيشاً إلى مؤتة وأمر عليهم زيد بن حارثة وقال : إن أصيب فجعفر بن أبي طالب أميرهم ، فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة أميرهم ، فانطلقوا حتى إذا لقوا ابن أبي سبرة الغساني بمؤتة وبها جموع^(٢) من نصارى العرب والروم ، بها تنوخ وبهراء ، فأغلق ابنُ أبي سبرة دون المسلمين الحصن ثلاثة أيام ، ثم التقوا^(٣) على

(٢) ١ : جمع .

(١) ١ : ثم صد .

(٣) ١ : ثم خرجوا فالتقوا .

زرع^(١) أحرر فاقْتتلوا قتالا شديدا ، فأخذ اللواء زيد بن حارثة فقتل ، ثم أخذه جعفر فقتل ، ثم أخذه عبد الله بن رواحة فقتل ، ثم اصطَلح المسلمون بعدَ أمراء رسول الله صلى الله عليه وسلم على خالد بن الوليد الخزومي فهزم الله العدوَّ وأظهر المسلمين . قال : وبعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في جمادى الأولى - يعني من سنة ثمان - .

قال موسى بن عقبة : وزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : مرَّ على جعفر في الملائكة يطير كما يطرون وله جناحان .

قال : وزعموا - والله أعلم - أن يعلى بن أمية قدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بخبر أهل مؤتة ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن شئت فأخبرني وإن شئت أخبرك . قال : أخبرني يا رسول الله . قال : فأخبرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خبرهم كله ووصفه لهم ، فقال : والذي بعثك بالحق ما تركت من حديثهم حرفاً لم تذكره ، وإن أمرهم لكما ذكرت . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله رفع لي الأرض حتى رأيت مُعْتَرِكهم » .

فهذا السياق فيه فوائد كثيرة ليست عند ابن إسحاق ، وفيه مخالفة لما ذكره ابن إسحاق من أن خالدا إنما حاشى بالقوم حتى تخلصوا من الروم وعرب النصارى فقط . وموسى بن عقبة والواقدي مصرَّحان بأنهم هزموا جموع^(٢) الروم والعرب الذين معهم ، وهو ظاهر الحديث المتقدم عن أنس مرفوعا : « ثم أخذ الراية سيفٌ من سيوف الله ففتح الله على يديه » .

رواه البخاري ، وهذا هو الذي رجحه ومال إليه الحافظ البيهقي بعد حكاية القولين ، لما ذكرناه من الحديث .

[قلت : ويمكن الجمع بين قول ابن إسحاق وبين قول الباقرين ، وهو أن خالدًا لما أخذ الراية حاشى بالقوم المسلمين حتى خلّصهم من أيدي الكافرين من الروم والمستعربة . فلما أصبح وحول الجيش ميمنةً وميسرةً ومقدمةً وساقةً ، كما ذكره الواقدي توهّم الروم أن ذلك عن مدد جاء إلى المسلمين ، فلما حمل عليهم خالد هزمهم بإذن الله والله أعلم^(١) .

وقد قال^(٢) ابن إسحاق : حدثني محمد بن جعفر ، عن عروة قال : لما أقبل أصحاب مؤتة تلقّاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه [قال : ولقيهم الصبيان يشتدّون ورسول الله صلى الله عليه وسلم مُقبل مع القوم على دابة ، فقال : خذوا الصبيان فاحملوهم وأعطوني ابن جعفر . فأتني بعبد الله فأخذه فحمله بين يديه^(٣)] فجعلوا يَحْثُون عليهم التراب ويقولون : يافُرّار فرّرتم في سبيل الله . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليسوا بالفُرّار ولكنهم الكُرّار إن شاء الله عز وجل » .

وهذا مرسل من هذا الوجه وفيه غرابة .

[وعندى أن ابن إسحاق قد وهم في هذا السياق فظن أن هذا الجمهور الجيش ، وإنما كان الذين فروا حين التقى الجمعان ، وأما بقيتهم فلم يفروا بل نُصروا ، كما أخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين وهو على المنبر في قوله : ثم أخذ الراية سيفٌ من سيوف الله ففتح الله على يديه ، فما كان المسلمون ليسمونهم فراراً بعد ذلك ، وإنما تلقّوهم إكراماً وإعظاماً ، وإنما كان التأنيب وحسب التراب الذين فروا وتركوهم هنالك ، وقد كان فيهم عبد الله بن عمر رضى الله عنهما^(٤)] .

[وقد^(٥) قال الإمام أحمد : حدثنا حسن ، حدثنا زهير ، حدثنا يزيد بن أبي زياد ،

(١) سقطت من ١ . (٢) ١ : لكن قال . (٣) من ابن هشام .
(٤) سقطت من ١ . (٥) من ١ .

عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن عبد الله بن عمر ، قال : كنت في سرية من سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم فخاص الناسُ حيصَةً وكنت فيمن حاص ، فقلنا : كيف نصنع وقد قررنا من الزحف وبؤنا بالغضب ؟ ثم قلنا : لودخلنا المدينة قُتلنا ، ثم قلنا : لو عرضنا أنفسنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن كانت لنا توبةٌ وإلا ذهبنا . فأتيناه قبل صلاة الغداة ، فخرج فقال : مَنْ القومُ ؟ قال : قلنا : نحن الفرّارون^(١) . فقال : « لا بل أنتم العكّارون^(٢) » أنا ففتكم وأنا فئة المسلمين . قال : فأتيناه حتى قبلنا يده .

ثم رواه عن غُندَر عن شعبة ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن ابن أبي ليلى عن ابن عمر ، قال : كنا في سرية فقررنا فأردنا أن نركب البحر . فأتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا : يا رسول الله نحن الفرّارون . فقال : لا بل أنتم العكّارون .

ورواه [أبوداود^(٣)] و [الترمذى وابن ماجه من حديث يزيد بن أبي زياد ، وقال الترمذى : حسن لا نعرفه إلا من حديثه .

وقال أحمد^(٤) : حدثنا إسحاق بن عيسى وأسود بن عامر ، قالا : حدثنا شريك ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن ابن عمر قال : بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية ، فلما لقينا العدوَّ انهزمنا في أول غادية ، فقدمنا المدينة في نفرٍ ليلًا ، فاخفينا ثم قلنا : لوخرجنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم واعتذرنا إليه . فخرجنا إليه فلما لقيناه^(٥) قلنا : نحن الفرّارون يا رسول الله . قال : « بل أنتم العكّارون وأنا ففتكم » قال الأسود : « وأنا فئة كلِّ مسلم^(٦) » .

قال ابن إسحاق : حدثني عبد الله بن أبي بكر بن عمرو بن حزم ، عن عامر بن

(١) غيرا : فرارون . (٢) غيرا : الكرارون . (٣) من .

(٤) ثم قال أحمد .

(٥) المطبوعة : ثم التقيناه . وهو تحريف . (٦) ا : لكل مسلم .

عبد الله بن الزبير ، أن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت لاسرأة سلمة بن هشام بن المغيرة : مالى لأرى سلمة يحضر الصلاة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع المسلمين ؟

قالت : ما يستطيع أن يخرج ، كلما خرج صاح به الناس : يافراً فرتم في سبيل الله ، حتى قعد في بيته ما يخرج وكان في غزاة مؤتة .

قلت : لعل طائفة منهم فروا لما عاينوا كثرة جموع [الروم ، وكانوا على أكثر من أضعاف الأضعاف فإنهم كانوا ثلاثة آلاف وكان ^(١) العدو على ما ذكره مائتي ألف ، ومثل هذا يسوغ الفرار على ما قد تقرر ، فلما فر هؤلاء ثبت باقيهم وفتح الله عليهم وتخلصوا من أبدى أولئك وقتلوا منهم مقتلة عظيمة ، كما ذكره الواقدي وموسى بن عقبة من قبله .

و [مما ^(٢)] يؤيد ذلك أيضاً ويزيده قوة ويشهد له ^(٣) بالصحة ما رواه الإمام أحمد : حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثني صفوان بن عمرو ، عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير ، عن أبيه ، عن عوف بن مالك الأشجعي قال : خرجت مع من خرج مع زيد بن حارثة من المسلمين في غزوة مؤتة ، ووافقني مددي ^(٤) من اليمن ليس معه غير سيفه ، فنحز رجل من المسلمين جزوراً فسأله المددي طابقة من جلده فأعطاه إياه فاتخذها كهيئة الدرة ، ومضينا فلقينا جموع الروم وفيهم رجل على فرس له أشقر عليه سرج مذهب وسلاح مذهب ، فجعل الرومي يُغري بالمسلمين ، وقعد له المددي خلف صخرة ، فر به الرومي فعرب فرسه ^(٥) فخره وعلاه فقتله ، وحاز فرسه وسلاحه ، فلما فتح الله للمسلمين بعث

(١) سقطت من المطبوعة .

(٢) من ١

(٣) غير ١ : ويؤيد ذلك ويشاكله بالصحة .

(٤) الأصل : مدوي وهو تحريف . والمددي : يعني رجلاً من المدد الذين جاءوا يمدون المسلمين .

(٥) غير ١ : فرقبه .

إليه خالد بن الوليد فأخذ من السِّلَب ، قال عوف : فأتيته فقلت : يا خالد أما علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى بالسِّلَب للقاتل ؟ قال : بلى ولكنني استكثرته . فقلت : لتردنه إليه أو لأعرفنكمها عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبى أن يردَّ عليه .

قال عوف : فاجتمعنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقصصت عليه قصة المددِ وما فعل خالد ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا خالد رُدَّ عليه ما أخذت منه » قال عوف : فقلت : دونك يا خالد ألم أف لك ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وما ذاك ؟ فأخبرته ، فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : « يا خالد لا تردَّ عليه ، هل أنتم تاركوا أمرائي ؟ لكم صفوة أمرهم وعليهم كدره » .

قال الوليد : سألت ثورًا عن هذا الحديث ، فحدثني عن خالد بن معدان ، عن جبير ابن نفير ، عن عوف بنحوه .

ورواه مسلم وأبو داود من حديث جبير بن نفير عن عوف بن مالك به نحوه . وهذا يقتضى أنهم غنموا منهم وسلبوا من أشرافهم وقتلوا من أمرائهم .

وقد تقدم فيما رواه البخاري أن خالدًا رضى الله عنه قال : اندقت في يدي يوم مؤنة تسعة أسياف ، وما ثبت في يدي إلا صفيحة يمانية .

وهذا يقتضى أنهم أئمنوا فيهم قتلاً ، ولو لم يكن كذلك لما قدروا على التخلص منهم . وهذا وحده دليل مستقل والله أعلم . وهذا هو اختيار موسى بن عقبة والواقدي والبيهقي ، وحكاه ابن هشام عن الزهري .

قال البيهقي رحمه الله : اختلف أهل المغازي في فرارهم وانحيازهم ، فمنهم من ذهب إلى ذلك ومنهم من زعم أن المسلمين ظهروا على المشركين وأن المشركين انهزموا . قال : وحديث أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم : « ثم أخذها خالد ففتح الله عليه » يدل على ظهورهم عليهم . والله أعلم .

قلت : وقد ذكر ابن إسحاق أن قطبة بن قتادة العُذْرِيّ - وكان رأس مَيْعَمَةَ المسلمين -
حمل على مالك بن زافلة قال ابن هشام^(١) : ويقال رافلة . وهو أمير أعراب النصارى فقتله ،
وقال يفتخر بذلك :

طعنتُ ابنَ زافلةَ بن الأراش برمحٍ مضى فيه ثم انحطمتُ
ضربتُ على جِـيـده ضربةً قالَ كما مالَ عُصْنُ السَّلمِ
وسُقْنَا نساءَ بني عمِّه غداةَ رَقوقين سَوَقَ النِّعمِ^(٢)

وهذا يؤيد ما نحن فيه ، لأن من عادة أمير الجيش إذا قُتِل أن يفر أصحابه ، ثم إنه
صرَّح في شعره بأنهم سَبَّوا من نسائهم ، وهذا واضح فيما ذكرناه . والله أعلم .

وأما ابن إسحاق فإنه ذهب إلى أنه لم يكن إلا الخاشاة والتخلص من أيدي الروم ،
وسمى هذا نصراً وفتحاً ، أى باعتبار ما كانوا فيه من إحاطة العدو بهم وتراكمهم
وتكاثرهم وتكاثفهم عليهم ، وكان مقتضى العادة^(٣) أن يُصْطَلِّمُوا^(٤) بالكلية ، فلما
تخلصوا منهم وانحازوا عنهم كان هذا غاية المرام في هذا المقام .

وهذا محتمل ، لكنه خلاف الظاهر من قوله عليه الصلاة والسلام : « ففتح
الله عليهم » .

والمقصود أن ابن إسحاق يستدل على ما ذهب إليه فقال : وقد قال فيما كان أمر
الناس وأمر خالد بن الوليد ومخاشاته بالناس وانصرافه بهم قيسُ بن الحسر اليعمرى يعتذر
مما صنع يومئذ وصنع الناس يقول :

فوالله لا تنفكُ نفسى تلومنى على مَوْقِفِي والخيْلُ قابعةٌ قُبُلُ^(٥)

(١) من .

(٢) رقوقين : موضع .

(٣) غير أ : فكان مقتضى العادات . (٤) المطبوعة : يصطلحوا . وهو تحريف .

(٥) قابعة : منقبضة . وقبل جمع أقبل وقبلاء وهو الذى يميل عينه فى النظر إلى جهة العين الأخرى .

وقفتُ بها لا مُستَجِيزاً فنافذاً ولا مانعاً من كان حُماً له القتل^(١)
 على أننى آسيتُ نفسى بخالدٍ ألا خالدٌ فى القوم ليس له مثلُ
 وجاشتُ إلى النفس من نحو جعفرٍ بمؤتةٍ إذ لا يَفْعُ النابِلُ النَّبْلُ
 وضمَّ إلينا حَجَزَ تَيْهَمٍ كُلَيْهِمَا مُهاجرةٌ لا مشركون ولا عُزْلُ

قال ابن إسحاق : فبين قيس ما اختلف فيه الناس من ذلك فى شعره ، أن القوم
 حاجزوا وكرهوا الموت ، وحقَّق انحيازَ خالد بمن معه .

قال ابن هشام : وأما الزُّهْرَى فقال - فيما بلغنا عنه - : أمر المسلمون عليهم خالد
 ابن الوليد ففتح الله عليهم ، وكان عليهم حتى رجع إلى المدينة^(٢) .

فصل

قال ابن إسحاق : حدثنى عبد الله بن أبى بكر ، عن أم عيسى الخزاعية ؛ عن
 أم جعفر بنت محمد بن جعفر بن أبى طالب ، عن جدتها أسماء بنت عُمَيْس قالت : لما
 أصيبَ جعفر وأصحابه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد دبغتُ أربعين مناً^(٣)
 وعجنت عجيني وغسلت بَنِيَّ ودهنتهم ونظفّتهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
 « ائتني ببني جعفر » فأتيته بهم فشمّهم وذرفت عيناه فقلت : يا رسول الله بأبى أنت
 وأُمى ! ما يبكيك ؟ أبلغك عن جعفر وأصحابه شيء ؟ قال : « نعم أصيبوا هذا اليوم »
 قالت : فقامت أضيح ، واجتمع إلى النساء ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى
 أهله فقال : « لا تَغْفُلُوا عن آل جعفر أن تصنعوا لهم طعاماً فإنهم قد شُغِلُوا
 بأمر صاحبهم » .

(١) مستجيزاً : متجيزاً إلى طائفة . (٢) ابن هشام : حتى قفل إلى النبي .

(٣) المنا : الرطل الذى يوزن به ، تعني أربعين رطلاً من دباغ .

وهكذا رواه الإمام أحمد من حديث ابن إسحاق ، ورواه ابن إسحاق من طريق عبد الله بن أبي بكر ، عن أم عيسى ، عن أم عون بنت محمد بن جعفر ، عن أسماء ، فذكر الأمر بعمل الطعام ، والصواب أنها أم جعفر وأم عون .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سفيان ، حدثنا جعفر بن خالد ، عن أبيه ، عن عبد الله بن جعفر ، قال : لما جاء نعي جعفر حين قُتل قال النبي صلى الله عليه وسلم : « اصنعوا لآل جعفر طعاماً فقد أتاهم أمرٌ يشغلهم ، أو أتاهم ما يشغلهم » .

وهكذا رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث سفيان بن عيينة ، عن جعفر ابن خالد بن سارة الخزومي المكي ، عن أبيه ، عن عبد الله بن جعفر . وقال الترمذي : حسن .

ثم قال محمد بن إسحاق : حدثني عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه ، عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت : لما أتى نعي جعفر عرفنا في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم الحزن .

قالت : فدخل عليه رجل فقال : يا رسول الله [إن النساء] عنيّننا وفتنّا ، قال : « ارجع إليهن فأسكنهن » .

قالت : فذهب ثم رجع فقال له مثل ذلك ، قالت : وربما ضرّ التكلف - يعني أهله - قالت : قال : « فاذهب فأسكنهن فإن أئبن فاحش في أفواههن التراب » قالت : [وقلت] في نفسي : أبعدك الله ! فوالله ما تركت نفسك وما أنت بمطيع رسول الله صلى الله عليه وسلم . قالت : وعرفت أنه لا يقدر يحش في أفواههن التراب . انفراد به ابن إسحاق من هذا الوجه ؛ وليس في شيء من الكتب .

وقال البخاري : حدثنا قتيبة ، حدثنا عبد الوهاب ، سمعت يحيى بن سعيد قال : أخبرني عمرة قالت : سمعت عائشة تقول : لما قُتل زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبد الله

ابن رَوَاحَة جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم يُعرف في وجهه الحزن ، قالت عائشة : وأنا أَطَّلَع من صائر الباب - شق^(١) - فأناه رجل فقال : أئى رسول الله ، إن نساء جعفر ، وذكر بكاءهن ، فأمره أن ينهأهن قالت : فذهب الرجل ثم أتى فقال : والله لقد غلبننا ، فرغمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « فاحثُ في أفواههن من التراب » .

قالت عائشة رضى الله عنها : فقلت : أرغم الله أنفك ! فوالله ما أنت تفعل ذلك وما تركت رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغناء .
وهكذا رواه مسلم وأبو داود والنسائي من طرق ، عن يحيى بن سعيد الأنصارى عن عمرة عنها .

وقال الإمام أحمد : حدثنا وهب بن جرير ، حدثنا أبي ، سمعت محمد بن أبي يعقوب يحدث عن الحسن بن سعد ، عن عبد الله بن جعفر قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشاً استعمل عليهم زيد بن حارثة ، وقال : « إن قُتل زيد أو استشهد فأمركم جعفر ، فإن قتل أو استشهد فأمركم عبد الله بن رَوَاحَة » فلقوا العدو فآخذ الراية زيد فقاتل حتى قتل ، ثم أخذ الراية جعفر فقاتل حتى قتل ، ثم أخذها عبد الله بن رَوَاحَة فقاتل حتى قتل ، ثم أخذ الراية خالد بن الوليد ففتح الله عليه . وأتى خبرهم النبي صلى الله عليه وسلم فخرج إلى الناس فحمد الله وأثنى عليه وقال : « إن إخوانكم لقوا العدو ، وإن زيدا أخذ الراية فقاتل حتى قتل أو استشهد ، ثم أخذ الراية بعده جعفر بن أبي طالب فقاتل حتى قتل أو استشهد ، ثم أخذ الراية عبد الله بن رَوَاحَة فقاتل حتى قتل أو استشهد ، ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله خالد بن الوليد ففتح الله عليه » قال : ثم أمهل آل جعفر ثلاثاً أن يأتيهم ، ثم أتاهم فقال : « لا تبكوا على أخى بعد اليوم ، ادعوا إلى بنى أخى » قال : فجئ بنا كأننا أفرخ ، فقال « ادعوا

لى الخلاق « فحىء بالخلق لخلق رؤوسنا ، ثم قال : « أما محمد فشبيهه عمنا أبى طالب ، وأما عبد الله فشبيهه خلقى وخلقى » ثم أخذ بيدى فأشالها^(١) وقال : « اللهم اخلف جعفرًا فى أهله ، وبارك لعبد الله فى صفقة يمينه » قالها ثلاث مرات . قال : فجاءت أمنا فذكرت له يتمنا وجعلت تفرح^(٢) له فقال : « العيلة تخافين عليهم وأنا وليهم فى الدنيا والآخرة ؟ » . ورواه أبو داود ببعضه ، والنسائى فى السير بتمامه من حديث وهب بن جرير به .

وهذا يقتضى أنه عليه الصلاة والسلام أرخص لهم فى البكاء ثلاثة أيام ثم نهام عنه بعدها . ولعله معنى الحديث الذى رواه الإمام أحمد من حديث الحكم بن عبد الله ابن شداد ، عن أسماء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها لما أصيب جعفر : « تسلى ثلاثاً ثم اصنعى ما شئت » .
تفرد به أحمد .

فيحتمل أنه أذن لها فى التسلب ، وهو المبالغة فى البكاء وشق الثياب ، ويكون هذا من باب التخصيص لها بهذا لشدة حزنها على جعفر أبى أولادها ، وقد يحتمل أن يكون أمراً لها بالتسلب وهو المبالغة فى الإحداد ثلاثة أيام ، ثم تصنع بعد ذلك ما شاءت مما يفعله المعتدات على أزواجهن من الإحداد المعتاد . والله أعلم . ويروى : تسلى ثلاثاً - أى أصبرى - وهذا بخلاف الرواية الأخرى والله أعلم .

فأما الحديث الذى قال الإمام أحمد : حدثنا يزيد ، حدثنا محمد بن طلحة ، حدثنا الحكم بن عيينة ، عن عبد الله بن شداد عن أسماء بنت عميس ، قالت : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم اليوم الثالث من قتل جعفر فقال : لا تحمدى بعد يومك هذا . فإنه من أفراد أحمد أيضاً وإسناده لا بأس به ، ولكنه مشكل إن يحمل على ظاهره ، لأنه قد ثبت فى الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يحل لامرأة تؤمن بالله

(٢) تفرح له : تحزنه .

(١) شالها : أرفعها .

واليوم الآخر أن تُحدَّ على ميتها أكثر من ثلاثة أيام ، إلا على زوج أربعة أشهر وعشرًا .

فإن كان مارواه الإمام أحد محفوظا فتكون مخصوصة بذلك ، أو هو أمر بالمبالغة في الإحدا هذه الثلاثة أيام كما تقدم . والله أعلم .

قلت : ورثت أسماء بنت عميس زوجها بقصيدة تقول فيها :

فَأَلَيْتُ لَا تَنْفَكُ نَفْسِي حَزِينَةً عَلَيْكَ وَلَا يَنْفَكُ جِلْدِي أَغْبَرًا
فَلله عَيْنًا مِنْ رَأَى مِثْلَهُ فَتَى أَكْرَ وَأَحَى فِي الْهِيَاجِ وَأَضْبَرًا

ثم لم تنشب أن انقضت عدتها ، فخطبها أبو بكر الصديق رضى الله عنه فتزوجها فأولم وجاء الناس للوليمة ، فكان فيهم على بن أبي طالب ، فلما ذهب الناس استأذن على أبا بكر رضى الله عنهما في أن يكلم أسماء من وراء الستر فأذن له ، فلما اقترب من الستر نفحه ريح طيبها فقال لها على : — على وجه البسط — مَنْ الْقَائِلَةُ فِي شَعْرَهَا :

فَأَلَيْتُ لَا تَنْفَكُ نَفْسِي حَزِينَةً عَلَيْكَ وَلَا يَنْفَكُ جِلْدِي أَغْبَرًا ؟

قالت : دعنا منك يا أبا الحسن فإنك امرؤ فيك دعاة !

فولدت للصديق محمد بن أبي بكر ، ولدته بالشجرة بين مكة والمدينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم ذاهب إلى حجة الوداع ، فأمرها أن تغتسل وتُهلّ وسيأتى في موضعه ، ثم لما توفي الصديق تزوجها بعده على بن أبي طالب ، وولدت له أولاداً رضى الله عنه وعنهم وأجمعين .

فصل

قال ابن إسحاق : فحدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير ، قال : فلما دنوا من المدينة تلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسعودون .

قال : ولقيهم الصبيان يشتدون ورسول الله صلى الله عليه وسلم مُقبل مع القوم على دابة ، فقال : « خذوا الصبيان فاحلوم وأعطوني ابن جعفر » فَأَتَى بعبد الله بن جعفر فحمله بين يديه ، قال : وجعل الناس يَحْثُونَ على الجيش التراب ويقولون : يافُرَّار فررتم في سبيل الله ! قال : فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليسوا بالفُرَّار ولكنهم الكُرَّار إن شاء الله » .
وهذا مرسل .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا عاصم ، عن مَورِق العِجْلِي ، عن عبد الله بن جعفر ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قَدِمَ من سَفَرٍ تلقى الصبيان من أهل بيته ، وإنه قدم من سفر فسُبقَ بي إليه ، قال : فحملني بين يديه ثم قال : « جئى بأحد بنى فاطمة » إما حسن وإما حسين ، فأردفه خلفه فدخلنا المدينة ثلاثة على دابة .

وقد رواه مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث عاصم الأحول عن مَورِق به .

وقال الإمام أحمد : حدثنا روح ، حدثنا ابن جُريج ، حدثنا خالد بن سارة ، أن أباه أخبره أن عبد الله بن جعفر قال : لو رأيتني وقُتِمَاً وعبيد الله ابني العباس ونحن صبيان نلعب إذ مر النبي صلى الله عليه وسلم على دابة فقال : « ارفعوا هذا إني » فحملني أمامه وقال لقمي : « ارفعوا هذا إني » فجعله وراءه ، وكان عبيد الله أحب إلي عباس من قثم ، فما استحي من عمه أن حمل قثما وتركه . قال : ثم مسح على رأسه ثلاثاً وقال كلما مسح : « اللهم اخلف جعفرًا في ولده » .

قال : قلت لعبيد الله : ما فعل قثم ؟ قال : استشهد ؟ قال : قلت : الله ورسوله أعلم بالخير . قال : أجل .

ورواه النسائي في اليوم والليلة من حديث ابن جريج به .

[وهذا كان بعد الفتح ، فإن العباس إنما قدم المدينة بعد الفتح ، فأما الحديث الذي

رواه الإمام أحمد : حدثنا إسماعيل ، حدثنا حبيب بن الشهيد ، عن عبد الله بن أبي مليكة ، قال : قال عبد الله بن جعفر لابن الزبير : أتذكر إذ تلقينا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا وأنت وابن عباس ؟ قال : نعم فحملنا وتركك .

وبهذا اللفظ أخرجه البخاري ومسلم من حديث حبيب بن الشهيد وهذا يعد من الأجوبة المسكتة ، ويروى أن عبد الله بن عباس أجاب به ابن الزبير أيضا ، وهذه القصة قصة أخرى كانت بعد الفتح كما قدمنا بيانه . والله أعلم ^(١)] .

فصل

في فضل هؤلاء الأسماء الثلاثة : زيد وجعفر وعبد الله رضي الله عنهم

أما زيد بن حارثة بن شراحيل بن كعب بن عبد العزى بن امرئ القيس بن عامر ابن النعمان بن عامر بن عبد ود بن عوف بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن ربيعة بن ثور بن كلب بن وبرة بن ثعلب بن حلوان بن عمران بن الحاف ابن قضاة الكلبي القضاعي ، [فهو] مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك أن أمه ذهبت تزور أهلها فأغار عليهم خيل فأخذوه ، فاشتراه حكيم بن حزام لعمة خديجة بنت خويلد ، وقيل اشتراه رسول الله صلى الله عليه وسلم لها ، فوهبته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل النبوة ، فوجده أبوه فاختار المقام عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعتقه وتبناه ، فكان يقال له زيد بن محمد ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحبه حباً شديداً .

وكان أول من أسلم من الموالى ، ونزل فيه آيات من القرآن منها قوله تعالى : « وما جعل أدعياءكم أبناءكم » وقوله تعالى : « ادعواهم لأبائهم هو أقصط عند الله » وقوله تعالى : « ما كان محمدٌ أباً أحدي من رجالكم » وقوله : « وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفى في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه فلما قضى زيدٌ منها وطراً زوجناكها » الآية. أجمعوا أن هذه الآيات أنزلت فيه ، ومعنى : « أنعم الله عليه » أى بالإسلام « وأنعمت عليه » أى بالعتق ، وقد تكلمنا عليها فى التفسير .

والمقصود أن الله تعالى لم يسمَّ أحداً من الصحابة فى القرآن غيره ، وهداه إلى الإسلام ، وأعتقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوجه مولاته أم أيمن واسمها بركة فولدت له أسامة بن زيد ، فكان يقال له الحب بن الحب ، ثم زوجه بابنة عمته زينب بنت جحش ، وأخى بينه وبين عمه حمزة بن عبد المطلب وقدمه فى الإمرة على ابن عمه جعفر بن أبى طالب يوم مؤتة كما ذكرناه .

وقد قال الإمام أحمد والإمام الحافظ أبو بكر بن أبى شعبة - وهذا لفظه - : حدثنا محمد بن عبيد ، عن وائل بن داود : سمعت البهئ يحدث أن عائشة كانت تقول : مابعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة فى سرية إلا أمره عليهم ، ولو بقى بعدُ لاستخلفه .

ورواه النسائى عن أحمد بن سلمان ، عن محمد بن عبيد الطنائفى به .

وهذا إسناد جيد قوى على شرط الصحيح ، وهو غريب جدا . والله أعلم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سليمان ، حدثنا إسماعيل ، أخبرنى ابن دينار ، عن ابن عمر رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث بعثاً وأمر عليهم أسامة بن زيد ،

فقطع بعضُ الناس في إمرته ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « إن تطعنوا في إمرته فقد كنتم تطعنون في إمرأة أبيه من قبل ، وأيم الله إن كان خَلِيقًا للإمارة وإن كان لمن أحب الناس إلى ، وإن هذا لمن أحب الناس إلى بعده » .

وأخرجاه في الصحيحين ، عن قتيبة عن إسماعيل - هو ابن جعفر بن أبي كثير المدني - عن عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر فذكره . ورواه البخاري من حديث موسى بن عقبة عن سالم عن أبيه . ورواه البزار من حديث عاصم بن عمر ، عن عبيد الله بن عمر العمري ، عن نافع ، عن ابن عمر ، ثم استغربه من هذا الوجه .

وقال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا عمر بن إسماعيل ، عن مجالد ، عن الشعبي ، عن مسروق ، عن عائشة قالت : لما أصيب زيد بن حارثة وجيء بأسامة بن زيد وأوقف بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فدمعت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخر ، ثم عاد من الغد فوقف بين يديه فقال : « ألقى منك اليوم ما لقيت منك أمس » .

وهذا الحديث فيه غرابة والله أعلم .

وقد تقدم في الصحيحين أنه لما ذكر مصابهم وهو عليه السلام فوق المنبر جعل يقول « أخذ الراية زيد فأصيب ، ثم أخذها جعفر فأصيب ، ثم أخذها عبد الله بن رواحة فأصيب ، ثم أخذها سيف من سيوف الله ففتح الله عليه » .

قال : وإن عينيه لتذر فأن ، وقال : « وما يسرهم أنهم عندنا » . وفي الحديث الآخر أنه

شهد لهم بالشهادة ، فهم ممن يقطع لهم بالجنة .

وقد قال حسان بن ثابت يرثي زيد بن حارثة وابن رواحة :

عينُ جُودِي بدمعك المَزُورِ واذكري في الرِّخاءِ أهلَ القُبُورِ

واذكري مُؤتةً وما كان فيها يوم راحوا في وقعة التَّغْوِيرِ

حين راحوا وغادروا ثم زيدا نعم مأوى الضريك والمأسور^(١)
حب خير الأنام طراً جميعاً سيد الناس حبه في الصدور
ذاكم أحمد الذي لا سواه ذاك حزني له معاً وسروري
إن زيدا قد كان مناً بامر ليس أمر المكذب المغرور
ثم جودي للخزرجي بدمع سيداً كان ثم غير نزور
قد أتانا من قتلهم ما كفانا فبحزن نبيت غير سرور

وأما جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم ، فهو ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أكبر من أخيه على بعشر سنين ، وكان عقيل أسن من جعفر بعشر سنين ، وكان طالب أسن من عقيل بعشر سنين .

أسلم جعفر قديماً وهاجر إلى الحبشة وكانت له هناك مواقف مشهورة ، ومقامات محمودة ، وأجوبة سديدة ، وأحوال رشيدة ، وقد قدمنا ذلك في هجرة الحبشة^(٢) والله الحمد .

وقد قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر فقال عليه الصلاة والسلام : « ما أدري أنا بأيهما أسر ، أبقدوم جعفر أم بفتح خيبر » وقام إليه واعتنقه وقبّل بين عينيه ، وقال له يوم خرجوا من عمرة القضيّة : « أشبهت خلقي وخلقى » فيقال : إنه حجل عند ذلك فرحاً . كما تقدم في موضعه والله الحمد والمنة .

ولما بعثه إلى مؤتة جعل في الإمرة مُصلّياً - أى نائباً - لزيد بن حارثة ، ولما قُتل وجدوا فيه بضعا وتسعين ما بين ضربة بسيف ، وطعنة برمح ، ورمية بسهم ، وهو في

(١) الضريك : والفقر السبي* الحال .

(٢) تقدم ذلك في الجزء الثاني ١٤-٢٦ .

ذلك كله مُقبل غير مدبر ، وكانت قد طُعنت يده اليمنى ثم اليسرى وهو ممسك لِأواء ، فلما قدما احتضنه حتى قتل وهو كذلك . فيقال : إن رجلاً من الروم ضربه بسيف فقطعه باثنتين ، رضى الله عن جعفر ولعن قاتله .

وقد أخبر عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه شهيد فهو ممن يُقطع له بالجنة . وجاء بالأحاديث تسميته بذى الجناحين . وروى البخارى عن ابن عمر ، أنه كان إذا سلم على ابنه عبد الله بن جعفر يقول : السلام عليك يا بن ذى الجناحين .

وبعضهم يرويه عن عمر بن الخطاب نفسه ، والصحيح ما فى الصحيح عن ابن عمر .

قالوا : لأن الله تعالى عوضه عن يديه بجناحين فى الجنة وقد تقدم بعض ما روى فى ذلك .

قال الحافظ أبو عيسى الترمذى : حدثنا على بن حجر ، حدثنا عبد الله بن جعفر ، عن العلاء بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن أبي هريرة قال : قال صلى الله عليه وسلم : « رأيت جعفرًا يطير فى الجنة مع الملائكة » .

وتقدم فى حديث أنه رضى الله عنه قتل وعمره ثلاث وثلاثون سنة . وقال ابن الأثير فى الغابة : كان عمره يوم قتل إحدى وأربعين . قال : وقيل غير ذلك .

قلت : وعلى ما قيل إنه كان أسنَّ من على بعشر سنين ، يقتضى أن عمره يوم قتل تسع وثلاثون سنة ، لأن علياً أسلم وهو ابن ثمانى سنين على المشهور فأقام بمكة ثلاث عشرة سنة ، وهاجر وعمره إحدى وعشرون سنة ، ويوم مؤتة كان فى سنة ثمان من الهجرة والله أعلم .

وقد كان يقال لجعفر بعد قتله الطَّيَّار ، لما ذكرنا ، وكان كريماً جواداً ممدحاً ، وكان الكرمه يقال له : أبا المساكين ، لإحسانه إليهم .

قال الإمام أحمد : وحدثنا عفان بن وهيب ، حدثنا خالد ، عن عكرمة ، عن أبي هريرة ، قال : ما احتذى النعالَ ولا انتعل ، ولا ركب المطايا ولا لبس الثياب من رجلٍ بعدَ رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من جعفر بن أبي طالب .

وهذا إسناد جيد إلى أبي هريرة ، وكأنه إنما يفضِّله في الكرم ، فأما في الفضيلة الدينية فمعلوم أن الصَّدِّيقَ والفاروقَ بل وعثمان بن عفان أفضل منه ، وأما أخوه على رضي الله عنهما فالظاهر أنهما متكافئان أو على أفضل منه .

وإنما أراد أبو هريرة تفضيلاً في الكرم ، بدليل ما رواه البخاري : حدثنا أحمد بن أبي بكر ، حدثنا محمد بن إبراهيم بن دينار أبو عبد الله الجهني ، عن ابن أبي ذئب ، عن سعيد المقبري ، عن أبي هريرة ، أن الناس كانوا يقولون : أكثر أبو هريرة وإني كنت أزم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيع بطنى خبزاً لا آكل الخبز ولا ألبس الحرير ولا يخدمني فلان وفلانة ، وكنت ألصق بطنى بالحصباء من الجوع ، وإن كنت لأستقرئ الرجل الآية هي معي كي ينقلب بي فيطعمني ، وكان خير الناس للمساكين جعفر بن أبي طالب ، وكان ينقلب بنا فيطعمنا ما كان في بيته ، حتى إن كان ليخرج إلينا العُكَّةَ التي ليس فيها شيء فنشقها فنلحق ما فيها .

تفرد به البخاري .

وقال حسان بن ثابت يثرى جعفرأ :

ولقد بكيتُ وعزَّ مهلكُ جعفرِ	حبُّ النبي على البرية كلها
ولقد جزعتُ وقلت حين نُعيتَ لي	منَّ للجِلال لدى العقاب وظلها
بالبيض حين تُسلُّ من أغمادها	ضرباً وإنهالِ الرماح وعلمها

بِعَدِّ ابْنِ فَاطِمَةَ الْمُبَارَكِ جَعْفَرٍ خَيْرِ الْبَرِيَّةِ كُلِّهَا وَأَجْلَهَا
رُزْءاً وَأَكْرَمَهَا جَمِيعاً يُحْتَدَأُ وَأَعَزَّهَا مُتَظَلِّمًا وَأَذْلَهَا
لِلْحَقِّ حِينَ يَنْوِبُ غَيْرَ تَنْحُلٍ كَذْبًا وَأَنْدَاهَا يَدًا وَأَقْلَهَا
فُحْشًا وَأَكْثَرَهَا إِذَا مَا يُجْتَدَى فَضْلًا وَأَنْدَاهَا يَدًا وَأَبْلَهَا
بِالْمَرْفِ غَيْرِ مُحَمَّدٍ لَامِثَةً حَتَّى مِنْ أَحْيَاءِ الْبَرِيَّةِ كُلِّهَا

وَأَمَّا ابْنُ رَوَاحَةَ فَهُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ بْنِ عَمْرِو بْنِ
أَمْرِئِ الْقَيْسِ الْأَكْبَرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ الْأَغْرِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ الْخَزْرَجِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ
الْخَزْرَجِ ، أَبُو مُحَمَّدٍ وَيُقَالُ : أَبُو رَوَاحَةَ ، وَيُقَالُ : أَبُو عَمْرِو ، الْأَنْصَارِيُّ الْخَزْرَجِيُّ ، وَهُوَ خَالَ
النَّمَانِ بْنِ بَشِيرٍ ، أخته عمرة بنت رَوَاحَةَ .

أَسْلَمَ قَدِيمًا وَشَهِدَ الْعُقْبَةَ ، وَكَانَ أَحَدَ النِّقَبَاءِ لِيَلْتَنِذَ لِبْنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ ، وَشَهِدَ
بَدْرًا وَأَحَدًا وَالْخَنْدَقَ وَالْحُدَيْبِيَّةَ وَخَيْبَرَ وَكَانَ يَبْعَثُهُ عَلَى خَرَصِهَا ، كَمَا قَدَمْنَا ، وَشَهِدَ عُمَرَةَ
الْقَضَاءِ وَدَخَلَ يَوْمَئِذٍ وَهُوَ مَمْسُوكٌ بِزِمَامِ نَاقَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقِيلَ بَغْرُزُهَا
- يَعْنِي الرَّكَّابَ - وَهُوَ يَقُولُ :

* خَلُّوا بَنِي الْكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ *

الْأَيَّاتُ كَمَا تَقْدُمُ .

وَكَانَ أَحَدَ الْأَمْراءِ الشَّهْدَاءِ يَوْمَ مَوْتِهِ كَمَا تَقْدُمُ ، وَقَدْ شَجَّعَ الْمُسْلِمِينَ لِلِقَاءِ الرُّومِ حِينَ
اشْتَبَرُوا فِي ذَلِكَ ، وَشَجَّعَ نَفْسَهُ أَيْضًا حَتَّى نَزَلَ بَعْدَ مَا قُتِلَ صَاحِبَاهُ ، وَقَدْ شَهِدَ لَهُ رَسُولُ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالشَّهَادَةِ فَهُوَ مَنْ يُقَطَّعُ لَهُ بِدُخُولِ الْجَنَّةِ .

وَيُرْوَى أَنَّهُ لَمَّا أُنْشِدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَعْرَهُ حِينَ وَدَّعَهُ الَّذِي يَقُولُ فِيهِ :

فَنَبَّتَ اللَّهُ مَا آتَاكَ مِنْ حَسَنِ تَثْبِيتَ مُوسَى وَنَصْرًا كَالَّذِي نَصَرُوا

قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وأنت فُتِّبْتَكَ اللهُ » قال . هشام بن غروة : فُتِّبَتْهُ اللهُ حتى قُتِلَ شهيداً ودخل الجنة .

وروى حماد بن زيد ، عن ثابت ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، أن عبد الله بن رواحة أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخطب فسمعه يقول : « اجلسوا » . فجلس مكانه خارجاً من المسجد حتى فرغ الناس من خطبته ، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « زادك الله حرصاً على طوعية الله وطوعية رسوله » . وقال البخارى فى صحيحه : وقال معاذ : اجلس بنا تؤمن ساعة^(١) .

وقد ورد الحديث المرفوع فى ذلك عن عبد الله بن رواحة بنحو ذلك ، فقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد ، عن عمارة ، عن زياد النخوى ، عن أنس قال : كان عبد الله ابن رواحة إذا لقي الرجل من أصحابه يقول : تعال تؤمن برَبِّنا ساعة . فقال ذات يوم لرجل ، فغضب الرجل فجاء فقال : يا رسول الله ألا ترى ابنَ رواحة ؟ يَرَّغِبُ عن إيمانك إلى إيمان ساعة ! فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « رحم الله ابنَ رواحة ، إنه يحب المجالس التى تتباهى بها الملائكة » . وهذا حديث غريب جدا .

وقال البيهقى : حدثنا الحاكم ، حدثنا أبو بكر ، حدثنا محمد بن أيوب ، حدثنا أحمد ابن يونس ، حدثنا شيخ من أهل المدينة ، عن صفوان بن سليم ، عن عطاء بن يسار ، أن عبد الله بن رواحة قال لصاحب له : تعال حتى تؤمن ساعة ، قال : أو نسنا بمؤمنين؟ قال : بلى ولكننا نذكرك الله فنزداد إيماناً .

وقد روى الحافظ أبو القاسم اللكّى^(٢) من حديث أبي اليمان ، عن صفوان بن سليم ، عن شريح بن عبيد ، أن عبد الله بن رواحة كان يأخذ بيد الرجل من أصحابه

(١) صحيح البخارى ٥/١ (٢) نسبة إلى اللك وهى بليدة من أعمال بركة الغرب . وفى الأصل : اللالكى . وما أثبتته عن الباب ٧٠/٣

فيقول : قم بنا نُؤمِّن ساعةً فنجلس في مجلسٍ ذِكر .

وهذا مرسل من هذين الوجهين وقد استقصينا الكلام على ذلك في أول شرح البخارى والله الحمد والمنة .

وفي صحيح البخارى عن أبى الدرداء قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر في حر شديد ، وما فينا صائم إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعبد الله بن رواحة رضى الله عنه .

وقد كان من شعراء الصحابة المشهورين ، وما نقله البخارى من شعره في رسول الله صلى الله عليه وسلم :

وفينا رسولُ الله نتلو كتابه إذا انشَقَّ معروفٌ من الفجر ساطعُ
بيت يحافى جنبه عن فراشه إذا استنقلت بالمشركين المضاجعُ
أنى بالهدى بمد العمى فقلوبنا به موقفاتٌ أن ما قال واقعُ

وقال البخارى : حدثنا عمران بن ميسرة ، حدثنا محمد بن فضيل ، عن حصين ، عن عامر عن النعمان بن بشير قال : أغمى على عبد الله بن رواحة فجعلت أخته عمرة تبكى ؛ واجبلاه واكذا واكذا تعدد عليه ، فقال حين أفاق : ما قلت شيئاً إلا قيل لى : أنت كذلك ؟ حدثنا قتيبة ، حدثنا خيثمة ، عن حصين ، عن الشعبي عن النعمان بن بشير قال : أغمى على عبد الله بن رواحة ، بهذا . فلما مات لم تبك عليه .
وقد قدمنا مارثاه به حسان بن ثابت مع غيره .

وقال شاعر من المسلمين ممن رجع من مؤنة مع من رجع رضى الله عنهم :
كفى حزناً أنى رجعتُ وجعفرٌ وزيدٌ وعبد الله فى رَمْسٍ أَقْبُرِ
قَضَوْا نَجْبَهُمْ لَمَّا مَضَوْا لِسَبِيلِهِمْ وَخُلِّفْتُ لِلْبَلَوَى مَعَ الْمُتَغَيِّرِ
وسياتى إن شاء الله تعالى بقية مارثى به هؤلاء الأمراء الثلاثة من شعر حسان بن ثابت وكعب بن مالك رضى الله عنهما وأرضاهما .

فصل في ذكر من استشهد يوم مؤتة من المسلمين

فمن المهاجرين جعفر بن أبي طالب ، ومولاهم زيد بن حارثة الكلبي ، ومسعود بن الأسود بن حارثة بن نضلة العدوي ، ووهب بن سعد بن أبي سرح ، فهؤلاء أربعة نفر .

ومن الأنصار عبد الله بن رواحة ، وعبيد بن قيس الخزرجي ، والحارث بن النعمان بن إساف بن نضلة النجاري ، وسراقة بن عمرو بن عطية بن خنساء المازني ، أربعة نفر .

فجموع من قُتل من المسلمين يومئذ هؤلاء الثمانية ، على ما ذكره ابن إسحاق ، لكن قال ابن هشام : ومن استشهد يوم مؤتة فيما ذكره ابن شهاب الزهري : أبو كليب وجابر ابنا عمرو بن زيد بن عوف بن مذبول المازنيان ، وهما شقيقان لأب وأم ، وعمرو وعامر ابنا سعد بن الحارث بن عباد بن سعد بن عامر بن ثعلبة بن مالك بن أفضى . فهؤلاء أربعة من الأنصار أيضاً ، فالجموع على القولين اثنا عشر رجلاً .

وهذا عظيم جداً ، أن يتقاتل جيشان متعاديان في الدين ، أحدهما وهو الفئة التي تقاتل في سبيل الله عدتها ثلاثة آلاف ، وأخرى كافرة وعدتها مائتا ألف مقاتل ، من الروم مائة ألف ، ومن نصارى العرب مائة ألف ، يتبارزون ويتصاولون ثم مع هذا كله لا يقتل من المسلمين الا اثنا عشر رجلاً ، وقد قتل من المشركين خلق كثير !

هذا خالد وحده يقول : لقد اندقت في يدي يومئذ تسعة أسياف وما صبرت في يدي إلا صفيحة يمانية ، فإذا ترى قد قتل بهذه الأسياف كلها دغ غيره من الأبطال والشجعان من حملة القرآن ، وقد تحكوا في عبدة الصُّلَبان عليهم لعائنُ الرحمن ، في ذلك الزمان وفي كل أوان .

وهذا مما يدخل في قوله تعالى : « قد كان لكم آية في فئتين التقتا فتنة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأى العين ، والله يؤيد بنصره من يشاء ، إن في ذلك لعلية لأولى الأبصار » .

حديث فيه فضيلة عظيمة لأمرأ هذه السرية ^(١)

وهم : زيد بن حارثة ، وجعفر بن أبي طالب ، وعبد الله بن رواحة رضى الله عنهم .

قال الإمام العالم الحافظ أبو زُرعة عبد الله بن عبد الكريم الرازى ، نصر الله وجهه ، في كتابه دلائل النبوة - وهو كتاب جليل - : حدثنا صفوان بن صالح الدمشقى ، حدثنا الوليد ، حدثنا ابن جابر . وحدثنا عبد الرحمن بن إبراهيم الدمشقى ، حدثنا الوليد وعمرو - يعنى ابن عبد الواحد - قالوا : حدثنا ابن جابر ، سمعت سليم بن عامر الخبائرى يقول : أخبرنى أبو أمامة الباهلى ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « بينا أنا نائم إذ أتانى رجلان فأخذوا بَصْبُعِي ، فأتيا بى جبلا وعرأ فقالا : اصعد ، فقلت : لا أطيقه . فقالا : إنا سنسمله لك . قال : فصعدت حتى إذا كنت فى سَواء الجبل إذا أنا بأصوات شديدة ، فقلت : ما هؤلاء الأصوات ؟ فقالا : عَواء أهل النار . ثم انطلقا بى فإذا بقوم معلقين بعراقيهم مُشَقَّقة أشداقهم ، تسيل أشداقهم دما ، فقلت : ما هؤلاء ؟ فقالا : هؤلاء الذين يفترون قبل تحلة صومهم . فقال : خابت اليهود والنصارى » قال سليم : سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم أم من رأيه ؟

« ثم انطلقا بى ، فإذا قوم أشد شىء انتفاخاً وأنتن شىء ريحاً كأن ريحهم المراحيض ، قلت : من هؤلاء ؟ قالوا : هؤلاء قتلى الكفار . ثم انطلقا بى فإذا بقوم أشد انتفاخاً وأنتن

شئ ربحاً كان ربحهم المراحض ، قلت : من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء الزانون . والزواني . ثم انطلقا بي فإذا بنساء ينهش ثديهن الحيات ، قلت : ما بال هؤلاء ؟ قال : هؤلاء اللاتي يمنعن أولادهن ألبانهن . ثم انطلقا بي فإذا بغلمان يلعبون بين بحرين قلت : من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء ذراري المؤمنين .

ثم أشرفا بي شرفاً فإذا بنفر ثلاثة يشربون من خمر لم قلت : من هؤلاء ؟ قال : هذا جعفر بن أبي طالب وزيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة . ثم أشرفا بي شرفاً آخر فإذا أنا بنفر ثلاثة ، قلت : من هؤلاء ؟ قال : هذا إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام وهم ينتظرونك .

فصل فيما قيل من الأشعار في غزوة مؤتة

قال ابن إسحاق : وكان مما بُكى به أصحاب مؤتة قولُ حُسان :

تأوَّبني ليلٌ بيثربَ أعسرُ	وهمٌ إذا ما نوَّمَ الناسُ مُسهرُ
لذكرى حبيبٍ هيَّجت لي عبْرَةً	سَفوحاً وأسبابُ البكاءِ الفذْكرُ
بلى إنَّ فِقدانَ الحبيبِ بليَّةٌ	وكم من كريمٍ يبتلى ثمَّ يصبرُ
رأيت خيَّارَ المسلمين تواردوا	شعوباً وخلفاً بعدهم يتأخروا
فلا يُبعدن اللهَ قتلى تتابعوا ^(١)	بمؤتة منهم ذو الجفاحين جعفرُ
وزيدٌ وعبد الله حين تتابعوا ^(١)	جميعاً وأسبابُ المنيةِ تخطرُ
غداة مضوا بالمؤمنين يقودهم	إلى الموت ميمونُ النقيبةِ أزهرُ
أغرَّ كضوءِ البدر من آلِ هاشمٍ	أبى إذا سيم الظَّلَامَةُ مُجسرُ
فطاعن حتى مالَ غير مؤسد	بمعتزكِ فيه القنا متكسرُ

(١) الأصل : تتابعوا . وما أثبتته من ابن هشام .

فصار مع المستشهدين ثوابه
وكفا نرى في جعفر من محمد
وما زال في الإسلام من آل هاشم
هم جيل الإسلام والناس حولهم
بهايل منهم جعفر وابن أمه
وحزوة والعباس منهم ومنهم
بهم تفرج اللاواء في كل مآزق
هم أولياء الله أنزل حكمه
وقال كعب بن مالك رضى الله عنه :

نام العيون ودمع عينك يهمل
في ليلة وردت على همومها
واعتادني حزن فبت كأنتي
وكأنتما بين الجوانح والحشا
وجدنا على النفر الذين تتابعوا
صلّى الإله عليهم من فتية
صبروا بنوثة للإله نفوسهم
فمضوا أمام المسلمين كأنهم
إذ يهتدون بجعفر ولوائه

سحّا كما وكف الطّبابُ الخُضْلُ^(١)
طوراً أحِنُّ وتارةً أتملَمُ
بينات نعشٍ والسّمَاكُ^(٥) موكلُ
مما تأوَّبني شهاب مُدْخَلُ
يوماً بمؤتة أسندوا لم يُنقلوا
وسقى عظامهم الغمام المسبُلُ
حذر الرّدى وخافة أن يَنكَلُوا
فُنقُ عليهم الحديدُ المرّةُ قلُ^(٦)
قَدَامَ أولهم فنعم الأولُ

(١) الرضام : صخور عظام يوضع بعضها فوق بعض . (٢) في ١ : ويقهر . (٣) العباس : الظلم .
(٤) الطباب : جمع طبابة وهى سير فى أسفل القرية بين الخريزتين فى المزايدة . وفى ١ : الضباب .
وفى غيرها : الأطباء . وهو تحريف . (٥) ١ : الشمال .
(٦) الفنق : جمع فنيق ، وهو الفحل المكرم الذى لا يركب . والمرفل : السابغ .

حتى تفرّجت الصفوفُ وجعفر	حيث التقى وعث الصفوفُ مجدّل ^(١)
فتغيّر القمر المنير لفقده	والشمسُ قد كسفت وكادت تأفلُ
قرّمُ علا بنيانه من هاشم	فرعاً أشمَّ وسودداً ما يُنقلُ
قوم بهم عصم الإله عباده	وعليهم نزل الكتاب المنزلُ
فضلوا المعاشرة عزة وتكرماً	ونعمت أحلامهم من يجهلُ
لا يُطلقون إلى السفاه حِياهمُ	وبرى خطيبهمُ بحقٍ يفصل ^(٢)
بيضُ الوجوه ترى بطوناً كفهم	تنذى إذا اعتذر الزمانُ الممجلُ
وبهذهيم رضى الإله لخلقهم	وبجدّم نصر النبي المرسلُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كتاب بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ملوك الآفاق وكتبه إليهم
يدعوم إلى الله عز وجل وإلى الدخول في دين الإسلام

ذكر الواقدي أن ذلك كان في آخر سنة ست في ذى الحجة بعد عُمره الحديبية ،
وذكر البيهقي هذا الفصل في هذا الموضع بعد غزوة مؤتة . والله أعلم .

ولا خلاف بينهم أن بدء ذلك كان قبل فتح مكة وبعد الحديبية ، لقول أبي سفيان
لهرقل حين سأله : هل يغدر ؟ فقال : لا ، ونحن منه في مدة لا ندرى ماهو
صانع فيها .

وفي لفظ البخاري : وذلك في المدة التي ماد فيها أبو سفيان رسول الله صلى الله
عليه وسلم .

وقال محمد بن إسحاق : كان ذلك ما بين الحديبية ووفاته عليه السلام . ونحن نذكر
ذلك هاهنا وإن كان قول الواقدي محتملا . والله أعلم .

وقد روى مسلم عن يوسف بن حماد المَعْنِي ، عن عبد الأعلى ، عن سعيد بن أبي
عروبة ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب قبل
مؤتة إلى كسرى وقيصر وإلى النجاشي وإلى كل جبار يدعوم إلى الله عز وجل ، وليس
بالنجاشي الذي صَلَّى عليه .

وقال يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق ، حدثني الزهري ، عن عبيد الله بن
عبد الله بن عتبة ، عن عبد الله بن عباس ، حدثني أبو سفيان من فيه إلى في قال :

كنا قوماً تجاراً ، وكانت الحرب قد حَصَرَتْنا حتى نَهَكْتَ أموالنا ، فلما كانت الهدنة - هدنة الحديبية - بيننا وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ^(١) نأمن إن وجدنا أمناً ، فخرجت تاجراً إلى الشام مع رهط من قريش ، فوالله ما علمت بمكة امرأةً ولا رجلاً إلا وقد حَمَلَنِي بضاعة ، وكان وَجْهٌ مُتَجَرِّنا من الشام غزاة من أرض فلسطين . فخرجنا حتى قَدِمْنَاها وذلك حين ظهر قيصر صاحب الروم على من كان في بلاده من الفرس فأخرجهم منها ، ورُدَّ عليه صليبه الأعظم وقد كان استلبوه إياه ، فلما أن بلغه ذلك وقد كان منزله بمحصر من الشام فخرج منها يمشي متشكراً إلى بيت المقدس ليصلي فيه تَبَسُّطاً له البسط ويطرح عليها الرياحين ، حتى انتهى إلى إيلياء فصلى بها .

فأصبح ذات غداة وهو مَهْمُومٌ يَلْبَسُ طَرَفَهُ إلى السماء ، فقالت [له] ^(٢) بطارقتك : أيها الملك لقد أصبحت مَهْمُوماً ؟ فقال : أجل . فقالوا : وما ذاك ؟ فقال : أريت في هذه الليلة أن ملكاً اِلْتَقَانِ ظاهراً ، فقالوا : والله ما نعلم أمةً من الأمم تَحْتَتِنُ إلا اليهود وهم تحت يدك وفي سلطانك فإن كان قد وقع [ذلك] ^(٣) في نفسك منهم فابعث في مَمْلَكَتِكَ كلها فلا يَبْقَ يهودى إلا ضربت عنقه ، فتستريح من هذا الهم .

فإنهم في ذلك من رأيهم يديرونه بينهم إذ أتاهم رسول صاحب بُصْرَى برجل من العرب قد وقع إليهم ، فقال : أيها الملك إن هذا الرجل من العرب من أهل الشاء والإبل يحدثك عن حَدَثٍ كان ببِلادِهِ فاسأله عنه . فلما انتهى إليه قال لترجمانه : سَلْهَ ما هذا الخبر الذى كان في بلاده ؟ فسأله فقال : هو رجل من العرب من قريش خرج يزعم أنه نبي وقد اتبعه أقوام وخالفه آخرون ، وقد كانت بينهم مَلَاَحِمٌ في مواطن ، فخرجتُ من بلادى وهم على ذلك .

(١) غير أ : لا .

(٢) ليست في أ .

(٣) أ : هذا .

فلما أخبره الخبر قال : جرّدوه . فإذا هو مختن فقال : هذا والله الذى قد أريت لا ماتقولون ، أعطه ثوبه ، انطلق لشأنك .
ثم إنه دعا صاحب شُرطته فقال له : قلب لى الشام ظهراً لبطن حتى تأتى برجل من قوم هذا أسأله ^(١) عن شأنه .

قال أبو سفيان : فوالله إني وأصحابي لبغزة إذ هجم علينا فسالنا : ممن أنتم ؟ فأخبرناه ، فساقنا إليه جميعاً .

فلما انتهينا إليه قال أبو سفيان : فوالله ما رأيت من رجل قط أزعم أنه كان أدهى من ذلك الأغلف - يريد هرقل -

قال : فلما انتهينا إليه قال : أيكم أمسُّ به رجلاً ؟ فقلت : أنا . قال : أدنوه مني . قال : فأجلسني بين يديه ثم أمر أصحابي فأجلسهم خلفي وقال : إن كذب فردّوا عليه ، قال أبو سفيان : فلقد عرفت أني لو كذبت ما ردّوا على ، ولكني كنت امرئاً سيّداً أتكرّم وأستحي من الكذب ، وعرفت أن أدنى ما يكون في ذلك أن يزوّوه عني ثم يتحدثوا به عني بمكة ، فلم أكذبه .

فقال : أخبرني عن هذا الرجل الذى خرج فيكم . فزهدت له شأنه وصغرت له أمره [فوالله ما القفت إلى ذلك مني وقال لى : أخبرني عما أسألك عنه من أمره ^(٢)] فقلت : سلني عما بدا لك .

فقال : كيف نسبته فيكم ؟ فقلت : محضاً من أوسطنا نسباً .
قال : فأخبرني ، هل كان من أهل بيته أحدٌ يقول مثل قوله فهو يتشبه به ؟
فقلت : لا .

قال : فأخبرني هل له مُلكٌ فاستلبتموه إياه فجاء بهذا الحديث لتردّوه عليه !
فقلت : لا .

قال : فأخبرني عن أتباعه ، من هم ؟ فقلت : الأحداثُ والضعفاء والمساكين ، فأما أشرفهم وذوو الأنساب [منهم ^(١)] فلا . قال : فأخبرني عن صحبه أيحبه ويكرمه أم يقليه ويفارقه ؟ قلت : ما صحبه رجلٌ ففارقه .

قال : فأخبرني عن الحرب بينكم وبينه ؟ فقلت : سَجَالٌ يُدَالُ علينا ونُدَالُ عليه .
قال : فأخبرني هل يَغْدِرُ ؟ فلم أجِدْ شيئاً أغرّه به إلا هي ، قلت : لا ونحن منه في مدة ولا نأمن غدره فيها . فوالله ما التفت إليها مني .

قال : فأعاد عليّ الحديث ، قال : زعمت أنه من أمْحَضِكم نَسَباً ، وكذلك يأخذ الله النبيّ ، لا يأخذه إلا من أوسط قومه . وسألتك : هل كان من أهل بيته أحد يقول مثل قوله فهو ينسبه به ؟ فقلت : لا . وسألتك : هل كان له من مُلكٍ فاستلبتموه إياه فجاء بهذا الحديث لتردّوا عليه ملكه ؟ فقلت : لا .

وسألتك عن أتباعه ، فزعمت أنهم الأحداثُ والضعفاء والمساكين . وكذلك أتباع الأنبياء في كل زمان .

وسألتك عن يتبعه أيحبه ويكرمه أم يقليه ويفارقه ؟ فزعمت أنه قلٌّ من يصحبه فيفارقه . وكذلك حلاوة الإيمان لا تدخل قلباً فتخرج منه .

وسألتك كيف الحرب بينكم وبينه ؟ فزعمت أنها سَجَالٌ يُدَالُ عليكم وتداولون عليه ، وكذلك يكون حرب الأنبياء ولهم تكون العاقبة . وسألتك هل يغدر فزعمت أنه لا يغدر .

(١) ليست في ١ .

فلئن كنت صدقتني كيفلبنَّ على ما تحت قدمي هاتين ، ولوددتُ أنى عنده فأغسل

عن قدميه !

ثم قال : الحق بشأنك . قال : فقممت وأنا أضرب إحدى يدي على الأخرى وأقول : يا عباد الله لقد أمرُ ابنُ أبي كبشة ، وأصبح ملوك بني الأصفر يخافونه في سلطانهم . قال ابن إسحاق : وحدثني الزهري قال : حدثني أسقف من النصارى قد أدرك ذلك الزمان قال : قدم دحية بن خليفة على هرقل بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه : بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم ، سلامٌ على من اتبع الهدى أما بعد فأسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، فإن أبيت فإن إثم الأكارين^(١) عليك .

قال : فلما انتهى إليه كتابه وقرأه أخذه فجعله بين يديه وخاصرته ، ثم كتب إلى رجل من أهل رومية كان يقرأ من العبرانية ما يقرأ يخبره عما جاء من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكتب إليه : إنه النبي الذي يُنتظر لا شك فيه فاتبعه . فأمر بعضاء الروم فجمعوا له في دسكرة ملكه ثم أمر بها فأُشْرِجَتْ^(٢) عليهم ، واطاع عليهم من عليّة له وهو منهم خائف ، فقال : يا معشر الروم إنه قد جاءني كتاب أحد ، وإنه والله النبي الذي كنّا ننتظر^(٣) ونُجمل ذكره في كتابنا ، نعرفه بعلاماته وزمانه^(٤) ، فأسلموا واتبعوه تسلم لكم دنياكم وآخرتكم . فنخروا نخرة رجل واحد ، وابتدروا أبواب الدسكرة فوجدوها مغلقة دونهم .

نفاهم وقال : ردوهم على . فردوهم عليه فقال لهم : يا معشر الروم ، إنى إنما قلت لكم هذه المقالة أختبركم بها لأنظر كيف صلابتكم في دينكم ؟ فلقد رأيت منكم ما سرّني . فوقموا له سجدا . ثم فتحت لهم أبواب الدسكرة فخرجوا .

(٣) ١ : الذى ينتظر .

(٢) أُشْرِجَتْ : أغلقت .

(١) الأكار : الحراث .

(٤) ١ : بعلامات زمانه .

وقد روى البخارى قصة أبى سفيان مع هرقل بزيادات آخر، أحببنا أن نوردنا بسندها وحروفها من الصحيح ليعلم ما بين السياقين من التباين وما فيهما من الفوائد .

قال البخارى قبل الإيمان من صحيحه : حدثنا أبو اليمان الحكم بن نافع ، أنبأنا شعيب ، عن الزهرى ، أخبرنى عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، أن عبد الله بن عباس أخبره أن أبا سفيان أخبره ، أن هرقل أرسل إليه فى ركب من قريش ، وكانوا تجاراً بالشام ، فى المدة التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ماداً فيها أبا سفيان وكفار قريش ، فأتوه وهم بإيلياء ، فدعاهم فى مجلسه وحوله عطاء الروم ثم دعاهم ودعا بالترجمان فقال : أيكم أقرب نسباً بهذا الرجل الذى يزعم أنه نبي ؟ قال أبو سفيان : فقلت : أنا أقربهم نسباً . قال : أدنوه منى وقرّبوا أصحابه فاجعلوهم عند ظهره . ثم قال لترجمانه : قل لهم : إني سأئل هذا عن هذا الرجل ، فإن كذب بنى فكذبوه . [قال^(٢)] فوالله لولا [الحياة من]^(٣) أن يأتروا عنى كذباً لكذبت عنه .

ثم كان أول ما سألتى عنه أن قال : كيف نسبته فيكم ؟ قلت^(١) : هو فينا ذونسب . قال : فهل قال هذا القول منكم أحد قط قبله ؟ قلت : لا . قال : فهل كان من آبائه من ملك ؟ قلت : لا .

قال : فأشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم ؟ قلت : بل ضعفاؤهم . قال : أيزيدون أم ينقصون ؟ قلت : بل يزيدون . قال : فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه ؟ قلت : لا . قال : فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ قلت : لا . قال : فهل يغدر ؟ قلت : لا ونحن منه فى مدة لا ندرى ما هو فاعل فيها . قال : ولم يمكثى كلمة أدخل فيها شيئاً غير هذه الكلمة . قال : فهل قاتلتموه ؟ قلت : نعم . قال : فكيف^(٣) كان قتالكم إياه ؟ قلت : الحرب بيننا وبينه سجال يئال منا ونئال منه . قال : ماذا يأمركم ؟

قلت : يقول : اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً واتركوا ما يقول آباؤكم . ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة .

فقال للترجمان : قل له : سألتك عن نسبهِ فزعمت أنه فيكم^(١) ذو نسب ، وكذلك الرسل تُبعث في نسب قومها .

وسألتك : هل قال أحد منكم هذا القول قبله ؟ فذكرت أن لا ، فقلت : لو كان أحدٌ قال هذا القول قبله لقلت : رجلٌ يتأسى بقولٍ قيل قبله .

وسألتك : هل كان من آباءه من مَلَأَ ؟ فذكرت أن لا ، فلو كان من آباءه من ملك قلت : رجل يطلب ملك أبيه .

وسألتك : هل كنتم تهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ فذكرت أن لا ، فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله !

وسألتك : أشرافُ الناس اتبعوه أم ضعفاءهم ؟ فذكرت أن ضعفاءهم اتبعوه ، وهم أتباعُ الرسل .

وسألتك : أيزيدون أم ينقصون ؟ فذكرت أنهم يزيدون ، وكذلك أمرُ الإيمان حتى يتم .

وسألتك : أيرتدُّ أحد منهم سخطةً لدينه بعد أن يدخل فيه ؟ فذكرت أن لا . وكذلك الإيمانُ حين تخالط بشاشته القلوب .

وسألتك : هل يفدر ؟ فذكرت أن لا ، وكذلك الرسل لا تفدر .

وسألتك : بيم يأمركم ؟ فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، وينهاكم عن عبادة الأوثان ، ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف .

فإن كان ما تقول حقاً فسيملك موضعَ قدميَّ هاتين ، وقد كنت أعلم أنه خارج ،

لم أكن أظن أنه منكم ، فلو أعلم أنى أخلص إليه لتجشمت لقاءه ، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه .

ثم دعا بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى بعث به مع دحية إلى عظيم بضرى فدفعه إلى هرقل فإذا فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم ، سلامٌ على من اتبع الهدى ، أما بعد ؛ فإني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين و « يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نُشرك به شيئاً ، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون » .

قال أبو سفيان : فلما قال ما قال وفرغ من قراءة الكتاب كثر عنده الصخب وارتفعت الأصوات وأخرجنا ، فقلت لأصحابي حين خرجنا : لقد أمر أمر ابن أبى كبشة إنه يخافه ملك بنى الأصفر !
فما زلت موقناً أنه سيظهر حتى أدخل الله على الإسلام .

قال : وكان ابن الناطور صاحب إيلياء وهرقل أسقف على نصارى الشام يحدث أن هرقل حين قدم إيلياء أصبح يوماً خبيث النفس ، فقال بعض بطارقه : قد استنكرنا هيتك . قال ابن الناطور : وكان هرقل حزاء يظفر فى النجوم ، فقال لهم حين سأله : إني رأيت حين نظرت فى النجوم ملكاً الخلتان قد ظهر ، فمن يختن من هذه الأمة ^(١) ؟ قالوا : ليس يختن إلا اليهود ولا يهمنك شأنهم ، واكتب إلى مدائن ملكك فليقتلوا من فيهم من اليهود .

فبينما هم على أمرهم أتى هرقل برجل أرسل به ملك غسان يخبرهم عن خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما استخبره هرقل قال : اذهبوا فانظروا أُمُتَيْنِ هُوَ أَمْ لَا ؟ فنظروا إليه فحدثوه أنه مُخْتَنِنٌ ، وسأله عن العرب فقال : هم يُخْتَنِنُونَ . فقال هرقل : هذا مُلْكُ هذه الأُمة قد ظهر . ثم كتب إلى صاحب له بروميّة ، وكان نظيره في العلم .

وسار هرقل إلى حمص فلم يَرَمْ^(١) حِصْنَ حَتَّى أَتَاهُ كِتَابٌ مِنْ صَاحِبِهِ يُوَافِقُ رَأْيَ هرقل على خروج النبي صلى الله عليه وسلم وأنه نبي ، فأذن هرقل لعطاء الروم في دَسَكْرَةٍ^(٢) لَهُ يَحْمِصُ ، ثُمَّ أَمَرَ بِأَبْوَابِهَا ففُتِلَتْ . ثُمَّ أَطْلَعَ فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ الرُّومِ ، هَلْ لَكُمْ فِي الْفَلَاحِ^(٣) وَالرُّشْدِ وَأَنْ يَثْبُتَ لَكُمْ مُلْكُكُمْ ؟ فَتُبَّاعُوا لِهَذَا^(٤) النَّبِيِّ .

فخاصوا حَيَصَةَ حُمُرِ الْوَحْشِ إِلَى الْأَبْوَابِ فوجدوها قد غُلِّقَتْ ، فلما رأى هرقل نُفَرَتَهُمْ وَأَيَّسَ مِنَ الْإِيمَانِ قَالَ : رُدُّوهُمْ عَلَيَّ . وَقَالَ : إِنَّمَا قُلْتَ مَقَالَتِي آتِنَا أَوْ نَخْتَبِرْ بِهَا شِدَّتَكُمْ عَلَى دِينِكُمْ فَقَدْ رَأَيْتَ .

فسجدوا له ورضوا عنه . فكان ذلك آخر شأن هرقل .

قال البخاري : ورواه صالح بن كيسان ويونس ومَعْمَرُ عَنْ الزُّهْرِيِّ .

وقد رواه البخاري في مواضع كثيرة في صحيحه بألفاظ يطول استقصاؤها . وأخرجه بقية الجماعة إلا ابن ماجه من طرق عن الزهري .

وقد تكلمنا على هذا الحديث مطولا في أول شرحنا لصحيح البخاري بما فيه كفاية ، وذكرنا ما فيه من الفوائد والنسك المعنوية واللفظية والله تعالى الحمد والمِنَّة .

وقال ابن كهيمة عن الأسود ، عن عروة قال : خرج أبو سفيان بن حرب إلى الشام

(١) لم يرم : لم يبرح . وفي الأصل بحمص . وما أثبتته عن البخاري .

(٢) الدسكرة : بناء كالمقصّر حوله بيوت . (٣) ١ : الصلاح .

(٤) الأصل : فتتابعوا . وما أثبتته عن صحيح البخاري ٥/١

تاجراً في نفر من قريش ، وبلغ هرقل شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأراد أن يعلم ما يعلم من شأن ^(١) رسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسل إلى صاحب العرب الذي بالشام في ملكه يأمره ^(٢) أن يبعث إليه برجال من العرب يسألهم عنه ، فأرسل إليه ثلاثين رجلاً منهم أبو سفيان بن حرب ، فدخلوا عليه في كنيسة إيلياء التي في جوفها ، فقال هرقل : أرسلت إليكم لتخبروني عن هذا الذي بمكة ما أمره ؟ قالوا : ساحر كذاب وليس بنبي .

قال : فأخبروني من أعلمكم به وأقربكم منه رحماً ؟ قالوا : هذا أبو سفيان ابن عمه وقد قاتله .

فلما أخبروه ذلك أمر بهم فأخرجوا عنه ، ثم اجلس أبا سفيان فاستخبره ، قال : أخبرني يا أبا سفيان ؟ فقال : هو ساحر كذاب .

فقال هرقل : إني لا أريد شتمه ولكن كيف نسبه فيكم ؟ قال : هو والله من بيت قريش .

قال : كيف عقله ورأيه ؟ قال : لم نعب له رأياً ^(٣) قط .

قال هرقل : هل كان حلاًفاً كذاباً مخادعاً في أمره ؟ قال : لا والله ما كان كذلك .

قال : لعله يطلب منك أو شرفاً كان لأحد من أهل بيته قبله ؟ قال أبو سفيان :

لا . ثم قال : من يتبعه منكم . هل يرجع إليكم منهم أحد ؟ قال : لا .

قال هرقل : هل يغدر إذا عاهد ؟ قال : لا إلا أن يغدر مدته هذه .

فقال هرقل : وما تخاف من مدته هذه ؟ قال : إن قومي أمدوا حلفاءهم على حلفائه وهو بالمدينة . قال هرقل : إن كنتم أنتم بدأتهم فأنتم أغدر .

(٣) غير ١ : لم يغب له رأى .

(٢) ١ : فأمره

(١) ١ : أمر .

ففضب أبو سفيان وقال : لم يفلبنا إلا مرةً واحدةً وأنا يومئذ غائب ، وهو يوم بدر ، ثم غزوتُهُ مرتين في بيوتهم تَبْقِرُ البطونَ وَتَجْدَعُ الآذانَ والفروجَ .
فقال هرقل : كاذبا تراه أم صادقا ؟ فقال : بل هو كاذب .
فقال : إن كان فيكم نبيٌّ فلا تقتلوه . فإن أفعَلَ الناسَ لذلك اليهودُ .
ثم رجع أبو سفيان .

ففي هذا السياق غرابة ، وفيه فوائد ليست عند ابن إسحاق ولا البخارى .
وقد أورد موسى بن عقبة في مغازيه قريبا مما ذكره عروة بن الزبير . والله أعلم .

وقال ابن جرير في تاريخه : حدثنا ابن حميد ، حدثنا سلمة ، حدثنا محمد بن إسحاق ،
عن بعض أهل العلم قال : إن هرقل قال لدحية بن خليفة الكلبي حين قدم عليه بكتاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم : والله إنى لأعلم أن صاحبك نبيٌّ مُرْسَلٌ ، وأنه الذى كنا
نتنظر ونجده في كتابنا ، ولكنى أخاف الروم على نفسى ، ولولا ذلك لاتبعته ، فاذهب إلى
صفاطر الأسقف فاذكر له أمرَ صاحبكم ، فهو والله فى الروم أعظم منى وأجوزُ قولاً
عندهم منى ، فانظر ماذا يقول لك ؟

قال : فجاء دحية فأخبره بما جاء به من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى هرقل
وبما يدعو إليه ، فقال صفاطر : صاحبك والله نبيٌّ مُرْسَلٌ نعرفه بصفته ونجده
فى كتابنا باسمه .

ثم دخل وألقى ثياباً كانت عليه سوداً وليس بيباضاً ثم أخذ عصاه ، فخرج على الروم فى
الكنيسة فقال : يا معشر الروم إنه قد جاءنا كتاب من أحمد يدعونا فيه إلى الله وإلى أشهد أن لا
إله إلا الله وأن أحمد عبده ورسوله . قال : فوثبوا إليه وثبة رجل واحد فضربوه حتى قتلوه .
قال : فلما رجع دحية إلى هرقل فأخبره الخبر قال : قد قلت لك ، إنا نخافهم على
أنفسنا ، فصفاطر والله كان أعظم عندهم وأجوزُ قولاً منى .

[وقد روى الطبراني من طريق يحيى بن سلمة بن كهيل ، عن أبيه عن عبد الله بن شداد عن دحية الكلبي قال : بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قيصر صاحب الروم بكتاب فقلت : استأذنوا الرسول رسول الله صلى الله عليه وسلم . فأتى قيصر فقيل له : إن على الباب رجلاً يزعم أنه رسول رسول الله . ففرع لذلك وقال : أدخله ، فأدخله عليه وعنده بطارقه فأعطيته الكتاب فإذا فيه ، بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى قيصر صاحب الروم . ففخر ابن أخ له أحمر أزرق سبط^(١) فقال : لا تقرأ الكتاب اليوم فإنه بدأ بنفسه وكتب : صاحب الروم ولم يكتب ملك الروم .

قال : فقرأ الكتاب حتى فرغ منه ، ثم أمرهم فخرجوا من عنده ثم بعث إلى فدخلت عليه ، فسألني فأخبرته ، فبعث إلى الأسقف فدخل عليه . وكان صاحب أمرهم يصدرون عن رأيه وعن قوله . فلما قرأ الكتاب قال الأسقف : هو والله الذي بشرنا به موسى وعيسى الذي كنا ننتظر . قال قيصر : فما تأمرني ؟ قال الأسقف : أما أنا فإني مصدقه ومُتَّبِعُهُ ، فقال قيصر : أعرف أنه كذلك ، ولكن لا أستطيع أن أفعل ، إن فعلتُ ذهب ملكي وقتلني الروم^(٢)] .

وبه قال محمد بن إسحاق ، عن خالد بن يسار ، عن رجل من قدماء أهل الشام قال : لما أراد هرقل الخروج من أرض الشام إلى القسطنطينية لما بلغه من أمر النبي صلى الله عليه وسلم جمع الروم فقال : يا معشر الروم إني عارضٌ عليكم أموراً فانظروا فيها أردت بها . قالوا : ما هي ؟

قال : تعلمون والله أن هذا الرجل كُنِيَ مُرْسَلٌ ، نجده نعرفه بصفته التي وصف^(٣) لنا ، فهم فلنُتَّبِعُهُ فَنَسْلُمَ لنا دنيانا وآخرتنا^(٤) .

(٢) سقط من أ .

(١) السبط : الطويل .

(٣) ١ : وصفت . (٤) ١ : وأخرانا .

فقالوا : نحن نكون تحت أيدي العرب ونحن أعظم الناس مُلْكًا ، وأكثره رجالا وأقصاه بلدًا !

قال : فهم أعطيه الجزية كل سنة ، أ كسر عني شوكته وأستريح من حربه بما أعطيه إياه . قالوا : نحن نعطى العرب الذل والصغار يخرج يأخذونه منا ، ونحن أكثر الناس عددًا ، وأعظمه ملكًا ، وأمنّعه بلدًا ! لا والله لا نفعل هذا أبدًا .

قال : فهم فلاصلحه على أن أعطيه أرضَ سورية ويدعني وأرضَ الشام . قال : وكانت أرض سورية فلسطين والأردن ودمشق وحمص ، وما دون الدّرب [من أرض ^(١)] سورية ، وما كان وراء الدّرب عندهم فهو الشام .

فقالوا : نحن نعطيه أرضَ سورية ، وقد عرفت أنها سرّة ^(٢) الشام ، لا نفعل هذا أبدًا .

فلما أبوا عليه قال : أما والله لآترون ^(٣) أنكم قد ظفرتهم إذا امتنعتم منه في مدينتكم . قال : ثم جلس على بغل له فانطلق ، حتى إذا أشرف على الدرب استقبل أرضَ الشام ثم قال : السلام عليك يا أرض سورية تسليم الوداع . ثم ركض حتى دخل إلى القسطنطينية والله أعلم .

ذكر إرساله عليه السلام إلى ملك العرب من النصارى الذين بالشام

قال ابن إسحاق : ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم شجاع بن وهب أخا بني أسد بن خزيمة إلى المنذر بن الحارث بن أبي شمر الغساني صاحب دمشق ^(٤) .

قال الواقدي : وكتب معه : « سلامٌ على من اتبع الهدى وآمن به ، وأدعوك ^(٥) إلى أن تؤمن بالله وحده لا شريك له يبقى لك ملكك » .

(١) سقطت من المطبوعة . (٢) الأصل : أنها أرض سورية الشام . وما أثبتته عن الطبري ٦٥١/٣ .

(٣) الأصل : لتودن . والتصويب من الطبري . (٤) ابن هشام : بعث شجاع بن وهب الأسدي

إلى الحارث بن أبي شمر الغساني ملك تخوم الشام . (٥) إلى أدعوك .

فقدِم شجاع بن وهب فقراء عليه فقال : ومن ينزع مُلْكِي ! إني سأسير إليه .

ذكر بعثته إلى كسرى ملك الفرس

روى البخارى من حديث الليث ، عن يونس ، عن الزهرى ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث بكتابه ^(١) مع رجل إلى كسرى وأمره أن يدفعه إلى عظيم البحرين ، فدفعه عظيم البحرين إلى كسرى ، فلما قرأه كسرى مرَّقه .

قال : خسبت أن ابن المسيَّب قال : فدعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يمزَّقوا كلَّ ممزَّق .

وقال عبد الله بن وهب : عن يونس عن الزهرى ، حدثني عبد الرحمن بن القارى ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام ذات يوم على المنبر خطيباً فحمد الله وأثنى عليه وتشهد ثم قال : « أما بعد فإني أريد أن أبعث بعضكم إلى ملوك الأعاجم ، فلا تختلفوا علىَّ كما اختلفت بنو إسرائيل على عيسى بن مريم » .

فقال المهاجرون : يا رسول الله إنا لا نختلف عليك في شيء أبداً فمرنا وابعثنا .

فبعث شجاع بن وهب إلى كسرى ، فأمر كسرى بإيوانه أن يزين ثم أذن لعطاء فارس ، ثم أذن لشجاع بن وهب ، فلما أن دخل عليه أمر كسرى بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقبض منه ، فقال شجاع بن وهب : لا حتى أدفعه أنا إليك كما أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال كسرى : ادنه . فدنا فناول الكتاب .

ثم دعا كاتباً له من أهل الخبرة فقراءه فإذا فيه : « من محمد عبد الله ورسوله إلى كسرى عظيم فارس » قال : فأغضبه حين بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه ، وصاح وغضب ومزَّق الكتاب قبل أن يعلم ما فيه ، وأمر بشجاع بن وهب فأخرج ،

فلما رأى ذلك قعد على راحلته ثم سار ، ثم قال : والله ما أبالي على أى الطريقين أكون إذا أدبْتُ كتابَ رسول الله صلى الله عليه وسلم !

قال : ولما ذهب عن كسرى سورة^(١) غضبه بعث إلى شجاع ليدخل عليه ، فالتمس فلم يوجد ، فطلب إلى الخيرة فسبق .

فلما قدم شجاع على النبي صلى الله عليه وسلم أخبره بما كان من أمر كسرى وتمزيقه لكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مزَّق كسرى مُلكه » .

وروى محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ، عن أبي سلمة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عبد الله بن حذافة [بكتابه^(٢)] إلى كسرى . فلما قرأه مزقه ، فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مزَّق مُلكه » .

وقال ابن جرير: حدثنا ابن حميد^(٣) ، حدثنا سلمة ، حدثنا ابن إسحاق ، عن يزيد بن أبي حبيب قال : وبعث عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدي بن سعيد بن سهم إلى كسرى بن هرمز ملك فارس وكتب معه : « بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس ، سلام على من اتبع الهدى ، وآمن بالله ورسوله ، وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأدعوك بدعاء الله ، فإنى أنا رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين . فإن تُسلم تُسلم وإن أبيت فإن اثم الجوس عليك » .

قال : فلما قرأه شقّه^(٤) وقال : يكتب إلى بهذا وهو عبدى ؟ !

(٢) ليست فى ١ .

(٤) الطبرى : مزقه .

(١) ١ : ثورة .

(٣) غير ١ : حدثنا أحمد ابن حميد .

قال : ثم كتب كسرى إلى باذام وهو نائبه على اليمن : أن ابعث إلى هذا الرجل بالحجاز رجلين من عندك جَلَدِين فليأتيا نى به .

فبعث باذام ^(١) قهرمانه - وكان كاتباً حاسباً بكتاب فارس - وبعث معه رجلاً من الفرس يقال له خرخرة ^(٢) ، وكتب معهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمره أن ينصرف معهما إلى كسرى وقال : لأبأذويه ^(٣) : إيت بلادَ هذا الرجل وكلَّه واثنتى بحبره .

فخرجوا حتى قدما الطائفَ ، فوجدا رجلاً من قريش في أرض الطائف فسألوه عنه ، فقال : هو بالمدينة . واستبشَرَ أهلُ الطائف - يعني وقريشٌ - بهما وفرحوا . وقال بعضهم لبعض : أبشروا فقد نصب له كسرى ملكُ الملوك ، كَفَيْتُم الرجل !

فخرجوا حتى قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكَلَّمَهُ أبأذويه فقال : شاهنشاه ملك الملوك كسرى قد كتب إلى الملكِ باذام يأمره أن يبعث إليك من يأتيه بك ، وقد بعثنى إليك لتنطلق معى ، فإن فعلتَ كتب لك إلى ملك الملوك ينفعك ويكفُّ عنك ، وإن أبيتَ فهو من قد علمتَ ، فهو مُهلِكك ومهلك قومك ومخرَّب بلادك .

ودخلا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد حلَّقا لحاهما وأعفيا شواربهما ، فذكره النظرَ إليهما وقال : « وبلكما من أمرٍ كما بهذا ؟ ! » قالا : أمرنا ربُّنا - يعنيان كسرى - فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ولكن ربى أمرنى بإعفاء لحيتى وقصّ شاربى » ثم قال : « ارجعا حتى تأتيا نى غداً » .

قال : وأتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم الخبرُ من السماء بأن الله قد سلَّط على كسرى ابنه شيرويه فقتله .

(١) باذانه . وفي الطبرى ٢/٦٥٥ : باذان . (٢) فى الطبرى : خرخرة .

(٣) الطبرى : بابويه .

[في شهر كذا وكذا في ليلة كذا وكذا من الليل سلط عليه ابنه شيرويه فقتله ^(١)] .
 قال : فدعاها فأخبرها فقالا : هل تدري ماتقول ؟ إنا قد قمنا عليك ماهو أيسرُ
 من هذا ، فنكتب عنك بهذا ونخبر الملك باذام ؟ قال : « نعم أخبره ذاك عني ، وقولا
 له : إن ديني وسلطاني سيبلغ مابلغ كسرى وينتهي إلى الخلف والخافر ، وقولا له : إن
 أسلمت أعطيتك ماتحت يدك وملكتك على قومك من الأبناء » .

ثم أعطى خرخرة منطقة فيها ذهب وفضة كان أهداها إليه بعض الملوك .
 فخرجا من عنده حتى قدما على باذام فأخبراه الخبر فقال : والله ماهذا بكلام ملك ،
 وإني لأرى الرجل نبيا كما يقول ، وليكونن ماقد قال ، فلئن كان هذا حقاً فهو نبي
 مرسل ، وإن لم يكن فسرى فيه رأينا .

فلم ينشب باذام أن قديم عليه كتاب شيرويه : أما بعد ؛ إني قد قتلت كسرى ،
 ولم أقتله إلا غضباً لفارس لما كان استحل من قتل أشرافهم وتحرم ^(٢) في ثغورهم ، فإذا
 جاءك كتابي هذا فخذ لي الطاعة ممن قبلك ، وانطلق إلى الرجل الذي كان كسرى قد
 كتب فيه فلا تهجه حتى يأتيك أمري فيه .

فلما انتهى كتاب شيرويه إلى باذام قال : إن هذا الرجل لرسول . فأسلم وأسلمت
 الأبناء من فارس من كان منهم باليمن .

قال : وقد قال باذويه لبازام : ما كلمت أحداً أهيب عندي منه . فقال له باذام :
 هل معه شرط ؟ قال : لا .

قال الواقدي رحمه الله : وكان قتل كسرى على يدي ابنه شيرويه ليلة الثلاثاء
 لعشر ليال مضين من جمادى الآخرة ، من سنة سبع من الهجرة لست ساعات مضت منها .

(٢) ١ : وغيرهم . وفي الطبري ٦٥٦/٢ وتجميعهم . أي حبسهم .

(١) ليست في ١ .

قلت : وفي شعر بعضهم ما يرشد أن قتله كان في شهر حرام وهو قول بعض الشعراء :

قتلوا كسرى بليلاً مُحَرَّمَا فتولَّى لم يمتَّع بكفنٍ
وقال بعض شعراء العرب ^(١) :

وكسرى إذ تقاسمه بنوه بأسيا ف كما اقتسم اللحم
تمخَّضت المَنُونُ له بيومٍ أتى ^(٢) ولكلِّ حاملةٍ تمام

وروى الحافظ البيهقي من حديث حماد بن سلمة ، عن حميد ، عن الحسن ، عن أبي بكر ، أن رجلاً من أهل فارس أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن ربي قد قتل الليلة ربك » .

قال : وقيل له : - - يعني النبي صلى الله عليه وسلم - : إنه قد استخلف ابنته . فقال : « لا يفلح قوم تملكهم امرأة » .

قال البيهقي : وروى في حديث دحية بن خليفة أنه لما رجع من عند قيصر وجد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رسل كسرى ، وذلك أن كسرى بعث يتوعد صاحب صنعاء ويقول له : ألا تكفيني أمر رجل قد ظهر بأرضك يدعوني إلى دينه ؟ ! لتكفينه أو لأفعلن بك .

فبعث إليه ، فقال لرسله : « أخبروه أن ربي قد قتل ربه الليلة » فوجدوه كما قال .

قال : وروى داود بن أبي هند ، عن عامر الشعبي نحو هذا .

ثم روى البيهقي من طريق أبي بكر بن عياش ، عن داود بن أبي هند ، عن أبيه ، عن أبي هريرة قال : أقبل سعد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « إن في وجهه

(١) ورد هذان البيتان في الجزء الأول من هذا الكتاب ص ٤٩ منسويين إلى خالد بن حق الشيباني .

(٢) سبقت الرواية : ألا . انظر الجزء الأول ص ٤٩ .

سعد خبراً فقال: « يا رسول الله هلك كسرى » فقال: « لعن الله كسرى ، أولُ الناس هلاكاً فارس ثم العرب » .

قلت : الظاهر أنه لما أخبر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بهلاك كسرى لذئبك الرجلين ، يعنى الأميرين اللذين قدما من نائب اليمن باذان ، فلما جاء الخبر بوفق ما أخبر به عليه السلام وشاع في البلاد وكان سعد بن أبي وقاص أول من سمع ، جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بوفق إخباره عليه السلام . وهكذا بنحو هذا التقرير ذكره البيهقي رحمه الله .

ثم روى البيهقي من غير وجه عن الزهري ، أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن ، أنه بلغه أن كسرى بينما هو في دسكرة ملكه بعث له - أو قيض له - عارضٌ يعرض عليه الحق فلم يُفجأ كسرى إلا برجل^(١) يمشي وفي يده عصاً فقال : يا كسرى هل لك في الإسلام قبل أن أكسر هذه العصا ؟ فقال كسرى : نعم لا تكسرها . فوَلَّى الرجل . فلما ذهب أرسل كسرى إلى حبابه فقال : من أذن لهذا الرجل على ؟ فقالوا : ما دخل عليك أحدٌ . فقال : كذبتُم ، قال : ففضب عليهم وتهددتهم ثم تركهم . قال : فلما كان رأسُ الحَوْلِ أتى ذلك الرجل ومعه العصا ، فقال : يا كسرى هل لك في الإسلام قبل أن أكسر هذه العصا ؟ قال : نعم لا تكسرها .

فلما انصرف عنه دعا حُجَّابَه فقال لهم كلمة الأولى .

فلما كان العامُ المستقبل أتاه ذلك الرجل معه العصا فقال له : هل لك يا كسرى في الإسلام قبل أن أكسر العصا ؟ فقال : لا تكسرها لا تكسرها . فكسرها^(٢) .

(١) بالرجل . (٢) لا تكسرها . فكسرها .

فأهلك الله كسرى عند ذلك .

وقال الإمام الشافعي : أنبأنا ابن عُيينة ، عن الزُّهري ، عن سعيد بن المسيَّب ، عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده ، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده ، والذي ^(١) نفسي بيده كَتُنْفَقَنَّ كنوزها في سبيل الله » . أخرجہ مسلم من حديث ابن عُيينة وأخرجه من حديث الزهري به .

قال الشافعي : ولما أتى كسرى بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مزقّه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يمزق مُلكه » . وحَفَظْنَا أن قيصر أكرم كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضعه في مِسْك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثَبَتَ مُلكه » .

قال الشافعي وغيره من العلماء : ولما كانت العربُ تأتي الشامَ والعراقَ للتجارة فأسلمَ مَنْ أسلمَ منهم ، شكوا خوفهم من مَلِكِي العراق والشام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده ، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده » . قال : فبادَ مُلْكُ الأَكاسرة بالسكّية ، وزال ملك قيصر عن الشام بالسكّية ، وإنْ ثَبَتَ لَهُمُ مُلْكٌ في الجُملة ، ببركة دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم لَهُم حين عَظَمُوا كتابه . والله أعلم .

قلت : وفي هذا بشارة عظيمة بأن مُلْك الروم لا يعود أبداً إلى أرض الشام . وكانت العرب تسمى قيصر لمن مَلَك الشام مع الجزيرة من الروم ، وكسرى لمن مَلَك الفُرس ، والنجاشي لمن مَلَك الحبشة ، والمقوقس لمن مَلَك الإسكندرية ، وفرعون

(١) غير أ : فوالذي .

لمن ملك مصر كافراً ، وبطليموس لمن ملك الهند . ولهم أعلام أجناس غير ذلك ، وقد ذكرناها في غير هذا الموضع ^(١) والله أعلم .

وروى مسلم عن قتيبة وغيره عن أبي عوانة ، عن سَمَك ، عن جابر بن سَمرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَقَفْتَحْن عَصَابَةَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ كَنْوَزَ كَسْرَى فِي الْقَصْرِ الْأَبْيَضِ » .

وروى أسباط ، عن سَمَك ، عن جابر بن سَمرة مثل ذلك وزاد : وكنت أنا وأبي فيهم فأصبنا من ذلك ألف درهم .

بَعَثَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى الْمَقَوْسِ

صاحب مدينة الإسكندرية ، واسمه جريج بن مينا القبطي

قال يونس بن بُكَيْر عن ابن إسحاق : حدثني الزهري ، عن عبد الرحمن بن عبد القاري ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث حاطب بن أبي بَلْتَعَةَ إِلَى الْمَقَوْسِ صَاحِبَ الْإِسْكَندَرِيَّةِ ، فَمَضَى بِكِتَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِ ، فَقَبَّلَ الْكِتَابَ وَأَكْرَمَ حَاطِبًا وَأَحْسَنَ نَزْلَهُ وَسَرَّحَهُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَهْدَى لَهُ مَعَ حَاطِبِ كَسْوَةً وَبَغْلَةً بِسَرَجِهَا وَجَارِيَتَيْنِ إِحْدَاهُمَا أُمُ الْإِبْرَاهِيمِ ، وَأَمَّا الْأُخْرَى فَوَهَبَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمُحَمَّدِ بْنِ قَيْسِ الْعَبْدِيِّ .

رواه البيهقي .

ثم روى من طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، عن أبيه حدثنا يحيى بن عبد الرحمن ابن حاطب ، عن أبيه ، عن جده حاطب بن أبي بَلْتَعَةَ قال : بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم إِلَى الْمَقَوْسِ مَلِكَ الْإِسْكَندَرِيَّةِ ، قَالَ : فَجِئْتُهُ بِكِتَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَنْزَلَنِي فِي مَنْزِلِهِ وَأَقَمْتُ عِنْدَهُ ، ثُمَّ بَعَثَ إِلَيَّ وَقَدْ جَمَعَ بِطَارِقَتِهِ وَقَالَ : إِنِّي سَأَلْتُكَ عَنْ كَلَامٍ فَأَحْبَبْتُ أَنْ تَفْهَمَ عَنِّي . قَالَ : قُلْتُ : هَلُمُّ . قَالَ أَخْبَرَنِي عَنْ صَاحِبِكَ أَلَيْسَ هُوَ نَبِيٌّ ؟ قُلْتُ : بَلَى .

هو رسول الله . قال : فما له حيث كان هكذا لم يدع على قومه حيث أخرجوه من بلده إلى غيرها ؟ قال : فقلت : عيسى بن مريم أليس تشهد أنه رسول الله ؟ قال : بلى . قلت : فما له حيث أخذه قومه فأرادوا أن يصلبوه ، ألا يكون دعا عليهم بأن يهلكهم الله حيث رفعه الله إلى السماء الدنيا ؟ فقال لى : أنت حكيم قد جاء من عند حكيم ، هذه هدايا أبعث بها معك إلى محمد ، وأرسل معك ببذرة^(١) يبذر قونك إلى مأمئك .

قال : فأهدى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث جوار منهن أم إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وواحدة وهبها رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان ابن ثابت الأنصارى ، وأرسل إليه بطرف من طرفهم .

وذكر ابن إسحاق أنه أهدى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع جوار إحداهن مارية أم إبراهيم ، والأخرى سيرين التى وهبها لحسان بن ثابت فولدت له عبد الرحمن بن حسان قلت : وكان فى جملة الهدية غلام أسود خصى اسمه مأبور ، وخفان ساذجان أسودان وبغلة بيضاء اسمها الدلدل .

وكان مأبور هذا خصياً ولم يعلموا بأمره^(٢) بادئ الأمر ، فصار يدخل على مارية ، كما كان من عادتهم ببلاد مصر ، فجعل بعض الناس يتكلم فيهما بسبب ذلك ولا يعلمون بحقيقة الحال وأنه خصى ، حتى قال بعضهم : إنه الذى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب بقتله فوجده خصياً فتركه . والحديث فى صحيح مسلم من طريق [حماد بن سلمة] قال ابن إسحاق : وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سليط بن عمرو بن عبدود أخا بنى عامر بن لؤى إلى هوزة بن على صاحب اليمامة . وبعث العلاء بن الحضرمى إلى جيفر ابن الجندى وعمار بن الجندى الأزديين صاحبي عمان^(٣) .

(١) البذرة : الحفارة .

(٢) انظر الإصابة ٦ / ١٣ .

(٣) ابن هشام : بعث العلاء بن الحضرمى إلى المنذر بن ساوى العبدى ملك البحرين . وبعث عمرو بن العاص السهمى إلى جيفر وعبد ابنى الجندى . وبعث سليط بن عمرو . . إلى ثمامة بن أنال وهوزة بن على .

غزوة ذات السلاسل

ذكرها الحافظ البيهقي هاهنا قبل غزوة الفتح ، فساق من طريق موسى بن عقبة وعروة بن الزبير قالوا : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص إلى ذات السلاسل من مشارف الشام في بلى وعبد الله ومن يليهم من قضاة .

قال عروة بن الزبير : وبنو بلى أخوال العاص بن وائل ، فلما صار إلى هناك خاف من كثرة عدوه ، فبعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستمده ، فندب رسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجرين الأولين فانتدب أبو بكر وعمر في جماعة من سراة المهاجرين رضى الله عنهم أجمعين ، وأمر عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا عبيدة ابن الجراح .

قال موسى بن عقبة : فلما قدموا على عمرو قال : أنا أميركم وأنا أرسلت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أستمده بكم . فقال المهاجرون : بل أنت أمير أصحابك وأبو عبيدة أمير المهاجرين . فقال عمرو : إنما أنتم مدد أمددته .

فلما رأى ذلك أبو عبيدة - وكان رجلاً حسن الخلق لئب الشيمة - قال : تعلم يا عمرو أن آخر ما عهد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قال : « إذا قادت على صاحبك فتطاولا » وإنك إن عصيتني لأطعنك . فسلم أبو عبيدة الإمارة لعمرو ابن العاص .

وقال محمد بن إسحاق : حدثني محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحصين التميمي ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص يستنفر العرب إلى الإسلام^(١)

(١) ابن هشام : إلى الشام . ولعله تحريف .

وذلك أن أم العاص بن وائل كانت من بنى بليّ ، فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم يتألفهم بذلك ، حتى إذا كان على ماء بأرض جذام يقال له السلاسل - وبه سميت تلك الغزوة ذات السلاسل - قال : فلما كان عليه وخاف بعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستمدّه ، فبعث إليه أبا عبيدة بن الجراح في المهاجرين الأولين ، فيهم أبو بكر وعمر ، وقال لأبي عبيدة حين وجّهه : « لا تختلفا » .

فخرج أبو عبيدة حتى إذا قدم عليه قال له عمرو : إنما جئت مدداً لى ، فقال له أبو عبيدة : لا ولكنى على ما أنا عليه وأنت على ما أنت عليه .

وكان أبو عبيدة رجلاً ليناً سهلاً ، هيئاً عليه أمرُ الدنيا . فقال له عمرو : [بل]^(١) أنت مددى . فقال له أبو عبيدة : يا عمرو إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال لى : « لا تختلفا » وإنك إن عصيتنى أطعتك فقال له عمرو : فإنى أميرٌ عليك وإنما أنت مدد لى . قال : فدونك . فصلّى عمرو بن العاص بالناس .

وقال الواقدي : حدثني ربيعة بن عثمان ، عن يزيد بن رومان ، أن أبا عبيدة لما آبَ إلى عمرو بن العاص فصاروا خمسمائة فساروا الليل والنهار حتى وطئ بلاد بليّ ودوخها ، وكلما انتهى إلى موضع بلغه أنه قد كان بهذا الموضع جمع فلما سمعوا بك^(٢) تفرقوا ، حتى انتهى إلى أقصى بلاد بليّ وغذرة وبلقين ، ولقى فى آخر ذلك جمعاً ليس بالكثير فاقتتلوا ساعة ، وتراموا بالنبيل ساعة ، ورُمى يومئذ عامرُ بن ربيعة وأصيبت ذراعه ، وحمل المسلمون عليهم فهزموا وأعجزوا هرباً فى البلاد وتفرقوا ، ودوخ عمرو ما هناك وأقام أياماً لا يسمع لهم يجتمع ولا مكان صاروا فيه ، وكان يبعث أصحاب الخيل فيأتون بالشاء والنعم ، فكانوا ينحرون ويذبحون ولم يكن فى ذلك أكثر من ذلك ، ولم تكن غنائم تقسم .

وقال أبو داود، حدثنا ابن المنني، حدثنا وهب بن جرير، حدثنا أبي، سمعت يحيى ابن أيوب يحدث عن يزيد بن أبي حبيب، عن عمران بن أبي أنس، عن عبد الرحمن ابن جُبَيْر، عن عمرو بن العاص، قال: احتلمتُ في ليلة باردة في غزوة ذات السَّلاسل، فأشفقت إن اغتسلت أن أَهْلِكَ، قال: فتيَّمتُ ثم صليتُ بأصحابي الصبح، فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «ياعمرو صليتَ بأصحابك وأنت جُنُب؟» قال: فأخبرته بالذي منعني من الاغتسال وقلت: إني سمعت الله يقول: «ولا تقبلوا أنفسكم إن الله كان بكم رَحِيمًا» فضحك نبي الله صلى الله عليه وسلم ولم يقل شيئاً.

حدثنا محمد بن سلمة [أخبرنا ابن وهب] ^(١) حدثنا ابن لهيعة ^(٢) وعمرو بن الحارث، عن يزيد بن أبي حبيب، عن عمران بن أنس، عن عبد الرحمن بن جُبَيْر ^(٣)، عن أبي قيس مولى عمرو بن العاص - وكان على سبه ^(٤) - فذكر الحديث بنحوه - قال: ففعل مَفَابَنَه وتوضاً ^(٥) وضوءه للصلاة ثم صلى بهم. فذكر نحوه ولم يذكر التيمم.

قال أبو داود: وروى هذه القصة عن الأوزاعي، عن حسان بن عطية، وقال فيه: فتيمم.

وقال الواقدي: حدثني أفلح بن سعيد، عن أبي عبد الرحمن بن رقيش، عن أبي بكر بن حزم قال: كان عمرو بن العاص حين قفلوا احتلم في ليلة باردة كأشد ما يكون من البرد، فقال لأصحابه: ماترون والله، احتلمتُ فإن اغتسلت مت. فدعا بماء فتوضأ وغسل فرجه وتيمم، ثم قام فصلى بهم، فكان أول من بُعث عوف بن مالك يريداً.

(٢) سنن أبي داود: عن ابن لهيعة.

(١) من سنن أبي داود ٥٦/١.

(٣) قال أبو داود: عبد الرحمن بن جبير مصري مولى خاتمة بن حذافة، وليس هو ابن جبير بن نفير.

(٤) أبو داود: أن عمرو بن العاص كان على سرية. (٥) الغائب: بواطن الأفضاء.

قال عوف : فقدِمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في السَّحَر وهو يصلي في بيته ، فسلمت عليه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عوفُ بن مالك ؟ » فقلت : عوف بن مالك يارسول الله . قال : « صاحب الجزور ؟ » قلت : نعم . ولم يزد على هذا بعد ذلك شيئاً . ثم قال : « أخبرني » فأخبرته بما كان من مَسِيرنا وما كان بين أبي عبيدة وعمر و مطاوعة أبي عبيدة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يرحم الله أبا عبيدة بن الجراح » .

قال : ثم أخبرته أن عمرًا صلى بالناس وهو جُنُب ومعه ماء ، لم يزد على أن غسل فرجه وتوضأ . فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما قدِم عمرو على رسول الله صلى الله عليه وسلم سأله عن صلاته فأخبره فقال : والذي بعثك بالحق إني لو اغتسلت لمت ، لم أجد برداً قط مثله ، وقد قال تعالى : « ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً » .

قال : فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يَبْلُغنا أنه قال شيئاً .

وقال ابن إسحاق : حدثني يزيد بن أبي حبيب ، عن عوف بن مالك الأشجعي ، قال : كنت في الغزوة التي بعث فيها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص ، وهي غزوة ذات السلاسل ، فصحبتُ أبا بكر وعمر ، فررت بقوم وهم على جَزور قد نحروها وهم لا يقدرُونَ على أن يبعِضوها ، وكنت امرأةً جازراً ، فقلت لهم : تعطوني منها عُشراً ^(١) على أن أقسمها بينكم ؟ قالوا : نعم . فأخذت الشَّفْرة فجزَّأتها مِكانى ، وأخذت منها جزءاً فحملته إلى أصحابي فاطَّبخناه وأكلناه ، فقال أبو بكر وعمر : أتى لك

(١) العشر : النصيب من لحم الجزور . وفي ١ : عشيرا .

هذا اللحم يا عوف ؟ فأخبرتهما فقالا : لا والله ما أحسنت حين أطعمتنا هذا . ثم قاما يتقيّان ما في بطونهما منه .

فلما أن قفل الناس من ذلك السفر كفت أولَ قادم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجنّته وهو يصلى في بيته ، فقلت : السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته . فقال : « أعوف بن مالك ؟ » فقلت : نعم بأبي أنت وأمي . فقال : « صاحب الجزور ؟ » ولم يزد على ذلك شيئاً .

هكذا رواه محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن عوف بن مالك ، وهو منقطع بل مُعْضَل .

قال الحافظ البيهقي : وقد رواه ابن لهيعة وسعيد بن أبي أيوب ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن ربيعة بن لَقِيط ، عن مالك بن زهْدَم ، أظنه عن عوف بن مالك فذكر نحوه إلا أنه قال : فعرضته على عمر فسألني عنه فأخبرته فقال : قد تعجّلت أجرَكَ ولم يأكله .

ثم حكى عن أبي عبيدة مثله ، ولم يذكر فيه أبا بكر ، وتماه كنحو ماتقدم .

وقال الحافظ البيهقي : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ وأبو سعيد بن أبي عمرو قالا : حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم ، حدثنا يحيى بن أبي طالب ، حدثنا علي بن عاصم ، حدثنا خالد الحذاء ، عن أبي عثمان التَّهْدِي ، سمعت عمرو بن العاص يقول : بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على جيش ذات السلاسل ، وفي القوم أبو بكر وعمر ، فحدثت نفسي أنه لم يبعثنى على أبي بكر وعمر إلا لمنزلة لي عنده ، قال : فأتيته حتى قعدت بين يديه فقلت : يا رسول الله من أحبُّ الناس إليك ؟ قال : « عائشة » ؟ قلت : إني لست أسألك عن أهلك . قال : « فأبوها » قلت : ثم من ؟ قال : « عمر » قلت : ثم من ؟ حتى عدّده رهطاً . قال : قلت في نفسي : لا أعود أسأل عن هذا .

وهذا الحديث مخرّج في الصحيحين من طريق خالد بن مهران الحذاء ، عن أبي عثمان النهدي ، واسمه عبد الرحمن بن مُل ، حدثني عمرو بن العاص ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه على جيش ذات السلاسل ، فأتيته فقلت : أيّ الناس أحبُّ إليك ؟ قال : « عائشة » قلت : فمن الرجال ؟ قال : « أبوها » قلت : ثم من ؟ قال : « ثم عمر بن الخطاب » فعُدّ رجالا . وهذا لفظ البخاري . وفي رواية قال عمرو : فسكتُ مخافة أن يجعلني في آخرهم .

سرية أبي عبيدة إلى سيف البحر

قال الإمام مالك ، عن وهب بن كيسان ، عن جابر ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثاً قبل الساحل وأمر عليهم أبا عبيدة بن الجراح وهم ثلاثمائة . قال جابر : وأنا فيهم .

فخرجنا حتى إذا كنا ببعض الطريق فني الزاد فأمر^(١) أبو عبيدة بأزواد ذلك الجيش فجمع كله ، فكان مِرْوَدَى تمرّاً ، فكان يقوتنسا كلّ يوم قليلا قليلا حتى فني ولم يكن بصيينا إلا تمرّة تمرّة ، قال : فقلت : وما تغني تمرّة ؟ فقال : لقد وجدنا فَقْدَهَا حين فَنَيْت !

قال : ثم انتهينا إلى البحر فإذا حوتٌ مثل الظَّرَب^(٢) . قال : فأكل منه ذلك الجيش ثمانى عشرة ليلة ، ثم أمر أبو عبيدة بضلعين من أضلأعه فنصبا ، ثم أمر براحلته فرحلت ثم مرّ تحتها فلم يصبهما .

أخرجاه في الصحيحين من حديث مالك بنحوه .

وهو في الصحيحين أيضاً من طريق سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن جابر

(١) غير ا : فأتوا أبا عبيدة .

(٢) الظرب : الجبل المنبسط أو الصغير .

قال : بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثلاثمائة راكب وأميرنا أبو عبيدة بن الجراح نَزْصِدَ عِيراً لقریش ، فأصابنا جوع شديد حتى أكلنا الخَبَطَ ^(١) ، فسمى ذلك الجيش جيشَ الخَبَطِ . قال : ونحر رجل ثلاثَ جزائر ثم نحر ثلاث جزائر ثم ثلاثاً . فنهاه أبو عبيدة . قال : وألقى البحرُ دابةً يقال لها العنبر ، فأكلنا منها نصف شهر وأدھنا حتى ثابت إلینا أجسامنا وصَلَحَتْ . ثم ذكر قصة الضلع .

فقوله في الحديث : « نَزْصِدَ عِيراً لقریش » دليل على أن هذه السَّرية كانت قبل صلح الحديبية . والله أعلم . والرجل الذي نحرَ لهم الجزائر هو قيسُ بن سعد بن عبادَةَ رضى الله عنهما .

وقال الحافظ البيهقي : أنبأنا أبو بكر بن إسحاق ، حدثنا إسماعيل بن قتيبة ، حدثنا يحيى بن يحيى ، حدثنا أبو خَيْثَمَةَ ، وهو زهير بن معاوية ، عن أبي الزبير ، عن جابر قال : بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر علينا أبا عبيدة تَتَلَقَّى عِيراً لقریش ، وزوَدنا جراباً من تمر لم يجد لنا غيره ، فكان أبو عبيدة يعطينا تمرَ تمر . قال فقلت : كيف كنتم تصنعون بها ؟ قال : كنا نغصها كما يغمض الصبي ثم نشرب عليها الماء فتكفيها يومنا إلى الليل . وكنا نضرب بعصينا الخَبَطَ ثم نبأله بالماء فنأكله .

قال : فانطلقنا إلى ساحل البحر فرفِع لنا على ساحل البحر كهيئة الكتيب الضخم ، فأتيناهم فإذا به دابة تدعى العنبر ، فقال أبو عبيدة : مَيتة . ثم قال : لا بل نحن رسل رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي سبيل الله ، وقد اضطررنا فاكلوا . قال : فأقمنا عليه شهراً ونحن ثلاثمائة حتى سمنا ، ولقد كنا نفر من وَقَب ^(٢) عينه بالقلال الدَّهْن ،

(٢) الوقب : كل قرة في الجسد كنقرة العين والكشف .

(١) الخَبَطُ : ورق الشجر .

ونقطع منه القدر كالثور أو كقدر الثور ، ولقد أخذ منا أبو عبيدة ثلاثة عشر رجلاً فأقدم في عينه ، وأخذ ضلعاً من أضلاعه فأقامها ثم رحّل أعظم بعير منها فمر تحتها ، وتزوّدنا من لحمها وشائق^(١) ، فلما قدّمنا المدينة أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرنا ذلك له فقال: « هو رزقٌ أخرجهُ الله لكم ، فهل معكم شيء من لحمه تطعمونا ؟ » قال : فأرسلنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكل منه .

ورواه مسلم عن يحيى بن يحيى ، وأحمد بن يونس وأبو داود عن النفيلي ، ثلاثهم عن أبي خيثمة زهير بن معاوية الجعفي السكوفي ، عن أبي الزبير محمد بن مسلم بن تدرس المكي عن جابر بن عبد الله الأنصاري به .

قلت : ومقتضى أكثر هذه السيّاقات أن هذه السرية كانت قبل صلح الحديبية ، ولكن أوردناها هاهنا تبعاً للحافظ البيهقي رحمه الله ، فإنه أوردّها بعد مؤتة وقبل غزوة الفتح . والله أعلم .

وقد ذكر البخاري بعد غزوة مؤتة سرية أسامة بن زيد إلى الحرقات من جبهة فقال : حدثنا عمرو بن محمد ، حدثنا هشيم ، أنبأنا حصين بن جندب ، حدثنا أبو ظبيان ، قال : سمعت أسامة بن زيد يقول : بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحرة فصبّحنا القوم فهزمناهم ، ولحقت أنا ورجلٌ من الأنصار رجلاً منهم ، فلما غشينا قال : لا إله إلا الله . فكفّ الأنصاري وطعنته برمحى حتى قتلتها ، فلما قدّمنا بلغ النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « يا أسامة أقتلتها بعد ما قال لا إله إلا الله ؟ » قلت : كان متعوّذاً ، فما زال يكررها حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم .

وقد تقدم هذا الحديث والكلام عليه فيما سلف .

(٥) الشائق : جمع وشيقة ، وهي لحم يقدد حتى يبس .

ثم روى البخارى من حديث يزيد بن أبى عبيد ، عن سلمة بن الأكوع قال : غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع غزوات وخرجت فيما يبعث من البعوث تسع غزوات ، علينا مرة أبو بكر ومرة أسامة بن زيد رضى الله عنهما .

ثم ذكر الحافظ البيهقي هاهنا موت النجاشي صاحب الحبشة على الإسلام ونعى رسول الله صلى الله عليه وسلم له إلى المسلمين وصلاته عليه .

فروى من طريق مالك ، عن الزهرى ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نعى إلى الناس النجاشي في اليوم الذى مات فيه ، وخرج بهم إلى المصلى فصفا بهم وكبر أربع تكبيرات .

أخرجاه من حديث مالك ، وأخرجاه أيضاً من حديث الليث عن عقيل ، عن الزهرى ، عن سعيد وأبى سلمة ، عن أبى هريرة بنحوه .

وأخرجاه من حديث ابن جريج ، عن عطاء ، عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مات اليوم رجل صالح فصلوا على أضحمة » .

وقد تقدمت ^(١) هذه الأحاديث أيضاً والكلال عليها والله الحمد .

قلت : والظاهر أن موت النجاشي كان قبل الفتح بكثير ، فإن في صحيح مسلم أنه لما كتب إلى ملوك الآفاق كتب إلى النجاشي ، وليس هو بالمسلم . وزعم آخرون كالواقدي أنه هو والله أعلم .

وروى الحافظ البيهقي من طريق مسلم بن خالد الزنجي ، عن موسى بن عقبة ،

عن أبيه ، عن أم كلثوم قالت : لما تزوج النبي صلى الله عليه وسلم أم سلمة قال :
« قد أهديت إلى النجاشي أواقٍ من مسك وحلة وإنى لأراه قد مات ، ولا أرى الهدية
إلا ستردَّ عليّ ، فإن ردَّت عليّ - أظنه قال - قسَمْتُها بينكُن ، أو فهي لك » .
قال : فكان كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مات النجاشي وردَّت الهدية ، فلما
ردت عليه أعطى امرأةً من نسائه أوقيةً ، من ذلك المسك ، وأعطى سائرَه أمَّ سلمة ،
وأعطاهما الحُلَّة . والله أعلم .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

غزوة الفتح الأعظم

وكانت في رمضان سنة ثمان .

وقد ذكرها الله تعالى في القرآن في غير موضع فقال تعالى : « لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتِلْ أُولَئِكَ أَطْعَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى ^(١) » الآية . وقال تعالى : « إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْ لَهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا » .

وكان سببُ الفتح بعدَ هُدنة الحديبية ما ذكره محمد بن إسحاق : حدثني الزُّهري ، عن عروة بن الزبير ، عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم ، أنهما حدثاه جميعاً قالا : كان في صلح الحديبية أنه من شاء أن يدخل في عَقْد محمد وعهده دخل ، ومن شاء أن يدخل في عقد قريش وعهدهم [دخل ^(٢)] . فتوالت خِزاعة وقالوا : نحن ندخل في عَقْد محمد وعهده وتوالت بنو بكر وقالوا : نحن ندخل في عقد قريش وعهدهم .

فمكثوا في تلك المدة نحو السبعة أو الثمانية عشر شهراً ، ثم إن بني بكر وثبوا على خِزاعة ليلاً بماء يقال له الوثير ، وهو قريب من مكة ، وقالت قريش : ما يعلم بنا محمد وهذا الليل وما يرانا من أحد . فأعانوهم عليهم بالكراع والسلاح وقتلهم معهم للضُّغن على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وإن عمرو بن سالم ركب عند ما كان من أمر خِزاعة وبني بكر بالوثير حتى قدم على

(٢) ابن هشام : ومن أحب أن يدخل . . . فليدخل .

(١) سورة الحديد ١٠ .

رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبر الخبر وقد قال أبيات شعر ، فلما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنشدتها إياه :

يَارِبُّ إِنِّي نَاشِدُ مُحَمَّدًا حِلْفَ أَبِيهِ وَأَيْنَا الْأَنْلَدَا^(١)
 قَدْ كُنْتُمْ وَلَدًا وَكُنَّا وَالِدًا ثُمَّتْ أَسْلَمْنَا فَلَمْ نَنْزِعْ يَدَا
 فَانصُرْ رَسُولَ اللَّهِ نَصْرًا أَبَدًا وَادْعُ عِبَادَ اللَّهِ يَأْتُوا مَدَدَا
 فِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ قَدْ تَجَرَّدَا إِنَّ سَيْمَ خَسَفًا وَجْهَهُ تَرَبَّدَا
 فِي فَيْلَقٍ كَالْبَحْرِ يَجْرَى مُزْبَدَا إِنَّ قَرِيشًا أَخْلَقُواكَ الْمَوْعَدَا
 وَنَقَضُوا مِيثَاقَكَ الْمُؤَكَّدَا وَجَعَلُوا لِي فِي كَدَاءٍ رَصَدَا^(٢)
 وَزَعَمُوا أَن لَسْتُ أَدْعُو أَحَدًا فَهُمْ أَذِلُّ وَأَقْلُّ عَدَدَا
 هُمْ يَدْتُونَا بِالْوَتِيرِ هُجَّدَا وَقَتَلُونَا رُكَّعًا وَسُجَّدَا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نصرت يا عمرو بن سالم » فما برح حتى مررت بنا عانة^(٣) في السماء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن هذه السحابة لتستهل بنصر بني كعب » .

وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بالجهار وكتمهم خجرجه ، وسأل الله أن يعمى على قريش خبره حتى يبيغتهم في بلادهم .

قال ابن إسحاق : وكان السبب الذي هاجهم أن رجلا من بني الحضرمي اسمه مالك ابن عباد ، من حلفاء الأسود بن رزن ، خرج تاجرا فلما توسط أرض خزاعة عدوا عليه فقتلوه وأخذوا ماله ، فعدت بنو بكر على رجل من بني خزاعة فقتلوه ، فعدت خزاعة

(٢) كداء : جبل بأعلى مكة .

(١) الأنلد : القديم .

(٣) العنان : السحاب .

قبيل الإسلام على بنى الأسود بن رِزْن الدَّيْلَى ، وهم مَفْخَر بنى كنانة وأشرفهم ؛ سلى
وكلثوم وذؤيب ، قتلوهم بعرفة عند أنصاب الحرم .

قال ابن إسحاق : وحدثني رجل من الدليل قال : كان بنو الأسود بن رِزْن يودون
في الجاهلية دِيَتَيْن ديتين [ونودي دية دية لفضلهم فينا]^(١) .

قال ابن إسحاق : فبينما بنو بكر وخزاعة على ذلك إذ حجَّز بينهم الإسلام ، فلما
كان يوم الحديبية ودخل بنو بكر في عقد قريش ودخلت خزاعة في عقد رسول الله صلى
الله عليه وسلم وكانت الهدنة ، اغتتمها بنو الدَّيْل من بنى بكر وأرادوا أن يصيبوا من
خزاعة ثأراً من أولئك النفر ، فخرج نوفل بن معاوية الدَّيْلَى في قومه وهو يومئذ سيدهم
وقائدهم وليس كلُّ بنى بكر تابعه ، فبيَّت خزاعة وهم على الوتر - ماء لهم - فأصابوا
رجلاً منهم وتحاوزوا واقتتلوا ، ورفدت قريش بنى بكر بالسلاح ، وقاتل معهم من
قريش من قاتل بالليل مُستخفياً حتى حاوزوا^(٢) خزاعة إلى الحرم ، فلما انتهوا إليه قالت
بنو بكر : إنا قد دخلنا الحرم إلهك إلهك ! فقال كلمة عظيمة : لا إله اليوم يا بنى بكر
أصيبوا ثأركم فلمعمرى إنكم لتسرقون في الحرم أفلا تصيبون ثأركم !

ولجأت خزاعة إلى دار بُدَيْل بن ورقاء بمكة وإلى دار مولى لهم يقال له رافع ، وقد
قال الأخزر بن لعط الدَّيْلَى في ذلك :

أهل أتى قُصُوى الأحايِش أننا ردَدنا بنى كعب بأفوق ناصِل^(٣)
حبسناهم في دارِ العبدِ رافعٍ وعندَ بُدَيْل مَحْبَساً غير طرِ
بدار الدليل الآخذِ الضِّيمَ بعد ما شَفِينا النفوسَ منهمُ بالمتأصلِ

(٢) حاوزوا : ساقوا .

(١) من ابن هشام .

(٣) الأفوق : السهم الذى وضع فوقه فى الوتر . والناصل : ماله فصل وهو حد السهم .

حبسناهم حتى إذا طال يومهم نفخنا لهم من كل شعب بوابل^(١)
 نذبهم ذبح الثيوس كأننا أسود نباري فيهم بالقواصل^(٢)
 هم ظلمونا واعتدوا في مسيرهم وكانوا لدى الأنصاب أول قاتل
 كأنهم بالجزع إذ يطردونهم قفأ ثور حقان النعام الجوافل^(٣)

قال : فأجابه بديل بن عبد مناة بن سلمة بن عمرو بن الأجب ، وكان يقال له بديل ابن أم أضرم فقال :

نعاقده قوم يفخرون ولم ندع لهم سيداً يندوهم غير نافل
 أمن خيفة القوم الأولى تزدريهم تجيز الوتير خائفاً غير آيل
 وفي كل يوم نحن نحبو حباءنا لعقل ولا يُحبي لنا في المعائل
 ونحن صبحنا بالتلاعة داركم بأسيافاً يسبقن لوم العواذل^(٤)
 ونحن منعنا بين بيض وعتود إلى خيف رضوى من بحر القبائل^(٥)
 ويوم القميم قد تكفت ساعياً عبيس فجعناه بجلد حلال^(٦)
 إن أجمرت في بيتها أم بعضكم بجمعوسها تنزؤون إن لم نقاتل^(٧)
 كذبتهم وبيت الله ما إن قتلتم ولكن تركنا أمركم في بلابل

قال ابن إسحاق : فحدثني عبد الله بن أبي سلمة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « كأنكم بأبي سفيان قد جاءكم يشد في العقد ويزيد في المدة » .

- (١) الشعب : المطمش بين جبلين . والوابل : المطر الشديد . (٢) القواصل : السيوف القواطع .
 (٣) ثور : جبل بمكة ومنعه من الصرف لأنه أراد به البقعة . وقناه : وراءه . وتروى : بفائور .
 قال أبو ذر : ظاهره أنه اسم موضع . والحقان : صفار النعام . والجوافل : الهاربة بسرعة .
 (٤) التلاعة : ماء لبني كنانة بالحجاز .
 (٥) بيض : من منازل بني كنانة بالحجاز . وعتود : ماء لـكنانة .
 (٦) تكفت : حاد عن طريقه . والجلد : القوي . والحلال : السيد الشجاع .
 (٧) الجمعوس : الرجيع . وأجمرت : رمت به بسرعة . يريد : الفزع والحذر .

قال ابن إسحاق : ثم خرج بُدَيْل بن ورقاء في نفر من خزاعة حتى قدِموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه بما أصيب منهم ومظاهرة قريش بنى بكر عليهم ، ثم انصرفوا راجعين حتى لقوا أبا سفيان بعُسفان قد بعثته قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشدُّ العقدَ ويَزِيد في المدة وقد رهبوا للذي صنعوا ، فلما لقي أبو سفيان بدِيلاً قال : من أين أقبلتَ يا بديل ؟ وظن أنه قد أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : سرت في خزاعة في هذا الساحل في بطن هذا الوادي . قال : فعمد أبو سفيان إلى مَبْرَك ناقته فأخذ من بعرها ففتته فرأى فيه النوى . فقال : أحلف بالله لقد جاء بديل بمحمدًا .

ثم خرج أبو سفيان حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فدخل على ابنته أم حبيبة ، فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم طوته ، فقال : يا بنية ما أدرى أرغبتِ بي عن هذا الفراش أو رَغبتِ به عني ؟ فقالت : هو فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت مشرك نجس ، فلم أحب أن تجلس على فراشه . فقال : يا بنية والله لقد أصابك بعدى شرًّا !

ثم ذهب إلى أبي بكر فكلَّمه أن يكلم له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ما أنا بفاعل . ثم أتى عمر بن الخطاب فكلَّمه فقال عمر : أنا أشفع لكم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ! فوالله لو لم أجد لكم إلا الذرَّ^(١) لجاهدتكم به . ثم خرج فدخل على عليّ ابن أبي طالب وعنده فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعندها حسن غلام يدبُّ بين يديهما ، فقال : يا علي إنك أمسَّ القوم بي رحماً وأقربهم مني قرابة ، وقد جئت في حاجة ، فلا أرجعن كما جئت خائبا ، فاشفع لي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال : ويحك أبا سفيان ! والله لقد عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمرٍ ما نستطيع أن نكلمه فيه . فالتفت إلى فاطمة فقال : يا بنت محمد هل لك أن تأمرى بنيك هذا فيجير بين الناس

(١) الذر : النمل . وهو كالنمل ، لأن الذر لا يقا تل به .

فيكون سيد العرب إلى آخر الدهر؟ فقالت: والله ما بلغ بنى ذلك أن يحير بين الناس وما يحير أحد على النبي صلى الله عليه وسلم.

فقال: يا أبا الحسن إنى أرى الأمور قد اشتدت على فانصحنى. قال: والله ما أعلم شيئاً يغنى عنك، ولكنك سيد بنى كنانة، فقم فأجِر بين الناس ثم الحق بأرضك. فقال: أو ترى ذلك مُغْنِيًا عني شيئاً؟ قال: لا والله ما أظن، ولكن لا أجد لك غير ذلك.

فقام أبو سفيان في المسجد فقال: أيها الناس إنى قد أجرت بين الناس. ثم ركب بعيره فانطلق، فلما أن قدم على قريش قالوا: ما وراءك؟ قال: جئت محمداً فكلمته، فوالله ما ردّ على شيئاً، ثم جئت ابن أبي قحافة فوالله ما وجدت فيه خيراً، ثم جئت عمر فوجدته أعدى عدوّ، ثم جئت عليّاً فوجدته ألين القوم، وقد أشار علىّ بأمر صنعته فوالله ما أدري هل يغنى عنا شيئاً أم لا؟ قالوا: بماذا أمرك؟ قال: أمرنى أن أجير بين الناس ففعلت. قالوا: هل أجاز ذلك محمد؟ قال: لا. قالوا: ويحك ما زادك الرجل على أن لعب بك فما يغنى عنا ما قلت. فقال: لا والله ما وجدت غير ذلك.

[فائدة ذكرها السهيلي. فتكلم على قول فاطمة في هذا الحديث: «وما يحير أحد» على رسول الله صلى الله عليه وسلم «على ما جاء في الحديث: «ويحير على المسلمين أديانهم» قال: وجه الجمع بينهما بأن المراد بالحديث من يحير واحداً أو نفراً يسيراً، وقول فاطمة: فمن يحير عدداً من غزو الإمام إياهم فليس له ذلك. قال: كان سحنون وابن الماسجشون يقولان: إن أمان المرأة موقوف على إجازة الإمام لقوله لأُم هانىء: «قد أجزنا من أجرت يا أم هانىء» قال: ويروى هذا عن عمرو بن العاص وخالد بن الوليد. وقال أبو حنيفة: لا يجوز أمان العبد وفي قوله عليه السلام: «ويحير عليهم أديانهم» ما يقتضى دخول العبد والمرأة. والله أعلم] (١).

وقد روى البيهقي من طريق حماد بن سلمة ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن
أبي هريرة قال : قالت بنو كعب :

اللهم إني ناشدُ محمدًا حِلْفَ أَيْنِنا وأَيِّه الأتْلَدَا
فانصر هداك الله نصرًا أَعْتَدَا وادعُ عبادَ الله يأتوا مَدَدًا^(١)

وقال موسى بن عقبة في فتح مكة : ثم إن بني نِفْثانة من بني الدَّيْل أغاروا على بني
كعب ، وهم في المدة التي بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش ، وكانت بنو
كعب في صلح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت بنو نِفْثانة في صلح قريش ، فأعانت
بنو بكر بني نِفْثانة ، وأعانتهم قريش بالأسلح والريق ، واعتزلتهم بنو مُدْلج ووقفوا بالهدم
الذي كانوا عاهدوا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفي بني الدَّيْل رجالان هما
سيداهم ؛ سلى بن الأسود وكلثوم بن الأسود ، ويذكرون أن ممن أعانهم صفوان بن
أمية وشيبة بن عثمان وسهيل بن عمرو .

فأغار بنو الديل على بني عمرو وعائتهم ، زعموا ، نساء وصبيان وضعفاء الرجال
فأجأوهم وقتلهم حتى أدخلوهم إلى دار بُدَيْل بن ورقاء بمكة .
فخرج ركبٌ من بني كعب حتى أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا له الذي
أصابهم وما كان من أمر قريش عليهم في ذلك ؛ فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« ارجعوا فتنفروا في البلدان » .

وخرج أبو سفيان من مكة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتخوَّف الذي كان ،
فقال : يا محمد اشدد العقد وزدنا في المدة . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ولذلك
قدِمْتَ ؟ هل كان من حدث قبلكم ؟ » فقال معاذ الله ! نحن على عهدنا وصُلحنا يوم
الحديبية لا نغيِّر ولا نبَدِّل .

(١) الأعتد : الحاضر .

نُخْرِجُ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَتَى أَبَا بَكْرٍ فَقَالَ : جَدُّ الْعَقْدِ وَزَدْنَا فِي الْمَدَةِ . فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : جَوَارِي فِي جَوَارِ سَوْلِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَاللَّهُ لَوْ وَجَدْتَ الذَّرَّ تَقَاتَلَكُمْ لِأَعْنَتِهَا عَلَيْكُمْ .

ثُمَّ خَرَجَ فَأَتَى عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ فَكَلَّمَهُ فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ : مَا كَانَ مِنْ حَلْفِنَا جَدِيدًا فَأَخْلَقَهُ اللَّهُ ، وَمَا كَانَ مِنْهُ مُشْتَبَاً فَقَطَعَهُ اللَّهُ ، وَمَا كَانَ مِنْهُ مَقْطُوعًا فَلَا وَصَلَ اللَّهُ ! فَقَالَ لَهُ أَبُو سَفْيَانَ : جُزَيْتَ مِنْ ذِي رَحِمٍ شَرًّا .

ثُمَّ دَخَلَ عَلَى عُمَانَ فَكَلَّمَهُ فَقَالَ عُمَانُ : جَوَارِي فِي جَوَارِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . ثُمَّ اتَّبَعَ أَشْرَافَ قُرَيْشٍ يَكْلِمُهُمْ فَكَلَّمَهُمْ يَقُولُ : عَقَدْنَا فِي عَقْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

فَلَمَّا يَأْتِسُ مِمَّا عِنْدَهُمْ دَخَلَ عَلَى فَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَلَّمَهَا فَقَالَتْ : إِنَّمَا أَنَا امْرَأَةٌ ، وَإِنَّمَا ذَلِكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَقَالَ لَهَا : فَأَمْرِي أَحَدًا ابْنَيْكَ . فَقَالَتْ : إِنَهُمَا صَبِيَّانِ لَيْسَ مِثْلُهُمَا يَحْيِرُ . قَالَ : فَكَلَّمْنِي عَلَيْهَا . فَقَالَتْ : أَنْتَ فَكَلَّمْهُ .

فَكَلَّمَهَا عَلَيْهَا فَقَالَ لَهُ : يَا أَبَا سَفْيَانَ إِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْتَاتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِجَوَارٍ ، وَأَنْتَ سَيِّدُ قُرَيْشٍ وَأَكْبَرُهَا وَأَمْنَمُهَا فَأَجِرْ بَيْنَ عَشِيرَتِكَ . قَالَ : صَدَقْتَ وَأَنَا كَذَلِكَ . نَخْرِجُ فَصَاحَ : أَلَا إِنِّي قَدْ أَجَرْتُ بَيْنَ النَّاسِ ، وَلَا وَاللَّهِ مَا أَظُنُّ أَنْ يَخْفُرَنِي أَحَدٌ .

ثُمَّ دَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ إِنِّي قَدْ أَجَرْتُ بَيْنَ النَّاسِ ، وَلَا وَاللَّهِ مَا أَظُنُّ أَنْ يَخْفُرَنِي أَحَدٌ وَلَا يَرُدُّ جَوَارِي . فَقَالَ : « أَنْتَ تَقُولُ يَا أَبَا حَنْظَلَةَ » نَخْرِجُ أَبُو سَفْيَانَ عَلَى ذَلِكَ .

فَرَضُوا - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ حِينَ أُدْبِرَ

أبو سفيان : « اللهم خذ على أسماعهم وأبصارهم فلا يرونا إلا بفئة ولا يسمعوا بنا إلا فجأة » .

وقدِم أبو سفيان مكة فقالت له قريش : ما وراءك؟ هل جئت بكتاب من محمد أو عهد؟ قال : لا والله لقد أبى عليّ ، وقد تنبعت أصحابه فما رأيت قوماً لملك عليهم أطوع منهم له ، غير أن عليّ بن أبي طالب قد قال لي : التمس جوار الناس عليك ولا تجر أنت عليه وعلى قومك ، وأنت سيد قريش وأكبرها وأحقها ألا تحفر جواره . فقامت بالجوار ثم دخلت على محمد فذكرت له أني قد أجرت بين الناس وقلت : ما أظن أن تحفرني . فقال : أنت تقول ذلك يا أبا حنظلة . فقالوا مجيبين له : رضيت بغير رضى ، وجئنا بما لا يقنى عنا ولا عنك شيئاً ، وإنما لعب بك على لعمرك الله ! ما جوارك يجاوز وإن إخفارك عليهم لهين .

ثم دخل على امرأته فحدثها الحديث فقالت : قبّحك الله من وافد قوم ! فما جئت بخير .

قال : ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم سحاباً فقال : « إن هذه السحاب لتبض بنصر بنى كعب » .

فكث رسول الله صلى الله عليه وسلم ماشاء الله أن يمكث بعد ما خرج أبو سفيان ، ثم أخذ في الجهاز وأمر عائشة أن تجهزه وتحفى ذلك .

ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المسجد أو إلى بعض حاجاته ، فدخل أبو بكر على عائشة فوجد عندها حنطة تُذسف وتنقى ، فقال لها : يا بنية لم تصنعين هذا الطعام ؟ فسكتت . فقال : أيريد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يغزو ؟ فصمتت ، فقال : يريد بنى الأصفر - وهم الروم - ؟ فصمتت ، قال : فلعله يريد أهل نجد ؟ فصمتت . قال : فلعله يريد قريشاً ؟ فصمتت .

قال : فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : يا رسول الله أتريد أن تخرج
تخرجاً ؟ قال : نعم . قال : فلعلك تريد بني الأصفر ؟ قال : لا . قال : أتريد أهل نجد ؟ قال :
لا . قال : فلعلك تريد قريشاً ؟ قال : نعم . قال أبو بكر : يا رسول الله أليس بينك
وبينهم مدة ؟ قال : « ألم يبلغك ما صنعوا ببني كعب ؟ » .

قال : وأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس بالفرز ، وكتب حاطب بن
أبي بلتعنة إلى قريش ، وأطلع الله رسوله صلى الله عليه وسلم على الكتاب . وذكر
القصة كما سيأتي .

وقال محمد بن إسحاق : حدثني محمد بن جعفر ، عن عروة ، عن عائشة أن أبا بكر
دخل على عائشة وهي تغربل خنطة فقال : ما هذا ؟ أمركم رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالجهاز ؟ قالت : نعم فتجهز . قال : وإلى أين ؟ قالت : ما سمى لنا شيئاً غير أنه قد
أمرنا بالجهاز .

قال ابن إسحاق : ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم الناس أنه سائر إلى مكة
وأمر بالجد والتهيؤ وقال : « اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها »
فتجهز الناس .

فقال حسان يحرّض الناس ويذكر مصاب خزاعة :

عَنانِي وَلَمْ أَشْهَدْ يَبْطَحَاءَ مَكَّةَ رِجَالُ بَنِي كَعْبٍ تُحْزُ رِقَابُهَا
بَأَيْدِي رِجَالٍ لَمْ يَسْأَلُوا سِيَوْفَهُمْ وَقَتْلَى كَثِيرٍ لَمْ تَجْنِ ثِيَابُهَا^(١)
الْأَلَيْتُ شَعْرَى هَلْ تَفَالَنَ نُصْرَتِي سَهِيلَ بْنَ عَمْرٍو حُرَّهَا وَعُقَابُهَا^(٢)

(١) لم تجن : لم تستر . يريد أنهم قتلوا ولم يدفنوا .

(٢) ابن هشام : وخزها . وكذلك رواية الديوان .

وصَفَوْنَ عوداً حُزَّ من شفر استه فهذا أوانُ الحربِ شُدَّ عِصَابُهَا^(١)
فلا تَأْمَنَّا يا بن أمِّ جَلَدٍ إذا احتَلَبْتَ صِرْفاً وأَعْصَلَ نَابُهَا^(٢)
ولا تَجْزَعُوا مِنْهَا فإن سِوَفَنَا لها وَقْعَةٌ بالموتِ يُفْتَحُ بِأُهَا
قصة حاطب بن أبي بلتعة

قال محمد بن إسحاق : حدثني محمد بن جعفر ، عن عروة بن الزبير وغيره من علمائنا
قالوا : لما أجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم المسير إلى مكة كتب حاطب بن أبي بلتعة
كتاباً إلى قريش يخبرهم بالذي أجمع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأمر في السير
إليهم ، ثم أعطاه امرأة زعم محمد بن جعفر أنها من مَزِينَةٍ ، وزعم لي غيره أنها سارة مولاة
لبعض بني عبد المطلب وجعل لها جُعلاً على أن تبلغه قريشاً ، فجعلته في رأسها ثم فلتت
عليه قرونها ثم خرجت به .

وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء بما صنع حاطب ، فبعث
على بن أبي طالب والزبير بن العوام فقال : « أدركا امرأة قد كتب معها حاطب بن أبي
بلتعة بكتاب إلى قريش يحذرهم ما قد أجمعنا له من أمرهم » .

فخرجا حتى أدركاها بالحليفة حليفة بني أبي أحمد ، فاستنزلاها فالتصاه في رَحْلِها فلم
يجدا فيه شيئاً ، فقال لها على : إني أحلف بالله ما كُذِبَ رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولا كَذَبْنَا ، ولتخرجين لنا هذا الكتاب أو لنكشفنك . فلما رأت الجِد منه قالت :
أعرض . فأعرض ، فلتت قرون رأسها فاستخرجت الكتاب منها فدفعته إليه ، فأتى به
رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطباً فقال : « يا حاطب ما حملك على هذا ؟ »

(١) ابن هشام : وصفون عوداً حزن .
(٢) الصرف : الخالص . وأعصل : اعوج . يريد اشتداد الحرب . وابن أم جلد : عكرمة بن أبي جهل .

فقال : يا رسول الله أما والله إنى لمؤمن بالله وبرسوله ماغيّرت ولا بدّلت ، ولكننى كنت امرءا ليس لى فى القوم من أصل ولا عشيرة ، وكان لى بين أظهرهم ولد وأهل فصانعتهم عليهم .

فقال عمر بن الخطاب : يا رسول الله دَعْنى فلاضرب عنقه فإن الرجل قد نافق ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ومايدريك يا عمر لعل الله قد اطلع على أصحاب بدر يوم بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » .

وأنزل الله فى حاطب : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ » إلى آخر القصة .

هكذا أورد ابن إسحاق هذه القصة مرسلّة . وقد ذكر السهيلي أنه كان فى كتاب حاطب : أن رسول الله قد توجه إليكم بجيش كالليل يسير كالسيل ، وأقسم بالله لو سار إليكم وحده لنصره الله عليكم فإنه منجز له ماوعده .

قال : وفى تفسير ابن سلام أن حاطبا كتب : إن محمداً قد نفرَ فإِما إليكم وإِما إلى غيركم فعليكم الحذر .

وقد قال البخارى : حدثنا قتيبة ، حدثنا سفيان ، عن عمرو بن دينار ، أخبرنى الحسن بن محمد ، أنه سمع عبيد الله بن أبى رافع ، سمعت علياً يقول : بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا والزبير والمقداد فقال : « انطلقوا حتى تأتوا روضةً خاخ فإن بها ظمينة معها كتاب فخذوه منها » فانطلقنا تعادى بنا خيلنا حتى أتينا الروضة فإذا نحن بالظمينة ، فقلنا : أخرجى الكتاب . فقالت : مامعى . فقلنا : لتخرجن الكتاب أو لنلقين الثياب .

قال : فأخرجته من عقاصها ، فأتينا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا فيه : من

حاطب بن أبى بلتعة إلى ناس بمكة من المشركين ، يخبرهم ببعض أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « يا حاطب ما هذا ؟ » فقال : يا رسول الله لا تمجل علىّ ، إني كنت امرأاً مُلصقاً في قريش ، يقول : كنت حليفاً ولم أكن من أنفسها ، وكان من معك من المهاجرين من لم قرابات يجمعون بها أهليهم وأموالهم ، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ عندهم يداً يجمعون قرابتي ، ولم أفعله ارتداداً عن ديني ولا رضا بالكفر بعد الإسلام .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أما إنه قد صدقكم » فقال عمر : يا رسول الله دغى أضرب عبق هذا المنافق ! فقال : « إنه قد شهد بدرأ ، وما يدريك لعل الله قد أطلع على من شهد بدرأ فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » .

فأنزل الله سورة : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوئى وعدوكم أولياء » إلى قوله : « فقد ضلّ سواء السبيل » .

وأخرجه بقية الجماعة إلا ابن ماجه ، من حديث سفيان بن عيينة . وقال الترمذى : حسن صحيح .

وقال الإمام أحمد : حدثنا حجين ويونس قالا : حدثنا ليث بن سعد ، عن أبى الزبير ، عن جابر بن عبد الله ، أن حاطب بن أبى بلتعة كتب إلى أهل مكة يذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد غزوه ، فذلّ رسول الله صلى الله عليه وسلم على المرأة التى معها الكتاب ، فأرسل إليها فأخذ كتابها من رأسها وقال : « يا حاطب أفعلت ؟ » قال : نعم . قال : أما إني لم أفعله غشاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا نفاقاً ، قد علمت أن الله مظهر رسوله ومتم له أمره ، غير أنى كنت غريباً بين ظهرانيهم وكانت والدتي معهم ، فأردت أن أتخذ يداً عندهم . فقال له عمر : ألا أضرب رأس هذا ؟ فقال :

« أتقتل رجلاً من أهل بدر ؟ وما يدريك لعل الله قد أطلع إلى أهل بدر فقال :
اعملوا ما شئتم » .

تفرد بهذا الحديث من هذا الوجه الإمام أحمد وإسناده على شرط مسلم . والله الحمد .

فصل

قال ابن إسحاق : فحدثني محمد بن مسلم بن شهاب الزهري ، عن عبيد الله بن
عبد الله بن عتبة ، عن ابن عباس قال : ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لسفره
واستخلف على المدينة أبا رهم كلثوم بن حصين بن عتبة بن خلف الغفاري ، وخرج
لعشر مضين من شهر رمضان فصام وصام الناس معه ، حتى إذا كان بالكديد بين
عُسفان وأمعج أفطر ، ثم مضى حتى نزل مرة الظهران في عشرة آلاف من المسلمين .

وقال عروة بن الزبير : كان معه اثنا عشر ألفاً . وكذا قال الزهري وموسى بن
عقبة . فسبغت سليم وبعضهم يقول ألفت سليم ، وألفت مزينه وفي كل القبائل عددٌ
وإسلام ، وأوعب^(١) مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجرون والأنصار فلم يتخلف
عنه منهم أحد .

وروى البخاري ، عن محمود ، عن^(٢) عبد الرزاق ، عن معمر عن الزهري نحوه .

وقد روى البيهقي من حديث عاصم بن علي ، عن الليث بن سعد ، عن عقيل عن
الزهري ، أخبرني عبيد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم غزا غزوة الفتح في رمضان .

قال : وسمعت سعيد بن المسيب يقول مثل ذلك ، لا أدري أخرج في ليال من شعبان
فاستقبل رمضان ، أو خرج في رمضان بعد ما دخل ؟ غير أن عبيد الله بن عبد الله أخبرني

(٢) ١ : ابن عبد الرزاق وهو تحريف .

(١) ١ : وأرغب .

أن ابن عباس قال : صام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ الكَدِيدَ - الماء الذي بين قُدَيْدٍ وعُسْفَانَ - أفطر ، فلم يزل يفطر حتى انصرم الشهر .

ورواه البخاري ، عن عبد الله بن يوسف ، عن الليث ، غير أنه لم يذكر التريديد بين شعبان ورمضان .

وقال البخاري : حدثنا علي بن عبد الله ، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن طاوس عن ابن عباس قال : سافر رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان ، فصام حتى بلغ عُسْفَانَ ثم دعا ياناء فشرب بها ^(١) ليراه الناس ، فأفطر حتى قدم مكة . قال : وكان ابن عباس يقول : صام رسول الله صلى الله عليه وسلم في السفر وأفطر ، فمن شاء صام ، ومن شاء أفطر . وقال يونس : عن ابن إسحاق ، عن الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس قال : مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لسفرة الفتح واستعمل على المدينة أبا رهم كلثوم بن الحصين الغفاري ، وخرج لعشر مضين من رمضان ، فصام وصام الناس معه ، حتى أتى الكَدِيدَ بين عُسْفَانَ وأَجَجَ فأفطر ، ودخل مكة مفطراً فكان الناس يرون أن آخر الأمر ^(٢) من رسول الله صلى الله عليه وسلم الفطر ، وأنه نسخ ما كان قبله .

قال البيهقي : فقلوه : « خرج لعشر من رمضان » مُذَرَّجٌ في الحديث ، وكذلك ذكره عبيد الله بن إدريس ، عن ابن إسحاق .

ثم روى من طريق يعقوب بن سفيان ، عن جابر ، عن يحيى ، عن صدقة ، عن ابن إسحاق أنه قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لعشر مضين من رمضان . سنة ثمان .

(٢) غير أ : يرون آخر الأمرين .

(١) غير أ : نهارا .

ثم روى البيهقي من حديث أبي إسحاق الفزاري ، عن محمد بن أبي حفصة ، عن الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس قال : كان الفتح لثلاث عشرة خلت من شهر رمضان . قال البيهقي : وهذا الإدراج وهم ، إنما هو من كلام الزهري .

ثم روى من طريق ابن وهب ، عن يونس ، عن الزهري ، قال : غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة الفتح - فتح مكة - فخرج من المدينة في رمضان ومعه من المسلمين عشرة آلاف ، وذلك على رأس ثمانين سنة ونصف سنة من مقدمه المدينة ، وافتتح مكة لثلاث عشرة بقين من رمضان .

وروى البيهقي من طريق عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج في رمضان ومعه عشرة آلاف من المسلمين ، فصام حتى بلغ الكديد ثم أفطر .

قال^(١) الزهري : وإنما يؤخذ بالأحدث فالأحدث^(٢) . قال الزهري : فصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة لثلاث عشرة ليلة خلت من رمضان . ثم عزاه إلى^(٣) الصحيحين من طريق عبد الرزاق . والله أعلم .

وروى البيهقي من طريق سعيد بن عبد العزيز التنوخي ، عن عطية بن قيس ، عن أبي سعيد الخدري قال : آذنتنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرحيل عام الفتح لليلتين خلتا من رمضان ، فخرجنا صواماً حتى بلغنا الكديد ، فأمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفطر فأصبح الناس مرضى^(٤) منهم الصائم ومنهم المفطر ، حتى إذا بلغنا المنزل الذي نلتقى العدو أمرنا بالفطر فأفطرنا أجمعين .

وقد رواه الإمام أحمد ، عن أبي المغيرة ، عن سعيد بن عبد العزيز ، حدثني عطية بن

(١) المطبوعة : فقال . خطأ .

(٢) البخاري : وإنما يؤخذ من أمر رسول الله الآخر فالآخر .

(٣) المطبوعة : في . خطأ .

(٤) المطبوعة : مرضى . خطأ .

قيس ، عن حدثه ، عن أبي سعيد الخدري ، قال : أذننا رسول الله بالرحيل عام الفتح لليلتين خلتا من رمضان ، فخرجنا صواماً حتى بلغنا الكديد ، فأمرنا رسول الله بالفطر ، فأصبح الناس منهم الصائم ومنهم المفطر ، حتى إذا بلغ أدنى منزلٍ يلقى العدو أمرنا بالفطر فأفطرنا أجمعون .

قلت : فعلى ما ذكره الزهري ، من أن الفتح كان يوم الثالث عشر من رمضان ، وما ذكره أبو سعيد من أنهم خرجوا من المدينة في ثاني شهر رمضان ، يقتضى أن مسيرهم كان بين^(١) مكة والمدينة في إحدى عشرة ليلة .

ولكن روى البيهقي ، عن أبي الحسين بن الفضل ، عن عبد الله بن جعفر ، عن يعقوب بن سفيان ، عن الحسن بن الربيع ، عن ابن إدريس ، عن محمد بن إسحاق ، عن الزهري ومحمد بن علي بن الحسين ، وعاصم بن عمر بن قتادة ، وعمر بن شعيب ، وعبد الله بن أبي بكر ، وغيرهم . قالوا : كان فتح مكة في عشر بقيت من شهر رمضان سنة ثمان .

وقال أبو داود الطيالسي : حدثنا وهيب ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جابر عن عبد الله قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح صائماً حتى أتى كراع الغميم والناس معه مشاة وركبانا ، وذلك في شهر رمضان^(٢) . فقيل : يا رسول الله إن الناس قد اشتد عليهم الصوم وإنما ينظرون كيف فعلت ؟ فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدر فيه ماء فرفعه فشرب والناس ينظرون ، فصام بعض الناس وأفطر البعض ، حتى أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن بعضهم صائم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أولئك العصاة » .

وقد رواه مسلم من حديث الثقفى والدَّراوردي ، عن جعفر بن محمد .
وروى الإمام أحمد من حديث محمد بن إسحاق ، حدثني بشير بن يسار ، عن ابن عباس قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح في رمضان فصام وصام المسلمون معه ، حتى إذا كان بالكديد دعا بماء في قَعْب وهو على راحلته ، فشرب والناس ينظرون ؛ يُعلمهم أنه قد أفطر ، فأفطر المسلمون .
تفرّد به أحمد .

فصل

في إسلام العباس بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم

وأبي سفيان بن الحارث ابن عبد المطلب ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة المخزومي أخى أم سلمة أم المؤمنين . وهاجروا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدوه في أثناء الطريق وهو ذاهب إلى فتح مكة .
قال ابن إسحاق : وقد كان العباس بن عبد المطلب لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض الطريق .

قال ابن هشام : لقيه بالحنيفة مهاجراً بعياله ، وقد كان قبل ذلك مقياً بمكة على سقايته ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم عنه راضٍ ، فيما ذكره ابن شهاب الزهري .

قال ابن إسحاق : وقد كان أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وعبد الله بن أبي أمية قد لقياً رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضاً بذي القُعْب^(١) فيما بين مكة والمدينة والتمسا الدخول عليه ، فكلمته أم سلمة فيهما فقالت : يا رسول الله ابن عمك وابن عمتك وصهرك . قال : « لا حاجة لى بهما ، أما ابن عمى فهتاك عرضى ، وأما ابن عمتى فهو الذى قال لى بمكة ما قال »^(٢) .

(١) : ذى القُعْب .

(٢) قال له : « والله لا آمنت بك حتى تتخذ سائلاً إلى السماء فتعرج فيه وأنا أنظر ؛ ثم تأتى بصك وأربعة من الملائكة يشهدون أن الله قد أرسلك » الروض الأنف ٢ / ٢٦٧ .

قال : فلما خرج إليهما الخبر بذلك ومع أبي سفيان بُنِيَ له فقال : والله ليأذن لي أو
لأخذن بيد بني هذا ثم لنذهبن في الأرض حتى ^(١) نموت عطشاً وجوعاً . فلما بلغ ذلك
النبي صلى الله عليه وسلم رقّ لهما ، ثم أذن لهما فدخلا عليه فأسلما ، وأنشده أبو سفيان
قوله في إسلامه واعتذر إليه بما كان مضى منه :

لِعَمْرِكَ إِنِّي يَوْمَ أَتَمُّ لُ رَايَةً	لِتَغْلِبَ خَيْلُ اللَّاتِ خَيْلَ مُحَمَّدٍ
لِكَامُلِ الدَّلَجِ ^(٢) الْخَيْرَانِ أَظْلَمَ لَيْلُهُ	فَهَذَا أَوَانِي حِينَ أُهْدَى وَأُهْتَدَى
هَدَانِي هَادٍ غَيْرِ نَفْسِي وَنَالَنِي	مَعَ ^(٣) اللَّهِ مِنْ طَرَدْتُ كُلَّ مُطَرِدٍ
أَصْدُ وَأَنَا يَ جَاهِدًا عَنْ مُحَمَّدٍ	وَأُدْعَى وَإِنْ لَمْ أَنْتَسِبْ مِنْ مُحَمَّدٍ
هُمْ مَاهِمٌ مَنْ لَمْ يَقُلْ بِهِـ هَوَاهِمُ	وَإِنْ كَانَ ذَا رَأْيٍ يُلَمُّ وَيُقْنَدُ
أُرِيدُ لِأَرْضِهِمْ وَلَسْتُ بِلَانِطٍ	مَعَ الْقَوْمِ مَا لَمْ أُهْدَ فِي كُلِّ مَقْعَدٍ
فَقُلْ لِّلثَقِيفِ لَا أُرِيدُ قِتَالَهَا	وَقُلْ لِّلثَقِيفِ تِلْكَ : غَيْرِي أَوْ عَدِي
فَمَا كُنْتُ فِي الْجَيْشِ الَّذِي نَالَ عَامِرًا	وَلَا ^(٤) كَانَ عَنْ جَرِّ السَّانِي وَلَا يَدِي
قِبَائِلُ جَاءَتْ مِنْ بِلَادٍ بَعِيدَةٍ	نَزَائِعُ جَاءَتْ مِنْ سَهَامٍ وَسُرَدَدٍ ^(٥)

قال ابن إسحاق : فزعموا أنه حين أنشد رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ونالني
مع الله من طردت كل مطرد » ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم يده في صدره
وقال : « أنت طردتني كل مطرد » .

(٢) ١ : إن الدلج .

(١) غير ١ : ثم نموت .

(٣) ١ : من .

(٥) سهام وسردد : موضعان من أرض عك .

(٤) غير ١ : وما كان .

فصل

ولما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مَرِّ الظَّهْران نزل فيه فأقام ، كما روى البخارى عن يحيى بن بُكير ، عن الليث ومسلم ، عن أبي الطاهر ، عن ابن وهب ، كلاهما عن يونس ، عن الزهرى ، عن أبي سلمة عن جابر قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمر الظَّهْران نَجْتَنِي الكِبَاثَ ، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « عليكم بالأسود منه فإنه أطيب » قالوا : يا رسول الله أكنت ترى الغنم ؟ قال : « نعم ، وهل من نبيٍّ إلا وقد رعاها » .

وقال البيهقي ، عن الحاكم ، عن الأصمّ ، عن أحمد بن عبد الجبار ، عن يونس بن بكير ، عن سنان بن إسماعيل ، عن أبي الوليد سعيد بن مينا ، قال : لما فرغ أهل مكة ورجعوا أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمسير إلى مكة ، فلما انتهى إلى مَرِّ الظَّهْران نزل بالعقبة فأرسل الجُنَاقَةَ يَحْتَنُونَ الكِبَاثَ ، فقلت لسعيد : وما هو ؟ قال : ثمرُ الأراك .

قال : فانطلق ابنُ مسعود فيمن يحتنى ، قال : فجعل أحدهم إذا أصاب حبة طيبة قذفها في فيه ، وكانوا ينظرون إلى دقة ساقِ ابن مسعود وهو يَرْتَقِي في الشجرة فيضحكون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تعجبون من دقة ساقيه ؟ فوالذى نفسى بيده لهما أنقلُ في الميزان من أحد ! » .

وكان ابن مسعود ما اجتنى من شيء جاء به وخياره فيه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال في ذلك :

هذا جنائى وخيارى فيه إذ كلُّ جانٍ يده إلى فيه

وفي الصحيحين عن أنس قال : أُنْفَجْنَا^(١) أَرْبَابًا وَنَحْنُ بَمَرِ الظَّهْرَانِ ، فَسَعَى الْقَوْمُ فَلَنَبِوا وَأَدْرَكْتَهَا فَأَخَذْتُهَا فَأَتَيْتُ بِهَا أَبَا طَلْحَةَ فَذَبَحَهَا . وَبَعَثَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِوَرَكِهَا وَغَذِيهَا فَقَبِلَهُ .

وقال ابن إسحاق : وَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّةً الظَّهْرَانِ وَقَدْ عُيِّتِ الْأَخْبَارُ عَلَى^(٢) قَرِيشٍ ، فَلَا يَأْتِيهِمْ خَبَرٌ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا يَدْرُونَ مَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاعِلٌ ، وَخَرَجَ فِي تِلْكَ اللَّيَالِي أَبُو سَفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ وَحَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ وَبُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ يَتَجَسَّسُونَ الْأَخْبَارَ وَيَنْظُرُونَ هَلْ يَجِدُونَ خَبْرًا أَوْ يَسْمَعُونَ بِهِ .

وَذَكَرَ ابْنُ لَهْيَعَةَ عَنْ أَبِي الْأَسْوَدِ عَنْ عُرْوَةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ بَيْنَ يَدَيْهِ [عِيُونًا]^(٣) خِيَلًا يَفْتَقِشُونَ الْعِيُونَ ، وَخِزَاعَةً لَا تَدَعُ أَحَدًا يَمْضِي وَرَاءَهَا فَلَمَّا جَاءَ أَبُو سَفْيَانَ وَأَصْحَابَهُ أَخَذْتَهُمْ خِيَلُ الْمُسْلِمِينَ وَقَامَ إِلَيْهِ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فِي عُنُقِهِ ، حَتَّى أَجَارَهُ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ وَكَانَ صَاحِبًا لِأَبِي سَفْيَانَ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَقَالَ الْعَبَّاسُ حِينَ نَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّةً الظَّهْرَانِ قُلْتُ : وَاصْبَاحَ قَرِيشٍ ! وَاللَّهِ لَئِنْ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكَّةَ عَنُوءَةً قَبْلَ أَنْ يَأْتُوهُ فَيَسْتَأْمِنُوهُ إِنَّهُ لَهَلَاكُ قَرِيشٍ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ .

قَالَ : فَجَلَسْتُ عَلَى بَغْلَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْبَيْضَاءِ فَخَرَجْتُ عَلَيْهَا حَتَّى جِئْتُ الْأَرَكَ فَقُلْتُ : لَعَلِّي أَجِدُ بَعْضَ الْخَطَّابَةِ أَوْ صَاحِبَ لَبَنٍ أَوْ ذَا حَاجَةٍ يَأْتِي

(٢) غير ١ : عن .

(١) أُنْفَجْنَا : أَثَرْنَا .

(٣) لَيْسَتْ فِي ١ .

مكة فيخبرهم بمكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخرجوا إليه فيستأمنوه قبل أن يدخلها^(١) عليهم عَنوة .

قال : فوالله إنى لأسير عليها وألتبس ما خرجت له إذ سمعتُ كلامَ أبي سفيان وبُدِيل بن وَرْقَاء وهما يتراجعا ، وأبو سفيان يقول : ما رأيتُ كالليلة نيراناً قطّ ولا عسكرياً . قال : يقول بدیل : هذه والله خزاعة حَمَشَتْها الحربُ . قال : يقول أبو سفيان : خزاعةٌ أذلُّ وأقلُّ من أن تكون هذه نيرانها وعسكريها .

قال : فعرفت صوته فقلت : يا أبا حنظلة ؟ فعرف صوتي . فقال : أبو الفضل ؟ قال : قلت : نعم . قال : مالك فدّى لك أبى وأمى !

قال : قلت : ويحك يا أبا سفيان ! هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس . فقال : واصباح قریش والله ! فما الحيلةُ فذاك أبى وأمى ؟ قال : قلت والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك ، فاركب في عَجْزٍ هذه البغلة حتى آتى بك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأمنه لك .

قال : فركب خلفي ورجع صاحبا . وقال عروة : بل ذهبوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأسلما وجعل يستخبرهما عن أهل مكة .

وقال الزهري وموسى بن عقبة : بل دخلوا مع العباس على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

[قال : فجئت به ، كلما سررت بنار من نيران المسلمين قالوا : من هذا ؟ فإذا رأوا بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا عليها قالوا : غمَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم . حتى سررت بنار عمر بن الخطاب فقال : من هذا ؟

(١) غير ا : يدخل .

وقام إلى . فلما رأى أبا سفيان على عجز الدابة قال : أبو سفيان عدو الله ! الحمد لله الذي أمكن منك بغير عقد ولا عهد .

وزعم عروة بن الزبير أن عمر وجأ في رقبة أبي سفيان وأراد قتله فمنعه منه العباس . وهكذا ذكر موسى بن عقبة ، عن الزهري ، أن عيون رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذهم بأزمةٍ جالهم فقالوا : من أتم ؟ قالوا : وفد رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلقبهم العباس فدخل بهم على رسول الله فحادثهم عامة الليل ثم دعاهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله فشهدوا ، وأن محمداً رسول الله . فشهد حَكِيمُ وبَدِيلُ وقال أبو سفيان : ما أعلم ذلك ثم أسلم بعد الصبح . ثم سأله أن يؤمّن قريشاً فقال : « من دخل دار أبي سفيان فهو آمن - وكانت بأعلى مكة - ومن دخل دار حَكِيم بن حِزام فهو آمن . وكانت بأسفل مكة - ومن أغلق بابه فهو آمن » قال العباس : ^(١) ثم خرج عمر يشتد نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم وركضت البغلة فسبقته بما تسبق الدابة البطيئة الرجل البطيء .

قال : فاقترحتُ عن البغلة فدخلتُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل عليه عمر ، فقال : يا رسول الله هذا أبو سفيان قد أمكن الله منه بغير عقد ولا عهد فدعني فلاضرب عنقه ؟ قال : قلت : يا رسول إني قد أجرته . ثم جلست إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذت برأسه فقلت : والله لا ينجيه الليلة دوني رجل .

فلما أكثر عمرُ في شأنه قال قلت : مهلاً يا عمر ! فوالله أن لو كان من رجال ^(٢) بني عدى بن كعب ما قلتَ هذا ، ولكنك قد عرفتَ أنه من رجال بني عبد مناف . فقال : مهلاً يا عباس ، فوالله لإسلامك يوم أسلمتَ كان أحبَّ إليّ من إسلام الخطّاب لو أسلم ! وما بي إلا أني قد عرفت أن إسلامك كان أحبَّ إليّ رسول الله صلى الله عليه

وسلم من إسلام الخطاب . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذهب به يعباس إلى رَحْلِكَ فإذا أصبحت فأتني به » .

قال : فذهبت به إلى رَحْلِي فبات عندي ، فلما أصبح غَدوت به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رآه رسول الله قال : « ويحك يا أبا سفيان ألم يَأْنِ لَكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ؟ » فقال : بَأبَى أَنْتَ وَأُمَى ! مَا أَحْلَمَكَ وَأَكْرَمَكَ وَأَوْصَلَكَ ! وَاللَّهِ لَقَدْ ظَنَنْتُ أَنْ لَوْ كَانَ مَعَ اللَّهِ غَيْرُهُ لَقَدْ أَغْنَى عَنِّي شَيْئًا بَعْدُ !

قال : « ويحك يا أبا سفيان ألم يَأْنِ لَكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّي رَسُولُ اللَّهِ ؟ » قال : بَأبَى أَنْتَ وَأُمَى مَا أَحْلَمَكَ وَأَكْرَمَكَ وَأَوْصَلَكَ ! أَمَّا هَذِهِ وَاللَّهِ فَإِنَّ فِي النَّفْسِ مِنْهَا حَتَّى الْآنَ شَيْئًا ! فقال له العباس : ويحك أَسْلَمْ وَاشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ قَبْلَ أَنْ تُضْرِبَ عُنُقَكَ ؟

قال : فشهد شهادة الحق فأسلم .

قال العباس : فقلت يا رسول الله ، إِنَّ أَبَا سَفِيَانَ رَجُلٌ يَحِبُّ هَذَا الْفَخْرَ فَاجْعَلْ لَهُ شَيْئًا .

قال : « نعم ، من دخل دارَ أَبِي سَفِيَانَ فَهُوَ آمِنٌ » زاد عروة : « ومن دخل دار حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ فَهُوَ آمِنٌ » وهكذا قال موسى بن عَقْبَةَ عن الزهري . « ومن أغلَقَ عَلَيْهِ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ ، ومن دخل المسجدَ فَهُوَ آمِنٌ » .

فلما ذهب لينصرف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا عباس احبسْهُ بِمَضِيقِ الْوَادِي عِنْدَ خَطَمِ^(١) الْجَبَلِ حَتَّى تَمُرَّ بِهِ جُنُودُ اللَّهِ فِيرَاهَا » :

وَذَكَرَ مُوسَى بْنُ عَقْبَةَ عَنِ الزَّهْرِيِّ أَنَّ أَبَا سَفِيَانَ وَبُدَيْلًا وَحَكِيمَ بْنَ حِزَامٍ

(١) خَطَمُ الْجَبَلِ : أَقْصَاهُ

كانوا وقوفا مع العباس عند خطم الجبل ، وذكر أن سعدا لما قال لأبي سفيان .
اليومُ يومُ المَلحمة : اليومُ تُسَقَّلُ الحرمة

فشكا أبو سفيان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فعزله عن راية الأنصار وأعطاها
الزبير بن العوام فدخل بها من أعلى مكة وعرّزها بالحجّون ، ودخل خالد من أسفل مكة
فلقى بنو بكر وهذيل ، فقتل من بني بكر عشرين ومن هذيل ثلاثة أو أربعة ، وانهزموا فقتلوا
بالحرزورة^(١) حتى بلغ قتلهم باب المسجد .

قال العباس : تفرجت بأبي سفيان حتى حبسته بمضيّق الوادى حيث أمرنى رسول
الله صلى الله عليه وسلم أن أحبسه .

قال : ومرّت القبائل على راياتها ، كلما مرت قبيلة قال : يا عباس من هؤلاء ؟
فأقول : سليم . فيقول : مالى ولسليم . ثم تمر به القبيلة فيقول : يا عباس من هؤلاء ؟
فأقول : مزيّنة . فيقول : مالى ولمزيّنة . حتى نفدت القبائل ما تمرّ به قبيلة إلا سألتى عنها ،
فإذا أخبرته قال : مالى ولبنى فلان . حتى مرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كتيبتة
الخضراء وفيها المهاجرون والأنصار لا يرى منهم إلا الحدق من الحديد ، فقال :
سبحان الله يا عباس ! من هؤلاء ؟ قال : قلت : هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى
المهاجرين والأنصار ، قال : المأحد بهؤلاء من قبل ولا طاقة ، والله يا أبا الفضل لقد
أصبح مُلك ابن أخيك الغداة عظيما !

قال : قلت : يا أبا سفيان إنها الثبوة . قال : فنعم إذن .

قال : قلت النجاء إلى قومك .

حتى إذا جاءهم صرخ بأعلى صوته : يامعشر قريش ، هذا محمد قد جاءكم فيما لا قبيل

(١) الحرزورة : كانت سوق مكة .

لكم به ، فن دخل دارَ أبي سفيان فهو آمن .

فقامت إليه هند بنت عتبة [فأخذت بشاربه ^(١)] فقالت : اقتلوا الحميتَ الدِّسمَ
الأخمس ^(٢) قُبَّح من طليعة قوم .

فقال أبو سفيان : ويلكم لا تغرَّكم هذه من أنفسكم ، فإنه قد جاءكم مالا قِبَل
لكم به ، من دخل دارَ أبي سفيان فهو آمن .

قالوا : قاتلك الله ! وما أغنى عنا دارك ؟ قال : ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ، ومن
دخل المسجد فهو آمن .

فتفرَّق الناسُ إلى دورهم وإلى المسجد .

[وذكر عروة بن الزبير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما مرَّ بأبي سفيان قال
له : إني لأرى وجوها كثيرة لا أعرفها ، لقد كثرت هذه الوجوه عليّ ؟ فقال له
رسول الله : « أنت فعلت هذا وقومك ، إن هؤلاء صدَّقوني إذ كذَّبتموني ، ونصروني
إذ أخرجتموني » .

ثم شكَا إليه قولَ سعد بن عبادَةَ حين مرَّ عليه فقال : يا أبا سفيان :

اليوم يوم المَلَحْمَةِ اليوم تُسْتَحَلُّ الحُرْمَةُ

فقال رسول الله : « كَذَبَ سعد ، بل هذا يومٌ يَعِظُمُ الله فيه الكعبة ويوم تُكْسَى
فيه الكعبة » .

وذَكَرَ عروة أن أبا سفيان لما أصبح صبيحة تلك الليلة التي كان عند العباس ، ورأى
الناسَ يَخْنَحُونَ للصلاة وينتَشِرُونَ في استعمال الطهارة خاف وقال للعبس : ما بَأْهُم ؟
قال : إنهم قد سمعوا النداء فهم ينتَشِرُونَ للصلاة . فلما حضرت الصلاة ورآهم يركعون

(١) ليست في ١ .

(٢) الحميت : الزق . أو وعاء السمن . والدسم : السمين . والأخمس : الكثير اللحم .

ويسجدون بسجوده قال : يا عباس ما يأمرهم بشيء إلا فعلوه ؟ قال : نعم والله لو أمرهم بترك الطعام والشراب لأطاعوه .

وذكر موسى بن عقبة عن الزهري أنه لما توضع رسول الله صلى الله عليه وسلم جعلوا يتكفّفون ، فقال : يا عباس ما رأيت كالأيلة ولا مُلك كسرى وقيصر ! ^(١) .

وقد روى الحافظ البيهقي عن الحاكم وغيره عن الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير ، عن ابن إسحاق ، حدثني الحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس ، عن عكرمة ، عن ابن عباس . فذكر هذه القصة بتمامها كما أوردها زياد البكائي عن ابن إسحاق منقطعة . والله أعلم .

على أنه قد روى البيهقي من طريق أبي بلال الأشعري ، عن زياد البكائي ، عن محمد بن إسحاق ، عن الزهري ، عن عبيد الله ، عن ابن عباس ، قال : جاء العباس بأبي سفيان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : فذكر القصة . إلا أنه ذكر أنه أسلم من ليلته قبل أن يصبح بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنه لما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من دخل دار أبي سفيان فهو آمن » قال أبو سفيان : وما تسع داري ؟ فقال : « ومن دخل الكعبة فهو آمن » قال : وما تسع الكعبة ؟ فقال : « ومن دخل المسجد فهو آمن » قال : وما يسع المسجد ؟ فقال : « ومن أغلق عليه بابه فهو آمن » فقال أبو سفيان : هذه واسعة .

وقال البخاري : حدثنا عبيد بن إسماعيل ، حدثنا أبو أسامة ، عن هب ، عن أبيه قال : لما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح فبلغ ذلك قريشاً خرج أبو سفيان ابن حرب وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء يلتزمون الخبر عن رسول الله صلى الله

عليه وسلم ، فأقبلوا يسرون حتى أتوا مَرَّ الظَّهْرَانِ فإذا هم بنيران كأنها نيران عرفة ، فقال أبو سفيان : ما هذه ؟ كأنها نيران عرفة ؟ فقال بُذَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ : نيران بنى عمرو . فقال أبو سفيان : عمرو أقلُّ من ذلك . فرآهم ناس من حرس رسول الله صلى الله عليه وسلم فأدركوهم فأخذوهم ، فأتوا بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسلم أبو سفيان .

فلما سار قال للعباس : « احبس أبا سفيان عند خطم الجبل حتى ينظر إلى المسلمين » فحبسه العباس ، فجعلت القبائل تمرُّ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تمر كتيبةً كتيبةً على أبي سفيان ، فمرت كتيبة فقال : يا عباس من هذه ؟ قال : هذه غِفَارٌ . قال : مالى ولغفار . ثم مرت جُهَيْنَةُ فقال مثل ذلك ، ثم مرت سعد بن هُذَيْمٍ فقال مثل ذلك ، ومرت سُلَيْمٌ فقال مثل ذلك ، حتى أقبلت كتيبة لم ير مثلها فقال : من هذه ؟ قال : هؤلاء الأنصار عليهم سعد بن عبادة معه الراية . فقال سعد بن عبادة : يا أبا سفيان اليومَ يومُ الملحمة . اليوم تُسْتَحَلُّ الكعبة . فقال أبو سفيان : يا عباس حبِّذا يومُ الذمار .

ثم جاءت كتيبة وهى أقلُّ الكتائب ، فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وراية رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الزبير بن العوام ، فلما مرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبي سفيان قال : ألم تعلم ما قال سعد بن عبادة ؟ فقال : ما قال ؟ قال : كذا وكذا . فقال : « كَذَبَ سعد ، ولكن هذا يوم يعظمُ الله فيه الكعبة ، ويوم تكسى فيه الكعبة » وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تُرَكَّزَ رايته بالحجَّون .

قال عروة : وأخبرنى نافع بن جُبَيْرِ بْنِ مُطْعَمٍ قال : سمعت العباس يقول للزبير بن العوام : ها هنا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تُرَكَّزَ الراية ؟ قال : نعم .

قال : وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد أن يدخل من أعلى مكة من كدَّاء ، ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم من كدَّى ، فقتلَ من خيل خالد بن الوليد يومئذ رجلان حبيش بن الأشعر وكرز بن جابر الفهري . وقال أبو داود : حدثنا

عثمان بن أبي شيبة ، حدثنا يحيى بن آدم ، حدثنا إدريس ، عن محمد بن إسحاق ، عن الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح جاءه العباس بن عبد المطلب بأبي سفيان بن حرب فأسلم بمر الظهران ، فقال له العباس : يا رسول الله إن أبا سفيان رجل يحب هذا الفخر ، فلو جعلت له شيئاً ؟ قال : « نعم من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ومن أغلق بابه فهو آمن » .

صفة دخوله عليه الصلاة والسلام مكة

ثبت في الصحيحين من حديث مالك [عن الزهري ^(١)] عن أنس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مكة وعلى رأسه المغفر ، فلما نزع جاءه رجل فقال : إن ابن خَطَل متعلق بأستار الكعبة فقال : « اقلوه » .

قال مالك : ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما نرى والله أعلم مُحَرِّماً .
وقال أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا حماد ، حدثنا أبو الزبير ، عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل يوم فتح مكة وعليه عمامة سوداء .
ورواه أهل السنن الأربعة من حديث حماد بن سلمة . وقال الترمذي : حسن صحيح .
ورواه مسلم عن قتيبة ، ويحيى بن يحيى ، عن معاوية بن عمار الدُّهْنِي ، عن أبي الزبير ، عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مكة وعليه عمامة سوداء من غير إحرام .

وروى مسلم من حديث أبي أسامة ، عن مُسَاوِر الوراق ، عن جعفر بن عمرو بن حُرَيْث ، عن أبيه قال : كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ وَعَلَيْهِ عِمَامَةٌ حَرَقَانِيَّةٌ ^(٢) سوداء قد أُرْخِيَ طَرَفُهَا بَيْنَ كَتِفَيْهِ .

(٢) سقطت من ١ .

(١) الحرقانية : على لون ما أحرقت النار .

وروى مسلم في صحيحه ، والترمذى والنسائى من حديث عمار الدهنى ، عن أبي الزبير ، عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مكة وعليه عمامة سوداء .
وروى أهل السنن الأربعة من حديث يحيى بن آدم ، عن شريك القاضي ، عن عمار الدهنى ، عن أبي الزبير ، عن جابر قال : كان لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم دخل مكة أبيض .

وقال ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ، عن عائشة : كان لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح أبيض ، ورايته سوداء تسمى العقاب ، وكانت قطعة من ميرط مُرَجَّل^(١) .

وقال البخارى : حدثنا أبو الوليد ، حدثنا شعبة ، عن عبد الله بن قرة ، قال : سمعت عبد الله بن مغفل يقول : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة على ناقته وهو يقرأ سورة الفتح يُرَجِّع . وقال : لولا أن يجتمع الناس حولي لرجعت كما رجعت .
وقال محمد بن إسحاق : حدثني عبد الله بن أبي بكر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انتهى إلى ذى طوى وقف على راحلته مُعْتَجِراً بِشَقَّةِ بُرْدِ حَبَرَةٍ حمراء^(٢) ، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليضع رأسه تواضعاً لله حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح ، حتى إن عُثْنُونَهُ^(٣) ليكاد يمسُّ واسطة الرَّحْلِ .

وقال الحافظ البيهقي : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، أنبأنا دعلج بن أحمد ، حدثنا أحمد ابن على الأتبار ، حدثنا عبد الله بن أبي بكر المقدسى ، حدثنا جعفر بن سليمان ، عن ثابت ، عن أنس ، قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح وذقنه على رحله^(٤) متخشفاً .

(١) المرط : كساء من صوف . والمرجل : الذى فيه صور الرجال . وتروى مرجل بالخاء أى فيه صور الرجال .

(٢) ١ : بشقة برد حمراء .

(٣) العثنون : اللحية أو ما فضل منها بعد العارضين .

(٤) غير ١ : راحلته .

وقال : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، أنبأنا أبو بكر بن بالويه ، حدثنا أحمد بن صاعد ، حدثنا إسماعيل بن أبي الحارث ، حدثنا جعفر بن عون ، حدثنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن قيس ، عن ابن مسعود ، أن رجلاً كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح فأخذه الرعدة ، فقال : « هَوِّنْ عليك فإنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد » .

قال : وهكذا رواه محمد بن سليمان بن فارس وأحمد بن يحيى بن زهير ، عن إسماعيل بن أبي الحارث موصولاً .

ثم رواه عن أبي زكريا المزكى ، عن أبي عبد الله محمد بن يعقوب ، عن محمد بن عبد الوهاب ، عن جعفر بن عون ، عن إسماعيل بن قيس مرسلاً . وهو المحفوظ .

وهذا التواضع في هذا الموطن عند دخوله صلى الله عليه وسلم مكة في مثل هذا الجيش الكثيف العرمرم ، بخلاف ما اعتمدته سفهاء بني إسرائيل حين أمروا أن يدخلوا باب بيت المقدس وهم سجدوا - أى رُكع - يقولون حِطَّة فدخلوا يزحفون على أستاهم وهم يقولون : حِطَّة في شعرة !

وقال البخارى : حدثنا القاسم بن خازجة ، حدثنا حفص بن ميسرة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، أن عائشة أخبرته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عام الفتح من كداء التى بأعلى مكة . تابعه أبو أسامة ووهب في كداء .

حدثنا عبيد بن إسماعيل ، حدثنا أبو أسامة ، عن هشام ، عن أبيه ، دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح من أعلى مكة من كداء .

وهو أصح إن أراد أن المرسل أصبح من انسند المتقدم انتظم الكلام ، وإلا فكداء بالمد هى المذكورة في الروايتين وهى فى أعلى مكة ، وكذى مقصور فى أسفل مكة . وهذا هو المشهور والأنسب .

وقد تقدم أنه عليه السلام بعث خالد بن الوليد من أعلى مكة ، ودخل هو عليه

السلام من أسفلها من كَدَى وهو في صحيح البخارى . والله أعلم .
وقد قال البيهقي : أنبأنا أبو الحسين بن عبدان ، أنبأنا أحمد بن عبيد الصَّفار [حدثنا
عبد الله بن إبراهيم بن المنذر الخزامي ، حدثنا مَعْن ، حدثنا عبد الله بن عمر بن حفص ، عن
نافع ، عن ابن عمر ^(١)] قال : لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح رأى ^(٢) النساء
يلطمن وجوه الخليل ، فتبسم إلى أبي بكر وقال : « يا أبا بكر كيف قال حسان ؟ » فأنشده
أبو بكر رضى الله عنه :

عَدِمْتُ بُنْيَتِي إِنْ لَمْ تَرَوْهَا تثير النَّقْعَ مِنْ كَتَفِي كَدَاءَ
يُنَازِعُنِ الْأَعْنَةَ ^(٣) مُسْرَجَاتٍ يُلَطِّمُنَ بِالْخُرِّ النِّسَاءَ
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ادخلوها من حيثُ قال حَسَّان ! » .

وقال محمد بن إسحاق : حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه ، عن
جدته أسماء بنت أبي بكر قالت : لما وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم بذي طوى قال
أبو قحافة لابنة له من أصغر ولده : أى بُنية أظهرى بي على أبي قُبَيْس . قالت : وقد
كُفَّ بصره . قالت : فأشرفتُ به عليه فقال : أى بنية ماذا ترين ؟ قالت : أرى سواداً
مجتمعا . قال : تلك الخليل . قالت : وأرى رجلاً يسعى بين يدي ذلك السواد مُقبلاً
ومدبراً . قال : أى بنية ذلك الوازع - يعنى الذى يأمر الخليل ويتقدم إليها - ثم قالت :
قد والله انتشر السواد . فقال : قد والله إذا دَفَعْتَ الخليل فأسرعى بي إلى بيتي .
فأنحطَّت به وتلقاه الخليل قبل أن يصلَ إلى بيته . قالت : وفي عنق الجارية طَوْق من
وَرِق فيلقاها رجل فيقطعه من عنقها .

(٢) غير أ : وأتى النساء .

(١) سقطت من أ .

(٣) أ : الأسنة . ولعلها تحريف .

قالت : فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ودخل المسجد أتى أبو بكر بأبيه يقوده ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « هلاً تركت الشيخ في بيته حتى أكون أنا آتية فيه ؟! » قال أبو بكر : يا رسول الله هو أحق أن يمشى إليك من أن تمشى أنت إليه .

قال : فأجلسه بين يديه ، ثم مسح صدره ثم قال : أسلم . فأسلم . قالت : ودخل به أبو بكر وكان رأسه كالثغامة ^(١) بياضاً . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « غيروا هذا من شعره » .

ثم قام أبو بكر فأخذ بيد أخته وقال : أنشد الله والإسلام طوق أختي ؟ فلم يجبه أحد قال : فقال : أي أختي احتسبي طوقك ، فوالله إن الأمانة في الناس اليوم لقليل !
يعنى به الصديق ذلك اليوم على التعمين ^(٢) ، لأن الجيش فيه كثرة ، ولا يكاد أحد يلوى على أحد ، مع انتشار الناس ، ولعل الذي أخذه تأول أنه من حربى والله أعلم .
وقال الحافظ البيهقي : أنبأنا عبد الله الحافظ ، أنبأنا أبو العباس الأصم ، أنبأنا بحر بن نصر ، أنبأنا ابن وهب ، أخبرني ابن جريج ، عن أبي الزبير ، عن جابر ، أن عمر بن الخطاب أخذ بيد أبي قحافة فأتى به النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما وقف به على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « غيروه ولا تقرّ به سواداً » .

قال ابن وهب : وأخبرني عمر بن محمد ، عن زيد بن أسلم ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هباً أبا بكر بإسلام أبيه .

قال ابن إسحاق : فحدثني عبد الله بن أبي نجيح ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين فرّق جيشه من ذى طوى أمر الزبير بن العوام أن يدخل في بعض الناس من كداء ، وكان الزبير على المجنبة اليسرى ، وأمر سعد بن عباد أن يدخل في بعض الناس من كدّى .

(١) الثغامة : واحدة الثغام ، وهو نبت أبيض . (٢) : يعنى الصديق ذلك اليوم على العين .

قال ابن إسحاق : فرغم بعض أهل العلم أن سعداً حين وجّه داخلًا قال : اليومَ يوم الملاحمة . اليوم تُستحلُّ الحرمه .

فسمعها رجل . قال ابن هشام : يقال : إنه عمر بن الخطاب . فقال : يا رسول الله أنسمع ما يقول سعد بن عبادة ؟ ما نأمن أن يكون له في قريش صولة . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلّ : « أذكره فخذ الراية منه فكن أنت تدخل بها » .

قلت : وذكر غير محمد بن إسحاق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما شكّا إليه أبو سفيان قولَ سعد بن عبادة حين مر به ، وقال : يا أبا سفيان : اليوم يوم الملاحمة اليوم تُستحل الحرمه - يعنى الكعبة - .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « بل هذا يومٌ تعظّم فيه الكعبة » وأمر بالراية - راية الأنصار - أن تؤخذ من سعد بن عبادة كالتأديب له ، ويقال : إنها دفعت إلى ابنه قيس بن سعد . وقال موسى بن عقبة ، عن الزهري : دفعها إلى الزبير بن العوام . فأنه أعلم .

وذكر الحافظ بن عساكر في ترجمة يعقوب بن إسحاق بن دينار ، حدثنا عبد الله بن السريّ الأنطاكي ، حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد ، وحدثني موسى بن عقبة ، عن أبي الزبير ، عن جابر بن عبد الله قال : دفع رسول الله صلى الله عليه وسلم الراية يوم فتح مكة إلى سعد بن عبادة فجعل يهزّها ويقول : اليوم يوم الملاحمة : يوم تُستحلُّ الحرمه . قال : فشق ذلك على قريش وكبر في نفوسهم ، قال : فعارضت امرأة رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسيره وأنشأت تقول (١) :

يا نبيّ الهدى إليك لجأحتُ قريشٍ ولات حينَ لجاء

(١) نسب السهيلي هذه الأبيات إلى ضرار بن الخطاب . الروض ٢/٢٧١ .

حين ضاقت عليهم سعة الأرض وعاداهم إله السماء
 [والتقت خلقتا البطان على القو م ونودوا بالصَّيْلَم الصَّلعاء] ^(١)
 إن سعداً يريد قاصمة الظهر ر بأهل الحجون والبطحاء
 خزرجى لو يستطيع من الغي ظ رمأنا بالنسر والعواء ^(٢)
 فلم يمه فإنه الأسد الأسد ود والليث والغ في الدماء
 فلئن أقحم اللواء ونادى يا حماة اللواء أهل اللواء
 لتكونن بالبطاح قرش بقعة القاع في أكف الإمام ^(٣)
 إنه مضلت يريد لها الرأ ي صموت كالحية الصماء ^(٤)

قال : فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الشعر دخله رحمة لهم ورأفة بهم ،
 وأمر بالراية فأخذت من سعد بن عبادة ودُفعت إلى ابنه قيس بن سعد .
 قال : فيروى أنه عليه الصلاة والسلام أحب ألا يخجَّيها إذ رَغِبَتْ إليه واستغاثت
 به ، وأحب ألا يَغْضِب سعد ، فأخذ الراية منه فدفعها إلى ابنه ^(٥) .

قال ابن إسحاق : وذكر ابن أبي نجيح في حديثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
 أمر خالد بن الوليد فدخل من اللَّيْط أسفل مكة في بعض الناس ، وكان خالد على الجَنَبَةِ
 المني وفيها أسلم وسليم وغفار ومُزَيْنَةُ وَجُهَيْنَةُ وقبائل من قبائل العرب ، وأقبل أبو عبيدة
 ابن الجراح بالصف من المسلمين ينصب لأهل مكة ^(٦) بين يدي رسول الله صلى الله عليه
 وسلم ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم من أذاخر حتى نزل بأعلى مكة فضربت له
 هنالك قبة .

(١) من الروض الأنف . والبطان : حزام القتب . والصيلم : الداهية . والصلعاء : المشهورة .
 (٢) العواء : الكلب . (٣) القاع : الأرض السهلة المنبسطة . (٤) المصلى : الرجل الماضي
 (٥) سقط من : أ . (٦) غير : أ : مكة .

وروى البخارى من حديث الزهرى ، عن على بن الحسين ، عن عمرو بن عثمان عن أسامة بن زيد ، أنه قال زمن الفتح : يارسول الله أين تنزل غداً ؟ فقال : « وهل ترك لنا عقيلٌ من رِباع ^(١) » ثم قال : « لا يَرِثُ الكافرُ المؤمنَ ولا المؤمنُ الكافرَ » .
ثم قال البخارى : حدثنا أبو اليمان ، حدثنا شعيب ، حدثنا أبو الزبير ، عن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْزَلْنَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ إِذَا فَتَحَ اللَّهُ الْخَيْفَ ، حَيْثُ تَقَاسَمُوا عَلَى الْكُفْرِ » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يونس ، حدثنا إبراهيم - يعنى ابن سعد - عن الزهرى ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْزَلْنَا غداً إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِخَيْفِ بَنِي كَفَّانَةَ حَيْثُ تَقَاسَمُوا عَلَى الْكُفْرِ » .

ورواه البخارى من حديث إبراهيم بن سعد به نحوه .

وقال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي نجيح وعبد الله بن أبي بكر ، أن صفوان ابن أمية وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو كانوا قد جمعوا ناساً بالخذمة ليقاتلوا ، وكان حماس بن قيس بن خالد أخو بني بكر بعد سلاحاً قبل قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويصلح منه ، فقالت له امرأته : لماذا تعدُّ ما أرى ؟ قال : لحمد وأصحابه . فقالت : والله ما أرى يقوم لحمد وأصحابه شيء ! قال : والله إنى لأرجو أن أخدِمَكم بعضهم . ثم قال :

إِنْ يُقْبَلُوا الْيَوْمَ فَمَا لِي عَلَيْهِ هَذَا سِلَاحٌ كَامِلٌ وَأَلَّهُ ^(٢)
وَذُو غِرَارَيْنِ سَرِيعُ السَّلَّةِ ^(٣)

قال : ثم شهد الخندمة مع صفوان وعكرمة وسهيل ، فلما لقيهم المسلمون من أصحاب

(١) الرباع : جمع ربع ، وهى الدار .

(٢) الألة : جميع أداة الحرب .

(٣) الفرار : حذ الرمح والسيف والمهم . يريد : سيفاً .

خالد ناوشوهم شيئاً من قتال ، قَتَلَ كرز بن جابر أحد بني محارب بن فهر وحُبِيش^(١) بن خالد بن ربيعة بن أصرم حليف بني مقعد ، وكانا في جيش خالد ، فشذّا عنه فسلكا غير طريقه فقُتِلَا جميعاً ، وكان قَتَلَ كرز قبل حبِيش .

قالا : وقتل من خيل خالد أيضاً سلمة بن الميلاء الجهني ، وأصيب من المشركين قريب من اثني عشر أو ثلاثة عشر . ثم انهزموا فخرج حِمْيَاس منهزماً حتى دخل بيته ثم قال لامرأته : أغلّقي على بابي . قالت : فأين ما كنت تقول ؟ فقال :

إنك لو شهدت يومَ الخندمة إذ فرّ صفوان وفرّ عكرمه
وأبو يزيد قائم كالمؤتمّة واستقبلتهم بالسيوف المسلمة^(٢)
يَقْطَعْنَ كُلَّ سَاعِدٍ وَجُجْمِهِ ضَرْباً فلا يَسْمَعُ إِلَّا غَمْغَمَهُ
لَمْ نَهَيْتْ خَلْفَنَا وَهَمَّهُمْ لَمْ تَنْطِقْ فِي اللّومِ أَذْنِي كَلِمَةً^(٣)

قال ابن هشام : وتروى هذه الأبيات للرّعاش الهذلي .

قال : وكان شعار المهاجرين يومَ الفتح وحنين والطائف : « يا بني عبد الرحمن »
وشعار الخزرج : « يا بني عبدالله » وشعار الأوس : « يا بني عبيدالله » .

وقال الطبراني : حدثنا علي بن سعيد الرازي ، حدثنا أبو حسان الزياتي ، حدثنا
شُعيب بن صفوان ، عن عطاء بن السائب ، عن طاووس ، عن ابن عباس ، عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله حرّم هذا البلدَ يومَ خلق السموات والأرض ،
وصاغه يومَ صاغ الشمس والقمر ، وما حيّاله من السماء حرام ، وإنه لا يحلُّ لأحد قبلي ،
وإنما حلَّ لي ساعةً من نهار ثم عاد كما كان » .

(١) الأصل : حنِيش . وهو تحريف وما أثبتته عن الروض الأثب .

(٢) أبو يزيد : يريد سهيل بن عمرو ، وكان خطيب قريش . والمؤتمّة : الأسطوانة ، من قولهم وتم
وأتم إذا ثبت . وتروى المؤتمّة . بالواو بدل الهمز ، ومعناها : الأيم التي مات عنها زوجها . الروض ٢/٢٧٢

(٣) التهيّيت : الزنبر .

فَقِيلَ لَهُ : هَذَا خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ يَقْتُلُ ؟ فَقَالَ : « قُمْ يَا فُلَانُ فَأَتِ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ فَقُلْ لَهُ فَلْيَرْفَعْ يَدَيْهِ مِنَ الْقَتْلِ » .

فَأَنَاهِ الرَّجُلَ فَقَالَ : إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : اقْتُلْ مَنْ قَدَرْتَ عَلَيْهِ ! فَقَتَلَ سَبْعِينَ إِنْسَانًا ، فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذُكِرَ ذَلِكَ لَهُ ، فَأَرْسَلَ إِلَى خَالِدِ فَقَالَ : « أَلَمْ أَنْهَكَ عَنِ الْقَتْلِ ؟ » فَقَالَ : جَاءَنِي فُلَانٌ فَأَمَرَنِي أَنْ أَقْتُلَ مَنْ قَدَرْتُ عَلَيْهِ . فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ : « أَلَمْ أَمُرْكَ ؟ » قَالَ : أَرَدْتُ أَمْرًا وَأَرَادَ اللَّهُ أَمْرًا فَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ فَوْقَ أَمْرِكَ ، وَمَا اسْتَطَعْتُ إِلَّا الَّذِي كَانَ . فَسَكَتَ عَنْهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَارْتَدَّ عَلَيْهِ شَيْئًا .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَهْدَ إِلَى أَمْرَائِهِ أَلَّا يَقَاتِلُوا^(١) إِلَّا مِنْ قَاتِلِهِمْ ، غَيْرَ أَنَّهُ أَهْدَرَ دَمَ نَفَرٍ سَاقِمْ وَإِنْ وَجِدُوا تَحْتَ أَسْتَارِ الْكَعْبَةِ وَهُمْ : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي سَرْحٍ ، كَانَ قَدْ أَسْلَمَ وَكَتَبَ الْوَحْيَ ثُمَّ ارْتَدَّ ، فَلَمَّا دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكَّةَ وَقَدْ أَهْدَرَ دَمَهُ فَرَّ إِلَى عُمَانَ وَكَانَ أَخَاهُ مِنَ الرِّضَاعَةِ ، فَلَمَّا جَاءَ بِهِ لِيَسْتَأْمِنَ لَهُ صَمَتَ عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَوِيلًا ثُمَّ قَالَ : « نَعَمْ » . فَلَمَّا انْصَرَفَ مَعَ عُمَانَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمَنْ حَوْلَهُ : « أَمَا كَانَ فِيكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ يَقُومُ إِلَى هَذَا حِينَ رَأَى قَدْ صَمَتُ فَيَقْتُلُهُ » فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلَّا أَوْ مَاتَ إِلَيْنَا ؟ فَقَالَ : « إِنْ النَّبِيَّ لَا يَقْتُلُ بِالْإِشَارَةِ » .

وَفِي رَوَايَةٍ^(٢) : « إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِنَبِيِّ أَنْ تَكُونَ لَهُ خَائِنَةُ الْأَعْيُنِ » .

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَقَدْ حَسُنَ إِسْلَامُهُ بَعْدَ ذَلِكَ وَوَلَاهُ عُمَرُ بَعْضَ أَعْمَالِهِ ثُمَّ وَلَاهُ عُمَانَ .

قلت : ومات وهو ساجد في صلاة الصبح أو بعد انقضاء صلاتها في بيته .

قال ابن إسحاق : وعبد الله بن خَطْل رجل من بني تيم بن غالب .

قلت : ويقال إن اسمه عبد العزى بن خطل ، ويحتمل أنه كان كذلك ثم لما أسلم سُمِّي عبد الله .

ولما أسلم بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم مُصَدِّقاً ^(١) وبعث معه رجلاً من الأنصار ، وكان معه مولى له ففضب عليه غضبةً فقتله ^(٢) ، ثم ارتدَّ مشركاً ، وكان له قينتان فرَتْنِي وصاحبتهما ، فكانتا تغنيان بهجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين ، فلهذا أهدر دمه ودم قينتيه ، فُقتل وهو متعلّق بأستار الكعبة ، اشترك في قتله أبو بَرَزَة الأسلمى وسعيد بن حُرَيْث الخزومي ، وقتلت إحدى قينتيه واستؤمِن للآخرى .

قال : والحويرث بن نُقَيْد بن وهب بن عبد قصي ، وكان ممن يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، ولما تحمّل العباس بفاطمة وأم كلثوم ليذهب بهما إلى المدينة يُدَحِّقهما برسول الله صلى الله عليه وسلم أول الهجرة نخس بهما الحويرثُ هذا الجمل الذي هما عليه فسقطتا إلى الأرض ، فلما أهدر دمه قتله على بن أبي طالب .

قال : ومقيس بن صُبَّابة ^(٣) لأنه قَتَلَ قاتل أخيه خطأً بعد ما أخذ الدية ، ثم ارتدَّ مشركاً ، قتله رجل من قومه يقال له نُمَيْلة بن عبد الله .

قال : وسارة مولاة لبني عبد المطلب ولعكرمة بن أبي جهل ، لأنها كانت تؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي ^(٤) بمكة .

قلت : وقد تقدم عن بعضهم أنها التي تحمّلت الكتابَ من حاطب بن أبي بلتعة ، وكانها عُنِيَ عنها أو هربت ثم أهدر دمها . والله أعلم .

فهربت حتى استؤمِن لها من رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمنها فعاشت إلى زمن

(٢) ١ : ثم قتله .

(٤) كذا ولعلها : وهو .

(١) مصدقاً : جابياً للصدقات

(٣) في القاموس : ابن حباب .

عمر ، فأوطأها رجلٌ [فرساً ^(١)] فماتت . وذكر السهيلي أن فرّتنى أسلمت أيضاً .
قال ابن إسحاق : وأما عكرمة بن أبي جهل فهرب إلى اليمن ، وأسلمت امرأته أمّ
حكيم بنت الحارث بن هشام واستأمنت له من رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمنه ،
فذهبت في طلبه حتى أتت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم .

وقال البيهقي : أنبأنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمّس الفقيه ، أنبأنا أبو بكر محمد بن
الحسين القطّان ، أنبأنا أحمد بن يوسف السلمي ، حدثنا أحمد بن الفضل ، حدثنا أسباط بن
نصر الهمداني . قال : زعم الشدي عن مُصعب بن سعد عن أبيه قال : لما كان يوم فتح مكة
أمن رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس إلا أربعة نفر وامرأتين ، وقال : « اقتلوهم وإن
وجدتموهم متعلقين بأستار الكعبة » وهم : عكرمة بن أبي جهل ، وعبد الله بن خطّال ،
ومقيس بن صُبابة ، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح .

فأما عبد الله بن خطّال فأدرِك وهو متعلق بأستار الكعبة فاستبق إليه سعيد بن
حريث وعمار بن ياسر ، فسبق سعيدٌ عماراً وكان أشبَّ الرجلين فقتله . وأما مقيس
فأدركه الناس في السوق فقتلوه ، وأما عكرمة فركب البحر فأصابتهم قاصف ، فقال أهل
السفينة لأهل السفينة : أخلصوا فإن آلهتكم لا تغني عنكم شيئاً هاهنا . فقال عكرمة :
والله لئن لم يُنَج في البحر إلا الإخلاص فإنه لا ينجى في البرّ غيره ! اللهم إن لك على
عهداً إن أنت عافيتني مما أنا فيه أن آتي محمداً حتى أضع يدي في يده فلا أجده عفوّاً
كريماً [فجاء ^(٢)] فأسلم .

وأما عبد الله بن سعد بن أبي سرح فإنه اختبأ عند عثمان بن عفان ، فلما دعا رسول
الله صلى الله عليه وسلم الناس إلى البيعة جاء به حتى أوقفه على النبي صلى الله عليه وسلم

فقال : يا رسول الله بايع عبد الله . فرفع رأسه فنظر إليه ثلاثا ، كل ذلك يَأْبَى ، فبايعه بعد ثلاث ، ثم أقبل على أصحابه فقال : « أما كان فيكم رجلٌ رشيدٌ يقوم إلى هذا حين رأيته كففت يدي عن بيعته فيقتله ؟ » فقالوا : ما يدرينا يا رسول الله ما في نفسك ، هلا أو مات إلينا بعينك ؟ فقال : « إنه لا ينبغي أن يكون لنبي خائفة أعين ^(١) » .

ورواه أبو داود والنسائي من حديث أحمد بن الفضل به نحوه .

وقال البيهقي : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، أنبأنا أبو العباس الأصم ، أنبأنا أبو زرعة الدمشقي ، حدثنا الحسن بن بشر الكوفي ، حدثنا الحكم بن عبد الملك ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك قال : أمّن رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس يوم فتح مكة إلا أربعة : عبد العزى بن خطل ، ومقيس بن صُبَّابة ، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح ، وأم سارة .

فأما عبد العزى بن خطل فإنه قُتل وهو متملق بأستار السكعبة . قال : ونذر رجل أن يقتل عبد الله بن سعد بن أبي سرح إذا رآه ، وكان أخا عثمان بن عفان من الرضاة ، فأتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ليشفع له ، فلما أبصر به الأنصاري اشتعل على السيف ، ثم أتاه فوجده في حلقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجعل يتردد ويكره أن يُقدم عليه ، فبسط النبي صلى الله عليه وسلم فبايعه ، ثم قال للأنصاري : « قد انتظرتك أن توفي بنذرك ؟ » قال : يا رسول الله هبتك ، أفلا أومضت إلي ؟ قال : « إنه ليس للنبي أن يومض » .

وأما مقيس بن صُبَّابة ، فذكر قصته ، في قتله رجلاً مسلماً بعد إسلامه ثم ارتداده بعد ذلك .

قال : وأما أم سارة فكانت مولاة لقريش ، فأتت النبي صلى الله عليه وسلم فشكت

(١) غير أ : لا ينبغي لنبي أن تكون له خائفة الأعين .

إليه الحاجة فأعطاهما شيئاً ، ثم بعث معها رجلاً بكتاب إلى أهل مكة . فذكر قصة حاطب ابن أبي بلتعة .

وروى محمد بن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، أن مقيس ابن صُبابَةَ قُتل أخوه هشام يومَ بني المصطلق ، قتله رجل من المسلمين وهو يظنه مشركاً ، فقدم مقيس مُظهِراً للإسلام ليطلب ديةَ أخيه ، فلما أخذها عدّاه على قاتل أخيه فقتله ورجع إلى مكة مشركاً ، فلما أهدر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم دمه قُتل وهو بين الصفا والمروة .

وقد ذكر ابن إسحاق والبيهقي شعره حين قتل قاتل أخيه وهو قوله :

شَفَى النَّفْسَ مِنْ قَدَبَاتٍ ^(١) بِالْقَاعِ مُسْنَدًا يَضْرِّجُ ثَوْبِيهِ دِمَاءَ الْأَخَادِعِ
وَكَانَتْ هُمُومُ النَّفْسِ مِنْ قَبْلِ قَتْلِهِ تُلَمُّ وَتُنْسِنِي وَطَاءَ الْمُضَاجِعِ
قَتَلْتُ بِهِ فَهْرًا ^(٢) وَغَرَّمْتُ عَقْلَهُ سَرَاةَ بَنِي النَّجَارِ أَرْبَابَ فَارِعِ
حَلَلْتُ بِهِ نَذْرِي ^(٣) وَأَدْرَكْتُ نُورَتِي وَكُنْتُ إِلَى الْأَوْثَانِ أَوَّلَ رَاجِعِ

قلت : وقيل : إن القَيْنَتَيْنِ اللتين أهدر دمه كانتا لمقيس بن صُبابَةَ هذا ، وأن ابنَ عمه قتله بين الصفا والمروة . وقال بعضهم : قتل ابنَ خَطَل الزبيرُ بن العوام رضى الله عنه .

وقال ابن إسحاق : حدثني سعيد بن أبي هند ، عن أبي مرة مولى عقيل بن أبي طالب أن أم هانئ ابنة أبي طالب قالت : لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بأعلى مكة فر إلى رجلان من أحماني [من بني مخزوم ^(٤)] .

(١) سبقت الرواية : تأرت به .

(٢) سقطت من أ .

(٣) سبقت الرواية ص ٢٩٨ أن قد بات .

(٤) سبقت الرواية : حللت به وترى .

قال ابن هشام : هما الحارث بن هشام وزهير بن أبي أمية بن المغيرة .

قال ابن إسحاق : وكانت عند هُبَيْرَة بن أبي وهب الخزومي ، قالت : فدخل عليّ أخي عليّ بن أبي طالب فقال : والله لأقتلنهما . فأغلقتُ عليهما بابَ بيتي ، ثم جئت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وهو بأعلى مكة فوجدته يغتسل من جَفَنَة إنَّ فيها لأثر العجين ، وفاطمة ابنته تستره بثوبه ، فلما اغتسل أخذ ثوبه فتوشح به ثم صلى ثمانى ركعات من الضحى ثم انصرف إلىّ فقال : « مرحباً وأهلاً بأُم هانئٍ ما جاء بك ؟ » فأخبرته خبر الرجلين وخبر عليّ ، فقال : « قد أجزّنا من أجزّتِ وأمّنا من أمّنت فلا نقتلهما ^(١) » .

وقال البخارى : حدثنا أبو الوليد ، حدثنا شعبة ، عن عمرو بن مُرّة ، عن ابن أبي ليلى ، قال : ما أخبرنا أحدٌ أنه رأى النبيّ صلى الله عليه وسلم يصليّ الضحى غيرَ أم هانئٍ ، فإنها ذكرت أنه يومَ فتح مكة اغتسل في بيتها ثم صلى ثمانى ركعات ، قالت : ولم أره صلى صلاةً أخفّ منها غير أنه يتم الركوع والسجود .

وفى صحيح ^(٢) مسلم من حديث الليث ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن سعد بن أبي هند ، أن أبا مُرّة مولى عَقِيل حدثه أن أم هانئ بنت أبي طالب حدثته أنه لما كان عام الفتح فرّ إليها رجلان من بنى مخزوم فأجارتهما ، قالت : فدخل عليّ عليّ فقال : أقتلهما ، فلما سمعته أتيت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وهو بأعلى مكة ، فلما رآنى رحّب وقال : « ما جاء بك ؟ » قلت : يا نبي الله كنتُ أمّنتُ رجلين من أحمائى فأراد عليّ قتلهما . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قد أجزّنا من أجزّتِ يأم هانئٍ » ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى غسله فسترت عليه فاطمة ، ثم أخذ ثوباً فالتحف به ، ثم صلى ثمانى ركعات سُبْحَة ^(٣) الضحى .

(٣) السبحة : النافلة .

(٢) ١ : وفى حديث مسلم .

(١) غير ١ : يقتلهما .

وفي رواية أنها دخلت عليه وهو يغتسل وفاطمة ابنته تستره بثوب ، فقال : « من هذه ؟ » قالت : أم هانيء . قال : « مرحباً بأم هانيء » قالت : يا رسول الله زعم ابن أمي علي بن أبي طالب أنه قاتل رجلين قد أجزئهما !؟ فقال : « قد أجزئنا من أجزئ يأم هانيء » قالت : ثم صلى ثمانى ركعات .

وذلك ضحى فظن كثير من العلماء أن هذه كانت صلاة الضحى . وقال آخرون : بل كانت هذه صلاة الفتح ، وجاء التصريح بأنه كان يسلم من كل ركعتين . وهو يرد على الشهيلى وغيره ممن يزعم أن صلاة الفتح تكون ثمانيا بتسليمة واحدة ، وقد صلى سعد بن أبي وقاص يوم فتح المدائن في إيوان كسرى ثمانى ركعات يسلم من كل ركعتين : والله الحمد .

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عبيد الله بن عبد الله بن أبي ثور ، عن صفية بنت شيبة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل بمكة واطمأن الناس ، خرج حتى جاء البيت فطاف به سبعاً على راحلته يستلم الركن بمحجن في يده ، [فلما قضى طوافه دعا عثمان بن طلحة فأخذ منه مفتاح الكعبة ، ففتحت له فدخلها ، فوجد فيها حمامة من عيـدان فكسرها بيده ثم طرحها ، ثم وقف على باب الكعبة وقد استكف^(١) له الناس في المسجد]^(٢) .

وقال موسى بن عـقبة : ثم سجد سجدتين ثم انصرف إلى زمزم فاطمأن فيها ، ودعا بماء فشرب منها وتوضأ ، والناس يبتدرون وضوءه ، والمشركون يعجبون من ذلك ويقولون : مارأينا ملكاً قط ولا سمعنا به - يعنى مثل هذا - وآخر المقام إلى مكانه اليوم وكان ملصقاً بالبيت .

(١) استكف : اجتمع . (٢) هذه الجملة مؤخرة في ١ بعد قوله : وكان ملصقاً بالبيت .

قال محمد بن إسحاق : فحدثني بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام على باب الكعبة فقال : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ، ألا كل مأثرة أو دم أو مال يدعى فهو موضوع تحت قدمي هاتين إلا سِدانة البيت وسقاية الحاج ، ألا وقيلُ الخطأ شبه العمد بالسَّوط والعصا فيه الدية مغلظة مائة من الإبل ، أربعون منها في بطونها أولادها ، يامعشر قريش إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء ، الناس^(١) من آدم وآدم من تراب » ثم تلا هذه الآية : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى الآية كلها . ثم قال : « يامعشر قريش ، ما ترون أني فاعل فيكم ؟ » قالوا : خيراً أخ كريم وابن أخ كريم . قال : « اذهبوا فأنتم الطلقاء » .

ثم جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد ، فقام إليه علي بن أبي طالب ومفتاح الكعبة في يده فقال : يا رسول الله اجمع لنا الحِجَابَةَ مع السَّقَاية صلى الله عليه وسلم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أين عثمان بن طلحة ؟ » فدعى له فقال : « هاك مفتاحك يا عثمان ، اليوم يوم برّ ووفاء » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سفيان ، عن ابن جُدعان ، عن القاسم بن ربيعة ، عن ابن عمر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة وهو على درج الكعبة : « الحمد لله الذي صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ، ألا إن فتيلَ العمد الخطأ بالسَّوط أو العصا فيه مائة من الإبل » .

وقال مرة [أخرى^(٢)] : « مغلظة فيها أربعون خلفة في بطونها أولادها ، ألا إن كل مأثرة كانت في الجاهلية ودم ودعوى » وقال مرة : « ومال تحت قدمي هاتين ، إلا ما كان من سقاية الحاج وسِدانة البيت فإنهما أمضيتهما لأهلها على ما كانت » .

وهكذا رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث علي بن [زيد بن^(١)] جدعان عن القاسم بن ربيعة بن جوشن الغطفاني ، عن ابن عمر به .

قال ابن هشام : وحدثني بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل البيت يوم الفتح فرأى فيه صور الملائكة وغيرهم ، ورأى إبراهيم مصوراً في يده الأزلام يستقسم بها ، فقال : « قاتلهم الله جعلوا شيخنا يستقسم بالأزلام [ماشان إبراهيم والأزلام^(١)] : « ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين » ثم أمر بتلك الصور كلها فطمست .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سليمان ، أنبأنا عبد الرحمن ، عن موسى بن عقبة ، عن أبي الزبير ، عن جابر قال : كان في الكعبة صور ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم [عمر بن الخطاب^(١)] أن يحوها قبل عمر ثوبا ومحاهها به . فدخلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ووافيها منها شيء .

وقال البخاري : حدثنا صدقة بن الفضل ، حدثنا ابن عيينة ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، عن أبي معمر ، عن عبد الله - هو ابن مسعود - قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح وحول البيت ستون وثلاثمائة نصب ، فجعل يطعنها بعود في يده ويقول : « جاء الحق وزهق الباطل . جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد » .

وقد رواه مسلم من حديث ابن عيينة .

وروى البيهقي ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ، عن علي بن عبد الله ابن عباس ، عن أبيه ، قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح مكة وعلى

الكعبة ثلثمائة صنم ، فأخذ قضيبه ، فجعل يهوى به إلى الصنم وهو يهوى حتى مرَّ عليها كلها .

ثم روى من طريق سويد بن [سعيد] عن القاسم بن عبد الله ، عن عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دخل مكة وجد بها ثلثمائة وستين صنماً ، فأشار إلى كل صنم بعضاً وقال : « جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً » فكان لا يشير إلى صنم إلا ويسقط من غير أن يمسسه بعصاه .
ثم قال : وهذا وإن كان ضعيفاً فالذى قبله يؤكده .

وقال حنبل بن إسحاق : أنبأنا أبو الربيع ، عن يعقوب القمي ، حدثنا جعفر بن أبي المغيرة ، عن ابن أبي زَيْ قال : لما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة جاءت عجوزٌ شمطاء حبشية تخمش وجهها وتدعو بالويل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تلك نائلة أيست أن تعبد ببلدكم هذا أبداً » .

وقال ابن هشام : حدثني من أثق به من أهل الرواية في إسفاده عن ابن شهاب ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة [عن ابن عباس (٢)] أنه قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح على راحلته فطاف عليها وحول الكعبة أصناماً مشدودة بالرصاص ، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يشير بقضيب في يده إلى الأصنام ويقول : « جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً » فما أشار إلى صنم منها في وجهه إلا وقع لقفاه ، ولا أشار إلى قفاه إلا وقع لوجهه ، حتى مابق منها صنم إلا وقع ، فقال تميم بن أسد الخزاعي :

وفي الأصنام معتبرٌ وعلم لمن يرجو الثواب أو العقاباً

وفي صحيح مسلم عن شيبان بن فروخ ، عن سليمان بن المغيرة ، عن ثابت ، عن

عبد الله بن رباح ، عن أبي هريرة ، في حديث فتح مكة قال : وأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أقبل على الحِجْر فاستلمه وطاف بالبيت ، وأتى إلى صنم إلى جنب البيت كانوا يعبدونه ، وفي يد رسول الله صلى الله عليه وسلم قَوْس وهو آخذ بِسَيْتِهَا (١) فلما أتى على الصنم فجعل يَطْعَن في عَيْنِهِ ويقول : « جاء الحقُّ وزهق الباطلُ إن الباطل كان زَهُوقاً » فلما فرغ من طوافه أتى الصفا فعلاً عليه حتى نظر إلى البيت ، فرفع يديه وجعل يحمّد الله ويدعو بما شاء أن يدعو .

وقال البخارى : حدثنا إسحاق بن منصور ، حدثنا عبد الصمد ، حدثنا أبي ، حدثنا أيوب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم مكة أبى أن يدخل البيت وفيه الآلهة ، فأمر بها فأخرجت ، فأخرج صورة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وفي أيديهما الأزلام (٢) ، فقال : « قاتلهم الله ! لقد علموا ما استقسموا بها قط » .

ثم دخل البيت فكبّر في نواحي البيت وخرج ولم يصل .
تفرد به البخارى دون مسلم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد ، حدثنا همام ، حدثنا عطاء ، عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل الكعبة وفيها ستُّ سَوَارٍ ، فقام إلى كل سارية فدعا ولم يصل فيه .

ورواه مسلم عن شَيْبَان بن فروخ ، عن همام بن يحيى العوذى ، عن عطاء به .

وقال الإمام أحمد : حدثنا هارون بن معروف ، حدثنا ابن وهب ، أخبرني عمرو ابن الحارث ، أن بُكَيْراً حدثه عن كُرَيْب ، عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخل البيت وجد فيه صورة إبراهيم وصورة مريم ، فقال : « أمّا

(١) السية : ما عطف من طرفي القوس .

(٢) ١ : من الأزلام .

هم فقد سمعوا أن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه صورة ، هذا إبراهيم مصوراً ، فإياه يستقسم ؟ » .

وقد رواه البخارى والنسائى من حديث ابن وهب به .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، أنبأنا مَعْمَر ، أخبرني عثمان الخزرجى ، أنه سمع مِقْسَمًا يحدث عن ابن عباس قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم البيت فدعا في نواحيه ، ثم خرج فصلى ركعتين .
تفرد به أحمد .

وقال الإمام أحمد : حدثنا إسماعيل ، أنبأنا ليث ، عن مجاهد ، عن ابن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى في البيت ركعتين .

قال البخارى : وقال الليث ، حدثنا يونس ، أخبرني نافع ، عن عبد الله بن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل يوم الفتح من أعلى مكة على راحلته مُرَدِّقاً أسامة بن زيد ، ومعه عثمان بن طلحة من الحِجَبَةِ ، حتى أناخ في المسجد ، فأمر أن يؤتى بمفتاح الكعبة ، فدخل ومعه أسامة بن زيد وبلال وعثمان بن طلحة فمكث فيه نهراً طويلاً ، ثم خرج فاستبق الناس ، فكان عبد الله بن عمر أول من دخل فوجد بلالاً وراء الباب قائماً ، فسأله : أين صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فأشار له إلى المكان الذى صلى فيه . قال عبد الله : ونسيت أن أسأله كم صلى من سجدة .

ورواه الإمام أحمد عن هُشَيْم ، حدثنا غير واحد وابن عون ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه الفضل بن عباس وأسماء بن زيد وعثمان بن طلحة وبلال فأمر بلالاً فأجاف^(١) عليهم الباب فمكث فيه ما شاء الله ثم خرج .

(١) أجاف : أغلق .

قال ابن عمر : فكان أول من لقيت منهم بلالاً فقلت : أين صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : هاهنا بين الأسطواتين .

قلت : وقد ثبت في صحيح البخارى وغيره أنه عليه السلام صلى في الكعبة تلقاء وجهه بابها من وراء ظهره ، فجعل عمودين عن يمينه ، وعموداً عن يساره ، وثلاثة أعمدة وراءه ، وكان البيت يومئذ على ستة أعمدة ، وكان بينه وبين الحائط الغربى مقدار ثلاثة أذرع .

قال ابن هشام : وحدثني بعض أهل العلم ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل الكعبة عام الفتح ومعه بلال ، فأمره أن يؤذن ، وأبو سفيان بن حرب وعقّاب بن أسيد والحارث بن هشام جلوس بقناء الكعبة ، فقال عقّاب : لقد أكرم الله أسيداً ألا يكون سمع هذا فسمع منه ما يغيظه ! فقال الحارث بن هشام : أما والله لو أعلم أنه محقٌّ لا تبعته . فقال أبو سفيان : لا أقول شيئاً ، لو تكلمت لأخبرت عنى هذه الحصى .

فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « قد علمتُ الذى قلم » ثم ذكر ذلك لهم . فقال الحارث وعقّاب : نشهد أنك رسول الله ! ما أطاع على هذا أحدٌ كان معنا فنقول أخبرك .

وقال يونس بن بكير ، عن ابن إسحاق : حدثني والدى ، حدثني بعض آل جُبَيْر ابن مُطْعَم ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دخل مكة أمر بلالاً فعملاً على الكعبة على ظهرها فأذن عليها بالصلاة ، فقال بعض بنى سعيّد بن العاص : لقد أكرم الله سعيّداً إذ قبضه قبل أن يسمع هذا الأسود على ظهر الكعبة !

وقال عبد الرزاق ، عن معمر ، عن أيوب ، قال ابن أبى مُليكة : أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالاً فأذن يوم الفتح فوق الكعبة ، فقال رجل من قريش للحارث

ابن هشام: ألا ترى إلى هذا العبد أين صعد؟ فقال: دعه فإن يكن الله يكرهه فسيغيره .
وقال يونس بن بُكَيْر وغيره ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم بلالا عامَ الفتح فأذّن على الكعبة ليغيظ به^(١) المشركين .

وقال محمد بن سعد ، عن الواقدي ، عن محمد بن حرب ، عن إسماعيل بن أبي خالد ،
عن أبي إسحاق ، أن أباسفيان بن حرب: بعد فتح مكة كان جالساً فقال في نفسه : لو جمعتُ
لحمد جمعاً ؟ فإنه كيحدّث نفسه بذلك إذ ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بين كتفيه
وقال : « إذاً يحزبك الله ! » قال : فرفع رأسه فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم على
رأسه فقال : ما أيقنتُ أنك نبيٌّ حتى الساعة .

قال البيهقي : وقد أخبرنا أبو عبد الله الحافظ - إجازة - أنبأنا أبو حامد أحمد بن
الحسن المقرئ ، أنبأنا أحمد بن يوسف السلمي ، حدثنا محمد بن يوسف الفريابي ، حدثنا يونس
ابن أبي إسحاق عن أبي السّفر ، عن ابن عباس ، قال : رأى أبوسفيان رسولَ الله صلى الله عليه
وسلم يمشي والناس يطأون عَقْبِيه ، فقال يده وبين نفسه : لو عاودتُ هذا الرجل القتال ؟
فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ضرب بيده في صدره فقال : « إذاً
يحزبك الله » .

فقال : أتوب إلى الله وأستغفر الله مما تفوّت به .

ثم روى البيهقي من طريق ابن خزيمة وغيره ، عن أبي حامد بن الشّرقى ، عن أبي محمد
ابن يحيى الذّهلي ، حدثنا موسى بن أعين الجزري ، حدثنا أبي ، عن إسحاق بن راشد ،
عن سعيد بن المسيّب قال : لما كان ليلة دخل الناسُ مكةَ ليلة الفتح ، لم يزالوا في تكبير
وتَهليل وطواف بالبيت حتى أصبحوا ، فقال أبو سفيان لهناد : أترى هذا من الله ؟

قالت : نعم هذا من الله . قال : ثم أصبح أبو سفيان ففدا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قلتَ لهند : أترى هذا من الله ؟ قالت : نعم هذا من الله » فقال أبو سفيان : أشهد أنك عبد الله ورسوله ، والذي يُخلف به ما سمع قولي هذا أحدٌ من الناس غير هند .

وقال البخارى : حدثنا إسحاق ، حدثنا أبو عاصم ، عن ابن جريج ، أخبرني حسن ابن مسلم ، عن مجاهد ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله حرّم مكة يوم خلق السموات والأرض فهي حرام بحرام الله إلى يوم القيامة لا تحلُّ لأحد قبلى ولا تحلُّ لأحد بعدى ، ولم تحل لي إلا ساعة من الدهر ، لا يُفقر صيدها ولا يُعضد شوكتها ولا يُخْتَلَى خلاؤها ولا تحلُّ لقطتها إلا لمنشد » فقال العباس بن عبد المطلب : إلا الإذخر يا رسول الله ، فإنه لا بد منه للدفن والبيوت ؟ فسكت ثم قال : « إلا الإذخر فإنه حلال » .

وعن ابن جريج ، أخبرني عبد الكريم - هو ابن مالك الجزرى - عن عكرمة ، عن ابن عباس بمثل هذا أو نحو هذا ورواه أبو هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم .
تفرد به البخارى من هذا الوجه الأول ، وهو مُرْسَل ، ومن هذا الوجه الثانى أيضاً .

وبهذا وأمثاله استدللّ من ذهب إلى أن مكة فُتِحَتْ عَنوةً ، وللوقعة التى كانت فى الخَنْدَمَةِ كما تقدم . وقد قُتِلَ فيها قريب من عشرين نفساً من المسلمين والمُشْرِكِينَ ، وهى ظاهرة فى ذلك ، وهو مذهب جمهور العلماء .

والمشهور عن الشافعى أنها فُتِحَتْ صُلْحاً ؛ لأنها لم تُقَسَم ، ولقوله صلى الله عليه وسلم

ليلة الفتح : « من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ومن دخل الحرم فهو آمن ، ومن أغلق بابه فهو آمن » .

وموضع تقرير هذه المسألة في كتاب الأحكام الكبير إن شاء الله تعالى .

وقال البخارى : حدثنا سعيد بن شريح ، حدثنا الليث ، عن المقبري ، عن أبي شريح الخزاعي ، أنه قال لعمر بن سعيد وهو يبعث البعوث إلى مكة : ائذن لي أيها الأمير أحدثك قولاً قام به رسول الله صلى الله عليه وسلم الغد من يوم الفتح ، سمعته أذنأى ووعاه قلبي وأبصرته عينأى حين تكلم به ؛ أنه حمد الله وأثنى عليه ثم قال : « إن مكة حرمة الله ولم يحرّمها الناس ، لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دمأ ولا يعضد بها شجرة ، فإن أحد ترخص بقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولوا : إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم ، وإنما أذن لي فيها ساعة من نهار ، وقد عادت حرمة اليوم كحرمتها بالأمس ، فليبلغ الشاهد الغائب » .

فقيل لأبي شريح : ماذا قال لك عمرو؟ قال : قال : أنا أعلم بذلك منك يا أبا شريح ، إن الحرم لا يعيذ عاصياً ولا فارأ بدم ، ولا فارأ بجزية .

وروى البخارى أيضاً ، ومسلم عن قتيبة ، عن الليث بن سعد به نحوه .

وذكر ابن إسحاق أن رجلاً يقال له ابن الأثوع قتل رجلاً في الجاهلية من خزاعة يقال له احمر بأساً^(١) ، فلما كان يوم الفتح قتلت خزاعة ابن الأثوع^(٢) وهو بمكة ، قتله خراش بن أمية ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا معشر خزاعة ارفعوا أيديكم عن القتل ، لقد كثر القتل إن نفع ، لقد قتلتم رجلاً لأدينه » .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الرحمن بن حرملة الأسلمي ، عن سعيد بن المسيب قال : لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ما صنع خراش بن أمية قال : « إن خراشاً

(١) احمر بأساً : امم مركب ، كتأبط شرأ .

لِقَتَالٍ». وقال ابن إسحاق: وحدثني سعيد بن أبي سعيد المقبري، عن أبي شريح الخزاعي^(١) قال: لما قدم عمرو بن الزبير^(٢) مكة لقتال أخيه عبد الله بن الزبير جثته فقلت له: يا هذا إنا كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين افتتح مكة، فلما كان الغد من يوم الفتح عدت خزاعة على رجل من هذيل فقتلوه وهو مشرك، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا خطيباً فقال: «يا أيها الناس إن الله قد حرّم مكة يوم خلق السموات والأرض، فهي حرام من حرام الله إلى يوم القيامة، فلا يحلّ لأمرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك فيها دمًا ولا يعضد فيها شجراً، لم تحل لأحد كان قبلي ولا تحل لأحد يكون بعدي، ولم تحل لي إلا هذه الساعة غضباً على أهلها، ألا ثم قد رجعت كجرمتها بالأمر، فليبلغ الشاهد منكم الغائب، فمن قال لكم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قاتل فيها فقولوا: إن الله قد أحلّها لرسوله ولم يحلها لكم، يامعشر خزاعة ارفعوا أيديكم عن القتل فلقد كثر إن نفع، لقد قتلتم قتيلاً لأدينه، فمن قُتل بعد مقامى هذا فأهله بخير النظرين، إن شاءوا قدم قاتله وإن شاءوا فمقله.» ثم ودّى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الرجل الذي قتله خزاعة.

فقال عمرو لأبي شريح: انصرف أيها الشيخ فنحن أعلم بجرمتها منك، إنها لا تمنع سافك دم، ولا خالع طاعة، ولا مانع جزية.

فقال أبو شريح: إني كنت شاهداً وكنت غائباً، وقد أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبلغ شاهدنا غائبنا وقد أبلغتُك فانت وشأنك.

قال ابن هشام: وبلغني أن أول قتيل وداه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم

(١) ١: الدوى.

(٢) قال السهيلي: هذا وهم وصوابه عمرو بن سعيد بن العاص بن أمية وهو الأشدق. الروض ٢/٢٧٧

الفتح جُنَيْد بن الأَكْوَع ، قتلته بنو كعب فوداه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بمائة^(١) ناقة .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يحيى ، عن حسين ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه عن جده قال : لما فُتحت مكة على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « كَفُّوا السِّلَاحَ إِلَّا خِرَازِعَةَ مَنْ بَنَى بَكْرَ » فَأَذِنَ لَهُمْ حَتَّى صَلَّى الْعَصْرَ ثُمَّ قَالَ : « كَفُّوا السِّلَاحَ » فَلَقِيَ رَجُلٌ مِنْ خِرَازِعَةِ رَجُلَا مِنْ بَنَى بَكْرَ مِنْ غَدٍ بِالْمَزْدَلِفَةِ فَقَتَلَهُ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَامَ خَطِيبًا . فَقَالَ ، فَرَأَيْتَهُ وَهُوَ مُسْنَدٌ ظَهْرَهُ إِلَى الْكَعْبَةِ قَالَ : « إِنْ أَعْدَى الْفَاسِ عَلَى اللَّهِ مِنْ قَتْلٍ فِي الْحَرَمِ ، أَوْ قَتَلَ غَيْرَ قَاتِلِهِ أَوْ قَتَلَ بِذُحُولِ^(٢) الْجَاهِلِيَّةِ » وَذَكَرَ تَمَامَ الْحَدِيثِ .

وهذا غريب جدا .

وقد روى أهلُ السنن بعضَ هذا الحديث .

فأما ما فيه من أنه رَخَّصَ لَخِرَازِعَةِ أَنْ تَأْخُذَ بِثَأْرِهَا مِنْ بَنَى بَكْرَ إِلَى الْعَصْرِ مِنْ يَوْمِ الْفَتْحِ فَلَمْ أَرَهُ إِلَّا فِي هَذَا الْحَدِيثِ ، وَكَأَنَّهُ ، إِنْ صَحَّ ، مِنْ بَابِ الْإِخْتِصَاصِ لَهُمْ مِمَّا كَانُوا أَصَابُوا مِنْهُمْ لَيْلَةَ الْوَتِيرِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وروى الإمام أحمد ، عن يحيى بن سعيد ، وسفيان بن عُيَيْنَةَ وَيَزِيدُ بْنُ عُبَيْدٍ ، كُلُّهُمْ عَنْ زَكَرِيَّا بْنِ أَبِي زَائِدَةَ عَنْ عَامِرِ الشَّعْبِيِّ ، عَنْ الْحَارِثِ بْنِ مَالِكٍ بْنِ الْبَرَاءِ الْخِرَازِعِيِّ ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ يَوْمَ فَتَحَ مَكَّةَ : « لَا تُفْزَى هَذِهِ بَعْدَ الْيَوْمِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ » .

ورواه الترمذى عن بُنْدَارٍ ، عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ الْقَطَّانِ بِهِ . وَقَالَ : حَسَنٌ صَحِيحٌ .

(١) : فوداه مائة ناقة . (٢) الذحول : جمع ذحل ، وهو الثأر .

قلت : فإن كان نهياً فلا إشكال ، وإن كان نفيّاً فقال البيهقي : معناه على كفر أهلها .

وفي صحيح مسلم من حديث زكريا بن أبي زائدة ، عن عامر الشعبي ، عن عبد الله ابن مطيع ، عن أبيه مطيع بن الأسود العدوي ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة : « لا يُقتل قرشيٌّ صَبْرًا بعدَ اليوم إلى يوم القيامة » والكلام عليه كالأول سواء .

قال ابن هشام : وبلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين افتتح مكة ودخلها قام على الصفا يدعو وقد أخذت به الأنصار فقالوا فيما بينهم : أترون رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ فتح الله عليه أرضه وبلده يقيم بها ؟ فلما فرغ من دعائه قال : « ماذا قلتم ؟ » قالوا : لا شيء يا رسول الله . فلم يزل بهم حتى أخبروه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « معاذ الله ! الحياءُ تحيّاكم والماتُ مماتكم » .

وهذا الذي علّقه ابن هشام قد أسنده الإمام أحمد بن حنبل في مسنده فقال : حدثنا بهز وهاشم قالوا : حدثنا سليمان بن المغيرة عن ثابت ، وقال هاشم : حدثني ثابت البناني ، حدثنا عبد الله بن رباح قال : وفدت وفوداً إلى معاوية أنا فيهم وأبو هريرة ، وذلك في رمضان ، فجعل بعضنا يصنع لبعض الطعام ، قال : وكان أبو هريرة يُكثر ما يدعوننا ، قال هاشم : يكثر أن يدعوننا إلى رحله . قال : فقلت : ألا أصنع طعاماً فأدعوهم إلى رحلي ؟ قال : فأمرتُ بطعام يُصنع ، فلقيت أبا هريرة من العشاء قال : قلت : يا أبا هريرة الدعوة ^(٢) عندي الليلة . قال : استبقتني ^(١) ؟ قال هاشم : قلت : نعم فدعوتهم فهم عندي .

(١) الأصل : استبقتني . (٢) الأصل : الدعوى .

فقال أبو هريرة: ألا أعلمكم بحديث من حديثكم يامعشر الأنصار؟ فذكر فتح مكة، قال: أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل مكة، قال: فبعث الزبير على أحد المجنبتين وبعث خالدًا على المجنبة الأخرى وبعث أبا عبيدة على الجسر، وأخذوا بطن الوادي، ورسول الله صلى الله عليه وسلم في كتيبه وقد وبشت^(١) قريش أوباشها، قال: قالوا: نقدّم هؤلاء، فإن كان لهم شيء كنا معهم، وإن أصيبوا أعطيناهم الذي سألنا. قال أبو هريرة: فنظر فرآني فقال: «يا أبا هريرة» فقلت: لبيك رسول الله، فقال: «اهتف لي بالأنصار ولا يأتيني إلا أنصاري» فهتفتُ بهم فجاءوا فأطافوا برسول الله صلى الله عليه وسلم قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أترون إلى أوباش قريش وأتباعهم؟» ثم قال بيديه إحداهما على الأخرى: «احصُدوهم حصداً حتى توافوني بالصفا».

قال: فقال أبو هريرة: فانطلقنا فما يشاء واحد منا أن يقتل منهم ماشاء، وما أحد منهم يوجه إلينا منهم شيئاً.

قال: فقال أبو سفيان: يا رسول الله أبيضت خضراء قريش، لا قريش بعد اليوم!

قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من أغلق بابهُ فهو آمن، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن» قال: ففلق الناس أبوابهم.

قال: وأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحجر فاستلمه، ثم طاف بالبيت قال: وفي يده قوس آخذ بسية القوس، قال: فأتى في طوافه على صنم إلى جنب البيت يصدونه. قال: فجعل يطعن بها في عينه ويقول: «جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً».

قال : ثم أتى الصفا فعلاه حيث ينظر إلى البيت ، فرفع يديه فجعل يذكر الله بما شاء أن يذكره ويدعوه .

قال : والأنصار تحت . قال : يقول بعضهم لبعض : أما الرجل فأدركته رغبة في قريته ورأفة بعشيرته .

قال أبو هريرة : وجاء الوحي ، وكان إذا جاء لم يخف علينا ، فليس أحد من الناس يرفع طرفه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يقضى .

قال هاشم : فلما قضى الوحي رفع رأسه ، ثم قال : « يامعشر الأنصار ، ألقتم : أما الرجل فأدركته رغبة في قريته ورأفة بعشيرته ؟ قالوا : قلنا ذلك يا رسول الله . قال : « فما أسمى إذا ؟ ! كلا إني عبد الله ورسوله ، هاجرت إلى الله وإليكم ، فالحيا تحياكم والمات ماتكم » .

قال : فأقبلوا إليه يبكون ويقولون : والله ما قلنا الذي قلنا إلا الضن بالله ورسوله . قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله ورسوله يصدقانكم وبِعذرانكم » وقد رواه مسلم والنسائي من حديث سليمان بن المغيرة . زاد النسائي : وسلام ابن مسكين .

ورواه مسلم أيضاً من حديث حماد بن سلمة ثلاثهم عن ثابت ، عن عبد الله بن رباح الأنصاري نزيل البصرة ، عن أبي هريرة به نحوه .

وقال ابن هشام : وحدثني - يعني بعض أهل العلم - أن فضالة بن عُمير بن الملوّح - يعني الليثي - أراد قتل النبي صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالبيت عام الفتح ، فلما دنا منه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أفضالة ؟ » قال : نعم فضالة يا رسول الله . قال : « ماذا كنت تحدث به نفسك ؟ قال : لا شيء ، كنت أذكر الله . قال : فضحك

النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال « استغفر الله » ثم وضع يده على صدره فسكن قلبه

فكان فضالة يقول : والله مارفع يده عن صدرى حتى مامن خلق الله شيء أحب إلى منه .

قال فضالة : فرجعت إلى أهلى فمررت بامرأة كنت أتحدث إليها قالت : هلم إلى الحديث ؟ فقال : لا وانبعث فضالة يقول :

قالت هلم إلى الحديث فقلت لا يَا بَنَى عَلَيْكَ اللهُ وَالْإِسْلَامُ
لو مارأيتِ محمدًا وَقَبِيلَهُ بالفتح يوم تُكسَّرُ الأصنامُ
لأريتِ دينَ الله أضْحَى يَدْنًا والشرك يَفْشَى وجهه الإِظْلَامُ

قال ابن إسحق : وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة [عن عائشة ^(١)] قالت : خرج صفوان بن أمية يريد جذّة ليركب منها إلى اليمن ، فقال عمير بن وهب : يا بني الله إن صفوان بن أمية سيد قومه ، وقد خرج هاربا منك ليقذف نفسه في البحر ، فأمنته يارسول الله صلى الله عليه . فقال : « هو آمن » .

فقال : يارسول الله فأعطني آية يعرف بها أمانك . فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عامته التي دخل فيها مكة .

فخرج بها عمير حتى أدركه وهو يريد أن يركب في البحر ، فقال : يا صفوان فذاك أبى وأمى الله الله فى نفسك أن تهلكها ، هذا أمان من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد جئتكم به . قال : ويلك اعزب عني فلا تكلمنى . قال : أى صفوان فذاك أبى وأمى أفضل الناس وأبرّ الناس وأحلم الناس وخير الناس ، ابن عمك عزّه عزك وشرفه

شرفك ومُلكك مُلكك . قال : إني أخافه على نفسي . قال : هو أحلم من ذلك وأكرم .

فرجع معه حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال صفوان : إن هذا يزعم أنك قد أمنتني ؟ قال : « صدق » قال : فاجعلني بالخيار فيه شهرين . قال : « أنت بالخيار أربعة أشهر » .

ثم حكى ابن إسحاق عن الزهري أن فاختة بنت الوليد امرأة صفوان وأم حكيم بنت الحارث بن هشام امرأة عكرمة بن أبي جهل وقد ذهبت وراءه إلى اليمن فاسترجعته فأسلم ، فلما أسلما أقرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم تحتهما بالنكاح الأول .

قال ابن إسحاق : وحدثني سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت قال : رمى حسان ابن الزُّبَيْرِ وهو بنجران بيت واحد مازاد عليه :

لَا تَعْدَ مَنْ رَجَلًا أَحَلَّكَ بَقْضُهُ نَجْرَانًا فِي عَيْشٍ أَحَدًا لَنِيْمٍ^(١)

فلما بلغ ذلك ابن الزُّبَيْرِ خرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم وقال حين أسلم :

يَا رَسُولَ الْمَلِكِ إِن لِّسَانِي رَاتِقٌ مَا فُتِقْتُ إِذْ أَنَا بُورُ
إِذْ أَبَارِي الشَّيْطَانَ فِي سَنَنِ النَّعْيِ وَمِنْ مَالٍ مَّيْلَةٍ مَغْرُورٍ^(٢)
أَمِنَ اللَّحْمُ وَالْعِظَامُ لِرَبِّي ثُمَّ قَلْبِي الشَّهِيدُ أَنْتَ النَّذِيرُ
إِنِّي عَنْكَ زَاجِرٌ ثُمَّ حَيًّا مِنْ لُؤْيٍ وَكُلِّهِمْ مَغْرُورُ

قال ابن إسحاق : وقال عبد الله بن الزُّبَيْرِ أيضًا حين أسلم :

مَنْعَ الرِّقَادَ بِلَابِلٍ وَهُمُومُ وَاللَّيْلُ مُعْتَلِجُ الرِّوَاقِ بِهِمِ
مِمَّا أَتَانِي أَنْ أَحْمَدَ لَأَمْنِي فِيهِ فَبِتُّ كَأَنِّي مَحْمُومُ

(١) الأخذ : القليل المنقطع . (٢) غير ١ : مشهور .

ياخير من حملت على أوصالها عيرانة سرح اليدين غشوم^(١)
إني لمعتذرٌ إليك من الذى أسديتُ إذ أنا فى الضلال أهيمُ
أيامَ تأمرنى بأغوى خطة سَنَمُ وتأمرنى بها نخزومُ
وأمدُّ أسبابَ الردى ويَقودنى أمرُ الفؤاة وأمرهم مشنومُ
فاليوم آمنَ بالنبيِّ محمدٍ قلبى ومُخطئى هذه محرومُ
مضت العداوة وانقضت أسبابها ودعتُ أواصرُ بيننا وحلومُ
فاغفر فدى لك والدى كلاها زللى فإنك راحمٌ مرحومُ
وعليك من علم المليك علامة نورُ أغرَّ وخاتمٌ مختومُ
أعطاك بعدَ محبة برهانه شرقاً وبرهانُ الإله عظيمُ
ولقد شهدتُ بأن دينك صادق حقٌ وأنتك فى المعادِ جسيمُ
والله يشهد أن أحمدَ مصطفى مستقبِل فى الصالحين كريمُ
قرمٌ علا بنيانه من هاشم فرعٌ تمسكن فى الذرى وأرومُ
قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها له .

قلت : كان عبد الله بن الزبيرى السهمى من أكبر أعداء الإسلام ومن الشعراء الذين
استعملوا قوَاهم فى هجاء المسلمين ، ثم منَّ الله عليه بالتوبة والإنابة والرجوع إلى الإسلام
والقيام بنصره والذِّب عنه .

فصل

قال ابن إسحاق : وكان جميع من شهد فتح مكة من المسلمين عشرة آلاف ، من
بنى سُلَيم سبعمائة . ويقول بعضهم : ألف ، ومن بنى غفار أربعمائة [ومن أسلم أربعمائة]

(١) العيرانة من الإبل : الناجية فى نشاط .

ومن مُزينة ألف وثلاثة نفر، وسائرهم من قريش والأنصار وحلفائهم وطوائف العرب من تميم وقيس وأسد .

وقال عروة والزهرى وموسى بن عقبة : كان المسلمون يوم الفتح الذين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اثني عشر ألفاً . فإله أعلم .

قال ابن إسحاق : وكان مما قيل من الشعر في يوم الفتح قول حسان بن ثابت :

عَفَتْ ذَاتُ الْأَصَابِعِ فَالْجِوَاءِ	إِلَى عَذْرَاءٍ مِنْزِلَهَا خَلَاءُ ^(١)
دِيَارٌ مِنْ بَنِي الْحَسْحَاسِ قَفَرٌ	تَغْفِيهَا الرِّوَامِسُ وَالسَّمَاءُ ^(٢)
وَكُنْتُ لَا يَزَالُ بِهَا أُنِيسُ	خِلَالَ مُرُوجِهَا نَعْمٌ وَشَاءُ
فَدَغَ هَذَا وَلَكِنْ مَنْ لَطِيفٍ	يُورِقُنِي إِذَا ذَهَبَ الْعِشَاءُ
لَشَعْنَاءِ الَّتِي قَدْ تَيَمَّمْتُهَ	فَلَيْسَ لِقَلْبِهِ مِنْهَا شِفَاءُ
كَأَنَّ خَبِيئَةً مِنْ بَيْتِ رَأْسٍ	يَكُونُ مِزَاجُهَا عَسَلٌ وَمَاءُ ^(٣)
إِذَا مَا الْأَشْرِبَاتُ ذُكِرْنَ يَوْمًا	فَهِنْ لَطِيبُ الرِّاحِ الْفِدَاءُ
نَوَلِيهَا الْمَلَامَةَ إِنْ أَلْمَأْ	إِذَا مَا كَانَ مَغْتٌ أَوْ لِحَاءُ ^(٤)
وَنَشْرَبُهَا فَفَتَرَكْنَا مَلُوكًا	وَأَسْدًا مَا يُنْهِنُهَا الْقَهْلَاءُ
عَدِمْنَا خَيْلَنَا إِنْ لَمْ تَرَوْهَا	تُثِيرُ النِّقْعَ مَوْعِدَهَا كَدَاءُ
يَنَازِعُنِ الْأَعِنَّةَ مُضْغِيَاتٍ	عَلَى أَكْتَافِهَا الْأَسْلُ الظَّمَاءُ ^(٥)
تَظَلُّ جِيَادُنَا مَتَمَطَّرَاتٍ	يَلْطَمُنَّ بِالْخَرِّ النِّسَاءُ

(١) الجواء والعذراء : مواضع بالشام .

(٢) الروامس : الرياح . والسماء : المطر .

(٣) الخبيثة : الحمر المصونة . وبيت رأس : موضع بالأردن .

(٤) أَلْمَأْ : فعلنا ما نستحق عليه اللوم . والمغت : الضرب باليد . والملاحاة : الملاحة باللسان .

(٥) مضغيات : مواثيل منحرفات . والأسل : الرماح .

فإِذَا تَعَرَّضُوا عَنَّا اعْتَمَرْنَا وَكَانَ الْفَتْحُ وَانْكَشَفَ الْغَطَاءُ
وَالْأَفَاصِيرُ الْجَلَادِ يَوْمَ يَمُرُّ اللَّهُ فِيهِ مَنْ يَشَاءُ
وَجَبْرَيْلُ رَسُولُ اللَّهِ فِينَا وَرُوحُ الْقُدُسِ لَيْسَ لَهُ كِفَاءُ
وَقَالَ اللَّهُ قَدْ أَرْسَلْتُ عَبْدًا يَقُولُ الْحَقُّ إِنْ نَفَعَ الْبَلَاءُ
شَهِدْتُ بِهِ فَقُومُوا صِدْقُوه فَقُلْتُمْ لَا نَقُومُ وَلَا نَشَاءُ
وَقَالَ اللَّهُ قَدْ سَيَّرْتُ جُنْدًا هُمُ الْأَنْصَارُ عُرْضَتِهَا الْإِقَاءُ
لَنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ مَعَدٍ سِيَابٌ أَوْ قِتَالٌ أَوْ هِجَاءُ
فَنُحْكَمُ بِالْقَوَا فِي مَنْ هَجَانَا وَتَضْرِبُ حِينَ تَخْتَلِطُ الدَّمَاءُ
أَلَا أَبْلُغُ أَبَا سَفِيَّانَ عَنِّي مُغْلَغَلَةً قَدْ بَرَّحَ الْخَفَاءُ
بَأَنْ سَيُوفُنَا تَرَكْتِكَ عَبْدًا وَعُيُودُ الدَّارِ سَادَتِهَا الْإِمَاءُ
هَجُوتَ مُحَمَّدًا فَأَجِبْتُ عَنْهُ وَعِنْدَ اللَّهِ فِي ذَلِكَ الْجَزَاءُ
أَتَهْجُوهُ وَلَسْتُ لَهُ بِكَفٍّ فَشَرُّكَ خَيْرُكَ الْفِدَاءُ
هَجُوتَ مُبَارَكًا بَرًّا حَنِيفًا أَمِينَ اللَّهِ شَيْمَتَهُ الْوَفَاءُ
أَمَنْ يَهْجُو رَسُولَ اللَّهِ مِنْكُمْ وَيَمْدَحُهُ وَيَنْصُرُهُ سَوَاءُ
فَإِنَّ أَبِي وَوَالِدَهُ وَعِرْضِي لِعَرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وَقَاءُ
لِسَانِي صَارِمٌ لَا عَيْبَ فِيهِ وَبَحْرِي لَا تَكْدُرُهُ الدَّلَاءُ

قال ابن هشام : قالها حسان قبل الفتح .

قلت : والذي قاله متوجه لما في أثناء هذه القصيدة ، مما يدل على ذلك ، وأبو سفيان

المذكور في البيت هو أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب .

قال ابن هشام : وبلغني عن الزهري أنه قال : لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم

النساء يلطمن الخيل بالخمر تبسم إلى أبي بكر رضى الله عنه .

قال ابن إسحاق : وقال أنس بن زعيم الدبلي يعتذر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما كان قال فيهم عمرو بن سالم الخزاعي - يعني لما جاء يستنصر عليهم - كما تقدم :
 أنت الذي هَدَى مَعَدَّةَ بَأْمَرِهِ بل الله يَهْدِيهِمْ وقال لك أشهد
 وما حملت من ناقة فوق رَحْلِهَا أبرَّ وأوفى ذمةً من محمد
 أحثَّ على خير وأسبغَ نائلاً إذا راح كالسيف الصقيل المَهْفَدِ
 وأكسى ليزد الخال قبل ابتذاله وأعطى لرأس السابق المتجرَّدِ (١)
 تعلم رسول الله أنك مُدْرِكِي وأن وعيداً منك كالأخذ باليد
 تعلم رسول الله أنك قادرٌ على كل صِرْمٍ مُتَمِّينٍ ومُنْجِدِ (٢)
 تعلم بأن الركب ركبُ عُوَيْرٍ هُم الكاذبون الخلفو كلِّ موعِدِ
 ونَبِّوا رسولَ الله أني هَجَوْتَهُ فلا حملت سَوْطِي إلى إذن يدي
 سوى أننى قد قلت ويل ام فتيةٍ أصيدوا بنحسٍ لا بطلق وأسْعُدِ (٣)
 أصابهم من لم يكن لدمائهم كِفَاءَ فَعَزَّتْ عِبْرَتِي وتبَلَّدِي
 وإنك قد أخبرت أنك ساعياً بعبد بن عبد الله وابنة مَهْوَدِ (٤)
 ذؤيب وكلثوم وسلْمى تتابعوا جميعاً فإن لا تَدْمَعُ العين أَمَدِ
 وسلْمى وسلْمى ليس حَى كَثَلُهُ وإخوته وهل ملوكُ كأَعْبُدِ
 فإني لا ذنبا (٥) فتقتُ ولا دماً هَرَقْتُ تَبَيَّنَ عَالِمُ الْحَقِّ واقصدِ

قال ابن إسحاق : وقال بجير بن زهير بن أبي سلمى في يوم الفتح :

نقى أهلَ الحَبْلَقِ (١) كلُّ فَجٍّ مزينةٌ غدوةٌ وبنو خُفَافٍ
 ضربناهم بمكة يوم فتح النـبـي الخـير بالبيض الخِفَافِ
 صَبَحْنَا بِسَبْعٍ مِنْ سُلَيْمٍ وألف من بني عثمان وافِ
 نَطَأُ أَكْتَافَهُمْ ضَرْباً وَطَعْنًا وَرَشَقًا بالمرِيْشَةِ اللَّاطِفِ

- (١) الحال : برد من برود الين ، وهو من رفيع الثياب . (٢) الصرم : الطائفة من البيوت .
 (٣) الطلق : الأيام الطيبة . (٤) ابن هشام : فإنك قد أخفرت إن كنت ساعياً . (٥) ابن هشام : فإني لادينا .
 (٦) الحبلق : أرض يسكنها قبائل من مزينة وقيس . والحباق : الغنم الصغار ولعله أراد أصحاب الغنم .

ترى بين الصفوف لها حَفِيفًا كما انصاع الفُواق من الرصافِ
فرُحْنَا والجِيَادُ تَجُولُ فيهِمْ بأرماحٍ مقوِّمَةِ الثَّقَافِ
فأَبْنَا غَانِمِينَ بِمَا اسْتَهْنَيْنَا وآبُوا نَادِمِينَ عَلَى الْخِلَافِ
وأَعْطَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ مِنَّا مواثِقَنَا عَلَى حَسَنِ التَّصَافِ
وقد سَمِعُوا مَقَالَتَنَا فَهَمُّوا غَدَاةَ الرَّوْعِ مِنَّا بِانْصِرَافِ

وقال ابن هشام : وقال عباس بن مرداس السلمي في فتح مكة :

مِنَّا بِمَكَّةَ يَوْمَ فَتَحَ مُحَمَّدٌ أَلْفَ تَسِيلٍ بِهِ الْبَطَاحُ مَسُومٌ
نَصَرُوا الرَّسُولَ وَشَاهَدُوا آيَاتِهِ ^(١) وشعارهم يَوْمَ الْلِقَاءِ مُقَدَّمٌ
فِي مَنْزِلٍ ثَبَتَتْ بِهِ أَقْدَامُهُمْ ضَنْكَ كَأَنَّ الْهَامَ فِيهِ الْخَنْتَمُ ^(٢)
جَرَّتْ سَنَابِكُهَا بِنَجْدِ قَبْلِهَا حَتَّى اسْتَقَامَ لَهَا الْحِجَارُ الْأَدَمُ
اللَّهُ مَكْنُؤُهُ لَهُ وَأَذَلَّهُ حَكَمَ السِّیُوفُ لَنَا وَجَدْتُ مِرْزَحَمُ
عَوْدَ الرِّيَاسَةِ شَامِخٌ عِرْنَيْنُهُ مُتَطَلِّعٌ تُغَرُّ الْمَكَارِمُ خِضْرَمُ ^(٣)

وذکر ابن هشام فی سبب إسلام عباس بن مرداس أن أباه كان يعبد صنما من حجارة يقال له ضمار ، فلما حضرته الوفاة أوصاه به ، فبينما هو يوما يخدمه إذ سمع صوتا من جوفه وهو يقول :

قُلْ لِلْقَبَائِلِ مِنْ سَلِيمٍ كُلِّهَا أَوْدَى ضَمَارٌ وَعَاشَ أَهْلُ الْمَسْجِدِ
إِنَّ الَّذِي وَرَثَ النَّبُوَّةَ وَالْهُدَى بعد ابن مریم من قريش مهتدي
أودى ضمار وكان يُعْبَدُ مَدَّةً قبل الكتاب إلى النبي محمد

قال : فخرق عباس ضمار ثم لحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم ، وقد تقدمت هذه القصة بكاملها في باب هواتف الجان ^(٤) ، مع أمثالها وأشكالها والله الحمد والمنة .

(١) ابن هشام : وشاهدوا أيامه . (٢) الخنتم : الخنظل .

(٣) العود : يريد الرجل السن والعنق : الأنف . والخضرم : الجواد المعطاء .

(٤) تقدم ذلك في الجزء الأول ص ٣٥٨ ، ٣٥٩ .

بعثه عليه السلام خالد بن الوليد

بعد الفتح إلى بني جذيمة من كفانة

قال ابن إسحاق : فحدثني حكيم بن حكيم بن عباد بن حنيفة ، عن أبي جعفر محمد بن علي ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد حين افتتح مكة داعياً ولم يبعثه مقاتلاً . ومعه قبائل من العرب وسليم بن منصور ومذلج ابن مرة ، فوطئوا بني جذيمة بن عامر بن عبد مناة بن كنانة فلما رآه القوم أخذوا السلاح ، فقال خالد : ضعوا السلاح فإن الناس قد أسلموا .

قال ابن إسحاق : وحدثني بعض أصحابنا من أهل العلم من بني جذيمة قال : لما أمرنا خالد أن نضع السلاح قال رجل منا يقال له جَحْدَم : ويلسكم يا بني جذيمة إنه خالد! والله ما بعد وضع السلاح إلا الإِسار ، وما بعد الإِسار إلا ضرب الأعناق ، والله لا أضع سلاحاً أبداً .

قال : فأخذه رجال من قومه فقالوا : يا جَحْدَم أتريد أن تسفك دماءنا ؟ ! إن الناس قد أسلموا ووضعت الحربُ وأمن الناس .

فلم يزالوا به حتى نزعوا سلاحه ، ووضع القوم سلاحهم لقول خالد .

قال ابن إسحاق : فقال حكيم بن حكيم عن أبي جعفر قال : فلما وضعوا السلاح أمر بهم خالد فكثفوا ثم عرضهم على السيف فقتل من قتل منهم .

فلما انتهى الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رفع يديه إلى السماء ثم قال .
« اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد » .

قال ابن هشام : حدثني بعض أهل العلم أنه انفلت رجل من القوم فأتى رسول الله

صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هل أنكر عليه أحد ؟ » فقال : نعم قد أنكر عليه رجل أبيض ربعة فنهمة^(١) خالد فسكت عنه ، وأنكر عليه رجل آخر طويل مضطرب فاشتدت مراجعتهما . فقال عمر بن الخطاب : أما الأول يا رسول الله فابنى عبد الله ، وأما الآخر فسالم مولى أبى حذيفة .

قال ابن إسحاق : فحدثني حكيم بن حكيم ، عن أبى جعفر قال : ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب فقال : « يا على اخرج إلى هؤلاء القوم فانظر فى أمرهم ، واجعل أمر الجاهلية تحت قدميك » .

فخرج على حتى جاءهم ومعه مال قد بعث به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فودى لهم الدماء وما أصيب لهم من الأموال ، حتى إنه كيدى ميلة^(٢) الكلب ! حتى إذا لم يبق شيء من دم ولا مال إلا وداه بقيت معه بقية من المال ، فقال لهم على حين فرغ منهم : هلبقى لكم دم أو مال لم يؤد لكم ؟ قالوا : لا . قال : فإنى أعطيك هذه البقية من هذا المال احتياطاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما لا يعلم ولا تعلمون .

ففعل ثم رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر ، فقال : « أصبت وأحسن » . ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستقبل القبلة قائماً شاهراً يديه حتى إنه ليرى ما تحت منكبيه يقول : « اللهم إنى أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد » ثلاث مرات .

قال ابن إسحاق : وقد قال بعض من يعذر خالداً أنه قال : ما قاتلت حتى أمرنى بذلك عبد الله بن حذافة السهمى وقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمرك أن تقتلهم لا متيناعهم من الإسلام .

قال ابن هشام : قال أبو عمرو المدبني : لما أتاهم خالد بن الوليد قالوا : صَبَأْنَا صَبَأَنَا .

(١) نهمة : زجره .

(٢) الميلة : ما يغفر من الحشب ليلغ فيه الكلب ، ويكون عند أصحاب الغنم .

وهذه مرسلات ومنقطعات .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن الزهري ، عن سالم بن عبد الله بن عمر ، عن ابن عمر قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد إلى بني - أحسبه قال - جذيمة فدعاهم إلى الإسلام فلم يُحسنوا أن يقولوا : أسلمنا . فجعلوا يقولون : صَبَأْنَا صَبَأَنَا ، وخالد يأخذ بهم أسراً وقتلاً .

قال : ودفع إلى كل رجل منا أسيراً ، حتى إذا أصبح يوماً أمر خالد أن يقتل كل رجلٍ منا أسيرَه . قال ابن عمر : فقلت : والله لا أقتل أسيرى ولا يقتل أحد من أصحابي أسيرَه . قال : فقدموا على النبي صلى الله عليه وسلم فذكروا صنيع خالد فقال النبي صلى الله عليه وسلم ورفع يديه : « اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد » مرتين . ورواه البخاري والنسائي من حديث عبد الرزاق به نحوه .

قال ابن إسحاق : وقد قال لهم جَحْدَم لما رأى ما يصنع خالد : يا بني جذيمة ضاع الضرب ، عند كنت حذرتكم مما وقعتم فيه .

قال ابن إسحاق : وقد كان بين خالد وبين عبد الرحمن بن عوف - فيما بلغني - كلام في ذلك ، فقال له عبد الرحمن : عملت بأمر الجاهلية في الإسلام؟ فقال : إنما تأرتُ بأبيك . فقال عبد الرحمن : كذبت قد قتلتُ قاتل أبي ، ولكنك تأرتَ لعمك الفاكه بن المغيرة . حتى كان بينهما شر .

فبلغ ذلك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقال : « مهلاً يا خالد دع عنك أصحابي ، فوالله لو كان لك أحد ذهباً ثم أنفقتَه في سبيل الله ما أدركتَ غَدْوَةَ رجلٍ من أصحابي ولا رَوْحَتَه » .

ثم ذكر ابن إسحاق قصة الفاكه بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم عم خالد بن الوليد ، في خروجه هو وعوف بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة ، ومعه ابنه عبد الرحمن وعفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس ومعه ابنه عثمان ، في تجارة إلى اليمن ورجوعهم ومعهم مال لرجل من بني جذيمة كان هلك باليمن ، فحملوه إلى ورثته فادعاه رجل منهم يقال له خالد بن هشام ولقيهم بأرض بني جذيمة فطلبه منهم [قبل أن يصلوا إلى أهل الميت] فأبوا عليه فقاتلهم فقاتلوه حتى قُتل عوف والفاكه وأخذت أموالهما .

وقتل عبد الرحمن قاتل أبيه خالد بن هشام وفرَّ منهم عفان ومعه ابنه عثمان إلى مكة ، فهتَمَ قريش بغزو بني جذيمة ، فبعث بنو جذيمة يمتدرون إليهم بأنه لم يكن عن ملائمتهم وودَّوا لهم القتيلين وأموالهما ووضعوا الحرب بينهم .

يعنى فلهذا قال خالد لعبد الرحمن : إنما ثارتُ بأبيك ، يعنى حين قتلته بنو جذيمة . فأجابه بأنه قد أخذ ثأره وقتل قاتله ، وردَّ عليه بأنه إنما ثار بعمه الفاكه بن المغيرة حين قتلوه وأخذوا أمواله .

والظنون بكلِّ منهما أنه لم يقصد شيئاً من ذلك ، وإنما يقال هذا في وقت الحجامة ، فأما أراد خالد بن الوليد نصرة الإسلام وأهله ، وإن كان قد أخطأ في أمر واعتقد أنهم ينتقصون الإسلام بقولهم : صبياناً ناصباًنا . ولم يفهم عنهم أنهم أسلموا ، فقتل طائفة كثيرة منهم وأسرى بقيتهم ، وقتل أكثر الأسرى أيضاً ، ومع هذا لم يغزله رسول الله صلى الله عليه وسلم بل استمر به أميراً ، وإن كان قد تبرأ منه في صنيعة ذلك وودى ما كان جفاه خطأ في دم أو مال .

ففيه دليل لأحد القولين بين العلماء في أن خطأ الإمام يكون في بيت المال لا في ماله . والله أعلم .

ولهذا لم يعزله الصديق حين قتل مالك بن نويرة أيام الردة ، وتأول عليه ماتأول

حين ضرب عنقه واصطفى امرأته أمّ تميم ، فقال له عمر بن الخطاب : اعزله فإن في سيفه رهقاً . فقال الصديق : لا أعمد سيفاً سلّه الله على المشركين .

وقال ابن إسحاق : حدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس ، عن الزهري ، عن ابن أبي حذرد الأسلمي قال : كنت يومئذ في خيل خالد بن الوليد فقال فتى من بني جذيمة ، وهو في سني وقد مُجعت يده إلى عنقه برُمة ونسوة مجتمعات غير بعيد منه : يافتي . قلت : ماتشاء ؟ قال : هل أنت آخذٌ بهذه الرُمة فقاundy إلى هؤلاء النسوة حتى أفضى إليهن حاجة ثم تردّتي بعد فتصنعوا ما بدا لكم .

قال : قلت : والله ليسير ما طلبت . فأخذت برُمتة فقدّته بها حتى وقفت عليه فقال اسلمي حبيش على نقد^(١) العيش :

أَرَيْتُكَ إِذْ طَلَبْتُكُمْ فَوَجَدْتُكُمْ بِحِلْيَةٍ أَوْ أَلْفَيْتُكُمْ بِالْخَوَانِقِ^(٢)
أَلَمْ يَكُ أَهْلًا أَنْ يَنْوُلَ عَاشِقٌ تَكَلَّفَ إِدْلَاجَ السَّرَى وَالْوَدَائِقِ^(٣)
فَلَا ذَنْبَ لِي قَدْ قُلْتُ إِذْ أَهْلُنَا مَعًا أَثْبَي بَوْدٍ قَبْلَ إِحْدَى الصَّفَائِقِ^(٤)
أَثْبَي بَوْدٍ قَبْلَ أَنْ تَشْحَطَ الدَّوَى وَيَنْأَى الْأَمِيرُ بِالْحَبِيبِ الْمَفَارِقِ^(٥)
فإِنِّي لَا ضِيْعَتُ سِرٍّ أَمَانَةٍ وَلَا رَاقٍ عَيْنِي عَنْكَ بَعْدَكَ رَاقٍ^(٦)
سِوَى أَنْ مَانَالَ الْعَشِيرَةَ شَاغِلٌ عَنْ الْوَدِّ إِلَّا أَنْ يَكُونَ التَّوَامِقُ^(٧)
قَالَتْ : وَأَنْتَ لِحَيِّتَ عَشْرًا وَتِسْعًا وَتَرَأَ وَثْمَانِيَةَ تَثْرَى .

قال : ثم انصرفت^(٨) به فضربت عنقه .

قال ابن إسحاق : لحدثني أبو فراس بن أبي سنبله الأسلمي ، عن أشياخ منهم ،

(١) النقد : الاقتضاء .
(٢) حلية والخوانق : موضعان بتهامة .
(٣) السرى : سير عامة الليل . والودائق : جمع وديقة وهي شدة الحر في نصف النهار .
(٤) الصفايق : الدوامي .
(٥) تشحط : تبعد .
(٦) وتروى : فإني لاسر لدى أضعته . ذم الهوى لابن الجوزي : ٤٩٦ .
(٧) التوامق : التحاب .
(٨) ت : ثم قالت : انصرف به . فضربت عنقه .

عن كان حضرها منهم قالوا : فقامت إليه حين ضربت عنقه فأكبّت عليه فما زالت تقبّله حتى ماتت عنده !

وروى الحافظ البيهقي من طريق الحميدى ، عن سفيان بن عيينة ، عن عبد الملك بن نوفل بن مُساحق ، أنه سمع رجلاً من مزينة يقال له ابن عصام عن أبيه ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بعث سرية قال : « إذا رأيتم مسلحاً أو سمعتم مؤذناً فلا تقتلوا أحداً » . قال : فبعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية وأمرنا بذلك ، فخرجنا قبل تهامة ، فأدركنا رجلاً يسوق بظعان فقلنا له : أسلم . فقال : وما الإسلام ؟ فأخبرناه به ، فإذا هو لا يعرفه ، قال : أفرايتم إن لم أفعل ما أنتم صانعون ؟ قال : قلنا تقتلك . فقال : فهل أنتم مُنظرون حتى أدرك الظعان ؟ قال : قلنا نعم ونحن مُدركوك . قال : فأدرك الظعان فقال : اسلمى حبيش قبل نفاذ العيش . فقالت الأخرى : اسلمت عشرًا وتسعاً وتراً وثمانياً تترى . ثم ذكر الشعر المتقدم إلى قوله : ويئأى الأمير بالحبيب المفارق . ثم رجع إلينا فقال : شأنكم . قال : فقدّمناه فضرَبنا عنقه . قال : فأنحدرت الأخرى من هودجها فحُثَّت عليه حتى ماتت .

ثم روى البيهقي من طريق أبي عبد الرحمن النسائي ، حدثنا محمد بن علي بن حرب المروزي ، حدثنا علي بن الحسين بن واقد ، عن أبيه ، عن يزيد النحوي ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث سرية فغنموا وفيهم رجل ، فقال لهم : إني لست منهم ، إني عشقت امرأة فلحقها فدعوني أنظر إليها نظرة ثم اصنعوا بي ما بدا لكم . فإذا امرأة أذماء طويلة فقال لها : اسلمى حبيش قبل نفاذ العيش . ثم ذكر البيتين بمعناها .

قال : فقالت : نعم فدَيْتُك ! قال : فقدّموه فضرَبوا عنقه ، فجاءت المرأة فوَقعت عليه فشهِقت شهقةً أو شهقتين ثم ماتت .

فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبروه الخبر فقال : « أما كان فيكم رجلٌ رحيم ! » .

بعث خالد بن الوليد لهدم العُزَّى

قال ابن جرير : وكان هدمها لخمسِ بقين من رمضان عامئذ .

قال ابن إسحاق : ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد إلى العُزَّى ، وكانت بيتا بنخله يعظمه قريش وكنانة ومُضَر ، وكان سدّتها وحُجَّابها من بنى شيبان من بنى سُلَيم حلفاء بنى هاشم ، فلما سمع حاجبها ^(١) السُّلَمي بمسير خالد بن الوليد إليها علّق سيفه عليها ثم اشتدَّ ^(٢) في الجبل الذي هي فيه وهو يقول :

أيا عَزَّ شُدَّى شدة لا شوى لها على خالد ألقى القِنَاعَ وشمَّى ^(٣)

أيا عَزَّ إن لم تقتلى المرءَ خالدًا فبؤنى يائمه عاجلٍ أو تنصّري

قال : فلما انتهى خالد إليها هدمها ثم رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد روى الواقدي وغيره أنه لما قدّمها خالد لخمسِ بقين من رمضان فهدمها ورجع فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « ما رأيت ؟ » قال : لم أَر شيئاً . فأمره بالرجوع ، فلما رجع خرجت إليه من ذلك البيت امرأة سواد ناضرة شعرها تُؤلول فعلاها بالسيف وجعل يقول :

يا عَزَّى كُفْرانك لا سبجانك إني رأيتُ الله قد أهانك

ثم خرب ذلك البيت الذي كانت فيه ، وأخذ ما كان فيه من الأموال رضى الله عنه وأرضاه ، ثم رجع فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « تلك العُزَّى ولا تُعبَد أبداً » .

(٢) ابن هشام : أسند .

(١) ابن هشام : صاحبها .

(٣) الشوى : أن يصيب غير المقاتل يريد أنها لا تبقى على شيء .

وقال البيهقي : أنبأنا محمد بن أبي بكر الفقيه ، أنبأنا محمد بن أبي جعفر ، أنبأنا أحمد ابن علي ، حدثنا أبو كريب ، عن ابن فضيل ، عن الوليد بن جميع ، عن أبي الطفيل قال : لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة بعث خالد بن الوليد إلى نخلة وكانت بها العزبي ، فأتاها ، وكانت على ثلاث تمرات ، فقطع السمرات وهدم البيت الذي كان عليها ، ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال : « ارجع فإنك لم تصنع شيئا » .

فرجع خالد فلما نظرت إليه السدنة وهم حجابها أمتنوا هرباً في الجبل وهم يقولون : يا عزمي خبلي ، يا عزمي عوربه ، وإلا فتوتى برغم ! قال : فأتاها خالد فإذا امرأة عريانة ناشرة شعرها تَحْمُو التراب على رأسها ، ووجهها ، فمسمها بالسيف حتى قتلها ، ثم رجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال : « تلك العزبي » .

فصل في مدة إقامته عليه السلام بمكة

لا خلاف أنه عليه الصلاة والسلام أقام بقية شهر رمضان يقصر الصلاة ويُفطر . وهذا دليل من قال من العلماء إن المسافر إذا لم يُجْمَع الإقامة فله أن يقصر ويُفطر إلى ثمانى عشر يوماً في أحد القولين ، وفي القول الآخر كما هو مقرر في موضعه . قال البخارى : حدثنا أبو نعيم ، حدثنا سفيان ج . وحدثنا قبيصة ، حدثنا سفيان ، عن يحيى بن أبي إسحاق ، عن أنس بن مالك قال : أقمنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عَشْرًا يَقْصِر الصلاة .

وقد رواه بقية الجماعة من طرق متعددة ، عن يحيى بن أبي إسحاق الحضرمي البصري ، عن أنس به نحوه .

ثم قال البخارى : حدثنا عبدان ، حدثنا عبد الله ، أنبأنا عاصم ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة عشر يوماً يصلى ركعتين .
ورواه البخارى أيضاً من وجه آخر ، زاد البخارى وأبو حصين كلاهما . وأبو داود والترمذى وابن ماجه ، من حديث عاصم بن سليمان الأحول ، عن عكرمة ، عن ابن عباس به .

فى لفظ لأبى داود : سبعة عشر يوماً .

وحدثنا أحمد بن يونس ، حدثنا أحمد بن شهاب ، عن عاصم ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : أقمنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر تسع عشرة نقصر الصلاة .

قال ابن عباس : فنحن نقصر ما بيننا وبين^(١) تسع عشرة ، فإذا زدنا^(٢) أقمنا .

وقال أبو داود : حدثنا إبراهيم بن موسى ، حدثنا ابن علية ، أنبأنا على بن زيد ، عن أبى نضرة ، عن عمران بن حصين ما قال : غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهدت معه الفتح ، فأقام ثمانى عشرة ليلة لا يصلى إلا ركعتين يقول : « يا أهل البلد صلوا أربماً فإننا سفر » .

وهكذا رواه الترمذى من حديث على بن زيد بن جدعان ، وقال : هذا حديث حسن .

ثم روى أبو داود من حديث محمد بن إسحاق ، عن الزهرى ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس ، قال : أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح خمس عشرة ليلة يقصر الصلاة . ثم قال : رواه غير واحد ، عن ابن إسحاق لم يذكره ابن عباس .

(١) غير : نقصر ما بيننا وبين تسع عشرة . (٢) ت : فإذا أردنا .

وقال ابن إدريس ، عن محمد بن إسحاق ، عن الزهري ، ومحمد بن علي بن الحسين ، وعاصم بن عمرو بن قتادة ، وعبد الله بن أبي بكر وعمرو بن شعيب وغيرهم قالوا : أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة خمس عشرة ليلة .

فصل ومما حكم عليه السلام بمكة من الأحكام

قال البخاري : حدثنا عبد الله بن مسleme^(١) ، عن مالك ، عن ابن شهاب ، عن عروة ، عن عائشة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال الليث : حدثني يونس ، عن ابن شهاب ، أخبرني عروة بن الزبير ، أن عائشة قالت : كان عتبة بن أبي وقاص عهد إلى أخيه سعد أن يقبض ابن وليدة زمة ، وقال عتبة : إنه ابني : فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة في الفتح أخذ سعد بن أبي وقاص ابن وليدة زمة فأقبل به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقبل معه عبد بن زمة ، فقال سعد بن أبي وقاص : هذا ابن أخي عهد إلى أنه ابني . قال عبد بن زمة : يارسول الله : هذا أخي ، هذا ابن زمة ، ولد على فراشه ، فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ابن وليدة زمة فإذا هو أشبه الناس بعتبة بن أبي وقاص ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هولاك ، هو أخوك يا عبد بن زمة من أجل أنه ولد على فراشه » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « احتجبي منه يا سودة » لما رأى من شبه عتبة بن أبي وقاص .

قال ابن شهاب : قالت عائشة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الولد للفراش وللعاهر الحجر » . قال ابن شهاب : وكان أبو هريرة يصرح^(٢) بذلك .

وقد رواه البخاري أيضاً ومسلم وأبو داود والترمذي جميعاً عن قتيبة عن الليث به . وابن ماجه من حديثه . وانفرد البخاري بروايته له من حديث مالك عن الزهري .

(١) الأصل : ابن مسلم . وما أثبتته عن صحيح البخاري . (٢) البخاري : يصيح .

ثم قال البخارى : حدثنا محمد بن مقاتل ، أنبأنا عبد الله ، أنبأنا يونس ، عن ابن هباب ، أخبرني عروة بن الزبير ، أن امرأة سُرقت في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة الفتح ففزع قومها إلى أسامة بن زيد يستشفعونه .

قال عروة : فلما كلمه أسامة فيها تلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : « أتسلمني في حدٍّ من حدود الله ؟ » فقال أسامة : استغفر لى يا رسول الله .

فلما كان العشي قام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيباً فأنشأ على الله بما هو أهله ، ثم قال : « أما بعد فإنما هلك الناس قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، والذي نفس محمد بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها ! » .

ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتلك المرأة فقطعت يدها ، فحسنت توبتها بعد ذلك وتزوجت .

قالت عائشة : كانت تأتي بعد ذلك فأرفع حاجتها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد رواه البخارى في موضع آخر ، ومسلم من حديث ابن وهب ، عن يونس ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة به .

وفي صحيح مسلم من حديث سبرة بن معبد الجهني قال : أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمتعة عام الفتح حين دخل مكة ، ثم لم يخرج حتى نهى عنها .

وفي رواية فقال : « ألا إنها حرام حرام من يومكم هذا إلى يوم القيامة » .

وفي رواية في مسند أحمد والسنن ، أن ذلك كان في حجة الوداع . فالحق أعلم .

وفي صحيح مسلم ، عن أبي بكر بن أبي شيبة ، عن يونس بن محمد ، عن عبد الواحد ابن زياد ، عن أبي العميس عن إياس بن سلمة بن الأكوع ، عن أبيه أنه قال : رخص

لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عامَ أوطاس في متعة النساء ثلاثاً ثم نهانا عنه .

قال البيهقي : وعامَ أوطاس هو عام الفتح . فهو وحديث سبرة سواء .

قلت : من أثبتَ النهيَ عنها في غزوة خيبر قال : إنها أبيضت مرتين ، وحرمت مرتين . وقد نص على ذلك الشافعي وغيره .

وقد قيل : إنها أبيضت وحرمت أكثر من مرتين . فالله أعلم . وقيل : إنها إنما حرمت مرة واحدة ، وهي هذه المرة في غزوة الفتح .

وقيل : إنها إنما أبيضت للضرورة ، فعلى هذا إذا وجدت ضرورةً أبيضت . وهذا رواية عن الإمام أحمد .

وقيل : بل لم تحرم مطلقاً ، وهي على الإباحة . هذا هو المشهور عن ابن عباس وأصحابه وطائفة من الصحابة . وموضع تحرير ذلك في الأحكام .

فصل

قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا ابن جريج ، أنبأنا عبد الله بن عثمان ابن خثيم ، أن محمد بن الأسود بن خلف أخبره أن أباه الأسود رأى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يبايع الناسَ يوم الفتح ، قال : جلس عند قرنٍ مستقبلاً ، فبايع الناسَ على الإسلام والشهادة . قلت : وما الشهادة ؟ قال : أخبرني محمد بن الأسود بن خلف أنه يبايعهم على الإيمان بالله وشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله .

تفرد به أحمد .

وعند البيهقي : فجاء الناس الكبار والصغار والرجال والنساء فبايعهم على الإسلام والشهادة .

وقال ابن جرير : ثم اجتمع الناسُ بمكة لببيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم على

الإسلام ، فجلس لهم - فيما بلغني - على الصفا وعمر بن الخطاب أسفل من مجلسه فأخذ على الناس السمع والطاعة لله ولرسوله فيما استطاعوا .

قال : فلما فرغ من بيعة الرجال بايع النساء ، وفيهن هند بنت عتبة مُتَنَقِّبَةً مُتَفَكِّرَةً بِمَجْدِهَا^(١) لما كان من صنيعها بحمزة .

[فهي تخاف أن يأخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم بِمَجْدِهَا ذَلِكَ ، فلما دَنَيْنَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيَبَايَعَنَ قَالَ : « بَايَعَنِي عَلَى أَلَّا تَشْرِكَنَّ بِاللَّهِ شَيْئًا » فقالت هند : والله إنك لتأخذ علينا مالا تأخذه من الرجال .

« ولا تسرقن » فقالت : والله إني كنت أصبتُ من مال أبي سفيان الهنة بعد الهنة ، وما كنت أدري أكان ذلك علينا حلالاً أم لا ؟ فقال أبو سفيان - وكان شاهداً لما تقول - : أمّا ما أصبتِ فيما مضى فأنت منه في حلٍّ .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وإنك لهندُ بنت عتبة ؟ » قالت : نعم فاعفُ عما سلف ، عفا الله عنك .

ثم قال : « ولا يزْنين » فقالت : يا رسول الله وهل تزني الحرة !

ثم قال : « ولا تقتلن أولادكن » قالت : قد ربّيناهم صفاراً أفقتلهم كباراً ؟ فأنت وم أَعْلَم ! فضحك عمر بن الخطاب حتى استغرق .

ثم قال : « ولا يأتين بهتان يفتريه بين أيديهن وأرجلهن » فقالت : والله إن إتيان البهتان لقبيح ، ولبعض التجاوز أمثل .

ثم قال : « ولا يعصينني » فقالت : في معروف . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر : « بَايَعْنِ واستغفر لهن الله ، إن الله غفور رحيم » .

فبايعهن عمر وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يوافق النساء ولا يمس إلا امرأة أحلها الله له أو ذات محرم منه .

وثبت في الصحيحين ، عن عائشة رضى الله عنها ، أنها قالت : لا والله ما مسّت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم يد امرأة قط . وفي رواية : ما كان يبايعهن إلا كلاما ويقول : « إنما قولى لامرأة واحدة كقولى لمائة امرأة » .

وفي الصحيحين عن عائشة ، أن هند بنت عتبة امرأة أبي سفيان أنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله إن أبا سفيان رجل شحيح لا يعطينى من النفقة ما يكفينى ويكفى بى ، فهل على من حرج إذا أخذت من ماله بغير علمه ؟ قال : خذى من ماله بالمعروف ما يكفيك ويكفى بنيك ^(١) .

[وروى البيهقي من طريق يحيى بن بكير ، عن الليث ، عن يونس ، عن ابن شهاب ، عن عروة ، عن عائشة أن هند بنت عتبة قالت : يا رسول الله ما كان مما على وجه الأرض أخباء أو خبءاء - الشك من أبي بكر - أحب إلى من أن يذّوا من أهل أخبائك - أو خبائك - ثم ما أصبح اليوم على ظهر الأرض أهل أخباء أو خبءاء أحب إلى من أن يعزوا من أهل أخبائك أو خبائك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وأيضاً والذي نفس محمد بيده » قالت : يا رسول الله إن أبا سفيان رجل شحيح ، فهل على حرج أن أطعم من الذى له ؟ قال : « لا ، بالمعروف » .

ورواه البخارى ، عن يحيى بن بكير بنحوه . وتقدم ما يتعلق بإسلام أبى سفيان ^(٢) .

وقال أبو داود : حدثنا عثمان بن أبى شبة ، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن

مجاهد ، عن طاووس ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة : « لا هجرة ولكن جهادٌ ونية ، وإذا استنفرتم فانفروا » .

ورواه البخارى ، عن عثمان بن أبى شيبة ، ومسلم ، عن يحيى بن يحيى عن جرير .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا وهب ، حدثنا ابن طاووس ، عن أبيه ، عن صفوان بن أمية ، أنه قيل له : إنه لا يدخل الجنة إلا من هاجر . فقلت له : لا أدخل منزلى حتى أسأل رسول الله ماسأله . فأتيته فذكرت له فقال : « لا هجرة بعد فتح مكة ، ولكن جهادٌ ونية ، وإذا استنفرتم فانفروا » .
تفرد به أحمد .

وقال البخارى : حدثنا محمد بن أبى بكر ، حدثنا الفضيل بن سليمان ، حدثنا عاصم ، عن أبى عثمان التَّمْدَى ، عن مُجَاشِع بن مسعود ، قال : انطلقتُ بأبى مَعْبُدٍ إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليبياعه على الهجرة فقال : « مضت الهجرة لأهلها ، أبياعه على الإسلام والجهاد » .

فلقيت أبا مَعْبُدٍ فسألته فقال : صدق مجاشع .

وقال خالد ، عن أبى عثمان ، عن مجاشع ، أنه جاء بأخيه مُجَالِدٍ .

وقال البخارى : حدثنا عمرو بن خالد ، حدثنا زهير ، حدثنا عاصم ، عن أبى عثمان ، قال : حدثنى مُجَاشِع قال : أتيت رسول الله بأخى بعد يوم الفتح فقلت : يا رسول الله جئتُك بأخى لتبياعه على الهجرة ، قال : « ذهب أهلُ الهجرة بما فيها » فقلت : على أى شيء تبياعه ؟ قال : « أبياعه على الإسلام والإيمان والجهاد » .

فلقيت أبا مَعْبُدٍ بعدُ وكان أكبرهما سنًا فسألته فقال : صدق مجاشع .

وقال البخارى : حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا عُفْدَر ، حدثنا شعبة ، عن أبى بشر ،

عن مجاهد ، قال : قلت لابن عمر : أريد أن أهاجر إلى الشام ؟ فقال : لا هجرة ولكن انطلق فاعرض نفسك ، فإن وجدت شيئاً وإلا رجعت .

وقال أبو النضر : أنبأنا شعبة ، أنبأنا أبو بشر ، سمعت مجاهداً قال : قلت لابن عمر فقال : لا هجرة اليوم - أو بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم - مثله .

حدثنا إسحاق بن يزيد ، حدثنا يحيى بن حمزة ، حدثني أبو عمرو الأوزاعي ، عن عبدة بن أبي لبابة ، عن مجاهد بن جبير ، أن عبد الله بن عمر قال : لا هجرة بعد الفتح .

وقال البخارى : حدثنا إسحاق بن يزيد ، أنبأنا يحيى بن حمزة ، أنبأنا الأوزاعي ، عن عطاء بن أبي رباح ، قال : زرت عائشة مع عبيد بن عمير فسألها عن الهجرة فقالت : لا هجرة اليوم . وكان المؤمنون يفرُّ أحدهم بدينه إلى الله عز وجل وإلى رسوله مخافة أن يُقتل عليه ، فأما اليوم فقد أظهر الله الإسلام فالمؤمن يعبد ربه حيث يشاء ، ولكن جهادٌ ونية .

وهذه الأحاديث والآثار دالة على أن الهجرة ، إما الكاملة أو مطلقاً ، قد انقطعت بعد فتح مكة ، لأن الناس دخلوا في دين الله أفواجا وظهر الإسلام وثبتت أركانه ودعائمه ، فلم تبق هجرة .

اللهم إلا أن يعرض حال يقتضى الهجرة بسبب مجاورة أهل الحرب وعدم القدرة على إظهار الدين عندهم ، فتجب الهجرة إلى دار الإسلام . وهذا ما لا خلاف فيه بين العلماء .

ولكن هذه الهجرة ليست كالهجرة قبل الفتح ، كما أن كلاً من الجهاد والإنفاق في

سبيل الله مشروع ودغّب فيه إلى يوم القيامة ، وليس كالإنفاق ولا الجهاد قبل الفتح فتح مكة .

قال الله تعالى : « لا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتِل ، أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكَلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحَسَنَى ^(١) » الآية .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي البختري الطائي ، عن أبي سعيد الخدري ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : لما نزلت هذه السورة « إذا جاء نصرُ الله والفتح » قرأها رسول الله حتى ختمها وقال : « الناس خيرٌ وأنا وأصحابي خير » وقال : « لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية » .

فقال له مروان : كذبت . وغنده رافع بن خديج وزيد بن ثابت قاعدان معه على السرير ، فقال أبو سعيد : لو شاء هذان لحدثاك ، ولكن هذا يخاف أن تنزعه عن عرافة قومه ، وهذا يخشى أن تنزعه عن الصدقة ! فرفع مروان عليه الدرة ليضربه ، فلما رأى ذلك قال : صدق .

تفرد به أحمد .

وقال البخاري : حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا أبو عوانة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : كان عمر يُدخلني مع أشياخ بدر ، فكانت بعضهم وجدّ في نفسه ، فقال : لم تُدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله ؟ فقال عمر : إنه ممن قد علمتم . فدعاهم ذات يوم فأدخله معهم ، فما رأيت أنه أدخلني فيهم يومئذ إلا ليريههم ، فقال : ما تقولون في قول الله عز وجل : « إذا جاء نصرُ الله والفتح » ؟ فقال بعضهم : أمرنا

أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا . وسكت بعضهم فلم يقل شيئاً . فقال لى :
أ كذاك تقول يا بن عباس ؟ قلت : لا . فقال : ما تقول ؟ قلت : هو أجل رسول الله
صلى الله عليه وسلم أعلمه له ، قال : « إذا جاء نصر الله والفتح » فذلك علامة أجلك
« فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً » قال عمر بن الخطاب : لا أعلم منها
إلا ما يقول .

تفرد به البخارى .

وهكذا روى من غير وجه عن ابن عباس ، أنه فسّر ذلك بنعى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فى أجله ، وبه قال مجاهد وأبو العالية والضحاك وغير واحد ، كما قال ابن
عباس وعمر بن الخطاب رضى الله عنهما .

فأما الحديث الذى قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن فضيل ، حدثنا عطاء ، عن
سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس قال : لما نزلت : « إذا جاء نصر الله والفتح » قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نُعِيت إلى نفسى » بأنه مقبوض فى تلك السنة .

تفرد به الإمام أحمد وفى إسناده عطاء بن أبى مسلم الخراسانى ، وفيه ضعف تسكلم
فيه غير واحد من الأئمة ، وفى لفظه نكارة شديدة وهو قوله : بأنه مقبوض فى تلك
السنة . وهذا باطل ، فإن الفتح كان فى سنة ثمان فى رمضان منها كما تقدم بيانه ، وهذا
مالا خلاف فيه .

وقد توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ربيع الأول من سنة إحدى عشرة بلا
خلاف أيضاً .

وهكذا الحديث الذى رواه الحافظ أبو القاسم الطبرانى رحمه الله ، حدثنا إبراهيم
ابن أحمد بن عمر الوكيعى ، حدثنا أبى ، حدثنا جعفر بن عون ، عن أبى العُميس ، عن

أبي بكر بن أبي الجهم ، عن عبد الله بن عبيد الله بن عتبة ، عن ابن عباس قال : آخر سورة نزلت من القرآن جميعاً : « إذا جاء نصر الله والفتح » .

فيه نكارة أيضاً ، وفي إسناده نظر أيضاً ، ويحتمل أن يكون أنها آخر سورة نزلت جميعها كما قال والله أعلم .

وقد تسكلمنا على تفسير هذه السورة الكريمة بما فيه كفاية والله الحمد والمنة .

وقال البخارى : حدثنا سليمان بن حرب ، حدثنا حماد بن زيد ، عن أيوب عن أبي قلابة ، عن عمرو بن سلمة - قال لى أبو قلابة : ألا تلقاه فتسأله ؟ فلقيته فسألته - قال : كنا بماء تمر الناس ، وكان يمر بنا الركب فانسألهم : ما للناس ما للناس ؟ ما هذا الرجل ؟ فيقولون : يزعم أن الله أرسله وأوحى إليه كذا ، فكنت أحفظ ذاك الكلام ، فكأنما يُغرى^(١) فى صدرى ، وكانت العرب تلوم^(٢) بإسلامهم الفتح فيقولون : اتركوه وقومهم ، فإنه إن ظهر عليهم فهو نبى صادق .

فلما كانت وقعة أهل الفتح بادر كل قوم بإسلامهم ، وبدر أبى قومى بإسلامهم فلما قدم قال : جئتكم والله من عند النبى حقا . قال : صلوا صلاة كذا فى حين كذا ، وصلاة كذا فى حين كذا ، فإذا حضرت الصلاة فليؤذن أحدكم وليؤمكم أكثركم قرآنا فنظروا فلم يكن أحدا أكثر قرآنا متى لما كنت أتلقى من الركبان .

فقدمونى بين أيديهم وأنا ابن ست أو سبع سنين ، وكانت على بردة إذا سجدت تقلعت عنى ، فقالت امرأة من الحى : ألا تفلتون عنا است قارئكم ؟ فاشتروا قطعوا الى قميصاً ، فما فرحت بشى فرحى بذلك القميص .

تفرد به البخارى دون مسلم .

(٢) تلوم : تنتظر .

(١) يغرى : يلصق .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

غزوة هَوازَن يوم حُنَيْن

قال الله تعالى : « لقد نصرَكم الله في مواطنَ كثيرة ، ويومَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا ، وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ ، ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ . ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ » .

وقد ذكر محمد بن إسحاق بن يسار في كتابه : أن خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى هَوازَن بعد الفتح في خامس شوال سنة ثمان ، وزعم أن الفتح كان لعشرَ بقين من شهر رمضان قبل خروجه إليهم خمس عشرة ليلة .

وهكذا روى عن ابن مسعود . وبه قال عروة بن الزبير واختاره أحمد وابن جرير في تاريخه .

وقال الواقدي : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى هَوازَن لستَ خلونَ من شوال ، فانتهى إلى حنين في عاشره . وقال أبو بكر الصديق : لن نُغَلَّبَ اليومَ من قلة ! فانهزموا فكان أول من انهزم بنو سُلَيم ، ثم أهلُ مكة ثم بقية الناس .

قال ابن إسحاق : ولما سمعت هَوازَنُ برسول الله صلى الله عليه وسلم وما فتح الله عليه من مكة جمعها ملكها مالك بن عوف النَّصْرِي ، فاجتمع إليه مع هَوازَن ثقيف كلها واجتمعت نصر وجُشَم كلها وسعد بن بكر وناس من بني هلال ، وهم قليل ، ولم

يشهدا من قيس عيلان إلا هؤلاء . وغاب عنها ولم يحضرها من هوازن كعب وكرلاب ، ولم يشهدا منهم أحد له اسم ، وفي بني جشم دُرَيْد بن الصِّمَّة شيخ كبير ليس فيه شيء إلا التيمُّن برأيه ومعرفته بالحرب ، وكان شيخاً مجرباً ، وفي ثَقِيف سَيِّدان لهم ؛ وفي الأحلاف قاربُ بن الأسود بن مسعود بن مُعَتَّب ، وفي بني مالك ذو الخمار سُبَيْع بن الحارث وأخوه أحر بن الحارث ، وجماع أمر الناس إلى مالك بن عوف النَّضْرِي .

فلما أجمع المسير إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أحضر^(١) مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم ، فلما نزل بأوطاس اجتمع إليه الناس وفيهم دُرَيْد بن الصِّمَّة في شِجَار^(٢) له يُقَاد به ، فلما نزل قال : بأىِّ واد أنتم ؟ قالوا : بأوطاس . قال : نعم بحال الخليل لأحزن ضِرْس ولا سهل دَهْس^(٣) ، مالى أسمع رُغَاء البعير ، ونهاق الحمير ، وبكاء الصغير ، ويُعَار الشاء ؟ قالوا : ساق مالكُ بن عوف مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم . قال : أين مالك ؟ قالوا : هذا مالك . ودُعي له .

قال : يا مالك إنك قد أصبحتَ رئيس قومك وإنَّ هذا يومٌ كائنٌ له ما بعده من الأيام ، مالى أسمع رُغَاء البعير ونهاق الحمير ، وبكاء الصغير ، ويُعَار الشاء ؟ قال : سُقت مع الناس أبناءهم وأموالهم . قال : ولم ؟ قال : أردت أن أجعل خلف كلِّ رجل أهله وماله ليقاتل عنهم .

قال : فانقضَّ^(٤) به ، ثم قال : راعى ضأن والله ! هل يردُّ المنهزم شيء ؟ ! إنها إن كانت لك لم ينفعك^(٥) إلا رجلٌ بسيفه ورمحه ، وإن كانت عليك فُضِّحت في أهلك ومالك .

(١) ت : حط مع الناس . (٢) الشجار : مركب شبه الهودج .

(٣) الحزن : ما غلظ من الأرض ، والضرس : الحشن . والدَهْس : اللين . (٤) انقض به : زجره .

(٥) ت : لا ينفعك .

ثم قال : ما فعلت كعبٌ وكلاب ؟ قال : لم يشهدا منهم أحد . قال : غاب الحدُّ والجذء لو كان يومَ علاء ورفعة لم تَنَبَّ عنه كعبٌ وكلاب ، ولوددت أنكم فعلتم ما فعلت كعب وكلاب ، فمن شهدا منكم ؟ قالوا : عمرو بن عامر وعوف بن عامر . قال : ذاك الجذعان من عامر لا ينفعان ولا يضران . ثم قال : يا مالك إنك لم تصنع بتقديم البَيضة بيضة هوازن إلى نحر الخيل شيئاً .

ثم قال دُرَيْد لمالك بن عوف : ارفمهم إلى مُتَمَنِّع^(١) بلادهم وعلِيَاء قومهم ثم الق الصُّبَاء على متون الخيل ، فإن كانت لك لحق بك مَنْ وراءك ، وإن كانت عليك أُنْفَاكَ ذلك وقد أحرزت أهلك ومالك .

قال : والله لا أفعل ، إنك قد كبرت وكبر عقلك ! ثم قال مالك : والله لتطيعنني يا معشر هوازن أو لآتكنن على هذا السيف حتى يخرج من ظهري . وكره أن يكون لِدُرَيْد فيها ذِكْرٌ أو رأى . فقالوا : أطمعناك .

فقال دريد : هذا يومٌ لم أشهده ولم يفتني :

يا ليتني فيها جَذَعٌ أخبُ فيها وأضع^(٢)

أقود وطفاء الزمَعِ كأنها شاةٌ صدَع^(٣)

ثم قال مالك للناس : إذا رأيتموهم فاكسروا جُفُونَ سيوفكم ثم شدوا شدة رجلٍ واحدٍ .

قال ابن إسحاق : وحدثني أمية بن عبد الله بن عثمان ، أنه حدث أن مالك بن عوف بعث عيمونا من رجاله فأتوه وقد تفرقت أوصالهم فقال : ويلكم ما شأنكم ؟ قالوا :

(٢) الجذع : الشاب . وأخب : أسرع .

(١) ١ : مُتَمَنِّع .

(٣) الوطفاء : الطويلة الشعر . والزمع : جمع زمعة وهي هنة زائدة وراء الظلف . والشاة : حمار الوحش . والصدع : الفتي القوي .

رأينا رجالاً بيضاً على خيلٍ بُلُق ، فو الله ما تماسكنا أن أصابنا ما ترى . فو الله ما رددّه ذلك عن وجهه أن مضى على ما يريد .

قال ابن إسحاق : ولما سمع بهم نبيُّ الله صلى الله عليه وسلم بعث إليهم عبد الله ابن أبي حذرد الأسلمي ، وأمره أن يدخل في الناس فيقيم فيهم حتى يعلم عليهم ثم يأتيه بخبرهم .

فانطلق ابنُ أبي حذرد فدخل فيهم حتى سمع وعلم ماقد أجمعوا له من حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسمع من مالكٍ وأمر هوازن ما هم عليه ، ثم أقبل حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر .

فلما أجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم السير إلى هوازن ذكر له أن عند صفوان ابن أمية أدراعاً له وسلاحاً فأرسل إليه وهو يومئذ مُشرك فقال : « يا أبا أمية أعزنا سلاحك هذا نلتقي فيه عدونا غدا » .

فقال صفوان : أغضباً يا محمد ؟ قال : « بل عاريةٌ مضمونة حتى نؤديها إليك » قال : ليس بهذا بأس .

فأعطاه مائة درع بما يكفيها من السلاح ، فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سألَه أن يكفيهم تخلفاً ففعل .

هكذا أورد هذا ابن إسحاق من غير إسناد .

وقد روى يونس بن بُكير عن ابن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، عن عبد الرحمن بن جابر بن عبد الله ، عن أبيه . وعن عمرو بن شعيب والزهرى وعبد الله^(١) ابن أبي بكر بن عمرو بن حزم وغيرهم قصة حنين فذكر نحو ما تقدم ، وقصة الأدراع كما تقدم ، وفيه أن ابن أبي حذرد لما رجع فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) : عن ابن أبي بكر .

خبر هوازن كذبه عمر بن الخطاب ، فقال له ابن أبي حذرر : لئن ^(١) كذبتني
يا عمر فربما كذبت بالحق. فقال عمر : ألا تسمع ما يقول يا رسول الله ؟ فقال : « قد كنت
ضالاً فهداك الله » .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا يزيد بن هارون ، أنبأنا شريك ، عن عبد العزيز بن
رفيع ، عن أمية بن صفوان بن أمية ، عن أبيه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استعار
من أمية يوم حنين أدراعاً فقال : أغصباً يا محمد ؟ فقال : « بل عارية مضمونة » قال :
فضاع بعضها فعرض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يضمها له فقال : أنا اليوم
يا رسول الله في الإسلام أرغب .

ورواه أبو داود والنسائي من حديث يزيد بن هارون به .
وأخرجه النسائي من رواية إسرائيل ، عن عبد العزيز بن ربيع ، عن ابن أبي مُليكة
عن عبد الرحمن بن صفوان بن أمية ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استعار من صفوان
دروعاً . فذكره .

ورواه من حديث هُشيم ، عن حجاج ، عن عطاء ، أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم استعار من صفوان أدراعاً وأفراساً . وساق الحديث .

وقال أبو داود : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا جرير ، عن عبد العزيز بن
رفيع ، عن أناس من آل عبد الله بن صفوان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
« يا صفوان هل عندك من سلاح ؟ » قال : عارية أم غصباً ؟ قال : « بل عارية » فأعاره
ما بين الثلاثين إلى الأربعين درعاً ، وغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم حنيناً فلما هُزم
المشركون جمعت دروع صفوان ففقد منها أدراعاً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

لصفوان : « قد فقدنا من أذراعك أذراعاً فهل نفرم لك ؟ » قال : لا يارسول الله إن في قلبي اليوم ما لم يكن يومئذ .
وهذا مرسل أيضاً .

قال ابن إسحاق : ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم معه ألفان من أهل مكة مع عشرة آلاف من أصحابه الذين خرجوا معه ففتح الله بهم مكة ، فكانوا اثني عشر ألفاً .

قلت : وعلى قول عروة والزهرى وموسى بن عقبة يكون مجموع الجيشين^(١) الذين سار بهم إلى هوازن أربعة عشر ألفاً ، لأنه قدّم باثني عشر ألفاً إلى مكة على قولهم ، وأضيف إليهم ألفان من الطلقاء .

وذكر ابن إسحاق أنه خرج من مكة في خامس شوال . قال : واستخلف على أهل مكة عتّاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس الأموى .
قلت : وكان عمره إذ ذاك قريباً من عشرين سنة .

قال : ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد لقاء هوازن .

ثم ذكر قصيدة العباس بن مردّاس السلمى [في ذلك منها قوله : ^(٢)]

أبلغ هوازن أعلاها وأسفلها	منى رسالة نصح فيه تبیان
إني أظن رسول الله صابحكم	جيشاً له في فضاء الأرض أركان
فيهم سليم أخوكم غير تارككم	والمسلمون عباد الله غسان
وفي عضاذته اليمنى بنو أسد	والأجربان بنو عيس وذبيان
تكاد ترّجف منه الأرض رهفته	وفي مقدّمه أوس وعثمان

قال ابن إسحاق : أوس وعثمان قَبِيلَا مُزَيْنَةَ .

قال : وحدثني الزهري ، عن سنان بن أبي سنان الدَّيْلِي ، عن أبي واقد الليثي ، أن الحارث بن مالك قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حنين ونحن حديثو عهد بالجاهلية .

قال : فسرنا معه إلى حنين ، قال : وكانت لكفار قريش ومن سواهم من العرب شجرة عظيمة خضراء يقال لها ذات أنواط ، يأتونها كل سنة فيعلقون أسلحتهم عليها ، ويذبحون عندها ويعسكون عليها يوماً .

قال : فرأينا ونحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سدرَةً خضراء عظيمة ، قال : فتنادينا من جنبات الطريق : يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الله أكبر ! قلتم والذي نفسي ^(١) بيده كما قال قوم موسى لموسى : اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة ، قال : إنكم قوم تجهلون . إنها السَّيْنُ ! لتركبن سنن من كان قبلكم » .

وقد روى هذا الحديث الترمذي ، عن شعيب بن عبد الرحمن الخزومي عن سفيان ، والنسائي عن محمد بن رافع ، عن عبد الرزاق ، عن معمر كلاهما عن الزهري ، كما رواه ابن إسحاق عنه ، وقال الترمذي : حسن صحيح . ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره ، من طريق كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف ، عن أبيه عن جده ، مرفوعاً .

وقال أبو داود : حدثنا أبو توبة ، حدثنا معاوية بن سلام ، عن زيد بن سلام ، أنه سمع أباسلام عن السُّلُوي ، أنه حدثه سهل بن الحنظلية ، أنهم ساروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين فأطَّنبوا السيرَ حتى كان العشيَّة ، فحضرت صلاة الظهر عند رسول الله

(١) ا : والذي نفس محمد

صلى الله عليه وسلم ، فجاء رجل فارس فقال : يا رسول الله إني انطلقت بين أيديكم حتى طلعت جبل كذا وكذا فإذا أنا بهوازن عن بكرة أبيهم بظُفْنهم وبنَمَمهم وشأنهم اجتمعوا إلى حنين .

فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : « تلك غنيمة المسلمين غداً إن شاء الله » ثم قال : « من يخرسنا الليلة ؟ » قال أنس بن أبي مرثد : أنا يا رسول الله . قال : فاركب . فركب فرساً له وجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « استقبل هذا الشعب حتى تكون في أعلاه ولا تُفرّق من قبلك الليلة » .

فلما أصبحنا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مصلاه فركع ركعتين ثم قال : « هل أحسنتم فارسكم ؟ » قالوا : يا رسول الله ما أحسنناه . فتوب^(١) بالصلاة ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي ويلتفت إلى الشعب حتى إذا قضى صلاته قال : « أبشروا فقد جاءكم فارسكم » فجعل ينظر إلى خلال الشجر في الشعب ، وإذا هو قد جاء حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إني انطلقت حتى إذا كنت في أعلى هذا الشعب حيث أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما أصبحت طلعتُ الشَّعْبَيْنِ كليهما ، فنظرت فلم أر أحداً . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هل نزلت الليلة ؟ » قال : لا ، إلا مصلياً أو قاضياً حاجة . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قد أوجبت ، فلا عليك ألا تعمل بعدها ! » .

وهكذا رواه النسائي ، عن محمد بن يحيى ، عن محمد بن كثير الحراني ، عن أبي توبة الربيع بن نافع به .

(١) توب : دعا إلى الصلاة .

فصل في كيفية الوقعة ، وما كان في أول الأمر من الفرار

ثم كانت العاقبة للمتقين

قال يونس بن بكير وغيره عن محمد بن إسحاق : حدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن عبد الرحمن بن جابر بن عبد الله عن أبيه قال : نخرج مالك بن عوف بمن معه إلى حنين فسبق رسول الله صلى الله عليه وسلم إليها ، فأعدوا وتهيئوا في مضائق الوادي وأحفائه . وأقبل رسول الله وأصحابه حتى انحط بهم الوادي في عمأة الصبح ، فلما انحط الناس ثارت في وجوه الخيل فشدت عليهم ، وانكفأ الناس منهزمين لا يُقبل أحد على أحد .

وانحاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات اليمين يقول : « أين أيها الناس ؟ هلموا إلى أنا رسول الله ، أنا رسول الله أنا محمد بن عبد الله » .

قال : فلا شيء ، وركبت الإبل بعضها بعضاً ، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الناس ومعه رهط من أهل بيته : علي بن أبي طالب ، وأبو سفيان بن الحارث ابن عبد المطلب ، وأخوه ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، والفضل بن العباس . وقيل الفضل بن أبي سفيان ، وأيمن بن أم أيمن ، وأسامة بن زيد ، ومن الناس من يزيد فيهم قُوم بن العباس ، ورهط من المهاجرين منهم أبو بكر وعمر ، والعباس أخذ بحكمة^(١) بقلته البيضاء وهو عليها قد شجرها^(٢) ، قال : ورجل من هوازن على جمل له أحر بيده راية سوداء في رأس رمح طويل أمام هوازن وهوازن خلفه ، إذا أدرك طعن^(٣) برمحه وإذا فاتته الناس رفع رمحه لمن وراءه فاتبعوه .

(١) الحكمة : ما أحاط بمنكى الفرس .

(٣) ١ : طفر برمحه .

(٢) شجر الدابة : ضرب لجامها فيكفها حتى فتحت فاما .

قال : فيينا هو كذلك إذ هوَى له على بن أبي طالب ورجل من الأنصار يريدانه ، قال : فيأتى على من خلفه فضرِب عُرْقوبِي الجبل فوقع على عَجْزِهِ ، ووثب الأنصارى على الرجل فضرِب به ضربة أطنَّ قدمه بنصف ساقه فانجحفَ عن رحله .

قال : واجتلد الناس ، فوالله ما رجعت راجعةُ الناس من هزيمتهم حتى وجدوا الأسارى مكْتَفَيْن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ورواه الإمام أحمد عن يعقوب بن إبراهيم الزهرى ، عن أبيه ، عن محمد بن إسحاق .

* * *

قال ابن إسحاق : وانتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي سفيان بن الحارث ابن عبد المطلب ، وكان ممن صَبَرَ يومئذ وكان حسن الإسلام حين أسلم ، وهو آخذ بِثَقَر^(١) بغلة^(٢) رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « من هذا ؟ » قال ابن أمك يارسول الله .

قال ابن إسحاق : ولما انهزم الناسُ تكلم رجالٌ من جُفَاة الأعراب بما فى أنفسهم من الضغن فقال أبو سفيان صخر بن حرب - يعنى وكان إسلامه بعد مدخولاً وكانت الأزلام بعدُ معه يومئذ - قال : لا تنتهى هزيمتهم دون البحر ! وصرخ^(٣) كلدة جبلة بن الحنبل وهو مع أخيه صفوان بن أمية - يعنى لأمه - وهو مُشْرِك ، فى المدة التى جعل له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا بطلَ السحرُ اليوم ؛ فقال له صفوان : اسكت فضَّ الله فاك ، فوالله لأن يربى^(٤) رجلٌ من قريش أحب إلى من أن يربى رجل من هوازن .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عفان بن مسلم ، حدثنا حماد بن سلمة ، أنبأنا إسحاق بن

(١) الثقرة : السير فى مؤخر السرج .

(٢) ت : وخرج جبلة بن الحنبل كما فى ابن هشام

(٣) (٤) يربى : يملكى .

(٢) ١ : بغلته فقال .

عبد الله بن أبي طلحة ، عن أنس بن مالك ، أن هوازن جاءت يومَ حنين بالنساء والصبيان والإبل والغنم ، فجعلوها صفوفًا ، يكثرُّون على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما التقوا ولَّى المسلمون مُدْبِرِينَ ، كما قال الله تعالى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا عبادَ الله أنا عبد الله ورسوله » ثم قال : « يامعشر الأنصار ، أنا عبد الله ورسوله » .

قال : فهزم الله المشركين ولم يُضرب بسيف ولم يُطعن برمح .

قال : وقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يومئذ : « من قتل كافرًا فله سَكْبُهُ » .

قال : فَقتل أبو طلحة يومئذ عشرين رجلاً وأخذ أسلابهم .

وقال أبو قتادة : يارسول الله إني ضربت رجلاً على جبل العاتق وعليه درع له فاجهضت

عنه فانظر من أخذا . قال : فقام رجل فقال : أنا أخذتها فأرضيه منها وأعطينها ، قال :

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يُسأل شيئاً ألا أعطاه أو سكت . فسكت رسول الله

صلى الله عليه وسلم ، فقال عمر : والله لا يُقيمها الله على أسدٍ من أسدِ الله ^(١) ويعطيكمها ،

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « صدق عمر » .

قال ولقي أبو طلحة أمَّ سُلَيْمٍ ومعهما خنجر ، فقال أبو طلحة : ما هذا ؟ فقالت : إن دنا

منى بعضُ المشركين أن أبْعَجَ في بطنه ، فقال أبو طلحة : أمَّا تسمع ما تقول أم سليم ؟

فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت : يارسول الله أقتل من بعدنا ^(٢) من

الطلاق انهزموا بك ، فقال : « إن الله قد كفَى وأحسنَ يأم سليم » .

وقد روى مسلم منه قصةَ خنجر أم سليم ، وأبو داود قوله : « من قتل قتيلاً فله سَكْبُهُ »

كلاهما من حديث حماد بن سلمة به .

وقول عمر في هذا مستغَرَّب ، والمشهور أن ذلك أبو بكر الصديق .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث ، حدثنا أبي حدثنا نافع

أبو غالب ، شهد أنس بن مالك فقال العلاء بن زياد العدوي : يا أبا حمزة بسنّ أيّ الرجال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ بُعث ؟ فقال : ابن أربعين سنة قال : ثم كان ماذا ؟ قال : ثم كان بمكة عشر سنين وبالمدينة عشر سنين فتمت له ستون سنة ، ثم قبضه الله إليه . قال : بسنّ أيّ الرجال هو يومئذ ؟ قال : كأشبّ الرجال وأحسنه وأجمله وألحمه . قال : يا أبا حمزة وهل غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم غزوت معه يوم حنين ففرج المشركون بكرة فحسبوا علينا ، حتى رأينا خيلنا وراء ظهورنا وفي المشركين رجل يحمل علينا فيدقنا ويحطمنا ، فلما رأى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل فهزمهم الله فولوا ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأى الفتح فجعل يُجاء بهم أسارى رجلا رجلا فيبايعونه على الإسلام ، فقال رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : إن عليّ نذراً لئن جىء بالرجل الذي كان منذ اليوم يحطمنا لأضربنّ عنقه ، قال : فسكت نبي الله صلى الله عليه وسلم وحىء بالرجل ، فلما رأى نبي الله صلى الله عليه وسلم قال : يا نبي الله تبتُ إلى الله . قال : وأمست نبي الله صلى الله عليه وسلم أن يبايعه ليوفي الآخر نذره ، قال : وجعل ينظر إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليأمره بقتله ويهابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم أنه لا يصنع شيئاً بآيحه ، فقال : يا نبي الله نذرى ؟ قال : « لم أمستُ عنه منذ اليوم إلا لتوفى نذرك » فقال : يا رسول الله ألا أومأت إلى ؟ قال : « إنه ليس لنبيّ أن يؤمى » .

تفرد به أحمد .

وقال أحمد : حدثنا يزيد ، حدثنا حميد الطويل ، عن أنس بن مالك ، قال : كان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم يوم حنين : اللهم إنك إن تشألا تعبد في الأرض بعد اليوم .

إسناده ثلاثي على شرط الشيخين ، ولم يخرج به أحد من أصحاب الكتب من هذا الوجه .

وقال البخارى: حدثنا محمد بن بشار، حدثنا غُندَر، حدثنا شعبة، عن أبي إسحاق سمع البراء بن عازب - وسأله رجل من قيس: أفرزتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين؟ - فقال: لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر، كانت هوازن رماة وإنا لما حملنا عليهم انكشفوا فأكتبنا على الغنائم فاستقبلتنا بالسهام. ولقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته البيضاء وإن أبا سفيان أخذ بزمامها وهو يقول: أنا النبي لا كذب.

ورواه البخارى عن أبي الوليد عن شعبة به وقال:

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

قال البخارى: وقال إسرائيل وزهير يعنى عن أبي إسحاق، عن البراء، ثم نزل عن بغلته.

ورواه مسلم والنسائى عن بُندَار. زاد مسلم: وأبى موسى. كلاهما عن غُندَر به. وروى مسلم من حديث زكريا بن أبى زائدة، عن أبي إسحاق، عن البراء قال: ثم نزل فاستنصر وهو يقول:

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

« اللهم نزل نصرتك »

قال البراء: ولقد كنا إذا حمى البأس نتقى برسول الله صلى الله عليه وسلم، وإن الشجاع الذى يُحاذى به.

وروى البيهقى من طرق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يومئذ: « أنا ابن العواتك ».

[وقال الطبرانى: حدثنا عباس بن الفضل الأسفاطى، حدثنا عمرو بن عوف الواسطى، حدثنا هُشيم، أنبأنا يحيى بن سعيد، عن عمرو بن سعيد بن العاص، عن شُبابة، عن

ابن عاصم السلمي ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم حنين : « أنا ابنُ العواتك » ^(١)

وقال البخارى : حدثنا عبد الله بن يوسف ، أنبأنا مالك ، عن يحيى بن سعيد ، عن عمرو بن كثير بن أفلاج ، عن أبي محمد مولى أبي قتادة ، عن أبي قتادة قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام حنين ، فلما التقينا كانت للمسلمين جولة ، فرأيت رجلاً من المشركين قد علا رجلاً من المسلمين فضربته من ورائه على جبل عاتقه بالسيف فقطعتُ الدرعَ وأقبل على فُضْمْنِي ضمة وجدت منها ريح الموت ، ثم أدركه الموت فأرسلنى ، فلحقت عمر ، فقلت : ما بالُ الناس ؟ فقال : أمرُ الله .

ورجعوا وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا لَهُ عَلَيْهِ بَيِّنَةٌ فَلَهُ سَلْبُهُ » فقلت : من يشهد لى ؟ ثم جلست فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثله . فقلت : من يشهد لى ؟ ثم جلست ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثله . فقلت : من يشهد لى ثم جلست : ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثله . فقلت فقال : « مالك يا أبا قتادة ؟ » فأخبرته فقال رجل : صدق ، سَلْبُهُ عِنْدَى فَأَرْضِهِ مِنِّى . فقال أبو بكر : لاها الله إذا نَعَمَدَ إِلَى أَسَدٍ مِنْ أَسَدِ اللَّهِ يُقَاتِلُ عَنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَيُعْطِيكَ سَلْبُهُ ؟ ! فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « صدق فأعطه » . فأعطانيه فابتعتُ به خِرْقَةً ^(٢) فى بنى سلمة فإنه لأولُ مال تأثلمته فى الإسلام .

ورواه بقية الجماعة إلا النسائى ، من حديث يحيى بن سعيد به .

قال البخارى : وقال الليث بن سعد : حدثنى يحيى بن سعيد ، عن عمرو بن كثير ابن أفلاج ، عن أبي محمد مولى أبي قتادة ، أن أبا قتادة قال : لما كان يوم حنين نظرتُ

(١) من ت .

(٢) المحرف : السكة بين صفيين من النخل .

إلى رجل من المسلمين يقاتل رجلاً من المشركين وآخر من المشركين يَحْتَلِه من ورائه ليقْتله ، فأسرعتُ إلى الذى يَحْتَلِه فرفع يده لِيضربنى فأضربُ يده فقطعتهما ، ثم أخذنى فضمّنى ضمّاً شديداً حتى تخوفتُ ، ثم نزل^(١) فتحلّل فدفعتُهُ ، ثم قتلتُهُ ، وانهزم المسلمون فانهزمتُ معهم ، فإذا بعمر بن الخطّاب فى الناس فقلت له : ما شأنُ الناس ؟ قال : أمرُ الله !

ثم تراجع الناس إلى رسول الله فقال رسول الله : «من أقام بينة على قتيل فله سَلَبه» فقامت لأتّمس بينة على قتيل فلم أر أحداً يشهد لى فجلست ، ثم بدا لى فذكرتُ أمره لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رجل من جلسائه : سلاحُ هذا القتيل الذى يذكرك عندى فأرضه منى . فقال أبو بكر : كلاً لا يعطه أُضَيِّع^(٢) من قريش ويدع أسداً من أسد الله يقاتل عن الله ورسوله . قال : فقام رسول الله فأداه إلى فاشتريت به حُرّاً ، فكان أول مالٍ تأثّلته .

وقد رواه البخارى فى مواضع آخر ومسلم ، كلاهما عن قتبية ، عن الليث ابن سعد به .

وقد تقدم من رواية نافع أبى غالب ، عن أنس ، أن القائل لذلك عمر بن الخطاب فلعله قاله متابعةً لأنى بكر الصديق ومساعدةً وموافقةً له ، أو قد اشتبهه على الراوى . والله أعلم .

وقال الحافظ البيهقى : أنبأنا الحاكم ، أنبأنا الأصمّ ، أنبأنا أحمد بن عبد الجبار ، عن يونس بن بُكير ، عن محمد بن إسحاق ، حدثنى عاصم بن عمر عن عبد الرحمن بن جابر ، عن أبيه جابر بن عبد الله ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يومَ حنين حين رأى

(١) ت : ترك . (٢) الأضيّع : تصغير أضيّع ، وهو القصير الضبع ، ويكنى به عن الضعيف . وتروى : أضيّع . وهو نوع من الطيور . القسطلانى ٦/٤٠٧ .

من الناس مارأى : « يا عباس ناد : يامعشر الأنصار يا أصحاب الشجرة » فأجابوه : لبيك لبيك . فجعل الرجل يذهب ليعطف بغيره فلا يقدر على ذلك فيقذف درعه عن عنقه ويأخذ سيفه وترسه ثم يؤمُّ الصوت ، حتى اجتمع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم مائة ، فاستعرض الناس فاقبلوا ، وكانت الدعوة أول ما كانت للأنصار ، ثم جعلت آخراً للخزرج ، وكانو صُبراً عند الحرب ، وأشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم في ركائبه فنظر إلى مُجْتَلَد القوم فقال : « الآن حى الوطيس » .

قال : فوالله ما راجعه الناس إلا والأسارى عند رسول الله صلى الله عليه وسلم مكثفون ، فقتل الله منهم من قتل ، وانهزم منهم من انهزم ، وأفاء الله على رسوله صلى الله عليه وسلم أموالهم وأبناؤهم .

وقال ابن لهيعة ، عن أبي الأسود ، عن عروة . وذكر موسى بن عقبة في مغازيه عن الزهري ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة وأقر بها عيته ، خرج إلى هوازن وخرج معه أهل مكة لم يغادر منهم أحداً ركبانا ومشاة ، حتى خرج النساء يشين على غير دين يُنظَّراً ينظرون ويرجون الفنائم ، ولا يكرهون مع ذلك أن تكون الصدمة برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه .

قالوا : وكان ^(١) معه أبو سفيان بن حرب وصفوان بن أمية ، وكانت امرأته مسلمة وهو مشرك لم يفرق بينهما .

قالوا : وكان رئيس المشركين يومئذ مالك بن عوف النصري ومعه دُرَيْد بن الصَّمة يُرْعَش من السَّكْبَر ، ومعه النساء والذراري والنعم ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أبي حذرد عينا ، فبسات فيهم فسمع مالك بن عوف يقول لأصحابه : إذا

(١) ت : وقالوا : كان .

أصبحتم فاحملو عليهم حملة رجل واحد ، واكسروا أغماد سيوفكم ، واجعلوا مواشيكم صفاً ونساءكم صفاً .

فلما أصبحوا اعتزل أبو سفيان وصفوان وحكيم بن حزام وراءهم ينظرون لمن تكون الدائرة ، وصف الناس بعضهم لبعض ، وركب رسول الله صلى الله عليه وسلم بفسلة له شهباء ، فاستقبل الصفوف فأمرهم وحضهم على القتال وبشرهم بالفتح - إن صبروا - .

فبينما هم كذلك إذ حمل المشركون على المسلمين حملة رجل واحد ، فجال المسلمون جولة ثم ولّوا مدبرين ، فقال حارثة بن النعمان : لقد حزرتُ من بقي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أدبر الناس فقلت : مائة رجل .

قالوا : ومرّ رجل من قريش بصفوان بن أمية فقال : أبشر بهزيمة محمد وأصحابه ، فوالله لا يجتبرونها أبداً . فقال له صفوان : تبشّرني بظهور الأعراب ؟ فوالله لربّ من قريش أحب إليّ من ربّ من الأعراب . وغضب صفوان لذلك .

قال عروة : وبعث صفوان غلاماً له فقال : اسمع لمن الشعار ؟ فجاءه فقال : سمعتم يقولون : يا بني عبد الرحمن يا بني عبد الله ، يا بني عبيد الله . فقال : ظهر محمد . وكان ذلك شعارهم في الحرب .

قالوا : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما غشيه القتال قام في الرّكابين وهو على البغلة فرفع يديه إلى الله يدعو ويقول : « اللهم إني أنشدك ما وعدتني ، اللهم لا ينغي لهم أن يظهروا علينا » ونادى أصحابه وزمرهم^(١) : « يا أصحاب البيعة يوم الحديبية الله الله السكّرة على نبيكم » ويقال حرّضهم فقال : « يا أنصار الله وأنصار رسوله ، يا بني الخزرج يا أصحاب سورة البقرة » وأمر من أصحابه من ينادي بذلك .

وقالوا : وقبض قبضةً من الحصباء فحصب بها وجوه المشركين ونواصيهم كلها وقال : « شأّت الوجوه » .

وأقبل أصحابه إليه سراعاً يبتدرون ، وزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الآن حى الوطيس » فهزم الله أعداءه من كل ناحية حصبهم منها ، واتبعهم المسلمون يقتلونهم ، وغنمهم الله نساءً هم وذرائعهم ، وفرّ مالك بن عوف حتى دخل حصن الطائف هو وأناس من أشراف قومه .

وأسلم عند ذلك ناس كثير من أهل مكة حين رأوا نصر الله رسوله صلى الله عليه وسلم وإعزازه دينه .
رواه البيهقي .

وقال ابن وهب : أخبرني يونس ، عن الزهري ، أخبرني كثير بن العباس بن عبد المطلب ، قال : قال العباس : شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين فلزمته أنا وأبو سفيان بن الحارث لا نفارقه . ورسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلة بيضاء أهداها له فزوة بن نفثة الجذامى ، فلما التقى الناس ولّى المسلمون مدبرين ، فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يركض بغلته قبل الكفار ، قال العباس : وأنا آخذٌ بلجامها أكفها إرادة ألا تسرع ، وأبو سفيان آخذٌ بركاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أئى عباس ، ناد أصحاب السمرة » قال : فوالله لكانما عطفهم حين سمعوا صوتى عطفة البقر على أولادها ! فقالوا : يا لبيكاه . يا لبيكاه !

قال : فاقتتلوا هم والكفار ، والدعوة فى الأنصار يقولون : يا معشر الأنصار . ثم قصرت الدعوة على بنى الحارث بن الخزرج فقالوا : يا بنى الحارث بن الخزرج .

فَنَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ عَلَى بَغْلَتِهِ كَالْمُتَطَاوِلِ عَلَيْهَا إِلَى قِتَالِهِمْ فَقَالَ : « هَذَا حِينَ يَحْيَى الْوُطَيْسُ » ثُمَّ أَخَذَ حَصِيَّاتٍ فَرَمَى بِهِنَ فِي وَجْهِهِ الْكَفَّارِ ، ثُمَّ قَالَ : « انْهَزْمُوا وَرَبِّ مُحَمَّدٍ » قَالَ : فَذَهَبْتُ أَنْظُرَ فَإِذَا الْقِتَالُ عَلَى هَيْئَتِهِ فِيمَا أَرَى ، قَالَ : فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنَّ رِمَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحَصِيَّاتِهِ فَمَا زِلْتُ أَرَى حَدَّاهُمْ كَلِيلًا ، وَأَمْرَهُمْ مُذْبِرًا .

وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي الطَّاهِرِ ، عَنْ ابْنِ وَهْبٍ بِهِ نَحْوُهُ . وَرَوَاهُ أَيْضًا عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ رَافِعٍ ، عَنْ عَبْدِ الرَّزَّاقِ ، عَنْ مَعْمَرٍ ، عَنْ الزَّهْرِيِّ نَحْوُهُ .

وَرَوَى مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ عِكْرَمَةَ بْنِ عَمَارٍ ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سُلَيْمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ : غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حُنَيْنًا ، فَلَمَّا وَاجَهْنَا الْعَدُوَّ تَقَدَّمْتُ فَأَعْلَوْتُ نَيْفَةً فَاسْتَقْبَلَنِي رَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَأَرَمِيهِ بِسَهْمٍ ، وَتَوَارَى عَنِّي فَمَا دَرَيْتُ مَا صَنَعَ ، ثُمَّ نَظَرْتُ إِلَى الْقَوْمِ فَإِذَا هُمْ قَدْ طَلَعُوا مِنْ تَنْذِيَةِ أُخْرَى ، فَالْتَقَوْا هُمْ وَصَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَلَّى أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَرْجَعُ مِنْهُمْ مَأْمُورًا وَعَلَى بَرْدَتَانِ مُتَزَرِّئًا بِأَحَدَاهُمَا مُرْتَدِّ بِالْأُخْرَى ، قَالَ : فَاسْتَطَلَقَ إِزَارِي لَجْمَتَهُمَا جَمِيعًا ، وَصَرَّحْتُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا مِنْهُمْ زَهْرٌ وَهُوَ عَلَى بَغْلَتِهِ الشَّهْبَاءُ ، فَقَالَ : « لَقَدْ رَأَى ابْنُ الْأَكْوَعِ فَرَعًا » .

فَلَمَّا غَشَّوْا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَزَلَ عَنْ الْبَغْلَةِ ثُمَّ قَبِضَ قَبْضَةً مِنْ تَرَابٍ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَقْبَلَ بِهِ وَجُوهَهُمْ وَقَالَ : « شَاهَتِ الْوُجُوهَ » فَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْهُمْ إِنْسَانًا إِلَّا مَلَأَ عَيْنِيهِ تَرَابًا مِنْ تِلْكَ الْقَبْضَةِ ، فَوَلَّوْا مُذْبَرِينَ ، فَهَزَمَهُمُ اللَّهُ وَقَسَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَنَائِمَهُمْ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ .

وَقَالَ أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ فِي مَسْنَدِهِ : حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ سُلَيْمَةَ ، عَنْ يَمَلَى بْنِ عَطَاءٍ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَسَّارٍ ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْفَهْرِيِّ قَالَ : كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي

حين فسرنا في يوم قَائِظ شديد الحر ، فنزلنا تحت ظلال الشَّمر ، فلما زالت الشمس لبست
لأُمّتي وركبت فرسي ، فأُتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في فُسْطَاطِه فقلت : السلام
عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ، قد حان الرَّواح يا رسول الله ؟ قال : « أَجَل » . ثم
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا بلال » فنارَ من تحت سَمرة كأن ظله ظل طائر ،
فقال : لبيك وسعديك وأنا فداؤك ! فقال : « أَسْرِج لي فرسي » فأتاه بدفتين من ليف
ليس فيهما أثر ولا بطر .

قال : فركب فرسه فسيرنا يومنا فلقينا العدو وتسامت الخيلان فقاتلناهم فولّى المسلمون
مُذْبِرِينَ كما قال الله تعالى ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يا عباد الله أنا عبد
الله ورسوله » واقتحم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن فرسه ، وحدثني من كان أقرب
إليه مني أنه أخذ حفنة من التراب فحنا بها وجوه العدو وقال : « شأهت الوجوه » .

قال يعلى بن عطاء : حدثنا أبناؤهم عن آبائهم قالوا : ما بقى أحدٌ إلا امتلأت عيناه
وفمه من التراب ، وسمعنا صلصلة من السماء كمرّ الحديد على الطّست الحديد ، فهزّمهم الله
عز وجل .

ورواه أبو داود السجستاني في سننه عن موسى بن إسماعيل ، عن حماد بن سلمة
به نحوه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا عبد الواحد بن زياد ، حدثنا الحارث بن
حصين ، حدثنا القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود ، عن أبيه قال : قال عبد الله
ابن مسعود : كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين فولّى عنه الناس وثبت معه
ثمانون رجلاً من المهاجرين والأنصار ، فنكصنا على أعقابنا نحواً من ثمانين قدماً ولم نولّهم
الدُّبر ، وهم الذين أنزل الله عليهم السكينة ، قال : ورسول الله صلى الله عليه وسلم على بقلته
يمضى قدماً ، فحدث به بقلته فمال عن السرج فقلت له : ارتفع رفعك الله . فقال : « ناولني

كفأ من تراب « فضرب به وجوههم فامتلات أعينهم تراباً . قال : « أين المهاجرون والأنصار ؟ » قلت : هم أولاء . قال : « اهتف بهم » فهتفت بهم فجاءوا سيوفهم بأيامهم كأنها الشهب ، وولّى المشركون أديبارهم .
تفرد به أحمد .

وقال البيهقي : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرني أبو الحسين محمد بن أحمد بن تميم القنطري ، حدثنا أبو قلابة ، حدثنا أبو عاصم ، حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن الطائفي ، أخبرني عبد الله بن عياض بن الحارث الأنصاري ، عن أبيه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى هوازن في اثني عشر ألفاً ، فقتل من أهل الطائف يوم حنين مثل من قُتل يوم بدر ، قال : وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم كفأ من حصي فرمى بها في وجوهنا فانهزمنّا .

ورواه البخاري في تاريخه ولم ينسب عياضاً .

وقال مسدد : حدثنا جعفر بن سليمان ، حدثنا عوف بن عبد الرحمن مولى أم بُرثن ، عن من شهد حنيناً كافراً قال : لما التقينا نحن ورسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقوموا لنا حلب شاة ، فجئنا نهش سيوفنا بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا غشيناها فإذا بيننا وبينه رجال حسان الوجوه فقالوا : شامت الوجوه فارجعوا . فهزمنّا .
ذلك الكلام .

رواه البيهقي .

وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا أبو سفيان ، حدثنا أبو سعيد عبد الرحمن بن إبراهيم ، حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثني محمد بن عبد الله الشعبي ، عن الحارث بن بدل النصري ، عن رجل من قومه شهد ذلك يوم حنين وعمر بن سفيان الثقفي قال : انهزم المسلمون يوم حنين فلم يبق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا عباس وأبو سفيان بن الحارث .

قال : فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قبضةً من الحصباء فرمى بها في وجوههم . قال :
فانهزمنا فما خيّل إلينا إلا أن كل حجرٍ أو شجرٍ فارسٌ يطلبنا ، قال الثقفى : فأعجرت^(١)
على فرسى حتى دخلت الطائف .

وروى يونس بن بكير في مغازيه ، عن يوسف بن صهيب بن عبد الله ، أنه لم يبق
مع رسول الله يوم حنين إلا رجل واحد اسمه زيد .

وروى البيهقي من طريق الكدّيني ، حدثنا موسى بن مسعود ، حدثنا سعيد بن
السائب بن يسار الطائفي ، عن السائب بن يسار ، عن يزيد بن عامر الشوّائي أنه قال
عند انكشافه انكشفها المسلمون يوم حنين : فتبعهم الكفار وأخذ رسول الله صلى الله
عليه وسلم قبضة من الأرض ، ثم أقبل على المشركين فرمى بها وجوههم وقال : « ارجعوا
شاهت الوجوه » فما أحدٌ يلقى أخاه إلا وهو يشكو قذًى في عينيه .

ثم روى من طريقين آخرين عن أبي حذيفة ، حدثنا سعيد بن السائب بن يسار
الطائفي ، حدثني أبي السائب بن يسار ، سمعت يزيد بن عامر الشوّائي - وكان شهيد
حينئذ مع المشركين ثم أسلم بعد - قال : فنحن نسأله عن الرعب الذي ألقى الله في قلوب
المشركين يوم حنين : كيف كان ؟ قال : فكان يأخذنا بحصاة فيرمي بها في الطست
فيطن ، قال : كننا نجد في أجوافنا مثل هذا .

وقال البيهقي : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ومحمد بن موسى بن الفضل قالا : حدثنا
أبو العباس محمد بن يعقوب ، حدثنا العباس بن محمد بن بكير الحضرمي ، حدثنا أبو أيوب
ابن جابر ، عن صدقة بن سعيد ، عن مصعب بن شيبة ، عن أبيه قال : خرجت مع

رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين والله ما أخرجني إسلام ولا معرفة به ، ولكن أُبَيْتُ أن تظهر هَوازُنُ على قريش ! فقلت وأنا واقف معه : يا رسول الله إني أرى خيلاً بُلِقًا ، فقال : « يا شيبه إنه لا يراها إلا كافر » فضرب يده في صدرى ثم قال : « اللهم اهد شيبه » ثم ضربها الثانية فقال : « اللهم اهد شيبه » ثم ضربها الثالثة ثم قال : « اللهم اهد شيبه » . قال : فوالله مارفع يده عن صدرى في الثالثة حتى ما كان أحد من خلق الله أحب إلى منه .

ثم ذكر الحديث في التقاء الناس وانهزام المسلمين ونداء العباس واستنصار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى هزم الله المشركين .

وقال البيهقي : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، حدثنا أبو محمد أحمد بن عبد الله المزني ، حدثنا يوسف بن موسى ، حدثنا هشام بن خالد ، حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثني عبد الله ابن المبارك ، عن أبي بكر الهذلي ، عن عكرمة مولى ابن عباس ، عن شيبه بن عثمان قال : لما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين قد عَرَى ، ذكرت أبي وعى X وقتل على وحمزة إياها ، فقلت : اليوم أدرك ثأرى من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال : فذهبت لأجيئه عن يمينه ، فإذا بالعباس بن عبد المطلب قائم عليه درع بيضاء كأنها فضة ينكشف عنها العجاج ، فقلت : عمه ولن يخذله . قال : ثم جئته عن يساره فإذا أنا بأبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، فقلت : ابن عمه ولن يخذله . قال : ثم جئته من خلفه فلم يبق إلا أن أساوره سورةً بالسيف إذ رُفِعَ شَواظ من نار بيني وبينه كأنه برق ، نَخَفْتُ أن يَمَحْشَنِي ^(١) ، فوضعت يدي على بصرى ومشيت القهقري ، فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : « يا شيب ادن مني ، اللهم اذهب عنه

(١) يمحشني : يحرقني .

الشيطان» قال : فرفعت إليه بصرى ولهم أحب إلى من سمى وبصرى . فقال : « يا شيب قاتل الكفار » .

وقال ابن إسحاق : وقال شيبه بن عثمان بن أبي طلحة أخو بني عبد الدار قلت : اليوم أدرك ثأرى - وكان أبوه قد قتل يوم أحد - اليوم أقتل محمد . قال : فأدبرت برسول الله صلى الله عليه وسلم لأقتله فأقبل شيء حتى تغشى فؤادى فلم أطلق ذاك وعلمت أنه ممنوع منى .

وقال محمد بن إسحاق : وحدثني والدى إسحاق بن يسار ، عن حدثه ، عن جبير ابن مطعم قال : إننا لمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين والناس يقتتلون إذ نظرت إلى مثل البجاد^(١) الأسود يهوى من السماء حتى وقع بيننا وبين القوم ، فإذا نمل منور قد ملأ الوادى ، فلم يكن إلا هزيمة القوم ، فأكنا نشتك أنها الملائكة .

ورواه البيهقي ، عن الحاكم ، عن الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبار ، عن يونس بن بكير ، عن ابن إسحاق به .

وزاد فقال : خديج بن العرجاء^(٢) النصرى - يعنى فى ذلك - :

ولما دبونا من حنين ومأه رأينا سواداً منكراً اللون أخضفاً^(٣)
بملومة شهباء لو قد فوا بها شامخ من عروى إذا عاد صفصفاً^(٤)
ولو أن قوى طاعننى سراتهم إذا ما لقينا المارض المتكشفاً
إذا ما لقينا جند آل محمد ثمانين ألفاً واستمدوا بخندفاً

(١) البجاد : كساء من صوف . (٢) ت : العوجاء .

(٣) الأخضر : الذى فيه بياض (٤) الملومة : الكتبية . والبيضاء : الكتيرة السلاح . والشامخ : الأعلى . وفى ابن هشام : شامخ من عزوى .

وقد ذكر ابن إسحاق من شعر مالك بن عوف النصرى رئيس هوازن يوم القتال وهو فى حومة الوغا يرتجز ويقول :

أقدم محاجُ إنه يومٌ نُكِّرُ	مثل على مثلك يَحْمَى وَيَكْرُ
إذا أضيع الصَّفُّ يوماً والدُّبُرُ	ثم احزألت زمر بعد زمر ^(١)
كتائبٌ يكلُّ فيهنَّ البصرُ	قد أظعن الطعنة تقذى بالسُّبُرِ ^(٢)
حين يذم المستكن المنجحرُ	وأظعن النجلاء تعوى وتهر ^(٣)
لها من الجوف رشاشٌ منهمر	تفحق تاراتٍ وحيناً تنفجرُ
وتعلبُ العامل فيها منكسر	يازِيدُ يابنَ هَهمَّ أينَ تفر ^(٤)
قد نفذ الضُّرسُ وقد طال العُمر	قد علم البيضُ الطويلات الخمرُ
أنى فى أمثالها غيرُ غمرُ	إذ تُخرج الحاصن من تحت الستر

وذكر البيهقى من طريق يونس بن بكير عن ابن إسحاق أنه أنشد من شعر مالك أيضاً حين ولّى أصحابه منهزمين وذلك قوله بعد ما أسلم وقيل هى لغيره :

اذكر مسيرهم والناس كلهم	ومالكٌ فوقه الراياتُ تَحْتَفِقُ
ومالك مالك مافوقه أحدٌ	يوم حنين عليه التاج بَأْتَقُ
حتى لقوا الناس حين البأس يقدّمهم	عليهم البيض والأبدان والدَّرَقُ
فضاربوا الناس حتى لم يروا أحداً	حول النبىِّ وحتى جَنَّه الفسقُ
حتى تنزل جبريلٌ بنصرهم	فالقومُ منهزمٌ منا ومُعتَلَقُ

(١) احزألت : ارتفعت . والزمر : الجماعات . (٢) تقذى : تقذف : والسُّبُر : جمع سباروم

القتيل يسير به الجرح .

(٣) المنجحر : المستتر . والنجلاء : الطعنة المنسعة . تعوى وتهر : ينفذ منها الدم بصوت .

(٤) التعلب : ما دخل من عصا الرمح فى جبة السنان . والعامل : أعلى الرمح .

مقًا ولو غير جبريل يقاتلنا لمفقتنا إذا أسيافنا الفلق
وقد وفي عمر الفاروق إذ هزموا بطعنة كان منها سرجه العلق
قال ابن إسحاق : ولما هزم المشركون وأمكن الله رسوله منهم قالت امرأة
من المسلمين :

قد غلبت خيلُ الله خيلَ اللاتِ واللهُ أحقُّ بالثباتِ
قال ابن هشام : وقد أشدني بعض أهل الرواية للشعر :

قد غلبت خيلُ الله خيلَ اللاتِ وخيله أحقُّ بالثباتِ

قال ابن إسحاق : فلما انهزمت هوازن استعرج القتلُ من ثقيف في بني مالك ،
فقتل منهم سبعون رجلا تحت رايتهم ، وكانت مع ذى الجحار ، فلما قُتل أخذها عثمان
ابن عبد الله بن ربيعة بن الحارث بن حبيب فقاتل بها حتى قُتل ، فأخبرني عامر بن
وهب بن الأسود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغه قتله قال : «أبعده الله فإنه كان
يُبغض قريشا» .

وذكر ابن إسحاق عن يعقوب بن عتبة ، أنه قتل مع عثمان هذا غلام له نصراني ،
فجاء رجل من الأنصار ليُسلبه فإذا هو أغرل ، فصاح بأعلى صوته : يامعشر العرب إن
ثقيفًا غرل !

قال النخيرة بن شعبة الثقفي : فأخذتُ بيده وخشيت أن تذهب عنا في العرب ، فقلت :
لا تقل كذلك فذاك أبي وأمي ، إنما هو غلام لنا نصراني . ثم جعلت أكشف له القتل فأقول
له : ألا تراهم مُختننين كما ترى ؟

قال ابن إسحاق : وكانت راية الأحلاف مع قارب بن الأسود ، فلما انهزم الناس أسند
رايته إلى شجرة وهرب هو وبنو عمه وقومه ، فلم يُقتل من الأحلاف غير رجلين : رجل
من بني غيرة يقال له وهب ، ورجل من كبة يقال له الجلاح ، فقال رسول الله صلى الله عليه

وسلم حين بلغه قتل الجَلَّاح : « قُتل اليوم سيدُ شبابِ ثَقِيف إلا ما كان من ابنِ هُنَيْدَة »
يعنى الحارث بن أَوْس .

قال ابن إسحاق : فقال العباس بن مِرْدَاس يذكر قارب بن الأسود وفرارَه من بنى
أبيه وذا الخَمَارِ وَحَبَسَهُ نَفْسُهُ وَقَوْمَهُ لِلْمَوْتِ :

أَلَا مَنْ مَبْلَغَ غَيْلَانَ عَنِّي	وسوف إخالُ يأتيه الخبيرُ
وَعُرْوَةَ إِنَّمَا أَهْدَى جَوَابًا	وقولاً غيرَ قولكما يسيرُ
بَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ رَسُولٍ	لِرَبِّ لَا يَضِلُّ وَلَا يَجُورُ
وَجَدْنَاهُ نَبِيًّا مِثْلَ مُوسَى	فكُلُّ فِتْنٍ يُخَايِرُهُ نَخِيرُ ^(١)
وَبُنُسِ الْأَمْرِ أَمْرُ بَنِي قَسِيٍّ	بَوَجِّ إِذَا تَقَسَّمَتِ الْأُمُورُ
أَضَاعُوا أَمْرَهُمْ وَلِكُلِّ قَوْمٍ	أَمِيرٌ وَالِدَوَائِرُ قَدْ تَدُورُ
فَجَعَلْنَا أَسَدَ غَابَاتٍ إِلَيْهِمْ	جَنُودُ اللَّهِ ضَاحِيَةٌ تَسِيرُ
نَوْمُ الْجَمْعِ جَمْعَ بَنِي قَسِيٍّ	عَلَى حَنْقٍ نَكَادِلُهُ نَطِيرُ
وَأَقْسَمَ لَوْ هُمْ مَكْنُوتَا لَسَرْنَا	إِلَيْهِمْ بِالْجَنُودِ وَلَمْ يَغُورُوا
فَكُنَّا أَسَدَ لِيَّةٍ نَمَّ حَتَّى	أَبْجَنَاهَا وَأَسَلَتِ النَّصُورُ ^(٢)
وَيَوْمٌ كَانَ قَبْلُ لَدَى حَنِينٍ	فَأَقْلَعَ وَالدَّمَاءُ بِهِ تَمُورُ
مِنَ الْأَيَّامِ لَمْ تَسْمَعْ كَيَوْمٍ	وَلَمْ يَسْمَعْ بِهِ قَوْمٌ ذُكُورُ
قَتَلْنَا فِي الْغُبَّارِ بَنِي حُطَيْطٍ	عَلَى رَايَاتِهَا وَالْخَيْلُ زُورُ ^(٣)
وَلَمْ يَكْ ذُو الْخَمَارِ رِئِيسَ قَوْمٍ	لَهُمْ عَقْلٌ بِعَاقِبٍ أَوْ نَكِيرُ
أَقَامَ بِهِمْ عَلَى سَنَنِ الْمَنَآيَا	وَقَدْ بَانَتْ لِمُبَصَّرِهَا الْأُمُورُ

(١) يُخَايِرُهُ : يزعم أنه خير منه . وَنَخِيرُ : مغلوب في تخايرته .

(٢) لِيَّةٍ : موضع قريب من الطائف . والنصور : رهط مالك بن عوف النصرى .

(٣) زور : جمع أזור وهو المائل .

فأفلت من نجامهم حريضاً وقتل منهم بشرٌ كثير^(١)
ولا يفي الأمور أخواتوانى ولا الفلق الصريرة الحصور^(٢)
أحانهم وحان وملكوه أمورهم وأفلتت الصقور
بنو عوف تميح بهم جيادُ أهين لها الفصافصُ والشعير^(٣)
فلولا قاربٌ وبنو أبيه تقسّمت المزارعُ والقصورُ
ولسكن الرياسة عموها على يُمن أشار به المشيرُ
أطاعوا قارباً ولهم جدودُ وأحلام إلى عزّ نصيرُ
فإن يهدوا إلى الإسلام يلقوا أنوف الناس ماسمّر السّмирُ
فإن لم يسلموا فهم أذانُ بحرب الله ليس لهم نصيرُ
كما حكّت بنى سعد وجرّت برهط بنى غزيرة عنقفير^(٤)
كأن بنى معاوية بن بكر إلى الإسلام ضائنةٌ تحورُ
فقلنا أسلموا إنا أخوكم وقد برئت من الإحن الصدورُ
كأن القوم إذ جاءوا إليفا من البغضاء بعد السّلم عورُ

فصل

ولما انهزمت هوازن وقف ملكهم مالك بن عوف النصرى على ثنية مع طائفة من أصحابه فقال : قفوا حتى تجوزَ ضعفاؤكم وتلحق أخراكم .

قال ابن إسحاق : فبلغني أن خيلاً طلعت ومالك وأصحابه على الثنية فقال لأصحابه : ماذا ترون ؟ قالوا : نرى قوماً واضعى رماحهم بين آذان خيلهم طويلةً بوادهم^(٥) . فقال :

(١) الحريض : المشرف على الهلاك .

(٢) الفلق : القليل الحيلة .

(٣) الفصافص : جمع نصفصة وهي البقلة التي تأكلها الدواب .

(٤) العنقفير : الداهية .

(٥) البواد : جمع باد وهو بطن الفخذ .

هؤلاء بنو سليم ولا بأس عليكم منهم . فلما أقبلوا سلكوا بطن الوادي ، ثم طلعت خيلٌ أخرى تنبئها ، فقال لأصحابه : ماذا ترون ؟ قالوا : نرى قومًا عارضين رماحهم أغفالاً على خيلهم . فقال : هؤلاء الأوس والخزرج ، ولا بأس عليكم منهم . فلما انتهوا إلى أصل الثنية سلكوا طريق بني سليم ، ثم طلع فارس فقال لأصحابه : ماذا ترون ؟ فقالوا : نرى فارساً طويل الباد واضعاً رمحاً على عاتقه عاصباً رأسه بملاءة حمراء . قال : هذا الزبير ابن العوام ، وأقسم باللات ليخالطنكم فاثبتوا له . فلما انتهى الزبير إلى أصل الثنية أبصر القومَ فصمد لهم فلم يزل يُطاعنهم حتى أراحهم عنها .

فصل

وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفنائم فجمعت من الإبل والغنم والرقيق ، وأمر أن تساق إلى الجمرانة فتُحس هناك . قال ابن إسحاق : وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الفنائم مسعود بن عمرو الغفاري .

فصل

قال ابن إسحاق : وحدثني بعض أصحابنا ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرَّ يومئذ بامرأة قتلتها خالد بن الوليد والناس متقصِّفون^(١) عليها ، فقال لبعض أصحابه « أدرك خالدًا فقل له : إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ينهك أن تقتل وليدًا أو امرأة أو عسيًفًا » .

هكذا رواه ابن إسحاق منقطعاً .

(١) متقصِّفون : مجتمعون .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا أبو عامر عبد الملك بن عمرو ، حدثنا المغيرة بن عبد الرحمن ، عن أبي الزناد ، حدثني المرقع بن صيفي ، عن جده رباح بن ربيع أخى بنى حنظلة الكاتب ، أنه أخبره أنه رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة غزاها وعلى مقدمته خالد بن الوليد ، فمرّ رباح وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على امرأة مقتولة مما أصابت القدمة ، فوقفوا ينظرون إليها ويتمجبون من خلقها ، حتى لحقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحلته ، فانفرجوا عنها ، فوقف عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « ما كانت هذه لتقاتل ! » فقال لأحدهم : « الحق خالداً فقل له : « لا يقتلن ذرية ولا عسيفاً » .

وكذلك رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث المرقع بن صيفي به نحوه .

غزوة أوطاس

وكان سببها أن هوازن لما انهزمت ذهبت فرقةٌ منهم فيهم الرئيس مالك بن عوف النصرى فلجأوا إلى الطائف فتحصَّنوا بها ، وسارت فرقة فمسكرُوا بِمَكَانٍ يُقالُ له أوطاس ، فبعث إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سريةً من أصحابه عليهم أبو عامر الأشعري فقاتلهم فغلبوهم ، ثم سار رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه الكريمة لخاصرة أهل الطائف . كما سيأتى .

قال ابن إسحاق : ولما انهزم المشركون يوم حنين أتوا الطائف ومعهم مالك بن عوف ، وعسكر بعضهم بأوطاس ، وتوجسه بعضهم نحو نخلة ، ولم يكن فيمن توجه نحو نخلة إلا بنو غيرة من ثقيف ، وتبعته خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم من سلك الثنايا .

قال : فأدرك ربيعة بن ربيع بن أهان السلمي ويعرف بابن الدَّغِنة - وهى أمه - دريد بن الصمة فأخذ بخطام جماله وهو يظن أنه امرأة وذلك أنه فى شَجَارٍ لهم ، فإذا برجل ، فأناخ به فإذا شيخ كبير وإذا دُرَيْدُ بن الصمة ولا يعرفه الغلام ، فقال له دريد : ماذا تريد بى ؟ قال : أقتلك . قال : ومن أنت ؟ قال : أنا ربيعة بن ربيع السلمي . ثم ضربه بسيفه فلم يُبْقِ شيئاً ، قال : بئس ماسلحتك أمك ! خذ سيفي هذا من مؤخر رَحْلى فى الشَّجار ، ثم اضرب به وارفع عن العظام واخفض عن الدِّماغِ فَإِنى كذلك كمت أضربُ الرجال ! ثم إذا أتيتَ أمَّك فأخبرها أنك قتلت دُرَيْدَ بن الصمة فربَّ والله يومٍ منعتُ فيه نساءك ! فزعم بنو سليم أن ربيعة قال : لما ضربته فوق تسكَّشَفَ فإذا عِجَّانه ^(١) وبطون فخذه مثلُ القراطيس من ركوب الخيل إعرَاء .

(١) العجان : ما بين الحصى والدبر .

فلما رجع ربيعة إلى أمه أخبرها بقتله إياه فقالت : أما والله لقد أعتق أمهات لك ثلاثاً .

ثم ذكر ابن إسحاق مارثت به عمرة بنت دُرَيْد أباهما فمن ذلك قولها :

قالواقتلنا دُرَيْداً قلت قد صدقوا فظلّ دمي على السربال ينحدر^(١)
لولا الذي قهر الأقوام كلهم رأيت سليم وكعب كيف يأترو
إذن اصبحهم غيباً وظاهرة حيث استقرت نواهم جحفل ذفر^(٢)

قال ابن إسحاق : وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في آثار من توجه قبل
أوطاس أبا عامر الأشعري ، فأدرك من الناس بعض من انهزم ففشاوشوه القتال فرمى أبو
عامر فقتل ، فأخذ الراية أبو موسى الأشعري وهو ابن عمه فقاتلهم ففتح الله عليه وهزمهم
الله عز وجل ، ويزعمون أن سلمة بن دُرَيْدهو الذي رمى أبا عامر الأشعري بسهم فأصاب
ركبته فقتله وقال :

إن تسألوا عني فإني سلمه ابن ممدير لمن تواسمه^(٣)

أضرب بالسيف رموس المسلمه

قال ابن إسحاق : وحدثني من أثنى به من أهل العلم بالشعر وحديثه أن أبا عامر
الأشعري لقي يوم أوطاس عشرة إخوة من المشركين ، فحمل عليه أحدهم فحمل عليه أبو
عامر وهو يدعو إلى الإسلام ويقول : اللهم اشهد عليه . فقتله أبو عامر .

ثم حمل عليه آخر فحمل عليه أبو عامر وهو يدعو إلى الإسلام ويقول : اللهم اشهد
عليه . فقتله أبو عامر ، ثم جعلوا يحملون عليه وهو يقول ذلك حتى قتل تسعة وبقي العاشر ،

(١) السربال : القميص .

(٢) غيباً : يوماً بعد يوم . والظاهرة : أن يصحبهم كل يوم . والجحفل : الجيش الكثيف . والذفر :
التفكير الرائحة من صدأ الحديد .

(٣) السمدير : ضعف البصر أو شيء يقرأى للإنسان من ضعف بصره .

فحمل على أبي عامر وحمل عليه أبو عامر وهو يدعو إلى الإسلام ويقول : اللهم اشهد عليه . فقال الرجل : اللهم لا تشهد على . فكف عنه أبو عامر فأسلم بعد فحسن إسلامه ، فكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا رآه قال : « هذا شريد أبي عامر » .

قال : ورمى أبا عامر أخوان : العلاء وأوفى ابنا الحارث من بني جُشم بن معاوية ، فأصاب أحدهما قلبه والآخر ركبته فقتلاه ، وولى الناس أبو موسى حمل عليهما فقتلها ، فقال رجل من بني جُشم [بن معاوية] ^(١) يرثيها :

إِنَّ الرِّزْيَةَ قَتَلَ الْعَلَاءُ ، وَأَوْفَى جَمِيعًا وَلَمْ يُسْنَدَا
هَما الْقَاتِلَانِ أَبَا عَامِرٍ وَقَدْ كَانَ دَاهِيَةً أَرْبَدَا ^(٢)
هَما تَرَكَاهُ لَدَى مَعْرِكٍ كَأَنَّ عَلَى عِطْفِهِ مُجَسَّدَا ^(٣)
فَلَمْ يَرَ فِي النَّاسِ مِثْلِهِمَا أَقْلَ عِشَارًا وَأَرْمَى يَدَا

وقال البخارى : حدثنا محمد بن العلاء ، وحدثنا أبو أسامة ، عن بُريد بن عبد الله ، عن أبي بُردة ، عن أبي موسى قال : لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من حنين بعث أبا عامر على جيش إلى أوطاس فلقى دُرَيْدَ بْنَ الصَّمَّةِ فقتل دريد وهزم الله أصحابه .

قال أبو موسى : وبعثنى مع أبي عامر ، فرمى أبو عامر في ركبته ، رماه جُشمى بسهم فأنبته في ركبته . قال : فأنتهيت إليه فقلت : يا عم من رماك ؟ فأشار إلى أبي موسى فقال : ذاك قاتلى الذى رمانى . فقصدت له فلحقته ، فلما رآنى ولى فاتبعته وجعلت أقول له : ألا تستحى ألا تدبى ؟ فكف فاخلفنا ضربتين بالسيف فقتلته ، ثم قلت لأبي عامر : قتل الله صاحبك ، قال : فانتزع هذا السهم . فزعمته فنزأ منه الماء . قال : يا بن أخى أقرئ

(١) من ابن هشام .

(٣) المجسد : الثوب المصبوغ بالزعفران .

(٢) الأربد : الأسد أو الحية الخبيثة .

رسول الله صلى الله عليه وسلم السلامَ وقل له : استغفر لى .

واستخلفنى أبو عامر على الناس ، فمكث يسيراً ثم مات . فرجعتُ فدخلتُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيته على سرير مُزَمَّلٍ وعليه فراش قد أثرَ رمال السرير بظهره وجنبه ، فأخبرته بخبرنا وخبر أبى عامر وقوله : قل له : استغفر لى . قال : فدعا بماء فتوضأ ثم رفع يديه فقال : « اللهم اغفر لعبيد أبى عامر » ورأيت بياضَ إبطيه ثم قال : « اللهم اجمعنه يوم القيامة فوقَ كثيرٍ من خلقك - أو من الناس » فقلت : ولى فاستغفر . فقال : « اللهم اغفر لعبد الله بن قيس ذنبه وأدخله يوم القيامة مدخلاً كريماً » .

قال أبو بردة : إحداهما لأبى عامر والأخرى لأبى موسى رضى الله عنهما .
ورواه مسلم عن أبى كريب محمد بن العلاء ، وعبد الله بن أبى براد ، عن أبى أسامة به نحوه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، أنبأنا سفيان - هو الثورى - عن عثمان البتي ، عن أبى الخليل ، عن أبى سعيد الخدرى ، قال : أصبنا نساءً من سبى أو طاس ولهن أزواج ، فكرهنا أن تقع عليهن ولهن أزواج ، فسالنا النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية : « والحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم » قال : فاستحللنا بها فروجهن .

وهكذا رواه الترمذى والنسائى من حديث عثمان البتي به . وأخرجه مسلم فى صحيحه من حديث شعبة ، عن قتادة عن أبى الخليل ، عن أبى سعيد الخدرى . وقد رواه الإمام أحمد ومسلم وأبو داود والنسائى من حديث سعيد بن أبى عروبة ، زاد مسلم وشعبة والترمذى من حديث همام عن يحيى ، ثلاثهم عن قتادة ، عن أبى الخليل ، عن أبى علقمة الهاشمى عن أبى سعيد ، أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أصابوا سبايا يوم أو طاس لهن

أزواج من أهل الشرك ، فكان أناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كفوا وتأنموا من غشيانهن ، فزلت هذه الآية في ذلك : « والحَصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ » .

وهذا لفظ أحمد بن حنبل . فزاد في هذا الإسناد أبا علقمة الهاشمي ، وهو ثقة وكان هذا هو المحفوظ والله أعلم .

وقد استدل جماعة من السلف بهذه الآية الكريمة على أن بَيْعِ الأُمَةِ طلاقُها . روى ذلك عن ابن مسعود وأبي بن كعب وجابر بن عبد الله وابن عباس وسعيد بن المسيب والحسن البصري .

وخالفهم الجمهور مستدلّين بحديث بُرَيْرَةَ حيث بيعت ثم خِيَرَتْ في فسخ نكاحها أو إبقائه ، فلو كان بيعها طلاقا لها لما خِيَرَتْ .

وقد تقصينا الكلام على ذلك في التفسير بما فيه كفاية . وسنذكره إن شاء الله في الأحكام الكبير .

وقد استدل جماعة من السلف على إباحة الأُمَةِ المشتركة بهذا الحديث في سبأيا أو طاس . وخالفهم الجمهور وقالوا : هذه قضية عَيْنٍ ، فلم يَلْمِزْ أسلمن أو كن كتابيات . وموضع تقرير ذلك في الأحكام الكبير إن شاء الله تعالى .

فصل فيمن استشهد يوم حنين وبسرية أو طاس

أيمن ابن أم أيمن مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أيمن بن عبيد ، وزيد بن زَمْعَةَ بن الأسود بن المطلب بن أسد ، جمَّعَ به فرسه الذي يقال له الجفاح فمات ، وسراقة ابن مالك بن الحارث بن عدى الأنصاري من بني المعجلان ، وأبو عامر الأشعري أمير سرية أو طاس ، فمؤلاء أربعة رضى الله عنهم .

فصل فيما قيل من الأشعار في غزوة هوازن

فمن ذلك قول بُحَيْر بن زهير بن أبي سلمى :

لولا الإله وعنده وليتم حين استخفَّ الرعبُ كلَّ جبانٍ
بالجزع يومَ حيالنا أقراننا وسواجُ يَكْبُونُ للأذقانِ
من بين سحابة ثوبه في كفه ومقطرُ بسنابكِ ولَبَانٍ^(١)
والله أكرمنا وأظهر ديننا وأعزنا بعبادة الرحمن
والله أهلكهم وفرَّق جمعهم وأذلَّم بعبادة الشيطانِ

قال ابن هشام : وبروى فيها بعض الرواة :

إذ قام عمُّ نبيكم ووليُّه يَدْعُونَ يَا لَكُتَيْبَةَ الْإِيمَانِ
أين الذين هم أجابوا رهم يومَ العريضِ وبيعةِ الرضوانِ
وقال عباس بن مرداس السلمي :

فإني والسواجُ يومَ جمعٍ وما تلو الرسولُ من الكتابِ
لقد أحبيتُ ما لقيتُ ثقيفَ يحجبُ الشعبُ أمس من العذابِ
همُ رأسُ العدو من أهل نجد فقَتَلهمُ الذُّ من الشرابِ
هزَمنا الجمعَ جمعَ بني قسيٍّ وحَكَّتْ بَرَكها يَبْنِي ثَابِ^(٢)
وصيرمنا من هلالِ غادرهم بأوطاس تُعَفِّرُ بالترابِ
ولم لاقين جمعَ بني كلابِ لقام نساؤهم والنَّعْجُ كَابِ^(٣)
رَكضنا الخيلَ فيهم بين بسٍ إلى الأورالِ تَفْحَطُ بالنَّهَابِ^(٤)

(١) المقطر : الملقى على أحد قطريه ، أى أحد جانبيه . والسنايك : أطراف الحوافر . واللبان : الصدر .

(٢) البرك : الصدر . وحكت بركها : كناية عن شدة الحرب .

(٣) النعج : الغبار . والسكابي : المرتفع .

(٤) بس : جبل قرب ذات عرق . والأورال : أجبل ثلاثة سود في جوف الرمل وتنحط : تخرج صوتا من الثقل والإعياء والنهَاب : الغنم

بذى لجب رسول الله فيهم

كتيبتُهُ تَعَرَّضُ لِلضَّرَابِ

وقال عباس بن مرداس أيضا :

يا خاتم النبأ إنك مُرْسَلٌ

بالحق كلُّ هُدَى السَّبِيلِ هُداكا

إنَّ الإلهَ بَنَى عَلَيْكَ مَحَبَّةَ

فِي خَلْقِهِ وَمُحَمَّدًا سَمَاكا

ثُمَّ الَّذِينَ وَقَفُوا بِمَا عَاهَدْتَهُمْ

جَنْدٌ بَعَثَ عَلَيْهِمُ الضَّحَاكَ

رَجُلًا بِهِ ذَرْبُ السَّلَاحِ كَأَنَّهُ

لَمَّا تَكَنَّفَهُ الْعَدُوُّ يَرَاكَ^(١)

يَفْشَى ذَوَى النِّسْبِ الْقَرِيبِ وَإِنَّمَا

يَبْنِي رِضَا الرَّحْمَنِ ثُمَّ رِضَاكَ

أُنْبِثُكَ أَنَّى قَدْ رَأَيْتَ مَكْرَهُ

تَحْتَ الْعِجَاجَةِ يَدْمَغُ الْإِشْرَاكَ

طَوْرًا يِعَارِنُقُ بِالْيَدَيْنِ وَتَارَةً

يَفْرَى الْجَاجِمَ صَارِمًا فَنَّاكَ

[يَفْشَى بِهِ هَامَ الْكُمَاةِ وَلَوْ تَرَى

مَنْهُ الَّذِي عَايَنْتُ كَانَ شِفَاكَ]^(٢)

وَبَنُو سُلَيْمٍ مُعْتَقُونَ أَمَامَهُ

ضَرْبًا وَطَعْنًا فِي الْعَدُوِّ دِرَاكَ^(٣)

يَمْشُونَ تَحْتَ لَوَائِهِ وَكَأَنَّهُمْ

أُسْدُ الْعَرِينِ أَرْدَنَ قَمِّ عِرَاكَ

مَا يَرْتَجِمُونَ مِنَ الْقَرِيبِ قَرَابَةً

إِلَّا لَطَاعَةَ رَبِّهِمْ وَهَوَاكَ

هَذِي مَشَاهِدُنَا الَّتِي كَانَتْ لَنَا

مَعْرُوفَةٌ وَوَلَّيْنَا مَوْلَاكَ

وقال عباس بن مرداس أيضًا^(٤) :

عَفَا مَجْدُلٌ مِنْ أَهْلِهِ فَمَتَالَعٌ

فَطَلَى أَرِيكَ قَدْ خَلَا فَلِلمَصَانِعِ^(٥)

دِيَارِ لَنَا يَا جُلْ إِذْ جُلْ عَيْشُنَا

رَخِيٌّ وَصَرَفُ الدَّهْرِ لِلْحَيِّ جَامِعٌ

حُبِيْبَةٌ أُلُوتْ بِهَا غُرْبَةُ النَّوَى

لَبَّيْنُ فَهَلْ مَاضٍ مِنَ الْمَيْشِ رَاجِعٌ

(١) الذرب : الحدة والضاء . وتكنفه : أحاط به .

(٢) من ابن هشام . (٣) معتقون : مسرعون . والدراك : الطعن المتتابع .

(٤) من هنا إلى آخر هذا الفصل سقط من ت .

(٥) مجدل ومتالع : موضعان . والمطل : يقصر ويمد : مسيل ضيق من الأرض . أو الأرض السهلة

وأريك : واد .

فَإِنْ تَبَتُّغَى الْكَفَّارَ غَيْرَ مَلُومَةٍ فَاِنِى وَزِيرٌ لِلنَّبِىِّ وَتَابِعُ
دَعَانَا اِلَيْهِ خَيْرٌ وَفَدِرَ عَلَتُهُمْ خُزَيْمَةُ وَالْمُرَّارُ مِنْهُمْ وَوَاسِعُ
فَجِئْنَا بِالْفِ مِنْ سُلَيْمٍ عَلَيْهِمُ كَبُوسٌ لَهُمْ مِنْ نَسْجِ دَاوُدَ رَائِعُ
نُبَايَعُهُ بِالْأَخْشَبَيْنِ وَإِنَّمَا يَدَ اللَّهِ بَيْنَ الْأَخْشَبَيْنِ نُبَايَعُ
مُحَسِّنًا مَعَ الْمَهْدَى مَكَّةَ عَنُودَ بِأَسْيَافِنَا وَالنَّقْعُ كَابٍ وَسَاطِعُ
عِلَانِيَةً وَالْخَلِيلَ يَنْفُشِي مَتُونَهَا حَمِيمٌ وَأَنَّ مِنْ دَمِ الْجُوفِ نَاقِعُ
وَيَوْمَ حَنْزَلٍ حِينَ سَارَتْ هَوَازُنُ إِلَيْنَا وَضَاقَتْ بِالْأَنْفُوسِ الْأَضَالِعُ
صَبَرْنَا مَعَ الضَّحَّاكِ لَا يَسْتَفْزِئُنَا قِرَاعُ الْأَعَادَى مِنْهُمْ وَالْوَقَائِعُ
أَمَامَ رَسُولِ اللَّهِ يَتَخَفَّقُ فَوْقَنَا لَوَاءُ كَخُذُرُوفِ السَّحَابَةِ لَامِعُ^(١)
عَشِيَّةَ ضَحَّاكِ بْنِ سَفْيَانَ مُعْتَصٍ بِسَيْفِ رَسُولِ اللَّهِ وَالْمَوْتُ كَانِعُ^(٢)
نَذُودَ أَخَانَا عَنْ أَخِينَا وَلَوْ نَرَى مِصَالًا لَكُنَّا الْأَقْرَبِينَ مُتَابِعُ^(٣)
وَلَكِنْ دِينَ اللَّهِ دِينَ مُحَمَّدٍ رَضِينَا بِهِ فِيهِ الْمَهْدَى وَالشِّرَائِعُ
أَقَامَ بِهِ بَعْدَ الضَّلَالَةِ أَمْرَنَا وَلَيْسَ لِأَمْرِ حَمِّهِ اللَّهُ دَافِعُ
وَقَالَ عَبَّاسٌ أَيْضًا :

تَقَطَّعَ بَاقِي وَصَلَ أُمَّ مُؤْمِلٍ بَعَاقِبَةٍ وَاسْتَبَدَلَتْ رِيَّةً خَلْفًا^(٤)
وَقَدْ حَلَفْتَ بِاللَّهِ لَا تَقَطَّعَ الْقُوَى فَمَا صَدَقْتَ فِيهِ وَلَا بَرَّتْ أَلْفَا^(٥)
خُفَافِيَّةٌ بَطْنُ الْعَقِيقِ مَصِيفُهَا وَتَحْتَلُّ فِي الْبَادِيْنَ وَجَرَّةَ فَالْعُرْفَا^(٥)
فَإِنْ تَتَّبِعَ الْكَفَّارَ أُمَّ مُؤْمِلٍ فَقَدْ زَوَّدَتْ قَلْبِي عَلَى نَاقِيهَا شَفَمَا

(١) الخذروف : برق لامع فى السحاب .

(٢) معتص : ضارب . والسكانج : القريب .

(٣) يريد أنه من بنى سليم ، وسليم من قيس كما أن هوازن من قيس . والمصال : مفعول من الصولة .

(٤) نية : من النوى وهو البعد .

(٥) الخفافية : نسبة إلى خفاف : حى من سليم والبادون : المقيمون فى البادية .

وسوف يُنبئها الخبيرُ بأننا
وأنا مع الهادي النبي محمد
بفتيان صدق من سليم أعزة
خفاف وذكوان وعوف تخالمهم
كان نسيج الشهب والبيض مُلبس
بنا عزٌ دينُ الله غير تنحل
بمكة إذ جئنا كأن لواءنا
على شخص الأصار تحسب بينها
غداة وطئنا المشركين ولم نجد
بمعتك لا يسمع القوم وسطه
ببيضٍ نظير الهام عن مُستقرها
فكائن تركنا من قتيل ملحَّب
رضا الله ننوي لا رضا الناس نبتغي
وقال عباس أيضاً رضى الله عنه :

ما بال عينك فيها عائرٌ سهرٌ
عينٌ تآوبها من شجوها أرقٌ
كأنه نظمٌ دُرٌّ عند ناظمه
يأبعد منزلٍ من ترجو مودته
مثل الحماطة أغصى فوقها الشفرُ^(١)
فالماء يغمرها طوراً وينحدرُ
تقطع السلكُ منه فهو مُنقثرُ
ومن أتى دونه الصمان فالحفرُ^(٥)

(١) القصف : المسترخية أجفانها على أعينها غضبا وكبرا .

(٢) الزجة : النيسة بكامة . والنقف : كسر الهامة عن الدماغ أو ضربها أشد الضرب .

(٣) الملحَّب : المقطع

(٤) العائر : كل ما أعل العين : والحماطة : عشب خشن المس أو تبن الذرة . والشفر : أصل منبت

(٥) الصمان والحفر موضعان .

الشعر في الجفن

دَعُ ما نَقَدَّه من عَهْدِ الشَّبابِ فَقَدْ وَلَى الشَّبابُ وَزارَ الشَّيْبُ وَالزَّعْرُ^(١)
 وَاذْكَرْ بِلَاءِ سُلَيْمٍ فِي مِوَاطِنِهَا وَفِي سُلَيْمٍ لِأَهْلِ الْفَخْرِ مُفْتَخِرُ
 قَوْمٍ هُمْ نَصَرُوا الرَّحْمَنَ وَاتَّبَعُوا دِينَ الرَّسُولِ وَأَمْرُ النَّاسِ مُشْتَجِرُ
 لَا يَغْرُسُونَ فَسِيلَ النَّخْلِ وَسَطَهُمْ وَلَا تَخَاوُرُ فِي مَشْتَاهِمِ الْبَقْرِ^(٢)
 إِلَّا سَوَابِجَ كَالْمُعْبَانِ مُقَرَّبَةً فِي دَارَةِ حَوْلِهَا الْأَخْطَارُ وَالْمَكْرُ^(٣)
 تُدْعَى خُفَافَ عَوْفٍ فِي جِوَانِبِهَا وَحَى ذَا كَوَانٍ لَا مِيلُ وَلَا ضَجْرُ
 الضَّارِبُونَ جُنُودَ الشَّرْكِ ضَاحِيَةً بِيْطَنَ مَكَّةَ وَالْأَرْوَاحَ تُبْتَدِرُ
 حَتَّى رَفَعْنَا وَقَتْلَاهُمْ كَأَنَّهُمْ نَخْلٌ بِظَاهِرَةِ الْبَطْحَاءِ مُنْفَعِرُ
 وَنَحْنُ يَوْمَ حَنِينٍ كَأَن مَشْهُدُنَا لِلدِّينِ عِزًّا وَعِنْدَ اللَّهِ مَذْخَرُ
 إِذْ نَرَكِبُ الْمَوْتَ مُخْضَرًّا بِطَائِفِهِ وَالْخَيْلُ يَنْجَابُ عَنْهَا سَاطِعٌ كَدِرُ
 تَحْتَ اللَّوَاءِ مَعَ الضَّحَّاكِ يَقْدُمُهَا كَمَا مَشَى اللَّيْثُ فِي غَابَاتِهِ الْخَلْدِرُ
 فِي مَأْزِقٍ مِنْ تَجَرٍّ الْحَرْبِ كَلَّكَلَهَا تَكَادُ تَأْفِلُ مِنْهُ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
 وَقَدْ صَبَرْنَا بِأَوْطَاسِ أَسِنَّتِنَا اللَّهُ نَنْصَرُّ مِنْ شَيْئِنَا وَنَنْتَصِرُ
 حَتَّى تَأْوُبَ أَقْـوَامُ مَنَازِلِهِمْ لَوْلَا الْمَلِيكُ وَلَوْلَا نَحْنُ مَا صَدَرُوا
 فَمَا تَرَى مَعْشَرَ أَقْلُوا وَلَا كَثَرُوا إِلَّا قَدْ أَصْبَحَ مَنَا فِيهِمْ أَثَرُ
 وَقَالَ عَبَّاسٌ أَيْضًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الَّذِي سَهَوَى بِهِ وَجَنَاهُ مُجْمَرَةُ الْمَنَاسِمِ عِزْمَسُ^(٤)

(١) الزعر : قلة الشعر .

(٢) الفسيل : صغار النخل . والتعاور : ارتفاع أصوات البقر من الحوار .

(٣) المقربة : التي تدنى وتقرب وتسكرم ولا تترك . والدارة : العرصة ، وكل أرض واسعة بين جبال والعكر والأخطار : الإبل الكثيرة .

(٤) الوجناء : البارزة الوجنات ، والمناسم : أطراف خف البعير والحجرة : المستوية . والعرمس : الناقة الشابة .

إِمَّا أُتِيتَ عَلَى النَّبِيِّ فَقُلْ لَهُ
يَا خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَىَّ وَمَنْ مَشَى
إِنَّا وَفِينَا بِالذِّى عَاهَدْتَنَّا
إِذْ سَالَ مِنْ أَفْنَاءِ بُهْمَةٍ كُلِّهَا
حَتَّى صَبَحْنَا أَهْلَ مَكَّةَ فَيَلْقَا
مِنْ كُلِّ أَغْلَبَ مِنْ سُلَيْمٍ فَوْقَهُ
يُرْوَى الْقِنَاءَ إِذَا تَجَاسَرَ فِي الْوَعَى
يَغْشَى الْكِتَابَةَ مُعَلِّمًا وَبَكْفَهُ
وَعَلَى حُنَيْنٍ قَدْ وَفَى مِنْ جَمْعِنَا
كَانُوا أُمَامَ الْمُؤْمِنِينَ دَرِيَّةَ
نَمْضَى وَيَحْرُسُنَا الْإِلَهِ بِحِفْظِهِ
وَلَقَدْ حُبِسْنَا بِالْمُنَاقِبِ مُحْبَسًا
وَعِدَاةَ أَوْطَاسٍ شَدَدْنَا شَدَّةَ
تَدْعُو هَوَازِنَ بِالْأَخَوَةِ بَيْنِنَا
حَتَّى تَرْكُنَا جَمْعَهُمْ وَكَانَهُ
وَقَالَ أَيْضًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

مَنْ مُبْلَغُ الْأَفْوَامِ أَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ الْإِلَهِ رَاشِدٌ حَيْثُ يَمَامَا

(١) تقدع : تسكين . وتضرس : تبحر .

(٢) بهمة : حى من سليم . والمخارم : الطرق فى الجبال . وترجس : تهتز .

(٣) الأشوس : المتكبر .

(٤) الدخال : نسج الدرع .

(٥) المدعس : السريع الطعن .

(٦) الدريئة : الكتبية المدافعة .

دعا ربّه واستنصر الله وحده
سَرِينَا وواعِدنا قُديداً محمداً
تَمَارَوْا بنا في الفجر حتى تَبَيَّنُوا
على الخيل مُشْدوداً علينا دروعنا
فإن سَراةَ الحَيِّ إن كنت سائلاً
وجنْدُ من الأنصار لا يَخذُلونه
فإن تك قد أَمَرْتَ في القوم خالداً
بجندٍ هداه الله أنت أَمِيرُهُ
حَلَفْتُ يَمِيناً بِرَّةٍ لِحَمْدِ
وقال نبيُّ المؤمنين تقدّموا
وبِتَنَّا بِنَهْيِ المستدير ولم يكن
أطعناك حتى أسلم الناسُ كلهم
يُضِلُّ الحِصَانُ الأَبْلَقُ الوَرْدُ وَسَطُهُ
سَمُونَا لهم وَرَدَ القَطَا زَفَّهُ ضَحَى
لَدُنْ غُدُوِّهِ حتى تركنا عَشِيَّةً
إِذَا شِئْتَ من كُلِّ رَأْيٍ طِمْرَةً
وقد أحرزتُ منا هَوازِنُ سِرْبِهَا
فأصبح قد وَفَى إِلَيْهِ وَأَنعَا
يَوْمُ بنا أَمراً من الله مُخَكِّماً
مع الفجر فتياناً وغاباً مُقَوِّماً
وَرَجَلًا كدُفَاعِ الأَتِيِّ عَرْمَماً^(١)
سُليْمٍ وفيهم منهم من تسَلَّمَا
أطاعوا فما يَعْصونه ما تَكَلَّمَا
وقدَّمته فإنه قد تَقَدَّمَا
تُصِيبُ به في الحق مَنْ كان أَظْلَمَا
فأَ كَلَمَها أَلْفًا من الخيل مُلْجَمَا
وَحُبَّ إِلَيْنَا أن نكون المُقَدَّمَا
بنا الخوفُ إلا رَغْبَةً وَتَحْزُماً^(٢)
وحتى صَبَحْنَا الجَمْعَ أَهْلَ يَأْمَلَا
ولا يطمئن الشيخ حتى يُسَوِّمَا
وكلُّ تَراهِ عن أخيه قد أَحْجَمَا
حُنيئاً وقد سالت دَوامعه دَمَا
وفارسها يَهْوِي وَرِجْحاً مُحْطَمَا^(٣)
وَحُبَّ إِلَيْهَا أن تُخَيِّبَ وَتُحْزِمَا

هكذا أورد الإمام محمد بن إسحاق هذه القصائد من شعر عباس بن مرداس السلمي رضي الله عنه ، وقد تركنا بعض ما أورده من القصائد خشية الإطالة وخوف الملالة ، ثم أورد من شعر غيره أيضاً ، وقد حصل ما فيه كفاية من ذلك . والله أعلم .

(١) الرجل : المشاة . والآتي : السيل الغريب . والدفاع : ما يدفعه السيل .

(٢) التهي : الغدير . (٣) الطمرة : الفرس السريعة الجري .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

غزوة الطائف

قال عروة وموسى بن عقبة عن الزهري : قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين وحاصر الطائف في شوال سنة ثمان .

وقال محمد بن إسحاق : ولما قدم قلث ثقيف الطائف أغلقوا عليهم أبواب مدينتها وصنعوا الصنائع للقتال .

ولم يشهد حُنيناً ولا حصار الطائف عروة بن مسعود ولا غيلا بن سلمة ، كانا بجرش يتبعان صنعة الدبابات والجانيق والضُّبُور^(١) .

قال : ثم سار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف حين فرغ من حنين ، فقال كعب بن مالك في ذلك :

قَضِينَا مِنْ تِهَامَةٍ كُلِّ رَيْبٍ	وخيبر ثم أجمعتنا السيوفاً
نَحْيَرُهَا وَلَوْ نَطَقَتْ لَقَالَتْ	قواطعهم : دَوْسًا أَوْ ثَقِيفًا
فَلَسْتُ لَخَاضِنٍ إِنْ لَمْ تَرَوْهَا	بساحة داركم منّا ألوفاً
وَنَفْتَزِعُ الْعُرُوشَ بِيْطَانٍ وَجٍّ	وتصبح دُوركم منكم خُلوفاً
وَيَأْتِيَكُمُ لَنَا مَرَعَانُ خَيْلٍ	يُغَادِرُ خَلْفَهُ جَمْعًا كَثِيفًا
إِذَا نَزَلُوا بِسَاحَتِكُمْ سَمْعَمٍ	لها مما أناخ بهـا رَجِيفًا
بِأَيْدِيهِمْ قَوَاضٍ مُرْهَفَاتٍ	يُزْرَنُ الْمُصْطَلِينَ بهـا الْحَتُوفَا

(١) الضُّبُور : الدبابات التي تقرب للحصون لتتقب من تحتها

كَأَمْثَالِ الْعَقَاتِقِ أَخْلَصْتُمْهَا قِيُونَ الْهِنْدُ لَمْ تُضْرَبْ كَتِيفًا ^(١)
 تَحَالِ جَدِيَّةُ الْأَبْطَالِ فِيهَا غَدَاةَ الزَّحْفِ جَادِيًّا مَدُوفًا ^(٢)
 أَجِدْهُمْ أَلَيْسَ لَهُمْ نَصِيحٌ مِنْ الْأَقْوَامِ كَانَ بِنَا عَرِيفًا
 يُخْبِرُهُمْ بِأَنَا قَدْ جَمَعْنَاهَا عِتَاقَ الْخَيْلِ وَالنَّجَبِ الطُّرُوفًا ^(٣)
 وَأَنَا قَدْ أَتَيْنَاهُمْ بِزَحْفٍ يَحِيطُ بِسُورِ حِصْنِهِمْ صَفُوفًا
 رَئِيسُهُمُ النَّبِيُّ وَكَانَ صَلْبًا نَقَى الْقَلْبَ مُضْطَبِّرًا عَزُوفًا
 رَشِيدُ الْأَمْرِ ذَا حُكْمٍ وَعِلْمٍ وَحِلْمٍ لَمْ يَكُنْ نَزَقًا خَفِيفًا
 نَطِيعٌ نَبِيئُهَا وَنَطِيعُ رَبِّهَا هُوَ الرَّحْمَنُ كَانَ بِنَا رُءُوفًا
 فَإِنْ تَلَقَّوْا إِلَيْنَا السَّلَامَ نَقْبَلْ وَنَجْعَلْكُمْ لَنَا عَضُدًا وَرِيفًا
 وَإِنْ تَابَوْا تَجَاهَدْكُمْ وَنَضْرِبْ وَلَا يَكُ أَمْرُنَا رَعِيشًا ضَعِيفًا
 نَجَالِدُ مَا بَقَيْنَا أَوْ تُنَبِّئُوا إِلَى الْإِسْلَامِ إِذْعَانًا مُضِيفًا
 نَجَاهِدُ لَا نَبَالِي مَا لَقَيْنَا أَهْلَكْنَا التَّلَادَ أُمَ الطَّرِيفَا ^(٤)
 وَكَمْ مِنْ مَعْشَرٍ أَلْبَاوَا عَلَيْنَا صَمِيمَ الْجِذْمِ مِنْهُمْ وَالْحَلِيفَا ^(٥)
 أَنْتَوْنَا لَا يَرُونَ لَهُمْ كَفَاءً فَجَدَعْنَا الْمَسَامِعَ وَالْأَنْوَفَا
 بِكُلِّ مَهْمَدٍ لَيْنَ صَقِيلٍ نَسُوقُهُمْ بِهَا سَوْقًا عَفِيفًا
 لِأَمْرِ اللَّهِ وَالْإِسْلَامِ حَتَّى يَقُومَ الدِّينَ مَعْتَدِلًا حَنِيفًا
 وَتُنْشَى اللَّاتُ وَالْعَزَى وَوَدَّ وَنَسْلُبَهَا الْقَلَائِدَ وَالشُّنُوفَا
 فَأَمْسَوْا قَدْ أَقْرَبُوا وَاطْمَأَنَّنَا وَمَنْ لَا يَمْتَنِعُ يَقْبَلُ خُسُوفَا

(١) الكتيف : الضبة . قال السهيلي : وهي صفحة صغيرة .

(٢) الجدبة : الدم السائل . والجادى : الزعفران . والمدوف : المبلول .

(٣) الطرُوف : الكرام من الخيل . (٤) التلاد : القديم . والطريرف : الجديد .

(٥) الجذم : الأصل .

وقال ابن إسحاق : فأجابه كنانة بن عبد ياليل بن عمرو بن عبد الثقفي :
قلت : قد وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك في وفد ثقيف فأسلم معهم .
قاله موسى بن عقبة وأبو إسحاق وأبو عمر بن عبد البر وابن الأثير وغير واحد ، وزعم
المدائني أنه لم يسلم بل صار إلى بلاد الروم فتنصّر ومات بها :

من كان يَبْغِينَا يريد قتالنا فَإِنَّا بدارٍ مَعْلَمٍ لا نَرِيْمُهَا ^(١)
وجَدْنَا بها الآباء من قبل ماترى وكانت لنا أطواؤُها وكرومُها ^(٢)
وقد جَرَّبْنَا قبلُ عمرو بن عامر فأخبرها ذو رأيها وحليمُها
وقد علمت - إن قالت الحق - أننا إذا ما أتت صُعُر الخلدود نُقيمُها
نقومُها حتى يلين شَرِبُها ويُعرف للحق المبين ظَلومُها
علينا دِلَاصٌ من تُراث محرقٍ كَلَوْنَ السماء زَيْدَتُها نجومُها ^(٣)
نُرقِعُها عِنا ببيضٍ صوارم إذا جُرِّدَتْ في غَمرة لا نَشِيمُها ^(٤)

قال ابن إسحاق : وقال شدّاد بن عارض الجُشمي في مسير رسول الله صلى الله عليه

وسلم إلى الطائف :

لا تنصروا اللاتِ إن الله مُهلكها وكيف يُنصر من هو ليس ينتصرُ
إن التي حُرِّقَتْ بالسُّد فاشتعلت ولم تقايل لدى أحجارها هَدَرُ
إن الرسول متى يَنزل بلادَكم يَظُن من أهلكها بَشَرُ

قال ابن إسحاق : فسلّك رسول الله صلى الله عليه وسلم - يعني من حنين إلى
الطائف - على نخلة اليمانية ، ثم على قرْن ثم على المَليح ثم على بَحْرة الرُغاء من رِيّة ، فابتنى
بها مسجدا فصلى فيه .

(١) العلم : المشهورة .
(٢) أطواؤها : آبارها ، جمع طوى .
(٣) الدلاص : الدروع اللساء اللينة . ومحرق : يريد عمرو بن عامر وهو أول من حرق العرب بالنار .
(٤) لا نَشِيمُها : لا نَقْعُدها

قال ابن إسحاق : فحدثني عمرو بن شعيب ، أنه عليه السلام أقاد يومئذ بيحجرة الرغاء حين نزلها بدم ، وهو أول دم أُفيد به في الإسلام ، رجل من بني ليث قتل رجلا من هذيل فقتله به . وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بليّة بحصن مالك بن عوف فهدم .

قال ابن إسحاق : ثم سلك في طريق يقال لها الضيقة ، فلما توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل عن اسمها فقال : ما اسم هذه الطريق ؟ فقيل : الضيقة . فقال : بل هي اليسرى . ثم خرج منها على نخب حتى نزل تحت سِدْرَة يقال لها الصادرة قريباً من مال رجل ثقيف ، فأرسل إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم : إما أن تخرج إلينا وإما أن نخرب عليك حائطك . فأبى أن يخرج ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بإخراجه .

وقال ابن إسحاق : عن إسماعيل بن أمية ، عن بُجَيْر بن أبي بَجْرِ ، سمعت عبد الله بن عمرو ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين خرجنا معه إلى الطائف ، فررنا بقبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هذا قبر أبي رِغَال وهو أبو ثَقِيف ، وكان من ثمود ، وكان بهذا الحرم يدفع عنه ، فلما خرج أصابته النقرة التي أصابت قومه بهذا المكان فدفن فيه ، وآية ذلك أنه دفن معه غصن من ذهب ، إن أنتم تَبَشْتُم عنه أصبتموه » .

قال : فابتدره الناسُ فاستخرجوا معه الغصن .

ورواه أبو داود ، عن يحيى بن معين ، عن وهب ابن جرير بن حازم ، عن أبيه ، عن محمد بن إسحاق به .

ورواه البيهقي من حديث يزيد بن زُرَيْع ، عن رَوْح بن القاسم ، عن إسماعيل بن أمية به .

قال ابن إسحاق : ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل قريباً من الطائف فحضر به عسكره ، فقتل ناس من أصحابه بالنبل ، وذلك أن العسكر اقترب من حائط الطائف ، فتأخروا إلى موضع مسجده عليه السلام اليوم بالطائف الذي بنّته ثقيف بعد إسلامها ، بناء عمرو بن أمية بن وهب ، وكانت فيه سارية لا تطلع عليها الشمس صبيحة كل يوم إلا سمع لها نقيض فيما يذكرون .

قال : فحاصرهم بضعاً وعشرين ليلة . قال ابن هشام : ويقال سبع عشرة ليلة . وقال عروة وموسى بن عقبة عن الزهري : ثم سار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف وترك السبي بالجرمارة ومثلت عُرُش^(١) مكة منهم ، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأكمة عند حصن الطائف بضع عشرة ليلة يقاتلهم ويقاتلونه من وراء حصنهم ، ولم يخرج إليه أحد منهم غير أبي بكر بن مسروح أخى زياد لأمه ، فأعتقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكثرت الجراح وقطعوا طائفة من أعنابهم ليغضوهم بها ، فقالت لهم ثقيف : لا تفسدوا الأموال فإنها لنا أو لکم .

وقال عروة : أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم كل رجل من المسلمين أن يقطع خمس نخلات وخمس حُبَلات^(٢) ، وبعث منادياً ينادى : من خرج إلينا فهو حر . فاقتحم إليه نفر منهم فيهم أبو بكر بن مسروح أخو زياد بن أبي سفيان لأمه ، فأعتقهم ودفع كل رجل منهم إلى رجل من المسلمين يعوله ويحمه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد ، حدثنا حجاج ، عن الحكم ، عن مقسم ، عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعتق من جاءه من العبيد قبل مواليهم إذا أسلموا ، وقد أعتق يوم الطائف رجلين .

وقال أحمد : حدثنا عبد القدوس بن بكر بن خنيس ، حدثنا الحجاج ، عن الحكم ،

(١) العرش : الخيام والبيوت التي يستظل بها . (٢) الحبلّة : السكّرة .

عن مِقْسَم عن ابن عباس، قال : حاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الطائف ، فخرج إليه عَبْدَان فَأَعْتَقَهُمَا ، أحدهما أَبُو بَكْرَةَ ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمتق العبيد إذا خرجوا إليه .

وقال أحمد أيضاً : حدثنا نصر بن رِثَاب ، عن حجاج ، عن الحكم ، عن مِقْسَم ، عن ابن عباس أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الطائف : « من خرج إلينا من العبيد فهو حر » .

فخرج عبيد من العبيد فيهم أَبُو بَكْرَةَ ، فَأَعْتَقَهُم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

هذا الحديث تفرد به أحمد ، ومداره على الحجاج بن أَرْطَاطَة ، وهو ضعيف .

لكن ذهب الإمام أحمد إلى هذا ، فعنده أن كل عبد جاء من دار الحرب إلى دار الإسلام عتق حكماً شرعياً مطلقاً عاماً .

وقال آخرون : إنما كان هذا شرطاً لأحكاماً عاماً .

ولو صح الحديث لكان التشريع العام أظهر ، كما في قوله عليه السلام : « من قتل قتيلاً فله سلبه » .

وقد قال يونس [بن بُكَيْر] ^(١) ، عن محمد بن إسحاق ، حدثني عبد الله بن المكرم

الثقفى ، قال : لما حاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الطائف خرج إليه رقيق من رقيقهم ، أَبُو بَكْرَةَ عَبْدٌ لِلْحَارِثِ بْنِ كَلْدَةَ ، وَالنَّبَيْعِثِ ، وكان اسمه المضطجع فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم النبيعث ، ويَحْنَسُ ، ووردان ، في رهط من رقيقهم فأسلموا ، فلما قدم وفد أهل الطائف فأسلموا قالوا : يا رسول الله رُدْ علينا رقيقنا الذين أتوك . قال : « لا ، أولئك عتقاء الله » ورد على ذلك الرجل ولأء عبده فجعله إليه .

وقال البخارى : حدثنا محمد بن بَشَّار ، حدثنا غُفْدَر ، حدثنا شعبة ، عن عاصم ، سمعت أبا عثمان قال : سمعت سعدا - وهو أول من رمى بسبيل الله وأبا بَكْرَةَ ، وكان

(١) سقطت من ١ .

تسوّّر حصن الطائف في أناس فجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم - قالوا : سمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من ادّعى إلى غير أبيه وهو يعلمه فالجنة عليه حرام » .

ورواه مسلم من حديث عاصم به .

قال البخارى : وقال هشام : أنبأنا معمر ، عن عاصم ، عن أبي العالية ، أو أبي عثمان النهدي ، قال : سمعت سمدا وأبا بكره عن النبي صلى الله عليه وسلم . قال عاصم : قلت : لقد شهد عندك رجلان حَسْبُك بهما . قال : أجل : أما أحدهما فأول من رمى بسهم في سبيل الله ، وأما الآخر فنزل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثالثَ ثلاثةٍ وعشرين من الطائف .

قال محمد بن إسحاق : وكان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأتان من نسائه ، إحداهما أم سلمة فضرب لهما قبتين ، فكان يصلى بينهما ، فحاصرهم وقتلهم قتالا شديداً وتراموا بالنبل . قال ابن هشام : ورامهم بالمنجنيق .
فحدثني من أئق به أن النبي صلى الله عليه وسلم أول من رمى في الإسلام بالمنجنيق ، رمى به أهل الطائف .

وذكر ابن إسحاق أن نفرا من الصحابة دخلوا تحت دبابه ثم زحفوا ليحرقوا جدار أهل الطائف ، فأرسلت عليهم سلك الحديد مُحَمَّاة ، فخرجوا من تحتها فرمتهم ثقيف بالنبل فقتلوا منهم رجالا ، فحينئذ أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع أعقاب ثقيف فوق الناس فيها يقطعون .

قال : وتقدم أبو سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة فناديا ثقيفاً بالأمان حتى يكلموهم فأمَّنوهم فدعوا نساء من قريش وبني كنانة ليخرجن إليهم ، وهما يخافان عليهن السَّباء إذا

فُتِحَ الحصن ، فأبين ، فقال لهما أبو الأسود بن مسعود : ألا أدلكما على خير مما جئتما له ؟ إن مال أبي الأسود حيث قد علمتما . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم نازلاً بواد يقال له العقيق ، وهو بين مال بنى الأسود وبين الطائف ، وليس بالطائف مال أبعد رِشَاء^(١) ولا أشد مؤنة ولا أبعد عمارة منه ، وإن محمداً إن قطعه لم يعمر أبداً ، فسكّماه فليأخذه لنفسه أو ليدّعه لله والمرحّم .

فزعوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تركه لهم .

وقد روى الواقدي عن شيوخه نحو هذا وعنده أن سلمان الفارسي هو الذي أشار بالمنجنيق وعمله بيده . وقيل قدّم به وبدبابتين فالله أعلم .

وقد أورد البيهقي من طريق ابن لهيعة عن أبي الأسود ، عن عروة ، أن عيينة بن حصن استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في أن يأتي أهل الطائف فيدعوهم إلى الإسلام فأذن له ، فجاءهم فأمرهم بالثبات في حصنهم وقال : لا يهولنكم قطع ما قطع من الأشجار في كلام طويل .

فلما رجع قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما قلت لهم » ؟ قال : دعوتهم إلى الإسلام وأنذرتهم النار وذكّرتهم بالجنة . فقال : « كذبت بل قلت لهم كذا وكذا » فقال : صدقت يا رسول الله ، أتوب إلى الله وإليك من ذلك .

وقد روى البيهقي ، عن الحاكم ، عن الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبار ، عن بونس ابن بُكَيْر ، عن هشام الدستوائي ، عن قتادة ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن معدان ابن أبي طاححة ، عن ابن أبي نجيح السلمي ، وهو عمرو بن عبّسة رضى الله عنه قال : حاصرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قصر الطائف فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من بلغ بسهم فله درجة في الجنة » فبلغت يومئذ ستة عشر سهماً .

وسمعه يقول : « من رمى بسهم في سبيل الله فهو عدلٌ مُحَرَّرٌ ، ومن شاب شبيبةً في سبيل الله كانت له نوراً يوم القيامة ، وأيما رجل أعتق رجلاً مسلماً فإن الله جاعلٌ كلَّ عظم من عظامه وقاءً كلَّ عظمٍ بعظم ، وأيما امرأة مسلمة أعتقت امرأة مسلمة فإن الله جاعلٌ كلَّ عظم من عظامها وقاءً كلَّ عظم من عظامها من النار » .
ورواه أبو داود والترمذي وصححه النسائي من حديث قتادة به .

وقال البخاري : حدثنا الحميدي ، سمع سفيان ، حدثنا هشام ، عن أبيه ، عن زينب بنت أم سلمة ، عن أم سلمة قالت : دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندي خنث فسمعه يقول لعبد الله بن أبي أمية : أرايتَ إن فتح الله عليكم الطائفَ غداً فعليك بابنة غيلان فإنها تُقبِلُ بأربع وتُذبرُ بثمان . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يدخلن هؤلاء عليكن » .

قال ابن عيينة : وقال ابن جريج : الخنث هَيْتٌ .
وقد رواه البخاري أيضاً ومسلم من طرق عن هشام بن عروة عن أبيه به . وفي لفظ : « وكانوا يرونه من غير أولى الإربة من الرجال » وفي لفظ : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا أرى هذا يعلم ما هنا ؟ لا يدخلن عليكن هؤلاء » .
يعنى إذا كان ممن يفهم ذلك ، فهو داخل في قوله تعالى : « أو الطِّفْلُ الذين لم يَظْهَرُوا على عورات النساء^(١) » .

والمراد بالخنث في عُرف السلف الذى لا هِمةَ له إلى النساء ، وليس المراد به الذى يؤتى ، إذ لو كان كذلك لوجب قتله حتماً ، كإدله عليه الحديث ، وكما قتله أبو بكر الصديق رضي الله عنه .

ومعنى قوله : « تُقْبَلُ بِأَرْبَعٍ وَتُدْبَرُ بِنِجَانٍ » يعنى بذلك عَكَنَ بطنها ، فإنها تكون أَرْبَعًا إذا أقبلت ثم تصير كل واحدة ثنتين إذا أَدْبَرَتْ ، وهذه المرأة هى بَادِيَةُ بنت غَيْلان ابن سلمة من سادات ثقيف .

وهذا الخَفْثُ قد ذكر البخارى عن ابن جريج أن اسمه هَيْت ، وهذا هو المشهور لسكن قال يونس عن ابن إسحاق قال : وكان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مولى لخالته بنت عمرو بن عابد مخفث يقال له مانع ، يدخل على نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيته ولا يرى أنه يفطن لشيء من أمور النساء مما يفطن إليه الرجال ، ولا يرى أن له فى ذلك أَرْبَابًا ، فسمعه وهو يقول لخالد بن الوليد : يا خالد إن افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم الطائفَ فلا تَنفُلتنِ منكم بَادِيَةُ بنت غيلان فإنها تقبل بأربع وتُدْبَرُ بِنِجَانٍ . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سمع هذا منه : « ألا أرى هذا يفطن لهذا » الحديث . ثم قال لنسائه : « لا يَدْخُلُنِ عليـكُنَّ » فحُجِبَ عن بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال البخارى : حدثنا على بن عبد الله ، حدثنا سفيان ، عن عمرو ، عن أبى العباس الشاعر الأعمى ، عن عبد الله بن عمرو قال : لما حاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم الطائفَ فلم ينل منهم شيئاً قال : « إنا قافلون غداً إن شاء الله » فتقل عليهم وقالوا : نذهب ولا نفتح ؟ فقال : « اغدوا على القتال » فعدّوا فأصابهم جراحٌ فقال : « إنا قافلون غداً إن شاء الله » فأعجبهم فضحك النبي صلى الله عليه وسلم . وقال سفيان مرة : فتبسّم .

ورواه مسلم من حديث سفيان بن عيينة به وعنده عن عبد الله بن عمر بن الخطاب واختلف فى نسخ البخارى ، فى نسخة كذلك وفى نسخة عن عبد الله بن عمرو بن العاص فأنه أعلم .

وقال الواقدي : حدثني كثير بن زيد بن الوليد بن رباح ، عن أبى هريرة قال :

لما مضت خمس عشرة من حصار الطائف استشار رسول الله صلى الله عليه وسلم نوفل بن معاوية الديلي فقال : « يانوفل ماترى فى المقام عليهم ؟ » قال : يارسول ثعلبٌ فى حجر إن أقت عليه أخذته ، وإن تركته لم يضرك .

قال ابن إسحاق : وقد بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبى بكر وهو محاصرٌ ثقيفاً : « ياأبا بكر ، إني رأيت أنى أهديت لى قعبةٌ مملوءة زبداً فنقرها ديك فهِراق مافيهما » فقال أبو بكر رضى الله عنه : ما أظن أن تُذكر منهم يومك هذا ماتريد . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وأنا لا أرى ذلك » .

قال : ثم إن خولة بنت حكيم السَّامِية ، وهى امرأة عثمان بن مظعون قالت : يارسول الله أعطنى إن فتح الله عليك حُلًى بادية بنت غيلان بن سامة أو حلى الفارعة بنت عقيل - وكانت من أحلى نساء ثقيف - فذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها : « وإن كان لم يؤذَن فى ثقيف ياخويلة ؟ » .

فخرجت خولة فذكرت ذلك لعمر بن الخطَّاب ، فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله ما حديثٌ حَدَّثْتَنِيهِ خولة ، زعمت أنك قلتها ؟ قال : « قد قلتها » قال : أو ما أُذِنَ فيهم ؟ قال : لا . قال : أفلا أُؤذَن بالرحيل ؟ قال : بلى .

فأذن عمر بالرحيل ، فلما استقبل الناس نادى سعيد بن مسيد بن أسيد بن أبى عمرو ابن علاج : ألا إن الحى مقيم . قال : يقول عيينة بن حصن : أجل ، والله بحجة كراماً . فقال له رجل من المسامين : قاتلك الله يا عيينة ! أتمدح المشركين بالامتناع من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد جئت تنصره ؟ فقال : إني والله ما جئت لأقاتل ثقيفاً معكم ، ولكن أردت أن يفتح محمد الطائف فأصيب من ثقيف جارية أطوها لعلها تلد لى رجلاً ، فإن ثقيفاً مَنَّا كبير ^(١) .

وقد روى ابن لهيعة عن أبي الأسود ، عن عروة قصة خولة بنت حكيم ، وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال : وتأذين عمر بالرحيل . قال : وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس ألا يُسرحوا ظهراً ، فلما أصبحوا ارتحل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ودعا حين ركب قافلاً فقال : « اللهم اهدموا كنفنا مؤنتهم » .

وروى الترمذى من حديث عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن أبي الزبير ، عن جابر قالوا : يا رسول الله أحرقتنا نبالُ ثقيف فادعُ الله عليهم . فقال : « اللهم اهدِ ثقيفاً » .

ثم قال : هذا حديث حسن غريب .

وروى يونس عن ابن إسحاق ، حدثني عبد الله بن أبي بكر وعبد الله بن المسكرم ، عن أدركوا من أهل العلم : قالوا : حاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الطائف ثلاثين ليلة أو قريباً من ذلك ، ثم انصرفوا عنهم ولم يؤذن فيهم ، ففقد المدينة فجاءه فدم في رمضان فأسلموا .

وسألت ذلك مفصلاً في رمضان من سنة تسع إن شاء الله .

وهذه تسمية من استشهد من المسلمين بالطائف فيما قاله ابن إسحاق :

فمن قريش : سعيد بن سعيد بن العاص بن أمية ، وعُرفطة بن جناب حليف لبني أمية بن الأسد بن الغوث ، وعبد الله بن أبي بكر الصديق رمى بسهم فتوفي منه بالمدينة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة الخزومي من رمية رُميها يومئذ ، وعبد الله بن عامر بن ربيعة حليف لبني عدى ، والسائب بن الحارث بن قيس ابن عدى السهمي ، وأخوه عبد الله ، وجُليخة بن عبد الله من بني سعد بن ليث . ومن الأنصار ثم من الخزرج ثابت بن الجذع الأسلمي ، والحارث بن سهل بن أبي صَعَصعة المازني ،

والنذر بن عبد الله من بنى ساعدة . ومن الأوس رقيم بن ثابت بن ثعلبة بن زيد بن لؤذان بن معاوية فقط .

فجميع من استشهد يومئذ اثنا عشر رجلا ، سبعة من قریش وأربعة من الأنصار ، ورجل من بنى ليث رضى الله عنهم أجمعين .

قال ابن إسحاق : ولما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا عن الطائف قال

بُحَيْر بن زهير بن أبي سلمى يذكر حنيناً والطائف :

كانت عُلالة يوم بطن حنينٍ وغداة أوطاسٍ ويوم الأبرقِ
جَمَعْتُ بِإِغْواءِ هَوازُنْ جَمَعَهَا فتبدَّ دوا كالطائر المتمرَّقِ
لم يمنعوا منا مقاما واحداً إلا جدارهم وبطن الخندقِ
ولقد تعرَّضنا لسَكِّمًا يخرجوا فاستحفظنا منا بيبابٍ مُغلقِ
ترتدُّ حَسْرانا إلى رَجْراجَةٍ شهباء تَلْمَعُ بالْمنايا قَمِيلِقِ^(١)
مَلْمومةٍ خضراء لو قَذَفُوا بها حصناً لظل كانه لم يُخلقِ
مَشَى الضَّراء على الهَرَّاسِ كأننا قدَرَّ تفرَّقَ في القِيادِ وبلتقِ^(٢)
في كل سابعة إذا ما استحصنت كالنَّهى هَبَّت رِيحُهُ المَترَقِ
جُدُلٍ تَمَسُّ فُضُولُهُن نعالنا من نَسَج داودِ وآلِ محرَّقِ

وقال أبو داود : حدثنا عمر بن الخطاب أبو حفص ، حدثنا الفريابي ، حدثنا أبان ، حدثنا عمرو - هو ابن عبد الله بن أبي حازم - حدثنا عثمان بن أبي حازم ، عن أبيه ، عن جده صخر - هو أبو العيلة الأحمسي - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا ثقيفاً ،

(١) الرجراجة : الكثيرة .

(٢) الضراء : الكلاب . والهَرَّاس : شجر شائك كالنبق .

فلما أن سمع ذلك صخر ركب في خيل يُمَدُّ النبي صلى الله عليه وسلم فوجده قد انصرف ولم يفتح ، فجعل صخر حينئذ عهداً وذمةً لأفارق هذا القصر حتى ينزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولم يفارقهم حتى نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكتب إليه صخر : أما بعد فإن ثقيفا قد نزلت على حكمك يا رسول الله وأنا أقبل بهم وهم في خيلي .

فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصلاة جامعة فدعا لأحس عشر دعوات : « اللهم بارك لأحس في خيلها ورجالها » .

وأتى القوم فتكلم المغيرة بن شعبه فقال : يا رسول الله إن صخرأ أخذ عمتي ودخلت فيدخل فيه المسلمون فدعاه فقال : « يا صخر إن القوم إذا أسلموا أحرزوا دمائهم وأموالهم ، فادفع إلى المغيرة عمتي » فدفعها إليه .

وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ماءً لبني ساييم قد هربوا عن الإسلام وتركوا ذلك الماء ، فقال : يا رسول الله أنزلني أنا وقومي . قال : « نعم » فأنزله وأسلم - يعني الأسلميين ، فأتوا صخرأ فسألوه أن يدفع إليهم الماء فأبى ، فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا رسول الله أسلمنا وأتيننا صخرأ ليدفع إلينا ماءنا فأبى علينا . فقال : « يا صخر إن القوم إذا أسلموا أحرزوا أموالهم ودمائهم فادفع إليهم ماءهم » قال : نعم يا نبي الله .

فرايت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يتغير عند ذلك حمرة ، حياءً من أخذه الجارية وأخذه الماء !

تفرد به أبو داود وفي إسناده اختلاف .

قلت : وكانت الحكمة الإلهية تقتضي أن يؤخر الفتح عامئذ لئلا يستأصلوا قتلاً ، لأنه قد تقدم أنه عليه السلام لما كان خرج إلى الطائف فدعاهم إلى الله تعالى وإلى أن يؤثروه حتى

يبلغ رسالة ربه عز وجل، وذلك بعد موت عمه أبي طالب فردّوا عليه قوله وكذبوه فرجع مهموماً فلم يستفق إلا عند قرن الثعالب، فإذا هو بغمامة وإذا فيها جبريل، فناداه ملاك الجبال فقال: يا محمد إن ربك يقرأ عليك السلام، وقد سمع قول قومك لك وما ردّوا عليك، فإن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «بل أستاذني بهم لعل الله أن يخرج من أصلابهم من يعبده وحده لا يشرك به شيئاً».

فناسب قوله: «بل أستاذني بهم» ألا يفتح حصنهم لنسلا يقتلوا عن آخرهم وأن يؤخر الفتح ليدّموا بعد ذلك مسلمين في رمضان من العام المقبل. كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

فصل في مرجعه عليه السلام من الطائف ، وقسمة غنائم هوازن التي أصابها
يوم حنين قبل دخوله مكة معتمرا من الجعرانة

قال ابن إسحاق : ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انصرف عن الطائف
على دحنا حتى نزل الجعرانة فيمن معه من المسلمين ومعه من هوازن سبئ كثير ، وقد
قال له رجل من أصحابه يوم طعن عن ثقيف : يا رسول الله ادع عليهم . فقال : « اللهم
اهد ثقيفاً وائت بهم » .

قال : ثم أتاه وفد هوازن بالجعرانة ، وكان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من
سبئ هوازن ستة آلاف من الذراري والنساء ومن الإبل والشاء مالا يُدرى عدته .
قال ابن إسحاق : فحدثني عمرو بن شعيب ، وفي رواية يونس بن بكير عنه قال
عمرو بن شعيب عن أبيه ، عن جده : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بحنين ،
فلما أصاب من هوازن ما أصاب من أموالهم وسبائهم أدركه وفد هوازن بالجعرانة وقد
أساءوا ، فقالوا : يا رسول الله إنا أهل وعشيرة ، وقد أصابنا من البلاء ما لم يخف عليك
فامنن علينا من الله عليك .

وقام خطيبهم زهير بن صرد أبو صرد فقال : يا رسول الله إنما في الحظائر من السبأيا
خالأتك وحواضتك التي كن يكفألك ، ولو أنا ملأنا لابن أبي شير أو النعمان بن المنذر
ثم أصابنا منهما مثل الذي أصابنا منك رجونا عائدتهما وعطفهما ، وأنت رسول الله خير
المسكولين . ثم أنشأ يقول :

امنن علينا رسول الله في كريم فإنك المرء نرجوه وننتظر

أَمِنْتُ عَلَى بَيْضَةٍ قَدْ عَاقَهَا قَدَرٌ مُمَزَّقٌ شَتْلُهُمَا فِي دَهْرَهَا غَيْرُ
أَبْقَتْ لَنَا الدَّهْرَ هَتَّافًا عَلَى حَزَنِ عَلَى قُلُوبِهِمُ الْغَمَاءُ وَالْغَمْرُ
إِنْ لَمْ تَدَارِكْهَا نَعْمَاءُ تَنْشُرُهَا يَا أَرْجِحِ الْفَاسَ حِلْمًا حِينَ يُخْتَبَرُ
أَمِنْتُ عَلَى نِسْوَةٍ قَدْ كُنْتَ تَرْضَعُهَا إِذْ فُوكَ تَمْلُؤُهُ مِنْ مَحْضِهَا الدُّرُرُ
أَمِنْتُ عَلَى نِسْوَةٍ قَدْ كُنْتَ تَرْضَعُهَا وَإِذْ يَزِينُكَ مَا تَأْتِي وَمَا تَذُرُ
لَا تَجْعَلُنَا كَمَنْ شَالَتْ نَعَامَتُهُ وَاسْتَقْبَقِي مَنَا فَإِنَّا مَعْشَرُ زُهْرُ
إِنَّا لَنَشْكُرُ آلَاءَهُ وَإِنْ كُفِرْتُ وَعِنْدَنَا بَعْدَ هَذَا الْيَوْمِ مُدْخَرُ

قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نساؤكم وأبناؤكم أحبُّ إليكم أم أموالكم ؟ » فقالوا : يا رسول الله خيرتنا بين أحسابنا وأموالنا ؟ بل أبناؤنا ونساؤنا أحبُّ إلينا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أمَّا ما كان لي ولبنى عبد المطلب فهو لكم ، وإذا أنا صليت بالفاس فقوموا فقولوا : إنا نستشفع برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المسلمين ؛ وبالمسلمين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في أبنائنا ونسائنا . فإنِّي سأعطيكم عند ذلك وأسأل لكم » .

فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفاس الظاهر قاموا فقالوا ما أمَرهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « أمَّا ما كان لي ولبنى عبد المطلب فهو لكم » فقال المهاجرون : وما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم . وقالت الأنصار : وما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال الأقرع بن حابس : أمَّا أنا وبنو تميم فلا . وقال عيينة : أمَّا أنا وبنو فزارة فلا . وقال العباس بن مرداس السلمي : أمَّا أنا وبنو سُليم فلا . فقالت بنو سليم : بل ما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم . قال يقول عباس بن مرداس لبني سليم : وهنتموني ؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أمسك منكم بحقه فله بكل إنسان ستة فرائض من أول فيء نصيبه. فردّوا إلى الناس نساءهم وأبناءهم .

ثم كب رسول الله صلى الله عليه وسلم واتبعه الناس يقولون : يا رسول الله اقسم علينا فيئنا . حتى اضطروه إلى شجرة فانزعرت رداءه فقال : « أيها الناس ردّوا على ردائي ، فوالذي نفسي في يده لو كان لكم عندي عدد شجرتها ما نعمّا لقسمته عليكم ، ثم ما ألفتيموني بخيلا ولا جباناً ولا كذاباً » .

ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنب بعير فأخذ من سنامه وبرّة فجعلها بين إصبعيه ثم رفعها فقال : « أيها الناس والله ما لي من فيئكم ولا هذه البرّة إلا الخمس والخمس مردودٌ عليكم ، فأدّوا الخيائط والخياط ، فإن الغلول عار ونار وشنار على أهله يوم القيامة » .

فجاء رجل من الأنصار بكبّة^(١) من خيوط شعر فقال : يا رسول الله أخذت هذه لأخيظ بها برذعة بعير لي دبر^(٢) . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أما حقّ منها فلك » فقال الرجل : أما إذ بلغ الأمر فيها فلا حاجة لي بها . فرمى بها من يده .

وهذا السياق يقتضى أنه عليه السلام رد إليهم سببهم قبل القسمة ، كما ذهب إليه محمد ابن إسحاق بن يسار ، خلافاً لموسى بن عقبة وغيره .

وفي صحيح البخارى من طريق الليث ، عن عقيل ، عن الزهرى ، عن عروة ، عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام حين جاءه وفدٌ هوازن مسلمين فسألوا أن تردّ إليهم أموالهم ونسائهم ، فقال لهم رسول الله صلى الله

(١) الكبّة : الخيوط المجمعة .

(٢) الدبر : المقروح

عليه وسلم : « معى من ترون ، وأحبُّ الحديث إلى أصدقه فاختروا إحدى الطائفتين إما السَّبِي وإما المال ، وقد كنت استأنيتُ بكم » .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم انتظرهم بضع عشرة ليلة حين قفل من الطائف ، فلما تبين لهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غير رادِّ إليهم أموالهم إلا إحدى الطائفتين قالوا : إنا نختار سَبِيَنَا .

فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسلمين وأثنى على الله بما هو أهله ثم قال : « أما بعد ، فإن إخوانكم هؤلاء قد جاءوا تائبين ، وإنى قد رأيت أن أردَّ إليهم سَبِيهم ، فمن أحبَّ أن يطيب ذلك فليفعل ، ومن أحبَّ منكم أن يكون على حظه حتى نعطيه إياه من أول مال بفيء الله علينا فليفعل » .

فقال الناس : قد طَيَّبْنَا ذلك يا رسول الله . فقال لهم : « إنا لا ندرى من أذن منكم ممن لم يأذن ، فارجعوا حتى يرفع إلينا عرفاؤكم أمركم » فرجع الناس فكلمهم عرفاؤهم ثم رجعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه بأنهم قد طَيَّبُوا وأذِنُوا .

فهذا ما بلغنا عن سبى هوازن . ولم يتعرض البخارى لمنع الأقرع وعيينة وقومهما ، بل سكت عن ذلك ، والمُتَّبِع مُقَدَّم على النافى فكيف الساكت .

وروى البخارى من حديث الزهرى : أخبرنى عمر بن محمد بن جبير بن مطعم ، عن أبيه ، أخبره جبير بن مطعم أنه بينما هو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه الناس مَقْفَلَةٌ من حنين عِلَقَتِ الأعراب برسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه ، حتى اضطره إلى شجرة فخطفت رداءه ، فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : « أعطوني ردائي فلو كان عدد هذه العضاء نعلما لقسمة بينكم ، ثم لا تجدوني بخيلا ولا كذوبا ولا جبانا » .

تفرد به البخارى .

وقال ابن إسحاق : وحدثني أبو وَجْرة يزيد بن عبيد السعدي ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى علي بن أبي طالب جارية يقال لها رَيْطَة بنت هلال بن حيان بن عميرة ، وأعطى عثمان بن عفان جارية يقال لها زينب بنت حيان بن عمرو بن حيان ، وأعطى عمر جارية فوهبها من ابنه عبد الله .

وقال ابن إسحاق : فحدثني نافع ، عن عبد الله بن عمر قال : بعثت بها إلى أخوالى من بنى جمح ليصلحوا لى منها ويهيئوها حتى أطوف بالبيت ثم آتيهم وأنا أريد أن أصيبها إذا رجعت إليها ، قال : فحُت من المسجد حين فرغت فإذا الناس يشتدون فقلت : ما شأنكم ؟ قالوا ردّ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءنا وأبناءنا . قلت : تأسكم صاحبكم فى بنى جمح فاذهبوا فخذوها . فذهبوا إليها فأخذوها .

قال ابن إسحاق : وأما عيينة بن حصن فأخذ عجوزاً من عجائز هوازن وقال حين أخذها : أرى عجوزاً إنى لأحسب لها فى الحى نسباً وعسى أن يعظم فداؤها . فلما رد رسول الله صلى الله عليه وسلم السبايا بست فرائض أبى أن يردّها ، فقال له زهير بن صُرْد : خذها عنك فوالله ما فوها ببارد ، ولا ثديها بناهّد ، ولا بطنها بوالد ، ولا زوجها بواجد ، ولا درّها بما كِد^(١) ، إنك ما أخذتها والله بيضاء غريرة ولا نصفاً وثيرة . فردّها بست فرائض .

قال الواقدي : ولما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنائم بالجُمُرانة أصاب كل رجل أربع من الإبل وأربعون شاة .

وقال سلمة عن محمد بن إسحاق عن عبد الله بن أبى بكر أن رجلاً من شهد حنيناً قال :

والله إني لأسير إلى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ناقه لي وفي رجلي نعل غليظة إذ زحمتُ ناقتي ناقَةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقع حرفُ نعلي على ساق رسول الله صلى الله عليه وسلم فأوجعه ، فقرع قدمي بالسوط وقال : « أوجعتني فتأخر عني » فانصرفت فلما كان الغد إذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يلتمسني قال : قلت : هذا والله لما كنت أصبت من رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأمس . قال : فجننته وأنا أتوقع ، فقال : « إنك أصبت رجلي بالأمس فأوجعتني فقرعتُ قدمك بالسوط فدعوتك لأعوضك منها » فأعطاني ثمانين نعمة بالضربة التي ضربني .

والمقصود من هذا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رد إلى هوازن سبيهم بعد القسمة كما دل عليه السياق وغيره .

وظاهر سياق حديث عمرو بن شعيب الذي أورده محمد بن إسحاق عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ردَّ إلى هوازن سبيهم قبل القسمة ، ولهذا لما رد السبي وركب علق الأعرابُ برسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون له : اقسم علينا فيئنا حتى اضطرروه إلى سمرة فخطفت رداءه فقال : « ردوا عليّ أيها الناس ، فوالذي نفسي بيده لو كان لكم عدد هذه العضاء نعماً لقسمته فيكم ثم لا تجدوني بخيلاً ولا جباناً ولا كذاباً » .

كما رواه البخاري عن جبير بن مطعم بنحوه .

وكانهم خشوا أن يرد إلى هوازن أموالهم كما رد إليهم نساءهم وأطفالهم ، فسألوه نسمة ذلك فقسّمها عليه الصلاة والسلام بالجعرانة كما أمره الله عز وجل ، وآثر أناساً في القسمة وتألّف أقواماً من رؤساء القبائل وأمرائهم ، فعقب عليه أناس من الأنصار حتى خطبهم ويّين لهم وجه الحكمة فيما فعله تطبيعاً لقلوبهم .

وتنقذ بعض من لا يعلم من الجهالة والخوارج كذى الخويرة وأشباهه قبحه الله ،
كما سيأتى تفصيله وبيانه فى الأحاديث الواردة فى ذلك وبالله المستعان .

قال الإمام أحمد : حدثنا عارم ، حدثنا معتمر بن سليمان ، سمعت أبى يقول حدثنا
السميط السدوسى ، عن أنس بن مالك قال : فتحنا مكة ثم إنا غزونا حنيناً فجاء
المشركون بأحسن صفوف رأيت ، فصُفَّت الخيل ، ثم صفت المقاتلة ، ثم صفت النساء من
وراء ذلك ، ثم صفت الغنم ، ثم النعم . قال : ونحن بشر كثير قد بلغنا ستة آلاف وعلى
مُجَنَّبَةٍ خيلنا خالد بن الوليد ، قال : فجعلت خيلنا تلوذ خلف ظهورنا ، قال : فلم نلبث أن
انكشف خيلنا وفرَّت الأعراب ومن نعلم من الناس ، قال فنادى رسول الله صلى الله
عليه وسلم : يا المهاجرين يا المهاجرين يا للأَنْصار ؟

قال أنس : هذا حديث عمته ^(١) قال : قلنا لبيك يا رسول الله . قال : وتقدم
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال وأيم الله ما أتيناكم حتى هزمهم الله .
قال : فقبضنا ذلك المال ثم انطلقنا إلى الطائف فحاصرناهم أربعين ليلة ثم رجعنا
إلى مكة . قال : فنزلنا فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطى الرجل المائة ويعطى
الرجل المائتين .

قال : فتحدثت الأَنْصارُ بينها : أما من قاتله فيعطيه ، وأما من لم يقاتله
فلا يعطيه ؟ !

فرفع الحديث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أمر بسراة المهاجرين والأَنْصار
أن يدخلوا عليه ثم قال : « لا يَدْخُلَنَّ عَلَىَّ إِلَّا أَنْصارى ، أو الأَنْصار » قال : فدخلنا القبة

حتى ملأناها ، قال نبي الله صلى الله عليه وسلم : « يا معشر الأنصار » أو كما قال :
« ما حديثُ أتاني ؟ » قالوا : ما أأتاك يا رسول الله ؟ قال : « ما حديثُ أتاني » قالوا :
ما أأتاك يا رسول الله ؟

قال : « ألا ترضون أن يذهب الناس بالأيوال وتذهبون برسول الله حتى تُدخلوه
بيوتكم ؟ » قالوا : رضينا يا رسول الله ، قال : فرضوا أو كما قال .
وهكذا رواه مسلم من حديث معتمر بن سليمان .

وفيه من الغريب قوله : أنهم كانوا يوم هوازن ستة آلاف وإنما كانوا اثني عشر
ألفاً ، وقوله : « إنهم حاصروا الطائف أربعين ليلة » وإنما حاصروها قريباً من شهر ودون
العشرين ليلة . فالله أعلم .

وقال البخاري : حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثنا هشام ، حدثنا معمر ، عن الزهري ،
حدثني أنس بن مالك ، قال : قال ناس من الأنصار حين أفاء الله على رسوله ما أفاء
من أموال هوازن ، فطلق النبي صلى الله عليه وسلم يعطي رجالاً المائة من الإبل ،
فقالوا : يغفر الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعطي قريشاً ويتركنا وسيوفنا تقطر
من دمائهم !

قال أنس بن مالك : فحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم بمقاتلتهم ، فأرسل إلى
الأنصار خيمتهم في قبة آدم ولم يدعْ معهم غيرهم ، فلما اجتمعوا قام النبي صلى الله عليه وسلم
فقال : « ما حديثُ بآعني عنكم ؟ » قال فقهاء الأنصار : أما رؤساؤنا يا رسول الله فلم
يقولوا شيئاً ، وأما ناس منا حديثة أسنانهم فقالوا : يغفر الله لرسول الله صلى الله عليه
وسلم ، يعطي قريشاً ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم . فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : « فإني لأعطي رجالاً حديثي عهد بكفر أتالفهم ، أما ترضون أن يذهب

الناس بالأموال وتذهبون بالنبي إلى رحالكُم ؟ فوالله لَمَّا تنقلبون به خيرٌ مما ينقلبون به » قالوا : يا رسول الله قد رضىنا ، فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم : « فستجدون أثرَةً شديدة فاصبروا حتى تَلْقُوا الله ورسوله فَإِنِ على الخوض » قال أنس : فلم يصبروا .

تفرد به البخارى من هذا الوجه .

ثم رواه البخارى ومسلم من حديث ابن عوف ، عن هشام بن زيد ، عن جده أنس بن مالك ، قال : لَمَّا كَانَ يوم حنين التقى هوازن ومع النبي صلى الله عليه وسلم عشرة آلاف والطلقاء فأدبروا ، فقال : « يا معشر الأنصار » قالوا : لبيك يا رسول الله وسعديك لبيك نحن بين يديك . فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « أنا عبد الله وسوله » فانهزم المشركون فأعطى الطلقاء والمهاجرين ولم يعط الأنصار شيئاً ، فقالوا ، فدعاهم فأدخلهم فى قبته فقال : « أما ترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير وتذهبون برسول الله ؟ » صلى الله عليه وسلم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو سلك الناسُ وادياً وسلكت الأنصار شعباً لسلكت شعبَ الأنصار » .

وفى رواية للبخارى من هذا الوجه قال : لَمَّا كَانَ يوم حنين أقبلت هوازن وغطفان وغيرهم بنعمهم وذرائعهم ، ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة آلاف والطلقاء ، فأدبروا عنه حتى بقى وحده ، فنادى يومئذ نداءين لم يخلط بينهما ، التفت عن يمينه فقال : « يا معشر الأنصار » قالوا : لبيك يا رسول الله أبشر نحن معك . ثم التفت عن يساره فقال : « يا معشر الأنصار » فقالوا : لبيك يا رسول الله أبشر نحن معك ، وهو على بغلة بيضاء ، فنزل فقال : « أنا عبد الله ورسوله » .

فانهزم للمشركون وأصاب يومئذ مغانم كثيرة فقسم بين المهاجرين والطلقاء ولم يعط الأنصار شيئاً ، فقالت الأنصار : إذا كانت شديدة فنحن ندعى ويعطى الغنيمة غيرنا !

فبلغه ذلك فجمعهم في قبة فقال : « يا معشر الأنصار ما حديثٌ بلغني ؟ » فسكتوا فقال : « يا معشر الأنصار ألا ترضون أن يذهب الناس بالدنيا وتذهبون برسول الله تحوزونه إلى بيوتكم ؟ » قالوا : بلى . فقال : « لو سلك الناس وادياً وسلكت الأنصار شعباً لسلك شعب الأنصار » . قال هشام : قلت : يا أبا حمزة وأنت شاهد ذلك ؟ قال : وأين أغيبُ عنه ؟

ثم رواه البخاري ومسلم أيضاً من حديث شعبة عن قتادة عن أنس قال : جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الأنصار فقال : « إن قریشاً حديثو عهدٍ بجاهلية ومصيبة ، وإنني أردت أن أجبرهم وأتألفهم ، أما ترضون أن يرجع الناس بالدنيا وترجعون برسول الله إلى بيوتكم ؟ » قالوا : بلى . قال : « لو سلك الناس وادياً وسلكت الأنصار شعباً لسلك شعب الأنصار أو شعب الأنصار » .

وأخرجاه أيضاً من حديث شعبة عن أبي التَّيَّاح يزيد بن حميد ، عن أنس بن جوه وفيه فقالوا : والله إن هذا لهو العجب ! إن سيوفنا لتقطر من دمائهم والغنائم تقسم فيهم ، نخطبهم وذكر نحو ما تقدم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا حماد ، حدثنا ثابت ، عن أنس بن مالك ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى أباسفيان وعيينة والأقرع وسهيل بن عمرو في آخرين يوم حنين ، فقالت الأنصار : يا رسول الله سيوفنا تقطر من دمائهم وهم يذهبون بالغنم ؟ فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ، فجمعهم في قبة له حتى فاضت فقال : « فيكم أحدٌ من

غيركم ؟ » قالوا : لا إلا ابن أختنا ، قال : « ابن أخت القوم منهم » ثم قال : « أقاتم كذا وكذا ؟ » قالوا : نعم . قال : « أنتم الشعار والناس الدُّثَّار ، أما ترضون أن يذهب الناس بالشاء والبعير وتذهبون برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى دياركم ؟ » قالوا : بلى . قال : الأنصارُ كَرِشَى وعَيْبَتِي ، لو سلك الناس وادياً وسلكت الأنصار شعباً لسلكت شعبهم ، ولولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار .

وقال : قال حماد : أعطى مائةً من الإبل فسمى كلَّ واحد من هؤلاء .
تفرد به أحد من هذا الوجه وهو على شرط مسلم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا ابن أبي عدى ، عن حميد ، عن أنس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يامعشر الأنصار ألم آتكم ضُلَّالاً فهداكم الله بي ؟ ألم آتكم متفرقين فجمعكم الله بي ، ألم آتكم أعداءً فألَّفَ الله بين قلوبكم ؟ » قالوا : بلى يا رسول الله قال : « أفلا تقولون : جئنا خائفًا فأمنَّاك ، وطريدًا فأوينَّاك ، ومخذولًا فنصرناك ؟ » قالوا : بل لله المنُّ علينا ورسوله .

وهذا إسناد ثلاثي على شرط الصحيحين .

فهذا الحديث كالتواتر عن أنس بن مالك .
وقد روى عن غيره من الصحابة .

قال البخارى : حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا وهيب ، حدثنا عمرو بن يحيى ، عن عبَّاد بن تميم ، عن عبد الله بن زيد بن عاصم ، قال : لما أفاء الله على رسوله صلى الله عليه وسلم يوم حنين قسَمَ في الناس في المؤلفة قلوبهم ولم يعطِ الأنصار شيئاً ، فكأنهم وجدوا في أنفسهم إذ لم يصبهم ما أصاب الناس ، فخطبهم فقال : « يامعشر الأنصار ألم أجدكم ضُلَّالاً فهداكم الله بي ؟ وكنتم متفرقين فألفكم الله بي ؟ وعالةٌ فأغناكم الله بي ؟ » كلما قال شيئاً قالوا : الله ورسوله أمَّنٌ .

قال : « لو شئتم قلم : جئنا كذا وكذا . أما ترضون أن يذهب الناس بالشاء والبعير وتذهبون برسول الله إلى رحالكم ؟ لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار ، ولو سلك الناس وادياً وشعباً لسلكت وادى الأنصار وشعبها ، الأنصار شعار والناس دثار ، إنكم ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض » .

ورواه مسلم من حديث عمرو بن يحيى المازني به .

وقال يونس بن بكير ، عن محمد بن إسحاق ، حدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن محمود بن لبيد ، عن أبي سعيد الخدري قال : لما أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الفئام يوم حنين وقسم للمقاتلين من قريش وسائر العرب ما قسم ، ولم يكن في الأنصار منها شيء قليل ولا كثير ، وجد هذا الحى من الأنصار في أنفسهم حتى قال قائلهم : لقي والله رسول الله قومه ! فشى سعد بن عباداة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله إن هذا الحى من الأنصار قد وجدوا عليك في أنفسهم . فقال : « فيم ؟ » قال : فيما كان من قسمك هذه الفئام في قومك وفي سائر العرب ولم يكن فيهم من ذلك شيء . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فأين أنت من ذلك يا سعد ؟ » قال : ما أنا إلا امرؤ من قومي . قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فاجمع لى قومك في هذه الحظيرة فإذا اجتمعوا فأعلمنى » فخرج سعد فصرخ فيهم فجمعهم في تلك الحظيرة فجاء رجل من المهاجرين فأذن له فدخلوا ، وجاء آخرون فردم حتى إذا لم يبق من الأنصار أحد إلا اجتمع له أناه فقال : يا رسول الله قد اجتمع لك هذا الحى من الأنصار حيث أمرتنى أن أجمعهم .

فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام فيهم خطيباً فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال : « يا معشر الأنصار ألم آتكم ضلّالاً فهداكم الله ، وعالةً فأغناكم الله ، وأداءً فألف الله بين قلوبكم ؟ » قالوا : بلى . ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« ألا تحييون يامعشر الأنصار ؟ » قالوا : وما نقول يارسول الله ؟ وبماذا نجيبك ؟
 المنُّ لله ولرسوله . قال : « والله لو شئتم لقلتم فصدقتم وصدقتم : جئنا طريداً فأوفيناك ،
 وعائلاً فأسيناك ، وخائفاً فأمنّاك ، ونخذولاً فنصرناك » فقالوا : المنُّ لله ولرسوله .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أوجدتم في نفوسكم يامعشر الأنصار في
 لعاعة من الدنيا تألفتُ بها قوماً أسلموا ووكلتكم إلى ما قسم الله لكم من الإسلام ،
 أفلا ترضون يامعشر الأنصار أن يذهب الناس إلى رحالم بالشاء والبعير وتذهبون
 برسول الله إلى رحالكم ، فوالذي نفسي بيده لو أن الناس سلكوا شعباً وسلكت
 الأنصار شعباً لسلكتُ شعب الأنصار ، ولولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار ،
 اللهم ارحم الأنصارَ وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار » .

قال : فبكى القوم حتى أخضلوا لحام وقالوا : رضينا بالله رباً ورسوله قديماً .
 ثم انصرف وتفرقوا .

وهكذا رواه الإمام أحمد من حديث ابن إسحاق ، ولم يروه أحد من أصحاب
 الكتب من هذا الوجه ، وهو صحيح .

وقد رواه الإمام أحمد ، عن يحيى بن بكير ، عن الفضل بن مرزوق ، عن عطية بن
 سعد العوفي ، عن أبي سعيد الخدري ، قال رجل من الأنصار لأصحابه : أما والله لقد
 كنت أحدثكم أنه لو استقامت الأمور قد آثر عليكم ، قال : فردوا عليه ردّاً عنيفاً
 فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءهم فقال لهم أشياء لا أحفظها ، قالوا : بلى
 يارسول الله ، قال : « وكنتم لا تركبون الخيل » وكلما قال لهم شيئاً قالوا : بلى يارسول
 الله ثم ذكر بقية الخطبة كما تقدم .

تفرد به أحمد أيضاً .

وهكذا رواه الإمام أحمد منفرداً به من حديث الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي

سعيد بنحوه . ورواه أحمد أيضاً عن موسى بن عقبة عن ابن لهيعة عن أبي الزبير عن جابر مختصراً .

وقال سفيان بن عيينة ، عن عمر بن سعيد بن مسروق ، عن أبيه ، عن عباية بن رافع بن خديج ، عن جده رافع بن خديج ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى المؤلفات قلوبهم من سبى حنين مائة من الإبل ، وأعطى أبا سفيان بن حرب مائة ، وأعطى صفوان بن أمية مائة ، وأعطى عيينة بن حصن مائة ، وأعطى الأقرع بن حابس مائة ، وأعطى علقمة بن علاثة مائة ، وأعطى مالك بن عوف مائة ، وأعطى العباس بن مرداس دون المائة ، ولم يبلغ به أولئك فأنشأ يقول :

أَجْمَعُ نَهْيَ وَنَهَبَ الْعُبَيْدِ بْنِ عُيَيْنَةَ وَالْأَقْرَعَ^(١)
فَمَا كَانَ حِصْنٌ وَلَا حَابِسٌ يَفُوقَانِ مِرْدَاسَ فِي الْجَمْعِ
وَمَا كَفْتُ دُونَ أَمْرِي مِنْهُمَا وَمَنْ تَخَفَضَ الْيَوْمَ لَا يُرْفَعِ
وَقَدْ كُنْتُ فِي الْحَرْبِ ذَاتُ دُرٍّ فَلَمْ أُعْطَ شَيْئًا وَلَمْ أَمْنَعْ^(٢)
قَالَ : فَأَتَمَّ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِائَةَ .

رواه مسلم من حديث ابن عيينة بنحوه وهذا لفظ البيهقي .

وفي رواية ذكرها موسى بن عقبة وعروة بن الزبير وابن إسحاق فقال :

كَانَتْ نَهَابًا تَلَا فَيْتَهُمَا — بَكَرَى عَلَى الْمُنْهَرِ فِي الْأَجْرَعِ^(٣)
وَلِإِقَاطَى الْحَيِّ أَنْ يَرْتَقِدُوا إِذَا جَمَعَ النَّاسُ لَمْ أَفْجِعْ
فَأَصْبَحَ نَهْيَ وَنَهَبُ الْعُبَيْدِ بْنِ عُيَيْنَةَ وَالْأَقْرَعَ

(١) النهب : العطاء من الغنيمة . (٢) ذا تدراً : ذا دفع .

(٣) النهاب : جمع نهب . والأجرع : الأرض ذات الحزونة .

وقد كنت في الحرب ذاتُدرٍ فلم أعطَ شيئاً ولم أمنع
 إلا أقاتلَ أعطيتها عديداً قوائمها الأربعة^(١)
 وما كان حصنٌ ولا حابسٌ يقوَّان مرداسَ في الجمعِ
 وما كنت دون امرئٍ منهما ومن تضرع اليوم لا يُرفع
 قال عروة وموسى بن عقبة عن الزهري : فبلغ ذلك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم
 فقال له : « أنت القاتل أصبح نهبى ونهب العبيد بين الأقرع وعُيينة ؟ »
 فقال أبو بكر : ما هكذا قال يا رسول الله ، ولكن والله ما كنت بشاعر وما ينبغي
 لك . فقال : « كيف قال ؟ » فأنشده أبو بكر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
 « هما سواء ما يضرُّك بأيهما بدأت »
 ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اقطعوا عنى لسانه » فخشى بعض الناس
 أن يكون أراد المثلَّة به وإنما أراد النبي صلى الله عليه وسلم العطية . قال :
 وعبيد فرسه .

وقال البخاري : حدثنا محمد بن العلاء ، حدثنا أسامة ، عن بُريد بن عبد الله ، عن
 أبي بُردة ، عن أبي موسى قال : كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم وهو نازل بالجعرانة
 بين مكة والمدينة^(٢) ومعاه بلال ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم أعرابيٌّ فقال :
 ألا تُنجز لي ما وعدتني ؟ فقال له « أبشر » فقال : قد أكثرت على من أبشر !
 فأقبل على أبي موسى وبلال كهيفة الغضب ان فقال : « ردَّ البُشرى فأقبلا أنما » ثم دعا

(١) الأقاتل : الضعاف من الإبل .

(٢) قال القسطلاني : قال الداودي : وهو وهم والصواب بين مكة والطائف ، وبه جزم النووي وغيره
 إرشاد الساري ٤١٠/٦ .

بقدَح فيه ماء ففسل يديه ووجهه فيه ومجَّ فيه ، ثم قال « اشربا منه وأفرغا على وجوهكما ونحوركما وأبشرا » فأخذا القدَح ففعلا ، فنادت أم سلمة من وراء الستر : أَفْضِلَا لَأَمْكَا . فأفضلا ما منه طائفة .

هكذا رواه .

وقال البخارى : حدثنا يحيى بن بُكير ، حدثنا مالك ، عن إسحاق بن عبد الله ، عن أنس بن مالك قال : كنت أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه بُردٌ نجْراني غليظ الحاشية . فأدركه أعرابيٌ فجذبه جذبة شديدة حتى نظرتُ إلى صفحة عاتق رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أثرت به حاشية الرداء من شدة جذبته ، قال : مُرْنِي مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي عِنْدَكَ ، فالتفت إليهِ فضحك ثم أمر له بعتاء .

وقد ذكر ابن إسحاق الذين أعطاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ مائة من الإبل ، وهم : أبو سفيان صخر بن حرب ، وابنه معاوية ، وحكيم بن حزام ، والحارث بن كلفة أخو بني عبد الدار ، وعَلَقْمَةُ بْنُ عَلَاثَةَ ، والعلاء بن حارثة الثقفي حليف بني زهرة ، والحارث بن هشام ، وجُبَيْر بن مطعم ، ومالك بن عوف النَّصْرِي ، وسهيل بن عمرو ، وحويطب بن عبد العزى ، وعيينة بن حصن ، وصفوان بن أمية ، والأقرع ابن حابس .

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي أن قاتلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم من أصحابه : يا رسول الله أعطيت عيينة والأقرع مائة مائة وتركت جُعَيْلَ بْنَ سُرَّاقَةَ الضَّمْرِي ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَمَا وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَجُعَيْلٌ خَيْرٌ مِنْ طِلَاحِ الْأَرْضِ كُلِّهِمْ مِثْلَ عُيَيْنَةَ وَالْأَقْرَعِ ، وَلَكِنْ تَأَلَّفْتُمَا لِيُسَلِّمَا ،

وَوَكَلْتُ جُعَيْلَ بْنَ سَرَّاقَةَ إِلَى إِسْلَامِهِ .

ثم ذكر ابن إسحاق من أعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم دون المائة ممن يطول ذكره .

وفي الحديث الصحيح عن صفوان بن أمية أنه قال : مازال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيني من غنائم حنين وهو أبغض الخلق إليّ حتى ما خلق الله شيئاً أحبّ إليّ منه .

ذكر قدوم مالك بن عوف النَّصْرِي على

رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لوفد هوازن وسألم عن مالك ابن عوف : ما فعل ؟ فقالوا : هو بالطائف مع ثقيف . فقال : « أخبروه إنه إن أتاني مُسَلِّماً رَدَدْتُ إِلَيْهِ أَهْلَهُ وَمَالَهُ وَأَعْطَيْتُهُ مِائَةَ مِنَ الْإِبِلِ » .

فلما بلغ ذلك مالمسكاً أنسل من ثقيف حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بالجعرانة - أو بمكة - فأسلم وحسن إسلامه ، فردَّ عليه أهله وماله . ولما أعطاه مائة قال مالك بن عوف رضي الله عنه :

مَا إِن رَأَيْتُ وَلَا سَمِعْتُ بِمِثْلِهِ فِي النَّاسِ كُلِّهِمْ بِمِثْلِ مُحَمَّدٍ
أَوْفَى وَأَعْطَى لِلْجَزِيلِ إِذَا اجْتَدَى وَمَتَى نَشَأَ يُخْبِرُكَ عَمَّا فِي غَدْرِ
وَإِذَا الْكِتْمِيَّةُ عَرَّدَتْ أَنْبَاءُهَا بِالسَّمْعَرِيِّ وَضَرَبَ كُلُّ مُهَنْدٍ ^(١)
فَكَانَتْ لَيْثٌ عَلَى أَشْبَالِهِ وَسَطَ الْهَبَاءَةِ خَادِرٌ فِي مَرَصِدٍ ^(٢)

قال : واستعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على من أسلم من قومه وتلك القبائل مُنَمَّالَةً وَسَلَامَةً ^(٣) وفهم ، فكان يقابل بهم ثقيفاً لا يخرج لهم سرح إلا أغار عليه حتى

(١) عردت : اشتدت وضريت . (٢) الهباءة : غبار الحرب . والحادر : المقيم في عرينه .
(٣) هكذا ضبطه السهيلي وقال : والمعروف في قبائل قيس سلامة بالفتح ، إلا أن يكونوا من الأزد .

ضيق عليهم .

وقال البخاري : حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا جرير بن حازم ، حدثنا الحسن ، حدثني عمرو بن تغلب قال : أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم قوماً ومنع آخرين فكأنهم عتبوا عليه فقال : « إني أعطى قوماً أخاف هلمهم وجزعهم وأكل قوماً إلى ما جعل الله في قلوبهم من الخير والغنى منهم عمرو بن تغلب » .

قال عمرو : فما أحب أن لي بكلمة رسول الله صلى الله عليه وسلم حُر النعم . زاد أبو عاصم ، عن جرير ، سمعت الحسن حدثنا عمرو بن تغلب ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بمال - أو سبي - فقسمه بهذا .

وفي رواية للبخاري قال : أتى رسول الله بـمال - أو بشيء - فأعطى رجلاً وترك رجلاً ، فبلغه أن الذين ترك عتبوا ، فخطبهم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « أما بعد فذكر مثله سواء .

تفرد به البخاري ^(١) .

وقد ذكر ابن هشام أن حسان بن ثابت رضى الله عنه قال فيما كان من أمر الأنصار وتأخرهم عن الغنيمة :

زاد الموم فاه العين منحدر	سحاً إذا حلقته عبء درر ^(٢)
وجداً بشماء إذ شماء به كنة	هيفاء لا ذنن فيها ولا خور ^(٣)
دع عنك شماء إذ كانت مودتها	نزرا وشر وصال الواصل النزر
وائت الرسول وقل يا خير مؤتمن	للمؤمنين إذا ما عُدّ البشر
علام تدعى سليم وهي نازحة	قدام قوم هم آووا وهم نصرؤا

(١) هذا الحديث مؤخر في ت بعد القصيدة .

(٢) ابن هشام : زادت موم . .

(٣) الممكنة : الشاة الغضة . والذنن : القدر . والخور : الضعف . وفي ١ : شباء

سَمَّاهُمْ اللَّهُ أَنْصَارًا بَنَصَرَهُمْ دِينَ الْهَدَى وَعَوَانُ الْحَرْبِ تَسْتَعْرُ
وَسَارَعُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْتَرَضُوا لِلْفَائِتَاتِ وَمَا خَانُوا وَمَا ضَجِرُوا
وَالنَّاسُ إِلَبٌ عَلَيْنَا فَيَكَلِّسُ لَنَا إِلَّا السِّیُوفُ وَأَطْرَافُ الْقَنَا وَزُرُ
نُجَالِدُ النَّاسِ لَا نُثْبِقِي عَلَى أَحَدٍ وَلَا نَضِيعُ مَا تُوحِي بِهِ السُّورُ
وَلَا تَهَرَّ جُنَاةُ الْحَرْبِ نَادَيْنَا وَنَحْنُ حِينَ تَلْظَى نَارُهَا سُعْرُ^(١)
كَأَنَّ رَدْدَنَا يَبْدِرُ دُونَ مَا طَلَبُوا أَهْلَ النِّفَاقِ وَفِينَا يَنْزِلُ الظُّفَرُ
وَنَحْنُ جُنْدُكَ يَوْمَ النَّعْفِ مِنْ أَحَدٍ إِذْ حَزَبَتْ بِطَرَأَ أَحْزَابُهَا مُضَرُ^(٢)
فَمَا وَثَيْنَا وَمَا خِمْنَا وَمَا خَبَرُوا مَنَا عِثَارًا وَكُلُّ النَّاسِ قَدْ عَثَرُوا

(١) تهر : تكبره . وجناة الحرب : أبطالها . والسعر ، من يوقدون الحرب .
(٢) النعف : أسفل الجبل .

ذكر اعتراض بعض الجهلة من أهل الشقاق والنفاق

على رسول الله صلى الله عليه وسلم في القسمة العادلة بالانفاق

قال البخارى : حدثنا قبيصة ، حدثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن أبي وائل ، عن عبد الله قال : لما قَسَمَ النبي صلى الله عليه وسلم قسمةَ حنين قال رجل من الأنصار : ما أَرَادَ بها وجه الله . قال : فَأَتَيْتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فَأَخْبَرْتَهُ فَتَغَيَّرَ وَجْهَهُ ثُمَّ قَالَ : « رَحِمَهُ اللهُ عَلَى مُوسَى ، قَدْ أَوْذَى بِأَكْثَرِ مَنْ هَذَا فَصَبِرَ » .

ورواه مسلم من حديث الأعمش به .

ثم قال البخارى : حدثنا قتيبة بن سعيد ، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن أبي وائل عن عبد الله قال : لما كان يومُ حنينِ آثَرَ النبي صلى الله عليه وسلم ناساً : أعطى الأقرع بن حابس مائة من الإبل ، وأعطى عيينة مثل ذلك ، وأعطى ناساً فقال رجل : ما أريد بهذه القسمة وجه الله فقلت : لأخبرنَّ النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : « رَحِمَ اللهُ مُوسَى قَدْ أَوْذَى بِأَكْثَرِ مَنْ هَذَا فَصَبِرَ » .

وهكذا رواه من حديث منصور عن المعتمر به .

وفى رواية للبخارى فقال رجل : والله إن هذه لقسمة ما عُذِلَ فيها وما أريد فيها وجه الله . فقلت : والله لأخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم . فَأَتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ : « مَنْ يَعْدِلْ إِذَا لَمْ يَعْدِلِ اللهُ وَرَسُولُهُ ؟ ! رَحِمَ اللهُ مُوسَى قَدْ أَوْذَى بِأَكْثَرِ مَنْ هَذَا فَصَبِرَ » .

وقال محمد بن إسحاق : وحدثني أبو عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر ، عن مِقْسَمِ أَبِي الْقَاسِمِ مَوْلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ نَوْفَلٍ قَالَ : خَرَجْتُ أَنَا وَتَلَيْدُ بْنُ كِلَابِ بْنِ اللَّيْثِ حَتَّى أَتَيْنَا عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ وَهُوَ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ مَعْلِقًا نَعْلَهُ بِيَدِهِ ، فَقُلْنَا لَهُ : هَلْ

حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين كلمه التميمي يوم حنين ؟ قال : نعم جاء رجل من بني تميم يقال له ذو الخويصرة فوقف عليه وهو يعطى الناس فقال له : يا محمد قد رأيت ما صنعت في هذا اليوم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أجل فكيف رأيت ؟ » قال : لم أرك عدلت . قال : فغضب النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « ويحك إذا لم يكن العدل عندي فعند من يكون ! »

فقال عمر بن الخطاب : ألا نقتله ؟ فقال : « دَعُوهُ فإنه سيكون له شيعة يتعمقون في الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرمية ، يُنظر في النَّصْل فلا يوجد شيء ثم في القِدَح فلا يوجد شيء ثم في الفُوق فلا يوجد شيء سبق الفرث والدم » .

وقال الليث بن سعد ، عن يحيى بن سعيد ، عن أبي الزبير ، عن جابر بن عبد الله قال : أتى رجل بالجعرانة النبي صلى الله عليه وسلم مُنصرِفَه من حنين وفي ثوب بلال فضة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يَقْبِضُ منها ويعطى الناس ، فقال : يا محمد اعدل ، قال « ويلك ومن يعدل إذا لم أكن أعدل لقد خُبت وخسرت إذا لم أكن أعدل » فقال عمر بن الخطاب : دعني يا رسول الله فأقتل هذا المنافق ؟ فقال : « معاذ الله أن يتحدث الناس أني أقتل أصحابي ، إن هذا وأصحابه يقرأون القرآن لا يتجاوز حناجرهم يَمْرُقون منه كما يَمْرُق السهم من الرمية » .

ورواه مسلم عن محمد بن رُمح ، عن الليث .

وقال أحمد : حدثنا أبو عاصم ، حدثنا قُرَّة ، عن عمرو بن دينار ، عن جابر ، قال : بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم مغنم حنين إذ قام إليه رجل فقال : اعدل . فقال : « لقد شقيت إذا لم أعدل » .

ورواه البخاري عن مسلم بن إبراهيم سن قُرَّة بن خالد السدوسي به .

وفي الصحيحين من حديث الزهري، عن أبي سلمة، عن أبي سعيد قال : بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقسم قسمًا إذ أتاه ذو الخوَيْصرة رجل من بني تميم فقال : يا رسول الله اعدل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ويلك ومن يعدل إن لم أعدل لقد خبت وخسرت ، إذا لم أعدل فمن يعدل ؟ » فقال عمر بن الخطاب : يا رسول الله إيدن لي فيه فأضرب عنقه ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « دعه فإن له أصحابًا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية ، يُنظر إلى نصله فلا يوجد فيه شيء ثم إلى رصافه^(١) فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر إلى نصيبه^(٢) - وهو قذحه - فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر إلى قذذه^(٣) فلا يوجد فيه شيء ، قد سبق القرث والدم^(٤) ، آيتهم رجل أسود إحدى عَصْدِيه مثل ندى المرأة أو مثل البضعة تدرّدر^(٥) ويخرجون على حين فرقة من الناس . »

قال أبو سعيد : فأشهد أني سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأشهد أن على بن أبي طالب قاتلهم وأنا معه ، وأمر بذلك الرجل فالتمس ، فأتى به حتى نظرت إليه على نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي نعت .
ورواه مسلم أيضا من حديث القاسم بن الفضل عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد به نحوه .

ذكر مجيء أخت رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاعة

وهو بالجعرانة واسمها الشِّماء

قال ابن إسحاق : وحدثني بعض بني سعد بن بكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) الرصاف : جمع رصفة ، وهي عقبة تلوى على مدخل النصل في السهم .

(٢) النصي : القذح قبل أن يبحث . (٣) القذذ : ريش السهم .

(٤) المعنى : أنه مرق عاجلا فلم يعلق به دم . (٥) تدردر : تتحرك وتذهب وتجيء .

قال يوم هوازن : « إن قدرتم على نجاد - رجل من بني سعد بن بكر - فلا يُفلتكم »
وكان قد أحدث حدثا .

فلما ظفر به المسلمون ساقوه وأهله وساقوا معه الشَّيْء بنت الحارث بن عبد العزى
أخت رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاعة .

قال : فغنفوا عليها في السُّوق فقالت للمسلمين : تعلمون والله إنى لأخت صاحبكم من
الرضاعة . فلم يصدقوها حتى أتوا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : فحدثني يزيد بن عبيد السعدي - هو أبو وجزة - قال : فلما انتهى
بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت : يا رسول الله إنى أختك من الرضاعة . قال
« وما علامة ذلك ؟ » قالت : عضه عضضتنيها في ظهري وأنا متورّكتك . قال : فعرف
رسول الله صلى الله عليه وسلم العلامة فبسط لها رداءه فأجلسها عليه وخيرها وقال : إن
أحببت فعندي محبة مكرمة ، وإن أحببت أن أمتعك وترجعي إلى قومك فعات .
قالت : بل تمتعني وتردني إلى قومي . فتمتعها رسول الله صلى الله عليه وسلم وردّها إلى قومها ،
فزعمت بنو سعد أنه أعطاها غلاماً يقال له مكحول وجارية فزوجت أحدهما الآخر فلم يزل
فيهم من نسلهما بقية .

وروى البيهقي من حديث الحكم بن عبد الملك ، عن قتادة قال : لما كان يومُ فتح
هوازن جاءت جارية إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله أنا أختك ،
أنا شَيْء بنت الحارث . فقال لها : « إن تكوني صادقة فإن بك منى أثراً لا يبلى » قال :
فكشفت عن عضدها فقالت : نعم يا رسول الله وأنت صغير فعَضَضْتَنِي هذه العضة . قال :
فبسط لها رسول الله صلى الله عليه وسلم رداءه ثم قال : « سَلِي تُعْطَى واشْفَعِي تُشَفَّعِي » .
وقال البيهقي : أنبأنا أبو نصر بن قتادة ، أنبأنا عمرو بن إسماعيل بن عبد السَّلمى ،
حدثنا مسلم ، حدثنا أبو عاصم ، حدثنا جعفر بن يحيى بن ثوبان ، أخبرني عمي عمارة بن

ثوبان ، أن أبا الطفيل أخبره قال : كنت غلاماً أحمل عضو البعير ، ورأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم نعماً بالجعرانة .

قال : فجاءته امرأة فبسط لها رداءه فقلت : من هذه ؟ قالوا : أمه التي أرضعته .

هذا حديث غريب ولعله يريد أخته ، وقد كانت تحضنه مع أمها حليلة السعدية وإن كان محفوظاً فقد عُمرت حليلة دهرأ ، فإن من وقت أن أرضعت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى وقت الجعرانة أزيد من ستين سنة ، وأقل ما كان عمرها حين أرضعته صلى الله عليه وسلم ثلاثين سنة ، ثم الله أعلم بما عاشت بعد ذلك .

وقد ورد حديث مرسل فيه أن أبويه من الرضاعة قدما عليه . والله أعلم بصحته .

قال أبو داود في المراسيل : حدثنا أحمد بن سعيد الهمداني ، حدثنا ابن وهب ، حدثنا عمرو بن الحارث ، أن عمر بن السائب حدثنا أنه بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالساً يوماً فجاءه أبوه من الرضاعة فوضع له بعض ثوبه فقعده عليه ، ثم أقبلت أمه فوضع لها شق ثوبه من جانبه الآخر فجلست عليه ، ثم جاء أخوه من الرضاعة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجلسه بين يديه .

وقد تقدم أن هوازن بكماها متواليمة برضاعته من بنى سعد بن بكر وهم شرذمة من هوازن ، فقال خطيبهم زهير بن صرد : يا رسول الله إنما في الحظائر أمهاتك وخالاتك وحواضتك فامن علينا من الله عليك . وقال فيما قال :

امنن على نسوة قد كنت ترضعها إذ فوك يماؤه من تحضها درر

امنن على نسوة قد كنت ترضعها وإذا يزيرك ماتاتي وما تذر

فكان هذا سبب إعاقهم عن بكرة أبيهم ، فعادت فواضله عليه السلام عليهم

قديماً وحديثاً خصوصاً وعموماً .

وقد ذكر الواقدي عن إبراهيم بن محمد بن شَرْحَبِيل ، عن أبيه قال : كان النَّضِير ابن الحارث بن كَلْدَة مِنْ أَجْمَلِ النَّاسِ فَكَانَ يَقُولُ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي مَنَّ عَلَيْنَا بِالْإِسْلَامِ ، وَمَنَّ عَلَيْنَا بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَمْ نَمُتْ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ الْآبَاءُ وَقُتِلَ عَلَيْهِ الْإِخْوَةُ وَبَنُو الْعَمِّ .

ثم ذكر عداوته للنبي صلى الله عليه وسلم وأنه خرج مع قومه من قريش إلى حنين وهم على دينهم بعد ، قال : ونحن نريد إن كانت دائرة على محمد أن نغير عليه ، فلم يَمَكَّنَا ذَلِكَ ، فَلَمَّا صَارَ بِالْجَعْرَانَةِ فَوَاللَّهِ إِنِّي لَعَلِّي مَا أَنَا عَلَيْهِمْ إِنْ شَعَرْتُ إِلَّا بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : « أَنْضِير ؟ » قُلْتُ : لَبِيكَ ، قَالَ : « هَلْ لَكَ إِلَى خَيْرٍ مِمَّا أَرَدْتَ يَوْمَ حَنِينٍ مِمَّا جَالَ اللَّهُ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ ؟ » قَالَ : فَأَقْبَاتُ إِلَيْهِ سَرِيعًا فَقَالَ : « قَدْ آَنَّ لَكَ أَنْ تُبْصِرَ مَا كُنْتُ فِيهِ تَوْضِعُ » قُلْتُ : قَدْ أَدْرَى أَنْ لَوْ كَانَ مَعَ اللَّهِ غَيْرُهُ لَقَدْ أَغْنَى شَيْئًا ، وَإِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « اللَّهُمَّ زِدْهُ ثَبَاتًا » قَالَ النَّضِيرُ : فَوَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ لَسَاكُنَ قَلْبِي حَجَرًا ثَبَاتًا فِي الدِّينِ ؛ وَتَبْصُرَةً بِالْحَقِّ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا » .

عمرة الجُعْرانة في ذى القعدة

قال الإمام أحمد : حدثنا بهز وعبد الصمد المَعْنَى قالا : حدثنا همام بن يحيى ، حدثنا قتادة ، قال : سألت أنس بن مالك قات : كم حجَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : حجة واحدة ، واعتَمَرَ أربع مرات . عمرته زمنَ الحديبية وعمرته في ذى القعدة من المدينة ، وعمرته من الجُعْرانة في ذى القعدة ، حيث قسم غنيمة حنين ، وعمرته مع حجته . ورواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي من طرق عن همام بن يحيى به . وقال الترمذي : حسن صحيح .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو النضر ، حدثنا داود - يعني العطار - عن عمرو ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : اعتَمَرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعَ عُمَر : عمرة الحديبية ، وعمرة القضاء ، والثالثة من الجُعْرانة ، والرابعة التي مع حجته . ورواه أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث داود بن عبد الرحمن العطار المسكي ، عن عمرو بن دينار به وحسنه والترمذي .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن زكريا بن أبي زائدة ، حدثنا حجاج بن أَرْطَاطَ ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : اعتَمَرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثَ عمر ، كلُّ ذلك في ذى القعدة يلبّي حتى يستلم الحجر .

غريب من هذا الوجه .

وهذه الثلاثُ عُمَرُ اللاتي وقعن في ذى القعدة ماعدا عمرته مع حجته ، فإنها وقعت في ذى الحجة مع الحجة ، وإن أراد ابتداء الإحرام بهن في ذى القعدة فاعله لم يُردَّ عمرة الحديبية لأنه صُدَّ عنها ولم يفعلها . والله أعلم .

قلت : وقد كان نافع ومولاه ابن عمر ينكران أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتمر من الجعرانة بالكلبية وذلك فيما قال البخارى : حدثنا أبو النعمان ، حدثنا حماد بن زيد ، عن أيوب ، عن نافع ، عن ابن عمر ، أن عمر بن الخطاب قال : يا رسول الله إنه كان على اعتكاف يوم في الجاهلية . فأمره أن يفي به .

قال : وأصاب عمر جاريتين من سبي حنين فوضعهما في بعض بيوت مكة ، قال : فنرى رسول الله صلى الله عليه وسلم على سبي حنين فجعلوا يسعون في السكك ، فقال عمر : يا عبد الله أنظر ما هذا ؟ قال : من رسول الله صلى الله عليه وسلم على السبي . قال : اذهب فأرسل الجاريتين .

قال نافع : ولم يعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجعرانة ، ولو اعتمر لم يخف على عبد الله .

وقد رواه مسلم من حديث أيوب السخيتي ، عن نافع عن ابن عمر به .

ورواه مسلم أيضاً عن أحمد بن عبيدة الضبي ، عن حماد بن زيد ، عن أيوب ، عن نافع قال : ذكر عند ابن عمر عمرة رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجعرانة فقال : لم يعتمر منها .

وهذا غريب جدا عن ابن عمر وعن مولاه نافع ، في إنكارها عمرة الجعرانة ، وقد أطبق النقلة ممن عداها على رواية ذلك من أصحاب الصحاح والسنن والمسانيد ، وذكر ذلك أصحاب المغازي والسنن كلهم .

وهذا أيضاً كما ثبت في الصحيحين من حديث عطاء بن أبي رباح ، عن عروة عن عائشة أنها أنكرت على ابن عمر قوله : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتمر في رجب . وقالت : يغفر الله لأبي عبد الرحمن ! ما اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وهو شاهد وما اعتمر في رجب قط .

وقال الإمام أحمد : حدثنا ابن مُنيّر ، حدثنا الأعمش ، عن مجاهد ، قال : سأل عروة ابن الزبير ابن عمر : في أى شهر اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : في رجب . فسمعنا عائشة ، فسألها ابن الزبير وأخبرها بقول ابن عمر فقالت : يرحم الله أبا عبد الرحمن ! ما اعتمر عمرة إلا وقد شهدّها وما اعتمر عمرة قط إلا في ذى القعدة .

وأخرجه البخارى ومسلم من حديث جرير ، عن منصور ، عن مجاهد به نحوه .

ورواه أبو داود والنسائى أيضاً من حديث زهير ، عن أبى إسحاق ، عن مجاهد ، سئل ابن عمر : كم اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : مرتين . فقالت عائشة : لقد علم ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتمر ثلاثاً سوى التى قرّنها بحجة الوداع .

قال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن آدم ، حدثنا مفضل ، عن منصور ، عن مجاهد قال : دخلت مع عروة بن الزبير المسجد فإذا ابن عمر مستند إلى حجرة عائشة وأناس يصلّون الضحى . فقال عروة : أبا عبد الرحمن ما هذه الصلاة ؟ قال : بدعة . فقال له عروة : أبا عبد الرحمن كم اعتمر رسول الله ؟ فقال : أربعاً إحداهن في رجب . قال : وسمعنا استئذان عائشة في الحجرة ، فقال لها عروة : إن أبا عبد الرحمن يزعم أن رسول الله اعتمر أربعاً إحداهن في رجب ؟ فقالت : يرحم الله أبا عبد الرحمن ، ما اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم إلا وهو معه ، وما اعتمر في رجب قط .

وهكذا رواه الترمذى عن أحمد بن منيع ، عن الحسن بن موسى ، عن شيبان ، عن منصور وقال : حسن صحيح غريب .

وقال الإمام أحمد : حدثنا رَوْح ، حدثنا ابن جُرَيْج ، أخبرنى مُزَاهِم بن أبى مزاحم ، عن عبد العزيز بن عبد الله ، عن نُخْرَش الكعبى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج من الجعرانة ليلاً حين أمسى معتمراً فدخل مكة ليلاً يقضى عمرته ، ثم خرج من تحت ليلته فأصبح بالجعرانة كبائت حتى إذا زالت الشمس خرج من الجعرانة في بطن سرف ،

حتى جاء مع الطريق - طريق المديفة - بسرف قال مخرش : فلذلك خفيت عمرته على كثير من الناس .

ورواه الإمام أحمد عن يحيى بن سعيد ، عن ابن جريج كذلك وهو من أفرادهِ .

والمقصود أن عمرة الجعرة ثابتة بالنقل الصحيح الذى لا يمكن منعه ولا دفعه ، ومن نفاها لا حجة معه فى مقابلة من أثبتها . والله أعلم .

ثم هم كالجُمُعِين على أنها كانت فى ذى القعدة بعد غزوة الطائف وقسم غنائم حنين .

وما رواه الحافظ أبو القاسم الطَّبْرَانِى فى معجمه الكبير قائلا : حدثنا الحسن بن إسحاق الذَّهَبِيُّ ، حدثنا عثمان بن أبى شَيْبَةَ ، حدثنا محمد بن الحسن الأمدى ، حدثنا إبراهيم ابن طَهْمَانَ ، عن أبى الزبير ، عن عمير مولى عبد الله بن عباس ، عن ابن عباس قال : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الطائف نزل الجعرة فقسم بها الغنائم ثم اعتمر منها ، وذلك لليلتين بقيتا من شوال .

فإنه غريب جداً وفى إسناده نظر . والله أعلم .

وقال البخارى : حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا إسماعيل ، حدثنا ابن جريج ، أخبرنى عطاء ، أن صفوان بن يعلى بن أمية أخبره أن يعلى كان يقول : ليتنى أرى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ينزل عليه . قال : فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجعرانة وعليه ثوب قد أظلم به معه فيه ناس من أصحابه إذ جاءه أعرابى عليه جبة متضمخ بطيب . قال : فأشار عمر بن الخطاب إلى يعلى بيده : أن تعال . فجاء يعلى فأدخل رأسه فإذا النبى صلى الله عليه وسلم محمراً الوجه يغط كذا لك ساعة ثم سرى عنه فقال : « أين الذى يسألنى عن العمرة آنفا ؟ » فالتمس الرجل فأتى به ، قال : « أما الطيب الذى بك فاغسله ثلاث مرات ،

وأما الجبة فانزعها ثم اصنع في عمرتك كما تصنع في حجبك » .

ورواه مسلم من حديث ابن جريج . وأخرجاه من وجه آخر عن عطاء كلاهما عن صفوان بن يعلى بن أمية به .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو أسامة ، أنبأنا هشام ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح من كداء من أعلى مكة ، ودخل في العمرة من كدّى .

وقال أبو داود : حدثنا موسى أبو سامة ، حدثنا حماد ، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه اعتَمَرُوا من الجعرانة فرملوا بالبيت ثلاثاً ومشوا أربعاً وجعلوا أردبتهم تحت آباطهم ثم قذفوها على عواتقهم اليسرى .

تفرد به أبو داود . ورواه أيضاً ابن ماجه من حديث ابن خثيم ، عن أبي الطفيل ، عن ابن عباس مختصراً .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن سعيد ، عن ابن جريج ، حدثني الحسن بن مسلم ، عن طاوس ، أن ابن عباس أخبره أن معاوية أخبره قال : قَصَّرتُ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بِمَشَقَصَ . أو قال : رأيتُه يَقْصُرُ عَنْهُ بِمَشَقَصَ عند المروة .

وقد أخرجاه في الصحيحين من حديث ابن جريج به . ورواه مسلم أيضاً من حديث سفيان بن عيينة ، عن هشام بن حجير ، عن طاوس ، عن ابن عباس ، عن معاوية به .

ورواه أبو داود والنسائي أيضاً من حديث عبد الرزاق ، عن مَعْمَرٍ ، عن ابن طاوس عن أبيه به .

وقال عبد الله بن الإمام أحمد : حدثني عمرو بن محمد الناقد ، حدثنا أبو أحمد الزبيري ،

حدثنا سفيان ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، عن معاوية قال : قصرت
عن رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم عند المروة .

والمقصود أن هذا إنما يتوجه أن يكون في عمرة الجعرانة .
وذلك أن عمرة الحديبية لم يدخل إلى مكة فيها بل صُدَّ عنها كما تقدم بيانه ، وأما
عمرة القضاء فلم يكن أبو سفيان أسلم ولم يبق بمكة من أهلها أحد حين دخل رسول الله
صلى الله عليه وسلم بل خرجوا منها ، وتغيّبوا عنها مدة مقامه عليه السلام بها تلك الثلاثة
الأيام ، وعمرته التي كانت مع حجته لم يتحلل منها بالاتفاق ، فتعيّن أن هذا التقصير الذي
تعاطاه معاوية بن أبي سفيان رضى الله عنهما من رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم
عند المروة إنما كان في عمرة الجعرانة كما قلنا . والله تعالى أعلم .
وقال محمد بن إسحاق رحمه الله : ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجعرانة
معتمراً وأمر ببقاء النخس بحجّة بفاعية مرّ الظهران .
قلت : الظاهر أنه عليه السلام إنما استبقى بعض المغنم ليتألف به من يلقاه من الأعراب
فيما بين مكة والمدينة .

قال ابن إسحاق : فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من عمرته انصرف راجعاً
إلى المدينة واستخلف عتّاب بن أسيد على مكة ، وخلف معه معاذ بن جبل يفقه الناس
في الدين ويعلمهم القرآن .

وذكر عروة وموسى بن عقبة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خلف معاذاً مع عتّاب
بمكة قبل خروجه إلى هوازن ، ثم خلفهما بها حين رجع إلى المدينة .

وقال ابن هشام : وبلغني عن زيد بن أسلم أنه قال : لما استعمل رسول الله صلى الله
عليه وسلم عتّاب بن أسيد على مكة رزقه كل يوم درهماً ، فقام نخطب الناس فقال : أيها

الناس ، أجاع الله كبدَ من جاع على درهم ! فقد رزقني رسول الله صلى الله عليه وسلم درهماً كلَّ يوم ، فليست لي حاجة إلى أحد .

قال ابن إسحاق : وكانت عمرة رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذي القعدة ، وقدم المدينة في بقية ذي القعدة أو في أول ذي الحجة . قال ابن هشام : قدِمها لستَ بقين من ذي القعدة فيما قال أبو عمرو المدِني .

قال ابن إسحاق : وحينئذ الناسُ ذلك العام على ما كانت العرب تحج عليه ، وحج بالمسلمين تلك السنة عتَّابُ بن أسيد وهي سنة ثمان .

قال : وأقام أهلُ الطائف على شِرْكهم وامتناعهم في طائفهم ما بين ذي القعدة إلى رمضان من سنة تسع .

إسلام كعب بن زُهَيْر بن أَبِي سُلمى

وأبوه هو صاحب إحدى المعلقات السبع ، الشاعر ابن الشاعر ، وذِكْرُ قصيدته
التي سمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي بآنت سعاد

قال ابن إسحاق : ولما قَدِمَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من مُنَصَّرِفِهِ عن الطائف
كتب مجير بن زُهَيْر بن أَبِي سُلمى إلى أخيه لأبويه كعب بن زهير يخبره أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قَتَلَ رجلاً بمكة ممن كان يهجوهُ ويؤذيه ، وأنَّ من بقى من شعراء
قريش : ابنُ الزُّبَيْرِى وهُبَيْرَةُ بن أبي وهب هربوا ^(١) في كل وجهه ، فإن كانت لك في
نفسك حاجة فِطِرْ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه لا يقتل أحداً جاءه تائباً ، وإن
أنت لم تفعل فانجُ إلى نجائك من الأرض . وكان كعب قد قال :

أَلَا بَلِّغَا عَنى مُجِيراً رسالةً فَوَيْحَكَ ^(٢) فَيَا قَلْتَ وَيْحَكَ هَلْ لَكَ
فَبَيِّنْ لَنَا إِن كُنْتَ لَسْتَ بِفَاعِلٍ عَلَى أَىِّ شَيْءٍ غَيْرِ ذَلِكَ دَلَّكَ
عَلَى خُلُقٍ لَمْ أَفْ يَوْمَا أَبَا لَهُ عَلَيْهِ وَمَا تُذْنِى عَلَيْهِ أَبَا لَكَ
فَإِن أَنْتَ لَمْ تَفْعَلْ فَلَسْتُ بِأَسَفٍ وَلَا قَاتِلٍ إِنَّمَا عَثَرْتَ لَعَالِكَ ^(٣)
سَقَاكَ بِهَا الْمَأْمُونُ كَأَسَا رَوِيَّةً فَأَنْهَلَكَ الْمَأْمُونُ مِنْهَا وَعَلَّكَ ^(٤)

قال ابن هشام : وأنشدنى بعض أهل العلم بالشعر :

مَنْ مَبْلُغٌ عَنى مُجِيراً رسالةً فَهَلْ لَكَ فَيَا قَلْتَ بِاتْخِيفٍ هَلْ لَكَ
شَرِبْتَ مَعَ الْمَأْمُونِ كَأَسَا رَوِيَّةً فَأَنْهَلَكَ الْمَأْمُونُ مِنْهَا وَعَلَّكَ

(١) ابن هشام : قد هربوا .

(٢) كلمة يقال للعائر ، دعاء له بالإقالة من عثرته .

(٣) أنهلك : سقاك أولاً . وعلك سقاك ثانياً . والمأمون : يريد به النبي صلى الله عليه وسلم .

وخالفت أسباب الهدى واتبعته على أى شىء وبغيرك^(١) ذلكا
على خلق لم تُلَفِ أمّا ولا أبّا عليه ولم تُدرِك عليه أخا لكا
فإن أنت لم تفعل فلست بأسف ولا قاتل إمّا عثرت لعا لكا

قال ابن إسحاق : وبعث بها إلى بُحَيْر ، فلما أتت بُحَيْرا كره أن يكتبها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنشده إياها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سمع : « سقاك بها المأمون » : « صدق وإنه لَكَذُوب » ، أنا المأمون « ولما سمع : « على خُلق لم تُأنف أمّا ولا أبّا عليه » قال : « أجل لم يُأنف عليه أباه ولا أمّه » .

قال : ثم كتب بحير إلى كعب يقول له :

مَنْ مُبَايَعٌ كَعْبًا فَمِلْ لَكَ فِي الَّتِي تَلُومُ عَلَيْهَا بِاطْلًا وَهِيَ أُخْزِمُ
إِلَى اللَّهِ لَا الْعَرْمَى وَلَا اللَّاتِ وَحْدَهُ فَتَنَجُّوْا إِذَا كَانَ النِّجَاءُ وَتَسَلَّمُ
لَدَى يَوْمٍ لَا يَنْجُوْا وَلَيْسَ بِغُفْلَةٍ مِنْ النَّاسِ إِلَّا طَاهِرُ الْقَابِ مُسْلِمُ
فَدَيْنُ زُهَيْرٍ وَهُوَ لَا شَيْءَ دَيْنُهُ وَدَيْنُ أَبِي سُلَيْمَى عَلَى مُحَرَّمُ

قال : فلما بلغ كعباً الكتاب ضاقت به الأرض وأشفق على نفسه وأزجف به مَنْ كان في حاضره من عدوّه ، وقالوا : هو مقتول . فلما لم يجد من شىء بدأ قال قصيدته التي يمدح فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذَكَرَ فيها خوفه وإرجاف الوشاة به من عدوّه ، ثم خرج حتى قَدِمَ المدينة ، فنزل على رجل كانت بينه وبينه معرفة من جَهَنمة كما ذَكَرَ لى ، ففداه به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في صلاة الصبح ، فصلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أشار له إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : هذا رسول الله فقم إليه فاستأمنه .

فذكر لى أنه قام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس إليه ووضع يده في يده ،

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعرفه ، فقال : يا رسول الله إن كعب بن زهير قد جاء ليستأمن منك تائباً مسلماً ، فهل أنت قابلٌ منه إن جئتك به ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نعم » فقال : إذا أنا ^(١) يا رسول الله كعب بن زهير .

قال ابن إسحاق : فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة أنه وثب عليه رجل من الأنصار فقال : يا رسول الله دغى وعدوا الله أضرب عنقه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « دغى عنك ، فإنه جاء تائباً نازعاً » .

قال : فغضب كعب بن زهير على هذا الحى من الأنصار لما صنع به صاحبهم ، وذلك أنه لم يتكلم فيه رجل من المهاجرين إلا بخير . فقال فى قصيدته التى قال حين قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم :

بانت سعادُ فقلبي اليومَ مقبولُ	مُتَّيِّمٌ عندها لم يُفدَ مكبولُ ^(٢)
وما سعادُ غداةَ البينِ إذ رحلوا	إلا أغنَّ غَضِيضُ الطَّرَفِ مكحولُ ^(٣)
[هيفاه مُقبلةٌ عجزاه مُدبرةٌ]	لا يشتكى قصرَ منها ولا طولُ ^(٤)
تجئوا عوارضَ ذى ظلمٍ إذا ابتسمت	كأنه مُنهَلٌّ بالراح معلولُ ^(٥)
شجَّتْ بذى شَمٍّ من ماءٍ مخنجةٍ	صافٍ بأبطحٍ أضحى وهو مشمولُ ^(٥)
تنفَى الرياحُ القذى عنه وأفرطه	من صوبٍ غاديةٍ بيضُ يعاليلُ ^(٦)
فيلها خلةٌ لو أنها صدقت	بوعدها أو لو أن النصحَ مقبولُ

(١) ابن هشام : فقال أنا .

(٢) بانت : بعدت . والمتبول : السقيم من الحب . والمكبول : الفيد .

(٣) الأغن : الطي . (٤) عن ابن هشام . (٥) تجلوا : تكشف ، والظلم : بريق الأسنان وبياضها .

(٥) شجَّتْ : مزجت . والشَّم الشديد البرد . والمخنية : منعطف الوادى . والمشمول : الذى ضربته ريح شمال حتى برد .

(٦) أفرطه : سبق إليه . والصوب : المعار . والغادية : السحابة تغار غدوة . واليعاليل : السحب البيض

لكنها خلة قد سيطر من دميها
فما تدوم على حال تكون بها
وما تمسك بالعهد الذي زعمت
فلا يفرنك ما ممت وما وعدت
كانت مواعيد عروق لها مثلاً
أرجو وآمل أن تدنو مودتها
أمت سعاد بأرض لا تبلغها
ولن يبلغها إلا عذافرة
من كل نضاجة الذفرى إذا عرفت
ترى الغيوب بعيني مفرد لهما
ضخم مقلدها فعم مقلدها
حرف أخوها أبوها من مهجفة
يمشي القراد عليها ثم يزلقه

فَجَعَّ وَلَعَّ وإخلاف وتبديل^(١)
كما تلون في أثوابها القول
إلا كما يمسك الماء الغرايل
إن الأمانى والأحلام تضليل
وما مواعيد لها إلا الأباطيل
ومالهن إخال الدهر تعجيل^(٢)
إلا العتاق النجيمات المراسيل
فيها على الأبن إرقال وتبغيل^(٣)
عرضتها طامس الأعلام مجهول^(٤)
إذا توقدت الحزان والميل^(٥)
في خلقها عن بنات الفحل تفضيل^(٦)
وعمها خالها قوداء شمليل^(٧)
منها لبان وأقارب زهاليل^(٨)

(١) الخلة : الصجة . وسيط : خلط .

(٢) ابن هشام : وما لإخال لدينا منك تنويل .

(٣) العذافرة : العظيم الشديد من الإبل . والأين : التعب . والإرقال : الإسراع . والتبغيل : ضرب من

سير الإبل .

(٤) النضاجة : النزيرة . والذفرى : العظم الشاخص خلف الأذن . وعرضتها : وجهتها . وطامس
الأعلام : المتغير الذى لا يمتدى فيه .

(٥) الالهق : الثور الأبيض والحزان : جم حزيز وهو المسكان الغليظ المنقاد . والميل : ما اتسع من الأرض

(٦) المقلد : موضع الغلادة من العنق . والفعم : المتلى .

(٧) الحرف : الناقة الضامرة أو العظيمة . والقوداء : الشديدة العنق . والشمليل : السريعة .

(٨) القراد : دويبة . واللبان : الصدر . والأقارب : جم قرب وهو الحاصرة . والزهاليل :

جم زهلول وهو الأملس

عَيْرَانَةَ قَذِفَتْ بِالنَّخْضِ عَنْ عُرْضٍ مِرْفَقَهَا عَنْ بَنَاتِ الزَّوْرِ مَقْتُولٌ^(١)
 قَنَوَاهُ فِي حُرَّتَيْهَا لِلْبَصِيرِ بِهَا عَمِيقٌ مُبِينٌ فِي الْخُلْدَيْنِ تَسْهِيلٌ^(٢)
 كَأَنَّمَا فَاتَ عَيْنَهَا وَمَذْبَحَهَا مِنْ خَطْمِهَا وَمِنْ اللَّحْيَيْنِ بِرُطِيلٌ^(٣)
 ثَمَرٌ مِثْلَ عَسِيبِ النَّخْلِ ذَا خُصَلٍ فِي غَارِزٍ لَمْ تَخَوَّنَهُ الْأَحَالِيلُ^(٤)
 تَهْوِي عَلَى يَسَرَاتٍ وَهِيَ لَاهِيَةٌ ذَوَابِلُ مَسْهَنٍ الْأَرْضَ تَحْلِيلٌ^(٥)
 يَوْمًا يَظْلُ بِهَ الْحَرْبَاءُ مُصْطَخِدًا كَأَن ضَاحِيَهُ بِالشَّمْسِ تَحْلُولٌ^(٦)
 وَقَالَ لِلْقَوْمِ حَادِيَهُمْ وَقَدْ جَعَلَتْ وَرَقَ الْجَنَادِبِ يُرْكِضُنَ الْحَصَا قِيلُوا^(٧)
 أَوْبٌ بِدَى فَاقدٍ شَمَطَاءٍ مُعْوَلَةٍ قَامَتْ لِحَاوِبِهَا نُسْكَدٌ مِثَاكِيلٌ^(٨)
 نَوَاحَةٌ رَخْوَةٌ الضَّبْعَيْنِ لَيْسَ لَهَا لَمَّا نَعَى بِكُرْهَا النَّاعُونَ مَقْتُولٌ^(٩)
 تَفْرَى اللَّبَانَ بِكَفَّيْهَا وَمِذْرَعُهَا مُشَقَّقٌ عَنْ تَرَاقِيهَا رَعَائِيلٌ^(١٠)
 تَسْمَى الْغَوَاةُ جَنَابَيْهَا وَقَوْلَاهُم إِنَّكَ يَا بَنِي أَبِي سُلَيْمَى لَمَقْتُولٌ^(١١)
 وَقَالَ كُلُّ صَدِيقٍ كَفَتْ أَمَلُهُ لَا إِلَهَ مَعَكَ إِنِّي عَنْكَ مَشْغُولٌ

- (١) العيرانة من الإبل ، الناجية في نشاط . والنخض : اللحم المكتنز . والعرض : الجانب .
 (٢) القنواء : المرتفعة الأنف ، وهو عيب في الفرس .
 (٣) البرطيل : حجر أو حديد طويل صلب خالقة ، ينقر به الرحي . وهو المعول أيضا
 (٤) عسيب النخل : جريدة من النخل مستقيمة دقيقة يكشط خوصها . والغارز : الضرع . وتخونه : تنقصه . والأحاليل : جمع لأحليل وهو مخرج اللبن .
 (٥) ابن هشام : تحدى . اليسرات : الخفاف السهلة . والتجليل : الجرى . حل : عدا .
 (٦) الحرباء : دويبة تستقبل الشمس برأسها . والمصطخدا : المحترق من حرارة الشمس . والضاحي : ما يبرز منه للشمس . والحلول : المذاب .
 (٧) الجنادب : الجراد . والورق : التي يضرب لونها إلى السواد .
 (٨) الأوب : رجع القوائم في السير . والشمطاء : التي خاطها الشيب . والمعولة : الصائحة بالبعاء . والنسكد : جمع نسكداء وهي التي لا يبق لها ولد . والمثاكيل : جمع مثكلة وهي التي لزمها الثكل .
 (٩) الرخوة : المسترخية والضبع : العضد .
 (١٠) اللبان : الصدر . والمدرع : القميص . والرعايل : المعزى ..
 (١١) جنابيهما : حولها

فقلت خَلُّوا سَبِيلِي لَا أَبَا لَكُمْ
كلُّ ابنِ أنثى وإن طالتِ سلامتهُ
نُبِّئتُ أن رسولَ الله أُوعدَنِي
مهلاً هداك الذى أعطاك نافلةً إِيَّايَ
لَا تَأْخُذْنِي بِأَقْوَالِ الوَشَاةِ ولم
لقد أقومُ مقاماً لو يقوم به
أظَلُّ يُرْعَدُ إِلَّا أن يكون له
حتى وضعتُ يميني ما أَنازعها
فلَهُوَ أَخُوفٌ عِنْدِي إِذ أَكَلَهُ
من ضَيْغَمٍ بَضْرَاءِ الأَرْضِ مُحْدَرِهِ
يَغْدُو فَيُجِئُهُمْ ضِرْغَامِينَ عِيشَهُمَا
إِذَا يُسَاوِرُ قَرْنًا لَا يَحِلُّ لَهُ
منهُ تَظَلُّ حَمِيرِ الوَحْشِ نَافِرَةً
ولا يَزَالُ بِوَادِيهِ أَخُو ثِقَةٍ
إِن الرِّسُولَ لَنُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ
فِي عُصْبَةٍ من قَرِيشٍ قَالَتْ لَهُمْ
زَالُوا فَازَالُوا أَنْكَاسٌ وَلَا كُشْفٌ

فكل ما قَدَّرَ الرَّحْمَنُ مَفْعُولٌ
يوماً على آتَةٍ حَدْبَاءُ سَحْمُولٍ
وَالْعَفْوُ عِنْدَ رَسولِ اللهِ مَأْمُولٌ
قُرْآنٌ فِيهِ مَوَاعِظٌ وَتَفْصِيلٌ
أُذِنَ لِي وَلَوْ كَثُرَتْ فِي الْأَقَاوِيلِ
أَرَى وَأَسْمَعُ مَا لَوْ يَسْمَعُ الْقَيْلُ
من الرِّسُولِ بِإِذْنِ اللهِ تَنْوِيلٌ^(١)
فِي كَفٍّ ذِي نَقَمَاتٍ قَوْلُهُ الْقَيْلُ
وَقِيلَ إِنَّكَ مَنْسُوبٌ وَمَسْئُولٌ
فِي بَطْنِ عَثْرَ غَيْلٍ دُونَهُ غَيْلٌ^(٢)
لَحْمٌ من النَّاسِ مَغْفُورٌ خَرَادِيلٌ^(٣)
أَنْ يَبْرُكَ الْقَرْنُ إِلَّا وَهُوَ مَغْلُولٌ
وَلَا تَمْشِي بِوَادِيهِ الْأَرَاجِيلُ^(٤)
مُضْرَجُ الْبَرْزِ وَالْدُرَّسَانُ مَا كُولٌ^(٥)
مُهَيَّذٌ من سِيوفِ اللهِ مَسْلُولٌ
يَبْطُنُ مَكَّةَ لَمَّا أَسْلَمُوا زُولُوا
عِنْدَ اللِّقَاءِ وَلَا مِيلٌ مَعَاذِيلٌ^(٦)

(١) الأصل : اظلل يرعد من وجد موارده من الرسول : وما أنبته عن ابن هشام

(٢) الضراء : الأرض المستوية .

(٣) المغفور : الملقى في التراب . والخراديل : القطع الصغار .

(٤) الأراجيل : جماعات الرجال .

(٥) البر : السلاح . والدُرَّسَان : الثياب الخلقة .

(٦) الأنكاس : جمع نكس وهو الجبان . والمعازيل : الذين لا سلاح معهم .

يَمْشُونَ مَشَى الْجَلالِ الزُّهْرُ يَفْصِمُهُمْ ضَرْبٌ إِذَا عَرَّدَ السُّودُ التَّنَائِيلُ^(١)
 شَمُّ الْعَرَانِينَ أَبْطالٌ لَبُوسُهُمْ مِنْ نَسِجِ دَاوُدَ فِي الْمِيجَا سَرَائِيلُ
 بَيْضٌ سَوَابِغٌ قَدْ شُكَّتْ لَهَا خَلْقٌ كَانَتْهَا حَلَقُ الْقَفْعَاءِ مَجْدُولُ^(٢)
 لَيْسُوا مَفَارِيحَ إِنْ نَالَتْ رِمَاحُهُمْ قَوْمًا وَلَيْسُوا مَجَازِيعًا إِذَا نَبَّاهُوا
 لَا يَقَعُ الطَّعْنُ إِلَّا فِي نُحُورِهِمْ وَلَا لَهُمْ عَنْ حِيَاضِ الْمَوْتِ تَهْلِيلُ
 قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : هَكَذَا أوردَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ وَلَمْ يَذْكُرْ لَهَا إِسْنَادًا .

وَقَدَرُوا هَا الْخَافِظَ الْبَيْهَقِيَّ فِي دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ بِإِسْنَادٍ مُتَّصِلٍ ، فَقَالَ : أَنبَأَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْخَافِظُ ،
 أَنبَأَنَا أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ أَحْمَدَ الْأَسَدِيَّ بِهَمْذَانَ ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ
 الْحُسَيْنِ ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُنْذِرِ الْحَرَّامِيُّ ، حَدَّثَنَا الْحُجَّاجُ بْنُ ذِي الرَّقِيقَةِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ
 ابْنِ كَعْبٍ بْنُ زُهَيْرٍ بْنُ أَبِي سَلَمَى ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ جَدِّهِ قَالَ : خَرَجَ كَعْبٌ وَبُحَيْرَ ابْنَا زُهَيْرٍ
 حَتَّى أَتَيَا أَبْرَقَ الْعَرَافِ ، فَقَالَ بُحَيْرُ لَكَعْبٍ : اثْبَتْ فِي هَذَا الْمَسْكَانِ حَتَّى آتِيَ هَذَا
 الرَّجُلِ - يَعْنِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَاسْمَعْ مَا يَقُولُ : فَثَبَّتَ كَعْبٌ ، وَخَرَجَ بِحَيْرٍ
 فَجَاءَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعَرَضَ عَلَيْهِ الْإِسْلَامَ فَأَسْلَمَ . فَبَلَغَ ذَلِكَ كَعْبًا فَقَالَ :

أَلَا أَبْلَغَا عَنِّي بُحَيْرًا رِسَالَةً عَلَى أَى شَيْءٍ وَنَبَّ غَيْرَكَ ذَلِكَ
 عَلَى خَلْقٍ لَمْ تَلَفْ أُمًّا وَلَا أَبًا عَلَيْهِ وَلَمْ تُدْرِكْ عَلَيْهِ أَخًا لَكَ
 سَقَاكَ أَبُو بَكْرٍ بِكَأْسٍ رَوِيَةٍ وَأَنْهَلَكَ الْمَأْمُونُ مِنْهَا وَعَلَّكَ
 فَلَمَّا بَلَغَتْ الْأَبْيَاتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَهْدَرَ دَمَهُ وَقَالَ : « مِنْ لَقِي
 كَعْبًا فَايَقْتُلْهُ » .

فَكُتِبَ بِذَلِكَ بُحَيْرٌ إِلَى أَخِيهِ ، وَذَكَرَ لَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَهْدَرَ دَمَهُ
 وَيَقُولُ لَهُ : الْفَجَاءُ وَمَا أَرَاكَ تَنْفَلْتُ . ثُمَّ كُتِبَ إِلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ : أَعْلَمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

(١) عَرَدَ : هَرَبَ . وَالتَّنَائِيلُ : الْفَصَارُ .

(٢) الْقَفْعَاءُ : ضَرْبٌ مِنَ الْحَسَكِ تَشَبَّهُ بِهِ حَلَقُ الدَّرِّ

عليه وسلم لا يأتيه أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله إلا قبل ذلك منه وأسقط ما كان قبل ذلك ، فإذا جاءك كتابي هذا فأسلم وأقبل .

قار : فأسلم كعب وقال قصيدته التي يمدح فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أقبل حتى أناخ راحلته بباب مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم دخل المسجد ورسول الله مع أصحابه كالمائدة بين القوم متعلقون معه حلقة خلف حلقة ، يلتفت إلى هؤلاء مرة فيحدثهم وإلى هؤلاء مرة فيحدثهم .

قال كعب : فأنخت راحلتي بباب المسجد فعرفت رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصفة حتى جلست إليه فأسلمت وقلت : أشهد أن لا إله إلا الله وأنت محمد رسول الله الأمان يا رسول الله . قال : « ومن أنت ؟ » قال : كعب بن زهير . قال : « الذي يقول » ثم التفت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « كيف قال يا أبا بكر ؟ » فأنشده أبو بكر :

سَقَاكَ بِهَا الْمَأْمُونُ كَأْسًا رَوِيَةً وَأَنْهَلَكَ الْمَأْمُونُ مِنْهَا وَعَدَّكَ

قال : يا رسول الله ما قلت هكذا قال : « فكيف قلت ؟ » قال قلت :

سَقَاكَ بِهَا الْمَأْمُونُ كَأْسًا رَوِيَةً وَأَنْهَلَكَ الْمَأْمُونُ مِنْهَا وَعَدَّكَ

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مأمون والله . ثم أنشده القصيدة كلها حتى أتى

على آخرها وهي هذه القصيدة :

بانت سعادُ فقلبي اليوم مَتَّبُولُ مُتَيِّمٌ عِنْدَهَا لَمْ يُفَدَ مَكْبُولُ

وقد تقدم ما ذكرناه من الرمز لما اختلف فيه إنشاد ابن إسحاق والبيهقي رحمهما الله

عز وجل وذكر أبو عمر بن عبد البر في كتاب الاستيعاب أن كعباً لما انتهى إلى قوله :

إِنَّ الرُّسُولَ لَنُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ مَهْدٌ مِنْ سَيُوفِ اللَّهِ مَسْلُوبُ

نَبَّئْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ أَوْعَدَنِي وَالْعَفْوُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ مَأْمُولُ

قال : فأشار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى من معه أن اسمعوا . وقد ذكر ذلك قبله موسى بن عقبة في مغازيه . والله الحمد والمنة .

قلت : ورد في بعض الروايات أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطاه بُرْدته حين أنشده القصيدة ، وقد نظم ذلك الصَّرْصَرى في بعض مدائحه ، وهكذا ذكر ذلك الحافظ أبو الحسن بن الأثير في الغابة ، قال : وهى البردة التى عند الخلفاء .

قلت : وهذا من الأمور المشهورة جداً ، ولكن لم أر ذلك فى شيء من هذه الكتب المشهورة بإسناد أرتضيه . قاله أعلم .

وقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له ، لما قال بانت سعاد : ومن سعاد ؟ قال : زَوْجَتِي يَا رَسُولَ اللَّهِ . قال : لم تَبِيْنُ .

ولكن لم يصح ذلك . وكأنه على ذلك توهم أن بإسلامه تَبِيْنُ امرأته ، والظاهر أنه إنما أراد البَيِّنونة الحسبية لا الحكمية . والله تعالى أعلم .

قال ابن إسحاق : وقال عاصم بن عمر بن قتادة : فلما قال كعب - يعنى فى قصيدته - « إذا عرَّد السودُ التَّنَائِيلَ » وإنما يريدنا معشر الأنصار لما كان صاحبنا صَنَعَ به ، وخص المهاجرين من قريش بمدحته ، غضبت عليه الأنصار فقال بعد أن أسلم يمدح الأنصار ويذكر بلاءهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وموضعهم من اليمن :

من سرَّه كرمُ الحياة فلا يزلْ فى مِقْنَبٍ من صالحى الأنصارِ^(١)
ورثوا المكارمَ كابرًا عن كابرٍ إنَّ الخيَّارَ همُ بنو الأخيارِ
المكرهين السَّمْهَرىَّ بأذرع كسَّوالفِ الهنْدَى غيرِ قصَّارِ

والناظرين بأعينٍ مُحمَّرةٍ كالجزر غير كليله الإِصارِ
 والبايعين نفوسهم لنبيهم لِلدوت يومَ تَمَانِي وكرارِ
 يتطهَّرون يرونه نُسْكا لهم بدماء من عَلِقُوا من الكفارِ
 دَرَبُوا كما دَرَبَتْ بطونُ خَفِيَةٍ غُلِبَ الرقاب من الأسود ضَوَارِي
 وإذا حَلَّتْ لِيَنعَمُوكَ إِلَيْهِمْ أَصْبَحَتْ عِنْدَ مَعَاقلِ الْأَعْفَارِ^(١)
 ضَرَبُوا عَلِيًّا يومَ بدرٍ ضَرْبَةً دانت لَوَقْعَتِهَا جميعُ نَزَارِ
 لو يَعْلَمُ الْأَقْوَامُ عِلْمِي كُلَّهُ فِيهِمْ لَصَدَّقَنِي الَّذِينَ أُمَارِي
 قومٌ إذا خَوَتْ النجومُ فإِيهُم لِلطَّارِقِينَ النَّازِلِينَ مَقَارِي

قال ابن هشام : ويقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له حين أنشده بانت سعاد :
 « لولا ذكرت الأنصار بخير فإنهم لذلك أهل ؟ » فقال كعب هذه الأبيات وهي في
 قصيدة له .

قال : وبلغني عن علي بن زيد بن جدعان أن كعب بن زهير أنشد رسول الله صلى
 عليه وسلم في المسجد : بانت سعاد فقلبي اليوم متبول .

وقد رواه الحافظ البيهقي بإسناده المتقدم إلى إبراهيم بن المنذر الحزامي ، حدثني معن بن
 عيسى ، حدثني محمد بن عبد الرحمن الأفطس ، عن ابن جدعان . فذكره وهو مرسل .

وقال الشيخ أبو عمر بن عبد البر رحمه الله في كتاب « الاستيعاب في معرفة
 الأصحاب » بعد ما أورد طرفاً من ترجمة كعب بن زهير إلى أن قال : وقد كل كعب بن
 زهير شاعراً مجوداً كثير الشعر مقدماً في طبقة هو وأخوه بُجَيْر ، وكعبٌ أشعرهما ،
 وأبوهما زهير فوقهما ، ومما يستجاد من شعر كعب بن زهير قوله :

لو كنت أعجبُ من شيءٍ لأعجبني سَعَى النقي وهو تحبُّوه له القَدَرُ

يسعى الفتى لأُمُورٍ ليس يُذَرِّكها فالنفسُ واحدةٌ والهمُّ مُنْتَشِرُ
والمرءُ ماعاشٍ ممدودٌ له أملٌ لا تنتهى العينُ حتى ينتهى الأثرُ
ثم أورد له ابن عبد البر أشعاراً كثيرة يطول ذكرها ، ولم يؤرخ وفاته ، وكذا لم
يؤرخها أبو الحسن بن الأثير فى كتاب الغاية فى معرفة الصحابة ، ولكن حكى أن أباه
توفى قبل المنبعث بسنة . فالله أعلم .

وقال السهيلي : ومما أجاد فيه كعب بن زهير قوله يمدح رسول الله صلى الله
عليه وسلم :

تَجْرَى به الناقةُ الأدماءَ معتجراً بالبُردِ كالبدرِ جَلَى ليلةَ الظُّلَمِ-
ففى عِطَافِيهِ أو أثناءَ بُرْدَتِهِ ما يَعْلَمُ الله من دِينٍ ومن كَرَمِ-

فصل

فما كان من الحوادث المشهورة في سنة ثمان والوفيات

فكان في جمادى منها وقعة مؤتة ، وفي رمضان غزوة فتح مكة ، وبعدها في شوال غزوة هوازن بخنين ، وبعده كان حصار الطائف ، ثم كانت عمرة الجعرانة في ذى القعدة ، ثم عاد إلى المدينة في بقية السنة .

قال الواقدي : رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة لليال بقين من ذى الحجة في سَفَرته هذه .

قال الواقدي : وفي هذه السنة بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص إلى جَيْفَر وعمر بن ابني الجُلَنْدَى من الأَزْدِ ، وأخذت الجزية من مجوس بلدهما ومن حولها من الأعراب .

قال : وفيها تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة بنت الضحاك بن سفيان السكلابي في ذى القعدة ، فاستعازت منه عليه السلام ففارقها ، وقيل بل خيَّرها فاخترت الدنيا ففارقها .

قال : وفي ذى الحجة منها ولد إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم من مارية القبطية ، فاشتدت غيرة أمهات المؤمنين منها حين رزقت ولداً ذكراً ، وكانت قابِلَتُها فيه سلمي مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرجت إلى أبي رافع فأخبرته فذهب فبشَّر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاه مملوكا ، ودفعه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أم بَرَّة بنت المنذر بن أسيد بن خِدَاش بن عامر بن غَنَم بن عدي بن النجار وزوجها البراء بن أوس بن خالد بن الجعد بن عوف بن مَبْدُول .

وكانت فيها وفاة من ذكرنا من الشهداء في هذه الوقائع .
وقد قدمنا هدم خالد بن الوليد البيت الذي كانت العزى تعبد فيه بنخلة بين مكة والطائف ، وذلك لحس بقين من رمضان منها .

قال الواقدي : وفيها كان هدم سواع الذي كانت تعبد هذيل برهاط ، هدمه عمرو بن العاص رضى الله عنه ولم يجد في خزانته شيئا ، وفيها هدم مناة بالمشلل ، وكانت الأنصار أوسها وخزرجها يعظمونه ، هدمه سعد بن زيد الأشهلي رضى الله عنه .

وقد ذكرنا من هذا فصلا مفيدا مبسوطا في تفسير سورة النجم عند قوله تعالى :
« أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى » .

قلت : وقد ذكر البخارى بعد فتح مكة قصة تخريب خنعم البيت الذي كانت تعبده ويسمونه الكعبة اليمانية مضاهية للكعبة التي بمكة ، ويسمون التي بمكة الكعبة الشامية وتلك الكعبة اليمانية ، فقال البخارى : حدثنا يوسف بن موسى ، حدثنا أبو أسامة ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن قيس ، عن جرير قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم
« ألا تريحنى من ذى الخلصة ؟ » فقلت : بلى .

فانطلقت في خمسين ومائة فارس من أحمس ، وكانوا أصحاب خيل ، وكنت لأثبت على الخيل ، فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فضرب يده في صدرى حتى رأيت أثر يده في صدرى وقال : « اللهم ثبته واجعله هاديا مهديا » قال : فما وقعت عن فرس بعد .

قال : وكان ذو الخلصة يبتغى باليمن لخنعم وبجيلة فيه نصب تعبد يقال له الكعبة اليمانية . قال : فأتاها فحرقها في النار وكسرها .

قال : فلما قدم جرير اليمن كان بها رجل يستقسم بالأزلام ف قيل له : إن رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم هاهنا فإن قدر عليك ضرب عنقك ، قال : فبينما هو يضرب بها إذ

وقف عليه جرير فقال : لتكسرنها وتشهد أن لا إله إلا الله أو لأضربن عنقك .
فكسرها وشهد .

ثم بعث جرير رجلا من أحمس يكنى أَرْطاة إلى النبي صلى الله عليه وسلم يبشّره
بذلك . قال : فلما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يا رسول الله والذي بعثك
بالحق ما جئتُ حتى تركتها كأنها جمل أجرب . قال : فبارك رسول الله صلى الله عليه
وسلم على خيل أحمس ورجالها خمس مرات .

ورواه مسلم من طرق متعددة ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن قيس بن أبي حازم ،
عن جرير بن عبد الله البجلي بنحوه .

« وإلى هنا ينتهى الجزء الثالث من السيرة النبوية لابن كثير

ويتلوه الجزء الرابع وأوله ذكر غزوة تبوك »

فَهْرَسُ الْمَوْضُوعَاتِ

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٥٩	الذي رمى في وَجْنَتِي النبي (ص)	٣	سنة ثلاث من الهجرة
٦٠	« وما محمد إلا رسول .. »	(٣٢)	غزوة ذي أمر
٦١	جهاد أنس بن النضر	٥	خبر يهود بني قينقاع
٦٣	الرسول يقتل أبي بن خلف	٨	سرية زيد بن حارثة إلى غير قریش
٦٥	كيف كُفِّنَ مُصْعَب بن عمير !	٩	مقتل كعب بن الأشرف اليهودي
٦٦	خبر عَيْثِي قتادة بن النعمان	١٨	غزوة أحد
٦٧	نسبة بنت كعب تقاتل في أحد	١٩	حديث ابن إسحاق عن أحد
	أول من عرف رسول الله بعد	٣٤	مقتل حمزة رضي الله عنه
٦٨	المزينة ..	٣٩	النفر الذين قاتلوا دون رسول الله
٦٩	شعر لحسان بن ثابت في أبي بن خلف ..	٤١	حنظلة غسيل الملائكة
٧١	خبر قُرْظُمان	٤١	شعر لأبي سفيان يوم أحد
٧٢	خبر نُجَيْرِيق اليهودي	٤٢	بقية حديث ابن إسحاق
٧٣	خبر الأصيرم .. وعمرو بن الجوح	٤٦	مانصر الله في موطن كما نصر يوم أحد
٧٤	شأن هند بنت عتبة في أحد	٤٩	روايات للإمام أحمد
٧٥	نداء أبي سفيان حين انصرافه من أحد	٥٢	روايات للبخاري
٧٧	دعاء النبي (ص) بعد الوقعة يوم أحد	٥٥	وقع في أحد أشياء مما وقع في بدر
٧٨	الرسول يسأل عن سعد بن الربيع		فصل فيما لقي النبي (ص) يومئذ من
٧٩	حزن الرسول على حمزة	٥٧	المشركين
٨٠	ذكر الصلاة على حمزة وقتلى أحد	٥٨	ذاك يوم كله لطلحة !

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
١١٧	عبد الله بن رواحة يبكي شهداء أحد	٨٤	كان رسول الله يجمع بين الرجلين والثلاثة في القبر الواحد
١١٨	صفية بنت عبد المطلب تبكي حمزة	٨٥	ادفنوهم حيث صرعو
١١٩	أبيات لحسان بن ثابت	٨٦	خبر جابر عن دفن أبيه
١٢٠	حوادث سنة ثلاث	٨٨	الرسول يبشر جابرا ..
١٢١	سنة أربع من الهجرة	٨٩	كان الرسول يزور شهداء أحد
١٢٣	غزوة الرجيع	٩١	عدد شهداء أحد
١٢٥	رواية ابن إسحق في ذلك	٩٣	رجوع الرسول إلى المدينة ..
١٣٢	ما قيل من الشعر في غزوة الرجيع	٩٥	« لكن حمزة لا بواكى له .. »
١٣٥	سرية عمرو بن أمية الضمري	٩٧	خروج النبي بأصحابه إلى حراء الأسد
١٣٩	سرية بثر معونة	١٠٢	مقتل أبي عزة الجمحي ومعاوية بن المغيرة
١٤٥	غزوة بني النضير	١٠٣	افتضاح عبد الله بن أبي بن سلول
١٥٠	ما قيل فيها من الشعر	١٠٣	فصل فيما تقاويل به المؤمنون والكفار
١٥٣	ما أفاء الله على رسوله	١٠٥	ما قيل في وقعة أحد من الأشعار
١٥٥	قصة عمرو بن سعدى	١٠٥	قصيدة لهبيرة بن أبي وهب
١٥٦	غزوة بني الحيان	١٠٦	إجابة حسان بن ثابت له
١٦٠	غزوة ذات الرقاع	١٠٧	قصيدة لكعب بن مالك
١٦١	قصة غورث بن الحارث	١١٠	قصيدة لعبد الله بن الزبيرى
١٦٤	قصة الذى أصيبت امرأته في هذه الغزوة	١١١	إجابة حسان بن ثابت له
١٦٦	قصة جمل جابر في هذه الغزوة	١١٢	كعب يبكي حمزة
١٦٩	غزوة بدر الآخرة	١١٣	وحسان يبكي حمزة وشهداء أحد
١٧٢	فصل في جملة من الحوادث سنة أربع	١١٦	قصيدة أخرى لكعب بن مالك
١٧٧	سنة خمس من الهجرة		

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٢١٧	الرسول يبعث حذيفة لينظر ما فعل العدو	١٧٦	غزوة دومة الجندل
٢٢١	معنى : « وكفى الله المؤمنين القتال »	١٧٨	غزوة الخندق
٢٢٢	من استشهد في غزوة الخندق	١٨٠	الخلاف في السنة التي وقعت فيها
٢٢٣	فصل في غزوة بني قريظة	١٨١	سياق ابن إسحق في غزوة الخندق
	لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة	١٨٦	من معجزات الرسول في غزوة الخندق
٢٢٦	الخلاف في المصيب من الصحابة في تلك الصلاة	١٩٧	قدوم قريش وخروج المسلمين إليهم
٢٢٧	الرسول يقدم على بن أبي طالب ومعه رايته ..	١٩٨	بنو قريظة تنقض العهد
٢٢٩	شأن أبي لُبابة مع بني قريظة	٢٠١	اشتداد البلاء على المسلمين
٢٣٠	كعب بن أسد يشاور بني قريظة	٢٠٢	محاولة الفوارس اقتحام الخندق
٢٣٢	من أسلم من اليهود في تلك الغزوة	٢٠٧	إصابة سعد بن معاذ
٢٣٢	بنو قريظة ينزلون على حكم رسول الله	٢٠٨	من الذي أصاب سعد بن معاذ ؟
٢٣٣	حكم سعد بن معاذ فيهم		صفية بنت عبد المطلب أشجع من حسان بن ثابت !
٢٣٤	روايات في شأن سعد بن معاذ	٢٠٨	« شغلونا عن صلاة العصر .. »
٢٣٦	رواية مطولة للإمام أحمد	٢٠٩	الرسول يبشر أصحابه
٢٣٨	كيف قُتل بنو قريظة	٢١٠	الصلاة الوسطى هي صلاة العصر
٢٣٩	كيف قُتل حيي بن أخطب	٢١١	هل يجوز تأخير الصلاة لعذر القتال ؟
٢٤٠	قصة الزبير بن باطا	٢١٣	فصل في دعائه عليه السلام يوم الأحزاب
٢٤١	حكم صبيان أهل الذمة	٢١٤	حيلة نعيم بن مسعود
		٢١٦	رواية موسى بن عقبة في ذلك

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٢٨٥	سنة ست من الهجرة :	٢٤٢	لم يقتل من نساء بنى قريظة إلا
٢٨٦	غزوة ذى قرد		امراً واحدة
٢٩٣	المرأة التي نجت على ناقة النبي (ص)	٢٤٢	قسمة أموال بنى قريظة
٢٩٤	ما قيل من الأشعار في غزوة ذى قرد	٢٤٣	من استشهد في تلك الغزوة
٢٩٧	غزوة بنى المصطلق	٢٤٣	وفاة سعد بن معاذ
٢٩٩	شأن عبد الله بن أبي بن سلول في	٢٤٥	ضفطة سعد بن معاذ في قبره !
	تلك الغزوة	٢٤٧	اهتزّ العرش لموت سعد بن معاذ
٣٠٢	حكم العزل عن النساء	٢٤٩	شعر لأم سعد بن معاذ
٣٠٢	قصة جويرية بنت الحارث	٢٥٠	كل نائحة تكذب إلا نائحة سعد !
٣٠٤	قصة الإفك	٢٥٠	رثاء حسان بن ثابت لسعد
٣١٠	حسان يهجو صفوان بن المعطل	٢٥١	فصل فيما قيل من الأشعار في الخندق
٣١١	شعر لحسان بن ثابت يعتذر لعائشة		وبنى قريظة
٣١٢	غزوة الحديبية :	٢٦١	مقتل أبي رافع اليهودي
٣١٢	سياق ابن إسحاق عن تلك الغزوة	٢٦٧	مقتل خالد بن سفيان الهذلي
٣١٩	بيعة الرضوان	٢٧٠	قصة عمرو بن العاص مع النجاشي
٣٢٠	كتابة العهد بين الرسول وقرش		بعد الخندق وإسلامه مع خالد
٣٢١	شأن أبي جندل		ابن الوليد
٣٢٤	كانت بيعة الرضوان فتحاً !	٢٧٣	زواج النبي (ص) بأم حبيبة
٣٢٥	عدد المسلمين في تلك الغزوة	٢٧٧	زواجه (ص) بزینب بنت جحش
٣٢٧	الشجرة التي بايعوا تحتها	٢٧٨	تفسير الآيات التي نزلت في قصة
٣٢٨	على أي شيء كانت البيعة ؟		زینب
٣٢٩	ذكر سياق البخاري لعمره الحديبية	٢٨٠	نزول الحجاب صبيحة عرس زینب
		٢٨٣	فضل زینب بنت جحش

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٣٧٥	فتح حصون خيبر وقسمة أرضها	٣٣٨	ذكر السرايا والبعوث التي كانت في سنة ست
٣٧٨	الرسول يقرّ يهود خيبر في أرضها	٣٤٢	ما وقع من الحوادث في هذه السنة
٣٨٠	قسمة غنائم خيبر	٣٤٤	سنة سبع من الهجرة ✓
٣٨١	حكم الأراضي المغنومة	٣٤٤	غزوة خيبر في أولها
٣٨٤	سهم النبي في خيبر	٣٤٦	قصة عامر بن الأكوع
٣٨٦	الرضخ للعبيد والنساء في خيبر	٣٤٨	الله أكبر خربت خيبر
٣٨٩	قدوم جعفر بن أبي طالب ومن كان بقي بالحبشة من المسلمين	٣٤٩	النهي عن لحوم الجمر الأهلية
٣٩٢	أبو هريرة يسأل رسول الله أن يقسم له من خيبر	٣٥١	لأعطين الراية غدا رجلا يحبه الله ورسوله
٣٩٤	قصة الشاة المسومة	٣٥٥	مقتل مرّحب اليهودي
٤٠١	رجوع الرسول إلى المدينة	٣٥٩	مقتل ياسر أخى مرّحب
٤٠٥	شعر لابن لقيم العبسي في فتح خيبر	٣٦٠	الرجل الذي قتل نفسه
٤٠٦	ذكر من استشهد بخيبر من الصحابة	٣٦١	العبد الأسود الذي قتل شهيدا
٤٠٧	خبر الحجاج بن علاط البهزي	٣٦٣	فتح حصون خيبر
٤١٢	فصل في مروره عليه السلام بوادي القرى ..	٣٦٣	تحريم لحوم الجمر الأهلية
٤١٤	معاملة الرسول ليهود خيبر .. وكيف أخرجهم عمر منها ..	٣٦٤	ما نهى عنه الرسول في خيبر
٤١٧	سرية أبي بكر الصديق إلى بني فزارة	٣٦٥	النهي عن نكاح المتعة
٤١٨	سرية عمر بن الخطاب إلى تربة من أرض هوازن	٣٦٦	الخلاف في تحريم نكاح المتعة
		٣٦٩	حلّ أكل شحوم اليهود
		٣٧١	قصة صفية بنت حيي
		٣٧٥	تسليم يهود خيبر

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٤٥٨	نزول المسلمين بمعان من أرض الشام	٤١٨	سرية عبد الله بن رواحة إلى يسير
٤٦١	استشهاد جعفر بن أبي طالب		ابن رزام
٤٦٢	استشهاد عبد الله بن رواحة	٤١٩	سرية أخرى مع بشير بن سعد
٤٦٣	الرسول يخبر المسلمين بخبر مؤتة	٤٢٢	سرية أبي حذرد إلى الغابة
٤٦٩	لقاء الرسول والمسلمين لجيش مؤتة	٤٢٣	السرية التي قتل فيها محم بن جثامة
	وتأنيب الصبيان لهم		عاصم بن الأضبط
٤٦٩	استدراك لابن كثير على ابن إسحاق	٤٢٦	سرية عبد الله بن حذافة السهمي
	في شأن الفارين من مؤتة	٤٢٨	عُمره القضاء
٤٧١	كان يسوغ الفرار من مؤتة	٤٣٩	قصة تزويجه عليه السلام بميمونة
	لكثرة العدو	٤٤٢	خروجه (ص) من مكة بعد قضاء عمرته
٤٧١	ثبت باقي المسلمين فنصرهم الله في مؤتة . . ودليل على ذلك .	٤٤٢	قصة ابنة حمزة
٤٧٣	رأى ابن إسحاق في ذلك	٤٤٤	سرية ابن أبي العوجاء إلى بني سليم
٤٧٤	الرسول يعزّي آل جعفر بن أبي طالب	٤٤٦	سنة ثمان من الهجرة :
٤٧٧	إحداد أسماء على زوجها جعفر	٤٤٦	فصل في إسلام عمرو بن العاص وخالد
٤٧٨	تلقى الرسول والمسلمين للجيش		ابن الوليد وعثمان بن أبي طلحة
٤٨٠	فصل في فضل هؤلاء الأمراء الثلاثة :	٤٥٠	طريق إسلام خالد بن الوليد
٤٨٠	فضل زيد بن حارثة	٤٥٣	سرية شجاع بن وهب إلى نفر من هوازن
٤٨٣	فضل جعفر بن أبي طالب	٤٥٤	سرية كعب بن عمير إلى بني قضاة
٤٨٦	فضل عبد الله بن رواحة	٤٥٥	غزوة مؤتة :
٤٨٩	ذكر من استشهد يوم مؤتة	٤٥٦	توديع الناس لأمرأ مؤتة

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٥٤٣	إسلام العباس بن عبد المطلب	٤٩٠	فضيلة عظيمة لأمرأ هذه السرية
٥٤٥	نزول المسلمين بمرّ الظهران	٤٩١	ما قيل من الأشعار في غزوة مؤتة
	خروج أبي سفيان بن حرب وصاحبيه		كتاب بعث رسول الله (ص)
٥٤٦	يتجسسون الأخبار	٤٩٤	إلى ملوك الآفاق
٥٤٧	العباس يصحب أبا سفيان إلى الرسول		حديث أبي سفيان عن كتاب رسول
٥٤٩	إسلام أبي سفيان بن حرب	٤٩٥	الله إلى قيصر
٥٥٥	صفة دخول الرسول (ص) مكة	٥٠٢	رواية أخرى في ذلك
٥٥٧	إسلام أبي قحافة		إرساله (ص) إلى ملك العرب من
٥٦٠	دخول خالد بن الوليد مكة	٥٠٦	النصارى بالشام
	النفر الذين أهدر الرسول (ص)	٥٠٧	ذكر بعثه إلى كسرى ملك الفرس
٥٦٣	دماءهم في فتح مكة	٥١٠	مقتل كسرى ، وآية للرسول في
٥٦٩	طواف الرسول بالبيت حين دخل		ذلك « إذا هلك كسرى فلا
(٥٧٠)	خطبة الرسول على باب الكعبة	٥١٠	كسرى بعده »
٥٧١	تكسير الأصنام حول الكعبة	٥١٠	ملك الروم لا يعود أبدا إلى أرض الشام
٥٧٥	أذان بلال وما أثاره في نفوس الكافرين	٥١٤	بعثه (ص) إلى المقوقس
٥٧٦	محاولة أبي سفيان المقاومة	٥١٦	غزوة ذات السلاسل
٥٧٧	« إن الله حرم مكة . . »	٥٢١	سرية أبي عبيدة إلى سيف البحر
٥٧٧	هل فتحت مكة عنوة أم صلحا ؟	٥٢٤	موت النجاشي وصلاة الرسول عليه
٥٧٩	أول قتيل وداه رسول الله يوم يفتح	٥٢٦	غزوة الفتح الأعظم :
٥٨١	تخوف الأنصار من إقامة الرسول بمكة	٥٢٦	سبب فتح مكة
	ورد الرسول عليهم	٥٣٦	قصة حاطب بن أبي بلتعة
	فضالة بن عير يحاول اغتيال الرسول (ص)	٥٣٩	خروج الرسول مع المسلمين إلى مكة

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
	هزيمة المسلمين في أول الوقعة ونداء	٥٨٢	إسلام صفوان بن أمية
٦١٨	الرسول لهم	٥٨٥	إسلام ابن الزبيرى ، وشعر له
٦١٩	ماقاله بعض الطلقاء حين الهزيمة	٥٨٦	عدد المسلمين في فتح مكة
٦٢٠	خنجر أم سليم !	٥٨٧	ما قيل من الشعر في يوم الفتح
٦٢٢	« لكن رسول الله لم يفر .. »		بعثه عليه السلام خالد بن الوليد إلى
٦٢٣	« من قتل قتيلًا فله سلبه »	٥٩١	بنى جذيمة
٦٢٥	« يا عباس ناد : يامعشر الأنصار .. »		قصة الفتى من بنى جذيمة الذى قتله
٦٢٦	فضل الأنصار في هوازن	٥٩٥	جند خالد
٦٢٧	« الآن حى الوطيس .. »	٥٩٧	بعث خالد بن الوليد لهدم العُزْرى
٦٣١	قصة شيبه بن عثمان مع الرسول	٥٩٨	مدة إقامة الرسول بمكة
٦٣٣	الملائكة تقاتل في حنين	٦٠٠	ما حكم به (ص) بمكة من الأحكام
٦٣٣	شعر لخديج بن العرجاء النصرى		بيعة الرسول للناس يوم الفتح على
٦٣٤	شعر لمالك بن عوف النصرى	٦٠٢	الإسلام
٦٣٥	« قد غلبت خيلُ الله خيلَ اللات »	٦٠٣	بيعة النساء يوم الفتح
	شعر للعباس بن مرداس في فرار	٦٠٥	« لا هجرة بعد فتح مكة .. »
٦٣٦	قارب بن الأسود	٦٠٦	حكم الهجرة بعد الفتح ..
٦٣٧	وقوف هوازن بعد الهزيمة ..	٦٠٧	« إذا جاء نصر الله والفتح .. »
٦٣٨	الرسول يأمر بجمع الغنائم	٦١٠	غزوة هوازن يوم حنين
٦٣٨	الرسول نهى عن قتل النساء	٦١٠	متى كانت غزوة هوازن ؟
٦٤٠	غزوة أوطاس	٦١١	دريد بن الصمة يخرج مع قومه
٦٤٤	من استشهد يوم حنين وأوطاس	٦١٥	عدد المسلمين في هوازن
٦٤٥	ما قيل من الأشعار في غزوة هوازن	٦١٨	فصل في كيفية الوقعة

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٦٧٢	ردّ السبي كان بعد قسمة الغنائم	٦٥٢	غزوة الطائف
٦٧٣	بعض الأنصار يتكلم في قسمة الغنائم	٦٥٢	قصيدة لسكعب بن مالك في غزوة الطائف
٦٧٤	استرضاء الرسول للأنصار	٦٥٥	أول دم أقيد به في الإسلام
٦٨٠	العباس بن مرداس يطلب زيادة العطاء	٦٥٥	مرور المسلمين بقبر أبي رغال
٦٨٢	الذين أعطاهم الرسول مائة من الإبل	٦٥٦	حصار المسلمين للطائف
٦٨٣	قدوم مالك بن عوف النصري على الرسول	٦٥٧	« من خرج إلينا من العبيد فهو حر »
٦٨٤	شعر لحسان في تأخر الأنصار عن الغنيمة	٦٥٨	الرسول أول من رمى في الإسلام بالمنجنيق
٦٨٦	اعتراض بعض الجهلة على قسمة الرسول	٦٥٩	« من بلغ بسهم فله درجة في الجنة »
٦٨٨	مجيء أخت رسول الله من الرضاعة	٦٦٠	قصة الخنث الذي سمعه الرسول يذكر النساء
٦٩٢	عمرة الجعرانة في ذى القعدة	٦٦١	رجوع المسلمين عن الطائف
٦٩٥	عمرة الجعرانة ثابتة بالنقل الصحيح	٦٦٣	الرسول يدعو بهدية ثقيف
٦٩٩	إسلام كعب بن زهير	٦٦٣	من استشهد من المسلمين بالطائف
٧٠١	قصيدة كعب بن زهير : بانت سعاد	٦٦٥	نزول ثقيف على حكم الرسول وإسلامهم .
٧٠٥	رواية للبيهقي في إسلام كعب	٦٦٧	مرجعه عليه السلام من الطائف وقسمة غنائم هوازن
٧٠٧	الرسول يخلع على كعب برده	٦٦٧	وفد هوازن يستعطف الرسول
٧٠٧	كعب بن زهير يمدح الأنصار	٦٦٨	الرسول يعطيهم النساء والأبناء
٧٠٨	شيء عن كعب بن زهير	٦٧١	ما أصاب كل مسلم من الغنائم
٧١٠	ما كان من الحوادث المشهورة في سنة ثمان		

فهرس القوافى

الصفحة	الشاعر	القافية
	(الهعزة)	
٥٨٧	حسان بن ثابت	خلاه
٥٥٩	امراة من قرش	لجاء
٤٦٠	عبدالله بن رواحة	الحساء
٥٥٧	حسان بن ثابت	كداء
	(الباء)	
٣٥٨	مرحب اليهودى	يعطب
٣٥٧ ، ٣٥٦ ، ٣٥٥	مرحب اليهودى	مجب
٣٥٧	كعب بن مالك	صلب
١٣٤	حسان بن ثابت	واثيموا
٤٦١	عبدالله بن رواحة	شراها
٥٣٥	حسان بن ثابت	رقابها
٦٤٥	عباس بن مرداس	الكتاب
٢٠٥	على بن أبى طالب	أصحابى
٢٥٣	عبدالله بن الزبعرى	الأحقاب
٢٥٥	كعب بن مالك	الوهاب
٤٣	حسان بن ثابت	صواب
٢٠٥ ، ٢٠٣	على بن أبى طالب	بصواب
٤٣	حسان بن ثابت	الحواب

الصفحة	الشاعر	القافية
١٦	محيصة بن مسمود	قارب
١١٩	هند بنت عتبة	مطلبي
٤١	أبو سفيان بن حرب	شعوب
٤١	ابن شعوب	مجيبي
٤٢	حسان بن ثابت	عصيب
	(الناء)	
٦٣٥	امراة من المسلمين	بالثبات
٤٦٢	عبدالله بن رواحة	صليت
	(الجيم)	
٤١١	الفريرة بنت همام	حجاج
١١٢	كعب بن مالك	تلجج
	(الحاء)	
١١٣	حسان بن ثابت	النوايح
٣٠٩	—	ومسطح
	(الدال)	
٢٠٨	أبو أسامة الجشمي	خالد
١١٦	كعب بن مالك	الأغيد
١٨٤	—	أبدآ
٤٥٦	عبدالله بن رواحة	الزبدآ
٢٤٩	أم سعد بن معاذ	وحدآ
٢٩٥	حسان بن ثابت	سعدآ
٥٣٢ ، ٥٢٧	عمرو بن سالم الخزاعي	الأتلدآ

الصفحة	الشاعر	القافية
٦٤٢	رجل من بني جشم	يُسْفَدَا
٢٩٤	حسان بن ثابت	التقوادِ
٥٩٠	عباس بن مرداس	المسجدِ
١٤٣	حسان بن ثابت	نجدِ
٦٧	ابن قتادة بن النعمان	الردِّ
٢٥٠	حسان بن ثابت	سعدِ
٢٦٨	عبدالله بن أنيس	مقدِّدِ
١٢٧	عاصم بن ثابت	الموقدِ
٣١٠	حسان بن ثابت	البلدِ
٥٤٤	أبو سفيان بن حرب	محمدِ
٦٨٣	مالك بن عوف النصرى	محمدِ
٥٨٩	أنس بن زعيم الدبلى	اشهدِ
٤١١	كعب بن مالك	مذودِ
	(الراء)	
٦٣٤	مالك بن عوف النصرى	ويكرِّ
٦٤١	عمرة بنت دريد بن الصمة	ينحدرُ
٧٠٨	كعب بن زهير	القدرُ
٦٨٤	حسان بن ثابت	دررُ
٦٩٠	زهير بن سرد	دررُ
١٤٤	حسان بن ثابت	نزرُ
٦٥٤	شداد بن العارض الجشمى	ينتظرُ
٤٨٦، ٤٥٦	عبدالله بن رواحة	نصروا
٦٦٧	زهير بن سرد	ينتظرُ

الصفحة	الشاعر	القافية
٦٤٨	العباس بن مرداس	الشفرُ
٣٥٦	عامر بن الأكوع	مغامرُ
٤٩١	حسان بن ثابت	سهرُ
٥٨٥	عبدالله بن الزبعرى	بورُ
١٥٠	كعب بن مالك	يدورُ
٦٣٧	العباس بن مرداس	الخبيرُ
١٥	كعب بن مالك	البصيرُ
٢٥٩	حسان بن ثابت	نصيرُ
١٥٠	حسان بن ثابت	مستطيرُ
٢٥٩، ١٤	أبو سفيان بن حرب	السعيرُ
٤٧٨	أسماء بنت عميس	أغبرًا
٢٩٥	حسان بن ثابت	قصورًا
٣٥٧	على بن أبي طالب	المنظره
٣٥٥	على بن أبي طالب	القصوره
٣١	هند بنت عتبة	الأدبارِ
٧٠٧	كعب بن زهير	الأنصارِ
٤٠٥	ابن لقيم العبسى	وفقارِ
٢٤٩	رجل من الأنصار	عمرو
٧٤	هند بنت عتبة	سعرِ
٧٤	حسان بن ثابت	الكفرِ
٥٩٧	حاجب العُزرى	شمرى
٤٨٢	حسان بن ثابت	القبورِ

الصفحة	الشاعر	القافية
١١٨	صفية بنت عبد المطلب	وخيرِ
٢٥٩	حسان بن ثابت	نصيرِ
٧٠	حسان بن ثابت	السعيرِ
(السين)		
٦٤٩	العباس بن مرداس	عرمسُ
١١٩	امراة شماس بن عثمان	لباسِ
١١٩	الحكم بن سعيد	الناسِ
٢٩٦	كعب بن مالك	الفوارسِ
٤١	ابن شعوب	الشمسِ
(العين)		
٦١٢	دريد بن الصمة	وأضعُ
٢٩٠، ٢٨٦	سلمة بن الأكوع	الرُضعُ
٢٦٠	حسان بن ثابت	راجعُ
٢٥٨	كعب بن مالك	نوادعُ
٤٨٨	عبد الله بن رواحة	ساطعُ
١١	كعب بن الأشرف	وتدمعُ
٦٤٦	العباس بن مرداس	فالمصانعُ
١٠٧	كعب بن مالك	متنعمُ
٥٦٧، ٢٩٨	مقيس بن صباية	الأخادعُ
٦٨٠	العباس بن مرداس	والأقرعُ
١٣٢	خُبَيْب	مجمعُ

القافية

الشاعر

الصفحة

(الفاء)

٦٣٣	خديج بن العرجاء النصرى	أخضفاً
٦٤٧	العباس بن مرداس	خلفاً
٥٨٩	بجير بن زهير	خفاف
١٥٢	على بن أبي طالب	أصدف
٢٦٣، ١٥	حسان بن ثابت	الأشرف

(القاف)

٣١	هند بنت عتبة	المنارق
٦٣٤	مالك بن عوف	تخفق
٣٤	عثمان بن أبي طلحة	تمدقاً
٢٥٧	كعب بن مالك	المحرق
٦٦٤	بجير بن زهير	الأبرق
١٣٣	حسان بن ثابت	القلق
٥٩٥	فتى من جذيمة	الخوانق

(الكاف)

٦٤٦	العباس بن مرداس	هواكا
٦٩٩	كعب بن زهير	هل لكا
٧٠٥	كعب بن زهير	دلكا
٣١٥	جارية من الأنصار	يحمدونكا
١٧٠، ٨	حسان بن ثابت	الأوراك
٥٩٧	خالد بن الوليد	أهانك

(اللام)

١١١	حسان بن ثابت	عدن
١١٩	» » »	والفشل
١١٠	عبد الله بن الزبيري	فعل
٩٣	امرؤ القيس	جلل
٥٦١	حماس بن قيس	والله
١٢٦	عاصم بن ثابت	عنايل
٤٧٣	قيس بن المحسر	قبل
٤٩٢	كعب بن مالك	الخصل
٧٠١	كعب بن زهير	مكبول
٦٩	حسان بن ثابت	الرسول
٧٠٦	كعب بن زهير	مسلول
١١٧	عبد الله بن رواحة	العويل
٤٣٢	عبد الله بن رواحة	رسوله
٦٧		أبو الـ
٢٧٢	عبد الله بن الزبيري	المقبل
٣٨٠	أبو طالب	آجل
٢٣٩	جبل بن جوال	يُخذل
٤٦٠	عبد الله بن رواحة	فانزل
٥٢٨	الأخزر بن لُعط	ناصل
٣١١	حسان بن ثابت	الفوافل
٥٢٩	بديل بن عبد مناة	نافل
٢٠٣	حسان بن ثابت	تفعل

٩٩	معبد الخزاعي	الأبايل
٣٢	أبو دجانة	البنخيل
٤١٠	حسان بن ثابت	ونخيل
٤٨٥	حسان بن ثابت	كلها
٤٣١	عبد الله بن راحة	رسوله
٤٣٢	عبد الله بن راحة	تنزيله
	« الميم »	
٢٠	أبو عزة الجمحي	حام
٤٠٩	العباس بن عبد المطلب	الأشم
٤٧٣	قطبة بن قتادة	انحطم
٥٨٤	فضالة بن عمير	والإسلام
٧٠٠	بجير بن زهير	أحزم
٥٩٠	العباس بن مرداس	مسوم
٥٨٥	عبد الله بن الزبيري	بهيم
٦٥٤	كفانة بن عبد ياليل	نريمهما
١٢٧	عاصم بن ثابت	كراما
٦٥٠	العباس بن مرداس	يمما
٥٥١	سعد بن عبادة	الحرمه
٥٦٢	حماس بن خالد	عكرمه
٦٤١	سلمة بن دريد	توسمه
٥١١	خالد بن حق	اللحام
١٣٣	حسان بن ثابت	وعاصم
٧٠٩	كعب بن زهير	الظلم

٢٠	نافع بن عبد مناف	التذم
٤٥٩	عبد الله بن رواحة	العكوم.
٥٨٥	حسان بن ثابت	لثيم.
	« النون »	
٣٧	عدي بن سهل	المفتن
٥١١	—	بكفن
٦١٥	العباس بن مرداس	مُنيان
١٨٦		شقيفاً
٣٥٦، ٣٤٧، ١٨٥		صليفاً
١٣٨	—	المسلميناً
٢٥١	ضرار بن الخطاب	طحونا
٤٦٢	عبد الله بن رواحة	لتسكرهته
٦٤٥	بجير بن زهير	جبان
١٣٣	حسان بن ثابت	لحيان
٣٠	الشمخ	باليمين
	« الياء »	
٣١٥	ناجية بن جندب	ناجيه
٤٠	الحارث بن النضر	باديه
١٧٠	عبد الله بن رواحة	وافياً
١٠٥	هيرة بن أبي وهب	عواديهـ
١٠٧	حسان بن ثابت	مخزيهـ
٥٤٥	عبد الله بن مسعود	فيه

تصويبات

الصفحة	السطر	الصواب
٣٣٧	٦	نزرت
٣٤٧	٤	عن أبي عبيد [ويروى نشأ بها مثله . قال السهيلي ويروى : قلَّ عربى مشابهاً ^(١)] مثله ، ويكون منصوباً الخ .
٣٤٩	١٢	بعد : تفرَّد به البخارى دون مسلم : وردت فى هذه الزيادة : « فائدة : قال السهيلي : فيه إباحة التفاؤل ، لأنه لما رأى بأيديهم المساحى والمعاول وهى من آلات الهدم والحفر قال ذلك . قال : والعرب تسمى الجيش الكثيف خميساً ، لأن له ساقاً ومقدمة وجناحين وقلبا . قال : وليس من تخميس الغنيمة لأن هذا حكم شرعى » اهـ .
٣٥٠	١٦	زفاق
٣٩٤	١٧	شِرَ آكان
٣٨١	هامش ^(١)	قال أبو عبيد : « لا أحسبه عربياً » وقال الأزهرى : هو لغة يمانية لم تنفش فى كلام معدّ . وقال فى القاموس : « وهم ببَّان واحد وعلى بيان ، ويخفف ، أى طريقة واحدة » وقال فى النهاية : أى أتركهم شيئاً واحداً . ولو كان ريئة لتجرك .

تصويبات

الصفحة	السطر	الصواب
٣٣٧	٦	نزرت
٣٤٧	٤	عن أبي عبيد [ويروى نشأ بها مثله . قال السهيلي ويروى : قلَّ عربيٌ مشابهاً ^(١)] مثله ، ويكون منصوباً الخ .
٣٤٩	١٢	بعد : تفرَّد به البخاري دون مسلم : وردت في هذه الزيادة : « فائدة : قال السهيلي : فيه إباحة التفاؤل ، لأنه لما رأى بأيديهم المساحي والمعاول وهي من آلات الهدم والحفر قال ذلك . قال : والعرب تسمى الجيش السكتيف خميساً ، لأن له ساقاً ومقدمة وجناحين وقلبا . قال : وليس من تخميس الغنيمة لأن هذا حكم شرعي » اهـ .
٣٥٠	١٦	زقاق
٣٩٤	١٧	شيراكان
٣٨١	هامش ^(١)	قال أبو عبيد : « لا أحسبه عربياً » وقال الأزهري : هو لغة يمانية لم تنفش في كلام معدة . وقال في القاموس : « وهم ببيان واحد وعلى بيان ، ويخفف ، أي طريقة واحدة » وقال في النهاية : أي أتركهم شيئاً واحداً . لو كان ريثة لتحرك .

السيرة النبوية

للإمام أبي الفداء إسماعيل بن كثير

٧٠١ — ٧٧٤ هـ

تحتقيق

مصطفى عبد الواحد

المجلد الرابع

١٢٩٥ م = ١٩٧٦ م

دار الشرف

للطباعة والنشر والتوزيع

هاتف ٢٣٦٧٦٩ — ٢٤٦١٦١

ص.ب ٥٧٦٩

بيروت — لبنان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سنة تسع من الهجرة

ذكر غزوة تبوك في رجب منها

قال الله تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا ، وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيَكُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ، قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ » .

روى عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبيرة وقتادة والضحاك وغيرهم : أنه لما أمر الله تعالى أن يُمنع المشركون^(١) من قُرْبَانِ المسجد الحرام في الحج وغيره ، قالت قريش : لَتَنْقُطَنَّ عَنَا الْمَتَاجِرُ وَالْأَسْوَاقُ أَيَّامَ الْحَجِّ وَلِيَذْهَبَنَّ مَا كُنَّا نُنْصِيبُ مِنْهَا . فمَوْضِعُهم الله عن ذلك بِالْأَمْرِ بِقِتَالِ أَهْلِ الْكِتَابِ حَتَّى يُسَلِّمُوا أَوْ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ .

قلت : فعزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على قتال الروم ، لأنهم أقربُ الناسِ إليه وأولى الناسِ بالدعوة إلى الحق لقربهم إلى الإسلام وأهله . وقد قال الله تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ »^(٢) .

فلما عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على غزو الروم عام تبوك وكان ذلك في حَرِّ

شديد وضيق من الحال ، جَلَى للناس أمرها ودعا من حَوَّله من أحياء الأعراب للخروج معه فأوعب معه بشرٌ كثير . كما سيأتى . قريبا من ثلاثين ألفا ، وتحلف آخرون ، فعاتب الله من تحلف منهم لغير عذر من المناققين والمقصّرين ، ولأمهم ووبّخهم وقرّعهم أشدّ القرع وفصحهم أشدّ الفضيحة وأنزل فيهم قرآنا يتلى ، ويبيّن أمرهم في سورة براءة ، كما قد بينا ذلك مبسوطا في التفسير . وأمّر المؤمنين بالفقر على كل حال ، فقال تعالى : « انفروا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ، لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَا تَبْغُوكُمْ ، وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوْ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ ، يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ لَهُمُ الْكَاذِبُونَ » ثم الآيات بعدها .

ثم قال تعالى : « وما كان المؤمنون إِيْتَفَرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ » فقيل إن هذه ناسخة لتلك وقيل لا . فالله أعلم .

قال ابن إسحاق : ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ما بين ذى الحجة إلى رجب - يعنى من سنة تسع - ثم أمر الناس بالتهيؤ لغزو الروم .

فذكر الزهرى^(١) ويزيد بن رومان وعبد الله بن أبى بكر وعاصم بن عمر بن قتادة وغيرهم من علمائنا ، كلٌ يحدث عن غزوة تبوك ما بلغه عنها ، وبعض القوم يحدث ما لم يحدث بعضٌ ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أصحابه بالتهيؤ لغزو الروم ، وذلك في زمان عُشرة من الناس وشدة من الحر وجذب من البلاد وحين طابت الثمار ، فالناس

(١) ابن هشام : وقد ذكر لنا الزهرى .

يحبون المقام في ثمارهم وظلالهم ويكرهون الشَّخصَ في الحال^(١) من الزمان الذي هم عليه .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قلَّ ما يخرج في غزوة إلا كَفَى عنها ، إلا ما كان من غزوة تبوك فإنه بيَّنَّها للناس لبُعْد الشُّقة وشدة الزمان وكثرة العدو الذي يَصُمِد إليه ليتأهب الناس لذلك أهْبته ، فأمرهم^(٢) بالجهاز^(٣) وأخبرهم أنه يريد الروم .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو في جهازه ذلك للجَدِّ بن قيس أحد بني سلمة : « يا جَدُّ هل لك العام في جِلَاد بني الأصفر ؟ » فقال : يا رسول الله أوتأذن لي ولا تَفْتَنِي ، فوالله لقد عرف قومي أنه ما رجلٌ بأشدَّ عُجْباً بالنساء مني ، وإني أخشى إن رأيتُ نساء بني الأصفر ألا أضبر .

فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : « قد أذِنْتُ لك » ففي الجَدِّ أنزل الله هذه الآية : « ومنهم من يقول ائذن لي ولا تَفْتَنِي ألا في الفتنة سَقَطُوا وإن جَهَنَّم لَحِيطةٌ بالكافرين »

وقال قوم من المنافقين بعضهم لبعض : لا تَنَفَرُوا في الحر زهادةً في الجهاد وشكاً في الحق وإرجافاً بالرسول صلى الله عليه وسلم ، فأَنزل الله فيهم : « وقالوا لا تَنَفَرُوا في الحرِّ قُلْ نارُ جَهَنَّم أشدُّ حَرًّا لو كانوا يَفْقَهُون ، فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً جَزَاءً بما كانوا يَكْسِبُونَ » .

قال ابن هشام : حدثني الثُّقَّةُ عن حدثه ، عن محمد بن طلحة بن عبد الرحمن ، عن إسحاق بن إبراهيم بن عبد الله بن حارثة ، عن أبيه عن جده قال : بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ناساً من المنافقين يجتمعون في بيت سُوَيْلَم اليهودي - وكان بيته عند

(٢) ١ : فأمر .

(١) ابن هشام : على الحال .

(٣) لأصل : بالجهاد . وما أُنْبِئْتُهُ عن ابن هشام .

جاسوم - يَنْبُطُونَ النَّاسَ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ، فبعث إليهم طلحة بن عبيد الله في نفر من أصحابه وأمره أن يحرق عليهم بيت سويلم ، ففعل طلحة فاتحهم الضحاك بن خليفة من ظُور البيت فانكسرت رجله ، واقتحم أصحابه فأفلتوا ، فقال الضحاك في ذلك :

كَادَتْ وَيْتِ اللهُ نَارُ مُحَمَّدٍ يَشِيطُ بِهَا الضَّحَاكُ وَابْنُ أُيَيْرِقِ
وَوَلَّتْ وَقَدْ طَبَّقَتْ كِبْسَ سُوَيْلِمٍ أَنُوهُ عَلَى رَجُلٍ كَسِيرًا وَمِرْفَقِ^(١)
سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا أَعُودُ لِمَثَلِهَا أَخَافُ وَمَنْ تَشْمَلُ بِهِ النَّارُ يُحْرِقِ

قال ابن إسحاق : ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم جَدَّ في سفره وأمر الناس بالجهاز والانكماش^(٢) ، وحضَّ أهلَ الغنى على النفقة والخلان في سبيل الله ، فحمل رجال من أهل الغنى واحتسبوا ، وأنفق عثمان بن عفان نفقة عظيمة لم ينفق أحد مثلاً .

قال ابن هشام : فحدثني من أتق به أن عثمان أنفق في جيش المُسَرَّة في غزوة تبوك ألف دينار ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم ارضَ عن عثمان فإنِّي عنه راضٍ » .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا هارون بن معروف ، حدثنا صخر بن شوذب ، عن عبد الله بن القاسم ، عن كثة مولى عبد الرحمن بن سمرة ، قال : جاء عثمان بن عفان إلى النبي صلى الله عليه وسلم بألف دينار في ثوبه حين جهز النبي صلى الله عليه وسلم جيش المُسَرَّة . قال : فصَبَّها في حِجْرِ النبي صلى الله عليه وسلم ، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقلبها بيده ويقول : « ما ضرَّ ابنَ عفانَ ما عملَ بعدَ اليوم ! » .

ورواه الترمذى عن محمد بن إسماعيل ، عن الحسن بن واقع ، عن ضمرة به . وقال :

حسن غريب .

وقال عبد الله بن أحمد في مسند أبيه . حدثني أبو موسى العنزي ، حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث ، حدثني سكن بن المغيرة ، حدثني الوليد بن أبي هشام ، عن فرقد أبي طلحة ، عن عبد الرحمن بن خباب السلمي ، قال : خطب النبي صلى الله عليه وسلم فحث على جيش العسرة ، فقال عثمان بن عفان : على مائة بعير بأحلاسها وأقتابها . قال : ثم نزل مرقاة من المنبر ثم حث فقال عثمان : على مائة أخرى بأحلاسها وأقتابها . قال : فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بيده هكذا يحركها ، وأخرج عبد الصمد يده كالمتعجب : « ما على عثمان ما عمل بعد هذا » .

وهكذا رواه الترمذى عن محمد بن بشار ، عن أبي داود الطيالسي ، عن سكن بن المغيرة أبي محمد مولى لآل عثمان به . وقال : غريب من هذا الوجه .

ورواه البيهقي من طريق عمرو بن مرزوق ، عن سكن بن المغيرة به . وقال : ثلاث مرات . وأنه التزم بثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها .

قال عبد الرحمن : فأنا شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو على المنبر : « ماضراً عثمان بعدها - أو قال - بعد اليوم » .

وقال أبو داود الطيالسي : حدثنا أبو عوانة ، عن حصين بن عبد الرحمن ، عن عمرو بن جاوران ، عن الأحنف بن قيس ، قال : سمعت عثمان بن عفان يقول لسعد ابن أبي وقاص وعلى والزبير وطلحة : أنشدكم بالله هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من جهّز جيش العسرة غفر الله له » فجهّزهم حتى ما يفقدون خطاماً ولا عقلاً ؟ قالوا : اللهم نعم .

ورواه النسائي من حديث حصين به .

فصل

فِيمَنْ تَخَلَّفَ مَعْدُورًا مِنَ الْبَكَائِينَ وَغَيْرِهِمْ

قال الله تعالى : « وإذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولوا الطول منهم وقالوا ذرنا نكُنْ مع القاعدين . رَضُوا بأن يكونوا مع الخوالف وطُبع على قلوبهم فهم لا يَفْقَهُونَ ، لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم وأولئك لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون ، أعدَّ الله لهم جنات تجري من تحتها الأنهارُ خالدين فيها ذلك الفوز العظيم . وجاء المُعَذَّرُونَ من الأعراب ليؤذَنَ لهم وقعد الذين كذَّبوا الله ورسوله ، سيُصِيبُ الذين كفروا منهم عذابٌ أليمٌ ، ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حَرَجٌ إذا نصَحُوا الله ورسوله ما على الحسنيين من سبيل والله غفورٌ رحيمٌ ، ولا على الذين إذا ما أتوك لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أُحْمِلُهُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا ينفقون ، إنما السبيلُ على الذين يستأذنونك وهم أغنياء رَضُوا بأن يكونوا مع الخوالف وطُبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون ^(١) » .

قد تكلمنا على تفسير هذا كله في التفسير بما فيه كفاية والله الحمد والمنة .
والمقصود ذِكْرُ الْبَكَائِينَ الذين جاءوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لِيَحْمِلَهُمْ حتى يَصْجِبُوهُ فِي غَزْوَتِهِ هَذِهِ ، فلم يجدوا عنده من الظَّهْرِ مَا يَحْمِلُهُمْ عَلَيْهِ ، فرجعوا وهم يبكون ، تأسفا على ما فاتهم من الجهاد في سبيل الله والنفقة فيه .

قال ابن إسحاق : وكانوا سبعة نفر من الأنصار وغيرهم .

فن بنى عمرو بن عوف : سالم بن عُمر ، وعُلبَة بن زيد أخو بنى حارثة ، وأبوليلي
عبد الرحمن بن كعب أخو بنى مازن بن النجار ، وعمرو بن الحُصَماء بن الجُوح أخو بنى
سَلَمَة ، وعبد الله بن المغفل المزني ، وبعض الناس يقولون : بل هو عبد الله بن عمرو المزني
وهرمي^(١) بن عبد الله أخو بنى واقف ، وعرباض بن سارية الخزاري .

قال ابن إسحاق : فبلغني أن ابن يامين بن عُمر بن كعب النضري لقي أبا ليلى وعبد الله
ابن مُغفل وهما يبيكان ، فقال : ما يبكيكما ؟ قالا : جئنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليَحْمِلُنَا فلم نجد عنده ما يحملنا عليه ، وليس عندنا ما نتقوى به على الخروج معه . فأعطاهما
ناضجاً له فارتحلاه وزودهما شيئاً من تمر فخرجا مع النبي صلى الله عليه وسلم .

زاد يونس بن بكير عن ابن إسحاق : وأما عُلبَة بن زيد فخرج من الليل فصلى
من ليلته ما شاء الله ، ثم بكى وقال : اللهم إنك أمرت بالجهاد ورغبت فيه ، ثم لم تجعل
عندي ما أتقوى به ، ولم تجعل في يد رسولك ما يحملني عليه ، وإني أتصدق على كل مسلم
بكل مظلمة أصابني فيها في مال أو جسد أو عرض .

ثم أصبح مع الناس ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أين المتصدق هذه
الليلة ؟ » فلم يبق أحد ، ثم قال : « أين المتصدق فليقم » فقام إليه فأخبره فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : « أبشِرْ فوالذي نفسي بيده لقد كتبت في الزكاة المتقبلة ! » .

وقد أورد الحافظ البيهقي هاهنا حديث أبي موسى الأشعري فقال : حدثنا أبو عبد الله
الحافظ ، حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، حدثنا أحمد بن عبد الحميد المازني ، حدثنا أبو
أسامة ، عن بُريد ، عن أبي بُرْدَة ، عن أبي موسى قال : أرسلني أصحابي إلى رسول الله

(١) في شرح الواهب ٦٧/٣ : وحرى . بفتح المهملة .

صلى الله عليه وسلم أسأله لهم الخيلان إذ هم معه في جيش العسرة [وهو في (١)] غزوة تبوك، فقلت : يا نبي الله إن أصحابي أرسلوني إليك لتخملهم. فقال : « والله لا أحملكم على شيء » ووافقته وهو غضبان ولا أشعر .

فرجعت حزينا من منع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن مخافة أن يكون رسول الله قد وجد في نفسه عليّ ، فرجعت إلى أصحابي فأخبرتهم بالذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم ألبث إلا سوية إذ سمعت بلالا ينادي : أين عبد الله بن قيس ؟ فأجبت به فقال : أجب رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك . فلما أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « خذ هذين القرينين (٢) وهذين القرينين وهذين القرينين » لست أبعرة ابتاعهم حينئذ من سعد فقال : « انطلق بهن إلى أصحابك قل : إن الله أو إن رسول الله يحملك على هؤلاء » .

فقلت : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يحملك على هؤلاء ، ولكن والله لا أدعكم حتى ينطلق معي بعضكم إلى من سمع مقالة رسول الله حين سأله لكم ومنعه لي في أول مرة ثم إعطائه إياي بعد ذلك ، لا تظنوا أني حدثتكم شيئا لم يقله . فقالوا لي : والله إنك عندنا لمصدق ولنفعلن ما أحببت .

قال : فانطلق أبو موسى بنفر منهم ، حتى أتوا الذين سمعوا مقالة رسول الله صلى الله عليه وسلم من منعه إياهم ثم إعطائه بعد خدثهم بما حدثهم به أبو موسى سواء . وأخرجه البخاري ومسلم جميعا عن أبي كريب ، عن أبي أسامة . وفي رواية لهما عن أبي موسى قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في رهط من الأشعرين ليحملنا فقال : « والله لا أحملكم وما عندي ما أحملكم عليه » .

قال : ثم جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بنهب إبل ، فأمر لنا بست ذود عرّ الذرى (٣) فأخذناها ثم قلنا : تغفلنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يمينه والله لا يبارك لنا .

(١) سقطت من المطبوعة .

(٢) القرينان : البعيران الشدود أحدهما إلى الآخر . أو الظليان المتساويان . وفي ١ : القرينين .

(٣) عرّ الذرى : صفة السنام .

فرجعنا فقلنا له فقال : « ما أنا حَمَلْتُكُمْ ولكن الله حَمَلَكُمْ » ثم قال : « إني والله إن شاء الله لأحلف على يمين فأرى غيرها خيراً منها إلا أتيتُ الذي هو خيرٌ وتحلَّلتُها » .

قال ابن إسحاق : وقد كان نفر من المسلمين أبطأت بهم الغيبة ^(١) حتى تخلَّفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير شك ولا ارتياب .

منهم كعب بن مالك بن أبي كعب أخو بني سلمة ، ومَرارة بن ربيع أخو بني عمرو ابن عوف ، وهلال بن أمية أخو بني واقف ، وأبو خَيْثمة أخو بني سالم بن عوف ، وكانوا نفر صدق لا يُتهمون في إسلامهم .

قلت : أما الثلاثة الأول فستأتي قصتهم مبسوطه قريباً إن شاء الله تعالى ، وهم الذين أنزل الله فيهم : « وعلى الثلاثة الذين خُلِّفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه » .

وأما أبو خَيْثمة فإنه عاد وعزم على اللحق برسول الله صلى الله عليه وسلم كما سيأتي .

فصل

قال يونس بن بُكير عن ابن إسحاق : ثم استقْبَّ برسول الله صلى الله عليه وسلم سَفَره وأجمع السَّير ، فلما خرج يوم الخميس ضَرَبَ عسكره على ثَلِيَّةِ الوداع ومعه زيادة على ثلاثين ألفاً من الناس ، وضربَ عَبْدُ الله بن أبيّ عدو الله عسكره أسفل منه - وما

(١) ابن هشام : الغيبة .

كان فيما يزعمون بأقل العسكرين .

فلما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم تخلف عنه عبد الله بن أبي في طائفة من المنافقين وأهل الرئب .

قال ابن هشام : واستخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة محمد بن مسلمة الأنصاري قال : وذكر الدراوردي أنه استخلف عليها عام تبوك سباع بن عرفة .
قال ابن إسحاق : وخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب على أهله وأمره بالإقامة فيهم ، فأرجف به المنافقون وقالوا : ما خلفه إلا استنقالاته وتحققا منه .

فلما قالوا ذلك أخذ عليٌ بسلاحه ثم خرج حتى لحق برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نازل بالجرف فأخبره بما قالوا ، فقال : « كذبوا ولكني خلفتك لما تركت ورائي ، فارجع فاخلفني في أهلي وأهلك . أفلا ترضى يا علي أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لانيء بعدى » .

فرجع عليٌ ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفره .

ثم قال ابن إسحاق : حدثني محمد بن طلحة بن يزيد بن ركانة ، عن إبراهيم بن سعد بن أبي وقاص ، عن أبيه سعد ، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعليٍّ هذه المقالة .

وقد روى البخاري ومسلم هذا الحديث من طريق شعبة ، عن سعد بن إبراهيم ، عن إبراهيم بن سعد بن أبي وقاص ، عن أبيه به .

وقد قال أبو داود الطيالسي في مسنده : حدثنا شعبة ، عن الحكم ، عن مصعب بن سعد ، عن أبيه سعد : خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب في غزوة تبوك ، فقال : يا رسول الله أتحلفني في النساء والصبيان ؟ فقال : « أما ترضى أن تكون

منى بمنزلة هارون من موسى غير أنه لانبى بعدى .

وأخرجاه من طرق عن شعبة نحوه . وعلقه البخارى أيضا من طريق أبى داود

عن شعبة .

وقال الإمام أحمد : حدثنا قتيبة بن سعيد ، حدثنا حاتم بن إسماعيل ، عن بُكير بن مسلم ، عن عامر بن سعد ، عن أبيه ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له - وخلفه في بعض مغازيه فقال على : يا رسول الله تخلفنى مع النساء والصبيان ؟ فقال : « يا على أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لانبى بعدى » .

ورواه مسلم والترمذى عن قتيبة . زاد مسلم ومحمد بن عباد كلاهما عن حاتم بن إسماعيل به . وقال الترمذى : حسن صحيح غريب من هذا الوجه .

قال ابن إسحاق : ثم إن أبا خَيْثَمَةَ رجع بعد ما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم أياما إلى أهله في يوم حار ، فوجد امرأتين له في عَرِيشٍ لهما في حائطه ، قد رشت كل واحدة منهما عريشها وبردت فيه ماء وهيات له فيه طعاما .

فلما دخل قام على باب العريش فنظر إلى امرأته وما صنعتا له ، فقال : رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في الصَّحِّ^(١) والريح والحر ، وأبو خَيْثَمَةَ في ظلِّ بارد وطعام مُهِيناً وامرأة حسناء في ماله مقيم ! ما هذا بالنَّصْف . والله لا أدخل عريش واحدة منكما حتى ألحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فهِئْتَا زاداً . ففعلتا .

ثم قدَّم ناضحه فارتحلها ، ثم خرج في طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أدركه حين نزل تبوك .

وقد كان أدرك أبا خَيْثَمَةَ عُمَيْرُ بن وهب الجمحى في الطريق يطلب رسول الله صلى الله

عليه وسلم فترافقا حتى إذا دنوا من تبوك قال أبو خيثمة لعمر بن وهب : إن لي ذنباً ، فلا عليك أن تخلف عني حتى آتي رسول الله صلى الله عليه وسلم . ففعل .

حتى إذا دنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الناس : هذا راكبٌ على الطريق مُقبل . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كن أبا خيثمة » فقالوا : يا رسول الله هو والله أبو خيثمة .

فلما بلغ أقبل فسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له : « أُولَى لك يا أبا خيثمة ! » ثم أخبر رسول الله الخبر فقال خيراً ودعا له بخير .

وقد ذكر عروة بن الزبير وموسى بن عقبة قصة أبي خيثمة بنحو من سياق محمد بن إسحاق وأبسط ، وذكر أن خروجه عليه السلام إلى تبوك كان في زمن الخريف فالله أعلم .

قال ابن هشام : وقال أبو خيثمة ، واسمه مالك بن قيس في ذلك :

لما رأيتُ الناس في الدَّينِ نَافَقُوا أَنِيتُ التي كانتُ أعفٌ وأكرماً
وبابعتُ باليمنِ يَدِي لِمُحَمَّدٍ فلم أَكْتَسِبْ إِثْمًا ولم أَغْشَ حَرَمًا
تَرَكْتُ خَضِيبًا فِي العَرِيشِ وَصِرْمَةً صَفَايَا كِرَامًا بُسْرَهَا قد تَحَمَّمَا^(١)
وَكُنْتُ إِذَا شَكَّ الْمَنَافِقُ أَسَمَحْتُ إِلَى الدِّينِ نَفْسِي شَطْرَهُ حَيْثُ يَمَّمَا

وقال يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق ، عن بُرَيْدَةَ ، عن سفيان^(٢) ، عن محمد بن كعب القرظي ، عن عبد الله بن مسعود قال : لما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تبوك جعل لا يزال الرجل يتخلف فيقولون : يا رسول الله تخلف فلان .

(١) الخضب : المرأة الخضوبة . والصرمة : القطعة من الإبل ، وهو يريد هنا : الطائفة من النخل .
والصفايا : السكتيرة الثمر . وتحمم : أخذ في الإرتطاب فتلون بالسواد . (٢) ١ : بريدة بن سفيان .

فيقول : « دَعُوهُ ، إِنْ يَكُ فِيهِ خَيْرٌ فَيُصْلِحْهُ اللَّهُ بِكُمْ ، وَإِنْ يَكُ غَيْرَ ذَلِكَ فَقَدْ أَرَاكُمْ اللَّهُ مِنْهُ » .

حتى قيل : يَا رَسُولَ اللَّهِ تَخْلَفُ أَبُو ذَرٍّ وَأَبْطَأُ بِهِ بَعِيرَهُ . فَقَالَ : « دَعُوهُ إِنْ يَكُ فِيهِ خَيْرٌ فَيُصْلِحْهُ اللَّهُ بِكُمْ ، وَإِنْ يَكُ غَيْرَ ذَلِكَ فَقَدْ أَرَاكُمْ اللَّهُ مِنْهُ » .

فَتَلَوَّمَ^(١) أَبُو ذَرٍّ بَعِيرَهُ ، فَلَمَّا أَبْطَأَ عَلَيْهِ أَخَذَ مَتَاعَهُ فَجَعَلَهُ عَلَى ظَهْرِهِ ثُمَّ خَرَجَ يَتْبَعُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَاشِيًا ، وَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ فِي بَعْضِ مَنَازِلِهِ وَنَظَرَ نَاطِرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ هَذَا الرَّجُلُ مَاشَى عَلَى الطَّرِيقِ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « كُنْ أَبَا ذَرٍّ » فَلَمَّا تَأَمَّلَهُ الْقَوْمُ قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ هُوَ وَاللَّهُ أَبُو ذَرٍّ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يَرْحَمُ اللَّهُ أَبَا ذَرٍّ ! يَمْشِي وَحْدَهُ وَيَمُوتُ وَحْدَهُ وَيُبْعَثُ وَحْدَهُ » .

قَالَ فَضْرَبَ [الدَّهْرُ^(٢)] ضَرْبَهُ ، وَسَيَّرَ أَبُو ذَرٍّ إِلَى الرَّبَذَةِ ، فَلَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ أَوْصَى امْرَأَتَهُ وَغُلَامَهُ فَقَالَ : إِذَا مِتُّ فَاغْسِلَانِي وَكَفِّنَانِي مِنَ اللَّيْلِ ، ثُمَّ ضَعَانِي عَلَى قَارِعَةِ الطَّرِيقِ فَأُولُ رُكْبٍ يَمْرُونَ بِكُمْ فَقُولُوا : هَذَا أَبُو ذَرٍّ .

فَلَمَّا مَاتَ فَعَلُوا بِهِ كَذَلِكَ ، فَاطَّلَعَ رُكْبٌ فَا عَمَلُوا بِهِ حَتَّى كَانَتْ رُكَابُهُمْ تَطَأُ سَرِيرَهُ ، فَإِذَا ابْنُ مَسْعُودٍ فِي رَهْطٍ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ فَقَالَ : مَا هَذَا ؟ فَقِيلَ : جَنَازَةُ أَبِي ذَرٍّ فَاسْتَهْلَ ابْنُ مَسْعُودٍ يَبْكِي وَقَالَ : صَدَقَ رَسُولُ اللَّهِ : « يَرْحَمُ اللَّهُ أَبَا ذَرٍّ ، يَمْشِي وَحْدَهُ وَيَمُوتُ وَحْدَهُ وَيُبْعَثُ وَحْدَهُ » فَتَزَلَّ فَوَلَّيَهُ بِنَفْسِهِ حَتَّى أَجَنَّهُ .

إِسْنَادُهُ حَسَنٌ وَلَمْ يَخْرُجْ .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ، أخبرنا عبد الله بن محمد بن عقيل في قوله : « الذين اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ » . قال : خرجوا في غزوة تبوك ، الرجال والثلاثة على بعير واحد ، وخرجوا في حر شديد فأصابهم في يوم عطشٌ حتى جعلوا ينحرون إبلهم لينفضوا أكراشها ويشربوا ماءها ، فكان ذلك عسرةً في الماء وعسرة في النفقة وعسرة في الظَّهر^(١) .

قال عبد الله بن وهب : أخبرني عمرو بن الحارث ، عن سعيد بن أبي هلال ، عن عتبة بن أبي عتبة ، عن نافع بن جبير ، عن عبد الله بن عباس ، أنه قيل لعمر بن الخطاب : حدثنا عن شأن ساعة العسرة . فقال عمر : خرجنا إلى تبوك في قيظ شديد فزلنا منزلاً وأصابنا فيه عطش حتى ظننا أن رقابنا ستنقطع ، حتى إن كان أحداً ليذهب فيلتمس الرَّحْلَ فلا يرجع حتى يظن أن رقبته ستنقطع ، حتى إن الرجل لينحر بعيره فيعتصر قرنه فيشربه ثم يحمل ما بقى على كبده ، فقال أبو بكر الصديق : يا رسول الله إن الله قد عودك في الدعاء خيراً فادع الله لنا . فقال : « أو تحب ذلك ؟ » قال : نعم . قال : فرفع يديه نحو السماء فلم يرجعهما حتى قالت السماء فأطلت^(٢) ثم سكبت فملأوا ما معهم ثم ذهبنا ننظر فلم نجد لها جاوزت^(٣) العسكر .

إسناده جيد ولم يخرجوه من هذا الوجه .

وقد ذكر ابن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة ، عن رجال من قومه ، أن هذه القصة كانت وهم بالحِجْر وأنهم قالوا الرجل معهم منافق : ويحك هل بعد هذا من شيء ؟ ! فقال : سحابة مارة !

وذكر أن ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ضلَّت فذهبوا في طلبها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمارة بن حزم الأنصاري - وكان عنده : « إن رجلاً قال : هذا

(١) من الظهر . (٢) قالت السماء : تهيأت للطر . وأطلت : أمطرت مطراً خفيفاً .

(٣) : جازت به .

محمد يخبركم أنه نبي ويخبركم خبر السماء وهو لا يدرى أين نأقته ! وإني والله لا أعلم إلا ما علمني الله ، وقد دلّني الله عليها ، هي في الوادي قد حبستها شجرة بزمامها » .

فانطلقوا فجاءوا بها ، فرجع عمارة إلى رحله ، فحدثهم عما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم من خبر الرجل ، فقال رجل ممن كان في رحل عمارة : إنما قال ذلك زيد بن اللصيت^(١) . وكان في رحل عمارة قبل أن يأتي ، فأقبل عمارة على زيد ينجأ في عنقه ويقول : إن في رحلي لدهاية وأنا لا أدري ، أخرج عني يا عدو الله فلا تصحبني . فقال بعض الناس : إن زيدا تاب ، وقال بعضهم : لم يزل مُصرّاً^(٢) حتى هلك .

قال الحافظ البيهقي : وقد روينا من حديث ابن مسعود شبيهاً بقصة الراحلة .
ثم روى من حديث الأعمش وقد رواه الإمام أحمد ، عن أبي معاوية ، عن الأعمش
عن أبي صالح ، عن أبي هريرة أو عن أبي سعيد الخدري - شك الأعمش - قال : لما
كان يوم غزوة تبوك أصاب الناس مجاعة ، فقالوا : يا رسول الله لو أذنت لنا فنفجر
نواضحنا فأكلنا وادّهنا ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « افعلوا » .

فجاء عمر فقال : يا رسول الله إن فعلت قلّ الظّهر ، ولكن ادعهم بفضّل أزوادهم
وادع الله لهم فيها بالبركة ، لعل الله أن يجعل فيها البركة . فقال رسول الله : نعم . فدعا
بنطع فبسطه ثم دعا بفضل أزوادهم ، فجعل الرجل ينجى بكف ذرة وينجى الآخر بكف
من التمر وينجى الآخر بكسرة ، حتى اجتمع على النطع من ذلك شيء يسير ، فدعا
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبركة ثم قال لهم : « خذوا في أوعيتكم » فأخذوا في
أوعيتهم حتى ما تركوا في العسكر وعاء إلا ملأوه وأكلوا حتى شبعوا وفضلت فضلة

(١) قال ابن هشام : ويقال : ابن لصيب . (٢) ح : متهما بفكر .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله ، لا يلتقى الله بها عبدٌ غير شاكٍ فيحجب عن الجنة » .

ورواه مسلم عن أبي كريب ، عن أبي معاوية ، عن الأعمش به . ورواه الإمام أحمد من حديث سهيل عن أبيه ، عن أبي هريرة ولم يذكر غزوة تبوك بل قال : كان في غزوة غزاها .

ذكر مروره عليه السلام في ذهابه إلى تبوك بمساكن ثمود
وصرختهم بالحجر

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مرّ بالحجر نزها واستقى الناس من بئرها ، فلما راحوا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تشربوا من مياهها شيئا ولا تتوضأوا منه للصلاة ، وما كان من عجين عجنتموه فاعلفوه الإبل ولا تأكلوا منه شيئا » .

هكذا ذكره ابن إسحاق بغير إسناد .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يعمر بن بشر ، حدثنا عبد الله بن المبارك ، أخبرنا معمر عن الزهري ، أخبرني سالم بن عبد الله عن أبيه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما مرّ بالحجر قال : « لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين ، أن يصيبكم ما أصابهم » وتقع بردائه وهو على الرّحل .

ورواه البخاري من حديث عبد الله بن المبارك وعبد الرزاق ، كلاهما عن معمر بإسناد نحوه .

وقال مالك ، عن عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال لأصحابه : « لا تدخلوا على هؤلاء المعتذرين إلا أن تكونوا باكين ، فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم أن يصيبكم مثل أصابهم » .

ورواه البخارى من حديث [مالك ومن حديث ^(١)] سليمان بن بلال ، كلاهما عن عبد الله بن دينار . ورواه مسلم من وجه آخر عن عبد الله بن دينار نحوه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد ، حدثنا صخر - هو ابن جويرية - عن نافع ، عن ابن عمر قال : نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس عام تبوك الحِجْر عند بيوت ثمود ، فاستقى الناس من الآبار التي كانت تشرب منها ثمود فعبثوا ونصبوا القدور باللحم ، فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأهرقوا القدور وعلفوا العجین الإبل ، ثم ارتحل بهم حتى نزل بهم على البئر التي كانت تشرب منها الناقة ، ونهاهم أن يدخلوا على القوم الذين عذبوا [فقال] : « إني أخشى أن يصيبكم مثل ما أصابهم فلا تدخلوا عليهم » .

وهذا الحديث إسناده على شرط الصحيحين من هذا الوجه ولم يخرجوه ، وإنما أخرجه البخارى ومسلم من حديث أنس بن عياض ، عن أبي ضمرة ، عن عبيد الله بن عمر ، عن نافع ، عن ابن عمر به .

قال البخارى : وتابعه أسامة عن عبيد الله .

ورواه مسلم من حديث شعيب بن إسحاق ، عن عبيد الله عن نافع به .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن عبد الله بن عثمان ابن خثيم ، عن أبي الزبير ، عن جابر قال : لما مرَّ النبي صلى الله عليه وسلم بالحِجْر

قال : « لَا تَسْأَلُوا الْآيَاتَ فَقَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ صَالِحٌ فَكَانَتْ تَرِدُ مِنْ هَذَا الْفَجِّ ^(١) وَتَصْدُرُ مِنْ هَذَا الْفَجِّ ، فَمَتَّوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَمَقَرُّوْهَا ، وَكَانَتْ تَشْرَبُ مَاءَهُمْ يَوْمًا وَيَشْرَبُونَ لَيْلَهَا يَوْمًا ، فَمَقَرُّوْهَا فَأَخَذَتْهُمْ صَيْحَةٌ أَهْدَا اللَّهُ مَنْ تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ مِنْهُمْ إِلَّا رَجُلًا وَاحِدًا كَانَ فِي حَرَمِ اللَّهِ .

قيل : من هو يارسول الله ؟ قال : « هُوَ أَبُو رِغَالٍ ، فَلَمَّا خَرَجَ مِنَ الْحَرَمِ أَصَابَهُ مَا أَصَابَ قَوْمَهُ » .

إسناده صحيح ولم يخرجوه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد بن هارون ، أخبرنا المسعودي ، عن إسماعيل بن واسط ، عن محمد بن أبي كعبشة الأماري ، عن أبيه قال : لما كان في غزوة تبوك تسارع الناسُ إلى أهل الحِجْرِ يدخلون عليهم ، فبلغ ذلك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فنودي في الناس : الصلاة جامعة .

قال : فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ممسك بعميره وهو يقول : « مَاتَدْخُلُونَ عَلَى قَوْمٍ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ؟ » فناداه رجل : نَعَجَبَ مِنْهُمْ . قال : « أَفَلَا أَنْبَيْتُكُمْ بِأَنْجَبَ مِنْ ذَلِكَ ؟ رَجُلٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ يَنْبِئُكُمْ بِمَا كَانَ قَبْلَكُمْ وَمَا هُوَ كَائِنْ بَعْدَكُمْ ، فَاسْتَقِيمُوا وَسَدُّوا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَعْأُ بِعَذَابِكُمْ شَيْئًا ، وَسَيَأْتِي قَوْمٌ لَا يَدْفَعُونَ عَنْ أَنْفُسِهِمْ شَيْئًا » .

إسناده حسن ولم يخرجوه .

وقال يونس بن بُكَيْرٍ ، عن ابن إسحاق : حدثني عبد الله بن أبي بكر بن حزم ، عن العباس بن سهل بن سعد الساعدي - أو عن العباس بن سعد الشك مَنى - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مرَّ بِالْحِجْرِ ونزلها واستقى الناسُ من بئرِها ، فلما راحوا

منها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس : « لا تشربوا من مائها شيئاً ولا تتوضأوا منه للصلاة ، وما كان من عجين عجتموه فاعلفوه الإبل ولا تأكلوا منه شيئاً ، ولا يخرج من أحد منكم الليلة إلا ومعه صاحب له » .

ففعل الناس ما أمرهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا رجلين من بني ساعدة ، خرج أحدهما لحاجته ، وخرج الآخر في طلب بعير له فأما الذي ذهب لحاجته فإنه خنق على مذهبه^(١) ، وأما الذي ذهب في طلب بعيره فاحتملته الريح حتى ألقته بجبل طيئ ، فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال : « ألم أنحكم أن يخرج رجل إلا ومعه صاحب له » .

ثم دعا الذي أصيب على مذهبه فشفي ، وأما الآخر فإنه وصل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك .

وفي رواية زياد عن ابن إسحاق أن طيئاً أهدته إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رجع إلى المدينة .

قال ابن إسحاق : وقد حدثني عبد الله بن أبي بكر أن العباس بن سهل سمي له الرجلين ، لكنه استكتمه إياهما فلم يحدثني بهما .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا وهيب بن خالد ، حدثنا عمرو بن يحيى ، عن العباس بن سهل بن سعد الساعدي ، عن أبي حميد الساعدي ، قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام تبوك حتى جئنا وادي القرى ، فإذا امرأة في حديقة لها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : « احرصوا » فحرص القوم وحرص رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة أوسق ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمرأة : « أحصى ما يخرج منها حتى أرجع إليك إن شاء الله » .

(١) خنق على مذهب : في موضع قضاء الحاجة .

قال : نخرج حتى قدم تبوك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنها ستهب عليكم الليلة ريحٌ شديدة فلا يقوم فيها رجل ، فمن كان له بعير فليوثق عقاله » .

قال أبو حميد : ففعلناها ، فلما كان من الليل هبت علينا ريحٌ شديدة ، فقام فيها رجل فالقته في جبل طي .

ثم جاء رسول الله ﷺ أيلة فأهدى لرسول الله بغلة بيضاء ، وكساه رسول الله بُرداً وكتب له يُخبرهم ^(١) .

ثم أقبل وأقبلنا معه ، حتى جئنا وادي القرى فقال للمرأة : « كم جاءت حديثك ؟ » قالت : عشرة أوسق . خرص رسول الله .

فقال رسول الله : « إني متمجِّل ، فمن أحب منكم أن يتعجل فليفعل » قال : فخرج رسول الله وخرجنا معه ، حتى إذا أوفى على المدينة قال : « هذه طابة » . فلما رأى أحداً قال « هذا أحد ^(٢) يحبنا ونحبه ، ألا أخبركم بخير دور الأنصار ؟ » قلنا : بلى يا رسول الله . قال : « خير دور الأنصار بنو النجار ، ثم دار بنو عبد الأشهل ، ثم دار بنو ساعدة ، ثم في كل دور الأنصار خير » .

وأخرجه البخاري ومسلم من غير وجه عن عمرو بن يحيى به نحوه . وقال الإمام مالك رحمه الله عن أبي الزبير ^(٣) ، عن أبي الطفيل عامر بن واثلة ، أن معاذ بن جبل أخبره أنهم خرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام تبوك ، فكان يجمع بين الظهر والعصر ، وبين المغرب والعشاء ، قال : فأخر الصلاة يوماً ثم خرج فصلى الظهر والعصر جميعاً ، ثم دخل ثم خرج فصلى المغرب والعشاء جميعاً ، ثم قال :

(١) الأصل : يخبرهم . وهو تحريف . وما أثبتته عن ابن هشام

(٢) ح : هذا جبل . (٣) ١ : عن بني الزبير . وهو تحريف .

« إنا نكم ستأتون غداً إن شاء الله عین تبوك وإنكم لن تأتوها حتى يضحى ضحى النهار، فمن جاءها فلا يمس من مائها شيئاً حتى آتى » .

قال : فغُثِّاها وقد سبق إليها رجلان والعين مثل الشراك ^(١) تَبَضُّ بشيء من ماء ، فسألها رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هل مسستما من مائها شيئاً ؟ » ، قالا : نعم فسبهما وقال لهما ماشاء الله أن يقول ، ثم غرَفوا من العين قليلاً قليلاً حتى اجتمع في شَنٍّ ، ثم غسل رسول الله فيه وجهه ويديه ، ثم أعاده فيها فجرت العين بماء كثير فاستقى الناس ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يامعاذ يوشك إن طالت بك حياة أن ترى ما هاهنا قد ملئ جَنَاناً » .
أخرجه مسلم من حديث مالك به .

ذكر خطبته عليه السلام إلى تبوك إلى نخلة هناك

روى الإمام أحمد عن أبي النضر هاشم بن القاسم ويونس بن محمد المؤدب وحجاج ابن محمد ، ثلاثتهم عن الليث بن سعد ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن أبي الخير ، عن أبي الخطاب ، عن أبي سعيد الخدري أنه قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم عام تبوك خطب الناس وهو مسندٌ ظهره إلى نخلة فقال :

« ألا أخبركم بخير الناس وشر الناس ؟ إن من خير الناس رجلاً عمل في سبيل الله على ظهر فرسه أو على ظهر بعيره أو على قدميه حتى يأتيه الموت ، وإن من شر الناس رجلاً فاجراً جريئاً يقرأ كتاب الله لا يرعوى إلى شيء منه » .

ورواه النسائي عن قتيبة ، عن الليث به . وقال : أبو الخطاب لا أعرفه .

وروى البيهقي من طريق يعقوب بن محمد الزهرى ، عن عبد العزيز بن عمران ،

(١) : مثل الشمال . وهو تحريف .

حدثنا مصعب بن عبد الله ، عن منظور بن جميل بن سنان ^(١) ، أخبرني أبي ، سمعت عقبة بن عامر الجهني ، خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ، فاسترقده رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يستيقظ حتى كانت الشمس قيد رُمح ، قال : « ألم أقل لك يا بلال اكلاً لنا الفجر ؟ » فقال : يا رسول الله ذهب بي من النوم مثل الذي ذهب بك .

قال : فانتقل رسول الله صلى الله عليه وسلم من منزله غير بعيد ثم صلى وسار بقية يومه وليلته فأصبح بتبوك ، حمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال :

« أيها الناس أما بعد ؛ فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وأوثق العرى كلمة التقوى ، وخير المثل ملة إبراهيم ، وخير السن سنة محمد ، وأشرف الحديث ذكر الله ، وأحسن القصص هذا القرآن ، وخير الأمور عوازمها ^(٢) وشر الأمور مُحْدَثَاتُهَا ، وأحسن الهدى هدى الأنبياء ، وأشرف الموت قتل الشهداء ، وأعنى العمى الضلالة بعد الهدى ، وخير الأعمال مانفع ، وخير الهدى ما اتبع ، وشر العمى عمى القلب ، واليد العليا خير من اليد السفلى ، وما قلّ وكفى خير مما كثر وألّهى ، وشر المعذرة حين يحضر الموت ، وشر الندامة يوم القيامة ، ومن الناس من لا يأتي الجمعة إلا دُبراً ، ومن الناس من لا يذكر الله إلا هَجْراً ، ومن أعظم الخطايا اللسان الكذوب ، وخير الغنى غنى النفس ، وخير الزاد التقوى ، ورأس الحكمة مخافة الله عز وجل ، وخير ما وقر في القلوب اليقين ، والارتياح من الكفر ، والنياحة من عمل الجاهلية ، والغُلُول من حَتَّى ^(٣) جهنم ، والشعر من إبليس ، والخمر جماع الإثم ، والنساء حَبَائِلُ الشيطان ، والشباب شُعبَة من الجنون ، وشر المكاسب كسب الربا ، وشر المآكل أكل مال اليتيم ، والسعيد من وعِظ بغيره ،

(١) ت : يسار

(٢) العوازم : الفرائض التي عزم الله بفعلها . (٣) الحثاء : التراب المحشو

والشقي من شقي في بطن أمه ، وإنما يصير أحسكم إلى موضع أربعة أذرع والأمر إلى الآخرة ، وملاك العمل خواتمه ، وشر الرّوايا روايا الكذب ، وكل ماهو آت قريب ، وسيباب المؤمن فسوق ، وقتال المؤمن كفر ، وأكل لحمه من معصية الله ، وحرمة ماله كحرمة دمه ، ومن يقاتل على الله يكذّبه ، ومن يستغفره يغفر له ، ومن يعفّ يعفّ الله عنه ، ومن يكظم يأجره الله ، ومن يصبر على الرّزية يعوّضه الله ، ومن يبتغ السّعة يسمّع الله به ، ومن يصبر يضعف الله له ، ومن يعص الله يعذبه الله ، اللهم اغفر لي ولأمتي ، اللهم اغفر لي ولأمتي ، اللهم اغفر لي ولأمتي « قالها ثلاثا ثم قال : « أستغفر الله لي واسمكم » .

وهذا حديث غريب وفيه نكارة وفي إسناده ضعف . والله أعلم بالصواب .
وقال أبو داود : حدثنا أحمد بن سعيد الهمداني وسليمان بن داود ، قالا : أخبرنا ابن وهب ، أخبرني معاوية ، عن سعيد بن غزوان ، عن أبيه ، أنه نزل بنبوك وهو حاج فإذا رجل مُقعد ، فسألته عن أمره فقال : سأحدثك حديثا فلا تحدث به ما سمعت أني حتى . إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل بنبوك إلى نخلة فقال : هذه قبلتنا . ثم صلى إليها . قال : فأقبلتُ وأنا غلام أسعى حتى مررتُ بينه وبينها ، فقال : قطع صلاتنا قطع الله أثره .

قال : فماقتُ عليها إلى يومى هذا .
ثم رواه أبو داود من حديث سعيد بن^(١) عبد العزيز التّنوخي ، عن مولى ليزيد ابن نمران ، عن يزيد بن نمران ، قال : رأيت بنبوك مُقعداً فقال : مررت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا على حمار وهو يصلي فقال : اللهم اقطع أثره . فامشيت عليها بعد . وفي رواية : « قطع صلاتنا قطع الله أثره » .

(١) الأصل : عن عبد العزيز . وما أثبتته عن سنن أبي داود ١١٢/١ .

ذكر الصلاة على معاوية بن أبي معاوية إن صح الخبر في ذلك

روى البيهقي من حديث يزيد بن هارون ، أخبرنا العلاء أبو محمد الثَّقَفِي ، قال سمعت أنس بن مالك قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بَبُوك ، فطلعت الشمس بضياء وشعاع ونور لم أرها طلعت فيما مضى ، فأتى جبريلُ رسولَ الله فقال : « يا جبريل مالى أرى الشمس اليوم طلعت بضياء ونور وشعاع لم أرها طلعت فيما مضى ؟ » .

قال : ذلك أن معاوية بن معاوية الليثي مات بالمدينة اليوم ، فبعث الله إليه سبعين ألف ملك يصلون عليه . قال : « ومم ذاك ؟ » قال : بكثرة قراءته : « قل هو الله أحد » بالليل والنهار وفي تمشاه وفي قيامه وقعوده ، فهل لك يا رسول الله أن أقبض لك الأرض فتصلى عليه ؟ قال : نعم . قال : فصلى عليه ثم رجع .

وهذا الحديث فيه غرابة شديدة ونكارة ، والناس يسندون أمره إلى العلاء بن زيد هذا ^(١) وقد تكلموا فيه .

ثم قال البيهقي : أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان ، أخبرنا أحمد بن عُبَيْد الصَّفَّار ، حدثنا هشام بن علي ، أخبرنا عثمان بن الهيثم ، حدثنا محبوب بن هلال ، عن عطاء بن أبي ميمونة ، عن أنس قال : جاء جبريل فقال : يا محمد مات معاوية بن أبي معاوية المزني ، أفتحب أن تصلى عليه ؟ قال : نعم . فضرب بجناحه فلم يبق من شجرة ولا أكمة إلا تضرعت له . قال : فصلى وخلفه صفان من الملائكة في كل صف سبعون ألف ملك ، قال قلت : « يا جبريل بم نال هذه المنزلة من الله ؟ » قال : بحبه « قل هو الله أحد » يقرؤها قائما وقاعدا ، وذاهبا وجائيا ، وعلى كل حال .

قال عثمان : فسألت أبي أين كان النبي صلى الله عليه وسلم ؟ قال : بغزوة تبوك

بالشام ، ومات معاوية بالمدينة ، ورفع له سريرته ، حتى نظر إليه وصلى عليه .
وهذا أيضا مُنكر من هذا الوجه .

قدوم رسول قيصر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بتبوك

قال الإمام أحمد : حدثنا إسحاق بن عيسى ، حدثنا يحيى بن سليم ، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن سعيد بن أبي راشد ، قال : لقيت التَّوْخِيَّ رسول هرقل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمحصر ، وكان جاراً لى شيخاً كبيراً قد بلغ العقد أو قرب ، فقلت : ألا تخبرني عن رسالة هرقل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى هرقل ؟ قال : بلى .

قدِم رسولُ الله تبوكَ ، فبعث دِخْيَةَ الكلبي إلى هرقل ، فلما أن جاءه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا قسّيس الروم وبطارقتها ثم أغلق عليه وعليهم الدار فقال : قد نزل هذا الرجل حيث رأيتم وقد أرسل إلى يدعوني إلى ثلاث خصال ، يدعوني أن أتبعه على دينه ، أو على أن نعطيهم مالنا على أرضنا والأرض أرضنا ، أو نلقى إليه الحرب . والله لقد عرقتُم فيما تقرأون من الكتب ليأخذنَّ [أرضنا]^(١) فهل فلننّبعه على دينه أو نعطيهم مالنا على أرضنا .

فنفخروا نخرة رجل واحد حتى خرجوا من برانسهم وقالوا : تدعوننا إلى أن نذّر النصرانية أو نكون عبيداً لأعرابي جاء من الحجاز .

فلما ظن أنهم إن خرجوا من عنده أفسدوا عليه الروم رفأهم^(٢) ولم يكذ . وقال : إنما قلت ذلك لأعلم صلابتكم على أمركم .

ثم دعا رجلاً من عرب تجيب كان على نصاري العرب قال : ادع لي رجلاً حافظاً

(٢) رفأهم : سكتهم .

(١) من مسند أحمد .

للحديث عربى اللسان أبعثه إلى هذا الرجل بجواب كتابه .

فجاء بى ، فدفع إلىَّ هرقلُ كتابا فقال : اذهب بكتابى إلى هذا الرجل ، فما سمعتَ من حديثه فاحفظ لى منه ثلاث خصال : انظر هل يذكّر صحيفته إلى التى كتبت بشيء وانظر إذا قرأ كتابى فهل يذكّر الليل ؟ وانظر فى ظَهره هل به شيء يريبك ؟

قال : فانطلقت بكتابيه حتى جئت تبوك ، فإذا هو جالسٌ بين ظَهرانى أصحابه مُحتبياً على الماء ، فقلت : أين صاحبكم ؟ قيل : هاهو ذا .

فأقبلت أمشى حتى جلست بين يديه ، فناولته كتابى فوضعه فى حِجره ثم قال : « ممن أنت » فقلت أنا أخوتنوخ : قال : « هل لك إلى الإسلام الخفيفة ملة أريك إبراهيم ؟ » قلت : إني رسولُ قوم وعلى دين قوم لا أرجع عنه حتى أرجع إليهم . فضحك وقال : « إنك لا تهذى من أحبيتَ ولكن الله يهذى من يشاء وهو أعلم بالمهتدين » يا أخا تنوخ إني كتبت بكتاب إلى كسرى والله ممزّقه وممزق مُلكه ، وكتبت إلى النجاشى بصحيفة فخرها والله مخرقه ومخرق ملكه . وكتبتُ إلى صاحبك بصحيفة فأمسكها ، فلن يزال الناس يجدون منه بأسا مادام فى العيش خير .

قلت : هذه إحدى الثلاث التى أوصانى بها صاحبي .

فأخذت سهماً من جَعبتي فكتبتها فى جنب سيفي ثم إنه ناول الصحيفة رجلاً عن يساره ، قلت : من صاحبُ كتابكم الذى يقرأ لكم ؟ قالوا : معاوية فإذا فى كتاب صاحبي : تدعوني إلى جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين فأين النار ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سبحان الله ! أين الليل إذا جاء النهار » .

قال : فأخذت سهماً من جَعبتي فكتبته فى جلد سيفي .

فلما أن فرغ من قراءة كتابى قال : « إن لك حقاً وإنك لرسول ، فلو وجدتُ عبدنا جائزةً جوّزناك بها ، إنا سَفَرُ مُرْمِلون » قال : فناداه رجل من طائفة الناس قال :

أنا أجوزّه ، ففتح رَحله فإذا هو يأتى بحملة صُفُورِيَّة فوضعها فى حجرى ، قلت : من صاحب الجائزة ؟ قيل لى : عثمان .

ثم قال رسول الله : « أَيْكُمْ يُنْزَلُ هَذَا الرَّجُلُ ؟ » فقال فتى من الأنصار : أنا . فقام الأنصارى وقمت معه حتى إذا خرجتُ من طائفة المجلس نادانى رسول الله فقال : « تعال يا أَخَا تَنْوُخٍ » فأقبلتُ أَهْوَى حتى كنت قائماً فى مجلسى الذى كنت بين يديه ، فحلَّ حَبُوتَه عن ظَهْرِهِ وقال : « هاهنا امض لما أُمِرْتَ بِهِ » فجَلُتُ فى ظَهْرِهِ فإذا أنا بخاتم فى موضع عُضْوَنِ السَّكِيفِ مِثْلَ الْحَجْمَةِ ^(١) الضَّخْمَةِ .

هذا حديث غريب وإسناده لا بأس به تفرد به الإمام أحمد .

مصالحته ^(٢) عليه السلام ملك أيلة وأهل جَرْبَاءَ وأذرح

وهو مخيم على تبوك قبل رجوعه

قال ابن إسحاق : ولما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تبوك أتاه يُحَنَّةُ بن رُؤْبَةَ صاحب أَيْلَةَ ، فصالح رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعطاه الجزية ، وأتاه أهل جَرْبَاءَ وأذْرُحَ فأعطوه الجزية .

وكتب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاباً فهو عندهم .

فكتب ليُحَنَّةُ بن رُؤْبَةَ وأهل أيلة : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، هذه أَمْنَةٌ من الله ومحمد النبي رسول الله ليُحَنَّةُ بن رُؤْبَةَ وأهل أَيْلَةَ سفنهم وسيَّارتهم فى البر والبحر ، لهم ذمة الله و [ذمة] ^(٣) محمد النبي ومن كان معهم من أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر ، فمن أحدث منهم حَدَثًا فَإِنَّهُ لَا يَحُولُ مَالُهُ دُونَ نَفْسِهِ ، وَإِنَّهُ طَيِّبٌ لِمَنْ أَخَذَهُ مِنَ النَّاسِ ، وَأَنَّهُ لَا يَحِلُّ أَنْ يُمْنَعُوا مَاءَ يَرُدُونَهُ وَلَا طَرِيقًا يَرُدُونَهُ ^(٤) من بر أو بحر .

(٢) ت : كتابه (ص) ليحنة . .

(٤) ابن هشام : يريدونه .

(١) الحجمة : التواء

(٢) من ابن هشام .

زاد يونس بن بُكَيْر عن ابن إسحاق بعد هذا : وهذا كتاب جُهِيم بن الصَّلْت
وشرَحْبِيل بن حَسَنَة بإذن رسول الله .

قال يونس عن ابن إسحاق : وكتب لأهل جَرْبَاء وأذْرُح : « بسم الله الرحمن الرحيم ،
هذا كتاب من محمد النبي رسول الله لأهل جَرْبَاء وأذْرُح ، أنهم آمنون بأمان الله وأمان
محمد ، وأن عليهم مائة دينار في كل رجب ، ومائة أوقية طيبة ، وأن الله عليهم كفيل
بالنصح والإحسان إلى المسلمين ، ومن لجأ إليهم من المسلمين » .

قال : وأعطى النبي صلى الله عليه وسلم أهل أَيْلَة بُرْدَة مع كتابه أماناً لهم . قال :
فاشتراه بعد ذلك أبو العباس عبد الله بن محمد بثلاثمائة دينار .

بَعَثَهُ عَلَيْهِ السَّلَام خَالِد بن الوليد إلى أَكِيدِر دومة

قال ابن إسحاق : ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا خالد بن الوليد فبعثه إلى
أَكِيدِر دُومَة ، وهو أَكِيدِر بن عبد الملك رجل من بني كِنْدَة ^(١) كان ملكاً
عليها وكان نصرانياً . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لخالد : « إنك ستجده
يصيد البقر » .

فخرج خالد حتى إذا كان من حصنه بمنظر العين وفي ليلة مُقَمَّرَة صائفة وهو على
سطح له ومعه امرأته ، وباتت البقر تحكّ بقرونها باب القصر ، فقالت له امرأته : هل
رأيت مثل هذا قط ؟ قال : لا والله . قالت : فمن يترك هذا ؟ قال : لا أحد .

فنزّل فأمر بفروسه فأُسرَج له وركب معه نفر من أهل بيته فيهم أخ له يقال له حَسَّان ،
فركب وخرجوا معه بمطاردتهم .

فلما خرجوا تلقّتهم خيلُ النبي صلى الله عليه وسلم ، فأخذته وقتلوا أخاه وكان عليه

(١) كذا في أوفى ت وابن هشام : من كندة .

قَبَاءَ مِنْ دِيْبَاجٍ مَخْوَصٍ بِالذَّهَبِ ، فَاسْتَلَبَهُ خَالِدٌ فَبَعَثَ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ قُدُومِهِ عَلَيْهِ .

قال : فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن أنس بن مالك ، قال : رأيت قَبَاءَ أ كَيْدَرٍ حين قدِمَ به على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجعل المسلمون يمسونه بأيديهم ويتعجبون منه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أتعجبون من هذا [فوالذى نفسى بيده] ^(١) » لمناذيل سعد بن معاذ في الجنة أحسنُ من هذا .

قال ابن إسحاق : ثم إن خالد بن الوليد لما قدم بأ كَيْدَرٍ على رسول الله صلى الله عليه وسلم حَقَّنَ له دمه ، فصالحه على الجزية ، ثم خلى سبيله فرجع إلى قريته . فقال رجل من بنى طيِّ يُقال له بُجَيْرٌ بن بُجَرَّةٍ في ذلك :

تَبَارَكَ سَائِقُ الْبَقَرَاتِ إِنِّي رَأَيْتُ اللَّهَ يَهْدِي كُلَّ هَادٍ
فَمَنْ يَكُ حَائِداً عَنْ ذِي تَبُوكٍ فَإِنَّا قَدْ أَمَرْنَا بِالْجَهَادِ

وقد حكى البيهقي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهذا الشاعر : « لَا يَفْضُضُ اللَّهُ فَاكٌ » فَأَتَتْ عَلَيْهِ سَبْعُونَ سَنَةً مَا تَحْرُكُ لَهُ فِيهَا ضَرْسٌ وَلَا سِنَّ .

وقد روى ابن لهيعة عن أبي الأسود ، عن عروة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث خالداً مَرَّجِماً مِنْ تَبُوكٍ فِي أَرْبَعِمِائَةٍ وَعَشْرِينَ فَارِساً إِلَى أ كَيْدَرٍ دُومَةٍ . فذكر نحوه ما تقدم ، إلا أنه ذكر أنه ما كره حتى أنزله من الحصن ، وذكر أنه قدِمَ مع أ كَيْدَرٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ثَمَانِمِائَةٍ مِنَ السَّيِّ ، وَأَلْفَ بَعِيرٍ ، وَأَرْبَعِمِائَةٍ دَرَعٍ ، وَأَرْبَعِمِائَةٍ رَمَحٍ ، وَذَكَرَ أَنَّهُ لَمَّا سَمِعَ عَظِيمَ أَيْلَةٍ يُحَنَّةٍ ^(٢) بَنَ رُؤْبَةً بِقِصَّةِ أ كَيْدَرٍ دُومَةٍ أَقْبَلَ قَادِماً إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيُصَالِحَهُ ، فَاجْتَمَعَا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِتَبُوكٍ . فَالَّهُ أَعْلَمُ .

(٢) الأصل : يحنا . وهو تحريف .

(١) من ابن هشام .

وروى يونس بن بُكَيْر ، عن سعد بن أوس ، عن بلال بن يحيى ، أن أبا بكر الصديق كان على المهاجرين في غزوة دُومة الجندل ، وخالد بن الوليد على الأعراب في غزوة دُومة الجندل . فإله أعلم .

فصل

قال ابن إسحاق : فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بضع عشرة ليلة لم يجاوزها ثم انصرف قافلاً إلى المدينة .

قال : وكان في الطريق ماء يخرج من وَشَل يَرَوِي الرَّاكِبَ والراكين والثلاثة بواد يقال له وادى المشَقِّ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من سبقنا إلى ذلك الماء فلا يَسْتَقِينْ منه شيئاً حتى نأتيه » .

قال : فسبقه إليه نفر من المنافقين فاستقوا مافيهِ ، فلما أتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف عليه فلم يرفيه شيئاً فقال : « من سبقنا إلى هذا الماء ؟ » فقليل له : يا رسول الله فلان وفلان . فقال : أو لم أنهم أن يستقوا منه حتى آتيه ؟ ثم لعنهم ودعا عليهم .

ثم نزل فوضع يده تحت الوشَل ، فجعل يصبُّ في يده ما شاء الله أن يصب ، ثم نضحه به ومسحه بيده ودعا بما شاء الله أن يدعو ، فانخرق من الماء - كما يقول من سمعه - ما إنَّ له حِسّاً كحس الصواعق ، فشرب الناس واستقوا حاجتهم منه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لئن بقيتم أو من بقى منكم ليسمعن بهذا الوادى وهو أخصب ما بين يديه وما خلفه » .

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي ، أن عبد الله بن

مسعود كان يحدث قال : قمت من جوف الليل وأنا مع رسول الله في غزوة تبوك ،
فرايت شعلةً من نار في ناحية المعسكر فاتبعتها أنظر إليها .

قال : فإذا رسول الله وأبو بكر وعمر ، وإذا عبد الله ذو البجادين قد مات ،
وإذا هم قد حَفَرُوا له ، ورسول الله في حفرة ، وأبو بكر وعمر يُدليّان به ، وإذا هو يقول :
« أَدْنِيَا إِلَيَّ أَحَاكِمَا » فدليّاه إليه ، فلما هيّأه لشقّه قال : « اللهم إني قد أمسيتُ راضياً
عنه فارضَ عنه » .

قال : يقول ابن مسعود : ياليتني كنت صاحبَ الحفرة .

قال ابن هشام : إنما سُمِّيَ ذا البجادين لأنه كان يريد الإسلام فمنعه قومه وضيقوا
عليه ، حتى خرج من بينهم وليس عليه إلا بَجَاد - وهو السكساء [الغليظ] ^(١) فشقه باثنين
فانزرا بواحدة وارتدى بالأخرى ، ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمى
ذا البجادين .

قال ابن إسحاق : وذكر ابن شهاب الزهري عن ابن أُمِّ كَيْمَةَ اللَّيْثِي ، عن ابن
أخي أبي رُحْمٍ الْفِقَارِي ، أنه سمع أبا رُحْمٍ كَلْثُومَ بنِ الْحَصِينِ - وكان من أصحاب الشجرة -
يقول : غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة تبوك ، فسمرتُ ذات ليلة معه
ونحن بالأخضر ، وألقى الله على النعاس وطفقت أستيقظ وقد دنتُ راحلتي من
راحلة النبي صلى الله عليه وسلم فيفرزعني دُنُوءُهَا منه مخافة أن أصيب رجله في الغَرَزِ ،
فطفقتُ أُحُوزُ راحلتي عنه ، حتى غلبتني عيني في بعض الطريق فزاحمتُ راحلتي راحلته
ورجله في الغَرَزِ ، فلم أستيقظ إلا بقوله : « حُسَّ » فقلت : يا رسول الله استغفر لي .
قال : سِرَ .

(١) سقطت من أ .

فحمل رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألني عن تخلف عنه من بنى غِفَارَ فَأُخْبِرُهُ
به . فقال وهو يسألني : « ما فعل النفرُ الحمرُ الطَّوَالِ النَّطَّاطُ^(١) الذين لا شعر في
وجوههم ؟ » فحدثته بتخلفهم .

قال : « فما فعل النفر السود الجِعَادُ الْقِصَارُ ؟ » قال : قلت : والله ما أعرف هؤلاء
منا . قال : « بلى الذين لهم نَعَمٌ بِشَبَكَةِ شَدَخٍ^(٢) » فتذكرتهم في بنى غِفَارَ فلم أذكرهم ، حتى
ذكرت أنهم رَهْطٌ مِنْ أَسْلَمَ كانوا حلفاء فينا ، فقلت : يا رسول الله أولئك رَهْطٌ مِنْ
أَسْلَمَ حلفاء فينا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما منع أحدَ أولئك حين تخلف
أن يحمل على بعير من إبله امرأً نَشِيطاً في سبيل الله ؟ إن أعزَّ أهلي عليَّ أن يتخلف عني
المهاجرون والأنصار وغِفَارٌ وَأَسْلَمٌ » .

وقال ابن لَهَيْعَةَ عن أَبِي الْأَسْوَدِ ، عن عروة بن الزبير قال : لما قفل رسول الله
صلى الله عليه وسلم من تبوك إلى المدينة همَّ جماعة من المنافقين بالفتك به وأن يَطْرَحُوهُ
من رأس عَقَبَةٍ في الطريق ، فَأُخْبِرَ بِخَبْرِهِمْ ، فأمر الناس بالمسير من الوادي وصعد هو
العقبة ، وسلكها معه أولئك النفر وقد تَلَمَّعُوا ، وأمر رسول الله صلى الله عليه
وسلم عمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان أن يمشيا معه ، عمار آخِذٌ بِزِمَامِ النَّاقَةِ
وحذيفة يسوقها .

فبينما هم يسرون إذ سمعوا بالقوم قد غَشَوْهُمُ . فغضب رسول الله وأبصر حذيفةً
غضبه فرجع إليهم ومعه مِحْجَنٌ فاستقبل وجوهَ راحلهم بمِحْجَنِهِ ، فلما رأوا حذيفة ظنوا
أن قد أظهر على ما أضمره من الأمر العظيم ، فأسرعوا حتى خالطوا الناس .

(١) النطاط : جمع نط ، وهو القليل شعر اللحية .

(٢) شبكة شдох : ماء لأسلم بالحجاز .

وأقبل حذيفة حتى أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمرهما فأسرعا حتى قطعوا العقبة ووقفوا ينتظرون الناس ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحذيفة : « هل عرفت هؤلاء القوم ؟ » قال : ما عرفتُ إلا رواحلهم في ظُلمة الليل حين غشيهم . ثم قال : « علمتما ما كان من شأن هؤلاء الرّكّب ؟ » قال : لا . فأخبرهما بما كانوا تمالأوا عليه وسماهم لهما واستكتمهما ذلك .

فقالا : يا رسول الله أفلا تأمر بقتلهم ؟ فقال : « أكره أن يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه » .

وقد ذكر ابن إسحاق هذه القصة إلا أنه ذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم إنما أعلم بأسمائهم حذيفة بن اليمان وحده . وهذا هو الأشبه والله أعلم .

ويشهد له قول أبي الدرداء لعقمة صاحب ابن مسعود : أليس فيكم - يعني أهل الكوفة - صاحب السّواد والبرّساد . يعني ابن مسعود . أليس فيكم صاحب السر الذي لا يعلمه غيره . يعني حذيفة . أليس فيكم الذي أجاره الله من الشيطان على لسان محمد . يعني عماراً .

وروينا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال لحذيفة : أقسمتُ عليك بالله أنا منهم ؟ قال : لا ولا أبرئ بعدك أحداً . يعني حتى لا يكون مُفشي سرّ النبي صلى الله عليه وسلم .

قلت : وقد كانوا أربعة عشر رجلا ، وقيل : كانوا اثني عشر رجلا ، وذكر ابن إسحاق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إليهم حذيفة بن اليمان فجمعهم له ، فأخبرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بما كان من أمرهم وبما تمالأوا عليه .

ثم مرد ابن إسحاق أسماءهم . قال : وفيهم أنزل الله عز وجل : « وَهُمْ أُولَئِكَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ لَكَفَّارَةٌ ^(١) » .

وروى البيهقي من طريق محمد بن سلمة ، عن أبي إسحاق ، عن الأعمش ، عن عمرو ابن مُرَّة ، عن أبي البَخْتَرِيِّ ، عن حذيفة بن اليمان ، قال : كنت آخذاً بخطام ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم أقود به وعمار يسوق الناقة — أو أنا أسوق وعمار يقود به — حتى إذا كنا بالعقبة إذا بائني عشر راكباً ^(٢) قد اعترضوه فيها ، قال : فأنبهت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فصرخ بهم فولّوا مدبرين .

فقال لنا رسول الله : « هل عرفتم القوم ؟ » قلنا : لا يا رسول الله قد كانوا مثلثمين ، ولكننا قد عرفنا الرُّكَّاب . قال : « هؤلاء المنافقون إلى يوم القيامة ، وهل تدرون ما أرادوا ؟ » قلنا : لا . قال : « أرادوا أن يزحوا رسول الله في العقبة فيلقوه منها » .

قلنا : يا رسول الله أولاً تبعث إلى عشائركم حتى يبعث إليك كل قوم برأس صاحبهم ؟ قال : « لا ، أكره أن تتحدث العرب بينها أن محمداً قاتل بقومه ، حتى إذا أظهره الله بهم أقبل عليهم يقتلهم » .

ثم قال : « اللهم ارمهم بالدُّبَيْلَة » قلنا : يا رسول الله وما الدُّبَيْلَة ؟ قال : « هي شهاب من نار تقع على نياط قلب أحدهم فيهلك » .

وفي صحيح مسلم من طريق شعبة ، عن قتادة ، عن أبي نَضْرَةَ ، عن قيس بن عباد ، قال : قلت لعمار : أرايتم صنيعكم هذا ، فيما كان من أمر عليّ ، أرايتم رأيتموه أم شيء عهده إليكم رسول الله ؟ فقال : ما عهد إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً لم يعهده

إلى الناس كافة ، ولكن حذيفة أخبرني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :
« في أصحابي اثنا عشر منافقا منهم ثمانية لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في
سم الخياط » .

وفي رواية من وجه آخر عن قتادة : « إن في أمي اثني عشر منافقا لا يدخلون الجنة
حتى يلج الجمل في سم الخياط ، ثمانية منهم تكفيهم الدبيلة ، سراج من النار يظهر بين
أكتافهم حتى ينجم من صدورهم » .

قال الحافظ البيهقي : وروينا عن حذيفة أنهم كانوا أربعة عشر - أو خمسة عشر -
وأشهد بالله أن اثني عشر منهم حرب لله ولرسوله في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ،
وعذر ثلاثة أنهم قالوا : ما سمعنا للمفادى ولا علمنا بما أراد .

وهذا الحديث قد رواه الإمام أحمد في مسنده قال : حدثنا يزيد - هو ابن هارون -
أخبرنا الوليد بن عبد الله بن جميع ، عن أبي الطفيل ، قال : لما أقبل رسول الله صلى
الله عليه وسلم من غزوة تبوك أمر منادياً فنادى : إن رسول الله آخذ بالعقبة فلا
يأخذها أحد .

فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوده حذيفة ويسوقه عمار إذ أقبل رهط
مثلثون على الرّواحل ، ففشوا عماراً وهو يسوق برسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وأقبل عمارٌ يضرب وجوه الرّواحل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحذيفة :
« قد قد » .

حتى هبط رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوادى ، فلما هبط ورجع عمار قال :
« يا عمار هل عرفت القوم ؟ » قال : قد عرفت عامّة الرّواحل والقوم مثلثون . قال :
« هل تدري ما أرادوا ؟ » قال : الله ورسوله أعلم . قال : « أرادوا أن ينفروا برسول
الله فيطرحوه » .

قال : فسارَ عمارُ رجلا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقال : نشدتك بالله كم تعلم كان أصحاب العقبة ؟ قال : أربعة عشر رجلا . فقال : إن كنت فيهم فقد كانوا خمسة عشر .

قال : فعذر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم منهم ثلاثة قالوا : ما سمعنا منادى رسول الله وما علمنا ما أراد القوم . فقال عمار : أشهد أن الاثني عشر الباقيين حربُ الله ورسوله في الحياة الدنيا وبوم يقوم الأشهاد .

قصة مسجد الضرار

قال الله تعالى : « والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل ، وليحلفنَّ إن أردنا إلا الحسنى ، والله يشهدُ إنهم لكاذبون ، لا تُقِمُّ فيه أبداً لمسجدٍ أُسِّسَ على التقوى من أول يومٍ أحقُّ أن تقومَ فيه فيه رجالٌ يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين . أفمن أسَّس بُنيانه على تقوى من الله ورضوانٍ خيرٌ أمَّن أسَّس بُنيانه على شفا جُرَفٍ هارٍ فانهارَ به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين ، لا يزال بُنيانهم الذي بنوا ريبةً في قلوبهم إلا أن تقطَّع قلوبهم والله عليم حكيم » (١) .

وقد تكلمنا على تفسير ما يتعلق بهذه الآيات الكريمة في كتابنا التفسير بما فيه كفاية وقله الحمد .

وذكر ابن إسحاق كيفية بناء هذا المسجد الظالم أهله ، وكيفية أمر رسول الله صلى الله عليه وخرابه مرَّجته من تبوك قبل دخوله المدينة .

ومضمون ذلك : أن طائفة من المنافقين بنوا ضورةً مسجد قريباً من مسجد قباء ،

وأرادوا أن يصلّي لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه حتى يَرُوج لهم ما أرادوه من الفساد والكفر والعناد .

فعصم الله رسوله صلى الله عليه وسلم من الصلاة فيه ، وذلك أنه كان على جناح سفر إلى تبوك ، فلما رجع منها فنزل بذي أوان - مكان بينه وبين المدينة ساعة - نزل عليه الوحي في شأن هذا المسجد وهو قوله تعالى : « والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل » الآية .

أما قوله « ضراراً » فلا أنهم أرادوا مضاهاةً لمسجد قُبَاء ، « وكفراً » بالله لا للإيمان به ، « وتفريقاً » للجماعة عن مسجد قباء .

« وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل » وهو أبو عامر الراهب الفاسق قبحه الله ، وذلك أنه لما دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام فأبى عليه ؛ ذهب إلى مكة فاستنفرهم ، فجاءوا عامٌ أحد ، فكان من أمرهم ما قد مناه ، فلما لم ينهض أمره ذهب إلى ملك الروم قيصر ليستنصره على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أبو عامر على دين هرقل ممن تنصّر معهم من العرب ، وكان يكتب إلى إخوانه الذين نافقوا يَعدّهم ويمنّهم وما يَعدّهم الشيطانُ إلا غروراً ، فكانت مكاتباته ورسله تَفِدُ إليهم كلَّ حين .

فبنوا هذا المسجد في الصورة الظاهرة ، وباطنه دارُ حَرْبٍ ومقرٌّ لمن يَفِدُ من عند أبي عامر الراهب ، وتَجَمَّع لمن هو على طريقتهم من المنافقين . ولهذا قال تعالى : « وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل » .

ثم قال : « وَلَيَحْلِفُنَّ » أي الذين بنوه « إن أردنا إلا الحسنى » أي إنما أردنا بينائنه الخير . قال الله تعالى : « والله يشهد إنهم لكاذبون » .

ثم قال الله تعالى لرسوله : « لا تقم فيه أبداً » فنهاه عن القيام فيه ، لئلا يقرّر أمره ،

ثم أمره وحثه على القيام في المسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم وهو مسجد قُباء ، لما دلّ عليه السياق والأحاديث الواردة في البناء على تطهير أهله مشيرةً إليه .

وما ثبت في صحيح مسلم من أنه مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينافي ما تقدم ، لأنه إذا كان مسجد قُباء أسس على التقوى من أول يوم فمسجد الرسول أولى بذلك وأحرى ، وأثبت في الفضل منه وأقوى .

وقد أشبعنا القول في ذلك في التفسير والله الحمد .

والمقصود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل بذي أوان دعا مالك بن الدخشم ومُغن بن عدى - أو أخاه عاصم بن عدى - رضى الله عنهما فأمرهما أن يذهبا إلى هذا المسجد الظالم أهله فيحرقاه بالنار ، فذهبا فحرقاه بالنار ، وتفرق عنه أهله .

قال ابن إسحاق : وكان الذين بنوه اثني عشر رجلاً وهم ؛ خِذَام بن خالد - وفي جنب داره كان بناء هذا المسجد - وثعلبة بن حاطب ، ومُعْتَب بن قُشَيْر ، وأبو حَبِيبَة ابن الأزرع ، وعَبَاد بن حُثَيْف أخو سهل بن حُثَيْف ، وجارية بن عامر ، وابناه مُجَمِّع وزيد . ونَبْتَل بن الحارث ، وبَحْرَج وهو إلى بني ضبيعة ، وِجَاد بن عثمان وهو من بني ضبيعة ، ووديعه بن ثابت وهو إلى بني أمية .

قلت : وفي غزوة تبوك هذه صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفَ عبد الرحمن بن عوف صلاة الفجر ، أدرك معه الركعة الثانية منها ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب يتوضأ ومعه المغيرة بن شعبه فأبطأ على الناس ، فأقيمت الصلاة فتقدم عبد الرحمن بن عوف ، فلما سلم الناسُ أعظموا ما وقع ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : أحسنتم

وأصبتكم » وذلك فيما رواه البخارى رحمه الله قائلًا حدثنا^(١) .

وقال البخارى : حدثنا أحمد بن محمد ، حدثنا عبد الله بن المبارك ، أخبرنا حميد الطويل ، عن أنس بن مالك ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رجع من غزوة تبوك فدننا من المدينة فقال : « إنَّ بالمدينة أقواما ما سرتهم مسيراً ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم » فقالوا : يا رسول الله وهم بالمدينة ؟ قال : « وهم بالمدينة حبسهم العذر » .
تفرد به من هذا الوجه .

وقال البخارى : حدثنا خالد بن مخلد ، حدثنا سليمان ، حدثني عمرو بن يحيى ، عن العباس بن سهل بن سعد ، عن أبي حميد^(١) قال : أقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك حتى إذا أشرفنا على المدينة قال : « هذه طابة^(٢) » وهذا أحد جيل يحبنا ونحبه .

ورواه مسلم من حديث سليمان بن بلال به نحوه .

وقال البخارى : حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثنا سفيان ، عن الزهرى ، عن السائب ابن يزيد ، قال : أذكر أنى خرجت مع الصبيان تلتقى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ثنية الوداع مقدمه من غزوة تبوك .

ورواه أبو داود والترمذى من حديث سفيان بن عيينة به ، وقال الترمذى : حسن صحيح .

وقال البيهقى : أخبرنا أبو نصر بن قتادة ، أخبرنا أبو عمرو بن مطر ، سمعت أبا خليفة يقول : سمعت ابن عائشة يقول : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة جعل النساء والصبيان والولائد يقان :

(١) كذا بالأصل .

(٢) طابة : من أسماء المدينة .

(٢) ١ : عن أبي أحمد . وهو تحريف .

طَلَعَ الْبَدْرُ عَلَيْنَا مِنْ ثَنِيَّاتِ الْوَدَاعِ

وَجِبَ الشُّكْرُ عَلَيْنَا مَا دَعَا اللَّهُ دَاعٍ

قال البيهقي : وهذا يذكره علماؤنا عند مقدّمه المدينة من مكة إلا أنه لما قدم المدينة من ثَنِيَّاتِ الْوَدَاعِ عند مقدمه من تبوك ، والله أعلم ، فذكرناه هاهنا أيضا .

قال البخاري رحمه الله : حديث كعب بن مالك رضي الله عنه .

حدثنا يحيى بن بُكَيْرٍ ، حدثنا الليث ، عن عَقِيلٍ عن ابنِ شِهَابٍ ، عن عبد الرحمن ابن عبد الله بن كعب بن مالك ، أن عبد الله بن كعب بن مالك - وكان قائد كعب من بنيهِ حين عمى - قال : سمعت كعب بن مالك يحدث حين تخلف عن قصة تبوك ، قال كعب :

لم أتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة غزاها إلا في غزوة تبوك ، غير أني كنت تخلفت في غزوة بدر ، ولم يعاتب أحدا تخلف عنها ، إنما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد غير قريش ، حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد ، ولقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة حين تواثقنا^(١) على الإسلام وما أحب أن لي بها مشهد بدر ، وإن كانت بدر أذكّر في الناس منها .

كان من خبري أني لم أكن قط أقوى ولا أيسر حين تخلفت عنه في تلك الغزوة ، والله ما اجتمعت عندي قبله راحلتان قط حتى جمعتهما في تلك الغزاة ، ولم يكن رسول الله يريد غزوة إلا ورئى بغيرها ، حتى كانت تلك الغزوة غزاها رسول الله في حر شديد واستقبل سفرا بعيدا وعددا^(٢) كثيرا فحلى للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة غزوهم ، فأخبرهم

(١) الأصل : حتى تواثقنا . وما أثبتته من صحيح البخاري ٢ / ٢٧٤

(٢) البخاري : ومغازا وعدوا كثيرا .

بَوَجْهِهَ الَّذِي يَرِيدُ ، وَالْمُسْلِمُونَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَثِيرٌ وَلَا يَجْمَعُهُمْ كِتَابٌ حَافِظٌ - يَرِيدُ الدِّيْوَانَ -

قال كعب : فما رجلٌ يريدُ أن يتَّقِيْبَ إِلَّا ظَنُّ أَنْ سَيَخْفَى لَهُ مَا لَمْ يَنْزَلْ فِيهِ وَحْيُ اللَّهِ وَغَزَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [تِلْكَ الْغَزْوَةُ ^(١)] حِينَ طَابَتِ الثَّمَارُ وَالظَّلَالُ . وَتَجَهَّزَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ ، فَطَفَقَتْ أَغْدُو لِكَيْ أَتَجْهَزَ مَعَهُمْ فَأَرْجِعُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا ، فَأَقُولُ فِي نَفْسِي : أَنَا قَادِرٌ عَلَيْهِ .

فَلَمْ يَزَلْ بِمَادِي بَنِي حَتَّى اشْتَدَّ بِالنَّاسِ الْجَدُّ ، فَأَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ وَلَمْ أَقْضِ مِنْ جِهَازِي شَيْئًا ، فَقُلْتُ : أَتَجْهَزُ بَعْدَ يَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ ثُمَّ أَخْتَقِمُهُمْ . فَغَدَوْتُ بَعْدَ أَنْ فَصَلُوا لَا أَتَجْهَزُ فَرَجَعْتُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا ، ثُمَّ غَدَوْتُ ثُمَّ رَجَعْتُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا . فَلَمْ يَزَلْ بَنِي حَتَّى أَسْرَعُوا وَتَفَارَطَ الْغَزْوُ ، وَهَمَمْتُ أَنْ أَرْتَحِلَ فَأُدْرِكُهُمْ - وَلَيْتَنِي فَعَلْتُ - فَلَمْ يَقْدَرْ لِي ذَلِكَ .

فَكُنْتُ إِذَا خَرَجْتُ فِي النَّاسِ بَعْدَ خُرُوجِ رَسُولِ اللَّهِ فَطَفْتُ فِيهِمْ أَحْزَنْتَنِي أُنَى لَا أَرَى إِلَّا رَجُلًا مَمْنُوعًا عَلَيْهِ النِّفَاقُ ، أَوْ رَجُلًا مِمَّنْ عَذَرَ اللَّهُ مِنَ الضَّعْفَاءِ .

وَلَمْ يَذْكُرْنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَلَغَ تَبُوكًا ، فَقَالَ وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْقَوْمِ بِتَبُوكَ : « مَا فَعَلَ كَعْبُ ؟ » فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سُلَيْمَةَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ حَبَسَهُ بُرْدَاهُ وَنَظَرُهُ فِي عِطْفِيهِ . فَقَالَ مَعَاذَ بَنِي جَبَلٍ : بئس ما قُلْتُ ، وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا . فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

قال كعب بن مالك : فلما بلغني أنه توجه قافلًا حضرني همي ، وطفقت أتذكر الكذب وأقول : بماذا أخرج غداً من سخطه ؟ واستعنت على ذلك بكل ذي رأي من

أهلى ، فلما قيل : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أظللّ قادماً زاح عنى الباطل ، وعرفت أنى لن أخرج منه أبداً بشيء فيه كذب ، فأجمعتُ صدقه .

وأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم قادماً ، وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين ثم جلس للناس ، فلما فعل ذلك جاء المخلفون فطفقوا يعتذرون إليه ويخلفون له ، وكانوا بضعةً وثمانين رجلاً ، فقيل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم علانيتهم وبأيهم واستغفر لهم ، ووكل سرائرهم إلى الله عز وجل .

فجئته ، فلما سلمت عليه تبسم تبسم المفضّب ثم قال : « تعال » فجئت أمشى حتى جلست بين يديه ، فقال لى : « ما خلفك ؟ ألم تكن قد ابتعتَ ظهرك ؟ » فقلت : بلى إني والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أن سأخرج من سخطه بعذر - ولقد أعطيتُ جدلاً - ولكنى والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديثَ كذب ترضى به عنى ليوشكن الله أن يسخطك علىّ ، ولئن حدثتك حديثَ صدق تجدُ علىّ فيه إني لأرجو فيه عفو الله ، لا والله ما كان لى من عذر ، والله ما كنت قط أقوى ولا أيسرَ منى حين تخلفتُ عنك .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أما هذا فقد صدق ، فقم حتى يقضى الله فيك » .

فقم فتار رجال من بنى سلمة فاتبعونى فقالوا لى : والله ما علمناك كنت أذنبت ذنباً قبلَ هذا ، ولقد عجزتَ ألا تكون اعتذرتَ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اعتذر إليه المخلفون ؟ وقد كان كافيك ذنبك استغفارُ رسول الله صلى الله عليه وسلم لك . فوالله ما زالوا يؤنبوننى حتى هممت أن أرجع فأكذب نفسى .

ثم قلت لهم : هل لقي هذا معى أحد ؟ قالوا : نعم رجلان قالَا مثلاً ما قلت وقيل لهما مثلُ ما قيل لك . فقلت : من هما ؟ قالوا : مرارة بن الربيع العُمري وهلال بن أمية الواقفى .

فذكروا إلى رجلين صالحين قد شهدا بدرا فيهما أسوة . فضيت حين ذكروها إلى .

ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف .

فاجتنبنا الناس وتغيروا لنا حتى تنكرت في نفسى الأرض فما هى التى أعرف ، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة .

فأما صاحبى فاستكانا وقعدا في بيوتهما ببيكان ، وأما أنا فكنت أشب القوم وأجلد ، فكنت أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين وأطوف في الأسواق ولا يكلمنى أحد ، وآتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة ، وأقول في نفسى : هل حرك شفيعي برد السلام على أم لا ؟ ثم أصلى قريبا منه فأسارقه النظر ، فإذا أقبلت على صلاتي أقبل إلى ، وإذا التفت نحوه أعرض عني .

حتى إذا طال على ذلك من جفوة الناس مشيت حتى ^(١) تسورت جدار حائط أبي قتادة - وهو ابن عمى وأحب الناس إلى - فسألت عليه ، فوالله ما رد على السلام ، فقلت : يا أبا قتادة أنشدك بالله هل تعلمنى أحب الله ورسوله ؟ فسكت . فعذت له فنشده فسكت ، فعذت له فنشده فقال : الله ورسوله أعلم ، ففاضت عيناي وتوليت حتى تسورت الجدار .

قال : وبينا أنا أمشى بسوق المدينة إذا نبطى من أنباط أهل الشام ممن قدم بطعام يبيعه بالمدينة يقول : من يدانى على كعب بن مالك ؟ فطلق الناس يشيرون له ، حتى إذا جاءنى دفع إلى كتابا من ملك غسان في سرقة من حرير فإذا فيه : أما بعد ، فإنه قد بلغنى أن صاحبك قد جفاك ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة ، فالحق بنا نواسك . فقلت لما قرأتها : وهذا أيضا من البلاء ! فتيمنت بها التنوير فسجرت به .

فأقمنا على ذلك ، حتى إذا مضت أربعون ليلة من المحسين إذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتيني فقال : رسول الله يأمرك أن تعزل امرأتك . فقلت : أطلقها أم ماذا أفعل ؟ قال : لا بل اعتزلها ولا تقربها . وأرسل إلى صاحبي بمثل ذلك ، فقلت لامرأتى : الحقى بأهلك فكونى عندهم حتى يقضى الله فى هذا الأمر .

قال كعب : لجأت امرأة هلال بن أمية إلى رسول الله فقالت : يا رسول الله ، إن هلال بن أمية شيخ ضائع ليس له خادم فهل تسكره أن أخدمه ؟ قال : « لا ولكن لا يقربك » قالت : إنه والله مابنه حركة إلى شيء ، والله مازال يبكى منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا . فقال لى بعض أهلى : لو استأذنت رسول الله فى امرأتك كما استأذن هلال بن أمية أن تخدمه ؟ فقلت : والله لا أستأذن فيها رسول الله ، وما يدرينى ما يقول رسول الله إذا استأذنته فيها وأنا رجل شاب .

قال : فلبثت بعد ذلك عشر ليال ، حتى كملت لنا خمسون ليلة من حين نهى رسول الله عن كلامنا .

فلما صليت الفجر صبحَ خمسين ليلة وأنا على ظهر بيت من بيوتنا ، فبينما أنا جالس على الحال التى ذكر الله عز وجل ، قد ضاقت علىّ نفسى وضاقت على الأرض بما رحبت سمعتُ صوت صارخ أوفى على جبل سلع بأعلى صوته : يا كعب أبشر .

فخررت ساجداً ، وعرفت أن قد جاء فرجٌ ، وآذن رسول الله بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر ، فذهب الناس يبشروننا ، وذهب قبل صاحبي مبشرون ، وركض رجل إلى فرساً ، وسعى ساعٍ من أسلم فأوفى على الجبل ، فكان الصوت أسرع من الفرس .

فلما جاءنى الذى سمعتُ صوته يبشرنى نزعته له ثوبى فكسوته إياهما يبشراه ،

والله ما أملك غيرها يومئذ ! واستعرتُ ثوبين فلبستهما وانطلقت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلقاني الناس فوجاً فوجاً يهشونني بالتوبة يقولون : لِيَهْنِكَ توبةُ الله عليك .

قال كعب : حتى دخلت المسجد فإذا برَسُول الله صلى الله عليه وسلم جالس حوله الناس ، فقام إلى طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صاحني وهنأني ، والله ما قام إلى رجلٍ من المهاجرين غيره ، ولا أناسها لطلحة .

قال كعب : فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يَبْرُق وجهه من السرور : « أَبَشِّرْ بخير يوم مرَّ عليك منذ ولدتك أمك » .

قال : قلت : أَمِنْ عندك يا رسول الله أم من عند الله ؟ قال : « لا بل من عند الله » وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سُرَّ استنار وجهه حتى كأنه قطعة قمر ، وكنا نعرف ذلك منه .

فلما جلست بين يديه قلت : يا رسول الله إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقةً إلى الله وإلى رسوله .

قال رسول الله : « أمسك عليك بعضَ مالك فهو خير لك » قلت : فإني أمسك سهمي الذي بخير .

وقلت : يا رسول الله إن الله إنما نجانِي بالصَّدق ، وإن من توبتي ألا أحدث إلا صدقاً ما بقيتُ . فوالله ما أعلم أحداً من المسلمين أبلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرتُ ذلك لرسول الله أحسنَ مما أبلاني ، ما تعمَّدْتُ منذ ذكرتُ ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يومى هذا كذبا ، وإني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقيت .

وأنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم : « لقد تابَّ الله على النبيِّ والمهاجرين

والأنصار» إلى قوله : « وكونوا مع الصادقين » فوالله ما أنعم الله على من نعمة قط بعد أن هداني للإسلام أعظم في نفسي من صدقي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن أكون ^(١) كذّبه فأهلك كما هلك الذين كذبوا ، فإن الله تعالى قال للذين كذبوا حين أنزل الوحي شرّاً ما قال لأحد ، قال الله تعالى : « سيخلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم » إلى قوله : « فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين » .

قال كعب : وكنا تخلفنا أيها الثلاثة عن أمر أولئك الذين قيل منهم رسول الله حين حلفوا له فبايعهم واستغفر لهم ، وأرجأ رسول الله أمرنا حتى قضى الله فيه ، فبذلك قال الله تعالى : « وعلى الثلاثة الذين خلفوا » ليس الذي ذكر الله مما خلفنا من الغزو وإنما هو تخليفه إيانا وإرجاؤه أمرنا بمن حلف له واعتذر إليه فقبل منهم .

وهكذا رواه مسلم من طريق الزهري بنحوه . وهكذا رواه محمد بن إسحاق عن الزهري مثل سياق البخاري ، وقد سقناه في التفسير من مسند الإمام أحمد ، وفيه زيادات يسيرة . والله الحمد والمنة .

ذكر أقوام تخلفوا من العصاة غير هؤلاء

قال علي بن طلحة الواحجي عن ابن عباس في قوله تعالى : « وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم إن الله هو التواب الرحيم » ^(٢) قال : كانوا عشرة رهط تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ، فلما حضروا رجوعه أوثق سبعة منهم أنفسهم بسواري المسجد .

فلما مرّ بهم رسول الله قال : « من هؤلاء ؟ » قالوا : أبو لبابة وأصحاب له تخلفوا عنك ، حتى تطلقهم وتعذرهم . قال : « وأنا أقسم بالله لا أطلقهم ولا أعذرهم حتى يكون

(١) غير : أن لا أكون . ولا هنا زائدة . أي أن أكون . (٢) سورة التوبة .

الله عز وجل هو الذى يُطْلَقُهم ، رَغِبُوا عَنِّي وَتَخَلَّفُوا عَنِ الْغَزْوِ مَعَ الْمُسْلِمِينَ .
 فلما أن بلغهم ذلك قالوا : ونحن لا نُطْلَقُ أنفسنا حتى يكون الله هو الذى يطلقنا .
 فأنزل الله عز وجل : « وَأَخْرَجُوا عَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ » الآية . « وَعَسَى » من الله واجب .
 فلما أنزلت أرسل إليهم رسول الله فأطلقهم وعذرهم ، فجاءوا بأموالهم وقالوا :
 يا رسول الله هذه أموالنا فتصدق بها عنا واستغفر لنا . فقال : « ما أمرت أن
 أخذ أموالكم » .
 فأنزل الله : « خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ
 سَكَنٌ لَهُمْ إِنْ اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ » . إلى قوله : « وَأَخْرَجُوا مُرَجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا
 يُتُوبُ عَلَيْهِمْ » .

وهم الذين لم يربطوا أنفسهم بالسوارى ، فأرجئوا حتى نزل قوله تعالى : « لقد تاب
 الله على النبي والمهاجرين والأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ » إلى آخرها .
 وكذا رواه عطية بن سعيد العوفي عن ابن عباس بنحوه .

وقد ذكر سعيد بن المسيب ومجاهد ومحمد بن إسحاق قصة أبي لبابة وما كان من أمره
 يوم بنى قريظة وربطه نفسه حتى تيب عليه ، ثم إنه تخلف عن غزوة تبوك فربط نفسه
 أيضا حتى تاب الله عليه ، وأراد أن ينخلع من ماله كله صدقة ، فقال له رسول الله صلى الله
 عليه وسلم : « يكفيك من ذلك الثلث » .

قال مجاهد وابن إسحاق : وفيه نزل : « وَأَخْرَجُوا عَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ » الآية .
 قال سعيد بن المسيب : ثم لم يُرْمَ منه بعد ذلك في الإسلام إلا خير رضى الله
 عنه وأرضاه .

قلت : ولعل هؤلاء الثلاثة لم يذكروا معه بقية أصحابه ، واقتصروا على ذكره لأنه
 كان كالزعيم لهم ، كادل عليه سياق ابن عباس . والله أعلم .

وروى الحافظ البيهقي من طريق أبي أحمد الزبيرى ، عن سفيان الثورى ، عن سلمة بن كهيل ، عن عياض بن عياض ، عن أبيه ، عن ابن مسعود قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « إن منكم منافقين فمن سميت فليقم ، قم يا فلان ، قم يا فلان ، قم يا فلان » حتى عدّ ستة وثلاثين ، ثم قال : « إن فيكم - أو إن منكم - منافقين فسلوا الله العافية » . قال : فمرّ عمر برجل متقنّع ، وقد كان بينه وبينه معرفة ، فقال : ما شأنك ؟ فأخبره بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : بُعداً لك سائر اليوم .

قلت : كان المتخلفون عن غزوة تبوك أربعة أقسام : مأمورون مأجورون ، كعلي بن أبي طالب ومحمد بن مسلمة وابن أم مكتوم . ومعذورون ، وهم الضمفاء والمرضى ، والمقلّون وهم البكّاءون . وعصاة مذنبون وهم الثلاثة ، وأبو لبابة وأصحابه المذكورون . وآخرون مَلُومون مذمومون ، وهم المنافقون .

ذكر ما كان من الحوادث بعد رجوعه عليه السلام

إلى المدينة مُنْصَرَفَهُ مِنْ تَبُوكَ

قال الحافظ البيهقي : حدثنا أبو عبد الله الحافظ إمامنا ، أخبرنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، حدثنا أبو البختري عبد الله بن شاكر ، حدثنا زكريا بن يحيى ، حدثنا عم أبي زخر بن حصن ، عن جده حميد بن متهب ، قال : سمعت جدي خريم بن أوس بن حارثة ابن لام يقول : هاجرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منصرفه من تبوك ، فسمعت العباس بن عبد المطلب يقول : يا رسول الله إني أريد أن أمتدحك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قل لا يَفْضُضُ الله فاك » فقال :

مِنْ قَبْلِهَا طِبَّتَ فِي الظَّلَالِ وَفِي مُسْتَوْدِعٍ حَيْثُ يُخْصَفُ الْوَرَقُ

نَمْ هَبَطْتَ الْبِلَادَ لَا بَشَرٍ أَنْتَ وَلَا نُطْفَةٌ وَلَا عَلَقُ

بَلْ نُطْفَةٌ تَرَكِبُ السَّفِينَ وَقَدْ الْجَمَ نَسْرًا وَأَهْلَهُ الْغَرَقُ

تُنْقَلُ مِنْ صَالِبٍ إِلَى رَحِمٍ إِذَا مَضَى عَالَمٌ بَدَأَ طَبَقُ

حَتَّى احْتَوَى بَيْتَكَ الْمُهَيْمِنَ مِنْ خَنْدَفٍ عَلَيْهِاءَ تَحْتَهَا الْفُطُقُ (١)

وَأَنْتَ لَمَّا وَلَدْتَ أَشْرَقْتَ الْأَرْضَ ضُفُوفُ فُضَاءٍ بِنُورِكَ الْأَفُقُ

فَنَحْنُ فِي ذَلِكَ الضِّيَاءِ وَفِي النُّورِ وَسُبُلُ الرِّشَادِ نَحْتَرِقُ

ثم رواه البيهقي من طريق أخرى ، عن أبي السَّكَنِ زكريا بن يحيى الطائي ، وهو في جزء له مروي عنه .

قال البيهقي : وزاد ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هذه الحيرة البيضاء رفعت لي ، وهذه الشَّيَاءُ بِنْتُ نُفَيْلَةَ الْأَزْدِيَّةِ عَلَى بَغْلَةٍ شَهْبَاءَ مُعْتَجِرَةً بِخِمَارٍ أَسْوَدَ . » فقلت : يا رسول

(١) النطق : أعراض ونواح من جبال بعضها فوق بعض ، شبهت بالنطق التي تشد بها الأوساط .

الله إن نحن دخلنا الحيرة فوجدتها كما تصف فهي لي ؟ قال : « هي لك » .
قال : ثم كانت الردة فما ارتد أحد من طيِّ ، وكنا نقاتل من يلينا من العرب على
الإسلام ، فكنا نقاتل قيساً وفيها عيينة بن حصن ، وكنا نقاتل بني أسد وفيهم طلحة
ابن خويلد ، وكان خالد بن الوليد يمدحنا ، وكان فيما قال فينا :

جزى الله عنا طيِّئاً في ديارها بمعتك الأبطال خير جزاء
هم أهل رايات الساحة والندى إذا ما الصبا ألوت بكل خباء
هم ضربوا قيساً على الدّين بعدما أجابوا منادى ظلمة وعماء

قال : ثم سار خالد إلى مسيلمة الكذاب فسيرنا معه ، فلما فرغنا من مسيلمة أقبلنا إلى
ناحية البصرة ، فلقينا هرمز بكاطمة^(١) في جيش هو أكبر من جمعنا ، ولم يكن أحدهم
المعجم^(٢) أعدى للعرب والإسلام من هرمز ، فخرج إليه خالد ودعاه إلى البراز فبرز له فقتله
خالد ، وكتب بخبره إلى الصديق فنقله سلبه ، فبلغت قلنسوة هرمز مائة ألف درهم ،
وكانت الفرس إذا شرف فيها الرجل جعلت قلنسوته بمائة ألف درهم .

قال : ثم قلنا على طريق الطّف إلى الحيرة ، فأول من تلقانا حين دخلناها الشّماء
بنت نُفيلة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، على بغلة شهباء معقجة بخمار أسود ،
فتملقتُ بها وقلت : هذه وهما لي رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فدعاني خالد عليها بالبيّنة فأنيت بها ، وكانت البيّنة محمد بن مسلمة ومحمد بن بشير
الأنصاري ، فسماها إلى .

فنزّل إلى أخوها عبد المسيح يريد الصلح فقال : بعنيها . فقلت : لا أنقصها والله عن
عشرة مائة درهم . فأعطاني ألف درهم وسمتها إليه ، فقيل لي : لو قلت مائة ألف لدفعها إليك .
فقلت : ما كنت أحسب أن عدداً أكثر من عشر مائة !

(١) كاطمة : جو على سيف البحر ، في طريق البحرين من البصرة ، بينها وبين البصرة مرحلتان .
مراسد الاطلاع ١١٤٣/٣ .

(٢) ت : من الناس . وفي : من العرب .

قدوم وفد ثقيف على رسول الله صلى الله عليه وسلم

في رمضان من سنة تسع

تقدم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ارتحل عن ثقيف سئل أن يدعو عليهم فدعاهم بالهداية .

وقد تقدم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أسلم مالك بن عوف النَّصْرِي أنعم عليه وأعطاه وجعله أميراً على من أسلم من قومه ، فكان يغزو بلادَ ثقيف ويضيق عليهم حتى ألجأهم إلى الدخول في الإسلام .

وتقدم أيضاً فيما رواه أبو داود عن صخر بن العَيْلَة الأحمسي أنه لم يزل بثقيف حتى أنزلهم من حصنهم على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأقبل بهم إلى المدينة النبوية بإذن رسول الله صلى الله عليه وسلم له في ذلك .

وقال ابن إسحاق : وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة من تبوك في رمضان ، وقدم عليه في ذلك الشهر وفدٌ من ثقيف .

وكان من حديثهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انصرف عنهم اتبع أثره عروة بن مسعود حتى أدركه قبل أن يصل إلى المدينة ، فأسلم وسأله أن يرجع إلى قومه بالإسلام .

فقال له رسول الله - كما يتحدث قومه - : « إنهم قاتلوك » وعرف رسول الله أن فيهم نخوة الامتناع للذي كان منهم ، فقال عروة : يا رسول الله أنا أحبُّ إليهم من أبقارهم ^(١) وكان فيهم كذلكُ محبباً مطاعاً .

(١) قال ابن هشام : ويقال من أبقارهم .

نفرج يدعو قومه إلى الإسلام رجاء ألا يخالفوه لمنزلاته فيهم ، فلما أشرف على عُلْيَةٍ له وقد دعاهم إلى الإسلام وأظهر لهم دينه ، رموه بالنبل من كل وجه ، فأصابه سهم فقتله .

فيرغم بنو مالك أنه قتله رجل منهم يقال له أوس بن عوف أخو بني سالم بن مالك ، ويَزعم الأحلاف أنه قتله رجل منهم من بني عَتَّاب يقال له وهب بن جابر ، فقتل لعروة ماترى في ديتك^(١) ؟ قال : كرامة أكرمني الله بها ، وشهادة ساقها الله إلى ، فليس في إلا مافي الشهداء الذين قُتلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يرتحل عنكم ، فادفنوني معهم . فدفنوه معهم .

فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيه : « إن مثله في قومه كمثل صاحب يس في قومه » .

وهكذا ذكر موسى بن عقبة قصة عروة ، ولكن زعم أن ذلك كان بعد حجة أبي بكر الصديق ، وتابعه أبو بكر البيهقي في ذلك .

وهذا بعيد . والصحيح أن ذلك قبل حجة أبي بكر ، كما ذكره ابن إسحاق . والله أعلم .

قال ابن إسحاق : ثم أقامت ثقيف بعد قتل عروة أشهراً ، ثم إنهم ائتمروا بينهم رأوا أنه لا طاقة لهم بحرب مَنْ حَوَّلهم من العرب ، وقد بايعوا وأسلموا .

فائتمروا فيما بينهم ، وذلك عن رأي عمرو بن أمية أخى بنى عِلاج ، فائتمروا بينهم ثم أجمعوا على أن يرسلوا رجلاً منهم ، فأرسلوا عبداً ياليل بن عمرو بن عمير ومعه اثنان من الأحلاف وثلاثة من بنى مالك ؛ وهم الحكم بن عمرو بن وهب بن معتب ،

(١) ابن هشام : في دمك .

وَشُرْحَيْل بن غَيْلان بن سلمة بن مُعْتَب ، وعُثمان بن أبي العاص ، وأوس بن عوف أخو بنى سالم ، ونُمَيْر بن خَرَشَة بن ربيعة .

وقال موسى بن عقبة : كانوا بضعة عشر رجلا فيهم كنانة بن عبد ياليل - وهو رئيسهم - وفيهم عثمان بن أبي العاص وهو أصغر الوفد .

قال ابن إسحاق : فلما دنوا من المدينة ونزلوا قناة^(١) ؛ أنفوا المغيرة بن شعبة يرعى في نوبته ركاب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رأهم ذهب يشتد ليشتري رسول الله بقدمهم ، فلقيه أبو بكر الصديق فأخبره عن ركب ثقيف أن قدموا يريدون البيعة والإسلام بأن يشرط لهم رسول الله شروطا ويكتبوا كتابا في قومهم ، فقال أبو بكر للمغيرة : أقسمت عليك لا تسبقني إلى رسول الله حتى أكون أنا أحدثه . ففعل المغيرة فدخل أبو بكر فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدمهم ، ثم خرج المغيرة إلى أصحابه فروح الظاهر معهم ، وعلمهم كيف يحيون^(٢) رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يفعلوا إلا بتحية الجاهلية .

ولما قدموا على رسول الله ضربت عليهم قبة في المسجد ، وكان خالد بن سعيد بن العاص هو الذى يمشى بينهم وبين رسول الله ، فكان إذا جاءهم بطعام من عنده لم يأكلوا منه حتى يأكل خالد بن سعيد قبلهم ، وهو الذى كتب لهم كتابهم .

قال : وكان مما اشترطوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدع لهم الطاغية^(٣) ثلاث سنين ، فابرحوا يسألونه سنة سنة ويأتى عليهم حتى سألوه شهرا واحدا بعد مقدمهم ليتألفوا سفهاءهم ، فأبى عليهم أن يدعها شيئا مسمى ، إلا أن يبعث معهم أبا سفيان بن حرب والمغيرة ليهدهاها .

(١) قناة : واد بالمدينة ، قيل : يأتي من الطائف . المراد ٣ / ١١٢٥ .

(٢) ١ : يحيون . (٣) الطاغية : اللات .

وسألوه مع ذلك ألا يصلّوا وألا يكسروا أصنامهم بأيديهم فقال : « أما كنس أصنامكم بأيديكم فسنعفيكم من ذلك . وأما الصلاة فلا خير في دين لا صلاة فيه . » فقالوا : سنؤتيكها وإن كانت دناءة .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا محمد بن مسleme ، عن حميد ، عن الحسن ، عن عثمان بن أبي العاص ، أن وفد ثقيف قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزلهم المسجد ليكون أرقاً لقلوبهم ، فاشترطوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا يُحشَرُوا^(١) ولا يُعشَرُوا ولا يُجَبُوا ولا يستعمل عليهم غيرهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لكم ألا تحشروا ولا تعشروا ولا يستعمل عليكم غيركم ، ولا خير في في دين لا ركوع فيه . »

وقال عثمان بن أبي العاص : يارسول الله عامنى القرآن واجعلنى إمام قومى .
وقد رواه أبو داود من حديث أبي داود الطيالسى ، عن حماد بن سلمة ، عن حميد به .
وقال أبو داود : حدثنا الحسن بن الصباح ، حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، حدثنى إبراهيم بن عقيل بن مَعْقِل بن منبه ، عن وهب ، سألت جابراً عن شأن ثقيف إذ بايعت قال : اشترطت على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا صدقة عليها ولا جهاد ، وأنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بعد ذلك : « سيتصدقون ويجاهدون إذا أسلموا » .

قال ابن إسحاق : فلما أسلموا وكتب لهم كتابهم أمر عليهم عثمان بن أبي العاص - وكان من أحدثهم سناً - لأن الصديق قال : يارسول الله إنى رأيت هذا الغلام من آخرهم على التفقه في الإسلام وتعلم القرآن .

(١) الحشر : الانتداب إلى الغزى .

وذكر موسى بن عقبة أن وفدكم كانوا إذا أتوا رسول الله خلفوا عثمان بن أبي العاص في رحلهم ، فإذا رجعوا وسط النهار جاء هو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله عن العلم واستقرأه القرآن ، فإن وجده نائماً ذهب إلى أبي بكر الصديق ، فلم يزل دأبه حتى فقه في الإسلام وأحبه رسول الله صلى الله عليه وسلم حباً شديداً .

قال ابن إسحاق : حدثني سعيد بن أبي هند ، عن مُطَرِّف بن عبد الله بن الشَّخِير ، عن عثمان بن أبي العاص ، قال : كان من آخر ما عهد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بعثني إلى ثَقِيف قال : « يا عثمان تجوِّز في الصلاة ، واقدِّر الناس بأضعفهم ، فإن فيهم الكبير والصغير والضعيف وذا الحاجة » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا حماد بن سلمة ، أخبرنا سعيد الجريري ، عن أبي العلاء ، عن مُطَرِّف ، عن عثمان بن أبي العاص ، قال : قلت يا رسول الله اجعلني إمام قومي . قال : « أنت إمامهم ، فاقتد بأضعفهم واتخذ مؤذناً لا يأخذ على أذانه أجراً » .

رواه أبو داود والترمذي من حديث حماد بن سلمة به . ورواه ابن ماجه عن أبي بكر ابن أبي شيبة ، عن إسماعيل بن علي ، عن محمد بن إسحاق . كما تقدم .

وروى أحمد عن عفان ، عن وهب ، وعن معاوية بن عمرو ، عن زائدة كلاهما عن عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن داود بن أبي عاصم ، عن عثمان بن أبي العاص ، أن آخر ما فارقه رسول الله حين استعمله على الطائف أن قال : « إذا صليت بقوم تخفف بهم ، حتى وقت لي : اقرأ باسم ربك الذي خلق ، وأشباهاها من القرآن » .

وقال أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن عمرو بن مرة ، سمعت سعيد ابن المسيب ، قال : حدث عثمان بن أبي العاص قال : آخر ما عهد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قال : « إذا أمت قوما تخفف بهم الصلاة » .

ورواه مسلم^(١) عن محمد بن منثى وبندار ، كلاهما عن محمد بن جعفر ، عن غُفْدَر به .
وقال أحمد : حدثنا أبو أحمد الزبيري ، حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن بن يعلى الطائفي ، عن عبد الله بن الحكم ، أنه سمع عثمان بن أبي العاص يقول : استعملني رسول الله صلى الله عليه وسلم على الطائف ، فكان آخر ماعهد إلي أن قال : « خَفِّفْ عن الناس الصلاة » .

تفرد به من هذا الوجه .

وقال أحمد : حدثنا يحيى بن سعيد ، أخبرنا عمرو بن عثمان ، حدثني موسى - هو ابن طلحة - أن عثمان بن أبي العاص حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره أن يؤمَّ قومه ثم قال : « من أمَّ قوماً فليخفف بهم ، فإن فيهم الضعيف والكبير وذا الحاجة ، فإذا صلى وحده فليصل كيف شاء » .

ورواه مسلم من حديث عمرو بن عثمان به .

وقال أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن النعمان بن سالم ، سمعت أشياخاً من ثقيف قالوا : حدثنا عثمان بن أبي العاص أنه قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أمَّ قومك ، وإذا أممت قوماً فخفف بهم الصلاة فإنه يقوم فيها الصغير والكبير والضعيف والمريض وذا الحاجة » .

وقال أحمد : حدثنا إسماعيل بن إبراهيم ، عن الجري ، عن أبي العلاء بن الشخير أن عثمان قال : يا رسول الله حال الشيطان بيني وبين صلاتي وقراءتي . قال : « ذاك شيطان يقال له خنزب ، فإذا أنت حسسته فتعوذ بالله منه واتفل عن يسارك ثلاثاً » قال ففعلت ذلك فأذهب الله عني .

(١) الحديث رواه مسلم في باب أمر الأئمة بتخفيف الصلاة في تمام : حدثنا محمد بن المنثى وابن بشار قالا حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن عمرو بن مرة ، قال سمعت سعيد بن المسيب ، قال حدث عثمان ابن أبي العاص قال : آخر ماعهد - الخ . صحيح مسلم ٣٤٢/١ ط الحلي .

ورواه مسلم من حديث سعيد الجريري به .

وروى مالك وأحمد ومسلم وأهل السنن من طرق ، عن نافع بن جبير بن مطعم ، عن عثمان بن أبي العاص ، أنه شكّا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجماً يحده في جسده ، فقال له : « ضع يدك على الذي يألم من جسدك وقل : بسم الله ثلاثاً ، وقل سبع مرات أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر » .
وفي بعض الروايات : ففعلت ذلك فأذهب الله ما كان بي ، فلم أزل آمرُ به

أهلي وغيرهم .

وقال أبو عبد الله بن ماجه : حدثنا محمد بن بشار ^(١) حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري ، حدثني عيينة بن عبد الرحمن - هو ابن جوشن - حدثني أبي ، عن عثمان ابن أبي العاص ، قال : لما استعملني رسول الله صلى الله عليه وسلم على الطائف جعل يعرض لي شيء في صلاتي حتى ما أدري ما أصلي ، فلما رأيت ذلك رحلتُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « ابن أبي العاص ؟ » قلت : نعم يا رسول الله . قال : « ما جاء بك ؟ » قلت : يا رسول الله عرض لي شيء في صلاتي حتى ما أدري ما أصلي . قال : « ذاك الشيطان اذنُ » فدنوت منه فجلست على صدور قَدَمَيَّ ، قال : فضرب صدري بيده وتفل في فمي وقال : « اخرج عدو الله » فعل ذلك ثلاث مرات ثم قال : « الحق بعملك » . قال فقال عثمان : فلعمري ما أحسبه خالطني بعدُ .
تفرد به ابن ماجه .

قال ابن إسحاق : وحدثني عيسى بن عبد الله ، عن عطية بن سفيان بن ربيعة الثقفي ، عن بعض وفدهم قال : كان بلال يأتينا حين أسلمنا وصُمنّا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) الأصل : ابن يسار . وما أثبتته عن سنن ابن ماجه حديث رقم ٣٥٤٨ .

ما بقي من شهر رمضان بفطورنا وسحورنا ، فيأتينا بالسحور وإنا لنقول : إنا آنرى
الفجر قد طلع ؟ فيقول : قد تركتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يتسحر لتأخير
السحور . ويأتينا بفطورنا وإنا لنقول : ما نرى الشمس ذهبت كلها بعد . فيقول : ما جئكم
حتى أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم يضع يده فى الجفنة فيلثم منها .

وروى الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجه من حديث عبد الله بن عبد الرحمن بن
يَعْلَى الطائفى ، عن عثمان بن عبد الله بن أوس ، عن جده أَوْس بن حُذيفة ، قال : قدمنا
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وفد ثقيف .

قال : فنزلت الأحلافُ على المغيرة بن شعبه ، وأنزل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم
بنى مالك فى قبة له ، كل ليلة يأتينا بعد العشاء يحدثنا قائما على رجلية حتى يُراوح بين
رجليه من طول القيام ، فأكثر ما يحدثنا مالتى من قومه من قريش ، ثم يقول :
« لا آتى ^(١) ، وكنا مُسْتَضْعَفِينَ مُسْتَذَلِّينَ بِمَكَّةَ ، فلما خرجنا إلى المدينة كانت سِجَالُ
الحرب بيننا وبينهم نُدَال عليهم ويدألون علينا .

فلما كانت ليلة أبطأ عنا الوقت الذى كان يأتينا فيه ، فقلنا : لقد أبطأت علينا الليلة .
فقال : « إنه طرأ على حِزْبِي من القرآن فكرهت أن أجىء حتى أتمه » .

قال أوس : سألت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف تُحزَّبون
القرآن ؟ فقالوا : ثلاث ، وخمس ، وسبع ، وتسع ، وإحدى عشرة ، وثلاث عشرة ،
وحزب المفصل وحده .

لفظ أبى دواد .

(١) ابن ماجه : ولا سواء .

قال ابن إسحاق : فلما فرغوا من أمرهم وتوجهوا إلى بلادهم راجعين ؛ بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة في هدم الطاغية .

فخرجوا مع القوم ، حتى إذا قدموا الطائف أراد المغيرة أن يقدم أبا سفيان فأبى ذلك عليه أبو سفيان وقال : ادخل أنت على قومك . وأقام أبو سفيان بماله بذى الهدم ^(١) .

فلما دخل المغيرة علاها يضربها بالمعول ، وقام قومه بنى معتب دونه خشية أن يرمى أو يصاب كما أصيب عروة بن مسعود .

قال : وخرج نساء ثقيف حُسراً يبيكين عليها ويقولن :
لَنَبْكِينَ ^(٢) دُفَاعٌ أَسْلَمَهَا الرِّضَاعُ ^(٣)
* لَمْ يُحْسِنُوا الْمِصَاعَ ^(٤) *

قال ابن إسحاق : ويقول أبو سفيان - والمغيرة يضربها بالقأس - : واهآ لك ! آهآ لك . فلما هدمها المغيرة وأخذ مالها وحليها أرسل إلى أبي سفيان ، فقال له : إن رسول الله قد أمرنا أن نقضى عن عروة بن مسعود وأخيه الأسود بن مسعود والد قارب بن الأسود ديْنَهُما من مال الطاغية . فقضى ذلك عنهما .
قلت : كان الأسود قد مات مشركاً ، ولكن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك تأليفاً وإكراماً لولده قارب بن الأسود رضى الله عنه .

(١) الهدم : ماء وراء وادي القرى . مرصد الاطلاع ١٤٥٤/٢

(٢) وتروى لتبكين . كما في ابن هشام .

(٣) الدفَاع : الشيء العظيم يدفع به مثله . سموها بذلك لظنهم أنها تدفع عنهم . والرضاع : الثدي .

(٤) المصاع : الضرب .

وذكر موسى بن عقبة أن وفد ثقيف كانوا بضعة عشر رجلا ، فلما قدموا أنزلهم رسول الله المسجد ليسمعوا القرآن ، فسألوه عن الربا والزنا والخمر ، فحرّم عليهم ذلك كله .

فسألوه عن الرّبة ما هو صانع بها ؟ قال : « اهدموها » .

قالوا : هيهات ! لو تعلم الرّبة أنك تريد أن تهدمها قتلت أهلها .

فقال عمر بن الخطاب : ويحك يا بن عبد ياليل ما أجهلك ! إنما الرّبة حجر . فقالوا : إنما لم نأتك يا بن الخطاب .

ثم قالوا : يا رسول الله تولّ أنت هدمها ، أما نحن فإننا لن نهدمها أبدا . فقال : « سأبعث إليكم من يكفيكم هدمها » .

فكانت بوه على ذلك ، واستأذنه أن يسبقوا رسله إليهم ، فلما جاءوا قومهم تلقّوهم فسألوهم : ما وراءكم ؟

فأظهروا الحزن وأنهم إنما جاءوا من عند رجل فظ غليظ قد ظهر بالسيف ، يحكم ما يريد ، وقد دوّخ العرب ، قد حرّم الربا والزنا والخمر ، وأمر بهدم الرّبة . فنفرت ثقيف وقالوا : لا نطيع لهذا أبدا .

قال : فتأهبوا للقتال وأعدّوا السلاح ، فمكثوا على ذلك يومين - أو ثلاثة - ثم ألقى الله في قلوبهم الرعب ، فرجعوا وأتابوا وقالوا : ارجعوا إليه فشارطوه على ذلك وصالحوه عليه . قالوا : فإننا قد فعلنا ذلك ووجدناه أتقى الناس وأوفاهم وأرحمهم وأصدقهم ، وقد بورك لنا ولكم في مسيرنا إليه وفيما قاضيناه عليه ، فافهموا ما في القضية واقبلوا عافية الله .

قالوا : فلم كتمتمونا هذا أولا ؟ قالوا : أردنا أن ينزع الله من قلوبكم نخوة الشيطان . فأسلموا مكانهم .

ومكثوا أياماً ثم قدم عليهم رسلُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وقد أمرَ عليهم خالد بن الوليد ، وفيهم المغيرة بن شعبة ، فعمدوا إلى اللات وقد استكفَّت ثقيفُ رجالُها ونساؤها والصبيان ، حتى خرج العواتق من الحِجَال ، ولا يرى عامةُ ثقيف أنها مهذومة ويظنون أنها ممتنعة .

فقام المغيرة بن شعبة فأخذ الكرزين - يعنى المِغُول - وقال لأصحابه : والله لأضحكنكم من ثقيف . فضرب بالكرزين ثم سقط ير كض برجله ، فارتجَّ أهلُ الطائف بصيحة واحدة وفرحوا وقالوا : أبعد الله المغيرة قتلته الربةُ ! وقالوا لأولئك : من شاء منكم فليقترب .

فقام المغيرة فقال : والله يا معشر ثقيف إنما هي لكأع حجارة ومدَر ، فاقبلوا عافية الله واعبدوه . ثم إنه ضرب الباب فكسره . ثم علا سورها وعلا الرجال معه ، فما زالوا يهدمونها حجراً حجراً حتى سوَّوها بالأرض .

وجعل سادئها يقول : ليعضبنَّ الأساس فليخسفن بهم . فلما سمع ذلك المغيرة قال لخالد : دعني أحفر أساسها . فخفروه حتى أخرجوا ترابها وجمعوا ماءها وبنائها . وبُهِتَت عند ذلك ثقيف .

ثم رجعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقسم أموالها من يومه ، وحمدوا الله تعالى على إعزاز دينه ونُصرة رسوله .

قال ابن إسحاق : وكان كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى كتب لهم : « بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد النبي رسول الله إلى المؤمنين . إن عِضَاهُ وَجَّ^(١) وصيده لا يعضد ، من وجد يفعل شيئاً من ذلك فإنه يُجْلَد وتَنزَع ثيابه ، وإن تعدى ذلك فإنه يؤخذ

(١) العضاء : أعظم الشجر ، أو كل ذى شوكة . وج : واد بالطائف .

فيبلغ به النبي محمد ، وإن هذا أمر النبي محمد . وكتب خالد بن سعيد بأمر الرسول محمد بن عبد الله ، فلا يتعدّه أحد فيظلم نفسه فيما أمر به محمد رسول الله .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الله بن الحارث - من أهل مكة مخزومي - حدثني محمد بن عبد الله بن إنسان - وأثنى عليه خيراً - عن أبيه عن عروة بن الزبير ، قال : أقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من ليّة^(١) حتى إذا كنا عند السدرة وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم في طرف القرن حذوها ، فاستقبل نحسباً ببصره - يعني وادياً - ووقف حتى اتفق الناس كلهم ثم قال : « إن صيد وجّ وعِصاهه حرّم محرّم لله » وذلك قبل نزوله الطائف وحصاره ثقيفا .

وقد رواه أبو داود من حديث محمد بن عبد الله بن إنسان الطائفي ، وقد ذكره ابن حبان في ثقاته . وقال ابن معين : ليس به بأس . وتكلم فيه بعضهم . وقد ضعف أحمد والبخاري وغيرهما هذا الحديث ، وصححه الشافعي وقال بمقتضاه . والله أعلم .

ذكر موت عبد الله بن أبي قبحه الله

قال محمد بن إسحاق : حدثني الزهري ، عن عروة ، عن أسامة بن زيد ، قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على عبد الله بن أبي يعوده في مرضه الذي مات فيه ، فلما عرف فيه الموت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أما والله إن كنت لأنهاك عن حب يهود . » فقال : قد أبغضهم أسعدُ بن زُرارة فمه ؟

وقال الواقدي : مرض عبد الله بن أبي في ليال بقين من شوال ، ومات في ذي القعدة

(١) ليّة : جبل بالطائف . المراد .

وكان مرضه عشرين ليلة ، فكان رسول الله بَعُودَهُ فيها .

فلما كان اليوم الذي مات فيه دخل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يجود بنفسه فقال : « قد نهيتك عن حب يهود » فقال : قد أبغضهم أسعد بن زُرارة فما نفعه ؟

ثم قال : يا رسول الله ليس هذا بحين عتاب هو الموت ، فاحضر غسلي وأعطني قيصك الذي يلي جلدك فكفني فيه وصلّ عليّ واستغفر لي . ففعل ذلك به رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وروى البيهقي من حديث سالم بن عجّلان ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس نحواً مما ذكره الواقدي . فالله أعلم .

وقد قال إسحاق بن راهويّة : قلت لأبي أسامة : أحدّثكم عبيد الله عن نافع عن ابن عمر قال : لما توفي عبد الله بن أبيّ بن سَكُول جاء ابنه عبد الله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله أن يعطيه قيصه ليكفنه فيه فأعطاه ، ثم سأله أن يصلى عليه .

فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى عليه ، فقام عمر بن الخطاب فأخذ بثوبه فقال : يا رسول الله ، تصلّى عليه وقد نهاك الله عنه ؟ فقال رسول الله : « إن ربي خيرني فقال : « استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم . » وسأزيد على السبعين » .

فقال : إنه منافق أنصلي عليه ؟ فأنزل الله عز وجل : « ولا تصلّ على أحدٍ منهم مات أبداً ولا تقم على قبره ، إنهم كفروا بالله ورسوله » فأقرّ به أبو أسامة وقال : نعم .

وأخرجاه في الصحيحين من حديث أبي أسامة .

وفي رواية للبخارى وغيره قال عمر : فقلت : يا رسول الله صلى عليه وقد قال في يوم كذا كذا وكذا ، وقال في يوم كذا كذا وكذا ؟ !
فقال : « دعى ياعمر فإني بين خيرتين ، ولو أعلم أني إن زدتُ على السبعين غُفر له لزدتُ » ثم صلى عليه . فأنزل الله عز وجل « ولا تصلُّ على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره » الآية .

قال عمر : فمُجِبت من جرأتني على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والله وسوله أعلم .
وقال سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، سمع جابر بن عبد الله يقول : أني رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قبرَ عبد الله بن أبيّ بعد ما أدخل حفرته ، فأمر به فأخرج فوضعه على ركبتيه - أو نخذه - ونفث عليه من ريقه وألبسه قميصه . فالله أعلم .
وفي صحيح البخارى بهذا الإسناد مثله ، وعنده أنه إنما ألبسه قميصه مكافأةً لما كان كسا العباسَ قميصاً حين قدم المدينة فلم يجدوا قميصاً يصلح له إلا قميص عبد الله بن أبيّ .

وقد ذكر البيهقي هاهنا قصة ثعلبة بن حاطب ، وكيف افتتن بكثرة المال ومنعه الصدقة ، وقد حررنا ذلك في التفسير عند قوله تعالى : « ومنهم من عاهدَ الله لئن آتانا مِن فَضْلِهِ ^(١) » الآية .

فصل

قال ابن إسحاق : وكانت غزوة تبوك آخر غزوة غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال حسان بن ثابت رضى الله عنه يمدّ دأيمَ الأنصار مع رسول الله صلى الله

عليه وسلم ويذكر مواطنهم معه في أيام غزوه ، قال ابن هشام : وتروى لابنه عبد الرحمن بن حسان :

أَلَسْتُ خَيْرَ مَعَدٍّ كُلِّهَا نَفَرًا
قَوْمٌ هُمْ شَهِدُوا بَدْرًا بِأَجْمَعِهِمْ
وَبَايَعُوهُ فَلَمْ يَنْكَثْ بِهِ أَحَدٌ
وَيَوْمَ صَبَحَهُمْ فِي الشَّعْبِ مِنْ أَحَدٍ
وَيَوْمَ ذِي قَرْدٍ يَوْمَ اسْتَنَارَ بِهِمْ
وَذَا الْعَشِيرَةِ جَاسُوهَا بِخَيْلِهِمْ
وَيَوْمَ وَدَّانَ أَجْلَوْا إِلَهُهُ رَقَصًا
وَلَيْلَةً طَلَبُوا فِيهَا عَدُوَّهُمْ
وَلَيْلَةً بِحَنِينٍ جَالَدُوا مَعَهُ
وِغْزْوَةَ يَوْمَ نَجَدٍ ثُمَّ كَانَ لَهُمْ
وِغْزْوَةُ الْقَاعِ فَرَقْنَا الْعَدُوَّ بِهِ
وَيَوْمَ بُوَيْعَ كَانُوا أَهْلَ بَيْعَتِهِ
وِغْزْوَةَ الْفَتْحِ كَانُوا فِي سَرِيَّتِهِ
وَيَوْمَ خَيْبَرَ كَانُوا فِي كِتَابَتِهِ
بِالْبَيْضِ تَرَعَشَ فِي الْإِيمَانِ عَارِيَةً
وَيَوْمَ سَارَ رَسُولُ اللَّهِ مُحْتَسِبًا
وَسَاسَةَ الْحَرْبِ إِنْ حَرَبٌ بَدَتْ لَهُمْ
أَوَّلُكَ الْقَوْمُ أَنْصَارُ النَّبِيِّ وَهُمْ
مَاتُوا كِرَامًا وَلَمْ تُنْكَثْ عَهْدُهُمْ

وَمَعَشَرًا إِنْ هُمْ عُثُوا وَإِنْ حُصِّلُوا^(١)
مَعَ الرَّسُولِ فَمَا أَلُّوا وَمَا خَذَلُوا^(٢)
مِنْهُمْ وَلَمْ يَكْ فِي إِيْمَانِهِ^(٣) دَخْلُ
ضَرْبِ رَصِينٍ كَحَرِّ النَّارِ مُشْتَعِلُ
عَلَى الْجِيَادِ فَمَا خَانُوا وَمَا نَكَلُوا^(٤)
مَعَ الرَّسُولِ عَلَيْهَا الْبَيْضُ وَالْأَسْلُ
بِالْخَيْلِ حَتَّى نَهَانَا الْحَزْنَ وَالْجَبْلُ
لِلَّهِ وَاللَّهُ يَجْزِيهِمْ بِمَا عَمَلُوا
فِيهَا يُعَلِّمُهُمْ فِي الْحَرْبِ إِذْ نَهَلُوا
مَعَ الرَّسُولِ بِهَا الْأَسْلَابَ وَالنَّفْلُ
كَأَيُّفَرَّقَ دُونَ الْمَشْرَبِ الرَّسْلُ
عَلَى الْجِلَادِ فَاسَوَّهَ وَمَا عَدَلُوا
مِرَابِطِينَ فَمَا طَاشُوا وَمَا تَحَجَّلُوا
يَمْتَشُونَ كُلَّهُمْ مُسْتَبْسِلُ بَطْلُ
تَعَوَّجٌ بِالضَّرْبِ أَحْيَانًا وَتَعْتَدِلُ
إِلَى تَبُوكَ وَهُمْ رَايَاتُهُ الْأَوَّلُ
حَتَّى بَدَأَ لَهُمُ الْإِقْبَالُ وَالْقَفْلُ
قَوْمِي أَصِيرُ إِلَيْهِمْ حِينَ أَنْصَلُ
وَقَتْلُهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِذْ قَتَلُوا

(٢) أَلُّوا : قَصَرُوا

(٤) ابن هشام : فَاخَامُوا .

(١) حُصِّلُوا : جَمَعُوا .

(٣) ابن هشام : فِي إِيْمَانِهِمْ .

ذكر بعث رسول الله ﷺ أبا بكر الصديق أميراً على الحج

سنة تسع ونزول سورة براءة

قال ابن إسحاق بعد ذكره وفود أهل الطائف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان كما تقدم بيانه مبسوطاً ، قال : ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بقية شهر رمضان وشوالاً وذا القعدة ، ثم بعث أبا بكر أميراً على الحج من سنة تسع ليقم للمسلمين حجهم ، وأهل الشرك على منازلهم من حجهم لم يصدوا بعد عن البيت ، ومنهم من له عهد مؤقت إلى أمد .

فلما خرج أبو بكر رضى الله عنه بمن معه من المسلمين وفصل عن البيت أنزل الله عز وجل هذه الآيات من أول سورة التوبة : « براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا في الأرض أربعة أشهر » إلى قوله : « وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله بريء من المشركين ورسوله » إلى آخر القصة .

ثم شرع ابن إسحاق يتكلم على هذه الآيات . وقد بسطنا الكلام عليها في التفسير والله الحمد والمنة .

والمقصود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث علياً رضى الله عنه بعد أبي بكر الصديق ليكون معه ويتولى على نفسه إبلاغ البراءة إلى المشركين نيابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لكونه ابن عمه من عصبته .

قال ابن إسحاق : حدثني حكيم بن حكيم بن عباد بن حنيفة ، عن أبي جعفر محمد بن علي ، أنه قال : لما نزلت « براءة » على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد كان بعث أبا بكر الصديق رضي الله عنه ليقم للناس الحج ، قيل له : يا رسول الله لو بعثت بها إلى أبي بكر ؟ فقال : « لا يؤدّي عني إلا رجل من أهل بيتي » .

ثم دعا علي بن أبي طالب فقال : « إخرج بهذه القصة من صدر براءة ، وأذن في الناس يوم النحر إذا اجتمعوا بمنى : ألا إنه لا يدخل الجنة كافر ، ولا يخرج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان ، ومن كان له عند رسول الله عهد فهو له إلى مدته » .

فخرج علي بن أبي طالب على ناقه رسول الله صلى الله عليه وسلم العضاء ، حتى أدرك أبا بكر الصديق ، فلما رآه أبو بكر قال : أميراً أو مأموراً ؟ فقال : بل مأمور . ثم مضى ، فأقام أبو بكر للناس الحج ، والعرب إذ ذاك في تلك السنة على منازلهم من الحج التي كانوا عليها في الجاهلية .

حتى إذا كان يوم النحر قام علي بن أبي طالب فأذن في الناس بالذي أمره به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأجل الناس أربعة أشهر من يوم أذن فيهم ليزج كل قوم إلى مآمنهم وبلادهم ، ثم لا عهد لمشرك ولا ذمة ، إلا أحد كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فهو له إلى مدته .

فلم يحج بعد ذلك العام مشرك ، ولم يطف بالبيت عريان ، ثم قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وهذا مرسل من هذا الوجه .

وقد قال البخارى : باب حَجِّ أبى بكر رضى الله عنه بالناس سنة تسع .

حدثنا سليمان بن داود أبو الربيع ، حدثنا فُلَيْح ، عن الزهرى عن حميد بن عبد الرحمن ، عن أبى هريرة : أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه بعثه فى الحجة التى أمره عليها النبى صلى الله عليه وسلم قبل حجة الوداع فى رهط يؤذّن فى الناس : أن لا يحجّ بعد العام مُشرك ، ولا يطوفنّ بالبيت عريان .

وقال البخارى فى موضع آخر : حدثنا عبد الله بن يوسف ، حدثنا الليث ، حدثنى عَقِيل ، عن ابن شهاب ، أخبرنى حُمَيْد بن عبد الرحمن ، أن أبا هريرة قال : بعثنى أبو بكر الصديق فى تلك الحجة فى المؤذّنين بعثهم يوم النحر يؤذّنون بمنى : أن لا يحجّ بعد العام مُشرك ، ولا يطوفنّ بالبيت عريان .

قال حميد : ثم أردف النبى صلى الله عليه وسلم بعلىّ فأمره أن يؤذّن ببراءة . قال أبو هريرة : فأذّن معنا علىّ فى أهل منى يوم النحر ببراءة أن لا يحجّ بعد العام مُشرك ولا يطوفنّ بالبيت عريان .

وقال البخارى فى كتاب الجهاد : حدثنا أبو اليمان ، أنبأنا شعيب ، عن الزّهرى ، أخبرنى حميد بن عبد الرحمن ، أن أبا هريرة قال : بعثنى أبو بكر الصديق فيمن يؤذّن يوم النحر بمنى لا يحجّ بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان . ويومُ الحجِّ الأكبر يوم النحر ، وإنما قيلَ الأكبر من أجل قول الناس : العمرة الحجُّ الأصغر .

فنبذ أبو بكر إلى الناس فى ذلك العام ، فلم يحجّ عامَ حجة الوداع الذى حج فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم مشرك .

ورواه مسلم من طريق الزهرى به نحوه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن مُغيرة ، عن الشَّعْبِيِّ ، عن مُحرَّز بن أبي هريرة ، عن أبيه ، قال : كنت مع علي بن أبي طالب حين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ما كنتم تنادون ؟

قال : كنا ننادى : أنه لا يدخل الجنة إلا مؤمن ، ولا يطوف بالبيت عريان ، ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهدٌ فإنَّ أجله - أو أمدّه - إلى أربعة أشهر ، فإذا مضت الأربعة أشهر فإن الله يرى من المشركين ورسوله ، ولا يحج هذا البيت بعد العام مشرك . قال : فكنت أنادى حتى صَحَل^(١) صوتى .

وهذا إسناد جيد ، لكن فيه نكارة من جهة قول الراوى : « إنَّ من كان له عهد فأجله إلى أربعة أشهر » .

وقد ذهب إلى هذا ذاهبون ، ولكن الصحيح أن من كان له عهد فأجله إلى أمدّه بالغاً ما بلغ ، ولو زاد على أربعة أشهر ، ومن ليس له أمدٌ بالكلية فله تأجيل أربعة أشهر .

بقي قسم ثالث وهو من له أمدٌ يتنأهى إلى أقل من أربعة أشهر من يوم التأجيل ، وهذا يحتمل أن يلتحق بالأول ، فيكون أجله إلى مدته وإن قلَّ ، ويحتمل أن يقال : إنه يؤجل إلى أربعة أشهر ، لأنه أولى من ليس له عهد بالكلية . والله تعالى أعلم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا حماد ، عن سِمَاك ، عن أنس بن مالك ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث ببراءة مع أبي بكر ، فلما بلغ ذا الحليفة قال : « لا يبلغها إلا أنا أو رجل من أهل بيتى » .

فبعث بها مع علي بن أبي طالب .

وقد رواه الترمذى من حديث حماد بن سلمة ، وقال : حسن غريب من حديث أنس .

وقد روى عبد الله بن أحمد ، عن لوين ، عن محمد بن جابر ، عن سمالك عن حنّس^(١) عن علي ؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أردف أبا بكر بعلي فأخذ منه الكتاب بالجحفة رجع أبو بكر فقال : يا رسول الله نزل في شيء ؟ قال : « لا ولكن جبريل جاءني فقال : لا يؤدّي عنك إلا أنت أو رجل منك » . وهذا ضعيف الإسناد ، ومثنه فيه نكارة . والله أعلم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن زيد بن أثير^(٢) - رجل من همدان - قال : سألنا علياً : بأى شيء بُعثت ؟ يوم بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أبي بكر في الحجة .

قال : بأربع : لا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة ، ولا يطوف بالبيت عريان ، ومن كان بينه وبين رسول الله عهدٌ فعهده إلى مدته ، ولا يحج المشركون والمسلمون بعد عامهم هذا .

وهكذا رواه الترمذى من حديث سفيان - هو ابن عيينة - عن أبي إسحاق السبّعي ، عن زيد بن أثير ، عن علي به . وقال : حسن صحيح .

ثم قال : وقد رواه شعبة ، عن أبي إسحاق ، فقال عن زيد بن أثير . ورواه الثوري عن أبي إسحاق ، عن بعض أصحابه ، عن علي .

قلت : ورواه ابن جرير من حديث معمر ، عن أبي إسحاق ، عن الحارث عن علي .

(١) غير أ : جلس ، وهو تحريف ، وهو حنّس بن المعتز أو ابن ربيعة بن المعتز السكتاني الكوفي ، يروى عن علي وأبي ذر ، وعنه الحكم وسماك ابن حرب . خلاصة التهذيب ٨١ .

(٢) الاصل : يثبع . وما أثبتته عن مسند أحمد ٧٨/١

وقال ابن جرير : حدثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، أخبرنا أبو زرعة وهب الله بن راشد ، أخبرنا حيوة بن شريح ، أخبرنا ابن صخر ، أنه سمع أبا معاوية البجلي من أهل الكوفة يقول : سمعت أبا الصهباء البكري وهو يقول : سألت علي بن أبي طالب عن يوم الحج الأكبر .

فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أبا بكر ابن أبي قحافة يقيم للناس الحج ، ويعتني معه بأربعين آية من براءة ، حتى أتى عرفة فخطب الناس يوم عرفة ، فلما قضى خطبته التفت إلى فقال : قم يا علي فأد رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقامت فقرأت عليهم أربعين آية من براءة ، ثم صَدَرْنَا فَأَتَيْنَا مَنِيَّ فَرَمِيتَ الْجَمْرَةَ وَنَحَرْتَ الْبَدَنَةَ ، ثم حَلَقْتَ رَأْسِي ، وَعَلِمْتَ أَنَّ أَهْلَ الْجَمْعِ لَمْ يَكُونُوا حُضُورًا كَلِمَهُمْ خُطْبَةُ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَوْمَ عَرَفَةَ ، فَطُفْتُ أَتَتَّبِعُ بِهَا الْفَسَاطِيطَ أَقْرُؤُهَا عَلَيْهِمْ .

قال علي : فمن ثم أخال حسبتم أنه يوم النحر ، ألا وهو يوم عرفة . وقد نقصينا الكلام على هذا المقام في التفسير ، وذكرنا أسانيد الأحاديث والآثار في ذلك مبسوطا بما فيه كفاية . والله الحمد والمنة .

قال الواقدي : وقد كان خرج مع أبي بكر من المدينة ثلاثمائة من الصحابة ، منهم عبد الرحمن بن عوف ، وخرج أبو بكر معه بخمس بدئات ، وبعث معه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعشرين بدنة ، ثم أردفه بعلي فلحقه بالعرج^(١) فنادى ببراءة أمام الموسم .

فصل

كان في هذه السنة - أعني في سنة تسع - من الأمور الحادثة : غزوة تبوك في رجب كما تقدم بيانه .

(١) العرج : قرية جامعة في واد من نواحي الطائف ، وقيل واد به . المراد .

قال الواقدي : وفي رجب منها مات النجاشي صاحب الحبشة ونعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الناس .

وفي شعبان منها - أي من هذه السنة - توفيت أم كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ففلساتها أسماء بنت عميس وصفية بنت عبد المطلب ، وقيل غسلها نسوة من الأنصار فيهن أم عطية .

قلت : وهذا ثابت في الصحيحين ، وثبت في الحديث أيضا أنه عليه السلام لما صلى عليها وأراد دفنها قال : « لا يدخله أحدٌ قارفَ الليلة أهله » فامتنع زوجها عثمان لذلك ، ودفنها أبو طلحة الأنصاري رضي الله عنه .

[ويحتمل أنه أراد بهذا الكلام من كان يتولى ذلك ممن يتبرع بالخفر والدفن من الصحابة كأبي عبيدة وأبي طلحة ومن شابههم ، فقال : « لا يدخل قبرها إلا من لم يقارف أهله من هؤلاء » ، إذ يبعد أن عثمان كان عنده غير أم كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هذا بعيد . والله أعلم ^(١)] .

وفيهما صلح ملك أيلة وأهل جرباء وأذرح وصاحب دومة الجندل ، كما تقدم إيضاح ذلك [كله] ^(٢) في مواضعه .

وفيهما هدم مسجد الضرار الذي بناه جماعة من المنافقين صورة مسجد ، وهو دار حرب في الباطن ، فأمر عليه السلام به فحرق .

وفي رمضان منها قديم وفد ثقيف فصالحوا عن قومهم ورجعوا إليهم بالأمان [وكسرت اللات كما تقدم ^(٣)] .

وفيهما توفي عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين لعنه الله في أواخرها . وقبله بشهر ^(٤)

(١) سقط من أ

(٢) غير أ : بأشهر

توفي معاوية بن معاوية الليثي - أو المزني - وهو الذي صلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نازل بتبوك ، إن صح الخبر في ذلك .

وفيهما حج أبو بكر رضي الله عنه بالناس عن إذن رسول الله صلى الله عليه وسلم له في ذلك .

وفيهما كان قدوم عامة وفود أحياء العرب ، ولذلك تسمى سنة تسع سنة الوفود ، وها نحن نعتقد لذلك كتابا برأسه اقتداء بالبخاري وغيره .

كتاب الوفود

الواردين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق: لما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وفرغ من تبوك وأسلمت ثقيف وبايعت ضربت إليه وفودُ العرب^(١) من كل وجه .
قال ابن هشام: حدثني أبو عبيدة أن ذلك في سنة تسع ، وأنها كانت تسمى سنة الوفود .

قال ابن إسحاق: وإنما كانت العرب ترَبَّص بإسلامها أمرَ هذا الحَيِّ من قريش ، لأن قريشا كانوا إمام الناس وهاديمهم وأهل البيت والحرم وصريح ولد إسماعيل بن إبراهيم . وقادة العرب لا ينكرون ذلك .
وكانت قريش هي التي نَصَبَت الحربَ لرسول الله صلى الله عليه وسلم وخلافه ، فلما افتتحت مكة ودانت له قريش ودوخها الإسلام ، عرفت العرب أنه لا طاقة لهم بحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عداوته ، فدخلوا في دين الله كما قال الله عز وجل أفواجا يَضْرِبُونَ إليه من كل وجه .

يقول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: « إذا جاء نصرُ الله والفتحُ ورأيت الناسَ يدخلون في دين الله أفواجا ، فسَبِّحْ بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً » [أي فاحمد الله على ماظهر من دينك واستغفره إنه كان تواباً]^(٢) .

وقد قدمنا^(٣) حديث عمرو بن سلمة قال: كانت العرب تَلَوُّمُ بإسلامهم الفَتْحَ فيقولون: اتركوه وقومَه فإنه إن ظهر عليهم فهو [نبيٌّ]^(٢) صادق . فلما كانت وقعةُ

(١) ١: الوفود من العرب . (٢) ليست في ١ .

(٣) تقدم ذلك في الجزء الثالث من السيرة ص ٦٠٩

أهل الفتح بادر كل قوم بإسلامهم وبدر - أى قومي - بإسلامهم ، فلما قدم قال : جئتم والله من عند النبي حقا ، قال صلوا صلاة كذا في حين كذا ، وصلاة كذا في حين كذا ، فإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدهم وليؤمكم أكثركم قرآنا . وذكر تمام الحديث وهو في صحيح البخاري .

قلت : وقد ذكر محمد بن إسحاق ثم الواقدي والبخاري ثم البيهقي بعدهم من الوفود ما هو متقدم تاريخ قدومهم على سنة تسع ، بل وعلى فتح مكة .

وقد قال الله تعالى : « لا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتِل ، أُولَئِكَ أَكْثَرُ أَعْظَمُ دَرَجَةٍ مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَاتِلُوا وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى » وتقدم قوله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح : « لا هجرةَ ولكن جهادٌ ونيةٌ » .

فيجب التمييز بين السابقين هؤلاء الوافدين على زمن الفتح ممن يُعدُّ وفوده هجرةً ، وبين اللاحق لهم بعد الفتح ممن وعده [الله خيرا وحسنى ، ولكن ليس في ذلك كالسابق له في الزمان والفضيلة والله أعلم] ^(١) .

على أن هؤلاء الأئمة الذين اعتنوا بإيراد الوفود قد تركوا فيما أوردوه أشياء [لم يذكرها ، ونحن نورد بحمد الله ومنه ما ذكره ، وننبه على ما ينبغي التنبيه عليه من ذلك ونذكر ما وقع لنا مما أهلوه إن شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان] ^(٢) .

وقد قال محمد بن عمر الواقدي : حدثنا كثير بن عبد الله المزني ، عن أبيه ، عن جده ، قال : كان أول من وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم من مضر أربعمائة من مزينة ، وذلك في رجب سنة خمس .

فجعل لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الهجرة في دارهم وقال : « أنتم مهاجرون حيث كنتم فارجعوا إلى أموالكم » فرجعوا إلى بلادهم .

ثم ذكر الواقدي عن هشام بن الكلبي بإسناده ، أن أول من قدم من مُزينة خُزاعي ابن عبد نهم ومعه عشرة من قومه مُزينة ، فبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم [على إسلام قومه] ، فلما رجع إليهم لم يجدهم كما ظن فيهم فتأخروا عنه .

فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حسان بن ثابت أن يُعرض بخزاعي من غير أن يهجوهم ، فذكر أبياتا ، فلما بلغت خزاعيا شكاً ذلك إلى قومه فجمعوا له وأسلموا معه وقدم بهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما كان يوم الفتح دفع رسول الله صلى الله عليه وسلم لواء مُزينة - وكانوا يومئذ ألفاً - إلى خزاعي هذا . قال : وهو أخو عبد الله ذى الجنادين .

وقال البخاري رحمه الله : باب وفد بني تميم : حدثنا أبو نُعيم ، حدثنا سفيان ، عن أبي صخرة ، عن صفوان بن مُحرز المازني ، عن عمران بن حصين ، قال : أتى نفرٌ من بني تميم إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « اقبلوا البشرى يا بني تميم » قالوا : يا رسول الله قد بشرتنا فأعطنا - فرئى ذلك في وجهه . ثم جاء ^(١) نفر من اليمين فقال : « اقبلوا البشرى إذ لم يقبلها بنو تميم » فقالوا : قد قبلنا يا رسول الله .

ثم قال البخاري : حدثنا إبراهيم بن موسى ، حدثنا هشام بن يوسف ، أن ابن جُرَيْج أخبره عن ابن أبي مُليكة ، أن عبد الله بن الزبير أخبرهم : أنه قدم ركبٌ من بني تميم على النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال أبو بكر : أمر القعقاع بن معبد بن زُرارة . فقال عمر : بل أمر الأقرع بن حابس . فقال أبو بكر : ما أردت إلا خلافي . فقال عمر : ما أردت خلافتك .

فتمارياً حتى ارتفعت أصواتهما ، فنزلت : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ » حتى انقضت .

ورواه البخارى أيضاً من غير وجه عن ابن أبى مُليكة بالفاظ آخر . وقد ذكرنا ذلك فى التفسير عند قوله تعالى : « لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ » الآية .

وقال محمد بن إسحاق : ولما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفودُ العرب قدم عليه عطارِد بن حاجب بن زُرارة بن عَدَس التميمى ، فى أشراف من بنى تميم ، منهم الأقرع ابن حابس التميمى ، والزُّبْران بن بدر التميمى - أحد بنى سعد - وعمر بن الأهتم ، والحُجْباب^(١) بن يزيد ، ونُعَيْم بن يزيد ، وقيس بن الحارث ، وقيس بن عاصم أخو بنى سعد ، فى وفد عظيم من بنى تميم .

قال ابن إسحاق : ومعهم عُيَيْنَةُ بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزارى ، وقد كان الأقرع بن حابس وعيينة شهدا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة وحنين والطائف ، فلما قدم وفد بنى تميم كانا معهم .

ولما دخلوا المسجد نادوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من وراء حجراته : أن اخرج إلينا يا محمد . فأذى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم من صياحهم ، فخرج إليهم فقالوا : يا محمد جئناك نُفَاخِرُكَ فَأُذِنَ لِسَاعِرِنَا وَخَطِينِنَا . قال : « قد أذنتُ لخطيبكم فليقل » .

فقام عطارِد بن حاجب فقال : الحمد لله الذى له علينا الفضل والمن^٢ وهو أهله ، الذى

(١) الأصل : الحجاب . وما أثبتته عن ابن هشام . قال ابن هشام : الخنات : وهو الذى آخى رسول الله (ص) بينه وبين معاوية بن أبى سفيان . واختاره السهيلي فى الروض .

جعلنا ملوكاً ووهب لنا أموالاً عظيماً نفعل فيها المعروف ، وجعلنا أعزَّ أهل المشرق وأكثره عدداً وأيسره عدداً .

فمن مثلتنا في الناس ، ألسنا برءوس الناس وألى فضلهم ؟ فمن فآخَرنا فليعدِّد مثل ماعدِّدنا ، وإنا لو نشاء لأكثرنا الكلام ولكن نخشى ^(١) من الإكثار فيما أعطانا ، وإنا نعرف [بذلك] ^(٢) أقول هذا لأن تأتوا بمثل قولنا ، وأمر أفضل من أمرنا ثم جلس .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لثابت بن قيس بن شماس أخى بنى الحارث بن الخزرج : « قم فأجب الرجل في خطبته » .

فقام ثابت فقال : الحمد لله الذى السموات والأرض خلقه ، قضى فيهن أمره ، ووسَّع كرسيه علمه ، ولم يك شيء قط إلا من فضله .

ثم كان من قدرته أن جعلنا ملوكاً واصطفى من خيرته رسولا أكرمهُ نسباً وأصدقهُ حديثاً وأفضله حسبا ، فأنزل عليه كتابا واثمنه على خلقه ، فكان خيرة الله من العالمين .

[ثم] دعا الناس إلى الإيمان به فأمن برسول الله المهاجرون من قومه وذوى رحمه ، أكرمُ الناس أحساباً ، وأحسنُ الناس وجوها ، وخيرُ الناس فعلا ، ثم كان أول الخلق إجابةً واستجاباً لله حين دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن ، فنحن أنصار الله ووزراء رسوله ، نقاتل الناس حتى يؤمنوا ، فمن آمن بالله ورسوله منع ماله ودمه ، ومن كفر جاهدناه فى الله أبداً وكان قتله علينا يسيراً . أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم وللمؤمنين والمؤمنات والسلام عليكم .

حَقَامُ الزُّبْرَقَانِ بْنِ بَدْرٍ فَقَالَ :

نَحْنُ السَّكْرَامُ فَلَا حَيٌّ يُعَادِلُنَا مِمَّا الْمُلُوكُ وَفِينَا تُنْصَبُ الْبَيْعُ^(١)
وَكَمْ قَسَرْنَا مِنَ الْأَحْيَاءِ كَلِمَهُمْ عِنْدَ النَّهَابِ وَفَضْلُ الْعِزِّ يُتَّبَعُ
وَنَحْنُ يُطْعِمُ عِنْدَ الْقَحْطِ مُطْعِمُنَا مِنْ الشَّوَاءِ إِذَا لَمْ يُوْنَسِ الْقَرْعُ^(٢)
بِمَا تَرَى النَّاسَ تَأْتِينَا سَرَاتِهِمْ مِنْ كُلِّ أَرْضٍ هُوَ بِأَنَّمْ نَصْطَنَعُ^(٣)
فَنَنْجِرُ السَّكُومَ عُبْطَافِي أَرْوَمْتَنَا لِلنَّازِلِينَ إِذَا مَا أُنْزِلُوا شَبِعُوا^(٤)
فَمَا تَرَانَا إِلَى حَيٍّ نَفَاخِرِهِمْ إِلَّا اسْتَفَادُوا وَكَانُوا الرَّأْسَ يُقْطَعُ
فَمَنْ يَفَاخِرُنَا فِي ذَاكَ نَعْرِفُهُ فَيَرْجِعُ الْقَوْمُ وَالْأَخْبَارُ تُسْمَعُ
إِنَّا أَكِينُنَا وَلَمْ يَأْنِي لَنَا أَحَدٌ إِنَّا كَذَلِكَ عِنْدَ الْفَخْرِ نَرْتَفِعُ^(٥)

قال ابن إسحاق : وكان حسان بن ثابت غائباً ، فبعث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال : فلما انتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقام شاعرُ القوم فقال ما قال ،
عرَضْتُ في قوله وقلت على نحو ما قال .

فلما فرغ الزُّبْرَقَانِ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان ثابت : « قم يا حسان
فأجب الرجل فيما قال » . فقال حسان :

إِنَّ الدَّوَائِبَ مِنْ فِهْرٍ وَإِخْوَتِهِمْ قَدْ بَيَّنُّوا سُنَّةً لِلنَّاسِ تُتَّبَعُ
يَرْضَى بِهَا كُلُّ مَنْ كَانَتْ سَرِيرَتُهُ تَقْوَى الْإِلَهِ وَكُلِّ الْخَيْرِ يَصْطَنَعُ
قَوْمٌ إِذَا حَارَبُوا ضَرُّوا عَدُوَّهُمْ أَوْ حَافِلُوا النَّفْعَ فِي أَشْيَاءِهِمْ نَفَعُوا
سَجِيَّةٌ تِلْكَ مِنْهُمْ غَيْرُ مُخْدَمَةٍ إِنْ الْخِلَاقَ - فاعلم - شَرُّهَا الْبِدْعُ

(١) البيع : جمع بَيْعَة ، وهى موضع الصلاة . (٢) القرع : القطع من السحاب .

(٣) الهوى : الإصرار .

(٤) السكوم : الإبل العظام الأسنمة . وعبطا : من غير علة .

(٥) قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر يشكرها للزُّبْرَقَانِ .

إِنَّ كَانَ فِي النَّاسِ سَبَّاقُونَ بَعْدَهُمْ فَكُلُّ سَبْقٍ لَأَدْنَى سَبْقِهِمْ تَبِعُ
 لَا يَرْقِعُ النَّاسُ مَا أَوْهَتْ أَكْفُهُمْ عِنْدَ الدِّفَاعِ وَلَا يُوهُونَ مَارَقَعُوا
 إِنَّ سَابِقُوا النَّاسَ يَوْمًا فَازَ سَبْقَهُمْ أَوْ وَازَنُوا أَهْلَ مَجْدٍ بِالْندَى مَنَعُوا^(١)
 أَعْفَى ذُكِرَتْ فِي الْوَحْيِ عِفَّتِهِمْ لَا يَطْمَعُونَ وَلَا يُرْذِيهِمْ طَمَعُ
 لَا يَبْخُلُونَ عَلَى جَارٍ بِفَضْلِهِمْ وَلَا يَمْسُهُمْ مِنْ مَطْمَعٍ طَبْعُ
 إِذَا نَصَبْنَا الْحَيَّ لَمْ نَدِبْ لَمْ كَمَا يَدْبُ إِلَى الْوَحْشِيَّةِ الدَّرْعُ^(٢)
 نَسَمُو إِذَا الْحَرْبُ نَالَتْهَا مَخَالِبُهَا إِذَا الرِّعَافُ مِنْ أَظْفَارِهَا خَشَعُوا
 لَا يَفْخَرُونَ إِذَا نَالُوا عَدُوَّهُمْ وَإِنْ أَصِيبُوا فَلَا خَوَزَ وَلَا هَلَعُ
 كَانَهُمْ فِي الْوَعَى وَالْمَوْتُ مُكْتَنِعٌ أَسَدٌ بِحَلِيَّةٍ فِي أَرْسَافِهَا فَدَعُ^(٣)
 خَذَ مِنْهُمْ مَا أَتَوْا عَفْوًا إِذَا غَضَبُوا وَلَا يَكُنْ هَمُّكَ الْأَمْرُ الَّذِي مَنَعُوا
 فَإِنَّ فِي حَرْبِهِمْ - فَاتَرَكَ عِدَاوَتَهُمْ - شَرًّا يُخَاضُ عَلَيْهِ السَّمُّ وَالسَّلْعُ^(٤)
 أَكْرَمَ بِقَوْمٍ رَسُولُ اللَّهِ شَيْعَتَهُمْ إِذَا تَفَاوَتَ الْأَهْوَاءُ وَالشَّيْءُ
 أَهْدَى لَمْ مِدْحَتِي قَلْبُ يُؤَازِرُهُ فِيمَا أَحَبَّ لِسَانُ حَائِكٍ صَنَعُ
 فَإِنَّهُمْ أَفْضَلُ الْأَحْيَاءِ كُلِّهِمْ إِنْ جَدَّ فِي النَّاسِ جِدُّ الْقَوْلِ أَوْ شَمَعُوا^(٥)

وقال ابن هشام : وأخبرني بعض أهل العلم بالشعر من بني تميم أن الزبير كان لما قدم
 على رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفد بني تميم قام فقال :
 أتيناك كيما يعلم الناس فضلنا إذا اختلفوا عند احتضار المواسم

(١) ت : قنعوا . وفي ابن هشام : متعوا . ومعناها : زادوا .

(٢) الدرع : ولد البقرة الوحشية .

(٣) المكنع : القريب . وحلية : موضع كثير الأسود . والقدح : اعوجاج الرسغ من اليد أو الرجل .

(٤) السلق : نبت سام . (٥) شمعو : مزحوا .

بأننا فروعُ الناسِ في كلِّ مَوْطِنٍ وأنَّ ليسَ في أرضِ الحجازِ مَكْدَارِمِـ
وأنا نذودُ المَعْلَمِينَ إذا انتَخَوْا ونضربُ رأسَ الأَصِيدِ الْمُتَفَسِّاقِمِـ
وإنَّ لَنَا المِرْبَاعَ في كلِّ غَارَةٍ نُغَيِّرُ بِنَجْدٍ أَوْ بِأَرْضِ الأعَاكِـ
قال : فقام حسان فأجابه فقال :

هل المجدُ إلا السُّودُ العَوْدُ والندَى وجاءَ المَلُوكُ واحْتِمَالُ العِظَامِـ
نَصَرْنَا وآوَيْنَا النَبِيَّ مُحَمَّدًا على أَنْفِ رَاضٍ مِنْ مَعْدٍ وَرَاغِمِـ
بِحَيِّ حَرِيدٍ أَصْلُهُ وَثِرَاؤُهُ بِجَابِيَةِ الْجَوْلَانِ وَسَطِ الأعَاكِـ^(١)
نَصَرْنَاهُ لَمَّا حَلَّ بَيْنَ دِيَارِنَا^(٢) بِأَسِيفِنَا مِنْ كُلِّ بَاغٍ وَظَالِمِـ
جَعَلْنَا بَيْنِنَا دُونَهُ وَبَنَاتِنَا وَطَبْنَا لَهُ نَفْسًا بَنِيَّ المِفْـ
وَنَحْنُ ضَرَبْنَا النَّاسَ حَتَّى تَتَابَعُوا على دِينِهِ بِالْمَرْهَفَاتِ الصَّوَارِمِـ
وَنَحْنُ وَلَدْنَا مِنْ قَرِيشٍ عَظِيمِهَا وَلَدْنَا نَبِيَّ الْخَيْرِ مِنْ آلِ هَاشِمِـ
بَنِي دَارِمٍ لَا تَفْخَرُوا إِنْ فَخَرَكُمْ يَعُودُ وَبِالْأَعْدَاءِ ذِكْرُ المَكَارِمِـ
هَيْلَتُمْ عَلَيْنَا تَفْخَرُونَ وَأَنْتُمْ لَنَا خَوَلٌّ مِنْ بَيْنِ ظُنُرٍ وَخَادِمِـ
فَإِنْ كُنْتُمْ جِئْتُمْ لِحَقِّنْ دِمَائَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ أَنْ تُقْسَمُوا فِي القَاسِمِـ
فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ نَدًّا وَأَسْلَمُوا وَلَا تَلْبَسُوا زِيًّا كَرَى الأعَاكِـ

قال ابن إسحاق : فلما فرغ حسان بن ثابت من قوله ، قال الأقرع بن حابس :
وأبي إن هذا أموتني له ! لخطيبه أخطبُ من خطيبنا ، ولشاعره أشعرُ من شاعرنا ،
ولأصواتهم أعلى من أصواتنا .

(١) الحريد : المنفرد . وجابية الجولان : قرية من أعمال دمشق . المراصد .

(٢) غير أ : بيوتنا .

قال : قلما فرغ القوم أسلوا وجوزهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحسن جوائزهم .
 وكان عمرو بن الأهتم قد خلفه القوم في رحالهم ، وكان أصغرهم سنًا ، فقال قيس
 ابن عاصم - وكان يُبغض عمرو بن الأهتم - : يا رسول الله إنه كان رجل منّا في رحالنا
 وهو غلام حدث . وأزرى به ، فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل
 ما أعطى القوم .

فقال عمرو بن الأهتم حين بلغه أن قيسًا قال ذلك ، يهجوهُ :

ظَلَلَتْ مُفْتَرِشَ الْهَلْبَاءِ تَشْتَمِي عِنْدَ الرَّسُولِ فَلَمْ تَصْدُقْ وَلَمْ تُصَبِّ^(١)

سُدْنَاكُمْ سُودًا رَهَوًا وَسُودَكُمْ بَادٍ نَوَاجِذُهُ مُقْعٌ عَلَى الذَّنْبِ^(٢)

وقد روى الحافظ البيهقي من طريق يعقوب بن سفيان ، حدثنا سليمان بن حرب ،
 حدثنا حماد بن زيد ، عن محمد بن الزبير الحنظلي ، قال : قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم
 الزُّبَيْرُ قَانُ بْنُ بَدْرٍ ، وقيس بن عاصم ، وعمرو بن الأهتم ، فقال لعمرو بن الأهتم :
 « أخبرتني عن الزبير قان ، فأما هذا فلست أسألك عنه » وأراه كان قد عرف قيسا .

قال : فقال : مُطَاعٌ فِي أَدْنِيهِ ، شديد العارضة ، مانعٌ لما وراء ظهره . فقال الزبير قان :
 قد قال ما قال وهو يعلم أني أفضل مما قال .

قال فقال عمرو : والله ما علمتك إلا زَمِرَ^(٣) المروءة ، ضَيْقَ الْعَطَنِ ، أَحَقَّ الْأَبِ ،
 لَيْثِمَ الْخَالِ . ثم قال : يا رسول الله قد صدقتُ فيهما جميعا ، أَرْضَانِي فَقُلْتُ بِأَحْسَنِ مَا أَعْلَمُ
 فِيهِ ، وَأَسَخَطْنِي فَقُلْتُ بِأَشْوَأَ مَا أَعْلَمُ .

قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ سِحْرًا » .

وهذا مرسل من هذا الوجه .

(١) الهلباء : يريد الدبر ، والهرب : شعر الذنب

(٢) الرهو : المتسع .

(٣) زمر المروءة : قليلها .

قال البيهقي : وقد روى من وجه آخر موصولا : أنبأنا أبو جعفر كامل بن أحمد المستملي ، حدثنا محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن عثمان البغدادي ، حدثنا محمد بن عبد الله ابن الحسن العلاف ببغداد ، حدثنا علي بن حرب الطائي ، أنبأنا أبو سعد بن الهيثم بن محفوظ ، عن أبي المقوم يحيى بن يزيد الأنصاري ، عن الحكم ، عن مقسم ، عن ابن عباس ، قال : جلس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قيس بن عاصم والزبرقان بن بدر وعمرو بن الأهتم التميميون ، ففخر الزبرقان فقال : يا رسول الله أنا سيد تميم والمطاع فيهم والمجاب ، أمتهم من الظلم وآخذ لهم بمقوقهم ، وهذا يعلم ذلك - يعني عمرو بن الأهتم - فقال عمرو بن الأهتم : إنه لشديد العارضة ، مانع لجانبه ، مطاع في أدنيه . فقال الزبرقان : والله يا رسول الله لقد علم مني غير ما قال ، وما منعه أن يتكلم إلا الخسد .

فقال عمرو بن الأهتم : أنا أحسدك ؟ فوالله إنك لثيم الخال ، حديث المال ، أحق الولد ، مضيق في المشيرة ، والله يا رسول الله لقد صدقت فيما قلت أولا ، وما كذبت فيما قلت آخرأ ، ولكني رجل إذا رضيت قلت أحسن ما علمت ، وإذا غضبت قلت أقبح ما وجدت ، ولقد صدقت في الأولى والأخرى جميعا .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن من البيان سحرا » . وهذا إسناد غريب جداً .

[وقد ذكر الواقدي سبب قدومهم وهوانهم كانوا قد شهروا السلاح على خزاعة ، فبعث إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عيينة بن بدر في خمسين ليس فيهم أنصاري ولا مهاجري ، فأمر منهم أحد عشر رجلا ، وإحدى عشرة امرأة ، وثلاثين صبيا ، فقدم رؤسائهم بسبب أسراهم ، ويقال قدم منهم تسعون - أو ثمانون - رجلا في ذلك منهم عطارذ والزبرقان وقيس بن عاصم وقيس بن الحارث ونعيم بن سعد والأقرع بن حابس

ورباح بن الحارث وعمرو بن الأهم ، فدخلوا المسجد وقد أذن بلال الظهر والناس ينتظرون رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخرج إليهم ، فعجل هؤلاء فنادوه من وراء الحجرات ، فنزل فيهم منازل .

ثم ذكر الواقدي خطيبهم وشاعرهم ، وأنه عليه السلام أجازهم كل رجل اثني عشر أوقية ونشاً ، إلا عمرو بن الأهم فإنما أعطى خمس أواق لحداثة سنه . والله أعلم^(١) .
قال ابن إسحاق : ونزل فيهم من القرآن قوله تعالى : « إن الذين يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ، وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ » .

قال ابن جرير : حدثنا أبو عمار الحسين بن حريث المروزي ، حدثنا الفضل بن موسى ، عن الحسين بن واقد ، عن أبي إسحاق ، عن البراء في قوله : « إن الذين ينادونك من وراء الحجرات » . قال : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد إن حمدي زَيْن ، وذمّي شَيْن . فقال : « ذاك الله عز وجل » .
وهذا إسناد جيد متصل .

وقد روى عن الحسن البصري وقتادة مرسلًا عنهما .

وقد وقع تسمية هذا الرجل فقال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا وهيب ، حدثنا موسى بن عُبَدة ، عن أبي سلمة ، عن عبد الرحمن ، عن الأقرع بن حابس ، أنه نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد يا محمد . وفي رواية : يا رسول الله . فلم يجبه . فقال : يا رسول الله إن حمدي لَزَيْن ، وإن ذمي لَشَيْن . فقال : « ذاك الله عز وجل » .

(١) تأخرت في إلى نهاية الفصل .

فصل في فضل بني تميم

قال البخاري : حدثنا زهير بن حرب ، حدثنا جرير ، عن عُمارة بن القَعْقَاع ، عن أبي زُرْعَةَ ، عن أبي هريرة ، قال : لا أزال أحبُّ بني تميم بعد ثلاث سمعتهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولها فيهم :

« هم أشدُّ أمتي على الدجال » وكانت فيهم سَيِّدِيَّة عند عائشة فقال : « أعتقها فإنها من ولد إسماعيل » وجاءت صدقاتهم فقال : « هذه صدقات قوم - أو قومي - » .
وهكذا رواه مسلم عن زهير بن حرب به .

[وهذا الحديث بردُّ على قتادة^(١) ما ذكره صاحب الحاشية وغيره من شعر من ذمهم

حيث يقول :

تميمٌ بطُرُق اللُّؤمِ أهدى من القطا ولو سَلَكَ طُرُقَ الرِّشَادِ لَضَلَّتْ
ولو أن برغوثاً على ظَهْرِ قِلَةٍ رآته تميمٌ من بعيْدٍ لَوَلَّتْ^(٢)

وفد بني عبد القيس

ثم قال البخاري بعد وفد بني تميم : باب وفد عبد القيس .

حدثنا أبو إسحاق^(٣) ، حدثنا أبو عامر العقدي ، حدثنا قُرَّة ، عن أبي جَرَّة^(٤) قال قلت لابن عباس : إن لي جَرَّةً يُنْتَبَذُ لي فيها فأشربه حلواً في جَرَّةٍ^(٥) إن أ كثر منه نجاست القوم فأطلت الجلوس خشيتُ أن أفنضح ؟

فقال : قدم وفدُ عبد القيس على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « مرحباً

(١) كذا بالأصل . (٢) سقط من أ . (٣) البخاري : حدثني إسحق .

(٤) الأصل : عن أبي حمزة . والتصويب من صحيح البخاري ٢ / ٢٦٦

(٥) الجِر : كل شيء يصنع من الدر .

بالقوم غير خزايا ولا الندامى » فقالوا : يا رسول الله إن بيننا وبينك المشركين من مُضَرٍّ ، وإنا لا نصل إليك إلا في الشهر الحرام ، فحدثنا بجميع^(١) من الأمر إن علمنا به دخلنا الجنة وتدعو به من وراءنا .

قال : « أمركم بأربع ، وأنهاكم عن أربع : الإيمان بالله ، هل تدرون ما الإيمان بالله ؟ شهادة أن لا إله إلا الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وأن تعطوا من المغنم الخمس . وأنهاكم عن أربع : ما يُنْتَبَذُ في الدُّبَاءِ والنَّقِيرِ والحَنْتِ والزَّرَقِ »^(٢) .

وهكذا رواه مسلم من حديث قرّة بن خالد ، عن أبي جحزة به . وله طرق في الصحيحين عن أبي جحزة .

وقال أبو داود الطيالسي في مسنده : حدثنا شعبة ، عن أبي جحزة ، سمعت ابن عباس يقول : إن وفد عبد القيس لما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ممن القوم ؟ » قالوا : من ربيعة . قال : « مرحبا بالوفد غير الخزايا ولا الندامى » .

فقالوا : يا رسول الله إنا حيٌّ من ربيعة ، وإنا نأتيك من شُقَّةٍ بعيدة ، وإنه يحُولُ بيننا وبينك هذا الحيُّ من كفار مُضَرٍّ ، وإنا لا نصل إليك إلا في شهر حرام ، فمرنا بأمر فصل ندعو إليه من وراءنا ندخل به الجنة .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أمركم بأربع وأنهاكم عن أربع . أمركم بالإيمان بالله وحده . أتدرون ما الإيمان بالله ؟ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وأن تعطوا من المغنم الخمس . وأنهاكم

(١) صحيح مسلم : بأمر فصل . وفي البخاري : بجميع من الأمر .

(٢) الدُّبَاءُ : الفرع اليابس ، والخراد : الوعاء منه . والحَنْتُ : جرار خضر . والنَّقِيرُ : جذع ينقر وسطه والزَّرَقُ : العُطَيُّ بالغار .

عن أربع . عن الدُّبَاءِ والخَنْمِ والتَّغْيِيرِ والمَزَقَّةِ - وربما قال والمَقْيَرِ - فاحفظوه من وادعوا
إليهن من وراءكم .

وقد أخرجه صاحبها الصحيحين من حديث شعبة بنحوه .

وقد رواه مسلم من حديث سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن أبي نَصْرَةَ ،
عن أبي سعيد بحديث قصتهم بمثل هذا السياق .

وعنده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأشجع عبد القيس : « إن فيك خلقتين
يحبهما الله عز وجل ؛ الحلم والأناة » وفي رواية : « يحبهما الله ورسوله » فقال :
يا رسول الله [تَخْلَقُهُمَا أم جَبَلْنِي الله عليهما ؟ فقال : « جَبَلَك الله عليهما » فقال : الحمد لله
الذي جَبَلْنِي على خَلْقَيْنِ يحبهما الله ورسوله ^(١)] .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو سعيد مولى بنى هاشم ، حدثنا مطرب بن عبد الرحمن ،
سمعت هنداً بنت الوازع ، أنها سمعت الوازع يقول : أتيت رسول الله صلى الله عليه
وسلم والأشجع المنذر بن عامر - أو عامر بن المنذر - ومعهم رجل مصاب ، فأتهموا إلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبوا من رواحلهم ، فأتوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقبلوا يده ، ثم نزل الأشجع فعقل راحلته وأخرج عَيْبَتَهُ ففتحتها فأخرج
ثوبين أبيضين من ثيابه فلبسهما ، ثم أتى رواحلهم فعقلها ، فأتى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال : « يا أشجعُ إن فيك خصلتين يحبهما الله عز وجل ورسوله : الحلم والأناة »
فقال : يا رسول الله أنا تَخْلَقُهُمَا أو جَبَلْنِي الله عليهما ؟ فقال : « بل الله جَبَلَك عليهما »
قال : الحمد لله الذي جَبَلْنِي على خَلْقَيْنِ يحبهما الله عز وجل ورسوله .

فقال الوازع : يا رسول الله إن معي خلا لي مصابا ، فادع الله له . فقال : « أين هو

اثنتى به « قال : فصنعت مثل ما صنع الأشج ، ألبسته ثوبيه وأتيتته ، فأخذ من رداءه^(١) يرفعهما حتى رأينا بياض إبطه ، ثم ضرب بظهره فقال : « اخرج عدو الله » فولى وجهه وهو ينظر بنظر رجل صحيح .

وروى الحافظ البيهقي من طريق هود بن عبد الله بن سعد ، أنه سمع جده مزينة العبدى ، قال : بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث أصحابه إذ قال لهم : « سيطلم من هاهنا ركبهم خير أهل المشرق » .

فقام عمر فتوجه نحوهم فلقى ثلاثة عشر راكبا ، فقال : من القوم ؟ فقالوا : من بنى عبد القيس . قال : فما أقدمكم هذه البلاد ، التجارة ؟ قالوا : لا . قال : أما إن النبي صلى الله عليه وسلم قد ذكركم آتفا فقال خيرا .

ثم مشوا معه حتى أتوا النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال عمر للقوم : هذا صاحبكم الذى تريدون . فرمى القوم بأنفسهم عن ركائبهم ، فنهض من مشى ومنهم من هزول ومنهم من سعى ، حتى أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذوا بيده فقبلوها ، وتخلّف الأشج فى الركاب حتى أناخها وجمع متاع القوم ، ثم جاء يمشى حتى أخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبلها ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « إن فيك خلتين يحبهما الله ورسوله » . قال : جبل جُبلت عليه أم تخلقا منى ؟ قال : بل جبل . فقال : الحمد لله الذى جَبَلَنى على ما يحب الله ورسوله .

وقال ابن إسحاق : وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم الجارود بن عمرو بن حنّش أخو عبد القيس . قال ابن هشام : وهو الجارود بن بشر بن المعلّى . فى وفد عبد القيس وكان نصرانيا .

قال ابن إسحاق : وحديثي من لا أنهم عن الحسن^(١) قال : لما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كَلَّمَهُ فَعَرَضَ عَلَيْهِ الْإِسْلَامَ وَدَعَاهُ إِلَيْهِ وَرَغَّبَهُ فِيهِ ، فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ إِنِّي كُنْتُ عَلَى دِينٍ وَإِنِّي تَارِكُ دِينِي لَدِينِكَ ، أَفَتَضْمَنُ لِي دِينِي ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « نَعَمْ أَنَا ضَامِنٌ أَنْ قَدْ هَدَاكَ اللَّهُ إِلَى مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ » قَالَ : فَأَسْلَمَ وَأَسْلَمَ أَصْحَابُهُ .

ثُمَّ سَأَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْحُمَلَانَ فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا عِنْدِي مَا أَنْحَلَكُمْ عَلَيْهِ . قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ فَإِنْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ بِلَادِنَا ضَوَالٌّ مِنْ ضَوَالِّ النَّاسِ ، أَفَنُزِلُّ عَلَيْهَا إِلَى بِلَادِنَا ؟ قَالَ : لَا ، إِيَّاكَ وَإِيَّاهَا ، فَإِنَّمَا تِلْكَ حَرَقُ النَّارِ .

قَالَ : فَخَرَجَ الْجَارُودُ رَاجِعًا إِلَى قَوْمِهِ ، وَكَانَ حَسَنَ الْإِسْلَامِ صَلْبًا عَلَى دِينِهِ حَتَّى هَلَكَ .

وَقَدْ أَدْرَكَ الرَّدَةَ ، فَلَمَّا رَجَعَ مِنْ قَوْمِهِ مَنْ كَانَ أَسْلَمَ مِنْهُمْ إِلَى دِينِهِمُ الْأَوَّلِ مَعَ الْغُرُورِ بْنِ الْمُنْذَرِ بْنِ النُّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذَرِ قَامَ الْمُنْذَرُ فَشَهِدَ شَهَادَةَ الْحَقِّ وَدَعَا إِلَى الْإِسْلَامِ فَقَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَأَكْفَرُ مَنْ لَمْ يَشْهَدْ .

وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ الْعَلَاءَ بْنَ الْحَضْرَمِيِّ قَبْلَ فَتْحِ مَكَّةَ إِلَى الْمُنْذَرِ بْنِ سَاوَى الْعَبْدِيِّ فَأَسْلَمَ فَحَسُنَ إِسْلَامُهُ ، ثُمَّ هَلَكَ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ رَدَةِ أَهْلِ الْبَحْرَيْنِ ، وَالْعَلَاءُ عِنْدَهُ أَمِيرًا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْبَحْرَيْنِ .

ولهذا روى البخاري من حديث إبراهيم بن طهمان عن أبي جحرة ، عن ابن عباس ،

(١) ابن هشام : عن الحسين

قال : أولُ جمعةُ جُمعت في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد عبد القيس بجوأتى من البحرين .

وروى البخارى عن أم سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر الركعتين بعد الظهر بسبب وفد عبد القيس حتى صلاهما بعد العصر في بيتها .

قلت : لكن في سياق ابن عباس ما يدل على أن قدوم وفد عبد القيس كان قبل فتح مكة لقولهم : وبيننا وبينك هذا الحى من مضر ، لا نصل إليك إلا في شهر حرام . والله أعلم .

قصة ثُمَامَة ووفد بنى حنيفة

ومعهم مسيلة الكذاب لعنه الله

قال البخارى : باب وفد بنى حنيفة وقصة ثُمَامَة بن أثال .

حدثنا عبد الله بن يوسف ، حدثنا الليث بن سعد ، حدثني سعيد بن أبى سعيد ، سمع أبا هريرة قال : بعث النبي صلى الله عليه وسلم خيلاً قبل نجد ، فجاءت برجل من بنى حنيفة يقال له ثُمَامَة بن أثال ، فربطوه بسارية من سواري المسجد ، فخرج إليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « ما عندك يا ثُمَامَة » ؟ قال : عندي خير يا محمد إن تقتلني تقتل ذادماً ، وإن تُنعم تنعم على شاكر ، وإن كنت تريد المال فسل منه ما شئت .

فتركه حتى كان الغد ثم قال له : « ما عندك يا ثُمَامَة » ؟ فقال : عندي ما قلت لك ، إن تُنعم تنعم على شاكر ، فتركه حتى بعد الغد فقال : « ما عندك يا ثُمَامَة » ؟ فقال عندي ما قلت لك . فقال : « أطلقوا ثُمَامَة » .

فانطلق إلى نخل قريب من المسجد فاغتسل ثم دخل المسجد ، فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، يا محمد والله ما كان على وجه الأرض وجه أبغض إلى من وجهك ، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إلى ، والله ما كان دين أبغض إلى من دينك فأصبح دينك أحب الدين إلى ، والله ما كان من بلد أبغض إلى من بلدك فأصبح بلدك أحب البلاد إلى ، وإن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة فإذا ترى ؟

فبشره رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمره أن يعتمر ، فلما قدم مكة قال له قائل : أصبوت ؟ قال : لا ولكن أسلمت مع محمد صلى الله عليه وسلم ، ولا والله لا تأتیکم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها النبي صلى الله عليه وسلم .

وقد رواه البخارى فى موضع آخر ومسلم وأبو داود والنسائى كلهم عن قتيبة عن الليث به .

وفى ذكر البخارى هذه القصة فى الوفود نظر .
وذلك أن ثمامة لم يفد بنفسه وإنما أمر وقدم به فى الوثاق فربط بسارية من سواري المسجد .

ثم فى ذكره مع الوفود سنة تسع نظر آخر ، وذلك أن الظاهر من سياق قصته أنها قبيل الفتح ، لأن أهل مكة عيروه بالإسلام وقالوا : أصبوت ؟ فتوعدهم بأنه لا يفد إليهم من اليمامة حبة حنطة ميرة حتى يأذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدل على أن مكة كانت إذ ذاك دار حرب لم يسلم أهلها بعد . والله أعلم .

ولهذا ذكر الحافظ البيهقى قصة ثمامة بن أثال قبل فتح مكة وهو أشبه ، ولكن ذكرناه هنا إتباعاً للبخارى رحمه الله .

وقال البخارى : حدثنا أبو اليمان ، حدثنا شعيب ، عن عبد الله بن أبي حسين ،

حدثنا نافع بن جبیر ، عن ابن عباس ، قال : قدِمَ مُسَيْلَمَةُ الكَذَابِ على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يقول : إنَّ جعل لي محمد الأمر من بعده اتبعته . وقدِمَ في بشر كثير من قومه .

فأقبل إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه ثابت بن قيس بن شماس ، وفي يد رسول الله صلى الله عليه وسلم قطعة جريد ، حتى وقف على مسيلمة في أصحابه فقال له : «لو سألتني هذه القطعة ما أعطيتُكها»^(١) ، ولن تعدوا أمر الله فيك ، ولئن أدبرت ليعقرنك الله ، وإنى لأراك الذي رأيتُ فيه ما أريت ، وهذا ثابتٌ يحبيك عني « ثم انصرف عنه .

قال ابن عباس : فسألت عن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إنك الذي رأيت فيه ما أريت » فأخبرني أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « بينا أنا نائم رأيت في يدي سوارين من ذهب فأهمني شأنهما ، فأوحى إليَّ في المنام : أن انفخهما فنفختهما فطارا ، فأولتهما كذا بين يخرجان بعدى أحدهما الأسود العنسي والآخر مسيلمة » .

ثم قال البخاري : حدثنا إسحاق بن نصر^(٢) ، حدثنا عبد الرزاق ، أخبرني معمر ، عن همام بن منبه^(٣) ، أنه سمع أبا هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بينا أنا نائم أتيت بجزائن الأرض فوضع في كفي سواران من ذهب ، فكبراً على فأوحى إلي : أن انفخهما . فنفختهما فذهبا فأولتهما الكذابين اللذين أنا بينهما ؛ صاحب صنم ، وصاحب اليمامة » .

ثم قال البخاري : حدثنا سعيد بن محمد الجرهمي ، حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا أبي ، عن صالح ، عن ابن عبيدة ، بن نسيط - وكان في موضع آخر اسمه عبد الله - أن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال : بلغنا أن مُسَيْلَمَةَ الكَذَابِ قدم المدينة فنزل في دار بنت الحارث وكان تحته بنت الحارث بن كرز وهي أم عبد الله بن عامر بن كرز ، فأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومعه ثابت بن قيس بن شماس ، وهو الذي يقال له :

(١) الأصل : أعطيتها . وما أثبتته عن صحيح البخاري ٢٦٨/١ . (٢) الأصل : منصور . وما أثبتته عن البخاري . (٣) الأصل : هشام بن أمية . وما أثبتته عن البخاري .

خطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفي يد رسول الله صلى الله عليه وسلم قضيب فوقف عليه فكلمه ، فقال له مسيلة : إن شئت خلّيت بينك وبين الأمر ، ثم جمّلته لنا بعدك .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لو سألتني هذا القضيب ما أعطيتكه وإني لأراك^(١) الذي رأيت فيه ما رأيت ، وهذا ثابت بن قيس وسيجيئك عني » فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال عبيد الله بن عبد الله : سألت ابن عباس عن رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي ذكر ، فقال ابن عباس : ذكرك لي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « بينا أنا نائم أريت أنه وضع في يدي سواران من ذهب فقطعتهما^(٢) وكرهتهما ، فأذن لي فنفضتهما فطارا ، فأولتُهما كذابين يخرجان » .

فقال عبيد الله : أحدهما العنسي الذي قتله فيروز باليمن والآخر مسيلة الكذاب .

وقال محمد ابن إسحاق : قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد بني حنيفة فيهم مسيلة [بن حبيب الكذاب . قال ابن هشام : وهو مسيلة^(٣)] بن ثمامة بن كثير بن حبيب بن الحارث بن عبد الحارث بن هفان بن ذهل بن الدول بن حنيفة ، ويكنى أبا ثمامة وقيل أبا هارون ، وكان قد تسمى بالرحمن فكان يقال له رحمن اليمامة ، وكان عمره يوم قتل مائة وخمسين سنة ، وكان يعرف أبوايا من النيرجات^(٤) ، فكان يدخل البيضة إلى القاروة ، وهو أول من فعل ذلك ، وكان يقص جناح الطير ثم يصله ، ويدعى أن ظبية تأتيه من الجبل فيحلب لبنها .

قال ابن إسحاق : وكان منزله في دار بنت الحارث امرأة من الأنصار ثم من بني النجار .

(١) : وإني أراك .

(٢) فقطعتهما : كرهتهما . وفي الأصل : فقطعتهما . وهو تحريف . (٣) سقط من الطبوعة .

(٤) السهيل : النيرجات . وفي القاموس : النيرنج : أخذ كالسحر وليس به .

[قال السَّهيلي : هي زينب ، وقيل كَيْسَة ^(١) بنت الحارث بن كُرَيْز بن حبيب بن عبدشمس ، وكان مسيلة قد تزوجها قديماً ثم فارقها ، فلهذا نزلوا في دارها ^(٢)] .

قال ابن إسحاق : لحدثني بعض علمائنا من أهل المدينة أن بني حنيفة أتت به رسول الله صلى الله عليه وسلم تستره بالثياب ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في أصحابه معه عَيْب من سَعَف النخل في رأسه خوصات ، فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يسترونه بالثياب كلَّه وسأله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو سألتني هذا الْعَيْب ما أعطيتُكَّه » .

قال ابن إسحاق : وحدثني شيخ من بني حنيفة من أهل اليمامة أن حديثه كان على غير هذا ، وزعم أن وفد بني حنيفة أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وخَلَفُوا مسيلة في رحالم ، فلما أسلموا ذَكروا مكانه فقالوا : يا رسول الله إنا قد خَلَفْنَا صاحباً لنا في رِحَالنا وفي رِكائبنا يَحْفَظُنا لنا .

قال : فأمر له رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل ما أمر به للقوم ، وقال : « أما إنه ليس بِشَرِّكم مكاناً » أي لحفظه ضيعة أصحابه . ذلك الذي يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال : ثم انصرفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاءوا مسيلة بما أعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما انتهوا إلى اليمامة ارتدَّ عدو الله وتَنَبَّأ وتكذَّب لهم ، وقال : إني قد أشركت في الأمر معه .

وقال لوفده الذين كانوا معه : ألم يقل لكم حين ذكروتموني له : « أما إنه ليس بِشَرِّكم مكاناً » ماذا كان يَعْلَمُ أني قد أشركت في الأمر معه .

ثم جعل يَسْجَع لهم السَّجَعات ويقول لهم فيما يقول مضاهاةً للقرآن : لقد أنعم الله على

الخبلى ، أخرج منها نَسَمَةً تَسْعَى ، من بين صِفَاق ^(١) وحشا .

وأحلَّ لهم الخمر والزنا ، ووضع عنهم الصلاة ، وهو مع هذا يشهد لرسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه نبي .

فأَصَفَّت ^(٢) معه بنو حنيفة على ذلك .

قال ابن إسحاق فالله أعلم أى ذلك كان .

وذكر السهيلي وغيره أن الرَّحَال بن عُنْفُوَة - واسمه نهار بن عنفوة - وكان قد أسلم وتعلَّم شيئاً من القرآن وصحب رسول الله صلى الله عليه وسلم مدة ، وقد مرَّ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس مع أبي هريرة وفُرات بن حَيَّان فقال لهم : « أحدم خيرُسه في النار مثلُ أحد » .

فلم يزلَا خائفين حتى ارتدَّ الرَّحَال مع مسيلمة وشهد له زوراً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أشرَّكه في الأمر معه ، وألقى إليه شيئاً مما كان يحفظه من القرآن فادَّعاه مسيلمة لنفسه ، فحصل بذلك فتنة عظيمة لبني حنيفة ، وقد قتله زيد بن الخطاب يوم اليمامة .

قال السهيلي : وكان مؤذَن مسيلمة يقال له حُجَيْر ، وكان مدبِّر الحرب بين يديه مُحَكِّم بن الطَّفِيل .

وأضيف إليهم سَجَّاح ، وكانت تكنى أمَّ صادر ، وتزوجها مسيلمة ، وله معها أخبار فاحشة ، واسم مؤذنها زهير بن عمرو ، وقيل جَنَبَة بن طارق ، ويقال إن شَبَث ابن رَبِيعٍ أذَّن لها أيضاً ثم أسلم ، وقد أسلمت هي أيضاً أيام عمر بن الخطاب فحَسُن إسلامها .

وقال يونس بن بُكَيْر عن ابن إسحاق : وقد كان مسيلمة بن حَبِيب كتب إلى

(١) الصفاق : جلد البطن .

(٢) أَصَفَّت : اجتمعت .

رسول الله صلى الله عليه وسلم : من مسيئة رسول الله إلى محمد رسول الله ؛ سلام عليك .
أما بعد فإني قد أشركت في الأمر معك ، فإن لنا نصف الأمر ولقریش نصف الأمر ،
ولكن قریشاً قومٌ يعتدون .

فقدِم عليه رسولان بهذا الكتاب ، فكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم .
« بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله إلى مسيئة الكذاب . سلام على
من اتبع الهدى ، أما بعد : فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده
والعاقبة للمتقين » .

قال : وكان ذلك في آخر سنة عشر - يعني ورود هذا الكتاب . [وقد روى
البخارى قصة هذا الكتاب في صحيحه .] ^(١) قال يونس بن بكير عن ابن إسحاق :
حدثني سعد بن طارق ، عن سلمة بن نعيم بن مسعود ، عن أبيه ، قال : سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم حين جاءه رسولا مسيئة الكذاب بكتابه يقول لهما : « وأنما
تقولان مثل ما يقول ؟ » قالوا : نعم . فقال أما والله لولا أن الرُّسل لا تُقتل
لضربتُ أعناقكما .

وقال أبو داود الطيالسي : حدثنا المسعودي ، عن عاصم ، عن أبي وائل عن
عبد الله بن مسعود . قال : جاء ابن النُّوَّاحَة وابن أنال رسولين لمسيئة الكذاب إلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال لهما : « أتشهدان أني رسول الله » فقالا : نشهد
أن مسيئة رسول الله . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « آمنتُ بالله ورسله ، ولو
كنت قاتلاً رسولاً لقتلتُكما » .

قال عبد الله بن مسعود : فضت السنة بأن الرسل لا تُقتل .

قال عبد الله : فأما ابن أنال فقد كفاه الله ، وأما ابن النُّوَّاحَة فلم يزل في نفسه منه

حتى أمكن الله منه .

قال الحافظ البيهقي : أما أسامة بن أثال فإنه أسلم . وقد مضى الحديث في إسلامه ^(١) .

وأما ابن النواحة فأخبرنا أبو زكريا بن أبي إسحاق المزني ، أنبأنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب حدثنا محمد بن عبد الوهاب ، حدثنا جعفر بن عون ، أنبأنا إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم ، قال جاء رجل إلى عبد الله بن مسعود فقال : إني سررت ببعض مساجد بني حنيفة وهم يقرءون قراءة ما أنزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم : والطاحنات طَحْنًا والماعجات كَجْنًا ، والمخابزات خَبْرًا ، والثارِدَات ثَرْدًا ، واللاَقَات لَقْمًا .

قال : فأرسل إليهم عبد الله فأثنى بهم وهم سبعون رجلاً ، ورأسهم عبد الله بن النواحة . قال : فأمر به عبد الله فقتل ثم قال : ما كنا بمُخْرِزِينَ الشيطان من هؤلاء ، ولكن نحوزهم إلى الشام لعل الله أن يكفينام .

وقال الواقدي : كان وفد بني حنيفة بضعة عشر رجلاً عليهم سُلْمَى بن حنظلة ، وفيهم الرِّحَال بن عنقوة وطلْق بن علي وعلي بن سِفان ومُسَيْلَمَة بن حبيب الكذاب ، فأُتُوا في دار مسلمة بنت الحارث وأجريت عليهم الضيافة ، فكانوا يؤتون بقداء وعشاء مرة خبزاً ولحمًا ، ومرة خبزاً ولبنًا ، ومرة خبزاً ، ومرة خبزاً وسمناً ، ومرة تمرًا بنزْلهم .

فلما قدموا المسجد أسلموا وقد خلفوا مسيلمة في رحاهم ، ولما أرادوا الانصراف أعطاهم جوائزهم خمس أواق من فضة ، وأمر مسيلمة بمثل ما أعطاهم ، لماذكروا أنه في رحاهم ، فقال : « أَمَا إِنَّهُ لَيْسَ بِبَشَرٍ كَمَ مَكَانًا » .

(١) تقدم ذلك في هذا الجزء .

فلما رجعوا إليه أخبروه بما قال عنه ، فقال : إنما قال ذلك لأنه عَرَفَ أن الأمر لي من بعده .

وبهذه الكلمة تشبَّثَ قبحه الله حتى ادعى النبوة .

قال الواقدي : وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثَ معهم يداوة فيها قَصْل طهوره ، وأمرهم أن يهدموا بيعتهم وَيَنْضَحُوا هذا الماء مكانه ويتخذوه مسجداً ففعلوا .

وسَيَأْتِي ذكر مقتل الأسود المَدَنِي في آخر حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقتل مسيلة الكذاب في أيام الصديق .

وفد أهل نجران

قال البخاري : حدثنا عباس بن الحسين ، حدثنا يحيى بن آدم ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن صِلَةَ بن زُفَرٍ ، عن حذيفة ، قال : جاء العاقب والسَّيِّد صاحبا نجران إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدان أن يُبْلَغنَا .

قال : فقال أحدهما لصاحبه : لا تفعل ، فوالله لئن كان نبيا فَلَاعْنَاهُ لا تُفْلِح نَحْنُ ولا عَقِبُنَا من بعدنا .

قالا : إنا نعطيك ما سألتنا وأبعت معنا رجلا أميناً ولا تبعث معنا إلا رجلا أميناً ، فقال : « لأبعثن معكم رجلا أميناً حق أمين » .

فاستشرف لها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : قم يا أبا عبيدة ابن الجراح فلما قام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هذا أمينٌ هذه الأمة » .

وقد رواه البخاري أيضاً ومسلم من حديث شعبة ، عن أبي إسحاق به .

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ وأبو سعيد محمد بن موسى ابن الفضل ، قالوا : حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، حدثنا أحمد بن عبد الجبار ، حدثنا يونس بن بُكير ، عن سلمة بن عبد يسوع ، عن أبيه عن جده - قال يونس : وكان نصرانيا فأسلم - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب إلى نجران قبل أن ينزل عليه طس سليمان « باسم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب ، من محمد النبي رسول الله إلى أسقف نجران أسلم أنتم ، فإني أحمد إليكم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب ؛ أما بعد فإني أدعوكم إلى عبادة الله من عبادة العباد ، وأدعوكم إلى ولاية الله من ولاية العباد ، فإن أبيتُم فالجزية ، فإن أبيتُم آذنتكم بحرب والسلام » .

فلما أتى الأسقف الكتاب فقرأه فظلع به وذعر به ذعراً شديداً ، وبعث إلى رجل من أهل نجران يقال له شرحبيل بن وداعة - وكان من همدان ، ولم يكن أحد يدعى إذا نزلت مُفضلة قبسه لا الأبهم ولا السيد ولا العاقب - .

فدفع الأسقف كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى شرحبيل فقرأه ، فقال الأسقف : يا أبا مريم ما رأيك ؟ فقال شرحبيل : قد علمت ما وعد الله إبراهيم في ذرية إسماعيل من النبوة ، فما تؤمن أن يكون هذا هو ذاك الرجل ؟ ليس لي في النبوة رأى ولو كان أمراً من أمور الدنيا لأشرتُ عليك فيه برأى وجهدتُ لك . فقال له الأسقف : تنح فاجلس . فتنحى شرحبيل فجلس ناحيته .

فبعث الأسقف إلى رجل من أهل نجران يقال له عبد الله بن شرحبيل ، وهو من ذى أضحج من خمير ، فأقرأه الكتاب وسأله عن الرأي ، فقال له مثل قول شرحبيل ، فقال له الأسقف : تنح فاجلس فتنحى فجلس ناحيته .

وبعث الأسقف إلى رجل من أهل نجران يقال له جبّار بن فيض من بني الحارث ابن كعب أحد بني الحساس ، فأقرأه الكتاب وسأله عن الرأي فيه ، فقال له مثل

قول شرحبيل وعبد الله ، فأمره الأسقف فتنحى فجلس ناحيته .

فلما اجتمع رأى منهم على تلك المقالة جميعا ، أمر الأسقف بالناقوس فضرب به ، ورفعت النيران والمسوح في الصوامع ، وكذلك كانوا يفعلون إذا فزعوا بالنهار ، وإذا كان فزعهم ليلاً ضربوا بالناقوس ورفعت النيران في الصوامع .

فاجتمع حين ضرب بالناقوس ورفعت المسوح أهل الوادى أعلاه وأسفله ، وطول الوادى مسيرة يوم للراكب السريع ، وفيه ثلاث وسبعون قرية وعشرون ومائة ألف مقاتل ، فقرأ عليهم كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسألم عن رأى فيه .

فاجتمع رأى أهل الرأى منهم على أن يبعثوا شرحبيل بن وداعة المهدي وعبد الله ابن شرحبيل الأصبغى وجبار بن فيض الحارثى ، فيأتوهم بخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال : فانطلق الوفد حتى إذا كانوا بالمدينة وضعوا ثياب السفر عنهم ، ولبسوا حللا لم يجرؤوها من حبرة وخواتيم الذهب ، ثم انطلقوا حتى أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسلموا عليه فلم يرد عليهم السلام ، وتصدوا الكلامه نهاراً طويلاً فلم يكلمهم وعليهم تلك الحلل والخواتيم الذهب .

فانطلقوا يتبعون عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وكانوا يعرفونهما ، فوجدوها في ناس من المهاجرين والأنصار في مجالس ، فقالوا : يا عثمان ويا عبد الرحمن ، إن نبيكم كتب إلينا بكتاب فأقبلنا مجيبين له ، فأتيناه فسلمنا عليه فلم يرد سلامنا ، وتصدنا الكلامه نهاراً طويلاً فأعيانا أن يكلمنا ، فما رأى منكنا ، أترونا أن نرجع ؟

فقال لعلى بن أبي طالب وهو في القوم : ماترى يا أبا الحسن في هؤلاء القوم ؟ فقال

على لعنان ولعبد الرحمن : أرى أن يضعوا حللهم هذه وخواتيمهم ويلبسوا ثياب سفرهم ثم يعمودوا إليه .

ففعّلوا فسلموا فرد سلامهم ، ثم قال : « والذي بعثني بالحق لقد أتوني للمرة الأولى وإن إبليس لمهم » .

ثم ساءلهم وساءلوه ، فلم تزل به وبهم المسألة حتى قالوا : ماتقول في عيسى ، فإننا نرجع إلى قومنا ونحن نصارى ، يسرنا إن كنت نبيا أن نسمع ماتقول فيه .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما عندي فيه شيء يومى هذا ، فأقيموا حتى أخبركم بما يقول الله فى عيسى » .

فأصبح الغد وقد أنزل الله عز وجل هذه الآية : « إِنْ مَثَلْ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ . فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ » ^(١) .
فأبوا أن يُقرّوا بذلك .

فلما أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم الغد بعد ما أخبرهم الخبر ، أقبل مشتملا على الحسن والحسين فى تخمّل له وقاطمة تمشى عند ظهره للملاعنة ، وله يومئذ عدة نسوة .

فقال شريحيل لصاحبيه : قد علمنا أن الوادى إذا اجتمع أعلاه وأسفله لم يردّوا ولم يصدّروا إلا عن رأى ، وإنى والله أرى أمراً ثقيلاً ، والله لئن كان هذا الرجل ملكاً متقوياً فكنا أول العرب طعن فى عينه وردّ عليه أمره لا يذهب لنا من صدره ولا من صدور أصحابه حتى يصيبونا بجائحة ، وإننا أدنى العرب منهم جواراً ،

ولئن كان هذا الرجل نبياً مُرسلاً فلا عَنَاءَ لا يَبْقَى على وجه الأرض منّا شَعْر ولا ظَفَر إلا هلك .

فقال له صاحبه : فما الرأي يا أبا مريم ؟ فقال : رأيي أن أحْكَمَهُ ، فإني أرى رجلاً لا يَحْكُم شَطَطاً أبداً . فقالا له : أنت وذاك .

قال فتلقَى شرحبيل رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقال : إني قد رأيت خيراً من ملائكتك . فقال : « وما هو ؟ » فقال : حُكْمُك اليوم إلى الليل . وليلتك إلى الصباح ، فهما حكمتَ فينا فهو جَائِز .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لعل وراءك أحداً يُثَرِّبُ ^(١) عليك ؟ » فقال شرحبيل : سَلْ صاحبي . فقالا : ما بَرَدُ الوادي ولا يَصْنُدُ إلا عن رأي شُرْحَبِيل .

فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يلاعنهم ، حتى إذا كان الفد أتوه فكتب لهم هذا الكتاب : « بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما كتب محمد النبي [الأُمِّي ^(٢)] رسول الله لنجران ، أن كان عليهم حُكْمُهُ في كل ثمرة وكل صفراء وبياض ورقيق ، فأفْضَلَ عليهم وترك ذلك كله على أَلْفِي حُلَّة ، في كل رجب ألف حلة ، وفي كل صَفَر ألف حلة » وذكر تمام الشروط . إلى أن قال : شهد أبو سفيان بن حرب وغَيْلان بن عمرو ومالك بن عوف من بني نصر والأقرع بن حابس الحنظلي والمغيرة ، وكتب .

حتى إذا قبضوا كتابهم انصرفوا إلى نجران ومع الأسقف أخ له من أمه وهو ابن عمه من النسب يقال له بشر بن معاوية وكنيته أبو عاقمة ، فدفع الوفد كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الأسقف ، فبينما هو يقرأه وأبو عاقمة معه وهما يسيران

إِذْ كَبَّتْ بَشِيرٌ نَاقَتَهُ ، فَتَمَسَّ بِشِرِّ ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَكْنَى عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

فَقَالَ لَهُ الْأَسْقَفُ عِنْدَ ذَلِكَ : قَدْ وَاللَّهِ تَعَسَّتْ نَبِيًّا مَرْسِلًا . فَقَالَ لَهُ بَشِيرٌ : لَا جَرَمَ ، وَاللَّهِ لَا أَحْلَأُ عَنْهَا عَقْدًا حَتَّى آتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

قَالَ : وَصَرَفَ وَجْهَهُ نَاقَتَهُ نَحْوَ الْمَدِينَةِ ، وَثَنَى الْأَسْقَفُ نَاقَتَهُ عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ : أَفْهَمَ عَنِي ، إِنَّمَا قُلْتَ هَذَا لِيَبْلُغَ ^(١) عَنِي الْعَرَبُ مَخَافَةَ أَنْ يَرَوْا أَنَا أَخَذْنَا حَقَّهُ أَوْ رَضِينَا بِصَوْتِهِ أَوْ تَخَفْنَا ^(٢) لِهَذَا الرَّجُلِ بِمَا لَمْ تَتَخَفْ بِهِ الْعَرَبُ ، وَنَحْنُ أَعَزُّهُمْ وَأَجْمَعُهُمْ دَارًا . فَقَالَ لَهُ بَشِيرٌ : لَا وَاللَّهِ لَا أَقْبِلُ مَا خَرَجَ مِنْ رَأْسِكَ أَبَدًا .

فَضْرَبَ بَشِيرٌ نَاقَتَهُ وَهُوَ مُوَلَّى الْأَسْقَفَ ظَهْرَهُ ، وَارْتَجَزَ يَقُولُ :
إِلَيْكَ تَفْدُو قَلْبًا وَضِيئُهَا ^(٣) مُعْتَرِضًا فِي بَطْنِهَا جَنِينُهَا
مُخَالِفًا دِينَ النَّصَارَى دِينُهَا

حَتَّى آتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَسْلَمَ وَلَمْ يَزَلْ مَعَهُ حَتَّى قُتِلَ بَعْدَ ذَلِكَ .

قَالَ : وَدَخَلَ الْوَفْدُ نَجْرَانَ ، فَأَتَى الرَّاهِبَ ابْنَ أَبِي شَمْرٍ الزَّيْيْدِي وَهُوَ فِي رَأْسِ صَوْمَعَتِهِ فَقَالَ لَهُ : إِنْ نَبِيًّا بَعَثَ بِتَهَامَةٍ . فَذَكَرَ مَا كَانَ مِنْ وَفْدِ نَجْرَانَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَّهُ عَرَضَ عَلَيْهِمُ الْمَلَاعِفَةَ فَأَبَوْا ، وَأَنْ بَشِيرُ بْنُ مُعَاوِيَةَ دَفَعَ إِلَيْهِ فَأَسْلَمَ .

فَقَالَ الرَّاهِبُ : أَنْزِلُونِي وَإِلَّا أَلْقَيْتُ نَفْسِي مِنْ هَذِهِ الصَّوْمَعَةِ . قَالَ : فَأَنْزَلُوهُ فَأَخَذَ

(١) : فَبْلُغَ . (٢) : تَخَفْنَا : أَقْرَبْنَا .

(٣) : الْوَضِيئُ : بَطْنُ عَرِيضٍ مَنْسُوجٍ مِنْ سَيُورٍ أَوْ شَعْرِ . وَقُلُقُ الْوَضِيئِ : كُنْيَاةٌ عَنِ الْمَزَالِ .

معه هدية وذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، منها هذا البرد الذي يلبسه الخلفاء وقَعَب وعصا .

فأقام مدة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع الوحي ، ثم رجع إلى قومه ولم يقدّر له الإسلام ، ووعد أنه سيعود فلم يقدّر له حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وإن الأسقف أبا الحارث أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه السيد والعاقب ووجوه قومه فأقاموا عنده يسمعون ما ينزل الله عليه ، وكتب للأسقف هذا الكتاب ولأساقفة نجران بعده: بسم الله الرحمن الرحيم من محمد النبي للأسقف أبي الحارث وأساقفة نجران وكهنتهم ورهبانهم^(١) وكل ماتحت أيديهم من قليل وكثير جوار الله ورسوله ، لا يغيّر أسقف من أسقفته ولا راهب من رهبانته ولا كاهن من كهانته ولا يغيّر حق من حقوقهم ولا سلطانهم ولا ما كانوا عليه من ذلك ، جوار الله ورسوله أبدا ما أصلحوا ونعّجوا عليهم ، غير مُبْتَلِينَ بظلم ولا ظالمين . وكتب المغيرة بن شعبة .

وذكر محمد بن إسحاق أن وفد نصارى نجران كانوا ستين راكبا يرجع أمرهم إلى أربعة عشر منهم ، وهم العاقب واسمه عبد المسيح والسيد وهو الأنهم وأبو حارثة بن علقمة وأوس بن الحارث وزيد وقيس وزيد ونبيه وخويلد وعمرو وخالد وعبد الله ويحذّس .

وأمر هؤلاء الأربعة عشر يؤول إلى ثلاثة منهم وهم العاقب ، وكان أمير القوم وذا رأيهم وصاحب مشورتهم والذي لا يصدّرون إلا عن رأيه ، والسيد وكان نَمَاحَم^(٢)

وصاحب رَحْلهم ، وأبو حارثة بن علقمة وكان أسْقَقَهُم وحَبَرَهُم وكان رجلا من العرب من بكر بن وائل ولكن دَخَلَ دين النصرانية فَعَظَّمَتِهُ الروم وشرَّفُوهُ وبنوا له الكنائس ومَوَّلُوهُ وأَخْدَمُوهُ لما يعرفون من صلابته في دينهم ، وكان مع ذلك يعرف أمر^(١) رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن صدَّه الشرفُ والجاه من اتباع الحق .

وقال يونس بن بُسْكَير عن ابن إسحاق : حدثني بُرَيْدَةُ بن سفيان ، عن ابن الأبي عمير^(٢) ، عن كرز^(٣) بن علقمة ، قال : قَدِمَ وفد نصارى نجران ستون راكبا منهم أربعة وعشرون رجلا من أشرافهم ، والأربعة والعشرون منهم ثلاثة نفر إليهم يؤول أمرهم العاقب والسيد وأبو حارثة أحد بني بكر بن وائل أسْقَقَهُم وصاحب مِذْرَاسِهِمْ^(٤) وكانوا قد شرَّفُوهُ فيهم ومَوَّلُوهُ وأكرموه ، وبَسَطُوا عليه الكرامات وبنوا له الكنائس لما بلغهم عنه من علمه واجتهاده في دينهم .

فلما توجهوا من نجران جلس أبو حارثة على بغلة له وإلى جنبه أخ له يقال له كُرْز بن علقمة يُسَآيرُهُ ، إذ عَثَرَتْ بغلة أبي حارثة ، فقال كرز : تَعَسَّ الأبعد - يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم - . فقال له أبو حارثة : بل أنت تعست . فقال له كرز : ولم يأخى ؟ فقال : والله إنه للَنَبِيِّ الذي كنا ننتظره .

فقال له كرز : وما يمنعك وأنت تعلم هذا ؟ فقال له : ما صنع بنا هؤلاء القوم ، شرَّفُونَا ومَوَّلُونَا وأَخْدَمُونَا ، وقد أبوا إلا خِلافَهُ ، ولو فعلتُ نزعوا منا كلَّ مَآتِرِي .

قال : فأضمر عليها منه أخوه كرز ، حتى أسلم بعد ذلك .

(١) ١ : أمور . (٢) ١ : السيلاني . (٣) ابن هشام : كوز .

(٤) غير ١ : مذارستهم .

وذكر ابن إسحاق أنهم لما دخلوا المسجد النبوي دخلوا في تجمل وثياب حسان ،
وقد حانت صلاةُ العصر فقاموا يصلُّون إلى المشرق ، فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : دعوهم .

فكان للتكلم لهم أبا حارثة بن علقمة والسيد والعاقب حتى نزل فيهم صدرُ سورة
آل عمران والمباهلة ، فأبوا ذلك ، وسألوا أن يرسل معهم أميناً ، فبعث معهم أبا عبيدة بن
الجراح . كما تقدم في رواية البخاري .
وقد ذكرنا ذلك مستقصى في تفسير سورة آل عمران والله الحمد والمنة .

وفد بني عامر وقصة عامر بن الطفيل وأربد بن قيس لعنهما الله

قال ابن إسحاق : وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد بني عامر ، فيهم عامر ابن الطفيل وأربد بن قيس بن جَزء بن خالد بن جعفر وحيان^(١) بن سلمى بن مالك بن جعفر ، وكان هؤلاء الثلاثة رؤساء القوم وشياطينهم .

وقدم عامر بن الطفيل عدو الله على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يريد الغدربة .

وقد قال له قومه : يا أبا عامر^(٢) إن الناس قد أسلموا فأسلم . قال : والله لقد كنت آليتُ ألا أنتهي حتى تدبّع العربُ عَقبِي فأنا أتبع عَقِبَ هذا الفتى من قريش .
ثم قال لأربد : إن قدِمنا على الرجل فإني سأشغل عنك وجهه ، فإذا فعلتُ ذلك فاعله بالسيف .

فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عامر بن الطفيل : يا محمد خالني^(٣)
قال : « لا والله حتى تؤمن بالله وحده » قال : يا محمد خالني ، قال : وجعل يكلمه وينتظر من أربد ما كان أمره به فجعل أربد لا يُحير^(٤) شيئا ، فلما رأى عامر ما يصنع أربد قال : يا محمد خالني ، قال : « لا ، حتى تؤمن بالله وحده لا شريك له » .

فلما أبى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : أما والله لأملأنها عليك خيلا ورجالا . فلما ولى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم اكفني عامر ابن الطفيل » .

فلما خرجوا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عامر بن الطفيل لأربد : أين

(١) كذا بالأصل ، وهي رواية ، وفي ابن هشام : وجبار .

(٢) ابن هشام : يا عامر . (٣) خالي : تنرد لي خاليا . وبالتشديد : اتخذني خليلا

(٤) ١ : يحيك .

ما كنت أمرتك به ؟ والله ما كان على ظهر الأرض رجل أخوف على نفسه منك ، وإيم الله لا أخافك بعد اليوم أبداً .

قال : لا أبالاك لا تعجل على ، والله ما هممتُ بالذى أمرتني به إلا دخأت بيني وبين الرجل حتى ما أرى غيرك ، أفأضربك بالسيف ؟ !

وخرجوا راجعين إلى بلادهم ، حتى إذا كانوا ببعض الطريق بعث الله عز وجل على عامر بن الطفيل الطاعون في عنقه ، فقتله الله في بيت امرأة من بنى سلول ، فجعل يقول : يا بني عامر أعذة كغدة البكر^(١) في بيت امرأة من بنى سلول ؟

قال ابن هشام : ويقال : أعذة كغدة الإبل وموت في بيت سلولية !

وروى الحافظ البيهقي من طريق الزبير بن بكار ، حدثني فاطمة بنت عبد العزيز بن موءلة ، عن أبيها ، عن جدها موءلة بن حميل^(٢) قال : أنى عامر بن الطفيل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : « يا عامر أسلم » فقال : أسلم على أن لي الوبر ولك المدر . قال : « لا » .

ثم قال : أسلم . فقال : أسلم على أن لي الوبر ولك المدر قال : لا . فوئى وهو يقول : والله يا محمد لأملأنها عليك خيلاً جُرْداً ورجالاً مُرداً ولأربطن بكل نخلة فرساً .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم اكفني عامراً وأهد قومه . فخرج حتى إذا كان بظهر المدينة صادف امرأة من قومه يقال لها سلولية ، فنزل عن فرسه ونام في بيتها ، فأخذته غدة في حلقه ، فوثب على فرسه وأخذ رمحه وأقبل يحول وهو يقول : غدة كغدة البكر وموت في بيت سلوية ! فلم تزل تلك حاله حتى سقط عن فرسه ميتاً .

(٣) في القاموس : موءلة بن كثيف بن حمل .

(١) البكر : الفتى من الإبل .

وذكر الحافظ أبو عمر بن عبد البر في الاستيعاب في أسماء الصحابة مؤالة هذا فقال:
هو مؤالة بن كَثِيف الضَّبَابِي الْكِلَابِي العامري ، من بني عامر بن صعصعة ، أتى رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن عشرين سنة فأسلم وعاش في الإسلام مائة سنة وكان
يدعى ذا اللسانين من فصاحته ، روى عنه ابنه عبد العزيز ، وهو الذي روى قصة عامر
ابن الطفيل : غُدَّة كغد البعير وموت في بيت سُلُولِيَّة .

قال الزبير بن بكار : حدثني ظُمَيْاء بنت عبد العزيز بن مؤالة بن كَثِيف بن حمل
ابن خالد بن عمرو بن معاوية ، وهو الضباب بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، قالت :
حدثني أبي عن أبيه ، عن مؤالة ، أنه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم وهو ابن
عشرين سنة ، وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومسح يمينه وساق إبله إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فصدَّقها بنت لبون ، ثم صحب أبا هريرة بعد رسول الله صلى الله عليه
وسلم وعاش في الإسلام مائة سنة ، وكان يسمى ذا اللسانين من فصاحته .

قلت : والظاهر أن قصة عامر بن الطفيل متقدمة على الفتح ، وإن كان ابن إسحاق
والبيهقي قد ذكراها بعد الفتح .

وذلك لما رواه الحافظ البيهقي عن الحاكم ، عن الأصم ، أنبأنا محمد بن إسحاق ، أنبأنا
معاوية بن عمرو ، حدثنا أبو إسحاق الفزاري ، عن الأوزاعي ، عن إسحاق بن عبد الله
ابن أبي طلحة ، عن أنس في قصة بئر معونة وقتل عامر بن الطفيل حرام بن ملحان
خال أنس بن مالك ، وغذره بأصحاب بئر معونة حتى قتلوا عن آخرهم سوى عمرو بن أمية
كما تقدم .

قال الأوزاعي : قال يحيى : فمكث رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو على عامر بن
الطفيل ثلاثين صباحا : « اللهم اكفني عامر بن الطفيل بما شئت وابعث عليه ما يقتله »
فبعث الله عليه الطاعون .

وروى عن همام ، عن إسحاق بن عبد الله ، عن أنس في قصة حرام بن ملحان قال :
وكان عامر بن الطفيل قد أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أخيرك بين ثلاث خصال :
يكون لك أهل السهل ويكون لى أهل الوبر ، وأكون خليفتك من بعدك ، أو أغزوك
بنظفان بألف أشقر وألف شقراء .

قال : فطعن في بيت امرأة فقال : أغدة كغدة البعير وموت في بيت امرأة من بنى
فلان ! اثنوى بفرسى . فركب فمات على ظهر فرسه .

قال ابن إسحاق : ثم خرج أصحابه حتى واروه حتى قدموا أرض بنى عامر شاتين ،
فلما قدموا أتاها قومهم فقالوا : وما وراءك يا أربد ؟ قال : لاشيء ، والله لقد دعانا إلى عبادة
شيء لوددت لو أنه عندي الآن فأرميه بالنبل حتى أقتله الآن .

فخرج بعد مقالته بيوم أو يومين معه جمل له يبيعه ، فأرسل الله عليه وعلى جملة
صاعقة فأحرقهما .

قال ابن إسحاق : وكان أربد بن قيس أخا لبيد بن ربيعة لأمه ، فقال لبيد
بيكى أربد :

ما إن تعدى ^(١) المنون من أحدٍ	لا والدٍ مُشفق ولا ولدٍ
أخشى على أربد الختوف ولا	أرهبُ نوء السماء والأسدِ
فعين هلاً بكيت أربد إذ	قمنا وقام النساء في كبدِ
إن يشعّبوا لا يُبالِ شغبهم	أو يقصدوا فى الحُكوم يقصدِ
حلو أرببٌ وفى حلاوته	مرّ لصيق الأحشاء والكبدِ ^(٢)
وعين هلاً بكيت أربد إذ	ألوت رباح الشتاء بالعضدِ ^(٣)

(١) تعدى : ترك . وفى الأصل : تعزى . وما أثبتته عن ابن هشام ٥٦٩/٢ .

(٢) ابن هشام : لطيف الأحشاء . (٣) العضد : الشجر العضود ، الذى سقطت أوراقه .

وَأَصْبَحَتْ لَاقِحًا مُصْرَمَةً ١ حَتَّى تَجَلَّتْ غَوَابِرُ الْمَدَدِ ٢
 أَشْجَعُ مِنْ لَيْثِ غَابَةِ الْحِمِّ ٣ ذُو نَهْمَةٍ فِي الْعَمَلِ وَمُنْتَقِدٍ ٤
 لَا تَبْلُغُ الْعَيْنُ كُلَّ نَهْمَتِهَا ٥ لَيْلَةٌ تُنْسِي الْجِيَادُ كَالْقِدَدِ ٦
 الْبَاعَثُ النَّوْحَ فِي مَآئِهِ ٧ مِثْلَ الظُّبَاءِ الْأَبْكَارِ بِالْجُرْدِ ٨
 فَجَعَنِي الْبَرْقُ وَالصَّوَاقِقُ بِالْفَا ٩ رَسَ يَوْمَ الْكَرِيمَةِ النَّجْدِ ١٠
 وَالْحَارِبِ الْجَابِرِ الْحَرِيبِ إِذَا ١١ جَاءَ نَكِيئًا وَإِنْ يَعْدُ يَعْدُ ١٢
 يَعْفُو عَلَى الْجَهْدِ وَالسُّؤَالِ كَمَا ١٣ يَنْبِتُ غَيْثُ الرَّبِيعِ ذُو الرِّصْدِ ١٤
 كُلُّ بَنِي حُرَّةٍ مَصِيرُهُ ١٥ قَلٌّ وَإِنْ أَكْثَرُوا مِنَ الْعَدَدِ ١٦
 إِنْ يُغْبَطُوا يُهْبَطُوا وَإِنْ أَمَرُوا ١٧ يَوْمًا فَهُمْ لِلْهَلَاكِ وَالنَّفْدِ ١٨

وقد ذكر ابن إسحاق عن ليبيد أشعاراً كثيرة في رثاء أخيه لأمه أُرْبَدَ بن قيس ،
 تركها اختصاراً واكتفاء بما أوردناه . والله الموفق للصواب .

قال ابن هشام : وذكر زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن ابن عباس قال :
 فأنزل الله عز وجل في عامر وأُرْبَدَ : « اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيصُ الْأَرْحَامُ
 وَمَا تَزْدَادُ . وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمَقْدَارٍ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ . سِوَاكَ مِنْكُمْ

(١) اللاقح : الشجرة التي ألقت بها الرياح . والمصرمة : التي لا تمر لها . والغواير : البقايا .

(٢) اللحم : الأكل للحوم القرم إليه . والمنتقد : النظر والرأي .

(٣) القدد : جمع قدة وهي السير يقطع من جلد ، يشبه به الخيل في الهزال والضمور .

(٤) النوح : النباء النائح . والجرد : الأرض المقفرة .

(٥) الحارب : السالب للأعداء . والحريب : الذي سلب ماله .

(٦) يعفو : يكثر عطاؤه . والرصد : القليل من السكك .

(٧) ابن هشام : وإن كثرت .

(٨) يغبطوا : يحسدوا على نعمتهم . يهبطوا : يحرموا . وأمرؤا : كثروا واشتدوا .

مَنْ أَسْرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَبَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخَفٌّ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ . لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ » يَعْنِي مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

ثُمَّ ذَكَرَ أَرْبَدَ وَقَتْلَهُ فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى : « وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ . هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْزِلُ السَّحَابَ الثَّقَالَ وَيَسْبِغُ الرِّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ ^(١) » .

قلت : وقد تكلمنا على هذه الآيات الكريمات في سورة الرعد . والله الحمد والمنة .

وقد وقع لنا إسناد ما علَّقه ابن هشام رحمه الله .

فروينا من طريق الحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطَّبْرَانِي فِي مَعْجَمِهِ السَّكْبِيرِ حَيْثُ قَالَ : حَدَّثَنَا مَسْعُودَةُ بْنُ سَعْدِ الْعَطَّارِ ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُنْذِرِ الْحَزْرَامِيُّ ، حَدَّثَنِي عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَمْرَانَ ، حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَعَبْدُ اللَّهِ ابْنَا زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ ، عَنْ أَبِيهِمَا ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَّارَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، أَنَّ أَرْبَدَ بْنَ قَيْسٍ بْنِ جَزْءَ بْنِ خَالِدِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ كَلَّابٍ وَعَامِرُ بْنُ الطَّفِيلِ بْنِ مَالِكٍ قَدِمَا الْمَدِينَةَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَانْتَهَيَا إِلَيْهِ وَهُوَ جَالِسٌ ، فَجَلَسَا بَيْنَ يَدَيْهِ : فَقَالَ عَامِرُ بْنُ الطَّفِيلِ : يَا مُحَمَّدُ مَا تَجْعَلُ لِي إِنْ أَسْلَمْتُ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَكَ مَا لِلْمُسْلِمِينَ وَعَلَيْكَ مَا عَلَيْهِمْ » .

قال عامر : أتجعل لي الأمر إن أسلمت من بعدك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليس ذلك لك ولا لقومك ولكن لك أَعِنَّةُ الْخَيْلِ » . قال : أنا الآن في أَعِنَّةِ خَيْلٍ نَجْدٍ ، اجعل لي الْوَيْرَ وَلَكَ الْمَدَرُ .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا » . فلما قَتَلَ^(١) من عنده قال عامر :
أما والله لأملأنها عليك خيلاً ورجالا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« يَمْنَعُكَ الله » .

فلما خرج أَرَبْد وعامر قال عامر : يا أَرَبْد أنا أشغل عنك محمداً بالحديث فاضربه
بالسيف ، فإن الناس إذا قتلَ محمداً لم يزيدوا على أن يرضوا بالدَّيَّة ويكرهوا الحرب ،
فسنمطيهم الدية . قال أَرَبْد : أفعل .

فأقبلا راجعين إليه ، فقال عامر : يا محمد قم معي أكلك . فقام معه رسول الله صلى
الله عليه وسلم خَلِيًّا إلى الجدار ووقف معه رسول الله صلى الله عليه وسلم يكلمه ، وسلَّ^٢
أَرَبْدُ السيف ، فلما وضع يده على السيف يَبِست يده على قائم السيف ، فلم يستطع سَلَّ^٣
السيف ، فأبطأ أَرَبْدُ على عامر بالضرب ، فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى
أَرَبْدَ وما يصنع فانصرف عنهما .

فلما خرج أَرَبْد وعامر عن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كانا بالحرّة
حرّة واقم نَزْلاً فخرج إليهما سعد بن معاذ وأَسِيد بن الحَضِير فقالا : اشخُصا يا عدوَّ
الله لعنكما الله . فقال عامر : من هذا يا سعد ؟ قال : أَسِيد بن حَضِير السكتائب .

فخرجا حتى إذا كانا بالرقم أرسل الله على أَرَبْد صاعقة فقتلته ، وخرج عامر حتى
إذا كان بالحرّة أرسل الله قرحة فأخذته ، فأدركه الليل في بيت امرأة من بني سُلُول ،
فجعل يمسُّ قرحته في حلقة ويقول : غُدَّة كغدة الجمل في بيت سُلُولية ؟ يَرْغَب^(٢)
أن يموت في بيتها .

ثم ركب فرسه فأحضرها حتى مات عليه راجعاً ، فأنزل الله فيهما . « الله يَعْلَمُ

ما تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وما تَفِيضُ الْأَرْحَامُ وما تَزْدَادُ « إلى قوله : « لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ » يعنى محمداً صلى الله عليه وسلم . ثم ذكر أربد وما قتله به فقال : « وَبُرْسِلَ الصَّوَاعِقُ فَيَصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ » الآية .

وفي هذا السياق دلالة على تقدّم قصة عامر وأربد ، وذلك لذكر سعد بن معاذ فيه . والله أعلم .

وقد تقدم^(١) وفود الطّفل بن عامر الدّوسى رضى الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة وإسلامه ، وكيف جعل الله له نوراً بين عينيه ، ثم سأل الله فحوّله له إلى طرف سوطه . وبسطنا ذلك هنالك فلا حاجة إلى إعادته ها هنا كما صنع البهقي وغيره .

قدوم ضِمَام بن ثعلبة على رسول الله صلى الله عليه وسلم

وافداً عن قومه بنى سعد بن بكر

قال ابن إسحاق : حدثني محمد بن الوليد بن نُوَيْعٍ ، عن كُرَيْب ، عن ابن عباس . قال : بعث بنو سعد بن بكر ضِمَام بن ثعلبة وافداً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقدم إليه وأناخ بعيره على باب المسجد ثم عقّله ، ثم دخل المسجد ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في أصحابه ، وكان ضِمَام رجلاً جَلْدًا أشعر ذا غَدِيرَتَيْن . فأقبل حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه ، فقال : أَيُّكُمْ ابْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ » .

فقال : يا محمد . قال : نعم . قال : يا ابن عبد المطلب إني سألتك ومُغلظ عليك في المسألة فلا تجدني في نفسك . قال : « لا أجد في نفسي فسَل عما بدا لك » .

فقال : أنشدك إلهك وإله من كان قبلك وإله من هو كائن بعدك ، آله بعثك إلينا رسولا ؟ قال : « اللهم نعم » .

قال : فأنشدك الله إلهك وإله من كان قبلك وإله من هو كائن بعدك ، آله أمرك أن تأمرنا أن نعبده وحده ولا نشرك به شيئا ، وأن نخلع هذه الأنداد التي كان آباؤنا يعبدون ؟ قال : اللهم نعم .

قال : فأنشدك الله إلهك وإله من كان قبلك وإله من هو كائن بعدك ، آله أمرك أن تصلّي هذه الصلوات الخمس ؟ قال : « نعم » .

قال : ثم جعل يذكر فرائض الإسلام فريضة فريضة ، الزكاة ، والصيام ، والحج ، وشرائع الإسلام كلها ، يئذشه عند كل فريضة منها كما ينشده في التي قبلها .

حتى إذا فرغ قال : فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله . وسأودى هذه الفرائض وأجتنب ما نهيتني عنه ، ثم لا أزيد ولا أنقص . ثم انصرف إلى بعيده راجعاً .

قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إني صدّق ذو العقيصتين دخل الجنة » .

قال : فأتى بعيده فأطلق عقاله ، ثم خرج حتى قدِم على قومه ، فاجتمعوا إليه فكان أول ما تسكلم به أن قال : بثّت اللات والعزى . فقالوا : مه يا ضيَام اتقِ البرص ، اتقِ الجدَام ، اتقِ الجنون !

فقال : ويلسكم إنيهما والله لا يضران ولا ينفعان ، إن الله قد بعث رسولا وأنزل عليه كتابا استنقذكم به مما كنتم فيه ، وإني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له

وأن محمداً عبده ورسوله ، وقد جئتمكم من عنده بما أمركم به وما نهاكم عنه
 قال : فوالله ما أمسى من ذلك اليوم وفي حاضره رجل ولا امرأة إلا مسلماً .
 قال : يقول ابن عباس : فما سمعنا بوفاء قومٍ كان أفضل من ضيَام بن ثعلبة .
 وهكذا رواه الإمام أحمد عن يعقوب بن إبراهيم الزهري ، عن أبيه ، عن ابن
 إسحاق فذكره .

وقد روى هذا الحديث أبو داود من طريق سلمة بن الفضل ، عن محمد بن إسحاق ،
 عن سلمة بن كهيل ومحمد بن الوليد بن نُوَيْع ، عن كُرَيْب ، عن ابن
 عباس بنحوه .

وفي هذا السياق ما يدل على أنه رجع إلى قومه قبل الفتح ، لأن العزمى خربها
 خالد بن الوليد أيام الفتح .

وقد قال الواقدي : حدثني أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبرة ، عن شريك بن عبد
 الله بن أبي نمر ، عن كُرَيْب ، عن ابن عباس ، قال : بعثت بنو سعد بن بكر في رجب
 سنة خمس ضيَام بن ثعلبة ، وكان جنداً أشعر ذا غديرتين وافداً إلى رسول الله صلى الله
 عليه وسلم .

فأقبل حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله فأعاط له في المسألة ، سأله
 عن أرسله وبم أرسله ، وسأله عن شرائع الإسلام ، فأجابته رسول الله صلى الله عليه وسلم
 في ذلك كله ، فرجع إلى قومه مسلماً قد خاضع الأنداد ، فأخبرهم بما أمرهم به ونهاهم عنه ،
 فما أمسى في ذلك اليوم في حاضره رجلٌ ولا امرأة إلا مسلماً ، وبنوا المساجد
 وأذنوا بالصلاة .

وقال الإمام أحمد : حدثنا هاشم بن القاسم ، حدثنا سليمان - يعني ابن المغيرة - عن

ثابت ، عن أنس بن مالك ، قال : كنا نهيننا أن نسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شيء ، فكان يعجبنا أن يجيء الرجل من أهل البادية العاقل يسأله ونحن نسمع .
فجاء رجل من أهل البادية فقال : يا محمد أتانا رسولك فزعم لنا أنك تزعم أن الله أرسلك . قال : صدق .

قال : فمن خلق السماء ؟ قال : الله . قال : فمن خلق الأرض ؟ قال : الله . قال : فمن نصب هذه الجبال وجعل فيها ما جعل ؟ قال : الله .

قال : فبالذي خلق السماء وخلق الأرض ونصب هذه الجبال ، الله أرسلك ؟ قال : نعم .

قال : وزعم رسولك أن علينا خمس صلوات في يومنا وليلتنا . قال : صدق . قال : فبالذي أرسلك الله أمرك بهذا ؟ قال : نعم .

قال : وزعم رسولك أن علينا زكاة في أموالنا . قال : صدق . قال : فبالذي أرسلك الله أمرك بهذا ؟ قال : نعم .

قال : وزعم رسولك أن علينا صوم شهر في سننا . قال : صدق . قال : فبالذي أرسلك الله أمرك بهذا ؟ قال : نعم .

قال : وزعم رسولك أن علينا حج البيت من استطاع إليه سبيلا . قال : صدق . قال : ثم وليّ فقال : والذي بعثك بالحق لا أريد عليهن شيئا ولا أنقص عليهن شيئا .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم « إن صدق ليدخلن الجنة » .

[وهذا الحديث مخرّج في الصحيحين وغيرهما بأسانيد وألفاظ كثيرة ، عن أنس بن

مالك رضى الله عنه ^(١) .

وقد رواه مسلم من حديث أبي النضر هاشم بن القاسم ، عن سليمان بن المغيرة .
وعلقه البخاري من طريقه .

وقد أخرجه من وجه آخر بنحوه . فقال الإمام أحمد : حدثنا حجاج ، حدثنا ليث ،
حدثني سعيد بن أبي سعيد ، عن شريك بن عبد الله بن أبي كمر ، أنه سمع أنس بن مالك
يقول : بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم جلوس في المسجد دخل رجل على
جل فأناخه في المسجد ثم عقله ، ثم قال : أيكم محمد ؟ ورسول الله صلى الله عليه وسلم
متسكى بين ظهرانيهم قال : فقلنا : هذا الرجل الأبيض المتسكى .

فقال الرجل : يا بن عبد المطلب . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قد أجبتك .
فقال الرجل : يا محمد إني سئلتك فشدت عليك في المسألة ، فلا تجد عليّ في نفسك . فقال :
سل ما بدا لك . فقال الرجل : أنشدك بربك ورب من كان قبلك ، آله أرسلاك إلى
الناس كلمهم ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم نعم » .

[قال : فأنشدك الله آله أمرك أن نصلي الصلوات الخمس في اليوم والليلة ؟ قال :
اللهم نعم ^(١)] .

قال : فأنشدك الله ، آله أمرك أن نصوم هذا الشهر من السنة ؟ فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : « اللهم نعم ! » .

[قال : أنشدك الله ، آله أمرك أن تأخذ هذه الصدقة من أغنيائنا فتقسمها على
فقرائنا ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم نعم ^(١)]

قال الرجل : آمفت بما جئت به ، وأنا رسول من وراني من قومي ، وأنا ضيم بن
نعلبة أخو بني سعد بن بكر .

وقد رواه الإمام البخاري عن عبد الله بن يوسف ، عن الليث بن سعد ،
عن سعيد المقبري به .

وهكذا رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه عن الليث به .

والمعجب أن النسائي رواه من طريق آخر عن الليث . قال : حدثني ابن عجلان وغيره
من أصحابنا ، عن سعيد المقبري ، عن شريك ، عن أنس بن مالك . فذكره . وقد رواه
النسائي أيضا من حديث عبيد الله العمري ، عن سعيد المقبري عن أبي هريرة ، فلعنه عن
سعيد المقبري من الوجهين جميعاً . والله أعلم .

فصل

وقد قدمنا ^(١) مارواه الإمام أحمد عن يحيى بن آدم ، عن حفص بن غياث ، عن
داود بن أبي هند ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس في قدوم ضِمَاد الأزدي على
رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة قبل الهجرة وإسلامه وإسلام قومه . كما ذكرناه
مبسوطا بما أغنى عن إعادته هاهنا . والله الحمد والمنة .

وفد طيء مع زيد الخليل رضي الله عنه

[وهو زيد بن مُهلل بن زيد بن منب ، أبو مُكْنِف الطائي ، وكان من أحسن
العرب وأطولهم رجلاً .

وسمى زيد الخليل لخمس أفراس كنَّ له .

قال السهيلي : ولهن أسماء لا يحضرني الآن حفظها] ^(٢) .

قال ابن إسحاق : وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد طيء وفيهم

(١) سبق ذلك في الجزء الأول .

(٢) سقطت من المطبوعة

زيد الخليل وهو سيدهم ، فلما انتهوا إليه كلوه وعرض عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسلام فأسلموا فحسن إسلامهم .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كما حدثني من لا أنهم من رجال طيء : « ما ذكر رجل من العرب بفضل ثم جاءني إلا رأيته دون ما يقال فيه ، إلا زيد الخليل ، فإنه لم يبلغ كل الذي فيه » .

ثم سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد الخليل ، وقطع له فيداً^(١) وأرضين معه ، وكتب له بذلك .

فخرج من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعاً إلى قومه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن ينجُ زيد من حمى المدينة فإنه »^(٢) قال : وقد سماها رسول الله صلى الله عليه وسلم باسم غير الحمى وغير أم مَلْدَم - لم يُثبت^(٣) - .

قال ابن إسحق : فلما انتهى من بلد نجد إلى ماء من مياهه يقال له فَرْدَة أصابته الحمى فمات بها ، ولما أحس بالموت قال :

أمرتُ قَوْمِي المِشَارِقَ غُدْوَةً وَأَتْرَكَ فِي بَيْتٍ بِفَرْدَةٍ مُنْجِدٍ

أَلَا رَبِّ يَوْمَ لَوْ مَرَضْتُ لَعَادَنِي عَوَائِدُ مَنْ لَمْ يُبْرِ مِنْهُمْ يَنْجِدُ^(٤)

قال : ولما مات عمدت امرأته لجهلها وقلة عقلها ودينها إلى ما كان معه من الكتب فحرقتها بالنار .

قلت : وقد ثبت في الصحيحين عن أبي سعيد ، أن علي بن أبي طالب بعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليمن بذهبية في تربتها ، فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) فيد : موضع بشرقي سلمى أحد جبال طيء . (٢) قال :

(٣) قال السهيلي : الاسم الذي ذهب عن الراوى من أسماء الحمى هو أم كلية . ذكر لي أن أبا عبيدة ذكره في مقاتل الفرسان . ولم أره . الروض ٣٤٢/٢ .

(٤) يز : يضئ .

وسلم بين أربعة : زيد الخيل ، وعَلَقْمَة بن عَلَاثَة ، والأفرع بن حابس ، وعيينة بن بدر الحديث . وسيأتى ذكره فى بعث على إلى اليمن إن شاء الله تعالى .

قصة عدى بن حاتم الطائى

قال البخارى فى الصحيح : وفد طيء وحديث عدى بن حاتم . حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا أبو عَوَانَة ، حدثنا عبد الملك بن عُمر ، عن عمرو بن حُرَيْث ، عن عدى بن حاتم ، قال : أتينا عمر بن الخطاب فى وفد فجعل يدعو رجلا رجلا بِسْمِهِمْ ، فقلت : أَمَا تعرفنى يا أمير المؤمنين ؟ قال : بلى أَسَلْتَ إذ كفروا ، وأقبلت إذ أدبروا ، ووفيت إذ غدروا ، وعرفت إذ أنكروا . فقال عدى : لا أبالى إذا .

وقال ابن إسحاق : وأما عدى بن حاتم فكان يقول فيما بلغنى : مارجل من العرب كان أشد كراهة لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين سمع به منى ، أما أنا فكنت امرأ شريفا وكنت نصرانيا ، وكنت أسير فى قومي بالمرباع وكنت فى نفسى على دين ، وكنت ملكا فى قومي لما كان يصنع بى .

فلما سمعت برسول الله صلى الله عليه وسلم كرهته ، فقلت لعلام كان لى عربى وكان راعيا لإبلى : لا أبالك ، أعدذ لى من إبلى أجمالا ذللاً سمانا فاحتبسها قريبا منى ، فإذا سمعت بجيش لحمد قد وطئ هذه البلاد فأذنى . ففعل .

ثم إنه أتانى ذات غداة فقال : يا عدى ، ما كنت صانعا إذا غشيتك خيل محمد فاصنعه الآن ، فإنى قد رأيت رايات فسألت عنها فقالوا : هذه جيوش محمد . قال : قلت : فقترب إلى أجمالى . فقتربها .

فاحتملتُ بأهلى وولدى ، ثم قلت : الحق بأهل دينى من النصارى بالشام .
فسلكت الجوشية^(١) وخلفت بنتاً لحاتم فى الحاضر ، فلما قدمت الشام أقمت بها .
وتمخلفنى خيلُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فتصيبُ ابنةَ حاتم فيمن أصابت ،
فقدِم بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سبايا من طيِّ ، وقد بلغ رسول الله صلى
الله عليه وسلم هربى إلى الشام .

قال : فجعلت ابنة حاتم فى حظيرة بباب المسجد كانت السبايا تُحبس بها ، فرَّ بها
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقامت إليه ، وكانت امرأةً جَزَلَةً^(٢) ، فقالت : يا رسول الله
هلك الوالد وغاب الوافد ، فامننْ علىَّ من الله عليك .

قال : ومن وافدك ؟ قالت : عدى بن حاتم . قال : الغارُ من الله ورسوله . قالت :
ثم مضى وتركنى ، حتى إذا كان الغد مرَّ بى فقلت له مثل ذلك ، وقال لى مثل
ما قال بالأمس .

قالت : حتى إذا كان بعد الغد مرَّ بى وقد يئستُ ، فأشار إلى رجل خلفه أن قومى
فكلمه . قالت : فقممت إليه فقلت : يا رسول الله هلك الوالد وغاب الوافد ، فامننْ علىَّ
من الله عليك .

فقال صلى الله عليه وسلم : قد « فعلت » ، فلا تعجلى بخروج حتى تجدى من قومك
من يكون لك ثقةً حتى يبلغك إلى بلادك . ثم أذنينى « فسألتُ عن الرجل الذى أشار
إلىَّ أن كلمه ، فقيل لى : على بن أبى طالب .

قالت : وأقمتُ حتى قدم ركبٌ من بلي أو قضاة ، قالت وإنما أريد أن آتى أخى
بالشام ، فبحث فقلت : يا رسول الله قد قدم رهط من قومى لى فيهم ثقة وبلاغ . قالت :

(١) الجوشية : موضع بين نجد والشام .

(٢) الجزلة : العاتقة الأصبه الراى .

فكساني وحماني وأعطاني نفقة ، فخرجت معهم حتى قدمتُ الشام .

قال عَدِيّ : فوالله إني لآقاعِد في أهلي فنظرت إلى طَعِينَةٍ تصوّب إلى قومنا^(١)

قال : فقلت ابنةُ حاتم . قال : فإذا هي هي .

فلما وقفتُ علىَّ انسحلتُ^(٢) تقول : القاطعُ الظالم ! احتملتَ بأهلك وولدك

وتركت بقيةَ والدك عورتك ؟ ! قال : قلت : أي أخية لا تقولى إلا خيراً ، فوالله مالى من عذر ، لقد صنعتُ ما ذكرت .

قال : ثم نزلتُ فأقامت عندي ، فقلت لها وكانت امرأة حازمة : ماذا تربن في أمر هذا الرجل ؟

قالت : أرى والله أن تلحق به سريعاً ، فإن يكن الرجل نبياً فلا سابق إليه فضله ، وإن يكن مليكاً فلن تدلّ في عزّ اليمين وأنت أنت . قال : فقلت : والله إن هذا الرأي .

قال : فخرجت حتى أقدمتُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فدخلت عليه وهو في مسجده ، فسلمت عليه ، فقال : من الرجل ؟ فقلت : عَدِيّ بن حاتم .

فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانطلق بي إلى بيته ، فوالله إنه لعمادٌ بي إليه إذ لقيته امرأةً ضعيفةً كبيرةً فاستوقفته ، فوقف لها طويلاً تسكلمه في حاجتها . قال قلت في نفسي : والله ما هذا بملك !

قال : ثم مضى بي رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا دخل بيته تناول وسادة من آدم محشوةً ليفاً ، فقذفها إلى فقال : « اجلس على هذه » قال قلت : بل أنت فاجلس عليها . قال : « بل أنت » .

(١) ابن هشام : تؤمنا .

(٢) انسحلت : جرت بالكلام وفي الأصل : استعجت . وما أنبئته عن ابن هشام ٨٠/٢ .

فجاست وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأرض ، قال قلت في نفسي : والله ما هذا بأمر ملك .

ثم قال : « إيه يا عدى بن حاتم ؟ ألم تك رَكُوسِيًّا ^(١) ؟ » قال قلت : بلى .

قال : « أو لم تسكن تسير في قومك بالمرْبَاع ؟ » قال قلت : بلى . قال : « فَإِنَّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ يَحِلُّ لَكَ فِي دِينِكَ » قال : قلت أجل والله .
قال : وعرفت أنه نبيُّ مرسل يَعْلَمُ مَا يُجْهَلُ .

ثم قال : « لعلك يا عدى إنما يمنعك من دخول في هذا الدين ما ترى من حاجتهم ، فوالله ليوشكنَّ المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه ، ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه ما ترى من كثرة عدوهم وَقَلَّةُ عَدَدِهِمْ ، فوالله ليوشكنَّ أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بعيرها حتى تزور هذا البيت لا تخاف ، ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه أبك ترى أن الملك والسلطان في غيرهم ، وإيم الله ليوشكنَّ أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فُتِحَتْ عليهم . »
قال : فأسلمتُ .

قال فكان عدى يقول : مضت اثنتان وبقيت الثالثة ، والله لمتكونن ، وقد رأيت القصور البيض من أرض بابل قد فُتِحَتْ ، ورأيت المرأة تخرج من القادسية على بعيرها لا تخاف حتى تحج هذا البيت ، وإيم الله لمتكونن الثالثة ، لَيَفِيضَنَّ الْمَالُ حتى لا يوجد من يأخذه .

هكذا أورد ابن إسحاق رحمه الله هذا السياق بلا إسناد وله شواهد من وجوه آخر .

فقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، سمعت سمالك بن حرب ، سمعت عباد بن حبيش ، يحدث عن عدي بن حاتم ، قال : جاءت خيلُ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا بمقرب^(١) فأخذوا عمتي وناسا ، فلما أتوا بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فصُّفُّوا له . قالت : يا رسول الله بأنِّ الوافدُ وانقطع الولد وأنا عجوز كبيرة ما بي من خدمة ، فمنَّ عليَّ منَّ الله عليك .

فقال : ومن وافدك ؟ قالت : عديُّ بن حاتم . قال : الذي قرَّ من الله ورسوله ، قالت : فمنَّ عليَّ .

فلما رجع ورجلٌ إلى جنبه - نرى أنه عليَّ - قال : سَلِّيهُ حُملَانًا . قال : فسألته فأمر لها .

قال عدي : فأتيتني فقالت : لقد فعلت فعلَةً ما كان أبوك يفعلها . وقالت : إيتيه راغبًا أو راهبا ، فقد أتاه فلان فأصاب منه ، وأتاه فلان فأصاب منه .

قال : فأتيتُه فإذا عنده امرأة وصبيان أو صبي ، فذكر قُرْبَهُم منه ، فعرفت أنه ليس مُلْكٌ كسرى ولا قيصر .

فقال له : يا عدي بن حاتم ما أفرَّك ؟ أفرَّك أن يقال لا إله إلا الله ؟ فهل من إله إلا الله ، ما أفرَّك ؟ أفرَّك أن يقال الله أكبر ؟ فهل شيء هو أكبر من الله عز وجل ؟

فأسلمتُ فرأيت وجهه استبشر وقال : إنَّ المغضوب عليهم اليهود ، وإن الضالين النصارى .

قال : ثم سألوهُ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد ، فلكم أيها الناس أن تَرْتَضِخوا من الفضل ، ارتضخ امرؤ بصاع ، ببعض صاع ، بقبضة ، ببعض قبضة . قال شعبة

(١) كذا بالأصل . ولعل الصواب بمقرباء ، اسم مدينة الجولان وهي كورة بدمشق .

— وأكثرت على أنه قال بتمرة ، بشق تمرة — وإن أحدكم لاقى الله فقاتل ما أقول : ألم أجعلك سمياً بصيراً ؟ ألم أجعل لك ما لا وولداً فإذا قدّمت . فينظر من بين يديه ومن خلفه ، وعن يمينه وعن شماله ، فلا يجد شيئاً فما يتقى النار إلا بوجهه ، فأتقوا النار ولو بشق تمرة ، فإن لم تجدوه فبـكلمه ليئنة ، إني لا أخشى عليكم الفاقة لينصرفكم الله وليعطيتكم — أو ليفتحن عليكم — حتى تسير الظعينة بين الحيرة ويثرب ، إن أكثرت ما تخاف السرقة على ظمئيتها .

وقد رواه الترمذي من حديث شعبة وعمر بن أبي قيس ، كلاهما عن سيّاك . ثم قال : حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث سيّاك .

وقال الإمام أحمد أيضاً : حدثنا يزيد ، أنبأنا هشام بن حسان ، عن محمد بن سيرين ، عن أبي عبيدة — هو ابن حذيفة — عن رجل ، قال : قلت لعدي بن حاتم : حديث بلغنى عنك أحب أن أسمعه منك .

قال نعم : لما بلغنى خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم كرهت خروجه كراهية شديدة ، فخرجت حتى وقعت ناحية الروم — وفي رواية حتى قدّمت على قيصر — قال : فكرهت مكاني ذلك أشد من كراهتي لخروجه .

قال قلت : والله لو أتيت هذا الرجل فإن كان كاذباً لم يضرني ، وإن كان صادقا علمت . قال : فقدّمت فأتيت ، فلما قدّمت قال الناس : عدى بن حاتم .

فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي : يا عدى بن حاتم أسلم تسلم . ثلاثاً .

قال قلت : إني على دين . قال : أنا أعلم بدينك منك .

فقلت : أنت تعلم بديني مني ؟ قال : نعم . ألسن من الرّكوسية ، وأنت تأكل

مِرْبَاعِ قَوْمِكَ ؟ قلت : بلى . قال : فإن هذا لا يحل لك في دينك . قال : نعم . فلم يبدُ أن قالها فتواضعتُ لها .

قال : أما إنى أعلم الذى يملك من الإسلام ؛ تقول : إنما اتبعه ضَعْفَةُ الناس ومن لا قوة لهم ، وقد رمّتهم العرب ، أنعرف الخيرة ؟ قلت : لم أرها وقد سمعت بها : قال . فوالذى نفسى بيده ليمتنَّ الله هذا الأمرَ حتى تخرج الظعينة من الخيرة حتى تطوف بالبيت في غير جوار أحد ، وليفتحنَ كنوز كسرى بن هرمز . قال قلت : كنوز ابن هرمز ؟ قال : نعم كسرى بن هرمز ، وليبذلن المسالُ حتى لا يقبله أحد .

قال عدى بن حاتم : فهذه الظعينة [تخرج^(١)] من الخيرة تطوف بالبيت في غير جوار ، ولقد كنت فيمن فتح كنوز كسرى ، والذى نفسى بيده لتسكونن الثالثة لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قالها .

ثم قال أحمد : حدثنا يونس بن محمد ، حدثنا حماد بن زيد ، عن أبيوب ، عن محمد بن سيرين ، عن أبي عبيدة بن حذيفة ، عن رجل - وقل حماد وهشام ، عن محمد بن أبي عبيدة ولم يذكر عن رجل - قال : كنت أسأل الناس عن حديث عدى بن حاتم وهو إلى جنبى ولا أسأله ، قال : فأتيتُه فسألته فقال : نعم . فذكر الحديث .

وقال الحافظ أبو بكر البهقي : أنبأنا أبو عمرو الأديب ، أنبأنا أبو بكر الإسماعيلي ، أخبرني الحسن بن سفيان ، حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، أنبأنا الفُضْر بن شميل ، أنبأنا إسرائيل ، أنبأنا سعد الطائي ، أنبأنا ثعلب بن خليفة ، عن عدى بن حاتم ، قال : بيئنا أنا عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ أتاه رجل فشكى إليه الفاقة ، وأتاه آخر فشكا إليه قَطَعَ السبيل .

(١) من السند ٤ / ٢٥٧ .

قال : يا عدى بن حاتم هل رأيت الخيرة ؟ قلت : لم أرها وقد أنبتت عنها . قال :
فإن طالت بك حياة لترين الظعينة ترتحل من الخيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحداً
إلا الله عز وجل .

قال : قلت في نفسي : فأين دُعَار^(١) طَيِّ الذين سَعَرُوا البلاد ؟!

ولئن طالت بك حياة لفتحن كنوز كسرى بن هرمز . قلت : كسرى بن هرمز ؟
قال : كسرى بن هرمز .

ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يخرج بملء كفه من ذهب أو فضة يطلب من
يقبله منه فلا يجد أحدا يقبله منه ، وآية بين الله أحدكم يوم يلقاه ليس بينه وبينه ترجان ،
فينظر عن يمينه فلا يرى إلا جهنم وينظر عن شماله فلا يرى إلا جهنم .

قال عدى : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « اتقوا النار ولو بشق
تمر ، فإن لم تجدوا شق تمر فبكلمة طيبة » .

قال عدى : فقد رأيت الظعينة ترتحل من الكوفة حتى تطوف بالبيت لا تخاف إلا
الله عز وجل ، وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز ، ولئن طالت بكم حياة
سترون ما قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم .

وقد رواه البخارى عن محمد بن الحكم ، عن النضر بن شميل به بطوله . وقد رواه
من وجه آخر عن سعدان بن بشر ، عن سعد أبي مجاهد الطائى ، عن محمل بن خليفة ،
عن عدى به . ورواه الإمام أحمد والنسائى من حديث شعبة ، عن سعد أبي
مجاهد الطائى به .

ومن روى هذه القصة عن عدى عامر بن شرحبيل الشعبي فذكر نحوه . وقال :
لا تخاف إلا الله والذئب على غمها .

وثبت في صحيح البخارى من حديث شعبة ، وعند مسلم من حديث زهير بن معاوية ، كلاهما عن أبى إسحاق ، عن عبد الله بن مَعْقِل بن مَقْرَن المزنى ، عن عدى بن حاتم ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اتقوا النار ولو بشق تمرة » .
ولفظ مسلم : « من استطاع منكم أن يستتر من النار ولو بشق تمرة فليفعل »
طريق أخرى فيها شاهد لما تقدم .

وقد قال الحافظ البيهقي : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، حدثني أبو بكر بن محمد ابن عبد الله بن يوسف ، حدثنا أبو سعيد عبيد بن كثير بن عبد الواحد الكوفي ، حدثنا ضرار بن صُرَد ، حدثنا عاصم بن حميد ، عن أبى حمزة الثُمَالى ، عن عبد الرحمن ابن جندب ، عن كَمِيل بن زياد النخعى ، قال : قال على بن أبى طالب : ياسبحان الله ما أُرْهِدَ كثيراً من الناس في خير ! عجبا لرجل يحببته أخوه المسلم في الحاجة فلا يرى نفسه لآخر أهلا ، فلو كان لا يرجو ثوابا ولا يخشى عقابا لكان ينبغي له أن يسارع في مكارم الأخلاق فإنها تدل على سبيل النجاح .

فقام إليه رجل فقال : فذاك أبى وأمى يا أمير المؤمنين ، سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم . وما هو خير منه .

لما أتى بسبايا طيء وقفت جارية حمراء لَعَساء ذُلُفَاء عَيْطَاء ، شَمَاء الأنف معتدلة القامة والهامة دَرَمَاء الكعبيين خَذَلَة الساقين ^(١) لَفَاء الفخذين تحميصة الخصرين ضامرة الكشحين مَصْقولة المَنتَين . قال : فلما رأيتها أعجبت بها وقلت : لأطابن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يجعلها في فيئى .

(١) اللعساء : التي لونها أدنى سواد . والذلفاء : الصغيرة الأنف مع استواء الأرنبة . والعيطاء : الطويلة العنق . والدرماء : التي وارى كعبيها اللحم . والخذلة : الممتلئة .

فلما تكلمت أنسيت جماها من فصاحتها . فقالت : يا محمد إن رأيت أن تحلّي عفا ولا تُشمت بنا أحياء العرب فإنى ابنة سيد قومي ، وإن أبي كان يحمي الذمار ويفك العاني ويشبع الجائع ويكسو العاري ويقرى الضيف ويطعم الطعام ويُفشي السلام ، ولم يرد طالب حاجة قط ، أنا ابنة حاتم طيّ .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا جارية هذه صفة المؤمنين حقا ، لو كان أبوك مسلما لترحمنا عليه ، خلّوا عنها فإن أباهم كان يحب مكارم الأخلاق والله يحب مكارم الأخلاق .

فقام أبو بُردة بن نيار فقال : يا رسول الله تحب مكارم الأخلاق ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والذي نفسي بيده لا يدخل أحد الجنة إلا بحسن الخلق ^(١) » .

هذا حديث حسن المتن غريب الإسناد جدا عزيز المخرج .

وقد ذكرنا ترجمة حاتم طيّ أيام الجاهلية عند ذكرنا ^(٢) من مناقب من أعيان المشهورين فيها ، وما كان يسديه حاتم إلى الناس من المكارم والإحسان ، إلا أن نفع ذلك في الآخرة معذوق ^(٣) بالإيمان ، وهو ممن لم يقل يوما من الدهر : رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين .

وقد زعم الواقدي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث علي بن أبي طالب في ربيع الآخر من سنة تسع إلى بلاد طيّ فجاء منه بسبايا فيهم أخت عدى بن حاتم ، وجاء معه بسيفين كانا في بيت الصنم يقل لأحدهما الرسوب والآخر المخذم ، كان الحارث بن أبي شمر ^(٤) قد نذرهما لذلك الصنم .
قل البخرى رحمه الله :

(٢) تقدم في الجزء الأول
(٤) ت : ابن أبي إسحق .

(١) تقدم هذا الحديث في الجزء الأول
(٣) معذوق : معلق .

قصة دَوْس والطُّفيل بن عمرو

حدثنا أبو نعيم ، حدثنا سفيان ، عن ابن ذَكْوَان - هو عبد الله بن زياد - ^(١) عن عبد الرحمن الأعرج ، عن أبي هريرة ، قال : جاء الطُّفيل بن عمرو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إِنْ دَوْسًا قد هلكت وعصت وأبَت ، فادع الله عليهم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم اهدِ دَوْسًا وأتِ بهم » . انفراد به البخارى من هذا الوجه .

ثم قال : حدثنا محمد بن العلاء ، حدثنا أبو أسامة ، حدثنا إسماعيل ، عن قيس ، عن أبي هريرة قال : لما قدمت على النبي صلى الله عليه وسلم قلت فى الطريق : يَا لَيْلَةَ مَنْ طَوَّلَهَا وَعَمَّأَهَا عَلَى أَنَّهَا مِنْ دَارَةِ الْكُفْرِ نَجَّتْ وَأَبْقَى لِي غَلَامٌ فِي الطَّرِيقِ ، فلما قدمتُ على النبي صلى الله عليه وسلم وبايتمه فبينما أنا عنده إذ طلع الغلامُ ، فقال لى النبي صلى الله عليه وسلم : يَا أَبَا هُرَيْرَةَ هَذَا غَلَامُكَ . فقلت : هو حر لوجه الله عز وجل فأعتقته .

انفراد به البخارى من حديث إسماعيل بن أبي خالد ، عن قيس بن أبي حازم . وهذا الذى ذكره البخارى من قدوم الطفيل بن عمرو قد كان قبل الهجرة ، ثم إن قَدَّر قدومه بعد الهجرة فقد كان قبل الفتح ، لأن دَوْسًا قدِمُوا معهم أبو هريرة ، وكان قدوم أبي هريرة ورسول الله صلى الله عليه وسلم محاصرَ خيبرَ ، ثم ارتحل أبو هريرة حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر بعد الفتح فَرَضَخَ لهم شَيْثًا من الغنيمة . وقد قدمنا ذلك كله مطولاً فى موضعه .

قال البخارى رحمه الله :

قدوم الأشعريين وأهل اليمن

ثم روى من حديث شعبة ، عن سليمان بن مهران الأعشى ، عن ذكوان أبي صالح السمان ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أتاكم أهل اليمن هم أرق أفئدة وألين قلوباً ، الإيمان يمان ، والحكمة يمانية ، والفخر والخلاء في أصحاب الإبل ، والسكينة والوقار في أهل الغنم » .

ورواه مسلم من حديث شعبة .

ثم رواه البخاري ، عن أبي اليمان ، عن شعيب ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « أتاكم أهل اليمن أضعف قلوباً وأرق أفئدة ، الفقه يمان ، والحكمة يمانية » .

ثم روى عن إسماعيل ، عن سليمان ، عن ثور ، عن أبي المغيث عن أبي هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الإيمان يمان ، والفتنة هاهنا ، هاهنا يطلع قرن الشيطان » .

ورواه مسلم ، عن شعيب ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة .

ثم روى البخاري من حديث شعبة ، عن إسماعيل ، عن قيس ، عن أبي مسعود ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الإيمان هاهنا - وأشار بيده إلى اليمن - والجفاء وغِلظ القلوب في الفُـدادين عند أصول أذنان الإبل من حيث يطلع قرنا الشيطان . ربيعة ومضر » .

وهكذا رواه البخاري أيضاً ومسلم من حديث إسماعيل بن أبي خالد ، عن قيس بن أبي حازم ، عن أبي مسعود عقبة بن عمرو .

ثم روى من حديث سفيان الثوري ، عن أبي صخرة جامع بن شدّاد ، حدثنا صفوان

ابن مُحَرِّز، عن عمران بن حصين، قال : جاءت بنو تميم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « أبشروا يا بني تميم » فقالوا : أما إذ بشرتنا فأعطينا فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم . فجاء ناس من أهل اليمن فقال : « اقبلوا البشرى إذ لم يقبلها بنو تميم » فقالوا : قبلنا يا رسول الله .

وقد رواه الترمذى والنسائى من حديث الثورى به .

وهذا كله مما يدل على فضل وفود أهل اليمن ، وليس فيه تعرض لوقت وفودهم ، ووفدُ بنى تميم وإن كان متأخراً قدومهم لا يلزم من هذا أن يكون مقارنا لقدم الأشعرين ، بل الأشعريون متقدمٌ وفدهم على هذا ، فإنهم قدموا صحبةً أبى موسى الأشعرى فى صحبة جعفر ابن أبى طالب وأصحابه من المهاجرين الذين كانوا بالحبشة ، وذلك كله حين فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر . كما قدمناه مبسوطاً فى موضعه ^(١) ، وتقدم قوله صلى الله عليه وسلم : « والله ما أدرى بأيهما أَسْرُ أقدم جعفر أو بفتح خيبر » والله سبحانه وتعالى أعلم .

قال البخارى :

قصة عُمان والبحرين

حدثنا قتيبة بن سعيد ، حدثنا سفيان ، سمع محمد بن المنكدر ، سمع جابر بن عبد الله يقول : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو قد جاء مالُ البحرين لقد أعطيتك هكذا وهكذا وهكذا » ثلاثاً . فلم يقدم مال البحرين حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما قدم على أبى بكر أمر منادياً فنادى : من كان له عند النبى صلى الله عليه وسلم دين أو عِدَّة فليأتنى .

قال جابر : فجئت أبى بكر فأخبرته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لو قد جاء

مالُ البحرين أعطيتك هكذا وهكذا ثلاثاً » قال : فأعرض عني .
قال جابر : فلقيت أبا بكر بعد ذلك فسألته فلم يعطني ، ثم أتيت به
الثالثة فلم يعطني . فقلت له : قد أتيتك فلم تعطني ثم أتيتك فلم تعطني ، فإما أن تعطيني
وإما أن تبخل عني قال : قلت : تبخل عني ؟ قال : وأى داء أدوأ من البخل : قالها ثلاثاً
ما منعك من مرة إلا وأنا أريد أن أعطيك .

وهكذا رواه البخاري هاهنا وقد رواه مسلم عن عمرو والنقاد ، عن سفيان بن عيينة به .
ثم قال البخاري بعده : وعن عمرو ، عن محمد بن علي ، سمعت جابر بن عبد الله
يقول : جئته فقال لي أبو بكر : عُدّها فعدّها فوجدتها خمسمائة . فقال : خذ مثلها مرتين .
وقد رواه البخاري أيضاً عن علي بن المديني ، عن سفيان ، هو ابن عيينة ، عن عمرو
ابن دينار ، عن محمد بن علي أبي جعفر الباقر ، عن جابر . كروايته له عن قتيبة . ورواه أيضاً
هو ومسلم من طرق آخر ، عن سفيان بن عيينة ، عن عمرو ، عن محمد بن علي ، عن
جابر بنحوه . وفي رواية أخرى له أنه أمره فحنا بيديه من دراهم فعدّها فإذا هي خمسمائة ،
فأضعفها له مرتين يعني فكان جملة ما أعطاه ألفاً وخمسمائة درهم .

وفود فروة بن مُسيك المرادي أحد رؤساء قومه

إلى رسول الله ﷺ

قال ابن إسحاق : وقدم فروة بن مُسيك المرادي ، مفارقاً لمُلك كِنْدَةَ ومبشعاً
لهم ، إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد كان بين قومه مراد وبين همدان وقعة فُبيل الإسلام ، أصابت همدان من قومه
حتى أنخنوهم ، وكان ذلك في يوم يقال له الرِّدَم ، وكان الذي قاد همدان إليهم الأجدع
ابن مالك . قال ابن هشام : ويقال : مالك بن خريم الهمداني .
قال ابن إسحاق : فقال فروة بن مُسيك في ذلك اليوم :

مَرُونِ عَلَى أَمَاتٍ وَهَنَ خَوْصٌ يُبَارِزُ غَنَ الْأَعِنَّةَ يَذْنَحِينَا^(١)
فَإِنْ نُغَلِّبُ فَعَلَّابُونَ قَدِمًا وَإِنْ نُغَلِّبُ فَقَبِيرُ مُغَلَّبِينَا
وَمَا إِنْ طَبْنَا جُبْنٌ وَلَكِنْ مَنَائِيَا وَطُعْمَةٌ - آخِرِينَا^(٢)
كَذَاكَ الدَّهْرُ دَوْلَتُهُ سِجَالٌ تَكَرَّرُ صُرُوفُهُ حِينًا فَحِينًا
فَبَيْنَمَا مَانُسَرُّ بِهِ وَنَرَضَى وَلَوْ لُبِسَتْ غَضَارَتُهُ سَنِينَا
إِذَا انْقَلَبَتْ بِهِ كَرَّاتٌ دَهْرٍ فَأَلْفَى فِي الْأَلَى قُبُطُوا طَحِينَا^(٣)
فَمَنْ يُغْبِطُ بَرِيْبَ الدَّهْرِ مِنْهُمْ يَجِدُ رَيْبَ الزَّمَانِ لَهُ خُثُونًا
فَلَوْ خَلَدَ الْمُلُوكُ إِذَا خَلَدْنَا وَلَوْ بَقِيَ الْكِرَامُ إِذَا بَقِينَا
فَأَفْنَى ذَلِكَ سَرَوَاتُ قَوْمِي كَمَا أَفْنَى الْقُرُونُ الْأَوَّلِينَ

قال ابن إسحاق: ولما توجه فروة بن مسيك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مفارقة ملوك كندة قال:

لَمَّا رَأَيْتُ مُلُوكَ كِنْدَةَ أَعْرَضَتْ كَالرَّجُلِ خَانَ الرَّجُلَ عِرْقُ نِسَائِهَا
قَرَّبْتُ رَاحِلَتِي أَوْمٌ مُحَمَّدًا أَرْجُو فَوَاضِلَهُ وَحَسَنَ ثَنَائِهَا^(٤)

قال: فلما انتهى فروة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له: - فيما بلغني - يافروة هل ساءك ما أصاب قومك يوم الرِّدَم؟

فقال: يا رسول الله من ذا الذي يصيب قومه ما أصاب قومي يوم الرِّدَم لا يسوؤه ذلك.

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَمَا إِنَّ ذَلِكَ لَمْ يَزِدْ قَوْمَكَ فِي الْإِسْلَامِ إِلَّا خَيْرًا» واستعمله على مراد وزبيد ومذحيج كلها، وبعث معه خالد بن سعيد بن العاص

(١) لفات: موضع من ديار مراد. والخوص: الغائرات العيون من السكلا.

(٢) طينا: شأننا وعادتنا، أو شهوتنا. (٣) ابن هشام: فألبيت الأولى.

(٤) ح: فواضلها وحسن ثرائها.

على الصدقة فكان معه في بلاده حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قدوم عمرو بن معد يكرب في أناس من زبيد

قال ابن إسحاق : وقد كان عمرو بن معدى كرب قال لقيس بن مَكشوح المَرَادِيّ، حين انتهى إليهم أمرُ رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا قيس إنك سيد قومك ، وقد ذُكر لنا أن رجلاً من قريش يقال له محمد قد خرج بالحجاز يقال ^(١) إنه نبي ، فانطلق بنا إليه حتى نعلم علمه ، فإن كان نبياً كما يقول فإنه لن يخفى علينا إذا لقيناه أتبعناه ، وإن كان غير ذلك عامنا علمه فأبى عليه قيس ذلك وسفه رأيه .

فركب عمرو بن معد يكرب حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم وصدقه وأمن به ، فلما بلغ ذلك قيس بن مَكشوح أوعده عمراً وقال : خالفني وترك أمرى ورأى .

فقال عمرو بن معد يكرب في ذلك :

أمرتُك يوم ذى صنعا . أمراً بادياً رَشَدُهُ
أمرتُك باتقاء اللـ . والمعروف تتَعِدُهُ
خرجت من المني مثل الـ حمير غَرَّهُ وَتَدُهُ
تمنّاني على فرسٍ عليه جالساً أسدُهُ
على مُفَاضَةٍ كالنمى أخلص ماء جَدَدُهُ ^(٢)
يردُّ الرمح مُفَتْنِي السَّنان عَوائراً قِصَدُهُ ^(٣)
فلو لاقيتني لَلَقِيَتَ لَيْثاً فوقه لِبَدُهُ

(١) ابن هشام : يقول .

(٢) المفاضة : الدرع السابعة . والنهي : العدير . والجدد : الأرض الغليظة المستوية .

(٣) العوائير : المطايرة : والفصد : القطع المتكسرة .

تُلَاقِي شَنْبَتًا شَنًّا ۖ بَرَّائِنَ نَاشِرًا كَتَدُهُ (١)
يُسَامِي الْقِرْنَ إِنْ قِرْنٌ تِيَمَمُهُ فَيَقْتَصِدُهُ
فِيَأْخُذُهُ فَيَرْفَعُهُ فَيَخْفِضُهُ فَيَقْتَصِدُهُ (٢)
فَيَذْمُهُ فَيَحْطُمُهُ فَيَخْضَمُهُ فَيَزْدَرِدُهُ (٣)
ظَلُومَ الشَّرِّكَ فِيمَا أَحْ . رَزَتْ أُنْيَابُهُ وَبَدُهُ

قال ابن إسحاق : فأقام عمرو بن معديكرب في قومه من بني زبيد وعليهم قروة بن مسيك ، فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتد عمرو بن معديكرب فيمن ارتد ، وهما قروة بن مسيك فقال :

وجدنا مُلْكَ قَرَوَةَ شَرًّا مُلْكُ حِمَارٍ سَافٍ مَنُخْرَةٍ بِثَقْرِ (٤)
وَكُنْتُ إِذَا رَأَيْتَ أَبَا عُمَيْرٍ تَرَى الْحَوْلَاءَ مِنْ خُبْثٍ وَغَدِرٍ (٥)

قلت : ثم رجع إلى الإسلام وحسن إسلامه ، وشهد فتوحات كثيرة في أيام الصديق وعمر الفاروق رضي الله عنهما .

وكان من الشجعان المذكورين والأبطال المشهورين والشعراء المجيدين ، توفي سنة إحدى وعشرين بعد ما شهد فتح نهاوند ، وقيل بل شهد القادسية وقتل يومئذ .

قال أبو عمر بن عبد البر : وكان وفوده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة تسع ، وقيل سنة عشر فيما ذكره ابن إسحاق والواقدي .

قلت : وفي كلام الشافعي ما يدل عليه . فالله أعلم .

(١) الشنبث : الأسد . والشن : الحليظ . والبرائن : الخالب ، أو هي بمنزلة الأصابع للإنسان . والناشر : المرتفع . والكتيد : ما بين الكتفين .

(٢) يقتصده : يقتله . (٣) يخضمه : يأكله .

(٤) ساف : شم . والثقر : للسباع وذوى الخالب كالرحم للناقة .

(٥) الحولاء : كالمشيمة للناقة ، وهي جلدة خضراء مملوءة ماء تخرج مع الولد .

قال يونس عن ابن إسحاق : وقد قيل إن عمرو بن معد يكرب لم يأت النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد قال في ذلك :

إِنِّي بِالنَّبِيِّ مَوْقِفَةٌ نَفْسِي وَإِن لَّمْ أَرَ النَّبِيَّ عَيْنًا
سَيِّدُ الْعَالَمِينَ طَرًّا وَأَذْنًا هُمُ إِلَى اللَّهِ حِينَ بَانَ مَكَانَا
جَاءَ بِالنَّامُوسِ مِنْ لَدُنِ اللَّهِ وَكَانَ الْأَمِينَ فِيهِ الْمَعَانَا
حِكْمَةٌ بَعْدَ حِكْمَةٍ وَضِيَاءٌ فَاهْتَدَيْنَا بِنُورِهَا مِنْ عَمَانَا
وَرَكِبْنَا السَّبِيلَ حِينَ رَكِبْنَا أَهْ جَدِيدًا بِكَرْهِنَا وَرِضَانَا
وَعَبَدْنَا الْإِلَهَ حَقًّا وَكُنَّا لِلْجَهَالَاتِ نَعْبِدُ الْأَوْتَانَا
وَاثْقَلْنَا بِهِ وَكُنَّا عَدُوًّا فَرَجَعْنَا بِهِ مَعًا إِخْوَانَا
فَعَلِيهِ السَّلَامُ وَالسَّلَامُ مِنَّا حَيْثُ كُنَّا مِنَ الْبِلَادِ وَكَانَا
إِنْ نَكُنْ لَمْ نَرِ النَّبِيَّ فَإِنَّا قَدْ تَبَعْنَا سَبِيلَهُ إِيْمَانَا

قدوم الأشعث بن قيس في وفد كندة

قال ابن إسحاق : وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم الأشعث بن قيس في وفد كندة .

فحدثني الزهري أنه قدم في ثمانين راكباً من كندة ، فدخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجدةً قد رَجَّلُوا جَمْعَهُمْ ^(١) وتكحَّلُوا ، عليهم جُبُوبُ الْحَبَرَةِ قد كَفَّفُوها بِالْحَرِيرِ .

فلما دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم : أَلَمْ تُسَلِّمُوا ؟ قالوا : بلى قال : فما بالُ هذا الحرير في أعناقكم ؟ قال : فشقوقه منها فألقوه .

(١) الجمجم : جمع جمجمة وهي شعر الرأس الكثيف .

ثم قال له الأشعث بن قيس : يا رسول الله نحن بنو آكل المرار ، وأنت ابنُ آكل المرار .

قال : فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : « ناسبوا بهذا النسب العباس بن عبد المطلب وربيعه بن الحارث » .

وكانا تاجرين ، إذا شاعا في العرب فستلا : ممن أنما ؟ قالا : نحن بنو آكل المرار يعني ينتسبان إلى كندة ليحزرا في تلك البلاد ، لأن كندة كانوا ملوكا ، فاعتقدت كندة أن قریشا منهم ، لقول عباس وربيعه : « نحن بنو آكل المرار » وهو الحارث بن عمرو بن حُجر بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن معاوية بن ثور بن مرتع بن معاوية بن كندى - ويقال ابن كندة .

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم : « لا نحن بنو النضر بن كنانة لا نقفو ^(١) أمنا ولا نتنفى من أينا » .

فقال لهم الأشعث بن قيس : والله يامعشر كندة لا أسمع رجلا يقولها إلا ضربته ثمانين .

وقد روى [هذا] ^(٢) الحديث متصلا من وجه آخر فقال الإمام أحمد : حدثنا بهز وعفان ، قالا : حدثنا حماد بن سلمة ، حدثني عقيل بن طلحة ، وقال عفان في حديثه : أنبأنا عقيل بن طلحة السلمي ، عن مسلم بن هيصم ، عن الأشعث بن قيس ، أنه قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي وفد كندة - قال عثمان - لا يروني أفصلهم ، قال : قلت يا رسول الله : أنا ابن عم إناكم منا .

قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نحن بنو النضر بن كنانة ، لا نقفو أمنا ولا نتنفى من أينا » .

(٢) ليست في ١ .

(١) لا نقفو أمنا : لا نتهمها بالفجور .

قال : قال الأشعث : فوالله لا أسمع أحداً نفى قريشاً من النضر بن كنانة إلا جلدته الحدَّ .

وقد رواه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة ، عن يزيد بن هارون ، وعن محمد بن يحيى ، عن سليمان بن حرب . وعن هارون بن حبان ، عن عبد العزيز بن المغيرة ، ثلاثهم عن حماد بن سلمة به نحوه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا شريح بن النعمان ، حدثنا هُشيم ، أنبأنا مجالد ، عن الشعبي ، حدثنا الأشعث بن قيس ، قال : قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفد كندة فقال لي : هل لك من ولد ؟ قلت : غلام ولد لي في تَحْرُجِي إليك من ابنة جمد ، ولوددتُ أن مكانه شبيعُ القوم .

قال : لا تقولان ذلك فإن فيهم قُرّة عين وأجراً إذا قبضوا ، ثم ولئن قلت ذلك إنهم أمجينة مخزنة إنهم لمجينة مخزنة .

تفرد به أحمد وهو حديث حسن جيد الإسناد .

قدوم أعشى بنى مازن على النبي ﷺ

قال عبد الله بن الإمام أحمد : حدثني العباس بن عبد العظيم العنبري ، حدثنا أبو سلمة عبيد بن عبد الرحمن الحنفى ، قال : حدثني الجعيد بن أمين بن ذرّوة بن نَضْلَةَ بن طَرِيف ابن نهشل الحرّ مازنى ، حدثني أبي أمين ، عن أبيه ذرّوة ، عن أبيه نَضْلَةَ ، أن رجلاً منهم يقال له الأعشى واسمه عبد الله الأعور كانت عنده امرأة يقال لها معاذة خرج في رجب يَمِيرُ أهله من حجر ، فهربت امرأته بعده نُسراً عليه ، فعادت برجل منهم يقال له مُطَرِّف ابن نهشل بن كعب بن قَيْشَع بن ذُلف بن أهضم بن عبد الله بن الحرّ ماز ، فجعلها خلف ظهره فلما قدِم لم يجدها في بيته وأخبر أنها نُشِرت عليه وأنها عادت بمطَرِّف بن

نَهْشَل ، فَأَتَاهُ فَقَالَ : يَا بَنَ عَمِّ أَعْنَدُكَ امْرَأَتِي مُعَاذَةً فَادْفَعْهَا إِلَيَّ . قَالَ : لَيْسَتْ عِنْدِي ، وَلَوْ كَانَتْ عِنْدِي لَمْ أُدْفَعْهَا إِلَيْكَ .

قَالَ : وَكَانَ مَطْرَفٌ أَعَزُّ مِنْهُ . قَالَ : نَخْرِجُ الْأَعْشَى حَتَّى أَتِيَ النَّبِيَّ صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعَاذَ بِهِ فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

يَا سَيِّدَ النَّاسِ وَدَيَّانَ الْعَرَبِ إِلَيْكَ أَشْكُو ذِرْبَةً مِنَ الذَّرْبِ^(١)
كَالذُّبَةِ الْعَنْسَاءِ فِي ظِلِّ السَّرْبِ^(٢) خَرَجْتُ أَبْفِيهَا الطَّعَامَ فِي رَجَبٍ
نَخْلَقْتَنِي بِنِزَاعٍ وَهَرَبَ أَخْلَقْتَ الْوَعْدَ وَأَطَّتِ بِالذَّنَبِ
وَقَدْ فَتَنِي بَيْنَ عَصْرٍ مُؤْتَشَبٍ وَهْنٌ شَرٌّ غَالِبٌ لِمَنْ غَلَبَ

فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ ذَلِكَ : « وَهْنٌ شَرٌّ غَالِبٌ لِمَنْ غَلَبَ » . فَشَكَا إِلَيْهِ امْرَأَتَهُ وَمَا صَنَعَتْ بِهِ ، وَأَنَّهَا عِنْدَ رَجُلٍ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ مَطْرَفُ بْنُ نَهْشَلٍ ، فَكَتَبَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى مَطْرَفٍ : انْظُرْ امْرَأَةً هَذَا مُعَاذَةً فَادْفَعْهَا إِلَيْهِ .

فَأَتَاهُ كِتَابُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَرَأَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَهَا : يَا مُعَاذَةُ هَذَا كِتَابُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيكَ فَأَنَا دَائِفُكَ إِلَيْهِ . فَقَالَتْ : خُذْ لِي عَلَيْهِ الْعَهْدَ وَالْمِيثَاقَ وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ أَنْ لَا يَعَاقِبَنِي فِيمَا صَنَعْتُ فَأَخَذَ لَهَا ذَلِكَ عَلَيْهِ وَدَفَعَهَا مَطْرَفَ بْنَ نَهْشَلٍ ، فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

لَعَمْرُكَ مَا حُبِّي مُعَاذَةً بِالَّذِي يَغَيِّرُهُ الْوَاشِي وَلَا قِدَمُ الْعَهْدِ
وَلَا سُرُورٌ مَا جَاءَتْ بِهِ إِذَا أَرَاهَا غَوَاةَ الرِّجَالِ إِذَا يُنَاجُونَهَا بَعْدِي

قدوم صرد بن عبد الله الأزدي في نفر من قومه ثم وفود أهل جرش بعدهم

قال ابن إسحاق : : وقدم صرد بن عبد الله الأزدي على رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفد من الأزد ، فأسلم وحسن إسلامه ، وأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم على من أسلم من قومه ، وأمره أن يجاهد بين أسلم من بليه من أهل الشرك من قبائل اليمين .

فذهب فحاصر جرش وبها قبائل من اليمين وقد ضوت^(١) إليهم خشم حين سمعوا بمسيره إليهم ، فأقام عليهم قريبا من شهر فامتنعوا فيها منه ، ثم رجع عنهم حتى إذا كان قريبا من جبل يقال له شكر فظنوا أنه قد ولّى عنهم منهزما ، فخرجوا في طلبه فعطف عليهم فقتلهم قتلا شديدا .

وقد كان أهل جرش بعثوا منهم رجلين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، فبينما هما عنده بعد العصر إذ قال : « بأي بلاد الله شكر ؟ » فقام الجرشيان فقالا : يا رسول الله ببلا دننا جبل يقال له كثر . وكذلك تسميه أهل جرش . فقال : إنه ليس بكثر ولكنه شكر . قلا : فما شأنه يا رسول الله ؟ فقال : إن بدن الله لتنجر عنده الآن .

قال : فجاس الرجلان إلى أي بكر أو إلى عثمان فقال لهما : ويحكيا إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن لينمى قومكما ، فقوما إليه فأسألاه أن يدعوا الله فيرفع عن قومكما فقاما إليه فأسألاه ذلك فقال : « اللهم ارفع عنهم » .

فرجعا فوجدا قومهما قد أصيبوا يوم أخبر عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وجاء وفد أهل جرش بمن بقي منهم ، حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلموا وحسن إسلامهم وحمى لهم حول قريتهم .

قدوم رسول ملوك حمير إلى رسول الله ﷺ

قال الواقدي : وكان ذلك في رمضان سنة تسع .

قال ابن إسحاق : وقدم على رسول الله ﷺ كتاب ملوك حمير ورسالتهم بإسلامهم مقدّمة من تبوك ، وهم الحارث بن كلال ونعيم بن عبد كلال والنعمان قَيْل ذى رُعَيْن ومَعَاوَر وهَمْدَان وبعث إليه زُرْعَةُ ذُو يَزَن مَالِك بن مُرَّة الرَّهَاضِي بإسلامهم ومفارقتهم الشُّرَكَ وأهله .

فكتب إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله النبي إلى الحارث بن عبد كلال ونعيم بن عبد كلال والنعمان قَيْل ذى رُعَيْن ومَعَاوَر وهَمْدَان ، أما بعد ذلك فإني أحمد إليكم الله الذى لا إله إلا هو ، فإنه قد وقع بنا رسولكم مُنْقَلِبًا من أرض الروم ، فلقينا بالمدينة فبلغ ما أرساتم به وخبرنا ما قبلكم وأنبأنا بإسلامكم وقتلكم المشركين ، وأن الله قد هداكم بهداه ، إن أصاحتكم وأطعتم الله ورسوله وأقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وأعطيتم من المغنم خمس الله وسهم النبي صلى الله عليه وسلم وصفيّيه وما كتب على المؤمنين فى الصدقة ، من العقار عُشْر ماسقت العين وسقت السماء وعلى ماسقى الغرب^(١) نصف العُشْر ، وأن فى الإبل فى الأربعين ابنة لَبُون وفى ثلاثين من الإبل ابن لَبُون ذَكَر ، وفى كل خمس من الإبل شاة وفى كل عشر [من الإبل] ^(٢) شاتان وفى كل أربعين من البقر بقرة ، وفى كل ثلاثين تَبِيع جَذَع أو جذعة ، وفى كل أربعين من الغنم سائمة وحدها شاة ، إنها فريضة الله التى فرض على المؤمنين فى الصدقة ، فمن زاد خيراً فهو خير له .

(١) الغرب : الدلو .

(٢) ليست فى ا

ومن أدّى ذلك وأشهد على إسلامه وظاهر المؤمنين على المشركين فإنه من المؤمنين له ما لهم وعليه ما عليهم وله ذمة الله وذمة رسوله ، وإنه من أسلم من يهودى أو نصرانى فإنه من المؤمنين له ما لهم وعليه ما عليهم .

ومن كان على يهوديته أو نصرانيته فإنه لا يرد عنها ، وعليه الجزية على كل حالم ذكر وأنتى حر أو عبد دينار وافر^(١) من قيمة المعافر أو عَوْضه^(٢) ثيابا ، فمن أدّى ذلك إلى رسول الله فإن له ذمة الله وذمة رسوله ، ومن منعه فإنه عدو لله ورسوله .

أما بعد ، فإن رسول الله محمداً النبي أرسل إلى زرة ذى يزن : أن إذا أتاك رسل فأوصيكم^(٣) بهم خيراً ، معاذ بن جبل وعبد الله بن زيد ومالك بن عباد وعقبة بن نمر ومالك بن مرة وأصحابهم ، وأن اجمعوا ما عندكم من الصدقة والجزية من تخاليفكم^(٤) وأبلغوها رُسلى ، وإن أميرهم معاذ بن جبل فلا ينقلبن إلا راضيا .

أما بعد فإن محمداً يشهد^(٥) أن لا إله إلا الله وأنه عبده ورسوله ، ثم إن مالك بن مرة الرهاوى قد حدثنى أنك أسلمت من أول خير وقتلت المشركين ، فأبشر بخير ، وأمرك بحمير خيراً ، ولا تخونوا ولا تتخاذلوا فإن رسول الله هو مولى غنيكم وفقيركم ، وإن الصدقة لا تحل لحمد ولا لأهل بيته ، وإنما هى زكاة يزكى بها على فقراء المسلمين وابن السبيل ، وإن مالسكا قد بلغ الخبر وحفظ الغيب فأمركم به خيراً ، وإنى قد أرسلت إليكم من صالحى أهلى وأولى دينهم وأولى علمهم ، فأمركم بهم خيراً فإنهم منظور إليهم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وقال الإمام أحمد : حدثنا حسن ، حدثنا عمارة ، عن ثابت ، عن أنس بن مالك ،

(١) الأصل : أو عرضه . وما أثبتته عن ابن هشام .

(٢) (٤) : مخاليفكم .

(١) : وافر .

(٣) : فأوصهم .

(٥) : أشهد .

أن مالك ذى بزن أهدى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حلة قد أخذها بثلاثة وثلاثين
بميراً أو ثلاثة وثلاثين ناقة .

ورواه أبو داود عن عمرو بن عمرو بن عَوْن الواسطي ، عن عمارة بن زاذان الصيدلاني ، عن
ثابت البناني ، عن أنس به .

وقد روى الحافظ البيهقي هاهنا - حديث كتاب عمرو بن حزم فقال : أنبأنا
أبو عبد الله الحافظ ، أنبأنا أبو العباس الأصم ، حدثنا أحمد بن عبد الجبار ، حدثنا يونس
ابن بكير ، عن محمد بن إسحاق ، حدثني عبد الله بن أبي بكر ، عن أبيه أبي بكر بن
محمد بن عمرو بن حزم ، قال : هذا كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عندنا الذي كتبه
لعمر بن حزم حين بعثه إلى اليمن يفتي أهلها ويعلمهم السنة ويأخذ صدقاتهم ، فكتب
له كتاباً وعهداً وأمره فيه أمره .

فكتب : « بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من الله ورسوله ، يا أيها الذين
آمنوا أوفوا بالعقود ، عهداً من رسول الله لعمر بن حزم حين بعثه إلى اليمن .
أمره بتقوى الله في أمره كله ، فإن الله مع الذين اتقوه والذين هم محسنون ، وأمره
أن يأخذ بالحق كما أمره الله ، وأن يبشّر الناس بالخير ويأمرهم به ، ويعلم الناس القرآن
 ويفقههم في الدين ، وأن ينهى الناس فلا يمس أحد القرآن إلا وهو طاهر ، وأن يخبر
الناس بالذي لهم والذي عليهم ، ويولين لهم في الحق ويشدد عليهم في الظلم ، فإن الله حرم
الظلم ونهى عنه فقال : « ألا لعنة الله على الظالمين ، الذين يصدّون عن سبيل الله » .

وأن يبشّر الناس بالجنة ويعلمها ، وينذر الناس النار وعملها ، ويستألف الناس حتى
يتفقوا في الدين ، ويعلم الناس معالم الحج وسننه وفرائضه وما أمره الله به ، والحج
الأكبر الحج والأصغر العمرة .

وأن ينهى الناس أن يصلى الرجل في ثوب واحد صغير إلا أن يكون واسعاً

فيخالف بين طرفيه على عاتقيه ، وينهى أن يَحْتَبِيَ الرجل في ثوب واحد ويُفَضِّي بفرجه إلى السماء ، ولا ينقض شعر رأسه إذا غنى في قفاه ، وينهى الناس إن كان بينهم هَيْج أن يدعوا إلى القبائل والعشائر ، وليكن دعاؤهم إلى الله وحده لا شريك له ، فمن لم يدع إلى الله ودعا إلى العشائر والقبائل فليعطفوا بالسيف حتى يكون دعاؤهم إلى الله وحده لا شريك له .

ويأمر الناس بإسباغ الوضوء ، وجوههم وأيديهم إلى المرافق وأرجلهم إلى الكعبين وأن يمسحوا رؤوسهم كما أمرهم الله عز وجل ، وأمرُوا بالصلاة لوقتها وإتمام الركوع والسجود وأن يفلّس بالصبح و [أن] يهجر بالهاجرة حتى تَمِيل الشمس ، وصلاة العصر والشمس في الأرض مُبْدَرَةٌ ، والمغرب حين يُقْبَل الليل لا تُؤخَّر حتى تبدو النجوم في السماء ، والعشاء أول الليل .

وأمره أن يأخذ من المغنم خُمْسُ الله ما كتب على المؤمنين من الصدقة من العقار فيما سقى العين ^(١) وفيما سقت السماء العشر ، وماسقِي الْغَرْبِ فنصف العشر ، وفي كل عشر من الإبل شاتان وفي عشرين أربع شياه ، وفي أربعين من البقر بقرة ، وفي كل ثلاثين من البقر تَبِيع أو تَبِيعَة جذع أو جذعة ، وفي كل أربعين من الغنم سائمة وحدها شاة ، فإنها فريضة الله التي افترض على المؤمنين ، فمن زاد فهو خير له .

ومن أسلم من يهودى أو نصرانى إسلاما خالصا من نفسه فدانَ دين الإسلام ، فإنه من المؤمنين له ما لهم وعليه ما عليهم ، ومن كان على يهوديته أو نصرانيته فإنه لا يغيّر عنها ، وعلى كل حالم ذكر وأنثى حر أو عبد دينار وافي أو عوضه من الثياب ، فمن أدّى ذلك فإن له ذمة الله ورسوله ، ومن منع ذلك فإنه عدو الله ورسوله والمؤمنين جميعا .

صلوات الله على محمد . والسلام عليه ورحمة الله وبركاته . » .

قال الحافظ البيهقي : وقد روى سليمان بن داود ، عن الزهري ، عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، عن أبيه عن جده هذا الحديث موصولا بزيادات كثيرة ونقصان عن بعض ما ذكرناه في الزكاة والديات وغير ذلك .

قلت : ومن هذا الوجه رواه الحافظ أبو عبد الرحمن النسائي في سننه مطولا ، وأبو داود في كتاب المراسيل . وقد ذكرت ذلك بأسانيده وألفاظه في السنن والله الحمد والمثنة .

وسنذكر بعد الوفود بعث النبي صلى الله عليه وسلم الأمراء إلى اليمين لتعليم الناس وأخذ صدقاتهم وأخماسهم ، معاذ بن جبل وأبو موسى وخالد بن الوليد وعلي بن أبي طالب . رضى الله عنهم أجمعين .

قدوم جرير بن عبد الله البجلي وإسلامه

قال الإمام أحمد : حدثنا أبو قطن ، حدثني يونس ، عن المغيرة بن شبل ، قال : قال جرير : لما دنوت من المدينة أخت راحلتى ثم حملت عيبتى ثم لبست حلتى ، ثم دخلت فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب فرماني الناس بالحِذْق ، فقلت لجليسي : يا عبد الله هل ذكرني رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم ذكرك بأحسن الذكر ، بينما هو يخطب إذ عرض له في خطبته وقال : يدخل عليكم من هذا الباب أو من هذا الفَجِّ من خير ذي يَمَن ، إلا أن على وجهه مسحة مُلْك .

قال جرير : فحمدت الله عز وجل على ما أبلاني . قال أبو قطن : فقلت له : سمعته منه أو سمعته من المغيرة بن شبل ؟ قال : نعم .

ثم رواه الإمام أحمد ، عن أبي نُعَيْم وإسحاق بن يوسف . وأخرجه النسائي من

حديث الفضل بن موسى ، ثلاثتهم عن يونس ، عن أبي إسحاق السَّبَّيحي ، عن المغيرة ابن شبل - ويقال ابن شُبَيْل - عن عوف البجلي السكوفي ، عن جرير بن عبد الله وليس له عنه غيره .

وقد رواه النسائي عن قتيبة ، عن سفيان بن عُيَيْنَة ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن قيس بن أبي حازم ، عن جرير ونضه : « يدخل عليكم من هذا الباب رجل على وجهه مِسْحَة مَلَك » الحديث .
وهذا على شرط الصحيحين .

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن عبيد ، حدثنا إسماعيل ، عن قيس عن جرير ، قال : ما حَجَّني رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ أسلمتُ ولا رَأَيْني إلا تَبَسَّم في وجهي .

وقد رواه الجماعة إلا أبا داود ، من طرق ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن قيس بن أبي حازم عنه .

وفي الصحيحين زيادة : « وشكوت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أني لا أثبتُ على الخيل فضرَب بيده في صدرِي » وقال : « اللهم ثبتّه واجعله هاديًا مهديًا » .

ورواه النسائي ، عن قتيبة ، عن سفيان بن عُيَيْنَة ، عن إسماعيل ، عن قيس عنه وزاد فيه : « يدخل عليكم من هذا الباب رجل على وجهه مِسْحَة مَلَك » فذكر نحو ما تقدم .

وقال الحافظ البيهقي : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، حدثنا أبو عمرو وعثمان بن أحمد السَّماك ، حدثنا الحسن بن سلام السواق ، حدثنا محمد بن مقاتل الحراساني ، حدثنا حصين

ابن عمر الأحمسي ، حدثنا إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم ، عن جرير بن عبد الله ، قال : بعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا جرير لأي شيء جئت ؟ قلت : أسلم على يدك يا رسول الله . قال : فالتقي علياً كسأء ثم أقبل على أصحابه فقال : « إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه » .

ثم قال : « يا جرير ، أذكرك إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ، وأن تؤمن بالله واليوم الآخر والقدر خيره وشره ، وتصلّي الصلاة المكتوبة وتؤدّي الزكاة المفروضة » .

ف فعلت ذلك ، فكان بعد ذلك لا يراني إلا تبسّم في وجهي .
هذا حديث غريب من هذا الوجه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن سعيد القطان ، حدثنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن قيس بن أبي حازم ، عن جرير بن عبد الله ، قال : بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم .

وأخرجاه في الصحيحين من حديث إسماعيل بن أبي خالد به . وهو في الصحيحين من حديث زياد بن عُلّانة عن جرير به .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو سعيد ، حدثنا زائدة ، حدثنا عاصم ، عن سفيان يعني - أبا وائل - عن جرير ، قال : قلت : يا رسول الله اشترط عليّ فأنت أعلم بالشرط .

قال : « أبايعك على أن تعبد الله وحده لا تشرك به شيئاً ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتنصح المسلم ، وتبّرأ من الشّرك » .

ورواه النسائي من حديث شعبة عن الأعمش ، عن أبي وائل ، عن جرير

وفي طريق أخرى عن الأعمش ، عن منصور ، عن أبي وائل ، عن أبي نُخَيْلة ، عن جرير به . فإله أعلم .

ورواه أيضا عن محمد بن قدامة ، عن جرير ، عن مفيرة ، عن أبي وائل والشَّعْبِي عن جرير به . ورواه عن جرير عبدُ الله بن عميرة . رواه أحمد منفرداً به . وابنه عبيد الله بن جرير أحمدُ أيضاً منفرداً به . وأبو جميلة وصوابه نُخَيْلة . ورواه أحمد أيضاً والنسائي .

ورواه أحمد أيضاً عن غنْدَر ، عن شعبة ، عن منصور ، عن أبي وائل ، عن رجل [عن جرير] ^(١) فذكره .

والظاهر أن هذا الرجل هو أبو نُخَيْلة البجلي والله أعلم .

وقد ذكرنا بعث النبي صلى الله عليه وسلم له حين أسلم إلى ذى الخَلَصَة بيت كان يعبدُه خَتَمٌ وَجِيْلَة ، وكان يقال له الكعبة اليمانية ، يُضَاهَوْنَ به الكعبة التي بمكة ، ويقولون للتي بيكة الكعبة الشامية ، ولبيتهم الكعبة اليمانية ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا تريحنى من ذى الخَلَصَة ؟

فحينئذ شكّا إلى النبي صلى الله عليه وسلم أنه لا يثبت على الخليل ، فضرب بيده الكريمة في صدره حتى أثرت فيه وقال : « اللهم تَبَّتْه واجله هادياً مهدياً » فلم يسقط بعد ذلك عن فرس .

ونفر إلى ذى الخَلَصَة في خمسين ومائة راكب من قومه من أنحس ، فخرّب ذلك البيت وحرّقه حتى تركه مثل الجمل الأجرب ، وبعث إلى النبي صلى الله عليه وسلم بشيراً

(١) سقط من أ .

يقال له أبو أرطاة فبشره بذلك ، فبرك رسول الله صلى الله عليه وسلم على خيل أحسن ورجالها خمس مرات .

والحديث مبسوط في الصحيحين وغيرهما كما قدمناه^(١) بعد الفتح استطراداً بعد ذكر تخريب بيت العزى على يدى خالد بن الوليد رضى الله عنه .

والظاهر أن إسلام جرير رضى الله عنه كان متأخراً عن الفتح بمقدار جيد .

فإن الإمام أحمد قال : حدثنا هاشم^(٢) بن القاسم ، حدثنا زياد بن عبد الله بن عُلانة عن عبد الكريم بن مالك الجزرى ، عن مجاهد ، عن جرير بن عبد الله البجلي ، قال : إنما أسلمت بعد ما أنزلت المائدة وأنا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح بعد ما أسلمت .

تفرد به أحمد . وهو إسناد جيد اللهم إلا أن يكون منقطعاً بين مجاهد وبينه .

وثبت في الصحيحين أن أصحاب عبد الله بن مسعود كان يعجبهم حديث جرير في مسح الخلف ، لأن إسلام جرير إنما كان بعد نزول المائدة ، وسيأتى في حجة الوداع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : « استمّصت الناس يا جرير » . وإنما أمره بذلك لأنه كان صبيّاً .

وكان ذا شكل عظيم ، كانت نعله طولها ذراعاً ، وكان من أحسن الناس وجهاً ، وكان مع هذا من أغضّ الناس طرفاً . ولهذا روينا في الحديث الصحيح عنه أنه قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نظر الفجأة فقال : « اصرف^(٣) بصرك » .

(١) سبق ذلك في الجزء الثالث (٢) غير : هشام .

(٣) الأصل : أطرق . وما أثبتته عن صحيح البخارى .

وفادة وائل بن حُجْر بن ربيعة بن وائل بن يَعْمَر الحضرمي بن هُنَيْدَة

أحد ملوك اليمن على رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال أبو عمر بن عبد البر : كان أحد أقبال حضرموت ، وكان أبوه من ملوكهم .
ويقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بشر أصحابه قبل قدومه به ، وقال : يأتيكم
بقيةُ أبناء الملوك . فلما دخل رحَّب به وأدناه من نفسه وقرب مجلسه وبَسَطَ له رداءه .
وقال : « اللهم بارك في وائل وولده وولد وولده » .

واستعمله على الأقبال من حضرموت ، وكتب معه ثلاثة كتب ؛ منها كتاب إلى
المهاجر بن أبي أمية ، وكتاب إلى الأقبال والعبَّاهلة ، وأقطعهُ أرضاً وأرسل معه معاوية
ابن أبي سفيان فخرج معه راجلاً ، فشكا إليه حرَّ الرَّمضاء فقال : انتعل ظلَّ الناقة .
فقال : وما يغني عنى ذلك ، لو جعلتني ردِّفاً ؟ فقال له وائل : اسكت فلستَ من
أرداف الملوك .

ثم عاش وائل بن حُجْر حتى وفد على معاوية وهو أمير المؤمنين ، فعرفه معاوية ،
فرحب به وقرَّبه وأدناه ، وأذَّكره الحديث ، وعرض عليه جائزة سنِّية فأبى أن
يأخذها ، وقال : أعطها من هو أحوج إليها مني .

وأورد الحافظ البيهقي بعض هذا ، وأشار إلى أن البخاري في التاريخ روى في
ذلك شيئاً .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا حجاج ، أنبأنا شعبة ، عن سِمَاك بن حرب ، عن علقمة
ابن وائل ، عن أبيه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقطعهُ أرضاً . قال : وأرسل معي
معاوية أن أعطها إياه - أو قال أعلمها إياه - .

قال : فقال معاوية : أرْدِني خلفك . فقلت : لا تكون من أرداف الملوك . قال :
فقال : أعطني نعلك . فقلت : انمعل ظل الناقة .
قال : فلما استخلف معاوية أتيته فأقعدني معه على السرير فذكرني الحديث .
قال سَمَّاكَ : فقال : وددتُ أني كنت حملته بين يدي
وقد رواه أبو داود والترمذي من حديث شعبة ، وقال الترمذي : صحيح .

وفادة لقيط بن عامر بن المنتفق أبي رزین العقيلي

إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال عبد الله بن الإمام أحمد [حدثني أبي ، حدثنا عبد الله^(١)] : كتب إلى إبراهيم بن حمزة بن محمد بن حمزة ابن مصعب بن الزبير الزبيري : كتبت إليك بهذا الحديث وقد عرضته وسمعته على ما كتبت به إليك ، فحدث بذلك عني . قال : حدثني عبد الرحمن بن المغيرة الحزامي ، حدثني عبد الرحمن بن عياش السمعاني الأنصاري القُبائي من بني عمرو بن عوف ، عن ذلهم بن الأسود بن عبد الله بن حاجب بن عامر بن المنتفق العقيلي ، عن أبيه ، عن عمه لقيط بن عامر ، قال دلهم : وحديثه أبي الأسود ، عن عاصم بن لقيط أن لقيطاً خرج وافداً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه صاحب له يقال له نهيك بن عاصم بن مالك ابن المنتفق .

قال لقيط : فخرجت أنا وصاحبي حتى قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم [المدينة انسلاخ رجب ، فأتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فوافيناه]^(٢) حين انصرف من صلاة الغداة ، فقام في الناس خطيباً فقال : « أيها الناس ألا إني قد خبأت لكم صوتي منذ أربعة أيام ألا لأسمعكم ، ألا فهل من امرئ بعثه قومه » . فقالوا : اعلم لنا ما يقول رسول الله . ثم [قال:] ألا لعله أن يلهيه حديث نفسه أو حديث صاحبه أو يلهيه الضلال ، ألا إني مستول هل بلغت ؟ ألا فاسمعوا/ تعيشوا ، ألا اجلسوا ألا اجلسوا .

فجلس الناس ومث أنا وصاحبي ، حتى إذا فرغ لنا فؤاده وبصره قلت : يا رسول الله ما عندك من علم الغيب ؟

فضحك لعمر الله وهز رأسه وعلم أني أبتغى لسقطه ، فقال : « ضَنَّ ربك عز وجل بمفاتيح خمس من الغيب لا يعلمها إلا الله » وأشار بيده . قلت : وما هي ؟

قال : « عِلْمُ الْمَنِيَّةِ ، قد علم متى مَنِيَّةُ أَحَدِكُمْ ولا تعلمونه ، وعِلْمُ [الْمَتَى حِينَ يَكُونُ فِي الرَّحْمِ قَدْ عَلِمَهُ وَلَا تَعْلَمُونَ] ^(١) وعلم مافي غد وما أنت طاعم غداً ولا تعلمه ، وعلم يوم الْغَيْثِ يُشْرَفُ عَلَيْكُمْ أَزْلِينَ مُسْتَنِينَ ^(٢) فيظل يضحك قد علم أن غيركم إلى قريب » . قال لقيط : قلت لن نعدم من رب يضحك خيراً . وعلم يوم الساعة .

قلنا : يا رسول الله علّمنا مما لا يعلم الناس ومما تعلم ، فإننا من قَبِيلٍ لَا يَصْدَقُونَ تَصْدِيقَ ^(٣) أَحَدٍ ، من مَذْحِجٍ الَّتِي تَرْبُو عَلَيْنَا وَخَشَمَ الَّتِي تُؤَلِّينَا وَعَشِيرَتَنَا الَّتِي نَحْنُ مِنْهَا . قال : تَلْبَثُونَ مَالِئْتُمْ ثُمَّ يُتَوَفَى نَبِيِّكُمْ ، ثُمَّ تَلْبَثُونَ مَالِئْتُمْ ثُمَّ تُبْعَثُ الصَّائِحَةُ ، لعمر إلهك ما تدع على ظهرها من شيء إلا مات ، والملائكة الذين مع ربك فأصبح ربك عز وجل يطوف في الأرض قد خلت عليه البلاد ، فأرسل ربك السماء تهضب من عند العرش ، فلعمر إلهك ما تدع على ظهرها من مَضْرَعٍ قَتِيلٍ ولا مدفن ميت إلا شَقَّتْ الْقَبْرَ عَنْهُ حَتَّى تَخْلُقَهُ مِنْ عِنْدِ رَأْسِهِ ، فيستوى جالسا ، فيقول ربك عز وجل : مَهْمُهم ؟ لما كان فيه - فيقول : يارب أمس اليوم ، فلعهده بالحياة يحسبه حديثاً بأهله .

قلت : يا رسول الله كيف يجمعنا بعد ما تفرقنا الرياح والبلبل والسباع .

فقال : أَنْبِئُكَ بِمِثْلِ ذَلِكَ فِي آلَاءِ اللَّهِ ، فِي الْأَرْضِ أَشْرَفَتْ عَلَيْهَا وَهِيَ مَدْرَةٌ بِالْيَسَةِ فَقُلْتُ لَا تَحْيَا أَبَدًا . ثُمَّ أَرْسَلَ رَبُّكَ عَلَيْهَا السَّمَاءَ فَلَمْ تَلْبَثْ عَلَيْكَ أَيَّامٌ حَتَّى أَشْرَفَتْ عَلَيْهَا

(١) من مسند أحمد ١٣/٤ . (٢) الأزل : الشدة . والمستنين : من أصابتهم السنة وهي النقط .

(٣) الأصل والمسد : تصديقنا .

وهي شَرِيبَةٌ^(١) واحدة ، فلعمر إلهك لهو أقدر على أن يجمعكم من الماء على أن يجمع نبات الأرض . فتخرجون من الأضواء^(٢) ومن مصارعكم فتنتظرون إليه وينظر إليكم .
قال : قلت يا رسول الله وكيف ونحن ملء الأرض ، وهو عز وجل شخص واحد ينظر إلينا وينظر إليه ؟

فقال : أنبتك بمثل ذلك في آلاء الله ، الشمس والقمر آية منه صغيرة ترونها ويريانكم ساعة واحدة لا تضارئون في رؤيتهما ، ولعمر إلهك لهو أقدر على أن يراكم وترونه من أن ترونها^(٣) ويريانكم لا تضارون في رؤيتهما .

قلت : يا رسول الله فما يفعل ربنا إذا لقيناه ؟ قال : تعرضون عليه بادية له صحائفكم لا يخفى عليه منكم خافية ، فيأخذ ربك عز وجل بيده غرفة من الماء فينضح قبلكم بها ، فلعمر إلهك ما يُخْطى وجه أحدكم منها قطرة ، فأما المسلم فتدع على وجهه مثل الرِيْطَةِ^(٤) البيضاء ، وأما الكافر فتخْطمه بمثل الحُمِّ^(٥) الأسود .

ألا ثم ينصرف نبيكم وينصرف على أثره الصالحون ، فتسلكون جسراً من النار فيطأ أحدكم الحجر فيقول : حس . فيقول ربك عز وجل : أوانه^(٦) . فتطلعون على حوض الرسول على أظْمَأ^(٧) والله ناهلة عليها ما رأيتم قط ، فلعمر إلهك لا يبسط واحد منكم يده إلا وقع عليها قَدَح يطهره من الطَّوْفِ^(٨) والبول والأذى ، وتُجْبَس الشمس والقمر فلا ترون منهما واحداً .

قال : قلت : يا رسول الله فبمُ نُبْصِر ؟ قال : مثل بصرك ساعتك هذه ، وذلك مع طلوع الشمس في يوم أشرقته الأرض وواجهته الجبال .

-
- (١) الشربة : الطريقة . والشربة بإسكان الراء : شجر الخنظل .
(٢) الأضواء : القبور .
(٣) ١ : منهما أو ترونها .
(٤) الريطة : كل ثوب لين رقيق .
(٥) الحُم : الفجم .
(٦) كذا بالأصل والمستند .
(٧) الأصل : أضواء . وما أثبتته عن مسند أحمد .
(٨) الطوف : الحدث .

قال : قلت : يا رسول الله فيم نجزي من سيئاتنا وحسناتنا؟ فقال : الحسنه بمشرا أمثالها
والسيئة بمثلها إلا أن يعفو .

قال : قلت : يا رسول الله إما الجنة وإما النار؟ قال : لعمر إلهك ، إن للنار سبعة أبواب
ما منهن بابان^(١) إلا يسير الراكب بينهما سبعين عاما [وإن للجنة ثمانية أبواب ، ما منها
بابان إلا يسير الراكب بينهما سبعين عاما^(٢)] .

قلت : يا رسول الله فعلام نطلع من الجنة ؟ قال : على أنهار من عسل مصفى وأنهار من
كأس ما بها من صداع ولا ندامة ، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وماء غير آسن وفاكهة ،
لعمر إلهك ما تعلمون وخير من مثله معه ، وأزواج مطهرة .

قلت : يا رسول الله ولنا فيها أزواج أو منهن مصلحات ؟ قال : الصالحات للصالحين ،
تلدونهن مثل لذاتكم في الدنيا ويلدونكم غير ألا توالد .

قال لقيط : قلت : أقصى ما نحن بالفن ومنتهون إليه ؟ [فلم يحبه النبي صلى الله
عليه وسلم] .

قلت : يا رسول الله علام أبايعك؟ فبسط [النبي] يده وقال : على إقام الصلاة
 وإيتاء الزكاة وزيال الشرك ، وألا تشرك بالله إلها غيره . [قال : قلت : وإن لنا ما بين
المشرق والمغرب ، فقبض النبي صلى الله عليه وسلم يده وبسط أصابعه وظن أنى مشرط شيئا
 لا يعطينيه . قال : قلت : تحل منها حيث شئنا ، ولا يجنى منها امرؤ إلا على نفسه .
فبسط يده وقال : ذلك لك ، تحل حيث شئت ولا تجنى عليك إلا نفسك . قال :
فانصرفنا عنه .

(١) الأصل : باب

(٢) من مسند أحمد .

ثم قال : إن هذين [لعمري إلهك] من أتقى الناس في الأولى والآخرة ؟ فقال له كعب بن الخُدَّارِيةَ أحد بني كلاب منهم : يا رسول الله بنو المنتفق أهل ذلك منهم ؟ قال : فانصرفنا وأقبلتُ عليه^(١) .

وذكر تمام الحديث إلى أن قال : فقلت : يا رسول الله هل لأحدٍ ممن مضى خيرٌ في جاهليته ؟ قال : فقال رجل من عَرَض قريش : والله إن أباك المنتفق لفي النار . قال : فلما كانه وقع حرٌّ بين جلدتي وجهي ولحي مما قال لأبي على رؤوس الناس . فهمت أن أقول : وأبوك يا رسول الله ؟ ثم إذا الأخرى أجمل ، فقلت : يا رسول الله وأهلك ؟ قال : « وأهلِي لعمري الله ، ما أتيت [عليه] من قبر عامري أو قرشي من مشرك فقل : أرسلني إليك محمد فأبشرك بما يسوءك ، تُجرُّ على وجهك وبطنك في النار .

قال : قلت : يا رسول الله ما فعل بهم ذلك ؟ وقد كانوا على عمل لا يحسنون إلا إياه ، وقد كانوا يحسبون^(٢) أنهم مصلحون ؟

قال : ذلك بأن الله بعث في آخر كل سبع أُمم — يعني نبيًّا — فمن عصى نبيِّه كان من الضالين ، ومن أطاع نبيه كان من المهتدين .

هذا حديث غريب جدا ، وألفاظه في بعضها نكارة وقد أخرجه الحافظ البيهقي في كتاب البعث والنشور ، وعبد الحق الإشبيلي في العاقبة ، والقرطبي في كتاب التذكرة في أحوال الآخرة .

وفادة زياد بن الحارث الصدائي

رضى الله عنه

قال الحافظ البيهقي : أنبأنا أبو أحمد الأسدي باذى بها ، أنبأنا أبو بكر بن مالك القطيعي ، حدثنا أبو علي بشر بن موسى ، حدثنا أبو عبد الرحمن المقرئ ، عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم ، حدثني زياد بن نعيم الحضرمي ، سمعت زياد بن الحارث الصدائي يحدث ، قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فبأيعته على الإسلام ، فأخبرت أنه قد بعث جيشاً إلى قومي ، فقلت : يا رسول الله أردد الجيش وأنا لك بإسلام قومي وطاعتهم . فقال لي : اذهب فردهم . فقلت : يا رسول الله إن راحلتي قد كَلَّت . فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً فردهم .

قال الصدائي : وكتبت إليهم كتاباً ، فقدم وفدٌهم بإسلامهم ، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أخا صداء إنك لمطاع في قومك . فقلت : بل الله هدام للإسلام فقال : « أفلا أوْمَرَك عليهم » قلت : بلى يا رسول الله . قال : فكتب لي كتاباً أمَرَنِي ، فقلت : يا رسول الله مُر لي بشيء من صدقاتهم . قال : نعم . فكتب لي كتاباً آخر .

قال الصدائي : وكان ذلك في بعض أسفاره ، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلاً فأتاه أهل ذلك المنزل يَشْكُون عاملهم ويقولون : أخذنا بشيء كان بَيْننا وبين قومه في الجاهلية . فقال رسول الله : أَوْ فَعَلَ ذَلِكَ ؟ قالوا : نعم . فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه وأنا فيهم فقال : « لا خيرَ في الإمارة لرجل مؤمن » .

قال الصدائي : فدخل قوله في نفسي . ثم أتاه آخر فقال : يا رسول الله أعطني .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من سأل الناس عن ظهر غنى فصداع في الرأس وداء في البطن . فقال السائل : أعطني من الصدقة . فقال رسول الله : إن [الله] لم يَرْضَ في الصَّدَقَاتِ بِحُكْمِ نَبِيٍّ وَلَا غَيْرِهِ حَتَّى حَكَمَ هُوَ فِيهَا فَجَزَّأَهَا ثَمَانِيَةَ أَجْزَاءَ . فَإِنْ كُنْتَ مِنْ تِلْكَ الْأَجْزَاءِ أُعْطِيْتُكَ . قَالَ الصَّدَائِيُّ : فَدَخَلَ ذَلِكَ فِي نَفْسِي ، أَنِي غَنَى وَأَنِي سَأَلْتُهُ مِنَ الصَّدَقَةِ .

قال : ثم إن رسول الله اعتشى^(١) من أول الليل ، فلزمته وكنت قريباً منه ، فكان أصحابه ينقطعون عنه ويستأخرون منه ولم يبق معه أحد غيري .

فلما كان أو أن صلاة الصبح أمرني فأذنت فجعلت أقول : أقيم يا رسول الله ؟ فجعل ينظر ناحية المشرق إلى الفجر ويقول : لا . حتى إذا طلع الفجر نزل فبترز ثم انصرف إلى وهو متلذخ أصحابه فقال : هل من ماء يا أخا صُداء ؟ قلت : لا إلا شيء قليل لا يكفيك . فقال : اجعله في إناء ثم ائتني به . ففعلت ، فوضع كفه في الماء . قال : فرأيت بين إصبعين من أصابعه عيناً تغور ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لولا أني أستحي من ربي عز وجل لستَ عينا واستقينَا ، نَادِ فِي أَصْحَابِي مِنْ لَهُ حَاجَةٌ فِي الْمَاءِ » فناديتُ فيهم فأخذ من أراد منهم شيئاً .

ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الصلاة ، فأراد بلال أن يقيم فقال له رسول الله : « إن أخا صُداء أذن ومن أذن فهو يقيم » . قال الصَّدَائِيُّ : فاقمت .

فلما قضى رسول الله الصلاة أتبعه بالكتابين فقلت : يا رسول الله أعفني من هذين . فقال : ما بدالك ؟ فقلت : سمعتك يا رسول الله تقول : « لا خير في الإمارة لرجل مؤمن » وأنا أومن بالله وبرسوله . وسمعتك تقول للسائل : « من سأل الناس عن ظهر غنى فهو صداع في الرأس وداء في البطن » وسألتك وأنا غنى .

فقال : هو ذاك فإن شئت فاقبل ، وإن شئت فدع . فقلت : أدع . فقال لي

(١) اعتشى : سار في وقت العشاء .

رسول الله : « فدأتني على رجل أوثره عليكم » . فدلتته على رجل من الوفد الذين قدموا عليه فأمره عليهم .

ثم قلنا : يا رسول الله إن لنا بئراً إذا كان الشتاء وسعنا ماؤها واجتمعنا عليها ، وإذا كان الصيف قلّ ماؤها فتفرقنا على مياه حولنا ، وقد أسلمنا وكلّ من حولنا عدوّ ، فادع الله لنا في بئرنّا فيسعنا ماؤها فنجتمع عليه ولا نتفرّق .

فدعا سبع حصيات فعرّكهن بيده ودعا فيهن ، ثم قال : اذهبوا بهذه الحصيات فإذا أتيتم البئر فآلقوا واحدة واحدة واذكروا الله .

قال الصّدّائي : ففعلنا ما قال لنا ، فما استطعنا بعد ذلك أن ننظر إلى قعرها - يعني البئر .

وهذا الحديث له شواهد في سنن أبي داود والترمذي وابن ماجه .

وقد ذكر الواقدي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بعث بعد عمرة الجمرانة قيس بن سعد بن عبادة في أربعمائة إلى بلاد صدّاء فيوطئها ، فبعثوا رجلاً منهم فقال : جئتكَ لتردّ عن قومي الجيش وأنا لك بهم . ثم قدّم وفدّهم خمسة عشر رجلاً ، ثم رأى منهم حجة الوداع مائة رجل .

ثم روى الواقدي عن الثّوري ، عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم ، عن زياد بن نعيم ، عن زياد بن الحارث الصّدّائي قصته في الأذان .

وفادة الحارث بن حسنّ البكرى

إلى رسول الله ﷺ

قال الإمام أحمد : حدثنا زيد بن الحباب ، حدثني أبو المنذر سلام بن سليمان النحوي حدثنا عاصم بن أبي النّجود ، عن أبي وائل ، عن الحارث البكرى . قال : خرجت

أشكو العلاء بن الحضرمي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فررت بالرّبعة فإذا
مَجُوز من بني تميم مُنْقَطَع بها . فقالت : يا عبد الله إن لي إلى رسول الله حاجة ، فهل
أنت مُبْلَغِي إليه ؟

قال : حَمَلْتَهَا فَأَتَيْتِ الْمَدِينَةَ ، فَإِذَا الْمَسْجِدَ غَاصَّ بِأَهْلِهِ وَإِذَا رَايَةَ سُودَاءَ تَحْفَقُ وَبِلَالٍ
مُتَقَلِّدٍ السَّيْفِ بَيْنَ يَدَيِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقُلْتُ : مَا شَأْنُ النَّاسِ ؟ قَالُوا :
يُرِيدُ أَنْ يَبْعَثَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ وَجْهًا .

قال : فَجَلَسْتُ ، فَدَخَلَ مَنْزِلُهُ أَوْ قَالَ رَحْلُهُ ، فَاسْتَأْذِنَتْ عَلَيْهِ فَأَذِنَ لِي ، فَدَخَلْتُ
فَسَلَّمْتُ فَقَالَ : هَلْ كَانَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ تَمِيمٍ شَيْءٌ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ ، وَكَانَتِ الدَّائِرَةُ عَلَيْهِمْ ،
وَمَرَرْتُ بِعَجُوزٍ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ مُنْقَطِعٍ بِهَا فَسَأَلْتَنِي أَنْ أُحْمِلَهَا إِلَيْكَ ، وَهِيَ بِالْبَابِ .
فَأَذِنَ لَهَا فَدَخَلْتُ . فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَجْمَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ تَمِيمٍ حَاجِزًا فَاجْعَلِ
الدَّهْنَاءَ . فَحَمَيْتُ الْعَجُوزَ وَاسْتَوْفَزْتُ وَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيْنَ تَضْطَرُّ مُضْرَكٌ . قَالَ :
قُلْتُ : إِنْ مَثَلِي مَا قَالَ الْأَوَّلُ : مِعْزَى حَمَلْتُ حَتْفَهَا ! حَمَلْتُ هَذِهِ وَلَا أَشْعُرُ أَنَّهَا كَانَتْ
لِي خَصْمًا ! أَعُوذُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ أَنْ أَكُونَ كَوَافِدَ عَادَ .

قال : وَمَا وَافِدُ عَادَ ؟ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْحَدِيثِ مِنْهُ وَلَنْ كُنْ يَسْتَطِيعُهُ . قُلْتُ : إِنْ
عَادًا قَحِطُوا فَبِعَنُوتِهَا وَافِدًا لَهُمْ يُقَالُ لَهُ قَيْلٌ ، فَمَرَّ بِمَعَاوِيَةَ بْنِ بَكْرٍ فَأَقَامَ عِنْدَهُ شَهْرًا يَسْقِيهِ
الْحُمْرَ وَتَغْنِيهِ جَارِقَتَانِ يُقَالُ لُهُمَا الْجَرَادَتَانِ ، فَلَمَّا مَضَى الشَّهْرُ خَرَجَ إِلَى جِبَالِ مُهْرَةَ فَقَالَ :
اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ لَمْ أَجِءْ إِلَى مَرِيضٍ فَأَدَاوِيهِ ، وَلَا إِلَى أَسِيرٍ فَأَفَادِيهِ ، اللَّهُمَّ اسْقِ عَادًا
مَا كُنْتُ تَسْقِيهِ . فَمَرَّتْ بِهِ سَحَابَاتٌ سُودٌ فَنَوْدَى : مِنْهَا اخْتَرِ . فَأَوْمَأَ إِلَى سَحَابَةٍ مِنْهَا
سُودَاءَ . فَنَوْدَى مِنْهَا : خُذْهَا رَمَادًا رَمَدًا ، لَا تُبْقِي مِنْ عَادٍ أَحَدًا . قَالَ : فَمَا بَلَّغْنِي أَنَّهُ
أَرْسَلَ عَلَيْهِمْ مِنَ الرِّيحِ إِلَّا بِقَدَرِ مَا يَجْرِي فِي خَاتَمِي هَذَا حَتَّى هَلَسُوا .

قال أبو وائل : وصدق ، وكانت المرأة أو الرجل إذا بعثوا وافداً لهم قالوا : لا تكن كوافد عاد^(١) .

وقد رواه الترمذى والنسائى من حديث أبي المنذر سلام بن سليمان به . ورواه ابن ماجه عن أنس بن مالك عن أبي بكر بن أبي شيبة ، عن أبي بكر بن عيَّاش ، عن عاصم بن أبي النجود ، عن الحارث البكرى ولم يذكر أبا وائل .

وهكذا رواه الإمام أحمد عن أبي بكر بن عيَّاش ، عن عاصم ، عن الحارث ، والصواب عن عاصم عن أبي وائل عن الحارث . كما تقدم .

وفادة عبد الرحمن بن أبي عقيل مع قومه

قال أبو بكر البيهقى : أنبأنا أبو عبد الله إسحاق بن محمد بن يوسف السوسى ، أنبأنا أبو جعفر محمد بن محمد بن عبد الله البغدادى ، أنبأنا على بن الجعد [حدثنا] عبد العزيز ، حدثنا أحمد بن يونس ، حدثنا زهير ، حدثنا أبو خالد يزيد الأسدى ، حدثنا عَوْن بن أبي جَحِيفَةَ ، عن عبد الرحمن بن علقمة الثقفى ، عن عبد الرحمن بن أبي عقيل . قال : انطلقت فى وفد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتيناه فأنخنا بالباب ومافى الناس [رجل^(٢)] أبغض إلينا من رجل نلج عليه ، فلما دخلنا وخرجنا فما فى الناس رجل أحب إلينا من رجل دخلنا عليه . قال : فقال قائل منا : يا رسول الله ألا سألت ربك مُلكاً كملك سليمان ؟ قال : فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : « فاعل صاحبك عند الله أفضل من ملك سليمان ، إن الله عز وجل لم يبعث نبياً إلا أعطاه دعوة ، فمنهم من اتخذها دنياً فأعطىها ، ومنهم من دعا بها على قومه إذ عصوه فأهلكوا بها ، وإن الله أعطانى دعوة فاخترتها عند ربى شفاعاً لأمتى يوم القيامة » .

قدوم طارق بن عبد الله وأصحابه

روى الحافظ البيهقي من طريق أبي جناب الكلبي ، عن جامع بن شدّاد المحاربي ، حدثني رجل من قومي يقال له طارق بن عبد الله ، قال : إني لقائم بسوق ذى الحجاز إذ أقبل رجل عليه جبة وهو يقول : « يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا » ورجل يتبعه يرميه بالحجارة و [هو] يقول « يا أيها الناس إنه كذاب » فقلت : من هذا ؟ فقالوا هذا غلام من بني هاشم يزعم أنه رسول الله قال قلت : من هذا الذي يفعل به هذا ؟ قالوا : هذا عمه عبد العزى قال : فلما أسلم الناس وهاجروا خرجنا من الرّبذة نريد المدينة نمتار من تمرها فلما دنونا من حيطانها ونخلها قلت : لو نزلنا فلبسنا ثيابا غير هذه ، إذا رجل في طمرين فسلم علينا وقال : من أين أقبل القوم ؟ قلنا من الرّبذة قال : وأين تريدون ؟ قلنا : نريد هذه المدينة . قال : ما حاجتكم منها ؟ قلنا : نمتار من تمرها . قال : ومعنا طعينة لنا ومعنا جل أحمر نخطوم ، فقال : أتبيعوني بجلكم هذا ؟ قلنا : نعم ، بكذا وكذا صاعا من تمر .

قال : فما استوضعنا مما قلنا شيئا ، وأخذ بخطام الجمل وانطلق ، فلما توارى عنا بحيطان المدينة ونخلها قلنا : ما صنعنا ؟ والله ما بعنا جلنا ممن نعرف ولا أخذنا له ثمنا . قال تقول المرأة التي معنا : والله لقد رأيت رجلا كأن وجهه شقة القمر ليلة البدر ، أنا ضامنة لثمن جلّكم . إذ أقبل الرجل فقال : أنا رسول^(١) الله إليكم ، هذا تمركم فكلوا واشبعوا واكتالوا واستوفوا ، فأكلنا حتى شبعنا واكتلنا فاستوفينا .

ثم دخلنا المدينة فدخلنا المسجد ، فإذا هو قائم على المنبر يخطب الناس ، فأدركنا من

(١) ١ : رسول رسول الله .

خطبته وهو يقول : « تصدّقوا فإن الصدقة خير لكم ، اليد العليا خير من اليد السفلى ، أمّك وأباك وأختك وأخاك وأدناك أدناك » إذ أقبل رجل من بني يربوع أو قال رجل من الأنصار فقال : يا رسول الله لنا في هؤلاء دماء في الجاهلية . فقال : « إن أبا لا ينجني على ولد » ثلاث مرات .

وقد روى النسائي فضل الصدقة منه عن يوسف بن عيسى ، عن الفضل بن موسى ، عن يزيد بن زياد بن أبي الجعد ، عن جامع بن شدّاد ، عن طارق بن عبد الله المحاربي بيعه .

ورواه الحافظ البيهقي أيضا ، عن الحاكم ، عن الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبار ، عن يونس بن بُكير ، عن يزيد بن زياد ، عن جامع بن طارق بطوله كما تقدم . وقال فيه : فقالت الظعينة : لا تَلَاوموا فلقد رأيت وجه رجل لا يَغْدُر ، مارأيت شيئا أشبه بالقمر ليلة البدر من وجهه .

قدوم وافد قُرُوءة بن عمرو الجذّامي صاحب بلاد مُعَان

بإسلامه على رسول الله صلى الله عليه وسلم

وأظن ذلك إما بقبولك أو بعدها

قال ابن إسحاق : وبعث قُرُوءة بن عمرو بن النافرة الجذّامي ثم النّفْأَنِي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رسولا بإسلامه وأهدى له بغلة بيضاء .

وكان قُرُوءة عاملا الروم على من يليهم من العرب ، وكان منزله مُعَان وما حولها من أرض الشام ، فلما بلغ الروم ذلك من إسلامه طابوه حتى أخذوه فحبسوه عندهم . فقال في محبسه ذلك :

طَرَقْتُ سُلَيْمَى مَوْهِنًا أَصْحَابِي وَالرُّومُ بَيْنَ الْبَابِ وَالْقَرَوَانِ^(١)
 صَدَّ الْخِيَالِ وَسَاءَ مَا قَدَرَأَى وَهَمْتُ أَنْ أُغْنَى وَقَدْ أَبْكَانِي
 لَا تَكْخُلَنَّ الْعَيْنَ بَعْدِي إِنْ عَدَا سَلَمَى وَلَا تَدِينَنَّ لِلْإِنْيَانِ^(٢)
 وَلَقَدْ عَلِمْتَ أبا كُبَيْشَةَ أَنْتَى وَسَطَ الْأَعِزَّةِ لَا يَخْصُ لِسَانِي^(٣)
 فَلَنْ هَلَكْتُ لَتَفْقُدَنَّ أَخَاكُمْ وَلَنْ بَقِيَتْ لِيُحْرَفَنَّ مَكَانِي
 وَلَقَدْ جَمَعْتُ أَجَلَ مَا جَمَعَ الْفَتَى مِنْ جَوْدَةٍ وَشَجَاعَةٍ وَبَيَانٍ
 قَالَ : فَلَمَّا أَجَمْتُ الرُّومَ عَلَى صَلْبِهِ عَلَى مَاءٍ لَمْ يَقَالَ لَهُ عِغْرَى^(٤) بِفِلَسْطِينَ . قَالَ :

أَلَا هَلْ أَنَى سَلَمَى بِأَنْ حَلِيلَهَا عَلَى مَاءٍ عِغْرَى فَوْقَ إِحْدَى الرِّوَاهِلِ
 عَلَى نَاقَةٍ لَمْ يَضْرِبِ الْفَحْلُ أُمَّهَا مُشْدَبَةً أَطْرَافَهُ بِالْمَنَاجِلِ
 قَالَ : وَزَعَمَ الزَّهْرَى أَنَّهُمْ لَمَّا قَدَّمُوهُ لِيَقْتُلُوهُ قَالَ :
 بَلَّغْ سَرَاةَ الْمُسْلِمِينَ بِأَنْتَى سَلَمَ لِرَبِّي أَعْظَمَى وَمَقَامِي
 قَالَ : ثُمَّ ضَرَبُوا عُنُقَهُ وَصَلَبُوهُ عَلَى ذَلِكَ الْمَاءِ ، رَحِمَهُ اللَّهُ وَرَضَى عَنْهُ وَأَرْضَاهُ وَجَعَلَ
 الْجَنَّةَ مِثْوَاهَ .

قَدُومِ تَيْمِ الدَّارِيِّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَإِخْبَارِهِ إِيَّاهُ بِأَمْرِ الْجَسَّاسَةِ
 وَمَا سَمِعَ مِنَ الدَّجَالِ فِي خُرُوجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 وَإِيمَانِ مَنْ آمَنَ بِهِ

أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ سَهْلُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ نَصْرَوَيْهِ الْمُرُوزِيُّ بَنِيْسَابُورَ ، أَنبَأَنَا أَبُو بَكْرٍ
 مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ الْحَسَنِ الْقَاضِي ، أَنبَأَنَا أَبُو سَهْلٍ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ زِيَادِ الْقَطَّانِ ، حَدَّثَنَا

(٢) الموهن : نحو من نصب الليل . والقروان : الظهر ، بفتح الظاء .
 (١) تدين : تطيع .
 (٢) يخص : يقطع : والمراد : لا يمنع من الكلام .
 (٣) عغرى : موضع بفلسطين .

يحيى بن جعفر بن الزبير ، أنبأنا وهب بن جرير ، حدثنا أبي ، سمعت غيلان بن جرير يحدث عن الشعبي ، عن فاطمة بنت قيس ، قالت : قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم تميم الداري فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه ركب البحر فتأهت به سفينته ، فسقطوا إلى جزيرة فخرجوا إليها يلتمسون الماء ، فلقى إنسانا يجر شَعْرَهُ ، فقال له : من أنت ؟ قال : أنا الجساسة . قالوا : فأخبرنا . قال : لا أخبركم ولكن عليكم بهذه الجزيرة .

فدخلناها فإذا رجل مقيد فقال : من أنتم ؟ قلنا : ناس من العرب . قال : ما فعل هذا النبي الذي خرج فيكم ؟ قلنا : قد آمن به الناس واتبعوه وصدقوه . قال : ذلك خير لهم .

قال : أفلا تحبسوني عن عين زعر^(١) ما فعلت ؟ فأخبرناه عنها ، فوثب وثبة كاد أن يخرج من وراء الجدار ثم قال : ما فعل نخل بيسان^(٢) هل أطعم بعد ؟ فأخبرناه أنه قد أطعم ، فوثب مثلها ، ثم قال : أما لو قد أذن لي في الخروج لو طئت البلاد كلها غير طيبة^(٣) . قالت : فأخرجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدث الناس ، فقال : هذه طيبة وذلك الدجال .

وقد روى هذا الحديث الإمام أحمد ومسلم وأهل السنن ، من طرق عن عامر بن شراحيل الشعبي ، عن فاطمة بنت قيس . وقد أورده الإمام أحمد شاهداً من رواية أبي هريرة وعائشة أم المؤمنين وقد ذكرنا هذا الحديث بطرقه وألفاظه في كتاب الفتن^(٤) .

وذكر الواقدي وفد المدارس من نَحْم وكانوا عشرة .

(١) زعر : موضع بالحجاز

(٢) بيسان : من أسماء المدينة .

(٣) طيبة : موضع بأرض اليمامة .

(٤) وذلك في كتاب النهاية للمؤلف .

وفد بنى أسد

وهكذا ذكر الواقدي أنه قدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في أول سنة تسع وفدُ بنى أسد ، وكانوا عشرة ؛ منهم ضِرار بن الأزور ، وواصة بن معبد ، وطليحة بن خويلد الذى ادَّعى النبوة بعد ذلك ، ثم أسلم وحسن إسلامه ، ونفاعة بن عبد الله ابن خلف .

فقال له رئيسهم حَضْرَمَى بن عامر : يا رسول الله أتيناك نتدَرَّع الليلَ البهيم في سنة شَهِيَاء ، ولم تبعث إلينا بعثا .

فَنَزَلَ فِيهِمْ : « يَمْنُونُ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمْتَنُوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ^(١) » .

وكان فيهم قبيلة يقال لهم بنو الرثية ^(٢) ، فغَيَّرَ اسمهم فقال : أنتم بنو الرشد . وقد استهدى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من نفاعة بن عبد الله بن خلف ناقة تكون جيدة للركوب والحلب من غير أن يكون لها ولد معها ، فطلبها فلم يجدها إلا عند ابن عم له فجاء بها ، فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بحلبها ، فشرب منها وسقاه سُؤْرَهُ ثم قال : « اللهم بَارِكْ فِيهَا وَفِيْمَنْ مَنَحَهَا » . فقال : يا رسول الله وفيمن جاء بها . فقال : « وفيمن جاء بها » .

وفد بنى عَبَسَ

ذكر الواقدي : أنهم كانوا تسعة نفر وسماهم الواقدي . فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم : « أنا عاشرُكم » وأمر طلحة بن عبيد الله فمقد لهم لواء وجعل شعارهم : يا عشرة . وذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سألهم عن خالد بن سنان العبسى ، الذى

(١) سورة الحجرات . (٢) الرثية : الحق .

قدّمنا^(١) ترجمته في أيام الجاهلية ، فذكروا أنه لا عَقَبَ له . وذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثهم يرصدون غيراً لقريش قدمت من الشام . وهذا يفتنى تقدم وفادتهم على الفتح . والله أعلم .

وفد بني فزارة

قال الواقدي : حدثنا عبد الله بن محمد بن عمر الجحفي ، عن أبي وجزة السعدي ، قال : لما رجع رسول الله من تبوك وكان سنة تسع ، قدم عليه وفد بني فزارة بضعة عشر رجلاً فيهم خارجة بن حصن ، والحارث بن قيس بن حصن ، وهو أصغرهم على رِكابِ عَجَاف ، فجاءوا مقرّين بالإسلام .

وسألهم رسول الله عن بلادهم . فقال أحدهم : يا رسول الله أسندت بلادنا وهلك مواشيها وأجذب جنابنا وغرث عيالنا^(٢) ، فادع الله لنا .

فصعد رسول الله المنبر ودعا فقال : « اللهم اسقِ بلادك وبهائمك وانشر رحمتك وأحى بلدك الميت ، اللهم اسقنا غيثاً مُغيثاً مَرِيّاً مَرِيّاً طبقاً^(٣) واسعاً عاجلاً غير آجل ، نافعا غير ضار ، اللهم اسقنا سُقياً رحمةً ولا سُقياً عذاب ولا هذم ، ولا غرق ، ولا تحق ، اللهم اسقنا الغيث وانصرنا على الأعداء » .

قال : فطرت فأرأوا السماء سَبْتاً^(٤) . فصعد رسول الله المنبر فدعا فقال : « اللهم حوالينا ولا علينا ، على الآكام والظراب وبطون الأودية ومنابت الشجر » .
فانجابت السماء عن المدينة انجياب الثوب .

(١) سبق ذلك في الجزء الأول .

(٢) أسندت : أصابها السدة : وهي الجذب . والجناب : الناحية . وغرث : جاع .

(٣) المريع : الحصب . والطبق : الذي يعم الأرض .

(٤) السبت : البرهة .

وفد بنى مُرّة

ذكر الواقدي أنهم قدِموا سنة تسع مَرَجَةٍ من تبوك . وكانوا ثلاثة عشر رجلاً منهم الحارث بن عوف ، فأجازهم عليه السلام بعشر أواقٍ من فضة ، وأعطى الحارث بن عوف ثلثي عشرة أوقية .

وذكروا أن بلادهم مُجَدِبَةٌ ، فدعاهم فقال : « اللهم اسقهم الغيث » فلما رجعوا إلى بلادهم وجدوها قد مُطرت ذلك اليوم الذي دعا لهم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وفد بنى ثعلبة

قال الواقدي : حدثني موسى بن محمد بن إبراهيم ، عن رجل من بنى ثعلبة ، عن أبيه . قال : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجُمُرانة سنة ثمان ، قدِمنا عليه أربعة نفر فقلنا : نحن رُسل مَنْ خلقنا من قومنا ، وهم يقرؤون بالإسلام . فأمر لنا بضيافة ، وأقننا أياماً ثم جئناه لنودّعه ، فقال لبلال : أجزهم كما تجيز الوفد . فجاء ببقرة^(١) من فضة فأعطى كل رجلٍ منا خمسَ أواقٍ وقال : ليس عندنا درهم . وانصرفنا إلى بلادنا .

وفد بنى محارب

قال الواقدي : حدثني محمد بن صالح ، عن أبي وَجْزة السَّعْدِي ، قال : قدِم وفدٌ مُحَارِب سنة عشر في حجة الوداع ، وهم عشرة نفر فيهم سواء بن الحارث ، وابنه خزيمه بن سواء . فأتزلوا دارَ رَمْلَةٍ بنت الحارث ، وكان بلال يأتيهم بفداء وعشاء ، فأسلموا وقالوا : نحن على مَنْ وراءنا .

(١) البقرة : قدر كبيرة واسعة ، فسماها بقرة ، من التبقر وهو التوسع أو لأنها تسع بقرة بتمامها . انظر النهاية لابن الأثير ١/١٠٧ .

ولم يكن أحدٌ في تلك المواسم أفظّ ولا أغلظَ على رسول الله منهم .
وكان في الوفد رجل منهم ، فعرفه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : الحمد لله الذي
أبقاني حتى صدّقتُ بك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن هذه القلوب بيد الله
عز وجل » .

ومسح رسول الله وجه خزيمة بن سَواء فصارت غُرّةً بيضاء ، وأجازهم كما يُخيز الوفد
وانصرفوا إلى بلادهم .

وفد بني كلاب

ذكر الواقدي : أنهم قدِموا سنة تسع وم ثلثة عشر رجلا ؛ [فيهم] لبيد بن ربيعة
الشاعر وجَبَّار^(١) بن سُلَمَى ، وكان بينهما وبين كعب بن مالك خُلةٌ فرحَّب به وأكرمه وأهدى
إليه ، وجاءوا معه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلموا عليه بسلام الإسلام ، وذكروا
له أن الضَّحَّاك بن سفيان الكلابي سار فيهم بكتاب الله وسنة رسوله التي أمره الله
بها ، ودعاهم إلى الله فاستجابوا له وأخذَ صدقاتهم من أغنيائهم فصرفها
على فقرائهم .

وفد بني رؤاس بن كلاب

ثم ذكر الواقدي : أن رجلا يقال له عمرو بن مالك بن قيس بن بُجَيد بن رؤاس بن
كلاب بن ربيعة بن عامر بن صَمْعُمة ، قدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم ،
ثم رجع إلى قومه فدعاهم إلى الله فقالوا : حتى نصيبَ من بني عَقِيل مثل
ما أصابوا منا .

فذكر مَقَتَلَهُ كانت بينهم ، وأن عمرو بن مالك هذا قَتَلَ رجلا من بني عَقِيل . قال :

فشددت يديّ في غلّ وأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبلغه ما صنعتُ فقال : لئن أتاني لأضربن^(١) ما فوق الغلّ من يده .

فلما جئت سلّمت فلم يردّ عليّ السلام ، وأعرض عني فأنته عن يمينه فأعرض عني ، فأنته عن يساره فأعرض عني ، فأنته من قبل وجهه فقلت : يا رسول الله إن الرب عز وجل ليترضى فيرضى ، فارض عني ، رضى الله عنك . قال : « قد رضيتُ » .

وفد بني عقيل بن كعب

ذكر الواقدي : أنهم قدّموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقطعهم العقيق - عقيق بني عقيل - وهي أرض فيها نخيل وعبون .

وكتب بذلك كتابا : « بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما أعطى محمد رسول الله ربيعا ومطرفا وأنسا ، أعطاهم العقيق ، ما أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وسمعوا وأطاعوا ، ولم يعطهم حقاً لمسلم » .

فكان الكتاب في يد مطرف .

قال : وقدّم عليه أيضا لقيط بن عامر بن المنتفق بن عامر بن عقيل ، وهو أبو رزّين فأعطاه ماء يقال له النظيم وبأيه على قومه .

وقد قدّمنا قدمه وقصته وحديثه بطوله والله الحمد والمنة .

وفد بني قشير بن كعب

وذلك قبل حجة الوداع ، وقبل حنين ، فذكر فيهم قرّة بن هبيرة بن [عامر ابن]^(٢) سلمة الخير بن قشير ، فأسلم فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكساه برداً ،

(١) الأصل : لأضرب .

(٢) من الإصابة .

وأمره أن يلي صدقات قومه ، فقال قرّة حين رجع :

حَبَّأَهَا رَسُولُ اللَّهِ إِذْ نَزَلَتْ بِهِ وَأَمَّكُنَّهَا مِنْ نَائِلٍ غَيْرِ مُنْقَدٍ
فَأَضَحَّتْ بَرُوضَ الْخَضِرِ وَهِيَ حَاشِدَةٌ وَقَدْ أُنْجَحَتْ حَاجَاتُهَا مِنْ مُحَمَّدٍ
عَلَيْهَا فَتَى لَا يُزْدِفُ الدَّمُ رَحْلَهُ يَرَوَى لِأَمْرِ الْعَاجِزِ الْمُسْتَرْدِدِ^(١)

وَفَدَّ بَنِي الْبَكَاءِ

ذكر أنهم قدموا سنة تسع ، وأنهم كانوا ثلاثين رجلاً ؛ فيهم معاوية بن ثور بن
[معاوية بن] ^(٢) عبادة بن البكاء ، وهو يومئذ ابن مائة سنة ، ومعه ابن له
يقال له بشر ، فقال : يا رسول الله إني أتبرك بمسك ، وقد كبرتُ وابني هذا برٌّ بي
فامسح وجهه .

فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم وجهه وأعطاه أعزاً عُفراً ، وبرك عليهما
فكانوا لا يصيبهما بعد ذلك قحط ولا سنة .

وقال محمد بن بشر بن معاوية في ذلك :

وَأَبَى الَّذِي مَسَحَ الرَّسُولُ بِرَأْسِهِ وَدَعَا لَهُ بِالْخَيْرِ وَالْبَرَكَاتِ
أَعْطَاهُ أَحْمَدُ إِذْ أَنَاهُ أَعَزّاً عُفراً نَوَاحِلَ لَسَنِ بِالْحَيَاتِ^(٣)
يَمْلَأْنَ وَفَدَّ الْحَيَّ كُلَّ عَشِيَةِ وَيَعُودُ ذَاكَ الْمَلَى بِالْقَدَوَاتِ
بُورَكْنٍ مِنْ مَنَحٍ وَبُورَكٍ مَانَحاً وَعَلَيْهِ مَنَى مَا حَيَّتْ صَلَاتِ

(١) في الإصابة : تروك لأمر العاجز .

(٢) من الإصابة .

(٣) الحيات :

وفد كنانة

روى الواقدي بأسانيده : أن وائلة بن الأسقع اللّيثي قدّم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتجهز إلى تبوك ، فصلى معه الصبح ثم رجع إلى قومه ، فدعاهم وأخبرهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال أبوه : والله لا أحمّلك أبداً .

وسمعت أخته كلامه فأسلت ، وجّهزته حتى سار مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تبوك وهو راكب على بعير لكعب بن عُجْرة .

وبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم مع خالد إلى أكيذر دومة ، فلما رجعوا عرض وائلة على كعب بن عُجْرة ما كان شارطه عليه من سهمه من الغنيمة ، فقال له كعب : إنما حملتك لله عز وجل .

وفد أشجع

ذكر الواقدي : أنهم قدّموا عام الخندق وهم مائة رجل ، ورئيسهم مسعود بن رُخَيْلة ، فنزلوا شِعْبَ سَلْع .

فخرج إليهم رسول الله وأمرهم بأحمال التمر . ويقال : بل قدّموا بعد ما فرغ من بني قريظة ، وكانوا سبع مائة رجل ، فوآدعهم ورجعوا ، ثم أسلموا بعد ذلك .

وفد باهلة

قدّم رئيسهم مُطَرَف بن الكاهن بعد الفتح فأسلم ، وأخذ لقومه أماناً وكتب له كتاباً فيه الفرائض وشرائع الإسلام . كتبه عثمان بن عفان رضي الله عنه .

وفد بني سليم

قال : وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من بني سليم يقال له قيس بن نُسْبة ، فسمع كلامه وسأله عن أشياء فأجابته ووعى ذلك كله ، ودعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام فأسلم .

ورجع إلى قومه من بنى سليم فقال : قد سمعتُ ترَجمة الروم وهينمة فارس وأشعار العرب وكهانة الكهان وكلام مَقالٍ خَير ، فما يشبه كلامُ محمد شيئاً من كلامهم ، فأطيعوني وخذوا بنصيبكم منه .

فلما كان عام الفتح خرجت بنو سليم فلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقديد وهم سبعمائة . ويقال : كانوا ألفاً ، وفيهم العباس بن مرداس وجماعة من أعيانهم ، فأسلموا وقالوا : أجعلنا في مقدمتك ، واجعل لواءنا أحمر وشعارنا مقدماً . ففعل ذلك بهم فشهدوا معه الفتح والطائف وحنينا .

وقد كان راشد بن عبد ربه السلمي يعبد صنماً ، فرآه يوماً وتعلبان يبولان عليه فقال : أربُّ يَبُولُ الثعلبانِ برأسه لقد ذلَّ من بالَتْ عليه الثَّعَالِبُ ! ثم شدَّ عليه فكسره ، ثم جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما اسمك ؟ قال : غاوى بن عبد العزى . فقال : بل أنت راشد بن عبد ربه . وأقطعه موضعاً يقال له رُهاط فيسه عين تجرى يقال لها عين الرسول ، وقال : هو خيرُ بنى سليم . وعقد له على قومه وشهد الفتح وما بعدها .

وفد بنى هلال بن عامر

ذكر في وفدهم : عبد عوف بن أضرم ، فأسلم وسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله ، وقبيصة بن مُحَارِق الذى له حديث في الصدقات .

وذكر في وفد بنى هلال زياد بن عبد الله بن مالك بن بَجَير بن الهدم بن رُوَيْمة بن عبد الله بن هلال بن عامر ، فلما دخل المدينة يَمُّ منزل خالته ميمونة بنت الحارث ، فدخل عليها فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم منزله رآه فغضب ورجع . فقالت :

يارسول الله إنه ابن أختي . فدخل ثم خرج إلى المسجد ومعه زياد ، فصلى الظهر ثم أذن زياداً فدعاه ووضع يده على رأسه ثم حذرهما على طرف أنفه ، فسكنت بنو هلال تقول : مازلنا نتعرف البركة في وجه زياد .

وقال الشاعر لعلي بن زياد :

يا بن الذي مسح الرسولُ برأسه ودعاه بالخير عند المسجدِ
أعني زياداً لا أريد سواه من عابرٍ أو مُتهمٍ أو مُنجِدِ
ما زال ذاك النورُ في عِرْنينه حتى تبوأ بيته في مُلحدٍ^(١)

وفد بني بكر بن وائل

ذكر الواقدي : أنهم لما قدموا سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قس بن ساعدة ؛ فقال : ليس ذاك معكم ، ذاك رجل من إياد تحف في الجاهلية ، فوافى عكاظ والناس مجتمعون ، فكلّمهم بكلامه الذي حفظ عنه .

قال : وكان في الوفد بشير بن الحصاصية ، وعبد الله بن مرثد وحسان بن خوط .

فقال رجل من ولد حسان :

أنا ابن حسان بن خوط وأبي رسول بكر كلها إلى النبي

وفد تغلب

ذكر أنهم كانوا ستة عشر رجلاً مسلمين ونصارى عليهم صلب الذهب ، فنزّلوا دار رملة بنت الحارث .

فصالح رسول الله صلى الله عليه وسلم النصارى على أن لا يعتنقوا أولادهم في النصرانية وأجاز المسلمين منهم .

وفادات أهل اليمن

وفد تجيب

ذكر الواقدي : أنهم قدموا سنة تسع ، وأنهم كانوا ثلاثة عشر رجلاً ، فأجازهم أكثر مما أجاز غيرهم وأن غلاماً منهم قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما حاجتك ؟ فقال : يا رسول الله ادع الله يغفر لي ويرحمي ويجعل غنای في قلبي . فقال : « اللهم اغفر له وارحمه ، واجعل غناه في قلبه » فكان بعد ذلك من أزهد الناس .

وفد خولان

ذكر أنهم كانوا عشرة ، وأنهم قدموا في شعبان سنة عشر . وسألهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صنمهم الذي كان يقال له عم أنس^(١) ، فقالوا أبدلنا به خيراً منه ولو قد رجعنا لهدمناه . وتعلموا القرآن والشنن ، فلما رجعوا هدموا الصنم ، وأحلوا ما أحل الله وحرّموا ما حرّم الله .

وفد جعفي

ذكر أنهم كانوا يحرّمون أكل القلب ، فلما أسلم وفد منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأكل القلب ، وأمر به فشوى وناوله رئيسهم وقال : لا يتم إيمانكم حتى تأكلوه . فأخذه ويده ترعد فأكله وقال :

على أنى أكلت القلب كرمها وترعد حين مسّته بناني

(١) في القاموس : عمناس . بضم العين وسكون الميم والنون المكسورة .

فصل (١)

في قدوم وفد الأزد على رسول الله ﷺ

ذكر أبو نعيم في كتاب معرفة الصحابة والحافظ أبو موسى المديني ، من حديث أحمد بن أبي الخوارى ، قال سمعت أبا سليمان الداراني قال : حدثني علقمة بن يزيد بن سويد الأزدى قال : حدثني أبي ، عن جدي ، عن سويد بن الحارث ، قال : وفدتُ سبعَ سبعة من قومي على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما دخلنا عليه وكفناه فأعجبه ما رأى من شمتنا وزينا فقال : ما أنتم ؟ قلنا مؤمنون .

فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : « إن لكل قول حقيقة ، فما حقيقة قولكم وإيمانكم » .

قلنا : خمس عشرة خصلة ؛ خمس منها أمرتنا بها رُسلك أن تؤمن بها ، وخمس أمرتنا أن نعمل بها ، وخمس تخلفنا بها في الجاهلية فنحن عليها ، إلا أن تكره منها شيئا .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما الخمسة التي أمرتكم بها رُسلى أن تؤمنوا بها ؟ » .

قلنا : أمرتنا أن نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت .
قال : « وما الخمسة التي أمرتكم أن تعملوا بها ؟ » قلنا : أمرتنا أن نقول : لا إله إلا الله ، ونقيم الصلاة ، ونؤتي الزكاة ، ونصوم رمضان ، ونحج البيت من استطاع إليه سبيلا .

فقال : « وما الخمسة الذي تخلفتم بها في الجاهلية ؟ » . قلنا : الشكر عند

الرِّخَاءُ ، والصبر عند البلاء ، والرضى بمرّ القضاء ، والصدق في مواطن اللقاء ، وترك الشَّيْءَ بالأعداء .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « حُكَّاءُ عُلَمَاءُ كَادُوا مِنْ فَقْهِهِمْ أَنْ يَكُونُوا أَنْبِيَاءُ » .

ثم قال : « وَأَنَا أَزِيدُكُمْ خَمْسًا ، فَيَتِمُّ لَكُمْ عَشْرُونَ خِصْلَةً . إِنْ كُنْتُمْ كَمَا تَقُولُونَ ، فَلَا تَجْمَعُوا مَالًا تَأْكُلُونَ ، وَلَا تَبْنُوا مَالًا تَسْكُنُونَ ، وَلَا تَنَافِسُوا فِي شَيْءٍ أَنْتُمْ عَنْهُ غَدًا تَزُولُونَ ، وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ وَعَلَيْهِ تُعْرَضُونَ ، وَارْغَبُوا فِي مَا عَلَيْهِ تَقْدَمُونَ ، وَفِيهِ تَخْلُدُونَ » .

فانصرف القوم من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وحفظوا وصيته وعملوا بها .

ثم ذكر :

وفد كندة

وأنهم كانوا بضعة عشر راكبا عليهم الأشعث بن قيس ، وأنه أجازهم بعشر أواق وأجاز الأشعث ثنتي عشرة أوقية . وقد تقدم .

وفد الصَّدَفِ

قَدِمُوا فِي بَضْعَةِ عَشَرَ رَاكِبًا ، فَصَادَفُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْطُبُ عَلَى الْمَنْبَرِ ، فَجَلَسُوا وَلَمْ يَسَلِّمُوا ، فَقَالَ : « أَمْسَلُمُونَ أَنْتُمْ ؟ » قَالُوا : نَعَمْ . قَالَ : « فَمَهْلَا سَلَّمْتُمْ ؟ » .

فَقَامُوا قِيَامًا فَقَالُوا : السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ . فَقَالَ : « وَعَلَيْكُمْ السَّلَامُ ، اجْلِسُوا » . فَجَلَسُوا وَسَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَوْقَاتِ الصَّلَوَاتِ .

وفد خُشَيْن

قال : وقدم أبو ثعلبة الخشني ورسول الله يتجهز إلى خيبر ، فشهد معه خيبر ، ثم قدم بعد ذلك بضعة عشر رجلا منهم فأسلموا .

ثم ذكر وفد بني سعد هذيم وبلي وبهراء وبني عذرة وسلامان وجُهينة وبني كلب والجرميين . وقد تقدم حديث عمرو بن سامة الجرهمي في صحيح البخاري .
وذكر : وفد الأزد ووفد غسان والحارث بن كعب وهمدان وسعد المشيرة وعبس ، ووفد الدارين والرهاويين وبني غامد والنخع وبجيلة وخنم ، وحضر موت وذكر فيهم وائل بن حُجر ، وذكر فيهم الملوك الأربعة جنداً ونحو ساء ومشرحاً وبضعة .
وقد ورد في مسند أحمد كُفَنُهم مع أختهم العَمْرَدَة ^(١) ، وتكلم الواقدي فيهم كلاماً فيه طول .

وذكر وفد أزد عُمان وغافق وبارق ودؤس وثمالة والجدار وأسلم وجُذام ومهرة وخيبر ونجران وجيشان . وبسط الكلام على هذه القبائل بطول جداً ، وقد قدمنا بعض ما يتعلق بذلك . وفيما أوردناه كفاية والله أعلم .

ثم قال الواقدي :

وافد السَّبَاع

حدثني شعيب بن عباد ، عن المطالب بن عبد الله بن حنطب ، قال : بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس بالمدينة في أصحابه إذ أقبل ذئب فوقف بين يديه فعمى . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هذا وافد السباع إليكم فإن أحببتم أن

(١) الأصل : مع أخيهام الغمر . وما أثبتته عن القاموس . باب السين .

تفرضوا له شيئاً لا يعدوه إلى غيره ، وإن أحببتم تركتموه ونحذرتهم منه ، فما أخذ فهو رزقه .

قالوا : يا رسول الله ما تطيب أنفسنا له بشيء . فأوماً إليه النبي صلى الله عليه وسلم بأصابعه الثلاث : أي خالسهم . فولّى له عسلاً^(١) .
وهذا مرسل من هذا الوجه .

ويشبه هذا الذئب الذئب الذي ذكر في الحديث الذي رواه الإمام أحمد : حدثنا يزيد هو ابن هارون ، أنبأنا القاسم بن الفضل الحُدّاني^(٢) ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد الخدري ، قال : عدّا الذئبُ على شاة فأخذها فطلبها الراعي فانتزعها منه فأقعى الذئبُ على ذنبه ، فقال : ألا تتقى الله تنزع مني رزقاً ساقه الله إليّ ! فقال : يا عجباً ذئبٌ مُقع على ذنبه يكلمني كلامَ الإنس !

فقال الذئب : ألا أخبرك بأعجب من ذلك ؛ محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ييثرب يخبر الناس بأنباء ما قد سبق .

قال : فأقبل الراعي يسوق غنمه حتى دخل المدينة ، فزواها إلى زاوية من زواياها ، ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره .

فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنودي : الصلاة جامعة ، ثم خرج فقال للأعرابي : أخبرهم . فأخبرهم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « صدق والذي نفس محمد بيده ، لا تقوم الساعة حتى تكلم السباعُ الإنسَ وتكلم الرجل عذبة سوطه وشراك نعله ، وتخبره نخذه بما أحدث أهله بعده » .

وقد رواه الترمذي عن سفیان بن وكيع بن الجراح ، عن أبيه ، عن القاسم بن الفضل به ، وقال : حسن غريب صحيح ، لانعرفه إلا من حديث القاسم بن الفضل وهو

(١) العسلان : الاضطراب في العدو وهز الرأس .

(٢) نسبة إلى محلة بالبصرة نزلها بطن من الأزدي قال لهم حدان . الباب ١ / ٢٨٤ .

ثقة مأمون عند أهل الحديث وثقه يحيى وابن مهدي .

قلت : وقد رواه الإمام أحمد أيضا : حدثنا أبو اليمان ، أنبأنا شعيب هو ابن أبي حمزة ، حدثني عبد الله بن أبي الحسين ، حدثني مهران أن أبا سعيد الخدري حدثه ، فذكر هذه القصة بطولها بأبسط من هذا السياق .

ثم رواه أحمد : حدثنا أبو النضر ، حدثنا عبد الحميد بن بهرام ، حدثنا شهر ، قال : وحدث أبو سعيد . فذكره .

وهذا السياق أشبه والله أعلم . وهو إسناد على شرط أهل السنن ولم يخرجوه .

فصل

وقد تقدم ذكر وفود الجن بمكة قبل الهجرة ^(١) .

وقد تقصينا الكلام في ذلك أيضا عند قوله تعالى في سورة الأحقاف : « وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن » فذكرنا ماورد من الأحاديث في ذلك والآثار ، وأوردنا حديث سواد بن قارب الذي كان كاهنا فأسلم . وما رواه عن رثيه الذي كان يأتيه بالخبر حين أسلم [الرئي ^(٢)] حين قال له :

عجبتُ للجن وأنجاسها وشَدَّها العيسَ بأحلاسها
تهوى إلى مكة تبغى الهدى ما مؤمنو الجن كأرجاسها
فانهض إلى الصفوة من هاشم واسمُ بعينيك إلى راسها
ثم قوله :

عجبتُ للجن وأطلابها وشَدَّها العيسَ بأفتابها
تهوى إلى مكة تبغى الهدى ليس قدامها كأذئابها

فأنهض إلى الصفوة من هاشم واسمُ بعينيك إلى بابها
ثم قوله :

عجبتُ للجن وتخبّارها وشدّها العيسَ بأكوارها
تهوى إلى مكة تبغى الهدى ليس ذوو الشرِّ كأخيارها
فأنهض إلى الصفوة من هاشم ما مؤمنو الجن ككفارها

وهذا وأمثاله مما يدل على تكرار وفود الجن إلى مكة . وقد قررنا ذلك هناك بما
فيه كفاية والله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة .

وقد أورد الحافظ أبو بكر البيهقي هاهنا حديثاً غريباً جداً ، بل منكرأ أو
موضوعاً ، ولكن تخرجه عزيز أحببنا أن نورده كما أورده . والعجب منه .
فإنه قال في دلائل النبوة : باب قدوم هامة بن الهيثم بن لاقيس بن إبليس على النبي
صلى الله عليه وسلم وإسلامه .

أخبرنا أبو الحسن محمد بن الحسين بن داود العلوي رحمه الله ، أنبأنا أبو نصر محمد
ابن حمدويه بن سهل القاري المروزي ، حدثنا عبد الله بن حماد الآملي ، حدثنا محمد بن
أبي معشر ، أخبرني أبي ، عن نافع عن ابن عمر ، قال قال عمر رضى الله عنه : بينا نحن
قعود مع النبي صلى الله عليه وسلم على جبل من جبال تهامة إذ أقبل شيخ بيده عصا ، فلم
على النبي صلى الله عليه وسلم فرد ثم قال : « نعمةً جنّ وعففتهم من أنت » قال : أنا
هامة بن الهيثم بن لاقيس بن إبليس .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « فما بينك وبين إبليس إلا أبوان ، فكم أتى لك
من الدهر ؟ » قال : قد أفنيت الدنيا عمرها إلا قليلاً ، ليالى قتل قابيل هابيل كفت
غلاما ابن أعوام ، أفهم الكلام وأمر بالآكام وأمر بإفساد الطعام وقطيعة الأرحام .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بئس عمل الشيخ المتوهم ،
والشاب المتلوم » .

قال : دَرَنِي مِنَ التَّرَدَادِ ، إِنِّي تَائِبٌ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، إِنِّي كُنْتُ مَعَ نُوحٍ فِي مَسْجِدِهِ
مَعَ مَنْ آمَنَ بِهِ مِنْ قَوْمِهِ ، فَلَمْ أَزَلْ أَعَاتِبْهُ عَلَى دَعْوَتِهِ عَلَى قَوْمِهِ حَتَّى بَكَى وَأَبْكَاَنِ
وَقَالَ : لَا جَرَمَ إِنِّي عَلَى ذَلِكَ مِنَ النَّادِمِينَ ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ .

قال : قُلْتُ ، يَا نُوحُ إِنِّي كُنْتُ مِمَّنْ اشْتَرَكُ فِي دَمِ السَّعِيدِ الشَّهِيدِ هَابِيلَ بْنِ آدَمَ ،
فَهَلْ تَجِدُنِي عِنْدَكَ تَوْبَةً ؟ قَالَ : يَا هَامُ هُمَّ بِالْخَيْرِ وَافْعَلْهُ قَبْلَ الْحَسْرَةِ وَالنَّدَامَةِ ، إِنِّي قَرَأْتُ
فِيمَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ عَبْدٍ تَابَ إِلَى اللَّهِ بِالْغَيْرِ أَمْرُهُ مَا بَلَغَ إِلَّا تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ ، قِمَ
فَتَوْضاً وَاسْجُدْ لِلَّهِ سَجْدَتَيْنِ .

قال ففعلت من ساعتى ما أمرنى به . فننادانى : ارفع رأسك ، فقد نزلت توبتك
من السماء . فخررت لله ساجداً .

قال : وَكُنْتُ مَعَ هُودٍ فِي مَسْجِدِهِ مَعَ مَنْ آمَنَ بِهِ مِنْ قَوْمِهِ ، فَلَمْ أَزَلْ أَعَاتِبْهُ عَلَى
دَعْوَتِهِ عَلَى قَوْمِهِ حَتَّى بَكَى عَلَيْهِمْ وَأَبْكَاَنِ ، فَقَالَ : لَا جَرَمَ إِنِّي عَلَى ذَلِكَ مِنَ النَّادِمِينَ ،
وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ .

قال : وَكُنْتُ مَعَ صَالِحٍ فِي مَسْجِدِهِ مَعَ مَنْ آمَنَ بِهِ مِنْ قَوْمِهِ ، فَلَمْ أَزَلْ أَعَاتِبْهُ عَلَى
دَعْوَتِهِ عَلَى قَوْمِهِ حَتَّى بَكَى وَأَبْكَاَنِ وَقَالَ : أَنَا عَلَى ذَلِكَ مِنَ النَّادِمِينَ ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ
أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ .

وَكَُنْتُ أَزُورُ يَعْقُوبَ وَكَُنْتُ مَعَ يُوسُفَ فِي الْمَكَانِ الْأَمِينِ ، وَكَُنْتُ أَلْقَى إِبْرَاهِيمَ
فِي الْأُودِيَةِ وَأَنَا أَلْقَاهُ الْآنَ .

وإني لقيت موسى بن عمران فعلمني من التوراة ، وقال : إن لقيت عيسى ابن مريم

فأقرنه منى السلام . وإني لقيت عيسى ابن مريم فأقرأته عن موسى السلام ، وإن عيسى قال : إن لقيت محمداً صلى الله عليه وسلم فأقرنه منى السلام .

فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم عينيه فبكى ثم قال : وعلى عيسى السلام مادامت الدنيا ، وعلىك السلام يا هام بأدائك الأمانة .

قال : يا رسول الله افعل بي ما فعل موسى ، إنه علمني من التوراة . قال : فعلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا وقعت الواقعة ، والمرسلات ، وعم يتساءلون ، وإذا الشمس كورت ، والمعوذتين ، وقل هو الله أحد ، وقال : « ارفع إلينا حاجتك يا هامة ، ولا تدع زيارتنا » .

قال عمر : فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يعد إلينا ، فلا ندرى الآن أحي هو أم ميت ؟

ثم قال البيهقي : ابن أبي معشر هذا قد روى عنه الكبار إلا أن أهل العلم بالحديث يضعفونه .

وقد روى هذا الحديث من وجه آخر هو أقوى منه . والله أعلم^(١) .

(١) هذا الحديث ظاهر الوضع والاختلاق ، وقد أشار إلى وضعه ابن الجوزي في مقدمة كتابه « الوفا في أخبار المصطفى » .

سنة عشر من الهجرة

باب بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد

قال ابن إسحاق : ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد في شهر ربيع الآخر أو جمادى الأولى سنة عشر إلى بني الحارث بن كعب بنَجْران .
وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام قبل أن يقاتلهم ثلاثاً ، فإن استجابوا فاقبل منهم ، وإن لم يفعلوا فقاتلهم .

فخرج خالد حتى قدم عليهم ، فبعث الرُّكبان يضربون في كل وجه ويدعون إلى الإسلام ويقولون : أيها الناس أسلموا تسلموا .

فأسلم الناس ودخلوا فيما دُعوا إليه ، فأقام فيهم خالد يعلمهم الإسلام وكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، كما أمره رسول الله إن هم أسلموا ولم يقاتلوا .

ثم كتب خالد بن الوليد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : بسم الله الرحمن الرحيم
لحمد النبي رسول الله من خالد بن الوليد . السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ،
فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإنك
بعثتني إلى بني الحارث بن كعب ، وأمرتني إذا أتيتهم أن لا أقاتلهم ثلاثة أيام ، وأن
أدعوهم إلى الإسلام ، فإن أسلموا قبلت منهم وعلمتهم معالم الإسلام وكتاب الله وسنة نبيه
وإن لم يسلموا قاتلتهم .

وإني قد مت عليهم فدعوتهم إلى الإسلام ثلاثة أيام كما أمرني رسول الله ، وبعثت
فيهم رُكباناً [قالوا :] ^(١) يابني الحارث أسلموا تسلموا . فأسلموا ولم يقاتلوا ، وأنا مقيم

(١) من ابن هشام .

بين أظهرهم أمرهم بما أمرهم الله به وأنهم عما نهاهم الله عنه ، وأعلمهم معالم الإسلام وسنة النبي صلى الله عليه وسلم ، حتى يكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . والسلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته .

فكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بسم الله الرحمن الرحيم من محمد النبي رسول الله إلى خالد بن الوليد . سلام عليك ، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد فإن كتابك جاءني مع رسولك يخبر أن بني الحارث بن كعب قد أسلموا قبل أن تقاتلهم وأجابوا إلى ما دعوتهم إليه من الإسلام . شهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن قد هداهم الله بهداه ، فبشّرهم وأنذرهم وأقبل ، ولتقبل معك وفدكم . والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

فأقبل خالد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقبل معه وفد بني الحارث بن كعب ؛ منهم قيس بن الحصين ذو الغصّة ، ويزيد بن عبد المدان ، ويزيد بن الحجلّ ، وعبد الله بن قراد الزيّادي ، وشداد بن عبيد الله القناني ، وعمر بن عبد الله الصّبّاني . فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ورآهم . قال : من هؤلاء القوم الذين كأنهم رجال الهنّد ؟

قيل يا رسول الله : هؤلاء بنو^(١) الحارث بن كعب ، فلما وقفوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم سلّموا عليه وقالوا : نشهد أنك رسول الله وأنه لا إله إلا الله . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله » .

ثم قال : « أنتم الذين إذا زُجروا استقدّموا » فسكتوا فلم يراجعهم منهم أحد ، ثم أعادها الثانية ثم الثالثة فلم يراجعهم منهم أحد .

(١) ابن هشام : هؤلاء رجال بني الحارث .

ثم أعادها الرابعة . قال يزيد بن عبد المَدَّان : نعم يا رسول الله ، نحن الذين إذا رُجِرُوا استَقَدَّمُوا ، قالها أربع مرات .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو أن خالداً لم يكتب إليَّ أنكم أسلمتم ولم تقالوا لألقيت رؤوسكم تحت أقدامكم » .

فقال يزيد بن عبد المَدَّان : أما والله ما حَمدناك ولا حمدنا خالداً ^(١) . قال : فمن حمدتم ؟ قالوا : حمدنا الله الذي هدانا لك يا رسول الله . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : صدقتم .

ثم قال : بم كنتم تغلبون من قاتلكم في الجاهلية ؟ قالوا : لم نك تغلب أحداً . قال : بلى قد كنتم تغلبون من قاتلكم .

قالوا : كنا نغلب من قاتلنا يا رسول الله ، أنا كنا نجتمع ولا نتفرق ولا نبدأ أحداً بظلم . قال : « صدقتم » ثم أمر عليهم قيس بن الحصين .

قال ابن إسحاق : ثم رجعوا إلى قومهم في بقية شوال أو في صدر ذي القعدة . قال : ثم بعث إليهم بعد أن ولي وفدُهم عمرو بن حزم ليفقههم في الدين ويعلمهم الشئنة ومعالم الإسلام ويأخذ منهم صدقاتهم ، وكتب له كتاباً عهد إليه فيه عهده وأمره أمره .

ثم أورده ابن إسحاق . وقد قدمناه في وفد ملوك حمير من طريق البيهقي ، وقد رواه النسائي نظير ما ساقه محمد بن إسحاق بغير إسناد .

(١) زاد في ١ : وليكن . وليست في ابن هشام .

بعث رسول الله ﷺ الأمراء إلى أهل اليمن قبل حجة الوداع
يدعونهم إلى الله عز وجل

قال البخارى : باب بعث أبى موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع .

حدثنا موسى ، حدثنا أبو عوانة ، حدثنا عبد الملك ، عن أبى بريدة ، قال : بعث النبى
صلى الله عليه وسلم أبى موسى ومعاذ بن جبل إلى اليمن : قال : وبعث كل واحد منهما على
مخلاف . قال : واليمن مخلافان .

ثم قال : « يَسْرًا وَلَا تُعْصِرَا وَبَشْرًا وَلَا تَنْفِرَا » وفى رواية : وتطاولوا
ولا تختلفا .

وانطلق كل واحد منهما إلى عمله .

قال : وكان كل واحد منهما إذا سار فى أرضه وكان قريباً من صاحبه أحدث به عهداً
[فسلم عليه] ^(١) فسار معاذ فى أرضه قريباً من صاحبه أبى موسى ، فجاء يسير على بقلته
حتى انتهى إليه ، فإذا هو جالس وقد اجتمع الناس إليه ، وإذا رجل عنده قد جمعت
يداه إلى عنقه ، فقال له معاذ : يا عبد الله بن قيس أيمم ^(٢) هذا ؟ قال : هذا رجل كفر
بعد إسلامه . قال : لا أنزل حتى يُقتل . قال : إنما جىء به لذلك فانزل . قال : ما أنزل
حتى يُقتل فأمر به فقتل .

ثم نزل . فقال : يا عبد الله كيف تقرأ القرآن ؟ قال : أتفوقه ^(٣) تفوقاً . قال :
فكيف تقرأ أنت يا معاذ ؟ قال : أنا أول الليل فأقوم وقد قضيت جزئى من النوم ،

(١) من البخارى ٢ / ٢٦١

(٢) أيمم : قال القسطلانى : هذا ، وأصله أى ما . وأى استفهامية وما بمعنى شيء ،
خذفت الألف تخفيفاً . إرشاد السارى ٦ / ٤١٨ . (٣) أتفوقه : أقرأه شيئاً بعد شيء .

فأقرأ ما كتب الله لي فأحتسبُ نَوْمَتِي كما أحتسبُ قَوْمَتِي .

انفرد به البخارى دون مسلم من هذا الوجه .

ثم قال البخارى : حدثنا إسحاق ، حدثنا خالد ، عن الشَّيبَانِي ، عن سعيد بن أبى بُرْدَةَ ، عن أبيه ، عن أبى موسى الأشعرى ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه إلى اليمَنِ فسأله عن أَشْرِبَةٍ تُصْنَعُ بِهَا ، فقال : ما هي ؟ قال : البِتْعُ والمِزْرُ . فقلت لأبى بُرْدَةَ : ما البِتْعُ ؟ قال : نَبِيذُ العسل ، والمِزْرُ نَبِيذُ الشعير . فقال : « كل مُسْكِرَ حرام » .

ورواه جرير وعبد الواحد ، عن الشَّيبَانِي ، عن أبى بُرْدَةَ . ورواه مسلم من حديث سعيد بن أبى بردة .

وقال البخارى : حدثنا حِجَابٌ ، أخبرنا عبد الله ، عن زكريا بن أبى إسحاق ، عن يحيى بن عبد الله بن صَافِي ، عن أبى مَعْبُدٍ مولى ابن عباس ، عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمَنِ : « إنك ستأتى قوماً أهلَ كتاب ، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله فرضَ عليهم خمسَ صلوات في كل يوم وليلة ، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله فرضَ عليهم صدقةً تؤخذ من أغنيائهم فتردُّ على فقرائهم ، فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائمَ أموالهم ، واتق دعوةَ الظالم فإنه ليس بينها وبين الله حِجَابٌ » .

وقد أخرجه بقية الجماعة من طرق متعددة .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو المنيرة ، حدثنا صفوان ، حدثني راشد بن سعد ، عن عاصم بن حميد [السَّكُونِي ^(١)] ، عن معاذ بن جبل ، قال : لما بعثه رسول الله صلى الله

عليه وسلم إلى اليمن خرج معه يوصيه ومعاذ راكب ورسول الله صلى الله عليه وسلم يمشي تحت راحلته ، فلما فرغ قال : يا معاذ إنك عسى ألا تلتقاني بعدَ عامي هذا ، ولعلك أن تمرَ بمسجدي هذا وقبري .

فبكى معاذ خَشَعاً لفراق رسول الله صلى الله عليه وسلم .
ثم التفت بوجهه نحو المدينة فقال : « إن أَوْلَى الناسَ بي المتَّقونَ مَنْ كانوا وحيث كانوا » .

ثم رواه عن أبي اليَمَان ، عن صفوان بن عمرو ، عن راشد بن سعد ، عن عاصم بن حميد السَّكُونِي ؛ أن معاذاً لما بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن خرج معه يوصيه ومعاذ راكب ورسول الله يمشي تحت راحلته ؛ فلما فرغ قال : « يا معاذ إنك عسى ألا تلتقاني بعدَ عامي هذا ، ولعلك أن تمرَ بمسجدي هذا وقبري » .

فبكى معاذ خَشَعاً لفراق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « لا تَبْكُ يا معاذ ، لِلْبُكَاءِ أَوَانٌ ، الْبُكَاءُ مِنَ الشَّيْطَانِ » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو المغيرة ، حدثنا صفوان ، حدثنا أبو زياد يحيى بن عُبَيْد الغَسَّانِي ، عن يزيد بن قُطَيْب ، عن معاذ أنه كان يقول : بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن فقال : « لعلك أن تمرَ بقبري ومسجدي ، فقد بعثتك إلى قوم رقيقة قلوبهم يقاتلون على الحق مرتين ؛ فقاتل بمن أطاعك منهم من عصاك ، ثم يَفِيثُونَ إلى الإسلام ، حتى تبادر المرأة زوجها والولد والدَه والأخُ أخاه ، فانزل بين الحيَّين السَّكُونُ والسَّكاسِكُ » .

وهذا الحديث فيه إشارة ، ظهور وإيماء إلى أن معاذاً رضى الله عنه لا يجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك ؛ وكذلك وقع ، فإنه أقام باليمن حتى كانت حجة الوداع ، (١٣ - السيرة : ٤)

ثم كانت وفاته عليه السلام بعد أحد وثمانين يوماً من يوم الحج الأكبر .

فأما الحديث الذي قال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، عن الأعمش ، عن أبي ظبيان ، عن معاذ ، أنه لما رجع من اليمن قال : يا رسول الله رأيت رجالاً باليمن يسجد بعضهم لبعض أفلا نسجد لك ؟ قال : « لو كنت أمرُ بشراً أن يسجد لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها » .

وقد رواه أحمد عن ابن نمير ، عن الأعمش ، سمعت أبا ظبيان يحدث عن رجل من الأنصار ، عن معاذ بن جبل ، قال : أقبل معاذ من اليمن فقال : يا رسول الله إني رأيت رجالاً . فذكر معناه .

فقد دار على رجل منهم ، ومثله لا يحتاج به ، ولا سيما وقد خالفه غيره ممن يعتقد به ، فقالوا : لما قدم معاذ من الشام كذلك . رواه أحمد .

وقال أحمد : حدثنا إبراهيم بن مهدي ، حدثنا إسماعيل بن عياش ، عن عبد الرحمن بن أبي حسين ، عن شهر بن حوشب ، عن معاذ بن جبل ، قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مفاتيح الجنة شهادة أن لا إله إلا الله » .

وقال أحمد : حدثنا وكيع ، حدثنا سفيان ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن ميمون بن أبي شبيب ، عن معاذ ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : « يا معاذ أتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخارق الناس يخفق حسن » .

قال وكيع : وجدته في كتابي عن أبي ذر ، وهو السماع الأول . وقال سفيان مرة عن معاذ .

ثم قال الإمام أحمد : حدثنا إسماعيل ، عن ليث ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن ميمون بن أبي شبيب ، عن معاذ ، أنه قال : يا رسول الله أوصني . فقال : « اتق الله

حيثما كنت . قال : زِدْنِي . قال : أتبع السيئة الحسنة تمحُها . قال : زدني . قال : خالق الناس بمخلق حسن » .

وقد رواه الترمذى فى جامعه عن محمود بن غيلان ، عن وكيع ، عن سفيان الثورى به وقال : حسن .

قال شيخنا فى الأطراف : وتابعه فضيل بن سليمان ، عن ايث بن أبى سليم ، عن الأعمش عن حبيب به .

وقال أحمد : حدثنا أبو اليمان ، حدثنا إسماعيل بن عيَّاش ، عن صفوان بن عمرو ، عن عبد الرحمن بن جُبَيْر بن نُفَيْر الحضرمى ، عن معاذ بن جبل ، قال : أوصانى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعشر كلمات قال : « لا تشرك بالله شيئاً وإن قُتلتَ وحُرقت ، ولا تَعُنَّ [والديك] وإن أمراك أن تخرج من مالك وأهلك ، ولا تترك صلاة مكتوبة متعمداً ، فإن من ترك صلاة مكتوبة متعمداً فقد برئت منه ذمة الله ، ولا تشرب خمرأ فإنه رأس كل فاحشة ، وإياك والمعصية فإن بالمعصية يحل سخطُ الله ، وإياك والفرار من الزحف وإن هلك الناس ، وإذا أصاب الناس موتٌ وأنت فيهم فائت ، وأنفق على عيالك من طولك ، ولا ترفع عنهم عصاك أدباً ، وأحبهم فى الله عز وجل » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يونس ، حدثنا بَقِيَّة ، عن السَّري بن يَنْعَم ، عن ثُرَيْم ، عن مسروق ، عن معاذ بن جبل ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعثه إلى اليمن ، قال : « إياك والتَّعَنُّم فإن عبادَ الله ليسوا بالمتَّعِّمين » .

وقال أحمد : حدثنا سليمان بن داود الهاشمى ، حدثنا أبو بكر - يعنى ابن عيَّاش - حدثنا عاصم ، عن أبى وائل ، عن معاذ ، قال : بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن ،

وأمرني أن آخذ من كل حالمٍ ديناراً أو عِدْلَهُ من المَعَاوِرِ ، وأمرني أن آخذ من كل أربعين بقرة مُسَنَّةً ، ومن كل ثلاثين بقرة تَبِيعاً حَوَلياً ، وأمرني فيما سَقَت السماء العُشْر وما سَقَى بالِدٌّ وإلى نصفِ العُشْرِ » .

وقد رواه أبو داود من حديث أبي معاوية ، والنسائي من حديث محمد بن إسحاق عن الأعمش كذلك .

وقد رواه أهل السنن الأربعة من طرق ، عن الأعمش ، عن أبي وائل ، عن مسروق ، عن معاذ به .

وقال أحمد : حدثنا معاوية ، عن عمرو وهارون بن معروف ، قلا : حدثنا عبد الله ابن وهب ، عن حَيَّوَة ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن سلمة بن أسامة ، عن يحيى بن الحكم ، أن معاذاً قال : بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم أُصَدِّقُ ^(١) أهلَ اليمن ، فأمرني أن آخذ من البقرة من كل ثلاثين تَبِيعاً . قل هارون : والتببيع : الجَذَعُ أو الجَذَعَة - ومن كل أربعين مُسَنَّةً .

ففرَضُوا على أن آخذ ما بين الأربعين والخمسين وما بين الستين والسبعين وما بين الثمانين والتسعين ، فأبيتُ ذلك ، وقلت لهم : أسأل رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك .

فقدِمْتُ فأخبرت النبي صلى الله عليه وسلم فأمرني أن آخذ من كل ثلاثين تَبِيعاً ، ومن كل أربعين مُسَنَّةً ، ومن الستين تَبِيعين ، ومن السبعين مُسَنَّةً وَتَبِيعاً ، ومن الثمانين مُسَنَّتَيْنِ ، ومن التسعين ثلاثة أتباع ، ومن المائة مسنة وتبيعين ، ومن العشرة ومائة مسنتين وتبيعاً ، ومن العشرين ومائة ثلاث مُسَنَّات أو أربعة أتباع .

قال : وأمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا آخذ في بين ذلك شيئاً .

(١) أُصَدِّقُ : أجمع صدقاتهم .

إلا أن يبلغ مُسِنَّةً أو جَدْعًا . وزعم أن الأوقاص^(١) لإفريضة فيها .

وهذا من أفراد أحد ، وفيه دلالة على أنه قدِمَ بعد مَصيره إلى اليمين على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

والصحيح أنه لم يرَ النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك كما تقدم في الحديث .
وقد قال عبد الرزاق : أنبأنا مَعْمَر ، عن الزهري ، عن أبي بن كعب بن مالك ، قال : كان معاذ بن جبل شابا جميلا سَمُحًا من خير شبابِ قومه ، لا يُسأل شيئًا إلا أعطاه ، حتى كان عليه دَيْنٌ أغلقَ ماله ، فسكَّم رسول الله في أن يكلمَ غرماءه . ففعل ، فلم يضعوا له شيئًا ، فلو ترك لأحد بكلام أحد لترك لمعاذ بكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال : فدعاه رسول الله فلم يَبْرَحْ أن باع ماله وقَسَمه بين غرمائه . قال : فقام معاذ ولا مال له .

قال : فلما حجَّ رسول الله بعث معاذًا إلى اليمين ، قال : فكان أول من تَجَرَّ في هذا المال معاذٌ .

قال : فقدم على أبي بكر الصديق من اليمين وقد توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء عمر فقال : هل لك أن تطيعني فتدفع هذا المال إلى أبي بكر ، فإن أعطاكه فاقبله ؟ قال : فقال معاذٌ : لن^(٢) أدفعه إليه ، وإنما بعثني رسول الله لِيَجْبُرَنِي .

فلما أبى عليه انطلق عمر إلى أبي بكر ، فقال : أرسل إلى هذا الرجل نخذ منه ودَعْ له . فقال أبو بكر : ما كنت لأفعل ، إنما بعثه رسول الله لِيَجْبُرَهُ ، فلست آخذ منه شيئًا .

(١) الأوقاص : ما بين الفريضتين في الزكاة . (٢) الأصل : لم .

قال : فلما أصبح معاذ انطلق إلى عمر فقال : ما أراى إلا فاعلَ الذى قلتَ ، إني رأيتنى البارحةَ فى النوم - فيما يحسب عبد الرزاق قال - أُجرُ إلى النار وأنت آخذٌ بِحُجْرَتِي^(١) .

قال : فانطلق إلى أبى بكر بكل شىء جاء به ، حتى جاءه بسوطه وحلف له أنه لم يكتمه شيئاً . قال فقال أبو بكر رضى الله عنه : هو لك لا آخذ منه شيئاً .

وقد رواه أبو ثور ، عن معمر ، عن الزهرى ، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك ، فذكره إلا أنه قال : حتى إذا كان عام فتح مكة بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم على طائفة من اليمين أميراً ، فسكت حتى قبض رسول الله ، ثم قدم فى خلافة أبى بكر وخرج إلى الشام .

قال البيهقى : وقد قدمنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استخلفه بمكة مع عتّاب ابن أسيد ليعلم أهلها ، وأنه شهد غزوة تبوك ؛ فلأشبهه أن بعثه إلى اليمين كان بعد ذلك . والله أعلم .

ثم ذكر البيهقى لقصة منام معاذ شاهداً من طريق الأعمش ، عن أبى وائل ، عن عبد الله ، وأنه كان من جملة ما جاء به عميدفانى بهم أبى بكر ، فلما ردّ الجميع عليه رجع بهم ثم قام يصلى فقاموا كلهم يصلون معه . فلما انصرف قال : لمن صليتم ؟ قالوا : لله . قال : فأنتم له عتقاء . فأعتقهم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن أبى عون ، عن الحارث ابن عمرو ابن أخى المغيرة بن شعبة ، عن ناس من أصحاب معاذ من أهل حمص ، عن معاذ ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بعثه إلى اليمين قال : كيف تصنع إن عرض لك قضاء ؟ قال : أقضى بما فى كتاب الله .

قال : فإن لم يكن في كتاب الله ؟ قال : فبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .
قال : فإن لم يكن في سنة رسول الله ؟ قال : أجتهد وإنى لا آلو .
قال : فضرب رسول الله صدرى ثم قال : « الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله
لما يرضى رسول الله » .

وقد رواه أحمد عن وكيع ، عن عَفَّان ، عن شعبة بإسناده ونفذه .
وأخرجه أبو داود والترمذى من حديث شعبة به ، وقال الترمذى : لا نعرفه إلا من
هذا الوجه وليس إسناده عندى بمتصل .

وقد رواه ابن ماجه من وجه آخر عنه ، إلا أنه من طريق محمد بن سعد بن حسان
— وهو المصلوب أحد الكذابين — عن عبادة بن نسي^(١) ، عن عبد الرحمن بن غنم ،
عن معاذ به نحوه .

وقد روى الإمام أحمد ، عن محمد بن جعفر ويحيى بن سعيد ، عن شعبة ، عن عمرو
ابن أبي حكيم ، عن عبد الله بن بُريدة ، عن يحيى بن معمر ، عن أبي الأسود الدبلى قال :
كان معاذ باليمن فارتفعوا إليه في يهودى مات وترك أخا مسلما .

فقال معاذ : إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن الإسلام يزيد
ولا ينقص » فورثه .

ورواه أبو داود من حديث ابن بُريدة به .
وقد حُكي هذا المذهب عن معاوية بن أبي سفيان وراويه^(٢) يحيى بن معمر القاضى
وطائفة من السلف ، وإليه ذهب إسحاق بن راهويه .

وخالفهم الجمهور ، ومنهم الأئمة الأربعة وأصحابهم ، محتجّين بما ثبت في الصحيحين

(١) هو عبادة بن نسي السكندى ، قاضى طبرية توفى سنة ١١٨ . تهذيب التهذيب ١١٤/٥

(٢) غير ١ : ورواه عن .

عن أسامة بن زيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يرثُ الكافرُ المسلمَ ولا المسلمُ الكافرَ » .

والمقصود أن معاذاً رضى الله عنه كان قاضياً للنبي صلى الله عليه وسلم باليمن وحاكماً في الحروب ، ومصدّقاً إليه تدفع الصدقات ، كما دلّ عليه حديثُ ابن عباس المتقدم . وقد كان بارزاً للناس يصلّي بهم الصلوات الخمس ، كما قال البخارى : حدثنا سليمان ابن حرب حدثنا شعبة ، عن حبيب بن أبى ثابت ، عن سعيد بن جبير ، عن عمرو بن ميمون ، أن معاذاً لما قدم اليمن صلى بهم الصبح فقرأ : « واتخذ الله إبراهيم خليلاً » فقال رجل من القوم : لقد قرأت عين أمّ إبراهيم !

انفرد به البخارى .

ثم قال البخارى :

باب بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَخَالِدَ بْنِ الْوَلِيدِ

إِلَى الْيَمَنِ قَبْلَ حِجَّةِ الْوَدَاعِ

حدثنا أحمد بن عثمان ، حدثنا شُرَيْحُ بْنُ مَسْلَمَةَ ، حدثنا إبراهيم بن يوسف بن أبي إسحاق ، حدثني أبي ، عن أبي إسحاق ، سمعت البراء بن عازب قال : بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم مع خالد بن الوليد إلى اليمن ، قال : ثم بعث علياً بعد ذلك مكانه قال : مرّ أصحاب خالد من شاء منهم أن يعقب معك فليعقب ، ومن شاء فليقبل . فكنت فيمن عَقَّبَ معه . قال : ففغنمت أواق ذات عدد .

انفرد به البخاري من هذا الوجه .

ثم قال البخاري : حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا روح بن عبادة ، حدثنا علي بن سويد ابن منجوف ، عن عبد الله بن بُرَيْدَةَ ، عن أبيه ، قال : بعث النبي صلى الله عليه وسلم علياً إلى خالد بن الوليد ليقبض الخمس ، وكنت أبغض علياً فأصبح وقد اغتسل ، فقلت لخالد : ألا ترى إلى هذا ؟

فلما قدمنا على النبي صلى الله عليه وسلم ذكرتُ ذلك له فقال : « يا بُرَيْدَةُ تُبَغِّضُ ^(١) علياً ؟ » فقلت : نعم . فقال : « لا تبغضه فإن له في الخمس أكثر من ذلك » .

انفرد به البخاري دون مسلم من هذا الوجه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن سعيد ، حدثنا عبد الجليل ، قال : انتهيت إلى حلقة فيها أبو جحْزَلْ وابْنُ بُرَيْدَةَ ، فقال عبد الله بن بُرَيْدَةَ : حدثني أبي بُرَيْدَةُ قال : أَبْغَضْتُ علياً بغضاً لم أبغضه أحداً قط ، قال : وأحببت رجلاً من قريش لم أحبه إلا على بغضه علياً .

قال : فبمث ذلك الرجل على خيل ، فصحبته ما أصبح به إلا على بغضه علياً . قال :

(١) البخاري : أبغض .

فأصبنا سَبِيًّا قال: فكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: ابعث إلينا من يَحْمُسُه. قال: فبعث إلينا عليًّا وفي السَّبْيِ وصيفة من أفضل السَّبْيِ .

قال: نَحْمُسُ وقسم نخرج ورأسه يَقْطُرُ ، فقلنا: يا أبا الحسن ما هذا؟ فقال: ألم تروا إلى الوصيفة التي كانت في السَّبْيِ ، فإني قَسِمْتُ وَخَسَمْتُ فصارت في الخُمس ، ثم صارت في أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم صارت في آل عليٍّ ووقعتُ بها .

قال: فكتب الرجل إلى نبي الله صلى الله عليه وسلم . فقلت: ابعتني . فبعثنِي مصدِّقًا . قال: فجملت أقرأ الكتاب وأقول: صدَّق . قال: فأمسك يدي والكتاب فقال: « أَتُبْغِضُ عليًّا؟ » قال: قلت: نعم . قال: « فلا تبغضه ، وإن كنت تحبه فازدِّدْ له حبًّا ، فوالذي نفس محمد بيده لَنَصِيبُ آل عليٍّ^(١) في الخمس أفضلُ من وصيفة » .

قال: فما كان من الناس أحدٌ بعد قول النبي صلى الله عليه وسلم أحبَّ إلى من عليٍّ .

قال عبد الله بن بُريدة: فوالذي لا إله غيره ما بيني وبين النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث غير أبي بُريدة .

تفرد به بهذا السياق عبد الجليل بن عطية المقيي أبو صالح البصري ، وثقه ابن معين وابن حبان . وقال البخاري: إنما يُتهم في الشيء بعد الشيء .

وقال محمد بن إسحاق: حدثنا أبان بن صالح ، عن عبد الله بن نيار الأسلمي ، عن خاله عمرو بن شأس الأسلمي ، وكان من أصحاب الحديبية ، قال: كنت مع علي بن أبي طالب في خيله التي بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن ، فجفأني على بعض الجفاء ، فوجدتُ في نفسي عليه .

(١) ت: آل محمد .

فلما قدّمت المدينة اشتدّ كَيْتُهُ فِي مَجَالِسِ الْمَدِينَةِ وَعِنْدَ مَنْ لَقِيَتْهُ ، فَأَقْبَلْتُ يَوْمًا وَرَسُولُ اللَّهِ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ ، فَلَمَّا رَأَيْتِي أَنْظُرَ إِلَى عَيْنِيهِ نَظَرَ إِلَيَّ حَتَّى جَلَسْتُ إِلَيْهِ ، فَلَمَّا جَلَسْتُ إِلَيْهِ قَالَ : « إِنَّهُ وَاللَّهِ يَأْمُرُونَ بِنَاسٍ لَقَدْ آذَيْتَنِي » فَقُلْتُ : إِنَّا اللَّهُ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ! أَعُوذُ بِاللَّهِ وَالْإِسْلَامِ أَنْ أُوْذِيَ رَسُولُ اللَّهِ . فَقَالَ : « مَنْ آذَى عَلِيًّا فَقَدْ آذَانِي » .

وَقَدْ رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ مِنْ وَجْهِ آخَرَ ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ ، عَنْ أَبِي بَانَ بْنِ الْفَضْلِ بْنِ مَعْقِلٍ ابْنِ سِنَانٍ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نِيَّارٍ ، عَنْ خَالِهِ عَمْرِو بْنِ شَاسٍ . فَذَكَرَهُ بِمَعْنَاهُ .

وَقَالَ الْحَافِظُ الْبَيْهَقِيُّ : أَنْبَأَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْحَافِظُ ، أَنْبَأَنَا أَبُو إِسْحَاقَ الْمَرْكُزِيُّ ، حَدَّثَنَا عُبَيْدَةُ بْنُ أَبِي السَّفَرِ ، سَمِعْتُ إِبْرَاهِيمَ بْنَ يُونُسَ بْنِ أَبِي إِسْحَاقَ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ ، عَنْ الْبَرَاءِ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ إِلَى أَهْلِ الْيَمَنِ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ .

قَالَ الْبَرَاءُ : فَكُنْتُ فِيمَنْ خَرَجَ مَعَ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ ، فَأَقْبَلْنَا سِتَّةَ أَشْهُرٍ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ ، فَلَمْ يَجِيبُوهُ ، ثُمَّ إِذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَأَمَرَهُ أَنْ يَقْبَلَ خَالِدًا ، إِلَّا رَجُلًا كَانَ مَعَ خَالِدٍ فَأَحَبَّ أَنْ يُعَقَّبَ مَعَ عَلِيٍّ فَلِيُعَقَّبَ مَعَهُ .

قَالَ الْبَرَاءُ : فَكُنْتُ فِيمَنْ عَقَبَ مَعَ عَلِيٍّ ، فَلَمَّا دَنَوْنَا مِنَ الْقَوْمِ خَرَجُوا إِلَيْنَا ، ثُمَّ تَقَدَّمَ بَنُو فَصْلٍ بَنُو عَلِيٍّ ، ثُمَّ صَفَّيْنَا صَفًّا وَاحِدًا ، ثُمَّ تَقَدَّمَ بَيْنَ أَيْدِينَا وَقَرَأَ عَلَيْهِمْ كِتَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَسْلَمْتُ هَمْدَانُ جَمِيعًا ، فَكُتِبَ عَلَيَّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِإِسْلَامِهِمْ ، فَلَمَّا قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْكِتَابَ خَرَّ سَاجِدًا ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ : « السَّلَامُ عَلَى هَمْدَانَ السَّلَامُ عَلَى هَمْدَانَ » .

قال البيهقي : رواه البخارى مختصراً من وجه آخر عن إبراهيم بن يوسف .

وقال البيهقي : أنبأنا أبو الحسين محمد بن الفضل القطان ، أنبأنا أبو سهل بن زياد القطان ، حدثنا إسماعيل بن أبي أويس ، حدثني أخى ، عن سليمان بن بلال ، عن سعد بن إسحاق بن كعب بن عُجْرة ، عن عمته زينب بنت كعب بن عُجْرة ، عن أبي سعيد الخدرى ، أنه قال : بعث رسول الله على بن أبي طالب إلى اليمن .

قال أبو سعيد : فكنت فيمن خرج معه ، فلما أخذ من إبل الصدقة سألناه أن نركب منها ونريح إبلنا - وكنا قد رأينا في إبلنا خلا - فأنى علينا وقال : إنما لكم فيها سهمكم كما للمسلمين .

قال : فلما فرغ على وانطلق من اليمن راجعاً أمر علينا إنسانا ، وأمرع هو وأدرك الحج ، فلما قضى حجته قال له النبي صلى الله عليه وسلم : « ارجع إلى أصحابك حتى تقدم عليهم » .

قال أبو سعيد : وقد كنا سألنا الذى استخلفه ما كان على منعمنا إياه ففعل ، فلما عرف في إبل الصدقة أنها قد رُكبت ، ورأى أثر الركب قدّم الذى أمره ولامه .

فقلت : أما إن الله على لئن قدمت المدينة لأذكرن رسول الله ولأخبرنه ما لقينا من الغيلة والتصديق .

قال : فلما قدمنا المدينة غدوت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أريد أن أفعل ما كنت حلفت عليه ، فلقيت أبا بكر خارجاً من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رأيته وقف معى ورحب بى وسألتنى وسأله . وقال : متى قدمت ؟ فقلت قدمت ، البارحة . فرجع معى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدخل وقال : هذا سعد بن مالك بن الشهيد ، فقال : ائذن له .

فدخلت فحييت رسول الله وحياني ، وأقبل عليّ وساءلني عن نفسي وأهلي وأخفي
المسألة ، فقلت : يا رسول الله ما لقينا من عليّ من الغلظة وسوء الصُّحبة والتضييق .

فاتّأد رسولُ الله ، وجعلت أنا أعدّد ما لقينا منه ، حتى إذا كنت في وسط كلامي
ضرب رسول الله عليّ نخذي ، وكنت منه قريباً ، وقال : « يا سعد بن مالك بن الشهيد ،
مَهْ بعضَ قولك لأخيك عليّ ، فوالله لقد علمت أنه أَخْشَنُ في سبيل الله » . قال :
فقلت في نفسي : ثكلتك أمك سعد بن مالك ، ألا أراني كنت فيما يكره منذ اليوم
ولا أدري ؟ ! لا جرم والله لا أذّكره بسوء أبداً . را ولا علانية .

وهذا إسناد جيد على شرط النسائي ولم يروه أحد من أصحاب الكتب الستة .

وقد قال بونس عن محمد بن إسحاق : حدثني يحيى بن عبد الله بن أبي عمر ، عن
يزيد بن طلحة بن يزيد بن رُكّانة قال : إنما وجدَ جيشُ عليّ بن طالب الذين كانوا
معه باليمن ، لأنهم حين أقبلوا خلفَ عليهم رجلاً وتعجّل إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم .

قال : فعمد الرجل فكسا كلَّ رجل حُلّةً ، فلما دنّوا خرج عليهم عليٌّ يستقبلهم ،
فإذا عليهم الحلل . قال عليّ : ما هذا ؟ قالوا : كسانا فلان : قال : فما دعاك إلى هذا قبل
أن تقدّم علي رسول الله فيصنع ما شاء ؟ فنزع الحلل منهم .

فلما قدموا على رسول الله اشتكوه لذلك ، وكانوا قد صالحوا رسول الله ، وإِما
بعث عليّاً إلى جزية موضوعة .

قلت : هذا السياق أقرب من سياق البيهقي .

وذلك أن عليّاً سبقهم لأجل الحج وساق معه هدياً وأهلّ بإهلال النبي

صلى الله عليه وسلم ، فأمره أن يمكث حراماً . وفي رواية البراء بن عازب أنه قال : له إنى سُنْتُ الهدى وقرنتُ .

والمقصود أن علياً لما كثُر فيه القيل والقال من ذلك الجيش بسبب منعه إياهم استعمال إبل الصدقة واسترجاعه منهم الحلال التى أطلقها لهم نائبه ، وعلىٌ معذور فيما فعل لكن اشتهر الكلام فيه فى الصحيح ، فلذلك - والله أعلم - لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من حجته وتفرغ من مناسكه ورجع إلى المدينة فرَّ بِغَدِيرِ خُمٍّ قام فى الناس خطيباً فبراً ساحةً على ورفع من قدره وثبَّه على فضله ، ليزيل ما وقرَّ فى نفوس كثير من الناس . وسيأتى هذا مفصلاً فى موضعه إن شاء الله . وبه الثقة .

وقال البخارى : حدثنا قتيبة ، حدثنا عبد الواحد ، عن عمارة بن القعقاع بن شبرمة ، حدثنى عبد الرحمن بن أبى نُعم ، سمعت أبا سعيد الخدرى يقول : بعث على بن أبى طالب إلى النبى صلى الله عليه وسلم من اليمين بذهبية فى أديم مقروظ لم تُحصَلْ^(١) من ترابها .

قال : فقسمها بين أربعة ؛ بين عُيَيْنَةَ بن بدر ، والأقرع بن حابس ، وزيد الخيل ، والرابع إما علقمة بن علاثة وإما عامر بن الطفيل .

فقال رجل من أصحابه : كفا نحن بهذا من هؤلاء . فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فقال : « ألا تأمنونى ؟ وأنا أمينٌ من فى السماء يأتينى خبر السماء صباحاً ومساءً » .

قال : فقام رجل غائر العينين مُشْرِفُ الوَجْنتين ناشِزُ الجبهة كَثَّ اللحية مخلوق

(١) الذهبية : القطعة من الذهب . والمقروظ : المدبوغ . وتُحصَل : تخلص .

الرأس مشعر الإزار فقال : يا رسول الله اتق الله . فقال : ويلك أو لست أحق الناس أن يتقى الله . قال : ثم ولى الرجل .

قال خالد بن الوليد : يا رسول الله ألا أضرب عنقه ؟ قال : لا لعله أن يكون يصلّى . قال خالد : وكم من مُصلٍّ يقول بلسانه ما ليس في قلبه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إني لم أؤمر أن أنقب عن قلوب الناس ولا أشق بطونهم .

قال ثم نظر إليه وهو مُقف فقال : « إنه يخرج من ضِئفى^(١) هذا قوم يتلون كتاب الله رطباً لا يجاوز حناجرهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية » — أظنه قال : لن أدر كتهم لأقتلهم قتلَ ثمود .

وقد رواه البخارى فى مواضع آخر من كتابه ، ومسلم فى كتاب الزكاة من صحيحه من طرق متعددة إلى عمارة بن القعقاع به .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يحيى ، عن الأعمش ، عن عمرو بن مرة ، عن أبى البختري ، عن على ، قال : بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن وأنا حديث السن .

قال : فقلت : تبعثنى إلى قوم يكون بينهم أحداث ولا علم لى بالقضاء ؟ قال : « إن الله سيهدى لسانك ويثبت قلبك » قال : فما شككتُ فى قضاء بين اثنين . ورواه ابن ماجه من حديث الأعمش به .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أسود بن عامر ، حدثنا شريك ، عن سمالك ، عن حنشل ، عن على ، قال : بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن . قال فقلت : يا رسول الله تبعثنى إلى قوم أسنّ منّى وأنا حدث لا أبصر القضاء ؟

(١) الضئفى : الأصل .

قال فوضع يده على صدرى وقال : « اللهم ثبّت لسانه واهد قلبه ، يا على إذا جلس إليك الخصمان فلا تقض بينهما حتى تسمع من الآخر ما سمعت من الأول ، فإنك إذا فعلت ذلك تبين لك » .

قال : فما اختلف على قضاء بعدُ - أو ما أشكل على قضاء بعد .

ورواه أحمد أيضا وأبو داود من طرق ، عن شريك ، والترمذى من حديث زائدة كلاهما عن سَمَاك بن حَرْب ، عن حَنَش بن العتمر ، وقيل ابن ربيعة الكنانى الكوفى ، عن على به .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سفيان بن عيينة ، عن الأجلح ، عن الشعبي ، عن عبد الله ابن أبي الخليل ، عن زيد بن أرقم ، أن نفراً وطئوا امرأة في طهر ، فقال على لائنين : أنطيان نفسا لذا ^(١) ؟ فقالا لا . فأقبل على الآخرى فقال : أنطيان نفسا لذا ؟ فقالا لا . فقال : أنتم شركاء متشاكسون .

فقال : إني مُقرع بينكم ، فأبكم قرع أغرمته ثاى الدية وألزمته الولد .

قال : فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال : لا أعلم إلا ما قال على .

وقال أحمد : حدثنا شُرَيْح بن النعمان ، حدثنا هُشَيْم ، أنبأنا الأجلح ، عن الشعبي ، عن أبي الخليل ، عن زيد بن أرقم ، أن علياً أتى في ثلاثة نفر إذ كان في اليمن اشتروا في ولد ، فأقرع بينهم فضمّن الذى أصابته القرعة ثاى الدية وجعل الولد له .

قال زيد بن أرقم : فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته بقضاء على ، فضحك حتى بدت نواجذه .

ورواه أبو داود عن مُسَدَّد ، عن يحيى القطان ، والنسائي عن على بن حُجْر ،

عن علي بن مُسهر ، كلاهما عن الأجلح بن عبد الله ، عن عامر الشعبي ، عن عبد الله بن الخليل .

وقال النسائي في رواية عبد الله بن أبي الخليل عن زيد بن أرقم . قال : كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم فجاء رجل من أهل اليمن فقال : إن ثلاثة نفر أتوا علياً يختصمون في ولد وقعوا على امرأة في طهر واحد . فذكر نحو ما تقدم . وقال : فضحك النبي صلى الله عليه وسلم .

وقد روياه — أعني أبا دواد والنسائي — من حديث شعبة ، عن سلمة بن كهيل ، عن الشعبي ، عن أبي الخليل أو ابن الخليل ، عن علي بن أبي حمزة . فأرسله ولم يرفعه .

وقد رواه الإمام أحمد أيضاً ، عن عبد الرزاق ، عن سفيان الثوري ، عن الأجلح ، عن الشعبي ، عن عبد خير ، عن زيد بن أرقم . فذكر نحو ما تقدم .

وأخرجه أبو داود والنسائي جميعاً عن حنّس بن أصرم ، وابن ماجه عن إسحاق ابن منصور ، كلاهما عن عبد الرزاق ، عن سفيان الثوري ، عن صالح الهمداني ، عن الشعبي ، عن عبد خير ، عن زيد بن أرقم به ..

قال شيخنا في الأطراف : لعل عبد خير هذا هو عبد الله بن الخليل ولكن لم يضبط الراوى اسمه .

قلت : فعلى هذا يقرّوى الحديث وإن كان غيره كان أجوداً لمتابعتيه له ، لكن الأجلح ابن عبد الله الكندي فيه كلام ما .

وقد ذهب إلى القول بالقرعة في الأنساب الإمام أحمد وهو من أفراد .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو سعيد ، حدثنا إسرائيل ، حدثنا سيمك ، عن حنّس ،

عن علي قال : بعثنى رسول الله إلى اليمن فأنهيناهم إلى قوم قد بنوا زُبَيْة^(١) للأسد ،
فبينما هم كذلك يتدافعون إذ سقط رجل فتملّق بأخر ، ثم تملّق آخر^(٢) بأخر حتى صاروا
فيها أربعة ، فجرّحهم الأسد ، فانتدب له رجل بحربة فقتله وماتوا من جراحتهم كلهم .
فقام أولياء الأول إلى أولياء الآخر فأخرجوا السلاح ليقتتلوا ، فأتاهم عليّ على تعبئة
ذلك ، فقال : تريدون أن تقاتلوا ورسول الله صلى الله عليه وسلم حيّ ! إني أقضى بينكم
قضاء إن رضيتم فهو القضاء وإلا حَجَزَ بعضكم عن بعض حتى تأتوا النبيّ صلى الله عليه
وسلم فيكون هو الذي يقضى بينكم ، فمن عدّا بعد ذلك فلا حقّ له .

اجمعوا من قبائل الذين حفروا البئر ربع الدية وثلث الدية ونصف الدية
والدية كاملة ، فلأول الربع لأنه هلك ، والثاني ثلث الدية ، والثالث نصف الدية ،
والرابع الدية .

فأبوا أن يرضوا فأتوا النبيّ صلى الله عليه وسلم وهو عند مقام إبراهيم ، فقصّوا
عليه القصة . فقال : أنا أحكم بينكم . فقال رجل من القوم : يا رسول الله إن عليّاً قضى
فلينا . فقصوا عليه القصة فأجازها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم رواه الإمام أحمد أيضا عن وكيع ، عن حماد بن سلمة ، عن سِمَاك بن حرب ،
عن حَنَش ، عن علي . فذكره .

كتاب حجة الوداع في سنة عشر

ويقال لها حجة البلاغ ، وحجة الإسلام ، وحجة الوداع

لأنه عليه الصلاة والسلام ودّع الناس فيها ولم يحج بعدها . وسميت حجة الإسلام لأنه عليه السلام لم يحج من المدينة غيرها ، ولكن حج قبل الهجرة مرات قبل النبوة وبعدها .

وقد قيل إن فريضة الحج نزلت عامئذ ، وقيل سنة تسع . وقيل سنة ست . وقيل قبل الهجرة وهو غريب .

وسميت حجة البلاغ لأنه عليه السلام بلغ الناس شرع الله في الحج قولاً وفعلاً ، ولم يكن بقي من دعائم الإسلام وقواعده شيء إلا وقد بينه عليه السلام ، فلما بين لهم شريعة الحج ووضّحه وشرحه أنزل الله عز وجل عليه وهو واقف بعرفة : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً » ^(١) . وسيأتى إيضاح هذا كله .

والمقصود ذكر حجّته عليه السلام كيف كانت ، فإن النقلة اختلفوا فيها اختلافاً كثيراً جداً ، بحسب ما وصل إلى كل منهم من العلم ، وتفاوتوا في ذلك تفاوتاً كثيراً لا سيما من بعد الصحابة رضى الله عنهم .

ونحن نورد بحمد الله وعونه وحسن توفيقه ما ذكره الأئمة في كتبهم من هذه الروايات ، ونجمع بينها جمعاً يُشلج قلب من تأمله وأنعم النظر فيه وجمع بين طريقي الحديث وفهم معانيه إن شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان .

وقد اعتنى الناس بحجة رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتناءً كثيراً من قدماء الأئمة ومأخريهم .

وقد صنّف العلامة أبو محمد بن حَزْم الأندلسي رحمه الله مجلداً في حجة الوداع أجاد في أكثره ، ووقع له فيه أوهام سنّبه عليها في مواضعها . وبالله المستعان .

باب

بيان أنه عليه السلام لم يحج من المدينة إلا حجة واحدة
وأنه اعتمر قبلها ثلاثَ عمرٍ

كما رواه البخاري ومسلم عن هُدَبة ، عن همام ، عن قتادة ، عن أنس ، قال : اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعَ عمرٍ كلهن في ذى القعدة إلا التي في حجته . الحديث وقد رواه يونس بن بُكَيْر ، عن عمر بن ذر ، عن مجاهد ، عن أبي هريرة مثله . وقال سعد بن منصور عن الدَّرَاوَردي ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثَ عمرٍ : عمرة في شوال ، وعمرتين في ذى القعدة .

وكذا رواه ابن بكير عن مالك ، عن هشام بن عروة .
وروى الإمام أحمد من حديث عمرو بن شعيب ، عن أبيه عن جده ، أن رسول الله اعتمر ثلاثَ عمرٍ كلهن في ذى القعدة .

وقال أحمد : حدثنا أبو النضر ، حدثنا داود - يعني العطار - عن عمرو ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال اعتمر رسول الله أربعَ عمرٍ : عمرة الحديبية وعمرة القضاء والثالثة من الجعرانة والرابعة التي مع حجته .

ورواه أبو داود والترمذي والنسائي من حديث داود العطار وحسنه رمزي .

وقد تقدم هذا الفصل عند عمرة الجعرانة . وسيأتى فى فصل من قال إنه عليه السلام حج قارناً وبالله المستعان .

فالأولى من هذه العُمر : عمرة الحديبية التى صُدَّ عنها . ثم بعدها عمرة القضاء ويقال بل عمرة القِصاص ، ويقال عمرة القِضَّة . ثم بعدها عمرة الجعرانة مَرَجَعَهُ مِنْ الطائف ، حين قسم غنائم حنين . وقد قدمنا ذلك كله فى مواضعه . والرابعة عمرته مع حجته .

وسنين اختلاف الناس فى عمرته هذه مع الحجة ، هل كان مُتَمَتِّعاً ، بأن أوقع العمرة قبل الحجة وحلَّ منها ، أو منعه من الإحلال منها سَوَقَهُ الْهُدَى ، أو كان قارناً لها مع الحجة . كما نذكره من الأحاديث الدالة على ذلك ، أو كان مُفَرِّداً لها عن الحجة ، بأن أوقعها بعد قضاء الحجة . قال : وهذا هو الذى يقوله من يقول بالإفراد كما هو المشهور عن الشافعى .

وسياتى بيان هذا عند ذكرنا إحرامه صلى الله عليه وسلم كيف كان مفرداً أو مُتَمَتِّعاً أو قارناً .

قال البخارى : حدثنا عمرو بن خالد ، حدثنا زهير ، حدثنا أبو إسحاق ، حدثني زيد بن أرقم ، أن النبي صلى الله عليه وسلم غزا تسع عشرة غزوة ، وأنه حجَّ بعد ما هاجر حجةً واحدة .

قال أبو إسحاق : وبمكة أخرى .

وقد رواه مسلم من حديث زهير ، وأخرجه من حديث شعبة . زاد البخارى وإسرائيل ثلاثتهم عن أبى إسحاق عمرو بن عبد الله السبيعى ، عن زيد به . وهذا الذى قال أبو إسحاق من أنه عليه السلام حج بمكة حجةً أخرى ، إن أراد أنه

لم يقع منه بمكة إلا حجة واحدة كما هو ظاهر لفظه ، فهو بعيد .

فإنه عليه السلام كان بعد الرسالة يحضر مواسم الحج ويدعو الناس إلى الله ويقول :
« مَنْ رَجُلٌ يُؤْوِيَنِي حَتَّى أَبْلُغَ كَلَامَ رَبِّي ، فَإِنْ قَرِيشًا قَدْ مَنَعُونِي أَنْ أَبْلُغَ كَلَامَ رَبِّي
عَزَّوَجَلَّ » .

حتى قبض الله له جماعة الأنصار يلتقونه ليلة العقبة ، أى عشية يوم النحر عند
بحر العقبة ثلاث سنين متتاليات ، حتى إذا كانوا آخر سنة بابعوه ليلة العقبة الثانية ، وهي
ثالث اجتماعهم به ، ثم كانت بعدها الهجرة إلى المدينة . كما قدمنا ذلك مبسوطا في
موضعه . والله أعلم .

وفي حديث جعفر بن محمد بن علي بن الحسين ، عن أبيه ، عن جابر بن عبد الله ،
قال : أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة تسع سنين لم يحج ، ثم أذن في الناس
بالحج ، فاجتمع بالمدينة بشر كثير ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لخمس بقين من
ذي القعدة أو لأربع ، فلما كان بذي الحليفة صلى ثم استوى على راحلته ، فلما أخذت به
في البداء لبى وأهللنا لا ننوى إلا الحج .

وسياتى الحديث بطوله . وهو في صحيح مسلم ، وهذا لفظ البيهقي من طريق أحمد بن
حنبل ، عن إبراهيم بن طهمان ، عن جعفر بن محمد به .

باب

تاريخ خروجه عليه السلام من المدينة لحجة الوداع
بعد ما استعمل عليها أبا دُجَانَةَ سِمَاك بن خَرْشَةَ الساعدي
ويقال سَبَاع بن عُرْفُطَةَ الْفِقَارِي
حكاهما عبد الملك بن هشام

قال محمد بن إسحاق : فلما دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ذو القعدة من
سنه عشر تجهز للحج ، وأمر الناس بالجهاز له .

حدثني عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه القاسم بن محمد ، عن عائشة زوج النبي صلى الله
عليه وسلم قالت : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحج ثلث ليل بقين من
ذى القعدة .

وهذا إسناد جيد .

ورواه الإمام مالك في موطئه ، عن يحيى بن سعيد الأنصارى ، عن عمرة ، عن
عائشة ، ورواه الإمام أحمد عن عبد الله بن زُمَيْر ، عن يحيى بن سعيد الأنصارى ، عن
عمرة عنها .

وهو ثابت في الصحيحين وسنن النسائي وابن ماجه ومصنف ابن أبي شيبة ، من
طرق ، عن يحيى بن سعيد الأنصارى ، عن عمرة ، عن عائشة ، قالت : خرجنا مع
رسول الله ثلث بقين من ذى القعدة لا نرى إلا الحج . الحديث بطوله كما سيأتى .

وقال البخارى : حدثنا محمد بن أبي بكر المقدمي ، حدثنا فضيل بن سليمان ، حدثنا
موسى بن عُقبة ، أخبرني كريب عن ابن عباس ، قال : انطلق النبي صلى الله عليه وسلم

من المدينة بعد ما ترجل وأدهن ولبس إزاره ورداءه ، ولم يَنْهَ عن شيء من الأُردية ولا الأُزُر إلا المِزْعَفَةَ التي تَرْدَعُ^(١) على الجِلْدِ ، فأصبح بذى الحليفة ، ركب راحلته حتى استوى على البيداء ، وذلك لخمس بقين من ذى القعدة ، فقدم مكة لخمس خلون من ذى الحجة .

تفرَّد به البخارى .

فقوله : « وذلك لخمس بقين من ذى القعدة » إن أراد به صبيحة يومه بذى الحليفة صح قول ابن حزم فى دعواه أنه عليه السلام خرج من المدينة يوم الخميس وبات بذى الحليفة ليلة الجمعة . وأصبح بها يوم الجمعة ، وهو اليوم الخامس والعشرون من ذى القعدة .

وإن أراد ابن عباس بقوله « وذلك لخمس من ذى القعدة » يومَ انطلاقه عليه السلام من المدينة بعدما ترجل وأدهن ولبس إزاره ورداءه ، كما قالت عائشة وجابر أنهم خرجوا من المدينة لخمس بقين من ذى القعدة ، بعد قول ابن حزم وتعدُّر المصير إليه وتعيين القول بغيره ، ولم ينطبق ذلك إلا على يوم الجمعة ، إن كان شهر ذى القعدة كاملاً .

ولا يجوز أن يكون خروجه عليه السلام من المدينة كان يوم الجمعة ، لما رواه البخارى : حدثنا موسى بن اسماعيل ، حدثنا وهيب ، حدثنا أيوب ، عن أبي قلابة ، عن أنس ابن مالك ، قال : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن معه الظهر بالمدينة أربعاً والعصر بذى الحليفة ركعتين ، ثم بات بها حتى أصبح ثم ركب حتى استوت به راحلته على البيداء ، حمد الله عز وجل وسبح [وكبَّر]^(٢) ثم أهلَّ بحج وعمره .

وقد رواه مسلم والنسائى جميعاً ، عن قتيبة ، عن حماد بن زيد ، عن أيوب ، عن

(٢) من البخارى .

(١) تردع : تغيّر اللون إلى الصفرة .

أبى قلابة ، عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الظهر بالمدينة أربعا والعصر بذى الحليفة ركعتين .

وقال أحمد : حدثنا عبد الرحمن ، عن سفيان ، عن محمد - يعنى ابن المنكدر - وإبراهيم بن ميسرة ، عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الظهر بالمدينة أربعا والعصر بذى الحليفة ركعتين .

ورواه البخارى عن أبى نعيم ، عن سفيان - هو الثورى - به ، وأخرجه مسلم وأبو داود والنسائى من حديث سفيان بن عيينة ، عن محمد بن المنكدر وإبراهيم بن ميسرة عن أنس به .

وقال أحمد : حدثنا محمد بن بكير ، حدثنا ابن جريج ، عن محمد بن المنكدر عن أنس قال : صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة الظهر أربعا والعصر بذى الحليفة ركعتين ، ثم بات بذى الحليفة حتى أصبح ، فلما ركب راحلته واستوت به أهل .

وقال أحمد : حدثنا يعقوب ، حدثنا أبى ، عن محمد بن إسحاق ، حدثنى محمد بن المنكدر التيمى ، عن أنس بن مالك الأنصارى ، قال : صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر فى مسجده بالمدينة أربع ركعات ، ثم صلى بنا العصر بذى الحليفة ركعتين آمناً لا يخاف فى حجة الوداع .

تفرد به أحمد من هذين الوجهين ، وهما على شرط الصحيح .

وهذا ينفى كون خروجه عليه السلام يوم الجمعة قطعاً .

ولا يجوز على هذا أن يكون خروجه يوم الخميس ، كما قال ابن حزم ، لأنه كان يوم الرابع والعشرين من ذى القعدة ، لأنه لا خلاف أن أول ذى الحجة كان يوم الخميس ، لما ثبت بالتواتر والإجماع من أنه عليه السلام وقف بعرفة يوم الجمعة وهو تاسع ذى الحجة بلا نزاع .

فلو كان خروجه يوم الخميس الرابع والعشرين من ذى القعدة ، لبقى في الشهر ست ليال قطعاً ، ليلة الجمعة والسبت والأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء . فهذه ست ليال .

وقد قال ابن عباس وعائشة وجابر أنه خرج لخمس بقين من ذى القعدة ، وتعذر أنه يوم الجمعة لحديث أنس ، فتعین على هذا أنه عليه السلام خرج من المدينة يوم السبت ، وظن الراوى أن الشهر يكون تاماً ، فاتفق في تلك السنة نقصانه ، فانسلخ يوم الأربعاء واستهل شهر ذى الحجة ليلة الخميس . ويؤيده ما وقع في رواية جابر : لخمس بقين أو أربع .

وهذا التقرير على هذا التقدير لا يحيد عنه ولا بد منه . والله أعلم .

باب

صفة خروجه عليه السلام من المدينة إلى مكة للحج

قال البخارى : حدثنا إبراهيم بن المنذر ، حدثنا أنس بن عياض ، عن عبيد الله ، هو ابن عمر ، عن نافع ، عن عبد الله بن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخرج من طريق الشجرة ويدخل من طريق المعرّس ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا خرج إلى مكة يصلى في مسجد الشجرة وإذا رجع صلى بذي الحليفة ببطن الوادى وبات حتى يصبح .

تفرد به البخارى من هذا الوجه .

وقال الحافظ أبو بكر البزار : وجدت في كتابي عن عمرو بن مالك ، عن يزيد بن زريع ، عن هشام ، عن عذرة بن ثابت ، عن ثمامة ، عن أنس ، أن النبي صلى الله عليه وسلم : حج على رحل رثّ وتحمته قطيفة وقال : « حِجَّة لا رياء فيها ولا سُمعة » .

وقد علقه البخارى في صحيحه فقال : وقال محمد بن أبي بكر المقدّمى ، حدثنا يزيد بن

زُرَيْع ، عن عَزْرَةَ بن ثابت ، عن ثُمَامَةَ قال : حجَّ أنسٌ على رَحْلٍ رَثٍّ ولم يكن شحيجا . وحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حج على رَحْلٍ وكانت زَامِلَتُهُ^(١) .
هكذا ذكره البزار والبخارى معلقا مقطوع الإسناد من أوله .

وقد أسنده الحافظ البيهقي في سننه فقال : أنبأنا أبو الحسن علي بن محمد بن علي المقرئ ، أنبأنا أبو الحسن علي بن محمد بن إسحاق ، حدثنا يوسف بن يعقوب القاضي ، حدثنا محمد بن أبي بكر ، حدثنا يزيد بن زُرَيْع . فذكره .

وقد رواه الحافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده من وجه آخر ، عن أنس بن مالك ، فقال : حدثنا علي بن الجعد ، أنبأنا الربيع بن صبيح ، عن يزيد الرقاشي ، عن أنس ، قال : حجَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم على رَحْلٍ رَثٍّ وقطيفة تساوى - أو لا تساوى - أربعة دراهم . فقال : « اللهم حِجَّةً لا رياء فيها » .

وقد رواه الترمذي في الشَّائِل^(٢) من حديث أبي داود الطيالسي ، وسفيان الثوري وابن ماجه من حديث وكيع ابن الجراح ، ثلاثهم عن الربيع بن صبيح به .
وهو إسناد ضعيف من جهة يزيد بن أبان الرقاشي ، فإنه غير مقبول الرواية عند الأئمة .

وقال الإمام أحمد : حدثنا هاشم ، حدثنا إسحاق بن سعيد ، عن أبيه ، قال : صدرتُ مع ابن عمر فررت بنا رُقُقَةً يمانية ورَحَالَهُمُ الْأَدَمَ وَخُطُمُ إِبِلِهِمُ الْخُرَزُ^(٣) ، فقال عبدالله : من أحبَّ أن ينظر إلى أشبه رُقُقَةٍ وردت العام برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه إذ قدِمُوا في حجة الوداع فلينظر إلى هذه الرُقُقَةِ .

(١) الزاملة : البعير الذي يحمل عليه الطعام والمتاع .

(٢) في باب ماجاء في تواضع رسول الله صلى الله عليه وسلم . الشَّائِل ١٢٠/٢ .

(٣) الخرز : نبات من النجيل منظوم من أعلاه إلى أسفله .

ورواه أبو داود عن هَمَّاد، عن وكيع، عن إسحاق، عن سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص، عن أبيه عن ابن عمر .

وقال الحافظ أبو بكر البیهقي : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ وأبو طاهر الفقيه وأبو زكريا بن أبي إسحاق وأبو بكر بن الحسن وأبو سعيد بن أبي عمرو : قالوا حدثنا أبو العباس هو الأصم ، أنبأنا محمد بن عبد الله بن الحكم ، أنبأنا سعيد بن بشير القرشي ، حدثنا عبد الله بن حكيم السكّاني - رجل من أهل اليمن من موالِيهم - عن بشر بن قدامة الضَّبَّائي ، قال : أبصرت عيناى حبيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم واقفاً بعرفات مع الناس على ناقة له حمراء قصواء تحته قطيفة بولانية وهو يقول «اللهم اجعلها حجة غير رياء ولا مباهاة ولا سُعة» . والناس يقولون : هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الله بن إدريس ، حدثنا ابن إسحاق ، عن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه ، أن أسماء بنت أبي بكر قالت : خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم حُجَّاجاً حتى أدرگنا بالعَرَج^(١) نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجلست عائشة إلى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجلست إلى جنب أبي ، وكانت زمالة^(٢) رسول الله صلى الله عليه وسلم وزمالة أبي بكر واحدة مع غلام أبي بكر فجلس أبو بكر ينتظر أن يطلع عليه ، فطلع عليه وليس معه بعيره ، فقال : أين بعيرك ؟ فقال أضلته البارحة . فقال أبو بكر : بعير واحد أضله ! فطفق يضربه ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يبتسم ويقول : « انظروا إلى هذا الحُرِّ وما يصنع ! » .

وكذا رواه أبو داود ، عن أحمد بن حنبل ومحمد بن عبد العزيز بن أبي رَزْمَة . وأخرجه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة ، ثلاثهم عن عبد الله بن إدريس به .

(١) العرج : منزل بطريق مكة .

(٢) الزمالة : المركوب والأداة ، وما كان معهما في السفر . النهاية ١٤١/٢ .

فأما الحديث الذى رواه أبو بكر البزار فى مسنده قائلا : حدثنا إسماعيل بن حفص ، حدثنا يحيى بن اليان ، حدثنا حمزة الزيات ، عن عمران بن أعين ، عن أبي الطفيل عن أبي سعيد ، قال : حج النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه مشاةً من المدينة إلى مكة قدر بطوا أوساطهم ومشيههم خلط الهرولة .

فإنه حديث منكر ضعيف الإسناد ، وحمزة بن حبيب الزيات ضعيف وشيخه متروك الحديث . وقد قال البزار : لا يروى إلا من هذا الوجه ، وإن كان إسناده حسناً عندنا .

ومعناه أنهم كانوا فى عمرة إن ثبت الحديث ، لأنه عليه السلام إنما حجَّ حجة واحدة وكان راكباً وبعض أصحابه مشاة .

قلت : ولم يعتمر النبي صلى الله عليه وسلم فى شيء من عمره ماشياً ، لافى الحديث ولا فى القضاء ولا الجعرانة ولا فى حجة الوداع .

وأحواله عليه السلام أشهر وأعرف من أن تخفى على الناس ، بل هذا الحديث منكر شاذ لا يثبت مثله . والله أعلم .

فصل

تقدم أنه عليه السلام صلى الظهر بالمدينة أربعاً ، ثم ركب منها إلى الخليفة وهى وادى العقيق^(١) فصلى بها العصر ركعتين .

فدل على أنه جاء الخليفة نهراً فى وقت العصر فصلى بها العصر قصراً ، وهى من المدينة على ثلاثة أميال ، ثم صلى بها المغرب والعشاء وبات بها حتى أصبح فصلى بأصحابه وأخبرهم أنه جاءه الوحي من الليل بما يعتمده فى الإحرام .

(١) وادى العقيق : قرب البقيع بينه وبين المدينة أربعة أميال .

كما قال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن آدم ، حدثنا زهير ، عن موسى بن عتبة ، عن سالم بن عبد الله بن عمر ، عن عبد الله بن عمر ، عن النبي صلى الله عليه وسلم : أنه أتى في المعرّس من ذى الحليفة فقيل له : إنك يبطحاء مباركة .

وأخرجاه في الصحيحين من حديث موسى بن عتبة به .

وقال البخارى : حدثنا الحُمَيْدَى ، حدثنا الوليد وبشر بن بَكْر ، قالا : حدثنا الأوزاعى ، حدثنا يحيى ، حدثني عكرمة ، أنه سمع ابن عباس أنه سمع عمر ^(٢) يقول : سمعت رسول الله بوادى العقيق يقول : « أتانى الليلة آت من ربى فقال : صَلِّ فى هذا الوادى المبارك وَقُلْ : عُمرَة فى حِجَّة » .

تفرّد به دون مسلم .

فالظاهر أن أمره عليه السلام بالصلاة فى وادى العقيق هو أمرٌ بالإقامة به إلى أن يصلى صلاة الظهر ، لأن الأمر إنما جاءه فى الليل وأخبرهم بعد صلاة الصبح ، فلم يبقَ إلا صلاة الظهر ، فأمر أن يصلّيها هنالك وأن يوقع الإحرام بعدها .
ولهذا قال : أتانى الليلة آتٍ من ربى عز وجل فقال : صَلِّ فى هذا الوادى المبارك ، وَقُلْ عُمرَة فى حِجَّة .

وقد احتج به على الأمر بالقران فى الحج ، وهو من أقوى الأدلة على ذلك . كما سيأتى بيانه قريباً .

والمقصود أنه عليه السلام أمر بالإقامة بوادى العقيق إلى صلاة الظهر ، وقد امتثل صلوات الله وسلامه عليه ذلك ، فأقام هنالك وطاف على نسائه فى تلك الصبيحة وكن تسمع نسوة ، وكلهن خرج معه ، ولم يزل هنالك حتى صلى الظهر . كما سيأتى فى حديث

(٢) الأصل : ابن عمر . وما أثبتته عن صحيح البخارى .

أبي حسان الأعرج ، عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الظهر بذي الحليفة ، ثم أشعر بدنته ، ثم ركب فأهل .

وهو عند مسلم .

وهكذا قال الإمام أحمد : حدثنا رَوْح ، حدثنا أشعث - هو ابن عبد الملك - عن الحسن ، عن أنس بن مالك ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الظهر ثم ركب راحلته ، فلما علا شرف البيداء أهل .

ورواه أبو داود عن أحمد بن حنبل ، والنسائي عن إسحاق بن راهوية ، عن النضر بن شميل عن أشعث بمعناه ، وعن أحمد بن الأزهر ، عن محمد بن عبد الله بن نصارى ، عن أشعث أنهم منه .

وهذا فيه ردٌّ على ابن حزم ، حيث زعم أن ذلك في صدر النهار .

وله أن يعتضد بما رواه البخاري من طريق أيوب ، عن رجل ، عن أنس أن رسول الله بات بذي الحليفة حتى أصبح ، فصلى الصبح ثم ركب راحلته ، حتى إذا استوت به البيداء أهل بعمره وحج .

ولسكن في إسفاده رجل منهم والظاهر أنه أبو قلابة . والله أعلم .

قال مسلم في صحيحه : حدثنا يحيى بن حبيب الحارثي ، حدثنا خالد - يعني ابن الحارث - حدثنا شعبة ، عن إبراهيم بن محمد بن المنتشر ، سمعت أبي يحدث عن عائشة أنها قالت : كنت أطيّب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يطوف على نسائه ، ثم يصبح محرماً ينضح طيباً .

وقد رواه البخاري من حديث شعبة ، وأخرجاه من حديث أبي عوانة .

ومسلم ومُسْنَدُ وسفيان بن سعيد الثوري ، أربعتهم عن إبراهيم بن محمد بن المنتشر به .

وفي رواية لمسلم عن إبراهيم بن محمد بن المنْشَر ، عن أبيه قال : سألت عبد الله بن عمر عن الرجل يتطيَّب ثم يُصبح مُحرِّماً . قال : ما أحبُّ أنى أصبح محرِّماً أنْضَح طيباً ، لأنَّ أَطْلَى الفَطِرَانِ ^(١) أحبُّ إلى من أن أفعل ذلك .

فَقَالَت عائشة : أَنَا طَيِّبْتُ رَسُولَ اللَّهِ عِنْدَ إِحْرَامِهِ ، ثُمَّ طَافَ فِي نِسَائِهِ ثُمَّ أَصْبَحَ مُحَرِّماً .

وهذا اللفظ الذي رواه مسلم يقتضى أنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتطيَّب قبل أن يطوف على نسائه ، ليكون ذلك أطيبَ لنفسه وأحبَّ إليهن ، ثم لما اغتسل من الجنابة وللإحرام تطيَّب أيضاً للإحرام طيباً آخر .

كما رواه الترمذى والبيهقى من حديث عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه عن خارجة بن زيد بن ثابت ، عن أبيه أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم تجرَّد لإِهْلَالِهِ واغْتَسَلَ .

وقال الترمذى : حسن غريب .

وقال الإمام أحمد : حدثنا زكريا بن عَدِيّ أنبأنا عبيد الله بن عمرو ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن عروة عن عائشة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن يُحْرِمَ غَسَلَ رَأْسَهُ بِخَطْمِيٍّ وَأَشْنَانٍ ^(٢) ودهنه بشيء من زيت غير كثير . الحديث تفرَّد به أحمد .

وقال أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعى رحمه الله : أنبأنا سفيان بن عُيَيْنَةَ ، عن عثمان بن عمار ، سمعت أبا يقول : سمعت عائشة تقول : طَيِّبْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لِحَرَمِهِ وَلِحَلِّهِ قُلْتُ لَهَا : بِأَيِّ طِيبٍ ؟ قَالَتْ بِأَطْيَبِ الطِّيبِ .

وقد رواه مسلم من حديث سفيان بن عيينة وأخرجه البخارى من حديث وهب عن

(١) صحيح مسلم : بقطران حديث ١١٩٢ . (٢) الخطمى والأشنان : نوعان من النباتات .

هشام بن عروة ، عن أخيه عثمان ، عن أبيه عروة عن عائشة به .

وقال البخارى : حدثنا عبدالله بن يوسف ، أنبأنا مالك ، عن عبدالرحمن بن القاسم عن أبيه عن عائشة ، قالت : كنت أطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم لإحرامه حين يُحْرَم ، ولحله قبل أن يطوف بالبيت .

وقال مسلم : حدثنا عبد بن حميد ، أنبأنا محمد بن أبي بكر : أنبأنا ابن جريج ، أخبرني عمر بن عبدالله بن عروة ، أنه سمع عروة والقاسم يخبران عن عائشة قالت : طيبت رسول الله بيدي بذريعة^(١) في حجة الوداع للحل والإحرام .

وروى مسلم من حديث سفيان بن عيينة ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة قالت : طيبت رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي هاتين لحرمه حين أحرم ولحله قبل أن يطوف بالبيت .

وقال مسلم : حدثني أحمد بن منيع ، ويعقوب الدورقي قالا : حدثنا هشيم ، أخبرنا منصور ، عن عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : كنت أطيب النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يُحْرَم [ويحل]^(٢) ويوم النحر قبل أن يطوف بالبيت بطيب فيه مسك .

وقال مسلم : حدثنا أبو بكر بن أبي شَيْبَةَ وزُهَيْر بن حَرْب^(٣) ، قالا : حدثنا وكيع ، حدثنا الأعمش ، عن أبي الضحى ، عن مسروق ، عن عائشة قالت : كَأَنِّي أَنْظَرُ إِلَى وَبَيْصِ الْمَسْكِ فِي مَفَارِقِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَلْبِي .

ثم رواه مسلم من حديث الثوري وغيره ، عن الحسن بن عبيد الله ، عن إبراهيم ،

(٣) الذريعة : نوع من الطيب : قال النووي : هي فتات قصب طيب يجاء به من الهند .

(١) ليست في صحيح مسلم . كتاب الحج حديث رقم ١١٩١ - ط الحلي .

(٢) في صحيح مسلم زيادة : وأبو سعيد الأشج قالوا . الحج حديث ١١٩٠ .

عن الأسود ، عن عائشة قالت : كَأْنِي أَنْظَرُ إِلَى وَرَيْصِ الْمِسْكِ فِي مَفْرَقِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ مُحْرَمٌ .

ورواه البخاري من حديث سفيان الثوري ومسلم من حديث الأعمش ، كلاهما عن منصور ، عن إبراهيم عن الأسود عنها .

وأخرجاه في الصحيحين من حديث شعبة ، عن الحكم بن إبراهيم ، عن الأسود عن عائشة .

وقال أبو داود الطيالسي : أَنبَأَنَا أَشْعَثُ ، عن منصور ، عن إبراهيم ، عن الأسود عن عائشة ، قالت : كَأْنِي أَنْظَرُ إِلَى وَرَيْصِ الطَّيِّبِ فِي أَصُولِ شَعْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ مُحْرَمٌ .

وقال الإمام أحمد : حَدَّثَنَا عَفَّانُ ، حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ سَلَمَةَ ، عن إبراهيم النَّخَعِيُّ ، عن الأسود ، عن عائشة ، قالت : كَأْنِي أَنْظَرُ إِلَى وَرَيْصِ الطَّيِّبِ فِي مَفْرَقِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ أَيَّامٍ وَهُوَ مُحْرَمٌ .

وقال عبد الله بن الزبير الحميدي : حَدَّثَنَا سَفْيَانُ بْنُ عَيِّنَةَ ، حَدَّثَنَا عَطَاءُ بْنُ السَّائِبِ ، عن إبراهيم النَّخَعِيُّ ، عن الأسود ، عن عائشة ، قالت : رَأَيْتُ الطَّيِّبَ فِي مَفْرَقِ رَسُولِ اللَّهِ بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ وَهُوَ مُحْرَمٌ .

فهذه الأحاديث دالة على أنه عليه السلام تطيب بعد الغسل ، إذ لو كان الطيب قبل الغسل لذهب به الغسل ولما بقي له أثر ، ولا سيما بعد ثلاثة أيام من يوم الإحرام . وقد ذهب طائفة من السلف منهم ابن عمر إلى كراهة التطيب عند الإحرام .

وقد روينا هذا الحديث من طريق ابن عمر عن عائشة ، فقال الحافظ البيهقي : أَنبَأَنَا

أبو الحسين بن بشران - ببغداد - أنبأنا أبو الحسن على بن محمد المصري ، حدثنا يحيى ابن عثمان بن صالح ، حدثنا عبد الرحمن بن أبي العَمر ، حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن ، عن موسى بن عقبة ، عن نافع ، عن ابن عمر عن عائشة ، أنها قالت : طيَّبَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بالغالية الجيدة عند إحرامه .

وهذا إسناد غريبٌ عزيزٌ المخرَج .

ثم إنه عليه السلام لبَّدَ رأسه ليكون أحفظَ لما فيه من الطَّيب وأضوَن له من استقرار التراب والغبار .

قال مالك عن نافع ، عن ابن عمر ، أن حفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت : يا رسول الله ما شأنُ الناس حَلَّوا من العمرة ولم تحلَّ أنت من عمرتك ؟ قال : « إني لبَّدت رأسي وقلَّدت هَذي ، فلا أحِلُّ حتى أنحر » .

وأخرجاه في الصحيحين من حديث مالك ، وله طرق كثيرة عن نافع .

وقال البيهقي : أنبأنا الحاكم ، أنبأنا لأصم ، أنبأنا يحيى بن محمد بن يحيى ، حدثنا عبيد الله بن عمر القَوَاريري ، حدثنا عبد الأعلى ، حدثنا محمد بن إسحاق ، عن نافع ، عن ابن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لبَّدَ رأسه بالعسل .

وهذا إسناد جيد .

ثم إنه عليه السلام أشعَرَ الهدى وقلَّده ^(١) وكان معه بذى الحليفة .

قال الليث ، عن عَقِيل ، عن الزهري ، عن سالم عن أبيه ، تمتَّع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع بالعمرة إلى الحج ، وأهدى فساقَ معه الهدى من ذى الحليفة .

وسياتى الحديث بتمامه ، وهو في الصحيحين والـكلام عليه إن شاء الله .

(١) الإشعار : أن يجعل لها شعيرة ، أى علامة تميِّز بها . والتقليد : إلباسها ما يعلم به أنها هدى .

وقال مسلم : حدثنا محمد بن المثنى ، حدثنا معاذ بن هشام - هو الدستوائي - حدثني أبي ، عن قتادة ، عن أبي حسان ، عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أتى ذا الحليفة دعا بناقته فأشعرها في صفحة سنامها الأيمن وسلت الدم وقلدها نعلين ثم ركب راحلته .

وقد رواه أهل الشئْن الأربعة ، من طرق عن قتادة .

وهذا يدل على أنه عليه السلام أعطى هذا الإشعار والتقليد بيده الكريمة في هذه البدنة ، وتولَّى إشعار بقية الهدى وتقليده غيره ، فإنه قد كان معه هدي كثير ^(١) ، إما مائة بدنة أو أقل منها بقليل . وقد ذبح بيده الكريمة ثلاثاً وستين بدنة وأعطى علياً فذبح ماغبر ^(٢) .

وفي حديث جابر أن علياً قدم من اليمن بيذن للنبي صلى الله عليه وسلم .

وفي سياق ابن إسحاق أنه عليه السلام أشرك علياً في بُذنه والله أعلم . وذكر غيره

أنه ذبح هو وعليّ يوم النحر مائة بدنة .

فعلى هذا يكون قد ساقها معه من ذى الحليفة ، وقد يكون اشترى بعضها بعد

ذلك وهو مُحْرَم .

باب

بيان الموضع الذى أهلّ منه عليه السلام واختلاف الناقلين لذلك

وترجيح الحق فى ذلك

ذِكْرُ مَنْ قَالَ إِنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَحْرَمَ مِنَ الْمَسْجِدِ الَّذِى بَدَى الْحَلِيفَةُ بَعْدَ الصَّلَاةِ :

تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ الَّذِى رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ الْأَوْزَاعِيِّ ، عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ ،
عَنْ عِكْرَمَةَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، عَنْ عُمَرَ ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
بِوَادَى الْعَقِيقِ يَقُولُ : أَتَانِي آتٍ مِنْ رَبِّي فَقَالَ : صَلِّ فِي هَذَا الْوَادِى الْمُبَارَكِ وَقُلْ
عُمْرَةً فِي حِجَّةٍ .

وَقَالَ الْبُخَارِيُّ : بَابُ الْإِهْلَالِ عِنْدَ مَسْجِدِ ذِي الْحَلِيفَةِ :

حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، حَدَّثَنَا سَفْيَانٌ ، حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ ، سَمِعْتُ سَالِمَ بْنَ
عَبْدِ اللَّهِ .ح. وَحَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ ، حَدَّثَنَا مَالِكٌ ، عَنْ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ ، عَنْ سَالِمِ بْنِ
عَبْدِ اللَّهِ ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَاهُ يَقُولُ : مَا أَهَلَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا مِنْ عِنْدِ الْمَسْجِدِ
- يَعْنِي مَسْجِدَ ذِي الْحَلِيفَةِ -

وَقَدْ رَوَاهُ الْجَمَاعَةُ إِلَّا ابْنَ مَاجَهَ ، مِنْ طَرُقٍ عَنْ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ .

وَفِي رِوَايَةِ الْمُسْلِمِ عَنْ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ ، عَنْ سَالِمٍ وَنَافِعٍ وَحُمْزَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ،
ثَلَاثَتِهِمْ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ فَذَكَرَهُ . وَزَادَ فَقَالَ : لَتَيْكَ اللَّهُمَّ لَتَيْكَ .

وَفِي رِوَايَةٍ لَهَا مِنْ طَرِيقِ مَالِكٍ ، عَنْ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ ، عَنْ سَالِمٍ قَالَ : قَالَ عَبْدُ اللَّهِ

ابن عمر : يَبْذَأُكُمْ هَذِهِ الَّتِي تَكْذِبُونَ فِيهَا ^(١) عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، مَا أَهْلٌ رَسُولَ اللَّهِ [إِلَّا] مَنْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ .

وقد روى عن ابن عمر خلافُ هذا ، كما يأتي في الشق الآخر . وهو ما أخرجاه في الصحيحين من طريق مالك ، عن سعيد بن أبي سعيد المقبري ، عن عبيد بن جريح ، عن ابن عمر . فذكر حديثاً فيه أن عبد الله قال : وأما الإهلال فإني لم أر رسول الله صلى الله عليه وسلم يَهْلُ حتى تَنْبَعَثَ به راحلته .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يعقوب ، حدثنا أبي ، عن ابن إسحاق ، حدثني خُصَيْف ابن عبد الرحمن الجزري ، عن سعيد بن جبير ، قال : قلت لعبد الله بن عباس : يا أبا العباس ، عجباً لاختلاف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في إهلال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أَوْجَبَ ؟ !

فقال : إني لأعلم الناس بذلك . إنما كانت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة واحدة ، فمن هناك اختلفوا .

خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجاً ، فلما صلى في مسجده بذى الحليفة ركعتيه أَوْجَبَ في مجلسه ، فأهلاً بالحج حين فرغ من ركعتيه ، فسمع ذلك منه قومٌ فحفظوا عنه ، ثم ركب ، فلما استقلت به ناقته أهلٌ ، وأدرك ذلك منه أقوامٌ ، وذلك أن الناس إنما كانوا يأتون أرسالاً ، فسمعوه حين استقلت به ناقته يَهْلُ ، فقالوا : إنما أهل رسول الله حين استقلت به ناقته .

ثم مضى رسول الله ، فلما علا شرف البَيْدَاءِ أَهْلٌ ، وأدرك ذلك منه أقوامٌ فقالوا :

(١) المراد بالبَيْدَاءِ هنا : شرف أمام ذى الحليفة ؛ سميت ببِداء لأنه ليس فيها بناء ولا أثر . ومعنى تَكْذِبُونَ فيها : تنسبون إلى الرسول أنه أهل منها ، ولم يفعل .

إنما أهل رسول الله حين علا شرف البيداء ، وإيم الله لقد أوجب في مُصَلَّاه ، وأهل حين استقلت به ناقته ، وأهل حين علا شرف البيداء .

فمن أخذ بقول عبد الله بن عباس [أنه] أهل في مُصَلَّاه إذا فرغ من ركعتيه .
— وقد رواه الترمذى والنسائى جميعا عن قُتَيْبَةَ ، عن عبد السلام بن حرب ، عن خُصَيْف به نحوه .

وقال الترمذى : حسن غريب لا نعرف أحدا رواه غير عبد السلام . كذا قال ، وقد تقدم رواية الإمام أحمد له من طريق محمد بن إسحاق عنه . وكذلك رواه الحافظ البيهقى عن الحاكم عن القطيعى ، عن عبد الله بن أحمد ، عن أبيه ثم قال : خُصَيْف الجزرى غير قوى ، وقد رواه الواقدى بإسناد له عن ابن عباس . قال البيهقى : إلا أنه لا ينفع متابعة الواقدى ، والأحاديث التى وردت فى ذلك عن عمر وغيره مسانيدها قوية ثابتة والله تعالى أعلم —

قلت : فلو صح هذا الحديث لكان فيه جمع لما بين الأحاديث من الاختلاف وبسط لعذر من نقل خلاف الواقع ، ولكن فى إسناده ضعف .
ثم قد روى عن ابن عباس وابن عمر خلاف ما تقدم عنهما كما سننبه عليه ونبينه .

وهكذا ذكر من قال إنه عليه السلام أهل حين استوت به راحلته .
قال البخارى : حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثنا هشام بن يوسف ، أنبأنا ابن جُرَيْج ، حدثنى محمد بن المنكدر ، عن أنس بن مالك ، قال : صلى النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة أربعاً وبذى الحليفة ركعتين ، ثم بات حتى أصبح بذى الحليفة ؛ فلما ركب راحلته واستوت به أهل .

وقد رواه البخارى ومسلم وأهل السنن من طرق عن محمد بن المنكدر وإبراهيم بن ميسرة ، عن أنس .

وثبت فى الصحيحين من حديث مالك ، عن سعيد المقبرى ، عن عبيد بن جريح ، عن ابن عمر قال :

وأما الإهلالُ فإني لم أَر رسول الله يُهلُّ حتى تنبعثَ به راحلته .

وأخرج فى الصحيحين من رواية ابن وهب ، عن يونس ، عن الزهري ، عن سالم عن أبيه ، أن رسول الله كان يركب راحلته بذى الحليفة ثم يُهلّ حين تستوى به قائمة .

وقال البخارى : باب من أهلّ حين استوت به راحلته :

حدثنا أبو عاصم ، حدثنا ابن جريج ، أخبرني صالح بن كيسان ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : أهلّ النبي صلى الله عليه وسلم حين استوت به راحلته قائمة .

وقد رواه مسلم والنسائي من حديث ابن جريج به .

وقال مسلم : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا علي بن مسهر ، عن عبيد الله ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا وضع رجله فى الفرز^(١) وانبعثت به راحلته قائمة أهلّ من ذى الحليفة .

انفرد به مسلم من هذا الوجه ، وأخرجاه من وجه آخر عن عبيد الله بن عمر ، عن نافع عنه .

ثم قال البخارى : باب الإهلال مُستقبل القبلة :

قال أبو معمر ، حدثنا عبد الوارث ، حدثنا أيوب ، عن نافع ، قال : كان ابن عمر إذا صلى الغداة بذى الحليفة أمر براحلته فرحلت ثم ركب ، فإذا استوت به استقبل القبلة

(١) الفرز : ركاب كور اليعير .

قائماً ثم يلبي حتى يبلغ الحرم ، ثم يمسك ، حتى إذا جاء ذا طوى^(١) بات به حتى يَضُبح ، فإذا صلى الغداة اغتسل ، وزعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل ذلك .
ثم قال : تابعه إسماعيلُ ، عن أيوب في الغسل .

وقد علق البخارى أيضاً هذا الحديث في كتاب الحج ، عن محمد بن عيسى ، عن حماد ابن زيد ، وأسنده فيه عن يعقوب بن إبراهيم الدورقي ، عن إسماعيل ، هو ابن عليّة .
ورواه مسلم عن زهير بن حرب ، عن إسماعيل ، وعن أبي الربيع الزهراني وغيره ، عن حماد بن زيد ، ثلاثهم عن أيوب ، عن أبي تيممة السخيتاني به . ورواه أبو داود عن أحمد بن حنبل ، عن إسماعيل بن عليّة به .

ثم قال البخارى : حدثنا سليمان أبو الربيع ، حدثنا فُلَيْح ، عن نافع ، قال : كان ابن عمر إذا أراد الخروج إلى مكة أذهن بدهن ليس له رائحة طيبة ، ثم يأتي مسجد ذي الحليفة فيصلي ثم يركب ، فإذا استوت به راحلته قائمة أحرّم ، ثم قال : هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل .

تفرد به البخارى من هذا الوجه .

وروى مسلم عن قتيبة ، عن حاتم بن إسماعيل ، عن موسى بن عقبة ، عن سالم عن أبيه ، قال : بيّداؤكم هذه التي تكذبون على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها ، والله ما أهل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا من عند الشجرة حين قام به بغيره .

وهذا الحديث يجمع بين رواية ابن عمر الأولى وهذه الروايات عنه ، وهو أن الإحرام كان من عند المسجد ، ولكن بعد ما ركب راحلته واستوت به على البيداء ، يعنى الأرض وذلك قبل أن يصل إلى المكان المعروف بالبيداء .

(١) ذو طوى : موضع قرب مكة .

ثم قال البخارى فى موضع آخر^(١): حدثنا محمد بن أبى بكر المَقْدِسِى ، حدثنا فضيل بن سليمان ، حدثنا موسى بن عُقبة ، حدثنى كُرَيْب ، عن عبد الله بن عباس ، قال : انطلق النبى صلى الله عليه وسلم من المدينة بعد ما ترَجَّل وادَّهَن ولبس إزاره ورداءه هو وأصحابه ، ولم يبقَ عن شيء من الأُردية والأُزُر تلبس إلا المزْعَفرة التى تَرَدَع على الجِلْد ، فأصبح بذى الحليفة ، ركب راحلته حتى استوى على البَيْداء أهلٌ هو وأصحابه وَقَلَدَ بُذْنَه ، وذلك لخمس بقين [من ذى القعدة ، فقدم مكة لأربع ليالٍ خالُون^(٢)] من ذى الحجة . فطاف بالبيت وسعى بين الصفا والمروة ولم يحل من أجل بُذْنَه لأنه قَلَدَهَا ، ثم نزل بأعلى مكة عند الحَجُّون وهو مُهَلِّ بالحج ولم يَقْرَب السكبة بعد طوافه بها حتى رجع من عرفة ، وأمر أصحابه أن يطوفوا بالبيت وبين الصفا والمروة ثم يقصروا من رؤوسهم ثم يَحِلُّوا ، وذلك لمن لم يكن معه بَذَنَةٌ قَلَدَهَا ، ومن كانت معه امرأته فهى له حلال والطيب والثياب .

انفرد به البخارى .

وقد روى الإمام أحمد عن سَهْز بن أسد وحجاج ورواح بن عباد وعفان بن مُسلم ، كلهم عن شعبة قال : أخبرنى قتادة ، قال سمعت أبا حسان الأعراج الأجرد ، وهو مسلم ابن عبد الله البَصْرِى ، عن ابن عباس ، قال : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم للظَّهر بذى الحليفة ، ثم دعا بيدته فأشعر صفحة سَفَامِها الأيمن وسَلَت^(٣) الدَّم عنها وَقَلَدَهَا نعلين ، ثم دعا براحلته ، فلما استوت على البَيْداء أهلٌ بالحج .

ورواه أيضا عن هُشَيْم ، أنبأنا أصحابنا منهم شعبة . فذكر نحوه .

ثم رواه الإمام أحمد أيضا عن رَوَّاح وأبى داود الطيالسى ووكيع بن الجراح ، كلهم

(١) الحديث فى باب مالا يلبس الحرم من الثياب والأُردية والأُزُر . صحيح البخارى ١/١٩٧ ط الأمانة

(٢) سقط من الأصل ، وأثبتها من البخارى .

(٣) سات الدم : قشيره حتى أظهر دما .

عن هشام الدستوائي ، عن قتادة به ، نحوه .
ومن هذا الوجه رواه مسلم في صحيحه وأهل السنن في كتبهم .

فهذه الطرق عن ابن عباس من أنه عليه السلام أهل حين استوت به راحلته أصبح
وأثبت من رواية خُصيف الجزري ، عن سعيد بن جبير عنه . والله أعلم .
وهكذا الرواية المُنَبِّهة المفسرة أنه أهل حين استوت به الراحلة مُقدِّمة على الأخرى ،
لاحتمال أنه أراد أنه أخرم من عند المسجد حين استوت به راحلته ، وتكون رواية ركوبه
الراحلة فيها زيادة علم على الأخرى . والله أعلم .

ورواية أنس في ذلك سالمة عن المعارض ، وهكذا رواية جابر بن عبد الله في صحيح
مسلم ، من طريق جعفر الصادق عن أبيه ، عن أبي الحسين زين العابدين ، عن جابر في
حديثه الطويل الذي سيأتي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل حين استوت به راحلته
سالمة عن المعارض . والله أعلم .

وروى البخاري من طريق الأوزاعي ، سمعت عطاء ، عن جابر بن عبد الله ، أن
إلهال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذى الخليفة حين استوت به راحلته .

فأما الحديث الذي رواه محمد بن إسحاق بن يسار ، عن أبي الزناد ، عن عائشة بنت
سعد ، قالت : قال سعد : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أخذ طريق الفرع ^(١) أهل
إذا استعقَّت به راحلته ، وإذا أخذ طريقاً أخرى أهل إذا علا على شرف البيداء .
فرواه أبو داود والبيهقي من حديث ابن إسحاق وفيه غرابة ونكارة . والله أعلم .

فهذه الطرق كلها دالة على القطع أو الظن الغالب أنه عليه السلام أخرم بعد
الصلاة وبعد ما ركب راحلته وابتدلت به للسير . زاد ابن عمر في روايته : وهو
مُسْتَقْبِل الْقِبْلَةِ .

(١) الفرع : قرية بينها وبين المدينة ثمانية برد على طريق مكة .

باب

بَسْطُ الْبَيَانِ لِمَا أَحْرَمَ بِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي حُجَّتِهِ هَذِهِ مِنَ الْإِفْرَادِ
أَوْ التَّمَتُّعِ أَوْ الْقِرَافِ

ذَكَرَ الْأَحَادِيثَ الْوَارِدَةَ بِأَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ مُفْرَدًا

رَوَايَةَ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ فِي ذَلِكَ :

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ الشَّافِعِيُّ : أَنبَأَنَا مَالِكٌ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْقَاسِمِ
عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ عَائِشَةَ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَفْرَدَ الْحَجَّ .
وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ عَنْ إِسْمَاعِيلَ ، عَنْ أَبِي أُوَيْسٍ وَيُحْيَى بْنِ يَحْيَى ، عَنْ مَالِكٍ . وَرَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ
عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَهْدِيٍّ ، عَنْ مَالِكٍ بِهِ .

وَقَالَ أَحْمَدُ : حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ عِيسَى ، حَدَّثَنِي الْمُنْكَدِرُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، عَنْ رِبِيعَةَ بْنِ
أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، عَنْ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ ، عَنْ عَائِشَةَ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
أَفْرَدَ الْحَجَّ .

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ : حَدَّثَنَا شُرَيْحٌ ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي الزِّنَادِ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ عُرْوَةَ عَنْ
عَائِشَةَ ، وَعَنْ عُلْقَمَةَ بْنِ أَبِي عُلْقَمَةَ عَنْ أُمِّهِ ، عَنْ عَائِشَةَ ، وَعَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ ، عَنْ أَبِيهِ ،
عَنْ عَائِشَةَ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَفْرَدَ الْحَجَّ .
تَفَرَّدَ بِهِ أَحْمَدُ مِنْ هَذِهِ الْوُجُوهِ عَنْهَا .

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ : حَدَّثَنِي عَبْدُ الْأَعْلَى بْنُ حَمَادٍ ، قَالَ : قَرَأْتُ عَلَى مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ ،
عَنْ أَبِي الْأَسْوَدِ ، عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَفْرَدَ الْحَجَّ .

وقال : حدثنا رَوْح ، حدثنا مالك ، عن أبي الأسود محمد بن عبد الرحمن بن نوفل وكان يتيمًا في حجر عُرْوَة - عن عُرْوَة بن الزبير عن عائشة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أفرَدَ الحُجَّجَ .

ورواه ابن ماجه عن أبي مصعب عن مالك كذلك .

ورواه النسائي عن قتيبة ، عن مالك ، عن أبي الأسود ، عن عُرْوَة عن عائشة : أن رسول الله أهلَّ بالحُجَّجِ .

وقال أحمد أيضا : حدثنا عبد الرحمن ، عن مالك ، عن أبي الأسود ، عن عُرْوَة عن عائشة ، قالت : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنا من أهلَّ بالحُجَّجِ ومنا من أهلَّ بالعمرة ، ومنا من أهلَّ بالحُجَّجِ والعمرة ، وأهلَّ رسول الله بالحُجَّجِ ؛ فأما من أهلَّ بالعمرة فأحَلُّوا حين طافوا بالبيت وبالصفاء والمروة ، وأما من أهلَّ بالحُجَّجِ أو بالحُجَّجِ والعمرة فلم يَحَلُّوا إلى يوم النحر .

وهكذا رواه البخاري عن عبد الله بن يوسف والقَعْنِيّ وإسماعيل بن أبي أويس ، عن مالك . ورواه مسلم عن يحيى بن يحيى ، عن مالك به .

وقال أحمد : حدثنا سفيان ، عن الزهري ، عن عُرْوَة ، عن عائشة : أهلَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحُجَّجِ وأهلَّ ناسٌ بالحُجَّجِ والعمرة ، وأهلَّ ناسٌ بالعمرة . ورواه مسلم عن ابن أبي عمر ، عن سفيان بن عُيينة به نحوه .

فأما الحديث الذي قال الإمام أحمد : حدثنا قتيبة بن سعيد ، حدثنا عبد العزيز بن محمد ، عن علقمة بن أبي علقمة ، عن أمه ، عن عائشة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الناس في حجة الوداع . فقال : من أحبَّ أن يبدأ بعمرة قبل الحُجَّجِ فليفعل . وأفرَدَ رسول الله صلى الله عليه وسلم الحُجَّجَ ولم يَعْتَمِر .

فإنه حديث غريب جداً ، تفرّد به أحمد بن حنبل ، وإسناده لا بأس به ، ولكن لفظه فيه نكارة شديدة وهو قوله : « فلم يعتمر » .

فإن أريد بهذا أنه لم يعتمر مع الحج ولا قبله هو قول من ذهب إلى الإفراد . وإن أريد أنه لم يعتمر بالكليّة لا قبل الحج ولا معه ولا بعده ، فهذا مما لا أعلم أحداً من العلماء قال به . ثم هو مخالف لما صحّ عن عائشة وغيرها من أنه صلى الله عليه وسلم اعتمر أربع عمر كلهن في ذى القعدة إلا التي مع حجّته .

وسيتأتى تقرير هذا في فصل القرآن مستقصى . والله أعلم .

وهكذا الحديث الذي رواه الإمام أحمد قائلين مسنده : حدثنا رَوْح ، حدثنا صالح بن أبى الأخضر ، حدثنا ابن شهاب ، أن عروة أخبره أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت : أهلّ رسول الله بالحج والعمرة في حجة الوداع وساق معه الهدى ، وأهلّ ناسٌ معه بالعمرة وساقوا الهدى ، وأهلّ ناس بالعمرة ولم يسوقوا هدياً . قلت عائشة : وكنت بمن أهلّ بالعمرة ولم أسق هدياً .

فلما قدّم رسول الله صلى الله عليه وسلم [قال] : من كان منكم أهلّ بالعمرة فساق معه الهدى فليطّف بالبيت وبالصفاء والمروة ولا يحلّ منه شيء حرّم منه حتى يقضى حجّه وينحر هديه يوم النحر ، ومن كان منكم أهلّ بالعمرة ولم يسق معه هدياً فليطّف بالبيت وبالصفاء والمروة ثم ليقصّر وليحلّل ثم ليهل بالحج وليهْدِ ، فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجع إلى أهله .

قالت عائشة : قدّم رسول الله الحجّ الذى خاف فوّته وأخّر العمرة .

فهو حديث من أفراد الإمام أحمد ، وفي بعض ألفاظه نكارة . ولبعضه شاهد في الصحيح ، وصالح بن أبى الأخضر ليس من عليّة أصحاب الزّهري ، لا سيما إذا خالفه غيره كما هاهنا ، في بعض ألفاظ سياقه هذا .

وقوله : « فقدّم الحجّ الذى يخاف فَوْتَهُ وأخر العُمرة » لا يلتزم مع أول الحديث : « أهلٌ بالحج والعمرة » .

فإن أراد أنه أهلٌ بهما فى الجملة وقدّم أفعال الحج ، ثم بعد فراغه أهلٌ بالعمرة كما يقوله من ذهب إلى الإفراد ، فهو مما نحن فيه هاهنا .

وإن أراد أنه أخر العمرة بالكلية بعد إحرامه بها ، فهذا لا أعلم أحداً من العلماء صار إليه . وإن أراد أنه اكتفى بأفعال الحج عن أفعال العمرة ودخلت العمرة فى الحج ، فهذا قول من ذهب إلى القرآن ، وهم يؤولون قول من روى أنه عليه الصلاة والسلام أفرد الحج أى أفرد أفعال الحج وإن كان قد نوى معه العمرة . قالوا : لأنه قد روى القرآن كلٌ من روى الإفراد كما سيأتى بيانه . والله تعالى أعلم .

رواية جابر بن عبد الله فى الإفراد

قال الإمام أحمد : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن أبى سفيان ، عن جابر ابن عبد الله ، قال : أهلّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجته بالحج . إسناده جيد على شرط مسلم .

ورواه البيهقى عن الحسائى وغيره ، عن الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبار ، عن أبى معاوية ، عن الأعمش ، عن أبى سفيان عن جابر ، قال : أهلّ رسول الله فى حجته بالحج ليس معه عمرة .

وهذه الزيادة غريبة جداً . ورواية الإمام أحمد بن حنبل أحفظ . والله أعلم . وفى صحيح مسلم من طريق جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر ، قال : وأهللنا بالحج لسنا نعرف العمرة .

وقد روى ابن ماجه ، عن هشام بن عمار ، عن الدراورذى وحاتم بن إسماعيل ،

كلاهما عن جعفر بن محمد ، عن أبيه عن جابر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أفرَدَ الحجَّ ، وهذا إسناد جيد .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الوهاب الثقفي ، حدثنا حبيب - يعني المعلم - عن عطاء حدثني جابر بن عبد الله ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أهلٌ هو وأصحابه بالحج ليس مع أحد منهم هَدَى إلا النبي صلى الله عليه وسلم وطلحة .
وذكر تمام الحديث . وهو في صحيح البخاري بطوله ، كما سيأتي عن محمد بن المثنى عن عبد الوهاب .

رواية عبد الله بن عمر للإفراد

قال الإمام أحمد : حدثنا إسماعيل بن محمد ، حدثنا عباد - يعني ابن عباد - حدثني عبيد الله بن عبد الله بن عمر ، عن نافع ، عن ابن عمر . قال : أَهْلَانَا مع النبي صلى الله عليه وسلم بالحج مُفْرَدًا .

ورواه مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عون ، عن عباد بن عباد ، عن عبيد الله بن عمر ، عن نافع ، عن ابن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أهلٌ بالحج مُفْرَدًا .
وقال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا الحسن بن عبد العزيز ومحمد بن مسكين ، قالا : حدثنا بشر بن بكر ، حدثنا سعيد بن عبد العزيز بن زيد بن أسلم ، عن ابن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أهلٌ بالحج - يعني مُفْرَدًا .
إسناده جيد ولم يُخَرِّجوه .

رواية ابن عباس للإفراد

روى الحافظ البيهقي من حديث روح بن عبادة ، عن شعبة ، عن أبوب ، عن

أبي العالية البراء ، عن ابن عباس ، أنه قال : أهل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحج ، فقدم لأربع مضين من ذى الحجة ، فصلّى بنا الصبح بالبطحاء ، ثم قال : من شاء أن يجعلها عمرة فليجعلها .

ثم قال : رواه مسلم ، عن إبراهيم بن دينار ، عن ابن رَوْح .

وتقدم من رواية قتادة ، عن أبي حسان الأعرج ، عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الظهر بذي الحليفة ، ثم أتى ببدنة فأشعر صفحة سنامها الأيمن ، ثم أتى براحله فركبها ، فلما استوت به على البيداء أهل بالحج . وهو في صحيح مسلم أيضا .

وقال الحافظ أبو الحسن الدارقطني : حدثنا الحسين بن إسماعيل ، حدثنا أبو هشام ، حدثنا أبو بكر بن عيَّاش ، حدثنا أبو حصين ، عن عبد الرحمن بن الأسود عن أبيه ، قال : حجَّجتُ مع أبي بكر ، فجرَّد ، ومع عمر فجرَّد ، ومع عثمان فجرد . تابعه الثوري عن أبي حصين .

وهذا إنما ذكرناه هاهنا لأن الظاهر أن هؤلاء الأئمة رضى الله عنهم إنما يفعلون هذا عن توقيف ، والمراد بالتجريد هاهنا الإفراد والله أعلم .

وقال الدارقطني : حدثنا أبو عبيد الله القاسم بن إسماعيل ومحمد بن مخلد ، قالا : حدثنا علي بن محمد بن معاوية الرزاز ، حدثنا عبد الله بن نافع ، عن عبد الله بن عمر ، عن نافع ، عن ابن عمر : أن النبي صلى الله عليه وسلم استعمل عتَّاب بن أسيد على الحج فأفرَّد ، ثم استعمل أبا بكر سنة تسع فأفرَّد الحج ، ثم حج النبي صلى الله عليه وسلم سنة عشر فأفرَّد الحج ، ثم توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخلف أبو بكر فبعث عمر فأفرَّد الحج ، ثم حج أبو بكر فأفرَّد الحج ، وتوفي أبو بكر واستخلف عمر فبعث عبد الرحمن بن عوف

فأفرد الحج ، ثم حج فأفرد الحج ، ثم حُصر عثمان فأقام عبدُ الله بن عباس للناس فأفرد الحج .

في إسناده عبد الله بن عمر العُمري وهو ضعيف ، لكن قال الحافظ البيهقي : له شاهد بإسناد صحيح .

ذكر من قال إنه عليه السلام حج متمتعاً

قال الإمام أحمد : حدثنا حجاج ، حدثنا ليث ، حدثني عَقِيل ، عن ابن شهاب ، عن سالم بن عبد الله ، أن عبد الله بن عمر قال : تمتّع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع بالعمرة إلى الحج ، وأهل فساق الهدى من ذى الحليفة ، وبدأ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فأهلَّ بالعمرة ثم أهل بالحج ، وكان من الناس من أهدى فساق الهدى من ذى الحليفة ومنهم من لم يُهدِ .

فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة قل للناس : « مَنْ كان منكم أهدى فإنه لا يحلُّ من شيء حَرَمَ منه حتى يَقْضَى حَجُّهُ ، ومن لم يكن أهدى فليطُفْ بالبيت وبالصفاء والمروة وليتَصَّر وليجْلِلْ ثم إيهل بالحج وليُهدِ ، فمن لم يجد هدياً فليصُم ثلاثة أيام وسبعة إذا رجع إلى أهله » .

وظاف رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم مكة ، استلم [الرُّكنَ] أولَ شيءٍ ثم خَبَّ ثلاثة أشواط من السَّبْعَ ومشى أربعة أطواف ، ثم ركع حين قضى طوافه بالبيت عند المقام ركعتين ، ثم سلم فأنصرف فأتى الصفا فطاف بالصفاء والمروة ، ثم لم يَحُللْ من شيء حَرُمَ منه حتى قضى حَجَّه ونحر هديه يوم النحر ، وأفاض فطاف بالبيت ، وفعل مثل ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم مَنْ أهدى فساق الهدى من الناس .

قال الإمام أحمد : وحدثنا حجاج ، حدثنا ليث ، حدثني عَقِيل ، عن ابن شهاب ،

عن عروة بن الزبير ، أن عائشة أخبرته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في تمتعه بالعمرة إلى الحج وتمتع الناس معه بمثل الذي أخبرني سالم بن عبد الله ، عن عبد الله ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد روى هذا الحديث البخاري عن يحيى بن بكير ، ومسلم وأبو داود ، عن عبد الملك بن شعيب ، عن الليث ، عن أبيه ، والنسائي عن محمد بن عبد الله بن المبارك الخرمي ، عن حُجَّين بن المنني ، ثلاثهم عن الليث بن سعد ، عن عَقِيل ، عن الزهري عن عروة عن عائشة . كما ذكره الإمام أحمد رحمه الله .

وهذا الحديث من المشكِّلات على كل من الأقوال الثلاثة .

أما قول الأفراد : ففي هذا إثباتُ عمرةٍ إما قبلَ الحج أو معه .

وأما على قول التمتع الخاص ، فلا نُه ذكر أنه لم يحلَّ من إحرامه بعد ما طاف بالصفاء والرِّوة ، وليس هذا شأنَ التمتع .

ومن زعم أنه إنما منعه من التحلل سَوَقُ الهدى ، كما قد يفهم من حديث ابن عمر عن حفصة أنها قالت : يا رسول الله ما شأنُ الناس حلُّوا من العمرة ولم تحلَّ أنت من عمرتك ؟ فقال : إني لَبَدْتُ رَأْسِي وَقَلَدْتُ هَذِي فَلَا أَحِلُّ حَتَّى أَنْحَر . فقولهم بعيدٌ ، لأن الأحاديث الواردة في إثبات القرآن تردُّ هذا القول وتَأْبِي كونه عليه السلام إنما أهلَّ أولاً بعمرة ثم بعدَ سعيه بالصفاء والرِّوة أهلَّ بالحج ؛ فإن هذا على هذه الصفة لم ينقله أحد بإسناد صحيح بل ولا حسن ولا ضعيف .

وقوله في هذا الحديث : « تمتع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع بالعمرة إلى الحج » إن أريد بذلك التمتع الخاص ، وهو الذي يحل منه بعد السعي فليس كذلك ، فإن في سياق الحديث ما يردُّه ، ثم في إثبات العمرة المقارنة لحجه عليه السلام ما ياباه .

وإن أريد به التمتع العام دخل فيه القرآن وهو المراد .

وقوله : « وبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فأهلّ بالعمرة ثم أهلّ بالحج » إن أريد به بدأ بلفظ العمرة على لفظ الحج ، بأن قال : لبيك اللهم عمرة وحجاً . فهذا سهل ولا ينافي القرآن .

وإن أريد به أنه أهلّ بالعمرة أولاً ثم أدخل عليها الحج متأخراً ولكن قبل الطواف فقد صار قارئاً أيضاً .

وإن أريد به أنه أهلّ بالعمرة ثم لما فرغ من أفعالها تحلل أو لم يتحلل بسوق الهدى كما زعمه زاعمون ، ولكنه أهلّ بحج بعد قضاء مناسك العمرة وقبل خروجه إلى منى ، فهذا لم ينقله أحد من الصحابة كما قدمنا ، ومن ادعاه من الناس فقوله مردود لعدم نقله ومخالفته الأحاديث الواردة في إثبات القرآن كما سيأتى ، بل والأحاديث الواردة في الأفراد كما سبق . والله أعلم .

والظاهر والله أعلم أن حديث الليث هذا عن عَقِيل ، عن الزُّهْرِي ، عن سالم ، عن ابن عمر مَرْوَى من الطريق الأخرى عن ابن عمر حين أَفْرَدَ الحج زمن محاصرة الْحِجَّاج لابن الزبير ، فقيل له : إن الناس كاثنٌ بينهم شيء ، فلو أَخْرَجْتَ الحج عامك هذا ؟ فقال : إذا أَفْعَلْ كما فَعَلَ النبي صلى الله عليه وسلم . يعنى زمن حُصِرَ عام الحديبية فَأَحْرَمَ بعمرة من ذى الحليفة ثم لما علا شَرَفَ الْبَيْدَاء قال : ما أرى أَمْرَهما إلا واحداً . فأهلّ بحج معها ، فاعتقد الراوى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا فعل ، سواء بدأ فأهلّ بالعمرة ثم أهل بالحج ، فرووه كذلك . وفيه نظر لما سنبينه .

وبيان هذا في الحديث الذى رواه عبد الله بن وهب ، أخبرنى مالك بن أنس وغيره ، أن نافعاً حدثهم أن عبد الله بن عمر خرج فى الفتنة معتمراً وقال : إن صُدِّدْتُ عن البيت صنعنا كما صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرج فأهلّ بالعمرة وسار حتى إذا ظهر على

ظَاهِرَ الْبَيْدَاءِ التَّفَتُّ إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ : مَا أَمْرُهَا إِلَّا وَاحِدٌ ، أَشْهَدُكُمْ أَنِّي قَدْ أُوجِبْتُ الْحَجَّ مَعَ الْعُمْرَةِ . نَخْرُجُ حَتَّى جَاءَ الْبَيْتَ فَطَافَ بِهِ وَطَافَ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ سَبْعًا لَمْ يَزِدْ عَلَيْهِ وَرَأَى أَنَّ ذَلِكَ مُجْزٍ عَنْهُ ، وَاهْدَى .

وَقَدْ أَخْرَجَهُ صَاحِبُ الصَّحِيحِ مِنْ حَدِيثِ مَالِكٍ . وَأَخْرَجَاهُ مِنْ حَدِيثِ عُبَيْدِ اللَّهِ عَنْ نَافِعٍ بِهِ . وَرَوَاهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ وَعَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ أَبِي رَوَّادٍ ، عَنْ نَافِعٍ بِهِ نَحْوُهُ ؛ وَفِيهِ : ثُمَّ قَالَ فِي آخِرِهِ : هَكَذَا فَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَفِيمَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ حَيْثُ قَالَ : حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ ، حَدَّثَنَا لَيْثٌ ، عَنْ نَافِعٍ : أَنَّ ابْنَ عُمَرَ أَرَادَ الْحَجَّ عَامَ نَزَلِ الْحِجَّاجُ بِابْنِ الزُّبَيْرِ ، فَقِيلَ لَهُ : إِنَّ النَّاسَ كَاثِنٌ بَيْنَهُمْ قِتَالٌ ، وَإِنَّا نَخَافُ أَنْ يَصْدُوكَ . قَالَ : «لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ» إِذَا أَصْنَعُ كَمَا صَنَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، إِنِّي أَشْهَدُكُمْ أَنِّي قَدْ أُوجِبْتُ عُمْرَةً .

ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى إِذَا كَانَ بِظَاهِرِ الْبَيْدَاءِ قَالَ : مَا أَرَى شَأْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ إِلَّا وَاحِدًا ، أَشْهَدُكُمْ أَنِّي أُوجِبْتُ حَجًّا مَعَ عُمْرَتِي . فَأَهْدَى هَدِيًّا اشْتَرَاهُ بِقُدَيْدٍ ، وَلَمْ يَزِدْ عَلَى ذَلِكَ وَلَمْ يَنْحَرْ وَلَمْ يَحِلَّ مِنْ شَيْءٍ حَرَمَ مِنْهُ ، وَلَمْ يَحْلِقْ وَلَمْ يَقْصُرْ ، حَتَّى كَانَ يَوْمَ النَحْرِ فَنَحَرَ وَحَلَقَ ، وَرَأَى أَنَّ قَدْ قَضَى طَوَافَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ بِطَوَافِهِ الْأَوَّلِ .

وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ : كَذَلِكَ فَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَقَالَ الْبُخَارِيُّ : حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، حَدَّثَنَا ابْنُ عُثَيْمٍ ، عَنْ أَيُّوبَ ، عَنْ نَافِعٍ ، أَنَّ ابْنَ عُمَرَ دَخَلَ ابْنُهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَظَهَرَهُ ^(١) فِي الدَّارِ ، فَقَالَ : إِنِّي لَا آمَنُ أَنْ يَكُونَ الْعَامَ بَيْنَ النَّاسِ قِتَالٌ فَيَصْدُوكَ عَنِ الْبَيْتِ ، فَلَوْ أَقَمْتَ ؟

قَالَ : قَدْ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَحَالَ كِفَارُ قَرِيشَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَيْتِ ،

(١) الظَّهَرُ : الْمَرْكُوبُ مِنَ الْإِبِلِ ، وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ قَدْ عَزَمَ عَلَى الْحَجِّ وَأَحْضَرَ مَرْكُوبَهُ لِيَتَوَجَّهَ عَلَيْهِ .

فإن يُحَلَّ^(١) بيني وبينه أفعَل كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ، إذا أصنع كما صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إني أشهدكم أني قد أوجبتُ مع عمرتي حجًّا . ثم قدِمَ فطاف لهما طوافاً واحداً .
وهكذا رواه البخاري عن أبي النعمان ، عن حماد بن زيد ، عن أيوب بن أبي تميمة السَّخْتِيَّانِي ، عن نافع به . ورواه مسلم من حديثهما عن أيوب به .

فقد اقتدى ابن عمر رضي الله عنه برسول الله صلى الله عليه وسلم في التحلل عند حَصْرِ الْعَدْوِ والاكتفاء بطواف واحد عن الحج والعمرة .
وذلك لأنه كان قد أحرَمَ أولاً بعمرة ليسكون متمتعاً ، نخشى أن يكون حَصْرٌ ، فجمعهما وأدخل الحجَّ قبل العمرة قبل الطواف فصار قارناً .
وقال : ما أرى أمرهما إلا واحداً - يعني : لا فرق بين أن يُحصر الإنسان عن الحج أو العمرة أو عنهما - فلما قدم مكة اكتفى عنهما بطوافه الأول ، كما صرح به في السياق الأول الذي أوردناه ، وهو قوله : ورأى أن قد قَضَى طواف الحج والعمرة بطوافه الأول .

قال ابن عمر : كذلك فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم - يعني أنه اكتفى عن الحج والعمرة بطواف واحد - يعني بين الصفا والمروة .
وفي هذا دلالة على أن ابن عمر رَوَى الْقِرَانَ .

ولهذا روى النسائي عن محمد بن منصور ، عن سفيان بن عُيينة ، عن أيوب بن موسى ، عن نافع : أن ابن عمر قرَنَ الحجَّ والعمرة فطاف طوافاً واحداً .

ثم رواه النسائي ، عن علي بن ميمون الرقي ، عن سفيان بن عيينة ، عن إسماعيل ابن أمية ، وأيوب بن موسى ، وأيوب السخثياني ، وعبد الله بن عمر ، أربعتهم عن نافع : أن ابن عمر أتى ذا الحليفة فأهلَّ بعمره ، فخشي أن يُصدَّ عن البيت . فذكر تمام الحديث من إدخاله الحج على العمرة وصيرورته قارناً .

والمقصود أن بعض الرواة لما سمع قول ابن عمر : « إذا أصنع كما صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم » وقوله : « كذلك فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم » . اعتقد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بدأ فأهلَّ بالعمرة ثم أهل بالحج فأدخله عليها قبل الطواف ، فرواه بمعنى ما فهم .

ولم يُرد ابن عمر ذلك ، وإنما أراد ما ذكرناه . والله أعلم بالصواب .

ثم بتقدير أن يكون أهلَّ بالعمرة أولاً ثم أدخل عليها الحج قبل الطواف فإنه يصير قارناً لا متمتعاً المتمتع الخاص ، فيكون فيه دلالة لمن ذهب إلى أفضلية التمتع . والله تعالى أعلم .

وأما الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه : حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا همام عن قتادة ، حدثني مُطَرِّف ، عن عمران ، قال : تمتعنا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ونزل القرآن قال رجلُ بَرَأيه ما شاء .

فقد رواه مسلم ، عن محمد بن المثنى ، عن عبد الصمد بن عبد الوارث ، عن همام ، عن قتادة به .

والمراد به التمتع التي أعمُّ من القران والتمتع الخاص .

وبدل على ذلك ما رواه مسلم من حديث شعبة وسعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ،

عن مُطَرِّف ، عن عبد الله بن الشَّخِير ، عن عمران بن الحصين ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع بين حج وعمره . وذكر تمام الحديث .

وأكثر السلف يُطلقون المتعة على القران ، كما قال البخارى : حدثنا قتيبة ، حدثنا حجاج بن محمد الأعور عن شعبة ، عن عمرو بن مُرة ، عن سعيد بن المسيب ، قال : اختلف علىَّ وعثمان رضى الله عنهما وهما بمُصَفات في المتعة ، فقال علىَّ : ما تريد إلى أن تنهى عن أمرٍ فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فلما رأى ذلك علىَّ بن أبى طالب أهلكهما جميعا .

ورواه مسلم من حديث شعبة أيضا ، عن الحكم بن عيينة ، عن على بن الحسين ، عن مروان بن الحكم عنهما به . وقال على : ما كنت لأدع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم بقول أحدي من الناس .

ورواه مسلم من حديث شعبة أيضا ، عن قتادة ، عن عبد الله بن شقيق ، عنهما . فقال له على : لقد علمت إنما تمتعنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : أجل ، ولا كنا كنا خائفين .

وأما الحديث الذى رواه مسلم من حديث غُنْدَر ، عن شعبة ، وعن عبيد الله بن معاذ ، عن أبيه عن شعبة ، عن مسلم بن خرقاء القرَّي^(١) ، سمع ابن عباس يقول : أهل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعمره وأهل أصحابه بحج ، فلم يحل رسول الله ولا من ساق الهدى من أصحابه وحل بقيتهم .

فقد رواه أبو داود الطيالسى فى مسنده ، وروح بن عبادة عن شعبة ، عن مسلم القرَّي ، عن ابن عباس ، قال : أهل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحج . وفى رواية أبى داود : أهل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بالحج ، فمن كان منهم لم يكن له متعة هذى حلَّ ، ومن كان معه هدى لم يحل . الحديث .

(١) الأصل : المقرئ . وهو تحريف ، وما أنبته عن صحيح مسلم ٤ / ٥٦ .

فإن صحَّحنا الروايَين جاء القرآنُ ، وإن توقَّعنا في كل منهما وقف الدليل ، وإن رجَّحنا روايةَ مسلم في صحَّيحه في روايةِ العمرة ، فقد تقدَّم عن ابن عباس أنه روى الأفراد وهو الإحرام بالحج ، فتكون هذه زيادةً على الحج ، فيجىء القول بالقران ، لاسيما وسيأتي عن ابن عباس ما يدل على ذلك .

وروى مسلم من حديث غُنْدَر ومعاذ بن معاذ ، عن شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، أن رسول الله قال : هذه عمرَةٌ استمتعنا بها ، فمن لم يكن معه هَدْي فليحلَّ الحلَّ كله ، فقد دخلت العمرة في الحج إلى يوم القيامة .

وروى البخارى عن آدم بن أبي إياس ، ومسلم من حديث غُنْدَر ، كلاهما عن شعبة ، عن أبي جَمْرَةَ ^(١) ، قال : تمتعتُ فنهاني ناسٌ فسألت ابن عباس فأمرنى بها ، فرأيت في المنام كأن رجلاً يقول [لى ^(٢)] : حجٌّ مبرور ومُتعة ^(٣) متقبَّلة ، فأخبرت ابن عباس فقال : الله أكبر ! سُنَّةُ أَبِي الْقَاسِمِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ .

والمراد بالمتعة هاهنا القرآن .

وقال القَعْنَبِيُّ وغيره ، عن مالك بن أنس ، عن ابن شهاب ، عن محمد بن عبد الله ابن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ، أنه حدثه أنه سمع سعد بن أبي وقاص والضحاك بن قيس عامَ حَجِّ معاويةَ بن أبي سفيان يذكر التمتع بالعمرة إلى الحج . فقال الضحاك : لا يصنع ذلك إلا من جهل أمرَ الله . فقال سعد : بئس ما قلت يا ابن أخي .

(١) هو نصر بن عمران الضبعي ، كما في صحيح البخارى .

(٢) من صحيح البخارى .

(٣) صحيح البخارى : وعمرة . القسطلاني ١٣٤/٣ .

فقال الضحاك : فإن عمر بن الخطاب كان ينهى عنها . فقال سعد : قد صنعها رسول الله صلى الله عليه وسلم وصنعناها معه .

ورواه الترمذى والنسائى عن قتيبة ، عن مالك . وقال الترمذى : صحيح .

وقال عبد الرزاق ، عن معتمر بن سليمان وعبد الله بن المبارك ، كلاهما عن سليمان التيمي ، حدثني غنيم بن قيس ، سألت سعد بن أبي وقاص : عن التمتع بالعمرة إلى الحج قال : فعلتها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا يومئذ كافرٌ في العرش - - - يعنى مكة - - - ويعنى به معاوية .

ورواه مسلم من حديث شعبة وسفيان الثوري ويحيى بن سعيد وسروان الفزاري ، أربعهم عن سليمان التيمي ، سمعت غنيم بن قيس ، سألت سعدا عن المتعة فقال : قد فعلناها وهذا يومئذ كافر بالعرش .

وفي رواية يحيى بن سعيد - - - يعنى معاوية -

وهذا كله من باب إطلاق التمتع على ما هو أعم من التمتع الخاص وهو الإحرام بالعمرة والفراغ منها ثم الإحرام بالحج ومن القران ، بل كلام سعد فيه دلالة على إطلاق التمتع على الاعتماد في أشهر الحج ، وذلك أنهم اعتمرُوا ومعاوية بعدُ كافرٌ بمكة قبل الحج ، إما عمرة الحديبية أو عمرة القضاء وهو الأشبه ، فأما عمرة الجعرانة فقد كان معاوية أسلم مع أبيه ليلة الفتح ، وروينا أنه قصر من شعر النبي صلى الله عليه وسلم بمشقص في بعض عمره ، وهى عمرة الجعرانة لا محالة . والله أعلم .

ذكرُ حجة من ذهب إلى أنه عليه السلام كان قارئاً ، وسرّد الأحاديث في ذلك

رواية أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه

قد تقدم مارواه البخارى من حديث أبي عمرو الأوزاعى ، سمعت يحيى بن أبي كثير ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، عن عمر بن الخطاب قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم بوادى العقيق يقول : أتانى آتٍ من ربى عز وجل فقال : صلّ في هذا الوادى المبارك وقلُ عمرة في حجة .

وقال الحافظ البيهقى : أنبأنا على بن أحمد بن عمر بن حفص المقرئ ببغداد ، أنبأنا أحمد بن سليمان ، قال : قرئ على عبد الملك بن محمد وأنا أسمع ، حدثنا أبو زيد الهروى ، حدثنا على بن المبارك ، حدثنا يحيى بن أبي كثير ، حدثنا عكرمة ، حدثني ابن عباس ، حدثني عمر بن الخطاب ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتانى جبرائيل عليه السلام وأنا بالعقيق فقال : صلّ في هذا الوادى المبارك ركعتين . وقل : عمرة في حجة ، فقد دخلت العمرة في الحج إلى يوم القيامة .

ثم قال البيهقى : رواه البخارى عن أبي زيد الهروى .

وقال الإمام أحمد : حدثنا هاشم ، حدثنا سيّار ، عن أبي وائل ، أن رجلاً كان نصرانياً يقال له الصّبّ بن مَعْبِد ، فأراد الجهاد فقبل له : ابدأ بالحج ، فأثنى الأشعرى فأمره أن يَهْل بالحج والعمرة جميعاً ، ففعل ، فبينما هو يلبّي إذ مرّ بزيد بن صُوحان وسلمان بن ربيعة ، فقال أحدهما لصاحبه : لَهَذَا أضلُّ من بعيرِ أهله . فسمعها الصّبّ فكبر ذلك عليه فلما قدِم أتى عمر بن الخطاب فذكر ذلك له . فقال له عمر : هُذيتَ

لِسُنَّةِ نَبِيِّكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . قال : وسمعتُه مرَّةً أُخرى يقول : وَقَفْتُ لِسُنَّةِ نَبِيِّكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وقد رواه الإمام أحمد ، عن يحيى بن سعيد القطَّان ، عن الأعمش ، عن شقيق ، عن أبي وائل ، عن الصَّبِيِّ بن مَعْبَد ، عن عمر بن الخطاب فذكره . وقال : إنهما لم يَقُولَا شيئاً ، هُدِيتَ لِسُنَّةِ نَبِيِّكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

ورواه عن عبد الرزاق ، عن سفيان الثَّورِي ، عن منصور ، عن أبي وائل به .
ورواه أيضا عن غُنْدَر ، عن شعبة ، عن الحَكَم عن أبي وائل وعن سفيان بن عُيَيْنَةَ عن عَبْدِة بن أبي لُبَابَة ، عن أبي وائل ، قال : قال الصَّبِيُّ بن مَعْبَد : كنت رجلا نصرانيا فأسلمتُ ، فأهللتُ بحج وعمره ، فسمعتُ يزيد بن صُوحان وسلمان بن ربيعة وأنا أهلٌّ بهما ، فقالا : لَهَذَا أَضَلُّ من بعير أهله . فسكنا نَحْلَ على بكلماتهما جبلٌ ، فقدمت على عمر فأخبرته ، فأقبل عليهما فلامهما ، وأقبل على فقال : هُدِيتَ لِسُنَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

قال عَبْدَةُ : قال أبو وائل : كثيرا ما ذهبت أنا ومسروق إلى الصَّبِيِّ بن مَعْبَد نسأله عنه .

وهذه أسانيد جيِّدة على شرط الصحيح . وقد رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه من طرق ، عن أبي وائل شقيق بن سلمة به .

وقال النسائي في كتاب الحج من سننه : حدثنا محمد بن علي بن الحسن بن شقيق ، حدثنا أبي ، عن جَمْرَةَ السَّكْرِي ، عن مُطَرِّف ، عن سلمة بن كهيل ، عن طاووس ، عن ابن عباس ، عن عمر ، أنه قال : والله إني لأنهاكم عن المتعة وإنها في كتاب الله وقد فعلها النبي صلى الله عليه وسلم .

إسناد جيد .

رواية أمير المؤمنين : عثمان وعلى رضي الله عنهما

قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن عمرو بن مرة ، عن سعيد بن المسيب ، قال : اجتمع على وعثمان بعُصفان ، وكان عثمان ينهى عن المتعة أو العمرة ، فقال عليّ : ما تريد إلى أمرٍ فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم تنهى عنه ؟ فقال عثمان : دَعْنَا مِنْكَ .

هكذا رواه الإمام أحمد مختصراً .

وقد أخرجاه في الصحيحين من حديث شعبة ، عن عمرو بن مرة ، عن سعيد بن المسيب ، قال : اختلف على وعثمان وهما بعُصفان في المتعة ، فقال : عليّ ما تريد إلى أن تنهى عن أمرٍ فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فلما رأى ذلك علي بن أبي طالب أهلّ بهما جميعاً .

وهكذا لفظ البخاري .

وقال البخاري : حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا غُندَر ، عن شعبة ، عن الحكم ، عن علي بن الحسين ، عن مروان بن الحكم ، قال : شهدت عثمان وعليّاً ، وعثمان ينهى عن المتعة وأن يُجمَعَ بينهما ، فلما رأى عليّ أهلّ بهما : لَبَّيْكَ بِعُمرة وحج . قال : ما كنت لأَدْعِ سُنَّةَ النبي صلى الله عليه وسلم لقول أحد .

ورواه النسائي من حديث شعبة به ، ومن حديث الأعمش عن مسلم البطين ، عن علي بن الحسين به .

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن قتادة ، قال : قال عبد الله بن شقيق : كان عثمان ينهى عن المتعة وعليّ يأمر بها ، فقال : عثمان لعلي : إنك

لَكُذَا وَكَذَا . ثُمَّ قَالَ عَلِيٌّ : لَقَدْ عَلِمْتَ أَنَا نَتَمَتُّعُنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
قال : أَجَلٌ ، وَلَكِنَّا كُنَّا خَائِفِينَ .

ورواه مسلم من حديث شعبة .

فهذا اعتراف من عثمان رضي الله عنه بما رواه عليٌّ رضي الله عنهما ، ومعلوم أن عليًّا رضي الله عنه أحرَمَ عام حجة الوداع بإهلال كَاهِلَالِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وكان قد ساقَ الْهَدْيَ ، وأمره عليه السلام أن يَمَكُثَ حَرَامًا ، وأثَرَكه النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هديه . كما سيأتي بيانه .

وروى مالك في الموطأ عن جعفر بن محمد عن أبيه ، أن الْمُقَدَّادَ بْنَ الْأَسْوَدِ دخل على عليٍّ بن أبي طالب بالسُّقْيَا وهو يَنْجَعُ بَكْرَاتٍ لَهُ دَقِيقًا وَخَبَطًا^(١) ، فقال : هذا عثمان ابن عفان يَنْهَى عن أن يُقَرَّنَ بين الحج والعمرة . فخرج عليٌّ وَعَلَى يده أَثَرُ الدَّقِيقِ وَالْخَبَطِ - ما أنسى أَثَرَ الدَّقِيقِ وَالْخَبَطِ على ذراعيه - حتى دخل على عثمان فقال : أنت تَنْهَى أن يُقَرَّنَ بين الحج والعمرة ؟ فقال عثمان : ذلك رأيي . فخرج عليٌّ مُغَضَّبًا وهو يقول : لبيك اللهم لبيك بِحِجَّةٍ وَعُمْرَةٍ مَعًا .

وقد قال أبو داود في سننه : حدثنا يحيى بن معين ، حدثنا حَجَّاجٌ ، حدثنا يونس ، عن أبي إسحاق ، عن البراء بن عازب ، قال : كنت مع عليٍّ حين أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم على التَّيْمَنِ . فذكر الحديث في قدوم عليٍّ .

قال عليٌّ : فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : كيف صنعتَ ؟ قال : قلت : إِنَّمَا أَهْلَلْتُ بِإِهْلَالِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . قال : إِنِّي قَدْ سَقْتُ الْهَدْيَ وَقَرَنْتُ .

(١) البَكْرَاتُ : الإبل الفتيمة . وينجع : يبق . والخبط : ورق الشجر ينفض ويخفف ويطحن ويخلط بدقيق وغيره ، ثم تسقاه الإبل . .

وقد رواه النسائي من حديث يحيى بن معين بإسناده ، وهو على شرط الشيخين .
وعَلَّاهُ الحافظ البيهقي بأنه لم يذكر هذا اللفظ في سياق حديث جابر الطويل .
وهذا التعليل فيه نظر ، لأنه قد روى القِرآن من حديث جابر بن عبد الله . كما
سيأتى قريباً . إن شاء الله تعالى .

وروى ابن حبان في صحيحه ، عن علي بن أبي طالب ، قال : خرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم من المدينة وخرجت أنا من اليمن ، وقلت : لبيك بإهلالٍ كإهلال
النبي . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : فإنني أهلتُ بالحج والعمرة جميعاً .

رواية أنس بن مالك رضى الله عنه

وقد رواه عنه جماعة من التابعين ، ونحن نوردهم مرتبين على حروف المعجم .
بكر بن عبد الله المزني عنه :

قال الإمام أحمد : حدثنا هُشَيْم ، حدثنا حميد الطويل ، أنبأنا بكر بن عبد الله
المزني ، قال سمعت أنس بن مالك يحدث ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبي
بالحج والعمرة جميعاً ، فحدثت بذلك ابن عمر ، فقال : لبي بالحج وحده . فلقيت أنساً
فحدثته بقول ابن عمر ، فقال : ما تعدُّونا إلا صبياناً ! سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول : لبيك عمرةً وحجاً .

ورواه البخاري عن مُسَدَّد ، عن بشر بن الفضل ، عن حميد به . وأخرجه مسلم عن
شُرَيْح بن يونس ، عن هُشَيْم به . وعن أمية بن بسطام ، عن يزيد بن زريع ، عن
حبيب بن الشهيد ، عن بكر بن عبد الله المزني به .

ثابت البُنَانِي عن أنس

قال الإمام أحمد حدثنا وَكِيعٌ ، عن ابن أبي ليلى ، عن ثابت ، عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم . قال : لبيك بعمره وحِجَّةً معاً .
تفرَّد به من هذا الوجه الحسن البصري عنه .

قال الإمام أحمد : حدثنا رَوْحٌ ، حدثنا أَشْعَثُ ، عن أنس بن مالك ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه قَدِمُوا مَكَّةَ وقد لَبَّؤا بِحِجٍّ وعمره ، فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدما طافوا بالبيت وبالصَّفا والمروة أن يَحِلُّوا وأن يجعلوها عمرَةً ، فكان القوم هَابُوا ذلك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لولا أني سَقَيْتُ هَدِيًّا لَأَحَلَّتْ . فأحلَّ القومُ وتمتعوا .

وقال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا الحسن بن قَزَعة ، حدثنا سفيان بن حبيب ، حدثنا أَشْعَثُ ، عن الحسن ، عن أنس ، أن النبي صلى الله عليه وسلم أهلَّ هو وأصحابه بالحج والعمرة ، فلما قَدِمُوا مَكَّةَ طافوا بالبيت وبالصَّفا والمروة ، أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يَحِلُّوا فهابوا ذلك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أَحِلُّوا فلولا أن معي الهدى لَأَحَلَّتْ . فحلوا حتى حَلُّوا إلى النساء .

ثم قال البزار : لانعم رواه عن الحسن إلا أَشْعَثُ بن عبد الملك .

مُحَمَّدُ بْنُ تَيْرُوبَةَ الطَّوِيلُ عنه :

قال الإمام أحمد : حدثنا يحيى ، عن حميد ، سمعت أنسًا ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لَبَّيْكَ بِحِجٍّ وعمره وجِج .

هذا إسناد ثلاثي على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه ولا أحدٌ من أصحاب الكتب من هذا الوجه ، لكن رواه مسلم عن يحيى بن يحيى ، عن هُشَيْمٍ ، عن يحيى بن أبي

إسحاق وعبيد العزيز بن صهيب وحميد ، أنهم سمعوا أنس بن مالك ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم أهلَّ بهما جميعا : لبَّيك عمرة وحجا ، لبَّيك عمرة وحجا . وقال الإمام أحمد : حدثنا يعمر بن يُسر ، حدثنا عبد الله ، أنبأنا حميد الطويل ، عن أنس بن مالك ، قال : ساق رسول الله صلى الله عليه وسلم بُدْنا كثيرة وقال : لبَّيك بعمره وحج ، وإنى لَمُعد نخذ ناقته اليسرى .
تفرد به أحمد من هذا الوجه أيضا .

حميد بن هلال العدوى البصري عنه :

قال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده : حدثنا محمد بن المنثري ، حدثنا عبد الوهاب ، عن أيوب ، عن أبي قلابة ، عن أنس بن مالك . ح . وحدثنا سلمة بن شبيب ، حدثنا عبيد الرزاق ، أنبأنا معمر ، عن أيوب ، عن أبي قلابة وحميد بن هلال ، عن أنس ، قال : إني رَدَفَ أبي طلحة وإن ركبته لتمسُّ ركبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يلبيُّ بالحج والعمرة .

وهذا إسناد جيد قوى على شرط الصحيح ولم يخرجوه .

وقد تأوَّنه البزار على أن الذي كان يلبيُّ بالحج والعمرة أبو طلحة . قال : ولم يُنكر عليه النبي صلى الله عليه وسلم .

وهذا التأويل فيه نظر ولا حاجة إليه ، لحيء ذلك من طُرُق عن أنس ، كما مضى وكسبائي . ثم عَوَّد الضمير إلى أقرب المذكورين أوَّلَى ، وهو في هذه الصورة أقوى دلالة والله أعلم .

وسيباني في رواية سالم بن أبي الجعد ، عن أنس ، صريحُ الردِّ على هذا التأويل .

زيد بن أسلم عنه :

قال الحافظ أبو بكر البزار : روى سعيد بن عبد العزيز التَّنُوخِي ، عن زيد بن أسلم ، عن أنس بن مالك ، أن النبي صلى الله عليه وسلم أهلَّ بحج وعمره .
حدثناه الحسن بن عبد العزيز الجَرَوِي ومحمد بن مسكين ، قالا : حدثنا بشر بن بكر ، عن سعيد بن عبد العزيز ، عن زيد بن أسلم ، عن أنس .

قلت : وهذا إسناد صحيح على شرط الصحيح ، ولم يخرجوه من هذا الوجه .

وقد رواه الحافظ أبو بكر البيهقي بأبسط من هذا السياق ، فقال : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ وأبو بكر أحمد بن الحسن القاضي ، قالا : حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، أنبأنا العباس بن الوليد بن يزيد ، أخبرني أبي ، حدثنا شعيب بن عبد العزيز ، عن زيد ابن أسلم وغيره ؛ أن رجلاً أتى ابنَ عمر فقال : بِمَ أَهَلَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال ابن عمر : أَهَلَّ بالحج فانصرف .

ثم أتاه من العام المقبل ، فقال : بِمَ أَهَلَّ رسولُ الله ؟ قال : ألم تأتني عامَ أول ؟ قال : بلى ، ولكن أنس بن مالك يزعم أنه قرَن . قال ابن عمر : إن أنس بن مالك كان يَدْخُلُ على النساء وهن مُكشَّفات الرؤوس ، وإني كنت تحت ناقه رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسحُ لُعابها أسمعهُ يلبيُّ بالحج .

سالم بن أبي الجعد الططفاي السكوفي عنه :

قال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن آدم ، حدثنا شريك ، عن منصور ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن أنس بن مالك ، يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم : أنه جمع بين الحج والعمرة ، فقال : لَبَّيْكَ بعمرة وحجَّة معا .

حَسَنٌ ولم يخرجوه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا أبو عَوَّانة ، حدثنا عثمان بن المغيرة ،

عن سالم بن أبي الجعد ، عن سعد مولى الحسن بن علي ؛ قال : خرجنا مع علي فأتينا ذا الحليفة فقال علي : إني أريد أن أجمع بين الحج والعمرة ، فمن أراد ذلك فليقل كما أقول ، ثم لي قال : لبيك بحجة و عمرة معا .

قول : وقال سالم : وقد أخبرني أنس بن مالك ، قال : والله إن رجلي لتمسُّ رجلاً رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنه ليُهل بهما جميعا .

وهذا أيضا إسناد جيد من هذا الوجه ولم يخرجوه .

وهذا السياق يردّ على الحافظ البزار ما تأوّل به حديثُ حميد بن هلال ، عن أنس كما تقدم والله أعلم .

سليمان بن طَرْخان التَّمِيمِي عنه :

قال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا يحيى بن حبيب بن عربي ، حدثنا الْمُعْتَمِر بن سليمان ، سمعت أبي يحدث عن أنس بن مالك ، قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يلبيّ بهما جميعا . ثم قال البزار : لم يَرَوْه عن التَّمِيمِي إلا ابنه الْمُعْتَمِر ، ولم يسمعه إلا من يحيى بن حبيب العربي عنه .

قلت : وهو على شرط الصحيح ولم يخرجوه .

سُوَيْد بن حُجَّير عنه :

قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن أبي قَزَعة سُوَيْد بن حُجَّير ، عن أنس بن مالك ، قال : كنت رَدِيفَ أَبِي طَلْحَةَ ، فكانت رُكْبَةُ أَبِي طَلْحَةَ تسكاد أن تصيب ركبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يهلُّ بهما .

وهذا إسناد جيد ، تفرد به أحمد ولم يخرجوه . وفيه ردٌّ على الحافظ البزار صريح .

عبد الله بن زيد أبو قِلَابَةَ الجُرُمِيّ عنه :

قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، أنبأنا مَعْمَرُ ، عن أيوب ، عن أبي قِلَابَةَ ، عن أنس ، قال : كنت رَدِيفَ أَبِي طَلْحَةَ وهو يسائر النبي صلى الله عليه وسلم . قال : فَإِنَّ رَجُلِي لَتَمْسُ غَرَزَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فسمعته يُلَبِّي بالحج والعمرة معا .

وقد رواه البخاري من طرق ، عن أيوب ، عن أبي قِلَابَةَ ، عن أنس ، قال : صلى النبي صلى الله عليه وسلم الظهرَ بالمدينة أربعاء والعصر بذي الحليفة ركعتين ، ثم بات بها حتى أصبح ، ثم ركب راحلته حتى استوت به على البَيْدَاءِ حمد الله وسبح وكبّر ، وأهلَّ بحج وعمرة وأهلَّ الناس بهما جميعا .

وفي رواية له : كنت رَدِيفَ أَبِي طَلْحَةَ وإنهم ليصرخون بهما جميعا ، الحج والعمرة . وفي رواية له عن أيوب ، عن رجل ، عن أنس ، قال : ثم بات حتى أَصْبَحَ فصلى الصبح ، ثم ركب راحلته حتى إذا استوت به البَيْدَاءُ أهلَّ بعمرة وحج .

عبد العزيز بن صُهَيْب :

تقدمت روايته عنه مع رواية حُمَيْد الطَوِيل عنه ، عند مسلم .

علي بن زيد بن جُدْعَانَ عنه :

قال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا إبراهيم بن سعيد ، حدثنا علي بن حكيم ، عن شريك ، عن علي بن زيد ، عن أنس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لبَّى بهما جميعا .

هذا غريب من هذا الوجه ، ولم يخرج به أحد من أصحاب السنن وهو على شرطهم .

قَتَادَةَ بْنِ دَعَامَةَ السَّدُوسِيَّ عَنْهُ :

قال الإمام أحمد : حدثنا بهز وعبد الصمد المَعْنِيّ ، قالا : حدثنا همام بن يحيى ، حدثنا قَتَادَةُ ، قال : سألت أنسَ بن مالك قلت : كم حجَّ النبي صلى الله عليه وسلم ؟ قال : حِجَّةٌ واحدة واعتَمَرَ أربعَ مرات ، عُمَرَتُهُ زَمَنَ الحُدَيْبِيَّةِ ، وعُمَرَتُهُ فِي ذِي القَعْدَةِ مِنَ المَدِينَةِ ، وعُمَرَتُهُ مِنَ الجُفْرَانَةِ فِي ذِي القَعْدَةِ حَيْثُ قَسَمَ غَنِيْمَةُ حُنَيْنٍ ، وعُمَرَتُهُ مَعَ حِجَّتِهِ .
وأَخْرَجَاهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ هَمَامِ بْنِ يَحْيَى بِهِ .

مُصْعَبُ بْنُ سُلَيْمٍ الزُّبَيْرِيُّ مَوْلَاهُمْ عَنْهُ :

قال الإمام أحمد : حدثنا وَكِيعٌ ، حدثنا مُصْعَبُ بْنُ سُلَيْمٍ ، سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ : أَهْلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحِجَّةٍ وَعَمْرَةٍ .
تَفَرَّدَ بِهِ أَحْمَدُ .

يَحْيَى بْنُ إِسْحَاقَ الْخَضِرَمِيُّ عَنْهُ :

قال الإمام أحمد : حدثنا هُشَيْمٌ ، أَنبَأَنَا يَحْيَى بْنُ إِسْحَاقَ وَعَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ صُهَيْبٍ وَحُمَيْدُ الطَّوِيلُ ، عَنْ أَنَسٍ ، أَنَّهُمْ سَمِعُوهُ يَقُولُ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَلْبِي بِالْحِجِّ وَالْعَمْرَةِ جَمِيعًا يَقُولُ : لَبَّيْكَ عَمْرَةً وَحِجًّا ، لَبَّيْكَ عَمْرَةً وَحِجًّا .
وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ مُسْلِمًا رَوَاهُ عَنْ يَحْيَى بْنِ يَحْيَى ، عَنْ هُشَيْمٍ بِهِ .

وقال الإمام أحمد أيضا : حدثنا عبد الأعلى ، عن يحيى ، عن أنس ، قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة ، قال : فسمعته يقول : لَبَّيْكَ عَمْرَةً وَحِجًّا .

أَبُو أَسْمَاءَ الصَّيْقَلِيُّ عَنْهُ

قال الإمام أحمد : حدثنا حسن ، حدثنا زُهَيْرٌ . وَحَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ، حَدَّثَنَا

زهير ، عن أبي إسحاق ، عن أبي أسماء الصَّيْقِل ، عن أنس بن مالك ، قال : خرجنا نَصْرَح بالحج ، فلما قَدِمنا مكة أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نجعلها عُمرَةً .
وقال : لو استقبلتُ من أَمْرِي ما استدبرتُ لجعلتها عمرَةً ، ولكنني سَفَت الهدى وقرَنت الحج بالعمرة .

ورواه النسائي ، عن هناد ، عن أبي الأخوص ، عن أبي إسحاق ، عن أبي أسماء الصَّيْقِل ، عن أنس بن مالك ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبي بهما .

أبو قُدَّامة الحنفي ، ويقال : إن اسمه محمد بن عبيد ، عن أنس :
قال الإمام أحمد : حدثنا رَوْح بن عباد ، حدثنا شعبة ، عن يونس بن عبيد ،
عن أبي قُدَّامة الحنفي ، قال : قلت لأنس بأي شيء كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبي ؟

فقال : سمعته سبعَ مرات يلبي بعمرة وحجة .
تفرد به الإمام أحمد ، وهو إسناد جيد قوى والله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة .
وروى ابن حِبَّان في صحيحه ، عن أنس بن مالك ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قَرَن بين الحج والعمرة وقرن القومُ معه .

وقد أورد الحافظ البيهقي بعض هذه الطرق عن أنس بن مالك ، ثم شرع يعمل ذلك بكلام فيه نظر .

وحاصله أنه قال : والاشتباه وقع^(١) لأنس لا لمن دونه ، ويحتمل أن يكون سمعه

صلى الله عليه وسلم يعلم غيره كيف يهل بالقرآن لا أنه يهل بهما عن نفسه والله أعلم .

قال : وقد روى ذلك عن غير أنس بن مالك وفي ثبوته نظر .

قلت : ولا يخفى ما في هذا الكلام من النظر الظاهر لمن تأمله ، وربما أنه كان ترك

هذا الكلام أولى منه ، إذ فيه تطرُّق احتمال إلى حفظ الصحابي مع تواتره عنه ، كما رأيت آنفاً ، وفتح هذا يفضى إلى محذور كبير . والله تعالى أعلم .

حديث البراء بن عازب في القرآن .

قال الحافظ أبو بكر البيهقي : أنبأنا أبو الحسين بن بشران ، أنبأنا علي بن محمد

المصرى ، حدثنا أبو غسان مالك بن يحيى ، حدثنا يزيد بن هارون ، أنبأنا زكريا بن

أبي زائدة ، عن أبي إسحاق ، عن البراء بن عازب ، قال : اعتمر رسول الله صلى الله

عليه وسلم ثلاث عُمر كلهن في ذى القعدة . فقالت عائشة : لقد علم أنه اعتمر أربع عمر

بعمرة التي حج معها .

قال البيهقي : ليس هذا بمحفوظ . قلت : سيأتى بإسناد صحيح إلى عائشة نحوه .

رواية جابر بن عبد الله

رضى الله عنهما

قال الحافظ أبو الحسن الدارقطني : أخبرنا أبو بكر بن أبي داود . ومحمد بن جعفر

ابن رُميس والقاسم بن إسماعيل أبو عبيد وعثمان بن جعفر اللبَّان وغيرهم ، قالوا : حدثنا

أحمد بن يحيى الصوفي ، حدثنا زيد بن الحُبَّاب ، حدثنا سفيان الثوري ، عن جعفر بن

محمد ، عن أبيه ، عن جابر بن عبد الله ، قال : حج النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث حجج ،

حجتين قبل أن يهاجر وحجة قرن معها عمرة .

وقد روى هذا الحديث الترمذى وابن ماجه ، من حديث سفيان بن سعيد الثورى به .

أما الترمذى فرواه عن عبد الله بن أبي زياد ، عن زيد بن الحباب ، عن سفيان به ثم قال : غريب من حديث سفيان ، لا نعرفه إلا من حديث زيد بن الحباب . ورأيت عبد الرحمن بن عبد الرحمن ، يعنى الداريمى ، روى هذا الحديث فى كتبه عن عبد الله بن أبي زياد ، وسألت محمداً عن هذا فلم يعرفه ، ورأيت لا يعدّه محفوظاً . قال : وإنما روى عن الثورى عن أبي إسحاق ، عن مجاهد مرسلًا .

وفى السنن الكبير للبيهقى قال أبو عيسى الترمذى : سألت محمد بن إسماعيل البخارى عن هذا الحديث فقال : هذا حديث خطأ وإنما روى هذا عن الثورى مرسلًا . قال البخارى : وكان زيد بن الحباب إذا روى خطأ ، ربما غلط فى الشيء . وأما ابن ماجه فرواه عن القاسم بن محمد بن عباد المهلبى ، عن عبد الله بن داود الخريزى^(١) ، عن سفيان به . وهذه طريق لم يقف عليها الترمذى ولا البيهقى ، [وربما]^(٢) ولا البخارى حيث تكلم فى زيد بن الحباب ظاناً أنه انفرد به وليس كذلك . والله أعلم .

طريق أخرى عن جابر :

قال أبو عيسى الترمذى : حدثنا ابن أبي عمر ، حدثنا أبو معاوية ، عن حجاج ، عن أبي الزبير ، عن جابر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرّن الحجّ والعمرة ، وطاف لهما طوافاً واحداً .

(١) نسبة إلى الخريبة ، وهى محلة بالبصرة . ثوبى سنة ٢١١ . الباب ١/٣٥٩ .

(٢) ليست فى ١ .

ثم قال : هذا حديث حسن . وفي نسخة صحيح .

ورواه ابن حبان في صحيحه عن جابر ، قال : لم يطف النبي صلى الله عليه وسلم إلا طوافاً واحداً لحجه ولعمرته .

قلت : حجاج هذا هو ابن أُرطاة ، وقد تكلم فيه غير واحد من الأئمة . ولكن قد روى من وجه آخر ، عن أبي الزبير ، عن جابر بن عبد الله أيضاً .

كما قال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده : حدثنا مقدّم بن محمد ، حدثني عمي القاسم ابن يحيى بن مقدم ، عن عبد الرحمن بن عثمان بن خثيم ، عن أبي الزبير ، عن جابر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدّم فقرن بين الحج والعمرة وساق الهدى . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يقلّد الهدى فليجعلها عمرة .

ثم قال البزار : وهذا الكلام لا نعلمه يروى عن جابر إلا من هذا الوجه بهذا الإسناد .

انفرد بهذه الطريق البزار في مسنده ، وإسنادها غريب جداً ، وليست في شيء من الكتب الستة من هذا الوجه . والله أعلم .

رواية أبي طلحة زيد بن سهل الأنصاري رضي الله عنه

قال الإمام أحمد : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا حجاج - هو ابن أُرطاة - عن الحسن ابن سعد ، عن ابن عباس ، قال : أخبرني أبو طلحة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع بين الحج والعمرة .

ورواه ابن ماجه عن علي بن محمد ، عن أبي معاوية بإسناده ، ولفظه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرّن بين الحج والعمرة .
الحجاج بن أُرطاة فيه ضعف والله أعلم .

رواية سُراقَة بن مالك بن جُعشم

قال الإمام أحمد : حدثنا مكى بن إبراهيم ، حدثنا داود - يعنى ابن سُويد - سمعت
عبد الملك الزَّرَّاد ، يقول : سمعت النِّزَال بن سَبْرَة صاحب علىّ يقول : سمعت سُراقَة
يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : دخلت العمرةُ في الحج إلى
يوم القيامة .

قال : وقرن رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع .

رواية سعد بن أبى وقاص عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه تمتع بالحج
إلى العمرة وهو القِرآن

قال الإمام مالك عن ابن شهاب ، عن محمد بن عبد الله بن نوفل بن الحارث بن
عبد المطلب ، أنه حدثه أنه سمع سعد بن أبى وقاص ، والضحاك بن قيس عام حجٍّ معاويةً
ابن أبى سفيان يذكُر التمتع بالعمرة إلى الحج . فقال الضحاك : لا يصنع ذلك إلا من جهل
أمر الله . فقال سعد : بئس ما قلت يا بن أخى !
فقال الضحاك : فإن عمر بن الخطاب كان يَنْهى عنها . فقال سعد : قد صنعها
رسول الله صلى الله عليه وسلم وصنعناها معه .

ورواه الترمذى والنسائى جميعا عن قتيبة ، عن مالك به . وقال الترمذى : هذا
حديث صحيح .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن سعيد ، حدثنا سليمان - يعنى التَّيْمى - حدثنى
غُثَيْم ، قال سألت ابن أبى وقاص عن المتعة فقال : فعلناها وهذا كافر بالعرش
- يعنى معاوية -

هكذا رواه مختصراً .

وقد رواه مسلم في صحيحه ، من حديث سفيان بن سعيد الثوري وشعبة ومروان
الفزاري ويحيى بن سعيد القطان ، أربعتهم عن سليمان بن طرخان التيمي ، سمعت غنيم
ابن قيس ، سألت سعد بن أبي وقاص عن المتعة فقال : قد فعلناها وهذا يومئذ كافر بالعرش
قال يحيى بن سعيد في روايته - يعني معاوية - .

ورواه عبد الرزاق عن معتمر بن سليمان وعبد الله بن المبارك ، كلاهما عن سليمان
التيمي ، عن غنيم بن قيس ، سألت سعدا عن التمتع بالعمرة إلى الحج . فقال : فعلتها مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا يومئذ كافر بالعرش - يعني مكة ويعني به معاوية - .
وهذا الحديث الثاني أصح إسناداً ، وإنما ذكرناه اعتضاداً لا اعتماداً ، والأول صحيح
الإسناد ، وهذا أصرح في المقصود من هذا . والله أعلم .

رواية عبد الله بن أبي أوفى^(١)

قال الطبراني : حدثنا سعيد بن محمد بن المغيرة المصري ، حدثنا سعيد بن سليمان ،
حدثنا يزيد بن عطاء ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن عبد الله بن أبي أوفى ، قال :
إنما جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الحج والعمرة لأنه علم أنه لم يكن حاجاً بعد
ذلك العام .

رواية عبد الله بن عباس في ذلك

قال الإمام أحمد : حدثنا أبو النضر ، حدثنا داود - يعني القطان - عن عمرو ،
عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع عمر : عمرة
الحديبية ، وعمرة القضاء والثالثة من الجعرانة ، والرابعة التي مع حجته .

وقد رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه من طرق عن داود بن عبد الرحمن العطار

المكي ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة عن ابن عباس به ، وقال الترمذى : حسن غريب . ورواه الترمذى عن سعيد بن عبد الرحمن ، عن سفيان بن عيينة ، عن عمرو ، عن عكرمة مرسلا .

ورواه الحافظ البيهقى من طريق أبى الحسن على بن عبد العزيز البغوى ، عن الحسن بن الربيع وشهاب بن عباد ، كلاهما عن داود بن عبد الرحمن المطار . فذكره . وقال : والرابعة التى قرّن مع الحجة .

ثم قال أبو الحسن على بن عبد العزيز : ليس أحد يقول فى هذا الحديث عن ابن عباس إلا داود بن عبد الرحمن . ثم حكى البيهقى عن البخارى أنه قال : داود بن عبد الرحمن صدوق ، إلا أنه ربما يتهم فى الشيء .

وقد تقدم ما رواه البخارى من طريق ابن عباس ، عن عمر أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بوادى العقيق : أتانى آت من ربي فقال : صلّ فى هذا الوادى المبارك وقل : عمرة فى حجة . ففعل هذا مستند ابن عباس فيما حكاه ، والله أعلم .

رواية عبد الله بن عمر رضى الله عنهما

قد تقدم فيما رواه البخارى ومسلم من طريق الليث ، عن عقيل ، عن الزهرى ، عن سالم عن ابن عمر ، أنه قال : تمتع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع وأهدى فساق الهدى من ذى الحليفة ، وبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فأهل بالعمرة ثم أهل بالحج ، وذكر تمام الحديث فى عدم إحلاله بعد السعى .

فلم كما قررناه أولا أنه عليه السلام لم يكن متمتعا التمتع الخاص وإنما كان قارنا ، لأنه حكى أنه عليه السلام لم يكن متمتعا ، اكتفى بطواف واحد بين الصفا والروة عن حنجه وعمرته .

وهذا شأن القارن على مذهب الجمهور . كما سيأتى بيانه . والله أعلم .

وقال الحافظ أبو يعلى الموصلى : حدثنا أبو خيثمة ، حدثنا يحيى بن يمان ، عن سفیان ، عن عبيد الله ، عن نافع ، عن ابن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طاف طوافاً واحداً لإقرانه ، لم يحلّ بينهما ، واشترى من الطريق - يعنى المدى - وهذا إسناد جيد رجاله كلهم ثقات ، إلا أن يحيى بن يمان وإن كان من رجال مسلم فى أحابته عن الثورى نكارة شديدة . والله أعلم .

ومما يرجح أن ابن عمر أراد بالإفراد الذى رواه إفراد أفعال الحج ، لا الإفراد الخاص الذى يشير إليه أصحاب الشافعى ، وهو الحج ثم الاعتار بعده فى بقية ذى الحجة ، قول الشافعى : أنبأنا مالك ، عن صدقة بن يسار ، عن ابن عمر ، أنه قال : لأن أعتمر قبل الحج وأهْدِي أحبُّ إلى من أن أعتمر بعد الحج فى ذى الحجة .

رواية عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما

قال الإمام أحمد : حدثنا أبو أحمد - يعنى الزُّبَيْرى - حدثنا يونس بن الحارث ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما قرن خشية أن يُصد عن البيت وقال : إن لم يكن حجة فعمرة .

وهذا حديث غريب سنداً ومتناً ، تفرد بروايته الإمام أحمد .

وقد قال أحمد فى يونس بن الحارث الثقفى هذا : كان مضطرب الحديث . وضعفه وكذا وضعفه يحيى بن معين فى رواية عنه والنسائى .

وأما من حيث المتن فقوله : « إنما قرن رسول الله صلى الله عليه وسلم خشية أن يُصد عن البيت » فمن الذى كان يصدّه عليه السلام عن البيت وقد أُطد^(١) الله له الإسلام وفتح البلد الحرام ، وقد نودى برحاب منى أيام الموسم فى العام الماضى : أن لا يحجَّ بعد العام

(١) أطد : ثبت .

مُشْرِك ولا يطوفن بالبيت عريان وقد كان معه عليه السلام في حجة الوداع قريب من أربعين ألفاً ، فقوله : « خشية أن يصد عن البيت » عجيب .

وما هذا بأعجب من قول أمير المؤمنين عثمان لعلي بن أبي طالب حين قال له علي : لقد علمتَ أنا تمتعنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أجل ولكننا كنا خائفين .
ولست أدري علامَ يُحمَل هذا الخوف من أى جهة كان ! إلا أنه تضمن رواية الصباحي لما رواه وحمله على معنى ظنّه ، فما رواه صحيح مقبول ، وما اعتقده ليس بمعصوم فيه ، فهو موقوف عليه وليس بحجة على غيره ، ولا يلزم منه ردُّ الحديث الذي رواه . وهكذا قول عبد الله بن عمرو ، لو صح السند إليه . والله أعلم .

رواية عمران بن حصين رضى الله عنه

قال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر وحجاج ، قالوا : حدثنا شعبة عن حميد بن هلال سمعت مُطَرِّفاً قال : قال لي عمران بن حصين : إني محدّثك حديثاً عسى الله أن ينفعك به ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جمع بين حجة وعمرة ثم لم ينه عنه حتى مات ، ولم ينزل قرآن فيه يحرمه ، وإنه كان يسلم على فلما اكتويت أمسك عني ، فلما تركته عاد إلى .

وقد رواه مسلم عن محمد بن المثني ومحمد بن بشار ، عن غنْدَر ، وعن عبيد الله بن معاذ ، عن أبيه ، والنسائي عن محمد بن عبد الأعلى عن خالد بن الحارث ، ثلاثهم عن شعبة ، عن حميد بن هلال ، عن مُطَرِّف ، عن عمران به .

ورواه مسلم من حديث شعبة وسعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن مُطَرِّف بن عبد الله بن الشخير ، عن عمران بن الحصين ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع بين حج وعمرة . الحديث .

قال الحافظ أبو الحسن الدارقطني : حديث شعبة ، عن حميد بن هلال ، عن مطرف صحيح . وأما حديثه عن قتادة عن مطرف فإنما رواه عن شعبة كذلك بَقِيَّةُ بن الوليد . وقد رواه غُنْدَرٌ وغيره عن سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة .

قلت : وقد رواه أيضاً النسائي في سننه ، عن عمرو بن علي الفلاس ، عن خالد بن الحارث ، عن شعبة . وفي نسخة عن سعيد بدل شعبة ، عن قتادة ، عن مطرف ، عن عمران ابن الحصين فذكره . والله أعلم .

وثبت في الصحيحين من حديث همام عن قتادة عن مطرف عن عمران بن الحصين قال : تمتعنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لم ينزل قرآن يحرمه ولم ينه عنها حتى مات صلى الله عليه وسلم .

رواية الهرماس بن زياد الباهلي

قال عبد الله بن الإمام أحمد : حدثنا عبد الله بن عمران بن علي أبو محمد من أهل الري ، وكان أصله أصبهانيا ، حدثنا يحيى بن الضريس ، حدثنا عكرمة بن عمار ، عن الهرماس ، قال : كنت رِذْفُ أبي فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو على بعير وهو يقول : « لَبَّيْكَ بِحُجَّةٍ وَعَمْرَةٍ مَعًا » .

وهذا على شرط الشَّيْنِ ، ولم يخرجوه .

رواية حفصة بنت عمر أم المؤمنين رضي الله عنها

قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرحمن ، عن مالك ، عن نافع عن ابن عمر ، عن حفصة أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم : مالك لم تحل من عمرتك ؟ قال : « إني لَبَدْتُ رَأْسِي وَقَلَّدْتُ هَدْيِي ، فَلَا أُحِلُّ حَتَّى أَتُحْرَمَ » .

وقد أخرجه في الصحيحين من حديث مالك وعبيد الله بن عمر . زاد البخاري

وموسى بن عُقبة . زاد مسلم : وابن جريج ، كلهم عن نافع عن ابن عمر به .
وفى لفظهما أنها قالت : يا رسول الله ما شأنُ الناس حَلَّوا من العِمرَةِ
ولم تَحِلْ أنت من عمرتك ؟ فقال : « إني قَلَدْتُ هَذِي وَلَبَّدْتُ رَأْسِي ، فلا أَحِلْ
حتى أَنْحَر » .

وقال الإمام أحمد أيضاً : حدثنا شعيب بن أبي حمزة ، قال : قال نافع : كان عبد الله
ابن عمر يقول : أَخْبَرْتُنَا حَفْصَةُ زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَ أَزْوَاجَهُ أَنْ يَحْلِلْنَ عَامَ حِجَّةِ الْوَدَاعِ . فَقَالَتْ لَهُ فَلَانَةُ : مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَحِلَّ ؟
قال : « إني لَبَّدْتُ رَأْسِي وَقَلَدْتُ هَذِي ، فَلَسْتُ أَحِلَّ حَتَّى أَنْحَر هَذِي » .

وقال أحمد أيضاً : حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا أبي ، عن أبي إسحاق ،
حدثني نافع ، عن عبد الله بن عمر ، عن حفصة بنت عمر ، أنها قالت : لما أمر رسول الله
صلى الله عليه وسلم نساءه أَنْ يَحْلِلْنَ بِعُمْرَةٍ ، قُلْنَ : فَمَا يَمْنَعُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْ تَحِلَّ مَعَنَا ؟
قال : « إني أَهْدَيْتُ وَلَبَّدْتُ ، فلا أَحِلُّ حَتَّى أَنْحَر هَذِي » .

ثم رَوَاهُ أَحْمَدُ عَنْ كَثِيرِ بْنِ هِشَامٍ ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ بَرْقَانَ ، عَنْ نَافِعٍ ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ ،
عَنْ حَفْصَةَ . فَذَكَرَهُ .

فهذا الحديث فيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان متلبساً بعُمْرَةٍ ولم يَحِلَّ منها ،
وقد علم بما تقدم من أحاديث الأفراد أنه كان قد أهل بحج أيضاً ، فدل مجموع ذلك أنه
قَارِنٌ ، مع ماسلف من رواية من صرح بذلك . والله أعلم .

رواية عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها

قال البخاري : حدثنا عبد الله بن مسleme ، عن مالك ، عن ابن شهاب ، عن عروة ،
عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
فِي حِجَّةِ الْوَدَاعِ فَأَهْلَلْنَا بِعُمْرَةٍ . ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم : من كان معه هَذِي

فليله بالحج مع العمرة ، ثم لا يحل حتى يحل منهما جميعا ، فقدِمْتُ مكة وأنا حائض ، فلم أُطِفْ بالبيت ولا بين الصفا والمروة ، فشكوت ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : انقضى رأسك وامتشطى وأهلي بالحج ودعى العمرة . ففعلتُ .

فلما قضيتُ الحجَّ أرسلاني رسول الله صلى الله عليه وسلم مع عبدالرحمن بن أبي بكر إلى التَّغْنِيم ، فاعتَمَرْتُ . فقال : هذه مكانَ عمرتك .

قالت : فطاف الذين كانوا أهلوا بالعمرة بالبيت وبين الصفا والمروة ، ثم حلَّوا ، ثم طافوا طوافا آخر بعد أن رجعوا من منى ، وأما الذين جَمَعُوا الحج والعمرة فإنما طافوا طوافا واحداً .

وكذلك رواه مسلم من حديث مالك ، عن الزهري فذكره .

ثم رواه عن عبد بن حميد ، عن عبد الرزاق ، عن مَعْمَر ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة قالت : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام حجة الوداع ، فأهَلَّتْ بعمرة ، ولم أكن سَقْتُ الهدى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من كان معه هدى فليله بالحج مع عمرته لا يحل حتى يحل منهما جميعا . وذكر تمام الحديث كما تقدم .

والمقصود من إيراد هذا الحديث هاهنا قوله صلى الله عليه وسلم : « من كان معه هدى فليله بحج وعمرة » .

ومعلوم أنه عليه السلام قد كان معه هدى ، فهو أول وأولى من ائتمر بهذا ، لأن المخاطب داخل في عموم متعلق خطابه على الصحيح .

وأيا فإنها قالت : « وأما الذين جَمَعُوا الحج والعمرة فإنما طافوا طوافاً واحداً »
يعنى بين الصفا والمروة . وقد روى مسلم عنها : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما

طاف بين الصفا والمروة طوافاً واحداً ، فعلم من هذا أنه كان قد جمع بين الحج والعمرة .
وقد روى مسلم من حديث حماد بن زيد ، عن عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه ،
عن عائشة ، قالت : فكان الهدى مع النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر
ودّوى البسار .

وأيضاً فإنها ذكرت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يتحلل من الذسكين ، فلم
يكن متمتعاً ، وذكرت أنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُعمرها من التمتع .
وقالت : يا رسول الله ينطلقون بحج وعمره وأنطلق بحج ! فبعثها مع أخيها عبد الرحمن بن
أبي بكر فأعمرها من التمتع .

ولم يُذكر أنه عليه السلام اعتمر بعد حجته ، فلم يكن مُفرداً ، فلم أنه كان قارناً ،
لأنه كان باتفاق الناس قد اعتمر في حجة الوداع . والله أعلم .

وقد تقدم مارواه الحافظ البيهقي من طريق يزيد بن هارون ، عن زكريا بن أبي زائدة
عن أبي إسحاق ، عن البراء بن عازب ، أنه قال : اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث
عمر كلهن في ذي القعدة ، فقالت عائشة : لقد علم أنه اعتمر أربع عمر بعمرته التي حجَّ معها
وقال البيهقي في الخلفيات : أخبرنا أبو بكر بن الحارث الفقيه ، أنبأنا أبو محمد
ابن حسان الأصهباني ، أنبأنا إبراهيم بن شريك ، أنبأنا أحمد بن يونس ، حدثنا زهير ،
حدثنا أبو إسحاق ، عن مجاهد ، قال : سئل ابن عمر : كم اعتمر رسول الله صلى الله عليه
وسلم ؟ فقال : مرتين . فقالت عائشة : لقد علم ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
اعتمر ثلاثاً سوى العمرة التي قرنها مع حجة الوداع .

ثم قال البيهقي : وهذا إسناد لا بأس به ، لكن فيه إرسال . مجاهد لم يسمع من عائشة
في قول بعض المحدثين .

قلت : كان شعبة يُنكره ، وأما البخارى ومسلم فإنهما أثبتاه . والله أعلم .

وقد روى من حديث القاسم بن عبد الرحمن بن أبى بكر وعروة بن الزبير وغير واحد عن عائشة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان معه الهدى عام حجة الوداع . وفى إعمارها من التعميم ومصادقتها له منهبطاً على أهل مكة ويتوته بالخصب حتى صلى الصبح بمكة ثم رجع إلى المدينة .

وهذا كله مما يدل على أنه عليه السلام لم يعتمر بعد حجته تلك ، ولم أعلم أحداً من الصحابة نقله .

ومعلوم أنه لم يتحلل بين النُسكين ، ولا روى أحد أنه عليه السلام بعد طوافه بالبيت وسعيه بين الصفا والمروة حلق ولا قصر ولا تحلل ، بل استمر على إحرامه باتفاق ، ولم يُنقل أنه أهلَّ بحج لما سار إلى منى ، فعلم أنه لم يكن متمتعاً .

وقد اتفقوا على أنه عليه السلام اعتمر عام حجة الوداع فلم يتحلل بين النُسكين ولا أنشأ إحراماً للحج ولا اعتمر بعد الحج ، فلزم القرآن . وهذا مما يفسر الجواب عنه والله أعلم .

وأيضاً فإن رواية القرآن مُثبتة لما سكّت عنه أو نفاه من روى الأفراد والتمتع ، فهى مقدّمة عليها ، كما هو مقرر فى علم الأصول .

وعن أبى عمران أنه حج مع مواليه ، قال : فأُتيت أمّ سلمة فقلت : يأم المؤمنين إني لم أحج قط ، فأيهما أبدأ بالعمرة أم بالحج ؟ قالت : ابدأ بأيهما شئت .

قال : ثم أُتيت صفية أم المؤمنين فسألتها فقلت لى مثل ما قالت لى ، ثم جئت أم سلمة فأخبرتها بقول صفية فقالت لى أم سلمة : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يا آل محمد من حجّ منكم فليُهَلِّ بعمره فى حجة » .

رواه ابن حبان فى صحيحه ، وقد رواه ابن حزم فى حجة الوداع من حديث الليث ابن سعد ، عن يزيد بن أبى حبيب ، عن أسلم ، [عن^(١) أبى عمران ، عن أم سلمة به .

(١) ليست فى ١ .

فصل

إن قيل : قد رويتم عن جماعة من الصحابة أنه عليه السلام أفرد الحج ، ثم رويتم عن هؤلاء بأعيانهم وعن غيرهم أنه جمع بين الحج والعمرة ، فما الجمع من ذلك ؟ فالجواب : أن روى أنه أفرد الحج محمولة على أنه أفرد أفعال الحج ، ودخلت العمرة فيه نيةً وفعلًا ووقتًا .

وهذا يدل على أنه اكتفى بطواف الحج وسعيه عنه وعنهما ، كما هو مذهب الجمهور في القارن خلافاً لأبي حنيفة رحمه الله ، حيث ذهب إلى أن القارن يطوف طوافين ويسعى سعيين ، واعتمد على ما روى في ذلك عن علي بن أبي طالب وفي الإسناد إليه نظر .

وأما من روى التمتع ثم روى القِران ، فقد قدمنا الجواب عن ذلك ، بأن التمتع في كلام السلف أعمُّ من التمتع الخاص والقِران ، بل ويُطلقونه على الاعتِمَار في أشهر الحج وإن لم يكن معه حج . كما قال سعد بن أبي وقاص : تمتعنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا - يعنى معاوية - يومئذ كافر بالعرش - يعنى بمكة .

وإنما يريد بهذا إحدى العمرتين ، إما الحديبية أو القضاء ، فأما عمرة الجعرانة فقد كان معاوية قد أسلم ، لأنها كانت بعد الفتح ، وحجة الوداع بعد ذلك سنة عشر ، وهذا بيّن واضح . والله أعلم .

فصل

إن قيل : فما جوابكم عن الحديث الذي رواه أبو داود الطيالسي في مسنده : حدثنا هشام ، عن قتادة ، عن أبي شيخ الهنائي ^(١) ، واسمه حيوان بن خالد ، أن معاوية قال لنفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى

(١) في المشتهر ٢٧٩/١ : السبائي .

عن صُفِّف^(١) النور؟ قالوا : اللهم نعم . قال : وأنا أشهد . قال : أتعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن لبس الذهب إلا مُقَطَّعًا^(٢)؟ قالوا : اللهم نعم . قال : أتعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى أن يُقَرَّنَ بين الحِجِّ والعمرة قالوا : اللهم لا . قال : والله إنها لمعین .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا همام ، عن قتادة ، عن أبي شيخ الهُنَّائِي ، قال : كنت في ملاٍّ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عند معاوية فقال معاوية : أنشدكم بالله أتعلمون أن رسول الله نهى عن جلود النور أن يُرْكَبَ عليها؟ قالوا : اللهم نعم . قال : وتعلمون أنه نهى عن لباس الذهب إلا مُقَطَّعًا؟ قالوا : اللهم نعم . قال : وتعلمون أنه نهى أن يشرب في آنية الذهب والفضة؟ قالوا : اللهم نعم . قال : وتعلمون أنه نهى عن المُتَمَتِّعَةِ؟ - يعني مُتَمَتِّعَةَ الحِجِّ - قالوا : اللهم لا .

وقال أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن أبي شيخ الهُنَّائِي ، أنه شهد معاوية وعنده جَمْعٌ من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال لهم معاوية : أتعلمون أن رسول الله نهى عن ركوب جلود النور؟ قالوا : نعم . قال : تعلمون أن رسول الله نهى عن لبس الحرير؟ قالوا : اللهم نعم . قال : أتعلمون أن رسول الله نهى أن يشرب في آنية الذهب والفضة؟ قالوا : اللهم نعم . قال : أتعلمون أن رسول الله نهى عن جمع بين حج وعمرة؟ قالوا : اللهم لا . قال : فوالله إنها لمعین .

وكذا رواه حماد بن سلمة ، عن قتادة ، وزاد : ولستكنكم نسيتم .

وكذا رواه أشعث بن نزار وسعيد بن أبي عروبة وهما عن قتادة بأصله ورواه مطر الوراق وبهيس بن فهدان ، عن أبي شيخ ، في مقعة الحِجِّ .

(١) الصُفِّف : جمع صُفِّفَة ، وهي ما يفرش تحت السرج .

(٢) المُقَطَّع : الشيء اليسير منه كالحلقة . النهاية ٢٩٦/٣ .

قد رواه أبو داود والنسائي من طرق عن أبي شيخ الهنائي به ، وهو حديث جيد الإسناد .

وَيُسْتَقْرَبُ مِنْهُ رَوَايَةُ مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ النَّهْيُ عَنِ الْجَمْعِ بَيْنَ الْحَجِّ ، وَالْعُمْرَةِ .
ولعل أصل الحديث النهي عن المتعة ، فاعتقد الراوي أنها مُتَعَةُ الْحَجِّ وَإِنَّمَا هِيَ مُتَعَةُ النِّسَاءِ ، وَلَمْ يَكُنْ عِنْدَ أُولَئِكَ الصَّحَابَةِ رَوَايَةُ فِي النَّهْيِ عَنْهَا .
أو لعل النهي عن الإقْران^(١) في التمر ، كما في حديث ابن عمر ، فاعتقد الراوي أن المراد الإقْران في الحج ، وليس كذلك .

أو لعل معاوية رضى الله عنه إنما قال : أتعلمون أنه نهى عن كذا ، فبناه بما لم يسم فاعله ، فصريح الراوي بالرفع إلى النبي ﷺ ، وهم في ذلك ، فإن الذى كان ينهى عن متعة الحج إنما هو عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ولم يكن نهيه عن ذلك على وجه التحريم والحتم ، كما قدمنا . وإنما كان ينهى عنها لتفرد عن الحج بسفر آخر ، لتكثر زيارة البيت .

وقد كان الصحابة رضى الله عنهم يهابونه كثيراً ، فلا يتجاسرون على مخالفته غالباً ، وكان ابنه عبد الله يخالفه فيقال له : إن أباك كان ينهى عنها . فيقول : لقد خشيت أن تقع عليكم حجارة من السماء ! قد فعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أفسنة رسول الله تُدْبِعُ أو سنة عمر بن الخطاب ؟ !

وكذلك كان عثمان بن عفان رضى الله عنه ينهى عنها ، وخالفه على بن أبى طالب كما تقدم ، وقال : لا أدع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أقول أحد من الناس .
وقال عمران بن حصين : تمتعنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لم ينزل قرآن

(١) الإقْران : الجمع بين التمرتين في الأكل .

يحرّمه ولم يَنْه عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى مات .
أخبرناه في الصحيحين .

وفي صحيح مسلم عن سعد ، أنه أنكر على معاوية إنكاره المتعة وقال : قد فعلناها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا يومئذ كافر بالعرش . يعنى معاوية ، أنه كان حين فعلوها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كافراً بمكة يومئذ .

قلت : وقد تقدم أنه عليه السلام حج قارناً بما ذكرناه من الأحاديث الواردة في ذلك ، ولم يكن بين حجة الوداع وبين وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أحدٌ وثمانون يوماً .

وقد شهد الحجة ما يُنفي عن أربعين ألف صحابي قولاً منه وفعلًا ، فلو كان قد نهى عن القرآن في الحج الذي شهدته منه الناس لم ينفرد به واحد من الصحابة ويرده عليه جماعة منهم ممن سمع منه ومن لم يسمع .

فهذا كله مما يدل على أن هذا هكذا ليس محفوظاً عن معاوية رضي الله عنه . والله أعلم .

وقال أبو داود : حدثنا أحمد بن صالح ، حدثنا ابن وهب ، أخبرني حيوة ، أخبرني أبو عيسى الخراساني ، عن عبد الله بن القاسم الخراساني ، عن سعيد بن المسيّب ، أن رجلاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أتى عمر بن الخطاب فشهد أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي قبض فيه ينهى عن العمرة قبل الحج .

وهذا الإسناد لا يخلو عن نظر . ثم إن كان هذا الصحابي عن معاوية ، فقد تقدم الكلام على ذلك ، ولكن في هذا النهي عن المتعة لا القرآن . وإن كان عن غيره فهو مُشكّل في الجملة ، لكن لا على القرآن . والله أعلم .

ذكر مُسْتَنَد من قال إنه عليه الصلاة والسلام أَطْلَقَ الإِحْرَامَ

ولم يَمَيِّنْ حُجًّا وَلَا عُمْرَةً أَوَّلًا ، ثم بعد ذلك صرّفه إلى مَعَيِّن .
وقد حُكِيَ عن الشافعي أنه الأَفْضَل ، إلا أنه قول ضعيف .

قال الشافعي رحمه الله : أنبأنا سفيان ، أنبأنا ابن طاوس وإبراهيم بن مَيْسَرَةَ وهشام ابن حُجَيْر ، سمعوا طاوساً يقول : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة لا يَسْمِي حُجًّا وَلَا عُمْرَةً ينتظر القضاء ، فنزل عليه القضاء وهو بين الصفا والمروة ، فأمر أصحابه من كان منهم أهلًا بالحج ولم يكن معه هدى أن يجعلها عمره ، وقال : « لو استقبلت من أمري ما استدبرت لما سقت الهدى ، ولكن أبدت رأسي وسقت هدي فليس لي حِلٌّ إلا هدي » .

فقام إليه سُراقَةُ بن مالك ، فقال : يا رسول الله اقض لنا قضاءً ، كأما ولدوا اليوم ، أعمرتنا هذه لعامنا هذا أم للأبد ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بل للأبد ، دخلت العمرة في الحج إلى يوم القيامة » .

قال : فدخل على من اليمين فسأله النبي صلى الله عليه وسلم : بم أهَلَّت ؟ فقال أحدهما : لبَيْتِكَ إِهْلَالُ النبي صلى الله عليه وسلم . وقال الآخر : لبَيْتِكَ حِجَّةُ النبي صلى الله عليه وسلم .

وهذا مُرْسَل عن طاوس وفيه غَرَابَةٌ .

وقاعدة الشافعي رحمه الله أنه لا يَقْبَلُ المرسل بمجردِهِ حتى يَمْتَضِدَ بغيره ، اللهم إلا أن يكون عن كبار التابعين كما عوِّلَ عليه كلامه في الرسالة ، لأن الغالب أنهم لا يُرْسِلُونَ إلا عن الصحابة . والله أعلم .

وهذا المرسل ليس من هذا القبيل ، بل هو يخالف للأحاديث المتقدمة كلها ،
أحاديث الأفراد وأحاديث التمتع وأحاديث القرآن ، وهي مُسَنَدَةٌ صحيحة كما تقدم ،
فهي مقدّمة عليه ، ولأنها مُثَبِّتَةٌ أمراً نفاه هذا المرسل ، والمُثَبِّتُ مقدّم على النافي لو
تسكافاً ، فكيف والمسند صحيح ، والمرسل من حيث [هو] لا ينهض حجة لانتقطاع
سنده . والله تعالى أعلم .

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، أنبأنا أبو العباس الأصم ،
حدثنا العباس بن محمد الدوري ، حدثنا مُحَاضِرٌ ، حدثنا الأعمش ، عن إبراهيم ، عن
الأسود ، عن عائشة ، قالت : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نَذْكُرُ حجاً
ولا عمرة ، فلما قَدِمْنَا أَسْرَمْنَا أَنْ نَحْلَ ، فلما كانت ليلة النَّفَرِ حاضَتْ صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيٍّ .
فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « حَلَقَيْ عَقْرِي ^(١) ! مَا أَرَاهَا إِلَّا حَابِسَتَكُمْ » . قال :
هل كنت طُفْتُ يَوْمَ النَّحْرِ ؟ قالت : نعم . قال : فَاغْفِرِي . قالت : قلت : يا رسول الله
إني لم أَكُنْ أَهْلًا . قال : « فَاغْفِرِي مِنَ التَّغْنِيمِ » قال : فخرج معها أخوها . قالت :
فَلَقَيْنَا مُدْجِلًا . فقال : مَوْعِدُكَ كَذَا وَكَذَا .

هكذا رواه البيهقي .

وقد رواه البخاري عن محمد ، قيل هو ابن يحيى الذهلي ، عن مُحَاضِرِ بْنِ الْمُرَّعِ بِهِ .
إلا أنه قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نَذْكُرُ إِلَّا الْحَجَّ .
وهذا أشبه بأحاديثها المتقدمة .

لكن روى مسلم عن سُؤيد بن سعيد ، عن علي بن مُسْنَرٍ ، عن الأعمش ، عن

(١) حلق عقرى : أى تعقر قومها وتخلقهم . والعقرى : الحائض . يضرب للنشاور .

إبراهيم ، عن الأسود ، عن عائشة قالت : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نذكر حجاً ولا عمرة .

وقد أخرجه البخارى ومسلم من حديث منصور ، عن إبراهيم ، عن الأسود عنها ، قالت : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا نرى إلا أنه الحج . وهذا أصحُّ وأثبت . والله أعلم .

وفى رواية لها من هذا الوجه : خرجنا نلبي ولا نذكر حجاً ولا عمرة . وهو محمول على أنهم لا يذكرون ذلك مع التلبية ، وكانوا قد سمّوه حال الإحرام ، كما فى حديث أنس : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لبيك اللهم حجاً وعمرة » وقال أنس : وسمعتهم يصرخون بهما جميعاً .

فأما الحديث الذى رواه مسلم من حديث داود بن أبي هند ، عن أبي نضرة ، عن جابر وأبي سعيد الخدرى ، قالوا : قدِمنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نصرخ بالحج صُراخاً . فإنه حديث مُشكَل على هذا . والله أعلم .

ذِكْرُ تَلْبِيَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قال الشافعي : أخبرنا مالك ، عن نافع عن عبد الله بن عمر ، أن تلبية رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ ، إِنَّ الْحَمْدَ وَالنَّعْمَةَ لَكَ ، وَالْمُلْكَ لَكَ ، لَا شَرِيكَ لَكَ » .

وكان عبد الله بن عمر يزيد فيها : لَبَّيْكَ لَكَ وَسَعْدَيْكَ ، وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ ، لَبَّيْكَ وَالرَّغْبَاءُ إِلَيْكَ وَالْعَمَلُ .

ورواه البخاري عن عبد الله بن يوسف ومسلم عن يحيى بن يحيى ، كلاهما عن مالك به . وقال مسلم : حدثنا محمد بن عباد ، حدثنا حاتم بن إسماعيل ، عن موسى بن عُبَيْدَةَ ، عن سالم بن عبد الله بن عمر ، [و] عن نافع مولى عبد الله بن عمر وحمة بن عبد الله بن عمر ، عن عبد الله بن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : كان إذا استوت به راحلته قائمةً عند مسجد ذي الحليفة أهل فقال : « لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ ، إِنَّ الْحَمْدَ وَالنَّعْمَةَ لَكَ ، وَالْمُلْكَ لَكَ ، لَا شَرِيكَ لَكَ » .

قالوا : وكان عبد الله يقول : هذه ^(١) تلبية رسول الله . قال نافع : وكان عبد الله يزيد مع هذا : لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ ، لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ بِيَدَيْكَ وَالرَّغْبَاءُ إِلَيْكَ وَالْعَمَلُ . حدثنا محمد بن المثنى ، حدثنا يحيى بن سعيد ، عن عبيد الله ، أخبرني نافع ، عن ابن عمر ، قال : تَلَقَّيْتُ التَّلْبِيَةَ مِنْ [فِ] رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فذكر بمثل حديثهم .

حدثني حَزْمَةُ بْنُ يَحْيَى ، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، أَخْبَرَنَا يُونُسُ ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ ، قَالَ : فَإِنْ ^(٢) سَأَلَ بَنُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ أَخْبَرَنِي عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

١ الأصل : فِي تَلْبِيَةِ ، وَمَا أَتَيْتَهُ عَنْ مُسْلِمٍ . (٢) الأصل : قَالَ ، وَمَا أَتَيْتَهُ عَنْ مُسْلِمٍ .

عليه وسلم يُهَلُّ ملَبِّداً يقول : « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إنَّ الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك » لا يزيد على هؤلاء الكلمات .

وإنَّ عبد الله بن عمر كان يقول : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزكع بذى الحليفة ركعتين ، فإذا استوت به للنساقة قائمة عند مسجد ذى الحليفة أهلَّ بهؤلاء الكلمات .

وقال عبد الله بن عمر : كان عمر بن الخطاب يُهَلُّ بإهلال النبي صلى الله عليه وسلم من هؤلاء الكلمات ، وهو يقول : لبيك اللهم لبيك ، لبيك وسعديك والخيرُ في يديك لبيك والرفقاء إليك والعمل .

هذا لفظ مسلم ، وفي حديث جابر من التلبية كما في حديث ابن عمر ، وسيأتى مطولاً قريباً ، رواه مسلم منفرداً به .

وقال البخارى بعد إirاده من طريق مالك ، عن نافع ، عن ابن عمر ماتقدم : حدثنا محمد بن يوسف ، حدثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن عمارة ، عن أبي عطية ، عن عائشة ، قالت : إنى لأعلم كيف كان النبي صلى الله عليه وسلم يأتى : « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك » .

تابعه أبو معاوية عن الأعمش . وقال شعبة : أخبرنا سليمان ، سمعت خثيمة ، عن أبي عطية ، سمعت عائشة .
تفرّد به البخارى .

وقد رواه الإمام أحمد عن عبد الرحمن بن مَهْدَى ، عن سفيان الثورى ، عن سليمان ابن مهران الأعمش ، عن عمارة بن عُمَيْر ، عن أبي عطية الوادى ، عن عائشة . فذكر مثل ما رواه البخارى سواء .

ورواه أحمد عن أبي معاوية ، وعبد الله بن مُنِير ، عن الأعمش ، كما ذكره البخارى سواء .
ورواه أيضاً عن محمد بن جعفر ورّوح بن عباد ، عن شعبة ، عن سليمان بن مهران
الأعمش به كما ذكره البخارى . وكذلك رواه أبو داود الطيالسى فى مسنده عن
شعبة سواء .

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن فضّيل ، حدثنا الأعمش ، عن عمارة بن عُمر ، عن
أبى عطية ، قال قالت عائشة : إني لأعلم كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلجئ .
قال : ثم سمعتها تلجئ فقالت : لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد
والنعمه لك والملك لا شريك لك .

فزاد فى هذا السياق وحده : والملك لا شريك لك .

وقال البيهقى : أخبرنا الحاكم ، أنبأنا الأصم ، حدثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم
أنبأنا ابن وهب ، أخبرنى عبد العزيز بن عبد الله بن أبى سلمة أن عبد الله بن الفضل
حدثه ، عن عبد الرحمن الأعرج ، عن أبى هريرة ، أنه قال : كان من تلبية رسول الله
صلى الله عليه وسلم : « لَبَّيْكَ إِلَهَ الْحَقِّ » .

وقد رواه النسائى عن قتيبة ، عن مُحمّد بن عبد الرحمن ، عن عبد العزيز بن أبى سلمة
وابن ماجه عن أبى بكر بن أبى شَيْبَة ، وعلى بن محمد ، كلاهما عن وَكيع ، عن عبد العزيز به .
قال النسائى : ولا أعلم أحدا أسنده عن عبد الله بن الفضل إلا عبد العزيز . ورواه
إسماعيل بن أمية مرسلًا .

وقال الشافعى : أنبأنا سعيد بن سالم القدّاح ، عن ابن جُرَيْج ، أخبرنى مُحمّد الأعرج ،
عن مجاهد ، أنه قال : كان النّبى صلى الله عليه وسلم يُظهِر من التّلبية : لبيك اللهم لبيك .
فذكر التلبية .

قال : حتى إذا كان ذات يوم والناس يصرفون عنه كأنه أعجبه ما هو فيه ، فزاد فيها : لبيك إن العيشَ عيشُ الآخرة .
قال ابن جريج : وحسبتُ أن ذلك يومَ عرفة .
هذا مرسل من هذا الوجه .

وقد قال الحافظ أبو بكر البيهقي : أخبرنا عبد الله الحافظ ، أخبرني أبو أحمد يوسف ابن محمد بن محمد بن يوسف ، حدثنا محمد بن إسحاق بن خزيمة ، حدثنا نصر بن علي الجهضمي ، حدثنا محبوب بن الحسن ، حدثنا داود ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب بعرفات فلما قال : لبيك اللهم لبيك . قال : إنما الخيرُ خيرُ الآخرة .

وهذا إسناد غريب ، وإسناده على شرط السنن ولم يخرجوه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا رَوْح ، حدثنا أسامة بن زيد ، حدثني عبد الله بن أبي كَبِيد ، عن المطلب بن عبد الله بن حنطب ، سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أمرني جبرائيل برفع الصوت في الإلهال فإنه من شعائر الحج .
تفرد به أحمد .

وقد رواه البيهقي ، عن الحاكم ، عن الأصم ، عن محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، عن ابن وهب ، عن أسامة بن زيد ، عن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان وعبد الله بن أبي كَبِيد ، عن المطلب ، عن أبي هريرة ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . فذكره .
وقد قال عبد الرزاق : أخبرنا الثوري ، عن ابن أبي كَبِيد ، عن المطلب بن حنطب ، عن خالد بن السائب ، عن زيد بن خالد ، قال : جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : مرُ أصحابك أن يرفعوا أصواتهم بالتلبية فإنها شعار الحج .

وكذا رواه ابن ماجه ، عن علي بن محمد ، عن وَكِيع ، عن الثوري به . وكذلك رواه شعبة وموسى بن عُقبة ، عن عبد الله بن أبي لييد به .

وقال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، حدثنا سُفْيَان ، عن عبد الله بن أبي لييد ، عن المطلب بن عبد الله بن حَنْطَب ، عن خَلَاد بن السائب ، عن زيد بن خالد الجُهَنِي ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : جاءني جبرائيل فقال : يا محمد مُرْ أصحابك فليرفعوا أصواتهم بالتلبية فإنها شعار الحج .

قال شيخنا أبو الحجاج المِزِّي في كتاب « الأطراف » : وقد رواه معاوية عن هشام ، وقبيصة ، عن سُفْيَان الثوري ، عن عبد الله بن أبي لييد ، عن المطلب ، عن خَلَاد بن السائب ، عن أبيه ، عن زيد بن خالد به .

وقال أحمد : حدثنا سُفْيَان بن عُيَيْنَةَ ، عن عبد الله بن أبي بكر ، عن عبد الملك ابن أبي بكر بن الحارث بن هشام ، عن خَلَاد بن السائب بن خالد ، عن أبيه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : أتاني جبرائيل فقال : مُرْ أصحابك فليرفعوا أصواتهم بالإِهْلَال .

وقال أحمد : قرأت على عبد الرحمن بن مهدي ، عن مالك . وحدثنا رَوْح ، حدثنا مالك ، يعني ابن أنس ، عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، عن عبد الملك ابن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، عن خَلَاد بن السائب الأنصاري ، عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : أتاني جبرائيل فأمرني أن أمر أصحابي - أو من معي - أن يرفعوا أصواتهم بالتلبية أو بالإِهْلَال - يريد أحدهما .

وكذلك رواه الشافعي عن مالك . ورواه أبو داود عن القَعْنَبِي ، عن مالك به ورواه الإمام أحمد أيضاً من حديث ابن جُرَيْج ، والترمذي والنسائي وابن ماجه

من حديث سفيان بن عيينة ، عن عبد الله بن أبي بكر به . وقال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح .

وقال الحافظ البيهقي : ورواه ابن جريج ، قال : كتب إلى عبد الله بن أبي بكر فذكره . ولم يذكر أبا خلاد في إسناده .

قال : والصحيح رواية مالك وسفيان بن عيينة ، عن عبد الله بن أبي بكر ، عن عبد الملك ، عن خلاد بن السائب ، عن أبيه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم كذلك . قاله البخارى وغيره . كذا قال . وقد قال الإمام أحمد في مسند السائب ابن خلاد بن سويد أبي سَهلة الأنصارى : حدثنا محمد بن بكر ، أنبأنا ابن جُريج ، وحدثنا رَوْح ، حدثنا ابن جُريج ، قال : كتب إلى عبد الله بن أبي بكر محمد بن عمرو ابن حزم ، عن عبد الملك بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، عن خلاد ابن السائب الأنصارى ، عن أبيه السائب بن خلاد ، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : أتانى جبرائيل فقال : إن الله يأمرك أن تأمر أصحابك أن يرفعوا أصواتهم بالتلبية والإهلال . وقال رَوْح : بالتلبية أو الإهلال .

قال : لا أدري أيننا ، وهل أنا أو عبد الله أو خلاد في الإهلال أو التلبية .

هذا لفظ أحمد في مسنده . وكذلك ذكره شيخنا في أطرافه عن ابن جريج كرواية

مالك وسفيان بن عيينة . قاله أعلم .

فصل

في إيراد حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه
في حجة رسول الله صلى الله عليه وسلم

وهو وحده مَنْسِكٌ مستقل ، رأينا أن إirاده هاهنا أَنْسَبَ ، لتضمّنه التلبية وغيرها ،
كما سلف وما سيأتي .

فنورد طُرُقَه وألفاظه ، ثم نُدبِعه بشواهد من الأحاديث الواردة في معناه .
وبالله المستعان .

قال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن سعيد ، حدثنا جعفر بن محمد ، حدثني أبي ،
قال : أُنِينَا جَابِرَ بن عبد الله وهو في بنى سَلَمَةَ ، فسألناه عن حجة رسول الله صلى الله
عليه وسلم .

فحدثنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مَكَثَ في المدينة تسع سنين لم يحج ، ثم
أَذَنَ في الناس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجٌّ في هذا العام .

قال : فنزل المدينة بشرٍّ كثير ، كلهم يلتمس أن يَأْتِمَّ برسول الله صلى الله عليه
وسلم ويفعل ما يفعل .

فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لخمس^(١) بقين من ذى القعدة ، وخرجنا معه حتى
إذا أتى ذا الخليفة نُفِست أسماء بنت عُمَيْسٍ بمحمد بن أبي بكر ، فأرسلت إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم : كيف أصنع ؟ قال : اغتسلي ثم اسْتَنْفِرِي^(٢) بثوب ، ثم أهلي .

(١) : لعشر .

(٢) الاستنثار : أن يدخل لإزاره بين فخذيه ملوياً .

نخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا استوت به ناقته على البَيْداء أَهْلَ بالتوحيد : لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك . وإني الناسُ ، والناس يزبدون : ذا المعارج ونحوه من الكلام ، والنبي صلى الله عليه وسلم يسمع فلم يقل لهم شيئاً .

فَنظَرْتُ مَدَّ بَصَرِي بَيْنَ يَدَي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ رَاكِبٍ وَمَاشٍ ، وَمِنْ خَلْفِهِ كَذَلِكَ ، وَعَنْ يَمِينِهِ مِثْلَ ذَلِكَ ، وَعَنْ شِمَالِهِ مِثْلَ ذَلِكَ .

قال جابر : ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا ، عليه ينزل القرآن وهو يعرف تأويله ، وما عمل به من شيء علمناه .

فخرجنا لا ننوي إلا الحجَّ ، حتى إذا أتينا الكعبة فاستلم نبي الله صلى الله عليه وسلم الحجر الأسود ، ثم رَمَلَ ثَلَاثَةً وَمَشَى أَرْبَعَةً ، حتى إذا فرغ عَمَدَ إِلَى مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ فَصَلَّى خَلْفَهُ رَكْعَتَيْنِ ، ثُمَّ قَرَأَ : « وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى » (١) .

قال أحمد : وقال أبو عبد الله - يعني جعفر - : فقرأ فيهما بالتوحيد وقل يا أيها الكافرون .

ثم استلم الحجرَ وخرج إلى الصفا ثم قرأ : « إِنَّ الصَّفاَ وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ » (٢) . ثم قال : نبدأ بما بدأ الله به . فرقى على الصفا ، حتى إذا نظر إلى البيت كَبَّرَ ، ثم قال : « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ أَتَّخِزُ وَعْدَهُ وَصَدَقَ وَعْدُهُ وَهَزَمَ - أَوْ غَلَبَ - الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ » ثم دعا . ثم رجع إلى هذا الكلام .

ثم نزل حتى إذا انصبت قدماه في الودى رَمَلَ ، حتى إذا صعد مشى ، حتى أتى المروة فرقى عليها حتى نظر إلى البيت ، فقال عليها كما قال على الصفا ، فلما كان السابع عند

المروة قال : يا أيها الناس إني لو استقبلتُ من أمري ما استدبرتُ لم أسقُ الهدى ولجعلتها عمرةً ، فمن لم يكن معه هدى فليجِلْ وليجعلها عمرة . فحلَّ الناسُ كلهم .

فقال سراقه بن مالك بن جُعشم وهو في أسفل الوادي : يا رسول الله ، ألعاننا هذا أم للأبد ؟ فشبَّكَ رسول الله صلى الله عليه وسلم أصابعه فقال : للأبد . ثلاث مرات . ثم قال : « دخلت العمرة في الحج إلى يوم القيامة » .

قال : وقدم عليّ من اليمين بهدى وساق رسول الله صلى الله عليه وسلم معه من هدى المدينة هدياً ، فإذا فاطمة قد حَلَّت ولبست ثياباً صديفاً واكتحلت ، فأنكر ذلك عليها ، فقالت : أمرني به أبي . قال : على بالكوفة : قال جعفر « قال » أى هذا الحرف لم يذكره جابر . فذهبت مُحَرَّشاً^(١) أستفتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الذى ذكرت فاطمة ، قلت : إن فاطمة لبست ثياباً صديفاً واكتحلت وقالت : أمرني أبي . قال : صدقت صدقت ، أنا أمرتها به .

وقال جابر : وقال لعليّ : بم أهلت ؟ قال : قلت : اللهم إني أهلٌ بما أهلَّ به رسولك . قال : ومعى الهدى . قال : فلا تحلّ .

قال : وكان جماعة الهدى الذى أتى به عليّ من اليمين والذى أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة ، فنحر رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده ثلاثاً وستين ثم أعطى عليّاً فنحر ماغبر ، وأشركه فى هديه ، ثم أمر من كل بدنة ببضعة^(٢) فجعلت فى قدر ، فأكلا من لحمها وشربا من مرقها .

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قد نحرتُ هاهنا ، ومئى كلها منحر . ووقف

(١) محرشاً : مغرباً الرسول بمؤاخذتها .

(٢) البضعة : القطعة من اللحم .

بعرفة فقال : وقفتُ هاهنا ، وعرفةُ كلها مَوْقِف . ووقوف بالمزدلفة وقال : وقفت هاهنا ، والمزدلفة كلها مَوْقِف .

هكذا أورد الإمام أحمد هذا الحديث ، وقد اختصر آخره جداً .
ورواه الإمام مسلم بن الحجاج في المناسك من صحيحه ، عن أبي بكر بن أبي شَيْبَةَ وإسحاق بن إبراهيم ، كلاهما عن حاتم بن إسماعيل ، عن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب ، عن أبيه ، عن جابر بن عبد الله فذكره .
وقد أَعْلَمْنَا في الزيادات المتفاوتة من سياق أحمد ومسلم ، إلى قوله عليه السلام لعل : صدقتُ صدقت ، ماذا قلتَ حينَ فَرَضْتَ الحجَّ ؛ قال : قلت : اللهم إني أَهْلٌ بما أَهْلٌ به رسولك صلى الله عليه وسلم . قال : فإنَّ معي الهدى . قال : فلا تحل . قال : فكان جماعة الهدى الذي قدم به علي من اليمن والذي أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة .

قال : فخلَّ الناسُ كلهم وقصَّروا إلا النبي صلى الله عليه وسلم ومن كان معه هدى .

فلما كان يوم التروية توجهوا إلى منى فأهأوا بالحج ، وركب رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر ، ثم مكث قليلاً حتى طلعت الشمس وأمر بقبة له من شعر فضربت له بَنَمْرَة ^(١) .

فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تشكُّ قريش إلا أنه ^(٢) واقفٌ عند المشعر الحرام كما كانت قريش تصنع في الجاهلية ، فأجاز رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى عرفة فوجد القبة قد ضُرِبَتْ له بَنَمْرَة ، فنزل بها .

(١) نَمْرَة : موضع بجانب عرفات ، وليس منها . (٢) إلا أنه : في أنه . فلا زائدة ، وإن في موضع نصب على إسقاط الجار . والشعر الحرام : جبل في المزدلفة يقال له قروح .

حتى إذا زاغت ^(١) الشمسُ أمر بالقصواء فرجّلت له ، فأتى بطن الوادى فخطب الناس وقال : « إن دماءكم وأموالكم حرامٌ عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا .

ألا كلُّ شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع ، ودماء الجاهلية موضوعة ، وإن أول دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث ^(٢) كان مُستَرَضَعًا في بني سعد فقتلته هذيل ، وربّ الجاهلية موضوعة ، وأول ربا أضعه من ربانا ربا العباس بن عبد المطلب فإنه موضوع كله .

واتقوا الله في النساء ، فإنكم أخذتموهن بأمانة الله واستحلّمت فروجهن بكلمة الله ، ولكم عليهن ألا يوطئن فرشكم أحداً تنكرهونه ، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضرباً غير مُبرّح ، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف .

وقد تركت فيكم ما لم تصلّوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله . وأنتم تُسألون عني ، فما أنتم قائلون ؟ قالوا : نشهد أنك قد بلغت ونصحت وأدّيت . فقال بإصبعه السّبابة يرفعها إلى السماء وينكتها ^(٣) على الناس : اللهم اشهد اللهم اشهد ثلاث مرات . ثم أذن ثم أقام ، فصلى الظهر ثم أقام فصلى العصر ولم يصل بينهما شيئاً .

ثم ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى الموقف فجعل بطن ناقته القصواء إلى الصّخرات ، وجعل جبَل المشاة ^(٤) بين يديه واستقبل القبلة ، فلم يزل واقفاً حتى غربت الشمس وذهبت الصّفرة قليلاً حتى غاب القُرس ، وأرْدَف أسامة بن زيد خلفه ، ودفع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد شَنَقَ ^(٥) للقصواء الزمام حتى إن رأسها لتصيب مؤرك ^(٦)

(١) زاغت : مالت . (٢) قيل اسمه آدم ، وقيل تمام . الروض الأف ٢ .

(٣) ينكتها : يقلبها ويردها مشيراً إلى الناس وفي مسلم : إلى الناس . .

(٤) جبل المشاة : يروى بالخاء وبالجيم . ومعناه بالجيم الطريق . وبالحاء مجتمع المشاة .

(٥) شَنَق : ضيق . (٦) المؤرك : الموضع الذي يجعل عليه الراكب رجله .

رَحَلَهُ ويقول بيده اليمنى : أَيُّهَا النَّاسُ السَّكِينَةُ السَّكِينَةُ . كَلَّا أَتَى جَبَلًا مِنْ الْجِبَالِ أَرْخَى لَهَا قَلِيلًا حَتَّى تَصْعَدَ .

حَتَّى أَتَى الْمَزْدَلِفَةَ فَصَلَّى بِهَا الْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ بِأَذَانٍ وَإِقَامَتَيْنِ وَلَمْ يَسْبَحْ بَيْنَهُمَا شَيْئًا ، ثُمَّ اضْطَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ ، فَصَلَّى الْفَجْرَ حَتَّى تَبَيَّنَ لَهُ الصُّبْحُ بِأَذَانٍ وَإِقَامَةٍ ثُمَّ رَكِبَ الْقَصْوَاءَ حَتَّى أَتَى الْمُشْعَرَ الْحَرَامَ ، فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ فَدَعَا فَحَمَدَ اللَّهُ وَكَبَّرَهُ وَهَلَّلَهُ وَوَحَّدَهُ ، فَلَمْ يَزَلْ وَاقِفًا حَتَّى أُسْفِرَ جَدًّا .

فَدَفَعَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ ، وَأَرْدَفَ الْفَضْلَ بْنَ الْعَبَّاسِ ، وَكَانَ رَجُلًا حَسَنَ الشَّعْرِ أَيْبَضَ وَسِيًّا ، فَلَمَّا دَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّتَ طُعْنُ يَحْزَبِ بْنِ ، فَطَفِقَ الْفَضْلُ يَنْظُرُ إِلَيْهِنَّ ، فَوَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَهُ عَلَى وَجْهِ الْفَضْلِ ، فَخَوَّلَ الْفَضْلُ يَدَهُ إِلَى الشَّقِ الْآخَرِ ، فَخَوَّلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَهُ مِنَ الشَّقِ الْآخَرِ عَلَى وَجْهِ الْفَضْلِ ، فَصَرَفَ وَجْهَهُ مِنَ الشَّقِ الْآخَرَ يَنْظُرُ .

حَتَّى أَتَى بَطْنَ مُحَسَّرٍ فَحَرَّكَ قَلِيلًا ، ثُمَّ سَلَكَ الطَّرِيقَ الْوَسْطَى الَّتِي تَخْرُجُ عَلَى الْجَمْرَةِ الْكُبْرَى حَتَّى أَتَى الْجَمْرَةَ الَّتِي عِنْدَ الشَّجَرَةِ ، فَرَمَاهَا بِسَبْعِ حَصِيَّاتٍ يَكْبُرُ مَعَ كُلِّ حَصَاةٍ مِنْهَا [مِثْلَ] حَصَى الْخَذْفِ ^(١) ، رَمَى مِنْ بَطْنِ الْوَادِي .

ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى الْمُنْحَرِ فَنَحَرَ ثَلَاثًا وَسَتِينَ بِيَدِهِ ، ثُمَّ أَعْطَى عَلِيًّا فَنَحَرَ مَاغِبَرًا ، وَأَشْرَكَهُ فِي هَدْيِهِ ، ثُمَّ أَمَرَ مِنْ كُلِّ بَدَنَةٍ بِبَضْعَةٍ فَجَعَلَتْ فِي قِدْرٍ فَطُبِخَتْ ، فَأَكَلَا مِنْ لَحْمِهَا وَشَرَبَا مِنْ مَرَقِهَا .

ثُمَّ رَكِبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَفَاضَ إِلَى الْبَيْتِ ، فَصَلَّى بِمَكَّةَ الظُّهْرَ ، فَأَتَى بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَهُمْ يَسْقُونَ عَلَى زَمْزَمَ ، فَقَالَ : انْزَعُوا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، فَلَوْلَا أَنْ

(١) الْخَذْفُ : حَصَى صَفَارٍ يَرْمِي بِأَصْبَعَيْنِ . وَهُوَ مُصَدَّرٌ سَمِيَ بِهِ .

يَغْلِبُكُمُ النَّاسُ عَلَى سِقَايَتِكُمْ لِنَزَعَتُ مَعَكُمْ . ففأولوه دلوًا فشرب منه .
ثم رواه مسلم عن عمر بن حفص ، عن أبيه ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جابر
فذكره بنحوه .

وذكر قصة أبي سَيَّارَةَ^(١) ، وأنه كان يدفع بأهل الجاهلية على حمار عُرمي^(٢) وأن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال : نَحَرْتُهَا هَنَا وَمَنَى كُلُّهَا مَنَحَرٌ ، فأنحروا في رحالكُم . ووقفتُ
هاهنا وعرفهُ كُلُّهَا مَوْقِفٌ ، ووقفتُ هاهنا وجمَعُ^(٣) كُلُّهَا مَوْقِفٌ .

وقد رواه أبو داود بطوله عن الثَّقَلَيْنِ وعثمان بن أبي شيبة ، وهشام بن عمار وسليمان
ابن عبد الرحمن . وربما زاد بعضهم على بعض الكلمة والشيء ، أربعتهم عن حاتم بن
إسماعيل ، عن جعفر ، بنحو من رواية مسلم . وقد رمزنا لبعض زياداته عليه .

ورواه أبو داود أيضًا والنسائي ، عن يعقوب بن إبراهيم ، عن يحيى بن سعيد القطان ،
عن جعفر به . ورواه النسائي أيضًا عن محمد بن المثنى ، عن يحيى بن سعيد ببعضه ، عن
إبراهيم بن هارون البَلْخِي ، عن حاتم بن إسماعيل ببعضه .

(١) الأصل أبي سنان ، وهو تحريف (٢) العرمي : ما لا سرج عليه . (٣) جمع : المزدلفة .

ذكر الأماكن التي صلى فيها رسول الله ﷺ وهو ذاهب

من المدينة إلى مكة في عمرته وحجته

قال البخارى : باب المساجد التي على طريق المدينة ، والمواضع التي صلى فيها النبي صلى الله عليه وسلم .

حدثنا محمد بن أبي بكر القُدَمِيّ ، قال : حدثنا فضيل بن سليمان ، قال : حدثنا موسى بن عُقبة ، قال : رأيت سالم بن عبد الله يتحرّى أماكن من الطريق فيصلّى فيها ويحدث أن أباه كان يصلّى فيها ، وأنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يصلّى في تلك الأمكنة .

وحدثني نافع ، عن ابن عمر رضى الله عنهما ، أنه كان يصلّى في تلك الأمكنة ، وسألتُ سالمًا فلا أعلمه إلا وافق نافعًا في الأمكنة كلها ، إلا أنهما اختلفا في مسجد بشرف الروحاء .

قال : حدثنا إبراهيم بن المنذر ، حدثنا أنس بن عِيَّاض ، قال : حدثنا موسى بن عُقبة ، عن نافع ، أن عبد الله بن عمر أخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينزل بذي الحليفة حين يَغتَمِرُ وفي حجته حين حج تحت سَمُرَةٍ في موضع المسجد الذي بذي الحليفة ، وكان إذا رجع من غزو كان في تلك الطريق أو في حج أو عمرة هَبَطَ من بطن وادٍ ، فإذا ظهر من بطن وادٍ أناخ بالبطحاء التي على شَفِيرِ الوادي الشرقية فعرَّسَ ^(١) ثمَّ حتى يصبح ليس عند المسجد الذي بحجارة ولا على الأكمة التي عليه المسجد ، كان ثمَّ خَلِيج ^(٢) يصلّى عبد الله عنده في بطنه كُنُوبٌ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمَّ يصلّى ، فدَحَا ^(٣) السيلُ فيه بالبطحاء حتى دفن ذلك المكان الذي كان عبد الله يصلّى فيه .

وأن عبد الله بن عمر حدثه أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى حيث المسجد الصغير الذى دون المسجد الذى بشرف الرّوحاء ، وقد كان عبد الله يُعلم المكان الذى كان صلى فيه النبي صلى الله عليه وسلم يقول : ثمّ عن يمينك حين تقوم فى المسجد تصلى ، وذلك المسجد على حافة الطريق اليمنى وأنت ذاهب إلى مكة ، بينه وبين المسجد الأكبر رَمِيَّةٌ بحجر أو نحو ذلك .

وأن ابن عمر كان يصلى إلى العِرق الذى عند مُنْصَرَفِ الرّوحاء ، وذلك العِرق انتهاء طَرَفِهِ على حافة الطريق دون المسجد الذى بينه وبين المنصرف وأنت ذاهب إلى مكة ، وقد ابتنى ثمّ مسجدٌ ، فلم يكن عبد الله يصلى فى ذلك المسجد ، كان يتركه عن يساره ووراءه ويصلى أمامه إلى العِرق نفسه ، وكان عبد الله يروح من الرّوحاء فلا يصلى الظهر حتى يأتى ذلك المكان فيصلّى فيه الظهر ، وإذا أقبل من مكة فإن مرّ به قبل الصبح بساعة أو من آخر السّحر عَرَّسَ حتى يصلى بها الصبح .

وأن عبد الله حدثه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان ينزل تحت سَرْحَةٍ^(١) ضخمة دون الرّوَيْثَةِ^(٢) عن يمين الطريق ووجاه الطريق فى مكان بَطِيحٍ^(٣) سهّل ، حتى يَفْضَى من أكمةٍ دُونِينَ بَرِيدِ الرّوَيْثَةِ بَيْلَيْنِ ، وقد انكسر أعلاها فانشق فى جوفها ، وهى قائمة على ساق وفى ساقها كُثْبٌ كثيرة .

وأن عبد الله بن عمر حدثه أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى فى طَرَفِ تَلْعَةٍ^(٤) من وراء العِراجِ وأنت ذاهب إلى هَضْبَةٍ ، عند ذلك المسجد قبران أو ثلاثة ، على القبور رَضَمٌ من حجارة عن يمين الطريق عند سَلَمَاتٍ^(٥) الطريق بين أولئك السَلَمَاتِ كان

(١) السرحة : الشجرة لا شوك فيها

(٢) الرويثة : منهل من المناهل بين مكة والمدينة : المراد .

(٣) البطح : المسيل الواسع

(٤) التلعة : ما ارتفع من الأرض ، وما انخفض .

(٥) السلمات : أشجار السلم .

عبد الله يروح من العَرَج بعد أن تميل الشمس بالهاجرة ، فيصلى الظهر في ذلك المسجد .
وأن عبد الله بن عمر حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل عند سَرَحات عن
يسار الطريق في مَسِيلٍ دُونَ هَرَشَى^(١) ؛ ذلك المَسِيلُ لاصقٌ بِكَرَاعِ هَرَشَى ، بينه وبين
الطريق قريب من غَلَوَة^(٢) وكان عبد الله يصلى إلى سَرَحة هي أقرب السَرَحات إلى
الطريق ، وهي أطولهن .

وأن عبد الله بن عمر حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يَنزُلُ في المَسِيلِ
الذى في أدنى مَرَّةِ الظُّهْرَانِ قَبْلَ المَدِينَةِ حين يهبط من الصَّفَرَاوَاتِ ، ينزل في بطن ذلك
المَسِيلِ عن يسار الطريق وأنت ذاهب إلى مكة ، ليس بين منزل رسول الله صلى الله عليه
وسلم وبين الطريق إِلَّا رَمِيَّةٌ بِحَجَرٍ .

وأن عبد الله بن عمر حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينزل بذى طُوًى
وبييت حتى يصبح يصلى الصبح حين يَقدِّم مكة ، ومصلًى رسول الله صلى الله عليه
وسلم ذلك على أكمة غليظة ، ليس في المسجد الذى بُنِيَ ثُمَّ ، ولكن أسفل من ذلك على
أكمة غليظة .

وأن عبد الله حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استقبل فُرُضَتَى الجبل الذى
بينه وبين الجبل الطويل نحو الكعبة ، فجعل المسجد الذى بُنِيَ ثُمَّ يسار المسجد بطرف
الأكمة ، مصلًى النبی صلى الله عليه وسلم أسفل منه على الأكمة السوداء ، تدع من
الأكمة عشرة أذرع أو نحوها ، ثم تصلى مُستقبل الفُرُضَتَيْنِ من الجبل الذى بينك
وبين الكعبة .

(٢) الغلوة: قدر مراماة السهم .

(١) هَرَشَى : ثنية في طريق مكة قريبة من الجحفة

تفرد البخارى رحمه الله بهذا الحديث بطوله وسياقه ، إلا أن مُسنداً روى منه عند قوله فى آخره : « وأن عبد الله بن عمر حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينزل بدى طوى » إلى آخر الحديث ، عن محمد بن إسحاق المُسَبِّحى ، عن أنس عن عياض ، عن موسى بن عُقبة ، عن نافع ، عن ابن عمر فذكره . وقد رواه الإمام أحمد بطوله عن أبى قُرَّة موسى بن طارق ، عن موسى بن عُقبة ، عن نافع ، عن ابن عمر به نحوه .
وهذه الأماكن لا يُعرف اليوم كثيرٌ منها أو أكثرها ، لأنه قد غُيِّرَ أسماء أكثر هذه البقاع اليوم عند هؤلاء الأعراب الذين هناك ، فإن الجهل قد غلب على أكثرهم .

ولما أوردها البخارى رحمه الله فى كتابه لعل أحداً يهتدى إليها بالتأمل والتقرُّس والتوسُّم ، أو لعل أكثرها أو كثيراً منها كان معلوماً فى زمان البخارى . والله تعالى أعلم .

باب

دخول النبي ﷺ إلى مكة شرفها الله عز وجل

قال البخارى : حدثنا مُسَدَّد ، حدثنا يحيى بن عبد الله ، حدثني نافع ، عن ابن عمر ، قال : بات النبي صلى الله عليه وسلم بذي طُوًى حتى أصبح ، ثم دخل مكة . وكان ابن عمر يفعلُه .

ورواه مسلم من حديث يحيى بن سعيد القطان به ، وزاد : « حتى صلى الصبح ، أو قال : حتى أَصْبَحَ » .

وقال مسلم : حدثنا أبو الزريع الزَّهْرَانِي ، حدثنا حماد ، عن أيوب ، عن نافع ، عن ابن عمر ، كان لا يقدِّم مكة إلا بات بذي طُوًى حتى يصبح ويفتسل ، ثم يدخل مكة نهائراً ، ويذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه فعله .

ورواه البخارى من حديث حماد بن زيد ، عن أيوب به .

ولهما من طريق أخرى ، عن أيوب ، عن نافع ، عن ابن عمر ، كان إذا دخل أدنى الحرم أمسك عن التلبية ثم يبيت بذي طُوًى . وذكره .

وتقدم آنفاً ما أخرجاه من طريق موسى بن عُقبة ، عن نافع ، عن ابن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يبيت بذي طوى حتى يُصبح ، فيصلّى الصبح حين يقدِّم مكة ، ومُصلّى رسول الله صلى الله عليه وسلم عند أكمة غليظة ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم استقبل فرُضَتِ الجبل الذى بينه وبين الجبل الطويل نحو الكعبة ، فجعل المسجد الذى بُنى ثم يسار المسجد بطرف الأكمة ، ومُصلّى رسول الله صلى الله عليه وسلم أسفل منه على الأكمة السوداء ، يدع من الأكمة عشرة أذرع أو نحوها ، ثم يصلى مستقبلاً الفرضتين من الجبل الذى بينك وبين الكعبة .

أُخرجاه في الصحيحين .

وحاصل هذا كله : أنه عليه السلام لما انتهى في مسيره إلى ذى كُوَيْ وهو قريب من مكة مُتَآخِمْ لِلْحَرَمِ ، أمسك عن التلبية ، لأنه قد وصل إلى المقصود ، وبات بذلك المسكان حتى أصبح ، فصلى هنالك الصبح في المسكان الذى وصفوه بين فُرُخَى الجبل الطويل هنالك . ومن تأمل هذه الأما كن المشار إليها بعين البصيرة عرفها معرفة جيدة وتعيّن له المسكان الذى صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم اغتسل صلوات الله وسلامه عليه لأجل دخول مكة ، ثم ركب ودخلها نهراً جهرَةً علانية من الثنية العليا التى بالبطحاء . ويقال كدّاء ليراه الناس ويُشرف عليهم ، وكذلك دخل منها يوم الفتح كما ذكرناه .

قال مالك عن نافع ، عن ابن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مكة من من الثنية العليا وخرج من الثنية السفلى .
أُخرجاه في الصحيحين من حديثه

ولهما من طريق عبيد الله بن عمر ، عن نافع ، عن ابن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مكة من الثنية العليا التى فى البطحاء ، وخرج من الثنية السفلى .
ولهما أيضاً من حديث هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة مثل ذلك .

ولما وقع بصره عليه السلام على البيت قال ما رواه الشافعى فى مسنده : أخبرنا سعيد بن سالم ، عن ابن جريج ، أن النبى صلى الله عليه وسلم كان إذا رأى البيت رفع يديه وقال : « اللهم زد هذا البيت تشريفاً وتعظيماً وتكريماً ومهابةً ، وزد من شرفه وكرمه ، ومن حجه واعتمره تشريفاً وتكريماً وتعظيماً وبرّاً » .

قال الحافظ البيهقي : هذا منقطع ، وله شاهد مُرسل عن سفيان الثوري ، عن أبي سعيد الشامي ، عن مَكْحُول ، قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا دخل مكة فرأى البيت رفع يديه وكبر وقال : « اللهم أنت السلام ومنك السلام فحِثْنَا ربنا بالسلام ، اللهم زد هذا البيت تشريفاً وتعظيماً وتكريماً ومهابةً وبرّاً ، وزد من حجه أو اعتمره تكريماً وتشريفاً وتعظيماً وبرّاً » .

وقال الشافعي : أنبأنا سعيد بن سالم ، عن ابن جريج ، قال : حدثت عن مِقْسَم ، عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « تُرْفَع الأيدي في الصلاة وإذا رأى البيت ، وعلى الصفا والمروة ، وعشية عرفة ويجمع ، وعند الجمرتين وعلى الميث » .

قال الحافظ البيهقي : وقد رواه محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن الحكم ، عن مِقْسَم ، عن ابن عباس ، وعن نافع عن ابن عمر ، مرةً موقوفاً عليهما ومرةً مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم دون ذكر الميث .

قال : وابن أبي ليلى هذا غير قوى .

ثم إنه عليه السلام دخل المسجد من باب بنى شَيْبَةَ .

قال الحافظ البيهقي : روينا عن ابن جريج ، عن عطاء بن أبي رباح ، قال : يَدْخُلُ الْحَرَمَ مِنْ حَيْثُ شَاءَ .

قال : ودخل النبي صلى الله عليه وسلم من باب بنى شَيْبَةَ وخرج من باب بنى مخزوم إلى الصفا .

ثم قال البيهقي : وهذا مرسل جيد .

وقد استدلل البيهقي على استحباب دخول المسجد من باب بنى شَيْبَةَ ، بما رواه من طريق أبي دواد الطيالسي ، حدثنا حماد بن سلمة ، وقيس بن سلام ، كلهم عن سَمَّاك بن حَرْب

عن خالد بن عُرْعة ، عن علي رضي الله عنه ، قال : لما انهدم البيتُ بعد جُرْمِ بنته قريش ، فلما أرادوا وضع الحجر تشاجروا من يضعه ، فاتفقوا أن يضعه أول من يدخل من هذا الباب ، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم من باب بني شَيْبَةَ فَأَمَرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بثوب فوضع الحجر في وسطه ، وأمر كلَّ فخذٍ أن يأخذوا بطائفة من الثوب ، فرفعوه وأخذوه رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعه .

وقد ذكرنا^(١) هذا مبسوطاً في باب بناء الكعبة قبل البعثة . وفي الاستدلال على استحباب الدخول من باب بني شَيْبَةَ بهذا نظر . والله أعلم .

صفة طوافه صلوات الله وسلامه عليه

قال البخارى : حدثنا أصبغ بن الفرج ، عن ابن وهب ، أخبرني عمرو بن محمد ، عن محمد بن عبد الرحمن ، قال : ذكرت لعروة قال : أخبرني عائشة : أن أول شيء بدأ به حين قدم النبي صلى الله عليه وسلم أنه توضأ ثم طاف ثم لم تكن عمرة ، ثم حج أبو بكر وعمر مثله ، ثم حججت مع أبي الزبير ، فأول شيء بدأ به الطواف ، ثم رأيت المهاجرين والأنصار يفعلونه ، وقد أخبرني أمي أنها أهدت هي وأختها والزبير وفلان وفلان بعمره ، فلما مسحوا الركن حَلُّوا .

هذا لفظه . وقد رواه في موضع آخر عن أحمد بن عيسى ، ومسلم ، عن هارون بن سعيد ، ثلاثهم عن ابن وهب به .

وقولها : « ثم لم تكن عمرة » يدل على أنه عليه السلام لم يتحلل بين النسكين .

ثم كان أول ما ابتدأ به عليه السلام استلام الحجر الأسود قبل الطواف ، كما قال جابر : حتى إذا أتينا البيت معه استلم الركن فرمل ثلاثا ومشى أربعا .

وقال البخارى : حدثنا محمد بن كثير ، حدثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن عابس بن ربيعة ، عن عمر ، أنه جاء إلى الحجر فقبله وقال : إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ، ولولا أنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك .

ورواه مسلم عن يحيى بن يحيى وأبي بكر بن أبي شيبه وزهير بن حرب وابن أبي عمير ، جميعا عن أبي معاوية ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن عابس بن ربيعة ، قال : رأيت عمر يقبل الحجر ويقول : إني لأعلم^(١) أنك حجر لا تضر ولا تنفع ، ولولا أنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك .

(١) مسلم : إني لأقبلك وأعلم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن عبيدة وأبو معاوية ، قالا : حدثنا الأعمش ، عن إبراهيم بن عابس بن ربيعة ، قال : رأيت عمر أنى الحجر فقال : أما والله لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ، ولولا أنى رأيت رسول الله قبلك ما قبلتك . ثم دنا فقبله .

فهذا السياق يقتضى أنه قال ما قال ثم قبله بعد ذلك ، بخلاف سياق صاحبي الصحيح . فإله أعلم .

وقال أحمد : حدثنا وكيع ويحيى واللفظ لو كيع ، عن هشام ، عن أبيه ، أن عمر بن الخطاب أتى الحجر فقال : إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ، ولولا أنى رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك . وقال : ثم قبله .

وهذا منقطع بين عروة بن الزبير وبين عمر .

وقال البخارى أيضا : حدثنا سعيد بن أبى مريم ، حدثنا محمد بن جعفر بن أبى كثير ، أخبرنى زيد بن أسلم ، عن أبيه ، أن عمر بن الخطاب قال للركن : أما والله إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ، ولولا أنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم استلمك ما استلمتك . فاستلمه .

ثم قال : وما لنا والرَّمْل ، إنما كنّا راءينا به المشركين ولقد أهلكهم الله . ثم قال : شيء صنعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا نحب أن نتركه . وهذا يدل على أن الاستلام تأخر عن القول .

وقال البخارى : حدثنا أحمد بن سنان ، حدثنا يزيد بن هارون ، حدثنا ورقاء ، حدثنا زيد بن أسلم ، عن أبيه ، قال : رأيت عمر بن الخطاب قبل الحجر وقال : لولا أنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك .

وقال مسلم بن الحجاج : حدثنا حرملة ، حدثنا ابن وهب ، أخبرنى يونس ، هو ابن

يزيد الأيلي ، وعمرو ، وهو ابن دينار . ح . وحدثنا هارون بن سعيد الأيلي ، أنبأنا ابن وهب ، أخبرني عمرو ، عن ابن شهاب ، عن سالم ، أن أباه حدثه أنه قال : قبل عمر بن الخطاب الحجر ثم قال : أما والله لقد علمت أنك حجر ، ولولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك .

زاد هارون في روايته : قال عمرو : وحدثني بمثلها زيد بن أسلم ، عن أبيه أسلم - يعني عن عمر - به .

وهذا صريح في أن التقبيل تقدم على القول . فالله أعلم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، أنبأنا عبد الله ، عن نافع ، عن ابن عمر أن عمر قبل الحجر ثم قال : قد علمت أنك حجر ، ولولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلك ما قبلتك .
هكذا رواه الإمام أحمد .

وقد أخرجه مسلم في صحيحه ، عن محمد بن أبي بكر المقدسي ، عن حماد بن زيد ، عن أيوب ، عن نافع ، عن ابن عمر ، أن عمر ، قبل الحجر وقال : إني لأقبلك وإني لأعلم أنك حجر ، ولكنني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك .

ثم قال مسلم : حدثنا خلف بن هشام والمقدسي وأبو كامل وقتيبة ، كلهم عن حماد قال خلف : حدثنا حماد بن زيد ، عن عاصم الأحول ، عن عبد الله بن سرجس ، قال : رأيت الأصم - يعني عمر - يقبل الحجر ويقول : والله إني لأقبلك وإني لأعلم أنك حجر ، وأنت لا تضرب ولا تنفع ، ولولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك .

وفي رواية المقدسي وأبي كامل : رأيت الأصم .

وهذا من أفراد مسلم دون البخاري .

وقد رواه الإمام أحمد عن أبي معاوية ، عن عاصم الأحول ، عن عبد الله بن سرجس به . ورواه أحمد أيضا عن غندر ، عن شعبة ، عن عاصم الأحول به .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، عن سفيان ، عن إبراهيم بن عبد الأعلى ، عن سويد بن غفلة ، قال : رأيت عمر يقبل الحجر ويقول : إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ، ولكني رأيت أبا القاسم صلى الله عليه وسلم بك حقيقاً .

ثم رواه أحمد عن وكيع ، عن سفيان الثوري به . وزاد : فقبله والتزمه .

وهكذا رواه مسلم من حديث عبد الرحمن بن مهدي بلا زيادة ، ومن حديث وكيع بهذه الزيادة : قبل الحجر والتزمه وقال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بك حقيقاً .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا وهيب ، حدثنا عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، أن عمر بن الخطاب أكب على الركن وقال : إني لأعلم أنك حجر ، ولو لم أر حبيبي صلى الله عليه وسلم قبلك واستلمك ما استلمتك ولا قبليتك « لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة » .

وهذا إسناد جيد قوى ، ولم يخرجوه .

وقال أبو داود الطيالسي : حدثنا جعفر بن عثمان القرشي ، من أهل مكة ، قال : رأيت محمد بن عباد بن جعفر قبل الحجر وسجد عليه ثم قال : رأيت خالك ابن عباس قبله وسجد عليه ، وقال ابن عباس : رأيت عمر بن الخطاب قبله وسجد عليه . ثم قال عمر : لو لم أر النبي صلى الله عليه وسلم قبله ما قبلته .

وهذا أيضا إسناد حسن ، ولم يخرجوه إلا النسائي ، عن عمرو بن عثمان ، عن

الوليد بن مسلم ، عن حنظلة بن أبي سفيان ، عن طاوس ، عن ابن عباس ، عن عمر
فذكر نحوه .

وقد روى هذا الحديث عن عمر الإمام أحمد أيضا من حديث يعلى بن أمية عنه ،
وأبو يعلى الموصلى فى مسنده من طريق هشام بن حشيش بن الأشقر ؛ عن عمر .
وقد أوردنا ذلك كله بطرقه وألفاظه وعُزَّوه وعِلَّاه فى الكتاب الذى جمعناه فى مُسند
أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه . والله الحمد والمنة .

وبالجملة فهذا الحديث مَرَوَى من طرق متعددة عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب
رضى الله عنه . وهى تفيد القطع عند كثير من أئمة هذا الشأن .

وليس فى هذه الرواية أنه عليه السلام سجد على الحجر ، إلا ما أشعر به رواية
أبى داود الطيالسى ، عن جعفر بن عثمان ، وليست صريحة فى الرفع .

ولكن رواه الحافظ البيهقى من طريق أبى عاصم النبيل ، حدثنا جعفر بن عبد الله ،
قال : رأيت محمد بن عباد بن جعفر قبل الحجر وسجد عليه ثم قال : رأيت خالكا ابن
عباس قبله وسجد عليه . وقال ابن عباس : رأيت عمر قبله وسجد عليه . ثم قال :
رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل هكذا ففعلت .

قال الحافظ البيهقى : أنبأنا أبو الحسن على بن أحمد بن عبدان ، أنبأنا الطبرانى ، أنبأنا
أبو الزُّنْبَاع ، حدثنا يحيى بن سليمان الجعفى ، حدثنا يحيى بن يمان ، حدثنا سفيان بن
أبى حسين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
سجد على الحجر .

قال الطبرانى : لم يَرَوْه عن سفيان إلا يحيى بن يمان .
وقال البخارى : حدثنا مُسَدَّد ، حدثنا حماد ، عن الزبير بن عري ، قال : سأل رجل

ابن عمر عن استلام الحجر . قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستلمه ويقبله . قال : أرايتَ إن زُجِّتُ أرايتَ إن غُلِبْتُ ؟ قال : اجعل أرايتَ باليمن ^(١) ! رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يستلمه ويقبله .
تفرد به دون مسلم .

وقال البخارى : حدثنا مُسَدَّد ، حدثنا يحيى ، عن عبيد الله ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : ما تركتُ استلامَ هذين الركنين فى شدة ولا رخاء منذ رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستلمهما . فقلت لنافع : أكان ابن عمر يمشى بين الركنين ؟ قال : إنما كان يمشى ليكون أيسر لاستلامه .

وروى أبو داود والنسائى من حديث يحيى بن سعيد القطان ، عن عبد العزيز بن أبى رَوَاد ، عن نافع ، عن ابن عمر ، أن النبى صلى الله عليه وسلم « كان لا يدع أن يستلم الركن اليمانى والحجر فى كل طوفة » .

وقال البخارى : حدثنا أبو الوليد ، حدثنا ليث ، عن ابن شهاب ، عن سالم ابن عبد الله ، عن أبيه ، قال : لم أر النبى صلى الله عليه وسلم يستلم من البيت إلا الركنين اليمانيين .

ورواه مسلم عن يحيى بن يحيى وقتيبة ، عن الليث بن سعد به .
وفى رواية عنه أنه قال : ما أرى النبى صلى الله عليه وسلم ترك استلام الركنين الشاميين إلا أنهما لم يتمما على قواعد إبراهيم .

وقال البخارى : وقال محمد بن بكر ، أنبأنا ابن جريج ، أخبرنى عمرو بن دينار ، عن أبى الشعثاء ، أنه قال : ومن يتقى شيئاً من البيت !

(١) أى أتركها بعيداً عنك

وكان معاوية يستلم الأركان فقال له ابن عباس : إنه لا يستلم هذان الركنان . فقال له : ليس من البيت شيء مهجور . وكان ابن الزبير يستلمهن كلهن .
انفرد بروايته البخاري رحمه الله تعالى .

وقال مسلم في صحيحه : حدثني أبو الطاهر ، حدثنا ابن وهب ، أخبرني عمرو بن الحارث ، أن قتادة بن دعامه حدثه ، أن أبا الطفيل البكري حدثه ، أنه سمع ابن عباس يقول : لم أر رسول الله صلى الله عليه وسلم يستلم غير الركنين اليمانيين
انفرد به مسلم .

فالذي رواه ابن عمر موافق لما قاله ابن عباس ، أنه لا يستلم الركنان الشاميان ، لأنهما لم يتمما على قواعد إبراهيم ، لأن قريشا قصرت بهم النفقة ، فأخرجوا الحجر من البيت حين بنوه . كما تقدم بيانه ^(١) .

وودَّ النبي صلى الله عليه وسلم أن لو بناه فتممه على قواعد إبراهيم ، ولكن خشى من حداثة عهد الناس بالجاهلية ، فتذكروهم .

فلما كانت إمرة عبد الله بن الزبير هدم الكعبة وبناها على ما أشار إليه صلى الله عليه وسلم كما أخبرته خالته أم المؤمنين عائشة بنت الصديق .

فإن كان ابن الزبير استلم الأركان كلها بعد بنائه إياها على قواعد إبراهيم فحسن جداً وهو والله المظنون به !

وقال أبو داود : حدثنا مسدد ، حدثنا يحيى ، عن عبد العزيز بن أبي رواد ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يدع أن يستلم الركن اليماني والحجر في كل طوفة » .

ورواه النسائي عن محمد بن المثنى عن يحيى .

وقال النسائي : حدثنا يعقوب بن إبراهيم الدورقي ، حدثنا يحيى بن سعيد القطان ، عن ابن جريج ، عن يحيى بن عبيد ، عن أبيه ، عن عبد الله بن السائب ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بين الركن اليماني والحجر : « ربَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ^(١) » .

ورواه أبو داود ، عن مسدد ، عن عيسى بن يونس ، عن ابن جريج به .

وقال الترمذي : حدثنا محمود بن غيلان ، حدثنا يحيى بن آدم ، حدثنا سفيان ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه عن جابر ، قال : لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم مكة دخل المسجد فاستلم الحجر ، ثم مضى على يمينه فرمل ثلاثا ومشى أربعا ، ثم أتى المقام فقال : « واتخذوا من مقام إبراهيم ^(٢) مُصَلًّى » فصرى ركعتين والمقام بينه وبين البيت ، ثم أتى الحجر بعد الركعتين فاستلمه ، ثم خرج إلى الصفا ، أظنه قال : « إن الصفا والمروة من شعائر الله » .

هذا حديث حسن صحيح . والعمل على هذا عند أهل العلم .

وهكذا رواه إسحاق بن راهويه ، عن يحيى بن آدم . ورواه الطبراني عن النسائي وغيره ، عن عبد الأعلى بن واصل ، عن يحيى بن آدم به .

ذكر رماله عليه الصلاة والسلام في طوافه واضطباعه

قال البخارى : حدثنا أصبغ بن الفرّج ، أخبرني ابن وهب ، عن يونس ، عن ابن شهاب ، عن سالم عن أبيه ، قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين يقدّم مكة إذا استلم الركن الأسود أول ما يطوف يَحْبُ^(١) ثلاثة أشواط من السبع .

ورواه مسلم عن أبي الطاهر بن السرح ، وحرّملة ، كلاهما عن ابن وهب به .
وقال البخارى : حدثنا محمد بن سلام ، حدثنا شريح بن النعمان ، حدثنا فليح ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : سعى النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة أشواط ومشى أربعة في الحج والعمرة .

تابعه الليث : حدثني كثير بن فرقد ، عن نافع ، عن ابن عمر ، عن النبي صلى الله عليه وسلم .

انفرد به البخارى . .

وقد روى النسائي عن محمد وعبد الرحمن ابني عبد الله بن عبد الحكم ، كلاهما عن شعيب بن الليث ، عن أبيه الليث بن سعد ، عن كثير بن فرقد ، عن نافع ، عن ابن عمر به .

وقال البخارى : حدثنا إبراهيم بن المنذر ، حدثنا أبو ضمرة أنس بن عياض ، حدثنا موسى بن عقبة ، عن نافع ، عن عبد الله بن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا طاف في الحج أو العمرة أول ما يقدّم ، سعى ثلاثة أطواف ومشى أربعة ثم سجد سجدتين ثم يطوف بين الصفا والمروة .

(١) يحب : يسرع ، وهو ضرب من الرمل .

ورواه مسلم من حديث موسى بن عُبَبة .

وقال البخارى : حدثنا إبراهيم بن المنذر ، حدثنا أنس ، عن عبيد الله بن عمر ، عن نافع ، عن ابن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كان إذا طاف بالبيت الطواف الأول يَحْبُ ثَلَاثَةَ أَطْوَافٍ ويمشى أربعة ، وأنه كان يسعى بطنَ المسيل إذا طاف بين الصفا والمروة » .

ورواه مسلم من حديث عبيد الله بن عمر . وقال مسلم : أنبأنا عبد الله بن عمر بن أبان الجعفي ، أنبأنا ابن المبارك ، أنبأنا عبيد الله ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : رَمَلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحجر إلى الحجر ثلاثا ومشى أربعا .

ثم رواه من حديث سليم بن أخضر ، عن عبيد الله بنحوه

وقال مسلم أيضا : حدثني أبو الطاهر ، حدثني عبد الله بن وهب ، أخبرني مالك وابن جريج ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جابر بن عبد الله ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : رَمَلَ ثَلَاثَةَ ^(١) أَطْوَافٍ من الحجر إلى الحجر . وقال عمر بن الخطاب : فيم الرَّمْلَانِ والكُشْفُ عن المنكَبِ ، وقد أظهد الله الإسلامَ ونفى الكفر ؟ ومع ذلك لا نترك شيئا كنا نفعله مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه والبيهقي ، من حديث هشام بن سعيد ، عن زيد ابن أسلم ، عن أبيه عنه

وهذا كلاء ردُّ على ابن عباس ومن تابعه من أن الرَّمْلَ ليس بسنة ، لأن رسول الله إنما فعله لما قدم هو وأصحابه صبيحة رابعة - يعني في عمرة القضاء - وقال المشركون : إنه يقدّم عليكم وفدٌ وهنهم حتى يثرب . فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يَرْمُلُوا

الأشواط الثلاثة وأن يمشوا ما بين الركنين ، ولم يمنعهم أن يرملوا الأشواط كلها إلا الإبقاء عليهم .

وهذا ثابت في الصحيحين ، وتصريحه بغير سببه في صحيح مسلم أظهر .

فكان ابن عباس يُنكر وقوع الرَّمَل في حجة الوداع .

وقد صح بالنقل الثابت كما تقدم ، بل فيه زيادة تكميل الرمل من الحجر إلى الحجر ،

ولم يمش ما بين الركنين اليمانيين لزوال تلك العلة المشار إليها وهي الضَّعْف .

وقد ورد في الحديث الصحيح عن ابن عباس ، أنهم رملوا في عمرة الجعرانة

واضطَبَعُوا^(١) .

وهو ردُّ عليه ، فإن عمرة الجعرانة لم يَبْقَ في أيامها خوفٌ ، لأنها بعد الفتح

كما تقدم .

رواه حماد بن سلمة ، عن عبدالله بن عثمان بن خثيم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن

عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه اعتمرُوا من الجعرانة فرَمَلُوا بالبيت

واضطَبَعُوا ووضعوا أُرْدِيَتَهُمْ تحت آبائهم وعلى عواتقهم .

ورواه أبو داود من حديث حماد بنحوه ، ومن حديث عبدالله بن خثيم ، عن أبي

الطُّفَيْل ، عن ابن عباس به .

فأما الاضطَبَاعُ في حجة الوداع فقد قال قَبِيصَةُ الْفَرِزْيَابِيُّ ، عن سفیان الثوري ، عن

ابن جريج ، عن عبد الحميد بن جبير بن شعبة ، عن يعلى بن أمية ، عن أمية ، قال : رأيت

رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوف بالبيت مُضْطَبَعًا .

رواه الترمذی من حديث الثوري ، وقال : حسن صحيح .

(١) الاضطباع : أن يدخل الرداء من تحت لبطه الأيمن ويرد طرفه على يساره ، ويبدى منكبه الأيمن

ويطلى الأيسر ، سمي به لإبداء أحد الضبعين .

وقال أبو داود : حدثنا محمد بن كثير ، حدثنا سفيان ، عن ابن جريج ، عن ابن يعلى ، عن أبيه ، قال : طاف رسول الله مُضْطَبَعًا بِبُرْدٍ أَخْضَر .

وهكذا رواه الإمام أحمد ، عن وكيع ، عن الثوري ، عن ابن جريج ، عن ابن يعلى ، عن أبيه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قَدِمَ طاف بالبيت وهو مُضْطَبَعٌ بِبُرْدٍ لَهُ خَضَرَمِي . وقال جابر في حديثه المتقدم : حتى إذا أتينا البيت معه استلم الركن فرمَلَ ثَلَاثًا وَمَشَى أَرْبَعًا ، ثُمَّ تَقَدَّمَ إِلَى مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ فَقَرَأَ : « وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى » فَجَعَلَ الْمَقَامَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَيْتِ . فذَكَرَ أَنَّهُ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ قَرَأَ فِيهِمَا : « قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ » . و « قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ » .

فإن قيل : فهل كان عليه السلام في هذا الطواف راكباً أو ماشياً ؟
فالجواب : أنه قد ورد بَقْلَانِ ، قد يُظَنُّ أَنَّهُمَا متعارضان ، ونحن نذكرهما ونشير إلى التوفيق بينهما ورفع اللبس عند من يتوهم فيهما تعارضاً . وبالله التوفيق وعليه الاستعانة وهو حسبنا ونعم الوكيل .

قال البخاري رحمه الله : حدثنا أحمد بن صالح ويحيى بن سليمان ، قالا : حدثنا ابن وهب ، أخبرني يونس ، عن ابن شهاب ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس ، قال : طاف النبي صلى الله عليه وسلم على بعيره في حجة الوداع يستلم الركن بِمَحْجَنٍ (١) .

وأخرجه بقية الجماعة ، إلا الترمذي ، من طرق عن ابن وهب .
قال البخاري : تابعه الدَّرَّازُ وَرُزْدِي ، عن ابن أخي الزهري ، عن عمه .
وهذه المتابعة غريبة جداً .

وقال البخاري : حدثنا محمد بن الثنِّي ، حدثنا عبد الوهاب ، حدثنا خالد الحذاء ،

عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : طاف النبي صلى الله عليه وسلم بالبيت على بعير ،
كلما أتى الركن أشار إليه .

وقد رواه الترمذى من حديث عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفى وعبد الوارث ،
كلاهما عن خالد بن مهران الحذاء ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : طاف رسول الله
صلى الله عليه وسلم على راحلته ، فإذا انتهى إلى الركن أشار إليه .

وقال : حسن صحيح .

ثم قال البخارى : حدثنا مُسَدَّد ، حدثنا خالد بن عبد الله ، عن خالد الحذاء ، عن
عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : طاف النبي صلى الله عليه وسلم بالبيت على بعير ، فلما أتى
الركن أشار إليه بشيء كان عنده وكَبَّر .

تابعه إبراهيم بن طهمان ، عن خالد الحذاء .

وقد أسند هذا التعليق هاهنا فى كتاب الطواف ، عن عبد الله بن محمد ، عن أبى
عامر ، عن إبراهيم بن طهمان به .

وروى مسلم عن الحكم بن موسى ، عن شعيب بن إسحاق ، عن هشام بن عروة ،
عن أبيه ، عن عائشة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طاف فى حجة الوداع حول
الكعبة على بعير يستلم الركن ، كراهية أن يضرب عنه الناس .

فهذا إثبات أنه عليه السلام طاف فى حجة الوداع على بعير ، ولكن حجة الوداع
كان فيها ثلاثة أطواف : الأول طواف القدوم ، والثانى طواف الإفاضة وهو طواف
القرض وكان يوم النحر ، والثالث طواف الوداع .

فلعل ركوبه صلى الله عليه وسلم كان فى أحد الآخرين أو فى كليهما ، فأما الأول
وهو طواف القدوم فكان ماشياً فيه . وقد نص الشافعى على هذا كله . والله أعلم وأحكم .
والدليل على ذلك ما قاله الحافظ أبو بكر البيهقى فى كتابه الشئب الكبير : أخبرنا

أبو عبد الله الحافظ ، أخبرني أبو بكر محمد بن المؤمل بن الحسن بن عيسى ، حدثنا الفضل ابن محمد بن المسيّب ، حدثنا نعيم بن حماد ، حدثنا عيسى بن يونس ، عن محمد بن إسحاق هو - ابن يسار رحمه الله - عن أبي جعفر ، وهو محمد بن علي بن الحسين ، عن جابر بن عبد الله ، قال : دخلنا مكةَ عند ارتفاع الضحى ، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم بابَ المسجد فأناخ راحلته ، ثم دخل المسجد فبدأ بالحجر فاستلمه وفاضت عيناه بالبكاء ، ثم رمل ثلاثاً ومشى أربعاً ، حتى فرغ . فلما فرغ قَبِلَ الحجر ووضع يده عليه ومسح بهما وجهه . وهذا إسناد جيد .

فأما ما رواه أبو داود : حدثنا مُسَدَّد ، حدثنا خالده بن عبد الله ، حدثنا يزيد بن أبي زياد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدِم مكة وهو يشتكى ، فطاف على راحلته فلما أتى على الركن استلمه بِمِخْجَنٍ ، فلما فرغ من طوافه أناخ فصلى ركعتين .

تفرّد به يزيد بن أبي زياد وهو ضعيف .

ثم لم يذكر أنه في حجة الوداع ، ولا ذكر أنه في الطواف الأول من حجة الوداع . ولم يذكر ابن عباس في الحديث الصحيح عنه عند مسلم ، وكذا جابر ، أن النبي صلى الله عليه وسلم ركب في طوافه لضعفه ، وإنما ذكرنا كثرة الناس وغشيانهم له ، وكان لا يجب أن يُضَرَبوا بين يديه . كما سيأتي تقريره قريباً إن شاء الله .

ثم هذا التقبيل الثاني الذي ذكره ابن إسحاق [في روايته] ^(١) بعد الطواف . وبعد ركعتيه أيضاً ، ثابت في صحيح مسلم من حديث جابر . قال فيه ، بعد ذكر صلاة ركعتي الطواف : ثم رجع إلى الركن فاستلمه .

وقد قال مسلم بن الحجاج في صحيحه : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وابن ميمر جميعاً ،

عن أبي خالد ، قال أبو بكر : حدثنا أبو خالد الأحمر ، عن عبيد الله ، عن نافع ، قال : رأيت ابن عمر يستلم الحجر بيده ثم قبّل يده . قال : وما تركته منذ رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله .

فهذا يحتمل أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض الطوافات ، أو في آخر استلام فعل مثل هذا . لما ذكرنا أو أن ابن عمر لم يصل إلى الحجر لضعف كان به ، أو لثلا يزاحم غيره فيحصل لغيره أذى به .

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لوالده ، مارواه أحمد في مسنده : حدثنا وكيع ، حدثنا سفيان ، عن أبي يعفور العبدى ، قال : سمعت شيخا بمكة في إمارة الحجاج يحدث عن عمر بن الخطاب ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : يا عمر إنك رجل قوى ، لا تزاحم على الحجر فتؤذى الضعيف ، إن وجدت خلوة فاستلمه وإلا فاستقبله وكبر .

وهذا إسناد جيد ، لكن راويه عن عمر مذهبهم لم يُسم .

والظاهر أنه ثقة جليل ، فقد رواه الشافعى عن سفيان بن عيينة ، عن أبي يعفور العبدى واسمه وقدان ، سمعت رجلا من خزاعة حين قُتل ابن الزبير وكان أميراً على مكة يقول : قال رسول الله لعمر : يا أبا حفص إنك رجل قوى ، فلا تزاحم على الركن ، فإنك تؤذى الضعيف ، ولكن إن وجدت خلوة فاستلمه وإلا فكبر وامض .

قال سفيان بن عيينة : هو عبد الرحمن بن الحارث ، كان الحجاج استعمله عليها منصرفه منها حين قُتل ابن الزبير .

قلت : وقد كان عبد الرحمن هذا جليلاً نبيلاً كبير القدر ، وكان أحد نفر الأربعة الذين ندبهم عثمان بن عفان في كتابة المصاحف التي نفذها إلى الآفاق ووقع على ما فعله الإجماع والاتفاق .

ذكر طوافه عليه السلام بين الصفا والمروة

روى مسلم في صحيحه عن جابر ، في حديثه الطويل المتقدم ، بعد ذكره طوافه عليه السلام بالبيت سبعاً وصلاته عند المقام ركعتين . قال : ثم رجع إلى الركن فاستلمه ، ثم خرج من الباب إلى الصفا ، فلما دنا من الصفا قرأ : « إن الصفا والمروة من شعائر الله » أبداً بما بدأ الله به .

فبدأ بالصفا فرقى عليه حتى رأى البيت ، فاستقبل القبلة فوحد الله وكبره وقال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير . لا إله إلا الله أُنجز وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده . ثم دعا بين ذلك فقال مثل هذا ثلاث مرات .

ثم نزل ، حتى إذا انصبّت قدماء في الوادي رمّل ، حتى إذا صعد مشى حتى أتى المروة فرقى عليها حتى نظر إلى البيت فقال عليها كما قال على الصفا .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عمر بن هارون البلخي ، أبو حفص ، حدثنا ابن جريج ، عن بعض بني يعلى بن أمية ، عن أبيه ، قال : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم مضطجعا بين الصفا والمروة يبرّده نجراني .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يونس ، حدثنا عبد الله بن المؤمل ، عن عمر بن عبد الرحمن ، حدثنا عطية ، عن حبيبة بنت أبي نجران^(١) قالت : دخلت دار حصين في نسوة من قريش والنبي صلى الله عليه وسلم يطوف بين الصفا والمروة ، قالت : وهو يسعى يدور به إزاره من شدة السعى وهو يقول لأصحابه . « اسمعوا إن الله كتب عليكم السعى » .

(١) الأصل غير منقوطة . وما أنبته عن هامش المشقة للذهبي ١ / ١١٢

وقال أحمد أيضاً : حدثنا سُريح ، حدثنا عبد الله بن المؤمل ، حدثنا عطاء بن أبي رباح ، عن صفية بنت شيبة ، عن حبيبة بنت أبي تَجْرَةَ قالت : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يطوف بين الصفا والمروة والناس بين يديه وهو وراءهم ، وهو يسعى حتى أرى ركبتيه من شدة السعي يَدُور به إزارُهُ وهو يقول : « اسعوا فإن الله كتب عليكم السعي .

تفرد به أحمد .

وقد رواه أحمد أيضاً عن عبد الرزاق ، عن مَعْمَر ، عن واصل مولى أبي عيينة ، عن موسى بن عبيدة ، عن صفية بنت شيبة ، أن امرأة أخبرتها أنها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم بين الصفا والمروة يقول : « كتب عليكم السعي فاسعوا » .

وهذه المرأة هي حبيبة بنت أبي تَجْرَةَ المصرِّح بِذِكْرِها في الإسنادين الأولين . وعن أم ولد شيبة بن عثمان ، أنها أبصرت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يسعى بين الصفا والمروة وهو يقول : « لَا يُقَطَّعُ الْأَبْطَحُ إِلَّا شَدًّا » .

رواه النسائي ، والمراد بالسعي ها هنا هو الذهاب من الصفا إلى المروة ومنها إليها ، وليس المراد بالسعي ها هنا الهرولة والإسراع ، فإن الله لم يكتبه علينا حتماً ، بل لو مشى الإنسان على هيئته في السَّيِّع الطوافات بينهما ولم يرمل في المسيل ، أجزأه ذلك عند جماعة العلماء لا نعرف بينهم اختلافاً في ذلك .

وقد نقله الترمذي رحمه الله عن أهل العلم . ثم قال : حدثنا يوسف بن عيسى ، حدثنا ابن فضيل ، عن عطاء بن السائب ، عن كثير بن جَهْمَان ، قال : رأيت ابنَ عمر يمشي في المسعى فقالت : أتمشي في السعي بين الصفا والمروة ؟ فقال : لئن سمعت فقد رأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يسعى ، ولئن مشيت لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشي ، وأنا شيخ كبير .

ثم قال : هذا حديث حسن صحيح .

وقد روى سعيد بن جبير عن ابن عباس نحو هذا . وقد رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث عطاء بن السائب ، عن كثير بن جهمان الشامي الكوفي ، عن ابن عمر .

فقول ابن عمر : إنه شاهد الحائض منه صلى الله عليه وسلم يحتمل شيئين : أحدهما : أنه رآه يسعى في وقت ماشياً لم يَنْزِجْه برَمَلٍ فيه بالسكبية . والثاني : أنه رآه يسعى في بعض الطريق ويمشي في بعضه .

وهذا له قوة ، لأنه قد روى البخاري ومسلم من حديث عبيد الله بن عمر العمري ، عن نافع ، عن ابن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسعى بطن المسيل إذا طاف بين الصفا والمروة .

وتقدم في حديث جابر أنه عليه السلام : نزل من الصفا فلما انصبت قدماه في الوادي رَمَل ، حتى إذا صعد مشى حتى أتى المروة .

وهذا هو الذي تستحبه العلماء فاطبة ، أن الساعي بين الصفا والمروة - وتقدم في حديث جابر - يُسْتَحَبُّ لَهُ أَنْ يَرْمَلَ فِي بَطْنِ الْوَادِي فِي كُلِّ طَوَافَةٍ فِي بَطْنِ الْمَسِيلِ الَّذِي بَيْنَهُمَا ، وَحَدِّدُوا ذَلِكَ بِمَا بَيْنَ الْأُمِّيَالِ الْخَضِرِ ، فَوَاحِدٌ مُفْرَدٌ مِنْ نَاحِيَةِ الصَّفا مِمَّا بِلَى الْمَسْجِدِ ، وَاثْنَانِ مَجْتَمِعَانِ مِنْ نَاحِيَةِ الْمَرْوَةِ مِمَّا بِلَى الْمَسْجِدِ أَيْضاً .

وقال بعض العلماء : ما بين هذه الأميال اليوم أوسع من بطن المسيل الذي رَمَلَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فالله أعلم .

وأما قول محمد بن حزم في الكتاب الذي جمعه في حجة الوداع : ثم خرج عليه السلام إلى الصفا فقرأ : « إِنَّ الصَّفا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ » أبدأ بما بدأ الله به ، فطاف

بين الصفا والمروة أيضا سبعا راكبا على بعير يَحْبُ ثَلَاثًا ويمشي أربعا . فإنه لم يُتَابَعَ على هذا القول ولم يتفوّه به أحد قَبْلَهُ ، من أنه عليه السلام حَبَّ ثَلَاثَةَ أَشْوَاطٍ بين الصفا والمروة ومشي أربعا .

ثم مع هذا الغلط الفاحش لم يَذْكُرْ عليه دليلاً بالسكّية ، بل لما انتهى إلى موضع الاستدلال عاييه قال : ولم نجد عدد الرَّمَلِ بين الصفا والمروة منصوصاً ، ولكنه متفق عاييه .
هذا لفظه .

فإن أراد بأن الرَّمَلِ في الثلاث الطَّوْفَاتِ الأول ، على ما ذكر ، متفق عليه ، فليس بصحيح ، بل لم يقله أحد .

وإن أراد أن الرَّمَلِ في الثلاث الأول في الجملة متفق عليه ، فلا يُجْدِي له شيئاً ولا يحصل له مقصودا ، فإنهم كانوا انفقوا على الرمل في الثلاث الأول في بعضها ، على ما ذكرناه ، كذلك انفقوا على استحبابه في الأربع الآخر أيضا .
فتخصيص ابن حزم الثلاث الأول باستحباب الرَّمَلِ فيها مخالف لما ذكره العلماء . والله أعلم .

وأما قول ابن حزم إنه عليه السلام كان راكبا بين الصفا والمروة ، فقد تقدم عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسعي بطن المسيل .
أخرجاه .

وللترمذى عنه : إن أسعى فقد رأيت رسول الله يسعى ، وإن مشيت فقد رأيت رسول الله يمشي .

وقال جابر : فلما انصبّت قدماه في الوادي رَمَل ، حتى إذا صعد مشي .
رواه مسلم .

وقالت حَبِيبَةُ بِنْتُ أَبِي تَجْرَاةَ : يَسْعَى يَدُورُ بِهِ إِزَارُهُ مِنْ شِدَّةِ السَّعَى .
رواه أحمد .

وفي صحيح مسلم عن جابر كاتقدم أنه رَقَى عَلَى الصَّفَا حَتَّى رَأَى الْبَيْتَ . وَكَذَلِكَ عَلَى الْمَرُوءَةِ .
وقد قدمنا من حديث محمد بن إسحاق ، عن أبي جعفر الباقر ، عن جابر ، أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم أُنَاخَ بِعَمِيرِهِ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ ، يَعْنِي حَتَّى طَافَ ، ثُمَّ لَمْ يَذْكُرْ أَنَّهُ
رَكِبَهُ حَالَ مَا خَرَجَ إِلَى الصَّفَا .

وهذا كله مما يقتضى أنه عليه السلام سعى بين الصفا والمروة ماشياً .

ولكن قال مسلم : حدثنا عبدُ بنُ حميد ، حدثنا محمد - يعنى ابن بكر - أخبرنا ابن
جُرَيْجٍ ، أخبرني أبو الزبير ، أنه سمع جابر بن عبد الله يقول : طَافَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ فِي حُجَّةِ الْوَدَاعِ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِالْبَيْتِ وَبَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرُوءَةِ عَلَى بَعِيرٍ ، لِيَرَاهُ النَّاسُ
وَلِيَشْرَفَ وَلِيَسْأَلُوهُ ، فَإِنَّ النَّاسَ عَشَوْهُ وَلَمْ يَطُفِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا أَصْحَابُهُ
بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرُوءَةِ إِلَّا طَوَافًا وَاحِدًا .

ورواه مسلم أيضاً ، عن أبي بكر بن أبي شَيْبَةَ ، عن علي بن مُسْهِرٍ ، وعن علي بن
خُشْرَمٍ ، عن عيسى بن يونس ، وعن محمد بن حاتم ، عن يحيى بن سعيد ، كلهم عن ابن
جُرَيْجٍ بِهِ . وليس في بعضها : وبين الصفا والمروة .

وقد رواه أبو داود ، عن أحمد بن حنبل ، عن يحيى بن سعيد الْقَطَّانِ ، عن ابن
جُرَيْجٍ ، أخبرني أبو الزبير ، أنه سمع جابر بن عبد الله يقول : طَافَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فِي حُجَّةِ الْوَدَاعِ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِالْبَيْتِ وَبَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرُوءَةِ .

ورواه النسائي عن الْقَلَّاسِ عَنْ يَحْيَى ، وعن عمران بن يزيد ، عن سعيد بن إسحاق ،
كلاماً عن ابن جُرَيْجٍ بِهِ .

فهذا محفوظ من حديث ابن جريج . وهو مُشْكِلٌ جداً ، لأن بقية الروايات عن جابر وغيره تدل على أنه عليه السلام كان ماشياً بين الصفا والمروة . وقد تكون رواية أبي الزبير عن جابر لهذه الزيادة وهى قوله : وبين الصفا والمروة مُقَحَّمَةٌ أو مُدْرَجَةٌ مِنْ بَعْدِ الصَّحَابِ . والله أعلم .
أو أنه عليه السلام طاف بين الصفا والمروة بعض الطَّوْفَانِ على قدميه ، وشوهد منه ما ذُكِرَ ، فلما ازدحم الناس عليه وكثروا رَكِبَ ، كما يدل عليه حديث ابن عباس الآتى قريباً .

وقد سلم ابن حزم أن طوافه الأول بالبيت كان ماشياً ، وحمل ركوبه فى الطواف على ما بعد ذلك . وادعى أنه كان راكباً فى السعى بين الصفا والمروة قال : لأنه لم يطف بينهما إلا مرة واحدة ، ثم تأول قول جابر : حتى إذا انصبت قدماء فى الوادى رمل . بأنه يَصْدُقُ ذلك وإن كان راكباً ، فإنه إذا انصب بعيره فقد انصب كله وانصبت قدماء مع سائر جسده . قال : وكذلك ذكر الرمل يعنى به رمل الدابة براكبها . وهذا التأويل بعيد جداً . والله أعلم .

وقال أبو داود : حدثنا أبو سامة موسى ، حدثنا حماد ، أنبأنا أبو عاصم الغنوى ، عن أبي الطفيل ، قال : قلت لابن عباس : يزعم قومك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رمل بالبيت وأن ذلك من سنته ^(١) . قال : صدقوا وكذبوا . فقلت : ما صدقوا وما كذبوا ؟ قال : صدقوا ، رمل رسول الله ، وكذبوا ليس بسنة ، إن قریشاً قالت زمن الحديبية : دعوا محمداً وأصحابه حتى يموتوا موت النعف ^(٢) ، فلما صالحوه على أن يحجوا من العام المقبل فقيموا بمكة ثلاثة أيام ، فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمشركون من قِبَلِ قُعَيْقِعَانَ ، فقال رسول الله لأصحابه : ارملوا بالبيت ثلاثاً . وليس بسنة .

(١) : وأن ذلك سنة . (٢) النعف : الدود وهو يضرب المستحقر .

قلت : يزعم قومك أن رسول الله طاف بين الصفا والمروة على بعير ، وأن ذلك سنة . قال : صدقوا وكذبوا . قات : ما صدقوا وكذبوا ؟ قال : صدقوا ، قد طاف رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الصفا والمروة على بعير ، وكذبوا ليست بسنة ، كان الناس لا يُدفعون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يُضرفون عنه ، فطاف على بعير ليستمعوا كلامه وليروا مكانه ولا تغاله أيديهم .
هكذا رواه أبو داود .

وقد رواه مسلم عن أبي كامل ، عن عبد الواحد بن زياد ، عن الجريزي ، عن أبي الطفيل ، عن ابن عباس ، فذكر فضل الطواف بالبيت كمنحوا ما تقدم ثم قال : قلت لابن عباس أخبرني عن الطواف بين الصفا والمروة راكباً ، أسنة هو ؟ فإن قومك يزعمون أنه سنة . قال : صدقوا وكذبوا . قلت : فما قولك صدقوا وكذبوا ؟

قال : إن رسول الله كثر عليه الناس يقولون : هذا محمد هذا محمد حتى خرج العوائق من البيوت ، وكان رسول الله لا يُضرب الناس بين يديه ، فلما كثر عليه الناس ركب قال ابن عباس : والمشى والسعى أفضل .

هذا لفظ مسلم . وهو يقتضى أنه إنما ركب في أثناء الحال . وبه يحصل الجمع بين الأحاديث والله أعلم .

وأما ما رواه مسلم في صحيحه حيث قال : حدثنا محمد بن رافع ، حدثنا يحيى بن آدم ، حدثنا زهير ، عن عبد الملك بن سعيد ، عن أبي الطنيل ، قال : قلت لابن عباس : أراني قد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : فصِّفه لي . قلت : رأيته عند المروة على ناقة وقد كثر الناس عليه . فقال ابن عباس : ذاك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إنهم كانوا لا يُضربون عنه ولا يُكْرهون .

فقد تفرد به مسلم ، وليس فيه دلالة على أنه عليه السلام سعى بين الصفا والمروة راكباً ، إذ لم يقيّد ذلك بحجة الوداع ولا غيرها . وبتقدير أن يكون ذلك في حجة الوداع فمن الجائز أنه عليه السلام بعد فراغه من السعى وجلسه على المروة وخطبته الناس وأمره بإيام من لم يسق الهدى منهم أن يفسخ الحج إلى العمرة ، فخل الناس كلهم إلا من ساق الهدى ، كما تقدم في حديث جابر . ثم بعد هذا كله أتى بناقته فركبها وسار إلى منزله بالأبطح ، كما سذكروه قريباً ، وحينئذ رآه أبو الطفيل عامر بن واثلة البكري ، وهو معدود في صفار الصحابة .

قلت : قد ذهب طائفة من العراقيين كأبي حنيفة وأصحابه والثوري إلى أن القارن يطوف طوافين ويسعى سعيين ، وهو مروى عن عليّ وابن مسعود ومجاهد والشعبي . ولهم أن يحتجوا بحديث جابر الطويل ، ودلالته على أنه سعى بين الصفا والمروة ماشياً ، وحديثه هذا أن النبي صلى الله عليه وسلم سعى بينهما راكباً على تعداد الطواف بينهما مرة ماشياً ومرة راكباً .

وقد روى سميد بن منصور في سننه عن علي رضي الله عنه ، أنه أهلّ بحجة وعمره ، فلما قدم مكة طاف بالبيت وبالصفا والمروة لعمرته ، ثم عاد فطاف بالبيت وبالصفا والمروة لحجته ، ثم أقام حراماً إلى يوم النحر .

هذا لفظه . ورواه أبو ذرّ الهروي في مناسكه عن علي ، أنه جمع بين الحج والعمرة فطاف لهما طوافين وسعى لهما سعيين وقال : هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل .

وكذلك رواه البيهقي ودارقطني والنسائي في خصائص علي . فقال البيهقي في سننه : أنبأنا أبو بكر بن الحارث الفقيه ، أنبأنا علي بن عمير الحافظ ، أنبأنا أبو محمد بن صاعد ، حدثنا محمد بن زُنْبُور ، حدثنا فضيل بن عياض ، عن منصور ، عن إبراهيم ، عن مالك

ابن الحارث ، أو منصور عن مالك بن الحارث ، عن أبي نصر ، قال : لقيتُ عليًّا وقد أهْلَتْ بالحج وأهْلٌ هو بالحج والعمرة ، فقلت : هل أستطيع أن أفعل كما فعلتَ ؟ قال : ذلك لو كنت بدأت بالعمرة . قلت : كيف أفعل إذا أردتُ ذلك ؟ قال : تأخذ إداوةً من ماء فتُفِيضُها عليك ، ثم تُهَلِّ بِهَما جميعاً ثم تطوف لهما طوافين وتسمي لهما سعيين ولا يحل لك حرام دون يوم النحر .

قال منصور : فذكرت ذلك لمجاهد قال : ما كنا نَبْنِي إلا بطواف واحد ، فأما الآن فلا نفعل .

قال الحافظ البيهقي : وقد رواه سفيان بن عُيينة وسُفيان الثوري وشُعْبة عن منصور ، فلم يذكر فيه السعي . قال : وأبو نصر هذا مجبول . وإن صح فيحتمل أنه أراد طواف القدوم وطواف الزيارة .

قال : وقد روى بأسانيد آخر عن عليّ مرفوعاً وموقوفاً ، ومدارها على الحسن بن عماره وحفص بن أبي داود وعيسى بن عبد الله وحماد بن عبد الرحمن ، وكلهم ضعيف لا يحتج بشيء مما رَوَوْه في ذلك . والله أعلم .

قلت : والمنقول في الأحاديث الصَّحاح خلاف ذلك ^(١) .

فقد قدَّمنا عن ابن عمر في صحيح البخاري أنه أهْلٌ بعمرة وأدخل عليها الحج ، فصار قارناً ، وطاف لهما طوافاً واحداً بين الحج والعمرة . وقال : هكذا فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد روى الترمذي وابن ماجه والبيهقي من حديث الدَّراوَرْدِي ، عن عبيد الله ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من جمع بين الحج والعمرة طاف لهما طوافاً واحداً وسمي لهما سعيًا واحداً » .

قال الترمذى : وهذا حديث حسن غريب .

قلت : إسناده على شرط مسلم .

وهكذا جرى لعائشة أم المؤمنين ، فإنها كانت ممن أهلَّ بعمره لعدم سوق الهدى معها ، فلما حاضت أمرها رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تغتسل وتهلَّ بحج مع عمرتها ، فصارت قارئةً ، فلما رجعوا من منى طلبت أن يُعمرها من بعد الحج ، فأعمرها تطييباً لقلبها ، كما جاء مصرحاً به في الحديث .

وقد قال الإمام أبو عبد الله الشافعى : أنبأنا مُسلم - هو ابن خالد - الزَّنجى ، عن ابن جُرَيْج ، عن عطاء أن رسول الله قال لعائشة : طوافك بالبيت وبين الصفا والمروة يكفيك لحجك وعمرتك .

وهذا ظاهره الإرسال ، وهو مُسنَد في المعنى ، بدليل ما قال الشافعى أيضا : أخبرنا ابن عيينة ، عن ابن أبي نَجِيح ، عن عطاء ، عن عائشة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الشافعى : وربما قال سفيان : عن عطاء ، عن عائشة وربما قال : عن عطاء أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعائشة . فذكره .

قال الحافظ البيهقى : ورواه ابن أبي عمر ، عن سفيان بن عيينة موصولا . وقد رواه مسلم من حديث وهيب ، عن ابن طاوس ، عن أبيه ، عن عائشة بمثله .

وروى مسلم من حديث ابن جريج ، أخبرني أبو الزبير ، أنه سمع جابرا يقول : دخل رسول الله على عائشة وهى تبكى ، فقال : مالك تبكين ؟ قالت : أبكى أن الناس حلَّوا ولم أحلَّ وطافوا بالبيت ولم أطف ، وهذا الحج قد حضر .

قال : إن هذا أمر قد كتبه الله على بنات آدم ، فاعتسلى وأهَّلَّ بحج . قالت : ففعلتُ ذلك ، فلما طهرتُ قال : « طوفى بالبيت وبين الصفا والمروة ثم قد حلَّلت من حجك

وعمرتك» قلت : يا رسول الله إني أجد في نفسي من عمرتي أني لم أكن طُفْتُ حتى حججت قال : « اذهب بها يا عبد الرحمن فأغمرها من التَّغْمِغِ » .

وله من حديث ابن جريج أيضا : أخبرني أبو الزبير ، سمعت جابراً قال : لم يطف النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه بين الصفا والمروة إلا طوافاً واحداً .
وعند أصحاب أبي حنيفة رحمه الله أن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الذين ساقوا الهدى كانوا قد قرنوا بين الحج والعمرة ، كما دل عليه الأحاديث المتقدمة .
والله أعلم .

وقال الشافعي : أنبأنا إبراهيم بن محمد ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن علي ، قال في القارن : يطوف طوافين ويسمى سَعْيًا .

قال الشافعي : وقال بعض الناس : طوافان وسعيان . واحتج فيه برواية ضعيفة عن علي ، قال جعفر : يُروى عن علي قولنا ، ورويناه عن النبي صلى الله عليه وسلم .
السنن قال أبو داود : حدثنا هارون بن عبد الله ، ومحمد بن رافع ، قالا : حدثنا أبو عاصم ، عن معروف - يعني ابن خربوذ المسكي - حدثنا أبو الطفيل ، قال : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يطوف بالبيت على راحلته يستلم الركن بمِخْجَنٍ ثم يقبله .
زاد محمد بن رافع : ثم خرج إلى الصفا والمروة فطاف سبعاً على راحلته .

وقد رواه مسلم في صحيحه من حديث أبي داود الطيالسي ، عن معروف بن خربوذ به . بدون الزيادة التي ذكرها محمد بن رافع . وكذلك رواه عبيد الله بن موسى عن معروف بدونها . ورواه الحافظ البيهقي عن أبي سعيد بن أبي عمرو ، عن الأصم ، عن يحيى بن أبي طالب ، عن يزيد بن أبي حكيم ، عن يزيد بن مالك ، عن أبي الطفيل بدونها . قاله أعلم .

وقال الحافظ البيهقي : أنبأنا أبو بكر بن الحسن وأبو زكريا بن أبي إسحاق ، قالا :

حدثنا أبو جعفر محمد بن علي بن دُحَيم ، حدثنا أحمد بن حازم ، أنبأنا عبيد الله بن موسى وجعفر بن عون ، قالا : أنبأنا أيمن بن نابل ، عن قدامة بن عبد الله بن عمار قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمي بين الصفا والمروة على بعير لا ضَرْب ولا طَرْد ولا إِلَيْكَ إِلَيْكَ .

وقال البيهقي : كذا قالا . وقد رواه جماعة غير أيمن فقالوا : يرمى الجمرة يوم النحر . قال : ويحتمل أن يكونا صحيحين .

قلت : رواه الإمام أحمد في مسنده ، عن وكيع وقران بن تمام ، وأبي قُرّة موسى ابن طارف قاضي أهل اليمن ، وأبي أحمد محمد بن عبد الله الزبيري ومُعْتَمِر بن سليمان ، عن أيمن بن نابل الحبشي أبي عمران المكي نزيل عَسْقَلان مولى أبي بكر الصديق ، وهو ثقة جليل من رجال البخاري ، عن قدامة بن عبد الله بن عمار السِّكَلابي ، أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يرمى الجمرة يوم النحر من بطن الوادي على ناقه صَهْبَاء لا ضرب ولا طَرْد ولا إِلَيْكَ إِلَيْكَ .

وهكذا رواه الترمذي ، عن أحمد بن مَنِيع ، عن مروان بن معاوية . وأخرجه النسائي عن إسحاق بن راهويه . وابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبه ، كلاهما عن وكيع ، كلاهما عن أيمن بن نابل ، عن قدامة . كما رواه الإمام أحمد . وقال الترمذي : حسن صحيح .

فصل

قال جابر في حديثه : حتى إذا كان آخر طوافه عند المروة قال : « إني لو استقبلتُ من أمرى ما استدبرت لم أسق الهدى » . رواه مسلم .

ففيه دلالة على من ذهب إلى أن السعى بين الصفا والمروة أربعة عشر ، كلُّ ذهاب وإياب يُحسب مرَّةً . قاله جماعة من أكابر الشافعية .

وهذا الحديث ردُّ عليهم ، لأن آخر الطواف عن قولهم يكون عند الصفا لا عند المروة .

ولهذا قال أحمد في روايته في حديث جابر : فلما كان السابع عند المروة قال : « أيها الناس إنى لو استقبلتُ من أمرى ما استدبرت لم أسق الهدى وجعلتها عمرة ، فمن لم يكن معه هدى فليَحِلَّ وليجعلها عمرة » فحلَّ الناسُ كلهم .

وقال مسلم : فحلَّ الناسُ كلهم وقصَّروا إلا النبي صلى الله عليه وسلم ومن كان معه هدى .

فصل

روى أمره عليه السلام لمن لم يسق الهدى بفسخ الحج إلى العمرة خلق من الصحابة يطول ذكرنا لهم ها هنا ، وموضع سرِّ ذلك كتاب الأحكام الكبير . إن شاء الله .

وقد اختلف العلماء في ذلك فقال مالك وأبو حنيفة والشافعي : كان ذلك من خصائص الصحابة ، ثم نسخ جواز الفسخ لغيرهم . وتمسكوا بقول أبي ذر رضى الله عنه : لم يكن فسْخُ الحج إلى العمرة إلا لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم . رواه مسلم .

وأما الإمام أحمد فردَّ ذلك ، وقال : قد رواه أحد عشر صحابيا ، فأين تقع هذه الرواية من ذلك ؟ وذهب رحمه الله إلى جواز الفسخ لغير الصحابة .

وقال ابن عباس رضى الله عنهما بوجوب الفسخ على كل من لم يسق الهدى ، بل عنده أنه يحلّ شرعاً إذا طاف بالبيت ، ولم يكن ساق هدياً صار حلالاً بمجرد ذلك ، وليس عنه النسك إلا الإقتران لمن ساق الهدى أو التمتع لمن لم يسق . فالله أعلم

قال البخارى : حدثنا أبو النعمان ، حدثنا حماد بن زيد ، عن عبد الملك بن جريج ، عن عطاء ، عن جابر . وعن طاوس عن ابن عباس ، قال : قدم النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه صُبحَ رابعةٍ من ذى الحجة يهلّون بالحج لا يخلطه شيء ، فلما قدمنا أمرنا فجعلناها عمرةً وأن نحلّ إلى نسائنا ، ففشت في ذلك ^(٢) المقالة .

قال عطاء : قال جابر : فيروح أحدنا إلى منى وذكره يقطر منياً ! قال جابر - بكفه - فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فقال : بلغنى أن قوما يقولون كذا وكذا . والله لأننا أبرئ وأنقى لله منهم ، ولو أنى استقبلت من أمرى ما استدبرت ما أهديت ، ولولا أن معى الهدى لأحللت .

فقام سراقه بن جُعشم فقال : يا رسول الله هي لنا أو للأبد ؟ فقال : بل للأبد .

وقال مسلم : حدثنا قتيبة ، حدثنا الليث ، هو ابن سعد ، عن أبي الزبير ، عن جابر ، أنه قال : أقبلنا مهلين مع رسول الله بحج مفرد ، وأقبلت عائشة بعمرة ، حتى إذا كنا بسرف عرّكت ^(١) حتى إذا قدمنا طفنا بالكعبة والصفاء والمروة ، وأمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحلّ منا من لم يكن معه هدى . قال : فقلنا : حلّ ماذا ؟ قال : الحل كله فواقفنا النساء وتطيبنا بالطيب ولبسنا ثياباً وليس بيننا وبين عرفة إلا أربع ليال .

(٢) عرّكت : حاضت .

(١) غير أن : ففشت تلك .

فهذان الحديثان فيهما التصريح بأنه عليه السلام قدِم مكة عام حجة الوداع لصبح رابعة ذى الحجة ، وذلك يوم الأحد حين ارتفع النهار وقت الضحى لأن أول ذى الحجة تلك السنة كان يوم الخميس بلا خلاف ، لأن يوم عرفة منه كان يوم الجمعة بنص حديث عمر بن الخطاب الثابت في الصحيحين . كما سيأتى

فلما قدِم عليه السلام يوم الأحد رابع الشهر ، بدأ كما ذكرنا بالطواف بالبيت ثم بالسعى بين الصفا والمروة ، فلما انتهى طوافه بينهما عند المروة أمر من لم يكن معه هدى أن يحلّ من إحرامه حتماً ، فوجب ذلك عليهم لا محالة ففعلوه وبعضهم متأسف لأجل أنه عليه السلام لم يحلّ من إحرامه لأجل سؤقه الهدى ، وكانوا يُحبّون موافقته عليه السلام والتأسي به ، فلما رأى ما عندهم من ذلك قال لهم : لو استقبلتُ من أمرى ما استدبرت لما سقت الهدى ولجعلتها عُمرَةً .

أى لو أعلم أنّ هذا يشقّ عليكم لكنت تركت سؤق الهدى حتى أحلّ كما أحلّتم .

ومن ها هنا تتّضح الدلالة على أفضلية التمتع ، كما ذهب إليه الإمام أحمد ، أخذاً من هذا ، فإنه قال : لا أشك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قارناً ، ولكن التمتع أفضل لتأسفه عليه .

وجوابه : أنه عليه السلام لم يتأسف على التمتع لكونه أفضل من القرآن في حق من ساق الهدى ، وإنما تأسف عليه لئلا يشقّ على أصحابه في بقائه على إحرامه وأمره لهم بالإحلال .

ولهذا - والله أعلم - لما تأمل الإمام أحمد هذا السرّ نص في رواية أخرى عنه على أن التمتع أفضل في حق من لم يسق الهدى ، لأمره عليه السلام من لم يسق الهدى من أصحابه بالتمتع ، وأن القرآن أفضل في حق من ساق الهدى ، كما اختار الله

عز وجل لنبيه صلوات الله وسلامه عليه في حجة الوداع وأمره له بذلك كما تقدم .
والله أعلم .

فصل

ثم سار صلوات الله وسلامه عليه بعد فراغه من طوافه بين الصفا والمروة وأمره
بالفسخ لمن لم يسق الهدى ، والناس معه حتى نزل بالأبطح شرق مكة فأقام هنالك
بقية يوم الأحد ويوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء حتى صلى الصبح من يوم الخميس ،
كل ذلك يصلى بأصحابه هنالك ولم يعد إلى الكعبة من تلك الأيام كلها .

قال البخارى : باب من لم يقرب الكعبة ولم يطف حتى يخرج إلى عرفة ويرجع
بعد الطواف الأول :

حدثنا محمد بن أبى بكر ، حدثنا فضيل بن سليمان ، حدثنا موسى بن عقبة ، قال
أخبرني كريب ، عن عبد الله بن عباس ، قال : قدم النبي صلى الله عليه وسلم مكة
فطاف سبعا وسعى بين الصفا والمروة ، ولم يقرب الكعبة بعد طوافه بها حتى رجع
من عرفة .

انفرد به البخارى .

فصل

وقديم - في هذا الوقت ورسول الله صلى الله عليه وسلم مُنْبِخٌ بِالْبَطْحَاءِ خَارِجَ مَكَّةَ -
على من اليمن .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد بعثه - كما قدمنا - إلى اليمن أميراً بعد خالد بن
الوليد رضى الله عنهما .

فلما قَدِمَ وجد زوجته فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حَلَّتْ ، كما حل أزواجُ رسول الله صلى الله عليه وسلم والذين لم يسوقوا الهدى ، واكتحلَّت ولبست ثيابا صَدِيفًا فقال : من أمركِ بهذا ؟ قالت : أبى .

فذهبَ مُحَرِّشًا عليها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره أنها حَلَّت ولبست ثيابا صَدِيفًا واكتحلَّت ، وزعمتُ أنك أمرتها بذلك يا رسول الله .

فقال : صدقتُ صدقتُ صدقت . ثم قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : بم أهلتَ حينَ أَوْجَبْتَ الحج ؟ قال : بإهلالٍ كإهلالِ النبي صلى الله عليه وسلم . قال : فإن معي الهدى فلا تحِلْ .

فكان جماعةُ الهدى الذى جاء به علىٌّ من اليمن والذى أتى به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من المدينة واشتراه فى الطريق مائةً من الإبل ، واشتركا فى الهدى جميعا . وقد تقدم هذا كله فى صحيح مسلم رحمه الله .

وهذا التقرير يردُّ الرواية التى ذكرها الحافظ أبو القاسم الطبرانى رحمه الله من حديث عكرمة ، عن ابن عباس ، أن عليًّا تلقى النبيَّ صلى الله عليه وسلم إلى الجحفة . والله أعلم .

وكان أبو موسى فى جُحْلَةٍ من قَدِمَ مع علىٍّ ، واسكنه لم يَسُقْ هديًا ، فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يَحِلَّ بعد ما طاف للعمرة وسعى ، ففسخ حجَّه إلى العمرة وصار متمتعًا ، فكان يفتى بذلك فى أثناء خلافة عمر بن الخطاب . فلما رأى عمرُ بن الخطاب أن يُفرد الحجَّ عن العمرة ترك فتياه مهابةً لأمير المؤمنين عمر رضى الله عنه وأرضاه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، أنبأنا سفيان ، عن عَوْنِ بنِ أبى جُحَيْفَةَ ، عن أبيه ، قال : رأيت بلالًا يؤذن ويدور ويُتَبَّعُ فاه هاهنا وهاهنا وإصبعاه فى أذنيه . قال : ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى قبة له حمراء أراها من أدَم . قال : فخرج بلال

بين يديه بالعِزَّة^(١) فرَكَّزها فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .
قال عبد الرزاق : وسمعتُه بمكة قال : بالبَطْحَاءِ يَمْرُؤُ بين يديه الكلب والمرأة والحمار
وعليه حُلَّة حمراء ، كَأَنِّي أَنظُرُ إِلَى بَرِيقِ سَاقِيهِ . قال : سَفِيَانُ نَرَاهَا حَبْرَةً .
وقال أحمد : حَدَّثَنَا وَكِيعٌ ، حَدَّثَنَا سَفِيَانُ ، عَنْ عَوْنِ بْنِ أَبِي جُحَيْفَةَ ، عَنْ أَبِيهِ ،
قال : نَبِيتُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْأَبْطَحِ وَهُوَ فِي قَبَةِ لَهُ حَمْرَاءَ ، فَخَرَجَ بِلَالٌ بِفَضْلِ
وَضُوئِهِ ، فَمِنْ نَاضِحٍ وَنَائِلٍ . قال : فَأَذَّنَ بِلَالٌ ، فَكُنْتُ أَتَّبِعُ فَاهُ هَكَذَا وَهَكَذَا
— يَعْنِي يَمِينًا وَشِمَالًا — قال : ثُمَّ رُكِبَتْ لَهُ عَنَزَةٌ فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وعليه جبَّة له حمراء أو حُلَّة حمراء ، وكَأَنِّي أَنظُرُ إِلَى بَرِيقِ سَاقِيهِ ، فَصَلَّى بِنَا إِلَى عَنَزَةٍ
الظُّهْرِ أَوِ الْعَصْرِ رَكَعَتَيْنِ ، تَمَرُ الْمَرْأَةُ وَالْكَلْبُ وَالْحِمَارُ لَا يُمْنَعُ ، ثُمَّ لَمْ يَزَلْ يَصِلُ رَكَعَتَيْنِ حَتَّى
أَتَى الْمَدِينَةَ .

وقال مرة : فَصَلَّى الظُّهْرَ رَكَعَتَيْنِ وَالْعَصْرَ رَكَعَتَيْنِ .
وأَخْرَجَاهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ سَفِيَانَ الثَّوْرِي .
وقال أحمد أيضا : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ ؛ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ وَحَجَّاجٌ ، عَنْ الْحَكَمِ ، سَمِعْتُ
أَبَا جُحَيْفَةَ قَالَ : خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْهَاجِرَةِ إِلَى الْبَطْحَاءِ ، فَتَوَضَّأَ وَصَلَّى
الظُّهْرَ رَكَعَتَيْنِ وَبَيْنَ يَدَيْهِ عَنَزَةٌ .

وزاد فيه عَوْنُ عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ : وَكَانَ يَمْرُؤٌ مِنْ وَرَائِنَا الْحِمَارَ وَالْمَرْأَةَ .
قال حجاج في الحديث : ثُمَّ قَامَ النَّاسُ فَعْمَلُوا بِأَخْذُونِ يَدِهِ فَيَمْسَحُونَ بِهَا وَجُوهَهُمْ
قال : فَأَخَذْتُ يَدَهُ فَوَضَعْتُهَا عَلَى وَجْهِهِ فَإِذَا هِيَ أَبْرَدُ مِنَ الثَّلَاجِ وَأَطْيَبُ رِيحًا
مِنَ الْمَسْكِ .

وقد أَخْرَجَهُ صَاحِبَا الصَّحِيحِ مِنْ حَدِيثِ شُعْبَةَ بَتَامَهُ .

(١) العِزَّة : رَمِيحٌ بَيْنَ الْعَصَا وَالرَّمْعِ فِيهِ زَج .

فصل

فأقام عليه السلام بالأبطح - كما قدمنا - يوم الأحد ويوم الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم الأربعاء . وقد حلَّ الناسُ إلّا من ساق الهدى .

وقدِم في هذه الأيام على بن أبي طالب من اليمن بمن معه من المسلمين وما معه من الأموال ، ولم يَعد عليه السلام إلى الكعبة بعد ما طاف بها . فلما أصبح عليه السلام يوم الخميس صلى بالأبطح الصبح من يومئذ ، وهو يوم التَّروية ، ويقال له يوم مَنى لأنه يُسار فيه إليها .

وقد روى أن النبي صلى الله عليه وسلم خطب قبل هذا اليوم ، ويقال للذي قبله فيما رأيته في بعض التعاليق يومُ الزينة ، لأنه يزِين فيه البُدن بالجلال^(١) ونحوها فإله أعلم .

قال الحافظ البيهقي : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، أنبأنا أحمد بن محمد بن جعفر الجلودى ، حدثنا محمد بن إسماعيل بن مهران ، حدثنا محمد بن يوسف ، حدثنا أبو قُرّة ، عن موسى بن عُقبة ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خطب يومَ التَّروية خطب الناسَ فأخبرهم بمناسكهم .

فركب عليه السلام قاصداً إلى منى قبل الزوال ، وقيل بعده ، وأُحرَم الذين كانوا قد حلوا بالحج من الأبطح حين توجهوا إلى منى ، وانبعثت رواحلهم نحوها .

قال عبد الملك ، عن عطاء ، عن جابر بن عبد الله ، قدِمنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحللنا ، حتى كان يوم التروية وجعلنا مكة منا بظَهْر ، لبينا بالحج . ذكره البخارى تعليقا مجزوما .

(١) الجلال : جمع جل ، وهو ما تلبسه الدابة لتصان به .

وقال مسلم : حدثنا محمد بن حاتم ، حدثنا يحيى بن سعيد ، عن ابن جريج ، أخبرني أبو الزبير عن جابر ، قال : أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أخلطنا أن نُحْرَمَ إذا توجهنا إلى منى . قال : وأهلنا من الأبطح .

وقال عبيد بن جريج لا بن عمر : رأيته إذا كنت بمسكة أهل الناس إذا رأوا الهلال ولم تُهَلَّ أنت حتى يوم التروية ؟ فقال : لم أر النبي صلى الله عليه وسلم يهَلُّ حتى تنبعث به راحلته .

رواه البخارى فى جملة حديث طويل ^(١) .

قال البخارى : وسئل عطاء عن المجاور منى يابى بالحج . فقال : كان ابن عمر يلجى يوم التروية إذا صلى الظهر واستوى على راحلته .

قلت : هكذا كان ابن عمر يصنع إذا حج معتمراً ، يحل من العمرة ، فإذا كان يوم التروية لا يلبى حتى تنبعث به راحلته متوجهاً إلى منى ، كما أحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذى الحليفة بعد ما صلى الظهر وانبعثت به راحلته .

لكن يوم التروية لم يصل النبي صلى الله عليه وسلم الظهر بالأبطح ، وإنما صلاحها يومئذ بمنى ، وهذا مما لا نزاع فيه .

قال البخارى : باب أين يصل الظهر يوم التروية .

حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثنا إسحاق الأزرق ، حدثنا سفيان ، عن عبد العزيز بن رُفَيْع ، قال : سألت أنس بن مالك قال : قلت : أخبرنى بشيء عَقَلْت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أين صلى الظهر والمصر يوم التروية ؟ قال : بمنى . قلت : فأين صلى العصر يوم التَّفَرُّ ؟ قال : بالأبطح . ثم قال : افعل كما يفعل أمراؤك !

(١) الحديث بطوله فى صحيح البخارى فى كتاب اللباس : باب النعال السنية وغيرها . ٢٥٠/٤ ط الأُميرية

وقد أخرج بقية الجماعة إلا ابن ماجه من طرق ، عن إسحاق بن يوسف الأزرق ، عن سفيان الثوري به . وكذلك رواه الإمام أحمد عن إسحاق بن يوسف الأزرق به . وقال الترمذى : حسن صحيح يستغرب من حديث الأزرق ، عن الثوري .

ثم قال البخارى : أنبأنا على ، سمع أبا بكر بن عيَّاش ، حدثنا عبد العزيز بن رُفيع ، قال : لقيت أنس بن مالك . وحدثني إسماعيل بن أبان ، حدثنا أبو بكر بن عيَّاش ، عن عبد العزيز ، قال :

خرجتُ إلى منى يوم التَّروية فلقيت أنسًا ذاهبًا على حمار ، فقلت : أين صلى النبي صلى الله عليه وسلم هذا اليوم الظهر ؟ فقال : انظر حيث يصلى أسراؤك فصل .

وقال أحمد : حدثنا أسود بن عامر ، حدثنا أبو كُدَيْنة ، عن الأعمش ، عن الحكم ، عن مِقْسَم ، عن ابن عباس [أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى خمس صلوات بمنى . وقال أحمد أيضا : حدثنا أسود بن عامر ، حدثنا أبو نَحْيَةَ يَحْيَى بن يعلى التَّيْمِي ، عن الأعمش ، عن الحكم ، عن مِقْسَم ، عن ابن عباس]^(١) ، أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى الظهر يوم التروية بمنى وصلى الغداة يوم عرفة بها .

وقد رواه أبو داود عن زهير بن حَرْب ، عن أخوص ، عن جواب ، عن عمار بن رزيق ، عن سليمان بن مهران الأعمش به . ولفظه : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر يوم التروية والفجر يوم عرفة بمنى .

وأخرجه الترمذى عن الأشج ، عن عبد الله بن الأجلح ، عن الأعمش بمعناه . وقال : ليس هذا مما عدّه شعبة فيما سمعه الحكم عن مِقْسَم .

وقال الترمذى : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا عبد الله بن الأجلح ، عن إسماعيل بن مسلم ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، قال : صلى بنا رسول الله بمنى الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر ثم غدا إلى عرفات . ثم قال : وإسماعيل بن مسلم قد تكلم فيه .

وفي الباب عن عبد الله بن الزبير وأنس بن مالك .
وقال الإمام أحمد : حدثنا من رأى النبي صلى الله عليه وسلم أنه راح إلى منى يوم التروية
وإلى جانبه بلال بيده عود عليه ثوب يُظلل به رسول الله صلى الله عليه وسلم - يعني
من الحر - .

تفرد به أحمد .

وقد نص الشافعي على أنه عليه السلام ركب من الأبطح إلى منى بعد الزوال ، ولكنه
إنما صلى الظهر بمنى ، فقد يستدل له بهذا الحديث . والله أعلم .

وتقدم في حديث جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جابر ، قال : فخل الناس كلهم وقصروا
إلا النبي صلى الله عليه وسلم ومن كان معه هدى ، فلما كان يوم التروية توجهوا إلى منى
فأهلوا بالحج ، وركب رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى بها الظهر والعصر والمغرب
والعشاء والفجر ، ثم مكث قليلا حتى طلعت الشمس ، وأمر بقبة له من شعر فضربت
له بئيرة .

فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تشك قريش إلا أنه واقف عند المشعر الحرام ،
كما كانت قريش تصنع في الجاهلية .

فأجاز رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى عرفة فوجد القبة قد ضربت له بئيرة ،
فنزل بها حتى إذا زاغت الشمس أمر بالقصواء فرحلت له ، فأتى بطن الوادي فخطب
الناس . وقال : إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحُرمة يومكم هذا في شهركم هذا
في بلدكم هذا ، ألا كل شيء من أمر الجاهلية موضوع تحت قدمي ، ودماء الجاهلية موضوعة
وإن أول دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث ، وكان مسترضعا في بني سعد فقتلته
هذيل . وربا الجاهلية موضوع وأول ربا أضع من ربانا ربا العباس بن عبد المطلب فإنه موضوع

كله ، واتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً تسكرهونه ، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضرباً غير مُبرِّح ، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف . وقد تركتُ فيكم ما لن تضلوا بعدي إن اعتصمتم به ، كتاب الله ، وأنتم تُسألون عني فما أنتم قائلون ؟ قالوا : نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت . فقال : بإصبعه السَّبَّابة يرفعها إلى السماء وينكتها على الناس : اللهم اشهد اللهم اشهد اللهم اشهد . ثلاث مرات .

وقال أبو عبد الرحمن النسائي : أنبأنا علي بن حجر ، عن مغيرة ، عن موسى بن زياد بن حذيم بن عمرو السعدي ، عن أبيه ، عن جده ، قال : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في خطبته يوم عرفة في حجة الوداع : « اعلموا أن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحُرْمَةِ يومكم هذا كحُرْمَةِ شهركم هذا كحُرْمَةِ بلدكم هذا .

وقال أبو داود : باب الخطبة على المنبر بعرفة : حدثنا هناد ، عن ابن أبي زائدة ، حدثنا سفيان بن عيينة ، عن زيد بن أسلم ، عن رجل من بني ضَمْرَةَ ، عن أبيه أو عمه ، قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر بعرفة .

وهذا الإسناد ضعيف ، لأن فيه رجلاً مُبْنِهما . ثم تقدّم في حديث جابر الطويل أنه عليه السلام خطب على ناقته القَصْواء .

ثم قال أبو داود : حدثنا مُسَدَّدٌ ، حدثنا عبد الله بن داود ، عن سلمة بن خُبَيْط ، عن رجل من الحلي ، عن أبيه نُذَيْط ، أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم واقفاً بعرفة على بعير أحمر يخطب .

وهذا فيه مُبْنِهم أيضاً ، ولاكن حديث جابر شاهد له .

ثم قال أبو داود : حدثنا هناد بن السري وعثمان بن أبي شيبة ، قالا : حدثنا وكيع ، عن عبد الحميد بن أبي عمرو ، قال : حدثني العداء بن خالد بن هُوَذَةَ . وقال هناد : عن

عبد المجيد ، حدثني خالد بن العلاء بن هوذة ، قل : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يخطب الناس يوم عرفة على بعير قائماً في الرككَيْنِ .

قال أبو داود : رواه ابن العلاء عن وكيع كما قال هناد . وحدثنا عباس بن عبدالمعظم ،
حدثنا عثمان بن عمر ، حدثنا عبد المجيد أبو عمرو ، عن العلاء بن خالد بمعناه .

وفي الصحيحين عن ابن عباس قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب
بعرفات : « من لم يجد نعلين فليلبس الخفين ، ومن لم يجد إزاراً فليلبس السراويل للأجر » .

وقال محمد بن إسحاق : حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد ،
قال : كان الرجل الذي يصرخ في الناس بقول رسول الله وهو بعرفة ربيعة بن أمية بن
خلف ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قل أيها الناس إن رسول الله يقول : هل
تدرون أي شهر هذا ؟ فيقولون : الشهر الحرام . فيقول : قل لهم : إن الله قد حرم عليكم
دماءكم وأموالكم كحرمة شهركم هذا . ثم يقول : قل أيها الناس إن رسول الله يقول هل
تدرون أي بلد هذا . وذكر تمام الحديث .

وقال محمد بن إسحاق : حدثني إيث بن أبي سليم ، عن شهر بن حوشب ، عن عمرو بن
خارجة ، قال : بعثني عتاب بن أسيد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو واقف بعرفة
في حاجة ، فبلغته ثم وقفت تحت ناقته وإن لعابها ليقع على رأسي ، فسمعتة يقول : « أيها
الناس إن الله أدّى إلى كل ذي حق حقه ، وإنه لا تجوز وصية لوارث . والولد للفراش
وللعاهر الحجر ، ومن ادعى إلى غير أبيه أو تولى غير مآليه فعليه لعنة الله والملائكة
والناس أجمعين لا يقبل الله له صرفاً ولا عدلاً » .

ورواه الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث قتادة ، عن شهر بن حوشب ، عن
عبد الرحمن بن غنم ، عن عمرو بن خارجة به . وقال الترمذي : حسن صحيح .

قلت : وفيه اختلاف على قتادة . والله أعلم .
وسند ذكر الخطبة التي خطبها عليه السلام بعد هذه الخطبة يوم النحر ، وما فيها من
الحكم والمواظ والتفاصيل والآداب النبوية إن شاء الله .

قال البخارى : باب التلبية والتكبير إذا غدا من منى إلى عرفة :
حدثنا عبد الله بن يوسف ، أخبرنا مالك ، عن محمد بن أبي بكر الثقفى ، أنه سأل أنس بن
مالك وهما غاديان من منى إلى عرفة : كيف كنتم تصنعون في هذا اليوم مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : كان يهل منا المهل فلا يُنكر عليه ويكبر المكبر منا فلا
ينكر عليه .

وأخرجه مسلم من حديث مالك وموسى بن عتبة ، كلاهما عن محمد بن أبي بكر بن
عوف بن رباح الثقفى الحجازى ، عن أنس به .

وقال البخارى : حدثنا عبد الله بن مسleme ، حدثنا مالك ، عن ابن شهاب ، عن سالم بن
عبد الله ، أن عبد الملك بن مروان كتب إلى الحجاج بن يوسف أن يأتى بعبد الله بن
عمر فى الحج ، فلما كان يوم عرفة جاء ابن عمر وأنا معه حين زاغت الشمس - أو زالت
الشمس - فصاح عند فسطاطه : أين هذا ؟ فخرج إليه . فقال ابن عمر : الرواح . فقال :
الآن ؟ قال : نعم . فقال : أنظرنى حتى أفيض على ماء . فنزل ابن عمر حتى خرج ، فسار
بينى وبين أبي فقلت^(١) : إن كنت تريد أن تصيب السنة اليوم فأقصّر الخطبة ومجّل الوقوف
فقال ابن عمر : صدق .

ورواه البخارى أيضا عن القعنبي عن مالك . وأخرجه النسائى من حديث أشهب
وابن وهب ، عن مالك .

ثم قال البخارى ، بعد روايته هذا الحديث : وقال الليث : حدثنى عقيل ، عن ابن

(١) القائل : سالم بن عبد الله للحجاج بن يوسف .

شهاب ، عن سالم ، أن الحجاج عام نزل بآبن الزبير سأل عبد الله : كيف تصنع في هذا الموقف ؟ فقال : إن كنت تريد السنة فهِجِّر بالصلاة يوم عرفة . فقال ابن عمر : صدق ، إنهم كانوا يجمعون بين الظهر والمصر في السنة . فقلت لسالم : أفعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : هل يبتغون بذلك إلا سنة ؟

وقال أبو داود: حدثنا أحمد بن حنبل ، حدثنا يعقوب ، حدثنا أبي عوف ، عن ابن إسحاق ، عن نافع ، عن ابن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غداً من منى حين صلى الصبح صبيحة يوم عرفة فنزل بنمرة وهي منزل الإمام الذي ينزل به بعرفة ، حتى إذا كان عند صلاة الظهر راح رسول الله صلى الله عليه وسلم مهجراً ، فجمع بين الظهر والمصر .

وهكذا ذكر جابر في حديثه بعد ما أورد الخطبة المقدمة قال : ثم أذن بلال ثم أقام ، فصلى الظهر ثم أقام فصلى العصر ولم يصل بينهما شيئاً .

وهذا يقتضى أنه عليه السلام خطب أولاً ثم أقيمت الصلاة ، ولم يتعرض للخطبة الثانية . وقد قال الشافعى : أنبأنا إبراهيم بن محمد وغيره ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه وعن جابر في حجة الوداع^(١) ، قال : فراح النبي صلى الله عليه وسلم إلى الموقف بعرفة فخطب الناس الخطبة الأولى ثم أذن بلال ثم أخذ النبي صلى الله عليه وسلم في الخطبة الثانية ففرغ من الخطبة وبلال من الأذان ، ثم أقام بلال فصلى الظهر ثم أقام فصلى العصر .

قال البيهقي : تفرد به إبراهيم بن محمد بن أبي يحيى .

قال مسلم : عن جابر : ثم ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى الموقف فجعل بطن ناقته القصواء إلى الصخرات ، وجعل جبل المشاة بين يديه ، واستقبل القبلة .

وقال البخارى : حدثنا يحيى بن سليمان ، عن ابن وهب ، أخبرني عمرو بن الحارث عن بكير ، عن كريب ، عن ميمونة ، أن الناس شكوا في صيام النبي صلى الله عليه وسلم

فَأَرْسَلْتُ إِلَيْهِ بِحِلَابٍ^(١) وَهُوَ وَقَفَ فِي الْمَوْقِفِ ، فَشَرِبَ مِنْهُ وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ .
وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ عَنْ هَارُونَ بْنِ سَعِيدٍ الْأَيْلِيِّ ، عَنْ ابْنِ وَهَبٍ بِهِ .

وَقَالَ الْبُخَارِيُّ : أَنْبَأَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَوْسُفَ ، أَنْبَأَنَا مَالِكٌ ، عَنْ أَبِي النَّضْرِ مَوْلَى عُمَرَ بْنِ
عُمَيْرٍ ، عَنْ عُمَيْرِ مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ ، عَنْ أُمِّ الْفَضْلِ بِنْتِ الْحَارِثِ ، أَنَّ نَاسًا تَمَارَوْا عِنْدَهَا
يَوْمَ عَرَفَةَ فِي صَوْمِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ بَعْضُهُمْ : هُوَ صَائِمٌ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : لَيْسَ
بَصَائِمٌ . فَأَرْسَلْتُ إِلَيْهِ بِقَدَحٍ لَبَنٍ وَهُوَ وَقَفَ عَلَى بَعِيرِهِ فَشَرِبَهُ .

وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ مَالِكٍ أَيْضًا . وَأَخْرَجَاهُ مِنْ طَرُقٍ أُخْرَى عَنْ أَبِي النَّضْرِ بِهِ .
قُلْتُ : أُمُّ الْفَضْلِ هِيَ أُخْتُ مَيْمُونَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ ، وَقَصَّتْهُمَا وَاحِدَةً . وَاللَّهُ
أَعْلَمُ . وَصَحَّ إِسْنَادُ الْإِرْسَالِ إِلَيْهَا ، لِأَنَّهُ مِنْ عِنْدِهَا ، اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يَكُونَ بَعْدَ ذَلِكَ أَوْ تَعَدَّدَ
الْإِرْسَالُ مِنْ هَذِهِ وَمِنْ هَذِهِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ : حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ ، حَدَّثَنَا أَيُّوبُ ، قَالَ : لَا أَدْرِي أَسَمِعْتُهُ مِنْ سَعِيدِ
ابْنِ جُبَيْرٍ أَمْ عَنْ بَنِيهِ عَنْهُ ، قَالَ : أَتَيْتُ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ وَهُوَ بِعَرَفَةَ وَهُوَ يَأْكُلُ رُمَّانًا ،
وَقَالَ : أَفْطَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَرَفَةَ وَبَعَثَتْ إِلَيْهِ أُمُّ الْفَضْلِ بَابِنَ فَشَرِبَهُ .
وَقَالَ أَحْمَدُ : حَدَّثَنَا وَكِيعٌ ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي ذَنْبٍ ، عَنْ صَالِحِ مَوْلَى التَّوَّامَةِ ، عَنْ ابْنِ
عَبَّاسٍ : أَنَّهُمْ تَمَارَوْا فِي صَوْمِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ عَرَفَةَ فَأَرْسَلَتْ أُمُّ فَضْلٍ إِلَى
رَسُولِ اللَّهِ بَابِنَ فَشَرِبَهُ .

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ : حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ وَأَبُو بَكْرِ ، قَالَا : أَنْبَأَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ ، قَالَ : قَالَ
عَطَاءٌ : دَعَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ الْفَضْلَ بْنَ عَبَّاسٍ إِلَى الطَّعَامِ يَوْمَ عَرَفَةَ ، فَقَالَ : إِنِّي صَائِمٌ . فَقَالَ
عَبْدُ اللَّهِ : لَا تَصُصْ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَرَّبَ إِلَيْهِ حِلَابَ فِيهِ ابْنُ يَوْمَ عَرَفَةَ فَشَرِبَ مِنْهُ ، فَلَا تَصُصْ
فَإِنَّ النَّاسَ مُسْتَفْتُونَ بِكُمْ . وَقَالَ ابْنُ بُكَيْرٍ وَرَوْحٌ : إِنَّ النَّاسَ يَسْتَفْتُونَ بِكُمْ .

وقال البخارى : حدثنا سليمان بن حرب ، حدثنا حماد بن زيد ، عن أيوب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : قال : بَدَّنا رجل واقف مع النبي صلى الله عليه وسلم بعرفة إذ وقع عن راحلته فَوَقَّصَتْهُ أَوْ قَل فَأَوْقَصَتْهُ ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « اغسلوه بماء وسِدْر وكفنوه في ثوبين ولا تُمَسِّوه طيبا ولا تَحْمَرُّوا رَأْسَهُ ولا تَحْنُطُوهُ ، فَإِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُلَبَّيًّا » .

ورواه مسلم عن أبي الربيع الزهراني عن حماد بن زيد .

وقال النسائي : أنبأنا إسحاق بن إبراهيم ، هو ابن راهويه ، أخبرنا وكيع ، أنبأنا سفيان الثوري ، عن بكير بن عطاء ، عن عبد الرحمن بن يعمر الدَّيْلِي ، قال : شهدتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بعرفة ، وأتاه أناسٌ من أهل نجد فسألوه عن الحج ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الحجُّ عرفة ، فمن أدرك ليلة عرفة قبل طلوع الفجر من ليلة جمع فقد تمَّ حَجُّه » .

وقد رواه بقية أصحاب السنن من حديث سفيان الثوري . زاد النسائي وشعبة عن بُكَيْر ابن عطاء به .

وقال النسائي : أنبأنا قتيبة ، أنبأنا سفيان ، عن عمرو بن دينار ، أخبرني عمرو بن عبد الله ابن صفوان أن يزيد بن شيبان قال : كنّا وقوفاً بعرفة مكانا بعيداً من الموقف ، فأنانا ابنُ مِرْبَع الأنصاري فقال : إني رسول رسول الله إليكم يقول ، لكم : « كونوا على مشاعركم فإنكم على إرث من إرثِ أبيكم إبراهيم » .

وقد رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه ، من حديث سفيان بن عيينة به ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن ولا نعرفه إلا من حديث ابن عيينة عن عمرو بن دينار .

وابن مِرْبَع اسمه زيد بن مِرْبَع الأنصاري ، وإنما يعرف له هذا الحديث الواحد .

قال : وفي الباب عن علي وعائشة وجُبَيْر بن مُطْعَم والثَّوْرِي بن سُويْد . وقد تقدم

من رواية مسلم ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جابر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : وقفتُ هاهنا وعرفة كلها موقف : زاد مالك في مؤلفه : وارفموا عن بطن عرفة .

فصل

فيما حُفِظَ من دعائه عليه السلام وهو واقف بعرفة

قد تقدم أنه عليه السلام أفطر يوم عرفة ، فدلَّ على أن الإفطار هناك أفضل من الصيام ، لما فيه من التقوى على الدعاء ، لأنه المقصود الأهم هناك . ولهذا وقف عليه السلام وهو راكب على الراحلة من لدن الزوال إلى أن غربت الشمس .

وقد روى أبو داود الطيالسي في مسنده ، عن حَوْشَب بن عَقِيل ، عن مَهْدَى المجَرى ، عن عكرمة ، عن أبي هريرة ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه نَهَى عن صوم يوم عرفة بعرفة .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرحمن بن مَهْدَى ، حدثنا حَوْشَب بن عَقِيل ، حدثني مَهْدَى الحاربي ، حدثني عكرمة مولى ابن عباس ، قال : دخلتُ على أبي هريرة في بيته فسألتُه عن صوم يوم عرفة بعرفات ، فقال : نَهَى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صوم عرفة بعرفات . وقال عبدُ الرحمن مرة : عن مَهْدَى العَبْدِي .

وكذلك رواه أحمد عن وكيع ، عن حَوْشَب ، عن مَهْدَى العَبْدِي فذكره . وقد رواه أبو داود عن سليمان بن حرب ، عن حَوْشَب ، والنسائي عن سليمان بن مَعْبُد ، عن سليمان بن حرب به . وعن الفلاس عن ابن مَهْدَى به . وابن ماجه عن أبي بكر بن أنى شعبة وعلى بن محمد ، كلاهما عن وكيع ، عن حَوْشَب .

وقال الحافظ البيهقي : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ وأبو سعيد بن أبي عمرو ، قالا : حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، حدثنا أبو أسامة الكلابي ، حدثنا حسن بن الربيع ، حدثنا الحارث بن عبيد ، عن حوشب بن عقيل ، عن مَهْدِي الهَجَرِي ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن صوم يوم عرفة بعرفة .

قال البيهقي : كذا قال الحارث بن عبيد ، والحفوط : عن عكرمة عن أبي هريرة

وروى أبو حاتم محمد بن حَبَّان البُسْتِي ، في صحيحه عن عبد الله بن عمرو ، أنه سئل عن صوم يوم عرفة فقال : حَبَّجْتُ مع رسول الله فلم يَصُمْه ، ومع أبي بكر فلم يَصُمْه ، ومع عمر فلم يَصُمْه ، وأنا فلا أصومه ولا آمر به ولا أنهي عنه .

قال الإمام مالك عن زياد بن أبي زياد مولى ابن عباس ، عن طلحة بن عبيد الله بن كُرَيْز ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أَفْضَلُ الدَّعَاءِ يَوْمَ عَرَفَةَ ، وَأَفْضَلُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ » .

قال البيهقي : هذا مُرْسَل . وقد روى عن مالك بإسناد آخر موصولاً ، وإسناده ضعيف .

وقد روى الإمام أحمد والترمذي ، من حديث عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أَفْضَلُ الدَّعَاءِ يَوْمَ عَرَفَةَ ، وَخَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي ؛ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » .

والإمام أحمد أيضاً عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده ، قال : كان أكثر دعاء النبي صلى الله عليه وسلم يوم عرفة : « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ،

له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير .

وقال أبو عبد الله بن مَنْدَةَ ، أنبأنا أحمد بن إسحاق بن أيوب النيسابورى ، حدثنا أحمد بن داود بن جابر الأَحْمَسى ، حدثنا أحمد بن إبراهيم الموصلى ، حدثنا فَرَج ابن فضالة ، عن يحيى بن سعيد ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « دعائى ودعاء الأنبياء قَبْلَى عَشِيَّة عرفة : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير » .

وقال لإمام أحمد : حدثنا يزيد ، يعنى ابن عبد ربه الجرجى ، حدثنا بَقِيَّة بن الوليد ، حدثنى جُبَيْر بن عمرو القرشى ، عن أبى سعيد الأنصارى ، عن أبى يحيى مولى آل الزبير ابن العوام ، عن الزبير بن العوام رضى الله عنه ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بعرفة يقرأ هذه الآية : « شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَاللَّائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ » وأنا على ذلك من الشاهدين يارب .

وقال الحافظ أبو القاسم الطبرانى فى مناسكه : حدثنا الحسن بن مثنى بن معاذ العنبرى حدثنا عفان بن مسلم ، حدثنا قيس بن الربيع ، عن الأغر بن الصباح ، عن خليفة ، عن على ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَفْضَلُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالْأَنْبِيَاءُ قَبْلَى عَشِيَّة عرفة : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير » .

وقال الترمذى فى الدعوات : حدثنا محمد بن حاتم المؤدّب ، حدثنا على بن ثابت ، حدثنا قيس بن الربيع ، وكان من بنى أسد ، عن الأغر بن الصباح ، عن خليفة بن حَصَيْن ، عن على رضى الله عنه ، قال : كان أكثر ما دعا به رسول الله صلى الله عليه وسلم يومَ عرفة فى الموقف : « اللهم لك الحمد كالذى نقول وخيراً مما نقول ، اللهم لك

صلاتي ونُسكى ونَحْيَايَ وَمَمَاتِي وَلَكَ رَبُّ تَرَانِي ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَوَسْوَسةِ
الصدرِ وَشَتَاتِ الْأَمْرِ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَهْبُتُ بِهِ الرِّيحُ .

ثم قال : غريب من هذا الوجه ، وليس إسناده بالقوى .

وقد رواه الحافظ البيهقي من طريق موسى بن عبيدة ، عن أخيه عبد الله بن عبيدة ،
عن عليّ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أكثر دعاء مَنْ كان قبلي
ودعائي يوم عرفة أن أقول : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو
على كل شيء قدير ، اللهم اجعل في بصري نورا وفي سمعي نورا وفي قلبي نورا . اللهم
اشرح لي صدري ويسّر لي أمري ، اللهم إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَسْوَاسِ الصدرِ وَشَتَاتِ
الأمرِ وَشَرِّ فِتْنَةِ القَبْرِ وَشَرِّ مَا يَلِدُجُ في الليلِ وَشَرِّ مَا يَلِجُ في النهارِ وَشَرِّ مَا تَهْبُتُ بِهِ الرِّيحُ
وَشَرِّ بَوَاقِي الدَّهْرِ » .

ثم قال : تفرد به موسى بن عبيدة ، وهو ضعيف وأخوه عبد الله لم يُدرك عليّاً .

وقال الطبراني في معجمه : حدثنا يحيى بن عثمان النخعي ، حدثنا يحيى بن بكير ،
حدثنا يحيى بن صالح الأيبي ، عن إسماعيل بن أمية ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن
ابن عباس قال : كان فيما دعا به رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع : « اللهم
إِنَّكَ تَسْمَعُ كَلَامِي وَتَرَى مَكَانِي وَتَعْلَمُ سِرِّي وَعِلَانِيَّتِي ، وَلَا يَخْفَى عَلَيْكَ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِي ،
أَنَا الْبَائِسُ الْفَقِيرُ الْمُسْتَغِيثُ الْمُسْتَجِيرُ الْوَجِلُ الْمُشْفِقُ الْمُقَرَّبُ الْمُعْتَرِفُ بِذَنْبِهِ ، أَسْأَلُكَ بِمَسْأَلَةِ
الْمُسْكِينِ وَأَبْتِهْلِ إِلَيْكَ ابْتِهَالَ الدَّلِيلِ ، وَأَدْعُوكَ دَعَاءَ الْخَائِفِ الضَّرِيرِ ، مَنْ خَضَعْتَ لَكَ
رَقَبَتَهُ وَفَاضَتْ لَكَ عَبرَتُهُ ، وَذَلَّ لَكَ جَسَدُهُ وَرَغِمَ لَكَ أَنْفُهُ ، اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلَنِي بِدَعَائِكَ
رَبًّا شَقِيئًا وَكُنْ بِي رَءُوفًا رَحِيمًا ، يَا خَيْرَ الْمُسْتُولِينَ وَيَا خَيْرَ الْمُعْطِينَ » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا هُشَيْمٌ ، أنبأنا عبد الملك ، حدثنا عطاء ، قال : قال
أسامة بن زيد : كنت رَدِيفَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم بمرفات ، فرفع يديه يدعو ،

فمالت به ناقته فسقط خطامها . قال : فتناول الخطام بإحدى يديه وهو رافع يده الأخرى .

وهكذا رواه النسائي عن يعقوب بن إبراهيم ، عن هُشَيْم .

وقال الحافظ البيهقي : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، حدثنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب ، حدثنا علي بن الحسن ، حدثنا عبد المجيد بن عبد العزيز ، حدثنا ابن جريج ، عن حسين ابن عبد الله الهاشمي ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو بعرفة يداه إلى صدره كاستطعام المسكين .

وقال أبو داود الطيالسي في مسنده : حدثنا عبد القاهر بن السري ، حدثني ابن إسكفانة بن العباس بن مرداس ، عن أبيه ، عن جده عباس بن مرداس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عشية عرفة لأُمَّته بالمغفرة والرحمة فأكثر الدعاء ، فأوحى الله إليه : إني قد فعلتُ إلا ظلمَ بعضهم بعضاً ، وأما ذنوبهم فيما بيني وبينهم فقد غفرتها . فقال : يارب إني قد فعلتُ على أن تُثيبَ هذا المظلومَ خيراً من مظلمته وتغفرَ لهذا الظالم ، فلم يجبه تلك العشية .

فلما كان غداة المزدلفة أعاد الدعاء ، فأجابه الله تعالى : إني قد غفرت لهم ^(١) . فتبسّم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له بعض أصحابه : يارسول الله تبسّمتَ في ساعة لم تكن تبسّم فيها ؟ قال : تبسّمتُ من عدو الله إبليس ، إنه لما علم أن الله عز وجل قد استجاب لي في أمّتي أهوى يدعو بالويل والثبور ويحشو التراب على رأسه .

(١) ذكر الزرقاني في شرح المواهب ١٨٩/٨ أن ابن حجر صنف في هذا الحديث كراساً سماه : وقوة الحجاج في عموم مغفرة للحجاج ، ثم قال : وأورده ابن الجوزي في الموضوعات من حديث ابن مرداس . وقال الطبري : إنه محمول بالنسبة إلى المظالم على من تاب وعجز عن وقائها .

ورواه أبو داود السَّجِسْتَانِي فِي سَنَنِهِ ، عَنْ عِيسَى بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْبُرْكَتِيِّ وَأَبِي الْوَلِيدِ الْعِيَالِيِّ ، كِلَاهُمَا عَنْ عَبْدِ الْقَاهِرِ بْنِ السَّرِيِّ ، عَنْ ابْنِ لَكْنَانَ بْنِ عَبَّاسِ بْنِ مِرْدَاسٍ ، عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ . مُخْتَصَرًا .

ورواه ابن ماجه ، عَنْ أَيُّوبَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْهَاشِمِيِّ بْنِ عَبْدِ الْقَاهِرِ بْنِ السَّرِيِّ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كِنَانَةَ بْنِ عَبَّاسٍ ، عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ بِهِ . مَطْوُولًا .

ورواه ابن جرير فِي تَفْسِيرِهِ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ سَيْفِ الْعِجْلِيِّ ، عَنْ عَبْدِ الْقَاهِرِ ابْنِ السَّرِيِّ ، عَنْ ابْنِ لَكْنَانَ ، يُقَالُ لَهُ أَبُو لُبَابَةَ ، عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ الْعَبَّاسِ بْنِ مِرْدَاسٍ فَذَكَرَهُ .

وَقَالَ الْخَافِظُ أَبُو الْقَاسِمِ الطَّبْرَانِيُّ : حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الدَّبَرِيِّ ^(١) ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، أَنبَأَنَا مَعْمَرٌ ، عَنْ سَمْعٍ قَتَادَةَ يَقُولُ : حَدَّثَنَا جُلَّاسُ بْنُ عَمْرٍو ، عَنْ عُبَادَةَ ابْنِ الصَّامِتِ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ عَرَفَةَ : « أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ تَطَوَّلَ عَلَيْكُمْ فِي هَذَا الْيَوْمِ فَغَفَرَ لَكُمْ إِلَّا التَّبَعَاتِ فِيمَا بَيْنَكُمْ ، وَوَهَبَ مُسِيئَتَكُمْ لِحُسْنِكُمْ . وَأَعْطَى مُحْسِنَكُمْ مَا سَأَلَ ، فَادْفَعُوا بِاسْمِ اللَّهِ » .

فَلَمَّا كَانُوا بِجَمْعٍ قَالَ : « إِنَّ اللَّهَ قَدْ غَفَرَ لَصَالِحِكُمْ وَشَقَّعَ صَالِحِيكُمْ فِي طَالِحِيكُمْ ، تَنْزِلُ الرَّحْمَةُ فَتَمُتُّهُمْ ثُمَّ تُفَرِّقُ الرَّحْمَةُ فِي الْأَرْضِ فَتَقَعُ عَلَى كُلِّ تَائِبٍ مِمَّنْ حَفِظَ لِسَانَهُ وَيَدَهُ . وَإِبْلِيسُ وَجُنُودُهُ عَلَى جِبَالٍ عُرْفَاتٍ يَنْظُرُونَ مَا يَصْنَعُ اللَّهُ بِهِمْ ؛ فَإِذَا نَزَلَتِ الرَّحْمَةُ دَعَا هُوَ وَجُنُودُهُ بِالْوَيْلِ وَالتَّبُورِ ، كُنْتُ أَسْتَفْزِمُهُمْ حَقَبًا مِنَ الدَّهْرِ [خَوْفٌ] ^(٢) الْمَغْفَرَةِ فَغَشَّيْتَهُمْ . فَيَتَفَرَّقُونَ يَدْعُونَ بِالْوَيْلِ وَالتَّبُورِ .

(١) إنبسة إلى دبر : قرية باليمن .

(٢) بياض بأصل .

ذكر ما نزل على رسول الله من الوحي المنيف

في هذا الموقف الشريف

قال الإمام أحمد : حدثنا جعفر بن عون ، حدثنا أبو العَمَيْس ، عن قيس بن مسلم ، عن طارق بن شهاب ، قال : جاء رجل من اليهود إلى عمر بن الخطاب فقال : يا أمير المؤمنين إنكم تقرأون آية في كتابكم لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيداً . قال : وأي آية هي ؟ قال : قوله تعالى : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً » .

فقال عمر : والله إنني لأعلم اليوم الذي نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والساعة التي نزلت فيها على رسول الله صلى الله عليه وسلم عشية عرفة في يوم الجمعة .

ورواه البخاري عن الحسن بن الصباح ، عن جعفر بن عون . وأخرجه أيضاً ومسلم والترمذي والنسائي من طرق عن قيس بن مسلم به .

ذكر إفاضة عليه السلام من عرفات إلى المشعر الحرام

قال جابر في حديثه الطويل : فلم يزل واقفاً حتى غربت الشمس وذهبت الصفرة قليلاً قليلاً حين غاب القرص ، فأردف أسامة خلفه ، ودفع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد شقق لناقته القسواء الرسام حتى إن رأسها ليصيب مؤرك رجله ، ويقول بيده اليمنى : أيها الناس السكينة السكينة . كلما أتى جبلاً من الجبال أرخى لها قليلاً حتى تصعد ، حتى أتى المزدلفة ، فصلى بها المغرب والعشاء بأذان وإقامتين ولم يسبح بينهما شيئاً .
رواه مسلم .

وقال البخاري : باب السير إذا دفع من عرفة .

حدثنا عبد الله بن يوسف ، أنبأنا مالك ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، قال : سئل أسامة وأنا جالس : كيف كان النبي صلى الله عليه وسلم يسير في حجة الوداع حين دفع ؟ قال : كان يسير العنق^(١) فإذا وجد فجوة نص .
قال هشام : - والنص - فوق العنق .

ورواه الإمام أحمد وبقية الجماعة إلا الترمذي من طرق عدة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه عن أسامة بن زيد به .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يعقوب ، حدثنا أبي ، عن ابن إسحاق ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن أسامة بن زيد ، قال : كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم عشية عرفة . قال : فلما وقعت الشمس دفع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما سمع حطمة^(٢) الناس خلفه قال : رؤيداً أيها الناس ، عليكم السكينة إن البر ليس بالإيضاع^(٣) .

(١) العنق : نوع من سير الإبل فيه إسراع .

(٢) الحطمة : ازدحام الناس ودفع بعضهم بعضاً .

(٣) الإيضاع : الإسراع .

قال : فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا التحم عليه الناس أُعْنَقَ وإذا وجد فُرْجَةً نَصَّ ، حتى أتى المزدلفة فجمع فيها بين الصلاتين المغرب والعشاء الآخرة .

ثم رواه الإمام أحمد من طريق محمد بن إسحاق ، حدثني إبراهيم بن عُبَيْة ، عن كَرِيب ، عن أسامة بن زيد . فذكر مثله . وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو كامل ، حدثنا حماد ، عن قيس بن سعد ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، عن أسامة بن زيد ، قال : أفاض رسول الله صلى الله عليه وسلم من عرفة وأنا رديفه ، فجعل يكبح راحلته حتى إن ذفراها^(١) ليكاد يصيب قادمة الرّاحل . ويقول : « يا أيها الناس عليكم السّكينة والوقار ، فإن البرّ ليس في إيضاع الإبل » .

وكذا رواه عن عفان ، عن حماد بن سلمة به ، ورواه النسائي من حديث حماد بن سلمة به .

ورواه مسلم عن زهير بن حَرْب ، عن يزيد بن هارون ، عن عبد الملك بن أبي سليمان ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، عن أسامة بن جحوه . قال : وقال أسامة : فما زال يسير على هيئته حتى أتى جَمْعًا .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أحمد بن الحجاج ، حدثنا ابن أبي فُدَيْك ، عن ابن أبي ذئب ، عن شُعْبَةَ ، عن ابن عباس ، عن أسامة بن زيد ، أنه رَدِفَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يومَ عرفة حتى دخل الشَّعْب ، ثم أَهْرَاقَ الماء وتوضأ ، ثم ركب ولم يصل . وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد ، حدثنا هَمَّام ، عن قتادة ، عن عروة ، عن الشَّعْبِي ، عن أسامة بن زيد ، أنه حدثه قال : كنت رديفَ رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أفاض من عرفات ، فلم ترفع راحلته رجلكها غاديةً حتى بلغ جَمْعًا .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سفيان ، عن إبراهيم بن عتبة ، عن كُريب ، عن ابن عباس ، أخبرني أسامة بن زيد : أن النبي صلى الله عليه وسلم أَرْدَفَهُ من عرفة ، فلما أتى الشَّعْبَ نزل فبال ، ولم يقل أَهراق الماء ، فصِبتُ عليه فتوضأ وضوءاً خفيفاً فقلت : الصلاة ؟ فقال : الصلاة أَمَامَكَ .

قال : ثم أتى المَزْدَةَ فصلّى المغرب ، ثم حلَّوا راحلهم وأَعْنَتُهُ ثم صلى العشاء . كذا رواه الإمام أحمد عن كُريب ، عن ابن عباس عن أسامة بن زيد ، فذكره . ورواه النسائي عن الحسين بن حُرَيْث^(١) ، عن سفيان بن عيينة ، عن إبراهيم بن عتبة ومحمد ابن أبي حَرْمَلَةَ ، كلاهما عن كُريب ، عن ابن عباس ، عن أسامة . قال شيخنا أبو الحجاج المِزِّي في أطرافه : والصحيح : كُريب عن أسامة .

وقال البخاري : حدثنا عبد الله بن يوسف ، أنبأنا مالك ، عن موسى بن عتبة ، عن كُريب ، عن أسامة بن زيد ، أنه سمعه يقول : دَفَعَ رسول الله صلى الله عليه وسلم من عرفة ، فنزل الشَّعْبَ فبالَ ثم توضأ فلم يُسْمِعِ الوضوء ، فقلت له : الصلاة ؟ فقال : الصلاة أَمَامَكَ . فجاء المَزْدَةَ فتوضأ فأَسْمِعَ ، ثم أقيمت الصلاة فصلّى المغرب ، ثم أناخ كلُّ إنسان بغيره في مَنْزِلِهِ ، ثم أقيمت الصلاة فصلّى العشاء ولم يصل بينهما .

وهكذا رواه البخاري أيضاً عن القَعْنَبِيِّ ، ومسلم عن يحيى بن يحيى ، والنسائي عن قتيبة عن مالك ، عن موسى بن عتبة به . وأخرجه من حديث يحيى بن سعيد الأنصاري ، عن موسى بن عتبة أيضاً .

ورواه مسلم من حديث إبراهيم بن عتبة ومحمد بن عتبة ، عن كُريب ، كنفجور رواية أخيهما موسى بن عتبة عنه .

وقال البخاري أيضاً : حدثنا قتيبة ، حدثنا إسماعيل بن جعفر ، عن محمد بن أبي حَرْمَلَةَ ، عن كُريب ، عن أسامة بن زيد ، أنه قال : رَدِفْتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فلما

(١) الحديث في سنن النسائي ٤٦١/٢ : حدثنا وكيع قال حدثنا سفيان .

بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم الشعب الأيسر الذي دون المزدلفة أناخ فبال ؛ ثم جاء فصبت عليه الوضوء فتوضأ وضوءاً خفيفاً . فقلت : الصلاة يا رسول الله ؟ قال : الصلاة أمامك ؛ فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى المزدلفة ؛ فصلى ثم ردف الفضل رسول الله صلى الله عليه وسلم غداة جمع . قال كريب : فأخبرني عبد الله بن عباس عن الفضل ؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يزل يلبي حتى بلغ الجحرة .

ورواه مسلم عن قتيبة ويحيى بن يحيى . ويحيى بن أيوب ؛ وعلى بن حجر ؛ أربعتهم عن إسماعيل بن جعفر به .

وقال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، حدثنا عمر بن ذر ؛ عن مجاهد عن أسامة بن زيد ؛ أن رسول الله أُرْدِفَهُ من عرفة . قال : فقال الناس : سيخبرنا صاحبنا ما صنع . قال : فقال أسامة : لما دفع من عرفة فوقف كف رأس راحلته حتى أصاب رأسها واسطة الرّحل أو كاد يصيبه ، يشير إلى الناس بيده : السّكينة السكينة السكينة . حتى أتى جمعاً ثم أردف الفضل بن عباس ، قال فقال الناس : سيخبرنا صاحبنا بما صنع رسول الله . فقال الفضل : لم يزل يسير سيراً ليّناً كسيره بالأمس ، حتى أتى على وادى مُحَسَّر فدفع فيه حتى استوت به الأرض .

وقال البخاري : حدثنا سعيد بن أبي مریم ، حدثنا إبراهيم بن سويد ، حدثني عمرو ابن أبي عمرو مولى المطلب ، أخبرني سعيد بن جبیر مولى والبة السكوفي ، حدثني ابن عباس أنه دفع النبي صلى الله عليه وسلم يوم عرفة ، فسمع النبي صلى الله عليه وسلم وراءه زَجْراً شديداً وضرباً للإبل فأشار بسوطه إليهم وقال : « أيها الناس عليكم بالسّكينة فإن البر ليس بالإبضاع » .

تفرد به البخاري من هذا الوجه . وقد تقدم رواية الإمام أحمد ومسلم والنسائي

هذا من طريق عطاء بن أبي رباح ، عن ابن عباس ، عن أسامة بن زيد . **فَاللَّهُ أَعْلَمُ .**

وقال الإمام أحمد : حدثنا إسماعيل بن عمر ، حدثنا المسعودي ، عن الحكم ، عن مِقْسَم ، عن ابن عباس ، قال : لما أفاض رسول الله من عرفات أَوْضَعَ النَّاسَ ، فَأَمَرَ رسول الله منادياً ينادي : أَيُّهَا النَّاسُ لَيْسَ الْبَرُّ بِإِبْضَاعِ الْخَيْلِ وَلَا الرَّكَّابِ . قال : فما رأيت من رافعة يديها غادبةً حتى نزل جَمْعًا .

وقال الإمام أحمد : حدثنا حسين وأبو نعيم ، قالا : حدثنا إسرائيل ، عن عبد العزيز ابن رُفَيْع ، قال : حدثني مَنْ سَمِعَ ابْنَ عَبَّاسٍ يَقُولُ : لَمْ يَنْزِلْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ عَرَفَاتٍ وَجَمَعَ إِلَّا أُرِيقَ الْمَاءُ .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد بن هارون ، أخبرنا عبد الملك ، عن أنس بن سيرين ، قال : كنت مع ابن عمر بعرفات ، فلما كان حين راح رُحْتُ معه حتى الإمام ، فصلى معه الأولى والعصر ، ثم وقف وأنا وأصحاب لي حتى أفاض الإمام فَأَفْضَنَا معه ، حتى انتهينا إِلَى الْمَضِيقِ دُونَ الْمَازِمِينَ ^(١) فَأَنَاحَ وَأَنَحْنَا ، وَنَحْنُ نَحْسِبُ أَنَّهُ يَرِيدُ أَنْ يَصَلِّيَ ، فَقَالَ غَلَامُهُ الَّذِي يَمْسُكُ رَاحِلَتَهُ : إِنَّهُ لَيْسَ بِرِيدِ الصَّلَاةِ ، وَلَكِنَّهُ ذَكَرَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا انْتَهَى إِلَى هَذَا الْمَكَانِ قَضَى حَاجَتَهُ ، فَهُوَ يَحِبُّ أَنْ يَقْضِيَ حَاجَتَهُ .

وقال البخاري : حدثنا موسى ، حدثنا جُوَيْرِيَّة ، عن نافع ، قال : كان عبد الله بن عمر يَجْمَعُ بَيْنَ الْمَغْرَبِ وَالْعِشَاءِ بِجَمْعٍ ، غَيْرَ أَنَّهُ يَمْرُؤٌ بِالشَّعْبِ الَّذِي أَخَذَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَيَدْخُلُ فَيَنْتَفِضُ وَيَتَوَضَّأُ وَلَا يَصَلِّي حَتَّى يَجِيءَ جَمْعًا .

تفرد به البخاري رحمه الله من هذا الوجه .

وقال البخاري : حدثنا آدم بن أبي ذئب ، عن الزُّهْرِي ، عن سالم بن عبد الله ، عن ابن عمر ، قال : جمعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَغْرَبَ وَالْعِشَاءَ بِجَمْعٍ ، كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا

(١) الْمَازِمَانُ : مضيق بين جمع وعرفة ، وآخر بين مكة ومي .

بإقامة ، ولم يسبِّح بينهما ولا على إثر واحدة منهما .

ورواه مسلم عن يحيى بن يحيى ، عن مالك ، عن الزهري ، عن سالم ، عن ابن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى المغرب والعشاء بالمزدلفة جميعا .

ثم قال مسلم : حدثني حرّملة ، حدثني ابن وهب ، أخبرني يونس ، عن ابن شهاب أن عبيد الله بن عبد الله بن عمر أخبره أن أباه قال : جمع رسول الله بين المغرب والعشاء بجمع ليس بينهما سجدة ، فصلى المغرب ثلاث ركعات وصلى العشاء ركعتين . فكان عبد الله يصلي بجمع كذلك حتى لحق بالله .

ثم روى مسلم من حديث شعبة عن الحكم ، وسامة بن كهيل ، عن سعيد بن جبیر ، أنه صلى المغرب بجمع والعشاء بإقامة واحدة . ثم حدث عن ابن عمر أنه صلى مثل ذلك . وحدث ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صنع مثل ذلك .

ثم رواه من طريق الثوري ، عن سامة ، عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عمر ، قال : جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المغرب والعشاء بجمع ، صلى المغرب ثلاثا والعشاء ركعتين بإقامة واحدة .

ثم قال مسلم : حدثنا أبو بكر ابن أبي شيبة ، حدثنا عبد الله بن جبیر ، حدثنا إسماعيل ابن أبي خالد ، عن أبي إسحاق ، قال : قال سعيد بن جبیر : أفضنا مع ابن عمر ، حتى أتينا جمعا فصلى بنا المغرب والعشاء بإقامة واحدة ، ثم انصرف فقال : هكذا صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا المكان .

وقال البخاري : حدثنا خالد بن مخلد ، حدثنا سليمان بن بلال ، حدثني يحيى بن سعيد ، حدثني عدي بن ثابت ، حدثني عبد الله بن يزيد الخطمي ، حدثني أبو يزيد الأنصاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع في حجة الوداع بين المغرب والعشاء بالمزدلفة .

ورواه البخاري أيضا في المغازي عن القعنبي ، عن مالك ، ومسلم من حديث سليمان

ابن بلال والليث بن سعد، ثلاثهم عن يحيى بن سعيد الأنصارى، عن عدى بن ثابت .
ورواه النسائى أيضاً عن الفلاس عن يحيى القطان عن شعبة عن عدى بن
ثابت به .

ثم قال البخارى : باب من أذن وأقام لكل واحدة منهما :

حدثنا عمرو بن خالد ، حدثنا زهير بن حرب ، حدثنا أبو إسحاق ، سمعت عبد الرحمن
ابن يزيد يقول : حجَّ عبد الله فأتينا المزدلفة حين الأذان بالعمّة أو قريباً من ذلك ، فأمر رجلاً
فأذن وأقام ثم صلى المغرب وصلى بعدها ركعتين ، ثم دعا بعشائه فتعشى ثم أمر أرى
رجلاً فؤذن وأقام . قال عمرو : لا أعلم الشك إلا من زهير . ثم صلى العشاء ركعتين
فلما طلع الفجر قال : إن النبى صلى الله عليه وسلم كان لا يصلى هذه الساعة إلا هذه الصلاة
فى هذا المكان من هذا اليوم . قال عبدالله : هما صلاتان تحوّلان عن وقتها : صلاة
المغرب بعد ما يأتى الناس المزدلفة ، والفجر حين يبرز الفجر . قال : رأيت النبى صلى الله
عليه وسلم يفعله .

وهذا اللفظ وهو قوله : « والفجر حين يبرز الفجر » أئبى وأظهر من الحديث
الآخر الذى رواه البخارى عن حفص بن عمر بن غياث ، عن أبيه ، عن الأعمش ، عن عمارة
عن عبد الرحمن عن عبدالله بن مسعود قال : ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى
صلاة بغير ميقاتها إلا صلاتين : جمع بين المغرب والعشاء وصلاة الفجر قبل ميقاتها .

ورواه مسلم من حديث أبى معاوية وجريير عن الأعمش به .

وقال جابر فى حديثه : ثم اضطجع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى طلع الفجر ،
فصلى الفجر حين تبين له الصبح بأذان وإقامة .

وقد شهد معه هذه الصلاة عروة بن مضرّس بن أوس بن حارثة بن لأم الطائى .

قال الإمام أحمد : حدثنا هشيم ، حدثنا ابن أبى خالد وزكريا ، عن الشعبى ، أخبرنى

عروة بن مُضَرَّس ، قال : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يجتمع فقلت : يا رسول الله جئتك من جبلٍ طيءٍ أنعبت نفسي وأنصيت راحتي ، والله ما تركتُ من جبلٍ إلا وقفت عليه ، فهل لي من حج ؟ فقال : من شهد معنا هذه الصلاة يعني صلاة الفجر يجتمع ووقف معنا حتى يُفَيضَ منه ، وقد أفاض قبل ذلك من عرفات ليلاً أو نهاراً ، فقد تمَّ حجُّه وقضى تَفَثَهُ ^(١) .

وقد رواه الإمام أحمد أيضاً وأهل السنن الأربعة من طرق ، عن الشَّعْبِيِّ ، عن عروة ابن مُضَرَّس . وقال الترمذى : حسن صحيح .

فصل

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدَّم طائفةً من أهله بين يديه من الليل قبل حطمة الناس من المزدلفة إلى مِنَى .

قال البخارى : باب من قدَّم ضعفه أهله بالليل ، فيقفون بالمزدلفة ويدعون ويقدم إذا غاب القمر .

حدثنا يحيى بن بُسْكَير ، حدثنا الليث ، عن يونس ، عن ابن شهاب قال : قال سالم : كان عبد الله بن عمر يقدِّم ضعفه أهله فيقفون عند المشعر الحرام بليل ، فيذكرون الله ما بدا لهم ، ثم يدفَعون قبل أن يقف الإمام وقبل أن يدفع ، فنهَم من يقدِّم منى لصلاة الفجر ومنهم من يقدِّم بعد ذلك ، فإذا قدموا رموا الجمرَةَ . وكان ابن عمر يقول : أُرْخَص في أولئك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن زيد ، عن أيوب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم من جمع بَلَيْل .

(١) التفت : انشعث ، وما كان من نحو قص الأظفار والشارب وحلق العانة وغير ذلك .

وقال البخاري : حدثنا علي بن عبد الله ، ثنا سفيان ، أخبرني عبد الله بن أبي يزيد ،
سمع ابن عباس يقول : أنا ممن قدّم النبي صلى الله عليه وسلم ليلة المزدلفة
في ضعفة أهله .

وروى مسلم من حديث ابن جريج ، أخبرني عطاء ، عن ابن عباس ، قال : بعث بي
رسول الله صلى الله عليه وسلم من جمع بسحر مع ثقله .

وقال الإمام أحمد : حدثنا رَوْح حدثنا سفيان الثوري ، حدثنا سلمة بن كهيل ، عن
الحسن العُمرَني ، ^(١) عن ابن عباس ، قال : قدّمنا رسول الله أغيلة بن عبد المطلب على حراثنا
فجعل يُلطّح ^(٢) أنخاذاً بيده ويقول : أبنّي لا ترموا الجمرَةَ حتى تطلع الشمس . قال ابن
عباس : ما أخال أحداً يرى الجمرَةَ حتى تطلع الشمس .

وقد رواه أحمد أيضاً عن عبد الرحمن بن مهدي ، عن سفيان الثوري فذكره . وقد رواه
أبو داود ، عن محمد بن كثير ، عن الثوري به . والنسائي عن محمد بن عبد الله بن يزيد ،
عن سفيان بن عُيينة ، عن سفيان الثوري به . وأخرجه بن ماجه عن أبي بكر بن أبي
شيبه ، وعلى بن محمد ، كلاهما عن وكيع ، عن مسعر وسفيان الثوري ، كلاهما عن سلمة
بن كهيل به .

وقال أحمد : حدثنا يحيى بن آدم ، حدثنا أبو الأحوص ، عن الأعمش ، عن الحكم
ابن عُيينة ، عن مِقْسَم ، عن ابن عباس ، قال : مرّ بنا رسول الله ليلة النحر وعلينا سَواذٌ
من الليل ، فجعل يضرب أنخاذاً ويقول : أبنّي أفيضوا لا ترموا الجمرَةَ حتى
تطلع الشمس .

ثم رواه الإمام أحمد من حديث المسعودي ، عن الحكم ، عن مِقْسَم ، عن ابن عباس ،

(١) نسب إلى عريثة بن نذير . . بطن من بجيلة . الباب ١٣٣/٢ .

(٢) يُلطّح : يضرب بطن كفه .

قال : قدّم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ضَعْفَةَ أَهْلِهِ مِنَ الْمَزْدَلِفَةِ لَيْلٍ ، فَجَعَلَ يُوَصِّيهُمْ أَنْ لَا يَرْمُوا جَمْرَةَ الْعَقَبَةِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ .

وقال أبو داود : حدثنا عثمان ابن أبي شيبة ، حدثنا الوليد بن عَقْبَةَ ، حدثنا حمزة الزيات بن حبيب ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُقَدِّمُ ضَعْفَةَ أَهْلِهِ بِقَلَسٍ ^(١) وبأمرهم - يعني أن لا يَرْمُوا الجَمْرَةَ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ - . وكذا رواه النسائي عن محمود بن غَيْلَانَ ، عن بشر بن السَّرِيِّ ، عن سفيان ، عن حبيب . قال الطبراني : وهو ابن أبي ثابت . عن عطاء ، عن ابن عباس . نَفَرَجَ حَمَزَةُ الزِّيَّاتِ مِنْ عُمْدَتِهِ وَجَادَ إِسْنَادُ الْحَدِيثِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وقد قال البخاري : حدثنا مسدد ، عن يحيى ، عن ابن جريج ، حدثني عبد الله مولى أسماء ، عن أسماء ، أنها نزلت ليلة جَمَعَ عِنْدَ الْمَزْدَلِفَةِ ، فَقَامَتْ تَصَلِّيَ فَصَلَّتْ سَاعَةً ثُمَّ قَالَتْ : يَا بَنِيَّ هَلْ غَابَ الْقَمَرُ ؟ قُلْتُ : لَا . فَصَلَّتْ سَاعَةً ثُمَّ قَالَتْ : هَلْ غَابَ الْقَمَرُ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ . قَالَتْ : فَارْتَحِلُوا . فَارْتَحَلْنَا فَمَضَيْنَا حَتَّى رَمَتْ الْجَمْرَةَ ، ثُمَّ رَجَعْتُ فَصَلَّتْ الصُّبْحَ فِي مَنْزِلِهَا ، فَقُلْتُ لَهَا : يَا هَنْتَاهُ مَا أَرَانَا إِلَّا قَدْ غَلَسْنَا . فَقَالَتْ : يَا بَنِيَّ إِنْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَذِنَ لِلظُّعْنِ .

ورواه مسلم من حديث ابن جريج به .

فإن كانت أسماء بنت الصديق رَمَتِ الْجَمَارَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ ، كَمَا ذَكَرَ هَاهُنَا ، عَنْ تَوْقِيفِ فُرَايِئِهَا مُقَدِّمَةً عَلَى رِوَايَةِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، لِأَنَّ إِسْنَادَ حَدِيثِهَا أَصَحُّ مِنْ إِسْنَادِ حَدِيثِهِ ، اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يُقَالَ : إِنْ الْعُلَمَاءُ أَخْفَ حَالًا مِنَ النِّسَاءِ وَأَنْشَطَ ، فَلِهَذَا أَمَرَ الْعُلَمَاءُ بِأَنْ لَا يَرْمُوا قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَأَذِنَ لِلظُّعْنِ فِي الرَّمْيِ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ ، لِأَنَّهُمْ أَثْقَلُ حَالًا وَأَبْلَغُ فِي التَّسْتَرِّ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

(١) القلس : ظلمة آخر الليل .

وإن كانت أسماء لم تفعله عن توقيف ، فحدث ابن عباس مقدّم على فعلها .
 لكن يقوى الأول قول أبي داود : حدثنا محمد بن خلّاد الباهلي ، حدثنا يحيى ، عن
 ابن جريج ، أخبرني عطاء ، أخبرني مُخْبِر عن أسماء ، أنها رمت الجرة بلبيل . قلت : إنا رمينا
 الجرة بلبيل . قالت : إنا كنا نصنع هذا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم .
 وقال البخاري : حدثنا أبو نعيم ، حدثنا أفلح بن حميد ، عن القاسم ، عن محمد ،
 عن عائشة ، قالت : نزلنا المزدلفة فاستأذنت النبي صلى الله عليه وسلم سودة أن تدفع
 قبل حطمة الناس ، وكانت امرأة بطيئة ، فأذن لها فدفعت قبل حطمة الناس ، وأقمنا نحن
 حتى أصبحنا ، ثم دفعنا بدفعه فلأن أكون استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم كما
 استأذنت سودة أحبُّ إليّ من مفروح به .

وأخرجه مسلم عن القَعْنَبِيّ عن أفلح بن حميد به . وأخرجاه في الصحيحين من حديث
 سفیان الثوري عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه عن عائشة به .
 وقال أبو داود : حدثنا هارون بن عبد الله ، حدثنا ابن أبي فديك ، عن الضحاک
 - يعني ابن عثمان - عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، أنها قالت : أرسل
 رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمّ سلمة ليلة النحر فرمت الجرة قبل الفجر ، ثم مضت
 فأفاقت ، وكان ذلك اليوم الذي يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال أبو داود
 - يعني عندها - .

انفرد به أبو داود ، وهو إسناد جيد قوى رجاله ثقات .

ذكر تلبيته عليه السلام بالمزدلفة

قال مسلم : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا أبو الأحوص ، عن حصين ، عن
 كثير بن مُدْرِك ، عن عبد الرحمن بن يزيد ، قال : قال عبد الله ونحن يجمع : سمعتُ الذي
 أنزلت عليه سورة البقرة يقول في هذا المقام : لبيك اللهم لبيك .

فصل

في وقوفه عليه السلام بالمشعر الحرام ، ودفعه من المزدلفة قبل طلوع الشمس وإيضاعه في وادي مُحَسَّر

قال الله تعالى : « فَإِذَا أَقَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ^(١) » الآية وقال جابر في حديثه : فصلى الفجر حين تبين له الصبح بأذان وإقامة ، ثم ركب القِصْوَاءَ حتى أتى المشعر الحرام ، فاستقبل القبلة فدعا الله عز وجل وكبَّره وهله ووحَّده ، فلم يزل واقفا حتى أسفر جدًّا ، ودفع قبل أن تطلع الشمس ، وأردف الفضل بن عباس وراءه .

وقال البخاري : حدثنا حجاج بن منهال ، حدثنا شعبة ، عن ابن إسحاق ، قال : سمعت عمرو بن ميمون يقول : شهدت عمر صلي بجمع الصبح ثم وقف فقال : إن المشركين كانوا لا يفيضون حتى تطلع الشمس ، ويقولون أشرق ثبير ، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم أفاض قبل أن تطلع الشمس .

وقال البخاري : حدثنا عبد الله بن رجاء ، حدثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن عبد الرحمن بن يزيد ، قال : خرجت مع عبد الله إلى مكة ثم قدمنا جمعًا ، فصلى صلاتين كل صلاة وحدها بأذان وإقامة والعشاء بينهما ، ثم صلى الفجر حين طلع الفجر ، قائل يقول : طلع الفجر . وقائل يقول : لم يطلع الفجر . ثم قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن هاتين الصلاتين حوَّلنا عن وقتهما في هذا المكان : المغرب فلا تقدّم الناس جمعًا حتى يقيموا ، وصلاة الفجر هذه الساعة . ثم وقف حتى أسفر ثم قال : لو أن أمير المؤمنين أفاض الآن أصاب السنة . فلا أدري : أقوله كان أسرع أو دفع عثمان ، فلم يزل

يلبى حتى رمى جرة العقبة يوم النحر .

وقال الحافظ البيهقي : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، أنبأنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب الشيباني ، حدثنا يحيى بن محمد بن يحيى ، حدثنا عبد الرحمن بن المبارك العباسي ، حدثنا عبد الوارث بن سعيد ، عن ابن جريج ، عن محمد بن قيس بن نخرمة ، عن المسور بن نخرمة ، قال : خطبنا رسول الله بعرفة ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « أما بعد فإن أهل الشرك والأوثان كانوا يدفعون من هاهنا عند غروب الشمس حتى تكون الشمس على رؤوس الجبال مثل عمام الرجال على رؤوسها ، هذين يخالف لهديهم . وكانوا يدفعون من المشعر الحرام عند طلوع الشمس على رؤوس الجبال مثل عمام الرجال على رؤوسها ، هذين يخالف لهديهم » .

قال : ورواه عبد الله بن إدريس ، عن ابن جريج ، عن محمد بن قيس بن نخرمة مرسلا . وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو خالد سليمان بن حيّان ، سمعت الأعمش ، عن الحكم عن مقسم ، عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أفاض من المزدلفة قبل طلوع الشمس .

وقال البخاري : حدثنا زهير بن حرب ، حدثنا وهب بن جرير ، حدثنا أبي ، عن يونس الأثيلي ، عن الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عباس ، أن أسامة كان ردف النبي صلى الله عليه وسلم من عرفة إلى المزدلفة ، ثم أردف الفضل من المزدلفة إلى منى . قال : فكلاهما قال : لم يزل النبي صلى الله عليه وسلم يلبى حتى رمى جرة العقبة .

ورواه ابن جريج ، عن عطاء ، عن ابن عباس .

وروى مسلم من حديث الليث بن سعد ، عن أبي الزبير ، عن أبي معبد ، عن ابن عباس ، عن الفضل بن عباس ، وكان ردیف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه قال في عشية

عرفة وغداةَ جَمَعَ للناس حين دَفَعُوا : عليكم بالسكينة . وهو كافٌ نَاقَتَهُ حتى دخل مُحَسَّرًا وهو من مَنَى . قال : عليكم بحصى الخذف الذى يرمى به الجمره . قال : ولم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبى حتى رمى الجمره .

وقال الحافظ البيهقي : باب الإيضاح فى وادى مُحَسَّر^(١) . أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرني أبو عمرو المقرئ وأبو بكر الورَّاق ، أنبأنا الحسن بن سفيان ، حدثنا هشام بن عمار وأبو بكر بن أبى شيبه ، قالا : حدثنا حاتم بن اسماعيل ، حدثنا جعفر بن محمد ، عن أبيه عن جابر فى حج النبي صلى الله عليه وسلم . قال : حتى إذا أتى مُحَسَّرًا حَرَّكَ قليلاً . رواه مسلم فى الصحيح ، عن أبى بكر بن شيبه .

ثم روى البيهقي من حديث سفيان الثورى ، عن أبى الزبير ، عن جابر قال : أفاض رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه السَّكِينَةُ وأمرهم بالسكينة وأَوْضَعَ فى وادى مُحَسَّر ، وأمرهم أن يرموا الجمار بمثل حصى الخذف . وقال : خذوا عني مناسككم ، لعلى لأراكم بعد عامى هذا .

ثم روى البيهقي من حديث الثورى ، عن عبد الرحمن بن الحارث ، عن زيد بن على ، عن أبيه ، عن عبيد الله بن أبى رافع ، عن على ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أفاض من إجم حتى أتى مُحَسَّرًا ، فقرع ناقته حتى جاوز الوادى فوقف ، ثم أردف الفضل ثم أتى الجمره فرماها .

هكذا رواه مختصراً .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا أبو أحمد محمد بن عبد الله الزبيرى ، حدثنا سفيان بن عبد الرحمن بن الحارث بن عِيَّاش بن أبى ربيعة ، عن زيد بن على ، عن أبيه ، عن

(١) محسر : وادٍ قرب المزدلفة .

عبيد الله بن أبي رافع ، عن علي قال : وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم بعرفة فقال : هذا الموقف وعرفة كلها موقف . وأفاض حين غابت الشمس وأردف أسامة ، فجعل يُعْنِقُ على بعيره ، والناس يَضْرِبُونَ يَمِينًا وشمالًا ، لا يلتفت إليهم ، ويقول : السكينة أيها الناس .

ثم أتى جمعاً فصلى بهم الصلاتين ، المغرب والعشاء ، ثم بات حتى أصبح ثم أتى قُزَحَ^(١) فوقف على قُزَحَ فقال : هذا الموقف وجمع كلها موقف . ثم سار حتى أتى محسراً فوقف عليه فقرع دابته فخبث حتى جاز الوادي ثم حبسها ، ثم أردف الفضل وسار حتى أتى الجرة فرماها ثم أتى المنحَر فقال : هذا المنحر ومنى كلها منحَر . قال : واستفتته جارية شابة من خثعم فقالت : إن أبي شيخ كبير قد أَفْنَدَ^(٢) وقد أدركته فريضة الله في الحج ، فهل يُجْزَى عنه أن أؤدّي عنه ؟ قال : نعم . فأدّى عن أبيك .

قال : ولوى عنق الفضل ، فقال له العباس : يا رسول الله لم لويت عنق ابن عمك ؟ قال : « رأيت شاباً وشابة فلم آمن الشيطان عليهما » .

قال : ثم جاءه رجل فقال : يا رسول الله حلفت قبل أن أنحر . قال : انحر ولا حرج . ثم أتاه آخر فقال : يا رسول الله إني أفضت قبل أن أخلق . قال : اخلق أو قصر ولا حرج .

ثم أتى البيت فطاف ثم أتى زمزم فقال : يا بني عبد المطلب سقايتم ، ولولا أن يغلبكم الناس عليها لنزعت معكم .

ورواه أبو داود عن أحمد بن حنبل ، عن يحيى بن آدم ، عن سفيان الثوري . ورواه الترمذي عن بنّادار ، عن أبي أحمد الزبيري . وابن ماجه عن علي بن محمد عن يحيى ابن آدم . وقال الترمذي : حسن صحيح لا نعرفه من حديث علي إلا من هذا الوجه .

(١) قُزَح : جبل بالزدلفة . (٢) أفند : أنكر عقله وأخطأ في رأيه لهرمه .

قلت : وله شواهد من وجوه صحيحة مخرجة في الصحاح وغيرها . فمن ذلك : قصة الختمية ، وهو في الصحيحين من طريق الفضل ، وتقدمت في حديث جابر . وسنذكر من ذلك ما تيسر .

وقد حكى البيهقي بإسناده عن ابن عباس أنه أنكر الإسراع في وادي مُحَسَّر وقال : إنما كان ذلك من الأعراب . قال : والمُثَبَّت مُقَدَّم على النافي . قلت : وفي ثبوته عنه نظر والله أعلم .

وقد صح ذلك عن جماعة من الصحابة عن رسول الله ، وصح من صَنِيعَ الشَّيْخِينَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ أَنَّهُمَا كَانَا يَفْعَلَانِ ذَلِكَ ، فروى البيهقي عن الحاكم عن النَّجَّاد وغيره ، عن أَبِي عَلِيٍّ مُحَمَّدِ بْنِ مُعَاذِ بْنِ الْمُسْتَهْلِ المعروف بِدُرَّانٍ ، عن الْقَعْنَبِيِّ ، عن أَبِيهِ ، عن هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ ، عن أَبِيهِ عَنِ الْمُسَوَّرِ بْنِ مَخْرَمَةَ ، أن عمر كان يُوضِعُ ويقول :
إِلَيْكَ تَعْدُو قَلِيلًا وَضِيئُهَا مُخَالَفًا دِينَ النَّصَارَى دِينُهَا^(١)

(١) الوضين : حزام الرجل . والقلق : المتسم ، كناية عن هزال الناقة .

ذَكَرَ رَمِيَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ جَمْرَةَ الْعَقْبَةِ وَحَدَّثَنَا يَوْمَ النَّحْرِ ، وَكَيْفَ رَمَاهَا وَمَتَى رَمَاهَا ، وَمِنْ أَى مَوْضِعٍ رَمَاهَا وَبِكَمْ رَمَاهَا ، وَقَطَعَهُ التَّلْبِيَّةَ حِينَ رَمَاهَا

قد تقدم من حديث أسامة والفضل وغيرهما من الصحابة رضى الله عنهم أجمعين أنه عليه السلام لم يزل يلجئ حتى رمى جمرَةَ الْعَقْبَةِ :

وقال البيهقي : أنبأنا الإمام أبو عثمان ، أنبأنا أبو طاهر بن خزيمة ، أنبأنا جدى - يعنى إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة - حدثنا علي بن حجر ، حدثنا شريك ، عن عامر بن شقيق ، عن أبي وائل ، عن عبد الله ، قال : رَمَقْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلم يزل يلجئ حتى رمى جمرَةَ الْعَقْبَةِ بأول حصاة .

وبه عن ابن خزيمة : حدثنا عمر بن حفص الشيباني ، حدثنا حفص بن غياث ، حدثنا جعفر بن محمد ، عن أبيه عن علي بن الحسين عن ابن عباس ، عن الفضل . قال : أفضتُ مع رسول الله من عرفات فلم يزل يلجئ حتى رمى جمرَةَ الْعَقْبَةِ يكبرُ مع كل حصاة ، ثم قطع التلبية مع آخر حصاة .

قال البيهقي : وهذه زيادة غريبة ليست فى الروايات المشهورة عن ابن عباس ، عن الفضل وإن كان ابن خزيمة قد اختارها .

وقال محمد بن إسحاق : حدثنى أبانُ بن صالح ، عن عكرمة ، قال : أفضت مع الحسين بن علي ، فما أزالُ أسمعُه يلجئ حتى رمى جمرَةَ الْعَقْبَةِ ، فلما قَذَفَهَا أَمْسَكَ . فقلت : ما هذا ؟ فقال : رأيتُ أبى عليَّ بنَ أبى طالب يلجئ حتى رمى جمرَةَ الْعَقْبَةِ ، وأخبرنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يفعل ذلك .

وتقدم من حديث الليث عن أبي الزبير ، عن أبي مَعْبَدٍ ، عن ابن عباس ، عن أخيه

الفضل ، أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر الناس في وادى مُحَسَّرٍ بحصى الخذف الذى يُرمى به الجمرة .

رواه مسلم .

وقال أبو العالية : عن ابن عباس ، حدثني الفضل ، قال : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم غداة يوم النحر : هات فالقط لى حصّى . فلقطت له حصيات مثل حصى الخذف فوضعهن فى يده فقال : « بأمثال هؤلاء بأمثال هؤلاء ، وإياكم والغلو ، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو فى الدين » .

رواه البيهقى .

وقال جابر فى حديثه : حتى أتى بطن مُحَسَّرٍ فحرك قليلاً ثم سلك الطريق الوسطى التى تخرج على الجمرۃ الكبرى ، حتى أتى الجمرۃ فرماها بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة منها مثل حصى الخذف رمى من بطن الوادى .

رواه مسلم .

وقال البخارى : وقال جابر رضى الله عنه : رمى النبي صلى الله عليه وسلم يوم النحر ضحى ، ورمى بعد ذلك بعد الزوال .

وهذا الحديث الذى علقه البخارى أسنده مسلم من حديث ابن جريج : أخبرنى أبو الزبير سمع جابراً ، قال : رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم الجمرۃ يوم النحر ضحى ، وأما بعدُ فإذا زالت الشمس .

وفى الصحيحين من حديث الأعمش عن إبراهيم ، عن عبد الرحمن بن يزيد ، قال : رمى عبد الله من بطن الوادى فقلت : يا أبا عبد الرحمن إن ناساً يرمونها من فوقها . فقال : والذى لا إله غيره هذا مقام الذى أنزلت عليه سورة البقرة .

لفظ البخارى .

وفي لفظ له من حديث شعبة ، عن الحكم ، عن إبراهيم ، عن عبد الرحمن ، عن عبد الله بن مسعود ، أنه أتى الجرة الكبرى فجعل البيت عن يساره ومنى عن يمينه ورمى بسبع وقال : هكذا رمى الذي أنزلت عليه سورة البقرة .

ثم قال البخارى : باب من رمى الجمار بسبع يكبر مع كل حصاة : قاله ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم .

وهذا إنما يعرف في حديث جابر من طريق جعفر بن محمد عن أبيه ، عن جابر كما تقدم ، أنه أتى الجرة فرماها بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة منها مثل حصى الخذف . وقد روى البخارى في هذه الترجمة من حديث الأعمش عن إبراهيم عن عبد الرحمن ابن يزيد ، عن عبد الله بن مسعود ، أنه رمى الجرة من بطن الوادى بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة . ثم قال : من هاهنا والذي لا إله غيره قام الذي أنزلت عليه سورة البقرة .

وروى مسلم من حديث ابن جريج ، أخبرنى أبو الزبير ، سمع جابر بن عبد الله قال : رأيت رسول الله يرمى الجرة بسبع مثل حصى الخذف .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن زكريا ، حدثنا حجاج ، عن الحكم ، عن أبى القاسم - يعنى مقسماً - عن ابن عباس ، أن النبي صلى الله عليه وسلم رمى الجرة جرة العقبة يوم النحر راكباً .

ورواه الترمذى عن أحمد بن منيع ، عن يحيى بن زكريا بن أبى زائدة ، وقال : حسن . وأخرجه ابن ماجه ، عن أبى بكر بن أبى شيبة ، عن أبى خالد الأحمر ، عن الحجاج بن أرطاة به .

وقد روى أحمد وأبو داود وابن ماجه والبيهقى من حديث يزيد بن [أبى] ^(١) زياد ، عن سليمان بن عمرو بن الأخوص ، عن أمه أم جندب الأزدية ، قالت : رأيت رسول الله

صلى الله عليه وسلم يرمى الجمار من بطن الوادى وهو راكب يكبّر مع كل حصاة ورجل من خلفه يستتره ، فسألت عن الرجل فقالوا : الفضل بن عباس . فازدحم الناس . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « يا أيها الناس لا يقتل بعضكم بعضا ، وإذا رميتم الجمره فارموا بمثل حصى الخذف » .
لفظ أبى داود .

وفى رواية له قالت : رأيت عند جمره العقبة راكبا ورأيت بين أصابعه حجرا ، فرمى ورمى الناس ولم يُقم عندها .
ولابن ماجه قالت : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النحر عند جمره العقبة وهو راكب على بغلة وذَكَر الحديث .
وذَكَر البغلة هاهنا غريب جدا .

وقد روى مسلم فى صحيحه من حديث ابن جُرَيْج ، أخبرنى أبو الزبير ، سمعت جابر ابن عبد الله يقول : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرمى الجمره على راحلته يوم النحر ويقول : « لَتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ ، فَإِنِى لَا أَدْرِ لَعَلِّى لَا أَحُجُّ بَعْدَ حِجَّتِى هَذِهِ » .
وروى مسلم أيضا من حديث زيد بن أبى أنيسة ، عن يحيى بن الحصين ، عن جدته أم الحصين ، سمعتها تقول : حجّجتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع ، فرأيت حين رمى جمره العقبة وانصرف وهو على راحلته يوم النحر وهو يقول : « لَتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ فَإِنِى لَا أَدْرِ لَعَلِّى لَا أَحُجُّ بَعْدَ حِجَّتِى هَذِهِ » .

وفى رواية قالت : حجّجتُ مع رسول الله حجة الوداع ، فرأيت أسامة وبلالا أحدهما أخذَ بِخِطَامِ ناقة النبي صلى الله عليه وسلم والآخر رافعٌ ثوبه يستتره من الحر ، حتى رمى جمره العقبة .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو أحمد محمد بن عبد الله الزبيرى ، حدثنا أيمن بن نابل

حدثنا قدامة بن عبد الله السكلاّبي ، أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رمى
جمرة العقبة من بطن الوادي يوم النحر على ناقة له صهباء^(١) ، لا ضرب ولا رَد
ولا إليك إليك^(٢) !

ورواه أحمد أيضا عن وكيع ومُعْتَمِر بن سليمان وأبي قُرّة موسى بن طارق الزبيدي،
ثلاثهم عن أيمن بن نابل به . ورواه أيضا عن أبي قُرّة عن سفيان الثوري عن أيمن .
وأخرجه النسائي وابن ماجه من حديث وكيع به . ورواه الترمذي عن أحمد بن مَنِيع ،
عن مروان بن معاوية ، عن أيمن بن نابل به . وقال : هذا حديث حسن صحيح .

وقال الإمام أحمد : حدثنا نوح بن ميمون ، حدثنا عبد الله - يعني العُمري - عن
نافع ، قال : كان ابن عمر يرمي جمرة العقبة على دابته يوم النحر ، وكان لا يأتي سائرهما
بعد ذلك إلا ماشيا . وزعم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يأتيها إلا ماشيا
ذاهما وراجعا .

ورواه أبو داود عن القَعْنَبِي ، عن عبد الله العُمري به .

فصل

قال جابر : ثم انصرف إلى المنحَر فنحر ثلاثا وستين بيده ، ثم أعطى عليا فنحر
ماغبر وأشركه في هذيه ، ثم أمر من كل بدنة بيضعة ، فجعلت في قِذْر فطبخت فأكلا
من لحمها وشربا من مرقها .

وسنتكلم على هذا الحديث .

وقال الإمام أحمد بن حنبل : حدثنا عبد الرزاق ، أنبأنا مَعْمَر ، عن حميد الأعرج ،
عن محمد بن إبراهيم التيمي ، عن عبد الرحمن بن معاذ ، عن رجل من أصحاب النبي

(١) الصهباء : التي يضرب لونها إلى الحمرة .

(٢) إليك إليك : اسم فعل أمر بمعنى ابتعد .

صلى الله عليه وسلم ، قال : خطب النبي صلى الله عليه وسلم بمنى ونزلهم منازلهم فقال : لينزل المهاجرون هاهنا . وأشار إلى مئمنة القبلة والأنصار هاهنا . وأشار إلى ميسرة القبلة . ثم لينزل الناس حولهم .

قال : وعلمهم مناسكهم ، ففتحت أسماع أهل منى حتى سمعوه في منازلهم . قال : فسمعتة يقول : ارموا الجرة بمثل حصي الخذف .

وكذا رواه أبو داود عن أحمد بن حنبل إلى قوله : ثم لينزل الناس حولهم . وقد رواه الإمام أحمد عن عبد الصمد بن عبد الوارث ، عن أبيه . وأبو داود عن مسدد ، عن عبد الوارث ، وابن ماجه من حديث ابن المبارك عن عبد الوارث ، عن حميد بن قيس الأعرج ، عن محمد بن إبراهيم التيمي ، عن عبد الرحمن بن معاذ التيمي ، قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن بمنى ففتحت أسماعنا حتى كأننا نسمع ما يقول . الحديث .

ذكر جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أشرك على بن أبي طالب في الهدى ، وأن جماعة الهدى الذى قدّم به على من اليمن والذى جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة من الإبل ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم نحر بيده الكريمة ثلاثا وستين بدنة .

قال ابن حبان وغيره : وذلك مناسب لعمره عليه السلام ، فإنه كان ثلاثا وستين سنة !

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن آدم ، حدثنا زهير ، حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن الحكم ، عن مقسم ، عن ابن عباس ، قال : نحر رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحج مائة بدنة نحر منها بيده ستين وأمر ببقيتها

فَنَحَرَتْ وَأَخَذَتْ مِنْ كُلِّ بَدَنَةٍ بَضْعَةً فَجَمَعَتْ فِي قِدْرٍ فَأَكَلَ مِنْهَا وَحَسَّاءٌ مِنْ مَرَقِهَا .
قال : وَنَحَرَ يَوْمَ الْحَدِيدِيَّةِ سَبْعِينَ ، فِيهَا جَمَلٌ أَبِي جَهْلٍ ، فَلَمَّا صُدَّتْ عَنِ الْبَيْتِ حَفَّتْ
كَأَنَّهَا تَحْنُ إِلَى أَوْلَادِهَا .

وَقَدْ رَوَى ابْنُ مَاجَهٍ بَعْضَهُ عَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ أَبِي شَيْبَةَ ، وَعَلَى بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ وَكِيعٍ ،
عَنْ سَفْيَانَ الثَّوْرِيِّ ، عَنْ ابْنِ أَبِي لَيْلَى بِهِ .

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ : حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ ، حَدَّثَنَا أَبِي ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ ، حَدَّثَنِي
رَجُلٌ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدِ بْنِ جَبْرِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : أَهْدَى
رَسُولُ اللَّهِ فِي حُجَّةِ الْوَدَاعِ مِائَةَ بَدَنَةٍ ، نَحَرَ مِنْهَا ثَلَاثِينَ بَدَنَةً [بِيَدِهِ] ^(١) ثُمَّ أَمَرَ عَلِيًّا فَنَحَرَ
مَا بَقِيَ مِنْهَا . وَقَالَ : أَقْسَمُ لِحُومِهَا وَجُلُودِهَا وَجِلَالِهَا بَيْنَ النَّاسِ ، وَلَا تَعْطِينَ جِزَارًا مِنْهَا
شَيْئًا ، وَخَذَلْنَا مِنْ كُلِّ بَعِيرٍ جَذِيَّةً ^(٢) مِنَ لَحْمٍ ، وَاجْعَلْهَا فِي قِدْرٍ وَاحِدَةٍ حَتَّى نَأْكُلَ مِنْ
لَحْمِهَا وَنَحْسُوَ مِنْ مَرَقِهَا . فَفَعَلَ .

وَتَبَتَ فِي الصَّحِيحِينَ مِنْ حَدِيثِ مُجَاهِدٍ ، عَنْ ابْنِ أَبِي لَيْلَى ، عَنْ عَلِيٍّ ، قَالَ : أَمَرَنِي
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ أَقُومَ عَلَى بَدَنِهِ وَأَنْ أَنْصَدَّقَ بِلِحُومِهَا وَجُلُودِهَا وَأَجِلَّتْهَا ،
وَأَنْ لَا أُعْطِيَ الْجِزَارَ مِنْهَا شَيْئًا وَقَالَ : نَحْنُ نَعْطِيهِ مِنْ عَفْدِنَا .

وَقَالَ أَبُو دَاوُدَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ ، حَدَّثَنَا
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ ، عَنْ حَرْمَلَةَ بْنِ عِمْرَانَ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ الْأَزْدِيِّ ، سَمِعْتُ
عُرْفَةَ بْنَ الْحَارِثِ قَالَ : شَهِدْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَتَى بِالْبُذْنِ فَقَالَ :
ادْعُ لِي أَبَا حَسَنٍ . فَدَعَى لَهُ عَلِيٌّ . فَقَالَ : خُذْ بِأَسْفَلِ الْحَرْبَةِ . وَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَعْلَاهَا ، ثُمَّ طَعَنَّا بِهَا الْبُذْنَ ، فَلَمَّا فَرَّغَ رَكِبَ بَغْلَتَهُ وَأَرْدَفَ عَلِيًّا .
تَفَرَّدَ بِهِ أَبُو دَاوُدَ ، وَفِي إِسْنَادِهِ وَمَتْنِهِ غَرَابَةٌ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

(٢) الْجَذِيَّةُ : الْقِطْعَةُ .

(١) لَيْسَتْ فِي أ

وقال الإمام أحمد : حدثنا أحمد بن الحجاج ، أنبأنا عبد الله ، أنبأنا الحجاج بن أرطاة عن الحكم ، عن أبي القاسم - يعني مقسماً - عن ابن عباس ، قال : رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجرة العقبة ثم ذبح ثم حلق .
وقد ادعى ابن حزم أنه ضحى عن نسائه بالبقر وأهدى بمنى بقرة ، وضحى هو بكبشين أملحين .

صفة حلقه رأسه الكريم عليه من ربه أفضل الصلاة والتسليم
قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، أنبأنا معمر ، عن الزهري ، عن سالم ، عن ابن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حلق في حجته .
ورواه النسائي عن إسحاق بن إبراهيم - هو ابن راهوية - عن عبد الرزاق .
وقال البخاري : حدثنا أبو اليمان ، حدثنا شعيب ، قال : قال نافع : كان عبد الله بن عمر يقول : حلق رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجته .
ورواه مسلم من حديث موسى بن عقبة عن نافع به .
وقال البخاري : حدثنا عبد الله بن محمد بن أسماء ، حدثنا جويرية بن أسماء ، عن نافع ، أن عبد الله بن عمر قال : حلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وطائفة من أصحابه وقصّر بعضهم .

ورواه مسلم من حديث الليث ، عن نافع به . وزاد : قال عبد الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يرحم الله المحلقين » مرة أو مرتين . قالوا : يا رسول الله والمقصّرين ؟ قال : والمقصّرين .

وقال مسلم : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا وكيع وأبو داود الطيالسي ، عن يحيى بن الحصين ، عن جدته ، أنها سمعت رسول الله في حجة الوداع دعا للمحلقين ثلاثاً والمقصّرين مرة . ولم يقل وكيع : في حجة الوداع .

وهكذا روى هذا الحديث مسلم من حديث مالك وعُبَيْدُ اللَّهِ ، عن نافع ، عن ابن عمر، وعُمارة عن أَبِي زُرْعَةَ عن أَبِي هُرَيْرَةَ ، والعلاء بن عبد الرحمن ، عن أبيه عن أَبِي هُرَيْرَةَ .

وقال مسلم : حدثنا يَحْيَى بن يَحْيَى ، حدثنا حفص بن غِيَاث ، عن هشام ، عن ابن سيرين ، عن أنس بن مالك ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى مَنًى فأتى الجرة فرماها ثم أتى منزله بمنى ونحر . ثم قال للحلاق : خذ . وأشار إلى جانبه الأيمن ثم الأيسر ، ثم جعل يعطيه الناس .

وفي رواية له أنه حلقَ شِقَّهُ الأيمن فقسَّمه بين الناس من شَعْرَةٍ وشعرتين ، وأعطى شقه الأيسر لأبى طلحة . وفي رواية له أنه أعطى الأيمن لأبى طلحة وأعطاه الأيسر وأمره أن أن يقسّمه بين الناس .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سليمان بن حرب ، حدثنا سليمان بن المغيرة ، عن ثابت ، عن أنس . قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم والحلاق يحلقه . وقد أطاف به أصحابه ما يريدون أن تقع شَعْرَةٌ إلا في يد رجل . انفرد به أحمد .

فصل

ثم ابس عليه السلام ثيابه وتطيّب بعد ما رمى جرة العقبة ونحر هديه وقبل أن يطوف بالبيت طيّبه عائشة أم المؤمنين .

قال البخاري : حدثنا علي بن عبد الله بن المديني ، حدثنا سفيان - هو ابن غِيَفَةَ - حدثنا عبد الرحمن بن القاسم بن محمد ، وكان أفضل أهل زمانه ، أنه سمع أباه وكان أفضل أهل زمانه يقول : إنه سمع عائشة تقول : طيبتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي

هاتين حين أُحْرِمَ ، وَلِحِلِّهِ حينَ أُحِلَّ قَبْلَ أنْ يَطُوفَ ، وبَسَطَتْ يَدَيْهَا .

وقال مسلم : حدثنا يعقوب الدَّوْرَقِيُّ وأحمد بن مَنِيع ، قالا : حدثنا هُشَيْمٌ ، أخبرنا منصور ، عن عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه ، عن عائشة ، قالت : كنت أطيَّبُ رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يُحْرَمَ ويوم النحر قبل أن يطوف بالبيت بطيب فيه مِسْك .

وروى النسائي من حديث سفيان بن عيينة ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة ، قالت : طيبتُ رسول الله لحَرَمِهِ حينَ أُحْرِمَ وَلِحِلِّهِ بعد ما رمى جرة العقبة قبل أن يطوف بالبيت .

وقال الشافعي : أنبأنا سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن سالم ، قال قالت عائشة : أنا طيبت رسول الله لِحِلِّهِ وإِحْرَامِهِ .

ورواه عبد الرزاق ، عن مَعْمَرٍ عن الزهري ، عن سالم ، عن عائشة . فذكره .
وفي الصحيحين من حديث ابن جُرَيْج : أخبرني عمر بن عبد الله بن عروة ، أنه سمع عروة والقاسم يخبران عن عائشة أنها قالت : طيبت رسول الله بيدي بذريرة في حجة الوداع للحل والإحرام .

ورواه مسلم من حديث الضحاك بن عثمان ، عن أبي الرجال ، عن أمه عمرة ، عن عائشة به .

وقال سفيان الثوري : عن سلمة بن كهيل ، عن الحسن العوفي ، عن ابن عباس أنه قال : إذا رميت الجرة فقد حللت من كل شيء كان عليكم حراما إلا النساء حتى تطوفوا بالبيت . فقال رجل : والطيب يا أبا العباس ؟ فقال له : إني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يَضْمَخُ رأسه بالمسك ، أفطيَّب هو أم لا !

وقال محمد بن إسحاق : حدثني أبو عبيدة ، عن عبد الله بن زَمْعَةَ ، عن أبيه وأمه

زينب بنت أم سلمة ، عن أم سلمة قالت : كانت الليلة التي يدور فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة النحر ، فكان رسول الله عندي ، فدخل وهبُ بن زَمْعَةَ ورجل من آل أبي أمية متقمّصين . فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضّما ؟ قالا : لا . قال : فانزعا قميصكما فنزعاها . فقال له وهب : ولمَ يا رسول الله ؟ فقال : هذا يوم أُرخص لكم فيه إذا رميتُم الجرة ونحرتم هدياً إن كان لكم فقد حلّتم من كل شيء حرّمتُم منه إلا النساء حتى تطوفوا بالبيت ، فإذا رميتُم ولم تفيضوا صرّتم حرّما كما كنتم أول مرة حتى تطوفوا بالبيت .

وهكذا رواه أبو داود ، عن أحمد بن حنبل ويحيى بن معِين ، كلاهما عن ابن أبي عدى ، عن ابن إسحاق فذكره .

وأخرجه البيهقي عن الحاكم ، عن أبي بكر بن أبي إسحاق ، عن أبي المثني العنبري ، عن يحيى بن معِين . وزاد في آخره :

قال أبو عبيدة : وحدثني أمّ قيس بنت مخصن ، قالت : خرج من عندي عكاشة ابن مخصن في نفر من بني أسد متقمّصين عشية يوم النحر ، ثم رجعوا إلينا عشياً وقمصهم على أيديهم يحملونها ، فسألتهم فأخبروها بمثل ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لوهب بن زَمْعَةَ وصاحبه .

وهذا الحديث غريب جدا ، لا أعلم أحداً من العلماء قال به .

ذكر إفاضته عليه السلام إلى البيت العتيق

قال جابر : ثم ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم [فأفاض^(١)] إلى البيت ، فصلى بمكة الظهر فأتى بني عبدالمطلب وهم يَسْقُونَ على زمزم . فقال : « انزعوا بني عبدالمطلب ، فلولاً أن يغلبكم الناسُ على سقايتكم لنزعتُ معكم » فناولوه دلواً فشرب منه .
رواه مسلم .

ففي هذا السياق ما يدل على أنه عليه السلام ركب إلى مكة قبل الزوال فطاف بالبيت ، ثم لما فرغ صلى الظهر هناك .
وقال مسلم أيضاً : أخبرنا محمد بن رافع ، أنبأنا عبد الرزاق ، أنبأنا عبيد الله بن عمر عن نافع ، عن ابن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أفاض يوم النحر ثم رجع فصلى الظهر بمنى .

وهذا خلاف حديث جابر ، وكلاهما عند مسلم .
فإن عللنا بهما أمكن أن يقال : إنه عليه السلام صلى الظهر بمكة ثم رجع إلى منى فوجد الناس ينتظرونه فصلى بهم . والله أعلم .

ورجوعه عليه السلام إلى منى في وقت الظهر ممكن ، لأن ذلك الوقت كان صيفاً والنهار طويل ، وإن كان قد صدر منه عايه السلام أفعال كثيرة في صدر هذا النهار ، فإنه دفع فيه من المزدلفة بعد ما أسفر الفجر جداً ، ولكنه قبل طلوع الشمس ، ثم قدم منى فبدأ برمي جرة العقبة بسبع حصيات ، ثم جاء فنحر بيده ثلاثاً وستين بدنة ونحر على بقية المائة ، ثم أخذت من كل بدنة بضعمة ووضعت في قدر وطبخت حتى نضجت فأكل كل من ذلك اللحم وشرب من ذلك المرق . وفي غضون ذلك حلق رأسه عليه السلام وتطيب ، فلما فرغ من هذا كله ركب إلى البيت .

وقد خطب عليه السلام في هذا اليوم خطبة عظيمة: ولست أدري أكانت قبل ذهابه إلى البيت أو بعد رجوعه منه إلى منى . فإله أعلم .

والقصد أنه ركب إلى البيت فطاف به سبعة أطواف راكباً ، ولم يطف بين الصفا والمروة ، كما ثبت في صحيح مسلم عن جابر وعائشة رضي الله عنهما . ثم شرب من ماء زمزم ومن نبيذ تمرٍ من ماء زمزم .

فهذا كله مما يقوَّى قول من قال : إنه عليه السلام صلى الظهر بمكة ، كما رواه جابر . ويحتمل أنه رجع إلى منى في آخر وقت الظهر فصلى بأصحابه بمنى الظهر أيضاً .

وهذا هو الذي أشكل على ابن حزم فلم يدر ما يقول فيه ، وهو معذور لتعارض الروايات الصحيحة فيه . والله أعلم .

وقال أبو داود : حدثنا علي بن بحر وعبد الله بن سعيد المصنف ، قالا : حدثنا أبو خالد الأحمر ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه ، عن عائشة ، قالت : أفاض رسول الله صلى الله عليه وسلم من آخر يومه حين صلى الظهر ثم رجع إلى منى فسكث بها ليالي أيام التشريق يرمى الجرة إذا زالت الشمس ، كل جرة بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة .

قال ابن حزم : فهذا جابر وعائشة قد اتفقا على أنه عليه السلام صلى الظهر يوم النحر بمكة . وهما والله أعلم أضبط لذلك من ابن عمر .

كذا قال : وليس بشيء ، فإن رواية عائشة هذه ليست ناصّةً أنه عليه السلام صلى الظهر بمكة ، بل محتملة إن كان الحفظ في الرواية : « حتى صلى الظهر » . وإن كانت الرواية « حين صلى الظهر » وهو الأشبه فإن ذلك دليل على أنه عليه السلام صلى الظهر بمنى قبل أن يذهب إلى البيت ، وهو محتمل . والله سبحانه وتعالى أعلم .

وعلى هذا فيبقى مخالفاً لحديث جابر ، فإن هذا يقتضى أنه صلى الظهر بمنى قبل أن يركب إلى البيت ، وحديث جابر يقتضى أنه ركب إلى البيت قبل أن يصلى الظهر وصلاً بمكة .

وقد قال البخارى : وقال أبو الزبير ، عن عائشة ، وابن عباس ، أخر النبي صلى الله عليه وسلم - يعنى طواف الزيارة إلى الليل - .

وهذا الذى علقه البخارى قد رواه الناس من حديث يحيى بن سعيد وعبد الرحمن بن مهدي وفرج بن ميمون ، عن سفيان الثورى ، عن أبي الزبير عن عائشة وابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم أخر الطواف يوم النحر إلى الليل . ورواه أهل السنن الأربعة من حديث نفيان به . وقال الترمذى . حسن .

وقال الإمام أحمد . حدثنا محمد بن عبد الله ، حدثنا سفيان ، عن أبي الزبير ، عن عائشة وابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم زار ليلاً .

فإن حمل هذا على أنه أخر ذلك إلى ما بعد الزوال كأنه يقول إلى العشي ، صح ذلك وأما إن حمل على ما بعد الغروب فهو بعيد جداً ومخالف لما ثبت في الأحاديث الصحيحة المشهورة من أنه عليه السلام طاف يوم النحر نهراً ، وشرب من سقاية زمزم .

وأما الطواف الذى ذهب فى الليل إلى البيت بسببه فهو طواف الوداع . ومن الرواة من يعبر عنه بطواف الزيارة ، كما سنذكره إن شاء الله . أو طواف زيارة محض قبل طواف الوداع وبعد طواف الصّدْر الذى هو طواف الفرض .

وقد ورد حديث سنذكره فى موضعه : أن رسول الله كان يزور البيت كلّ ليلة من ليالى منى ، وهذا بعيد أيضاً والله أعلم .

وقد روى الحافظ البيهقى من حديث عمرو بن قيس ، عن عبد الرحمن ، عن القاسم

عن أبيه ، عن عائشة : أن رسول الله أَذِنَ لأصحابه فزاروا البيت يوم النحر ظَهيرةً ، وزار رسول الله صلى الله عليه وسلم مع نسائه ليلاً .

وهذا حديث غريب جداً أيضاً . وهذا قول طاوس وعروة بن الزبير : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أَمَرَ الطوافَ يوم النحر إلى الليل .

والصحيح من الروايات وعليه الجمهور : أنه عليه السلام طاف يوم النحر بالنهار ، والأشبه أنه كان قبل الزوال ، ويحتمل أن يكون بعده . والله أعلم .

والمقصود أنه عليه السلام لما قَدِمَ مكة طاف بالبيت سَبْعاً وهو راكب ، ثم جاء زمزمَ وبنو عبد المطلب يَسْتَقُونَ منها ويسقون الناس ، فتناول منها دلوّاً فشرب منه وأفرغ عليه منه .

كما قال مسلم : أخبرنا محمد بن مِهَالٍ الضَّرِير ، حدثنا يزيد بن زُرَّيع ، حدثنا حُمَيْد الطَّوِيل ، عن بكر بن عبد الله المزني ، سمع ابن عباس يقول وهو جالس معه عند الكعبة : قَدِمَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم على راحلته وخلفه أسامة فأتيناه بإناء فيه نبيذ فشرب وسقى فضله أسامة . وقال : «أحسنتم وأَجَلْتُم هَكَذَا فاصنعوا» .

قال ابن عباس : فنحن لانريد أن نغيّر ما أَمَرَ به رسول الله صلى الله عليه وسلم . وفي رواية عن بكر أن أَعْرَابِيَا قال لابن عباس : مَالِي أَرَى بَنِي عَمِّكَ يَسْقُونَ اللَّبَنَ وَالْعَسَلَ وَأَنْتُمْ تَسْقُونَ النَّبِيذَ ، أَمِنْ حَاجَةٍ بِكُمْ أَمْ مِنْ بُحْلِ ؟ فذكر له ابن عباس هذا الحديث .

وقال أحمد : حدثنا رَوْح ، حدثنا حَمَّاد ، عن حُمَيْد ، عن بَكْر ، عن عبد الله أن أَعْرَابِيَا قال لابن عباس : مَا شَأْنُ آلِ مَعَاوِيَةَ يَسْقُونَ الْمَاءَ وَالْعَسَلَ ، وَآلُ فُلَانٍ يَسْقُونَ اللَّبَنَ ، وَأَنْتُمْ تَسْقُونَ النَّبِيذَ ، أَمِنْ حَاجَةٍ بِكُمْ أَمْ مِنْ بُحْلِ ؟

فقال ابن عباس : ما بنا بخلٌ ولا حاجة ، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءنا وردَّ يده أسامة بن زيد فاستسقى فسقيناه من هذا - يعنى نبىذ السَّقاية - فشرب منه وقال : « أحسنتم هكذا فاصنعوا » .

ورواه أحمد ، عن رَوْح ومحمد بن بكر ، عن ابن جُرَيْج ، عن حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس ، وداود بن علي بن عبد الله بن عباس ، عن ابن عباس فذكره .

وروى البخارى عن إسحاق بن سليمان [حدثنا خالد] عن خالد [الْحَذَاء] ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أن رسول الله جاء إلى السقاية فاستسقى ، فقال العباس : يا فضل اذهب إلى أمك فَأَتَتْ رسولَ الله بشارب من عندها . فقال : اسقنى . فقال : يا رسول الله إنهم يحملون أيديهم فيه . قال : اسقنى . فشرب منه .

ثم أتى زمزمَ وهم يَسْقُونَ ويمملون فيها . فقال : اعملوا فإنكم على عملٍ صالح . ثم قال : لولا أن تُغلبوا لَنَزَعْتُ حتى أضعَ الحبلَ على هذه - يعنى عاتقه - وأشار إلى عاتقه .

وعنده من حديث عاصم عن الشَّعْبِي ، أن ابن عباس قال : سقيت النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم من زمزم فشرب وهو قائم . قال عاصم : فحلف عكرمة : ما كان يومئذ إلا على بعير وفى رواية : ناقته .

وقال الإمام أحمد : حدثنا هُشَيْم ، حدثنا يزيد بن أبي زياد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طاف بالبيت وهو على بعير واستلم الحجر بِمِخْجَنٍ كان معه . قال : وأتى السقاية فقال : اسقونى . فقالوا : إن هذا يخوضه الناس ولكننا نأتيك به من البيت . فقال : لا حاجة لى فيه اسقونى مما يشرب الناس .

وقد روى أبو داود عن مُسَدَّد ، عن خالد الطَّحَّان ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : قدم رسول الله مكة ونحن نستقى فطاف على راحلته . الحديث .

وقال الإمام أحمد : حدثنا رَوْح وعفان ، قالا : حدثنا حماد ، عن قيس ، وقال عفان في حديثه : أنبأنا قيس عن مجاهد ، عن ابن عباس ، أنه قال : جاء النبي صلى الله عليه وسلم إلى زمزم فنزعنا له دلوأ فشرب ، ثم مَجَّ فيها ثم أفرغناها في زمزم . ثم قال : لولا أن تغلبوا عليها لنزعت يدي .

انفرد به أحمد وإسناده على شرط مسلم .

فصل

ثم إنه صلى الله عليه وسلم لم يُعِدَّ الطوافَ بين الصفا والمروة مرة ثانية بل اكتفى بطوافه الأول . كما روى مسلم في صحيحه من طريق ابن جريج ، أخبرني أبو الزبير ، سمعت جابر بن عبد الله يقول : لم يَطُفْ النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه بين الصفا والمروة إلا طوافا واحداً .

قلت : والمراد بأصحابه هاهنا الذين ساقوا الهدى وكانوا قارنين .

كما ثبت في صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لمائشة : — وكانت أدخلت الحج على العمرة فصارت قارنة — : « يَكْفِيكَ طَوَافُكَ بِالْبَيْتِ وَبَيْنَ الصَّافَا وَالْمَرْوَةِ الْحَجَّكَ وَعِمْرَتَكَ » .

وعند أصحاب الإمام أحمد أن قول جابر وأصحابه عامٌّ في القارين والمتمتعين . ولهذا نص الإمام أحمد على أن المتمتع يكفيه طوافٌ واحد عن حجه وعمرته ، وإن تحلَّلَ بينهما تحلل .

وهو قول غريب ، مأخذه ظاهر عموم الحديث . والله أعلم .

وقال أصحاب أبي حنيفة في المتمتع كما قال المالكية والشافعية : أنه يجب عليه طوافان وسعيان ، حتى طردت الحنفية ذلك في القارن ، وهو من أفراد مذهبهم أنه يطوف

طوافين وبسعى سعيين ، ونقلوا ذلك عن علي موقوفا . وروى عنه مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم .

وقد قدمنا الكلام على ذلك كله عند الطواف ، وبينا أن أسانيد ذلك ضعيفة مخالفة للأحاديث الصحيحة . والله أعلم .

فصل

ثم رجع عليه السلام إلى منى بعد ما صلى الظهر بمكة ، كما دل عليه حديث جابر . وقال ابن عمر : رجع فصلى الظهر بمنى .

رواهما مسلم كما تقدم قريبا . ويمكن الجمع بينهما بوقوع ذلك بمكة وبمنى والله أعلم . وتوقف ابن حزم في هذا المقام فلم يحزم فيه بشيء ، وهو معذور لتعارض النقلين الصحيحين فيه . فالله أعلم .

وقال محمد بن إسحاق عن عبدالرحمن بن القاسم ، عن أبيه عن عائشة قالت : أفاض رسول الله صلى الله عليه وسلم من آخر يومه حين صلى الظهر ، ثم رجع إلى منى فكث بها ليالي أيام التشريق يرمى الجمرات إذا زالت الشمس ، كل جمرتين بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة .

رواه أبو داود منفردا به .

وهذا يدل على أن ذهابه عليه السلام إلى مكة يوم النحر كان بعد الزوال . وهذا ينافي حديث ابن عمر قطعاً وفي منافاته لحديث جابر نظر . والله أعلم .

فصل

وقد خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا اليوم الشريف خطبة عظيمة تواترت

بها الأحاديث ونحن نذكر منها ما يسره الله عز وجل .

قال البخارى : باب الخطبة أيام منى :

حدثنا على بن عبد الله ، حدثنا يحيى بن سعيد ، حدثنا فضيل بن غزوان ، حدثنا
عكرمة ، عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب الناس يوم النحر
فقال : يا أيها الناس أى يوم هذا . قالوا : يوم حرام قال : فأى بلد هذا ؟ قالوا : بلد
حرام . قال : فأى شهر هذا ! قالوا : شهر حرام . قال : « فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم
عليكم حرام » كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا » قال : فأعادها مراراً ،
ثم رفع رأسه فقال : اللهم هل بلغت ! اللهم قد بلغت .

قال ابن عباس : فوالذى نفسى بيده إنها لو صيته إلى أمته : فليبلغ الشاهد الغائب
لا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض .

ورواه الترمذى عن الفلاس عن يحيى القطان به . وقال : حسن صحيح .

وقال البخارى أيضاً : حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثنا أبو عامر ، حدثنا قرة ، عن محمد بن سيرين
أخبرني عبد الرحمن بن أبي بكر عن أبيه ورجل أفضل في نفسى من عبد الرحمن حميد بن
عبد الرحمن ، عن أبي بكر رضي الله عنه ، قال : خطبنا النبي صلى الله عليه وسلم يوم النحر
فقال : أتندرون أى يوم هذا ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم . فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير
اسمه . قال : أليس هذا يوم النحر ؟ قلنا بلى ؟ قال : أى شهر هذا ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم .
فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه . قال : أليس ذا الحجة ؟ قلنا بلى . قال : أى بلد
هذا ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم . فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه . قال : أليس بالبلد
الحرام ؟ قلنا : بلى .

قال : فإن دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم
هذا إلى يوم تلقون ربكم . ألا هل بلغت ؟ قالوا : نعم . قال : اللهم اشهد ، فليبلغ الشاهد

الغائب فرُئِبَ مبلغٌ أوعى من سامع ، فلا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقابَ بعض .

ورواه البخارى ومسلم من طرق ، عن محمد بن سيرين به . ورواه مسلم من حديث عبد الله بن عون ، عن ابن سيرين ، عن عبد الرحمن بن أبي بَكْرَةَ ، عن أبيه فذكره . وزاد فى آخره : ثم انكشفوا إلى كبشين أملحين فذبحهما وإلى جذِعة من الغنم فقسمها بيننا .

وقال الإمام أحمد : حدثنا إسماعيل ، أنبأنا أيوب ، عن محمد بن سيرين ، عن أبي بَكْرَةَ ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب فى حجته فقال : ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، السنة اثنا عشر شهراً منها أربعة حُرُم ؛ ثلاثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ، ورجب مضر الذى بين جمادى وشعبان . ثم قال : ألا أى يوم هذا ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه . قال : أليس يوم الفجر ؟ قلنا : بلى . ثم قال : أى شهر هذا ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم . فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه . قال : أليس ذا الحجة ؟ قلنا : بلى . ثم قال : أى بلد هذا ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم . فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه . قال : أليست البلدة [الحرام] قلنا : بلى قال : فإن دماءكم وأموالكم - لأحسبه قال : وأعراضكم - عليكم حرام كحُرْمَةِ يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا ، وستلقون ربكم فىسألکم عن أعمالکم ، ألا لا ترجعوا بعدى ضُلَّالاً يضرب بعضكم رقابَ بعض ، ألا هل بلغت ؟ ألا ليملغ الشاهد الغائب ، فلعل من يبلغه يكون أوعى له من بعض من سمعه .

هكذا وقع فى مسند الإمام أحمد ، عن محمد بن سيرين ، عن أبي بَكْرَةَ . وهكذا رواه أبو داود عن مسدد . والنسائى عن عمرو بن زُرَّارة ، كلاهما عن إسماعيل - وهو ابن عُلَیَّة - عن أيوب ، عن ابن سيرين ، عن أبي بَكْرَةَ به .

وهو منقطع لأن صاحبها الصحيح أخرجاه من غير وجه عن أبوب وغيره ، عن محمد ابن سيرين ، عن عبد الرحمن بن أبي بكر ، عن أبيه به .

وقال البخارى أيضا : حدثنا محمد بن المثنى ، حدثنا يزيد بن هارون ، أنبأنا عاصم بن محمد بن زيد ، عن أبيه ، عن ابن عمر ، قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم بمى : أتندرون أى يوم هذا ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : فإن هذا يوم حرام ، أفندرون أى بلد هذا ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : بلد حرام . قال : أفندرون أى شهر هذا ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : شهر حرام . قال : فإن الله حرّم عليكم دماءكم وأموالكم وأعراضكم كحرمة بومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا .

وقد أخرجه البخارى فى أما كن متفرقة من صحيحه ، وبقية الجماعة إلا الترمذى ، من طرق عن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر ، عن جده عبد الله بن عمر فذكره .

قال البخارى : وقال هشام بن الغار^(١) أخبرنى نافع ، عن ابن عمر [قال] وقف النبي صلى الله عليه وسلم يوم النحر بين الجمرات فى الحجة التى حج بهذا^(٢) وقال : هذا يوم الحج الأكبر . فطلق النبي صلى الله عليه وسلم يقول : اللهم اشهد . وودّع الناس فقالوا : هذه حجة الوداع .

وقد أسند هذا الحديث أبو داود ، عن مؤمل بن الفضل ، عن الوليد بن مسلم . وأخرجه ابن ماجه ، عن هشام بن عمار ، عن صدقة بن خالد ، كلاهما عن هشام بن الغار ابن ربيعة الجرشي أبى العباس الدمشقي به .

(١) بحذف الياء ولانباتها ، فاعل من الغزو .

(٢) قال ابن حجر : بهذا ، أى بالحديث الذى تقدم من طريق محمد بن زيد عن جده . قال : وأراد المصنف بذلك أصل الحديث وأصل معناه لكن السياق مختلف . . وفسر الكرماني لفظة « بهذا » بقوله : وقف متلبساً بهذا الكلام المذكور — يريد التفويض بقوله : الله ورسوله أعلم — والباء فى بهذا تنعلق بقوله : وقف النبي . انظر إرشاد السارى ٣ / ٢٤٤

وقيامه عليه السلام بهذه الخطبة عند الجرات يحتمل أنه بعد رميه الجرة يوم النحر وقبل طوافه . ويحتمل أنه بعد طوافه ورجوعه إلى منى ورميه بالجرات .

لكن يقوى الأول ما رواه النسائي حيث قال : حدثنا عمرو بن هشام الحراني ، حدثنا محمد بن سلمة ، عن أبي عبد الرحيم ، عن زيد بن أبي أنيسة ، عن يحيى بن حصين الأحمسي ، عن جدته أم حصين قالت : حججت في حجة النبي صلى الله عليه وسلم فرأيت بلالا آخذاً بقود راحلته وأسامة بن زيد رافع عليه ثوبه يُظله من الحر وهو مُحْرَم حتى رمى جرة العقبة . ثم خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه وذكر قولاً كثيراً

وقد رواه مسلم من حديث زيد بن أبي أنيسة ، عن يحيى بن الحصين ، عن جدته أم الحصين قالت : حججت مع رسول الله حجة الوداع فرأيت أسامة وبلالا أحدهما آخذاً بخظام ناقه رسول الله والآخر رافع ثوبه يستتره من الحر حتى رمى بجرّة العقبة . قالت : فقال رسول الله قولاً كثيراً . ثم سمعته يقول : « إن أمرّ عليكم عبدٌ مُجَدِّع - حسبها قالت أسود - يُقودكم بكتاب الله فاسمعوا له وأطيعوا » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن عبيد الله ، حدثنا الأعمش ، عن أبي صالح - وهو ذكوان السّمان - عن جابر ، قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النحر فقال : أيُّ يوم أعظم حرمةً ؟ قالوا : يومنا هذا . قال : أي شهر أعظم حرمة ؟ قالوا : شهرنا هذا . قال : أي بلد أعظم حرمة ؟ قالوا : بلدنا هذا . قال : فإن دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا ، هل بلغت ؟ قالوا : نعم . قال اللهم اشهد .

انفرد به أحمد من هذا الوجه ، وهو على شرط الصحيحين . ورواه أبو بكر بن أبي شَيْبَةَ عن أبي معاوية ، عن الأعمش به .

وقد تقدم حديث جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جابر في خطبته عليه السلام يوم عرفة . فإله أعلم .

قال الإمام أحمد : حدثنا علي بن بحر ، حدثنا عيسى بن يونس ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي سعيد الخدري ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع . فذكر معناه .

وقد رواه ابن ماجه عن هشام بن عمار ، عن عيسى بن يونس به . وإسناده على شرط الصحيحين . فإله أعلم .

وقال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا أبو هشام ، حدثنا حفص ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة وأبي سعيد ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب فقال : أى يوم هذا ؟ قالوا : يوم حرام . قال : « فإن دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا » .

ثم قال البزار : رواه أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة وأبي سعيد . وجمعهما إنا أبو هشام . عن حفص بن غياث ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة وأبي سعيد .

قلت : وتقدم رواية أحمد له عن محمد بن عبيد الطنّافسي ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن جابر بن عبد الله ، فلهذا عند أبي صالح عن الثلاثة . والله أعلم .

وقال هلال بن يساف ، عن سلمة بن قيس الأشجعي ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع : « إنما هن أربع ، لا تشركوا بالله شيئاً ، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ، ولا تزنوا ولا تسرقوا » .

قال : فما أنا بأشحّ عليهم متى حين سمعتم من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد رواه أحمد والنسائي من حديث منصور ، عن هلال بن يساف . وكذلك رواه سفيان بن عيينة والثوري عن منصور .

وقال ابن حزم في حجة الوداع : حدثنا أحمد بن عمر بن أنس العُدري ، حدثنا أبو ذرّ عبد الله بن أحمد الهروي الأنصاري ، حدثنا أحمد بن عبيد الله الحافظ بالأهواز ، حدثنا سهل بن موسى بن شيرزاد ، حدثنا موسى بن عمرو بن عاصم ، حدثنا أبو العوام ، حدثنا محمد بن جُحادة ، عن زياد بن علاقة ، عن أسامة بن شريك ، قال : شهدت رسول الله في حجة الوداع وهو يخطب وهو يقول : « أُمك وأباك وأختك وأخاك ثم أدناك أدناك » قال : فجاء قوم فقالوا : يا رسول الله قتلنا بنو بَرَبوع . فقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تجنّني نفس على أخرى » ثم سأله رجل نسي أن يرمى الجمار ، فقال : « ارم ولا حرج » ثم أتاه آخر فقال : يا رسول الله نسيت الطواف فقال : طُفْ ولا حرج . ثم أتاه آخر حلق قبل أن يذبح قال : اذبح ولا حرج . فما سأله يومئذ عن شيء إلا قال : « لا حرج لا حرج » .

ثم قال : « قد أذهب الله الحرج إلا رجلاً اقترض امرءاً مسلماً فذلك الذي حرج وهلك » . وقال « ما أنزل الله داءً إلا أنزل له دواءً إلا الهرم » .

وقد روى الإمام أحمد وأهل السنن بعض هذا السياق من هذه الطريق . وقال الترمذي : حسن صحيح .

وقال الإمام أحمد : حدثنا حجاج ، حدثني شعبة ، عن علي بن مُدريك ، سمعت أبا زُرعة يحدث عن جرير - وهو جده - ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : في حجة الوداع : يا جرير استنصت الناس . ثم قال : في خطبته : « لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض » .

ثم رواه أحمد ، عن غُثَدر وعن ابن مهدي ، كل منهما عن شعبة به . وأخرجه في الصحيحين من حديث شعبة به .

وقال أحمد : حدثنا ابن مُثَمِّر ، حدثنا اسماعيل ، عن قيس ، قال بلغنا أن جريراً قال : قال رسول الله : استنصت الناس . ثم قال عند ذلك : « لا أعرفن بعد ما أرى ترجعون كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض » .
ورواه النسائي من حديث عبد الله بن مُثَمِّر به .

وقال النسائي : حدثنا هناد بن السري ، عن أبي الأخوص ، عن ابن غرقدة ، عن سليمان بن عمرو ، عن أبيه ، قال : شهدت رسول الله في حجة الوداع يقول : أيها الناس . ثلاث مرات . أيّ يوم هذا ؟ قالوا : يوم الحج الأكبر .

قال : « فإنّ دماءكم وأموالكم وأعراضكم بينكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا ، ولا يتجنّى جانٍ على ولده ، ألا إن الشيطان قد بيّس أن يُعبد في بلدكم هذا ، ولكن سيكون له طاعة في بعض ما تحتقرون من أعمالكم فيرضى ، ألا وإن كل ربا من ربا الجاهلية بوضع ، لكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون »
وذكر تمام الحديث .

وقال أبو داود : باب من قال يَخْطُبُ^(١) يوم النحر : حدثنا هارون بن عبد الله ، حدثنا هشام بن عبد الملك ، حدثنا عكرمة - هو ابن عمار - حدثنا الهرمّاس بن زياد الباهلي قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب الناس على ناقته المصّباء يوم الأضحى بمى .

ورواه أحمد والنسائي من غير وجه ، عن عكرمة بن عمار ، عن الهرمّاس . قال : كان أبي مُرَدِّفٍ فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب الناس بمى يوم النحر على ناقته المصّباء .

(١) أبو داود ٣٠٧/١ : خطب .

لفظ أحد ، وهو من ثلاثيات المسند . والله الحمد .

ثم قال أبو داود : حدثنا مؤمل بن الفضل الحراني ، حدثنا الوليد ^(١) ، حدثنا ابن جابر ، حدثنا سليم بن عامر [الكلاعي ^(٢)] سمعت أبا أمامة يقول : سمعت خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة يوم النحر .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرحمن ، عن معاوية بن صالح ، عن سليم بن عامر الكلاعي ، سمعت أبا أمامة يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يومئذ على الجذعاء واضع رجله في العرّز يتطاول ليُسمع الناس . فقال بأعلى صوته : ألا تسمعون ؟ فقال رجل من طوائف الناس : يا رسول الله ماذا تعهد إلينا ؟ فقال : « اعبدوا ربكم وصلّوا خمسكم وضوموا شهركم وأطيعوا إذا أمرتم ، تدخلوا جنة ربكم » .

فقلت : يا أبا أمامة مثل من أنت يومئذ ؟ قال : أنا يومئذ ابن ثلاثين سنة أراحم البعير أرحزه قدما لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

ورواه أحمد أيضا عن زيد بن الحباب ، عن معاوية بن صالح ، وأخرجه الترمذي عن موسى بن عبد الرحمن الكوفي ، عن زيد بن الحباب ، وقال : حسن صحيح .

قال الإمام أحمد : حدثنا أبو المغيرة ، حدثنا إسماعيل بن عباس ، حدثنا شريحيل ابن مسلم الخولاني ، سمعت أبا أمامة الباهلي يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في خطبته عام حجة الوداع : « إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث ، والولد للفراش وللعاهر الحجر وحسابهم على الله ، ومن ادعى إلى غير أبيه أو اتقى إلى غير مآله فعليه لعنة الله التابعة إلى يوم القيامة ، لا تُنفق امرأة من بيتها إلا بإذن زوجها » .

(١) أبو داود : حدثنا الوليد بن جابر ، حدثنا سليم . (٢) من سنن أبي داود ٣٠٧/١

فقيل : يا رسول الله ولا الطعام ؟ قال : ذاك أفضل أموالنا . ثم قال رسول الله :
« العارية مؤدّاة والمنحة مردودة ، والدين مقضى ، والزعيم غريم » .

ورواه أهل السنن الأربعة من حديث إسماعيل بن عيَّاش ، وقال الترمذى : حسن .
ثم قال أبو داود رحمه الله : باب متى يخطب^(١) يوم النحر : حدثنا عبد الوهاب بن
عبد الرحيم الدمشقي ، حدثنا مروان ، عن هلال بن عامر المزني ، حدثني رافع بن عمرو
المزني ، قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب الناس بمنى حين ارتفع الضحى
على بغلة شهباء وعلى يعبّر عنه والناس بين قائم وقاعد .

ورواه النسائي عن دُحيم ، عن مروان الفزاري به .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا هلال بن عامر المزني ، عن أبيه ،
قال : رأيت رسول الله يخطب الناس بمنى على بغلة وعليه بُرد أحمر . قال : ورجل من
أهل بدر بين يديه يعبّر عنه .

قال : فجئت حتى أدخلت يدي بين قدميه وشراكه . قال : فجعلت أعجب
من برّدها .

حدثنا محمد بن عبيد ، حدثنا شيخ من بني فزارة ، عن هلال بن عامر المزني ، عن أبيه ،
قال : رأيت رسول الله على بغلة شهباء وعلى يعبّر عنه .

ورواه أبو داود من حديث أبي معاوية ، عن هلال بن عامر .

ثم قال أبو داود : باب ما يذكّر الإمام في خطبته بمنى : حدثنا مُسَدَّد ، حدثنا
عبد الوارث ، عن حميد الأعرج ، عن محمد بن إبراهيم التيمي ، عن عبد الرحمن بن معاذ
التيمي ، قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن بمنى ففتحت أسماعنا حتى كفا
نسمع ما يقول ونحن في منازلنا ، فطفق يعلمهم مناسكهم حتى بلغ الجمار فوضع السّبابتين

(١) أبو داود : أى وقت يخطب .

ثم قال بحصى الخذف ، ثم أمر المهاجرين فنزلوا في مُقدّم المسجد ، وأمر الأنصار فنزلوا من وراء المسجد ، ثم نزل الناسُ بعد ذلك .

وقد رواه أحمد عن عبد الصمد بن عبد الوارث ، عن أبيه . وأخرجه النسائي من حديث ابن المبارك ، عن عبد الوارث كذلك .

وتقدم رواية لإمام أحمد له عن عبد الرزاق ، عن معمر ، عن محمد بن إبراهيم التيمي ، عن عبد الرحمن بن معاذ ، عن رجل من الصحابة . فإله أعلم .

وثبت في الصحيحين من حديث ابن جريج ، عن الزهري ، عن عيسى بن طلحة ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بيّنا هو يخطب يوم النحر فقام إليه رجل فقال : كنت أحسب أن كذا وكذا قبل كذا وكذا . ثم قام آخر فقال : كنت أحسب أن كذا وكذا قبل كذا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « افعَلْ وَلَا حَرْجَ » .

وأخرجه من حديث مالك . زاد مسلم : ويونس عن الزهري به . وله ألفاظ كثيرة ليس هذا موضع استقصائها . ومجمله كتاب الأحكام وبالله المستعان . وفي لفظ الصحيحين قال : فما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك اليوم عن شيء قُدّم ولا أخر إلا قال : افعَلْ وَلَا حَرْجَ .

فصل

ثم نزل عليه السلام بمنى حيث المسجد اليوم ، فيما يقال ، وأنزل المهاجرين يَمْنَتَهُ والأنصار يَمْرَتَهُ والناس حَوْلَهُم من بعدهم .

وقال الحافظ البيهقي : أبو عبد الله الحافظ أنبأنا علي بن محمد بن عُقبة الشَّيبَانِي بالكوفة ، حدثنا إبراهيم بن إسحاق الزهري ، حدثنا عبيد الله بن موسى ، أنبأنا إسرائيل ، عن

إبراهيم بن مهاجر، عن يوسف بن ماهك، عن أم مُسَيِّكة، عن عائشة، قالت : قيل يا رسول الله : ألا نَبْنِي لَكَ بِنَى بِنَاء يُظَلَّكَ ؟ قال : لا ، مَنَى مَنَاحُ من سَبَق .

وهذا إسناد لا بأس به ، وليس هو في المسند ولا في السكتب الستة من هذا الوجه .

وقال أبو داود : حدثنا أبو بكر محمد بن خَلَّاد الباهلي ، حدثنا يحيى ، عن ابن جريج [حدثني حَرِيز^(١)] أو أبو حَرِيز الشكُّ من يحيى ، أنه سمع عبد الرحمن بن قُرُوح يسأل ابنَ عمر قال : إنا نقبايع بأموال الناس فيأتى أحدنا مكة فيبييت على المال ، فقال : أمّا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فبات ببنى وظلَّ .

انفرد به أبو داود^(٢) .

ثم قال أبو داود : حدثنا عثمان بن أبي شيبة ، حدثنا ابنُ ثُمير وأبو أسامة ، عن عبيد الله، عن نافع ، عن ابن عمر قال استأذن العباسُ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبيت بمكة ليالى مَنَى من أجل سِقَايَتِهِ فَأَذِنَ لَهُ .

وهكذا رواه البخارى ومسلم من حديث عبد الله بن ثُمير . زاد البخارى : وأبى ضَمْرَةَ أنس بن عياض . زاد مسلم : وأبى أسامة حماد بن أسامة .

وقد علَّقه البخارى عن أبى أسامة وعُقبة بن خالد ، كلهم عن عبيد الله ابن عمر به .

وقد كان صلى الله عليه وسلم يصلى بأصحابه ببنى ركعتين ، كما ثبت عنه ذلك فى الصحيحين من حديث ابن مسعود وحارثة بن وهب رضى الله عنهما .

ولهذا ذهب طائفة من العلماء إلى أن سبب هذا القَصْر النَّسْكُ ، كما هو قول طائفة من المالكية وغيرهم . قالوا : ومن قال : إنه عليه السلام كان يقول ببنى لأهل مكة : آمَنُوا

فإنّا قومٌ مُسَفَّرٌ : فقد غَلِطَ إنما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح وهو نازل بالأنطح ، كما تقدم . والله أعلم .

وكان صلى الله عليه وسلم يرمى الجمرات الثلاث في كل يوم من أيام منى بعد الزوال كما قال جابر فيما تقدم ، ماشياً كما قال ابن عمر فيما سلف ، كل جمرَةً بِسَبْعِ حَصَيَّاتٍ يَكْبُرُ مع كل حصاة . ويقف عند الأولى وعند الثانية يدعو الله عز وجل ولا يقف عند الثالثة .

قال أبو داود : حدثنا علي بن بحر ، وعبد الله بن سعيد المَعْنِيّ ، قالَا حدثنا أبو خالد الأحمر ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : أفاض رسول الله صلى الله عليه وسلم من آخر يومه حين صلى الظهر ، ثم رجع إلى منى فكث بها [ليألى ^(١)] أيام التشريق ، يرمى الجمرَةَ إذا زالت الشمس ، كل جمرَةً بِسَبْعِ حَصَيَّاتٍ وَيَكْبُرُ مع كل حصاة ويقف عند الأولى والثانية فيطيل المقام ويتضرّع ، ويرمى الثالثة لا يقف عندها .
انفرد به أبو داود .

وروى البخارى من غير وجه ، عن يونس بن يزيد ، عن الزهرى ، عن سالم ، عن ابن عمر ، أنه كان يرمى الجمرَةَ الدنيا بسبع حصيات يكبّرُ على إثر كل حصاة ، ثم يتقدم ثم يسهل ، فيقوم مستقبلَ القبلة طويلاً ويدعو ويرفع يديه ثم يرمى الوسطى ثم يأخذ ذات الشمال فيسهل فيقوم مستقبلَ القبلة ، ويدعو ، ويرجع يديه ، ويقوم طويلاً . ثم يرمى جمرَةَ ذاتِ العقبة من بطن الوادى ولا يقف عندها ، ثم ينصرف فيقول : هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله .

وقال وبرة بن عبد الرحمن : قام ابن عمر عند العقبة بقدر قراءة سورة البقرة . وقال أبو نِجَاز : حرّرتُ قيامه بقدر قراءة سورة يوسف .
ذكرها البيهقى .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سفيان بن عيينة ، عن عبد الله بن أبي بكر ، عن أبيه ، عن أبي القداح ، عن أبيه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رَخَّصَ للرَّعَاءِ أن يرموا يوماً وبرَّعوا يوماً .

وقال أحمد : حدثنا محمد بن أبي بكر وأنبأنا رَوْح ، حدثنا ابن جُرَيْج ، أخبرني محمد ابن أبي بكر بن محمد بن عمرو ، عن أبيه ، عن أبي القدَّاح بن عاصم بن عدى ، عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أَرَخَّصَ للرَّعَاءِ أن يتعاقبوا فيرموا يوم النحر ، ثم يَدْعُوا يوماً وليلة ثم يرموا الغد .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرحمن ، حدثنا مالك ، عن عبد الله بن بكر ، عن أبيه ، عن أبي القداح بن عاصم بن عدى عن أبيه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أَرَخَّصَ لرِعَاءِ الإِبِلِ في البَيْتُوتَةِ بَنَى حَتَّى يرموا يومَ النحر ثم يرمون يومَ النحر ثم يرمون الغد أو من بعد الغد ليومين ثم يرمون يومَ النَّفَرِ .

وكذا رواه عن عبد الرزاق عن مالك بنحوه . وقد رواه أهل السنن الأربعة من حديث مالك ومن حديث سفيان بن عيينة به . قال الترمذى : ورواية مالك أصحُّ ، وهو حديث حسن صحيح .

فصل

فيما ورد من الأحاديث الدالة على أنه عليه السلام

خطب الناس بَمَنَى في اليوم الثاني من أيام التشريق وهو أوسطها

قال أبو داود : باب أى يوم يخطب : حدثنا محمد بن العلاء ؛ أنبأنا ابن المبارك ، عن إبراهيم بن نافع ، عن ابن أبي نجيح ، عن أبيه ، عن رجلين من بني بكر ، قالا : رأينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب بين أوسط أيام التشريق ونحن عند راحلته ،

وهي خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي خطب بمنى .
انفرد به أبو داود .

ثم قال أبو داود : حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا أبو عاصم ، حدثنا ربيعة بن عبد الرحمن ابن حصين^(١) ، حدثني جدتي سراء بنت نهبان - وكانت ربة بيت في الجاهلية - قالت : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الروس فقال : أيّ يوم هذا ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم . قال : أليس أوسط أيام التشريق ؟
انفرد به أبو داود .

قال أبو داود : وكذلك قال عمّ أبي حُرّة^(٢) الرقاشي أنه خطب أوسط أيام التشريق .

وهذا الحديث قد رواه الإمام أحمد متصلاً مطولاً فقال : حدثنا عثمان ، حدثنا حماد ابن سلمة ، أنبأنا علي بن زيد ، عن أبي حُرّة الرقاشي ، عن عمه ، قال : كنت آخذاً بزمام ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم في أوسط أيام التشريق أذود عنه الناس . فقال : يا أيها الناس أتدرون في أي شهر أنتم وفي أي يوم أنتم وفي أي بلد أنتم ؟ قالوا : في يوم حرام وشهر حرام وبلد حرام . قال : فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا إلى أن تلقوه .

ثم قال : « اسمعوا مني تعيشوا ، ألا لا تظلموا ألا لا تظلموا ، ألا لا تظلموا ، إنه لا يحل مالُ امرئٍ مسلمٍ إلا بطيب نفس منه . ألا إن كل دم ومال ومأثرة كانت في الجاهلية تحت قدمي هذه إلى يوم القيامة ، وإن أول دم يوضع دم [ابن] ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب كان مُسترضعاً في بني سعد فقتلته هذيل ، ألا إن كل رباً في الجاهلية موضوع وإن الله قضى

(١) سنن أبي داود ٣٠٧/١ : ابن حصن .

(٢) الأصل أبو حمزة . وما أثبتته عن سنن أبي داود ٣٠٧/١ . وميزان الاعتدال ٦٢١/١ .

(٢٦ - السيرة - ٤)

أَنْ أُولَ رِبَا يَوْضَع رِبَا الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ ، لَكُمْ رَعُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلُمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ .

أَلَا وَإِنَّ الزَّمَانَ قَدْ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ . ثُمَّ قَرَأَ : « إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلَمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ » ، أَلَا لَا تَرْجِعُوا بَعْدَى كِفَارًا يُضْرَبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ ، أَلَا إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ بُئِىَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ وَلَكِنَّهُ فِي التَّخْرِيشِ يَدِينَكُمْ .

وَاتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ فَإِنَّهُنَّ عِنْدَكُمْ عَوَانٌ^(١) لَا يَمْلِكُنَّ أَنْفُسُهُنَّ شَيْئًا ، وَإِنْ لَهْنَّ عَلَيْكُمْ حَقًّا وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ حَقٌّ ، أَلَا يُوْطِئْنَ فُرُشَكُمْ أَحَدًا غَيْرَكُمْ ، وَلَا يَأْذَنَنَّ فِي بُيُوتِكُمْ لِأَحَدٍ تَسْكُرْهُنَّ . فَإِنْ خَفْتُمْ نُشُوزَهُنَّ فَمِطُّوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبْرِحٍ ، وَلَهُنَّ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ، وَإِنَّمَا أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانَةٍ اللَّهُ وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ ، أَلَا وَمَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ أَمَانَةٌ فَلْيُؤْذِهَا إِلَى مَنْ أَيْتَمَنَهُ عَلَيْهَا .

وَبَسَطَ يَدَهُ وَقَالَ : أَلَا هَلْ بَلَغْتُ ؟ أَلَا هَلْ بَلَغْتُ ؟ ثُمَّ قَالَ : لِيُبَلِّغَ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ فَإِنَّهُ رَبٌّ مُبَلِّغٌ أَسْعَدُ مِنْ سَامِعٍ .

قَالَ حُمَيْدٌ : قَالَ الْحَسَنُ حِينَ بَلَغَ هَذِهِ الْكَلِمَةَ : قَدْ وَاللَّهِ بَلَغُوا أَقْوَامًا كَانُوا أَسْعَدَ بِهِ .

وَقَدْ رَوَى أَبُو دَاوُدَ فِي كِتَابِ النِّكَاحِ مِنْ سَنَنِهِ عَنْ مُوسَى بْنِ إِسْمَاعِيلَ ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ زَيْدِ بْنِ جَدْعَانَ ، عَنْ أَبِي حُرَيْرَةَ الرَّقَاشِيِّ - وَاسْمُهُ حَنِيفَةُ - عَنْ عَمِّهِ بَعْضُهُ^(٢) فِي النُّشُوزِ .

قال ابن حزم : جاء أنه خطب يوم الرؤوس وهو اليوم الثانى من يوم النحر بلا خلاف عند أهل مكة ، وجاء أنه أوسط أيام التشريق ، فتَحْمَلُ على أن أوسط بمعنى أشرف كما قال تعالى : « وكذلك جعلناكم أمة وسطاً » وهذا المسلك الذى أخذه ابن حزم بعيد والله أعلم .

وقال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا الوليد بن عمرو بن مسكين ، حدثنا أبو همام محمد بن الزبرقان ، حدثنا موسى بن عبيدة ، عن عبد الله بن دينار وصدقة بن يسار ، عن عبد الله بن عمر ، قال : نزلت هذه السورة على رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى وهو فى أوسط أيام التشريق فى حجة الوداع : « إذا جاء نصرُ الله والفتح » فعرف أنه الوداع فأمر بإحلاله القصواء فرحلت له ثم ركب فوقف للناس بالعقبة ، فاجتمع إليه ما شاء الله من المسلمين ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال : أما بعد ، أيها الناس فإن كل دم كان فى الجاهلية فهو هدر ، وإن أول دماءكم أُهِدِر دم [ابن] ربيعة بن الحارث ، كان مسترضعا فى بنى ليث فقتلته هذيل . وكل ربا فى الجاهلية فهو موضوع ، وإن أول رباكم أضع ربا العباس بن عبد المطلب .

أيها الناس إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، وإن عِدَّةَ الشهور عند الله اثنا عشر منها أربعة حُرُم زجب - مُضَر - الذى بين جمادى وشعبان ، وذو القعدة وذو الحجة والمحرم « ذلك الدِّين القيم فلا تَظَلُّوا فيه من أنفسكم » الآية « إنما النِّسْيُ زيادةٌ فى السَّكْفِ يُضَلُّ به الذين كفروا يُحِلُّونه عاما ويحرمونه عاما ليُواطِئُوا عِدَّةَ ما حَرَّمَ الله « كانوا يحلون صفر عاما ويحرمون المحرم عاما ، ويحرمون صفر عاما ويحلون المحرم عاما ، فذلك النسيء .

يا أيها الناس من كان عنده ودعة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها ، أيها الناس إن الشيطان قد يئس أن يُعبد ببلادكم آخر الزمان ، وقد يرضى عنكم ، بمُخَقَّرات الأعمال ، فاحذروه

على دينكم بمحقرات الأعمال ، أيها الناس إن النساء عندكم عَوَانٍ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانَةِ اللَّهِ واستحلتم فروجهن بكلمة الله ، لكم عليهن حق ولهن عليكم حق ، ومن حقكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم غيركم ولا يعصينكم في معروف ، فإن فعلن ذلك فليس لكم عليهن سبيل ، ولهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، فإن ضربتم فاضربوا ضرباً غير مبرح . ولا يحل لامرئٍ من مال أخيه إلا ما طابت به نفسه ، أيها الناس إني قد تركت فيكم ، ما إن أخذتم به لم تضلوا ، كتاب الله ، فاعملوا به .

أيها الناس أي يوم هذا ؟ قالوا : يوم حرام . قال : فأى بلد هذا ؟ قالوا بلد حرام . قال : أى شهر هذا ؟ قالوا : شهر حرام . قال : فإن الله حرم دماءكم وأموالكم وأعراضكم كحرمة هذا اليوم في هذا البلد وهذا الشهر ، ألا ليبلغ شاهدكم غائبكم ، لا نبى بعدى ولا أمة بعدكم . ثم رفع يديه فقال : اللهم اشهد .

ذكر إيراد حديث فيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يزور البيت في كل ليلة من ليالي منى

قال البخارى : يُذَكَّرُ عن أبي حسان عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يزور البيت في أيام منى .
هكذا ذكره معلقاً بصيغة التريض .

وقد قال الحافظ البيهقي : أخبرناه أبو الحسن بن عبدان ، أنبأنا أحمد بن عبيد الصفار ، حدثنا العمري ، أنبأنا ابن عرعة ، فقال : دفع إلينا معاذ بن هشام كتاباً قال : سمعته من أبي ولم يقرأه . قال : فكان فيه : عن قتادة ، عن أبي حسان ، عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يزور البيت كل ليلة مادام بمنى . قال : وما رأيت أحداً واطأه عليه .

قال البيهقي : وروى النورى في الجامع عن ابن طاوس ، عن طاوس ، عن ابن عباس ،

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يُقيض كل ليلة - يعني ليالى منى - وهذا مرسل .

فصل

اليوم السادس من ذى الحجة قال بعضهم: يقال له يوم الزينة ، لأنه يزِين فيه البدن بالجلال وغيرها .

واليوم السابع يقال له يوم التزوية ، لأنهم يتزوون فيه من الماء ويحملون منه ما يحتاجون إليه حال الوقوف وما بعده .

واليوم الثامن يقال له يوم منى لأنهم يرحلون فيه من الأبطح إلى منى .

واليوم التاسع يقال له يوم عرفة ، لوقوفهم فيه بها .

واليوم العاشر يقال له يوم النحر ويوم الأضحى ويوم الحج الأكبر .

واليوم الذى يليه يقال له يوم القَرّ ، لأنهم يَقَرّون فيه ، ويقال له يوم الرؤوس لأنهم يأكلون فيه رؤوس الأضاحى ، وهو أول أيام التشريق .

وثانى أيام التشريق يقال له يوم النُفَر الأول ، لجواز النفر فيه ، وقيل هو اليوم الذى

يقال له يوم الرؤوس . واليوم الثالث من أيام التشريق يقال له يوم النفر الآخر . قال الله

تعالى : « فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه ^(١) » الآية .

[فلما ن يوم النفر الآخر وهو اليوم الثالث من أيام التشريق] ^(٢) ، وكان يوم الثلاثاء ، ركب

رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه ، فنفر بهم من منى فنزل الحصب ، وهو واد بين مكة ومنى فصلى به العصر .

كما قال البخارى : حدثنا محمد بن المثنى ، حدثنا إسحاق بن يوسف ، حدثنا سفيان

الثوري ، عن عبد العزيز بن رُفيع ، قال سألت أنس بن مالك : أخبرني عن شيء عَقَلْتَهُ
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أين صلى الظهر يوم التَّروِيَةِ ؟ قال : بِنَى . قلت : فأين
صلى العصر يوم النَّفَرِ ؟ قال : بالأبطح ، افعل كما يفعل أمراؤك .

وقد روى أنه صلى الله عليه وسلم صلى الظهر يوم النفر بالأبطح ، وهو المحصب . فأنه أعلم .
قال البخاري : حدثنا عبد المتعال بن طالب ، حدثنا ابن وهب ، أخبرني عمرو بن
الحارث ، أن قتادة حدثه ، أن أنس بن مالك حدثه عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه صلى
الظهر والعصر [والمغرب]^(١) والعشاء ، ورقد رقدَةً في المحصب ثم ركب إلى البيت فطاف به .
قلت : يعني طواف الوداع .

وقال البخاري : حدثنا عبد الله بن عبد الوهاب ، حدثنا خالد بن الحارث ، قال : سئل
عبد الله عن المحصب فحدثنا عبيد الله عن نافع قال : نزل بها رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعمر وابن عمر .

وعن نافع : أن ابن عمر كان يصلي بها - يعني المحصب - الظهر والعصر ، أحسبه
قال : والمغرب . قال خالد : لأشك في العشاء ، ثم يهجع هَجْعَةً وَيَذْكُرُ ذَلِكَ عَنِ النَّبِيِّ
صلى الله عليه وسلم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا نوح بن ميمون ، أنبأنا عبد الله ، عن نافع ، عن ابن عمر ،
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر وعثمان نزلوا المحصب .

هكذا رأيت في مسند الإمام أحمد من حديث عبد الله العُمري عن نافع .
وقد روى الترمذي هذا الحديث عن إسحاق بن منصور . وأخرجه ابن ماجه عن
محمد بن يحيى ، كلاهما عن عبد الرزاق ، عن عبيد الله بن عمر ، عن نافع عن ابن عمر ، قال :
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان ينزلون الأبطح .

قال الترمذي : وفي الباب عن عائشة وأبي رافع وابن عباس ، وحديث ابن عمر

حسن غريب ، وإنما نعرفه من حديث عبد الرزاق عن عبيد الله بن عمر به .
وقد رواه مسلم عن محمد بن مهران الرازي ، عن عبد الرزاق ، عن معمر ، عن أيوب ،
عن نافع ، عن ابن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر كانوا ينزلون الأبطح .
ورواه مسلم أيضاً من حديث صخر بن جويرية ، عن نافع عن ابن عمر ، أنه كان ينزل
الحصْب^(١) ، وكان يصلي الظهر يوم النفر بالحصبة .

قال نافع : قد حصَّب رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء بعده .
وقال الإمام أحمد : حدثنا يونس ، حدثنا حماد - يعني ابن سلمة - عن أيوب وحميد ،
عن بكر بن عبد الله ، عن ابن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الظهر والعصر
والمغرب والعشاء بالبطحاء ثم جمع الجمعة ، ثم دخل - يعني مكة - فطاف بالبيت .
ورواه أحمد أيضاً عن عفان ، عن حماد ، عن حميد ، عن بكر ، عن ابن عمر فذكره .
وزاد في آخره : وكان ابن عمر يفعله . وكذلك رواه أبو دواد عن أحمد بن حنبل .
وقال البخاري : حدثنا الحميدي ، حدثنا الوليد ، حدثنا الأوزاعي ، حدثني
الزهرى ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من
ألف يوم النحر بمنى : « نحن نازلون غداً بخيف بنى كنانة حيث تقاسموا على الكفر » -
يعنى بذلك الحصْب - الحديث .

ورواه مسلم عن زهير بن حرب عن الوليد بن مسلم ، عن الأوزاعي . فذكر
مثله سواء .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، أنبأنا معمر ، عن الزهرى ، عن علي بن
الحسين ، عن عمرو بن عثمان ، عن أسامة بن زيد ، قال : قلت يا رسول الله أين تنزل
غداً - في حجته - ؟ قال : وهل ترك لنا عقيل منزل ! ثم قال : نحن نازلون غداً إن شاء الله

(١) ت : كان يرى الحصْب سنة .

بِخَيْفِ بَنِي كِنَانَةَ - يَعْنِي الْمَحْصَبَ - حَيْثُ قَامَتِ قَرِيشًا عَلَى الْكُفْرِ .
وَذَلِكَ أَنَّ بَنِي كِنَانَةَ حَالَتِ قَرِيشًا عَلَى بَنِي هَاشِمٍ أَنْ لَا يَنَافِكُوهُمْ وَلَا يَبَايَعُوهُمْ
وَلَا يُؤْوِيَهُمْ - يَعْنِي حَتَّى يُسَلِّمُوا إِلَيْهِمْ رَسُولَ اللَّهِ .
ثُمَّ قَالَ عِنْدَ ذَلِكَ : « لَا يَرِثُ الْمُسْلِمُ الْكَافِرَ ، وَلَا الْكَافِرُ الْمُسْلِمَ » قَالَ الزَّهْرِيُّ :
وَالْخَيْفُ : الْوَادِي .
أَخْرَجَاهُ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ الرَّزَّاقِ .

وَهَذَانِ الْحَدِيثَانِ فِيهِمَا دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَصَدَ النُّزُولَ فِي الْمَحْصَبِ مُرَافَعَةً
لَمَّا كَانَ تَمَالُؤًا عَلَيْهِ كُفْرَارِ قَرِيشٍ لَمَّا كَتَبُوا الصَّحِيفَةَ فِي مُصَارَمَةِ بَنِي هَاشِمٍ وَبَنِي الْمُطَلَبِ
حَتَّى يُسَلِّمُوا إِلَيْهِمْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . كَمَا قَدَّمْنَا بَيَانَ ذَلِكَ فِي مَوْضِعِهِ .
وَكَذَلِكَ نَزَلَهُ عَامَ الْفَتْحِ ، فَعَلِيَ هَذَا يَكُونُ نَزُولُهُ سُنَّةً مُرَغَّبًا فِيهَا ، وَهُوَ أَحَدُ
قَوْلِي الْعُلَمَاءِ .

وَقَدْ قَالَ الْبُخَارِيُّ : حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ ، أَنبَأَنَا سَفْيَانُ ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ ، عَنْ أَبِيهِ ،
عَنْ عَائِشَةَ ، قَالَتْ : إِنَّمَا كَانَ مَنَزَلًا يَنْزِلُهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيَكُونَ أَسْمَحَ لخُرُوجِهِ
- يَعْنِي الْأَبْطَحَ - .

وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ هِشَامٍ بِهِ . وَرَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ ، عَنْ
يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ ، عَنْ هِشَامٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ عَائِشَةَ : إِنَّمَا نَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ الْمَحْصَبَ لِيَكُونَ
أَسْمَحَ لخُرُوجِهِ ، وَلَيْسَ بِسُنَّةٍ ، فَمَنْ شَاءَ نَزَلَهُ وَمَنْ شَاءَ لَمْ يَنْزِلْهُ .

وَقَالَ الْبُخَارِيُّ : حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، حَدَّثَنَا سَفْيَانُ ، قَالَ : قَالَ عُمَرُو عَنْ
عَطَاءٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : لَيْسَ التَّخَصُّيبُ بِشَيْءٍ ، إِنَّمَا هُوَ مَنَزَلٌ نَزَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

ورواه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة وغيره ، عن سفیان - وهو ابن عيينة - به .

وقال أبو داود : حدثنا أحمد بن حنبل وثمان بن أبي شيبة المَعْنِيّ ومُسَدَّد ، قالوا : حدثنا سفیان ، حدثنا صالح بن كيسان ، عن سليمان بن يسار ، قال : قال أبو رافع : لم يأمرني ، يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن أنزله ، ولكن ضربت قبته فنزله . قال مسدد : وكان على ثقل النبي صلى الله عليه وسلم . وقال عثمان - يعني [في] ^(١) الأبطح - .

ورواه مسلم عن قتيبة وأبي بكر وزهير بن حرب عن سفیان بن عيينة به .
والمقصود أن هؤلاء كلهم اتفقوا على نزول النبي صلى الله عليه وسلم في الحصب لما نقر من منى ، ولكن اختلفوا : فمنهم من قال : لم يقصد نزوله وإنما نزله اتفاقاً ليكون أسمع لخروجه . ومنهم من أشعر كلامه بقصده عليه السلام نزوله ، وهذا هو الأشبه .

وذلك أنه عليه السلام أمر الناس أن يكون آخر عهدهم بالبيت ، وكانوا قبل ذلك ينصرفون من كل وجه ، كما قال ابن عباس ، فأمر الناس أن يكون آخر عهدهم بالبيت - يعني طواف الوداع - فأراد عليه السلام أن يطوف هو ومن معه من المسلمين بالبيت طواف الوداع وقد نفر من منى قريب الزوال ، فلم يكن يمكنه أن يحج البيت في بقية يومه ويطوف به ويرحل إلى ظاهر مكة من جانب المدينة ، لأن ذلك قد يتعذر على هذا الجمل الغفير ، فاحتاج أن يبيت قبل مكة .

ولم يكن منزل أنسب لميئته من الحصب الذي كانت قريش قد عاقدت بني كنانة على بني هاشم وبني المطلب فيه ، فلم يُبرم الله لقريش أمراً بل كبتهم وردهم

خائبين ، وأظهر الله دينه ونصر نبيه وأعلى كلمته ، وأتم له الدين القويم ، وأوضح به الصراط المستقيم

فحج بالناس وبين لهم شرائع الله وشعائره ، وقد نفر بعد إكمال المناسك فنزل في الموضع الذى تقاسمت قریش فيه على الظلم والعدوان والقطيعة ، فصلى به الظهر والعصر والغرب والعشاء وجمع جمعة .

وقد كان بعث عائشة أم المؤمنين مع أخيها عبد الرحمن ليُعمرها من التنعيم ، فإذا فرغت أنته ، فلما قضت عمرتها ورجعت أذن في المسلمين بالرحيل إلى البيت العتيق .

كما قال أبو داود : حدثنا وهب بن بَقِيَّة ، حدثنا خالد ، عن أفلح ، عن القاسم ، عن عائشة ، قالت : أحرمت من التنعيم بعمره فدخلت فقضيت عمرتي ، وانتظرني رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأبطح حتى فرغت ، وأمر الناس بالرحيل . قالت : وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم البيت فطاف به ثم خرج . وأخرجاه في الصحيحين من حديث أفلح بن حميد .

ثم قال أبو داود : حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا أبو بكر - يعنى الحنفى - حدثنا أفلح ، عن القاسم ، عن عائشة ، قالت : خرجت معه ، تعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، [فى] ^(١) النفر الآخر فنزل المحصب .

قال أبو داود : فذكر ابن بشار بعثها إلى التنعيم ، قالت : ثم جئت سحراً ، فأذن في أصحابه بالرحيل فارتحل ، فمرّ بالبيت قبل صلاة الصبح ، فطاف به حين خرج ، ثم انصرف متوجهاً إلى المدينة .

ورواه البخارى عن محمد بن بشار به .

قلت : والظاهر أنه عليه السلام صلى الصبح يومئذ عند الكعبة بأصحابه ، وقرأ في صلاته تلك بسورة « والطور وكتاب مسطور في رَقٍّ منشور . والبيت المعمور والسقف المرفوع . والبحر المسجور » السورة بكاملها .

وذلك لما رواه البخارى حيث قال : حدثنا إسماعيل ، حدثني مالك ، عن محمد بن عبد الرحمن بن نوفل ، عن عروة بن الزبير ، عن زينب بنت أبي سلمة ، عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم . قال : شكوت إلى رسول الله أنى أشتكى ، قال : طوفى من وراء الناس وأنت راكبة . فطُفْتُ ورسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى حينئذ إلى جنب البيت وهو يقرأ : « والطور وكتاب مسطور » .

وأخرجه بقية الجماعة إلا الترمذى من حديث مالك بإسناد نحوه .

وقد رواه البخارى من حديث هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن زينب ، عن أم سلمة ، أن رسول الله قال وهو بمكة وأراد الخروج ، ولم تكن أم سلمة طافت وأرادت الخروج فقال لها : « إذا أقيمت صلاة الصبح فطوفى على بعيرك والناس يُصلون » فذكر الحديث .

فأما ما رواه الإمام أحمد : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن زينب بنت أبي سلمة ، عن أم سلمة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : أمرها أن توافى معه صلاة الصبح يوم النحر بمكة .

فهو إسناد كما ترى على شرط الصحيحين ، ولم يخرج أحد من هذا الوجه بهذا اللفظ ولعل قوله : « يوم النحر » غلطٌ من الراوى أو من الناسخ ، وإنما هو يوم الفجر ، ويؤيده ما ذكرناه من رواية البخارى . والله أعلم .

والمقصود أنه عليه السلام لما فرغ من صلاة الصبح طاف بالبيت سبعا ووقف في الملتزم بين الركن الذى فيه الحجر الأسود وبين باب الكعبة ، فدعا الله عز وجل وألزم جسده

بجدار النكبة . قال الثوري عن الثني بن الصباح ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده ، قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلزق وجهه وصدره بالملتزم .
الثني ضعيف .

فصل

ثم خرج عليه السلام من أسفل مكة كما قالت عائشة : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مكة من أعلاها وخرج من أسفلها . أخرجاه .
وقال ابن عمر : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم من الثنية العليا التي بالبطحاء وخرج من الثنية السفلى .
رواه البخاري ومسلم .

وفي لفظ : دخل من كدّاء وخرج من كدّى .
وقد قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن فضيل ، حدثنا أجليح بن عبد الله ، عن أبي الزبير ، عن جابر ، قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة عند غروب الشمس ، فلم يصل حتى أتى سرف ، وهي على تسعة أميال من مكة .
وهذا غريب جداً ، وأجليح فيه نظر . ولعل هذا في غير حجة الوداع ، فإنه عليه السلام كما قدمنا طاف بالبيت بعد صلاة الصبح ، فماذا أخره إلى وقت الغروب ؟ هذا غريب جداً .

اللهم إلا أن يكون ما ادعاه ابن حزم صحيحاً من أنه عليه السلام رجع إلى المحصب من مكة بعد طوافه بالبيت طواف الوداع ، ولم يذكر دليلاً على ذلك إلا قول عائشة حين رجعت من أعمارها من التمتع فلقيته بصعدة ، وهو منهبط على أهل مكة ، أو منهبطة وهو مُصعد .

قال ابن حزم : الذي لاشك فيه أنها كانت مُصعدة من مكة وهو منهبط ، لأنها

تقدمت إلى العمرة وانتظرها حتى جاءت ، ثم نهض عليه السلام إلى طواف الوداع فلقبها مُنْصَرَفُهُ إلى المحْصَب من مكة .

وقال البخارى : باب من نزل بذى طُوًى إذا رجع من مكة .

وقال محمد بن عيسى : حدثنا حماد بن زيد ، عن أيوب ، عن نافع ، عن ابن عمر ، أنه كان إذا أقبل بات بذى طُوًى حتى إذا أصبح دخل ، وإذا نهر مرَّ بذى طوى وبات بها حتى يُصبح ، وكان يذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يفعل ذلك .

هكذا ذكر هذا معلِّقاً بصيغة الجزم ، وقد أسنده هو ومسلم من حديث حماد بن زيد به ، لكن ليس فيه ذكر المبيت بذى طوى فى الرَّجْعَة . فإله أعلم .

فائدة عزيزة : فيها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استصحب معه من ماء زمزم شيئا .

قال الحافظ أبو عيسى الترمذى : حدثنا أبو كُريب ، حدثنا خُلاَّد بن يزيد الجعفى ، حدثنا زهير بن معاوية ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، أنها كانت تحمل من ماء زمزم وتخبر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحمله .
ثم قال : هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه .

وقال البخارى : حدثنا محمد بن مُقاتِل ، أخبرنا عبد الله - هو ابن المبارك - حدثنا موسى بن عُقبة ، عن سالم ونافع ، عن عبد الله بن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا قَفَلَ من الغزو أو من الحج أو من العمرة ، يبدأ فيكبر ثلاث مرات ثم يقول : لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، آيئون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون ، صدق الله وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده .
والأحاديث فى هذا كثيرة والله الحمد والمِنَّة .

فصل

في إيراد الحديث الدال على أنه عليه السلام خُطِبَ بمكان بين مكة والمدينة ،
مَرَّجُهُ من حجة الوداع قريب من الجحفة - يقال له غَدِيرُ خُمٍّ -

فَبَيَّنَ فيها فَضْلَ عَلِيٍّ بنِ أَبِي طالبٍ وبراءةَ عِرْضِهِ مما كان تسكلم فيه بعضُ من كان
معه بأرضِ البين ، بسبب ما كان صدر منه إليهم من المَعْدَلَةِ التي ظنَّها بعضهم جَوْرًا
وتضييقًا وبخلاً ، والصواب كان معه في ذلك .

ولهذا لما تفرَّغَ عليه السلام من بيانِ المناسك ورجع إلى المدينة بَيَّنَ ذلك في أثناء
الطريق ، فخطب خطبة عظيمة في اليوم الثامن عشر من ذى الحجة عامئذ ، وكان يوم
الأحد بغدير خُمٍّ ، تحت شجرة هناك ، فَبَيَّنَ فيها أشياء . وذكر من فضلِ عَلِيٍّ وأمانته
وعَدْلِهِ وقُرْبَهُ إليه ما أراح به ما كان في نفوس كثير من الناس منه .

ونحن نورد عيونَ الأحاديث الواردة في ذلك ونبين مافيها من صحيح وضعيف ،
بحول الله وقوته وعونه .

وقد اعتنى بأمر هذا الحديث أبو جعفر محمد بن جرير الطَّبري ، صاحب التفسير
والتاريخ ، فجمع فيه مجلدين أورد فيهما طُرُقَهُ وألفاظَهُ ، وساق الفَتَّْ والسِّمين والصحيحَ
والسَّقِيمَ ، على ما جرت به عادة كثير من المحدثين ، يوردون ما وقع لهم في ذلك الباب من
غير تمييز بين صحيحه وضعيفه . وكذلك الحافظ الكبير أبو القاسم بن عساكر أوردَ
أحاديث كثيرة في هذه الخطبة .

ونحن نورد عيونَ ما روى في ذلك ، مع إعلامنا أنه لا حَظَّ للشيعة فيه ، ولا متمسكٍ
لهم ولا دليل ، لما سَنَبَيْتُهُ ونَبِهَ عليه . فنقول وبالله المستعان :

قال محمد بن إسحاق - في سياق حجة الوداع - : حدثني يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي عمرة ، عن يزيد بن طلحة بن يزيد بن رُكَّانة ، قال : لما أقبلَ عليٌّ من اليمن ليَلْقَى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، تعجَّل إلى رسول الله واستخلف على جنده الذين معه رجلا من أصحابه ، فعَمِدَ ذلك الرجل فكسا كلَّ رجل من القوم حُلَّةً من البرِّ الذي كان مع عليّ .

فلما دنا جيشه خرج ليلقاهم فإذا عليهم الحُلل ، قال : ويلك ما هذا ؟ قال : كسوت القوم ليتجملوا به إذا قدِموا في الناس . قال : ويلك ! انزع قبل أن تنتهي به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : فانتزع الحُلل من الناس فردّها في البرِّ ، قال : وأظهر الجيشُ شكواهم لما صَنَعَ بهم .

قال ابن إسحاق : فحدثني عبد الله بن عبد الرحمن بن مَعْمَر بن حزم ، عن سليمان ابن محمد بن كعب بن عُجْرَة ، عن عمته زينب بنت كعب - وكانت عند أبي سعيد الخدري - عن أبي سعيد ، قال : اشتكى الناسُ عليّاً ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا خطيباً ، فسمعتُه يقول : « أيها الناس لا تَشْكُوا عليّاً ، فوالله إنه لَأَخْشَنُ في ذات الله أوفى سبيل الله [من أن يُشَكَّى] ^(١) » .

ورواه الإمام أحمد من حديث محمد بن إسحاق به وقال : إنه لَأَخْشَنُ في ذات الله أوفى سبيل الله .

وقال الإمام أحمد : حدثنا الفضل بن دُكَيْن ، حدثنا ابن أبي غَنِيَّة ، ^(٢) عن الحكم عن سعيد بن جُبَيْر ، عن ابن عباس ، عن بُرَيْدَةَ قال : غزوت مع عليّ اليمنَ فرأيت منه جَفَوَةً ، فلما قَدِمَت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ذَكَرْتُ عليّاً فتنَقَّصْتُهُ فرأيت وجهه

رسول الله يتغير، فقال : « يا بريدة أَلَسْتُ أَوَّلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ؟ قلت : بلى يا رسول الله . قال : « من كنت مَوْلَاهُ فعلىَّ مَوْلَاهُ » .

وكذا رواه النسائي عن أبي داود الحراني ، عن أبي نعيم الفضل بن دُكَيْن ، عن عبد الملك بن أبي غنينة بإسناده نحوه . .
وهذا إسناد جيد قوى رجاله كلهم ثقات .

وقد روى النسائي في سننه ، عن محمد بن المنثني ، عن يحيى بن حماد ، عن أبي معاوية ، عن الأعمش ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن أبي الطفيل ، عن زيد بن أرقم ، قال : لما رجع رسول الله من حجة الوداع ونزل غدير خمَّ أمر بدُّوحات فُقِمْنَ^(١) ثم قال : « كَأَنِّي قَدْ دُعِيتُ فَأُجِبْتُ ، إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ : كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما ، فإنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض » .

ثم قال : « الله مولاي وأنا وليُّ كل مؤمن » ثم ثم أخذ بيد عليَّ فقال : « من كنت مَوْلَاهُ فهذا وثيقه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه » .

فقلت لزيد : سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : ما كان في الدُّوحات أحداً إلا رآه بعينيه وسمعه بأذنيه .

تفرد به النسائي من هذا الوجه .

قال شيخنا أبو عبد الله الذهبي : وهذا حديث صحيح .

وقال ابن ماجه : حدثنا علي بن محمد ، أخبرنا أبو الحسين ، أنبأنا حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد بن جُدعان ، عن عدي بن ثابت ، عن البراء بن عازب ، قال : أقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع التي حج ، فنزل في الطريق ، فأمر الصلاة جامعة .

فأخذ بيد عليّ فقال : « أَلَسْتُ بِأُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ؟ قَالُوا : بَلَىٰ . قَالَ : أَلَسْتُ بِأُولَىٰ بِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ نَفْسِهِ ؟ قَالُوا : بَلَىٰ . قَالَ : فَمَهَذَا وَلِيُّيُّ مِنْ أَنَا مَوْلَاهُ ، اللَّهُمَّ وَالِّ مِنْ وَالَاهُ وَعَادِ مِنْ عَادَاهُ » .

وكذا رواه عبد الرزاق ، عن مَعْمَرٍ ، عن علي بن زيد بن جُدعان ، عن عدي عن البراء .

وقال الحافظ أبو يعلى الموصلى والحسن بن سفيان : حدثنا هُذَيْبَةُ ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد وأبي هارون ، عن عدي بن ثابت ، عن البراء ، قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع ، فلما أتينا على غدير خُتِمَ كَسِاحُ^(١) لرسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرتين ، ونودي في الناس الصلاة جامعة ، ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليّاً وأخذ بيده فأقامه عن يمينه فقال : « أَلَسْتُ أُولَىٰ بِكُلِّ أَمْرٍ مِنْ نَفْسِهِ ؟ قَالُوا : بَلَىٰ . قَالَ : فَإِنْ هَذَا مَوَلَايُ مِنْ أَنَا مَوْلَاهُ ، اللَّهُمَّ وَالِّ مِنْ وَالَاهُ وَعَادِ مِنْ عَادَاهُ » .

فلقيه عمرُ بن الخطاب فقال : هنيئاً لك ! أصبحتَ وأمسيتَ مَوَلَايُ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ !

ورواه ابن جرير ، عن أبي زُرْعَةَ ، عن موسى بن إسماعيل ، عن حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد ، وأبي هارون العَبْدِيُّ - وكلاهما ضعيف - عن عدي بن ثابت ، عن البراء بن عازب به .

وروى ابن جرير هذا الحديث من حديث موسى بن عثمان الحضرمي - وهو ضعيف جداً - عن أبي إسحاق السَّبَّيْعِيِّ ، عن البراء وزيد بن أرقم . قاله أعلم .

(١) كَسِاح : كَنَسَ

وقال الإمام أحمد : حدثنا ابن مُثَنَّى ، حدثنا عبد الملك ، عن أبي عبد الرحيم الكندي ، عن زاذان أبي عمر ، قال سمعت عليا بالرحبة وهو ينشد الناس من شهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم غدیر خُم وهو يقول ما قال ؟ قال : فقام اثنا عشر رجلا فشهدوا أنهم سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول : « من كنت مولاه فعلى مولاه » .

تفرد به أحمد ، وأبو عبد الرحيم هذا لا يعرف .

وقال عبد الله بن الإمام أحمد في مسند أبيه : حديث على بن حكيم الأزدي ، أخبرنا شريك ، عن أبي إسحاق ، عن سعيد بن وهب ، وعن زيد بن يُثَيع قال : نشد على الناس في الرحبة من سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوم غدیر خُم إلا قام .

قال : فقام من قبل سعيد ستة ومن قبل زيد ستة ، فشهدوا أنهم سمعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعلى يوم غدیر خُم : « أليس الله أولى بالمؤمنين من أنفسهم ؟ قالوا : بلى . قال : اللهم من كنت مولاه فعلى مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه » .

قال عبد الله : وحدثني على بن حكيم ، أخبرنا شريك ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو ذي أمر ، مثل حديث أبي إسحاق يعني عن سعيد وزيد . وزاد فيه : « وانصر من نصره واخذل من خذله » .

قال عبد الله : وحدثنا على ، حدثنا شريك ، عن الأعمش ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن أبي الطفيل ، عن زيد بن أرقم ، عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله .

وقال النسائي في كتاب « خصائص على » : حدثنا الحسين بن حرب ، حدثنا

الفضل بن موسى ، عن الأعمش ، عن أبي إسحاق ، عن سعيد بن وهب ، قال : قال عليّ في الرحبة : أنشد بالله رجلا سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم غدِير خُم يقول : « إن الله وليّ المؤمنين ، ومن كنت وليه فهذا وليه ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ، وانصر من نصره » .

وكذلك رواه شعبة عن أبي إسحاق وهذا إسناد جيد .

ورواه النسائي أيضا من حديث إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو ذى أمر ، قال نَشَد عليّ الناس بالرحبة ، فقام أناس فشهدوا أنهم سمعوا رسول الله يقول يوم غدِير خُم : « من كنت مولاه فإن عليا مولاه ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ، وأحب من أحبه ، وأبغض من أبغضه وانصر من نصره » .

ورواه ابن جرير ، عن أحمد بن منصور ، عن عبد الرزاق ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن زيد بن وهب وعبد خير ، عن عليّ .

وقد رواه ابن جرير عن أحمد بن منصور ، عن عبید الله بن موسى وهو شيعي ثقة ، عن مطر بن خليفة ، عن أبي إسحاق ، عن زيد بن وهب وزيد بن يُثَيِّع وعمرو ذى أمر ، أن عليا نَشَد الناس بالسكوفة . وذكر الحديث .

وقال عبد الله بن أحمد : حدثني عبد الله بن عمر القواريري ، حدثنا يونس بن أرقم ، حدثنا يزيد بن أبي زياد ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، شهدتُ عليّا في الرَّحْبَةِ يَنشُدُ النَّاسَ فقال : أنشد الله من سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم غدِير خُم يقول : « من كنت مولاه فعلى مولاه » لما قام فشهد .

قال عبد الرحمن : فقام اثنا عشر رجلا بدريا كأنى أنظر إلى أحدهم ، فقالوا : نشهد أنا سمعنا رسول الله يقول يوم غدِير خُم : « أَلَسْتُ أَوَّلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجِي

أُمهَاتُهُمْ؟ « قُلْنَا : بلى يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ : « مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلَىَّ مَوْلَاهُ ، اللَّهُمَّ وَالِ مِنْ وَالَاهُ ، وَعَادٍ مِنْ عَادَاهُ »

إِسْنَادٌ ضَعِيفٌ غَرِيبٌ .

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ : حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُنْصَرِّمٍ الْوَكَيْعِيُّ ، حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ الْحُبَابِ ، حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ عُقْبَةَ بْنِ ضِرَارِ الْقَيْسِيِّ ، أَنَبَانَا سِمَاكُ ، عَنْ عُبَيْدِ بْنِ الْوَلِيدِ الْقَيْسِيِّ ، قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي إِيْلَى لِحَدَّثَنِي أَنَّهُ شَهِدَ عَلِيًّا فِي الرَّحْبَةِ قَالَ : أَنْشَدَ اللَّهُ رَجُلًا سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَشَهِدَهُ يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍ إِلَّا قَامَ ، وَلَا يَقُومُ إِلَّا مَنْ قَدَرَاهُ . فَقَامَ اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا فَقَالُوا : قَدْ رَأَيْنَاهُ وَسَمِعْنَاهُ حَيْثُ أَخَذَ بِيَدِهِ يَقُولُ : « اللَّهُمَّ وَالِ مِنْ وَالَاهُ ، وَعَادٍ مِنْ عَادَاهُ ، وَانْصِرْ مِنْ نَصْرِهِ ، وَاخْذِلْ مِنْ خِذْلِهِ » فَقَامَ إِلَّا ثَلَاثَةٌ لَمْ يَقُومُوا فَدَعَا عَلَيْهِمْ فَأَصَابَتْهُمْ دَعْوَتُهُ .

وَرَوَى أَيْضًا عَنْ عَبْدِ الْأَعْلَى بْنِ عَامِرٍ الشَّعْبَانِيِّ وَغَيْرِهِ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى بِهِ .

وَقَالَ ابْنُ جُرَيْرٍ : حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مَنْصُورٍ ، حَدَّثَنَا أَبُو عَامِرٍ الْعَقَدِيُّ ، وَرَوَى ابْنُ أَبِي عَاصِمٍ ، عَنْ سُلَيْمَانَ الْعَلَلَانِيِّ ، عَنْ أَبِي عَامِرٍ الْعَقَدِيِّ ، حَدَّثَنَا كَثِيرُ بْنُ زَيْدٍ ، حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ عَلِيٍّ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ عَلِيٍّ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ حَضَرَ الشَّجْرَةَ بِخُمٍ . فَذَكَرَ الْحَدِيثَ وَفِيهِ : مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَإِنْ عَلِيًّا مَوْلَاهُ .

وَقَدْ رَوَاهُ بَعْضُهُمْ عَنْ أَبِي عَامِرٍ ، عَنْ كَثِيرٍ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَلِيٍّ ، عَنْ عَلِيٍّ مُنْقَطَعًا .

وَقَالَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَمْرٍو الْبَجَلِيُّ ، وَهُوَ ضَعِيفٌ ، عَنْ مِسْعَرٍ عَنْ طَلْحَةَ ، عَنْ مُصْرِفٍ عَنْ عَمْرِو بْنِ سَعْدٍ : أَنَّهُ شَهِدَ عَلِيًّا عَلَى الْمَنْبَرِ يَفَاشِدُ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ مَنْ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍ . فَقَامَ اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا مِنْهُمْ أَبُو هُرَيْرَةَ وَأَبُو سَعِيدٍ وَأَنْسُ بْنُ مَالِكٍ ، -

فشهدوا أنهم سمعوا رسول الله يقول : « من كنت مولاه فعلى مولاه ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه . »

وقد رواه عبيد الله بن موسى عن هانئ بن أيوب ، وهو ثقة ، عن طلحة ابن مصرف به .

وقال عبد الله بن أحمد : حدثني حجاج بن الشاعر ، حدثنا شعبة ، حدثنا نعيم بن حكيم ، حدثني أبو مريم ورجل من جلساء عليّ عن عليّ ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم غدِير خُم : « من كنت مولاه فعلى مولاه . » قال : فزاد الناس بعدُ : « وال من والاه ، وعاد من عاداه . »

روى أبو داود بهذا السند حديث الخدج .

وقال الإمام أحمد : حدثنا حسين بن محمد وأبو نعيم المعنى ، قالا : حدثنا قطن ، عن أبي الطفيل ، قال : جمع عليّ الناس في الرَّحْبَةِ - يعني رَحْبَةَ مسجد الكوفة - فقال : أنشد الله كلَّ من سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوم غدِير خُم ما سمع لما قام . فقام ناس كثير فشهدوا حين أخذ بيده فقال للناس : « أنعمون أنى أولى بالمؤمنين من أنفسهم ؟ قالوا : نعم يا رسول الله . قال : من كنت مولاه فعلى مولاه ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه . »

قال : فخرجتُ كأن في نفسي شيئاً ، فلقيت زيدَ بن أرقم . فقلت له : إني سمعت علياً يقول : كذا وكذا . قال : فما تُنكر؟ سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك له . هكذا ذكره الإمام أحمد في مسند زيد بن أرقم رضى الله عنه .

ورواه النسائي من حديث الأعمش ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن أبي الطفيل ، عن زيد بن أرقم به . وقد تقدم .

وأخرجه الترمذى عن بغداد ، عن غُنْدَر ، عن شعبة ، عن سلمة بن كهيل ، سمعت

أبا الطفيل يحدث عن أبي سريحة - أو زيد بن أرقم شكَّ شعبة - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من كنت مولاه فعلى مولاه .

ورواه ابن جرير عن أحمد بن حازم ، عن أبي نعيم ، عن كامل أبي العلاء ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن يحيى بن جعدة ، عن زيد بن أرقم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا أبو عوانة ، عن المغيرة ، عن أبي عبيد ، عن ميمون أبي عبد الله ، قال : قال زيد بن أرقم وأنا أسمع : نزلنا مع رسول الله منزلاً يقال له وادي خُم ، فأمَرَ بالصلاة فصلاًها بهَجِير .

قال : فخطبنا وأظَل رسول الله بثوب على شجرة ستره من الشمس . فقال : « أَلستم تعلمون - أو أَلستم تشهدون - أني أُوَلِّي بكل مؤمن من نفسه ، قالوا : بلى . قال : فمن كنت مولاه فإن علياً مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه » .

ثم رواه أحمد عن عُذَر عن شعبة ، عن ميمون أبي عبد الله ، عن زيد بن أرقم إلى قوله : من كنت مولاه فعلى مولاه قال ميمون : حدثني بعض القوم عن زيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه » .

وهذا إسناد جيد رجاله ثقات على شرط السنن ، وقد صحح الترمذى بهذا السند حديثاً في الرِّيْث .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن آدم ، حدثنا حنش بن الحارث بن لقيط الأشجعي ، عن رباح بن الحارث قال : جاء رهط إلى علي بالرحبة فقالوا : السلام عليك يا مولانا . قال : كيف أكون مولاكم وأنتم قوم عرب . قالوا : سمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم غدير خُم يقول : من كنت مولاه فهذا مولاه . قال رباح : فلما مضوا تبعهم فسألت : من هؤلاء ؟ قالوا : نفر من الأنصار منهم أبو أيوب الأنصاري .

وقال الإمام أحمد : حدثنا حنش ، عن رباح بن الحارث ، قال : رأيت قوما من الأنصار قدموا على عليّ في الرحبة فقال : من القوم ؟ فقالوا : مواليك يا أمير المؤمنين فذكر معناه .

هذا لفظه وهو من أفراده .

وقال ابن جرير : حدثنا أحمد بن عثمان أبو الجوزاء ، حدثنا محمد بن خالد بن عثمة ، حدثنا موسى بن يعقوب الزمعي ، وهو صدوق ، حدثني مهاجر بن مسمار ، عن عائشة بنت سعد ، سمعت أباها يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوم الجحفة : وأخذ بيد عليّ فخطب ثم قال : أيها الناس إني وليكم . قالوا : صدقت . فرفع يد عليّ فقال : هذا وليي والمؤدّي عني ، وإن الله موالى من والاه ، ومعادى من عاداه .

قال شيخنا الذهبي : وهذا حديث حسن غريب .

ثم رواه ابن جرير من حديث يعقوب بن جعفر بن أبي كبير ، عن مهاجر بن مسمار فذكر الحديث وأنه عليه السلام وقف حتى لحقه من بعده وأمر برد من كان تقدم ، فخطبهم الحديث .

وقال أبو جعفر بن جرير الطبري في الجزء الأول من كتاب « غدير خم » . قال شيخنا أبو عبد الله الذهبي : وجدته في نسخة مكتوبة عن ابن جرير - : حدثنا محمود بن عوف الطائي ، حدثنا عبيد الله بن موسى ، أنبأنا إسماعيل بن كشيظ ، عن جميل بن عمار ، عن سالم بن عبد الله بن عمر - قال ابن جرير : أحسبه قال : عن عمر وليس في كتابي - سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أخذ بيد عليّ [يقول] « من كنت مولاه فهذا مولاه ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه » .

وهذا حديث غريب . بل منكر وإسناده ضعيف قال البخاري في جميل بن عمار هذا فيه نظر .

وقال المطلب بن زياد ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، سمع جابر بن عبد الله يقول :
كفا بالبحفة بغدير خم نخرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم من خباء أو فسطاط ،
فأخذ بيد علي فقال : « من كنت مولاه فعليّ مولاه » .

قال شيخنا الذهبي : هذا حديث حسن . وقد رواه ابن لهيعة عن بكر بن سوادة وغيره ،
عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، عن جابر بنحوه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن آدم وابن أبي بكير ، قالا : حدثنا إسرائيل ،
عن أبي إسحاق ، عن حبشي بن جنادة . قال يحيى بن آدم : وكان قد شهد حجة
الوداع . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليّ مني وأنا منه ، ولا يؤدّي عنّي إلا
أنا أو عليّ .

وقال ابن أبي بكير : لا يقضى عنّي ديني إلا أنا أو عليّ .

وكذا رواه أحمد أيضا عن أبي أحمد الزبيري ، عن إسرائيل .

قال الإمام أحمد : وحدثناه الزبيري ، حدثنا شريك ، عن أبي إسحاق ، عن حبشي
ابن جنادة مثله . قال : فقلت لأبي إسحاق : أين سمعت منه ؟ قال : وقف علينا على فرس
في مجلسنا في جبانة السبيع .

وكذا رواه أحمد ، عن أسود بن عامر ، ويحيى بن آدم ، عن شريك ورواه الترمذي
عن إسماعيل بن موسى ، عن شريك ، وابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة وسويد بن
سعيد وإسماعيل بن موسى ، ثلاثهم عن شريك به ورواه النسائي عن أحمد بن سليمان ،
عن يحيى بن آدم ، عن إسرائيل به . وقال الترمذي : حسن صحيح غريب .

ورواه سليمان بن قرم - وهو متروك - عن أبي إسحاق ، عن حبشي بن جنادة ،
سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوم غدیر خم : « من كنت مولاه فعليّ مولاه ،

اللهم وال من والاه وعاد من عاداه . وذكر الحديث .

وقال الحافظ أبو يعلى الموصلى : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، أنبأنا شريك ، عن أبي يزيد الأزدي ، عن أبيه ، قال : دخل أبو هريرة المسجد فاجتمع الناس إليه فقام إليه شاب فقال : أنشدك بالله أسمعت رسول الله يقول : « من كنت مولاه فعلىّ مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه » قال : نعم .

ورواه ابن جرير عن أبي كريب ، عن شاذان ، عن شريك به . تابعه إدریس الأزدي ، عن أخيه أبي يزيد ، واسمه داود بن يزيد به . ورواه ابن جرير أيضاً من حديث إدریس وداود عن أبيهما عن أبي هريرة فذكره

فأما الحديث الذى رواه ضمرة عن ابن شوذب ، عن مطر الوراق ، عن شهر بن حوشب ، عن أبي هريرة ، قال لما أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيد علىّ قال : « من كنت مولاه فعلىّ مولاه » فأنزل الله عز وجل : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى » . قال أبو هريرة : وهو يوم غدیر خم ، من صام يوم ثمان عشرة من ذى الحجة كتب له صيام ستين شهراً .

فإنه حديث مُتَنَكَّر جداً ، بل كَذِب ، لمخالفته لما ثبت في الصحيحين عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أن هذه الآية نزلت في يوم الجمعة يوم عرفة ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم واقف بها . كما قدمنا .

وكذا قوله : « إن صيام يوم الثامن عشر من ذى الحجة وهو يوم غدیر خم يُعَدِّلُ صيامَ ستين شهراً » لا يصح ، لأنه قد ثبت ما معناه في الصحيح أن صيام شهر رمضان بعشرة أشهر ، فكيف يكون صيام يوم واحد يُعَدِّلُ ستين شهراً ؟ ! هذا باطل .

وقد قال شيخنا الحافظ أبو عبد الله الذهبي بعد إيراده هذا الحديث : هذا حديث مُنْكَرٌ جداً .

ورواه حبشون الخلال وأحمد بن عبد الله بن أحمد النُّيرى ، وهما صدوقان عن علي بن سميعة الرملى ، عن ضمرة . قال : ويروى هذا الحديث من حديث عمر بن الخطاب ومالك بن الحويرث وأنس بن مالك وأبي سعيد وغيرهم بأسانيد واهية .

قال : وصَدَّرَ الحديث متواترًا تَيَقَّنَ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قاله ، وأما : « اللهم وال من والاه » فزيادة قوية الإسناد . وأما هذا الصوم فليس بصحيح ، والله ما نزلت هذه الآية إلا يوم عرفة قبل غدیر خُمَ بأيام . والله تعالى أعلم .

وقال الطبراني : حدثنا علي بن إسحاق الوزير الأصبهاني ، حدثنا علي بن محمد المنقذی حدثنا محمد بن عمر بن علي المقدمي ، حدثنا علي بن محمد بن يوسف بن شبان بن مالك بن مسمع ، حدثنا سهل بن حنيف بن سهل بن مالك أخى كعب بن مالك ، عن أبيه عن جده ، قال : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة من حجة الوداع صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس إن أبا بكر لم يسؤنى قط ، فاعرفوا ذلك له . أيها الناس إني عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وطاحه والزبير وعبد الرحمن بن عوف والمهاجرين الأولين راضٍ ، فاعرفوا ذلك لهم .

أيها الناس احفظوني في أصحابي وأصهارى وأحبابى ، لا يطلبكم الله بمظلمة أحد منهم أيها الناس ارفعوا ألسنتكم عن المسلمين ، وإذا مات أحد منهم فقولوا فيه خيراً .

سنة إحدى عشرة من الهجرة

استهلت هذه السنة وقد استقرَّ الرِّكابُ الشريف النبوي بالمدينة النبوية المطهرة ،
مَرَجِعَهُ من حِجَّةِ الوداع .

وقد وقعت في هذه السنة أمور عِظَام ، من أَعْظَمِهَا خَطْباً وفاةُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكنه عليه السلام نقله الله عز وجل من هذه الدار الفانية إلى النعيم الأبدي في حِلَّةٍ عالية رفيعة ودرجة في الجنة لا أعلى منها ولا أَسْفَى كما قال تعالى : « وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى ، وَأَسْوَفُ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى » .

وذلك بعد ما أكمل أداء الرسالة التي أمره الله تعالى بإبلاغها ، ونصح أمته ودلهم على خير ما يعلمه لهم ، وحذَّروهم ونهاهم عما فيه مَضَرَّةٌ عليهم في دنياهم وأخراهم ، وقد قدَّمنا ما رواه صاحبنا الصحيح من حديث عمر بن الخطاب أنه قال : نزل قوله تعالى : « الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا » يوم الجمعة ورسول الله صلى الله عليه وسلم واقف بعرفة .

ورويانا من طريق جيد : أن عمر بن الخطاب حين نزلت هذه الآية بسكى ، فقيل : ما يسكيك ؟ فقال : إنه ليس بعد الكمال إلا النقصان . وكأنه استشعرَ وفاة النبي صلى الله عليه وسلم .

وقد أشار عليه السلام إلى ذلك فيما رواه مسلم من حديث ابن جُرَيْج ، عن أبي الزبير عن جابر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف عند جَمْرَةِ الْعَقَبَةِ وقال لنا : « خذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ ، فَلَعَلِّي لَا أَحِجُّ بَعْدَ عَامِي هَذَا » .

وقدَّمنا ما رواه الحفاظان أبو بكر البزار والبيهقي من حديث موسى بن عبيدة

الرَّبَذِي ، عن صَدَقَةِ بْنِ إِسَار ، عن ابن عمر ، قال : نزلت هذه السورة : « إذا جاء نصر الله والفتح » في أوْسط أيام التشريق ، فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه الوداع ، فأمر بِراحِلته القُصواء فِرَحَلَّت . ثم ذكر خطبته في ذلك اليوم كما تقدم .

وهكذا قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما لعمر بن الخطاب حين سأله عن تفسير هذه السورة بِمَحْضَر كثير من الصحابة ، ليريههم فضل ابن عباس وتقدمه وعلمه ، حين لآمه بعضهم على تقديمه وإجلالسه له مع مشايخ بدر ، فقال : إنه من حيث تعلمون . ثم سألهم وابنُ عباس حاضر عن تفسير هذه السورة : « إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا . فسبِّح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا » فقالوا : أمرنا إذا فُتِح لنا أن نَذكر الله ونُحمده ونستغفره .

فقال : ماتقول يا ابن عباس ؟ فقال هو أَجَلُ رسول الله صلى الله عليه وسلم نُعي إليه . فقال عمر : لا أعلم منها إلا ما تعلم .

وقد ذكرنا في تفسير هذه السورة ما يبدل على قول ابن عباس من وجوه ، وإن كان لا ينافي ما فسّر به الصحابة رضي الله عنهم .

وكذلك ما رواه الإمام أحمد ، حدثنا وكيع ، عن ابن أبي ذئب ، عن صالح مولى التَّوْأمة ، عن أبي هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حج بنسائه قال : « إنما هي هذه الحجة ثم الزمنَ ظهور الحُصَر » .

تفرد به أحمد من هذا الوجه . وقد رواه أبو داود في سننه من وجه آخر جيد .

والمقصود أن النفوس استشعرت بوفاته عليه السلام في هذه السنة .

ونحن نذكر ذلك ونورد ما روى فيما يتعلق به من الأحاديث والآثار .

وبالله المستعان .

ولقدَّم على ذلك ما ذكره الأئمة محمد بن إسحاق بن يسار وأبو جعفر بن جرير وأبو بكر البيهقي في هذا الموضع قبل الوفاة ، من تعداد حججه وغزواته وسراياه وكتبه ورسله إلى الملوك . فلنذكر ذلك ملخصاً مختصراً . ثم نتبعه بالوفاة .

ففي الصحيحين من حديث أبي إسحاق السَّبيعي عن زيد بن أرقم ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا تسع عشرة غزوة ، وحج بعد ما هاجر حجة الوداع ولم يحج بعدها .

قال أبو إسحاق : وواحدة بمكة .

كذا قال أبو إسحاق السَّبيعي . وقد قال زيد بن الحُبَاب ، عن سفيان الثوري ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه عن جابر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حج ثلاث حججات : حجتين قبل أن يهاجر ، وواحدة بعد ما هاجر معها عمرة ، وساق ستاً وثلاثين ^(١) بدنة وجاء على بتمامها من اليمن .

وقد قدَّمنا عن غير واحد من الصحابة منهم أنس بن مالك في الصحيحين أنه عليه السلام : اعتمر أربع عُمر : عمرة الحديبية ، وعمرة القضاء ، وعمرة الجعرانة ، والعمرة التي مع حجة الوداع .

وأما الغزوات فروى البخاري عن أبي عاصم النبيل ، عن يزيد بن أبي عبيد ، عن سلمة بن الأكوع . قال : غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع غزوات ومع زيد ابن حارثة تسع غزوات يؤمُّره علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وفي الصحيحين عن قتيبة ، عن حاتم بن إسماعيل ، عن زيد ، عن سلمة ، قال : غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع غزوات ، وفيما يبعث من البعوث تسع غزوات ، مرة علينا أبو بكر ومرة علينا أسامة بن زيد .

(١) الذي سبق أن ما ساقه الرسول معه من الهدى ست وستون .

وفي صحيح البخارى من حديث إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن البراء ، قال : غزا رسول الله خمس عشرة غزوة .

وفي الصحيحين من حديث شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن البراء : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا تسع عشرة غزوة وشهد معه منها سبع عشرة أولها العُشَيْرُ أو العُسَيْر .

وروى مسلم عن أحمد بن حنبل ، عن مُعْتَمِر ، عن كَهْمَس بن الحسن ، عن ابن بُرَيْدَة ، عن أبيه ، أنه غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ست عشرة غزوة .

وفي رواية لمسلم من طريق الحسين بن واقد ، عن عبد الله بن بُرَيْدَة ، عن أبيه ، أنه غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تسع عشرة غزوة قاتل منها في ثمان .

وفي رواية عنه بهذا الإسناد : وبعث أربعا وعشرين سَرِيَّةً ، قاتل يوم بدر وأحد والأحزاب والربيع وخيبر ومكة وحنين .

وفي صحيح مسلم من حديث أبي الزبير ، عن جابر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا إحدى وعشرين غزوة ، غزوت معه منها تسع عشرة غزوة ولم أشهد بديراً ولا أحداً مفعى أبى ، فلما قُتِلَ أبى يوم أحد لم أتخلف عن غزاة غزاها .

وقال عبد الرزاق : أنبأنا مُعَمَّر عن الزهري ، قال : سمعت سعيد بن المسيب يقول : غزا رسول الله ثمانى عشرة غزوة . قال : وسمعت مرة يقول : أربعا وعشرين غزوة ، فلا أدري أكان ذلك وهماً أو شيئاً سمعته بعد ذلك .

وقال قتادة : غزا رسول الله تسع عشرة قاتل في ثمان منها ، وبعث من البعوث أربعا وعشرين . لجميع غزواته وسراياه ثلاث وأربعون .

وقد ذكر عروة بن الزبير والزهري وموسى بن عُقبة ومحمد إسحاق بن يسار وغير واحد من أئمة هذا الشأن ، أنه عليه السلام قاتل يوم بدر في رمضان من سنة اثنتين ، ثم في أحد في شوال سنة ثلاث ، ثم الخندق وبني قريظة في شوال أيضاً من سنة أربع وقيل :

خمس ، ثم في بني المصطلق بالمريسيع في شعبان سنة خمس ، ثم في خيبر في صفر سنة سبع وسبعم ، ثم في بني النضير سنة ست . والتحقق أنه في أول سنة سبع وآخر سنة ست ، ثم قاتل أهل مكة في رمضان سنة ثمان ، وقاتل هوازن وحاصر أهل الطائف في شوال وبعض ذي الحجة سنة ثمان كما تقدم تفصيله . وحج في سنة ثمان بالناس عتّاب بن أسيد نائب مكة ، ثم في سنة تسع أبو بكر الصديق ، ثم حج رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمسلمين سنة عشر .

وقال محمد بن إسحاق : وكان جميع ماغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه الكريمة سبعاً وثمانين غزوة : غزوة ودّان وهي غزوة الأَبواء ، ثم غزوة بواط من ناحية رَضوى ، ثم غزوة المُشَيِّرة من بطن يَنْبُع ، ثم غزوة بدر الأولى يطلب كُرْزَ بن جابر ، ثم غزوة بدر المعظمى التي قتل الله فيها صناديد قريش ، ثم غزوة بني سليم حتى بلغ الكُدْر ، ثم غزوة السَّويق يطلب أبا سفيان بن حرب ، ثم غزوة غطفان وهي غزوة ذي أمْر ثم غزوة بَحْران معدن بالحجاز ، ثم غزوة أحد ، ثم خِراء الأسد ، ثم غزوة بني النضير ، ثم غزوة ذات الرِّقاع من نخل ، ثم غزوة بدر الآخرة ، ثم غزوة دُومة الجندل ، ثم غزوة الخندق ، ثم غزوة بني قريظة ، ثم غزوة بني الحِمْيان من هُدَيل ، ثم غزوة ذي قَرَد ، ثم غزوة بني المصطلق من خُزاعة ، ثم غزوة الحديبية لا يريد قتالا فصدّه المشركون ، ثم غزوة خيبر ، ثم عمرة القضاء ، ثم غزوة الفتح ، ثم غزوة حنين ، ثم غزوة الطائف ، ثم غزوة تبوك

قال ابن إسحاق : قاتل منها في تسع غزوات : غزوة بدر وأحد والخندق وقريظة والمصطلق وخيبر والفتح وحنين والطائف .

قلت : وقد تقدم ذلك كله مبسوطاً في أما كنهه بشواهد وأدلته . والله الحمد .

قال ابن إسحاق وكانت بعوثه عليه السلام وسراياه ثمانيا وثلاثين من بين بعث وسرية . ثم شرع رحمه الله في ذكر تفصيل ذلك .

وقد قدمنا ذلك كله أو أكثره مفصلا في مواضعه والله الحمد والمنة .

ولنذكر ما يخص ما ذكره ابن إسحاق : بعث عبيدة بن الحارث إلى أسفل ثنية ذي المروة ^(١) ثم بعث حمزة بن عبد المطلب إلى الساحل من ناحية العيص ، ومن الناس من يقدم هذا على بعث عبيدة كما تقدم فإله أعلم .

بعث سعد بن أبي وقاص إلى الخرار ، بعث عبد الله بن جحش إلى نخلة ، بعث زيد بن حارثة إلى القرادة ، بعث محمد بن مسلمة إلى كعب بن الأشرف ، بعث مرثد بن أبي مرثد إلى الرجيع ، بعث المنذر بن عمرو إلى بئر معونة ، بعث أبي عبيدة إلى ذي القصة ، بعث عمر بن الخطاب إلى تربة في أرض بني عامر ، بعث علي إلى اليمن .

بعث غالب بن عبد الله السكبي إلى الكديد فأصاب بني الملوّح ، وأغار عليهم في الليل فقتل طائفة منهم فاستاق نعمهم فجاء نفرهم في طلب النعم ، فلما اقتربوا حال بينهم واد من السيل ، وأسروا في مسيرهم هذا الحارث بن مالك بن البرصاء . وقد حرّر ابن إسحاق هذا هاهنا وقد تقدم بيانه .

بعث علي بن أبي طالب إلى أرض فدك ، بعث أبي العوّجاء السلمي إلى بني سليم أصيب هو وأصحابه ، بعث عكاشة إلى الغمرة ، بعث أبي سلمة بن عبد الأسد إلى قطن وهو ماء بنجد لبني أسد ، بعث محمد بن مسلمة إلى القرطاء من هوازن ، بعث بشير بن سعد إلى بني مرة بفدك ، وبعثه أيضا إلى ناحية حنين ، بعث زيد بن حارثة إلى الجؤوم من أرض بني سليم .

بعث زيد بن حارثة إلى جذام من أرض بني خُشين . قال ابن هشام : وهي من

(١) الأصل : ثنية المرة . وما أنبته عن ابن هشام ٦٠٩/٢ .

أرض حسنى . وكان سببها فيما ذكره ابن إسحاق وغيره : أن دحية بن خليفة لما رجع من عند قيصر وقد أبلغه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بدعوه إلى الله فأعطاه من عنده تحفاً وهدايا ، فلما بلغ واديا في أرض بني جذام يقال له شفار أغار عليه الهنيد بن عوص وابنه عوص بن الهنيد الصليعيان ، والضليع بطن من جذام ، فأخذوا مامعه فنفر حتى منهم قد أسلموا فاستنقذوا ما كان أخذ لدحية فردوه عليه .

فلما رجع دحية إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبره الخبر واستسقاء دم الهنيد وابنه عوص ، فبعث حينئذ زيد بن حارثة في جيش إليهم فساروا إليهم من ناحية الأولاج فأغار بالماقص من ناحية الحرة ، فجمعوا ما وجدوا من مال وناس وقتلوا الهنيد وابنه ورجلين من بني الأحنف ورجلا من بني خصيب .

فلما احتاز زيد أموالهم وذرائعهم اجتمع نفر منهم برفاعة بن زيد ، وكان قد جاءه كتاب من رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوه إلى الله ، فقرأه عليهم رفاعة فاستجاب له طائفة منهم ، ولم يكن زيد بن حارثة يعلم ذلك فركبوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة في ثلاثة أيام ، فأعطوه الكتاب فأمر بقراءته جهره على الناس ، ثم قال : رسول الله : كيف أصنع بالقتلى ؟ ثلاث مرات . فقال رجل منهم يقال له أبو زيد بن عمرو : أطلق لنا يا رسول الله من كان خيا ومن قتل فهو تحت قدمي هذه .

فبعث معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبي طالب ، فقال على : إن زيدا لا يطيعنى . فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه علامة ، فسار معهم على جل لهم فلقوا زيدا وجيشه ومعهم الأموال والذراير بفيقاء الفحاتين ، فسلمهم على جميع ما كان أخذ لهم لم يفتقدوا منه شيئا

بعث زيد بن حارثة أيضاً إلى بني فزارة بوادى القرى . فقتل طائفة من أصحابه وأرث^(١) هو من بين القتلى ، فلما رجع إلى الأيمن رأسه غسل من جنبه حتى يغزوه أيضاً ،

(١) جل جريحاً وبه رمق .

فلما استقبل من جراحه بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثانيا في جيش ، فقتلهم بوادي القرى ، وأسر أم قُرَيفة فاطمة بنت ربيعة بن بدر وكانت عند مالك بن حذيفة بن بدر ومعها ابنة لها ، فأمر زيد بن حارثة قيس بن المسحَر اليعمرى فقتل أم قرفة واستبقى ابنتها وكانت من بيت شرف يُضرب بأم قرفة المثل في عزها ، وكانت بذاتها مع سلمة بن الأكوع ، فاستوهبها منه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاه إياها ، فوهبها رسول الله لخاله حزن بن أبي وهب فولدت له ابنة عبد الرحمن .

بعث عبد الله بن رواحة إلى خيبر مرتين : إحداها التي أصاب فيها اليُسَيْر بن رزام ، وكان يجمع غطفان لغزو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبعث رسول الله عبد الله بن رواحة في نفر منهم عبد الله بن أنيس ، فقدموا عليه فلم يزلوا يرغبونه ليُقدموه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسار معهم فلما كانوا بالقرقرة على ستة أميال من خيبر ندم اليُسَيْر على مَسِيره ، ففطن له عبد الله بن أنيس - وهو يريد السيف - فضربه بالسيف فأنطن قدمه ، وضربه اليُسَيْر بمخَرش من شَوْحط في رأسه فأَمَّه ، ومال كل رجل من المسلمين على صاحبه من اليهود فقتله ، إلا رجلا واحداً أفلت على قدميه .

فلما قدم ابن أنيس تغل في رأسه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يَقِحْ جرحه ولم يؤذه .

قلت : وأظن البعث الآخر إلى خيبر لما بعثه عليه السلام خارصا على نخل خيبر . والله أعلم .

بعث عبد الله بن عتيك وأصحابه إلى خيبر فقتلوا أبا رافع اليهودي . بعث عبد الله بن أنيس إلى خالد بن سفيان بن نُدَيْج فقتله بعُرنة . وقد روى ابن إسحاق قصته هاهنا مطولة . وقد تقدم ذكرها في سنة خمس والله أعلم .

بعث زيد بن حارثة وجعفر وعبد الله بن رواحة إلى مؤتة من أرض الشام ، فأصيبوا

كما تقدم . بعث كعب بن عير إلى ذات أطلاح من أرض الشام ، فأصيبوا جميعاً أيضاً . بعث عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر إلى بنى العنبر من تميم فأغار عليهم ، فأصاب منهم أناساً ثم ركب وفدّهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في أسراهم فأعتقَ بعضاً وفدّى بعضاً .

بعث غالب بن عبد الله أيضاً إلى أرض بنى مرة فأصيب بها مرداس بن نهيك حليف لهم من الحُرقة من جهينة، قتله أسامة بن زيد ورجل من الأنصار أدركاه ، فلما شهرا السلاح قال : لا إله إلا الله . فلما رجعا لأمهما رسول الله صلى الله عليه وسلم أشدَّ اللوم ، فاعتذرا بأنه ما قال ذلك إلا تعوذاً من القتل . فقال لأسامة : هلاً شَقَقْتَ عن قلبه ؟ ! وجعل يقول لأسامة : من لك بلا إله إلا الله يوم القيامة ! قال أسامة : فما زال يكررها حتى لَوْدِدْتُ أن لم أكن أسلمت قبل ذلك . وقد تقدم الحديث بذلك .

بعث عمرو بن العاص إلى ذات السَّلاسل من أرض بنى عُذرة يستنفر العرب إلى الشام . وذلك أن أم العاص بن وائل كانت من بِلَى ، فلذلك بعث عمرًا يستنفرهم ليكون أنجعَ فيهم .

فلما وصل إلى ماء لهم يقال له السَّلسل خافهم ، فبعث يستمد رسول الله ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرّية فيهم أبو بكر وعمر وعليها أبو عبيدة بن الجراح ، فلما انتهوا إليه تأمّر عليهم كلهم عمرو وقال : إنما بُعثتم مدداً لى . فلم يمانعه أبو عبيدة لأنه كان رجلاً سهلاً ليناً هيناً عند أمر الدنيا ، فسلم له وانقاد معه ، فكان عمرو يصلى بهم كلهم ، ولهذا لما رجع قال : يا رسول الله أىّ الناس أحب إليك ؟ قال : عائشة . قال : فمن الرجال ؟ قال : أبوها .

بعث عبد الله بن أبي حَذرَد إلى بطن إضم ، وذلك قبل فتح مكة ، وفيها قصة مجلّم بن حثّامة . وقد تقدم مطولاً في سنة سبع . بعث ابن أبي حَذرَد أيضاً إلى الغابة .

بعث عبد الرحمن بن عوف إلى دومة الجندل .

قال محمد بن إسحاق : حدثني من لا أتهم ، عن عطاء بن أبي رباح ، قال : سمعت رجلاً من أهل البصرة يسأل عبد الله بن عمر بن الخطاب عن إرسال العمامة من خلف الرجل إذا اتمّ . قال : فقال عبد الله : أخبرك إن شاء الله عن ذلك . تعلم أني كنت عاشرَ عشرة رهط من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في مسجده ، أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعبد الرحمن بن عوف وابن مسعود ومعاذ بن جبل وحذيفة بن اليمان وأبو سعيد الخدري ، وأنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أقبل فتى من الأنصار فسلم على رسول الله ثم جلس ، فقال : يا رسول الله أي المؤمنين أفضل ؟ قال : أحسنهم خلقاً . قال : فأى المؤمنين أكيس ؟ قال : أكثرهم ذكر الموت وأحسنهم استعداداً له قبل أن ينزل به ، أولئك الأكياس . ثم سكت الفتى .

وأقبل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا معشر المهاجرين خمس خصال إذا نزلن بكم - وأعوذ بالله أن تدركوهن - إنه لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يُعْلَبوا عليها إلا ظهر فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا ، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسَّنين وشدة المؤنة وجور السلطان ، ولم يَنْقُصُوا الزكاة من أموالهم إلا مُنِعُوا الْقَطْرَ من السماء فلولوا البهائم مائطروا ، وما نقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سَلَطَ عليهم عدوا من غيرهم فأخذ بعض ما كان في أيديهم ، وما لم يحكم أئمتهم بكتاب الله ويجبروا فيما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم .

قال : ثم أمر عبد الرحمن بن عوف أن يتجهز لسرية بعثه عليها فأصبح وقد اتمّ بعمامة من كرايس سوداء ، فأدناه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نقضها ثم عتمه بها وأرسل من خلفه أربع أصابع أو نحواً من ذلك . ثم قال : هكذا يابن عوف فاعتم فإنه أحسن وأعرَف .

ثم أمر بلالا أن يدفع إليه اللواء ، فدفعه إليه فحمد الله وصلى على نفسه ثم قال :
خذه يا بن عوف ، اغزوا جميعا في سبيل الله فقاتلوا من كفر بالله لا تغلوا ولا تغدروا
ولا تمثّلوا ولا تقتلوا وليدًا ، فهذا عهد الله وسيرة نبيكم فيكم .

فأخذ عبد الرحمن بن عوف اللواء . قال : ابن هشام : فخرج إلى دومة الجندل .

بعث أبي عبيدة بن الجراح ، وكانوا قريبا من ثلاثمائة راكب إلى سيف البحر ،
وزوّده عليه السلام جرابا من تمر و [فيها] قصة العنبر وهي الحوت العظيم الذي دمره
البحر ، وأكلهم كلهم منه قريبا من شهر حتى سمّوا وتزودوا منه وشائقى أى شرايح ،
حتى رجعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأطعموه منه فأكل منه . كما تقدم
بذلك الحديث .

قال ابن هشام : وما لم يذكر ابن إسحاق من البعوث - يعنى هاهنا - بعث
عمرو بن أمية الضمّرى لقتل أبي سفيان صخر بن حرب بعد مقتل خبيب بن عدى
وأصحابه ، فكان من أمره ما قدمناه .

وكان مع عمرو بن أمية جبار بن صخر ولم يتفق لهما قتل أبي سفيان بل قتل رجلا
غيره وأنزلا خبيبا عن جذعه .

وبعث سالم بن عمير أحد البكّائين إلى أبي عَفَك ، أحد بنى عمرو بن عوف وكان
قد نجّم نفاقه حين قتل رسول الله الحارث بن سويد بن الصامت كما تقدم . فقال يرثيه ويذم
- قبحه الله - الدخول في الدين :

لقد عشتُ دهرًا وما إن أرى	من الناس دارًا ولا نجمة
أبرَّهم —ودًا وأوفى لمن	يع —اقد فيهم إذا مادعا
من أولاد قَيْـلة في جمعهم	يه —دُ الجبال ولم يخضعا

فَصَدَّعَهُمْ رَاكِبٌ جَاءَهُمْ حَالَالٌ حَرَامٌ لَشَقَى مَعَا
فَلَوْ أَنَّ بِالْعَزِّزِ صَدَقْتُمْ أَوْ الْمَلِكِ تَابَعْتُمْ تَبَعًا

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَنْ لِي بِهَذَا الْخَبِيثِ ؟ فَانْتَدَبَ لَهُ سَالِمُ بْنُ عُمَيْرٍ
هَذَا فَقَتَلَهُ ، فَقَالَتْ أُمَامَةُ الْمُرَيْدِيَّةُ فِي ذَلِكَ :

تُكَذِّبُ دِينَ اللَّهِ وَالْمَرْءَ أَحْمَدًا لِعَمْرٍو الَّذِي أَمْنَاكَ بُئْسَ الَّذِي يُمْنِي
حَبَاكَ حَنِيفٌ آخَرَ اللَّيْلِ طَعْنَةً أَبَا عَفْكَ خَذَهَا عَلَى كِبَرِ السِّنِّ

وَبَعَثَ عُمَيْرُ بْنُ عَدِيٍّ الْخَطْمِيَّ لِقَتْلِ الْعَصْمَاءِ بِنْتِ مَرْوَانَ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ بْنِ زَيْدٍ ،
كَانَتْ تَهْجُو الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ ، وَلَمَّا قُتِلَ أَبُو عَفْكَ الْمَذْكُورُ أَظْهَرَتْ النِّفَاقَ وَقَالَتْ
فِي ذَلِكَ :

بَاسَتْ بَنِي مَالِكٍ وَالنَّبِيتِ وَعُوفٌ وَبَاسَتْ بَنِي الْخَزْرَجِ
أَطْعَمَ أَتَاوِيًّا مِنْ غَيْرِكُمْ فَلَا مِنْ مُرَادٍ وَلَا مَذْهَجِ
تُرْجُونَهُ بَعْدَ قَتْلِ الرَّءُوسِ كَمَا يَرْتَجِي وَرَقَ الْمُنْضَجِ
أَلَا أَنْفٌ يَبْتَنِي غِرَّةً فَيَقْطَعُ مِنْ أَمَلِ الْمُرْتَجِي

قَالَ : فَأَجَابَهَا حَسَانُ بْنُ ثَابِتٍ فَقَالَ :

بَنُو وَائِلٍ وَبَنُو وَاقِفٍ وَخَطْمَةُ دُونَ بَنِي الْخَزْرَجِ
مَتَى مَادَعْتَ سَفَهًا وَيَحِبُّهَا بُعُولَتَهَا وَالْمُنَايَا تَحِي
فَهَزَّتْ فَتَى مَا جَدَا عِرْقَهُ كَرِيمَ الْمِدَاخِلِ وَالْخَزْرَجِ
فَضَرَّجَهَا مِنْ نَجِيحِ الدِّمَا ، بُعِيدَ الْهَدَوِ فَلَمْ يَخْرَجِ

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ بَلَغَهُ ذَلِكَ : أَلَا آخِذٌ لِي مِنْ ابْنَةِ مَرْوَانَ ؟
فَسَمِعَ ذَلِكَ عُمَيْرُ بْنُ عَدِيٍّ ، فَلَمَّا أَمْسَى مِنْ تِلْكَ اللَّيْلَةِ سَرَى عَلَيْهَا فَقَتَلَهَا . ثُمَّ أَصْبَحَ فَقَالَ :

يارسول الله قتلها . فقال : نصرت الله ورسوله يا عمير . قال : يارسول الله هل على من شأنها ؟ قال : لانتطح فيها عتزان .

فرجع عمير إلى قومه وهم يختلفون في قتلها وكان لها خمسة بنون ، فقال : أنا قتلها فكيدوني جميعاً ثم لا تنظرون . فذلك أول يوم عز الإسلام في بني خَظْمة ، فأسلم منهم بشر كثير لما رأوا من عز الإسلام .

ثم ذكر البعث الذين أسروا ثَمَامَةَ بن أثال الحنفي ، وما كان من أمره في إسلامه . وقد تقدم ذلك في الأحاديث الصحاح .

وذكر ابن هشام أنه هو الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم : المؤمن يأكل في مِعى واحد والكافر يأكل في سبعة أمعاء . إما كان من قلة أكله بعد إسلامه ، وأنه لما انفصل عن المدينة دخل مكة معتمراً وهو يلبي ، فهاء أهل مكة عن ذلك فأبى عليهم وتوعدهم بقطع الميرة عنهم من اليمامة ، فلما عاد إلى اليمامة منعهم الميرة ، حتى كتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعادها إليهم . وقال بعض بني حنيفة :

ومنا الذي لبي بمكة محرماً يرغم أبي سفيان في الأشهر الحرم

وبعث علقمة بن مجرّز المذلجى ليأخذ بثأر أخيه وقّاص بن مجرّز يوم قُتل بذي قرد ، فاستأذن رسول الله ليرجع في آثار القوم ، فأذن له وأمره على طائفة من الناس ، فلما قفلوا أذن لطائفة منهم في التقدم واستعمل عليهم عبد الله بن حذافة وكانت فيه دُعابة ، فاستوقد ناراً وأمرهم أن يدخلوها ، فلما عزم بعضهم على الدخول قال : إنما كنت أضحك . فلما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم . قال : من أمركم بمعضية الله فلا تطيعوه .

والحديث في هذا ذكره ابن هشام عن الدَّرَاوَزْدِي ، عن محمد بن عمرو بن علقمة ، عن عمرو بن الحسك بن ثوبان ، عن أبي سعيد الخدري .

وبعث كُرْز بن جابر لقتل أولئك النفر الذين قدموا المدينة ، وكانوا من قيس من

بجيلة ، فاستوخموا المدينة واستوبؤوها فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخرجوا إلى إبله فيشربوا من أبوالها وألبانها ، فلما صَحَّوْا قتلوا راعيها وهو يسار مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذبحوه وغرزوا الشوك في عينيه ، واستاقوا اللقَّاح ، فبعث في آثارهم كرز بن جابر في نفر من الصحابة فجاءوا بأولئك النفر من بجيلة مرجعه عليه السلام من غزوة ذي قرد ، فأمر فقطعت أيديهم وأرجلهم وسُملت أعينهم .

وهؤلاء النفر إن كانوا هم المذكورين في حديث أنس المتفق عليه أن نفراً ثمانية من عُكَل أو عُرينة قدموا المدينة ، الحديث ، والظاهر أنهم هم ، فقد تقدم قصتهم مطولة ، وإن كانوا غيرهم فهذا قد أوردنا عيون ما ذكره ابن هشام . والله أعلم .

قال ابن هشام : وغزوة علي بن أبي طالب التي غزاها مرتين . قال أبو عمرو المدني : بعث رسول الله علياً إلى اليمن وخالداً في جند آخر . وقال إن اجتمعتم فلا أمير على بن أبي طالب .

قال : وقد ذكر ابن إسحاق بعث خالد ، ولم يذكره في عدد البسوث والسرايا فينبغي أن تكون العدة في قوله تسعا وثلاثين .

قال ابن إسحاق : وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد بن حارثة إلى الشام ، وأمره أن يوطئ الخيل تخوم البلقاء والدَّاروم من أرض فلسطين ، فتجهز الناس وأوعب مع أسامة المهاجرون الأولون .

قال ابن هشام : وهو آخر بعث بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال البخاري : حدثنا إسماعيل ، حدثنا مالك ، عن عبد الله بن دينار ، عن عبد الله بن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث بعثاً وأمر عليهم أسامة بن زيد ، فطعن الناس في إمارته ، فقام النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إن تطعنوا في إمارته فقد كنتم تطعنون في إمارة أبيه من قبل ، وإيم الله إن كان خليفاً للإمارة وإن كان لمن أحب الناس

إلى ، وإن هذا لمن أحب الناس إلىّ بعده .

ورواه الترمذى من حديث مالك . وقال حديث صحيح حسن .

وقد انتدب كثير من الكبار من المهاجرين الأولين والأنصار في جيشه ، فكان من أكبرهم عمر بن الخطاب . ومن قال إن أبا بكر كان فيهم فقد غلط ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتد به المرض وجيش أسامة مخيم بالجرف . وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر أن يصلى بالناس كما سيأتى . فكيف يكون في الجيش وهو إمام المسلمين بإذن الرسول من رب العالمين ، ولو فرض أنه كان قد انتدب معهم فقد استنفاه الشارع من بينهم بالنص عليه للإمامة في الصلاة التى هى أكبر أركان الإسلام ، ثم لما توفى عليه الصلاة والسلام استطلق الصديق من أسامة وعمر بن الخطاب فأذن له فى المقام عند الصديق ، ونفذ الصديق جيش أسامة .

فصل

في الآيات والأحاديث المنذرة بوفاة رسول الله ﷺ وكيف ابتدئ
رسول الله ﷺ بمرضه الذي مات فيه

قال الله تعالى : « إنك ميت وإنهم ميتون ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون »
وقال تعالى : « وما جعلنا لبشرٍ من قبلك الخلد أفإن ميت فهم الخالدون » . وقال تعالى :
« كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة ، فمن زُحِزَح عن النار وأُدْخِل
الجنة فقد فازَ وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور » .

وقال تعالى : « وما محمدٌ إلا رسول قد خلت من قبله الرسلُ ، أفإن مات أو قتل
انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضرَّ الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين » .
وهذه الآية هي التي تلاها الصديق يوم وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما سمعها الناس
كانهم لم يسمعوها قبل .

وقال تعالى : « إذا جاء نصرُ الله والفتحُ ، ورأيت الناسَ يَدْخُلون في دين الله أفواجا
فسبِّح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً » .

قال عمر بن الخطاب وابن عباس : هو أجلُّ رسول الله نعى إليه .

وقال ابن عمر : نزلت أوسط أيام التشريق في حجة الوداع ، فعرف رسول الله أنه
الوداع ، فخطب الناس خطبةً أمرهم فيها ونهاهم ، الخطبة المشهورة كما تقدم .

وقال جابر رأيت رسول الله يرمى الجمار فوقف وقال : « لِنَأْخُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ
فلعلِّي لا أحجّ بعد عامي هذا » .

وقال عليه السلام لابنته فاطمة كما سيأتي : « إن جبريل كان يعارضني بالقرآن في كل

سنة مرة ، وإنه عارضني به العام مرتين ، وما أرى ذلك إلا اقتراب أجلى » .
وفى صحيح البخارى من حديث أبى بكر بن عيَّاش عن أبى حُصَيْن ، عن أبى صالح ،
عن أبى هريرة ، قال : كان رسول الله يعتكف فى كل شهر رمضان عشرة أيام ، فلما كان
من العام الذى توفى فيه اعتكف عشرين يوماً ، وكان يُعرض عليه القرآن فى كل رمضان ،
فلما كان العام الذى توفى فيه عُرض عليه القرآن مرتين .

وقال محمد بن إسحاق رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من حجة الوداع فى ذى
الحجة ، فأقام بالمدينة بقيته والحرم وصغراً ، وبعث أسامة بن زيد .
فبينما الناس على ذلك ابتدئ رسول الله صلى الله عليه وسلم بشكواه الذى قبضه الله
فيه إلى ما أَراده الله من رحمته وكرامته فى ليال بقين من صفر أو فى أول شهر
ربيع الأول .

فكان أول ما ابتدئ به رسول الله من ذلك ، فيما ذكر لى ، أنه خرج إلى بقيع
الفرقد من جوف الليل فاستغفر لهم ، ثم رجع إلى أهله ، فلما أصبح ابتدئ بوجعه من
يومه ذلك .

قال ابن اسحاق : وحدثني عبد الله بن جعفر ، عن عبيد بن جُبَيْر مولى الحكم ، عن
عبد الله بن عمرو بن العاص ، عن أبى مُويهبة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
بعثنى رسول الله من جوف الليل فقال : يا أبا مويهبة إنى قد أشرت أن أستغفر لأهل هذا
البقيع فانطلق معى .

فانطلقت معه ، فلما وقف بين أظهرهم قال : السلام عليكم يا أهل المقابر ، لئن
لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه ، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يُتبع آخرها
أولها ، الآخرة شر من الأولى .

ثم أقبل على فقال : يا أبا مويهبة إني قد أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها
ثم الجنة ، فخبرت بين ذلك وبين لقاء ربي والجنة .

قال : قلت : بأبي أنت وأمي ! نأخذ مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ثم الجنة .

قال : لا والله يا أبا مويهبة لقد اخترت لقاء ربي والجنة .

ثم استغفر لأهل البقيع ، ثم انصرف فبدى برسول الله وجعه الذي قبضه الله فيه .
لم يخرج أحد من أصحاب الكتب . وإنما رواه أحمد عن يعقوب بن إبراهيم ، عن
أبيه ، عن محمد بن إسحاق به .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو النضر ، حدثنا الحكم بن فضيل ، حدثنا يعلى بن عطاء ،
عن عبيد بن جبير ، عن أبي مويهبة ، قال : أمر رسول الله أن يصلى على أهل البقيع ،
فصلى عليهم ثلاث مرات ، فلما كانت الثالثة قال : يا أبا مويهبة أشرح لي دابتي .

قال : فركب ومشيت حتى انتهى إليهم ، فنزل عن دابته وأمسكت الدابة فوقف .
أو قال - قام عليهم - فقال : ليهنكم ما أنتم فيه مما فيه الناس ، أنت الفتن كقطع الليل
المظلم يقع بعضها بعضا ، الآخرة أشد من الأولى ، فليهنكم ما أنتم فيه مما فيه الناس .

ثم رجع فقال : يا أبا مويهبة إني أعطيت ، أو قال : خبرت ، بين مفاتيح ما يفتح
على أمتي من بعدى والجنة أو لقاء ربي .

قال فقلت : بأبي أنت وأمي فاخترنا . قال : لأن ترد على عقبها ما شاء الله^(١) ، فاخترت
لقاء ربي .

فما لبث بعد ذلك إلا سبعا أو ثمانيا حتى قبض .

وقال عبد الرزاق عن معمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه ، قال : قال رسول الله
فُهِرْتُ بالرَّعْبِ وَأُعْطِيتُ الْخِزَانُ ، وَخُبِّرْتُ بَيْنَ أَنْ أَبْقَى حَتَّى أَرَى مَا يُفْتَحُ عَلَى أُمَّتِي
وَبَيْنَ التَّمَجُّيلِ ، فَاخْتَرْتُ التَّمَجُّيلَ .

(١) المعنى خشيته من فتنة أمته بالدنيا ، فلم يرض طول الإقامة فيها .

قال البيهقي : وهذا مرسل . وهو شاهد لحديث أبي مويهبة .

قال ابن إسحاق : وحدثني يعقوب بن عتبة ، عن الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله ابن عتبة ، عن ابن مسعود ، عن عائشة ، قالت : رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من البقيع فوجدني وأنا أجد صداعاً في رأسي وأنا أقول : واراأساه . فقال : بل أنا والله يا عائشة واراأساه . قالت : ثم قال : وماضرك لو ميتٌ قبلي فقامتُ عليك وكففتك وصليت عليك ودفتك ؟ قالت : قلت : والله لكأنني بك لو فعلت ذلك لقد رجعت إلى بيتي فأعرست فيه ببعض نساءك !

قالت : فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ونام به وجعه ، وهو يدور على نسائه حتى استعزَّ به في بيت ميمونة ، فدعا نساءه فاستأذنهن أن يمرَّض في بيتي فأذن له . قالت : ففرج رسول الله بين رجائين من أهله أحدهما الفضل بن عباس ورجل آخر عاصباً رأسه تحطُّ قدماه حتى دخل بيتي .

قال عبيد الله : فحدثت به ابن عباس فقال : أندري من الرجل الآخر ؟ هو علي بن أبي طالب .

وهذا الحديث له شواهد ستأتي قريباً .

وقال البيهقي : أنبأنا الحاكم ، أنبأنا الأصم ، أنبأنا أحمد بن عبد الجبار ، عن يونس ابن بكير ، عن محمد بن إسحاق ، حدثني يعقوب بن عتبة ، عن الزهري ، عن عبيد الله ابن عبد الله ، عن عائشة ، قالت : دخل علي رسول الله وهو يُصدع وأنا أشتكي رأسي ، فقلت : واراأساه . فقال : بل أنا والله يا عائشة واراأساه !

ثم قال : وما عليك لو ميتٌ قبلي فوليتُ أمرك وصليتُ عليك وواريتك ؟ فقلت :

والله إني لأحسب لو كان ذلك لقد خلوت ببعض نساءك في بيتي من آخر النهار ! فضحك رسول الله .

ثم تَمَادَى به وجعه فاستعزَّ^(١) به وهو يدور على نسائه في بيت ميمونة ، فاجتمع إليه أهله . فقال العباس : إنا لنرى برسول الله ذات الجنب فها هموا فأنلد^(٢) ، فلدَّوه ، فأفاق رسول الله . فقال : من فعل هذا ؟ فقالوا : عمك العباس تخوَّف أن يكون بك ذات الجنب . فقال رسول الله : إنها من الشيطان ، وما كان الله ليسلطه علىّ ، لا يبق في البيت أحد إلا لدَّتموه إلا عمي العباس . فلدَّ أهل البيت كلهم حتى ميمونة وإنها لصائمة وذلك بعين رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم استأذن أزواجه أن يمرض في بيتي ، فأذن له ، فخرج وهو بين العباس ورجل آخر - لم نسمه - تخطَّ قدماء بالأرض . قال عبيد الله : قال ابن عباس : الرجل الآخر على بن أبي طالب .

قال البخاري : حدثنا سعيد بن عُفَيْر ، حدثنا الليث ، حدثني عَقِيل ، عن ابن شهاب أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت : لما ثقل رسول الله واشتد به وجعه استأذن أزواجه أن يمرض في بيتي فأذن له ، فخرج وهو بين الرجلين تخط رجلاه الأرض بين عباس . قال ابن عبد المطلب : وبين رجل آخر .

قال عبيد الله : فأخبرت عبد الله - يعني ابن عباس - بالذي قالت عائشة . فقال لي عبد الله بن عباس : هل تدري من الرجل الآخر الذي لم تسم عائشة ؟ قال : قلت : لا . قال ابن عباس : هو عليّ .

فكانت عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم تحدِّث أن رسول الله لما دخل بيتي

(٢) اللد : صب الدواء بالمسقط في أحد شقي الفم .

(١) استعز : اشتد .

واشتد به وجهه . قال : هَرِّقُوا عَلَيَّ مِنْ سَبْعِ قَرَبٍ لَمْ تُحْمَلْ أَوْ كَيْتِهِنَّ ، لَعَلِّي أَعْبُدُ إِلَى النَّاسِ . فَأَجْلَسْنَاهُ فِي مَخْضَبٍ ^(١) لِحَفْصَةِ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ طَفَقْنَا نَصُبُهُ عَلَيْهِ مِنْ تِلْكَ الْقَرَبِ حَتَّى طَفِقَ يُشِيرُ إِلَيْنَا بِيَدِهِ أَنْ قَدْ فَعَلْتَن .

قالت عائشة : ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الدَّاسِ فَصَلَّى لَهُمْ وَخَطَبَهُمْ .

وقد رواه البخاري أيضاً في مواضع أخر من صحيحه ، ومسلم من طرق عن الزهري به .

وقال البخاري : حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ بِلَازٍ ، قَالَ هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ ، أَخْبَرَنِي أَبِي ، عَنْ عَائِشَةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَسْأَلُ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ : أَيْنَ أَنَا غَدًا ؟ أَيْنَ أَنَا غَدًا ؟ يَرِيدُ يَوْمَ عَائِشَةَ فَأَذِنَ لَهُ أَنْ يُزَاجَهُ أَنْ يَكُونَ حَيْثُ شَاءَ ، فَكَانَ فِي بَيْتِ عَائِشَةَ حَتَّى مَاتَ عِنْدَهَا .

قالت عائشة رضي الله عنها : فَمَاتَ فِي الْيَوْمِ الَّذِي كَانَ يَدُورُ عَلَيَّ فِيهِ فِي بَيْتِي ، وَقَبِضَهُ اللَّهُ وَإِنْ رَأْسَهُ لَبَيْنِ سَحْرَى ^(٢) وَنَحْرَى ، وَخَالَطَ رِيقَهُ رِيقِي .

قالت : وَدَخَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ وَمَعَهُ سَوَاكُ بَسْتَنُ بِهِ ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَقُلْتُ لَهُ : أَعْطَانِي هَذَا السَّوَاكُ يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ . فَأَعْطَانِيهِ فَقَضَيْتُمُوهُ ثُمَّ مَضَيْتُمُوهُ فَأَعْطَيْتُمُوهُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَاسْتَنَّ بِهِ وَهُوَ مُسْنَدٌ إِلَى صَدْرِي .

انفرد به البخاري من هذا الوجه .

وقال البخاري : أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَوْسُفَ ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ ، حَدَّثَنِي ابْنُ الْهَادِ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْقَاسِمِ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ عَائِشَةَ ، قَالَتْ : مَاتَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(١) المَخْضَبُ : الْمَرْكَنُ .

(٢) السَّحْرَى : الرَّثَةُ : تَرِيدُ الصَّدْرَ .

وإنه لبين حاقنتي^(١) وذافنتي ، فلا أكره شدة الموت لأحد أبدا بعد النبي صلى الله عليه وسلم .

وقال البخارى : حدثنا حبان ، أنبأنا عبد الله ، أنبأنا يونس ، عن ابن شهاب ، قال : أخبرني عروة ، أن عائشة أخبرته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا اشتكى نفث على نفسه بالمعوذات ومسح عنه يده ، فلما اشتكى وجعه الذى توفى فيه طفت أنفث عليه^(٢) بالمعوذات التى كان ينفث وأمسح بيد النبي صلى الله عليه وسلم عنه .
ورواه مسلم من حديث ابن وهب ، عن يونس بن يزيد الأيلي ، عن الزهرى به .
والفلاس ومسلم عن محمد بن حاتم كلهم .

[وثبت فى الصحيحين من حديث أبى عوانة ، عن فراس ، عن الشعبي ، عن مسروق ، عن عائشة قالت : اجتمع نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم عنده لم يغادر منهن امرأة ، فجاءت فاطمة تمشى لا تحطى مشيتها أبيها ، فقال : مرحبا بابنتي . فأقعداها عن يمينه أو شماله . ثم سارها بشيء فبكى ، ثم سارها فضحكت ، فقلت لها : خصك رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسرار وأنت تبكين !

فلما أن قامت قلت : أخبريني ما سارك . فقالت : ما كنت لأفشي سر رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلما توفى . قلت لها : أسألك لما لى عليك من الحق لما أخبرتيني . قالت : أما الآن فنع . قالت : سارنى فى الأول قل لى : إن جبريل كان يمارضى القرآن كل سنة مرة ، وقد عارضنى فى هذا العام مرتين ، ولا أرى ذلك إلا لاقتراب أجل ، فأتى الله واصبرى فنع السلف أنا لك . فبكيت . ثم سارنى فقال : أما ترضينى أن تسكونى سيدة نساء المؤمنين أو سيدة نساء هذه الأمة ؟ فضحكت .

(١) الحاقنة : ما بين الترقوتين . ولذاقنة : الذقن ، أو طرف الحلقوم .

(٢) صحيح البخارى ٢/٢٨٠ : على نفسه .

وله طرق عن عائشة ^(١) .

وقد روى البخارى عن على بن عبد الله والفلاس ، ومسلم بن محمد بن حاتم ، كلهم عن يحيى بن سعيد القطان ، عن سفيان الثورى ، عن موسى بن أبي عائشة ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن عائشة ، قالت : لدّنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مرضه فجعل يشير إلينا أن لا تلدّوني ، قلنا : كراهية المريض الدواء . قلنا أفاق قال : ألم أنحكم ألا تلدّوني ؟ قلنا : كراهية المريض الدواء . فقال : لا يبقى أحد فى البيت إلا لدّ وأنا أنظر إلا العباس فإنه لم يشهدكم .

قال البخارى : ورواه ابن أبي الزناد ، عن هشام ، عن أبيه ، عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم .

وقال البخارى : وقال يونس عن الزهرى قال عروة : قالت عائشة : كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول فى مرضه الذى مات فيه : يا عائشة ما أزال أجد ألم الطعام الذى أكلت بحجير ، فهذا أوان وجدت انقطاع أبهري من ذلك السم .
هكذا ذكره البخارى معلقا .

وقد أسنده الحافظ البيهقى عن الحاكم ، عن أبي بكر بن محمد بن أحمد بن يحيى الأشقر ، عن يوسف بن موسى ، عن أحمد بن صالح عن عتبسة ، عن يونس بن يزيد الأبلج ، عن الزهرى به .

وقال البيهقى : أنبأنا الحاكم ، أنبأنا الأصم ، أنبأنا أحمد بن عبد الجبار ، عن أبى معاوية عن الأعمش ، عن عبد الله بن مرة ، عن أبى الأخوص ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : لئن أحلف تسمعاً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قُتل قتلاً أحبُّ إلى من أن أحلف واحدة أنه لم يُقتل ، وذلك أن الله اتخذ نبياً واتخذ شهيداً .

(١) من ت .

وقال البخارى : حدثنا إسحاق ، أخبرنا بشر بن شعيب بن أبى حمزة ، حدثنى أبى ، عن الزهرى ، قال أخبرنى عبد الله بن كعب بن مالك الأنصارى ، وكان كعب بن مالك أحد الثلاثة الذين تيب عليهم ، أن عبد الله بن عباس أخبره أن على بن أبى طالب خرج من عند رسول الله فى وجهه الذى توفى فيه فقال الناس : يا أبا الحسن كيف أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : أصبح بحمد الله بارئاً .

فأخذ بيده عباس بن عبد المطلب فقال له : أنت والله بعد ثلاث عبدُ العصا ! وإنى والله لأرى رسول الله صلى الله عليه وسلم سوف يتوفى من وجهه هذا ، إنى لأعرف وجوه بنى عبد المطلب عند الموت ، اذهب بنا إلى رسول الله فلنسأله فيمن هذا الأمر ؟ إن كان فينا علمنا ذلك ، وإن كان فى غيرنا علمناه فأوصى بنا .

فقال على : إنا والله لئن سألناها رسول الله صلى الله عليه وسلم فمَنَعْنَاهَا لا يُعطيناها الناسُ بعده ، وإنى والله لأسألها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

انفرد به البخارى .

وقال البخارى : حدثنا قتيبة ، حدثنا سفيان ، عن سليمان الأحول ، عن سعيد بن جبير ، قال : قال ابن عباس : يوم الخميس وما يوم الخميس ! اشتد برسول الله صلى الله عليه وسلم وجهه . فقال : اثنونى أكتب لكم كتاباً لا تضلوا^(١) بعده أبداً .

فتنازعوا - ولا ينبغي عند نبى تنازع - فقالوا : ما شأنه أهجر^(٢) ؟ استفهموه ، فذهبوا يردون عنه ، فقال : دعونى فالذى أنا فيه خير مما تدعونى إليه . فأوصاهم بثلاث قال : أخرجوا المشركين من جزيرة العرب ، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم . وسكت عن الثالثة أو قال فنسيتها .

ورواه البخارى فى موضع آخر ، ومسلم من حديث سفيان بن عُيينة .

(١) البخارى : لن تضلوا .

(٢) هجر : اختلف كلامه بسبب المرض ، على سبيل الاستفهام ، أى هل تغير كلامه واختلط لأجل ما به من المرض . النهاية ٢/٢٥٥ . وفى الأصل : يهجر ، وما أثبتته عن صحيح البخارى ٢/٢٧٩ .

ثم قال البخارى : حدثنا على بن عبد الله ، حدثنا عبد الرزاق ، أنبأنا معمر ، عن الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس ، قال : لما حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي البيت رجال فقال النبي صلى الله عليه وسلم : هلموا أكتب لكم كتابا لاتضلوا بعده أبداً . فقال بعضهم : إن رسول الله قد غلبه الوجع وعندكم القرآن ، حسبننا كتاب الله .

فاختلف أهل البيت واختصموا ، فمنهم من يقول : قرّبوا يكتب لكم كتابا لاتضلوا بعده . ومنهم من يقول غير ذلك . فلما كثروا اللغو والاختلاف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قوموا .

قال عبيد الله : قال ابن عباس : إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب لاختلافهم ولعظهم .

ورواه مسلم عن محمد بن رافع ، وعبد بن حميد ، كلاهما عن عبد الرزاق بن معمر . وقد أخرجه البخارى فى مواضع من صحيحه من حديث معمر ويونس عن الزهري به .

وهذا الحديث مما قد توهم به بعض الأغبياء من أهل البدع من الشيعة وغيرهم ، كل مدّع أنه كان يريد أن يكتب فى ذلك الكتاب ما يرمون إليه من مقالاتهم ، وهذا هو التمسك بالمتشابه وترك المختلف .

وأهل السنة يأخذون بالمتشابه ويرثون ما تشابه إليه ، وهذه طريقة الراسخين فى العلم كما وصفهم الله عز وجل فى كتابه .

وهذا الموضع مما زلّ فيه أقدام كثير من أهل الضلالات ، وأما أهل السنة فليس لهم مذهب إلا اتباع الحق يدورون معه كيفما دار .

وهذا الذى كان يريد عليه الصلاة والسلام أن يكتبه قد جاء فى الأحاديث الصحيحة التصريح بكشف المراد منه .

فإنه قد قال الإمام أحمد : حدثنا مؤمل ، حدثنا نافع ، عن ابن عمرو ، حدثنا ابن أبي مُليكة ، عن عائشة ، قالت : لما كان وجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي قبض فيه قال : « ادعوا لي أبا بكر وابنه لكي لا يطعم في أمر أبي بكر طامع ولا يتمناه مُتمنٍ . ثم قال : يابى الله ذلك والمؤمنون » . مرتين .

قالت عائشة : فأبى الله ذلك والمؤمنون !

انفرد به أحمد من هذا الوجه .

وقال أحمد : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا عبد الرحمن بن أبي بكر القرشي ، عن ابن أبي مُليكة ، عن عائشة ، قالت : لما نُقِلَ رسول الله قال لعبد الرحمن بن أبي بكر : « ائتنى بكتف أو لوح حتى أكتب لأبي بكر كتابا لا يختلف عليه أحد » فلما ذهب عبد الرحمن ليقوم . قال : « يابى الله والمؤمنون أن يختلف عليك يا أبا بكر » .

انفرد به أحمد من هذا الوجه أيضاً .

وروى البخارى عن يحيى بن يحيى ، عن سليمان بن بلال ، عن يحيى بن سعيد ، عن القاسم بن محمد ، عن عائشة ، قالت قال رسول الله : « لقد هممت أن أرسل إلى أبي بكر وابنه فأعهد ، أن يقول القائلون أو يتمنى مُتمنون . فقال : يابى الله ، أو يدفع المؤمنون أو يدفع الله ويابى المؤمنون » .

وفي صحيح البخارى ومسلم من حديث إبراهيم بن سعد ، عن أبيه ، عن محمد بن جبير ابن مطعم ، عن أبيه ، قال : أتت امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمرها أن ترجع إليه . فقالت : رأيت إن جئتُ ولم أجِدْك ؟ كأنها تقول الموت . قال : « إن لم تجدني فأتِ أبا بكر » .

والظاهر والله أعلم أنها إنما قالت ذلك له عليه السلام في مرضه الذي مات فيه صلوات الله وسلامه عليه .

وقد خطب عليه الصلاة والسلام في يوم الخميس قبل أن يُقبض عليه السلام بخمسة أيام خطبة عظيمة بين فيها فضل الصديق من بين سائر الصحابة ، مع ما كان قد نص عليه أن يؤمّ الصحابة أجمعين . كما سيأتي بيانه مع حضورهم كلهم . ولعل خطبته هذه كانت عوضا عما أراد أن يكتبه في الكتاب .

وقد اغتسل عليه السلام بين يدي هذه الخطبة الكريمة فصبوا عليه من سبغ قَرَب لم تُخلل أوكيتهن ، وهذا من باب الاستشفاء بالسبغ ، كما وردت بها الأحاديث في غير هذا الموضع .

والمقصود أنه عليه السلام اغتسل ثم خرج فصلى بالناس ثم خطبهم . كما تقدم في حديث عائشة رضي الله عنها .

ذكر الأحاديث الواردة في ذلك

قال البيهقي : أنبأنا الحاكم ، أنبأنا الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبار ، عن يونس بن بُكير ، عن محمد بن إسحاق ، عن الزهري ، عن أيوب بن بشير ، أن رسول الله قال في مرضه : أفيضوا عليّ من سبغ قَرَب من سبع آبار شتى حتى أخرج فأعهد إلى الناس . ففعلوا ، فخرج فجلس على المنبر ، فكان أول ما ذكر بعد حمد الله والثناء عليه ذكر أصحاب أحد ، فاستغفر لهم ودعاهم ، ثم قال : يا معشر المهاجرين إنكم أصبحتم تزيدون والأنصار على هيئتها لا تزيد ، وإنهم غيبتى التي أويت إليها ، فأكرموا كريمهم وتجاوزوا عن مسيئتهم .

ثم قال عليه السلام : أيها الناس إن عبداً من عباد الله قد خيرّه الله بين الدنيا وبين ما عند الله فاختار ما عند الله .

فقههما أبو بكر رضي الله عنه من بين الناس فبكى وقال : بل نحن نفديك بأنفسنا

وأبائنا وأموالنا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : على رِسْلِكَ يَا أَبَا بَكْر ! انظروا إلى هذه الأبواب الشارعة في المسجد فُسِّدُوهَا إِلَّا مَا كَانَ مِنْ بَيْتِ أَبِي بَكْرٍ ، فَإِنِّي لَا أَعْلَمُ أَحَدًا عِنْدِي أَفْضَلَ فِي الصَّحْبَةِ مِنْهُ .

هذا مرسل له شواهد كثيرة . وقال الواقدي : حدثني قَرْوَةُ بْنُ زَبِيدٍ بْنُ طَوْسَا ، عَنْ عَائِشَةَ بِنْتِ سَعْدٍ ، عَنْ أُمِّ ذَرٍّ ، عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . قَالَتْ : خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ عَاصِبًا رَأْسَهُ بِمُخْرَقَةٍ ، فَلَمَّا اسْتَوَى عَلَى الْمَنْبَرِ تَحَدَّقَ النَّاسَ بِالْمَنْبَرِ وَاسْتَكْفَوُا ، فَقَالَ : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي لَقَائِمٌ عَلَى الْحَوْضِ السَّاعَةِ . ثُمَّ تَشَهَّدَ فَلَمَّا قَضَى تَشَهُدَهُ كَانَ أَوَّلَ مَا تَكَلَّمَ بِهِ أَنْ اسْتَغْفَرَ لِلشَّهْدَاءِ الَّذِينَ قُتِلُوا بِأَحَدٍ . ثُمَّ قَالَ : إِنْ عَبْدًا مِنْ عِبَادِ اللَّهِ خَيْرٌ بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَ اللَّهِ فَاخْتَارَ الْعَبْدَ مَا عِنْدَ اللَّهِ .

فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ فَمَجَّبْنَا لِبَكَائِهِ . وَقَالَ : يَا أَبِي وَأُمِّي ! نَفْدِيكَ يَا أَبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا وَأَنْفُسَنَا وَأَمْوَالَنَا . فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ الْخَيْرُ وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ أَعْلَمُنَا بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ يَقُولُ لَهُ : عَلَى رِسْلِكَ !

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو عامر ، حدثنا فُلَيْحٌ ، عَنْ سَالِمِ أَبِي النَّضْرِ ، عَنْ بَشْرِ بْنِ سَعِيدٍ ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ ، قَالَ : خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ النَّاسَ فَقَالَ : إِنْ اللَّهُ خَيْرٌ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ ، فَاخْتَارَ ذَلِكَ الْعَبْدَ مَا عِنْدَ اللَّهِ .

قال : فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ . قَالَ : فَمَجَّبْنَا لِبَكَائِهِ أَنْ يُخْبِرَ رَسُولُ اللَّهِ عَنْ عَبْدٍ ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ هُوَ الْخَيْرُ وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ أَعْلَمُنَا بِهِ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ : إِنْ أَمَّنَّ النَّاسُ عَلَى فِي صَحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبُو بَكْرٍ ، لَوْ كَفْتُ مَتَّخِذًا خَلِيلًا غَيْرَ رَبِّي لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا ، وَلَكِنْ خُلَّةَ الْإِسْلَامِ بِمَوَدَّتِهِ ، لَا يَبْقَى فِي الْمَسْجِدِ بَابٌ إِلَّا سُدَّ إِلَّا بَابُ أَبِي بَكْرٍ .

وهكذا رواه البخاري من حديث أبي عامر العقدي به .

ثم رواه الإمام أحمد عن يونس ، عن فُلَيْح ، عن سالم أبي النضر ، عن عبيد بن حنن وبشر بن سعيد ، عن أبي سعيد به .

وهكذا رواه البخاري ومسلم من حديث فليح ومالك بن أنس ، عن سالم عن بشر ابن سعيد وعبيد بن حنن ، كلاهما عن أبي سعيد بنحوه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو الوليد ، حدثنا هشام ، حدثنا أبو عوانة ، عن عبد الملك ، عن ابن أبي المعلّى ، عن أبيه ، أن رسول الله خطب يوماً فقال : إن رجلاً خيرهُ ربُّهُ بين أن يعيش في الدنيا ماشاء أن يعيش فيها يأكل من الدنيا ماشاء أن يأكل منها ، وبين لقاء ربّه فاختر لقاء ربّه .

فبكى أبو بكر ، فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا تعجبون من هذا الشيخ أن ذكر رسول الله رجلاً صالحاً خيرهُ ربّه بين البقاء في الدنيا^(١) وبين لقاء ربّه فاختر لقاء ربّه ! فكان أبو بكر أعلمهم بما قال رسول الله . فقال أبو بكر : بل نفديك بأموالنا وأبنائنا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مامن الناس أحد أمنّ علينا في صحبته وذات يده من ابن أبي قحافة ، ولو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت ابن أبي قحافة ، ولكن وُدَّ وإخاء وإيمان ، ولكن ود وإخاء وإيمان . مرتين وإن صاحبكم خليل الله عز وجل .

تفرد به أحمد . قالوا : وصوابه ابن سعيد بن المعلّى . قاله أعلم .

وقد روى الحافظ البيهقي من طريق إسحاق بن إبراهيم - هو ابن راهويه - حدثنا زكريا بن عدى ، حدثنا عبيد الله بن عمرو الرقي ، عن زيد بن أبي أنيسة ، عن عمرو بن مرة ، عن عبد الله بن الحارث حدثنا جندب ، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يتوفى بخمس وهو يقول : قد كان لى منكم إخوة وأصدقاء ، وإنى أبرأ إلى كل خليل من خلقه ، ولو كنت متخذاً من أمتى خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ، وإن ربى اتخذه

(١) : بين لقاء الدنيا .

خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا ، وإن قومك من كان قبلكم يتخذون قبور أنبيائهم وصلواتهم مساجد ، فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك .

وقد رواه مسلم في صحيحه عن إسحاق بن راهويه بنحوه .

وهذا اليوم الذي كان قبل وفاته عليه السلام بخمسة أيام هو يوم الخميس الذي ذكره ابن عباس فيما تقدم .

وقد روينا هذه الخطبة من طريق ابن عباس . قال الحافظ البيهقي : أنبأنا أبو الحسن علي بن محمد المقرئ ، أنبأنا الحسن بن محمد بن إسحاق ، حدثنا يوسف بن يعقوب - هو ابن عوانة الإسفراييني - قال : حدثنا محمد بن أبي بكر ، حدثنا وهب بن جرير ، حدثنا أبي ، سمعت يعلى بن حكيم يحدث عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : خرج النبي صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي مات فيه عاصبا رأسه بخزفة ، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : إنه ليس من الناس أحد آمنٌ عليَّ بنفسه وماله من أبي بكر ، ولو كنت متخذاً من الناس خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ، ولكن خُلة الإسلام أفضل ، سُدوا عني كل خوخة في المسجد غير خوخة أبي بكر .

رواه البخاري عن عبيد الله بن محمد الجعفي ، عن وهب بن جرير بن حازم ، عن أبيه به . وفي قوله عليه السلام : « سُدُّوا عَنِّي كُلَّ خَوْخَةٍ - يعني الأبواب الصغار - إلى المسجد غير خوخة أبي بكر » إشارة إلى الخلافة ، أي ليخرج منها إلى الصلاة بالمسلمين . وقد رواه البخاري أيضا من حديث عبد الرحمن بن سليمان بن حفص بن غثية ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أن رسول الله خرج في مرضه الذي مات فيه عاصبا رأسه بعصابة دَسَاءً ^(١) ملتحفاً بملحفة على منكبيه ، فجلس على المنبر فذكر الخطبة ، وذكر فيها الوصاة بالأنصار إلى أن قال : فكان آخر مجلس جلس فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قبض - يعني آخر خطبة خطبها عليه السلام .

(١) الدَسَاءُ : التي يضرب لونها إلى السواد .

وقد روى من وجه آخر عن ابن عباس بإسناد غريب ولفظ غريب .
 فقال البيهقي : أنبأنا علي بن أحمد بن عبدان ، أنبأنا أحمد بن عبيد الصغار ،
 حدثنا ابن أبي قماش وهو محمد بن عيسى ، حدثنا موسى بن إسماعيل أبو عمران الجبلي ،
 حدثنا معن بن عيسى القزاز ، عن الحارث بن عبد الملك بن عبد الله بن أناس الليثي ،
 عن القاسم بن يزيد بن عبد الله بن قسيط ، عن أبيه ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، عن
 الفضل بن عباس ، قال : أتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يوعك وعكا شديداً ،
 وقد عصب رأسه فقال : خذ يدي يا فضل . قال : فأخذت بيده حتى قعد على المنبر . ثم
 قال : نادِ في الناس يا فضل . فناديت : الصلاة جامعة .

قال : فاجتمعوا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيباً فقال : أما بعد ، أيها الناس
 إنه قد دنا مني خلوف من بين أظهركم ، ولن تروني في هذا المقام فيكم ، وقد كنت أرى
 أن غيره غير مُعْن عني حتى أقومه فيكم ، ألا فن كنت جلدت له ظهراً فهذا ظهري
 فليستَقِدْ ، ومن كنت أخذت له مالا فهذا مالي فليأخذ منه ، ومن كنت شتمت له عرضاً
 فهذا عرضي فليستَقِدْ ، ولا يقولن قائل : أخاف الشَّحْنَاء من قِبَل رسول الله ، ألا وإن
 الشَّحْنَاء ليست من شأني ولا من خلقي ، وإن أحبَّكم إليَّ من أخذ حقاً إن كان له علىَّ
 أو حلَّاني فليَقِمْ الله عز وجل وليس لأحد عندي مظالمه .

قال : فقام منهم رجل فقال : يا رسول الله لي عندك ثلاثة دراهم . فقال : أما
 أنا فلا أكذب قائلًا ولا مُستَحلفه على يمين ، فيم كانت لك عندي ؟ قال : أما تذكر
 أنه مرَّ بك سائل فأمرتني فأعطيته ثلاثة دراهم . قال : أعطيه يا فضل . قال : وأمر
 به فجلس .

قال : ثم عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم في مقالته الأولى . ثم قال : يا أيها الناس
 من عنده من الغُسلُول شيء فليردّه . فقام رجل فقال : يا رسول الله عندي ثلاثة

دراهم غلاتها في سبيل الله . قال : فلم غلاتها ؟ قال : كنت إليها محتاجا قال : خذها منه يا فضل .

ثم عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم في مقاتله الأولى وقال : يا أيها الناس من أحسن من نفسه شيئا فليقيم أدعو الله له .

فقام إليه رجل فقال : يا رسول الله إني لمناق وإني لكذوب وإني لنثوم . فقال عمر بن الخطاب : ويحك أيها الرجل ! لقد سترك الله لو سترت على نفسك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مه يا بن الخطاب فضوح الدنيا أهون من فضوح الآخرة ، اللهم ارزقه صدقا وإيمانا وأذهب عنه النوم إذا شاء .

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : عمر معي وأنا مع عمر والحق بعدى مع عمر .

وفي إسناده ومتنه غرابة شديدة .

ذكر أمره عليه السلام أبا بكر الصديق رضى الله عنه
أن يصلى بالصحابة أجمعين ، مع حضورهم كلهم ، وخروجه عليه السلام
فصلى وراءه مقتديا به فى بعض الصلوات على ما سنذكره
وإماماً له ولمن بعده من الصحابة

قال الإمام أحمد : حدثنا يعقوب ، حدثنا أبى ، عن ابن إسحاق ، قال : وقال ابن شهاب
الزهرى : حدثنى عبد الملك بن أبى بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، عن
أبيه ، عن عبد الله بن هشام ، عن أبيه ، عن عبد الله بن زَمْعَةَ بن الأسود بن المطلب بن
أسد ، قال : لما استعزَّ برَسُولِ اللَّهِ وأنا عنده فى نفر من المسلمين دعا بلالاً للصلاة فقال :
مروا من يصلى بالناس .

قال : فخرجت فإذا عمر فى الناس ، وكان أبو بكر غائبا فقلت : قم يا عمر فصلِّ
بالناس . قال : فلما كبرَ عمرُ سمع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم صوته ، وكان عمر
رجلا مُجَهراً فقال رسول الله : فأين أبو بكر ؟ يابى الله ذلك والمسلمون ، يابى الله
ذلك والمسلمون .

قال : فبعث إلى أبى بكر فجاء بعد ما صلى عمر تلك الصلاة فصلّى بالناس .
وقال عبد الله بن زَمْعَةَ : قال لى عمر : ويحك ماذا صنعت يا بن زَمْعَةَ ! والله ما ظننتُ
حين أمرتنى إلا أن رسولَ الله أمرنى بذلك ، ولولا ذلك ما صليت . قال : قلت : والله
ما أمرنى رسول الله ، ولكن حين لم أر أبا بكر رأيتك أحقَّ من حضر بالصلاة .
وهكذا رواه أبو داود من حديث ابن إسحاق ، حدثنى الزهرى . ورواه يونس

ابن بُكَيْرٍ ، عن ابن إسحاق ، حدثني يعقوب بن عتبة ، عن أبي بكر بن عبد الرحمن ، عن عبد الله بن زَمْعَةَ فذكره .

وقال أبو داود : حدثنا أحمد بن صالح ، حدثنا ابن أبي فُدَيْكٍ ، حدثنا موسى بن يعقوب ، عن عبد الرحمن بن إسحاق ، عن ابن شهاب ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، أن عبد الله بن زَمْعَةَ أخبره بهذا الخبر ، قال : لما سمع النبي صلى الله عليه وسلم صوت عمر . قال ابن زَمْعَةَ : خرج النبي صلى الله عليه وسلم حتى أطلع رأسه من حجرتِه ثم قال : لا ، لا ، لا يصلى للناس إلا ابن أبي قحافة . يقول ذلك مُغَضِّبًا .

وقال البخارى : حدثنا عمر بن حفص ، حدثنا أبي ، حدثنا الأعمش ، عن إبراهيم ، قال الأسود : كنا عند عائشة فذكرنا المواظبة على الصلاة والمواظبة لها . قالت : لما مرض النبي صلى الله عليه وسلم مرضه الذى مات فيه فحضرت الصلاة فأذن بلال ، فقال : مروا أبا بكر فليصل بالناس . فقيل له : إن أبا بكر رجل أسيِّف إذا قام مقامك لم يستطع أن يصلى بالناس ، وأعاد فعادوا له فأعاد الثالثة ، فقال : إنك صواحب يوسف ، مروا أبا بكر فليصل بالناس .

فخرج أبو بكر ، فوجد النبي صلى الله عليه وسلم في نفسه خِفةً فخرج يُهَادِي بين رجلين كأنى أنظر إلى رجليه تخطآن من الوجع ، فأراد أبو بكر أن يتأخر فأومأ إليه النبي صلى الله عليه وسلم أن مكانك . ثم أتى به حتى جلس إلى جنبه .

قيل للأعمش : فكان النبي صلى الله عليه وسلم يصلى وأبو بكر يصلى بصلاته والناس يصلون بصلاة أبي بكر ؟ فقال برأسه : نعم .

ثم قال البخارى : رواه أبو داود عن شعبة بعضه . وزاد أبو معاوية عن الأعمش : جلس عن يسار أبي بكر ، فكان أبو بكر يصلى قائماً .

وقد رواه البخارى فى غير ماموضع من كتابه ، ومسلم والنسائى وابن ماجه من طرق متعددة عن الأعشى به . منها ما رواه البخارى عن قتيبة ، ومسلم عن أبى بكر بن أبى شيبة ويحيى بن يحيى ، عن أبى معاوية به .

وقال البخارى . حدثنا عبد الله بن يوسف ، أنبأنا مالك ، عن هشام ابن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، أنها قالت : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال فى مرضه : مروا أبا بكر فليصل بالناس .

قال ابن شهاب : فأخبرنى عبيد الله بن عبد الله عن عائشة ، أنها قالت : لقد عاودتُ رسولَ الله فى ذلك وما حملنى على معاودته إلا أنى خشيت أن يتشاءم الناسُ بأبى بكر ، وإلا أنى علمت أنه لن يقوم مقامه أحد إلا تشاءم الناس به ، فأحببت أن يعدل ذلك رسول الله عن أبى بكر إلى غيره .

وفى صحيح مسلم من حديث عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الزهرى ، قال : وأخبرنى حمزة بن عبد الله بن عمر ، عن عائشة قالت : لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيتى . قال : مروا أبا بكر فليصل بالناس . قالت قلت : يا رسول الله : إن أبا بكر رجل رقيق إذا قرأ القرآن لا يملك دمه ، فلو أمرت غير أبى بكر ؟ قالت : والله ما بى إلا كراهية أن يتشاءم الناس بأول من يقوم فى مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قالت : فراجعته مرتين أو ثلاثا . فقال : ليصل بالناس أبو بكر فإنسكن صواحب يوسف .

وفى الصحيحين من حديث عبد الملك بن عمير ، عن أنى بُرْدَة ، عن أبى موسى ، عن أبيه ، قال : مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : مروا أبا بكر فليصل بالناس . فقالت عائشة : يا رسول الله إن أبا بكر رجل رقيق متى يقيم مقامك لا يستطيع يصلى

بالناس . قال : فقال : مروا أبا بكر يصل بالناس فإن كن صواحب يوسف . قال فصلى أبو بكر حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، أنبأنا زائدة ، عن موسى بن أبي عائشة ، عن عبيد الله بن عبد الله ، قال دخلتُ على عائشة فقلت : ألا تحدثيني عن مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقالت : بلى ، ثقل برسول الله صلى الله عليه وسلم وجمعه فقال : أصلى الناس ؟ قلنا لا ، هم ينتظرونك يا رسول الله . فقال : ضَمُّوا إلى ماء في المِخْضَب . ففعلنا . قالت : فاغتسل ثم ذهب لينوء ^(١) فأغشى عليه ، ثم أفاق فقال : أصلى الناس ؟ قلنا : لا هم ينتظرونك يا رسول الله . قال : ضَمُّوا إلى ماء في المِخْضَب . ففعلنا فاغتسل ثم ذهب لينوء فأغشى عليه ثم أفاق فقال : أصلى الناس ؟ قلنا : لا ، هم ينتظرونك يا رسول الله . قال : ضَمُّوا إلى ماء في المِخْضَب ، ففعلنا فاغتسل ثم ذهب لينوء فأغشى عليه ثم أفاق فقال : أصلى الناس ؟ قلنا : لا ، هم ينتظرونك يا رسول الله .

قالت : والناس عُكُوف في المسجد ينتظرون رسول الله صلى الله عليه وسلم لصلاة العشاء ، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي بكر بأن يصلى بالناس ، وكان أبو بكر رجلاً رقيقاً . فقال : يا عمر صل بالناس . فقال : أنت أحقُّ بذلك . فصلى بهم تلك الأيام .

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجد خفةً فخرج بين رجلين أحدهما العباس لصلاة الظهر ، فلما رآه أبو بكر ذهب ليتأخر فأومأ إليه أن لا يتأخر ، وأمرهما فأجلساه إلى جنبه ، فجعل أبو بكر يصلى قائماً ورسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى قاعداً .

قال عبيد الله : فدخلت على ابن عباس فقلت : ألا أعرض عليك ما حدثتني

(١) ينوء : ينهض .

عائشة عن مرض رسول الله ؟ قال : هات . فحدثته فما أنكر منه شيئا ، غير أنه قال : سمعت لك الرجل الذي كان مع العباس ؟ قلت : لا . قال : هو عليّ .

وقد رواه البخارى ومسلم جميعا عن أحمد بن يونس ، عن زائدة به . وفي رواية : فجعل أبو بكر يصلى بصلاة رسول الله . وهو قائم ، والناس يصلون بصلاة أبي بكر ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد .

قال البيهقي : ففي هذا أن النبي صلى الله عليه وسلم تقدم في هذه الصلاة وعلّق أبو بكر صلاته بصلاته .

قال : وكذلك رواه الأسود وعروة عن عائشة ، وكذلك رواه الأرقم بن شرحبيل عن ابن عباس .

يعنى بذلك ما رواه الامام أحمد : حدثنا يحيى بن زكريا بن أبي زائدة ، حدثني أبي ، عن أبي إسحاق ، عن الأرقم بن شرحبيل ، عن ابن عباس ، قال : لما مرض النبي صلى الله عليه وسلم أمر أبا بكر أن يصلى بالناس ، ثم وجد خفةً فخرج ، فلما أحسّ به أبو بكر أراد أن ينكص ، فأومأ إليه النبي صلى الله عليه وسلم ، فجلس إلى جنب أبي بكر عن يساره واستفتح من الآية التي انتهى إليها أبو بكر رضى الله عنه .

ثم رواه أيضا عن وكيع ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن أرقم ، عن ابن عباس بأطول من هذا .

وقال وكيع مرة : فكان أبو بكر يأتهم بالنبي صلى الله عليه وسلم والناس يأتون بأبي بكر .

ورواه ابن ماجه عن علي بن محمد ، عن وكيع ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن أرقم بن شرحبيل ، عن ابن عباس بنحوه .

وقد قال الإمام أحمد حدثنا شعبة بن سوار ، حدثنا شعبة ، عن نعيم بن أبي هند ،

عن أبي وائل ، عن مسروق ، عن عائشة قالت : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم خلف أبي بكر قاعداً في مرضه الذي مات فيه .

[وقد رواه الترمذى والنسائى من حديث شعبة ، وقال الترمذى : حسن صحيح ^(١)]

وقال أحمد : حدثنا بكر بن عيسى ، سمعت شعبة بن الحجاج ، عن نعيم بن أبي هند عن أبي وائل ، عن مسروق ، عن عائشة ، أن أبا بكر صلى بالناس ورسول الله صلى الله عليه وسلم في الصف .

وقال البيهقى : أخبرنا أبو الحسين بن الفضل القطَّان ، أنبأنا عبد الله بن جعفر ، أنبأنا يعقوب بن سفيان ، حدثنا مسلم بن إبراهيم ، حدثنا شعبة ، عن سليمان الأعمش ، عن إبراهيم ، عن الأسود ، عن عائشة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى خلف أبا بكر . وهذا إسناد جيد ولم يخرجوه .

قال البيهقى : وكذلك رواه حميد ، عن أنس بن مالك ، ويونس ، عن الحسن مرسلًا ، ثم أسند ذلك من طريق هُشَيْم ، أخبرنا يونس عن الحسن . قال هُشَيْم : وأنبأنا حميد ، عن أنس بن مالك ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج وأبو بكر يصلى بالناس فجلس إلى جنبه وهو في بُردة قد خالف بين طرفيها ، فصلى بصلاته .

قال البيهقى : وأخبرنا علي بن أحمد بن عبدان ، أنبأنا أحمد بن عبيد الصَّغَار ، حدثنا عبيد بن شريك ، أنبأنا ابن أبي مریم ، أنبأنا محمد بن جعفر ، أخبرني حميد أنه سمع أنسًا يقول : آخرُ صلاةٍ صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم مع القوم في ثوب واحد ملتحفًا به خلف أبي بكر .

قلت : وهذا إسناد جيد على شرط الصحيح ولم يخرجوه .

وهذا التقييد جيد بأنها آخر صلاة صلاها مع الناس ، صلوات الله وسلامه عليه .
وقد ذكر البيهقي من طريق سليمان بن بلال ويحيى بن أيوب ، عن حميد ، عن أنس ،
أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى خلف أبي بكر في ثوب واحد مخالفاً بين طرفيه ،
فلما أراد أن يقوم قال : ادع لى أسامة بن زيد . فجاء فأسند ظهره إلى نحره ، فكانت
آخر صلاة صلاها .

قال البيهقي : ففي هذا دلالة أن هذه الصلاة كانت صلاة الصبح من يوم الاثنين يوم
الوفاة لأنها آخر صلاة صلاها ، لما ثبت أنه توفي ضحى يوم الاثنين .
وهذا الذى قاله البيهقي أخذه مسلماً من مغازى موسى بن عُبَبة ، فإنه كذلك ذكر .
وكذا روى أبو الأسود عن عروة .

وذلك ضعيف ، بل هذه آخر صلاة صلاها مع القوم ، كما تقدم تقييده في الرواية
الأخرى ، والحديث واحد ، فيُحتمل مُطلقه على مُقيده .

نم لا يجوز أن تكون هذه صلاة الصبح من يوم الاثنين يوم الوفاة ، لأن تلك لم
يصلها مع الجماعة بل في بيته لما به من الضعف صلوات الله وسلامه عليه .

والدليل على ذلك ما قال البخارى في صحيحه : حدثنا أبو اليَمان ، أنبأنا شعيب ،
عن الزُّهرى ، أخبرنى أنس بن مالك ، وكان تَبِعَ النبيَّ صلى الله عليه وسلم وخدمه
وصَحْبِهِ ، أن أبا بكر كان يصلى لهم في وجع النبي صلى الله عليه وسلم الذى توفي فيه ، حتى
إذا كان يوم الاثنين وهم صُفوف في الصلاة فكشف النبي صلى الله عليه وسلم سِتْرَ الحِجْرَةِ
ينظر إلينا وهو قائم كأن وجهه ورقة مُصْحَفٌ ^(١) [نم ^(٢)] تَبَسَّمَ يضحك ، فهممنا أن نَقْتَن
من الفرح بروية النبي صلى الله عليه وسلم ، ونَكْصُ أبو بكر على عَقْبِيهِ لِيَصِلَ الصَّف .

(١) عبارة عن حسن البشرة وصفاء الوجه واستنارته .

(٢) من صحيح البخارى .

وظن أن النبي صلى الله عليه وسلم خارج إلى الصلاة ، فأشار إلينا صلى الله عليه وسلم أن
أقموا صلاتكم وأرخى الستر وتوفى من يومه صلى الله عليه وسلم .
وقد رواه مسلم من حديث سُفيان بن عُيينة وصبيح بن كيسان ومَعْمَر ، عن
الزهرى عن أنس .

ثم قال البخارى : حدثنا أبو مَعْمَر ، حدثنا عبد الوارث ، حدثنا عبد العزيز ، عن
أنس بن مالك ، قال : لم يخرج النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثاً ، فأقيمت الصلاة ، فذهب
أبو بكر يتقدم فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم ^(١) بالحجاب . فرفعه ، فلما وضح وجه النبي صلى الله
عليه وسلم ما نظرنا مَنْظراً كان أعجب إلينا من وجه النبي صلى الله عليه وسلم حين وَضَحَ لنا
فأومأ النبي صلى الله عليه وسلم بيده إلى أبي بكر أن يتقدم ، وأرخى النبي صلى الله عليه وسلم
الحجاب فلم يُقدَّر عليه حتى مات صلى الله عليه وسلم .
ورواه مسلم من حديث عبد الصمد بن عبد الوارث ، عن أبيه به .

فهذا أوضح دليل على أنه عليه السلام لم يصل يوم الاثنين صلاة الصبح مع الناس ،
وأنه كان قد انقطع عنهم لم يخرج إليهم ثلاثاً .

قلنا : فعلى هذا يكون آخر صلاة صلاها معهم الظهر ، كما جاء مصرحاً به فى حديث
عائشة المتقدم ويكون ذلك يوم الخميس لا يوم السبت ولا يوم الأحد ، كما حكاه البيهقى عن
مغازى موسى بن عقبة ، وهو ضعيف ، ولما قدمنا من خطبته بعدها ولأنه انقطع عنهم
يوم الجمعة ، والسبت ، والأحد ، وهذه ثلاثة أيام كوامل .

وقال الزهرى عن أبي بكر بن أبى سبرة ، أن أبا بكر صلى بهم سبع عشرة صلاة .
وقال غيره : عشرين صلاة . فالله أعلم .

ثم بدا لهم وجهه الكريم صبيحة يوم الاثنين فودَّعهم بنظرة كادوا يفتنون بها ، ثم
كان ذلك آخر عهد جمهورهم به ولسان حالهم يقول كما قال بعضهم :

(١) الأصل : فقال نبي الله عليكم بالحجاب . وما أثبتته عن البخارى ، وأراد من قال معنى فعل .

وكنت أرى كالموت من بين ساعة فكيف بين كان موعده الحشر !
والعجب أن الحافظ البيهقي أورد هذا الحديث من هاتين الطريقتين . ثم قال
ما حاصله : فلعله عليه السلام احتجب عنهم في أول ركعة ثم خرج في الركعة الثانية فصلى
خلف أبي بكر ، كما قاله عروة وموسى بن عقبة ، وخفي ذلك على أنس بن مالك أو أنه
ذكر بعض الخبر وسكت عن آخره .

وهذا الذى [ذكره] أيضا بعيد جداً ، لأن أنساً قال : فلم يقدر عليه حتى مات .
وفي رواية قال : فكان ذلك آخر العهد به . وقول الصحابي مقدم على قول التابعي .
والله أعلم .

* * *

والمقصود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدّم أبا بكر الصديق إماماً للصحابة كلهم
في الصلاة التي هي أكبر أركان الإسلام العملية .

قال الشيخ أبو الحسن الأشعري : وتقديمه له أمرٌ معلوم بالضرورة من
دين الإسلام .

قال : وتقديمه له دليل على أنه أعلم الصحابة وأقرؤهم ، لما ثبت في الخبر المتفق على
صحته بين العلماء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يؤم القوم أقرؤهم لكتاب
الله ، فإن كانوا في القراءة سواء فأعلمهم بالسنة ، فإن كانوا في السنة سواء فأكبرهم سناً ،
فإن كانوا في السن سواء فأقدمهم مُسليماً .

قلت : وهذا من كلام الأشعري رحمه الله مما ينبغي أن يكتب بماء الذهب . ثم قد
اجتمعت هذه الصفات كلها في الصديق رضى الله عنه وأرضاه .

وصلاة الرسول صلى الله عليه وسلم خلفه في بعض الصلوات ، كما قدمنا بذلك
الروايات الصحيحة ، لا ينافي ما روى في الصحيح أن أبا بكر ائتم به عليه السلام ، لأن

ذلك في صلاة أخرى ، كما نص على ذلك الشافعي وغيره من الأئمة رحمهم الله عز وجل .

فائدة : استدل مالك والشافعي وجماعة من العلماء ومنهم البخاري بصلاته عليه السلام قاعداً وأبو بكر مقتدياً به قائماً والناس بأبي بكر على نسخ قوله عليه السلام في الحديث المتفق عليه حين صلى ببعض أصحابه قاعداً ، وقد وقع عن فرس فيجش^(١) شقته فصلوا وراءه قياماً ، فأشار إليهم أن اجلسوا فلما انصرف قال : « كذلك والذي نفسي بيده تفعلون كفعل فارس والروم ، يقومون على عظمائهم وهم جلوس » . « وقال : إنما جعل الإمام ليؤتم به فإذا كبر فكبروا وإذا ركع فاركعوا وإذا رفع فارفعوا وإذا سجد فاسجدوا وإذا صلى جالساً فصلوا جلوساً أجمعون » .

قالوا : ثم إنه عليه السلام أمهم قاعداً وهم قيام في مرض الموت . فدل على نسخ ما تقدم والله أعلم .

وقد تنوعت مسائل الناس في الجواب عن هذا الاستدلال ، على وجوه كثيرة موضع ذكرها كتاب الأحكام السكبير إن شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان .
وملخص ذلك : أن من الناس من زعم أن الصحابة جلسوا لأمره المتقدم ، وإنما استمر أبو بكر قائماً لأجل التبليغ عنه صلى الله عليه وسلم .

ومن الناس من قال : بل كان أبو بكر هو الإمام في نفس الأمر ، كما صرح به بعض الرواة كما تقدم . وكان أبو بكر لشدة أدبه مع الرسول صلى الله عليه وسلم لا يُبادره بل يقتدى به ، فكان عليه السلام صانعاً لإمام الإمام ، فلذلك لم يجلسوا لاقتدائهم بأبي بكر وهو قائم ، ولم يجلس الصديق لأجل أنه إمام ولأنه يبلغهم عن النبي صلى الله عليه وسلم الحركات والسكنات والانتقالات . والله أعلم .

ومن الناس من قال : فَرَّقَ بين أن يبتدىء الصلاة خلف الإمام في حال القيام فيستمر فيها قائماً وإن طرأ جلوس الإمام في أثناءها، كما في هذه الحال ، وبين أن يبتدىء الصلاة خلف إمام جالس فيجب الجلوس للحديث المتقدم . والله أعلم .

ومن الناس من قال : هذا الصنيع والحديث المتقدم دليلٌ على جواز القيام والجلوس ، وأن كلا منهما سائغٌ جائز : الجلوس ، لما تقدم ، والقيام للفعل المتأخر . والله أعلم .

فصل

في كيفية احتضاره ووفاته عليه السلام

قال الإمام أحمد : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن إبراهيم التيمي ، عن الحارث بن سويد ، عن عبد الله ، هو ابن مسعود ، قال : دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يُوعَك فمَسَسْتُهُ . فقلت : يا رسول الله إنك اتُوعِكَ وَعَكًا شديداً . قال : أجل ، إني أوعك كما يوعك الرجلان منكم . قلت : إن لك أجرين . قال : « نعم ، والذي نفسي بيده ما على الأرض مسلم يصيبه أذى من مرض فمِساواه إلا حَطَّ الله عنه خطاياه كما تحطُّ الشجرة ورقها » .

وقد أخرجه البخاري ومسلم من طرق متعددة عن سليمان بن مهران الأعمش به . وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده : حدثنا إسحاق بن أبي إسرائيل ، حدثنا عبد الرزاق ، أنبأنا معمر ، عن زيد بن أسلم ، عن رجل ، عن أبي سعيد الخدري ،^(١) وضع يده على النبي صلى الله عليه وسلم فقال : والله ما أطيق أن أضع يدي عليك من شدة مُحَاكَ . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « إنا معشر الأنبياء يضاعف لنا البلاء كما يضاعف لنا الأجر ، إن كان النبي من الأنبياء لِيُبتلى بالقمل حتى يقتله ، وإن كان الرجل لِيُبتلى بالعُرَى حتى يأخذ العباءة فيجوبها^(٢) ، وإن كانوا ليفرحون بالبلاء كما يفرحون بالرخاء » .

فيه رجل مُبَهَم لا يعرف بالكَلْبِيَّة ، فالله أعلم .

وقد روى البخاري ومسلم من حديث سفيان الثوري وشعبة بن الحجاج ، زاد مسلم :

(٢) يجوبها : أي يجعل لها جباً فيلبسها .

(١) كذا ، ولعلها : أنه .

وجريز . ثلاثتهم عن الأعمش ، عن أبي وائل شقيق بن سلمة ، عن مسروق ، عن عائشة قالت : ما رأيت الوجع على أحد أشدَّ منه على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وفي صحيح البخارى من حديث يزيد بن الهاد ، عن عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه ، عن عائشة ، قالت : مات رسول الله صلى الله عليه وسلم بين حاقنتى وذاقنتى ، فلا أكره شدة الموت لأحد بعد النبي صلى الله عليه وسلم .

وفي الحديث الآخر الذى رواه [البخارى] فى صحيحه قال : قال رسول الله : « أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون ، ثم الأمتل فالأمتل ، يبتلى الرجل على حسب دينه ، فإن كان فى دينه صلابة شدد عليه فى البلاء » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يعقوب ، حدثنا أبى ، حدثنا محمد بن إسحاق ، حدثنى سعيد بن عبيد بن السباق ، عن محمد بن أسامة بن زيد ، عن أبيه أسامة بن زيد ، قال : لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم هبطت وهبط الناس معى إلى المدينة ، فدخلت على رسول الله وقد أضمت فلا يتكلم ، فجعل يرفع يديه إلى السماء ثم يصيئها^(١) على أعرف أنه يدعولى .

ورواه الترمذى عن أبى كريب ، عن يونس بن بكير ، عن ابن إسحاق ، وقال : حسن غريب .

وقال الإمام مالك فى موطأه عن إسماعيل بن أبى حكيم ، أنه سمع عمر بن عبد العزيز يقول : كان من آخر ما تكلم به رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قال : « قاتل الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ، لا يَبْقَيْنَ دينان بأرض العرب » .

هكذا رواه مرسلًا عن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رحمه الله .

وقد روى البخارى ومسلم من حديث الزهرى ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن عائشة وابن عباس ، قالوا : لما نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم طَفِقَ يَطْرَحُ خَمِيصَةً^(١) له على وجهه فإذا اغتمَّ كشفها عن وجهه . فقال وهو كذلك : « لعنةُ الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » يحذَر ما صنعوا .

وقال الحافظ البيهقي : أنبأنا أبو بكر بن أبي رجاء الأديب ، أنبأنا أبو العباس الأصم ، حدثنا أحمد بن عبد الجبار ، حدثنا أبو بكر بن عَيَّاش ، عن الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن جابر بن عبد الله ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قبل موته بثلاث : أحسنوا الظنَّ بالله .

وفى بعض الأحاديث كما رواه مسلم من حديث الأعمش ، عن أبي سفيان طلحة ابن نافع ، عن جابر ، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يموتن أحدكم إلا وهو حَسَنُ الظنِّ بالله تعالى » .

وفى الحديث الآخر يقول الله تعالى : « أنا عند ظنِّ عبدى بى فليظن بى خيراً » . وقال البيهقي : أنبأنا الحاكم ، حدثنا الأصم ، حدثنا محمد بن إسحاق الصَّغَانِى ، حدثنا أبو خَيمَةَ زُهَيْر بن حرب ، حدثنا جَرِير ، عن سليمان التيمي ، عن قتادة ، عن أنس ، قال : كانت عامة وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حضره الوفاة : « الصلاة وما ملكت أيمانكم » حتى جعل يُعَرِّغُ بها وما يُفْصِحُ بها لسانه .

وقد رواه النسائي عن إسحاق بن راهويه ، عن جرير بن عبد الحميد به ، وابن ماجه عن أبي الأشعث ، عن مُعْتَمِر بن سليمان ، عن أبيه به .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أسباط بن محمد ، حدثنا التيمي ، عن قتادة ، عن أنس ابن مالك ، قال : كانت عامة وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حضره الموت :

(١) الخميصة : كساء أسود مربع له علان .

الصلاة وما ملكت أيمانكم. حتى جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يفرغ بها صدره وما يكاد يفيض بها لسانه .

وقد رواه النسائي وابن ماجه من حديث سليمان بن طرخان ، وهو التميمي ، عن قتادة عن أنس به .

وفي رواية للنسائي عن قتادة ، عن صاحب له ، عن أنس به .

وقال أحمد : حدثنا بكر بن عيسى الراسبي ، حدثنا عمر بن الفضل ، عن نعيم بن يزيد ، عن علي بن أبي طالب ، قال : أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن آتيه بطبق يكتب فيه مالا تَصِلُ أمته من بعده . قال : خشيت أن تفوتني نفسه . قال : قلت : إني أحفظ وأعي . قال : أوصي بالصلاة والزكاة وما ملكت أيمانكم .
تفرد به أحمد من هذا الوجه .

وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا أبو النعمان محمد بن الفضيل^(١) ، حدثنا أبو عوانة ، عن قتادة ، عن سفيينة ، عن أم سلمة قالت : كان عامة وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم عند موته الصلاة وما ملكت أيمانكم حتى جعل يُلَجِّجُها في صدره وما يُفِيضُ بها لسانه .

وهكذا رواه النسائي عن حميد بن مسعدة ، عن يزيد بن زريع ، عن سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن سفيينة عن أم سلمة به .

قال البيهقي : والصحيح ما رواه عفان ، عن همام ، عن قتادة عن أبي الخليل ، عن سفيينة عن أم سلمة به .

وهكذا رواه النسائي أيضا وابن ماجه ، من حديث يزيد بن هارون ، عن همام ، عن قتادة ، عن صالح أبي الخليل ، عن سفيينة عن أم سلمة به .

وقد رواه النسائي أيضا عن قُتَيْبَةَ ، عن أَبِي عَوَانَةَ ، عن قَتَادَةَ ، عن سَفِينَةَ ، عن النبي صلى الله عليه وسلم فذكره . ثم رواه عن محمد بن عبد الله بن المبارك عن يونس بن محمد قال : حدثنا عن سَفِينَةَ فذكر نحوه .

وقال أحمد : حدثنا يونس ، حدثنا الليث ، عن زيد بن الهادِّ ، عن موسى بن مَرْجِسَ ، عن القاسم ، عن عائشة قالت : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يموت وعنده قَدَحٌ فيه ماء ، فيدخل يده في القدح ثم يمسح وجهه بالماء ثم يقول : اللهم أعِنِّي على سَكَرات الموت .

ورواه الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث الليث به . وقال الترمذي : غريب .

وقال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، عن إسماعيل ، عن مُصْعَبِ بن إِسْحَاقِ بن طلحة ، عن عائشة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : كَيْهَوْنٌ عَلَى أَنِّي رَأَيْتُ بَيَاضَ كَفِّ عَائِشَةَ فِي الْجَنَّةِ .

تفرد به أحمد وإسناده لا بأس به .

وهذا دليل على شدة محبته عليه السلام لعائشة رضي الله عنها .

وقد ذكر الناس معاني كثيرة في كثرة المحبة ولم يبلغ أحدٌهم هذا المبلغ ، وماذا ك إلا لأنهم يبالغون كلاما لا حقيقة له ، وهذا كلام حق لا تحالة ولا شك فيه .

وقال حماد بن زيد ، عن أيوب ، عن ابن أبي مُلَيْكَةَ قال : قالت عائشة : توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي وتوفي بين سَخْرَى وَنَحْرَى وكان جبريل يعوِّذه بدعاء إذا مرض ، فذهبت أعوده فرفع بصره إلى السماء وقال : في الرفيق الأعلى في الرفيق الأعلى .

ودخل عبد الرحمن بن أبي بكر ويده جريدة رطبة فنظر إليها فظننت أن له بها

حاجة ، قالت : فأخذتها فنفضتها فدفعتها إليه فاستنَّ بها أحسنَ ما كان مُستنَّاً ، ثم ذهب يُناولنيها فسقطت من يده . قالت : فجمع الله بين ربي وريقه في آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة .

ورواه البخارى عن سليمان بن حرب ، عن حماد بن زيد به .

وقال البيهقي : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرني أبو نصر أحمد بن سهل الفقيه ببخارى ، حدثنا صالح بن محمد الحافظ البغدادي ، حدثنا داود ، عن عمرو بن زهير الضبي ، حدثنا عيسى بن يونس ، عن عمر بن سعيد بن أبي حسين ، أنبأنا ابن أبي مُليكة ، أن أبا عمرو ذَكْوَانَ مولى عائشة أخبره أن عائشة كانت تقول : إن من نعمة الله على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي في يومى وفى بيتى وبين سحرى ونحرى وأن الله جمع بين ربي وريقه عند الموت .

قالت : دخل على أخى يسواك معه وأنا مُسندةٌ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم إلى صدرى ، فرأيتَه ينظر إليه . وقد عرفت أنه يحب السواك وبألفه . فقلت : آخذه لك ؟ فأشار برأسه : أن نعم . فليَنِّتْه له ، فأمره على فيه . قالت : وبين يديه رَكُوةٌ أو علبة فيها ماء ، فجعل يدخل يده فى الماء فيمسح بها وجهه . ثم يقول : لا إله إلا الله إن للموت لسكرات . ثم نَصَبَ إصبعه اليسرى وجعل يقول : فى الرفيق الأعلى فى الرفيق الأعلى . حتى قُبِضَ ومات يده فى الماء .

ورواه البخارى عن محمد بن عيسى بن يونس .

وقال أبو داود الطيالسى : حدثنا شعبة ، عن سعد بن إبراهيم ، سمعت عروة يحدث عن عائشة قالت : كنّا نحدِّث أن النبي لا يموت حتى يخبر بين الدنيا والآخرة .

قالت : فلما كان مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي مات فيه عرضت له بُحَّةٌ .
فسمعتة يقول : مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين
وحسُن أولئك رفيقا .

قالت عائشة : فظننا أنه كان يَحْيَى .

وأخرجاه من حديث شعبة به .

وقال الزهري : أخبرني سعيد بن المسيَّب وعروة بن الزبير في رجال من أهل العلم ،
أن عائشة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو صحيح : إنه لم يُقبض نبي
حتى يرى مقعده من الجنة ثم يَحْيَى . قالت عائشة : فلما نزل برسول الله صلى الله عليه
وسلم ورأسه على نخذي غُشى عليه ساعة ثم أفاق فأشخص بصره إلى سقف البيت .
وقال : اللهم الرفيق الأعلى . فعرفت أنه الحديث الذي كان حدثناه وهو صحيح ، أنه لم
يُقبض نبي قط حتى يرى مقعده من الجنة ثم يَحْيَى . قالت عائشة : فقلت : إذا لا يَحْتَارنا .
وقالت عائشة : كانت تلك الكلمة آخر كلمة تكلم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم
الرفيق الأعلى .

أخرجاه من غير وجه عن الزُّهري به . وقال سفيان - هو الثوري - عن إسماعيل
ابن أبي خالد ، عن أبي بُردة ، عن عائشة قالت : أُغْمِيَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو في حِجْرِي فجعلت أمسح وجهه وأدعو له بالشفاء . فقال : لا ، بل أسأل الله الرفيق
الأعلى الأسعد ، مع جبريل وميكائيل وإسرافيل .

رواه النسائي من حديث سفيان الثوري به .

وقال البيهقي : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ وغيره قالوا : حدثنا أبو العباس الأصم ،
حدثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، حدثنا أنس بن عِيَاض ، عن هشام بن عروة ،
عن هَبَّاد بن عبد الله بن الزبير ، أن عائشة أخبرته أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه

وسلم وأصغت إليه قبل أن يموت وهو مُسْتَقَدَّ إلى صدرها يقول : اللهم اغفر لي وارحمي
والحقني بالرفيق [الأعلى ^(١)] .

أخرجاه من حديث هشام بن عروة .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يعقوب ، حدثنا أبي ، عن ابن إسحاق ، حدثني يحيى
ابن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد ، سمعت عائشة تقول : مات رسول الله
صلى الله عليه وسلم بين سحري ونحري وفي دولتي ^(٢) ولم أظلم فيه أحداً ، فمن سَفَهَى وحدائنة
سَنَى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض وهو في حِجْرِي ثم وضعت رأسه على وسادة
وقمت أَلْتَدِم ^(٣) مع النساء وأضرب وجهي .

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن عبد الله بن الزبير ، حدثنا كثير بن زيد ، عن
المطلب بن عبد الله ، قال : قالت عائشة : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : مامن
نبي إلا تُقبض نفسه ثم يرى الثواب ثم تُردُّ إليه فيخبر بين أن تردَّ إليه وبين أن
يُلْحَق . فسكنت قد حَفَظْتُ ذلك منه فأبى لِمُسْنَدِهِ إلى صدرى فنظرت إليه
حين مالت عنقه فقلت : قد قُضِيَ . فعرفت الذي قال ، فنظرت إليه حين
ارتفع فنظر . قالت : قلت : إذا والله لا يَحْتَارُنَا . فقال : مع الرفيق الأعلى في
الجنة مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن
أُولَئِكَ رَفِيقًا .

تفرد به أحمد ولم يخرجوه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عفاة ، أنبأنا همام ، أنبأنا هشام بن عروة ،

(١) من ت (٢) دولتي : بيتي وسلطاني

(٣) أَلْتَدِم : أَلْطَم .

عن أبيه ، عن عائشة ، قالت قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأسه بين سحري وسحري .

قالت : فلما خرجت نفسه لم أجد ريحاً قط أطيب منها .

وهذا إسناد صحيح على شرط الصحيحين ولم يخرج به أحد من أصحاب الكتب الستة .

ورواه البيهقي من حديث حنبل بن إسحاق عن عفان . وقال البيهقي : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، أنبأنا أبو العباس الأصم ، حدثنا أحمد بن عبد الجبار ، حدثنا يونس ، عن أبي معشر ، عن محمد بن قيس ، عن أبي عروة ، عن أم سلمة قالت : وضعت يدي على صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم مات ، فررت لى جمع آكل وأتوضأ وما يذهب ريح المسك من يدي .

وقال أحمد : حدثنا عفان وبهرز قالوا : حدثنا سليمان بن المغيرة ، حدثنا حميد بن هلال ، عن أبي بردة ، قال : دخلت على عائشة فأخرجت إلينا إزاراً غليظاً مما يصنع باليمن وكساء من التي يدعون الملبدة فقالت : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض في هذين الثوبين .

وقد رواه الجماعة إلا النسائي من طرق ، عن حميد بن هلال به . وقال الترمذي : حسن صحيح .

وقال الإمام أحمد : حدثنا بهرز ، حدثنا حماد بن سلمة ، أنبأنا أبو عمران الجوني ، عن يزيد بن بابنوس ، قال : ذهبت أنا وصاحب لى إلى عائشة فاستأذنا عليها ، فألقت لنا وسادةً وجذبت إلينا الحجاب . فقال صاحبي : يا أم المؤمنين ما تقولين فى العراك ؟ قالت : وما العراك ؟ فضربت منكب صاحبي . قالت : مه آذيت أخاك . ثم قالت : ما العراك المحيض ؟ قولوا ما قال الله عز وجل فى المحيض . ثم قالت : كان رسول الله صلى الله عليه

وسلم يقوشحنى وينال من رأسى وبينى وبينه ثوب وأنا حائض .

ثم قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مر ببابى مما يلقى السكامة ينفعنى الله بها ، فمر ذات يوم فلم يقل شيئاً ثم مر فلم يقل شيئاً مرتين أو ثلاثاً . فقلت : يا جارية ضعى لى وسادة على الباب . وعصبت رأسى فمر بى . فقال : يا عائشة ما شأنك ؟ فقلت : أشتكى رأسى . فقال : أنا وارأساه .

فذهب فلم يلبث إلا يسيراً حتى جىء به محمولا فى كساء ، فدخل على وبعث إلى النساء فقال : إنى قد اشتكيت ، وإنى لا أستطيع أن أدور بينكن ، فأذن لى فلأ كن عند عائشة . فسكنت أمرضه ولم أمرض أحدا قبله ، فبينما رأسه ذات يوم على منكبى إذ مال رأسه نحو رأسى ، فظننت أنه يريد من رأسى حاجة فخرجت من فيه نطفة^(١) باردة ، ف وقعت على نَفْرَةٍ تَحْرَى فاقشعر لها جلدى فظننت أنه غشى عليه فسجّيته ثوبا .

فجاء عمر والمغيرة بن شعبة فاستأذنا فأذنت لهما وجذبت إلى الحجاب ، فنظر عمر إليه فقال : واغشياه ما أشدَّ غشى رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم قلما قلما دنوا من الباب قال المغيرة : يا عمر مات رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقلت : كذبت بل أنت رجل تحوسك^(٢) ففنة ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يموت حتى يفنى الله المنافقين .

قالت : ثم جاء أبو بكر فرفعت الحجاب فنظر إليه فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ! مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أتاه من قبل رأسه فحدر فاه فقبل جبهته ، ثم قال : وانبياه ! ثم رفع رأسه فحدر فاه وقبل جبهته ثم قال : واصفّياه . ثم رفع رأسه وحدر فاه وقبل جبهته وقال : واخليلاه مات رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وخرج إلى المسجد وعمر يحطّب الناس ويتكلم ويقول : إن رسول الله لا يموت حتى يفنى الله المنافقين .

(١) النطفة : الماء القليل . وفى الأصل : نقطة . وما أثبتته عن مسند أحد (٢) تحوسك : تتخلّك .

فكلم أبو بكر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : إن الله يقول : « إنك مَيِّتٌ وإنهم ميتون » حتى فرغ من الآية « وما محمدٌ إلا رسولٌ قد خلت من قبله الرُّسل أفإن مات أو قُتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه » . حتى فرغ من الآية .
ثم قال : فمن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ومن كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات .

فقال عمر : أو إنها في كتاب الله ؟ ما شعرت أنها في كتاب الله . ثم قال عمر : يا أيها الناس هذا أبو بكر وهو ذو شَيْبَةٍ^(١) المسلمين ، فبايعوه . فبايعوه .

وقد روى أبو داود والترمذى في الشمائل من حديث مرحوم بن عبد العزيز العطار ، عن أبي عمران الجوني به ببعضه .

وقال الحافظ البيهقي : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، أنبأنا أبو بكر بن إسحاق ، أخبرنا أحمد بن إبراهيم بن ملحان ، حدثنا يحيى بن بكير ، حدثنا الليث ، عن عقيل ، عن ابن شهاب ، أخبرني أبو سلمة ، عن عبد الرحمن ، أن عائشة أخبرته : أن أبا بكر أقبل على فرس من مسكنه بالسُّنْح^(٢) حتى نزل فدخل المسجد فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة فيمَّم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مسجى بُرْدَ حَبْرَةٍ ، فكشف عن وجهه ثم أكبَّ عليه فقبَّله ثم بكى . ثم قال : يا بى أنت وأُمى يا رسول الله ! والله لا يجمع الله عليك موتتين أبداً ، أما الموتة التي كُتبت عليك فقد مِتَّها .

قال الزهرى : وحدثني أبو سلمة ، عن ابن عباس ، أن أبا بكر خرج وعمر يكلم الناس . فقال : اجلس يا عمر . فأبى عمر أن يجلس . فقال : اجلس يا عمر . فأبى عمر أن يجلس . فتشهد أبو بكر فأقبل الناس إليه ، فقال : أما بعد ، فمن كان منكم يَعْبُدُ محمداً فإن محمداً قد

(١) ذو الشَّيْبَةِ : أقدمهم وأولاهم .

(٢) السُّنْح : موضع بعوالى المدينة .

مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ، قال الله تعالى : « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرُّسل أفإن مات أو قُتل انقلبتم على أعقابكم » الآية .

قال : فوالله لكان الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر ، فتلقاها منه الناس كلهم فما سُمع بشر من الناس إلا يتلوها .

قال الزهري : وأخبرني سعيد بن المسيب ، أن عمر قال : والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها فعرفت أنه الحق فعمِرت^(١) حتى ماتتُني رجلاى وحتى هَوِيت إلى الأرض وعرفت حين سمعته تلاها : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات .

ورواه البخارى عن يحيى بن بكير به

وروى الحافظ البيهقى من طريق ابن لهيعة ، حدثنا أبو الأسود ، عن عروة بن الزبير فى ذكر وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : وقام عمر بن الخطاب يخطب الناس ويتوَعَّد من قال مات بالقتل والقطع ويقول : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غَشِيَةٍ لو قد قام قَتَلَ وقطع . وعمر بن قيس بن زائدة بن الأصم بن أم مكتوم فى مؤخر المسجد يقرأ : « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرُّسل^(٢) » الآية والناس فى المسجد يبكون ويمُوجون لا يسمعون .

فخرج عباس بن عبد المطلب على الناس فقال : يا أيها الناس هل عند أحد منكم من عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وفاته فليحدثنا ؟ قالوا : لا . قال : هل عندك يا عمر من علم ؟ قال : لا . فقال العباس : اشهدوا أيها الناس أن أحداً لا يشهد على رسول الله بعهد عهده إليه فى وفاته ، والله الذى لا إله إلا هو لقد ذاق رسول الله صلى الله عليه وسلم الموت .

(١) عقر : خُفَّه الروح ، فايَتقدم ومايتأخر .

(٢) سورة آل عمران ١٤٤

قال : وأقبل أبو بكر رضى الله عنه من السُّنْح على دابته حتى نزل بباب المسجد ، وأقبل مكروباً حزيناً ، فاستأذن فى بيت ابنته عائشة فأذنت له ، فدخل ورسول الله صلى الله عليه وسلم قد توفى على الفراش والنسوة حوله نخمَّرن وجوههن واستترن من أبى بكر ، إلا ما كان من عائشة ، فكشف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فجنا عليه يقبله ويبكى ويقول : ليس مايقوله ابنُ الخطاب شيئاً ، توفى رسول الله والذى نفسى بيده ! رحمة الله عليك يا رسول الله ، ما أطيبك حياً وميتاً ! ثم غشاه بالثوب .

ثم خرج سريعا إلى المسجد يتخطى رقاب الناس حتى أتى المنبر ، وجلس عمر حين رأى أبا بكر مقبلا إليه ، وقام أبو بكر إلى جانب المنبر ونادى الناس ، فجلسوا وأنصتوا ، فتشهد أبو بكر بما علمه من التشهد ، وقال : إن الله عز وجل نعى نبيه إلى نفسه وهو حىُّ بين أظهركم ونعاكم إلى أنفسكم ، وهو الموت حتى لا يبقى منكم أحد إلا الله عز وجل ، قال تعالى : « وما محمد إلا رسولٌ قد خلت من قبله الرسل » الآية .

فقال عمر : هذه الآية فى القرآن ؟ والله ما علمت أن هذه الآية أنزلت قبل اليوم وقد قال الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم « إنك مَيِّت وإِهم مَيِّتون ^(١) » وقال الله تعالى : « كلُّ شئ هالك إلا وجهه له الحُكْم وإليه تُرجعون ^(٢) » ، وقال : « كلُّ مَنْ عليها فإن ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ^(٣) » وقال : « كلُّ نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة ^(٤) » .

وقال : إن الله عمر محمدأ صلى الله عليه وسلم وأبقاه حتى أقام دين الله وأظهر أمر الله وبلغ رسالة الله وجاهد فى سبيل الله ، ثم توفاه الله على ذلك وقد ترككم على الطريقة ، فلن يهلك هالك إلا من بعد البينة والشقاء ، فمن كان الله ربّه فإن الله حى لا يموت ،

ومن كان يعبد محمداً وينزله إلهاً فقد هلك إلهه . فاتقوا الله أيها الناس واعتصموا بدينكم وتوكلوا على ربكم ، فإن دين الله قائم وإن كلمة الله تامة وإن الله ناصرٌ من نصره ومعزٌ دينه ، وإن كتاب الله بين أظهرنا وهو النور والشفاء ، وبه هدى الله محمداً صلى الله عليه وسلم ، وفيه حلال الله وحرامه والله لا يُبالي من أجلب علينا من خلق الله ، إن سيوف الله لَمسلولة ما وضعناها بعد ، ولنجاهدن من خالفنا كما جاهدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلا يبين أحدٌ إلا على نفسه .

ثم انصرف معه المهاجرون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فذكر الحديث في غسله وتكفينه والصلاة عليه ودفنه .

قلت : كما سنذكره مفصلاً بدلائله وشواهد إن شاء الله تعالى .

وذكر الواقدي عن شيوخه . قالوا بولاسك في موت النبي صلى الله عليه وسلم . فقال بعضهم : مات . وقال بعضهم : لم يمِت ، وضعت أسماء بنت عميس يدها بين كتفي رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقالت : قد توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد رُفِع الخاتم من بين كتفيه . فكان هذا الذي قد عُرف به موته .

هكذا أورده الحافظ البيهقي في كتابه دلائل النبوة من طريق الواقدي ، وهو ضعيف وشيوخه لم يُسمون ثم هو منقطع بكل حال ومخالف لما صح وفيه غرابة شديدة وهو رفع الخاتم فالله أعلم بالصواب .

وقد ذكر الواقدي وغيره في الوفاة أخباراً كثيرة فيها نكارات وغرابة شديدة ، أضربنا عن أكثرها صفحاً لضعف أسانيدنا ونكارة متونها ، ولا سيما ما يورده كثير من القصاص المتأخرين وغيرهم فكثير منه موضوع لا محالة .

. وفي الأحاديث الصحيحة والحسنة المروية في الكتب المشهورة غنية عن الأكاذيب وما لا يُعرف سنده . والله أعلم .

فصل

في ذكر أمور مهمة وقعت بعد وفاته وقبل دفنه عليه السلام

ومن أعظمها وأجلها وأيمنها بركة على الإسلام وأهله بيعة أبي بكر الصديق رضي

الله عنه .

وذلك لأنه عليه الصلاة والسلام لما مات كان الصديق رضي الله عنه قد صلى بالمسلمين صلاة الصبح ، وكان إذ ذاك قد أفاق رسول الله صلى الله عليه وسلم إفاقة من غمرة ما كان فيه من الوجع ، وكشف ستر الحجرة ونظر إلى المسلمين وهم صفوف في الصلاة خلف أبي بكر ، فأعجبه ذلك وتبسم صلوات الله وسلامه عليه ، حتى هم المسلمون أن يتركوا ما هم فيه من الصلاة لفرحهم به ، حتى أراد أبو بكر أن يتأخر ليصلي الصف ، فأشار إليهم أن يمكنوا كما هم وأرخی الستارة ، وكان آخر العهد به عليه السلام .

فلما انصرف أبو بكر رضي الله عنه من الصلاة دخل عليه وقال لعائشة : ما أرى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا قد أقلع عنه من الوجع ، وهذا يوم بنت خارجة ، يعني إحدى زوجتيه ، وكانت ساكفة بالسُّنْح شرقى المدينة . فركب على فرس له وذهب إلى منزله .

وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اشتد الضُّحى من ذلك اليوم ، وقيل عند زوال الشمس . والله أعلم .

فلما مات واختلف الصحابة فيما بينهم ، فمن قائل يقول : مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن قائل : لم يم . فذهب سالم بن عُبَيْد وراء الصديق إلى السُّنْح فأعلمه بموت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجاء الصديق من منزله حين بلغه الخبر ، فدخل على رسول

الله صلى الله عليه وسلم منزله وكشف الغطاء عن وجهه وقبّله وتحقق أنه قد مات .
[ثم] خرج إلى الناس فخطبهم إلى جانب المنبر وبين لهم وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قدمنا ، وأزاح الجدّل وأزال الإشكال ، ورجع الناس كلهم إليه ، وبايعه في المسجد جماعة من الصحابة .

ووقعت شبهة لبعض الأنصار وقام في أذهان بعضهم جواز استخلاف خليفة من الأنصار ، وتوسّط بعضهم بين أن يكون أميرٌ من المهاجرين وأميرٌ من الأنصار ، حتى بين لهم الصديق أن الخلافة لا تكون إلا في قريش ، فرجعوا إليه وأجمعوا عليه . كما سنبينه وننبه عليه .

قصة سقيفة بني ساعدة

قال الإمام أحمد : حدثنا إسحاق بن عيسى الطَّبَّاع ، حدثنا مالك بن أنس ، حدثني ابن شهاب ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، أن ابن عباس أخبره أن عبد الرحمن بن عوف رجع إلى رَحْله . قال ابن عباس : وكنت أُقْرِئُ عبد الرحمن ابن عوف فوجدني وأنا أنتظره ، وذلك بمنى في آخر حجة حجَّها عمرُ بن الخطاب .

فقال عبد الرحمن بن عوف : إن رجلاً أتى عمر بن الخطاب فقال : إن فلانا يقول : لو قد مات عمر بايعتُ فلانا . فقال عمر : إني قائمُ العشيَّة إن شاء الله في الناس فحذِّروهم هؤلاء الرهط الذين يريدون أن يَفْصِبوهم أمرهم .

قال عبد الرحمن : فقلت : يا أمير المؤمنين لا تفعل فإن الموسم يجمع رَعاع الناس وغَوَّغاءهم ، وإلهم الذين يَغْلِبون على مجلسك إذا قَتَ في الناس ، فأخشى أن تقول مقالةً يظير بها أولئك فلا يَعْوُّها ولا يَضْمُوها مواضعها ، ولكن حتى تَقْدَم المدينة فإنها دار الهجرة والسُّنة وتَخْلُصُ بعلماء الناس وأشرافهم ، فتقول ما قلت متمكناً ، فيعَوُّوا مقاتلك ويضعوها مواضعها .

قال عمر : لئن قدمتُ المدينة صالحاً لأكلن بها الناس في أول مقام أقومه .
فلما قدمنا المدينة في عقب ذي الحجة وكان يوم الجمعة ، عجَّلت الرواح صَكَّة الأعمى^(١) . قلت للمالك : وما صَكَّة الأعمى؟ قال : إنه لا يبالي أى ساعة خرج لا يعرف الحر والبرد أو نحو هذا .

(١) الصكة : شدة الهاجرة . وفي القاموس : وتضاف إلى عمى ، رجل من العماقة أغار على قوم في الظهيرة فاجتاحهم .

فوجدت سعيد بن زيد عند ركن المنبر الأيمن قد سبقني ، فجلست حذاءه تحك ركبتي ركبته ، فلم أنشب أن طلع عمر ، فلما رأيته قلت ليقولن العشيّة على هذا المنبر مقالةً ما قالها عليه أحد قبله .

قال : فأنكر سعيد بن زيد ذلك وقال : ما عسيت أن يقول ما لم يقل أحد ؟

فجلس عمر على المنبر فلما سكّت المؤذن قام فأنشئ على الله بما هو أهله ثم قال : أما بعد ، أيها الناس فإني قائل مقالةً وقد قدّر لي أن أقولها ، لا أدري لعلها بين يدي أجلى ، فن وعاءها وعقلها فليحدّث بها حيث انتهت به راحلته ، ومن لم يعيها فلا أحلّ له أن يكذب على .

إن الله بعث محمداً بالحق وأنزل عليه الكتاب ، فكان فيما أنزل عليه آية الرّجم فقرأناها ووعيناها وعقلناها ، ورجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجمنا بعده ، فأخشي إن طال بالناس زمان أن يقول قائل : لا نجد آية الرّجم في كتاب الله . فيضلوا بترك فريضة قد أنزلها الله عز وجل ، فالرجم في كتاب الله حقّ على من زنى إذا أحصين من الرجال والنساء إذا قامت البينة أو كان الحبل أو الاعتراف .

ألا وإنا قد كنّا نقرأ : لا ترغبوا عن آبائكم فإن كفرأ بكم أن ترغبوا عن آبائكم . ألا وإنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا تطروني كما أطرى عيسى بن مريم ، فإنما أنا عبدٌ فقولوا : عبد الله ورسوله .

وقد بلغني أن قائلًا منكم يقول : لو قد مات عمر بايعت فلاناً فلا يفتن امرؤ أن يقول : إن بيعة أبي بكر كانت فلتنة فتمّت ، ألا وإنها كانت كذلك إلا أن الله وفق شرّها ، وليس فيكم اليوم من تقطّع إليه الأعناق مثل أبي بكر ، وإنه كان من خيرنا حين توفّي رسول الله صلى الله عليه وسلم .

إن علياً والزبير ومن كان معهمما تخلّفوا في بيت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتخلّف عنها الأنصار بأجمعها في سقيفة بني ساعدة ، واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر فقلت له : يا أبا بكر انطلق بنا إلى إخواننا من الأنصار . فانطلقنا نؤمهم حتى لقينا رجلاً صالِحاً فذكر لنا الذي صنع القوم ، فقالا : أين تريدون يا معشر المهاجرين ؟ فقلت : نريد إخواننا من الأنصار . فقالا : لا عليكم أن لا تقرّ بوجه واقضوا أمركم يا معشر المهاجرين . فقلت : والله لأتّينهم .

فانطلقنا حتى جئناهم في سقيفة بني ساعدة ، فإذا هم مجتمعون وإذا بين ظهرانيهم رجل مُزمل ، فقلت : من هذا ؟ قالوا : سعد بن عباد . فقلت . ماله ؟ قالوا : وجعٌ . فلما جلسنا قام خطيبهم فأتى على الله بما هو أهله وقال : أما بعد فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام ، وأنتم يا معشر المهاجرين رهط نبينا ، وقد دَفَّتْ دَافَّةٌ ^(١) منكم يريدون أن يخرّجونا من أصلنا ويحصّونا من الأمر .

فلما سكّت أردت أن أتكلّم وكنت قد زوّرتُ مقالةً أعجبتني أردت أن أقولها بين يدي أبي بكر وكنت أداري منه بعضَ الحدة ^(٢) ، وهو كان أخكم مني وأوقر ، والله ما ترك من كلمة أعجبتني في تزويري إلا قالها في بديهة وأفضل حين سكّت .

فقال : أما بعد ، فما ذكرتم من خير فأنتم أهله ، وما تعرف العربُ هذا الأمر إلا لهذا الحى من قريش ، هم أوسط العرب نسباً وداراً ، وقد رضيتُ لكم أحد هذين الرجلين أيهما شئتم ، وأخذ بيدي ويد أبي عبيدة بن الجراح . فلم أكره مما قال غيرها ، كان والله أن أقدم فتضرب عنقي لا يقربني ذلك إلى إنم أحبّ إلى أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر ، إلا أن تُغرّ نفسي عند الموت .

(١) دفت دافة : بدرت بادرة . والدفيف : المشى الخفيف ويخرّجونا : يقتطموننا . ويحصّونا : يعمنوننا .

(٢) الحدة : الغضب ، كالحدة .

فقال قائل من الأنصار : أنا جُذَيْلُهَا الْحَكَّاءُ وَعُذَيْقُهَا الْمَرْجَبُ ^(١) ، منا أميرٌ ومنكم أميرٌ يامعشر قريش .

فقلت للمالك : ما يعنى : أنا جُذَيْلُهَا الْحَكَّاءُ وَعُذَيْقُهَا الْمَرْجَبُ ؟ قال : كأنه يقول : أنا نأدهيتها .

قال فكثُرَ اللَّغَطُ وارتفعت الأصوات حتى خشينا الاختلاف ، فقلت : ابسط يدك يا أبا بكر . فبسط يده فبايعته وبايعه المهاجرون ثم بايعه الأنصار ونزونا على سعد بن عبادة . فقال قائل منهم : قتلتم سعدا . فقلت : قتل الله سعدا ! قال عمر : أما والله ما وجدنا فيما حضرنا أمرا هو أَوْفَقَ من مبايعة أبي بكر ، خشينا إن فارقنا القومَ ولم تكن بيعةٌ أن يُحْدِثُوا بعدنا بيعةً فإِما نَتَّبِعَهُمْ على ما لا نرضى وإِما أن نَخَالَفَهُمْ فيكون فساد . فن بايع أميراً عن غير مشورة المسلمين فلا بيعة له ولا بيعة للذى بايعه تَغْرِةً ^(٢) أن يُقْتَلَ .

قال مالك : فأخبرني ابن شهاب عن عروة : أن الرجلين اللذين لقياهما عُومِيْمَ بن ساعدة ومَعْنُ بن عدى .

قال ابن شهاب : وأخبرني سعيد بن المسيَّب أن الذى قال : أنا جُذَيْلُهَا الْحَكَّاءُ وَعُذَيْقُهَا الْمَرْجَبُ هو الحُلباب بن المُنْذَر .

وقد أخرج هذا الحديث الجماعة في كتبهم من طرق عن مالك وغيره عن الزهري به .

وقال الإمام أحمد حدثنا معاوية عن عمرو ، حدثنا زائدة ، حدثنا عاصم وحديثي حسين بن علي ، عن زائدة ، عن عاصم عن زِرِّ ، عن عبد الله - هو ابن مسعود - قال :

(١) الجذيل : عود ينصب للجرى لاحتكاك به ، يريد أنه يشتفى برأيه . والعذيق تصغير العنق ، وهو النخلة بما عليها . والمرجَب الذى ضم أعذاقه إلى سعفاته وشدت بالحواس لثلاث تنفضها الريح .

(٢) التَغْرِة : مصدر غررت له إذا ألقته في الغرر . أى خوف التَغْرِة .

لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت الأنصار : منا أميرٌ ومنكم أمير ، فاتاهم عمر فقال : يامعشر الأنصار أستم تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمر أبا بكر أن يؤمَّ الناس ؟ فأبيكم تطيب نفسه أن يتقدّم أبا بكر .

ف قالت الأنصار : نعوذ بالله أن نتقدم أبا بكر ؟

ورواه النسائي عن إسحاق بن راهويه وهنّاد بن السري ، عن حسين بن علي الجعفي ،

عن زائدة به .

ورواه علي بن المديني عن حسين بن علي ، وقال : صحيح لا أحفظه إلا من حديث

زائدة عن عاصم .

وقد رواه النسائي أيضاً من حديث سامة بن نبيط ، عن نعيم بن أبي هند ، عن نبيط

ابن شريط ، عن سالم بن عبيد ، عن عمر مثله . وقد روى عن عمر بن الخطاب نحوه من طريق آخر .

وجاء من طريق محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ، عن الزهري ، عن

عبيد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس ، عن عمر ، أنه قال : قلت : يامعشر المسلمين إن أولى الناس بأمر نبي الله ثاني اثنين إذ هما في الغار وأبو بكر السباق المسن .

ثم أخذت بيده وبدّرني رجل من الأنصار فضرب على يده قبل أن أضرب على يده ، ثم ضربت على يده وتبايع الناس .

وقد روى محمد بن سعد عن عارم بن الفضل ، عن حماد بن زيد ، عن يحيى بن

سعيد ، عن القاسم بن محمد ، فذكر نحوه من هذه القصة وسمّى هذا الرجل الذي بايع

الصدّيق قبل عمر بن الخطاب فقال : هو بشير بن سعد والد النعمان بن بشير .

ذكر اعتراف سعد بن عباد بصحة مقاله الصديق يوم السقيفة

قال الإمام أحمد : [حدثنا عفان ، حدثنا أبو عوانة ، عن داود بن عبد الله الأزدي عن سُميد بن عبد الرحمن قال : توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضى الله عنه في صائغ من المدينة .

قال : فجاء [فكشف] عن وجهه فقَبَّله . وقال : فذاك أبى وأمى ما أطيبك حيًّا وميتًا ، مات محمد ورب الكعبة . فذكر الحديث .

قال : فانطلق أبو بكر وعمر يتعاديان حتى أتوهم ، فتكلم أبو بكر فلم يترك شيئاً أنزل في الأنصار ولا ذكره رسول الله من شأنهم إلا ذكره . وقال : لقد علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لو سلك الناس وادياً وسلكت الأنصار وادياً سلكت وادى الأنصار ، ولقد علمت ياسعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : - وأنت قاعد - قريش ولأهـ هذا الأمر ، فَبَرَّ الناس تَبَعَ لَبَرَّم وفاجرهم تبع لفاجرهم . فقال له سعد : صدقت نحن الوزراء وأنتم الأمراء .

وقال الإمام أحمد : ^(١) [حدثنا علي بن عباس ، حدثنا الوليد بن مسلم ، أخبرني يزيد بن سعيد بن ذى عضوان العبسى ، عن عبد الملك بن عمير اللخمي ، عن رافع الطائي رفيق أبي بكر الصديق في غزوة ذات السلاسل ، قال : وسألته عما قيل في بيعتهم ، فقال : وهو يحدثه عما تناولت به الأنصار وما كلمهم به وما كلم به عمر بن الخطاب الأنصار وما ذكرهم به من إمامتي إياهم بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه . فبايعوني لذلك وقبيلتها منهم وتخوفت أن تكون فتنة بعدها ردة .

وهذا إسناد جيد قوى .

ومعنى هذا أنه رضى الله عنه إنما قَبِلَ الإمامة تخوفاً أن تقع فتنة أرزبى من تركه
قبولها رضى الله عنه وأرضاه .

قلت : كان هذا فى بقية يوم الاثنين ، فلما كان الغد صبيحة يوم الثلاثاء اجتمع
الناس فى المسجد فتمت البيعة من المهاجرين والأنصار قاطبة ، وكان ذلك قبل تجهيز
رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال البخارى : حدثنا إبراهيم بن موسى ، حدثنا هشام ، عن معمر ، عن الزهري ،
أخبرنى أنس بن مالك ، أنه سمع خطبة عمر الأخيرة حين جلس على المنبر ، وذلك الغد
من يوم توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو بكر صامت لا يتكلم ، قال : كنت أرجو
أن يعيش رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يدبرنا - يريد بذلك أن يكون آخرهم -
فإن يك محمدٌ قد مات فإن الله قد جعل بين أظهركم نوراً تهتدون به هدى الله محمداً صلى
الله عليه وسلم ، وإن أبا بكر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وثانى اثنين وإنه أولى
المسلمين بأمرهم ، فقدّموا فبايعوه .

وكانت طائفة قد بايعوه قبل ذلك فى سقيفة بنى ساعدة وكانت بيعة العامة
على المنبر .

قال الزهري عن أنس بن مالك ، سمعت عمر يقول يومئذ لأبى بكر : اصعد المنبر .
فلم يزل به حتى صعد المنبر فبايعه الناس عامة .

وقال محمد بن إسحاق : حدثنى الزهري ، حدثنى أنس بن مالك ، قال : لما بويع
أبو بكر فى السقيفة وكان الغد جلس أبو بكر على المنبر ، وقام عمر فتكلم قبل أبى بكر ،
حمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال : أيها الناس إني قد كعمت قلت لكم بالأمس
مقالة ما كانت وما وجدتُها فى كتاب الله ولا كانت عهداً عهدته إلى رسول الله صلى

الله عليه وسلم ، ولكنى كنت أرى أن رسول الله سيدُّ أمرنا . يقول : يكون آخرنا .
وإن الله قد أبقي فيكم كتابه الذى هو به هدى رسول الله ، فإن اعتصمتم به هداكم الله لئلا
كان هدام الله له ، وإن الله قد جمع أمركم على خيركم صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وثانى اثنين إذا هما فى الغار ، فقوموا فبايعوه .

فبايع الناس أبا بكر بيعة العامة بعد بيعة السقيفة .

ثم تكلم أبو بكر حمد الله وأثنى عليه بما هو أهله . ثم قال : أما بعد ، أيها الناس
فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم ، فإن أحسنت فأعينوني ، وإن أسأت فقوموني ،
الصدق أمانة ، والكذب خيانة ، والضعيف فيكم قوى^(١) [عندى] حتى أزيح عنه إن
شاء الله ، والقوى فيكم ضعيف حتى آخذ منه الحق إن شاء الله ، لا يدع قوم الجهاد فى
سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل ، ولا تشيع الفاحشة فى قوم قط إلا عمهم الله بالبلاء ،
أطيعوني ما أطعت الله ورسوله ، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم ، قوموا إلى
صلاتكم يرحمكم الله .

وهذا إسناد صحيح .

فقوله رضى الله عنه : « وَلِيْتَكُمْ وَلَسْتُ بِخَيْرِكُمْ » من باب المضم والتواضع ، فإنهم
مُجْمِعُونَ على أنه أفضلهم وخيرهم رضى الله عنهم .

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي : أخبرنا أبو الحسن على بن محمد الحافظ الإسفرائيني ،
حدثنا أبو على الحسين بن على الحافظ ، حدثنا أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة
وإبراهيم بن أبي طالب . قالا : حدثنا بشار بن بشار . وحدثنا أبو هشام المخزومي ،
حدثنا وهيب ، حدثنا داود بن أبي هند ، حدثنا أبو نَصْرَة ، عن أبي سعيد الخدري ،

قال : قُبِضَ رسول الله صلى الله عليه وسلم واجتمع الناس في دار سعد بن عُبادة ، وفيهم أبو بكر وعمر .

قال : فقام خطيب الأنصار فقال : أتعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان من المهاجرين وخليفته من المهاجرين ، ونحن كنا أنصار رسول الله ونحن أنصار خليفته كما كنا أنصاره .

قال : فقام عمر بن الخطاب فقال : صدق قائلكم أما لو قلتم غير هذا لم تُتَابِعكم . وأخذ بيد أبي بكر . وقال : هذا صاحبكم فبايعوه . فبايعه عمر وبايعه المهاجرون والأنصار .

قال : فصعد أبو بكر المنبر فنظر في وجوه القوم فلم ير الزبير . قال : فدعا بالزبير فجاء فقال : قلت ابن عمه رسول الله صلى الله عليه وسلم وحوارية أردت أن تشقَّ عصا المسلمين ؟ فقال : لا تثريب يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقام فبايعه .

ثم نظر في وجوه القوم فلم ير علياً ، فدعا بعلي بن أبي طالب فجاء . فقال : قلت ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه على ابنته ، أردت أن تشق عصا المسلمين ؟ قال : لا تثريب يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعه . هذا أو معناه .

قال أبو علي الحافظ : سمعت محمد بن إسحاق بن خزيمة يقول : جاءني مسلم بن الحجاج فسألني عن هذا الحديث ، فكتبت له في رقعة وقرأته عليه .

وهذا حديث يَسْوَى بَدَنَة . فقلت : يَسْوَى بدنه بل يَسْوَى بَدْرَة !

ثم قد رواه البيهقي عن الحاكم وأبي محمد بن حامد المقرئ ، كلاهما عن أبي العباس محمد بن يعقوب الأصم ، عن جعفر بن محمد بن شاذان ، عن عفان بن سلم ، عن وهيب بن خالد ، عن الصديق هو القائل لخطيب الأنصار بدل عمر وفيه : أن زيد بن ثابت

أخذ بيد أبي بكر . فقال : هذا صاحبكم فبايعوه . ثم انطلقوا فلما قعد أبو بكر على النهر نظر في وجوه القوم فلم ير علياً ، فسأل عنه ، فقام ناس من الأنصار فأتوا به : فذكر نحو ما تقدم ، ثم ذكر قصة الزبير بعد علي . فإله أعلم .

وقد رواه الإمام أحمد بن حنبل عن الثقة عن وهيب مختصراً . وقد رواه علي بن عاصم ، عن الجريزي ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد الخدري . فذكر نحو ما تقدم .

وهذا إسناد صحيح محفوظ من حديث أبي نضرة المنذر بن مالك بن نطعة ، عن أبي سعيد سعد بن مالك بن سنان الخدري .

وفيه فائدة جليلة ، وهي مبايعة علي بن أبي طالب ، إما في أول يوم أو في اليوم الثاني من الوفاة . وهذا حق ، فإن علي بن أبي طالب لم يفارق الصديق في وقت من الأوقات ، ولم ينقطع في صلاة من الصلوات خلفه . كما سذكركه وخرج معه إلى ذي القصة لما خرج الصديق شاهراً سيفه يريد قتال أهل الردة .

ولكن لما حصل من فاطمة رضي الله عنها عتب على الصديق ، بسبب ما كانت متوهمةً من أنها تستحق ميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تعلم بما أخبرها به أبو بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال : « لا نُورث ما تركنا فهو صدقة » فحجبتها وغيرها من أزواجه وعنه عن الميراث بهذا النص الصريح ، كما سنبينه في موضعه ، فسألته أن ينظر علي في صدقة الأرض التي بخيبر فذكر فلم يجبها إلى ذلك ، لأنه رأى أن حقاً عليه أن يقوم في جميع ما كان يتولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو الصادق البار الرشيد التابع للحق رضي الله عنه ، فحصل لها - وهي امرأة من البشر ليست براجية العِصمة - عتب وتفضب ، ولم تسكلم الصديق حتى ماتت ، واحتاج علي أن يراعى خاطرها ببعض الشيء ، فلما ماتت بعد ستة أشهر من وفاة أبيها صلى الله عليه وسلم رأى علي أن يحدد

البيعة مع أبي بكر رضى الله عنه ، مع ما تقدم له من البيعة قبل دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ويزيد ذلك صحة قول موسى بن عقبة في مغازيه ، عن سعد بن إبراهيم ، حدثني أبي ، أن أباه عبد الرحمن بن عوف كان مع عمر ، وإن محمد بن مسلمة كسر سيف الزبير .

ثم خطب أبو بكر واعتذر إلى الناس وقال : ما كت حريصا على الإمارة يوما ولا ليلة ، ولا سألتها في سر ولا علانية . فقبل المهاجرون مقالته .

وقال على والزبير : ما غضبنا إلا لأننا أخرنا عن المشورة ، وإنا نرى أن أبا بكر أحق الناس بها ، إنه لصاحب الفار وإنا لنعرف شرفه وخيره ، ولقد أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يصلى بالناس وهو حى .
إسناد جيد . والله الحمد والمنة .

فصل

ومن تأمل ما ذكرناه ظهر له إجماع الصحابة المهاجرين منهم والأنصار على تقديم أبي بكر ، وظهر برهان قوله عليه السلام : « يابى الله والمؤمنون إلا أبا بكر » .
وظهر له أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ينص على خلافة عينا لأحد من الناس ، لا لأبي بكر ، كما قد زعمه طائفة من أهل السنة ، ولا لعلى كما تقوله طائفة من الرافضة .

ولكن أشار إشارة قوية يفهمها كل ذى لب وعقل إلى الصديق كما قدمنا وسند كرهه والله الحمد .

كما ثبت في الصحيحين من حديث هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن ابن عمر ، أن

عمر بن الخطاب لما طعن قيل له : ألا تستخلف يا أمير المؤمنين ؟ فقال : إن استخلف فقد استخلف من هو خير مني . يعني - أبا بكر - وإن أترك فقد ترك من هو خير مني ، يعني - رسول الله صلى الله عليه وسلم - .

قال ابن عمر : فعرفت حين ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه غير مُستخلف . وقال سفيان الثوري عن عمرو بن قيس ، عن عمرو بن سفيان ، قال : لما ظهر عليٌّ على الناس قال : يا أيها الناس إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعهد إلينا في هذه الإمارة شيئاً ، حتى رأينا من الرأي أن نستخلف أبا بكر ، فأقام واستقام حتى مضى لسبيله ، ثم إن أبا بكر رأى من الرأي أن يستخلف عمر ، فأقام واستقام حتى مضى لسبيله - أو قال حتى ضرب الدينُ بحجرانه^(١) - إلى آخره .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو نعيم ، حدثنا شريك ، عن الأسود بن قيس ، عن عمرو بن سفيان ، قال : خطب رجلٌ يوم البصرة حين ظهر عليٌّ فقال عليٌّ : هذا الخطيب السَّجَّسَجُ^(٢) - سبق رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى^(٣) أبو بكر وثلاث عمر ، ثم خبطتنا فتنةٌ بعدهم يصنع الله فيها ما يشاء .

وقال الحافظ البيهقي : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، أنبأنا أبو بكر محمد بن أحمد الزكيّ بمرّو ، حدثنا عبد الله بن رَوْح المدائني ، حدثنا شَبَابَةُ بن سَوَّار ، حدثنا شُعَيْب بن ميمون ، عن حُصَيْن بن عبد الرحمن ، عن الشَّعْبِي ، عن أَبِي وائِل ، قال : قيل لعلي بن أبي طالب : ألا تستخلف علينا ؟ فقال : ما استخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) الجران : مقدم عنق البعير ، والمراد : قوى واشتد أمره .

(٢) السَّجَّسَج : الأرض التي ليست بصابة ولا لينّة .

(٣) صلى : جاء تالياً .

فأستخلف ، ولكن إن يُرد الله بالناس خيراً فسيَجْمَعهم بعدى على خيرهم كما جمعهم
بعد نبيهم على خيرهم .

إسناد جيد ولم يخز جوه .

وقد قدمنا ما ذكره البخارى من حديث الزهرى ، عن عبد الله بن كعب بن مالك
عن ابن عباس : أن عباساً وعلياً لما خرجا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
فقال رجل : كيف أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال على : أصبح بحمد الله
بارئاً . فقال العباس : إنك والله عبدُ العصا بعد ثلاث ! إني لأعرف في وجوه بنى هاشم
الموت ، وإني لأرى في وجه رسول الله الموت فاذهب بنا إليه فنسأله فيمن هذا الأمر ؟
فإن كان فينا عرفناه وإن كان في غيرنا أمرناه فوصّاه بنا . فقال على : إني لا أسأله
ذلك والله إن منعناها لا يعطيناها الناس بعده أبداً .

وقد رواه محمد بن إسحاق عن الزهرى به فذكره . وقال فيه : فدخل عليه يوم
قبض صلى الله عليه وسلم . فذكره . وقال في آخره : فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم
حين اشتد الضحى من ذلك اليوم

قلت : فهذا يكون في يوم الاثنين يوم الوفاة ، فدل على أنه عليه السلام توفي عن
غير وصية في الإمامة^(١) .

وفي الصحيحين عن ابن عباس : إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله صلى الله
عليه وسلم وبين أن يكتب ذلك الكتاب .

وقد قدمنا أنه عليه السلام كان طلب أن يكتب لهم كتاباً لن يضلوا بعده ،

فلما كثروا اللفظ والاختلاف عنده قال : « قوموا عني ، فإنا فيه خير مما تدعونني إليه » .

وقد قدمنا أنه قال بعد ذلك : « يأي الله والمؤمنون إلا أبا بكر » .

وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن عون عن إبراهيم التيمي ، عن الأسود ، قال : قيل لعائشة إنهم يقولون : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصى إلى علي . فقالت : بم أوصى إلى علي ؟ لقد دعا بطشت ليبول فيها وأنا مُسندته إلى صدري فانحرف^(١) فمات وما شعرت ، فم يقول هؤلاء إنه أوصى إلى علي ؟

وفي الصحيحين من حديث مالك بن مغول ، عن طلحة بن مصرف ، قال : سألت عبد الله بن أبي أوفى ، هل أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : لا . قلت : فلم أمرنا بالوصية ؟ قال : أوصى بكتاب الله عز وجل .

قال طلحة بن مصرف : وقال هذيل بن شَرَحْبِيل : أبو بكر يتأمر على وصى رسول الله صلى الله عليه وسلم ! ودّ أبو بكر أنه وجد عهداً من رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرّم أنفه بحرامه !

وفي الصحيحين أيضاً من حديث الأعمش عن إبراهيم التيمي ، عن أبيه ، قال : خطبنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال : من زعم أن عندنا شيئاً نقرأه ليس في كتاب الله وهذه الصحيفة - لصحيفة معلقة في سيفه فيها أسنان الإبل وأشياء من الجراحات فقد كذب .

وفيها قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « المدينة حرم ما بين عَبر إلى ثور^(٢) من أحدث فيها حدثاً أو آوى مُحَدِّثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً^(٣) » ، ومن ادعى إلى غير أبيه أو انتفى إلى غير

(١) انحرف : مال . (٢) عبر : جبل بالمدينة . ونور جبل بالمدينة خلف أحد . (٣) الصرف : التوبة . والعدل : الفدية .

مُؤَالِيهِ فَعَلِيهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ، لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا ، وَذِمَّةُ الْمُسْلِمِينَ وَاحِدَةٌ يَسْعَى بِهَا أَدْنَاهُمْ فَمَنْ أَخْفَرَ مُسْلِمًا فَعَلِيهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا .

وهذا الحديث الثابت في الصحيحين وغيرهما عن علي رضي الله عنه يردّ على فرقة الرافضة في زعمهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصى إليه بالخلافة ، ولو كان الأمر كما زعموا لما ردّ ذلك أحدٌ من الصحابة فإنهم كانوا أطوع لله ورسوله في حياته وبعد وفاته من أن يفتانوا عليه فيقدّموا غيرَ من قدّمه ويؤخروا من قدّمه ببصه ؛ حاشا وكلاً ولم ؟

ومن ظنّ بالصحابة رضوان الله عليهم ذلك فقد نسبهم بأجمعهم إلى الفجور والتواطؤ على معاندة الرسول صلى الله عليه وسلم ومضادته في حكمه ونصه ، ومن وصل من الناس إلى هذا المقام فقد خلع رِبْقَةَ الإسلام وكفّر بإجماع الأئمة الأعلام ، وكان إراقة دمه أحلّ من إراقة المدّام !

ثم لو كان مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه نصٌّ فلم لا كان يحتج به على الصحابة على إثبات إمارته عليهم وإمامته لهم ؟
فإن لم يقدر على تنفيذ مامعه من النص فهو عاجز ، والعاجز لا يصلح للإمارة ، وإن كان يقدر ولم يفعله فهو خائن ، والخائن الفاسق مسلوب معزول عن الإمارة ، وإن لم يعلم بوجود النص فهو جاهل .

ثم وقد عرفه وعلمه من بعده ! هذا محال وافتراء وجهل وضلال .

ولإنما يحسّن هذا في أذهان الجهلة الطغام والمفتريين من الأنام ، يزيّنه لهم الشيطان بلا دليل ولا برهان ، بل بمجرد التحكم والهدّيان والإفك والبهتان .
عياذا بالله مما هم فيه من التخليط والخذلان والتخبيط والكفران ، وملاذا

بِالله بالتمسك بالسنة والقرآن والوفاء على الإسلام والإيمان ، والموافاة على الثبات والإيقان وتنقيط الميزان ، والنجاة من النيران والفوز بالجنان إنه كريم مَنَّان رحيم رحمن .

وفي هذا الحديث الثابت في الصحيحين عن علي الذي قدمناه ردُّ على متعة كثيرة من الطُّرُقِيَّة والقُصَّاص الجُهلة في دعواهم أن النبي صلى الله عليه وسلم أوصى إلى عليّ بأشياء كثيرة يسوقونها مطولة : يا عليّ افعل كذا ، يا علي لا تفعل كذا ، يا علي من فعل كذا كان كذا وكذا . بألفاظ ركيكة ومعان أكثرها سخيفة ، وكثير منها حفيضة لا تساوى تسويد الصحيفة . والله أعلم .

وقد أورد الحافظ البيهقي من طريق حماد بن عمرو النَّصِيبِي - وهو أحد الكذابين الصَّوْاعِن - عن السَّري بن خَلَّاد ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه عن جده ، عن علي ابن أبي طالب عن النبي صلى الله عليه وسلم . قال : يا علي أوصيك بوصية احفظها فإنك لا تزال بخير ما حفظتها ، يا علي إن لدؤمن ثلاث علامات : الصلاة والصيام والزكاة .

قال البيهقي : فذكر حديثا طويلا في الرغائب والآداب . وهو حديث موضوع . وقد شرطت في أول الكتاب ألا أخرج فيه حديثا أعلمه موضوعا .

ثم روى من طريق حماد بن عمرو ، وهذا عن زيد بن رُقيع ، عن مكحول الشامى ، قال : هذا ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب حين رجع من غزوة حنين وأنزلت عليه سورة النصر .

قال البيهقي : فذكر حديثا طويلا في الفتنة وهو أيضا حديث منكر ليس له أصل ، وفي الأحاديث الصحيحة كفاية وبالله التوفيق .

ولنذكر هاهنا ترجمة حماد بن عمرو بن أبي إسماعيل النَّصِيبِي : روى عن الأعمش

وغيره ، وعنه إبراهيم بن موسى ومحمد بن مهران وموسى بن أيوب وغيرهم .
قال يحيى بن معين : هو ممن يَكْذِبُ ويضع الحديث . وقال عمرو بن على الفلاس
وأبو حاتم : مُنْكَرُ الحديث ضعيف جداً . وقال إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني : كان
يكذب . وقال البخاري : مُنْكَرُ الحديث . وقال أبو زرعة : واهى الحديث . وقال
النسائي : متروك . وقال ابن حبان : يضع الحديث وضعا . وقال ابن عدي : عامة حديثه
مما لا يُتَابِعُه أحد من الثقات عليه . وقال الدارقطني : ضعيف . وقال الحاكم أبو عبد الله :
يروى عن الثقات أحاديث موضوعة ، وهو ساقط بمرّة .

فأما الحديث الذي قال الحافظ البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ ،
أنبأنا حمزة بن العباس العقبي ببغداد ، حدثنا عبد الله بن رَوْح المدائني ، حدثنا سلام بن
سليمان المدائني ، حدثنا سلام بن سليم الطويل ، عن عبد الملك بن عبد الرحمن ، عن
الحسن القُبُري ، عن الأشعث بن طَلِيق ، عن مُرّة بن شَرَّاحِيل ، عن عبد الله بن مسعود ،
قال : لما ثَقُلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتمعنا في بيت عائشة فنظر إلينا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فدمعت عيناه ، ثم قال لنا : قد دنا الفراق . ونعى إلينا نفسه ، ثم قال :
مرحبا بكم حيّاكم الله ، هداكم الله ، نصرّكم الله ، نفعكم الله ، وفقكم الله ، سدّدكم الله ، وقاكم
الله ، أعانكم الله ، قبّلّكم الله . أوصيّكم بتقوى الله ، وأوصى الله بكم وأستخلفه عليكم ،
إني لكم منه نذير مبين ألا تَعْمَلُوا على الله في عباده وبلاده . فإن الله قال لي ولكم :
« تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوّاً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين » ^(١)
وقال : « أليس في جهنم مثوى للمتكبرين » ^(٢) .

قلنا : فمتى أجلك يا رسول الله ؟ قال : قد دنا الأجل ، والمنقلب إلى الله والسّدرة المنتهى

والسكاس الأوفى والفرش الأعلى . قلنا : فمن يفسلك يا رسول الله ؟ قال : رجالُ أهل بيتي الأَدنى فالأَدنى ، مع ملائكة كثيرة يرونكم من حيث لا ترونهم . قلنا : فقيم نكفئك يا رسول الله ؟ قال : في ثيابي هذه إن شئتم أو في يَمَنِيَّة أو في بياض مِصر .

قلنا : فمن يصلي عليك يا رسول الله ؟ فبكى وبكىنا . وقال : مهلا غفر الله لكم وجزاكم عن نبيكم خيراً ، إذا غسَلتموني وحنَّطتموني وكفَّتموني فضعوني على شَفير قبري ثم اخرجوا عني ساعة . فإن أول من يصلي على خليلاي وجليساي جبريل وميكائيل ثم إسرافيل ، ثم ملك الموت مع جنود من الملائكة عليهم السلام ، وليبدأ بالصلاة على رجالُ أهل بيتي ثم نساؤهم ثم ادخلوا على أفواجا وفرادى ؛ ولا تؤذوني بباكية ولا برنة ولا بصيحة ، ومن كان غائبا من أصحابي فأبلغوه عني السلام ، وأشهدكم بأني قد سلَّمت على من دخل في الإسلام ومن تابعني في ديني هذا منذ اليوم إلى يوم القيامة .

قلنا : فمن يَدْخلك قبرك يا رسول الله ؟ قال : رجالُ أهل بيتي الأَدنى فالأَدنى مع ملائكة كثيرة يرونكم من حيث لا ترونهم .

ثم قال البيهقي : تابعه أحمد بن يونس ، عن سَلام الطويل ، وتفرد به سلام الطويل .

قلت : وهو سَلام بن سَلم ، ويقال ابن سليم ، ويقال ابن سليمان . والأول أصح ، التميمي السعدي الطويل . يروي عن جعفر الصادق ومُحمَّد الطويل وزيد العمي وجماعة . وعنه جماعة منهم : أحمد بن عبد الله بن يونس ، وأسد بن موسى ، وخلف بن هشام البزار ، وعلي بن الجعد ، وقبيصة بن عقبة .

وقد ضعفه علي بن المدِّيني وأحمد بن حنبل ويحيى بن مَعِين والبخاري وأبو حاتم وأبو زُرعة والجوزجاني والنسائي وغير واحد ، وكذَّبه بعض الأئمة ، وترَكه آخرون .

لكن روى هذا الحديث بهذا السياق بطوله الحافظ أبو بكر البزار من غير طريق
سلام هذا فقال : حدثنا محمد بن إسماعيل الأحمسي ، حدثنا عبد الرحمن بن محمد الحاربي ،
عن ابن الأصبهاني ، أنه أخبره عن مرة ، عن عبد الله فذكر الحديث بطوله .
ثم قال البزار : وقد روى هذا عن مرة من غير وجه بأسانيد متقاربة وعبد الرحمن
ابن الأصبهاني لم يسمع هذا من مرة ، وإنما هو عن أخبره عن مرة ، ولا أعلم أحداً
رواه عن عبد الله عن مرة .

فصل

في ذكر الوقت الذي توفي فيه رسول الله ﷺ ومبلغ سنه حال وفاته
وفي كيفية غسله عليه السلام وتكفينه والصلاة عليه ودفنه
وموضع قبره صلوات الله وسلامه عليه

لا خلاف أنه عليه السلام توفي يوم الاثنين .

قال ابن عباس : ولد نبيكم صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين ، ونبي يوم الاثنين ،
وخرج من مكة مهاجراً يوم الاثنين ، ودخل المدينة يوم الاثنين ، ومات
يوم الاثنين .

رواه الإمام أحمد والبيهقي .

وقال سفيان الثوري عن هشام بن عروة ، عن أبيه عن عائشة قالت : قال لي
أبو بكر : أي يوم توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قلت : يوم الاثنين . فقال :
إني لأرجو أن أموت فيه . فمات فيه .

رواه البيهقي من حديث الثوري به .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أسود بن عامر ، حدثنا هريم ، حدثني ابن إسحاق ، عن
عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه ، عن عائشة ، قالت : توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوم الاثنين ، ودفن ليلة الأربعاء .
تفرد به أحمد .

وقال عروة بن الزبير في مغازيه وموسى بن عقبة عن ابن شهاب : لما اشتد
برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه أرسلت عائشة إلى أبي بكر ، وأرسلت حفصة

إلى عمر ، وأرسلت فاطمة إلى عليّ ، فلم يجتمعوا حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في صدر عائشة وفي يومها ؛ يوم الاثنين حين زادت الشمس لَهلال ربيع الأول .

وقد قال أبو يعلى : حدثنا أبو خيثمة ، حدثنا ابن عيينة ، عن الزهري ، عن أنس ، قال : آخر نظرة نظرناها إلى رسول الله يوم يوم الاثنين ، كشف الستارة والناس خلف الستارة والناس خلف أبي بكر فنظرت إلى وجهه كأنه ورقة مُصَحَف ، فأراد الناس أن ينحرفوا فأشار إليهم أن امكثوا : وألقى السَّجَف ، وتوفي من آخر ذلك اليوم .

وهذا الحديث في الصحيح ، وهو يدل على أن الوفاة وقعت بعد الزوال . والله أعلم .

وروى يعقوب بن سفيان ، عن عبد الحميد بن بكار ، عن محمد بن شعيب ، وعن صفوان ، عن عمر بن عبد الواحد ، جميعا عن الأوزاعي ، أنه قال : توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين قبل أن ينتصف النهار .

وقال البيهقي : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، أنبأنا أحمد بن كامل^(١) ، حدثنا الحسين بن علي البزار ، حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، حدثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، وهو سليمان ابن طَرْحَان التيمي في كتاب المغازي ، قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرض لاثنين وعشرين ليلة من صفر ، وبدأه وجعه عند وليدة له يقال لها رَيْحانة كانت من سَبْي اليهود ، وكان أول يوم مرض يوم السبت ، وكانت وفاته عليه السلام يوم الاثنين لليلتين خلتا من شهر ربيع الأول تمام عشر سنين من مَقْدَمه عليه السلام المدينة .

وقال الواقدي : حدثنا أبو مَعْشَر عن محمد بن قيس ، قال : اشتكى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الأربعاء لإحدى عشرة ليلة بقيت من صفر سنة إحدى عشرة

في بيت زينب بنت جحش شكوى شديدة ، فاجتمع عنده نساؤه كلهن ، فاشتكى
ثلاثة عشر يوما ، وتوفي يوم الاثنين لليلتين خلتا من ربيع الأول سنة إحدى عشرة .

وقال الواقدي : وقالوا : بدى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الأربعاء لليلتين
بقيتا من صفر ، وتوفي يوم الاثنين لثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول .
وهذا جزم به محمد بن سعد كاتبه ، وزاد : ودفن يوم الثلاثاء .

قال الواقدي : وحدثني سعيد بن عبد الله بن أبي الأبيض ، عن المقبري ، عن
عبد الله بن رافع ، عن أم سلمة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بدى في
بيت ميمونة .

وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا أحمد بن يونس ، حدثنا أبو مَعْمَر ، عن محمد بن
قيس ، قال : اشتكى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة عشر يوما ، فكان إذا وجد
خِفةً صَلَّى وإذا ثَقُلَ صَلَّى أبو بكر رضى الله عنه .

وقال محمد بن إسحاق : توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم لاثنتي عشرة ليلة
خلت من شهر ربيع الأول في اليوم الذي قَدِمَ فيه المدينة مهاجراً ، واستكمل رسول الله
صلى الله عليه وسلم في هجرته عشر سنين كوامل .

قال الواقدي : وهو المثلث عندنا . وجزم به محمد بن سعد كاتبه .

وقال يعقوب بن سفيان ، عن يحيى بن بكير ، عن الليث ، أنه قال : توفي
رسول الله يوم الاثنين ليلة خلت من ربيع الأول وفيه قدم المدينة على رأس عشر سنين
من مقدمه .

وقال سعد بن إبراهيم الزهري : توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين
لليلتين خلتا من ربيع الأول تمام عشر سنين من مقدمه المدينة .

رواه ابن عساكر . ورواه الواقدي عن أبي معشر عن محمد بن قيس مثله سواء .
وقاله خليفة بن خياط أيضاً .

وقال أبو نعيم الفضل بن دُكين : توفي رسول الله يوم الاثنين مستهل ربيع الأول
سنة إحدى عشرة من مقدمه المدينة ، ورواه ابن عساكر أيضاً .

وقد تقدم قريبا عن عروة وموسى بن عقبة والزهرى مثله فيما نقلناه عن مغازيهما
فالله أعلم .

والمشهور قول ابن إسحاق والواقدي .

ورواه الواقدي عن ابن عباس وعائشة رضى الله عنهما فقال : حدثني إبراهيم بن
يزيد ، عن ابن طاوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس . وحدثني محمد بن عبد الله عن
الزهرى ، عن عروة ، عن عائشة . قال : توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين
لثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول .

ورواه ابن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر بن حزم ، عن أبيه مثله - وزاد :
ودفن ليلة الأربعاء .

وروى سيف بن عمر ، عن محمد بن عبيد الله العرزمي ، عن الحكم ، عن مقسم ،
عن ابن عباس ، قال : لما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع ارتحل فأتى
المدينة فأقام بها بقية ذى الحجة والحرم وصفرا ، ومات يوم الاثنين لعشر خلون من
ربيع الأول .

وروى أيضا عن محمد بن إسحاق عن الزهرى عن عروة . وفي حديث فاطمة عن
عروة عن عائشة مثله ، إلا أن ابن عباس قال في أوله : لأيام مضين منه . وقالت عائشة :
بعد ما مضى أيام منه .

فائدة

قال أبو القاسم السهيلي في الروض ما مضمونه : لا يتصور وقوع وفاته عليه السلام يوم الاثنين ثاني عشر ربيع الأول من سنة إحدى عشرة . وذلك لأنه عليه السلام وقف في حجة الوداع سنة عشر يوم الجمعة ؛ فكان أول ذى الحجة يوم الخميس ، فعلى تقدير أن تُحسب الشهور تامة أو ناقصة أو بعضها تام وبعضها ناقص ، لا يتصور أن يكون يوم الاثنين ثاني عشر ربيع الأول .

وقد اشتهر هذا الإيراد على هذا القول .

وقد حاول جماعة الجواب عنه . ولا يمكن الجواب عنه إلا بمسلك واحد ، وهو اختلاف المطالع ، بأن يكون أهل مكة رأوا هلال ذى الحجة ليلة الخميس ، وأما أهل المدينة فلم يروه إلا ليلة الجمعة .

ويؤيد هذا قول عائشة وغيرها : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لخمس بقين من ذى القعدة - يعنى من المدينة - إلى حجة الوداع .

ويتعين كما ذكرنا أنه خرج يوم السبت ، وليس كما زعم ابن حزم أنه خرج يوم الخميس ، لأنه قد بقى أكثر من خمس بلا شك ، ولا جائز أن يكون خرج يوم الجمعة ، لأن أنسًا قال : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر بالمدينة أربعاً ، والعصر بذي الحليفة ركعتين . فتعين أنه خرج يوم السبت لخمس بقين .

فعلى هذا إنما رأى أهل المدينة هلال ذى الحجة ليلة الجمعة ، وإذا كان أول ذى الحجة عند أهل المدينة الجمعة وحُسبت الشهور بعده كوامل يكون أول ربيع الأول يوم الخميس ، فيكون ثاني عشره يوم الاثنين . والله أعلم .

وثبت في الصحيحين من حديث مالك ، عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن ، عن

أنس بن مالك ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بالطويل البائن ولا بالقصير
وليس بالأبيض الأمهق ولا بالآدم ولا بالجعد القَطَط ولا بالسَّبَط^(١) ، بعثه الله عز وجل
على رأس أربعين سنة ، فأقام بمكة عشر سنين وبالمدينة عشر سنين ، وتوفاه الله على
رأس ستين سنة وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء .

وهكذا رواه ابن وهب ، عن عروة ، عن الزهري ، عن أنس ، وعن قرّة بن
ربيعه ، عن أنس مثل ذلك .

قال الحافظ ابن عساكر : حديث قرّة عن الزهري غريب . وأما من رواية ربيعة
عن أنس فرواها عنه جماعة كذلك .

ثم أسند من طريق سليمان بن بلال ، عن يحيى بن سعيد وربيعه^(٢) عن أنس ، أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي وهو ابن ثلاث وستين .

وكذلك رواه ابن البربري ونافع بن أبي نعيم ، عن ربيعة عن أنس به . قال :
والحفوظ عن ربيعة عن أنس ستون .

ثم أورده ابن عساكر من طريق مالك والأوزاعي ومِسْعَر وإبراهيم بن طهمان ،
وعبد الله بن عمر وسليمان بن بلال ، وأنس بن بلال ، وأنس بن عياض والد رَزْدِي
ومحمد بن قيس المدني ، كلهم عن ربيعة عن أنس ، قال : توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو ابن ستين سنة .

وقال البيهقي : أنبأنا أبو الحسين بن بشران ، حدثنا أبو عمرو بن السمّك ، حدثنا
حنبل بن إسحاق ، حدثنا أبو مَعْمَر ، عبد الله بن عمرو ، حدثنا عبد الوارث ، حدثنا
أبو غالب الباهلي ، قال : قلت لأنس بن مالك : ابن أيّ الرجال رسول الله إذ بعث ؟

(١) الأمهق : الأبيض لا تحاطه حمرة . والآدم : الأسمر . والقَطَط : الشديد جمودة الشعر ،
والسَّبَط : نقيض الجعد .
(٢) ١ : وزمعة .

قال : كان ابن أربعين سنة . قال : ثم كان ماذا ؟ قال : كان بمكة عشر سنين وبالمدينة عشر سنين فتمت له ستون سنة يوم قبضه الله عز وجل وهو كأشد الرجال وأحسنه وأجله وأحلمه .

ورواه الإمام أحمد ، عن عبد الصمد بن عبد الوارث ، عن أبيه به .

وقد روى مسلم عن أبي غسان محمد بن عمرو الرازي الملقب برُبَيْح ، عن حَكَّام بن سَلَم ، عن عثمان بن زائدة ، عن الزبير بن عدى ، عن أنس بن مالك قال : قُبِضَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو ابن ثلاث وستين ، وأبو بكر وهو ابن ثلاث وستين ، وقبض عمر وهو ابن ثلاث وستين .
انفرد به مسلم .

وهذا لا ينافي ما تقدم عن أنس ، لأن العرب كثيرا ما تحذف الكسرة .

وثبت في الصحيحين من حديث الليث بن سعد ، عن عقيل عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة ، قالت : توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وستين سنة .

قال الزهري : وأخبرني سعيد بن المسيب مثله . وروى موسى بن عُبَيْة وعقيل ويونس بن يزيد وابن جريج ، عن الزهري عن عروة ، عن عائشة . قالت : توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وستين . قال الزهري : وأخبرني سعيد بن المسيب مثل ذلك .

وقال البخاري : حدثنا أبو نعيم ، حدثنا شيبان ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن أبي سلمة ، عن عائشة وابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مكث بمكة عشر سنين يتنزل عليه القرآن ، وبالمدينة عشرا .

لم يخرج به مسلم .

وقال أبو داود الطيالسي في مسنده : حدثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن عامر بن

سعد ، عن جرير بن عبد الله ، عن معاوية بن أبي سفيان ، قال : قُبِضَ النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وستين ، وأبو بكر وهو ابن ثلاث وستين ، وعمر وهو ابن ثلاث وستين .

وهكذا رواه مسلم من حديث عُقْدَر ، عن شعبة ، وهو من أفرادهِ دون البخارى . ومنهم من يقول عن عامر بن سعد عن معاوية ، والصواب ما ذكرناه عن عامر بن سعد عن جرير عن معاوية .

وروينا من طريق عامر بن شراحيل ، عن الشعبي ، عن جرير بن عبد الله البجلي ، عن معاوية فذكره .

وروى الحافظ ابن عساكر من طريق القاضي أبي يوسف ، عن يحيى بن سعيد الأنصارى ، عن أنس ، قال : توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وستين ، وتوفى أبو بكر وهو ابن ثلاث وستين ، وتوفى عمر وهو ابن ثلاث وستين .

وقال ابن كهيعة ، عن أبي الأسود ، عن عروة ، عن عائشة قالت : تذاكر رسول الله وأبو بكر ميلادهما عندي ، فكان رسول الله أكبر من أبي بكر ، فتوفى رسول الله وهو ابن ثلاث وستين ، وتوفى أبو بكر بعده وهو ابن ثلاث وستين .

وقال الثوري عن الأعمش ، عن القاسم بن عبد الرحمن ، قال : توفي رسول الله وأبو بكر وعمر وهم بنو ثلاث وستين .

وقال حنبل : حدثنا الإمام أحمد ، حدثنا يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب ، قال : أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وأربعين ، فأقام بمكة عشرة وبالمدينة عشرة .

وهذا غريب عنه وصحيح إليه .

وقال أحمد : حدثنا هُشَيْم ، حدثنا داود بن أبي هند ، عن الشعبي ، قال : نُبِئَ

رسول الله وهو ابن أربعين سنة ، فكث ثلاث سنين ، ثم بُعث إليه جبريل بالرسالة ثم مكث بعد ذلك عشر سنين ثم هاجر إلى المدينة ، فقبض وهو ابن ثلاث وستين سنة .

قال الإمام أبو عبد الله أحمد بن حنبل : الثابت ^(١) عندنا ثلاث وستون .

قلت : وهكذا روى مجاهد عن الشعبي ، وروى من حديث إسماعيل بن أبي خالد عنه .

وفي الصحيحين من حديث رَوْح بن عُبادة ، عن زكريا بن إسحاق ، عن عمرو بن دينار ، عن ابن عباس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مكث بمكة ثلاث عشرة وتوفي وهو ابن ثلاث وستين سنة .

وفي صحيح البخاري من حديث رَوْح بن عُبادة أيضا ، عن هشام ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : بُعث رسول الله صلى الله عليه وسلم لأربعين سنة ، فكث بمكة ثلاث عشرة ، ثم أمر بالهجرة فهاجر عشر سنين ، ثم مات وهو ابن ثلاث وستين .

وكذلك رواه الإمام أحمد عن رَوْح بن عُبادة ويحيى بن سعيد ويزيد بن هارون ، كلهم عن هشام بن حسان . عن عكرمة ، عن ابن عباس به .

وقد رواه أبو يعلى الموصلي ، عن الحسن بن عمر بن سفيان ^(٢) ، عن جعفر بن سليمان ، عن هشام بن حسان ، عن محمد بن سيرين ، عن ابن عباس . فذكر مثله . ثم أورده من طرق عن ابن عباس مثل ذلك .

ورواه مسلم من حديث حماد بن سلمة ، عن أبي جَمْرَةَ ، عن ابن عباس ، أن رسول

(١) أ : الثبت .

(٢) ح : شقيق .

الله صلى الله عليه وسلم أقام بمكة ثلاث عشرة يوحى إليه . وبالمدينة عشراً ومات وهو ابن ثلاث وستين سنة .

وقد أسند الحافظ ابن عساكر من طريق مسلم بن جُنادة ، عن عبد الله بن عمر ، عن كريب ، عن ابن عباس ، قال : توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وستين . ومن حديث أبي خضرة عن سعيد بن المسيب ، عن ابن عباس مثله . وهذا القول هو الأشهر وعليه الأكثر .

وقال الإمام أحمد : حدثنا إسماعيل ، عن خالد الحذاء ، حدثني عمار مولى بني هاشم ، سمعت ابن عباس يقول : توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن خمس وستين سنة .

ورواه مسلم من حديث خالد الحذاء به .

وقال أحمد : حدثنا حسن بن موسى ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن عمار بن أبي عمار ، عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقام بمكة خمس عشرة سنة ، ثمانين سنين أو سبعاً ، يرى الضوء ويسمع الصوت ، وثمانية أو سبعاً يوحى إليه ، وأقام بالمدينة عشراً .

ورواه مسلم من حديث حماد بن سلمة به .

وقال أحمد أيضاً : حدثنا عفان ، حدثنا يزيد بن زريع ، حدثنا يونس ، عن عمار مولى بني هاشم ، قال : سألت ابن عباس كم أتى لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم مات ؟ قال : ما كنت أرى مثلك في قومه يخفى عليك ذلك . قال : قلت : إني قد سألت فاختلف علي فأحبيت أن أعلم قولك فيه . قال : أتحيب ؟ قلت : نعم قال : أمسك أربعين بعث لها ، وخمس عشرة أقام بمكة يأمن ويخاف ، وعشراً مهاجرة ^(١) بالمدينة .

وهكذا رواه مسلم من حديث يزيد بن زريع وشعبة بن الحجاج ، كلاهما عن يونس

(١) غير : « مهاجرة » .

ابن عُبَيْد ، عن عمار ، عن ابن عباس بنحوه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا ابن نُمَيْر ، حدثنا العلاء بن صالح ، حدثنا المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جُبَيْر ، أن رجلاً أتى ابنَ عباس فقال : أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم عشراً بمكة وعشراً بالمدينة ؟ فقال : من يقول ذلك ؟ لقد أنزل عليه بمكة خمس عشرة وبالمدينة عشراً ، خمسا وستين وأكثر .

وهذا من أفراد أحمد إسناداً ومثناً .

وقال الإمام أحمد : حدثنا هُشَيْم ، حدثنا علي بن زيد ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس ، قال : قبض النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن خمس وستين سنة .
تفرد به أحمد .

وقد روى الترمذى فى كتاب الشمائل وأبو يعلى الموصلى والبيهقى من حديث قتادة ، عن الحسن البصرى عن دَعْفَل بن حنظلة الشيبانى الدَّسَابَةِ ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قبُض وهو ابن خمس وستين .

ثم قال الترمذى : دَعْفَل لا نعرف له سماعاً عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد كان فى زمانه رجلاً .

وقال البيهقى : وهذا يوافق رواية عمار ومن تابعه عن ابن عباس .

ورواية الجماعة عن ابن عباس فى ثلاث وستين أصح ، فهم أوثق وأكثر روايتهم توافق الرواية الصحيحة عن عروة عن عائشة ، وإحدى الروایتين عن أنس ، والرواية الصحيحة عن معاوية . وهو قول سعيد بن المسيّب وعامر الشَّعْبى وأبى جعفر محمد بن على رضى الله عنهم .

قلت : وعبد الله بن عُقْبَةَ والقاسم بن عبد الرحمن والحسن البصرى وعلى بن الحسين وغير واحد .

ومن الأقوال الغريبة مارواه خليفة بن خياط ، عن معاذ بن هشام ، حدثني أبي ، عن قتادة ، قال : توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن اثنتين وستين سنة .
ورواه يعقوب بن سفيان ، عن محمد بن المثنى ، عن معاذ بن هشام ، عن أبيه ، عن قتادة مثله . ورواه زيد العمري ، عن يزيد ، عن أنس .

ومن ذلك مارواه ابن عامر ، عن القاسم بن حميد ، عن النعمان بن المنذر الغساني ، عن مكحول ، قال : توفي رسول الله وهو ابن اثنتين وستين سنة وأشهر .
ورواه يعقوب بن سفيان ، عن عبد الحميد بن بكّار^(١) ، عن محمد بن شعيب ، عن النعمان بن المنذر ، عن مكحول ، قال : توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن اثنتين وستين سنة ونصف .

وأغرب من ذلك كله مارواه الإمام أحمد عن رَوْح ، عن سعيد بن أبي عَرُوبَة ، عن قتادة ، عن الحسن ، قال : نزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانين سنة بمكة وعشرًا بعد ما هاجر^(٢) .

فإن كان الحسن ممن يقول بقول الجمهور ، وهو أنه عليه السلام أنزل عليه القرآن وعمره أربعون سنة فقد ذهب إلى أنه عليه السلام عاش ثمانيا وخمسين سنة . وهذا غريب جداً .

لكن رويانا من طريق مُسَدَّد ، عن هشام بن حسان ، عن الحسن ، أنه قال : توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ستين سنة .
وقال خليفة بن خياط : حدثنا أبو عاصم ، عن أشعث ، عن الحسن ، قال : بُعث رسول الله وهو ابن خمس وأربعين ، فأقام بمكة عشرًا وبالمدينة ثمانيا وتوفي وهو ابن ثلاث وستين .

وهذا بهذا الصفة غريب جداً والله أعلم .

صفة غسله عليه السلام

قد قدمنا أنهم رضى الله عنهم اشتغلوا ببيعة الصديق بقية يوم الاثنين وبعض يوم الثلاثاء ، فلما تمهدت وتوطدت وتمت شرعوا بعد ذلك في تجهيز رسول الله صلى الله عليه وسلم مقتدين في كل ما أشكل عليهم بأبي بكر الصديق رضى الله عنه .
قال ابن إسحاق : فلما بويع أبو بكر أقبل الناس على جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الثلاثاء .

وقد تقدم من حديث ابن إسحاق ، عن عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه ، عن عائشة ، أن رسول الله توفى يوم الاثنين ودُفن ليلة الأربعاء .

وقال أبو بكر بن أبي شَيْبَةَ : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا أبو بُرْدَةَ ، عن علقمة بن يزيد ، عن سليمان بن بُرَيْدَةَ ، عن أبيه ، قال : لما أخذوا في غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم ناداهم منادٍ من الداخل : ألا تجردوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قيصه .

ورواه ابن ماجه من حديث أبي معاوية عن أبي بُرْدَةَ - واسمه عمرو بن يزيد التميمي كوفي -

وقال محمد بن إسحاق : حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه ، سمعت عائشة تقول : لما أرادوا غسل النبي صلى الله عليه وسلم ، قالوا : ما ندرى أنجرد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ثيابه كما تجرد موتانا ، أم نغسله وعليه ثيابه .

فلما اختلفوا ألقى الله عليهم النوم حتى ما منهم أحدٌ إلا وذقنه في صدره . ثم كلمهم مكلمٌ من ناحية البيت لا يدرون من هو : أن غسّلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه ثيابه .

فقاموا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ففسلوه وعليه قميص . يصبون الماء فوق القميص فيدلّكونه بالقميص دون أيديهم .

فكانت عائشة تقول : لو استقبلتُ من أمرى ما استدبرت ما غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا نساؤه .

رواه أبو داود من حديث ابن إسحاق .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يعقوب ، حدثنا أبي ، عن ابن إسحاق ، حدثني حسين بن عبد الله ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : اجتمع^(١) القوم لغسل رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس في البيت إلا أهله ، عمه العباس بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب والفضل بن عباس وقُثم بن العباس وأسامة بن زيد بن حارثة وصالح مولاه .

فلما اجتمعوا لفسله نادى من وراء الناس أوس بن خولى الأنصارى ، أحد^(٢) بنى عوف بن الخزرج - وكان بدريا - علي بن أبي طالب ، فقال : يا علي نَنشُدُكَ^(٣) الله وحفظنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال له علي : ادخل . فدخل فحضر غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يَلِ من غسله شيئا .

فأسنده علي إلى صدره وعليه قميصه ، وكان العباس وفضل وقُثم يَقلّبونه مع علي ، وكان أسامة بن زيد وصالح مولاه هما يصبان الماء ، وجعل علي يفسله ولم ير من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا مما يرى^(٤) من الميت ، وهو يقول : بأبي وأمي ! ما أطيبك حيا وميتا .

حتى إذا فرغوا من غسل رسول الله ، - وكان يُفسل بالماء والسدر - جَفَفَوه ثم

صُنع به ما يصنع^(٥) بالميت . ثم أذرج في ثلاثة أثواب : ثوبين أبيضين وبرد حبرة .

(١) مسند أحمد : لما اجتمع . حديث ٢٣٥٨ (٢) المسند : ثم أحد .

(٣) المسند : نشدتك .

(٥) ١ : مما يصنع .

(٤) ١ : مما يراه .

قال : ثم دعا العباسُ رجلين ، فقال : ليذهب أحدهما إلى أبي عبيدة بن الجراح - وكان أبو عبيدة يَضْرَحُ لأهل مكة . وليذهب الآخر إلى أبي طلحة بن سهل الأنصاري - وكان أبو طلحة يَلْحَدُ لأهل المدينة .

قال : ثم قال العباس حين سَرَّحَهُمَا : اللهم خِرْ لرسولك !
قال : فذهبا فلم يجد صاحبُ أبي عبيدة أبا عبيدة ، ووجد صاحبُ أبي طلحة أبا طلحة فلحدا لرسول الله صلى الله عليه وسلم .
انفرد به أحمد .

وقال يونس بن بُكَيْر ، عن المنذر بن ثعلبة ، عن الصَّلْت ، عن العلاء بن أحمَر ، قال : كان علي والفضل يفسلان رسول الله ، فنودي عليّ : ارفع طرفك إلى السماء .
وهذا منقطع .

قلت : وقد روى بعض أهل الثنن عن عليّ بن أبي طالب ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : « يا علي لا تُبَدِّ نَحْذُكَ ، ولا تنظر إلى نَحْذِ حَيٍّ ولا ميت » .
وهذا فيه إشعار بأمره له في حق نفسه والله أعلم .

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، أنبأنا محمد بن يعقوب ، حدثنا يحيى بن محمد بن يحيى ، حدثنا ضَمْرَة ، حدثنا عبد الواحد بن زياد ، حدثنا مَعْمَر ، عن الزُّهري ، عن سعيد بن المسيّب ، قال : قال عليّ : غسلت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهبت أنظر ما يكون من الميت فلم أر شيئا ، وكان طيبا حيا وميتا صلى الله عليه وسلم .

وقد رواه أبو داود في المراسيل وابن ماجه من حديث مَعْمَر .
زاد البيهقي في روايته : قال سعيد بن المسيّب : وقد وَلِيَ دَفَنَهُ عليه السلام أربعة :

عليّ والعباس والفضل وصالح مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لحدوا له لحداً ونصبوا عليه اللّبن نَصَبًا .

وقد روى نحو هذا عن جماعة من التابعين منهم عامر الشعبي ومحمد بن قيس وعبد الله بن الحارث وغيرهم بألفاظ مختلفة بطول بسطها هاهنا .

قال البيهقي : وروى أبو عمرو كيسان ، عن يزيد بن بلال ، سمعت عليا يقول : أوص رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يفسله أحدٌ غيري ، فإنه لا يرى أحد عورتي إلا طُمست عيناه .

قال علي : فكان العباس وأسامة يناولاني الماء من وراء السّتر . قال علي : فما تناولت عضواً إلا كأنه يَقلبه معي ثلاثون رجلاً ، حتى فرغت من غسله .

وقد أسند هذا الحديث الحافظ أبو بكر البزار في مسنده ، فقال : حدثنا محمد بن عبد الرحيم ، حدثنا عبد الصمد بن النعمان ، حدثنا كيسان أبو عمرو ، عن يزيد بن بلال ، قال : قال عليّ بن أبي طالب : أوصاني النبي صلى الله عليه وسلم ألا يفسله أحدٌ غيري ، فإنه لا يرى أحد عورتي إلا طُمست عيناه .

قال علي : فكان العباس وأسامة يناولاني الماء من وراء السّتر . قلت : وهذا غريب جداً .

وقال البيهقي : أنبأنا محمد بن موسى بن الفضل ، حدثنا أبو العباس الأصم ، حدثنا أسيد بن عاصم ، حدثنا الحسين بن حفص ، عن سفيان ، عن عبد الملك بن جريج ، سمعت محمد بن عليّ أبا جعفر قال : غُسل النبي صلى الله عليه وسلم بالسّدْر ثلاثاً ، وغسل وعليه قميص ، وغسل من بئر كان يقال لها الغرّس بقباء كانت لسعد بن خَيْثمة ، وكان رسول الله يشرب منها ، وولى غسله عليّ والفضل يحتضنه ، والعباس يصب الماء ، فجعل الفضل يقول : أرخني قطعت وتيني ، إني لأجد شيئاً يترطّل عليّ ^(١) .

(١) الوتين : عرق في القلب إذا انقطع مات صاحبه . ويطرل : يسترخى ويسترسل .

وقال الواقدي : حدثنا عاصم بن عبد الله الحكمي ، عن عمر بن عبد الحكم . قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نعم البئر بئر غَرْس هي من عيون الجنة وماؤها أطيب المياه » .

وكان رسول الله يُستعذب له منها وغُسل من بئر غرس .

وقال سيف بن عمر ، عن محمد بن عدي ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ؛ قال : لما فرغ من القبر وصلى الناس الظهر ، أخذ العباس في غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ف ضرب عليه كِلَّةً ^(١) من ثياب يمانية صِفَاق في جوف البيت ، فدخل الكِلَّة ودعا علياً والفضل ، فكان إذا ذهب إلى الماء ليعاطيها دعا أبا سفيان بن الحارث فأدخله ، ورجال من بني هاشم من وراء السكلة ، ومن أدخل من الأنصار حيث ناشدوا أبي وسألوه ، منهم أؤس بن خولى رضي الله عنهم أجمعين .

ثم قال سيف عن الضحاك بن يربوع الحنفي عن ماهان الحنفي ، عن ابن عباس ، فذكر ضرب السكلة وأن العباس أدخل فيها علياً والفضل وأبا سفيان وأسامة ، ورجال من بني هاشم من وراء السكلة في البيت ، فذكر أنهم ألقى عليهم النعاس فسمعوا قائلاً يقول : لا تغسلوا رسول الله فإنه كان طاهراً . فقال العباس : ألا بلى . وقال أهل البيت : صدق فلا تغسلوه ، فقال العباس : لا ندع سُنَّة لصوت لاندري ماهو .

وغشيهم النعاسُ ثانية ، فنأداهم : أن غَسَلُوهُ وعليه ثيابه . فقال أهل البيت : ألا لا .

وقال العباس : ألا نعم . فشرعوا في غسله وعليه قميص ومجول ^(٢) مفتوح ، فغسلوه بالماء القراح وطيبوه بالكافور في مواضع سجوده ومفاصله ، واعتصر قميصه ومجوله ، ثم أدرج في أكفانه ، وجرَّوه عُوداً وَندّاً ^(٣) ، ثم احتملوه حتى وضعوه على سريره وسَجَّوهُ . وهذا السياق فيه غرابة جداً .

(١) السكلة : غشاء رقيق يتوقى به من البعوض .

(٢) المجول : ثوب أبيض يجعل على يد من تدفع إليه القداح إذا تجمعوا .

(٣) الند : العنبر ، أو نوع من الطيب . وفي ١ : عودا ، ثم احتملوه .

صفة كفنه عليه الصلاة والسلام

قال الإمام أحمد : حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثنا الأوزاعي ، حدثني الزهري ، عن القاسم ، عن عائشة ، قالت : أدرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثوب حبرة ثم آخر عنه .

قال القاسم : إن بقايا ذلك الثوب لعقدنا بعد .

وهذا الإسناد على شرط الشيخين ، وإنما رواه أبو داود عن أحمد بن حنبل والنسائي عن محمد بن مننّى ، ومجاهد بن موسى فرقهما ، كلهم عن الوليد بن مسلم به .

وقال الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي : حدثنا مالك ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة . قالت : كفن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثلاثة أثواب بيض سَحُولِيَّة^(١) ، ليس فيها قميص ولا عمامة .

وكذا رواه البخاري عن إسماعيل بن أبي أويس ، عن مالك .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سفيان ، عن هشام عن أبيه عن عائشة : كفن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثلاثة أثواب [سَحُولِيَّة] ^(٢) بيض .

وأخرجه مسلم من حديث سفيان بن عيينة . وأخرجه البخاري عن أبي نعيم عن سفيان الثوري ، كلاهما عن هشام بن عروة به .

وقال أبو داود : حدثنا قتيبة ، حدثنا حفص بن غياث ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة : أن رسول الله كفّن في ثلاثة أثواب بيض يمانية من كَرْسُف^(٣) ، ليس ليس فيها قميص ولا عمامة .

(١) سَحُولِيَّة : منسوبة إلى سحول ، موضع باليمن تنسج به الثياب .

(٢) ليست في أ

(٣) الكرسف : القطن .

قال : فذكر لعائشة قولهم : في ثوبين وبرد حبرة ، فقالت : قد أتى بالبرد ولكنهم ردّوه ولم يكفنوه فيه .

وهكذا رواه مسلم ، عن أبي بكر بن أبي شيبة ، عن حفص بن غياث به .
وقال البيهقي : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، أنبأنا أبو الفضل محمد بن إبراهيم ، حدثنا أحمد بن سلمة ، حدثنا هناد بن السرى ، حدثنا أبو معاوية ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، قالت : كفن رسول الله في ثلاثة أثواب بيض سَحُولِيَةٍ من كُرْسَفٍ ، نيس فيها قميص ولا عمامة ، فأما الخلّة فإنما شُبّه على الناس فيها ، إنما اشتريت له خلّة ليكفن فيها فتركت ، وأخذها عبد الله بن أبي بكر فقال : لأحبسها لنفسى حتى أكفن فيها . ثم قال : لو رضىها الله لنبيه صلى الله عليه وسلم لكفنه فيها . فباعها وتصدق بثمنها .

رواه مسلم في الصحيح عن يحيى بن يحيى وغيره ، عن أبي معاوية .
ثم رواه البيهقي عن الحاكم ، عن الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبار ، عن أبي معاوية ، عن هشام ، عن أبيه ، عن عائشة ، قالت : كُفِنَ رسول الله في بُرْدٍ حَبْرَةٍ كانت لعبد الله بن أبي بكر وُلِفَ فيها ثم نُزِعَتْ عنه ، فكان عبد الله بن أبي بكر قد أَمْسَكَ تلك الخلّة لنفسه حتى يكفن فيها إذا مات . ثم قال بعد أن أَمْسَكَهَا : ما كنت أَمْسِكُ لنفسى شيئاً منع الله رسوله صلى الله عليه وسلم أن يكفن فيه . فتصدق بثمنها عبد الله .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة ، قالت : كفن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثلاثة أثواب سَحُولِيَةٍ بيض .
ورواه النسائي ، عن إسحاق بن راهويه ، عن عبد الرزاق .

وقال الإمام أحمد : حدثنا مسكين بن بكر ، عن سعيد ، يعني ابن عبد العزيز ، قال

مَكْحُول : حدثني عروة عن عائشة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كفن في ثلاثة أثواب رباط يمانية .

انفرد به أحمد .

وقال أبو يعلى الموصلي : حدثنا سهل بن حبيب الأنصاري ، حدثنا عاصم بن هلال ، إمام مسجد أيوب ، حدثنا أيوب عن نافع ، عن ابن عمر : قال كفن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثلاثة أثواب بيض سَحُولِيَّة .

وقال سفيان عن عاصم بن عبيد الله ، عن سالم ، عن ابن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كفن في ثلاثة أثواب .

ووقع في بعض الروايات ؛ ثوبين صُحَارِيَّين^(١) وبرد حَبْرَة .

وقال الإمام أحمد : حدثنا ابن إدريس ، حدثنا يزيد ، عن مِقْسَم ، عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كفن في ثلاثة أثواب : في قميصه الذي مات فيه ، وَحُلَّة نَجْرَانِيَّة - الحلة ثوبان - .

ورواه أبو داود عن أحمد بن حنبل وعثمان بن أبي شبة ، وابن ماجه عن علي ابن محمد ، ثلاثهم عن عبد الله بن إدريس ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن مِقْسَم ، عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نحوه . وهذا غريب جدا .

وقال الإمام أحمد : أيضا : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا سفيان ، عن ابن أبي ليلى ، عن الحكم ، عن مِقْسَم ، عن ابن عباس ، قال : كفن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثوبين أبيضين وبرد أحمر .

انفرد به أحمد من هذا الوجه .

(١) كذا ولعلها نسبة إلى صحار ، وهي هضبة عمان مما يلي الجبل . المراد .

وقال أبو بكر الشافعي : حدثنا علي بن الحسن ، حدثنا حميد بن الربيع ، حدثنا بكر - يعني ابن عبد الرحمن - حدثنا عيسى - يعني ابن المختار - عن محمد بن عبد الرحمن هو ابن أبي ليلى ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، عن الفضل بن عباس ، قال : كفن رسول الله في ثوبين أبيضين وبرد أحر .

وقال أبو يعلى : حدثنا سليمان الشاذكوني ، حدثنا يحيى بن أبي الهيثم ، حدثنا عثمان بن عطاء ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، عن الفضل ، قال : كفن رسول الله صلى عليه وسلم في ثوبين أبيضين سحوليين .

زاد فيه محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى : وبرد أحر .

وقد رواه غير واحد عن إسماعيل المؤدب ، عن يعقوب بن عطاء ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، عن الفضل ، قال : كفن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثوبين أبيضين وفي رواية : وسحولية . قاله أعلم .

وروى الحافظ ابن عساكر من طريق أبي طاهر الخالص ، حدثنا أحمد بن إسحاق عن البهلول ، حدثنا عباد بن يعقوب ، حدثنا شريك ، عن أبي إسحاق ، قال : وقعت على مجلس بني عبد المطلب وهم متوافرون ، فقلت لهم : في كم كفن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالوا : في ثلاثة أثواب ليس فيها قميص ولا قباء ولا عمامة .

قلت : كم أسر منكم يوم بدر ؟ قالوا : العباس ونوفل وعقيل .

وقد روى البيهقي من طريق الزهري ، عن علي بن الحسين زين العابدين ، أنه قال : كفن رسول الله في ثلاثة أثواب أحدها برد حبرة .

وقد ساقه الحافظ ابن عساكر من طريق في صحتها نظر ، عن علي بن أبي طالب ، قال : كفنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثوبين سحوليين وبرد حبرة .

وقد قال أبو سعيد ابن الأعرابي : حدثنا إبراهيم بن الوليد حدثنا محمد بن كثير

حدثنا هشام عن قتادة ، عن سعيد بن المسيّب ، عن أبي هريرة ، قال : كفن رسول الله صلى الله عليه وسلم في رِيْطَتَيْنِ وَبُرْدٍ نَجْرَانِي .

وكذا رواه أبو داود الطيالسي عن هشام وعمران القَطَّان ، عن قتادة عن سعيد ، عن أبي هريرة به .

وقد رواه الربيع بن سليمان ، عن أسد بن موسى ، حدثنا نصر بن طَرِيف ، عن قتادة ، حدثنا ابن المسيّب ، عن أم سلمة : أن رسول الله كفن في ثلاثة أثواب أحدها بُرْدُ نَجْرَانِي .

قال البيهقي : وفيما روينا عن عائشة بيان سبب الاشتباه على الناس ، وأن الخبر أُخِرَتْ عنه والله أعلم .

ثم روى الحافظ البيهقي من طريق محمد بن إسحاق بن خزيمة ، حدثنا يعقوب ابن إبراهيم الدورقي ، عن حميد بن عبد الرحمن الرؤاسي ، عن حسن بن صالح ، عن هارون بن سعيد ، قال : كان عند عليّ مسك فأوصى أن يُخْنَطَ به ، وقال : هو من فَضْلِ حنوط رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ورواه من طريق إبراهيم بن موسى ، عن حميد ، عن حسن ، عن هارون ، عن أبي وائل عن علي . فذكره .

كيفية الصلاة عليه ﷺ

ومد تقدم الحديث الذي رواه البيهقي من حديث الأشعث بن طليق ، والبزار من حديث الأصبهاني ، كلاهما عن مرة ، عن ابن مسعود : في وصية النبي صلى الله عليه وسلم أن يغسله رجال أهل بيته ، وأنه قال : كفنوني في ثيابي هذه أو في يمانية أو بياض مصر ، وأنه إذا كفنوه يضعونه على شفير قبره ثم يخرجون عنه حتى تصلى عليه الملائكة ، ثم يدخل عليه رجال أهل بيته فيصلون عليه ، ثم الناس بعدهم فرادى .

الحديث بتمامه . وفي صحته نظر كما قدمنا . والله أعلم .

وقال محمد بن إسحاق : حدثني الحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم أدخل الرجال فصلوا عليه بغير إمام أرسالا حتى فرغوا ، ثم أدخل النساء فصلين عليه ، ثم أدخل الصبيان فصلوا عليه ، ثم أدخل العبيد فصلوا عليه أرسالا ، لم يؤتمهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد .

وقال الواقدي : حدثني أبي بن عيَّاش بن سهل بن سعد ، عن أبيه ، عن جده ، قال : لما أدرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في أ كفانه وُضِعَ على سريره ، ثم وضع على شفير حُفْرته ، ثم كان الناس يدخلون عليه رُفَقًا رُفَقًا لا يؤمهم أحد .

قال الواقدي : حدثني موسى بن محمد بن إبراهيم ، قال وجدت كتابا بخط أبي فيه أنه لما كفن رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضع على سريره ؛ دخل أبو بكر وعمر رضى الله عنهما ومعهما نفر من المهاجرين والأنصار بقدر ما يسم البيت ، فقالا :

السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، وسلم المهاجرون والأنصار كما سلم أبو بكر وعمر ، ثم صفقوا صفواً لا يؤمهم أحد .

فقال أبو بكر وعمر - وهما في الصف الأول حيال رسول الله صلى الله عليه وسلم - اللهم إنا نشهد أنه قد بلغ ما أنزل إليه ، ونصح لأئمة ، وجاهد في سبيل الله حتى أعز الله دينه وتمت كلمته ، وأومن به وحده لا شريك له ، فاجعلنا إياهما ممن يتبع القول الذي أنزل معه ، واجمع بيننا وبينه حتى تعرفه بنا وتعرفنا به ، فإنه كان بال مؤمنين رءوفاً رحيماً ، لا نبتغي بالإيمان به بدلاً ولا نشترى به ثمناً أبداً .

فيقول الناس : آمين آمين . ويخرجون ويدخل آخرون ، حتى صلى الرجال ، ثم النساء ، ثم الصبيان .

وقد قيل : إنهم صلوا عليه من بعد الزوال يوم الاثنين إلى مثله من يوم الثلاثاء ، وقيل إنهم مكثوا ثلاثة أيام يصلون عليه . كما سيأتى بيان ذلك قريباً . والله أعلم . وهذا الصنيع ، وهو صلاتهم عليه فرادى لم يؤمهم أحدٌ عليه ، أمرٌ مُجمَع عليه لا خلاف فيه .

وقد اختلف في تعليقه . فلو صح الحديث الذي أورده عن ابن مسعود لكان نصاً في ذلك ، ويكون من باب التعبد الذي يعسر تعقل معناه^(١) . وليس لأحد أن يقول : لأنه لم يكن لهم إمام ، لأننا قد قدمنا أنهم إنما شرعوا في تجهيزه عليه السلام بعد تمام بيعة أبي بكر رضى الله عنه وأرضاه .

وقد قال ، بعض العلماء : إنما لم يؤمهم أحدٌ ليمأثر كل واحد من الناس الصلاة عليه منه إليه ، ولتكرّر صلاة المسلمين عليه مرة بعد مرة من كل فرد فرد من آحاد الصحابة رجالهم ونسائهم وصبيانهم حتى العبيد والإماء .

(١) ت : الذى تعقل .

وأما الشهيد فقال ما حاصله : إن الله قد أخبر أنه وملأئكته يصلون عليه ، وأمر كل واحد من المؤمنين أن يباشر الصلاة عليه منه إليه ، والصلاة عليه بعد موته من هذا القَبِيل . قال : وأيضاً فإن الملائكة لنا في ذلك أئمة . فالله أعلم .

وقد اختلف المتأخرون من أصحاب الشافعي في مشروعية الصلاة على قبره لغير الصحابة . فقيل : نعم . لأن جسده عليه السلام طَرِيَ في قبره ، لأن الله قد حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء ، كما ورد بذلك الحديث في السنن وغيرها فهو كالليت اليوم ، وقال آخرون : لا يُفعل ، لأن السلف ممن بعد الصحابة لم يفعلوه ، ولو كان مشروعاً لبادروا إليه ولتأخروا عليه . والله أعلم .

صفة دفنه عليه السلام ، وأين دُفن ، وذكر الخلاف

في دفنه أليلاً كان أم نهاراً

قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا ابن جُرَيْج ، أخبرني أبي - وهو عبد العزيز بن جُرَيْج : أن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، لم يَدْرُوا أين يَقْبُرُونَ النبي صلى الله عليه وسلم . حتى قال أبو بكر : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : لم يُقْبَر نَبِيٌّ إِلَّا حيث يموت ، فَأَخَرُوا فراشه وحفروا تحت فراشه صلى الله عليه وسلم . وهذا فيه انقطاع بين عبد العزيز بن جريج وبين الصديق ، فإنه لم يدركه ، لكن رواه الحافظ أبو يَعْلَى من حديث ابن عباس وعائشة ، عن أبي بكر الصديق رضي الله عنهم ، فقال : حدثنا أبو موسى الهَرَوِيُّ ، حدثنا أبو معاوية ، حدثنا عبد الرحمن بن أبي بكر ، عن ابن أبي مُلَيْكَةَ ، عن عائشة ، قالت : اختلفوا في دفن النبي صلى الله عليه وسلم حين قُبِضَ ، فقال أبو بكر : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول :

« لا يُقبض النبي إلا في أحب الأمكنة إليه » فقال : ادفنوه حيث قبض .

وهكذا رواه الترمذى عن أبي كُرَيْب ، عن أبي معاوية ، عن عبد الرحمن بن أبي بكر المَلَيْكِي ، عن ابن أبي مُلَيْكَةَ ، عن عائشة قالت : لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم اختلفوا في دفنه فقال أبو بكر : سمعت من رسول الله شيئاً مانسبته ، قال : « ما قبض الله نبياً إلا في الموضع الذى يحب أن يُدفن فيه » . ادفنوه في موضع فراشه .
ثم إن الترمذى ضَعَفَ المَلَيْكِي ثم قال : وقد روى هذا الحديث من غير هذا الوجه ، رواه ابن عباس عن أبي بكر الصديق عن النبي صلى الله عليه وسلم .

وقال الأُمَوِي عن أبيه عن ابن إسحاق ، عن رجل حدثه ، عن عروة ، عن عائشة ، أن أبا بكر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إنه لم يُدفن نبي قط إلا حيث قُبِضَ » .

قال أبو بكر بن أبي الدنيا : حدثني محمد بن سهل التميمي ، حدثنا هشام بن عبد الملك الطيالسي ، عن حماد بن سلمة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، قالت : كان بالمدينة خَفَّارَانِ فلما مات النبي صلى الله عليه وسلم قالوا : أين ندفنه ؟ فقال أبو بكر رضى الله عنه : في المكان الذى مات فيه ، وكان أحدهما يَلْحَدُ والآخر يَشُقُّ ، فجاء الذى يَلْحَدُ فاحد للنبي صلى الله عليه وسلم .

وقد رواه مالك بن أنس ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه منقطعاً .

وقال أبو يعلى : حدثنا جعفر بن مهران ، حدثنا عبد الأعلى ، عن محمد بن إسحاق ، حدثني حسين بن عبد الله ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : لما أرادوا أن يحفروا للنبي صلى الله عليه وسلم وكان أبو عبيدة الجراح يَضْرَحُ كَحَفْرِ أهل مكة ، وكان أبو طلحة زيد ابن سهل هو الذى كان يحفر لأهل المدينة وكان يَلْحَدُ ، فدعا العباس رجلين فقال لأحدهما : اذهب إلى أبي عُبَيْدَةَ . وقال للآخر : اذهب إلى أبي طلحة ، اللهم خِرْهُ لرسولك .

قال : فوجد صاحبُ أبي طلحة أبا طلحة . فجاء به فاحد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما فرغ من جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الثلاثاء وُضِعَ على سريره في بيته ، وقد كان المسلمون اختلفوا في دفنه . فقال قائل : ندفنه في مسجده . وقال قائل : ندفنه مع أصحابه . فقال أبو بكر : إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما قبض نبي إلا دفن حيث قبض » .

فرفع فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي توفي فيه فحَفَرُوا له تحته ، ثم أدخل الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم يُصَلُّون عليه أرسالاً ، الرجال حتى إذا فرغ منهم أدخل النساء ، حتى إذا فرغ النساء أدخل الصبيان ، ولم يؤمَّ الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدٌ . فدفن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أوسط الليل ليلة الأربعاء .

وهكذا رواه ابن ماجه عن نَصْر بن علي الجهمي ، عن وَهْب بن جرير ، عن أبيه ، عن محمد بن إسحاق فذكر بإسناده مثله . وزاد في آخره : ونزل في حُفْرَتِهِ علي بن أبي طالب والفضل وقثم ابنا عباس وشقران مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال أَوْس بن خَوْلِي - وهو أبو ليلى - لعلي بن أبي طالب : أنشدك الله وحفظنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال له علي : انزل .

وكان شُقران مولاه أخذ قطيفةً كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبسها فدفنها في القبر وقال : والله لا يلبسها أحدٌ بعدك . فدفنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد رواه الإمام أحمد ، عن حسين بن محمد ، عن جرير بن حازم ، عن ابن إسحاق مختصراً ، وكذلك رواه يونس بن بُكَيْر وغيره عن إسحاق به .

وروى الواقدي عن ابن أبي حَبِيبَة ، عن داود بن الحصين ، عن عكرمة ، عن ابن

عباس ، عن أبي بكر الصديق ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما قبض الله نبيا إلا ودفن حيث قبض » .

وروى البيهقي عن الحاكم ، عن الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبار ، عن يونس بن بكير ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحصين أو محمد بن جعفر بن الزبير ، قال : لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم اختلفوا في دفنه فقالوا : كيف ندفنه ؟ مع الناس أو في بيوته .

فقال أبو بكر : إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما قبض الله نبيا إلا دُفن حيث قبض » . فدفن حيث كان فراشه ، رُفع الفراش وحُفِرَ تحته .

وقال الواقدي : حدثنا عبد الحميد بن جعفر ، عن عثمان بن محمد الأَخْسي ، عن عبد الرحمن بن سعيد - يعني ابن يَرْبوع - قال : لما توفي النبي صلى الله عليه وسلم اختلفوا في موضع قبره . فقال قائل : في البقيع ، فقد كان يكثر الاستغفار لهم . وقال قائل : عند منبره . وقال قائل : في مُصَلَّاه .

فجاء أبو بكر فقال : إن عندي من هذا خبراً وعلماً ، سمعت رسول الله يقول : « ما قبض نبى إلا دُفن حيث توفي » .

قال الحافظ البيهقي : وهو في حديث يحيى بن سعيد ، عن القاسم بن محمد ، وفي حديث ابن جريج عن أبيه ، كلاهما عن أبي بكر الصديق ، عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلًا . وقال البيهقي : عن الحاكم ، عن الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبار ، عن يونس بن بكير ، عن سلمة بن نُبَيْط بن شَرِيط ، عن أبيه ، عن سالم بن عبيد - وكان من أصحاب الصُّفة - قال : دخل أبو بكر على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مات ثم خرج ، فقيل له : توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم . فعملوا أنه كما قال .

وقيل له : أنصلي عليه ؟ وكيف نصلي عليه ؟ قال : تجمئون عُصَبًا عُصَبًا ، فتصلون . فعملوا أنه كما قال .

قلوا : هل يُدْفَن وأين ؟ قال : حيث قَبِضَ اللهُ روحه ، فإنه لم يَقْبِضْ روحه إلا في مكان طَيِّب . ففعلوا أنه كما قال .

وروى البيهقي من حديث سفيان بن عُيَيْنَةَ ، عن يحيى بن سعيد الأنصاري ، عن سعيد بن المسيَّب ، قال : عَرَضَتْ عائشة على أبيها رؤيا ، وكان من أَعْبَرَ الناس ، قالت : رأيت ثلاثة أثمار وقعن في حِجْرِي ، فقال لها : إن صدقت رؤياك دُفِنَ في بيتك من خير أهل الأرض ثلاثة .

فلما قَبِضَ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يا عائشة هذا خيرُ أثمارك !
ورواه مالك ، عن يحيى بن سعيد ، عن عائشة منقطعاً .

وفي الصحيحين عنها أنها قالت : توفي النبي صلى الله عليه وسلم في بيتي وفي يومي وبين سَحْرَى ونَحْرَى ، وجمع الله بين ريقى وريقه في آخر ساعة من الدنيا وأول ساعة من الآخرة .

وفي صحيح البخاري من حديث أبي عَوانة ، عن هلال الورَّاق ، عن عروة ، عن عائشة ، قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي مات فيه يقول : « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » .

قالت عائشة : ولولا ذلك لأَبْرَزَ قبره ، غير أنه خشي أن يُتخذ مسجداً .

وقال ابن ماجه : حدثنا محمود بن غَيْلان ، حدثنا هاشم بن القاسم ، حدثنا مبارك بن فضالة ، حدثني حُميد الطَّويل ، عن أنس بن مالك ، قال : لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ^(١) بالمدينة رجل يَلْحَدُ والآخر يَضْرَحُ فقالوا : نستخير الله ^(٢) ونبعث

(١) سنن ابن ماجه حديث ١٥٥٧ - لما توفي النبي صلى الله عليه وسلم كان بالمدينة .

(٢) ابن ماجه : نستخير ربنا .

إليهما ، فأيهما سبق تركناه . فأرسل إليهما فسبق صاحب اللحد ، فلحدوا للنبي صلى الله عليه وسلم .

تفرد به ابن ماجه وقد رواه الإمام أحمد ، عن أبي النضر هاشم بن القاسم به .
وقال ابن ماجه أيضا : حدثنا عمر بن شبة بن عبيدة بن زيد^(١) ، حدثنا عبيد بن طقيل ، حدثنا عبد الرحمن بن أبي مليكة ، حدثني ابن أبي مليكة ، عن عائشة ، قالت : لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم اختلفوا في اللحد والشق حتى تكلموا في ذلك وارتفعت أصواتهم . فقال عمر : لا تصخبوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حياً ولا ميتاً - أو كلمة نحوها - فأرسلوا إلى الشقاق واللاحد جميعاً . فجاء اللاحد فلحد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم دفن .

تفرد به ابن ماجه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، حدثنا الأعمري ، عن نافع ، عن ابن عمر . وعن عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه ، عن عائشة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أُلحد له لحد .

تفرد به أحمد من هذين الوجهين .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن شعبة وابن جعفر ، حدثنا شعبة ، حدثني أبو جحرة عن ابن عباس ، قال : جُعل في قبر النبي صلى الله عليه وسلم قطيفة حمراء .
وقد رواه مسلم والترمذي والنسائي من طرق ، عن شعبة به . وقد رواه وكيع عن شعبة .

وقال وكيع : كان هذا خاصاً برسول الله صلى الله عليه وسلم .

رواه ابن عساكر .

(١) الأصل : ابن يزيد . وما أثبتته عن سنن ابن ماجه .

وقال ابن سعد : أنبأنا محمد بن عبد الله الأنصاري ، حدثنا أشعث بن عبد الملك الحُمُراني ، عن الحسن ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بَسَطَ تَحْتَهُ قَطِيفَةَ حِجْرَاءَ كَانَ يَلْبَسُهَا ، قَالَ : وَكَانَتْ أَرْضًا نَدْبِيَّةً . وَقَالَ هُشَيْمُ بْنُ مَنْصُورٍ عَنْ الْحَسَنِ قَالَ : جُعِلَ فِي قَبْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَطِيفَةُ حِجْرَاءَ كَانَ أَصَابَهَا يَوْمَ حُنَيْنٍ .

قال [الحسن ^(١)] : جعلها لأن المدينة أرض سَبْجَةٍ .

وقال محمد بن سعد : حدثنا حماد بن خالد الخياط ، عن عُقْبَةَ بْنِ أَبِي الصَّهْبَاءِ ، سَمِعْتُ الْحَسَنَ يَقُولُ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « اِفْرَشُوا لِي قَطِيفَةً فِي لَحْدِي فَإِنَّ الْأَرْضَ لَمْ تُسَلِّطْ عَلَى أَجْسَادِ الْأَنْبِيَاءِ » .

وروى الحافظ البيهقي من حديث مُسَدَّدٍ ، حدثنا عبد الواحد ، حدثنا مَعْمَرٌ ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيَّب ، قال : قال عليٌّ : غَسَلْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَهَبَتْ أَنْظَرُ إِلَى مَا يَكُونُ مِنَ الْمَيِّتِ فَلَمْ أَرْ شَيْئًا ، وَكَانَ طَيِّبًا حَيًّا وَمَيِّتًا .

قال : وَوَلِيَ دَفَنَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَإِجْنَانَهُ دُونَ النَّاسِ أَرْبَعَةً ، عَلَى وَالْعَبَّاسِ وَالْفَضْلِ وَصَالِحِ مَوْلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلِحَدِّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَحْدًا ، وَنُصِبَ عَلَيْهِ الْإِبْنُ نَصَبًا .

وذكر البيهقي عن بعضهم أنه نُصِبَ عَلَى لَحْدِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ تِسْعَ لَبَنَاتٍ .

وروى الواقدي عن ابن أبي سَبْرَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْبُدٍ ، عَنْ عِكْرَمَةَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَوْضُوعًا عَلَى سَرِيرِهِ مِنْ حِينَ زَاغَتِ الشَّمْسُ مِنْ يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ إِلَى أَنْ زَاغَتِ الشَّمْسُ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ ، يَصْلِي النَّاسُ عَلَيْهِ وَسَرِيرُهُ عَلَى شَفِيرِ قَبْرِهِ فَلَمَّا أَرَادُوا أَنْ يَقْبُرُوهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ نَحَوُا السَّرِيرَ قَبْلَ رِجْلَيْهِ فَأَدْخَلُوا مِنْ هُنَاكَ . وَدَخَلَ فِي حُقْرَتِهِ الْعَبَّاسُ وَعَلِيٌّ وَقَتْمٌ وَالْفَضْلُ وَشُقْرَانٌ .

وروى البيهقي من حديث إسماعيل الشدّي ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال :
دخل قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم العباس وعليّ والفضل وسوى لحدّه رجل من
الأنصار وهو الذي سوى لحدّ قبور الشهداء يوم بدر .
قال ابن عساكر : صوابه يوم أُحُد .

وقد تقدم رواية ابن إسحاق عن حسين بن عبد الله ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ،
قال : كان الذين نزلوا في قبر رسول الله على والفضل وقمّ وشقران ، وذكر الخامس وهو
أوس بن خولى ، وذكر قصة القطيفة التي وضعها في القبر شقران .

وقال الحافظ البيهقي : أخبرنا أبو طاهر الخدّاباذي ، حدثنا أبو قلابة ، حدثنا أبو عاصم ،
حدثنا سفيان بن سعيد ، هو الثوري ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن الشَّعْبِيّ ، قال : حدثني
أبو مرّحَب ، قال : كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِمْ فِي قَبْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْبَعَةَ : أَحَدُهُمْ عَبْدُ
الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ .

وهكذا رواه أبو داود عن محمد بن الصَّبَّاح ، عن سفيان ، عن إسماعيل بن أبي
خالد به .

ثم رواه عن أحمد بن يونس ، عن زهير عن إسماعيل ، عن الشَّعْبِيّ ، حدثني مرّحَب
أو ابن عمي مرّحَب^(١) : أَنَّهُمْ أَدْخَلُوا مَعَهُمْ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ ، فَلَمَّا فَرَّغَ عَلَى قَبْرِ النَّبِيِّ
إِنَّمَا بَلَغَ الرَّجُلَ أَهْلُهُ .

وهذا حديث غريب جداً وإسناده جيد قوى ، ولا نعرفه إلا من هذا الوجه .
وقد قال أبو عمر بن عبد البرّ في استيعابه : أبو مرّحَب اسمه سُؤَيْدُ بْنُ قَيْسٍ ، وذكر
أبا مرّحَب آخر وقال : لا أعرف خبره .

قال ابن الأثير في الغابة : فيحتمل أن يكون راوى هذا الحديث أحدهما أوثالثه
غيرهما [والله الحمد]^(٢) .

ذكر من كان آخر الناس به عهداً عليه الصلاة والسلام

قال الإمام أحمد : حدثنا يعقوب ، حدثنا أبي ، عن ابن إسحاق ، حدثني أبي إسحاق ابن يسار ، عن مِقْسَمِ أبي القاسم مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل ، عن مولاة عبد الله بن الحارث ، قال : اعتمرت مع عليّ في زمان عمر أو زمان عثمان ، فنزل على أخته أم هانئ بنت أبي طالب ، فلما فرغ من عمرته رجع فسكبت له غسلاً فاغتسل .

فلما فرغ من غسله دخل عليه نفر من أهل العراق فقالوا : يا أبا حسن جئناك نسألك عن أمر نحب أن نخبرنا عنه . قال : أظن المغيرة بن شعبه يحدثكم أنه كان أحدث الناس عهداً برسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالوا : أجل . عن ذلك جئنا نسألك . قال : أحدث الناس عهداً برسول الله صلى الله عليه وسلم قُتِمَ بن عباس .

تفرد به أحمد من هذا الوجه .

وقد رواه يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق به مثله سواء ، إلا أنه قال قبله عن ابن إسحاق قال : وكان المغيرة بن شعبه يقول : أخذت خاتمي فألقيته في قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقلت حين خرج القوم : إن خاتمي قد سقط في القبر . وإنما طرحته عهداً لأمس رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكون آخر الناس عهداً به .

قال ابن إسحاق : فحدثني والدي إسحاق بن يسار ، عن مِقْسَمِ ، عن مولاة عبد الله بن الحارث ، قال : اعتمرت مع عليّ . فذكر ماتقدم .

وهذا الذي ذكر عن المغيرة بن شعبه لا يقتضي أنه حصل له ما أمّله ، فإنه قد يكون عليّ رضي الله عنه لم يمكنه من النزول في القبر بل أمر غيره فناولوه إياه ، وعلى ماتقدم يكون الذي أمره بمناولته له قُتِمَ بن عباس .

وقد قال الوافدي : حدثني عبد الرحمن بن أبي الزناد ، عن أبيه ، عن عبيد الله بن

عبد الله بن عتبة ، قال : ألقى المغيرة بن شعبه خاتمه في قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال عليّ : إنما ألقيته لتقول : نزلت في قبر النبي صلى الله عليه وسلم . فنزل فأعطاه . أو أمر رجلاً فأعطاه .

وقد قال الإمام أحمد حدثنا بهز وأبو كامل ، قالا : حدثنا حماد بن سلمة ، عن أبي عمران الجوني ، عن أبي عسيب أو أبي عسيم قال بهز : إنه شهد الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم قالوا : كيف نصلى ، قال : ادخلوا أرسالا أرسالا ، فكانوا يدخلون من هذا الباب فيصلون عليه ثم يخرجون من الباب الآخر .

قال : فلما وُضِعَ في لحده قال المغيرة : قد بقي من رجليه شيء لم تصاحوه . قالوا : فادخل فأصلحه . فدخل وأدخل يده فس قدميه عليه السلام . فقال : أهيلوا على التراب . فأهالوا عليه حتى بلغ إلى أنصاف ساقيه ، ثم خرج فكان يقول : أنا أخذتكم عهداً يرسل الله صلى الله عليه وسلم !

متى وقع دفنه عليه الصلاة والسلام

وقال يونس عن ابن إسحاق : حدثني فاطمة بنت محمد امرأة عبد الله بن أبي بكر وأدخلني عليها حتى سمعته^(١) منها ، عن عمرة ، عن عائشة ، أنها قالت : ما علمنا بدفن النبي صلى الله عليه وسلم حتى سمعنا صوت المسأحي في جوف ليلة الأربعاء .

وقال الواقدي : حدثنا ابن أبي سبرة ، عن الحلّيس بن هشام ، عن عبد الله بن وهب ، عن أم سلمة ، قالت : بينما نحن مجتمعون نبكي لم نتم ورسول الله صلى الله عليه وسلم في بيوتنا ونحن نتسلى برؤيته على السرير ، إذ سمعنا صوت الكرازين^(٢) في السحر . قالت أم سلمة : فصحبنا وصاح أهل المسجد ، فارتجّت المدينة صيحة واحدة ، وأذن بلال بالفجر ، فلما ذكر

النبي صلى الله عليه وسلم بكى وانتحب ، فزادنا حُزنا وعالج الناسُ الدخولَ إلى قبره ففلق دونهم ، فيالها من مصيبة ما أُصبتنا بعدها بمصيبة إلا هانت إذا ذكرنا مصيبتنا به صلى الله عليه وسلم .

وقد روى الإمام أحمد من حديث محمد بن إسحاق ، عن عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه ، عن عائشة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفى يوم الاثنين ودفن ليلة الأربعاء .

وقد تقدم مثله في غير ما حديث . وهو الذى نص عليه غير واحد من الأئمة سلفا وخلفا ؛ منهم سليمان بن طَرَّحان التَّمِيمى ، وجعفر بن محمد الصادق ، وابن إسحاق ، وموسى ابن عُقبة وغيرهم .

وقد روى يعقوب بن سفيان ، عن عبد الحميد ، عن بَكَّار ، عن محمد بن شعيب ، عن الأوزاعى أنه قال : توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين قبل أن ينتصف النهار ، ودفن يوم الثلاثاء .

وهكذا روى الإمام أحمد عن عبد الرزاق ، عن ابن جُرَيْج ، قال : أُخبرت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات فى الضحى يوم الاثنين ودفن من الغد فى الضحى .

وقال يعقوب : حدثنا سفيان ، حدثنا سعيد بن منصور ، حدثنا سفيان ، عن جعفر ابن محمد ، عن أبيه و [عن] ^(١) ابن جُرَيْج ، عن أبي جعفر ، أن رسول الله توفى يوم الاثنين ، فلبث ذلك اليوم وتلك الليلة ويوم الثلاثاء إلى آخر النهار .

فهو قول غريب ، والمشهور عن الجمهور ما أسلفناه من أنه عليه السلام توفى يوم الاثنين ، ودفن ليلة الأربعاء .

(١) ليست فى ١ .

ومن الأقوال الغريبة في هذا أيضا مرواه يعقوب بن سفيان عن عبد الحميد بن بكَّار ، عن محمد بن شعيب ، عن أبي النعمان ، عن مَكْحُول ، قال : ولد رسول الله يوم الاثنين ، وأوحى إليه يوم الاثنين ، وهاجر يوم الاثنين ، وتوفي يوم الإثنين لثنتين وستين سنة ونصف ، ومكث ثلاثة أيام لا يدفن ، يدخل عليه الناس أرسالا أرسالا يصلّون لا يصفّون ولا يؤمّمهم عليه أحد .

فقوله : إنه مكث ثلاثة أيام لا يدفن . غريب ، والصحيح أنه مكث بقية يوم الاثنين ويوم الثلاثاء بكّاله ، ودفن ليلة الأربعاء كما قدمنا . والله أعلم .

وضدّه مرواه سيف ، عن هشام ، عن أبيه ، قال : توفي رسول الله يوم الاثنين . [وغسل يوم الاثنين] ^(١) ودفن ليلة الثلاثاء .

قال سيف : وحدثنا يحيى بن سعيد مرةً بجميعة عن عائشة به . وهذا غريب جداً .

وقال الواقدي : حدثنا عبد الله بن جعفر ، عن ابن أبي عَون ، عن أبي عَتِيق ، عن جابر بن عبد الله ، قال : رُشَّ على قبر النبي صلى الله عليه وسلم الماء رشاً ، وكان الذي رشه بلال بن رباح بقربة ، بدأ من قبّل رأسه من شقه الأيمن حتى انتهى إلى رجله ، ثم ضرب بالماء إلى الجدار لم يقدر على أن يدور من الجدار .

وقال سعيد بن منصور ، عن الدَّرَّاءِ وَرْدَى عن يزيد بن عبد الله بن أبي يمن ، عن أم سلمة ، قالت : توفي رسول الله يوم الاثنين ، ودفن يوم الثلاثاء .

وقال ابن خُزَيْمَة : حدثنا مُسْلِم بن حماد ، عن أبيه ، عن عبد الله بن عمر ، عن كُريْب ، عن ابن عباس ، قال : توفي رسول الله يوم الإثنين ، ودفن يوم الثلاثاء .

وقال الواقدي : حدثني أبيّ بن عياش بن سهل بن سعد ، عن أبيه ، قال : توفي رسول الله

صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين ، ودفن ليلة الثلاثاء .
 وقال أبو بكر بن أبي الدنيا عن محمد بن سعد : توفي رسول الله يوم الاثنين لثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول ، ودفن يوم الثلاثاء .
 وقال عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا : حدثنا الحسن بن إسرائيل أبو محمد النهري^(١) ، حدثنا عيسى بن يونس ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، سمعت عبد الله بن أبي أوفى يقول : مات رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين ؛ فلم يُدفن إلا يوم الثلاثاء .
 وهكذا قال سعيد بن المسيب ، وأبوسلمة بن عبد الرحمن ، وأبو جعفر الباقر .

فصل في صفة قبره عليه الصلاة والسلام

قد عُلم بالتواتر أنه عليه الصلاة والسلام دفن في حجرة عائشة التي كانت تختص بها شرقاً مسجده في الزاوية الغربية القبلية من الحجرة . ثم دفن بعده فيها أبو بكر ثم عمر رضي الله عنهما .

وقد قال البخاري : حدثنا محمد بن مقاتل ، حدثنا أبو بكر بن عيَّاش ، عن سفيان الثمَّار ، أنه حدثه أنه رأى قبر النبي صلى الله عليه وسلم مُسَمَّاً^(٢) .
 تفرد به البخاري .

وقال أبو داود : حدثنا أحمد بن صالح ، حدثنا ابن أبي فديك ، أخبرني عمرو بن عثمان بن هانئ ، عن القاسم ، قال : دخلت على عائشة وقلت لها : يأمه اكشفي لي عن قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه . فكشفت لي عن ثلاثة قبور لا مُشْرِفة ولا لاطئة ، مبطوحة ببطحاء العرصة الحمراء
 النبي صلى الله عليه وسلم .

أبو بكر رضي الله عنه

عمر رضي الله عنه

(١) نسبة إلى نهري ، بلد من نواحي الأهواز (٢) التسمي : ضد التسطيح .

[تفرد به أبو داود] ^(١).

وقد رواه الحاكم والبيهقي من حديث ابن أبي فديك ، عن عمرو بن عثمان ، عن القاسم ، قال فرأيت النبي عليه السلام مقدماً ، وأبو بكر رأسه بين كتفي النبي صلى الله عليه وسلم ، وعمر رأسه عند رجل النبي صلى الله عليه وسلم .
قال البيهقي : وهذه الرواية تدل على أن قبورهم مُسطحة لأن الحصباء لا تنبت إلا على المسطح .
وهذا عجيب من البيهقي رحمه الله ، فإنه ليس في الرواية ذكر الحصباء بالكلية ، وبتقدير ذلك فيمكن أن يكون مسماً وعليه الحصباء مغروزة بالطين ونحوه .

وقد روى الواقدي عن الدَّرَاوَزْدِي ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، قال : جُعل قبر النبي صلى الله عليه وسلم مُسطحاً .

وقال البخاري : حدثنا فروة بن أبي المغراء ، حدثنا علي بن مُسَمِّر ، عن هشام ، عن عروة ، عن أبيه ، قال : لما سقط عليهم الحائط في زمان الوليد بن عبد الملك أخذوا في بنائه فبدت لهم قدمٌ ففرعوا فظنوا أنها قدم النبي صلى الله عليه وسلم ، فاجد واحد يعلم ذلك حتى قال لهم عروة : لا والله ما هي قدم النبي صلى الله عليه وسلم ؛ ما هي إلا قدم عمر .
وعن هشام ، عن أبيه ، عن عائشة : أنها أوصت عبد الله بن الزبير : لا تدفني معهم وادفني مع صواحي بالبقيع ، لا أُرَكِّي به أبداً .

قلت : كان الوايد بن عبد الملك حين ولي الإمارة في سنة ست وثمانين قد شرع في بناء جامع دمشق وكتب إلى نائبه بالمدينة ابن عمه عمر بن عبد العزيز أن يوسع في مسجد المدينة ، فوسعه حتى من ناحية الشرق ^(٢) فدخلت الحجرة النبوية فيه .

وقد روى الحافظ ابن عساكر بسنده عن زاذان مولى الفرافصة ، وهو الذي بنى المسجد النبوي أيام [ولاية] عمر بن عبد العزيز على المدينة ، فذكر عن سالم بن عبد الله نحو ما ذكره البخاري ، وحكى صفة القبور كما رواه أبو داود .

(٢) ت : من ناحية السوق .

(١) سقط من أ .

ذكر ما أصاب المسلمين من المصيبة العظيمة بوفاته

عليه الصلاة والسلام

قال البخارى : حدثنا سليمان بن حرب ، حدثنا حماد بن زيد ، حدثنا ثابت ، عن أنس ، قال : لما نقل النبي صلى الله عليه وسلم جعل يتغشاه الكرب . فقالت فاطمة : واكرب أبتاه . فقال لها : « ليس على أبيك كرب بعد اليوم » .

فلما مات قالت : وأبتاه أجاب ربا دعاه ، يا أبتاه من جنة الفردوس مأواه ، يا أبتاه إلى جبريل نفعاه . فلما دفن قالت فاطمة : يا أنس أطابت أنفسكم أن تحثوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم التراب ؟! تفرد به البخارى رحمه الله .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد ، حدثنا حماد بن زيد ، حدثنا ثابت البغافى ، قال أنس : فلما دفن النبي صلى الله عليه وسلم قالت فاطمة : يا أنس أطابت أنفسكم أن دفنتم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التراب ورجعتم ؟

وهكذا رواه ابن ماجه مختصراً من حديث حماد بن زيد به . وعنده قال حماد : فكان ثابت إذا حدث بهذا الحديث بكى حتى تختلف أضلاعه .

وهذا لا يعدُّ نياحةً بل هو من باب ذكر فضائله الحق عليه أفضل الصلاة والسلام ، وإنما قلنا هذا لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن النياحة .

وقد روى الإمام أحمد والنسائى من حديث شعبة ، سمعت قتادة ، سمعت مطراً يحدث عن حكيم بن قيس بن عاصم ، عن أبيه - فيما أوصى به إلى بنيهِ - أنه قال : ولا تنوحوا على فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يُفتح عليه .

وقد رواه إسماعيل بن إسحاق القاضى فى النوادر ، عن عمرو بن ميمون عن شعبة به .

ثم رواه عن علي بن المديني ، عن المغيرة بن سلمة ، عن الصَّعْق بن حَزْن ، عن القاسم بن مطيب ، عن الحسن البصري ، عن قيس بن عاصم به . قال : لا تنوحوا علىَّ فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يُنَحَّ عليه ، وقد سمعته يَنْهَى عن النياحة .

ثم رواه عن عليّ عن محمد بن الفضل ، عن الصَّعْق ، عن القاسم ، عن يونس بن عبيد ، عن الحسن بن عاصم به .

وقال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا عُقبة بن سِنان ، حدثنا عثمان بن عثمان ، حدثنا محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يُنَحَّ عليه .

وقال الامام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا جعفر بن سليمان ، حدثنا ثابت ، عن أنس قال : لما كان اليوم الذي قدِم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أضاء منها كل شيء ، فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كل شيء .

قال : وما نفَضنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الأيدي حتى أنكرنا قلوبنا . وهكذا رواه الترمذي وابن ماجه جميعا ، عن بشر بن هلال الصَّواف ، عن جعفر بن سليمان الضَّبَّعي به .

وقال الترمذي : هذا حديث صحيح غريب .

قلت . وإسناده على شرط الصحيحين ، ومحفوظ من حديث جعفر بن سليمان ، وقد أخرج له الجماعة ، ورواه الناس عنه كذلك .

وقد أغرب الكُذَيِّمى ، وهو محمد بن يونس رحمه الله في روايته له حيث قال : حدثنا أبو الوليد هشام بن عبد الملك الطيالسى ، حدثنا جعفر بن سليمان الضَّبَّعي ، عن ثابت عن أنس ، قال : لما قُبِض رسول الله صلى الله عليه وسلم أظلمت المدينة حتى لم ينظر بعضنا

إلى بعض ، وكان أحدهما ييسط يده فلا يراها - أولا يبصرها ، وما فرغنا من دفنه حتى أنكرنا قلوبنا .

رواه البيهقي من طريقه كذلك .

وقد رواه من طريق غيره من الحفاظ عن أبي الوليد الطيالسي ، كما قدمنا ، وهو المحفوظ والله أعلم .

وقد روى الحافظ الكبير أبو القاسم ابن عساكر من طريق أبي جفص بن شاهين ، حدثنا حسين ابن أحمد بن بسطام بالله ، حدثنا محمد بن يزيد الرُّؤاسي ، حدثنا مسلمة ابن علقمة ، عن داود بن أبي هند ، عن أنى نَضْرَة ، عن أبي سعيد الخدري ، قال : لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أضاء منها كل شيء ، فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كل شيء .

وقال ابن ماجه : حدثنا إسحاق بن منصور ، حدثنا عبد الوهاب ابن عطاء العجلي ، عن ابن عون ، عن الحسن ، عن أبي بن كعب ، قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما وجهنا واحد ، فلما قبض نظرنا هكذا وهكذا .

وقال أيضا : حدثنا إبراهيم بن المفذر الحزامي ، حدثنا خالي محمد بن إبراهيم بن المطلب بن السائب بن أبي وداعة السهمي ، حدثني موسى بن عبد الله بن أبي أمية الخزومي ، حدثني مُصْعَب بن عبد الله ، عن أم سلمة بنت أبي أمية زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، أنها قالت : كان الناس في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام المصلّي يصلي لم يعدُّ بصرُ أحدهم موضع قدميه ، فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أبو بكر ، فكان الناس إذا قام أحدهم يصلي لم يعدُّ بصرُ أحدهم موضع جبينه ، فتوفي أبو بكر وكان عمر ، فكان الناس إذا قام أحدهم يصلي لم يعدُّ بصرُ أحدهم موضع القبلة ، فتوفي عمر وكان عثمان وكانت الفتنة ، فتلفت الناس يمينًا وشمالا .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد ، حدثنا حماد ، عن ثابت عن أنس ؛ أن أم أيمن بكت لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل لها ما يبكيك على النبي صلى الله عليه وسلم ؟ فقالت : إني قد علمت أن رسول الله سيموت ، ولكنني إنما أبكي على الوحي الذي رُفِعَ عنا .
هكذا رواه مختصراً .

وقد قال البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أنبأنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب ، حدثنا محمد بن نعيم ومحمد بن النضر الجارودي ، قالا : حدثنا الحسن بن علي الخولاني ^(١) ، حدثنا عمرو بن عاصم السكلابي ، حدثنا سليمان بن المغيرة ، عن ثابت ، عن أنس ، قال : ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أم أيمن زائراً وذهبتُ معه ، فقرأتُ إليه شرايباً . فإما كان صائماً وإما كان لا يريد فرده ، فأقبلتُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم نضاحكة . فقال أبو بكر بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم لعمر : انطلق بنا إلى أم أيمن نزورها . فلما انتهينا إليها بكت . فقالا لها : ما يبكيك ؟ ما عند الله خير لرسوله . قالت : والله ما أبكي إلا أن أكون أعلم أن ما عند الله خير لرسوله ، ولكن أبكي أن الوحي انقطع من السماء .

فهيَّجتهما على البكاء فجعلتا يبكيان .

ورواه مسلم منفرداً به عن زهير بن حرب ، عن عمرو بن عاصم به .

وقال موسى بن عُمَيرة في قصة وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخطبة أبي بكر فيها : قال : ورجع الناس حين فرغ أبو بكر من الخطبة وأم أيمن قاعدة تبكي ، فقيل لها : ما يبكيك ؟ قد أكرم الله نبيه صلى الله عليه وسلم فأدخله جنّته ، وأراحه من نصب الدنيا .

قالت : إنما أبكى على خبر السماء كان يأتينا غصًا جديدًا كلَّ يوم وليلة ، فقد انقطع ورُفِع ، فمليه أبكى .

فوجب الناس من قولها .

وقد قال مسلم بن الحجاج في صحيحه : وحدثت عن أبي أسامة ، وعن روى ذلك عنه إبراهيم بن سعيد الجوهري ، حدثنا أبو أسامة ، حدثني بُرَيْد بن عبد الله عن أبي بُرْدَة ، عن أبي موسى ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « إن الله إذا أراد رحمة أمة من عباده قبض نبيها قبلها فجعله لها فرطًا وسلفًا يشهد لها ، وإذا أراد هلكة أمة عذبها ونبيها حتى فاهلكها وهو ينظر إليها فأقرَّ عينه بهلكتها حين كذبوه وعصوا أمره .

تفرد به مسلم إسنادًا ومتنًا .

وقد قال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا يوسف بن موسى ، حدثنا عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رَوَّاد ، عن سفيان ، عن عبد الله بن السائب ، عن زاذان ، عن عبد الله - هو ابن مسعود - عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن لله ملائكة سياحين يبلغوني عن أمتي السلام » .

قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « حياتي خير لكم تُحَدِّثُونَ وَيَحْدُثُ لَكُمْ ، ووفاتي خير لكم تُعَرِّضُ عَلَيَّ أَعْمَالَكُمْ ؛ فما رأيت من خير حدث الله عليه ، وما رأيت من شر استغفرتُ الله لكم » . ثم قال البزار : لا نعرف آخره يُروى عن عبد الله إلا من هذا الوجه .

قلت : وأما أوله وهو قوله عليه السلام : « إن لله ملائكة سياحين يبلغوني عن أمتي السلام » فقد رواه النسائي من طرق متعددة ، عن سفيان الثوري وعن الأعمش ، كلاهما عن عبد الله بن السائب ، عن أبيه به .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا حسين بن علي الجعفي ، عن عبد الرحمن بن يزيد ابن جابر ، عن أبي الأشعث الصنعاني ، عن أَوْس بن أَوْس ، قال قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم : « مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ ، وَفِيهِ قُبِضَ ، وَفِيهِ النُّفُخَةُ ، وَفِيهِ الصَّعْقَةُ ، فَأَكْثَرُوا عَلَى مِنَ الصَّلَاةِ فِيهِ ، فَإِنْ صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَى » .

قالوا : يارسول الله كيف تُعرض صلاتنا عليك وقد أُرِمتَ ؟ - بمعنى قد بليت -

قال : « إِنْ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ » .

وهكذا رواه أبو داود عن هارون بن عبد الله وعن الحسن بن علي ، والنسائي عن

إسحاق بن منصور ، ثلاثتهم عن حسين بن علي به . ورواه ابن ماجه عن أبي بكر بن

أبي شيبة ، عن حسين بن علي ، عن ابن جابر ، عن أبي الأشعث ، عن شدّاد بن أوس فذكره .

قال شيخنا أبو الحجاج المزي : وذلك وهم من ابن ماجه ، والصحيح أوس بن

أوس وهو الثقفى رضى الله عنه .

قلت : وهو عندى فى نسخة جيدة مشهورة على الصواب ، كما رواه أحمد وأبو داود

والنسائي عن أوس ابن أوس .

ثم قال ابن ماجه : حدثنا عمرو بن سواد المصرى ، حدثنا عبد الله بن وهب ، عن

عمرو بن الحارث ، عن سعيد بن أبي هلال ، عن زيد بن أيمن ، عن عبادة بن نسي ، عن

أبي الدرداء ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَكْثَرُوا الصَّلَاةَ عَلَى يَوْمِ

الْجُمُعَةِ فَإِنَّهُ مَشْهُودٌ تَشْهَدُهُ الْمَلَائِكَةُ ، وَإِنْ أَحَدًا لَنْ يُصَلِّيَ عَلَى إِلَّا عُرِضَتْ عَلَى صَلَاتِهِ

حَتَّى يَفْرَغَ مِنْهَا » . قال قلت : وبعد الموت ؟ قال : إِنْ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ

أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ - نَبِي اللَّهِ حَيٌّ وَيَرْزُقُ ^(١) .

وهذا من أفراد ابن ماجه رحمه الله .

وقد عقد الحافظ ابن عساكر هاهنا بابا فى إيراد الأحاديث المروية فى زيارة قبره

الشريف صلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين ، وموضع استعصاء ذلك فى كتاب

الأحكام الكبير إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

(١) ابن ماجه حديث ١٦٣٧ : نَبِي اللَّهِ حَيٌّ وَيَرْزُقُ .

ذكر ما ورد من التعزية به عليه الصلاة والسلام

وقال ابن ماجه : حدثنا الوليد بن عمرو بن الشكّين ، حدثنا أبو همام وهو محمد بن الزُّبرقان الأهوازي ، حدثنا موسى بن عبيدة ، حدثنا مُصعب بن محمد ، عن أبي سلمة ابن عبد الرحمن ، عن عائشة ، قالت : فتّح رسول الله صلى الله عليه وسلم باباً بينه وبين الناس - أو كشف سِتراً - فإذا الناس يصلون وراء أبي بكر ، فحمد الله على ما رأى من حُسن حالهم رجاء أن يَخْلُقَهُ فيهم بالذي رآهم ^(١) . فقال : « يا أيها الناس أيما أحدٍ مَن الناس أو من المؤمنين أصيبَ بمصيبة فليتعزَّ بمصيبته بي عن المصيبة التي تصيبه يغيري ، فإن أحداً من أمتي لن يصاب بمصيبة بعدى أشدَّ عليه من مُصيبتي » .

تفرد به ابن ماجه .

وقال الحافظ البيهقي : أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفقيه ، حدثنا شافع بن محمد حدثنا أبو جعفر بن سلامة الطحاوي ، حدثنا المزني ، حدثنا الشافعي ، عن القاسم بن عبد الله ابن عمر بن حفص ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، أن رجلاً من قريش دخلوا على أبيه على بن الحسين ، فقال : ألا أحدثكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالوا : بلى . فحدثنا عن أبي القاسم قال : لما أن مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل فقال : يا محمد إن الله أرسلك إليك تكريماً لك وتشريفاً لك وخاصة لك ، أسألت عما هو أعلم به منك يقول : كيف تجدك ؟ قال : « أجدني يا جبريل مغموماً ، وأجدني يا جبريل مكروباً » .

ثم جاءه اليوم الثاني فقال له ذلك فرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم كما رد أول يوم ، ثم جاءه اليوم الثالث فقال له كما قال أول يوم ورد عليه كما رد ، وجاء معه ملك يقال له إسماعيل على مائة ألف ملك ، كل ملك على مائة ألف ملك ، فاستأذن عليه فسأل عنه ثم قال :

(١) ابن ماجه حديث ١٢٥٩ : ورجاء أن يَخْلُقَهُ الله فيهم .

جبريل : هذا ملك الموت يستأذن عليك ما استأذن على آدمي قبلك ، ولا يستأذن على آدمي بعدك . فقال عليه السلام : إيذن له . فأذن له .

فدخل فسلم عليه ثم قال : يا محمد إن الله أرسلني إليك فإن أمرتني أن أقبض روحك قبضت ، وإن أمرتني أن أتركه تركته . فقال رسول الله : « أو تفعل يا ملك الموت ؟ » قال : نعم ، وبذلك أمرت ، وأمرت أن أطيعك .

قال : فنظر النبي صلى الله عليه وسلم إلى جبريل فقال له جبريل : يا محمد إن الله قد اشتاق إلى لقائك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لملك الموت : « امض لما أمرت به » فقبض روحه .

فلما توفي النبي صلى الله عليه وسلم وجاءت التعزية سمعوا صوتا من ناحية البيت ، السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته ، إن في الله عزاء من كل مصيبة ، وخلفا من كل هالك ، ودركا من كل فائت ، فبالله فتمقوا ، وإياه فارجوا ، فإنما المصاب من حُرْمِ الثواب .

فقال على رضي الله عنه : أتدرون من هذا ؟ هذا الخضر عليه السلام . وهذا الحديث مرسل وفي إسناده ضعف بحال القاسم العمري هذا ، فإنه قد ضعفه غير واحد من الأئمة ، وتركه بالسلفية آخرون . وقد رواه الربيع عن الشافعي عن القاسم عن جعفر عن أبيه عن جده - فذكر منه قصة التعزية فقط موصولا - وفي الإسناد العمري المذكور ، قد نهينا على أمره لثلاث يُغْتَرّ به .

على أنه قد رواه الحافظ البيهقي ، عن الحاكم ، عن أبي جعفر البغدادي ، حدثنا عبد الله بن الحارث أو عبد الرحمن بن المرتعد الصَّغَانِي ، حدثنا أبو الوليد الخزومي ، حدثنا أنس بن عياض ، عن جعفر بن محمد ، عن جابر بن عبد الله ، قال : لما توفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [ناداهم مناد] يسمعون الحس ولا يرون الشخص . فقال : السلام عليكم

أهل البيت ورحمة الله وبركاته ، إن في الله عزاء من كل مصيبة ، وخَلَفًا من كل فائت ، ودَرْكَاً من كل هالك ، فبِالله فثِقُوا ، وإياه فارجوا ، فإنما المحروم من حُرْم الثواب ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

ثم قال البيهقي : هذان الإسنادان وإن كانا ضعيفين فأحدهما يتأكد بالآخر ، ويدل على أن له أصلاً من حديث جعفر والله أعلم .

وأخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أنبأنا أبو بكر أحمد بن بالويه ، حدثنا محمد بن بشر بن مطر ، حدثنا كامل بن طلحة ، حدثنا عبيد بن عبد الصمد ، عن أنس بن مالك ، قال : لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم أَخَذَ به أصحابه فبكوا حوله واجتمعوا ، فدخل رجل أشهب اللحية جَسِيم صَبِيح فتخطى رقابهم فكي ، ثم التفت إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إن في الله عزاء من كل مصيبة ، وعَوْضًا من كل فائت ، وخَلَفًا من كل هالك ، فإلى الله فأنبئوا وإليه فارغبوا ، ونظَّره إليكم في البلايا فانظروا ، فإن المصاب من لم يُجَبِّر ، فأنصرف .

فقال بعضهم لبعض : تعرفون الرجل ؟ فقال أبو بكر وعلى : نعم هذا أخو رسول الله صلى الله عليه وسلم الخضر .

ثم قال البيهقي : عبيد بن عبد الصمد ضعيف . وهذا مُنْكَر بكرة .

وقد روى الحارث بن أبي أسامة عن محمد بن سعد ، أنبأنا هاشم بن القاسم ، حدثنا صالح المزني ، عن أبي حازم المدني ، أن رسول الله حين قبضه الله عز وجل دخل المهاجرون فَوُجَّأً فوجاً يصلون عليه ويخرجون ، ثم دخلت الأنصار على مثل ذلك ، ثم دخل أهل المدينة حتى إذا فرغت الرجال دخلت النساء ، فكان منهن صوتٌ وجَزَعٌ كبعض ما يكون منهن ، فسمعن هَدَّةً في البيت فعرفن فسكنن ، فإذا قائل يقول : إن في الله عزاء

من كل هالك ، وعوضا من كل مصيبة ، وخلفا من كل فائت ، والمجبور من جبره الثواب والمصاب من لم يجبره الثواب .

فصل

فيما روى من معرفة أهل الكتاب بيوم وفاته عليه السلام

قال أبو بكر بن أبي شيبة : حدثنا عبد الله بن إدريس ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن قيس بن أبي حازم ، عن جرير بن عبد الله البجلي ، قال : كنت باليمن فلقيت رجلين من أهل اليمن ذا كدّاع وذا عمرو ، فجعلت أحدهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : فقالا لي : إن كان ما تقول حقا فقد مضى صاحبك على أجله منذ ثلاث .

قال : فأقبلت وأقبلا ، حتى إذا كنّا في بعض الطريق رُفِعَ لنا ركب من المدينة ، فسألناهم فقالوا : قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخلف أبو بكر والناس صالحون . قال : فقالا لي : أخبر صاحبك أنا قد جئنا ، وعلنا سنعود إن شاء الله عز وجل .

قال : ورجعا إلى اليمن ، فلما أتيت أخبرت أبا بكر بحديثهم قال : أفلا جئت بهم ؟ فلما كان بعد قال لي ذو عمرو : يا جرير إن لك على كرامة وإني تخبرك خيرا ، إنكم معشر العرب لن تزالوا بخير ما كنتم إذا هلك أمير تأمرتم في آخر ، أما إذا كانت بالسيف كنتم ملوكا تغضبون غضب الملوك وترضون رضا الملوك .

هكذا رواه الإمام أحمد والبخاري عن أبي بكر بن أبي شيبة ، وهكذا رواه البيهقي عن الحاكم عن عبد الله بن جعفر ، عن يعقوب بن سفيان عنه .

وقال البيهقي : أنبأنا الحاكم ، أنبأنا علي بن المتوكل ، حدثنا محمد بن يونس ، حدثنا يعقوب بن إسحاق الحضرمي ، حدثنا زائدة ، عن زياد بن علاقة ، عن جرير ، قال : لقيني حنّ باليمن وقال لي : إن كان صاحبكم نبيا فقد مات يوم الاثنين .

هكذا رواه البيهقي .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا أبو سعيد ، حدثنا زائدة ؛ حدثنا زياد بن علاقة ، عن جرير ، قال : قال لي جبريل بن : إن كان صاحبكم نبيا فقد مات اليوم . قال جرير : فات يوم الاثنين .

وقال البيهقي : أنبأنا أبو الحسين بن بشران المعدل ببغداد ، أنبأنا أبو جعفر محمد بن عمرو ، حدثنا محمد بن الهيثم ، حدثنا سعيد بن كثير بن عُفَيْر ، حدثني عبد الحميد بن كعب بن علقمة بن كعب بن عدى التنوخى ، عن عمرو بن الحارث ، عن ناعم بن أجبل ، عن كعب بن عدى ، قال : أقبلت في وفد من أهل الحيرة إلى النبي صلى الله عليه وسلم : فعرض علينا الإسلام ، فأسلمنا ثم انصرفنا إلى الحيرة .

فلم نلبث أن جاءتنا وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ، فارتاب أصحابي وقالوا : لو كان نبيا لم يمت . فقلت : قدمنا الأنبياء قبله ، وثبت على إسلامي ، ثم خرجت أريد المدينة فررت براهب كنا لا نقطع أمرا دونه ، فقلت له : أخبرني عن أمر أردته نفخ في صدري منه شيء ، فقال : إئت باسم من الأسماء . فأتيت بكعب فقال : ألقه في هذا السُّفَر ، لسفر أخرجه ، فألقيت الكعب فيه فصفح فيه فإذا بصفة النبي صلى الله عليه وسلم كما رأيته ، وإذا هو يموت في الحين الذي مات فيه .

قال : فاشتدَّتْ بصيرتي في إيماني ، وقدمت على أبي بكر رضى الله عنه فأعلمته وأقت عنده ، فوجهني إلى المقوقس فرجعت ، ووجهني أيضا عمر بن الخطاب فقدمت عليه بكتابه ، فأتيت ، وكانت وقعة اليرموك ولم أعلم بها فقال لي : أعلمت أن الروم قتل العرب وهزمتهم ؟ فقلت كلا قال : ولم ؟ قلت إن الله وعد نبيه أن يظهره على الدين كله ، وليس بخلف الميعاد .

قال : فإن نبيكم قد صدقكم ، قُتلت الروم والله قتل عاد .

قال : ثم سألتني عن وجوه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته وأهدى إلى عمر وإليهم ، وكان ممن أهدى إليه عليّ وعبد الرحمن والزبير - وأحسبه ذكر العباس -

قال كعب : وكنت شريكا لعمر في البرّ في الجاهلية ، فلما أن قرّض الديوان فرض لي في بني عدى بن كعب .

وهذا أثر غريب وفيه نبيّ عجيب وهو صحيح .

فصل

قال محمد بن إسحاق : ولما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب ، وانشرا بآبى اليهودية والنصرانية ونجم النفاق ، وصار المسلمون كالغنم المطيرة في الليلة الشاتية لفقد نبيهم ، حتى جمعهم الله على أبى بكر رضى الله عنه .

قال ابن هشام : وحدثني أبو عبيدة وغيره من أهل العلم أن أكثر أهل مكة لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم هموا بالرجوع عن الإسلام وأرادوا ذلك ، حتى خافهم عتّاب بن أسيد رضى الله عنه فتواري ، فقام سهيل بن عمرو رضى الله عنه ، فحمد الله وأثنى عليه ثم ذكر وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال : إن ذلك لم يزد الإسلام إلا قوة ، فمن رابنا ضربنا عنقه .

فتراجع الناس وكفّوا عما هموا به ، فظهر عتّاب بن أسيد .

فهذا المقام الذى أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله لعمر الخطاب - يعنى

حين أشار بقلع ثنيتته حين وقع في الأسارى يوم بدر - : إنه عسى أن يقوم مقاما
لا تدمنه !

قلت : وقد ذكرنا^(١) ما وقع بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم من الردة في أحياء
كثيرة من العرب ، وما كان من أمر مُسَيْلَمَةَ بن حبيب المتنبي باليمامة ، والأسود العنسي
بالمين ، وما كان من أمر الناس حتى فاءوا ورجعوا إلى الله تائبين نازعين عما كانوا عليه
في حال ردتهم من السفاهة والجهل العظيم الذى استفزهم الشيطان به ، حتى نصرهم الله
وثبتهم وردهم إلى دينه الحق على يدي الخليفة الصديق أبي بكر رضى الله عنه وأرضاه .

(١) وذلك في أخبار سنة إحدى عشرة من البداية والنهاية للمؤلف

فصل

وقد ذكر ابن إسحاق وغيره قصائد لحسان بن ثابت رضى الله عنه فى وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن أجل ذلك وأفضحه وأعظمه ، مارواه عبد الملك بن هشام رحمه الله عن أبى زيد الأنصارى ، أن حسان بن ثابت رضى الله عنه قال يبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم :

بَطِيْبَةٌ رَسَمٌ لِلرَّسُولِ وَمَعْبُدٌ	مُنِيرٌ وَقَدْ نَعَزُوا الرُّسُومُ وَتَهْمُدُ ^(١)
وَلَا تَمْتَحِي الْآيَاتِ مِنْ دَارِ حُرْمَةٍ	بِهَا مَنْبِرُ الْهَادَى الَّذِى كَانَ يَصْعَدُ
وَوَاضِحُ آيَاتٍ ^(٢) وَبَاقَى مَعَالِمٍ	وَرَبْعٌ لَهُ فِيهِ مُصَلًّى وَمَسْجِدٌ
بِهَا حُجُرَاتُ كَانَ يَنْزِلُ وَسَطُهَا	مِنْ اللَّهِ نَوْرٌ يُسْتَضَاءُ وَيُوقَدُ
مَعَارِفٌ لَمْ تُطَمَسْ عَلَى الْعَهْدِ آيُهَا	أَتَاهَا الْبَلَى قَالَايُ مِنْهَا تَجَدَّدُ
عَرَفْتُ بِهَا رَسْمَ الرَّسُولِ وَعَهْدَهُ	وَقَبْرًا بِهَا وَارَاهُ فِي التَّرْبِ مُلْحَدُ
ظَلَلَتْ بِهَا أَبْكَى الرَّسُولَ فَأَسْمَدَتْ	عَيُونٌ وَمِثْلَاهَا مِنْ الْجَنِّ تُسْعِدُ
يَذْكُرْنَ آلَاءَ الرَّسُولِ وَلَا أَرَى	لَهَا مُخَصِّيًا نَفْسِي فَنَفْسِي تَبْلَدُ
مُنْجَمَةٌ قَدْ شَفَّهَا فَقَدْ أَحْدَرِ	فُظِّلَتْ لِآلَاءِ الرَّسُولِ تُعَدُّ
وَمَا بَلَغْتَ مِنْ كُلِّ أَمْرِ عَشِيرَةٍ	وَلَكِنْ لِنَفْسِي بَعْدَ مَا قَدْ تَوَجَّدُ
أَطَالَتْ وَقُوفَاتِ ذُرِفِ الْعَيْنِ جُحْدَهَا	عَلَى طَلَلِ الْقَبْرِ الَّذِى فِيهِ أَحَدُ
فَبُورَكَتْ بِاقْبَرِ الرَّسُولِ وَبُورَكَتْ	بِلَاذِ ثَوَى فِيهَا الرَّشِيدُ الْمَسْدُ

(١) الأصل : تمهد . وما أثبتته عن ابن هشام ٦٦٦/٢

(٢) ابن هشام : آثار

وَبُورِكَ لِحْدُكَ مِنْكَ ضُمْنٌ طَيِّبًا عَلَيْهِ بَنَاءٌ مِنْ صَفِيحٍ مُنْضَدٍّ^(١)
 تُهِيلُ عَلَيْهِ التُّرْبَ أَبَدٍ وَأَعَيْنُ عَلَيْهِ - وَقَدْ غَارَتْ بِذَلِكَ أَسْعَدُ
 لَقَدْ غَيَّبُوا حِلْمًا وَعِلْمًا وَرَحْمَةً عَشِيمَةً عَلَوْهُ الثَّرَى لَا يُوسَدُ
 وَرَاحُوا بِحُزْنٍ لَيْسَ فِيهِمْ نَتِيبُهُمْ وَقَدْ وَهَنْتَ مِنْهُمْ ظُهُورٌ وَأَعْضُدُ
 وَيَبْكُونَ مِنْ تَبْكِي السَّمَوَاتِ يَوْمَهُ وَمَنْ قَدْ بَكَتَهُ الْأَرْضُ فَالْنَّاسُ أَكْمَدُ
 وَهَلْ عَدَلَتْ يَوْمًا رَزِيَّةٌ هَالِكٌ رَزِيَّةٌ يَوْمٍ مَاتَ فِيهِ مُحَمَّدُ
 تَقَطَّعَ فِيهِ مَنَزِلُ الْوَحْيِ عَنْهُمْ وَقَدْ كَانَ ذَا نَوْرٍ يَغُورُ وَيُنْجِدُ
 يَدُلُّ عَلَى الرَّحْمَنِ مَنْ يَقْتَدِي بِهِ وَيُنْقِذُ مِنْ هَوْلِ الْخِزَايَا وَيُرْشِدُ
 إِمَامٌ لَهُمْ يَهْدِيهِمْ الْحَقَّ جَاهِدًا مُعَلِّمٌ صَدِيقٌ إِنْ يَطِيعُوهُ يَسْعُدُوا
 عَفْوٌ عَنِ الزَّلَّاتِ يَقْبَلُ عَذْرَهُمْ وَإِنْ يُحْسِنُوا فَاللَّهُ بِالْخَيْرِ أَجْوَدُ
 وَإِنْ نَابَ أَمْرٌ لَمْ يَقُومُوا بِحِمْلِهِ فَمِنْ عِنْدِهِ تَبْسِيرٌ مَا يَتَشَدَّدُ
 فَبَيْنَاهُمْ فِي نِعْمَةِ اللَّهِ وَسَطُهُمْ دَلِيلٌ بِهِ نَهْجُ الطَّرِيقَةِ يُقْصَدُ
 عَزِيزٌ عَلَيْهِ أَنْ يَجُورُوا عَنِ الْهُدَى حَرِيصٌ عَلَى أَنْ يَسْتَقِيمُوا وَيَهْتَدُوا
 عَطُوفٌ عَلَيْهِمْ لَا يُثْنِي جَفَاحَهُ إِلَى كَنْفٍ يَحْنُو عَلَيْهِمْ وَيَمْتَدُّ
 فَبَيْنَاهُمْ فِي ذَلِكَ النُّورِ إِذْ غَدَا إِلَى نُورِهِمْ سَهْمٌ مِنَ الْمَوْتِ مُقْصِدُ
 فَأَصْبَحَ مَحْمُودًا إِلَى اللَّهِ رَاجِعًا يَبْكِيهِ حَقُّ الْمُرْسَلَاتِ وَيُحْمَدُ^(٢)
 وَأَمْسَتْ بِلَادُ الْحَرَمِ وَحُشَا بَقَاعِهَا لَغِيْبَةً مَا كَانَتْ مِنَ الْوَحْيِ تَعْبُدُ
 قِفَارُ أَسْوَى مَعْمُورَةِ الْأَحَدِ ضَاقَهَا فَقِيدٌ يَبْكِيهِ بِلَاطٌ وَغَرَقَدُ^(٣)
 وَمَسْجِدُهُ فَالْمُوحِشَاتُ لَفَقَدَهُ خِلَاءٌ لَهُ فِيهَا^(٤) مَقَامٌ وَمَقْعَدُ

(١) مِنْ تَوَابِنِ هِشَامٍ

(٢) الْمُرْسَلَاتُ : الْمَلَائِكَةُ . وَفِي ج : جَفَنَ الْمُرْسَلَاتُ . وَيُرْوَى جَنْ ، أَيْ الْمَلَائِكَةُ الْمُسْتَوْرُونَ

(٣) الْبِلَاطُ : الْأَرْضُ الْمُسْتَوِيَّةُ الْمَسَاءُ . وَالْغَرَقَدُ : شَجَرٌ . (٤) ابْنُ هِشَامٍ : فِيهِ

وبالجُمرة الكبرى له نَمٌّ أَوْحَشَتْ ديارٌ وعَرَصات ورَنَعٌ ومَوَلَدُ
فبِكُنَى رسولِ الله يَأْغِين عَبْرَةً ولا أَغْرِفَنَكَ الدهرَ دَمْعُكَ يَجْمَدُ
ومالك لا تَبْكِين ذا النُّعْمة التي على الناسِ منها سابِغٌ يَتَغَمَّدُ
فجودِي عليه بالدموعِ وأَعْوَلِي لَفَقْدَ الذي لا مِثْلَه الدهرُ يَوجَدُ
وما فَقَدَ الماضُونَ مِثْلَ مُحَمَّدٍ ولا مِثْلَه حتى القِيامةُ يُفْقَدُ
أَعَفٌّ وَأَوْفَى ذِمَّةً بَعْدَ ذِمَّةٍ وأَقْرَبَ مِنْهُ نائِلًا لا يُنْكَدُ
وأَبْذَلَ مِنْهُ لِلطَّرِيفِ وتَالِدِ إذا ضَنَّ مِعْطَاءَ بما كان يُتَلَدُ
وأَكْرَمَ حَيًّا^(١) في البيوتِ إذا انْتَمَى وأَكْرَمَ جَدًّا أَبْطَحِيًّا يُسَوِّدُ
وأَمْنَعَ ذِرْوَاتٍ وَأَثْبَتَ في العِلا دعائِمَ عِزٍّ شاهِقَاتٍ تُشِيدُ
وأَثْبَتَ فِرْعَا في الفروعِ وَمَنْبِتًا وعُودًا غِذَاهُ المِزْنَ فالْعُودُ أَغِيدُ
رَبَاهُ وَلِيَدًا فَاسْتَقَمَّ تَمَامَهُ على أَكْرَمِ الخِيزَاتِ رَبٌّ مُجِيدُ
تَنَاهَتْ وَصَاةُ المَسْلُومِينَ بِكَفِهِ فلا الْعِلْمَ مَحْبُوسٍ ولا الرَأْيَ يُفْنَدُ
أَقُولُ ولا يُبْنَى لِمَا قَلَتْ^(٢) عَائِبُ من الناسِ إِلا عَارِِبَ الْعَقْلِ مُبْعَدُ
وليس هَوَائِي نازعًا عن ثَنَائِهِ لَعَلِّي بِهِ في جَنَّةِ الْخُلْدِ أَخْلَدُ
مع المصطفى أَرْجُو بِذَلِكَ جَوَارِهِ وفي نَيْلِ ذاكِ الْيَوْمِ أَسْعَى وَأَجْهَدُ

وقال الحافظ أبو القاسم السهيلي في آخر كتابه الروض : وقال أبو سفيان بن الحارث

ابن عبد المطلب يبكي رسول الله صلى الله عليه وسلم :

أَرَقْتُ فَبَاتَ لِي لَيْلٌ لَا يَزُولُ وَلَيْلٌ أُخِي المَصِيبَةَ فِيهِ طُولُ
وَأَسْعَدَنِي الْبُكَاءُ وَذَلِكَ فَمَا أَصِيبُ الْمُسْلِمِينَ بِهِ قَلِيلُ
لَقَدْ عَظُمَتْ مَصِيبَتُنَا وَجَلَّتْ عَشِيَّةَ قَيْلٍ قَدْ قُبِضَ الرَّسُولُ

وأضحت أرضنا ممّا عَراها	تكاد بنا جوانبها تَميلُ
فَقَدْنَا الوَحْيَ والتَنْزِيلَ فينا	يروح به ويفدو جِبْرِيلُ
وذاك أحقُّ ما سالت عليه	نفوسُ الناسِ أو كادت ^(١) تَسيلُ
نبيٌّ كان يحلو الشكَّ عِنا	بما يوحى إليه وما يقولُ
ويهدينا فلا نخشى ضلالًا	علينا والرسول لنا دليلُ
أفأطم إن جزعت فذاك عُذْرُ	وإن لم تجزعي ذاك السبيلُ
فَقَبْرُ أَيْيِكَ سيدُ كلِّ قَبْرٍ	وفيه سيدُ الناسِ الرسولُ

باب

بيان أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يترك ديناراً ولا درهما ولا عبداً
ولا أمة ولا شاة ولا بعيراً ولا شيئاً يُورث عنه
بل أرضاً جعلها كلها صدقة لله عز وجل

فإن الدنيا بخدافيرها كانت أحقرَ عنده - كما هي عند الله - من أن يسعى لها أو
يتركها بعده ميراثاً صلوات الله وسلامه عليه وعلى إخوانه من النبيين والمرسلين وسلم
تسليماً كثيراً دائماً إلى يوم الدين .

قال البخارى : حدثنا قتيبة ، حدثنا أبو الأحوص ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو
ابن الحارث ، قال : مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ديناراً ولا درهما ولا عبداً ولا أمة ،
إلا بغلته البيضاء التى كان يركبها ، وسلاحه ، وأرضاً جعلها لابن السبيل صدقة .
انفرد به البخارى دون مسلم ، فرواه فى أماكن من صحيحه من طرق متعددة ، عن
أبي الأحوص وسفيان الثورى وزهير بن معاوية .

ورواه الترمذى من حديث إسرائيل ، والنسائى أيضاً من حديث يونس بن أبى
إسحاق ، كلهم عن أبى إسحاق عمرو بن عبد الله السدينى ، عن عمرو بن الحارث بن
المصطلق بن أبى ضرار ، أخى جويرية بنت الحارث أم المؤمنين رضى الله عنهما به .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش وابن نمير ، عن
الأعمش ، عن شقيق ، عن مسروق ، عن عائشة ، قالت : مات رسول الله صلى الله عليه
وسلم ديناراً ولا درهما ولا شاة ولا بعيراً ولا أوصى بشيء .

وهكذا رواه مسلم منفرداً به عن البخارى وأبو داود والنسائى وابن ماجه من طرق

متمعدة عن سليمان بن مهران الأعشى ، عن شقيق بن سلمة أبي وائل ، عن مسروق بن الأجدع ، عن أم المؤمنين عائشة الصديقة بنت الصديق حبيبة حبيب الله المبرأة من فوق سبع سموات رضى الله عنها وأرضاها .

وقال الإمام أحمد : حدثنا إسحاق بن يوسف ، عن سفيان ، عن عاصم ، عن زِرِّ بن حُبَيْش ، عن عائشة ، قالت : ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم ديناراً ولا درهما ولا أمةً ولا عبداً ولا شاة ولا بعيراً .

وحدثنا عبد الرحمن عن سفيان ، عن عاصم عن زِرِّ عن عائشة : ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم ديناراً ولا درهما ولا شاة ولا بعيراً .

قال سفيان : وأكثرت على وأشك في العبد والأمة .

وهكذا رواه الترمذى في الشمائل عن بُنْدَار ، عن عبد الرحمن بن مَهْدَى به .

قال الإمام أحمد : وحدثنا وكيع ، حدثنا مسعر ، عن عاصم بن أبي النجود ، عن زِرِّ عن عائشة ، قالت : ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم ديناراً ولا درهما ولا عبداً ولا أمة ولا شاة ولا بعيراً .

هكذا رواه الإمام أحمد من غير شك .

وقد رواه البيهقى ، عن أبي زكريا بن أبي إسحاق المزكى ، عن أبي عبد الله محمد بن يعقوب ، حدثنا محمد بن عبد الوهاب ، أنبأنا جعفر بن عون ، أنبأنا مسعر ، عن عاصم عن زِرِّ ، قال : قالت عائشة : تسألونى عن ميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم ديناراً ولا درهما ولا عبداً ولا وليدة .

قال مسعر : أراه قال : ولا شاة ولا بعيراً .

قال : وأنبأنا مسعر ، عن عدي بن ثابت ، عن علي بن الحسين ، قال : ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم ديناراً ولا درهما ولا عبداً ولا وليدة .
وقد ثبت في الصحيحين من حديث الأعمش ، عن إبراهيم ، عن الأسود ، عن عائشة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اشترى طعاماً من يهودى إلى أجل ، ورهنه درعاً من حديد .

وفي لفظ للبخارى رواه عن قبيصة ، عن الثورى ، عن الأعمش ، عن إبراهيم عن الأسود ، عن عائشة رضى الله عنها . قالت : توفي النبي صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة عند يهودى بثلاثين^(١) .

ورواه البيهقى من حديث يزيد بن هارون ، عن الثورى ، عن الأعمش ، عن إبراهيم عن الأسود عنها ، قالت : توفي النبي صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة بثلاثين صاعاً من شعير .

ثم قال : رواه البخارى ، عن محمد بن كثير ، عن سفيان .

ثم قال البيهقى : أنبأنا علي بن أحمد بن عبدان ، أنبأنا أبو بكر محمد بن حمويه العسكرى ، حدثنا جعفر بن محمد القلانسى ، حدثنا آدم ، حدثنا شيبان ، عن قتادة عن أنس ، قال : لقد دعى رسول الله صلى الله عليه وسلم على خبز شعير وإهالة سِنَخَة^(٢) . قال أنس : ولقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « والذى نفس محمد بيده ما أصبح عند آل محمد صاع بُرّ ولا صاع تمر » . وإن له يومئذ تسع نسوة ، ولقد رهن درعاً له عند يهودى بالمدينة وأخذ منه طعاماً فما وجد ما يفتكها به حتى مات صلى الله عليه وسلم .

(١) زاد في البخارى : أى صاعاً من شعير . (٢) الإهالة : الزيت . السنخة : المنفردة الرائحة .

وقد روى ابن ماجه بعضه من حديث شيبان بن عبد الرحمن النخوى عن قتادة به .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد ، حدثنا ثابت ، حدثنا هلال ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ؛ أن النبي صلى الله عليه وسلم نظر إلى أحد فقال : « والذي نفسى بيده ما يسرني أن أحداً لآل محمد ذهباً أنفق في سبيل الله ، أموت يوم أموت وعندي منه ديناران إلا أن أرضدما لدين » .

قال : فات فما ترك ديناراً ولا درهما ولا عبداً ولا وليدة ، فترك درعه رهناً عند يهودى بثلاثين صاعاً من شعير .

وقد روى آخره ابن ماجه ، عن عبد الله بن معاوية الجمحي ، عن ثابت بن يزيد ، عن هلال بن خباب العبدي الكوفي به . ولأوله شاهد في الصحيح من حديث أبي ذر رضى الله عنه .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد وأبو سعيد وعفان ، قالوا : حدثنا ثابت - هو ابن يزيد - حدثنا هلال - هو ابن خباب - عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليه عمر وهو على حصير قد أثر في جنبه . فقال : يا نبي الله لو اتخذت فراشاً أو ثراً من هذا ؟ فقال : « مالى وللدنيا ، ما مثلى ومثل الدنيا إلا كراكب سار في يوم صائف فاستظل تحت شجرة ساعة من نهار ثم راح وتركها » .

تفرد به أحمد وإسناده جيد .

وله شاهد من حديث ابن عباس عن عمر في المرأتين اللتين تظاهرتا على رسول الله

صلى الله عليه وسلم؛ وقصة الإيلاء . وسيأتى الحديث مع غيره^(١) مما شاكله فى بيان زهده عليه السلام وتركه الدنيا ، وإعراضه عنها ، وإطراحه لها ، وهو مما يدل على ما قلناه من أنه عليه السلام لم تكن الدنيا عنده ببالٍ .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سفيان ، حدثنا عبد العزيز بن رُفَيْع ، قال : دخلت أنا وشَدَّاد بن مَعْقِل على ابن عباس فقال ابن عباس : ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا ما بين هذين اللّوحين . قال : ودخلنا على محمد بن علي فقال مثل ذلك .

وهكذا رواه البخارى ، عن قتيبة ، عن سفيان بن عُيَيْفَة به .

وقال البخارى : حدثنا أبو نعيم ، حدثنا مالك بن مِغْوَل ، عن طلحة ، قال سألت عبد الله بن أبى أوفى : أوصى النبى صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : لا . فقلت : كيف كتب على الناس الوصية ، أو أمروا^(٢) بها ؟ قال : أوصى بكتاب الله عز وجل .

وقد رواه البخارى أيضا ومسلم وأهل السنن إلا أبا داود من طرق عن مالك ابن مِغْوَل به . وقال الترمذى : حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من حديث مالك ابن مِغْوَل .

تلييه

قد ورد أحاديث كثيرة سنورها قريباً بعد هذا الفصل فى ذكر أشياء كان يختص بها صلوات الله وسلامه عليه فى حياته من دور ومسكن نسائه وإماء وعبيد

(١) وذلك فى قسم الشرائع من متعلقات السيرة النبوية : الذى سننقه مفردا .

(٢) البخارى : أو أمروا بالوصية .

وخيول وإبل وغنم وسلاح وبغلة وحمار وثياب وأثاث وخاتم وغير ذلك مما سنوضحه بطرقه ودلائله .

فلعله عليه السلام تصدّق بكثير منها في حياته مُنْجِزاً ، وأعتق من أعتق من إمامه وعبيده ، وأرصد ما أرصده من أمتعته ، مع ما خصه الله به من الأرضين من بنى النّضير وخيبر وفدك في مصالح المسلمين على ما سنبينه إن شاء الله ، إلا أنه لم يخلف من ذلك شيئاً يورث عنه قلعاً ، لما سنذكره قريباً . وبالله المستعان .

باب

بيان أنه عليه السلام قال : لا نورث

قال الإمام أحمد : حدثنا سفيان ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم : « لا يفتسم ورثتي ديناراً ولا درهما ، ما تركتُ بعد نفقة نسائي ومؤنة عاملي فهو صدقة » .

وقد رواه البخاري ومسلم وأبو داود من طرق ، عن مالك بن أنس ، عن أبي الزناد ، عن عبد الله بن ذكوان ، عن عبد الرحمن بن هُرْمَزٍ الأعرج ، عن أبي هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يفتسم ورثتي ديناراً ، ما تركتُ بعد نفقة نسائي ومؤنة عاملي فهو صدقة » .

لفظ البخاري .

ثم قال البخاري : حدثنا عبد الله بن مسleme ، عن مالك ، عن ابن شهاب ، عن عروة ، عن عائشة أن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم حين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم أرذن أن يبعثن عثمان إلى أبي بكر ليسألنه ميراثهن ، فقالت عائشة : أليس قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا نورث ، ما تركنا صدقة ؟ » .

وهكذا رواه مسلم ، عن يحيى بن يحيى ، وأبو داود عن القعنبي ، والنسائي عن قتيبة ، كلهم عن مالك به .

فهذه إحدى النساء الوارثات - إن لو قدر ميراث - قد اعترفت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل ما تركه صدقة لأميرائنا ، والظاهر أن بقية أمهات المؤمنين وافقنها على

ماروت ، وتذكرن ما قالت لهن من ذلك ، فإن عبارتها تؤذن بأن هذا أمر مقرر عندهن . والله أعلم .

وقال البخارى : حدثنا إسماعيل بن أبان ، حدثنا عبد الله بن المبارك ، عن يونس ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا نورث ما تركنا صدقة » .

وقال البخارى : باب قول رسول الله : لا نورث ما تركنا صدقة : حدثنا عبد الله ابن محمد ، حدثنا هشام ، أنبأنا معمر ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة ، أن فاطمة والعباس أتيا أبا بكر رضى الله عنه يلتمسان ميراثهما من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهما حينئذ يطالبان أرضه من فدك وسهمه من خيبر ، فقال لهما أبو بكر : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لا نورث ما تركنا صدقة ، إنما يأكل آل محمد من هذا المال » .

قال أبو بكر : والله لأدعُ أمراً رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنعه فيه إلا صنعه .

قال : فهجرته فاطمة فلم تسكلمه حتى ماتت .

وهكذا رواه الإمام أحمد ، عن عبد الرزاق ، عن معمر .

ثم رواه أحمد عن يعقوب بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن صالح بن كيسان ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة ، أن فاطمة سألت أبا بكر بعد وفاة رسول الله ميراثها مما ترك مما أفاء الله عليه ، فقال لها أبو بكر : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا نورث ما تركنا صدقة » فغضبت فاطمة وهجرت أبا بكر فلم تنزل مهاجرته حتى توفيت . قال : وعاشت فاطمة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة أشهر ، وذكر تمام الحديث .

هكذا قال الإمام أحمد . وقد روى البخارى هذا الحديث فى كتاب المغازى من صحيحه عن ابن بكير ، عن الليث ، عن عقيل ، عن الزهرى ، عن عروة ، عن عائشة كما تقدم ، وزاد : فلما توفيت دفنها على ليلا ولم يؤذن أبابكر وصلى عليها .

وكان لعل من الناس وجه حياة فاطمة ، فلما توفيت استنكر على وجوه الناس ، فالتمس مصالحة أبى بكر ومبايعته ولم يكن بايع تلك الأشهر ، فأرسل إلى أبى بكر : إيتنا ولا يأتنا معك أحد ، وكره أن يأتيه عمر لما علم من شدة عمر . فقال عمر : والله لا تدخل عليهم وحدك . قال أبو بكر : وما عسى أن يصنعوا بى ؟ والله لا تبينهم .

فانطلق أبو بكر رضى الله عنه [فتشهد على] وقال : إنا قد عرفنا فضلك وما أعطاك الله ، ولم ننفس عليك خيراً ساقه الله إليك ، ولكم استبددتم بالأمر ، وكنا نرى لقرابتنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لنا فى هذا الأمر نصيباً ، فلم يزل على يذكر حتى بكى أبو بكر رضى الله عنه . وقال : والذي نفسى بيده لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب إلى أن أصيل من قرابتي ، وأما الذى شجر بينكم فى هذه الأموال فإنى لم آل فيها عن الخير ، ولم أترك أمراً صنعه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا صنعته .

فلما صلى أبو بكر رضى الله عنه الظهر رقى على المنبر فتشهد وذكر شأن على وتخلفه عن البيعة وعذره بالذى اعتذر به ، وتشهد على رضى الله عنه فعظم حق أبى بكر وذكر فضيلته وسابقته ، وحدث أنه لم يحمله على الذى صفع نفاسة على أبى بكر . ثم قام إلى أبى بكر رضى الله عنهما فبايعه . فأقبل الناس على على فقالوا : أحسنت . وكان الناس إلى على قريباً حين راجع الأمر المعروف .

وقد رواه البخارى أيضاً ومسلم وأبو داود والنسائى من طرق متعددة عن الزهرى عن عروة عن عائشة بنحوه .

فهذه البيعة التى وقعت من على رضى الله عنه ، لأبى بكر رضى الله عنه ، بعد وفاة

فاطمة رضى الله عنها ، بيعة مؤكدة للصالح الذى وقع بينهما وهى ثانية للبيعة التى ذكرناها
أولا يوم السقيفة ، كما رواه ابن خزيمة وصححه مسلم بن الحجاج ، ولم يكن على مجانبنا لأبى
بكر هذه الستة الأشهر ، بل كان يصلى وراءه ويحضر عنده للمشورة ، وركب معه إلى ذى القصة .
وفى صحيح البخارى أن أبى بكر رضى الله عنه صلى العصر بعد وفاة رسول الله صلى
الله عليه وسلم بليال ، ثم خرج من المسجد فوجد الحسن بن على يلعب مع الغلمان ،
فاحتمله على كاهله وجعل يقول :

يا أبابى شبيه النبى * ليس شبيهاً به

وعلى يضحك . ولكن لما وقعت هذه البيعة الثانية اعتقد بعض الرواة أن عليا لم
يباع قبلها فنق ذلك ، والمثبت مقدم على النافي كما تقدم وكما تقرر . والله أعلم .

وأما تغضب فاطمة رضى الله عنها وأرضاها على أبى بكر رضى الله عنه وأرضاها فما
أدرى ما وجهه .

فإن كان لمنعه إياها ما سأله من الميراث فقد اعتذر إليها بعذر يجب قبوله ، وهو ما رواه
عن أبيها رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا نورث ما تركنا صدقة » وهى ممن
تنقاد لنص الشارع الذى خفي عليها قبل سؤالها الميراث ، كما خفي على أزواج النبي صلى
الله عليه وسلم حتى أخبرتهن عائشة بذلك ، ووافقها عليه .

وليس يُظن بفاطمة رضى الله عنها أنها اتهمت الصديق رضى الله عنه فيما أخبرها به ،
حاشاها وحاشاه من ذلك ، كيف وقد وافقه على رواية هذا الحديث عمر بن الخطاب ،
وعثمان بن عفان ، وعلى بن أبى طالب ، والعباس بن عبد المطلب ، وعبد الرحمن بن
عوف ، وطلحة بن عبيد الله ، والزبير بن العوام ، وسعد بن أبى وقاص ، وأبو هريرة ،
وعائشة رضى الله عنهم أجمعين . كما سنبينه قريبا .

ولو تفرّد بروايته الصّدّيق رضى الله عنه لوجب على جميع أهل الأرض قبول روايته والالتئاده في ذلك .

وإن كان غضبها لأجل ما سألت الصّدّيق ، إذ كانت هذه الأراضي صدقة لا ميراثا أن يكون زوجها ينظر فيها ، فقد اعتذر بما حاصله : أنه لما كان خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو يرى أن فرضاً عليه أن يعمل بما كان يعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبلى ما كان يليه رسول الله ، ولهذا قال : وإني والله لا أدع أمراً كان يصنعه فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا صنعتُه . قال : فهجرت فاطمة فلم تكلمه حتى ماتت . وهذا الهجران والحالة هذه فتّح على فرقة الرافضة شرّاً عريضاً ، وجهلاً طويلاً ، وأدخلوا أنفسهم بسببه فيما لا يعنّيه .

ولو تفهّموا الأمور على ما هي عليه لعرفوا للصّدّيق فضله ، وقبلوا منه عذره الذي يجب على كل أحد قبوله .

والكنهم طائفة مخذولة ، وفرقة مرذولة ، يتمسّكون بالمشابهة ، ويتركون الأمور الحكمة المقدّرة عند أئمة الإسلام ، من الصحابة والتابعين فمن بعدهم من العلماء المعتمدين في سائر الأعصار ، والأمصار رضى الله عنهم وأرضاهم أجمعين .

بيان رواية الجماعة لما رواه الصّدّيق وموافقتهم على ذلك

قال البخارى : حدثنا يحيى بن بُكَيْر ، حدثنا الليث ، عن عَقِيل ، عن ابن شهاب ، قال : أخبرني مالك بن أوس بن الحَدَثَان ، وكان محمد بن جبير بن مطعم ذكراً لى ذِكْراً من حديثه ذلك ، فانطلقت حتى دخلت عليه فسألته فقال : انطلقت حتى أدخل على عمر فأتاه حاجبه يرفاً فقال : هل لك في عثمان وعبد الرحمن بن عوف والزبير وسعد ؟ قال : نعم فأذن لهم . ثم قال : هل لك في عليّ وعباس ؟ قال نعم : قال عباس : يا أمير المؤمنين اقض بيني وبين هذا .

قال : أنشدكم بالله الذى بإذنه تقوم السماء والأرض : هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا نورث ما تركنا صدقة ؟ » يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه ؟ قال الرهط : قد قال ذلك . فأقبل على على وعباس فقال : هل تعلمان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال ذلك ؟ قال : قد قال ذلك .

قال عمر بن الخطاب : فإني أحدثكم عن هذا الأمر : إن الله كان قد خصَّ رسول الله في هذا الشيء بشيء لم يعطه أحداً غيره ، قال : « ما أفاء الله على رسوله ^(١) » إلى قوله « قدير » فكانت خالصةً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، والله ما احتازها دونكم ، ولا استأثر بها عليكم ، لقد أعطاكموها وبثها فيكم حتى بقى منها هذا المال ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفق على أهله من هذا المال نفقة سنته ، ثم يأخذ ما بقى فيجمله يجعل مال الله ، فعمل بذلك رسول الله حياته ، أنشدكم بالله هل تعلمون ذلك ؟ قالوا : نعم . ثم قال لعلى وعباس : أنشدكما بالله هل تعلمان ذلك ؟ قال : نعم .

فتوفى الله نبيّه ، فقال أبو بكر رضى الله عنه : أنا وليُّ رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقبضها فعمل بما عمل به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم توفى الله أبا بكر فقلت : أنا وليُّ وليِّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبضتها سنتين أعمل فيها بما عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر ، ثم جئتماني وكلتكما واحدة وأمركما جميع ، حتى جئتمني تسألني نصيبك من ابن أخيك ، وجاءني هذا يسألني نصيب امرأته من أبيها ، فقلت : إن شئنا دفعتمنا إليكما بذلك ، فتلتمسان مني قضاء غير ذلك ؟ فوالله الذى بإذنه تقوم السماء والأرض لا أقضى فيها قضاء غير ذلك حتى تقوم الساعة ، فإن عجزتما فادفعاهما إلى فأنا أ كفيكماها ^(٢) .

وقد رواه البخارى فى أما كن متفرقة من صحيحه ، ومسلم وأهل السنن من طرق ،
عن الزهرى به .

وفى رواية فى الصحيحين فقال عمر : فويلها أبو بكر فعمل فيها بما عمل رسول الله
صلى الله عليه وسلم والله يعلم أنه صادق بار راشد تابع للحق ، ثم وليتها فعملت فيها بما
عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر ، والله يعلم أنى صادق بار راشد تابع للحق .
ثم جئتماني فدفعتماني إليكما لتعملوا فيها بما عمل رسول الله وأبو بكر وعملت فيها أنا ،
أنشدكم بالله أذفعتها إليهما بذلك ؟ قالوا : نعم . ثم قال لهما . أنشدكما بالله هل دفعتماني إليكما
بذلك ؟ قالوا : نعم ، قال : أفتلتزمان منى قضاء غير ذلك ؟ لا والذي يأذنه تقوم
السماء والأرض .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سفيان ، عن عمرو ، عن الزهرى ، عن مالك بن أوس ،
قال سمعت عمر يقول لعبد الرحمن وطلحة والزبير وسعد : نشدكم بالله الذى تقوم السماء
والأرض بأمره أعلمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : « لا نُورث ماتر كننا
صدقة ؟ » قالوا : نعم .
على شرط الصحيحين .

قلت : وكان الذى سألوه بعد تفويض النظر إليهما ، والله أعلم ، هو أن يقسم
بينهما النظر ، فيجعل لكل واحد منهما نظراً ما كان يستحقه بالأرض لو قدر أنه
كان وارثاً .

وكانهما قدما بن أيديهما جماعة من الصحابة منهم عثمان وابن عوف وطلحة والزبير
وسعد ، وكان قد وقع بينهما خصومة شديدة بسبب إشاعة النظر بينهما ، فقالت الصحابة
الذين قدموهم بين أيديهما : يا أمير المؤمنين اقض بينهما ، أو أريح أحدهما من الآخر .

فكان عمر رضى الله عنه تحرّج من قسمة النظر بينهما بما يشبه قسمة الميراث ولو في الصورة الظاهرة ، محافظةً على امتثال قوله صلى الله عليه وسلم : « لا نورث ماتركنا صدقة » فامتنع عليهم كلهم وأبى من ذلك أشدّ الإباء رضى الله عنه وأرضاه .

ثم إن عليا والعباس استمرا على ما كانا عليه ينظران فيها جميعا إلى زمان عثمان بن عفان ، فغلبه عليها علي وتركها له العباس بإشارة ابنه عبد الله رضى الله عنهما بين يدي عثمان ، كما رواه أحمد في مسنده . فاستمرت في أيدي العلويين .

وقد تقصيت طرق هذا الحديث وألغاظه في مُسنَدَي الشيخين أبي بكر وعمر رضى الله عنهما ، فإني والله الحمد جمعت لكل واحد منهما مجلداً ضخماً مما رواه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورآه من الفقه النافع الصحيح ، ورتبته على أبواب الفقه المصطلح عليها اليوم .

وقد روينا أن فاطمة رضى الله عنها احتجّت أولاً بالقياس وبالعموم في الآية الكريمة ، فأجابها الصديق بالنص على الخصوص بالنع في حق النبي ، وأنها سلّمت له ما قال . وهذا هو المظنون بها رضى الله عنها .

فقال الإمام أحمد : حدثنا عفان ؛ حدثنا حماد بن سلمة ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، أن فاطمة قالت لأبي بكر : من يرثك إذا مت ؟ قال : ولدي وأهلي . قالت : فما لنا لا نرث رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن النبي لا يورث » ولكني أعول من كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعول وأنفق على من كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفق .

وقد رواه الترمذی في جامعه عن محمد بن المنثري ، عن أبي الوليد الطيالسي ، عن محمد ابن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، فذكره فوصل الحديث وقال الترمذی : حسن صحيح غريب .

فأما الحديث الذى قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الله بن محمد بن أبي شيبة ، حدثنا محمد بن فضيل ، عن الوليد بن جميع ، عن أبي الطفيل ، قال : لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسلت فاطمة إلى أبي بكر : أنت ورثت رسول الله أم أهله ؟ فقال : لا بل أهله ، فقالت : فأين سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال أبو بكر : إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن الله إذا أطعم نبيا طعمة ثم قبضه جعله للذى [يقوم^(١)] من بعده » فرأيت أن أردّه على المسلمين . قالت : فأنت وما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وهكذا رواه أبو داود عن عثمان بن أبي شيبة ، عن محمد بن فضيل به .
ففى لفظ هذا الحديث غرابة ونسكارة ، ولعله روى بمعنى ما فهمه بعض الرواة ، وفيهم من فيه تشيع ، فليعلم ذلك .
وأحسن ما فيه قولها : أنت وما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهذا هو الصواب والمظنون بها ، واللائق بأمرها وسيادتها وعلوها ودينها ، رضى الله عنها .
وكانها سألته بعد هذا أن يجعل زوجها ناظراً على هذه الصدقة فلم يجبها إلى ذلك لما قدمناه ، فتمتعبت عليه بسبب ذلك ، وهى امرأة من بنات آدم تأسف كما يأسفن ، وليست بواجبة العصمة مع وجود نص رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومخالفة أبي بكر الصديق رضى الله عنها .

وقد روينا عن أبي بكر رضى الله عنه : أنه ترضى فاطمة وتلاينها قبل موتها فرضيت رضى الله عنها .

قال الحافظ أبو بكر البيهقي : أنبأنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب ، حدثنا محمد بن عبد الوهاب ، حدثنا عبدان بن عثمان العتكي بنيسابور ، أنبأنا أبو جحرة ، عن إسماعيل بن

ابن أبي خالد ، عن الشَّعْبِيِّ ، قال : لما مرضت فاطمة أتاها أبو بكر الصديق فاستأذن عليها ، فقال علي : يا فاطمة هذا أبو بكر يستأذن عليك ؟ فقالت أتحب أن أذن له ؟ قال : نعم . فأذنت له فدخل عليها يترضاها فقال : والله ما تركتُ الدارَ والمال والأهل والعشيرة إلا ابتغاء مرضاة الله ، ومرضاة رسوله ، ومرضاتكم أهل البيت . ثم ترضاها حتى رضيت .

وهذا إسناد جيد قوى ، والظاهر أن عامر الشَّعْبِيِّ سمعه من علي ، أو من سمعه من علي .

وقد اعترف علماء أهل البيت بصحة ما حكم به أبو بكر في ذلك : قال الحافظ البيهقي : أنبأنا محمد بن عبد الله الحافظ ، حدثنا أبو عبد الله الصَّغَر ، حدثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي ، حدثنا نصر بن علي ، حدثنا ابن داود ، عن فضيل بن مرزوق ، قال : قال زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب : أما أنا فلو كنت مكان أبي بكر لحكمت بما حكم به أبو بكر في ذلك .

فصل

وقد تسكمت الرافضة في هذا المقام بجهل ، وتكلفوا ما لا علم لهم به ، وكذبوا بما لم يحيطوا بهامه ، ولما يأتهم تأويله ، وأدخلوا أنفسهم فيما لا يعنيهم . وحاول بعضهم أن يردَّ خبر أبي بكر رضي الله عنه فيما ذكرناه بأنه مخالف للقرآن حيث يقول الله تعالى : « وورث سليمانُ داودَ » ^(١) الآية . وحيث قال تعالى إخباراً عن زكريا أنه قال : « فهبَّ لي من لدنك ولياً ، يرثني ويرثُ من آلِ يعقوب واجعله رب رضياً » ^(٢) .

واستدلالم بهذا باطل من وجوه .

أحدها أن قوله : « وورث سليمان داود » إنما يعنى بذلك فى الملك والنبوة ، أى جعلناه قائماً بعده فيما كان يليه من الملك وتدير الرعايا ، والحكم بين بنى إسرائيل ، وجعلناه نبيا كريما كآبيه ، وكما جمع لأبيه الملك والنبوة كذلك جعل ولده بعده .

وليس المراد بهذا وراثة المال ، لأن داود كما ذكره كثير من المفسرين كان له أولاد كثيرون يقال مائة ، فلم اقتصر على ذكر سليمان من بينهم لو كان المراد وراثة المال ؟ إنما المراد وراثة القيام بعده فى النبوة والملك ، ولهذا قال : « وورث سليمان داود » وقال : « يأيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شئ . إن هذا هو الفضل المبين » وما بعدها من الآيات .

وقد أشبعنا الكلام على هذا فى كتابنا التفسير بما فيه كفاية والله الحمد والمنة كثيراً .

وأما قصة زكريا فإنه عليه السلام من الأنبياء الكرام ، والدنيا كانت عنده أحقّر من أن يسأل الله ولداً ليورثه فى ماله ، كيف وإنما كان نجاراً يأكل من كسب يده كما رواه البخارى ، ولم يكن ليدخر منها فوق قوته حتى يسأل الله ولداً يرث عنه ماله ، أن لو كان له مال ، وإنما سأل ولداً صالحاً يرثه فى النبوة والقيام بمصالح بنى إسرائيل ، وتحملهم على السداد . ولهذا قال تعالى : « كهيعص ذكّر رحمة ربك عبده زكريا ، إذ نادى ربه نداء خفياً ، قال رب إنى وهن العظم منى واشتعل الرأس شيباً ولم أكن بدعائك رب شقياً ، وإنى خفت الموالى من ورأتى وكانت امرأتى عاقراً فهبّ لى من ادنك ولياً ، يرثنى ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا » القصة بتمامها . فقال : ولياً يرثنى ويرث من آل يعقوب » يعنى النبوة كما قررنا ذلك فى التفسير والله الحمد والمنة .

وقد تقدم فى رواية أبى سلمة عن أبى هريرة عن أبى بكر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال : « والنبي لابورث » وهذا اسم جنس يعم كل الأنبياء وقد حسنه الترمذى .
وفي الحديث الآخر : « نحن معشر الأنبياء لانورث » .

والوجه الثانى : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خُصَّ من بين الأنبياء بأحكام لا يشاركونه فيها ، كما سنعقد له بابا مفرداً فى آخر السيرة إن شاء الله ، فلو قُدِّرَ أن غيره من الأنبياء يورثون - وليس الأمر كذلك - لكان مارواه من ذكرنا من الصحابة الذين منهم الأئمة الأربعة ؛ أبو بكر وعمر وعثمان وعلى مبيّناً لتخصيصه بهذا الحكم دون ماسواه .

والثالث : أنه يجب العمل بهذا الحديث والحكم بمقتضاه كما حكم به الخلفاء ، واعترف بصحته العلماء ، سواء كان من خصائصه أم لا . فإنه قال : « لانورث ماتركناه صدقة » .

إذ يحتمل من حيث اللفظ أن يكون قوله عليه السلام : « ماتركناه صدقة » أن يكون خبراً عن حكمه أو حكم سائر الأنبياء معه على ماتقدم ، وهو الظاهر . ويحتمل أن يكون إنشاء وصية كأنه يقول : لانورث لأن جميع ماتركناه صدقة ، ويكون تخصيصه من حيث جواز جعله ماله كله صدقة .

والاحتمال الأول أظهر ، وهو الذى سلكه الجمهور ، وقد يَقتوى المعنى الثانى بماتقدم من حديث مالك وغيره ، عن أبى الزناد ، عن الأعرج ، عن أبى هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تَقْسَم ورثتى ديناراً ، ماتركت بعد نفقة نساى ومؤنة عاملى فهو صدقة » .

وهذا اللفظ مخرّج فى الصحيحين ، وهو يردّ تحريف من قال من الجملة من طائفة الشيعة فى رواية هذا الحديث : ماتركناه صدقة بالنصب ، جعل مانافية ، فكيف يصنع بأول

الحديث وهو قوله : لا نورث ؟ وبهذه الرواية : « ما تركتُ بعد نفقة نسائي ومؤنة عاملي فهو صدقة » .

وما شأن هذا إلا كاحكى عن بعض المعتزلة أنه قرأ على شيخ من أهل السنة : « وكلم الله موسى تكليماً » بنصب الجلالة ، فقال له الشيخ : ويحك كيف تصنع بقوله تعالى : « فلما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه » !

والمقصود أنه يجب العمل بقوله صلى الله عليه وسلم : « لا نورث ما تركنا صدقة » على كل تقدير احتمله اللفظ والمعنى ، فإنه مخصص لعموم آية الميراث ، ويُخرج له عليه السلام منها ، إما وحده أو مع غيره من إخوانه الأنبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام .

باب

ذكر زوجاته صلوات الله وسلامه عليه ورضى عنهن وأولاده وَبَارِكُوا لَهُ

قال الله تعالى : « يانساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول
يطمّع الذى فى قلبه مرض وقلن قولا معروفا ، وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج
الجاهلية الأولى وأقن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله إنما يريد الله ليذهب
عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا ، واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله
والحكمة إن الله كان لطيفا خبيرا »^(١) .

لاخلاف أنه عليه السلام توفى عن تسع وهن : عائشة بنت أبى بكر الصديق التيمية ،
وحفصة بنت عمر بن الخطاب العدوية ، وأم حبيبة رَمْلَة بنت أبى سفيان صخر بن حرب
ابن أمية الأموية ، وزينب بنت جحش الأسدية ، وأم سلمة هند بنت أبى أمية الخزومية ،
وميمونة بنت الحارث الهلالية ، وسودة بنت زمعة العامرية ، وجويرية بنت الحارث
ابن أبى ضرار المصطلقية ، وصفية بنت حيي بن أخطب النضرية الإسرائيلية الهارونية ،
رضى الله عنهن وأرضاهن .

وكانت له سُرَّتَانِ وهما ، مارية بنت شمعون القبطية المصرية من كورة أنصناء وهى
أم ولده إبراهيم عليه السلام ، وربحانة بنت شمعون القرظية ، أسلمت ثم أعتقها فلاحقت
بأهلها . ومن الناس من يزعم أنها احتجبت عندهم والله أعلم .

وأما الكلام على ذلك مفصلاً ومرتباً من حيث ما وقع أولاً فأولاً ، مجموعاً من كلام الأئمة رحمهم الله فنقول وبالله المستعان :

روى الحافظ الكبير أبو بكر البيهقي ، من طريق سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، قال : تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس عشرة امرأة ، دخل منهن بثلاث عشرة ، واجتمع عنده إحدى عشرة ، ومات عن تسع . ثم ذكر هؤلاء التسع اللاتي ذكرناهن رضى الله عنهن .

ورواه سيف بن عمر ، عن سعيد ، عن قتادة عن أنس ، والأول أصح ^(١) . ورواه سيف بن عمر التميمي عن سعيد عن قتادة عن أنس وابن عباس مثله .

وروى سيف عن سعيد بن عبد الله ، عن عبد الله بن أبي مليكة ، عن عائشة مثله . قالت فالمرأتان اللتان لم يدخل بهما فهما ؛ عمرة بنت يزيد القفارية والشَّنبَاء ، فأما عمرة فإنه خلا بها وجردّها فرأى بها وضعا فردّها وأوجب لها الصداق وحُرِّمت على غيره ، وأما الشَّنبَاء فلما أدخلت عليه لم تكن يسيرة فتركها ينتظر بها اليُسْرَ ، فلما مات ابنه إبراهيم على بَقْتة ذلك قالت : لو كان نبياً لم يمت ابنه . فطلقها وأوجب لها الصداق وحرمت على غيره .

قالت : فاللاتي اجتمعن عنده ؛ عائشة وسَوْدَة وحفصة وأم سلمة وأم حبيبة وزينب بنت جحش وزينب بنت خزيمة وجُوَيْرِيَة وصفية وميمونة وأم شريك . قلت : وفي صحيح البخاري عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يطوف على نسائه وهن إحدى عشرة امرأة .

والمشهور أن أم شريك لم يدخل بها كما سيأتي بيانه ، ولكن المراد بالإحدى عشرة اللاتي كان يطوف عليهن التسع المذكورات والجاريّتان مارية وريحانة .

(١) هامش الأصل : ورواه بحير بن كثير عن قتادة عن أنس والأول أصح .

ورواه يعقوب بن سفيان الفسوي ، عن الحجاج بن أبي منيع ، عن جده عبيد الله ابن أبي زياد الرضافي ، عن الزهري .

وقد علقه البخاري في صحيحه عن الحجاج هذا .

وأورد له الحافظ ابن عساكر طرفا عنه ، أن أول امرأة تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى ، زوجة إياها أبوها قبل البعثة .

وفي رواية قال الزهري : وكان عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم تزوج خديجة إحدى وعشرين سنة ، وقيل خمسا وعشرين سنة ، زمان بنيت الكعبة . وقال الواقدي وزاد : ولها خمس وأربعون سنة .

وقال آخرون من أهل العلم : كان عمره عليه السلام يومئذ ثلاثين سنة . وعن حكيم ابن حزام قال : كان عمر رسول الله يوم تزوج خديجة خمسا وعشرين سنة ، وعمرها أربعون سنة .

وعن ابن عباس كان عمرها ثمانيا وعشرين سنة . رواها ابن عساكر .

وقال ابن جرير : كان عليه السلام ابن سبع وثلاثين سنة ، فولدت له القاسم وبه كان يُكنى والطيب والطاهر ، وزينب ، ورقية ، وأم كلثوم ، وفاطمة .

قلت : وهي أم أولاده كلهم سوى إبراهيم ، فمن مارية كاسياني بيانه .

ثم تسكلم على كل بنت من بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن تزوجها .

وحاصله : أن زينب تزوجها العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس بن

عبد مناف وهو ابن أخت خديجة ، أمه هالة بنت خويلد ، فولدت له ابنا اسمه علي ، وبناتا

اسمها أمامة بنت زينب ، وقد تزوجها علي بن أبي طالب بعد وفاة فاطمة ومات وهي عنده ،

ثم تزجت بعده بالمغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب .
وأما رقية فتزوجها عثمان بن عفان ، فولدت له ابنه عبد الله وبه كان يُكنى أولا ،
ثم اُكتفى بابنه عمرو ، وماتت رقية ورسول الله صلى الله عليه وسلم ببدر . ولما قدم زيد
ابن حارثة بالبشارة وجدتم قد ساووا التراب عليها ، وكان عثمان قد أقام عندها يمرّضها ،
فضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسنمه وأجره ، ثم زوّجه بأختها أم كلثوم ، ولهذا
كان يقال له ذو النورين ، فتوفيت عنده أيضا في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم .
وأما فاطمة فتزوجها ابن عمه علي بن أبي طالب بن عبد المطلب ، فدخل بها بعد
وقعة بدر كما قدمنا ، فولدت له حسنا وبه كان يكنى ، وحُسينا وهو المقتول شهيدا
بأرض العراق .

قلت : ويقال وحسنا . قال : وزينب وأم كلثوم ، وقد تزوج زينب هذه ابن عمها
عبد الله بن جعفر فولدت له عليا وعونا وماتت عنده ، وأما أم كلثوم فتزوجها أمير المؤمنين
عمر بن الخطاب فولدت له زيدا ومات عنها ، فتزوجت بعده بنى عمها جعفر واحداً بعد
واحد ، تزوجت بعون بن جعفر فمات عنها ، فخلف عليها أخوه محمد فمات عنها ، فخلف
عليها أخوها عبد الله بن جعفر فماتت عنده .

قال الزهري : وقد كانت خديجة بنت خويلد تزوجت قبل رسول الله صلى الله عليه
وسلم برجلين ؛ الأول منهما عتيق بن عائذ بن مخزوم ، فولدت منه جارية ^(١) وهى أم
محمد بن صفيى ، والثانى أبو هالة التميمى فولدت له هند بن هند ^(٢) .
وقد سماه ابن إسحاق فقال : ثم خلف عليها بعد هلاك عائذ أبو هالة النباش بن زرارة

(١) واسمها هند ، كما فى المواهب ٣ / ٢٢٠

(٢) وهو هند بن أبى هالة الصحاني ، راوى حديث صفة النبی صلى الله عليه وسلم . وله ولد اسمه أيضا

هند ، شرح المواهب ٣ / ٢٢٠

أحد بنى عمرو بن تميم حليف بنى عبید الدار ، فولدت له رجلاً وامرأة ثم هلك عنها ،
تخلف عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فولدت له بناته الأربع ثم بعدهن القاسم
والطيب والطاهر ، فذهب العُلَمة جميعاً وهم يرضعون .

قلت : ولم يتزوج عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم مدة حياتها امرأة .

كذلك رواه عبد الرزاق عن مَعمر ، عن الزهري عن عروة ، عن عائشة ، أنها
قالت ذلك .

وقد قدّمنا تزويجها في موضعه وذكرنا شيئاً من فضائلها بدلائلها^(١) .

قال الزهري : ثم تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد خديجة بعائشة بنت أبي
بكر عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تميم بن مرة بن
كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة ، ولم يتزوج بكراً غيرها .
قلت : ولم يولد له منها ولد ، وقيل : بل أَسْقَطَتْ منه ولداً سماه رسول الله صلى الله
عليه وسلم عبد الله ، ولهذا كانت تُكنى بأم عبد الله . وقيل إنما كانت تُكنى بعبد الله
ابن اختها أسماء من الزبير بن العوام رضى الله عنهم .

قلت : وقد قيل إنه تزوج سَوْدَةَ قبل عائشة ، قاله ابن إسحاق وغيره ، كما قدّمنا
ذكر الخلاف في ذلك . فالله أعلم .

وقد قدّمنا صفة تزويجه عليه السلام بهما قبل الهجرة وتأخر دخوله بعائشة إلى
ما بعد الهجرة^(٢) .

قال : وتزوج حفصة بنت عمر بن الخطاب ، وكانت قبله تحت خُنَيْس بن حُذافة
ابن قيس بن عَدِي بن حُذافة بن سَهْم بن عمرو بن هُصَيْن بن كعب بن لؤي ، مات
عنها مؤمناً .

(١) تقدم ذكر تزويجها بالرسول في الجزء الأول ص ٢٦٣ وذكر فضائلها في الجزء الثاني ص ١٣٢

(٢) سبق ذلك في الجزء الثاني ص ١٣٩

قال : وتزوج أم سلمة هند بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وكانت قبله تحت ابن عمها أبي سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر ابن مخزوم .

قال : وتزوج سوادة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك ابن حسل بن عامر بن لؤي ، وكانت قبله تحت السكران بن عمرو وأخي سهيل بن عمرو ابن عبد شمس ، مات عنها مسلماً بعد رجوعه وإياها من أرض الحبشة إلى مكة رضى الله عنهما .

قال : وتزوج أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي ، وكانت قبله تحت عبيد الله ^(١) بن جحش بن رثاب من بني أسد ابن خزيمة ، مات بأرض الحبشة نصرانيا ، بعث إليها رسول الله ﷺ يعنى عمرو بن أمية الضمري إلى أرض الحبشة ، فخطبها عليه فزوجها منه عثمان بن عفان . كذا قال والصواب عثمان بن أبي العاص وأصدقها عنه النجاشي أربعائة دينار ، وبعث بها مع شُرْحَبِيل بن حَسَنَة . وقد قدمنا ذلك كله مطولاً والله الحمد .

قال : وتزوج [زينب] بنت جحش بن رثاب بن أسد بن خزيمة ، وأمها أميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت قبله تحت زيد بن حارثة مولاه عليه الصلاة والسلام ، وهي أول نسائه لحوقاً به ، وأول من عمل عليها النعش ، صبغته أسماء بنت عميس عليها ، كما رأت ذلك بأرض الحبشة .

قال : وتزوج زينب بنت خزيمة ، وهي من بني عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة ، ويقال لها أم المساكين ، وكانت قبله تحت عبد الله بن جحش بن رثاب قُتل يوم أحد ، فلم تلبث عنده عليه السلام إلا يسيراً حتى توفيت رضى الله عنها .

(١) الأصل : عبدالله . وما أثبتته عن ابن هشام والمواهب .

وقال يونس عن محمد بن إسحاق : كانت قبله عند الحصين بن الحارث بن عبد المطلب ابن عبد مناف ، أو عند أخيه الطَّفِيل بن الحارث .

قال الزهري : وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ميمونة بنت الحارث بن حَزَن ابن بُجَيْر بن الهَزَم بن رُوَبَة بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة . قال : وهي التي وهبت نفسها .

قلت : الصحيح أنه خطبها ، وكان السفير بينهما أبو رافع مولاه كما بسطنا ذلك في عمرة القضاء .

قال الزهري : وقد تزوجت قبله رجلين أولهما ابن عبد ياليل .

وقال سيف بن عمر في روايته : كانت تحت عُثَيْر بن عمرو أحد بني عَقْدَة بن ثَقِيف ابن عمرو الثقفي مات عنها ، ثم خلف عليها أبو رُم بن عبد العزى بن أبي قيس بن عبد ود ابن نصر بن مالك بن حِسل بن عامر بن لؤى .

قال : وسبى رسول الله صلى الله عليه وسلم جُوَيْرِيَة بنت الحارث بن أبي ضِرَار بن الحارث بن عامر بن مالك بن المصطلق من خزاعة يوم المَرَّاسِيْع ، فأعتقها وتزوجها . ويقال بل قَدِم أبوها الحارث ، وكان ملك خزاعة ، فأسلم ثم تزوجها منه ، وكانت قبله عند ابن عمها صفوان بن أبي الشَّقر .

قال قتادة : عن سعيد بن المسيَّب والشَّعْبِي ومحمد بن إسحاق وغيرهم قالوا : وكان هذا البطن من خزاعة حلفاء لأبي سفيان على رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولهذا يقول حسان :

وحَلَف الحارث بن أبي ضِرَارٍ وحِافٍ قُرْبَطَةً فيكم سواء

وقال سيف بن عمر في روايته عن سعيد بن عبد الله عن ابن أبي مُلَيْكَة ، عن عائشة قالت : وكانت جويرية تحت ابن عمها مالك بن صفوان بن تَوَّاب ذى الشَّقر بن

أبي السرح ابن مالك بن المصطلق .

قال : وسَيَ صَفِيَّةُ بِنْتُ حُجَيِّ بْنِ أَخْطَبٍ مِنْ بَنِي النَّضِيرِ يَوْمَ خَيْبَرَ وَهِيَ عُرُوسُ بَكْنَانَةَ بْنِ أَبِي الْحَقِيقِ .

وقد زعم سيف بن عمر في روايته أنها كانت قبل كنانة عِفْدَ سَلَّامِ بْنِ مِشْكَمٍ فَالله أعلم .

قال : فهذه إحدى عشرة امرأة دخل بهن :

قال : وقد قسم عمر بن الخطاب في خلافته لكل امرأة من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم اثني عشر ألفاً ، وأعطى جُوَيْرِيَةَ وَصَفِيَّةَ سِتَّةَ آلَافٍ سِتَّةَ آلَافٍ ، بسبب أنهما سُبَيَّتَا . قال الزهري : وقد حجبهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وقسم لهما .

قلت : وقد بسطنا الكلام فيما تقدم في تزويجه عليه السلام كل واحدة من هذه النسوة رضى الله عنهن في موضعه .

قال الزهري : وقد تزوج العالية بنت ظَبْيَانَ بْنِ عمرو ، من بني بكر بن كلاب ، ودخل بها وطلقها .

قال البيهقي : كذا في كتابي ، وفي رواية غيره : ولم يدخل بها فطلقها .

وقد قال محمد بن سعد عن هشام بن محمد بن السائب الكلبي : حدثني رجل من بني أبي بكر بن كلاب ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج العالية بنت ظَبْيَانَ بْنِ عمرو ابن عوف بن كعب بن عبد بن أبي بكر بن كلاب ، فمكثت عنده دهرًا ثم طلقها .

وقد روى يعقوب بن سفيان ، عن حجاج بن أبي منيع ، عن جده ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة : أن الضحَّاك بن سفيان الكلابي هو الذي دل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها وأنا أسمع من وراء الحجاب ، قال يا رسول الله هل لك في أخت أم شَيْبٍ ؟

وأم شبيب امرأة الضحاك .

وبه قال الزهري : تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة من بنى عمرو بن كلاب فأُنبي أن بها بياضا فطلقها ولم يدخل بها .

قلت : الظاهر أن هذه هي التي قُبِلَها والله أعلم .

قال : وتزوج أخت بنى الجئون السكندى وهم حلفاء بنى فزارة فاستعازت منه فَمَالَ : « لقد عُدْتُ بعظيم ، الحق بأهلك » فطلقها ولم يدخل بها .

قال : وكانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم سُرْبِيَّة يُقال لها مارية ، فولدت له غلاماً اسمه ابراهيم ، فتوفى وقدملاً المهد ، وكانت له وليدة يُقال لها ريحانة بنت شمعون من أهل الكتاب من خفافة ، وهم بطن من بنى قريظة ، أعتقها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويزعمون أنها قد احتجبت .

وقد روى الحافظ ابن عساكر بسنده عن علي بن مجاهد أن رسول الله تزوج خَوَلَةَ بنت الهذيل بن هَيْبَةَ التَّغْلَبِي ، وأما خُرَنْق بنت خليفة أخت دَحِيَّة بن خليفة ، فحملت إليه من الشام فانت في الطريق ، فتزوج خالتها شراف بنت فضالة بن خليفة فحملت إليه من الشام فانت في الطريق أيضا .

وقال يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق : وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج أسماء بنت كعب الجؤنية فلم يدخل بها حتى طلقها وتزوج عُمَرَةُ بنت زيد إحدى نساء بنى كلاب ثم من بنى الوحيد ، وكانت قبله عند الفضل بن عباس بن عبد المطلب ، فطلقها ولم يدخل بها .

وقال البيهقي : فهاتان هما اللتان ذكرهما الزهري ولم يسمهما ، إلا أن ابن إسحاق لم يذكر العالية .

وقال البيهقي : أنبأنا الحاكم ، أنبأنا الأصم ، أنبأنا أحمد بن عبد الجبار ، عن يونس

ابن بكير ، عن زكريا بن أبي زائدة ، عن الشَّعْبِيِّ ، قال : وَهَبَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نِسَاءً أَنْفُسَهُنَّ فَدَخَلَ بَعْضُهُنَّ وَأَرْجَى بَعْضُهُنَّ ، فَلَمْ يَقْرُبْهُنَّ حَتَّى تَوَفَّى ، وَلَمْ يَنْكَحْنِ بَعْدَهُ ، مِنْهُنَّ أُمُّ شَرِيكٍ فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : « تُرْجَى مِنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوَى إِلَيْكَ مِنْ تَشَاءُ ، وَمَنْ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ » .

قال البيهقي : وقد روينا عن هشام بن عروة عن أبيه قال : كانت خَوْلَةٌ - يعني بنت حكيم - ممن وهب أنفسهن لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال البيهقي : وروينا في حديث أبي رشيد الساعدي في قصة الجونية التي استعازت فالحقها بأهلها أن اسمها أميمة بنت النعمان بن شراحيل . كذا قال .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن عبد الله الزبيري ؛ حدثنا عبد الرحمن بن الفضيل ، عن حمزة بن أبي أسيد ، عن أبيه وعباس بن سهل عن أبيه ، قال : مر بنا النبي صلى الله عليه وسلم وأصحاب له فخرجنا معه حتى انطلقنا إلى حائط يقال له الشَّوْطُ حتى انتهينا إلى حائطين فجلسنا بينهما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اجلسوا » ودخل هو وقد أتى بالجونية فعزلت في بيت أميمة بنت النعمان بن شراحيل ومعهما دابة لها ، فلما دخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : هَيَّ لِي نَفْسَكَ . قالت : وهل تَهَبُ الْمَلَائِكَةُ نَفْسَهَا لِلشَّوْطِ ! وقالت : إني أعوذ بالله منك . قال : لقد عذت بمعاذ .

ثم خرج علينا فقال : « يا أبا أسيد اكسها دراعتين وألحقها بأهلها » .

وقال غير أبي أحمد : امرأة من بنى الجون يقال لها أميمة .

وقال البخاري : حدثنا أبو نعيم ، حدثنا عبد الرحمن بن الفضيل ، عن حمزة بن أبي أسيد ، عن أبي أسيد ، قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انطلقنا إلى حائط يقال له الشَّوْطُ ، حتى انتهينا إلى حائطين جلسنا بينهما ، فقال : « اجلسوا هاهنا » فدخل وقد أتى بالجونية فأنزلت في محل في بيت أميمة بنت النعمان بن شراحيل ومعهما دابتهما حاضرة لها ، فلما دخل عليها

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « هَبِي لِي نَفْسَكَ » . قالت : وهل تهبُ المِلْكَهَ نفسها
لِسُوقَةٍ ؟ قال : فَأَهْوَى بِيَدِهِ يَضَعُ يَدَهُ عَلَيْهَا لَتَسْكُنَ ، فقالت : أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ . قال :
« لَقَدْ عُدْتُ بِمَعَاذٍ » . ثم خرج علينا فقال : « يَا أَبَا أُسَيْدٍ اكْسِمْهَا رَازِقِيَيْنِ ^(١)
وَأَلْحَقْهَا بِأَهْلِهَا » .

قال البخاري : وقال الحسين بن الوليد ، عن عبد الرحمن بن الفسَّيْل ، عن عباس
ابن سهل بن سعد ، عن أبيه وأبي أُسَيْدٍ ، قالا : تزوج النبي صلى الله عليه وسلم أُمَيْمَةَ
بنت شراحيل ، فلما أُدْخِلَتْ عَلَيْهِ بَسَطَ يَدَهُ إِلَيْهَا ، فَكَأَنَّهُا كَرِهَتْ ذَلِكَ . فَأَمَرَ أَبَا أُسَيْدٍ
أَنْ يَجْهَزَهَا وَيَكْسُوَهَا ثَوْبَيْنِ رَازِقِيَيْنِ .

ثم قال البخاري : حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثنا إبراهيم بن الوزير ، حدثنا عبد
الرحمن بن حمزة ، عن أبيه وعن عباس بن سهل بن سعد ، عن أبيه بهذا .
انفرد البخاري بهذه الروايات من بين أصحاب الكُتُبِ .

وقال البخاري : حدثنا الحميدي ، حدثنا الوليد ، حدثنا الأوزاعي ، سألت الزهري :
أَيُّ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتَعَاذَتْ مِنْهُ ؟ فقال : أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ ابْنَةَ
الْجَوْنِ لَمَّا أُدْخِلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ قَالَتْ : أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ ، فقال : « لَقَدْ عُدْتُ بِمَعْظَمِ
الْحَقِّ بِأَهْلِكَ » .

قال : ورواه حَجَّاجُ بْنُ أَبِي مَنِيعٍ ، عن جده عن الزهري أن عُرْوَةَ أَخْبَرَهُ أَنَّ عَائِشَةَ
قَالَتْ . الْحَدِيثُ .

انفرد به دون مسلم .

قال البيهقي : ورأيت في كتاب المعرفة لابن مَنَظَّهٍ أَنَّ اسْمَ التِّي اسْتَعَاذَتْ مِنْهُ أُمَيْمَةُ بِنْتُ
النَّعْمَانِ بْنِ شَرَّاحِيلَ . وَيُقَالُ فَاطِمَةُ بِنْتُ الضَّحَّاكِ ، وَالصَّحِيحُ أَنَّهَا أُمَيْمَةُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وزعموا أن السِّكَلَابِيَّةَ اسمها عَمْرَة ، وهى التى وصفها أبوها بأنها لم تمرض قط ، فرغب عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد روى محمد بن سعد عن محمد بن عبد الله عن الزهرى ، قال : هى فاطمة بنت الضحاك بن سفيان استعازت منه فطلقها ، فكانت تَلْقَطُ البعر وتقول : أنا الشَّقِيَّةُ .
قال : وتزوجها فى ذى القعدة سنة ثمان ، وماتت سنة ستين .

وذكر يونس عن ابن إسحاق فيمن تزوجها عليه السلام ولم يدخل بها أسماء بنت كعب الجوننية^(١) وعَمْرَة بنت يزيد السِّكَلَابِيَّةَ . وقال ابن عباس وقتادة : أسماء بنت النعمان ابن أبى الجون . فالله أعلم .

قال ابن عباس : لما استعازت منه خرج من عندها مُغَضِّبًا ، فقال له الأشعث : لا يسؤوك ذلك يا رسول الله فمندی أجمل منها ، فزوجه أخته قَتِيلَة .
وقال غيره : كان ذلك فى ربيع سنة تسع .

وقال سعيد بن أبى عَرُوبَة عن قتادة : تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس عشرة امرأة ، فذكر منهن أمَّ شريك الأنصارية النَّجَّارية .

قال : وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إني لأحب أن أتزوج من الأنصار ولكنى أكره غيرهن » ولم يدخل بها .

قال : وتزوج أسماء بنت الصلت من بنى حرام ثم من بنى سليم ولم يدخل بها ، وخطب حمزة بنت الحارث المزنية .

وقال الحاكم أبو عبد الله النيسابورى : وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى : تزوج رسول الله ثمانى عشرة امرأة ، فذكر منهن قَتِيلَة بنت قيس أخت الأشعث بن قيس ،

(١) ابن هشام : أسماء بنت النعمان بن الجون الكندية .

فزعم بعضهم أنه تزوجها قبل وفاته بشهرين ، وزعم آخرون أنه تزوجها في مرضه . قال ولم تكن قدِمَت عليه ولا رآها ولم يدخل بها .

قال : وزعم آخرون أنه عليه السلام أوصى أن تحيّر قتيلة فإن شاءت يُضْرَبَ عليها الحجاب وتحرم على المؤمنين ، وإن شاءت فلتنكح من شاءت ، فاختارت النكاح فتزوجها عكرمة بن أبي جهل بمضرموت ، فبلغ ذلك أبا بكر . فقال : لقد هممت أن أحرق عليهما . فقال عمر بن الخطاب : ما هي من أمهات المؤمنين . ولا دخل بها ولا ضرب عليها الحجاب .

قال أبو عبيدة : وزعم بعضهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يوص فيها بشيء ، وأنها ارتدت بعده ، فاحتج عمر على أبي بكر بارتدادها أنها ليست من أمهات المؤمنين . وذكر ابن منده أن التي ارتدت هي البرصاء من بنى عوف بن سعد بن ذبيان . وقد روى الحافظ ابن عساكر من طرق ، عن داود بن أبي هند ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أن رسول الله تزوج قتيلة أخت الأشعث بن قيس ، فأت قبل أن يخيّرهما فبرأها الله منه .

وروى حماد بن سلمة عن داود بن أبي هند ، عن الشعبي ، أن عكرمة بن أبي جهل لما تزوج قتيلة أراد أبو بكر أن يضرب عنقه ، فراجعه عمر بن الخطاب فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يدخل بها وأنها ارتدت مع أخيها ، فبرئت من الله ورسوله . فلم يزل به حتى كف عنه .

قال الحاكم : وزاد أبو عبيدة في العدد فاطمة بنت شريح ، وسبأ بنت أسماء بن الصلت السلمية .

هكذا روى ذلك ابن عساكر من طريق ابن منده بسنده عن قتادة فذكره .

وقال محمد بن سعد عن ابن الكلبي مثل ذلك . قال ابن سعد : وهي سبأ .

قال ابن عساكر : ويقال : سبأ بنت الصلت بن حبيب بن حارثة بن هلال بن حرام ابن سمالك بن عوف السلمي .

قال ابن سعد : وأخبرنا هشام بن محمد بن السائب الكلبي حدثني العرزمي ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : كان في نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم سبأ بنت سفيان بن عوف بن كعب بن أبي بكر بن كلاب .

وقال ابن عمر : إن رسول الله بعث أبا أسيد يخطب عليه امرأة من بني عامر يقال لها عمرة بنت يزيد بن عبيد بن كلاب ، فترزجها فبلغه أن بها بيضا فطلقها .

وقال محمد بن سعد عن الواقدي : حدثني أبو معشر قال : تزوج رسول الله ملىكة بنت كعب ، وكانت تُذكر بجمال بارع ، فدخلت عليها عائشة فقالت : ألا تستحين أن تنكحي قاتل أبيك ؟ فاستعازت منه فطلقها .

فجاء قومها فقالوا يا رسول الله إنها صغيرة ولا رأى لها ، وإنها خدعت فارتجعها ، فأبى . فاستأذنه أن يزوجهها بقريب لها من بني عذرة فأذن لهم .

قال : وكان أبوها قد قتله خالد بن الوليد يوم الفتح .

قال الواقدي : وحدثني عبد العزيز الجندعي ، عن أبيه ، عن عطاء بن يزيد قال :

دخل بها رسول الله في رمضان سنة ثمان ، وماتت عنده .

قال الواقدي : وأصحابنا يُنكرون ذلك .

وقال الحافظ أبو القاسم ابن عساكر : أنبأنا أبو الفتح يوسف بن عبد الواحد

الماهاني ، أنبأنا شجاع بن علي بن شجاع ، أنبأنا أبو عبد الله بن منده ، أنبأنا الحسن بن

محمد بن حكيم المروزي ، حدثنا أبو الموجه محمد بن عمرو بن الموجه الغزاري ، أنبأنا عبد

الله بن عثمان ، أنبأنا عبد الله بن المبارك ، أنبأنا يونس بن يزيد ، عن ابن شهاب الزهري ،

قال : تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة بنت خويلد بن أسد بمكة ، وكانت قبله تحت عتيق بن عائذ المخزومي ، ثم تزوج بمكة عائشة بنت أبي بكر ، ثم تزوج بالمدينة حفصة بنت عمر ، وكانت قبله تحت خنيس بن حذافة السهمي ، ثم تزوج سودة بنت زمعة وكانت قبله تحت السكران بن عمرو أخى بنى عامر بن لؤى ، ثم تزوج أم حبيبة بنت أبي سفيان وكانت قبله تحت عبيد الله بن جحش الأسدي أحد بنى خزيمه ، ثم تزوج أم سلمة بنت أبي أمية وكان اسمها هند وكانت قبله تحت أبي سلمة عبد الله بن عبد الأسد ابن عبد العزى ، ثم تزوج زينب بنت خزيمه الهلالية ، وتزوج العالية بنت ظبيان من بنى بكر بن عمرو بن كلاب ، وتزوج امرأة من بنى الجون من كندة ، وسبى جويرية - فى الغزوة التى هدم فيها مائة غزوة المريسيم - ابنة الحارث بن أبي ضرار من بنى المصطلق من خزاعة ، وسبى صفية بنت حيي بن أخطب من بنى النضير ، وكانتا مما أفاء الله عليه فقسمهما له ، واستسرا مارية القبطية فولدت له إبراهيم ، واستسرا ريحانة من بنى قريظة ثم أعتقها فلحققت بأهلها واحتجبت وهى عند أهلها .

وطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم العالية بنت ظبيان ، وفارق أخت بنى عمرو بن كلاب وفارق أخت بنى الجون الكندية من أجل بياض كان بها ، وتوفيت زينب بنت خزيمه الهلالية ورسول الله صلى الله عليه وسلم حي ، وبلغنا أن العالية بنت ظبيان التى طلقت تزوجت قبل أن يحرم الله النساء ، فنكحت ابن عم لها من قومها وولدت فيهم . سقناه بالسند لغرابه ما فيه من ذكره تزويج سودة بالمدينة ، والصحيح أنه كان بمكة قبل الهجرة ، كما قدمناه والله أعلم .

قال يونس بن بكير : عن محمد بن إسحاق قال : فماتت خديجة بنت خويلد قبل أن يهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاث سنين لم يتزوج عليها امرأة حتى ماتت هى وأبو طالب فى سنة ، فتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد خديجة سودة بنت

زَمْعَة ، ثم تزوج بعد سودة عائشة بنت أبي بكر لم يتزوج بكراً غيرها ولم يُصَب منها ولداً حتى مات ، ثم تزوج بعد عائشة حفصة بنت عمر ، ثم تزوج بعد حفصة زينب بنت خزيمة الهلالية أم المساكين ، ثم تزوج بعدها أم حبيبة بنت أبي سفيان ، ثم تزوج بعدها أم سلمة هند بنت أبي أمية ؛ ثم تزوج بعدها زينب بنت جحش ، ثم تزوج بعدها جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار . قال : ثم تزوج بعد جويرية صفية بنت حيي بن أخطب ، ثم تزوج بعدها ميمونة بنت الحارث الهلالية .

فهذا الترتيب أحسن وأقرب مما رتبته الزهري . والله أعلم .

وقال يونس بن بُكَيْر عن أبي يحيى ، عن حَمِيل بن زيد الطائي ، عن سهل بن زيد الأنصاري ، قال : تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأةً من بني غفار ، فدخل بها فأمرها ففَزَعَتْ ثوبها ، فرأى بها بياضاً من بَرَصٍ عند ثدييها ، فأماز رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وقال : « خذي ثوبك » وأصبح فقال لها : « الحق بأهلك » فأكل لها صداقها .

[^(١)] وقد رواه أبو نُعَيْم من حديث حميل بن زيد ، عن سهل بن زيد الأنصاري ، وكان ممن رأى النبي صلى الله عليه وسلم قال : تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة من غفار فذكر مثله :

قلت : ومن تزوجها صلى الله عليه وسلم ولم يدخل بها أم شريك الأزدية .

قال الواقدي : والمثبت أنها دَوْسِيَّة وقيل الأنصارية ، ويقال عامرية وأنها خَوْلَة بنت حكيم السلمى .

وقال الواقدي : اسمها غَزِيَّة بنت جابر بن حكيم .

قال محمد بن إسحاق : عن حكيم بن حكيم ، عن محمد بن علي بن الحسين ، عن

أبيه ، قال : كان جميع ما تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس عشر امرأة ، منهن أم شريك الأنصارية ، وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم .

وقال سميد بن أبي عروبة عن قتادة : وتزوج أم شريك الأنصارية من بني النجار . وقال : « إني أحب أن أتزوج من الأنصار لكنني أكره غيرتهن » ولم يدخل بها .

وقال ابن إسحاق عن حكيم ، عن محمد بن علي ، عن أبيه ، قال : تزوج صلى الله عليه وسلم ليلى بنت الخطيم الأنصارية وكانت غيورا تخافت نفسها عليه فاستقالته فأقالها .

فصل

فيمَن خطبها عليه السلام ولم يَعْقِدْ عليها

قال إسماعيل بن أبي خالد ، عن الشَّعْبِيِّ ، عن أم هانئٍ فاختت بنت أبي طالب ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبها فذكرت أن لها صِبيّة صغاراً ، فتركها وقال : « خيرُ نساء رَكِبْنَ الإِبِلَ صالحُ نساء قريش ، أحناء على ولدِ طفلي في صِفره ، وأرعاه على زوج في ذات يده » .

[وقال عبد الرزاق : عن مَعْمَر ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيّب ، عن أبي هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب أم هانئ بنت أبي طالب فقالت : يا رسول الله إني قد كبرت ولى عيال .

وقال الترمذى : حدثنا عبدُ بن مُحمَّد ، حدثنا عبد الله بن موسى ، حدثنا إسرائيل ، عن السُّدِّي ، عن أبي صالح ، عن أم هانئ بنت أبي طالب ، قالت : خطبني رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرتُ إليه فعدّرتني ، ثم أنزل الله « إنا أحلّلنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات أخلك وبنات أخلاتك اللاتي هاجرن معك » الآية . قالت : فلم أكن أحلّ له لأنّي لم أهاجر ، كنت من الطُّلُقاء .

ثم قال : هذا حديث حسن لا نعرفه إلا من حديث السُّدِّي .

فهذا يقتضى أن من لم تسكن من المهاجرات لا تحلّ له صلى الله عليه وسلم . وقد نقل هذا المذهب مطلقا القاضى الماوردى في تفسيره عن بعض العلماء . وقيل : المراد بقوله « اللاتي هاجرن معك » أى من القرابات المذكورات .

وقال قتادة : « اللاتي هاجرن معك » أى أسلمن معك ، فعلى هذا لا يحرم عليه

إلا الكفار ، وتخل له جميع المسلمات ، فلا ينافى تزويجه من نساء الأنصار إن ثبت ذلك ولكن لم يدخل بواحدة منهن أصلا .

وأما حكاية الماوردي عن الشعبي ، أن زينب بنت خزيمة أم المساكين أنصارية ، فليس بجيد . فإنها هلالية بلا خلاف كما تقدم بيانه والله أعلم ^(١) .

وروى محمد بن سعد ، عن هشام بن الكلبي ، عن أبيه ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال : أقبلت ليلى بنت الخطيم إلى رسول الله وهو مؤولٍ ظهره إلى الشمس ، فضربت منكبه فقال : « من هذا ؟ أكله الأسود ! » فقالت : أنا بنت مطعم الطير ، ومباري الريح ، أنا ليلى بنت الخطيم ، جئت لك لأعرض عليك نفسي تزوجني ؟ قال : « قد فعلت » فرجعت إلى قومها فقالت : قد تزوجت النبي صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : بئس ما صنعت ، أنت امرأة غيبري ورسول الله صاحب نساء تغارين عليه ، فيدعو الله عليك ، فاستقيليه .

فرجعت فقالت : أفليتي يا رسول الله . فأقالها ، فتزوجها مسعود بن أوس بن سواد بن ظفر فولدت له ، فبينما هي يوما تغتسل في بعض حيطان المدينة إذ وثب عليها ذئب أسود فأكل بعضها ، فماتت .

وبه عن ابن عباس أن ضباعة بنت عامر بن قرط كانت تحت عبد الله بن جُدعان فطلقها ، فتزوجها بعده هشام بن المغيرة فولدت له سلمة ، وكانت امرأة ضخمة جميلة لها شعر غزير يجلل جسمها ، فخطبها رسول الله من ابنها سلمة ، فقال : حتى أستاذمها ؟ فاستأذنها فقالت : يا بني أفى رسول الله صلى الله عليه وسلم تستأذن ؟ فرجع ابنها فسكت ولم يرد جوابا ، وكأنه رأى أنها قد طعنت في السن ، وسكت النبي صلى الله عليه وسلم عنها .

وبه عن ابن عباس قال : خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم صفية بنت بشامة بن

نَضْلَةُ الْعَنْبَرِي : وكان أصابها سَبِيٌّ ، فغيرها رسول الله فقال : « إن شئت أنا وإن شئت زوجك » فقالت : بل زوجي . فأرسلها ، فلعنتها بنو تميم .

وقال محمد بن سعد : أنبأنا الواقدي ، حدثنا موسى بن محمد بن إبراهيم التيمي ، عن أبيه ، قال : كانت أم شريك امرأة من بني عامر بن لؤي قد وهبت نفسها من رسول الله ، فلم يقبلها فلم تزوج حتى ماتت .

قال محمد بن سعد : وأنبأنا وكيع ، عن شريك ، عن جابر ، عن الحكم ، عن علي ابن الحسين ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج أم شريك الدؤسية .

قال الواقدي : الثَّبُتُ عندنا أنها من دَوْس من الأزد . قال محمد بن سعد : واسمها غَزِيَّة بنت جابر بن حكيم .

وقال الليث بن سعد : عن هشام بن محمد ، عن أبيه ، قال متحدث أن أم شريك كانت وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم ، وكانت امرأة سالحة .

ومن خطبها ولم يعقد عليها حمرة^(١) بنت الحارث بن عون بن أبي حارثة المرسي فقال أبوها : إن بها سوءاً - ولم يكن بها - فرجع إليها وقد تبرّصت ، وهي أم شبيب بن البرصاء الشاعر .

هكذا ذكره سعيد بن أبي عروبة عن قتادة .

قال : وخطب حبيبة بنت العباس بن عبد المطلب فوجد أباه أخاه من الرضاعة ، أرضعتهما ثويبة مولاة أبي لهب .

فهؤلاء نساؤه وهن ثلاثة أصناف : صنف دخل بهن ومات عنهن ، وهن التسع المبتدأ بذكرهن .

وهن حرام على الناس بعد موته عليه السلام بالإجماع المحقق المعلوم من الدين

(١) كذا ، وفي القاموس : والبرصاء لقب أم شبيب الشاعر ، واسمها أمانة أو قرصافة .

ضرورة ، وعدتھن بانقضاء أعمارھن . قال الله تعالى : « وما كان لکم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً إن ذلكم كان عند الله عظيماً ^(١) » .

وصنف دخل بہن وطلقھن فی حیاتہ ، فهل یحل لأحد أن یتزوجھن بعد انقضاء عدتھن منه علیہ السلام ؟ فیہ قولان للعلماء ، أحدهما : لا لعموم الآیة الّتی ذکرناھا . والثانی : نعم بدلیل آیة التخییر وهی قوله : « یا ایہا النبی قل لأزواجک إن کنتن تُردن الحیاة الدنیا وزینتها فتعالین أمتعن وأسرحن سراحاً جمیلاً ، وإن کنتن تُردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعدّ للحسنات مفکناً أجراً عظیماً » .

قالوا : فلولاً أنها تحل لغيره أن یتزوجها بعد فراقه إياها لم یکن فی تخیرها بین الدنیا والآخرة فائدة ، إذ لو کان فراقه لها لا یبیحها لغيره لم یکن فیہ فائدة لها . وهذا قوی والله تعالى أعلم .

وأما الصنف الثالث وهی من تزوجها وطلقها قبل أن یدخل بها ، فهذه یحل لغيره أن یتزوجها ، ولا أعلم فی هذا القسم نزاعاً .

وأما من خطبها ولم یعقد عقده علیها فأولی لها أن تتزوج وأولی . وسیجىء فصل فی کتاب الخصائص یتعلق بهذا المقام والله أعلم .

فصل

في ذكر سراريه عليه السلام

كانت له عليه السلام سُرَّتَان ؛ إحداهما مارية بنت شَمْعُون القبطية ، أهداها له صاحبُ إسكندرية واسمه جُرَيْج بن مينا ، وأهدى معها أختها شِيرين .

وذكر أبو نعيم أنه أهداها في أربع جوارٍ والله أعلم .

وغلاما خصيا اسمه مابُور ، وبغلة يقال لها الدُّلدل ، فقبل هديته واختار لنفسه مارية ، وكانت من قرية ببلاد مصر يقال لها حَفَن من كُورَةِ أَنْصِنَا ، وقد وَضَعَ عن أهل هذه البلدة معاويةَ بن أبي سفيان في أيام إمارته الخراجَ ! كراما لها من أجل أنها حملت من رسول الله صلى الله عليه وسلم بولد ذكر وهو إبراهيم عليه السلام .

قالوا : وكانت مارية جميلة بيضاء ، أعجب بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحبها وحظيت عنده ، ولا سيما بعد ما وضعت إبراهيم ولده .

وأما أختها شِيرين فوهبها رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت ، فولدت له ابنة عبد الرحمن بن حسان .

وأما الغلام الخصي وهو مابُور ، فقد كان يدخل على مارية وشيرين بلا إذن ، كما جرت به عادته بمصر ، فتكلم بعض الناس فيها بسبب ذلك ولم يشعروا أنه خصي حتى انكشف الحال ، على ما سنبينه قريبا إن شاء الله .

وأما البغلة فكان عليه السلام يركبها ، والظاهر والله أعلم أنها التي كان راكبها يوم حنين . وقد تأخرت هذه البغلة وطالت مدتها حتى كانت عند علي بن أبي طالب في أيام إمارته ، ومات فصارت إلى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، وكبرت حتى كان يحش^(١) لها الشعير لتأكله .

(١) يحش : يطعن .

قال أبو بكر بن خزيمة : حدثنا محمد بن زياد بن عبيد الله ، أنبأنا سفيان بن عيينة ، عن بشير بن المهاجر عن عبد الله بن ربيعة بن الحصيب ، عن أبيه ، قال : أهدى أمير القبط إلى رسول الله جارتين أختين وبغلة فكان يركب البغلة بالمدينة ، واتخذ إحدى الجارتين فولدت له إبراهيم ابنه ، ووهب الأخرى .

وقال الواقدي : حدثنا يعقوب بن محمد بن أبي صعصعة ، عن عبد الله بن عبد الرحمن ابن أبي صعصعة ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُعجب بمارية القبطية وكانت بيضاء جعدة ^(١) جميلة ، فأنزلها وأختها على أم سلمة بنت ملاحان ، فدخل عليهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلمتا هناك ، فوطيء مارية بالملك ، وحوّلها إلى مال له بالعالية كان من أموال بني النضير ، فكانت فيه في الصيف ، وفي خُرَافة النخل ^(٢) . فكان يأتيها هناك ، وكانت حسنة الدين ، ووهب أختها شيرين لحسان بن ثابت فولدت له عبد الرحمن .

وولدت مارية لرسول الله صلى الله عليه وسلم غلاما سماه إبراهيم ، وعَقَّ عنه بشاة يوم سابعه ، وحلق رأسه وتصدّق بزنة شعره فضة على المساكين ، وأمر بشعره فدفن في الأرض ، وسماه إبراهيم ، وكانت قابلتها سلمى ^(٣) مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرجت إلى زوجها أبي رافع فأخبرته بأنها قد ولدت غلاما ، فجاء أبو رافع إلى رسول الله فبشّره فوهب له عقدا ، وغار نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم واشتدّ عليهن حين رُزق منها الولد .

وروى الحافظ أبو الحسن الدار قطني ، عن أبي عبيد القاسم بن إسماعيل ، عن زياد ابن أيوب ، عن سعيد بن زكريا المدائني ، عن ابن أبي سارة ، عن عكرمة ، عن

(١) الجعدة : ذات الشعر غير السبط . (٢) الخرافة : النخل الخثني .

(٣) في القاموس : وأم سلمى امرأة أبي رافع .

ابن عباس ، قال : لما وَلَدَتْ مَارِيَّةُ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «عَتَقَهَا وَلَدُهَا» .
ثم قال الدارقطني : تَفَرَّدَ بِهِ زِيَادُ بْنُ أَيُّوبَ وَهُوَ ثِقَةٌ .

وقد رواه ابن ماجه من حديث حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس ، عن
عكرمة ، عن ابن عباس بمثله ورويناه من وجه آخر .

وقد أفردنا لهذه المسألة وهي بيع أمهات الأولاد مصنفًا مفردًا على حَدِّثِهِ ، وحَكِينَا
فيه أقوال العلماء بما حصله يرجع إلى ثمانية أقوال ، وذكرنا مستند كل قول والله
الحمد والمنة .

وقال يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق ، عن إبراهيم بن محمد بن علي بن أبي
طالب ، عن أبيه ، عن جده علي بن أبي طالب ، قال : أَكْثَرُوا عَلَى مَارِيَّةَ أُمَ إِبْرَاهِيمَ فِي
قُبْطَى ابْنِ عَمٍ لَهَا بَزُورُهَا وَيَخْتَلِفُ إِلَيْهَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « خُذْ هَذَا
السِّيفَ فَإِنْ طَلَّقَ فَإِنْ وَجَدْتَهُ عِنْدَهَا فَاقْتُلْهُ » قال : قلت يا رسول الله ، أَكُونُ فِي أَمْرِكَ
إِذَا أُرْسِلْتَنِي كَالسَّكَّةِ الْمُحْمَاةِ لَا يَدِينُنِي شَيْءٌ حَتَّى أَمْضِيَ لِمَا أَمَرْتَنِي بِهِ ، أَمْ الشَّاهِدُ
يَرَى مَا لَا يَرَى الْغَائِبُ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « بَلِ الشَّاهِدُ يَرَى مَا لَا
يَرَى الْغَائِبُ » .

فَأَقْبَلْتُ مُتَوَشِّحًا السِّيفَ فَوَجَدْتُهُ عِنْدَهَا ، فَاخْتَرَطْتُ السِّيفَ ، فَلَمَّا رَأَيْتَنِي عَرَفَ أُنَى
أُرِيدُهُ ، فَأَتَى نَحْلَةً فَرَقَى فِيهَا ثُمَّ رَمَى بِنَفْسِهِ عَلَى قَفَاهُ ، ثُمَّ شَالَ رَجْلَيْهِ ، فَإِذَا بِهِ أَجَبٌ
أَمْسَحَ مَالَهُ مَا لِلرِّجَالِ لَا قَلِيلٌ وَلَا كَثِيرٌ ، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرْتُهُ
فَقَالَ : « الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَرَفَ عَنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ » .

وقال الإمام أحمد : حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ ، حَدَّثَنَا سَفْيَانٌ ، حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ
عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، عَنْ عَلِيِّ قَالَ : قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِذَا بَعَثْتَنِي أَوْ كُنْتُ كَالسَّكَّةِ الْمُحْمَاةِ ؟

أم الشاهد يرى مالا يرى الغائب ؟ قال : « الشاهد يرى مالا يرى الغائب » .

هكذا رواه مختصراً . وهو أصل الحديث الذى أوردناه وإسناده رجال ثقات .

[يقول الطبرانى : حدثنا محمد بن عمرو بن خالد الحرانى ، حدثنا أبى ، حدثنا ابن لهيعة ، عن يزيد بن أبى حبيب وعقيل ، عن الزهرى ، عن أنس ، قال : لما ولدت مارية إبراهيم كاد أن يقع فى النبى صلى الله عليه وسلم منه شيء حتى نزل جبريل عليه السلام فقال : السلام عليك يا أبا إبراهيم .

وقال أبو نعيم : حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثنا أبو بكر بن أبى عاصم ، حدثنا محمد ابن يحيى الباهلى ، حدثنا يعقوب بن محمد ، عن رجل سماه عن الليث بن سعد ، عن الزهرى ، عن عروة عن عائشة ، قالت : أهدى ملك من بطارقة الروم يقال له المقوقس جارية قبطية من بنات الملوك يقال لها مارية وأهدى معها ابن عم لها شابا ، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم منها ذات يوم يدخل خلوته فأصابها حملت بإبراهيم .

قالت عائشة : فلما استبان حملها جزعت من ذلك ، فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يكن لها ابن فاشتري لها ضأنه كبونا تغذى منها الصبي ، فصلح إليه جسمه وحسن لونه ، وصفا لونه ، فجاءته ذات يوم تحمله على عاتقها فقال : « يا عائشة كيف تربى الشبّه ؟ فقلت : أنا وغيرى ما أرى شَبْهاً ، فقال : « ولا اللحم ؟ » فقلت : لعمري من تغذى بالإنسان الضأن ليحسن لحمه ^(١) .

قال الواقدي : ماتت مارية فى الحرم سنة خمس عشرة فصلى عليها عمر ودفنها فى البقيع ، وكذا قال المفضل بن غسان الغلابى ^(٢) . وقال خائفة وأبو عبيدة ويعقوب بن سفيان : ماتت سنة ست عشرة رحما الله .

(١) سقط من أ .

(٢) نسب إلى امرأة وهى أم خالد بن الحارث بن أوس بن النابغة . الباب ٢ / ١٨٤

ومنهن رَبحانة بنت زيد من بنى النضير ويقال من بنى قريظة .

قال الواقدي : كانت ربحانة بنت زيد من بنى النضير ويقال من بنى قريظة .

قال الواقدي : كانت ربحانة بنت زيد من بنى النضير وكانت مزوجة فيهم ، وكان

رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخذها لنفسه صفيًا ، وكانت جميلة فعرض عليها رسول

الله صلى الله عليه وسلم أن تسلم فأبت إلا اليهودية . فعزلها رسول الله صلى الله عليه وسلم

ووجد في نفسه ، فأرسل إلى ابن سَعْيَةَ فذكر له ذلك فقال ابن سَعْيَةَ : فذاك أبي وأمي

هي تسلم ، فخرج حتى جاءها فجعل يقول لها : لا تتبعى قومك فقد رأيت ما أدخل عليهم

حيي بن أخطب ، فأسلمى بصطفيك رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه .

فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه إذ سمع وقع نعلين فقال : « إن هاتين لنعلًا

ابن سَعْيَةَ يبشرني بإسلام ربحانة » فجاء يقول : يا رسول الله قد أسلمت ربحانة . فسرَّ بذلك .

[وقال محمد بن إسحاق ^(١) : لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم قريظة اصطفى

لنفسه ربحانة بنت عمرو بن خنافة ، فكانت عنده حتى توفي عنها وهي في ملكه ، وكان

عرض عليها الإسلام ويتزوجها فأبت إلا اليهودية . ثم ذكر من إسلامها ما تقدم .]

قال الواقدي : فحدثني عبد الملك بن سليمان ، عن أيوب بن عبد الرحمن بن أبي

صمصمة ، عن أيوب بن بشير المعافري ، قال : فأرسل بها رسول الله إلى بيت سلمى بنت

قيس أم المنذر ، فكانت عندها حتى حاضت حيضة ثم طهرت من حيضها ، فجاءت أم

المنذر فأخبرت رسول الله ، فجاءها في منزل أم المنذر فقال لها : « إن أحببت أن أعتقك

وأزوجك ففعلت ، وإن أحببت أن تكوني في ملكي أطاك بالملك ففعلت » فقالت :

يا رسول الله إن أخفَّ عليك وعلىَّ أن أكون في ملكك ، فكانت في ملك رسول الله

صلى الله عليه وسلم بطأها حتى ماتت .

(١) سقط من أول يرد في ابن هشام ، إذ أن هذه الرواية من طريق يونس بن بكير .

قال الواقدي : وحدثني ابن أبي ذئب قال : سألتُ الزهري عن رِيحانة فقال : كانت أمة رسول الله فاعتقها وتزوجها ، فكانت تحتجب في أهلها وتقول : لا يراني أحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال الواقدي : وهذا أثبتُ الحديثين عندنا ، وكان زوجها قبله عليه السلام الحكم . وقال الواقدي : حدثنا عاصم بن عبد الله بن الحكم ، عن عمر بن الحكم ، قال : أعتق رسول الله صلى الله عليه وسلم ريحانة بنت زيد بن عمرو بن خلف ، وكانت عند زوج لها ، وكان محباً لها مكرماً ، فقالت : لأستخلف بعده أحداً أبداً ، وكانت ذات جمال . فلما سُبيت بنو قريظة عُرِضَ السَّبْيُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم . قالت : فكنت فيمن عُرِضَ عليه فأمرني فمُزِلْتُ ، وكان يكون له صَفِيٌّ في كل غنيمة ، فلما عزلت خَارَ الله لي ، فأرسل بي إلى منزل أم المنذر بنت قيس أياها حتى قَتَلَ الأسرى وفرق السَّبْيَ ، فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتجنَّبت منه حياءً ، فدعاني فأجلسني بين يديه فقال : إن اخترت الله ورسوله اختارك رسولُ الله لنفسه . فقلت : إني أختار الله ورسوله . فلما أسلمتُ أعتقني رسول الله صلى الله عليه وسلم وتزوجني ، وأصدقني اثنتي عشرة أوقية ونَشَأَ كما كان يُصدق نساءه ، وأعرس بي في بيت أم المنذر ، وكان يقسم لي كما يقسم لنسائه ، وضرب على الحجاب .

قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم معجباً بها ، وكانت لاتسأله شيئاً إلا أعطاهَا ، فقيل لها : لو كنتِ سألتِ رسول الله صل الله عليه وسلم بني قريظة لأعتقهم ، فكانت تقول : لم يَخْلُ بي حتى فَرَّقَ السبي ، ولقد كان يخلو بها ويستكثر منها ، فلم تزل عنده حتى ماتت مرجمة من حجة الوداع . فدفعها بالبيع .

وكان تزويجه إياها في الحزم سنة ست من الهجرة .

وقال ابن وهب عن يونس بن يزيد ، عن الزهري قال : واستسّر رسول الله ريحانة

من بنى قريظة ثم أعتقها فالتحقت بأهلها .

وقال أبو عبيدة مَعْمَرُ بنِ الْمُثَنَّى : كانت ريمحانة بنت زيد بن شمعون من بنى النضير .

وقال بعضهم : من بنى قريظة وكانت تسكون في نخل من نخل الصدقة ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقيم عندها أحيانا . وكان سبأها في شوال سنة أربع .

وقال أبو بكر بن أبي خيثمة : حدثنا أحمد بن المقدم ، حدثنا زهير ، عن سعيد ،

عن قتادة ، قال : كانت لرسول الله ولیدتان ، مارية القبطية وزُرَيْحَةُ أو ريمحانة بنت شمعون بن

زيد بن خنافة ، من بنى عمرو بن قريظة ، كانت عند ابن عم لها يقال له عبد الحكم فيما

بلغنى ، وماتت قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم .

وقال أبو عبيدة مَعْمَرُ بنِ الْمُثَنَّى كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم أربع ولائد ؛

مارية القبطية ، وريمحانة القُرْظِيَّةُ ، وكانت له جارية أخرى جميلة فكادها نساؤه وخفن

أن تغلبهن عليه ، وكانت له جارية نَفِيسَةٌ وهبتها له زينب ، وكان هجرها في شأن صفية

بنت حُيٍّ ذا الحجة والمحرم وصفر ، فلما كان شهر ربيع الأول الذى قبض فيه رضى عن

زينب ودخل عليها ، فقالت : ما أدري ما أجزيك ؟ فوهبتها له صلى الله عليه وسلم .

وقد روى سيف بن عمر ، عن سعيد بن عبد الله ، عن ابن أبي مُلَيْسِكَةَ ، عن عائشة

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يَقْسِمُ لمارية وريمحانة مرة ، ويتركهما مرة .

وقال أبو نعيم : قال أبو محمد بن عمر الواقدي : توفيت ريمحانة سنة عشرة وصلى عليها

عمر بن الخطاب ودفنها بالبقيع والله الحمد .

فصل

في ذكر أولاده عليه وعليهم الصلاة والسلام

لا خلاف أن جميع أولاده من خديجة بنت خويلد ، سوى إبراهيم فن مارية بنت شمعون القبطية .

قال محمد بن سعد : أنبأنا هشام بن الكلبي ، أخبرني أبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال : كان أكبر ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم القاسم ، ثم زينب ، ثم عبدالله ، ثم أم كلثوم ، ثم فاطمة ، ثم رقية ، فمات القاسم ، وهو أول ميت من ولده بمكة ، ثم مات عبدالله فقال العاص بن وائل السهمي : قد انقطع نسله فهو الأبتَر ، فأنزل الله عز وجل : « إنا أعطيناك الكوثر فصلٌ لربك وانحر إن شانئك هو الأبتَر » .

قال : ثم ولدت له مارية بالمدينة لإبراهيم في ذى الحجة سنة ثمان من الهجرة ، فمات ابن ثمانية عشر شهراً

وقال أبو الفرج المعافى بن زكريا الجريزي : حدثنا عبد الباقي بن نافع ، حدثنا محمد ابن زكريا ، حدثنا العباس بن بكار ، حدثني محمد بن زياد والفرات بن السائب ، عن ميمون بن مهران ، عن ابن عباس ، قال : ولدت خديجة من النبي صلى الله عليه وسلم عبدالله ابن محمد ، ثم أبطأ عليه الولد من بعده ، فبينما رسول الله يكلم رجلاً والعاص بن وائل ينظر إذ قال له رجل : من هذا ؟ قال له هذا الأبتَر . وكانت قريش إذا ولد للرجل ثم أبطأ عليه الولد من بعده قالوا هذا إليه الأبتَر ، فأنزل الله : « إن شانئك هو الأبتَر » أي مبغضك هو الأبتَر من كل خير .

قال : ثم ولدت له زينب ، ثم ولدت له رقية ، ثم ولدت له القاسم ، ثم ولدت الطاهر ، ثم ولدت المطهر ، ثم ولدت الطيب ، ثم ولدت المطيب ، ثم ولدت أم كلثوم ، ثم ولدت فاطمة . وكانت أصغرهم .

وكانت خديجة إذا ولدت ولداً دفعته إلى من يرضعه ، فلما ولدت فاطمة لم يرضعها غيرها .

وقال الهيثم بن عدي : حدثنا هشام بن عروة ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبيه ، قال : كان للنبي صلى الله عليه وسلم ابنان ؛ طاهر والطيب ، وكان يسمى أحدهما عبد شمس ، والآخر عبد العزى .

وهذا فيه نكارة . والله أعلم .

وقال محمد بن عائد : أخبرني الوليد بن مسلم ، عن سعيد بن عبد العزيز ، أن خديجة ولدت القاسم والطيب والطاهر ومطهرًا وزينب ورقية وفاطمة وأم كلثوم .

وقال الزبير بن بكار : أخبرني عمي مصعب بن عبد الله قال : ولدت خديجة القاسم والطاهر وكان يقال له الطيب ، وولد الطاهر بعد النبوة ، ومات صغيراً واسمه عبد الله ، وفاطمة وزينب ورقية وأم كلثوم .

قال الزبير : وحدثني إبراهيم بن المنذر ، عن ابن وهب ، عن ابن أبي ليثة ، عن أبي الأسود ، أن خديجة ولدت القاسم والطاهر والطيب وعبد الله وزينب ورقية وفاطمة وأم كلثوم .

وحدثني محمد بن فضالة عن بعض من أدرك من المشيخة قال : ولدت خديجة القاسم وعبد الله ، فأما القاسم فعاش حتى مشى ، وأما عبد الله فمات وهو صغير .

وقال الزبير بن بكار : كانت خديجة تدعى في الجاهلية الطاهرة بنت خويلد ، وقد ولدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم القاسم وهو أكبر ولده وبه كان يكنى . ثم زينب ، ثم عبد الله وكان يقال له الطيب ، ويقال له الطاهر ، ولد بعد النبوة ومات صغيراً . ثم ابنته أم كلثوم ، ثم فاطمة ، ثم رقية . هكذا الأول فالأول .

ثم مات القاسم بمكة ، وهو أول ميت من ولده ، ثم مات عبد الله .
ثم ولدت له مارية بنت شمعون إبراهيم ، وهى القبطية التى أهداها المقوقس صاحب
إسكندرية ، وأهدى معها أختها شيرين وخصياً يقال له مابور ، فوهد شيرين لحسان بن
ثابت ، فولدت له ابنه عبد الرحمن . وقد انقرض نسل حسان بن ثابت .
وقال أبو بكر بن البرقي ^(١) : يقال إن الطاهر هو الطيب وهو عبد الله ، ويقال إن
الطيب والمطيب ولدا فى بطن ، والطاهر والمطهر ولدا فى بطن .
وقال المفضل بن غسان عن أحمد بن حنبل ، حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا ابن جريج ،
عن مجاهد ، قال : مكث القاسم ابن النبى صلى الله عليه وسلم سبع ليال ثم مات .
قال المفضل : وهذا خطأ ، والصواب أنه عاش سبعة عشر شهراً .
وقال الحافظ أبو نعيم : قال مجاهد : مات القاسم وله سبعة أيام . وقال الزهرى : وهو
ابن سنتين . وقال قتادة : عاش حتى مشى .
وقال هشام بن عروة : وضع أهل العراق ذكر الطيب والطاهر ، فأما مشايخنا
فقالوا : عبد العزى وعبد مناف والقاسم ، ومن النساء رقية وأم كلثوم وفاطمة .
هكذا رواه ابن عساكر وهو منكسر ، والذى أنكره هو المعروف . وسقط ذكر
زينب ولا بد منها . والله أعلم .

فأما زينب فقال عبد الرزاق عن ابن جريج : قال لى غير واحد : كانت زينب
أكبر بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت فاطمة أصغرهن وأحبهن إلى رسول
الله صلى الله عليه وسلم ، وتزوج زينب أبو العاص بن الربيع فولدت منه علياً وأمame ،
وهى التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحمله فى الصلاة ، فإذا سجد وضعمها
وإذا قام حملها .

(١) ينسب إلى برق ، بيت كبير من خوارزم انتقلوا إلى بخارى وسكنوها .

ولعل ذلك كان بعيد موت أمها سنة ثمان من الهجرة ، على ما ذكره الواقدي
وقتادة وعبد الله بن أبي بكر بن حزم وغيرهم ، وكأنها كانت طفلة صغيرة .
فإن الله أعلم .

وقد تزوجها على بن أبي طالب رضى الله عنه بعد موت فاطمة .

وكانت وفاة زينب رضى الله عنها في سنة ثمان . قاله قتادة عن عبد الله بن أبي بكر
ابن حزم وخليفة بن خياط وأبو بكر بن أبي خيثمة وغير واحد . وقال قتادة عن ابن
حزم في أول سنة ثمان .

وذكر حماد بن سلمة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، أنها لما هاجرت دفعها
رجل فوقعت على صخرة فأسقطت حملها ، ثم لم تزل وجعة حتى ماتت ، فسكانوا يرونها
ماتت شهيدة .

وأما رقية فكان قد تزوجها أولا ابن عمها عتبة بن أبي لهب كما تزوج أختها
أم كلثوم أخوه عتيبة بن أبي لهب ، ثم طلقاها قبل الدخول بهما بغضة في رسول الله
صلى الله عليه وسلم حين أنزل الله : « تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ
وَمَا كَسَبَ سِمْصَلَ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ » .

فتزوج عثمان بن عفان رضى الله عنه رقية ، وهاجرت معه إلى أرض الحبشة ،
ويقال إنه أول من هاجر إليها . ثم رجعا إلى مكة ، كما قدمنا ، وهاجرا إلى المدينة وولدت
له ابنة عبد الله فبلغ ست سنين ، فنقره ديك في عينيه فمات وبه كان يكنى أولا ، ثم
اكتفى بابنه عمرو .

وتوفيت وقد انتصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ببدر يوم الفرقان يوم التقى
الجعان ، ولما أن جاء البشير بالنصر إلى المدينة - وهو زيد بن حارثة - وجدهم قد ساووا
على قبرها التراب ، وكان عثمان قد أقام عليها يرمضها بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم

وَضَرَبَ لَهُ بِسَهْمِهِ وَأَجْرَهُ ، وَلَمَّا رَجَعَ زَوْجُهُ بِأَخْتِهَا أُمَ كَلْثُومَ أَيْضًا وَلِهَذَا كَانَ يُقَالُ لَهُ ذُو النُّوْرَيْنِ ، ثُمَّ مَاتَتْ عِنْدَهُ فِي شَعْبَانَ سَنَةِ تِسْعٍ وَلَمْ تَلِدْ لَهُ شَيْئًا . وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَوْ كَانَتْ عِنْدِي ثَالِثَةُ لَزَوَّجْتُهَا عُثْمَانَ » وَفِي رِوَايَةٍ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَوْ كُنْ عَشْرًا لَزَوَّجْتُهُنَّ عُثْمَانَ » .

وَأُمَا فَاطِمَةُ فَتَزَوَّجَهَا ابْنُ عَمِّهَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فِي صَفَرِ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ ، فَوَلَدَتْ لَهُ الْحُسَيْنَ وَالْحُسَيْنَ ، وَيُقَالُ وَنَحْسَيْنَ ، وَوَلَدَتْ لَهُ أُمَ كَلْثُومَ وَزَيْنَبَ .

وَقَدْ تَزَوَّجَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فِي أَيَّامِ وَلَايَتِهِ بِأُمَ كَلْثُومَ بِنْتَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ مِنْ فَاطِمَةَ وَأَكْرَمَهَا لِأَكْرَامِ زَائِدَاتٍ ، أَصْدَقَهَا أَرْبَعِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ لِأَجْلِ نَسَبِهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَوَلَدَتْ لَهُ زَيْدًا بْنُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ .

وَلَمَّا قُتِلَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ تَزَوَّجَهَا بَعْدَهُ ابْنُ عَمِّهَا عَوْنُ بْنُ جَعْفَرٍ فَمَاتَ عَنْهَا ، وَخَلَفَ عَلَيْهَا أَخُوهُ مُحَمَّدُ فَمَاتَ عَنْهَا ، فَتَزَوَّجَهَا أَخُوهُمَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ فَمَاتَ عِنْدَهُ . وَقَدْ كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ تَزَوَّجَ بِأَخْتِهَا زَيْنَبَ بِنْتَ عَلِيٍّ وَمَاتَتْ عِنْدَهُ أَيْضًا ، وَقَدْ تَوَفَّيْتُ فَاطِمَةَ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسِتَّةِ أَشْهُرٍ عَلَى أَشْهُرِ الْأَفْوَالِ .

وَهَذَا الثَّابِتُ عَنْ عَائِشَةَ فِي الصَّحِيحِ ، وَقَالَ الزَّهْرِيُّ أَيْضًا وَأَبُو جَعْفَرٍ الْبَاقِرُ .

وَعَنْ الزَّهْرِيِّ بِثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ ، وَقَالَ أَبُو الزُّبَيْرِ بِشَهْرَيْنِ ، وَقَالَ أَبُو بُرَيْدَةَ : عَاشَتْ بَعْدَهُ سَبْعِينَ مِنْ بَيْنِ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ . وَقَالَ عَمْرُو بْنُ دِينَارٍ : مَكَثَتْ بَعْدَهُ ثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ . وَكَذَا قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَارِثِ . وَفِي رِوَايَةٍ عَنْ عَمْرُو بْنِ دِينَارٍ بِأَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ .

وَأَمَّا إِبْرَاهِيمُ فَمِنْ مَارِيَةِ الْقِبْطِيَّةِ كَمَا قَدَّمْنَا ، وَكَانَ مِيلَادُهُ فِي ذِي الْحِجَّةِ سَنَةِ ثَمَانَ . وَقَدْ رَوَى عَنْ ابْنِ لَهْيَعَةَ وَغَيْرِهِ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زِيَادٍ قَالَ : لَمَّا حُبِلَ بِإِبْرَاهِيمَ أَتَى جَبْرِيلُ فَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَبَا إِبْرَاهِيمَ ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ وَهَبَ لَكَ غُلَامًا مِنْ أُمِّ وَلَدِكَ مَارِيَةَ ،

وأمر أن تسميه إبراهيم ، فبارك الله لك فيه وجعله قرّة عين لك في الدنيا والآخرة .
وروى الحافظ أبو بكر البزار عن محمد بن مسكين ، عن عثمان بن صالح ، عن ابن
كهيمة ، عن عقيل بن يزيد بن أبي حبيب ، عن الزهري ، عن أنس قال : لما ولد للنبي
صلى الله عليه وسلم ابنه إبراهيم وقع في نفسه منه شيء فأتاه جبريل فقال : السلام عليك
يا أبا إبراهيم . وقال أسباط عن السدي ، وهو إسماعيل بن عبد الرحمن ، قال : سألت
أنس بن مالك قلت : كم بلغ إبراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم من العمر ؟ قال : قد
كان ملاماً مهده ، ولو بقي لكان نبياً ، ولكن لم يكن ليبقى لأن نبيكم صلى الله عليه
وسلم آخر الأنبياء .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، حدثنا سفيان ، عن السدي ،
عن أنس بن مالك ، قال : لو عاش إبراهيم بن النبي صلى الله عليه وسلم لكان
صديقاً نبياً .

وقال أبو عبد الله بن منده : حدثنا محمد بن سعد ، ومحمد بن إبراهيم ، حدثنا محمد
ابن عثمان العبسي ، حدثنا منجاب ، حدثنا أبو عامر الأسدي ، حدثنا سفيان ، عن السدي
عن أنس ، قال : توفي إبراهيم بن النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن ستة عشر شهراً
فقال رسول الله : « ادفنوه في البقيع فإن له مريضاً يتم رضاعه في الجنة » .

وقال أبو يعلى : حدثنا أبو خيثمة ، حدثنا إسماعيل بن إبراهيم ، عن أيوب ، عن
عمرو بن سعيد ، عن أنس ، قال : مارأيت أحداً أرحم بالعيال من رسول الله ، كان
إبراهيم مسترضعاً في عوالى المدينة ، وكان ينطلق ونحن معه فيدخل إلى البيت وإنه
ليُدجن^(١) ، وكان ظئره فينا فيأخذه فيقبله ثم يرجع .

قال عمرو : فلما توفي إبراهيم قال رسول الله : « إن إبراهيم ابني ، وإنه

مات في النَّدى ، وإِلى لَهُ لَطِيفُ رِزْقِهِ تَكْمِلَانِ رِضَاعِهِ فِي الْجَنَّةِ » .

وَقَدْ رَوَى جَرِيرٌ وَأَبُو عَوَانَةَ ، عَنِ الْأَعْمَشِ ، عَنْ مُسْلِمِ بْنِ صَبِيحٍ أَبِي الضُّحَى ،
عَنِ الْبَرَاءِ قَالَ : تَوَفَّى إِبْرَاهِيمَ بْنُ رَسُولِ اللَّهِ وَهُوَ ابْنُ سِتَّةٍ عَشَرَ شَهْرًا ، فَقَالَ : « ادْفِنُوهُ فِي
الْبَقِيعِ فَإِنَّ لَهُ مَرْضَعًا فِي الْجَنَّةِ » .

وَرَوَاهُ أَحْمَدُ مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ ، عَنْ عَامِرٍ ، عَنِ الْبَرَاءِ ، وَهَكَذَا رَوَاهُ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ
عَنْ فِرَاسٍ ، عَنِ الشَّعْبِيِّ ، عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ بِمِثْلِهِ .

وَكَذَا رَوَاهُ الثَّوْرِيُّ أَيْضًا عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ ، عَنِ الْبَرَاءِ وَأُورِدَ لَهُ ابْنُ عَسَاكَرٍ مِنْ
طَرِيقِ عَتَّابِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ شَوْذَبٍ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى قَالَ : تَوَفَّى إِبْرَاهِيمَ فَقَالَ
رَسُولُ اللَّهِ : « يَرْضَعُ بَقِيعَةَ رِضَاعِهِ فِي الْجَنَّةِ » .

وَقَالَ أَبُو يَعْلَى الْمَوْصِلِيُّ : حَدَّثَنَا زَكَرِيَّا بْنُ يَحْيَى الْوَاسِطِيُّ ، حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ ، عَنْ
إِسْمَاعِيلَ ، قَالَ سَأَلْتُ ابْنَ أَبِي أَوْفَى - أَوْ سَمِعْتُهُ يُسْأَلُ - عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ . فَقَالَ : مَاتَ وَهُوَ صَغِيرٌ ، وَلَوْ قُضِيَ أَنْ يَكُونَ بَعْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
نَبِيٌّ لِمَاشٍ .

وَرَوَى ابْنُ عَسَاكَرٍ مِنْ حَدِيثِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ سَعِيدِ الْخَافِظِ ، حَدَّثَنَا عُبَيْدُ بْنُ
إِبْرَاهِيمَ الْجُعْفِيُّ ، حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْفَرَّاءِ ، حَدَّثَنَا مُصْعَبُ بْنُ سَلَامٍ ، عَنْ أَبِي
حَمْزَةَ الثَّمَالِيِّ ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَوْ عَاشَ إِبْرَاهِيمُ لَكَانَ نَبِيًّا » .

وَرَوَى ابْنُ عَسَاكَرٍ مِنْ حَدِيثِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ سَمُرَةَ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ
الْأَسَدِيِّ ، عَنْ أَبِي شَيْبَةَ ، عَنْ أَنَسٍ ، قَالَ : لَمَّا مَاتَ إِبْرَاهِيمَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ : « لَا تُدْرِجُوهُ فِي أَكْفَانِهِ حَتَّى أَنْظَرَ إِلَيْهِ » .

فَجَاءَ فَانْكَسَبَ عَلَيْهِ وَبَكَى حَتَّى اضْطَرَبَ لِحَيَّاهُ وَجَنَابَاهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

قلت : أبو ثيبية هذا لا يتعامل بروايته .

ثم روى من حديث مسلم بن خالد الزنجي ، عن ابن خيثم ، عن شهر بن حوشب ، عن أسماء بنت يزيد بن السكن قالت : لما توفي إبراهيم بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر وعمر : أنت أحق من عليم الله حقه . فقال : « تدمع العين ويحزن القلب ، ولا نقول ما يسنخظ الرب ، لولا أنه وعد صادق ، وموعود جامع ، وأن الآخر منا يدمع الأول ، لو جدنا عليك يا إبراهيم وجداً أشد مما وجدنا ، وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون » .

وقال الإمام أحمد حدثنا أسود بن عامر ، حدثنا إسرائيل ، عن جابر ، عن الشعبي عن البراء ، قال : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابنه إبراهيم ، ومات وهو ابن ستة عشر شهراً ، وقال : « إن له في الجنة من يتم رضاعه وهو صديق » . وقد روى من حديث الحكم بن عيينة ، عن الشعبي ، عن البراء .

وقال أبو يعلى : حدثنا القواريري ، حدثنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن ابن أبي أوفى ، قال : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابنه ، وصليت خلفه وكبر عليه أربعاً .

وقد روى يونس بن بكير ، عن محمد بن إسحاق ، حدثني محمد بن طلحة بن يزيد بن ركانة قال : مات إبراهيم ابن رسول الله وهو ابن ثمانية عشر شهراً ، فلم يصل عليه . وروى ابن عساكر من حديث إسحاق ابن محمد القروي ، عن عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب ، عن أبيه ، عن أبي جده عن علي ، قال : لما توفي إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث علي بن أبي طالب إلى أمه مارية القبطية وهي في مشربة ، فحمله علي في سقط^(١) وجعله بين يديه على الفرس ، ثم جاء به إلى رسول الله

(١) السقط : كالجوالق أو «لقة» .

صلى الله عليه وسلم فغسله وكفنه وخرج به وخرج الناس معه ، فدفنه في الزقاق الذي يلي دار محمد بن زيد ، فدخل على قبره حتى سوي عليه ودفنه ، ثم خرج ورش على قبره ، وأدخل رسول الله يدَه في قبره فقال : « أما والله إنه لنبي ابن نبي » وبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبكى المسلمون حوله حتى ارتفع الصوت .

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تَدْمَعُ العين ويحزن القلب ، ولا تقول ما يفضب الرب ، وإنا عليك يا إبراهيم لآحزونون » .

وقال الواقدي : مات إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الثلاثاء لعشر ليال خلون من ربيع الأول سنة عشر ، وهو ابن ثمانية عشر شهراً في بني مازن بن النجار في دار أم بَرْزَةَ بنت المنذر ، ودفن بالبقيع .

قلت : وقد قدمنا أن الشمس كُسفت يوم موته ، فقال الناس : كسفت لموت إبراهيم . فخطب رسول الله فقال في خطبته : « إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله عز وجل ، لا يفسدان لموت أحد ولا لحياته » .

قال الحافظ الكبير أبو القاسم ابن عساكر :

باب

ذكر عبيده عليه السلام وإمائه وذكر خدمه وكتّابه وأمنائه ،
مع مراعاة الحروف في أسمائهم ، وذكر بعض ماذكر من أنبائهم

ولنذكر ما أورده مع الزيادة والنقصان وبالله المستعان .
فمنهم أسامة بن زيد بن حارثة أبو زيد الكلبى ، ويقال أبو يزيد ويقال أبو محمد .
مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن مولا ، وحبه وابن حبه ، وأمه أم أيمن
واسمها بركة ، كانت حاضنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في صغره ، وممن آمن به
قدماً بعد بعثته .

وقد أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخر أيام حياته ، وكان عمره إذ ذاك
ثمانى عشرة أو تسع عشرة ، وتوفى وهو أمير على جيش كثيف ، منهم عمر بن
الخطاب ، ويقال وأبو بكر الصديق وهو ضعيف ، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم
نصبه للإمامة .

فلما توفى عليه السلام وجيش أسامة مخيم بالجرف كما قدمناه ، استطلق أبو بكر
من أسامة عمر بن الخطاب في الإقامة عنده ليستضيء برأيه فأطلقه له ، وأنفذ أبو بكر
جيش أسامة بعد مراجعة كثيرة من الصحابة له في ذلك ، وكل ذلك يأتى عليهم ويقول :
والله لا أحل راية عقدتها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فساروا حتى بلغوا تخوم البلقاء من أرض الشام حيث قُتل أبوه زيد وجعفر بن
أبي طالب وعبد الله بن رواحة رضى الله عنهم ، فأغار على تلك البلاد وغنم وسبي وكرّ
راجعا سالما مؤبداً .

فلهذا كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه لا يَبْلُغُ أسامةَ إلا قال له : السلام عليك أيها الأمير .

ولما عقد له رسول الله صلى الله عليه وسلم راية الإمرة طعن بعضُ الناس في إمارته ، فخطب رسول الله فقال فيها : « إِنَّ تَطَعْنُوا فِي إِمَارَتِهِ فَقَدْ طَعَنْتُمْ فِي إِمَارَةِ أَبِيهِ مِنْ قَبْلُ ، وَأَيْمُ اللَّهِ إِنْ كَانَ خَلِيقًا لِلإِمَارَةِ ، وَإِنْ كَانَ لِمَنْ أَحَبَّ الْخَلْقَ إِلَى بَعْدِهِ » .

وهو في الصحيح من حديث موسى بن عُقبة ، عن سالم ، عن أبيه . وثبت في صحيح البخارى عن أسامة رضى الله عنه أنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذنى والحسن فيقول : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَحْبَبُهُمَا فَأَحْبِبْهُمَا » .

وروى عن الشَّعْبِيِّ عن عائشة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « مَنْ أَحَبَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فليحب أسامةَ بن زيد » .

ولهذا لما فرَضَ عمر بن الخطاب للناس في الديوان فَرَضَ لَأَسَامَةِ فِي خَمْسَةِ آلَافٍ ؛ وَأَعْطَى ابْنَهُ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ فِي أَرْبَعَةِ آلَافٍ . فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ فَقَالَ : إِنَّهُ كَانَ أَحَبَّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْكَ ، وَأَبُوهُ كَانَ أَحَبَّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ مِنْ أَيْبِكَ .

وقد روى عبد الرزاق ، عن مَعْمَرٍ ، عن الزهري ، عن عروة ، عن أسامة ، أن رسول الله أَرَدَ أَنْ يَرْفَعَهُ عَلَى حِمَارٍ عَلَيْهِ قُطَيْفَةٌ ، حِينَ ذَهَبَ يَعُودُ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ ، قَبْلَ وَقْعَةِ بَدْرٍ .

قلت : وهكذا أَرَدَ أَنْ يَرْفَعَهُ عَلَى نَاقَتِهِ حِينَ دَفَعَ مِنْ عَرَافَاتٍ إِلَى الْمَزْدَلِفَةِ ، كَمَا قَدِمْنَا فِي حِجَةِ الْوَدَاعِ .

وقد ذكر غير واحد أنه رضى الله عنه لم يشهد مع عليٍّ شيئاً من مشاهدته ، واعتذر إليه بما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قتل ذلك الرجل وقد قال لا إله إلا الله ، فقال : « مَنْ لَكَ بَلَا إِيَّاهُ إِلَّا اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ أَتَقْتُلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مِنْ لَدُنْكَ بَلَا إِيَّاهُ إِلَّا اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » الحديث .

وذكر فضائله كثيرة رضى الله عنه . وقد كان أسود كالليل ، أفتس حلواً حسناً كبيراً فصيحاً عالماً ربانياً ، رضى الله عنه .

وكان أبوه كذلك ، إلا أنه كان أبيض شديد البياض ، ولهذا طعن بعض من لا يعلم في نسبه منه . ولما مرَّ مُجَزَّز المَدْلَجى عليهما وهما نائمان في قطيفة وقد بدت أقدامهما أسامة بسواده وأبوه زيد ببياضه ، قال : سبحان الله : إن بعض هذه الأقدام لمن بعض . أعجب بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل على عائشة مسرواً تبرق أسارير وجهه فقال : « ألم ترى أن مُجَزَّزاً نظر آنفاً إلى زيد بن حارثة وأسامة بن زيد فقال : إن بعض هذه الأقدام لمن بعض ؟! »

ولهذا أخذ فقهاء الحديث كالشافعى وأحمد من هذا الحديث ، من حيث التقرير عليه والاستيشار به ؛ العمل بقول القافة في اختلاط الأنساب واشتباهاها ، كما هو مقرر في موضعه .

والمقصود أنه رضى الله عنه توفى سنة أربع وخمسين مما صححه أبو عمر . وقال غيره سنة ثمان أو تسع وخمسين ، وقيل مات بعد مقتل عثمان فالله أعلم . وروى له الجماعة في كتبهم السقة .

ومنهم أسلم وقيل إبراهيم وقيل ثابت وقيل هُرْمُز أبو رافع القبطى ، أسلم قبل بدر ولم يشهدا لأنه كان بمكة مع سادته آل العباس ، وكان ينحت القِدَاح ، وقصته مع الخبيث أبى لهب حين جاء خبر وقعة بدر تقدمت والله الحمد .

ثم هاجر وشهد أحداً وما بعدها ، وكان كاتباً ، وقد كتب بين يدى على بن أبى طالب بالسكوفة . قاله المفضل بن غسان الغلابى . وشهد فتح مصر في أيام عمر . وقد كان أولاً للعباس بن عبد المطلب فوهبه للنبي صلى الله عليه وسلم وعتقه وزوجه

مولاته سلمى ، فولدت له أولاداً وكان يكون على ثَقَل^(١) النبي صلى الله عليه وسلم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر وبَهْزُ قالَا : حدثنا شُعْبَةُ ، عن الحكم ، عن ابن أبي رافع ، عن أبي رافع ، أن رسول الله بعث رجلاً من بنى مُخْزُوم على الصدقة ، فقال لأبي رافع : اصحبني كيما تصيب منها . فقال : لا . حتى آتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسأله . فأتى رسول الله فسأله فقال : « الصدقة لا تحِلُّ لنا ، وإن مَوَلَى القوم منهم » . وقد رواه الثوري عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن الحكم به . وروى أبو يعلى في مسنده عنه أنه أصابهم بَرْدٌ شديد وهم بخيبر ، فقال رسول الله : « من كان له لحاف فليُدْحِفْ من لا لحاف له » .

قال أبو رافع : فلم أجد من يُدْحِفُنِي معه ، فأتيت رسول الله فأتى على اللحاف ، فتمننا حتى أصبحنا ، فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم عند رجليه حية فقال : « يا أبا رافع اقتلها اقتلها » .

وروى له الجماعة في كتبهم ، ومات في أيام علي رضي الله عنه .

ومنها أنسة بن زياد^(٢) أبو مِشْرَح ، ويقال أبو مِشْرَح ، من مولدى السراة ، مهاجرى شهيد بدرأ فيما ذكره عروة والزهرى وموسى بن عُقبة ومحمد بن إسحاق والبخارى وغير واحد . قالوا : وكان ممن يأذن على النبي صلى الله عليه وسلم إذا جلس .

وذكر خليفة بن خياط في كتابه قال : قال علي بن محمد ، عن عبد العزيز بن أبي نابت ، عن داود بن الحصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : استشهد يوم بدر أنسة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال الواقدي : وليس هذا بَثْبَثٌ عندنا ، ورأيت أهل العلم يثبتون أنه شهد أحدًا أيضاً وبقي زمانا وأنه توفي في حياة أبي بكر رضي الله عنه أيام خلافته .

ومنهـم أئـمـن بـن عُبـيـد بـن زبـد الخبـشـي ونسـبـه ابـن مـنـدّة إلـى عـوف بـن الخـزرج
وفـيـه نظـر .

وهـو ابـن أم أئـمـن بـركة ، أخـو أسـامة لأمـه .

قال ابـن إسـحاق : و كان علـى مَطْهَرَة ^(١) النبـي صـلى اللـه علـيـه وسـلم ، و كان مـن ثبـت
يـوم حنـين ، و يقـال : إـن فـيـه وفـى أصـحابـه نـزل قـولـه تـعـالـى : « فـمـن كان يـرجـو لقاـء ربـه
فليـعـمـل عـمـلا صـالـحـا و لا يُشـرك بـعبـادـة ربـه أحـدا ^(٢) » .

قال الشافعي : قُـتـل أئـمـن مـع النبـي صـلى اللـه علـيـه وسـلم يـوم حنـين .

قال : فـروا بـه مـجـاهـد عـنـه مـنـقـطـعة يـعـنـى بـذـلـك ما رـواه الثـورـي عـن مـنـصـور ، عـن
مـجـاهـد ، عـن عـطاء ، عـن أئـمـن الخبـشـي قال : لـم يـقـطـع النبـي صـلى اللـه علـيـه وسـلم السـارق إلـّا
فـي الجـن ^(٣) ، و كان ثـمـن الجـن يـومئـذ دـينـارا .

وقـد رـواه أبـو القـاسـم البـغـوي فـي مُعـجـم الصـحـابة ، عـن هـارون بـن عـبـد اللـه ، عـن أسـود
ابـن عامـر ، عـن الحـسـن بـن صـالح ، عـن مـنـصـور ، عـن الحـكـم ، عـن مـجـاهـد وعـطاء ، عـن أئـمـن ،
عـن النبـي صـلى اللـه علـيـه وسـلم نـحوه .

وهـذا يـقـتـضـي تأخـر مـوتـه عـن النبـي صـلى اللـه علـيـه وسـلم إـن لـم يـكـن الحـديث مُدَلَّسـاً عـنـه ،
و يـحـتمـل أن يـكـون أريد غـيره .

والجـهـور كا بـن إسـحاق وغـيره ذكـروه فـيـمـن قـتـل مـن الصـحـابة يـوم حنـين
فاللـه أـعـلم .

ولا بـنـه الحـجـاج بـن أئـمـن مـع عـبـد اللـه بـن عـمر قـصـة .

ومـنـهـم با أم وسـيـأتـي ذكـره فـي تـرجـمة طـهـمـان .

(١) المـطـهـرة بـكـسر المـيم وفـتـحـها : الإـداوة ، أو الإـنـاء الـذي يـتـطـهـر بـه .

(٢) الجـن : التـرس .

(٣) سورـة الكـهـف ١١٠

ومنهم ثوبان بن جُذْد ، ويقال ابن جَحْدَر أبو عبد الله ، ويقال أبو عبد الكريم ،
ويقال أبو عبد الرحمن .

أصله من أهل السَّرَّاء ، مكان بين مكة واليمن ، وقيل من خير من أهل اليمن . وقيل
من الهان ^(١) ، وقيل من حكم بن سعد العَشِيرَة من مَذْحِج أصابه سَبِي في الجاهلية . فاشتراه
رسول الله فأعتقه وخيره إن شاء أن يرجع إلى قومه ، وإن شاء يَثْبُت فإنه منهم
أهل البيت .

فأقام على ولاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يفارقه حضراً ولا سفراً حتى توفي
رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وشهد فتح مصر أيام عمر ، ونزل حمص بعد ذلك وابتنى بها داراً ، وأقام بها إلى أن
مات سنة أربع وخمسين ، وقيل سنة أربع وأربعين - وهو خطأ - وقيل إنه مات بمصر ،
والصحيح بحمص كما قدمنا والله أعلم .

روى له البخارى في كتاب الأدب ، ومسلم في صحيحه وأهل السنن الأربعة .

ومنهم حنين مولى النبي صلى الله عليه وسلم وهو جد إبراهيم بن عبد الله بن حنين .
وروي أنه كان يخدم النبي صلى الله عليه وسلم ويوضئه ، فإذا فرغ النبي صلى الله عليه
وسلم خرج بفضل الوضوء إلى أصحابه ، فنههم من يشرب منه ، ومنهم من يمسح به ،
فاحتبس حنين فخبأه عنده في جرة حتى شكوه إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال له :
« ما تصنع به ؟ » فقال : أدخره عندي أشربه يا رسول الله . فقال عليه السلام : « هل
رأيتم غلاماً أحصى ما أحصى هذا ؟ » .

ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم وهبه لعمه العباس فأعتقه رضى الله عنهما .

ومنهم ذَكْوَان يأتى ذكره في ترجمة طَهْمَان .

ومنهم رافع أو أبو رافع ويقال له أبو البهي .

قال أبو بكر بن أبي خَيْثَمَةَ : كان لأبي أَحْيَةَ سَعِيد بن العاص الأ كبر فوريته بنوه وأعتق ثلاثة منهم أنصباهم وشهد معهم يوم بدر ، فقتلوا ثلاثتهم ، ثم اشترى أبو رافع بقية أنصبا بني سعيد مولاة إلا نصيب خالد بن سعيد ، فوهب خالد نصيبه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقبِلَه وأعتقه . فكان يقول ، أنا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك كان بنوه يقولون من بعده .

ومنها رباح الأسود ، وكان يأذن على النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو الذي أخذ الإذن لعمر بن الخطاب حتى دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في تلك المشربة يوم آلى من نسائه واعتزلهن في تلك المشربة وحده عليه السلام .

هكذا جاء مصرّحاً باسمه في حديث عكرمة بن عمار ، عن سِيَّاح بن الوليد ، عن ابن عباس ، عن عمر .

وقال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، حدثنا عكرمة بن عمار ، عن إياس بن سلمة بن الأ كوع ، عن أبيه قال : كان للنبي صلى الله عليه وسلم غلام يسمّى رباح . ومنها رُوِيَ مولاة عليه الصلاة والسلام .

هكذا عدّه في الموالى مُصْعَب بن عبد الله الزبيري وأبو بكر بن أبي خَيْثَمَةَ قالا : وقد وفد ابنه على عمر بن عبد العزيز في أيام خلافته ففرض له . قالا : ولا عَقِب له .

قلت : كان عمر بن عبد العزيز رحمه الله شديد الاعتناء بموالى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يجب أن يعرفهم ويحسن إليهم ، وقد كتب في أيام خلافته إلى أبي بكر بن حزم عالم أهل المدينة في زمانه : أن يفحص له عن موالى رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجال والنساء وخدامه .

رواه الواقدي . وقد ذكره أبو عمر مختصراً وقال : لا أعلم له رواية ، حكاه ابن

الأنثير في الغابة .

ومنهم زيد بن حارثة الكلبي .

وقد قدمنا طرفاً من ذكره عند ذكر مقتله بغزوة مؤتة رضى الله عنه ، وذلك في
جمادى من سنة ثمان قبل الفتح بأشهر .

وقد كان هو الأمير المقدّم ، ثم بعده جعفر ، ثم بعدهما عبد الله بن رواحة .
وعن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : ما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن
حارثة في سرية إلا أمره عليهم ، ولو بقى بعده لاستخلفه .
رواه أحمد .

ومنهم زيد أبو يسار .

قال أبو القاسم البقوى في معجم الصحابة : سكن المدينة ، روى حديثاً واحداً لا أعلم
له غيره : حدثنا محمد بن علي الجوزجاني ، حدثنا أبو سلمة - هو التبوذكي - حدثنا حفص
ابن عمر الطائي ، حدثنا أبو عمر بن مرة ، سمعت بلال بن يسار بن زيد مولى النبي صلى
الله عليه وسلم ، سمعت أبي حدثني عن جدي ، أنه سمع رسول الله يقول : « من قال :
أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه ، غُفر له وإن كان فرّاً
من الزحف » .

وهكذا رواه أبو داود عن أبي سلمة ، وأخرجه الترمذى عن محمد بن إسماعيل
البخارى ، عن أبي سلمة موسى بن إسماعيل به . وقال الترمذى : غريب لا نعرفه إلا من
هذا الوجه .

ومنهم سَيفِنة أبو عبد الرحمن ويقال أبو البختري . كان اسمه مهران ، وقيل عبس ،
وقيل أحر ، وقيل رومان ، فلقبه رسول الله صلى الله عليه وسلم لسبب سنذكره ،
فغلب عليه .

وكان مولى لأُم سلمة ، فأعتقه واشترطت عليه أن يخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يموت ، فقبل ذلك . وقال : لو لم تشرطى على ما فارقت .

وهذا الحديث في السنن .

وهو من مولدى العرب ، وأصله من أبناء فارس وهو سَفِينَةُ بن مافته .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو النضر ، حدثنا حَشْرَج بن ثَبَّاتة العبسي ، كوفي ، حدثنا سعيد بن جُهَّان ، حدثني سَفِينَةُ ، قال : قال رسول الله : « الخلافة في أمتي ثلاثون سنة ، ثم مُلكاً بعد ذلك » .

ثم قال لي سَفِينَةُ : أمسك خلافة أبي بكر ، وخلافة عمر ، وخلافة عثمان ، وأمسك خلافة علي ، ثم قال : فوجدناها ثلاثين سنة . ثم نظرت بعد ذلك في الخلفاء فلم أجده يتفق لهم ثلاثون .

قلت لسعيد : أين لقيت سَفِينَةَ ؟ قال : ببطن نخلة في زمن الحجاج ، فأقمت عنده ثلاث نِيال أسأله عن أحاديث رسول الله . قلت له : ما اسمك ؟ قال : ما أنا بمخبرك ، سماني رسول الله سَفِينَةَ . قلت : ولم سماك سَفِينَةَ ؟ قال : خرج رسول الله ومعه أصحابه ، فنقل عليهم متاعهم فقال لي : « ابسط كساءك » فبسطته ، فجعلوا فيه متاعهم ثم حملوه علي ، فقال لي رسول الله : « احمل فإنما أنت سَفِينَةُ » فلو حملت يومئذ وقرَّ بعير أو بعيرين أو ثلاثة أو أربعة أو خمسة أو ستة أو سبعة مائتل علي ، إلا أن يُحْفُوا ^(١) .

وهذا الحديث عن أبي داود والترمذي والنسائي ، ولفظه عندهم : « خلافة النبوة ثلاثون سنة ، ثم تكون مُلكاً » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا بهز ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن سعيد بن جُهَّان ، عن سَفِينَةَ ، قال : كنا في سفر ، فكان كلما أعيأ رجل ألقى علي ثيابه ، ترساً أو سيفاً ،

(١) يحفوا : يزيدوا ويبالغوا

حقى حلت من ذلك شيئاً كثيراً ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « أنت سفينة » .
هذا هو المشهور في تسميته سفينة .

وقد قال أبو القاسم البغوي : حدثنا الربيع سليمان بن داود الزهراني ومحمد بن جعفر
الورگانی ، قالا : حدثنا شريك بن عبد الله النخعي ، عن عمران البجلي ، عن مولى لأم
سلمة ، قال : كنا مع رسول الله فررنا بواد - أو نهر - فكنت أعبر الناس ، فقال لي
رسول الله : « ما كنت منذ اليوم إلا سفينة » .

وهكذا رواه الإمام أحمد ، عن أسود بن عامر ، عن شريك .
وقال أبو عبد الله بن منده : حدثنا الحسن بن مكرم ، حدثنا عثمان بن عمر ، حدثنا
أسامة بن زيد ، عن محمد بن المنكدر ، عن سفينة ، قال : ركبت البحر في سفينة
فكسرت بنا ، فركبت لوحاً منها فطرحني في جزيرة فيها أسد فلم يرعني إلا به ، فقلت :
يا أبا الحارث أنا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فجعل يغمزني بمنكبه حتى أقامني
على الطريق ، ثم همهم فظننت أنه السلام .

وقد رواه أبو القاسم البغوي عن إبراهيم بن هاني ، عن عبيد الله بن موسى ، عن
رجل ، عن محمد بن المنكدر ، عنه .

ورواه أيضاً عن محمد بن عبد الله المخرمي ، عن حسين بن محمد ، قال : قال عبيد
العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة ، عن محمد بن المنكدر ، عن سفينة . فذكره .

ورواه أيضاً : حدثنا هارون بن عبد الله ، حدثنا علي بن عاصم ، حدثني أبو ريمحة ،
عن سفينة مولى رسول الله قال : لقيني الأسد فقلت : أنا سفينة مولى رسول الله صلى الله
عليه وسلم . قال : فضرب بذنبه الأرض وقعد .

وروى له مسلم وأهل السنن . وقد تقدم في الحديث الذي رواه الإمام أحمد أنه كان

يسكن بطن نخلة ، وأنه تأخر إلى أيام الحجاج .

ومنهم سلمان الفارسي ، أبو عبد الله مؤلى الإسلام .

أصله من فارس وتنقلت به الأحوال إلى أن صار لرجل من يهود المدينة ، فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة أسلم سلمان وأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت سيده اليهودي ، وأعانه رسول الله صلى الله عليه وسلم على أداء ما عليه فنُسب إليه وقال : « سلمان منا أهل البيت » .

وقد قدمنا صفة هجرته ^(١) من بلده وصحبته لأولئك الرهبان واحداً بعد واحد حتى آل به الحال إلى المدينة النبوية ، وذكرنا صفة إسلامه رضى الله عنه في أوائل الهجرة النبوية إلى المدينة ، وكانت وفاته في سنة خمس وثلاثين في آخر أيام عثمان - أو في أول سنة ست وثلاثين - وقيل : إنه توفي في أيام عمر بن الخطاب ، والأول أكثر .

قال العباس بن يزيد البخري : وكان أهل العلم لا يشكون أنه عاش مائتين وخمسين سنة ، واختلفوا فيما زاد على ذلك إلى ثلاثمائة وخمسين .
وقد ادعى بعض الحفاظ المتأخرين أنه لم يجاوز المائة . فالله أعلم بالصواب .

ومنهم شُقران الحبشي ، واسمه صالح بن عدي ، ورثه عليه السلام من أبيه .
وقال مصعب الزبيري ومحمد بن سعد : كان لعبد الرحمن بن عوف فوهبه للنبي صلى الله عليه وسلم .

وقد روى أحمد بن حنبل ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر ، أنه ذكره فيمن شهد بدرأ ، قال : ولم يقسم له رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(١) وذلك في الجزء الأول من الكتاب .

وهكذا ذكره محمد بن سعد فيمن شهد بدرًا وهو مملوك فللهذا لم يُسَمِّ له بل استعمله على الأسرى ، فحذاه ^(١) كلُّ رجل له أسير شيئًا ، فحصل له أكثر من نصيب كامل .

قال : وقد كان بيد ثلاث غلمان غيره : غلام لعبد الرحمن بن عوف ، وغلام لحاطب ابن أبي بلتعة ، وغلام لسعد بن معاذ ، فرضخ لهم ولم يقسم .

قال أبو القاسم البغوي : وليس له ذكر فيمن شهد بدرًا في كتاب الزُّهري ، ولا في كتاب ابن إسحاق .

وذكر الواقدي عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي سبرة عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي جهم قال : استعمل رسول الله شُقران مولاه على جميع ما وجد في رجال المريسيع من رِثَّة ^(٢) المتاع والسلاح والنعم والشاء وجمع الذرية ناحية .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أسود بن عامر ، حدثنا مسلم بن خالد ، عن عمرو بن يحيى المازني ، عن أبيه ، عن شُقران مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : رأيته - يعني النبي صلى الله عليه وسلم - متوجهًا إلى خيبر على حمار يصلي عليه يومئذٍ إيماء . وفي هذه الأحاديث شواهد أنه رضى الله عنه شهد هذه المشاهد .

وروى الترمذي عن زيد بن أخطم ، عن عثمان بن قرقد ، عن جعفر بن محمد ، أخبرني ابن أبي رافع قال : سمعت شُقران يقول : أنا والله طرحتُ القطيفة تحت رسول الله صلى الله عليه وسلم في القبر .

وعن جعفر بن محمد عن أبيه قال : الذي اتخذ قبر النبي صلى الله عليه وسلم أبو طلحة ، والذي ألقى القطيفة شُقران .

ثم قال : الترمذي حسن غريب .

(١) حذاه : أعطاه .

(٢) الرثة : ما يسقط من المتاع .

وقد تقدم أنه شهد غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزل في قبره ، وأنه وضع تحته القطيفة التي كان يصلي عليها وقال : والله لا يلبسها أحد بعدك .

وذكر الحافظ أبو الحسن بن الأثير في الفأبة أنه انقضى نسله فكان آخرهم موتاً بالمدينة في أيام الرشيد .

ومنهم ضُمَيْرَةُ بن أبي ضُمَيْرَةَ الحِمَيْرِي ، أصابه سَبَنِي في الجاهلية فاشتراه النبي صلى الله عليه وسلم فأعتقه ، ذكره مُصْعَبُ الزَّيْرِيُّ قال : وكانت له دار باليَقِيمِ وولد .

قال عبد الله بن وهب : عن ابن أبي ذئب ، عن حسين بن عبد الله بن ضُمَيْرَةَ ، عن أبيه عن جده ضُمَيْرَةَ ، أن رسول الله مرَّ بأُمِ ضُمَيْرَةَ وهي تبكي فقال لها : « ما يبكيك ؟ أجائعة أنت ، أعارية أنت ؟ » .

قالت : يا رسول الله فرَّق بيني وبين ابني . فقال رسول الله : « لا يفترق بيني والوالدة وولدها » .

ثم أرسل إلى الذي عنده ضُمَيْرَةَ فدعاه فابتناعه منه بَبَسْكَرَ .

قال ابن أبي ذئب : ثم أقراني كتاباً عنده : بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من محمد رسول الله لأبي ضُمَيْرَةَ وأهل بيته ، أن رسول الله أعقهم ، وأنهم أهل بيت من العرب ، إن أحبوا أقاموا عند رسول الله ، وإن أحبوا رجعوا إلى قومهم ، فلا بُرْضَ لهم إلا بحق ، ومن أقيمهم من المسلمين فليستوص بهم خيراً . وكتب أبي بن كعب .

ومنهم طَهْمَانُ ، ويقال ذَكْوَانُ . ويقال مَهْرَانُ ، ويقال ميمون ، وقيل كَيْسَانُ ، وقيل باذام . روى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن الصدقة لا تحل لي ولا لأهل بيتي ، وإن مَوَّلَى القوم من أنفسهم » .

رواه البغوي عن مَنجَبِ بن الحارث وغيره ، عن ثَرِيك ، عن عطاء بن السائب ،

عن إحدى بنات علي بن أبي طالب وهي أم كلثوم بنت علي ، قالت : حدثني مولى للنبي صلى الله عليه وسلم يقال له طهمان أو ذكوان ، قال قال رسول الله . فذكره .
ومنهم عبيد مولى النبي صلى الله عليه وسلم .

قال أبو داود الطيالسي : عن شعبة ، عن سليمان التيمي ، عن شيخ ، عن عبيد مولى للنبي صلى الله عليه وسلم قال : قلت : هل كان النبي صلى الله عليه وسلم يأمر بصلاة سيوى المكتوبة ؟ قال : صلاة بين المغرب والعشاء .
قال أبو القاسم البغوي : لا أعلم روى غيره .

قال ابن عساكر : وليس كما قال . ثم ساق من طريق أبي يعلى الموصلي : حدثنا عبد الأعلى بن حماد ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن سليمان التيمي ، عن عبيد مولى رسول الله أن امرأتين كانتا صائمتين ، وكانتا تفتانان الناس ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدح فقال لهما : « قِيْنَا » فقاما قِيحا ودما ولحما عبيطاً ثم قال : « إن هاتين صامتا عن الحلال وأفطرتا على الحرام » .

وقد رواه الإمام أحمد ، عن يزيد بن هارون وابن أبي عدي ، عن سليمان التيمي ، عن رجل حدثهم في مجلس أبي عثمان ، عن عبيد مولى رسول الله فذكره .
ورواه أحمد أيضاً عن غندر ، عن عثمان بن غياث قال : كنت مع أبي عثمان فقال رجل : حدثني سعيد - أو عبيد - ، يشك عثمان ، مولى النبي صلى الله عليه وسلم . فذكره .

ومنهم فضالة مولى النبي صلى الله عليه وسلم .

قال محمد بن سعد : أنبأنا الواقدي ، حدثني عتبة بن خيرة الأشملي ، قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى أبي بكر محمد بن عمرو بن حزم ، أن الحصى لي عن خدام رسول الله من الرجال والنساء ومواليه .

فكتب إليه قال : وكان فضالة مولى له يمانى نزل الشام بعد ، وكان أبو مؤنبه مولداً من مولدى مزينة فأعتقه

قال ابن عساكر : لم أجد لفضالة ذكر آ فى الموالى إلا من هذا الوجه .
ومنهم قفيز أوله قاف وآخره زاي .

قال أبو عبد الله بن منده : أنبأنا سهل بن السري ، حدثنا أحمد بن محمد بن المنكدر ، حدثنا محمد بن يحيى ، عن محمد بن سليمان الحراني ، عن زهير بن محمد ، عن أبي بكر بن عبد الله بن أنيس ، قال : كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم غلام يقال له قفيز .

تفرد به محمد بن سليمان .

ومنهم كركرة ، كان على ثقل النبي صلى الله عليه وسلم فى بعض غزواته .
وقد ذكره أبو بكر بن حزم فيما كتب به إلى عمر بن عبد العزيز .

قال الإمام أحمد : حدثنا سفيان ، عن عمرو ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن عبد الله ابن عمرو ، قال : كان على ثقل النبي صلى الله عليه وسلم رجل يقال له كركرة ، فمات فقال : « هو فى النار » فنظروا فإذا عليه عباءة قد غآها ، أو كساء قد غله .

رواه البخارى عن على بن المدينى ، عن سفيان .

قلت : وقصته شبيهة بقصة مدغم الذى أهداه رفاعة من بنى النسيب كما سيأتى .
ومنهم كيسان .

قال البغوى : حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة ، حدثنا ابن فضيل ، عن عطاء بن السائب قال : أتيت أم كلثوم بنت على فقالت : حدثنى مولى للنبي صلى الله عليه وسلم يقال له كيسان قال له النبي صلى الله عليه وسلم فى شىء من أمر الصدقة : « إنا أهل بيت نهيبنا أن نأكل الصدقة ، وإن مولانا من أنفسنا فلا تأكل الصدقة » .

ومنهم مابور القبطى الخصى ، أهداه له صاحب إسكندرية مع مارية وشيرين والبغلة .

وقد قدمنا من خبره في ترجمة مارية رضى الله عنهما ما فيه كفاية .

ومنهم مدغم ، وكان أسود من مولدى حسمى ^(١) أهده رفاعه بن زيد الجذامى ، قُتل في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وذلك مرجعهم من خيبر . فلما وصلوا إلى وادى القرى فبينما مدغم يحطّ عن ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم رحلتها ، إذ جاءه سهمٌ عائر فقتله ، فقال الناس : هنيئاً له الشهادة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كلا والذي نفسى بيده ، إن البُلمة التى أخذها يوم خيبر - لم تُصِبْها المقاسم - لنشتعل عليه ناراً » . فلما سمعوا ذلك جاء رجل بشِرَاك - أو شراكين - فقال النبي صلى الله عليه وسلم « شراك من نار ، أو شراكان من نار » .

أخرجاه من حديث مالك ، عن ثور بن يزيد ، عن أبى الفيث ، عن أبى هريرة .

ومنهم مهران ويقال طهمان ، وهو الذى روت عنه أم كلثوم بنت على في تحريم الصدقة على بنى هاشم ومواليهم كما تقدم .
ومنهم ميمون وهو الذى قبله ^(٢) .
ومنهم نافع مولاة .

قال الحافظ ابن عساكر : أنبأنا أبو الفتح الماهاني ، أنبأنا شجاع الصوفي ، أنبأنا محمد ابن إسحاق ، أنبأنا أحمد بن محمد بن زياد ، حدثنا محمد بن عبد الملك بن مروان ، حدثنا يزيد بن هارون ، أنبأنا أبو مالك الأشجعي ، عن يوسف بن ميمون ، عن نافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا يدخل الجنة شيخ زان ، ولا مسكين متكبر ، ولا مَنان بعمله على الله عز وجل » .

(١) حسمى : أرض ببادية الشام .
(٢) قتله . وهو تحريف .

ومنهـم نفعـم ، ويقال مسـروح ، ويقال نافع بن مسـروح والصحيح نافع بن الحارث ابن كـلدۃ بن عمرو بن عـلاج بن سلمة بن عبد العزى بن غيرة بن عوف بن قيس ، وهو ثقيف أبو بـكرة الثقفي . وأمه سـمية أم زياد .

تدلي هو وجماعة من العبيد من سـور الطائف ، فأعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان نزوله في بـكرة فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بـكرة .
قال أبو نعيم : وكان رجلا صالحا آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين أبي بـرة الأسدي .

قلت : وهو الذي صلى عليه بوصيته إليه ، ولم يشهد أبو بـرة وقعة الجمل ، ولا أيام صفين ، وكانت وفاته في سنة إحدى وخمسين ، وقيل سنة اثنتين وخمسين .
ومنهـم واقد ، أو أبو واقد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال الحافظ أبو نعيم الأصبهاني : حدثنا أبو عمرو بن حمدان ، حدثنا الحسن بن سفيان ، حدثنا محمد بن يحيى بن عبد الكـريم ، حدثنا الحسين بن محمد ، حدثنا الهيثم بن حماد ، عن الحارث بن غسان ، عن رجل من قريش من أهل المدينة ، عن زاذان ، عن واقد مولى النبي صلى الله عليه وسلم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أطاع الله فقد ذكر الله ، وإن قلت صلاته وصيامه وتلاوته القرآن ، ومن عصي الله فلم يذكره ، وإن كثرت صلاته وصيامه وتلاوته القرآن » .

ومنهـم هـرمز أبو كيسان ، ويقال هـرمز أو كيسان ، وهو الذي يقال فيه طهمان كما تقدم .

وقد قال ابن وهب : حدثنا علي بن عابس ، عن عطاء بن السائب ، عن فاطمة بنت علي ، أو أم كلثوم بنت علي قالت : سمعت مولى لنا يقال له هـرمز يكنى أبا كيسان ، قال :

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إنا أهل بيت لا تحل لنا الصدقة ، وإن موالينا من أنفسنا فلا تأكلوا الصدقة » .

وقد رواه الربيع بن سليمان ، عن أسد بن موسى ، عن وزيعة ، عن عطاء بن السائب ، قال : دخلت على أم كلثوم فقالت : إن هرمز أو كيسان حدثنا أن رسول الله قال : « إنا لا نأكل الصدقة » .

وقال أبو القاسم البغوي : حدثنا منصور بن أبي مزاحم ، حدثنا أبو حفص الأبار ، عن ابن أبي زياد ، عن معاوية قال : شهد بدرا عشرون مملوكا ، منهم مملوك للنبي صلى الله عليه وسلم يقال له هرمز ، فأعتقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : « إن الله قد أعتقك وإن مولى القوم من أنفسهم ؛ وإنا أهل بيت لا نأكل الصدقة فلا تأكلها » .

ومنهم هشام مولى النبي صلى الله عليه وسلم . قال محمد بن سعد : أنبأنا سليمان بن عبيد الله الرقي ، أنبأنا محمد بن أيوب الرقي ، عن سفیان ، عن عبد الكريم ، عن أبي الزبير ، عن هشام مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : جاء رجل فقال : يا رسول الله إن امرأتى لا تدفع يد لامس . قال : « طلقها » قال : إنها تعجبنى ، قال : « فتمتع بها » . قل ابن منده : وقد رواه جماعة عن سفیان الثوري ، عن أبي الزبير ، عن مولى بني هاشم عن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسمه . ورواه عبيد الله بن عمرو ، عن عبد الكريم ، عن أبي الزبير ، عن جابر .

ومنهم يسار ، ويقال إنه الذي قتله المرتنيون وقد مثلوا به .

وقد ذكر الواقدي بسنده عن يعقوب بن عتبة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذه يوم قرقرة الكدر مع نعم بنى غطفان وسليم ، فوهبه الناس لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقبله منهم ، لأنه رآه يحسن الصلاة فأعتقه ، ثم قسم في الناس النعم فأصاب كل إنسان منهم سبعة أبعرة ، وكانوا مائتين .

ومنهم أبو الحمراء مولى النبي صلى الله عليه وسلم وخادمه ، وهو الذى يقال إن اسمه هلال بن الحارث ، وقيل ابن مظفر ، وقيل هلال بن الحارث بن ظفر السلمي ، أصابه سبيل في الجاهلية .

وقال أبو جعفر محمد بن علي بن دُحَيْم : حدثنا أحمد بن حازم ، أنبأنا عبد الله بن موسى والفضل بن دُكَيْن ، عن يونس بن أبي إسحاق ، عن أبي داود القاص ، عن أبي الحمراء ، قال : رابطة المدينة سبعة أشهر كيوم ، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يأتي باب علي وفاطمة كل غداة فيقول : « الصلاة الصلاة ، إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهراً » .

قال أحمد بن حازم : وأنبأنا عبيد الله بن موسى والفضل بن دُكَيْن - واللفظ له - عن يونس بن أبي إسحاق ، عن أبي داود ، عن أبي الحمراء ، قال : مرَّ النبي صلى الله عليه وسلم برجل عنده طعام في وعاء فأدخل يده ، فقال : « غَشَّشْتَهُ ! مَنْ غَشَّشَنَا فليس منا » .

وقد رواه ابن ماجه ، عن أبي بكر بن أبي شيبة عن أبي نُعَيْم به . وليس عنده سواه . وأبو داود هذا هو نُفَيْع بن الحارث الأعمى أحد المتروكين الضعفاء . قال عباس الدوري عن ابن مَعِين : أبو الحمراء صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمه هلال بن الحارث ، كان يكون بِحُمص ، وقد رأيت بها غلاماً من ولده . وقال غيره : كان منزله خارج باب حمص . وقال أبو الوازع عن سَمُرَةَ : كان أبو الحمراء في الموالي .

ومنهم أبو سَلَمَةَ راعى النبي صلى الله عليه وسلم ، ويقال أبو سَلَام واسمه حُرَيْث . قال أبو القاسم البغوي : حدثنا كامل بن طلحة ، حدثنا عباد بن عبد الصمد ، حدثني أبو سلمة راعى النبي صلى الله عليه وسلم قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه

وسلم يقول : « من لقي الله يشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وآمن بالبعث والحساب ؛ دخل الجنة » . قلنا : أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فأدخل إصبعيه في أذنيه ثم قال : أنا سمعت هذا منه غير مرة ، ولا مرتين ، ولا ثلاث ، ولا أربع .

لم يورد له ابن عساكر سوى هذا الحديث . وقد روى له النسائي في اليوم والليلة آخر ، وأخرج له ابن ماجه ثالثاً .

ومنهم أبو صفية مولى النبي صلى الله عليه وسلم .

قال أبو القاسم البغوي : حدثنا أحمد بن المقدام ، حدثنا معتمر ، حدثنا أبو كعب عن جده بَقِيَّة ، عن أبي صفية مولى النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه كان يوضع له نِطْعٌ ^(١) ويحيا بزنبيل فيه حصّى فيسبح به إلى نصف النهار ، ثم يُرفع فإذا صلى الأولى سبّح حتى يمسي .

ومنهم أبو ضُمَيْرَة مولى النبي صلى الله عليه وسلم والد ضُمَيْرَة المتقدم ، وزوج أم ضُمَيْرَة . وقد تقدم في ترجمة ابنه طرف من ذكرهم وخبرهم في كتابهم وقال محمد بن سعد في الطبقات : أنبأنا إسماعيل بن عبد الله بن أُوَيْس المدني ، حدثني حسين بن عبد الله بن أبي ضُمَيْرَة ، أن الكتاب الذي كتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي ضُمَيْرَة : بسم الله الرحمن الرحيم ، كتاب من محمد رسول الله لأبي ضُمَيْرَة وأهل بيته ، إنهم كانوا أهل بيت من العرب ، وكانوا من أفاء الله على رسوله فأعتقهم ثم خيّر أبا ضُمَيْرَة إن أحب أن يلحق بقومه فقد أذن له ، وإن أحب أن يمكث مع رسول الله فيكونه من أهل بيته ، فاختر الله ورسوله ودخل في الإسلام ، فلا يمرض لهم أحد إلا بخير ، ومن لقيهم من المسلمين فليستوص بهم خيراً ، وكتب أبي بن كعب .

(١) النطع : بساط من الأديم ، وهو الجلد .

قال إسماعيل بن أبي أويس : فهو مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو أحد خير .

وخرج قوم منهم في سفر ومعهم هذا الكتاب فعرض لهم اللصوص ، فأخذوا ما معهم فأخرجوا هذا الكتاب إليهم فأعلموهم بما فيه ، فقرءوه فردوا عليهم ما أخذوا منهم ولم يعرضوا لهم .

قال : ووفد حسين بن عبد الله بن أبي ضميرة إلى المهدي أمير المؤمنين وجاء معه بكتابهم هذا ، فأخذ المهدي فوضعه على بصره ، وأعطى حسيناً ثلاثمائة دينار .

ومنهم أبو عبيد مولا عليه الصلاة والسلام .

قال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا أبان العطار ، حدثنا قتادة ، عن شهر بن حوشب ، عن أبي عبيد أنه طبخ لرسول الله صلى الله عليه وسلم قدرأ فيها لحم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ناولني ذراعها » فناولته فقال : « ناولني ذراعها » فناولته فقال « ناولني ذراعها » . فقلت : يانبي الله كم للشاة من ذراع ؟ قال : « والذي نفسى بيده لو سكت لأعطيني ذراعها مادعوتُ به » .

ورواه الترمذي في الشمائل عن بندار ، عن مسلم بن إبراهيم ، عن أبان بن يزيد العطار به .

ومنهم أبو عسيب ، ومنهم من يقول أبو عسيم ، والصحيح الأول ، ومن الناس من فرق بينهما .

وقد تقدم أنه شهد الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ؛ وحضر دفتنه ، وروى قصة المغيرة بن شعبه .

وقال الحارث بن أبي أسامة : حدثنا يزيد بن هارون ، حدثنا مسلم بن عبيد أبو

نَضْرَةَ ، قال سمعت أبا عَيسِب مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أتاني جبريل بالحي والطاعون ؛ فأمسكت الحي بالمدينة وأرسلت الطاعون إلى الشام ، فالطاعون شهادة لأمتي ورحمة لهم ورجس على الكافر » .

وكذا رواه الإمام أحمد عن يزيد بن هارون .

وقال أبو عبد الله بن سَئْد : أنبأنا محمد بن يعقوب ، حدثنا محمد بن إسحاق الصَّغَفَانِي - حدثنا يونس بن محمد ، حدثنا حُشْرَج بن نُبَاتَةَ ، حدثني أبو نَضْرَةَ البصري ، عن أبي عَيسِب مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلا فمر بي فدعاني ثم مر بأبي بكر فدعاه فخرج إليه ، ثم مر بعمر فدعاه فخرج إليه ، ثم انطلق يمشي حتى دخل حائطاً لبعض الأنصار ، فقال رسول الله لصاحب الحائط : « أطمعنا بُسْرًا » فجاء به فوضعه فأكل رسول الله وأكلوا جميعاً ثم دعا بماء فشرب منه ، ثم قال : « إن هذا النعيم ، لتسألن يوم القيامة عن هذا » فأخذ عمر العِذْق فضرب به الأرض حتى تفأثر البُسْر ، ثم قال : يا بني الله إنا لمستولون عن هذا يوم القيامة ؟ قل : « نعم إلا من ثلاثة ؛ خِرْقَةٌ يستر بها الرجل عورته . أو كِسْرَةٌ يسد بها جوعته ، أو حجر يدخل فيه - يعني من الحر والقر - » .

ورواه الإمام أحمد عن شُرَيْح ، عن حُشْرَج .

وروى محمد بن سعد في الطبقات عن موسى بن إسماعيل ، حدثنا مُسْلِمَةُ بنت أبان القرَظِيَّة ، قالت : سمعت ميمونة بنت أبي عَيسِب قالت : كان أبو عَيسِب يواصل بين ثلاث في الصيام ، وكان يصلي الضحى قائماً فمَجِز ، وكان يصوم أيام البيض . قالت : وكان في سريره جُلُجُل فيمَجِز صوته حين يناديها به ، فإذا حركه جاءت .

ومنه أبو كَبْشَةَ الأَنْصَارِي ، من أنصار مَذْحِج على المشهور ، مولى النبي صلى الله عليه وسلم .

في اسمه أقوال أشهرها أن اسمه سَلِيم ، وقيل عمرو بن سعد ، وقيل عكسه . وأصله من مولدى أرض دوس ، وكان ممن شهد بدرأ .

قاله موسى بن عقبة عن الزهرى . وذكره ابن إسحاق والبخارى والواقدى ومُصْعَب الزبيرى وأبو بكر بن أبى خيثمة . زاد الواقدى : وشهد أحداً وما بعدها من المشاهد .

وتوفى يوم استُخلف عمر بن الخطاب ، وذلك في يوم الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة .

وقال خليفة بن خياط : وفي سنة ثلاث وعشرين توفى أبو كبشة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد تقدم عن أبى كبشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما مرّ في ذهابه إلى تبوك بالحِجْر جعل الناس يدخلون بيوتهم ، فنودى أن الصلاة جامعة ، فاجتمع الناس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما يُدخلكم على هؤلاء القوم الذين غضب الله عليهم ؟ » فقال رجل : نَعَجِب منهم يا رسول الله .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا أنبئكم بأعجب من ذلك ؟ رجل من أنفسكم ينبئكم بما كان قبلكم ، وما هو كائن بعدكم » الحديث .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، عن معاوية بن صالح ؛ عن أَزْهَر ابن سعيد الخوارى ، سمعت أبا كبشة الأمارى ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا في أصحابه ، فدخل ثم خرج وقد اغتسل ، فقلنا : يا رسول الله قد كان شيء ؟ قال : « أجل ، مرت بى فلانة فوقع فى نفسى شهوة النساء فأتيت بعض أزواجى فأصبتها ، فكذلك فافعلوا ، فإنه من أمائل أعمالكم إتيانُ الحلال » .

وقال أحمد : حدثنا وكيع ، حدثنا الأعمش ، عن سالم بن أبى الجعد ، عن أبى كبشة

الأثمارى ، قال : قال رسول الله : « مثل هذه الأمة مثل أربعة نفر .

رجل آتاه الله مالا وعلما فهو يعمل به في ماله وينفقه في حقه ، ورجل آتاه الله علما ولم يؤته مالا فهو يقول : لو كان لى مثل مال هذا عملتُ فيه مثل الذى يعمل . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فهما فى الأجر سواء » .

ورجل آتاه الله مالا ولم يؤته علما فهو يَحْبِطُ^(١) فيه ينفقه فى غير حقه ، ورجل لم يؤته الله مالا ولا علما فهو يقول : لو كان لى مثل مال هذا عملت فيه مثل الذى يعمل . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فهما فى الوزر سواء » .

وهكذا رواه ابن ماجه عن أبى بكر بن أبى شيبه وعلى بن محمد ، كلاهما عن وكيع . ورواه ابن ماجه أيضا من وجه آخر من حديث منصور ، عن سالم بن أبى الجعد ، عن ابن أبى كبشة ، عن أبيه . وسماه بعضهم عبد الله بن أبى كبشة .

وقال أحمد ، حدثنا يزيد بن عبد ربه ، حدثنا محمد بن حرب ، حدثنا الزبيدى ، عن راشد بن سعد ، عن أبى عامر الهوزنى ، عن أبى كبشة الأثمارى ، أنه آتاه فقال : أطرقنى من فرسك ، فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من أطرق مسلما فعقب له الفرس كان كأجر سبعين حمل عليه فى سبيل الله عز وجل » .

وقد روى الترمذى عن محمد بن إسماعيل ، عن أبى نعيم ، عن عباد بن مسلم ، عن يونس بن حباب ، عن سعيد أبى البخترى الطائى ، حدثنى أبو كبشة أنه قال : ثلاث أقسم عليهن وأحدثكم حديثا فاحفظوه ؛ ما نقص مال عبد صدقة وما ظلم عبد بمظلمة فصبر عليها إلا زاده الله بها عزا ، ولا يفتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر . الحديث .

(١) يحبط : يسير فيه على غير هدى .

وقال : حسن صحيح .

وقد رواه أحمد عن غُفْدَر ، عن شعبة ، عن الأعمش ، عن سالم بن أبي الجعد عنه .
وروى أبو داود وابن ماجه من حديث الوليد بن مسلم ، عن ابن ثوبان ، عن أبيه ،
عن أبي كبشة الأنماري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحتجم على هامته
وبين كتفيه .

وروى الترمذی حدثنا حميد بن مسعدة ، حدثنا محمد بن خمران ، عن أبي سعيد
— وهو عبد الله بن بُسر — قال : سمعت أبا كبشة الأنماري يقول : كانت كرام أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم بَطْعًا ^(١) .

* * *

ومنهم أبو مُؤَيَّبَة مولاة عليه السلام ، كان من مولدَى مُزَيْنَة ، اشتراه رسول الله
صلى الله عليه وسلم فأعتقه ، ولا يعرف اسمه رضى الله عنه .
وقال أبو مُصْعَب الزَّيْرِي : شهد أبو مُؤَيَّبَة المُرَبِّيع ، وهو الذي كان يقود لعائشة
رضى الله عنها بعيرها .

وقد تقدم مارواه الإمام أحمد بسنده عنه في ذهابه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
في الليل إلى البقيع ، فوقف عليه السلام فدعا لهم واستغفر لهم ثم قال : « لِيَهْنِكُمْ مَا أَنْتُمْ
فيه مما فيه بعض الناس ، أتت الفتنُ كَقِطْعِ الليلِ المظلمِ يَرْكَبُ بعضها بعضا ، الآخرة
أشدُّ من الأولى ، فليَهْنِكُمْ أَنْتُمْ فيه » .

ثم رجع فقال : « يَا أَبَا مُؤَيَّبَة إِنِّي خَيْرُتُ مِفَاتِيحَ مَا يَفْتَحُ عَلَى أُمَّتِي مِنْ بَعْدِي وَالْجَنَّةِ
أَوْ لِقَاءِ رَبِّي ؛ فَاخْتَرْتُ لِقَاءَ رَبِّي » قال : فما لَبِثَ بعد ذلك إلا سبعا— أو ثمانيا— حتى قُبِضَ .
فهؤلاء عبيده عليه السلام .

(١) الكمام : الفلانس . والبطح : اللازقة بالرأس غير الذاهبة في الهواء .

وأما إماموه عليه السلام

فمن أمة الله بنت رزينة^(١).

الصحيح أن الصُّحبة لأُمها رَزِينة كما سيأتي ، ولكن وقع في رواية ابن أبي عاصم :
حدثنا عُقبة بن مكرم ، حدثنا محمد بن موسى ، حدثنا عُنَيْكَة بنت السُّكْمَيْت العَتَكِيَّة ،
قالت حدثني أبي ، عن أُمّة الله خادم النبي صلى الله عليه وسلم ، أن رسول الله سَبَى صفية
يوم قريظة والنضير فأعتقها وأمرها رَزِينة أم أمة الله .
وهذا حديث غريب جداً .

[ومنهن أُمَيمة . قال ابن الأثير وهي مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم] (٢) .
 روى حديثها أهل الشام . روى عنها جُبَيْر بن نُفَيْر أنها كانت توضى رسول الله ،
 فأتاه رجل يوماً فقال له : أوصني ، فقال : « لا تشرك بالله شيئاً وإن قُطعت أو حُرقت
 بالنار ، ولا تدع صلاة متعمداً ، فمن تركها متعمداً فقد برئت منه ذمة الله وذمة رسوله ،
 ولا تشربن مُسكرأ فإنه رأسُ كل خطيئة ، ولا تعصين والدك وإن أمراك أن
 تتخلى من أهلِكَ ودنياك » .

ومنهن بركة أم أيمن وأم أسامة بن زيد بن حارثة.

وهي بركة بنت ثعلبة بن عمرو بن حصين بن مالك بن سلمة بن عمرو بن
الذممان الحنظلية .

غلب عليها كُنيتها أم أين ، وهو ابنها من زوجها الأول عُميد بن زيد الحبشي ، ثم تزوجها بعده زيد بن حارثة فولدت له أسامة بن زيد ، وتُعرف بأُم الظُّبَاء .

(١) رزينة : بفتح أولها ، وقيل بالتصغير . الإصابة ٨١/٨

(٢) سقط من ح

وقد هاجرت المجرتين رضى الله عنها ، وهى حاضنة رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أمه آمنة بنت وهب ، وقد كانت ممن ورثها رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبيه . قاله الواقدي .

وقال غيره : بل ورثها من أمه . وقيل : بل كانت لأخت خديجة فوهبتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمنت قديما وهاجرت ، وتأخرت بعد النبي صلى الله عليه وسلم . وتقدم ما ذكرناه من زيارة أبي بكر [وعمر] رضى الله عنهما إياها بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ، وأنها بكيت فقالا لها : أما تعلمين أن ما عند الله خيرٌ لرسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقالت : بلى ، ولكن أبكى لأن الوحي قد انقطع من السماء . فجعلتا يبكيان معها .

وقال البخارى فى التاريخ : وقال عبد الله بن يوسف ، عن ابن وهب ، عن بونس ابن يزيد ، عن الزهري ، قال : كانت أم أيمن تحضن النبي صلى الله عليه وسلم حتى كبر ، فأعتقها ثم زوجها زيد بن حارثة .

وتوفيت بعد النبي صلى الله عليه وسلم بخمسة أشهر . وقيل ستة أشهر . وقيل : إنها بقيت بعد قتل عمر بن الخطاب .

وقد رواه مسلم عن أبي الطاهر وحزلمة ، كلاهما عن ابن وهب ، عن بونس ، عن الزهري ، قال : كانت أم أيمن الحبشية فذكره .

وقال محمد بن سعد عن الواقدي : توفيت أم أيمن فى أول خلافة عثمان بن عفان . قال الواقدي : وأنبأنا يحيى بن سعيد بن دينار ، عن شيخ من بنى سعد بن بكر قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لأم أيمن : « يا أمه » وكان إذا نظر إليها قال : « هذه بقية أهل بيتي » .

وقال أبو بكر بن أبي خيثمة : أخبرني سليمان بن أبي شيخ ، قال : كان

النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « أم أيمن أمي بعد أمي » .

وقال الواقدي ، عن أصحابه المدنيين قالوا : نظرت أم أيمن إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يشرب فقالت : اسقني . فقالت عائشة : أتقولين هذا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ! فقالت : ما خدمته أطول . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « صدقت » فجاء بالماء فسقاها .

وقال المفضل بن غسان : حدثنا وهب بن جريبر ، حدثنا أبي ، قال : سمعت عثمان ابن القاسم قال : لما هاجرت أم أيمن أمست بالمنصرف دون الروحاء وهي صائمة ، فأصابها عطش شديد حتى جهدتها . قال : فدلى عليها دلو من السماء برشاء أبيض فيه ماء قالت : فشربت فما أصابني عطش بعد ، وقد تعرضت العطش بالصوم في الهواجر فما عطشت بعد !

وقال الحافظ أبو يعلى : حدثنا محمد بن أبي بكر الملقم ، حدثنا سالم بن قتيبة ، عن الحسين بن حريث ، عن يعلى بن عطاء ، عن الوليد بن عبد الرحمن ، عن أم أيمن قالت : كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم نخارة يبول فيها ، فكان إذا أصبح يقول : « يا أم أيمن صبي مافي النخارة » فقامت ليلة وأنا عطشى فشربت مافيها ، فقال رسول الله : « يا أم أيمن صبي مافي النخارة » فقالت : يا رسول الله قمت وأنا عطشى فشربت مافيها فقال : « إنك لن تشككي بطنك بعد يومك هذا أبداً » ^(١) .

قال ابن الأثير في الغابة : وروى حجاج بن محمد ، عن [ابن] جريج ، عن حكيمة بنت أميمة ، عن أمها أميمة بنت رقيقة قالت : كان للنبي صلى الله عليه وسلم قدح من عيدان يبول فيه يضعه تحت السرير ، فجاءت امرأة اسمها بركة فشربته ، فطلبه

(١) ننبه إلى أن أمثال هذه الروايات منافية في حقيقتها للمعروف من هدى الرسول وأمره ، ولا يلزم أحدا تصديقها ، ومن ثم فليس لها وزن علمي .

فلم يجده ، فقيل : شربته بركة . فقال : « لقد احتظرت من النار بحِطَار » .
قال الحافظ أبو الحسن بن الأثير : وقيل إن التي شربت بوله عليه السلام إنما هي
بركة الحبشية التي قدمت مع أم حبيبة من الحبشة ، وفرق بينهما . فالله أعلم .
قلت : فأما بُريرة فإنها كانت لآل أبي أحمد بن جحش ، فكاتبوها فاشتريتها
عائشة منهم فأعتقتها ، فثبتَ ولاؤها لها كما ورد الحديث بذلك في الصحيحين ، ولم
يذكرها ابن عساكر .

ومنهن خَضْرَة . ذكرها ابن مَنده فقال : [روى معاوية عن هشام ، عن سفيان ،
عن جعفر بن محمد ، عن أبيه قال ^(١)] : كان للنبي صلى الله عليه وسلم خادم
يقال لها خضرة .

وقال محمد بن سعد عن الواقدي : حدثنا فائد مولى عبيد الله ، عن عبيد الله بن علي بن
أبي رافع ، عن جدته سلمى قالت : كان خَدَم رسول الله : أنا وخَضْرَة ورضوى وميمونة
بنت سعد ، أعتقهن رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهن .
ومنهن خُلَيْسَة مولاة حفصة بنت عمر .

قال ابن الأثير في الغابة : روت حديثها عليكة بنت الكُمَيْت عن جدتها ، عن خليصة
مولاة حفصة ، في قصة حفصة وعائشة مع سودة بنت زَمْعَة ومَزْحَمَا معها بأن الدجال قد
خرج ، فاختبأت في بيت كانوا يوقدون فيه واستضحكتا ، وجاء رسول الله فقال :
« ماشأنكما ؟ » فأخبرتاه بما كان من أمر سودة ، فذهب إليها فقالت : يا رسول الله
أخرج الدجال ؟ فقال : « لا ، وكأن قد خرج » فخرجت وجعلت تنفض عنها
بيض العنكبوت .

وذكر ابن الأثير خليصة مولاة سلمان الفارسي وقال : لها ذِكْرٌ في إسلام سلمان
وإعتاقها إياه ، وتوحيضه عليه السلام لها بأن غرس لها ثلاثمائة فَسِيلَة ، ذكّرتها تمييزاً .

ومنهن خولة خادمة النبي صلى الله عليه وسلم ، كذا قال ابن الأثير .
وقد روى حديثها الحافظ أبو نعيم من طريق حفص بن سعيد القرشي ، عن أمه ، عن
أمها خولة وكانت خادمة النبي صلى الله عليه وسلم ، فذكر حديثا في تأخر الوحي بسبب
جرو كلب مات تحت سريرته عليه السلام ولم يشعروا به ، فلما أخرجه جاء الوحي ، فنزل
قوله تعالى : « والضحى والليل إذا سجى » .

وهذا غريب ، والمشهور في سبب نزولها غير ذلك . والله أعلم .

ومنهن رزينة ، قال ابن عساكر : والصحيح أنها كانت لصفية بنت حيي ، وكانت
تخدم النبي صلى الله عليه وسلم .

قلت : وقد تقدم في ترجمة ابنتها أمة الله أنه عليه السلام أمهر صفية بنت حيي أمها
رزينة ، فملى هذا يكون أصلها له عليه السلام .

وقال الحافظ أبو يعلى : حدثنا أبو سعيد الجشمي ، حدثنا عليكة بنت السكيت ،
فالت سمعت أمي أمينة قالت حدثتني أمة الله بنت رزينة مولاة رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سبي صفية يوم قريظة والنضير حين فتح الله
عليه ، فجاء يقودها سبية ، فلما رأت النساء قالت : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنت رسول
الله . فأرسلها وكان ذراعها في يده ، فأعتقها ثم خطبها وتزوجها وأمهرها رزينة .

هكذا وقع في هذا السياق ، وهو أجود مما سبق من زواية ابن أبي عاصم .
ولكن الحق أنه عليه السلام اصطفى صفية من غنائم خيبر ، وأنه أعتقها وجعل عتقها
صداقها وما وقع في هذه الرواية يوم قريظة والنضير تخييط فإنهما يومان بينهما سفتان .
والله أعلم .

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي في الدلائل : أخبرنا ابن عبدان ، أنبأنا أحمد بن عبيد

الصَّغَار ، حدثنا علي بن الحسن السكري ، حدثنا عبيد الله بن عمر القواريري ، حدثنا
عليكة بنت الكميت العنكية ، عن أمها أمينة ، قالت قلت لأمة الله بنت رزينة مولاة
رسول الله : يا أمة الله أسمعت أمك تذكر أنها سمعت رسول الله يذكر صوم عاشوراء ؟
قالت : نعم كان يعظمه ويدعو برضعائه ورضعاه ابنته فاطمة فيَتَقَلُّ في أفواههم ويقول
لأمهاتهم : « لا ترضعهم إلى الليل » .

له شاهد في الصحيح .

ومنهن رَضْوَى ، قال ابن الأثير : روى سعيد بن بشير ، عن قتادة ، عن رضوى بنت
كعب ، أنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحائض تَخْضِبُ ، فقال
« ما بذلك بأس »

رواه أبو موسى المديني .

ومنهن ربحانة بنت شمعون القرظية ، وقيل النَّضْرِيَّة ، وقد تقدم ذكرها بعد أزواجه
رضي الله عنهن .

ومنهن زَرِينَةُ والصحيح زَرِينَةُ كما تقدم .

ومنهن سائبة مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

روت عنه حديثا في الألفظة ، وعنها طارق بن عبد الرحمن ، روى حديثها أبو موسى

المديني هكذا ذكر ابن الأثير في الغابة .

ومنهن سَدِيسَةُ الأنصارية ، وقيل مولاة حفصة بنت عمر .

روت عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن الشيطان لم يلق عمر منذ أسلم إلا

خَرَّ لوجهه » .

قال ابن الأثير : رواه عبد الرحمن بن الفضل بن الموقَّع ، عن أبيه ، عن إسرائيل ،

عن الأوزاعي عن سالم ، عن سَدِيسَةَ ، ورواه إسحاق بن يسار عن الفضل . فقال عن

سديدة ، عن حفصة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فذكره .
رواه أبو نعيم وابن مندة .

ومنهن سَلَامَة ، حاضنة إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم .
روت عنه حديثاً في فضل الحمل والطلاق والرضاع والسهل ، فيه غرابة ونسكاراة من
جهة إسفاده ومتنه .

رواه أبو نعيم وابن مندة ، من حديث هشام بن عمار بن نصير خطيب دمشق ، عن
أبيه عمرو بن سعيد الخولاني ، عن أنس عنها .
ذكرها ابن الأثير .

ومنهن سَلَمَى ، وهى أم رافع امرأة أبي رافع ، كما رواه الواقدي عنها أنها قالت :
كنت أخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا وخَضْرَة وَرَضْوَى وميمونة بنت سعد
فأعتقنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كلنا .

قال الإمام أحمد : حدثنا أبو عامر وأبو سعيد مولى بنى هاشم ، حدثنا عبد الرحمن
ابن أبي الموالى ، عن فائد مولى ابن أبي رافع ، عن جدته سلمى خادمة النبي صلى الله عليه
وسلم قالت : ما سمعت قط أحداً يشكو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجما في رأسه
إلا قال : « احتجم » وفي رجله إلا قال : « اخضبهما بالحناء » .

وهكذا رواه أبو داود من حديث ابن أبي الموالى ، والترمذى وابن ماجه من حديث
زيد بن الحباب ، كلاهما عن فائد عن مولاة عبيد الله بن على بن أبي رافع ، عن جدته
سلمى به .

وقال الترمذى : غريب إنما نعرفه من حديث فائد .

وقد روت عدة أحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم يطول ذكرها واستقصاؤها .

قال مصعب الزبيري : وقد شهدت سلمى وقعة حنين .

قلت : وقد ورد أنها كانت تطبخ للنبي صلى الله عليه وسلم الحرية فتمجبه .
وقد تأخرت إلى بعد موته عليه السلام ، وشهدت وفاة فاطمة رضى الله عنها ، وقد كانت أولا لصفية بنت عبد المطلب عمته عليه السلام ، ثم صارت لرسول الله صلى الله عليه وسلم . وكانت قابلة أولاد فاطمة وهى التى قبلت إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد شهدت غسل فاطمة وغسلتها مع زوجها على بن أبى طالب وأسماء بنت عميس امرأة الصديق .

وقد قال لإمام : أحمد حدثنا أبو النضر ، حدثنا إبراهيم بن سعد ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبيد الله بن على بن أبى رافع ، عن أبيه ، عن سلمى ، قالت : اشتكت فاطمة عليها السلام شكواها الذى قبضت فيه ، فكنت أمرضها .

فأصبحت يوما كمثل ما يأتينها فى شكواها ذلك . قالت : وخرج على لبعض حاجته فقالت : يا أمه اسكبي لى غسلا . فسكبت لها غسلا فاغتسلت كأحسن ما رأيتها تغتسل ، ثم قالت : يا أمه أعطينى ثيابى الجدد . فلبستها ، ثم قالت : يا أمه قدئى لى فراشى وسط البيت ، ففعلت ، واضطجعت فاستقبلت القبلة وجعلت يدها تحت خدها ثم قالت : يا أمه إنى مقبوضة الآن ، وقد تطهرت فلا بكشفنى أحد . فقُبضت مكانها . قالت : لجاء على فأخبرته .

وهو غريب جداً .

ومنهن شيرين ، ويقال سيرين ، أخت مارية القبطية خالة إبراهيم عليه السلام ، وقدمنا أن المقوقس صاحب اسكندرية واسمه جريج بن مينا أهداها مع غلام اسمه مابور وبغلة يقال لها الدلدل فوهبها رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت ، فولدت له ابنة عبد الرحمن بن حسان .

ومنهن عنقودة أم مَلِيح الحبشية ، جارية عائشة ، كان اسمها عِبة فسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم عنقودة .

رواه أبو نعيم . ويقال اسمها غفيرة .

فروة ظَنِرَ النبي صلى الله عليه وسلم - يعنى مُرَضَّعه .

قالت قال لى رسول الله : « إذا أويت إلى فراشك فاقرئى : قل يا أيها الكافرون فإنها براءة من الشرك » .

ذكرها أبو أحمد العسكري . قاله ابن الأثير فى الغابة .

وأما فضة التَّوْبِيَّة فقد ذكر ابن الأثير فى الغابة أنها كانت مولاة لفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أورد بإسناد مُظْلَم عن محبوب بن مُحيد البصرى ، عن القاسم بن بهرام ، عن ليث ، عن مجاهد ، عن ابن عباس فى قوله تعالى : « وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مَسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا » .

ثم ذكر ما مضمونه : أن الحسن والحسين مرضا فعادها رسول الله صلى الله عليه وسلم وعادها عامة العرب ، فقالوا على : لو نذرت ؟ فقال على : إن برئائما بهما صُمت لله ثلاثة أيام . وقالت فاطمة كذلك ، وقالت فضة كذلك .

فأبسهما الله العافية فصاموا ، وذهب على فاستقرض من شمعون الخيبرى ثلاثة أَصْع من شعير ، فهبأوا منه تلك الليلة صاعا ، فلما وضعوه بين أيديهم للعشاء وقف على الباب سائل فقال : أطعموا المسكين أطعمكم الله على موائد الجنة . فأمرهم على فأعطوه ذلك الطعام وطووا ، فلما كانت الليلة الثانية صنعوا لهم الصاع الآخر فلما وضعوه بين أيديهم وقف سائل فقال : أطعموا اليتيم . فأعطوه ذلك وطووا . فلما كانت الليلة الثالثة قال : أطعموا الأسير . فأعطوه وطووا ثلاثة أيام وثلاث ليال .

فأنزل الله فى حقهم : « هل أتى على الإنسان » إلى قوله « لا نريد منك جزاء ولا شكورا » .

وهذا الحديث مُنْكَرٌ ، ومن الأئمة من يجعله موضوعا ويسند ذلك إلى رِكة ألفاظه ، وأن هذه السورة مكية والحسن والحسين إنما ولدا بالمدينة . والله أعلم .

لبلى مولاة عائشة ، قالت : يا رسول الله إنك تخرج من الخلاء فأدخل في أثرك فلم أر شيئا ، إلا أنى أجدر ریح المسك ؟ فقال : « إنا معشر الأنبياء تَنَبَّت أجسادنا على أرواح أهل الجنة ، فما خرج منا من نتن ابتلعه الأرض » .

رواه أبو نُعيم من حديث أبي عبد الله المدنى - وهو أحد المجاهيل - عنها .
 مارية القبطية أم إبراهيم ، تقدم ذكرها مع أمهات المؤمنين .

وقد فرّق ابن الأثير بينها وبين مارية أم الرّباب ، قال : وهى جارية للنبي صلى الله عليه وسلم أيضا .

حديثها عند أهل البصرة رواه عبد الله بن حبيب ، عن أم سلمى ، عن أمها عن جدتها مارية ، قالت : تطأطأتُ للنبي صلى الله عليه وسلم حتى صعد حائطا لبلة فرّ من المشركين .

ثم قال : ومارية خادم النبي صلى الله عليه وسلم . روى أبو بكر عن ابن عباس ، عن المثني بن صالح ، عن جدته مارية - وكانت خادم النبي صلى الله عليه وسلم - أنها قالت : « امسستُ بيدي شيئا قط ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

قال أبو عمر بن عبد البر في الاستيعاب : لا أدري أهى التى قبلها أم لا .

ومنهن ميمونة بنت سعد ، قال الإمام أحمد : حدثنا علي بن بحر^(١) ، حدثنا عيسى - هو ابن يونس ، حدثنا ثور ، هو ابن يزيد ، عن زياد بن أبي سودة ، عن أخيه ، أن ميمونة مولاة النبي صلى الله عليه وسلم قالت : يا رسول الله أفتتنا في بيت المقدس ؟ .

قال : « أرض المُنْشَر والحَشَر ، انثوه فصلّوا فيه ، فإن صلاةً فيه كَألف صلاة »

(١) المطبوعة : على بن محمد بن محرز . وهو تحريف .

قالت : أرايتَ من لم يُطق أن يتحمّل إليه أو يأتيه ؟ قال : « فليهد إليه زيتا يُسرج فيه ، فإنه من أهدى له كان كمن صلى فيه » .

وهكذا رواه ابن ماجه ، عن إسماعيل بن عبد الله الرقي ، عن عيسى بن يونس ، عن ثور ، عن زياد ، عن أخيه عثمان بن أبي سودة ، عن ميمونة مولاة النبي صلى الله عليه وسلم .

وقد رواه أبو داود ، عن الفضل بن مسكين بن بكير ، عن سعيد بن عبد العزيز ، عن ثور ، عن زياد ، عن ميمونة لم يذكر أخاه ، والله أعلم .

وقال أحمد : حدثنا حسين وأبو نعيم قالا : حدثنا إسرائيل ، عن زيد بن جُبَيْر ، عن أبي يزيد الضبي ، عن ميمونة بنت سعد مولاة النبي صلى الله عليه وسلم قالت : سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن ولد الزنا قال : « لا خير فيه ، نعلان أجاهد بهما في سبيل الله أحبُّ إليّ من أن أعتق ولد الزنا » .

وهكذا رواه النسائي عن عباس الدوري وابن ماجه ، من حديث أبي بكر بن أبي شيبة ، كلاهما عن أبي نعيم الفضل بن دُكَيْن به .

وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا الحاربي ، حدثنا موسى بن عبيدة ، عن أيوب بن خالد ، عن ميمونة - وكانت تخدم النبي صلى الله عليه وسلم - قالت : قال رسول الله : « الرافلة في الزينة في غير أهلها ، كالظلمة يوم القيامة لانور لها » .

ورواه الترمذي من حديث موسى بن عبيدة وقال : لا نعرفه إلا من حديثه . وهو يضعفه في الحديث . وقد رواه بعضهم عنه فلم يرفعه .

ومنهن ميمونة بنت أبي عُنَيْسَة أو عُنَيْسَة ، قاله أبو عمرو بن منده .

قال أبو نعيم : وهو تصحيف ، والصواب ميمونة بنت أبي عَسِيب ، كذلك روى

حديثها المنجم بن مُصْعَب أبو عبد الله العبدي ، عن ربيعة بنت مرثد وكانت تنزل في بني قُرَيْع ، عن مُتَّع ، عن ميمونة بنت أبي عسيب ، وقيل بنت أبي عنبسة مولاة النبي صلى الله عليه وسلم أن امرأة من حُرَيْش أتت النبي صلى الله عليه وسلم فنادت : يا عائشة أغثيني بدعوة من رسول الله تسكِّنيني بها وتطمئنيني بها ، وأنه قال لها : « ضعي يدك اليمنى على فؤادك فامسحيه ، وقلولي : بسم الله اللهم داويني بدوائك ، واشفني بشفائك ، وأغنني بفضلك عن سواك » .

قالت ربيعة : فدعوت به فوجدته جيداً .

ومنهن أم ضُمَيْرَة زوج أبي ضُمَيْرَة . وقد تقدم الكلام عليهم رضي الله عنهم .
ومنهن أم عِيَّاش بعثها رسول الله ﷺ مع ابنته تخدمها حين زوجها عثمان بن عفان قال أبو القاسم البغوي : حدثنا عكرمة ، حدثنا عبد الواحد بن صفوان ، حدثني أبي صفوان ، عن أبيه ، عن جدته أم عِيَّاش - وكانت خادمة النبي صلى الله عليه وسلم - بعث بها مع ابنته إلى عثمان ، قالت : كنت أُمُغْث^(١) لعثمان التمر غدوة فيشربه عشيّة ، وأُنْبِذُه عشيّة فيشربه غدوة ، فسألني ذات يوم فقال : تخلطين فيه شيئاً ؟ فقلت : أجل . قال : فلا تعودى ، فهؤلاء إماءه رضي الله عنهم .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، حدثنا القاسم بن الفضل ، حدثني ثُمَامَة بن حَزَن قال : سألت عائشة عن النبذ فقالت : هذه خادمة رسول الله فسَلَّها ، لجارية حبشية ، فقالت : كنت أنبذ لرسول الله صلى الله عليه وسلم في سقاء عشاء فأوْكِيه ، فإذا أصبح شرب منه . ورواه مسلم والنسائي من حديث القاسم بن الفضل به .

هكذا ذكره أصحاب الأطراف في مسند عائشة ، والأليق ذكره في مسند جارية حبشية كانت تخدم النبي ، وهى إما أن تكون واحدة ممن قدمنا ذكرهن ، أو زائدة عليهن والله أعلم .

(١) الفث : الضرب الخفيف .

فصل

وَأَمَّا خُدَّامُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ الَّذِينَ خَدَمُوهُ مِنَ الصَّحَابَةِ

مِنْ غَيْرِ مَوَالِيهِ فَمِنْهُمْ :

أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ

أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ بْنُ النَّضَرِ بْنِ ضَمْضَمٍ بْنِ زَيْدِ بْنِ حِرَامٍ بْنِ جُنْدَبٍ بْنِ عَاصِمٍ بْنِ غَنَمٍ
ابْنِ عَدَى بْنِ النَّجَّارِ الْأَنْصَارِيِّ النَّجَارِيُّ ، أَبُو حَمْزَةَ الْمَدَنِيُّ نَزِيلُ الْبَصْرَةِ .

خَدِمَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَدَّةَ مَقَامِهِ بِالْمَدِينَةِ عَشَرَ سَفِينٍ ، فَمَا عَاتَبَهُ عَلَى شَيْءٍ
أَبَدًا ، وَلَا قَالَ لَشَيْءٍ فَعَلَهُ : لَمْ فَعَلْتَهُ ؟ وَلَا لَشَيْءٍ لَمْ يَفْعَلْهُ ، إِلَّا فَعَلْتَهُ .

وَأُمُّهُ أُمُّ سُلَيْمٍ بِنْتُ مِلْحَانَ بْنِ خَالِدِ بْنِ زَيْدِ بْنِ حِرَامٍ ، هِيَ الَّتِي أَعْطَتْهُ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقِيلَ ، وَسَأَلْتَهُ أَنْ يَدْعُو لَهُ فَقَالَ : « اللَّهُمَّ أَكْثِرْ مَالَهُ وَوَلَدَهُ ، وَأَطِلْ عَمْرَهُ
وَأَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ » .

قَالَ أَنَسٌ : فَقَدْ رَأَيْتُ اثْنَتَيْنِ وَأَنَا أَنْتَظِرُ الثَّلَاثَةَ ، وَاللَّهُ إِنْ مَالِي لَكَثِيرٌ ، وَإِنْ وَلَدِي
وَوَلَدُ وَلَدِي لِيَتِمَّادُونَ عَلَيَّ نَحْوَ مِنْ مِائَةٍ .

وَفِي رِوَايَةٍ : وَإِنْ كَرَّمَنِي لِيَجْمَلَ فِي السَّنَةِ مَرَّتَيْنِ ، وَإِنْ وَلَدِي لَصُلِّيَ مِائَةً
وَسِتَّةَ أَوْلَادٍ .

وَقَدْ اخْتَلَفَ فِي شَهُودِهِ بَدْرًا ، وَقَدْ رَوَى الْأَنْصَارِيُّ عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ ثُمَامَةَ قَالَ قِيلَ
لَأَنَسٍ : أَشْهَدْتَ بَدْرًا ؟ فَقَالَ : وَأَيْنَ أَغِيبُ عَنْ بَدْرٍ لَا أُمُّ لَكَ !

وَالْمَشْهُورُ أَنَّهُ لَمْ يَشْهَدْ بَدْرًا لَصُغُرِهِ ، وَلَمْ يَشْهَدْ أَحَدًا أَيْضًا لِذَلِكَ ، وَشَهِدَ الْحَدِيثِيَّةَ وَخَيْبَرَ
وَعَمْرَةَ الْقَضَاءِ وَالْفَتْحَ وَحَنْدِئًا وَالطَّائِفَ وَمَا بَعْدَ ذَلِكَ .

قال أبو هريرة : ما رأيت أحداً أشبه صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم من ابن أم سليم - يعنى أنس بن مالك - .

وقال ابن سيرين ، كان أحسن الناس صلاةً في سفره وحضره .

وكانت وفاته بالبصرة ، وهو آخر من كان قد بقي فيها من الصحابة ، فيما قاله علي بن المدبني ، وذلك في سنة تسعين ، وقيل إحدى وقيل : ثنتين ، وقيل ثلاث وتسعين ، وهو الأشهر ، وعليه الأكثر .

وأما عمره يوم مات فقد روى الإمام أحمد في مسنده : حدثنا معتمر بن سليمان ، عن حميد ، أن أنساً عمر مائة سنة غير سنة .

وأقل ما قيل : ست وتسعون ، وأكثر ما قيل مائة وسبع سنين ، وقيل ست ، وقيل مائة وثلاث سنين . فالله أعلم .

ومنهم رضى الله عنهم الأسلع بن شريك بن عوف الأعرجي .

قال محمد بن سعد : كان اسمه ميمون بن سنباذ . قال الربيع بن بدر الأعرجي ، عن أبيه عن جده عن الأسلع قال : كنت أخدم النبي صلى الله عليه وسلم وأرحل معه ، فقال ذات ليلة : « يا أسلع قم فارحل » قال : أصابني جنابة يا رسول الله . قال : فسكت ساعة وأتاه جبريل بأية الصعيد ، [فقال : قم يا أسلع فتيّم] قال : فتمسّحتُ وصليت ، فلما انتهيت إلى الماء قال : « يا أسلع قم فاغتسل » قال : فأراني التيمم فضرب رسول الله يديه إلى الأرض ثم نفّضهما ، ثم مسح بهما وجهه ، ثم ضرب بيديه الأرض ثم نفّضهما فمسح بهما ذراعيه ، باليمنى على اليسرى ، وباليسرى على اليمنى ، ظاهرهما وباطنهما .

قال الربيع : وأراني أبي ، كما أراه أبوه ، كما أراه الأسلع ، كما أراه رسول الله . قال الربيع فحدثت بهذا الحديث عوف بن أبي جميلة فقال : هكذا والله رأيت

الحسن يصنع .

رواه ابن مقفاه والبغوى فى كتابيهما مُعْجَم الصحابة من حديث الربيع بن بدر هذا، قال البغوى : ولا أعلمه روى غيره .

قال ابن عساکر : وقد روى - يعنى هذا الحديث - الهيثم بن رزّيق المالکى المدّلىجى ، عن أبيه ، عن الأسلمع بن شريك .

ومنه رضى الله عنهم أسماء بن حارثة بن سعد بن عبد الله بن عباد بن سعد بن عمرو بن عامر بن ثعلبة بن مالک بن أقصى الأسلمى .
وكان من أهل الصُّفة ؛ قاله محمد بن سعد .

وهو أخو هند بن حارثة ، وكانا يخدمان النبى صلى الله عليه وسلم .

قال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا وهيب ، حدثنا عبد الرحمن بن حَرَمَلَة عن يحيى بن هند بن حارثة ، وكان هند من أصحاب الحديبية ، وكان أخوه الذى بعثه رسول الله يأمر قومه بالصيام يوم عاشوراء ، وهو أسماء بن حارثة .

فحدثنى يحيى بن هند عن أسماء بن حارثة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه فقال : « مُرْ قَوْمَكَ بِصِيَامِ هَذَا الْيَوْمِ » . قال : أَرَأَيْتَ إِنْ وَجَدْتَهُمْ قَدْ طَعِمُوا ؟ قال : « فليتموا آخرَ يومهم » .

وقد رواه أحمد بن خالد الذهبى ، عن محمد بن إسحاق ، حدثنى عبد الله بن أبى بكر ، عن حبيب بن هندن أسماء الأسلمى ، عن أبيه هند قال : بعثنى رسول الله إلى قوم من أسلم فقال : « مُرْ قَوْمَكَ فَلْيَصُومُوا هَذَا الْيَوْمَ ، وَمَنْ وَجَدَتْ مِنْهُمْ أَكَلَ فِي أَوَّلِ يَوْمِهِ فَلْيَصُمْ آخِرَهُ » .

قال محمد بن سعد عن الواقدى : أنبأنا محمد بن نعيم بن عبد الله الحمّمر ، عن أبيه ، قل : سمعت أبا هريرة يقول : ما كنت أظن أن هنداً وأسماء ابنى حارثة إلا مملوكين لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال الواقدي : كانا يخدمانه لا يبرحان بابه ، هما وأنس بن مالك .

قال محمد بن سعد : وقد توفي أسماء بن حارثة في سنة ست وستين بالبصرة عن ثمانين سنة .

ومنهم بُكَيْر بن الشَّدَاخ اللَّيْثِي .

ذكر ابن منده من طريق أبي بكر الهذلي ، عن عبد الملك بن يعلى الليثي ، أن بُكَيْر بن شَدَاخ اللَّيْثِي كان يخدم النبي صلى الله عليه وسلم . فاحتمل فأعلم بذلك رسول الله وقال : إني كنت أدخل على أهلك . وقد احتملت الآن يارسول الله ، فقال : « اللهم صدّق قوله ، ولقّه الظَّفر » .

فلما كان في زمان عمر قُتِل رجل من اليهود ، فقام عمر خطيباً فقال : أنشد الله رجلاً عنده من ذلك علم ؟ فقام بكير فقال : أنا قتلته يا أمير المؤمنين . فقال عمر : بُوتَ بدمه فأين المخرَج ؟

فقال : يا أمير المؤمنين إن رجلاً من الغزاة استخلفني على أهله ، فجئت فإذا هذا اليهودي عند امرأته وهو يقول :

وأشعثَ غرَّه الإسلامُ مني خلوتُ بعرسه ليلَ التَّمامِ
أبيتُ على ترائبها ويُنمسي على جُردِ الأعنة والحزامِ ^(١)
كأنَّ مجامعَ الرِّبَلاتِ منها فِتْنَامُ يَنْهَضُونَ إلى فِتْنَامِ ^(٢)

قال : فصدّقَ عمرُ قوله وطُلَّ دمَ اليهوديَ بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم لبُكَيْر بما تقدم .

* * *

(١) الترائب : عظام الصدر . والأعنة : جمع عنان وهو سير اللجام الذي تمسك به الدابة . والجرد : الفجرة .
(٢) الربلات : جمع ريلة وهي باطن الفخذ ، أو كل لجة غليظة . والفتنام : الجماعة من الناس .

ومنهم رضى الله عنهم بلال بن رباح الحبشى .

ولد بمكة وكان مولى لأمية بن خلف ، فاشتراه أبو بكر منه بمال جزيل ، لأن أمية كان يعذبه عذاباً شديداً ليرتد عن الإسلام فيأبى إلا الإسلام رضى الله عنه ، فلما اشتراه أبو بكر أعتقه ابتغاء وجه الله .

وهاجر حين هاجر الناس ، وشهد بدرًا وأحُدًا وما بعدها من المشاهد رضى الله عنه .

وكان يُعرف ببلال بن حمّامة وهى أمه .

وكان من أفصح الناس ، لا كما يعتقد بعض الناس أن سيفه كانت شيفاً ، حتى أن بعض الناس يروى حديثاً فى ذلك لا أصل له عن رسول الله أنه قال : إن سين بلال شين . وهو أحد المؤذنين الأربعة كما سيأتى ، وهو أول من أذن كما قدمنا . وكان بلى أمر النفقة على العيال ، ومعه حاصل ما يكون من المال .

ولما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فيمن خرج إلى الشام للفزوة ، ويقال : إنه أقام يؤذن لأبى بكر أيام خلافته ، والأول أصح وأشهر .

قال الواقدى : مات بدمشق سنة عشرين وله بضع وستون سنة .

وقال الفلاس : قبره بدمشق ، ويقال بداريًا ^(١) ، وقيل إنه مات بحلب ، والصحيح أن الذى مات بحلب أخوه خالد .

قال مكحول : حدثنى من رأى بلالاً قال : كان شديد الأذمة نحيفاً أجناً ^(٢) له شعر كثير ، وكان لا يغيّر شيبه رضى الله عنه .

(١) داريا : قرية كبيرة من قرى دمشق بالغوطة ، المراد .

(٢) الأجناً : من أشرف كاهله على صدره .

ومنهم رضى الله عنهم حَبَّةٌ وَسَوَاءُ ابْنَا خَالِدٍ رضى الله عنهما .

قال الإمام أحمد : حدثنا أبو معاوية ، قال حدثنا وكيع ، حدثنا الأعمش ، عن سلام ابن سُرحبيل ، عن حَبَّةٍ وَسَوَاءٍ ابْنَا خَالِدٍ قَالَا : دخلنا على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يُصلح شيئاً فأعنَّاه ، فقال : « لَا تَيْئَسَا مِنَ الرِّزْقِ مَا تَهْزُهْزَتِ رُؤُسُكُمَا ، فَإِنَّ الْإِنْسَانَ تَلِدُهُ أُمُّهُ أَحْمِرٌ لَيْسَ عَلَيْهِ قَشْرَةٌ ، ثُمَّ يَرْزُقُهُ اللَّهُ عِزَّ وَجَلَّ » .

ومنهم رضى الله عنهم ذُو مِخْمَرٍ ، ويقال ذُو مِخْبَرٍ ، وهو ابن أخى النجاشي ملك الحبشة ، ويقال ابن أخته . والصحيح الأول . كان بعثه ليخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم نيابة عنه .

قال الإمام أحمد : حدثنا أبو النضر ، حدثنا جرير ، عن يزيد بن صالح ، عن ذِي مِخْمَرٍ - وكان رجلاً من الحبشة يخدم النبي صلى الله عليه وسلم - قال : كنا معه في سفر فأسرع السير حتى انصرف ، وكان يفعل ذلك لقلة الزاد . فقال له قائل : يا رسول الله قد انقطع الناس ، قال : فحبس وحبس الناس معه حتى تكاملوا إليه ، فقال لهم : « هَلْ لَكُمْ أَنْ نَهْجَعَ هِجْعَةً ؟ » [أَوْ قَالَ لَهُ قَائِلٌ] ^(١) فَرُلْ وَنَزَلُوا ، فقالوا : مَنْ يَكْمَلُونَا اللَّيْلَةَ ؟ فقلت : أَنَا جَمَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ : فَأَعْطَانِي خِطَامَ نَاقَتِهِ فَقَالَ : « هَاكَ لَا تَسْكُونَنَّ لَكُمَا » .

قال : فَأَخَذْتُ بِخِطَامِ نَاقَةِ رَسُولِ اللَّهِ وَخِطَامِ نَاقَتِي ، فَتَنَحَّيْتُ غَيْرَ بَعِيدٍ نَحَلَّيْتُ سَبِيلَهُمَا تَرَعِيَانِ ، فَإِنِّي كَذَلِكَ أَنْظَرُ إِلَيْهِمَا إِذَا أَخَذَنِي النَّوْمُ ، فَلَمْ أَشْعُرْ بِشَيْءٍ حَتَّى وَجَدْتُ حَرَّ الشَّمْسِ عَلَى وَجْهِهِ ، فَاسْتَيْقَظْتُ فَنَظَرْتُ يَمِينًا وَشِمَالًا فَإِذَا أَنَا بِالرَّاحَتَيْنِ مَنَى غَيْرَ بَعِيدٍ ، فَأَخَذْتُ بِخِطَامِ نَاقَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبِخِطَامِ نَاقَتِي ، فَأَتَيْتُ أَدْنَى الْقَوْمِ فَأَيَقَظْتُهُ فَقُلْتُ : أَصَلَّيْتَ ؟ قَالَ : لَا .

فَأَيَقَظُ النَّاسُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا حَتَّى اسْتَيْقَظَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ :

« يا بلال هل في الميضة ماء » يعنى الإداوة ، فقال : نعم جعلنى الله فداك ، فأتاه بوضوء لم يلبث ^(١) منه التراب ، فأمر بلالا فأذن ، ثم قام النبي صلى الله عليه وسلم فصلى الركعتين قبل الصبح وهو غير عجل ، ثم أمره فأقام الصلاة فصلى وهو غير عجل ، فقال له قائل : يا رسول الله أفرطنا ؟ قال : « لا ، قبض الله أرواحنا وردها إلينا ، وقد صلينا » .

ومنهم رضى الله عنهم ربيعة بن كعب الأسلمى أبو فراس . قال الأوزاعى : حدثنى يحيى بن أبى كثير ، عن أبى سلمة ، عن ربيعة بن كعب ، قال : كنت أبيت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتته بوضوءه وحاجته ، فكان يقوم من الليل فيقول : « سبحان ربي وبحمده » الهوى ^(٢) « سبحان رب العالمين » . الهوى . فقال رسول الله : « هل لك حاجة ؟ » قلت : يا رسول الله مرافقتك فى الجنة ، قال : « فأعنى على نفسك بكثرة السجود » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا أبى ، حدثنا محمد بن إسحاق ، حدثنى محمد بن عمرو بن عطاء ، عن نعيم بن محمد ، عن ربيعة بن كعب قال : كنت أخدم رسول الله نهارى أجمع ، حتى يصلى عشاء الآخرة ، فأجلس ببابه إذا دخل بيته أقول : لعلمها أن نتحدث لرسول الله حاجة . فما أزال أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « سبحان الله وبحمده » حتى أمّل فأرجع ، أو تغلبنى عيناي فأرقد .

فقال لى يوما - لما يرى من حقى له وخدمتى إياه - : « يا ربيعة بن كعب سئفى أعطك » قال : فقلت : أنظر فى أمرى يا رسول الله ثم أعلمك ذلك .

قال : ففكرت فى نفسى فعرفت أن الدنيا منقطعة وزائلة ، وأن لى فيها رزقا

سيكفيني ويأتيني ، قال : فقلت : أسأل رسول الله لآخرتي فإنه من الله بالمنزل الذي هو به .

قال : فخبته فقال : « ما فعلت ياربعة ؟ » قال : فقلت : نعم يا رسول الله أسألك أن تشفع لي إلى ربك فيعتقني من النار . قال : فقال : « من أمرك بهذا يا ربعة ؟ » قال فقلت : لا والذي بعثك بالحق ما أمرني به أحد ، ولكفك لما قلت : سلمني أعطك وكنت من الله بالمنزل الذي أنت به ، نظرت في أمري فعرفت أن الدنيا منقطعة وزائلة ، وأن لي فيها رزقا سيأتيني ، فقلت : أسأل رسول الله لآخرتي .

قال : فصمت رسول الله صلى الله عليه وسلم طويلا ثم قال لي : « إني فاعل ، فأعني على نفسك بكثرة السجود » .

وقال الحافظ أبو يعلى : حدثنا أبو خيثمة ، أنبأنا يزيد بن هارون ، حدثنا مبارك بن فضالة ، حدثنا أبو عمران الجوني ، عن ربعة الأسلمي - وكان يخدم النبي صلى الله عليه وسلم - قال فقال لي ذات يوم : « ياربعة ألا تزوج ؟ » قال قلت : يا رسول الله ما أحب أن يشغلني عن خدمتك شيء وما عندي ما أعطى المرأة .

قال : فقلت بعد ذلك : رسول الله أعلم بما عندي مني يدعوني إلى التزويج ، لئن دعاني هذه المرة لأجيبنه . قال : فقال لي : « ياربعة ألا تزوج ؟ » فقلت : يا رسول الله ومن يزوجني ، ما عندي ما أعطى المرأة . فقال لي : انطلق إلى بني فلان فقل لهم إن رسول الله يأمركم أن تزوجوني فئاتكم فلانة .

قال : فأتيتهم فقلت : إن رسول الله أرسلني إليكم لتزوجوني فئاتكم فلانة . قالوا : فلانة ؟ قال : نعم . قالوا : مرحباً برسول الله ومرحباً برسوله . فزوّجوني .

فأتيت رسول الله فقلت : يا رسول الله أتيتك من خير أهل بيت صدّقوني وزوجوني فن أين لي ما أعطى صداقي ؟ فقال رسول الله لبريدة الأسلمي : « اجمعوا الربعة في صداقه

فى وزن نواة من ذهب . فجمعوها فأعطونى فأتيتمهم فقبلوها ، فأتييت رسول الله فقلت : يا رسول الله قد قبلوا ، فمن أين لى ما أؤلم ؟ قال : فقال رسول الله لبريدة : « اجمعوا الربيعة فى ثمن كبش » قال : فجمعوا وقال لى : « انطلق إلى عائشة فقل لها فلتدفع إليك ما عندها من الشعير » قال : فأتيتهما فدفعت إلى ، فانطلقت بالكبش والشعير فقالوا : أما الشعير فنحن نكفيك ، وأما الكبش فمر أصحابك فليذبحوه . وعملوا الشعير ، فأصبح والله عندنا خبز ولحم .

ثم إن رسول الله أقطع أبا بكر أرضاً فاختلفنا فى عذق ، فقلت : هو فى أرضى . وقال أبو بكر : هو فى أرضى . فتنازعنا فقال لى أبو بكر كلمة كرهتها ، فندم فأحضرنى فقال لى : قل لى كما قلت . قال : فقلت : لا والله لا أقول لك كما قلت لى . قال : إذا آتى رسول الله .

قال : فأنى رسول الله وتبعته ، فجاءنى قومى يتبعوننى فقالوا : هو الذى قال لك وهو يأتى رسول الله فيشكو ! قال : فالتفت إليهم فقلت : تدرون من هذا ؟ هذا الصديق وذو شئبة المسلمين ، ارجعوا لا يلتفت فىراكم فيظن أنكم إنما جئتم لتعينونى عليه فيغضب فيأتى رسول الله فيخبره فيهلك ربيعة !

قل : فأنى رسول الله فقال : إنى قلت لربيعة كلمة كرهتها ، فقلت له يقول لى مثل ما قلت له فأبى .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا ربيعة ومالك وللصديق ؟ » قال : فقلت : يا رسول الله والله لا أقول له كما قال لى . فقال رسول الله : « لا تقل له كما قال لك ، ولكن قل : غفر الله لك يا أبا بكر . »

ومنهم رضى الله عنهم سعد مولى أبى بكر رضى الله عنه ، ويقال مولى النبي صلى الله عليه وسلم .

قال أبو داود الطيالسي : حدثنا أبو عامر ، عن الحسن ، عن سعد مولى أبي بكر الصديق ، أن رسول الله قال لأبي بكر - وكان سعد مملوكاً لأبي بكر ، وكان رسول الله يعجبه خدمته - : « أعتق سعداً » فقال : يا رسول الله مالنا خادم هاهنا غيره ، فيقال : « أعتق سعداً أتتكَ الرجالُ أتتكَ الرجال » .

وهكذا رواه أحمد عن أبي داود الطيالسي .

وقال أبو داود الطيالسي : حدثنا أبو عامر ، عن الحسن ، عن سعد قال : قرَّبت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم تمرًا ، فجعلوا يقرِّنون ، فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القرآن^(١) .

ورواه ابن ماجه عن بندار عن أبي داود به .

ومنههم رضى الله عنهم عبدالله بن رواحة . دخل يوم عمرة القضاء مكة وهو يقود بناتة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول :

خَلُّوا بَنِي الْكَفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ الْيَوْمَ نَضْرِبُكُمْ عَلَى تَأْوِيلِهِ
كَمَا ضَرَبْنَاكُمْ عَلَى تَنْزِيلِهِ ضَرْبًا يُزِيلُ الْهَامَ عَنْ مَقِيلِهِ
* وَيُذْهِلُ الْخَلِيلَ عَنْ خَلِيلِهِ *

كما قدمنا ذلك بطوله .

وقد قتل عبدالله بن رواحة بعد هذا بأشهر في يوم مؤتة كما تقدم أيضا .

ومنههم رضى الله عنهم عبدالله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن شَمِخْ أبو عبد

الرحمن الهذلي .

أحد أئمة الصحابة ، هاجر الهجرتين وشهد بدرًا وما بعدها ، كان بلي حبل نعل

النبي صلى الله عليه وسلم ، وبلى طُهوره ، ويرحّل دابته إذا أراد الركوب .

وكانت له اليد الطولى في تفسير كلام الله ، وله العلم الجم والفضل والحلم ، وفي الحديث

(١) القرآن في التمر : الجمع بين تمرتين في الأكل .

أن رسول الله قال لأصحابه - وقد جعلوا يعجبون من دقة ساقيه - فقال: « والذي نفسى بيده لهما فى الميزان أثقل من أحد » .

وقال عمر بن الخطاب فى ابن مسعود : هو كغيف ملى علما . وذكروا أنه [كان] نحيف الخلق حسن الخلق ، يقال إنه كان إذا مشى يسأمت الجلوس ، وكان يشبه بالنبي صلى الله عليه وسلم فى هديه ودلّه وسنمته .

يعنى أنه يشبه بالنبي صلى الله عليه وسلم فى حركاته وسكناته وكلامه ويتشبه بما استطاع من عبادته .

توفى رضى الله عنه فى أيام عثمان سنة اثنتين - أو ثلاث - وثلاثين بالمدينة ، عن ثلاث وستين سنة ، وقيل إنه توفى بالكوفة والأول أصح .
ومنهم رضى الله عنهم عقبه بن عامر الجهنى .

قال الإمام أحمد : حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثنا ابن جابر ، عن القاسم أبى عبد الرحمن ، عن عقبه بن عامر ، قال : بينما أقود برسول الله صلى الله عليه وسلم فى نخب ^(١) من تلك الذقائب ، إذ قال لى : « يا عقبه ألا تركب ؟ » قال : فأشفقت أن تكون معصية . قال : فنزل رسول الله وركبت هنيئة ، ثم ركب ثم قال : « يا عقبه ألا أعلمك سورتين من خير سورتين قرأ بهما الناس ؟ » قلت : بلى يا رسول الله . فأقرأنى : قل أعوذ برب الفلق ، وقل أعوذ برب الناس .

ثم أقيت الصلاة فتقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ بهما . ثم مررت فقلت : « اقرأ بهما كلما نمت وكلما قمت » .

وهكذا رواه النسائى من حديث الوليد بن مسلم وعبد الله بن المبارك ، عن ابن جابر ، ورواه أبو داود والنسائى أيضا من حديث ابن وهب ، عن معاوية بن صالح ، عن العلاء

ابن الحارث ، عن القاسم أبي عبد الرحمن عن عقبة به .
ومنهم رضى الله عنهم قيس بن سعد بن عبادة الأنصارى الخزرجى .
روى البخارى عن أنس قال : كان قيس بن سعد بن عبادة من النبي صلى الله عليه
وسلم بمنزلة صاحب الشرط من الأمير .
وقد كان قيس هذا رضى الله عنه من أطول الرجال ، وكان كَوْسَجًا ^(١) ويقال
إن سراويله كان يضمه على أنفه من يكون من أطول الرجال فتصل رجلاه الأرض .
وقد بعث سراويله معاوية إلى ملك الروم يقول له : هل عندكم رجل تجيء هذه
السراويل على طوله ؟ فمَجَّب صاحب الروم من ذلك .
وذكروا أنه كان كريماً مُدَّحاً ذا رأى ودَهاء ، وكان مع على بن أبى طالب
أيام صفين .
وقال مسعر عن مَعْبَد بن خالد : كان قيس بن سعد لا يزال رافعاً إصبعه المسبَّحة
يدعو رضى الله عنه وأرضاه .

وقال الواقدى وخليفة بن خياط وغيرهما : توفى بالمدينة فى آخر أيام معاوية .
وقال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا عمر بن الخطاب السَّجِسْتَانِي ، حدثنا على بن
يزيد الحنفى ، حدثنا سعيد بن الصَّلْت ، عن الأعشى ، عن أبى سفيان ، عن أنس قال : كان
عشرون شاباً من الأنصار يلزمون رسول الله صلى الله عليه وسلم لحوائجه ، فإذا أراد
أمراً بعثهم فيه .

ومنهم رضى الله عنهم المغيرة بن شعبه الثقفى رضى الله عنه . كان بمنزلة السَّاحِدَار ^(٢)
بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما كان رافعاً السيف فى يده وهو واقف على

(٢) السَّاحِدَار : صاحب السلاح . أجمية .

(١) الكَوْسَج : الناقص الأسنان .

رأس النبي صلى الله عليه وسلم في الخيمة يوم الحديبية ، فجعل كلما هوى عنه عروة بن مسعود الثقفي حين قدم في الرّسيلة إلى لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم - على ماجرت به عادة العرب في مخاطباتها - يقرع يده بقائمة السيف ويقول : آخر يدك عن لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ألا تصل إليك . الحديث كما قدمنا .

قال محمد بن سعد وغيره : شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وولاه مع أبي سفيان الإمرة حين ذهباً فخرّباً طاغوت أهل الطائف ، وهي المدعوة بالرّبة ، وهي اللات .

وكان داهية من دُهاة العرب . قال الشعبي : سمعته يقول : ما غلبني أحد قط . وقال الشعبي : سمعت قبيصة بن جابر يقول : صحبت المغيرة بن شعبة ، فلو أن مدينة لها ثمانية أبواب لا يخرج من باب منها إلا بمكر لخرج من أبوابها .

وقال الشعبي : القضاء أربعة : أبو بكر وعمر وابن مسعود وأبو موسى ، والدهاة أربعة : معاوية وعمر بن العاص والمغيرة وزيد .

وقال الزُّهري : الدُّهاة خمسة ؛ معاوية وعمر والمغيرة ، واثنان مع عليّ وهما قيس ابن سعد بن عبادّة وعبد الله بن بديل^(١) بن ورقاء .

وقال الإمام مالك : كان للمغيرة بن شعبة رجلاً نكاحاً للنساء ، وكان يقول : صاحب الواحدة إن حاضت حاض معها ، وإن مرضت مرض معها ، وصاحب الثّنتين بين نارين يشتعلان .

قال : فكان ينسكح أربعاً ويطلقهن جميعاً ! وقال غيره : تزوج ثمانين امرأة ، وقيل ثلاثمائة امرأة ، وقيل : أحصن ألف امرأة . وقد اختلف في وفاته على أقوال أشهرها وأصحّها وهو الذي حكى عليه الخطيب البغدادي الإجماع : أنه توفي سنة خمسين .

(١) : ١ . وبديل بن ورقاء .

ومنه رضى الله عنهم المقداد بن الأسود أبو معبد الكندي ، حليف بني زهرة .
قال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن عبد الرحمن
ابن أبي لبلى ، عن المقداد بن الأسود قال : قدمت المدينة أنا وصاحبان ، فتعرّضنا للناس
فلم يصفنا أحد ، فأتينا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فذكرنا له ، فذهب بنا إلى منزله
وعنده أربعة أعنز ، فقال : « احلبهن يامقداد ، وجزّهن أربعة أجزاء ، وأعط كل
إنسان جزءاً » ففعلت ذلك .

فرفعت للنبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة ، فاحتبس ، واضطجعت على فراشي
فقال لى نفسى : إن النبي صلى الله عليه وسلم قد أتى أهل بيت من الأنصار ، فلو قت
فشربت هذه الشربة . فلم تزل بى حتى قت فشربت جزءاً ، فلما دخل فى بطنى وتقرّأ
أخذنى ما قدم وما حدث ، فقلت : يحنى الآن النبي صلى الله عليه وسلم جائعاً ظمأنا فلا
يرى فى القرح شيئاً ، فسجّيت ثوباً على وجهى .

وجاء النبي صلى الله عليه وسلم فسلم تسليمةً تُسمع اليعقظان ولا توقظ الناس ، فكشف
عنه فلم ير شيئاً ، فرفع رأسه إلى السماء فقال : « اللهم اسق من سقانى ، وأطعم
من أطعنى » .

فاغتيمت دعوته وقت فأخذت الشفرة فدنوت إلى الأعنز فجعلت أجسهن أيهن
أُتمن لأذبحها ، فوقعت يدى على ضرع إحداهن فإذا هى حافل ، ونظرت إلى الأخرى
فإذا هى حافل ، فنظرت فإذا هن كلهن حُفل ، فحلبت فى إناء فأتيته به فقلت : اشرب .
فقال : « ما الخبر يامقداد ؟ » فقلت : اشرب ثم الخبر . فقال : « بعض سواتك يامقداد »
فشرب ثم قال : « اشرب » فقلت : اشرب يابى الله ، فشرب حتى تضلّع ثم أخذته
فشربته ، ثم أخبرته الخبر فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « هيه » فقلت : كان كذا
وكذا ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « هذه بركة مُنزلة من السماء أفلا أخبرتنى

حتى أسقى صاحبك ؟ » فقلت : إذا شربتُ البركة أنا وأنت فلا أبالي من أخطأت .
وقد رَوَاهُ الإمام أحمد أيضا عن أبي النضر ، عن سليمان بن المغيرة ، عن ثابت ، عن
عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن المقداد . فذكر ماتقدم ، وفيه أنه حلب في الإناء الذي
كانوا لا يطمعون أن يملأوا فيه ، فخاب حتى علته الرغوة . ولما جاء به قال له رسول الله :
« أما شربتم شرابكم الليلة يا مقداد ؟ » فقلت : اشرب يا رسول الله ، فشرب ثم ناولني
فقلت : اشرب يا رسول الله ، فشرب ثم ناولني فأخذت ما بقى ثم شربت .

فلما عرفت أن رسول الله قد رَوَى فأصابته دعوته ضحكت حتى ألقيت إلى الأرض ،
فقال رسول الله : « إحدى سَوَاتِك يا مقداد ! » .

فقلت : يا رسول الله كان من أمرى كذا ، صنعت كذا . فقال : « ما كانت هذه
إلا رحمة الله ، ألا كُنت آذنتني توقظ صاحبك هذين فيصيبان منها » قال : قلت : والذي
بعتك بالحق ما أبالي إذا أصبتها وأصبتها معك من أصابها من الناس .

وقد رَوَاهُ مسلم والترمذي والنسائي من حديث سليمان بن المغيرة به .

ومنها رَضِيَ الله عنهم مهاجر مولى أم سلمة .

قال الطبراني : حدثنا أبو الزُّنْبَاع رَوْح بن الفرج ، حدثنا يحيى بن عبد الله بن
بُكَيْر ، حدثني إبراهيم بن عبد الله ، سمعت بكيرا يقول : سمعت مهاجراً مولى أم سلمة
قال : خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم سنين فلم يقل لى لشيء صنعتُه لم صنعتَه ،
ولا لشيء تركته لم تركته .

وفي رواية : خدمته عشر سنين أو خمس سنة .

ومنها رَضِيَ الله عنهم أبو السَّمْح . قال أبو العباس محمد بن إسحاق الثقفى : حدثنا
مجاهد بن موسى ، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، حدثنا يحيى بن الوليد ، حدثني مُحَلَّ
ابن خليفة ، حدثني أبو السَّمْح ، قال : كُنت أخدم رسول الله . قال كان إذا أراد أن

يُغْتَسَلُ قَالَ : نَاولني إِداوتِي ، قَالَ : فَأَناولُه وأَسْتُرُه ، فَأُتِيَ بِحَسَنٍ أَوْ حُسَيْنٍ فَبَالَ عَلَى صَدْرِهِ ، فَجِئْتُ لِأَغْسِلَهُ فَقَالَ : « يُغْسَلُ مِنْ بَوْلِ الْجَارِيَةِ ، وَيُرْشُ مِنْ بَوْلِ الْغَلَامِ » .

وهكذا رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه عن مجاهد بن موسى .
ومنهم رضى الله عنهم أفضل الصحابة على الإطلاق أبو بكر الصديق رضى الله عنه
تولّى خدمته بنفسه فى سَفَرَةِ الهَجْرَةِ ، لاسيما فى الغار وبعد خروجهم منه حتى وصلوا إلى المدينة . كما تقدم ذلك مبسوطا والله الحمد والمنة .

فصل

وأما كتاب الوحي وغيره بين يديه صلوات الله وسلامه عليه

ورضى عنهم أجمعين

فمنهم الخلفاء الأربعة ؛ أبو بكر وعمر وعثمان وعلي بن أبي طالب رضى الله عنهم
ومنهم رضى الله عنهم أبان بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد
مناف بن قصي الأموي .

أسلم بعد أخويه خالد وعمرو ، وكان إسلامه بعد الحديبية ، لأنه هو الذى أجار عثمان
حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهل مكة يوم الحديبية ، وقيل خير ، لأن له
ذِكْرٌ فى الصحيح من حديث أبي هريرة فى قصة غنائم خيبر .

وكان سبب إسلامه أنه اجتمع براهب وهو فى تجارة بالشام فذكر له أمر رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال له الراهب : ما اسمه ؟ قال : محمد . قال : فأنا أنعمته لك ، فوصفه
بصفته سواء وقال : إذا رجعت إلى أهلك فأقرئه السلام .

فأسلم بعد مرجعه وهو أخو عمرو بن سعيد الأشدق الذى قتله عبد الملك
ابن مروان .

قال أبو بكر بن أبي شيبة : كان أول من كتب الوحي بين يدى رسول الله صلى
الله عليه وسلم أبي بن كعب ، فإذا لم يحضر كتب زيد بن ثابت ، وكتب له عثمان وخالد
ابن سعيد وأبان بن سعيد .

هكذا قال . يعنى بالمدينة ، وإلا فالشور المسكية لم يكن أبي بن كعب حال نزولها ،
وقد كتبها الصحابة بمكة رضى الله عنهم .

وقد اختلف في وفاة أبان بن سعيد هذا ، فقال موسى بن عقبة ومُصعب بن الزبير والزبير ابن بَكَّار وأكثر أهل النَّسَب : قُتِلَ يوم أَجْنَادِينَ ، يعني في جمادى الأولى سنة ثفتي عشرة .

قال آخرون : قتل يوم مَرَج الصُّفَر سنة أربع عشرة .

وقال محمد بن إسحاق : قُتِلَ هو وأخوه عمرو يوم اليرموك ، خمس ماضين من رجب سنة خمس عشرة . وقيل إنه تأخر إلى أيام عثمان ، وإنه أمره عثمان أن يملئ المصحف الإمامَ على زيد بن ثابت ، ثم توفي سنة تسع وعشرين فالله أعلم .
ومنهام أبي بن كعب بن قيس بن عبيد الخزرجي الأنصاري . أبو المنذر ، ويقال أبو الطَّفِيل . سيد القراء شهد العقبة الثانية وبردراً وما بعدها . وكان رُبْعاً نحيفاً أبيض الرأس واللحية لا يغيرُ شيبه .

قال أنس : جمع القرآن أربعة - يعني من الأنصار - أبي بن كعب ، ومُعاذ بن جبل ، وزيد بن ثابت ، ورجل من الأنصار يقال له أبو يزيد .
أخرجاه .

وفي الصحيحين عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي : « إن الله أمرني أن أقرأ عليك القرآن » .

قال : وسأني لك يا رسول الله ؟ قال : « نعم » قال فذرفت عيناه .
ومعنى أن أقرأ عليك القرآن قراءة إبلاغ وإسماع لا قراءة تعلم منه ، هذا لا يفهمه أحد من أهل العلم ، وإنما نهبنا على هذا لثلاث يُعتقد خلافه .

وقد ذكرنا في موضع آخر سبب القراءة عليه وأنه قرأ عليه سورة : « لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة رسولٌ من الله يتلو صحفاً مطهرة فيها كتب قيمة » .

وذلك أن أبي بن كعب كان قد أنكر على رجل قراءة سورة على خلاف ما كان يقرأ أبي ، فرفعه أبي إلى رسول الله فقال : « اقرأ يا أبي » فقرأ فقال : « هكذا أنزلت » ثم قال لذلك الرجل « اقرأ » فقرأ فقال : « هكذا أنزلت » .

قال أبي : فأخذني من الشك ولا إذ كنت في الجاهلية ، قال : ف ضرب رسول الله في صدري ففُضْتُ عرقا وكأنا أنظر إلى الله فرقا ، فبعد ذلك تلا عليه رسول الله هذه السورة كالتثنية له والبيان له أن هذا القرآن حق وصدق ، وإنه أنزل على أحرف كثيرة رحمة ولطفًا بالعباد .

وقال ابن أبي خيثمة : هو أول من كتب الوحي بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد اختلف في وفاته ، فقيل : في سنة تسع عشرة . وقيل سنة عشرين ، وقيل ثلاث وعشرون وقيل قبل مقتل عثمان بجمعة . فالله أعلم .

ومنه رضي الله عنهم أرقم بن أبي الأرقم ، واسمه عبد مناف بن أسد بن جذب ابن عبد الله بن عمر بن مخزوم الخزومي .

أسلم قديما وهو الذي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مُستَخفيا في داره عند الصفا وتُعرف تلك الدار بعد ذلك بالخيزران . وهاجر وشهد بدرًا وما بعدها .

وقد آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين عبد الله بن أنيس .

وهو الذي كتب إقطاع عظيم بن الحارث النخاري بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بفتح وغيره ، وذلك فيما رواه الحافظ ابن عساكر من طريق عتيق بن يعقوب الزبيري ، حدثني عبد الملك بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، عن أبيه عن جده عمرو ابن حزم .

وقد توفي في سنة ثلاث وقيل خمس وخمسين ، وله خمس وثمانون سنة .
وقد روى الإمام أحمد له حديثين ؛ الأول قال أحمد والحسن بن عرفة - واللفظ لأحمد - : حدثنا عباد بن عباد المهلبى ، عن هشام بن زياد ، عن عمار بن سعد ، عن عثمان بن أرقم بن أبي الأرقم ، عن أبيه - وكان من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم - أن رسول الله قال : « إن الذى يتخطى رقاب الناس يوم الجمعة ويفرق بين الاثنين بعد خروج الإمام كالجار قصبه ^(١) فى النار » .

والثانى قال أحمد : حدثنا عصام بن خالد ، حدثنا العطار بن خالد ، حدثنا يحيى بن عمران ، عن عبد الله بن عثمان بن الأرقم ، عن جده الأرقم ، أنه جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « أين تريد ؟ » قال أردت يا رسول الله هاهنا ، وأوماً بيده إلى حيز بيت المقدس ، قال : « ما يخرجك إليه أتجارة ؟ » قال : لا ولكن أردت الصلاة فيه . قال : « الصلاة هاهنا - وأوماً بيده إلى مكة - خير من ألف صلاة » وأوماً بيده إلى الشام .

تفرد بهما أحمد .

ومنهم رضى الله عنهم ثابت بن قيس بن شماس الأنصارى الخزرجى أبو عبد الرحمن ، ويقال أبو محمد المدنى ، خطيب الأنصار ، ويقال له خطيب النبي صلى الله عليه وسلم .

قال محمد بن سعد : أنبأنا على بن محمد المدائنى بأسانيده عن شيوخه فى وفود العرب على رسول الله ، قالوا : قدم عبد الله بن عباس التملى ومسلمة بن هزّان الحذّانى على رسول الله فى رهط من قومهما بعد فتح مكة ، فأسلموا وبايعوا على قومهم ، وكتب لهم كتاباً بما فرض عليهم من الصدقة فى أموالهم ، كتبه ثابت بن قيس بن شماس وشهد فيه سعد بن معاذ ومحمد بن مسلمة رضى الله عنهم .

وهذا الرجل ممن ثبت في صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بشره بالجنة. وروى الترمذى في جامعه بإسناد على شرط مسلم ، عن أبي هريرة ، أن رسول الله قال : « نِعَمَ الرجل أبو بكر ، نعم الرجل عمر . نعم الرجل أبو عبيدة بن الجراح ، نعم الرجل أسيد بن حُصَيْر ، نعم الرجل ثابت بن قيس بن شَمَّاس ، نعم الرجل معاذ بن عمرو ابن الجموح » .

وقد قتل رضى الله عنه شهيداً يوم البِعامَة سنة اثنتى عشرة في أيام أبي بكر الصديق .

ومنهم رضى الله عنهم حفظة بن الربيع بن صَيْفَى بن رباح بن الحارث بن مُخَاشِن ابن معاوية بن شريف بن جَرَوَة بن أسيد بن عمرو بن تميم التميمى الأسيدى الكاتب ، وأخوه رباح صحابى أيضاً ، وعمه أَكْثَم بن صَيْفَى كان حَكِيم العرب .

قال الواقدى : كتب للنبي صلى الله عليه وسلم كتابا . وقال غيره : بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهل الطائف في الصلح ، وشهد مع خالد حروبه بالعراق وغيرها ، وقد أدرك أيام على وتحلف عن القتال معه في الجمل وغيره ، ثم انتقل عن الكوفة لما شتم بها عثمان ، ومات بعد أيام على .

وقد ذكر ابن الأثير في الغابة ، أن امرأته لما ماتت جزعت عليه فلامها جاراتها في ذلك فقالت :

تَعَجَّبْتُ دَعْدَ الْحَزُونَةِ	تَبَكَّى عَلَى ذِي شَيْبَةٍ شَاخٍ
إِنْ نَسَأَلْنِي الْيَوْمَ مَا شَفَّنِي	أَخْبَرَكُ قَوْلًا لَيْسَ بِالْكَاذِبِ
إِنْ سَوَّادَ الْعَيْنِ أَوْدَى بِهِ	حُزْنٌ عَلَى حَفْظَةِ الْكَاتِبِ

قال أحمد بن عبد الله بن الرُّقِّي : كان معتزلاً للفتنة حتى مات بعد علي ، جاء عنه حديثان .

قلت : بل ثلاثة .

قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد وعفان ، قالا : حدثنا همام ، حدثنا قتادة ، عن حفظة السَّكَّاتِب ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من حافظ على الصلوات الخمس بركوهم وسجودهم ووضوئهم ومواقيتهم ، وعلم أنهم حق من عند الله دخل الجنة » أو قال : « وجبت له الجنة » .

تفرد به أحمد ، وهو منقطع بين قتادة وحفظة . والله أعلم .

والحديث الثاني : رواه أحمد ومسلم والترمذي وابن ماجه من حديث سعيد الجريري عن أبي عثمان النهدي ، عن حفظة : « لو تدومون كما تكونون عندي لصافحتكم للملائكة في مجالسكم وفي طرقكم وعلى فرشكم ، ولكن ساعة وساعة » .

وقد رواه أحمد والترمذي أيضا من حديث عمران بن داود القَطَّان ، عن قتادة ، عن يزيد بن عبد الله بن الشَّخِير ، عن حفظة .

والثالث : رواه أحمد والنسائي وابن ماجه ، من حديث سفيان الثوري ، عن أبي الزِّنَاد ، عن المَرْقَع بن صَيْفِي بن حفظة ، عن جده في النَّهْي عن قتل النساء في الحرب . لكن رواه الإمام أحمد ، عن عبد الرزاق ، عن ابن جُرَيْج ، قال : أخبرت عن أبي الزِّنَاد عن مَرْقَع بن صَيْفِي بن رَبَاح بن ربيع ، عن جده رباح بن ربيع أخى حفظة السَّكَّاتِب فذكره .

وكذلك رواه أحمد أيضا ، عن حسين بن محمد وإبراهيم بن أبي العباس ، كلاهما عن المغيرة بن عبد الرحمن ، عن أبيه . وعن سعيد بن منصور وأبي عامر العقدي ، كلاهما عن المغيرة بن عبد الرحمن ، عن أبي الزِّنَاد ، عن مَرْقَع عن جده رباح . ومن طريق

المغيرة رواه النسائي وابن ماجه كذلك . وروى أبو داود والنسائي من حديث عمر بن مرقع عن أبيه ، عن جده رباح فذكره .

فالحديث عن رباح لا عن حفظة ، ولذا قال أبو بكر بن أبي شيبة : كان ^(١) سفيان الثوري يخطئ في هذا الحديث .

قلت : وصح قول ابن الرقي أنه لم يرو سوى حديثين . والله أعلم .

* * *

ومنها رضى الله عنهم خالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف أبو سعيد الأموى .

أسلم قديما ، يقال بعد الصديق بثلاثة أو أربعة ، وأكثر ما قيل خمسة .
وذكروا أن سبب إسلامه أنه رأى في النوم كأنه واقف على شفير جهنم فذكر من سعتها ما الله به عليم .

قال : وكان أباه يدفعه فيها ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ بيده لينفعه من الوقوع ، فقص هذه الرؤيا على أبى بكر الصديق فقال له : لقد أريد بك خير ، هذا رسول الله فاتبعه تنج مما خففته . فجاء رسول الله فأسلم .

فلما بلغ أباه إسلامه غضب عليه وضربه بعصا في يده حتى كسرها على رأسه وأخرجه من منزله ومنعه القوت ، ونهى بقية إخوته أن يكلموه ، فلزم خالد رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلا ونهارا ، ثم أسلم أخوه عمرو .

فلما هاجر الناس إلى أرض الحبشة هاجر معهم ، ثم كان هو الذى ولى العقد في تزويج أم حبيبة من رسول الله كما قدمنا ، ثم هاجرا من أرض الحبشة صحبة جعفر ، فقدموا على رسول الله بخير وقد افتتحها ، فأسلم لهما عن مشورة المسلمين ، وجاء أخوه أبان بن

سعيد فشهد فتح خيبر كما قدمنا ، ثم كان رسول الله يوليهم الأعمال .

فلما كانت خلافة الصديق خرجوا إلى الشام للغزو فقتل خالد بأخفادين ، ويقال بمرج الصفر والله أعلم .

قال عتيق بن يعقوب : حدثني عبد الملك بن أبي بكر ، عن أبيه ، عن جده عن عمرو ابن حزم ؛ يعنى أن خالد بن سعيد كتب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا : بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أعطى محمد رسول الله راشد بن عبد رب السلمي ، أعطاه غلوتين وغلوة بحجر برهاط ^(١) ، فمن خافه فلا حق له وحقه حق . وكتب خالد بن سعيد .

وقال محمد بن سعد عن الواقدي : حدثني جعفر بن محمد بن خالد ، عن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان قال : أقام خالد بن سعيد بعد أن قدم من أرض الحبشة بالمدينة ، وكان يكتب لرسول الله ، وهو الذي كتب كتاب أهل الطائف لوفد ثقيف وسعى في الصلح بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم .

* * *

ومنهم رضى الله عنهم خالد بن الوليد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم [أبو سليمان] ^(٢) المخزومي .

وهو أمير الجيوش المنصورة الإسلامية ، والعساكر الحمدية ، والمواقف المشهودة ، والأيام المحمودة . ذو الرأي السديد ، والبأس الشديد ، والطريق الحميد . أبو سليمان خالد بن الوليد .

ويقال إنه لم يكن في جيش فكسير لا في جاهلية ولا إسلام .

(١) الغلوة : قدر ما يبلغ السهم . ورهاط : موضع على ثلاث ليال من مكة ، أو قرية على طريق المدينة بواد يقال له غران . المراد .
(٢) ليست في أ .

قال الزبير بن بَكَّار : كانت إليه في قریش القُبَّة وأَعِنَّة الخيل .

أَسْلَمَ هو وعمر بن العاص وعثمان بن طلحة بن أبي طلحة بعد الحديبية وقبل خيبر ، ولم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعثه فيما يبعثه أميراً ، ثم كان المقدم على العساكر كلها في أيام الصديق .

فمسا ولي عمر بن الخطاب عزله ووَلَّى أبا عبيدة أمين الأمة على ألا يخرج عن رأى أبي سليمان .

ثم مات خالد في أيام عمر ، وذلك في سنة إحدى وعشرين . وقيل اثنتين وعشرين .
— والأول أصح — بقرية على ميل من حمص . قال الوافدي : سألت عنها فقيل لي دُثِرَت .
وقال دُحَيْم : مات بالمدينة . والأول أصح .
وقد روى أحاديث كثيرة يطول ذكرها .

قال عَتِيق بن يعقوب : حدثني عبد الملك بن أبي بكر ، عن أبيه عن جده ، عن عمرو بن حزم ، أن هذه قطائع أقطعها رسول الله صلى الله عليه وسلم : بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى المؤمنين أن صَيْدُوْح ^(١) وصَيْدُهُ لَا يُعْضَدُ ضَيْدُهُ وَلَا يُقْتَلُ ، فمن وجد يفعل من ذلك شيئاً فإنه يُجْلَدُ وَيُنَزَعُ ثِيَابُهُ ، وإن تعدى ذلك أحد فإنه يُؤْخَذُ فَيَمْلَغُ به النبي صلى الله عليه وسلم ، وأن هذا من محمد النبي . وكتب خالد بن الوليد بأمر رسول الله فلا يتعداه أحد فيظلم نفسه فيما أمره به محمد .

ومنهم رضى الله عنهم الزبير بن العوام بن خُوَيْلِد بن أَسَد بن عبد العزى بن قُصَي ، أبو عبد الله الأسدي .

أحد العشرة ، وأحد السبعة أصحاب الشورى الذين توفي رسول الله وهو عنهم راض

(١) صيدوح : قرية بشرق المدينة من شراب الخرة . والشراج : مجارى المياه من الخرار . المراصد .

[وحواريُّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمته صفية بنت عبد المطلب وزوج أسماء بنت أبي بكر رضى الله عنه^(١)].

روى عتيق بن يعقوب بسنده المتقدم ، أن الزبير بن العوام هو الذى كتب لبنى معاوية بن جرّول الكتاب الذى أمره به رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكتبه لهم رواه ابن عساكر بإسناده عن عتيق به .

أسلم زبير قديماً رضى الله عنه وهو ابن ست عشرة سنة ، ويقال ابن ثمانى سنين ، وهاجر المهجرتين وشهد المشاهد كلها ، وهو أول من سلّ سيفاً فى سبيل الله .

وقد شهد اليرموك وكان أفضل من شهدها ، واخترق يومئذ صفوف الروم من أولهم إلى آخرهم مرتين ، ويخرج من الجانب الآخر سالماً ، لكن جرح فى قفاه بضربتين رضى الله عنه .

وقد جمع له رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق أبويه^(٢) وقال : « إن لكل نبي حواريّاً وحواريّاً الزبير » .

وله فضائل ومناقب كثيرة وكانت وفاته يوم الجمل ، وذلك أنه كرّ راجعاً عن القتال ، فالحقه عمرو بن جرّوموز وفضالة بن حابس ورجل ثالث يقال له النعر التميميون ، بمكان يقال له وادى السباع ، فبدّر إليه عمرو بن جرّوموز وهو نائم فقتله ، وذلك فى يوم الخميس لعشر خلوف من جمادى الأولى سنة ست وثلاثين وله من العمر يومئذ سبع وستون سنة .

وقد خلف رضى الله عنه بعده تركّة عظيمة ، فأوصى من ذلك بالثلث بعد إخراج ألفى ألف ومائتى ألف دينار ، فلما قضى دينه وأخرج ثلث ماله قسّم الباقى على ورثته ، فقال كل امرأة من نسائه — وكن أربعاً — ألف ألف ومائتا ألف ، فجمع ما ذكرناه مما

(٢) فى قوله : أرم فذاك أبى وأمى .

(١) سقطت من أ .

تركه رضى الله عنه تسعة وخمسون ألف ألف وثمانمائة ألف .

وهذا كله من وجوه حلّ نالها في حياته مما كان يصيبه من القىء والمغاسم ، ووجوه متاجر الحلال ، وذلك كله بعد إخراج الزكاة في أوقاتها ، والصّلات البارة الكثيرة لأربابها في أوقات حاجاتها .

رضى الله عنه ورأضاه وجعل جنات الفردوس مثواه ، وقد فعل ! فإنه قد شهد له سيد الأولين والآخرين ورسول رب العالمين بالجنة ، والله الحمد والمنة .

وذكر ابن الأثير في الغابة أنه كان له ألف مملوك يؤدون إليه الخراج ، وأنه كان يتصدق بذلك كله .

وقال فيه حسان بن ثابت يمدحه ويفضّله بذلك :

أقام على عهد النبي وهديه	حواريه والقول بالفضل يعدل
أقام على منهاجه وطريقه	يؤالى وليّ الحق والحق أعدل
هو الفارس المشهور والبطل الذى	يصول إذا ما كان يومٌ مُحجّل ^(١)
وإن امرءاً كانت صفية أمه	ومن أسدٍ فى بيته لمرفّل ^(٢)
له من رسول الله قُربى قريبة	ومن نصرة الإسلام مجد مؤئل
فكم كربة ذبّ الزبير بسيفه	عن المصطفى والله يُعطى ويُجزل
إذا كشفت عن ساقها الحرب حشها	بأبيض [سباق ^(٣)] إلى الموت يرقل
فما مثله فيهم ولا كان قبـله	وليس يكون الدهر مادام يذبل

قد تقدم أنه قتله عمرو بن جرّموز التميمى بوادى السّباع وهو نائم ، ويقال بل قام من آثار النوم وهو دهش فركب وبارزه ابن جرّموز ، فلما صمّ عليه الزبير أنجده أصحابه فضالّة والنعر فقتلوه ، وأخذ عمرو بن جرّموز رأسه وسيفه . فلما دخل بهما على

(١) المحجل : المعروف . (٢) المرفل : المعظم والسود .

(٣) من تاريخ ابن عساكر ٥/٣٦٤ .

على قال على رضى الله عنه لما رأى سيف الزبير : إن هذا السيف طالما فرّج الكرب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال على فيما قال : بشر قاتل ابن صفية بالفار .

فيقال إن عمرو بن جرموز لما سمع ذلك قتل نفسه .

والصحيح أنه عمر بعد على حتى كانت أيام ابن الزبير ، فاستناب أخاه مصعباً على للعراق ، فاخفى عمرو بن جرموز خوفاً من سطوته أن يقتله بأبيه . فقال مصعب : أبلغوه أنه آمن ، يحسب أنى أقتله بأبى عبد الله ؟ كلا والله ليسا سواء .

وهذا من حلم مصعب وعقله ورياسته .

وقد روى الزبير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحاديث كثيرة يطول ذكرها .

ولما قتل الزبير بن العوام بوادى السباع كما تقدم ، قالت امرأته عائكة بنت زيد بن

عمرو بن نفيل ترثيه رضى الله عنها وعنه :

غدر ابن جرموز بفارس بهمة	يوم اللقاء وكان غير مُعَرَّد ^(١)
يا عمرو لو نهته لوجده	لا طائشاً رعى الجنان ولا اليد
كم غمرة قد خاضها لم يذفـه	عنها طراد يا ابن فقـع القردد ^(٢)
ثكلتك أمك إن ظفرت بمثله	فيمن مضى فيمن يروح ويفتدى
والله ربك إن قتلت لمـسـهـا	حلت عليك عـقـوبة المتعمد

وممنهم رضى الله عنهم زيد بن ثابت بن الضحاك بن زيد بن لؤذان بن عمرو بن

(١) البهمة : الجيش ، وأيضاً : الشجاع الذى لا يهتدى من أين يؤتى . والمعد : الهارب .
(٢) الفقم : البيضاء الرخوة من الكمامة ، والقردد : الجبل . ويقال للذليل : هو أذل من فقـع بقرقرة . لأنه لا يتمتع على من جناه ، أو لأنه يوطأ بالأرجل . وفى ١ : طرادك .

عبيد بن عوف بن غنم بن مالك بن النجار الأنصاري النجاري ، أبو سعيد ويقال أبو خارجة ، ويقال أبو عبد الرحمن المدني .

قديم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهو ابن إحدى عشرة سنة ، فلهذا لم يشهد بدرأ للصفره ، قيل ولا أحدا ، وأول مشاهدته الخندق ، ثم شهد مابعدھا .

وكان حافظا لبيبا عالما عاقلا ، ثبت عنه في صحيح البخاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره أن يتعلم كتاب يهود ليقراء على النبي صلى الله عليه وسلم إذا كتبوا إليه ، ففعلناه في خمسة عشر يوما .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا سليمان بن داود ، حدثنا عبد الرحمن ، عن أبي الزناد ، عن خارجة بن زيد ، أن أباه زيدا أخبره أنه لما قدم رسول الله المدينة قال زيد : ذهب بي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعجب بي ، فقالوا : يارسول الله هذا غلام من بني النجار معه مما أنزل الله عليك بضع عشرة سورة . فأعجب ذلك رسول الله وقال : « يا زيد تعلم لى كتاب يهود ، فإني والله ما آمن يهود على كتابي » .

قال زيد : ففعلت لهم كتابهم مامرت خمس عشرة ليلة حتى حذفته ، وكنت أقرأ له كتبهم إذا كتبوا إليه ، وأجيب عنه إذا كتب .

ثم رواه أحمد عن شريح بن النعمان ، عن ابن أبي الزناد ، عن أبيه ، عن خارجة ، عن أبيه فذكر نحوه .

وقد علقه البخاري في الأحكام عن خارجة بن زيد بن ثابت بصيغة الجزم فقال : وقال خارجة بن زيد . فذكره .

ورواه أبو داود عن أحمد بن يونس ، والترمذي عن علي بن حجر ، كلاهما عن عبد الرحمن بن أبي الزناد ، عن أبيه ، عن خارجة ، عن أبيه به نحوه .

وقال الترمذي : حسن صحيح .

وهذا ذكاء مُفَرِّط جداً . وقد كان ممن جَمَعَ القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من القراء كما ثبت في الصحيحين عن أنس .

وروى أحمد والنسائي من حديث أبي قلابة ، عن أنس عن رسول الله أنه قال : « أرحم أمتي بأمتي أبو بكر ، وأشدّها في دين الله عمر ، وأصدقها حياء عثمان ، وأقضاهم على بن أبي طالب ، وأعلمهم بالحلّ والحرام معاذ بن جبل ، وأعلمهم بالفرائض زيد بن ثابت ، ولكل أمة أمين ، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح » .

ومن الحفاظ من يجمعه مراسلاً إلا ما يتعلق بأبي عبيدة ، ففي صحيح البخاري من هذا الوجه .

وقد كتب الوحي بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم في غير مأمون . ومن أوضح ذلك ما ثبت في الصحيح عنه أنه قال : لما نزل قوله تعالى « لا يَسْتَوِي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله ^(١) » الآية دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « اكتب لا يستوى القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله » .

فجاء ابن أم مكتوم فجعل يشكو ضرارته ، فنزل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم فنقلت فحذه على نخذي حتى كادت ترضها ، فنزل : « غير أولى الضرر » فأمرني فألحقها ، فقال زيد : فإني لأعرف [موضع ^(٢)] ملحقها عند صدع في ذلك اللوح - يعني من عظام - الحديث .

وقد شهد زيدُ اليمامة وأصابه سهم فلم يضره ، وهو الذي أمره الصديق بعد هذا بأن يتبع القرآن فيجمعه ، وقال له : إياك شابٌّ عاقل لا نهمك ، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتتبع القرآن فاجمه . ففعل ما أمره به الصديق ، فكان في ذلك خير كثير والله الحمد والمنة .

وقد استنابه عمر مرتين في حجتين على المدينة ، واستنابه لما خرج إلى الشام ، وكذلك كان عثمان يستنبيه على المدينة أيضا .

وكان على يحبه ، وكان يعظم عليا ويعرف له قدره ، ولم يشهد معه شيئا من حروبه . وتأخر بعده حتى توفي سنة خمس وأربعين ، وقيل سنة إحدى وقيل خمس وخمسين . وهو ممن كان يكتب المصاحف الأئمة التي نفذ بها عثمان بن عفان إلى سائر الآفاق اللأى وقع على التلاوة طبق رُسمهن الإجماع والانفاق ، كما قررنا ذلك في كتاب فضائل القرآن الذي كتبناه مقدمة في أول كتابنا التفسير والله الحمد والمنة .

ومنه السَّجَل ، كما ورد به الحديث المروى في ذلك عن ابن عباس - إن صح - وفيه نظر .

قال أبو داود : حدثنا قتيبة بن سعيد ، حدثنا نوح بن قيس ، عن يزيد بن كعب ، عن عمرو بن مالك ، عن أبي الجوزاء ، عن ابن عباس ، قال : السَّجَلُ كتابٌ للنبي صلى الله عليه وسلم .

وهكذا رواه النسائي عن قتيبة به ، عن ابن عباس أنه كان يقول : في هذه الآية « يوم نَطْوِي السماء كَطَى السَّجَلِ لَلْكِتَابِ » ^(١) السَّجَلُ : الرجل . هذا لفظه .

ورواه أبو جعفر بن جرير في تفسيره عند قوله تعالى : « يوم نَطْوِي السماء كَطَى السَّجَلِ لَلْكِتَابِ » عن نصر بن علي ، عن نوح بن قيس ، وهو ثقة من رجال مسلم ، وقد ضعفه ابن معين في رواية عنه . وأما شيخه يزيد بن كعب العَوَظِي البصري فلم يَرَوْ عنه سوى نوح بن قيس ، وقد ذكره مع ذلك ابن حبان في الثقات .

وقد عرضتُ هذا الحديث على شيخنا الحافظ الكبير أبي الحجاج المزني فأنكره جداً ، وأخبرته أن شيخنا العلامة أبا العباس ابن تيمية كان يقول : هو حديث موضوع ، وإن كان في سنن أبي داود . فقال شيخنا المزني : وأنا أقوله .

قلت : وقد رواه الحافظ ابن عدي في كامله من حديث محمد بن سليمان الملقب ببومة ، عن يحيى بن عمرو ، عن مالك البكري ، عن أبيه ، عن أبي الجوزاء ، عن ابن عباس قال : كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم كاتب يقال له السجل ، وهو قوله تعالى : « يوم نطوى السماء كطي السجل للكتاب » قال : كما يطوى السجل للكتاب كذلك تُطوى السماء .

وهكذا رواه البيهقي عن أبي نصر بن قتادة عن أبي علي الرضا ، عن علي بن عبد العزيز عن مسلم بن إبراهيم ، عن يحيى بن عمرو بن مالك به . ويحيى هذا ضعيف جداً فلا يصلح للمتابعة . والله أعلم .

وأغرب من ذلك أيضاً ما رواه الحافظ أبو بكر الخطيب وابن مندة من حديث أحمد ابن سعيد البغدادي المعروف بحمدان ، عن ابن بهز ، عن عبيد الله ، عن نافع عن ابن عمر قال : كان للنبي صلى الله عليه وسلم كاتب يقال له سجل فأنزل الله : « يوم نطوى السماء كطي السجل للكتاب » قال ابن مندة : غريب تفرد به حمدان . وقال البرقاني : قال أبو الفتح الأزدي . تفرد به ابن نمير إن صح .

قلت : وهذا أيضاً منكر عن ابن عمر ، كما هو منكر عن ابن عباس ، وقد ورد عن ابن عباس وابن عمر خلاف ذلك ، فقد روى الواحلي والعمري ، عن ابن عباس أنه قال في هذه الآية قال : كطي الصحيفة على الكتاب . وكذلك قال مجاهد .

وقال ابن جرير : هذا هو المعروف في اللغة أن السجل هو الصحيفة .

قال : ولا يعرف في الصحابة أحد اسمه السجل ، وأنكر أن يكون السجل اسم ملك

من الملائكة ، كما رواه عن أبي كَرِيب ، عن ابن يَمَان ، حدثنا أبو الوفاء الأشَجَعِي ، عن أبيه ، عن ابن عمر في قوله : « يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السَّجِّلِ » قال : السَّجِّلُ مَلَكٌ فَإِذَا صَعِدَ بِالاستغفار قال الله : اكِتِبْهَا نُورًا .

وحدثنا بَنَدَار ، عن مؤَمِّل ، عن سفيان ، سمعت السُّدِّي يقول . فذكر مثله .

وهكذا قال أبو جعفر الباقر فيما رواه أبو كَرِيب عن المبارك ، عن معروف بن خَرَبُود عن سمع أبا جعفر يقول : السَّجِّلُ الملك .

وهذا الذي أنكره ابن جرير من كون السَّجِّل اسم صحابي أو ملك قوى جداً ، والحديث في ذلك منكّر جداً . ومن ذكره في أسماء الصحابة كابن مَدَدِه وأبي نُعَيْم الأصْهَانِي وابن الأثير في الغابة ، إنما ذكره إحساناً للظن بهذا الحديث ، أو تعليقاً على صحته والله أعلم .

ومنهم سعد بن أبي سَرَحٍ فيما قاله خليفة بن خَيَّاط .

وقد وهم إسماعيل بن عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، كما سيأتي قريباً إن شاء الله .

ومنهم عامر بن مُهَيَّرَة ، مولى أبي بكر الصديق .

قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، عن مَعْمَر قال : قال الزهري : أخبرني عبد الملك ابن مالك المدلجي ، وهو ابن أخي سُرَّاقَة بن مالك ، أن أباه أخبره أنه سمع سُرَّاقَة يقول . فذكر خبر هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وقال فيه : فقلت له إن قومك جعلوا فيك الدِّية ، وأخبرتكم من أخبار سفرهم وما يريد الناس بهم ، وعرضتُ عليهم الزادَ والمتاع فلم يَرزَوْوْنِي منه شيئاً ولم يسألوني إلا أن أَخْفِ عَنَّا ، فسألته أن يكتب لي كتابَ موادة آمن به ، فأمر عامر بن مُهَيَّرَة فكتب في رقعة من أدم ، ثم مضى .

قلت : وقد تقدم الحديث بنامه في الهجرة وقد روى أن أبا بكر هو الذى كتب لسُرَاقَة هذا الكتاب فـالله أعلم .

وقد كان عامر بن فهيرة - ويكنى أبا عمرو - من مولدَى الأزْد أسود اللون ، وكان أولاً مولى للطَّفِيل بن الحارث أخى عائشة لأمها أم رومان ، فأسلم قديماً قبل أن يدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم دار الأرقم بن أبى الأرقم التى عند الصفا مُستَخْفِياً ، فكان عامر يعذب مع جملة المستضعفين بمكة ليرجع عن دينه [فيأبى^(١)] ، فاشتراه أبو بكر الصديق فأعتقه ، فكان يرعى له غنماً بظاهر مكة .

ولما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه أبو بكر كان معها رَدِيقاً لأبى بكر ومعهم الدليل الدَّبْلَى فقط . كما تقدم مبسوطاً^(٢) .

ولما وردوا المدينة نزل عامر بن [فهيرة^(١)] على سعد بن خيشمة ، وأخى رسول الله بينه وبين أَوْس بن مُعَاذ وشهد بدرأ واحداً .

وقتل يوم بئر مَعُونَة ، كما تقدم ، وذلك سنة أربع من الهجرة ، وكان عمره إذ ذاك أربعين سنة فـالله أعلم .

وقد ذكر عروة وابن إسحاق والواقدي وغير واحد ، أن عامراً قتله يوم بئر مَعُونَة رجل يقال له جَبَّار بن سُلَيمى من بنى كلاب ، فلما طعنه بالرمح قال : فُزْتُ ورب الكعبة . ورُفِع عامر حتى غاب عن الأبصار حتى قال عامر بن الطفيل : لقد رفع حتى رأيت السماء دونه .

وسئل عمرو بن أمية عنه فقال : كان من أفضلنا ومن أول أهل بيت نبيها صلى الله عليه وسلم .

قال جبار : فسأتُ الضحاك بن سفيان عما قال ما يعنى به ؟ فقال : يعنى الجعة .

ودعاني الضحاك إلى الإسلام فأسلمت لما رأيت من قتل عامر بن فهيرة ، فكتب الضحاك إلى رسول الله يخبره بإسلامي وما كان من أمر عامر ، فقال : « وارتد الملائكة وأنزل عليّين » وفي الصحيحين عن أنس أنه قال : قرأنا فيهم قرآنا : أن بلغنوا عنا قومنا أنا لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا .

وقد تقدم ذلك وبيانه في موضعه عند غزوة بدر معونة .

وقال محمد بن إسحاق : حدثني هشام بن عروة ، عن أبيه ، أن عامر بن الطفيل كان يقول : من رجل منكم لما قتل رأبته رُفَع بين السماء والأرض حتى رأيت السماء دونه ؟ قالوا : عامر بن فهيرة .

وقال الواقدي : حدثني محمد بن عبد الله ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة قالت : رفع عامر بن فهيرة إلى السماء فلم توجد جنته . يرون أن الملائكة وارتدته .

ومنهم رضى الله عنهم عبد الله بن أرقم بن أبي الأرقم الخزومي . أسلم عام الفتح وكتب للنبي صلى الله عليه وسلم . قال الإمام مالك : وكان يُنفذ ما يفعله ويشكره ويستجيده .

وقال سلمة عن محمد بن إسحاق بن يسار ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عبد الله بن الزبير ، أن رسول الله استكتب عبد الله بن الأرقم بن عبد يغوث ، وكان يجيب عنه الملوك ، وبلغ من أمانته أنه [كان يأمره أن] يكتب إلى بعض الملوك فيكتب ، ويختتم على ما يقرأه لأمانته عنده .

وكتب لأبي بكر وجعل إليه بيت المال ، وأقره عليهما عمر بن الخطاب ، فلما كان عثمان عزله عنهما .

قلت : وذلك بعد ما استغفاه عبدُ الله بن أرقم . ويقال إن عثمان عرض عليه ثلاثمائة ألف درهم عن أجره عما كتبه فأبى أن يقبلها وقال : إنما عملتُ لله فأجرى على الله عز وجل .

قال ابن إسحاق : وكتبَ لرسول الله زيدُ بن ثابت ، فإذا لم يحضر ابن الأرقم وزيد بن ثابت كتبَ مَنْ حضر من الناس .

وقد كتب عمر وعلي وزيد والمغيرة بن شعبة ومعاوية وخالد بن سعيد بن العاص وغيرهم ممن سمي من العرب .

وقال الأعمش : قلت لشقيق بن سلمة : من كان كاتب النبي صلى الله عليه وسلم ؟ قال : عبد الله بن الأرقم ، وقد جاء عمر بكتاب أبي بكر بالقادسية وفي أسفله : وكتب عبد الله بن الأرقم .

وقال البيهقي : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، حدثنا محمد بن صالح بن هاني ، حدثنا الفضل بن محمد البيهقي ، حدثنا عبد الله بن صالح ، حدثنا عبد العزيز بن أبي سلمة اللاجشون ، عن عبد الواحد بن أبي عون ، عن القاسم بن محمد ، عن عبد الله بن عمر ، قال : أتى النبي صلى الله عليه وسلم كتاب رجل ، فقال لعبد الله بن الأرقم : « أجب عني » فكتب جوابه ثم قرأه عليه ، فقال : « أصبتَ وأحسنْتَ ، اللهم وفقه » .

قال : فلما ولي عمرُ كان يشاوره . وقد روى عن عمر بن الخطاب أنه قال : ما رأيت أخشى لله منه - يعني في المال -

أضمرَ رضى الله عنه قبل وفاته .

ومنهم رضى الله عنهم عبد الله بن زيد بن عبد ربه الأنصاري الخزرجي ، صاحب الأذان .

أسلم قديماً فشهد عقبة السبعين ، وحضر بدرأ وما بعدها .

ومن أكبر مناقبه رؤيته الأذان والإقامة في النوم ، وعرضه ذلك على رسول الله وتقريره عليه ، وقوله له : « إنها لرؤيا حق فألقه على بلال ، فإنه أندى صوتاً منك » . وقد قدمنا الحديث بذلك في موضعه .

وقد روى الواقدي بأسانيد عن ابن عباس أنه كتب كتاباً لمن أسلم من جرّش فيه الأمر لهم بإقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وإعطاء خمس المقيم . وقد توفي رضي الله عنه سنة اثنتين وثلاثين عن أربع وستين سنة ، وصلى عليه عثمان ابن عفان رضي الله عنه .

ومنها رضي الله عنهم عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، القرشي العامري ، أخو عثمان لأمه من الرضاعة . أرضعته أم عثمان .

وكتب الوحي ثم ارتدّ عن الإسلام ولحق بالمشرّكين بمكة ، فلما فتحها رسول الله صلى الله عليه وسلم — وكان قد أهدّر دمه فيمن أهدر من الدماء — فجاء إلى عثمان بن عفان فاستأمن له ، فأمنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما قدمنا في غزوة الفتح . ثم حسن إسلام عبد الله بن سعد جداً .

قال أبو داود : حدثنا أحمد بن محمد المروزي ، حدثنا علي بن الحسين بن واقد ، عن أبيه ، عن يزيد النخعي ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : كان عبد الله بن سعد ابن أبي سرح يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم ، فأزله الشيطان فليحق بالكفار ، فأمر به رسول الله أن يقتل ، فاستجار له عثمان بن عفان فأجاره رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ورواه النسائي من حديث علي بن الحسين بن واقد به .

قلت: وكان على مَيِّمَةَ عمرو بن العاص حين افتتح عمرو مصر سنة عشرين في الدولة
العمرية ، فاستناب عمر بن الخطاب عَمراً عليها ، فلما صارت الخلافة إلى عثمان عَزَلَ عنها
عمرو بن العاص وولَّى عليها عبد الله بن سعد سنة خمس وعشرين .

وأمره بغزو بلاد أفريقية فغزاها ففتحها وحصل للجيش منها مال عظيم ، كان قَسَمَ
الغنيمة لكل فارس من الجيش ثلاثة آلاف منقال من ذهب ، وللراجل ألف منقال ،
وكان معه في جيشه هذا ثلاثة من العبادة ؛ عبد الله بن الزبير ، وعبد الله بن عمر ،
وعبد الله بن عمرو .

ثم غزا عبد الله بن سعد بعد أفريقية الأسود من أرض النوبة فهاذهم ، فهي إلى
اليوم ، وذلك سنة إحدى وثلاثين .

ثم غزا غزوة الصَّوَارِي في البحر إلى الروم وهي غزوة عظيمة .

فلما اختلف الناس على عثمان خرج من مصر واستناب عليها ليذهب إلى عثمان
لينصره . فلما قُتِلَ عثمان أقام بعسقلان - وقيل بالرملة - ودعا الله أن يقبضه في الصلاة ،
فصلى يوماً الفجر وقرأ في الأولى منها بفاتحة الكتاب والعاديات ، وفي الثانية بفاتحة
الكتاب وسورة ، ولما فرغ من التشهد سلَّم التسليمة الأولى ، ثم أراد أن يسلم الثانية
فمات بينهما رضى الله عنه ، وذلك في سنة ست وثلاثين ، وقيل سنة سبع ، وقيل إنه تأخر
إلى سنة تسع وخمسين ، والصحيح الأول .

قلت : ولم يقع له رواية في الكتب الستة ولا في المسند للإمام أحمد .

ومنهم رضى الله عنهم عبد الله بن عثمان ، أبو بكر الصديق . وقد ذكرت ترجمته^(١)

(١) وذلك في الجزء السادس من البداية للمؤلف .

في أيام خلافته . وقد جمعت مجلداً في سيرته وما رواه من الأحاديث وما روى عنه من الآثار .

والدليل على كتابته ما ذكره موسى بن عَقبة ، عن الزهري ، عن عبد الرحمن ابن مالك بن جُعشم عن أبيه ، عن سُرَاقَة بن مالك في حديثه حين اتبع رسول الله حين خرج هو وأبو بكر من الغار ففروا على أرضهم ، فلما غشيهم - وكان من أمر فرسه ما كان - سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكتب له كتاب أمان ، فأمر أبا بكر فكتب له كتاباً ثم ألقاه إليه .

وقد روى الإمام أحمد من طريق الزهري بهذا السند ، أن عامر بن فُهيرة كتبه ، فيحتمل أن أبا بكر كتب بعضه ثم أمر مولاه عامراً فكتب باقيه . والله أعلم .

ومنهم رضى الله عنهم عثمان بن عفان أمير المؤمنين . وقد ذكرت ترجمته في أيام خلافته وكتابته بين يديه عليه السلام مشهورة . وقد روى الواقدي بأسانيده أن هَـشَل بن مالك الوائلي لما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان بن عفان فكتب له كتاباً فيه شرائع الإسلام .

ومنهم رضى الله عنهم علي بن أبي طالب أمير المؤمنين . وقد ذكرت ترجمته في خلافته ، وقد تقدم أنه كتب الصلح بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش يوم الحديبية أن يأمن الناس ، وأنه لا إسلال ولا إغلال ، وعلى وضع الحرب عشر سنين . وقد كتب غير ذلك من الكتب بين يديه صلى الله عليه وسلم .

وأما ما يدَّعيه طائفة من يهود خيبر أن بأيديهم كتاباً من النبي صلى الله عليه وسلم بوضع الجزية عنهم وفي آخره : وكتب علي بن أبي طالب . وفيه شهادة جماعة من

الصحابة منهم سعد بن معاذ ومعاوية بن أبي سفيان ، فهو كذب وبهتان مختلق موضوع مصنوع .

وقد بين جماعة من العلماء بطلانه ، واغتر بعض الفقهاء المتقدمين فقالوا بوضع الجزية عنهم . وهذا ضعيف جداً .

وقد جمعت في ذلك جزءاً مفرداً بينت فيه بطلانه وأنه موضوع ، اختلقوه وصنعهوه وهم أهل ذلك ، وبينته وجمعت مفرق كلام الأئمة فيه والله الحمد والمنة .

ومن الكتاب بين يديه صلى الله عليه وسلم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، وقد ذكرت ترجمته في موضعها . وقد أفردت له مجلداً على حدة ، ومجلداً ضخماً في الأحاديث التي رواها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والآثار والأحكام المروية عنه رضى الله عنه ، وقد تقدم بيان كتابته في ترجمة عبد الله بن الأرقم .

ومنهم رضى الله عنهم العلاء بن الحضرمي واسم الحضرمي عباد ، ويقال عبد الله ابن عباد بن أكبر بن ربيعة بن عريف بن مالك بن الخزرج بن إباد بن الصدف بن زيد ابن مقنع بن حَضْرَمُوت بن قحطان . وقيل غير ذلك في نسبه .

وهو من حلفاء بني أمية . وقد تقدم بيان كتابته في ترجمة أبان بن سعيد ابن العاص .

وكان له من الإخوة عشرة غيره فمنهم : عمرو بن الحضرمي ، أول قتييل من المشركين قتله المسلمون في سَرِيَّة عبد الله بن جحش ، وهي أول سَرِيَّة كما تقدم .

ومنهم عامر بن الحضرمي الذي أمره أبو جهل لعنه الله فكشف عن عورته ونادى : واغتره . حين اصطفَّ المسلمون والمشركون يوم بدر ، فهاجت الحرب وقامت طلي ساق ، وكان ما كان مما قدمناه مبسوطاً في موضعه .

ومنهم شُرَيْح بن الحضرمي ، وكان من خيار الصحابة ، قال فيه رسول الله : « ذاك رجل لا يتوسد القرآن » يعني لا ينام ويتركه ، بل يقوم به آتاء الليل والنهار .

ولهم كلهم أخت واحدة وهي الصَّعْبَةُ بنت الحضرمي ، أم طلحة بن عبيد الله .

وقد بعث النبي صلى الله عليه وسلم العلاء بن الحضرمي إلى المفذر بن ساوى ملك البحرين ، ثم ولاء عليها أميرا حين افتتحها ، وأقرّه عليها الصديق ، ثم عمر بن الخطاب ، ولم يزل بها حتى عزله عنها عمر بن الخطاب وولاه البصرة . فلما كان في أثناء الطريق توفي وذلك في سنة إحدى وعشرين .

وقد روى البيهقي وغيره عنه كرامات كثيرة ، منها أنه سار بجيشه على وجه البحر ما يصل إلى رُكْب خيولهم ، وقيل إنه ما بلّ أسافل نعال خيولهم ، وأمرهم كلهم فجعلوا يقولون : يا حَلِيم يا عَظِيم . وأنه كان في جيشه فاحتاجوا إلى ماء فدعا الله فأمطرهم قدر كفايتهم ، وأنه لما دُفِن لم يُر له أثر بالكلية ، وكان قد سأل الله ذلك .

وسمّاني هذا في كتاب دلائل النبوة قريبا إن شاء الله عز وجل .

وله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أحاديث : الأول : قال الإمام أحمد : حدثنا سفيان بن عُيينة ، حدثني عبد الرحمن بن حميد بن عبد الرحمن بن عوف ، عن السائب بن يزيد ، عن العلاء بن الحضرمي ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يَمُكُثُ المهاجر بعد قضاء نُسكِهِ ثلاثا » .

وقد أخرجه الجماعة من حديثه .

والثاني قال أحمد : حدثنا هُشَيْم ، حدثنا منصور ، عن ابن سيرين ، عن ابن العلاء بن الحضرمي ، أن أباه كتب إلى النبي صلى الله عليه وسلم فبدأ بنفسه .

وكذا رواه أبو داود عن أحمد بن حنبل .

والحديث الثالث رواه أحمد وابن ماجه ، من طريق محمد بن زيد ، عن حبان

الأعرج ، عنه أنه كتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من البحرين في الحائط - يعني البستان - يكون بين الإخوة فيسلم أحدهم ؟ فأمره أن يأخذ العشر ممن أسلم ، والخراج - يعني ممن لم يسلم - .

ومنهم العلاء بن عتبة ، قال الحافظ ابن عساكر : كان كاتباً للنبي صلى الله عليه وسلم ، ولم أجد أحداً ذكره إلا فيما أخبرنا .

ثم ذكر إسناده إلى عتيق بن يعقوب ، حدثني عبد الملك بن أبي بكر بن محمد بن عمرو ابن حزم ، عن أبيه عن جده ، عن عمرو بن حزم أن هذه قطائعُ أقطعها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم هؤلاء القوم فذكرها ، وذكر فيها : بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أعطى النبي محمد عباس بن مرداس السلمي ، أعطاه مَذْمُوراً^(١) فمن خافه فيها فلا حق له ، وحقه حق ، وكتب العلاء بن عتبة وشهد .

ثم قال : بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أعطى محمد رسول الله عَوْسَجَةَ بنَ حَرْمَلَةَ الجهمي ، من ذى المروة وما بين بَلْسَكْنَةَ إلى الظبية إلى الجمعات إلى جبل القبلية^(٢) فمن خافه فلا حق له وحقه حق ، وكتبه العلاء بن عتبة .

وروى الواقدي بأسانيده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقطع ابنى سبيح من جُهينة وكتب كتابهم بذلك العلاء بن عتبة ، وشهد .

وقد ذكر ابن الأثير في الغابة هذا الرجل مختصراً فقال : العلاء بن عتبة كتب للنبي صلى الله عليه وسلم ، ذكره في حديث عمرو بن حزم ، ذكره جعفر أخرجه أبو موسى - يعني المديني - في كتابه .

(١) لم أجدها في كتب البلدان .

(٢) بَلْسَكْنَةُ : عرس من المدينة . والظبية : على ثلاثة أميال قرب الروحاء .

ومنه رضي الله عنهم محمد بن مسلمة بن حُرَيْش بن خالد بن عدي بن مجدعة بن حارثة
ابن الحارث بن الخزرج الأنصاري الحارثي الخزرجي أبو عبد الله ، ويقال أبو عبد الرحمن ،
ويقال أبو سعد المدني حليف بني عبد الأشهل .

أسلم على يدي مُصْعَب بن عُمر ، وقيل سعد بن معاذ وأسيّد بن حُصَير ، وآخى
رسول الله حين قدم المدينة بينه وبين أبي عبيدة بن الجراح .

وشهد بدرًا والمشاهد بعدها ، واستخلفه رسول الله على المدينة عام تبوك .

قال ابن عبد البر في الاستيعاب : كان شديد الشُّمرة طويلاً أصلع ذا جثة وكان من
فضلاء الصحابة ، وكان ممن اعتزل الفتنة واتخذ سيفاً من خشب .

ومات بالمدينة سنة ثلاث وأربعين على المشهور عند الجمهور ، وصلى عليه مروان بن
الحكم ، وقد روى حديثاً كثيراً عن النبي صلى الله عليه وسلم .

وذكر محمد بن سعد ، عن علي بن محمد المدائني بأسانيده أن محمد بن مسلمة هو الذي
كتب لوفد مرة كتاباً عن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومنه رضي الله عنهم معاوية بن أبي سفيان ، صخر بن حرب بن أمية الأموي وقد
ذكرنا ترجمته في أيام إمارته .

وقد ذكره مسلم بن الحجاج في كتابه عليه السلام . وقد روى مسلم في صحيحه من
حديث عكرمة بن عمار ، عن أبي زُمَيْل سَمَّاك بن الوائد ، عن ابن عباس ، أن أبا سفيان قال :
يا رسول الله ثلاث أعطينهن ؟ قال : نعم قال : تؤمّرني حتى أقاتل الكفار كما كنت أقاتل
المسلمين . قال : نعم . قال : ومعاوية تجعله كاتباً بين يديك . قال : نعم ، الحديث .

وقد أفردت لهذا الحديث جزءاً على حدة ، بسبب ما وقع فيه من ذكر طلبه تزويج
أم حبيبة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكن فيه من المحفوظ تأمير أبي سفيان

وتولية معاوية منصب الكتابة بين يديه صلوات الله وسلامه عليه .

وهذا قدر متفق عليه بين الفاس قاطبة .

فأما الحديث الذي قال الحافظ ابن عساكر في تاريخه في ترجمة معاوية هاهنا : أخبرنا أبو غالب بن البنا ، أنبأنا أبو محمد الجوهري ، أنبأنا أبو علي محمد بن أحمد بن يحيى بن عبدالله العطشي ، حدثنا أحمد بن محمد البوراني ، حدثنا السري بن عاصم ، حدثنا الحسن ابن زياد ، عن القاسم بن بهرام ، عن أبي الزبير ، عن جابر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استشار جبريل في استكتاب معاوية فقال : استكتبه فإنه أمين .

فإنه حديث غريب بل منكر . والسري بن عاصم هذا هو أبو عاصم الهمداني وكان يؤدب المعتز بالله ، كذبه في الحديث ابن خراش .

وقال ابن حبان وابن عدى : كان يسرق الحديث . زاد ابن حبان : ويرفع الموقوفات لا يحل الاحتجاج به . وقال الدار قطني : كان ضعيف الحديث .

وشيخه الحسن بن زياد : إن كان اللؤلؤى فقد تركه غير واحد من الأئمة ، وصرح كثير منهم بكذبه ، وإن كان غيره فهو مجهول العين والحال .

وأما القاسم بن بهرام فائتمان ؛ أحدهما يقال له القاسم بن بهرام الأسدي الواسطي الأعرج ، أصله من أصبهان ، روى له النسائي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس حديث القنوت بطوله ، وقد وثقه ابن معين وأبو حاتم وأبو داود وابن حبان . والثاني القاسم ابن بهرام أبو همدان قاضي هيت . قال ابن معين : كان كذابا .

وبالجملة فهذا الحديث من هذا الوجه ليس بثابت ولا يفتقر به .

والعجب من الحافظ ابن عساكر مع جلالة قدره وإطلاعه على صناعة الحديث أكثر من غيره من أبناء عصره - بل ومن تقدّمه بدهر - كيف يورد في تاريخه هذا وأحاديث كثيرة من هذا النمط ثم لا يبين حالها ، ولا يشير إلى شيء من ذلك إشارة لا ظاهرة ولا

خفية ، ومثل هذا الصنيع فيه نظر . والله أعلم .

ومنهم رضى الله عنهم المغيرة بن شعبة الثقفى ، وقد قدمت ترجمته فيمن كان يخدمه عليه السلام من أصحابه من غير مَوالِيه ، وأنه كان سيّافاً على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد روى ابن عسّاكر بسنده عن عَتِيق بن يعقوب بإسناده المتقدم غير مرة ، أن المغيرة بن شعبة هو الذى كتب إقطاع حُصَيْن بن نَضْلة الأسدى الذى أقطعه إياه رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمره .

فهؤلاء كتّابه الذين كانوا يكتبون بأمره بين يديه صلوات الله وسلامه عليه .

فصل

وقد ذكر ابن عساكر من أمانته أبا عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح القرشي
 الفهرى أحد العشرة رضى الله عنه ، وعبد الرحمن بن عوف الزهرى .
 أما أبو عبيدة فقد روى البخارى من حديث أبي قلابة ، عن أنس ، أن رسول الله
 صلى الله عليه وسلم قال : « اسكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة ابن الجراح » .
 وفى لفظ : أن رسول الله قال لوفد عبد القيس نجران : « لأبعثن معكم أمينا حق
 أمين » فبعث معهم أبا عبيدة .
 قال : ومنهم مُعَيْقِب بن أبي فاطمة الدَّؤْسَى مولى بنى عبد شمس ، كان على خاتمه ،
 ويقال كان خادمه ، وقال غيره : أسلم قديما وهاجر إلى الحبشة فى الناس ، ثم إلى المدينة
 وشهد بدرا وما بعدها ، وكان على الخاتم ، واستعمله الشيخان على بيت المال .
 قالوا : وكان قد أصابه الجذام فأمر عمر بن الخطاب فدُوى بالحنظل فتوقف المرض .
 وكانت وفاته فى خلافة عثمان وقيل سنة أربعين فآله أعلم .
 قال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن أبى بكير ، حدثنا شيبان ، عن يحيى بن أبى كثير ،
 عن أبى سلمة ، حدثنى مُعَيْقِب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى الرجل يسوئ
 التراب حيث يسجد قال : « إن كنت لا بد فاعلا فواحدة » .
 وأخرجاه فى الصحيحين من حديث شيبان النحوى ، زاد مسلم : وهشام الدَّسْتَوائى .
 زاد الترمذى والنسائى وابن ماجه : والأوزاعى ، ثلاثهم عن يحيى بن أبى كثير
 به ، وقال الترمذى : حسن صحيح .
 وقال الإمام أحمد : حدثنا خلف بن الوليد ، حدثنا أيوب ، عن عتبة ، عن يحيى

ابن أبي كثير ، عن أبي سلمة ، عن مُعَيْقِب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ويل للأعقاب من النار » .

وتفرد به الإمام أحمد .

وقد روى أبو داود والنسائي من حديث أبي عَتَّاب سهل بن حماد الدلال ، عن أبي مَكِين نوح بن ربيعة ، عن إِيَّاس بن الحارث بن المعيقب ، عن جده - وكان على خاتم النبي صلى الله عليه وسلم - قال : كان خاتم النبي صلى الله عليه وسلم من حديد مَلَوَى عليه فضة ، قال : فربما كان في يدي .

قلت : أما خاتم النبي صلى الله عليه وسلم فالصحيح أنه كان من فضة فضة منه ، كما سيأتي في الصحيحين . وكان قد اتخذ قبله خاتم ذهب فلبسه حينئذ ثم رمى به وقال : « والله لا ألبسه » .

ثم اتخذ هذا الخاتم من فضة فضة منه ونقشه : محمد رسول الله ، محمد سطر ، ورسول سطر ، والله سطر .

فكان في يده عليه السلام ، ثم كان في يد أبي بكر من بعده ، ثم في يد عمر ، ثم كان في يد عثمان فلبث في يده ست سنين ، ثم سقط منه في بئر أريس ، فاجتهد في تحصيله فلم يقدر عليه .

وقد صنف أبو داود رحمه الله عليه كتابا مستقلا في سننه في الخاتم وحده ، وسنورد منه إن شاء الله قريبا ما يحتاج إليه وبالله المستعان .

وأما لبس معيقب لهذا الخاتم فيدل على ضعف ما نقل أنه أصابه الجذام ، كما ذكره ابن عبد البر وغيره ، لاسكنه مشهور ، فلعله أصابه ذلك بعد النبي صلى الله عليه وسلم ، أو كان به وكان مما لا يُعَدَى منه ، أو كان ذلك من خصائص النبي صلى الله عليه وسلم لقوة توكله ، كما قال لذلك المجذوم - ووضع يده في القصعة - « كُـلْ ، ثقة بالله وتوكلا عليه » .

رواه أبو داود . وقد ثبت في صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
« فِرٌّ من المجدوم فرارك من الأسد » . والله أعلم .
وأما أمراؤه عليه السلام فقد ذكرناهم عند بعث السرايا منصوصا على أسمائهم .
والله الحمد والمنة .

وأما جملة الصحابة فقد اختلف الناس في عدّتهم ، فنُقل عن أبي زرعة أنه قال :
يبلغون مائة ألف وعشرين ألفا .
وعن الشافعي رحمه الله أنه قال : توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون ممن
سمع منه وراّه زهاء ستين ألفاً .
وقال الحاكم أبو عبد الله : يُروى الحديث عن قريب من خمسة آلاف صحابي .
قلت : والذين روى عنهم الإمام أحمد مع كثرة روايته وإطلاعه واتساع رِحلته
وإمامته من الصحابة تسعمائة وسبعة وثمانون نفسا .
[ووضع في الكتب الستة من الزيادات على ذلك قريب من ثلاثمائة صحابي أيضا ^(١)] .
وقد اعتنى جماعة من الحفاظ رحمهم الله بضبط أسمائهم وذكر أيامهم ووفياتهم ،
من أجلّهم الشيخ أبو عمر بن عبد البرّ المَرِّي في كتابه الاستيعاب ، وأبو عبد الله محمد
ابن إسحاق بن مَفْدّة ، وأبو موسى المديني .
ثم نظّم جميع ذلك الحفاظ عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري
المعروف بابن الصحابة ، صنّف كتابه الغاية في ذلك فأجاد وأفاد ، وجمع وحصل ، ونال
مارام وأمل ، فحمه الله وأثابه وجمعه والصحابة آمين يارب العالمين .

باب

ما يذكر من آثار النبي ﷺ التي كان يختص بها في حياته من ثياب وسلاح
ومراكب وغير ذلك مما يجري تجراه وينتظم في معناه

ذكر الخاتم الذي كان يلبسه عليه السلام ومن أي شيء كان من الأجسام
وقد أفرد له أبو داود في كتابه السنن كتابا على حدة ، ولذا ذكر عيون ما ذكره
في ذلك مع ما نضيفه إليه ، والمعوّل في أصل ما ذكره عليه .
قال أبو داود : حدثنا عبد الرحيم بن مطرف الرّوّاسي . حدثنا عيسى ، عن سعيد ،
عن قتادة ، عن أنس بن مالك قال : أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكتب إلى بعض
الأعاجم فقبل له : إنهم لا يقرءون كتابا إلا بخاتم . فالتخذ خاتما من فضة ، ونقش فيه : محمد
رسول الله .

وهكذا رواه البخاري عن عبد الأعلى بن حماد ، عن يزيد بن زريع عن سعيد بن
أبي عروبة ، عن قتادة به .

ثم قال أبو داود : حدثنا وهب بن بقية ، عن خالد ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن
أنس بمعنى حديث عيسى بن يونس . زاد : فكان في يده حتى قبض ، وفي يد أبي بكر حتى
قبض ، وفي يد عمر حتى قبض ، وفي يد عثمان ، فبينما هو عند بئر إذ سقط في البئر فأمر بها
فترحت ، فلم يُقدّر عليه .

تفرد به أبو داود من هذا الوجه .

ثم قال أبو داود رحمه الله : حدثنا قتيبة بن سعيد وأحمد بن صالح قالا : أخبرنا ابن

وهب ، أخبرني يونس ، عن ابن شهاب ، قال : حدثني أنس قال : كان خاتم النبي صلى الله عليه وسلم من ورق فضة حبيشي .

وقد روى هذا الحديث البخاري من حديث الليث ، ومسلم من حديث ابن وهب ، وطائفة عن يحيى الأنصاري ، وسليمان بن بلال ، زاد النسائي وابن ماجه : وعثمان عن عمر ، خستهم عن يونس بن يزيد الأبيّ به ، وقال الترمذي : حسن صحيح غريب من هذا الوجه .

ثم قال أبو داود : حدثنا أحمد بن يونس ، حدثنا زهير ، حدثنا حميد الطويل ، عن أنس ، قال : كان خاتم النبي صلى الله عليه وسلم من فضة كله فضة منه .
وقد رواه الترمذي والنسائي من حديث زهير بن معاوية الجعفي أبي خزيمة الكوفي به ، وقال الترمذي : حسن صحيح غريب من هذا الوجه .

وقال البخاري : حدثنا أبو معمر ، حدثنا عبد الوارث ، حدثنا عبد العزيز بن صهيب ، عن أنس بن مالك ، قال : اصطنع رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتما ، فقال : إنا اتخذنا خاتما ونقشنا فيه نقشا فلا ينقش عليه أحد .

قال : فإني أرى بريقه في خنصره .

ثم قال أبو داود : حدثنا نصر بن الفرج ، حدثنا أبو أسامة ، عن عبيد الله ، عن نافع ، عن ابن عمر [قال^(١)] اتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتما من ذهب وجعل فضة مما يلي بطن كفه ، ونقش فيه : محمد رسول الله .

فاتخذ الناس خواتم الذهب ، فلما رآهم قد اتخذوها رمى به وقال : لا ألبسه أبداً .
ثم اتخذ خاتما من فضة نقش فيه : محمد رسول الله .

ثم لبس الخاتم بعده أبو بكر ، ثم لبسه بعد أبي بكر عمر ، ثم لبسه بعده عثمان حتى وقع في بئر أريس .

وقد رواه البخارى عن يوسف بن موسى ، عن أبى أسامة حماد بن أسامة به .
ثم قال أبو داود : حدثنا عثمان بن أبى شيبة ، حدثنا سفيان بن عيينة ، عن أبوب
ابن موسى ، عن نافع ، عن ابن عمر فى هذا الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم : فنقش
فيه محمد رسول الله ، وقال : لا ينقش أحدٌ على خاتمى هذا . وساق الحديث .

وقد رواه مسلم وأهل السنن الأربعة ، من حديث سفيان بن عيينة به نحوه .
ثم قال أبو داود : حدثنا محمد بن يحيى بن فارس ، حدثنا أبو عاصم ، عن المغيرة بن
زياد ، عن نافع ، عن ابن عمر فى هذا الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : فالتسوه فلم
يجدوه ، فاتخذ عثمان خاتماً ونقش فيه : محمد رسول الله . قال : فكان يحتم به أو
يقطع به .

ورواه النسائى عن محمد بن معمر ، عن أبى عاصم الضحاك بن مخلد النبيل به .
ثم قال أبو داود :

باب

[ما جاء ^(١) فى ترك الخاتم]

حدثنا محمد بن سليمان لَوْيْنٌ ، عن إبراهيم بن سعد ، عن ابن شهاب ، عن أنس بن
مالك أنه رأى فى يد النبي صلى الله عليه وسلم خاتماً من ورق يوماً واحداً ، فصنع الناس
فلبسوا . وطرح النبي صلى الله عليه وسلم فطرح الناس .

ثم قال : رواه عن الزهرى زياد بن سعد وشُعيب وابن مُسافر ، كلهم قال :
من ورق .

قلت : وقد رواه البخارى : حدثنا يحيى بن بكير . حدثنا الليث ، عن يونس ، عن

ابن شهاب ، قال : حدثني أنس بن مالك أنه رأى في يد النبي صلى الله عليه وسلم خاتماً من ورق يوماً واحداً ، ثم إن الناس اصطفَعُوا الخواتيمَ من ورق ولبسوها ، فطرح رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتمه ، فطرح الناس خواتيمهم .

ثم علقه البخاري عن إبراهيم بن سعد الزهري المدني وشعيب بن أبي جبرة وزباد بن سعد الخراساني ، وأخرجه مسلم من حديثه ، وانفرد أبو داود بعبد الرحمن بن خالد ابن مسافر ، كلهم عن الزهري كما قال أبو داود : خاتماً من ورق .

والصحيح أن الذي لبسه يوماً واحداً ثم رمى به إنما هو خاتم الذهب ، لا خاتم الورق ، لما ثبت في الصحيحين عن مالك عن عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر قال : كان رسول الله يلبس خاتماً من ذهب ، فنَبَذَهُ وقال : لا ألبسه أبداً ، فنَبَذَ الناس خواتيمهم . وقد كان خاتم الفضة يلبسه كثيراً ، ولم يزل في يده حتى توفي صلوات الله وسلامه عليه ، وكان فضة منه ، يعني ليس فيه فص منفصل عنه ، ومن روى أنه كان فيه صورة شخص فقد أبعده وأخطأ ، بل كان فضة كله وفصه منه ، ونقشه : محمد رسول الله ثلاثة أسطر : محمد سطر . رسول سطر . الله سطر .

وكأنه والله أعلم كان منقوشاً وكتابته مقلوبة ليُطِيع على الاستقامة كما جرت العادة بهذا ، وقد قيل : إن كتابته كانت مستقيمة ، وتطبع كذلك ، وفي صحة هذا نظر ، ولست أعرف لذلك إسناداً لا صحيحاً ولا ضعيفاً .

وهذه الأحاديث التي أوردناها أنه عليه السلام كان له خاتم من فضة ، تردُّ الأحاديث التي قدمناها في سُنَنِ أبي داود والنسائي من طريق أبي عَمَّابٍ سهل بن حماد الدلال ، عن أبي مَسْكِينٍ نوح بن ربيعة ، عن إلياس بن الحارث بن مُعَيْقِبٍ بن أبي قاطمة ، عن جده قال : كان خاتم النبي صلى الله عليه وسلم من حديد مَلُوءٍ عليه فضة .

ومما يزيد ضعفاً الحديث الذي رواه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي من حديث

أَبِي طَيِّبَةَ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ مُسْلِمٍ الشَّكْمِيِّ الْمُرُوزِيِّ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُرَيْدَةَ ، عَنْ أَبِيهِ ، أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيْهِ خَاتَمٌ مِنْ شَبِّهِ (١) فَقَالَ : مَا لِي أَجِدُ مِنْكَ رِيحَ الْأَصْنَامِ ؟ فَطَرَحَهُ ، ثُمَّ جَاءَ وَعَلَيْهِ خَاتَمٌ مِنْ حَدِيدٍ ، فَقَالَ : مَا لِي أَرَى عَلَيْكَ حَايَةَ أَهْلِ النَّارِ ؟ فَطَرَحَهُ ، ثُمَّ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ مِنْ أَى شَيْءٍ أَتَّخِذُهُ ؟ قَالَ : أَتَّخِذُهُ مِنْ وَرَقٍ ، وَلَا تُتَعَمَّ مِنْقَالًا .

وَقَدْ كَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَنْبِسُهُ فِي يَدِهِ الْيُمْنَى ، كَمَا رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ فِي الشَّكَائِلِ ، وَالنَّسَائِيُّ مِنْ حَدِيثِ شَرِيكَ : أَخْبَرَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْقَاضِي ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ قَالَ شَرِيكَ : وَأَخْبَرَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ كَانَ يَتَخْتَمُ فِي يَمِينِهِ .

وَرَوَى فِي الْيَسْرَى ، رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ أَبِي رَوَّادٍ ، عَنْ نَافِعٍ ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَتَخْتَمُ فِي يَسَارِهِ ، وَكَانَ فَصَهُ فِي بَاطِنِ كَفِّهِ .

قَالَ أَبُو دَاوُدَ : رَوَاهُ أَبُو إِسْحَاقَ وَأَسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ عَنْ نَافِعٍ فِي يَمِينِهِ . وَحَدَّثَنَا هَفَّادٌ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ، عَنْ نَافِعٍ : أَنَّ ابْنَ عُمَرَ كَانَ يَلْبَسُ خَاتَمَهُ فِي يَدِهِ الْيُسْرَى .

ثُمَّ قَالَ أَبُو دَاوُدَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعِيدٍ ، حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ بُكَيْرٍ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ قَالَ : رَأَيْتُ عَلَى الصَّلْتِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نَوْفَلٍ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ خَاتَمًا فِي خَنْصَرِهِ الْيُمْنَى ، فَقُلْتُ : مَا هَذَا ؟ فَقَالَ : رَأَيْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ يَلْبَسُ خَاتَمَهُ هَكَذَا ، وَجَعَلَ فَصَهُ عَلَى ظَهْرِهَا .

(١) الشبه : النحاس الأصفر .

قال : ولا يخال ابن عباس إلا قد كان يذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يلبس خاتمه كذلك .

وهكذا رواه الترمذى من حديث محمد بن إسحاق به .

ثم قال محمد بن إسماعيل ، يعنى البخارى : حديث ابن إسحاق عن الصلت حديث حسن . وقد روى الترمذى فى الشمائل ، عن أنس وعن جابر وعن عبد الله بن جعفر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتختم فى اليمين .

وقال البخارى : حدثنا محمد بن عبد الله الأنصارى ، حدثنا أبى ، عن ثُمَامَةَ ، عن أنس بن مالك ، أن أبابكر لما استخلف كتب له وكان نقش الخاتم ثلاثة أسطر : محمد سطر ، ورسول سطر ، والله سطر .

قال أبو عبد الله : وزاد أبو أحمد : حدثنا الأنصارى ، حدثنى أبى ، حدثنا ثُمَامَةَ ، عن أنس قال : كان خاتم النبى صلى الله عليه وسلم فى يده ، وفى يد أبى بكر ، وفى يد عمر بعد أبى بكر .

قال : فلما كان عثمان جالس على بئر أريس ، فأخذ الخاتم فجعل يعبث به فسقط .

قال : فاختلفنا ثلاثة أيام مع عثمان ، فنزح البئر فلم يجده .

فأما الحديث الذى رواه الترمذى فى الشمائل : حدثنا قتيبة ، حدثنا أبو عوانة ، عن أبى يسر ، عن نافع ، عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اتخذ خاتماً من فضة فكان يختم به ولا يلبسه .

فإنه حديث غريب جداً . وفى السنن من حديث ابن جُرَيْج عن الزهرى عن أنس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل الخلاء نزع خاتمه .

ذكر سيفه عليه السلام

قال الإمام أحمد : حدثنا شريح ، حدثنا ابن أبي الزناد ، عن أبيه ، عن الأعمى عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عن ابن عباس قال : تنقل رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه ذا النقيار يوم بدر ، وهو الذي رأى فيه الرؤيا يوم أحد ، قال : رأيت في سيفي ذا النقيار فلأ فأولت فأولتاً فلا يكون فيكم ، ورأيت أني مُردف كنبشا ، فأولت كنبش السكتية ، ورأيت أني في درع حصينة فأولتها المدينة ، ورأيت بقراً تذبح ، فبقر والله خير فبقر والله خير .

فكان الذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد واه الترمذي وابن ماجه من حديث عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه به .

وقد ذكر أهل السنن أنه سُمع قائل يقول : لا سيف إلا ذو النقيار ، ولا فتى إلا علي .

وروى الترمذي من حديث هود بن عبد الله بن سعد ، عن جده مزينة بن جابر العبدي المصري رضي الله عنه ، قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وعلى سيفه ذهب وفضة . الحديث .

ثم قال : هذا حديث غريب .

وقال الترمذي في الشائل : حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا معاذ بن هشام ، حدثنا أبي ، عن قتادة ، عن سعيد بن أبي الحسن قال : كانت قبيلة ^(٢) سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم من فضة .

وروى أيضاً من حديث عثمان بن سعد عن ابن سيرين قال : صنعت سيفي على

(١) الفل : لم يكون في حد السيف . (٢) القبيلة : ما على مقبض السيف من حديد أو فضة .

سيف سمرة ، وزعم سمرة أنه صنع سيفه على سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان حنفياً ، وقد صار إلى آل على سيف من سيوف رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قتل الحسين بن علي رضي الله عنهما بكر بلاء عند الطف كان معه ، فأخذه على بن الحسين ابن زين العابدين فقدم معه دمشق حين دخل على يزيد بن معاوية ، ثم رجع معه إلى المدينة .

فثبت في الصحيحين عن المسور بن مخرمة أنه تلقاه إلى الطريق ، فقال له : هل لك إلى من حاجة تأمرني بها ؟ قال : فقال : لا . فقال : هل أنت مُعطى سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبى أخشى أن يغلبك عليه القوم ، وإيم الله إن أعطينيه لا يخاف إياه أحد حتى يبلغ نفسه .

وقد ذكر للنفى صلى الله عليه وسلم غير ذلك من السلاح .

من ذلك : الدروع كما روى غير واحد منهم السائب بن يزيد ، وعبد الله بن الزبير ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهر يوم أحد بين درعين .

وفي الصحيحين من حديث مالك ، عن الزهري ، عن أنس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل يوم الفتح وعلى رأسه المنقعر ، فلما نزع قيل له : هذا ابن خطل متعلق بأستار الكعبة . فقال : اقتلوه .

وعند مسلم من حديث أبي الزبير ، عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل يوم الفتح وعليه عمامة سوداء .

وقال وكيع عن مساور الوراق ، عن جعفر بن عمرو بن حريث ، عن أبيه قال : خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس وعليه عمامة دماء ^(١) .

(١) للدماء : التي يضرب لونها إلى السواد .

ذكرهما الترمذى فى الشمائل ، وله من حديث الدَّرَّاورْدِى ، عن عبد الله ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا اعمَّ سدَّ لها بين كتفيه .

وقد قال الحافظ أبو بكر البزار فى مسنده : حدثنا أبو شيبَةَ إبراهيم بن عبد الله بن محمد ، حدثنا نخول بن إبراهيم ، حدثنا إسرائيل ، عن عاصم ، عن محمد بن سيرين ، عن أنس بن مالك ، أنه كانت عنده عَصِيَّة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فمات فدفنت معه بين جنبه وبين قيصه .

ثم قال البزار : لا أعلم رواه إلا نخول بن راشد ، وهو صدوق فيه شيعية . واحتُمِل على ذلك .

وقال الحافظ البيهقى بعد روايته هذا الحديث من طريق نخول هذا قال : وهو من الشيعة يأتى بأفراد عن إسرائيل لا يأتى بها غيره ، والضعف على رواياته بين ظاهر .

ذكر نعله التى كان يمشى فيها عليه السلام

ثبت فى الصحيح عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يلبس النعال السَّبْتِيَّة ^(١) ، وهى التى لا شعر عليها .

وقد قال البخارى فى صحيحه : حدثنا محمد ، هو ابن مُقَاتِل ، حدثنا عبد الله ، يعنى ابن المبارك ، أنبأنا عيسى بن طَهْمَان ، قال : أخرج إلينا أنس بن مالك نعلين لهما قبالان ، فقال ياثابت : هذه نعل النبي صلى الله عليه وسلم .

وقد رواه فى كتاب الخمس عن عبد الله بن محمد ، عن أبى أحمد الزبيرى ، عن عيسى ابن طَهْمَان ، عن أنس ، قال : أخرج إلينا أنس نعلين جَرْدَاوين لهما قبالان . فحدثنى ثابت البناتى بعدُ عن أنس أنهما نعلا النبي صلى الله عليه وسلم .

(١) السبتيّة : المتخذة من جلود البقر .

وقد رواه الترمذى فى الشئائل عن أحمد بن منيع ، عن أبى أحمد الزبيرى به .
وقال الترمذى فى الشئائل : حدثنا أبو كريب ، حدثنا وكيع ، عن سفيان ، عن
خالد الحذاء ، عن عبد الله بن الحارث ، عن ابن عباس قال : كان لنعل رسول الله صلى
الله عليه وسلم قبالة منى شراهما .

وقال أيضا : حدثنا إسحاق بن منصور ، أخبرنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن ابن
أبى ذئب ، عن صالح مولى التوأمة ، عن أبى هريرة قال : كان لنعل رسول الله صلى
الله عليه وسلم قبالة منى .

وقال الترمذى : حدثنا محمد بن مرزوق أبو عبد الله ، حدثنا عبد الرحمن بن قيس
أبو معاوية ، حدثنا هشام ، عن محمد ، عن أبى هريرة قال : كان لنعل رسول الله صلى
الله عليه وسلم قبالة منى وأبى بكر وعمر ، وأول من عقده عقداً واحداً عثمان .
قال الجوهري : قبالة النعل بالكسر : الزمام الذى يكون بين الإصبع الوسطى
والتي تليها .

قلت : واشتهر فى حدود سنة ستائة وما بعدها عند رجل من التجار يقال له : ابن
أبى الحدرّد نعل مفردة ذكر أنها نعل النبي صلى الله عليه وسلم ، فسامها الملك الأشرف موسى
ابن الملك العادل أبى بكر بن أيوب منه بمال جزيل فأبى أن يبيعها ، فاتفق موته بعد حين
فصارت إلى الملك الأشرف المذكور ، فأخذها إليه وعظمها ، ثم لما بنى دار الحديث الأشرفية
إلى جانب القلعة ، جعلها فى خزانة منها ، وجعل لها خادما ، وقرّر له من العلوم كل شهر
أربعون درهما ، وهى موجودة إلى الآن فى الدار المذكورة .

وقال الترمذى فى الشئائل : حدثنا محمد بن رافع وغير واحد قالوا : حدثنا أبو أحمد
الزبيرى ، حدثنا شيبان ، عن عبد الله بن المختار ، عن موسى بن أنس ، عن أبيه قال :
كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم سلة^(١) يتطايّب منها .

صفة قدح النبي صلى الله عليه وسلم

قال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن آدم ، حدثنا شريك ، عن عاصم قال : رأيت عند أنس قدح النبي صلى الله عليه وسلم فيه ضبة من فضة .

وقال الحافظ البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله ، أخبرني أحمد بن محمد النّسوى ، حدثنا حماد بن شاكر ، حدثنا محمد بن إسماعيل هو البخاري ، حدثنا الحسن ابن مُدْرِك ، حدثني يحيى بن حماد ، أخبرنا أبو عوانة ، عن عاصم الأخول قال : رأيت قدح النبي صلى الله عليه وسلم عند أنس بن مالك وكان قد انصدع فسكّسه بغضة . قال : وهو قدح جَيِّد عريض من نُضار ^(١) .

قال أنس : لقد سقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا القدح أكثر من كذا وكذا . قال : وقال ابن سيرين : إنه كان فيه حلقة من حديد ، فأراد أنس أن يجعل مكانها حلقة من ذهب أو فضة فقال له أبو طلحة : لا تغيرن شيئاً صنعه رسول الله صلى الله عليه وسلم . فتركه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا رَوْح بن عبادة ، حدثنا حجاج بن حسان ، قال : كنا عند أنس فدعا بإناء فيه ثلاث ضَبَّات حديد وحلقة من حديد ، فأخرج من غلاف أسود وهو دون الربع وفوق نصف الربع ، وأمر أنسُ بن مالك فجعل لنا فيه ماء فأثينا به فشربنا وصَبَبْنَا على رؤوسنا ووجوهنا وصلينا على النبي صلى الله عليه وسلم . انفرَد به أحمد .

ذكر ما ورد في المِكَحَلَة التي كان عليه السلام يكتحل منها

قال الإمام أحمد : حدثنا يزيد ، أخبرنا عبد الله بن منصور ، عن عكرمة ، عن ابن

عباس ، قال : كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم مكحلة يكتحل منها عند النوم ثلاثاً في كل عين .

وقد رواه الترمذى وابن ماجه من حديث يزيد بن هارون ، قال على بن المدبني : سمعت يحيى بن سعيد يقول : قلت لعباد بن منصور : سمعت هذا الحديث من عكرمة ؟ فقال : أخبرنيه ابن أبي يحيى عن داود بن الحصين عنه .

قلت : وقد بلغنى أن بالديار المصرية مزاراً فيه أشياء كثيرة من آثار النبي صلى الله عليه وسلم اعتنى بجمعها بعض الوزراء المتأخرين ، فمن ذلك مكحلة وقيل : ومشط . وغير ذلك فالحق أعلم .

الْبُرْدَة

قال الحافظ البيهقي : وأما البرد الذي عند الخلفاء فقد روينا عن محمد بن إسحاق بن يسار في قصة تبوك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى أهل أُبُلَةَ بُرْدَه مع كتابه الذي كتب لهم أماناً لهم ، فاشتراه أبو العباس عبد الله بن محمد بثلاثمائة دينار - يعني بذلك أول خلفاء بني العباس وهو السفاح رحمه الله -

وقد توارث بنو العباس هذه البردة خلفاً عن سلف ، كان الخليفة يابسها يوم العيد على كتفيه ، ويأخذ القضيبي المنسوب إليه صلوات الله وسلامه عليه في إحدى يديه ، فيخرج وعليه من السكينة والوقار ما يصدع به القلوب ، ويبهر به الأبصار ، ويابسون السواد في أيام الجمع والأعياد ، وذلك اقتداء منهم بسيد أهل البدو والخضر ، ممن يسكن الوبر والمدر . لما أخرجه البخارى ومسلم إماما أهل الأثر ، من حديث مالك عن الزهري ، عن أنس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مكة وعلى رأسه المفقر . وفي رواية : وعليه عمامة سوداء ، وفي رواية : قد أرخى طرفها بين كتفيه ، صلوات الله وسلامه عليه

وقد قال البخارى : حدثنا مُسَدَّد ، حدثنا إسماعيل ، حدثنا أيوب ، عن محمد ، عن أبي بُرْدَةَ قال : أخرجت إلينا عائشة كساء وإزارا غليظا فقالت : قبض روح النبي صلى الله عليه وسلم فى هذين .

وللبخارى من حديث الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله ، عن عائشة وابن عباس قالا : لما نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم طَفِقَ يَطْرَحُ خَمِيصَةً لَهُ عَلَى وَجْهِهِ ، فَإِذَا اغْتَمَّ كَشَفَهَا عَنْ وَجْهِهِ فَقَالَ وَهُوَ كَذَلِكَ : لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى ، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ ، يَحْذَرُ مَا صَنَعُوا .

قلت : وهذه الأثواب الثلاثة لَا يُدْرَى مَا كَانَ مِنْ أَمْرِهَا بَعْدَ هَذَا .
وقد تقدم أنه عليه السلام طُرِحَتْ تَحْتَهُ فِي قَبْرِهِ الْكَرِيمِ قُطِيفَةٌ حُمْرَاءُ كَانَ يَصَلُّى عَلَيْهَا ، وَلَوْ تَقَصَّيْنَا مَا كَانَ يَلْبَسُهُ فِي أَيَّامِ حَيَاتِهِ لَطَالَ الْفَصْلُ ، وَمَوْضِعُهُ كِتَابُ الْإِبَاسِ مِنْ كِتَابِ الْأَحْكَامِ الْكَبِيرِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَبِهِ الثَّقَةُ وَعَلَيْهِ التَّكْلَانِ .

ذَكَرَ أَفْرَاسُهُ وَمَرَآكِبُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ

قال ابن إسحاق عن يزيد بن حبيب ، عن مَرْثَدَ بن عبد الله المزنى ، عن عبد الله ابن رَزِينَ ، عن على قال : كَانَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَسٌ يُقَالُ لَهُ الْمُرْتَجِزُ ، وَحِمَارٌ يُقَالُ لَهُ عُقَيْرٌ ، وَبَغْلَةٌ يُقَالُ لَهَا دُؤْدُلٌ ، وَسَيْفُهُ ذُو الْفِقَارِ ، وَدِرْعُهُ ذُو الْفُضُولِ .

ورواه البيهقى من حديث الحكم ، عن يحيى بن الجزار ، عن على نحوه .

قال البيهقى : وروينا فى كتاب السنن أسماء أفراسه التى كانت عند الساعديين ، لَزَازَ وَاللَّحِيفَ وَقِيلَ اللَّخِيفَ وَالظَّرِبَ ، وَالَّذِى رَكِبَهُ لِأَبْنِى طَلْحَةَ يُقَالُ لَهُ الْمُنْدُوبُ ، وَنَاقَتُهُ الْقَصُوءُ وَالْعَضْبَاءُ وَالْجَدْعَاءُ ، وَبَغْلَتُهُ الشَّهْبَاءُ ، وَالْبَيْضَاءُ .

قال البيهقى : وليس فى شىء من الروايات أنه مات عنهن ، إلا ماروينا فى بغلته

البيضاء ، وسلاحه وأرض جعلها صدقة ، ومن ثيابه ، وبقلته ، وخاتمه ماروينا في هذا الباب .

وقال أبو داود الطيالسي : حدثنا زَمْعَةُ بن صالح ، عن أبي حازم ، عن سهل بن سعد ، قال : توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وله جبة صوف في الحياكة . وهذا إسناد جيد .

وقد روى الحافظ أبو يعلى في مسنده : حدثنا مجاهد ، عن موسى ، حدثنا علي بن ثابت ، حدثنا غالب الجزري ، عن أنس قال : لقد قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنه لَيُنْسَجَ له كساء من صوف . وهذا شاهد لما تقدم .

وقال أبو سعيد بن الأعرابي : حدثنا سعدان بن نصير ، حدثنا سُفْيَان بن عُيَيْنَةَ ، عن الوائيد بن كثير ، عن حسين ، عن فاطمة بنت الحسين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض وله بُردان في الجف^(١) يُعْمَلَان . وهذا مرسل .

وقال أبو القاسم الطبراني : حدثنا الحسن بن إسحاق التستري ، حدثنا أبو أمية عمرو بن هشام الحراني ، حدثنا عثمان بن عبد الرحمن بن علي بن عروة ، عن عبد الملك ابن أبي سليمان ، عن عطاء وعمرو بن دينار ، عن ابن عباس قال : كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم سيف قائمته من فضة وقببعتُه ، وكان يسمي ذا الفقار ، وكان له قوس تسمى السِّدَاد وكانت له كِفَانَةٌ تسمى الجمع ، وكانت له درع موشَّحة بالنحاس تسمى ذات الفضول وكانت له حَرَبَةٌ تسمى السقاء ، وكان له مِجَنٌ يسمى الذقن ، وكان له تُرْسٌ أبيض يسمى الموجز ، وكان له فرس أدم يسمى السَّكْب ، وكان له سرج يسمى الداج ، وكان له بغلة شهباء يقال لها دُلْدُل ، وكانت له ناقَةٌ تسمى القَصْوَاء ، وكان له حمار يقال له : يَمْفُور ،

(١) وعاء من الجلود .

وكان له بساط يسمى السكر، وكان له تمر تسمى التمر، وكانت له زكوة تسمى الصادر، وكانت له امرأة تسمى المرأة، وكان له مقرض يسمى الجاح، وكان له قضيب شوحط^(١) يسمى المشوق .

قلت : قد تقدم عن غير واحد من الصحابة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يترك ديناراً ، ولا درهما ، ولا عبداً ، ولا أمة سوى بغلة وأرض جعلها صدقة ، وهذا يقتضي أنه عليه السلام نجز العتق في جميع ما ذكرناه من العبيد والإماء ، والصدقة في جميع ما ذكر من السلاح ، والحيوانات ، والأثاث ، والمتاع مما أوردناه وما لم نورد .

وأما بغلته وهي الشهباء ، وهي البيضاء أيضاً والله أعلم ، وهي التي أهداها له المقوقس صاحب الاسكندرية واسمه جريج بن ميناء فيما أهدى من التحف ، وهي التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم راكبها يوم حنين وهو في نحور العدو ينفو باسمه الكريم شجاعةً وتوكلاً على الله عز وجل ، فقد قيل : إنها عمرت بعده حتى كانت عند علي بن أبي طالب في أيام خلافته ، وتأخرت أيامها حتى كانت بعد علي عند عبد الله بن جعفر فكان يحش لها الشعير حتى تأكله من ضعفها بعد ذلك .

وأما حماره يعفور ، ويصغر فيقال له عفير ، فقد كان عليه السلام يركبه في بعض الأحيان .

وقد روى أحمد من حديث محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن يزيد ابن عبد الله العوفي ، عن عبد الله بن رزين ، عن علي قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يركب حماراً يقال له عفير .

ورواه أبو يعلى من حديث عون بن عبد الله ، عن ابن مسعود .

وقد ورد في أحاديث عدة أنه عليه السلام ركب الحمار .

(١) الشوحط : شجر تتخذ منه القسي .

وفي الصحيحين أنه عليه السلام مرّ وهو راكب حماراً بمجلس فيه عبد الله بن أبيّ بن سؤل وأخلاقاً من المسلمين والمشرّكين عبدة الأوثان واليهود فزل ودعاهم إلى الله عز وجل ، وذلك قبل وقعة بدر ، وكان قد عزم على عيادة سعد بن عباد ، فقال له عبد الله : لا أحسن ما تقول أيها المرء ، فإن كان حقاً فلا تغشنا به في مجالسنا ، وذلك قبل أن يظهر الإسلام ، ويقال إنه تخّر أنفه لما غشيتهم عجاوبة الدابة وقال : لا تؤذنا بنتن حمارك .

فقال له عبد الله بن روضة : والله لريح حمار رسول الله صلى الله عليه وسلم أطيب من ريحك . وقال عبد الله : بل يارسول الله اغشنا به في مجالسنا فإننا نحب ذلك ، فتشاور الحَيَّان وهما أن يقتتلا ، فسكنهم رسول الله .

ثم ذهب إلى سعد بن عباد فشكا إليه عبد الله بن أبيّ . فقال : ارفق به يارسول الله ، فوالذي أكرمك بالحق لقد بعثك الله بالحق ، وإنا لننظّم له الخرز للملّكه علينا ، فلما جاء الله بالحق شَرِقَ بريقه .

وقد قدمنا أنه ركب الحمار في بعض أيام خيبر ، وجاء أنه أردف معاذاً على حمار . ولو أوردناها بالفاظها وأسانيدھا اطال الفصل والله أعلم .

فأما ما ذكره القاضي عياض بن موسى السبّتي في كتابه الشّفا ، وذكره قبلُ إمامُ الحرمين في كتابه الكبير في أصول الدين وغيرها أنه كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم حمار يسمى زياد بن شهاب ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يبعثه ليطلب له بعض أصحابه فيجزيه إلى باب أحدهم فيُقَمِّقعه فيعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلبه ، وأنه ذكر للنبي صلى الله عليه وسلم أنه سُلالة سبعين حماراً كلّ منها رَكِبَهُ نبيٌّ ، وأنه لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب فتردى في بئر فمات ، فهو حديث لا يُعرف له إسناد بالكلية ، وقد أنكره غير واحد من الحفاظ منهم عبد الرحمن بن أبي حاتم

وأبوه رحمهما الله ، وقد سمعت شيخنا الحافظ أبا الحجاج المزني رحمه الله يذكره غير مرة إنكاراً شديداً .

وقال الحافظ أبو نعيم في كتاب دلائل النبوة : حدثنا أبو بكر أحمد بن محمد بن موسى العنبري ، حدثنا أحمد بن محمد بن يوسف ، حدثنا إبراهيم بن سويد الجذوعي ، حدثني عبد الله بن أذين الطائي ، عن ثور بن يزيد ، عن خالد بن معدان ، عن معاذ بن جبل قال : أتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو بخير حمار أسود فوقف بين يديه ، فقال : من أنت ؟ قال : أنا عمرو بن فلان ، كنا سبعة إخوة كلنا ركبنا الأنبياء وأنا أصغرهم ، وكنت لك فداكني رجل من اليهود ، فكنت إذا ذكرتك كبوتُ به فيوجعني ضرباً . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأنت بمغفور .
هذا حديث غريب جداً .

وإلى هنا تنتهي السيرة النبوية للإمام ابن كثير ، والحمد لله الذي أعان عليه ،
ويتلوها جزء مفرد في شمائل الرسول وخصائصه وفضائله ودلائل نبوته

فَهْرَسُ الْمَوْضُوعَاتِ

الصفحة	الصفحة
٣٠ بعثه عليه السلام خالد بن الوليد إلى	٣ سنة تسع من الهجرة
أ كيدر دومة	٣ ذكر غزوة تبوك في رجب منها
٣٢ انصراف الرسول إلى المدينة	٤ رواية ابن إسحاق
٣٣ دفن ذى الجحادين ودعاء الرسول له	٦ نفقة عمان في جيش العسرة
٣٤ المنافقون الذين هموا بقتل الرسول في	٨ فصل فيمن تخلف معذورامن البكائين
عودته من تبوك	وغيرهم
٣٨ قصة مسجد الضرار	١١ خروج رسول الله والمسلمين
٤٢ حديث كعب بن مالك	١٢ الرسول يخلف على بن أبي طالب
٤٨ ذكر أقوام تخلفوا من العصاة غير	١٣ خبر أبي خيثمة
هؤلاء	١٥ خبر أبي ذر
٥١ ذكر ما كان من الحوادث بعد	١٦ من معجزات الرسول في غزوة تبوك
رجوعه عليه السلام إلى المدينة	١٨ مروره عليه السلام بمساكن ثمود
منصرفه من تبوك	٢٣ خطبة الرسول إلى تبوك إلى نخلة هناك
٥٣ قدوم وفد ثقيف على رسول الله في	٢٦ ذكر الصلاة على معاوية بن أبي معاوية
رمضان من سنة تسع	- إن ضح الخبر -
٥٦ تأمير الرسول عثمان بن أبي العاص	٢٧ قدوم رسول قيصر إلى رسول الله
على ثقيف	بتبوك
٦١ هدم ربة ثقيف	٢٩ مصالحة الرسول ملك أيلة وأهل جرباء
٦٣ الكتاب الذي كتبه رسول الله لثقيف	وأذرح وهو نجيم على تبوك قبل رجوعه

الصفحة

- ١٢١ ضماد الأزدي
١٢١ وفد طي مع زيد الخليل
(١٢٣) قصة عدى بن حاتم الطائي
١٣٣ قصة دوس والطفيل بن عمرو
١٣٤ قدوم الأشعريين وأهل اليمن
١٣٥ قصة عمان والبحرين
١٣٦ وفود فروة بن مسيك المرادي
١٣٨ قدوم عمرو بن معد يكرب في أناس
من زيد
١٤٠ قدوم الأشعث بن قيس في وفد كنفدة
١٤٢ قدوم أعشى بنى مازن
١٤٤ قدوم سرد بن عبد الله الأزدي
١٤٥ قدوم رسول ملوك حمير
١٤٩ قدوم جرير بن عبد الله البجلي
وإسلامه
١٥٤ وفادة وائل بن حجر بن ربيعة أحد
ملوك اليمن على رسول الله
١٥٦ وفادة أقيط بن عامر بن المتفق
العقبلي
١٦١ وفادة زياد بن الحارث الصدائي
١٦٣ وفادة الحارث بن حسان البكري
١٦٥ وفادة عبد الرحمن بن أبي عقيل

الصفحة

- ذكر موت عبد الله بن أبي قبحه الله ٦٤
شعر لحسان بن ثابت يعد فيه غزوات
الرسول
بعث رسول الله أبابكر الصديق أميراً على
الحج سنة تسع ونزل سورة براءة.
أهم حوادث سنة تسع ٧٣
كتاب الوفود الواردة إلى رسول الله ٧٦
صلى الله عليه وسلم
أول من وفد على رسول الله صلى الله ٧٧
عليه وسلم
وفد بنى تميم ٧٩
مفاخرة بين الزبرقان بن بدر وحسان ٨١
بن ثابت
فضل بنى تميم ٨٧
وفد بنى عبد القيس ٨٧
قصة ثمامة ووفد بنى حنيفة ومعه ٩٢
مسيلة الكذاب
وفد أهل نجران ١٠٠
وفد بنى عامر وقصة عامر بن الطفيل ١٠٩
وأربد بن قيس
قدوم ضمام بن ثعلبة على رسول الله ١١٦
واقدا عن قومه بنى سعد بن بكر

الصفحة

- ٢٤٠ رواية ابن عباس للإفراد
 ٢٤٢ ذكر من قال إنه عليه السلام حج متمتعا
 ٢٥١ ذكر حُجة من ذهب إلى أنه عليه السلام كان قارناً وسَرَدَ الأحاديث في ذلك.
 ٢٥١ رواية أمير المؤمنين عمر بن الخطاب
 ٢٥٣ رواية أمير المؤمنين عثمان وعلى
 ٢٥٥ رواية أنس بن مالك ، وذكر من رواه عنه من التابعين
 ٢٦٣ رواية جابر بن عبد الله
 ٢٦٥ رواية أبي طلحة زيد بن سهل الأنصاري
 ٢٦٦ رواية سراقه بن مالك بن جعشم
 ٢٦٦ رواية سعد بن أبي وقاص
 ٢٦٧ رواية عبد الله بن أبي أوفى
 ٢٦٧ رواية عبد الله بن عباس
 ٢٦٨ رواية عبد الله بن عمر
 ٢٦٩ رواية عبد الله بن عمرو
 ٢٧٠ رواية عمران بن حصين
 ٢٧١ رواية الهرماس بن زياد الباهلي
 ٢٧١ رواية حفصة بنت عمر
 ٢٧٢ رواية عائشة أم المؤمنين

الصفحة

- ٢٠١ بعث على بن أبي طالب وخالد بن الوليد إلى اليمن
 ٢١١ كتاب حجة الوداع في سنة عشر :
 ٢١٢ بيان أنه عليه السلام لم يحج من المدينة إلا حجة واحدة ، وأنه اعتمر قبلها ثلاث عُمر
 ٢١٥ تاريخ خروجه عليه السلام من المدينة لحجة الوداع
 ٢١٨ صفة خروجه صلى الله عليه وسلم من المدينة إلى مكة للحج
 ٢٢٩ بيان الموضع الذي أهل منه صلى الله عليه وسلم واختلاف الفاقين لذلك وترجيح الحق في ذلك
 ٢٣٦ بَسَطَ البيان لما أُحْرِمَ به صلى الله عليه وسلم في حجته هذه من الإفراد أو التمتع أو القران
 ٢٣٦ ذكر الأحاديث الواردة بأنه صلى الله عليه وسلم كان مُفَرِّداً
 ٢٣٦ رواية عائشة أم المؤمنين في ذلك
 ٢٣٩ رواية جابر بن عبد الله في الإفراد
 ٢٤٠ رواية عبد الله بن عمر للإفراد

الصفحة

الصفحة

- | | | | |
|-----|---|-----|--|
| ٤٢٧ | سنة إحدى عشرة من الهجرة : | ٣٨١ | إفاضته صلى الله عليه وسلم إلى البيت العتيق |
| ٤٢٨ | استشعار النفوس بوفاته عليه السلام | ٣٨٦ | لم يُعد الرسول الطواف بين الصفا والمروة |
| ٤٢٩ | عدد غزوات الرسول | ٣٨٧ | رجوعه إلى منى بعد ما صلى الظهر بمكة |
| ٤٣٢ | عدد سراياه وبعوثه | ٣٨٨ | خطبة الرسول بمنى يوم النحر |
| ٤٤٢ | الآيات والأحاديث المُنذرة بوفاته رسول الله | ٤٠٠ | فصل فيما ورد من الأحاديث الدالة أن الرسول خطب الناس بمنى في اليوم الثاني من أيام التشريق |
| ٤٤٣ | كيف ابتدئ الرسول بمرضه الذي مات فيه | ٤٠٤ | إيراد حديث فيه أن الرسول كان يترور البيت في كل ليلة من ليالى منى |
| ٤٥٠ | حديث : هلموا أكتب لكم كتابا | ٤٠٥ | أسماء أيام الحج من ذى الحجة |
| ٤٥١ | تمسك أهل البدع بما توهموه من هذا الحديث | ٤٠٥ | نزول الرسول بالمحصب بعد نفر من منى |
| ٤٥٢ | ماذا كان يريد الرسول أن يكتب | ٤٠٨ | الخلاف في نزول المحصب : أسنة هو أم لا |
| ٤٥٣ | خطبة الرسول في مرضه وفضل أبي بكر | ٤١٢ | خروج الرسول من أسفل مكة |
| ٤٥٧ | اقتصاص الرسول من نفسه | ٤١٣ | استصحاب الرسول معه من ماء زمزم |
| ٤٥٩ | أمره عليه السلام أبا بكر الصديق أن يصلى بالصحابة أجمعين | ٤١٤ | فصل في إيراد الحديث الدال على |

الصفحة	الصفحة
٥٠٥	٤٦٧ تقديم الرسول لأبي بكر معلوم
٥٠٩	بالضرورة في دين الإسلام
٥١٧	٤٦٨ استدلال مالك والشافعي بصلاة
٥٢٢	الرسول قاعدا واقتداء أبي بكر
٥٢٧	به قائما ..
٥٢٩	٤٧٠ كيفية احتضاره ووفاته صلى الله
٥٣٧	عليه وسلم
٥٣٨	٤٧٩ ما حدث للصحابة من الدهشة بوفاته
٥٤١	٤٨٤ ذكر أمور مهمة وقعت بعد وفاته
٥٤٣	وقبل دفنه .
	٤٨٦ قصة سقيفة بني ساعدة
	٤٩١ اعتراف سعد بن عباد بصحة ما قاله
	الصديق يوم السقيفة
٥٤٩	٤٩٦ إجماع الصحابة على تقديم أبي بكر
٥٥٢	٤٩٩ لم يوص الرسول لعلي بن أبي طالب
٥٥٤	٥٠٠ من ظن من الصحابة تقديم غير من
٥٥٦	قدم الرسول فقد نسبهم إلى الفجور
٥٦٠	٥٠١ مانسبه جهلة القصاص إلى الرسول
	من الوصية لعلي
٥٦٦	٥٠٢ حديث في نعي الرسول نفسه لأصحابه
٥٧٠	- إن صح -
	ذكر الوقت الذي توفي فيه رسول الله
	وموافقهم على ذلك

الصفحة		الصفحة	
٧٠٣	ما جاء في ترك الخاتم	٦٩٢	العلاء بن الحضرمي
٧٠٧	ذكر سيفه عليه السلام	٦٩٤	العلاء بن عقبة
٧٠٨	سلاح النبي	٦٩٥	معاوية بن أبي سفيان
٧٠٩	ذكر نعله التي كان يمشي فيها	٦٩٨	أمناء الرسول
٧١١	صفة قدح النبي	٧٠٠	جملة الصحابة ، والخلاف في عددهم
٧١١	ما ورد في المسكحلة التي كان يكتحل	٧٠١	باب ما يذكر من آثار النبي ﷺ
	منها		التي كان يختص بها في حياته ،
٧١٢	البردة النبوية		من ثياب وسلاح ومراكب
٧١٣	ذكر أفراسه ومراكبه		وغير ذلك
		٧٠١	ذكر الخاتم الذي كان يلبسه

فهرس القوافى

(أ)

صفحة		
٥٢	خالد بن الوليد	جزاء
١٢٧	فروة بن مسيك	نساءها

(ب)

١٤٣	أعشى بن مازن	الذرب
٥٦٩	أبو بكر الصديق	النبي
٦٧٣	امراة حفظة بن الربيع	شاحب
١٨٤	—	بأقتابها

(ت)

١٧٥	محمد بن بشر بن معاوية	والبركات
١٣٣	أبو هريرة	نجت
٨٧	—	لضلت

(ج)

٤٣٨	العصماء بنت مروان	الخزرج
٦٣٨	حسان بن ثابت	الخزرج

(د)

٣١	بجير بن بجرة	هاد
٥٥٦	حسان بن ثابت	تهمد
١٧٨	—	المسجد
١٢٢	عامر بن الطفيل	منجد

صفحة		
٦٨٠	—	معرّد
١٧٥	قوة بن هبيرة	منفد
١١٢	لبيد بن ربيعة	والد
١٣٨	عمرو بن معد يكرب	رشدّه
	(ر)	
١٣٩	عمرو بن معد يكرب	بثفر
١٨٥	—	بأكوارها
	(س)	
١٨٤	—	بأحلاسها
	(ع)	
٤٢	—	الوداع
٦١	—	الرضاع
٨١	حسان بن ثابت	تُدبّع
٨١	الزبرقان بن بدر	البيم
٤٣٧	أبو عفك	مجمعا
	(ق)	
٥١	العباس بن عبد المطلب	الورق
٦	الضحاك بن خليفة	أيرق
	(ل)	
٦٧٩	حسان بن ثابت	يعدل
٦٧	حسان بن ثابت	حصّلوا
	(م)	

صفحة		وأكرماً
١٤	أبو خيثمة مالك بن قيس	التمام
٦٥٦	—	العظام
٨٣	حسان بن ثابت	الحرم
٤٣٩	بعض بني حنيفة	المواسم
٨٢	الزبرقان بن بدر	
	(ن)	
١٤٠	عمرو بن معد يكرب	عياناً
١٣٧	فروة بن مسيك	بنت حينا
١٧٩	—	بناني
٤٣٨	أمامة المريدي	يمنى

مراجع التحقيق

- الاشتقاق لابن دريد تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون
الاكتفا في مغازي المصطفى للكلاعي مخطوط بدار الكتب
إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري للقسطلاني المطبعة الأميرية سنة ١٣٢٥ هـ .
أساس البلاغة للزمخشري طبعة دار الكتب
الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر مطبعة السعادة
تاريخ الطبري تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم
تاريخ ابن عساكر (طبع دمشق)
تفسير ابن كثير طبعة عيسى الحلبي
تهذيب التهذيب لابن حجر طبع حيدر آباد
الحيوان للجاحظ تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون
الخصائص الكبرى للسيوطي طبع حيدر آباد
دلائل النبوة لأبي نعيم الطبعة الثانية بحيدر آباد
ذم الهوى لابن الجوزي بتحقيق مطبعة السعادة سنة ١٩٦٢ م
الروض الأنف للسهيلى المطبعة الجمالية سنة ١٣٣٢ هـ
سنن أبي داود المطبعة القازية سنة ١٣٤٨ هـ
سنن ابن ماجه تحقيق الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي
سيرة بن هشام تحقيق الأستاذ الأبيارى والسقا وشلبى
شرح صحيح مسلم المطبعة المصرية سنة ١٣٤٨ هـ
شرح المواهب للزرقانى المطبعة الأزهرية سنة ١٣٢٦ هـ

الشعر والشعراء لابن قتيبة تحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر
الشفاء للقاضي عياض المطبعة العثمانية سنة ١٣١٢ هـ
صحيح البخارى المطبعة الأميرية سنة ١٢٨٠ هـ
صحيح مسلم طبعة عيسى الحلبي بإشراف الأستاذ فؤاد عبد الباقي
القاموس المحيط الطبعة الأميرية
الكنى والأسماء للدولابي طبعة حيدر آباد
اللباب في تهذيب الأنساب طبعة السعادة
لسان العرب لابن منظور الطبعة الأميرية
مرصد الاطلاع تحقيق الأستاذ على البجاوى
مسند أحمد تحقيق الشيخ أحمد شاكر . والطبعة الأميرية
مشارا إليها في مواضعها .
المشتبه في الرجال للذهبي . تحقيق الأستاذ على البجاوى
معجم البلدان طبع أوروبا .
مكارم الأخلاق للخرائطى المطبعة السلفية
ميزان الاعتدال في نقد الرجال للذهبي تحقيق الأستاذ البجاوى
النهاية في غريب الحديث لابن الأثير المطبعة الخيرية سنة ١٣١٨
الوفا بأحوال المصطفى لابن الجوزى بتحقيق مطبعة السعادة سنة ١٩٦٦

تصويبات

وما أثبتته عن صحيح مسلم ١٨١/٦	هامش	١٥٣
ط استامبول		
أبي رزّين	١	١٥٦
عاصم بن أبي النّجود	٢٠	١٦٣
تجيب	٢	١٨٧
حسان بن حوط	١٤، ١٢	١٧٩
النّخع	٧	١٨٢
الحيات : القويّات	هامش (٣)	١٧٥
جشعاً (١)	٤	١٩٣
فلما كان	١٥	٤٠٥
الحسين بن حُرَيْث	٢٠	٤١٨
فقال	١٣	٤٧٩
فانخث (٢)	٧	٤٩٩

خاتمة

إلى هنا ينتهى كتاب السيرة النبوية للحافظ ابن كثير ، وهو قسم السيرة من كتابه « البداية والنهاية » الذى ثبت من كلام ابن كثير نفسه ، ومما ذكره أصحاب التراجم ، أنه كتاب مستقل ، كان يعرف باسم السيرة المطولة ، وله أيضا سيرة موجزة ، كما ذكر ابن كثير فى تفسير سورة الأحزاب .

وأود أن أشير هنا إلى ملاحظات تبدت فى خلال عملى فى إخراج هذا الكتاب ، إذ أن المقدمة قد كتبت عند طبع الجزء الأول ، وهى :

١ - كنت قد أشرت فى المقدمة إلى أن ابن كثير يورد فى أسلوبه بعض الكلمات التى قد تضع من قدر الأسلوب أو تحط من رتبته ، وذكرت لذلك بعض الأمثلة ، ورتبت عليها أن ابن كثير لم يكن ممن يحفل بهاء الأسلوب أو التفنن فى العبارات .

والحق أن ابن كثير ، كما يتبدى من خلال النظر فى أسلوبه جملة ، أدب رائق العبارة ، قوى الأسلوب ، وأن الألفاظ التى قد تعاب على أسلوبه ، ليست حكما فى ذلك ، فإن للكلمات أعمارا تاريخية ، فقد تبدو فى أجيال وتختفى أو تهمل فى أخرى ، والأذواق تختلف فى ذلك اختلافا كثيرا .

٢ - كما كنت قد أشرت فى المقدمة إلى أن ابن كثير قد أورد فى كتابه هذا الكثير من الأخبار الواهية ، وعبت عليه ذلك ، رغم أنه يبين رتبته ويشير إلى حالها . وهذا أيضا مما استدركه هنا ، فقد كان على ابن كثير أن يزن بميزان الرواية كل التراث الذى انتهى إلى عصره ليفحصه ويكشف حقيقته ، وذلك منهاج مستقيم ، لا يفكره العلم ، وإن تأذى منه بعض الناس فى هذا العصر .

٣ - وفيما يتصل بمنهج التحقيق ، لم أكن أحفل بالفروق الخاطئة بين النسخ التي تنشأ عن التحريف الكتابي ، إذ ليس لها وزن على ، كذلك كنت أشير في الجزء الأول إلى أخطاء النسخة المطبوعة ، ثم أمسكت عن ذلك إذ ليس لذلك من فائدة ، ويكفي القارىء أن يعلم أن هذه المطبوعة لم تكن موثقة ولا متسمة بالتحقيق العلمى .

٤ - وقد يلحظ القارىء أنى لم ألتزم بتخريج الأخبار . أى الإرشاد إلى أماكن وجودها في الراجع ، وذلك أمر أشرت إليه في المقدمة ، فإن أخبار السيرة مشتركة بين عدد كبير من كتب الحديث والسيرة والشمال ، فاكتمت بالاطمئنان إلى صواب النص بعرضه على هذه المراجع ، ولم أشر إلا إلى أوجه الاختلاف أو التحريف في الأصل .
٥ - أما الفهارس المتنوعة في رجاء أن أوفق في طبعة تالية إلى استكمالها ، إذا اقتضت ظروف حاضرة الاختصار فيها على القليل .

٦ - لقد استغرق إعداد هذا الكتاب وإخراجه ثلاث سنوات كاملة ، وكان القصد منه أن يضع في متناول الأمة الإسلامية أوثق مصدر وأشمل لسيرة النبي صلى الله عليه وسلم . وحسبى في ذلك هذه النية ، آملاً أن ينفع الله به ، وأن يسبغ علينا من رحمته وفضله له الحمد في الأولى والآخرة ، نعم المولى ونعم النصير .

مصطفى عبد الواحد

القاهرة في : { ربيع الآخر ١٣٨٦
يوليو ١٩٦٦ }